

وَفِيَا الْعِيَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلَادِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَلِيكَانَ
(٦٠٨ - ٤٦٨١)

حقيقه

الدكتور احسان عباس

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

1978-1979

وفيات الأعيان

١

٥٥

ترجمة المؤلف

« قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان »^١

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستائة وسمع بها «صحيح البخاري» من أبي محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية . روى عنه المزي والبرزالي والطبقة ، وكان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع حلو المذاكرة وافر الحرمة ، فيه رياسة كبيرة ، له كتاب « وفيات الأعيان » وقد اشتهر كثيراً وله مجاميع أدبية . قدم الشام في شببته وقد تفقه بالموصل على كمال الدين ابن يونس وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين ابن شداد وغيرهما . ودخل مصر وسكنها مدة وتأهل بها وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري ثم قدم الشام على القضاء في ذي الحجة سنة تسع وخمسين منفرداً بالأمر ثم أقيم معه في القضاء ثلاثة سنة أربع وستين وكان ذلك في جمادى الأولى جاء من مصر ثلاثة تقاليد لشمس الدين عبدالله بن محمد بن عطاء الحنفي ولزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي ولشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي فلم يقبل المالكي ووافق الحنفي والحنبلي ، وكان الحنفي قبل ذلك نائباً للشافعي ، ثم إن الأمر من مصر ورد بإلزام المالكي وامتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية وقالوا نحن في كفاية . قال شهاب الدين أبو

١ له ترجمة في الفوات ١٠٠ : ١ وقضاة دمشق : ٧٦ وطبقات السبكي ٥ : ١٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣ وشذرات الذهب ٥ : ٣٧١ . وهذه منقولة عن الوافي (الجزء السابع) .

شامة : ومن العجيب اجتماع ثلاثة من قضاة القضاة لقب كل واحد منهم شمس الدين في زمن واحد . واتفق أن الشافعي استناب نائباً لقبه شمس الدين فقال بعض الأدباء الظرفاء :

أهلُ دمشقَ استرابوا من كثرةِ الحكامِ
إذ همُ جميعاً شمسٌ وحالهم في الظلامِ
وقال أيضاً :

بدمشقِ آيةٌ قد ظهرتُ للناسِ عامًا
كلما ازدادوا شمساً زادتِ الدنيا ظلامًا

ثم عُزل عن القضاء سنة تسع وستين بالقاضي عز الدين ابن الصائغ ، ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به ، وقدم من مصر فدخل دخولاً لم يدخل غيره مثله من الاحتفال والزحمة وأصحاب البغال والشهود وكان يوماً مشهوداً وجلس في منصب حكه وتكلم الشعراء . ولما قدم ابن خلكان إلى دمشق ثانيًا وكان لثامن سنة قال رشيد الدين الفارقي في ذلك :

أنت في الشامِ مثلُ يوسفَ في مه
ولكلِّ سبعٍ شدادٌ وبعد الـ
مرَ وعندي أن الكرامِ جناسُ
سبعِ عامٍ يُغاثُ فيه الناسُ
وقال سعد الدين الفارقي :

أذقتَ الشامِ سبعَ سنينِ جدبًا
فما زرتَه من أرضِ مصرِ
غداةَ هجرته هجرًا جميلًا
مددتَ عليه من كفيك نيلًا
وقال ابن جعوان :

لما تولى قضاءَ الشامِ حاكمه
من بعد سبعِ شدادٍ قال خادمه
قاضي القضاة أبو العباسِ ذو الكرمِ
ذا العامِ فيه يُغاثُ الناسُ بالنعيمِ
وقال نور الدين ابن مصعب :

رأيتُ أهلَ الشامِ طرًّا ما فيهمُ قطُّ غيرِ راضِ

نالهم الخيرُ بعد شرِّ
 وِعُوْضُوا فرحةً بحزنِ
 وسرَّهم بعد طولِ غمِّ
 فكلَّهم شاكراً وشاكِ
 فالوقتُ بسطُ بلا انقباضِ
 مذ أنصفَ الدهرُ في التقاضي
 قدومُ قاضٍ وعزلُ قاضٍ
 بحالِ مستقبلٍ وماضٍ

قلت : بَيْتًا رشيد الدين الفارقي خير هذه المقاطيع .

وكان كريماً جواداً ممدوحاً فيه ستر وحلم وعفو، وحكاياته في ذلك مشهورة .
 ثم عزل بابن الصائغ ودرّس بالأمينية إلى أن مات عشية نهار السبت
 سادس عشرين شهر رجب سنة احدى وثمانين وستائة بالنجيبية جوار النورية
 وشيَّعه الخلائق .

أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين احمد بن غانم كاتب الإنشاء يرثي قاضي
 القضاة شمس الدين :

يا شمسَ علومٍ في الثرى قد غابتُ كم نُبِتَ عن الشمس وهي ما [إن] نابتُ
 لم تأتِ بمثلك الليلي أبداً إمّا قَصُرَتْ عنه وإمّا هابت

وكان وجيه الدين محمد بن سويد صاحبه وكان يسومه قضاء أشغال كثيرة
 ويقضيها ، فحضر في بعض الأيام ورام منه أمراً متعذراً فاعتذر ، فقال : ما
 يكون الصاحب صاحباً حتى يعمق جبينه مع صاحبه في جهنم ، فقال القاضي :
 بلى يا وجيه الدين ، صرنا معك قشامشا وما ترضى . ويقال إنه عمل تاريخاً للملك
 الظاهر ووصل نسبه بجنكزخان ، فلما وقف عليه قال : هذا يصلح أن يكون
 وزيراً ، اطلبوه ، فطلب وبلغ الخبر الصاحب بهاء الدين ابن حنّاً فسعى في
 القضية إلى أن أبطل ذلك ، وناسى السلطان عليه ، فبقي في القاهرة يركب كلَّ
 يوم ويقف في باب القرافة ويمشي قدّام الصاحب إلى أن يوصله بيته ، واقتصر حتى
 لم يكن له غير البغلة لركوبه ، وكان له عبد يعمل باباً ويطعمه ، والشيخ بهاء
 الدين ابن النحاس يؤثره ، ومع ذلك فلا يحنو عليه الصاحب ولا يحنّ إلى
 الإحسان إليه ، حتى فاوضه الدوادار وقال له : إلى متى يبقى هذا على هذه الحالة ؟
 فجهَّزَ إلى مكانه بدمشق على القضاء . وحضر إليه وهو بالقاهرة عز الدين

محمد بن شداد بكتب فقارس من الغور وانتقالها إلى الظاهر وقد ثبتت عليه بالشام وطلب منه الإشهاد عليه بما فيها لتثبت بصر ، قال : كيف أشهد عليّ ؟ قال : يا أذن لك قاضي القضاة ابن رزين . فقال : لو كنت مولياً ما كنت آذن له ، أفأكون مؤلّياً من جهته ؟ هذا لا يكون أبداً . واطلع الظاهر على ذلك فعظم عنده وتحقق شرف نفسه . وأمر له بدر الدين بيليك الخزندار تلك الأيام بألفي درهم ومائة اردب قمح فأبى من قبولها وتكطف معه مع القاصد ، فقال : تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، ولم يقبل وأصرّ على الامتناع مع الفاقة الشديدة . وكان له ميلٌ إلى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة ، يقال إنه أول يوم جاء إليه بسط له الطرحة وقال : ما عندي أعز من هذه ، كطأ عليها ، ولما فشا أمرها وعلم به أهله منعه من الركوب فقال :

يا سادتي إني قنعتُ وحقمك	في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً	ورأيتم هجري وفرطاً تجني
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الخيس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من ألم إذا لم تركب
لرحمتي ورثيت لي من حالة	لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسماً بوجهك وهو بدر طالع	وبليل طررتك التي كالغيب
وبقامة لك كالقضيب ركبت في	أخطارها في الحب أصعب مركب
وبطيب مبسمك الشهي البارد ال	مذب الذمير اللؤلؤي الأشنب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها ال	مهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي	خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي	قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت	كشف القناع بحق ذياتك النبي
لا تفضحن محبك الصب الذي	جرعته في الحب أكدر مشرب

أخبرني من لفظه القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي قال : كان الذي

يهواه القاضي شمس الدين هو الملك المسعود وكان قد تيممه حبه فكنت أنام عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده فقال لي : نَمُّ أُنْتِ ، وألقى عليَّ فروة ، وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ، ويكرّر هذين البيتين إلى أن أصبح وتوضأ . والبيتان المذكوران :

أنا والله هالكٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ويقال إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق عنه فاستعفاه فألحَّ عليه فقال : يقولون إنك تكذب في نَسَبِكَ وتأكل الحشيشة وتحب الغلمان . فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان ولا بد منه فكنت أنتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة ، وأما النَسَب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فُرْسٌ مجوس فما فيه فائدة . وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرّم وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنه الأذ. وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن هذه المسألة . قال قطب الدين اليونيني : سمعت من يذكر انما خَرَجَ له النسب إلى البرامكة أبو شامة ، وليس كذلك . ووقفت على مجلدة من « تاريخ إربل » لوزيرها شرف الدين وقد ذكر وفاة ابن عم قاضي القضاة وقد نسبه إلى البرامكة ولعل ذلك قبل خروجه من إربل . وذكره صاحب كمال الدين في « تاريخ حلب » ونسبه إلى البرامكة .

ومن شعره :

وسرّبِ ظبَاءَ فِي غَدِيرِ تَخَالِعُوا
بدورٌ بأفقِ المَاءِ تَبْدُو وَتَغْرِبُ
يقولُ عَدُولِي وَالغَرَامُ مَصَاحِي
أما لك عن هذِي الصبَابَةِ مَذهِبُ
وفي دمك المَطُولِ خَاضُوا كما ترى
فقلتُ له : ذرهم يَخوضُوا ويلعبُوا

ومنه مضمناً :

كَمْ قَلْتُ لِمَا أَطْلَعَتْ وَجَنَاتُهُ
حولَ الشَّقِيقِ الغُضِّ دَوْحَةَ آسِ

١ الفوات : تخالهم .

لعذاره^١ الساري العجول بخده
ما في وقوفك ساعة من باس
ومنه :

لما بدا العارض في خده
بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر
فجاءني فيه العذاب الأليم
ومنه على ما قيل :

انظر إلى عارضه فوقه
لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنّة في وجهه
لكنّها تحت ظلال السيوف
ومنه :

ولما أن تفرقنا
رأيت الشهد لا يحلو
وحالت نوب الدهر
فما ظنك بالصبر
ومنه :

وما سرّ قلبي منذ شطت بك النوى
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته
سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
وأى سرور يقتضيه التكلف
ولم أشهد الذات إلا تكلفاً
ومنه :

أحببنا لو لقيتم في إقامتكم
لأصبح البحر من أنفاسكم ييبساً
من الصباية ما لا قيت في ظعني
والبر من أدمعي ينشق بالسفن
ومنه :

تملّتم لي والبلاد^٣ بعيدة
وناجاكم قلبي على البعد والنوى
فخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
فأوحشتم لفظاً وأنستم معنى

١ الفوات : أذاره .

٢ الفوات : تعان .

٣ الفوات : والديار .

وقال في ملاحٍ أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

ملاكُ بلدتنا بالحسنِ أربعةٌ
تلكوا مهجَ العشاقِ وافتتحوا
بجسْنهم في جميعِ الخلقِ قد فتكوا
بالسيفِ قلبي ولولا السيفِ ما ملكوا

ومنه :

أيُّ ليلٍ على الحبِّ أطاله
يزجرُ العيسَ طاوياً يقطعُ المم
أيها السائقُ المجدُّ ترفقُ
وأنخها هنيهةً وأرخها
لا تُطيلُ سيرها العنيفَ فقد برَّ
وتركتم وراءكم حلفَ وجدٍ
يسألُ الرَّبَّعَ عن طباءِ المصلَّى
ومحالٌ من الهيلِ جوابُ
هذه سنَّةُ المحبينِ ييكو
يا ديارَ الأحبابِ لا زالت الأد
وتمشى النسيمُ وهو عليلُ
أين عيشٌ مضى لنا فيك ما أم
حيث وجهُ الشبابِ طلقُ نضيرُ
ولنا فيك طيبُ أوقاتِ أنس
وبأرجاءِ جوكِ الرحبِ سربُ
من فتاةٍ بديعةٍ الحسنِ ترنو
ورخيمِ الدلالِ حلو المعاني
ذي قوامِ تودُّ كلَّ غصونِ ال
وجهُ في الظلامِ بدرٌ تامُ

١ الفوات : فرط السرى والكلاله .

٢ الفوات : مساله .

ومن ذلك :

كأنني يومَ بانَ الحيُّ عنِ إضْمٍ والقلبُ من سَطَوَاتِ البينِ مذعورُ
ورقاءُ ظَلَّتْ لفقْدِ الإلفِ ساجعةً تبكي عليه اشتياقاً وهو مأسور
يا جيرةَ الحيِّ هل من عودةٍ فعسى يُفِيقُ من نَسَوَاتِ الشوقِ مخمور
إذا ظفرتُ منَ الدنيا بقربكمُ فكلُّ ذنبٍ جناهُ الدهرُ مغفور

وله في الدُّوبَيْتِ شيءٌ كثيرٌ من أحسنه قوله :

في هامشِ خدِّكَ البديعِ القاني أسرارُ هوىِّ لكلِّ صبِّ عانِ
قد خرَّجها الباري فما أحسنها من حاشيةٍ بالقلمِ الريحياني

وقوله :

روحِي بكِ يا معدِّي قد شَقِيَّتْ في جنبِ رضاكِ في الهوى ما لقيتْ
لا تعجلُ باللهِ عليها فعسى أنْ تدركَهَا برحمةٍ إنْ بقيتْ

وقوله :

يا سعدُ عساكَ تطرقَ الحيُّ عساكُ قصداً فإذا رأيتَ مَنْ حلَّ هناكُ
قل صبُّك ما زال به الوجدُ إلى أنْ ماتَ غراماً أحسنَ اللهُ عزاكُ

وكتب إليه السراجُ الوراقُ لغزاً في مثنوة :

يا إماماً له ضياءُ ذكاءٍ يتلاشى له ضياءُ ذكاءٍ
ما مسمى بالرفعِ يُعْرَبُ والنص بـ وإن كان مستقرَّ البناءِ
عَلِمَ مفردٌ فإن رفعوه رفعوه عمداً لأجلِ النداءِ
أنثوه ومنه قد عُرِفَ التذكية ر فانظرُ تناقضَ الأشياءِ
وهو ظَرْفٌ فأينَ من فيه ظَرْفٌ ليُجَلِّي من هذه العمياءِ

فأجاب^٢ :

١ القواف : تصحيح غرام كل .

٢ بياض في الأصل بقدر ثلاثة أسطر .

قال شمس الدين أحمد بن المنير في قاضي القضاة المذكور :

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الدير من قاضي القضاة حاشا وكلا
تلك مها علت محلا ثنت ظ لاء وهذا مها علا مد ظلا

تحقيق الكتاب

بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٠ ، قام الأستاذ فردينند وستنفيلد بنشر كتاب « وفيات الأعيان » في اثني عشر جزءاً ، وخصص الجزء الثالث عشر لاختلاف القراءات وللزيادات في النسخ المختلفة وللفهارس العامة . وقد اعتمد في طبعته هذه على النسخ الآتية :

١ - النسخة « أ » : وهي من مخطوطة بليدن نسخ القسم الأعظم منها لورسباخ من مخطوطة كان يملكها شولتز وأخيراً اشترتها مكتبة جوتنجن سنة ١٩١٧ ؛ وتتألف من ست مجلدات متوسطة الحجم من قطع الربع وفيها بعض صفحات خالية . وكان ما نسخه لورسباخ منها جيداً مساوياً للأصل في دقته .

٢ - النسخة « ب » : وهي من غوطا ، وتشمل ما يقارب نصف الكتاب وتنتهي بترجمة أبي محمد عبد الملك بن هشام وتُعدُّ من أقدم المخطوطات إذ انها كتبت بعد وفاة المؤلف باثنتي عشرة سنة إذ جاء في آخرها : « كتب هذا الكتاب في مساء الأحد لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ٦٩٣ ، وكتبه العبد الفقير ابو الرحي ابن ابي الحسن بن يوسف ابن أبي الرحي بن سعيد الاسرائيلي بدمشق المحروسة عن اصل يملكه القاضي علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن غانم كاتب الديوان » . وهذه النسخة التي كان يملكها القاضي علاء الدين نسخت سنة ٦٩٢ بخط تاج الدين معتوق بن سعد الاسعردى السميساطي وعلى النسخة تملكات مؤرخة آخرها سنة ١٠٣٦ ، وعلى الصفحة الأولى منها ترجمة لابن خلكان مأخوذة من كتاب « تذكرة النبيه » لحسن بن حبيب الكلبي ، وعلى هوامشها حواش وتعليقات لبعض العلماء تتفاوت في قيمتها .

٣ - النسخة « ج » : وهي من برلين ، كتبت بخط دقيق وجاءت في مجلد

واحد يشمل الكتاب كله وتاريخ نسخها سنة ١٠٨٣ ، فهي حديثة نسبياً كما أن تراجمها كثيراً ما تكون موجزة .

٤ - النسخة « د » : وهي من برلين أيضاً وتقع في اربعة اجزاء إلا أن الجزء الرابع فيها ناقص ، وهي من أشد النسخ اسهاباً في الترجمات ومن أكثرها عدد تراجم وكثيراً ما يختلف ترتيب التراجم فيها عن النسخ الأخرى وقد كتب الجزء الثاني منها سنة ١١٢٦ هـ وفي آخر الجزء الثالث عبارة هامة يذكر فيها المؤلف انه ترك القاهرة لأنه عين قاضياً بدمشق ولهذا توقف عن اتمام الكتاب .

٥ - النسخة « هـ » : وهي مخطوطة اخرى من غوطا وتاريخ نسخها ١٢٠١ . وقد اختار الأستاذ وستنفيلد الاعتماد على نسخة « ب » لأنها أقدم النسخ وخاصة حين تتفق معها نسخة اخرى ، ولم يكن يفارق قراءة « ب » إلا إذا اتفقت فيها النسخ الأخرى دونها ، ويقول ان « ب » و « د » تتفقان كثيراً في القراءة بينما تتفق « أ » و « ج » في قراءة اخرى .

وبعد أن مضى شوطاً في العمل ، اعتمد على مخطوطات اخرى منها « ف » ، التي تمثل نسخة لبعض اصدقاء المحقق نسخها بخطه عن أصل في باريس. ثم حصل على نسخة ثالثة من غوطا - رقم ٤١٧ - وهي قطعة ناقصة من اولها وآخرها إلا أنها قديمة جيدة الخط والقراءة وهي تكمل النسخة « ب » ، ويقول انه لم يستطع الحصول على جميع المخطوطة عند تحقيقه الكتاب وإنما قرأ معظمها وقيّد الخلاف بينها وبين سائر المخطوطات .

ويبدو من هذا العرض ان طبعة وستنفيلد تمثل تليفاً بين هذه المخطوطات العديدة في عدد التراجم لأنه ليست هناك نسخة من النسخ المذكورة قد استوفت ذلك العدد كاملاً . وقد انتهى عدد تراجم الكتاب في هذه الطبعة إلى ٨٦٥ ترجمة ، إلا أن بعضها لم يذكر منه إلا الاسم ولم يكتب المؤلف عنه شيئاً من الخبر . ويبدو ان هذه العملية التليفية أمر لا معدى عنه لأن النسخ الخطية من الكتاب كثيرة جداً ولسنا نعلم ايها يمثل المرحلة الأولى في التأليف وايها يمثل المرحلة الأخيرة وايها هو الواقع بين المرحلتين ؛ ولهذا آثرت ابقاء ما اختاره وستنفيلد على حاله واستأنست في مراجعة عمله بمخطوطتين :

١ - النسخة « م » : وهي نسخة المتحف البريطاني - رقم ١٥٠٥ التكملة ٦٠٧ - وتحتوي التراجم من أول الكتاب حتى آخر حرف الميم ، تشبه أن تكون مسودة أولية للمؤلف لأن تراجمها شديدة الإيجاز وهي تنقص عدداً كبيراً من التراجم التي وردت في النسخ الأخرى .

٢ - النسخة « ط » : وهي أيضاً في المتحف البريطاني وتحمل رقم ١٢ / ٦٠٨ وتمثل الجزء الرابع من كتاب « الوفيات » وقد كتب على الورقة الأولى منها : « هذا الجزء فيه التكملة التي ألحقها بحرف الياء رحمة الله تعالى على مصنفه ورضوانه » وهي تقع في ١٥٣ ورقة ، وفي آخرها : « تم الجزء الرابع من وفيات الأعيان وبه يتم الكتاب » . وتاريخ نسخها الخامس عشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٩١ هـ ، والتراجم فيها لا تعتمد الإيجاز كما هي حال القطعة السابقة .

وقد جرى عملنا في تحقيق الجزئين الأولين بالاعتماد على طبعة وستيفيلد ونسخة « م » ، ولهذا اثبتت فروق القراءات بين النسخ في حواشي هذين الجزئين . ولما كانت نسخة « د » من أكثر النسخ زيادات ، فقد ادرجت في المتن من زياداتها ما لا يخلل بالسياق العام في التراجم ، وارجأت ما كان صورة أخرى فيها وجعلته ملحقةً بآخر كل جزء . وتنتهي هذه الزيادات الملحقة التي أثبتتها وستيفيلد في آخر الجزء الثاني . وأحياناً أشرت إلى بعض الزيادات التي وردت في « أ » و « ج » إذا كانت ذات أهمية واضحة . أما زيادات « ف » فإنني لم أعتمدها في هذه الطبعة لأنه من التجوز أن تعد « ف » أصلاً معتمداً .

وقد قدرت أن يبيء هذا الكتاب في سبعة أجزاء ، وأن يكون الجزء الثامن خاصاً بالفهارس المفصلة ، وأنا أتوقع أن يكون اعتمادي في الأجزاء الأخرى بعد الثاني على مخطوطات جديدة بالإضافة إلى المخطوطة « ط » . وعند الحصول على ما يسعف في تحقيق هذا الكتاب من مخطوطات جديدة ، ستم الإشارة إلى ذلك تباعاً ، وسيدرج في الجزء الثامن ترجمة تفصيلية للمؤلف ودراسة لكتاب « وفيات الأعيان » . وإني لأرجو أن أوضح هنالك شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بواقر الشكر إلى كل من الصديقين
العزيمين: الأستاذ الدكتور يوسف فان إس على مساعدته في توضيح المقدمات اللاتينية
التي كتبها وستنفيلد في مطالع الأجزاء الاثني عشر ؛ والأستاذ الدكتور وليد
عرفات الذي تفضل فأرسل إلي فلمين مصوّرين عن نسختي المتحف البريطاني .
ويطيب لي أيضاً في هذا الصدد أن أنوه بالعناية الكبيرة التي بذلتها الآنسة وداد
القاضي في إخراج هذا الكتاب أثناء تغيبي عن بيروت في رحلة علمية طويلة .
والله أسأل أن يعينني على إتمام الأجزاء الباقية منه بانه وكرمه .

بيروت في ٣ آب (أغسطس) ١٩٦٨

احسان عباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الفقير إلى رحمة الله تعالى شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، الشافعي ، رحمه الله تعالى :

بعد حمد الله الذي تفرّد بالبقاء ، وحكم على عباده بالموت والفناء ، وكتب لكل نفس أجلاً لا تجاوزه عند الانقضاء ، وسوّى فيه بين الشريف والمشرّوف والأقوياء والضعفاء ، أحده على سوابغ النعم وضوافي الآلاء ، حمد معترفٍ بالقصور عن إدراك أقل مراتب الثناء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصٍ في جميع الآناء ، راجٍ رحمة ربه في الاصبح والامساء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء ، وأكرم الأصفياء ، والداعي إلى سلوك المحجة البيضاء ، صلى الله عليه وعلى آله السادة النجباء ، صلاة دائمة بدوام الأرض والسماء ، ورضي الله عن أزواجه وأصحابه البررة الأتقياء .

هذا مختصر في التاريخ ، دعاني إلى جمعه أني كنت مؤلماً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ^١ وفياتهم وموالدهم^٢ ، ومن جمع منهم كل عصر ، فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع ، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أفواه الأئمة^٣ المتقنين^٤ له ما لم أجده في كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات

١ ب ج : وتاريخ .

٢ ج : ومواليدهم .

٣ أ : المشايخ .

٤ في نسخة : المتقدمين .

كثيرة في سنين عديدة^١ ، وغَلِقَ على خاطري بعضهُ فصرتُ إذا احتجتُ إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراجهِ ، لكونه غير مرتب ، فاضطُّرتُ إلى ترتيبه ، فرأيتُهُ على حروف المعجم أيسرَ منه على السنين ، فعَدَلْتُ إليه ، والتزمت فيه تقديمَ من كان أول اسمه الهمزة ، ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها ، على غيره ، فقدمت إبراهيم على أحد ، لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء ، وكذلك فعلتُ إلى آخره ، ليكون أسهل للتناول^٢ ، وإن كان هذا^٣ يُفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر^٤ ، وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ، لكن هذه المصلحة أحوَجَّتْ إليه^٥ .

ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضي الله عنهم ، إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء : لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا في زمني ولم أرهم ، ليطلع على حالهم من يأتي بعدي . ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرتُهُ وأتيت من أحواله بما وقفت عليه ، مع الإيجاز كيلا يطول الكتاب ، وأثبتُ وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نَسَبَهُ على ما ظفرت به ، وقَسَيْدَتُ من الألفاظ ما لا يؤمنُ تصحيفه ، وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفككه به متأملاً ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيملئه ، والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مُفْتَنًا .

١ أ : كثيرة .

٢ هذه رواية أ د ، وفي النسخ الأخرى : إلى تناول .

٣ ب ج ه : ذلك .

٤ د : في بعض العصر .

٥ د : تدعو إليه .

وبعد أن صار كذلك لم يكن بُدّ من استفتاحه بخطبة وجيزة للتبرك بها ؛
فنشأ من مجموع ذلك هذا الكتاب ، وجعلته تذكرة لنفسي . وسميته كتاب
« وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ، وَأَنْبَاءِ أَوْلَادِ الزَّمَانِ ، مِمَّا ثَبَتَ بِالنَّقْلِ أَوْ السَّمَاعِ أَوْ أَثْبَتَهُ
الْعِيَانِ » ليستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان .

فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خلافاً فهو المُثَابِ فِي
إِصْلَاحِهِ بَعْدَ التَّثَبُّتِ فِيهِ ، فَإِنِّي بَدَلْتُ ١ الجهد في التقاطه من مَظَانِّ الصِّحَّةِ ،
ولم أتساهل في نقله ممن لا يوثق به ، بل تحرّيتُ فيه حسبما وصلت القدرة إليه .
وكان ترتيبي له في شهور سنة أربع وخمسين وستائة بالقاهرة المحروسة مع
شواغل عاتقة ، وأحوال عن مثل هذا متضايقة ، فليعذر الواقف عليه ، وليعلم
أن الحاجة المذكورة أُلْجأت إليه ، لا أن النفس تحدّثها الأمانى من الانتظام في
سلك المؤلفين بالمحال ، ففي أمثالهم السائرة « لكل عمل رجال » ومن أين لي
ذلك والبضاعة من هذا العلم قدر منزور ، والمتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبَي
زُورٍ ، حرسنا الله تعالى من التردّي في مهاوي الغواية ، وجعل لنا من العرفان
بأقدارنا أمنع وقاية ، بمنّه وكرمه ، آمين .

١ ج : قد بذلت .



حرف الهنة



ابراهيم النخعي

أبو عمران ، وأبو عمار ، إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة^١ بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخَع ، الفقيه ، الكوفي ، النخعي ؛ أحد الأئمة المشاهير ، تابعي رأى عائشة رضي الله عنها ودخل عليها ، ولم يثبت له منها سماع [وكان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يجب أن يلقاه خرجت الخادم فقالت اطلبه في المسجد ؛ وقال آخر : كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول : إن سلتم عني فقولوا لا ندري أين هو ، فإنكم إذا خرجتم لا تدرّون أين أكون]^٢ . توفي سنة ست وقيل خمس وتسعين للهجرة ، وله تسع وأربعون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون سنة ، والأول أصح . ولما حضرته الوفاة^٣ جزع جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : وأي خطر أعظم مما أنا فيه ؟ إنما أتوقع رسولاً يأتي علي من ربي إما بالجنة ، وإما بالنار ، والله لو ددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة .

وأمه ملسيكة بنت يزيد بن قيس النخعية ، أخت الأسود بن يزيد النخعي ، فهو خاله رضي الله عنه .

ونسبته إلى النخَع - بفتح النون والحاء المعجمة وبعدها عين مهملة - وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن . واسم النخَع جسر بن عمرو بن علفة بن خالد ابن مالك بن أدد ، وإنما قيل له النخَع لأنه انتخَع من قومه : أي بعد عنهم ،

١ - راجع في ترجمته ابن حبان : ١٠١ وابن سعد ٦ : ٢٧٠ - ٢٨٤ ، وقال ابن سعد أجمعوا على أنه توفي سنة ٩٦ ، وروى أنه نيف على خمسين سنة .

١ د : ابن ذهل بن ربيعة .

٢ ما بين معقنين في كل موضع زيادة من نسخة د ، إلا أن يذكر غير ذلك .

٣ د : ولما احتضر .

٤ أ د : في صدري .

وخرج منهم خلق كثير ، وقيل في نسبه غير هذا ، هذا هو الصحيح ، نقلته
من « جهرة النسب » لابن الكلبي .

٢

أبو ثور صاحب الشافعي

أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام
الشافعي رضي الله عنه وناقل الأقوال القديمة عنه ؛ وكان أحد الفقهاء الأعلام
والثقات المأمونين في الدين ، له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث
والفقه ، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي ، حتى قدم الشافعي العراق
فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي
لثلاث بقين من صفر سنة ست وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب
الكناس^٢ ، رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل : هو عندي في مسلخ سفيان
الثوري ، أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة .

٣

أبو اسحاق المروزي

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي الفقيه الشافعي ؛ إمام

٢ - انظر طبقات السبكي ١ : ٢٢٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٦٥ .

١ د : إلى أن .

٢ د : الكماس ، والصواب ما أثبت في المتن .

٣ - تاريخ بغداد ٦ : ١١ .

عصره في الفتوى والتدريس ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سُريج وبرع فيه ، وانتهت إليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج ، وصنف كتباً كثيرة ، وشرح مختصر المزني ، وأقام ببغداد دهرًا طويلًا يُدرّسُ ويفتي ، وأنجب من أصحابه خلق كثير ، وإليه يُنسبُ درب المروزي ببغداد الذي في قطعة الربيع^١ . ثم ارتحل إلى مصر في أواخر عمره فأدركه أجله بها فتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين وثلثمائة ، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ؛ وقيل : إنه توفي بعد العتمة^٢ من ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من السنة المذكورة [وذكروه الخطيب في تاريخه] .

والمروزي - بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وبعدها زاء معجمة - نسبة إلى مروّ الشاهجان ، وهي إحدى كراسي خراسان ، وكراسي خراسان أربع مدن : هذه ، ونيسابور ، وهراة ، وبلخ . وإنما قيل لها « مروّ الشاهجان » لتمييز عن مرو الروذ ، والشاهجان : لفظ عجمي ، تفسيره روح الملك ، فالشاه : الملك ، والجان : الروح ، وعادتهم أن يقدموا ذكر المضاف إليه على المضاف ، ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهي سرير الملك بخراسان ، وزادوا في النسبة إليها زاء كما قالوا في النسبة إلى الري : رازي ، وإلى إصطخّر : إصطخرزي ، على إحدى النسبتين ، إلا أن هذه الزيادة تختص ببني آدم عند أكثر أهل العلم بالنسب ، وما عدا ذلك لا يزداد فيه الزاء ، فيقال « فلان المروزي » والثوب وغيره من المتاع « مروّي » - بسكون الراء - وقيل : إنه يقال في الجميع بزيادة الزاء ، ولا فرق بينها ، وهو من باب تغيير النسب ، وسيأتي في ترجمة القاضي أبي حامد أحمد بن عامر المرورودي^٣ الفقيه الشافعي بقية الكلام على هذين البلدين ، إن شاء الله تعالى .

١ أ : قصبة الربيع ؛ والصواب ما أثبت .

٢ أ ب : بعد عتمة .

الأستاذ الإسفرايني

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني الملقب بركن الدين ، الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله ، وقال : أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور ، وأقر له بالعلم أهل العراق ، وخراسان ، وله التصانيف الجليلة ، منها : كتابه الكبير الذي سماه « جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين » رأيت في خمسة مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات ، وأخذ عنه القاضي أبو الطيب الطَّبَّري أصول الفقه بإسفراين^١ وبُنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور ، وذكره أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ، في سياق « تاريخ نيسابور » ، فقال في حقه : أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة ، وكان طراز ناحية الشرق ، وكان يقول : أشتهي أن أموت بنيسابور حتى يصلي عليّ جميع أهل نيسابور ، فتوفي بها يوم عاشوراء ، سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، ثم نقلوه إلى إسفران ، ودفن في مشهده ، رحمه الله تعالى . واختلف إلى مجلسه أبو القاسم القشيري ، وأكثر الحفاظ أبو بكر البيهقي الرواية عنه في تصانيفه وغيره من المصنفين ، رحمهم الله أجمعين ، وسمع بخراسان أبا بكر الإسماعيلي ، وبالعراق أبا محمد دَعْلَج بن أحمد السَّجْزي وأقرانها ، وسيأتي الكلام على إسفران في ترجمة الشيخ أبي حامد أحمد بن محمد الإسفرايني .

٤ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ١١١ والقطعة الثانية من The Histories of Nishapur

الورقة : ٣٥ .

١ ب ٥ : بإسفراين .

أبو اسحاق الشيرازي

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، الشيرازي ، الفيروزابادي الملقب جمال الدين ؛ سكن بغداد، وتفقه على جماعة من الأعيان [منهم أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن رامين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخي وغيرهم] وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً ، وانتفع به ، وناب عنه في مجلسه ، ورتبه مُعيداً في حلقاته ، وصار إمام وقته ببغداد ، ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد ، سأله أن يتولاها ، فلم يفعل ، فولأها لأبي نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » مدة يسيرة ، ثم أجاب إلى ذلك فتولاها ، ولم يزل بها إلى أن مات ، وقد بسطت القول في ذلك في ترجمة الشيخ أبي نصر عبد السيد بن الصباغ ، صاحب « الشامل » ، فليطلب منه . [وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الحافظ وأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازي وغيرهم] . وصنف التصانيف المباركة المفيدة ، منها : « المهذب في المذهب » ، و « التنبيه » في الفقه ، و « اللمع » وشرحها في أصول الفقه ، و « النكت » في الخلاف ، و « التبصرة » ، و « المعونة » ، و « التلخيص »^١ ، في الجدل ، وغير ذلك ، وانتفع به خلق كثير . وله الشعر الحسن ، فمنه :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنِ خَلِّ وَفِيٍّ فَقَالُوا مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرَتْ^٢ بِذَيْلِ حُرٍّ^٣ فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلُ

٥ - طبقات السبكي ٣ : ٨٩ - ١١١ .

١ السبكي : الملخص .

٢ أ : إن قدرت .

٣ السبكي : بود .

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْتُوشِي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى : كان ببغداد شاعر مفلح ، يقال له عاصم ، فقال يمدح الشيخ أبا إسحاق قدس الله سره^١ :

تَرَاهُ مِنَ الذِّكَاةِ نَحِيفَ جِسْمٍ عَلَيْهِ مِنْ تَوَقُّدِهِ دَلِيلٌ
إِذَا كَانَ الْفَقِيَّ صَخْمَ الْمَعَالِي فَلَيْسَ يَضُرُّهُ^٢ الْجِسْمُ النَّحِيلُ

وكان في غاية من الورع والتشدُّد^٣ في الدين ، ومحاسنه أكثر من أن تُحصَر .
وُلِدَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِينَ بِفَيْرُوزَابَادَ ، وَتَوَفَّى لَيْلَةَ الْأَحَدِ ، الْحَادِي
وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، قَالَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي « الذَّيْلِ » ، وَقِيلَ : فِي جُمَادَى
الْأُولَى ، قَالَهُ السَّمْعَانِيُّ أَيْضاً ، سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ ، بِبَغْدَادَ ، وَدُفِنَ
مِنَ الْغَدِّ بِبَابِ أَبْرَزَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

ورثاه أبو القاسم ابنُ نَاقِيَاءَ ، واسمه عبد الله ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، بقوله :

أَجْرَى الْمَدَامِعَ بِالْدَمِ الْمُهْرَاقِ خَطْبٌ أَقَامَ قِيَامَةَ الْأَمَاقِ
مَا لِلْيَالِي لَا تَوْلَفُ شَمْلَهَا بَعْدَ ابْنِ بَجْدَتِهَا أَبِي إِسْحَاقِ
إِنْ قِيلَ مَاتَ فَلَمْ يَمُتْ مَنْ ذَكَرُهُ حَيٌّ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي بَاقِي

وذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » ، فقال في حقه : إمام
أصحاب الشافعي ، ومن انتشر فضله في البلاد ، وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد ،
وأكثرُ علماء الأمصار من تلامذته . ولد بفيرُوزاباد ، بلدة بفارس ، ونشأ
بها ، ودخل شيراز ، وقرأ بها الفقه على أبي عبد الله البيضاوي ، وعلى أبي أحمد

١ : روحه .

٢ : يضره .

٣ : والتشديد .

٤ : في الأصول : أجز .

٥ : شملنا .

٦ : أ : العلماء في الأمصار .

عبد الوهاب بن رامين ، ثم دخل البصرة وقرأ على الحوزي ، ودخل بغداد في شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة وقرأ على أبي الطيب الطبري ، ومولده في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

وقال أبو عبد الله الحميدي : سألت عن مولده ، فذكر دلائل دلت على سنة ست وتسعين ، قال : ورحلت^١ في طلب العلم إلى شيراز ، في سنة عشر وأربعمائة^٢ ، وقيل : إن مولده في سنة خمس وتسعين ، والله أعلم .

وجلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ، ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد^٢ المتولي مكانه ، ولما بلغ الخبر نظام الملك كتب بإنكار ذلك ، وقال : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وزررى على من تولى موضعه ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر عبد السيد بن الصباغ في مكانه ، رحمهم الله تعالى .

وفيروزاباذ - بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وضم الراء المهملة وبعد الواو الساكنة زاء مفتوحة معجمة وبعد الألف باء موحدة وبعد الألف ذال معجمة - بلدة بفارس ، ويقال : هي مدينة جور ، قاله الحافظ أبو سعد ابن السمعي في كتابه «الأنساب»^٣ ، وقال غيره : هي بفتح الفاء ، والله أعلم .

٦

ابراهيم بن أدهم

[أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي؛ أصله

١ ج ٥٥ : ودخلت .

٢ ٥ : سعيد .

٣ انظر الباب ٢ : ٢٣٢ .

٦ - ترجمة إبراهيم بن أدهم في تهذيب ابن عساكر ٢ : ١٦٧ وكتاب التواوين : ١٤٩ وحلية الأولياء ٧ : ٣٦٧ ، ٨ : ٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣٥ وشرح المقامات ٢ : ٨٢ والمعبر ١ : ٢٣٨ والوافي ٥ : رقم ٢٣٩٠ وطبقات السلمي : ١٣ ؛ وقد انفردت النسختان ج د بالترجمة التي أثبتناها هنا .

من بلخ وكان من أولاد الملوك ، روى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي وأبي حازم وقتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبان^١ ، واشتغل بالزهد عن الرواية وكان يكون بالكوفة ثم بالشام ؛ مرّ به يوماً يريد وهو ينظر كرمًا فقال : ناولني من هذا العنب ، فقال : ما أذن لي صاحبه ، فقلب السوط وجعل يقنّع رأسه ، فطأ إبراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طال ما قد عصى الله ، قال : فأنخذل ومضى .

وقال شقيق البلخي : قال لي إبراهيم أخبرني عما أنت عليه ، فقلت : إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت ، قال : هكذا تعمل كلاب بلخ عندنا^٢ . قلت له : فكيف^٣ تعمل أنت ؟ قال : إذا رزقت آثرت وإذا منعت شكرت .

وكان إبراهيم في البحر وهبت ريحٌ واضطربت السفن وبكى الناس فقيل لبعضهم^٤ : هذا إبراهيم بن آدم لو سألته أن يدعو الله ، وكان قائماً في ناحية من السفينة ملفوف رأسه ، فدنا إليه وقال : يا أبا إسحاق ، ما ترى ما فيه الناس ؟ فرفع رأسه وقال : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك ، فهدأت السفن .

قال رجل لبشر بن الحارث : إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن آدم ، قال : لا تقوى ، قال : ولم ؟ قال : لأن إبراهيم بن آدم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل .

قال أبو سليمان العاراني : صلى إبراهيم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد ، وتوفي سنة ١٤٠ في الجزيرة وحمل إلى صور فدفن هناك ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ، إنه على ما يشاء قدير [.

١ وأبان : زيادة من د وحدها .

٢ عندنا : زيادة من د .

٣ ج : كيف .

٤ د : الريح .

٥ د : فقال بعضهم .

٦ د : قال وكان .

العراقي الخطيب

أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المُسَلَّم، الفقيه الشافعي المصري المعروف بالعراقي، الخطيب بجامع مصر؛ كان فقيهاً فاضلاً، وشرح كتاب «المهذب»، تصنيف الشيخ أبي إسحاق الشيرازي — رحمه الله تعالى — في عشرة أجزاء شرحاً جيداً، ولم يكن من العراق، وإنما سافر إلى بغداد، واشتغل بها مدة، فنُسب إليها [لإقامته بها تلك المدة، وعاد إلى مصر وتولى الخطابة بجامعها العتيق والإمامة به والتصدر، ولم يزل على الخطابة والإمامة به والإفادة إلى حين وفاته ومضى على سداد وأمر جميل]. قرأ ببغداد الفقه على أبي بكر محمد بن الحسين الأرموي، وكان من أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وعلى أبي الحسن محمد بن المبارك بن الخليل البغدادي، وتفقه ببلده على القاضي أبي المعالي مجلي بن جميع الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكان في بغداد يُعرف بالمصري، فلما رجع إلى مصر قيل له: العراقي، والله أعلم.

وقد روي عن الخطيب أبي إسحاق المذكور أنه كان يقول: أنشدني شيخنا ابن الخليل المذكور ببغداد، ولم يسم قائلاً:

في زُخْرُفِ القَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ والحقُّ قد يعترِبُهُ سُوءُ تعبير
تقولُ هذا مُجَاجُ النحلِ تَمْدَحُهُ وإنْ ذَمَّتْ تَقْلُ قِيءُ الزنابير
مَدْحاً وَدَمًّا وما جاوزت وَصَفَهَا حُسْنُ البَيَانِ يُرِي الظلماءَ كالنور

وكانت ولادته بمصر، سنة عشر وخمسة، وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى، سنة ست وتسعين وخمسة بمصر، ودفن بسفح المقطم، رحمه الله تعالى.

والمسلم : بضم الميم وتشديد اللام .

(1) وكان له ولد فاضل ، نبيل القدر ، اسمه أبو محمد عبد الحكم ، ولي الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده ، وكانت له خطب جيدة ، وشعر لطيف . فمن شعره في العماد ابن جبريل ، المعروف بابن أخي العلم - وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر ، وكان قد وقع فانكسرت يده - قوله :

إنَّ العمادَ بنَ جبريلَ أخِي عَلمٍ له يدٌ أصبحتَ مَدمومةَ الأثرِ
تأخَّرَ القَطرُ عنها وهي سارقةٌ فبجاءها الكسرُ يَستقصي عن الخبرِ

وله غير ذلك أشعارٌ نادرةٌ ، ثم وجدت هذين البيتين في ديوان جعفر بن شمس الخلافة الآتي ذكره ؛ والله أعلم .
ومن شعر عبد الحكم المذكور في رجل وجب عليه القتل ، فرماه المُستوفى للقيصاص بسهم فأصاب كبده فقتله ، فقال عبد الحكم :

أخْرَجْتَ مِن كَبِدِ القَوْسِ ابْنَهَا فَفَدَّتْ
تَتَنُّ وَالْأُمُّ قَد تَحْنُو عَلَى الوَلَدِ
وما دَرَّتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ مَا سَارَ مِن كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِدِ

قلت : البيت الأول من هذين البيتين مأخوذ من قول بعض المغاربة :

لا غَرَوَ مِن جَزَعِي لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ النَوَى وَأَنَا أَخُو الهَمِّ
فالقَوْسُ مِن خَشَبٍ تَنُّ إِذَا مَا كَلَّفُوهَا فُرْقَةَ السَّهْمِ

والبيت الثاني مأخوذ من قول الفقيه عمارة اليمني ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، في قصيدته الميمية التي ذكرتها هناك ، وقد قدم من مكة - شرفها الله تعالى - إلى الديار المصرية ، وامتدح بها مليكها يومئذ ، وهو الفائز عيسى بن الظافر العبدي ، ووزيره الصالح طلائع بن رُزيك ، وكلاهما مذكوران في هذا التاريخ ، فقال من جملة القصيدة ، يمدح العيس التي حملته إلى مصر :

١ ترجمة عبد الحكم في المغرب (قسم مصر) : ٢٥٧ وانظر حسن المحاضرة ١ : ٢٢٩ .

٢ البيتان في المغرب .

وَرُحْنٌ مِنْ كَعْبَةِ الْبَطْحَاءِ وَالْحَرَمِ . وَفَنَدًا إِلَى كَعْبَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْكَرَمِ .
فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَتَيْتِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمِ

ومن شعر عبد الحكم أيضا :

قَامَتْ تَطَالِبُنِي بِلَوْلُو نَحْرِهَا
وَتَبَسَّمَتْ عَجَبًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
لَمَّا رَأَتْ عَيْنِي تَجُودُ بِدِرْهَا
هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتَ بِهِ فِي ثَغْرِهَا
قلت : وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي الحسن علي بن عطية المعروف بابن
الزقاق الأندلسي البلكنسي^١ :

وَشَادِنٍ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضُحَى
وَالرَّوْضُ يُبْدِي لَنَا شِقَائِقَهُ^٣
فَحَثَّهَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا
وَأَسُهُ الْعَنْبَرِيُّ قَدْ نَفَحَا
قلت : وَأَبْنُ الْأَفَاحِ ؟ قَالَ لَنَا :
أُودِعْتُهُ ثَغْرَ مَنْ سَقَى الْقَدْحَا
فَظَلَّ سَاقِي الْمَدَامِ يَجْحَدُ مَا
قَالَ ، فَلَمَّا تَبَسَّمَ افْتَضَحَا

وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبدالله بن علي المعروف بابن شكر وزير
الملك العادل بن أيوب بمصر ، قد عزل عبد الحكم المذكور عن خطابة جامع
مصر ، فكتب إليه^٤ :

فَلَايِي بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي
وَبَأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
إِلَّا إِلَيْكَ فَدُلْتَنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا الْأَبْوَابُ بِابِكَ وَحَدَهُ
وَكَأَنَّمَا أَذْتُ الْخَلِيقَةَ أَجْمَعُ

قلت : والبيت الأخير مأخوذ من قول السلامي الشاعر المشهور ، وهو :

فَبَشَّرْتُ أَمَالِي بِمَلِكٍ هُوَ الْوَرَى
وَدَارِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ^٥

١ ديوانه : ١٢٤ والروافي : ١٣٤ والشريشي ٢ : ١٣ والمغرب ٢ : ٣٢٤ .

٢ الديوان : وأغيد .

٣ أ : حدائقه .

٤ المغرب : ٢٥٨ .

٥ قبل البيت :

إليك طوى عرض البسيطة جاعلا قصارى المطايا أن يلوح له القصر

وسأتي ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بويه في حرف الفاء، إن شاء الله تعالى.

[ولعبد الحكم المذكور يستجلي زوجته :

سَتَرْتُ وَجْهَهَا بِكَفِّ عَلَيْهِ شَبَّكَ النَّقَّاشِ وَهِيَ تَجْلِي عَرُوسًا
قَلْتُ لَمْ يُغْنِ عَنْكَ سَتْرُكَ شَيْئًا وَمَتَى غَطَّتْ الشَّبَّابُ الشُّمُوسَا؟
وله أيضاً :

ومأدبة بتنا بها في لَدَاذَةِ يَخِيلُ لِي أَنَّا عَلَى الْمَاءِ نُؤَمُّ
فَمِنْ فَوْقِنَا الْأَفْلَاكُ وَالْفُئُكُ تَحْتَنَا فِي تِلْكَ أَقْمَارِ وَفِي تَيْبِكَ أَنْجُمُ
وله أيضاً :

عَلَى مَهَلٍ فِي الْأَحْوَالِ رَيْثُ أَتَخَشَى أَنْ تُضَامَ وَأَنْتَ لَيْثُ
بَصْرٍ إِنْ أَقَمْتِ فَأَنْتَ نَيْلُ وَإِنْ سِرْتَ الشَّامُ فَأَنْتَ غَيْثُ [

وكانت ولادته ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسة .

وتوفي سُحْرَةَ الثامن والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستائة ،
بمصر ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمة الله تعالى عليه .
وأُنشِدني ولده شيئاً كثيراً من شعره ، وطريقته فيه لطيفة .

(2) وأما العِمَادُ المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن أبي الأمانة جبريل بن
المُعِيرَةَ بن سلطان بن نِعْمَةَ ، وكان فاضلاً مشهوراً بكثرة الأمانة فيما يتولاه ،
وتقلَّب في الخدم الديوانية بمصر والإسكندرية ، وكانت ولادته سنة ثمان وخمسين
وخمسة ، وتوفي في خامس شعبان سنة سبع وثلاثين وستائة بالقاهرة ، رحمه
الله تعالى .

ابن عسكر الموصل

أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، الملقب ظهير الدين ، قاضي السَّلَامِيَّة ، الفقيه الشافعي الموصلي ؛ ذكره ابن الديبئي^١ في تاريخه ، فقال : أبو إسحاق من أهل الموصل ، تفقه على القاضي أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الموصل بالموصل ، وسمع منه ، قَدِمَ بغداد وسمع بها من جماعة ، وعاد إلى بلده ، وتولى قضاء السَّلَامِيَّة إحدى قرى الموصل ، وروى بإرْبَلَّ عن أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي شيئاً من مصنفاته . سُمِعَ منه ببغداد ، وسمع منه جماعة من أهلها . انتهى كلامه .

وكان فقيهاً فاضلاً أصله من العراق من السندية ، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وسمع الحديث ورواه . وتولى القضاء بالسَّلَامِيَّة - وهي بلدة بأعمال الموصل - وطالت مدته بها . وغلب عليه النظم ، ونظمه رائق . فمنه :

لا تَنسَبُونِي يا ثِقَاتِي إلى غَدَرٍ ، فليس الغدر من شيمتي
أقسمتُ بالذاهب من عَيْشِنَا وبالمسرات التي ولت
أنتي على عهدِ كُمْ لم أحلِّ وعُقْدَةُ الميثاق ما حلت

ومن شعره أيضاً :

جودُ الكريم إذا ما كان عن عِدَةٍ وقد تأخَّرَ لم يَسلمْ من الكدَرِ
إن السحائب لا تُجدي بوارِقها نفعا إذا هي لم تطر على الأثر
وماطلُ الوعدِ مذمومٌ وإن سمحتُ يدها من بعدِ طولِ المَطَلِ^٢ بالبيدَرِ

١ ج ٥ : الذهبي ؛ ولم ترد ترجمته في مختصر الديبئي .

٢ أ : الوعد .

يادوُحَةَ الجودِ لا عَتْبُ^١ على رجلٍ يهزُّها وهو محتاجٌ إلى الثمر

وكان بالبوازيج - وهي بليدة بالقرب من السَّلامية - زاويةٌ للجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكي ، فعمل فيهم :

ألا قُلْ لمكيِّ قَوْلَ النَّصْرِحِ فحقُّ النصيحة أن تُسْتَمَعَ
مَنْ سَمِعَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ بأن الغنا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ ؟
وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكْلَ الْبَعْمِيرِ ويرْقُصَ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَبْقَعَ
فَلَوْ كَانَ طَاوِي الْحَشَا جَائِعاً لما دَارَ مِنْ طَرْبٍ وَاسْتَمَعَ
وَقَالُوا سَكِرْنَا بِحَبِّ الْإِلَهِ وما أَسْكِرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصَعُ
كَذَلِكَ الْحَمِيرُ إِذَا أَخْضَبَتْ يُنْقِزُهَا رِيها وَالشَّبَعُ

ذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربيل » ، وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة ومكاتبات جرت بينها . وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : شاب فاضل ، ومن شعره قوله :

أقولُ له صِلْني فيصِرْفُ وجهَهُ كأنِّي أدعوهُ لِفعلٍ محرمٍ
فإن كان خَوْفَ الإثمِ يكرهُ وصلَّتي فمن أعظم الآثام قَتْلَةُ مُسلمٍ

توفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر سنة عشر وستائة بالسَّلامية ، رحمه الله تعالى .

وكان له ولد اجتمعتُ به في حلب ، وأنشدني من شعره وشعر أبيه كثيراً ، وكان شعره جيداً ، ويقع له المعاني الحسنة .

والسَّلامية : بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحتها ثم هاء ، وهي بليدة على شط الموصل من الجانب الشرقي أسفل الموصل ، بينها مسافة يوم ، فالموصل في الجانب الغربي . وقد خربت السَّلامية القديمة التي كان الظهير قاضيها ، وأنشئت بالقرب منها بليدة أخرى سموها السَّلامية أيضاً .

١ : لا عمت .

ابراهيم بن المهدي

أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، أخو هارون الرشيد ؛ كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالماهي وحسن المنادمة ، وكان أسود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء ، واسمها شِكْلة - بفتح الشين المعجمة وكسرهما ، وسكون الكاف ، وبعد اللام هاء - وكان مع سواده عظيم الجثة ، ولهذا قيل له التَّئِن ، وكان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخي الكف ، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ، ولا أحسن منه شعراً ، بويح له بالخلافة ببغداد^٢ بعد المائتين^٣ والمأمون يومئذ بخراسان ، وقصته مشهورة ، وأقام خليفة بها مقدار سنتين ، وذكر الطبري في تاريخه أن أيام إبراهيم بن المهدي كانت سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً .

وكان سبب خلع المأمون وبيعة إبراهيم بن المهدي أن المأمون لما كان بـبِخْرَاسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى ، فشق ذلك على العباسيين ببغداد [خوفاً من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين] فبايعوا إبراهيم بن المهدي المذكور ، وهو عم المأمون ، ولقبوه المبارك [وقيل سموه المرضي] وكانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ببغداد ، بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وخلعوا المأمون ، فلما كان يوم الجمعة

٩ - أخباره في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث ٢٠١) والأغاني ١٠: ٧٢ والورقة:

١٩ وأشعار أولاد الخلفاء : ١٧ - ٤٩ .

١ د : العقل .

٢ ج د : سنة ٢٠٢ .

٣ أ ج هـ : بعد الأمين .

لخمس خلون من المحرم أظهروا ذلك ، وصعد إبراهيم المنبر ، وكان المأمون لما بايع علي بن موسى الرضا بولاية العهد أمر الناس بترك لباس السواد الذي هو شعار بني العباس ، وأمرهم بلباس الخضرة ، فعز ذلك على بني العباس أيضاً ، وكان من جملة الأسباب التي نقمّوها على المأمون ، ثم أعاد لبس السواد يوم الخميس ليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين لسبب اقتضى ذلك ، ذكره الطبري في تاريخه (١)* فلما توجه المأمون من خراسان إلى بغداد خاف إبراهيم على نفسه ، فاستخفى ، وكان استخفاؤه ليلة الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وذلك بعد أمور يطول شرحها ، ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها ، ثم دخل المأمون بغداد يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ، ولما استخفى إبراهيم عمل فيه دِعْبِلُ الخزاعي :

نمرا ابن شِكَلَة بالعراقِ وأهلهِ فهفا إليه كلُّ أطلَسَ مائِقِ
 إن كان إبراهيمُ مُضْطَلِعاً بها فلتَصَلِّحُنْ من بعده لمُحَارِقِ
 ولتصلحن من بعد ذلك لزلزلِ ولتصلحن من بعده للمارقِ
 أنتى يكونُ وليس ذلك بكائنِ يرثُ الخِلافةَ فاسقٌ عن فاسِقِ

ومُحَارِقِ : بضم الميم وفتح الحاء المعجمة ، وزلزل : بضم الزاين المعجمتين ،
 والمارق : هؤلاء الثلاثة كانوا مُعْتَنَيْنِ في ذلك العصر .

وأخبار إبراهيم طويلة شهيرة .

وقال إبراهيم : قال لي المأمون ، وقد دخلت عليه بعد العفو عني : أنت
 الخليفة الأسود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا الذي مننت عليه بالعفو ، وقد
 قال عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ ٢ :

أشعارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمنَ له عندَ الفَخَارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ
 إن كنتُ عبداً فنفسِي حرّةٌ كَرَمًا أو أسودَ الخَلْقِ إني أبيضُ الخَلْقِ

١ : ٥٠ نفر .

٢ : ديوانه : ٥٥ .

فقال لي : يا عم أخرجك الهزل إلى الجد ، وأنشد يقول :

ليس يُزري السوادُ بالرجل الشم م ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسوادِ فيك نصيبٌ فبياضُ الأخلاقِ منك نصيبِ

قلت : وقد نظم بعض المتأخرين ، وهو الأعز أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الإسكندري - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون - هذا المعنى وزاد فيه وأحسن كل الإحسان ، وهو قوله^١ :

رُبَّ سوداءَ وهي بياضٌ فعلٍ حسدَ المسكَ عندها الكافورُ
مثلُ حَبِّ العيونِ يحسبه النا سُ سواداً وإنما هو نور

وجلس (٢)* المعتصم يوماً - وقد تولى الخلافة بعد المأمون - وعن يمينه العباس بن المأمون ، وعن يساره إبراهيم بن المهدي ، فجعل إبراهيم يقلب خاتماً في يده ، فقال له العباس : يا عم ما هذا الخاتم ؟ فقال : خاتم رهنته في أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين ، فقال له العباس : والله لئن لم تشكر أبي على حَقْنِ دمك مع عظيم جرْمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك ، فأفحمه .

وهذا إبراهيم في حديثه طول كثير^٢ أورده أرباب التواريخ في كتبهم ، لكن اختصرته ، ونبت على المقصود منه ، وقد استفى الطبري وغيره الكلام فيه .

ولما ظفر المأمون بإبراهيم شاور فيه أحمد بن أبي خالد الأحول الوزير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلته فلك نظراء ، وإن عفوت عنه فما لك نظير . وكانت ولادته غرّة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائة ، وتوفي يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين بسر^٣ من رأى ، وصلى عليه ابن أخيه المعتصم ، رحمه الله تعالى .

وسر^٤ من رأى فيها ست لغات حكاهما الجوهري في كتاب «الصحاح» في فصل

١ ليسا في ديوانه المطبوع .

٢ د : وأخبار إبراهيم بن المهدي طويلة .

رأى ، وهن : سُرٌّ مَنْ رأى - بضم السين المهملة وفتحها - وسُرٌّ من راء -
بضم السين وفتحها وتقديم الألف على الهمزة في اللغتين - وساء من رأى ،
وسامرًا ، واستعمله البحثري ممدوداً في قوله :

وَنَصَبْتَهُ عِلْمًا بِسَامِرَاءَ

ولا أعلم هل هي لغة شائعة أو استعمله كذلك ضرورة .
وسر من رأى : مدينة بالعراق، بناها المعتصم في سنة عشرين ومائتين وفيها
السُّرداب الذي ينتظر الإمامية خروج الإمام منه ، وسيأتي ذكره في حرف
الميم في الحمدین إن شاء الله تعالى .

١٠

ابراهيم النديم الموصلی

أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان - ويقال له أيضاً : ميمون - بن بهمن بن
نُسك ، التميمي بالولاء ، الأرجاني ، المعروف بالنديم ، الموصلی : ولم يكن
من الموصل ، وإنما سافر إليها وأقام بها مدة ، فنُسب إليها ، هكذا ذكره
أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » .

وهو من بيت كبير في العجم . وانتقل والده ماهان إلى الكوفة وأقام بها .
وأول خليفة سمعه المهدي بن المنصور ، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع
الألحان (٣)* وكان إذا غنى إبراهيم ، وضرب له منصور المعروف بزُلزُل ، اهتزت
لها المجلس ، وكان إبراهيم زوج أخت زُلزُل المذكور ، وأخباره ومجالسه
مشهورة .

وحكي أن هارون الرشيد كان يهوى جاريته ماردة هوى شديداً ، فتغاضبا

١٠ - انظر الأغاني ٥ : ١٤٢ .

مرة ودام بينها الغضب ، فأمر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل في ذلك شيئاً ، فعمل^١ :

رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمَتِيَمَ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنَّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمَا دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى به الرشيد، فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها ، فسألت عن السبب في ذلك، فقيل لها، فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألت الرشيد أن يكافئها ، فأمر لها بأربعين ألف درهم . وكان هارون قد حبس إبراهيم في المُنْطَبِقِ ، فأخبر سلمٌ الحاسر أبا العتاهية بذلك ، فأنشده^٢ :

سَلِّمْ يَا سَلِّمْ لَيْسَ دُونَكَ سِرٌّ حُبْسَ الْمُوصِلِيِّ فَالْعَيْشُ مُرٌّ
مَا اسْتَطَابَ اللَّذَاتِ مُذْغَابٌ فِي الْمُطِّ بَقِيَ رَأْسُ اللَّذَاتِ فِي النَّاسِ حُرٌّ
تَرَكَ الْمُوصِلِيُّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ جَمِيعاً وَعَيْشَهُمْ مُقَشَعِرٌ
حُبْسَ اللَّهْوِ وَالسُّرُورُ فَمَا فِي الْا أَرْضِ شَيْءٌ يُلْهِى بِهِ وَيَسُرُّ

ولد إبراهيم المذكور بالكوفة سنة خمس وعشرين ومائة ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة بعلة القولنج ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ومائتين ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى . وفي ترجمة العباس بن الأحنف خبر وفاته أيضاً فلينظر فيها ، وقيل : مات إبراهيم الموصلي وأبو العتاهية الشاعر وأبو عمرو الشيباني النحوي في سنة ثلاث عشرة ومائتين في يوم واحد ببغداد، وإن أباه مات وهو صغير فكفله بنو تميم وربّوه ، ونشأ فيهم فنُسب إليهم ، والله أعلم .
وسياتي ذكر ولده إسحاق .

وأرجان : بتشديد الراء المهملة ، حكاه الجوهري والحازمي ، وهي مذكورة في ترجمة أحمد الأرجاني .

١ ديوان العباس : ٢٨ وقبلهما بيتان ، والزهرة ١ : ٥٨ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢٦ ، وما أيضاً في الأغاني .

٢ ديوان أبي العتاهية : ٥٣٥ والقطعة أيضاً في الأغاني .

ابراهيم الصولي

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي ، الشاعر المشهور ؛
كان أحد الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر كله نُخَبٌ ، وهو صغير ،
ومن رقيق شعره (٤) * :

دَنَتُ بِأَناسٍ عَن تَناءِ زيارَةٍ ُ وشطٌّ بليلى عن دُنُوِّ مَزارِها
وإنَّ مُقيَماتِ بِمُنْعَرجِ اللّوى لأقربُ من ليلي وهاتيكَ دارُها

وله نُثرٌ بديعٌ ، فمن ذلك ما كتبه^٢ عن أمير المؤمنين ، إلى بعض البغاة
الخارجين يتهددهم ويتوعددهم ، وهو « أما بعد ، فإن لأمير المؤمنين أناةٌ ، فإن
لم تُغْنِ عَقَبَ بعدها وعيداً ، فإن لم يغن أغنت عزائمها ، والسلام » وهذا الكلام
مع وجازته في غاية الإبداع ، فإنه ينشأ منه بيت شعر له أوله :

أناةٌ فإن لم تُغْنِ عَقَبَ بعدها وَعِيداً فإن لم يُغْنِ أَغْنَتَ عَزائِمُهُ

وكان يقول : ما اتكلتُ في مكاتبتني قط إلا على ما يحلبه خاطري ويجيش
به صدري ، إلا قولي : « وصار ما يُحْرِزُهُم يُبْرِزُهُم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم » ،
وقولي في رسالة أخرى : « فأنزله من معقل إلى عقال ، وبدلوه آجالاً من
آمال » ، فإني أملت بقولي « آجالاً من آمال » بقول مسلم بن الوليد الأنصاري ،
المعروف بصريح الغواني ، وهو^٣ :

١١ - ترجمة إبراهيم الصولي في معجم الأدباء ١ : ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧ والأغاني ١٠ : ٤٢٠
واعتاب الكتاب : ١٤٦ ، وله ديوان نشره العلامة الميمني في الطرائف الأدبية ١٢٦ - ١٩٤ .

١ ديوانه : ١٤٥ .

٢ د : كتب به .

٣ ديوان مسلم : ٩ .

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يسمَى إلى أَمَلٍ^١

وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام^٢ :

فإنَّ بِأَسْرَ الإِصْحَارِ فالبيضُ والقنَا قِرَاهُ ، وأحْوَاضُ المَنَايَا مَنَاهُلُهُ^٣
وإنَّ يَبْنَ حَيْطَانًا عَلَيْهِ فإِنَّمَا أولُكْ عُقَاتُهُ لا مَعَاقلُهُ ،
وإلَّا فاعلمهُ بِأَنكَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ فَإِنَّ الخُوفَ لا شَكَّ قَاتلُهُ

وهو ابن أخت العباس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور .

ونسبته إلى جده صُؤل المذكور ، وكان أحد ملوك جُرْجان ، وأسلم على يد يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة ، وقال الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في « تاريخ جُرْجان » : الصُّولي جُرْجاني الأصل ، وصول من بعض ضياع جرجان ، ويقال لها جُول^٤ ، وهو عم والد أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، صاحب كتاب « الوزراء » وغيره من المصنفات ، فإنها يجتمعان في العباس المذكور .

وقد ذكره أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب « الورقة » فقال^٥ : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُؤل ، بغدادي^٦ أصله من خراسان ، يكنى أبا إسحاق ، أشعر نظرائه الكتّاب وأرقهم لساناً ، وأشعاره قصار ثلاثة أبيات ونحوها إلى العشرة ، وهو أنعت الناس للزمان وأهله غير مدافع ، وأصله تركي ، وكان صول وفسير^٧ وأخوين مَلَكَا جُرْجان ، تركيان ، تمجّسا وصارا أشباه الفرس ، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة جرجان أمّنتهما ، فلم يزل

١ يقول : يوفي على المهج بالقتل ؛ والرهج : الفبار ، أي يوم الحرب .

٢ ديوانه ٣ : ٢٨ .

٣ الإصحار : البروز إلى الصحراء .

٤ العقال : داء يعرض للخيال يعوقها عن الجري ؛ المعائل : الحصون وأصله من امتناع الوعل في الجبال ، يقال : عقل الوعل إذا حصل في موضع عال لا يوصل إليه فيه .

٥ أ : خراسان ؛ وهو خطأ .

٦ ج د : جون .

٧ لم ترد له ترجمة في كتاب الورقة المطبوع .

صول معه ، وأسلم على يده حتى قُتل معه يوم العَقْر .
 وكان أبو عمارة محمد بن صُول أحد جَلَّةِ الدعاة ، وقتله عبد الله بن علي
 العباسي ، عمُّ السفاح والمنصور ، لما خلع مع مقاتل بن حكيم العكي وغيره .
 واتصل إبراهيم وأخوه عبد الله بندي الرياستين الفضل بن سهل ، ثم تنقل
 في أعمال السلطان ودواوينه إلى أن توفي وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات
 بسرّاً من رأى للنصف من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين .
 قال دعبل بن علي الخزاعي : لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركتنا
 في غير شيء ، هذا آخر ما نقلته من كتاب « الورقة » .
 وقد وقفت على ديوانه ، ونقلت منه أشياء ، منها قوله ، وهذان البيتان
 يوجدان في ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ، والله أعلم :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ العيشِ في دَعَاةٍ نَزُوعُ نَفْسٍ إلى أهْلِ وأوطانِ
 تَلْقَى بكلِّ بِلَادٍ إنْ حَلَلْتَ بِهَا أهلاً بأهْلِ وجيراناً يَجِيرانِ

وله - ويقال : إنه ما ردّدهما من نزلت به نازلة إلا فرج الله تعالى عنه - :

ولرُبِّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَقِي ذرْعاً وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ^٢
 ضاقتُ فلما استحكمت حلقاتها فُرجتُ وكان يظنها لا تُفْرَجُ

ومن شعره :

أولى البرية طرّاً أنْ تُواسِيَهُ عندَ السرورِ الذي واساك في الحزنِ
 إنَّ الكرامَ إذا ما أسهلُّوا ذكروا من كانَ يألَفُهُمُ في المنزلِ الحِشِنِ

وله - ويقال : إنه كتبها إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتمد - :

و كنتَ أخي بإخاءِ الزمانِ فلما نبا صيرتَ حربياً عَواناً
 و كنتُ أذُمُّ إيلِكَ الزمانِ فأصبحتُ منك أذُمُّ الزمانا

١ هذه القطعة وما يليها في ديوان الصولي : ١٥١ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٦٦ ، ١٦٩ (وينسبان
 لغيره) ، ١٨٥ (ومها في شرح التبريزي ٣ : ١١٥ دون عزو) ؛ وانظر المروزي : ١٢٢٠ .
 ٢ ب ه والديوان : مخرج .

وكنْتُ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ فَمَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

وله أيضاً :

كُنْتَ السَّوَادَ لِمُقَلَّتِي فَبِكِي عَلَيْكَ النَّاضِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

وأورد له أبو تمام الطائي في كتاب « الحماسة » في باب النسب :

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أُرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلِيٍّ ، فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلِيٍّ فَتَبْتَغِي بِهِ الْجَاهَ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

وله كل مقطوع بديع ، والاختصار أولى بالمختصر .

وسأتي ذكر ابن أخيه محمد بن يحيى الصولي في المحمدين ، إن شاء الله تعالى .

توفي إبراهيم الصولي المذكور منتصف شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين

بسر من رأى ، رحمه الله تعالى .

١٢

نفظويه

أبو عبد الله^١ إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب
ابن أبي صفرة الأزدي ، الملقب بنفظويه النحوي الواسطي ؛ له التصانيف
الحسان في الآداب ، وكان عالماً بارعاً ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل :
سنة خمسين ومائتين بواسط وسكن بغداد . وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين

١٢ - ترجمة نفظويه في بغية الرعاة : ١٨٧ وتاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ والزبيدي : ١٧٢ ونور

القبس : ٣٤٤ وانباء الرواة ١ : ١٧٦ والفهرست : ٨١ ونزهة الألباء : ١٧٨ .

١ : أبو عبيد الله .

وثلاثمائة يوم الأربعاء ، لِسِتِّ خَلْوَنَ مِنْهُ ، بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِسَاعَةٍ . وَقِيلَ :
تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ هُوَ وَابْنُ مَجَاهِدِ الْمُقْرِيءِ بِبَغْدَادَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَدُفِنَ ثَانِي
يَوْمَ بَابِ الْكُوفَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : لَيْسَ فِي الْعُلَمَاءِ مِنْ اسْمِهِ إِبْرَاهِيمَ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سِوَى
نِفْطَوَيْهِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي كِتَابِ « الْأَمَالِي » ٢ :

قَلْبِي عَلَيْكَ أَرْقُ مِنْ خَدَيْكَ وَقُوَايَ أَوْهَى مِنْ قُوَى جَفْنَيْكَ
لَمْ لَا تَرِقْ لِمَنْ يَعَذِّبُ نَفْسَهُ ظُلْمًا وَيَعْطِفُ هَوَاهُ عَلَيْكَ

وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ٣ بِنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْوَاسِطِيِّ الْمُتَكَلِّمِ
الْمَشْهُورِ ، صَاحِبِ « الْإِمَامَةِ » وَكِتَابِ « إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي نِظْمِهِ » وَغَيْرِهِمَا :
مَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى فَاسِقًا فَلْيَجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَى نِفْطَوَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ

وَتَوَفَّى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ الْمَذْكُورُ سَنَةَ سَبْعٍ - وَقِيلَ : سَنَةَ سِتٍ - وَثَلَاثَةَ مِائَةٍ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

حَكَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ : خَرَجَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
سُرَيْجٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ نِفْطَوَيْهِ إِلَى وَليمةٍ
دُعُوا لَهَا ، فَأَفْضَى بِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى مَكَانِ ضَيْقٍ ، فَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ
أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : ضَيْقُ الطَّرِيقِ يُوْرِثُ سُوءَ الْأَدَبِ ، وَقَالَ
ابْنُ دَاوُدَ : لَكِنَّهُ يُعَرِّفُ مَقَادِيرَ الرِّجَالِ ، فَقَالَ نِفْطَوَيْهِ : إِذَا اسْتَحْكَمَتِ الْمُوْدَّةُ
بَطَلَتِ التَّكَالِيفُ .

وَنِفْطَوَيْهِ - بِكَسْرِ النُّونِ وَفَتْحِهَا وَالْكَسْرِ أَفْصَحُ وَالْفَاءُ سَاكِنَةٌ - قَالَ أَبُو

١ د : إلا .

٢ الأمالي ١ : ٢٠٧ .

٣ أ : يزيد .

٤ ب ه : أبو عبيد الله إبراهيم بن محمد .

منصور الثعالبي في أوائل كتاب «لطائف المعارف»^١ : إنه لقبَ نَفْطويه لدمامته وأدمته تشبيهاً له بالنَّفْطِ ، وهذا اللقب على مثال سيبويه ، لأنه كان ينسب في النحو إليه ، ويجري على طريقته ، ويدرس كتابه ، والكلام في ضبط نَفْطويه ونظائره كاللّكلام على سيبويه ، وهو مذكور في ترجمته ، واسمه كَمَرُو ، فليكشف منه .

١٣

أبو اسحاق الزجاج

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزَّجَّاج النحوي ؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين ، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب «الأمالي» ، وكتاب «ما فسّرَ من جامع المنطق» ، وكتاب «الاشتقاق» ، وكتاب «العروض» ، وكتاب «القوافي» ، وكتاب «الفرق» ، وكتاب «خلق الإنسان» ، وكتاب «خلق الفرس» ، وكتاب «مختصر في النحو» ، وكتاب «فعلتُ وأفعلتُ» ، وكتاب «ما ينصرف وما لا ينصرف» ، وكتاب «شرح أبيات سيبويه» ، وكتاب «النوادر» ، وكتاب «الأنواء» ، وغير ذلك . وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب ، رحمهما الله تعالى ، وكان يخرط الزَّجَّاج ، ثم تركه واشتغل بالأدب ، فنسب إليه . [روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال : كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول : إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا ، فحضروا مرة ولم يكن الزجاج معهم ؛ فقال لهم ذلك فانصرفوا ، وثبت رجل منهم يقال له عثمان ، فقال للآذن : قل لأبي العباس : انصرف القوم كلهم إلا عثمان فإنه لم

١ لطائف : ٤٨ .

١٣ - ترجمة الزجاج في انباه الرواة ١ : ١٥٩ وبغية الرواة : ١٧٩ وتاريخ بغداد ٦ : ٨٩ والزبيدي : ٨١ والفهرست : ٦٠ ومراتب النحويين : ١٣٦ ومعجم الأدباء ١ : ١٣٠ ونزهة الالباء : ١٦٧ ونور القبس : ٣٤٢ .

ينصرف ، فعاد إليه الآذن وأخبره ، فقال : قل له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف ، ونحن لا نعرفك فانصرف راشداً] . واختص بصحبة الوزير عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، وعلم ولده القاسم الأدب ، ولما استوزر القاسم بن عبيد الله أفاد بطريقه مالا جزيلا .

وحكى الشيخ أبو علي الفارسي النجوي قال^١ : دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير فورد إليه الخادم فسارّه بسرّ استبشر له ، ثم نهض ، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم ، فسأله شيخنا عن ذلك لأنس كان بينها ، فقال له : كانت تختلف إلينا جارية لإحدى القينات فسُمّتها أن تبيعي إياها ، فامتنعت من ذلك ، ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضعف لها ثمنها ، فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك ، فنهضت مستبشراً لاقتضاها فوجدتها قد حاضت ، فكان مني ما ترى ، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه ، وكتب :

فارسٌ ماضٍ بحربتهِ حاذقٌ بالطعن في الظلمِ
رامٌ أن يُدمي فريستهِ فاتقته من دمٍ بدمِ

قلت : وسيأتي في ترجمة بُوران بنت الحسن بن سهل ذكر هذين البيتين على صورة أخرى ، فيما جرى لها مع المأمون ، والله أعلم بالصواب ، ويحتمل أن تكون قضية المأمون مع بُوران هي الأصل ، وأن الزجاج تمثل بالبيتين لما جرى للوزير هذه القضية ، والله أعلم .

توفي يوم الجمعة تاسعَ عشرَ جمادى الآخرة سنة عشر - وقيل : سنة إحدى عشرة ، وقيل : سنة ست عشرة - وثلثمائة ، ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وقد أناف على ثمانين سنة .

وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب « الجُمَل في النحو » ، لأنه كان تلميذه ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ، رحمه الله ؛ وعنه أخذ أبو علي الفارسي أيضاً .

١ قارن بما في انباه الرواة : ١٦٢ .

الافليلي

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء^١ بن مفرّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بالافليلي من أهل قرطبة؛ كان من أئمة النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، وشرح «ديوان المتنبي» شرحاً جيداً، وهو مشهور، وروى عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي، وكان متصديراً بالأندلس لإقراء الأدب، وولي الوزارة للمكتفي بالله بالأندلس، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام، صادق اللهجة، حسن الغيب، صافي الضمير، عني بكتب جمّة كـ «الغريب المصنف»، و«الألفاظ»، وغيرهما. وكانت ولادته في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، وتوفي في آخر الساعة الحادية عشرة من يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ودفن يوم الأحد بعد العصر في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة، رحمه الله تعالى.

والإفليلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ثانية - هذه النسبة إلى الإفليل^٢، وهي قرية بالشام كان أصله منها.

١٤ - ترجمة الافليلي في الذخيرة ١/١ : ٢٤٠ والصلة : ٩٤ وانباء الرواة ١ : ١٨٣ وبغية

اللمتس : ١٩٩ ومعجم الأدباء ٢ : ٤ .

١ تكرر في نسبه ذكر « زكريا » في الصلة .

٢ ياقوت : افليلاء - بفتح الهمزة . -

الصابيء صاحب الرسائل

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرُونَ بن حَبْثُونِ الحَرَانيُّ الصابيء ، صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع ؛ كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بُوَيَه الديلمي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وتقلد ديوان الرسائل سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بن بويه بما يؤله ، فحقد عليه ، فلما قتل عز الدولة ومملك عضدُ الدولة ببغداد اعتقله في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة ، فشفعوا فيه ، ثم أطلقه في سنة إحدى وسبعين ، وكان قد أمره أن يصنع له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية ، فعمل الكتاب « التاجي » فقيل لعضد الدولة : إن صديقاً للصابيء دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل^٢ ، فقال : أباطيل أتقها ، وأكاذيب^٣ ألقها ، فحركت ساكنه وهيجت^٤ حقه ، ولم يزل مبعداً في أيامه . وكان متشدداً في دينه ، وجهد عليه عز الدولة أن يُسَلِّم فلم يفعل . وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ ، وكان يستعمله في رسائله (٥)* ، وكان له عبد أسود اسمه يمن ، وكان يَهْوَاهُ ، وله فيه المعاني البديعة ، فمن جملة ما ذكره له الثعالبي في كتاب « الغلمان » ، قوله :

قد قال يمنٌ وهوَ أسودٌ للذي ببياضه استعلى علوُ الخاتنِ

١٥ - ترجمة الصابيء في معجم الأدباء ٢ : ٢٠ والبيئمة ٢ : ٢٤٣ - ٣١٢ .

١ أ : أرجل .

٢ د : عما يعمله من ذلك .

٣ أ : وأحاديث .

٤ ج : وأهاجت .

ما فخرُ وجهِك بالبياض؟ وهل ترى أن قد أفدّت به مزيد محاسن؟
ولو أن مني فيه خالاً زانه ولو أن منه في خالاً شانني

قلت : ومعنى البيت الثالث ينظر إلى قول ابن الرومي من جملة أبيات في جاريته السوداء ، وهو قوله :

وبعض ما فضلّ السّوادُ به والحقُّ ذو سُلّمٍ وذو نَفَقِ
أن لا يعيبَ السّواد حُلُكته^١ وقد يعابُ البياض بالبَهقِ

وهي أبيات مشهورة أحسن فيها كل الإحسان .
وذكر له الثعالبي فيه أيضاً :

لك وَجْهٌ كان يُمْناي خَطتُه بلفظ تُمَلّته آمالي
فيه مَعْنَى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه اللّياي
لم يَشِينِكَ السّواد بل زدت حسناً إنما يلبس السّوادَ المَوالي
فبالي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي

وله كل شيء حسن ، من المنظوم والمنثور (٦) * .
وتوفي يوم الاثنين - وقيل : يوم الخميس - لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، ببغداد ، وعمره إحدى وسبعون سنة .
وذكر أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي في كتابه « الفهرست »^٢ أن الصابيء المذكور ولد سنة ثيفٍ وعشرين وثلثمائة وتوفي قبل سنة ثمانين وثلثمائة ودفن بالشونيزي .
ورثاه الشريف الرضي بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها^٣ :

أرأيتَ مَنْ حَمَلوا على الأعوادِ ؟ أرأيتَ كيفَ خبا ضياءَ النادي ؟

١ أ : حلتته .

٢ الفهرست : ١٣٤ .

٣ انظر ديوان الرضي ١ : ٣٨١ .

٤ د : أعلت .

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثي صابئاً ، فقال : إنما رثيتُ فضله .
وزَاهرون : بفتح الزاي المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة وبعده
الواو نون .

وحَبَّونُ : بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعده الواو نون .
والصابيء : بهمزة آخره . وقد اختلفوا في هذه النسبة ، فقيل : إنها إلى
صابيء بن متوشلح^١ بن إدريس عليه السلام ، وكان على الحنيفية الأولى . وقيل :
إلى صابيء بن ماري ، وكان في عصر الخليل عليه السلام ، وقيل : الصابيء عند
العرب من خرج عن دين قومه ، ولذلك كاذت قريش تسمي رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، صابئاً لخروجه عن دين قومه ، والله أعلم .

١٦

الحصري صاحب زهر الآداب

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم ، المعروف بالحُصْرِي ، القَيْدَرَوَانِي الشاعر
المشهور ، وله ديوان شعر ، وكتاب « زهر الآداب وثمر الألباب » جمع فيه كل
غريبة في ثلاثة أجزاء ، وكتاب « المصون في سر الهوى المكنون » في مجلد
واحد فيه مُلَحٌ وآداب (٧)* . ذكره ابن رَشِيْقٍ في كتابه « الأنموذج » ،
وحكى شيئاً من أخباره وأحواله ، وأنشد جملة من أشعاره ، وقال : كان
شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وشرفاً
لديهم ، وسارت تأليفاته وانتالت عليه الصلوات من الجهات ، وأورد من شعره :

إني أحببكَ حبّاً ليس يبْلُغُهُ فَهَمٌّ ، ولا ينتهي وصفي إلى صِفَتِهِ

١ د : متوشلخ .

١٦ - ترجمة الحصري في مسالك الأبصار (الورقة ٣٠٩) وفيه نقل عن الانموذج لابن رشيق ؛ وفي
معجم الأدباء ٢ : ٩٤ والذخيرة (الجزء الرابع ، ولم يطبع بعد) .

أقصى نهايةٍ علمي فيه معرفتي بالعجزِ منسي عن إدراك معرفته

وأورد له أبو الحسن علي بن بسّام صاحب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » بيتين في ضمن حكاية ، وهما :

أوردَ قلبي الردى لامُ عذارٍ بدأ
أسودُ كالكفّرِ في أبيض مثل الهدى

وهو ابن خالة أبي الحسن علي الحُضري الشاعر ، وستأتي ترجمته في حرف العين .
توفي أبو إسحاق المذكور بالقيروان سنة ثلاثَ عشرةَ وأربعمائة ، وقال
ابن بسّام في « الذخيرة » : بلغني أنه توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، والأول
أصح ، رحمه الله تعالى .

وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب « الجنان » في الجزء الأول في ترجمة
أبي الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك أن الحصري المذكور ألتف
كتاب « زهر الآداب » في سنة خمسين وأربعمائة ، وهذا يدل على صحة ما قاله
ابن بسّام ، والله أعلم .

والحُضري - بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة -
نسبة إلى عمل الحُضْر أو بيعها .

والقيروان - بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وبعده
الواو ألف ونون - مدينة بإفريقية ، بناها عثمانُ بن عامر الصحابي^١ ، رضي الله عنه .
وإفريقية سميت باسم إفريقيين بن قيس بن صيفي الحميري ، وهو الذي
افتتح إفريقية ، وسميت به ، وقتل ملكها جرجير ، ويومئذ سميت البربر ، قال
لهم : ما أكثر بربرتكم ، ويقال : إفريقس ، والله أعلم .

والقيروان في اللغة : القافلة ، وهو فارسي معرب ، يقال : إن قافلة نزلت
بذلك المكان ، ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت باسمها ، وهو اسم للجيش
أيضاً ، وقال ابن القطاع اللغوي : القَيْرَوان بفتح الراء الجيش ، وبضمها
القافلة ، نقله عن بعضهم ، والله أعلم .

١ كذا والصواب : عقبة بن نافع الفهري .

ابن خفاجة الأندلسي

أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ؛ ذكره ابن بسّام في « الذخيرة » وأثنى عليه ، وقال : كان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستراحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب ، وله ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان ، ومن شعره في عشيّة أنس ، وقد أبدع فيه :

وعِشِّي أنس أضجعتني نَشْوَةٌ فيه تُمَهِّدُ مَضْجَعِي وتُدَمِّتُ
خلعت عليّ به الأراكةُ ظِلِّهَا والفصنُ يُضغِي والحمَامُ يحدِّثُ
والشمسُ تَجَنِّحُ للغروب مريضةً والرعدُ يَرِقِي والغمامةُ تَنفُثُ

وله أيضاً ، وهو معنى حسن :

ما للعِذارِ وكانَ وَجْهكَ قِبلَةَ قد حَظَّ فيهِ من الدُّجَى محرابا
وأرى الشِّبابَ وكانَ ليسَ بِجاشِعٍ قد حَخرَ فيهِ راکِماً وأنابا
ولقدْ علمتْ بكَوْنِ شَعْرِكَ بارِقاً أن سَوْفَ يُزْجِي للعِذارِ سحابا

(٨) * وله أيضاً :

أقوى محلٍّ من شبابك أهيلٌ فوقفتُ أندبُ منه رسماً عافيا
مثلَ العِذارِ هناكَ نؤياً دائراً واسودَّتِ الخيلانُ فيه أثافيا

وقد أخذ بعض المتأخرين - وهو العماد أبو علي^٢ بن عبد النور اللزني نزيل

١٧ - ترجمة ابن خفاجة في الذخيرة : ٣ الورقة : ١٧٣ (نسخة بغداد) والقلائد : ٢٣١ والمطمح :

٨٦ وبغية الملتبس : ٢٠٢ وله أشعار وأخبار في نفع الطيب .

١ وردت هذه القطعة والقطعتان التاليتان في ديوانه : ٢٨٥ ، ١٢٦ ، ٦١ .

٢ : العماد بن علي .

الموصل ، وهو المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين موسى بن يونس - هذا
المعنى فقال :

ومُعَقَّرَبِ الصَّدُغَيْنِ خَلْتُ عِدَارَهُ نُوِيَا أَتَانِي رَسِمِهِ الْخَيْلَانُ
فَوَقَفْتُ أَبْكِيهِ بَعَيْتِي عُرْوَةَ أَسْفَا عَلَيْهِ كَأَنِّي عَيْلَانُ

ولد أبو إسحاق المذكور بجزيرة شُقْر من أعمال بِلَنْسِيَة من بلاد الأندلس
في سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفي بها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، لأربع بقين
من شوال يوم الأحد .

وشُقْر - بضم الشين المثناة وسكون القاف والراء المهملة - وهي بليدة
بين شاطبة وبلنسية ، وإنما قيل لها جزيرة لأن الماء يحيط بها .
وبلَنْسِيَة - بفتح الباء الموحدة وفتح السلام وسكون النون وكسر السين
المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها .

والأندلس - بفتح الهززة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم السلام
والسين المهملة - وهي جزيرة متصلة بالبر الطويل ، والبر الطويل متصل
بالقسطنطينية العظمى ، وإنما قيل للأندلس جزيرة لأن البحر يحيط بها من جهاتها
إلا الجهة الشمالية ، وهي مثلثة الشكل ، فالركن الشرقي منها متصل بجبل يسلك
منه إلى افرنجة ، ولولاه لاختلط البحران . وحكي أن أول من عمرها بعد
الطوفان أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام ، فسميت باسمه .

١٨

ابراهيم الغزي الشاعر

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبى ،
وقال ابن النجار في « تاريخ بغداد » : هو إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد

١٨ - ترجمة الغزي في الخريدة (قسم الشام) ١ : ٤ - ٧٥ .

ابن عمر بن عبد الله الأشهبي ، الكلبي ، الغزّيّ الشاعر المشهور .
 شاعر محسن ، ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، فقال : دخل
 دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي ، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، ورحل
 إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ، ومدح ورثي غير واحد من
 المدرسين بها وغيرهم ، ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها ،
 وانتشر شعره هناك ، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر ، وأثنى عليه . انتهى
 كلام الحافظ .

وله ديوان شعر اختاره لنفسه ، وذكر في خطبته أنه ألف بيت .
 وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » ، وأثنى عليه ، وقال : إنه جاب البلاد
 وتغرب ، وأكثر النقل والحركات ، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ،
 ولقي الناس ، ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية
 التي يقول فيها ، ولقد أبدع فيه ٢ :

حَمَلْنَا مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا نَطِيقُهُ كَمَا حَمَلَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ الْعَصَابَا

ومنها في قصر الليل ، وهو معنى لطيف :

وَلَيْلٍ رَجَوْنَا أَنْ يَدِبَّ عِذَارُهُ فَمَا اخْتَطَّ حَتَّى صَارَ بِالْفَجْرِ سَائِبَا

وهي قصيدة طويلة .

ومن جيد شعره المشهور :

قَالُوا هَجَرْتَ الشَّعْرَ ، قَلْتَ ضَرْوَرَةَ
 خَلَّتِ الدِّيَارُ فَلَآءُ كَرِيمٍ يَرْتَجِي
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى
 بَابُ الدَّوَاعِي وَالْبَوَاعِي مُغْلَقُ
 مِنْهُ النَّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
 وَيُخَانُ فِيهِ مَعَ الْكَسَادِ وَيُسْرَقُ

١ أ هـ : دخل .

٢ الخريدة : ١١ .

٣ هـ : بالصبح ؛ وما أثبتناه مطابق لما في الخريدة .

٤ د : لم يبق في الدنيا .

٥ أ : ومن العجائب أن تراه كساداً .

(٩)* ومن شعره ، وفيه صناعة مليحة :

وَخَزْرُ الْأَسْنَةِ وَالْحُضُوعُ لِنَاقِصِ أَمْرَانَ فِي ذَوْقِ النَّهْيِ مُرَّانِ
وَالرَّأْيُ أَنْ يُخْتَارَ فِيمَا دُونَهُ إِلَّا مُرَّانِ وَخَزْرُ أَسْنَةِ الْمُرَّانِ

ومن شعره أيضاً :

من آلة الدّستِ لم يُعْطَ الوَزيزُ سِوَى
تَحْرِيكِ لِحَيْتِهِ فِي حَالِ إِيَاءِ
إِنَّ الْوَزِيرَ وَلَا أَرَزْ^٢ يَشْدُ بِهِ مِثْلَ الْعَرُوضِ لَهُ بَجْرٌ بِلَا مَاءِ
وله أيضاً :

وَجَفَّ النَّاسُ حَتَّى لَوْ بَكَيْنَا تَعَدَّرَ مَا تُبَلِّ بِهِ الْجَفُونَ
فَمَا يَنْدَى لِمَمْدُوحِ بَنَانٍ وَلَا يَنْدَى لِمَهْجُوعٍ جَبِينِ

وله في القصائد المطولات كلُّ بديع .

ومن شعره أيضاً وهو مما تستملحه الأدباء وتستظرفه قوله من جملة قصيدة:

إِشَارَةٌ مِنْكَ تُغْنِينِي وَأَحْسَنُ مَا رَدَّ السَّلَامَ غَدَاةَ الْبَيْنِ بِالْعَمَمِ
حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا الْمُرْطُ مِنْ دَهَشٍ وَانْحَلَّ بِالضَّمِّ سَلْكُ الْعَقْدِ فِي الظُّلْمِ
تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ اللَّيْلُ فَالْتَقَطَتْ حَبَّاتٍ مُنْتَثِرَةٍ فِي ضَوْءِ مَنْتَظِمِ

والبيت الأخير منها ينظر إلى قول الشريف الرضي ، من جملة قصيدة :

وَبَاتَ بَارِقُ ذَلِكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ اللُّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلْمِ

وقد ألمّ به بعض البغاددة في مواليا على اصطلاحهم ، فإنهم ما يتقيدون بالإعراب فيه ، بل يأتون به كيفما اتفق ، وهو :

١ د : وله في الشهاب الوزير .

٢ د : تدعى الوزير بلا أزر .

ظفرت ليله بليلى ظفرة المجنون وقلت وافى لحظي طالع ميمون
تبسمت فأضاء اللؤلؤ المكنون صار الدجى كالضحى فاستيقظ الواشون

والأصل في هذا المعنى بيت أبي الطمّحان القيني ، وهو قوله ١ :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهذا البيت من جملة أبيات ، وهي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدُهُ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كَمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويقال : إن هذا البيت أمدح بيت قيل في الجاهلية ، وقيل : هو أكذب بيت قيل .

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت كتابه

وهذا أبو الطمّحان هو : حنظلة بن الشرقي ، من شعراء الجاهلية .

ولد القزبي المذكور بغزة ، وبها قبر هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة ما بين مرو وبلخ ، من بلاد خراسان ، ونقل إلى بلخ ودفن بها ، ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة : أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء : كوني من بلد الإمام الشافعي ، وأني شيخ كبير ، وأني غريب ، رحمه الله تعالى وحقق رجاءه .

وغزة - بفتح الغين وتشديد الزاء المعجمتين وبعدها هاء - وهي البليلة المعروفة في الساحل الشامي ، وقد يقع هذا الكتاب في يد من يكون بعيداً عن بلادنا ، ولا يعرف أين تقع هذه البليلة ، ويتشوق إلى معرفة ذلك ، فأقول :

١ اسمه حنظلة بن الشرقي وقيل ربيعة بن كنانة بن جسر وله ترجمة في الشعر والشعراء : ٣٠٤
والمؤتلف : ١٤٩ والأغاني ١٣ : ٣ والسمط : ٣٢٢ والاصابة ٢ : ٦٦ والخزانة ٣ : ٤٦٦
وأبياته هذه في الأغاني : ٩ .

هي من أعمال فلسطين ، على البحر الشامي ، بالقرب من عسقلان ، وهي في أوائل بلاد الشام من جهة الديار المصرية ، وهي إحدى الرحلتين المذكورتين في كتاب الله العزيز في قوله تعالى : ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ واتفق أرباب التفسير أن رحلة الصيف بلاد الشام ، ورحلة الشتاء بلاد اليمن ، وقد كانت قريش في متاجرها تأتي إلى الشام في فصل الصيف لأجل طيبة بلادها في هذا الفصل ، وتأتي اليمن في فصل الشتاء ، لأنها بلاد حارة لا تستطيع الدخول إليها في فصل الصيف ، وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام ، في أوائل سيرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف هاشم جد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر بعد هذا بقليل : « قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة ، من أرض الشام ، تاجراً » ثم قال بعد هذا بقليل : « وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي بني عبد مناف جميعاً » ، وذكر القصيدة ، ومن جملتها :

وهاشم في ضريحٍ وَسَطَ بَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتِ

قال أهل العلم باللغة : إنما قال غزات ، وهي غزة واحدة ، كأنه سمى كل ناحية منها باسم البلدة ، وجمعها على غزات ، وصارت من ذلك الوقت تعرف بغزة هاشم ، لأن قبره بها ، لكنه غير ظاهر ولا يعرف ، ولقد سألت عنه لما اجْتَزَّتْ بها ، فلم يكن عندهم منه علم . ولما توجه أبو نُوَاسٍ الشاعر المشهور من بغداد إلى مصر ليمدح^٢ الخُصِيبِ بن عبد الحميد ، صاحب ديوان الخراج بمصر ، ذكر المنازل التي في طريقه ، فقال :

طوالبُ بالركبانِ غَزَّةَ هاشمٍ وبالفرما من حاجهن شقور

وفي بيت أبي نواس لفظتان تحتاجان إلى التفسير ، إحداهما : « الفرما » وهي - بفتح الفاء والراء - المدينة العظمى التي كانت كرسي الديار المصرية في

١ شاعر لجأ لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه فحماه وأحسن إليه فأكثر مدحه (انظر معجم المرزباني : ٢٨٢ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ وأنساب الأشراف ١ : ٦٢) .

٢ ج : ليمدح .

زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ومن قرأها أم العرب التي منها هاجرُ
 أمُّ إسماعيل بن الخليل عليها السلام ، والفرما في أول الرمل : بين السائح
 والقصير ، المنزلة المعروفة على يسار المتوجه إلى الشام من مصر ، على ساحل
 البحر ، رأيتها وقد خربتُ ، ولم يبق منها سوى الآثار ، وموضعها تل عال .
 ومن الاتفاق الغريب : أن إسماعيل أبو العرب ، وأمه من أم العرب : القرية
 المذكورة ؛ واللفظ الثاني قوله في آخر البيت « شَقُور » بضم الشين المعجمة
 والقاف - ويقال بفتح الشين أيضاً ، والضم أصح - لأن الشقور بالضم بمعنى
 الأمور اللاصقة بالقلب المهمة ، الواحد شَقْرٌ ، والله أعلم .

١٩

ابن قرقول

أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس ابن القائد
 الحَمَزِي ، المعروف بابن قَرْقُول صاحب كتاب « مطالع الأنوار » الذي
 وضعه على مثال كتاب « مشارق الأنوار » للقاضي عياض .

كان من الأفاضل ، وصحب جماعة من علماء الأندلس ، ولم أقف على شيء
 من أحواله سوى هذا القدر ، وكانت ولادته بالمريّة من بلاد الأندلس ، في
 صفر سنة خمس وخمسمائة ، وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر
 سادس شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، وكان قد صلى الجمعة في الجامع ، فلما

١٩ - ترجمته في التكملة : ١٥١ وفي نسبه « آدم » بين يوسف وإبراهيم ، قال ابن الأبار : وكان
 رحالاً في طلب العلم حريصاً على لقاء الشيوخ ، فقيماً نظاراً أديباً حافظاً يبصر الحديث
 ورجاله ، وقد صنّف وألّف مع براعة الخط وحسن الوراثة ؛ حدث وأخذ عنه الناس ، ولم
 يزل بمالقة إلى أن انتقل منها إلى سبتة في سنة ٥٦٤ ثم إلى سلا .
 ١ التكملة : شعبان .

حضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص ، وجعل يكررها بسرعة ، ثم تشهد ثلاث مرات ، وسقط على وجهه ساجداً فوق ميثاً ، رحمه الله تعالى .

وَقَرُّقُولُ : بضم القافين ، وسكون الراء المهملة بينها ، وبعد الواو لام .
والمَرِيَّةُ - بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها هاء - وهي مدينة كبيرة بالأندلس على شاطئ البحر ، من
مَراسي المراكب .

وفاس - بالفاء والسين المهملة - وهي مدينة عظيمة بالمغرب بالقرب
من سَبْتَةَ .

ونسبته الحمزي - بفتح الحاء المهملة وبعد الميم الساكنة زاء معجمة - إلى
حمزة آشير - بمد الهززة وكسر الشين المثناة وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها راء مهملة - وحمزة هي بليدة بإفريقية ، ما بين بجاية وقلعة
بني حماد ، كذا ذكر لي جماعة من أهل تلك البلاد ، وآشير مذكورة في ترجمة
زيري بن مناد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

٢٠

أحمد بن حنبل

الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن
عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان
ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن
هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن

١ قال ابن الأبار إن حمزة موضع بناحية المسيلة من عمل بجاية .

٢٠ - له ترجحات كثيرة نكتفي بالإشارة منها الى ترجمته في طبقات أبي يعلى ج ١ الترجمة الأولى ،

وفي تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٨ .

عدنان ، الشيباني ، المرزويّ الأصل . هذا هو الصحيح في نسبه ، وقيل :
إنه من بني مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، وهو غلط ، لأنه من
بني شيبان بن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان ، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم
ذهل بن شيبان ، فليعلم ذلك والله أعلم .

خرجت أمه من مرو وهي حامل به ، فولدته في بغداد ، في شهر ربيع
الأول سنة أربع وستين ومائة ، وقيل : إنه ولد بمرو وحُمل إلى بغداد
وهو رضيع .

وكان إمام المحدثين ، صنف كتابه « المسند » ، وجمع فيه من الحديث ما لم
يتفق لغيره ، وقيل : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان من أصحاب
الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنها - وخواصه ، ولم يزل مصاحبه إلى أن
ارتحل الشافعي إلى مصر ، وقال في حقه : خرجت من بغداد وما خلقتُ
بها أتقى ولا أفتقه من ابن حنبل ، ودُعي إلى القول بخلق القرآن [أيام المعتصم
وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال أحمد : أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا ،
فأحضر له الفقهاء والقضاة فناظروه ...] فلم يجب ، فضرب وحُبس وهو
مُصرّ على الامتناع ، وكان ضربه في العشر الأخير من شهر رمضان ، سنة
عشرين ومائتين [وكانت مدة حبسه إلى أن خلى عنه ثمانية وعشرين يوماً وبقي إلى
أن مات المعتصم فلما ولي الواثق منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل
وخلع عليه وأكرمه ورفع الهنة في خلق القرآن] . وكان حسن الوجه ، ربعة
يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سود . أخذ عنه الحديث
جماعة من الأماثل ، منهم محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج
النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع .

وتوفي ضحوةً نهار الجمعة ، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ،
وقيل : بل لثلاث عشرة ليلة بقين من الشهر المذكور ، وقيل : من ربيع
الآخر ، سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وباب

١ أ : يصاحبه .

٢ ب : شعيرات .

حرب منسوب إلى حرب بن عبد الله ، أحد أصحاب أبي جعفر المنصور ، وإلى حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربية ، وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يزار ، رحمه الله تعالى . وحُزِرَ مَنْ حضر جنازته من الرجال ، فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفاً ، وقيل : إنه أسلم يوم مات عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صنفه في « أخبار بشر بن الحارث الحافي » رضي الله عنه في الباب السادس والأربعين ما صورته : « حدث إبراهيم الحربي قال : رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من باب مسجد الرصافة وفي كفه شيء يتحرك ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأكرمني ، فقلت : ما هذا الذي في كحك ؟ قال : قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت ، فهذا مما التقطتُ ، قلت : فما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ؟ قال : تركتها وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد ، قلت : فلم لم تأكل معها أنت ؟ قال : قد عرّفَ هوانَ الطعام عليّ فأباحني النظر إلى وجهه الكريم » .

وفي أجداده حيّان - بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها ، وبعد الألف نون ، وبقية الأجداد لا حاجة إلى ضبط أسمائهم لشهرتها وكثرتها ، ولولا خوف الإطالة لقيدها .

ورأيت في نسبه اختلافاً ، وهذا أصح الطرق التي وجدتها . وكان له ولدان عالمان ، وهما صالح وعبد الله ، فأما صالح فتقدمت وفاته في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين ، وكان قاضي أصبهان فمات بها ، ومولده في سنة ثلاث ومائتين ، وأما عبد الله فإنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين ، وتوفي يوم الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى - وقيل : الآخرة - وله سبع وسبعون سنة ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وبه كان يكنى الإمام أحمد ، رحمه الله أجمعين .

ابن سريج

أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج ، الفقيه الشافعي؛ قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في حقه في كتاب « الطبقات » : كان من عطاء الشافعيين ، وأئمة المسلمين ، وكان يقال له : الباز الأشهب ، وولي القضاء بشيراز ، وكان يُفَضَّلُ على جميع أصحاب الإمام الشافعي ، حتى على المزني ، وإن فهرست كتبه كانت تشتمل على أربعمائة مُصَنَّف ، وقام بنصرة مذهب الشافعي وردَّ على المخالفين ، وفرَّع على كتب محمد بن الحسن الحنفي .

وكان الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقول : نحن نحري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه ، وأخذ الفقه عن أبي القاسم الأنطاقي ، وعنه أخذ فقهاء الإسلام ، ومنه انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق .

وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري ، وحكي أنه قال له أبو بكر يوماً [أنت تقول بالظاهر ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فمن يعمل نصف مثقال؟ فسكت محمد طويلاً ، فقال له أبو العباس : لم لا تحجب ؟ فقال] أبلعني ريقي ، فقال له أبو العباس : أبلعتك دجلة ، وقال له يوماً : أمهني ساعة ، فقال : أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة ، وقال له يوماً : أكلمك من الرّجل فتجيبني^٢ من الرأس ، فقال له : هكذا البقر ، إذا حَفِيَتْ أظلافها دُهِنَتْ قرونها .

وكان يقال له في عصره : إن الله بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة

٢١ - ترجمة أبي العباس ابن سريج في تاريخ بغداد ٤ : ٢٨٧ وطبقات السبكي ٢ : ٨٧ والمعبر ٢ :

١٣٢ وتذكرة الحفاظ : ٨١١ وشذرات الذهب ٢ : ٢٤٧ والوافي ٧ ، الورقة : ١٢٦ .

١ د : إلى قيام .

٢ أ : تكلمي .

من الهجرة ، فأظهر كل سنة وأمات كل بدعة ، ومنّ الله تعالى على رأس المائتين بالإمام الشافعي حتى أظهر السنة وأخفى البدعة ، ومنّ الله تعالى بك على رأس الثلاثمائة حتى قويت كل سنة وضعفت كل بدعة ، وكان له مع فضائله نظم حسن .

وتوفي لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة ، وقيل : يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول ببغداد ، ودفن في حجرة بسويقة غالب بالجانب الغربي بالقرب من محلة الكرخ ، وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر ، رحمه الله تعالى . وقبره ظاهر في موضعه يزار ، ولم يبق عنده عمارة ولا قبر ، بل هو منفرد هناك .

[رأى أبو العباس المذكور في مرضه الذي مات فيه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول : أين العلماء ؟ فجاءوا ؛ فقال : ماذا عملتم في ما علمتم ؟ فقالوا : يا رب قصّرنا وأسأنا ، فأعاد السؤال كأنه لم يرض به ، وأراد جواباً آخر ، فقلت : أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه ، فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم ؛ ومات بعد ذلك بثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى] .

وكان جده سُريج رجلاً مشهوراً بالصلاح الوافر - وهو بضم السين المهملة وفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها والجيم - ورأيت في بعض الأجزاء أنه كان عجمياً لا يعرف بالعربية شيئاً ، وأنه رأى الباري سبحانه وتعالى في النوم وحادثه وقال له في الآخر : يا سُريج طَلَبَ كُنْ ، فقال : يا خُداً سرُّ بيسر ، قالها ثلاثاً ، وهذا لفظ عجمي معناه بالعربية : يا سريج اطلب ، فقال : يا رب رأس برأس ، كما يقال : رضيت أن أخلص رأساً برأس ، ثم وجدت في « تاريخ بغداد » أن صاحب المنام المذكور هو سريج بن يونس بن إبراهيم بن الحارث المرّوزي الزاهد العابد صاحب الكرامات ، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ورأيت بالمنام جزءاً منفرداً متصل السماع بالإسناد إلى سريج المذكور ، والقول الأول كنت سمعته من بعض المشايخ . والله أعلم .

ابن القاص

أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص، الطبري، الفقيه الشافعي؛ كان إمام وقته في طبرستان، وأخذ الفقه عن ابن سريج المقدم ذكره، وصنف كتباً كثيرة: منها «التلخيص»، و«أدب القاضي»، و«المواقيت»، و«الفتاح»، وغير ذلك، وقد شرح «التلخيص» أبو عبد الله الحنفي، والشيخ أبو علي السنجي، وهو كتاب صغير ذكره الإمام في «النهاية» في مواضع، وكذلك الغزالي، وجميع تصانيفه صغيرة الحجم كثيرة الفائدة، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى بها القضاء، فعقد له مجلس وعظ، وأدر كتبه رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى، فخر مغشياً عليه، ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة ست وثلاثين، رحمه الله تعالى.

وعرف والده بالقاص^١ لأنه كان يقصُّ الأخبار والآثار.

وطبرستان - بفتح الطاء المهملة وفتح الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون - وهو إقليم متسع ببلاد العجم يحاور خراسان. وله كرسيان: سارية وآمل، وهو منيع بالأودية والحصون.

وطرسوس - بفتح الطاء والراء المهملتين، وضم السين المهملة، وبعد الواو سين مهملة - وهي مدينة في الثغور الرومية عند المصيصة وأذنة، وبها

٢٢ - ترجمة ابن القاص في طبقات السبكي ٢ : ١٠٣ .

١ جعله أبو سعد السمعاني نفسه القاص وقال : انما سمي بذلك لدخوله ديار الديلم ووعظه بها وتذكيره ، فسمي القاص ... قلت : وهذا يوافق ما تقدم من أنه كان يعظ الناس وكان شديد الخشوع والرقة .

قبر المأمون بن هارون الرشيد ، وقد جاء ذكرها في كتاب «المذهب» ،
و «الوسيط» ، في باب الوقف .

٢٣

المروروذي

القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروروذي ، الفقيه
الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وصنف «الجامع في المذهب» ،
وشرح «مختصر المزني» ، وصنف في أصول الفقه ، وكان إماماً لا يُشَقُّ غُبارُه ،
ونزل البصرة ودرّس بها ، وعنه أخذ فقهاء البصرة (١٠) * .

وقال أبو حيان التوحيدي : سمعت أبا حامد المروروذي يقول : ليس ينبغي
أن يحمّد الإنسان على شرف الأب ولا يذم عليه ، كما لا يمدح الطويل على طوله ،
ولا يذم القبيح على قبحه . وتوفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .
ونسبته إلى مروروذ - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وتشديد
الراء المهملة المضمومة ، وبعد الواو ذال معجمة - وهي مدينة مبنية على نهر ،
وهي أشهر مدن خراسان بينها وبين مرو الشاهجان أربعون فرسخاً ، والنهر
يقال له بالعجمية الروذ - بضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها ذال معجمة -
وهاتان المدينتان هما المروان وقد جاء ذكرهما في الشعر كثيراً ، أضيفت
إحداها إلى الشاهجان وهي العظمى ، والنسبة إليها مروزي^١ ، والثانية إلى
النهر المذكور ، ليحصل الفرق بينها ، والنسبة إليها مروروذي ومروزي
أيضاً ، قاله السمعاني ، وهي من فتوح الأحنف بن قيس ، ومذكورة في ترجمته ،

٢٣ - ترجمة أبي حامد المروروذي في طبقات السبكي ٢ : ٨٢ والبداية والنهاية ١١ : ٢٠٩
والوافي ٧ ، الورقة : ٤ والمعبر ٢ : ٣٢٦ وشذرات الذهب ٣ : ٤٠ وفي كتب تلميذه أبي
حيان التوحيدي كلاماً والبعائر أخبار كثيرة عنه .

١ آج : مروي .

وكان على مقدمة^١ الجيش الذي كان أميره عبد الله بن عامر ، وهو الذي سيّره إليها ، ومعنى الشاهجان روح الملك ، وإنما أطلت الكلام في هذا لئلا يقع الالتباس على أحد بين البلدين^٢ فيقع الخطأ عند ذلك .

٢٤

ابن القطان

أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القَطَّان البغدادي الفقيه الشافعي ؛ كان من كبار أئمة الأصحاب ، أخذ الفقه عن ابن سُرَيْج ، ثم من بعده عن أبي إسحاق المرُوزي^٣ ، ودرس ببغداد ، وأخذ عنه العلماء ، وله مصنّفات كثيرة ؛ وكانت الرحلة إليه بالعراق مع أبي القاسم الداركي ، فلما توفي الداركي استقل بالرياسة . وذكره الشيخ أبو إسحاق في «الطبقات» وقال : مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، وزاد الخطيب : في جمادى الأولى ، وقال : هو من كبراء الشافعيين ، وله مصنّفات في أصول الفقه وفروعه ، وذكر بناء بغداد في «شذور العقود» سنة ست وأربعين ومائة .

١ ب ه : مقدمة .

٢ أ : على أحد فيها .

٣٤ - ترجمة ابن القطان في تاريخ بغداد ٤ : ٣٦٥ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٥ (وكنيته فيه أبو الحسن) .

الطحاوي

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزديّ الطحّاويّ ،
 الفقيه الحنفي ؛ انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر ،
 وكان شافعي المذهب يقرأ على المُرّنيّ ، فقال له يوماً : والله لا جاء منك شيء ،
 فغضب أبو جعفر من ذلك ، وانتقل إلى أبي جعفر ابن أبي عمران الحنفي ،
 واشتغل عليه ، فلما صنف مختصره قال : رحم الله أبا إبراهيم - يعني المُرّني -
 لو كان حيّاً لكفّر عن يمينه .

وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب « الإرشاد »^١ في ترجمة المُرّني أن الطحاوي
 المذكور كان ابن أخت المُرّني ، وأن محمد بن أحمد^٢ الشُّرُوطي قال : قلت
 للطحاويّ : لم خالفت خالك واخترت^٣ مذهب أبي حنيفة ؟ فقال : لأنني كنت
 أرى خالي يُدِيمُ النظر في كتب أبي حنيفة ، فلذلك انتقلت إليه ، وصنف
 كتباً مفيدة منها « أحكام القرآن » ، و « اختلاف العلماء » ، و « معاني الآثار » ،
 و « الشروط » ، وله تاريخ كبير ، وغير ذلك .

وذكره القُضاعي في كتاب « الخطط »^٤ فقال : كان قد أدرك المُرّني وعمامة
 طبقتة ، وبرع في علم الشروط ، وكان قد استكتبه أبو عبّيد الله محمد بن

٢٥ - ترجمة الطحاوي في الفهرست : ٢٠٧ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٥٤ والمنتظم ٦ : ٢٥٠

والجواهر المضية ١ : ١٠٢ وتاج التراجم : ٨ والوافي ٨ ، الورقة : ٣ والمعبر ٢ : ١٨٦

والشذرات ٢ : ٢٨٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٩ وغاية النهاية ١ : ١١٦ .

١ هو كتاب الإرشاد في علماء البلاد للشيخ أبي يعلى خليل بن عبد الله الخليلي القزويني (-٤٤٦) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه (كشف الظنون) .

٢ د : أحمد بن محمد .

٣ أ : وأخذت .

٤ هو كتاب المختار في ذكر الخطط والآثار وهو في خطط مصر لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (-٤٥٤) .

عبدة القاضي وكان صلوكا فأغناه ، وكان أبو عبيد الله سَمِحاً جواداً ، ثم عدلَهُ أبو عبيد علي بن الحسين بن حَرْب القاضي عقيب القضية التي جرت لمنصور الفقيه مع أبي عبيد ، وذلك في سنة ست وثلثمائة ، وكان الشهود يَتَمَسِّقُونَ عليه بالعدالة لثلاث تجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة ، وكان جماعة من الشهود قد جاؤوا بمكة في هذه السنة فاغتم أبو عبيد غيبتهم وعدلَ أبا جعفر المذكور بشهادة أبي القاسم المأمون وأبي بكر بن سقلاب .

وكانت ولادته سنة ثمان وثلثين ومائتين ، وقال أبو سعد السمعاني : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، وهو الصحيح ، وزاد غيره فقال : ليلة الأحد لعشر حَلَوْنَ من ربيع الأول ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ليلة الخميس مُسْتَهْلٌ ذي القعدة بمصر ودفن بالقرافة ، وقبره مشهور بها ، وله ذكر في ترجمة الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير ، فينظر هناك ، وتوفي والده سنة أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى طَحَا - بفتح الطاء والحاء المهملتين ، وبعدهما ألف - وهي قرية بصعيد مصر ، وإلى الأزد - بفتح الهمزة وسكون الزاء المعجمة وبالذال المهملة - وهي قبيلة مشهورة من قبائل اليمن .

٢٦

أبو حامد الإسفرايني

الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني ، الفقيه الشافعي ؛ اقتتت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد ، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة

١ : ٥ : ينفسون .

٢٦ - ترجمة أبي حامد الإسفرايني في طبقات السبكي ٣ : ٢٤ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٦٨ والوافي ٧ ، الورقة : ١٧٣ والمبر ٣ : ٩٢ والشذرات ٣ : ١٧٨ .

فقيه ، وعَلَّقَ على « مختصر المزني » تعاليتق ، وَطَبَّقَ الأرض بالأصحاب ، وله في المذهب « التعليقة الكبرى » ، و كتاب « البستان » ، وهو صغير ، وذكر فيه غرائب ، وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن المرزبان ، ثم عن أبي القاسم الداركي ، واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جَوْدَةِ النظر .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : إن أبا حامد حَدَّثَ بشيء يسير عن عبد الله بن عديّ وأبي بكر الإسماعيلي وإبراهيم بن محمد بن عبدك الإسفرائيني وغيرهم ، وكان ثقة ، ورأيتُه غير مرة ، وحضرت تدرسه في مسجد عبد الله ابن المبارك ، وهو المسجد الذي في صدر قطيعة الربيع ، وسمعت مَنْ يذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة^٢ متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به .

وحكى الشيخ أبو إسحاق في « الطبقات » أن أبا الحسين^٣ القدوريّ الحنفي كان يعظمه ويفضله على كل أحد ، وأن الوزير أبا القاسم علي بن الحسن حكى له عن القدوري أنه قال : أبو حامد عندي أفقه وأنظر من الشافعي ، قال الشيخ : فقلت له : هذا القول من القدوري حمله عليه اعتقاده في الشيخ أبي حامد وتعصبه بالحنفية على الشافعي رضي الله عنه ، ولا يُلْتَفَت إليه ، فإن أبا حامد ومَنْ هو أعلم منه وأقدم على بُعْدٍ من تلك الطبقة ، وما مثلُ الشافعي ومثل مَنْ بعده إلا كما قال الشاعر :

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قِبَائِلِ نَوْفَلٍ وَنَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

وروي عنه أنه كان يقول : ما قمت من مجلس النظر قَطُّ فندمت على معنى ينبغي أن يُذْكَر فلم أذكره ، وروي أنه قابله بعضُ الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق ، ثم أتاه في الليل معترداً إليه ، فأنشده يقول :

جَفَاءَ جَرَى جَهْرًا لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطَ وَعُذْرٌ أَتَى سِرًّا فَأَكَّدَ مَا فَرَطَ

١ ه : حدة .

٢ أ : سبعمائة ، وما ثبت في المتن موافق لما عند الخطيب ، وبين الرقمين تسعة وسبعة ومضاعفاتها اضطراب شديد في النسخ .

٣ ا ج ه : الحسن .

وَمَنْ ظَنَ أَنْ يَمُوحَ جَلِيَّ جَفَائِهِ خَفِيَّ اعْتِدَارِهِ فَهُوَ فِي أَعْظَمِ الْفَلْطِ

وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، وقدم بغداد في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وقال الخطيب : سنة أربع وستين ، ودرس الفقه بها من سنة سبعين إلى أن توفي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة ببغداد ، ودفن من القعد في داره ثم نقل إلى باب حرب في سنة عشر وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قال الخطيب : وصلت على جنازته في الصحراء وراء جسر أبي الدن^٢ . وكان الإمام في الصلاة عليه أبا عبد الله بن المهدي^٣ خطيب جامع المنصور ، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس وعظم الحزن وشدة البكاء .

ونسبته إلى إسفراين - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون - وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور ، على منتصف الطريق إلى جرجان .

والبيت الذي تمثل به الشيخ أبو إسحاق له ثان ، وهو :

حَدَّرَا عَلَيْهَا مِنْ مَقَالَةٍ كَاشِحٍ ذَرَبِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

٢٧

أبو الحسن المحاملي

أبو الحسن^٥ أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

١ د : غاية .

٢ ه : جسر الدن .

٣ ما هنا موافق لما عند الخطيب ، وقد اضطرب الاسم في أ ج ه .

٤ أ ج ه : يفعل .

٢٧ - ترجمة المحاملي في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٢ وطبقات السبكي ٣ : ٢٠ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٥

والمعبر ٣ : ١١٩ والشذرات ٣ : ٢٠٢ .

٥ أ : أبو الحسين .

ابن سعيد^١ بن أبان الضبي الحاملي الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وله عنه تعليقة تنسب إليه ، ورزق من الذكاء وحسن الفهم ما أربى على أقرانه ، وبرع في الفقه ، ودرس في حياة شيخه أبي حامد وبعده ، وسمع الحديث من محمد بن المظفر وطبقته ، ورحل به أبوه إلى الكوفة وسمعه بها ، وصنف في المذهب « المجموع » وهو كتاب كبير ، و « المقنع » وهو مجلد واحد ، و « اللباب » وهو صغير ، و « الأوسط » . وصنف في الخلاف كثيراً ، ودرس ببغداد ، ذكره الخطيب في تاريخه .

توفي يوم الأربعاء^٢ لتسع^٣ بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، وكانت ولادته سنة ثمان وستين وثلثمائة .
والضَّبِّيُّ - بفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الباء الموحدة - نسبة إلى قبيلة كبيرة مشهورة .

والحاملي - بفتح الميم والحاء المهملة وكسر الميم الثانية واللام - ونسبته إلى الحامل التي يُحمَلُ عليها الناس في السفر .

٢٨

أبو بكر البيهقي

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخُسرَ وجِرْدِيّ الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور ، واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون ، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله ابن البيّع في الحديث ، ثم الزائد عليه في

١ : ابن سعد .

٢ : الثلاثاء .

٣ : أ : لسبع .

٢٨ - ترجمة أبي بكر البيهقي في طبقات السبكي ٣ : ٣ والقطعة الثانية من Hist. of Naish. (الورقة ٢٩ ظ) وتذكرة الحفاظ : ١١٣٢ .

أنواع العلوم ؛ أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي ، غلب عليه الحديث ، واشتهر به ، ورحل في طلبه إلى العراق والجال والحجاز ، وسمع بخراسان من علماء عصره وكذلك ببقية البلاد التي انتهى إليها ، وشرع في التصنيف فصنف فيه كثيراً حتى قيل : تبلغ تصانيفه ألف جزء ، وهو أول من جمعَ نصوص الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، في عشر مجلدات ، ومن مشهور مصنفاته « السنن الكبير » و « السنن الصغير » و « دلائل النبوة » ، و « السنن » ، و « الآثار » ، و « شعب الإيمان » ، و « مناقب الشافعي المظلي » و « مناقب أحمد بن حنبل » وغير ذلك . وكان قانعاً من الدنيا بالقليل ، وقال إمام الحرمين في حقه : ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة ، إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منة ، وكان من أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي ، وطلبَ إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل إليها ، وكان على سيرة السلف ، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان ، منهم زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشيري وغيرهم .

وكان مولده في شعبان سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، بنيسابور ، ونقل إلى بيتهق ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى بيتهق - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعد الهاء المفتوحة قاف - وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخاً منها ، وخسروجيرد ؛ من قراها ، وهي بضم الحاء المعجمة .

١ قال السبكي : وفي كلام شيخنا الذهبي أنه أول من جمع نصوص الشافعي ، وليس كذلك بل هو آخر من جمعها ، ولذلك استوعب أكثر ما في كتب السابقين ، ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص لأنه سد الباب على من بعده .

٢ د : نظراً .

٣ د : لطلب .

٤ ضبطها السبكي : بضم الحاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء .

النسائي

أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بجر النسائي ،
الحافظ؛ كان إمام أهل عصره في الحديث، وله كتاب « السنن »، وسكن بمصر
وانتشرت^١ بها تصانيفه ، وأخذ عنه الناس .

قال محمد بن إسحاق الأصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : إن أبا
عبد الرحمن فارقَ مصر في آخر عمره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل عن معاوية
وما رويَ من فضائله ، فقال : أما يَرْضَى معاوية أن يخرجَ^٢ رأساً برأس ،
حتى يُفَضَّلَ ؟ وفي رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة إلا « لا أشبع الله
بطنك » . وكان يتشيع ، فما زالوا يَدْفَعُونَ في حِضْنِهِ حتى أخرجوه من
المسجد ، وفي رواية أخرى : يدفعونَ في خُصْيَيْهِ ودَاسُوهُ ، ثم حَمَلَ إلى
الرَّملة فمات بها .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : لما امتحن النسائي بدمشق ، قال :
احملوني إلى مكة ، فحمل إليها فتوفي بها ، وهو مدفون بين الصفا والمروة .
وكانت وفاته في شعبان من سنة ثلاث وثلثائة .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك
الدَّوسِ ، وهو منقول ، قال : وكان قد صنف كتاب « الخصائص » في فضل
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت ، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن
حنبل ، رحمه الله تعالى . فقيل له : ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي

٢٩ - ترجمة النسائي في طبقات السبكي ٢ : ٨٣ وتذكرة الحفاظ : ٦٩٨ (وسماه أحمد بن شعيب
ابن علي) والشذرات ٢ : ٢٣٩ والمعر ٢ : ١٢٣ .

١ ج : ولشهرت .

٢ أ : يروح .

الله عنهم، فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير، فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ، وكان يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً ، وكان موصوفاً بكثرة الجماع .

قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر الدمشقي^١ : كان له أربع زوجات يُقسِمُ لهنَّ وسراري^٢ ، وقال الدارقطني : امتنحن بدمشق ، فأدرك الشهادة ، رحمه الله تعالى .

وتوفي يوم الاثنين ، لثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خلت من صفر ، سنة ثلاث وثلثمائة بمكة ، حرسها الله تعالى ، وقيل : بالرملة من أرض فلسطين .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، صاحب « تاريخ مصر »، في تاريخه : إن أبا عبد الرحمن النسائي قدم مصر قديماً ، وكان إماماً في الحديث ، ثقة ثباتاً حافظاً ، وكان خروجه من مصر في ذي القعدة ، سنة اثنتين وثلثمائة . ورأيت بخطي في مُسَوِّدَاتِي أن مولده بنسأ في سنة خمسَ عَشْرَةَ ، وقيل : أربع عشرة ومائتين ، والله تعالى أعلم .

ونسبته إلى نَسَأَ - بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة - وهي مدينة بخراسان خرج منها جماعة من الأعيان .

٣٠

القدوري

أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفي ، المعروف بالقدوري ؛ انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق . وكان حَسَنَ العبارة

١ لم ترد له ترجمة في تهذيب ابن عساكر .

٢ - ترجمة القدوري في تاريخ بغداد : ٤ : ٣٧٧ وتاج التراجم : ٧ : والواقي : ٧ ، الورقة : ١٥٥

والعبر : ٣ : ١٦٤ والشذرات : ٣ : ٢٣٣ .

في النظر . وسمع الحديث ، وروى عنه أبو بكر الخطيب صاحب التاريخ ،
وصنف في مذهبه المختصر المشهور وغيره . وكان يناظر الشيخ أبا حامد
الإسفرائيني الفقيه الشافعي ، وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي حامد وما بالغ
في حقه .

وكانت ولادته سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، وتوفي يوم الأحد الخامس من
رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد . ودفن من يومه بداره في درب^١
أبي خلف ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور ، ودفن هناك ^٢ يجنب^٣ أبي بكر
الحوارزمي الفقيه الحنفي ، رحمها الله تعالى .

ونسبته بضم القاف والذال المهملة وسكون الواو وبعدها راء مهملة إلى
القدور التي هي جمع قدر^٤ . ولا أعلم سبب نسبه إليها^٣ ، بل هكذا ذكره
السمعاني في كتاب الأنساب^٤ .

٣١

الثعلبي

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور ؛
كان أواخر زمانه في علم التفسير ، وصنف « التفسير الكبير » الذي فاق غيره من
التفاسير . وله كتاب « العرائس » في قصص الأنبياء ، صلوات الله وسلامه

١ د : في داره بدرج .

٢ أ : إلى جانب .

٣ قيل نسبه إليها بمثلها وبمعها .

٤ انظر الباب ٢ : ٢٤٧ .

٤١ - ترجمة الثعلبي المفسر في طبقات السبكي ٣ : ٢٣ ومعجم الأدباء ٥ : ٣٦ وانباء الرواة ١ :

١١٩ وطبقات المفسرين ٥ : والوافي ٧ ، الورقة : ١٤٨ واللباب ١ : ١١٩ وبغية الوعاة :

١٥٤ وغاية النهاية ١ : ١٠٠ والمعبر ٣ : ١٦١ والشذرات ٣ : ٢٣٠ والنجوم الزاهرة

٤ : ٢٨٣ وروضات الجنات : ٦٨ .

عليهم ، وغير ذلك . ذكره السمعاني وقال : يقال له : الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له وليس بنسب ، قاله بعض العلماء .

وقال أبو القاسم القشيري : رأيت ربّ العزة عز وجل في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه ، فكان في أثناء ذلك أن قال الرب تعالى اسمه : أقبال الرجل الصالح ، فالتفتُ فإذا أحمد الثعلبي مُقبل .

وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب « سياق تاريخ نيسابور » وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به . حدّث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقرئ ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ . توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والثعلبي - بفتح الثاء المثناة وسكون العين المهملة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة ، والنيسابوري - بفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة ، وبعد الألف باء موحدة مضمومة ، وبعد الواو الساكنة راء - هذه النسبة إلى نيسابور . وهي من أحسن مدُن خراسان ، وأعظمها وأجمعها للخيرات ، وإنما قيل لها : نيسابور لأن سابورَ ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس المتأخرة لما وصل إلى مكانها أعجبه ، وكان مقنّصبة ، فقال : يصلح أن يكون هنا مدينة ، وأمر بقطع القصب وبنى المدينة ، فقيل لها نيسابور . والنبي : القصب بالمعجمي ، هكذا قاله السمعاني في كتاب « الأنساب » ١ .

ابن أبي دواد

أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوادٍ فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عَبَّاد ابن سلام بن مالك بن عبد هِنْدِ بن لُحْمِ بن مالك بن قَنَصِ بن مَنَعَةَ بن بَرْجَانِ ابن دَوْسِ بن الدليل بن أُمَيَّةَ بن حُدَافَةَ بن زُهْرِ بن إِيَادِ بن نِزَارِ بن مَعَدِّ بن عَدْنَانَ الإياديِّ القاضي ؛ كان معروفاً بالمروءة والعصبية ، وله مع المعتصم في ذلك أخبار ماثورة ، ذكره أبو عبيد الله المرزباني في كتاب « المرشد » في أخبار المتكلمين فقال : قيل : إن أصلهم من قرية بقِنَسْرِينَ ، واتجروا أبوه إلى الشام ، وأخرجه معه وهو حَدَثٌ فنشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام ، حتى بلغ ما بلغ ، وصحب هَيَّاجَ بن العلاء السلمي ، وكان من أصحاب واصل ابن عطاء ، فصار إلى الاعتزال .

قال أبو العيْناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دواد ، وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعت ابن أبي دواد في مجلس المعتصم وهو يقول : إني لأمتنع من تكليم الخلفاء بحضرة محمد بن عبد الملك الزيات الوزير في حاجة كراهة أن أعلمه ذلك ، وخافة أن أعلمه التأتّي لها ؛ وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء ، وكلفوا لا يبدؤهم أحد حتى يبدؤوه ، وقال أبو العيْناء : كان ابن أبي دُوادَ شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً .

وقال المرزباني : وقد ذكره دِعْبِلِ بن علي الخزاعي في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وروى له أبياتاً حسناً ، وكان يقول : ثلاثة ينبغي أن يُبَجَّلُوا وتعرف أقدارهم : العلماء وولاة العدل والإخوان ، فمن استخف بالعلماء

٣٢ - ترجمة ابن أبي دواد في تاريخ الطبري ١١ : ٤٩ وطبقات المعتزلة : ٦٢ والوافي ٧ ، الورقة :

١٣٥ والمبر ١ : ٤٣١ والشذرات ٢ : ٩٣ .

١ أ : وتاجر ؛ ب : وتجر .

أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان
أهلك مروءته .

وقال إبراهيم بن الحسن : كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار
ليلة العقبة ، فاختلفوا في ذلك ، ودخل ابن أبي دؤاد فعدّهم واحداً
واحداً بأسائهم وكنائهم وأنسابهم ، فقال المأمون : إذا استجلس الناس
فاضلاً فمثل أحمد ، فقال أحمد : بل إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين
الذي يفهم عنه ، ويكون أعلم بما يقوله منه . ومن كلام أحمد : ليس بكامل
من لم يحمل وليه على منبر ولو أنه حارس ، وعدوّه على جذع ولو أنه وزير .
وقال أبو العيّن : كان الافشين يحسد أبا دؤلف القاسم بن عيسى العجلي
للعربية والشجاعة ، فاحتال عليه حتى شهّد عليه بجنّاية وقتل ، فأخذه ببعض
أسبابه ، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله ، وبلغ ابن أبي دؤاد الخبر ،
فركب في وقته مع من حضر من عدوله ، فدخل على الافشين وقد جيء
بأبي دؤلف ليقتل ، فوقف ثم قال : إني رسول أمير المؤمنين إليك ، وقد
أمرك أن لا تُحدّث في القاسم بن عيسى حدّثاً حتى تُسليمه إليّ ، ثم التفت إلى
العدول ، وقال : اشهدوا أنني قد أدّيت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم
حيّ معافى ، فقالوا : قد شهدنا ، وخرج ، فلم يقدر الافشين عليه ، وصار
ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدّيت عنك
رسالة لم تقلها لي ، ما أعدتُ بعملٍ خيرٍ خيراً منها ، وإني لأرجو لك الجنة بها ،
ثم أخبره الخبر ، فصوّب رأيه ووجّه من أحضر القاسم فأطلقه ووهب له
وعنّف الافشين فيما عزم عليه .

وكان المعتصم قد اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي ، فأمر بضرب
عنقه ، فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك ، وأنه لا حيلة له فيه ، وقد شدّ برأسه
وأقيم في النطع وهزّ له السياف ، قال ابن أبي دؤاد للمعتصم : وكيف تأخذ ماله
إذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بيني وبينه ؟ قال : يأبى الله تعالى ذلك ، ويأباه

١ د : غضبه .

٢ ب : شدوا .

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأباه عدلُ أمير المؤمنين ، فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله ، وأمره باستخراج ما اختانه أقربُ عليك وهو حي ، فقال : احبسوه حتى يناظر ، فتأخر أمره على مال حملة ، وخلص محمد . وحدث الجاحظ أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنطع ، فقال له المعتصم : فعلتَ وصنعتَ ، وأمر بضرب عنقه فقال له ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، سَبَقَ السيف العَدْلَ ، فتأنَّ في أمره فإنه مظلوم ، قال : فسكن قليلاً ، قال ابن أبي دواد : وغرني البول فلم أقدر على حبسه ، وعلمت أني إن قمت قتل الرجل ، فجعلت ثيابي تحتي وبُئْتُ فيها حتى خلصت الرجل ، قال : فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابي رطبة ، فقال : يا أبا عبد الله كان تحتك ماء ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنه كان كذا وكذا ، فضحك المعتصم ودعا لي ، وقال : أحسنت بآرك الله عليك ، وخلع عليه وأمر له بمائة ألف درهم (١١) * .

وقال أحمد بن عبد الرحمن الكلبي : ابن أبي دواد روح كله من قرنه إلى قدمه ، وقال لازون^١ بن إسماعيل : ما رأيت أحداً قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دواد ، وكان يُسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ، ثم يدخل ابن أبي دواد فيكلمه في أهله وفي أهل^٢ الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب ، فيجيبه إلى كل ما يريد ، ولقد كلمه يوماً في مقدار ألف ألف درهم ليحفر بها نهراً في أقاصي خراسان ، فقال له : وما عليّ من هذا النهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أمر أدناها ، ولم يزل يرفق به حتى أطلقها .

وقال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين : ابن أبي دواد عندنا لا يحسن اللغة وعندكم لا يحسن الكلام وعند الفقهاء لا يحسن الفقه ، وهو عند المعتصم يعرف^٣ هذا كله .

١ : لا وزن .

٢ : عن أهله وأهل .

٣ : يحسن .

وكان ابتداء اتصال ابن أبي دواد بالمأمون أنه قال : كنت أحضر مجلس القاضي يحيى بن أكرم مع الفقهاء ، فإني عنده يوماً إذ جاءه رسول المأمون فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : انتقل إلينا وجميع من معك من أصحابك ، فلم يجب أن أحضر معه ، ولم يستطع أن يؤخرني ، فحضرت مع القوم ، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلي إذا شرعت في الكلام ويتفهم ما أقول ويستحسنه ، ثم قال لي : من تكون ؟ فانتسبت له ، فقال : ما أحرّك عنا ؟ فكرهت أن أحيل على يحيى ، فقلت : حبسة القدر وبلوغ الكتاب أجله ، فقال : لا أعلم ما كان لنا من مجلس إلا حضرته ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم اتصل الأمر .

وقيل : قدم يحيى بن أكرم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة اثنتين ومائتين وهو حدثٌ سنه نيفٌ وعشرون سنة ، فاستصحب جماعة من أهل العلم والمروءات منهم ابن أبي دواد ، فلما قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى : اختر لي من أصحابك جماعة مجالسوني ويكثرون الدخول إلي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن أبي دواد ، فكثروا على المأمون ، فقال : اختر منهم ، فاختر عشرة فيهم ابن أبي دواد ، ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن أبي دواد ، واتصل أمره ، وأسند المأمون وصيته عند الموت إلى أخيه المعتصم ، وقال فيها : وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك ، ولا تتخذن بعدي وزيراً .

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دواد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكرم ، وخصّ به أحمد حتى كان لا يفعل فعلاً باطنياً ولا ظاهراً إلا برأيه ، وامتنحَن ابن أبي دواد الإمام أحمد بن حنبل ، وألزمه بالقول بخلق القرآن الكريم ، وذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين . ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ولما مات الواثق بالله وتولى أخوه المتوكل فليحَ ابن أبي دواد في أول خلافته وذهب شِقُّه الأيمن ،

فقد المتوكل ولدهُ محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عزّلَ محمد بن أحمد عن المظالم في سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقد يجيى بن أكم .
 وكان الواصل قد أمر أن لا يرى أحدٌ من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له ، فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي ، فقال ابن الزيات^١ :

صَلَّى الضُّحَى لِمَا اسْتَفَادَ عِدَاوَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ
 لَا تَعْدَمَنَّ عِدَاوَةٌ مَسْمُومَةٌ تَرَكَّتْكَ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ

ومدحه جماعة من شعراء عصره ؛ قال علي الرازي : رأيت أبا تمام الطائي عند ابن أبي دواد ومعه رجل يُنشد عنه قصيدة منها^٢ :

لَقَدْ أَنْسَتُ مَسَاوِيءَ كُلِّ دَهْرٍ مَحْسِنُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادٍ
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدِّوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

فقال له ابن أبي دواد : هذا المعنى تفردت به أو أخذته ؟ فقال : هو لي ، وقد أملت فيه بقول أبي نواس^٣ :

وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمُدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ودخل أبو تمام عليه يوماً ، وقد طالت أيامه في الوقوف ببابه ولا يصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه ، فقال له ابن أبي دواد : أحسبك عاتباً يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب علي واحدٍ وأنت الناسُ جميعاً فكيف يعتب عليك ! فقال له : من أين لك هذا يا أبا تمام ؟ فقال : من قول الحاذق - يعني أبا نواس -

١ ديوان ابن الزيات : ٦٦ .

٢ من قصيدة له مطلعها :

سقى عهد الحمى سبل المهاد وروض حاضر منه وبادي

انظر ديوانه ١ : ٣٧٨ وأخبار أبي تمام للصولي : ١٤١ .

٣ ديوان أبي نواس : ٦٦ وأخبار الصولي : ١٤٢ .

٤ اخبار الصولي : ١٤٦ .

في الفضل بن الربيع :

وليس لله بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

ولما ولي ابن أبي دواد المظالم قال أبو تمام قصيدة يتظلم إليه ، من جملتها قوله^١ :

إِذَا أَنْتَ ضَيَّعْتَ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ^٢ فَلَا عَجَبٌ إِنْ ضَيَّعْتَهُ الْأَعْجَمُ
فَقَدْ هَزَّ عَطْفِيهِ الْقَرِيضُ تَرْفَعًا بَعْدَ لِكَ^٣ مُذْ صَارَتْ إِلَيْكَ الْمَظَالِمُ
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بِنُغَاةِ الْعُلَى^٤ مِنْ أَيْنَ تُوْتَى الْمَكَارِمُ

قلت : ومدحه أبو تمام أيضاً بقصيدته التي أولها :

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخُدُودٍ عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى فزَرُودٍ
وَمَا أَلْطَفَ قَوْلُهُ فِيهَا :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اسْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

ومدحه مروان بن أبي الجنبوب^٥ بقوله :

لَقَدْ حَازَتْ نَزَارُ كُلِّ مَجْدٍ وَمَكْرَمَةَ عَلَى رَغْمِ الْأَعَادِي
فَقُلُّ لِلْفَاخِرِينَ عَلَى نَزَارٍ وَمِنْهُمْ خِنْدِفٌ وَبَنُو إِيَادٍ
رَسُولُ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءُ مِنْهَا وَمِنَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ
وَلَيْسَ كَمَثَلِهِمْ فِي غَيْرِ قَوْمِي بِوَجُودٍ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٣ .

٢ الديوان : إذا أنت لم تحفظه لم يك بدعة .

٣ الديوان : توقعا لعدلك .

٤ الديوان : الندى .

٥ الديوان ١ : ٣٨٨ .

٦ هو مروان الأصغر بن يحيى بن مروان بن أبي حفصة (انظر معجم المرزباني : ٣٢١) .

نبي مُرْسَلٌ ووِلاةٌ عَهْدٍ ومَهْدِيٌّ إلى الخيرات هادي
ولما سمع هذا الشعر أبو هفان المهزَمِيُّ قال :

فقلْ للفاخرين على نزارٍ وهم في الأرضِ ساداتُ العبادِ
رسولُ الله والخلفاءُ منا ونبرأ من دَعِيٍّ بني إِيادِ
وما منا إِيادٌ إن أقرتْ بدَعْوَةِ أحمدَ بنِ أبي دُوادِ

فقال ابن أبي دواد : ما بلغ مني أحد ما بلغ مني هذا الغلام المهزَمِي ، لولا
أني أكره أن أنبئه عليه لعاقبته عقاباً لم يعاقب أحد بمثله ، جاء إلى مَنْقَبَةِ
كانت لي فنقضها عروة عروة .

وكان ابن أبي دواد كثيراً ما ينشد ، ولم يذكر أنها له أو لغيره :

ما أنتَ بالسَّببِ الضعيف ، وإنما نَجَحُ الأمور بقوةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنَا إِلَيْكَ ، وإنما يُدْعَى الطيبُ لِشِدَّةِ الأوصابِ

وذكر غير المرزباني عن أبي العيْناء أن المعتصم غضبَ على خالد بن يزيد بن
مَزَيْدَ الشيباني - قلت : وسيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شاء الله تعالى -
وأشخصه من ولايته لعجز حقه في مال طُلبَ منه وأسبابٍ غير ذلك ، فجلس
المعتصم لعقوبته ، وكان قد طرَحَ نفسه على القاضي أحمد ، فتكلم فيه فلم يجبه
المعتصم ، فلما جلس لعقوبته حضر القاضي أحمد فجلس دون مجلسه ، فقال له
المعتصم : يا أبا عبد الله ، جلست في غير مجلسك ، فقال : ما ينبغي لي أن
أجلس إلا دون مجلسي هذا ، فقال له : وكيف ؟ قال : لأن الناس يزعمون أنه
ليس موضعي موضع مَنْ يَشْفَعُ في رجل فيُشَفِّعَ ، قال : فارجع إلى مجلسك ،
قال : مُشَفِّعاً أو غير مشفع ؟ قال : بل مشفعاً ، فارتفع إلى مجلسه ، ثم قال :
إن الناس لا يعلمون رضى أمير المؤمنين عنه إن لم يَخْلَعِ عليه ، فأمر بالخلع
عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد استحق هو وأصحابه رِزْقَ ستة أشهر
لا بدَّ أن يقبضوها ، وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة ،
فقال : قد أمرت بها ، فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه ، وإن الناس

في الطرق ينتظرون الايقاع به ، فصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب ، فقال له : اسكت ، سيد العرب والله أحمد بن أبي دواد .

وكان بينه وبين الوزير ابن الزيات منافسات وشحناء ، حتى إن شخصاً كان يصحب القاضي المذكور ويختص بقضاء حوائجه منعه الوزير المذكور من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجه إلى الوزير وقال له : والله ما أجيئك أكثراً بك من قلة ، ولا متمزناً بك من ذلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك ، فان لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك ، ثم نهض من عنده .

وكان فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف .

وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتاً فبلغ خبرها القاضي أحمد ، فقال :

أَحْسَنُ مِنْ سَبْعِينَ بَيْتًا هِجًا جَمَعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَيْتِ

فبلغ ابن الزيات ذلك ، ويقال : إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار ، فقال :

يَا ذَا الَّذِي يَطْمَعُ فِي هَجُونَا عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ^٢ لِلْمَوْتِ
الزَيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا أَحْسَابُنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ
قَبْرَتُمْ الْمَلِكَ فَلَمْ نُنْقِهِ حَقَّ غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَيْتِ

وأصابه الفالج لست خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بعد موت عدوه الوزير المذكور بمائة يوم وأيام ، وقيل : بخمسين يوماً ، وقيل : بسبعة وأربعين يوماً ، وسيأتي تاريخ وفاة الوزير في حرف الميم .

ولما حصل له الفالج وتلى موضعه ولده أبو الوليد محمد ، ولم تكن طريقته

١ ديوان ابن الزيات : ١٢ .

٢ الديوان : يا أيها المأفون رأياً لقد ، تعرضت نفسك .

مرضية، وكثر ذمّه وقلّ شاكروه ، حتى عمل فيه إبراهيم بن العباس الصولي
المقدّم ذكره قبل هذا :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةٌ عَلَى مَحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
فَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَبْنَاءَ الْكِرَامِ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ آبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ

ولعمري لقد بالغ في طرفي المدح والذم ، وهو معنى بديع .
واستمرّ على مظالم العسكر والقضاء إلى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فسخط
المتوكل على القاضي أحمد المذكور وولده محمد ، وأمر بالتوكيل على ضياعه ،
لخمس بقين من صفر من السنة المذكورة ، وصرفه عن المظالم ، ثم صرفه عن
القضاء يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول من السنة ، وأخذ من
الولد مائة ألفٍ وعشرين ألف دينار ، وجوهراً بأربعين ألف دينار ، وسيّره
إلى بغداد من سرّ من رأى ، وفوض القضاء إلى القاضي يحيى بن أكرم الصيفي
- وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - ولما شهد على ابن أبي دواد
حين غضب عليه الخليفة بضياعه المأخوذة منه في الجناية حضر المجلس خلقٌ كثير
من الشهود وغيرهم ، فقام رجل من الشهود - وكان القاضي منحرفاً عنه في
أيامه - فقال : تشهدنا عليك بما في هذا الكتاب ؟ فقال القاضي : لا لا لست
هناك ، وقال للباقيين : اشهدوا عليّ ، فجلس الرجل بخزي ، وتعجب الناس
من ثبوت القاضي وقوة قلبه في تلك الحال .

وتوفي القاضي أحمد المذكور بمرضه الفالج في المحرم سنة أربعين ومائتين ،
ونقل عنه أنه قال : ولدت بالبصرة سنة ستين ومائة ، وقيل : إنه كان أسن
من القاضي يحيى بن أكرم بنحو عشرين سنة ، وهو يخالف ما ذكرته في ترجمة
يحيى ، لكن كتبت على ما وجدته ، والله أعلم بالصواب . وتوفي ولده محمد
قبله بعشرين يوماً في ذي الحجة رحمها الله تعالى .

وقد ذكر المرزباني في كتابه المذكور اختلافاً كثيراً في تاريخ وفاته وموت
ابنه ، فأحببت ذكر جميع ما قاله ؛ قال : ولّى المتوكل ابنه أبا الوليد محمد

ابن أحمد القضاء والمظالم بالمسكر مكان أبيه ، ثم عزله عنها يوم الأربعاء لعشر
 بقين من صفر سنة أربعين ومائتين ، ووكل بضياعه وضياع أبيه ، ثم صولح على
 ألف ألف دينار ، ومات أبو الوليد محمد بن أحمد ببغداد في ذي القعدة سنة
 أربعين ومائتين ، ومات أبوه أحمد بعده بعشرين يوماً ، وذكر الصولي أن
 سخط المتوكل على ابن أبي دواد كان في سنة سبع وثلاثين ، ثم ذكر المرزباني
 بعد هذا أن القاضي أحمد مات في المحرم سنة أربعين ، ومات ابنه قبله
 بعشرين يوماً ، وقيل : مات ابنه في آخر سنة تسع وثلاثين ، وكان موتها
 ببغداد ، وقيل : مات ابنه في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ، ومات أبوه يوم
 السبت لسبع بقين من المحرم سنة أربعين ، وكان بين موتها شهر أو نحوه ،
 والله أعلم بالصواب في ذلك كله .

وقال أبو بكر ابن دريد : كان ابن أبي دواد مؤلفاً لأهل الأدب من أي
 بلد كانوا ، وكان قد ضمّ منهم جماعة يَمْوَلُهُمْ وَيَمْوَنُهُمْ ، فلما مات حضر بيابه
 جماعة منهم وقالوا : يدفن من كان ساقية الكرم وتاريخ الأدب ولا
 يتكلم فيه ؟ إن هذا وهنٌ وتقصير ، فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم ،
 فقال أحدهم :

اليومَ ماتَ نظامُ الملكِ واللسنُ
 وأظلمتْ سُبُلُ الآدابِ إذْ حُجِّبَتْ
 وماتَ مَنْ كانَ يُسْتَعَدَى على الزمَنِ
 شمسُ المكارِمِ في غيمٍ من الكفنِ

وتقدم الثاني فقال :

تركَ المنابرَ والسريرَ تواضعاً
 ولغيره يُجْبَى الخراجُ ، وإنما
 وله منابرٌ لو يَشَا وسريرٌ
 يُجْبَى إليه مَحامِدٌ وأجورٌ

وتقدم الثالث فقال :

وليسَ فتيقَ المسكِ ريحٌ حَنوطِهِ
 وليسَ صريرَ النَّعشِ ما تَسْمَعُونَهُ
 ولكنهُ ذاكَ الثناءَ المَخْلِفُ
 ولكنهُ أصلابُ قومٍ تَقَصِّفُ

١ أ : والسن .

وقال أبو بكر الجرجاني : سمعت أبا العيناء الضريرَ يقول : ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دوادٍ ، ما خرجت من عنده يوماً قط فقال : يا غلام خذ بيده ، بل قال : يا غلام اخرجُ معه ، فكنت أنتقد هذه الكلمة عليه ، فلا يخلّ بها ، ولا أسمعها من غيره .
وعلى الجملة فقد طالت هذه الترجمة ، وإنما محاسنه كانت كثيرة ، رحمه الله تعالى .

ودُوَاد : بضم الدال المهملة وفتح الواو وبعد الألف دال ثانية مهمة .
والإيادي - بكسر الهمزة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف دال مهمة - نسبة إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

٣٣

الحافظ أبو نعيم

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب «حلية الأولياء»؛ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه «الحلية» من أحسن الكتب ، وله كتاب «تاريخ أصبهان» نقلت منه في ترجمة والده عبد الله نسبته على هذه الصورة ، وذكر أن جده مهران أسلم ، إشارة إلى أنه أول من أسلم من أجداده ، وأنه مؤلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه - وسيأتي ذكر عبد الله بن معاوية ، إن شاء الله تعالى - وذكر أن والده توفي في رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ودفن عند جده من قبل أمه .

٣٣ - ترجمة الحافظ أبي نعيم في طبقات السبكي ٣ : ٧ وتذكرة الحفاظ : ١٠٩٢ وغاية النهاية ١ : ٧١ وميزان الاعتدال ١ : ٥٢ والمبر ٣ : ١٧٠ والوفائي ٧ ، الورقة : ٣٩ والشذرات

. ٢٤٥ : ٣

ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقيل : أربع وثلاثين ، وتوفي في صفر ، وقيل : يوم الاثنين الحادي والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان ، رحمه الله تعالى .

واصبهان - بكسر الهمزة وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة ، ويقال بالفاء أيضاً وفتح الهاء وبعد الألف نون - وهي من أشهر بلاد الجبال ، وإنما قيل لها هذا الاسم لأنها تسمى بالعجمية : « سباهان » وسباه : العسكر ، وآن : الجمع . وكانت جموع عساكر الأكاصرة تجتمع إذا وقعت لهم واقعة في هذا الموضع ، مثل عسكر فارس وكرمان والأهواز وغيرها ، فعرب فقيل : اصبهان ، وبنائها إسكندر ذو القرنين ، هكذا ذكره السمعاني .

٣٤

الخطيب البغدادي

الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي ، المعروف بالخطيب ، صاحب « تاريخ بغداد » وغيره من المصنفات ؛ كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ، ولو لم يكن له سوى « التاريخ » لكفاه ، فانه يدل على اطلاع عظيم ، وصنف قريباً من مائة مصنف ، وفضله أشهر من أن يوصف ، وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي والقاضي أبي الطيب الطبري وغيرهما ، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ .

وُلد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، يوم الخميس لست

١ انظر الأنساب ١ : ٢٨٤ .

٣٤ - ترجمة الخطيب البغدادي في تهذيب ابن عساكر ١ : ٣٩٨ وطبقات السبكي ٣ : ١٢ والمنتظم ٨ : ٢٦٥ ومجمع الأدباء ٤ : ١٣ والروافي ٧ ، الورقة : ٩٢ وتذكرة الحفاظ : ١١٣٥ والمعبر ٣ : ٢٥٣ والشذرات ٣ : ٣١١ .

بقين من الشهر، وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وقال السمعاني : توفي في شوال ، وسمعت أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى كان من جملة مَنْ حَمَلَ نعشه ، لأنه انتفع به كثيراً، وكان يُراجعه في تصانيفه، والعجب أنه كان في وقته حافظ المشرق، وأبو عمر يوسف بن عبد البر - صاحب كتاب « الاستيعاب » - حافظ المغرب، وماتا في سنة واحدة - كما سيأتي في حرف الياء إن شاء الله تعالى - .

وذكر محبُ الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » أن أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي قال : إن الشيخ أبا بكر ابن زهراء الصوفي كان قد أعدَّ لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي ، رحمه الله تعالى ، وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة وينام فيه ويقرأ فيه القرآن كله ، فلما مات أبو بكر الخطيب - وكان قد أوصى أن يدفن إلى جانب قبر بشر - جاء أصحابُ الحديث إلى أبي بكر ابن زهراء ، وسألوه أن يدفن الخطيب في القبر الذي كان قد أعدّه لنفسه وأن يؤثره به ، فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً ، وقال : موضع قد أعددته لنفسي منذ سنين يؤخذ مني ! فلما رأوا ذلك جاءوا إلى والدي الشيخ أبي سعد وذكروا له ذلك ، فأحضر الشيخ أبا بكر ابن زهراء وقال له : أنا لا أقول لك أعطيهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشراً الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب يقعد دونك ، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ؟ قال : لا ، بل كنت أقوم وأجلسه مكاني ، قال : فهكذا ينبغي أن يكون الساعة ، قال : فطاب قلب الشيخ أبي بكر وأذن لهم في دفنه ، فدفنوه إلى جانبه بباب حرب . وكان قد تصدق بجميع ماله ، وهو مائتا دينار ، فرّقها على أرباب الحديث والفقهاء والفقراء في مرضه ، وأوصى أن يتصدق عنه بجميع ما عليه من الثياب ، ووقف جميع كتبه على المسلمين ، ولم يكن له عقبٌ ، وصنف أكثر من ستين كتاباً ، وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أحداً من حمل جنازته ، وقيل : إنه ولدَ سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، والله أعلم ، ورؤيت له منامات صالحة بعد موته ، وكان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته ؛ هذا آخر ما نقلته من كتاب ابن النجار .

الراوندي

أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي^١ ، العالم المشهور ؛ له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً ، منها كتاب « فضيحة المعتزلة » وكتاب « التاج » وكتاب « الزمرد » وكتاب « القصب »^١ وغير ذلك . وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين برحلة مالك بن طوقٍ التغلبي ، وقيل : ببغداد ، وتقدير عمره أربعون سنة ، وذكر في « البستان »^٢ أنه توفي سنة خمسين ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى راوند - بفتح الراء والواو وبينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة - وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان . وراوندُ أيضاً ناحية^٣ ظاهر نيسابور .

٣٥ - ترجمة ابن الراوندي في الفهرست : ١٠٨ والمنتظم : ٦ : ٩٩ وكتاب الانتصار للخياط كله في الرد عليه ، وقد ذكره أبو العلاء في رسالة الغفران : ٤٦١ وأنحى عليه ذاماً ؛ وقد أبدى بعض المعلقين على هوامش نسخ « الوفيات » قلقاً شديداً لأن ابن خلكان لم يتناوله بالذم فجاء على هامش إحداها : « لم ينصف المصنف في سكوته عن ابن الراوندي وهو من مشاهير الزنادقة... الخ. » وقال في هامش أ : « وأخطأ ابن خلكان في عدم تجريحه وذكر ضلالاته وغايزه وقد ذكره ابن الجوزي والذهبي وابن قاضي [شبهة] » .

١ هكذا ورد اسمه في أكثر الأصول ؛ وفي د : النصيب ؛ وكلام المرعي يرجح أن اسمه « القضيبي » إذ قال : وأما القضيبي فمن عمله أخسر صفقة من قضيبي ، وخير له من إنشائه ، لو ركب قضيبياً عند عشائه... الخ . وفي المنتظم : « قضيبي الذهب » .

٢ هذا الاسم ينصرف الى غير كتاب ، ولعل المقصود هنا « البستان في النوادر والغرائب » للشيخ أبي حامد الإسفرايني .

٣ د : بظاهر .

وقاسان : بالسین المهملة ، وهي غير قاشان - بالشین المعجمة - المجاورة
لقم .

وهذه راوند التي ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب «الحماسة» في باب المراني،
فقال^١ : ذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فأخيا دهنقانا بها في
موضع يقال له راوند وخزاق، وندماه ، فمات أحدهما وغبر الآخر والدهقان
ينادمان قبره : يشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ، ثم مات الدهقان ،
فكان الأسدي الغابر ينادم قبريها ويترنم بهذا الشعر :

خليلي هباً طالما قد رقدتُما أجيداً كما لا تقضيانِ كراكما
أمن طول نومٍ لا تجيبانِ داعياً كأن الذي يسقي المدام سقاكما
ألم تعلم ما لي براونند كلتها ولا بخزاق من صديق سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما
وأبكيكما حق المات ، وما الذي يردُّ على ذي لوعة إن بكأكما
فلو جعلت نفساً لنفسٍ وقايةً لجذتُ بنفسي أن تكون فداكما
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فإلاً تنالاها ترواً ثراكما

وخزاق - بضم الخاء المعجمة وبعدها زاي وبعده الألف قاف - قرية
أخرى مجاورة لها ، والله أعلم بالصواب .

٣٦

الهروي

أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدى المؤدب الهروي الفاشاني

١ انظر الحماسة : ٢٨٩ (شرح المرزوقي) .

٢٦ - ترجمة أبي عبيد الهروي في طبقات السبكي ٣ : ٣٤ والوافي ٧ ، الورقة : ٦٢ والمبر ٣ :

٧٥ والشذرات ٣ : ١٦١ .

صاحب كتاب « الغريبين » ؛ هذا هو المنقول في نسبه ، ورأيت على ظهر كتابه « الغريبين » أنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، والله أعلم .
كان من العلماء الأكابر ، وما قصر في كتابه المذكور ، ولم أقف على شيء من أخباره لأذكره سوى أنه كان يصحب أبا منصور الأزهري اللغوي ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وعليه اشتغل وبه انتفع ونخرج ، وكتابه المذكور جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي ، وسار في الآفاق ، وهو من الكتب النافعة .

وقيل : إنه كان يحب البذلة ويتناول في الخلوة ، ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب ، عفا الله عنه وعنا . وأشار الباخري في ترجمة بعض أدباء خراسان إلى شيء من ذلك ، والله أعلم .

وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والهروي - بفتح الهاء والراء - نسبة إلى هراة وهي إحدى مدن خراسان الكبار فتحها الأحنف بن قيس صلحاً من قبل عبد الله بن عامر .
والفاشاني - بفتح الفاء وبعد الألف شين معجمة وبعد الألف الثانية نون - نسبة إلى فاشان ، وهي قرية من قرى هراة ، ويقال لها باشان - بالباء الموحدة أيضاً - ذكره السمعاني ، وقد تقدم في الذي قبله ذكر قاسان وقاشان ، وهذه الأسماء الأربعة يقع بينها الاشتباه ، وهي على هذه الصورة ولا لبس بعد هذا .

٣٧

الخوافي

أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي ؛ كان أنظرَ

٣٧ - ترجمة الخوافي : في طبقات السبكي ٤ : ٥٥ والروافي ٧ ، الورقة : ٦٨ والمبر ٤ : ١٣٣ والشذرات ٣ : ٤١٠ .

أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين الجويني، وصار أوجه^١ تلامذته، ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بين العلماء بحسن المناظرة وإفحام الخصوم، وكان رفيق أبي حامد الغزالي^٢ في الاشتغال، ورزق الغزالي السعادة في تصانيفه، والحوافى السعادة في مناظراته. وتوفي سنة خمسائة بطوس، رحمه الله تعالى. ونسبته إلى خوآف - بفتح الخاء المعجمة وبعد الواو المفتوحة ألف وبعد الألف فاء - وهي ناحية من نواحي نيسابور كثيرة القرى.

٣٨

اخو الغزالي

أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الملقب بمجد الدين أخو الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي؛ كان واعظاً مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء^٣، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادةً فيه، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بـ «إحياء علوم الدين» في مجلد واحد وسماه «لباب الإحياء»، وله تصنيف آخر سماه «الذخيرة في علم البصيرة». وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة.

وذكره ابن النجار في «تاريخ بغداد» فقال: كان قد قرأ القاريء بحضرته ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الآية﴾ فقال: شرفهم بياء الإضافة

١ د: وكان أوحده.

٢ ب ه: محمد بن محمد الغزالي.

٣٨ - ترجمة أخي الغزالي في طبقات السبكي ٤: ٥٤ والمنتظم ٩: ٢٦٠ والوافي ٧، الورقة:

٦٢ والعبر ٤: ٤٥ والشذرات ٤: ٦٠.

٣ أ: وكان فقيهاً.

إلى نفسه بقوله (يا عبادي) ، ثم أنشد يقول :

وهانَ عليّ اللومُ في جنبِ حُبِّها وقولُ الأعاذي إنَّه خليصُ
أصمٌ إذا نُوديتُ باسمي ، وإنِّي - إذا قيلَ لي يا عبدها - لسميعُ
قلت : ومثل هذا قول بعضهم :

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرفُ أسمائي

وتوفي أحمد بقزوينَ في سنة عشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى .
والطوسي - بضم الطاء المهملة وسكون الواو وبالسين المهملة - نسبة إلى
طوس ، وهي ناحية بخراسان تشتمل على مدينتين تسمى إحداهما طابران :
بفتح الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة ثم راء مفتوحة وبعد الألف
الثانية نون ، والأخرى نَوْقان : بفتح النون وسكون الواو وفتح القاف
وبعد الألف نون ، ولها ما يزيد على ألف قرية .

والغزالي - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الألف لام -
هذه النسبة إلى الغزّال ، على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى
القصار القصاري ، وإلى العطار العطارى ، وقيل : إن الزاي مخففة نسبة إلى
غزّالة وهي قرية من قرى طوس ، وهو خلاف المشهور ، لكن هكذا قاله
السمعاني في كتاب « الأنساب » ، والله أعلم .

وقزوين - بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون
الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون - وهي مدينة كبيرة في عراق العجم عند
قلاع الإسماعيلية .

ابن برهان

أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان الفقيه الشافعي؛ كان متبحراً في الأصول والفروع والمتفق والمختلف، تفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي والكنيا أبي الحسن الهراسي، وصار ماهراً في فنونه، وصنف كتاب «الوجيز» في أصول الفقه. ولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد دون الشهر، ومات سنة عشرين وخمسة مائة ببغداد، رحمه الله تعالى.

وَبَرْهَانَ: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعد الهاء ألف ونون.

٤٠

النحاس النحوي

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النَّحَّاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة منها: «تفسير القرآن الكريم» وكتاب «إعراب القرآن» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب في النحو اسمه «التفاحة» وكتاب في «الاشتقاق»، و«تفسير أبيات سيبويه»، ولم يسبق إلى مثله، وكتاب «أدب الكتّاب» وكتاب «الكافي» في النحو، وكتاب

٣٩ - ترجمة ابن برهان في طبقات السبكي ٤: ٤٢ والوافي ٧، الورقة: ١٠١ والشذرات ٤: ٦١. ١ أ: قرأ.

٤٠ - ترجمة النحاس في انباه الرواة ١: ١٠١ ومعجم الأدباء ٤: ٢٢٤ وبغية الوعاة: ١٥٧ والوافي ٧، الورقة: ١٧٥ والعبر ٢: ٢٤٦ والشذرات ٢: ٣٤٦ وروضات الجنات: ٦٠ والزبيدي: ٢٣٩ ونزهة الألباء: ٢٠١.

« المعاني » وفسر عشرة دواوين وأملأها ، وكتاب « الوقف والابتداء »
صغرى وكبرى ، وكتاب في شرح المعلقة السبع^١ ، وكتاب « طبقات الشعراء »
وغير ذلك ، وروى عن أبي عبد الرحمن النسائي ، وأخذ النحو عن أبي الحسن
علي بن سليمان الأخفش النحوي ، وأبي إسحاق الزجاج ، وابن الأنباري ،
ونفطويته ، وأعيان أديب العراق ، وكان قد رحل إليهم من مصر . وكأنت فيه
خساسة وتقدير على نفسه ، وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمامم بخلا وشحاً ،
وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته ، ومع هذا
فكان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه ، فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير .

وتوفي بمصر يوم السبت لمخمس خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ،
وقيل : سنة سبع وثلاثين ، رحمه الله تعالى ؛ وكان سبب وفاته أنه جلس على
درج المقياس على شاطئ^٢ النيل ، وهو في أيام زيادته ، وهو يُقَطَّع بالعروض
شيئاً من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يَسْحَرُ النيلَ حتى لا يزيد فتغلو
الأسعار^٣ ، فدفعه برجله في النيل ، فلم يوقف له على خبر .

والنحاس - بفتح النون والحاء المشددة المهملة وبعد الألف سين مهمة -
هذه النسبة إلى من يعمل النحاس ، وأهل مصر يقولون لمن يعمل الأواني
الصفيرية النَّحَّاس .

١ ب : المقدمات التسع .

٢ أ : ساحل .

٣ ج : فيغلو السعر .

العبدى النحوي

أبو طالب أحمد بن بكر بن بَقِيَّة العبدى النحوي ؛ كان فاضلاً ماهراً ، وشرح كتاب « الايضاح » في النحو لأبي علي الفارسي وأحسن فيه ، ولم أطلع على شيء من أحواله حتى أذكره^١ ، سوى أنه قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي وأبي الحسن الرُّمَّانِيّ وأبي علي الفارسي .
وتوفي في سنة ست وأربعمائة في شهر رمضان لعشر بقين منه يوم الخميس ، رحمه الله تعالى .

والعَبْدِيّ - بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها دال مهملة - هذه النسبة إلى عبد القَيْس بن أَفْصَى بن دَعْمِي ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة .

ابن أبي سهل

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي سَهْل الكاتب صاحب كتاب « الخراج » ؛ توفي سنة سبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى ، ولم أعلم من حاله شيئاً

٤١ - ترجمة العبدى النحوي في معجم الأدباء ٢ : ٢٣٦ وبغية الوعاة : ١٢٩ ونزعة الألباء : ٢٣٠ .
١ قال ياقوت : « قرأت في فوائد نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير أن العبدى أصيب بعقله واختل في آخر عمره » .
٤٢ - ذكره صاحب المهرست : ١٣٥ وقال : يعرف بأبي سهل الأحول ، من متقدمي الكتاب وأفاضلهم وكان عالماً بصناعة الخراج متقدماً في ذلك على أهل عصره . ونقل ياقوت (٤ : ١٤٣) ما أورده ابن النديم .

حتى أذكره ، وكتابه مشهور ، وما ذكرته إلا لأجل كتابه ، فقد يتشوف
الواقف عليه إلى معرفة زمانه .

٤٣

ثعلب النحوي

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار النحوي الشيباني بالولاء المعروف
بثعلب ؛ ولاؤه لمعن بن زائدة الشيباني - الآتي ذكره في حرف الميم ، إن شاء
الله تعالى - كان إمام الكوفيين في النحو واللغة ، سمع ابن الأعرابي والزيبر بن
بَكَّارٍ وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر ابن الأنباري وأبو عمر الزاهد
وغيرهم ، وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية
ورواية الشعر القديم ، مقدماً عند الشيوخ منذ هو حَدَثَ ، وكان ابن الأعرابي
إذا شك في شيء قال له : ما تقول يا أبا العباس في هذا ؟ ثقةً بغزارة حفظه .
وكان يقول : ابتدأت في طلب العربية واللغة في سنة ستٍ عَشْرَةَ ومائتين ،
ونظرت في « حدود » الفراء^١ وسني ثمانين عشرة سنة^٢ ، وبلغت خمساً وعشرين
سنة وما بقيت عليّ مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها .

وقال أبو بكر ابن مجاهد المقرئ^٣ : قال لي ثعلب : يا أبا بكر ، اشتغل
أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ،
واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أنا بزيد وعمرو ، فليت شعري

٤٣ - ترجمة ثعلب في تاريخ بغداد ٥ : ٢٠٤ والفهرست ٧٤ : ومعجم الأدباء ٥ : ١٠٢ ونزهة
الألباء : ١٥٧ وانباء الرواة ١ : ١٣٨ والزيدي : ١٥٥ وبغية الوعاة : ١٧٢ والوفائي ٧ ،
الورقة : ١١٠ وغاية النهاية : ١٤٨ وتذكرة الحفاظ : ٢١٤ والعبر ٢ : ٨٨ والشذرات
٢ : ٢٠٧ والبداية والنهاية ١١ : ٩٨ والنجوم ٣ : ١٣٣ ونور القبس : ٣٣٤ .
١ هو كتاب في الإعراب جمع فيه ستة وأربعين حداً .
٢ أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد من شيوخ القراء ، توفي سنة ٣٢٤ (انظر غاية النهاية ١ :
١٣٩) .

ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في المنام^١ ، فقال لي : أقرىء أبا العباس عني السلام وقل له : أدت صاحب العلم المستطيل ، قال أبو عبد الله الروذباري العبد الصالح : أراد أن الكلام به يكتمل ، والخطاب به يحتمل^٢ ، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه . وقال أبو عمر الزاهد المعروف بالمطرز : كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء فقال : لا أدري ، فقال له : أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الإبل ، وإليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال له أبو العباس : لو كان لأملك بعدد ما لا أدري بعز لا استغنت .

وصنف كتاب « الفصيح » وهو صغير الحجم كبير الفائدة ، وكان له شعر ، وقال أبو بكر ابن القاسم الأنباري في بعض أماليه : أنشدني ثعلب ، ولا أدري هل هي له أو لغيره :

إذا كنت قوتَ النفسِ ثم هَجَرْتَهَا فمِ تَلَبَّثُ النفسُ التي أذنتَ قوتَهَا
ستبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أو كما يعيشُ ببِداءِ المِأَمِ حوتَهَا

قال ابن الأنباري : وزادنا أبو الحسن ابن البراء فيها :

أغرَّكُ مني أن تصبَّرتُ جاهداً وفي النفسِ مني منك ما سيميتها
فلو كان ما بي بالصُّخورِ لهدَّها وبالريحِ ما هبَّتْ وطال خفوتها
فصبراً لعل الله يجمعُ بيننا فأشكو هُموماً منك فيك لقيتها

وولد في سنة مائتين لشهرين مضيًا منها ، قاله ابن القراب في تاريخه^٢ ، وقيل : سنة أربع ومائتين ، وقيل : إحدى ومائتين ، والذي يدل على أنه ولد في سنة مائتين أنه قال : رأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد يريد الرضا^٣ والناس صفان ، فحملني أبي

١ أ : في النوم .

٢ ابن القراب هو اسحاق بن ابراهيم بن محمد أبو يعقوب ، كان محدثاً وقد ألف كتاب « تاريخ وفيات العلماء » وتوفي سنة ٢٩٩ هـ (انظر أعلام الزركلي ١ : ٢٨٥) .

٣ د : قصر الرضا .

على يده وقال : هذا المأمون، وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة، وكان سني تقديراً يومئذ أربع سنين .

وتوفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وقيل : لعشر خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب الشام ، رحمه الله تعالى ، وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر ، وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب ، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدمته فرس فألقته في هوة ، فأخرج منها وهو كالمختلط ، فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه ، فمات ثاني يوم .

وجده سيّار : بفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مهملة .

والشَّيبَانِي - بفتح الشين المثناة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون - نسبة إلى شيبان : حي من بكر بن وائل ، وهما شيبانان : أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة ابن عكابة ، وشيبان الأعلى عم شيبان الأسفل .

ومن تصانيفه كتاب « المصون » و « اختلاف النحويين » و « معاني القرآن » و « ما تلحن فيه العامة » و « القراءات » و « معاني الشعر » و « التصغير » و « ما ينصرف وما لا ينصرف » و « ما يُجْرَى وما لا يجرى » و « الشواذ » و « الأمثال » و « الإيمان » و « الوقف والابتداء » و « الألفاظ » و « الهجاء » و « المجالس » و « الأوسط » و « إعراب القرآن » و « المسائل » و « حد النحو » وغير ذلك .

الحافظ السلفي

الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفَةَ الأصبهاني الملقب صدر الدين ؛ أحد الحفاظ المكثرين ، رحَلَ في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعي المذهب ، وردَ بغداد ، واشتغل بها على الكيا أبي الحسن علي الهراسي في الفقه وعلى الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي باللغة . وروى عن أبي محمد جعفر بن السَّرَّاج وغيره من الأئمة الأماثل ، وجاب البلاد وطاف الآفاق ، ودخل ثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسة في ذي القعدة ، وكان قدومه إليه في البحر من مدينة صُورَ ، وأقام به ، وقصده الناسُ من الأماكن البعيدة ، وسمعوا عليه وانتفعوا به ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله ، وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار ، وزير الظافر العبَّيْدي صاحب مصر ، في سنة ست وأربعين وخمسة مدرسة بالثغر المذكور وفوضها إليه ، وهي معروفة به إلى الآن ، وأدركتُ جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية ، وسمعتُ عليهم وأجازوني . وكان قد كتب الكثير ، ونقلت من خطه فوائد جمة ، ومن جملة ما نقلت من خطه لأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الأندلسي من قصيدة :

لولا اشتغالي بالأميرِ ومدحِهِ لأطلتُ في ذاك الغزالِ تغزُّلي
لكنَّ أوصافَ الجلالِ عدُّنَّ لي فتَرَكتُ أوصافَ الجمالِ بمعزلِ

٤٤ - ترجمة السلفي في مختصر الديبشي : ٢٠٦ وطبقات السبكي ٤ : ٤٣ والوافي ٧ ، الورقة : ١٧٠ ومروءة الزمان ١ : ٣٦١ وتهذيب ابن عساكر ١ : ٤٤٩ واللباب : « السلفي » ، وتذكرة الحفاظ : ١٢٩٨ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٧ ، ٢٨٣ والشذرات ٤ : ٢٥٥ ، وفي كتابه « معجم السفر » أخبار كثيرة تتصل بحياته ونشاطه العلمي .
١ أبي ... علي : سقطت من اج .

ونقلت من خطه أيضاً لبثينة صاحبة جميل ترثيه^١ :

وإن سلوي عن جميل لساعة^٢ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مَعمرٍ إذا متَّ بأساء الحياة ولينها
وكان كثيراً ما ينشد :

قالوا نفوسُ الدارِ سكانها وأتسمُ عندي نفوسُ النفوسُ

وأما ليه^٣ وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالمختصر أولى .
وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريباً بأصبهان ، وتوفي ضحوة
نهار الجمعة - وقيل : ليلة الجمعة - خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين
وخمسة بئغر الاسكندرية ، ودفن في وِعَلَة ، وهي مقبرة داخل السور
عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره .
ووعلة : بفتح الواو وسكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء ، ويقال :
إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وِعَلَة السَّبَّيِّ المصري ، صاحب ابن
عباس رضي الله تعالى عنها ، وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى .

قلت : وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية ، من جملتهم : الحافظ زكي
الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري^٣ ، محدث مصر في زمانه ،
يقولون في مولد الحافظ السلفي هذه المقالة . ثم وجدت في كتاب « زهر الرياض
المفصح عن المقاصد والأغراض » ، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن
ابن أبي الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوي^٤ الاسكندري ، أن

١ انظر الأغاني ٨ : ١٥٥ .

٢ قبل هذه الكلمة في د : وكان قد كتب الكتب كثيراً .

٣ يعتمد عليه المؤلف كثيراً ، وللنذري عدة مؤلفات منها الترغيب والترهيب ، والتكملة لوفيات
النقطة ، وتوفي بمصر سنة ٦٥٦ (انظر طبقات السبكي ٥ : ١٠٨ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١٢
والقوات ١ : ٦١٠) .

٤ الصفراوي : نسبة إلى وادي الصفراء بالحجاز ، وهو فقيه مالكي توفي سنة ٦٣٦ (انظر غاية
النهاية ١ : ٣٧٣) .

الحافظ أبا طاهر السلفي المذكور - وهو شيخه - كان يقول: مولدي بالتخمين، لا باليقين، سنة ثمان وسبعين، فيكون مبلغ عمره على مقتضى ذلك ثمانياً وتسعين سنة، هذا آخر كلام الصفراوي المذكور. ورأيت في تاريخ الحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي ما يدل على صحة ما قاله الصفراوي، فانه قال: قال عبد الغني المقدسي: سألت الحافظ السلفي عن مولده، فقال: أنا أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وكان لي من العمر حدود عشر سنين.

قلت: ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر أنه في سنة اثنتين وسبعين ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، فانه على ما يقولون قد كان عمره ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة، ولم تجر العادة أن من يكون في هذا السن يقول: أنا أذكر القضية الفلانية، وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديراً أربع سنين أو خمس سنين أو ستاً، فقد ظهر بهذا أن قول الصفراوي أقرب إلى الصحة، وهو تلميذه، وقد سمع منه أنه قال: مولدي في سنة ثمان وسبعين، وليس الصفراوي ممن يشك في قوله، ولا يرتاب في صحته، مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلثمائة سنة إلى الآن بلغ المائة فضلاً عن أنه زاد عليها، سوى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، فانه عاش مائة سنة وستين - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى -.

ونسبته إلى جده إبراهيم سِلْفَة - بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء وفي آخره الهاء - وهو لفظ عجمي، ومعناه بالعربي ثلاث شفاة، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية، والأصل فيه سلبة بالباء، فأبدلت بالفاء.

شرف الدين ابن منعة

أبو الفضل أحمد ابن الشيخ العلامة كمال الدين أبي الفتح موسى ابن الشيخ رضي الدين أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل ، من بيت الرياسة والفضل والمقدمين بإربل ، الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين ؛ كان إماماً كبيراً فاضلاً عاقلاً حسن السمعة جميل المنظر . شرح كتاب « التنبية » في الفقه وأجاد شرحه ، واختصر « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي مختصرين كبيراً وصغيراً ، وكان يلقي في جملة دروسه من كتاب الإحياء درساً حفظاً ، وكان كثير المحفوظات غزير المادة ، وهو من بيت العلم - وسأتي ذكر أبيه وعمه وجدته ، رحمهم الله تعالى ، في مواضعهم - ونسج على منوال والده في التفنن في العلوم ، وتخرج عليه جماعة كبيرة ، وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، رحمه الله تعالى ، بمدينة إربل بعد والدي رحمه الله تعالى ، وكان وصوله إليها من الموصل في أوائل شوال سنة عشر وستائة ، وكانت وفاة الوالد ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة .

وكنت أحضر درسه وأنا صغير ، وما سمعت أحداً يلقي الدروس مثله ، ولم يزل على ذلك إلى أن حج ، ثم عاد وأقام قليلاً ، ثم انتقل إلى الموصل في سنة سبع عشرة وستائة ، وفوضت إليه المدرسة القاهرية ، وأقام بها ملازم الاشتغال والإفادة إلى أن توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر

٤٥ - ترجمة شرف الدين ابن منعة في طبقات السبكي ٥ : ١٦ والوافي ٨ ، الورقة : ٩١ والشذرات

٥ : ٩٩ .

١ ب : الشافعي المذهب .

سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

وكانت ولادته أيضاً بالموصل سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . ولقد كان من محاسن الوجود ، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني ، ولقد أفكرت فيه مرة فقلت : هذا الرجل عاش مدة خلافة الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد فانه ولي الخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وهي السنة التي ولد فيها شرف الدين المذكور ، وماتا في سنة واحدة ، وكان مبدأ شروعه في شرح « التنبيه » بإربيل ، واستعار منا نسخة التنبيه عليها حواش مفيدة بخط بعض الأفاضل ، ورأيته بعد ذلك وقد نقل الحواشي كلها في شرحه .

(3) والفاضل الذي كانت النسخة والحواشي بخطه هو الشيخ رضي الدين أبو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشافعي المقتي بالمدرسة النظامية ببغداد وكان من أكابر فضلاء عصره ، وصنف كتاباً في الفقه يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وعرضت عليه المناصب فلم يفعل ، وكان متديناً . وتوفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، ودفن بالشونيزية ، وكان قد نيف على ستين سنة ، رحمه الله تعالى ، وكان قدومه بغداد من بلاده للاشتغال بعد سنة ثمانين وخمسمائة .

رجعنا إلى الأول : وكان اشتغال شرف الدين المذكور على أبيه بالموصل ولم يتغرب لأجل الاشتغال ، وكان الفقهاء يقولون : نعجب منه كيف اشتغل في وطنه وبين أهله وفي عزه واشتغاله بالدنيا ، وخرج منه ما خرج ، ولو شرعت في وصف محاسنه لأطلت ، وفي هذا القدر كفاية .

ابن عبد ربه

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم ، القرطبي
 مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
 الأموي ؛ كان من العلماء الكثيرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس ،
 وصنف كتابه « العقد » وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء ، وله ديوان
 شعر جيداً ، ومن شعره :

يا ذا الذي خَطَّ العِذارُ^٢ بوجهه خطين هاجبا لوعةً وبلابلا
 ما صحَّ عندي أن لحظك صارمٌ حتى لبستَ بعارضيكَ حمانلا

وله في هذا^٣ المعنى [وقيل : إنها لأبي طاهر الكاتب ، وقيل : لأبي الفضل
 محمد بن عبد الواحد البغدادي]^٤ :

ومُعذِّرٍ نقشَ العِذارُ بمسكه خدّاً له بدمِ القلوبِ مُضَرَّجاً
 لما تيقنَ أن عَضْبَ جُفونِهِ من نرجسٍ جعل النجادَ^٥ بِنَفْسِجاً

٤٦ - ترجمة ابن عبد ربه في الجذوة : ٩٤ (والبغية رقم ٣٢٧) وابن الفرضي ١ : ٤٩ والمطمح :
 ٥١ ومعجم الأدياء ٤ : ٢١١ والوافي ٨ ، الورقة : ٣ وبغية الوعاة : ١٦١ ، وله في البيئمة
 والنفح والعقد وكتاب التشبيهات أشعار كثيرة .

١ قال الحميدي : شعره كثير مجموع ، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً (أي كراسة) من جملة ما
 جمع للحكم .

٢ ب ٥ : الجمال .

٣ هذا : زيادة من ب ٥ .

٤ ما بين معقنين زيادة من ب .

٥ أ : العذار .

وأخذه البهاء أسعد السنجاري^١ ، فقال من جملة قصيد :

يا سَيْفَ مُقْتَلِهِ كَمَلتَ مَلاحَةً ما كُنْتَ قَبْلَ عِذارِهِ بِجِمالِهِ
وله أيضاً :

وَدَعَّعْتَنِي بِزَفْرَةٍ وَاَعْتَناقِ
وَبَدَّتْ لِي فَأَشْرَقَ الصَّبْحُ مِنْها
يا سَقِيمَ الجَفونِ مِنْ غيرِ سَقَمِ
إِنَّ يَوْمَ الفِراقِ أَفْطَحَ يَوْمِ
ثم قالت متى يكون التلاقي
بين تلك الجيوب والأطواق
بين عينيك مضرع العشاق
لبيتني مت قبل يوم الفراق
وله أيضاً^٢ :

إِنَّ العَواثِيَّ إِنْ رَأَيْتَكَ طَوايِئاً
وَإِذا دَعَوْتَكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّه
بُرْدَ الشَّبابِ طَوايِئَ عَنكَ وَصَلا
نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبالاً

وله من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الحكمي أحد ملوك الأندلس من بني أمية :

بِالْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ شَرُفَتْ بِلادِ الأَنْدَلُسِ
فَالطَيْرُ فِيها ساكِنٌ وَالوَحْشُ فِيها قَدْ أَنْسِ

قال الوزير ابن المغربي في كتاب « أدب الخواص » : وقد روي أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبي تميم معد المعز لدين الله ، وساءه ما

١ هو أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور من سنجار إحدى مدن الجزيرة العراقية ، كان يتفقه شافعيًا ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك وعاش حتى تاهز التسعين ، وكان كيسًا لطيفًا فيه خفة روح ، خرج من الموصل سنة ٦١٩ (ياقوت : سنجار ، وسيترجم له ابن خلكان رقم : ٩٢) .

٢ يتكرر هذا الخطأ في المصادر الشرقية (انظر مسالك الأبصار ١١ : ١٧٢ والوافي) إذ ان هذين البيتين للأخطل في ديوانه : ٤٣ .

تضمنته من الكذب والتمويه، إلى أن عارضها شاعره الإيادي التونسي بقصيدته
التي أولها :

رَبْعٌ لَزِينِبٌ قَدْ دَرَسَ ۖ وَاعْتَاضَ مِنْ نَطَقِ خِرَاسٍ

وهذا الشاعر هو أبو الحسن علي بن محمد الإيادي التونسي .
ولابن عبد ربه :

نَعَقَ الْغَرَابُ فَقُلْتُ : أَكْذَبُ طَائِرٍ ۖ إِنَّ لَمْ يُصَدِّقَهُ رُغَاءُ بَعِيرٍ
وفيه التفات إلى قول بعضهم :

لَهْنٌ الْوَجِي لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى ۖ وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِمٌ وَحَسِيرٌ
وَمَا الشُّؤْمُ فِي نَعَقِ الْغَرَابِ وَنَعْبِهِ ۖ وَمَا الشُّؤْمُ إِلَّا نَاقَةٌ وَبَعِيرٌ
وله غير ذلك كل معنى مليح .

وكانت ولادته في عاشر رمضان سنة ست وأربعين ومائتين ، وتوفي يوم
الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، ودفن يوم الاثنين
في مقبرة بني العباس بقَرْطُبَةَ ، وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام ،
رحمه الله تعالى .

والقرطبي - بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء المهملة وفي آخرها
الباء الموحدة - هذه النسبة إلى قَرْطُبَةَ ، وهي مدينة كبيرة من بلاد الأندلس
وهي دار مملكتها .

وحُدَيْرٌ الذي هو أحد أجداده : بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة
وسكون الياء المثناة من تحتها والراء آخر الحروف .

أبو العلاء المعري

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدِيّ بن غَطَفَان بن عمرو بن بريح بن جُدَيْمَة بن تَمِّم الله ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التَّنُوخي المعرِّي اللغوي الشاعر؛ كان متضلّعا من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب، وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة، وله من النظم «لزوم ما لا يلزم» وهو كبير يقع في خمسة أجزاء أو ما يقاربها، وله «سَقَطُ الزَّنْدِ» أيضا، وشرحه بنفسه، وسماه «ضوء السقط»، وبلغني أن له كتابا سماه «الأيك والغصون» وهو المعروف بـ «الهمزة والردف» يقارب المائة جزء في الأدب أيضا، وحكى لي مَنْ وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب «الهمزة والردف» وقال: لا أعلم ما كان يُعَوِّزُه بعد هذا المجلد. وكان علامة عصره.

وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التَّنُوخي، والخطيب أبو زكريا التبريزي وغيرهما.

وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمعرة، وعمي من الجُدَرِي أول سنة سبع وستين، غشّى يمينه بياض وذهبت اليسرى جملة، قال الحافظ السَّلْفِيّ: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي أنه دخل مع عمه علي أبي

٤٧ - معظم ما كتب عن أبي العلاء في المصادر القديمة قد جمع في كتاب باسم «تعريف القدماء بأبي العلاء» (دار الكتب: ١٩٤٤).

١ أ: أبو عبد الله محمد.

العلاء يزوره ، فرآه قاعداً على سَجَّادَة لَبْدٍ وهو شيخ ، قال : فدعالي
ومسح على رأسي وكنت صبيّاً ، قال : وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيّه
إحداهما نادرة^١ والأخرى غائرة جدّاً ، وهو مُجَدَّرُ الوجه ، نحيف الجسم .
ولما فرغ من تصنيف كتاب « اللامع العريزي » في شرح شعر المتنبي وقرىء
عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء : كأنما نظر المتنبي إلي بلحظ الغيب
حيث يقول :

أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسمَعَتْ كلماتي مَنْ به صَمَمُ

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه « ذكرى حبيب » وديوان البحترى
وسماه « عبث الوليد » وديوان المتنبي وسماه « معجز أحمد » وتكلم على غريب
أشعارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم
والنقد في بعض المواضع عليهم ، والتوجيه في أماكن لخطئهم .
ودخل بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ودخلها ثانية سنة تسع وتسعين ،
وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله ، وشرع في التصنيف
وأخذ عنه الناس ، وسار إليه الطلبة من الآفاق ، وكتبه العلماء والوزراء وأهل
الأقدار ، وسمى نفسه « رهن المَحْبِسِينَ » للزومه منزله ولذهاب عينيّه ،
ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً لأنه كان يرى رأي الحكماء
المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لا يرون
الإيلام في جميع الحيوانات .

وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ومن شعره في « اللزوم » :

لا تَطْلُبَنَّ بِاللِّ لِكَ رتَبَةً قلم البليغ بغير جدِّ مِغزَلُ
سكَنَ السماكَانِ السماءَ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزَلُ

(١٢)* وتوفي يوم الجمعة ثالث - وقيل : ثاني - شهر ربيع الأول ، وقيل :
ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة ، وبلغني أنه أوصى أن

يكتب على قبره هذا البيت :

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . وكان مرضه ثلاثة أيام ، ومات في اليوم الرابع ، ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث^١ : اكتبوا عني ، فتناولوا الدثوي والأقلام ، فأملئ عليهم غير الصواب ، فقال القاضي أبو محمد عبد الله التَّنُوخِي : أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت ؛ فهات ثاني يوم . ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام بقوله :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرَقِّقِ الدَّمَاءَ زَهَادَةً فَلَقَدْ أَرَقْتَ الْيَوْمَ مِنْ جَفِي دَمًا
سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مَسْكٌ فَسَامِعَةٌ يُضْمَخُ أَوْ فَمَا
وَأَرَى الْحَجِيحَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةً ذِكْرَكَ أَخْرَجَ فِدْيَةً مَنْ أَحْرَمًا

وقد أشار في البيت الأول إلى ما كان يعتقد ويتدين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره .

وقبره في ساحة من دور أهله ، وعلى الساحة باب [صغير قديم]^٢ ، وهو على غاية ما يكون من الإهمال وترك القيام بمصالحه ، وأهله لا يحتفلون به . والتَّنُوخِي - بفتح التاء المثناة من فوقها وضم النون المخففة وبعد الواو خاء معجمة - وهذه النسبة إلى تَنُوخ ، وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين ، وتحالفوا على التناصر ، وأقاموا هناك فسموا تَنُوخاً . والتنوخ : الإقامة ، وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب ، وهم : بَهْرَاءُ ، وَتَنُوخُ ، وَتَغْلِبُ .

والمَعَرِّيُّ - بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء - وهذه النسبة إلى

١ ب : فقال لهم في يوم ثالث وقيل ثان .

٢ ما بين معقنين زيادة من ب ه .

مَعْرَةَ النعمان ، وهي : بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشيْزَرَ ، وهي منسوبة إلى النعمان بن بَشِيرِ الأنصاري ، رضي الله تعالى عنه ، فإنه تَدَيَّرَهَا ، فنسبت إليه ، وأخذها الفرنج من المسلمين في محرم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ولم تزل بأيدي الفرنج من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زَنْكِي بن آق سُنْقُرُ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ومنّ على أهلها بأملأهم .

٤٨

ابن شهيد

أبو عامر أحمد بن أبي مَرْوان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي ؛ هو من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحّاك بن قيس الفهري يوم مَرَجِ راهط ، ذكره ابن بَسّام في كتاب « الذخيرة » ، وبالغ في الثناء عليه ، وأورد له طرفاً وافراً من الرسائل والنظم والوقائع . وكان من أعلم أهل الأندلس ، متفنناً بارعاً في فنونه ، وبينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات ، وله التصانيف الغريبة البديعة ، منها كتاب « كشف الدك وإيضاح الشك » ، ومنها « التوابع والزوابع » ، ومنها « حانوت عطار » ، وغير ذلك . وكان فيه

٤٨ - ترجمة أبي عامر ابن شهيد في الجذوة : ١٢٤ (والبغية رقم : ٤٣٧) والذخيرة ١/١ : ١٦١ والمغرب ١ : ٧٨ والمطمح : ١٦ وإعتاب الكتاب : ٧٤ والمطرب : ١٧٤ ومعجم الأدباء ٢ : ٢١٨ والوافي ٧ ، الورقة : ٧٠ واليتمية ٢ : ٣٨ والمسالك ١١ : ٢٨٠ وله ذكر كثير في نفع الطيب وبدائع البدائه وشرح الشريشي ، وقد جمع شارل بلا ديوانه فأخل بكثير من شعره الموجود في المصادر .
١ قوله : « وكان من أعلم أهل الأندلس » يستدعي توقفاً ، فقد عرف ابن شهيد بأنه كان قليل الاطلاع .

مع هذه الفضائل كرمٌ مفرط، وله في ذلك حكايات ونوادر (١٣)* ومن محاسن شعره من جملة قصيدة^١ :

وتَدْرِي سِبَاعُ الطَّيْرِ أَنَّ كَثَاتَهُ إِذَا لَقِيَتْ صَيْدَ الْكِبَاءِ سِبَاعُ
تَطِيرُ جِيعاً فَوْقَهُ وَتَرُدُّهَا ظُبَاهُ إِلَى الْأَوْكَارِ وَهِيَ شِبَاعُ

وإن كان هذا معنى مطروقاً، وقد سبقه إليه جماعة من الشعراء في الجاهلية والإسلام، لكنه أحسن في سبكه وتلطف في أخذه .
ومن رقيق شعره وظريفه قوله^٢ :

وَمَا تَمَلَّأَ مِنْ سَكْرِهِ وَنَامَ وَنَامَتْ عُيُونُ الْعَسَسِ^٣
دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دُنُوٌّ رَفِيقٍ دَرَى مَا التَّمَسَ
أَدَبٌ إِلَيْهِ دَبِيبَ الْكَرَى وَأَسْمُوٌ إِلَيْهِ سُمُوُّ النَّفْسِ
وَبَيْتٌ بِهِ لَيْلَتِي نَاعِماً إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الْفَلَسِ
أَقْبَلُ مِنْهُ بَيَاضَ الطُّلَى وَأَرَشَفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ

وما أَلطفَ قول أبي منصور علي بن الحسن المعروف بصردر^٤ في هذا المعنى، وهو قوله^٥ :

وَحَيَّ طَرَقْنَاهُ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِهِ فَمَا إِنْ وَجَدْنَا عِنْدَ نَارِهِمْ هُدَى
وَمَا غَفَلْتُمْ أَحْرَاسَهُمْ غَيْرَ أَنْنَا سَقَطْنَا عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا يَسْقُطُ^٦ النَّدَى

وقد استعمل هذا المعنى جماعة من الشعراء، والأصل فيه قول امرئ القيس^٧ :

١ انظر الذخيرة : ٢٤٣ .

٢ الذخيرة : ٢٤٥ .

٣ أ ج : فنام وملت عيون الحرس .

٤ ديوان صردر : ٣٩ .

٥ الديوان : زور موعده .

٦ الديوان : سقط .

٧ ديوانه : ٣١ .

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ

ومعظم شعره فائق .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وتوفي ضحى نهار الجمعة سَلَخَ جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، بقرطُبَة . ودفن ثاني يوم في مقبرة أم سلمة ، رحمه الله تعالى .

وأبوه عبد الملك مذكور في كتاب « الصلة »^١ .

وشهيد : بضم الشين المثثة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

والأشجعي - بفتح الهمزة وسكون الشين المثثة وفتح الجيم وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى أشجع بن ريث بن غطفان ، وهي قبيلة كبيرة .

٤٩

ابن فارس

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي ؛ كان إماماً في علوم شتى ، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها ، وألف كتابه « المحمل » في اللغة ، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً ، وله كتاب « حلية الفقهاء » ، وله رسائل أنيقة ، ومسائل في اللغة ، ويعاين^٢ بها الفقهاء ، ومنه اقتبس الحريري صاحب « المقامات » الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ذلك الأسلوب ، ووضع

١ الصلة : ٣٣٨ .

٤٩ - ترجمة ابن فارس في معجم الأدباء : ٤ : ٨٠ وانباء الرواة : ١ : ٩٢ والوافي : ٧ ، الورقة : ١٣٤ والديباج : ٣٧ ونزهة الألباء : ٢١٩ وبغية الوعاة : ١٥٣ ودمية القصر : ٢٥٧ واليتيمة

٣ : ٤٠٢ .

٢ يعاين : يحاجي .

المسائل الفقهية في المقامة الطيبية ، وهي مائة مسألة . وكان مقيماً بهمدان ،
وعليه اشتغل بديعُ الزمان الهمداني صاحب « المقامات » - الآتي ذكره إن
شاء الله تعالى - وله أشعار جيدة ، فمنها قوله :

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءُ مَجْدُولةٌ ٢
تَرْنُو بِطَرْفِ فَاتِرٍ فَاتِنٍ ٣
تركيةٌ تنمى لتركِي*
أضعفَ من حُجَّةِ نحوي*

وله أيضاً :

اسمعَ مَقَالَةَ ناصِحٍ
إياكَ واحذرْ أن تبيدَ
جمعَ النصيحة والمِقةُ
تَ من الثقاتِ على ثقهِ

وله أيضاً :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً
فأرسلْ حَكِيماً ولا تُوصِهْ
وأنتَ بها كَلِيفٌ مُغرَمٌ
وذلكَ الحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ

وله أيضاً :

سقى هَمْدَانَ الغَيْثُ ، لَسْتُ بِقائلٍ
وما لي لا أَصْفِي الدِّعَاءَ لِبِلْدَةٍ
سوى ذَا ، وفي الأحشاءِ نارٌ تَضْرَمُ
نَسِيتُ الذي أَحْسَنْتُهُ غيرَ أني
أفدْتُ هِنا نِسْيَانٌ ما كنتُ أعلمُ
مَدِينٌ وما في جَوْفِ بيتي دِرْهَمُ

وله أشعار كثيرة حسنة .

توفي سنة تسعين وثلثائة - رحمه الله تعالى - بالري ، ودفن مقابل مشهد
القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وقيل : إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين
وثلثائة بالحمدية ، والأول أشهر .

والرازي - بفتح الراء المهملة وبعد الألف زاي - هذه نسبة إلى الري ،

١ أ ج : وله شعر جيد فمنه ؛ قلت : وقطعه هذه في اليتيمة : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

٢ ه : ممشوقة ، اليتيمة : مقدودة .

٣ أ ج : فاتن فاتر .

وهي من مشاهير بلاد الديلم ، والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند
النسبة إلى مرو الشاهجان .
ومن شعره أيضاً :

وقالوا كيفَ حالكَ قلتُ خيرَ تُقَصِّى حاجةٌ وتَفوتُ حاجُ
إذا ازْدَحَمَتْ هُمومُ الصَّدْرِ قلنا عسى يوماً يكونُ لها انفراجُ
نَدِيبي هِرَّتِي ، وأنيسُ نَفسي دَفَاتِرُ لي ، ومَعشُوقِي السَّراجُ

٥٠

أبو الطيب المتنبي

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي
الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور ، وقيل : هو أحمد بن الحسين بن مِرَّة
ابن عبد الجبار ، والله أعلم .

هو من أهل الكوفة ، وقَدِمَ الشام في صباه وجال في أقطاره ، واشتغل
بفنون الأدب ومهَرَ فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على
غريبها وحوشيا ، ولا يُسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من
النظم والنثر ، حتى قيل : إن الشيخ أبا علي الفارسي ، صاحب « الإيضاح »
و « التكملة » ، قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فِعْلي ؟ فقال المتنبي
في الحال : حِجْلِي وظِرْبِي ؛ قال الشيخ أبو علي : فطالعتُ كتبَ اللغة ثلاثَ

٥٠ - له ترجمة في الجزء الأول من اليتيمة وفي الخزانة ؛ وحوله يدور كتاب الصبح النبي ؛ ومن
المؤلفات الحديثة عنه كتاب المتنبي للعلامة محمود شاكر ، ومع المتنبي للدكتور طه حسين ،
وذكرى أبي الطيب للدكتور عبد الوهاب عزام ؛ ومن المفيد مراجعة الموضحة للحاتمي والوساطة
للجرجاني ورسالة الصاحب في ذمه والإيضاح لمشكل شعره (مخطوط) والمنصف لابن وكيع
(مخطوط) وغيرها كثير يعز على الحصر .

ليال عَلِّيَّ أن أجد لهُذينَ الجمينِ ثالثاً ، فلم أجد . وحَسْبُكَ من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة . وحِجْلِي : جمع حَجَل ، وهو: الطائر الذي يسمى القَبْج . والظَّرْبَى : جمع ظَرَبان - على مثال قَطِرانٍ - وهي دُوَيْبَة منتنة الرائحة . وأما شعره فهو في النهاية ، ولا حاجة إلى ذكر شيء منه لشهرته ، لكن الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالإسناد الصحيح المتصل به ، فأحببت ذكرهما لغرابتهما ، وهما :

أبَعينِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ نَظَرْتَنِي فَأَهْتَنِي وَقَدَفْتَنِي مِنْ حَالِقِ
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

(١٤)* ولما كان بمصر مرض ، وكان له صديق يَغشاه في علته ، فلما أبلَّ انقطع عنه ، فكتب إليه : « وصلتني وَصَلَكَ اللهُ مَعْتَلًا ، وقطعتني مُبِلًا ، فإن رأيت أن لا تحبب العلة إلي ، ولا تكدر الصحة علي ، فعلت إن شاء الله تعالى » .

والناسُ في شعره على طبقات : فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومَنْ بعده ، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ، وقال أبو العباس أحمد بن محمد النامي الشاعر الآتي ذكره عقيب هذا : كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ، وكنت أشتهي أن أكون قد سبقته إلى معنيين قالهما ما سَبِقَ إليهما ، أحدهما قوله :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءِ مِنْ نِبَالِ
فَصَرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

والآخر قوله :

فِي جِحْفَلِ سَتْرِ الْعِيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُنَ بِالْأَذَانِ

واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه ، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ، ولم يُفْعَلْ هذا بديوان غيره ، ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ، ورزق في شعره السعادة التامة .

وإنما قيل له « المتنبى » لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه (١٥)* ، وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، وقيل : إنه قال : أنا أول من تنبأ بالشعر .

ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومدح كافوراً الإخشيدى وأنوجور ابن الإخشيد ، وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاء وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعوتب فيه فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، أما يدعي المملكة مع كافور ؟ فحسبكم . قال أبو الفتح ابن جني النحوي : كنت قرأت ديوان أبي الطيب المتنبى عليه ، فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة التي أولها :

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا المهجرِ والوصلُ أعجبُ

حتى بلغت إلى قوله :

ألا لَيتَ شعري هل أقول قصيدةً ولا أستكي فيها ولا أتعتبُ
وبي ما يذود الشعرَ عني أقلُّهُ ولكن قلبي يا ابنةَ القومِ قلبُ

فقلت له : يعز علي ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟ فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ، ألت القائل فيه :

أخا الجود، أعطِ الناسَ ما أنت مالك ولا تُعطينَّ الناسَ ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني كافوراً بسوء تدبيره وقلة تمييزه . وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، فوقع

بين المتنبى وبين ابن خالويه النحوي كلام ، فوثب ابن خالويه على المتنبى
فضرب وجهه بفتح كان معه ، فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، فغضب
وخرج إلى مصر وامتدح كافوراً .

ثم رحل عنه وقصد بلاد فارس ، ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي ،
فأجزل جائزته ، ولما رجع من عنده قاصداً إلى بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان
لثمان خلون منه عرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ، وكان
مع المتنبى أيضاً جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل المتنبى وابنه محسداً
وغلامه مفلحاً بالقرب من النعمانية ، في موضع يقال له الصافية ، وقيل
حيال الصافية ، من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينها
مسافة ميلين .

وذكر ابن رشيقي في كتاب « العمدة » ١ في باب منافع الشعر ومضاره أن
أبا الطيب لما فرّ حين رأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار
أبداً وأنت القائل :

فالحيلُ والليلُ والبئداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاسُ والقلمُ

فكرراً راجعاً حتى قتل ، وكان سبب قتله هذا البيت ، وذلك يوم الأربعاء
لست بقين - وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين بقيتا - من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وقيل : إن قتله كان يوم الاثنين لثمان بقين من شهر
رمضان ، وقيل : لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة .

ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها ،
وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة - بضم الجيم وسكون
العين المهملة وبعدها الفاء - وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج ، واسمه
مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وإنما قيل له
« سعد العشيرة » لأنه كان يركب - فيما قيل - في ثلثمائة من ولده وولد ولده ،
فإذا قيل له : من هؤلاء ؟ قال : عشيرتي ، مخافة العين عليهم .

١ انظر العمدة ١ : ٤٥ .

ويقال : إن أبا المتنبي كان سَقَاءً بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ،
ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لَشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ لِمَنْ مِنَ النَّاسِ بَكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

وسأتي في حرف الحاء نظير هذا المعنى لابن المعتدل في أبي تمام حبيب بن
أوس الشاعر المشهور .

ولما قتل المتنبي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطَّبَّسي بقوله :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللَّسَانِ
مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّيِّ أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْدٍ شِ فِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
هُوَ فِي شَعْرِهِ نَبِيٌّ ، وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

والطَّبَّسي - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها سين مهملة -
هذه النسبة إلى مدينة في البرية بين نيسابور وإصبهان وكرمان يقال لها طَبَّس.
ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد
يوماً في مجلسه بيت المتنبي ، وهو من جملة قصيدته المشهورة^١ :

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظْرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْبِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهُ

وجعل يردده استحساناً له ، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون
الأندلسي ، فأنشد ارتجالاً :

لِئِنْ جَادَ شَعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تَجِيدُ الْعَطَايَا وَاللَّهَّاءُ تَفْتَحُ اللَّهُهَا
تَنْبَأُ عُجْبًا بِالْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرَوِي شَعْرَهُ لَتَأَلَّهَا

وذكر الإفليلي أن المتنبي أنشد سيف الدولة بن حمدان في الميدان قصيدته
التي أولها :

١ راجع هذا الخبر في نفع الطيب ٣ : ١٩٤ ، ٢٣٥ (ط. صادر) .

لكل امرئ من دهره ما تَعَوَّدَا وعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا

فلما عاد سيف الدولة إلى داره استعادة إياها ، فأنشدها قاعداً ، فقال بعض الحاضرين - يريد أن يؤكد أبا الطيب - لو أنشدها قائماً لأسمع ، فإن أكثر الناس لا يسمعون ، فقال أبو الطيب : أما سمعت أوها :

لكل امرئ من دهره ما تَعَوَّدَا

وهذا من مستحسن الأجابة ، وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وماجرياتة كثيرة ، والاختصار أولى .

واسم ولده مُحَسَّدٌ : بضم الميم وفتح الحاء المهملة والسين المهملة المشددة وبعدها دال مهملة .

٥١

النامي الشاعر

أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المفلحين ، ومن فحولة شعراء عصره ، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان ، وكان عنده تِلْوَةُ أَبِي الطَّيِّبِ المَتْنِيِّ فِي المَنْزَلَةِ والرَّتْبَةِ ، وكان فاضلاً أديباً بارعاً عارفاً باللغة والأدب ، وله أمالٌ أملاها بِجَلَبِ روى فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن دُرُسْتُوَيْهِ وأبي عبد الله الكرمانى وأبي بكر الصُّوَلِيِّ وإبراهيم بن عبد الرحمن العَرُوضِيِّ وأبيه محمد المصيصي ، وروى عنه أبو القاسم الحسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي وأخوه أبو الحسين أحمد وأبو الفرج البَيْتَغَاءِ وأبو الخطَّابِ ابن عَوْنِ الجَرِيرِيِّ وأبو بكر الخالدي

٥١ - ترجمة النامي في البيهقي ١ : ٢٤١ والوافي ٨ ، الورقة : ٤٣ .

١ هـ : الجزيري ، ووردت في هـ مرة : الجزيري .

والقاضي أبو طاهر صالح بن جعفر الهاشمي .
ومن محاسن شعره قوله فيه من جملة قصيدة^١ :

أَمِيرَ الْعُلَا إِنَّ الْعَوَالِي كَوَاسِبُ عِلَاءَكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
يَمْرُ عَلَيْكَ الْحَوْلُ ، سَيْفُكَ فِي الطُّشَى وَطَرَفُكَ مَا بَيْنَ الشَّكِيمَةِ وَاللَّبْدِ
وَيَمْضِي عَلَيْكَ الدَّهْرُ ، فَعَلَّكَ لِلْعَلَا وَقَوْلِكَ لِلتَّقْوَى وَكَفَكَ لِلرَّفْدِ
ومن شعره أيضاً :

أَحَقًّا أَنْ قَاتَلْتِي زَرُّودُ وَأَنْ عَهُودَهَا تَلْكَ الْعُهُودُ
وَقَفْتُ وَقَدْ فَقَدْتُ الصَّبْرَ حَتَّى تَبِينَ مَوْقِفِي أَنِّي الْفَقِيدُ
فَشَكَّتْ فِي عَذَابِي فَقَالُوا لِرَسْمِ الدَّارِ أَيْكَمَا الْعَمِيدُ

وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد .
وحكى أبو الخطاب ابن عَوْنِ الحريري النحوي الشاعر أنه دخل على أبي
العباس النامي قال : فوجدته جالسا ورأسه كالثغامة بيضا وفيه شعرة واحدة
سوداء ، فقلت له : يا سيدي في رأسك شعرة سوداء ، فقال : نعم ، هذه بقية
شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها شعر ، فقلت : أنشدني ، فأنشدني :

رَأَيْتَ فِي الرَّأْسِ شَعْرَةً بَقِيَّتْ سَوْدَاءُ تَهْوَى الْعَيُونَ رُؤْيَتَهَا
فَقُلْتُ لِلْبَيْضِ إِذْ تَرَوَّعْتُهَا بِاللَّهِ أَلَا رَحْمَتٌ غُرْبَتَهَا
فَقَلَّ لَبْتُ السُّودَاءِ فِي وَطَنِ تَكُونُ فِيهِ الْبَيْضَاءُ ضَرَّتَهَا

ثم قال : يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروّع ألف سوداء ، فكيف حال
سوداء بين ألف بيضاء ؟ !

ومن شعره - وينسب إلى الوزير أبي محمد المهلبى ، وليس الأمر كذلك - :

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّادِ يَسْعَى عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

١ هذه المقطوعة واثنتان بعدها في اليتيمة .

٢ أ : ما ترجمن .

٣ د : وحدتها .

وقد عبثَ الشرابُ بمقلَّتَيْهِ فصَيَّرَ خَدَّهُ كَسْنَا اللَّهْيَبِ
فقلْتُ له بما اسْتَحْسَنْتَ هذا لَقَدْ أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجِيبِ
أحْمُرَةٌ وَجَنَّتَيْكَ كَسَتْكَ هذا أَمْ أَنْتَ صَبَغْتَهُ بَدَمِ الْقُلُوبِ؟
فقالَ الرَّاحُ أَهْدَتَ لِي قَمِيصًا كَلَوْنَ الشَّمْسِ فِي شَفَقِ الْمَغِيبِ
فثَوْبِي وَالْمُدَامُ وَلَوْ نُخَدِّي قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة^١ ، وقيل : سنة سبعين أو إحدى وسبعين ،
بجلب ، وعمره تسعون سنة ، رحمه الله تعالى .

والدارمي - بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم ميم - هذه
النسبة إلى دارم بن مالك ، بطن كبير من تميم .

والمصيبي - بكسر الميم والصاد المهملة المشددة وسكون الياء المثناة من
تحتها ، وبعدها صاد ثانية مهملة - هذه النسبة إلى المصيصة ، وهي مدينة على
[ساحل] البحر الرومي تجاور طرسوس والسيس وتلك النواحي ، بناها صالح
ابن علي عم أبي جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة بأمر المنصور .

٥٢

بديع الزمان الهمداني

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني ، الحافظ المعروف
ببديع الزمان ؛ صاحب الرسائل الرائقة^٢ ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله
نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره ، واعترف في خطبته
بفضله ، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج (١٦)* ، وهو أحد الفضلاء

١ ج : تسع وسبعين وثلاثمائة .

٥٢ - ترجم له الثعالي في اليتيمة ٤ : ٢٥٦ وانظر معجم الأدباء ٢ : ١٦١ .

٢ أ ج : الأنيقة .

الفصحاء ، روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب « المجمل » في اللغة وعن غيره ، وله الرسائل البديعة والنظم المليح ، وسكن هراة من بلاد خراسان .
فمن رسائله^١ : « الماء إذا طال مُكثُّه ، ظهر خُبثُه . وإذا سكن مَتَسَّنُه ، تحرك نَتْنُه . وكذلك الضيف يَسْمُجُ لقاءه ، إذا طال ثِواؤُه ، ويثْقُلُ ظلُّه ، إذا انتهى محلُّه . والسلام » .

ومن رسائله^٢ : « حَضْرَتُه التي هي كعُبة المحتاج ، لا كعُبة الحُجَّاج . ومَشْعَرُ الكَرَم ، لا مَشْعَرُ الحَرَم . ومُنَى الضيِّف ، لا مِنَى الخيِّف . وقبله الصَّلَات ، لا قبلة الصلاة » .

وله من تعزية^٣ : « الموت خطبٌ قد عظم حتى هان ، ومَسٌ قد خَسُنَ حتى لان . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وجنَّتْ حتى صار أصغر ذنوبها . فلتنظروا ينة ، هل ترى إلا محنة ؟ ثم انظر يسرة ، هل ترى إلا حسرة ؟ » .

ومن شعره من جملة قصيدة طويلة^٤ :

وكاد يحكيك صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِبَا لو كان طَلَقَ الحَيَا يُمَطِرُ الذَّهَبَا
والدهر لو لم يَخُنْ ، والشمس لو نَطَقَتْ والليث لو لم يُصَدِّ والبجر لو عَذَّبَا

ومن شعره في ذم همدان ، ثم وجدتها لأبي العلاء محمد بن [علي بن] حصول الهمداني :

هَمْدَانُ لي بلد أقول بفضله لكنَّه من أقبح البلدان
صبيانه في القُبْحِ مثلُ شيوخه وشيوخه في العقل كالصبيان

وله كل معنى مليح حسن من نظم ونثر .

١ اليَتِيمة : ٢٦٤ .

٢ اليَتِيمة : ٢٥٩ .

٣ اليَتِيمة : ٢٦٠ .

٤ هـ : وخبتت .

٥ هـ : فانظر .

٦ اليَتِيمة : ٢٩٣ .

٧ د : في الفعل .

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثائة مسموماً بمدينة هَراة ، رحمه الله تعالى .

ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله : « هذا آخر الرسائل ، وتوفي رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثائة » ؛ قال الحاكم المذكور : وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعجل دفنه ، فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل ، وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر .

٥٣

ابن طباطبا

أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الشريف الحسيني الرسي المصري ؛ كان نقيب الطالبين بصر ، وكان من أكابر رؤسائها ، وله شعر مليح في الزهد والغزل وغير ذلك ، وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « اليتيمة » وذكر له مقاطيع ، ومن جملة ما أورد له قوله :

خليئي إني للثريا لحاسدٌ وإني على ريب الزمان لواجِدٌ
أبقي جميعاً شملها وهي سِتَّةٌ وأفقدُ من أحببته وهوَ واحدٌ

وأورد له أيضاً ، وذكرها في أوائل الكتاب لذي القرنين بن حمدان ، قوله :

قالت لطيف خيال زارني ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزيد

٥٣ - انظر اليتيمة ١ : ٤٢٨ والمغرب (قسم مصر) : ٢٠٢ والوافي ٧ ، الورقة : ١٧٦ .
٨ : الزيني .

فقال أبصرته لو مات من ظمياً وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عاداته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وله غير هذا أشياء حسنة .

ومن شعره المنسوب إليه في طول الليل ، وهو معنى غريب :

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ سَارَتْ نَهَارَهَا فَوَافَتْ عِشَاءً وَهِيَ أَنْضَاءُ أَسْفَارِ
وَقَدْ خِيَّمَتْ كِي يَسْتَرِيحَ رِكَابُهَا فَلَا فَلَكَ جَارٍ وَلَا كَوَكَبٌ سَارِي

ثم وجدت هذين البيتين في ديوان أبي الحسن ابن طباطبا من جملة قصيدة طويلة .

ونقلت من ديوان أبي الحسن المذكور من جملة أبيات :

بَانُوا وَأَبْقَوْا فِي حَشَايَ لَبِيْنِهِمْ وَجَدَا إِذَا ظَعَنَ الْخَلِيْطُ أَقَامَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشُّرُورِ كَأَنَّمَا كَانَتْ لِسُرْعَةِ مَرِّهَا أَحْلَامَا
لَوْ دَامَ عَيْشٌ رَحْمَةً لِأَخِي هَوَى لِأَقَامَ لِي ذَاكَ الشُّرُورِ وَدَامَا
يَا عَيْشِنَا الْمَفْقُودَ خَذْ مِنْ عَمْرِنَا عَامَا وَرُدِّ مِنْ الصَّبَا أَيَّامَا

ولا أدري من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور ، والله أعلم .

وذكره الأمير المختار المعروف بالمسبّحي في « تاريخ مصر » وقال : توفي في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وزاد غيره : ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ، ودفن في مقبرتهم خلف المصلى الجديد بمصر ، وعمره أربع وستون سنة .

وطبّاطبَا - بفتح الطاءين المهملتين والباءين الموحدين - وهو لقب جده إبراهيم ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلشغ فيجعل القاف طاء ، وطلب يوماً ثيابه ، فقال له غلامه : أجيء بدرّاعة ؟ فقال : لا ، طباطبا ، يريد قباقبا ،

١ هذه هي رواية أ ج د واليتيمة ؛ وفي ب ه : قف لا ترد للماء .

٢ هذه هي رواية أ ج واليتيمة ؛ وفي سائر الأصول : وفاء الحب .

فبقي عليه لقباً ، واشتهر به ١ .
والرسي : بفتح الراء والسين المشددة المهمله ، قال ابن السمعاني : هذه نسبة
إلى بطن من بطون السادة العلوية .

٥٤

أبو الرقعمق

أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر المشهور ؛
ذكره الثعالبي في « اليتيمة » فقال في حقه : « هو نادرة الزمان ، وجملة
الإحسان ، ومن تصرف بالشعر في أنواع الجد والهزل ، وأحرز قصب الحصل ،
وهو أحد المداح المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق .
فمن غرر محاسنه قوله يمدح أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بن
المعز العبيدي صاحب مصر ، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى :

قد سَمِعنا مقالَهُ واعتذارَهُ وأقلنَاهُ ذنبَهُ وعِثارَهُ
والمعاني لمن عَنَيْتُ ولكن بِيكَ عَرَضْتُ فاسمعي يا جاره
مَنْ تُرَادِيهِ أَنه أَبَدَ الدَّه ر تراه مُحَلَّلًا أزرارَهُ
عالم أَنه عَذَابٌ من الا ه مُتَّاحٌ لأَعْيُنِ النَّظَّارِهِ
هتَكَ اللهُ سترَهُ فلكم هتَه ك مِنِ ذِي تَسْتَرٍ أَسْتارِهِ
سَحَرْتَنِي أَلْحَاطُهُ وكَذَا ك لٌ مَلِيحٌ أَلْحَاطُهُ سَحَّارَهُ
ما على مؤثِرِ التَّبَاعُدِ والإء راضٍ لَوْ آثَرَ الرُّضَى والزَّيارَهُ

١ أورد هذا في عدة أنساب الطالبين ص : ١٤١ ثم قال : وطباطبا بلسان النبطية : « سيد
السادات » .

٥٤ - له ترجمة في اليتيمة ١ : ٣٢٦ ، والوافي ٨ ، الورقة : ٥٥ والشذرات ٣ : ١٥٥ والمبر ٣ :
٧٠ ومعاهد التنخيص ٢ : ٢٥٣ .

وعلى أنني وإن كان قد عَذَبَ
لم أزل لأعدمتُه من حبيبٍ
ومن مديحها :

لم يدع لي العزيزُ في سائر الأَرْضِ
كلَّ يَوْمٍ له على نُوبِ الدَّهْدِ
ذو يدٍ شأنها الفرارُ من البخ
هي فلتتْ عن العزيزِ عِدَاهُ
هكذا كلُّ فاضلٍ يَدُهُ تُمُذُّ
فاستجبره فليس يأمنُ إلاَّ
وإذا ما رأيتَهُ مُطْرِقاً يُعْذُ
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً
لا ولا مَوْضِعاً من الأرض إلاَّ
زادهُ اللهُ بَسْطَةً وكَفَاهُ

وأكثر شعره جيد ، وهو على أسلوب شعر صريع الدلاء القصار البصري .
وأقام بمصر زمناً طويلاً ، ومعظم شعره في ملوكها ورؤسائها ، ومدح بها
المعز أبا تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، وولده العزيز ،
والحاكم بن العزيز ، والقائد جوهرأ ، والوزير أبا الفرج ابن كلس ، وغيرهم من
أعيانها ، وكل هؤلاء المدوحين سيأتي ذكرهم في تراجمهم إن شاء الله تعالى .
وذكره الأمير المختار المسبّحي في « تاريخ مصر » وقال : توفي سنة تسع
وتسعين وثلثائة ، وزاد غيره : في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان ، وقيل :
في شهر ربيع الآخر ، رحمه الله تعالى ؛ وأظنه توفي بمصر .
والأنطاكيّ - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وبعد الألف
كاف - هذه النسبة إلى أنطاكية وهي مدينة بالشام بالقرب من حلب .
والرَقَعَمَق - بفتح الراء والقاف وسكون العين المهملة وفتح الميم وبعدها
قاف - وهو لقب عليه .

جحظة البرمكي

أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف
بجحظة البرمكي النديم؛ كان فاضلاً صاحب فنون وأخبار ونجوم ونوادير ومنادمة،
وقد جمع أبو نصر ابن المرزبان أخباره وأشعاره، وكان من ظرفاء عصره،
وهو من ذرية البرامكة، وله الأشعار الرائقة، فمن شعره قوله:

أنا ابن أناسٍ مَوَّلَ الناسَ جودُهُمُ فأضحوا حديثاً للنَّوَالِ المشهَرِ
فلم يَخُلْ من إحسانهم لَفِظُ خَبْرٍ ولم يَخُلْ من تَقْرِيطِهِمْ بطنُ دَفْتَرِ
وله أيضاً:

فقلتُ لها بَخِلتِ عَلِيَّ يَقْظَى فجودي في المنامِ مُسْتَهَامِ
فقالَت لي وصرتِ تَنَامُ أيضاً وتطمعُ أن أزوركِ في المَنَامِ
وله أيضاً:

أصبحتُ بينَ معاشِرِ هَجَرُوا النديَّ وتقبلوا الأخلاقَ من أسلافِهِمْ
قومٌ أحاولُ نيلَهُمْ فكأنَّما حاولتُ نَتَفَ الشَّعْرِ من آنافِهِمْ
هاتِ اسقِنِيها بالكبيرِ وغنَّني «ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافِهِمْ»
وله أيضاً:

يا أَيُّها الركبُ التَّديُّ ن فراقُهُمْ إحْدَى البليَّةِ

٥٥ - لجحظة البرمكي ترجمة في معجم الأدباء ٢ : ٢٤١ وتاريخ بغداد ٤ : ٦٥ والفهرست ١٤٥ :
وله تصانيف ذكرها ابن النديم منها : كتاب الطبيخ ، وكتاب الطنبوريين ، وكتاب الترمذيين...
وذكر ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣٢٤ ، وأنه كان وسخاً قدراً دني النفس .

يُوصِيكُمُ الصَّبُّ الْمُقَيِّمُ مٌ بقلبه خَيْرَ الوَصِيَّةِ

وله أيضاً :

وقائلة لي كيف حالك بعدنا أفي ثوبٍ مثيرٍ أنتَ أم ثوبٍ مُقْتَرِرٍ
فقلتُ لها لا تسأليني فإنّني أروحُ وأغدو في حرامٍ مُقْتَرِرٍ

وله ديوان شعر أكثره جيد ، وقضاياه مشهورة ، ومن أبياته السائرة قوله :

ورقّ الجوِّ حتّى قيلَ هذا عتابٌ بينَ جَحْظَةَ والزَّمانِ

ولابن الرومي فيه ، وكان مُشوّه الخَلق :

نُبِّئْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعِيرُ جُحُوظَهُ مِنْ فِيلِ شَطْرَنْجٍ وَمِنْ سَرَطَانِ
وَأَرْحَمًا لِمُنَادِيهِ تَحَمَّلُوا أَلَمَ العُيُونِ للذِّةِ الأَذَانِ

(١٧)* وتوفي سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وقيل : سنة أربع وعشرين ،

بواسط ، وقيل : حمل تابوته من واسط إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

وجحظة - بفتح الجيم وسكون الحاء المهمله وفتح الظاء المعجمة وبعدها

هاء - وهو لقب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز .

قال الخطيب : وكانت ولادته في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين . وله

ذكر في « تاريخ بغداد » ، وفي كتاب « الأغاني » .

ابن دراج القسطلبي

أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب ؛ كان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره ، وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المقدمين ، ذكره أبو منصور الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، وقال في حقه : « كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام ، وهو أحد الشعراء الفحول ، وكان يجيد ما ينظم ويقول » ، وأورد له أشعاراً حسنة ، وذكره أبو الحسن ابن بسّام في كتاب « الذخيرة » ، وساق طرفاً من رسائله ونظمه ، ونقلت من ديوانه - وهو جزءان - أن المنصور بن أبي عامر أمره أن يعارض قصيدة أبي نواس الحكمي التي مدح بها الحُصَيْبَ بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر التي أولها :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ
فَعَارِضُهَا بِقَصِيدَةٍ بَلِيغَةٍ ، مِنْ جَمَلَتِهَا ٢ :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بِيوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورٌ
تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ ، وَإِنَّهُ لَتَقْبِيلُ كَفِّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرِ

٥٦ - راجع ترجمته في الذخيرة ١/١ : ٤٣ والجذوة : ١٠٢ والصلة : ٤٤ والمغرب ٢ : ٦٠ واليتيمة ١ : ٤٣٨ والوافي ٨ ، الورقة : ٢٢ والمسالك ١١ : ٢٠١ والمغرب ٣ : ١٤٢ والشذرات ٣ : ٢١٧ وقد نشر ديوانه بتحقيق الدكتور محمود مكي (دمشق : ١٩٦١) وانظر في مقدمته مزيداً من المصادر عنه وعن شعره .

١ قال في شرح ديوان أبي نواس (١ : ٢١٥) : هو دهقان من أهل المذار شريف الآباء وليس بابن صاحب نهر أبي الحُصَيْبِ ، ذلك عبد المنصور ، وهذا كان رئيساً في أرضه فانتقل إلى بغداد وأصبح كاتب مهرويه الرازي ثم انتقل إلى الامارة .
٢ ديوانه : ٢٩٨ .

دعيني أريد ماء المفاوز آجناً إلى حيث ماء المكرمات نير
فإن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير

ومنها في وصف وداعه لزوجته وولده الصغير :

ولما تَدَانَتْ لِلوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المودَّةِ وَالهوى
عَيِّي بِمَرْجُوعِ الخُطَابِ وَلِظُهُ
تَبَوُّاً مَمْنُوعِ القلوبِ وَمُهَدَّتْ
فَكُلْ مُفدَاةَ التَّرَائِبِ مُرْضِعِ
عَصِيَّتْ شَفِيعَ النفسِ فِيهِ وَقَادِنِي
وَطَارَ جَنَاحُ البَيْنِ بِي وَهَفَّتْ بِهَا
لِئِنْ وَدَّعْتَ مَنْسِي غَيُوراً فَإِنِّي
وَلَوْ شَاهَدْتَنِي وَالهَوَاجِرُ تَلْتَضِي
أَسْلَطُ حَرَّ الهَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا
وَأَسْتَنشِقُ النُّكْبَاءَ وَهِيَ لَوَافِحُ
وَالْمَوْتِ فِي عَيْنِ الجَبَانِ تَلَوْنُ
لَبَانَ لَهَا أَنِي مِنَ البَيْنِ جَازِعُ
أَمِيرُ عَلَى غَوْلِ التَّنَائِفِ مَا لَهُ
وَلَوْ بَصُرْتَ بِي وَالسُّرَى جُلُّ عَزْمِي
وَأَعْتَسِفُ المُوَامَةَ فِي عَسَقِ الدُّجَى
وَقَدْ حَوَّمتُ زَهْرُ النُّجُومِ كَأَنَّهَا
وَدَارَتْ نَجُومُ القُطْبِ حَتَّى كَأَنَّهَا
وَقَدْ خَيَّلَتْ طُرُقَ المَجْرَّةِ أَنَّهَا
وَنَاقِبُ عَزْمِي وَالظَّلَامُ مُرَوِّعُ

بصبريَ منها أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
وَفِي المَهْدِ مَبْعُومِ النِّدَاءِ صَغِيرِ
بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَيْرِ
لَهُ أَذْرُعُ مَحْفُوفَةٌ وَنَحُورِ
وَكُلِّ مُحَيِّقَةِ المَحاسِنِ ظِيرِ
رَوَاحٌ لَتَدَّ أَبَ السُّرَى وَبُكُورِ
جَوَانِحُ مِنْ ذُعُرِ الفِرَاقِ تَطِيرِ
عَلَى عَزْمِي مِنْ شَجْوِهَا لِيُغِيرِ
عَلِيَّ وَرُقْرَاقُ السُّرَابِ يُمُورِ
عَلَى حُرِّ وَجْهِي وَالأَصِيلُ هَجِيرِ
وَأَسْتَوِطِي الرَّمْضَاءَ وَهِيَ تَقُورِ
وَاللَّذْعُرُ فِي سَمْعِ الجُرِيِّ صَفِيرِ
وَأَنِي عَلَى مَضِّ الخُطُوبِ صَبُورِ
إِذَا رِيسِعُ إِلا المَشْرِفِي وَزِيرِ
وَجَرَسِي لِجِنَانِ الفِلاةِ سَمِيرِ
وَللأَسَدِ فِي غَيْلِ الغِيَاضِ زَفِيرِ
كَوَاكِبُ فِي خُضْرِ الحَدَائِقِ حُورِ
كُؤُوسُ مَهَاً وَالى بَيْنِ مُدِيرِ
عَلَى مَفْرَقِ اللَيْلِ البَسِيمِ قَتِيرِ
وَقَدْ غَضَّ أَجْفَانَ النُّجُومِ فَتُورِ

١ المها : البلور .

٢ القتير : الشيب .

لقد أيقنت أن المنى طوع همتي وأني بعطف العامري جدري

وهي طويلة ، وفي هذا القدر منها كفاية . وإذ قد ذكرت هذه القصيدة فينبغي أن أذكر شيئاً من قصيدة أبي نؤاس التي وازنها أبو عمر ؛ وكان أبو نؤاس قد خرج من بغداد قاصداً مصر ليمدح أبا نصر الخصب بن عبد الحميد صاحب ديوان الخراج بها ، فأنشده هذه القصيدة ، وذكر المنازل التي مرَّ عليها في طريقه ، وقد ذكرت منها بيتاً في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزبي ، ولا حاجة إلى ذكر جميعها فإنها طويلة ، لكن أذكر الذي اختاره منها ، فمن ذلك^١ :

تقول التي من بيتها خف محلي^٢ عزيز عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ
أما دُونَ مَصْرٍ لِلغنى مُتَطَلَّبٌ بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادِرٍ جرت فَجَرَى من جَرِيهِنْ غدير
ذريني أَكْثَرُ حاسديك بِرِحْلَةٍ إلى بَلَدَةٍ فيها الخصبُ أمير
إِذَا لم تَزُرْ أَرْضَ الخصبِ رَكبْنَا فأَيُّ فتي بعُد الخصبِ تزور
فما جازهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولكن يصيرُ الجُودُ حيثُ يصير
فتسى يشترى حُسْنَ الثناءِ بِمالهِ ويعلمُ أن الدائِرَاتِ تَدُورُ
ومنها أيضاً :

فمن كان^٣ أمسى جاهلاً بمقالي فإنَّ أميرَ المؤمنينَ خيرُ
وما زلتَ تُوليه النصيحةَ يافعاً إلى أنْ بَدَا في العارضينَ قَتيرُ
إِذَا هالَهُ أمرٌ فإمّا كَفَيْتَهُ وإمّا عليه بالكفَى تُشيرُ

ثم شرع من ههنا في ذكر المنازل ، ثم قال في أواخرها :

١ ديوان أبي نؤاس ١ : ٢١٩ (تحقيق فاجتر) .

٢ الديوان : موكي .

٣ الديوان : فمن يك .

٤ الديوان : غاله ، والصواب « عاله » : أي غلبه .

زَهَا بِالْخَصِيبِ السِّيفُ وَالرُّمْحُ فِي الْوَعْيِ
 وَفِي السَّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ
 جَوَادٌ إِذَا الْإِنْدِي قُبِضْنَ عَنِ النَّدَى
 وَمِنْ دُونَ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَيُورٌ
 فَإِنِّي جَدِيرٌ إِنْ بَلَغْتُكَ لِلْغَنَى وَأَنْتَ لِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
 فَإِنْ تَوَلَّيْتَنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَادِرٌ وَشُكُورٌ

ثم مدحه بعد هذه بعدة قصائد ، ويقال إنه لما عاد إلى بغداد مدح الخليفة ، فقبل له : وأي شيء تقول فينا بعد أن قلت في بعض نوابنا :

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رَكَبْنَا

البيتان المذكوران ؛ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد يقول :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُنْثِي وَفَوْقَ الَّذِي نُنْثِي
 وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ومن شعر أبي عمر المذكور من جملة أبيات :

إِنْ كَانَ وَاوَدِيكَ مَمْنُوعًا فَمَوْعِدُنَا وَوَادِي الْكِرَى فَلَمَلِّي فِيهِ أَلْقَاكَ
 وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِ الْآخِرِ :

هَلْ سَبِيلٌ إِلَى لِقَائِكَ بِالْجَزْعِ فَإِنَّ الْحِمَى كَثِيرُ الْوِشَاةِ

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة^٢ ، وتوفي ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت^٣ من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

١ ديوان ابن دراج : ٥٣٩ وهو من انشادات الشعالي ، ولم يرد في أصل الديوان .

٢ أ ج : سنة ٣٤٩ .

٣ أ ج : خلت .

ودَرَّاج - بفتح الدال المهملة وفتح الراء المشددة وبعد الألف جيم - وهو اسم جده .
والقَسْطَلِّي - بفتح القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وتشديد اللام - هذه النسبة إلى قَسْطَلَّة^١ ، وهي مدينة بالأندلس يقال لها قسطلة دراج ، ولا أعلم أهي منسوبة إلى جده دراج المذكور أم إلى غيره ، والله سبحانه أعلم .

٥٧

ابن زيدون

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زَيْدُون المخزومي الأندلسي القُرْطُبِيُّ الشاعر المشهور؛ قال ابن بَسَّام صاحب « الذخيرة » في حقه : « كان أبو الوليد غايةَ منشورٍ ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حُرِّ الأيام حُرِّاً^٢ ، وفاق الأناج طُرِّاً^٣ ، وصرَّف السلطان نفعاً وضرراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً . إلى أدب ليس للبحر تدفُّقه ، ولا للبدر تألقه . وشعر ليس للسحر بيان ، ولا للنجوم الزُّهْرُ اقتترانه . وحَظَّ من النثر غريب المِبانِي ، شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، وبرع أدبه ،

١ يقول الدكتور مكي (مقدمة الديوان: ٢٩): أكثر الباحثين على انها (أي قسطلة) القرية الداخلة اليوم في حدود البرتغال وتسمى Cacella من أعمال منطقة الغرب (Algarve) وتقع على ساحل المحيط الأطلسي بين الحدود الإسبانية ومدينة طيبرة (Tavira)؛ وهذا تصحيح لرأي ابن سعيد الجغرافي الأندلسي الذي عدها من منطقة جيان؛ غير أن الدكتور المحقق يميل إلى رأي ابن سعيد.
٥٧ - لابن زيدون ترجمة في الذخيرة ١/١ : ٢٨٩ والقلائد : ٧٠ والمغرب ١ : ٦٣ والجذوة : ١٢١ والمطرب : ١٦٤ واعتاب الكتاب : ٢٠٧ والروافي ٧ ، الورقة : ٤٢ وقد نشر ديوانه عدة مرات آخرها بتحقيق الدكتور علي عبد العظيم (القاهرة : ١٩٥٧) وله في نفع الطيب أخبار وأشعار كثيرة .

٢ الذخيرة : أحد من جر الأيام جرأ .

وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه . ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد
عبادٍ صاحب إشبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فجعله من خواصه :
يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشاراته . وكان معه في صورة وزير . وذكر له
شيئاً كثيراً من الرسائل والنظم ، فمن ذلك قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
يا بائعاً حظّه مني ، ولو بُدلت
يكفيك أنك إن حمّلت قلبي ما
ته احتمل واستطلّ أصرّ وعزّ أهنّ
سرّ إذا ذاعت الأسرار لم يذرع
لي الحياة بحظي منه لم أبع
لا تستطيع قلوب الناس يستطيع
وولّ أقبّل وقبّل أسمع ومرّ أطع

ومن شعره أيضاً :

ودّع الصبر محبّ ودّعك
يقرع السنّ على أن لم يكن
يا أخا البدر سناء وسنا
إن يطلّ بعدك ليلى فلکم
ذائع من سره ما استودّعك
زاد في تلك الخطا إذ شيعك
حفظ الله زماناً أطلّعك
بت أشكو قصر الليل معك

وله القصائد الطنانة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت بعضها .

ومن بديع قلائده القصيدة النونية التي منها :

نكاد حين تُناجيك ضمائرنا
حالت لبعدمكم أيامنا فغدّت
بالأمس كنا وما يُخشى تفرّقنا
واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وهي طويلة ، وكل أبياتها نُخبّ ، والتطويل يخرج بنا عن المقصود .

وكانت وفاته في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة إشبيلية ،
رحمه الله تعالى ، ودفن بها .

١ أ ج : لفقدم .

(4) وذكر ابن بشكوال في كتاب « الصلة »^١ أباه وأثنى عليه ، وقال : كان يكنى أبا بكر . وتوفي بالبيرة سنة خمس وأربعمائة ، وسيق إلى قرطبة فدفن بها يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة . وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثمائة . وكان يخضب بالسواد ، رحمه الله تعالى .

(5) وكان لأبي الوليد المذكور ابنٌ يقال له أبو بكر^٢ ، وتولى وزارة المعتمد بن عباد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد المذكور لما استولى على مملكته ، كما سيشرح بعد هذا في ترجمة المعتمد وابن تاشفين إن شاء الله تعالى ، وذلك يوم الأربعاء ثاني صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وكان قتله بقرطبة .

وزيدون : بفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة وبعدها واو ونون .

وأما القرطبي فقد تقدم الكلام في ضبطه فلا حاجة إلى إعادته ، وذلك في ترجمة أحمد بن عبد ربه ، مصنف كتاب « العقد » ، وأخذها الفرنج من المسلمين في شوال سنة ثلاث وثلثين وستائة .

٥٨

ابن الأبار الخولاني

أبو جعفر أحمد بن محمد الخولاني^٣ الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الأبار

١ انظر الصلة : ٢٥٢ .

٢ اسم أبي بكر ابن زيدون (الابن) محمد، وقد كان في الوفد الذي أرسله المعتمد لاستصراخ يوسف ابن تاشفين .

٥٨ - ترجمة ابن الأبار الخولاني في الذخيرة ٢ : ٥٢ (نسخة بغداد) والمغرب ١ : ٢٥٣ والجذوة : ١٠٧ وبغية الملتصق (رقم : ٣٦٤) ومسالك الأبصار ١١ : ٤١٨ وله ذكر في النفع وكتاب البديع في وصف الربيع .

الشاعر المشهور ؛ كان من شعراء المعتضد عبّاد بن محمد اللّخمي صاحب إشبيلية، المهجدين في فنونه، وكان عالماً فجمع وصنف، وله في صناعة النظم فضل لا يرد، وإحسان لا يعدّ، فمن محاسن شعره قوله :

لم تَدْرِ ما خَلَّدَتْ عيناكَ في خلدي من الغرام ولا ما كَبَدَتْ كَبِدي
أفديه من زائر رامٍ الدثوّ فلم يَسْطِعهُ من غرقٍ في الدمعِ مُتَّقِدِ
خاف العيونَ فوافاني على عجلٍ معطّلاً جيدهُ إلا من الجيّدِ
عاطيته الكأس فاستحيّت مُدامتها من ذلك الشّتبِ المعسولِ والبرّدِ
حتى إذا غازلتُ أجفانهُ سنّةً وصيرتهُ يدُ الصهباءِ طَوْعَ يدي
أردتُ توّسيدهُ خدّي وقلّ لهُ فقال : كفضلك عندي أفضلُ الوُسْدِ
فبات في حرّم لا غدرٌ يذعرهُ وبتُ ظمآنَ لم أصدر ولم أُرِدِ
بدرٌ ألمٌ وبدرٌ التّمّ مُمتحقٌ والأفق محلوك الأرجاء من حسدِ
تخير الليلُ منه أينَ مطلعهُ أما درى الليلُ أنّ البدرَ في عَضدي

[وله أبيات ثابتة في المجموع الكبير بخطي في الكراس المنقول بالإسكندرية]
وله على هذا الأسلوب مقاطيع ملاح ، وله ديوان شعر ، وذكره ابن بسام في
« الذخيرة » .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والأبار : بفتح الهمة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء .
والخَوْلاني - بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعد اللام ألف ونون -
هذه النسبة إلى خَوْلان بن عمرو ، وهي قبيلة كبيرة نزلت الشام .
والإشبيلي : نسبة إلى إشبيلية - بكسر الهمة وسكون الشين المثناة وكسر
الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر اللام وفتح الياء تحتها نقطتان
وبعدها هاء - وهي من أعظم بلاد الأندلس .

١ هذه العبارة المزينة من ذات أهمية بالغة في الكشف عن مراحل تأليف « الوفيات » .

المنازي الكاتب

أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب ؛ كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء ، وزرّ الأبي نصر أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميافارقين وديار بكر - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - . وكان فاضلاً شاعراً كافياً ، وترسّل إلى القسطنطينية مراراً ، وجمع كتباً كثيرة ثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد ، وهي إلى الآن موجودة بخزائن الجامعين ، ومعروفة بكتب المنازي . وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعة النعمان ، فشكا أبو العلاء إليه حاله ، وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه ، فقال : ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ؟ فقال أبو العلاء : والآخرة أيضاً ؟ ! وجعل يكررها ، ويتألم لذلك ، وأطرق ولم يكلمه إلى أن قام ، وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنه وما هو عليه ، فعمل فيه هذه الأبيات ١ :

وقانا لفحة الرّمضاء وادٍ وقاه مُضاعفُ النبتِ العميم
 نزلنا دَوْحَهُ فحَنّا علينا حُنُوَ المرضِعاتِ على الفطيم
 وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً ألدّ من المدامة للنديم

٥٩ - للمنازي ذكر في العبر ٣ : ١٨٧ والشذرات ٣ : ٢٥٩ وترجمة في الوافي ٨ ، الورقة : ١٣١ ومعجم البلدان : (منازجرد) .

١ أكثر المشاركة على أن هذه الأبيات للمنازي ولكن الأندلسيين ينسبونها إلى الشاعرة حمدونة بنت زياد ؛ نقل صاحب النفع عن الرعيني قوله : « ان مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل الشرق » . وحكى ابن النديم في تاريخ حلب أن المنازي أنشدها لأبي العلاء فكان كلما أنشد مصراعاً سبقه أبو العلاء إلى الثاني (النفع ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ ط. صادر) .

٢ ج : الفيث .

يُرَاعِي الشَّمْسُ أَنْسَى قَابَلْتَهُ^١ فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تُرْوَعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى فَتَلْمُسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ

وهذه الأبيات بديعة في بابها .

وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب « زينة الدهر »^٢ وأورد له شيئاً من شعره ، فما أورد له قوله :

ولي غلامٌ طال في دقةٍ كخط إقليدس^٣ لا عَرَضَ له
وقد تناهى عقله خِفَّةً^٤؛ فصار كالنقطة لا جُزءَ له

ويوجد له بأيدي الناس مقاطيع . وأما ديوانه فعزيز الوجود ، وبلغني أن القاضي الفاضل^٥ - رحمه الله تعالى - أوصى بعض الأدياء السَّقَّارة أن يحصل له ديوانه ، فسأل عنه في البلاد التي انتهى إليها فلم يقع له على خبر ، فكتب إلى القاضي الفاضل كتاباً يخبره بعدم قدرته عليه ، وفيه أبيات من جملتها عجز بيت وهو :

وأقفر من شِعْرِ الْمَنَازِي الْمَنَازِلُ

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والمَنَازِي - بفتح الميم والنون ، وبعد الألف زاي - هذه النسبة إلى منازلِ جَرْدَ - بزيادة جيم مكسورة وبعدها راء ساكنة ثم دال مهملة - وهي مدينة عند خرت برت ، وهي غير مَنَازِكِرْدَ القلعة من أعمال خلاط - وسيأتي ذكرها في ترجمة تقي الدين عمر صاحب حماة - .

١ أ ج ٥ : قابلتنا .

٢ هو ذيل على دمية القصر لأبي المعالي سعد بن علي المعروف بالوراق الحظيري المتوفى سنة ٥٦٨ هـ (كشف الظنون ٢ : ٩٧٢) .

٣ ب : اوقليدس .

٤ د : قلة ؛ ه : دقة .

٥ د : الفاضل عبد الرحيم .

وخرت برت : هي حصن زياد المشهور .
وبُزاعا - بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة ثم ألف -
وهي قرية كبيرة ما بين حلب ومنبج في نصف الطريق .

٦٠

ابن الخياط الدمشقي

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلي المعروف بابن
الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب ؛ كان من الشعراء المجيدين ، طاف البلاد ،
وامتدح الناس ، ودخل بلاد المعجم وامتدح بها ، ولما اجتمع بأبي الفتيان ابن
حيثوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نَعَانِي هذا الشاب
إلى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهرَ فيها إلا وكان دليلاً على موت الشيخ من
أبناء جنسه ، ودخل مرة إلى حلب وهو رقيق الحال لا يقدر على شيء ، فكتب
إلى ابن حيثوس المذكور يستمنحه شيئاً من بره يهذين البيتين^٢ :

لم يَبْتَقَ عندي ما يُباعُ بحبِّةٍ وكفالكَ علماً مَنْظَرِي عن مَخْبَرِي
إلا بقيةَ ماء وجهٍ صُنْتُهَا عن أن تباعَ وأين أين المشتري

فلما وقف عليها ابن حيوس قال : لو قال « وأنت نعم المشتري » لكان
أحسن .

ولا حاجة إلى ذكر شيء من شعره لشهرة ديوانه ، ولو لم يكن له إلا

٦٠ - ترجمة ابن الخياط الدمشقي في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٦٧ وابن القلانسي : ٢٣٤ والوافي
٨ ، الورقة : ٢٩ والعبر : ٤ : ٣٩ والشذرات : ٤ : ٥٤ وديوانه مطبوع بتحقيق الرحوم
خليل مردم (دمشق : ١٩٥٨) .

١ ج : يستميحه .

٢ ديوانه : ٢٧٨ .

قصيدته البائية التي أولها :

خُذنا من صَبَا نَجِدِ أماناً لقلبه فقد كاد رِيَّاهَا يطيرُ بلبه
لكفاه ، وأكثر قصائده غرر ، وتتمه هذه القصيدة :

وإياكما ذاك النَّسِيمَ فَإِنَّهُ مَتَى هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خُطْبِهِ
خَلِيلِي لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا مَحَلَّ الْهُوَى مِنْ مُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبَّهِ
تَذَكَّرْ وَالذِّكْرَى تَشْوَقُ وَذُو الْهُوَى يَتَوَقَّعُ وَمَنْ يَعْطِقُ بِهِ الْحُبُّ يُصْبِيهِ
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهُوَى وَرَجَائِهِ وَشَوْقُهُ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي الرَّكْبِ مَطْوِي الضُّلُوعُ عَلَى جَوَى مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلْبِسُهُ
إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ نَفْحَةٌ تَضْمَنُ مِنْهَا دَاوَاهُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمَحْتَجِبُ بَيْنِ الْأَسْنَةِ مَعْرُضٌ وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ حَذَارًا وَخَوْفًا أَنْ تَكُونَ لِحَبِّهِ

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر .
ومن شعره أيضاً قوله^٢ :

سَلُوا سَيْفَ أَلْحَاطِهِ الْمَمْتَشِقُ أَعِنَدَ الْقُلُوبِ دَمٌ لِلْحَدَقِ
أَمَا مِنْ مُعِينٍ وَلَا عَادِرٍ إِذَا عَنَفَ الشَّوْقُ يَوْمًا رَفَقَ
تَجَلَّى لَنَا صَارِمُ الْمُقْلَتِي نِ مِضْنِي^٣ الْمَوْشِحِ وَالْمُنْتَطِقِ
مِنَ التُّرْكِ مَا سَهْمُهُ إِذْ رَمَى بِأَفْتِكَ مِنْ طَرَفِهِ إِذْ رَمَى
وَلَيْلَةَ وَافَيْتُهُ زَائِرًا سَمِيرَ السَّهَادِ ضَجِيعَ الْقَلْقِ
دَعَتْنِي الْخَافَةَ مِنْ فَتْكَ إِلَيْهِ ، وَكَمْ مُقَدِّمٍ مِنْ فَرَقِ
وَقَدِ رَاضَتِ الْكَأْسُ أَخْلَاقَهُ وَوَقَّرَ بِالسُّكْرِ مِنْهُ النَّزَقِ

١ ديوانه : ١٧٠ . وهي في مدح مجد الدين أبق بن عبد الرزاق .

٢ ديوانه : ٢٢١ .

٣ الديوان : ماضي .

٤ الديوان : راقبته .

وَحُقَّ الْعِنَاقَ فَقَبَّلْتَهُ شَبِيَّ الْمَقْبَلِ وَالْمَعْتَسِقِ
وَبِتُّ أُخَالِجُ فِكْرِي بِهِ أَزْوَرُّ طَرَا أَمْ خِيَالِ طَرَقِ
أَفْكَرُ فِي الْهَجْرِ كَيْفَ انْقَضَى وَأَعْجَبُ لِلْوَصْلِ كَيْفَ اتَّفَقَ
وَلِلْحَبِّ مَا عَزَّ مِنِّي وَمَا نَ وَاللَّحْسَنِ مَا جَلَّ مِنْهُ وَدَقَّ

ويعجبني من شعره بيتان من جملة قصيدة ، وهما في غاية الرقة ١ :

وَبِالْجَزَعِ حَيٍّ كَمَا عَنَّ ذَكَرُهُمْ أَمَاتِ الْهُوَى مِنِّي فَوَادًا وَأَحْيَاهُ
تَمْنِيَتُهُمْ بِالرَّقَمَتَيْنِ وَدَارُهُمْ بُوَادِي الْغَضَا يَا بُعْدَ مَا أَمْتَنَاهُ

ومن شعره أيضاً يعتب على أهله وأصحابه ٢ :

يَا مَنْ بِمَجْتَمَعِ الشَّطِّينِ إِنْ عَصَفَتْ بِكُمْ رِيَاحِي فَقَدْ قَدَّمْتُ أَعْدَارِي
لَا تَنْكُرُنَّ رَحِيلِي عَنْ دِيَارِكُمْ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى ضِمِّ بَصْبَارِ

وله أيضاً ٣ :

أَتُظَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَحِيلُ عَنْكَ الدَّهْرَ وَدُدِّي
مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ مِنْهُ أَلْفَ بُدِّ

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة بدمشق ، وتوفي بها في حادي عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وقيل : إنه مات في سابع عشر شهر رمضان ، والأول أصح .

١ ديوانه : ٧٣ .

٢ ديوانه : ١٥٦ .

٣ ديوانه : ١٣٩ .

الميداني

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب ؛ كان فاضلاً عارفاً باللغة ، اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير ، ثم قرأ على غيره ، وأتقن فن العربية خصوصاً اللغة وأمثال العرب ، وله فيها التصانيف المفيدة ، منها كتاب « الأمثال » المنسوب إليه ولم يعمل مثله في بابه ، وكتاب « السامي في الأسماء » وهو جيد في بابه ، وكان قد سمع الحديث ورواه ، وكان ينشد كثيراً وأظنها له :

تنفَسَ صُبْحُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ عَارِضِي فَقُلْتُ عَسَاهُ يَكْتَفِي بِعِذَارِي
فَلَمَّا فَشَا عَاتَبْتُهُ فَأَجَابَنِي أَلَا هَلْ تَرَى صُبْحًا بِغَيْرِ نَهَارِ

وتوفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان عشرين وخمسة نيسابور ، ودُفِنَ على باب ميدان زياد .

والميداني - بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن ، وهي محلة في نيسابور .

وابنه أبو سعد سعيد بن أحمد كان أيضاً فاضلاً دينا ، وله كتاب « الأسماء في الأسماء » ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

٦١ - للميداني ترجمة في معجم الأدباء ٥ : ٤٥ وانباء الرواة ١ : ١٢١ ونزهة الالباء : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ١٥٥ والبداية والنهاية ١٢ : ١٩٤ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٧ .
١ كذا ورد اسمه وفي كشف الظنون : أسماء ، ولعله «أسمى» ؛ وقد ذكر أنه أخذه من كتاب أبيه .

ابن الخازن الكاتب

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن ،
الكاتب الشاعر الدينوري الأصل البغدادي المولد والوفاة ؛ كان فاضلاً فادرة
في الخط أوحده وقته فيه ، وهو والد أبي الفتح نصر الله الكاتب المشهور ، كتب
من المقامات نسخاً كثيرة وهي موجودة بأيدي الناس ، واعتنى بجمع شعر
والده فجمع منه ديواناً ، وهو شعر جيد حسن السبك جميل المقاصد ، فمن
ذلك قوله ، وهو من المعاني البديعة :

مَنْ يَسْتَقِمُ يُحْرَمُ مِنْهُ ، وَمَنْ يَزِغُ
انظُرْ إِلَى الْأَلْفِ اسْتِقَامَ فِقَاتِهِ
يَخْتَصُّ بِالْإِسْعَافِ وَالتَّمَكِينِ
عَجْمُهُ وَفَازَ بِهِ اعْوَجَاجُ النُّثُونِ
وله أيضاً :

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ حَجَبُوهُ بِمَثَلِهِ
مَنْ رَامَهُ فليدْرِعْ صَبْرًا عَلَى
فِي لَوْنِهِ وَالْقَدِّ وَالْعَسَلَانِ
طَرَفِ السَّنَانِ وَطَرَفِ الوَسْنَانِ
سَكْرَانُ بِي مِّنْ حُبِّهِ سَكْرَانِ
أُرْسَلَتْ فَضْلَ عِنَانِهِ عَنِّي
رَاحُ الصَّبَا تَثْنِيهِ لَا رِيحُ الصَّبَا
طَرَفُ كَطَرَفِ جَامِحِ مَرِحِ مَتَى
وله أيضاً :

أَيَا عَالِمِ الْأَسْرَارِ إِنَّكَ عَالِمٌ
فَقْتَرْتُ غَرَامِي فِيهِ تَقْتِيرَ لِحْظِهِ
بِضَعْفِ اصْطِبَارِي عَنْ مُدَارَاةِ خُلُقِهِ
وَأَحْسَنُ عَزَائِي فِيهِ تَحْسِينَ خَلْقِهِ
فَحَمَلْتُ الرَّوَاسِي دُونَ مَا أَنَا حَامِلَةٌ
بِقَلْبِي الْمَعْنَى مِنْ تَكَالِيفِ عَشْقِهِ

وكتب إلى الحكيم أبي القاسم الأهوازي ، وقد فصدته فألمه :

رَحِيمَ الإلهُ مَجْدَلِينَ سَلِيمُهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبْضَعٍ بِالْمُبْضَعِ
فَعَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ فَتَطْوِي أذْرَعًا فِي الْأَذْرُعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُمْ وَخِزْأً بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةٌ أَسْهَمُ أَمْ ذُو الْفَقَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتَكَ بَعْدَهَا يَا عَنَتَرَ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدْرَعِ

وكان الحكيم المذكور قد أضافه يوماً وزاد في خدمته ، وكان في داره
بستان وحمام فأدخله إليها ، فعمل أبو الفضل المذكور :

وَأَقَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًا إِلَّا تَلَقَّيَانِي بِسِنَّ ضَاحِكِ
وَالْبِشْرِ فِي وَجْهِ الْغَلَامِ أَمَارَةٌ لِمُقَدِّمَاتِ حَيَاءِ وَجْهِ الْمَالِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَجِيمَهُ فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةً مَالِكِ

ثم إنني وجدت هذه الأبيات للحكيم أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن علي
الأهوازي الطبيب الأصبهاني ، ذكرها العماد الكاتب في « الخريدة » له ، وقال :
توفي سنة نيف وخمسين وخمسة ، وذكرها في ترجمة أبي الفضل ابن الخازن
المذكور ، والله أعلم لمن هي منها .

ومن شعره أيضاً - [أعني ابن الخازن] - :

وَأَهْيَفَ يَنْمِيهِ إِلَى الْعُرْبِ لَفْظُهُ وَنَاطِرُهُ الْفَتَانَ يُعْزِي إِلَى الْهِنْدِ
تَجَرَّعْتُ كَأْسَ الصَّبْرِ مِنْ رُقْبَائِهِ لِسَاعَةٍ وَصَلَ مِنْهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
وَهَادَنْتُ أَعْمَاماً لَهُ وَخَوْوَلَةً سَوَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ غَيُورٍ عَلَى الْخَدِّ
كَنْقَطَةَ مَسْكَ أَوْدَعْتُ جِلْسَانَةً رَأَيْتُ بِهَا غَرْسَ الْبِنْفَسِجِ فِي الْوَرْدِ

[وكان أبو بكر الخوارزمي يروي لمعاً من شعره كقوله في وصف العيار ،

وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه وهو :

إن هذا العيار ألبس عطفي عسلياً وديني التوحيد] .

وله أيضاً :

وافى خيالك فاستعارت مقلتي من أعين الرقباء غمضاً مروّع
ما استكملت شفتاي لشتم مسلّم منه ولا كفتاي ضمّ مودّع
وأظنهم فطنوا فكلّ قائل لو لم يزره خيالها لم يهجع
فانصاع يسرق نفسه فكأنما طلّع الصباح بها وإن لم يطلع

وجل شعره مشتمل على معان حسان .

وكانت وفاته في صفر سنة ثمان عشرة وخمسة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وقال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » : توفي سنة اثني عشرة وخمسة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وكان ولده أبو الفتح نصر الله المذكور حياً في سنة خمس وسبعين وخمسة ولم أقف على تاريخ وفاته .

٦٣

ناصر الدين الأرجاني

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني الملقب ناصر الدين ؛ كان قاضي تُسْتَرَ وعسكر مُكْرَم ، وله شعر رائع في نهاية الحسن ، ذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الحريدة » فقال : كان الأرجاني في عنفوان عمره

٦٣ - راجع ترجمة الأرجاني في طبقات السبكي ٤ : ٥١ والوافي ٧ ، الورقة : ١٨١ والعبر ٤ : ١٢١ والشذرات ٤ : ١٣٧ ، وله ديوان مطبوع .

بالمدرسة النظامية بأصبهان ، وشعره من آخر عهد نظام الملك ، منذ سنة نيف
 وثمانين وأربعمائة ، إلى آخر عهده ، وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ولم يزل
 نائب القاضي بعسكر مُكْرَم ، وهو مبجل مكرم ، وشعره كثير والذي
 جمع منه لا يكونُ عشره ، ولما وافيت عسكر مُكْرَم سنة تسع وأربعين
 وخمسمائة لقيت بها ولده محمداً رئيس الدين أعارني إضبارة كبيرة من شعر والده .
 منسبتُ شجرته أَرْجَان ، وموطن أسرته تُسْتَر وعسكر مُكْرَم من
 خوزستان ، وهو وإن كان في العجم مولده ، فمن العرب محتده ، سلفه القديم
 من الأنصار ، لم يسمح بنظيره سالف الأعصار ، أَوْسِي الأَسْ خَزْرَجِيَّة ،
 قسيُّ النطق إِيَادِيَّة ، فارسي القلم وفارس ميدانه ، وسلمان برهانه ، من أبناء
 فارس الذين نالوا العلم المتعلق بالثريا ، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا .
 انتهى كلام العماد .

قلت : ونقلت من ديوانه أنه كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان ، تارة
 بتُسْتَر وتارة بعسكر مُكْرَم ، مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبد
 القاهر بن محمد ، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء ، وفي ذلك يقول :

وَمِنَ النَّوَابِ أَنِّي فِي مِثْلِ هَذَا الشُّغْلِ نَائِبٌ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ لِي صَبْرًا عَلَى هَذِهِ الْعَجَائِبِ

وكان فقيهاً شاعراً ، وفي ذلك يقول :

أَنَا أَشْعَرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرَ مَدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ ، أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
 شَعْرِي إِذَا مَا قَلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّبَعِ لَا بِتَكْلُفِ الْإِلْقَاءِ
 كَالصَّوْتِ فِي قَلْلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوِبَ الْأَصْدَاءِ

ومن شعره أيضاً :

شَاوَرُ سَوَاكِ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ

ومن شعره أيضاً :

ما جُبْتُ آفاقَ البلادِ مُطَوِّفًا
سعيي إليكم في الحقيقة ، والذي
أنحوكمُ ويردُّ وجهي القهقري
فالقصدُ نحو المشرق الأقصى لكم
إلا وأنتم في الورى مُتَطَلِّبي
تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
عنكم فسيري مثل سِير الكوكب
والسير رأي العين نحو المغرب

ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى بعض الرؤساء يعتب عليه لعدم سؤاله عنه
وقد انقطع عنه مدة :

نفسى فِداؤُكَ أَيْها الصاحبُ
لِمَ طالَ تقصيري وما عاتبتني
ومن الدليل على ملائِكَ أني
وإذا رأيتَ العبدَ يَهْرُبُ ثم لم
وله أيضاً ، وهو معنى غريب :

رثى لي وقد ساوَيْتَه في نُحُولِه
فدَلَسَ بي حَتَّى طَرَقَتْ مَكَانَه
وبتئنا ولم يَشعُرْ بنا الناسُ ليلَةً
وله من قصيدة وأجاد فيها :

تأملُ تحتَ ذلكَ الصُدغِ خالاً
وله أيضاً :

سَبْتُ أَنَا والتَّحَى حَبِيبِي
وإبْيَضَ ذلكَ السوادُ مِنِّي
وبانَ عَنِّي وبنَتُ عَنهُ
واسودَّ ذلكَ البياضُ مِنهُ

وله أيضاً :

سأل الفضا عنه وأصغى للصدى
ناداه أين ترى مَحَطُّ رحالِه
كما يُجيبَ فقال مثلَ مقالِه
فأجابَ أين ترى مَحَطُّ رحالِه

وله أيضاً :

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ^١ لسرّني جَهلي كما قد ساءني ما أعلمُ
كالصَّغو يرتعُ في الرياض ، وإنما حبسَ الهزارُ لأنه يترنمُ^٢

ومثله قول بعضهم :

يَقصدُ أهلَ الفضلِ دونَ الوَري مَصائبُ الدُّنيا وآفاتُها
كالطيرِ لا يُحبسُ من بينها إلاّ التي تُطربُ أصواتُها

وهذا ينظر إلى قول الغزي أبي إسحاق المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة :

لا غَروَ أن تَجني عليّ فضائي سببُ احتراقِ المندليّ دُخانهُ

ونقتصر على هذه المقاطيع من شعره ، ولا حاجة إلى ذكر شيء من قصائده المطولات خوفاً من الإطالة .

وله أيضاً :

أحبُّ المرءَ ظاهرُهُ جميلُ لصاحبهِ وباطنُهُ سليمُ
مودتُهُ تدومُ لكلِّ هوَلٍ وهَلٍ كلُّ مودتِهِ تدومُ

وهذا البيت - أعني الثاني منها - يُقرأ معكوساً، ويوجد في ديوان الغزّي المذكور أيضاً ، والله أعلم .

وله ديوان شعر فيه كل معنى لطيف .

ومولده سنة ستين وأربعمائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسة مائة بمدينة تُسْتَر ، رحمه الله تعالى ، وقيل بعسكر مكرم .

والأرجاني - بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى أرجان ، وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان ،

١ : ما أقول .

٢ : يتكلم ؛ والصمو : عصفور صغير .

وأكثر الناس يقولون : إنها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبي في شعره مخففة في قوله^١ :

أرْجَانٌ أَيْتَهَا الْجِيَادُ ، فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُّ^٢ الْوَشِيحَ مُكْسَرًا
وحكاها الجوهري في « الصحاح » ، والحازمي في كتابه الذي سماه « ما اتفق لفظه واقترق مسماه » بتشديد الراء .

وتُسْتَرُ - بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء - مدينة مشهورة بخوزستان ، والعامية تسميها شتر .

وعسکر مكرم - قد اختلفوا في مكرم ، فأكثر العلماء على أنه مكرم أخو مطرف بن سيدان بن عقيلة بن ذكوان بن حيتان بن الخرزق بن عيلان بن حاوّة بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معدّ بن عدنان ، هكذا نسبه استخرجته على هذه الصورة من كتاب « الجمهرة » لابن الكلبي ، وليس في نسبه باهلة ، ومكرم المذكور يعرف بمكرم الباهلي الحاوي ، والله أعلم . وقيل^٣ : هو مكرم أحد بني جَمُونَةَ العامري . وقيل : هو مكرم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي ، نَزَلَهُ لمحاربة خُرَزَادَةَ ابن بارس فسمي بذلك .

وخُوَزَسْتَان - بضم الخاء المعجمة وبعء الواو زاي ثم سين مهملة - وهو إقليم متسع بين البصرة وفارس .

١ من قصيدته في مدح ابن العميد .

٢ أ : يدع .

ابن منير الطرابلسي

أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور ؛ له ديوان شعر ، وكان أبوه ينشد الأشعار ، ويفغي في أسواق طرابلس^٢ ، ونشأ أبو الحسين المذكور ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة والأدب ، وقال الشعر ، وقدم دمشق فسكنها ، وكان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان ، ولما كثر منه ذلك سجنه بوري بن أتابك طغتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه ، ثم شفّعوا فيه فنفاه ، وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني^٣ مكاتبات وأجوبة ومهاجاة ، وكانا مقيمين بجلب ومتنافسين في صناعتها كما جرت عادة المتائلين .

ومن شعره من جملة قصيدة :

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نزيلهُ في منزلٍ فالحزمُ أن يترحّلاً
كالبدرِ لما أن تضاعَلَ جدّ في طلب الكمالِ فحازهُ مُتَنَقِّلاً
سفهًا لحلمك أن رَضيتَ بِمَشْرَبٍ رَتَقٍ ورزقُ الله قد ملأ المِلا
ساهمتَ عَيْسِكَ مُرَّ عَيْشِكَ قاعداً أفلا فليتَ بهنَّ ناصيةَ الفِلا

٦٤ - أظنّب العماد في ترجمته وإيراد المختار من شعره في الخريدة (قسم الشام) ١ : ٧٦ وله ترجمة في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٩٧ وابن القلانسي : ٣٢٢ والوافي ٨ ، الورقة : ٨٧ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٩ والشذرات ٤ : ١٤٦ وله شعر كثير في « الروضتين » لأبي شامة .

١ أ : يعمل .

٢ أ هـ : ويفغي في الأسواق بطرابلس .

٣ انظر الخريدة المذكورة : ٩٦ والحاشية ونشأ بقيصرية فلسطين ، وولد بعكا ، ثم انتقل عن بلاده إلى دمشق .

٤ أ : يتحوّلا ، وبعض الأبيات في الخريدة : ٨٩ .

فارق تَرَقُّ كَالسيفِ سُلِّ فبان في
لا تحسبنَ ذهابَ نَفْسِكَ مِيتَةً
لِلْفَقْرِ لا لِلْفَقْرِ هِيباً إِنَّمَا
لا تَرْضَ من دُنْيَاكَ ما أَدْنَاكَ من
وَصِلِ الهَجِيرَ بِهَجْرٍ قومَ كَمَا
مِنْ غادرٍ خَبِثَتْ مِغَارِسُ وِدِهِ
لِللَّهِ عَمِي بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
طَبِعُوا عَلَى لَوْمِ الطَّبَاعِ فَخَيْرُهُمْ
أَنَا مَنْ إِذَا ما الدَّهْرُ مَخْفُضِهِ
وَإِعْ خُطَابِ الخُطْبِ وَهُوَ مُجَمِّمٌ
زَعْمٌ كَنْبَلِجِ الصَّبَاحِ وَرَاءَهُ

ومن محاسن شعره القصيدة التي أولها :

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فِي صَدْرِ الرُّدَيْنِيِّ
وَأَنْزَلَ النِّيرَ الأَعْلَى إِلَى فَلَكَ
طَرْفٌ رَنَا أَمِ قِرَابِ سُلِّ صَارِمُهُ
أَدَلَّتْني بَعْدَ عَزِّ وَالهُوَى أَبْدَأُ
وَمَوْءَ السَّعْرَ فِي حَدِّ اليَمَانِيِّ
مَدَارُهُ فِي القَبَاءِ الخُسْرُوانِيِّ
وَأَغْيَدَ ماسَ أَمِ أَعْطافِ خُطْبِيِّ
يَسْتَعْبِدُ اللَّيْثَ لِلظَّيِّ الكِنَاسِيِّ

ومنها أيضاً :

أما وذائب مسكٍ من ذوائبه
وما يُجِنُّ عَقِيقِي الشِّفاهِ مِنَ الأِ
لوقيل للبدر من في الأرض تحسده
أرأيت عليّ بشتى من محاسنه
إباء فارس في لين الشام مع الظئ
وما المدامة بالآلباب أفتك من
على أعالي القضيبي الخيزراني
ريق الرحيمي والثغر الجماني
إذا تجلّى لقال ابن الفلاني
تألفت بين مسموع ومرئي
رف العراقي والنطش الحجازي
فصاحة البدو في ألفاظ تركي

وله أيضاً ١ :

أَنْكَرْتَ مَقْلَتَهُ سَفْكَ دَمِي وَعَلَا وَجَنَّتَهُ فَاعْتَرَفْتَ
لَا تَخَالُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ قَطْرَةٌ ٢ مِنْ دَمِ جَفْنِي نَطَفَتْ
ذَلِكَ ٣ مِنْ نَارِ فُوَادِي جَذْوَةٍ فِيهِ سَاخَتْ وَأَنْطَفَتْ ثُمَّ طَفَتْ

وله من جملة قصيدة :

لَا تَغَالِطَنِي فَمَا تَحْ فِي عِلَامَاتِ الْمُرِيبِ
أَيْنَ ذَلِكَ الْبَشْرِ يَا مَوْ لَآيٍ مِنْ هَذَا الْقُطُوبِ ؟

ونقلت من خط الشيخ الحافظ المحدث زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري رحمه الله تعالى قال: حكى لي أبو المجد قاضي السويداء ، قال: كان بالشام شاعران ابن مُنِيرٍ وابن القيسراني ، وكان ابن مُنِيرٍ كثيراً ما يبكت ابن القيسراني بأنه ما صحب أحداً إلا نُكِبَ ، فاتفق أن أتاك عماد الدين زَنْكِي صاحب الشام غَنَاءَ مُعَنَّ عَلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ ، وهو يحاصرها ، قول الشاعر :

وَيَلِي مِنَ الْمُعْرِضِ الْغَضْبَانَ إِذْ نَقَلَ إِلَى وَاشِي إِلَيْهِ حَدِيثًا كَلَهُ زورُ
سَلَّمَتْ فَازْوَرَ يَزْوِي قَوْسَ حَاجِبِهِ كَأَنِّي كَأْسُ خَمْرٍ وَهُوَ مَخْمُورُ

فاستحسنها زَنْكِي ، وقال : لمن هذه ؟ فقيل : لابن منير ، وهو بجلب ، فكتب إلى والي حلب يُسِيرُهُ إِلَيْهِ سَرِيعاً ، فسيره ، فليلة وصل ابن مُنِيرٍ قتل أتاك زَنْكِي - قلت : وسيأتي شرح الحال في ذلك على التفصيل في ترجمة زَنْكِي إن شاء الله تعالى - قال : فأخذ أسدُ الدين شيركوه ، صاحبُ حمص ، نورَ الدين

١ الخريدة : ٨٠ .

٢ الخريدة : نقطة .

٣ الخريدة : تلك .

٤ : يثلب .

٥ : ثلبه .

محمود بن زنكي وعسكر الشام وعاد بهم إلى حلب ، وأخذ زين الدين علي ولد مظفر الدين صاحب إربل عساكر بلاد الشرق وعاد بهم إلى الموصل ، إلى سيف الدين غازي بن زنكي وملكه الموصل ، فلما دخل ابن منير إلى حلب صحبة العسكر ، قال له ابن القيسراني : هذه بجميع ما كنت تبكتني به ! قلت : ولابن القيسراني المذكور في ابن منير ، وكان قد هجاه :

ابن مُنِيرٍ هَجَوْتَ مِنِّي حَبْرًا أَفَادَ الْوَرَى صَوَابَهُ
ولم تضيقْ بِذَلِكَ صَدْرِي فَإِنَّ لِي أَسْوَةَ الصَّحَابَةِ

وأشعاره لطيفة فائقة .

وكانت ولادته سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بحلب ، ودفن في جبل جوشن ، بقرب المشهد الذي هناك ، رحمه الله تعالى .

وزرت قبره ورأيت عليه مكتوباً :

مَنْ زَارَ قَبْرِي فليكنْ مُوقِنًا أَنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ يَلْقَاهُ
فِي رَحْمَةِ اللَّهِ امْرَأًا زَارَنِي وَقَالَ لِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، فقال في ترجمته : حَدَّثَ الخُطِيبُ السَّيِّدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَطِيبِ حِمَاةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ ابْنَ مُنِيرِ الشَّاعِرِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَنَا عَلَى قُرْنَةِ بَسْتَانٍ مَرْتَفَعَةٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ وَقُلْتُ لَهُ : اصْغِدْ لِي ، فَقَالَ : مَا أَقْدَرُ مِنْ رَائِحَتِي ، فَقُلْتُ : تَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : شَرًّا مِنَ الْخَمْرِ يَا خَطِيبَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : تَدْرِي مَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْقِصَائِدِ الَّتِي قُلْتَهَا فِي مَثَالِبِ النَّاسِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَا جَرَى عَلَيْكَ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : لَسَانِي قَدْ طَالَ وَتَحْنُ حَتَّى صَارَ مَدًّا الْبَصْرَ ، وَكَلَّمَا قَرَأْتُ قِصِيدَةَ مِنْهَا قَدْ صَارَتْ كَلَابًا تَتَعَلَّقُ فِي لِسَانِي ، وَأَبْصَرْتُهُ حَافِيًا عَلَيْهِ ثِيَابَ رَثَّةٍ إِلَى غَايَةِ ، وَسَمِعْتُ قَارِنًا يَقْرَأُ مِنْ فَوْقِهِ ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ

١ : أ : غرقة .

من النار - الآية ﴿﴾ ثم انتبهت مرعوباً .
قلت : ثم وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله الآتي ذكره أن ابن منير
توفي بدمشق سنة سبع وأربعين ، ورثاه بأبيات تدل على أنه مات بدمشق ،
منها وهي هزلية على عادته في ذلك :

أتوا به فوق أعوادٍ تسيرُ به وغَسَلوه بِشَطَطِي نهرِ قَلْطُوطِ
وَأَسَخَنُوا المَاءَ فِي قِدْرٍ مُرْصَصَةٍ وَأَشَعَلُوا تحته عِيدَانِ بَلْطُوطِ

وعلى هذا التقدير فيحتاج إلى الجمع بين هذين الكلامين ، فعساه أن يكون
قد مات بدمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها ، والله أعلم .
ومنير : بضم الميم وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء .
ومفلح : بضم الميم وسكون الفاء وكسر اللام وبعدها حاء مهملة .
والطرابُلُسي - بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف باء موحدة مضمومة
ولام مضمومة ثم سين مهملة - هذه النسبة إلى طرابُلُس ، وهي مدينة بساحل
الشام قريبة من بَعْلَبَك ، وقد تزايد الهمزة إلى أَوَّها فيقال أطرابلس ، وأخذها
الفرنج سنة ثلاث وخمسة ، وصاحبها يومئذ أبو علي عمار بن محمد بن عمار ، بعد
أن حُوصرت سبع سنين ، والشرح في ذلك يطول .
وجَوْشَن : بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الشين المثناة ثم نون [جبل
بجلب] .

٦٥

القاضي الرشيد ابن الزبير

القاضي الرشيد أبو الحسين أحمدُ ابن القاضي الرشيد أبي الحسن علي ابن القاضي

٦٥ - للقاضي الرشيد ترجمة في الخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٠٠ والطالع السعيد : ٥٢ ومعجم الأدباء
٤ : ٥١ والوافي ٧ ، الورقة : ١٠٦ وكتاب الروضتين ١ : ١٤٧ والشذرات ٤ : ١٩٧ ،
٢٠٣ وفي معجم السفر للسلفي بعض أخبار عنه .

الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسافي الأسواني؛ كان من أهل الفضل والنباهة والرياسة، صنف كتاب « [جنان] الجنان ورياض الأذهان » وذكر فيه جماعة من مشاهير الفضلاء^١، وله ديوان شعر، ولأخيه القاضي المهذب^٢ أبي محمد الحسن ديوان شعر أيضاً، وكانا مجيدين في نظمها ونثرهما .
(6) ومن شعر القاضي المهذب - وهو معنى لطيف غريب - من جملة قصيدة بديعة :

وترى الجرة والنجوم كأنها^٣ تسقي الرياض يحدول ملآن
لو لم تكن نهراً لما عامت بها أبداً نجوم الحوت والسرطان
وله أيضاً من جملة قصيدة :

ومالي إلى ماء سوى النيل غلّة ولو أنه ، أستغفر الله ، زمزم

وله كل معنى حسن ، وأول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسة . وذكره العماد الكاتب في كتاب « السيل والذيل » وهو أشعر من الرشيد ، والرشيد أعلم منه في سائر العلوم ، وتوفي بالقاهرة سنة إحدى وستين وخمسة في رجب ، رحمه الله تعالى .

وأما القاضي الرشيد فقد ذكره الحافظ أبو الطاهر السلفي - رحمه الله تعالى - في بعض تعاليقه ، وقال : ولي النظر بثغر الإسكندرية في الدواوين السلطانية بغير اختياره في سنة تسع وخمسين وخمسة ، ثم قتل ظلماً وعدواناً في المحرم سنة ثلاث وستين وخمسة ، رحمه الله تعالى ؛ وذكره العماد أيضاً في كتاب « السيل والذيل » الذي ذيل به على « الخريدة » فقال : الخضم الزاخر ، والبحر العباب ، ذكرته في « الخريدة » وأخاه المهذب ، قتله شاور ظلماً لميله إلى أسد الدين شيركوه في سنة ثلاث وستين وخمسة ، كان أسود الجلد ،

١ زاد في ٥ : وله كتاب المعائب والطرف والهدايا والتحف .

٢ انظر أخبار المهذب وشعره في الخريدة : ٢٠٤ والحاشية .

٣ في رواية : في السماء كأنها ، وفي الخريدة : في النجوم .

وسيد البلدة ، أوجد عصره في علم الهندسة والرياضيات^١ ، والعلوم الشرعية ، والآداب الشعرية ، وما أنشدني له الأمير عضد الدولة^٢ أبو الفوارس مرهف ابن أسامة بن منقذ ، وذكر أنه سمعها منه :

جَلَّتْ لَدَيْ الرِّزَايَا بِلْ جَلَّتْ هَمِّي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
غَيْرِي يَغْيِرُهُ عَنِّ حُسْنُ شِمْتِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرَقَةً لَكَانَ يَشْتَبِيهِ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
لَا تُغَرَّرَنَّ بِأَطْمَارِي وَقِيمَتِهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرَرٍ
وَلَا تَظَنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ مِنْ صِغَرٍ فَالذَّنْبُ فِي ذَاكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ

قلت : وهذا البيت مأخوذ من قول أبي العلاء المرعي في قصيدته الطويلة المشهورة ، فإنه القائل فيها :

وَالنُّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْبُصَارُ رُؤْيَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنُّجْمِ فِي الصَّغَرِ

وأورد له العماد الكاتب في « الخريدة » أيضاً قوله في الكامل بن شاور :

إِذَا مَا نَبَتْ بِالْحُرِّ دَارٌ يُوَدُّهَا وَلَمْ يَرْتَحِلْ عَنْهَا فليس بذي حَزْمٍ
وَهَبَهُ بِهَا صَبًا أَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ سَيُرْجَعُ مِنْهَا الْحِمَامُ عَلَى رَعْنٍ

وقال العماد : أنشدني محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين ، قال : أنشدني القاضي الرشيد باليمن لنفسه في رجل :

لئن خابَ ظني في رَجَائِكَ بَعْدَمَا ظننتُ بأني قد ظفرتُ بِمُنْصِفِ
فإنك قد قلَّدتني كلَّ مَنَّةٍ ملكتَ بها شكري لدى كلِّ موقِفِ
لأنك قد حدَّرتني كل صاحبٍ وأعلمتني أن ليسَ في الأرضِ مَنْ يفي

وكان الرشيد أسود اللون ، وفيه يقول أبو الفتح محمود بن قادوس^٣

١ : والرياضة .

٢ : عضد الدين .

٣ ابن قادوس محمود بن إسماعيل الدمياطي كان كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية وتوفي سنة ٥٥١ هـ وترجمته وأشعاره في الخريدة : ٢٢٦ .

الكاتب الشاعر بهجوه :

يا شينه لقيان بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخا
سلخت أشعارَ الوارى كلها فصرتَ تُدعى الأسودَ السالخا
وفيه أيضاً كما يغلب على ظني هذا :

إن قلتَ من نارٍ خَلِقْتُ تَ وفقتَ كلَّ الناسِ فَهَما
قلنا صدقتَ فما الذي أضناكَ حتى صِرتَ فحما

وكان الرشيد سافر إلى اليمن رسولاً ، ومدح جماعة من ملوكها ، وبمن مدحه
منهم علي بن حاتم الهمداني قال فيه :

لئن أجدبتَ أرضُ الصعيدِ وأقحطوا فلستُ أنال القحطَ في أرضِ قحطانِ
ومذ كفلتُ لي مأربَ بمأربي فلستَ على أسوانِ يوماً بأسوانِ
وإن جهلتُ حقِّي زعانفُ خندفٍ فقدَ عرَفتُ فضلي غطارفُ همدانِ

فحسده الداعي في عدن على ذلك ، فكتب بالأبيات إلى صاحب مصر ،
فكانت سبب الغضب عليه ، فأمسكه وأنفذه إليه مقيداً مجرداً ، وأخذ جميع
موجوده ، فأقام باليمن مدة ثم رجع إلى مصر ، فقتله شاور كما ذكرناه ،
وكتب إليه الجليس بن الحباب :

ثروةُ المكرُماتِ بعدك فقُرُ ومحلُّ العُلا بعدك قَفُرُ
بك تُجلى إذا حللتَ الدِّياجي وتمرُّ الأيامِ حيثَ تمرُّ
أذنبَ الدهرُ في مَسيرِكَ ذَنباً ليسَ منه سِوى إِيابِكَ عُدُرُ

والغَسَّاني - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون - هذه النسبة
إلى غَسَّان وهي قبيلة كبيرة من الأزدي شربوا من ماء غَسَّان ، وهو باليمن ،
فسمُّوا به .

والأسواني - بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعد الألف
نون - هذه النسبة إلى أسوان ، وهي بلدة بصعيد مصر ، قال السمعاني : هي

بفتح الهمزة ، والصحيح الضم ، هكذا قال لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم السندي حافظ مصر ، نفعا الله به آمين .

٦٦

أحمد القطرسي النفيس

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلف ابن المسلم اللخمي المالكي القطرسي ، المنعوت بالنفيس ؛ كان من الأدباء ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، ونقلت منه قصيدة يمدح بها الأمير شجاع الدين جلندك التقوي ، المعروف بوالي دمياط ، أو لها :

قل للحبيب أطلت صدك	وجعلت قتلي فيك وكندك
إن شئت أن أسلو فرد	علي قلبي فهو عندك
أخلفت حتى في زيا	رتنا بطيف منك وعندك
وأنا عليك كما عهد	ت وإن نقضت علي عهدك
أحرقت يا ثغر الحبيب	ب حشاي لما ذقت بردك
وشهدت أنسي ظالم	لما طلبت إليك شهديك
أتظن غصن البان به	جيني وقد عاينت قدك ؟
أم يخدع التفاح ألك	حاطي وقد شاهدت خدك
أم خلت آس عذارك ال	منشوق يحمي منك وردك
لا والذي جعل الهوى	مولاي حتى صرت عبدك
يا قلب من لانت معا	طفه علينا ما أشدك
أتظني جلد الهوى	أو أن لي عزمات جلندك

٦٦ - للنفيس القطرسي ترجمة في الوافي ٧ ، الورقة : ٣٥ ؛ وقد صرح المؤلف بأن العماد ترجم له في الخريدة ، ولكن يبدو أن ترجمته سقطت من القسم المصري .

وهي قصيدة جيدة ، ونقتصر منها على هذا القدر خوف الإطالة .
وجاب النفيس المذكور البلاد ، ومدح الناس ، واستجدى بشعره .
وذكره العماد الكاتب في « الحريرة » ، فقال : فقيه مالكي المذهب ، له يد
في علوم الأوائل والأدب ، ومن شعره قوله :

يُسَرُّ بِالْعِيدِ أَقْوَامٌ لَهُمْ سَعَةٌ مِّنَ الثَّرَاءِ ، وَأَمَّا الْمُفْتَرُونَ فَلَا
هَلْ سَرَّنِي وَثِيَابِي فِيهِ قَوْمٌ سَبَا أَوْ رَاقِنِي وَعَلَى رَأْسِي بِهِ ابْنُ جَلَا

يعني قوم سبأ مزقناهم كل ممزق ، وابن جلا ما له عمامة ، يشير إلى قول
الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعَّ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وذكره العماد أيضاً في كتاب « السيل » فقال : كان من الفقهاء بمصر ،
وقد رأيت القاضي الفاضل يثني عليه ، ووجدت له قصيدة كتبها من مصر إليه
ونقلت من ديوانه أيضاً :

يَا رَاحِلًا وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتَّبِعُهُ هَلْ مِّنْ سَبِيلٍ إِلَى لُؤْيَاكَ يَتَفَقُّ
مَا أَنْصَفْتِكَ جَفُونِي وَهِيَ دَامِيَةٌ وَلَا وَفَى لَكَ قَلْبِي وَهُوَ مُحْتَرَقُ

[ومن شعره أيضاً في الأمير فخر الدين إسماعيل بن ثعلب :

مَدَحْتُ الْجُمْفَرِيَّ فَمَا أَثَابَتْ يَدَاهُ فَظَنَّ مَدْحِي لِلشَّوَابِ
وَمَا كَانَ احْتِسَابُ الْأَجْرِ فِيهِ عَلَى كَذْبِ الْمَدَائِحِ فِي الْحِسَابِ

ومن شعره أيضاً :

يَأْبَى الْعَذَارُ الْمُسْتَدِيرُ بِوَجْهِهِ وَكَمَالَ بَهْجَةِ حَسَنِهِ الْمَنْعُوتِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ صَوْلَجَانُ زَمْرَدٍ مُتَلَقِّفِ كُرَّةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ]

وله في كأس سقطت وهو معنى بديع :

مَا سَقَطَتْ كَأْسُكَ مِنْ عَلِيٍّ لَكِنْ يَدُ الْفَضْلِ بِتَبْدِيدِهَا

هيات أن تحفظها راحة ما حفظت قط سوى جودها
وله :

فؤادي إليك شديد الظما وعيني تشكو لك الحاجبا
فرتب لي الإذن سهلاً لديك فإنسي أرضى به راتبنا

[وكتب إلى القاضي الأسعد بن عثمان يستدعيه من جملة أبيات :
صر إلينا على البراق وإلا جاءك العتب بعد فوت المراد
وصار إليه وأنشده ارتجالاً :

قد أجبت النداء يا داعي ال مجد ولو كنت موثقاً في صفاد
فودادي يصونني عن عتاب وبراق عزمي في الوداد

وله في مغن اسمه حسام ويعرف بالأقرع وهي من الشعر المختار :

وفتيان تملك الحميا أزمة أمرهم ملك الأمير
أرادوا من حسام أن يفني ليظربهم وذلك من الغرور
فقلت لهم متى بالله غنى حسام قط في زمن السرور

[ومن شعره أيضاً :

لا تسأل اليوم عن حالي وعن خبري دعت فؤادي دواهي الحسن والقدر
أصبحت قد ضل قلبي في هوى قمر فاعجب لمن ضل بين الشمس والقمر

وله أيضاً وكتب بهما إلى بعض أصدقائه يعاتبه :

إن مسني من جناب كنت أعهد لي فيه النعيم تكاليف من الشطف
فالشمس والبدر حسبي أسوة بها وربما كسفا في البيت والشرف

ومن شعره يصف دير القصير أولها :

قصرنا على دير القصير ركابنا ليالي قضاها السرور قصارا

محلّ يريك النّيل والروض والمها ويديني من النجم البعيد مزارا
وتهدي إلى أبصارنا وقلوبنا بغير عناء قوة وقدارا

ويقتصر من شعره على هذا القدر .
وكان جده يقال له قُطْرُس .

وتوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستائة بمدينة
قوص ، وقد ناهز سبعين سنة من عمره ، رحمه الله تعالى .

واللّخمي - بفتح اللام وسكون الحاء المعجمة وبعدها ميم - هذه النسبة
إلى لَخْمِ بن عدي ، واسمه مالك ، وهو أخو جُذام ، واسم جذام عمرو بن
عدي ، وكانا قد تشاجرا فلخّم عمرو مالكا - أي لطمه - فضرب مالك
عمراً بمدينة فجدّم يده - أي قطعها - فسمي مالك لخمًا ، وسمي عمرو جذاماً
لهذا السبب .

والقُطرسي - بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها سين
مهملة - هذه النسبة كشفت عنها كثيراً ولم أقف لها على حقيقة ، غير أنه
كان من أهل مصر ، ثم أخبرني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب الشاعر
- الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - أن هذه النسبة إلى جده قُطْرُس ، وكان
صاحبه ، وروى عنه شيئاً من شعره .

(7) وجلدك : أبو المظفر عتيقُ تقيُّ الدين عمر ، صاحب حماة - الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى - وكان ديتناً فاضلاً . ومات في الثامن والعشرين من
شعبان سنة ثمان وعشرين وستائة بالقاهرة ، وقد ناهز ثمانين سنة ، وله شعر ،
وروى عن الحافظ السّلفي وغيره ، ومن جملة ما روى بهاء الدين زهير من
شعره في غلام يتعلم علم الهندسة والهيئة :

وذي هيئة يزهُو بوجهٍ مهندس أموتُ به في كل يوم وأبعثُ
محيطُ بأشكالِ الملاحَةِ وجههُ كأنَّ به إقليدسًا يتحدّثُ
فعارضُهُ خطُّ استواءٍ وخالهُ به نقطة والصّدغُ شكلٌ مثلثُ

وتنسب هذه الأبيات إلى أبي جعفر العلويّ المصري ، والله أعلم .

ابن الرشيد

أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور الهاشمي المعروف بالسبتي ؛ كان عبداً صالحاً ، ترك الدنيا في حياة أبيه مع المقدره ، ولم يتعلق بشيء من أمورها ، وأبوه خليفة الدنيا ، وآثر الانقطاع والعزلة ، وإنما قيل له السبتي لأنه كان يكتسب بيده في يوم السبت شيئاً ينفقه في بقية الأسبوع ، ويتفرغ للاشتغال بالعبادة ، فعُرف بهذه النسبة ، ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومائة قبل موت أبيه ، رحمها الله تعالى ؛ وأخباره مشهورة ، فلا حاجة إلى التطويل فيها ، وذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وفي « صفة الصفوة » وهو مذكور في كتاب « التوابين » وفي « المنتظم » أيضاً .

ابن العريف

أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنّهاجي الأندلسي المرّي المعروف بابن العريف ؛ كان من كبار الصالحين والأولياء المتورعين ، وله المناقب

- ٦٧ - انظر كتاب التوابين : ١٦٢ وصفة الصفوة : ٢ : ١٧٤ والوافي ٨ ، الورقة : ١٠٠ .
 ٦٨ - راجع ترجمة ابن العريف في الصلة : ٨٣ والتحفة : ١٧ ومعجم الصديقي (رقم : ١٤) والبقية (رقم : ٣٦٠) ونيل الابتهاج : ٥٨ (على هامش الديباج) والوافي ٨ ، الورقة : ٥٠ ، وله أخبار وشعر في نفع الطيب .

المشهوره ، وله كتاب « المجالس »^١ وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم ،
وله نظم حسن في طريقهم أيضاً ، ومن شعره^٢ :

شَدُّوا المطيَّ وقد نالوا المنى بِمِنِّي وكلهمْ بأليمِ الشوقِ قدْ بَاحَا
سَارَتْ رِكائبهمْ تندى روائِحها طيباً بما طابَ ذاكَ الوفْدُ أشباحا
نسيمُ قَبرِ النبيِ المصطفى لهمْ رَوْحٌ إذا شَرَبُوا مِن ذِكره راحا
يا واصلينَ إلى الخِيارِ مِن مُضَرِّ زُرْتُمْ جِسوماً وزرنا نحنَ أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ وَعَن قَدَرٍ وَمَن أقامَ على عذرٍ كمنَ راحا

وبينه وبين القاضي عياض بن موسى اليَحْضِي مكاتبات حسنة ، وكانت
عنده مشاركة في أشياء من العلم ، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام
بطرفها وحملتها ، وكان العبّاد وأهلُ الزهد يألّفونه ويحمدون صحبته .

وحكى بعض المشايخ الفضلاء أنه رأى بخطه فصلاً في حق أبي محمد علي بن
أحمد المعروف بابن حزم الظاهري الأندلسي ، وقال فيه : كان لسان ابن حزم
المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين ، وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان
كثير الوقوع^٣ في الأئمة المتقدمين والمتأخرين ، لم يكذب يسلم منه أحد . ومولده
يوم الأحد بعد طلوع الفجر ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

وكانت وفاة ابن العريف المذكور سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمراكش ، رحمه
الله تعالى ، ليلة الجمعة أول الليل ، ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر ،
وقد كان سعي به إلى صاحب مراكش ، فأحضره إليها فمات ، واحتفل الناس
بمنازته وظهرت له كرامات ، فندم على استدعائه ؛ وصاحب مراكش الذي
استدعاه هو علي بن يوسف بن تاشفين - الآتي ذكره في ترجمة أبيه يوسف إن
شاء الله تعالى - .

١ طبع هذا الكتاب باسم « محاسن المجالس » وقد ذكره حاجي خليفة في الموضوعين ، ولا أدري
هل الثاني موجز للأول أو هما كتاب واحد .

٢ وردت الأبيات في الوافي والنفح ٤ : ٣٣١ (ط. صادر) .

٣ لفظة « الوقوع » هنا مضللة ، لأنها قد توحى بالتهجم المتمسف ، وابن حزم حاد اللهجة في
التنقد ، ولكنه لا « يقع » في الأئمة .

والمَرِّي : هذه النسبة إلى المرية ، وهي بفتح الميم وكسر الراء وتشديد
الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ، وهي مدينة عظيمة بالأندلس .

٦٩

ابن الحطيئة اللخمي

أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي الفاسي ؛
من مشاهير الصلحاء وأعيانهم ، وكان مع صلاحه فيه فضيلة ومعرفة
بالأدب ، وكان رأساً في القراءات السبع ، ونسخ بخطه كثيراً من كتب الأدب
وغيرها ، وكان جيد الخط ، حسن الضبط ، والكتب التي توجد بخطه مرغوب
فيها للتبرك بها ولإتقانها .

ومولده في الساعة الثامنة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة
ثمان وسبعين وأربعمائة بمدينة فاس ، وانتقل إلى الديار المصرية ، ولأهلها فيه
اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه ، وكان قد حج ودخل الشام ، واستوطن
خارج مصر في جامع راشدة ، وكان لا يقبل لأحد شيئاً ولا يرتزق على الإقراء ،
واتفق بمصر بجماعة شديدة فمضى إليه أجلاء المصريين وسألوه قبول شيء فامتنع ،
فأجمعوا رأيهم أن يخطب أحدهم البنت التي له ، وكان يُعرف بالفضل بن يحيى الطويل ،
وكان عدلاً بزازاً في القاهرة ، فتزوجها وسأل أن تكون أمها عندها ، فأذن في
ذلك ، وكان قصدهم تخفيف العائلة عنه ، وبقي منفرداً ينسخ ويأكل من نَسْخه
[وكان يعرض عليه المال فلا يقبل منه شيئاً ؛ قيل : جاء بعض التجار بمنزلة
أسود صوف وحلف عليه به ، فقال : اجعله على ذلك الوتد ، فأقام ثلاثين سنة
موضعه . لم يزل بالشرق إلى نوبة مصر المشهورة وحريقها فنزل في دويرة بها .]
وتوفي في أواخر المحرم سنة ستين وخمسمائة بمصر ، ودفن في القرافة الصغرى

٦٩ - ترجمة ابن الحطيئة في الوافي ٧ ، الورقة : ٥٩ وغاية النهاية ١ : ٧١ والشذرات ٤ : ١٨٨ .

وقبره يزار بها ، وزرته ليلاً فوجدت عنده أنساً كثيراً ، رحمه الله تعالى .
وكان يقول : أدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ، أشار إلى أن الإسلام لم يزل في أيامه في نمو وازدياد ، وشرع بعده في
التضعف والاضطراب .

وذكر في كتاب « الدول المنقطعة »^١ في ترجمة أبي الميمون عبد المجيد صاحب
مصر أن الناس أقاموا بلا قاض ثلاثة أشهر في سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ثم
اختير في ذي القعدة أبو العباس ابن الحطيئة ، فاشترط أن لا يقضي بمذهب الدولة
فلم يمكن من ذلك ، وتولى غيره ، والله تعالى أعلم .
والحطيئة : بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعد الهمزة هاء .

والفاسي - بفتح الفاء وبعد الألف سين مهملة - هذه النسبة إلى فاس وهي
مدينة كبيرة بالمغرب بالقرب من سَبْتَةَ خرج منها جماعة من العلماء .

٧٠

ابن الرفاعي

أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي؛
كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب ، أصله من العرب ، وسكن في البطائح
بقرية يقال لها : أم عبيدة ، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء ، وأحسنوا
الاعتقاد فيه وتبعوه . والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء

١ كتاب من تأليف ابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ ، قال حاجي خليفة : يقع في نحو أربع
مجلدات (١ : ٧٦٢) .

٧٠ - ترجمة ابن الرفاعي في طبقات السبكي ٤ : ٤٠ ومرآة الزمان : ٣٧٠ وابن الساعي :
١١٢ والوافي ٧ ، الورقة : ١٠٥ والشذرات ٤ : ٢٥٩ .

منسوبة إليه ، ولأتباعه أحوال عجيبة : من أكل الحيات وهي حية ، والنزول إلى التناير وهي تنضرم بالنار فيطفئونها ، ويقال : إنهم في بلادهم يركبون الأسود ، ومثل هذا وأشباهه ، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يُعد ولا يحصى ، ويقومون بكفاية الكل . ولم يكن له عقب ، وإنما العقب لأخيه ، وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن ، وأمورهم مشهورة مستفيضة ، فلا حاجة إلى الإطالة فيها .

وكان للشيخ أحمد - مع ما كان عليه من الاشتغال بعبادته - شعر ، فمنه على ما قيل :

إذا جنَّ لي لي هَامَ قلبي بذكركم أنزوحُ كما ناحَ الحمامُ المطوقُ
وفوقِي سحاب يطرُ الهَمَّ والأسى وتحني بحارُ بالأسى تتدفقُ
« سلوا أمَّ عمرو كيف باتَ أسيرُها تَفَكُّ الأسارى دُونَهُ وهو مؤثَقُ »
« فَلَها هُوَ مقتول ففي القتل راحةٌ ولا هُوَ ممنون عليه فيطلقُ »^١

ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسة بأم عبيدة ، وهو في عشر السبعين ، رحمه الله تعالى .

والرفاعي - بكسر الراء وفتح الفاء وبعد الألف عين مهملة - هذه النسبة إلى رجل من العرب ، يقال له رفاع ، هكذا نقلته من خط بعض أهل بيته .

وأم عبيدة : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الدال المهملة المفتوحة هاء .

والبطائح - بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة - وهي عدة قرى مجتمعة في وسط المساء بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق .

١ يبدو أنه ضمن هذين البيتين فيها من قديم الشعر لشبيب بن البرصاء كما في الأغاني ١٢ : ٢٥٤ ،

أحمد بن طولون

الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ؛ كان المعترز بالله قد ولاه مصر ، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وأنطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل ، وكان نائباً عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله ، بحرب صاحب الزنج .

وكان أحمد عادلاً جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة صادق الفراسة ، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم ، وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام ، وكان له ألف دينار في كل شهر للصدقة ، فأتاه وكيله يوماً فقال : إني تأتيني المرأة وعليها الإزار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني ، أفأعطيها ؟ فقال له : مَنْ مَدَّ يده إليك فأعطيه . وكان - مع ذلك كله - طائش السيف ، قال القضاعي : يقال إنه أضحى من قتله ابن طولون صبراً ومن مات في حبسه فكان عددهم ثمانية عشر ألفاً . وكان يحفظ القرآن الكريم ، ورزق حسن الصوت ، وكان من أدرس الناس للقرآن ، وبنى الجامع المنسوب إليه الذي بين القاهرة ومصر في سنة تسع وخمسين ومائتين ، وهذه الزيادة حكاها الفرغاني في تاريخه ، وذكر القضاعي في كتاب « الخطط » أنه شرع في عمارته سنة أربع وستين ومائتين ، وفرغ منه في سنة ست وستين ومائتين ، والله أعلم ، وأففق على عمارته مائة ألف وعشرين ألف دينار على ما حكاها أحمد بن يوسف مؤلف سيرته . وكان أبوه مملوكاً أهدها نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة مائتين ، ومات طولون في سنة أربعين ومائتين .

٧١ - أخباره في كتب التواريخ العامة ، وسيرة أحمد بن طولون للبلوي ، والمغرب (قسم مصر) .

وكانت ولادة ولده أحمد بسامراً في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة
عشرين ومائتين ، ويقال إن طولون تَبَنَّاه ولم يكن ابنه ، ودخل مصر
لتسع - وقيل : لسبع - بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ،
وقيل : يوم الاثنين لحس بقين منه .

وتوفي بها في ليلة الأحد لعشر بقين - وقال الفرغاني : لعشر خلون - من
ذي القعدة سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء ، رحمه الله تعالى . وزرت قبره في
تربة عتيقة بالقرب من الباب المجاور للقلعة على طريق المتوجه إلى القرافة
الصغرى بسفح المقطم .

وطولون : بضم الطاء المهملة وسكون الواو وضم اللام [وسكون الواو]
وبعدها نون ، وهو اسم تركي .

والساماني - بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وبعد الألف الثانية
نون - هذه النسبة إلى سامان ، وهو جد الملوك السامانية بما وراء النهر
وخراسان .

وسامراً - بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة ثم راء مشددة
وبعدها ألف - مدينة كبيرة بناها المعتصم في سنة عشرين ومائتين بالعراق فوق
بغداد ، وحكى فيها الجوهري في كتاب «الصحاح» ست لغات في فصل «رأى»
وهذه اللغة إحدى تلك الست ، وليس هذا موضع استقصاء الست ، وقد
ذكرتها في ترجمة إبراهيم بن المهدي (١٨) * .

٧٢

معز الدولة ابن بويه

أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بُوَيَّه بن فَنَّاخُسْرُو بن تَمَام بن كوهي بن

٧٢ - أخباره في ابن الأثير وتجارب الأمم لسكويه وتاريخ ابن خلدون والمنتظم لابن الجوزي .

شيرزِيل الأصغر ابن شيركوه بن شيرزِيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفنه بن شستان شاه بن سسن فرو بن شروذيل^١ بن سسناد^٢ بن بهرام جور الملك بن يزْدَجِرْد بن هُرْمُز كَرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف ، وبقية النسب معروفة في ملوك بني ساسان فلا حاجة إلى الإطالة .

وأبو الحسين المذكور يلقب مُعزِّ الدولة ، وهم ثلاثة إخوة ، وسيأتي ذكر الجميع ، وهو عم عضد الدولة وأحد ملوك الديلم ، كان صاحب العراق والأهواز وكان يقال له « الأقطع » لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى ، وسبب ذلك أنه كان في مبدئ^٣ عمره وحداثة سنه تبعاً لأخيه عماد الدولة ، وكان قد توجه إلى كرمان بإشارة أخويه عماد الدولة وركن الدولة ، فلما وصلها سمع به صاحبها فتركها ورحل إلى سجستان من غير حرب ، فملكها معز الدولة ، وكان بتلك الأعمال طائفة من الأكراد قد تغلبوا عليها ، وكانوا يحملون لصاحب كرمان في كل سنة شيئاً من المال بشرط أن لا يظأوا بساطه ، فلما وصل معز الدولة سيَّر إليه رئيس القوم وأخذ عهوده ومواثيقه بإجرائهم على عادتهم ، ففعل ذلك ، ثم أشار عليه كاتبه بنقنض العهد وأن يسري إليهم على غفلة ويأخذ أموالهم وذخائرهم ، ففعل معز الدولة ذلك ، وقصدهم في الليل في طريق متوعرة ، فأحسوا به فقعدهوا له على مضيق ، فلما وصل إليهم بعسكره ثاروا عليهم من جميع الجوانب ، فقتلوا وأسروا ، ولم يُفْلِت منهم إلا اليسير ، ووقع بمعز الدولة ضربات كثيرة ، وطاحت يدهُ اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى ، وأُتخن بالضرب في رأسه وسائر جسده ، وسقط بين القتلى ، ثم سلم بعد ذلك ، وشرح ذلك يطول ، وكان وصوله إلى بغداد من جهة الأهواز ، فدخلها متملكاً يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلثائة ، في خلافة المستكفي ، وملكها بلا كلفة .

١ د : شيرويل ؛ ه : شذويل ؛ أ : سرديل .

٢ ج د : سيساد ؛ ه : سناذ .

٣ د ه : مبتدئ .

٤ د : يسير .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «شذور العقود» أن معز الدولة المذكور كان في أول أمره يحمل الحطّاب على رأسه، ثم ملك هو وإخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل (١٩)*، وكان معز الدولة أصغرَ الإخوة الثلاثة، وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأحدَ عشرَ شهراً .

وتوفي يوم الاثنين سابعَ عشرَ شهرَ ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد، ودفن في داره، ثم نقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش . ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة، رحمه الله تعالى (٢٠)* .

ولما حضره الموتُ أعتق مماليكه، وتصدق بأكثرَ ماله^٢، وردَّ كثيراً من المظالم .

قال أبو الحسين^٣ أحمد العلوي: بينا أنا في داري على دجلة بمشرفة القصب في ليلة ذاتِ غَيْمٍ ورَعْدٍ وبرقٍ، سمعت صوت هاتفٍ يقول :

لَمَّا بَلَغْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ نُرَادَ نَفْسِكَ فِي الطَّلَبِ
وَأَمِنْتَ مِنْ حَدَثِ اللَّيْلِ لِي وَاحْتَجَبْتَ عَنِ الثُّوبِ
مَدَّتْ إِلَيْكَ يَدُ الرَّدَى وَأَخَذَتْ مِنْ بَيْتِ الذَّهَبِ

قال : فإذا بمعز الدولة قد توفي في تلك الليلة .

ولما توفي ملك موضِعَهُ ولدُهُ عز الدولة أبو المنصور بختييار، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وبؤيته: بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

وفتأخسرو: بفتح الفاء وتشديد النون وبعدهم الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو .

١ د : للعراق .

٢ أ ج : أمواله .

٣ أ د ه : الحسن .

٤ أ : بشرعة النصيب .

٥ أ : خائف .

وتَمَام : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميم مخففة مفتوحة وبعدهم الألف ميم .
ولولا خوف التطويل لقيدت بقية الأجداد ، وقد ضبطته بخطي ، فمن نقله
فلينقله على هذه الصورة فهو صحيح ، وسيأتي ذكر أخويه عماد الدولة علي
وركن الدولة حسن .

٧٣

نصر الدولة ابن مروان الكردي

أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك^١ ، الكردي الحميدي الملقب نصر الدولة
صاحب مَيَافَارِقِينَ وديار بكر؛ ملك البلاد بعد أن قُتِل أخوه أبو سعيد منصور
ابن مروان في قلعة الهَتَاخ^٢ ليلة الخميس خامس جمادى الأولى سنة إحدى
وأربعمائة ، وكان رجلاً مسعوداً عالي المهمة حسن السياسة كثير الحزم ،
قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه .
وحكى ابن الأزرق الفارقي^٣ في تاريخه أنه لم ينقل أن نصر الدولة المذكور
صادر أحداً في أيامه ، سوى شخص واحد ، وقص قصته ولا حاجة إلى ذكرها ،
وأنه لم تفته صلاة الصبح عن وقتها مع انهاكه في اللذات ، وأنه كان له ثلثمائة
وستون جارية يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود النوبة إليها إلا
في مثل تلك الليلة من العام الثاني ، وأنه قسم أوقاته : فمنها ما ينظر فيه في
مصالح دولته ، ومنها ما يتوفّر فيه على لذاته والاجتماع بأهله وألزامه ، وخلف
أولاداً كثيرة ، وقصده شعراء عصره ومدحوه وخلصوا مدائحهم في دواوينهم .

٧٣ - أخباره في المنتظم ٨ : ٢٢٢ وانظر الوافي ٨ ، الورقة : ٧٩ والعبير ٣ : ٢٢٩ والشذرات
٣ : ٢٩٠ وابن الأثير ٩ : ٣٤٧ - ٣٤٩ وصفحات أخرى من هذا الجزء .
١ : ٥ : دوشك ؛ الوافي : دوسك .
٢ : قلعة حصينة في ديار بكر .
٣ : ٥ : الفارقاني .

ومن جملة سعادته أنه وزر له وزيران كانا وزيرين خليفين : أحدهما أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي صاحب الديوان الشعر والرسائل والتصانيف المشهورة ، وكان وزير خليفة مصر وانفصل عنه ، وقدم على الأمير أبي نصر المذكور فوزر له مرتين ، والآخر فخر الدولة أبو نصر بن جهير ، كان وزيره ثم انتقل إلى وزارة بغداد - وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى .

ولم يزل على سعادته وقضاء أوطاره إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ودفن بجامع المُحدثة ، وقيل : في القصر بالسُدليّ ، ثم نقل إلى القبة المعروفة بهم الملاصقة لجامع المُحدثة .

وعاش سبعا وسبعين سنة ، وكانت إمارته اثنتين وخمسين سنة ، وقيل : اثنتين وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وميّافارقين مشهورة فلا حاجة إلى ضبطها .

والمُحدثة - بضم الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ثاء مثلثة - رباط بظاهر ميافارقين .

والسُدليّ - بكسر السين المهملة والدال المهملة وبعدها لام مشددة مكسورة أيضاً - قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم ، وهو لفظ عجمي معناه ثلاث قوائم .

وملك بعده ابنه نظام الدين أبو القاسم نصر .

٧٤

المستعلي الفاطمي

أبو القاسم أحمد المنعوت بالمستعلي ابن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز

١ أ ج : ٧٩ سنة .

٧٤ - انظر اتعاظ الحنفا : ٢٨٢ والدرة المضيئة : ٤٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٤٢ .

ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، وستأتي تتممة النسب عند ذكر المهدي في حرف العين وكيفية الاختلاف فيه ، إن شاء الله تعالى .

ولي الأمر بعد أبيه المستنصر بالديار المصرية والشامية ، وفي أيامه اختلّت دولتهم^١ ، وضعف أمرهم ، وانقطعت^٢ من أكثر مدن الشام دعوتهم ، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج - خذلهم الله تعالى - فإنهم دخلوا الشام ونزلوا على أنطاكية في ذي القعدة سنة تسعين وأربعمئة ، ثم تسلموها في سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين ، وأخذوا معرّة النعمان في سنة اثنتين وتسعين وأخذوا البيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضاً ، وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيّفاً وأربعين يوماً قبل أخذه ، وكان أخذهم له ضحى يوم^٣ الجمعة ، وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع ، وقتل في الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف ، وانزعج المسلمون في جميع بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج ؛ - وسياًتي ذكر طرف من هذه الواقعة في ترجمة الأفضل ابن أمير الجيوش في حرف الشين إن شاء الله تعالى - . وكان الأفضل شاهنشاه المنعوت بأمر الجيوش قد تسلمه من سكنهان^٤ بن أرثق في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ، وقيل : في شعبان سنة تسع وثمانين ، والله أعلم بالصواب ، وولى فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلموه منه ، ولو كان في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ، ثم استولى الفرنج على كثير من بلاد الساحل في أيامه ، فملكوا حيفا في شوال سنة ثلاث وتسعين ، وقيسارية في سنة أربع وتسعين . ولم يكن للمستعلي مع الأفضل حكم ، وفي أيامه هرب أخوه نزار إلى الإسكندرية ، ونزار هو الأكبر وهو جد أصحاب الدعوة بقلعة الأموت وتلك القلاع وكان من أمره ما قد شهر ، والشرح يطول (٢١) * .

١ أ ج : أحوالهم .

٢ أ ج : وانقطع .

٣ أ : ضحى نهار يوم .

٤ هـ : الإزعاج .

٥ أ ج : سقمان .

وكانت ولادة المستعلي لعشر ليالٍ بقين من المحرم سنة تسع وستين وأربعمائة بالقاهرة ، وبويع في يوم عيد غدير خم ، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، [وله من العمر ثمان وعشرون سنة وأيام ، فكانت مدة ولايته سبع سنين وكسراً ؛ وتولى بعده ولده أبو علي المنصور الملقب بالآمر ، وله من العمر خمس سنين وشهر وأربعة أيام ، ولم يكن في من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر ، وكان المستنصر أكبر من هذا ، ولم يقدر يركب وحده الفرس . وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام إلى أن قتل في التاريخ المذكور في بابه في حرف الشين] .

٧٥

عماد الدين ابن المشطوب

أبو العباس أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل^٢ ابن مرزبان^٣ الهكاري^٤ المعروف بابن المشطوب الملقب عماد الدين ، والمشطوب لقب والده ، وإنما قيل له ذلك لشطبة كانت بوجهه ؛ كان أميراً كبيراً وافر الحرمة عند الملوك ، معدوداً بينهم مثل واحد منهم ، وكان عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعاً أبي النفس تهابه الملوك وله وقائع مشهورة في الخروج عليهم ، ولا حاجة إلى ذكرها . وكان من أمراء الدولة الصلاحية ، فإن والده لما توفي وكانت نابلس إقطاعاً

١ أ ج : خلت .

٧٥ - تجد أخباره في صفحات متفرقة من كتاب «مرآة الزمان» .

٢ أ ج : عبد الجليل .

٣ د : مهرزان .

له أرصد منها السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى الثلث لمصالح بيت المقدس وأقطع ولده عماد الدين المذكور باقيها . وجدّه أبو الهيجاء كان صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكّارية .

ولم يزل قائم الجاه والحرمة إلى أن صدر منه في سنة دمياط ما قد شهر ، وقد شرحت ذلك في ترجمة الملك الكامل ، فانفصل عن الديار المصرية ، وآلت حاله إلى أن حوصر في شهر ربيع الآخر بتل يعفور^١ القلعة التي بين الموصل وسنجار ، والقضية مشهورة ، فراسله الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك صاحب الموصل ولم يزل يخدعه ويطمئه إلى أن أذعن للانقياد ، وحلف له على ذلك ، فانتقل إلى الموصل ، وأقام^٢ بها قليلاً ، ثم قبض عليه ، وذلك في سنة سبع عشرة وستائة (٢٢)* وأرسله إلى الملك الأشرف مظفر الدين ابن الملك العادل . وإنما قبض عليه تقريباً إلى قلبه ، فإن خروجه في هذه الدفعة كان عليه ، فاعتقله الملك الأشرف في قلعة حران ، وضيق عليه تضيقاً شديداً ، من الحديد الثقيل في رجليه والخشب في يديه ، وحصل في رأسه ولحيته وثيابه من القسّم شيء كثير على ما قيل ، وكنت أسمع بذلك في وقته وأنا صغير ، وبلغني أن بعض من كان متعلقاً بخدمته كتب في ذلك الوقت إلى الملك الأشرف دوبيت في معناه وهو :

يا من بدوام سعده دار فلكك^١ ما أنت من الملوك بل أنت مملك^٢
مملوكك ابن المشطوب في السجن هلك^٣ أطلقه فإن الأمر لله ولك^٤

ومكث على تلك الحال إلى أن توفي^٣ في الاعتقال في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستائة ، وبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ، ونقلته من حران إليها ودفنتها بها ، رحمه الله تعالى ؛ ورأيت قبره هناك .
ولما كان في السجن كتب إليه بعض الأدباء دوبيت ، وهو :

١ ه : يعقوب ؛ وهو تل أعفر أو يعفر (ياقوت) .

٢ ه : فأقام .

٣ ه : هلك .

يا أحمد ما زلت عماداً للدين يا أشجع من أمسك رُمحاً بيمين
لا تأس^١ إذ حصلت^٢ في سجنهم ها يوسف قد أقام في السجن سنين

وهذا مأخوذ من قول البحري من جملة أبيات^٣ :

أما في رسول الله يوسف أسوة^٤ لملك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة^٥ قال به الصبر الجميل إلى الملك

وكانت ولادة الأمير عماد الدين في سنة خمس وسبعين وخمسة^٥ تقديراً .
ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الأمير سيف الدين أبا الحسن علي
ابن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب كتب إلى الملك الناصر صلاح الدين يخبره
بولادة ولده عماد الدين أبي العباس أحمد ، وأن عنده امرأة أخرى حاملاً ،
فكتب القاضي الفاضل جوابه « وصل كتاب الأمير دالاً على الخبر بالولدين ،
الحال على التوفيق ، والسائر كتب الله سلامته في الطريق ، فسررنا بالغررة
الطالمة من لثامها ، وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية في أكمامها » .

(8) وأما والده سيف الدين المشطوب فإن السلطان صلاح الدين كان قد
رتبه في عكا لما خاف عليها من الفرنج ، هو وبهاء الدين قراقوش - الآتي ذكره
إن شاء الله تعالى - ولم يزل بها حتى حاصروهم الفرنج بها وأخذوها . ولما
خلص منها وصل إلى السلطان وهو بالقدس ، يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة
سنة ثمان وثمانين وخمسة . قال ابن شداد : دخل على السلطان بفتة ، وعنده
أخوه الملك العادل ، فنهض إليه واعتنقه ، وسرَّ به سروراً عظيماً ، وأخلى
المكان وتحدث معه طويلاً .

١ أ د هـ : لا تأس .

٢ د : جملت .

٣ ديوان البحري : ١٥٦٨ .

٤ د : مدة .

٥ هـ : ٥٥٧ .

٦ انظر سيرة ابن شداد : ٢٠١ .

وكانت وفاة سيف الدين يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بنابلس ، رحمه الله تعالى ؛ هكذا ذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « البرق الشامي » . وقال بهاء الدين بن شداد في كتابه « سيرة صلاح الدين » إنه توفي يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس الشريف ، ودفن في داره بعد أن صلي عليه بالمسجد الأقصى . ولم يكن في أمراء الدولة الصلاحية أحد يضاهيه ولا يدانيه في المنزلة وعلو المرتبة ، وكانوا يسمونه الأمير الكبير ، وكان ذلك علماً عليه عندهم لا يشاركه فيه غيره ، ورأيت بخط القاضي الفاضل « ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين المشطوب ، أمير الأكراد وكبيرهم . وكانت وفاته يوم الأحد الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس ، وخبره يوم وفاته بنابلس وغيرها ثلثمائة ألف دينار ، وكان بين خلاصه من أسره وحضور أجله دون مائة يوم . فسبحان الحيّ الذي لا يموت ، وتهدّم به بنيان قوم ، والدهر قاضٍ ما عليه لَوْمٌ » .

قلت : وقوله « وتهدّم به بنيان قوم » هذا الكلام حلّ فيه بيت الحماسة وهو^٢ :

فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدّما

وهذا البيت من جملة مرثية عبدة بن الطبيب التي رثى بها قيس بن عاصم التميمي الذي قدم من البادية على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم في سنة تسع للهجرة ، وأسلم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه : « هذا سيد أهل الوبر » ، وكان عاقلاً مشهوراً بالحلم والسودد ، وهذا البيت لأهل العربية في إعرابه كلام ليس هذا موضع ذكره ، وقد ذكره أبو تمام الطائي في باب المرثي من جملة ثلاثة أبيات ، وهي :

عليك سلامُ الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أنْ يترحمًا

١ ج : شعبان .

٢ انظر السمت : ٦٩ والحماسية رقم ٢٦٣ (شرح المرزوقي) .

تحية من غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادك سلماً
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بئيان قوم تهدما

وهذا قيس أول من وأد البنات في الجاهلية للغيرة والأنفة من النكاح ،
وتبعه الناس في ذلك إلى أن أبطله الإسلام .

(9) وأما الأمير بدر الدين لؤلؤ المذكور ، فإنه توفي يوم الجمعة ثالث شعبان
سنة سبع وخمسين وستائة بقلعة الموصل ، ودفن بها في مشهد هناك ، وعمره
مقدار ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٧٦

صلاح الدين الإربلي

أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان الإربلي
الملقب صلاح الدين ، وهو من بيت كبير بإربل ؛ وكان حاجباً عند الملك المعظم
مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، فتغير عليه واعتقله مدة ، فلما أفرج
عنه خرج منها قاصداً بلاد الشام في سنة ثلاث وستائة صحبة الملك القاهر بهاء
الدين أيوب ابن الملك العادل ، فاتصل بخدمة الملك المغيث ابن الملك العادل ، وكان
قد عرفه من إربل ، وحسنت حاله عنده ، فلما توفي المغيث انتقل الصلاح إلى
الديار المصرية ، وخدم الملك الكامل ، فعظمت منزلته عنده ، ووصل منه إلى
ما لم يصل إليه غيره ، واختص به في خلواته وجعله أميراً .
وكان الصلاح ذا فضيلة تامة ومشاركات حسنة . بلغني أنه كان يحفظ

٧٦ - للصلاح الإربلي ترجمة في مرآة الزمان : ٦٩٢ والوافي ٧ ، الورقة : ٢٩ والشذرات ٥ :

١٤٣ .

١٠٦٠ : ٥١ .

« الخلاصة » في الفقه للإمام الغزالي ، وله نظم حسن ودوبيت رائع ، وبه تقدم عند الملوك .

ثم إن الملك الكامل تغير عليه واعتقله في المحرم سنة ثمانى عشرة وستمائة وهو بالمنصورة في قبالة الفرنج ، وسيره إلى قلعة القاهرة ، ولم يزل في الاعتقال مُضَيِّقاً عليه على هذه الحال إلى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فعمل الصلاح دوبيت وأمله على بعض القيان ، فغناه عند الملك الكامل ، فاستحسنه وسأله : لمن هذا ؟ فقال : للصلاح ، فأمر بالإفراج عنه ، والدوبيت المذكور :

ما أمرُ تجنّيكَ على الصبِ خفي أفنيتُ زَماني بالأسَى والأسفِ
ما ذا غَضَبٌ بقدرِ ذَنبي ولقدُ بالغتَ وما أَرَدتَ إلاّ تَلْفِي

وقيل : إن الدوبيت الذي كان سبب خلاصه قوله :

اصنعْ ما شئت أنت أنتَ المحبوبُ ما لي ذنبٌ ، بلى كما قلت ذنوبُ
هلْ تَسْمَحُ بالوصالِ في ليلتنا تجلو صدأ القلبِ وتعفو وأتوبُ

فلما خرج عادت مكانته عنده إلى أحسن مما كانت عليه .
وكان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته - وهو الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل - فدخل على الصلاح وسأله أن يصلح أمره مع أخيه الملك الكامل ، فكتب الصلاح إليه :

وشرطُ صاحبِ مِصرٍ أن يكونَ كما
قدْ كانِ يُوسُفُ في الحسنى لإخوتهِ
أسواً فقابلهمْ بالعفوِ ، وافتقروا فبرَّهُمُ ، وتولاهمُ برحمتهِ

وعند وصول الانبرور^٢ صاحبِ صَقْلِيَةَ إلى ساحل الشام في سنة ست

١ ا ب هـ : فأجابه الصلاح وكتب إليه .

٢ الأنبرور (Emperor) : هو الامبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية ، وقد زار البلاد المقدسة وأخذ القدس صلحاً من الملك الكامل؛ وكان علماً متبحراً في علم الهندسة والرياضيات، وهو =

وعشرين وستائة بعث الملك الكامل الصلاح إليه رسولاً ، فلما قرر القواعد واستحلفه كتب إلى الملك الكامل :

زَعَمَ الزَّعِيمُ الْأَنْبَرُورُ بِأَنَّهُ سَلِمَ يَدُومَ لَنَا عَلَى أَقْوَالِهِ
شَرِبَ الْيَمِينِ فَإِنْ تَعْرَضَ نَاكِثًا فليأكلنَّ لِذَلِكَ لَحْمَ شِهَالِهِ
ومن شعره أيضاً :

وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَطَعُوا إِلَيْكَ مَسَافَةَ الْأَجَالِ
وَصَلَ الْبَنُونَ إِلَى مَحَلِّ أَبِيهِمْ وَتَجَهَّزَ الْآبَاءُ لِلتَّرْحَالِ
وَأُنشِدُنِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا لَهُ :

يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِيهِ مَا سَمِعْتَ بِهِ مِنْ كُلِّ هَوَلٍ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ
يَكْفِيكَ مِنْ هَوَلِهِ أَنْ لَسْتَ تَبْلُغُهُ إِلَّا إِذَا ذُقْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ فِي السَّفَرِ

وكتب إليه شرف الدين ابن عنين الشاعر الدمشقي كتاباً من دمشق إلى الديار المصرية ، قال لي صاحبنا عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصلية : إن هذا الكتاب كان على يده ، وتضمن الوصية عليه ، وفي أوله :

أَبْثُكَ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِي فَقَدْ حَصَّتْ نَوَائِبُهَا جَنَاحِي
وَكَيْفَ يُفِيقُ مِنْ عَنَتِ الرِّزَايَا مَرِيضٌ مَا يَرَى وَجْهَ الصَّلَاحِ

وللصلاح المذكور ديوان شعر وديوان دوبيت ، وما زال وافر الحرمة عالي المنزلة عنده وعند الملوك . فلما قصد الملك الكامل بلاد الروم وهو في الخدمة

== الذي وجه المسائل الصقلييات إلى ابن سبعين ، وفي بلاطه عاش كثير من العلماء وترجموا كثيراً من الكتب العربية ، وقد كان الامبراطور نفسه يتكلم العربية لأن قاضي صقلية هو الذي ربه (انظر : العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس ص : ٣١٩ وفيه ذكر للمصادر الهامة عن هذا الامبراطور) .

١ أ ج د : اللعين .

مرض في المعسكر بالقرب من السويداء ، فحمل إلى الرها ، فمات قبل دخولها في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستائة ودفن بظاهرها ، وقيل : مات يوم السبت العشرين من ذي الحجة ودفن بظاهر الرها بمقبرة باب حران ، ثم نقله ولده من هناك إلى الديار المصرية ، فدفنه في تربة هناك بالقرافة الصغرى في آخر شعبان سنة سبع وثلاثين وستائة^١ ، وكنت يومئذ بالقاهرة . وكان تقدير عمره يوم وفاته ستين سنة ، رحمه الله تعالى ؛ ثم وقفت على تاريخ مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل .
والإربليُّ - بكسر الهززة وسكون الراء وكسر الباء الموحدة وبعدها لام - هذه النسبة إلى إربل ، وهي مدينة كبيرة بالقرب من الموصل ، من جهتها الشرقية .

٧٧

ابن عبد الحميد الجرجاني

أبو العباس أحمد بن أبي نصر الحصيب بن عبد الحميد بن الضحاك الجرجاني الأصل ؛ كان وزير المستنصر بالله ومن بعده المستعين بالله ، ونفاه المستعين إلى جزيرة أقریطش بجزيرة صدرت منه سنة ٤٨٠ ، وكان ينسب إلى الطيش والتهور ، وله في ذلك أخبار ؛ وكان قد ركب يوماً فوقف له متظلم وشكا حاله فأخرج رجله من الركاب وزجَّ المتظلم في فؤاده فقتله ، فتحدث الناس بذلك فقال بعض الشعراء في ذلك الزمان هذين البيتين :

قل للخليفة يابن عمِّ محمدٍ أشكلٌ وزيرك إنه ركاتٌ
أشكله عن ركل الرجال وإن تُردُّ مالاً فعند وزيرك الأموالُ

١ أ ج : سنة ٦٣٩ .

٧٧ - انظر ابن الطقطقي : ٢١٨ وابن الأثير ٧ : ١١١ .

يقال : ركله إذا رفسه ، وأبوه الخصيب ممدوح أبي نواس الحكمي ، كان سبب توليته أن الرشيد قرأ يوماً في المصحف فاتتهى إلى قوله تعالى : ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، الآية ﴾ فقال : لعنه الله ما كان أرقعه ، ادعى الربوبية بملك مصر ، والله لأولينها أحسنَّ خدمي ، فولاه الخصيب وكان على وضوئه . ولأبي نواس فيه قصيدته الرائيتان وكان قد قصده بهما إلى مصر وهو أميرها ، وما أحسن قوله في إحداها :

تقولُ التي من بيتها خفَّ مركبي عزيزٌ علينا أن نراكَ تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلتُ لها واستعجلتها بوادِرُ جرت فجرى من جريهنَّ عبير
دعيني أكثر حاسديكِ برحلةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميراً

وهي طويلة وأجازه عليها جائزة سنوية .

وكانت وفاة أحمد المذكور سنة ٢٦٥ وكان نفيه إلى أقريطش في سنة ٢٤٨ . وأقريطش جزيرة ببلاد المغرب^٢ خرج منها جماعة من العلماء وأخذها الفرنج سنة ٣٥٠ .

٧٨

عزير الدين المستوفي

أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله الأصبهاني الملقب عزير الدين المستوفي عم العماد الكاتب الأصبهاني ،

١ اكتفينا بهذا القدر من القصيدة وحذفنا ١٠ أبيات لأن القصيدة وردت في ترجمة ابن دراج .
٢ كذا ، وهو واضح الخطأ .

٧٨ - ترجمة عم العماد في المنتظم ١٠ : ٢٨ ومعجم الألقاب ٤ / ١ : ٤٠٣ ، والنقل فيه عن الخريدة . وقال فيه العماد « اخترع في علم الاستيفاء رسوماً ، وأجد فيه رقوماً ، وصنف للمالك قانوناً ، وتولى المملكة السلجوقية وكان صدور المملكة جهالاً يحسدون العزيز لعله ... »

وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان العزيز المذكور رئيساً كبير القدر ، ولي المناصب العلية في الدولة السلجوقية ، ولم يزل مقدماً فيها ، قصده بنو الحاجات ، ومدحه الشعراء ، وأحسن جوائزهم . وفيه يقول أبو محمد الحسن بن أحمد بن جكين البغدادي الشاعر المشهور من جملة قصيدة :

أَمِيلُوا بِنَا نَحْوَ الْعِرَاقِ رَكَابِكُمْ لِنَكْتَالِ مِنْ مَالِ الْعَزِيزِ بِصَاعِهِ

وللقاضي أبي بكر أحمد بن محمد الأَرَجَانِي المَقْدَم ذكره فيه مدائح، والأبيات البائية المذكورة في ترجمته هي من جملة قصيدة طويلة يمدح بها عزيز الدين المذكور، وكان ابن أخيه العماد يفتخر به كثيراً ، وقد ذكره في أكثر تواليفه^٢، وكان في آخر أمره متولي الخزانة للسلطان محمود بن محمد بن مَلِكْشَاه بن أَلْب أرسلان السلجوقي .

وكان السلطان محمود المذكور زوج بنت عمه السلطان سنجر بن مَلِكْشَاه ، فماتت عنده فطالبه عمه بما خرج معها في جهازها من أنواع التحف والغرائب التي لا توجد في خزائن الملوك ، فجحدها محمود ، وخاف من عزيز الدين أن يشهد بما وصل صحبتها لأنه كان مطلعاً عليه من جهة الخزانة ، فقبض عليه وسيره إلى قلعة تكريت ، وكانت القلعة له إذ ذاك ، فحبسه بها ثم قتله بعد ذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

وذكر ابن أخيه العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » أن مولده بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وقتله سنة ست وعشرين وخمسة بتكريت ، وكان قبضه ببغداد ، وذكر العماد الكاتب أنه لما قتل كان الأميران نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين وأخوه أسد الدين شيركوه في القلعة المذكورة متولي أمورهما وأنها دافعا عنه فما أجدى الدفاع .

١ د ب ه : فمیلوا .

٢ د : تعالیه .

وألّه - بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء - لفظة عجمية معناها بالعربية العقاب ، وقد تقدم الكلام في ضبط اصبهان فلا حاجة إلى الإعادة .

٧٩

أبو العباس القسطلاني

الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني صحب الشيخ أبا عبد الله القرشي وانتفع به وتمت عليه بركته وروى عنه وجمع جميع كلامه وما كان يصدر عنه في مجلد كبير ووقفت عليه ونقلت منه ما مثاله : قال أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني رحمه الله في ذي الحجة سنة عشر وستائة سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول : كنت عند الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن طريف حاضراً فأتى إليه إنسان فسأله : هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقداً لا يحله إلا بنيل مطلوبه ؟ فقال الشيخ : نعم ، واستدل بحديث أبي لبابة الأنصاري في قصة بني النضير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : أما انه لو أتاني لاستغفرت له ولكن إذا فعل ذلك بنفسه ، فدعوه حتى يحكم الله فيه ؛ قال : فسمعت هذه المسألة وعقدت على نفسي أنني لا أتناول شيئاً إلا بإظهار قدره فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك أعمل في الحانوت صناعتي ، فبينما أنا جالس على الكرسي إذ ظهر لي شخص بيده شيء في إناء فقال لي : اصبر إلى العشاء تأكل من هذا ، ثم غاب عني ، فبينما أنا في وردي بين العشاءين إذ انشقّ الجدار وظهرت لي حوراء بيدها ذلك الإناء الذي كان بيد ذلك الشخص فيه شيء يشبه العسل ، فتقدمت إلي وألقتني منه ثلاثاً فصعقت وغشي عليّ ثم أفقت وقد ذهبت فلم يطب لي بعد ذلك طعام ، وأشربت في قلبي تلك الصورة فما استحسنت بعدها شخصاً ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق .

٧٩ - انفردت مخطوطة آياصوفيا ٣٥٣٢ بهذه الترجمة، وانظر الديباج : ٦٧ ونيل الابتهاج : ٦٣ على هامشه والشذرات ٥ : ١٧٩ .

أرتق

أرتقُ بنُ أكْنَسَبَ جد الملوک الأرتقية ؛ هو رجل من الترمکمان تغلب علی حُلُوان والجبل ثم سار إلى الشام مفارقاً لفخر الدولة أبي نصر محمد بن جبير خائفاً من السلطان محمد بن مَلِکْشاه ، وذلك في سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة ، وملك القدس من جهة تاج الدولة تَنْشَسَ السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولما توفي أرتقُ في التاريخ المذكور فيه تولاه بعده ولداه سُکمان وإيلغازي ابنا أرتق ، ولم يزا إلا به حتى قصدهما الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى من مصر بالعساكر ، وأخذه^٢ منها في شوال سنة إحدى وتسعين وأربعمائة^٣ ، وتوجها إلى بلاد الجزيرة الفراتية وملكها ديار بكر. وصاحبُ قلعة ماردين الآن من أولاده ، وملك ولده نجم الدين إيلغازي مدينة ماردين سنة إحدى وخمسمائة ، وكان ولاء السلطان محمد شحنكية بغداد ، وتوفي سُکمان بن أرتق بعلة الخوانيق في طريق الفرات بين طرابلس والقدس ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

وكان أرتقُ رجلاً شهماً ذا عزيمة وسعادة وجد واجتهاد . وتوفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف .
وأكسب : بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح السين المهملة وبعدها باء موحدة . وقيل : هو أكسك - بالكاف بدل الباء - والله أعلم .

٨٠ - لأرتق ترجمة في الروافي ٨ ، الورقة : ١٥٥ .

١ ب ه : شاهانشاه .

٢ د : فأخذه .

٣ زاد في د : وقيل شعبان سنة ٤٩٢ .

٤ أ ج ه : عزيمة .

أرسلان البساسيري

أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد ، يقال : إنه كان مملوك بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بن بُؤَيِّه ، والله أعلم ؛ وهو الذي خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأتراك ، وقلده الأمور بأسرها ، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته المملوك ، ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فراح الإمام القائم إلى أمير العرب محيي الدين أبي الحارث مُهَارِش بن المجلتي العقيلي صاحب الحديثة وعانة فأواه وقام يجمع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طُغْرُلْبَك السَلْجُوقِي المذكور بعد هذا وقاتل البساسيري المذكور وقتله وعاد القائم إلى بغداد ، وكان دخوله إليها في مثل اليوم الذي خرج منها بعد حَوْل كامل ، وكان ذلك من غرائب الاتفاق وقصته مشهورة ، وقتله عسكر السلطان طُغْرُلْبَك السَلْجُوقِي ببغداد يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة ، وقال ابن العظيمة : يوم الثلاثاء حادي عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وطيف برأسه في بغداد وصلب قبالة باب النوبي . والبساسيري - بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها راء - هذه النسبة إلى بلدة بفارس يقال لها بسا ، وبالعربية فسا ، والنسبة إليها بالعربي 'فَسَوِي' ، ومنها

٨١ - انظر أخبار البساسيري في المنتظم ٨ : ٢٠١ والعبر ٣ : ٢٢٥ والشذرات ٣ : ٢٧٨ والوافي ٨ ، الورقة : ١٥٧ ، وله ذكر في سيرة المؤيد هبة الله الشيرازي ، وفي كتب التاريخ فيما يتصل بالأحداث بين الفاطميين والعباسيين (انظر مثلا أخبار الدولة السلجوقية للحسيني ص : ١٨ - ٢٢) .
١ ب د ه : بالعربية .

الشيخ أبو علي الفارسي النحوي صاحب « الإيضاح » ، ويقال له فسوي أيضاً، وأهل فارس يقولون في النسبة إليها : البساسيري ، وهي نسبة شاذة على خلاف الأصل ، وكان سيد أرسلان المذكور من بسا فنسب المملوك إليه ، واشتهر بالبساسيري ، هكذا ذكره السمعاني^١ نقلاً عن الأديب أبي العباس أحمد بن علي ابن بابيه القاشي^٢ ، وفي هذه اللفظة زيادة ليست في الأصل .
ومات الأمير مَهَارَش بن المجلتي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ناهز ثمانين سنة ، وهو مَهَارَش بن المجلي بن عليث بن قبان بن شعب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا ، وبقيّة نسبه ستأتي في ترجمة المقلد بن المسيب ، إن شاء الله تعالى .

٨٢

الملك العادل أتاك

أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زَنْكِي بن آق سنقر صاحب الموصل المعروف بأتابك الملقب الملك العادل نور الدين ، وسيأتي ذكر جماعة من أهل بيته إن شاء الله تعالى ، كل واحد في حرفة . ملك نور الدين المذكور الموصل بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك ، وكان ملكاً شهماً عارفاً بالأموار ، وانتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه ، ولم يكن في بيته شافعي سواه ، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قلّ أن يوجد مدرسة في حسنّها .

وتوفي ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستائة^٣ في شبارة

١ انظر الأنساب ٢ : ٢١٨ .

٢ في الأصول : القابسي ، والتصويب عن الأنساب .

٨٢ - ترجمته في الوافي ٨ ، الورقة ١٥٧ والشذرات ٥ : ٢٤ والتاريخ الباهر : ١٨٩ - ٢٠١ .

٣ د : ١٩ رجب سنة ٦٠٩ .

بالشط ظاهر الموصل - والشبارة عندهم هي الحراقة بمصر - وكم موته حتى دخل به إلى دار السلطنة بالموصل . ودفن في تربته التي بمدرسته المذكورة ، رحمه الله تعالى (٢٣) * .

وخلف ولدين هما الملك القاهر عز الدين مسعود ، والملك المنصور عماد الدين زنكي . وهما المذكوران في ترجمة جدما عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فليطلب منه إن شاء الله تعالى ، وقام بالمملكة بعده ولده الملك القاهر كما هو مشروح هناك ، وهو أستاذ الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ الذي تغلب على الموصل وملكها في سنة ثلاثين وستائة في أواخر شهر رمضان ، وكان قبل نائباً بها ثم استقل . وهو المذكور في ترجمة عماد الدين بن المشطوب .

٨٣

أزهر السمان

أبو بكر أزهر بن سعد السمان الباهلي بالولاء البصري ؛ روى الحديث عن حميد الطويل ، وروى عنه أهل العراق ، كان يصحب أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جاءه أزهر مهنئاً ، فحجبه المنصور فترصد له يوم جلوسه العام وسلم عليه ، فقال له المنصور : ما جاء بك ؟ قال : جئت مهنئاً بالأمر ، فقال المنصور : أعطوه ألف دينار ، وقولوا له : قد قضيت وظيفة الهناء ، فلا تعد إليّ ، فمضى وعاد في قابل ، فحجبه فدخل عليه في مثل ذلك المجلس وسلم عليه ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال له : سمعت أنك مرضت فجئتك عائداً ، فقال : أعطوه ألف دينار وقولوا له : قد قضيت وظيفة العيادة

٨٣ - ترجمة أزهر السمان في الوافي ٨ ، الورقة : ١٧٢ والمعبّر ١ : ٣٣٩ والشذرات ٢ : ٥ .

١ أ ج : أسعد .

٢ ج : فرصه أزهر .

فلا تعد إليّ ، فإنني قليل الأمراض . فمضى وعاد في قابل ، فقال له في مثل ذلك المجلس : ما جاء بك ؟ فقال : سمعت منك دعاء مستجاباً فجئت لأتعلّمه منك ، فقال له : يا هذا ، إنه غير مستجاب ، إني في كل سنة أدعو الله به أن لا تأتيني وأنت تأتي . وله وقائع وحكايات مشهورة . وكانت ولادته سنة إحدى عشرة ومائة . وتوفي سنة ثلاث ومائتين ، وقيل : سبع ومائتين ، رحمه الله تعالى . وأزهر - بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء - وهو اسم علم .

والسمان - بفتح السين المهملة وتشديد الميم وبعده الألف نون - هذه النسبة إلى بيع السَّمْن وحمله .

والبصري - بفتح الباء الموحدة وكسرها وسكون الصاد المهملة وبعدها راء - هذه النسبة إلى البَصْرَة ، وهي من أشهر مدن العراق وهي إسلامية ، بناها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سنة أربع عشرة للهجرة على يدي عُنْبَة ابن غَزْوَان ، رضي الله عنه . قال ابن قتيبة في كتاب « أدب الكاتب »^١ في باب ما يغير من أسماء البلاد « البصرة : الحجارة الرخوة ، فإن حذفوا الهاء قالوا : البِصْرُ » - بكسر الباء - وإنما أجازوا في النسب بِصْرِيّ لذلك ، والبصر أيضاً : الحجارة الرخوة ، قاله في الصحاح .

٨٤

أسامة بن منقذ

أبو المظفر أسامة بن مُرْشَد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكِنَافِي

١ أدب الكاتب : ٤٥٧ .

٨٤ - لأسامة ترجمة في معجم الأدباء ٥ : ١٨٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٤٠٠ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٤٩٩ والوافي ٨ ، الورقة : ١٧٤ وكتابه « الاعتبار » يمثل جانباً من سيرة حياته ، وله من الكتب المطبوعة : لباب الآداب والمنازل والديار وديوان شعره .

الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، من أكابر بني مُنقذ أصحاب قلعة شيزر وعلماهم وشجعانهم ، له تصانيف عديدة في فنون الأدب . ذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وأثنى عليه وعدّه في جملة مَنْ ورد عليه وأورد له مقاطيع من شعره .

وذكره العماد الكاتب في « الحريدة » وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ثم نبتَ به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن رزّيك . ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق ، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا ، فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين - رحمه الله تعالى - دمشق ، فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

وقال غير العماد : إن قدومه مصر كان في أيام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار ، فأحسن إليه وعمل عليه حتى قتل حسباً هو مشروح في ترجمته .

قلت : ثم وجدت جزءاً كتبه بخطه للرشد بن الزبير حتى يلحقه بكتاب « الجنان » ، وكتب عليه أنه كتبه بصر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، فيكون قد دخل مصر في أيامه وأقام بها حتى قتل العادل بن السلار ، إذ لا خلاف أنه حضر هناك وقت قتله .

وله ديوان شعر في جزأين موجود في أيدي الناس ورأيت بخطه . ونقلته منه قوله^١ :

لا تَسْتَمِرْ جَلَدًا عَلَى هَجْرَانِهِمْ ففواك تَضَعُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمٍ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمٍ

ونقلت منه في ابن طليب المصري ، وقد احترقت داره :

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا قسراً إلى الإقرار بالأقدارِ
ما أوقدَ ابنُ طليب قطُّ بداره ناراً وكان خرابها بالنارِ

(10) وبما يناسب هذه الواقعة أن الوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب كانت له بمصر دار موصوفة بالحسن فاحترقت ، فعمل نشء الملك أبو الحسن علي ابن مفرج المعروف بابن المنجم^١ المعريّ^٢ الأصل المصري الدار والوفاة :

أقول وقد عاينت دار ابن صورة وللنار فيها مارج^٣ يتتصرّم^٤
كذا كل مال أصله من مهاوش^٥ فعما قليل في نهابير^٦ يعدم
وما هو إلا كافر طال عمره فجاءته^٧ لما استبطأته جهنم

والبيت الثاني مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مهاوش^٨ أذهب الله في نهابير^٩ » ، والمهاوش : الحرام ، والنهابر : المهالك .
والوجيه المذكور : هو أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة ، وكان سمساراً في الكتب^{١٠} بمصر ، وله في ذلك حظ كبير ، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ، ويجتمع عنده في يومي الأحد والأربعاء أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ، ولا يزالون عنده إلى اذقضاء وقت السوق ، فلما مات السلفي سار إلى الإسكندرية لبيع كتبه ، ومات في السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستائة بمصر ودفن بقرافتها ، رحمه الله تعالى .

ولابن منقذ من قطعة يصف ضعفه :

فاعجب لضَعْفِ يدي عن حَمْلِها قَلماً من بعد حَطْمِ القنسا في لبّة الأسدِ
ونقلت من ديوانه أيضاً أبياتاً كتبها إلى أبيه مرشد جواباً عن أبيات كتبها
أبوه إليه ، وهي^{١١} :

١ كتب في الخريدة « نشو الدولة » ، ضمن الصابون والملاهي واكتسب في عسف الناس المناهي ، فشكوه فنفي إلى عيذاب ثم رحل إلى اليمن والشام في خدمة تورانشاه (انظر الخريدة ١ : ١٦٨ والحاشية) .
٢ أ : سمسار الكتب .
٣ ديوان أسامة : ١١٥ .

وما أشكو تلونَ أهلِ ودي ولو أجدتُ شكيئَهُمُ شكوتُ
 مَلِيتُ عتابَهُمُ ويئتُ منهم فما أرجوهُمُ فيمنَ رجوتُ
 إذا أدمتُ قوارصَهُمُ فؤادي كظمتُ على أذاهمُ وانطويتُ
 ورُحتُ عليهمُ طلقَ الهيتا كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ
 تجنّوا لي ذنوباً ما جنتها يَدايَ ولا أمرتُ ولا نهيتُ
 ولا والله ما أضمرتُ غدرأ كما قد أظهوره ولا نويتُ
 ويوم الحشر موعِدنا وتبدؤ صحيفةً ما جنّوهُ وما جنيتُ

وله بيتان في هذا الروي والوزن كتبها في صدر كتاب إلى بعض أهل بيته
 في غاية الرقة والحسن ، وهما :

شكا أَلَمَ الفراقِ الناسُ قَبلي ورُوِّعَ بالنوى حيٌّ وميتُ
 وأما مثل ما ضمتُ ضلوعي فإني ما سمعتُ ولا رأيتُ

والشيء بالشيء يُذكر ، أنشدني الأديب أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم
 المعروف بالجزار المصري لنفسه في بعض أدباء مصر ، وكان شيخاً كبيراً ،
 وظهر عليه جَرَبٌ فالتطخ بالكبريت ، قال : فلما بلغني ذلك كتبت إليه :

أيُّها السَيِّدُ الأديبُ دعاءً من محبِّ خالٍ من التَّنَكُّيتِ
 أنت شيخٌ وقد قَرُبتَ من النا ر فكيف ادّهنتَ بالكبريتِ

ونقلت من خط الأمير أبي المظفر أسامة بن منقذ المذكور لنفسه ، وقد قلع
 ضرسه ، وقال : عملتها ونحن بظاهر خِلاطٍ ، وهو معنى غريب ويصلح أن
 يكون لغزاً في الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرَ صُحِبَتَهُ يشقى لِنفعي ويسعى سعيَ مجتهدِ

١ الجمال أبو الحسين الجزار ، كان أبوه وأقاربه جزارين بالفسطاط وكان هو في أول أمره قصاباً
 فحام على الأدب مدة حتى اشتهر . وشعره سهل يلقي قبولاً لسهولته وخفة روحه ؛ وقد تجول
 كثيراً في البلاد المصرية وتوفي سنة ٦٧٩ (المغرب : ٢٩٦ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٧
 والشذرات ٥ : ٣٤٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٥ والمسالك ١٢ : ١٦٦ والفوات ٢ : ٣١٩) .

لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدأ لناظري افتراقنا فرقة الأبد

قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى أبداً لقياه وأشيمُ على البعد حيّاه حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين وسأله عن مولده، فقال : يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . ا هـ . قلت : بقلعة شيزر . وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسة بدمشق ، رحمه الله تعالى ؛ ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي ، وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمتُ عليه .

وتوفي والده أبو أسامة مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسة ، رحمه الله تعالى . وشيزرُ - بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي مفتوحة ثم راء - قلعة بالقرب من حماة وهي معروفة بهم ، وسيأتي ذكرها في حرف العين عند ذكر جده علي بن مقلد ، إن شاء الله تعالى .

٨٥

ابن راهويه

أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوارث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه ؛ جمع بين الحديث والفقاه والورع ، وكان أحد أئمة الإسلام ، ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي

٨٥ - ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٠٩ ؛ والوافي ٨ ، الورقة : ١٧٨ ، والعبير ١ : ٤٢٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٣٢ والشذرات ٢ : ٨٩ وقاربخ بغداد ٦ : ٣٤٥ .
١ ج : مظفر .

رضي الله عنه ، وعدّه البيهقي في أصحاب الشافعي ، وكان قد ناظر الشافعي في مسألة جواز بيع دور مكة^١، وقد استوفى الشيخ فخر الدين الرازي صورة ذلك المجلس الذي جرى بينها في كتابه الذي سماه « مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه » فلما عرف فضله نسخ كتبه وجمع مصنفاته بمصر .

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين ، وما عبّرَ الجسّرَ أفقه من إسحاق ، وقال إسحاق : أحفظ سبعين ألفَ حديث ، وأذاكر بمائة ألف حديث ، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته ، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته ، وله مسند مشهور ، وكان قد رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام ، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقتة ، وسمع منه البخاري ومسلم والترمذي .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين، وقيل : سنة ثلاث وستين، وقيل : سنة ست وستين ومائة، وسكن في آخر عمره نيسابور، وتوفي بها ليلة الخميس النصف من شعبان - وقيل : الأحد ، وقيل : السبت - سنة ثمان ، وقيل : سبع وثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة ثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وراهويه - بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة - لقب أبيه أبي الحسن إبراهيم، وإنما لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة ، والطريق بالفارسية « راه » و « ويه » معناه وُجيدٌ، فكأنه وجد في الطريق، وقيل فيه أيضاً « راهويّه » بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وقال إسحاق المذكور : قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان : لم قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟ قلت: اعلم أيها الأمير أن أبي ولد في الطريق فقالت المراوزة « راهويه » لأنه ولد في الطريق ، وكان أبي يكره هذا ، وأما أنا فلست أكره ذلك .

ومَخَلَدٌ : بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام وبعدها دال مهملة . والحنظلي - بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء المعجمة وبعدها

١ ذكر السبكي هذه المناظرة ص : ٢٣٦ .

لام - هذه النسبة إلى حَنْظَلَةَ بن مالك ، ينسب إليه بطن من تميم .
والمرؤزي : قد تقدم القول فيه في المرؤروذي .

٨٦

ابن مرار الشيباني

أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي ؛ هو من رمادة الكوفة ونزل إلى بغداد ، وهو من الموالي ، وجاور شيبان للتأديب فيها فنسب إليها ، وكان من الأئمة الأعلام في فنونه ، وهي : اللغة والشعر ، وكان كثير الحديث كثير السماع ثقةً ، وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور معروف . والذي قصّر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ . وأخذ عنه جماعة كبار ، منهم : الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت صاحب « إصلاح المنطق » ، وقال في حقه : عاش مائة وثمانين سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات ، وكان ربما استعار الكتاب مني وأنا إذ ذاك صبي أخذ عنه وأكتب من كتبه .

وقال ابن كامل : مات إسحاق بن مرارٍ في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاثٍ عَشْرَةَ ومائتين ببغداد . وقال غيره : بل توفي سنة ست ومائتين ، وعمره مائة وعشر سنين ، وهو الأصح ، رحمه الله تعالى . وله من التصانيف كتاب « الخليل » ، وكتاب « اللغات » وهو المعروف بالجم ويعرف أيضاً بكتاب الحروف ، وكتاب « النوادر الكبير » ثلاث نسخ ، وكتاب

٨٦ - لابن مرار أبي عمرو الشيباني ترجمة في الزبيدي : ٢١١ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٢٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٧٧ والوافي ٨ ، الورقة : ١٩٤ ونزهة الألباء ٦١ : ١ وانباه الرواة ١ : ٢٢١ وبغية الوعاة : ١٩٢ وتهذيب التهذيب ١٢ : ١٨٢ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٥ والشذرات ٢ : ٢٣ ونور القبس : ٢٧٧ .

« غريب الحديث » ، وكتاب « النخلة » ، وكتاب « الإبل » ، وكتاب « خلق الإنسان » . وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبي . وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب . قال ولده عمرو : لما جمع أبي أشعار العرب ودوتها كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه .

ومرار - بكسر الميم وبعدها راء ان بينها ألف - . والشيباني : قد تقدم القول فيه .
وقيل : توفي يوم السعائين سنة عشر ، والله أعلم .

٨٧

اسحاق الموصلي

أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي ، وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبه ونسبه فأغنى عن الإعادة ؛ كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والحلاعة والغناء اللذان تفرد بهما . وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وروى عنه مُصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما . وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام .
قال محمد بن عطية العطوي الشاعر : كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم ، فوافق إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف

٨٧ - راجع ترجمة اسحاق الموصلي في الأغاني ١٧ : ٦٢ ، ٢٠٠ : ٢٨٤ ، وطبقات ابن المعتز : ٣٦٠ وانباه الرواة ١ : ٢١٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ والوافي ٨ : الورقة : ١٧٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٤١٤ ونزهة الألباء : ١١٦ ونور القبس : ٣١٦ .

منهم ، ثم تكلم في الفقه ، فأحسن وقاس واحتج ، وتكلم في الشعر واللغة ، ففاق مَنْ حَضَرَ ، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له : أعز الله القاضي ! أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟ قال : لا ، قال : فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيامَ أهلها وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ يعني الغناء . قال العطوي : فالتفت إليّ القاضي يحيى وقال لي : الجواب في هذا عليك ، وكان العطوي من أهل الجدل ، فقال للقاضي يحيى : نعم ، أعز الله القاضي ! الجوابُ عليّ . ثم أقبل على إسحاق فقال : يا أبا محمد ، أنت كالفرء والأخفش في النحو؟ فقال : لا ، فقال : فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي وأبي عبيدة ؟ قال : لا ، قال : فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي ؟ قال : لا ، قال : فأنت في الفقه كالقاضي؟ وأشار إلى القاضي يحيى ، قال : لا ، قال : فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نُوَّاس ؟ قال : لا ، قال : فمن ههنا نُسبت إلى ما نسبت إليه لأنه لا نظير لك فيه ، وأنت في غيره دون رؤساء أهله ، فضحك وقام وانصرف . فقال القاضي يحيى للعطوي : لقد وفيت الحجة حقها ، وفيها ظلم قليل لإسحاق ، وإنه ممن يقلُّ في الزمان نظيره .

وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن باطيش الموصلي في كتابه الذي سماه « التمييز والفصل »: أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان مليح المحاوره والنادرة ، ظريفاً فاضلاً ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير ، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونُسب إليه .

وكان الخلفاء يكرمونه ويقرّبونه ، وكان المأمون يقول : لولا ما سبق لإسحاق على أسنة الناس واشتهر بالغناء لولّيته القضاء ، فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ، ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرها عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

وله نظم جيد وديوان شعر ، فمن شعره ما كتبه إلى هارون الرشيد :

وأميرةٍ بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيلُ

أرى الناسَ خِلَانَ الجِوَادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمين خليل
وإني رأيتُ البخلَ يُزْرِي بأهله فأكرمتُ نفسي أن يقالَ بخيل
ومنْ خيرِ حالاتِ الفَقْرِ لو علمتهِ إذا نال شيئاً أن يكونَ ينيل
عطايا عطاءِ المكثرين تكثرُ ما ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحرمَ الغنى ورأيتُ أميرَ المؤمنينَ جميل

(٢٤)* وكان كثير الكتب ، حتى قال أبو العباس ثعلب : رأيت لإسحاق
الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها بسماعه . وما رأيت اللغة في منزل
أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق ثم منزل ابن الأعرابي .

ونقلت من حكاياته أنه قال : كان لنا جار يُعرف بأبي حفص ، ويُسبَرُ
باللوطي ، فمرض جار له فعاده ، فقال له : كيف تجددك ؟ أما تعرفني ؟ فقال له
المريض بصوت ضعيف : بلى ، أذت أبو حفص اللوطي ، فقال له : تجاوزت
حدَّ المعرفة ، لا رفع الله جنبك .

وكان المعتمم يقول : ما غنَّاني إسحاق بن إبراهيم قَطُّ إلا خيل لي أنه
قد زيد في ملكي .

وأخباره كثيرة ، وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنتين (٢٥)* .
ومولده في سنة خمسين ومائة ، وهي السنة التي وُلد فيها الإمام الشافعي ،
رضي الله عنه ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب ، وقيل :
في شوال سنة ست وثلاثين ، والأول أشهر ، وقيل : توفي يوم الخميس بعد الظهر
لخمس خَلَوْنَ من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، رحمه الله تعالى .

ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبحَ اللهُوتُ تحتَ عَفْرِ الترابِ ثاويماً في محلة الأجابِ
إذ مَضَى الموصليُّ وانقرضَ الأذ سُوحَّتْ مشاهدُ الأطرابِ
بكتِ الملهياتُ حزناً عليه وبكاه الهوى وصفوُ الشرابِ

وبكت آلة المجالس حتى رحم العودُ عبْرَةَ المضرب

وقيل : إن هذه المرثية في أبيه إبراهيم ، والصحيح الأول .

٨٨

اسحاق بن حنين

أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي^١ ، الطبيب المشهور ؛ كان أوحده عصره في علم الطب ، وكان يلحق بأبيه في النقل ، وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها . وكان يُعَرَّبُ كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه ، إلا أن الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب ، وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء مَنْ خدمه أبوه ، ثم انقطع إلى القاسم بن عبيد الله وزير الإمام المعتضد بالله ، واختص به ، حتى إن الوزير المذكور كان يطلعه على أسراره ، ويُفَضِّي إليه بما يكتمه عن غيره .

وذكر ابن بطلان في كتاب « دعوة الأطباء »^٢ أن الوزير المذكور بلغه أن إسحاق المذكور استعمل دواء مسهلاً ، فأحبّ مداعبته ، فكتب إليه :

أبْنِ لِي كَيْفَ أَمْسَيْتَ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْحَالِ
وَكَمْ سَارَتْ بِكَ النَّاقَةُ نَحْوَ الْمَنْزَلِ الْخَالِي

٨٨ - ترجمة إسحاق بن حنين في الوافي ٨ ، الورقة : ١٨٨ وابن أبي أصيبعة ١ : ٧١ وتاريخ الحكماء : ٨٠ .

١ أ ب ج : من كتب .

٢ انظر كتاب دعوة الأطباء : ٦٥ وفي تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٨ أن الذي كتب البيتين الأولين هو جحظة ، أو صديق للصنوبري ، أرسلها إلى الصنوبري فأجابه بالبيتين على قافية الفاء ، وهذان ثابتان في ديوان الصنوبري المخطوط (الورقة : ١٥٤ ب) .

فكتب إليه جوابه :

بجَيرِ بتُ مسروراً رخيّ البالِ والحالِ
فأما السير والناقةُ والمرتبَعُ الخالي
فإجلالك أنسانيه يا غايّةَ آمالي

وكنت قد وقفت في كتاب « الكنايات » على مثل هذه القضية ، فذكر أن
الأول كتب البيتين الأولين وأن الثاني كتب الجواب :

كتبتُ إليك والنعلان ما إن أُقلِّتها من المثي العنيفِ
فإن رُمّتَ الجوابَ إليّ فاكتبْ على العنوانِ يوصلُ^٢ في الكنيفِ

وله ولأبيه المصنّفات المفيدة في الطب - وسيأتي ذكر أبيه إن شاء الله
تعالى - ولحقه الفالج في آخر عمره .
وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، وقيل : تسع وتسعين
ومائتين .

والعباديّ - بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف دال
مهملة - هذه النسبة إلى عباد الحيرة ، وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا
الحيرة وكانوا نصارى ينسب إليهم خلق كثير ، منهم عدي بن زيد العبادي
الشاعر المشهور وغيره ، قال الثعلبي في تفسيره في سورة المؤمنين في قوله تعالى :
﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون ﴾ أي مطيعون متذللون ،
والعرب تسمي كل من دان لملك عابداً له ، ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد ،
لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك المعجم .

والحيرة - بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء
وبعدها هاء - وهي مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومن تقدمهم من ملوك العرب
مثل عمرو بن عدي اللخمي ، وهو جد بني المنذر ومن بعده من أبنائه ، وكانت

١ ديوان الصنوبري : أغبها من السير العنيف .

٢ ديوان الصنوبري : يدفع .

من قبل عمروٍ لحاله جذيمة الأبرش الأزدي صاحب الزبَّاء ، وخربت الحيرة ،
وبنيت الكوفة في الإسلام على ظهرها في سنة سبعٍ عشرة للهجرة ، بناها عمر
ابن الخطاب - رضي الله عنه - على يد سعد بن أبي وقاصٍ ، رضي الله عنه .

٨٩

الميهني

أبو الفتح أسعد بن أبي نصر ابن أبي الفضل الميهني^١ ، الفقيه الشافعي الملقب
بمحيي الدين ؛ كان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف ، وله فيه تعليقة مشهورة ، تفقه
بمرو ثم رحل إلى غزنة واشتهر بتلك الديار وشاع فضله ، وقد مدحه الغزي
المقدم ذكره ، ثم ورد إلى بغداد وفوض إليه تدريس المدرسة النظامية ببغداد
مرتين ، فالأولى في سنة سبع وخمسة ، ثم عزل في ثامن عشر شعبان سنة
ثلاث عشرة ، والمرة الثانية في سنة سبع عشرة في شعبان ، وخرج إلى العسكر
في ذي القعدة من السنة ، وتولى غيره مكانه ، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به
وبطريقته الخلافة ، وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في «المدليل» وقال : قدم
علينا من جهة السلطان محمود السلجوقي رسولاً إلى مرو ، ثم توجه رسولاً من
بغداد إلى همدان فتوفي بها سنة سبع وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، قال
السمعاني في «الذيل» : سمعت أبا بكر محمد بن علي بن عمر الخطيب يقول : سمعت
فقيهاً من أهل قزوين - وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمدان - قال :
كنا في بيت وقت أن قرب أجله فقال لنا : اخرجوا من هنا ، فخرجنا ،
فوقفت على الباب وتسمعت فسمعته يلطم وجهه ويقول : يا حسرتي على ما
فرطت في جنب الله ، وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردد هذه الكلمة إلى أن
مات ، رحمه الله تعالى ؛ ذكر لي هذا أو معناه فإني كتبت من حفظي .

٨٩ - ترجمة الميهني في طبقات السبكي ٤ : ٢٠٣ وفيه أسعد بن محمد بن أبي نصر .

والميهنيء - بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الهاء والنون -
وهذه النسبة إلى ميهنة ، وهي قرية من قرى خابران^١ وهي ناحية بين سرخس
وأبيورد من إقليم خراسان .

٩٠

منتجب الدين العجلي

أبو الفتح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد بن محمد العجلي
الأصبهاني الملقب بمنتجب^٢ الدين الفقيه الشافعي الواعظ؛ كان من الفقهاء الفضلاء
الموصوفين بالعلم والزهد مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة^٣ لا يأكل إلا من
كسب يده ، وكان يُورقُ ويبيع ما يتقوّتُ به ، وسمع ببلده الحديث على أم
إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية^٤ ، والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد
ابن الفضل وأبي الوفاء غانم بن أحمد بن الحسن الجلودي وأبي الفضل عبد الرحيم
ابن أحمد بن محمد البغدادي وأبي المطهر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصيدلاني^٥
وغيرهم ، وقدم بغداد وسمع بها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سكتان
المعروف بابن البطي في سنة سبع وخمسين وخمسة وعشرون . وله إجازة^٦ حدث
بها من أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي وأبي الفتح إسماعيل بن الفضل الإخشيد

- ١ قال ياقوت : خابران ناحية ومدينة فيها عدة قرى بين سرخس وأبيورد من خراسان ، ومن
قراها ميهنة ، وكانت مدينة كبيرة خرب أكثرها .
- ٩٠ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٥٠ وشذرات الذهب ٤ : ٣٤٤ .
- ٢ في بعض الأصول : منتخب .
- ٣ د والطاعة .
- ٤ نسبة إلى جوزدان - بضم الجيم وسكون الواو والزاي - وهي عملة على باب أصبهان؛ وفي أج :
الجوزجانية ، والنسبة الثانية إلى جوزجان بخراسان .
- ٥ ه الأنصاري .
- ٦ د : أخبار .

وأبي المبارك عبد العزيز بن محمد الأزدي وغيرهم ، وعاد إلى بلده وتبحر ومهراً واشتهر ، وصنف عدة تصانيف ، فمن ذلك « شرح مشكلات الوجيز والوسيط للغزالي » تكلم في المواضع المشككة من الكتابين ونقل من الكتب المبسوطة عليها ، وله كتاب « تنمة التتمة » لأبي سعد المتولي وعليه كان الاعتماد في الفتوى بأصبهان . وكان مولده في أحد الربيعين سنة خمس أو أربع عشرة وخمسةائة بأصبهان . وتوفي بها في ليلة الخميس الثاني والعشرين من صفر سنة ستائة ، رحمه الله تعالى .

والعجّلي - بكسر العين المهملة وسكون الجيم وبعدها لام - هذه النسبة إلى عجل بن لُجَيْم ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من بني ربيعة الفرس ، ولُجَيْم - بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ميم - وهو عجل ابن لجيم بن صعّب بن علي بن بكر بن وائل ، قال أبو عبيدة : كان عجل بن لجيم يُعدُّ في الحَمَقى بين العرب ، وكان له فرس جواد ، فقيل له : إن لكل فرس جواد اسماً فما اسم فرسك ؟ فقال : لم أسمه بَعْد ، فقيل له : فسّمه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سميت الأعرور . وفيه قال بعض شعراء العرب :

رَمَتْنِي بنو عجل بداء أبيهم ، وهل أحدٌ في الناس أحق من عجل
أليس أبوهُم عارَ عينَ جوادِه فسارت به الأمثال في الناس بالجهل

يقال : عار العين - بالعين المهملة - إذا فقأها .

الأسعد ابن مماتي

القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مَلِيح مَمَاتِي المصري الكاتب الشاعر ؛ كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ونظم « سيرة السلطان صلاح الدين » رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب « كليفة ودمنة » ، وله ديوان شعر رأبته بخط ولده ونقلت منه مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

ثُعَاتِبُنِي وَتَنْهَى عَنِ أُمُورٍ سَبِيلُ النَّاسِ أَنْ يَنْهَوْكَ عَنْهَا
أَتَقَدِّرُ أَنْ تَكُونَ كَمَثَلِ عَيْنِي وَحَقِّكَ مَا عَلِيٌّ أَضْرَّ مِنْهَا

وله في شخص ثقيل رآه بدمشق :

حَكِي نَهْرَيْنِ مَا فِي الْأَرْضِ ضَ مَنْ يَحْكِيهَا أَبَدًا
حَكِي فِي خَلْقِهِ نُورِي وَفِي أَخْلَاقِهِ بَرَدِي

وقد أخذ ابن مَمَاتِي معنى بيتيه هذين من قول بعضهم :

ضَاهِي ابْنُ بَشْرَانَ مَدِينَةَ جَلَّتْ فَكَلَامًا يَوْمَ الْفَخَارِ فَرِيدُ
أَلْفَاظُهُ بَرَدِي ، وَصُورَةُ خَلْقِهِ نُورِي ، وَنَقْصُ الْعَقْلِ مِنْهُ يُزِيدُ

وله من جملة قصيدة طويلة :

لنيرانه في الليل أيُّ تحرقِ على الضيف إن أبطا وأيُّ تلهبِ

٩١ - ترجمة الأسعد ابن مماتي في معجم الأدباء ٦ : ١٠٠ وانباء الرواة ١ : ٢٣١ والخريدة (قسم مصر) ١ : ١٠٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٧٨ وشذرات الذهب ٥ : ٢٠ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٥ والبداية والنهاية ١٣ : ٥٣ ومسالك الأبصار ١٢ : ٥٨ .

وما ضَرَّ من يَعْشُو إلى ضوء ناره إذا هو لم ينزلْ بآلِ المهلبِ
وله في غلام نحوي :

وأهيفُ أحدثَ لي نحوهُ تعجباً يُعربُ عن ظرفِهِ
علامةُ التأنيثِ في لفظه وأحرفُ العلة في طرفِهِ

ومن شعره ثلاثة أبيات مذكورة في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي في حرف
الياء ، وفي شعره أشياء حسنة .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وأورد له عدّة مقاطيع ، ثم
أعقبه بذكر أبيه الخطير ، وذكر كثيراً من شعره ، فمن ذلك قوله في كتّان
السّر وبالغ فيه :

وأكتُم السّر حق عن إعادته إلى المُسرِّ به من غير نسيانِ
وذاك أن لساني ليسَ يُعلمه سمعي بسرّ الذي قد كان ناجاني

وقال : لقيته بالقاهرة متولي ديوان جيش الملك الناصر ، وكان هو وجماعته
نصارى فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحي^٢ .

وللمهذب ابن الخيمي في الأسعد ابن مَمّاتي المذكور يهجوه :

وحديث الإسلامِ واهي الحديثِ باسمِ الثغر عن ضمير خبيث
لو رأى بعضَ شعره سيبيوه زاده في علامة التأنيث

وكان الحافظ أبو الخطاب ابن دحية المعروف بذئ النسبين ، رحمه الله تعالى ،
عند وصوله إلى مدينة إربل ، ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ابن
زين الدين ، رحمه الله تعالى ، بعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، حسبا هو
مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه ، صنف له كتاباً سماه

١ أ : يعرف من .

٢ أ ج : الدولة الصلاحية .

« التنوير في مولد السراج المنير » ، وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين ، أولها :

لولا الوشاة وهمُّ أعداؤنا ما وهموا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه ، وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستائة والقصيدة فيه ، ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها في مجموعة منسوبة إلى الأسمد ابن ممتاتي المذكور ، فقلت : لعل الناقل غلط ، ثم بعد ذلك رأيتها في ديوان الأسمد بكماها ، مدح بها السلطان الملك الكامل ، رحمه الله تعالى ، فقوي الظن . ثم إني رأيت أبا البركات ابن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في « تاريخ إربل » عند ذكر ابن دحية ، وقال : سألته عن معنى قوله فيها :

يفديه من عطا جما دى كفه المحرّم

فما أحرار جواباً ، فقلت : لعله مثل قول بعضهم :

تَسَمَّى بأَسْمَاءِ الشُّهُورِ فَكَفَّهُ جُمَادَى وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحْرَمُ

قال : فتبسم وقال : هذا أردت ، فلما وقفت على هذا ترجّح عندي أن القصيدة للأسمد المذكور ، فإنها لو كانت لأبي الخطاب لما توقف في الجواب ، وأيضاً فإن إنشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستائة . والأسمد المذكور توفي في هذه السنة كما سيأتي ، وهو مقيم بجلب لا تعلق له بالدولة العادلية ، وبالجملّة فالله أعلم لمن هي منها (٢٦) * .

وكان الأسمد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب لائتداً بجناب السلطان الملك الظاهر ، رحمه الله تعالى ، وأقام بها حتى توفي في سلخ جمادى الأولى سنة ست وستائة يوم الأحد ، وعمره اثنتان وستون سنة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ علي الهروي . وتوفي أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة

سبع وسبعين وخمسمائة .

ومينا : بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف .
ومماتي - بفتح الميمين والثانية منها مشددة وبعء الألف تاء مثناة من فوقها
وهي مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهو لقب أبي مليح المذكور وكان
نصرانياً ، وإنما قيل له مماتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم ، وكان كثير الصدقة
والإطعام ، وخصوصاً لصغار المسلمين ، فكانوا إذا رأوه ناداه كل واحد منهم
مماتي ، فاشتهر به ، هكذا أخبرني الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم
المنذري ، نفع الله به ، ثم أنشدني عقيب^١ هذا القول مرثية فيه وقال : أظن
هذين البيتين لأبي طاهر ابن مكنسة المغربي^٢ ، وهما :

طُوِيَتْ سماءُ المكرما ت وكوَّرتْ شمسُ المديح
منْ ذا أوْمَل أو أُرَجِّي بعد موْتِ أبي المليح

ثم كشفت عنها فوجدتها له ، وله فيه مدائح أيضاً [وكان أبو الطاهر ابن
مكنسة خصيصاً بأبي مليح مماتي جد الأسعد المذكور ؛ وكان في بستانه المعروف
بظاهر مصر ، مجاور جامع راشدة الحاكمي ، منظرة المعروفة بالزهوة ولها البئر
الموصوف ماؤها بشدة البرد والحلاوة في الصيف حتى إن صاحب قصر الحكمة
كان ينفذ من يأخذ من ماؤها لشربه ، وفيها يقول ابن مكنسة من جملة قصيدة
يمدحه بها ويصف المنظرة :

ومن عجائبها البئر التي انفردت بالقرّ في الحرّ والأمواه تضطرم
كأنما ماؤها في كل هاجرة ريق الحبيب عقيب الهجر وهي فهم

١ : د : بعد .

٢ هو إسماعيل بن محمد ، عده العباد من شعراء مصر وقال : ان الأفضل جفاه بسبب هذين البيتين
(الخريدة - قسم مصر ٢ : ٢٠٣ وانظر الرسالة المصرية : ٤٣ والفوات ١ : ٣٦) وتوفي ابن
مكنسة سنة ٥١٠ .

البهاء السنجاري

أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب^١ ابن هبان بن سوار بن عبد الله بن رُفَيْع بن ربيعة بن هبان السلمي السنجاري الفقيه الشافعي الشاعر المنعوت بالبهاء ؛ كان فقيهاً ، وتكلم في الخلاف ، إلا أنه غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به وخدم به الملوك وأخذ جوائزهم ، وطاف البلاد ومدح الأكابر ، وشعره كثير في أيدي الناس ، يوجد قصائد ومقاطيع ، ولم أقف له على ديوان ولم أدر هل دون شعره أم لا ، ثم وجدت له في خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق ديواناً في مجلد كبير .

ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري^٢ :

وهوَ أَكَمَا خَطَرَ السَّلْوُ بِبَالِهِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فِي الْغَرَامِ بِجَالِهِ
وَمَتَى وَشَى وَاشِ إِلَيْكَ بِأَنْتَهُ سَالِ هَوَاكَ فَذَاكَ مِنْ عُنْدَالِهِ
أَوْ لَيْسَ لِلْكَتِفِ الْمَعْنَى شَاهِدُهُ مِنْ حَالِهِ يُغْنِيكَ عَنْ تَسْأَلِهِ
جَدَدَتْ ثُوبَ سَقَامِهِ ، وَهَتَكَتْ سِتْرَ غَرَامِهِ ، وَصَرَمَتْ حَبْلَ وَصَالِهِ
أَفْزَلَةٌ سَبَقَتْ لَهُ أَمَّ خَلَةٍ مَأْلُوفَةٌ مِنْ تَيْهِهِ وَدَلَالِهِ
يَا لِلْعَجَائِبِ مِنْ أَسِيرِ دَأْبُهُ يَفْقِدِي الطَّلِيْقَ بِنَفْسِهِ^٣ وَبِمَالِهِ
بِأَبِي وَأُمِّي نَابِلٌ بِلِحَاظِهِ لَا يَتَّقِي بِالْدَّرْعِ حَدَّ نِبَالِهِ

٩٢ - ترجمة البهاء السنجاري في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٤٠١ . وقد أشرنا إلى بعض مصادر ترجمته فيما تقدم ص : ١١١ .

١ د : وهيب .

٢ هو كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري كان قاضياً بدمشق ؛ وسيترجم له ابن خلكان .

٣ أ : بروحه .

رَبَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيَّةِ وَالصَّبَا
تَسْرِي النَّوَظِرُ فِي مَرَاقِبِ حَسَنِهِ
فَكَفَّاهُ عَيْنُ كَمَالِهِ فِي نَفْسِهِ
كَتَبَ الْعِدَارُ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِهِ
فَسَوَادُ طَرَّتِهِ كَلِيلُ صُدُودِهِ
وَبِيَاضُ غُرَّتِهِ كَيَوْمِ وَصَالِهِ
شَرِقَتْ مَعَاظِفُهُ بِطَيْبِ زَلَالِهِ
فَتَكَادُ تَفْرُقُ فِي بَحَارِ جَمَالِهِ
وَكَفَى كَمَالَ الدِّينِ عَيْنُ كَمَالِهِ
نُونًا وَأَعْجَمَهَا بِنُقْطَةِ خَالِهِ

ولولا خوف الإطالة لذكرتها جميعها. وهذا القدر هو المشهور له، وقد أضافوا إليها بيتين، ولا أتوقفها فتركتها.

وله أيضاً من جملة قصيدة :

وَمُهَفَّفٍ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ فَاتِرِ
وَقَفَّ الرَّحِيقُ عَلَى مَرَاشِفِ ثَغْرِهِ
سَدَّتْ حِمَاسَتُهُ عَلَى عُشَّاقِهِ
سَبَّلَ السَّلْوَى فَمَا إِلَيْهِ طَرِيقُ
الْأَلْحَاطِ فِيهِ طَاعَةٌ وَعُقُوقُ
فَجَرَى بِهِ مِنْ خَدِّهِ رَاوُوقُ

وله من قصيدة أخرى :

هَبَّتْ نُسُيَاتُ الصَّبَا سَحْرَةً
فَقُلْتُ إِذْ مَرَّتْ بَوَادِي الْغُضَا
فَفَاحَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْأَشْهَبُ
مِنْ أَيْنَ هَذَا النَّفْسُ الطَّيِّبُ

(II) وكان قد جاءنا ونحن في بلادنا في سنة ثلاث وعشرين وسمائة الشيخ جمال الدين أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة^٢ الواسطي، وكان من أعيان شعراء عصره، ونزل عندنا بالمدرسة المظفرية، وكان قد طاف البلاد ومدح الملوك وأجازوه الجوائز السنية، وإذا قعد حضر عنده كل من له عناية بالأدب، وتجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة، وكان قد طعن في السن، فقال يوماً: رافقني الهباء السنجاري في بعض الأسفار من سنجار إلى رأس عين، أو قال: من رأس عين إلى سنجار، فنزلنا في الطريق في مكان وكان

١ هـ : الجمال .

٢ هـ : السنينير .

له غلام اسمه إبراهيم ، وكان يأنس به ، فأبعد عنا الغلامُ فقام يطلبه فناداه :
يا إبراهيم يا إبراهيم مراراً فلم يسمع نداءه لبعده عنا ، وكان ذلك الموضع له
صدىً ، فكلما قال : يا إبراهيم أجابه الصدى : يا إبراهيم ، فقام ساعة ثم أنشدني :

بنفسي حبيبٌ جارٍ وهو مُجاورٌ بعيدٌ عن الأبصار وهو قريبٌ
يحبُّ صدَى الوادي إذا مادعوتهُ على أنه صخرٌ وليس يُجيبُ

وكان للبهاء السنجاري صاحب ، وبينهما مودة أكيدة واجتماع كثير ، ثم
جرى بينها في بعض الأيام عتاب وانقطع ذلك الصاحب عنه ، فسير إليه يعتبه
لانقطاعه ، فكتب إليه بيتي الحريري اللذين ذكرهما في المقامة الخامسة
عشرة وهما :

لا تزُرْ مَنْ تَحَبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فاجتِلاءَ الهلالِ فِي الشَّهْرِ يَوْمٍ ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ
فكتب إليه البهاء من نظمه :

إِذَا حَقَّقْتِ مَنْ خَلَّ وَدَادَا فَزُرْهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مَلَالَا
وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هَلَالَا
وله ، وهما من شعره السائر :

لِللَّهِ أَيَّامِي عَلَى رَامَةٍ وَطَيْبُ أَوْقَاتِي عَلَى حَاجِرِ
تَكَادُ لِلشَّرْعَةِ فِي مَرَّهَا أَوْلَهَا يَعْثُرُ بِالْآخِرِ

وله من قصيدة في وصف الخمر ، وهو معنى مليح :

كَادَتْ تَطِيرُ وَقَدْ طَرْنَا بِهَا طَرَبًا لَوْلَا الشِّبَاكُ الَّتِي صَيَّغَتْ مِنْ الْحَبَبِ
وذكره عماد الدين الأصبهاني الكاتب في كتاب « السيل والذيل » وقال :
أنشدني لنفسه :

١ ج ٥ : وكان بينها .

ومن العجائب أني في لجج بحر الجود راكب
وأموت من ظمياً ولا كنعان البحر العجائب

وله أشياء حسنة .

وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ، وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمئة بسنجار ، رحمه الله تعالى .

٩٣

المزني صاحب الشافعي

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ هو من أهل مصر ، وكان زاهداً عالماً مجتهداً مخلصاً غواصاً على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه ، صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي ، منها « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » و « مختصر المختصر » و « المنثور » و « المسائل المعتبرة » و « الترغيب في العلم » و كتاب « الوثائق » وغير ذلك ، وقال الشافعي رضي الله عنه في حقه : المزني ناصر مذهبي . وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى . وقال أبو العباس أحمد بن سُرَيْج : يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفتض ، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا .

ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى القضاء بمصر

٩٣ - ترجمة المزني في طبقات السبكي ١ : ٢٣٨ وقال انه ولد سنة ١٧٥ .

١ من أقوال الشافعي فيه : لو ناظر الشيطان لغلبه .

وجاءها من بغداد ، وكان حنفي المذهب ، توقع الاجتماع بالمزني مدة ، فلم يتفق له ، فاجتمع يوماً في صلاة جنازة فقال القاضي بكار لأحد أصحابه : سل المزني شيئاً حتى أسمع كلامه ، فقال له ذلك الشخص : يا أبا إبراهيم ، قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضاً ، فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟ فقال المزني : لم يذهب أحد من العلماء إلى أن النبيذ كان حراماً في الجاهلية ثم حل ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً ، فهذا يعضد صحة الأحاديث بالتحريم ، فاستحسن ذلك منه ، وهذا من الأدلة القاطعة . وكان في غاية الورع ، وبلغ من احتياظه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة من كوز نحاس ، فقيل له في ذلك ، فقال : بلغني أنهم يستعملون السَّرْجِينَ في الكيزان ، والنار لا تطهرها . وقيل إنه كان إذا فاتته الصلاة في جماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين صلاة استدراكاً لفضيلة الجماعة ، مستنداً في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة » .

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة ، وكان مُجَاب الدعوة ، ولم يكن أحد من أصحاب الشافعي يحدث نفسه في شيء من الأشياء بالتقدم عليه ، وهو الذي تولّى غسل الإمام الشافعي ، وقيل : كان معه أيضاً حينئذ الربيع .

وذكره ابن يونس في تاريخه وسماه ، وجعل مكان اسم جده إسحاق «مسماً» ، ثم قال : صاحب الشافعي ، وذكر وفاته كما تقدم ، وقال : كانت له عبادة وفضل ، ثقة في الحديث ، لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه ، وكان أحد الزهاد في الدنيا وكان من خير خلق الله عز وجل ، ومناقبه كثيرة .

وتوفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر ، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، بالقرافة الصغرى بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ، وزرت قبره هناك .

وذكر ابن زولاق في تاريخه الصغير أنه عاش تسعاً وثمانين سنة ، وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن المرادي .

١ كذا ، وذكر وفاته لم يتقدم .

والمُزَنِي - بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون - هذه النسبة إلى مُزَيْنَةَ بنت كَلْب ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة .

٩٤

أبو العتاهية

أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كَيْسَانَ العَنْزِي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعَيْنِ التمر، وهي بُلَيْدَةٌ بالحجاز قرب المدينة ، وقيل : إنها من أعمال سقي الفرات ، وقال ياقوت الحموي في كتابه « المشترك » إنها قرب الأنبار ، والله أعلم .

ونشأ بالكوفة وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار فقيل له : الجَرَّار ، واشتهر بحجة^٢ عُنْبَةَ جارية الإمام المهدي ، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله^٣ :

أعلنتُ عُنْبَةَ أنفي منها على شَرَفٍ مُطِلُّ
وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تَسْتَهِّلُ
حتى إذا بَرِمَتْ بما أشكو كما يشكو الأقلُّ
قالت : فأبيُّ الناسِ يَعُ لم ما تقول ؟ فقلت : كلُّ

٩٤ - ترجمة أبي العتاهية في الأغاني ٤ : ٣ والشعر والشعراء : ٦٧٥ وطبقات ابن المعتز : ٢٢٨

ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨٥ والشذرات ٢ : ٢٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٥٠ والموشح : ٢٥٤

وقد حقق ديوانه الدكتور شكري فيصل (دمشق : ١٩٦٥) .

١ أ هـ : بلدة .

٢ هـ : بحبه .

٣ ديوانه : ٥٩٨ وطبقات ابن المعتز : ٢٢٨ .

وكتب مرة إلى المهدي وعرضَ بطلبها منه^١ :

نفسى بشيء من الدنيا مُعلِّقَةٌ اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكفِيها
إني لأبأسُ منها ثم يُطمِعُني فيها احتِقارُكَ للدنيا وما فيها

وقال أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »^٢ : إن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدي إلى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان، فأهدى له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مُطَيَّب قد كتب على حواشيه هذين البيتين المُقدِّمَ ذكرهما ، فهمَّ بدفع عتبة إليه ، فجزعت ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، حرمتي وخدمتي ، أتدفعني^٣ إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومتكسب بالشعر؟ فأعفاها وقال : املاؤا له البرنية مالاً ، فقال للكتاب : أمر لي بدنانير ، وقالوا : ما ندفع إليك ذاك ، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يُفصحَ بما أراد ، فاختلف في ذلك حولاً ، فقالت عتبة : لو كان عاشقاً كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أعرض عن ذكرني صَفْحاً .

ومن مدبجه^٥ :

إني أمنتُ من الزمان وصرفه لما علقتُ من الأمير حبالا
لو يَسْتَطِيعُ الناسُ من إجلاله تَحْذُوا له حرَّ الحدودِ نِعالا
إن المطايا تشتكك لأنها قَطَعَتْ إليك سباسباً ورمالا
فإذا وردنَ بنا وردنَ خفافاً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا

وهذه الأبيات قالها في عمر بن العلاء ، فأعطاه سبعين ألفاً ، وخلع عليه حتى

١ ديوانه : ٦٦٨ ومعاهد التنصيص .

٢ الكامل ٢ : ٣٠٢ .

٣ الكامل : أبعد حرمتي وخدمتي تدفعني ... الخ .

٤ الكامل : بالعشق .

٥ انظر ديوانه : ٦٠٥ .

٦ د : فدافداً .

لا يقدر! أن يقوم ، فغار الشعراء من ذلك ، فجمعهم ثم قال : يا معشر الشعراء عجباً لكم ! ما أشدَّ حسدكم بعضكم بعضاً ! إن أحدم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشب فيها بصديقته بخمسين بيتاً ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه وروثق شعره ، وقد أتانا أبو العتاهية فشبه بأبيات يسيرة ، ثم قال ، وأنشد الأبيات المذكورة : فما لكم منه تغارون ؟ وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذه الأبيات تأخر عنه بره قليلاً فكتب إليه يستبطئه^٢ :

أصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرَ
فَنَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ وَالنُّشْرَ^٣
سَرَّ قَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا
وَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ

قال أشجع السلمي الشاعر المشهور : أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا ، فأمرنا بالجلوس ، فاتفق أن جلس يجني بشار بن بُرْدٍ وسكت المهدي فسكت الناس ، فسمع بشار حساً فقال لي : من هذا ؟ فقلت : أبو العتاهية ، فقال : أترأه ينشد في هذا المحفل ؟ فقلت : أحسبه سيفعل ، قال : فأمره المهدي أن ينشد ، فأنشد^٤ :

أَلَا مَا لِسَيْدَتِي مَا لَهَا
أَدَلَّتْ فَأَحْمَلَ إِدْلَالَهَا

قال : فنخسني بشار برفقه وقال : ويحك ! أ رأيت أجسر من هذا ؟ ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع ، حتى بلغ إلى قوله :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً
إِلَيْهِ تَجَرَّرُهُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ
وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ
لَزَلَزَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا

١ د : لم يستطع .

٢ ديوانه : ٥٥٧ وأمالى القالي ١ : ٢٤٣ .

٣ النشر : الرقى .

٤ ديوانه : ١٩٧ وفي الحاشية تخريج مستقصى .

٥ أ : تجرر .

ولولم تطعته بنات القلوب لَمَا قَبِلَ اللهُ أَعْمَالَهَا

فقال لي بشار : انظر ويحك يا أشجع ، هل طار الخليفة عن عرشه ؟ قال
أشجع : فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية .
وله في الزهد أشعار كثيرة ، وهو من مُقَدِّمِي المولدين في طبقة بشار وأبي
نواس وتلك الطائفة ، وشعره كثير .

وكانت ولادته في سنة ثلاثين ومائة ، وتوفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون
من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة^١ ، وقيل : ثلاث عشرة ومائتين ببغداد ،
وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين ، رحمه الله تعالى .
ولما حضرته الوفاة قال : أشتهي أن يحيء مخارق المغني ويغني عند رأسي ،
والبيتان له من جملة أبيات^٢ :

إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي^٣ فَإِنَّ عَزَاءَ البَاكِياتِ قَلِيلُ
سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت^٤ :

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرَهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٍ مُعْجَلٍ التَّنْغِيصِ

ويحكى أنه لقي يوماً أبا نواس فقال له : كم تعمل في يومك من الشعر ؟
فقال له : البيت والبيتين ، فقال أبو العتاهية : لكنني أعمل المائة والمائتين في
اليوم ، فقال أبو نواس : لأنك تعمل مثل قولك :

يَا عُنْبَ مَا لِي وَلَكَ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَرَكَ

١ أ : سنة ٢١٠ .

٢ ديوانه : ٣١٧ .

٣ الديوان : إذا انقطعت عني من العيش مدتي .

٤ لم يرد في ديوانه .

ولو أردت مثل هذا الألف والألفين لقدرتُ عليه ، وأنا أعمل مثل قولي :
مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرِّ فِي زِيِّ ذِي ذَكَرٍ لَهَا مُحِبَّانِ : لُوطِي ، وَزَنَاءُ
ولو أردتَ مثل هذا لأعجزك الدهر .
ومن لطيفِ شعره قوله ١ :

ولقد صَبَوْتُ إِلَيْكَ حَتَّى صَارَ مِنْ فَرَطِ التَّصَابِي
يَجِدُ الْجَلِيسُ إِذَا دَنَا رِيحَ التَّصَابِي فِي ثِيَابِي
وحكاياته كثيرة .

ومن شعره في عتبة جارية المهدي ٢ :

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْهُوَى قَاتِلِي فَيَسْتَرُوا ٣ الْأَكْفَانَ مِنْ عَاجِلِ
وَلَا تَلُومُوا فِي اتِّبَاعِ الْهُوَى فَإِنِّي فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
ويقول فيها :

عَيْنِي عَلَى عُتْبَةَ مُنْهَلَّةٍ بدمعها المنسكبِ السائلِ
يَا مَنْ رَأَى قِبَلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ
بَسَطْتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سَائِلًا مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَى السَّائِلِ
إِنَّ لَمْ تُنِيلُوهُ ، فَقُولُوا لَهُ قَتُولًا جَمِيلًا بَدَلَ النَّائِلِ
أَوْ كُنْتُمْ الْعَامَ عَلَى عُسْرَةٍ مِنْهُ فَمِنْهُوَ إِلَى الْقَابِلِ

وحكى صاعد اللغوي في كتاب « الفصوص » : أن أبا العتاهية زار يوماً
بشار بن برد ، فقال له أبو العتاهية : إني لأستحسن قولك اعتذاراً من البكاء ،
إذ تقول :

١ ديوانه : ٤٩٠ .

٢ ديوانه : ٦١٦ .

٣ د : فسروا .

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقَهُ الْبُكَاءُ مِنَ الْحِجَاءِ
وَإِذَا تَقَطَّطْنَ لِأَمْنِي فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِأَرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ

فقال له : أيها الشيخ ، ما عرفته إلا من بحرك ، ولا نحتته إلا من قدحك ،
وأذت السابق حيث تقول^١ :

وقالوا قد بكيتَ فقلتُ كلا وهل يبكي من الجَزَعِ الجليدُ
ولكنْ قد أصاب سَوَادَ عيني عَوِيدُ قَدَّيْ له طَرْفُ حديد
فقالوا ما لِدَمْعِهَا سَوَاءُ أَكَلْنَا مَقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُوْدُ

قال صاعد : وتقدمها إلى هذا المعنى الخطيئة حيث يقول^٢ :

إذا ما العينُ فاضَ الدَّمْعُ منها أقولُ بها قَدَّيْ وهوَ البُكَاءُ

وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر ، فحكى قال : لما امتنعت من قَوْلِهِ
أمر المهدي بجبسي في سجن الجرائم ، فلما دخلته دُهِشت ورأيت منظرًا هالتي ،
فطلبت موضعاً آوي فيه ، فإذا أنا بكهل حسن البزّة والوجه عليه سِما الخير
فقصده ، وجلست من غير سلام عليه لما أنا فيه من الجزع والخيرة والفكر ،
فمكثت كذلك مَلِيًّا ، وإذا الرجل ينشد :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأَسْمَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ وَاثْقًا بِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

قال : فاستحسنت البيتين وتبركت بهما ، وثاب إليَّ عقلي ، فقلت له :
تفضل - أعزك الله - عليَّ بإعادتها ، فقال : يا إسماعيل ، ويحك ما أسوأ
أدبك وأقل عقلك ومروءتك ، دخلت فلم تسلّم عليَّ تسلّم المسلم على المسلم ،

١ لم ترد في ديوانه .

٢ ديوان الخطيئة : ٥٩ .

ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم ، حتى سمعت^١ مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيراً ولا أدباً ولا معاشاً غيره ، طفقت تستنشدني مبتدئاً كأن بيننا أنساً وسالفَ مودةٍ توجب بسط القبض ، ولم تذكر ما كان منك ، ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك ، فقلتُ : اعذرني متفضلاً ، فدون ما أنا فيه يدهش ، قال : وفيم أنت ؟ تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسببك إليهم ، ولا بد أن تقوله فتطلق ، وأنا يُدعى الساعةَ بي ، فأطلب بعيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن دلت عليه لقيتُ الله تعالى بدمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه ، وإلا قُتِلت ، فأنا أولى بالحيرة منك ، وها أنت ترى صبري واحتسابي ، فقلت : يكفيك الله عز وجل ، وخجلت منه ، فقال : لا أجمع عليك التوبيخَ والمنع ، اسمع البيتين ، ثم أعادها عليّ مراراً حتى حفظتها ، ثم دُعِي به وبِي . فقلت له : مَنْ أنت أعزك الله عز وجل ؟ قال : أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد ، فأدخلنا على المهدي ، فلما وقفنا بين يديه قال للرجل : أين عيسى بن زيد ؟ قال : وما يدريني أين عيسى ابن زيد ؟ تطلّبتَه فهرب منك في البلاد وحبستني ، فمن أين أقف على خبره ؟ قال له : متى كان متوارياً ؟ وأين آخر عهدك به ؟ وعند من لقيته ؟ قال : ما لقيته منذ توارى ، ولا عرفت له خَبراً ! قال : والله لتدلّنّ عليه ، أو لأضربنّ عنقك الساعة ، فقال : اصنع ما بدا لك ، فوالله ما أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله تعالى ورسوله عليه السلام بدمه ، ولو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه ، قال : اضربوا عنقه ، فأمر به فضربت عنقه ، ثم دعا بي فقال : أتقول الشعر ، أو ألحقك به ؟ قلت : بل أقول ، قال : أطلقوه ، فأطلقت .

وقد روى القاضي أبو علي التنوخي في البيتين المذكورين زيادة بيت ثالث ، وهو :

إذا أنا لم أقنّع من الدهرِ بالذي تَكَرَّهْتُ منه طَالَ عَتِي على الدهرِ

وحكايات أبي العتاهية كثيرة .

والعززي - بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاي - هذه النسبة إلى عَنَزَة ابن أسد بن ربيعة .

والعَيْنيُّ - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - هذه النسبة إلى عين التمر البلدة المذكورة في الأول .

٩٥

أبو علي القالي

أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي ، جدُّه سلمانُ مولى عبد الملك بن مروان الأموي ؛ كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دُرَيْد الأزدي وأبي بكر ابن الأنباري ونِفْطَوَيْه وابن دَرَسْتَوَيْه وغيرهم . وأخذ عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي صاحب « مختصر العين » ، وله التوالمف الملاح^٢ ، منها : كتاب « الأمالي » وكتاب « البارح » في اللغة ، بناء على حروف المعجم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « في الإبل وتاجها » وكتاب « في حلي الإنسان والحيل وشياتها » وكتاب « فعلت وأفعلت » وكتاب « مقاتل الفرسان » وكتاب شرح فيه القصائد المعلقة ، وغير ذلك ، وطاف البلاد ، سافر إلى بغداد في سنة

٩٥ - ترجمة القالي في الزبيدي : ٢٠٢ وابن الفرضي ١ : ٨٣ والجدوة : ١٥٤ (والبغية : ٢١٦) وانباء الرواة ١ : ٢٠٤ وبغية الوعاة : ١٩٨ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥ والنفع ٣ : ٧٠ (ط. صادر) وفي فهرسة ابن خير : ٣٩٥ ثبت بالكتب التي أدخلها إلى الأندلس .

١ د : سليمان .

٢ أ : الحسنة .

ثلاث وثلثائة ، وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي . ودخل بغداد في سنة خمس وثلثائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلثائة ، وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الأندلس .

ودخل قرطبة ثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثائة واستوطنها ، وأملى كتابه « الأمالي » بها ، وأكثر كتبه بها وضعها ، ولم يزل بها ، ومدحه يوسف بن هارون الرمادي المذكور في حرف الياء من هذا الكتاب بقصيدة بديمة ذكرت بعضها هناك فلتطلب منه .

وتوفي القالي بقرطبة في شهر ربيع الآخر ، وقيل : جمادى الأولى ، سنة ست وخمسين وثلثائة ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ، وصلى عليه أبو عبد الله الجبيري . ودفن بمقبرة متعة ظاهر قرطبة ، رحمه الله تعالى ، ومولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين في جمادى الآخرة بمنازجيرة من ديار بكر ، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة أحمد بن يوسف المنازي . وإنما قيل له « القالي » لأنه سافر إلى بغداد مع أهل « قالي قلا » فبقي عليه الاسم .

وعينون : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الذال المعجمة وبعد الواو نون .

والقالي - نسبة إلى قالي قلا - بفتح القاف وبعد الألف لام مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم قاف بعدها لام ألف - وهي من أعمال ديار بكر ، كذا قاله السمعاني ، ورأيت في « تاريخ السلجوقية » تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهاني : أن قالي قلا هي أرزن الروم ، والله أعلم .

وذكر البلاذري في كتاب « البلدان وجميع فتوح الإسلام » في فتوح أرمينية^١ ما مثاله : وقد كانت أمور الروم تشعبت^٢ في بعض الأزمنة ، وكانوا كما لوك الطوائف ، فملك أرمينيا رجل منهم ، ثم مات فملكها بعده امرأته وكانت تسمى قالي ، فبنت مدينة قالي قلا ، وسمتها قالي قاله ،

١ فتوح البلدان : ٢٣٤ .

٢ فتوح : نشئت .

ومعنى ذلك إحسان قالي ، وصورت على باب من أبوابها ، فعربت العرب قالي قاله ، فقالوا : قالي قلا .

٩٦

الصاحب ابن عباد

الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقاني ؛ كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب «المجمل» في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل ابن العميد ، وغيرها .

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه «اليتيمة» في حقه : لست تحضري عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردته بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدَ وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه .

ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجبها ، ودبَّ ودرج من وكبرها ، ورضع أفاويق درّها ، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

ورثَ الوزارة كبراً عن كبرٍ مَوْصُولَةٌ الإسناد بالإسنادِ

٩٦ - ترجمة الصاحب ابن عباد في اليتيمة ٣ : ١٩٢ ومعجم الأدباء ٦ : ١٦٨ وبغية الوعاة : ١٩٦ ويضم كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان قسماً كبيراً من أخباره ؛ وقد ألف فيه الشيخ محمد حسن آل ياسين كتاباً ونشر عدداً من آثاره بما في ذلك ديوانه ، وهناك مجموعة من رسائله حققها الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور شوقي ضيف (القاهرة : ١٣٦٦) . أما مشاركته في الحياة السياسية فتراجع فيها الكتب المتصلة بتاريخ البويهيين .

يروى عن العباس عبّادٌ وزا رتّه وإسماعيلُ عن عبّادٍ

وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وذكر الصابىء في كتاب « التاجي » أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب ، فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل مَنْ ولي الوزارة بعده .

وكان أولاً وزير مؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل ابن العميد المذكور في ترجمة أبيه محمد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة يجرُجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن علي ، فأقر الصاحب علي وزارته ، وكان مبعجلاً عنده ومعظماً نافذ الأمر . وأنشده أبو القاسم الزعفراني يوماً أبياتاً نونية ومن جملتها^٢ :

أيا مَنْ عطاياه تَهْدِي الغِنَى إلى راحتيّ مَنْ نأى أو دَنَا
كَسَوَتْ المقيمينَ والزائرينَ كُسا لم نَنخَلْ مثلها مُمكننا
وحاشيةُ الدارِ يمشون في صنوف من الخز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار مَعْن بن زائدة الشيبانيّ أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقاة و فرس وبغل و حمار و جارية ، ثم قال : لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوباً غير هذا لمملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز يجة و قميص و عمامة و درّاعة و سراويل و منديل و مطرف و رداء و كساء و جورب و كيس ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه .
واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ، ومدحوه بغرر المدائح (٢٧)*

١ هو عمر بن ابراهيم من أهل العراق ، كان واسطة عقد ندماء الصاحب وقال فيه الصاحب « وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فسورته لدي صورة الأخ ، أو وده أرسخ » (البيّمة ٣ : ٣٤٦) .

٢ انظر البيّمة ٣ : ١٩٥ .

وكان حسن الأجوبة [سريعها]، رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين، فوقَّع تحتها « في حديد بارد ». وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقَّع فيها ﴿ هذه بضاعتنا رُدت إلينا ﴾ . وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ، ثم صعد السطح يوماً فاطَّلع عليه فرآه فناداه المحبوس بأعلى صوته ﴿ فاطَّلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ فقال الصاحب ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ ونوادره كثيرة .

وصنف في اللغة كتاباً سماه « المحيط » وهو في سبع مجلدات ، رتبه على حروف المعجم ، كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب « الكافي » في الرسائل وكتاب « الأعياد وفضائل النيروز » وكتاب « الإمامة » يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب « الوزراء » وكتاب « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » وكتاب « أسماء الله تعالى وصفاته » وله رسائل بديعة ونظم جيد ، فمنه قوله ١ :

وشادِنِ جِمالِه تَقْصُرُ عَنْ صِفي
أهوى لتقبيل يدي فقلت قَبْلَ شَفِتي

وله في رقة الخمر ٢ :

رقَّ الزجاجُ ورَقَّتِ الخمرُ وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحُ وكأنما قَدَحٌ ولا خمرُ

وله يرثي كثير بن أحمد الوزير وكنيته أبو علي ٣ :

يقولون لي أودى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك مرزوء عليٍّ جليلُ

١ اليتيمة : ٢٥٨ .

٢ المصدر نفسه : ٢٦٣ .

٣ أ : وراقت .

٤ كذا ورد ، وفي اليتيمة : وقال يرثي أبا منصور ... الخ .

فقلت دَعُونِي وَالْعَلَا نَبَّكِهِ مَعًا فَمَثَلُ كَثِيرٍ فِي الرِّجَالِ قَلِيلٌ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدبير أمر مملكته ، فكان من جملة أعداره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعائة جبل ، فما الظن بما يليق بها من التجميل .
وفي هذا القدر من أخباره كفاية .

وكان مولده لأربعِ عَشْرَةَ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بإصطخر ، وقيل : بالطالقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ، ثم نقل إلى أصبهان ، رحمه الله تعالى ، ودفن في قبة بحلة تُعرف بباب دزبه ، وهي عامرة إلى الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر الأصبهانيّ : رأيت في المنام قائلاً يقول لي : لم لم ترثِ الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت : أجمتني كثرة محاسنه فلم أدرِ بِمَ أبدأ منها ، وقد خفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها ، فقال : أجز ما أقوله ، فقلت : قل ، فقال :

ثَوَى الجودُ والكافي معاً في حفيرةٍ

فقلت :

ليأَنَّسَ كلُّ منهما بأخيه

فقال :

هما اصْطَحَبَا حَيِّينِ ثم تعانقا

فقلت :

ضجيعينِ في الحدِّ بباب دزبه

فقال :

إذا ارتحلَ الثاؤونَ عن مُستقرِّهم

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيه

ذكر هذا البياسي^١ في حماسته .
ورأيت في أخباره أنه لم يَسْعُدْ أحدٌ بعد وفاته كما كان في حياته غير
الصاحب فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره
ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولاً وسائر
القواد وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم
صيحةً واحدةً وقبّلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس
وقعد للعزاء أياماً .

ورثاه أبو سعيد الرُشْتُمِيُّ بقوله :

أَبْعَدَ ابْنُ عَبَّادٍ يَهْشُ إِلَى السَّرَى أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَمَاحُ جَوَادُ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ^٢ فَمَا لِهَئِمَّا حَتَّى الْمَعَادِ^٣ مَعَادُ

وتوفي والده أبو الحسن عبّاد بن العباس في سنة اربع - أو خمس - وثلاثين
وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وكان وزير ركن الدولة بن بُؤْيَيْهِ ، وهو والد فخر
الدولة المذكور ، ووالد عضد الدولة فَنَّاخُسْرُو ممدوح المتنبي .
وتوفي فخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة^٤ ، رحمه الله تعالى ،
ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

والطَّالِقَانِي - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف وبعد
الألف الثانية نون - هذه النسبة إلى الطَّالِقَان ، وهو اسم لمدينتين : إحداهما

١ هو أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي (- ٦٥٣) وحماسته في مجلدين صنفها بتونس ،
جمع فيها ما اختاره من أشعار العرب جاهليها ومخضرمها وإسلاميها ومولدها ، ومن أشعار
المحدثين من أهل للشرق والأندلس ، ورتبها كترتيب أبي تمام .

٢ د : أبي ذاك أن الجود مات بموته .

٣ د : المات .

٤ أ : سنة ٣٨٩ .

بخُرَّاسان والأخرى من أعمال قَزَوِين ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين ، لا طالقان خراسان .

٩٧

أبو الطاهر السرقسطي

أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصاري المقرئ النحوي الأندلسي السرقسطي ؛ كان إماماً في علوم الآداب ومتقناً لفن القراءات ، وصنف كتاب « العنوان » في القراءات ، وعمدةُ الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه ، واختصر كتاب « الحجّة » لأبي علي الفارسي ، وذكره أبو القاسم ابن بشكوال في كتاب « الصلة » ، وأثنى عليه ، وعدّد فضائله^١ . ولم يزل على اشتغاله وانتفاع الناس به إلى أن توفي يوم الأحد مُسْتَهْلَ المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة رحمه الله تعالى .

والسَّرْقُسْطِيّ - بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة - هذه النسبة إلى مدينة في شرق الأندلس يقال لها سَرْقُسْطَة من أحسن البلاد ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، وأخذها الفرنج من المسلمين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

٩٧ - ترجمة أبي الطاهر السرقسطي في الصلة : ١٠٥ وغاية النهاية ١ : ١٦٤ ، وكان السرقسطي يقرئ في جامع عمرو بن العاص بمصر ؛ وقال ابن بشكوال توفي سنة ٤٥٣ .
١ د : الفن .
٢ إذا صح هذا القول من ابن خلكان فإن ترجمة السرقسطي في « الصلة » تعد ناقصة ، لأنه لم يثن عليه ولم يعدد فضائله .

المنصور العبيدي

أبو الطاهر إسماعيل الملقب المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، وستأتي بقية نسبه عند ذكر جده المهدي في حرف العين إن شاء الله تعالى. وقد تقدم ذكر المستعلي ، وهو من أحفاده .

بُويِعَ المنصور يوم وفاة أبيه القائم - على ما سيأتي في ترجمته في حرف الميم - ؛ وكان بليغاً فصيحاً يرتجل الخطب ، وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد المرورودي قال : خرجت مع المنصور يوم هزم أبا يزيد^٢ ، فسأيرته وبيده رُمحان ، فسقط أحدهما مراراً فمسحته وناولته إياه ، وتفاءلت له ، فأنشدته :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

فقال : ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ فقلت : يا مولانا أذت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت ما عندك من العلم .

قلت : ومن أحسن ما جاء في ذلك ما ذكره التيمي في سيرة الحجاج بن يوسف قال : أمر عبد الملك بن مروان أن يعمل باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه ، وسأله الحجاج أن يعمل له باباً ، فأذن له ، فاتفق أن صاعقة وقعت

٩٨ - راجع أخباره في اتعاظ الحنفا : ١٢٦ والدرة المضيئة : ١١٦ وابن خلدون ٤ : ٤٣ وابن عذاري ١ : ٢١٨ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٥٤ وخطط المقرئزي .

١ ج ٥ : محمد .

٢ هو أبو يزيد غلذ بن كيداد النكاري الثائر على العبيديين وسيأتي بعد قليل طرف من خبره ، وأخباره مفصلة في المراجع المذكورة قبلاً .

فاحترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجاج ، فعظم ذلك على عبد الملك ، فكتب الحجاج إليه « بلغني أن ناراً نزلت من السماء فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا في ذلك إلا كمثل ابْنَيْ آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ » فسرِّي عنه لما وقف عليه .

وكان أبوه قد ولاه محاربة أبي يزيد الخارج عليه ، وكان هذا أبو يزيد مخلد ابن كيداد رجلاً من الإباضية يُظهر التزهّد وأنه إنما قام غضباً لله تعالى ، ولا يركب غير حمار ، ولا يلبس إلا الصوف ، وله مع القائم والِدِ المنصور وقائع كثيرة ، وملك جميع مدن القيروان ، ولم يبق للقائم إلا المهديّة ، فأناخ^٢ عليها أبو يزيد وحاصرها فهلك القائم في الحصار ، ثم تولى المنصور فاستمر على محاربتة وأخفى موت أبيه ، وصابر الحصار حتى رجع أبو يزيد عن المهديّة ، ونزل على سُوسَة وحاصرها^٣ ، فخرج المنصور من المهديّة ولقيه على سُوسَة فهزمه ، ووالى عليه الهزائم إلى أن أسره يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلثائة ، فمات بعد أسره بأربعة أيام من جراح كانت به ، فأمر بسلخه وحشا جلده قطناً وصلبه وبنى مدينته في موضع الوقعة وسماها المنصورية^٤ ، واستوطنها .

وكان المنصور شجاعاً رابط الجأش ، بليغاً يرتجل الخطبة ؛ وخرج في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين من المنصورية إلى مدينة جَلُولَاءٍ ليتزّهدها ومعه حَظِيَّتُهُ قُضَيْبٌ ، وكان مغرمًا بها ، فأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم برداً كثيراً وسلط عليهم ريحاً عظيمة ، فخرج منها إلى المنصورية ، فاشتدّ عليه البرد فأوهن جسمه ، ومات أكثر من معه ، ووصل إلى المنصورية فاعتل بها فمات يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثائة ، وكان سبب علته أنه

١ أ : وقعت .

٢ ج : وأناخ .

٣ ج : وحاصرها .

٤ تقع على بعد نصف ميل من القيروان وهي نفسها « صيرة » المتصلة بالقيروان .

٥ جلولاء - حسب تحديد ياقوت - مدينة قديمة بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً .

لما وصل المنصورية أراد أن يدخل الحمام ، فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي^١ ، فلم يقبل منه ، ودخل الحمام ففثت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر ، فأقبل إسحاق يعالجه والسهر باقٍ على حاله ، فاشتد ذلك على المنصور ، فقال لبعض الخدم^٢ : أما بالقيروان طبيب يخلصني^٣ من هذا الداء ؟ فقالوا له : هنا شاب قد نشأ يقال له إبراهيم ، فأمر بإحضاره ، فحضر فعرّفه حاله وشكا إليه ما به^٤ ، فجمع له أشياء منومة ، وجعلت في قنينةٍ على النار وكلفه شمْها فلما أدمن شمْها نام ، وخرج إبراهيم مسروراً بما فعل ، وجاء إسحاق فطلب الدخول عليه فقالوا له : هو نائم ، فقال : إن كان قد صنّع له شيء ينام منه فقد مات ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً ، فأرادوا قتل إبراهيم ، فقال إسحاق : ما له ذنب ، إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض وما عرّفتموه ، وذلك أني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما يُطفئها علمت أنه قد مات .

وودفن بالمهدية ، ومولده بالقيروان في سنة اثنتين ، وقيل : إحدى وثلاثمائة ، وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة أيام ، رحمه الله تعالى .

وإفريقية - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وبعدها ياء معجمة باثنتين من تحتها ، وهي مفتوحة وبعدها هاء - إقليم عظيم من بلاد المغرب ، فتح في خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وكسري مملكته القيروان ، واليوم كرسيا تونس .

١ أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي : أصله من مصر وكان في أوليته كحالا ثم سكن القيروان وتلمذ على الطبيب إسحاق ابن عمران وخدم المهدي وخلفاءه من العبيديين ، وله كتاب الحيات ، خمس مقالات (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٦ - ٣٧) .

٢ هـ : لأحد .

٣ أ : يخلص .

٤ د : إليه ما يجده من السهر .

الظافر العبيدي

أبو المنصور إسماعيل الملقب الظافر ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وقد تقدم ذكر جده المنصور قبله . بويغ الظافر يوم مات أبوه بوصية أبيه ، وكان أصغر أولاد أبيه سنّاً ، وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الأغاني ، وكان يأنس إلى نصر بن عباس ، وكان عباس وزيره - وسيأتي ذكره في ترجمة العادل علي بن السلار إن شاء الله تعالى - فاستدعاهُ إلى دار أبيه ليلاً سرّاً بحيث لم يعلم به أحد [وكانت] تلك الدار هي [المعروفة بدار يونس وهي] الآن المدرسة الحنفيّة المعروفة بالسيوفية ، فقتله بها وأخفى قتله وقضيته مشهورة ، وكان ذلك في منتصف المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وقيل : ليلة الخميس سلخ المحرم من السنة المذكورة (٢٨) * ومولده بالقاهرة يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر ، وقيل : الأول ، سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وكان من أحسن الناس صورة ، ولما قتله نصر حضر إلى أبيه عباس وأعلمه بذلك من ليلته ، وكان أبوه قد أمره بقتله لأن نصرّاً كان في غاية الجمال ، وكان الناس يتهمونه به ، فقال له أبوه : إنك أتلفت عرضك بصحبة الظافر ، وتحديث الناس في أمركما ، فاقتله حتى تسلم من هذه التهمة فقتله ، فلما كان صباح تلك الليلة حضر عباس إلى باب القصر وطلب الحضور عند الظافر في شغل مهم ، فطلبه الخدم في المواضع التي جرت عادته بالمبيت فيها فلم يوجد ، فقيل له : ما نعم أين هو ، فنزل عن مركوبه ودخل القصر بمن معه ممن يثق إليهم وقال

٩٩ - الظافر العبيدي : راجع أخباره في اتعاظ الحنفا : ٢٨٦ والدرّة المضيئة : ٥٥٧ وابن خلدون ؛ : ٧٣ وفي خطط المقرئ .

للخدم : أخرجوا إليّ أخويّ مولانا، فأخرجوا له جبريل ويوسف ابني الحافظ فسألها عنه فقالا : سألّ ولدك عنه فإنه أعلم به منا ، فأمر بضرب رقابها ، وقال : هذان قتلاه . هذه خلاصة هذه القضية ، وقد بسطت القول فيها في ترجمة الفائز عيسى بن الظافر المذكور ، والله أعلم .
والجامع الظافري الذي بالقاهرة داخل باب زويلة منسوب إليه ، وهو الذي سمّره ووقف عليه شيئاً كثيراً على ما يقال .

١٠٠

أشهب تلميذ مالك

أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسيّ ثم الجعديّ الفقيه المالكي المصري ؛ تفقه على الإمام مالك ، رضي الله عنه ، ثم على المدنيين والمصريين .

قال الإمام الشافعي ، رضي الله عنه : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه ، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم ، وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم .

وكانت ولادته بمصر سنة خمسين ومائة ، وقال أبو جعفر ابن الجزار في تاريخه : ولد سنة أربعين ومائة ، وتوفي سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر ، وقيل : بثمانية عشر يوماً . وكانت وفاة الشافعي ، رضي الله عنه ، في سلخ رجب من السنة المذكورة ، وكانت وفاته بمصر ودفن بالقرافة الصغرى ، وزرت قبره وهو مجاور قبر ابن القاسم ، رحمه الله تعالى .

ويقال : إن اسمه مسكين ، وأشهب لقب عليه ، والأول أصح .
وكان ثقة فيما روى عن مالك ، رضي الله عنه ، وقال أبو عبد الله القضاعي

١٠٠ - ترجمة أشهب في الديباج : ٩٨ والمعبّر : ١٠٧ والشذرات : ٢ : ١٢ .

في كتاب « خطط مصر » : كان لأشهب رياسة في البلد ، ومال جزيل ، وكان من أنظر أصحاب مالك ، رضي الله عنه ، قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما ناظرت أحداً من المصريين مثله لولا طيش فيه ، ولم يدرك الشافعي رحمه الله تعالى بمصر من أصحاب مالك ، رضي الله عنه ، سوى أشهب وابن عبد الحكم . وقال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت ، فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلاً :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
فَقَتْلٌ لِلَّذِي يَبْنِي خِلافَ الَّذِي مَضَى تَزَوَّدُ لِأُخْرَى غَيْرِهَا فَكَأَنَّ قَدِ

قال : فمات الشافعي ، فاشترى أشهب من تركته عبداً ، ثم مات أشهب فاشترت أنا ذلك العبد من تركه أشهب .

وذكره ابن يونس في تاريخه فقال : أشهب القيسي ثم العامري من بني جعدة ، يكنى أبا عمرو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها . ولد سنة أربعين ومائة وتوفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين ، وكان يخضب عنققتة .

وقال محمد بن عاصم المعافري : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول : يا محمد ، فأجبت ، فقال :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ لَيْتَ الْبِلَادَ بِأَهْلِهَا تَتَّصَدَّعُ

قال : وكان أشهب مريضاً ، فقلت : ما أخوفني أن يموت أشهب ، فمات في مرضه ذلك ، والله أعلم .

١ البيتان ينسبان لعبيد بن الأبرص ؛ وقال الراجكوتي في ذيل السمط : ١٠٤ انه وجد الشعر في كتاب الاختيارين منسوباً لمالك بن القين الخزرجي ، وانظر أمالي القاضي ٢ : ٢١٨ والمقد ٤ : ٤٤٣ ومروج الذهب ٣ : ١٣٦ .

أصبغ المالكي

أبو عبد الله أصْبَغُ بن الفرّج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري ؛ تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب . وقال عبد الملك بن الماجشون في حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ ، قيل له : ولا ابن القاسم ؟ قال : ولا ابن القاسم . وكان كاتب ابن وهب ، وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والي مصر .

[حكى عون بن عبد الله قال ، قال لي أصبغ : سمعت من أبيك كلاماً نفعني الله تعالى به وهو : لأن يخطيء الإمام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة] ١ .

وتوفي يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين ، وقيل : سنة ست وعشرين ، وقيل : سنة عشرين ، رحمه الله تعالى .
وأصبغ : بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها غين معجمة .

١٠١ - ترجمة أصبغ في الديباج : ٩٧ والمعر ١ : ٣٩٣ والشذرات ٢ : ٥٦ ؛ ولأصبغ مؤلفات منها كتاب الأصول في عشرة أجزاء ، وتفسير غريب الموطأ ، وكتاب آداب الصيام ، وكتب سماعه من ابن القاسم وكتاب الرد على أهل الأهواء وغيرها .
١ زيادة من نسخة آياصوفيا رقم : ٣٥٣٢ .

آق سنقر الحاجب

أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب قَسِيمَ الدولة المعروف بالحاجب ،
جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل؛ وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر
- الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - ؛ كان مملوك السلطان ملكشاه بن ألب
أرسلان السلجوقي، هو وبزان^١ ، صاحب الرُّها ، ولما ملك تاج الدولة تُتَشُّهُ
ابن ألب أرسلان السلجوقي مدينة حلب في سنة ٤٧٨ ؛ استناب فيها آق سنقر
المذكور واعتمد عليه لأنه مملوك أخيه ، فعصى عليه ، فقصدته تاج الدولة وهو
صاحب دمشق يومئذ فخرج لقتاله وجرى بينها مَصَافٌ وحرب شديدة انجلت
عن قتل آق سنقر المذكور وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة
ودفن بالمدرسة المعروفة بالزُّجَاجِيَّة داخل حلب ، رحمه الله تعالى .

ورأيت عند قبره خلقاً كثيراً يجتمعون كل يوم^٢ جمعة لقراءة القرآن الكريم ،
وقالوا : إن لهم على ذلك وقفاً عظيماً يفرق عليهم ، ولا أعلم مَنْ الذي وقفه ، ثم
إني وجدت الذي وقفه ولد ولده : نور الدين محمود - الآتي ذكره إن شاء الله
تعالى - وسيأتي في ترجمة تاج الدولة تُتَشُّهُ خبرُ آق سنقر المذكور على خلاف
هذه الواقعة ، والله أعلم بالصواب .

والزُّجَاجِيَّة : بناها أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرثُوق صاحب
حلب وكان أولاً مدفوناً بقرنبيبا ، فلما ملك ولده عماد الدين زنكي حَلَبَ
نقله إلى المدرسة ودلاه من سور البلد ، وكان قتل آق سنقر على قرية يقال لها
رويان بالقرب من سبعين من أعمال حلب ، ذكره ياقوت الحموي .

١٠٢ - أخباره مفصلة في التاريخ الباهر: ٤ - ١٥ والكامل، وانظر معجم الألقاب ٤/٣: ٥٨٩.

١ يكتب أحياناً « بوزان » في التاريخ الباهر (انظر ص : ١٥) .

٢ : ليلة .

آق سنقر البرسقي

أبو سعيد آق سنقر البرسقيُّ الغازي ، الملقب قسيم الدولة سيف الدين ؛ صاحب الموصل والرجبة وتلك النواحي ، ملكها بعد أسباسلار مودود ، وكان مودود بها وببلاد الشام من جهة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقتل مودود بجامع دمشق يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسة ، وكان قد وثب عليه جماعة من الباطنية فقتلوه ، وآق سنقر يومئذ شحنة بغداد ، كان ولاه إياها السلطان محمد المذكور في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما استقرت له السلطنة بعد موت أخيه بركياروق ، وفي سنة تسع وتسعين وجهه السلطان محمد لمحاصرة تكريت وكان بها كيقباز ابن هزاراسب الديلمي المنسوب إلى الباطنية ، فأصعد آق سنقر إليه في رجب من السنة المذكورة وحاصره إلى المحرم من سنة خمسة ، فلما كاد أن يأخذها أصعد إليه سيف الدولة صدقة فتسلمها ، وانحدر كيقبازُ صحبته ومعه أمواله وذخائره ، فلما وصل إلى الحلة مات كيقباز ، فلما وصل خبر قتل مودود تقدم السلطان محمد إلى آق سنقر بالتجهز إلى الموصل والاستعداد لقتال الفرنج بالشام ، فوصل إلى الموصل وملكها وغزا ، ودفع الفرنج عن حلب وقد ضايقوها بالحصار ، ثم عاد إلى الموصل وأقام بها إلى أن قُتل .

وهو من كبراء الدولة السلجوقية وله شهرة كبيرة بينهم . قتله الباطنية بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة عشرين وخمسة (٢٩) * ، وذكر ابن الجوزي في تاريخه أن الباطنية قتلت في مقصورة الجامع بالموصل سنة تسع عشرة وخمسة ، وقال العماد : سنة عشرين ، وذكر أنهم جلسوا له في

١٠٣ - انظر التاريخ الباهر : ٢٤ - ٣١ وابن الأثير (الكامل) : ج ٩ في صفحات متفرقة بين :

٥٠١ - ٦٣٣ ومعجم الألقاب ٣/٤ : ٥٨٨ .

الجامع بزي الصوفية ، فلما انفتل من صلاته قاموا إليه وأثنخنوه جراحاً في
ذي القعدة ، وذلك لأنه كان تصدّى لاستئصال شأفتهم وتبعمهم وقتل
منهم عصابة كبيرة ، رحمه الله تعالى .

وتولى ولده عز الدين مسعود موضعه ، ثم توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين
من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى ؛ وملك
بعده عماد الدين زَنْسكي بن آق سنقر المذكور قبله - كما سيأتي في حرف الزاي
إن شاء الله تعالى - .

والبرُسقي - بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم السين المهملة وبعدها
قاف - ولا أعلم هذه النسبة إلى أي شيء هي ولم يذكرها السمعاني ثم إنني
وجدت نسبه بعد هذا إلى بُرُسقي ، وكان من ممالك السلطان طغرلبنك
أبي طالب محمد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وتقدم في الدولة السلجوقية ،
وكان من الأمراء المشار إليهم فيها ، المعدودين من أعيانهم .

١٠٤

أبو الصلت الأندلسي

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الداني ؛ كان فاضلاً
في علوم الآداب ، صنف كتابه الذي سماه « الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر »
للثعالبي ، وكان عارفاً بفن الحكمة ، فكان يقال له : الأديب الحكيم ، وكان
ماهرأ في علوم الأوائل ، وانتقل من الأندلس وسكن ثغر الإسكندرية ،
وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأثنى عليه وذكر شيئاً من نظمه ،

١٠٤ - لأبي الصلت الأندلسي ترجمة في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٢ وممجم الأدباء ٧ : ٥٢ وتحفة
القادم : ٣ وتاريخ الحكماء : ٨٠ والمغرب ١ : ٢٥٦ والخريدة (قسم المغرب) ١ : ٢٢٣ -
٣٤٣ ونفح الطيب ٢ : ١٠٥ (ط. صادر) .

ومن جملة ما ذكر له [قوله لمن جاد عليه قبل مدحه :

لا غرو أن سبقت يداك مدائحي فتدفقت جدواك مثل إنائها
يكسى القضب ولم يحن إثمارة وتطوق الورقاء قبل غنائها

ولأبي جعفر الجزار البطرني في ابن عبادا :

وما زلت أجنى منك والدهر محل ولا ثمره يحنى ولا زرع يخصصه
ثمار أياد دانيات قطوفها لأغصانها ظل علي ممدد
يرى جارياً ماء المكارم تحتها وأطيار شكري فوقهن تغرد

ولأبي الصلت المذكور [:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة تشق على شم الذرى والغوارب

ولم أر هذين البيتين في ديوانه^٢ ، وأورد له أيضاً :

وقائلة ما بال مثلك خاملاً أنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي إلى القوم أنني لِمَا لم يجوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده وأما المعالي فمني عندي غرائز

ولا وجدت هذا المقطوع أيضاً في ديوانه ، والله أعلم ، وله أيضاً :

جدّ بقلبي وعبيث ثم مضى وما اكثرث
واحرّباً من شادين في عقدي الصبر نفث
يقتل من شاء بعيد نيه ومن شاء بعث
فأي ودّ لم يخن وأي عهد ما نكث

١ في الأصل : في الصحاح ابن عباد المقدم ذكره ، وهو خطأ ، لأن الشاعر أندلسي ، والأبيات في النسخ ٣ : ٤١٣ (ط. صادر) .

٢ لعل سبب ذلك أنها ينسبان الى أبي العرب الصقلي .

وله أيضاً :

دَبَّ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ ثُمَّ انْتَنَى عَنْ لَثْمٍ مَبْسِمِهِ الْبَرُودِ الْأَشْنَبِ
لَا غَرَوْا أَنْ خَشِيَ الرَّدَى فِي لَثْمِهِ فَالرِّيْقُ سَمٌّ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ
ومن شعره أيضاً :

وَمُهَفَّفٍ شَرَكْتُ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ مَا مَجَّهُ فِي الْكَأْسِ مِنْ إِبْرِيْقِهِ
فَفَعَالُهَا مِنْ مَقْلَتِيهِ وَلَوْهَا مِنْ وَجْنَتِيهِ وَطَعْمُهَا مِنْ رِيْقِهِ
[أخذ هذا المعنى من ابن حيوس حيث يقول :

وَمَنْطِقٍ يُعْنِي بِلِحْظِ جُنْفُونِهِ عَنْ كَأْسِ الْمَلَأَى وَعَنْ إِبْرِيْقِهِ
فِعْلُ الْمَدَامِ وَلَوْهَا وَمَذَاقِهَا فِي مَقْلَتِيهِ وَوَجْنَتِيهِ وَرِيْقِهِ]
وأورد له أيضاً في كتاب « الخريدة » في ترجمة الحسن بن أبي الشخباء
العسقلاني^١ :

عَجِبْتُ مِنْ طَرْفِكَ فِي ضَعْفِهِ كَيْفَ يَصِيدُ الْبَطْلَ الْأَصِيدَا
يَفْعَلُ فِينَا وَهُوَ فِي غِمْدِهِ مَا يَفْعَلُ السِّيفُ إِذَا جُرِّدَا

وشعره كثير وجيد ، وكان قد انتقل في آخر الوقت إلى المهديّة وتوفي بها يوم الاثنين مُسْتَهْلَ سنة تسع وعشرين وخمسة ، وقيل : في عاشر المحرم سنة ثمان وعشرين . وقال العماد في « الخريدة » : أعطاني القاضي الفاضل كتاب « الحديقة » وفي آخرها مكتوب : إنه توفي يوم الاثنين ثاني عشر المحرم سنة ست وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، والصحيح هو الأول ، فإن أكثر الناس عليه ، وهو الذي ذكره الرشيد بن الزبير في « الجنان » ، ومات بالمهديّة ، ودفن بالمُنَسْتِيرِ - وسيأتي ذكرها في ترجمة الشيخ هبة الله البوصيري إن

١ سترجم له ابن خلكان في ما يلي .

شاء الله تعالى ، ونظم أبياتاً ، وأوصى أن تُكتب على قبره ، وهي آخر شيء
قاله ، وهي :

سَكنتكِ يا دارَ الفَناءِ مُصدِّقاً بأنِّي إلى دارِ البَقاءِ أُصيرُ
وأعظم ما في الأمرِ أنِّي صائرٌ إلى عادلٍ في الحكمِ ليسَ يحورُ
فيا ليتَ شعري كيفَ ألقاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
فإنَّ أكَ مَجْزِيّاً بدَنِّي فإنني بشرٌ عقابِ المذنبينَ جَدِيرُ
وإنَّ يَكُ عَفْوٌ منه عَنِّي ورَحمةُ فَمَنْ نعيمٌ دائمٌ وسُرورُ

ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز :

عَبْدَ العَزيزِ ، خَليفتي ربُّ السَماءِ عَلَيكَ بَعدي
أنا قَدْ عَهدتُ إِلَيكَ ما تَدْرِيه فاحْفَظْ فِيه عَهدِي
فلئنْ عَمِلتَ بِهِ فإِذْ لَكَ لا تَزالُ حَليفَ رُشدِ
ولئنْ نَكثتَ لَقَدْ ضَلَلتَ وَقَد نَصَحْتَكَ حَسَبَ جَهْدِي

ثم وجدت في مجموع لبعض المغاربة أن أبا الصلت المذكور مولده في دانية
مدينة من بلاد الأندلس في قران سنة ستين وأربعمائة ، وأخذ العلم عن جماعة
من أهل الأندلس ، كأبي الوليد الوقشي قاضي دانية وغيره ، وقدم الإسكندرية
مع أمه في يوم عيد الأضحى من سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ونفاه الأفاضل
شاهنشاه من مصر في سنة خمس وخمسمائة ، وتردد بالإسكندرية إلى أن سافر
في سنة ست وخمسمائة فحل بالمهدية ، ونزل من صاحبها علي بن يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس منزلة جليلة ، وولد له بها ولد سماه عبد العزيز ، وكان
شاعراً ماهراً ، له في الشطرنج يد بيضاء ، وتوفي هذا الولد ببجاية في سنة
ست وأربعين وخمسمائة .

قلت : وهو الذي غلط فيه العماد الكاتب فيما نقله عن القاضي الفاضل ،
واعتقد أن أباه مات في هذا التاريخ .

وصنف أمية وهو في اعتقال الأفضل بمصر رسالة « العمل بالاصطراب » ،
 وكتاب « الوجيز » في علم الهيئة ، وكتاب « الأدوية المفردة » وكتاباً في المنطق
 سماه « تقويم الذهن » وكتاباً سماه « الانتصار في الرد على علي بن رضوان » في
 رده على حنين بن إسحاق في مسائله ، ولما صنف « الوجيز » للأفضل عرضه على
 مُنَجِّمِه أبي عبد الله الحلبي ، فلما وقف عليه قال له : هذا الكتاب لا ينتفع به
 المبتدي ويستغني عنه المنتهي .

وله من أبيات :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَائِلُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَتَانُ

وإنما قال هذا لأن الكتان إذا تركوه في ضوء القمر بلي . وكان مرضه
 الاستسقاء ، والله أعلم .

١٠٥

القاضي اياس

أبو وائلة إياس بن معاوية بن قُرَّةَ بن إياس بن هلال بن رَبَابِ بن عميد بن
 سواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُلَيْمِ بن أوس بن مُزَيْنَةَ المزني ؛ وهو
 اللِّسْنُ البليغ والألمعي المصيب ، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة ، ورأساً
 لأهل الفصاحة والرجاحة . كان صادق الظن لطيفاً في الأمور ، مشهوراً بقرطِ
 الذكاء ، وبه يُضْرَب المثل في الذكاء ، وإياه عَنَى الحريري في « المقامات »
 بقوله في المقامة السابعة : « فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس ، وفراستي فِرَاسَةَ »

١٠٥ - ترجمة القاضي إياس وأخباره في المعارف لابن قتيبة : ٤٦٧ وحلية الأولياء ٣ : ١٢٣
 وشرح العيون وكتاب الأذكياء لابن الجوزي وشرح المقامات ١ : ١١٣ وميزان الاعتدال ١ :
 ٢٨٣ والحكايات عنه منشورة في كتب الأدب العامة مثل البيان والتبيين والحيوان والكمال
 ومحاضرات الراغب والعقد وحدثات الأزهار وغيرها .

إياس»، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة . وكان لإياس جدّ أبيه صُحْبَة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس : كيف ابنك لك ؟ فقال : نعم الابن ، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي . وكان إياس أحدَ العقلاء الفضلاء الدُّهاة .

ويحكى من فِطنته أنه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهن، فقال : هذه ينبغي أن تكون حاملاً ، وهذه مُرْضِعاً ، وهذه عذراء ، فكشف عن ذلك فكان كما تفرس ، فقيل له : من أين لك هذا ؟ فقال : عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعز ما له ويخاف عليه ، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها ، فاستدلت بذلك على حملها ، ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثديها، فعلمت أنها مرضع، والعذراء وضعت يدها على فرجها ، فعلمت أنها بكر .

وسمع إياس بن معاوية يهودياً يقول : ما أحق المسلمين ، يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحْدِثُونَ ، فقال له إياس : أفكلُ ما تأكله تحدّثه ؟ قال : لا ، لأن الله تعالى يجعله غداء ، قال : فلم تنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأكله أهل الجنة غداء ؟

ونظر يوماً إلى آجرّةٍ بالرَّحْبَة وهو بمدينة واسط ، فقال : تحت هذه الآجرّة دابة ، فنزعوا الآجرّة فإذا تحتها حية منطوية ، فسألوه عن ذلك فقال : إني رأيت ما بين الآجرّتين ندياً من بين جميع تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفّس .

ومر يوماً بمكان فقال : أسمع صوت كلبٍ غريب ، فقيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال : بخضوع صوته وشدة نُبّاح غيره من الكلاب ، فكشفوا عن ذلك فإذا كلب غريب مربوط والكلاب تَنبَحُه .

ونظر يوماً إلى صدعٍ في الأرض فقال : في هذا الصدع دابة ، فنظروا فإذا فيه دابة ، فسألوه عنه فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

١ د : كما قال .

قال الجاحظ : إذا نظر الإنسان إلى موضع منفتح في أرض مستوية فليتأمله فإن رآه يتصدع في تهَيُّل^١ وكان تفتُّحه مستويًا علم أنها كماء ، وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابة .

وله في هذا الباب من الفراسة أشياء غريبة كثيرة ، ولولا خوف الإطالة لبسطت القول في ذلك ، وبعض العلماء قد جمع جزءاً كبيراً من أخباره (٣٠)* .

وكتب عمر بن عبد العزيز الأموي - رضي الله عنه - في أيام خلافته إلى نائبه بالعراق وهو عدي بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحرشي فولِّ قضاء البصرة أنفذهما ، فجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الأمير سلِّ عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وكان القاسم يأتيها وإياس لا يأتيها ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال له : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفتقه مني وأعلم بالقضاء فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي ، فقال له إياس^٢ : إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجَّيت نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف ، فقال عدي بن أرطاة : أما إذ فهمتها فأنت لها ، واستقضاه .

وروي عن إياس أنه قال : ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد ، وذلك اني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليَّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني - وذكر حدوده - هو ملك فلان ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا ، فقال : كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحق معك ، وأجزت شهادته .

وكان يوماً في بَرِّيَّةٍ فأعوزهم الماء ، فسمع نباح كلب فقال : هذا على رأس بئر ، فاستقروا النباح فوجدوه كما قال ، فقيل له في ذلك فقال : لأنني سمعت الصوت كالذي يخرج من بئر . وكان له في ذلك غرائب .

١ هـ : في تهيله .

٢ د : إنك جئت برجل فأقمته على جهنم ، فاقتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذباً ... الخ .

وقال أبو إسحاق ابن حفص : رأى إياس في المنام أنه لا يدرك النحر ، فخرج إلى ضيعة له بعبدسى - وعبدسى : قرية من أعمال دست ميسان بين البصرة وخوزستان - فتوفي بها في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقال غيره : سنة إحدى وعشرين ، وعمره ست وسبعون سنة .

وقال إياس في العام الذي توفي فيه : رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا معاً فلم أسبقه ولم يسبقني ، وعاش أبي ستاً وسبعين سنة وأنا فيها ، فلما كان آخر لياليه قال : أتدرون أي ليلة هذه ؟ ليلة أستكمل فيها عمرَ أبي ، ونام فأصبح ميتاً ، وكانت وفاة أبيه معاوية في سنة ثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

وإياس : بكسر الهمزة ، وقررة : بضم القاف ، ومزينة : قد تقدم القول عليها .

وتراءى هلالَ شهر رمضان جماعةً فيهم أنسُ بن مالك رضي الله عنه وقد قارب المائة ، فقال أنس : قد رأيته ، هو ذلك ، وجعل يشير إليه فلا يرونه ، ونظر إياس إلى أنس وإذا شعرة من حاجبه قد انثنت ، فمسحها إياس وسواها بحاجبه ، ثم قال له : يا أبا حمزة ، أرنا موضعَ الهلال ، فجعل ينظر ويقول : ما أراه .

١٠٦

ابن القرية

أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زُرارة بن سلمة بن جُشم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَناةَ بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيَّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد

١ في الأصول - ما عدا ه - دشت ؛ وضبطها ياقوت بالسین المهملة .

ابن عدنان المعروف بابن القريّة الهلالي، والقريّة: جدته، واسمها جماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الحزرج - وتام النسب المذكور في أول الترجمة -؛ كان أعرابياً أميناً، وهو معدود من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وكان قد أصابته السنّة، فقدم عين التمر وعليها عامل للحجاج بن يوسف، وكان العامل يفدّي كل يوم ويعشّي، فوقف ابن القريّة ببابه فرأى الناس يدخلون فقال: أين يدخل هؤلاء؟ فقالوا: إلى طعام الأمير، فدخل فتعدى وقال: أكلّ يوم يصنع الأمير ما أرى؟ فقليل: نعم، فكان يأتي كل يوم بابه للغداء والعشاء، إلى أن ورد كتاب من الحجاج على العامل، وهو عربي غريب لا يدري ما هو، فأخّر لذلك طعامه، فجاء ابن القريّة فلم ير العامل يتعدى، فقال: ما بال الأمير اليوم لا يأكل ولا يطعم؟ فقالوا: اغتمّ لكتاب ورد عليه من الحجاج عربي غريب لا يدري ما هو، قال: ليقرئني الأمير الكتاب وأنا أفسره إن شاء الله تعالى، وكان خطيباً لسناً بليغاً، فذكر ذلك للوالي فدعاه به فلما قرىء عليه الكتاب عرف الكلام وفسّره للوالي حتى عرّفه جميع ما فيه فقال له: أفقتدر على جوابه؟ قال: لست أقرأ ولا أكتب ولكن أقعد عند كاتب يكتب ما أمله، ففعل، فكتب جواب الكتاب، فلما قرىء الكتاب على الحجاج رأى كلاماً عربياً غريباً، فعلم أنه ليس من كلام كتّاب الحجاج، فدعا برسائل عامل عين التمر فنظر فيها فإذا هي ليست ككتاب ابن القريّة، فكتب الحجاج إلى العامل «أما بعد، فقد أتاني كتابك بعيداً من جوابك بمنطق غيرك، فإذا نظرت في كتابي هذا فلا تَضَعه من يدك حتى تبعث إليّ بالرجل الذي صدّر لك الكتاب، والسلام». قال: فقرأ العامل الكتاب على ابن القريّة وقال له: تتوجه نحوه؟ فقال: أقلني، قال: لا بأس عليك، وأمر له بكسوة ونفقة وحمله إلى الحجاج.

فلما دخل عليه قال: ما اسمك؟ قال: أيوب، قال: اسم نبي وأظنك أميناً تحاول البلاغة ولا يستصعب عليك المقال، وأمر له بنزل ومنزل، فلم يزل يزداد به عجباً حتى أوفده على عبد الملك بن مروان، فلما خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الطاعة بسجستان وهي واقعة مشهورة بعثه

الحجاج إليه رسولاً ، فلما دخل عليه قال له : لتَقُومَنَّ خطيباً وتخلَعَنَّ عبد الملك ولتَسْبِنَنَّ الحجاج أو لأضربنَّ عنقك ، قال : أيها الأمير إنما أنا رسول ، قال : هو ما أقول لك ، فقام وخطب وخلع عبد الملك وشم الحجاج ، وأقام هنالك .

فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً كتب الحجاج إلى عماله بالري وأصبهان وما يليها يأمرهم أن لا يمر بهم أحد من فلان ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيراً إليه ، وأخذ ابن القريّة فيمن أخذ ، فلما أدخل على الحجاج قال : أخبرني عما أسألك عنه ، قال : سئني عما شئت ، قال : أخبرني عن أهل العراق ، قال : أعلم الناس بحق وباطل ، قال : فأهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها ، قال : فأهل الشام ، قال : أطوع الناس لخلفائهم ، قال : فأهل مصر ، قال : عبيد من غلب ، قال : فأهل البحرين ، قال : نبيط استعربوا ، قال : فأهل عمان ، قال : عرب استنبطوا ، قال : فأهل الموصل ، قال : أشجع فرسان وأقتل للأقران ، قال : فأهل اليمن ، قال : أهل سمع وطاعة ولزوم للجماعة ، قال : فأهل اليمامة ، قال : أهل جفاء ، واختلاف أهواء ، وأصبر عند اللقاء ، قال : فأهل فارس ، قال : أهل بأس شديد ، وشر عتيد ، وريف كثير ، وقري يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال : سئني ، قال : قريش ، قال : أعظمها أحلاماً ، وأكرمها مقاماً ، قال : فبنو عامر بن صعصعة ، قال : أطولها رماحاً ، وأكرمها صباحاً ، قال : فبنو سليم ، قال : أعظمها مجالس ، وأكرمها محابس ، قال : فثقيف ، قال : أكرمها جدوداً ، وأكثرها وفوداً ، قال : فبنو زبيد ، قال : ألزمها للرايات ، وأدركها للثرات ، قال : فقضاة ، قال : أعظمها أخطاراً ، وأكرمها نجاراً ، وأبعدها آثاراً ، قال : فالأنصار ، قال : أثبتها مقاماً ، وأحسنها إسلاماً ، وأكرمها أياماً ، قال : فتميم ، قال : أظهرها جلدأ ، وأثراها عدداً ، قال : فبكر بن وائل ، قال : أثبتها صفوفاً ، وأحدثها سيوفاً ، قال : فعبد القيس ، قال : أسبقها إلى الغايات ، واضربها تحت الرايات ، قال : فبنو أسد ، قال : أهل عدد وجلد ، وعسر ونكد ، قال : فلخضم ، قال : ملوك ، وفيهم نوك ، قال : فجدام ، قال : يوقدون الحرب

ويسعرونها، ويلقحونها ثم يَمْرُونَهَا ، قال : فبنو الحارث ، قال : رعاة للقديم ،
وحماة عن الحريم ، قال : فمكء ، قال : ليوث جاهدة ، في قلوب فاسدة ، قال :
فتغلب ، قال : يصدقون إذا لقوا ضرباً ، ويسعرون للأعداء حرباً ، قال :
فغسان ، قال : أكرم العرب أحساباً ، وأثبتها أنساباً ، قال : فأبي العرب في
الجاهلية كانت أمنع من أن تضمام ؟ قال : قريش ، كانوا أهل رهوة لا يستطيع
ارتقاؤها ، وهضبة لا يرام انتزاؤها ، في بلدة حمى الله ذمارها ، ومنع جارها ،
قال : فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية ، قال : كانت العرب تقول حمير
أرباب الملك وكيندة لباب الملوك ومدحج أهل الطعان وممدان أحلاس الخيل
والأزد آساد الناس ، قال : فأخبرني عن الأرضين ، قال : سلمي ، قال : الهند ،
قال : بحرهما دُرٌّ وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وأهلها طعام كقطع
الحمام ، قال : فخراسان ، قال : ماؤها جامد ، وعدوها جاحد ، قال : فعمان ،
قال : حرها شديد ، وصيدها عتيد ، قال : فالبحرين ، قال : كناسة بين المصرين ،
قال : فاليمن ، قال : أصل العرب ، وأهل البيوتات والحسب ، قال : فمكة ،
قال : رجالها علماء جفأة ، ونساؤها كساة عراة ، قال : فالمدينة ، قال : رَسَخَ
العلم فيها وظهر منها ، قال : فالبصرة ، قال : شتاؤها جليد ، وحرها شديد ،
وماؤها ملح ، وحرُّبها صلح ، قال : فالكوفة ، قال : ارتفعت عن حر البحر
وسفلت عن برد الشام ، فطاب ليلها وكثر خيرها ، قال : فواسط ، قال : جنة
بين حماة وكنتة ، قال : وما حماتها وكنتتها ؟ قال : البصرة والكوفة
تحسدانها وما ضرها ودجلة والزاب يتجاربان بإفاضة الخير عليها ، قال : فالشام ،
قال : عروس بين نسوة جلوس ، قال : ثكلتك أمك يا ابن القرية ! لولا
اتباعك لأهل العراق وقد كنت هناك عنهم أن تتبعهم فتأخذ من نفاقهم ، ثم
دعا بالسيف وأوماً إلى السيف أن أمسك ، فقال ابن القرية : ثلاث كلمات
أصلح الله الأمير كأنهن ركبٌ وقوفٌ يَكُنُّ مثلاً بعدي ، قال : هات ، قال :
لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة ولكل حلیم هفوة ، قال الحجاج : ليس
هذا وقت المزاح ، يا غلام أوجب جرحه ، فضرب عنقه .
وقيل : إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال :

صدقَتِ العربُ ، أصلح الله الأمير ! قال : فما آفة اللحم ؟ قال : الغضب ، قال : فما آفة العقل ؟ قال : العُجب ، قال : فما آفة العلم ؟ قال : النسيان ، قال : فما آفة السخاء ؟ قال : المنُّ عند البلاء ، قال : فما آفة الكرام ؟ قال : مجاورة اللثام ، قال : فما آفة الشجاعة ؟ قال : البغي ، قال : فما آفة العبادة ؟ قال : الفترّةُ ، قال : فما آفة الذهن ؟ قال : حديث النفس ، قال : فما آفة الحديث ؟ قال : الكذب ، قال : فما آفة المال ؟ قال : سوء التدبير ، قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟ قال : العدم ، قال : فما آفة الحجاج بن يوسف ؟ قال : أصلح الله الأمير ، لا آفة لمن كرم حسبُه وطاب نسبُه وزكا فرعه ، قال : امتلأت شفاقاً ، وأظهرت نفاقاً ، اضربوا عنقه ، فلما رآه قتيلاً ندم .

نقلت هذا كله من كتاب « الليف » ، وإنما أطلت الكلام فيه لأنه كان متصلاً فيما أمكن قطعه .

وسأله بعض العلماء عن حدِّ الدهاء فقال : هو تجرّع الغصّة وتوقّع الفرصة .

ومن كلامه في صفة العبيّ : التئح من غير داء ، والتشاؤب من غير ريبة ، والإكباب في الأرض من غير علة .

وكان قتله في سنة أربع وثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

وهذا ابن القرية هو الذي تذكره النحاة في أمثالها فيقولون : « ابن القرية زمان الحجاج » .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني^١ في ترجمة مجنون ليلى بعد أن استوفى أخباره فقال : وقد قيل إن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم ، واشتهرت أسماؤهم ، ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية - يعني هذا المذكور - ، وابن أبي العقب الذي تُنسب إليه الملاحم ، واسمه يحيى بن عبد الله بن أبي العقب ، والله أعلم .

والقرية - بكسر القاف وتشديد الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء - وهي أمّ جُسم بن مالك بن عمرو ، وكان عمرو المذكور قد تزوجها

١ انظر الأغاني ٢ : ١١ .

فلما مات تزوجها ابنه مالك فأولدها جُشَم بن مالك المذكور ، والقريّةُ في اللغة : الحوصلة ، وبها سميت المرأة ، قال أهل العلم بالأنساب : لما تزوج مالك ابن عمرو المذكور القريّة - واسمها خماعة ، كما تقدم في أول الترجمة - أولدها جُشَم جدّ أيوب ابن القريّة المذكور، وكلياً ، وهو جدّ العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أمه ، فإن أمه نثيلة - بضم النون - وقيل : نثلة بفتحها ، بنت حباب بن كليب بن مالك المذكور ، فالعباس رضي الله عنه من أولاد القريّة بهذا الاعتبار .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ أن ابن القريّة هلالي ، وأنه من بني هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر .

وذكر ابن الكلبي أنه من بني مالك بن عمرو بن زيد مناة ، فيما يجتمع هلال ومالك إلا في زيد مناة ، وليس هلال في عمود نسبه ، والله تعالى أعلم .

والهلالي - بكسر الهاء - نسبة إلى هلال بن ربيعة بن زيد مناة ، بطن من النمر بن قاسط ، وفي العرب أيضاً : هلال بن عامر بن صعصعة ، قبيلة أخرى ، وقد ذكر ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » هذين النسبين وصورة النكاح بينها فيؤخذ منه .

١٠٧

أيوب والد السلطان صلاح الدين

أبو الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وسيأتي في ترجمة ولده صلاح الدين تنمة نسبه وصورة الاختلاف فيه ، فينظر هناك ، ولا حاجة إلى الإطالة بذكره ههنا . قال بعض المؤرخين : كان شاذي بن مروان من أهل دُوَيْنَ ومن أبناء أعيانها

١ المعارف : ٤٠٤ .

والمعتبرين بها ، وكان له صاحب يقال له : جمال الدولة المجاهد بهروز - قلت : وهو المذكور في ترجمة صلاح الدين يوسف بن أيوب - قال : وكان من أظرف الناس وألطفهم وأخبرهم بتدبير الأمور ، وكان بينهما من الاتحاد كما بين الأخوين ، فجرت لبهروز قضية في دؤين ، فخرج منها حياء وحشمة ، وذلك أنه اتهم بزوجة بعض الأمراء بدؤين ، فأخذه صاحبها فخصاه ، فلما مثل به لم يقدر على الإقامة بالبلد ، وقصد خدمة أحد الملوك السلجوقية ، وهو السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، واتصل باللالا الذي لأولاده ، فوجده لطيفاً كافياً في جميع الأمور ، فتقدم عنده وتميز ، وقوض أحواله إليه ، وجعله يركب مع أولاد السلطان مسعود إذا كان له شغل ، فرآه السلطان يوماً مع أولاده ، فأنكر على اللالا ، فقال له : إنه خادم ، وأثنى عليه وشكر دينه وعفافه ومعرفته ، ثم صار يسيره إلى السلطان في الأشغال ، فحفظ على قلبه ، ولعب معه بالشطرنج والنرد فحظي عنده ، واتفق موت اللالا ، فجعله السلطان مكانه ، وأرصده لمهامه ، وسلم إليه أولاده ، وسار ذكره في تلك النواحي ، فسير إلى شاذي يستدعيه من بلده ليشاهد ما صار إليه من النعمة ، وليقاسمه فيما خوّله الله تعالى ، وليعلم أنه ما نسيه ، فلما وصل إليه بالغ في إكرامه والإنعام عليه .

واتفق أن السلطان رأى أن يسير المجاهد المذكور إلى بغداد والياً عليها ونائباً عنه بها ، وكذا كانت عادة الملوك السلجوقية في بغداد يسرون إليها النواب ، فاستصحب معه شاذي المذكور ، فسار هو وأولاده صحبته ، وأعطى السلطان لبهروز قلعة تكسريت ، فلم يجد من يثق إليه في أمرها سوى شاذي المذكور ، فأرسله إليها ، ففضى وأقام بها مدة وتوفي بها ، فولى مكانه ولده نجم الدين أيوب المذكور ، فنهض في أمرها ، وشكره بهروز وأحسن إليه ، وكان أكبر سناً من أخيه أسد الدين شيركوه ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا الكلام بينه وبين الآتي ذكره في ترجمة صلاح الدين بعض الاختلاف ، والله أعلم بالصواب ، ولا شك أنه يحصل المقصود من مجموع الكلامين ، فلينظر هناك أيضاً ، وذكرت في تلك الترجمة أيضاً سبب المعرفة بين عماد الدين

زنكي صاحب الموصل ، وبين نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، فلا حاجة إلى ذكره هنا .

ثم اتفق أن بعض الحرم خرجت من قلعة تكريت لقضاء حاجة ، وعادت فعبرت على نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه وهي تبكي ، فسألاها عن سبب بكائها ، فقالت : أنا داخلة في الباب الذي للقلعة ، فتعرض إليّ الإسفهلار ، فقام شيركوه وتناول الحربة التي تكون للإسفهلار وضربه بها فقتله ، فأمسكه أخوه نجم الدين أيوب واعتقله ، وكتب إلى بهروز وعرفه صورة الحال ليفعل فيه ما يراه ، فوصل إليه جوابه « لأبيكما عليّ حق ، وبينى وبينه مودة متأكدة ، ما يمكنني أن أكافئكما بحالة سيئة تصدر مني في حقكما ، ولكن أشتهي منكما أن تتركا خدمتي ، وتخرجا من بلدي ، وتطلبا الرزق حيث شئتما » . فلما وصلها الجواب ما أمكنها المقام بتكريت ، فخرجت منها ووصلا إلى الموصل ، فأحسن إليهما الأتابك عماد الدين زنكي لما كان تقدم لهما عنده ، وزاد في إكرامها والإنعام عليها ، وأقطعها إقطاعاً حسناً ، ثم لما ملك الأتابك قلعة بعلبك استخلف بها نجم الدين أيوب ، وهذا كله مذكور في ترجمة ولده صلاح الدين ، وإن اختلفت العبارة ، ورأيت في بعلبك خانقاه للصوفية يقال لها « النجمية » ، وهي منسوبة إليه ، عمرها في مدة إقامته بها ، وكان رجلاً مباركاً كثير الصلاح ، مائلاً إلى أهل الخير ، حسن النية ، جميل الطويّة .

وفي أوائل ترجمة صلاح الدين طرّف من أخبار والده نجم الدين أيوب ، وكيف رتبته زنكي في بعلبك ، وما جرى له بعد ذلك من الانتقال إلى دمشق ، فأغنى عن شرحه هنا .

ولما توجه أخوه أسد الدين شيركوه إلى مصر لإنجاد شاور - على ما أشرحه في ترجمتها إن شاء الله تعالى - كان نجم الدين أيوب مقيماً بدمشق في خدمة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى ، ولما تولى صلاح الدين ولده وزارة الديار المصرية في أيام العاضد صاحب مصر ، استدعى أباه من الشام ، فجهزه نور الدين وأرسله إليه ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسة ، وخرج العاضد للقائه إكراماً لولده صلاح الدين يوسف ،

وسلك معه ولده صلاح الدين من الأدب ما هو اللائق بمثله ، وعرض عليه الأمر كله فأبى وقال : يا ولدي ، ما اختارك الله تعالى لهذا الأمر إلا وأنت أهل له ، ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة ، ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بملكة البلاد كما هو مذكور في ترجمته .

ثم خرج صلاح الدين إلى الكرك ليحاصرها وأبوه بالقاهرة ، فركب يوماً ليسير على عادة الجند ، فخرج من باب النصر أحد أبواب القاهرة ، فشبّ به فرسه فألقاه في وسط الحجّة ، وذلك في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجّة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فحُمل إلى داره ، وبقي متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور ، هكذا ذكره جماعة من المؤرّخين ، منهم عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، لكنه قال : إن وفاته كانت يوم الثلاثاء .

ورأيت في تاريخ كمال الدين بن العديم فصلاً نقله من تعليق العضد مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال : إنه توفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجّة . قلت : ظاهر الحال أن العضد ما أوقعه في هذا الوهم إلا أنه اعتقد أنه توفي في اليوم الذي سقط فيه عن فرسه ، فان هذا التاريخ هو تاريخ سقوطه عن الفرس لا تاريخ وفاته ، والله أعلم .

ولما مات دُفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه في بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنين إلى المدينة الشريفة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

ورأيت في تاريخ القاضي الفاضل الذي رقبه على الأيام ، وهو بخطه ، يذكر فيه ما يتجدد في كل يوم ، فقال : وفي يوم الخميس رابع صفر سنة ثمانين وخمسمائة وصل كتاب بدر الأسدي - يعني من المدينة - يخبر بوصول تابوتي الأميرين : نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، واستقرارهما بتربتهما مجاورين الحجر المقدسة النبوية ، نفعها الله تعالى بمجاورتها .

ولما عاد صلاح الدين من الكرك إلى الديار المصرية بلغه الخبر في الطريق فشق عليه حيث لم يحضره ، وكتب إلى ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن

شاهانشاه بن أيوب ، صاحب بعلبك ، كتاباً بخط القاضي الفاضل يعزبه عن جده نجم الدين أيوب المذكور .

ومن جملة فصوله : المصاب بالمولى الدارج ، غفر الله ذنبه ، وسقى بالرحمة تربه ، ما عظمت به اللوعة ، واشتدت به الروعة ، وتضاعفت لغيبتنا عن مشهده الحسرة ، فاستنجدنا بالصبر فأبى وأنجدت العبرة ، فيا له فقيداً فقدنا عليه العزاء ، وهانت بعده الأرزاء ، وانتثر شمل البركة بفقدته ، فهي بعد الاجتماع أجزاء :

وَ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى فِي غَيْبِي هَبْنِي حَضْرَتُ فَكُنْتُ مَاذَا أَصْنَعُ

ورثاه الفقيه عمارة اليميني - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بقصيدة طويلة أجاد في أكثرها ، وأولها :

هِيَ الصَّدْمَةُ الْأُولَى فَمَنْ بَانَ صَبْرُهُ عَلَى هَوْلِ مَلْقَاهُ تَضَاعَفَ أَجْرُهُ

وقال ابن أبي طي الأديب الحلبي في تاريخه الكبير : كان مولد نجم الدين أيوب ببلد شبختان ، وقيل : إنه ولد بجبل جورٍ وربى ببلد الموصل ، ولم يوافق على ذلك أحد ، بل انفرد به ، وإنما نهت عليه كيلا يقف عليه من لا يعرف هذا الفن فيظن أنه صواب ، وليس الأمر كذلك ، بل الصحيح هو الذي ذكرته أولاً .

وشاذي - بالشين المعجمة وبعد الألف ذال معجمة مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهذا الاسم عجمي ، ومعناه بالعربي فرحان .

ودووين - بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون - وهي بلدة في أواخر إقليم أذربيجان من جهة الشمال تجاور بلاد الكرج ، وينسب إليها الدؤيني والدؤوني أيضاً ، بفتح الواو ، والله أعلم .

قلت : والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة ، خارج باب النصر ، عمارة نجم الدين أيوب أيضاً ، ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ست وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى وقدس الله روحه .

أيوب والد السلطان صلاح الدين^١

أبو الشكشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد السلطان صلاح الدين يوسف؛ كان في أول أمره متسلماً قلعة تكريت هو وأخوه أسد الدين شيركوه يدبران أحوالها وينظران في أمورهما، وتوفي والدهما شاذي بها، وهناك قبره ظاهر معروف، وولد له بها السلطان صلاح الدين، ومولده هو بمدينة دوين من أعمال أذربيجان ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها مدة، ثم اتصل بخدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، وكان مقبلاً عليه مكرماً له، ولما وزر ولده صلاح الدين للعاقد صاحب مصر وذلك في سنة أربع وستين وخمسة كما هو مشهور توجه إليه والده نجم الدين من الشام ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسة وخرج العاقد للقائه وسلك صلاح الدين معه من الأدب ما جرت به العادة، وألبسه الأمر كله فأبى أن يلبسه وقال: يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له، ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة، فحكّمه في الخزائن كلها وكان كريماً يطلق فلا يرد.

ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بملك الديار المصرية في أوائل المحرم سنة سبع وستين كما سيأتي في ترجمته في حرف الياء، فخرج نجم الدين يوماً من باب النصر أحد أبواب القاهرة فشب به فرسه فألقاه في وسط اللجة وذلك يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة سنة ٥٦٨، وحمل إلى داره وبقي متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور، ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه رحمه الله تعالى، ثم بعد ذلك نقل إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنا هناك؛ ولما توفي كان السلطان صلاح الدين غائباً في غزوة

١ الترجمة السابقة هي ما أورده نسختنا وآيا صوفيا، أما هذه فانها ما ورد في سائر النسخ الأخرى.

الكرك وهي أول غزواته فبلغه الخبر وهو راجع في الطريق ، فشق عليه حيث لم يحضر .

ولقد كان رجلاً مباركاً كثير الصلاح مائلاً إلى أهل الخير حسن النية جميل الطوية لا يتوسط إلا بالخير وظهرت ثمرة بركته وحسن اعتقاده في أولاده ، ورأيت بمدينة بعلبك خانقاه لطيفة حسنة الوصف يقال لها «النجمية» وهي منسوبة إليه ، وسألت أهل البلد عن سبب بنائها هناك فقالوا : كانت بعلبك إقطاعه يوم ذلك . والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النصر عمارته أيضاً ، ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ٦٦٠ .

ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليميني بقصيدة طويلة أولها :

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره على هول ملقاه تضاعف أجره

وقال ابن أبي الطيّ الأديب الحلبي في تاريخه الكبير : مولد نجم الدين أيوب ببلد سجستان وقيل إنه ولد بجبل جور ورتي ببلد الموصل ولم يوافق على ذلك أحد بل انفرد به وإنما نبّهت عليه ... الخ^١ .

١ لا حاجة لإثبات بقية الفقرة فقد وردت نصاً في الترجمة السابقة .

حرف الباء

باديس الصنهاجي

أبو مناد باديس بن المنصور بن بلُكَيْن بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي
والد المعز بن باديس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وبقية نسبه مذكور^١ في
حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم ؛ كان باديس المذكور يتولى^٢ مملكة^٣
إفريقية نيابة عن الحاكم العبّيدي المدّعي الخلافة بمصر ، ولقبه الحاكم نصير^٤؛
الدولة ، وكأنت ولايته بعد أبيه المنصور ، وتوفي أبوه يوم الخميس لثلاث
خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثلثمائة ، بقصره الكبير خارج
مدينة صَبْرَةَ^٥ ، ودفن فيه ثاني يوم .

وكان باديس المذكور ملكاً كبيراً ، حازم الرأي ، شديد البأس ، إذا
هَزَّ رَحماً كسره .

ومولده ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع
وسبعين وثلثمائة بأشير ، المذكورة في ترجمة إبراهيم بن قرقول ، ولم يزل على ولايته
وأمره^٦ جارية على السّداد ، ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي
القعدة سنة ست وأربعمائة أمر جنوده بالعرض ، فعرضوا بين يديه وهو في
قبة السلام جالس إلى وقت الظهر ، وسره حسن عسكريه وأبهجه زيّهم^٧ وميا
كانوا عليه ، وانصرف إلى قصره ، ثم ركب عشية ذلك النهار^٨ في أجمال

١٠٨ - انظر ابن عذاري ١: ٢٤٧ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٦٩ وابن خلدون ٦: ١٥٧ .

١ : مذكورة .

٢ : متولي .

٣ : أمر .

٤ : نصير .

٥ : قد تقدم أن مدينة صبرة هي التي سميت المنصورية .

٦ : اليوم .

ركوب ، ولعب الجيش بين يديه ، ثم رجع إلى قصره شديد السرور بما رآه من كمال حاله ، وقُدِّم السامط بين يديه فأكل مع خاصته وحاضري مائدته ، ثم انصرفوا عنه وقد رأوا من سروره ما لم يروه منه قط ، فلما مضى مقدار نصف الليل من ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة^١ قضى نَحْبَه ، رحمه الله تعالى ، فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت ابن المنصور ظاهراً ، حتى وصلوا إلى ولده المعز فولَّوه^٢ ، وتم له الأمر .

وذكر في كتاب « الدول المنقطعة » أن سبب موته أنه قصد طرابلس ، ونزل على قرب منها عازماً على قتالها ، وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها فُدُنًا للزراعة لسبب اقتضى ذلك تركتُ شرحه لطوله ، قال : فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز^٢ وقالوا : يا ولي الله ، قد بلغك ما قاله باديس ، فادعُ الله أن يزيل عنا بأسه ، فرفع يديه إلى السماء وقال : يا رب باديس اكفنا باديس ، فهلك في ليلته بالذبح ، والله أعلم .

والصنّهاجي - بضم الصاد المهملة وكسرهما وسكون النون وفتح الهاء وبعد الألف جيم - هذه النسبة إلى صنهاجة ، وهي قبيلة مشهورة من حمير ، وهي بالمغرب ، وقال ابن دريد : صنهاجة بضم الصاد لا يجوز غير ذلك ، وأجاز غيره الكسر ، والله أعلم ، وضبط أسماء أجداده سيأتي إن شاء الله تعالى .

١ ذكر لسان الدين أن وفاته كانت لعشر بقين من ذي القعدة .

٢ هو محرز بن خلف بن رزين الشيخ الصالح العابد ، وقد نشرت مناقبه (مع مناقب الجبنياني) وطبع الكتاب ببائيس سنة ١٩٥٩ .

عز الدولة البويهي (بختيار)

أبو منصور بختيارُ الملقب عز الدولة بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُوَيْه الدَيْلَمِي ، وقد تقدم ذكر أبيه وتتمه نسبه فلا حاجة إلى إعادته . ولي عز الدولة ملكة أبيه يوم موته في تاريخه المذكور هناك ، وتزوج الامامُ الطائع ابنته شاه زنان^١ على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وخطب خطبة العقد القاضي أبو بكر ابن قريمة - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة .

وكان عز الدولة ملكاً سرياً ، شديد القوى ، يسك الثور العظيم بقرنَيْه فيضْرعه ، وكان متوسعاً في الإخراجات والكلف والقيام بالوظائف ، حكى بشر الشمعي ببغداد قال : سُئِلنا عند دخول عَضُد الدولة بن بُوَيْه وهو ابن عم عز الدولة المذكور إلى بغداد لما ملكها بعد قتله عز الدولة عن وظيفة الشمع الموقد^٢ بين يدي عز الدولة ، فقلنا : كانت وظيفة وزيره أبي الطاهر محمد بن بقية ألف مَنْ كل شهر ، فلم يعاودوا التقصي استكثاراً لذلك - وستأتي ترجمة الوزير المذكور في حرف الميم إن شاء الله تعالى - .

وكان بين عز الدولة وابن عمه عَضُد الدولة منافسات في الممالك أدَّت إلى التنازع ، وأفضَّت إلى التصافِّ والمحاربة ، فالتَقيا يوم الأربعاء ثامن عشر^٣ شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فقتل عز الدولة في المصافِّ ، وكان عمره ستاً

١٠٩ - انظر المنتظم ٧ : ٨١ وأخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم وتاريخ ابن الأثير و ج ٤ من تاريخ ابن خلدون .

١ هـ : شاه زيان .

٢ ج د : الموقود .

٣ د : تاسع عشر .

وثلاثين سنة ، وحمل رأسه في طست^١ ووضع بين يدي عضد الدولة ، فلما رآه وضع منديله على عينيه^٢ وبكى ، رحمهما الله تعالى ، وسيأتي ذكر عضد الدولة إن شاء الله تعالى .

١١٠

بركياروق السلجوقي

أبو المظفر بَرَكِيَارُوقُ الملقب ركن الدين ابن السلطان مَلِكْشَاهُ بن أَلْبَ أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دقاق الملقب شهاب الدولة مجد الملك ، أحد الملوك السلجوقية - وسيأتي ذكر جماعة منهم إن شاء الله تعالى - ؛ ولي المملكة بعد موت أبيه ، وكان أبوه قد ملك ما لم يملك غيره على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ، ودخل سمرقند وبخارى وغزا بلاد ما وراء النهر ، وكان أخوه السلطان سنجر - المذكور في حرف السين إن شاء الله تعالى - نائبه على خراسان ، وفي محاربه قتل عمه تاج الدولة تَتَشْش بن ألب أرسلان - كما سيأتي عند ذكره في حرف التاء إن شاء الله تعالى - وكان مسعوداً ، عالي الهمة ، لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للشراب^٣ ، والإدمان عليه .

ومولده في سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتوفي في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل : الأول ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببَرُوجِرْدَ وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وأشهرأ ، رحمه الله تعالى .
وَبَرَكِيَارُوقُ : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء

١ د : طست ذهب .

٢ أ ج : على وجهه .

١١٠ - أخباره في الجزء العاشر من ابن الأثير ، وكتاب أخبار الدولة السلجوقية : ٧٥ وما بعدها ، وابن خلدون ٥ : ١٢ وما بعدها .

٣ أ ج : الشراب .

المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وواو ساكنة وقاف .
وَبُرُوجِرْد - بضم الباء الموحدة والراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون
الراء وبعدها دال مهملة - بلدة على ثمانية عشر فرسخاً من همدان .

١١١

بركات الخشوعي الرفاء

أبو الطاهر بركات ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي الفضل طاهر
ابن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن العباس بن هاشم الخشوعي الدمشقي
الجبروني الفرثي الرفاء الأنطاقي ؛ كان له سماعات عالية وإجازات تفرد بها
وألحق الأصغر بالأكابر ، فإنه انفرد في آخر عمره بالسمع والإجازة من أبي محمد
هبة الله بن أحمد بن الأصفهاني ، وانفرد بالإجازة من أبي محمد القاسم الحريري
البصري صاحب « المقامات » ، أجازته في سنة اثنتي عشرة وخمسة مائة من البصرة ،
وهو من بيت الحديث ، حدث هو وأبوه وجدده ، وسئل أبوه : لم سُمُوا
الخشوعيين ؟ فقال : كان جدنا الأعلى يؤمّ بالناس ، فتوفي في المحراب ، فسمي
الخشوعي نسبة إلى الخشوع .

وكان مولد أبي الطاهر المذكور بدمشق في رجب سنة عشر وخمسة مائة ،
وتوفي ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسة مائة بدمشق ،
ودفن من القد بباب الفَراديس على والده ، رحمها الله تعالى ، وهو آخر من
روى بالإجازة عن الحريري .

١١١ - ترجمته في العبر : ٤ : ٣٠٢ والشذرات ٤ : ٣٣٥ .

١ د : توفي لثلاث بقين ... الخ .

٢ ذكره أبو شامة (الذيل : ٢٨) في رقيات سنة ٥٩٧ . وقال الذهبي في العبر : توفي في سابع
صفر .

والفرشيُّ - بضم الفاء وسكون الراء وبعدها شين مثلثة - نسبة إلى بِنع الفرش . والأناطبي : الذي يبيع الفرش أيضاً . والرفاء : معروف .
واجتمعتُ بجماعة من أصحاب أبي الطاهر المذكور، وسمعت عليهم وأجازوني، ولقيتُ ولده بالديار المصرية ، وكان يتردد إليَّ في كثير من الأوقات وأجازني جميع مسموعاته وإجازاته من أبيه .

١١٢

برجوان خادم العزيز

الأستاذ أبو الفتوح بَرَجَوَان الذي تنسب إليه حارة بَرَجَوَان بالقاهرة ؛ كان من خدّام العزيز صاحب مصر ومُدبّر دولته ، وكان نافذ الأمر مطاعاً ، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة ، وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة - وسيأتي في ترجمة العزيز نزار طرف من خبره إن شاء الله تعالى - وكان أسود .

وقتل عشية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وقيل : بل قتل يوم الخميس منتصف جمادى الأولى سنة تسعين وثلثمائة في القصر بالقاهرة بأمر الحاكم ، ضربه أبو الفضل رَيْدَان الصَّقْلبي صاحب المظلة في جوفه بسكين فمات من ذلك .

وذكر ابن الصيرفي الكاتب المصري في « أخبار وزراء مصر »^٢ أن بَرَجَوَان نظر في أمور المملكة في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ولما قتل خَلَفَ أَلْفَ سَرَاوِيل دُبقي بألف تكة حرير ، ومن الملابس والفرش والآلات والكتب والطرائف ما لا يحصى كَثْرَةً ، والله أعلم .

١ د : الحاكم .

٢ انظر هذا الكتاب ص : ٢٧ - ٢٨ .

ورِيدَانُ المذكور هو الذي تنسب إليه الرِيدَانِيَّةُ خارج باب الفتوح أحدِ أبواب القاهرة .

ولما قُتِلَ بَرَجَوَانُ ردَّ الحَاكِمُ النَظَرَ في جميع ما كان بيده إلى قائد القواد أبي عبد الله الحسين ابن القائد جَوْهَرَ - وسيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شاء الله تعالى - ؛ ثم قتل الحَاكِمُ رِيدَانُ المذكور في أوائل سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وكان المباشِرَ لِقَتْلِهِ مَسْعُودُ الصَّقْلِيّ صاحب السيف ، رحمهم الله تعالى .

وَبَرَجَوَانُ : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون .

ورِيدَانُ - بفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون - هكذا وجدته مقيداً بخط بعض الفضلاء .

والصَّقْلِيّ - بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وبعد اللام المفتوحة باء موحدة - هذه النسبة إلى الصَّقَالِبَةِ ، وهم جنس من الناس يُجَلَّبُ منهم الخدام .

١١٣

بشار بن برد

أبو مُعَاذِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ بْنِ يَرْجُوخِ العَقِيلِيّ بِالوَلَاءِ الضَّرِيرِ الشَاعِرِ المشهور ؛ ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » ستة وعشرين جداً أسماءهم أعجمية ، أُضْرِبْتُ عن ذكرها طولها واستعجامها وربما يقع فيها التصحيف والتحريف ، فإنه لم يضبط شيئاً منها ، فلا حاجة إلى الإطالة فيها

١١٣ - له ترجمة مفصلة في الأغاني ٣ : ١٢٩ ، ٦٠ : ٢٢٨ والشعر والشعراء : ٦٤٣ وطبقات ابن المعتز : ٢١ ونكت الهميان : ١٢٥ ومعاهد التنخيص : ١ : ٩٧ وشذرات الذهب : ١ : ٢٦٤ وتاريخ بغداد : ٧ : ١١٢ والموشح : ٢٤٦ والسمط : ١٩٦ .

بلا فائدة ، وذكر من أحواله وأموره فصلاً كثيرة .

وهو بضري قدم بغداد ، وكان يلقب بالمرعث ، وأصله من طُخَارِسْتَانَ من سبئي المهلب بن أبي صفرة ، ويقال : إن بشاراً ولد على الرق أيضاً ، وأعتقه امرأة عَقِيلِيَّة فنسب إليها ، وكان أكنمه ولد أعمى ، جاحظ الحدقتين ، قد تَفَشَّاهما لحم أحمر. وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه مُجَدَّراً طويلاً ، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه ، فمن شعره في المشورة ، وهو من أحسن شيء قيل في ذلك :

إذا بَلَغَ الرأي المشورة فاستعنْ بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي تابع للقوادم
وما خير كَفِّ أمسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيدَ بقائم
وله البيت السائر المشهور ، وهو :

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني إليك فإن الحب أقصاني

ومن شعره ، وهو أغزل بيت قاله المولدون :

أنا والله أشتهي سحرَ عيني كِ وأخشى مصارع العشاق

ومن شعره أيضاً :

يا قوم أذني لبغض الحي عاشقة والأذنُ تَعشَقُ قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهدي فقلتُ لهم الأذنُ كالعين توفي القلب ما كانا

أخذ معنى البيت الأول أبو حفص عمر المعروف بابن الشحنة الموصلي من جملة قصيدة عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً يمدح بها السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، فقال :

وإنني امرؤٌ أحببتكم لمكارم سمعتُ بها والأذنُ كالعين تَعشَقُ

(٣١)* وشعر بشار كثير سائر ، فنقتصر منه على هذا القدر .

وكان يمدح المهديّ بن المنصور أمير المؤمنين ، ورُمي عنده بالزندقة ، فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك في البطيحة بالقرب من البصرة ، فجاء بعض أهله فحمّله إلى البصرة ودفنه بها ، وذلك في سنة سبع ، وقيل : ثمان وستين ومائة ، وقد نَيَّفَ على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

ويروى عنه^١ أنه كان يُفَضَّلُ النار على الأرض ، ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم صلوات الله عليه وسلامه ، ويُنسَبُ إليه من الشعر في تفضيل النار على الأرض قوله :

الأرض مظلمة ، والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النارُ

وقد روي أنه فُتِّشَتْ كتبه فلم يُصَبْ فيها شيء مما كان يرمى به ، وأصيب له كتاب فيه « إني أردت هجاء آل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهم - فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت عنهم » والله أعلم بحاله .

وقال الطبري في تاريخه^٢ : كان سبب قتل المهديّ لبشار أن المهديّ ولّى صالح بن داود أخا يعقوب بن داود وزير المهدي ولايةً ، فهجاه بشار بقوله ليعقوب :

هُمُ حَمَلُوا فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَالِحًا أَخَاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ الْمَنَابِرُ

فبلغ يعقوب هجاؤه ، فدخل على المهدي وقال له : إن بشاراً هجأك ، قال : ويحك ، ماذا قال ؟ قال : يُعْغِيفُنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِشَادِ ذَلِكَ ، فقال : لا بد ، فأنشده :

خليفةً يزني بعَمَاتِهِ يَلْعَبُ بِالذَّبْثُوقِ وَالصَّوْلَجَانِ
أَبْدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حَيْرِ الْخِزْرَانِ

١ : وروي عنه .

٢ : تاريخ الطبري ١٠ : ١٨ (حوادث سنة ١٦٩) .

فطلبه المهدي ، فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من ألقاه في البطيحة .

ويرجوخ : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الراء وضم الجيم وبعد الواو الساكنة خاء معجمة .

والعُقَيْلي - بضم العين المهملة وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - هذه النسبة إلى عُقَيْل بن كعب ، وهي قبيلة كبيرة .

والمرعَثُ - بضم الميم وفتح الراء وتشديد العين المهملة المفتوحة وبعدها ثاء مثلثة - وهو الذي في أذنه رعاث ، والرعاث القِرْطَة ، واحدتها رَعَثَة ، وهي القُرْطُ ، لقب بذلك لأنه كان مُرْعَثًا في صفره ، ورَعَثَاتُ الديك المتدلي أسفل حنكه ، والرعث : الاسترسال والتساقط ، وكان اسم القِرْطَة اشتق منه ، وقيل في تلقيبه بذلك غير هذا ، وهذا أصح .

وطُخَارستان - بضم الطاء المهملة^٢ وفتح الخاء المعجمة وبعدهم الألف راء مضمومة وبعدها سين ساكنة مهملة ثم ثاء مثناة من فوقها وبعدهم الألف نون - وهي ناحية كبيرة مشتملة على بلدان وراء نهر بلخ على جينحون خرج منها جماعة من العلماء .

١١٤

بشر الحافي

أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله ، وكان اسم عبد الله بعبور ، وأسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله

١ أ ج : ورعاث .

٢ ضبطه ياقوت بفتح الطاء .

١١٤ - ترجمته في حلية الأولياء ٨ : ٣٣٦ وصفة الصفوة ٢ : ١٨٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٦٧ .

عنه ، المروزيّ المعروف بالحافي ، أحد رجال الطريقة رضي الله عنهم ؛ كان من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء المتورعين ، أصله من مروّ من قرية من قراها يقال لها مابرسام^١ ، وسكن بغداد ، وكان من أولاد الرؤساء والكتّاب . وسبب توبته أنه أصاب في الطريق ورقة وفيها اسم الله تعالى مكتوب ، وقد وطئها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كانت^٢ معه غاليةً فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط ، فرأى في النوم كأنّ قائلاً يقول له : يا بشر ، طيبت اسمي لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة ، فلما تنبّه من نومه تاب . ويحكى أنه أتى باب المعافى بن عمران ، فمدق عليه الحلقة ، فقيل : مَنْ ؟ فقال : بشر الحافي ، فقالت بنت من داخل الدار : لو اشتريت نعلًا بدانقين لذهب عنك اسم الحافي .

وإنما لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لإحدى نعليه ، وكان قد انقطع ، فقال له الإسكاف : ما أكثر كلفتكم على الناس ! فألقى النعل من يده والأخرى من رجله ، وحلف لا^٣ يلبس نعلًا بعدها .

وقيل لبشر : بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال : أذكر العافية فأجعلها إداماً . ومن دعائه : اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني . ومن كلامه : عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه . وقال : من طلب الدنيا فليتهياً للذل . وقال بعضهم : سمعت بشراً يقول لأصحاب الحديث : أدّوا زكاة هذا الحديث ، قالوا : وما زكاته؟ قال : اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث . [وروى عنه سريّ السَّقَطِيّ وجماعة من الصالحين ، رضي الله تعالى عنهم . قال الجوهري : سمعت بشر بن الحارث يقول في جنازة أخته : إن العبد إذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه . وقال بشر : كنت في طلب صديقي لي ثلاثين سنة فلم أظفر به ، فمررت في بعض الجبال بأقوام مرضى

١ أ ج : برسام ، وضبطها ياقوت بفتح الباء وسكون الراء وسين مهملة .

٢ أ ج : بدرهم كان ؛ وفي الصفة « وكنت لا أملك إلا درهماً فيه خمسة دوانق » .

٣ هـ : وحلف بأن لا .

وزمنى وعمي وبكم ، فسألتهم ، فقالوا : في هذا الكهف رجل يمسح عليهم بيديه فيبرأون بإذن الله تعالى وبركة دعائه ، قال : فقمـدت أنتظر فخرج شيخ عليه جبة صوف فلمسهم ودعا لهم ، فكانوا يبرأون من عليهم بمشيئة الله تعالى ؛ قال : فأخذت ذيله فقال : خلّ عني يا سريّ ، يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه ، ثم تركني ومضى] .

وكان مولده سنة خمسين ومائة ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين ، وقيل : سبع وعشرين ومائتين ، وقيل : يوم الأربعاء عاشر المحرم ، وقيل : في رمضان بمدينة بغداد ، وقيل : بمرّو ، رحمه الله تعالى .

وكان لبشر ثلاث أخوات ، وهنّ مُضغّة ، ومُخّعة ، وزبُودة ، وكن زاهدات عابدات ورعات ، وأكبرهنّ مضغّة ماتت قبل موت أخيها بشر ، فحزن عليها بشر حزناً شديداً ، وبكى بكاء كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصّر في خدمة ربه سلبه أنيسه ، وهذه أختي مضغّة كانت أنيستي في الدنيا .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : دخلت امرأة على أبي فقالت له : يا أبا عبد الله ، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج ، وربما طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر ، فهل عليّ أن أبين غزل السراج من غزل القمر ؟ فقال لها أبي : إن كان عندك بينها فرق فعليك أن تبيني ذلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله أنينُ المريض هل هو شكوى ؟ فقال لها : إني أرجو أن لا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى ، ثم انصرفت ؛ قال عبد الله : فقال لي أبي : يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة ، اتبعها ؛ قال عبد الله : فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي ، فعرفت أنها أخت بشر ، فأتيت أبي فقلت له : إن المرأة أخت بشر الحافي ، فقال أبي : هذا والله هو الصحيح ، مُحال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي .

وقال عبد الله أيضاً : جاءت غثة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت : يا أبا عبد الله ، رأسُ مالي دانقان أشترى بها قطناً فأغزله وأبيعته بنصف درهم ، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة ، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت

ضوء المسعل وغزلت طاقين في ضوئه ، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى فيّ مطالبة ،
 فخلصني من هذا خلصك الله تعالى ، فقال أبي : تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا
 رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه ؛ قال عبد الله : فقلت لأبي : لو قلت لها
 حتى تخرج رأس مالها ، فقال : يا بني سؤالها لا يحتمل التأويل ، فمن هذه
 المرأة ؟ فقلت : هي نحة أخت بشر الحافي ، فقال أبي : من ههنا أتيت .
 وقال بشر الحافي : تعلمت الزهد من أخي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما
 مخلوق فيه صنع .

١١٥

بشر المريسي

أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة الثمريسي الفقيه الحنفي
 المتكلم ؛ هو من موالي زيد بن الخطاب ، رضي الله عنه .
 أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي ، إلا أنه اشتغل بالكلام ، وجرد
 القول بخلق القرآن ، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة ، وكان مرجئاً ، وإليه
 تُنسب الطائفة الثمريسيّة من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس
 والقمر ليس بكفر ، ولكنه علامة الكفر . وكان يناظر الإمام الشافعي رضي
 الله عنه ، وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً ، وروى الحديث عن حماد
 ابن سلمة وسفيان بن عيينة وأبي يوسف القاضي وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .
 ويقال : إن أباه كان يهودياً صياغاً بالكوفة ، وذكر ابن [أبي] عون الكاتب في
 كتاب «الأجوبة» أن أم بشر المريسي شهدت عند بعض القضاة فجعلت تلقن

١١٥ - لبشر بن غياث المريسي ترجمة وأخبار في تاريخ بغداد ٧ : ٥٦ والانتصار : ٢٠١ وممجم
 البلدان ٤ : ٥١٥ والوافي للصفدي ؛ ومقالات الإسلاميين : ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 والجواهر المضية : ١٦٤ وميزان الاعتدال ١ : ٣٢٢ وفرق التوبختي : ١٣ .

امرأة معها الشهادة، فقال الخصم للقاضي: ما تراها تلقنها، قالت له: يا جاهل إن الله تعالى يقول: ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى - الآية ﴾ [قال عمارة بن وثيمة: أخبرني عبد الله بن إسماعيل بن عياش قال: كتب بشر المريسي إلى رجل يستقرض منه شيئاً فكتب إليه الرجل: الدخول قليل والدين ثقيل والمال مكذوب عليه، فكتب إليه بشر: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت معتذراً بباطل فجعلك الله معتذراً بحق.]

وقال القاسم بن إسماعيل: قال لي الجاحظ: قال بشر المريسي وقد سئل عن رجل فقال: هو على أحسن حال واهنؤها، فضحك الناس من لحنه، فقال قاسم التمار: ما هذا إلا صواباً مثل قول ابن هرمة وهو:

ان سليمى والله يكلؤها ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

قال: فشغل الناس عن لحن المريسي بتفسير القاسم^١.
وتوفي في ذي الحجة سنة ثمانى عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، ببغداد. والمريسي^٢ - بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة - هذه النسبة إلى مريسي وهي قرية بمصر، هكذا ذكره الوزير أبو سعد في كتاب «النتف والطرف»، وسمعت أهل مصر يقولون: إن المريسي جنس من السودان بين بلاد النوبة وأسوان من ديار مصر وكانهم جنس من النوبة، وبلادهم متاخمة لبلاد أسوان، وتأتيهم في الشتاء ريح باردة من ناحية الجنوب يسمونها المريسي، ويزعمون أنها تأتي من تلك الجهة، والله أعلم، ثم إني رأيت بخط من يعتني بهذا الفن أنه كان يسكن في بغداد بدرب المريسي فنسب إليه، قال: وهو بين نهر الدجاج ونهر البزازين، قلت: والمريسي في بغداد هو الخبز الرقاق يُمرَس بالسمن والتمر كما يصنعه أهل مصر بالعسل بدل التمر، وهو الذي يسمونه البسيصة.

١ هذه زيادة من نسخة أ.

٢ أ: بناحية بلاد.

القاضي بكار بن قتيبة

القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة بن أبي بردعة بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله ابن أبي بكرة نفيح بن الحارث بن كلدة الثقفي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كان حنفي المذهب ، وتولى القضاء بمصر سنة ثمان - أو تسع - وأربعين ومائتين ، وقيل : قدمها متولياً قضاءها من قبل المتوكل يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين ، وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور ، وله مع أحمد بن طولون صاحب مصر وقائع مذكورة ، وكان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجاً عن المقرر له ، فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها ، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل - وهو والد المعتضد - من ولاية العهد امتنع القاضي بكار من ذلك ، والقضية مشهورة ، فاعتقله أحمد ، ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة ، فحمله إليه بختمه ، وكان ثمانية عشر كيساً ، فاستحيا أحمد منه ، وكان يظن أنه أخرجها وأنه يعجز عن القيام بها فلهذا طالبه ، ولما اعتقله أمره أن يُسَلِّمَ القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري ، ففعل ، وجعله كالخليفة له ، وبقي مسجوناً مدة سنين ، ووقفه للناس مراراً كثيرة ، وكان يحدث في السجن من طاق فيه لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون انقطاع إسماع الحديث من بكار وسألوه أن يأذن له في الحديث ففعل ، وكان يحدث على ما ذكرناه . وكان القاضي بكار أحد البكائين التالين لكتاب الله عز وجل ، وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرضَ عليها قصص جميع من تقدم إليه وما حكم به وبكى ، وكان يخاطب نفسه ويقول : يا بكار ، تقدم إليك رجلان في كذا ، وتقدم إليك خصمان في كذا ،

وحكمت بكذا ، فما يكون جوابك غداً؟ وكان يكثر الوعظ للخصوم إذا أراد اليمين ، ويتلو عليهم قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾ ، وكان يحاسب أمناءه في كل وقت ، ويسأل عن الشهود في كل وقت .

وكانت ولادته بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً يوم الخميس لست خلون^١ من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين بمصر ، وبقيت مصر بعده بلا قاض ثلاث سنين ، وقبره بالقرب من قبر الشريف ابن طباطبا وقبره مشهور هناك عند مصلى بني مسكين على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور معروف باستجابة الدعاء عنده .
وقيل : كانت ولايته القضاء سنة ست وأربعين ومائتين ، وهو الأصح ،
وقيل : سنة خمس وأربعين ، رحمه الله تعالى .

١١٦ ب

القاضي بكار بن قتيبة

القاضي أبو بكر بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن كلدة الثقفي بن الحارث مولى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حدث عن أبي داود الطيالسي وغيره ، وكان أحد الفقهاء على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة وولي قضاء مصر أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر وستة عشر يوماً .

وكان من البكائين التالين لكتاب الله عز وجل ، وكان يكثر الوعظ للخصوم ويتلو عليهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا لَوْلَا إِخْلَاقُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

١ ب : بقين .

أليم ﴿ - هذا مع كل حالف ، فمنهم من يرجع عن اليمين ؛ وكان يحاسب أمناءه في كل شهر ويسأل عن الشهود .

قال أبو حاتم ابن أخي بكار : قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه ، وذكر أنه كان معه في المكتب ، فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر فوديا عند عمي فما قبل شهادته ، فقلت لعمي : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه ، قال : يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا صفاراً وكنا على مائدة عليها أرز وفيه حلوى فنقبت الأرز بإصبعي فقال لي : ﴿أخرقتها لتفرق أهلها﴾ فقلت له : أتتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام ؟ ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه .

ولم يزل على القضاء إلى أن جرى بينه وبين أحمد بن طولون ما جرى وذلك ان المعتمد على الله تعالى ابن جعفر المتوكل لما ولي الخلافة عقد لأخيه أبي أحمد ولقبه الموفق وأقبل المعتمد على لذاته واشتغل عن الرعية ، فغلب على الأمر وقام به أحسن قيام وأتمه ، فسار المعتمد في جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومائتين يريد مصر بمكاتبة جرت بينه وبين أحمد بن طولون لما كان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك وهو في قتال صاحب الزنج أنفذ عسكرياً عليه إسحاق بن كنداج ، فرد المعتمد وسامه إلى صاعد بن مخلد وحجر عليه ، فكتب ابن طولون أن الموفق نكث بيعة المعتمد وأمر يجمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم إلى دمشق فاجتمعوا بها ، وخلع الموفق لأن الفقهاء أقتوا بخلعه إلا بكار ابن قتيبة فقال له : أذنت أوردت علي كتاباً من المعتمد ان الموفق ولي عهده فأوردني علي كتاباً منه بخلعه ، فقال : هو الآن مغلوب مقهور ، وأنا أحبسك حتى يرد كتابه ، فقيده وحبسوه واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائزه ، وولى أحمد بن طولون محمد بن شاذان الجوهري . ولم يزل بكار محبوساً إلى أن اعتل أحمد ابن طولون سنة سبع ومائتين ، ولما مات قيل لبكار : انصرف إلى منزلك ، فقال : الدار بأجرة وقد صلحت لي ، فأقام وجاء أصحاب الدار يطلبون أجرة ما مضى فقال بكار : على مذهبي الغاصب لا أجرة عليه ولكن أدفع لكم في المستقبل

وليس علي فيما مضى أجرة لأنني كنت مفضوباً على نفسي؛ ومات العباس بن أحمد ابن طولون بعده باثنتي عشرة ليلة ومات بكار بعده بأربعين يوماً وسنه تسع وثمانون سنة ، وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسين بن قتيبة ، وعاش بعد عمه عشر سنين ودفن بمصر عند مُصلى بني مسكين رحمه الله تعالى قريباً من قبر الشريف ابن طباطبا ، وقبره مشهور هناك على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور ، معروف باستجابة الدعاء عنده .

١١٧

أبو بكر المخزومي

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخَزُوم القُرَشِي المخزومي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكنيته اسمه - وعادة المؤرخين أن يذكروا من كنيته اسمه في الحرف الموافق لأول المضاف إليه ، والمضاف إليه ههنا بكر فلهذا ذكرته في الباء ، ومن المؤرخين من يفرد للكنى باباً - ؛ وكان أبو بكر المذكور من سادات التابعين ، وكان يسمى راهباً قريشاً ، وأبوه الحارث أخو أبي جهل بن هشام من جلة الصحابة ، رضي الله عنهم .

ومولده في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ؛ وتوفي سنة أربع وتسعين للهجرة رحمه الله تعالى ، وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء ، وإنما سميت بذلك لأنه مات فيها جماعة منهم .

وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد، وعندهم انتشر العلم والفتيا

١١٧ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٢٠٧ والشذرات ١ : ١٠٤ والعبر ١ : ١١١ ونكت
الهميان : ١٣١ .

١ قال ابن سعد : لكثرة صلاته وفضله .

في الدنيا - وسيأتي ذكر كل واحد منهم في حرفه ، وننبه عليه في موضعه إن شاء الله تعالى - وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين ، فقال :

ألا كلُّ من لا يقتدي بأئمةٍ فقسَّمتهُ ضيزَى عن الحق خارجهُ
فخذهم عبيد الله عُرْوَة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجهُ

ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا إلى معرفتهم لما ذكرتهم ، لأن في شهرتهم غنية عن ذكرهم في هذا المختصر ، وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم ، وشهروا بها ، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين مثل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وأمثاله ، ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة ، هكذا قاله الحافظ السلفي .

١١٨

المازني النحوي

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان - وقيل: بقية ، وقيل: عدي - بن حبيب المازني البصري النحوي ؛ كان إمام عصره في النحو والآداب ، أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة ، وله من التصانيف كتاب « ما تلحن فيه العامة » وكتاب « الألف واللام » وكتاب « التصريف » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافي » وكتاب « الديباج » على خلاف كتاب أبي عبيدة .
قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي المصري : سمعت القاضي بكر بن قتيبة ،

١١٨ - ترجمة المازني في إنباه الرواة ١ : ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٧ : ٩٣ والزبيدي : ٩٢ وغاية النهاية ١ : ١٧٩ ونور القبس : ٢٢٠ ومعجم الأدباء ٧ : ١٠٧ ونزهة الألباء : ١٢٤ وبفisque الرواة : ٢٠٢ .

قاضي مصر ، يقول : ما رأيت نحوياً قط يُشبهه الفقهاء إلا حَيَّان بن هلال
والمازني ، يعني أبا عثمان المذكور ، وكان في غاية الورع .

ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقراً عليه « كتاب » سيوييه وبذل
له مائة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك ، قال : فقلت له :
جُعِلتُ فِدالكَ ، أترد هذه المنفعة مع فافتك وشدة إضاقتك ؟ فقال : إن هذا
الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا كذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست
أرى أن أمكّن منها ذمياً غيراً على كتاب الله وحِمِّيةً له ؛ قال : فاتفق
أن غنّتُ جاريةً بحضرة الوائق بقول العرّجي^٣ :

أظلومُ إن مُصابكم رجلاً أهدى السّلامَ تحيةً ظمُّ

فاختلف مَنْ كان بالحضرة في إعراب « رجلاً » ، فمنهم من نصبه وجعله
اسم « إن » ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصِرّةٌ على أن
شيخها أبا عثمان المازني لقتها إياه بالنصب ، فأمر الوائق بإشخاصه .
قال أبو عثمان^٤ : فلما مثلت بين يديه قال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني
مازن ، قال : أيّ الموازن ؟ أمازن تميم ، أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ؟
قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي ، وقال : بِاسْمُكَ ؟ لأنهم
يقلبون الميم بباء والباء ميماً ، قال : فكرهت أن أجيبه على لفة قومي كيلا
أواجهه بالمكر^٥ ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما قصده ، وأعجب
به ، ثم قال : ما تقول في قول الشاعر :

أظلوم إن مصابكم رجلاً

-
- ١ نور القيس : أن غارقاً غنى في مجلسه ... الخ .
 - ٢ ديوان العرّجي : ١٩٣ .
 - ٣ د : قال أبو العباس المبرد : حدثني المازني قال : لما قدمت سر من رأى دخلت على الوائق ،
فقال : بمن ... الخ .
 - ٤ ه : أمازن بكر .
 - ٥ زاد في نور القيس : أم من مازن اليمن ؟
 - ٦ نور القيس : فقلت على القياس : « مكر » - أي بكر .

أترفع رجلاً أم تنصبه^١ ؟ فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين ، فقال : ولم ذلك ؟ فقلت : إن « مصابكم » مصدر بمعنى إصابتكم ، فأخذ اليزيدي في معارضي ، فقلت : هو بمنزلة قولك « إن ضربك زيدا ظلم » فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل عليه أن الكلام مُعلق إلى أن تقول « ظلم » فيتم ، فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم بُنْيَة^٢ يا أمير المؤمنين ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فقلت : [طافت حولي] وأنشدت [وهي تبكي] قول الأعشى :

أيا أبتنا لا ترم^٣ عندنا فإننا بخير إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرتك البلا دنجفى وتقطع منا الرحيم

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت [لها ما قال جرير] لابنته :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : على النجاح ، إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لي بألف دينار ، وردني مكرمًا ، قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا العباس ؟ رددنا لله مائة فعوّضنا ألفًا .

[وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسماً في الرواية ؛ قال أبو القاسم الكوكبي : حدثني العنزي قال : أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له وقال : كيف تراه ؟ قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من صدرك لأنك لو تركته لأورثك السل] .

وروى المبرد عنه أيضاً قال : قرأ عليّ رجل « كتاب » سيويه في مدة طويلة ،

١ ج : أرفع ... بنصبه ؟

٢ ب : بنت .

٣ د ونور القيس : أبانا فلا رمت .

٤ اختصر هنا ، وفي المصادر ما يفيد أنه جملة معلماً لبعض ولده ولكن المازني كره البقاء وأحب العودة (نور القيس : ٢٢١ - ٢٢٢) .

فلما بلغ آخره قال لي : أمّا أنت فجزاك الله خيراً ، وأمّا أنا فما فهمت منه حرفاً .

وتوفي أبو عثمان المازني المذكور في سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقيل : ثمان وأربعين ، وقيل : ست وثلاثين ومائتين بالبصرة ، رحمه الله تعالى .

١١٩

بلكين جد باديس

أبو الفتوح بُلُكَيْنُ بنُ زيري بن مَنَاد الحميري الصنهاجي ؛ وهو جد باديس المقدّم ذكره ، ويسمى أيضاً يوسُفَ ، لكن بلكين أشهر ، وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبّيدي على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية ، وكان استخلافه إياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلثمائة ، وأمر الناس بالسمع والطاعة له ، وسلم إليه البلاد ، وخرجت العمال وجبّاة الأموال باسمه ، وأوصاه المعز بأمر كثيرة ، وأكد عليه في فعلها ، ثم قال : إن نسيتَ ما أوصيتك به فلا تنسَ ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، والسيف عن البربر ، ولا تولّ أحداً من إخوتك وبني عمك ، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً ، وفارقته على ذلك ، وعاد من وداعه ، وتصرّف في الولاية .

ولم يزل حسن السيرة ، تام النظر في مصالح دولته ورعيته إلى أن توفي يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ، بموضع يقال له : واركلان مجاور إفريقية ، وكانت عنته القولنج ، وقيل : خرجت في يده بشرة فمات منها ، رحمه الله تعالى .

١١٩ - انظر أخباره في ابن عذارى ١ : ٢٢٨ وفي كتب التاريخ العامة .

وكان له أربعائة حَظِيَّةٌ ، حتى قيل : إن البشائر وَفَدَتْ عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولداً .

وَبُلُكَيْنِ : بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

وَزَيْرِي : بكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها ياء .

وبقية نسبه وضبط نسبه وألفاظه مذكور في حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم بن المعز بن باديس ، رحمهم الله تعالى .

وأما واركلان : فإنه بفتح الواو وبعء الألف راء مفتوحة أيضاً ثم كاف ساكنة وبعء اللام ألف نون .

١٢٠

بوران

بوران بنت الحسن بن سهل ، وسيأتي خبر أبيها إن شاء الله تعالى ؛ ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب ، والأول أشهر .

وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه ، واحتفل أبوها بأمرها ، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثله في عصر من الأعصار ، وكان ذلك بفسم الصلح وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشمين والقواد والكتّاب والوجوه

١٢٠ - الذي أثار المؤلف الى إفرادها بترجمة هو وصف ما أنفق في عرسها حين تزوجها المأمون ؛ أي غرابة هذا الصنيع الذي لا يضاهيه في الأندلس إلا الاعذار الذنوبي (الذخيرة ١/٤ : ٩٩) وقد أطنبت المصادر في الحديث عن هذا الحادث ، انظر شرح البسامة : ٢٧٠ وقبله قصة خرافية عن صلة المأمون ببوران قبل الزواج ؛ وكذلك المسعودي (٤ : ٣٠) ؛ والطبري ١٠ : ٢٧١ (حوادث سنة ٢١٠) وابن طيفور : ١١٣ وترجم لها السيوطي في نزهة الجلساء : ٣٠ .

بنادق مسكٍ فيها رقاغ بأسماء ضياع وأسماء جوارٍ وصفات دوابٍ وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها ، فيقرأ ما في الرقعة ، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ، سواء كان ضيعة أو ملكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً .

ثم نشرَ بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه ، وكانوا خلقاً لا يحصى ، حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره ، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه .

وذكر الطبري في تاريخه^١ أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً ، يُعَدُّ له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم ، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح ، فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه ، ثم قال : بعد هذا خرج المأمون نحو الحسن لثمان خلون من شهر رمضان ، ورحل من فم الصلح لسبع بقين من شوال سنة عشر ومائتين ، وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة ، وقال غيره : وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب ، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة ، فلما رأى تساقط اللآلئ المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس ! كأنه شاهد هذه الحال حين قال^٢ في صفة الحجر والحباب الذي يعلوها عند المزاج :

كَانَ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقد غلظوا أبا نواس في هذا البيت ، وليس هذا موضع إبانة الغلط^٣ .

١ تاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٢ .

٢ : حتى قال .

٣ هامش ب : يريد بتقليط أبي نواس أنه استعمل أفعال التفضيل بدون أحد الأمور الثلاثة وهي : من أو اللام أو الإضافة ، لأن صغرى فعلى أفعال ... الخ .

وأطلق له المأمون خراج فارس وكُورِ الأهواز مدة سنة ، وقالت الشعراء والخطباء في ذلك فأطنبوا .

ومما يستظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلي^١ :

بَارِكْ اللهُ لِلْحَسَنِ ولبوران في الختن
يا ابنَ هارونَ قد ظفِرَ تَ ولكنْ بِنْتَ مَنْ

فلما نمي هذا الشعر إلى المأمون قال : والله ما ندري خيراً أراد أم شراً .
وقال الطبري أيضاً : دخل المأمون على بُوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح ، فلما جلس معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد الدرر كم هو ، فقالت : ألف حبة ، فوضعها في حجرها وقال لها : هذه نِحلتك ، وسلي حوائجك ، فقالت لها جدتها : كلمي سيدك فقد أمرك ، فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي - قلت : وقد تقدم ذكره - فقال : قد فعلت ، وأوقدوا في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون مناً في تور من ذهب ، فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال : هذا سرف .

وقال غير الطبري : لما طلب المأمون الدخول عليها دافعوه لعذرها ، فلم يندفع ، فلما زفت إليه وجدها حائضاً فتركها ، فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب وقال : يا أمير المؤمنين ، هنأك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر بالمعركة ، فأنشده المأمون :

فَارِسٌ ماضٍ بِحَرْبِهِ صَادِقٌ^٢ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلْمِ
رَامٌ^٣ أَنْ يَدْمِي فَرَيْسَهُ فَاتَّقْتَهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

١ نشأ بالبصرة وسكن بغداد وكان كثير الهجاء ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون (الأغاني ١٤ : ٨٧

وطبقات ابن المعتز : ٣٠٨ والورقة : ١٠٩ وتاريخ بغداد ٢ : ٢٩٥) .

٢ د : عارف .

٣ أ : كاد .

فعرض بحمضها وهو من أحسن الكنايات ، حكى ذلك أبو العباس الجرجاني في كتاب « الكنايات »^١ ، وقد رُويت هذه القصة على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالصواب .

وجرى هذا كله في شهر رمضان سنة عشر ومائتين ، وعقد عليها في سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي المأمون وهي في صحبته ، وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وبقيت بعده إلى أن توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين وعمرها ثمانون سنة ، لأن مولدها ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وكانت وفاتها ببغداد ، ويقال : إنها دفنت في قبة^٢ مقابلة مقصورة جامع السلطان وإنما باقية إلى الآن ، رحما الله تعالى .

وفم الصلح - بفتح الفاء وبعدها ميم وكسر الصاد المهملة وبعده اللام الساكنة حاء مهملة - وهي بلدة على دجلة قريبة من واسط ، كذا ذكره السمعاني . وقال العماد الكاتب في « الخريدة » : الصلح نهر كبير ، يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواح كثيرة ، وقد علا النهر وآل أمر تلك المواضع إلى الخراب . قلت : والعماد بذلك أخبر من السمعاني ، لأنه أقام بواسط زماناً طويلاً ، متولي الديوان بها .

١٢١

تاج الملوك بوري

تاج الملوك أبو سعيد بُوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب مجد الدين ، قد تقدم ذكر أبيه ، وهو أخو السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ؛ وكان أصغر أولاد أبيه ، كانت فيه فضيلة ، وله ديوان شعر فيه الفح والسمين

١ انظر كنايات الجرجاني : ٤٥ .

٢ : ٥٢ .

لكنه بالنسبة إلى مثله جيد ؛ نقلت من ديوانه في أحد مماليكه وقد أقبل من
جهة المغرب راكباً فرساً أشهب قوله :

أَقْبَلَ مِنْ أَعْشَقِهِ رَاكِبًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ عَلَى أَشْهَبِ
فَقُلْتُ : سَبْحَانَكَ يَا ذَا الْعَلَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ
[ومما يناسب ذلك قول ابن طلحة الصقلي :

أَيْتَهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مَفْضُضُ الثَّنِيرِ لَهُ نَقْطَةُ مَسْكِيَّةٍ فِي خَدِّهِ الْمَذْهَبِ
أَيَّاسِنِي التَّوْبَةُ مِنْ جِهَةِ طُلُوعِهِ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ
وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ :

لَمَّا رَأَيْتُ شِعَاعَ خَدِّكَ ذَا مَتَهَلًّا كَتَهَلُّ الْبَرْقِ
سَبَّحْتُ مِنْ عَجَبٍ وَقُلْتُ مَتَى لِلشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ سُوَى الشَّرْقِ]
وأورد له العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » :

يَا حَيَاتِي حِينَ يَرْضَى وَمَمَاتِي حِينَ يَسْخَطُ
أَهٍ مِنْ وَرْدٍ عَلَى خَدِّكَ يَكُ بِالْمِسْكِ مُنْقَطُ
بَيْنَ أَجْفَانِكَ سُلْطَانٍ عَلَى ضَعْفِي مُسَلِّطُ
قَدْ تَصَبَّرْتَ وَإِنْ بَرًّا حَ بِي الشُّوقِ وَأَفْرَطُ
فَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَوْمًا بِالتَّلَاقِ مِنْكَ يَغْلَطُ

وأورد له أيضاً :

أَيَا حَامِلَ الرَّمْحِ الشَّبِيهِ بِقَدَمِهِ وَيَا شَاهِرًا سَيْفًا حَكَمَى لِحْظِهِ عَضْبَانَا
ضَعِ الرَّمْحَ وَاعْمُدْ مَا سَلَّكَتَ فَرَبْنَا قَتَلْتَنَا وَمَا حَاوَلْتَ طَعْنًا وَلَا ضَرْبًا

وذكر له غير ذلك أيضاً ، وله أشياء حسنة .

١ سقطت هذه العبارة من نسخة آيا صوفيا ، وألحقت الأبيات الثلاثة التالية ببيتى تاج الملوك بوري .

وكانت ولادته في ذي الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وتوفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، على مدينة حلب من جراحة أصابته عليها لما حاصرها أخوه السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، وأصابته الجراحة يوم نزولهم عليها ، وهو السادس عشر من المحرم من السنة المذكورة ، وكانت الجراحة طعنة في ركبته .

قال العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » : إن صلاح الدين كان قد أعدَّ لعماد الدين صاحب حلب ضيافة في الخيم بعد الصلح وقبل دخوله البلد ، فبينما هو جالس على السباط وعماد الدين إلى جانبه ونحن في أعبط عيش وأتم سرور إذ جاء الحاجب إلى صلاح الدين وأسرَّ إليه بموت أخيه ، فلم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه ودفنه سرّاً ، وأعطى الضيافة حقها إلى آخرها ، ويقال : إن صلاح الدين كان يقول : ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك .

وبوري - بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الراء وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهو لفظ تركي معناه بالعربية ذئب ، انتهى ، والله تعالى أعلم .

١ أوردت نسخة د هذا الخبر بشيء من التفسير اليسير فلم أر إثباته في الزيادات .

حرف التاء

تنش السلجوقي

تاج الدولة أبو سعيد تُتُش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي ؛ كان صاحب البلاد الشرقية ، فلما حاصر أمير الجيوش بدر الجمالي مدينة دمشق من جهة صاحب مصر - وكان صاحب دمشق يومئذ أُنسز بن أوق بن الخوارزمي التركي - سير أُنسز المذكور إلى تُتُش فاستنجد به^١ فأُنجده وسار إليه بنفسه ، فلما وصل إلى دمشق خرج إليه أُنسز ، فقبض عليه تنش وقتله واستولى على مملكته وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر^٢ ، وكان قد ملك دمشق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك^٣ كان في سنة اثنتين وسبعين ، والله أعلم . ثم تملك حلب بعد ذلك في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما تقدم في ترجمة آق سُنقُر ، واستولى على البلاد الشامية ، ثم جرى^٤ بينه وبين ابن أخيه بَرَكِيَارُوقَ المقدم ذكره مُناقرات ومشاجرات أدَّتْ إلى المحاربة ، فتوجه إليه وتَصافَاَ بالقرب من مدينة الري في يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، فانكسر تنش المذكور ، وقُتِلَ في المعركة ذلك النهار ، ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

١٢٢ - أخبار تنش واستيلائه على دمشق وحلب في ابن القلانسي : ١١٦ ، ١٢٠ - ١٢٥ ؛ وانظر في منازعته لبركياروق : تاريخ الدولة السلجوقية ، ٧٥ - ٧٨ وراجع تاريخ ابن الأثير وابن خلدون ؛ وهذه الترجمة قد سرد فيها المؤلف ولاية دمشق حتى استيلاء نور الدين عليها (انظر ولاية دمشق للصفدي) .

١ أ ج : فاستنجده .

٢ هـ : الأول .

٣ زاد في هـ : يعني قتل أُنسز .

٤ هـ : جرت .

وخلّف ولدين: أحدهما فخر الملوك رضوان، والآخر شمس الملوك^١ أبو نصر دقاق، فاستقل رضوان بمملكة حلب، ودقاق بمملكة دمشق، وتوفي رضوان في سلخ جمادى الأولى سنة سبع وخمسة ، ومن نوابه أخذ الفرنج أنطاكية في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ودفن في مسجد ببحر الفهادين^٢ بظاهر دمشق الذي على نهر برّدى، وكان قد حصل له مرض متطاوّل، وقيل: إن أمه سمته في عنقود عنب.

فلما مات قام بالملك ظهير الدين أبو منصور طغتكين، وكان أتاكه، وتزوج أمه في حياة أبيه، وزوّجه إياها وهو عتيق تثنش رحمهم الله تعالى، وأولاد الملك رضوان المقيمون بظاهر حلب هم أولاد رضوان المذكور. ولم يزل ظهير الدين طغتكين مالك دمشق إلى أن توفي يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسة.

وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري، إلى أن توفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسة من جراحة أصابته من الباطنية.

وتولى بعده ولده شمس الملوك إسماعيل إلى أن قُتِل يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسة، قتله أمه خاتون زمرد بنت جاولي.

وأجلست أخاه شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري، فتولى الأمر بعده بدمشق إلى أن قُتِل ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسة، قتله غلامه البغش ويوسف الخادم والفراس الحركاوي.

وصبيحة قتله وصل أخوه جمال الدين محمد بن بوري من بعلبك وكان صاحبها، فملك دمشق وأقام بها إلى أن توفي ليلة الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسة.

١ أ: الملك.

٢ د: ودفن في خانقاه الطواريس.

وتولى بعده مملكة دمشق ولده مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طفتكين، إلى أن نزل عليها نور الدين محمود بن زَنْكِي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وأخذها منه ، وعوضه عنها حمص فأقام بها يسيراً ثم انتقل إلى بالس التي على الفرات بأمر نور الدين ، وأقام بها مدة ثم توجه إلى بغداد وأقبل عليه الامام المقتفي ، ولا أعلم متى مات . ولما كان بدمشق كان مدبر دولته معين الدين أنز بن عبد الله مملوك جده طفتكين ، وهو الذي ينسب إليه قصر معين الدين ببلاد الغور من أعمال دمشق ، وتوفي معين الدين المذكور في ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو الذي تزوج نور الدين محمود ابنته ثم تزوجها من بعده السلطان صلاح الدين رحمه الله أجمعين . وله بدمشق مدرسة ، ثم وجدت تاريخ وفاة مجير الدين أبق فذكرتها في ترجمة نور الدين محمود - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

١٢٣

تقية الصورية

أم علي تقيه ابنة أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر السلمي الأرمني الصوري ، وهي أم تاج الدين أبي الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن صمدون الصوري الأصل .

كانت فاضلة ، ولها شعر جيد ، قصائد ومقاطيع ، وصحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني - رحمه الله تعالى - زماناً بشعر

١٢٢ - تعرف بست النعم، وقد عدها العماد (الخريدة - قدم مصر ٢: ٢٢١) من أهل الإسكندرية، ولها ذكر في معجم السفر للسلفي وترجمة في الوافي ونزهة الجلساء : ٣٢ والشذرات ٤ : ٢٦٥ .
١ أ : حمدون ؛ ه : مهرا .

الإسكندرية المحروس ، وذكرها في بعض تعاليقه ، وأثنى عليها وكتب بخطه : عثرت في منزل سكنائي ، فانجرح أخصي ، فشَقَّتْ وليدة في الدار خِرْقَةً من خمارها وَعَصَبَتْهٗ١ ، فأنشدت تقيّة المذكورة في الحال لنفسها تقول :

لو وَجَدْتُ السبيل جُدْتُ بِجَدِّي عوضاً عن خِمارِ تلك الوليدة
كيف لي أن أقبَّلَ اليوم رجلاً سلكت دَهْرَها الطريقَ الحميدة
نظرت في هذا المعنى إلى قول هارون بن يحيى النجم :

كيف نال العثارُ مَنْ لم يَزَلْ منهُ مُقيماً في كل خَطْبٍ جَمِيمٍ
أو ترقى الأذى إلى قَدَمٍ لَمْ تَخْطُ إلا إلى مَقامٍ كَرِيمٍ

ولها غير ذلك أشياء حسنة .

وحكى^٢ لي الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري رحمه الله أن تقيّة المذكورة نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى ، وكانت القصيدة خمرية ، ووصفت آلة المجلس وما يتعلق بالخمر ، فلما وقف عليها قال : الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها^٣ ، فبلغها ذلك ، فنظمت قصيدة أخرى حربية ووصفت الحرب وما يتعلق بها أحسنَ وصفٍ ، ثم سيرت إليه تقول : علمي بهذا كعلمي بهذا^٤ ، وكان قصدها براءة ساحتها مما نسبها إليه .

[وكانت قد سألت الشيخ الامام العالم أبا الطاهر اسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر ، فقال : هو كلام ان تكلمت بحسن فهو لك وان تكلمت بشر فهو عليك] .

وكانت ولادتها في صفر سنة خمس وخمسمائة بدمشق ، ورأيت بخط الحافظ

١ أ : وعصبت أخصي .

٢ ه : وذكر .

٣ أ ج وآيا صوفيا : الصبا .

٤ أ ج وآيا صوفيا : بذلك .

السلفي أنها ولدت في المحرم من السنة المذكورة ، وتوفيت في أوائل شوال سنة تسع وسبعين وخمسة ، رحمه الله تعالى .
وتوفي والدها أبو الفرج المذكور في أواخر سنة تسع وخمسة ، وقيل : في صفر ، وكان ثقة ، رحمه الله تعالى . وتوفي جدّها علي بن عبد السلام ضحى يوم الأحد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بصور . وتوفي ولدها أبو الحسن علي المذكور في الخامس عشر من صفر سنة ثلاث وستمئة بشعر الإسكندرية عن سن عالية ، وهو صوري الأصل مصري الدار^٢ ، وكان فاضلاً في النحو والقراءات حسن الخط والضبط لما يكتبه . وكان مولد أبيه فاضل المذكور في شوال سنة تسعين وأربعمائة بدمشق ، هكذا نقلته من خط الحافظ السلفي ، وتوفي في أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسة بالإسكندرية ، وكنيته أبو محمد ، نقلت وفاته من خط ولده أبي الحسن علي المذكور .

والأرمنّازي^١ - بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم والنون وبعد الألف زاي - هذه النسبة إلى أرمنّاز ، وهي قرية من أعمال دمشق ، وقيل : من أعمال أنطاكية ، والأول أصح ، وذكر ابن السمعاني أنها من أعمال حلب ، وقال لي من رأى أرمنّاز : إن بينها وبين عزاز من أعمال حلب أقلّ من ميل من جانبها الغربي^٣ .

والصوّري - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبعدها راء - هذه النسبة إلى مدينة صور ، وهي من ساحل الشام ، وهي الآن بيد الفرنج ، خدّ لهم

١ ذكره ياقوت نقلاً عن السمعي في (أرمنّاز) وانظر الأنساب (أرمنّازي) كما ذكر ترجمة لوالدها غيث بن علي نقلاً عن ابن عساكر .

٢ أ : الديار .

٣ وقف ياقوت عند هذا الخلاف في تحديد « أرمنّاز » بعد أن ذكر أنها من نواحي حلب ، وأورد قول أبي سعد ابن السمعي ثم قال : لا شك في أرمنّاز التي من نواحي حلب ، فإن لم يكن أبو سعد اعتر بسعد محمد بن طاهر من أبي الحسن بصور ولم ينعم النظر وإلا فأرمنّاز قرية أخرى بصور ، والله أعلم . على أن الحافظ أيا القاسم ذكر في ترجمة علي بن عبد السلام الأرمنّازي فقال : والد غيث الصوري الكاتب أصله من أرمنّاز قرية من ناحية أنطاكية بالشام .

الله تعالى، استولوا عليها في سنة ثنائي عشرة وخمسة، يسر الله فتحها على أيدي المسلمين، آمين .

١٢٤

أبو غالب التيباني

أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي المعروف بالتَيَّانِي من أهل قُرْطُبة سكن مُرُسية ؛ كان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها ، مذكوراً بالديانة والفقه والورع ، وله كتاب مشهور جمعه في اللغة لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً ، وله قصة تدل على دينه مع علمه^١ ، حكى ابن الفرضي أن الأمير أبا الجيش مُجاهد بن عبد الله العامري وَجَّه إلى أبي غالب المذكور أيام غلبته على مُرُسية ، وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب « مما ألفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد » ، فرد الدنانير وقال : والله لو بُدِلت لي الدنيا على ذلك لم أفعله ، ولا استجزت الكذب ، فإني لم أؤلفه لك خاصة ، ولكن للناس عامة ؛ فاعجَبْ لهمة هذا الرئيس وعلوها ، واعجَبْ لنفس هذا العالم ونزاهتها . وقال ابن حيان : كان أبو غالب هذا مقدماً في علم اللسان مسلمةً له اللغة^٢ ، وله كتاب جامع في اللغة سماه « تليح العين »^٣ جم الإفادة .

وتوفي بالمرية في إحدى الجماديين سنة ست وثلاثين وأربعمائة^٣ ، رحمه الله

١٢٤ - ترجمة أبي غالب التيباني في الجذوة : ١٧٢ (والبغية : ٢٣٦) والصلة : ١٢٤ وإنباه الرواة

١ : ٢٥٩ وبغية الرواة : ٢٠٩ ومعجم الأدباء : ٧ : ١٣٥ وروضات الجنات : ١٤٠ .

١ هذه القصة في الأصل مأخوذة من رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (النفح : ٣ : ١٧٢) وقد

كررها الشقندي في رسالته (المصدر السابق : ١٩٠) .

٢ انظر فهرسة ابن خير : ٣٥٩ .

٣ أ ج : سنة ٤٣٣ .

تعالى ؛ وأخذ اللغة عن أبيه وعن أبي بكر الزبيدي وغيرها .
والتّياني : أظنه منسوباً إلى التين وبيّعه ، والله أعلم .

١٢٥

تميم بن المعز الفاطمي

أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ؛ كان أبوه صاحب الديار
المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى القاهرة المعزية - وسيأتي ذكره في حرف الميم
إن شاء الله تعالى - وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته - وسيأتي ذكر الباقي إن
شاء الله تعالى - ؛ وكان تميم المذكور فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، ولم يَلِ
المملكة لأن ولاية المهدي كانت لأخيه العزيز فوليا بعد أبيه ، وللعزيز أيضاً
أشعار جيدة وقد ذكرهما أبو منصور الثعالبي في « اليتيمة »^١ ، وأورد لها كثيراً
من المقاطيع ، فمن شعر تميم المذكور^٢ :

ما بان عُنْزري فيه حق عَدْرًا ومَشى الدجى في خده فَتَحَيَّرَا
هَمَّتْ تُقَبِّلُه عقاربُ صُدْغِه فاستلَّ نَاطِرُهُ عليها خنْجَرا
والله لولا أن يُقال تَغَيَّرَا وصَبَا وإن كان التَّصَّابي أجدْرا
لأعدتْ تَفَاحَ الحدودِ بِنَفْسِجَا لثمًا وكافورَ الترائبِ عَنبرَا

وله أيضاً^٣ :

١٢٥ - ترجمة تميم في الحلة السيرة ١ : ٢٩١ ومسالك الأبصار (أول الجزء ١٢) ومقدمة ديوانه
(ط. دار الكتب ١٩٥٧) .

١ اليتيمة ١ : ٣٠٨ وقد عاد الثعالبي فأفرد لتميم ذكراً ص : ٤٥٢ من الجزء نفسه .

٢ أضيفت الى الديوان : ٤٦٤ ولم تكن في الأصول ، عن اليتيمة وغيرها .

٣ ديوانه : ٣٩٨ .

أما والسذي لا يملك الأمر غيرُهُ
لَسِنَّ كان كِتْمَانُ المصائب مؤلماً
وبي كلُّ ما يُبكي العيون أقلُّهُ
وأورد له صاحب « اليثيمة » ١ :

وما أم خِشْفٍ ظلَّ يوماً وليلَّةٍ
تهمُّ فلا تدري إلى أين تَنْتَهِي ٢
أضْرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجدْ
فلما دنت من خشفها انعطفت له
وأوجع منِّي يوم شدت حمولهم
ونادى مُنادي الحي أن لا تلاقيا

[وأورد له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتابه « الحديقة » :

يوم لنا في النيل مختصرٌ
والسفنُ تصعد كالخيول بنا
ولكل يوم مسرةٍ قُصِرُ
فكأنما أمواجه عكنٌ
ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

اشرب على غيم كصبغ الدجى
وانظر لماء النيل في مدّه
أضحك وجه الأرض لما بكى
كأنما صُندل أو مُسكاً

وكان قد وصل إلى عبد الله بن محمد الكاتب بيتان قيلا في وصف النيل فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا في معناها وقافيتها فلم يأتوا بطائل وهما هذان البيتان :

شربنا على النيل لما بدا
كأن تكائف أمواجه
بموجٍ يزيد ولا ينقصُ
معاطفٌ جاريةٍ ترقصُ

١ ديوانه : ٤٦٢ .

٢ أ ج : تنتهي .

وأحسبها للأمير تميم أو لبعض شعراء مصر ، وذلك أن تيمماً ركب في النيل ليلة متنزهاً فمرَّ ببعض الطاقات المشرفة على النيل ، وجارية تغنّي هذا الصوت :

نبت ندماني بدجلة موهناً والبدر في أفق السماء مُعلّقُ
والبدر يضحك وجهه في وجهها والماء يرقص حولها ويصفقُ

فاستحسنه وطرب عليه وما زال يستعيدها فيه ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكرأً فلما أصبح عارضها بالبيتين الأولين] .
ومن المنسوب إليه أيضاً :

وكما يَمَلُّ الدهر من إعطائه فكذا ملّته من الحرمان
وأشعاره كلها حسنة .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة بصر ، رحمه الله تعالى ، هكذا قال صاحب « الدول المنقطعة » وزاد العتقي^١ في تاريخه أنه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً ، وأخرجته من البستان مع المغرب وصلى عليه بالقرافة ، وحمله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز . وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه « المعارف المتأخرة »^٢ : إنه توفي سنة خمس وسبعين ، والله أعلم . وقال غيرها : إنه ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

١ العتقي : محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن جنادة (وعند القفطي في تاريخ الحكماء : ٢٨٥ محمد ابن عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن العتقي) ، قدم مصر من إفريقية مع المعز وظل مقرباً من الفاطميين حتى أيام العزيز حين ألف كتاباً في أخبار بني أمية وبني العباس ذكر فيه أشياء من محاسنهم ، فوبخه العزيز على ذلك وصدورت صفة كانت له ، وتوفي سنة ٣٨٤ ، ولعل هذا الكتاب هو الذي يشير اليه المؤلف باسم تاريخ العتقي (انظر الوافي ٣ : ٢٣٩) .
٢ توفي الهمداني سنة ٥٢١ ؛ وكتابه « المعارف المتأخرة » مختصر ، ومن كتبه تكملة تاريخ الطبري .

تميم بن المعز الصنهاجي

أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بُلُكَيْن بن زيري بن مَنَاد ابن منقوش بن زناك بن زير الأصغر بن واشفال بن وزغفي بن سري بن وتلكي ابن سليمان بن الحارث بن عدي الأصغر ، وهو المثني ، بن المسور بن يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد وهو عبد الله بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر ، بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عوف بن عريب بن زهير بن أئمن بن الهَمَيْسَع بن عمرو بن حمير وهو العرنجج بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب ابن قسحطان بن عابر وهو هود عليه السلام ابن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، هكذا قاله العماد في « الخريدة » ، الحميري الصنهاجي .

ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز ، وكان حسن السيرة ، محمود الآثار ، محباً للعلماء ، معظماً لأرباب الفضائل ، حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السراج الصوري وأنظاره ، وجدته المثني بن المسور أول من دخل منهم إلى إفريقية .

ولأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني فيه مدائح ، فمن ذلك قوله :

أصَحُّ وأعلى ما سمِعناه في النَّدَى من النخبَرِ المأثور مُنذ قديم
أحاديث تروها السُّيولُ عن الحَيَا عن السُّبْحَرِ عن كَفِّ الأميرِ تميم

١٢٦ - ترجمة تميم الصنهاجي في الحلة السيرة ٢ : ٢١ والبيان المغرب ١ : ٢٩٨ وابن خلدون ٦ :

١٥٩ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٧٣ .

١ الحلة : ٢٣ .

وللأمير تميم المذكور أشعار حسنة ، فمن ذلك قوله :

إن نظرتُ مقلتي لمقلَّتِها تعلم ممَّا أريدُ نَجْواهُ
كأنها في الفؤادِ ناظرةٌ تكشفُ أسراره وفحواهُ
وله أيضاً :

سَلِّ المطرَ العامَ الذي عمَّ أرضكم إذا كنتَ مطبوعاً على الصدِّ والجفا
أجاء بمقدار الذي فاض من دَمعي فمن أين لي صبر فأجعله طَبْعي
وله أيضاً :

وخمر قد شربْتُ على وجوه إذا وصِفْتُ تجلُّ عن القياسِ
خُدودٌ مثلُ وردٍ في ثغور كدرٍ في شعور مثلِ آسِ
وذكره العماد الكاتب في كتاب « السيل » ، وأورد له :

فكَّرتُ في نار الجحيم وحرَّها يا ويلتاه ولات حين مناصِ
فدَعوتُ ربي أن خير وسيلتي يوم المعاد شهادةُ الإخلاصِ

وأشعاره وفضائله كثيرة ، وكان يجيز الجوائز السنوية ، ويعطي العطاء الجزيل ، وفي أيام ولايته اجتاز المهدي محمد بن تومرت - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بإفريقية عند عَوْدِهِ من بلاد المشرق ، وأظهر بها الإنكار على مَنْ رآه خارجاً عن سنن الشريعة ، ومن هناك توجه إلى مَرَّاكش وكان منه ما اشتهر . وكانت ولادة الأمير تميم المذكور بالمنصورية التي تسمى صَبْرَةَ من بلاد إفريقية يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وفوض إليه أبوه ولاية المهديية في صفر سنة خمس وأربعين ، ولم يزل بها إلى أن توفي والده في [رابع] شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، فاستبد بالملك ، ولم يزل إلى أن توفي ليلة السبت منتصف رجب سنة إحدى وخمسمائة ، ودفن في قصره ، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير ، رحمه الله تعالى .

وخلف من البنين أكثر من مائة ، ومن البنات ستين ، على ما ذكر حفيده أبو محمد عبد العزيز بن شداد ابن الأمير تميم المذكور في كتاب « أخبار القيروان » رحمه الله تعالى .

وقد تقدم ضبط بعض أجداده والباقي يطول ضبطه وقد قيدته بخطي ، فمن أراد نقله فلينقله على هذه الصورة فإني نقلته من خط بعض الفضلاء .

والصنهاجي : قد تقدم الكلام فيه .

والمنستير : يأتي ذكرها في حرف الهاء إن شاء الله تعالى في ترجمة البوصيري .

١٢٧

توران شاه

الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين ، وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه تاج الملوك ، وهو أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، وكان أكبر منه ؛ وكان السلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه ، وبلغه أن باليمن إنساناً يسمى عبد النبي بن مهدي يزعم أنه ينتشر ملكه حتى يملك الأرض كلها ، وكان قد ملك كثيراً من بلادها واستولى على حصونها وخطب لنفسه ، وكان السلطان قد ثبَّتْ قواعده وقوي عسكره ، فجهز أخاه شمس الدولة المذكور بجيش اختاره ، وتوجه إليها من الديار المصرية في أثناء رجب سنة تسع وستين وخمسة ، فمضى إليها ، وفتح الله على يديه ، وقتل الخارجي الذي كان فيها ، وملك معظمها ، وأعطى وأغنى خلقاً كثيراً ، وكان كريماً أريحياً ، ثم إنه عاد من اليمن والسلطان على حصار حلب ، فوصل إلى دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين ، ولما رجع السلطان من الحصار وتوجه إلى الديار المصرية استخلفه بدمشق ، فأقام بها مدة ثم انتقل إلى مصر .

١٢٧ - انظر طبقات السبكي ٥ : ٥٢ .

وذكر ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^١ أنه توفي يوم الخميس مستهل صفر ، وقال في موضع آخر من السيرة أيضاً : خامس صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، بشفرة الاسكندرية المحروس ، ونقلته أخته شقيقته ست الشام بنت أيوب إلى دمشق ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق ، فهناك قبره وقبرها وقبر ولدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وكانت تزوجته بعد لاجين ، رحمهم الله أجمعين .

وكانت وفاة حسام الدين المذكور ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وهذا حسام الدين المذكور هو سيد شبل الدولة كافور بن عبد الله الحسامي الخادم صاحب المدرسة والخانقاه الشبلية اللتين في ظاهر دمشق على طريق جبل قاسيون ، ولهما شهرة في مكانها . وله أوقاف كثيرة ومعروف نافع في الدنيا والآخرة ، وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وعشرين وستائة ، ودفن في تربته المجاورة لمدرسته المذكورة .

وسياقي ذكر ناصر الدين محمد بن شيركوه في ترجمة أبيه في حرف الشين إن شاء الله تعالى .

وتوفيت ست الشام المذكورة في سادس عشر ذي القعدة سنة ست عشرة وستائة .

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت بخط بعض الفضلاء ممن له عناية بهذا الفن زيادة على ما ذكرته هنا ، فتركت ما هو مذكور في هذا المكان وأتيت بتلك الزيادة ، فقال : لما تمهدت بلاد اليمن لشمس الدولة واستقامت له أمورها كره المقام بها لكونه تربية بلاد الشام ، وهي كثيرة الخير ، واليمن بلاد مجدبة من ذلك كله ، فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستقبل منها ويسأله الإذن له في العود إلى الشام ، ويشكو^٢ حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج إليها ، فأرسل إليه صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في الإقامة وأنها

١ سيرة صلاح الدين : ٥٢ ، ٥٤ .

٢ هـ : في العود الى بلاد الشام ، وشكا .

كثيرة الأموال ومملكة كبيرة ، فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته : أحضر لنا ألف دينار ، فأحضرها ، فقال لأستاذ داره والرسول حاضر عنده : أرسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج ، فقال أستاذ الدار : يا مولانا ، هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج ؟ فقال : دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي ، فقال : من أين يوجد هذا النوع هنا ؟ فجعل يعدد عليه جميع أنواع فواكه دمشق^١ وأستاذ الدار يظهر التعجب من كلامه ، وكلما قال له عن نوع يقول له : يا مولانا من أين يوجد هذا هنا ؟ فلما استوفى الكلام إلى آخره قال للرسول : ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي ؟ فإن المال لا يؤكل بعينه ، بل الفائدة فيه أن يتوصل به الإنسان إلى بلوغ أغراضه . فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بما جرى ، فأذن له في المجيء .

وكان القاضي الفاضل يكتب إليه الرسائل الفائقة ، ويودعها شرح الأشواق ، فمن ذلك أبيات مشهورة ذكرها في ضمن كتاب ، وهي :

لا تضجرنّ مما أثبتّ فإنه صدرٌ لأسرار الصبابة يَنْفُثُ
 أمّا فراقك واللقاء فإنّ ذا منه أموت وذاك منه أبعثُ
 حلّفَ الزمانُ على تفرّق شملنا فمتى يرقّ لنا الزمانُ ويحنّثُ؟
 كم يلبث الجسم الذي ما نفّسه فيه ولا أنفاسه كم يلبثُ
 حول المضاجع كتّيبكم فكأنّي ملنّسوعكم وهي الرقاة النثّثُ

ولما وصل إلى دمشق في التاريخ المقدم ذكره ناب عن أخيه صلاح الدين بها لما عاد صلاح الدين إلى الديار المصرية ، ثم انتقل إلى الديار المصرية في سنة أربع وسبعين وخمسةائة ، وكان أخوه صلاح الدين قد سيره في سنة ثمان وستين وخمسةائة إلى بلاد النوبة ليفتحها قبل سفره إلى اليمن ، فلما وصل إليها وجدّها لا تساوي المشقة فتركها ورجع ، وقد غم شيئاً كثيراً من الرقيق ، وكانت له من

أخيه إقطاعات ، ونوابه باليمن يجبون له الأموال ، ومات وعليه من الديون مائتا ألف دينار ، فقضاها عنه صلاح الدين .

وحكى صاحبنا الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر الأديب الفاضل ، قال : رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو ميت ، فمدحته بأبيات وهو في القبر ، فلف كفته ورماه إليّ وأنشدني :

لا تستقلنَّ معروفاً سمحتُ به ميتاً فأمسيئتُ منه عارياً بدني
ولا تظننَّ جودي شابهَ بخَلُّ من بعدِ بذلي ملك الشام واليمن
إني خرَّجتُ من الدنيا وليسَ معي
من كل ما ملكتُ كفتي سوى كفتي

ولما كان في اليمن استناب في زبيد سيف الدولة أبا الميمون المبارك بن متقذ الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

وتوران - بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها راء ثم بعد الألف نون - وهو لفظ أعجمي ، وشاه - بالشين المعجمة - هو الملك باللغة العجمية ، ومعناه ملك المشرق ، وإنما قيل للمشرق توران لأنه بلاد الترك ، والمعجم يسمون الترك تركان ، ثم حرفوه فقالوا : توران ، والله أعلم .

حرف الشاء

ثابت بن قرة

أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون^١ - ويقال زهرون - بن ثابت بن كرايا ابن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن مالاجريوس^٢ الحاسب الحكيم الحرّاني؛ كان في مبدأ أمره صيرفيّاً بجرّان ، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل فَمَهَرَ فيها ، وبرع في الطب .

وكان الغالب عليه الفلسفة ، وله تأليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً ، وأخذ كتاب إقليدس الذي عربيّه حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجباً ، وكان من أعيان عصره في الفضائل ، وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء أنكروها عليه في المذهب ، فرافعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل ، فتاب ورجع عن ذلك ، ثم عاد بعد مدة إلى تلك المقالة ، فمنعوه من الدخول إلى الجمع ، فخرج من حران ونزل كَفَرَتْوْتَا ، وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد ابن موسى من بلاد الروم راجعاً إلى بغداد ، فاجتمع به فرآه فاضلاً فصيحاً ، فاستصحبه إلى بغداد وأنزله في داره ، ووصله بالخليفة فأدخله في جملة المنجمين ، فسكن بغداد وأولد الأولاد وعَقِبَهُ بها إلى الآن .

وكَفَرَتْوْتَا - بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها تاء مثلثة - وهي قرية كبيرة بالجزيرة الفراتية بالقرب من دارا .

١٢٨ - ثابت بن قرة ترجمة في أخبار الحكماء : ١١٥ والفهرست : ٢٧٢ وابن أبي أصيبعة : ١

٢٠٤ - ٢٠٧ وطبقات صاعد : ٣٧ وابن جلجل : ٧٥ ومختصر الدول : ٢٦٥ .

١ الفهرست والقفطي : ابن مروان .

٢ الفهرست والقفطي : ابن سالاموريوس (سالامانس) .

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين .
وكان صابئاً النحلة .

(12) وله ولد يسمى إبراهيم^١ بلغ رتبة أبيه في الفضل ، وكان من حذّاق الأطباء ومقدمي أهل زمانه في صناعة الطب ، وعالج مرة السريّ الرفاء الشاعر فأصاب العافية ، فعمل فيه ، وهو من أحسن ما قيل في طبيب :

هلّ للليل سوى ابن قرّة شافي بعدَ الإلهِ ، وهلّ له من كافي ؟
أحيا لنا رسمَ الفلاسفة الذي أودى ، وأوضَحَ رسمَ طب عافي
فكأنه عيسى بنُ مرّيمَ ناطقاً هبّ الحياةَ بأيّسرِ الأوصافِ
مثلتْ له قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانحي وشعافي
يبدو له الداءُ الحفيُّ كما بدا للعينِ رَضْرَاضُ الغديرِ الصافي

وله فيه أيضاً :

برّرَ إبراهيمُ في علمه فراحَ يدعى وارثَ العلمِ
أوضحَ نهجَ الطبِّ في معشرٍ ما زالَ فيهمُ دارسَ الرسمِ
كأنه من لطفِ أفكاره يحولُ بينَ الدّمِ واللحمِ
إن غَضِبْتُ روحٌ على جسمها أصلَحَ بينَ الرُّوحِ والجسمِ

(13) ومن حفدة ثابت المذكور أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة^٢، وكان صابئاً النحلة أيضاً ، وكان ببغداد في أيام معز الدولة بن بويه المقدم ذكره ، وكان طبيباً عالماً نبيلاً يُقرأ عليه كتب بقراط وجالينوس ، وكان فكّاكاً للمعاني ، وكان قد سلك مسلك جده ثابت في نظره في الطب والفلسفة

١ انظر القفطي : ٥٧ والفهرست : ٢٧٢ .

٢ راجع أخباره في الفهرست : ٣٠٢ والقفطي : ١٠٩ وابن أبي أصيبعة : ١ : ٢١٦ وطبقات

صاعد : ٣٧ وابن جلجل : ٨٠ ومختصر الدول : ٢٩٦ ومعجم الأدباء : ٥ : ١٤٢ .

والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدمات ؛ وله تصنيف في التاريخ أحسن فيه^١ ، وقد قيل : إن الأبيات المذكورة أولاً من نظم السري الرفاء إنما عملها فيه ، والله أعلم .

والحرّاني : نسبة إلى حرّان ، وهي مدينة مشهورة بالجزيرة .

ذكر ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - في تاريخه أن هاران عم إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - عمراًها فسميت باسمه فقيل : هاران ، ثم إنها عُرِّبت فقيل : حرّان ، وهاران المذكور : أبو سارة ، زوجة إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

وكان لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أخٌ يسمى هاران أيضاً ، وهو أبو لوط عليه السلام ، وقال الجوهري في كتاب « الصحاح » : وحرّان اسم بلد ، والنسبة إليه حرّاني على غير قياس ، والقياس : حرّاني ، على ما عليه العامة .

١٢٩

ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل : الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون ، الصالح المشهور ، أحد رجال الطريقة ؛ كان أوحده وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً ، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك ، رضي الله عنه ؛ وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيماً فصيحاً ، وكان

١ قال القفطي : وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته في شهر سنة ٣٦٣ عليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن .

١٢٩ - أخبار ذي النون في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٧١ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٩٣ وأخبار الحكماء : ١٨٥ .

أبوه نوبياً ، وقيل : من أهل إخم ، مولى لقريش .

وسئل عن سبب توبته فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى ، فنمت في الطريق في بعض الصحارى ، ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض ، فانشقت الأرض فخرجت منها سكرجان : إحداهما ذهب والأخرى فضة ، وفي إحداهما سمس وفي الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا ، فقلت : حسبي ، قد تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبطني .

(٣٢)* وكان قد سَعَوْا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه وعظه ، فبكى المتوكل وردّه مكرماً ؛ وكان المتوكل إذا ذُكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول : إذا ذُكر أهل الورع فحيّ هلا بندي النون . وكان رجلاً نحيفاً تعلقه حمرة ، ليس بأبيض اللحية ، وشيخه في الطريقة شقران العابد . ومن كلامه : إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح .

وقال إسحاق بن إبراهيم السرخسي بمكة : سمعت ذا النون وفي يده الغلّ وفي رجله القيد وهو يساق إلى المُطْبِقِ والناس يبكون حوله وهو يقول : هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكل فعاله عذب حسن طيب ، ثم أنشد :

لك من قلبي المكان المصونُ كلُّ لوم عليّ فيك يهونُ
لك عزمٌ بأن أكون قتيلاً فيك والصبرُ عنك ما لا يكونُ

ووقفت في بعض الجمايع على شيء من أخبار ذي النون المصري ، رحمه الله تعالى ، فقال : إن بعض الفقراء من الناس تلامذته فارقه من مصر وقدم بغداد فحضر بها سمعاً ، فلما طاب القومُ وتواجدوا قام ذلك الفقير ودار واستمع ، ثم صرخ ووقع ، فحركوه فوجدوه ميتاً ، فوصل خبره إلى شيخه ذي النون فقال لأصحابه : تجهزوا حتى نمشي إلى بغداد ، فلما فرغوا من أشغالهم خرجوا إليها فقدموا عليها ، وساعة قدومهم البلد قال الشيخ : اثنوني بذلك المغني ، فأحضره إليه ، فسأله عن قضية ذلك الفقير ، فقص

عليه قصته . فقال له : مبارك ؛ ثم شرع هو وجماعته في الغناء ، فعند ابتدائه فيه صرّخ الشيخُ على ذلك المغني فوق ميثاً ، فقال الشيخ : قتيّل بقتيل ، أخذنا ثأر صاحبنا ؛ ثم أخذ في التجهيز والرجوع إلى الديار المصرية ، ولم يلبث ببغداد بل عادَ من فَوْرِهِ .

قلت : وقد جرى في زمني شيء من هذا يليق أن أحكيه ههنا ، وذلك أنه كان عندنا بمدينة إربيلَ مُغَنٍّ موصوف بالحدق والإجادة في صنعة الغناء يقال له : الشجاع جبريل بن الأواني ، فحضر ساعاً قبل سنة عشرين وستائة ، فإنني أذكر الواقعة وأنا صغير ، وأهلي وغيرهم يتحدثون بها في وقتها ، فغنّى الشجاع المذكور القصيدة الطنانة البديعة التي لسبط ابن التعاويذي - الآتي ذكره في حرف الميم في الحمددين إن شاء الله تعالى - وأولها :

سَقَاكَ سَارٍ مِّنَ الْوَسْمِيِّ هَتَّانُ وَلَا رَقَّتْ لِلْفَوَادِي فَيْكَ أَجْفَانُ

إلى أن وصل إلى قوله منها :

ولي إلى البانِ مِّنْ رَّمْلِ الْحَمَى وَطَرٍّ فاليومَ لا الرَّمْلُ يُضَيِّبُنِي وَلَا الْبَانَ
وما عسى يُدْرِكُ الْمُشْتَاقُ مِّنْ وَطَرٍ إذا بكى الرَّبْعَ وَالْأَحْبَابُ قَدْ بَانُوا
كانوا معاني المغاني ، والمنازلُ أُمٌّ وات إذا لم يكن فيهنَّ سَكَانَ
اللهِ كَمْ قَمَرَتِ لُبِّي بِجَوْكَ أَقْد مارٌ ومَ غَازَلْتَنِي فَيْكَ غِزْلَانُ
وليلة باتَ يَجْلُو الرِّاحَ مِنْ يَدِهِ فيها أَعْنُ خَفِيفُ الرُّوحِ جَدْلَانُ
خالٍ مِنَ الْهَمِّ فِي خَلْخَالِهِ حَرَجٌ فقلبهُ فَارِغٌ وَالْقَلْبُ مَلَانُ
يذكي الجوى بارِدٌ مِّنْ ثَغْرِهِ شَبِيمٌ ويوقظُ الْوَجْدَ طَرَفٌ مِنْهُ وَسَنَانُ
إنْ يُمَسِّ رِيَانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ فلي قلبُ بِي إِلَى رَيْقِهِ الْمَعْسُولِ ظَمَانُ
بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْفَانُ

فلما انتهى إلى هذا البيت قام بعض الحاضرين وقال له : يا شجاع ، أعِدْ ما قلته ، فأعاده مرتين أو ثلاثاً وذلك الشيخ متواجد ، ثم صرخ صرخة هائلة

ووقع ، فظنوه قد أغمي عليه ، فافتقدوه بعد أن انقطع حسه فوجدوه قد مات ، فقال الشجاع : هكذا جرى في سماعي مرة أخرى ، فإنه مات فيه شخص آخر .

وهذه القصيدة من غرر القصائد ، وهي طويلة مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن المستضيء أمير المؤمنين العباسي في يوم عيد الفطر من سنة إحدى وثمانين وخمسة ، والله أعلم .
ومحاسن الشيخ ذي النون كثيرة .

وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين - وقيل : ست وأربعين ، وقيل : ثمان وأربعين ومائتين - رضي الله عنه بمصر ، ودفن بالقرافة الصغرى ، وعلى قبره مشهد مبني ، وفي المشهد أيضاً قبور جماعة من الصالحين رضي الله عنهم ، وزرته غير مرة .

وثوبان : بفتح الثاء المثناة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وبعده الألف نون .

حرف الجيم

جرير الشاعر

أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الحَطَفَى ، واسمه حُدَيْفَة ، والحطفي لقبه ، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يَرْبُوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاءَ ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور ؛ كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مُهاجاة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل . [قال محمد بن سلام : سمعت يونس يقول : ما شهدت مشهداً قط وذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما . وقال أيضاً : الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة] ؛ ويقال : إن بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب^١ ، وفي الأربعة فاق جرير غيره ، فالفخر قوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
والمديح قوله^٢ :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَمَالِينَ بَطُونَ رَاحٍ
والهجاء قوله :

فَغُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا

١٣٠ - ترجمته في طبقات ابن سلام : ٣١٥ : ٨ والأغاني ٨ : ٣ والموشح : ١١٨ والمعيني ١ : ٩١ وشرح شواهد المغني : ١٦ والخزانة ١ : ٣٦ والشعر والشعراء : ٣٧٤ وانظر بروكلمات
١ : ٢١٥ .
١ هـ : وتشبيب .
٢ زاد في ب : في عبد الملك .

والنسب^١ قوله :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ^٢ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلْنَا
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهٍ وَهِنَّ أَعْضَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا^٣

وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - قال :
التقى جرير والفرزدق بنى وهما حاجان ، فقال الفرزدق لجرير :

فإنك لاقى بالمشاعر^٤ من منى فخاراً فخبيرني بمن أنت فآخر

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ! قال أبو عبيدة : فكان أصحابنا يستحسنون
هذا الجواب من جرير ويعجبون^٥ به (٣٣) * .

وحكى أبو عبيدة أيضاً : خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة إلى هشام
ابن عبد الملك الأموي ، وهو يومئذ بالرصافة ، فنزل جرير لقضاء حاجته ،
فجعلت الناقة تتلفت فضرها الفرزدق وقال :

إِلَامَ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كَلَّمَهُ أَمَامِي
مَتَى تَرْدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالدَّبْرِ الدَّوَامِي

ثم قال : الآن يخبئني جرير فأنشده هذين البيتين فيقول :

تَلَفَّتْ أَنَّهُ تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكَبِيرَيْنِ وَالْفَاسِ الْكَهَامِ
مَتَى تَرْدِ الرُّصَافَةَ تَخْزَنُ فِيهَا كَخِزْيِكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

قال : فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟
فأنشده البيتين الأولين ، فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله

١ د ٥ : والتشبيب .

٢ ب ج وآيا صوفيا : مرض .

٣ ا ج ٥ : إنسانا .

٤ د وآيا صوفيا : بالنازل .

٥ د : ويتمجبون .

لقد قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟
وذكر المبرد في « الكامل »^١ أن الفرزدق أنشد قول جرير :

تري برصاً^٢ بأسفل أسكتيها^٣ كعنفقة الفرزدق حين شابا

فلما أنشد النصف الأول من البيت ضرب الفرزدق يده على عنقه توقفاً
لعجز البيت .

[وحكى أبو عبيدة قال : كان [جرير] مع حسن تشبيهه عفيفاً ، وكان
الفرزدق فاسقاً ، وكان يقول : ما أحوجه إلى صلابة شعري وأحوجني إلى
رقة شعره .]

وحكى أبو عبيدة أيضاً قال : رأت أم جرير في نومها وهي حامل به كأنها
ولدت حبلاً من شعر أسود ، فلما وقع منها جعل ينزو فيقع في عنق
هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبهت مرعوبة ، فأولت
الرؤيا ، فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة شكيمة وبلاء على الناس ،
فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها ، والجرير :
الحبل .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » في ترجمة جرير المذكور أن
رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ
بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ،
فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة^٤ وقد سال ابن العنز
على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ،
قال : هذا أبي ، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قلت : لا ، قال :

١ الكامل ٣ : ٤٥ .

٢ أ ج : بها برص .

٣ الكامل : ترى الصبيان عاكفة عليها .

٤ ب هـ وآيا صوفيا : سقط .

٥ هـ : أخذ .

٦ أ : رث الشياب والهيئة .

مَخَافَةٌ أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُ الْحَلْبِ فَيَطْلُبُ مِنْهُ لَبَنٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْعَرَ النَّاسَ مَنْ فَاخَرَ بِمَثَلِ هَذَا الْأَبِ ثَمَانِينَ شَاعِرًا وَقَارَعَهُمْ بِهِ فَغَلِبَهُمْ جَمِيعًا .
 وَحَكَى صَاحِبُ « الْجَلِيسِ وَالْأَنْبِيَسِ »^١ فِي كِتَابِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعًا حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ آخِرَ عَهْدِهِمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

فَقَالَ : كَانَ يَقْلَعُ عَيْنِيهِ وَلَا يَرَى مَظْعَنَ أَحْبَابِهِ .
 وَقَالَ فِي « الْأَغَانِي » أَيْضًا : قَالَ مَسْعُودُ بْنُ بَشْرِ بْنِ مُنَادِرٍ بِمَكَّةَ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا شَتَّ لَعِبَ ، وَمَنْ إِذَا شَتَّ جَدًّا ، فَإِذَا لَعِبَ أَطْمَعَكَ لَعْبَهُ فِيهِ ، وَإِذَا رُمَّتْهُ بَعْدَ عَلَيْكَ ، وَإِذَا جَدًّا فِيمَا قَصَدَ لَهُ آيَسَكَ مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : مِثْلُ مَنْ ؟ قَالَ : مِثْلُ جَرِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ إِذَا لَعِبَ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبُّكَ غَادَرُوا وَشَلَا بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
 غَيَّضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلُنْ لِي مَاذَا لَقَيْتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
 ثُمَّ قَالَ حِينَ جَدًّا :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
 مُضَّرَّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَبِينَا
 هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شَتَّ سَاقِكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قَوْلَهُ قَالَ : مَا زَادَ ابْنَ الْمَرَاغَةَ عَلَيَّ أَنْ جَعَلْتَنِي شَرْطِيًّا لَهُ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ « لَوْ شَاءَ سَاقِكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا » لَسَقْتَهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ ، قُلْتُ : وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ هَجَا بِهَا جَرِيرٌ الْأَخْطَلُ التَّغْلِي الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ .

وقوله فيها « جعل النبوة والخلافة فينا » إنما قال ذلك لأن جريراً تميمي

١ كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج المصنف بن زكريا النهرواني الجريري (- ٣٩٠) .

النسب ، وتميم ترجع إلى مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنبوة والخلافة وينو تميم يرجعون إلى مضر .

وقوله « يا خُزْر تغلب » خُزْر - بضم الخاء المعجمة وسكون الزاي وبعدها راء - وهو جمع أخْزَرَ مثل أحمر وحمز وأصفر وصفر وأسود وأسود ، وكل ما كان من هذا الباب ، والأخزر : الذي في عينيه ضيق وصفر ، وهذا وصف المعجم ، فكأنه نسبه إلى المعجم وأخرجه عن العرب ، وهذا عند العرب من النقائص الشنيعة .

وقوله « هذا ابن عمي في دمشق خليفة » يريد به عبد الملك بن مروان الأموي ، لأنه كان في عصره .

والقطين - بفتح القاف - الخدم والأتباع .

وقول عبد الملك « ما زاد ابن المراغة » هو بفتح الميم وبعدها راء وبعده الألف غين معجمة وهاء ، وهذا لقب لأم جرير هجاء به الأخطل المذكور ، ونسبها إلى أن الرجال يتمرغون عليها ، ونستغفر الله تعالى من ذكر مثل هذا ، لكن شرح الواقعة أحوج إلى ذلك .

ومن أخبار جرير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة أولها:

أَتَضْحُوْ أُم فُوَادِكَ غَيْرُ صَاحِي	عَشِيَّةَ هَمْ صَجْبَكَ بِالرَّوَّاحِ
تَقُولُ الْعَادِلَاتُ عَلَكَ شَيْبُ	أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مُزَاحِي
تَعَزَّتْ أُم حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ	رَأَيْتُ الْمُرْدِيْنَ ذَوِي لِقَاحِ
ثِقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ	وَمِنْ عِنْدِ الْحَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتِ إِلَيَّ رِيْشِي	وَأُنْبِتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا	وَأُنْدَى الْعَالَمِيْنَ بِطَوْنِ رَاحِ

قال جرير : فلما انتهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال : مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت ، ثم التفت

١ د هـ : من ذكر هذا .

٢ د : الواردين .

إلى وقال : يا جرير ، أترى أم حَزْرَةَ يرويها مائة ناقة من نَعَمِ بني كلب ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن لم تروها فلا أروها الله تعالى ، قال : فأمر لي بها كلها سُودَ الحدق ، قلت : يا أمير المؤمنين ، نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، والإبل أَبَاق ، فلو أمرت لي بالرعاء^١ ، فأمر لي بثمانية ، وكان بين يديه صحاف من الذهب وبيده قَضِيب ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، والمحب ؟ وأشرت إلى إحدى الصحاف^٢ فَنَبَذَهَا إلي بالقضيب وقال : خذها لا نفعتك ، وإلى هذه القضية أشار جرير بقوله :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوهَا ثمانية ما في عطائهم من ولا سَرَفُ

قلت : هنيذة - بضم الهاء على صورة التصغير - اسم علم على المائة ، وأكثر علماء الأدب يقولون : لا يجوز إدخال الألف واللام عليها ، وبعضهم يجيز ذلك ، قال أبو الفتح بن أبي حصينة^٣ السلمي الحلبي الشاعر المشهور من جملة قصيدة^٤ :

أيها القلب لم يدع لك في وصد ل العذارى نصفُ الهنيذة عذرا

يعني خمسين سنة التي هي نصفُ المائة ، والله أعلم . ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال : أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، ولقد كان نَجْمُنَا واحِداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلتما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه ، وكذلك كان . وتوفي في سنة عشر ومائة ، وفيها مات الفرزدق كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى . وقال أبو الفرج ابن الجوزي : كانت وفاة جرير في سنة إحدى عشرة ومائة ، وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٥ : إن أمه حملت به سبعة أشهر ، وفي

١ د : برعاتها ؛ ه : بالرعاة .

٢ ه : الصحائف .

٣ هو الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري (- ٤٥٦) أو التي بعدها) ودويانه مطبوع (دمشق : ١٩٥٦) مع شرح لأبي الملاء المعري .

٤ دويانه ١ : ٣٠٣ وكتب فيه « هنيذة » موضع « هنيذة » وخفي معناه لذلك على محقق الديوان .

٥ المعارف : ٥٩٥ .

ترجمة الفرزدق طرف من خبر موته فليُنظر هناك إن شاء الله تعالى . وكانت وفاته باليامة ، وعمر نيفاً وثمانين سنة .
 وحَزْرَةٌ : بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها هاء .
 والحظفي : بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة والفاء وبعدها ياء - وقد تقدم الكلام في أنه لقب عليه ، والله أعلم .

١٣١

جعفر الصادق

أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية ، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يُذكر ، وله كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي^١ قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة .

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وهي سنة سيل النجف ، وقيل : بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين .
 وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ، رضي الله عنهم أجمعين ، فله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه .

١٣١ - انظر الأئمة الاثنا عشر: ٨٥ (والترجمة منقولة عن ابن خلكان) وعلى الصفحة المقابلة ثبت بمصادر ترجمته ، وأضف إليها صفة الصفوة ٢ : ٩٤ وحلية الأولياء ٣ : ١٩٢ .
 ١ أ ج : الطرسوسي .

وأمه أم فَرَوَةَ بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهم
أجمعين .

وسأتي ذكر الأئمة الاثني عشر - رضي الله عنهم - كل واحد في موضعه
إن شاء الله تعالى .

(٣٤)* وحكى كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد »^١ أن جعفرأ المذكور
سأل أبا حنيفة - رضي الله عنها - فقال : ما تقول في مُحْرَمٍ كَسَرَ رِبَاعِيَةَ
ظِي ؟ فقال : يا ابن رسول الله ، ما أعلم ما فيه ، فقال له : أنت تَتَدَاهِي ولا
تعلم أن الظبي لا يكون له رِبَاعِيَةَ وهو ثَنِيٌّ أَبَدًا .

١٣٢

جعفر البرمكي

أبو الفضل جَعْفَرُ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَكِ بن جاماس^٢ بن يشتاسف
البرمكي وزير هارون الرشيد ؛ كان من علو القدر ونَفَازِ^٣ الأمر وبُعْدِ الهمة
وعظم المحل وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالة انفرد بها ، ولم يُشَارِكْ
فيها ، وكان سَمَحَ الأخلاق طَلَّقَ الوجه ظاهر البشر ، وأما جوده وسخاؤه
وبذله وعطاؤه فكان أشهر من أن يُذكَرَ ، وكان من ذوي الفصاحة والمشهورين
باللسن والبلاغة ، ويقال : إنه وَقَعَ لَيْلَةً بحضرة هارون الرشيد زيادة على

١ المصايد : ٢٠٢ .

١٣٢ - قد أطنب المؤلف في ترجمته ، فلا حاجة الى تعيين مصادرها ، وإنما يحال على كتب التاريخ
المتخلفة التي تحدثت عن نكبة البرامكة ؛ وفي العقد (٥ : ٥٨-٧٣) فصل من أخبارهم
وكذلك في البسامة : ٢٢٢ وأكثر ما أورده نقله المؤلف وفي مقدمة ابن خلدون محاكمة عقلية
للروايات التي تنسب نكبتهم إلى علاقة جعفر بالعباسة .

٢ : ماجاس .

٣ : وتقادم .

ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه ، وكان أبوه ضمنه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علّمه وفقّهه ، وذكره ابن القادسي في كتاب « أخبار الوزراء »^١.

واعتذر رجل إليه فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعدر منا عن الاعتذار إلينا ، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك ؛ ووقّع إلى بعض عماله وقد سُكي منه : قد كثرت شاكوك وقلّت شاكروك ، فإما اعتدلت وإما اعتزلت . ومما يُنسب إليه من الفِطْنة أنه بلغه أن الرشيد مغموم لأن منجماً يهودياً زعم أنه يموت في تلك السنة ، يعني الرشيد ، وأن اليهودي في يده ، فركب جعفر إلى الرشيد فرآه شديد الغم ، فقال لليهودي : أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً ؟ قال : نعم ، قال : وأنت كم عمرك ؟ قال : كذا وكذا ، أمدأ طويلاً ، فقال للرشيد : اقتله حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده ، فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم ، وشكره على ذلك ، وأمر بصلب اليهودي ، فقال أشجع السلمي في ذلك :

سلّ الراكبَ الموفى على الجذع هل رأى ليراكبه نَجْماً بدا غيرَ أعورٍ
ولو كان نجمٌ مخبراً عن مَنِيّةٍ لأخبره عن رأسه المتحيرِ
يُعرّفنا موتَ الإمامِ كأنه يُعرّفنا أنباء كِسرى وقَيْصِرِ
أُنخبِرُ عن نَحْسٍ لغيرك شوؤمه ونُخبِرُك بادي الشر يا شرَّ مُخبِرِ

ومضى دم المنجّم هدراً بحمقه .

وكان جعفر من الكرم وسعة العطايا كما هو مشهور ، ويقال : إنه لما حجّ اجتاز في طريقه بالعقيق ، وكانت سنة مُجندبة ، فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته :

١ لم يذكره السخاري في الإعلان بالتوبيخ ، وقال القفطي في تاريخ الحكماء في تصويره لتسلسل التأليف في التاريخ : « ثم كمل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين [وخمسائة] ثم كمل عليه ابن القادسي الى سنة ٦١٦ » ؛ وهذا الذي يذكره القفطي يدل على أن ما يشير إليه كتاب في التاريخ العام ، وهو غير كتابه أخبار الوزراء ، وقد توفي محمد بن أحمد القادسي سنة (٦٢١ هـ) . انظر تاريخ ابن كثير ١٣ : ١٠٤ .

إني مَرَرْتُ على العَقِيقِ وأهلُهُ
ما ضَرَّهم إذ جَعَفَرُ جارُهُ لهم
يشكون من مطر الربيع نُزُورا
أن لا يكون ربيعُهُم مَطُورا

فأجزل لها العطاء .

قلت : والبيت الثاني مأخوذ من قول الضحاك بن عقيل الخفاجي من جملة أبيات :

ولو جاورتنا العام «دراء لم نُبَلِّ»
على جدِّنا أن لا يَصُوبَ ربيعُ

لله دره ، فما أحلى هذه الحشوة وهي قوله « على جدبنا » ، وأهل البيان يسمون هذا النوع حَشْوُ اللوزينج .

وحكى ابن الصابئ في كتاب « الأماثل والأعيان »^١ عن إسحاق النديم الموصلي عن إبراهيم بن المهدي قال : خلا جعفر بن يحيى يوماً في داره ، وحضر ندماؤه وكنت فيهم ، فلبس الحرير وتَضَمَّنَّ بالخَلْقُوقِ وفعل بنا مثله ، وأمر بأن يحجب عنه كل أحد^٢ إلا عبد الملك بن بجران قهرمانه ، فسمع الحاجب «عبد الملك» دون «ابن بجران» ، وعرف عبد الملك بن صالح الهاشمي مقام جعفر ابن يحيى في داره ، فركب إليه ، فأرسل الحاجب أن قد حضر عبد الملك فقال : أدخله ، وعنده أنه ابن بجران ، فما راعنا إلا دخول عبد الملك بن صالح في سواده ورضافيته ، فارتدَّ وجه جعفر ، وكان ابن صالح لا يشرب النبيذ ، وكان الرشيد دعاه إليه فامتنع ، فلما رأى عبد الملك حالة جعفر دعا غلامه فناوله سواده وقلنسوته ووافى باب المجلس الذي كنا فيه ، وسلم وقال : أشركونا في أمركم ، وافعلوا بنا فعلكم بأنفسكم ، فجاءه خادم فألبسه حريرة واستدعى بطعام فأكل وبنبيذ فأتي برطل منه فشربه ثم قال لجعفر : والله ما شربته قبل اليوم ، فليخفف عني ، فأمر أن يجعل بين يديه باطية يشرب منها ما

١ من مؤلفات هلال بن الحسن الصابئ (٤٤٨ -) واسمه كاملاً « الأماثل والأعيان ومنتدى المواطنين والإحسان » قال فيه ياقوت (٧ : ٢٥٥) : جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب تمتع ؛ وقال ابن خلكان إنه في مجلد واحد .

٢ ه : عن كل أحد .

يشاء . وتضمخ بالخلوق ونادمننا أحسن منادمة ، وكان كلما فعل شيئاً من هذا سُرِّيَ عن جعفر ، فلما أراد الانصراف قال له جعفر : اذكر حوائجك فإني ما أستطيع مقابلة ما كان منك ، قال : إن في قلب أمير المؤمنين مَوْجِدَةً علي فتخرجها من قلبه وتعيد إليَّ جميلَ رأيهِ فيَّ ، قال : قد رضي عنك أمير المؤمنين وزال ما عنده منك ، فقال : وعلي أربعة آلاف ألف درهم ديناً ، قال : تقضى عنك ، وإنها لحاضرة ، ولكن كونها من أمير المؤمنين أشرف بك وأدل على حسن ما عنده لك^١ ، قال : وإبراهيم ابني أحب أن أرفع قدره بصهر من ولد الخلافة ، قال : قد زوجه أمير المؤمنين العالِيَةَ ابنتَهُ ، قال : وأوثر التنبيه على موضعه برفع لواء على رأسه ، قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ، وخرج عبد الملك ونحن متعجبون من قول جعفر وإقدامه على مثله من غير استئذان فيه ؛ وركبنا من الغد إلى باب الرشيد ، ودخل جعفر ووقفنا ، فما كان بأسرع من أن دُعي بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن عبد الملك ، ولم يكن بأسرع من خروج إبراهيم والخلع عليه واللواء بين يديه وقد عقد له على العالِيَةَ بنت الرشيد وحملت إليه ومعها المال إلى منزل عبد الملك بن صالح ، وخرج جعفر فتقدم إلينا باتِّباعه إلى منزله ، وصرنا معه ، فقال : أظن قلوبكم تعلقت بأول أمر عبد الملك فأحببتم علم آخره ، قلنا : هو كذلك ، قال : وقفت بين يدي أمير المؤمنين وعرفته ما كان من أمر عبد الملك من ابتدائه إلى انتهائه ، وهو يقول : أحسن أحسن ، ثم قال : فما صنعت معه ؟ فعرفته ما كان من قولي له ، فاستصوبه وأمضاه ، وكان ما رأيتم ؛ ثم قال إبراهيم بن المهدي : فوالله ما أدري أيهم أعجب فعلاً : عبدُ الملك في شربه النبيذ ولباسه ما ليس من لبسه وكان رجلاً ذا جِدٍِّ وتعفُّفٍ ووقارٍ وناموس ، أو إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم ، أو إمضاء الرشيد ما حكم به جعفر عليه .
وحكي أنه كان عنده أبو عبيد الثقفي فَقَصَدَتْهُ خُنْفَسَاءُ ، فَأَمَر

١ في نسخة آبا صوفيا : ثم قال : وعلي عشرة آلاف دينار ، فقال : هي لك حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين ضعفاً ؛ والرواية - في جملتها - أكثر تفصيلاً في هذه النسخة منها في النسخ الأخرى .

جعفر بإزالتها ، فقال أبو عبيد : دعوها عسى يأتيني بقصدها لي خير ، فإنهم يزعمون ذلك ، فأمر له جعفر بألف دينار وقال : نحقق زعمهم ، وأمر بتنحيتهما ، ثم قصده ثانياً فأمر له بألف دينار أخرى .

وحكى ابن القادسي في « أخبار الوزراء » أن جعفرأ اشترى جارية بأربعين ألف دينار ، فقالت لبائعها : اذكر ما عاهدتني عليه أنك لا تأكل لي ثمناً ، فبكى مولها وقال : اشهدوا أنها حرة وقد تزوجتها ، فوهب له جعفر المال ولم يأخذ منه شيئاً ، وأخبار كرمه كثيرة ، وكان أبلغ أهل بيته .

وأول من وَزَرَ من آل برمك خالد بن بَرَمَك لأبي العباس عبد الله السفاح بعد قتل أبي سَلَمَةَ حَفْصِ الخلال - كما سيأتي في ترجمته في حرف الحاء إن شاء الله تعالى - ولم يزل خالد على وزارته حتى توفي السفاح يوم الأحد لثلاث عَشْرَةَ ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وتولى أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور الخلافة في اليوم المذكور ، فأقر خالدأ على وزارته ، فبقي سنة وشهوراً . وكان أبو أيوب المورياني قد غلب على المنصور فاحتال على خالد بأن ذكر للمنصور تغلب الأكراد على فارس ، وأن لا يكفيه أمرها سوى خالد فندبه إليها ، فلما بعد خالد عن الحضرة استبد أبو أيوب بالأمر . وكانت وفاة خالد سنة ثلاث وستين ومائة ، ذكره ابن القادسي ، وقال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : ولد خالد في سنة تسعين للهجرة ، وتوفي سنة خمس وستين ومائة ، والله أعلم .

وكان جعفر متمكناً عند الرشيد ، غالباً على أمره ، واصلاً منه ، وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه ، حتى إن الرشيد اتخذ ثوباً له زيقان ، فكان يلبسه هو وجعفر جملة ، ولم يكن للرشيد صَبْرٌ عنه ؛ وكان الرشيد أيضاً شديد المحبة لأخته العباسة ابنة المهدي ، وهي من أعز النساء عليه ، ولا يقدر على مفارقتها ، فكان متى غاب أحد من جعفر والعباسة لا يتم له سرور ، فقال : يا جعفر ، إنه لا يتم لي سرور إلا بك وبالعباسة ، وإني سأزوجها منك ليحلّ لكما أن تجتمعا ، ولكن إياكما أن تجتمعا وأنا دونكما ، فتزوجها على هذا الشرط . ثم تغير الرشيد عليه وعلى البرامكة كلهم آخر الأمر ونكسبهم وقتل

جعفراً واعتقل أخاه الفضل وأباه يحيى إلى أن ماتا - كما سيأتي في ترجمتها إن شاء الله تعالى - .

وقد اختلف أهل التاريخ في سبب تغير الرشيد عليهم : فمنهم من ذهب إلى أن الرشيد لما زوج أخته العباسة من جعفر على الشرط المذكور بقية مدة على تلك الحالة ، ثم اتفق أن أحببت العباسة جعفراً وراودته ، فأبى وخاف ، فلما أعيته الحيلة عدلت إلى الخديعة فبعثت إلى عتابة أم جعفر أن أرسليني إلى جعفر كأني جارية من جواريك اللاتي ترسلين إليه ، وكانت أمه ترسل إليه كل يوم جمعة جارية بكرأ عذراء ، وكان لا يطاق الجارية حتى يأخذ شيئاً من النبيذ ، فأبت عليها أم جعفر ، فقالت : لئن لم تفعلني لأذكرن لأخي أنك خاطبتني بكيت وكيت ، ولئن اشتملت من ابنك على ولد ليكونن لكم الشرف ، وما عسى أخي يفعل لو علم أمرنا ؟ فأجابتها أم جعفر وجعلت تعدد ابنها أن ستهدي إليه جارية عندها حسناء من هيئتها ومن صفتها كيت وكيت ، وهو يطالبها بالعدة المرة بعد المرة ، فلما علمت أنه قد اشتاق إليها أرسلت إلى العباسة أن تهيني الليلة ، ففعلت العباسة وأدخلت على جعفر ، وكان لم يتثبت صورتها لأنه لم يكن يراها إلا عند الرشيد ، وكان لا يرفع طرفه إليها مخافة ، فلما قضى منها وطره قالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ فقال : وأي بنت ملك أنت ؟ فقالت : أنا مولاتك العباسة ، فطار السكر من رأسه ، وذهب إلى أمه فقال : يا أماه بعثني والله رخيصاً ، واشتملت العباسة منه على ولد ، ولما ولدته وكلت به غلاماً اسمه رياش ، وحاضنة يقال لها برة ، ولما خافت ظهور الأمر بعثتهم إلى مكة .

وكان يحيى بن خالد ينظر إلى قصر الرشيد وحرمه ، ويفلق أبواب القصر وينصرف بالمفاتيح معه ، حتى ضيق على حرم الرشيد ، فشكته زبيدة إلى الرشيد ، فقال له : يا أبت - وكان يدعوه بذلك - ما لزبيدة تشكوك ؟ فقال : أمتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فلا تقبل قولها في ، وازداد يحيى عليها غلظة وتشديداً ، فقالت زبيدة للرشيد مرة أخرى في شكوى يحيى ، فقال الرشيد لها : يحيى عندي غير متهمة في حرمي ، فقالت : فلم لم

يحفظ ابنه مما ارتكبه؟ قال: وما هو؟ فخبرته بخبر العباسة، قال: وهل على هذا دليل؟ قالت: وأي دليل أدل من الولد؟ قال: وأين هو؟ قالت: كان هنا، فلما خافت ظهوره وجهت به إلى مكة، قال: وعلم بذا سواك؟ قالت: ليس بالقصر جارية إلا وعلمت به، فسكت عنها، وأظهر إرادة الحج، فخرج له ومعه جعفر، فكتبت العباسة إلى الخادم والداية بالخروج بالصبي إلى اليمن، ووصل الرشيد مكة، فوكل مَنْ يَثِقُ بِهِ بالبحث عن أمر الصبي حتى وجده صحيحاً، فأضمر السوء للبرامكة.

ذكره ابن بدرُرون في شرح قصيدة ابن عبدون^٢ التي رثى بها بني الأفتَسِ والتي أولها:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ

أورده عند شرحه لقول ابن عبدون من جملة هذه القصيدة:

وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَرْمُقُهُ وَالشَّيْخُ يَحْنِي بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ

ولأبي نواس أبيات تدل على طرف من الواقعة التي ذكرها ابن بدرون، والأبيات:

أَلَا قَلَّ لِأَمِينِ الْأَمَّةِ وَابْنِ الْقَادَةِ السَّاسَةِ
إِذَا مَا نَاكَثَ سِرًّا كَأَن تَفْقَدَهُ رَأْسَهُ
فَلَا تَقْتَلُهُ بِالسَّيْفِ وَزَوَّجَهُ بِعَبَّاسَةَ

وذكر غيره أن الرشيد سلم إليه أبا جعفر يحيى بن عبد الله بن الحسين الخارج عليه، وحبسه عنده، فدعا به يحيى إليه وقال له: اتق الله يا جعفر في أمري، ولا تتعرض أن يكون خصمك جدي محمد صلى الله عليه وسلم، فوالله ما أحدثت حدثاً، فرق له جعفر وقال: اذهب حيث شئت من البلاد،

١ أ: فوجده.

٢ شرح البسامة: ٢٢٦.

فقال : إني أخاف أن أؤخذ فأرد ، فبعث معه من أوصله إلى مأمّنه ، وبلغ الخبرُ الرشيدَ فدعا به وطاوله الحديث وقال : يا جعفر ، ما فعل يحيى ؟ قال : بحاله ، قال : بحياتي ، فوجمَ وأحجمَ وقال : لا وحياتك ، أطلقتته حيث علمت أن لا سوء عنده ، فقال : نعم الفعل ، وما عدوّتَ ما في نفسي ، فلما نهض جعفر أتبعه بصره وقال : قتلني الله إن لم أقتلك .

وقيل : سئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد فقال : والله ما كان منهم ما يوجب بعضَ عمل الرشيد بهم ، ولكن طالت أيامهم وكلُّ طويل مَمْلُول ، والله لقد استطال الناسُ الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما رأوا مثلها عدلاً وأمناً وسعة أموال وفتوح ، وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما ، ورأى الرشيدُ مع ذلك أنس النعمة بهم ، وكثرة حمد الناس لهم ، ورميهم بآمالهم دونه ، والملوك تتنافس بأقلِّ من هذا ، فتعنّتَ عليهم ، وتجنّى وطلب مساويهم ، ووقع منهم بعض الإدلال ، خاصة جعفر والفضل ، دون يحيى ، فإنه كان أحكم خبيرةً وأكثر ممارسةً للأمر ، ولاذ من أعدائهم بالرشيد ، كالفضل بن الربيع وغيره ، فستروا المحاسن وأظهروا القبائح ، حتى كان ما كان ، وكان الرشيد بعد ذلك إذا ذكروا عنده بسوء أنشد يقول :

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكمُ من اللوم أوسدوا المكان الذي سدّوا

وقيل : السبب أنه رُفعتُ إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها فيها :

قُلْ لَأَمِينِ اللَّهِ^١ فِي أَرْضِهِ وَمَنْ إِلَيْهِ الْحَلِّ وَالْعَقْدُ
 هَذَا ابْنُ يَحْيَى قَدْ غَدَا مَالِكًا مِثْلَكَ ، مَا بَيْنَكَ حَدُّ
 أَمْرِكَ مَرْدُودٌ إِلَى أَمْرِهِ وَأَمْرُهُ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
 وَقَدْ بَنَى الدَّارَ الَّتِي مَابَنَى الْا فَرَسٌ لَهَا مِثْلًا وَلَا الْهِنْدُ
 الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ حَصْبًاؤَهَا وَتُرْبُهَا الْعَنْبَرُ وَالنَّدُّ

١ البيت للعطية ، ديوانه : ٤٠ .

٢ : لأمين الناس .

ونحن نخشى أنه وارثٌ ملكك إن غيَّبكَ اللحدُ
ولن يباهي العبدُ أربابهُ إلا إذا ما بطرَ العبدُ

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له سوء . [وكان من الأسباب أيضاً ما تعده العامة شيئاً ، وهو أقوى الأسباب ، ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول ، وقد تعلق بأستار الكعبة في حجته : اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك ، اللهم إن كنت تعاقبني لذلك فاجعل عقوبتي في الدنيا وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي حتى تبلغ رضاك ، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة ، فاستجيب له . وقد رثتهم الشعراء بمراثٍ كثيرة وذكرت أيامهم ، فما استحسن من مرثيهم قول أشجع السلمي من أبيات :

كانَ أيامهم من حسن يهجتها مواسم الحج والأعياد والجمع^١

وحكى ابن بدرون أن علية بنت المهدي قالت للرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة : يا سيدي ، ما رأيت لك يوم سرور تام منذ قتلت جعفرأ ، فلأني شيء قتلته ؟ فقال لها : يا حياتي لو علمتُ أن قميصي يعلم السبب في ذلك لمزقته .

وكان قتل الرشيد لجعفر بموضع يقال له العُمُرُ ، من أعمال الأنبار ، في يوم السبت سلخ المحرم - وقيل : مستهل صفر - سنة سبع وثمانين ومائة . وذكر الطبري في تاريخه^٢ أن الرشيد لما حج سنة ست وثمانين ومائة ، ومعه البرامكة ، وقفلَ راجعاً من مكة وافق الحيرةَ في المحرم سنة سبع وثمانين [ومائة] فأقام في قصر عون العبادي أياماً ، ثم شخص في السفن حتى نزل العُمُرَ الذي بناحية الأنبار ، فلما كان ليلة السبت سلخ المحرم أرسل أبا هاشم مسروراً الخادم ومعه أبو عصمة حماد بن سالم في جماعة من الجند فأطافوا بجعفر ، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغني

١ ما بين معقنين زيادة من أ .

٢ تاريخ الطبري ١٠ : ٨٤ .

الأعمى الكلواذاني وهو في لوهه ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً يقوده ، حتى أتى به منزل الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار ، وأخبر الرشيد بمجيئه ، فأمر الرشيد بضرب عنقه واستوفى حديثه هناك .

وقال الواقدي : نزل الرشيد العُمَرَ بناحية الأنبار في سنة سبع وثمانين منصرفاً من مكة ، وغضب على البرامكة ، وقتل جعفرأ في أول يوم من صفر ، وصلبه على الجسر ببغداد ، وجعل رأسه على الجسر وفي الجانب الآخر جسده . وقال غيره : صلبه على الجسر مستقبل الصّراة ، رحمه الله تعالى .

وقال السندي بن شاهك : كنت ليلة نائماً في غرفة الشرطة بالجانب الغربي ، فرأيت في منامي جعفر بن يحيى واقفاً بإزائي ، وعليه ثوب مصبوغ بالعصفر ، وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحَجّون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرٌ
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صُروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ

فاتلبت فرعاً ، وقصصتها على أحد خواصّي فقال : أضغاث أحلام ، وليس كل ما يراه الإنسان يجب أن يفسر ، وعاودت مضجعي ، فلم تنل عيني غَمَضاً حتى سمعت صيحة الرابطة والشرط وقعقة لجم البريد ودق باب الغرفة ، فأمرت بفتحها ، فصعد سلام الأبرش الخادم ، وكان الرشيد يوجهه في المهمات ، فانزعجت وأرعدت مفاصلي ، وظننت أنه أمر فيّ بأمر ، فجلس إلى جانبي وأعطاني كتاباً ففضضته ، وإذا فيه « يا سندي ، هذا كتابنا بخطنا مختوم بالخاتم الذي في يدنا ، وموصله سلام الأبرش ، فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض إلى دار يحيى بن خالد - لا حاض ، الله - وسلام معك حتى تقبض عليه ، وتوقيره حديداً ، وتحمله إلى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزنادقة ، وتقدم إلى بادام بن عبد الله خليفةك بالمصير إلى الفضل ابنه مع ركوبك إلى دار يحيى ، وقبل انتشار الخبر ، وأن تفعل به مثل ما تقدم به إليك في يحيى ، وأن تحمله أيضاً إلى حبس الزنادقة ، ثم بُثَّ بعد فراغك من

١ ب ٥ : بادام .

أمر هذين أصحابك في القبض على أولاد يحيى وأولاد إخوته وقراباته .
 وسردَ صورة الإيقاع بهم ابنُ بدرون أيضاً سرّداً فيه فوائد زائدة على هذا
 المذكور ، فأحببت إيرادَه مختصراً ههنا ؛ قال عقيب كلامه المتقدم : « ثم دعا
 السندي بن شاهك فأمره بالمضي إلى بغداد والتوكل بالبرامكة وكتائبهم وقراباتهم ،
 وأن يكون ذلك سرّاً ، ففعل السندي ذلك ، وكان الرشيد بالأنبار بموضع
 يقال له العُمُرُ ، ومعه جعفر ، وكان جعفر بمنزله ، وقد دعا أبا زكار
 وجواريه ونصب الستائر وأبو زكار يغنيه :

ما يريدُ الناسُ مِنّا ما ينامُ الناسُ عنّا
 إنّما همّهم أن يُظهروا ما قد دَفَنّا

ودعا الرشيدُ ياسراً غلامه وقال : قد انتخبك لأمر لم أر له محمداً ولا
 عبد الله ولا القاسم ، فحقق ظني ، واحذر أن تخالف فتهلك ، فقال : لو
 أمرتني بقتل نفسي لفعلت ، فقال : اذهب إلى جعفر بن يحيى وجثي برأسه
 الساعة ، فوجم لا يُحيرُ جواباً ، فقال له : ما لك ويالك ؟ قال : الأمر عظيم ،
 ودِدْتُ أني مت قبل وقتي هذا ، فقال : امض لأمري ، فمضى حتى دخل على
 جعفر وأبو زكار يغنيه :

فلا تَبْعُد فكل فتى سيأتي عليه الموتُ يطرقُ أو يغادي
 وكل ذخيرةٍ لا بد يوماً وإن بقيت تصيرُ إلى نفاذ
 ولو فوديت من حدّث الليالي فديتكَ بالطريف وبالتلاد

فقال له : يا ياسر ، سررتني بإقبالك وسؤتني بدخولك من غير إذن ، فقال :
 الأمر أكبر من ذلك ، قد أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فأقبل جعفر يقبل
 قدمي ياسر وقال : دعني أدخل وأوصي ، قال : لا سبيل إلى الدخول ، ولكن
 أوص بما شئت ، قال : لي عليك حق ، ولا تقدر على مكافأتي إلا الساعة ،
 قال : تجدني سريعاً إلا فيما يخالف أمير المؤمنين ، قال : فارجع وأعلمه بقتلي ،
 فإن ندم كانت حياتي على يدك ، وإلا أنفذت أمره فيّ ، قال : لا أقدر ، قال :
 فأسير معك إلى مَضْرِبِهِ وأسمع كلامه ومراجعتك ، فإن أصرّ فعلت ، قال :

أما هذا فنعم ، وسار الى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال له : ما وراءك ؟
 فذكر له قول جعفر ، فقال له : يا ماص هَنِ امه ، والله لئن راجعتني لأقدمك
 قبله ، فرجع فقتله وجاء برأسه ، فلما وضعه بين يديه أقبل عليه ملياً ثم قال :
 يا ياسر ، جنني بفلان وفلان ، فلما أتاه بها قال لها : اضربا عنق ياسر ، فلا
 أقدر أرى قاتل جعفر » ؛ انتهى كلامه في هذا الفصل .

وذكر في كتابه قال : لما فهم جعفر من الرشيد الإعراضَ عند حجّه معه
 ووصل إلى الحيرة ركب جعفر إلى كنيسة بها لأمر ، فوجد فيها حجراً عليه
 كتابة لا تُفهم ، فأحضر تراجمة الخط وجعله فالاً من الرشيد لما يخافه ويرجوه ،
 فقرأء فإذا فيه :

إن بني المنذر عامَ انقضوا بحيث شاد البيعةَ الراهبُ
 أضحووا ولا يرجوهم رُاغبُ يوماً ولا يرهبهم راهبُ
 تنفح بالمسك ذفارهم والعنبر الورد له قاطب
 فأصبحوا أكلاً لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر وقال : ذهب والله أمرنا .

قال الأصمعي : وجّه إليّ الرشيدُ بعد قتله جعفرأ ، فجئت فقال : أبيات
 أردت أن تسمعها ، فقلت : إذا شاء أمير المؤمنين ، فأنشدي :

لو أن جعفر خاف أسباب الردى لَنَجَا بِهِ مِنْهَا طِمِرٌ مُلْجَمُ
 ولكن من حذر المنية حيث لا يرجو للحاق به العُقَابُ الْقَشْعَمُ
 لكنه لما أتاه يومه لم يدفع الحدّان عنه مُنْجَمُ

فعلت أنها له فقلت : إنها أحسن أبيات في معناها ، فقال : إلحق الآن
 بأهلك يا ابن قُربِ إن شئت .

وحكي أن جعفرأ في آخر أيامه أراد الركوب إلى دار الرشيد ، فدعا
 بالاصطراب ليختار وقتاً وهو في داره على دجلة ، فمر رجل في سفينة وهو لا
 يراه ولا يدري ما يصنع والرجل ينشد :

يُدَبِّرُ بِالنُّجُومِ وَلَيْسَ يُدْرِي وَرَبُّ النُّجُومِ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ

فضرب بالاصطرلاب الأرض وركب .

ويحكى أنه رُوي على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر كتاب بقلم جليل :

إِن الْمَسَاكِينَ بَنَى بِرَمَكِ صُبَّ عَلَيْهِمْ غَيْرُ الدَّهْرِ
إِن لَنَا فِي أَمْرِهِمْ عِبْرَةٌ فَلْيَعْتَبِرْ سَاكِنُ ذَا الْقَصْرِ

ولما بلغ سفيان بن عيينة خبر جعفر وقتله وما نزل بالبرامكة حَوْلَ وجهه إلى القبلة وقال : اللهم إنه كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة .
ولما قتل أكثر الشعراء في رثائه ورثاء آله ، فقال الرقاشي من أبيات :

هذا الخالونَ من شَجْوِي فناموا وعيني لا يُلَاثِمُهَا مَنْامُ
وما سَهَرْتُ لِأَنِّي مُسْتَهَامُ إِذَا أَرَقَ الْمَهْبُ الْمُسْتَهَامُ
ولكنَّ الْحَوَادِثَ أَرَقَّتْني فلي سهر إِذَا هَجَدَ النِّيَامُ
أصِبتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نَجُومًا بِهِمْ نُسْقَى إِذَا انْقَطَعَ الْغَمَامُ
على المعروف والدنيا جميعاً لدولة آل برمك السلام
فلم أَرِ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى حَسَامًا فَلَهُ السِّيفُ الْحَسَامُ
أما والله لولا خوفُ واشٍ وعين للخليفة لا تَنَامُ
لَطُفْنَا حَوْلَ جِذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتَلَامُ

وقال أيضاً يرثيه وأخاه الفضل :

الْإِنِّ سَيْفًا بِرَمَكِيًّا مُهَنْدًا أُصِيبَ بِسَيْفِ هَاشِمِيٍّ مُهَنْدِ
فَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ تَعْطِي وَقُلْ لِلرِّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجِدُّدِي

وقال دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِي :

ولما رأيت السيفَ صَبَّحَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
بَكَيْتَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيَقَنْتُ أَنَّمَا قُصَارَى الْفَتَى فِيهَا مُفَارَقَةُ الدُّنْيَا

وما هي إلا دولة بعد دولة تحوّل ذا نعمى وتمقب ذا بلوى
إذا نزلت هذا منازل رفعة من الملك حطت ذا إلى غاية سفلى

وقال صالح بن طريف فيهم :

يا بني برمك واهالكُم ولأيامكُم المقتبله
كانت الدنيا عروساً بكم وهي اليوم شكول أرملة

ولولا خوف الإطالة لأوردت طرفاً كبيراً من أقوال الشعراء فيهم مديحاً
ورثاء .

وقد طالت هذه الترجمة ، ولكن شرح الحال وتوالي الكلام أحوج إليه .
ومن أعجب ما يؤرخ^١ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان بن
عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة ، قال : دخلت على والدتي في يوم
نحر ، فوجدت عندها امرأة برزّة في ثياب رثّة ، فقالت لي والدتي : أتعرف
هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه أم جعفر البرمكي ، فأقبلت عليها بوجهي
وأكرمتها ، وتحادثنا زماناً ثم قلت : يا أمه ، ما أعجب ما رأيت ! فقالت :
لقد أتى علي يا بني عيدٌ مثل هذا وعلى رأسي أربعمئة وصيفة ، وإني لأعدُّ ابني
عاقاً لي ، ولقد أتى علي يا بني هذا العيد وما مناي إلا جلدا شاتين أفترش
أحدهما وألثحيف الآخر ، قال : فدفعت إليها خمسمئة درهم ، فكادت تموت
فرحاً بها ، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا .

والعُمُر - بضم العين المهملة وسكون الميم وبعدها راء - هكذا وجدته
مضبوطاً في نسخة مقروءة مضبوطة ، وقال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن
محمد البكري في كتاب « معجم ما استعجم »^٢ : « قلاية العمر » والعمر عندهم
الدير^٣ ، والله أعلم .

١ اختلف نص هذه الحكاية في أعما ورد هنا ولكن المعنى واحد .

٢ معجم ما استعجم : ١٠٨٩ .

٣ العمر : من السريانية « عمرا » وهي تعني البيت ثم خصصت بالدير . أما القلاية فهي صومعة
الراب ، ويضم الدير على هذا عدة قلايات .

جعفر البرمكي

أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي وزير هارون الرشيد ؛ كان من الكرم وسعة العطاء كما قد اشتهر، ويقال إنه لما حج العطاء . ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها من الرشيد ؛ قال إبراهيم : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غداً فهل أذنت مساعدتي؟ فقلت : جعلت فداك، أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمحادثتك، [قال : فبكرتُ إليّ بكور الغراب ؛ قال : فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه] وهو ينتظرني للبعاد ، فصلينا ثم أفضنا في الحديث ، ثم قدم إلينا الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا جعلت علينا ثياب المنادمة وبخرنا وطيننا ثم ضمخنا بالخلوق ، ومدت الستارة ، وظللنا بأنعم يوم مرّ بنا ، ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب وقال : إذا أتى عبد الملك فأذن له - يعني قهرماناً له؛ فاتفق ان جاء عبد الملك ابن صالح عم الرشيد وهو من جلالة القدر والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل ، وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحاً فلم يقدر عليه رفعاً لنفسه ، فلما رفع الستر وطلع علينا سقط ما في أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان ، فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ، ثم قام إليه إجلالاً ، فلما نظر إلينا على تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سيفه وسواده وعمامته ثم قال : اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم ؛ قال : فجاء الغلمان فطرحوا عليه ثياباً وخلّفوه ودعا بالطعام فطعم وشرب ثلاثاً ، ثم قال : لتخفف عني فإنه شيء والله ما شربته قط، فتهلل وجه جعفر وفرح ، ثم التفت إليه فقال : جعلت فداك ، قد تطولت وتفضلت وساعدت فهل من حاجة تبلغ إليها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها مكافأة لما صنعت ؟ قال : بلى إن في قلب أمير المؤمنين عليّ هنة فاسأله الرضى عني ، فقال له جعفر: قد رضي أمير المؤمنين عنك ، ثم قال : وعليّ عشرة آلاف دينار ، فقال : هي لك حاضرة من مالي ولك من

مال أمير المؤمنين ضعفها ، ثم قال : وابني إبراهيم أحب أن اشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين ، قال : وقد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية ، قال : وأحب أن تحفق عليه الألوية ، قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر . فانصرف عبد الملك ابن صالح ، قال إبراهيم بن المهدي : فبقيت متعجبا من إقدامه على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت : عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضى والمال والولاية ، فمتى أطلق جعفر أو لغيره تزويج بناته ؟

فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأرى ما يكون ، فدخل جعفر فلم يلبث أن دعا بأبي يوسف القاضي وإبراهيم بن عبد الملك بن صالح ، فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات بين يديه وحملت البِدر إلى منزل عبد الملك بن صالح ، وخرج جعفر فأشار إلينا ، فلما صرنا إلى منزله التفت إلينا فقال : تعلقت قلوبكم بمحدث عبد الملك فأحببتم علم آخره : لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال : كيف كان يومك يا جعفر ؟ فقصصت عليه حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح ، وكان متكئا فاستوى جالسا وقال : ايه الله أبوك ! فقلت : سألتني في رضاك يا أمير المؤمنين ، قال : نعم فم أجبته؟ قلت : رضي أمير المؤمنين عنك ، قال : قد أجزت ، ثم ماذا؟ قلت : وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار ، قال : فم أجبته؟ قلت : وقد قضاها أمير المؤمنين عنك ، قال : قد قضيت ، ثم ماذا؟ قال : قد رغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بصهر منه ، قال : فم أجبته؟ قلت : قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية ، قال : قد أمضيت ذلك ، ثم ماذا الله أبوك؟ قلت : واحب أن تحفق الألوية على رأسه ، قال : فم أجبته؟ قلت : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ، قال : قد وليت ، فأحضر إبراهيم والقضاة والفقهاء فحضروا وتم له جميع ذلك من ساعته ؛ قال إبراهيم بن المهدي : فوالله ما ادري أيهم أكرم وأعجب فعلا ، ما ابتدأه عبد الملك من المساعدة وشرب الخمر ولم يكن شرها قط ، ولبسه ما لبس من ثياب المنادمة وكان رجل جد ، أم إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم ، أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه .

وركب يوماً الرشيد وجعفر يسايره ، وقد بعث علي بن عيسى بهدايا

خراسان بعد ولاية الفضل ، فقال الرشيد لجعفر : أين كانت هذه أيام أخيك ؟ قال : في منازل أربابها .

وبلغ الرشيد أن يهودياً ينجم بحكم في عمره ويقترب وقتاً ، فأحضره وسأله عما قال فقال : استدلت من النجوم بكذا وكذا ، ودخل جعفر فرأى غمّ الرشيد فقال له : أتحب أن يخرج هذا من صدرك ؟ قال : نعم ، قال : سله عن عمره فإنه بالمعرفة به أولى به من غيره ، قال : فسأله عن ذلك فقال : هو كذا وكذا ، فقال جعفر : اضرب الآن عنقه لتعلم خطأه في عمرك وعمره .

فيحكى ان الرشيد تغير عليه في آخر الأمر وكان سبب ذلك أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباثة بنت المهدي وكان يحضرها إذا جلس للشرب فقال لجعفر : أزواجكما ليحل لك النظر إليها ولا تقربها فإني لا أطيق الصبر عنكما ، فأجابته إلى ذلك ، فزوجه منهُ ، وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما ، وهما شابان ، فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاماً ، فخاف الرشيد فسير به مع حواضن إلى مكة ، واعطته الجواهر والنفقات . ثم إن عباثة وقع بينها وبين بعض جواربها شر ، فأنهت أمرها إلى الرشيد ، فحجج هارون سنة ١٨٦ وبحث عن الأمر فعلمه ، وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسْفان إذا حج ، فصنع ذلك الطعام ودعاه فلم يحضر عنده ، وكان ذلك أول تغير أمرهم . وقيل كان سبب ذلك من أمره ما كان .

وقيل من الأسباب أن جعفرأ بنى داراً غرم عليها عشرين ألف درهم فرُفع ذلك إلى الرشيد وقيل : هذه غرامة في دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك ؟ فاستعظمه .

وحكي أن جعفر بن يحيى لما عزم على الانتقال إلى قصره هذا جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه اليه فاختراروا له وقتاً من الليل ، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي كان منزله إلى قصره والطرق خالية والناس هادئون ، فلما صار إلى سوق يحيى رأى رجلاً قائماً وهو يقول :

يُدبّر بالنجوم وليس يدري وربُّ النجم يفعل ما يُريدُ

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له : أعدْ عليّ ما قلت ، فأعاده فقال :

ما أردتَ بهذا ؟ فقال : ما أردتُ به معنى من المعاني ، لكنه شيء عرض لي وجاء على لساني في هذا الوقت ، فأمر له بدنانير ومضى لوجهه وقد تنفص عليه سروره .

وكان من الأسباب أيضاً فاستجيب به .

قال علماء السير : لما انصرف الرشيد عن الحج سنة ١٨٧ وقيل ١٨٨ ، أرسل الرشيد مسروراً الخادم ومعه جماعة من الجند ليلاً وعنده بختيشوع المتطبب وأبو زكار المغني وهو يغني :

فلا تبعد

قال مسرور: فقلت له: يا أبا الفضل الذي جئت له هو والله ذاك، قد طرقتك الأمر، أجيب أمير المؤمنين، فوقع على رجلي يقبلها وقال: حتى أدخل فأوصي، فقلت: فأما الدخول فلا سبيل إليه وأما الوصية فاصنع ما شئت، فأوصى بما أراد وأعتق ممالئكه، وأتتني رسل الرشيد تستحثني ، فمضيت إليه وأعلمته وهو في فراشه ، فقال : اثنتي برأسه ، فأتيت جعفرأ فأخبرته فقال : الله أكبر فراجعه ، فعدت أراجعه ، فلما سمع حسي قال : يا ماص بظر أمه ، اثنتي برأسه ، فرجعت إليه وأخبرته فقال : وأمره ، فرجعت فحذفتني بعمود كان في يده وقال : نفيت من المهدي ان لم تأتني برأسه لأقتلنك ، قال : فخرجت فقتلته وحملت رأسه إليه ، وكان قتله ليلة السبت أول ليلة من صفر بالأنبار وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ثم أمر بنصب رأسه على الجسر وتقطيع يديه وصلب كل قطعة على جسر ، فلم يزل كذلك حتى مرَّ عليه الرشيد حين خروجه إلى خراسان فقال : ينبغي أن يحرق هنا ، فأحرق ، ووجه الرشيد من ليلته إلى الرقة في قبض أمرائهم وما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم .

وحكي عن الأصمعي أنه قال : لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى أرسل إلي ليلاً فراغني وأعجلني الرسل فزادوا في وجلي ، فصرت إليه ، فلما مثلت بين يديه أوماً إلي بالجلوس فجلست ، ثم قال :

لو ان جعفر ... الخ.

ثم قال : إلتق بأهلك يا ابن قريب ، فنهضت ولم أحر جواباً ، وفكرت فلم أعرف لما كان منه معنى إلا أنه أراد أن يسمعي شعره فأحكيه .
ولما نكبوا قال الرقاشي :

الان استرحنا واستراحت ركابنا وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى وطبي الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت يجعفر ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضلٍ تعطئي وقل للرزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً أصيب بسيفٍ هاشميٍّ مهند
وله أيضاً في جعفر :

أما والله لولا خوف واش ... الخ .

ووقع جعفر في قصة رجل شكا بعض عماله : قد كثر شاكوك وقل شاكروك ،
فإما عدلت وإما اعتزلت . ورأى رجلاً في الشمس فقال : أفي الشمس ؟ قال :
أطلبُ الظل ، قال : لأولينك ولايةً يطول فيها ظلك . وفضائله كثيرة رحمه
الله تعالى .

١٣٣

جعفر بن حنزابة

أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات
المعروف بابن حنزابة ؛ كان وزير بني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور ، ثم استقل

١٣٣ - انظر ترجمة ابن حنزابة في تاريخ بغداد ٥ : ٢٧٥ و معجم الأدباء ٧ : ١٦٣ والواقى للصفدي
ومواضع متفرقة في ج ٤ من النجوم الزاهرة وكتاب الكندي والفوات ١ : ٢٠٣ والمغرب
(قسم مصر) : ٢٥١ وسقطت ترجمته من تهذيب ابن عساكر مع أن المؤلف ذكره في الأصل
وعنه نقل ابن خلكان .

كافور بملك مصر واستمر على وزارته ، ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدير المملكة لأحمد بن علي بن الإخشيد بالديار المصرية والشامية ، وقبض على جماعة من أرباب الدولة بعد موت كافور وصادرهم ، وقبض على يعقوب بن كلّس وزير العزيز العبيدي - الآتي ذكره - وصادره على أربعة آلاف دينار وخمسمائة وأخذها منه ، ثم أخذها من يده أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الشريف الحسيني ، واستتر عنده ، ثم هرب مستتراً إلى بلاد المغرب ؛ ولم يقدر ابن الفرات على رضى الكافورية والإخشيدية والأتراك والعساكر ، ولم تحمل إليه أموال الضمانات ، وطلبوا منه ما لا يقدر عليه ، واضطرب عليه الأمر فاستتر مرتين ونهبت دوره ودور بعض أصحابه ، ثم قدم إلى مصر أبو محمد الحسين بن عبيد الله بن طنج صاحب الرملة فقبض على الوزير المذكور وصادره وعذبه واستوزر عوضه كاتبه الحسن بن جابر الرياحي ، ثم أطلق الوزير جعفر بوساطة الشريف أبي جعفر الحسيني ، وسلم إليه الحسين أمر مصر وسار عنها إلى الشام مُسْتَهْلَ ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وكان عالماً محبباً للعلماء ، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين ، وعن محمد بن سعيد البرجمي الحمصي ، ومحمد بن جعفر الخرائطي ، والحسن بن أحمد بن بسطام ، والحسن بن أحمد الداركي ، ومحمد بن عمارة بن حمزة الأصبهاني ، وكان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوي مجلساً ، ولم يكن عنده ، فكان يقول : مَنْ جاءني به أغنيته ، وكان يُملي الحديث بمصر وهو وزير ، وقصدته الأفاضل من البلدان الشاسعة ، وبسببه سار الحافظ أبو الحسن علي المعروف بالدارقطني من العراق إلى الديار المصرية ، وكان يريد أن يُصنّف مسنداً فلم يزل الدارقطني عنده حتى فرغ من تأليفه ، وله تاليف في أسماء الرجال والأنساب وغير ذلك .

وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي في شرحه ديوان المتنبي أن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية التي أولها :

بادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَوْ لَمْ تَصْبِرْ .

وجعلها موسومةً باسمه ، فتكون إحدى القوافي « جمفرا » ، وكان قد نظم قوله في هذه القصيدة :

صُنِّتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفِّ بَشْرَتِ بَابِنِ الْعَمِيدِ وَأَيِّ عِبْدِ كَبْرَا

« بشرت بابن الفرات » فلما لم يُرْضِهِ صَرَفَهَا عَنْهُ وَلَمْ يَنْشُدْهُ إِيَاهَا ، فلما توجَّهَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَصَدَ أَرْجَانَ وَبِهَا أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ الْعَمِيدِ وَزَيْرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بَنُ بُوَيْنِهِ وَالِدُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ - وَسَيَأْتِي ذِكْرَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فَحَوَّلَ الْقَصِيدَةَ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِهَا وَبَغَيْرِهَا ، وَهِيَ مِنْ غَرَرِ الْقَصَائِدِ .

وذكر الخطيب أيضاً في الشرح أن قول المتنبي في القصيدة المقصورة التي يذكر فيها مسيره إلى الكوفة ويصف منزلاً منزلاً ويهجو كافوراً :

وماذا بمصرَ من المضحكات ولكنَّه ضحكٌ كالبكا
بها نَبَّطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا
وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نَصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَذْتُ بَدْرُ الدَّجِي
وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَّكَدُ نَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقِي
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوُ الْوَرِي

إن المراد بالنَّبَّطِيُّ أَبُو الْفَضْلِ الْمَذْكُورُ ، وَالْأَسْوَدُ كَافُورٌ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا الْقَدْرُ مَا غَضَّ مِنْهُ ، فَمَا زَالَتْ الْأَشْرَافُ تَهْجَى وَتُمْدَحُ .

[وَأَنْشُدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّجِيرِيِّ بَدِيحًا فِي الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ دَعَا لَهُ دَاعٍ فَلَحَنَ فِي قَوْلِهِ : أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ ، بِخَفْضِ « أَيَّامَكَ » الْمَنْصُوبَةِ :

لا غرو أن لحن داعي لسيدنا وغص من دهشة بالعيِّ والبهر
فمثل هيئته حالت جلالتها بين البليغ وبين النطق بالحصر
وإن يكن خفض الأيام عن دهش في موضع النصب أو من قلة البصر
فقد تقاءلت في هذا لسيدنا والقال نأثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب وأن دولته صفو بلا كدر]

وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص » : كنت أحداث الوزير أبا الفضل جعفرأ المذكور وأجاريه شعر المتني ، فيظهر من تفضيله زيادة تئبه على ما في نفسه خوفاً أن يرى بصورة من تناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام ، وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتني .

وكانت ولادته لثلاث خلونَ من ذي الحجة سنة ثمان وثلثمائة ، وتوفي يوم الأحد ثالثَ عشرَ صفر ، وقيل : في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بمصر ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه القاضي حسين بن محمد بن النعمان ، ودفن في القرافة الصغرى ، وترتبه بها مشهورة .

وحنزابة - بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء - وهي أم أبيه الفضل بن جعفر ، هكذا ذكره ثابت بن قرة في تاريخه ، والحنزابة في اللغة : المرأة القصيرة الغليظة .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وأورد من شعره قوله^١ :

مَنْ أَمَحَلَّ النَّفْسَ أَحْيَاها وَرَوَّحَهَا . ولم يَبْتَ طَاوِيأَ مِنْها على ضَجَرٍ
إِن الرِّياحَ إِذا اشْتَدَّتْ عَوَاصفُها فليسَ ترمي سِوى العالِي من الشَّجَرِ^٢

وقال : كان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين ، واشترى بالمدينة داراً بالقرب من المسجد ليس بينها وبين الضريح النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - سوى جدار واحد ، وأوصى أن يُدْفَنَ فيها ، وقرر مع الأشراف ذلك ، ولما مات حُمِلَ تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرجت الأشراف إلى لقائه وفاء بما أحسن إليهم ، فحجوا به وطافوا ووقفوا بعرفة ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه بالدار المذكورة ، وهذا خلاف ما ذكرته أولاً ، والله أعلم بالصواب ، غير أني رأيت التربة المذكورة بالقرافة وعليها مكتوب « هذه

١ البيتان في المغرب : ٢٥٢ والفوات .

٢ الفوات : فليس تقصف إلا عالي الشجر .

تربة أبي الفضل جعفر بن الفرات « ثم إني رأيت بخط أبي القاسم ابن الصوفي أنه دفن في مجلس داره الكبرى ثم نقل إلى المدينة .

١٣٤

المتوكل على الله

أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي ، وأمه تركية واسمها شجاع ، بويع له لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ ، وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ وله إحدى وأربعون سنة ، ودفن في القصر الجعفري ، وهو قصر ابتناه بسر من رأى . وقال الدولابي في تاريخه : إنه دفن هو والفتح بن خاقان وزيره ولم يصلّ عليها ، فكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام .

وقتل المتوكل محمدٌ ولده المنتصر بالله بسر من رأى وهو على خلوة مع وزيره ، فابتدره باغر التركي بسيف ، فقام وزيره الفتح بن خاقان في وجهه ووجوه القوم ، فاعتوره القوم بسيوفهم فقتلوهما معاً وقطعوهما حتى اختلطت لحومهما فدفنا معاً ، على ما قيل . وكان السبب في قتله على ما حكى انه قدّم المعتز على المنتصر ، والمنتصر أسن منه ، وكان يتوعده ويسبه ويسب أمه ويأمر الذين يحضرون مجلسه من أهل السخف بسبه ، فسعى في قتله ووجد الفرصة في تلك الليلة . وكان من الاتفاق العجيب أن المتوكل كان قد أهدي له سيف قاطع لا يكون مثله ، فعرض على جميع حاشيته وكل يتمناه فقال المتوكل : لا يصلح هذا السيف إلا لساعد باغر ، ووهبه له دون غيره ، فاتفق أنه أول داخل عليه فضربه به فقطع جبل عاتقه وكان ما ذكرنا من أمره .

وحكى علي بن يحيى بن المنجم قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله

١ هكذا في ب ه ؛ وفي سائر النسخ : ابن الصيرفي .

بأيام كتب الملاحم فوقف على موضع فيه أن الخليفة العاشر يُقتل في مجلسه ، فتوقفت عن قراءته فقال : ما لك ؟ فقلت : خير ، قال : لا بد أن تقرأه ، فقرأته وحدتُ عن ذكر الخلفاء فقال : ليت شعري من هذا الشقي المقتول ؟ وكان مربوعاً أسمر خفيف شعر العارضين ، رفع الحنة في الدين ، وأخرج أحمد بن حنبل كما ذكرنا من الحبس وخلع عليه .

وكان بالدينور شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه ويدرسون عنده ، يقال له بشر الجعاب ، فرجع صاحب الخبر بالدينور إلى المتوكل أن بالدينور رجلاً رافضياً يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبّون الصحابة ويشتمون السلف ، فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسها ، فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك ، فلما وصل إلى العامل كتابه - وكان صديقاً لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه - همّه ذلك وشقّ عليه فاستدعى بشراً وأقرأه ما كوتب به في أمره وأمر أصحابه ، فقال له بشر: عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبطلاً فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف عليّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ومن الممكن التيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرقة والصناعة ، فسرّ العامل بقوله وعمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ووصل الباء بما صارت به فاء ؛ فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة وأنه هُرّة عند أهل بلده وضُحكة ، وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ويعدون به بائناً عند حصول الغلّة ، فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ماطلوه بدينه ولووه بحقه واعتلّوا بأنواع الباطل عليه ، فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها ، وافقوا بشراً هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدون الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ، ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة ، فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم اليهم ويستأنف

إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يريدونه ، فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعه في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته ؛ فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكناً إلى أنه من ركاكته وفهاهته بما يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة ، ويتخلص من هذه الثلاثة ؛ فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم ، فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكي عنهم ، وأمر فعلق بينه وبينهم سببية ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ، ففعل ذلك ، وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين ، فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف ، فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له : أنت بشر الخفاف ؟ فقال : نعم ، فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه المغالطة ، فقال له : إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكروه فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته ، فقال له بشر : نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به ؟ قال : بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع اليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشم الصحابة ، فقال بشر : ما أعرف من هذا شيئاً ، قال : قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم ، فقال : ما تقول في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف ، فقال له عبيد الله : ويليك أتدري ما تقول ؟ قال : نعم لعن الله السلف ، فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله : يقول لك أمير المؤمنين : سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه ، فقال له : إني سأئلك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت أمرت بقتلك ، فما تقول الآن في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف ، قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني وأهلك عيالي ، قال : وكيف ؟ قال : أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم ، فأصير اليهم عند حصول الغلة في بيادرهم ، فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي مالي ، ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلي ويحلفون بالله لا يعاودون

مظلي وظلمي ، فإنهم يؤدون إلى المتقدم والمتأخر من مالي ، فأجيئهم إلى ما يلتمسونه وأعطيهم ما يطلبونه ، فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي فقد اختلّت حالي وافتقرت عيالي ؛ قال : فسمع ضحك عالٍ من وراء السبيبة ، وخرج الخادم فقال : استحلل هؤلاء القوم وخلّ سبيلهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين في حلّ وسعة ، فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين : هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر متيقظ لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته ، وينبغي أن يستقصى الفحص عن هذا والنظر فيه ، فأمر بردهم ، فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض : ليس هذا من ذلك الذي تقدم فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة ، فرجعوا فأمروا بالجلوس ، ثم أقبل عبيد الله على القوم فقال : إن الذي كتب في أمركم ليس ممن يقدم على الكتب بما لا يقبله علماً ويحيط [به] خبراً وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وانعام التفتيش عن أمركم ، فقالوا : افعال ما أمرت به ، فقال : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : علي بن أبي طالب ، فقال الخادم بين يديه : قد سمعت ما قالوا ، فأخبر أمير المؤمنين به ، فمضى ثم عاد فقال : يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي ، فقلنا : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه ، ثم قال لهم : ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه ؟ فقالوا : رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيراً ، قال : فما تقولون في عمر ؟ قلنا : رحمة الله عليه ولا نجبه ، قال : ولم ؟ قلنا : لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى ، قال : فسمعنا من وراء السبيبة ضحكاً أعلى من الضحك الأول ، ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل : أتبعهم صلة فقد لزمهم في طريقهم مؤونة واصرفهم ، فقالوا : نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج ، وانصرفوا .

وذكر أبو عبد الله حمدون قال : قال لي الحسين بن الضحاك : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتني إياه ثم ضربني الأمين لمائلي ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل ، وكل ذلك يجري مجرى الولع

والتحذير لي ، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيحاً أن يولع بي ، فتغاضب المتوكل علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن كنت تضربني كما ضربني أبأوك فاعلم أن آخر ضرب ضربته كان بسببك ، فضحك وقال : بل، أصونك وأكرمك .

وقال المتوكل يوماً لمن حضره : ما أرى أحسن من وصيف الصغير ، يعني خادمه ، فجعل كل يصفه غير بغا الكبير فقال : يا بغا ما سكوتك ؟ اما تحب وصيفاً ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأني أحب من يحبك ولا أحب من يحبه . ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال له : بلغني عنك بذاء ، قال : إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد مدح الله وذم قال ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ وقال عز وجل ﴿ هـماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم ﴾ فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي^١ بطبع لا يميز فقد أعاذ الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أستم الجبس اللثيم المذمما
ففيم عرفت الشر والحير باسمه وشق لي الله المسامع والفما

ولما أسلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك^٢ الأصهباني ليؤدي ما عليه من الأموال عاقبه قتلف في مطالبته ، فحضر يوماً عند المتوكل فقال له : ما عندك من خبر نجاح بن سلمة ؟ قال : ما قال الله ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ ، فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبید الله بن يحيى بن خاقان فقال : أيها الوزير أردت قتلي فلم تجد لذلك سبيلاً إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين وعداوته لي ، فعاتب عبید الله أبا العيناء في ذلك فقال : والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى ذممت سيرته لك ، فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعدي ؟ فقال : في أحوال مختلفة خيرا رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال : قد والله اشتقتك ، قال : إنما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه ، فقال له المتوكل : من أسخى من رأيت ؟ قال :

١ في الأصل النبي والمدمي ؛ وانظر في التصحيح ثمار القلوب : ٤٣٠ .
٢ في الأصل : عبد الله ؛ وانظر هذه الحادثة في تاريخ ابن الأثير ٧ : ٨٨ .

ابن أبي داود، قال المتوكل: تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء؟ قال: إن الصدق يا أمير المؤمنين على موضع من المواضع أنفق منه على مجلسك وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد، وسخاء الفضل والحسن بن سهل منسوب إلى المأمون، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم، وإذا نسب الفتح وعبيد الله^٢ إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين، قال: صدقت فمن أبخل من رأيت؟ قال: موسى بن عبد الملك، قال: وما رأيت من بخله؟ قال: رأيت يجرم القريب كما يجرم الغريب، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وقعت فيه عندي وقعتين وما أحب ذلك، فאלقه واعتذر إليه ولا يعلم أني وجهت بك، قال: يا أمير المؤمنين من يسكته بحضرة ألف؟ قال: لن تخاف على الاحتراس من الخوف، فسار إلى موسى واعتذر كل واحد منها إلى صاحبه، وافترقا إلى صلح، فلقبه بالجعفري فقال: يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فيما لك لا تأتينا؟ قال: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ ما أرانا إلا كما كنا أولاً.

وكان المتوكل قد غضب على عبادة ونفاه إلى الموصل وكان عبادة من أطيب الناس وأخفهم روحاً وأحضرهم نادرة، وكان أبوه من طباخي المأمون وكان معه، فخرج حاذقاً بالطبيخ ثم مات أبوه ونجب. حكى أبو حازم الفقيه، وقد جرى ذكر عبادة، قال: ما كان أظرفه، قيل: وكيف؟ قال: لما حصل بالموصل تبعه غرماؤه وطلبوه وقدموه إلى علي بن إبراهيم العمري وهو قاضي الموصل فعلف لواحد ثم لآخر ثم لآخر، فقال له علي بن إبراهيم: ويحك ترى هؤلاء كلهم قد اجتمعوا على ظلمك؟ فأتق الله وارجع إلى نفسك، فإن كانت عسرة بإزائها نظرة، فقال: صدقت فديتك ليس كلهم ادعى الكذب ولا كلهم ادعى الصدق، ولكنني دفعت بالله ما لا أطيق. وقيل له وقد مات زوج أخته: ما ورثت أختك من زوجها؟ قال: أربعة أشهر وعشراً.

وحكى علي بن الجهم قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه ابن طاهر

١ في الأصل: ابن أبي داود.

٢ في الأصل: عبد الله.

من خراسان هدية جليلة فيها جوارٍ فيهن جارية يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب وأجادت قول الشعر وخذقت الغناء وقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه ، فوجد عليها مرة فهجرها أياماً ؛ وبكّرتُ عليه فقال: يا علي، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة وصالحتها وصالحتني، قلت: خيراً يا أمير المؤمنين أقرّ الله عينك وسرك ، إنما هي عبدتك والرضى والسخط بيدك ، فوالله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة ، فقال : قم بنا يا علي ننظر ما تصنع ، فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب العود وتغني :

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني
 كأنني قد أتيت معصية ليس لها توبة تخلصني
 فهل شفيع لنا إلى ملك قد زارني في الكرى وصالحتني
 حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عاد إلى هجره فصارمني

قال : فصاح أمير المؤمنين وصحت معه ، فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه تقبلها ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك رضيت عني فتعللت بما سمعت ، قال : وأنا والله رأيت مثل ذلك ، فقال لي : يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق؟ ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك ؛ قال : وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان ، فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينه باكية ، فدعاها يوماً وأمرها أن تغني فاستغفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت :

أيُّ عيش يلد لي لا أرى فيه جعفرا
 كل من كان في ضنى وسقامٍ فقد برا
 غير محبوبة التي لو ترى الموت يشتري
 لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه وترثيه حتى ماتت ، رحمها الله تعالى .

ابن السراج

أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج المعروف بالقاري البغدادي ؛ كان حافظ عصره ، وعلاّمة زمانه ، وله التصانيف العجيبة ، منها كتاب « مصارع العشاق » وغيره ، حدث عن أبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم ابن شاهين ، والحلال ، والبرمكي ، والقزويني ، وابن غيلان ، وغيرهم ، وأخذ عنه خلق كثير ، وروى عنه الحافظ أبو الطاهر السلفي رحمه الله تعالى ، وكان يفتخر بروايته مع أنه لقي أعيان ذلك الزمان وأخذ عنهم .
وله شعر حسن ، فمناه :

بَانَ الخَلِيطُ فَأَدْمَعِي	وَجَدَا عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ
وَحَدَا بِهِم حَادِي الْفِرَا	قَ عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقْلُوا
قَلَّ لِلذِّينِ تَرَاحَلُوا	عَنِ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلُّوا
وَدَمِي بِبَلَا جُرْمٍ أَتَيْد	تَ غَدَاةَ بَيْنَهُمْ اسْتَحَلُّوا
مَا ضَرَّهْمُ لَوْ أَنهَلُوا	مِنْ مَاءِ وَصَلَهُمْ وَعَلُّوا

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

وَعَدَّتْ بِأَنْ تَزُورِي كُلَّ شَهْرٍ فزُورِي قَدْ تَقَضَّى الشَّهْرُ زُورِي

١٣٥ - راجع ترجمته في ذيل ابن رجب ١ : ١٢٣ وبغية الوعاة : ٢١١ ومعجم الأدياء ٥ : ١٥٣ وفيه نقل عن ابن عساكر ؛ وكان السراج ذا طريقة جميلة ومحبة للعلم والأدب ، وكان يسافر الى مصر وغيرها ، وتردد الى صور عدة دفعات ثم قطن بها زماناً ، وعاد الى بغداد وأقام بها الى أن توفي ، وأكثر أشعاره في الزهد والفقه ، وله سوى مصارع العشاق كتاب اسمه « زهد السودان » .

١ الأبيات في مصارع العشاق ١ : ١٣٠ .

وشقة بيئنا نهرُ المعلى إلى البلد المسمى شهر زور
وأشهرُ هجرِكِ المحتومِ صدق ولكن شهرُ وصلك شهرُ زورِ

وأورد له العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » :

ومُدَّعٍ شَرَّخَ شَبَابٍ وَقَدْ عَمَّمَهُ الشَّيْبُ عَلَى وَفَرَّتَهُ
يَخْضِبُ بِالْوَشْمَةِ عَثُونَهُ يَكْفِيهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي لِحِيَتِهِ

وله غير ذلك نظم جيد .

وكانت ولادته إما في أواخر سنة سبع عشرة وأربعمائة أو أوائل سنة ثمانى
عشرة وأربعمائة ، وذكر الشريف أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز
الأنصاري في كتاب « وفيات الشيوخ » أن مولده سنة ست عشرة ببغداد ،
وتوفي بها ليلة الأحد الحادي والعشرين من صفر سنة خمسائة ، ودفن بباب أبرز .

١٣٦

أبو معشر المنجم

أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ؛ كان إمام
وقته في فنه ، وله التصانيف المفيدة في علم النجامة ، منها « المدخل » و « الزيج »
و « الألوف » وغير ذلك ، وكانت له إصابات عجيبة .

رأيت في بعض الجماهير أنه كان متصلاً بخدمة بعض الملوك ، وأن ذلك
الملك طلب رجلاً من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه ،

١٣٦ - ترجمة أبي معشر في الفهرست : ٢٧٧ وتاريخ الحكماء : ١٥٢ وابن أبي أصيبعة : ٢٠٧ :
وختصر الدول : ٢٥٨ وطبقات صاعد : ٥٦ وقد كتب عنه الأستاذ ر. لامي كتاباً بعنوان :

Abu Ma'shar and Latin Aristotelianism (Beirut 1962).

فاستخفى ، وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطرائق التي يستخرج بها الحبايا^١ والأشياء الكامنة ، فأراد أن يعمل شيئاً لا يهتدي إليه ويبعد عنه حسنه^٢ فأخذ طَسَسْتًا وجعل فيه دمًا وجعل في الدم هاون ذهب ، وقعد على الهاون أياماً ، وتَطَسَّلَبَ الملك ذلك الرجلَ وبالغ في التطلب ، فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وقال له : تعرّفني موضعه بما جرت عادتك به ، فعمل المسألة التي يستخرج بها الحبايا ، وسكت زماناً حائراً ، فقال له الملك : ما سبب سكوتك وحيرتك ؟ قال : أرى شيئاً عجيباً ، فقال : وما هو ؟ قال : أرى الرجل المطلب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ، ولا أعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة ، فقال له : أعد نظرك وغير المسألة وجدد أخذ الطالع ، ففعل ثم قال : ما أراه إلا كما ذكرت ، وهذا شيء ما وقع لي مثله ، فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضاً نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه ، وأظهر من ذلك ما وثق به ، فلما اطمان الرجل ظهر^٣ وحضر بين يدي الملك ، فسأله عن الموضع الذي كان فيه ، فأخبره بما اعتمده^٤ ، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ، ولطافة أبي معشر في استخراجِه .
وله غير ذلك من الإصابات .

وكانت وفاته في سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
والبَلْسُخِي - بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة - هذه النسبة إلى بَلْسُخ ، وهي مدينة عظيمة من بلاد خُرَّاسان فتحها الأحنفُ بن قَيْسِ التميمي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهذا الأحنف هو الذي يُضْرَب به المثل في الحلم ، وسيأتي ذكره في حرف الضاد إن شاء الله تعالى .

١ أ ج هـ وآيا صوفيا : الحفايا .

٢ آيا صوفيا : حسنه .

٣ ب د : خرج .

٤ أ : بما فعل .

جعفر الأندلسي ممدوح ابن هانئ

أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية ؛ كان سخياً كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم ، ولأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف ، وهو القائل فيه :

المدنقان من البرية كلتها جسمي وطرف بابلئ أحور
والمشركات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

وأما القصائد الطوال فلا حاجة إلى ذكر شيء منها .

وكان أبوه علي قد بنى المسيلة ، وهي معروفة بهم إلى الآن ، وكان بينه وبين زيري بن مناد جد المعز بن باديس إحن ومشاجرات أفضت إلى القتال ، فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة ، فقتل زيري فيها ثم قام ولده بلوكين - المقدم ذكره في حرف الباء - مقام أبيه ، واستظهر على جعفر المذكور ، فعلم أنه ليس له به طاقة ، فترك بلاده ومملكته وهرب إلى الأندلس ، فقتل بها في سنة أربع وستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، وشرح حديثه يطول وهذا القدر خلاصته .
والمسيلة - بفتح الميم وكسر السين المهمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام مفتوحة ثم هاء ساكنة - وهي مدينة من أعمال الزاب .
والزاب - بفتح الزاي وبعده الألف باء موحدة - كورة بإفريقية ، وقد تقدم ذكر إفريقية .

١٣٧ - انظر بعض أخباره في ترجمة أخيه يحيى في الحلة السيرة ١ : ٣٠٥ وابن عذارى ٢ : ٢٤٢ وأعمال الأعلام : ٦٠ وفي خبر عودة جعفر إلى الأندلس انظر المقتبس (تحقيق الحجى) في صفحات متعددة منه .

ابن فلاح الكتامي

أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي ؛ كان أحد قواد المعز أبي تميم معدّ بن المنصور العبّيدي صاحب إفريقية ، وجهزه مع القائد جوهر - الآتي ذكره - لما توجه لفتح الديار المصرية ، فلما أخذ مصر بعثه جوهر إلى الشام ، فغلب على الرملة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم غلب على دِمَشق فملكها في المحرم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها ، ثم أقام بها إلى سنة ستين ، ونزل إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق ، فقصد الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالأعصم ، فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به القرمطي فقتله وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وذلك في يوم الخميس لست خلوّن من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وقال بعضهم : قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور بعد قتله مكتوباً :

يا منزلاً عبثَ الزمانُ بأهله فأبادهمُ بتفرُّقِ لا يُجمَعُ
أينَ الذينَ عهدتُهمُ بك مرّةً كان الزمانُ بهم يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

وكان جعفر المذكور رئيساً جليل القدر ممدوحاً ، وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور :

كانت مُساءلةُ الرُّكبانِ تُخبرُني عن جَعْفَرِ بنِ فِلاحِ أَطيبِ الخَبَرِ

١٣٨ - ترجمة جعفر بن فلاح في الحلة السراء ١ : ٤٠٤ واتعاظ الخنفا (في عدة مواضع) والإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٠ - ٣٢ والبيان المغرب ١ : ٢٣١ وصفحات متفرقة من الدرّة المضية (ج : ٦) .

١ أ ج وآيا صوفيا : بتشتت .

حتى التَقَيْنَا فلا والله ما سَمِعْتَ أذني بأحْسَنَ مما قَدَ رأى بصري
والناس يروون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن أبي دواد ، وهو
غلط ، لأن البيتين ليسا لأبي تمام ، وهم يروونها « عن أحمد بن دواد » وهو
ليس بابن دواد ، بل ابن أبي دواد ، ولو قال كذا لما استقام الوزن .

١٣٩

ابن شمس الخلافة

أبو الفضل جَعْفَرُ بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار
الأفضلي الملقب بمجد الملك الشاعر المشهور ؛ كان فاضلاً حسن الخط ،
وكتب كثيراً ، وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه ، وله تواليف جمع فيها أشياء
لطيفة دلّت على جودة اختياره^١ ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، نقلت من خطه
لنفسه :

هي شِدَّةٌ يأتي الرخاء عقيها وأسَى يبشّر بالشُرور العاجلِ
وإذا نظرتَ فإن بؤساً زائلاً للمرءِ خيرٌ من نعيم زائلِ

وله أيضاً في الوزير ابن شكر ، وهو الصفي أبو محمد عبد الله بن علي ، عُرف
بابن شكر ، وزير الملك العادل وولده الملك الكامل رحمها الله تعالى :

مدحتك السنّة الأنام مخافةً وتشاهدت لك بالثناء الأحسنِ
أترى الزمان مؤخرأ في مُدَّتِي حتى أعيشَ إلى انطِلاقِ الألسنِ

هكذا أنشدنيها بعضُ الأدباء المصريين ، ثم وجدتها في مجموع عتيق ولم يسم

١ طبع له كتاب « الآداب » (القاهرة ١٩٣٠) .

قائلها، وطريقته في الشعر حسنة .

[وله أيضاً :

أعطِ وإن فاتك [الثراء] ودع سبيل من ضنَّ وهو مقتدرُ
فكم غني بالتاس عنه غنَّى وكم فقير إليه يُفتقرُ

وله أيضاً :

كفِّي وعرضي إذا ما سألت عن أخباري
هذا من الكاس كاسٍ وذا من العار عاري [

وكانت ولادته في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في الثاني عشر من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمئة بالموضع المعروف بالكوم الأحمر ظاهر مصر ، رحمه الله تعالى .

والأفضلي - بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الضاد المعجمة وبعدها لام - هذه النسبة إلى الأفضل أمير الجيوش بمصر .

وتوفي والده في ذي الحجة سنة تسع وستين وخمسمائة ، ومولده سنة عشرين وخمسمائة .

١٤٠

جعبر القشيري

الأمير جَعْبَر بن سابق القُشَيْرِي الملقب سابق الدين الذي تُنسب إليه قلعة جعبر ؛ لم أف على شيء من أحواله سوى أنه كان قد أسنَّ وعمي ، وكان له ولدان يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ، ولم يزل على ذلك والقلعة بيده حتى

١٤٠ - انظر معجم البلدان : (جعبر) وقد سماه هنالك « جعبر بن مالك » .

١ هـ : ويخوفان .

انتزعها منه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي الآتي ذكره ، ثم قُتل بعد ذلك في أوائل سنة أربع وستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . هكذا وجدته في بعض التواريخ وفي نفسي منه شيء ، فإن السلطان ملك شاه ما ملك إلا بعد قتل أبيه ألب أرسلان ، وأبوه قتل في سنة خمس وستين وأربعمائة - كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى - إلا إن كان قد تغلب على القلعة في حياة أبيه وهو نائبه ، أو يكون تاريخ وفاة جعبر غلطاً ، وقد نهبت عليه لثلاثيتهم ممن يقف عليه أن الغلط كان مني ، أو أنه مرَّ بي ولم أتنبه له ، فاعلم ذلك .

ثم إنني بعد هذا حققت هذا الأمر ، فوجدت أن ملك شاه السلجوقي لما توجه إلى حلب ليأخذها اجتاز بهذه القلعة ، وقتل جعبراً المذكور لما بلغه عنه من الفساد وأخذ القلعة منه وسار إلى حلب وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ويقال لهذه القلعة : الدَّوْسَرِيَّة ، وهي منسوبة إلى دَوْسَرِ غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان قد تركه على أفواه الشام ، فبنى هذه القلعة فنسبت إليه . والجَعْبَرُ في اللغة : القصير الغليظ ، وهو بفتح الجيم وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم راء .

١٤١

نصير الدين جقر

أبو سعيد جَقْرُ بن يَعْقوب الهمداني الملقبُ نصير الدين ؛ كان نائب عماد الدين زَنْكِي صاحب الجزيرة [الفراتية] والموصل والشام ، استنابه عنه بالموصل ، وكان جباراً عسوفاً سفاكاً للدماء مستحلاً للأموال ، قيل : إنه لما أحكم عمارة سور الموصل أعجبه إحكامه ، فناده مجنون نداء عاقل : هل تقدر أن تعمل سوراً يسد طريق

١٤١ - أخباره في صفحات متفرقة من التاريخ الباهر لابن الأثير .

القضاء النازل ؟ وفي ولايته قصد الإمام المسترشد حصار الموصل ، فنازلها وضايقها مدة ، وكان جَقَرُ المذكور قد حصَّنها وحفر خنادقها فقاتل الخليفة ورجع عنها ولم ينل منها مقصوداً^١ ، وذلك في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وكان بالموصل فروخ شاه ابن السلطان محمود السلجوقي المعروف بالحفاجي .

وذكر ابن الأثير في « تاريخ دولة بني أتابك »^٢ أن الحفاجي صاحب هذه الواقعة هو ألب أرسلان بن محمود بن محمد لتربية عماد الدين زنكي أتابك - ولذلك سمي أتابك ، فإنه [اللالا] الذي يربي أولاد الملوك ، فالأنا بالتركية^٣ هو الأب ، وبك هو الأمير ، فأتابك مركب من هذين المعنيين - وكان جَقَرُ يعارضه ويعانده في مقاصده ، فلما توجه عماد الدين زنكي لمحاصرة قلعة البيرة قرر الحفاجي مع جماعة من أتباعه أن يقتلوا جَقَرًا ، فحضر يوماً إلى باب الدار للسلام فنهضوا إليه فقتلوه وذلك في الثامن ، وقيل : يوم الخميس التاسع من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة^٤ ، وولى عماد الدين زنكي موضع جقر زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربيل ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية ، وكان رجلاً صالحاً ، رحمه الله تعالى .

ولما عاد زنكي إلى الموصل استصفى أموال جقر واستخرج ذخائره وصادر أهله وأقاربه ، وكان جقر قد ولَّى بالموصل رجلاً ظالماً يسمى بالقزويني ، فسار سيرة قبيحة وكثر شكوى الناس منه ، فعزله وجعل مكانه عمر بن شكلة فأساء في السيرة أيضاً فعمل في ذلك أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن شقاقا الموصلية المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة :

يا نصيرَ الدين يا جَقَرُ أَلْفُ قَزْوِينِي وَلَا عُمَرُ

١ قال ابن الأثير (الباهر : ٤٧) : وحفظها نصير الدين أحسن حفظ وقام فيها المقام المرضي ... فأقام الخليفة محاصراً لها نحواً من ثلاثة أشهر فلم يظفر بشيء .

٢ الباهر : ٧١ .

٣ أ د : فان أتا بالتركية .

٤ أ ج : فوثبوا .

٥ هـ : سنة ٥٣٧ .

لو رماه الله في سقرٍ لاشتكت من ظلمه سقرٌ

وجقر : بفتح الجيم والقاف وبعدهما راء، وهو اسم أعجمي وأظنه كان مملوكاً.

١٤٢

جميل بئينة

أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح - بضم الصاد المهملة - ابن ظبيان بن حنّ - بضم الحاء المهملة وتشديد النون - ابن ربيعة بن حرام بن ضبة ابن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سؤد بن أسلم ابن الحاف بن قضاة الشاعر المشهور؛ صاحب بئينة أحد عشاق العرب، عشقها وهو غلام، فلما كبر خطبها فردّها عنها فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سرّاً، ومنزلهما وادي القرى، وديوان شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه . ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وقال : قيل له : لو قرأت القرآن كان أعود عليك من الشعر، فقال : هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر حكمة » . وجميل وبئينة كلاهما من بني عذرة، وكانت بئينة تكنى أم عبد الملك، والجمال والعشق في بني عذرة كثير؛ قيل لأعرابي من العذريين : ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تناث كما يناث الملح في الماء؟ أما تتجدون؟ فقال : إنا ننظر إلى محاجر أعين لا ننظرون إليها، وقيل لآخر: ممن أنت؟ فقال : أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته : هذا عذري ورب الكعبة (٣٥)* . وذكر صاحب الأغاني أن كئيب عزة كان راوية جميل، وجميل كان

١٤٢ - جميل ترجمة في الأغاني ٨ : ٩٠ والخزانة ١ : ١٩١ والسمط : ٢٩ والمؤلف : ١٦٨٠٧٢
وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٩٥ والموشح : ١٩٨ .

راوية هُدْبَةُ بنِ خَشْرَمٍ، وَهُدْبَةُ رَاوِيَةُ الحَظِيئَةُ، وَالحَظِيئَةُ رَاوِيَةُ زَهِيرِ بنِ أَبِي
سُلَيْمَى وَابْنَهُ كَعْبِ بنِ زَهِيرٍ .

وَمِنْ شَعْرِ جَمِيلٍ مِنْ جَمَلَةِ أَبِيَاتٍ :

وَخَبَّرْتَنِي أَنْ تِيَاءَ مَنْزَلٍ لَيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَايِيَا
فَهَذِي شَهْرُ الصَّيْفِ عِنَّا قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلِي المَرَايَا

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُدْخِلُ هَذِهِ الأَبِيَاتِ فِي قَصِيدَةِ مَجْزُونِ لَيْلِي ، وَليست لَهُ ،
وَتِيَاءُ خَاصَّةٌ : مَنْزِلَ لَبْنِي عُدْرَةَ ، وَفِي هَذِهِ القَصِيدَةِ يَقُولُ جَمِيلٌ :

وَمَا زَلْتُمْ يَا بُنَّ حَتَّى لَوَانْتَنِي مِنْ الشَّوْقِ أُسْتَبِكِي الحَمَامَ بَكِي لِيَا
وَمَا زَادَنِي الوَاشُونَ إِلا صَبَابَةً وَلَا كَثْرَةَ النَّهَائِينَ إِلا تَمَادِيَا
وَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ المَفْرُقُ بَيْنَنَا سُلُوءًا وَلَا طُولُ اللَّيَالِي تَقَالِيَا
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَدْبَةَ الرِّيقِ أَنِّي أَظْلُ إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكَ صَادِيَا
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى المَيْتَةَ بَغْتَةً وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيَا

وَكَانَ كَثِيرَ عِزَّةٍ يَقُولُ : جَمِيلٌ وَاللهُ أَشْعَرُ العَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَخَبَّرْتَنِي أَنْ تِيَاءَ مَنْزَلٍ لَيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَايَا
وَمِنْ شَعْرِهِ :

إِنِّي لِأَحْفَظُ سِرَّكُمْ وَيُسْرَتِي لَوْ تَعْلَمِينَ بِصَالِحِ أَنْ تُذَكَّرِي
وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ عَلَيَّ كَأَشْهَرِ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى المَيْتَةَ بَغْتَةً إِنْ كَانَ يَوْمٌ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ

وَمِنْهَا :

يَهْوَاكِ مَا عَشْتُ الفُؤَادُ وَإِنْ أُمْتُ يَتَّبَعُ صَدَائِي صَدَاكِ بَيْنَ الأَقْبَرِ

وَمِنْهَا :

إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتِ لِنَاظِرٍ نَظَرَ الفَقِيرِ إِلَى الغَنِيِّ المَكْثَرِ

يقضي الديون وليس يُنجز موعداً
ما أنتِ والوعد الذي تعدّينني
ومن شعره من جملة قصيدة :

إذا قلتُ ما بي يا بثينة قاتلي
وإن قلتِ رُدِّي بعضَ عقلي أعشِّ به
ومن شعره أيضاً :

وإني لأرضى من بثينة بالذي
بلا وبالألاّ أستطيع وبالمنى
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
وله أيضاً :

وإني لأستحي من الناس أن أرى
وأشربُ رنقاً منك بعدَ مودّةٍ
وإنّي للماءِ المخالطِ للقذى
وله من أبيات أيضاً :

بعيدٌ عليّ من ليسَ يطلبُ حاجةً
بثينة قالت يا جميلُ أربّتي
وأرببتنا من لا يؤدّي أمانةً
وأما على ذي حاجةٍ فقريبُ
فقلتُ كِلانا يا بثينَ مريبُ
ولا يحفظُ الأسرار حين يغيبُ

وقال كثير عزة : لقيني مرة جميلُ بثينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت :
من عند أبي الحببية ، يعني بثينة ، فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : إلى الحببية ،
يعني عزة ، فقال : لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتتخذ لي موعداً من
بثينة ، فقلت : عهدي بها الساعة ، وأنا أستحي أن أرجع ، فقال : لا بد من
ذلك ، فقلت : متى عهدك ببثينة ؟ فقال : من أول الصيف ، وقعت سحابةٌ
بأسفل وادي الدّوم فخرجتُ ومعهما جارية لها تغسل ثياباً ، فلما أبصرتني

أنكرتني ، فضربت يدها إلى الثوب في الماء فالتحفت به ، وعرفتني الجارية فأعدت الثوب إلى الماء ، وتحدثنا ساعة حتى غابت الشمس ، فسألتها الموعد فقالت : أهلي سائرون ، ولا لقيتها بعد ذلك ، ولا وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها ، فقال له كثير : فهل لك أن آتي الحي فأتعرض بأبيات شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها ؟ قال : وذلك الصواب ، فخرج كثير حتى أناخ بهم ، فقال له أبوها : ما ردك يا ابن أخي ؟ قال : قلت أبياتاً عرضت فأحبيت أن أعرضها عليك ، قال : هاتها ، فأنشدته وبثينة تسمع :

فقلت لها يا عَزَّ أُرْسِلْ صاحبي إليك رسولاً والرسول موكَّلُ
بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدِي منك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يُغسلُ

قال : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخساً اخساً ، فقال لها أبوها : مهيم يا بثينة ؟ فقالت : كلب يأتينا إذا نَوَمَ الناس من وراء الرابية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاة ونشويها له ، فقال كثير : أنا أعجل من ذلك ، وراح إلى جميل فأخبره ، فقال جميل : الموعد الدومات .

وخرجت بثينة وصواحبها إلى الدومات ، وجاء جميل وكثير إليهن ، فما برحوا حتى برق الصبح ، فكان كثير يقول : ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس ، ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ، ما أدري أيهما كان أفهم (٣٦)* .

وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير : قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : أنشدني أبي هذه الأبيات لجميل بن معمر قال : وتروى لغيره أيضاً ، وهي :

مازلت أبغي الحي أتبعُ فلتهُمُ حتى دُفِعتُ إلى ربيبة هودج

١ هي في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٧٣ .

فدنوتُ مخفياً أُمُّ ببيتِها حتى ولجت إلى خفي المولج
فقتناولتُ رأسي لتعرف مسه بمخضّب الأطراف غير مُسَنِّج
قالت : وعيش أخِي ونعمة والدي لأنهنّ القومَ إن لم تخرج
فخرجتُ خيفة قولها فقتبسمتُ فعلمتُ أن يمينها لم تلجج
فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها شربَ الزيف ببرد ماء الحشرج

قال هارون بن عبد الله القاضي : قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز ابن مروان ممتدحاً له ، فأذن له وسمع مدائحهُ وأحسن جائزته ، وسأله عن حبه بثينة فذكر وجداً كثيراً ، فوعده في أمرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزل وما يصلحه ، فما أقام إلا قليلاً حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال : بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال : هل لك في جميل فإنه يعتلّ نعوذه ؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر إلي وقال : يا ابن سهل ، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، قلت له : والله ما أحسبك سلمت وأنت تُشَبِّبُ منذ عشرين سنة بثينة ، قال : لا نالني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة ، فما برحنا حتى مات . وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي : مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه ، رحمه الله تعالى ، فدخل عليه العباس بن سهل الساعدي ، وذكر هذه الحكاية ، والله أعلم بالصواب .

وذكر في « الأغاني » عن الأصمعي قال : حدثني رجل شهد جميلما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له : هل لك أن أُعطيك كل ما أخلفه علي أن تفعل شيئاً أعهده إليك ؟ قال : فقلت : اللهم نعم ، فقال : إذا أنا متُ

فخذ حُلَّتِي هذه واعزها جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارحل إلى رهط
بثينة ، فإذا صرت إليهم فارتحل ناقي هذه واركبها ، ثم البس حلتي هذه
واشققها ، ثم اعلُ على شرفٍ وصحُ بهذه الأبيات وخلاكَ ذمٌ :

صَرَخَ النَّعِيُّ وَمَا كُنِيَ بِجَمِيلٍ وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءٍ غَيْرَ قُفُولٍ
وَلَقَدْ أَجْرُ الْبُرْدِ فِي وَادِي الْقُرَى نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
قَوْمِي بِثِينَةٍ فَاَنْدُبِي بِمَوِيلٍ وَابْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

قال : ففعلت ما أمرني به جميل ، فما استتممت الأبيات حتى برزتُ
بثينة كأنها بدر قد بدا في دُجْنَةٍ وهي تتكئني في مِرْطِهَا حتى أتتني
وقالت : يا هذا ، والله إن كنت صادقاً لقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً لقد
فضحتني ، قلت : والله ما أنا إلا صادق ، وأخرجت حلتها ، فلما رأتها
صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي يبكين معها
ويندبنه حتى صعقت . فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهي تقول :

وإن سلوئي عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مَعْمَرٍ إذا مُتَّ بأساء الحياة ولينها

وقد تقدم ذكر هذين البيتين في ترجمة الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفي ، قال
الرجل : فما رأيت أكثر باكية ولا باكية من يومئذ .

جنادة الهروي

أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي ؛ كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها ، عارفاً بوحشيتها ومستعملها ، لم يكن في زمنه مثله في فنه ، وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير ، وكانوا يجتمعون في دار العلم وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي المذكورين في يوم واحد ، وهو في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، رحمها الله تعالى ، واستتر بسبب قتلها الحافظ عبد الغني المذكور خوفاً على نفسه من مثل ذلك ، حكى ذلك الأمير المختار المعروف بالمسبّحي في تاريخه .

والهروي - بفتح الها والراء وبعدها واو وياء - هذه النسبة إلى هراة وهي من أعظم مدن خراسان .
وجنادة - بضم الجيم وفتح النون وبعدهم الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة .

الجنيد الصوفي

أبو القاسم الجُنَيْدُ بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري ، الزاهد المشهور ؛ أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه العراق ، وكان شيخ وقته وفريد عصره ، وكلامه في الحقيقة مشهور مُدَوَّن ، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنها ، وقيل : بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه . وصحب خاله السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم . وصحبه أبو العباس ابن سُرَيْجَ الفقيه الشافعي ، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين فيقول لهم : أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد ، وسئل الجنيد عن العارف فقال : مَنْ نطق عن شرك وأذت ساكت ، وكان يقول : مذهبننا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنة^١ . وحضر الجنيد موضعاً فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونهُ وهو مطرق ، فقيل له : يا أبا القاسم ، ما نراك تتحرك ! فقال ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله ﴾ .
ورئي يوماً وفي يده سبحة ، فقيل له : أذت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه .

وقال الجنيد : قال لي خالي سَرِيَّ السَّقَطِيَّ : تكلم على الناس ، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس ، فلني كنت أتتهم نفسي في استحقاق ذلك ، فرأيت ليلةً في المنام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ليلة جمعة ، فقال لي : تكلم على الناس ، فانتبعت ، وأتيت باب السري قبل أن أصبح ، فدققتُ

١٤٤ - ترجمة الجنيد في ابن الأثير ٨ : ٦٢ وحلية الأولياء ١٠ : ٢٥٥ وصفة الصفوة ٢ : ٢٣٥

وتاريخ بغداد ٧ : ٢٤١ وطبقات أبي يعلى : ٨٩ وطبقات السبكي ٢ : ٢٨ .

١ في نسخة آيا صوفيا : مقيد بالأصلين : الكتاب والسنة .

الباب فقال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت في غد للناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف عليّ غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »؟ فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت: أسلم فقدحان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.

وقال الشيخ الجنيد: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها، قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار فأنصت لها فسمعتها تقول:

إذا قلتُ أهدى الهجرُ لي حُلَّ البليِّ تقولين لولا الهجرُ لم يَطِبِ الحبُّ
وإن قلتُ هذا القلبُ أحرَّقه الهوى تقولي بنيران الهوى شَرَفَ القلبُ
وإن قلتُ ما أذنبتُ قلتُ مجيبةً حياتكُ ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبُ

فصعقتُ وصحتُ، فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال: ما هذا يا سيدي؟ فقلت له: مما سمعت، فقال: أشهدك أنها هبة مني لك، فقلت: قد قبلتها وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم زوجها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت له ولداً نبيلاً، ونشأ أحسن نشوء، وحج على قدميه ثلاثين حجة على الوحدة. وآثاره كثيرة مشهورة.

وتوفي يوم السبت - وكان نيروز الخليفة - سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل: سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله سري السقطي، رضي الله عنها. وكان عند موته - رحمه الله تعالى - قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في البقرة فقرأ سبعين آية، ثم مات. [قال محمد بن إبراهيم: رأيت الجنيد في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار].

وإنما قيل له « الخزاز » لأنه كان يعمل الخبز، وإنما قيل له « القواريري » لأن أباه كان قواريرياً.

والخزاز : بفتح الحاء المعجمة وتشديد الزاي وبعد الألف زاي ثانية .
والقواريري : بفتح القاف والواو وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء مشناة
من تحتها ساكنة وبعدها راء ثانية .

ونسهاوند - بفتح النون وقال السمعاني : بضم النون وفتح الهاء وبعد الألف
واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة - وهي مدينة من بلاد الجبل ،
قيل : إن نوحاً عليه السلام بناها ، وكان اسمها نوح أوند ، ومعنى أوند بنسى
فعربوها فقالوا : نهاوند .

والشونيزية - بضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون الياء
المثناة من تحتها وفي آخرها زاي - وهي مقبرة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة
من المشايخ ، رضي الله عنهم ، بالجانب الغربي .

١٤٥

جوهر الصقلي

القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله ، المعروف بالكاتب ، الرومي ؛ كان
من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، وجهزه إلى
الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي ، وسير معه
العساكر ، وهو المقدم ، وكان رحيله من إفريقية يوم السبت رابع عشر شهر
ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وتسلّم مصر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة
ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة ، وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة
لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاه المعز ، فأقيمت الدعوة للمعز [في الجامع

١ أ ج : من الشهداء .

١٤٥ - أخبار جوهر الصقلي في اتعاظ الحنفا والدرة المضية وابن الأثير وابن خلدون وخطط
المقرئزي والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٦٦ وغيرها .

العتيق ، وسار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه بحى على خير العمل وهو أول ما أذن ؛ ثم أذن بعده بالجامع العتيق وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم . ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة وسير عسكرياً إلى دمشق وغزاها فملكها] . ووصلت البشارة إلى مولاه المعز بأخذ البلاد وهو بإفريقية في نصف شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، ويدعوه إلى المسير إليه ، ففرح فرحاً شديداً ، ومدحه الشعراء فمن ذلك محمد بن هانئ الأندلسي من قصيدة :

يقول بنو العباس قد فتحت مصرُ فقل لبني العباس قد قضى الأمرُ
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصرُ

وأقام بها حتى وصل إليه مولاه المعز وهو نافذ الأمر ، واستمر على علو منزلته وارتفاع درجته متولياً للأمر إلى يوم الجمعة سابع عشر المحرم سنة أربع وستين ، فعزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها ، وكان محسناً إلى الناس ، إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وكادت وفاته بمصر ، ولم يبق بها شاعر إلا رثاه وذكر مآثره .

وكان سبب إنفاذ مولاه المعز له إلى مصر أن كافوراً الإخشيدى الخادم - الآتي ذكره في حرف الكاف - لما توفي استقرَّ الرأيُ بين أهل الدولة أن تكون الولاية لأحمد بن علي بن الإخشيد ، وكان صغير السن ، على أن يخلفه ابن عم أبيه أبو محمد الحسين بن عبد الله بن طغُج ، وعلى أن تدبير الرجال والجيش إلى شمول الإخشيدى ، وتدبير الأموال إلى أبي الفضل جعفر بن الفرات الوزير ، وذلك يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، ودُعِيَ أحمد بن علي بن الإخشيد على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرمين ، وبعده للحسين بن عبد الله ، ثم إن الجند اضطربوا لقلّة الأموال وعدم الإنفاق فيهم - كما ذكرناه في ترجمة جعفر بن الفرات المقدم ذكره - فكتب جماعةٌ من وجوههم إلى المعز بإفريقية يطلبون منه إنفاذ العساكر ليسلموا له مصر ، فأمر القائد

جوهراً المذكور بالتجهز إلى الديار المصرية ، واتسَّقَ أن جوهراً مرضاً مرضاً شديداً أيس منه فيه ، وعاده مولاه المعز فقال : هذا لا يموت ، وستفتح مصر على يديه ، واتفق إبلاؤه من المرض ، وقد جهز له كل ما يحتاج إليه من المال والسلاح والرجال ، فبرزَ بالعساكر في موضع يقال له الرقادة ومعه أكثر من مائة ألف فارس ، ومعه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال ، وكان المعز يخرج إليه كل يوم ويخْلُو به ويوصيه ، ثم تقدم إليه بالمسير وخرج لوداعه ، فوقف جوهراً بين يديه والمعز متكئاً على فرسه يحدثه سرّاً زماناً ، ثم قال لأولاده : انزلوا لوداعه ، فنزلوا عن خيولهم ، ونزل أهل الدولة لنزولهم ، ثم قَبِلَ جوهراً يدَ المعز وحافر فرسه ، فقال له : اركب ، فركب وسار بالعساكر ، ولما رجع المعز إلى قصره أنفذ لجوهراً ملبوسه وكلّ ما كان عليه سوى خاتمه وسراويله ، وكتب المعز إلى عبده أفلح صاحب بَرَقَةَ أن يترجّل للقائد جوهراً ويُقبّل يده عند لثمائه ، فبَدَلَ أفلح مائة ألف دينار على أن يُعفى من ذلك ، فلم يُعفَ ، وفعل ما أمر به عند لثمائه لجوهراً .

ووصل الخبر إلى مصر بوصولهم ، فاضطرب أهلها ، واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات على المراسلة في الصلح وطلب الأمان وتقرير أملاك أهل البلد عليهم ، وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني أن يكون سفيرهم فأجابهم ، وشرط أن يكون معه جماعة من أهل البلد ، وكتب الوزير معهم أيضاً بما يريد ، وتوجهوا نحو القائد جوهراً يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وكان جوهراً قد نزل في تَرُوجَةَ - وهي قرية بالقرب من الاسكندرية - فوصل إليه الشريف بمن معه وأدى إليه الرسالة ، فأجابه إلى ما التمسوه ، وكتب له جوهراً عهداً بما طلبوه ، واضطرب البلد اضطراباً شديداً ، وأخذت الإخشيدية والكافورية وجماعة من العسكر الأهبةَ للقتال ، وسترُوا ما في دورهم وأخرجوا مضاربهم ورجعوا عن الصلح ، وبلغ ذلك جوهراً فرحل إليهم ، وكان الشريف قد وصل بالعهد والأمان في سابع شعبان ، فركب إليه الوزير والناس واجتمع عنده الجند فقرأ عليهم العهد ، وأوصل إلى كل واحد جوابَ كتابه بما أراد من الإقطاع

والمال والولاية، وأوصل إلى الوزير جواب كتابه وقد خوطب فيه بالوزير، فجرى فصل طويل في المشاجرة والامتناع، وتفرقوا عن غير رضى، وقدموا عليهم نحريراً الشوبزاني^١، وسلموا عليه بالإمارة، وتهبأوا للقتال، وساروا بالعساكر نحو الجزيرة ونزلوا بها وحفظوا الجسور.

ووصل القائد جوهر إلى الجزيرة^٢، وابتدىء بالقتال في الحادي عشر من شعبان، وأسرت رجال وأخذت خيل، ومضى جوهر إلى منية الصيادين، وأخذ المخاضة بمنية شلقان^٣، واستأمن إلى جوهر جماعة من العسكر في المراكب وجعل أهل مصر على المخاضة من يحفظها، فلما رأى ذلك جوهر قال لجعفر بن فلاح: لهذا اليوم أراذك المعز، فعبر عرياناً في سراويل وهو في مركب ومعه الرجال خوفاً حتى خرجوا إليهم، ووقع القتال، فقتل خلق كثير من الإخشيدية وأتباعهم، وانهمزت الجماعة في الليل، ودخلوا مصر وأخذوا من دورهم ما قدروا عليه وانهمزوا وخرج حرمهم مشاةً ودخلن على الشريف أبي جعفر في مكاتبه القائد باعادة الأمان، فكتب إليه يهنئه بالفتح ويسأله إعادة الأمان، وجلس الناس عنده ينتظرون الجواب، فعاد إليه بأمانهم، وحضر رسوله ومعه بند أبيض وطاف على الناس يؤمنهم ويمنع من النهب، فهدأ البلد وفتحت الأسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة.

فلما كان آخر النهار ورد رسوله إلى أبي جعفر بأن تعمل على لتأني يوم الثلاثاء تسبع عشرة ليلة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء ووجوه البلد، فانصرفوا متأهبين لذلك، ثم خرجوا ومعهم الوزير جعفر وجماعة الأعيان إلى الجزيرة، والتقوا بالقائد، ونادى مناد: ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير، فنزلوا وسلموا عليه واحداً واحداً، والوزير عن شماله والشريف عن يمينه، ولما

١ هـ : الشوبزاني .

٢ د هـ : الجزيرة .

٣ أ : شلقان .

٤ د : حريمهم .

٥ ب : وسأله .

٦ هـ : وبياض البلد .

فرغوا من السلام ابتدأوا في دخول البلد ، فدخلوا من زوال الشمس وعليهم السلاح والعُدَد ، ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه ، وعليه ثوب ديباج مثقل ، وتحته فرس أصفراً ، وشقّ مصر ، ونزل في مناخه موضع القاهرة اليوم ، واختط موضع القاهرة .

ولما أصبح المصريون حضروا إلى القائد للهنا ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل ، وكان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه ، ثم قال : حُفِرَت في ساعة سعيدة فلا أغيرها ، وأقام عسكره يدخل إلى البلد سبعة أيام أولها الثلاثاء المذكور ، وبادر جوهر بالكتاب إلى مولاه المعز يبشره بالفتح وأنفذ إليه رؤوس القتلى في الواقعة ، وقطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية ، وكذلك اسمهم من على السكة ، وعَوَّضَ عن ذلك باسم مولاه المعز ، وأزال الشعار الأسود ، وألبس الخطباء الثياب البيض ، وجعل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء .

وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب^٢ الخطبة « اللهم صلّ على محمد المصطفى ، وعلى عليّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتُّول ، وعلى الحسن والحسين سِبْطَيْ الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين » .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر^٣ ربيع الآخر سنة تسع وخمسين صلى القائد في جامع ابن طولون بعسكر كثير ، وخطب عبدُ السميع بن عمر العباسي الخطيب ، وذكر أهل البيت وفضائلهم ، رضي الله عنهم ، ودعا للقائد ، وجهرَ القراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة ، وأذن بحَيّ على خير العمل وهو أول من أذن به بمصر ، ثم أذن به في سائر المساجد ، وقنّت الخطيب في صلاة الجمعة .

وفي جمادى الأولى من السنة أدّنوا في جامع مصر العتيق بحَيّ على خير العمل

١ د : أشقر .

٢ أ : بعد ؛ د : عقب .

٣ د ه : ثامن شهر .

وسُرَّ القائد جوهر بذلك ، وكتب إلى المعز وبشَّرَه بذلك ، ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه وقال : ليس هذا رسم موالينا .
وشرع في عمارة الجامع بالقاهرة ، وفرغ من بنائه^١ في السابع^٢ من شهر رمضان سنة إحدى وستين ، وجمَعَ فيه الجمعة .
قلت : وأظن هذا الجامع هو المعروف بالأزهر بالقرب من باب البرقية ، بينه وبين باب النصر ، فإن الجامع الآخر بالقاهرة المجاور لباب النصر مشهور بالحاكم الآتي ذكره .

وأقام جوهر مستقلاً^٣ بتدبير مملكة مصر قبل وصول مولاه المعز إليها أربع سنين وعشرين يوماً ، ولما وصل المعز إلى القاهرة - كما هو في ترجمته - خرج جوهر من القصر إلى لقائه ، ولم يخرج معه شيئاً من آلته سوى ما كان عليه من الثياب ، ثم لم يعد إليه ، ونزل في داره بالقاهرة ، وسيأتي أيضاً طرف من خبره في ترجمة مولاه المعز ، إن شاء الله تعالى .

وكان ولده الحسين قائد القواد للحاكم صاحب مصر ، وكان قد خاف على نفسه من الحاكم ، فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن النعمان ، وكان زوج أخته ، فأرسل الحاكم مَنْ رَدَّهم وطَيَّبَ قلوبهم وأنسهم مدة مديدة ، ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة ، فتقدم الحاكم إلى راشد الحقيقي^٤ - وكان سيف النقرة - فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك ، وقتلوا الحسين [وولده] وصهره القاضي ، وأحضروا رأسها إلى بين يدي الحاكم ، وكان قتلهم في سنة إحدى وأربعمائة ، رحمهم الله تعالى ، وقد تقدم خبر الحسين في ترجمة بَرَجَوَان .

١ أ : بنيانه .

٢ أ هـ : في السابع عشر .

٣ ب هـ : مستقراً .

٤ ج : الحنفي .

جهار كس الصلاحي

أبو المنصور جيهار كس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين ؛ كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة ، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعاً معلقاً ؛ وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستائة بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية ، وترتبه مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى .

وجيهار كس - بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة - ومعناه بالعربي أربعة أنفس ، وهو لفظ عجمي معربه « أستار » والأستار أربع أواق ، وهو معروف به .

مباحثات

أ - زيادات نسخة د عند وستنفيلد

فيما يلي الزيادات التي ألحقها وستنفيلد بطبعته لوفيات الأعيان أخذاً عن نسخة د عنده ، وأرقامها المتسلسلة هنا هي أرقامها في متن هذا المجلد في المواضع المبينة صفحاتها في رأس كل زيادة . وقد وافقت هذه النسخة في بعض زياداتها غيرها من نسخ هذا الكتاب ، فأشرنا إلى ذلك في الحاشية .

(١)*

(ترجمة إبراهيم بن المهدي ، رقم : ٩ ، ص : ٤٠ ، س : ٦)

فقلد إبراهيم على بلاد الكوفة والسواد وخطب له على المنابر ونزل بعساكره على مدائن كسرى ثم رجع إلى بغداد وأقام بها والحسن بن سهل مقيم في حدود واسط خليفة عن المأمون والمأمون إذ ذاك ببلاد خراسان مقيم ؛ ولم يزل إبراهيم ابن المهدي مقيماً ببغداد على أمره يدعى بأمر المؤمنين ويخطب له على منابر العراق إلى أن وصل المأمون من خراسان متوجهاً إلى العراق ، وقد توفي علي ابن موسى الرضا ، فلما أشرف المأمون من العراق وقرب من بغداد ضعف إبراهيم ، وقصرت يده عن بذل الأموال ، وتفرق الناس عنه ، ولم يزل على ذلك إلى أن صلى عيد الأضحى من سنة ٢٠٣ ثم عاد من الصلاة إلى قصر الرصافة وأطعم الناس طعام العيد ومضى من يومه إلى داره إلى آخر النهار ، ثم خرج منها ليلاً فاستتر وانتقض أمره ، وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام .

(٢) *

(ترجمة إبراهيم بن المهدي ، رقم : ٩ ، ص : ٤١ ، س : ٩)

وكان المأمون لما دخل بغداد اختفى عمه [إبراهيم] المذكور والفضل بن الربيع فجد المأمون في طلبها ، فأما إبراهيم فإنه أخذ لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٢١٠ ليلاً وهو منتقب بين امرأتين في زي امرأة ، أخذه حارس فدفع إليه إبراهيم من اصبعه خاتماً له قدر عظيم ، فلما رأى الحارس الخاتم وعليه فص ياقوت استراب بالنسوة وحسر عن وجه إبراهيم فرأى لحيته فرفعه إلى صاحب الجسر وحمل إلى دار المأمون فأمر أن يقعد على هيئته إلى غد ليراه بنو هاشم والقواد والجند ، وصيروا المقنعة التي كان منتقياً بها في عنقه والملحفة في صدره ليراه الناس كيف أخذ ثم حوّل إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبس عنده وبقي إلى أن دخل المأمون ببوران بقم الصلح فأمر بحمل إبراهيم [بن المهدي] خلفه ، فلما كان في الليلة التي دخل المأمون على بوران فيها وجلس المأمون معها يحادثها ومها على حصير ذهب ، نثرت جدتها عليها ألف درّة كبار كانت في صينية ذهب ، فتناثر الدر على الحصير فلما رآه المأمون قال : قاتل الله أبا نواس كأنه حاضر هذا [المجلس] في قوله :

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء دُرٍّ على أرض من الذهب

فأمر المأمون يجمعه فجمع ووضع في حجرها وقال لها : هذه نخلتك فسلي حاجتك ، فأمسكت فقالت لها جدتها : كلمي سيدك ومولاك وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته الرضى عن إبراهيم المذكور ، فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأم جعفر زبيدة أم الأمين في الحج فأذن لها ، فلما كان من الغد دعا إبراهيم فلما دخل عليه قال : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين وليّ الثأر

١ وردت هذه الزيادة أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٦ - ٧ ب وما وضع بين معقنين فيها هو إضافة من هذه النسخة على نسخة د .

محكم في القصاص والعتو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك ، قال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبر وسجد ورفع رأسه قائلاً يدح المأمون :

يا خير من زملت إليه مطية بعد الرسول لآيس ولطامع
من جملتها :

فعفوت عن من لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحت أطفالاً كأفراخ القطا وعويل عانسة كقوس النازع
الله يعلم ما أقول فإنها جهد الألية من حنيف راكع
ما إن عصيتك والغواة تمدني أسباها إلا بنية طابع
[ان الذي قسم الخلافة حازها في صلب آدم للامام السابع]

فذكر أن المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة : أقول كما قال يوسف لإخوته ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . وقيل إن المأمون استشار أصحابه في إبراهيم [بن المهدي] فأشار كل واحد بما حضره فأقبل على الحسن بن سهل فقال له : ما تقول أنت ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن عاقبت فلك نظير وإن صفحت فلا نظير لك ، فعفا عنه .

وكان المأمون أرسل إلى شكلة أم إبراهيم يتوعدها [بالقتل] فأرسلت إليه : اني من أمهاتك فإن كان ابني عصى الله فيك فلا تعصه في .

وأما الفضل بن الربيع فسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته في حرف الفاء . وكان إبراهيم المذكور قد ترك الغناء آخر عمره وذلك أنه قال : كنت يوماً عند الرشيد في مجلس خلوة لم يحضره إلا جعفر بن يحيى البرمكي فبكى فقلت : يا أمير المؤمنين لا أبكى الله عينك ، فقال : أنت أبكيتني يا إبراهيم لأنك مع كمالك وأدبك ومعرفتك قد اشتهرت بالغناء واخترته ولزمته حتى عطلت ما يسمو إليه مثلك وكأني بك غداً وقد ملك بعض ولد أخيك فأمرك ونهاك وامتهنك في الغناء وإنما امتهن المهدي بك ؛ قال : فلما كان في أيام المعتصم

حضر يوماً منها مجلسه وكان الإفشين حاضراً ، فلما أرادوا الانصراف قال الإفشين : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك تطوّل على عبدك بالتقدم إلى الندماء أن يكونوا غداً عندي ، فأمرهم المعتمم بالمسير إليه ، فقال : ويحييني سيدي إبراهيم ، قال : يا عم أجه ، فصار إليه إبراهيم من غد وبكر عليه الندماء جميعاً فسر وشرب حتى سكر وكان طاغياً شديد العريضة لجوجاً فلما عمل فيه السكر قال : يا إبراهيم غني صوتك الذي فيه مو مو ، قال : لا أعرف هذا الصوت ، قال : تغني والله أبداً كل شيء تحسنه حتى يمر هذا الصوت ، قال : فغنى أصواتاً كثيرة وإلى بينها والإفشين ساكت ضارب بذقنه على صدره ، ثم خطر ببال إبراهيم قول الرشيد وبكاؤه وإشفاقه عليه فغنى متفجعاً لذكوره :

لم ألقَ بعدهمُ قوماً فأخبرهم ألا يزيدهمُ حباً إلي همُ

فرفع الإفشين رأسه وقال : هو هو ، فقال إبراهيم : أما إنك لا تدري ما استخرجه ، وانصرف فقطع الغناء وأهله ولم يتغن بقية أيامه حتى اعتل العلة التي توفي فيها ؛ فإنه لما ثقل دعا المعتمم صالح بن الرشيد فقال : صر إلى عمي فقد بلغني أنه أصبح عليلاً فأحضره وانصرف إليّ بخبره ، قال : فصرت إليه فإذا هو شديد العلة فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال : صر إلى الحجره فاخلع سيفك وسوادك وعد إلى آنس بك ساعة ، ففعلت ، ودعا خادماً من خدمه فأمره أن يحضر طعاماً فأكلت وهو ينظر إليّ وأتبين الأسف في عينيه ، ثم دعا لي بأرطال مطبوخ عجيب فشربت ، ثم قال : يا غلام ادع بنعمة وخيزرانة ، وكانت نعمة تغني وخيزرانة تضرب ، فجاءت فأمر هذه فضربت وهذه فغنت ثم قال : أسندي ، فأسندناه فأمر خيزرانة فحطت من طبقتها ثم اندفع يغني :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حال بعد حال
من رأنا فليوطنن أنفسه إنه منها على قرب زوال

قال : فاستوفاه ، فما سمعت قط شيئاً أحسن من غنائه فيه ، ثم قال : بأبي أنت أزيدك ؟ قلت : ما أريد أن أشقّ عليك مع ما أراه من حالك فليتنى

كنت فداك ، فقال : دعني أودع نفسي ، وتغنى :

يا منزلاً لم تبلَ أطلاله حاشا لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلى

فبكيت لطيب غنائه وشربت أرطالاً ومسال على جنبه ونهضت فلبست
سوادبي ، فما خرجت من الحجره حتى سمعت الصراخَ عليه فصرت إلى المعتم
فأخبرته الخبر على وجهه فاسترجع وبكى وتفجع .

(٣)*

(ترجمة إبراهيم النديم الموصلي ، رقم : ١٠ ، ص : ٤٢ ، س : ١٧)

سأله يوماً المعتم عن معرفة النعم كيف يميز بينها على تشابهها واختلافها
فقال : يا أمير المؤمنين إن من الأشياء ما يحيط به العلم ولا تؤديه الصفة ، وكان
يقول : حق الصوت الحسن أن يرد أربع مرات فالأولى بديهة والثانية للتفخيم
والثالثة للفرح والرابعة للتشبع

قال إبراهيم النديم : ولما أردنا الانصراف ليلة عن المأمون التفت إلى إبراهيم
ابن المهدي المذكور قبله فقال : بحقي عليك يا عم لما صنعت أبياتاً وصنعت عليها
لحناً ، ثم قال لي مثل ذلك وقال : بكّرتا علي فقد اشتبهت الصبوح غداً ، قال
[أبو] إسحاق : فقلت والله لأكيدن إبراهيم ولأسرقنته ، فلما صليت العشاء الآخرة
ركبت وصرت إلى ساباط إبراهيم كان له عليه مجلس يقعد فيه فدعوت الحارس
فأعطيته ديناراً وقلت له : لا تعلم أحداً بمكاني ، وصرفت غلامي وأمرته أن
يأتيني بدابتي سحرراً فلم ألبث أن جاء إبراهيم فجلس في مجلسه ذلك ودعا جواريه
وجعل يلقنهن الشعر وقد صاغ عليه اللحن فهو يضرب بالعود وأنا أضرب على

١ من هنا وحتى نهاية هذا الخبر ، اشتركت نسخة د مع نسخة آيا صوفيا : ٨ ب - ٩ أ في هذه
الزيادة ، وما وضع بين معقنين فيها هو إضافات ضرورية من نسخة آيا صوفيا على نسخة د .

فخذي إيقاع الصوت حتى أخذته وأحكمته ، فلما كان السحر آتاني غلامي بدابتي
فصرت من فوري إلى باب المأمون فقال لي أحمد بن هشام : بكرت ، ثم دخل
فأعلمه فأذن لي فدخلت على المأمون فقال : أكلت ؟ فقلت : لا ، فدعا لي بالطعام ،
وقد كان أكل وشرب ، فغنيمته بشعر إبراهيم ولحنه وهو :

قالت نظرتَ إلى غيري فقلت لها وماء دمعي من عينيَّ محدودُ
نفسي فداؤك طرف العين مشترك والقلب مني عليك الدهر مقصور
العين تنظر أحياناً وباطنه مما يقاسي بظهر الغيب مستور

فطرب المأمون عليه وشرب ، فيما لبثنا ساعة واحدة حتى استؤذن لإبراهيم
ابن المهدي فأذن له فدخل فدعا له بالطعام وسقي ثم جلس فغنى هذا الشعر في
هذا اللحن فقال المأمون : يا هذا أراك تسرق أشعار الناس وتدعيها لنفسك ،
واحمرت عيناه وغضب غضباً شديداً وكاد يسطو بإبراهيم ، فقام إبراهيم على قدميه
وقال : وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعتك في عنقي ما سبقني
إليه أحد ، فقال المأمون : هذا [أبو] إسحاق بعينه ، وقال : يا أبا إسحاق غنه ،
فغنيمته فبقي إبراهيم مبهوتاً لا يحير جواباً ، فلما رأيت المأمون على تلك الحال
قلت : يا أمير المؤمنين الشعر واللحن له ولكن سرقة منه اللصوص ، وحدثته
الحديث فسكن حينئذ وقال : يا أحمد بن هشام خذ من مال إبراهيم ثلاثين ألف
درهم وادفعها إلى [أبي] إسحاق لتضييع إبراهيم سره ، فعدوت على إبراهيم فقلت :
أيها الأمير اقبلها مني ، واعتذرت إليه فقال : لا أقبل منك ما جاد به أمير
المؤمنين لكن كدت والله يسفك دمي يا أبا إسحاق فلا تعد في المزاح إلى مثلها
فإن الملوك تعفو عن الكثير وتقتل في اليسير .

(٤)*

(ترجمة إبراهيم الصولي ، رقم : ١١ ، ص : ٤٤ ، س : ٥)^١

ومن رقيق شعره قوله بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر
ارتجالاً :

صدّ عنّي وصدّق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذّالا
أتراه يَكُونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فطرب المتوكل واهتز ووصله وخلع عليه وحمله وجدّده ولاية ؛ وهل في
التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ؟ وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير
المعتصم صديقاً لإبراهيم المذكور فلما ولي الوزارة صادره بألف ألف وخمسمائة
ألف درهم فتمال الصولي : وكنت أخي ... (الأبيات) ؛ وله فيه أيضاً :

كن كيف شيتَ وقل ما تشا وابرُقْ يميناً وارعدْ شمالا
نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن يُنالا

ولعمري لقد بالغ فيه ؛ [وكان يقول : الخبز ليومه والطبيخ لساعته
والنبيذ لسنته]^٢ .

ومن تغزل إبراهيم المذكور قوله :

أراك فلا أردُّ الطرفَ كيلا يكونَ حجابَ رؤيتك الجفونُ
ولوآني نظرتُ بكلِّ عينٍ لما استقصتُ محاسنك العيونُ

ومن شعره أيضاً :

دنت بأناس (البيتين)

١ اشتركت في هذه الزيادة نسختا د وآيا صوفيا (٩ ب) مع بعض الاختلاف في النص والترتيب .

٢ ما بين معقنين سقط من د وثبت في نسخة آيا صوفيا .

(٥)*

(ترجمة الصابيء ، رقم : ١٥ ، ص : ٥٢ ، س : ١٦)

حضر يوماً مائدة المهلي فامتنع من أكل باقلا عليها لأنه محرم على الصابئة
كيفما كان مع السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال
له المهلي : يا أبا إسحاق لا تتبرد وكل من هذا الباقلا ، فقال : أيها الوزير لا
أريد أن أعصي الله في ما كره ، فاستحسن ذلك منه .

وكان الصاحب يحبه أشد المحبة ويتعصب له ويتعمده على بعد الدار بالمنح ؛
وله رسائل وقصائد كثيرة إليه وفيه . ومن عنوان طبقته قوله يذم شخصاً :
هو أخفض قدراً ومكانة ، وأظهر عجزاً ومهانة ، من أن تستقل به قدم في
مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابدتنا ، وهو في نشوزه عنا وطلبتنا إياه
كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلمة المردودة .

وله^٢ إلى بعض الوزراء وقد أهدى إليه دواة ومرفعاً : قد خدمت مجلس
سيدنا بدواة تداوي مرض عفاته ، وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن
بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .
ما أخرج من شعره في الغزل من ذلك قوله :

توردَ دمعِي إذ جرى ومُدّامتي فمَن مثل ما في الكأسِ عينيَ تسكبُ
فوالله لا أدري ابِالْخمرِ أسبَلتُ جفونيَ أم من عبرتي كنتُ أشربُ

وقوله :

أقولُ وقد جرّدتها من ثيابها وعانقتها كالبدنِ في ليلة التَمِّ
وقد آلمتْ صدري بشِدّة ضمها لقد جبرتْ قلبي وإن أوهنتْ عظمي

١ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً ، مع اختلاف يسير في النص .

(٦)*

(ترجمة الصابيء ، رقم : ١٥ ، ص : ٥٣ ، س : ١٣)

وكتب إلى عضد الدولة يوم مهرجان مع إصطراب أهداه إليه :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى
لم يرض بالأرض مهداة^٢ إليك فقد
وقوله في مدخنة :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها
تناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها
إذا استودعت سرّاً من الطيب مجلاً
يُحرق فيها الندّ عوداً وبدأةً

متيِّمة^١ تشكو من الحبّ تبريحاً
وتجهله الأذن السميعة إذ يوحى
أشاعته تفصيلاً وأفشته مشروحا
فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً

ومما يقارب ذلك ما حكى ابن السنبلي : بعث إلى صديق له ورداً وقرابه
ليستقطر ماءه وكتب معه :

يا سيداً أصبحت خلانقه
بعثتُ ورداً حياً إليك عسى
كلروض ريح الصبّا تدمته
تقبض لي روحه وتبعثه

١ وردت هذه الأبيات الثلاثة في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً ، والبيت الأول فيها :

أهدى إليك بنو الآمال واحتشدوا في مهرجان عظيم أنت تعليه

٢ آيا صوفيا : يهديا .

(٧)

(ترجمة الحصري ، رقم : ١٦ ، ص : ٥٤ ، س : ١٥)

[وذكره أبو الحسن علي بن بسام في كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وحكى شيئاً من أخباره وأحواله وأنشد جملة من أشعاره ، فمن ذلك ما حكاه أبو صفوان] العتكي قال : كان أبو إسحاق الحصري كلفاً بالمعذرين ، وهو القائل :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسكٍ تستمدُّ خلوقا
قرنوا البنفسجَ بالشقيق ونظّموا تحت الزبرجدِ لؤلؤاً وعميقا

[قال :] وكان يختلف إليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينما هو^٢ يوماً والحصري جالس عنده وقد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام [كما قيل] :

في صورةٍ كملتُ تحالُ بأنها بدرُ السماء لستةٍ وثمانِ
يُعشي العيونَ ضياؤها فكانه شمسُ الضحى تعشى بها العينانِ

فقال له الشيخ : يا أبا إسحاق ما تقول فيمن هام بهذا الغلام وصبا بهذا الحد؟ فقال له الحصري : الهيان والله به في غاية الظرف ، والصبوة إليه من تمام اللطف ، لا سيما إذ شاب كافور خده هذا المسك الفتيت ، وهجم على صبحه هذا الليل البهيم ، ووالله ما خلت سواده في بياضه إلا بياض الإيمان في سواد الكفر ، أو غيب الظلماء في منير الفجر ؛ فقال : صفه يا حصري ، فقلت : من ملك رق القول حتى انقادت له صعابه ، وذل له جموحه وسطع له شهابه ، أقعد مني بذلك ، فقال : صفه فإني مُعملٌ فكري فيه ، ثم أطرقا لحظة فقال الحصري :

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (١٢ - أ - ١٢ ب) في هذه الزيادة ، وما وضع بين معقفين فيها هو إضافة من نسخة آيا صوفيا على نسخة د .
٢ أي الشيخ الذي يجالسه .

أورد قلبي الردى لام عذار بدا
أسود كالكفر في أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ : أترآك اطلعت على ضميري أم خضتَ بين جوانحي وزفيري ؟
فقال له : ولم ذاك أيها الشيخ ؟ قال : لأنني قلت :

حرك قلبي وطار صولج لام العذار أسود كالليل في أبيض مثل النهار

(٨)*

(ترجمة ابن خفاجة ، رقم : ١٧ ، ص : ٥٦ ، س : ١٤)

وله من أبيات يخاطب أبا بكر بن الحاج :

وما صدتِ الحسنة عنك زهادةً ولكن زهاها أنها تتعشقُ
فظلت تجرُّ الذيل تيهًا وإنها لأغلق رهناً في هواك وأغلق
وإلا فما للقطرِ قد فاض عبرةً هناك وما للرعدِ قد باتَ يشق
فدونكها حسنة ، لا أن بعلمها قلاها ولكن ربَّ حسنا تطلتُ

ومن شعره أيضاً :

وربَّ ليالٍ بالغيم أرقتهما لمرضى جفونٍ بالفراتِ نيامٍ
يطولُ عليَّ الليل يا أمَّ مالك وكل ليالي الصبِّ ليسل تمامٍ

وله أيضاً :

تلاقى نسيبي في هواها وأدمعي فمن لؤلؤ نظمٍ ومن لؤلؤ نسرٍ
وقد خلعت ليلاً علينا يدُ الهوى رداء عناقٍ مزقته يدُ الفجرِ

١ اشتركت نسخة آيا صوفيا (١٣ أ و ١٣ ب) مع نسخة دي في هذه الزيادة ، مع اختلاف يسير في ترتيب المقطوعات .

* (٩)

(ترجمة إبراهيم الغزي الشاعر ، رقم : ١٨ ، ص : ٥٩ ، س : ١)

وله أيضاً :

تسمّى بأسماء الشهور فكفّهُ جمادى وما ضمّت عليه المحرم

وله أيضاً :

أَمِطْ عن الدررِ الزهرِ اليواقيتا واجعل لحجّ تلاقيننا موافيتنا
فتغرك اللؤلؤ المبيضُ لا الحجرِ المسودّ لائمه يطوي السباريتنا
والثمّ يجحفُ بالملثوم كثرته حاشا ثناياك من وصم وحوشيتنا
وفتيةٍ من كماءِ الترك ما تركت للرعْد كراتهم صوتاً ولا صيتنا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتنا
العلم يُوتى ولا يأتي وليس لمن يفتابني فيه إلا أنه يوتى

* (١٠)

(ترجمة المروروذي ، رقم : ٢٣ ، ص : ٦٩ ، س : ٨)

حكى^٢ أبو حامد المذكور قال : وقف سائل من هؤلاء الأنكاد علينا في
جامع البصرة وفي المجلس جماعة فسأل وألح ، فقلت له [وقد ضجرت] : يا هذا
نزلت بواد غير ذي زرع ، فقال : صدقت ولكن تجبى إليه ثمرات كل شيء ،
فضحكت منه الجماعة ووصلته بشيء .

ومثل هذه النادرة ما أخبرني الفقيه أمين الدين ابن الفقيه نصر رحمه الله

١ ورد هذا البيت والبيت الذي قبله في نسخة آيا صوفيا : ١٤ ب أيضاً .
٢ اشتركت نسخة آيا صوفيا (١٦ ب) مع نسخة د في هذا الخبر ، وما بين معقنين فيه زيادة من
آيا صوفيا (وانظر الإمتاع ٣ : ١٠٠) .

تعالى وهو يومئذ [شاب] وصاحب ديوان الأحباس يكتب أسماءهم يستعدّ بهم
 المضيّ للحاق بالمقام السلطاني في مهمّ ، فاعتذر رجلٌ منهم فخطّ على اسمه
 وكتب غيره ، فقام رجل آخر ليعتذر فقال: الملوكة كما قال الله تعالى : ﴿ إن
 بيوتنا عورة ﴾ فقال له الفقيه أمين الدين المذكور : صلّ ، يشير إلى بقية الآية
 وهي قوله : ﴿ وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ فضحك البرهانُ ضحكاً
 شديداً وقال : لا أجمع عليك بين تندير الفقيه وبين تكليفك للمجيء ، ثم خطّ
 على اسمه وكتب غيره ...

(١١)*

(ترجمة ابن أبي دواد ، رقم : ٣٢ ، ص : ٨٣ ، س : ١٢)¹

حكى أبو مالك جرير بن أحمد بن أبي دواد قال : قال الواثق يوماً لأبي
 تضرجراً بكثرة حوائجه : يا أحمد قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك للآئدين
 بك والمتوسلين إليك ، فقال : يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر
 أجرها مكتوبة لك ، وما لي من ذلك إلا عشق اتّصال الأنسِ بعلو المدح فيك ،
 فقال: يا أبا عبد الله ، لا منعناك ما يزيد في عشقك ويقوّي من همتك فينا ولنا.
 ومثل هذا حكى الثعالبي عن إبراهيم بن السندي قال : قلت في أيام ولايتي
 الكوفة لرجل من وجوهها كان لا يخفّ كدّه ولا يخفّ قلمه ولا تستريح حركته
 في طلب حوائج الناس وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان وجيهاً ذا مروءة
 وفصاحة : خبرني عن الشيء الذي هوّن عليك هذا المنصب وقوّاك على تكاليف
 النصب ما هو ؟ فقال : قد والله سمعت تغريد الأطيّار بالأسحار وأصوات
 القيان فما طربت قط كطربي من ثناء حسن من رجل محسن ، قلت : لله درك
 والله أنت قد حُشيت مروءة وكرماً .

وقال أبو العيّن : ما رأيتُ أفصحَ لساناً ولا أصوبَ رأياً ولا أحضرَ حجةً من

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (١٩ أ - ١٩ ب) في هذه الزيادة .

ابن أبي دؤاد؛ قال له الواثق: رُفِعَتُ فيك رقعة فيها كيت وكيت، فقال: ليس بعجيب أن أحسد بمنزلي من أمير المؤمنين فيكذب علي؛ قال: وزعموا أنك ولّيت القضاء رجلاً أعمى، قال: بلغني أنه إنما عمي على بكائه على أمير المؤمنين المعتمد فحفظت ذلك له وأمرته أن يستخلف؛ قال: وفيها أنك أعطيت شاعراً ألفَ دينار، قال: كان دون ذلك، وقد أتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقال في آخر: اقطعوا لسانه عني، وهذا شاعر طائئ مصيب محسن لو لم أَدع له إلا قوله فيك للمعتمد:

فأشددُ بهارون الخِلافةَ إنه سكنُ لوحشتها ودارُ قرار
ولقد علمت بأن ذلك معصمٌ ما كنت تتركه بغير سوار

فقال الواثق: قد وصلتهُ بخمسةِ دینار .

وقيل إنه دخل على الواثق بعدما حصل له الأمر فقال: ما زال قوم اليوم في ثلبك ونقصك يا أحمد، قال فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿ لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴿ فالله وليُّ جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ﴾، وما ضاع أمر أذت حافظه ولا ذل من كنت ناصره، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت يا [أبا] عبد الله:

وسعى إليَّ بعب عزة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها

(١٢)*

(ترجمة أبي العلاء المعري، رقم: ٤٧، ص: ١١٤، س: ٢١)

وله في الشمعة:

وصفراء مثلي في هواها جليدة على نوب الأيام والعسف والضنك
تريك ابتساماً دائماً وتهللاً وصبراً على ما نالها وهي في الهلك

١ ورد هذا البيت والبيتان اللذان بعده في نسخة آيا صوفيا: ٢٦ أ أيضاً.

فلو نطقت يوماً لقات أظنكم تخالون أني من حذار الردي أبكي
فلا تعجبوا من ضحكها وابتسامها فقد تدمع العينان من كثرة الضحك
وله أيضاً :

لك الحمد أمواه البلاد كثيرة عذاب وخصصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش ساف بأنفه الخزامى وأنف العود بالعود يخزم

ويقتصر من شعره على هذا القدر ؛ وكان قد رثى الشريف أبا أحمد الموسوي
الملقب بالطاهر وعزى ولديه أبا الحسن الملقب بالمرتضى [وأخاه الرضي]
بقصيدة فائئة فأجاد فيها

(١٣)*

(ترجمة ابن شهيد ، رقم : ٤٨ ، ص : ١١٧ ، س : ١)

[وذكره ابن بسام في كتابه « الذخيرة » وبالغ في الثناء عليه وأورد له
طرفاً وافراً من الرسائل والنظم والوقائع ، فمن ذلك ما حكاه قال]^١ :
كان المنصور قد عزم على الانفراد بالحرم وأمر بإحضار من جرى رسمه
في مثل ذلك اليوم من الوزراء والندماء ، وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس
كان به وأخذوا في شأنهم فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره ،
وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى
انتهى الدور إلى ابن شهيد ، فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عياش فجعل يرقص
وهو متوكيء عليه ويرتجل ويومئ إلى المنصور وقد غلبه السكر :

هاك شيخ قاده عذر لكا قام في رقصته مستمسكا
عاقه عن هزها منفرداً نقرس أخنى عليه فاتكا

١ هذا الخبر الذي جاءت به نسختنا د وآيا صوفيا ، لا يتصل بالترجم به وإنما يروى عن أبيه ،
فان أبا عامر صاحب الترجمة لم يدرك عهد المنصور بن أبي عامر ؛ وما بين معقنين إضافة من
نسخة آيا صوفيا ، وقد سقط من د .

أنا لو كنت كما تعرفني قمت إجلالاً على رأسي لكا
قمقه الإبريق مني ضحكاً ورأى رعشة رجلي فبكي

وكان حاضرهم ابن لنكك البغدادي وكان حسن النادرة سريعها فقال : لله
درك يا وزير ترقص بالقائمة وتصلي بالقاعدة ! فضحك المنصور والحاضرون .

(١٤)*

(ترجمة المتنبي ، رقم : ٥٠ ، ص : ١٢١ ، س : ٩)

وقال أبو بكر الخوارزمي : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر:
وإن أحقّ الناس بالوم شاعرٌ يَومُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ
وإنما أعرب عن عاداته وطريقته في قوله :

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقفُ بها وقوفَ شحيح ضاع في التراب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة فصُب
بين يديه على حصير قد افترشه ووزن وأعيد في الكيس ، وإذا بقطعة كأصفر
ما يكون من ذلك المال وقد تخللت خلل الحصير فأكبَّ عليه ببجامعه ينقره
ويمالج استنقاذاً منه ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار بعضها
فتمثل ببیت قيس بن الخطيم :

تبدتُ لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجبٌ منها وضنتُ بحاجب

ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .
وشرب أبو الطيب ليلة عند بدر بن عمار فنظر إلى ابنه وقد جلس نحو
الشمعة فقال :

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا : ٢٨ أ في هذا الخبر .

أما ترى ما أراهُ أيها الملكُ كأننا في سماء ما لها حُبُكُ
الفرقد ابنك والمصباح صاحبه وأنت بدر الدجى والمجلسُ الفلكُ
ولما كان من الغد عرض عليه الصبوح فقال :

رأيتُ المدامةَ غلابة تهبج للقلب أشواقه
تسيء من المرء آدابه ولكن تطيب أخلاقه
وقد متُ أمسُ بها موتةً وما يشتهي الموت من ذاقه

(١٥)*

(ترجمة المتنبي ، رقم : ٥٠ ، ص : ١٢٢ ، س : ٣)

ومن شعره في الحبس :

كنُ أيها السجنُ كيف شيت فقد وطأت للموت نفسَ معترفِ
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرثُ ساكنَ الصدفِ

وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعته يقول : إنما لقبت بالمتنبي بقولي :

أنا تِربُ الندى وربّ القوافي وسمام العدى وغيظ الحسودِ
أنا في أمة تداركها اللـ ه غريبٌ كصالح في ثودِ

وفي هذه القصيدة :

ما مُقامي بأرض نخلة إلا كتمام المسيح بين اليهودِ

(ترجمة بديع الزمان الهمذاني ، رقم : ٥٢ ، ص : ١٢٧ ، س : ١٩)

وكان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها انه كان ينشد القصيدة لم يسمها قط - وهي أكثر من خمسين بيتاً - فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً ، وينظر في الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهداها عن ظهر قلبه هذناً ويسردها سرداً ؛ وهذه الحالة في الكتب الواردة وغيرها ، وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بأخر سطوره ثم هلم جراً إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة شريف النفس كريم العهد خالص الودّ حلو الصداقة مرّاً العدواة ، وكانت بينه وبين الخوارزمي منافرة ومناكرة ومناظرة بكتنه البديع فيها وأسكته ؛ وتصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرتها واستفاد خيرها وميرها ، وألقى عصاه بهراة واتخذها دار قراره وجمع أسبابه ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلبّاه وفارق دنياه فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم ، على انه ما مات من لم يميت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نثره ونظمه ، وأنا ذاكر من طرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب وقوت النفس ومادة الأنس .

فصل ٢ : وفيما يقول الناس من حكاياتهم ان أعرابياً نام ليلة عن جملة ففقدته فلما طلع القمر وجده فرفع إلى الله يده وقال : أشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ، ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صوّرك ونوّرك وعلى البروج دوّرك وإذا

١ من يقيمة الدهر ٤ : ٢٥٦ ، ٢٨٧ .

٢ من هنا وحتى نهاية النص اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٠ ب) في هذه الزيادة .

شاء كورك ولا أعلم مزيداً أسأله لك ، ولئن أهديت إلى قلبي سروراً لقد أهدى الله إليك نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره ، ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه .
فصول قصار : ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل محمد رسول .
وله : المرء لا يُعرفُ ببردته والسيف لا يُعرفُ بنغمته .

(١٧)*

(ترجمة جحظة البرمكي ، رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٤ ، س : ١٠)

حدث علي بن سعيد الكاتب قال : قال لي جحظة : إن كتبت عليّ حَدَّثْتُكَ بحديث ما مرّ عليّ مسامعك مثله قط ، قلت : أنا موضع سرك والمجالس بالأمانة ، قال : اصطبحتُ أياماً فأصبحت يوماً مخموراً ، فبينما أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جاريةٌ متنقبة راكبة على حمارٍ وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها وقد سطعت السكة من روائح طيبها ، فبقيت مبهوراً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها ، فلما جاوزتني وقفتُ وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً ، فقالت : يا فتى هل في منزلك محتمل للقايلة في هذا اليوم ؟ قلت : يا سيدي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة ؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت ، وقالت : ادخل بين يديّ ، وأمرت جواربها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلتُ وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً . فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى عجارها^١ فحلتته كما قال الشاعر :

فألقتُ قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومعصمٍ

فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل من السرور فقلت : هذه جارية مغنية

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٣ أ - ٣٣ ب) في هذه الزيادة .

٢ آيا صوفيا : نقابها .

بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني ، فقلت : يا سيدي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي ؟ فقالت : ما على ذلك فوت ، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك ثم تصير إلى ما تريد . فقممت إليها وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها ، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همتي إليه قلت : يا سيدي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له ؟ قالت : عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا ، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة فلم أحر جواباً وبقيت متجيراً ؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت : سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك ؟ قالت : لو تركت المسئلة كان أحب إليك وأعود عليك ، قلت : لا بد لي من علم حالك ، قالت : أما إذ أبديت فسأصدقك ؛ لي ابن عم هو بعلي يخالفني إلى جويرية لي مشوهة المنظر ، فأقسمتُ بالآيمان المخرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة ، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك ، فبررت قسمي وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك ، وهذا يسيرٌ في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها ؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار ، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم ؛ قلت : هوّن عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة ، قال : فاكم عليّ ، قلت : نعم .

(١٨)*

(ترجمة أحمد بن طولون ، رقم : ٧١ ، ص : ١٧٤ ، س : ١٨)

ولما مات أحمد تولى مكانه ولده أبو الجيش خمارويه وتزوج الخليفة المعتضد ابنته قطر الندى بنت خمارويه واسمها اسماء في سنة ٢٨١ ، وزفت إليه في سنة ٨٢ ، وحمل إليها مهرها على مائة حمار مع شفيح الخادم ، وجدّد له ولايته مصر وخطب له ما تبين برقة وهيت ؛ وفي هذه السنة ذُبح خمارويه بدمشق ،

ذبحه خدمه ، فحُمل إلى مصر ودفن بها وهو ابن ثلاثين سنة ، فأخذ الخدم وقتلوا وصلبوا بدمشق وحملت رؤوسهم إلى مصر فنصبت ، وكان قتله ليلة الأحد ثلاث ليالٍ بقين من ذي القعدة ، وماتت قطر الندى بنت خمارويه المذكور في سنة ٨٧ ، وكان خمارويه قد سأل المعتضد أن يزوج المكتفي بنته قطر الندى فقال المعتضد : بل أنا أتزوجها ، وجعل صداقها ألف الف درهم ، وقيل : كان غرض المعتضد بزواجها افتقار بني طولون ، وكذا كان ، فإن أباهما جهزها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل إنه كان لها ألف هاون ذهب .

(١٩)*

(ترجمة معز الدولة بن بويه ، رقم : ٧٢ ، ص : ١٧٦ ، س : ٣)

وقال عز الدين بن الأثير^٢ : كان ابتداء دولة بني بويه وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام . وقال ابن مسكويه انهم يزعمون انهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس وأن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال وماتت زوجته وخلفت له هؤلاء البنين الثلاثة ، فلما ماتت اشتد حزنه عليها ، فحكى شهريار^٣ بن رستم الديلمي قال : كنت صديقاً لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوماً فعذلتني على كثرة حزنه فقلت له : أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ، وربما مات أحدهم فيتجدد لك من الأحزان ما ينسبك المرأة ، وسليته يجهدني وأدخلته وأولاده إلى منزلي لياً كلوا طعاماً وشغلته عن حزنه ؛ فبينما هم كذلك إذ اجتاز بنا رجل منجم ومعزم ومعبر للنامات ويكتب الرقى والطلسمات وغير ذلك ، فأحضره أبو شجاع وقال له : رأيت في منامي كأنني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٤ ب - ٤٤ أ) في هذه الزيادة .

٢ الكامل ٨ : ٢٦٤ (ط. صادر) .

٣ في نسخة آيا صوفيا وفي الكامل : شهريار .

استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولدت من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ، ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران ، فقال المنجم : هذا المنام عظيم لا أفسره إلا بخلعة وفرس ومركب ، فتمال له أبو شجاع : والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عرياناً ، فقال المنجم : فعشرة دنانير ، قال : والله ما أملك دينارين فكيف عشرة ؟ فأعطاه شيئاً ، فقال المنجم : اعلم انك يولد لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب ؛ فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر منا ؟ أنا رجل فقير وأولادي فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً ؟ ثم قال المنجم : أخبرني توقيت ميلادهم ، فأخبره ، فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال : هذا والله الذي يملك البلاد ، ثم هذا بعده ، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن ، فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا ، فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ، ثم قال لهم : اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك ، فضحكنا منه ، وكان من أمرهم ما قد ذكر .

(٢٠)*

(ترجمة معز الدولة بن بويه ، رقم : ٧٢ ، ص : ١٧٦ ، س : ٧) ١

وكان معز الدولة قد قلد أبا العباس عبد الله بن الحسين بن أبي الشوارب قضاء القضاة وأن يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم - وهو أول من ضمن القضاء ولم يُسمع بذلك قبلها - وكان الخليفة المطيع لله قد منعه من الدخول إليه وأمره أن لا يحضر المواكب لما ارتكبه من ضمان القضاء ، ثم ضمنته الحسبة والشرطة ببغداد ٢

١ اشتركت نسخة آيا صوفيا (٤٤ أ) في هذه الزيادة مع نسخة د إلى قوله : في سنة ٣٥٠ .

٢ انظر ابن الأثير ٨ : ٥٣٦ - ٥٣٧ .

وذلك في سنة ٣٥٠ ؛ وفيها كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد سب الصحابة ، فأما الخليفة فكان محكوماً عليه لا يقدر على المنع ، وأما معز الدولة فإن بعض الناس حكّ هذا المکتوب ليلاً فأراد أن يأمر بإعادته فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبى بأن يكتب مكان ما محيى : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ولا يذكر أحداً في اللعن ، ففعل ذلك

(٢١)*

(ترجمة المستعلي الفاطمي ، رقم : ٧٤ ، ص : ١٧٩ ، س : ٢٢)

وذلك أن المستنصر عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الأفضل وبايع للمستعلي ، وسبب خلعه أن الأفضل ركب مرة في أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً ونزار خارجاً والمجاز مظلم فلم يره الأفضل ، فصاح به نزار : انزل يا أرمني ، كلب على فرس ، ما أقل أدبك ! فحقدتها عليه ؛ فلما مات المستنصر خلعه خوفاً على نفسه وبايع للمستعلي ، فهرب نزار إلى الإسكندرية فبايعه أهلها وسموه المصطفى لدين الله ، وكان بها ناصر الدولة افتكين فبايعه وخطب الناس ولعن الأفضل ، وأعانته القاضي جلال الدولة ابن عمار قاضي الإسكندرية فسار إليه الأفضل وحاصره وأخذ افتكين فقتله ، وقتل جلال الدولة [ابن] عمار ومن أعانته وتسلم المستعلي نزاراً وبنى عليه حائطاً فمات .

١ في ابن الأثير سنة ٣٥١ ؛ انظر ص : ٥٤٢ .

٢ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٤٥ ب) في هذه الزيادة .

(ترجمة عماد الدين بن المشطوب ، رقم : ٧٥ ، ص : ١٨١ ، س : ١٠)

وذلك أنه اتفق مع الأكراد الهكارية وأرادوا أن يخلعوا الملك الكامل ويملكوا أخاه الملك الفائز ليصير الحكم إليهم عليه وعلى البلاد ، فبلغ الخبر إلى الملك الكامل ففارق المنزلة ليلاً جريده وسار إلى أشموم طناب فنزل بها وأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم ، فركب كل إنسان منهم هواه ، ولم يقف الأخ على أخيه ، ولم يقدرُوا على أخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم وأسلحتهم إلا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله وتركوا الكامل .

وأما الفرنج فإنهم أصبحوا فلم يروا من المسلمين أحداً على شاطئ النيل كجاري عادتهم ، فبقوا لا يدرون ما الخبر ، وإذا قد أتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل إلى بر دمياط آمنين بغير منازع ، وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة ٦١٥ فغنموا ما في عسكر المسلمين ، وكان عظيماً معجزاً للعاديين ، وكاد الكامل يفارق الديار المصرية لأنه لم يثق بأحد من عسكره ، وكان الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة ، فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين أن وصل أخوه الملك المعظم ابن الملك العادل بعد هذه الحركة بيومين والناس في أمر مريج فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه ، وأقام بمنزله ، فركب الملك المعظم إلى ابن المشطوب فأخرجه من حينه إلى الشام فاتصل بالملك الأشرف مظفر الدين .

(ترجمة الملك العادل أتابك ، رقم : ٨٢ ، ص : ١٩٤ ، س : ٣)

ودفن بقلعة دمشق ونقل منها إلى مدرسته التي أنشأها عند سوق الخواصين بالموصل ؛ ومن عجيب الاتفاق أنه ركب ثاني شوال وركب إلى جانبه بعض الأمراء الأخيار ، فقال له الأمير : سبحان مَنْ يعلم هل تجتمع هنا في العام المقبل أو لا ؟ فقال نور الدين : لا تقل هكذا ، قل : سبحان مَنْ يعلم هل تجتمع بعد شهر أم لا ؛ فمات نور الدين بعد أحد عشر يوماً ، ومات الأمير قبل الحول ، فأخذ كل واحد منهما بما قاله ؛ وكان مولده سنة ١٥٦٩ .

وأما ما فعله من المصالح فإنه بنى أسوار مُدن الشام كلها وقلاعها فمناها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها ، وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النوري بالموصل وبنى المارستان والخانات في الطرق وبنى الخانات للصوفية في جميع البلاد ، وكانت له همة عالية أعاد ناموس الأتابكي وحرمته بعد أن كانت قد ذهبت ، وخافته الملوك ، ولو لم يكن من فضيلته إلا أنه رحل الملك الكامل بن العادل عن ماردين بعد انفصال أبيه عنها سنة ٩٥ وأبقاها على صاحبها . ولما حضره الموت أمر أن يرتب في الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وحلف له الجند وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي قلعة الجندية وقلعة شوس وولايتها وسيرها إلى العقر ، وأمر أن يتولى تدبير ملكها والنظر في مصالحها الأمير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدييره . وكان نور الدين يصلي كثيراً بالليل ، وله فيه أورد حسنة فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

وبالجملة فحسنته كثيرة ومناقبه غزيرة .

١ في نسخة د : سنة ٦١١ ، وهو خطأ بين لأن الملك العادل توفي سنة ٦٠٧ ؛ وانظر التاريخ

الباهر : ١٩٨ .

(ترجمة إسحاق الموصلي ، رقم : ٨٧ ، ص : ٢٠٤ ، س : ٦)

وذكر ابن السندي أن إسحاق النديم اتخذ دعوة فجاءته الهدايا من كل وجه ؛ وكان في جيرانه رجل مملق ، فوجه إليه يجراب أشنان وجراب ملح ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة لي بحسب النية وملكتني القدرة لبسط الجدة لبدرت السابقين إلى برك ، ولكنك إمام المتقدمين في إكرامك ، لكن البضاعة قعدت عن الهمة ، وقصرت عن مساواة أهل الثروة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، ولا يكون لي فيها ذكر ، فوجهت بالمتدلي لطيبه وعينه ، وبالختوم به لطهارته ونظافته ، مصطبراً على ألم التقصير ؛ فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله عز وجل ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله﴾ .

ومما يناسب هذه النادرة ما حكى جعفر بن قدامة عن مية البرمكية قالت : كانت لأمّ علي بنت الراس جارية مغنية يقال لها مكر ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان لها رفقاء من الكتّاب ووجوه التجار ، كان أبو يحيى الكبيخي يعاشرها ، فافتصدت يوماً فأهدى إليها رفقاؤها صنوف الهدايا ، وبعث إليها أبو يحيى ثلاث سلال مختومة فإذا سلسة فيها ماش ومعه رقعة فيها : الماش خير من لاش ، وفي الأخرى عصافير بأجنحتها فلما فُتحت طارت ومعها رقعة فيها : يا سيدي أعتقت عنك هؤلاء المساكين ولو كان بدلها عبيداً لأعتقتهم ، وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها : يا مولاتي لو كان عندي شيء لبعثت إليك بشيء ، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث إليك بشيء ، فضحكوا وبعثوا إليه بنصيب وافر من كل ما أهدى إليها ، وكتبت إليه أمّ علي : أعطي الله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت إلينا ، وفي هداياي متسع والإنجاز أمثل ؛ وأخباره كثيرة .

(ترجمة إسحاق الموصلبي ، رقم : ٨٧ ، ص : ٢٠٤ ، س : ١٥)

قال أبو عبد الله أحمد بن حمدون النقيب : لقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلبي بعدما كفّ بصره فسألني عن أخبار الناس والسلطان فأخبرته ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني فجعل يسألني ويعزييني ، ثم قال لي : من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين والخاص من ندمائه ؟ قلت : محمد بن عمر ، قال : ومن هذا الرجل وما مقدار أدبه وعلمه ؟ فقلت : أما أدبه فلا أدري ، ولكنني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب ؛ حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة فدخل مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضاء في وجناتها ورد فكيف لنا بسمه

فسرّ بذلك سروراً شديداً وأمر فنثر عليه بدرة دنانير وأن تلقط وتطرح في حجره وأمره بالجلوس وعقد له على اليمامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالיום ولا أرى ابقاك الله ما دامت السموات والأرض ، فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل إن شاء الله ، فقال لي إسحاق : ويلك ، جزعت على أذنك ، وغمك قطعها ؟ لم ؟ حتى تسمع مثل هذا الكلام ؟ ويلك لو ان لك مكسوك آذان ايش كان ينفعك مع هؤلاء ؟

وكان سبب قطع اذنه ان الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادماً المتوكل واشتهر الأمر فيه حتى بلغه ، وله فيه اشعار منها :

اشاهك ليلى مذ هجرتَ طويل وعيني دماً بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن ما لا اطيعه وليس إلى شكوى إليك سبيل
اشاهك لو يجزى المحبّ بودّه جزيت ولكنّ الوفاء قليل

وكان ابو عبد الله يسمي فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبر فقال : إنما أردتك

وادنيتك لتنادمني ليس لتفسد عليّ غلماي ، فأنكر ذلك وحلف يمينا حنث فيها فطلق كل حرة كانت وأعتق من كانت مملوكة ، ولزمه حج سنتين ، فكان يحج في كل عام ، قال : فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام بها ثم جاءه زرافة في الليل ، فلما دخل عليه قال : جئت في شيء ما كنت أحب أن أجيء في مثله ، قال : وما هو ؟ قال : [قال] أمير المؤمنين بقطع أذنك وقال : قل له لست أعاملك إلا كما يعمل الفتيان ، فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل ، فقطع غضروف أذنه من خارج ولم يستقصه وجعله في كفور كان معه وانصرف .

(٢٦)*

(ترجمة الأسعد بن ممتي ، رقم : ٩١ ، ص : ٢١٢ ، س : ١٨)

وكان الأسعد المذكور قد مرض فعاده بعض أصحابه فوجده يغسل ويمزق أوراقاً تعاليق بخطه ، فسأله عن السبب فقال : إني نظرت في العلوم فوجدتها مواهب من الله تعالى لا بكثرة الفحص والاشتغال ، وذلك اني سألتني جريريبي النبوية عن طعام تصنعه لي اليوم موافق ، فأخذت أعدد لها أنواع المزورات فضجرت ، وقالت لي : لا يقدر أحد على مرضاتك في مرضاتك ، فهذا هو السبب الموجب لما تراه .

ويقرب من ذلك ما أخبرني الفقيه أمين الدين علي بن المحلى أن صاحب صفي الدين بن شكر أراد قارئاً للمدرسة التي أنشأها بالقاهرة المعزية يصلي بها التراويح ، فاختر له شخصان اسم أحدهما زيادة والآخر مرتضى ، وطولع بذلك فوقع على ظهر القصة : زيادة مرتضى زيادة .

١ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٤ - ٥٤ ب .

(٢٧)*

(ترجمة الصحاح بن عباد ، رقم : ٩٦ ، ص : ٢٢٩ ، س : ٢١)

حكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني^١ قال : لما أدخلني والدي إلى الصحاح ووصلتُ إلى مجلسه ، واصلتُ الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بُنيَّ اقعِد كم تسجد كأنك تهدهد .

ويقرب من هذا ما حكى ابن بسام قال : رأيت الفكيك بين يدي الأمير أبي القاسم محمد بن عباد وهو ينشد من قصيدة مطولة :

وأنت سليمانُ في ملكه كما أنا قدامك الهدهد

وينشده ويعيده ويسجد ، وفعل ذلك مراراً ، وضحك أبو القاسم وأمر له بجائزة سنوية .
وحكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمداني حين قدم البصرة حاجاً سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصحاح أبا القاسم ابن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له : ما الذي بك ؟ قال : حما ، قال له الصحاح : قَه ، فقال له النديم : وه ، فاستحسن الصحاح ذلك منه وخلع عليه ؛ ولقد أحسن الصحاح في تعقيب لفظه حما بما صارت به « حماقة » ولطف النديم في صلة تعقبه بما جعلت « قهوة » ، وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاخرة الأدباء الأذكياء .

واستؤذن عليه - [أي] الصحاح - يوماً لإنسان طرسوسي فقال : الطرّ في لحيته والسوس في حنطته .

وحكى أبو منصور الربيع قال : دخلت يوماً على الصحاح وطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلني طولت ؟ فقال : بل تطولت^٢ .
وأهدى العميدي^٣ قاضي قزوین إلى الصحاح كتباً وكتب معها :

العميديُّ عبد كافي الكفاة وإن اعتدّ في وجوه القضاة

١ انظر اليتيمة ٣ : ١٩٧ وما بعدها .

٢ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

٣ في الأصل واليتيمة : العميري .

خدم المجلس الرفيع بكتب مغنمات من حسنها مترعات

فوقّع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً وسأله أن يسميه
ويكنيه ، فوقّع في رقعته : أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ،
فقد ملأ والله العين قرّة والنفس مسرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره ، والكنية
أبو الحسن ليحسن الله أمره ، فإني أرجو له فضل جده وسعادة جده ، وقد
بعثت إليك لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصده به مقصد الفال ، رجاء أن
يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .
رفع الضرابون من دار الضرب رقعة إلى الصاحب في ظلامه له مترجمة
بالضرابين ، فوقّع تحتها : في حديد بارد .

وقال الصاحب يوماً : ما أفحمني أحد كالبديهي فإنه كان عندي يوماً وأتينا
بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أن قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال :
لا يعجبني من يطبّ على مائدته^١ .

ووقّع في رقعة أبي محمد الخازن ، وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه
لمعاودة حضرته : ﴿ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التي فعلت ﴾ .

ورفع إليه بعض منتهي الأخبار أن رجلاً غريبَ الوجه يدخل داره ويتلطف
لاستراق السمع ، فوقّع تحتها : دارنا هذه خان يدخلها من وفي ومن خان^٢ .
وحبس بعض عماله لحاجة في نفسه فأشرف على دار الضرب فلما رآه ناداه

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا : ٥٨ ب في إيراد هذه الحكاية باختلاف يسير في النص ؛ وهناك
حكاية شبيهة بهذه ذكرها أبو حيان التوحيدي في المضيرة وذكر أنه هو الجيب للصاحب بذلك
الجواب (انظر : معجم الأدباء ١٥ : ٧) .

٢ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

بأعلى صوته : ﴿ فاطَّلِعْ فرآه في سواء الجحيم ﴾ فضحك الصاحبُ وقال : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ ثم أمر بإطلاقه .

وكتب إليه رجل رقعة أغار فيها على شيء من لفظه فوقَّع فيها : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾^١ .

وأطال شاب عنده المكث ولم يغيره في القيام فقال للفتى : من أين ؟ قال : من قم ، قال : فإذا قم .

حكى أبو النصر العتبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى الصاحب هدية أصحابنيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه فاعتذرت إليه بأن قلت إنها إذا نقلت من خراسان إلى حضرته كانت كالتمر ينقل إلى كرمان ، فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك بها ، وهذه سبيل ما يصحبك .

وحكى الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يُعرف بابن الحصريّ يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عيناه مرةً وخرجت منه ريح لها صوت ، فخبجل وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني :

يا ابن الحصريّ لا تذهب على خبجل لحادث كان مثل الناي والعود كأنها الريح لا تستطيع تجسبها إذ أنت لست سليمان بن داود

وعرض مثل ذلك لبعض حاضري مجلسه فقال : إنه صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التخت .

وحكى أبو الحسين النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة آل العميد وتعصبه لهم ، فأنفذ إليه من همدان كتاب « الحجر » من تأليفه فقال : ردّ الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه وأمر له بصلة . وكان المأموني الإهري الشاعر قد قال في شاعر آخر أهري يهجوّه :

١ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

كلانا إلى آدم نعزي وتجمعنا آصرتُ الرحم
ولكن له الفضل في أتته يصول بقرون وأني أجم

واتفق أن أحضر مجلس الصاحب فقال له : من تكون ؟ فقال : الخادم المأموني
الأبهري الشاعر ، فقال : الأقرن أم الأجم ؟ فاستحيا وخجل .
وقال الصاحب بن عبّاد : ما أخجلني [قط] غير ثلاثة منهم أبو الحسن
البيهقي ، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي فقلت له وقد أكثر من أكل المشمش :
لا تأكله فإنه يلطخ المعدة ، فقال : ما يعجبني من يطب على مائدته ؛ وآخر
قال لي وقد خرجت من دار السلطان وأنا ضجرٌ من أمرٍ عرض لي : من أين
أقبلت يا مولانا ؟ فقلت : من لعنة الله ، فقال : ردّ الله غربتك وأحسن على
إساءته الأدب ؛ وصبي مستحسن داعبته فقلت : ليتك تحتي ، فقال : مع ثلاثة
آخرين ، يعني في الجنازة ، فأخجلني ٢ .

ودخل أبو بكر الخوارزمي على الصاحب في أول لقائه إياه فارتفع على الحاضرين
في مجلسه من العلماء والأدباء ، والجماعة لا تعرفه ، فتساءلوا عنه وغازطهم ما رأوا
منه ، وقال أحدهم : من ذا الكلب - قولاً سمعه أبو بكر - فالتفت إليه
وقال : الكلب من لا يعرف للكلب مائة اسم ويحفظ في مدحه مائة مقطوعة
وفي ذمه مثلها ، فقال الصاحب : فأنت أبو بكر الخوارزمي ، قال : نعم
عبدك ، قال له : حق لك ، وقدمه وقربّه .

وصنع الصاحب لأصحابه دعوة وأعرض عن غيرهم ، فصنع سديد الدولة
أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنباري فيه :

إن أثر الصاحب ذا ثروةٍ وعاف ذا فقرٍ وإفلاسٍ
لا غرو فالله إلى بيته دعا المياسير من الناس

وذكر بعض الفقهاء عن وعده وعده إياه فقال : وعد الكريم ألذّ من دين
الغريم .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د من هنا وحتى آخر الزيادة .

٢ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آبا صوفيا : ٥٨ ب - ٥٩ أ .

ولما رجع عن العراق سأله ابن العميد عن بغداد فقال : بغداد في البلاد
كلاستاذ في العبادا .

(٢٨)*

(ترجمة الظافر العبيدي ، رقم : ٩٩ ، ص : ٢٣٧ ، س : ١٢)

وطرحوه في بئر في الدار وأخفي قتله ؛ وكان الظافر أقطع ابن عباس
قليوب ، وهي من أعظم قرى مصر ، فدخل إليه مؤيد الدولة ابن منقذ وهو
عند أبيه عباس فقال له نصر : قد أقطعني مولانا قليوب ، فقال له مؤيد الدولة :
ما هي في مهرك كبير ، فعظم عليه وعلى أبيه ، وأنف من هذه الحال ، وشرع
في قتل الظافر بأمر أبيه ، فحضر نصر عند الظافر وقال : أشتي أن تجيء إلى
داري لدعوة صنعتها ولا تكثّر ؛ فمشى إليه في نفرٍ يسير من الخدم ليلاً فلما
دخل الدار قتله رحمه الله تعالى .

(٢٩)*

(ترجمة آق سنقر البرسقي ، رقم : ١٠٣ ، ص : ٢٤٢ ، س : ١٩)

وكان^٣ قد رأى تلك الليلة في منامه أن عدة من الكلاب ثارت به ، فقتل
بعضها ونال منه الباقي ما آذاه ، فقص على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج
من داره عدة أيام ، فقال : لا أترك الجمعة لشيء أبداً ، فغلبوه على رأيه ومنعوه
من قصد الجمعة ، فعزم على ذلك . ثم أخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى
﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ فركب إلى الجامع على عادته ، وكان يصلي في

١ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٩ أ .

٢ هذه الزيادة أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٦٢ ب - ٦٣ أ ، وما وضع بين معقنين فيها هو إضافة
من هذه النسخة على نسخة د .

٣ انظر ابن الأثير ١٠ : ٦٣٣ ، ٦٤٣ - ٦٤٤ .

الصفّ الاول فوثب عليه بضعة عشر نفساً - عدة الكلاب التي رآها [في المنام] - فجرحوه بالسكاكين ، فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله تعالى .
 وكان مملوكاً تركياً خيراً يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله ويحافظُ على الصلوات في أوقاتها ويصلي من الليل مجتهداً . قال عز الدين بن الأثير : قال لي والدي رحمه الله تعالى عن بعض من كان يخدمه : كنت معه فكان يصلي كلَّ ليلة كثيراً وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد ، ولقد رأيتُه في بعض ليالي الشتاء بالموصل قد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبيده إبريق ، فمشى نحو دجلة ليأخذ ماءً ، فممنعي البرد من القيام ، ثم إني خفته ، فقمت إلى بين يديه لأخذ الإبريق منه ، فممنعي وقال : يا مسكين ارجع إلى مكانك فإنه برد ، فاجتهدت لأخذ الإبريق منه فلم يعطني وقام يصلي .
 وتولى بعده ولده عز الدين مسعود ثم توفي [يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة] سنة ٥٢١ هـ رحمه الله تعالى^١ ، وقام بعده أخ له صغير ، واستولى على البلاد مملوك للبرسقي اسمه جاووي ؛ وكان السلطان محمود ذكر جماعة ممن يصلح للولاية فممنهم عماد الدين زنكي لما حضر إليه أعيان البلاد وقالوا : هذا طفل ولا بد للبلاد من رجل شهيم ذي رأي وتجربة ، فاستحسن السلطان ذلك واستشارهم فيمن يصلح ، فأشاروا بعماد الدين زنكي وبذلوا عنه مالاً جزيلاً يحمله إلى خزانة السلطان ، فأجاب إلى توليته ، كما سيأتي في حرف الزاي إن شاء الله تعالى .

(٣٠)*

(ترجمة القاضي إياس ، رقم : ١٠٥ ، ص : ٢٤٩ ، س : ٥)

ودخل الشام وهو غلام وتقدم خصمه - وكان شيخاً - إلى قاضي لعبد الملك ابن مروان فقال له القاضي : أتتقدم شيخاً كبيراً؟ قال : الحق أكبر منه ، قال : اسكت ، قال : فمن ينطق بجبتي؟ قال : لا أظنك تقول حقاً حتى تقوم ، قال :

١ إلى هنا تنتهي الزيادة من نسخة آيا صوفيا .

لا إله إلا الله ، فقام القاضي ودخل على عبد الملك ، فخبّره بالخبر ، فقال : اقض حاجته وأخرجه عن الشام لا يفسد عليّ الناس .

وقال إياس لأبيه وهو طفل - وكان أبوه يؤثر أخاه عليه - : يا أبه تعلم ما مثلي ومثل أخي معك إلا كفرخ الحمام ، أقبح ما يكون أصغر ما يكون ، فكلمها كبر ازداد ملاحه وحسناً ، فتبني له العـلـلـاي وتـتـخذ له المـربـعات ويستـحسـنه المـلـوك ، ومثل أخي مثل الجحش الصغير فأملح ما يكون أصغر ما يكون ، وكلما كبر صار القهقري ، إنما يصلح لحم الزبل والتراب .

قال المدائني: كان إياس بن معاوية بن قرّة قاضياً فائقاً مرجياً ، استقضاه عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فلم يزل على القضاء سنةً ثم هرب ، وكان سبب هروبه ما حدث المدائني قال : قال أبو قبيصة : كان المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالي تزوج أم شعيب بنت محمد بن الهرماس الطائي وأمها علياء بنت أبي صفرة ، وأم القاسم بن عبد الرحمن فاطمة بنت أبي صفرة ، وكان المهلب بن القاسم ماجناً يشرب ، فشرّب يوماً وامرأته بين يديه فناولها القدر فأبّت أن تشربه ووضعت بين يديها فقال لها : أنت طالق ثلاثاً إن لم تشربه ، فقام إليها نسوة فقلن لها : اشربه ، وفي الدار ظبي حاجر ، فعدا الظبي فمرّ بالقدر فكسره ، فقامت المرأة ووجدت المهلب فقال : لم أطلقك ، ولم يكن لها شهود إلا نساء ، فأرسلت إلى أهلها فحولوها إليهم ، فاستدعى القاسم بن عبد الرحمن عديّ بن أرطاة وقال: غلبوا ابني على امرأته ، فتعصب له عديّ بردها ، فخاصمه إياس وشهد لها نساء ، فقال إياس : لئن قربتها لأرجمنك ، فغضب عدي على إياس فقال له عمر بن يزيد الاسدي - وكان عمر عدواً لإياس لأن إياساً [قضى] على أبيه بأرحاء كانت في يده لقوم - فقال لعدي : انظر قوماً يشهدون على إياس أنه قذف المهلب بن القاسم فتحدّه ويعزل ، قال : فانظر من يشهد عليه ، فاتاه بيزيد الرشك وبابن أبي رباط مولى ضبيعة ليلاً ، فأجمعوا على أن يرسل عدي إلى إياس إذا أصبح فيشهدان عليه ، والقاسم بن ربيعة الجوشني ابن عدي ، فقال عمر بن يزيد لعدي : إن القاسم سيأتي إياساً فيحذره ، فاستحلف عدي القاسم لا يعلمه ، فحلف القاسم ، وخرج فمرّ بباب إياس ففرعه ، فقالوا له : من ؟

قال : القاسم بن ربيعة ، كنت عند الأمير فأحببت أن لا أصل إلى منزلي حتى أمرت بك ، ومضى ؛ فقال إياس : ما جاء في هذه الساعة إلا الأمر قد علمه وخاف عليّ منه ، فتواري وخرج إلى واسط ؛ واغتم عديّ فقال له يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص : خذ الوثيق من الأمر إن أردت ألا يعتب عليك أمير المؤمنين ، فاستقض الحسن ، فولّى عديّ الحسن ، وكتب إلى عمر رضي الله عنه يعيب إياساً .

ويذكر أن قوماً رأوا إياساً وخالد بن أبي الصلت في بعض خرابات البصرة يتكلمان بما لا تنطق به الألسن ، وبلغني ان إياساً يقول : إذا كانت السنة كثيرة الامطار فهي سنة يسر ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه : ما رأيت أحداً كان أحسن قولاً في إياس من أبيك، ولا رأيت أحداً في زماننا الثناء عليه أحسن منه عليه، وقد بلغني وصحّ من نياتكم لم يتحقق عندي وقد أحسنت إذ وليت الحسن. وولّى عمر الحسن وكان الحسن لا يرى أن يرد شهادة مسلم إلا أن يجرح المشهود عليه الشاهد ، فأثاه رجل فقال : يا أبا سعيد إن إياساً رد شهادتي، فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثلة لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلّى قبلتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا ؟ فقال : يا أبا سعيد إن الله يقول ﴿ من ترضون من الشهداء ﴾ وهذا ممن لا نرضاه ، فلم يكلمه الحسن بعد ذلك .

(٣١)*

(ترجمة بشار بن برد ، رقم : ١١٣ ، ص : ٢٧٢ ، س : ٢٢)١

وهو من الشعراء مخضرمي الدولتين العباسية والأموية وقد شهر فيها ومدح وهجا وأخذ الجوائز السنية مع الشعراء .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة ، مع بعض الاختلاف في النص أحياناً، وورد في نسخة آيا صوفيا : ٧٠ ب - ٧١ ب معظم ما جاء في هذه الزيادة ، وسقط منها ما بين قوله : « وقيل لبشار : ما لكم معشر الشعراء » وقوله : « فلا تصدق حتى ترى » ؛ وما وضع بين معقفين في هذه الزيادة هو إضافة من نسخة آيا صوفيا على النسختين الآخرين .

قال أبو عبيدة^١ : لُقِّبَ المرعَثُ لانه كان في أذنه وهو صغير رعاث -
والرعاث القرطة واحدها رعثة وجمعها رعاث ، ورعاثات الديك اللحم المتدلي
تحت حنكه .

قال محمد بن يزيد العجلي : سمعت الاصمعي يذكر أن بشاراً كان أشد تبرماً
بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي أذهب بصري ، فقليل له : ولم ذلك يا أبا
معاذ؟ فقال : لئلا أرى من أبغض . وكان يلبس قميصاً له لبنتان فإذا أراد أن
ينزعه نزعه من أسفله ، وبذلك تسمّى المرعَث .

قال الاصمعي : ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط ، وكان يشبه الاشياء
في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بثله ، فقليل له يوماً
وقد أنشد قوله :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا
شيئاً فيها؟ فقال : ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر
إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته .

وقال أبو العوادل زكريا بن هارون : قال لي بشار : لي اثنا عشر ألف
قصيدة أفما في كل قصيدة بيت جيد ؟
وحكي عنه أنه قال : هجوت جريراً فأعرض عنّي ولو هجاني لكنت
أشعر الناس .

وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر الجميع من الامم ويصوّب رأي إبليس في
تقديم النار على الطين ، وقد ذكر ذلك في شعره حيث يقول :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

رأيتُ في بعض الكتب أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من

١ أكثر هذا من الأغاني ٣ : ١٣٤ وما بعدها .

أولاد الجوس شاب متطبَّبٌ يدَّعي تحقيق الكلام فأظهر مسألة تحريق النفس بالنار ، وكان يزعم أن الجسد منتن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب إلى زيادة نتنه ، وإن الواجب إحراقه واذراء رماده ، فقبل لبعض الفقهاء : إن الناس قد افتتنوا بمقالة الجوسي ، فكتب الفقيه إلى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا الجوسي نسمع منه ؛ فاجتمعوا بمجلس عبد الله بن طاهر ، فلما تكلم الجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه : أخبرنا عن صبي تداعته أمه وحاضنته أيها أولى به ، فقال : الام ، فقال : إن هذه الارض هي الام منها خلق آدم وأولى بأولادها أن ترد إليها ، وأنشد لأمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا ومنها نولد

فأفجم الجوسي وقطعه .

وكان الأصمعي يقول : بشار خاتمة الشعراء والله ولولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم .
ولقي أبو عمرو ابن العلاء بعض الرواة فقال : يا أبا عمرو من أبداع الناس بيتاً ؟ فقال : الذي يقول :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم . ونفى عني الكرى طيفٌ ألمّ
روحي عنّي قليلاً واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
[إن في برديّ جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحب لها في عنقني موضع الخاتم من أهل الذمم]

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول :

لمستُ بكفسيّ كفّه ابتغي الغنى ولم أدر أن الجودَ من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني ، فأتلقت ما عندي

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول :

رأيت السُّهيلين استوى الجود فيها على بُعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يهود بماله كما جاد بالوجعاً سهيل بن سالم

قال : ويحك هذه الأبيات كلها لبشار .

وقال محمد بن الحجاج : قلت لبشار : إني أنشدت فلاناً قولك :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعض واحداً أو صل أخاك فإنه مقارفُ ذنبٍ مرّةٍ ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأبي الناس تصفو مشاربه

فقال : ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ، فقال لي بشار : ويلك افلا قلت له هو والله أكبر الإنس والجن؟

وحدث الأصمعي قال : قلت لبشار : يا أبا معاذ، الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ، قال : يا أبا سعيد إن المشاور بين صوابٍ يفوز بثمرته ، أو خطأٍ يشارك في مكروهه ، فقلت له : أنت والله في قولك أشعر منك في شعرك .

وقيل لبشار: ما لكم معشر الشعراء لا تكفأون في قدر مديحك؟ قال : لأنا نكذب في العمل فنكذب في الأمل؛ ومثل هذا قيل لأبي يعقوب الخريمي محمد ابن منصور بن زياد : شعرك في مديحك أجود من شعرك في مرائك ، قال : إن ذلك للرجاء وهذا للوفاء وبينهما بون .

وقيل : كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾ ؟ فقال له بشار: النحل التي تعرفها الناس، فقال : هيئات يا أبا معاذ ، النحل بنو هاشم وقوله ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ يعني أهل العلم، فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعت غثاثة ، فغضب وشم بشاراً ، وبلغ المهدي الخبر فدعا بها وسألها عن القصة فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث .

قال : ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور وكان فيه غفلة ،

فقال : يا شيخ ما صناعتك ؟ قال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ثم قال لبشار : اعزب ، اتنادر على خالي؟ فقال : وما أصنع به؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف على بشار بعض الجمان وهو ينشد شعراً بسكّة فقال له : استر شعرك كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : ويلك من أنت ؟ فقال : أنا أعزك الله رجل من باهلة وأخوالي سلول وأصهارى عك واسمي كلب ومولدي بأضاح ومنزلي بنهر بلال ، قال : فضحك بشار وقال : اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد .

ومرّ بشار برجلٍ قد رحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له : استرده يزدك . ومرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال : ما لهم مسرعين ؟ أترام سرقوها فهم يخافون ان يلحقوا فتؤخذ منهم ؟

وكان رجل من أهل البصرة من كان يتزوّج النهاريات قال : تزوجت امرأةً منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا ، أو كنا في سفلى وبشار يعملوه [مع امرأة] ، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمارٌ في الجيران وحمار في الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار برجله وجعل يدقها دقاً شديداً فسمعت بشاراً يقول للمرأة : نُنْفَخِ يَعْلَمُ اللهُ فِي الصُّورِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ ، أما تسمعين كيف يدقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ؟ قال : ولم تلبث ان فزعت شاة وكانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقةً فيه غضارة إلى الدار ، فانكسرت ، وتطاير حمامٌ ودجاج كان في الدار لصوت الغضارة ، وبكى صغير في الدار ، فقال بشار : صحّ الخبر يعلم الله ، ازفت الآزفة وزلزلت الأرض ، فعجبت من كلامه وغازني ، فسألت : من المتكلم ؟ فقبل لي : بشار ، فقلت : قد علمت انه لا يتكلم بهذا غير بشار .

وتوفي ابن لبشار فجزع عليه فقيل له : اجرّ قدمته وفرط أفرطته وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته وثكلت تعجلته وغيب وعدته وانتظرته ، والله لئن لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد ، وقال يرثيه من أبيات :

عجبت لإسراع المنية نحوه وما كان لو ملّيته بعجيب

قيل : رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما سمع بأعجب من هذا ، جلاء مرآة اعمى عشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت اجرة من يحلوها عشرة دراهم .

وحضر بشار باب محمد بن سليمان فقال له الحاجب : اصبر ، فقال : الصبر لا يكون إلا عن ثلاثة ، فقال الحاجب : إني أظن وراء قولك هذا شراً ، ولن أتعرض إليك ، قم فادخل .

وقال هلال بن عطية لبشار وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم يُذهب بصر أحد إلا عوضه شيئاً ، فما عوضك ؟ فقال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ؛ ثم قال : يا هلال أطيعني في نصيحةٍ أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ، ثم تبت وصرت رافضياً ، فعُدْ إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرفض ؛ وكان هلال يُستثقل ، وفيه يقول بشار :

وكيف يخفُّ لي بصري وسمعي وحوالي عسكران من الثقال
إذا ما شئت صبّحتني هلال وأيُّ الناس أثقل من هلال

وقد قيل إن الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة هو ابن سيابة ، فلما أجابه بشار قال له : من أنت ؟ قال له : أنا ابن سيابة ، قال : يا ابن سيابة ، لو نكح الأسد لما افتقرس ؛ قال : وكان يتهم بالأبنة .

وقالت امرأة لبشار : ما أدري لم تهابك الناس مع قبج وجهك ، فقال بشار : أليس من قبجه يهاب الأسد ؟

وحكى محمود الوراق : أتينا بشاراً فأذن لنا فدخلنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته وبال ، ثم حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، فدنونا منه وقلنا له : أنت أستاذنا فقد رأينا منك أشياء نكرها ، قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك

فلم تدعنا ، فقال : إنما أذنت لكم لتأكلوا ولو لم أورد ذلك لما أذنت لكم ، قال :
ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوت بالطست ونحن حضور فبليت ونحن نراك ، فقال : أنا
مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار دوني ، قال : مه ثم ماذا؟
قلنا : حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل ، قال : إن الذي يقبلها تفاريق
يقبلها جملاً .

وحكى أبو أيوب الجرمي قال : قعد إلى جنب بشار رجل فاستثقله فضرط
ضرطه ، فظن الرجل أنها أفلتت ، ثم ضرط أخرى فقال : أفلتت ، ثم ضرط
ثالثة فقال : يا أبا معاذ ما هذا ؟ فقال : مه أرأيت أم سمعت ؟ فقال : لا بل
سمعت صوتاً قبيحاً ، قال : فلا تصدق حتى ترى .

وقيل إن امرأةً قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية،
فقال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثن من سود الغربان ؟ فقالت : أما
قولك فحسن في السمع ، فمن لك بأن يحسن [شيبك] في العين كما حسن [قولك]
في السمع ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمني إلا هذه المرأة .

وقال بعض الشعراء : أتيت بشاراً وبين يديه مائتا دينار فقال لي : خذ
منها ما شئت ، أو تدري ما سببها ؟ قلت : لا ، قال : جاءني فتسى فقال :
أذت بشار ؟ قلت : نعم ، فقال لي : كنت آليت على نفسي أن أدفع إليك
مائتي دينار ، وذلك أني عشقت امرأة وجئت إليها وكلمتها فلم تلتفت إليّ
فهممت بأن أتركها ثم ذكرت قولك :

لا يؤيسنك من مخبأةٍ قولٌ تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعبُ يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها ولازمت فإنها ، فلم أرجع حتى بلغت حاجتي .
ولما بلغ المهديّ هذان البيتان استدعاه فلما قدم عليه استنشده فأنشده إياهما ،
وكان المهديّ غيوراً ، فقال: تلك أمك يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ، تحض النساء
على الفجور وتقذف المحصنات المحبّات ! والله لأن قلت بعد هذا بيتاً واحداً فيه
تشبيب لآتين على نفسك ! ولم يحظ بشيء منه فهجاه في قصيدة فقال :

خليفة يزني بعاتيه يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

وأشدها في حلقة ابن يونس النحوي فسُعي به إلى يعقوب بن داود وكان
بشار قد هجاه فقال :

بني أُميَّة هُبّوا طال نومكمُ إنَّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فدخل يعقوب على المهدي فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى الملحد
الزنديق بشاراً قد هجأك ، قال : بأي شيء ؟ قال : بما لا ينطقُ به لساني ولا
يتوهمه فكري ، فقال : بحياتي أنشدني إياه ، فقال : والله لو خيرتني بين
إنشادي إياه وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ، فحلف عليه
المهدي بالأيمان المغلظة التي لا فسحة له فيها أن يخبره ، فقال : أما لفظاً فلا
ولكنني أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه إليه فكاد ينشقُ غيظاً ، وعمل على الانحدار
إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده غير بشار ، فأنحدر ، فلما بلغ البطيحة
سمع أذاناً في ضحى النهار فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فإذا بشار سكران
فقال له : يا زنديق يا عاض بظر أمه ، عجبت أن يكون هذا غيرك ، أتلهو
بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ! ثم دعا بأبي نهيك وأمره بضربه
فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه
السوط يقول : حَسَّ حَسَّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال
له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول حس ولا يقول : بسم الله ،
فقال : ويلك أ طعام هو فأسمي عليه ؟ قال له آخر : أفلا قلت : الحمد لله ؟ قال :
أوهي نعمة فأحمد الله عليها ؟ إنما هي بليّة أسترجع منها ؛ فلما ضربه سبعين
سوطاً بان الموت فيه ، فألقي في سفينة ، فقال : ليت عين أبي الشمقمق تراني
حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى في سفينه

ولما مات أُلقيت جُثَّتُهُ في البطيحة في موضع يُعرف بالجرار فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة لدفنه ؛ قال النوفلي : فأخرجت جنازته فما تبعه أحد إلا جارية سوداء سندية عجباء رأيتها خلف جنازته تصيح : واسيداه ، ما تفصح ؛ ولما نعي لأهل البصرة تبأثر عامتهم وهنا بعضهم بعضاً ، وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا قد بلوا به من لسانه .
وقيل : كان سبب قتل بشار أن صالح بن داود لما ولي أخوه يعقوب بن داود وزير المهدي البصرة قال بهجوه :

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً أخاك فضجّت من أخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب بن داود فسعى فيه بما تقدّم . وكانت وفاته وقد ناهز تسعين سنة ، ودفن بالبصرة في سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، رحمه الله تعالى .

(٣٢)*

(ترجمة ذي النون المصري ، رقم : ١٢٩ ، ص : ٣١٦ ، س : ٨)

وكان يعرف اسم الله الأعظم ؛ قال يوسف بن الحسين : قيل لي إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم ، فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت : يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك ، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم ، وقد عرفني ولا تجد له موضعاً مثلي فأحبّ أن تعلمني إياه ؛ قال : فسكت عني ذو النون ولم يجيني وكأنه أوماً إلى أنه يختبرني ؛ قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر ثم أخرج إليّ من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل ، وكان ذو النون يسكن الجيزة ، فقال : تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط ؟ فقلت : نعم ، قال : وأحب أن تؤدي هذا إليه . قال : فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا مفكر فيه : مثل ذي النون يوجه إلى فلان هدية ؟ ترى أي شيء هي ؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر ، فحلت المنديل ورفعت المكبة ، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرّت ؛ قال : فاغظت غيظاً شديداً وقلت :

ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة ! فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما رأني عرف ما في وجهي ، فقال : يا أحق إنما جربناك ، ائتمنتك على فأرة فخنثني افأتمنتك على اسم الله الأعظم ؟ مرّ عني فلا أراك أبداً .

وكان المتوكل قد أمر بإشخاصه سنة خمس وأربعين ومائتين فوصل إلى سر من رأى ، فأنزله الخليفة في بعض الدور وأوصى به رجلاً يُعرف بزرافة ، وقال : إذا أنا رجعت من ركوبي فأخرج إليّ هذا الرجل ، فقال له زرافة : إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك ؛ فلما رجع من الغد قال له : تستقبل أمير المؤمنين بالسلام ، فلما أخرجه إليه قال : سلّم على أمير المؤمنين ، فقال ذو النون : ليس هكذا جاءنا الخبر ، إن الراكب يسلم على الراجل ، قال : فتبسم الخليفة وبدأه بالسلام ونزل إليه فقال له : أنت زاهد مصر ، قال : كذا يقولون ، ثم وعظه ، وأكرمه الخليفة وردّه إلى مصر مكرماً .

(٣٣)*

(ترجمة جرير الشاعر ، رقم : ١٣٠ ، ص : ٣٢٢ ، س : ٨) ٢

حكى عقاب بن شبة قال : كنت رديف أبي ، فلقية جرير على بغل فحيّاه أبي وألفظه فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ ! [قال] : يا بنيّ أفأوسّع جرحي ؟

وحدّث أبو الخطاب عن أبيه عن بلال بن جرير قال : قلت لأبي : ما هجوتَ قوماً إلا أفسدتهم سوى التيم ، قال : إني لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه .

وحكى حماد عن أبيه عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن

١ وردت هذه الحكاية في نسخة آيا صوفيا : ٨٠ ب أيضاً .

٢ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة مع بعض الاختلاف في النص .

الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، قلنا له : لا ترد ذلك ، فلم يلبث أن جاء جرير فقال له الأحوص : السلام عليك ، قال : وعليك السلام ، قال : يا ابن الخطفي ، الفرزدق أشعر منك وأشرف ، فأقبل جرير علينا فقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت :

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت

فانه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفقر ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يرمي بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمرٍ وفاكهة ؛ وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب فأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله إنك لأقبحهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً وقد أبرمتني ، قال : أنا والله أنفعهم لك ، فانتبه جرير وقال : وكيف ؟ قال : لأنني أملح شعرك ، واندفع يغنيه قوله :

يا أم ناجية السلام عليكمُ قبل الرحيل وقبل لوم العذّل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلتُ ما لم أفعل

قال : فأدناه جرير حتى ألصق ركبته بركبته وجعله أقربنا منه ثم قال : أجل والله إنك أنفعهم لي وأحسنهم ترتيباً لشعري ، فأعاده عليه ، وجرير يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه ، وكساه حلةً من حلل الملوك ، وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ، ويعطيه جرير شعره فيغني فيه .

وحكى الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء إليه وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك وقد ازمعوا على الرحيل إذ مرّ بهم رجاء بن حيوة - وكان

١ ورد هذا الخبر كاملاً في نسخة آيا صوفيا ٨١ ب - ٨٢ ب أيضاً مع بعض الاختلاف في النص عن نسختي دوف .

خطيباً من أهل الشام - فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول :

يا أيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال : فدخل فلم يذكر من أمرهم شيئاً ؛ قال : ومرّ بهم بعده عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقال له جرير :

يا أيها الرجل المرخي مطيته هذا زمانك إني قد مضى زماني أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه إني لدى الباب كالمصفود في قرن لا تنس حاجتنا لُقيت مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال : فدخل عون^٢ على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، قال : ويحك يا عون^٣ ، ما لي وللشعراء ؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى وفي ذلك أسوة ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأمر له بحلة فقطع بها لسانه ، قال : وهل تروي من قوله شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
ونوّرت بالبرهان أمراً مدنساً وأطفأت بالقرآن ناراً تضرّماً
فمن مبلغ عني النبيّ محمداً وكل امرئ يبحزى بما قد تكلمنا
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها وكانت قديماً ركنها قد تهدّما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلى وأعظماً

قال : ويحك يا عون^٤ ، من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن عبد الله بن أبي

١ كذا أيضاً في الأغاني ٨ : ٤٥ وفي نسختي ف وآيا صوفيا : عدي بن أرطاة .

٢ ف وآيا صوفيا : عدي .

٣ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

٤ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

ربيعة المخزومي ، قال : أو ليس الذي يقول :

ثم نبهتُها فهبتُ كعاباً طفلةٌ ما تبين رجَعَ الكلام
ساعةٌ ثم هومتُ ثم قالت ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام
أعلى غير موعدٍ جئتُ تسعى تتخطى على رؤوس النيام
ما تجشمتَ ما يريبُ من الأم ر ولا جئتَ طارقاً لخصام

فلولا كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه ، لا يدخل عليّ والله أبداً ؛ فمن
منهم سواه ؟ قال : هام بن غالب ، يعني الفرزدق ، فقال : أو ليس هو
الذي يقول :

ها دلّتاني من ثمانين قامة كما انقض بازُ أقتمُ الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحيي يُرجي أم قتيلٍ نحاذره

لا يظأ والله هذا لي بساطاً أبداً ، فمن سواه بالباب منهم ؟ قال : الأخطل ،
قال : يا عون أليس الذي يقول :

ولستُ بصائمٍ رمضان طوعاً ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولستُ بزائرٍ بيتاً بعيداً بمكة أتبعي فيه صاحي
ولستُ بقائمٍ كالعير أدعو قبيل الصبح حيّ على الفلاح
ولكنني سأشرها شمولاً وأسجدُ عند منبلج الصبح

والله لا يدخل عليّ أبداً وهو كافر ، فهل رأيت سوى من ذكرت ؟ قال :
نعم ، رأيت الأحوص بن محمد الأنصاري ، قال : أو ليس الذي يقول
وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية له حتى هرب بها منه :

الله بيني وبين سيدها يفر مني بها وأتبعه

١ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

اضرب عليه ، فما هو بدون من ذكرت ، فمن هاهنا سواء أيضاً ؟ قال :
جميل بن معمر العذري ، قال : هو الذي يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن أمت يوافق لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سُوي عليها صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا فيعمل بعد ذلك صالحاً ، والله لا
يدخل علي أبداً ، فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : نعم جرير بن عطية ،
قال : نعم أما إنه الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام

فإن كان ولا بد فهو ، قال : فأذن لجرير ، قال : فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافةَ للامام العادلِ
وسع الخلائقَ عدله ووفاءه حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجلِ

فلما مثل بين يديه قال : يا جرير ويحك اتق الله ولا تقل إلا حقاً ، فأنشأ

يقول :

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني بما بلغت من خبري
كم باليامة من شقاء أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوت والنظر
ممن بعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطير
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأن به خبلاً من الجن أو مساً من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون لنا لسنا إليكم ولا في دار منتظر
ما زلتُ بعدك في همٍّ يؤرقني قد طال في الحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر الجهود باديئنا ولا يعود لنا بدوٌ على حضر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
زان الخلافة إذ كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركنا يا عمر الخيرات من عمر

فقال: ويحك يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقاً ، قال : بلى يا أمير المؤمنين ،
أنا ابن سبيل ومنقطع بي ، فأعطاه من صلب ماله أربعمئة درهم^١ ؛ قال : وقد
ذكر أنه قال له : ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلثمئة درهم ،
فمئة أخذها عبد الله ومئة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية ، قال :
فأخذها وقال : والله هي أحب مال كسبته إلي ؛ قال : ثم خرج فقال له الشعراء :
ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء
ويمنع الشعراء وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

[وقد كتبت هذا الخبر من طرق ، والقصص فيها مختلفة] ^٢ .

ويحكى أن جريراً لما قال :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

سأله الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت لقلت
ما كانا ولم أقل من كانا .

(٣٤)*

(ترجمة جعفر الصادق ، رقم : ١٣١ ، ص : ٣٢٨ ، س : ٥)

قال^٣ الهيثم : حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر
وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها أن قال : يا

١ آيا صوفيا : مائة درهم .

٢ زيادة من آيا صوفيا .

٣ ورد هذا الخبر والخبر الذي يليه في نسخة آيا صوفيا : ٨٣ أ - ٨٤ أ أيضاً .

بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي ، فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً ؛
يا بني إنه من [قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات
فقيراً ، ومن لم يرض] ^١ بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة
نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ؛ يا بني
من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قُتل
به ، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط
العلماء وقر ، ومن دخل مداخل التهم اتهم ؛ يا بني قسّل الحق لك وعليك ،
وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال ؛ يا بني إن طلبت الجود
فعليك بمعادنه .

قال أبو الحسن المدائني: بعث أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن محمد فأناه فقال:
إني أريد أن أستشيرك في أمر؛ قد رأيت إطباق المدينة على ختري وقد تأنيت
بهم مرة بعد أخرى ولا أراهم ينتهون ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يحمّر
نخلها ويغورّ عيونها فما ترى ؟ فسكت جعفر فقال : ما بالك لا تتكلم ؟ قال :
يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود أُعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن
يوسف قدر فغفر ، وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون ، قال :
فطفئ غيظه .

ويقال إن سليمان بن علي عم المنصور أخذ غلاماً لجعفر فكتب جعفر إليه :
أيها الأمير إن الإنسان ينام على الشك ولا ينام على الحرام ، فإما ان رددت
غلامي وإلا عرضت أمرك على الله خمس مرات في اليوم والليلة ؛ فردده عليه .
واشكى ^٢ ابن جعفر فاشتد جزعه عليه ثم أخبر بموته فسري عنه ، فقيل
له في ذلك فقال : إنا ندعو الله فيما نحبّ فإذا وقع ما نكره لم نخالف فيما أحب .
وقيل له : ما بلغ من حبك له ؟ قال : كان يسرني ألا يكون لي ولد غيره
فيشركه في حبي له ؛ وفضله أشهر من أن يُذكر .

١ زيادة من نسخة آيا صوفيا .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ٨٤ أ أيضاً .

[وكان المنصور أراد إشخاصه إلى العراق معه عند مسيره إلى المدينة فاستغفاه من ذلك فلم يعفه ، فاستأذنه في المقام بعده أياماً ليصلح أموراً مختلفة ، فأبى عليه ، فقال له جعفر : سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليبقى أمله وينقضي أجله فليصل رحمه فيزداد في عمره ، قال : آله ، لقد سمعت ذلك عن أبيك عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اللهم نعم ، فأعفاه من الشخوص وأقره بالمدينة وأجازه ووصله .

وقيل إن المنصور وجه في إشخاص جعفر قبل قتل محمد بن عبد الله ، فلما صار إلى النجف توطأ للصلاة ثم قال : اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبمحمد صلى الله عليه وسلم أتوجه ، اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره ، اللهم سهل لي حزونته ولين لي عريكته وأعطني من الخير ما أرجو واضرب عني من الشدة ما أخاف وأحذر ؛ قال : فلما دخل عليه قام إليه وأكرمه وبره وغلغله بيده وصرفه إلى منزله ، وإنما أشخصه ليقته . وقال له وسأله عن محمد ابن عبد الله فقال : أقول ما عندي ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾ ، فقال المنصور : في دون هذا القول منك كفاية ، وسجد شكراً لله .

(٣٥)*

(ترجمة جميل بثينة ، رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٦ ، س : ١٨) ٢

وعشق جميل بثينة وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فرود عنها ، فقال الشعر ، وكان يأتيها سراً ، ومنزلها وادي القرى ، فجمع له قومها ليأخذوه إذا أتاها ، فحذرت بثينة فاستخفى وقال :

ولو ان ألفاً دون بثينة كلهم غيارى وكل منهم مززع قتلي

١ من هنا إلى آخر النص زيادة من أ .

٢ وردت مقاطع متفرقة من هذه الزيادة في نسخة ف ، مع بعض الاختلاف في النص .

لحاولتها إما نهاراً مجاهراً وإما سرى ليل ولو قطعت رجلي

وهجا قومها فاستمدوا عليه مروان ، وهو يومئذ عامل معاوية على المدينة ، فندر ليقطن لسانه ، فلحق بجذام وهي قبيلة من اليمن ، فأقام هناك إلى أن عزل مروان عن المدينة ، فانصرف إلى بلادها ، وكان يختلف إليها سرّاً. [وكان لما هدر السلطان دمه ضاقت عليه الأرض بما رحبت] ^١ ، وكان يصعد بالليل على قور رمل فيتشم الرياح من عوارض بئينة ، حتى إذا تهور الليل وملّ الوقوف أنشد :

أيا ريح الشمال أما تريني أذوب وأني بادي النحول
هي لي شمة من ريح بئنٍ ومني بالهبوب على جميل
وقولي يا بئينة حسب نفسي قليلك أو أقل من القليل

وينصرف مع الفجر ، قال : وكانت بئينة تقول لجوارٍ من الحي عندها :
ويمكن إنني لأسمع أنين جميل من بعض الغيران ، فيقلن لها : اتقي الله فهذا من
عمل الشيطان .

وحدث ^٢ عمر بن شبة عن إسحاق قال : لقي جميل بئينة بعد تهاجر كان
بينها طالت مدته ، فتعابها ساعة فقالت له : ويحك يا جميل تزعم أنك تهواني
وأنت الذي تقول :

رمى الله في عيني بئينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح
قال : فأطرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتني أعمى أعمّ تقودني بئينة لا يخفى عليّ كلامها

فقالت : وما حملك على هذه المنى ؟ أو ليس في سعة العافية ما كفانا ؟
وكان ^٣ توبة بن الحمير رحل إلى الشام فمر ببني عذرة فرأته بئينة فجعلت

١ زيادة من نسخة آيا صوفيا ٩٤ أ - ٩٤ ب ، وقد ورد فيها هذا الخبر كاملاً .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا (٩٤ أ) أيضاً .

٣ نص هذه الرواية في نسختي ف وآيا صوفيا (٩٤ أ) يختلف عن نصها في نسخة د .

تنظر إليه ، فشوقاً ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر على حبه لها ، فقال له جميل : من أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحمير ، قال : هل لك إلى الصراع ؟ قال : ذلك إليك ، فنبذت إليه بثينة ملحفة مؤرّسة فاتزربها ثم صارعه ، فصرعه جميل ، ثم قال : هل لك في السباق ؟ قال : نعم ، فسابقه ، فسبقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا إنك إنما تفعل هذا بروح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا إلى الوادي ، فهبطا وانطلقت بثينة راجعة ، فصرعه توبة وسبقه فقال : يا جميل ، أخبرتك أنك لا تقوم لي وأنتك بروحها غلبتني .

وقال^١ الهيثم بن عدي : قال لي صالح بن حسان : هل تعرف بيتاً نصفه أعرابي في شملة بالبادية وآخره مخنث يتفكك من مخنث العقيق ؟ قلت : لا أدري ، قال : قد أجلتلك فيه حولاً ، فقلت : لو أجلتني حولين ما علمت ، قال : قول جميل :

ألا أيُّها الركب النيام ألا هبّوا^٢

هذا أعرابي في شملة ، ثم قال :

أسائلكم^٣ هل يقتل الرجل الحُبَّ

كأنه والله من مخنثي العقيق .

وحدث^٤ الزبير بن بكار عن رجل من العرب قال : دخلت حمّاماً بمصر يقال له حمّام القر فإذا برجل لم أرَ من خلق الله رجلاً أحسن منه فظننته قرشياً فأعظمتُهُ وسألتُهُ من هو فقال : أنا جميل بن عبد الله ، قلت : أصاحب بثينة ؟ فضحك وقال : نعم والله لأراها ستغلب على نسيي كما غلبت على عقلي ، قلت له : قد ملأت بلاد الله تنويهاً بذكرها ، وصار اسمها لك نسباً . والله إني لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنوب كثيرة وسخ المرفق . . . [فضحك حتى استلقى]^٥ .

- ١ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٩٥ أ .
- ٢ ف وآيا صوفيا : ألا أيها النوام ويحكوا هبوا .
- ٣ ف وآيا صوفيا : نسائلكم .
- ٤ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٩٤ أ .
- ٥ زيادة من آيا صوفيا .

(٣٦)*

(ترجمة جميل بثينة ، رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٩ ، س : ١٩)١

قال سهل بن سعد الساعدي أو ابنه عياش : لقيني رجل من أصحابي فقال :
هل لك في جميل فإنه يعتلّ ، فدخلنا عليه وهو يكيّد بنفسه ، وما يخيل إليّ
أن الموت يكرّثه ، فقال : ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمراً
ولم يقتل نفساً حراماً قط ، يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت : أظنه والله قد نجا ،
فمن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، قلت : والله ما سمعت وأنت منذ عشرين سنة تنسب
ببثينة ، قال : إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، فلا نالتني
شفاعه محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط . فما
قمنا حتى مات .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة .

ب - زيادات نسخة آيا صوفيا

بعد أن قطعت طباعة هذا الجزء شوطاً كبيراً ، وقعت إلى نسخة من وفيات الأعيان (آيا صوفيا رقم : ٣٥٣٢) ، تبين لي عند المقابلة أنها تحوي زيادات هامة على الأصول التي اعتمدها ، كما هو مبين في المقدمة . وقد رأينا أن نورد زيادات هذه النسخة على نص هذا المجلد هنا استدراكاً ، ورتبناها بحسب تسلسل التراجم في متن الكتاب ، وبيتنا موضع الزيادة محمداً برقم الترجمة والصفحة والسطر والعبارة السابقة لها . أما حين اتفقت زيادات هذه النسخة مع زيادات نسخة د المبينة في القسم أ ، فقد اكتفينا بالإشارة إلى ذلك هناك .

إبراهيم النخعي

(الترجمة رقم : ١ ، ص : ٢٥ ، س : ١٣ ، بعد قوله : إلى يوم القيامة)

وقال له بعض أصحابه يوماً : كيف أصبحت يا أبا عمران ؟ فقال : إن كان من رأيك أن تسد خلتي أو تقضي ديني أو تكسو عورتي خبّرتك ، وإلا فليس المحيب بأعجب من السائل ؛ وقيل له : أين كنت ؟ قال : حيث احتيج إلي ؛ وقيل له : بمن أنت ؟ قال : من ذوي .

(آيا صوفيا : ٢ ب - ٣ أ)

إبراهيم بن أدهم

(الترجمة رقم : ٦ ، ص : ٣١ ، س : ١٧ ، بعد قوله : وأنت قلت ولم تعمل)

ومر إبراهيم في سوق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا أبا إسحاق ، إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا ، فقال إبراهيم : ماتت قلوبكم في عشرة أشياء ؛ أولها : عرفتم الله ولم تؤدوا حقه ، والثاني : قرأتم القرآن ولم تعملوا به ، والثالث : ادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته ، والرابع : ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه ، والخامس : قلمت إنكم تحبون الجنة ولم تعملوا لها ، والسادس : قلمت نخاف النار وذهبت أنفسكم بها ، والسابع : قلمت ان الموت حق ولم تستعدوا له ، والثامن : اشتغلتم بعبود إخوانكم ونسيتم عبودكم ، والتاسع : أكلتم نعمة الله ولم تشكروها ، والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم

قال علي بن بكار : كنا جلوساً بالمصيصة وغينا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فقال القوم : هذا ، وأشاروا إليه ، قال : إن اخوتك بعثوني إليك ؛ فلما ذكر إخوته أخذ بيده فنحاه وقال : ما جاء بك ؟ قال : أنا مملوك معي دراهم عشرة آلاف وفرس وبغلة بعث بها إخوتك إليك ؛ قال : إن كنت صادقاً فأنت حر وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحداً .

(آيا صوفيا : ٥٥ - ٥٦ ب)

العراقي الخطيب

(الترجمة رقم : ٧ ، ص : ٣٦ ، س : ١٠ ، بعد قوله : فأنت غيث)

ولأبي تمام حبيب بن أوس الطائي عند خروج المعتصم إلى أرض مصر :
أرض مصرّدة وأخرى تتجمُّ منها التي رزقت وأخرى تحرمُّ

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتنعم^١
ولتاج الدين ابن الجراح في هذا المعنى :

آن أن تطوي الشآم إلى مه
وترى البلدة التي شرف الاله
بلدة من نعوتها صفة الجذبة
كل فصل يدور فصل ربيع
وتنسى الوحول والأمطار
تراها فإنها لك دار
تجري من تحتها الأنهار
ولياليه كلها أسحار

(آيا صوفيا : ٤ - أ - ٤ ب)

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

(ترجمة زائدة بعد ترجمة ابن عسكر الموصللي ، رقم : ٨)

أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، وأمه أم ولد اسمها نعمة وقيل
خشف . بويغ له في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ثم خلع نفسه وسلم
الأمر إلى مروان بن محمد الجعدي ، وبايعه في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ،
وكانت ولايته شهرين وعشرة أيام ، ولم يزل باقياً إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ،
فقتله أبو عون يوم الزاب ، وقيل : غرق يومئذ ، وقيل : قتله مروان وصلبه .
ويقال إنه كان عاجزاً ضعيف الرأي ، وكان أتباعه يسلمون عليه تارة بالخلافة
وتارة بالإمارة وتارة بغير ذلك . وكان خفيف العارضين ، رحمه الله تعالى .

(آيا صوفيا : ٥ أ)

١ رواية الديوان ٣ : ١٩٥ : تثري كما تثري الرجال وتعدم .

إبراهيم النديم الموصلبي

(الترجمة رقم : ١٠ ، ص : ٤٢ ، س : ١٨ ، بعد قوله : زوج أخت زلزل المذكور)

قال إبراهيم الموصلبي : أمر المأمون يوماً بإحضاري ، فدخلت إليه وهو مصطبح ، ونعم جاريتيه بين يديه تغنيه ، وهي يومئذ وصيفة ، فقال لي : يا أبا إسحاق ، قد أصبحت نشيطاً ، فاسمع غناء هذه الصبية فإن كان فيه ما تأخذه عليها فأصلحه ، فقال لها : غني ، فغنت :

وزعمتِ اني ظالمٌ فهجرتيني ورميتِ في قلبي بسهمٍ نافذٍ
فنعمة ظلمتكِ فاغفري وتجاوزي هذا مقام المستجير العائذِ

فسمعت ما أذهلني وأطربني ، فشرب ثلاثة أرطال متوالية وأمر فسقيت مثلها ، ثم قال لها : غني ، فغنت في خفيف ثقيل :

فإن كان حقاً ما زعمتِ أتمته إليكِ فقامَ النائحاتُ على قبوري
وإن كان ما بُلِّغْتَ عنيَ باطلاً فلامتُ حتى تسهري الليل من ذكري

فطرب وشرب ثلاثة أرطال وأمر فسقيت مثلها ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، غنّ أنت صوتاً وتغني هي صوتاً ، فإذا أعجبه من غنائي صوت قال : أعدده عليها ، فأعيدده مرتين أو ثلاثاً حتى تأخذه وتراسلني فيه ، وعلى رأسه وصيفة كأنها الشمس بيدها جامٌ مذهب فيه شراب مثله وهي تسقيه فقال فيها :

قمر تحمل شمساً مرجباً بالنيرين
ذهب في ذهب يسى مى به غصن لجين
هذه قرّة عين حملت قرّة عين
لا جرى بيني ولا بين نكاس طائر بين

ثم قال : يا أبا إسحاق ، غن في هذه الأبيات خفيفاً وألقه على نعم ، ففعلت ، وغنته غناء طرب وشرب عليه أرطالاً . ثم قال لأبي محمد اليزيدي : هل رأيت

قط أحسن من يومنا؟ فقال : والله إنه لحسن ، أعينك بالله ، فتلقته بشكر الله ، فقال : صدقت وبررت وذكرتني في موضع اذكار ؛ وأمر بإخراج مائة ألف درهم يتصدق بها ، فأخرجت ، ثم قال : يحمل إلى منزل أبي إسحاق مثلها ، فلما انصرفت وجدتها قد سبقتنني إلى منزلي .

(آيا صوفيا : ٨ أ - ٨ ب)

الصابيء صاحب الرسائل

(الترجمة رقم : ١٥ ، ص : ٥٢ ، س : ١٤ ، بعد قوله : وكان يستعمله في رسائله)

وقيل لأبي إسحاق الصابيء : ان صاحب بن عباد قال : ما بقي من أوطاري وأغراضي إلا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب أبا إسحاق الصابيء ويكتب عني وأغير عليه ، فقال الصابيء : ويغير علي وإن أصبت .

وكتب إلى أبي الخير عن رقعة وصلت منه ، وكان أهدى إليه جملاً : وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونتق ، وعبارة مصيبة ، ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ، إلا أن الفعل قصر عن القول لأنك ذكرت حملاً جعلته بصفتك جملاً ، وكان المعيدي الذي تسمع به لا أن تراه ؛ فلما أن حضر رأيت كبشاً متقادماً الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، وظننته أحد الزوجين اللذين جعلها نوح في سفينته ، وحفظها لذريته ، صغر عن الكبر وكبر عن القدم فبانث دمامته ، وقصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادي الأسقام ، عاري العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ، ومن تأتت الحركة فيه ، لأنه عظم مجلد ملبّد ، لا تجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلقى يدك منه إلا خشباً ، قد طال للكلا ففقدته ، وبعد بالمرعى عهده ، لم يرَ القت إلا نائماً ، ولا عرف الشعرير إلا حالماً . وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من

محبتي للتوفير ، ورغبتني في التثمير ، وجمعي للولد ، وادّخاري لغد ، فلم أجد فيه مستقبياً لبقاء ، ولا مدفعاً لعناء ، لأنه ليس بأثنى قتلد ، ولا بفتى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى ؛ فقلت : أذبحه ليكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشدني وقد أضرمت النار وحُدَّت الشفار :
أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
ثم قال : وما الفائدة في ذبحي ولست بذبي لحم فأصلح للأكل لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا ذي جلد يصلح للدباغ لأن الأيام قد مزقت أدمي ، ولا ذي صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد حصت وبري ؛ فإن أردتني للوقود فكيف يعز أنفي من ناري ولريقي حرارة جمرى بريح قُتاري ؟ فلم يبقَ إلا أن تطالبني بدحل أو بيني وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من أي أمره أعجب : أمن مطالبته للدهر بالبقاء ، أم صبره على الضر والبلاء ، أم قدرتك عليه مع عدم مثله ، أم هديتك إياه للصديق مع خساسة قدره . ويا ليت شعري وأنت فيما أنت فيه ، وهديتك هذا الذي كأنه نشر من القبور ، أو قام عند النفخ في الصور ، ما كنت مهدياً - لو أُنِي رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب - ما كنت مهدياً إلا كلباً أجرباً أو قرداً أحديباً ، والسلام .

(آيا صوفيا : ١٠ ب - ١١ ب)

الصابيء صاحب الرسائل

(الترجمة رقم : ١٥ ، ص : ٥٣ ، س : ١٢ ، بعد قوله : إن كنت مالي)

ومن بديع شعره قوله :

وكم من يد بيضاء حازت كماها يدك لك لا تسود إلا من التّمس
إذا رقت بيض الصحائف خلتها تطرز بالظلماء أودية الشمس

(آيا صوفيا : ١١ ب)

ابن خفاجة

(الترجمة رقم : ١٧ ، ص : ٥٧ ، س : ٤ ، بعد قوله : كأنه غيلان)

ومن شعره أيضاً :

نَبِّهِ وِلِيدِكَ مِنْ صَبَاهِ بَزْجَرِهِ فَلَـرَبِّهَا أَعْغَى هُنَاكَ ذِكَاؤُهُ
وَانْهَرِهِ حَتَّى تَسْتَهْلَّ دَمُوعُهُ فِي وَجْنَتَيْهِ وَتَلْتَطِي أَحْشَاؤُهُ
فَالسِّيفُ لَا يَذْكُو بِكَفِّكَ تَارَةً حَتَّى تَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ دَمَاؤُهُ

ومن شعره أيضاً :

وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبِيِّ جَرِيَّ الصَّبَا وَشَرَيْتُهَا مِنْ كَفِّ أَحْوَى أَحْوَرِ
نَاجَيْتُ مِنْهُ عَطَارِدًا وَلَرْبَمَا قَبَّلْتَهُ فَلَثَمَتْ وَجْهَ الْمُشْتَرِي

ومن شعره أيضاً :

وبدا هلال في نقاب طالعٍ ولربما اتخذ النقاب فأقمرا

(آيا صوفيا : ١٣ أ - ١٣ ب)

ابراهيم الغزي الشاعر

(الترجمة رقم : ١٨ ، ص : ٥٩ ، س : ٧ ، بعد قوله : بحر بلا ماء)

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ ذُنُوبِي عِنْدَهُ الْفَضْلُ الَّذِي لَوْلَا مَزِيَّتُهُ لَكَانَ مَسَالِي
يَشْقَى الْقَضِيبَ إِذَا ذُوَى أَمَا إِذَا أَبْدَى الثَّارَ فَكَمْ لَهُ مِنْ رَاحِمِـ

ومن شعره أيضاً :

سَأَلْتُ الْكُوَيْفِيَّ فِي قَبْلَةٍ فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَانْبَطَحَ

وقال : فهت دليل الخطاب ومن عشق الدنّ باس القدح
وفائدة الفقه أن تهتدي إلى صيغة الغرض المقترح
(آيا صوفيا : ١٤ أ - ١٤ ب)

ابن أبي دواد

(الترجمة رقم : ٣٢ ، ص : ٨٨ ، س : ٩ ، بعد قوله : ما يستغرق الوصف)

دخل يوماً على المعتصم فقال له : كان عندي إنسان يذكرك بكل قبيح ،
فقال : الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب علي وأغثاني عن الصدق عنه .
وقيل : أمر الواثق أحمد بن أبي دؤاد أن يصلي بالناس في يوم عيد ، وكان
عليلاً ، قال : يا أبا عبد الله ، كيف كان عيدكم ؟ قال : كنا في نهار ولا شمس
فيه ، فضحك وقال : انا يا أبا عبد الله مؤيد بك .

ولبس ابن أبي دؤاد طيلساناً فزال عن منكبه فقال : ما أحسن ألبس
الجديد ، فقال له أبو العلاء المنقري : إن كنت لا تحسن أن تلبسه فإنك
تحسن أن تلبسه ، فرماه إليه . وقال يوماً : لله در البرامكة ، عرفوا تقلب
الدول فبادروا بالمعروف قبل العوائق .

وتخطى فتى من بني هاشم عنده رقاب الناس فقال : يا فتى إن الأدب
ميراث الأشراف ، ولست أرى عندك من سلفك إراثاً .

(آيا صوفيا : ١٩ أ ، ١٩ ب)

الحافظ السلفي

(الترجمة رقم : ٤٤ ، ص : ١٠٦ ، س : ٣ ، بعد قوله : بأساء الحياة ولينها)

ونقلت من خطه :

وحذار ثم حذار من واد شطا فيه تقصّر سيرها الأظعان
فهنالك تقتنص البزاة حمائم وكذا الأسود تصيدها الغزلان

(آيا صوفيا : ٢٣ أ)

ابن عبد ربه

(الترجمة رقم : ٤٦ ، ص : ١١٢ ، س : ٣ ، بعد قوله : من نطق خرس)

ومن شعره الذي سمعه المتنبي وحكم بأنه شاعر الأندلس :

يا لؤلؤاً يسبي العقول انيقا ورشاً بتعذيب القلوب رقيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درّاً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطّع خصره من ردفه ما بال قلبك لا يكون رقيقا

(آيا صوفيا : ٢٤ ب)

أبو العلاء المعري

(الترجمة رقم : ٤٧ ، ص : ١١٤ ، س : ٢١ ، بعد قوله : وهذا اعزل)

وله من قصيدة :

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني
لو حطّ رحليّ فوق النجم دافعه
والخلّ كالماء يسدي لي ضمائرَه
سرى أمامي وتأويباً على أثري
ألقيتُ ثمّ خيالاً منك منتظري
مع الصفاء ويخفيها مع الكدرِ

وله أيضاً :

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه
وإن كان في لبس الفتى شرف له
ولي منطق لم يَرْضَ لي كنه منزلي
ينافس يومي فيّ أمسي تشرقاً
وطال اعترافي بالزمان وصرفه
فلو بان عضدي ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائيّ بالبخل مادر
وقال السّها للشمس أنت خفيّة
وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة
فيا موت زر إن الحياة ذميمة
لآت بما لم تستطعه الأوائلُ
فما السيف إلا غمده والحمائل
على أنني بين السهاكين نازل
وتحسد أسحاري عليّ الأصائل
فلمست أبالي من تقول الغوائل
ولو مات زندي ما بكته الأنامل
أو عير قسّاً بالفهاة باقل
وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وفاخرت الشهبُ الحصى والجنادل
ويا نفس جديّ إن دهرك هازل

وما أحسن قوله فيها :

وإن كنت تهوى العيش فابغِ توسطاً
توقى البدورُ النقص وهي أهلة
فعدد التناهي يقصر المتناول
ويدركها التقصان وهي كوامل

وله أيضاً :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا
فعايدُ من تطيق له عنادا

فظنّ بسائر الإخوان شرّاً
فلو خبرتهمُ الجوزاءُ خُبيري
ولا تأمن على سرِّ فؤادا
وكم عين تؤمّل أن تراني
لما طلعت مخافة أن تكادا
ولو ملأ الشّها عينيه مني
وتفقد عند رؤيتي السوادا
أبرّ على مدى زُحل وزادا

وله أيضاً :

تعبُ كلها الحياة فما أعد
إن حزناً في ساعة الموت أضعا
جب إلا من راغب في ازدياد
فُ سرورٍ في ساعة الميلاد

وله أيضاً :

والشيء لا يكثر مدّاحه
لولا غضا نجد ونمامه
إلا إذا قيس إلى ضده
لم يُثنَ بالطيب على رنّده

وله أيضاً :

قد أورقت عمدُ الحيام وأعشبتُ
ولقد سلوتُ عن الشباب كما سلا
شعبُ الرجالِ ولون رأسي أغبرُ
غيري ولكن للحزين تذكّرُ

(آيا صوفيا : ٢٥ أ - ٢٥ ب ، ٢٦ أ)

ابن فارس

(الترجمة رقم : ٤٩ ، ص : ١١٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : في جوف بيتي درهم)

وله أيضاً :

وقالوا كيف حالك قلت خير
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
نقضّي حاجة وتفوت حاجُ
عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي
دفاتر لي ومعشوق السراج

(آيا صوفيا : ٢٧ أ)

أبو الطيب المتنبي

(الترجمة رقم : ٥٠ ، ص : ١٢٣ ، س : ٢٤ ، بعد قوله : مخافة العين عليهم)

وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص » في « جمعي » أربع لغات فقال : يقال « جمعي » منسوب منون مشدد ، و « جمعي » مشدد غير منون ، ويقال « جمعي » غير مشدد ، ويقال « جُفِف » بوزن فُعَل ثلاثياً من غير ياء النسبة .

(آيا صوفيا : ٢٨ ب)

الناهي الشاعر

(الترجمة رقم : ٥١ ، ص : ١٢٦ ، س : ١٩ ، بعد قوله : بين ألف بيضاء ؟)

ولظافر الحداد قريب من هذا المعنى وهو قوله :

ونفّر صبحُ الشيب ليلَ شيبتي كذا عادتي في الصبح مع من أحبه
وليسر غلام المحسن الصوري :

عابتُ في المرأة شيبَ ضاحكاً فلقيتُ مبسمه بدمعِ فائضِ
ووددت أن بياضه في مقلتي أسفاً وأن سواده في عارضي

وللأمير عز الدولة أبي الحسن علي بن مرشد :

سقياً لدهر مضى والشمل مشتمل على السرور ويا بؤساً لذا الزمنِ
وروض رأسي اثيث النبت ناعمه ريتان أحذر أيامي فيتبعني
فاعتضتُ بالشيبِ يا بؤساً لمنظره فليتني قبله أدرجتُ في كفني

(آيا صوفيا : ٢٩ أ - ٢٩ ب)

بديع الزمان الهمداني

(الترجمة رقم : ٥٢ ، ص : ١٢٨ ، س : ٣ ، بعد قوله : فمن رسائله :)

« أنا لقرب دار مولاي » كما طرب النشوان مالت به الخمر « ، ومن الارتياح للقائه « كما انتفض العصفور بلسه القطر » ، ومن الامتزاج بولائه « كما التقت الصبء والبارد العذب » ، ومن الابتهاج بزاره « كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب . »

وله من رسالة : « يعزئ عليّ - أيّد الله الشيخ - ان ينوب في خدمته قلبي عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي دون وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة :

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراكُ النجاح . »

فصل : « وقد حضرت داره وقبّلت جداره ، وما بي حب الحيطان ولكن شغف القطّان ، ولا عشق الجدران ولكن شوق إلى السكان . »

فصل من رقعة : « مثلك ومثل السفارة مثل الفارة ، طفقت تقرض الحديد ، فقيل لها : ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت : أشهد ولكن أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب فمجيء الذباب لمقاديرك لا معاذيرك . »

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي : « كتابي ، أطال الله بقاء الأمير ، وبودي أن أكونه فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، ولو بلغ الرزق فاه ولاه قفاه ، وبعد فإني في مفاتحته بين نفس تعد ، ويد ترتعد ، ولم [لا يكون ذلك] وهو البحر إن لم أره فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه فقد تصوّرت خلقه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته فقد بلغني صيته ، ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها

١ زيادة من رسائل بديع الزمان : ٢٣٨ ، والبيتمة ٤ : ٢٦٣ .

المأمون ولم يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ،
والرجوع عنها بجمال ، أحب إلي من الرجوع عنها بمال ؛ قدمت التعريف ، وأنا
أنتظر الجواب الشريف . »

فصل : « أنا أخطب الشيخ الإمام ، والكلام معجون ، والحديث شجون ،
وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ؛ هذه العرب
تقول : لا أبا لك في الأمر إذا أهمّ^١ ، وقاتله الله ولا تريد به الذم ، وويل أمه
للأمر إذا تمّ^٢ ، وللألباب في هذا الباب أن تنظر في القول إلى قائله ، فإذا
كان ولياً فهو للولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو للبلاء وإن حسن . »
فصل في مدح الأمير خلف بن أحمد : « جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى
مخدوماً عن خدمه ، ومنعماً عن نعمه ، وأعان على همه ، فلو ان البحار مدده ،
والسحاب يده ، والجبال ذهبه ، لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمرة بالبصرة
إلا أجلّ خطراً من البدرة بهذه الحضرة ، إني لأراها تحمل إلى المنتجعين تحت
الذيل في الليل ، ولا أيسر وجوداً من الدينا [ر] بهذه الديار ؛ المرء في سنة من
نومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعاً خفياً ، ويسأل به سؤالاً
حفيماً ، ويعطى ألفاً حليماً . »

فصل : « وأجدني إذا قرأت قصة الخليل عليه السلام والذبيح إسماعيل ،
أحس من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، وأظنه لو تلتني للجبين وأخذ مني باليمين
ليقطع مني الوتين لصنفته عن الأذن ، عليّ بذلك من الله ميثاق غليظ ، والله على
ما أقول حفيظ . »

(آيا صوفيا : ٢٩ ب ، ٣٠ أ - ٣٠ ب)

١ الرسائل : ٢٤٩ : تم ؛ اليتيمة ٤ : ٢٦٣ : م .
٢ في الرسائل : ٢٤٩ واليتيمة ٤ : ٢٦٣ : للمرء إذا هم .

ابن طباطبا

(الترجمة رقم : ٥٣ ، ص : ١٢٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : أورد له قوله :

تأمل نحوي والهلل إذا بدا لليلته في أفقه أيننا أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة نمواً وجسمي بالضنى ذائباً يفنى
وأورد له أيضاً :

أترى النجم حار في الأفق أم أسـ بل ليلى على نهاري ذيل
أم كما عاد وصله لي هجراً عاد أيضاً به نهاري ليلا
وأورد له أيضاً :

نفسى الفداء لغائب عن ناظري ومحلته في القلب دون حجاب
لولا تشع مقلتي يجماله لوهبتها لمبشري بإبابه
وأورد له أيضاً ...

(آيا صوفيا : ٣١ أ)

أبو الرعمق

(الترجمة رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٢ ، س : ١٧ ، بعد قوله : ابن كلّس)

وقال أبو الرعمق : كان لي إخوان أربعة وكنت أنادمهم في أيام الاستاذ
كافور ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليس لي كسوة تحصنني من البرد ،
فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا
أرخاة سميئة فاشته ما يُعمل لك منها ، فكتبت إليهم :

أحبابنا عزموا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إليّ خصوصاً
قالوا : اقترح لونا يُجاد طبيخه قلت : اطبخوا لي جبة وقميصاً

فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر
في كل صرة عشرة دنانير ؛ فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم .

(آيا صوفيا : ٣٢ أ)

جحظة البرمكي

(الترجمة رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٤ ، س : ٦ ، بعد قوله : بين جحظة والزمان)

وله في دير العذارى :

الا هل إلى دير العذارى ونظرة إلى من به قبل الممات سبيل
وهل لي به يوماً من الدهر سكرة تعلق نفسي والمشوق عليل
إذا نطق القستيس بعد سكوته وشمل مطران ولاح قتيل
غدونا على كأس الصبوح بسحرة فدارت علينا قهوة وشمول
نريد انتصاباً للمدام بزعمنا ويرعشنا إدمانها فنميل
سقى الله عيشاً لم يكن فيه دولة أتمّ ولم ينكر عليّ عذول

قال أبو الفرج الاصبهاني : كان الرشيد كثيراً ما ينزل هذا الدير ويشرب
فيه ، وكان به ديراني ظريف ؛ قال الرشيد للديراني : لم سمي بهذا الاسم ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت المرأة من النصارى في سالف الزمان إذا وهبت
نفسها لله تعالى سكنت في هذا الدير ، فرفع إلى بعض ملوك الفرس أنه اجتمع
فيه عذارى في نهاية الحسن والجمال ، فوجه إلى عامله بتلك الناحية أن يحمل
جميعهن إليه ؛ وبلغهن ذلك فجزعن وقلقن وبتن ليلتهن تلك فأحيينها صلاة
وتقديساً وتضرعاً وبكاء ودعاء إلى الله أن يكفين أمره ، فأصبح ميتاً وبقين
على حالهن فأصبحن صياماً شكرياً لله تعالى ، وجعل النصارى صيام ذلك اليوم
فرضاً واجباً يصومونه من كل سنة . وهذا الدير بسرّ من رأى .

(آيا صوفيا : ٣٢ ب - ٣٣ أ)

ابن زيدون

(الترجمة رقم : ٥٧ ، ص : ١٤٠ ، س : ١٨ ، بعد قوله : وما يرجى تلاقينا)

ومن شعره :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا فالأفقُ طلقٌ ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلالٌ في أصائله كأنه رقّ لي فاعتلّ إشفاقا

ومن شعره :

يا قمرأ مطلعته المغربُ قد ضاق بي من حبك المذهبُ
ألزمتني الذنبَ الذي جثتهُ صدقتَ فاصفحْ أيها المذنبُ

ومن شعره :

ما للدمام تديرها عيناكِ فتميل من نشواتها عطفاكِ
هلاّ مزجتِ لعاشقيك [سلافها] ببرود ظلمك أو بعذب لملكِ
بل ماعليك وقد محضت لك الهوى من أن أفوز بحظوة المسواكِ ؟

(آيا صوفيا : ٣٥ أ)

ابن الخازن الكاتب

(الترجمة رقم : ٦٢ ، ص : ١٥٠ ، س : ٢٠ ، بعد قوله : في الورد)

ومن شعره أيضاً :

تسلّ يا قلبُ عن سمحٍ بهجته مبدّل كلُّ من يلقاه يعرفه
جمّشُ بحفنيّ اللحظِ ناظره رمز الحواجب يدينه ويصرفه
كلّما أيُّ صدٍ يأتيه ينهله والفضن أيُّ نسيم هبّ يعطفه
وليس يقتلني إلا تهتكه مع الأنام ولي وحدي تعفّفه

ومن شعره مما يكتب على سجّاد :

فرشتُ خدّيَ للعشاق قاطبة
لولا اخضراري من سقيا مدامهم
فصحنُ خدّي لهم أرضٌ إذا عشقوا
لكنت من زفرات الوجد أحترقُ
ومن شعره أيضاً :

يدور علينا بالمدامة منثي الـ
له شفقُ أبدته في وجناته
معاطف يغري الناظرين بعشقه
شموس العقار حين غابت بأفقه

(آيا صوفيا : ٣٧ أ - ٣٧ ب)

ناصر الدين الأَرَجاني

(الترجمة رقم : ٦٣ ، ص : ١٥٣ ، س : ٤ ، بعد قوله : نحو المغرب)

ومن شعره أيضاً :

فلولا الهوى ما كان نَوَّحَ حمامٍ
نوادب أبلين الحداد فما يُرى
على عذبات الجزع مما شجانيا
عليها سوى ما زُرَّ في الجيد باقيا
ولما التقى الواشون والحيّ ظاعن
وقد لاح للتوديع مني دانيـا
بدت في حيّاه خيالات أدمعي
صفاءً وظنوا أن بكى لبكائيا
ومن شعره أيضاً :

قد أشعلَ الشيبُ رأسي للبلبي عَجلاً
فإن يكن راعها من لونه يققُ
والشمع عند اشتعال الرأس ينسبكُ
فطالما راقها من قبله حلكُ

ومنها ، وكان استوزر قبل هذا الممدوح وزير فقتل :

أنتم فرازينُ هذا الدست نعرفكم
فما تفرزن منهم بيندقُ أبداً
وهم بياذقة إن صفّ معتركُ
إلا غدا رأسه في الترب ينمكُ

.....

وله أيضاً :

غالطتني إذ كست جسمي ضنّي كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثل عيني ، صدقت لكن سقاما
(آيا صوفيا : ٣٨ أ و ٣٨ ب)

ابن منير الطرابلسي

(الترجمة رقم : ٦٤ ، ص : ١٥٨ ، س : ١٤ ، بعد قوله : كله زور)

مقهر الصدغ بمدود ذؤابته بي منه وجدان : ممدود ومقصور
سلمت فازور يزوي قوس حاجبه كأنني كأس خمر وهو مخمور
فيه محاسن شتى قد فتنت بها وكل مفتتن بالحسن معذور
مُهفّف في هواء ما استجرت به إلا وجدت غرامي وهو منصور
وله مما يكتب على سرج :

للسبعة النيرات عن شرفي عجز وفي العالمين تبريحُ
وهل أدانى في نيل مكرمة والبحر فوقى وتحىّ الريحُ

(آيا صوفيا : ٣٩ أ)

أحمد القطرسي النفيس

(الترجمة رقم : ٦٦ ، ص : ١٦٥ ، س : ١٤ ، بعد قوله : وهو محترق)

قلت : وهذه المبالغة في التفجع مأخوذة من قول ابن سنان الخفاجي الحلبي
من جملة مرثية :

أعترف فيك الوجد وهو مبرحٌ وأعتب فيك الدمع وهو نجيع

(آيا صوفيا : ٤١ ب)

صلاح الدين الاربلي

(الترجمة رقم : ٧٦ ، ص : ١٨٦ ، س : ١٦ ، بعد قوله : وجه الصلاح)

وكتب إليه مع هدية :

لو كنت مُهدٍ على مقدار قدركمُ لكننت أهدي إليك السهل والجبلا
وإنما العبد أهدي كنه قدرته والنمل يُعذر في القدر الذي حلا
(آيا صوفيا : ٤٧ أ)

ابن عبد الحميد الجرجاني

(الترجمة رقم : ٧٧ ، ص : ١٨٨ ، س : ١٠ ، بعد قوله : بلد فيه الخصيب أمير)

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا
فتى يشتري حسن الثناء بماله
فما جازه جود ولا حلّ دونه
ولم تر عيني سُودداً مثل سُوددٍ
فأي فتى بعد الخصيب تزور
ويعلم أن الدائرات تدور
ولكن يصير الجود حيث يصير
يحل أبو نصر به ويسير
ومنها :

فمن كان أمسى جاهلاً بمقالتى
وما زلت توليه النصيحة يافعاً
إذا غاله أمرٌ فإما كفيته
إليك رمت بالقوم هوجٌ كأنما
فإن أمير المؤمنين خبير
إلى أن بدا في العارضين قتيير
وإما عليه بالكفيّ تشير
جماجها تحت الرحال قبور
ومنها :

وإني جدير إذ بلغتك بالفنى
فإن تولني منك الجميل فأهله
وأنت بما أمّلت منك جدير
وإلا فإني عاذر وشكور

ومن الأخرى قوله :

أنت الخصيب وهذه مصرُ
لا تقعدا بي عن مدى أملي
فتدفعنا فكلالهما بحرُ
شيئاً فما لكما [به] عذر
ويحق لي إذ صرت بينكما
أن لا يحلّ بساحتي فقر

وأجازه عليها جائزة سنية ، ومدحه أيضاً بقصيدته النونية التي يقول فيها :

أنا في ذمة الخصيب مقيمٌ
حيث لا تهتدي صروف زماني
لا تخافي عليّ غولَ الليالي
ومكاني من الخصيب مكاني

(آيا صوفيا : ٤٨ أ)

أمامة بن منقذ

(الترجمة رقم : ٨٤ ، ص : ١٩٩ ، س : ١ ، بعد قوله : فرقة الابد)

ونقلت منه أيضاً :

خلع الخليع عذاره في فسقه
يأتي ويؤتى ليس ينكر ذا ولا
حتى تهتك غاية الافراطِ
هذا كذلك إبرة الخياطِ

ونقلت منه ، وقالها بدمشق :

إن يسترُوا وجه إحساني بكفرهمُ
وإن همُ كدّروا صفوي بغشهمُ
فالشمس أدنى سحاب عن يسترها
فالعين أدنى القذى فيها يكدرها

ونقلت منه أيضاً :

اصبر على ما كرهت تحظّ بما
إن اصطبار الجنين في ظلّم الـ
تهوى فما جازع بمعذورِ
أحشاء أفضى به إلى النورِ

وقال أيضاً بحجة :

اصبر إذا ناب خطبٌ وانتظر فرجاً
يأتي به الله بعد الريث والياسِ

إن اصطبار ابنة العنقود إذ حُبست في ظلمة القار أداها إلى الكاسِ
وقال في المعنى :

من رُزق الصبر نال بغيته ولاحظته السمود في الفلك
إن اصطبار الزجاج للسبك وال نيران أدناه من فم الملك

وكان حين دخوله إلى القاهرة كتب إلى أبي الفضل الحصكفي - الآتي ذكره - رقعة هذه نسختها : التقطتُ - أطال الله بقاء سيدنا الامام الاجل العالم معين الدين قدوة الشريعة تاج العلماء زين الأدباء - من نفيس جوهره الفاخر ، وإن حُلِّت عن بحره العذب الزاخر ، ألقاهاً حيث موات فهمي ، وإن كانت تدق عن إدراك وهمي ، لا أقول هي السحر الحلال ، والماء الزلال ، والرياض الأريضة ، واللثام المفضوضة ، بل روح الحياة المحبوبة ، ونيل الأماني المطلوبة ، تحليت من نظمها بالعقود ، واحتلبت من زقها ماء العنقود ، وعودت فضلاً ذللت عاصيها ، وملك أزمته ونواصيها ، وإن زماناً سمح بمثله لغير منسوب إلى مجل ، وإن عاق عن الفوز بنظره عوائق الزمان ، وغيبني من الاستعداد بمفاكته شقوة الحرمان ، فلساني خطيب بالثناء عليه ، وقلبي حيث كنت مرتين لديه ، وأنا أهدي إلى حضرته السامية سلاماً أعذب من السلسيل ، وارق من التسم العليل ، وأصفي من الرحيق ، وأذكي من المسك الفتيق ، وأسأله أن يتحفني بذكر خدمه وأداته ، ويحليني بما حضره من درر ذاته ، لأستضيء بنور شعاعه ، واقتخر بروايته وسماعه ، ومولاي الرئيس الأجل - أدام الله علوه - يوضح بتصديق أملي ، والصفح عن زلي ، لا زال منعماً إن شاء الله تعالى .

فكتب أبو الفضل إليه جواباً هذه نسخته : أنا من ألقاها حضرته بين السور العاصم وسوار المعاصم ، إذ خر ذا أشرف للباس ، وأفخر بالشراف من اللباس ، سور ضرب له باب بين أهل الرحمة وأهل العذاب ، وسوار اختلت عندها الأبواب ، وتحلت بها الأحباب ، وهلاّ زدت هاء فازددت بها بهاء ، فقلت بين سورة فضلها لا يكذب ، وصورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ، ولما نبهني من رقدة الذهول ، وتيهني عن هدة الخمول ، رفعتني النباهة ، ونفعتني الانتباهة ،

فكُتبت يدي عَجلاً وقلتُ - جُعِلتُ فداه - مرتجلاً :

كتاب فضضتُ الحتمَ عند وصوله عن الفرقد العلوي لا أم فرقد
فمُلت كأنِّي قد ثُلت بقهوةٍ أديرت على شدو الغريض ومعبد

وكتب أسامة المذكور من إربل إلى أخيه أبي الحسن - الآتي ذكره إن شاء الله - صدرَ كتاب :

وإن امرءاً أضحى بإربل داره وفي شيزر أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم ومعدورةٌ أن تستهلَّ جفونه

وقال وهو بمصر :

إن كنتُ في مصرَ مجهولاً وقد شهرت فضائلي بين بدو الناس والحضرِ
فما على الشمس من عارٍ تُعاب به إذا اختفى نورها عن غير ذي بصرِ

(آيا صوفيا : ٥٠ ب - ٥١ ب)

الاسعد بن ماتي

(الترجمة رقم : ٩١ ، ص : ٢١٣ ، س : ١٩ ، بعد قوله : وهي فم)

وكان ابن مكنسة ينادمه ، فاتفق أن سرقت نعله في بعض الليالي ، وكانت حمراء ، فكُتبت إليه :

لالكتي أثن من عمتي وهمي أكبر من قدرتي
كأنها في قدمي شعلة من جهة المريخ قد قُدَّتِ
وزنتها [عندي] ورب العلى أعز من رأسي ومن قمعي
وأنت يا مولاي يا من به ومن نداه أسبغت نعمتي
متى تغافلت على أخذها من بعد هذا سرقت لحيتي

فضحك من الأبيات وأنفذ له عشرين ديناراً وعشرين طاق آدم واستخدم
لمجلس فراشاً بثلاثة دنانير في الشهر وجراية كل يوم لحفظ نعال الندماء .

(آيا صوفيا : ٥٤٠ ب)

المزني صاحب الشافعي

(الترجمة رقم : ٩٣ ، ص : ٢١٨ ، س : ١٢ ، بعد قوله : خمس وعشرين درجة)

وسئل عن الموت فقال : هو فزع الأغنياء وشهوة الفقراء .
وكان يقول : من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ، ومن الأطباء
عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبهة ، فقد أخطأ الرأي وازداد مرضاً وحمل
الوزر . ومناقبه كثيرة .

(آيا صوفيا : ٥٥ ب)

الصاحب بن عباد

(الترجمة رقم : ٩٦ ، ص : ٢٣٠ ، س : ٣ ، بعد قوله : ردت إلينا)

ووقع في رقعة من يعتذر من ترك حضوره لخوف الثقل على حضرته فقال :
متى يثقل الجفن على العين ؟ ..
وله جواب كتاب : وصل كتاب مولاي ، فكانت فاتحته أحسن من كتاب
الفتح ، وواسطته أنفس من واسطة العقد ، وخاتمته أشرف من خاتم الملك .

(آيا صوفيا : ٥٨ أ ، ٥٩ ب)

الصاحب بن عباد

(الترجمة رقم : ٩٦ ، ص : ٢٣٢ ، س : ١٢ ، بعد قوله : حتى المعاد معاد)

ورثاه أيضاً أبو القاسم غانم بن محمد الأصهباني بقوله :

ما متَّ وحدك بل كل الذي ولدت حواء طراً بل الدنيا بل الدين
تبكي عليك العطايا والصلات كما بكت عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقدمهم واستيقظوا بعدما متَّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان فأنحلَّ الشياطين

(آيا صوفيا : ٥٩ ب)

المنصور العبيدي

(الترجمة رقم : ٩٨ ، ص : ٢٣٦ ، س : ١٤ ، بعد قوله : رحمه الله تعالى)

تتألف هذه الزيادة من رواية طويلة منقولة عن ابن بسام (الذخيرة ١/٤ :
٩) خلط فيها كاتبها بين المنصور بن أبي عامر والمنصور العبيدي ، ولذلك لم
نرَ وجهاً لنقل نصها هنا .

(آيا صوفيا : ٦٠ ب - ٦١ أ)

أبو الصلت الاندلسي

(الترجمة رقم : ١٠٤ ، ص : ٢٤٤ ، س : ٧ ، بعد قوله : فوقهنّ تغرّد)

وله أيضاً ، أعني أمية المذكور :

تلاقت الاضداد في جسمه على اتفاق بينها واصطلاح

إن لان عطفاه قسا قلبه أو ثبت الخللخال جال الوشاح

وله في الشمعة :

وناحلة صفراء لم تدر ما الهوى فتبكي لهجر أو لطول بعباد
حكنتني نحولاً واصفراراً وحرقة وفيض دموع واتصال سهاد

وله أيضاً :

تجري الامور على قدر القضاء وفي طبيّ الحوادث محبوبٌ ومكروه
فربّما سرّني ما بتُّ أحذره وربّما ساءني ما بتُّ أرجوه

(آيا صوفيا : ٦٣ ب)

القاضي اياس

(الترجمة رقم : ١٠٥ ، ص : ٢٤٩ ، س : ٢٣ ، بعد قوله : وكان له في ذلك غرائب)

وقال حبيب : سمعت إياس بن معاوية يقول : ما كلمت أحداً من أصحاب
الاهواء بعقلي كله إلا القدرية ، فاني قلت لهم : ما الظلم بينكم ؟ قالوا : ان
ياخذ الإنسان ما ليس له ، فقلت لهم : فإن الله عز وجل كل شيء .

واستودع رجل رجلاً من أمناء إياس مالاً وخرج المستودع إلى مكة ، فلما
رجع طلبه فجحده ، وأتى إياساً فأخبره ، فقال له إياس : أعلم بك أنك
أتيتني ؟ قال : لا ، قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا ، لم يعلم بهذا أحد ،
قال : فانصرف واكتم أمرك ثم عد إليّ بعد يومين . فمضى الرجل ، فدعا إياس
أمينه ذلك وقال : قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أسلمه إليك ، أفحصين
منزلك ؟ قال : نعم ، قال : فأعدّ موضعاً للمال وقوماً يحملونه . وعاد الرجل
إلى إياس فقال له : انطلق إلى صاحبك فاطلب مالك فإن أعطاك فذاك وإن
جحذك فقل له : إني أخبر القاضي . فأتى الرجل صاحبه فقال : مالي وإلا
أتيت القاضي وشكوت إليه حالي وأخبرته بأمرى ، فدفع إليه ماله ، فرجع

الرجل إلى إياس فقال : قد أعطاني المال ، وجاء الأمين إلى إياس لوعده فزبره وانتهره وقال : لا تقربني يا خائن .

وحدث المدائني عن أبي محمد القرشي قال : استودع رجل رجلاً مالا ثم طلبه فجده ، فخاصمه إلى إياس فقال الطالب : إني دفعت إليه المال ، قال : ومن حضرك ؟ قال : دفعته إليه في مكان كذا وكذا ولم يحضرننا أحد ، قال : فأبي شيء كان في ذلك الموضع ؟ قال : شجرة ، قال : فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر إلى الشجرة فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يبين به حقك لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت فتذكر إذا رأيت الشجرة . فمضى الرجل وقال إياس للمطلوب : اجلس حتى يرجع خصمك ، فجلس وإياس يقضي بين الناس وينظر إليه ساعة ؛ ثم قال : يا هذا ، أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر ؟ قال : لا ، قال : يا عدو الله ، إنك لخائن ! قال : أقلني أقالك الله ، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له إياس : قد أقر بحقك فخذ منه .

وصحب إياس رجلاً في سفر ، فلما أراد أن [يفارقه] قال له الرجل : أخبرني عن عيوي ، قال : سل غيري ، فأني كنت أراك بعين الرضى ، يشير إلى قول القائل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

(آيا صوفيا : ٦٤ ب)

بشار بن برد

(الترجمة رقم : ١١٣ ، ص : ٢٧٢ ، س : ٢٢ ، بعد الرقم (٣١) *)

قال محمد بن الحجاج : كنا مع بشار [فجاءه] رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل بشار يفهمه ولا يفهم ، فأخذه بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول :

١ زيادة لا بد من مثلها ليستقيم المعنى .

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكمُ قد ضلَّ من كانتِ العميان تهديه

حتى صار إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

ولما سمع بشار قول العباس بن الأحنف :

لما رأيت الليل سدَّ طريقه دوني وعذَّبني الظلام الراكد

والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحيّر ما لديه قائد

قال : قاتل الله هذا الغلام ، ما رضي إذ جعله أعمى حتى جعله بلا قائد !

ومن شعره ، أعني بشاراً :

أقول وليلتي تزداد طولاً أما لليلِ عندكمُ نهارُ

جفت عيني عن التغميض حتى كأنَّ جفونها عنها قصارُ

(آيا صوفيا : ٧١ ب - ٧٢ أ)

بشر الحافي

(الترجمة رقم : ١١٤ ، ص : ٢٧٦ ، س : ٩ ، بعد قوله : بمرو ، رحمه الله تعالى)

قال أبو بكر الباقلاني : سمعت أبي يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن

معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور أكثر

منهم خارج السور وكان يقول : إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا

أعجبك الصمت فتكلم ، وإذا هممت بغلاء السعر فاذا ذكر الموت فإنه يذهب عنك

همُّ الغلاء .

(آيا صوفيا : ٧٢ ب)

بشر المريسي

(الترجمة رقم : ١١٥ ، ص : ٢٧٧ ، س : ١٧ ، بعد قوله : وغيرهم رحمهم الله تعالى)

وكان صحب مجوسياً في سفر فقال له بشر : أسلم ، قال المجوسي : حتى يريد الله ، قال : قد أراد الله ذلك وشاءه ولكن الشيطان ليس يدعك ، قال المجوسي : فأنا مع أقواما ، فقطعه وأفحمه .

(آيا صوفيا : ٧٣ أ)

تقية الصورية

(الترجمة رقم : ١٢٣ ، ص : ٢٩٨ ، س : ٩ ، بعد قوله : إلى مقام كريم)

ولها من قصيدة في الحافظ المذكور :

أعوامنا قد أشرفت أيامها وعلا على ظهر السباك خيامها
والروض مبتسم بنور أقاحه لما بكى فرحاً عليه غمامها
والترجس الغض الذي أحداقه ترنو فيهم ما يقول خزامها
وشقائق النعمان في وجناته خالات مسك حاكها رقّامها
وبنفسج لبس الحداد لحزنه أسفاً على مهج يزيد غرامها
والجلّ نار على الغصون كأكئوسٍ خرطت عقيقاً والنضار مدامها
وغصون آس شبهته عيوننا غيداء يثنى قدها وقوامها
وكأتما زهر الرياض عساكرُ في موكب منشورة أعلامها
يبدي نسيم الصبح سرّ عبيرها فينمّ عن طيبٍ بها نمامها
يا صاح قمّ لسعادة قد أقبلتُ وتنبّهت بعد الكرى نوّامها
واجمع خواطرننا لنجلو فكرها لما تجرد للقريض حسامها
مدح الإمام على الأنام فريضة فخر الأئمة شيخها وإمامها

(آيا صوفيا : ٧٧ أ)

تميم بن المهز الفاطمي

(الترجمة رقم: ١٢٥، ص: ٣٠٣، س: ٦، بعد قوله: عارضها بالبيتين الأولين)

وأورد له علي بن سعيد في المرقص:

أطلع الحسن من جبينك شمساً فوق وردٍ من وجنتيك أطلاً
فكأنّ العذار خاف على الور د جفافاً فمد بالشعر ظلاً

وأورد له أيضاً:

كأنّ بقايا الليل والصبح طالعتُ بقية لطح الكحل في العين الزرق

(آيا صوفيا: ٧٨ ب)

جرير الشاعر

(الترجمة رقم: ١٣٠، ص: ٣٢٢، س: ٣، بعد قوله: أضعف خلق الله أركاناً)

ودخل جرير على الوليد وعنده عدي بن الرقاع، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هو ابن الرقاع، قال جرير: شر الثياب ما كانت فيه الرقاع، قال: انه من عاملة، قال: عاملة ناصبة، قال: ما تريد من رجل يمدح أحياء بني أمية ويرثي موتاهم؟ والله لئن هجوته لأُرْكَبنه عنقك، فخرج جرير وابن الرقاع وراءه، فقال: أيها الناس، كدت أخرج إليكم وهذا القرد على عنقي.

(آيا صوفيا: ٨١ أ)

جعفر الصادق

(الترجمة رقم : ١٣١ ، ص : ٣٢٧ ، س : ٩ ، بعد قوله : رضي الله عنهم أجمعين)

كان عالماً زاهداً عابداً ، روى عن أبيه وعطاء وعكرمة ، قال محمد بن أبي القاسم عن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله وتصغيره وستره .

حدث الزبير عن محمد بن يحيى الربيعي [قال :] قال ابن شبرمة : دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد فسلمت عليه ، وكنت له صديقاً ، ثم أقبلت عليه فقلت : أمتع الله بك ، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم ، فقال جعفر : لعله الذي يقيس الدين برأيه ؟ ثم أقبل عليه فقال له : اتق الله ولا تقس الدين برأيك فان أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال : ﴿أنا خير منه - الآية الكريمة﴾ . ثم قال له : هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ فقال : لا ، فقال : أخبرني عن الملوحة في العين ، وعن المرارة في الأذن ، وعن الماء في المنخرين ، وعن العذوبة في الفم ، لأي شيء جعل ذلك ؟ قال : لا أدري ، قال له جعفر : إن الله تبارك وعلا خلق العينين فجعلها شحمتين ، وجعل الملوحة فيها مناً على ابن آدم ، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه ، وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الردية ، وجعل العذوبة في الفم ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه . ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ، ما هي ؟ قال : لا أدري ، قال : قول الرجل : لا إله إلا الله ، فلو قال : لا إله ثم أمسك كان مشركاً ، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان . ثم قال : ويحك أيها أعظم عند الله : قتل النفس التي حرم أم الزنا ؟ قال : لا بل قتل النفس ، قال جعفر : إن الله قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، فكيف يقوم لك قياس ؟ ثم قال : أيها أعظم عند الله : الصوم أم الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال المرأة إذا حاضت

تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس ، فإننا نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل فنقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا ، فيفعل بنا وبكم ما يشاء .

(آيا صوفيا : ٨٣ أ - ٨٣ ب)

جعفر البرمكي

(الترجمتان رقم : ١٣٢ أ و ١٣٢ ب ، ص : ٣٢٨ و ٣٤٢ ، إضافات متفرقة)

وقال إدريس بن بدر : عرض رجل للرشيد فقال : نصيحة ، فقال لهزيمة : خذ إليك الرجل واسأله عن نصيحته ، فسأله ، فأبى ان يخبره وقال : هي سرٌّ من أسرار الخليفة ، فأخبره هزيمة فقال له الرشيد : لا يبرح هذا الباب حتى أفرغ له . فلما كان في المهاجرة وانصرف من كان عنده دعا به فقال : أخلصني ، فالتفت هارون إلى فتيته فقال : انصرفوا يا فتيان ، فوثبوا وبقي خاقان وحسين على رأسه ، فنظر إليها الرجل فقال الرشيد : تنحيا عنا ، ففعلا ، ثم أقبل [على] الرجل فقال : هات ما عندك ، قال : على أن تؤمنني ، قال : على أن أومنك وأحسن إليك ، قال : كنت بجلوان في خان من خاناتها ، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله في دراعة صوف وكساء صوف أخضر غليظ وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ويرحلون إذا رحل ويكوتون منه برصد يوهمون من رأيهم أنهم لا يعرفونه وهم أعوانه ومع واحد منهم منشور يأمن به أن تعرض لهم ؛ فقال : تعرف يحيى بن عبد الله ؟ قال : نعم أعرفه قديماً وذلك الذي حقق معرفتي له بالأمس ، قال : فصفه ، قال : مربع أسمر رقيق البشرة أجلح حسن العينين عظيم البطن ، قال : صدقت هو ذاك ، فما سمعته يقول ؟ قال : ما سمعته يقول شيئاً غير أي رأيتَه يصلي ورأيت غلاماً من غلمانه أعرفه قديماً جالساً على باب الخان ، فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب غسيل فألقاه في عنقه ونزع الجبة والصوف فقال له : أحسن الله جزاك وشكر سعيك ، فمن

أنت ؟ قال : رجل من أفناء هذه الدولة وأصلي من مرو ومولدي ببغداد ، قال : فمئزلك بها ؟ قال : نعم ، فأطرق ملياً ثم قال : كيف احتملك لمكروه تمتحن به في طاعتي ؟ قال : أبلغ في ذلك حيث أحب أمير المؤمنين ، قال : كن بمكانك حتى أرجع ، فدخل حجرة كانت خلف ظهره فأخرج كيساً فيه ألفاً دينار فقال : خذ هذه ودعني وما أدبر فيك ، فأخذها وضمّ عليه ثيابه ثم قال : يا غلام ، فأجابه خاقان وحسين ، فقال : اصفعوا ابن اللخناء ، فصفعوه نحواً من مائة ، ثم قال : أخرجوه إلى من بقي من الدار وعمامته في عنقه وقولوا : هذا جزاء من يسمى ببطانة أمير المؤمنين وأوليائه ، ففعلوا ذلك وتحذثوا بخبره ، ولم يعلم بحال الرجل أحد ولا بما ألقى إلى الرشيد حتى كان من أمر البرامكة ما كان

وكان الحسن بن علي بن عيسى يقول : الشره قتل جعفر بن يحيى ، فقيل له : إن الناس يقولون إن ذنبه أمر بعض أخوات الرشيد ، فقال : هذا من رواية الجهال ، من كان يجسر على الرشيد ؟ إنما كان جعفر من حاز ضياع الدنيا لنفسه ، وكان الرشيد إذا سافر لا ير بضيفة ولا بستان إلا قيل : هذا لجعفر ، فما زال ذلك حتى جنى على نفسه بأن وجّه بعض الطالبين في يوم نوروز من غير أن يكون قد أمره بقتله ، فاستحل بذلك دمه ؛ وقيل : أرادت البرامكة إظهار الزندقة وإفساد الدولة فقتلهم لذلك

حدث داود بن الجراح قال : قال لي الفضل بن مروان : كنت أعمل في أبواب ضياع الرشيد الحساب ، فنظمت في حساب السنة التي نكب فيها البرامكة فوجدت ثمن هدية دفعتين من مال الرشيد أهداهما إلى جعفر بن يحيى بضعة عشر ألف دينار ، وفيه بعد شهر من هذه السنة ثمن نطف وقطن برسم حرق جثة جعفر درهم ونصف

وكان جعفر طويل العنق ؛ حكي أن الرشيد قام من مجلسه يريد الدخول إلى بعض حجره ، وأن جعفرأ أسرع فرفع له الستر ، وان الرشيد تأمل عنقه فقال له : ما تتأمل مني يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حسن عنقك ، فقال : لا والله ما تأملت مني إلا موضع سيفك منها ، فقال له : أعيذك بالله من هذا

القول ، واعتنقه وقبّله ؛ فلما قتله بعد ذلك قال للفضل بن الربيع : قاتل الله جعفرأ ، وذكر هذا الخبر وقال : والله ما تأملت عنقه إلا لموضع السيف منها . ولما عزم جعفر على بناء قصره شاور أباه يحيى بن خالد فيه فقال : هو قميصك إن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه . وأتاه وهو يبني داره هذه ، وإذا الصناع يبيضون حيطانها فقال : إنك تغطي الذهب بالفضة ، فقال له جعفر : ليس في كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم ، مخالطتها دور السفلى والسوقة

وقال إسحاق بن سعد القطريلي : أخبرني أبو حفص عمر بن فرج قال : انصرفت مع عمرو بن مسعدة يوماً من الشاسية والمأمون بها في زلال لعمرو بن مسعدة ، فلما صرنا بإزاء قصر جعفر بن يحيى قال عمرو : يا أبا حفص ، سرت أنا وجعفر يوماً كسیرنا هذا ، فلما نظر إلى البناء قال لي : يا أبا الفضل إني لأعلم أن هذا ليس من بناء مثلي ولكن قلت إن بقي فهو قصر جعفر ، وإن شره السلطان إليه في وقت من الأوقات فهو قصر جعفر ، وإن مضت عليه الأيام فإنما يقال : قصر جعفر ، ويبقى لي اسمه وذكره ، وربما مر عليه بعض من لنا عنده معروف فترحم علينا . ثم قال عمرو : فوالله لكأن جعفرأ كان ينظر إلى ما آلت إليه الحال فيه .

ولما مضت ثلاثة أيام من قتل الرشيد جعفرأ ، قال الرشيد لمسرور : ما كان جعفر يصنع لما أخذته ؟ قال : كان يلعب بالشطرنج ويشرب وعنده جبريل ابن بختيشوع الطيب ، قال : فما قال حين مسه حد السيف ؟ قال : سمعته يقول : أهون بها من قتلة ولا سيما إذا كانت في طاعة الله ، فقال الرشيد : ويلى على ابن الفاعلة ، أراد أن يوهم أنني قتلته في هوى نفسي ، لا بل في طاعة الله... واختصم إليه رجلان فقال لأحدهما : أنت خلي وهذا شجي ، فجوابك يجري على برد العافية وجوابه يجري على حر المصيبة .

ورفع رجل إلى جعفر رقعة ذكر فيها قصده إياه بأمل طويل ورجاء فسيح ، فوقع على ظهرها : هذا يمت بجرمة الأمل وهي أقرب الوسائل وأثبت الوصائل ، فليعجل له من ذلك عشرون ألف درهم ، وليمتحن ببعض الكفاية ، فان

وجدت عنده فقد ضم إلى حقه حقاً وإلى حرمة حرمة ، وإن قصر عن ذلك
فعلينا معوله وإلينا موثله وفي مالنا سعة له .

ورفع رجل إليه يسأله الاستعانة ، وكان يعرفه ويخبره ، فوَقَّعَ على ظهر رقعته :

قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم نرضَ الخبر

ووقَّعَ على رقعة لمحبوس : ان العدوان أوبقه والتوبة تطلقه

ولما ولي جعفر بن يحيى خراسان ، دخل عليه أشجع السامي فأنشده وذكر

خروجه :

أتصبر يا قلب أم تجزع فان الديار غداً بلقع

إلى أن بلغ فيها :

تريد الملوكة مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع

وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

وكان يقول : من تسبب إلينا بشفاعة في عمل فقد حلّ عندنا محل من نهض

بغيره ، ومن لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل أهلاً.... [ووقع] في قصة محبوس :

لكل أجل كتاب .

(آيا صوفيا : ٨٤ ب - ٨٨ ب)

جعفر بن حنزابة

(الترجمة رقم : ١٣٣ ، ص : ٣٤٨ ، س : ٢٤ ، بعد قوله : بلا كدر)

ومما يناسب هذه الواقعة أن قتيبة بن مسلم لما ولي خراسان صعد المنبر فسقط

القضيب من يده ، فكره ذلك وتشاءم به ، فقام إليه رجل فقال : ليس كما

ذهب الأمير ولكن كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

المتوكل على الله

(الترجمة رقم : ١٣٤ ، ص : ٣٥٠ ، س : ٦ ، بعد قوله : سنة ٢٣٢)

وكان سبب البيعة انه لما توفي الواثق حضر الدار أحمد بن أبي دواد وايتاخ ووصيف ومحمد بن عبد الملك الزيات وعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ؛ فأحضروه وهو غلام أمرد قصير ، فألبسوه درّاعة سوداء وقلنسوة رصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله ؟ تولون مثل هذا الخلافة وهو لا تجوز معه الصلاة - يعني لصغره - . فتناظروا فيمن يولونها ، فذكر أحمد بن أبي دواد جعفرأ أخا الواثق ، فأحضروه ، فقام أحمد فألبسه الطويلة وعممه وقبّله بين عينيه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ وأراد ابن الزيات أن يلقيه المنتصر فقال أحمد بن أبي دواد : قد رأيت لقباً أرجو أن يكون موافقاً وهو المتوكل على الله ، فأمر بإمضائه وكتب به إلى الآفاق ؛ وقيل : بل رأى المتوكل في منامه قبل أن يستخلف كأن سكرأ ينزل عليه من السماء مكتوب عليه « المتوكل على الله » ، فقصصها على أصحابه فقالوا : هي والله الخلافة ، فبلغ ذلك الواثق فحبسه وضيق عليه ويقال انه كان يغلو في بغض علي ، رضوان الله عليه .

(آيا صوفيا : ٨٩ ب)

المتوكل على الله

(الترجمة رقم : ١٣٤ ، ص : ٣٥٦ ، س : ٢٣ ، بعد قوله : رحمة الله تعالى)

واصطحب المتوكل يوماً فأمر بإحضار الحسين الخليع ، وكان قد كبر وضعف ، فحمل إليه في محفة حتى وضع بين يديه ، فسلم بالخلافة ، وعلى رأس المتوكل شفيح يرفل في قرَاطقَ حُمُرٍ منطلق بمنطقة ذهب وفي يده قهوة حمراء يتلألأ نورها وبين يديه طبقان مرصعان بورد أحمر وأبيض ؛ فأمر شفيحاً أن يناول

الحسين رطلاً ويحييه بوردة ويلاعبه ، فناوله شفيح رطلاً فشربه ، ثم حياه بوردة وقرص يده فقال :

وكالوردة الحمراء حياً بأحمرٍ من الورد يسعى في قراطق كالورد
له عَبَثَاتٌ عندَ كلِّ تحيةٍ بعينه تستدعي الخليليَّ إلى الوجدِ
سقى اللهُ دهرًا لم [أبتْ] فيه ليلةٌ من الدهرِ إلا من حبيبٍ على وعدِ

فضحك المتوكل وطرب وقال : أحسنت والله يا حسين ، سل ما شئت ، فقال :
يأذن أمير المؤمنين في الانصراف ، قال : حدثني بحديث في الورد يكون
مختصراً ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بلغني أن الورد فيما مضى من سالف الدهر
كان كله أبيض ، وأن قضيب ورد تماشقا ، فغمز أحدهما صاحبه فاحمر الغموز
خجلاً ، فمنه حمرة الورد إلى هذه الغاية ؛ فضحك المتوكل حتى استلقى ، وأمر
بجمله إلى منزله ، وحملت معه أربعة آلاف دينار .

ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه ، فقال ابن حمدون : أحسنت يا أمير المؤمنين ،
قال : أهزأ بي ؟ كيف أحسنت ؟ قال : إلى العصفور يا مولاي ، قال : لقد
دقت النظر .

وقال المتوكل لزام الزامر : تأهب للخروج معي إلى دمشق ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، الناي في كمي والريح في فمي .

قال عبد الأعلى بن عباد النوسي : دخلت على المتوكل فقربني وأزمني وقال :
قد كنا هممنا لك بمعروف فتدافعت الأيام ، فقلت : أحسن الله جزاء أمير
المؤمنين على حسن نيته وكرم طويته ، أفلا أنشدتك لبعض الشعراء شيئاً في
مثل هذا ؟ قال : بلى ، فأنشدته :

لأشكرنك معروفاً هممت به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومك إن لم تمضه قدراً فالشيء بالقدر المحتوم مصروفُ

فقال : يا غلام ، دواة وقرطاس ، فكتبها بيده .
ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً ، فلم يمسه بيده ولا قال له شيئاً

لكنه نادى : يا غلام ، مرآة أمير المؤمنين ، فجيء بها ، فقابل بها وجهه حتى أخذ ذلك الشيء بيده .

ومن عجائب الظفر ما حكاه الصولي أن المتوكل قال : ركبت إلى دار الواثق أزوره في مرضه الذي مات فيه ، فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي ، فسمعت بكاء بنيافة تشعر بموته ، فتحسست وإذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتيران فيّ ، فقال محمد : نقتله في التنور ، وقال ايتاخ : بل ندعه في الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل . فبينما هم كذلك إذ جاء أحمد بن أبي دواد - وكان القاضي يومئذ - فمنعه الحدام الدخول ، فدافعهم حتى دخل ، فجعل يحدثها بما لا أعقله لما داخلني من الخوف واشتغال القلب بإعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما ائتمر به فيّ . فبينما أنا كذلك ، إذ خرج الغلمان يتعادون إلي ويقولون : انهض يا مولانا ، فما شككت أن أدخل وأبايع ولد الواثق ويُنقذ فيّ ما قد قرر . فدخلت فلقيني أحمد بن أبي دواد ، فقبل يدي وأمسكها إلى أن أتى إلى السرير وقال لي : اصعد إلى المكان الذي أهلك الله له ؛ فلما صعدت وجلست سلم عليّ بالخلافة ، وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسما علي أيضاً ، ثم دخل القواد فسلموا ، ثم الناس على طبقاتهم . فلما انقضت المبايعات بقيت متعجباً مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وايتاخ ، فسألت عن الحال كيف جرى ، فقبل لي : بينا محمد وايتاخ في تقرير ما سمعته ، إذ دخل عليها ابن أبي دواد فسلم ثم قال : أنا رسول المسلمين إليك وهم يقرأون السلام عليك ويقولون لكما : قد بلغنا وفاة إمامنا وعند الله نحتسبه ، وأنتا المنظور إليكما في هذا الأمر ، فمن اخترتما لإمامتنا ؟ فقالا : محمداً ابنه ، فقال : بنح بنح ، ابن أمير المؤمنين إلا أنه صغير لا يصلح للإمامة ؛ فمن غيره ؟ قال : فلان وفلان ، وعداً جماعة ، إلى أن قالوا : وجعفر بن المعتمد ، فقال : رضي المسلمون ، اصفقا على يدي ، فصفقا ، ثم أرسل إلي ، فكان ما أرى ، قال المتوكل : فبقي ما قاله ابن الزيات وايتاخ في نفسي فقتلتها بما اعتزما به على قتلي ، فقتلت ابن الزيات في التنور وايتاخ بالماء البارد .

ولما قتل الأتراك المتوكل بمواطأة ابنه المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد

المستعين إلى المعتز ، لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه ، فكان يمينها ذلك ويعلم أنه لا يقوى بهم مع شدة شوكتهم ، فأبرزت قبيحة يوماً للمعتز قميص المتوكل الذي قُتل فيه وضُرح بدمه وجعلت تبكي وتحرضه على الطلب بدمه ، فقال : يا أمي ، ارفعي وإلا صار القميص قميصين ؛ فعندها أمسكت ولم تُعِد .

(آيا صوفيا : ٩٠ أ - ٩١ أ)

أبو معشر المنجم

(الترجمة رقم : ١٣٦ ، ص : ٣٥٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : غير ذلك من الإصابات)

ومما يناسب هذا من فطن المتطبيين ما رواه الحسين بن إدريس الحلواني قال : سمعت الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول : ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن ، قيل له : ولم ؟ قال : لأنه لا يعدو العاقل إحدى خصلتين : إما أن يهتم لآخرته ومعاده ، أو لدنياه في معاشه ، والشحم مع الهم لا ينعقد ، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فانهقد الشحم ؛ ثم قال : كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه ، فجمع المتطبيين وقال : احتالوا لي بحيلة تُخَفُّ عني لحمي هذا قليلاً ؛ قال : فما قدروا له على شيء ؛ قال : فذكر له رجل عاقل أديب متطبب فاره ، فبعث إليه وأشخصه فقال له : عاجلني ولك الغنى ، قال : أصلح الله الملك ، أنا طيب منجم ، دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أيّ دواء يوافقك فأسقيك ؛ قال : ففدا عليه فقال : أيها الملك الأمان ، قال : رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر ، فإن اخترت عاجلتك ، وإن أردت بيان ذلك فأحبسني عندك ، فإن كان لقولي حقيقة فخلّ عني ، وإلا فاستقص مني ؛ قال : فحبسه ؛ قال : ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتماً كلما انسلخ يوم ازداد غمّاً حتى هزل وخف لحمه ، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً ، فبعث إليه وأخرجه ، فقال : ما ترى ؟ قال : أعز الله الملك ، أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب ، والله لما أعرف عمري فكيف

أعرف عمرك ؟ إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم ؛ فلم أقدر أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة ، فأذاب شحم الكلى ؛ فأجازه وأحسن إليه .

(آيا صوفيا : ٩٢ أ)

جميل بثينة

(الترجمة رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٦ ، س : ١٨ ، بعد الرقم (٣٥)*)

وقيل إن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كثير فقالت : يا ابن أبي جمعة ، ما الذي يدعوك إلى أن تقول في عزة من الشعر ما قلت وليست من الحسن علي ما تصف ، ولو شئت صرفت ذلك عنها إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلي ، فإني أشرف وأجل وأوصل من عزة ، وإنما أرادت أن تحتبره بذلك ، فقال :

إذا ما أرادت خلة أن تزيلها أبينا وقلنا الحاجبية أولُ
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصلُ
لها مهل لا يستطيع ادراكه وسابقة في القلب لا تتحولُ

فقالت له عائشة : أخطأت استك الحفرة يا أبا صخر ؛ لقد أسميتني خلة وما أنا لك بخلة ، وعرضت عليّ وصلك وما أريده ، ولو أردته أنت لكرهته أنا ، وإنما أردت أن أبلو ما عندك قولاً وفعلاً فما أفلحت ولا أنجحت ؛ هلاً قلت كما قال سيدك جميل :

ويقلن إنك قد رضيت بباطلٍ منها فهل لك في اجتناب الباطل
وللباطلٍ بمن أحب حديثه أشهى إليّ من البغيض الباذل

وقال بعض الرواة : دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان ، فانحرف إلى عزة وقال : أنت عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بعزة ولكني أم بكر ، قال : أتروين قول كثير :

وقد زعمت أي تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير

تغيّر خلقي والمودة كالذي عهدت ولم يخبر بسرك مخبر
قالت : لست أروي هذا ولكني أروي قوله :

كأني أنادي أو أكلم صخرة من الصمّ لو تمشي بها العُصم زلّت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

ثم انحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ قالت : نعم ، قال : ما
الذي رجا فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت : الذي
رجا فيك الناس فجعلوك خليفتهم ؛ قال : فضحك حتى بدا ضرس له أسود لم
يُرَ قبل ذلك ، وفضل بثينة على عزة في الجائزة ، ثم أمرهما أن تدخلا على
عاتكة ، فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن قول كثير :

مضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة بمطولٍ معنّى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها ،
قالت : وددت أنك فعلت وأني تحملت إثما عنك ، ثم ندمت عاتكة واستغفرت
الله وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة .

قال الحافظ ابن الجوزي : لما عرض عبد الملك بأنه قد كان له سر مكتوم
وخبر مجهول ليوبخها به ويلطخها بعمرة ، عرفته أنها كانت صماء عن الهزل بخيلة
بالقليل من الوصل

وحدث الزبير بن بكار عن أبي الحارث مولى هشام بن المغيرة قال : شهدت
عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل
قصيدته التي يقول فيها :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلايبها لما فات من عقلي
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال : فأنشده عمر بن أبي ربيعة قوله :

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها فقربني يوم الحساب إلى قتلي

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حدوك النعل بالنعل
فانتهى فيها إلى قوله :

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدوٌ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي
فقلت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها ما لي بهم من ترقب ولكن سرّي ليس يحمله مثلي

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا أبداً ، ما خاطب
النساء مخاطبتك أحد ، ثم قام مشمراً .
ويروى أن جميلًا لما أنشد عمر قوله :

خليليّ فيما عشتا هل رأيتا ... (الأبيات المقدم ذكرها)

قال له جميل : أنشدني يا أبا الخطاب ، فأنشده :

ألم تسأل الأطلال والمتربعا

فلما انتهى إلى قوله فيها :

فلما توافقنا وسلّمتُ أشرقتُ وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّما
تبالهنّ بالعرفان لما رأيني وقلن : امرؤٌ باغٍ أضلّ وأوضعا
وقرّبنَ أسباب الهوى لمتيمٍ يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

قال : فصاح جميل واستخذى وقال : ألا إن النسب أخذ من هذا ، وما
أنشد حرفاً ، فقال له عمر : اذهب بنا إلى بثينة حتى نسلم عليها ، فقال له
جميل : قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها ، وهاتيك أبياتها ؛
فأثاها عمر حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كلم فقال : يا جارية أنا عمر بن
أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني ، فخرجت إليه بثينة في مبالها وقالت : يا عمر ،
لا أكون من نساتك اللاتي تزعم أن قد قتلهن الوجد بك ، فانكسر عمر ، وإذا
امرأة أدماء طويلة .

(آيا صوفيا : ٩٤ أ - ٩٥ ب)

الجنيد الهروي

(الترجمة رقم : ١٤٤ ، ص : ٣٧٣ ، س : ١٢ ، بعد قوله : الكتاب والسنة)

وسئل عن قوله تعالى ﴿سُنُقِرْكَ فَلَاتَسَى﴾ قال: سنقرئك التلاوة فلا تنسى العمل ؛ وعن قوله تعالى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ قال : تركوا العمل بما فيه ؛ قيل للجنيد : ما القناعة ؟ قال : أن لا تجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك وسأله الجريري يوماً عن قول عيسى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ، قال : هو - والله أعلم - تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندي ولا أعلم ما لي عندك إلا ما أخبرتني به وأطلعتني ، فهذا معناه ، والله أعلم .

(آيا صوفيا : ٩٦ أ - ٩٦ ب)

محتويات الكتاب

٥	ترجمة المؤلف
١٥	تحقيق الكتاب
١٩	مقدمة المؤلف
	حرف الهمة
	١ ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو . ابو عمران و ابو عمار النخعي
٢٥	٢ ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي ، ابو ثور صاحب الشافعي
٢٦	٣ ابراهيم بن احمد بن اسحاق ، ابو اسحاق المروزي
٢٦	٤ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، ابو اسحاق الاسفرايني
٢٨	٥ ابراهيم بن علي بن يوسف ، جمال الدين ابو اسحاق الشيرازي
٢٩	٦ ابراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ابو اسحاق
٣١	٧ ابراهيم بن منصور بن المسلم ، ابو اسحاق العراقي الخطيب
٣٣	٨ ابراهيم بن نصر بن عسكر ، ظهير الدين ابو اسحاق الموصللي
٣٧	٩ ابراهيم بن المهدي بن المنصور ابي جعفر ، ابو اسحاق
٣٩	١٠ ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسلك ، ابو اسحاق النديم الموصللي
٤٢	١١ ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي
٤٤	١٢ ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، ابو عبدالله نفظويه
٤٧	١٣ ابراهيم بن محمد بن السري بن سهل ، ابو اسحاق الزجاج
٤٩	١٤ ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرج ، أبو القاسم الافليلي
٥١	١٥ ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ، أبو اسحاق الصابئي
٥٢	صاحب الرسائل
٥٤	١٦ ابراهيم بن علي بن تميم ، أبو اسحاق الحصري القيرواني

٥٦	١٧	ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله، ابو اسحاق ابن خفاجة الاندلسي
٥٧	١٨	ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد، ابو اسحاق الغزي
٦٢	١٩	ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله، ابو اسحاق ابن قرقول
٦٣	٢٠	احمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الامام ابو عبدالله
٦٦	٢١	احمد بن عمر بن سريخ، ابو العباس
٦٨	٢٢	احمد بن ابي احمد، ابو العباس ابن القاص
٦٩	٢٣	احمد بن عامر بن بشر بن حامد، ابو حامد المرورودي
٧٠	٢٤	احمد بن محمد بن احمد، ابو الحسين ابن القطن
٧١	٢٥	احمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك، ابو جعفر الطحاوي
٧٢	٢٦	احمد بن ابي طاهر محمد بن احمد، ابو حامد الاسفرايني
٧٤	٢٧	احمد بن محمد بن احمد بن القاسم، ابو الحسن المحاملي
٧٥	٢٨	احمد بن الحسين بن علي بن عبدالله، ابو البكر البيهقي
٧٧	٢٩	احمد بن علي بن شعيب بن علي، ابو عبدالرحمن النسائي
٧٨	٣٠	احمد بن محمد بن احمد بن جعفر، ابو الحسين القدوري
٧٩	٣١	احمد بن محمد بن ابراهيم، ابو اسحاق الثعلبي المفسر
٨١	٣٢	احمد بن ابي دواد فرج بن جرير بن مالك، ابو عبدالله
٩١	٣٣	احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق، الحافظ ابو نعيم
٩٢	٣٤	احمد بن علي بن ثابت بن احمد، ابو بكر الخطيب البغدادي
٩٤	٣٥	احمد بن يحيى بن اسحاق، ابو الحسين الراوندي
٩٥	٣٦	احمد بن محمد بن محمد بن ابي عبيد، ابو عبيد الهروي
٩٦	٣٧	احمد بن محمد بن المظفر، ابو المظفر الخوافي
٩٧	٣٨	احمد بن محمد بن احمد، ابو الفتوح مجد الدين الطوسي اخو الغزالي
٩٩	٣٩	احمد بن علي بن محمد الوكيل، ابو الفتح ابن برهان
٩٩	٤٠	احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس، ابو جعفر النحاس النحوي
١٠١	٤١	احمد بن بكر بن بقية، ابو طالب العبدي النحوي
١٠١	٤٢	احمد بن محمد بن عبد الكريم، ابو العباس ابن ابي سهل

١٠٢	احمد بن يحيى بن زيد بن سيار، ابو العباس ثعلب النحوي	٤٣
١٠٥	احمد بن محمد بن احمد بن محمد، الحافظ ابو طاهر السلفي	٤٤
	احمد بن كمال الدين ابي الفتح موسى بن رضي الدين ابي الفضل	٤٥
١٠٨	يونس، شرف الدين ابو الفضل ابن منعة	
١١٠	احمد بن محمد بن عبد ربه، ابو عمر	٤٦
١١٣	احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد، ابو العلاء المعري	٤٧
	احمد بن ابي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين احمد،	٤٨
١١٦	ابو عامر ابن شهيد	
١١٨	احمد بن فارس بن زكرياء بن محمد، ابو الحسين	٤٩
١٢٠	احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، ابو الطيب المنشي	٥٠
١٢٥	احمد بن محمد الدارمي المصيبي، ابو العباس التامي الشاعر	٥١
	احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، ابو الفضل بديع الزمان	٥٢
١٢٧	الهمداني	
١٢٩	احمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، ابو القاسم ابن طباطبا	٥٣
١٣١	احمد بن محمد الانطاكي، ابو حامد المنبوز بابي الرقعمق	٥٤
١٣٣	احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى، ابو الحسين جحظة البرمكي	٥٥
	احمد بن محمد بن العاصي بن احمد، ابو عمر ابن دراج	٥٦
١٣٥	القسطلي	
١٣٩	احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب، ابو الوليد ابن زيدون	٥٧
١٤١	احمد بن محمد الخولاني، ابو جعفر ابن الابار	٥٨
١٤٣	احمد بن يوسف السليكي، ابو نصر المنازي الكاتب	٥٩
١٤٥	احمد بن محمد بن علي بن يحيى، ابو عبدالله ابن الحياط الدمشقي	٦٠
١٤٨	احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم، ابو الفضل الميداني	٦١
١٤٩	احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق، ابو الفضل ابن الخازن	٦٢
١٥١	احمد بن محمد بن الحسين، ابو بكر ناصح الدين الارجاني	٦٣
	احمد بن منبر بن احمد بن مفلح، مهذب الدين ابو الحسين	٦٤
١٥٦	الطرابلسي	
	احمد ابن القاضي الرشيد ابي الحسن علي ابن القاضي الرشيد ابي	٦٥
	اسحاق ابراهيم، ابو الحسين القاضي الرشيد ابن الزبير	
١٦٠	الاسواني	

١٦٤	٦٦	احمد بن ابي القاسم عبد الغني بن احمد بن عبد الرحمن، ابو العباس القطرسي النفيس
١٦٨	٦٧	احمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ابو العباس
١٦٨	٦٨	احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، ابو العباس ابن العريف الصنهاجي
١٧٠	٣*	احمد بن عبدالله بن احمد بن هشام، ابو العباس ابن الخطيئة اللخمي
١٧١	٧٠	احمد بن ابي الحسن علي بن ابي العباس احمد، ابو العباس ابن الرفاعي
١٧٣	٧١	احمد بن طولون، الامير ابو العباس
١٧٤	٧٢	احمد بن ابي شجاع بويه بن فناخسرو، ابو الحسين معز الدولة ابن بويه
١٧٧	٧٣	احمد بن مروان بن دوستك، نصر الدولة ابو نصر الكردي الحميدي
١٧٨	٧٤	احمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، ابو القاسم المستعلي الفاطمي
١٨٠	٧٥	احمد ابن الامير سيف الدين ابي الحسن علي بن احمد بن ابي الهيضاء، ابو العباس عماد الدين ابن المشطوب الهكاري
١٨٤	٧٦	احمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد، ابو العباس صلاح الدين الاربلي
١٨٧	٧٧	احمد بن ابي نصر الحصيب بن عبد الحميد بن الضحاك، ابو العباس الجرجاني
١٨٨	٧٨	احمد بن حامد بن محمد بن عبدالله، ابو نصر عزيز الدين المستوفي
١٩٠	٧٩	احمد بن علي، الشيخ ابو العباس القسطلاني
١٩١	٨٠	ارتق بن اكسب
١٩٢	٨١	ارسلان بن عبدالله، ابو الحارث البساسيري
١٩٣	٨٢	ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود، ابو الحارث نور الدين الملك العادل اتابك
١٩٤	٨٣	ازهر بن سعد، ابو بكر السمان
١٩٥	٨٤	أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد، ابو المظفر ابن منقذ

١٩٩	اسحاق بن ابي الحسن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم، ابو يعقوب ابن راهويه	٨٥
٢٠١	اسحاق بن مرار، ابو عمرو الشيباني	٨٦
٢٠٢	اسحاق بن ابراهيم بن ماهان بن بهمن، ابو محمد ابن النديم الموصلي	٨٧
٢٠٥	اسحاق بن حنين بن اسحاق، ابو يعقوب العبادي	٨٨
٢٠٧	اسعد بن ابي نصر بن ابي الفضل، ابو الفتح الميهبي	٨٩
٢٠٨	اسعد بن ابي الفضائل محمود بن خلف بن احمد، ابو الفتوح منتجب الدين العجلي	٩٠
٢١٠	اسعد بن الخطير ابي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا، القاضي ابو المكارم الأسعد بن ممتي	٩١
٢١٤	اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور، ابو السعادات البهاء السنجاري	٩٢
٢١٧	اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو، ابو ابراهيم المزني صاحب الشافعي	٩٣ ✓
٢١٩	اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ابو اسحاق العنزي المعروف بابي العتاهية	٩٤
٢٢٦	اسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون، ابو علي القالي	٩٥
٢٢٨	اسماعيل بن ابي الحسن عباد بن العباس بن عباد، ابو القاسم الصاحب ابن عباد	٩٦
٢٣٣	اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، ابو الطاهر السرقسطي	٩٧
٢٣٤	اسماعيل بن القائم بن المهدي، ابو الطاهر المنصور العبيدي	٩٨
٢٣٧	اسماعيل ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر، ابو المنصور الظافر العبيدي	٩٩
٢٣٨	اشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم، ابو عمرو تلميذ مالك	١٠٠
٢٤٠	اصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، ابو عبدالله المالكي	١٠١
٢٤١	آق سنقر بن عبدالله، ابو سعيد قسيم الدولة الحاجب	١٠٢
٢٤٢	آق سنقر البرسقي الغازي، ابو سعيد قسيم الدولة سيف الدين	١٠٣
٢٤٣	امية بن عبدالعزيز بن ابي الصلت، ابو الصلت الاندلسي	١٠٤
٢٤٧	اياس بن معاوية بن قررة بن اياس، ابو واثلة القاضي	١٠٥

- ٢٥٠ ١٠٦ أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة، ابو سليمان ابن القرية
 ١٠٧ أيوب بن شاذي بن مروان، ابو الشكر الملك الافضل نجم الدين
 ٢٥٥ والد السلطان صلاح الدين
 ١٠٧ اب أيوب بن شاذي بن مروان، ابو الشكر الملك الافضل نجم
 ٢٦٠ الدين، والد السلطان صلاح الدين

حرف الباء

- ٢٦٥ ١٠٨ باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري، ابو مناد الصنهاجي
 ١٠٩ بختيار بن معز الدولة ابي الحسين احمد بن بويه، ابو منصور
 ٢٧٦ عز الدولة البويهي
 ١١٠ بركياروق ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، أبو المظفر
 ٢٦٨ ركن الدين شهاب الدولة مجد الملك السلجوقي
 ١١١ بركات ابن الشيخ ابي اسحاق بن ابراهيم ابن الشيخ ابي الفضل
 ٢٦٩ طاهر، ابو الطاهر الخشوعي الرقاء
 ٢٧٠ برجوان، الاستاذ ابو الفتوح خادم العزيز
 ٢٧١ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي، ابو معاذ
 ٢٧٤ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، ابو نصر الحافي
 ٢٧٧ بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي
 ٢٧٩ بكار بن قتيبة بن ابي بردعة بن عبدة الله، القاضي ابو بكرة
 ٢٨٠ بكار بن قتيبة بن اسد بن عبدالله، القاضي ابو بكر
 ٢٨٢ ابو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي
 ٢٨٣ بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب، أبو عثمان المازني النحوي
 ٢٨٦ بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ابو الفتوح
 ٢٨٧ بوران بنت الحسن بن سهل
 ١٢١ بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان، أبو سعيد مجد الدين تاج
 ٢٩٠ الملوك، أخو السلطان صلاح الدين

حرف التاء

- ١٢٢ تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل، ابو سعيد تاج الدولة
 ٢٩٥ السلجوقي

٢٩٧	تقية بنت ابي الفرج غيث بن علي بن عبدالسلام، ام علي الصورية	١٢٣
٣٠٠	تمام بن غالب بن عمر، ابو غالب التيباني	١٢٤
٣٠١	تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي، ابو علي	١٢٥
٣٠٤	تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي، ابو يحيى	١٢٦
٣٠٦	توران شاه بن ايوب بن شاذي بن مروان، فخر الدين الملك المعظم شمس الدولة، اخو السلطان صلاح الدين	١٢٧

حرف الثاء

٣١٣	ثابت بن قرة بن هارون، ابو الحسن	١٢٨
٣١٥	ثوبان بن ابراهيم، ابو الفيض ذو النون المصري	١٢٩

حرف الجيم

٣٢١	جرير بن عطية بن الخطفي بن بدر، ابو حرزة	١٣٠
٣٢٧	جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن ابي طالب، ابو عبدالله	١٣١
٣٢٨	جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، ابو الفضل البرمكي	١٣٢
٣٤٢	ب ١٣٢ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، ابو الفضل البرمكي	١٣٢
٣٤٦	جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد، ابو الفضل ابن حنزابة	١٣٣
٣٥٠	جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي، ابو الفضل المتوكل على الله العباسي	١٣٤
٣٥٧	جعفر بن احمد بن الحسين بن أحمد، أبو محمد ابن السراج القاري البغدادي	١٣٥
٣٥٨	جعفر بن محمد بن عمر، أبو معشر البلخي المنجم	١٣٦
٣٦٠	جعفر بن علي بن احمد بن حمدان، ابو علي الاندلسي ممدوح ابن هانيء	١٣٧
٣٦١	جعفر بن فلاح، ابو علي الكتامي	١٣٨
٣٦٢	جعفر بن شمس الخلافة ابي عبدالله محمد بن شمس الخلافة مختار، ابو الفضل مجد الملك الافضلي	١٣٩
٣٦٣	جعبر بن سابق، الامير سابق الدين القشيري	١٤٠
٣٦٤	جقر بن يعقوب، ابو سعيد نصير الدين الهمداني	١٤١

٣٦٦	١٤٢	جميل بن عبدالله بن معمر بن صباح، ابو عمرو العذري
٣٧٢		المعروف بجميل بشينة
٣٧٣	١٤٣	جنادة بن محمد، ابو أسامة الهروي اللغوي
٣٧٥	١٤٤	الجنيد بن محمد بن الجنيد، ابو القاسم الخزاز القواريري الزاهد
	١٤٥	جوهر بن عبدالله، القائد ابو الحسن الكاتب الرومي
٣٨١	١٤٦	جهاركس بن عبدالله، ابو المنصور فخر الدين الناصري الصلاحى

ملحقات

٣٨٥	أ - زيادات نسخة د عند وستنفيلد
٤٤١	ب - زيادات نسخة آبا صوفيا رقم : ٣٥٣٢

فهرست التراجم العارضة

- | | | |
|-----|--|----|
| ٣٤ | ابو محمد عبد الحكم ولد العراقي الخطيب | 1 |
| ٣٦ | محمد بن ابي الامانة جبريل بن المغيرة، عماد الدين ابو عبدالله | 2 |
| | سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم، رضي الدين ابو داود | 3 |
| ١٠٩ | الجيلي | |
| | عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون، ابو بكر والد الشاعر ابن | 4 |
| ١٤١ | زيدون | |
| ١٤١ | ابو بكر ابن احمد بن عبدالله بن احمد، ولد الشاعر ابن زيدون | 5 |
| | القاضي المهذب ابو علي الحسن ابن القاضي الرشيد ابي الحسن | 6 |
| ١٦١ | علي ، اخو القاضي الرشيد ابن الزبير | |
| ١٦٧ | جلدك ابو المظفر عتيق تقي الدين عمر | 7 |
| ١٨٢ | سيف الدين المشطوب ، والد عماد الدين بن المشطوب | 8 |
| ١٨٤ | الامير بدر الدين لؤلؤ | 9 |
| | ناصر بن ابي الحسن علي بن خلف الانصاري، ابو الفتوح ابن | 10 |
| ١٩٧ | صورة | |
| ٢١٥ | جمال الدين ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن السنينيرة | 11 |
| ٣١٤ | ابراهيم بن ثابت بن قرة | 12 |
| ٣١٤ | ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، ابو الحسن | 13 |

وَفِيَا أَوْلَادِ الْأَعْيَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلَادِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلِّكَانَ

(٦٠٨ - ٥٦٨ هـ)

حققه

الدكتور أحسان عباس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت

وفيات الأعيان

٢

مقدمة

اعتمدنا في تحقيق هذا الجزء على المخطوطات الآتية :

١ - النسخ التي أشار إليها وستنفيد في مطبوعته ، وقد تقدم الحديث عنها في مقدمة الجزء الأول .

٢ - مخطوطة المتحف البريطاني (رقم : ١٥٠٥ ، التكلفة : ٦٠٧) وقد تقدم وصفها أيضاً في مقدمة الجزء الأول .

٣ - مسودة المؤلف (المتحف البريطاني رقم : Add. ٢٥٧٣٥) ، وتقع في ٢٩٣ ورقة ، وقد كتب على الورقة الثانية فيها بخط غير خط الأصل : مسودة المرحوم ابن خلكان عليه رحمة الملك المنان بخطه . وعلى هذه الورقة ما يفيد ان النسخة كانت ملكاً لمسعود بن إبراهيم سنة ١٠٧٤ ، وعلى الورقة التي تليها : « كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، عني يجمعه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان » . وعلى هذه الورقة نفسها ان النسخة كانت من كتب أبي بكر ابن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني ، كما تملكها محمد بن سالم بن معز الله بن سالم ابن واصل ، وعليها تعليق بخط هذا الأخير في تبيان مزايا الكتاب وتفضيله على سائر الكتب المؤلفة في التراجم لما اشتمل عليه من المذاكرات الأدبية والفوائد الفقهية والنكت الغربية اللطيفة . وهي نسخة جيدة دقيقة الضبط ، وعلى هوامشها عنوان لكل ترجمة ، كما امتلأت تلك الهوامش بالتحشيات التي أضافها المؤلف بعد أن كتب الصورة الأولى من كتابه . وقد احى بعض هذه الحواشي في الخُمس الأول من ورقات هذه النسخة ، كما ان هناك تحويلات أو إشارات إلى تحويلات لم تثبت فيها ، ويبدو أن المؤلف قد أثبتتها في كراسات منفصلة . كذلك فإن المؤلف قد ضرب على أشياء كان قد أثبتتها ثم بدا له فيها فأسقطها أو أثبت ما رآه أصلح منها .

وقد جاء على الورقة الأخيرة من هذه النسخة : نجز الجزء الأول ويتلوه في أول الجزء الثاني حرف الفاء إن شاء الله تعالى ، الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم ؛ وكان الفراغ منه يوم الجمعة بعد الصلاة رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستائة بالقاهرة المحروسة . فهذه النسخة إذن تمثل النصف الأول من الكتاب (قبل أن يكمل المؤلف حرف الياء بتراجم طويلة) وتنتهي عند آخر ترجمة غيلان بن عقبة المشهور بذي الرمة ، ولكن الإضافات في حواشها تدل على أن المؤلف تعهدا بالزيادة والتبديل بعد تاريخ نسخها ، فهناك حاشية تشير إلى أنه قد أضاف ما أضافه سنة ٦٧٥ ، وذلك بعد عودة المؤلف من الشام إلى القاهرة بسنوات . وإذا صح هذا التقدير فإن هذه النسخة تمثل - مع ما يضاف إليها من التحويلات - الشكل الذي ارتضاه المؤلف لكتابه .

٤ - نسخة أحمد الثالث (رقم : ٢٩١٩) ورمزها س : وتتكون هذه النسخة من ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول في ٢٦٧ ورقة (١٨ سطراً × ١٢ كلمة) ، وينتهي بترجمة أبي الحسن الأشعري ، وفي آخره : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة الكبرى والله الحمد .

الجزء الثاني في ٢٥٩ ورقة ، وينتهي بترجمة المعتمد بن عباد .

الجزء الرابع في ٢٠٧ ورقات ، ويبدأ بترجمة يحيى بن زياد المعروف بالفراء وينتهي بخاتمة المؤلف ؛ وقد كتب في آخره أيضاً : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة الكبرى فصحتها والحمد له .

فهذه النسخة تنقص الجزء الثالث الذي يبدأ بترجمة المعتمد بن صمادح وينتهي بترجمة يحيى بن يعمر . وهي نسخة حسنة الضبط في الجملة وتاريخ نسخها في شهر محرم الحرام سنة ثمان وثلاثين وثمانائة ، وقد قوبلت على نسخة حازت تقدير أحد الأئمة وهو الشيخ العلامة مفتي المسلمين أبو محمد عبد الرحيم جمال الدين بن الحسن بن علي الأسنوي ، فقد كتب على تلك النسخة ما نصه : « اعلم أن نسخ هذا الكتاب سقيمة غالباً وهذه النسخة من أصحابها متناً وضبطاً ومقابلة على خط مؤلفها » .

والحقيقة أن المقابلة بين هذه النسخة ومسودة المؤلف تبرز حقيقة هامة وهي أن النسخة التي أثنى عليها الأسنوي قوبلت على نسخة بخط المؤلف قبل أن يضع عليها

الزيادات والحواشي اللاحقة. ولهذا فإن نسخة س تكاد تكون صورة أمينة لما قيده المؤلف في المرحلة الأولى من تأليفه لهذا الكتاب .

٥ - نسخة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٢) ورمزها ص : تقع في ٢٤٤ ورقة (٢٥ سطراً × ١٥ كلمة) وهي مكتوبة بخط نسخ دقيق واضح، وتنتهي بترجمة عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي صاحب «الروض الأنف»، وقد جاء في آخرها : «نجز الجزء الأول من وفيات الأعيان بحمد الله ومنه وإعانتته وحسن توفيقه يوم الخميس سادس عشرين رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، علقه لنفسه الفقير إلى الله تعالى عز وجل محمد بن الحسين بن محمود البالسي عفا الله عنه وسامحه بنته ولطفه وكرمه، يتلوه في الجزء الثاني ترجمة أبي جعفر المنصور... إلخ». فهي نسخة قديمة نسبياً من حيث تاريخها، وتتفق كثيراً مع مسودة المؤلف، ولكنها احتوت ترجمات زائدة لم يشر إليها المؤلف في مسودته، كما حفلت بزيادات كثيرة في كثير من التراجم المشتركة. ومما يلفت النظر أن أكثر الترجمات الزائدة فيها يخرج على الخطأ التي صرح بها المؤلف في مقدمته حين قال : «ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضي الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم». فمن أمثلة التراجم الزائدة ترجمات أبي بكر الصديق وعائشة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وأبي جعفر المنصور .

٦ - نسخة الظاهرية (رقم : ٥٤١٨) ورمزها ر : وهي نسخة كاملة من وفيات الأعيان تقع في ٤٨٨ ورقة (٣٧ سطراً × ١٦ كلمة) وقد جاء في آخرها : «وقد وقع إتمام كتابة هذا الكتاب بحمد الله وعونه في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين ومائة وألف على يد الحقير السيد إبراهيم بن الحكيم غفر الله له بمنته وكرمه آمين». فهي تمثل نسخة حديثة قليلة الاحتفال بالضبط والدقة، ولكننا اعتمدناها لأن فيها زيادات يتفق بعضها مع زيادات ص ومسودة المؤلف . وتنفرد بزيادات تتفق فيها أحياناً مع النسخة التي رمزنا لها بالحرف د من نسخ وستنفيلد . وبعد حصولنا على هذه المخطوطات الجديدة، أصبح من الضروري أن نعدّل في خطتنا التي جرينا عليها في الجزء الأول؛ فقد أصبحت مسودة المؤلف تمثل أصلاً معتمداً للنص الأصلي الذي أثبتناه في المتن، وقد كانت هذه النسخة ذات عون كبير

لنا في ترجيح القراءة المعتمدة لدى اختلاف النسخ . ثم إننا بدلاً من أن نضيف زيادات النسخ في آخر الجزء كما فعلنا في الجزء الأول ، أثبتنا الزيادات المستمدة من النسخ : ص ، ر ، د ، في المتن نفسه ، وميزنا هذه الزيادات بوضعها بين معقفين مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي . وفي هذا الجزء أيضاً أثبتنا العناوين التي وضعها المؤلف نفسه في مسودته بعد أن كنا نلتزم بعناوين مطبوعة وستنفيلد . وسيجد من يتتبع تراجم هذا الجزء والأجزاء التي تليه ترجمات إضافية لم ترد في أصل المؤلف أو في معظم مطبوعات الكتاب ، وقد أشرنا في الحواشي إلى كل إضافة من هذا النوع . وقد كان حصولنا على المخطوطة ص سابقاً لحصولنا على سائر النسخ ، ولهذا استخرجنا ما فيها من زيادات وألحقناها في آخر الجزء الأول تاليةً للزيادات المستخرجة من نسخة د . وهناك وجدنا أن هذه النسخة - أي ص - قد انفردت بترجمة لم ترد في غيرها من النسخ وهي ترجمة : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك التي لم نستطع أن نعطيها رقماً منفرداً .

أما الترجمات المعارضة التي تصدى لها ابن خلكان في أثناء كتابه ، فقد جرينا في هذا الجزء أيضاً على تمييزها بالرقم العربي ، وجعلنا الترقيم فيه تالياً للترقيم في الجزء الأول . وسوف يكون اعتمادنا في تحقيق الأجزاء التالية على عدد آخر من المخطوطات سنشير إليها في المواضع الملائمة لذلك .

ويطيب لي في ختام هذه الكلمة أن أتقدم بأوفر الشكر وأتمه إلى جميع الأصدقاء الذين قدموا لي العون المسعف على إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر منهم : الصديق الدكتور عزت حسن أمين المكتبة الظاهرية بدمشق الذي تفضل فأمدني ببيكروفيلم من نسخة الظاهرية ؛ والصديق محمد بن تاويت الطنجي الأستاذ بالمعهد الإسلامي الأعلى في اسكدار لما قدمه لي من مساعدة كبيرة أثناء مراجعتي للمخطوطات في مكاتب استانبول ؛ والاخ الدكتور وليد عرفات الذي ذلل كل صعوبة عملية في سبيل الحصول على صورة من مسودة المؤلف ؛ كما أشكر القائمين على القسم الشرقي في المتحف البريطاني على ما لقيته لديهم من معونة صادقة . والله أسأل أن يعينني على إنجاز سائر هذا العمل بحوله وقوته .

إحسان عباس

بيروت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٩

حرف الجاء



أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن
 مَر بن سعد بن كاهل^١ بن عمرو بن عدي بن عمرو بن العوث^٢ بن طيبة - واسمه
 جُلْهُمة - بن أدَدَ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن يشجب
 ابن يعرب بن قَحطان الشاعر المشهور؛ [وذكر^٣ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى
 الآمدي في كتاب « الموازنة بين الطائيين » ما صورته : والذي عند أكثر الناس
 في نسب أبي تمام : أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم ، قرية من قرى دمشق ،
 يقال له : نَدوس ، العطار ، فجعلوه أوساً ، وقد لُفِّقَتْ له نسبة إلى طيبة ،
 وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود ، وهذا باطل ممن عمله ، ولو كان
 نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيباً بعشرة آباء^٥ .

١٤٧ - ترجمة أبي تام في طبقات ابن المعتز : ٢٨٧ والأغاني ١٦ : ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨
 وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٨ ، وفيه كتب الصولي كتابه « أخبار أبي تمام » (ط. القاهرة :
 ١٩٣٧) وكتب الآمدي كتاب « الموازنة » بينه وبين البحري .

١ ص س : كامل .

٢ أ ج : عوث ؛ س : الحرث .

٣ ما بين معقنين لم يرد إلا في م ر ، مع إيحاء في م .

٤ أ : ندوس ؛ م : قدوس .

٥ لم أجد هذا في « الموازنة » ، ولكنني وجدت عند ذكر البيت « إن كان مسعود ... » قول
 الآمدي (١ : ٥٣٤) : « إن كان مسعود » يعني مسعوداً اخا ذي الرمة ، ولا يعرف له
 بيت واحد بكى فيه على الديار ، وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التي يسأل عنها ، وما زلت
 أرى الناس قديماً يحبطون فيه ، وإنما ذكر مسعوداً لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ،
 وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شح فلست منه ، أي انه إن كان بعد كرمه وجوده
 قد رأى ان البخل حسن فلست مقتدياً به .

قلت : وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام :

إن كان مسعود سقى أطلالهم سبَل الشؤونِ فلستُ من مسعودِ

. وقد سقط في النسب بين قيس ودفاقة ستة آباء .

وقول أبي تمام : « فلست من مسعود » لا يدلّ على أن مسعوداً من آباءه بل هذا كما يقال : « ما أنا من فلان ولا فلان مني » يريدون به البعد منه والأنفة ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ولد الزنا ليس منا » و « عليّ مني وأنا منه » .

وقد ساق الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » نسبه ، وفيه تغيير يسير . وقال الصولي^٢ : قال قوم : إن أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني ، فقير ، فصار أوساً [.

كان أوحداً^٣ عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه ، وله كتاب « الحماسة »^٥ التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه « فحول الشعراء » جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء » وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره ، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، ومدح الخلفاء وأخذ

١ هـ : ودفاقة .

٢ قال الصولي في أخبار أبي تمام : « وهو حبيب بن أوس الطائي صليبة » .

٣ ر : واحد .

٤ د : وفصاحة .

٥ تصدى له شراح كثيرون ؛ ومن شروحه المشهورة شرح التبريزي وشرح المرزوقي ؛ وحاكاه في الاختيار عدد كبير في المغرب والمشرق سمو كتبهم باسم الحماسة ؛ ولأبي تمام « الحماسة الصغرى » وهو كتاب الوحشيات ، نشر بتحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه الاستاذ محمود محمد شاكر (دار المعارف : ١٩٦٣) .

٦ كذا في المسودة .

جوائزهم ، وجاب البلاد ، وقصد البصرة وبها عبد الصمد بن المعتدل الشاعر ،
فلما سمع بوصوله - وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه - فخاف من قدومه أن
يميل الناس إليه ويُعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد^٢ :

أنتَ بينَ اثنتين تبرزُ لنا من وكنتاها بوجهٍ مذلِ
لستَ تنفكَّ راجياً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالباً لِتِنَوالِ
أيّ ماءٍ يبقى لوجهك هذا^٣ بينَ ذلِّ الهوى وذلِّ السؤلِ

فلما وقف على الأبيات أُضرب عن مقصده ورجع ، وقال : قد شغل هذا ما
يليه فلا حاجة لنا فيه . وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبّي في
حرف الهمزة .

[٤] ولما قاله ابن المعتدل هذه الأبيات في أبي تمام ، كتبها ودفعها إلى وراق
كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدهما الآخر ، وأمر أن تُدفع إلى
أبي تمام ، فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب :

أفيّ تنظم قولَ الزورِ والفننِ وأنتَ أنقصُ من لا شيءٍ في العدَدِ
أشرجت^٥ قلبك من غيظٍ على حنقٍ كأنها حرّكات الروح في الجسدِ
أقدمتَ ويملك من هجوي على خطرٍ كالعيرِ يُقدِمُ من خوفٍ على الأسدِ

وحضر عبد الصمد ، فلما قرأ البيت الأول قال : ما أحسن علمه بالجدل ،
أوجب زيادة ونقصاناً على معدوم ، ولما نظر إلى البيت الثاني قال : الإشراج

١ أ ج د هـ : المعتدل .

٢ انظر الصولي : ٢٤١ - ٢٤٢ والشريشي ٢ : ١٨٩ والأغاني ١٣ : ٢٥٤ .

٣ ب ج : لمر وجهك يبقى .

٤ ما بين معقنين انفردت به م ر .

٥ هذا الخبر مخالف للذي قبله بعض المخالفة ومن حق المؤلف أن يصدره بمثل قوله « ويقال ان... »

الخ « وانظر الأغاني ١٣ : ٢٥٥ وديوانه ٤ : ٣٥١ .

٦ أشرج الشيء : شده بالشرح وهي العرى .

من عمل الفراشين ولا مدخل له هنا ، فلما قرأ البيت الثالث عضَّ على شفته وقال : قتل .

وقال الصولي^١ : قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب « المصايد والمطارد » عند قوله فيه : وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكرَ الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شمَّ ريحه [.

ولما أنشد أبو تمام أبا دُلْفَ العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها^٢ :

على مثلها من أربُعٍ وملاعبٍ أذيلتَ مصوناتُ الدُموعِ السَّواكِبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيتَ به محمد بن حميد الطوسي ، فقال أبو تمام : وأيِّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي أولها :

كذا فليجَلَّ الحُطْبُ وليفدَحِ الأمرُ^٣ فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُدْرُ

وددت والله أنها لك في^٤ ، فقال : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله ، فقال : إنه لم يمتَ من رثي بهذا الشعر .

وقال العلماء : خرج من قبيلة طيماء ثلاثة ، كل واحد مجيد في بابه : حاتم الطائي في جوده ، وداود بن نصير الطائي في زهده ، وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره .

وأخباره كثيرة^٤ ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته

١ يبدو أن المؤلف هنا ينقل عن شرح الصولي لشعر أبي تمام ، فهذا التعليق لم يرد في كتابه « أخبار أبي تمام » ؛ وانظر : المصايد والمطارد : ٦ ؛ ففيه النص والخبر عن التهاجم بين أبي تمام وعبد الصمد بن المذل وتعليق عبد الصمد على أبيات أبي تمام ؛ ولم يرد في م ر قوله « وقال الصولي » .

٢ ديوانه ١ : ٢٠٥ ، والخبر في الصولي : ١٢١ - ١٢٥ .

٣ ر : الدرر .

٤ وأخباره كثيرة : سقطت من ص .

السنية^١ ، فلما انتهى فيها إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتم في حلمٍ أحنفَ في ذكاءِ إياس
قال له الوزير : أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تتكروا صرني له من دونه مثلًا شروداً في الندى والباسِ
فأله قد ضربَ الأقلَ لنوره مثلًا من المشكاةِ والنّبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبه فأعطاه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها ، وبقي هذه المدة ومات ؛ وهذه القصة لاصحة لها أصلاً .

وقد ذكر أبو بكر الصولي في كتاب « أخبار أبي تمام »^٢ أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد بن المعتصم وانتهى إلى قوله « إقدام عمرو - البيت المذكور » قال له [أبو يوسف يعقوب بن الصباح]^٣ الكندي الفيلسوف ، وكان حاضراً : الأمير فوق من وصفت ، فأطرق قليلاً ثم زاد البيتين الآخرين ، ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فمجبوا من سرعته وفطنته . ولما خرج قال أبو يوسف ، وكان فيلسوف العرب : هذا الفتى يموت قريباً . ثم قال بعد ذلك : وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته ، وليس بشيء ، والصحيح هو هذا .

وقد تتبعتها وحققت صورة ولايتك للموصل ، فلم أجد سوى أن الحسن

١ مطلع هذه القصيدة (ديوانه ٢ : ٢٤٢) :

ما في روقوفك ساعة من باس نقضي فنام الأربيع الادراس

٢ أخبار أبي تمام : ٢٣١ - ٢٣٢ .

٣ لم يرد في المسودة .

ابن وهب ولاء بريد الموصل ، فأقام بها أقلّ من سنتين ثم مات بها . والذي يدل على أن القضية ليست صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء ، بل مدح بها أحمد بن المعتصم ، وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منها بالخلافة ، والحيص بيص ذكر في رقاعه السبع اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بايعقوبا أن الموصل كانت إجازة لشاعر طائي ، فإما أنه بنى الأمر على ما قاله الناس من غير تحقيق ، أو قصد أن يجعل هذا ذريعة لحصول بايعقوبا له ، والله أعلم [وتابعه في الغلط ابن دحية في كتاب « النبراس »]^١ .

[وذكر الصولي^٢ أن أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله :

دِيمةٌ سَمحةٌ القيادِ سَكوبُ مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعتْ بقمّةٍ لإعظامٍ أخرى لسمى نحوها المكانُ الجديدُ

قال له ابن الزيات : يا أبا تمام ، إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يُدّخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة . وكان بحضرتك فيلسوف ، فقال له : إن هذا الفتى يموت شاباً ، فقيل له : ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال : رأيتُ فيه من الحِدّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسّ وجودة الخاطر ما علمتُ به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيفُ المهندِ غمدهُ ، وكذا كان ، لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة .

قلت : وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ مولده ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى]^٣ .

١ ما بين معقفين سقط من ص والمسودة .

٢ لم يرد هذا الخبر في كتاب أخبار أبي تمام ؛ وفي الديوان (١ : ٢٩٦) ان القصيدة في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة .

٣ هذا النص لم يرد في ص والمسودة .

ولم يزل شعره^١ غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، ثم جمعه علي بن حمزة الأصباني، ولم يرتبه على الحروف، بل على الأنواع. وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين^٢ ومائة يجاسم، وهي قرية من بلد الجيدور^٣ من أعمال دمشق بين دمشق وطبرية، ونشأ بمصر، قيل إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر، وقيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده [بدمشق وكان أبوه خماراً بها، وكان أبو تمام أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة] ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار منه ما صار.

وتوفي بالموصل - على ما تقدم - في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل إنه توفي في ذي القعدة، وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين، وقيل تسع وعشرين ومائتين، وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى.

[قال: البحتري: وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة، قلت: ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان، على حافة الخندق، والعامية تقول: هذا قبر تمام الشاعر.]

وحكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النهوي المترجم^٥، قال: سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر - الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى - عن معنى قوله:

سقى الله دوحَ الفُوطَينِ ولا ارتوتُ من الموصولِ الحدباءِ إلا قبورها

لم حرمها وخص قبورها؟ فقال: لأجل أبي تمام.

١ هذا عن الفهرست: ١٦٥.

٢ كذا في المسودة و ص، وفي سائر النسخ: وتسعين.

٣ أ: الجولان؛ د: حلوان.

٤ ما بين معقنين سقط من ص م والمسودة.

٥ ولد سنة ٥٨٣ وكان ماهراً مجل المترجم والألغاز ولذلك لقب المترجم، وتوفي بالقاهرة سنة

٦٦٦ (انظر الفوات: ٢: ١٢١ وبغية الوعاة: ٣٤٣ والنجوم الزاهرة ٧: ٢٢٦).

وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب - وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى - أولها ١ :

أشاقبك من عليا دمشقَ قُصورُها وولدانُ أرضِ النيرينِ وحورُها

وهي من أحسن قصائده .

ورثاه الحسن بن وهب بقوله ٢ :

فُجِعَ القريضُ بَخِطامِ الشُعراءِ وغديرِ روضتها حبيبِ الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حُفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الأحياء

وقيل : إن هذين البيتين لديك الجن رثى بها أبا تمام ، والله أعلم .

[ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة :

سقى بالموصلِ القبرَ الغريباً سحائبُ يَتَحَبَّنَ له نحيباً
إذا أظلمه أظلمن فيه شَعيبَ المزنِ يتبعها شعيباً
ولطَمَنَّ البروقَ به خدوداً وشقَّقن الرعودَ به جيوباً
فإنَّ ترابَ ذاكِ القبرِ يحوي حبيباً كان يُدعى لي حبيباً ٣

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله وهو يومئذ وزير ، وقيل إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية :

نبا أتى من أعظمِ الأنبياءِ لما ألمَّ مُثَقِّلُ الأحشاءِ
قالوا حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ناشدتك لا تجعلوه الطائي

١ انظر ديوان ابن عنين : ١٥ .

٢ وردت هذه المرآة في أخبار الصولي : ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

٣ ما بين معقنين سقط من ص والمسودة .

[١] ولأبي تمام المذكور :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لظل يلثم منه موطىء القدم
وللبحتري أيضاً في هذا المعنى :
ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم
يجد من يوصلها إليه وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق ، ثم صار إلى العراق في
خلافة المعتصم ، فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال فيها :

ثم انبرت أيام هجر أردفت نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام
فأخذها حتى بلغ فيها :

انتضععت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعض الإظلام
لا تشجين لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرام
هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام

حكى عن يموت بن المزرع قال^٢ : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض
شعره أمر غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أو يصلي مائة ركعة ،
فكان هذا دأبه ؛ قال : فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأناه أبو عبد الله
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجميل فاستأذنه في النشيد فقال له :
عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاية

١ انفردت نسختا رد بهذا النص الطويل الذي أثبتناه بين معقفين ولم تشارك معها نسخة ص
إلا في جزء يسير منه وقمت أجزاءه مختلفة في ترتيبها عما هي عليه في النسختين المذكورتين .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦ - ٣٠٧ .

فقلنا أكرم الثقلين طرّاً ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدح لك جوايزه عليهنّ الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي صلاتي إنما الشأن الزكاة
فيأمرني بكسر الصاد منه فتصبح لي الصلاة هي الصلّات

فضحك ابن المدير وقال : من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك ؟ فقال :
أخذته من قول أبي تمام :

هُنَّ الحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيفَةً

قال : فأعجبه صدقهُ ووصله .

ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها :

كشف الغطاء فأوقدي أو أحمدي

ويقول فيها :

أوليّ أمةٍ أحمدٍ ما أحمد بمضيعٍ ما أوليتَ أمةَ أحمدٍ
أما الهدى فقد اقتدحت بزنده للعالمين فويل من لا يهتدي

حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال : حدثني يحيى بن علي قال : كان محمد
ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلاً على أبي تمام ، فقلت له : بأيّ شيء قدمته ؟
فلم يأت بمقنع ، فجعلت أنشده محاسنها فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا
عيوب دعبل أعظم وأفحش ، فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت :

يا أبا جعفرٍ أتحمك في الشء رٍ وما فيك آلة الحكّامِ
إنّ نقد الدينار إلا على الصي رٍ فصعب فكيف نقد الكلام
قد رأيناك ليس تفرق في الأشء مار بين الأرواح والأجسام
إنما يعرف العتيق من الهء دث قينٌ في وقت عرض الحسام
لا تقس دعبلاً إذن بحبيبٍ ليس خفّ البعير مثل السنام

قال عبد الله بن المعتز : جاءني محمد بن يزيد النحوي فجري ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه ، فقال له رجلٌ من الكتاب كان في المجلس ، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه : يا أبا العباس ، ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه :

لعمرى لقد أقوت مغانيكُ بعدي ومحت كما محت وشائع من بردِ
وأنجبتُمُ من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجدِ
ثم مرّ فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار :

أتاني مع الركبان ظن ظننته لفتتُ له رأسي حياءً من المجدِ
كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي

حدث الصولي قال : كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه ، فقال له رجل : يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يُعرف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال ؟ فأفحمه . وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضريب بخراسان ، وكان هذا من علماء الناس ، وكان متصلاً بالطاهرية .

قال علي بن محمد بن عبد الكريم : لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها :

أرامة كنت مألّف كل ريم

فاتصل خبرها بمتبة بن عَصِم الذي يهجوهُ أبو تمام ، وهو كليلي من قضاة ، وكان أديباً شاعراً ، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر: ايتوني به ، فجاءوا به فأنشده إياها ، فلما فرغ قال : أحسنت يا غلام على صغر سنك ، فسكت أبو تمام وقال : يا عم أنشدني من شعرك ، فأنشده قصيدة ، فلما فرغ قال : يا عم ما أحسنت على كبر سنك ، فقال عتبة لبني عبد الكريم : أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا .

قال الصولي : ومن باب الجود قول أبي تمام :

بيُمن أبي إسحاق طالت يد الهدى وقامت قنأة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنته دعاها لقبض لم تجبه أنامله
وللبحتري في هذا المعنى :

لا يتعب النائل المبذول همته وكيف يتعب عين الناظر النظر

وهذان البيتان لا غاية وراءهما .

قال ابن أبي دواد لأبي تمام : إن لك أبياتا أنشدتها فلو قلتها زاهداً أو
معتبراً أو حائثاً على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت ، فأنشدنيها ،
قال : ما هي ؟ قال : التي قافيتها « فأدخلها » ، فأنشده :

ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كانها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زالك فأدخلها

حدث الصولي قال : دخل أبو تمام على أحمد بن أبي دواد فقال له : ما
أحسن هذا فمن أين أخذته ؟ قال : من قول الحاذق في الفضل بن الربيع :
وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وحدث الصولي عن الحسن بن وهب قال : لما أدخل المازيار على المعتصم
وكان عليه شديد الغيظ قيل له : لا تعجل عليه فإن عنده أموالاً جمة ، فأنشد
بيت أبي تمام :

إن الأسود أسود الغاب همها يوم الكرمية في المسلوب لا السلب

ثم قتله ؛ وكذلك جمال الدين بن رشيقي أفقي ببيت المتنبي في النصراني الذي سب

١ أخبار أبي تمام : ١٤٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو :
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فعمل بمقتضاه .

وحدث علي بن يحيى بن علي بن مهدي قال : كان المنجمون حكموا لما خرج
المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه ، فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في
شهر رمضان سنة ٢٢٣ وانصرف سالماً ، قال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتبِ في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصفائف في متونهن جلاء الشك والرّيبِ
والعلمُ في شهبِ الأرماعِ لامعةً بين الخمسين لا في السبعة الشهبِ

وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة أيام فقال له المعتصم : لم تجلو علينا
عجوزك ؟ قال : حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة وسبعين
ألف درهم عن كل بيت منها ألف .
قال الحسن بن وهب : دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده
قصيدته التي أولها :

لهان علينا أن نقول وتفعلنا

فلما بلغ إلى قوله :

ووالله لا آتيك إلاّ فريضةً وآتي جميع العالمين تنفلاً
وليس امرءاً في الناس كنت سلاحه عشية يلقي الحادثات بأعزلاً

فقال : أما والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكن
تنقص مدحك ببذلك له لغير مستحقه ، فقال : لسان العذر معقول وإن كان
فصيحاً ، ومرّ في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم وكتب إليه بعد ذلك :

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما يغالي إذا ما ضن بالشيء بايمه

فأما الذي هانت بضائع بيعة فيوشك أن تبقى عليه بضايعة
فأجابه أبو تمام :

أبا جعفر إن كنت أصبحت تاجراً أساهل في بيعي له من أبياعه
فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعه

قال الصولي : لما كلم خالد بن يزيد ابن أبي دواد في أمر أبي تمام قال
أبو تمام يشكره :

لأشكرنك إن لم أوتَ من أجلي شكراً يوافيك عني آخر الأبد
وإن توردتُ من بحر البحور ندَى فلم أنل منه إلا غرفةً بيدي

قال محمد بن يزيد النحوي^١ : خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية
فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وأمره أن لا يقيم إن كان
عازماً على الخروج ، فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد ليتصيد فرآه تحت
شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال : حبيب ؟ قال :
خادمك وعبدك ، فقال له : ما فعل المال ؟ فقال :

علمني جودك السماح فما أبقيتُ شيئاً لديّ من صلتك
ما مرّ شهرٌ حتى سمحت به كأنّ لي قدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتبيه في سنتك
فلمست أدري من أين تنفق لو لا أنّ ربّي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها وانصرف .

ولأبي تمام وقد اعتل الياس صاحب عبد الله بن طاهر :

فإن يكن وصّب قاسيت سورته فالورد حلف لليث الغابة الأضم^٢

١ أخبار أبي تمام : ١٥٨ ومن هنا تلتقي النسخة ص بالنسختين رد .

٢ الورد : الحمى ، الأضم : الفضبان .

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجدٍ ولم يعبانَ بالرّتم
بنات نعشٍ ونعشٍ لا كُسوفَ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرقْمُ
فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت حتى جلتُ صدأ الصمصامة الخدم
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

قال محمد بن هبيرة النحوي : حُجِبَ أبو تمام عن إسحاق بن إبراهيم
المصعبي فقال :

يا أيها الملك المرجوُّ نائلهُ وجودهُ لمراعي جوده كُتِبَ
ليس الحجاب بمقصٍ عنك آملهُ إنّ الساء تُرجى حين تحتجب

وقيل لأبي تمام^٢ : قد هجأك مخلد الموصلي فلو هجوتهُ ، قال : الهجاء
يَرَفَعُ منه إذ ليس هو شاعراً ؛ لو كان شاعراً لم يكن من الموصل ، يعني ان
الموصل لا يخرج منها شاعر ، وكان مخلد قد هجاه بقوله :

يا نبيَّ الله في الشم ر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الا ه ما لم تتكلم

وكان لأبي تمام حبة إذا تكلم . قرأت في كتاب « المستنير » أن أبا تمام
والخثعمي اجتمعا في مجلس أنسٍ ، فقام أبو تمام إلى الخلاء فقال له الخثعمي :
ندخلك ؟ قال : نعم وأخرجك ، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع
والجواب المعجيب .

وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر من قدحين ، فكتب
إليه يوماً يدعوه : إن رأيت أن تنام عندنا فافعل .

ودخل على جعفر بن سليمان يعزّيه بأخيه محمد بن سليمان وقد كان جزع عليه
جزعاً عظيماً ، فقال جعفر حين رآه : إن يكن عند أحد فرجٌ فعند حبيب ،

١ الرقم : الداهية .
٢ أخبار أبي تمام : ٢٣٤ .

فلما سلم قال : أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله ،
واذكر مصيبتك في نفسك تُنسِك مصيبتك في غيرك والسلام] .
ومحاسن حبيب كثيرة .

وجاسم : بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم .
وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .
والجَيْدورُ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة
وسكون الواو وبعدها راء - وهو إقليم من عمل دمشق يجاور الجولان .
والطائي : منسوب إلى طيء القبيلة المشهورة ، وهذه النسبة على خلاف
القياس ، فإن قياسها طيئِيّ لكن باب النسب يحتمل التغيير ، كما قالوا في النسبة
إلى الدَّهر دُهري وإلى سهل سُهلي - بضم أولهما - وكذلك غيرها .

١٤٨

حاتم الأصم

حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ ؛ كان أوحد من عُرف بالزهد والتقليل
واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام يُدَوَّن في الزهد والحكم . واسند الحديث
عن شقيق البلخي وشداد بن حكيم البلخي أيضاً ، وروى عنه حمدان بن ذي
النون ومحمد بن فارس البلخيّان . وقدم حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن
حنبل واجتمع معه ؛ قيل لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن
حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، أنت رجل أعجمي

١٤٨ - اختلف في اسم أبيه فقيل : هو حاتم بن عنوان أو حاتم بن يوسف أو حاتم بن عنوان بن
يوسف ؛ وكان من أصحاب شقيق البلخي ، زاهداً صاحب مواظب وحكم ، ولد بخراسان ، وتوفي
سنة ٢٣٧ (انظر أخباره في حلية الأولياء ٨ : ٧٣ وطبقات السلي : ٩١ وشذرات الذهب
٢ : ٨٧ وعبر الذهبي ١ : ٤٢٤ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٤ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤١) ؛
قلت : وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ر ، ووردت في ص بعد ترجمة حرملة بن يحيى .

وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأيّ معنى ؟ فقال حاتم : معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي ، قالوا : أيّ شيء هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل ، فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل !

وقال أبو جعفر الهروي : كنت مع حاتم كرتة وقد أراد الحج ، فلما وصل إلى بغداد قال : يا أبا جعفر ، أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ومضيئنا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت : يا أبا عبد الله أخوك حاتم ؟ قال : فسلم عليه ورحب به وقال بعد بشاشته به : أخبرني يا حاتم فيم أنخلص من الناس ؟ قال : يا أبا عبد الله في ثلاث خصال ، قال : وما هي ؟ [قال :] أن تعطيمهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً ؛ قال : وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً ؛ قال : وتحمل مكروهم ولا تكره واحداً منهم على شيء ؛ قال : فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال : يا حاتم ، إنها لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم .

وقال رجل لحاتم : على أي شيء بنيت أمرك ؟ قال : على أربع خصال : على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي وعلى أن رزقي لا يأكله غيري ، وعلى أن أجلي لا أدري متى هو ، وعلى أن لا أعيب عن الله طرفة عين ، وقال : لو ان صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه .

وقال رجل لحاتم الأصم : بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد ، فقال حاتم : بل أجوزها بالزاد وإنما زادي فيها أربعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكاً لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعباله ، والأسباب والأرزاق بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض لله ؛ فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم ؛ أنت تجوز به مفاوز الآخرة .

وقال حاتم : جعلت على نفسي إن قدمت مكة أن أطوف حتى أنقطع ، وأصلي حتى أنقطع ، وأتصدق بجميع ما معي ، فلما قدمت مكة صليت حتى انقطعت وطفت كذلك ففويت على هاتين الخصلتين ولم أقنوَ على الأخرى ؛

قال : كنت أخرج من هاهنا ويحيي من هاهنا .

وقال حاتم : وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيتي ثلاثة ومعي أصحابي فقلت : يخبرني كل رجل منكم بهمته ؛ قال : فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة ؛ قال : فقالوا لي : همتك أنت يا أبا عبد الرحمن ، قال : قلت : ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين ؛ قال : وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتللت ثيابه بطين ، وقال : يا [أبا] عبد الرحمن ، خذ هذا الخبز .

قال حاتم : خرجت في سفر ومعي زاد فنقد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحداً .

قيل لحاتم : من [أين] تأكل ؟ فقال : ﴿ والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ (المنافقون : ٧) .

وقال : لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد ، فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم .

وقال حاتم : لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكيناً ليذبني بها ، فوحقّ سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي فأنظر ماذا ينزل به القضاء ، فقلت : يا سيدي قضيت عليّ أن يذبني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك ومملكك . فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري أخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فمأخضاً حلقه ، فسقط عني فقامت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وقال أبو بكر الوراق : حاتم الأصم لقمان هذه الأمة ؛ قيل : جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت ، فقال لها حاتم : ارفعي صوتك ، وأرى من نفسه أنه أصمّ ، فسرت المرأة بذلك وقالت : لم يسمع الصوت ، فغلب عليه اسم الصمم .

وجاء إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط

الزهد وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : رأس الزهد الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الخلاص ؛ رحمه الله تعالى .

١٤٩

الحجاج بن يوسف

أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعْتَبِّ ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ - وهو ثقيف - [ذكره ابن الكلبي في « جهرة النسب » وقال : فولد منه بن النبيت قسيّاً ، وهو ثقيف فيما يقال والله أعلم ، فمن ينسب ثقيفاً إلى إياد فهذا هو نسبهم ، ومن نسبهم إلى قيس فيقول : قسي بن منه بن بكر بن هوازن ، ويقولون : كانت أم قسي أميمة بنت سعد بن هذيل عند منه بن النبيت ، فتزوجها منه بن بكر ، فجاءت بقسي معها من الإيادي والله أعلم]^١ الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، فلما توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه على ما بيده .

وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^٢ : إن أم الحجاج الفارعة بنت ممام بن عروة بن مسعود الثقفي ، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب ، فدخل عليها مرة سحراً فوجدها تتخلل ، فبعث إليها بطلاقها ، فقالت : لم بعثت إلي بطلاقي ؟ هل لشيء رابك مني ؟ قال : نعم ،

١٤٩ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير واليعقوبي والامامة والسياسة والميرون والحداثق ومروج الذهب ؛ وفي المقدم ٥ : ١٣ قطعة من أخباره .

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٢ انظر مروج الذهب ٣ : ١٣٢ .

دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين، فإن كنتِ بادرتِ^١ الغداء فأنت شرهة، وإن كنتِ بتّ والطعام بين أسنانك فأنت قدرة، فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنني تخللت من شظايا السواك^٢؛ فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي، فولدت له الحجاج مشوهاً لا دُبُر له، فنقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فأعيامهم أمره، فيقال: إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كعدة المقدم ذكره، فقال: ما خبركم؟ قالوا: بُنِيَ ولد ليوسف من الفارعة، وقد أبى أن يقبل ثدي أمه، فقال: اذبحوا جدياً أسوداً وأولغوه دمه، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسوداً وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسوداً سالحاً فأولغوه دمه، واطلوا به وجهه، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع، قال: ففعلوا به ذلك؛ فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في أول أمره، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يُقدِّم عليها غيره.

وذكر ابن عبد ربه في «العقد»^٣ أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة ابن شعبة، وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل؛ وذكر أيضاً أن الحجاج وأباه كانا يُعلِّمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره، وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فشكا ذلك إلى روح بن زنباع، فقال له: إن في شرطتي رجلاً لو قلته أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف، قال: فإننا قد قلناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوماً وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ قالوا له: انزل يا ابن اللخناء فكل معنا، قال لهم: هيهات،

١ س: باكرت.

٢ زاد في ص هنا قال: كنت فبتت، فقالت: والله ما فرحنا إذ كنا ولا حزنا إذ بنا؛ وهي من قصة أخرى، ولا حاجة لإيرادها بعد قوله في صدر القصة «فبعث إليها بطلاقها».

٣ انظر العقد ٥: ١٣ - ١٤.

ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر
بفساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكباً ، وقال :
يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلاني وأحرق
فساطيطي ، قال : عليّ به ، فلما دخل عليه قال له : ما حملك على ما فعلت ؟
قال : أنا ما فعلت ، قال : ومَنْ فعل ؟ قال : أنت فعلت ، إنما يدي يدك ،
وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط
فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له ، فأخلف لروح ما
ذهب له ، وتقدم الحجاج في منزلته ، وكان ذلك أول ما عرف من كفايته .

وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمع بمثها ،
ويقال : إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمرير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف
وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمراً .

وخطب يوماً فقال في أثناء كلامه : أيها الناس ، إن الصبر عن محارم الله
أيسر من الصبر على عذاب الله ، فقام إليه رجل فقال : ويحك يا حجاج ، ما
أصفق وجهك وأقل حياءك ! فأمر به فحبس ، فلما نزل عن المنبر دعا به
فقال له : لقد اجترأت علي ، فقال له : أتجترىء على الله فلا تنكره ، وتجتريء
عليك فتنكره ؟ فخلى سبيله .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « تلقيح فهوم أهل الأثر » أن الفارعة
أم الحجاج هي المتمنية ، ولما تمت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقصّ قصتها ،
ونذكرها مختصرة ، وهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلة في المدينة
فسمع امرأة تنشد في خدرها :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نصرٍ بن حجاج

فقال عمر رضي الله عنه : لا أرى معي في المدينة رجلاً تهتف به العواتق في
خدورهن ؛ عليّ بنصر بن حجاج ، فأتي به ، فإذا هو أحسن الناس وجهاً

١ وكان للحجاج ... ودمر : سقط من رس .

وأحسنهم شِعْراً ، فقال عمر رضي الله عنه : عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شرك ، فأخذ من شعره فخرج له وجنتان كأنها شُققتا قمر ، فقال : اعم ، فاعتم ففتن الناس بعينيه ، فقال عمر رضي الله عنه : والله لا تساكني ببلدة أنا فيها ، قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيّره إلى البصرة ؛ هذه خلاصة القصة ، وبقيتها لا حاجة إلى ذكره .

ونصره المذكور ابن حجاج بن علاط السلمي ، وأبوه صحابي رضي الله عنه ، وقيل : إن التمنية هي جدة الحجاج أم أبيه ، وهي كنانية .

وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب «التصحيح»^١ أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثرت التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها ، فغبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطة ، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط الإعجام ، فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توفَّ حقوقها اعترى التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدرُوا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين .

[حكى القاضي أبو الفرج المعافى في كتاب «الجليس والأنيس» قال : لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة شرفها الله تعالى خطب الناس فقال : يا أهل البصرة ، إني أريد الخروج إلى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمداً ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار ، فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته فيكم أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ؛ ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف : لا أحسن الله له الصحابة ، واني معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة]^٢ .

١ التصحيح : ١٣ .

٢ هذه الفقرة من ص ر .

[قال أبو العباس المبرد في إسناده ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال :
بيننا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج
الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج
ابن يوسف قد قدم أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد متممماً بعمامة
غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤمّ المنبر ، فقام الناس نحوه حتى
صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبّح الله بني
أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ، قال عمير بن ضابئة البرجمي : ألا
أحسبه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام
عن فيه ونهض فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال : والله يا أهل الكوفة والعراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان
قطافها وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ، وإن أمير
المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً ،
فرماكم بي لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال ، والله
لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فإنكم لكأهل قرية ﴿ قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله
لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (النحل : ١١٢) . والله إني ما أقول إلا
وقيت ولا احم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم
أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله
لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ؛ يا غلام اقرأ
عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد
الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل
أحد شيئاً ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : يسلم
عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن نهيبة ، أما والله لاؤدبنكم

غير هذا الأدب أو لتستقيمن ، اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد في المسجد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال : أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلاً مني ؟ فقال الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولي قال له قائل : اتدري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان :

همت ولم أفعل وكدت ولتني تركت على عثمان تبكي حلاله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه ؛ فقال : ردوه ، فلما ردّ قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله تعالى بديلاً يوم الدار ؛ إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين ، يا حرسى اضربن عنقه ؛ فجعل الرجل يضيّق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ عميراً وإما أن تزور المهلبا

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البرجمي وجب عليه حبس عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدب ، وذلك انه كان استعمار كلباً من قوم فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحاشاً فرمى أهمهم به ، فقال في بعض كلامه :

فأمكم لا تتركوها وكتبكم فإن عقوق الوالدات كبير

فاضطنن على عثمان رضي الله عنه ما فعل ، فلما دعي ليؤدّب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان رحمه الله فعثر عليه فأحسن أدبه ، ففي ذلك يقول : همت ولم أفعل [١] .

١ انفردت النسخة د بالقطعة كلها الواقعة بين معقنين .

[ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال ، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقوق وفي الأموال بردّها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه ، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل ، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة ، فلا يؤنسك إلا الطاعة ولا يوحشك إلا المعصية ، وظن بأمر المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً؛ وكتب في أسفل كتابه:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها	طلبت رضي بالذي أنت طالبه
وتحشى الذي يخشاه مثلك هارباً	إلىّ فما قد ضيع الدرّ حالبه
وإن ترّ مني غفلةً قرشيةً	فيا ربما قد غصّ بالماء شاربه
وإن ترّ مني وثبةً أمويةً	فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادثُ جمة	فإنك منجزى بالذي أنت كاسبه
ولا تعدّ ما يأتيك مني وإن تعد	يقوم بها يوم عليك نواده
ولا ترفعنّ للناس حقاً علمته	ولا تغضبنّ ، فاللين للناس جانبه

فأجابه الحجاج : أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلها وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه، فإن كان قتلي اولئك العصاة سرفاً وإعطائي اولئك المطيعين تبذيراً فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحدّ لي حدّاً أنتهي إليه إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله، ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها ، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم ، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أتاني من أمريك فأبينها عزة أعظمها محنة ،

١ قارن بما في تهذيب ابن عساكر ٤ : ٦٧ ؛ وهذه القطعة واردة في د ص ر مع بعض اختلاف بينها.

وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر ؛ وكتب في أسفل كتابه ١ :

إذا أنا لم أبغ رضاك وأتقي أذاك فيومي لا تزول كواكبهُ
وما لامرئ بعد الخليفة جنةٌ تقيه من الأمر الذي هو كاسبه
أسالمُ مَنْ سالتَ من ذي هوادةٍ ومن لم تسالمه فإني محاربه
إذا قارف الحجاجُ منك خطيئةً فقامتُ عليه في الصباح نوادبه
إذا أنا لم أدن الشفيق لصنعه وأقص الذي تسري إليَّ عقاربه
فقف لي على حدّ الرضى لا أجوزهُ مدى الدهر حتى يرجع الدارُ حاله
وإلا فدعني والأمورَ فإني شفيقٌ رقيقٌ أهلتُه تجاربه

فلما قرأ عبد الملك كتابه قال : خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما

يكره . [

وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه : ابتني بمحدث من المسجد ، فأناه بسبرة بن الجعد ، فدخل وسلّم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : بمن الرجل ؟ قال : من بني شيبان ، قال : ما اسمك ؟ قال : سبرة بن الجعد ، قال : يا سبرة ، قرأت القرآن ؟ قال : قد جمعتُه في صدري ، فإن عملتُ به فقد حفظته وإن خالفته فقد ضيعته ، فاتخذه الحجاج سميراً ، فما كان يتطلب شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه . وكان يرى رأي الخوارج ، وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي ، والفجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو رجل من تميم . وكان قطري يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطرياً ما كان من سبرة مع الحجاج ، فكتب إليه من جملة قصيدة :

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري ؛ وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به

١ هذه الأبيات لم ترد إلا في النسخة ر .

إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها :

فمن مبلغ الحجاج أن سميره قلى كل دين غير دين الخوارج

فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد وقال : هذا من سميري الشيباني وهو [خارجي] ولا نعلم به .

قال القاضي أبو الفرج المعافى : حدث العتيبي قال : كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة ، وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها ، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة ، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له : هذا ممن جهزته فراشة ، فخر ساجداً ثم رفع رأسه فقال : يا عدو الله ، قال : أنت أولى بها يا حجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث ، قال : أين تطير ؟ قال : ما بين السماء والأرض ، قال : أعنّ تلك سألتك عليك لعنة الله ؟ قال : عن تلك أخبرتُك عليك غضب [الله] ، قال : سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك ، قال : وما تصنع بها ؟ قال : أضرب عنقها ، قال : ويلك يا حجاج ما أجهلك ، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، قال : فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولم ، لا أمّ لك ؟ قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعالمه إياك على رقاب المسلمين ، فقال لجلسائه : ما رأيكم فيه ؟ قالوا : نرى أن تقتله قتلة لم يُقتل مثلها أحد ، قال : ويحك يا حجاج ، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك ، قال : وأي أخويّ تريد ؟ قال : فرعون حين شاور في موسى فقالوا : ارجئه وأخاه ، وأشار هؤلاء عليك بقتلي ، قال : فهل جمعت القرآن ؟ قال : ما كان مفرقاً فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهراً ؟ قال : معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه ، قال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك ؟ قال : ألقاه بعملتي وتلقاه بدمي ، قال : إذن أعجلك إلى النار ، قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واثقت عذابك ولم أبغِ خلافتك ومناقضتك ، قال : إني قاتلك ، قال : إذن

أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك ، قال : نقمعك عن الكلام السيء ؛
يا حَرَسِيّ اضرب عنقه ، واوماً إلى السياف ألا تقتله ، فجعل يأتيه من بين
يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال ذلك رشح جبينه ، قال : جزعت
من الموت يا عدو الله ؟ قال : لا يا فاسق ولكن أبطأت علي بما فيه راحة ؛
قال : يا حرسى ، أوجب جرحه ، فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله ، والله
لقد أتمها ورأسه في الأرض .

وقال القاضي ١ : لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئذ بواسط القصب
قبل أن يبني مدينة واسط قال لحاجبه : قدم إلي سيدهم فيروز بن الحصين ، فقال
له الحجاج : أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء ؟ قال : فتنه عمت الناس ، فقال :
اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أولاً ، قال : ثم أنا آمن على دمي ؟
قال : اكتبها ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألفي ألف ، حتى ذكر
ملا كثيراً ، فقال الحجاج : أين هي وعند من هي ؟ قال : لا والله لا
جمعت بين مالي ودمي ، فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب ، وكان من جملة ما
عذب به أن يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر حتى يجرّج جسده ثم
ينضح عليه الخلّ والملح ؛ فلما أحس بالموت قال : إن الناس لا تشكنّ أني
قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهروني للناس
ليعلموا أني حي فيؤدوا المال ، فأخرج فصاح في الناس : من عرفني فقد عرفني ؛
أنا فيروز ، إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في
حل فلا يؤدين أحد منه درهماً ، ليبلغ الشاهد الغائب ؛ فأمر به الحجاج فقتل .
وجلس الحجاج يوماً لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ،
فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير ، إن لي عليك حقاً ، قال : وما حقك ؟
قال : سبتك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه ، فقال : من يعلم ذلك ؟ قال :
أنشد الله رجلاً سمع ذلك إلا شهد به ، فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان
ذاك أيها الأمير ، قال : خلوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما
أنكر ؟ قال : لقد يم بغضي إياك ، قال : ولنخلّ عنه لصدقه .

١ أوردت نسخة ر قبل هذه القصة حديث الحجاج مع الفضبان بن القبعثري .

قال أبو الحسن المدائني : لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، جلس لضرب أعناقهم عامة النهار ، فأتي آخرهم برجل من بني تميم قال له : والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لَمَا أحسنتَ في العقوبة ، فقال الحجاج : أف لهذه الجيف أما فيها رجل يحسن مثل هذا ؟ وعفا عنه .

ولما حضر الشعبي بين يدي الحجاج سلم بالإمرة ثم قال : أيها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً ، قد والله خرجنا عليك واجتهدنا كل الجهد فما أَلَوْنَا فيما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء ، ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا ، فإن سطوت فبذونبنا وما جرت إلينا أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبجملتك وبعد الحجة لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحب إليّ ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلتُ وما شهدتُ ؛ قد أمنتَ عندنا يا شعبي ، فانصرف .
وقال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرتك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

وكان إبراهيم النخعي هارباً من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده فقتل له :
أين كنت ؟ قال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوتَ إنسانٌ فكادت أظيرُ

وذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له ، فقال له : كيف حالكم مع أميركم ؟ فقال : لعنه

١ ورد بعد هذا الموضع في النسخة ر : وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل : الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : إني أستحيي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه .

٢ وردت هذه القصة عن الشعبي في النسخة د على نحو مغاير وهي هنالك متفقة مع ما جاء في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٥٠ - ١٥١ .

الله ، المييد المبير الحقود ، عجل الله الانتقام منه ، فقال له : تعرفني ؟ قال : لا والله ، قال : أنا الحجاج ، فرأى الرجل أن دمه قد طاح فرفع عصاً كانت معه وقال : أتعرفني ؟ أنا أبو ثور المجنون ، وهذا يوم صرعي ، وأزيد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا ، فضحك منه وانصرف .

وكان الحجاج كثيراً ما يسأل القراء ، فدخل عليه يوماً رجل فقال له : ما قبل قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ ﴾ (الزمر : ٩) فقال : ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ قال : فما سألت أحداً بعدها .

وخطب في يوم الجمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرک ، فأمر به إلى الحبس ، فأناه آل الرجل فقالوا : إنه مجنون ، فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سييله ، فقال الرجل : لا والله لا أزعج انه ابتلاني وقد عافاني .

ومن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نعيم الثقفي ، وكان يشب بزینب بنت يوسف أخت الحجاج وهو الذي يقول :

تضوَع مسكاً بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوةٍ عطرات

فلما أتى به الحجاج قال : والله أيها الأمير إن قلت ' إلا خيراً ، إنما قلت :

يخضبن أطراف البنان من الثقي ويخرجن شطر الليل معتجرات

قال : فأخبرني عن قولك :

ولما رأته ركب النميري أعرضت وكن من أن يلقينه حذرات

ما كنتم ؟ قال : كنت على حمار هزيل ومعني صاحب على اتان مثله ، فعفا عنه . ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والمويل ، فأمر الحجاج بالناس فجمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل مكة ، بلغني بكاؤكم واستفضاعكم قتل عبد الله بن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها وخلع

طاعة الله واستكنن إلى حرم الله ، ولو كان شيء مانعاً للقضاء لمنعت آدم حرمته الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وإباحه جنّته ، فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، فاذكروا الله يذكركم ، ونزل . قال مالك بن دينار : ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوق في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجاج .

قال القاضي المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » : حدث الزبير ابن بكار عن الزهري قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله ابن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقرّبه في المنزلة ، فلم يزل على حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه ، فلما دخل على عبد الملك لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق ، إبراهيم ابن طلحة بن عبيد الله ، وقد أحضرتك بابك ليسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما يفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه ، فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً واجباً ورحماً قريبة ؛ يا غلام ايذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل قرّبه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له : يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق ، فلا تدعن حاجة من خاصّ أمرك ولا عامه إلا ذكرتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أولى الامور أن تفتح بها الحوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضئى ولحقّ نبيّه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وان عندي نصيحة لا أجد بداً من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خالٍ فأخلفني تردّ عليك نصيحتي ، قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، قال : قم يا حجاج ، فلما جاوز الستر قال : قل يا ابن طلحة نصيحتك ، قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : الله ، قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه

وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيها من فيها وبها من
بها من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخير أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبناء الصحابة يسومهم الحسف ويقودهم العسف ويحكم فيهم بغير السنة
ويطوهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة
باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخلصك إذا جأناك للخصومة في أمته ؟ أما والله لا تنجو هناك إلا
بحجة تضمن لك النجاة فأبق على نفسك أو دَع ، فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فاستوى عبد الملك جالسا
وكان متكئا فقال : كذبت لعمر الله ومننت ولؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك
الحجاج ما لم يجده فيك وربما ظن الخير لغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن
الحاسد ، قال : فقممت والله ما أبصر طريقا ؛ فلما خلفت الستر لحقني لاحق من
قبله فقال للحاجب : احبس هذا الرجل وأدخل أبا محمد الحجاج ، فلبثت مليا
وأنا لا أشك أنها في أمري ، ثم خرج الأذن فقال : قم يا ابن طلحة فادخل ،
فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج ، فاعتنقني وقبل ما بين
عيني ثم قال : إذا جرى الله المتأخين بفضل توصلها فجزاك الله أفضل ما جرى
به أخا ، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرلك ولأعلن كعبك ولأتبعن الرجال
غبار قدميك ، قال : فقلت : يهزأ بي ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى
أجلسني في مجلسي الأول ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحدا من الناس شاركك في
نصيحتك ، قال : قلت : لا والله ولا أعلم أحدا كان أظهر عندي معروفا ولا
أوضح يدا من الحجاج ، ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو ولكني آثرت
الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، ولو أردت الدنيا لكان لي في
الحجاج أمل ، فقال : قد علمت ذلك ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت
من ولايته عليها وأعلمته أنك استنزلتني له عنها استصغاراً ووليته العراقيين لما
هناك من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له
عليها استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجز نصيحتك ،
فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقریظه إياك ويدك عنده ، قال :

فخرجت على هذه الجملة] .

[وروي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال: دفع إلي الحجاج ازارمرد ابن الهريذ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه ، فلما انطلقت به قال لي : يا محمد إن لك شرفاً وديناً وإني لا أعطي على القسر شيئاً وارفق بي ، قال : ففعلت ، فأدى إليّ في أسبوع خمسمائة ألف ؛ قال : فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانترعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فذقّ يديه ورجليه فلم يعطهم شيئاً ؛ قال محمد بن المنتشر : فأبني لأمرّ يوماً في السوق فإذا به معروضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج إن أتيت وتذممت فملت إليه فقال لي : إنك وليت مني ما وني هؤلاء فأحسبت وإني ما ترى ولم أعطهم شيئاً ، وهاهنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فبي لك ، قال : فقلت : ما كنت لأخذ منك على معروفي أجراً ولا لأرزأك على هذه الحال شيئاً ، قال : فأما إذ أتيت فاستمع أحدثك ؛ حدثتني بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم قال : إذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في حينه ، وجعل المال عند سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه ؛ قال : فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمصير إليه ، فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضى بين يديه ، فقال : ادنْ ، فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : ادنْ ، فدنوتُ شيئاً ، ثم صاح الثالثة : ادنْ لا ابا لك ، فقلت : والله ما بي إلى الدنوِّ من حاجة وفي يد الأمير ما أرى ، فأضحك الله سنه وأغمد عني سيفه فقال لي : اجلس ، ما كان من حديث الأمس ؟ فقلت : والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ ستخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت إلى ذكر لرجل الذي عنده المال أعرض عني بوجهه وأومأ إليّ بيده ثم قال : لا تتمه ، ثم قال : إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث .

ويقال : كان الحجاج إذا استغرب ضاحكاً والى بين الاستغفار ، وإذا صعد المنبر تلعف بمطرفه ثم تكلم رويداً فلا يكاد يُسمع ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج

يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها من في أقصى المسجد ؛ وكان يطعم كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وطرف من شواء وسمكة طرية ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يا أهل الشام اكسروا الخبز لثلا يعود عليكم ؛ وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن .

ولما دخل الحجاج إلى مكة اعتذر إلى أهلها لقله ما وصلهم به ، فقال قائل منهم : إنا والله لا نعدرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين ، وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبيل أمه ، والقريتان مكة والطائف .

أمر الحجاج ابن القريّة أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ويتمعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك كنت فبنت ، وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك ، فقالت : قل له كنا فما حمدنا وبنّا فما ندمنا ، وهذه الدراهم مشاركتك إياي بطلاقي^١ .

[ووفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك في خلافته فوجده في بعض تزهره فاستقبله ، فلما رآه ترجل له وقبّل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب أبا محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد في خدمتك فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه ، فعزم عليه الوليد حتى ركب . ودخل الوليد داره فتغلل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل في حاله تلك وأطال الجلوس عنده إذ جاءت جارية فساررتة وانصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدري ما هذا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثت ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما مجالستك هذا الأعرابي المستلم في السلاح وأنت في غلالة ، فأرسل إليها إنه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكحة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعن على شرك ولا مكابدة عدوك ولا تطمعن في غير أنفسهن ولا تشغلن بأكثر من

١ قوله : وروي عن محمد بن المنتشر حتى قوله « بطلاقي » : انفردت بهذا النص كله النسخة د .

زينتهن وإياك ومشاورتهن ، وأكثرَ من ذلك . ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت : أحب أن تأمره غداً بالتسليم علي ، قال : أفل . فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد صر إلى أم البنين فسلمت عليها ، فقال : اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : لا بد منه ؛ فمضى الحجاج إليها فحجبه طويلاً ثم أذنت له وتركته قائماً ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خليفته ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين ؛ فأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمر المؤمنين عبد الملك فأغانك بأهل الشام وأنت في أضيقت من القرن فأظلتك رماحهم ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غداثرهن وبعنه في الأسواق حتى أخرج في أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت أذل من البقة ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك ولا مصغٍ إلى نصيحتك ، فإن كنّ يفرجن عن مثلك فما أولاه بالقبول منك ؛ ثم قالت لجواريا : أخرجوه عني ، فدخل على الوليد من فوره فقال : يا أبا محمد ، ما كنت فيه ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال : يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز .

وقيل إن أم البنين المذكورة كانت تهوى وضاح اليمن الشاعر ، وكان جميلاً ، وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقم عندها ، وإذا خافت وارتته في صندوق عندها وأقفلت عليه ؛ وهو القائل :

حَتَامَ نَكَمَ حَزْنًا حَتَامًا وَعَلَامَ نَسْتَبْقِي الدَّمُوعَ عَلَامَا
يَا رَبِّ أَمْتَعْنِي بِطُولِ بَقَائِهَا وَاجْبِرْ بِهَا الْأَرْمَالَ وَالْأَيْتَامَا
قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْبَنِينِ مَرِيضَةً تَخْشَى وَتَشْفُقُ أَنْ يَكُونَ حِمَامَا

فدخل الخادم إليها مفاجأة فرأى وضاحاً عندها فأدخلته الصندوق وأقفلت عليه ، فطلب منها الخادم حجراً نفيساً كان يعرفه عندها فمغته إياه بخلا به ،

فمضى وأخبر الوليد بالحال ، فقالت له : كذبت يا ابن الفاعلة ، ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها ، وكان الخادم قد وصف له الصندوق ، فجلس الوليد فوقه ثم قال : يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت ، فلم اخترته ؟ قالت : لأنه جمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب ، فقال : هي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، فقالت : كلها بحكك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنما أريد واحداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، فقال : هذا الصندوق الذي تحتي ، فقالت : غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها ، فقال : ما أريد سواه ، فقالت : خذه ، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيداً له عجماً وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحضرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال : يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد دفنناك ودفننا ذكرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفننا الخشب وما أهون ذلك . ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه ، فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضباً حتى فرق الموت بينها .

وقيل : حضر بساط الحجاج رجل تميّن عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره ، فلما فرش النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حاله تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد مرتجلاً :

تألّق البرق من نجد فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول
يكفيك ما قد ترى من نائر حنق في كفه كصيب الماء مسلول

فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقاً له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديتة ، فجعلوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك ، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه : فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينسأ أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يُقتل .

وقيل : أخذ الحجاج أعرابياً سرّق فأمر بضربه فضرب ، فكلما ضربه بالسوط قال : اللهم شكراً ، فأتاه ابن عم له وقال : والله ما دعا الأمير إلى التادي في ضربك إلا لكثرة شكرك لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم : ٧) فأمر بإطلاقه .

وحدثنا محمد بن القاسم الأنباري عن المدائني عن مولى لعنبة بن سعيد بن العاص قال : كنت أدخل مع عنبة إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ودخلت معه وليس عند الحجاج أحد غير عنبة فقمعت ، فجيء الحجاج بطبق رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتيون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم ؛ ثم جاء الحجاب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قمعت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق ومعها جاريتان لها فإذا هي ليلي الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلي ما الذي أتى بك ؟ قالت : إخلاف النجوم وقلة الغيوم وقلب البرد وشدة الجهد وكننت لنا بعد الله الرfid ، فقال لها : صفي لنا الفجاج ، فقالت : الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مستنون ، رحمة الله يرجون ، قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبماً ولا ربُعاً ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ؛ ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال
 أحجاج لا تعطي العداة مناهم ولا الله يعطي للعداة مناهما
 إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبّع أقصى دائها فشفاهما
 شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة سقاها

سقاها فرواًها بشرب سجاله دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج ذكر كتيبة أعدّ لها قبل النزول قراها
أعدّ لها مسمومة فارسية بأيدي رجال يجلبون صراها
فما ولد الأبرار والعون مثله ببحرٍ ولا أرض يحف ثراها

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله ، والله ما أصاب صفتي
شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال : والله إني
لأعدّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حسبك ويحك ،
ثم قال : يا فلان ، اذهب بها إلى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فأمر بإحضار
حجّام ، فقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرك بقطع لساني
بالبر والصلة ، فبعث إليه فاستشاط الحجاج غضباً وهمّ بقطع لسانه فقال : ارددها ،
فلما دخلت عليه قالت : كاد والله أيها الأمير يقطع مقولي ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحدٌ إلا الخليفة والمستغفر الصمدُ
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقت وأنت للناس نور في الدجى يقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها
الأمير ، إلا أننا لم نرَ امرأة قط أفصح منها لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح
وجهاً ولا أرصن شعراً منها ، قال : هذه ليلي الأخيلية التي ماتت توبة الحفاجي
من حبها ، ثم التفت إليها فقال : أنشدنا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة ،
فقالت : نعم أيها الأمير ؛ هو الذي يقول :

حمامة بطن الوادين ترنمي سقاك من الغرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء غضّ نضيرها
وكنت إذا ما جئت ليلي تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
يقول رجال : لا يَضِيرُك نأيها بلي ، كل ما شفّ النفوس يضيرها
بلي قد يضير العين أن تُكثِرَ البكا ويُمْنَع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلي بأني فاجرٌ لنفسي تُفأها أو عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلي ما رابه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل إلي : آتيك ، ففطن الحي به فترصدوا له ، فلما أتاني سفرت ، فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع ، فقال : لله درك هل رأيت منه شيئاً تكريهينه ؟ قالت : لا والذي أسأله أن يصلحك ، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبع بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل

لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيننا ؛ قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاة فأوصى ابن عمه : إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيت ليلة من الدهر لا يسري إلي خيالها

فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله فعز علينا حاجة لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث ان مات ، فأتى ناعيه ؛ قال : فأنشدنا بعض مرائك فيه ، فأنشدته :

لتبك العذارى من خفاجة نسوة بماء شؤون العبرة المتحدر

قال : فأنشدنا قولك فيه :

كان فتى الغتيان توبة لم ينخ فلائص يفحصن الحصى بالكرراكر

فأنشدته ، فلما فرغت من القصيدة قال محسن الفقسي - وكان من جلساء الحجاج - : من هذا الذي يقال هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت إليه ثم قالت : والله أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب وقد

كنتَ عنه غنياً ؛ ثم قال لها : سلي يا ليلي تعطي ، قالت : أعطِ فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زدْ فمثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأفضل ، قال : لك ستون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زدْ فمثلك زاد فتمم ، قال : لك مائة واعلمي يا ليلي أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جوداً وأمجد مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت : مائة ناقة برعائها ، فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : نعم أيها الأمير ، تدفع إليّ النابغة الجعدي في قيد ، قال : قد فعلت ، وقد كان يهجوها وتهجوه ، فبلغ ذلك النابغة فخرج هارباً عائداً بعبد الملك بن مروان فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس ، وقيل بجلوان .

وكان الحجاج إذا سمع بنوح في دار هدمها ، فلما مات ابنه وأخوه حنّ إلى النوح ، وكان يعجبه أن يسمعه ، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

هل ابنك إلا ابنٌ من الناس فاصبري فلن يُرْجِعَ الموتى حنينُ المآتم

وكان يتمثل بهذا البيت أيضاً وهو :

فإن تحتسب تؤجرٌ وإن تبكه تكن كباكيةٍ لم يُخَيِّرَ مَيِّتًا بكاؤها] ١

وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة ، وشرحها يطول . وهو الذي بنى مدينة واسط وكان شروعه في بنائها في سنة أربع وثمانين للهجرة وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وإنما سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكانها توسطت بين هذين المصرين ؛ وذكر ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » المرتب على السنين أنه فرغ من بنائها في سنة ثمان وسبعين ، وكان قد ابتداء من سنة خمس وسبعين ، والله أعلم .

ولما حضرته الوفاة أحضر منجماً فقال له : هل ترى في علمك ملكاً يموت ؟

١ إلى هنا ينتهي هذا النص الطويل الذي انفردت به ص ر وشاركت في بعضه النسخة د .

قال : نعم ، ولستَ هو ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال المنجم : لأن الذي يموت اسمه كُليّيب ، فقال الحجاج : أنا هو والله ، بذلك كانت سمتني أُمي ، فأوصى عند ذلك .

ويشبه هذا قول الداعي علي بن محمد بن علي الصليحي^٢ - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهو الذي كان داعياً باليمن وملك البلاد اليمنية كلها وقهر ملوكها ، حتى قدرَ الله انقضاء مدته ، فخرج من صنعاء إلى مكة على عزم الحج في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة^٣ ، حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاھرھا بضیعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد أدركه فيها على حين غفلة سعيد بن نجاح الأحول الذي كان أبوه صاحب تهامة ، وقتله الصليحي وأخذ مملكته ، وهرب منه أولادُه سعيدُ المذكور وإخوته ، وكان سعيد في قُلبٍ من تابعه حتى دخل مُخَيَّم الصليحي ، والناس يعتقدون أنه من جملة العسكر وحواشيه ، فلم يشعر بأمرهم إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحي ، فركب وقال لأخيه : يا مولانا اركب ، فهو والله الأحول بن نجاح ، والعدد الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد ، فقال الصليحي لأخيه : طِبُّ نفساً فإني لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد ، معتقداً أنها أم معبد الخزاعية التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ومعه أبو بكر رضي الله عنه - وهي بين مكة والمدينة مما يلي مكة بالقرب من الجُحفَة - فقال له بعض أصحابه : قاتل عن نفسك ، فوالله هذا هو بئر الدهيم بن عيسى ، وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحارث العبسي ، فأدركه لما سمع ذلك زَمَعُ اليأس من الحياة ، فلم يَرِمْ مكانه ، وقتل لوقته هو وأخوه وأهله ، وملك سعيد الأحول عسكره وملكه .

(14) وهذا سعيد الأحول هو أخو الملك جيشاش المشهور الفاضل ، وأبوه نجاح

١ هذا الاستطراد لم يرد في المخطوطات التي اعتمدها ، وإنما ثبت في المطبوعات ، وسيذكر المؤلف طرفاً منه في ترجمة الصليحي فيما بعد .

٢ تجد تفصيلاً لأخباره في كتاب « الصليحيون » للهمداني وحسن محمود ٦٢ - ١١٢ .

٣ رجح مؤلفنا كتاب « الصليحيون » أن وفاته كانت سنة ٤٥٩ هـ ، وانظر تاريخ عمارة اليمن : ٥٥ .

٤ وردت هذه القصة في تاريخ عمارة : ٩٣ - ٩٤ .

الملك كان عبداً لمرجان الملك ، وكان عبداً لحسين بن سلامة مولى الأستاذ رشد الحبشي ، وكان الحسين ورشد قبله كل منهما هو صاحب الأمر والملك في المعنى وفي الصورة كالوزير عن آخر ملوك بني زياد باليمن وهو طفل من أولاد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد يقال له عبد الله ، وقيل إبراهيم ، وقيل زياد ، وهو الذي انقضت دولتهم به على يد عبد يقال له قيس مولى مرجان المذكور، وسببه أن الطفل المذكور لما مات أبوه أبو الجيش كفلته مولاة مرجان المذكور وعمه للطفل، وكان لمرجان عبدان أحدهما نجاح أبو سعيد والآخر قيس^١، فغلبا على أمره ، وكان قيس يحكم بالحضرة ونجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم وأعمالاً أخرى غيرها ، ووقع التنافس بين قيس ونجاح على وزارة الحضرة ، وكان قيس غشوماً ظالماً ونجاح رؤوفاً عادلاً ، فاتهم قيس عمه ابن زياد بالميل عليه إلى نجاح ، فقبض عليها وعلى ابن أخيها مرجان مولاة لأجل شكوى قيس إليه منها وسلمها إلى قيس ، فبنى عليها حائطين ، وهما قائمان بالحياة يناشدان الله أن لا يفعل ، فهلكا سنة سبع وأربعمائة ، ونمي ذلك إلى نجاح ، فسار للأخذ بثأرها ، وحارب قيساً وجرت بينها أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقيس ومملكه الحضرة . وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد ، ولما فتح نجاح زبيد وهي حضرة الملك يومئذ في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، قال لمرجان مولاة : ما فعل مواليك وموالينا؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجها وصلّى عليها ودفنها في مشهدٍ بناه لها وجعل مرجاناً موضعها ، وبنى عليه الحائط حتى هلك . ومات نجاح المذكور بالسم بحيلة تمت عليه مع جارية أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره في إظهار الدعوة لهم فأمره فخرج وكان منه ما كان ، والله أعلم .

وكان الحجاج ينشد في مرض موته هذين البيتين، وهما لعبيد بن سفيان العُكُلي^٢:

١ في تاريخ عمارة (١٣٦) : نفيس ، وفي أصل النسخة «قيس» . وشرح الخبر كله في المصدر المذكور .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٤ : ٨٢ .

يا ربّ قد حلف الأعداء واجتهدوا أيّمانهم أني من ساكني النار
أيحلفون على عياء ويجهّم ما ظنّهم بقديم العقور غفّار
وكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبره فيه بمرضه ، وكتب في آخره :

إذا ما لقيتُ اللهَ عَنِّيَ راضياً فإنَّ سرورَ النفسِ فيما هنالك
فحسبي حياةَ اللهِ مِن كلِّ ميّتٍ وحسبي بقاءَ اللهِ من كلِّ هالكٍ
لقد ذاقَ هذا الموتَ مَنْ كانَ قبَلنا ونحنُ نذوقُ الموتَ من بعد ذلك

وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه ، ودعا بالطبيب لينظر إليها ، فأخذ
لحماً وعلقه في خيط وسرّحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصقَ به
دود كثير . وسلط الله تعالى عليه الزمهرير ، فكانت الكوانين تجمل حوله مملوءة
ناراً وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها ؛ وشكا ما يجده إلى الحسن
البحري رضي الله عنه فقال له : قد كنتُ نهيْتُكَ ألاّ تتعرض إلى الصالحين
فلججت ، فقال له : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكني
أسألك أن تسأله أن يجعل قبضَ رُوحِي ولا يطيل عذابِي ، فبكى الحسن بكاءً
شديداً . وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوماً ، وتوفي في
شهر رمضان ، وقيل في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وعمره ثلاث ، وقيل
أربع وخمسون سنة ، وهو الأصح .

وقال الطبري في تاريخه الكبير : توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر
رمضان سنة خمس وتسعين ، وقال غير الطبري^١ : لما جاء موت الحجاج إلى حسن
البحري سجد لله تعالى شكراً ، وقال : اللهم إنك قد أمتت عنا سنّته .
وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها ، وعفسي قبره وأجري عليه الماء ،
رحمه الله تعالى وسامحه .

وكان قد رأى في منامه أن عينيه قُلعتا ، وكانت تحته هند بنت المهلب بن
أبي صُفرة الأزدي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهند بنت أسماء بن

١ خبر سجود الحسن عند موت الحجاج ورد في العقد ٥ : ٤٩ .

خارجة ، فطلق الهندين اعتقاداً منه أن رؤياه تتأول بها ، فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه محمد من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ، فقال : والله هذا تأويل رؤيائي ، محمد ومحمد في يوم واحد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : مَنْ يقول شعراً يُسليني به ؟ فقال الفرزدق :

إن الرزِيَّةَ لا رزِيَّةَ مثلها فِقدانُ مثلِ محمدٍ ومُحمَّدِ
ملكاًن قد خَلَّتِ المنايرَ منها أخذَ الحِمامُ عليها بالمرصدِ

(15) وكانت وفاة أخيه محمد ليالٍ خلت من رجب سنة إحدى وتسعين للهجرة ، وهو والي اليمن ، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزیه ، فكتب الحجاج جوابه : « يا أمير المؤمنين ، ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاماً واحداً ، وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يتفرق فيها مؤمنان » .

ومُعْتَبٌ : بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها وبعدها الباء الموحدة .
والثقفى - بفتح التاء المثلثة والقاف وبعدها الفاء - هذه النسبة إلى ثقف ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف .

١٥٠

حجاج بن أرتاة

حجاج بن أرتاة أبو أرتاة النخعي الكوفي ؛ سمع عطاء بن أبي رباح وغيره ، وروى عنه الثوري وشعبة وحماد بن زيد وهشيم وابن المبارك وزيد بن هارون ،

١ انظر المقدم : ٤٨ وفيه شعر آخر للفرزدق .
١٥٠ - ترجمة حجاج بن أرتاة في شذرات الذهب ١ : ٢٢٩ ، قال أحمد : لا يحتج به ؛ خرج له =

وكان من حُفَاط الحديث ومن الفقهاء ، واستفتي وهو ابن ست عشرة سنة ،
 وولي القضاء بالبصرة إلا أنه كان مدلساً عمّن لم يلقه فيرسل تارة عن مجاهد وتارة
 عن الزهري ولم يلقها . قال أبو العباس المبرد في «الكامل»^١ [وغيره] : وخبرت
 أن قاصّاً كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان ، فاتفق هرم معه مرة في المسجد
 وهو يقول : حدثنا هرم بن حيان ، فقال له : يا هذا أتعرفني ؟ أنا هرم بن
 حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط ، قال له القاص : وهذا من عجائبك أيضاً ؛
 إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسم كل رجل منهم هرم بن حيان ،
 فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك ؟ ويقرب من هذا أنه
 كان في الرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فنظن
 به الكذب ، فقال له يوماً الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟
 قال : حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : في أي الكتب
 وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص ؛ انتهى كلام المبرد .

وكان الحجاج بن أرتاة المذكور مع المنصور في وقت بناء مدينته وتولى
 خطها ونصب قبلة مسجدها ، وهو أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة ،
 وكان فيه تبه كثير خارج عن الحد ؛ جاء يوماً إلى حلقة البتّي فجلس
 في عرض الحلقة ، فقيل له : ارتفع إلى الصدر ، فقال : أنا صدر حيث كنت ؛
 وقال أبو يوسف : كان الحجاج بن أرتاة لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول :
 أكره مزاحمة الأندال .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد : حدثني أبي غير مرة قال : مكث الحجاج
 ابن أرتاة يتعیش من غزل أمة له كذا وكذا سنة ، وكأنه قال ستين سنة ،
 ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان فقدم بسبعين مملوكاً .
 وقال : ربما رأيتك - يعني الحجاج - يضع يده على رأسه ويقول : قتلني حب الشرف .

= مسلم مقروناً بغيره ؛ وقد خرج له الأربعة وابن حبان . وانظر تذكرة الحفاظ : ١٨٦ وقال :
 لم يخرج له البخاري ، وقال : مات ظناً سنة تسع وأربعين ومائة ؛ وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٨ ،
 واتهمه الأصمعي بقبول الرشوة ، وذكر الذهبي أن وفاته كانت سنة ١٤٥ هـ ؛ وتاريخ بغداد
 ٨ : ٢٣٠ ؛ قلت : وقد انفردت بهذه الترجمة النسخ د ر ص .

وكان حجاج بن أرطاة يقع في أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول: إن أبا حنيفة لا يعقل الله عقلةً . وكان في أصحاب أبي جعفر وضمه إلى المهدي فلم يزل معه حتى توفي في سنة خمسين ومائة بالري ، رحمه الله تعالى ، والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر . وكان ضعيفاً في الحديث .

١٥١

ابن مسكين

أبو عمر الحارث بن مسكين المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان ؛ رأى الليث بن سعد وسأله وسمع سفيان بن عيينة الهلالي وعبد الرحمن ابن القاسم العتقي وعبد الله بن وهب القرشي وروى عنه كافة المصريين . وكان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه ، وكان ثقة في الحديث ثبناً ، حمله المأمون إلى بغداد في أيام المهنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن ، فلم يزل ببغداد محبوساً إلى أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان في السجن .

حدث الحارث ببغداد ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بعهده على قضاء مصر فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف في سنة خمس وأربعين . ولما خرج الحارث من بغداد إلى مصر اغتم عليه أبو علي ابن الجروي غمًا شديدًا ، فكتب إلى سعدان بن يزيد وهو مقيم بمصر يشكو ما نزل به من غم لفقد الحارث بن مسكين ، وكان كتب في أسفل كتابه :

من كان يسليه نأيٌ عن أخي ثقةٍ فإنني غيرُ سألٍ آخرَ الأبدِ

١٥١ - انفردت نسختنا ص ر بهذه الترجمة . قلت : وانظر ترجمة الحارث بن مسكين في الكندي : ٤٦٧ - ٤٧٦ ورفع الاصر : ١ - ١٦٧ - ١٨٢ وطبقات السبكي ١ : ٢٤٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٥ ، وتذكرة الحفاظ : ٥١٤ والشذرات ٢ : ١٢١ وتاريخ بغداد ٨ : ٢١٦ .

ففرقت بيننا الأقدار واضطربت بالوجد والشوق نارُ الحزن في الكبد
فأجابه سعدان بن يزيد :

أيا الشاكي إلينا وحشةً من حبيبٍ نأيهُ عنه بعدُ
حسبك الله أنيساً فبه يأنسُ المرءُ إذا المرءُ سعد
كل أنسٍ بسواه زائلٌ وأنيسُ الله في عزِّ الأبد

وكانت ولادة الحارث بن مسكين في سنة أربع وخمسين ومائة ، وتوفي لثلاث
بقيين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين ، وصلى عليه يزيد بن عبد الله - أمير
كان على مصر - وكبر عليه خمسا ، رحمه الله تعالى .

١٥٢

المحاسبي

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور ؛ أحد
رجال الحقيقة ، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن ، وله كتب في الزهد
والأصول وكتاب « الرعاية » له ، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم ،
فلم يأخذ منها شيئا ، قيل : لأن أباه كان يقول بالقدر ، فرأى من الورع أن
لا يأخذ ميراثه ، وقال : صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « لا يتوارث أهل ملتين شتى » ، ومات وهو محتاج إلى درهم .

١٥٢ - ترجمة الحارث المحاسبي في تهذيب التهذيب ٢ : ١٣٤ وصفة الصفوة ٢ : ٢٠٧ وطبقات
السلي : ٥٦ وحلية الأولياء ١٠ : ٧٣ وميزان الاعتدال ١ : ٤٣٠ وتاريخ بغداد ٨ : ٢١١
وطبقات السبكي ٢ : ٣٧ ؛ وللحارث عدا الرعاية عدة مؤلفات منها : شرح المعرفة والمسائل
في الزهد وغيره وآداب النفوس والبعث والنشور .
ر : الطريقة . ١

ويحكى عنه أنه كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شُبْهة تحرك على إصبعه
عِرْقٌ ، فكان يمتنع منه . وسُئِلَ عن العقل ما هو ، فقال : نور الغريزة مع
التجارب ، يزيد ويقوى بالعلم والحلم . وكان يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن
الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء^١ .
وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والمحاسبي : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة
وبعدها باء موحدة . قال السمعاني^٢ : وعرف بهذه النسبة ، لأنه كان يُحاسب
نفسه ، وقال : كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام
وتصنيفه فيه ، وهَجَرَهُ فاستخفى من العامة ، فلما مات لم يصلّ عليه إلا أربعة
نفر . وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة .

١٥٣

أبو فراس ابن حمدان

أبو فراس الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن
عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان - وسيأتي تنمة نسبه عند ذكرهما
إن شاء الله تعالى - ؛ قال الثعالبي في وصفه^٣ : « كان فَرْدٌ دهره ، وشمس

١ في اللع : ٢٤٦ : ثلاث اذا وجدت متع بهن وقد فقدناهن : حسن القول مع الديانة ، وحسن
الوجه مع الصيانة ، وحسن الاخاء مع الوفاء .

٢ انظر الباب ٣ : ١٠٣ .

١٥٣ - ترجمة أبي فراس الحمداني في اليتيمة ١ : ٤٨ - ١٠٣ والمنتظم ٧ : ٦٨ وتهذيب ابن عساکر
٣ : ٤٣٩ وزبدة الحلب ١ : ١٥٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٤ ؛ وانظر ديوانه : ٤٦٠ -
٤٧٩ حيث جمع الحقق ترجمات له من مصادر مختلفة .

٣ د : في كتاب اليتيمة .

٤ ج ٥ : فريد .

عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائراً ، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والرفخامة والحلاوة ، ومعه رؤاء الطبع وسمّة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يُعدُّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام . وكان الصاحبُ بن عباد يقول : بديء الشعر بملك وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبّي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يُعجّبُ جداً بمحاسن أبي فراس ويُميّزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله .

وكانت الروم^٢ قد أسرتَه في بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، ونقلته إلى خرّشنة ، ثم منها إلى قسطنطينية ، وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثائة ، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين .

قلت : هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي ، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط ، وقالوا : أسر أبو فراس مرتين ، فالمرّة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثائة ، وما تعدّوا به خرشنة ، وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها ، وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله ، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات ، والله أعلم ، والمرّة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين ، وحملوه إلى قسطنطينية . وأقام في الأسر أربع سنين ، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه . وكانت مدينة منبج إقطاعاً له ، ومن شعره^٣ :

قد كنتَ عدّتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتدّ الزمانُ وساعدي

١ أ : شائع .

٢ انظر القيمة : ٧٥ .

٣ ديوانه : ٧٣ وهي ما كتبه لسيف الدولة حين سار هذا إلى ديار بكر وتخلف أبو فراس بالشام .

فَرُمِيتُ مِنْكَ بِضِدِّ مَا أَمَلْتَنِي^١ وَالْمَرءُ يَشْرِقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ
فَصَبْرْتُ كَالْوَلَدِ التَّقِي لِبِرِّهِ أَغْضَى عَلَى أَلَمٍ لَضَرْبِ الْوَالِدِ

وله أيضاً^١ :

أَسَاءَ فَزَادَتْهُ الْإِسَاءَةُ حُظُوتَهُ حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبٌ
يَعُدُّ عَلَيَّ الْوَاشِيَانِ^٢ ذُنُوبَهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْجَمِيلِ^٣ ذُنُوبٌ

وله أيضاً^٤ :

سَكَّرْتُ مِنْ لِحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنِّي تَمَائِلُهُ
فَمَا السُّلَافُ دَهْتَنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَلَا الشَّمُولُ ازْدَهْتَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
أَلْوَى بَعْزَمِي^٥ أَصْدَاغٌ لُوَيْنَ لَهُ وَغَالَ قَلْبِي بِمَا^٦ تَحْوِي غَلَاتِلُهُ

ومحاسن شعره كثيرة .

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .
ورأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته^٧ :

أَبْنَيْتِي لَا تَجْزَعِي^٨ كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ
تُوحِي عَلَيَّ بِحُشْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكِ وَالْحِجَابِ
قَوْلِي إِذَا كَلِمَتِي فَعَيِّتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا سِ لَمْ يُمَتِّعْ بِالشَّبَابِ

١ ديوانه : ٣٩ .

٢ الديوان : العاذلون .

٣ الديوان : المليح .

٤ ديوانه : ٣٠٢ .

٥ ج : بصبري .

٦ ج : وغال عزمي ما .

٧ ديوانه : ٤٧ .

٨ الديوان : لا تحزني .

وهذا يدل على أنه لم يُقتل ، أو يكون قد جرح وتأخر موته ، ثم مات من الجراحة .

[وقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم ، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلاص من الأسر ، فدها سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين]. قال ابن خالويه : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص ، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلّام أبيه قرغويّه ، فأنفذ إليه من قاتله ، فأخذ وقد ضرب ضربات فمات^١ في الطريق .

وقرأت في بعض التعاليق : أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، في ضيعة تُعرف بصَدَد .

وذكر ثابت بن سنان الصابى في تاريخه^٢ ، قال : في يوم السبت لليلتين خلّتنا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، جرت حرب بين أبي فراس ، وكان مقيماً بجمص ، وبين أبي المعالي بن سيف الدولة ، واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه .

قال غيره : وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، وقلعت أمه سخينة عينها لما بلغها وفاته ، وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها . وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي ، فلما بلغه الخبر شقّ عليه . ويقال : إن مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة ، والله أعلم . وقيل : سنة إحدى وعشرين .

(16) وقُتِلَ أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عَصَرَ مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها ، وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ، ففعل ذلك سرّاً ، ومضى إليها في خمسين غلاماً ، فقبض ناصر الدولة عليه حين وصل

١ ب ٥ : ثم مات .

٢ انظر الجزء الأول : ٣١٥ والحاشية رقم : ١ .

إليها ثم قتله ، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه ، رحمهم الله تعالى .
[وحكى ابن خالويه أيضاً قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص
من حضرته إلى منزله بمنجج كتاباً صدره : كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل
وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفرأ وشكراً ، فاستحسن
سيف الدولة بلاغته ووصف براعته ، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه :

هل للفصاحة والسماحة والعلا غنتي محيدُ
إذ أنت سيدي الذي ربيتني وأبي سعيد
في كل يوم أستفيد من العلاء وأستزيد
ويزيد في إذا رأيتك للندی خلق جديد

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش
وملابسة الخطوب وممارسة الحروب ، فوافقت حضرته إحدى المحسنات من قيان
بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف
الدولة ، فكتب إليه يستحثه على استحضارها :

علك الجوزاء أو أرفعُ وصدرك الدهناء أو أوسعُ
وقلبك الرّحبُ الذي لم يزل للجدّ والهزل به موضع
رفه بقرع العود سيفاً غدا قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلب فامر القيان والقوالين بتحفظها وتلحينها ،
وصار لا يشرب إلا عليها .

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثرُوا ، فكتب إليه أبو فراس :

نفسى فداؤك قد بعثت بعهدتي بيد الرسول
أهديت نفسى إنمانيه دى الجليل إلى الجليل

وجعلت ما ملكت يدي صلةً المبشّر بالقبول

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب إليه
قصيدة منها :

قالوا المسير فhez الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه إن الشام على من حلّه حرم
وإن للفر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يجرموني سيف الدين صحبتّه فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب إليه يعزيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدٍ
كن المعزّي لا المعزّي به إن كان لا بد من الواحدٍ
وله أيضاً :

المرء نصب مصائبٍ ما تنقضي حتى يوارى جسمه في رسمه
فمؤجّلٌ يلقى الردى في أهله ومعجّلٌ يلقى الردى في نفسه

وله أيضاً وقد سمع حمامةً تنوح بقربه على شجرةٍ عاليةٍ وهو في الأسر فقال :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارثا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقةً أنوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قوادمٌ على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارثا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترّي روحاً لديّ ضعيفةً تردّدٌ في جسمٍ يُعذّبُ بالي

أيضحك مأسور^١ وتبكي طليقة ويسكت محزون وينسحب سالي
لقد كنتُ أولى منك بالدمع مقلة^٢ ولكن^٣ دمعي في الحوادث غالي^٤

وخرشنة - بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثناة والنون -
وهي بلدة بالشام على الساحل ، وهي للروم^٥ .
وقسطنطينية - بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون
النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - من أعظم
مدائن الروم بناها قسطنطين ، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم .

١٥٤

حرملة

أبو حفص وأبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قمراد
مولى سلمة بن مخرمة التجيبي^٦ الزميلي المصري صاحب الإمام الشافعي رضي
الله عنه ؛ كان أكثر أصحابه اختلافاً إليه واقتباساً منه ، وكان حافظاً للحديث ،
وصنف « المبسوط » و « المختصر » . وروى عنه مسلم بن الحجاج فأكثر في

١ ما بين معقنين ورد في ص د فقط .

٢ على هامش ب : سبحان الله ، قد ذكر في هذه الترجمة أن خرشنة من بلاد الروم والفرات يجري
تحتها وفيها أسر أبو فراس ويقال انه طاح منها بفرسه إلى الفرات ثم أعقب ذلك بقوله عن
خرشنة المذكورة : بلدة بالشام على الساحل !

٣ ١٥٤ - ترجمة حرملة صاحب الشافعي في طبقات الشيرازي ، الورقة ٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٧
وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٢٩ وميزان الاعتدال ١ : ٤٧٢ ؛ وكان حرملة أكثر الناس تحديثاً
عن ابن وهب لأن ابن وهب استخفى في منزله سنة وأشهرأ لما طلب ليتولى القضاء ، وقد أثنى
عليه ابن معين وضعفه غيره ، وقيل إنه لكثرة ما روى انفرد بفرائب .

٤ س : التجيبي بالولاء .

صحيحه من ذكره [روى عن محمد بن وهب المصري وغيره] ١ ، ومولده في سنة ست وستين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين بمصر ، وقيل أربع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

والتَّجِيْبِيُّ - بضم التاء المثناة من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى تَجِيْب ، وهو اسم امرأة نسب إليها أولادها .

وقُرَاد - بضم القاف وفتح الراء المهملة وبعده الألف دال مهملة .

والزُّمَيْلِيُّ - بضم الزاي وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - هذه النسبة إلى بني زُمَيْل ، وهو بطن من تَجِيْب .

(17) وتوفي حرملة بن عمران ، جدُّ حرملة المذكور ، في صفر سنة ستين ومائة ، ومولده سنة ثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

١٥٥

الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بويح له يوم مات أبوه رضي الله عنه ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم ، يقال إنه ضربه

١ زيادة من ص .

١٥٥ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والسعدي واليعقوبي ومقاتل الطالبين ، وانظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٩٩ وحلية الأولياء ٢ : ٣٥ وصفة الصفوة ١ : ٣١٩ ؛ الأئمة الاثنا عشر ص ٦٣ والصفحة المقابلة حيث مصادر ترجمته . وقد انفردت النسخة من هذه الترجمة .

بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله ، ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة ، فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبإيعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ويقال إنه أعطاه خمسة آلاف ألف درهم ورجع إلى المدينة ، وقال قوم انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي . وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ؛ روى الشعبي قال : أنا شهدت خطبة الحسن - يعني حين سلم الأمر إلى معاوية - : قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، إن أكيس الكيس التقى وأحق الحق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرئ . كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحقناً لدمائهم ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

روى سفينة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً أو ملوكاً . وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة ، وقيل مات سنة خمسين ، وهو أشبه بالصواب ، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع ، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها . وقال القتيبي : يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمته ومكث شهرين ، وانه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم . وكان يقول : سقيت السم مراراً ما أصابني ما أصابني في هذه المرة . وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاماً ، فكان الصبيان يقولون له : يا ابن مسمّة الأزواج . ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه ان أقبل المطي إلي بنحبر الحسن ؛ ولما بلغه موته سمع تكبيراً من الحضرة ، فكبّر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة زوجة معاوية : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، ما الذي كبرت له ؟ قال : مات الحسن ، قالت : أعلى موت ابن فاطمة تكبر ؟ قال : والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي . وكان ابن عباس بالشام ، فدخل عليه فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما حدث في أهل بيتك ؟ قال : لا أدري ما حدث

إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك ، قال : مات الحسن ، قال :
إنا لله ، يرحم الله أبا محمد ، ثلاثاً ؛ ثم قال : والله يا معاوية لا تسد حفرته
حفرتك ولا يزيد نقص عمره في يومك ، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام
المتقين وخاتم النبيين ، فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة وكان الله
الخلف علينا من بعده .

وكان أوصى لأخيه الإمام الحسين : إذا أنا مت فادفني مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وإن منعوك فادفني ببيقع الغرقد ،
قلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعهم من ذلك .

وقيل : لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال : أخرجوني إلى الصحراء لعلي
أنظر في ملكوت السموات ، يعني الآيات ؛ فلما أخرج قال : اللهم إني احتسب
نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ، فكان مما صنع الله له انه احتسب نفسه .

ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن الحكم قال
 يوماً : إني مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبي عتيق : إن دفعته إليك
أتقضي لي ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال : فإذا اجتمع الناس عندك العشية
فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمني على ذلك ؛ فلما أخذ
القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش ؛ قال له مروان : ألا تذكر أولية أبي محمد
وله في هذا ما ليس لأحد ؟ قال : إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر
الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد ؛ فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن
وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها إليه .

وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال : دخلت المدينة على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمناً
ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل : هذا الحسن بن علي
ابن أبي طالب ، فامتلاً قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله ،

فصرت إليه وقلت له : أنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : أنا ابنه ، قلت :
فعل بك وبأبيك - أسبئها ؛ فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريباً ؟
قلت : أجل ، قال : مل بنا ، فإن احتجت إلى منزل أتزلناك أو إلى مال
آسيناك أو إلى حاجة عاوناك ؛ قال : فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إليّ
منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي .

وحكى صاحب « العقد » قال^١ : بينا معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له :
الحسن بالباب ، فقال معاوية : إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه ، فقال له
مروان بن الحكم : ائذن له فإني أسأله عما ليس عنده فيه جواب ، قال معاوية :
لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام ، وأذن له ، فلما دخل وجلس قال له مروان :
أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، إن ذلك من الخوف ، قال الحسن : ليس
كما بلغك ولكننا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا ، عذبة شفاهنا ، فنساؤنا
يُقِيلُنَّ علينا بأنفاسهن وقبلهن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد ،
فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ، فإنما يشيب منكم موضع
العدار من أجل ذلك ؛ قال مروان : أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء ،
قال : ما هي ؟ قال : الغلظة ، قال : أجل ، نزعت الغلظة من نساءنا ووضعت
في رجالنا ونزعت الغلظة من رجالكم ووضعت في نساءكم ، فما قام لأهوية إلا
هاشمي ؛ ففضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم
عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم ؛ فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول :

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمسا أرجي قابلا بعد قابلا
فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
وقد أشرعت في المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت معاجل

قال الحسن رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري^٢ : رب مسير لك في غير

١ العقد ٤ : ٢٠ .

٢ العقد ٤ : ٢١ .

طاعة الله ، قال : أما مسيري إلى أبيك فلا ، قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ، فلو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ (التوبة : ١٠٢) ولكنك كما قال الله تعالى : ﴿ كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (المطففون : ١٤) .

وقيل : دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقبل للحسين : لو أتيت أخاك فهو أكبر سنأ منك ، فقال : إن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي ، فبلغ ذلك الحسن فأثاه .

وكان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه ، فقبل له في ذلك فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه .

١٥٦

الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة . وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة ، رضي الله عنها ، نديها تعلقه به إلى أن تجيء أمه ، فدرّ عليه نديها فشربه ، فيرون أن تلك

١٥٦ - ترجمة الحسن البصري في طبقات ابن سعد ٧ : ١٥٦ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ وميزان الاعتدال ١ : ٥٢٧ وتذكرة الحفاظ ٧١ : ٧١ وحلية الأولياء ٢ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٤ وأقواله وأخباره منشورة في البيان والتبيين وأمالى المرتضى وقد جمع ابن الجوزي في سيرته كتاباً ؛ ودرسه احسان عباس دراسة نقدية في كتاب بعنوان « الحسن البصري » وأشار إلى مصادر أخرى عنه (دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٢) .
١ أ : لبنها .

الحكمة والفصاحة من بركة ذلك .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصحَ من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي ، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .
ونشأ الحسن بوادي القرى ، وكان من أجل أهل البصرة ، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث .

وحكى الأصمعي عن أبيه قال : ما رأيتُ أعرَضَ زناداً من الحسن ، كان عرضهُ شبراً .

[وكان الحسن يقص في الحج ، فمر به علي بن الحسين عليها السلام ، فقال له : يا شيخ أترضى نفسك للموت ؟ قال : لا ، قال : فله في أرضه معاد غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال : فثم دار للعمل غير هذه الدار ؟ قال : لا ، قال : فعملك للحساب ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن طواف البيت ؟ قال : فما قصَّ الحسن بعدها .

وقيل إن رجلاً أتى الحسن فقال : يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول ؟ أقيم مع امرأتي أم أعتزلها ؟ فقال له : قد كان الحجاج فاجراً فاسقاً وما أدري ما أقول لك ، إن رحمة الله وسعت كل شيء ؛ وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فردَّ عليه شبيهاً بما قاله الحسن ؛ وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له : أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ، ذكر ذلك المختار في تاريخه .

وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهمَّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن : يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .
وقيل له : ألا ترى كثرة الوباء ؟ فقال : انفق ممسك واقلع مذنب ، واتعظ جاحد .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال : ما لكم تزدهمون ؟ ها تلك هي ساريتها في المسجد ، اقعدها تحتها حتى تكونوا مثله ؛ وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد عن من ؟ فقال : وما تصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته ؛ وقال له رجل : أنا أزهد منك

[وأفصح] ، قال أما أفصح فلا ، قال : فخذ عليّ كلمة واحدة ، قال : هذه ؛ وقال لفرقد بن يعقوب : بلغني أنك [لا تأكل] الفالودج ، فقال : يا أبا سعيد أخاف ألا أوذيّ شكره ، قال الحسن : يا لكع هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه ؟ وقيل للحسن : إن فلاناً اغتابك ، فبعث إليه طبق حلوى وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فكافأتك ؛ وقريب من هذا قول سُفيان بن الحسين ، قال : كنت جالساً عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان فقال : هل غزوت العام الترك والروم ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ وسمع رجلاً يشكو عليه إلى آخر فقال : أما إنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك^١ .

ومن كلامه : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت^٢ . ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان ، وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم : إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة^٣ ، فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟ فقال : يا ابن هبيرة خَفِ الله في يزيد ولا تحف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سيرك ويخرجك من سعة قصرك إلى صيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك ؛ يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرأ لدين الله وعباده فلا تركب دين الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛

١ زيادة انفردت بها النسخة د .

٢ بعد هذا الموضع جاءت هذه الزيادة في النسخة أ :

وكان يقول : إذا أشرب القلب حب الدنيا لم تنجع فيه المواظ ، كالجسد إذا استحکم فيه الداء لم ينجع الدواء . وقال إبراهيم بن عيسى اليشكري : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، ما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .

فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفَسَفْنَا له ففسف لنا^١ .

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة ، فسأل عنه فقيل : إنه يسخر للملوك ويحبونه ، فقال : لله أبوه ، ما رأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا .

وكانت أمه تَقْصُ للِنساء ، ودخل عليها يوماً وفي يدها كراثة تأكلها ، فقال لها : يا أماه ، ألقى هذه البقلة الخبيثة من يدك ، فقالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت ، فقال : يا أماه ، أيتنا أكبر^٢ ؟ وأكثر كلامه حِكْم وبلاغة . وكان أبوه من سَيِّ ميسان ، وهو صُقْع بالعراق .

ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، ويقال إنه ولد على الرق ، وتوفي بالبصرة مُسْتَهْلَ رجب سنة عشر ومائة ، رضي الله عنه ، وكانت جنازته مشهودة ؛ قال حميد الطويل : توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بعد صلاة الجمعة ، ودفنناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد مَنْ يصلي العصر .

وأغمي على الحسن عند موته ، ثم أفاق فقال : لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم .

وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين : رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد ، فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن ، فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن^٣ .

١ وردت في أ بعد هذا الموضع الزيادة الآتية :

وقال لطف بن عبد الله بن الشيخير : يا مطرف غلط أصحابك ، فقال مطرف : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن : رحمك الله وأيتنا يفعل ما يقول ؟ لودّ الشيطان أنه ظفر بهذا منك فلم يأمر أحد بمعرف ولم ينه عن منكر .

٢ وكانت أمه ... أكبر : لم يرد في المسودة .

٣ وكانت جنازته ... مات الحسن : لم يرد في المسودة ، وهائنا أيضاً زيادة من النسخة أ : =

ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينها ، ثم توفي بعده بمائة يوم ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وميسان - بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون - قال السمعاني : هي بلدة بأسفل البصرة .

١٥٧

الزعفراني

أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ برع في الفقه والحديث وصنّف فيها كتباً ، وسار ذكره في الآفاق ، ولزم الشافعي حتى تبخّر ، وكان يقول : أصحاب الأحاديث كانوا رقوداً حتى أيقظهم الشافعي ، وما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منة . وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه ، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقة مثل وكيع ابن الجراح وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم ، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي رضي الله عنه ، ورواها أربعة : هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيبي ، ورواة الأقوال الجديدة ستة : المزني والربيع بن سليمان

= وحكى المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » عن الأصمعي قال : حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت البناني قال : انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي : والله ما رأيت جنازة قط اجتمع فيها من الناس مثلاً اجتمع فيها وإن كان الحسن لأهلاً لذلك ، فقالت لي بنتي : يا أبة ، ما ذلك إلا لستر الله ، فحجرت والله نفسي .

١٥٧ - ترجمة الزعفراني في القهرست : ٢١١ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٠٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٣١٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٠ وتذكرة الحفاظ : ٥٢٥ ؛ وقد أخطأ الذهبي بقوله انه منسوب إلى درب الزعفران ونبه السبكي على هذا الخطأ ، إذ الدرب منسوب إليه .

١ يعني آراءه الفقهية في العراق قبل رحيله إلى مصر ، وبصر أصبحت للشافعي أقوال جديدة .

الجيزي والربيع بن سليمان المرادي والبُوَيْطِي وحرمة ويونس بن عبد الأعلى - وقد تقدم ذكر بعضهم والباقي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وروى عنه البخاري في صحيحه وأبو داود السجستاني والترمذي وغيرهم .

وتوفي سلخ شعبان - وقال ابن قانع : في شهر رمضان - سنة ستين ومائتين ، وذكر السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ انه توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والزَّعْفَرَانِي - بفتح الزاي وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى الزَّعْفَرَانِيَّة ، وهي قرية بقرب بغداد ، والحلة التي ببغداد تسمى درب الزعفراني منسوبة إلى هذا الإمام لأنه أقام بها . قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء » : وفيه مسجد الشافعي رضي الله عنه ، وهو المسجد الذي كنت أدرس فيه بدرب الزعفراني ، والله الحمد والمنة .

١٥٨

أبو سعيد الإصطخري

أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري الفقيه الشافعي ؛ كان من نُظراء أبي المباس ابن سُرَيْج وأقران أبي علي ابن أبي هريرة ، وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب « الأفضية » ، وكان قاضي قم ،

١ انظر الأنساب ٦ : ٢٩٨ .

١٥٨ - ترجمة أبي سعيد الإصطخري في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢ : ١٩٣ والمنتظم ٦ : ٣٠٢ وأنساب السمعاني ١ : ٢٨٦ والفهرست ٢١٣ : ومن كتبه كتاب الفرائض الكبير وكتاب الشروط والوقائق والمحاضر والسجلات ، وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة م .

وتولى حِسْبَةَ بغداد ، وكان ورعاً متقلاً ، واستقضاه المقتدر على سجستان
فسار إليها فنظر في مناكحتهم^٢ فوجد معظمها على غير اعتبار الولي ، فأنكرها
وأبطلها عن آخرها .

وكانت ولادته في سنة أربع وأربعين ومائتين ، وتوفي في جمادى الآخرة يوم
الجمعة ثاني عشره ، وقيل رابع عشره ، وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين
وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

والإصطخري - بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة
وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء - هذه النسبة إلى إصطخَرَ ، وهي من بلاد
فارس ، خرج منها جماعة من العلماء^٣ رحمهم الله تعالى ، وقد قالوا في النسبة إلى
إصطخر « إصطخري » أيضاً بزيادة الزاي ، كما زادوها في النسبة إلى مرو
والري فقالوا مَرَوَزي ورازبي .

١٥٩

أبو علي ابن أبي هريرة

أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن
أبي العباس ابن سُرَيْج وأبي إسحاق المروزي ، وشرح « مختصر المزني » وعلق
عنه الشرح أبو علي الطبري ، وله مسائل في الفروع ، ودرّس ببغداد وتخرّج
عليه خلقٌ كثير ، وانتهت إليه إمامة العراقيين ، وكان معظماً عند السلاطين
والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

١ : متورعاً .

٢ : مناكحتهم .

٣ : الاكابر العلماء .

١٥٩ - ترجمة ابن أبي هريرة في طبقات السبكي ٢: ٢٠٦ والفهرست: ٢١٥ وتاريخ بغداد ٧: ٢٩٨ .

أبو علي الطبري

أبو علي الحسن بن القاسم الطَّبْرِيّ الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي علي ابن أبي هريرة المقدم ذكره ، وعلق عنه التعليقة المشهورة المنسوبة إليه ، وسكن ببغداد ودرّس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور ، وصنف كتاب « المحرر » في النظر ، وهو أول كتاب صُنّف في الخلاف المجرّد ، وصنف أيضاً كتاب « الإفصاح » في الفقه ، وكتاب « العدة » وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء ، وصنف كتاباً في الجدل ، وكتاباً في أصول الفقه . وتوفي ببغداد سنة خمس وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

والطَّبْرِيّ - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء - هذه النسبة إلى طَبْرَسْتَانَ - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعدهم الألف نون - وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة أكبرها آمل ، خرج منها جماعة من العلماء ، والنسبة إلى طبرية الشام « طَبْرَانِيّ » - على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى - ورأيت في عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هاهنا ، ورأيت الخطيب في « تاريخ بغداد » قد عدّه في جملة من اسمه الحسين [والله أعلم بالصواب] .

١٦٠ - ترجمة أبي علي الطبري الشافعي في طبقات الشيرازي، الورقة: ٣٢ وطبقات السبكي ٢: ٢١٧ وسماه « الحسين » والفهرست: ٢١٤ ولم يذكر من مؤلفاته إلا مختصر مسائل الخلاف ؛ وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٨٧ (باسم الحسين) .

أبو علي الفارقي

أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي ؛ كان مبدأ اشتغاله بميآفارقين علي أبي عبد الله محمد الكازروني ، فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المهذب » وعلى أبي نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، وتولى القضاء بمدينة واسط .

حكى الحافظ أبو طاهر السلفي ، رحمه الله تعالى ، قال : سألت الحافظ أبا الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي^١ بواسط عن جماعة منهم القاضي أبو علي الفارقي المذكور ، فقال : هو متقدم في الفقه ، وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به . وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر ومن في طبقته ، وكان زاهداً متورعاً . له كتاب « الفوائد » على « المهذب » وعنه أخذ القاضي^٢ أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكان يلازم ذكر الدرس من « الشامل » إلى أن توفي . وكانت وفاته يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط ؛ ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بميآفارقين في شهر ربيع الآخر ؛ ودفن في مدرسته ، رحمه الله تعالى .

وبرهون : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وضم الهاء وبعد الواو الساكنة نون ؛ والفارقي : معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

١٦١ - ترجمة أبي علي الفارقي في طبقات السبكي ٤ : ٢٠٩ .

١ محدث واسط . وكان السلفي يثني عليه ، والحوز المنسوب إليها قرية شرقي واسط ، توفي سنة

٥١٠ (تذكرة الحفاظ : ١٢٦٢) ؛ وفي أ ج : الجوزي .

٢ أ ج : الشيخ .

السيرافي

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها نيابة عن أبي محمد ابن معروف ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وشرح كتاب سيويه فأجاد فيه ، وله كتاب « ألفت الوصل والقطع » وكتاب « أخبار النحويين البصريين » وكتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « صنعة الشعر والبلاغة » و « شرح مقصورة ابن دريد » ، وقرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي ، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون : القرآن الكريم والقراءات^١ وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقہ والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي . وكان نزهاً عفيفاً جميل الأمر حسن الأخلاق ، وكان معتزلياً ، ولم يظهر منه شيء^٢ ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، ينسخ ويأكل منه ، وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد^٣ فأسلم فسماه ابنه أبو سعيد المذكور عبد الله ، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

اسكنْ إلى سَكَنٍ تُسَرُّ به ذَهَبَ الزمانُ وأنتَ مُنْقَرِدُ
ترجو غداً وغَدُ كحاملةٍ في الحيِّ لا يَدْرُونَ ما تلدُ

١٦٢ - ترجمة السيرافي النحوي في الفهرست : ٦٢ - ٦٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ والجواهر المضية ١ : ١٩٦ وطبقات الزبيدي : ١٢٩ والانباء ١ : ٣١٣ ومعجم الادباء ٨ : ١٤٥ ومعجم البلدان (سيراف) ونزهة الالباء : ٢١١ وفي مؤلفات التوحيد أخبار كثيرة عنه كما صنف القفطي في أخباره مؤلفاً مستقلاً ، وقد طبع كتابه أخبار النحويين البصريين بعناية الزيني وخفاجي (القاهرة ١٩٥٥) بعد طبعة بيروت ١٣٣٦ .

- ١ أ : والقراءات السبع .
- ٢ يقول القفطي : وكان يذكر عنه الاعتزال ولم يكن يظهر ذلك .
- ٣ : نراد .

وكان بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » ما جرّت
العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس ، فعمل فيه أبو الفرج^١ :

لَسْتُ صَدْرًا وَلَا قَرَأْتُ عَلَى صَدْرٍ وَلَا عَلِمْتُ الْبِكْيُ بِشَافٍ
لَعَنَّ اللَّهَ كُلَّ نَحْوٍ وَشِعْرٍ وَعَرُوضٍ يَجِيءُ مِنْ سِيرَافٍ

وتوفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد ، وعمره أربع
وثمانون سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران ، رحمه الله تعالى ، وقيل انه توفي سنة
أربع وستين ، وقيل سنة خمس وستين ، والصحيح هو الأول والله أعلم .

وقال ولده أبو محمد يوسف^٢ : أصل أبي من سيراف ، وبها ولد وبها ابتداء
بطلب العلم ، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقّه بها ، ثم عاد إلى
سيراف ، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم ،
وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ، ودخل بغداد ، وخلف القاضي أبا
محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين .

والسيرافي - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء
وبعد الألف فاء - هذه النسبة إلى مدينة سيراف ، وهي من بلاد فارس على
ساحل البحر مما يلي كرمان ، خرج منها جماعة^٣ من العلماء ، ورحمهم الله تعالى ؛
وسياتي في ترجمة ولده يوسف تنمة الكلام على سيراف ، إن شاء الله تعالى .

١ معجم الأدباء : ١٤٨ .

٢ قارن بما في انباه الرواة : ٣١٤ .

٣ : طائفة .

أبو علي الفارسي

أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد ، وأقام بجلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة ، وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتني مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو ، وصنف له كتاب « الإيضاح » و « التكملة » في النحو ، وقصته فيه مشهورة .

ويحكى أنه كان يوماً في ميدان شيراز يُسائر عضد الدولة ، فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا « قام القوم إلا زيداً » ؟ فقال الشيخ : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيداً ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع الشيخ ، وقال له : هذا الجواب مبداني . ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه ، وذكر في كتاب « الإيضاح » أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . وحكى أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي قال^٢ : جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر ، فقال : إني لأغبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده ، فقال له رجل : فما قلت قط

١٦٣ - ترجمة أبي علي الفارسي في الفهرست : ٦٤ وتاريخ بغداد : ٧ : ٢٧٥ وغاية النهاية : ١ : ٢٠٦
ولسان الميزان : ٢ : ١٩٥ ومعجم الأدياء : ٧ : ٢٣٢ ونزهة الألباء : ٢١٧ وانباء الرواة : ١ : ٢٧٣ .

١ : كيف تقديره .

٢ : قارن بما في الانباء : ٢٧٥ .

شيئاً منه ؟ قال : ما أعلم أن لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب ، وهي قولي :

خَضِبْتُ الشيبَ لما كان عيباً وخَضِبُ الشيبَ أولى أن يُعابا
ولم أخضبْ مخافةَ هَجْرِ خِلِّ ولا عيباً خشيتُ ولا عتابا
ولكنَّ المشيبَ بدا ذمياً فصيرتُ الحَضابَ له عقابا

ويقال إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب « الإيضاح » بيت أبي تمام الطائي وهو قوله^١ :

مَنْ كان مَرَعى عَزَمِهِ وهُمُومِهِ رَوْضَ الأمانِي لم يزل مَهْزولاً

لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره ، لكن عضد الدولة كان يُحِب هذا البيت وينشده كثيراً ، فلهذا استشهد به في كتابه .

ومن تصانيفه كتاب « التذكرة » وهو كبير ، وكتاب « المقصور والمدود » ، وكتاب « الحجة » في القراءات ، وكتاب « الاغفال » فيما أغفله الزجاج من المعاني ، وكتاب « العوامل المائة » وكتاب « المسائل الحليبات » وكتاب « المسائل البغداديات » وكتاب « المسائل الشيرازيات » وكتاب « المسائل القصريات » وكتاب « المسائل العسكرية » وكتاب « المسائل البصرية » وكتاب « المسائل المجلسيات » وغير ذلك^٢ .

وكنت رأيت في المنام في سنة ثمان وأربعين وستائة وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعناً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا نعم ، ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا علي الفارسي جاورَ في هذا المشهد سنين عديدة ،

١ من قصيدة له في مدح نوح بن عمرو السكسي ، انظر ديوانه ٣ : ٦٧ ، قال شارح الديوان : هذا البيت ذكره أبو علي الفارسي في كتابه المعروف بالمعصدي وإنما ذكره على سبيل التمثيل لا أنه يستشهد به ... وقد أنكر ذلك على أبي علي لأن طبقته لم تجر عاداتهم به .

٢ سقط من النسخة من ذكر أسماء مصنفات أبي علي ؛ وانظر مزيداً منها في معجم الأدباء .

وتفاوضنا في حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر حسن ، فقلت : ما وقفت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من شعره ، ثم أنشد بصوت رقيق طيب إلى غاية ثلاثة أبيات ، فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذت صوته في سمعي ، وعلق على خاطري منها البيت الأخير وهو :

الناسُ في الخير لا يَرْضَوْنَ عن أحد فكيف ظنَّكَ سيمُوا الشرَّ أو ساموا

وبالمجمل فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدد ، وكان متهماً بالاعتزال^١ . وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومائتين . وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، وقيل ربيع الأول ، سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد ، ودفن بالشونيزي .

والفارسي : لا حاجة إلى ضبطه لشهرته .

ويقال له أيضاً أبو علي الفَسَوِي - بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو - هذه النسبة إلى مدينة فَسَا^٢ من أعمال فارس ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة البساسيري .

وقليوب - بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحدة - وهي بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاثة ذات بساتين كثيرة .

١ انظر طبقات المعتزلة : ١٣١ .

٢ في طبقات المعتزلة أن هذا الاسم بضم الفاء ، وقارن بما في اللباب « الفسوي » .

أبو أحمد العسكري

أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ؛ أحد الأئمة في الآداب والحفظ ، وهو صاحب أخبار ونوادر ، وله رواية متسعة ، وله التصانيف المفيدة : منها كتاب 'التصحيح' الذي جمع فيه فأوعب وغير ذلك ، وكان 'الصاحب' بن عبّاد يود الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بُوَيه : إن عسكر مكرم قد اختلّت أحوالها ، وأحتاج إلى كشفها بنفسي ، فأذن له في ذلك ، فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره ، فكتب صاحب إليه :

ولما أبيتُم أن تزوروا وقلتمُ ضَعُفْنَا فلم نقدر على الوَخْدَانِ
 أتيناكمُ من بُعدِ أرضِ نَزُورِكُمْ وكم منزلٍ بكر لنا وَعَوَانِ
 نسائلكم هل مِن قِرَى لَنزِيلِكُمْ^٢ بلء جُفُونٍ لا بلء جِفَانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر، فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور ، وهو :

أهْمُ بِأَمْرِ الحِزْمِ لو أَسْتَطِيعُهُ وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَزَوَانِ

فلما وقف صاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له ، وقال : والله

١٦٤ - ترجمة أبي أحمد العسكري في معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ ومعجم البلدان (عسكر مكرم) واتباه الرواة ١ : ٣١٠ وبقية الرواة ١ : ٢٢١ والخزانة ١ : ٩٧ والللباب ٢ : ١٣٦ وابن كثير ١١ : ٣٢٠ وكتابه «التصحيح» مطبوع (القاهرة : ١٩٦٣) .

١ هذه القصة سقطت من س .

٢ أ : لنزوركُم .

لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروي .
وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء^١ ، وهو من جملة
أبيات مشهورة ، وكان صخر المذكور قد حضر مُحاربة بني أسد ، فقطعنه ربيعة
ابن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حول في أسد
ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سليمة تمرضانه^٢ ، فضجرت زوجته منه ،
فمرت بها امرأة فسألته عن حاله ، فقالت : لا هو حي فيرجى ، ولا ميت
فينسى^٣ ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أمَّ صخر لا تملُّ عيادتي ومليتُ سليمةً موضعي^٤ ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة عليك ، ومن يَغترَّ بالحَدَّان
لعمري لقد نَبَّهتِ من كان نائماً وأسمعتِ من كانت له أذنان
وأبيُّ امرئٍ ساويُّ بأمِّ حليمة^٥ فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه^٥ وقد حيل بين العير والنزوان
فلموتُ خيرٍ من حياة كأنها مُعرَّس يعسوبٍ برأس سنان

وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث
وتسعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين
وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وأخذ عن أبي بكر ابن دُرَيْد؛ وله من التصانيف كتاب «المختلف والمؤتلف»
وكتاب «علم المنطق»^٥ وكتاب «الحكم والأمثال» وكتاب «الزواجر»
وغير ذلك .

والعسكري - بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها

١ انظر الخبر والأبيات في الأغاني ١٥ : ٦٣ .

٢ ر : تملانه .

٣ الأغاني : فينسى .

٤ ر : مضجعي .

٥ كذا سماه هنا ووقع عند القفطي « علم النظم » ويقابله عند ياقوت « كتاب صناعة الشعر » .

راء - هذه النسبة إلى عدة مواضع ، فأشهرها عسكر مكرم ، وهي مدينة من كور الأهواز ، ومكرم الذي تنسب إليه مكرم الباهلي ، وهو أول من اختطها فنُسبت إليه ، وأبو أحمد المذكور من هذه المدينة ، وسيأتي العسكري منسوباً إلى شيء آخر إن شاء الله تعالى .

١٦٥

ابن رشيق القيرواني

أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ؛ أحد الأفاضل البلغاء ، له التصانيف المليحة منها : كتاب « العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه » ، وكتاب « الأنموذج » والرسائل الفائقة والنظم الجيد .

قال ابن بسام في كتاب « الذخيرة » : بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلاً ، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة . وقال غيره : ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثمائة ، وأبوه مملوك رومي من موالي الأزدي ، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة . وكانت صنعة أبيه في بلده - وهي الحمديدية - الصياغة ، فعلمه أبوه صنعته ، وقرأ الأدب بالحمديدية ، وقال الشعر ، وفاق نفسه إلى التزويد منه وملاقة أهل الأدب ، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ، ولم يزل بها إلى أن هاجم العربُ القيروان وقتلوا أهلها وأخرّبوها ، فانتقل إلى جزيرة صقلية ، وأقام بمازر إلى أن مات .

١٦٥ - ترجمة ابن رشيق في انباه الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب : ٥٢ ، وقد جمع الاستاذ الميمني شعره في كتاب سماه « التنتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » ثم قام الدكتور عبد الرحمن ياغي بجمعه وزاد فيه (دار الثقافة - بيروت : ١٩٦٢) .

١ ذكر القفطي ان ابن رشيق لما حل بصقلية نزل على ابن مطكود أمير مازر فأكرمه واختصه =

ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بآزر ،
والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وهي قرية يجزيرة صقلية - وسيأتي ذكرها في
ترجمة المازري إن شاء الله تعالى - وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة
سنة ست وخمسين وأربعمائة بآزر ، والله أعلم .

[وكانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وماجريات وما أديبا بلاد
المغرب وشاعراها . وكان ابن شرف أعور ؟ قيل : مر يوماً وبیده كتاب فقال
له ابن رشيق : ما في كتابك ؟ قال : الدرديدية ، يعرض بقول ابن دريد فيها :

والعبد لا يردعه إلا العصا

يشير إلى أنه مولى ، فقال له ابن رشيق :

أما أبي فرشيق لست أنكره قل لي أبوك وصوره من الخشب

ومن شعره أيضاً وقد غاب المعز بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطرأ :

تجهم العيد وانهلّت بوادره^١ وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا
كأنه جاء يطوي الأرض من بُعدٍ شوقاً إليك فلما لم يحذك بكى

وقال أيضاً وقد أمره المعز بوصف أترجة مصبغة كانت بين يديه بديها :

أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلقى العيون بحسنٍ غير منحوسٍ
كأنها بسطت كفاً خالقها تدعو بطول بقاء لابن باديسٍ

ومن شعره أيضاً :

لو أورقت من دم الأبطال سُمُرُ قنا لأورقت عنده سُمُرُ القنا الذبل
إذا توجه في أول كتابه لم تفرق العين بين السهل والجبل

= وقرأ عليه كتبه؛ قال : ومن جملة ما رأيته من قراءاته عليه كتاب العمدة في صنعة الشعر...
ولم يزل عنده إلى أن مات بآزر في حدود سنة خمسين وأربعمائة .

فالجيش ينفذ حويله أسنّته نفض العُقَاب جناحها من البلل
هذا البيت من فرائده وهو ملتقط من قول أبي صخر الهذلي :
وإني لتعروني لذكرك فترةٌ كما انتفض العصفورُ بلبّله القطرُ
ولابن رشيّق المذكور رحمه الله تعالى :

ومن حسنات الدهر عندي ليلةٌ من العلم لم تترك لأيامها ذنباً
خلونا بها ننفي الكرى عن جفوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكباً
وملنا لتقبيل الحدود ولثمها ميل جياح الطير تلتقط الحبا
ومن شعره أيضاً :

صمٌ من الكافور بات معانقي في حلّتين تعفّفٍ وتكرّمٍ
فكّرت ليلة وصله في صدّه فجرت بقايا أدمعي كالعندم
فطفقت أمسحُ ناظري في نخره إذ شيمه الكافور إمساك الدم
ومن شعره رحمه الله :

قالوا رأينا فلاناً ليس يوجعه ما يوجعُ الناسَ من هجوٍ به قذفا
فقلت لو أنه حيٌّ لأوجمه لكنّه مات من جهل وما عرفا
وما هجوت فلاناً غير تجرّبة وذو الرماية لا يستشعر الهدفا^١
ومن شعره^٢ :

أحبُّ أخي وإنْ أعرّضتُ عنه وقلّ على مسامعِهِ كلامي
ولي في وجهه تقطيبٌ راضٍ كما قطّبتَ في وجهِ المُدام
ورُبّ تقطّبٍ من غيرِ بغضٍ وبُغضٍ كامن تحت ابتسام

١ ما بين معقنين زيادة من د ص ر على اختلاف في الترتيب .

٢ هذه المقطعات في ديوانه : ١٧١ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ٢٠٠ ، ١٧٢ .

ومن شعره :

يَا رَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعْنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمَوْذِي
مَا لِي بَعَثَ إِلَيَّ أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى غُرُودِي؟

ومن شعره على ما حكاه ابن بسام في « الذخيرة »^٢ :

أَسْلَمَنِي حُبُّ سُلَيْمَانِكُمْ إِلَى هَوَىٰ أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ
قَالَتْ لَنَا جُنْدٌ مَلَا حَاتِهِ لَمَّا بَدَأَ مَا قَالَتْ النَّمْلُ
قَوْمُوا ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْطَمَكُمْ أَعْيُنُهُ النَّجْلُ

وله وقد كبر وضعف مشبه ، وهو معنى غريب :

إِذَا مَا خَفْتُ كَعَهْدِ الصَّبَا أَبَتْ ذَلِكَ الْخَسُ وَالْأَرْبَعُونَ
وَمَا ثَقَلْتُ كَبْرًا وَطَاطِي وَلَكِنْ أَجْرُهُ وَرَائِي السَّنِينَا

وله أيضاً :

وَقَائِلَةٌ مَاذَا الشُّحُوبُ وَذَا الضَّنَى فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمُشَوِّقِ الْمُتَيِّمِ
هَوَاكِ أَتَانِي وَهُوَ ضَيْفٌ أَعِزُّهُ فَأَطَعَمْتُهُ لَحْمِي وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي

ومن تصانيفه أيضاً : « قراضة الذهب » وهو لطيف الجرم^٣ كبير الفائدة ،
وله كتاب « الشذوذ » في اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .
[وكتاب « طراز الأدب » وكتاب « المباح والمذام » وكتاب « متفق
التصحيف » وكتاب « تحرير الموازنة » وكتاب « الاتصال » وكتاب « المن
والفداء » وكتاب « غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون »
وكتاب « أرواح الكتب » وكتاب « شعراء الكتاب » وكتاب « المعونة » في

١ أ : حمل .

٢ في المسودة : في الخريدة ، وهو وهم .

٣ ج : الحجم .

الرخص والضرورات وكتاب « الرياحين » وكتاب « صدق المدائح » وكتاب « الأسماء العربية » وكتاب « إثبات المنازعة » وكتاب « معالم التاريخ » وكتاب « التوسع في مضايق القول » وكتاب « الحيلة والاحتراس »^١ .
 [وكانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني وقائع وماجريات يطول شرحها ، وقصدنا الاختصار]^٢ .
 ورشيق : بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف .
 والمسيلة : قد تقدم ذكرها فلا حاجة إلى إعادته .

١٦٦

ابن أبي الشخباء

الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المخبّرة ؛ كان من فرسان النثر ، وله فيه اليد الطولى . ويقال : إن القاضي الفاضل ، رحمه الله تعالى ، كان جلُّ اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره . وذكره عماد الدين الأصبهاني في « الخريدة » فقال : « المجيد مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة والملح الصنيعة » ، وذكره ابن بسّام في « الذخيرة » وسرد له جملة من الرسائل ، وذكر هذا المقطوع من نظمه ، وهو من بعض قصيد :

١ زيادة من رد .

٢ تكرر ما بين معقنين لتداخل الترجمات من النسخ المختلفة ، وهذا موضع العبارة في المسودة .
 ١٦٦ - ترجمة ابن أبي الشخباء في الخريدة (قسم المسقلانيين) ومعجم الأدياء ٩ : ١٥٢ وفيه الحسن ابن محمد بن عبد الصمد والذخيرة (القسم الرابع - وهو الجزء الخاص بغير الاندلسيين) وأورد له صاحب الريحان والريمان جملة من رسائله وخطبه ، ولعله اعتمد في ذلك على الذخيرة .

ما زالَ يَخْتَارُ الزَّمانُ مَلوكَهُ حقاً أَصابَ المِصطَفى المَختِيراً
 قَلَّ لِلأُولى ساسوا الورى وتقدموا قَدُماً هَلَموا شاهِدوا المَناخِيراً
 تجدوه أوسع في السياسة منكم صَدْرُاً وأحمد في العواقب مَصَدْرُاً
 إن كانَ رَأى شاوروه أَحَنَفاً أو كانَ بأس نازِلُوهُ عَنَتِراً
 قد صامَ والحَسَناتُ مِلاءَ كِتابِهِ وعلى مِثالِ صِيامِهِ قَدَ أَفطَرَنا
 ولقدَ تَخَوَّفَكَ العَدُوُّ يَجْهَدِهِ لو كانَ يَقدِرُ أنْ يَرُدَّ مُقدَّرُنا
 إن أنتَ لم تَبْعَثْ إِلَيْهِ ضُمراً جَرُدُاً بَعَثتَ إِلَيْهِ كِيداً مُضَمَّراً
 يَسْرِي وما حَمَلتُ رِجالاً أَيْضاً فِيهِ ولا ادَّرَعَتُ كِتابَةَ أُسَمِّراً
 خَطروا إِلَيْكَ فِخاطِرُوا بِنفوسِهِم وأمرتَ سِيفَكَ فِيهِمُ أنْ يَخطِرا
 عَجِبُوا لِحَلْمِكَ أنْ تَحولَ سَطوَةٌ وزُلالِ خَلقِكَ كِيفَ عادَ مَكْدَرُنا
 لا تَعجَبوا مِن رِقَّةٍ وَقَساوَةٍ فالنارُ تُفدَحُ مِن قُضيبِ أَخضَرُنا

وقد اقتصرتُ منها على هذا القدر خوفاً من التطويل ٢ .
 ومن المنسوب إلى ابن أبي الشخباء أيضاً قوله :

يا سِيفَ نَصْرِي والمُهَنَّدُ يانِعُ ورَبِيعَ أَرْضِي والسَّحابُ مُصافِ
 أخلاقِكَ الفِراءِ النَميرَةِ ما لَها حَمَلتَ قَدى الواشينَ وهى سُلَافِ
 والإفكُ في مِراةِ رَأْيِكَ ما لَه يَخْفى وَأنتَ الجَوْهَرُ الشَّفافِ

ورأيت في ديوانه البيتين المشهورين :

حِجابٌ وإعجابٌ وفِرطٌ تَصَلَّفِ ومَدُّ يَدِي نَحو العِلا بِتَكَلَّفِ
 ولو كانَ هَذا مِن رِأى كِفايَةٍ عَدَرنا وَلكن مِن رِأى تَخَلَّفِ

[ومن شعره أيضاً :

يَجودُ بالماءِ غِثَ السُّحُبِ مَنقَطِماً وَغِثَ كَفكَ بالأموالِ مَمتَصِلاً

١ المسودة : في . ٢ أ د : الإطالة .

جارى نذاك ولم يظفر ببغيته فحمره البرق في حافاته خجل
ومن شعره :

ومهفف علق السقام بطرفه وسرى فخيّم في معاهد خصره
مزقت أبواب الظلام بثغره ثم اثنتيت أحوكها من شعره [١]

وذكر أنه توفي مقتولاً بجذازة البنود ، وهي سجن بمدينة القاهرة المعزية ، سنة
اثنتين وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والشّخّباء : بفتح الشين المثلثة وسكون الحاء المعجمة وبعد الباء الموحدة
ألف ممدودة .

والعسقلاني : نسبة إلى مدينة عسقلان وهي مشهورة على الساحل .

١٦٧

ابن زولاق

أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد^٢ بن راشد بن
عبد الله بن سليمان بن زولاق الليثي مولاهم^٣ المصري ، كان فاضلاً في التاريخ ، وله فيه
مصنف جيد ، وله كتاب في خِطَط مصر استقصى فيه ، وكتاب « أخبار قضاة
مصر » جملة ذيل على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألفه في

١ البيتان الأولان في د وهامش س والتاليان في د وحلما .

١٦٧ - ترجمة المؤرخ ابن زولاق في ابن كثير ١١ : ٣٢١ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٣٥١ ولسان

الميزان ٢ : ١٩١ ، ومن كتابه « سيرة الاخشيد » احتفظ ابن سميذ في المغرب بقطعة وافرة .

وله أيضاً سيرة ابن طولون وسيرة خاراويه (انظر تاريخ بروكلان ١ : ١٢٩) .

٢ س : خلف .

٣ مولايم : سقطت من س .

أخبار قضاة مصر وانتهى فيه إلى سنة ست وأربعين ومائتين ، فكله ابن زولاق المذكور ، وابتدأ بذكر القاضي بكر بن قتيبة ، وختمه بذكر محمد بن النعمان ، وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ؛ وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير .

وكانت وفاته - أعني أبا محمد - يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

ورأيت في كتابه الذي صنفه في أخبار قضاة مصر ، في ترجمة القاضي أبي عبيد ، أن الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ، ثم قال : قبل مولدي بثلاثة أشهر ، فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة . وروى عن الطحاوي .

وزولاق : بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف قاف .

والليثي - بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثناة - هذه النسبة إلى ليث بن كنانة ، وهي قبيلة كبيرة . قال ابن يونس المصري : هو ليثي بالولاء .

١٦٨

ملك النحاة

أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صفاني بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة ؛ ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكى ما جرى بينها من المكاتبات بدمشق ، وبرع في

١٦٨ - ترجمة ملك النحاة في تهذيب ابن عساكر ٤ : ١٦٦ وانباء الرواة ١ : ٣٠٥ و امرأة الزمان : ٢٩٥ وابن الديلمي : ٢٨١ ومعجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وطبقات السبكي ٤ : ٢١٠ وابن كثير ١٢ : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ٢٢٠ والخريدة (قسم العراق) .

النحو حتى صار أنحى أهل طبقته^١ ، وكان فهماً فصيحاً ذكياً إلا أنه كان عنده عجبٌ بنفسه وتيه^٢ ، لقب نفسه ملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . وخرج عن بغداد بعد العشرين^٣ وخمسة ، وسكن واسط مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدباً كثيراً ، واتفقوا على فضله ومعرفته .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد إربل وتوجه إلى بغداد وسمع بها الحديث ، وقرأ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني ، والخلاف على أسعد الميهني ، وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان صاحب « الوجيز » و « الوسيط » في أصول الفقه ، وقرأ النحو على الفصيح ، وكان الفصيح قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب « الجمل الصغير »^٤ . ثم سافر إلى خراسان وكيرمان وغزنة ، ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق ، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوال ، ودفن يوم الأربعاء تاسعة سنة ثمان وستين وخمسة ، وقد ناهز الثمانين ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

[ثم ظفرت بمولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الرقيق]^٤ .

وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصلين والنحو ، وله ديوان شعر ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة^٥ ، ومن شعره :

سكوتُ محمدِ اللهِ عنها فأصبحتُ دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها

١ ر : زمانه .

٢ ص : بعد العشر .

٣ س : الصغير .

٤ ما بين معقنين انفردت به س .

٥ من مصنفاته: الحاوي والعمد والمنتخب وكلها في النحو، وله أيضاً المقتصد في التصريف وأسلوب الحق في القراءات والتذكرة السفرية والحاكم في فقه الشافعي ومختصر في أصول الفقه ومختصر في أصول الدين .

٦ ص : بقصائد .

على أنني لا شامتٌ إن أصابها بلاء ، ولا راضٍ بواشٍ يعيبها
وله أشياء حسنة ، وكان مجموع فضائل .

١٦٩

أبو محمد العسكري

أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؛
أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر صاحب السرداب
ويُعرف بالعسكري ، وأبوه علي يُعرف أيضاً بهذه النسبة - وسيأتي ذكره وذكر
بقية الأئمة إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادة الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين
ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول ، وقيل الآخر ، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين^١ .
وتوفي يوم الجمعة ، وقيل يوم الأربعاء لثاني ليل خلون من شهر ربيع الأول ،
وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين بسُرٍّ مَن رأى ، ودفن يجنب^٢ قبر
أبيه ، رحمها الله تعالى .

والعسكري - بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها
راء - هذه النسبة إلى سُرٍّ من رأى . ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره

١٦٩ - ترجمة أبي محمد العسكري في الأئمة الاثني عشر : ١١٣ ، وراجع الصفحة المقابلة في مصادر
ترجمته وانظر مصادر أخرى في حاشية الأعلام للزركلي ٢ : ٢١٦ .

١ وقيل سادس ... ومائتين ، سقط من س م ر .

٢ ص : إلى جانب .

قيل لها العسكرة ، وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه
عليّاً إليها^٢ وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده إليها .

١٧٠

أبو نواس

أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نُوَاس
الحكيمي الشاعر المشهور ؛ كان جَدُّه مولى الجراح بن عبدِ اللهِ الحكيمي والي
خراسان ، ونسبته إليه .

ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب « الورقة »^٣ أن أبا نواس ولد بالبصرة
ونشأ بها ، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب ، ثم صار إلى بغداد. وقال
غيره : إنه ولد بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان . وأمه أهوازية اسمها جُلْبَان ،
وكان أبوه من جند مَرَوَانَ بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، وكان من أهل
دمشق ، وانتقل إلى الأهواز للرباط ف تزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم :
أبو نواس وأبو معاذ ؛ فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين ، فراه أبو
أسامة والبة بن الحباب ، فاستحلاه^٤ ، فقال له : إني أرى فيك مخايل ،

١ س : العسكرة .

٢ أ : أباه عاملاً عليها .

١٧٠ - ترجمة أبي نواس في الأغاني ٢٠ : ٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ والشعر والشعراء : ٦٨٠

وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٥٤ وطبقات ابن المعتز : ١٩٣ والموشح : ٢٦٣ ونزهة الالباء :

٢٤٩ ، ولابن منظور كتاب مفرد في أخباره وكذلك لأبي هفان ، وانظر بروكلمان ٢ : ٢٤
(من الترجمة العربية) .

٣ لم يرد هذا في كتاب الورقة المطبوع ، وهذا القسم الذي طبع لا يمثل كتاب الورقة لأنه أدخل
بترجمات كثيرة .

٤ ر : فاستحسنه .

أرى لك أن لا تضيعها ، وستقول الشعر ، فاصحبني أخرجك^١ ، فقال له :
 ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو أسامة والبة بن الحباب ، فقال : نعم ، أنا والله في
 طلبك ، ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لأخذ عنك وأسمع منك
 شعرك ؛ فصار أبو نواس معه وقدم به بغداد ، فكان أول ما قاله من الشعر ،
 وهو صي^٢ :

حَامِلُ الْهَوَى تَعِبُ يَسْتَخِفُّهُ^٣ الطَّرَبُ
 إِنَّ بَكِي يَحِقُّ لَهُ لَيْسَ مَا بِهِ لَعِبُ
 تَضْحَكِينَ لَاهِيَةً وَالْمَحَبُّ يَنْتَحِبُ
 تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ

وهي أبيات مشهورة .

وروي أن الخصب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه
 فقال : أغناني أدبي عن نسي ، فأمسك عنه .

وقال إسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط أوسعَ علماً من أبي نواس ، ولا
 أحفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطِراً
 فيه جُزَازٌ مشتمل على غريب ونحو لا غير .

وهو في الطبقة الأولى من المولدين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في
 العشرة ، وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء : منهم أبو بكر الصولي
 وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بثوزون ، فلهذا يوجد
 ديوانه مختلفاً ، ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه .

[وكان أبو نواس قوي^٤ البدنية والارتمال ؛ روي أن الخصب قال له مرة

١ أخرجك : سقطت من س .

٢ ديوانه : ٣٦٦ ؛ ولم يرد في س من هذه الأبيات غير بيت واحد .

٣ رس : يستفزه .

٤ الديوان : فحق له .

وهو بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب ، فقام من فوره فقال مرتجلاً :

نخلتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحيةٍ أكل لحيات البلاد شروب
فإن يكُ باقي إثم فرعون فيكمُ فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت ؟ فاعتذر إليه وحلف : ما كنت إلا مازحاً^١ .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس^٢ :

ألا كل حيٍّ هالكٌ^٣ وابنُ هالكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقٍ
إذا امتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشفتُ له عن عَدُوِّ في ثياب صديقٍ

والبیت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس^٤ :

فبعض اللوم عاذلتي فإني سيكفني التجاربُ وانتسابي
إلى عِرْقِ الثرى وشجّت عُروقي وهذا الموتُ يسلبني شبابي

وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى .

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول^٥ :

[تكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم

وقال وهي من رواية أخرى :]^١

١ زيادة من د .

٢ ديوانه : ١٩٢ .

٣ الديوان : أرى كل حي هالكاً .

٤ ديوان امرئ القيس : ٩٧ - ٩٨ .

٥ لم ترد في باب الزهد من ديوانه .

تَكَثَّرَ مَا اسْتَطَعَتَ مِنَ الْخَطَايَا فَإِنَّكَ بِالْبَغِّ رَبِّاً غَفُوراً
 سَتَبَصْرُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَفْوَاً وتلقى سيّداً ملكاً كبيراً
 تَعَصُّ نَدَامَةً كَفَيْتِكَ مِمَّا تَرَكْتَ خِيفَةَ النَّارِ الشُّرُوراً
 وهذا من أحسن المعاني وأغربها ؛ وأخباره كثيرة .

ومن شعره الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب
 المقدم ذكره ووازنها بقوله^٢ :

دَمَنْ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ

وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها، وهي مما مدح به الأمين محمد بن هارون
 الرشيد أيام خلافته^٣ :

يَا دَارُ مَا صَنَعْتَ، بِكَ الْإَيَّامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بِشَاشَةٌ تُسْتَامُ
 يقول من جملتها في صفة ناقته :

وَتَجَشَّمَتْ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنَوُّفَةٍ هَوَّجَاءَ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ
 تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمَ مَهْنٌ وَهِيَ إِمَامُ
 وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَى بَلَّغْنَ مَحْدَأَ فَظَهْرُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

وهذا البيت له حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمة غيلان الشاعر
 المشهور .

(18) وقد أذكرني هذا البيت واقعةً جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود

١ أ د : الشُّرُورَا .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٥٠ .

٣ ديوان أبي نواس : ٦٣ .

٤ الديوان : فعلت .

٥ الديوان : ضامتك والأيام ليس تضام .

ابن عبد الله الإربلي الأديب المهيد في صناعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وستائة وقعد عندي ساعة ، وكان الناس يزدحمون لكثرة أشغالهم حينئذ ، ثم نهض وخرج ، فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

يا أيها المولى الذي بوجوده أبدت محاسنها لنا الأيام
إني حججتُ إلى مقامك حجةً لا أشواق لا ما يوجب الإسلام
وأنختُ بالحرم الشريف مطيبي فتسرّبت واستاقها الأقوام
فظالت أنشدُ عند نشداني لها بيتاً لمن هو في القريض إمام
« وإذا المطيئُ بنا بلقن محمداً فظهورهُنَّ على الرجال حرام »

فوقفت عليها وقلت لغلامه : ما الخبر ؟ فذكر أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد سُرق ، فاستحسنت منه هذا التضمين . والعرب يشبهون النعل بالراحلة ، وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين ، واستعمله المتنبي في مواضع من شعره .

ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور ، وجرى ذكر هذه الأبيات ، فقلت له : ولكن أنا اسمي أحمد ، لا محمد ، فقال : علمت ذلك ، ولكن أحمد ومحمد سواء ، وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان . وكان محمد الأمين المقدم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه ، فتهدده بالقتل وحبسه ، فكتب إليه من السجن^٢ :

بك أستجير من الردى متعوذاً من سَطَوِ بِاسِكْ
وحياة رأسك لا أعُو دُ لثلها ، وحياة رأسك
منْ ذا يكونُ أبانوا سِكْ إن قتلنا أبا نواسِكْ^٣

١ : مزدهين .

٢ ديوانه : ١٠٧ .

٣ قوله : ومن شعره الفائق حتى هذا الموضع لم يرد في المسودة . وعند موضعه علامة تحويل .

وله معه وقائع كثيرة .

[حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال : دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية - مكتوب بخط جليل - التي إليها أبو عبيدة يجلس :

صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال : فقال لي أبو عبيدة : احمه ، قلت : لا أناله ، فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت : لم يبقَ إلا الطاء ، فقال : الطامة في الطاء ، فمحوتها ، فلما جلس قال : والله ما أتهم بهذا إلا الخبيث الماجن المنتهك - يعني أبا نواس - ؛ قال : فبلغ قوله أبا نواس ، فحلف أنه لم يفعل ذلك ، فقبل يمينه .

وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه ، وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوّه ، فقيل له : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص ؛ قيل : فما تقول في خلف الأحمر ؟ قال : جمع العلم وفهمه ؛ قيل : فما تقول في أبي عبيدة ؟ قال : ذاك أديم طوي على علم^١ .

[وكان بمصر رجل يُعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف ، وكان ناقص العقل ، فقيل له : إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهجُ أبا نواس ، فأتاه وهو جالس في المجلس والناس حوله فأنشده :

ألا قل للنواصي الضميف الحال والقدر
خبرنا منك أحوالاً فلم نحمدك في الخبر
وما روعت بالمنظر لكن رعت بالكر

قال : وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة ، فنظر إليه أبو نواس وقال : بيم أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى توخّش منظرِكَ وتقبّيح خبرِكَ ؟ وهل أكون إن قلت شيئاً إلا سارقاً من ربي ومتكلفاً

على ما قد كفاني؟ فقال له بعض من معه : اهجه على حال لا نقول إنه أفحمك ، فقال من وزن شعره :

بها أهجوك لا أدري لساني فيك لا يجري
إذا فكرت في هجو ك أبقيت على شعري

قال : فقاموا على أبي نواس فقبلوا رأسه وشفقوا الأيدي جهراً^١ .
[حدث الصولي عن عبد الله بن محمد بن حفص قال : غلست يوماً إلى المسجد فإذا بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد ، وكنت أعرفه في مجالس الحديث والآداب ، فقلت له : مثلك يقف هذا الموقف بحق أو باطل ! فاعتذر ثم كتب إليّ ذلك اليوم هذه الأبيات :

إن التي أبصرتها سَحَرًا تكلمني رسول
دست إلي رسالة كادت لها نفسي تزول
من واضح الخدين يقر صر خطوه ردف ثقيل
متنكب قوس الصبا يرمي وليس له رسيل
فلو ان أذنك عندنا حتى تسمع ما تقول
لأريت ما استقبحت من أمري لديك هو الجميل^٢]

[وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخي محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيد :

فصلى هذه في وقت هذي فكل صلاته أبدأ قضاء
وذاك محمد تقديه نفسي وحق له وقل له الفداء

قال : رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع فقلت له : ما بدا لك في

١ زيادة انفردت بها .
٢ زيادة من ص ر وقد استطردت النسختان بعد ذلك إلى ذكر حكاية طويلة قليلة الامية في ترجمة أبي نواس ، لا نظن أن المؤلف يتورط في إيراد أمثالها ، ولذلك لم نثبتها .

هذا ؟ قال : ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف .
حكى الصولي عن أبي العتاهية قال : لقيت أبا نواس في المسجد الجامع
فعدلته وقلت له : أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تزدرج ؟ فرفع
رأسه إلي وقال :

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي

قال : فلما ألححت عليه بالعدل أنشأ يقول :

لن ترجع الأنفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر

قال : فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته .
وقال أبو العتاهية : قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي مكانها
الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي :

يا نواسي توقّر وتعزّ وتصبّر
إن يكن ساءك دهرٌ فلما سرّك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله عن ذنبك أكبر

وأشيع عن أبي نواس انه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد
في اللذات ، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك ، فوضع بين يديه
باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد :

قالوا نزعنا ولما يعلموا وطري في كل أعيد ساجي الطرف مياس
كيف النزوع وقلبي قد تقسّمه لحظ العيون وقرع السن بالكاس

قال محمد بن نافع : كان أبو نواس لي صديقاً ، فوقع بيني وبينه هجرة في
آخر عمره ، ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن ؛ فبينما أنا بين النائم واليقظان
إذ رأيته فقلت : أبا نواس ؟ قال : لات حين كنية ، قلت : الحسن بن هانيء ؟

قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بأبيات قلتها في عنتي قبل موتي وهي تحت الوسادة ؛ فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم : قال أخي شعراً قبل موته ، قالوا : لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو ، قلت : ايدنوا لي أدخل ؛ قال : فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد ، فرفعت وسادة فلم أر شيئاً ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
 إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
 أدعوك ربُّ كما أمرتَ تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
 مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أني مسلم^١

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن درّاج القسطلّي ذكرُ بعض قصيدة أبي نواس الرائية^٢ .

وذكره الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » وقال : وُلد في سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ، وتوفي في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن في مقابر الشونيزي ، رحمه الله تعالى . وإنما قيل له أبو نواس لذوّابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه .

والحكّميُّ - بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم - هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي ، وكان أمير خراسان ، وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه . وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة .

وأما الصولي فتأتي ترجمته في الحمدنين ، وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمة^٣

١ زيادة من ص ر .

٢ انظر الجزء الأول ص : ١٣٥ : ١٨٨ .

٣ قد صرح ابن النديم (الفهرست : ١٦٠) أن علي بن حمزة الاصفهاني عمل ديوان أبي نواس على الحروف ، وقد ترجمه ياقوت (معجم الأديباء ١٣ : ٢٠٣) لعلي بن حمزة الاصفهاني هذا ويؤخذ من ترجمته أنه من رجال القرن الثالث .

(19) وتوزون أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه ، وكان يسكن بغداد ، وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

١٧١

ابن وكيع التنيسي

أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور ؛ أصله من بغداد ومولده بِنَيْس . ذكره أبو منصور الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، وقال في حقه : « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام » ، وذكر مزدوجته المربعة^٢ ، وهي من جيد النظم ، وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بيتن فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سماه « المنصف »^٣ ، وكان في لسانه عجمة ، ويقال له العاطس ، ومن شعره^٤ :

سلا عن حُبِّكَ القلبَ المَشْووقُ فما يَصْبُو إليك ولا يَتَوَقُّ
جَفَاؤُكَ كانَ عَنكَ لنا عَزَاءٌ وقد يُسْلي عن الولدِ العَقوقُ

وله أيضاً :

١٧١ - ترجمة ابن وكيع التنيسي في اليتيمة ١ : ٣٧٢ - ٤٠٠ .

١ أ ج : نظم يسحر .

٢ قصيدة كل أربعة أقطار منها على قافية وأرطها :

رسالة من كلف عميد حياته في قبضة الصدود

بلغه الشوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيد

٣ من هذا الكتاب قطعة تمثل الجزء الأول (جامعة بيل : ١٦٧) .

٤ هذه القطعة والتي تليها في اليتيمة : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

[كأنها في الكؤوس إذ جليت من عسجد رقّ لونه وصفا
أغضبها الماء حين مازجها وأزبدت في كؤوسها أنفا
در حباب بود مبصره لو كان يوماً لأذنه شفا
وله أيضاً :^١

إن كان قد بعد اللقاء فودنا دان، ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن ودّه ومواصل بوداده يرتاب
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي لا فرج الله عنه
كم لمت في هواه فقال لا بد منه
ولقد ألمّ به بعضهم فقال :

لا رعى الله عزمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنه
ما وقت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه
ومثله قول أسامة بن منقذ الشيزري المقدم ذكره^٢ :

لا تستعير جلدأ على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعاً، وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد بن
مقلد القضاعي الشيزري المدرس كان بتربة الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة
لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همتي بالحوول وصدت عن الرتب العاليه

١ زيادة من ر .

٢ ديوان أسامة : ٤٢ .

وما جهلت طيب طعم الملا ولكنها تؤثر العافية
فأنشدني لنفسه على البدئية :

بقدر الصعود يكون الهبوط
وكن في مكان إذا ما سقطت
تقومُ ورجلاك في عافيه
وله أيضاً - أعني ابن وكيع^١ - :

أبصره عاذلي عليه
فقال لي لو هويت هذا
قل لي إلى من عدلت عنه
فلم يكن قبل ذا رآه
ما لامك الناس في هواه
فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري
يأمرُ بالحب من ناه

وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ
تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيبي فأنشدني لنفسه في المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية .
وله كل معنى حسن .

وكانت وفاة ابن وكيع المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة
ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي
بنيت له بها ، رحمه الله تعالى .

(20) ووكيع^٢ - بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها

١ القيمة : ٣٩٦ .

٢ انظر ترجمة وكيع «محمد بن خلف» في الفهرست : ١١٤ حيث ورد باسم أبي محمد بكر بن
محمد بن خلف (وهو خطأ فيما يبدو) والروافي ٣ : ٤٣ والمنتظم ٦ : ١٥٢ وابن كثير ١١ :
١٣٠ وغاية النهاية ٢ : ١٣٧ ، ومن كتبه المطبوعة «أخبار القضاة وتواريخهم» . وله سوى ما
ذكره ابن خلكان : كتاب الغرر (أو الغرة) وكتاب المسافر وكتاب التصرف والنقد والسكة
وكتاب البحث .

وبعدها عين مهملة - وهو لقب جده أبي بكر محمد بن خلف ، وكان نائباً في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي . وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، فمنها : كتاب « الطريق »^١ وكتاب « الشريف »^٢ وكتاب « عدد آي القرآن والاختلاف فيه » وكتاب « الرمي والنضال » وكتاب « المكايل والموازن » وغير ذلك ، وله شعر كسعر العلماء . وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبّدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم ، رحمه الله تعالى .

والتننّيسيّ - بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة - نسبة إلى تننيسَ مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط ، بناها تنيس بن حام بن نوح عليه السلام فسميت باسمه .
(21) وتوفي المرتضى الشيزري المذكور في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بمصر ، ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .

١٧٢

ابن العلاف الشاعر

أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضريير النهرواني الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المجيدين ، وحدث عن أبي عمر

١ هذا الكتاب يسمى أيضاً كتاب « النواحي » ويحتوي على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه .

٢ هو على مثال كتاب المعارف لابن قتيبة .

١٧٢ - انظر ترجمة ابن العلاف الشاعر في نكت الهميان : ١٣٩ ، وقد أورد قصيدته في رثاء الهر ، والمتنظم ٦ : ٢٣٧ .

الدوري المقرئ، وحيد بن مسعدة البصري ونصر بن علي الجهضمي* ومحمد بن إسماعيل الحساني، وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النخاس وأبو الحسن الخراجي القاضي وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم^١، وكان ينادم الإمام المعتضد بالله .
وقال^٢ : بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه ، فأتانا خادم ليلاً فقال : أمير المؤمنين يقول : أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

ولما انتبهننا للخيال الذي سرى إذا الدار قفر* والمزار بعيد*

وقد أرتج علي* تمامه ، فمن أجازاه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة ، قال :
فأرتج علي الجماعة وكلهم شاعر فاضل ، فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النومَ واهجمي لعل* خيالاً طارقاً سيعود*

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال : أمير المؤمنين يقول : قد أحسنت ، وقد أمر لك بجائزة .

وكان لأبي بكر المذكور هير* يأنس به ، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها ، وكثر ذلك منه ، فأمسكه أربابها فذبحوه ، فوثقه بهذه القصيدة وقد قيل : إنه رثى بها عبد الله بن المعتز - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله ، فنسبها إلى الهر وعرضَ به في أبيات منها ، وكانت بينها صعبة أكيدة .

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه « المعارف المتأخرة » في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله : قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد : أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو الأكل المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبيه في الهر ، وقال : إنما كنى بالهر عن الحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه .
قلت أنا : وهذا الحسن ولد الوزير المذكور ، وسيأتي خبر ذلك في ترجمة

١ وحدث عن ... وغيرهم : سقط من س .

٢ انظر المنتظم : ٢٣٧ .

أبيه أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إن شاء الله تعالى .
 وذكر صاعد اللغوي في كتاب « الفصوص » قال : حدثني أبو الحسن المرزباني
 قال : هويتُ جارية لعلي بن عيسى غلاماً لأبي بكر ابن العلاف الضرير ، ففطن
 بها فقتلها جميعاً وسلخا وحشيت جلودهما تبناً ، فقال أبو بكر مولاه هذه
 القصيدة يرثيه بها وكنى عنه بالهر ، والله أعلم .
 وهي من أحسن الشعر وأبدعه ، وعددها خمسة وستون بيتاً ، وطولها يمنع
 من الإتيان بجميعها فنأتي بحاسنها ، وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها ،
 وأولها :

يا هره ^١ فارقتنا ولم تعد	وكنت عِندي بمنزل الولد
ككيف ننفك ^٢ عن هواك وقد	كنت لنا عُدَّة ^٣ من العُدَد
تطرد عنا الأذى وتَحرسنا	بالغيب من حَيَّة ^٤ ومن جُرَد
وتخرج الفأر ^٥ من مَكانها	ما بين مفتوحِها إلى السَدَد
يلقاك في البيت منهم مدد ^٦	وأنت تلقاهم ^٧ بلا مدَد
لا عدد كان منك مُنفلتاً ^٨	منهم ^٩ ولا واحد ^{١٠} من العَدَد
لا ترهب الصيف عند هاجرة ^{١١}	ولا تهاب ^{١٢} الشتاء في الجمد
وكان يجري ولا سداد لهم	أمرك ^{١٣} في بيتنا على سدَد
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا	ولم تكن للأذى بمعتقد
وحمت ^{١٤} حول الردى بظلمهم ^{١٥}	ومن يحم ^{١٦} حول حوضه يرد
وكان قلبي عليك مُرتعداً	وأنت تنساب ^{١٧} غير مُرتعد
تدخل بُرج الحمام متئداً	وتبلع ^{١٨} الفرخ غير متئد
وتطرح الريش في الطريق لهم	وتبلع ^{١٩} اللحم بلع مُزدرَد
أطعمك الغي ^{٢٠} لحمها فرأى	قتلك ^{٢١} أربابها ^{٢٢} من الرشد

١ د : منقلباً .

٢ د : تخاف .

٣ النكت : أصحابها .

حتى إذا داوموك واجتهدوا وساعد النصر كيد مجتهد
كادوك دهرأ فما وقعت وكم أفلتت من كيدهم ولم تكد
فحين أخفرت وانهمكت وكاشفت وأسرفت غير مقتصد
صادوك غيظاً عليك وانتقموا منك وزادوا ومن يصد يصد
ثم شفوا بالحديد أنفسهم منك ولم يرعوا على أحد
ومنها :

فلم تزل للحمام مرتصداً حتى سقيت الحمام بالرصد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما لم ترث منها لصوتها الغرد
أذقت الموت ربهن كما أذقت أفراخه يداً بيد
ومنها :

كان حبلأ حوى يجودته جيدك للخنق كان من مسد
كان عيني تراك مضطرباً فيه وفي فيك رغبة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم تقدر على حيلة ولم تجيد
فجدت بالنفس والبخيل بها أنت ومن لم يجد بها يجد
فما سمعنا بمثل موتك إذ مت ولا مثل عيشك النكد
عشت حريصاً يقوده طمع ومت إذا قاتل بلا قود
ومنها :

يا من لذيذ الفراخ أوقعه ويحك هلاً قنعت بالغدد
ألم تخف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الأسد
عاقبة الظلم لا تنام وإن تأخرت مدة من المدد
أردت أن تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما أعزه في الدنو والبعد
لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المعد

كَمْ دَخَلْتَ لِقْمَةً حَشَا شَرِّهِ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنْ الْجَسَدِ
 مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَسْوِيرِكَ إِلَّا بَرَجَ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ الْخَالِدِ
 قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَاةٍ مِنَ الْعَزِيزِ الْمُهَيَّمِنِ الصَّمَدِ
 تَأْكُلُ مِنْ فَارِ بَيْتِنَا رَعْدًا وَأَيْنَ بِالشَّاكِرِينَ لِلرَّغْدِ
 وَكُنْتَ بَدَدْتَ شَمْلَهُمْ زَمْنًا فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْبَدَدِ
 فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ فِي جُوفِ أَيْبَاتِنَا وَلَا لَبَدٍ
 وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا وَمَا تَرَكَوْا مَا عُلِقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ
 وَفَتَّتُوا الْخَبْزَ فِي السَّلَالِ فَكَمْ تَفْتَتَتُ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِيدِ
 وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا فَكَلَّمْنَا فِي الْمَصَائِبِ الْجَدِيدِ

ونقتصر من هذه القصيدة على هذا القدر فهو زبدتها .
 وكانت وفاته سنة ثمانى عشرة ، وقيل تسع عشرة وثلثمائة ، وعمره مائة
 سنة ، رحمه الله تعالى .
 والنَهْرَوانِيُّ - بفتح النون وسكون الهاء وفتح الراء والواو وبعد الألف
 نون - هذه النسبة إلى النهروان ، وهي بليدة قديمة بالقرب من بغداد ، وقال
 السمعاني : هي بضم الراء ، وليس بصحيح .

١٧٣

أبو الجوائز الواسطي

أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب الواسطي ؛ كان من
 الفضلاء ، سكن بغداد دهرأ طويلاً ، وذكره الخطيب في تاريخه فقال : وعلقت

١٧٣ - ترجمة أبي الجوائز الواسطي في تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣ .

عنه أخباراً وحكايات وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ، ولم يكن ثقة ، فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك . وكان أديباً شاعراً حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك ، فما أنشدنيه لنفسه قوله:

دع الناس طرّاً واصرف الودّ عَنْهُمْ إِذَا كُنْتَ فِي أَخْلَاقِهِمْ لَا تَسَامِحُ
وَلَا تَبِغْ مِنْ دَهْرٍ تَظَاهَرَ رَنَقُهُ صَفَاءَ بَنِيهِ فَالطَّبَاعُ جَوَامِحُ
وَشَيْثَانٌ مَعْدُومَانِ فِي الْأَرْضِ : دَرَاهِمُ حَلَالٌ وَخَلٌّ فِي الْحَقِيقَةِ نَاصِحُ

انتهى قول الخطيب .

وله تواليف حسان وخط جيد وأشعار رائقة ، وقفت له على مقاطيع كثيرة ولم أر له ديواناً ولا أعلم هل دوّن شعره أم لا . ومن أشعاره السائرة قوله :

برآني الهوى برّي المدى وأذابني صدودك حتى صرت أمحلّ من أمس
فلست أرى حتى أراك وإنما بين هباء الذرّ في ألقِ الشمس
[ومن شعره :

أقول وجرس الحلي يمنع وصلها وقد عاد ذاك القرب وهو بعاد
هي كل ذي نطق يغار عليكم فكيف يغار الحلي وهو جماد'^أ
ومن شعره أيضاً وفيه لزوم ما لا يلزم :

واحرزني من قولها خان عهددي ولها
وحق من صيرني وقفاً عليها ولها
ما خطرّت بخاطري إلا كستني ولها

وكانت وفاته سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وقال الخطيب :

سمعت أبا الجواز يقول : ولدت في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وغاب عني خبره في سنة ستين وأربعمائة ، انتهى كلام الخطيب .
قلت : وقد صح أن وفاته كانت في سنة ستين كما ذكرته أولاً ، والله أعلم ، وإن كان الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا غير .

١٧٤

العلم الشاتاني

أبو علي الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بُنْدَار بن إبراهيم الشاتاني الملقب علم الدين ؛ كان فقيهاً غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به ، وكان قد ترك بلده ونزل الموصل واستوطنها^١ ، وكان يتردد منها إلى بغداد ، وكان الوزير أبو المظفر ابن هُبَيْرَة كثير الإقبال عليه والإكرام له .
وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » [وأثنى عليه] وأورد له أشعاراً ، وقال : مدح صلاح الدين بقصيدة أولها :

أرى النّصر معقوداً برايتك الصّفرا فسرّ وافتحّ الدنيا فأنّت بها أخرى
ومنها :

١٧٤ - ترجمة الشاتاني في مختصر الديبشي : ٢٧٩ وطبقات السبكي : ٤ : ٢١٠ ومعجم البلدان « شاتان » وتهذيب ابن عساكر : ٤ : ١٧٧ وقال : قدم دمشق في سنة ٥٣١ ، وعقد مجلس الوعظ وعاد إلى وطنه ثم انتقل إلى الموصل وخدم دولة أتابك زنكي وولده محمود الملقب نور الدين وروسل إلى الخليفة المقتفي وإلى عدة أطراف وعاد إلى دمشق سنة ٥٦٨ ، وانظر أيضاً معجم الألقاب ١/٤ : ٥٧٥ ، ولقبه علم الدين ، وكان يعرف بقاع ؛ قال العماد : « وكان إذا قيل له يا علم الدين قاع ، جرى عليه من ذلك أمر عظيم » ، وكان يحفظ جل أشعاره ويوردها من خاطره حتى كأنها يقرأها من كتاب .

١ : واستوطن بها .

٢ : واملك .

بينك فيها اليمن واليسر في اليسرى فبئسرى لمن يرجو الندى بها بئسرى
وكان مولده في سنة عشر وخمسة و توفى في شعبان سنة تسع وتسعين وخمسة
بالموصل ، رحمه الله تعالى .
وذكره ابن الدَّبَّيْثِي في ذيله ، وأثنى عليه .
وشاتان - بفتح الشين المعجمة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها وبعد الألف
الثانية نون - وهي بلد بنواحي ديار بكر^١ .

١٧٥

ناصر الدولة ابن حمدان

أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون
ابن الحارث بن لقيان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن
محرية بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غم بن تغلب ، التغلبي ؛ كان صاحب الموصل وما والاها ،
وتنقلت به الأحوال تارات إلى أن ملك الموصل بعد أن كان نائباً بها عن أبيه ،
ثم لقبه الخليفة المتقي لله « ناصر الدولة » وذلك في مُسْتَهَلِّ شعبان سنة ثلاثين
وثلاثمائة ، ولقب أخاه « سيف الدولة » في ذلك اليوم أيضاً ، وعظم شأنها .
وكان الخليفة المكتفي بالله قد ولى أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في
سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فسار إليها ودخلها في أول سنة ثلاث وتسعين
ومائتين ، وكان ناصر الدولة أكبر سنّاً من أخيه سيف الدولة وأقدم منزلة عند

١ أ : بديار بكر من نواحيها .

١٧٥ - أخبار ناصر الدولة في تجارب الأمم وتاريخ ابن الاثير (صفحات كثيرة من الجزء الثامن) .

الخلفاء ، وكان كثير التأدب معه ؛ وجرت بينهما يوماً وَحِشَّةٌ ، فكتب إليه
سيف الدولة :

لستُ أجفؤ وإن جُفِيتُ ولا أتُ رُكُّ حَقًّا عليَّ في كلِّ حال
إنما أنت والدٌ والأب الجا في يُجازى بالصَّبْر والإحتمال

[١ حكي هلال بن المحسن عن معز الدولة ابن بويه وكان منازلاً لناصر الدولة
أبي محمد بن حمدان ، فجاءه غلام فقال : إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون
لي عليك ؟ قال : اقتراحك ؛ ووعدته وعداً ملأ به صدره ، فمضى واختلط
بعسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلاً من خيمته ، ثم جاء
وقد اشتمل على دشنة فدخل الخيمة من تحت الطنب وقد تفرق الناس ونام
الحراس فوجد ناصر الدولة نائماً على سرير وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه
جماعة ، فتأمل موضع رأسه من رجليه ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر
به ويؤخذ ، وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه ، فاتفق أن ناصر الدولة تقلب
من جنبٍ إلى جنب فزال عن المكان وجاء الغلام يريد موضعه ففرز الدشنة
غرزاً استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد ، فأحس ناصر الدولة بعدوه فانتبه
فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب الخيمة مرفوعة ، فصاح بالفلمان فبادروا
وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة فجزع ، وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم يعلم
كيف جرى الأمر ، وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قد قتل ناصر الدولة فلم
يعطه ما وعده به لكنه أطلق له شيئاً وقال لأبي جعفر الصيمري : من يُقدم
على الملوك مثل إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلاً أن يوثق بمكانه ، وما الذي
يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا ؟ فأرحني منه كيف شئت ، فأخذه
الصيمري ففرقه] .

وكتب إليه مرة أخرى وذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ٢ :

١ ما بين معقنين زيادة من د ، وقارن تجارب الامم ٢ : ٩٤ .

٢ اليتيمة ١ : ٤٦ وابن الأثير ٨ : ٥٨٠ .

رضيتُ لك العلياً وقد كنت أهلها ولم يكُ بي^١ عنها نكول وإنما تجافيت^٢ عن حقي فم لك الحق ولا بُدَّ لي من أن أكون مُصلياً إذا كنتُ أرضى أن يكون لك السبقُ [وأورد له أيضاً قوله :

قد جرى في دمه دمه فإلى كم أنت تظلمه
ردّ عنه الطرف منك فقد خرقتك منك أسهمه
كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه^٣

وكان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة ، فلما توفي سيف الدولة - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه وضعف عقله ، إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته ، فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالفضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخوته ، وسيّره إلى قلعة أردمشت^٤ في حصن السلامة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن هذه القلعة هي التي تسمى الآن قلعة كواشي ، وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ولم يزل محبوساً بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل ؛ وقيل إنه توفي سنة سبع وخمسين .

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب «عنوان السير» في آخر ترجمة ناصر الدولة ما مثاله : ولم يزل - يعني ناصر الدولة - مستولياً على ديار الموصل وغيرها حتى قبض عليه ابنه الفضنفر في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، وكانت

١ د : وما كان لي .

٢ د : تجاوزت .

٣ زيادة من د .

٤ أ : ازدمشت .

إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثلثمائة^١ ، رحمه الله تعالى ، وقتل أبوه ببغداد وهو يدافع عن الإمام القاهر بالله - وقصته مشهورة - لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

(22) وأما الغضنفر^٢ بن ناصر الدولة فإنه جرت له مع عضد الدولة ابن بُويَهِ لما ملك ببغداد بعد قتله بختيَّار ابن عمه المقدم ذكره - وقد كان معه في الواقعة التي قتل فيها - قضايا يطول شرحها ، وحاصلها أن عضد الدولة قصده بالموصل فهرب منه إلى الشام ونزل بظاهر دمشق ، والمستولي عليها قسَّام العيَّار ، فكتب إلى العزيز بن المعز صاحب مصر يسأله تولية الشام ، فأجابه إلى ذلك ظاهراً ومنعه باطناً . فتوجه إلى الرملة في المحرم سنة سبع وستين ، وبها المفرج بن الجراح البدوي الطائي ، فهرب منه ثم جمع له جموعاً وعاد إليه ، فالتقى على بابها في يوم الاثنين ليلة خلت من صفر من السنة ، فانهزم أصحابه وأسر وقتل يوم الثلاثاء ثاني صفر المذكور ، ومولده يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة^٣ .

ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب « أدب الخواص » للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي ، وقال محمد بن أحمد الأسدي النسابة : اسم تغلب دثار ، وإنما سمي تغلب لأن أباه وائلاً قصدته اليمن في داره لتسيي أهله ، فصرخ في أهله وعشيرته ، فنُصر على اليمن ، وكان تغلب طفلاً ، فتبرك به وقال : هذا تغلب ، فسمي به^٥ .

١ وقال محمد بن عبد الملك ... وثلثمائة : سقط من س .

٢ انظر تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦٩٢ .

٣ وأما الغضنفر ... وثلثمائة : سقط من س .

٤ ص : أحمد بن محمد .

٥ وقال محمد ... فسمي به : سقط من س .

ركن الدولة ابن بويه

أبو علي الحسن بن بُويَه بن فَنَّاخُسُرُو الدَّيْلَمِي الملقب ركن الدولة ؛ وقد تقدمت تنمة نسبه في حرف الهمزة عند ذكر أخيه معز الدولة أحمد . وكان ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والري وهذان وجميع عراق العجم ، وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة أبي منصور بُويَه وفخر الدولة أبي الحسن علي ، وكان ملكاً جليل القدر عالي الهمة ، وكان أبو الفضل ابن العميد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وزيره ، ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح علياً ؛ وكان صاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ، ولما توفي وزرَ لفخر الدولة - وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة في ترجمة صاحب - . وكان مسعوداً ورزق السعادة في أولاده الثلاثة ، وقسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام . وكان ركن الدولة المذكور أوسط الاخوة الثلاثة ، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة المذكور ومعز الدولة أبو الحسين أحمد - وقد سبق ذكره - وكان عماد الدولة أكبرهم ، ومعز الدولة أصغرهم .

[ولما كان في سنة ٣٣٩ سار الخراسانيون منصور بن قراتكين ومن معه إلى الري ، وكان ركن الدولة ببلاد فارس ، فلما وصل جرت بينه وبينهم حروب عدة ، وضاعت الميرة على الطائفتين وذبحوا دوابهم ، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل ، فاستشار وزيره أبا الفضل ابن العميد في بعض الليالي في الهرب ، فقال : لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى ، فانو للمسلمين خيراً وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمتنا تبعوننا وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحد ، فقال له : قد سبقتك إلى هذا ،

١٧٦ - أخبار ركن الدولة ابن بويه في ابن الأثير وتجارب الأمم وتاريخ ابن خلدون والمنتظم ؛

وراجع آدم متر ١ : ٣٠ .

فلما كان ثلث الليل الأخير أتاهم الخبر أن منصوراً وعسكره قد عادوا إلى الريّ وتركوا خيامهم ، وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضاً إلا أن الديلم كانوا يصبرون ويقتنعون بالقليل من الطعام وكان الخراسانية بالصدّ منهم . وحكى أبو الفضل ابن العميد^١ قال : استدعاني ركن الدولة تلك الليلة في الثلث الأخير وقال لي : قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروزٍ وقد انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً فأخذته وإذا فسه من فيروزج فجعلته في إصبعي فتبركت به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر ، فإن الفيروزج معناه الظفر ، وكذلك لقب الدابة فيروز ، قال ابن العميد : فأتانا الخبر والبشارة بأنّ العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت الأخبار ، فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم ، وسرنا حذرين من كينين ، وسرت إلى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز ، فصاح ركن الدولة لغلام بين يديه : ناولني ذلك الخاتم ، فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في إصبعه وقال : هذا تأويل رؤياي ، وهذا الخاتم الذي رأيت من ساعة ، وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه . وكان ركن الدولة يقول : مثل خراسان في صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى : يصعب صيده ولا يحصل خيره ؛ وهو معنى قول الشاعر :

إن ابن آوى لشديد المقتنص وهو إذا ما صيد ريح^٢ في قفص^٢

وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة بالريّ ، ودفن في مشهده . ومولده تقديراً في سنة أربع وثمانين ومائتين ، قاله أبو إسحاق الصابئ ، وملك أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ، وتولى بعده ولده مؤيد الدولة ، رحمه الله تعالى .

١ قارن بما في تجارب الأمم ٢ : ١٤١ .

٢ ما بين معقنين انفردت به النسخة د .

الحسن بن سهل

أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ؛ تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياستين الفضل وحظيَ عنده ، وقد تقدم في حرف الباء ذكر ابنته بُوران وصورة زواجها من المأمون والكلفة التي احتفل بها والدها الحسن فلا حاجة إلى إعادتها . وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين - وقد ذكرته في ترجمته - وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم ، وقصده بعض الشعراء وأنشده :

تَقُولُ خَلِيلَتِي لَمَّا رَأَتْنِي أَشَدُّ مَطِيبِي مِنْ بَعْدِ حَلِّ
أَبَعْدَ الْفَضْلِ تَرْتَحِلُ الْمَطَايَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ

فأجزل عطيته . وخرج مع المأمون يوماً يُشَيِّعُهُ ، فلما عزم على مفارقتة قال له المأمون : يا أبا محمد ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين تحفظ عليّ من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك . وقال بعضهم : حضرت مجلس الحسن ابن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة ، فجعل الرجل يشكره ، فقال الحسن : يا هذا ، علامَ تشكرنا ؟ إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا [ثم أنشأ يقول :

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا]^١

١٧٧ - أخبار الحسن بن سهل في الطبري وابن الأثير وتاريخ بغداد لابن طيفور والوزراء والكتاب للجيشياري وتاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٣٠٩ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٢١٧ والفخري : ٢٠٣ ، وله أخبار وأقوال منثورة في كتب الأدب كميون الأخبار والكامل والبيان وغيرها .

١ زيادة من ص .

قال الحاكبي : وحضرته يوماً وهو يُثلي كتاب شفاعة ، فكتب في آخره :
إنه بلغني أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة ، كما يُسأل عن فضل
ماله . وقال لبيته : يا بنيّ تعلموا النطق ، فإن فضل الإنسان على سائر البهائم
به ، وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم بالإنسانية أحق .

[وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم^١ ليحيى بن خالد بن برمك ، وضم
يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معها ، فضم
جعفر بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فقلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل
بخراسان ، فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزبه بأخيه ويعلمه
أنه قد استوزره وأجراه مجراه ، فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد
يخالف للحسن أمراً ولا يخرج له من طاعة ، إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى
الرضا بالعهد ، فغضب بنو العباس وخلصوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي ،
فحاربه الحسن بن سهل ، فضعف عنه ، فأنحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ،
ووجه من فم الصلح من حارب إبراهيم ، فضعف أمر إبراهيم واستتر ، وقد تقدم
ذكر ذلك . ثم دخل المأمون ببغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه ،
فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين .
قال ثعلب : قيل للحسن وقد كثرت عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف
خير ، فقال : بل ليس في الخير سرف . فردّ اللفظ واستوفى المعنى .

ودخل على الحسن أعرابي مدحه بشعر استحسنه ، فلما فرغ منه قال له
الحسن : اجلس واحتكم ، وهو يظن ان الأعرابي صغير الهمة ؛ فقال : ألف ناقة ،
فوجم الحسن ولم تكن في وسعه يومئذ ، وكره أن يفتضح ، فأطرق إطراقة ثم
قال : يا أعرابي ، ليس بلدنا بلد إبل ولكن كما قال امرؤ القيس^٢ :

إذا ما لم تكن إبلا فمعزى كأنّ قرونَ جلّتها المصي^٣

قال : قد رضيت ، قال : فالحق يحيى بن خاقان يعطيك ألف شاة ، فصار إلى

١ يتقهرم : يعمل قهرماناً .

٢ ديوانه : ١٣٦ .

يجي فأعطاه عن كل شاة ديناراً .

وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطحب في يوم غيم لم يطر :
أما ترى تكافؤ الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده كأنه قول كثير :

وإني وتهيامي بعزة بعدما [تخلتُ مما بيننا] وتخلتِ
لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلما تبوأ منها للمقبلِ اضمحلَّتِ

وما أمنيقي إلا في لقائك ، ورقعتي هذه الأبيات ، وقد أدت زجاجات أخذت
من عقلي ولم تتحيفه ، وبعثت نشاطاً حركني على الكتاب إليك ، فأريك في
إمطاري سروراً بسارّ خبرك ، إذ حرمت السرور بالمطر في هذا اليوم ، موقفاً
إن شاء الله تعالى . فأجابه الحسن بن وهب : وصل كتاب الأمير أيده الله ويدي
عاملة وفي طاعم ، فلذلك تأخر الجواب قليلاً ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا
اليوم وإساءته وما استحق ذمّاً لأنه إن أشمس حكى ضياءك وحسنك ، وإن
أمطر أشبه سخاءك وجودك ، وإن أغام فلم يشمس ولم يطر فقد أشبه طيب
ظلك ولذة فنائك ؛ وسؤال الأمير أيده الله عني نعمة من الله أعفني بها آثار
الزمان المسيء ، وأنا كما يجبُ الأمير ، صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه .
ووقع الحسن بن سهل في رقعة : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك إلى
استحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصار .

وتعرض إليه رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي أحسنت إليّ عام
كذا ، فقال : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

واقفعل رجل على الحسن كتاباً إلى إبراهيم الرازي - وكان أمير الأهواز -
فقال له : والله لئن كنت صادقاً فما في ملكي ما يفي بحق الوزير ، وإن كنت
مفتعلاً فما في قدرتي ما يفي بعقوبتك ، فحبسه وبعث يستعلم أمر الكتاب ، وبلغ
ذلك الحسن فأمر أن يكتب إليه : أما كان في صغير ما أنعمنا به عليك ما
تصدق به نخيلة رجل توسل بنا إن كان مبطلا فكيف وهو محق ؟

١ من تائيته التي أوردتها القالي في أماليه ٢ : ١٠٥ .

وكان الحسن بن سهل يقول : عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من
دونه .

ونظر يوماً إلى رجل في مجلسه يعبس في كأسه فقال : ما أنصفتها : تضعك
في وجهك وتعبس في وجهها .

وكان يقول : من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف [١] .
ولم يزل على وزارة المأمون إلى أن ثارت عليه الميرة السوداء ، وكان سببها
كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قُتِل - وسيأتي خبره في حرف الفاء إن شاء
الله تعالى - واستولت عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف . وذكر
الطبري في تاريخه أن الحسن بن سهل في سنة ثلاث ومائتين غلبت عليه السوداء ،
وكان سببها أنه مرض مرضاً شديداً فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في
الحديد وحبس في بيت ، فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد . وكانت وفاته سنة
ست وثلاثين في مستهل ذي الحجة ، وقيل خمس وثلاثين ومائتين ، بمدينة
سرخس ، رحمه الله تعالى . ومدحه يوسف الجوهري بقوله :

لو أن عينَ زهيرٍ عاينتَ حسناً وكيف يصنعُ في أمواله الكرمُ
إذا لقال زهيرٌ حينَ يبصرُهُ هذا الجوادُ على العلاتِ ، لا هرمُ

قلت : وحديث زهير وهرم بن سنان المذكور في آخر هذا الكتاب في ترجمة
يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح فليكشف منه ؛ وللحسن بن سهل في ترجمة
أبي بكر محمد الخوارزمي الشاعر ذكر فلينظر هناك .

والسرخسي - بفتح السين والراء المهملتين وسكون الحاء المعجمة وبمدها
سين مهملة - هذه النسبة إلى سرخس وهي من بلاد خراسان .

١ زيادة من ص ، لم ترد في المسودة وسائر النسخ .

الوزير المهلبى

أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبى الوزير ؛ كان وزير مُعز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُويّته الديلمي - المقدم ذكره في حرف الهمزة - تولى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة. وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به ، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله . وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة ، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالاً :

ألا مَوْتُ يُباعُ فأشترِبُه فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه
ألا مَوْتُ لذيذُ الطعمِ يأتي يُخَلِّصُنِي من العيشِ الكريه
إذا أَبصرتُ قبراً من بعيدٍ ودِدْتُ لَوَ اني مما يليه
ألا رَحِمَ المهيمنِ نفسٌ حُرٌّ تَصَدَّقَ بالوفاءِ على أخيه

وكان معه رفيق يقال له : أبو عبد الله الصوفي ، وقيل أبو الحسين المسقلاني ، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً وطبخه وأطعمه ، وتفارقا . وتنقلت بالمهلبى الأحوال ، وقولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور ، وضاعت الحال

١٧٨ - ترجمة الوزير المهلبى وأخباره في كتب التاريخ العامة ، وانظر المنتظم ٧ : ٩ واليتمية ٢ : ٢٢٤ والقوات ١ : ٢٥٦ وورودها في القوات وهو استدراك على ابن خلكان مما يحسن التوقف عنده ، وشذرات الذهب ٣ : ٩ ومعجم الأدباء ٩ : ١١٨ .

١٠ اليتيمة : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ : روح .

برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم^١، وبلغه وزارة المهلبى فقصده وكتب إليه:

ألا قبلُ للوزير فِدَتَهُ نفسي مَقالة مُذكَرٍ^٢ ما قد نَسِيهِ
أتذكر إذ تقول لَضَنكَ عِيشٍ^٣ «ألا موت يباع فأشتريه»

فلما وقف عليه تذكره وهزته أَرِيحِيَّةُ الكرم ، فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقع في رقعته^٤ ﴿مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به .

ولما ولي المهلبى الوزارة بعد تلك الإضاعة عمل :

رَقَّ الزمانُ لفاقتي ورثى لطول تحرُّقي
فأنا لني ما أرتجيه وحادَ عما أتقي
فلأصْفَحَنَّ عما أنا^٥ من الذنوبِ السُّبُقي
حقى جنايته بما صنَعَ المشيبُ بمفرقي

وله أيضاً^٦ :

قال لي مَنْ أَحَبُّ والبينُ قد جَدَّ وفي مُهْجتي لهيبُ الحريقِ^٧
ما الذي في الطريقِ تَصْنَعُ بعدي قلت أبكي عَلَيْكَ طولَ الطريقِ

ومن المنسوب إليه في وقت الإضاعة من الشعر ما كتبه إلى بعض الرؤساء،

١ أ ج : في السفارة التي اشترى له فيها اللحم .

٢ أ واليئيمة : مقال مذكر .

٣ أ : لضيق ج : حال .

٤ د : قصته .

٥ اليئيمة : ما أرتجيه وأجار بما .

٦ ج : فلأغفرن له الكثير .

٧ اليئيمة : ٢٣٩ والفوات : ٢٥٨ .

٨ اليئيمة : والبين قد بدد دمعي مواصلاً للشهيق .

وقيل إنها لأبي نواس :

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرّضت على الموتى حياة بعيشٍ مثل عيشي لم يُريدوا

وقال أبو إسحاق الصابي، صاحب الرسائل : كنت يوماً عند الوزير المهلبى
فأخذ ورقة وكتب ، فقلت بديها^١ :

لهُ يدٌ برّعتُ جوداً بنائها ومنطقٌ درّه في الطّرس ينتثرُ
فحاتمٌ كامنٌ في بطن راحته وفي أناملها سحبانٌ مُستترُ

وكان لمعز الدولة^٢ مملوك تركي في غاية الجمال ، يدعى تكين الجامدار ، وكان
شديد المحبة له ، فبعث سريةً لمحاربة بعض بني حندان وجعل المملوك^٣ المذكور
مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلبى يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى لا مدد
الوغي ، فعمل فيه :

طفل يرقّ الماء في وجناته ويرفُّ عودُه
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهودُه
ناطوا بمقدٍ خصره سيفاً ومنطقةً تؤوده
جعلوه قائداً عسكرياً ضاع الرعيلُ ومن يقوده

وكذا كان ، فإنه ما أنجح في تلك الحركة ، وكانت الكرة عليهم .
ومن شعره النادر في الرقة قوله^٤ :

تَصَارَمَتِ الأَجْفَانُ لما صرَمْتَنِي فما نَلَّتْني إلا على عِبْرَةٍ تجري

١ الفوات : ٢٥٩ .

٢ اليتيمة : ٢٢٦ .

٣ ص : تكين .

٤ اليتيمة : ٢ : ٢٣٩ والفوات : ٢٦٠ .

ومحاسن الوزير المهلي كثيرة .

وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بالبصرة . وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخسين وثلثمائة في طريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، فوصل إليها ليلة الأربعاء فمخس خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن في مقابر قریش في مقبرة النوبختية ، رحمه الله تعالى .

والمُهَلِّيُّ - بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى المهلب المذكور أولاً ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور^٢ - وسيأتي ذكره - بقوله :

يَا مَعشَرَ الشَّعْرَاءِ دَعْوَةَ مُوجِعٍ لَا يُرْتَجَى فَرَجُ السَّلْوِ لَدَيْهِ
عَزَّوْا القَوَافِي بِالوَزِيرِ فَإِنَّهَا تَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدَّمُوعِ عَلَيْهِ
مَاتَ الَّذِي أَمْسَى الثَّنَاءَ وَرَآهُ وَالعَفْوُ عَفْوُ اللَّهِ^٣ بَيْنَ يَدَيْهِ
هَدَمَ الزَّمَانَ بِمَوْتِهِ الحِصْنَ الَّذِي كُنَّا نَفْرَمُ مِنَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ
فَلْيَعْلَمَنَّ بَنُو بُوَيْهٍ أَنَّهُ فُجِعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُوَيْهٍ

١ ر : لثلاث بقين من المحرم .

٢ معجم الأدباء ٩ : ١٣٨ .

٣ ياقوت : رجيل عفو الله .

الوزير نظام الملك

أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ؛ ذكر السمعاني ، في كتاب « الأنساب » في ترجمة الرّاذَ كان ، أنها بليدة صغيرة بنواحي طوس ، قيل إن نظام الملك كان من نواحيها ، وكان من أولاد الدّهّاقين ، واشتغل بالحديث والفقّه ، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بَلْخَ - وكان يكتب له - فكان يصادره في كل سنة ، فهرب منه وقصد داود بن ميكايل بن سلجوق ، والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة ، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له : اتخذه والدّاً ولا تخالفه فيما يشير به ، فلما ملك ألب أرسلان - كما سيأتي في موضعه من حرف الميم إن شاء الله تعالى - دَبَّرَ أمره فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، فلما مات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطئدَ المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة .

ودخل على الإمام المقتدي بالله ، فأذن له في الجلوس بين يديه ، وقال له : يا حَسَنُ ، رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك .

وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية ، وكان كثير الإنعام على الصوفية ، وسئل عن سبب ذلك فقال : أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال : اخدُم من تتفعلك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدأ ، فلم أعلم

١٧٩ - أخبار نظام الملك في الكتب التاريخية العامة ، وانظر كتاب الروضتين ١ : ٢٥ وابن العربي : ١٩٢ - ١٩٥ وتاريخ الدولة السلجوقية : ٦٦ - ٧١ وطبقات السبكي ٣ : ١٣٥ - ١٤٥ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧٣ .

١ ذكر السمعي ... نواحيها : سقط من س .

معنى قوله ، فشرب ذلك الأمير من الغد [إلى الليل] وكانت له كلاب كالسباع
تفترس الغرباء بالليل ، فغلبه السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته ،
فعلت أن الرجل كوشف بذلك ، فأنا أخدم الصوفية لملي أظفر بمثل ذلك .
وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه . وكان إذا قدم عليه إمام
الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة بالغ في إكرامها وأجلسها
في مُسنده . وبنى المدارس والرُّبُطَ والمساجد في البلاد^١ ، وهو أول من أنشأ
المدارس فاقتدى به الناس . وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين
وأربعمائة ، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ
أبو إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، فلم يحضر ، فذكر الدرس أبو نصر ابن
الصباغ ، صاحب « الشامل » ، عشرين يوماً ، ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك .
وهذا الفصل قد استقصيته في ترجمة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب
« الشامل » فليُنظر هناك . وكان الشيخ أبو إسحاق إذا حضر وقت الصلاة
خرج منها وصلى في بعض المساجد ، وكان يقول : بلغني أن أكثر آلاتها غصب^٢ .
وسمع نظام الملك الحديث وأسمعه ، وكان يقول : إني لأعلم أني لست أهلاً
لذلك ، ولكني أريد أربط^٣ نفسي في قطار^٤ النقلة لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ويروى له من الشعر قوله :

بعدَ الثمانينَ ليسَ قُوّه قدْ ذَهَبَتْ شِرَّةُ الصُّبُوّةِ
كَأَنِّي وَالْمَصَا بِكَفَّتِي مُوسَى وَلَكِنْ بِلَا نُبُوّةِ

وقيل : إن هذين البيتين لأبي الحسن محمد بن أبي الصقر الواسطي - وسيأتي
ذكره إن شاء الله تعالى - .

١ انظر المدارس التي بناها في السبكي : ١٣٧ .

٢ ص : مخصوبة .

٣ ج : أريد ربط .

٤ هـ : كتاب .

[ويروى له أيضاً - أعني نظام الملك - :

تقوَّس بعد طول العمر ظهري وداستني الليالي أيّ دوس
فأمشي والعصا تمشي أمامي كأن قوامها وتر بقوس^١

وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة بنوَقانَ ، إحدى مدينتي طوس ، وتوجَّه صُحبة ملك شاه إلى أصبهان ، فلما كانت ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة أظفر وركب في محفته^٢ ، فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوند^٣ يقال لها سَحْنَة^٤ ، قال : هذا الموضع قُتِلَ فيه خلق كثير من الصحابة زمنَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم أجمعين ، فطوبى لمن كان معهم ، فاعترضه في تلك الليلة صبيّ ديلمبي على هيئة الصوفية معه قصة ، فدعاه وسأله تناولها ، فمدَّ يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده ، فحُمِلَ إلى مضربه فمات ، وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب ، فعثر في طُنُب خيمة فوقع ، وركب السلطان إلى معسكره ، فسكَّنهم وعزَّاهم ، وحمل إلى أصبهان ودفن بها .

وقيل : إن السلطان دَسَّ عليه من قتله فإنه سئم طول حياته ، واستكثر ما بيده من الاقطاعات ، ولم يعيش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر .

ورثاه شبل الدولة أبو الهَيْجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكان خَتَنَه فإن نظام الملك زوَّجَه ابنته - فقال^٤ :

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً نفيسة صاغها الرحمنُ من شرفِ
عزَّت فلم تعرف الأيامُ قيمتها فردَّها غيرَةً منه إلى الصَّدَفِ

١ زيادة من ص س .

٢ أ ج ه : محفة .

٣ سحنة : إلى الشمال الغربي من نهاوند ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .

٤ أخبار الدولة السلجوقية : ٧١ .

وقد قيل : إنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست^١ ، فإنه كان عدو نظام الملك ، وكان كبير المنزلة عند خدومه ملك شاه ، فلما قتل رتبّه موضعه في الوزارة ، ثم إن غلمان نظام الملك وثبوا عليه فقتلوه وقطعوه إرباً إرباً في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى .

١٨٠

فخر الكتاب الجويني

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب بفخر الكتاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور ؛ كتب كثيراً ، ونسخ كتباً توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه ، وذكره العماد الكاتب في « الحريدة » وبالغ في الثناء عليه ، وقال : كان من ندماء أتاك زندي بالشام ، وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام ، ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رزّيك ، وتوطنَ بها إلى هذه الأيام ، وليس بمصر الآن من يكتب مثله ، وأورد له مقطوع^٢ شعر كتبه إلى القاضي الفاضل ، ولولا أنه طويل لذكرته .

وتوفي سنة أربع وثمانين ، وقيل : ست وثمانين وخمسمائة ، بالقاهرة ، رحمه الله تعالى^٣ .

١ انظر شرح هذا في أخبار الدولة السلجوقية : ٦٧ .

١٨٠ - ترجمة فخر الكتاب الجويني في معجم الأدباء ٩ : ٤٣ ومعجم الالقاب ٤/٣ : ١٤٣ .

٢ أ : مقاطيع .

٣ هامش س : الصحيح أنه توفي سنة ست وثمانين لأنني رأيت جزءاً بخطه ذكر أنه كتبه في سنة خمس وثمانين وأن عمره حينئذ احدى وثمانون سنة ونصف .

والجَوْنِي - بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - هذه النسبة إلى جَوْنٍ ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، ينسب إليها جماعة كثيرة من العلماء .

وكان^١ كثيراً ما ينشد لبعض العراقيين^٢ :

يَنْدَمُ المرءُ على ما فاتهُ من لُباناتٍ إذا لم يَقْضِها
وتراه فَرِحاً مُسْتَبْشِراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
إنها عِندي وأحلام^٣ الكرى لَقَرِيبٌ بعضها مِن بعضها

١٨١

الكرائيسي صاحب الشافعي

أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرائيسي البغدادي ؛ صاحب الإمام الشافعي ، رضي الله عنها ، وأشهرهم بانتساب مجلسه وأحفظهم لمذهبه ، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه . وكان متكلماً عارفاً بالحديث ، وصنف أيضاً في الجرح والتعديل وغيره ، وأخذ عنه الفقه خلق كثير .

١ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من س .

٢ نسبت هذه الأبيات لمران بن حطان (انظر مجموع شعر الخوارج : ١٩ ديوان المعاني : ٤) .

٣ : كأحلام .

١٨١ - ترجمة الكرائيسي في تاريخ بغداد ٨ : ٦٤ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٥٩ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥١ والفهرست : ١٨١ . وانظر «الكرائيسي» في الأنساب واللباب .

وكان الكرائيسي أولاً على منذهب أهل الرأي ثم تفقه للشافعي ، وقد اختلف مع أحمد بن حنبل في بعض المسائل ، وكان من متكلمي أهل السنة وله كتاب في المقالات عول عليه من بعده في فهم مذاهب الخوارج وأهل الأهواء ، وله كتاب المدلسين في الحديث وكتاب «الإمامة» .

وتوفي سنة خمس وأربعين ، وقيل : سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وهو أشبه بالصواب ، رحمه الله تعالى .

والكرابيسي - بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها سين مهملة - هذه النسبة إلى الكرابيس ، وهي الثياب الغليظة ، واحدها كِرْبَاس - بكسر الكاف - وهو لفظ فارسي 'عُرْب' وكان أبو علي المذكور يبيعها فنسب إليها .

١٨٢

ابن خيران

أبو علي الحسين بن صالح بن خَيْرَانَ الفقيه الشافعي ؛ كان من جلة الفقهاء المتورِّعين وأفاضل الشيوخ ، وعُرِّضَ عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل ، فوَكَّلَ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بداره مترسماً ، فخطب في ذلك فقال : إنما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل ، وكان يُعَاتَبُ أبا العباس ابن سُرَيْجَ علي توليته ، ويقول : هذا الأمر لم يكن فينا ، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة ، رضي الله عنه .

[ومثل هذا : دعا عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عمر فقال : اذهب ، كن قاضياً . قال : أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال : لا ، اذهب كن قاضياً ، قال : لا تعجل يا أمير المؤمنين ، ألم تسمع رسول الله (ص) يقول : من عاذ بالله فقد عاذ بماذا؟ قال : بلى ، قال : فإني أعوذ بالله أن أكون قاضياً ، قال : وما يمنعك من ذلك وأبوك كان يقضي بين الناس؟ قال : يمنعني قول النبي

١ رس : عجمي .

١٨٢ - ترجمة ابن خيران في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٣ وتاريخ

بغداد ٨ : ٥٣ والمنتظم ٦ : ٢٤٤ .

(ص) : من كان قاضياً بين المسلمين ففضى يجهل فهو في النار ، ومن كان قاضياً بحق أو بعدل سأل أن ينفلت كفافاً ، فما أرجو من القضاء بعد هذا ؟^١ .
 وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلثمائة ، قاله أبو العلاء ابن العسكري ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : توفي في حدود سنة عشر وثلثمائة ، وصوبه الحافظ أبو بكر الخطيب في ذلك ، وقال : وهيم أبو العلاء العسكري^٢ ، رحمه الله تعالى .
 وخيران : بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف نون .

١٨٣

القاضي حسين

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المرورودي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه ؛ كان إماماً كبيراً صاحبَ وجوهٍ غريبة في المذهب ، وكلّمها قال إمام الحرمين في كتاب « نهاية المطلب » والغزالي في « الوسيط والبسيط » : « وقال القاضي » فهو المراد بالذكر لا سواه . أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المرورزي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في العبادلة - وصنّف في الأصول والفروع والخلاف ، ولم يزل يحكم بين الناس ويُدَرِّس ويفتي ، وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان ، منهم أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي صاحب كتاب « التهذيب » وكتاب « شرح السنّة » وغيرهما .

١ ما بين ممقنين زيادة من د .

٢ الصواب أن أبا عبد الله (لا أبو العلاء) الحسين بن محمد بن عبيد العسكري ينقل عن أبي العلاء محمد الواسطي تاريخ وفاة ابن خيران ، فالذي وقع في الوهم هو الواسطي .

١٨٤ - ترجمة القاضي حسين المرورودي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٥ .

وتوفي في سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمَرورُوذ ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على مروروذ في حرف الهمزة .

١٨٤

أبو علي السنجي

أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي الفقيه الشافعي ؛ أحدُ الأئمة المتقنين^١ ، أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر عبد الله القفال المرؤزيّ هو والقاضي حسين الذي تقدم ذكره والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وشرح الفروع التي لأبي بكر ابن الحداد المصري^٢ شرحاً لم يُقاربه فيه أحد ، مع كثرة شروحها ، فإن القفال شيخه . شرحها ، والقاضي أبو الطيب الطبري شرحها ، وغيرهما ، وشرح أيضاً كتاب « التلخيص »^٣ لأبي العباس ابن القاص شرحاً كبيراً ، وهو قليل الوجود ، وله كتاب « المجموع » وقد نقل منه أبو حامد الغزالي في كتاب « الوسيط » وهو أول من جمع بين طريقي العراق وخراسان ، وكان فقيه أهل مروروذ في عصره . وكان يقال في عصره : الأئمة بخراسان ثلاثة : مكثر محقق ومقلّ محقق ومكثر غير محقق ، فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمقلّ المحقق أبو محمد الجويني

١٨٤ - ترجمة السنجي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٠ .

١ ج : المتقين ، وفي سائر النسخ : المتقدمين ، وأثبتنا ما في مسودة المؤلف .

٢ توفي أبو بكر ابن الحداد سنة ٣٤٥ وكتابه الفروع في مذهب الشافعي صغير الحجم إلا أنه دقق المسائل فيه غاية التدقيق ، ومن شراحها عدا من ذكره المؤلف أبو إسحاق الاسفرايني (٤١٨) وأبو القاسم الفوراني (٤٦١) وأبو بكر الصيدلاني .

٣ هو التلخيص في الفروع لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب ابن القاص الطبري (-٣٣٥) .
ومن شرحه القفال والاستراباذي محمد بن الحسن (-٣٨٦) .

والمكثر غير المحقق ناصر المروزي^١ .

وكانت وفاته في سنة نيفٍ وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والسنجى - بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم - نسبة إلى
سنج ، وهي قرية كبيرة من قرى مرو .

١٨٥

الفراء البغوي

أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء ، البَغَوِيُّ الملقب ظهير الدين^٢ الفقيه الشافعي المحدث المفسر ؛ كان بجرأ في العلوم ، وأخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد - كما تقدم في ترجمته - وصنف في تفسير كلام الله تعالى ، وأوضح المشكلات من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى الحديث ودرّس ، وكان لا يُلقَى الدرس إلا على الطهارة ، وصنف كتباً كثيرة ، منها كتاب « التهذيب » في الفقه ، وكتاب « شرح السنة » في الحديث ، و« معالم التنزيل » في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب « المصابيح » و« الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك .

توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة^٣ بمروروذ ، ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان ، وقبره مشهور هنالك ، رحمه الله تعالى .

ورأيت في كتاب « الفوائد السفرية » التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين

١ وكان يقال ... المروزي : ثبت في مسودة المؤلف ونسخة ص وحدهما .
١٨٥ - ترجمة الفراء البغوي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٤ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٤٥ .
(استطراداً لا من أصل التاريخ) .

٢ الملقب ظهير الدين : من ص ومسودة المؤلف وحدهما .

٣ س : ست عشرة وخمسمائة ؛ ص : عشرين .

عبد العظيم المنذري أنه توفي في سنة ست عشرة وخمسة^١ ، ومن خطه نقلت هذا ، والله أعلم . ونقلت عنه أيضاً أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئاً ، وأنه كان يأكل الخبز البَحْت ، فعُدِل في ذلك ، فصار يأكل الخبز مع الزبيب^٢ .

والفرّاء : نسبة إلى عمل الفراء وبمعناها .

والبَقَوِي - بفتح الباء الموحدة والفتحة المعجمة وبعدها واو - هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهرات يقال لها بَغ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وضم الشين وبعدها واو ساكنة ثم راء - وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل ، هكذا قال السمعاني في كتاب « الأنساب » .

١٨٦

الحليمي

أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حكيم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ ولد بجرّجان^٣ سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وحمل إلى بخارى، وكتب الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره ، وتفقه على أبي بكر الأودني؛ وأبي بكر القفال ، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء

١ كذا ورد أيضاً في طبقات السبكي .

٢ قوله : ورأيت ... الزبيب : سقط من س ؛ ص ر : بالزبيب .

١٨٦ - ترجمة الحليمي في طبقات السبكي ٣ : ١٤٧ والأنساب واللباب : « الحليمي » .

٣ ج : بخراسان .

٤ أ : الأزدي ، والأودني بضم الألف وسكون الواو وفتح الدال المهملة والتون نسبة إلى أردنة وهي من قرى بخارى .

النهر ، وله في المذهب وجوه حسنة ، وحدث بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره .

وتوفي في جمادى الاولى - وقيل في شهر ربيع الأول - سنة ثلاث وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ونسبته إلى جده حلیم المذكور .

١٨٧

الوئي الحاسب

أبو عبد الله الحسين بن محمد الوئيّ الفرّضيّ الحاسب ؛ كان إماماً في الفرائض وله فيها تصانيف كبيرة مليحة أجاد فيها ، وسمع الحديث من أصحاب أبي علي الصفّار وغيرهم ، وسمع منه أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبّري صاحب « التلخيص » في الحساب والخطيب التبريزي وغيرهما ، وهو شيخ الخبّري في علم الحساب والفرائض ، وانتفع به وبكتبه خلق كثير .

وتوفي شهيداً ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في فتنة البساسيري المقدم ذكره .

والوئيّ - بفتح الواو وتشديد النون - هذه النسبة إلى وئ ، وهي قرية من أعمال قهستان أظنه منها .

١٨٧ - ترجمة الوئي في طبقات السبكي ٣ : ١٦٣ والأنساب واللباب « وئي » ونكت اضميان : ١٤٥ .

ابن خميس الكعبي

أبو عبد الله^١ الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس بن عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصلِي الجهنِي الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي ببغداد وعن غيره ، وولي القضاء برحبة مالك بن طوق ، ثم رجع إلى الموصل وسكنها ، وصنف كتباً كثيرة ، منها « مناقب الأبرار »^٢ على أسلوب رسالة القشيري ، ومنها « مناسك الحج » و « أخبار المنامات » .

ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه ، وأثنى عليه .

وكان يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر - المقدم ذكره - في وزير عميد الدولة ابن جبير ، قوله :

من آلة الدست لم يؤت الوزير سوى (البيتين)^٣

وخميس جدّه الأعلى .

وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة^٤ ، رحمه الله تعالى . والجهني - بضم الجيم وفتح الهاء وبعدها نون - هذه النسبة إلى جهينة ، وهي قرية قريبة من الموصل تُجاور القرية التي فيها العين المعروفة بعين القيارة

١٨٨ - ترجمة ابن خميس الكعبي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٧ .

١ س : أبو عبد الرحمن .

٢ ذكر فيه أنه تتبع مسموعاته وما جمعه العلماء من أخبار الصالحين كطبقات السلمي والحليّة وبهجة الأسرار والرسالة القشيرية ، فجمع الجميع بحذف الأسانيد .

٣ انظر ج ١ : ٥٩ من هذا الكتاب .

٤ ولد الكعبي في ٢٠ محرم سنة ٦٦٦ هـ بالموصل .

التي ينفع الاستحمام بماؤها من الفالج والرياح الباردة ، وهي مشهورة ، وهما في برّ الموصل أسفل من الموصل ، وجهينة أقرب من عين القيارة ؛ والجهني أيضاً نسبة إلى جهينة وهي قبيلة كبيرة من قضاة .

والكعبي - بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى بني كعب ، وهم أربع قبائل ينسب إليها ، ولا أعلم المذكور إلى أيها ينتسب .

والموصلي معروف .

١٨٩

الحلاج

أبو مُغِيثُ^١ الحسين بن منصور الحلاجُ الزاهد المشهور ؛ هو من أهل البَيْضَاء وهي بلدة بفارس ، ونشأ بواسط والمراق ، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره ، والناس في أمره مختلفون : فمنهم من يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره . ورأيت في كتاب « مشكاة الأنوار » تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله ، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله « أنا الحق » وقوله « ما في الجبة إلا الله » وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها

١٨٩ - ترجمة الحلاج وأخباره في الفهرست : ١٩٠ - ١٩٢ وطبقات السلمي : ٣٠٧ ولسان الميزان ٢ : ٣١٤ وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٨ وتاريخ بغداد ٨ : ١١٢ ومرآة الجنان ٢ : ٢٥٣ وتاريخ ابن الأثير ٨ : ١٢٦ والمتنظم ٦ : ١٦٠ والفخري : ٢٣٤ وابن كثير ١١ : ١٣٢ وتجارب الأمم ١ : ٧٦ وصلة عريب : ٨٦ ، وانظر أخبار الحلاج من جمع ماسينيون (باريس ١٩٥٧) وديوانه (جمع ماسينيون ، المجلة الآسيوية ، باريس ١٩٣١) وقد نشر ماسينيون أيضاً « الأصول الأربعة » وتتعلق بسيرة الحلاج (باريس ١٩١٤) وألف فيه رسالة بعنوان : *La Passion d'al-Hosayn-ibn-Mansour al-Hallaj* (Paris 1922) .

١ كنيته في بعض المصادر تختلف عما أثبتته المؤلف .

وحملها كلها على محامل حسنة ، وأولها ، وقال : هذا من فرط الهبة وشدة
الوجد ، وجمل هذا مثل قول القائل^١ :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن رُوْحان حَلَلنا بَدَنا
فإذا أبصرتني أبصرتَه وإذا أبصرتَه أبصرتنا

[وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه انه كان يظهر
الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويميدها مملوءة دراهم عليها مكتوب : قل
هو الله أحد ، ويسميا دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في
بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائر الناس ، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول؛
وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلفهم في المسيح عليه السلام ، فمن قائل إنه
حل فيه جزء إلهي ويدعي فيه الربوبية ، ومن قائل إنه ولي الله تعالى وان
الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ، ومن قائل انه ممخرق ومستغش
وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها .

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر
لا يستظل تحت سقفٍ شتاء ولا صيفاً ، وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء
أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من
جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار . وكان شيخ الصوفية
بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل
قد صعد إلى جبل أبي قبيس ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوفاً
الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال :
هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته ؛
وعاد الحسين إلى بغداد . انتهى كلام ابن الأثير^٢ .

١ ديوان الحلاج : ٩٣ .

٢ زيادة من النسخة أ (قارن ابن الأثير ٨ : ١٢٦) .

[وكان في سنة ٢٩٩ ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بجلول اللاهوت في الأشراف من الناس ، وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم ، ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية ، فبعث به المقتدر إلى عيسى لينظره ، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة ، فحكى انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه : قف من حيث انتهيت ولا تزد علي شيئاً وإلا خسفت الأرض من تحتك ، وكلاماً في هذا المعنى ، فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة ٣٠٩ إلى حامد بن العباس الوزير ، فحدث غلام لحامد كان موكلاً بالحلاج قال : دخلت عليه يوماً ومعى الطبق الذي عادني أن أقدمه إليه كل يوم ، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع ، فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت ؛ وحمّ هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموماً ، فكذبه حامد وشمه وقال : ابعد عني ؛ وكان دخوله إلى بغداد مشهراً على جل وحبس في دار المقتدر ، وأفق العلماء بإباحة دمه .

وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها ، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم ، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعمى في كل أحد شهوراً ، ثم أظهر أنه زَمِنٌ فكان يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول انه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه ، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني ، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح ، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرّد في الجامع فقال الأعمى : احلوني إليه ، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له : يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادعُ الله تعالى لي ، فقال : ومن أنا وما تحكي ؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً ، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج ، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعمى المبرأ مما فيه

شهوراً ثم قال لهم: ان من حق الله عندي ورده جوارحي عليّ أن أنفرد بالعبادة
انفراداً أكثر من هذا ، وأن يكون مقامي في الغزو ، وقد عملت على الخروج
إلى طرسوس ، فمن كانت له حاجة يحملها ، فأخرج هذا ألف درهم وقال : اغز
بهذه عني ، وأخرج هذا مائة دينار وقال : اخرج بها غزاة من هناك ، وأعطاه
كل أحد شيئاً فاجتمع له ألوف دنانير ودرهم ، فلحق بالحجاج وقاسمه عليها .

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي
عمر وقد قرئ عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد في
داره شيئاً لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام
الحج طاف حوله طوافه بالبيت الحرام ، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك
ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم
إلى ذلك البيت وقدم إليهم ذلك الطعام وتولى خدمتهم بنفسه ، فإذا أكلوا
وغسلوا أيديهم كسا كل واحد منهم قميصاً ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة ،
فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج ، فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي
وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب « الإخلاص » للحسن البصري ،
فقال له أبو عمر : كذبت يا حلاج ، اللهم قد سمعنا كتاب « الإخلاص » للحسن
بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت^١ الخ .

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله^٢ :

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ كنتُ ، ولا
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ لم أكنْ

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح^٣ :

ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياكَ إياكَ أن تبتلَّ بالماءِ

١ زيادة من النسخة د .

٢ ديوانه : ١١٨ .

٣ ديوانه : ١٢٢ .

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبغي على هذا الأسلوب .
وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري : سمعت الحسين بن منصور وهو على
الخشبة يقول :

طلبتُ المستقرَّ بكلِّ أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مُستقرًّا
أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا

والبيت الذي قبل قوله :

لا كنت إن كنت أدري . . .

أرسلت تسأل عني كيف كنت وما لاقيت بعدك من همٍّ ومن حزنٍ

وقيل : إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن
حاله ، فكتب إليه هذين البيتين ، والله أعلم .

وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر .

وكان جدُّه مجوسياً وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومن في طبقتة ، وأفتى
أكثر علماء عصره بإباحة دمه .

ويقال : إن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول : هذا رجل خفي
عني حاله ، وما أقول فيه شيئاً . وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن
العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتى بحل دمه وكتب خطه
بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء ، فقال لهم الحلج : ظهري
حمي ودمي حرام ، وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه^٢ ، وأنا اعتقادي
الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من

١ عن إبراهيم بن شيان قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلج فقلت : يا أبا العباس ما
تقول في فتوى هؤلاء في قتل هذا الرجل ؟ قال : لهم نسوا قول الله تعالى « أتقتلون رجلاً أن
يقول ربي الله » . وقال الراسبي : قلت لابن سريج : ما تقول في الحلج ؟ قال : أما أنا فأراه
حافظاً للقرآن عالماً به مamerأ في الفقه عالماً بالحديث ... (أخبار الحلج : ١٠٦) .

٢ أ : يبيحه الأئمة .

الصحابية ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ، ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس ، وحُمِلَ الحلاج إلى السجن .

وكتب الوزير إلى المقدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى ، فعاد جواب المقدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليُسلَّم إلى صاحب الشرطة ، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط ، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ، ثم تُضرب عنقه ، فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقدر ، وقال : إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبتة وتحرق جثته ، وإن خدعك وقال لك : أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة ، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه ، فتسلمه الشرطي ليلاً ، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين ، وقيل لست بقين من ذي القعدة^١ ، سنة تسع وثلاثمائة ، فأخرجه عند باب الطاق ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم ، وضربه الجلاد ألف سوط ، ولم يتأوه بل قال للشرطي لما بلغ ستائة : ادع بي إليك ، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية^٢ ، فقال له : قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل ، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ، ثم حزّ رأسه وأحرق جثته ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر ، وجعل أصحابه يَعدُّون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً .

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها . وادّعى بعض أصحابه أنه لم يُقتل ، وإنما ألقى شبهه على عدو له .

[وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم : لعلمكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول ؛ ومن شعره المنسوب إليه :

١ ج : ذي الحجة . ٢ في المسودة : قسطنطينية .

مضى سهرت عيني لغيرك أو بكت فلا بلغت ما أمّلت وتمنّيت
وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت بأرض المنى من وجنتيك وجنتي^١

وشرح حاله فيه طول ، وفيما ذكرناه كفاية .

والحلّاج : بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم . وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلّاج واستقضاه شغلاً ، فقال الحلّاج : أنا مشتغل بالحلّج ، فقال له : امض في شغلي حتى أحلج عنك ، فمضى الحلّاج وتركه ، فلما عاد رأى قُطْنَهُ جميعه مخلوجاً . [وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها ، فسمي بذلك حلّاج الأسرار]^١ .

والبيضاء : بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة ممدودة^٢ .

قلت : وبعد الفراغ من هذه الترجمة ، وجدت في كتاب « الشامل » في أصول الدين ، تصنيف الشيخ العلامة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني رحمها الله تعالى - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فصلاً ينبغي ذكره هنا والتنبيه على الوهم الذي وقع فيه ، فإنه قال ، وقد ذكر طائفة من الأثبات الثقات : إن هؤلاء الثلاثة تواصلوا على قلب الدولة ، والتعرض لإفساد المملكة ، واستعطاف القلوب واستمالتها ، وارتاد كل واحد منهم قطراً : أما الجَنْتَابِيُّ فأكناف الأحساء ، وابن المقفع توغل في أطراف بلاد الترك ، وارتاد الحلّاج قطر بغداد ، فحكم عليه أصحابه بالهلكة والقصور عن درك الأمانة لبعده أهل العراق عن الانخداع ؛ هذا آخر كلام إمام الحرمين ، رحمه الله .

قلت : وهذا كلام لا يستقيم عند أرباب التواريخ ، لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد : أما الحلّاج والجَنْتَابِيُّ فيمكن اجتماعها لأنها كانتا في عصر واحد ، ولكن لا أعلم هل اجتماعهما أم لا . والمراد بالجَنْتَابِيُّ هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، رئيس القرامطة ،

١ زيادة من د .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في س .

وحديثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء والملوك مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بشرحه في هذا المكان ، بل إن يسر الله تعالى تحرير التاريخ الكبير ، فسأذكر فيه حديثهم مستوفى ، إن شاء الله تعالى .

وبعد أن جرى ذكرهم ، فينبغي أن نذكر منه فصلاً مختصراً ههنا ، حتى لا يخلو هذا الكتاب من حديثهم ، فأقول :

إن شيخنا عز الدين أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ذكر في تاريخه الكبير الذي سماه « الكامل » أول أمرهم ، وأطال الحديث فيه ، وشرح في كل سنة ما كان يجري لهم فيها ، فاخترت ههنا شيئاً من ذلك طلباً للإيجاز .

وأول ما شرع فيه في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فقال^١ : في هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يُعرفون بالقرامطة ، ثم بسط القول في ابتداء أمرهم ، وحاصله : أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف ، وكان يسفّ الخوص ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت ، رضي الله عنهم ؛ وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال أوجبّت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة .

(23) ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين^٢ : وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنّابي بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم ، ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز إليهم الخليفة المعتضد بالله جيشاً يقاتلهم مُقدّمه العباس بن عمرو الغنوي ، فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحاب العباس وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان سنة سبع وثمانين فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى وأحرقهم ، واستبقى

١ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٤٤ .

٢ المصدر السابق : ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥١١ .

العباس ثم أطلقه بعد أيام وقال له : امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت ،
فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المعتضد فخلع عليه .
ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت
بين الطائفتين وقعات يطول شرحها .

ثم قُتِل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلثمائة^١ ، قتله خادم له في الحمام
وقام مقامه ولدهُ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ، ولما قُتِل أبو سعيد كان قد
استولى على هَجَرَ والقَطِيفِ والطائف وسائر بلاد البحرين .

(24) وفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة^٢ في شهر ربيع الآخر منها ، قصد
أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صعدوا إليها ليلاً بسلام
الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ثاروا إليهم فقتلوا متولي البلاد ووضعوا
السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها
الأموال ، ثم عاد إلى بلده ، ولم يزالوا يعيشون في البلاد ويكثرون فيها الفساد
من القتل والسيب والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فحجج الناس
فيها ، وسلموا في طريقهم .

ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فنهبوا أموال الحجاج
وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ؛ وقلع الحجر الأسود وأنفذه
إلى هَجَرَ ، فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين
وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في
بئر زمزم ودفن الباقيين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة على
أحد منهم . وأخذ كسوة البيت فقسما بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ،
فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب إفريقية - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى -
كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول له :
حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر واسم الإلحاد بما قد فعلت ، فإن لم

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٨٣ .

٢ المصدر السابق : ١٤٣ ، ١٤٧ .

تردّ على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما قد أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة ، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة . فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فردّه . ثم ذكر شيخنا ابن الأثير في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أن القرامطة ردّوا الحجر إلى مكة وقالوا : أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمرٍ . وكان بَجَكَمُ التركي أمير بغداد والعراق قد بذل لهم في ردّه خمسين ألف دينار فلم يرُدّوه ، وردّوه الآن . وقال غير شيخنا : إنهم ردّوه إلى مكانه من الكعبة المعظمة لخمس خلون من ذي القعدة ، وقيل من ذي الحجة من السنة ، في خلافة المطيع لله ، وإنه لما أخذوه تفسّخ تحته ثلاثة جمال قوية من ثقله ، وحملوه لما أعادوه على جمل واحد ضعيف فوصل به سالماً .

قلت : وهذا الذي ذكره شيخنا - من كتاب المهدي إلى القرمطي في معنى الحجر ، وأنه رده لذلك - لا يستقيم ، لأن المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين ، فقد ردّوه بعد موته بسبع عشرة سنة ، والله أعلم .

ثم قال شيخنا عقيب هذا : ولما أرادوا ردّه حملوه إلى الكوفة ، وعلّقوه بجامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة ، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة .

قلت : وقد ذكر غير شيخنا أن الذي رده هو ابن سنبر ، وكان من خواص أبي سعيد .

ثم ذكر شيخنا في سنة ستين وثلاثمائة أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين - وقد سبق في ترجمة جعفر المذكور طرف من خبر هذه القضية - ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم .

قلت : وعلى الجملة فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من

المسلمين ، وقد ملكوا كثيراً من بلاد العراق والحجاز وبلاد الشرق والشام إلى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هَجَرَ ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

والقِرْمِطِي : بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ؛ والقِرْمِطَة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض ، يقال : خط مُقَرْمَط ، ومثني "مقرمط" ، إذا كان كذلك . وكان أبو سعيد المذكور قصيراً مُجْتَمِعَ الخلق أسمر كربه المنظر ، فلذلك قيل له قِرْمِطِي . وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلائي فصلاً طويلاً من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » .

وأما الجَنَابِي : فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعده الألف باء موحدة ، وهذه النسبة إلى جَنَابَة ، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سِيرَاف ، والقرامطة منها ، فنسبوا إليها .

والأحساء - بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ثم همزة ممدودة - وهي كورة في تلك الناحية ، فيها بلاد كثيرة منها جنابة المذكورة وهَجَرُ والقَطِيفُ - وهي بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء - وغير ذلك من البلاد ؛ والأحساء : جمع حِسِي - بكسر الحاء وسكون السين المهملة - والحسي : ماء تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه . ولما كانت هذه الأرض كثيرة الأحساء سميت بهذا الاسم ، وصار علماء عليها لا تُعرف إلا به .

وأما البحرين فقد قال الجوهري في كتاب « الصحاح » : البحرين بلد ، والنسبة إليه بَحْرَانِي ، وقال الأزهري : إنما تَنَسَّوا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هَجَرَ بينها وبين البحر الأخضر الأعظم عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها ، وهو راكد زُعَاق ، وهذه النواحي كلها بلاد العرب ، وهي وراء البصرة تتصل بأطراف الحجاز وهي على ساحل البحر المتصل باليمن والهند ، بالقرب من جزيرة قيس ابن عميرة وهي التي تسميها العامة كيش ، وهي في وسط البحر بين عمان وبلاد فارس ، وفي تلك الناحية أيضاً رامهرمز وغيرها من البلاد ، والله أعلم .

(25) وأما ابن المقفع^١ فهو عبد الله ابن المقفّع^٢ الكاتب المشهور بالبلاغة ، صاحب الرسائل البديعة ، وهو من أهل فارس ، وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح والمنصور الخليفين الأولين من خلفاء بني العباس ، ثم كتب له واختص به . ومن كلامه « شربت من الخُطْبِ رِيّاً ، ولم أضبط لها رَوِيّاً ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي هي نِظاماً ، وليست غيرُها كلاماً » . وقال الهيثم ابن عدي : جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له : قد دخل الإسلام في قلبي ، وأريد أن أسلم على يدك ، فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحض من القواد ووجوه الناس ، فإذا كان الغد فاحضر؛ ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع يأكل ويُزْمَزِم على عادة الجوس ، فقال له عيسى : أتزرم وأنت على عزم الإسلام ؟ فقال : أكره أن أبيت على غير دين ، فلما أصبح أسلم على يده . وكان ابن المقفع مع فضله يُتَّهَم بالزندقة ، فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يُتَّهَمون في دينهم ؛ قال بعضهم : فكيف نسي الجاحظ نفسه ؟ وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع ؛ وقال الأصمعي : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها « الدرة اليتيمة » التي لم يصنّف في فنّها مثلها ؛ وقال الأصمعي : قيل لابن المقفع : مَنْ أدبَكَ ؟ فقال : نفسي ، إذا رأيت من غيري حسناً أتيته وإن رأيت قبيحاً أبيت . واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض ، فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه . ويقال : إن ابن

١ وضع وستيفلد هذه الترجمة رقماً .

٢ ترجمة ابن المقفع في الجهشباري : ١٠٩ والفهرست : ١١٨ وابن أبي أصيبعة : ١ : ٣٠٨ ، وله ترجمة في أنساب الأشراف نشرها الدكتور محمد نجم بمجلة الأبحاث (بيروت ١٩٦٣) وقد كتبت عن ابن المقفع كتب عديدة منها لخليل مردوم وعباس أقبال (بالفارسية) وعبد اللطيف حمزة وغفراني الخراساني ، وفي الجزء الأول من ضحى الإسلام فصل عنه وكذلك لجراييلي بحث (مضمن في كتاب من تاريخ الاحاد في الاسلام) وبحث لكرأوس (مضمن في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوي) وانظر بروكلمان (٣ : ٩٢ - ١٠٢ من الترجمة العربية) .

المقفع هو الذي وضع كتاب « كليلة ودمنة » ، وقيل : إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربه ونقله إلى العربية ، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه . وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير البصرة وينال من أمه ولا يسميه إلا بابن المغتلمة ، وكثر ذلك منه ، فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة - وهما عما المنصور - ليكتبا أماناً لأخيها عبد الله بن علي من المنصور ، وكان عبد الله المذكور قد خرج على ابن أخيه المنصور وطلب الخلافة لنفسه ، فأرسل إليه المنصور جيشاً مقدّمه أبو مسلم الخراساني ، فانتصر أبو مسلم عليه . وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى ، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور ، فتوسّط له عند المنصور ليرضى عنه ، ولا يؤاخذه بما جرى منه ، فقبل شفاعتهما ، واتفقوا على أن يُكتب له أمانٌ من المنصور ، وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ . وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبني الكلام بعضه على بعض . فلما أتيا البصرة قالوا لعبد الله ابن المقفع : اكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور . وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي ، فكتب ابن المقفع الأمان وشدّد فيه حتى قال في جملة فصوله : « ومتى غدرَ أميرُ المؤمنين بعمه عبد الله بن علي ، فنساؤه طواقق ، ودوابه حُبُس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حِلٍّ من بيعته » .

وكان ابن المقفع يتنوّق في الشروط ، فلما وقف عليه المنصور عَظُمَ ذلك عليه ، وقال : مَنْ كتب هذا ؟ فقالوا له : رجل يقال له عبد الله ابن المقفع يكتب لأعمامك ، فكتب إلى سفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله ، وكان سفيان شديد الحق عليه للسبب الذي تقدم ذكره ، فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان ، فأخر إذنه حتى خرج مَنْ كان عنده ، ثم أذن له فدخل ، فعدل به إلى حجرة فقُتِلَ فيها .

وقال المدائني : لما دخل ابن المقفع على سفيان ، قال له : أتذكر ما كنت تقول في أمي ؟ فقال : أنشدك الله أيها الأمير في نفسي ، فقال : أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلةً لم يقتل بها أحد ، وأمر بتَسْوِيرِ فسُجِّرَ ، ثم أمر بَابن المقفع

فقطعت أطرافه عضواً عضواً ، وهو يلقيها في التنور ، وهو ينظر ، حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطبق عليه التنور ، وقال : ليس عليّ في المثلة بك حرّج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس .

وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل : إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها ، فخاصمها إلى المنصور ، وأحضراه إليه مقيداً ، وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج ، فأقاموا الشهادة عند المنصور ، فقال لهم المنصور : أنا أنظر في هذا الأمر ، ثم قال لهم : أرأيتم إن قتلتم سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت - وأشار إلى باب خلفه - وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم ؟ أقتلكم بسفيان ؟ ! فرجموا كلهم عن الشهادة ، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره ، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور . ويقال : إنه عاش ستاً وثلاثين سنة .

وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً ، وكان أنفُ سفيان كبيراً ، فكان إذا دخل عليه قال : السلام عليكما ، يعني نفسه وأنفه ؟ وقال له يوماً : ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة ؟ يسخرُ به على رؤوس الناس ، وقال سفيان يوماً : ما ندمت على سكوت قَطْءٍ ، فقال له ابن المقفع : الخرسُ زينٌ لك فكيف تندم عليه ؟ ! وكان سفيان يقول : والله لأقطعنه إرباً إرباً وعينُهُ تنظر ، وعزم على أن يقتاله ، فجهاه كتاب المنصور بقتله فقتله .

وقال البلاذري : لما قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع : اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا ، فقال : ابعت إليه غيبي ، فإني أخاف منه ، فقال : اذهب فأنت في أماني ، فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه ، وقيل : إنه ألقاه في بئر الحرج وردم عليه الحجارة ، وقيل أدخله حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق .

قلت : ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه « مرآة الزمان » أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة ، ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت فيها ، فيدل على أن قتله كان في

السنة المذكورة ، وفي كلام عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين .
ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة ، وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثار ابن المقفع ، فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة ، والله أعلم .
وابن المقفع له شعر ، وهو مذكور في كتاب « الحماسة » ، وسيأتي في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء المقرئ له مرثية فيه . وقد قيل : إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف ، فليُنظر فيه . وكيفما كان ، فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها ، وإذا كان كذلك ، فكيف يتصور أن يجتمع بالحجاج والجنابي - كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى - ومن هاهنا حصل الغلط ، وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق ، فكيف يقول : إنه توغل في بلاد الترك ، وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ، ولم تكن بغداد موجودة في زمنه ، فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته : فاخْتَطَّطَها في سنة أربعين ومائة ، واستم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين ، وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها ، وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة ، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تنشأ مدينة في هذا المكان ، وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلماذا لم أذكره . وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دُورُ الخلفاء ، وهي قاعدة الملك في هذا الوقت ، وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ، ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية ، فانتقلا إليها ، ثم انتقلا إلى الأنبار ، وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها ، وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل إليها .

١ هي الحماسة : ٢٨٢ (شرح المرزوقي : ٨٦٣) في رثاء يحيى بن زياد وسيوردها المؤلف في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء ؛ ولكن لعل الأرجح أن «أبا عمرو» المرثي في القصيدة ليس هو أبا عمرو ابن العلاء وتكون القصيدة صحيحة النسبة لعبد الله ابن المقفع ، قال ابن خلكان : «ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور» وإذا كان الأمر كذلك فانها ليست لعبد الله بن المقفع .

والمُقَفَّعُ - بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة - واسمه داذويه ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس قد ولاه خراج فارس فمد يده وأخذ الأموال ، فعذبه فتَقَفَّعَتْ يده فقيل له المقفع ، وقيل : بل ولاه خالد بن عبد الله القسري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وعذبه يوسف بن عمر الثقفي الآتي ذكره لما تولى العراق بعد خالد ، والله أعلم أي ذلك كان .

وقال ابن مكّي في كتاب « تثقيف اللسان » ويقولون : ابن المقفّع والصواب ابن المقفّع - بكسر الفاء - لأن أباه كان يعمل القِفَاعَ ويبيعها . قلت : والقِفَاعُ بكسر القاف جمع قَفَعَةٍ بفتح القاف ، وهي شيء يعمل من الخوص شبيه الزبيل لكنه بغير عُرْوَةٍ ، والقول الأول هو المشهور بين العلماء ، وهو فتح الفاء .

قلت : ولما وقفت على كلام إمام الحرمين - رحمه الله تعالى - ولم يمكن أن يكون ابن المقفع أحد الثلاثة المذكورين قلت : لعله أراد المقنّع الخراساني الذي ادعى الربوبية ، وأظهر القمر - كما شرحت في ترجمته بعد هذا في حرف العين - فإن اسمه عطاء ، ويكون الناسخ قد حَرَّفَ كلام إمام الحرمين فأراد أن يكتب المقنّع فكتب المقفّع فإنه يقرب منه في الخط . فيكون الغلط والتحريف من الناسخ لا من الإمام ، ثم أفكرت في أنه لا يستقيم أيضاً ، لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسّم في سنة ثلاث وستين ومائة - كما ذكرناه في ترجمته - فما أدرك الحلاج والجنّابي أيضاً .

(26) وإذا أردنا تصحيح هذا القول وأن ثلاثة اجتمعوا واتفقوا على الصورة التي ذكرها إمام الحرمين فما يمكن أن يكون الثالث إلا ابن الشلمغاني ، فإنه كان في عصر الحلاج والجنّابي ، وأموره كلها مبنية على التموهيات ، وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ ، فقال شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته^١ ، وهو : وفي هذه

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٢٩٠ ومعجم الادباء ١ : ٢٣٤ (في ترجمة إبراهيم بن أبي عون) ومعجم البلدان « شلمغان » والانساب واللباب « الشلمغاني » .

السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وسبب ذلك أنه أحدث مذهباً غالباً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك مما يحكيه ، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية « الباب » فطُلبَ ابن الشلمغاني فاستتر وهرب إلى الموصل وأقام سنين ، ثم انحدر إلى بغداد وظهر عنه أنه يدّعي الربوبية ، وقيل : إنه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وابنا بسطام وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون وغيرهم ، وطُلبوا في أيام وزارة ابن مُقَلّة للمقتدر فلم يوجدوا ، فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر ابن الشلمغاني، فقبض عليه ابن مقلة وحبسه وكبس داره ، فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً ، فعرضت على ابن الشلمغاني فأقر أنها خطوطهم وأنكر مذهبه ، وأظهر الإسلام، وتبرأ مما يقال فيه . وأحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة، فأمرًا بصفّعه فامتنعا ، فلما أكرها مدّ ابن عبدوس يده فصفّعه ، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه، وارتعدت يده وقبّلَ لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال : إلهي وسيدي ورازقي ، فقال له الخليفة الراضي بالله : قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية فما هذا ؟ فقال : وما عليّ من قول ابن أبي عون ؟ والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط ، فقال ابن عبدوس : إنه لم يدع إلهية ، إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ، ثم أحضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة ، وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فأحرق بالنار في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

(27) وذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » في ترجمة ابن أبي عون المذكور وقال : إن ابن أبي عون ضربت عنقه بعد أن ضرب بالسياط ضرباً مبرحاً لتابعته ابن الشلمغاني ، وصلب ثم أحرق بالنار ، وذلك في يوم الثلاثاء ليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة .

قلت : وابن أبي عون هو صاحب التصانيف المليحة منها « التشبيهات » و « الأجوبة المسكنة » وغير ذلك ، وكان من أعيان الكتاب .

والشلمغاني^١ - بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها ميم ثم غين معجمة
وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى شلمغان، وهي قرية بنواحي واسط، وقد
ذكره السمعاني في كتاب « الأنساب » أيضاً ، والله أعلم .

١٩٠

ابن سينا

الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور ؛ كان أبوه من
أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمال الكفاة ، وتولّى
العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا^١ من أمهات قرأها ، وولد الرئيس
أبو علي وكذلك أخوه بها ، واسم أمه ستارة^٢ وهي من قرية يقال لها أفشنة
بالقرب من خرميثنا . [ولما ولد أبو علي كان الطالع السرطان درجة شرف
المشتري والقمر على شرف درجته والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في
تسع من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعري اليابانية]^٣ .
ثم انتقلوا إلى بخارى ، وتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد ، واشتغل بالعلوم
وحصلَ الفنون، [ولما بلغ^٤ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز
والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة، ثم توجه

١٩٠ - ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا في تاريخ الحكماء : ١٣٤ ؛ وابن أبي أصيبعة : ٢٣٩ ؛ وابن
المعري : ١٨٧ ؛ وخزانة الأدب : ٤ ؛ ولسان الميزان : ٢ ؛ ٢٩١ ، وانظر البحوث التي
نشرت في كتاب المهرجان الألفي وكتاب مؤلفات ابن سينا وضع الأب جورج قنواقي (القاهرة
١٩٥٠) .

١ هـ : خرتمش .

٢ ر : سارة ؛ م : شادة .

٣ زيادة من ر .

٤ ولما بلغ ... وكان فادرة : سقط من س ص والمسودة .

نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناطلي^١ ، فأنزله أبو الرئيس أبي علي عنده ، فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب إيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي وفاقه أضعافاً كثيرة ، حتى أوضح له منها رموزاً وفهّمه إشكالات لم يكن للناطق يدٌ بها ، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، يقرأ ويبحث وينظر ، ولما توجه الناطلي نحو خوارزم شاه مأمون بن محمد اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي وغير ذلك ، ونظر في النصوص والشروح وفتح الله عليه أبواب العلوم ، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأديباً لا تكسباً ، وعلمه حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة وأصبح فيه عديم القرين فقيد المثل ، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبرأؤه يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ، وسنّه إذ ذاك نحو ست عشرة سنة . وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكالها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع ، وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له .

وذكر عند الأمير نوح بن نصر الساماني^٢ صاحب خراسان في مرض مرضه فأحضره وعالجه حتى برى ، واتصل به وقرب منه ، ودخل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته ، فظفر أبو علي فيها بكتب من علم الأوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على أكثر علومها ، واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة ، فتفرد أبو علي بما حصله من علومها ، وكان يقال : إن أبا علي توصل إلى إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه .

ولم يستكمل ثمانى عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها ، وتوفي أبوه وسنُّ أبي علي اثنتان وعشرون سنة ، وكان يتصرف

١ ب هـ : الباطلي .

٢ تولى حكم خراسان وما وراء النهر بعد أبيه نصر بن أحمد سنة ٣٣١ ولقب بالأمير الحميد ، وبقي في الحكم حتى توفي سنة ٣٤٣ ، وكان حسن السيرة كريم الأخلاق .

هو ووالده في الأحوال ويتقلدان للسلطان الأعمال .

ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بخارى إلى كركانج ، وهي قسبة خوارزم ، واختلف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد ، وكان أبو علي علي زي الفقهاء ويلبس الطيلسان ، فقررُوا له في كل شهر ما يقوم به ، ثم انتقل إلى نسا وأبيورد وطوس وغيرها من البلاد ، وكان يقصد حضرة الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء هذه الحال ، فلما أخذ قابوس وحُبس في بعض القلاع حتى مات - كما سيأتي شرحه في ترجمته في حرف القاف من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - ذهب أبو علي إلى دهستان ومرض بها مرضاً صعباً ، وعاد إلى جرجان ، وصنف بها الكتاب الأوسط - ولهذا يقال له « الأوسط الجرجاني » - واتصل به الفقيه أبو عبيد الجوزجاني ، واسمه عبد الواحد ، ثم انتقل إلى الري واتصل بالدولة ، ثم إلى قزوين ثم إلى همدان ، وتولى الوزارة لشمس الدولة ، ثم تشوش السكر عليه ، فأغاروا على داره ونهبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم أطلق فتواري ، ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمداواته واعتذر إليه وأعادته وزيراً ، ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستورزه ، فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدولة أبو جعفر ابن كاكويه ، فأحسن إليه .

وكان أبو علي قوي المزاج ، وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنه كنه ملازمته وأضعفته ولم يكن يداوي مزاجه ، وعرض له قولنج ، فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات ففرح بعض أمعائه وظهر له سحج ، واتفق سفره مع علاء الدولة ، فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به ، فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه ، فازداد السحج به من حدة الكرفس فطرح بعض غلمانة في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أن غلمانة خانوه في شيء ، فخافوا عاقبة أمره عند برئه ؛ وكان منذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يجتمى ويجامع ، فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً ، ثم قصد علاء الدولة همدان من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي ، فحصل له القولنج في الطريق ووصل إلى همدان وقد

ضعف جداً وأشرفت قوته على السقوط ، فأهلل المداواة وقال : المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدييره فلا تتفني المعالجة ، ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ، وردَّ المظالم على من عرفه وأعتق بماليكه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ، ثم مات في التاريخ الذي يأتي في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى [١] . وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه ، وصنف كتاب « الشفاء » في الحكمة ، و « النجاة » و « الإشارات » و « القانون » وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى . وله رسائل بديعة : منها رسالة « حي بن يقظان » ورسالة « سلامان وابسال » ورسالة « الطير » وغيرها ، وانتفع الناس بكتبه ، وهو أحد فلاسفة المسلمين .

وله شعر ، فمن ذلك قوله في النفس :

هَبَطْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْحُلِّ الْأَرْفَعِ	وَرَقَاءَ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْبُوبَةٍ عَنْ كُلِّ مَقَلَّةٍ عَارِفِ	وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ فَلَمْ تَتَبَرَّقِعِ
وَصَلْتَ عَلَى كَرِّهِ إِلَيْكَ وَرَبَّمَا	كَرِهْتَ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ
أَنْفَتِ وَمَا أَلْفَتْ فَلَمَّا وَاصَلْتَ	أَلْفَتْ مَجَاوِرَةَ الْخِرَابِ الْبَلَقِعِ
وَأَظْنُهَا نَسِيَتْ عَهْدًا بِالْحَمَى	وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنِعِ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتَ بِهَا هُبُوطَهَا	مِنْ مِيمٍ مَرَكْزَهَا بِذَاتِ الْأَجْرِعِ
عَلِقَتْ بِهَا نَاءَ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ	بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخَضَعِ
تَبْكِي وَقَدْ نَسِيَتْ عَهْدًا بِالْحَمَى	بِمَدَامِعِ تَهْمِي وَلَمَّا تَقْلَعِ
حَتَّى إِذَا قَرَّبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحَمَى	وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفِضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَعَدَتْ تَقَرُّدٌ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقِ	وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعِ
وَتَعُودُ عَالِمَةٌ بِكُلِّ خَفِيَّةٍ	فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَقْتُهَا لَمْ يُرْقِعِ
فَهَبُوطُهَا إِذْ كَانَ ضَرْبَةُ لَازِمٍ	لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
فَلَايَ شَيْءٍ أَهْبَطْتَ مِنْ شَاهِقِ	سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ

١ انقردت به ر . ٢ ج : لازب .

إن كان أهبطها الإله لحكمة طُوِيَتْ عن الفطن اللبيب الأروع^١
إذعاقها الشَّرْكُ الكثيف فصَدَّها قفص عن الأوجِ الفسيح الأربع
فكأنها برق تَأَلَّقَ بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع
ومن المنسوب إليه أيضاً ، ولا أتحمقه ، قوله :

اجْعَلْ غِذَاءَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً واحذَرُ طعاماً قبل هَضْمِ طعامٍ
واحْفَظْ مَنِيَّكَ ما استطعت فإنه ماء الحياة يُرَاق في الأرحامِ

وينسب إليه البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أوّل كتاب « نهاية
الاقدام » وهما^٢ :

لَقَدْ طُفْتُ فِي تِلْكَ المَعَاهِدِ كُلِّهَا وَسَيَّرْتُ طُرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ
فَلَمْ أَرِ إِلَّا واضِعاً كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنِ أَوْ قَارِعاً سِنَّ نَادِمٍ
[ومن شعره أيضاً :

هذب النفس بالعلوم لترقى فترى الكلّ في الكلّ بيت
إنما النفس كالزجاجة والعدّ م سراج وحكمة الله زيت
فهي إن أشرقت فإنك حيّ وهي إن أظلمت فإنك ميت^٣]

وفضائله كثيرة ومشهورة .

وكانت ولادته في سنة سبعين وثلثمائة في شهر صفر ، وتوفي بهمدان يوم الجمعة
من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها . وحكى شيخنا عزّ الدين
أبو الحسن علي بن الأثير في تاريخه الكبير أنه توفي بأصبهان ، والأول أشهر ،
رحمه الله تعالى .

١ ج : اللوذعي .

٢ انظر نهاية الاقدام : ٣ .

٣ زيادة من ص .

٤ تاريخ ابن الاثير ٩ : ٤٥٦ .

وكان الشيخ كمال الدين بن يونس^١ رحمه الله تعالى يقول : إن مخدومه سَخِطَ عليه واعتقله ، ومات في السجن ، وكان ينشد :

رَأَيْتُ ابْنَ سَيْنَا يُعَادِي الرَّجَالََ وَفِي السَّجْنِ مَاتَ أَحْسَنَ الْمَمَاتِ
فَلَمْ يَشْفِ مَا نَابَهُ بِالشَّفَا وَلَمْ يَنْجُ مِنْ مَوْتِهِ بِالنَّجَاةِ

وسينا : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة .

١٩١

الخليع الشاعر

أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع ، مولى لولد سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلي الصحابي رضي الله عنه ، وأصله من خُرَاسَانَ ؛ وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه ، واتصل في مجالسة الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم النديم الموصل ، فإنه قاربَه في ذلك أو ساواه ، وأول من صحب منهم الأمين محمد بن هارون الرشيد ، وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ، ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستميين ، [ما عدا المأمون ، فإنه لم يدخل

١ هو أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، كان حكيماً متزهداً يدرس بالموصل وقد أجاب عن مسائل بعث بها الانبرور (فردريك الثاني) وله عدد من المؤلفات (انظر ابن أبي أصيبعة . (٣٣٨ : ١) .

١٩١ - ترجمة الخليع في طبقات ابن المعتز : ٢٦٨ والأغاني ٧ : ١٤٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٥٤ ومعجم الأدباء ٩ : ٥ وشذرات الذهب ٢ : ١٢٣ ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستار فراج (دار الثقافة - بيروت : ١٩٦٠) .

عليه ولم يختلط به وذلك لأنه رثى الأمين فقال :

هلا بقيتَ لسدِّ فاقتنا أبداً وكان لغيرك التلفُ
قد كان فيك لمن مضى خلفُ فاليومَ أعوزَ بعدك الخلفُ

فلما ورد المأمون ببغداد أمر أن يكتب من يصلح لمنادمته من أهل الأدب ،
فأثبت له قوم وذكر فيهم الحسين بن الضحاك فقال : أليس القائل : وكان لغيرك
التلف ؟ والله لا أرى وجهه على الطريق ؛ فلم يحظَ في أيام المأمون بشيء [١] .
[وقد كان وقت خدمته للمتوكل ضعف كبراً فكتب إليه يستعفيه من الخدمة
بأبيات ٢ :

أسلفت أسلافك من خدمتي في مدتي إحدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس وقد وفيتُ بضعاً وثمانينا
إني لمروفٌ بضعفِ القوى وإن تجلجت أحايينا
فإن تحملتُ على كبرتي خدمةَ أبناءِ الثلاثينا
هدتُ قواي ووهتُ أعظمي وصرت في العلة عزونا

وعزون هذا كان نديماً للمعتصم ثم للمتوكل [٣] .

وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المهجدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات
لطيفة ووقائع حلوة . وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته . ذكره ابن المنجم
في كتابه « البارع » وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » وكل منها أورد طرفاً
من محاسن شعره ، فمن ذلك قوله ٤ :

- ١ زيادة من ر ليست في المسودة ؛ وانظر الشعر في ديوانه : ٧٩ .
- ٢ الابيات في ديوانه : ١٢١ .
- ٣ زيادة من د ر ليست في المسودة .
- ٤ وردت هذه المقطعات في ديوانه : ٥٨ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٤٥ ، ٤٣ .

صل بخدي خديك تلقَ عجبياً من معانٍ يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياضٌ وبخديّ للدموعِ غدِير

وله أيضاً :

أيا مَنْ طرفه سحرُ ويا من ريقه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفتُ لكَ لما غلب الصبر
وما أحسن في مثلكَ أن ينهتكَ الستر
فإن عنفتني الناسَ ففي وجهك لي عذر

وله :

لا وحبّيك لا أصابُ فحُ بالدمع مدمعاً
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعاً
كبدي في هواك أسقم من أن تقطعاً
لم تدعُ صورة الضنى فيّ للسقم موضعاً

وذكر في كتاب « الأغاني » أن هذه الأبيات أوردها أبو العباس ثعلب النحوي
- المقدم ذكره - للخليفة المذكور وقال : ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا.

وله :

إذا خُتّمُ بالغيب عهدي فما لكم إذا
تدلّون إِدلالَ المقيم على العهدِ
صِلوا وافعلوا فعل المدلِّ بوصله
وإلا فصدّوا وافعلوا فعل ذي الصدِّ

وله من قصيدة :

سقى الله عصراً لم أبت فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيبٍ على وعد

[وذكر أبو عبد الله ابن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال : كان يألّفني

١ أ : عهد مودتي .

فتسى من أهل الشام عجيب الخلق والشكل غليظ جلف جاف ، فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه ، وكان يأتيني بكتب عشقية له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها ، ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي يجمله لا يميز بين الخط والصواب ، ولا يفرق بين الابتداء والجواب ، فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبهت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال : بصبص ، فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها كان جاءني به :

أرقصني حبك يا بصبصُ والحبُّ يا سيدتي يرقصُ
أرمصتُ أجفاني لطول البكا فما لأجفانك لا ترمصُ
أوحشني وجهك ذاك الذي كأنه من حسنه عصص

قال : فجاءني بعد ذلك فقال : يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي : إني مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية ، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا ، فقف بجياله حتى أراك ؛ فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع ، فبينما أنا واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إلي وإذا شيء قد صبّ عليّ فملأني من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والنتن والقدر ، وإذا هو ماء قد خلط ببولٍ وسوادٍ وسرجين ، وانصرفت بخزي وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والضحك أعظم مما جرى عليّ ولحقتني من أهلي ومن منزلي، وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة ، قال : فجعلت أعتذر إليه وأقول : إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر بالثماتة به [١] .

[حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال : كنا في مجلس

١ زيادة من د ص لم ترد في المسودة ، وانظر ديوانه : ٦٩ .

ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليع بالمغنية
وجمشها فصاحت بالحسين واستخفت به ، فأنشأ الخليع يقول^١ :

لها في خدما عكَنُ وثلثا وجهها ذَقَنُ
وأَسنان كَرِيش البَطَّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا ؛
وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلها ، وكانت إذا حضرت في مجلس أنشدوا
البيتين فتجن ؛ ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خيراً .
حدث الصولي عن أحمد بن حمدون قال : أمر المتوكل بأن ينادمه الحسين بن
الضحاك ويلازمه فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقليل له : هو يطيق الذهاب إلى
القرى والمواخير فيشرب فيها ويعجز عن خدمتك ، فبلغه ذلك ؛ قال ابن حمدون :
فدفع إليّ أبياتا قالها فأوصلتها إلى المتوكل وهي قوله^٢ :

أما في ثمانين وفيتها عذيرٌ وإن أنا لم أعتذرُ
فكيف وقد جُزتها صاعداً مع الصاعدين بتسعٍ أخر
وقد رفع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصرَّ على فتنةٍ وألحد في دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله في الأرض نصب صروف القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً أتاب وإن يقضٍ سوءاً غفَّر
وقد بسط الله لي عذره فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وما للحسود وأشياعه وكذب بالوحي إلا حجر^٣

قال ابن حمدون : فلما أوصلتها شفعتها بكلام أعتذر وأقول : لو أطاق خدمة

١ ديوانه : ١٠٩ .

٢ ديوانه : ٥٢ .

٣ ديوانه : ومن كذب الحق إلا حجر .

أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال المتوكل : صدقت ، خذ له عشرة آلاف درهم فاحملها إليه ، فأخذتها وحملتها .

حدث أبو العيناء قال : حج الحسين بن الضحاك فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، وإذا جارية كأنها القمر في ليلة التم تتطلع من تحت ثيابها وتنظر إلى حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول : ما أضيعني وأضيعك ، فأنشأ الحسين يقول^٢ :

مررت بالقريتين منصرفاً من حيث يقضي ذوو الهوى النسكا
إذا فتاة كأنها قمرٌ للتم لما توسط الفلكا
واضعة كفها على حرها تقول واضيعني واضيعتك

قال : فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت : وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت !

وقال الحسين بن الضحاك : كنت جالساً في داري في يوم شاتٍ وقد أفرط المأمون وأمر الناس بالإفطار فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها^٣ :

هزرتك للصَّبوح وقد نهاني أميرُ المؤمنين عن الصيام
وعندي من قيان الكرخ عشر يطيب بها مصافحة المدام
ومن أمثالهن إذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الحرام
فكن أنت الجوابَ فليس شيء أحبَّ إليّ من حذف الكلام

فوردت رقعته وقد أرسل إلى محمد بن الحارث غلاماً له نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمان حسان ، ومعه رقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها^٤ :

سر على اسم الله يا أحسن من غصنِ لجينِ

١ وردت بعد هذا الموضع حكاية تقدمت في ترجمة المتوكل ١ : ٣٥٣ ولذلك حذفناها .

٢ ديوانه : ٩١ .

٣ ديوانه : ١٠٢ .

٤ المصدر نفسه .

في ثلاثٍ من بني الروم إلى دار حسين
فاشخص الكهل إلى مولاك يا قرّة عيني
أره العنف إن استعصى وطالبه بدين
ودع اللفظ وكلّمه بغمز الحاجبين
واحذر الرجعة من وجهك في خُفّي حنين

قال : فمضيت مع غلمان محمد بن الحارث وتركت الحسن [١] .
وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة ، رحمه الله تعالى .
وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » ، يقال : إنه وُلِدَ في سنة اثنتين وستين
ومائة .

١٩٢

ابن الحجاج الشاعر

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج ؛ الكاتب
الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره ، كان فرّداً زمانه في
فَنِّهِ ، فإنه لم يُسبق إلى تلك الطريقة ، مع عدوية الألفاظ وسلامة شعره
من التكلف ، ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، وديوانه كبير ،
أكثر ما يوجد في عشر مجلدات ، والغالب عليه الهزل ، وله في الجد أيضاً
أشياء حسنة .

وقول حَسْبَ بغداد وأقام بها مدة ، ويقال : إنه عَزَلَ بأبي سعيد

١ ما بين معقنين زيادة من ردص مع اختلاف بينها في الترتيب، ولم ترد هذه الزيادات في المسودة.
١٩٢ - ترجمة ابن الحجاج في تاريخ بغداد ٨: ١٤٤ وقيمة الدرر ٣: ١٣٦ وابن كثير ١١: ٣٢٩
ومطالع البدور ١: ٣٩ والامتناع والمؤانسة ١: ١٣٧ ومعجم الأدباء ٩: ٢٠٦ .

الإصطخري الفقيه الشافعي ، وله في غزله أبيات مشهورة لا حاجة إلى إثباتها هاهنا .

ويقال : إنه في الشعر في درجة امرئ القيس ، وإنه لم يكن بينها مثلها لأن كل واحد منها مخترع طريقة .

[وقد أفرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح والغزل وغيرهما ما جانب السخف، وكان شعراً متخيراً حسناً جيداً] ^١ ومن جيد شعره وجده هذه الأبيات :

يا صاحبي استيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الأكيس
هذي الجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها فعلام شرب الراح ^٢ غير مغلس
قوما اسقياني قهوة رومية ^٣ من عهد قيصر دنشها لم يمسس
صرفاً تضيف إذا تسلط حكامها موت العقول إلى حياة الأنفس
[وأورد له أيضاً :

نمت بسري في الهوى أدمعي ودلت الواشي على موضعي
يا معشر العشاق إن كنتم ^١ مثلي وفي حالي فموتوا معي
وأورد له أيضاً :

يا من إليها من ظلمها الهرب ^١ ردّي فؤادي فقل ما يجب
ردّي حياتي إن كنت منصفة ^٢ ثم إليك الرضا أو الغضب
طلبت قلبي فلم أفئك به ^٣ سبحان من لا يفوته الطلب
ومن شعره :

١ اليتيمة : ٦٩ ، وما بين معقنين زيادة من ر وحدها .

٢ اليتيمة : شربي الراح .

٣ زيادة من د لم ترد في المسودة .

قال قومٌ لَزمَتَ حَضْرَةَ حَمْدٍ وَتَجَنَّبْتَ سَائِرَ الرُّؤَسَاءِ
قُلْتُ مَا قَالَهُ الَّذِي أَحْرَزَ الْمَغْنَمَ نِي قَدِيمًا قَبْلِي مِنَ الشُّعْرَاءِ
«يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُلْتَقَطُ الْحَبُّ وَتُعْشَى مَنَازِلُ الْكُرَمَاءِ»

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد ، وقد ضمنه شعره .

[وأورد له أيضاً في الورد :

جنى من البستان لي وردةٌ أحسن من إنجازهُ وعدي
وقال والوردة في كفه من قدحٍ أذكى من الندى
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ريقِي من كفي على خدي

ودعي ابن الحجاج إلى دعوةٍ وتأخر عنه الطعام قليلاً فقال :

يا ذاهباً في داره جائياً بغير معنَى وبلا فائده
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة]١

[ومثل هذا ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» قال : دعانا
أبو محمد ابن الشاب يوماً ودعا جحظة البرمكي وأطال حبس الطعام جداً ، وجاع
جحظة فأخذ دواة وقرطاساً وكتب :

ما لي وللشاب وأولاده لا قدس الوالد والوالده
قد حفظوا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائدة

ورمى بها إلي فقرأتها ودفعتها إلى ابن الشاب فقرأها ووثب مسرعاً وقدم الطعام
وأكلنا وانصرفنا وقطعه جحظة بعد ذلك ، فكان يجهد جهده في أن يجيبه فلا
يفعل ، فإذا عاتبناه قال : حتى يحفظ تلك السورة]٢ .

١ زيادة من د لم ترد في المسودة ، وانظر البيتين الاخيرين في البيمة ٣ : ٨٢ .

٢ زيادة من ص ر ولم ترد في المسودة كما لم ترد في الأغاني .

وكانت وفاة ابن الحجاج يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل ، وحُمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن عند مشهد موسى بن جعفر ، رضي الله عنه . وأوصى أن يدفن عند رجله ، وأن يكتب على قبره ﴿وكلبهم بأسط ذراعينه بالوصيد﴾ .
 وكان من كبار الشعراء الشيعة ، ورآه بعد موته بعض أصحابه في المنام ، فسأله عن حاله ، فأنشد :

أفسدَ سوءَ مذهبي في الشعر حُسنَ مذهبي
 [وحلي الجدِّ على ظهر حصان اللهب]
 لم يرَضَ مَوْلَايَ عَلِي سبِّي لأصحاب النبي
 [وقال لي ويحك يا أحق لم لم تتب
 من سبِّ قوم من رجا آلاءم لم يخب
 رمت الرضى جهلاً بما أصلاك نار اللهب]^٢

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة من جملتها^٣ :

نَعَوهُ على حُسن ظني بهِ فله ماذا نَعَى النَّاعِيَانِ
 رَضِيْعَ ولاءٍ لهُ شعبة من القلب مثل رَضِيْعِ اللبَانِ
 وما كنت أحسب أن الزمان يَقْلُ مَضارب ذاك اللسان
 بكيكك للشُّرْدِ السَّائِرَاتِ تُعْنِقُ أَلْفاظُهَا بالمعاني
 ليك الزمانُ طويلاً عليك فقد كنت خِفَةَ روح الزمان

والنيل - بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، والأصل

١ في د : ورآه أبو الفضل ابن الخازن في النوم .
 ٢ الأبيات بين معقنين زيادة من ر لم ترد في المسودة .
 ٣ ديوان الشريف الرضي ٢ : ٤٤١ .

فيه نهر حَفْره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم
نيل مصر ، وعليه قرى كثيرة .

١٩٣

الوزير المغربي

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام
ابن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس
ابن فيروز بن يَزْدَجِرْد بن بهرام جُورَ المعروف بالوزير المغربي ؛ ورأيت
جماعة من أهل الأدب يقولون : إن أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي
الذي مدحه المتنبئ بقصيدته التي أولها :

أمنَ ازدياركِ في الدجى الرقباءُ إذ حيثُ كنتِ منَ الظلامِ ضياءُ

خاله ، ثم إنني كشفت عنه فوجدت المذكور خال أبيه ، وأما هو فأمه بنت
محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني ، ذكره في « أدب الخواص » . وكانت وفاة
الأوارجي المذكور في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

والوزير أبو القاسم المغربي المذكور هو صاحب الديوان : الشعر والنثر ، وله
« مختصر إصلاح المنطق »^٢ وكتاب « الإيناس » ، وهو مع صغر حجمه كثير
الفائدة ويبدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب « أدب الخواص » وكتاب « المأثور في
ملح الحدور » وغير ذلك .

١٩٣ - ترجمة الوزير المغربي في معجم الأدباء ٩ : ٧٩ ورجال النجاشي : ٥١ والشذرات ٣ : ٢١٠
ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وانظر الإشارة إلى من نال الوزارة : ٦٦ وصفحات متفرقة من
ج : ٩ من تاريخ ابن الأثير .

١ ورأيت جماعة ... وثلاثمائة : سقط النص من س .

٢ أهدى منه نسخة إلى المعري فكتب إليه أبو العلاء رسالته المعروفة برسالة الاغريض .

وجدت في بعض المجاميع ما صورته : وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر « مختصر إصلاح المنطق » الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله : « وُلِدَ - سلمه الله تعالى ، وبلغه مبالغ الصالحين - أول وقت طلوع الفجر من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة ، واستظهر القرآن العزيز وعدة من الكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ، ومن حساب المولد والجبر والمقابلة إلى ما يستقل بدونه الكاتِب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة . واختصر هذا الكتاب ، فتناهي في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كل نوع إلى ما يليق به . ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به ، وعمل منه عدة أوراق في ليلة ، وكان جميع ذلك قبل استكمال سبعة عشر سنة ، وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ودوام سلامته . انتهى كلام والده .
ومن شعر الوزير المذكور^٢ :

أقولُ لها والعيسُ تحدجُ للشري
أعدِّي لِفَقْدِي ما استَطَعَتِ من الصبر
سأنفقُ ريعانَ الشبيبةِ أنفأ
على طلبِ العلياءِ أو طلبِ الأجر
أليسَ مِنَ الحُسرانِ^٣ أنْ لِيالياً
تمرُّ بلا نفعٍ وتُحسبُ مِن عُمرِي
ومن شعره أيضاً :

أرى الناسَ في الدنيا كِرَاعٍ تنكرت
مراعيه حتى ليسَ فيهنَّ مرْتَعُ
فماء بلا مرَعَى ومرَعَى بغير ما
وحيثُ تُرى ماء ومرَعَى فمَسْبَعُ
وله في غلام حسن الوجه حلق شعره :

١ : ه : به .

٢ هذه المقطعات في معجم الأدباء : ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٩ .

٣ ص : الحرمان .

حَلَقُوا شَعْرَهُ لِيَكْسُوهُ قَبْحًا غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًا
كَانَ صُبْحًا عَلَيْهِ لَيْلٍ بِهَمٍّ فَمَحَوْا لَيْلَهُ وَأَبْقَوْهُ صُبْحًا
ومن شعره أيضاً :

إِنِّي أَبْشُكُ عَنْ حَدِيدِ شِيءٍ وَالْحَدِيثُ لَهُ شَجُونٌ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلاً فَفَارَقَنِي السَّكُونُ
قُلُّ لِي فَأَوْلُ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى أَكُونُ

ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد
ابن أحمد صاحب ديوان الجيش بمصر أبياتاً منها :

قَدْ أَطْلَعَ الْفَالُ مِنْهُ مَعْنَى يُدْرِكُهُ الْعَالَمُ الذِّكْرُ
رَأَيْتُ جَدَّ الْفَقِي عَلِيًّا فَقُلْتُ جَدُّ الْفَقِي عَلِيًّا

وكان الوزير المذكور من الدُّهَاهِ العارفين [وكان خبيث الباطن ، إذا دخل
عليه الفقيه سأله عن النحو وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض] .
ولما قتل الحاكمُ صاحبُ مصر أباه وعمه وأخويه ، وهرب الوزير وصل إلى
الرملة ، واجتمع بصاحبها المتغلب عليها حسان^٢ بن مفرج بن دغفل بن الجراح
الطائي وبنيه وبنو عمه ، وأفسد نياتهم على الحاكم صاحب مصر المذكور^٣ .

١ سرد في نسخة د هنا قصة نصر بن حجاج ، وقد وردت في ترجمة الحجاج بن يوسف في هذا
الجزء (رقم ١٤٩) فأغنى عن اعادةها في هذا الموضع .
٢ سقطت كلمة « حسان » من النسخ .
٣ عند هذا الحد زاد في د ما يلي : (وقد رأينا اثبات النص في الحاشية لأن إدراجه في المتن يحدث
اضطراباً في سياق الترجمة) :

وقال حسان إن أبا الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة لا مطعن في نسبه ، والصواب أن
تنسبه إماماً وأطمعه في الملك وحقق له سهولة الأمر ، فأصغى إلى ذلك وباعه ، وباعه شيوخ
الحسينيين ، وحسن له أبو القاسم ان أخذ مال البيت وما فيه من فضة ، فضربه دراهم وتلقب
الراشد بالله وخطب بمكة لنفسه وسار لاحقاً بابن الجراح . فلما قرب من الرملة تلقاه مفرج وسائر
العرب وقبلوا الارض بين يديه وسلموا عليه بـ « أمير المؤمنين » ، ولقيهم متقلداً بسيف زعم =

ثم توجه إلى الحجاز، وأطمع صاحب مكة في الحاكم ومملكة الديار المصرية،
وعمل في ذلك عملاً قلق الحاكم بسببه وخاف على ملكه، وقصته في ذلك طويلة،
إلى أن أَرْضَى الحاكم بني الجراح ببذل الأموال لهم، واستألم إليه .

وكان صاحب مكة - وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي - قد استدعوه
ووصل إليهم وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالرَّشِيد بتدبير أبي القاسم المذكور، فلم يزل
الحاكم يعمل الحيل حتى استألم بني الجراح إليه، وانتقض أمر أبي الفتوح وهرب
إلى مكة .

وقصد الوزير أبو القاسم العراقي هارباً من الحاكم ومفارقاً لبني الجراح، وقصد
فخر الملك أبا غالب ابن خلف الوزير، ورفع خبره إلى الإمام القادر بالله فاتهمه
أنه ورد لإفساد الدولة العباسية، وراسل فخر الملك في إبعاده، فاعتذر عنه
فخر الملك وقام في أمره. واتفق انحدار فخر الملك من بغداد إلى واسط، فأخذ
أبا القاسم في جملته، وأقام معه بواسطة على جملة من الرعاية، إلى أن توفي فخر
الملك مقتولاً، وشرع الوزير أبو القاسم في استعطاف قلب الإمام القادر بالله

= انه ذو الفقار، وفي يده قضيب ذكر انه قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه الف عبد
أسود ونزل الرملة وبادر بالأمر بالمعروف وإقامة العدل وخطب له بالرملة، وقلق الحاكم بسببه
وخاف وأرسل إلى بني الجراح أموالاً كثيرة واستألم بها عن أبي الفتوح، فأحسن بذلك
أبو الفتوح فقال للمغربي: غررتني بوعدك وأخرجتني من بلدي ونعمتي وحصلتني في أيدي
العرب يبيعونني إلى الحاكم ولا آمن على نفسي ويجب أن تخلصني كما أوقعتني، فإني راض من
التنمية بالأياب، فشجعه المغربي، ثم ركب أبو الفتوح إلى المفرج وقال له: فارقت نعمتي
وكشفت في عداوة الحاكم صفحتي انما لسكوني إلى ذمامك وثقتي بقولك ولي في عنقك عهد
وأرى حسناً ولدك قد أصلح أمره مع الحاكم فأنا خائف من غدره وما أريد إلا العود إلى
وطني، فسيره المفرج إلى وادي القرى، واستجار المغربي بالمفرج وسأله أن يسيره إلى العراق
فأنفذه، ثم ورد بغداد وقصد فخر الملك، فاتهمه القادر بالله انه ورد في افساد الدولة،
فراسل فخر الملك فأخرجه عن بغداد، فمضى إلى الموصل وتقلد كتابة فراس بن المقلد، ولما
توفي فخر الملك عاد إلى بغداد فقلده مشرف الدولة الوزارة بغير خلع ولا لقب، ثم استشعر
المغربي الخوف من نزول بغداد فهرب منها إلى قرواش بالأندلس فكانت وزارته عشرة أشهر،
وتوجه إلى ديار بكر ووزر... الخ .

١ من هنا حتى قوله... توجه إلى ديار بكر: لم يرد في المسودة .

والتنصل مما نبذ به ، حتى صلح له بعض الصلاح ، وعاد إلى بغداد وأقام قليلا ، ثم أصعد إلى الموصل .

واتفق موتُ أبي الحسن ابن أبيّ الوزير كاتب معتمد الدولة أبي المنيع قرواش أمير بني عقيل ، فقتل كتابته موضعه ، ثم شرع أبو القاسم يَسْمَى في وزارة الملك مشرف الدولة البويهبي ، ولم يزل يعمل السعي إلى أن قبض على الوزير مؤيد الملك أبي علي ، فكوتب الوزير أبو القاسم بالحضور من الموصل إلى الحضرة ، وقلّد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدُّرّاعة ، وأقام كذلك حتى جرى من الأحوال ما أوجب مفارقة مشرف الدولة بغداد ، فخرج معه منها وقصدا أبا سنان غريب بن محمد بن مقن ونزلا عليه وأقاما بأوانا . وبينما هو على ذلك إذ عرض له إشفاق من مخدمه مشرف الدولة دعاه إلى مفارقتة ، فانتقل بعد ذلك إلى أبي المنيع قرواش بالموصل ، وأقام عنده ، ثم تجدد من سوء رأي الإمام القادر فيه ما أُلجأته الضرورة بسبب ما كوتب به قرواش وغريب في معناه إلى مفارقتة والإبعاد عنه ، وقصد أبا نصر ابن مروان بِيَمَافَارِقِينَ وأقام عنده على سبيل الضيافة إلى أن توفي ، وقيل : إنه لما توجه إلى ديار بكر وزَرَ لسلطانها أحمد بن مروان المقدم ذكره ، فأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثمانئ عَشْرَة وأربعمائة ، وقيل : ثمان وعشرين ، والأول أصح ، وكانت وفاته بِيَمَافَارِقِينَ ، وحمل إلى الكوفة بوصية منه ، وله في ذلك حديث يطول شرحه ، ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأوصى أن يكتب على قبره^١ :

كنتُ في سَفْرَةِ القَوَايَةِ والجَمِّ ل مقيماً^٢ فحان مني قدومُ
تبتُ من كلِّ ما ثمَّ فعسى يُمَّحى بهذا الحديث ذلك القديم
بعد خمسٍ وأربعين ، لقد ما طَلَّتْ ، إلا أن الغريم كريم

١ د : توفي يوم الجمعة الخامس عشر وقيل السادس عشر من شهر رمضان .

٢ معجم الأدباء : ٨٢ ولم ترد الأبيات في المسودة .

٣ أ ج ه : زمانا .

وكان قتل أبيه وعمه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربعمائة، رحمهم الله تعالى .

ورأيت في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً ، وإنما أحد أجداده ، وهو أبو الحسن علي بن محمد كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد ، وكان يقال له : المغربي ، فأطلق عليهم هذه النسبة ، ولقد رأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ، ثم بعد ذلك نظرت في كتابه الذي سماه « أدب الخواص » فوجدت في أوله « وقد قال المتنبي : وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبي ، فأحسنوا » :

أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبته فسرَّهمْ وأتيناها على الهرمِ^١

فهذا يدل على أنه مغربي حقيقة لا كما قالوه ، والله أعلم . ثم أعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابغة الجعدي وشعره وأنشد عنده قول المتنبي :

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيب بشيبهِ ولو أنَّ ما في الوجهِ منه حِرَابٌ^٢

ونقلت نسبه المذكور في الأوّل من خط أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل ، وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور ، والله أعلم بصحته .

١ شرح الواحدي : ٧٢٣ .

٢ شرح الواحدي : ٦٨١ .

ابن خالويه

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي ؛ أصله من همدان ولكنه دخل بغداد وأدرك جِلَّةَ العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرئ ، وأبي عمر الزاهد وابن دريد ، وقرأ على أبي سعيد السيرافي ، وانتقل إلى الشام واستوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآلُ حَمْدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . وهو القائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حَمْدان فلما مثلت بين يديه قال لي : اقعد ، ولم يقل اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب ، واطلاعه على أسرار كلام العرب ، وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقاء : اقعد ، وللنائم أو الساجد : اجلس ، وعكسه بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفلى ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مُقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفلى إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلسنا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قُلْ للفرزدقِ والسفاهةُ كاسمها إن كنتَ تارك ما أمرتُكَ فاجلسِ

أي : اقصد الجلوساً ، وهي نَجْد . وهذا البيت من جملة أبيات ولها قصة طويلة ، وهذا كله وإن جاء في غير موضعه لكن الكلام شجون .

١٩٤ - ترجمة ابن خالويه في الفهرست : ٨٤ وبيئمة الدهر ١ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٠
وانباه الرواة ١ : ٣٢٤ وبنية الوعاة : ٢٣١ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٢ ونزعة الالباء :
٢١٤ والشذرات ٣ : ٧١ .

ولابن خالويه المذكور كتاب كبير^١ في الأدب سماه « كتاب ليس » وهو يدل على اطلاع عظيم ، فإن مبنى الكتاب^٢ من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا ، وله كتاب لطيف سماه « الآل » وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً ، وما أقصرَ فيه ، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر وتواريخ مواليدهم ووفياتهم وأمهاتهم ، والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل « وآل محمد بنو هاشم ». وله كتاب « الاشتقاق » ، وكتاب « الجمل » في النحو ، وكتاب « القراءات » وكتاب « إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز » وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « الألفات »^٣ وكتاب « شرح المقصورة لابن دريد » وكتاب « الأسد » ، وغير ذلك .

ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ، ولولا خوفُ الاطالة لذكرت شيئاً منها .

وله شعر حسن ، فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب « اليتيمة »^٤ :

إذا لم يكن صدرَ المجالس سيدٌ فلا خيرَ فيمن صدرته المجالسُ
وكم قائلٍ : ما لي رأيتك راجلاً فقلت له : من أجل أنك فارسُ

وخالويته : بفتح الحاء الموحدة وبعد الألف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة .

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلثمائة بجلب ، رحمه الله تعالى .

١ كذا وصفه المؤلف ؛ وقد نشره ديرنبرغ في مجلة Hebraica (المجلد العاشر) والنص يحتل

ص ١١ - ٦٤ .

٢ ج : الكلام .

٣ ص : الالقاب .

٤ اليتيمة : ١٢٤ .

أبو علي الجبائي

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغَسَّاني الجبائي^١ الأندلسي المحدث ؛ كان إماماً في الحديث والأدب، وله كتاب مفيد سماه « تقييد المهمل » ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين ، وما أقصر فيه ، وهو في جزأين ، وكان من جهاذة المحدثين ، وكبار العلماء المسندين^٢ ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له معرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وكان يجلس في جامع قرطبة ويسمع منه أعيانها ، ولم أقف على شيء من أخباره حتى أذكر طرَفًا منها .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وطلب الحديث سنة أربع وأربعين ، وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والجبائي - بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى جبان ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وبأعمال الري قرية يقال لها جبان أيضاً .

والغَسَّاني : قد تقدم الكلام عليه .

١٩٥ - ترجمة أبي علي الجبائي المحدث في الصلة : ١٤١ وتذكرة الحفاظ : ١٢٣٣ وبغية الملتمس : ٢٤٩ وأزهار الرياض : ٣ : ١٤٩ .
١ ذكر ابن بشكوال أن أبا علي لم يكن من جبان وإنما أصلهم من الزهراء ، وانتقل أبوه في الفتنة البربرية (حوالي ٤٠٠) إلى جبان .
٢ كذا في ص والمسودة ؛ وفي النسخ الأخرى : المقيدين .

البارع الدباس

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير الحارثي من بني الحارث ابن كعب بن عمرو الدباس البدري المنعوت بالبارع الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي ؛ كان نحوياً لغوياً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الآداب ، وأفاد خلقاً كثيراً ، خصوصاً بإقراء القرآن الكريم .

وهو من بيت الوزارة ، فإن جده القاسم كان وزير المعتضد [والمكتفي بعده] وهو الذي سَمَّ ابن الرومي الشاعر - كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - وعبيد الله كان وزيراً أيضاً ، وسليمان بن وهب الوزير تفني شهرته عن ذكره - وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى - .

والبارع المذكور من أرباب الفضائل ، وله مصنفات حسان وتوايف غريبة ، وديوان شعر جيد ، وكان بينه وبين الشريف أبي يعلى ابن الهبّارية مُداعبات لطيفة ، فإنها كانا رفيقين ومُتَّحِدَيْنِ في الصّحبة ، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء ، وحج ، فلما عاد حضر الشريف إليه مراراً فلم يجده ، فكتب إليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة ، وأولها :

يا ابن وُدِّي وأين مني ابن وُدِّي غيَّرتُ طرفهُ الرِّياسةُ بَعْدِي

١٩٦ - ترجمة البارع الدباس في معجم الأدباء ١٠ : ١٤٧ وانباه الرواة ١ : ٣٢٨ وبغية الوعاة :

٢٣٦ وغاية النهاية ١ : ٢٥١ والشذرات ٤ : ٦٩ وابن كثير ١٢ : ٢٠١ .

١ أ : عندي .

ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها ، فكتب إليه البارع المذكور
جوابها ، وأطال فيها ، وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش ، وأولها :

وصلت رُقعةُ الشريف أبي يه لي فحلت محلّ لُقياه عندي
فتلقيتها ٢ بأهلاً وسهلاً ثم ألصقتها بطرفي وخدي
وفضضت الحتامَ عنها فما ظنُّك بالصَّابِ إذ يُشاب بشهد
بين حلوٍ من العتاب ومُرٍّ هو أولى به وهزلٍ وجِدٍّ
وتجنّ ٣ عليّ من غير جُرْمٍ بلام يكاد يحرق جلدي
يدّعي أنني حجبت ٤ وقد زار مراراً ، حاشاه من قبح رد
ثم دَعَ ذا ، ما للرياسة والحج ابن لي من حل أنف وعقد
فبأذا علمتَ بالله أني قد تنكرت ٥ أو تغير عهدي
من تراني : أعاملُ أم وزيرُ لأمير أم عارض للجند
أنا إلاّ ذاك الخليع الذي ته رف أرضى ولو بحجرةٍ دردي
وإذا صحّ لي مליح فذاك الـ يوم عيدي وصاحب الدست عبيدي
أتراني لو كنت في النار معَها مانَ أنساك في جنان الخلد

١ ذكر في رهامش س أبياتاً منها وهي :

عقدت أنفه عليّ فطبعي وهو ضدان بين حل وعقد
صدّ عني وليس أول خل راع ودي منه بهجر وصدّ
شغلته عني الرياسة فاستعمل فخلتيه وذلك جهدي
افلما حجبت لا قبل الله تعالى مسعاك أخلفت وعدي
أي فرق بيني وبينك هل أنت سوى شاعر وأنت مكدي
وحر أمّ الزمان فهي يمين برة أنفي سأبعث جندي
وأجازيك بالتبظرم والتهيه وكيل الهجاء مدأ بمدّ

٢ أ ج : فتأملتها .

٣ هـ : وتجنّ .

٤ د هـ : احتجبت .

٥ أ : تغيرت .

أولو أني عصبت بالتاج أسلو ك ولو كنت عانياً في القيد
أنا أضعاف ما عهدت على العم د وإن كنت لا تجازي بود
ومنها :

أم لاني قنعت من سائر النا س بقردي بين الأكارم فرد
صان وجهي عن اللثام وأولا في جملة منه إلى غير حد
فتعففت واقتنعت بتدبير ع زماني وقلت إني وحدي
لا لاني أنفت مع ذا من الكد ية ، أين الكرام حتى أكددي

ونقتصر من هذه القصيدة على هذه الأبيات ، ففيها سخف لا يليق ذكره
وغيره مما لا حاجة إليه .
ومن شعره أيضاً :

أفنت ماء الوجه من طول ما أسأل من لا ماء في وجهي
أنهي إليه شرح حالي الذي يا ليتني مت ولم أنه
فلم يتلني كرماً رفده ولم أكد أسلم من جنبه
والموت من دهر نحاريره ممتدة الأيدي إلى بله

[وأورد له الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر أنه نقلها من خطه
وذكر أنه قال هذه القصيدة بمكة في سنة ٤٧٢ :

ذكر الأجاب والوطنا والهوى والإلف والسكنا
فبكي شجواً وحقاً له مدنف بالشوق حلف ضني
أبعدت مرمي يد رجعت من خراسان به اليمن
خلست من بين أضلعه بالنوى قلباً له ضمنا

١ زيادة لم ترد في المسودة .

من لَمَشْتاقٍ يَمِيلُه ذات سَجْعٍ مِيلَتْ فَننَا
 كَلِمَا هاجِ الهدِيلِ به طَرِباً هاجت له شَجْنَا
 لَمْ تَعْرِضْ بِالْحَنِينِ بِيَمَنٍ مَسْعَدٌ إِلَّا وَقَالَ أَنَا
 لَكَ يَا وَرَقَاءُ أُسْوَةٌ مِنْ لَمْ تَذِيْقِي جَفْنَه الْوَسْنَا
 بِكَ أَنَسِي مِثْلَ أَنَسِكَ بِي فَتَعَالِي نَبِدٍ مَا كُنَا
 تَتَشَاكِي مَا نَجْنُ إِذَا نَحْتُ شَجْوَأَ صَحْتُ وَاحْزَنَا
 غَيْرَ أَنِّي مِنْكَ أَعْدَلُ إِنْ عَادَ سَرِي فِي الْهُوَى عَلْنَا
 أَنَا لَا أَنْتَ الْبَعِيدُ هَوَى أَنَا لَا أَنْتَ الْغَرِيبُ هَنَا
 أَنَا فَرْدٌ يَا حَمَامِ وَهَا أَنْتَ وَالْإِلْفُ الْقَرِينُ ثَنَا
 أَنْصَفُونَا يَا بَنِي حَسَنِ لَيْسَ هَذَا مِنْكُمْ حَسَنًا
 كَمْ أَحَلَّتْ مَحْرَمَاتِكُمْ بِالْعِيُونِ النَّشْجَلُ أَنْفَسْنَا
 نَحْنُ وَفَدَّ اللَّهُ عِنْدَكُمْ مَا لَكُمْ جِيرَانَهُ وَلَنَا
 لَمْ يَحْرَمْنَا مِنْكُمْ حَرَمٌ مَنْ أَنَاهُ خَائِفًا أَمِنَا ١

وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد .
 وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة ، وقيل الأولى ، سنة أربع
 وعشرين وخمسمائة ، وكان قد عمي في آخر عمره ، رحمه الله تعالى .
 والدياس - بفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف سين مهملة -
 وهذا يقال لمن يعمل الدبّس أو يبيعه .

والبَدْرِي - بفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة وبعدها راء - هذه
 النسبة إلى البَدْرِيَّة ، وهي محلة ببغداد المحروسة وكان البارِع المذكور يسكنها
 فنسب إليها .

١ زيادة من رد لم ترد في المسودة .

الطغرائي

العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي ؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر .

ذكره أبو سعد ابن السمعي في نسبة المنشئ من كتاب « الأنساب » ، وأثنى عليه ، وأورد قطعة من شعره في صفة الشمعة ، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة .

والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد ، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية المعجم ، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه ، وهي التي أولها :

أصالة الرأي صانتني عن الحَطَلِ وحلية الفضل زانتني لدى العَطَلِ
[مَجْدِي أخيراً ومَجْدِي أولاً شَرَعُ]

والشمسُ رَأَدَ الضحى كالشمس في الطَّفَلِ
فيمَ الإقامة بالزّوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
نائٍ عن الأهل صِفْرُ الكفِّ منفرد كالسيف عُرِّيَ متناهٍ عن الخَلَلِ
فلا صديقٌ إليه مُشْتكى حَزَنِي ولا أنيسٌ إليه مُنتهى جَدَّاي

١٩٧ - ترجمة الطغرائي في معجم الأدباء ٩ : ٥٦ والأنساب واللباب : « المنشئ » . ومقدمة الغيث المسجم في شرح لامية المعجم للصفدي ، ولأستاذ علي جواد الطاهر كتاب عنه (بغداد : ١٩٦٣) .
١ في ص من والسودة وهي طويلة تنيف على ستين بيتاً أودعها كل غريبة وهي من مختار الشعر ونقاوته ولولا طولها لذكرتها لكنها مشهورة موجودة بأيدي الناس . أما ر فقد أوردت القصيدة كاملة .

وَرَحَلُهَا وَقِرَى الْعَسَالَةِ الذُّبُلُ
 يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرِّكْبُ فِي عَذَابِي
 عَلَى قِضَاءِ حَقُوقِ الْعُلَا قِيبِي
 مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ
 بِشَلِّهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ
 بِشِدَّةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ
 وَاللَّيْلِ أَغْرَى سَوَامِ النُّوْمِ بِالْمُقَلِّ
 صَاحٍ وَأَخْرَعَ مِنْ خَمَرِ الْهُوَى ثَمْلٍ
 وَأَنْتَ تَخْذُلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 وَتَسْتَحِيلُ وَصَبْنُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلْ
 وَالغِيُّ يَزْجُرُ أحيانًا عَنِ الْفَشَلِ
 وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاهُ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ
 سُودَ الْفِدَائِرِ حُمَرَ الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ
 فَنَفْحَةُ الطَّيْبِ تَهْدِينَا إِلَى الْحَلَلِ
 حَوْلَ الْكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الْأَسَلِ
 نَصَالِهَا - بِمِيَاهِ الْفَنْجِ وَالْكَحَلِ
 مَا بِالْكَرْلَمِ مِنْ جُبْنٍ وَمَنْ يَخَلْ
 حَرَّى وَنَارُ الْقِرَى مِنْهُمْ عَلَى قُلَلِ
 وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
 بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ
 يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرِّ فِي عَلِي
 بِرَشْقَةٍ مِنْ نِبَالِ الْأَعْيُنِ التُّجَلِ
 بِالْمَحِّ مِنْ خَلِّ الْأَسْتَارِ وَالْكَلَلِ
 وَلَوْ دَهْتِي أَسُودُ الْغَيْلِ بِالْفَيْلِ

طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى رَاحِلَتِي
 وَضَجُّ مَنْ لَغَبَ نِضْوِي وَعَجُّ لَمَّا
 أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا
 وَالذَّهْرُ يَعْكَسُ آمَالِي وَيُقْنَعُنِي
 وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرِّمَحِ مُعْتَقِلٍ
 حُلُوِّ الْفِكَاةِ مُرًّا الْجَدُّ قَدْ مُزَجَّتْ
 طَرَدَتْ سَرَّحَ الْكِرَى عَنِ وِرْدِ مُقْلَتِهِ
 وَالرِّكْبُ مِيلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرَبِ
 فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجَلِيِّ لِنَنْصُرَنِي
 تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النُّجْمِ سَاهِرَةٌ
 فَهَلْ تَعِينُ عَلَيَّ غَيِّ هَمَّتْ بِهِ
 إِنْ أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ
 يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالشَّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ
 فِيرُ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا
 فَالْحُبُّ حَيْثُ الْعِدَا وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ
 نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجُزَعِ قَدْ سَقِيَتْ
 قَدْ زَادَ طَيْبُ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا
 تَبِيَتْ نَارُ الْهُوَى مِنْهُمْ فِي كَبْدِ
 يَقْتَلْنَ أَنْضَاءَ حُبِّ لَا حَرَكَتِ بِهَا
 يُشْفَى لَدِينُ الْعَوَالِي فِي بِيوتِهِمْ
 لَعَلَّ إِمَامَةَ الْجُزَعِ ثَانِيَةً
 لَا أكره الطَّعْنَ النُّجْلَاءَ قَدْ شَفِعَتْ
 وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحِ الْبَيْضِ تَسْعِدُنِي
 وَلَا أَخْلُ بِغِزْلَانِ تَفَازِلُنِي

عن المعالي ويُعْزِي المرءَ بالكسل
 في الأرضِ أو سُلْمًا في الجوِّ واعتزل
 رُكوبها واقتنع منهنّ بالبلل
 والعزّ تحت رَسِيمِ الأَيْتِقِ الذُّلُّ
 معارضاتِ مثاني اللجمِ بالجدلِ
 فيما تحدّثُ أنّ العزّ في النُقْلِ
 لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحملِ
 والحظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ في شُغْلِ
 لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أو تَنَبَّهَ لي
 ما أضيّقَ العيشَ لولا فُسْحَةَ الأملِ
 فكيفَ أَرْضَى وقد ولّتْ على عجلِ
 فصنّتها عن رَخِيسِ القَدْرِ مُبْتَدَلِ
 وليسَ يعملُ إلا في يَدَيَّ بطلِ
 حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسَّقْلِ
 وراءَ خطوي إذ أمشي على مَهَلِ
 مِن قِبَلِهِ فتمنّى فُسْحَةَ الأجلِ
 لي أسوّةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ
 في حادِثِ الدهرِ ما يغني عن الحيلِ
 فحاذِرِ النَّاسِ واصحَبْهُمْ على دخلِ
 مَنْ لا يعوّلُ في الدنيا على رَجُلِ
 فظنُّ شراً وكن منها على وجَلِ
 مسافةُ الخلفِ بينَ القولِ والعملِ
 وهلْ يَطابِقُ معوجٌ بمعتمدِ
 على المَهْودِ فسبقُ السيفِ للعَدَلِ

حُبُّ السّلامَةِ يثني هَمَّ صاحِبِهِ
 فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
 ودعْ غِيَارَ العِلا لِمُقَدِّمِينَ على
 رضى الذليلِ بخفضِ العيشِ مَسْكَنَةً
 فادرأَ بها في نُحُورِ البِيدِ حافِلَةً
 إنّ العِلا حدتتني وهي صادِقَةٌ
 لو أنّ في شَرْفِ المَأْوَى بُلُوغَ مَنَى
 أهبتُ بالحظِّ لو ناديتُ مُسْتَمعاً
 لعله إنّ بدا فضلي ونقصُهُمُ
 أَعْلَلُ النَّفْسَ بالأمالِ أرقبُها
 لم أَرْضَ بالعيشِ والأيامِ مُقبِلَةً
 غالى بنفسِي عِرْفاني بقيمتها
 وعادةُ النصلِ أنّ يزهى بجوهرِهِ
 ما كنتُ أوثر أنّ يمتدّ بي زَمَنِي
 تقدّمَتني أناسٌ كانَ شوْطُهُمُ
 هذا جزاءَ امرئٍ أقرانهُ دَرَجُوا
 وإنّ عِلانيّ من دُونِي فلا عَجَبُ
 فاصبرْ لها غيرَ مُحْتالٍ ولا ضَجِيرِ
 أعدى عدوّك أدنى من وثقتَ بهِ
 وإنما رَجُلُ الدُّنْيَا وواحدُها
 وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ
 غاضَ الوفاءِ وفاضَ القَدْرِ وانفَرَجَتْ
 وشانَ صدقِكَ عندَ النَّاسِ كذبُهُمُ
 إن كانَ ينجعُ شيءٌ في ثباتِهِمُ

يا واردة سؤر عيش كله كدر
 فم اقتحامك لوج البحر تركبه
 ملك القناع لا يخشى عليه ولا
 ترجو البقاء بدار لا ثبات لها
 ويا خيراً على الأسرار مطلقاً
 قد رشحوك لأمر لو فطنت له
 ومن رقيق شعره قوله :

يا قلب مالك والهوى من بعد ما
 أو ما بدا لك في الإفاقة والألى
 مرض النسيم وصحّ والداء الذي
 وهذا خوف البرق والقلب الذي
 وله أيضاً :

أجماً البكا يا مقلتي فإننا
 إذا جمع العشاق موعدهم غداً
 ومن شعره :

على موعد البين لا شك واقع
 فواخجلنا إن لم تُعني مدامعي
 ولا غرو إن أهديت من فيض بره
 فإني رأيت الغيم يحمل ماءه
 ومن شعره :

حكم الصواب وإن بدا من ناقص
 ما حط رقبته هوان الغائص
 لا تحقرن الرأي وهو موافق
 فالدر وهو أجل شيء يُقتنى
 وله أيضاً :

أخاك أخاك فهو أجل ذخر
 إذا نابتك نأبة الزمان

وإن رابت إساءته فهبها لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذباً لا غش فيه وهل عودٌ يفوح بلا دُخان
ومن شعره :

ما فلانٌ إلا كجيفة ميتٍ والضرورات أحوجتنا إليه
فمن اضطر غير باغٍ ولا عا دٍ فلا إثم في الكتاب عليه
وله من أبيات :

لا غرو إن حزت المروءة والتقى والدين والدنيا ولم تتصدع
إن النواظر والقلوب صغيرةٌ تحوي الكبير وليس بلمستبدع
وله :

جامل أخاك إذا استربت بودّه وانظر به عقب الزمان يعاود
فإن استمر على الفساد فخلّه فالعضو يُقطعُ للفساد الزائد

وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر له مقاطيع ،
وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وقال : إنه ولي الوزارة
بمدينة إربل مدة ، وذكر العماد الكاتب في كتاب « نصره الفترة وعصرة الفطرة »
- وهو تاريخ الدولة السلجوقية - أن الطغرائي المذكور كان يُنعم بالأستاذ ،
وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ، وأنه لما جرى المصافح
بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان وكانت النصره لمحمود ، فأول
من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود ، فأخبر به وزير محمود ، وهو الكمال
نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السُمَيْرمي ، فقال الشهاب أسعد
- وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب - : هذا الرجل
ملحد ، يعني الأستاذ ، فقال وزير محمود : من يكن ملحداً يُقتل ، فقتل ظلماً .

١ تفاوت النسخ ص در في عدد المقطوعات التي أوردتها من شعر الطغرائي ، ولم يرد منها في
المسودة الا المقطوعتان الأوليان .

وقد كانوا خافوا منه ، ولا قبيل عليه لفضله ، فاعتدوا قتله بهذه الحجّة ، وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة ، وقيل ثمانى عشرة ، وقد جاوز ستين سنة ، وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لأنه قال وقد جاء مولودا :

هذا الصغيرُ الذي وافى على كبري أقرَّ عيني ولكن زاد في فكّري
سبعٌ وخمسون لومرّتْ على حجر لسانَ تأثيرها في صفحة الحجر

والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك ، رحمه الله تعالى .

(28) وقبّل الكمالُ السميرمي الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية ، وقيل : قتله عبد أسود كان للطغرائي المذكور ، لأنه قتل أستاذه .

والطغرائي - بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة - هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى ، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ، وهي لفظة أعجمية .

والسميرمي - بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ثم ميم - هذه النسبة إلى سُميرم ، وهي بلدة بين أصبهان وشيراز ، وهي آخر حدود أصبهان .

١ ديوانه : ٧٨ ، ومما من أبيات قالها في ابنه الاصغر علي .

أبو الفوارس ابن الخازن

أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب ؛ كان فريداً عصره في الكتابة ، وكتب ما لم يكتبه أحد ، فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين أربعة وجامع ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله :

عَتَتِ الدُّنْيَا لَطَالِبَهَا واستراح الزاهدُ الفطِنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ
يَقْتَنِي مَالاً وَيَتْرَكُهُ فِي كَلَا الْحَالِينَ مُفْتَنُ
أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرْتَنُ
أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَسْخُوبُهُ وَسَنُ
لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا أَلْهَمْتُ وَالْحَزَنُ

قال محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ في « ذيل تجارب الأمم » لسكويه : توفي ابن الخازن المذكور في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة فجأة ، رحمه الله تعالى . وقال الشريف أبو العمر المبارك بن أحمد الأنصاري : توفي ليلة الثلاثاء ، ودفن من الغد ، وهو اليوم السادس والعشرون من الشهر المذكور .

أبو عبد الله الشيعي

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبّيد الله المهدي جَدَّ ملوك مصر ؛ وقصته في القيام بالغرب مشهورة ، وله بذلك سيرة مَسْطُورَة ، وسيأتي في حرف العين عند ذكر المهدي عبّيد الله طَرَفٌ من أخباره إن شاء الله تعالى .

وأبو عبد الله المذكور من أهل صنعاء اليمن ، وكان من الرجال الدُّهَاءِ الخبيرين بما يصنعون ، فإنه دخل إفريقية وحيداً بلا مال ولا رجال ، ولم يزل يسعى إلى أن ملكها، وهرب ملكها أبو مُضَرَّ زيادة الله آخر ملوك بني الأغلّب منه إلى بلاد المشرق وهلك هناك ، وحديثه يطول .

ولما مهد القواعد للمهدي ووطد له البلاد وأقبل المهدي من المشرق، وعجز عن الوصول إلى أبي عبد الله المذكور، وتوجه إلى سجلماسة ، وأحس به صاحبها اليسع آخر ملوك بني مدرار ، فأمسكه واعتقله ، ومضى إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوض إليه أمر المملكة - اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد ، وكان هو الأكبر، أعني أحمد ، وندّمه على ما فعل ، وقال له : تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع ، وكرر عليه القول ، فندم أبو عبد الله على ما صنع وأضمر الغدر ، واستشعر منها المهدي ، فدمس عليها من قتلها في ساعة واحدة ، وذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رَقَادَة بين القصرين ، رحمها الله تعالى .

١٩٩ - أخبار أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة العبيديين في ابن الأثير وابن عذاري واتعاط الحنفا والدرّة المضية وابن خلدون ، وتمت رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان من أكثر المصادر اسباباً في تبيان جهوده في سبيل الدعوة العبيدية .

والشيعي - بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

ورقادة - بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة - مدينة من أعمال القيروان من بلاد إفريقية^١ .

(29) وأما زيادة الله فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال^٢ : هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلبن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة ، وهو زيادة الله الأصغر ، آخر ملوك بني الأغلبن بإفريقية ، التميمي ، وقال : قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثمائة مجتازاً إلى بغداد حين غلب على ملكه بإفريقية ، ثم قال في آخر الترجمة : بلغني أن زيادة الله توفي بالرملة في سنة أربع وثلاثمائة في جمادى الأولى منها ، ودفن بالرملة ، فساح قبره فسقّف عليه وترك مكانه ، وهو من ولد الأغلبن بن عمرو المازني البصري ، وكان الرشيد ولّى عمرأ المغرب بعد أن مات إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلبن ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا . انتهى ما ذكره ابن عساكر .

وفي ترجمة أبي القاسم علي بن القطاع اللغوي هذا النسب ، وبينها اختلاف قليل ، لكنني نقلته على ما وجدته في الموضعين .

وقال غير ابن عساكر : توفي أبو مضر زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلبن بالرقّة ، وحمل تابوته إلى القدس الشريف ، ودفن بها في سنة ست وتسعين ومائتين ، وكانت مدة مملكته إلى أن خرج عن القيروان خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان سبب خروجه من القيروان أن أبا عبد الله الشيعي المذكور لما هزم إبراهيم بن الأغلبن^٣ ، بلغ الخبر زيادة الله المذكور فشد

١ هنا تنتهي هذه الترجمة في س ؛ وكل ما يلي موجود على هوامش مسودة المؤلف .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٩٥ (ولم يسق نسبه كاملاً) ، وراجع الحلة السيرة ١ : ١٧٥ .

٣ في افتتاح الدعوة : إبراهيم بن أبي الأغلبن .

أمواله وأخذ خواص حرمه وخرج من رقادة ليلاً ، وبعد خروجه بُويع إبراهيم بن الأغلِب^١ . وكانت مملكة بني الأغلِب مائتي سنة واثنى عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، والشرح في ذلك يطول فاختصرته .

٢٠٠

حسان التنوخي

أبو ليلى حسان بن سنان بن أوفى بن عوف التنوخي وهو جد إسحاق بن البهلول ؛ [سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ روى عنه ابن ابنه إسحاق ، وقال أبو حاتم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول : قال جدي إسحاق عن جدي حسان]^٢ قال : خرجت في وفد من أهل الأنبار إلى الحجاج إلى واسط نتظلم إليه من عامله علينا الرقيل ، فدخلنا ديوانه فرأيت شيخاً والناس حوله يكتبون عنه ، فسألت عنه فقيل لي : أنس بن مالك ، فوقفت عليه فقال لي : من أين ؟ فقلت : من الأنبار ، جئنا إلى الأمير نتظلم إليه ، فقال لي : بارك الله فيك ، فقلت : حدثني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعته يقول : مر بالمعروف وانه عن المنكر ما استطعت ؛ وأعجلني أصحابي فلم أسمع منه غير هذا الحديث ؛ [قال أبو حاتم] وكان إسحاق^٣ يقول : أرجو أن أكون ممن سبقت [فيه] دعوة

١ يؤخذ مما ورد في افتتاح الدعوة (الورقة ١٠٣) أن بيعة إبراهيم لم تتم وأن أهل القيروان قالوا له : اخرج عنا لا نبتلى من أجلك .

٢٠٠ - ترجمته في البداية والنهاية ١٠ : ١٧٥ وفيه حسان بن أبي سنان ابن أبي أوفى . وقد انفردت هذه الترجمة بالنسخ : د ص ر ، ووردت في ص بعد الترجمة التالية ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

٢ زيادة من ر .

٣ كذا ولعله : حسان .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : طوبى لمن رأى ولمن رأى من رأى . وكان من بركة دعاء أنس لحسان أنه عاش مائة سنة وعشرين سنة ، وخرج من أولاده جماعة فقهاء وقضاة ورؤساء وصلحاء [وكتاب وزهاد ؛ ولد حسان سنة ستين من الهجرة] ، وتوفي سنة ١٨٠ هـ ، رحمه الله تعالى [وكان أحياناً يكنى أبا العلاء] ولد بالأنبار على النصرانية وكانت دينه ودين آبائه [وكانت له حين أسلم ابنة بالغة فأقامت على النصرانية فلما حضرتها الوفاة أوصت لدير تنوخ بالأنبار] ؛ وكان حسان يتكلم ويقرأ ويكتب بالفارسية والسريانية والعربية ولحق الدولتين ، فلما قلد أبو العباس السفاح ربيعة الرأي قضاء الأنبار ، أتى بكتب مكتوبة بالفارسية فلم يحسن أن يقرأها ، [فطلب رجلاً] ثقة دينا يحسن قراءتها فدُلَّ على حسان بن سنان فجيء به فكان يقرأ له الكتب الفارسية ، فلما اختبره رضي مذهبه واستكتبه على جميع أمره .

٢٠١

أبو سلمة الخلال

أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيعي وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ؛ وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير ، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يُعرف بهذا النعت ، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول . وكان السفاح يأنس به ، لأنه كان ذا مفاكحة

٢٠١ - ترد أخبار أبي سلمة في مصادر الدعوة العباسية، وانظر في مقتله تاريخ الطبري (حوادث : ١٣٢) والفخري : ١٣٧ - ١٣٩ وسائر المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الفترة .

١ تكاد المصادر تجمع على هذا غير أن ابن خلدون يقول في مقدمته (٢ : ٦٠٦) عن بني أمية : « ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشار والمعين في أمور القبائل والمصائب واستلافهم وأطلق عليه اسم الوزير » .

حسنة وممتعا في حديثه ، أديبا ، عالما بالسياسة والتدبير ، وكان ذا يسار ويعالج
 الصرف بالكوفة ، وأنفق أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس ، وصار إلى
 خراسان في هذا المعنى ، وأبو مسلم الخراساني يومئذ تابع له في هذا الامر ، وكان
 يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخي السفاح ، فلما قتله مروان بن محمد آخر خلفاء
 بني أمية بجران وانقلبت الدعوة إلى السفاح ، توهموا من أبي سلمة المذكور أنه
 مال إلى العلويين ، فلما ولي السفاح واستوزره بقي في نفسه منه شيء ، فيقال :
 إن السفاح سير إلى أبي مسلم وهو بخراسان يُعرفه بفساد نية أبي سلمة ويحرضه
 على قتله ، ويقال : إن أبا مسلم لما اطلع على ذلك كتب إلى السفاح وعرفه
 بحاله وحسن له قتله ، فلم يفعل ، وقال : هذا الرجل بذل ماله في خدمتنا
 ونصحنا ، وقد صدرت منه هذه الزلة ، فنحن نعتفرها له .

فلما رأى أبو مسلم امتناعه من ذلك سير جماعة كمنوا له ليلا ، وكانت
 عادته أن يسمر عند السفاح ، فلما خرج من عنده وهو في مدينته بالأنبار ولم
 يكن معه أحد وثبوا عليه وخبطوه بأسياقهم ، وأصبح الناس يقولون : قتلته
 الخوارج ، وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر ، وولي السفاح الخلافة ليلة
 الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ولما سمع السفاح
 بقتله أنشد :

إلى النار فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف

وذكر في كتاب « أخبار الوزراء » أن قتله كان في رجب سنة اثنتين
 وثلاثين ومائة .

وكان أبو سلمة يقال له : وزير آل محمد ، فلما قُتل عمل في ذلك سليمان
 ابن المهاجر البجلي :

إن المساء قد تسرَّ وربما كان السرور بما كرهتَ جديرا

إن الوزير وزير آل محمدٍ أودى فمن يشنك كان وزيرا

ولم يكن خلافاً ، وإنما كان منزله بالكوفة في حارة الخلالين ، فكان يجلس

عندهم لقرب داره منهم ، فسمي خلا^١لاً .
 والهَمْداني - بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وبعد الألف
 نون - وهذه النسبة إلى هَمْدان ، وهي قبيلة عظيمة باليمن .
 والسبيع : يذكر في حرف العين عند ذكر أبي إسحاق السبيعي إن شاء
 الله تعالى .

وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين : أحدهما أنها من
 الوزر - بكسر الواو - وهو الحمل ، وكان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل ،
 وهذا قول ابن قتيبة ، والثاني : أنها من الوزر - بفتح الواو والزاي - وهو
 الجبل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك ، وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد
 عليه الخليفة أو السلطان ويلتجىء إلى رأيه ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ،
 والله أعلم^٢ .

٢٠٢

حفص بن غياث القاضي

أبو عمرو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة
 ابن عامر بن ربيعة بن جشم بن وهيبيل بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج

١ في ترجيح تلقيبه بالخلال رأيان آخران : أنه كانت له حوانيت يعمل فيها الخل أو أن اللقب
 نسبة إلى خلل السيف وهي أغمادها .

٢ زاد الماوردي (الاحكام السلطانية : ٢٤) رأياً ثالثاً وهو أن الوزارة مشتقة من «الأزر» وهو
 الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كهوة البدن بالظهر .

٣٠٢ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ وعبر الذهبي ١ : ٢١٤ وتاريخ بغداد ٨ :
 ١٨٨ ورجال التجاشي : ٩٧ وميزان الاعتدال ١ : ٥٦٧ وتذكرة الحفاظ : ٢٩٧ وطبقات
 ابن سعد ٦ : ٢٧١ (الطبعة الأوروبية) وتهذيب التهذيب ٢ : ٤١٥ . وقد وردت هذه
 الترجمة في ص ر ، وثبت بعضها في مطبوعة وستنفيل ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

النخعي الكوفي ؛ سمع عبد الله بن عمر العمري وهشام بن عمرو وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق الشيباني والأعمش وخلقا سواهم ؛ روى عنه ابنه عمر وأبو نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلمة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعامة الكوفيين . ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة ؛ قال حميد بن الربيع : لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه ، فأما ابن إدريس فقال : السلام عليكم ، وطرح نفسه كأنه مفلوج ، فقال هارون : خذوا بيد الشيخ ، لا فضل في هذا ؛ وأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة ، ووضع إصبعه على عينه ، وعنى إصبعه ، فأعفاه ؛ وأما حفص بن غياث فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت .

وكان حفص المذكور لما قربوا من بغداد طرّى خضابه فالتفت ابن إدريس إلى وكيع فقال : أما هذا فقد قبل .

وقال حفص وهو قاض على الشرقية لرجل يسأل عن مسائل القضاء : لعلك تريد أن تكون قاضياً ؟ لأن يُدخل الرجل إصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضياً .

وكان حفص يقول : لو رأيت أني اسر بما أنا فيه هلكت .

قال عمرو بن حفص بن غياث : لما حضرت أبي الوفاة أغمي عليه ، فبكيت عند رأسه فأفاق فقال : ما يبكيك ؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر ، يعني القضاء ، فقال لابنه : يا بني ما حلت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم بينهما .

وقال الخطيب : كان حفص بن غياث المذكور جالساً في الشرقية للقضاء ، فأرسل إليه الخليفة يدعوه ، فقال لرسوله : حتى أفرغ من أمر الخصوم ، إذ كنت أجيراً لهم ، وأصير إلى أمير المؤمنين ؛ ولم يقم حتى تفرق الخصوم .

وقال غنام بن حفص : مرض أبي خمسة عشر يوماً ، فدفع إلي مائة درهم وقال : امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوماً لم أحكم فيها بين المسلمين لا حظ لي فيها .

وقال : باع رجل من أهل خراسان جمالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان
المجوسي وكيل أم جعفر فمطله ثمنها وحبسه عن سفره ، وطال ذلك على الرجل ،
فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له : اذهب إليه فقل له :
أعطني ألف درهم وأحيل عليك ببقية المال وأخرج إلى خراسان ، فإذا فعلت
هذا فأخبرني حتى أشير عليك ؛ ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم
فرجع إلى الرجل فأخبره فقال : عد إليه فقل له : إذا ركبت غداً فطريقك
على القاضي تحضر ، وأوكل رجلاً بالقبض على المال واخرج فإذا جلس إلى القاضي
فادع عليه بما بقي لك من المال ، فإذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك .
فرجع إلى مرزبان فسأله فقال : انتظرنى بباب القاضي ؛ فلما ركب من الغد
وثب إليه الرجل وقال : إن رأيت أن تترك إلي القاضي حتى أوكل بقبض المال
وأخرج ، فنزل مرزبان إلى حفص المذكور فقال الرجل : أصلح الله القاضي ،
لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم ، فقال حفص : ما تقول يا مجوسي ؟
قال : صدق ، أصلح الله القاضي ، فقال القاضي : ما تقول يا رجل فقد أقرت
لك ، فقال : يعطيني مالي ، فأقبل حفص على المجوسي فقال : ما تقول ؟ فقال :
هذا المال على السيدة ، فقال : أنت أحق تقر ثم تقول على السيدة ؟ ما تقول
يا رجل ؟ قال : أصلح الله القاضي إن أعطاني مالي وإلا حبسته ، قال حفص :
ما تقول يا مجوسي ؟ قال : المال على السيدة ، فقال حفص : خذوا بيده إلى
الحبس ؛ فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر ففضبت وبعثت إلى السندي : وجهه إلى
المرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء في مجلس الشرط ، فأخرجه . وبلغ الخبر
حفصاً فقال : أحبس أنا ويخرج السندي ؟ لا جلست مجلسي هذا أو يرد
مرزبان إلى الحبس ، فجاء السندي إلى أم جعفر فقال : الله الله في ، إنه حفص
ابن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي : بأمر من أخرجته ؟ رديه إلى
الحبس ، وأنا أكلم حفصاً في أمره ؛ فرجع مرزبان إلى الحبس فقالت أم جعفر
لهارون : قاضيك هذا أحق ، حبس وكيلى واستخف به ، فمره لا ينظر في الحكم
وتولت أمره أبا يوسف ، فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال : أحضري
شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي ؛ وجلس حفص وسجل على المجوسي بالمال ،

وورد كتاب هارون مع خادم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال : مكانك ؛ نحن في شيء حتى تفرغ منه ، فقال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال : انظر ما يقال لك ، فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه فقال : اقرأ على أمير المؤمنين السلام وقل له إن كتابه ورد وقد أنفذت الحكم ، فقال الخادم : قد عرفت ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد ؛ والله لأخبرنَّ أمير المؤمنين بما فعلت ! فقال حفص : قل له ما أحببت ، فجاء الخادم فأخبر هارون فضحك وقال للحاجب : مر لحفص بثلاثين ألف درهم ، فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً منصرفاً من مجلس القضاء فقال : أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم فما السبب ؟ فقال : تم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم ، سجلت على مرزبان الجوسي بما وجب عليه ؛ قال يحيى بن خالد : فمن هذا سر أمير المؤمنين ، فقال حفص : الحمد لله كثيراً ، فقالت أم جعفر لهارون : لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصاً ، فأبى عليها ، ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة ، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة .

وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه : تعالوا نكتب نوادر حفص ، فلما وردت احكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه : أين النوادر التي زعمت بكتبتها ؟ قال : ويحكم إن حفصاً أراد الله فوقه .

وقال حفص : والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة .

ومات رحمه الله ولم يخلف درهماً وخلف عليه تسعمائة درهم ديناً .

وكان يقال : خُتم القضاء بحفص بن غياث .

وقال الحسين بن المغيرة : رأى بعض الصالحين كأن زورقاً غرق بين الحسين وفيه عشرون قاضياً ، فما نجا منهم إلا ثلاثة على سوءاتهم : حفص بن غياث والقاسم بن معن وشريك .

وقال يحيى بن معين : جميع ما حدث به حفص بن غياث ببغداد والكوفة إنما هو من حفظه ، لم يخرج كتاباً ؛ كتبوا عنه ثلاثة آلاف وأربعة آلاف حديث من حفظه .

قال عبيد الله بن صالح العجلي : حدثني أبي قال : حفص بن غياث ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة ، وكان وكيع ربما يُسأل عن الشيء فيقول : اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه ، وكان شيخاً عفيفاً مسلماً .

ولد حفص بن غياث سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة في العشر من ذي الحجة ، وقيل مات سنة ست وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٠٣

الحكم بن عبدل

الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال الأسدي ؛ شاعر مجيد مقدم في طبقة هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، وكان أعرج أحذب ، ومنزله ومنشؤه الكوفة .

حدث العتيبي قال : كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يجبس له رسول ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخلٍ ونحن على الأبواب نقصى ونحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرضاة منها ويرهب

٢٠٣ - ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٩٦ والمختلف والمؤتلف : ٢٤٢ والفوات ١ : ٢٨٦ وورود ترجمته في الفوات يعد استدراكاً على ابن خلكان ومعنى ذلك أن ابن شاعر لم يجد هذه الترجمة في النسخة التي اطلع عليها من وفيات الأعيان ؛ وذكر ابن شاعر أن وفاة ابن عبدل كانت في حدود المائة ، وسياق الترجمة متابع لما في الأغاني ؛ وقد وردت في نسختي ص ر ومطبوعة وستيفيلد ولم ترد في مسودة المؤلف .

قال : فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة ، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بجوائجه في الرقاع .
 وكان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض اخوانها والحكم يحمل وأبو عُليّة يقاد ، فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عُليّة موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول :

حبسي وحبس أبي علي من أعاجيب الزمان
 أعمى يقاد ومقعد لا الرّجل منه ولا اليدان
 هذا بلا بصر هناك وبي يخب الحاملان
 يا من رأى ضب الفلاة قرين حوت في مكان
 طرفي وطرف أبي علي دهرنا متوافقان
 من يقتحم يجواده فجوادنا عكازتان
 طيرفان لا علفهما يشرى ولا يتصاولان
 هبني وإياه الحريق أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي عليّة يحيى ، فقال الحكم فيه أيضاً :

أقول ليحيى ليلة السجن سادراً ونومي به نومُ الأسيرِ المقيّدِ
 أعنتي على رعي النجوم ولحظها أعينك على تحبير شعر مقصّدِ
 ففي حالتينا عبرةٌ وتفكّرٌ وأعجبُ منها حبس أعمى ومقعدِ
 كلانا إذا العكاز فارق كفه يخرّ صريعاً بل على الوجه يسجدِ
 فمكازه يهدي إلى السبل اكهاً وأخرى مقام الرّجل قامت مع اليدِ

قال : وولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل - وكان أعرج - فلقي سائلاً أعرج قد تعرض للأمر يسأله فقال ابن عبدل للسائل :

ألقِ العصا ودع التحامل^١ والتمس عملاً فهذي دولةُ المرجانِ
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلان
فإذا يكونُ أميرنا ووزيره وأنا فإن الرابع الشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث له مائتي درهم وسأله أن يكف عنه .
وقيل : قدم الحكم بن عبدل واسطاً على ابن هبيرة وكان بجيلاً ، فأقبل حتى
وقف بين يديه فقال :

أتيتك في أمر من أمر عشيرتي وأعلى الأمور المفضعات جسيمها
فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعلٌ فقد تلجت نفسي وولت همومها

قال : أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتك؟ قال : غرم لزمنا ، قال : كم هو؟
قال : أربعة آلاف درهم ، قال : نحن مناصفوها ، قال : أصلح الله الأمير ،
أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال : أكره أن أعود الناس هذه العادة ، قال :
فأعطني جميعها سرّاً وأمنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر
واقعٌ عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال : ما عندنا
غير ما بذلناه لك ، فجتنا بين يديه ، وقال : امرأتي طالق إن أخذت أقل من
أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان ، فقال : اعطوه إياها قبجحه الله فإنه
ما علمت حلاّف مهين ، فأخذها وانصرف .

وقيل لما وقع الطاعون بالكوفة ومات منهم بنو زر بن حبيش العامري
صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم ، فقال
الحكم بن عبدل الغاضي يرثيهم :

أبعد بني زرّ وبعد ابن جندل وعمرٍ وأرجي لذة العيش في خفض
مضوا وبقينا نأمل العيش بعمد ألا إن من يبقى على إثر من يمضي

حدث الأصمعي قال : كانت امرأةٌ موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس

١ الأغاني : التخامع .

ديون، فاستغانت بابن عبدل في دينها وقالت : إني امرأة ليس لي زوج ، وجعلت
تعرض بأنها تزوجه نفسها ، فقام ابن عبدل في دينها حتى استوفته فلما طالبها
بالوفاء كتبت إليه :

سيخطيك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبابي
كما أخطاك معروف ابن بشرٍ وكنت تعدُّ ذلك رأس مالٍ

وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال : أخسائة أحب إليك العام
أم ألف في قابل ؟ فقال : ألف في قابل ، فلما أتاه قال : ألف أحب إليك أم
ألفان في قابل ؟ قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً .
قال : ودخل ابن عبدل على عبد الملك بن مروان بن بشر فقال : ما
أحدثت بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأةً من قومي فردت عليّ جواب رسالتي
بيتي شعر ، قال : وما هما ؟ وأنشده البيتين المذكورين ، فضحك عبد الملك
وقال : ما أجود ما ذكرت بنفسك ، وأمر له بألفي درهم .

ومثل هذا قال عبد الملك بن مروان لرجل : ما مالك ؟ قال : ما أكفّ به
وجهي وأعود منه على صديقي ، قال : لقد لطفت في المسألة ، وأمر له بمال .
وقريب من هذا قال قيس بن سعد لمجوز : كيف حالك ؟ قالت : ما في بيتي
جرذ ، فقال : ما ألطف ما سألت ! لأملأن بيتك جرذانا ، وأمر لها بمال .
وشخص الحكم بن عبدل مع عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة
فوهب له جارية من جواريه فوائبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعة أو عشرة
طلقاً واحداً ، فلما أصبحت قالت له : جعلت فداك من أي الناس أنت ؟ قال :
امرؤ من أهل الشام ، قالت : بهذا العمل غلبتم أهل العراق في حربكم .

حماد بن أبي حنيفة

أبو إسماعيل حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ؛ كان على مذهب أبيه ، رضي الله تعالى عنه ، وكان من الصلاح والخير على قَدَمٍ عظيم ، ولما توفي أبوه كانت عنده ودائع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم أيتام ، فحملها ابنه حمّاد المذكور إلى القاضي ليتسلّمها منه ، فقال له القاضي : ما تقبلها منك ولا تخرجها عن يدك فإنك أهل لها وموضعها ، فقال حماد للقاضي : زنتها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة أبي حنيفة ، ثم افعل ما بدا لك ، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياماً ، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره .

(30) وكان ابنه إسماعيل قاضي البصرة وعزل عنها بالقاضي يحيى بن أكرم ، ورأيت في كتاب « أخبار أبي حنيفة » أن القاضي يحيى بن أكرم لما وصل إلى البصرة وعزم إسماعيل بن حماد على السفر شيّعهُ القاضي يحيى بن أكرم فكان الناس يدعون لإسماعيل ويقولون له : عفت عن أموالنا ودمائنا ، فيقول إسماعيل : وعن أبنائكم ، وكان يُعرّضُ بما يُستهم به القاضي يحيى بن أكرم . وقال إسماعيل المذكور : كان لنا جار طحان رافضي ، وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر ، فرمحه ذات ليلة أحدُ البغلين فقتله ، فأخبر جدّي أبو حنيفة به ، فقال : انظروا فيني إخال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه ، فنظروا ، فكان كما قال .

وكانت وفاة حماد المذكور في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة ، رحمه الله تعالى ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى .

٢٠٤ - انظر طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ .

١ ترجمة القاضي إسماعيل حفيد أبي حنيفة في الجواهر المضية ١ : ١٤٨ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٤٣ .

حماد الراوية

أبو القاسم حمّاد بن أبي ليلى سابور - وقيل ميسرة - بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية ، وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » وفي كتاب « طبقات الشعراء » : إنه مولى مكنف بن زيد الخليل الطائي الصحابي رضي الله عنه ؛ كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمع السَّبْعَ الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس ، وكانت ملوك بني أمية تُقدِّمه وتؤثره وتستزيره ، فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها .

وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً^٢ وقد حضر مجلسه : بمَ استحققتَ هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدني أحداً شعراً قديماً ومحدثاً إلا ميزت القديم من المحدث ، فقال له : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ فقال : كثير ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإشاد ، فأنشد حتى ضَجِرَ الوليد ، ثم وكَّلَ به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعيائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

٢٠٥ - ترجمة حماد الراوية في الأغاني ٦ : ٦٧ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٤٢٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٥٢ وخزائن البغدادي ٤ : ١٢٩ ونزهة الألباء : ٢٣ .
١ انظر المعارف : ٣٣٣ ، ٥٤١ والشعر والشعراء : ٢٠٦ .
٢ م : قال له عبد الملك : لأي شيء سميت بالراوية ؟ فقال : أروي لكل شاعر قديم أو محدث ... الخ .

[قال الطُّرْمَاحُ : أنشدت حماداً الراويةَ قصيدةً لي ستين بيتاً فسكت ساعة ثم قال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردها عليّ كلها وزيادةً عشرين بيتاً زادها في وقته .

دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجُه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين ، فقال له يحيى : يا حماد ، إنك لمترف متبذل بجرّ المتاع ، وقال له مطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى بأقلّ ثمناً منها منارة تزيل بها عذرك وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع ؟ وقال له يحيى : ما أحسن ظنك به ! ومن أين له هذه المنارة ؟ هذه وديعة أو عارية ، وقال مطيع : إنه لعظيم الأمانة عند الناس ، قال يحيى : وعلى عظم أمانته فما أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره ، قال مطيع : ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته ؟ فقال حماد : يرهنها من يدخلها على بيته ليلقى عليها من أنواع المداعبة ، وهل عند أحد من المال ما يرهن ؟^١ .

وذكر أبو محمد الحريري صاحب كتاب « المقامات » في كتابه « درة الغواص » ما مثاله^٢ : قال حماد الراوية : كان انقطاعي^٣ إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته ، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وتولى هشام خيفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثق إليه من إخواني سرّاً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمّنت^٤ ، فخرجت أصلي الجمعة ، وصليت في جامع الرضاقة الجمعة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالوا : يا حماد ، أجيب الأمير يوسف بن عمر الثقفي - وكان والياً على العراق - فقلت في نفسي : من هذا كنت أخاف ، ثم قلت لهما : هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً ثم أصير معكما ؟ فقالا :

١ زيادة من دلم ترد في المسودة .

٢ انظر درة الغواص : ١٧٧ وفي نقل ابن خلكان بعض اختلاف . والقصة أيضاً في تهذيب ابن عساكر .

٣ الدرّة : كنت منقطعاً .

ما إلى ذلك سليل ، فاستسلمت في أيديها ، ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ورمى إلي كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ؛ أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَنْ يأتيك به من غير تَرْويع^١ ، وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً يسير عليه اثني عشرة ليلة إلى دمشق » . فأخذت الدنانير ، ونظرت فإذا جل مرحول ، فركبته وسرت حتى وافيت دمشق في اثني عشرة ليلة ، فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قَوَراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تَضَمَّخَ بالمسك والعنبر ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام واستدانني فدنوت حتى قَبَلْتُ رِجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلها قط في أذن كل جارية حلقتان فيها لؤلؤتان تَتَّقِدَان ، فقال : كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، فقال : أتدري فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعثت بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله ، قلت : وما هو ؟ قال :

ودَعَا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريق^٢

فقلت : يقوله عديُّ بن زيد العباديُّ في قصيدة ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بَكَرَ العاذلون في وضَحِ الصبِّ حِ يقولون لي أمّا تستفيقُ
ويلومونَ فيكَ يا ابنة عبد الله ه والقلبُ عندكم مَوْهُوق
لستُ أدري إذْ أَكثروا العَدْلَ فيها أَعْدُوّ يُلومني ، أم صديق^٢
قال حماد : فانتهيت فيها إلى قوله :

ودَعَا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريق^٢

١ الدرة : بغير ترويع .

٢ وردت القصيدة في ردون حذف .

فدّمته على عُقار كمين الـ يدكِ صَفَى سُلَافَهَا الراووق
 مَزَّةٍ قَبْلَ مَزْجِهَا فإِذَا مَا مُزِجَتْ لَدَا طَعْنَمَهَا من يذوق
 وطفًا فوقها ففقايعُ كالبا قُوتِ حُمُرٍ يزينها التصفيق
 ثم كان المزاجُ ماءً سحابٍ لا صَرَى آجِنٌ ولا مطرُوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حماد - وفي هذه الحكاية زيادة فانه قال : اسقيه يا جارية ، فسقتني ، وهذا ليس بصحيح ، فإن هشاماً لم يكن يشرب ، فلا حاجة إلى ذكر تلك الزيادة - ثم قال : يا حماد ، سل حاجتك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما جميعاً لك بما عليها ومالها ، وأنزله في داره ، ثم نقله من غدي إلى منزل أعدّه له ، فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل ما يحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ، ووصله بمائة ألف درهم . [قال حماد : فسرت وأنا أيسر خلق الله إلى الكوفة فقلت :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ
 وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ
 تروم شحاً فتمسي البيض [....] وتستهل فتبكي أعين المال^١

قلت : هكذا ساق الحريري هذه الحكاية ، وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن والياً بالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القسري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - حسبما يقتضيه تاريخ ولايته وانفصاله وولاية يوسف بن عمر في ترجمته أيضاً .
 وأخبار حماد ونوادره كثيرة .

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة ، ومولده في سنة خمس وتسعين للهجرة . وقيل إنه توفي في خلافة المهدي ، وتولى المهدي الخلافة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم

١ زيادة من ر ولم ترد في درة النواص أو في مسودة المؤلف .

سنة تسع وستين ومائة بقرية يقال لها الرذا ، من أعمال ماسبذان ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرِ محمدٍ نبيِّ الهدى قبرٌ بماسبذانٍ
عجبتُ لأيندِ هالتِ التُّرْبَ فوقه ضحَى كيفَ لم تَرَجِعِ بغيرِ بنانٍ

ولامات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كنااسة ، وهو لقبه ، واسمه عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن نَضْلَةَ بن أنَيْفِ بن مازن بن ذويبة بن أسامة ابن نصر بن قُعَيْنِ ، بقوله :

لو كانَ ينجي مِنَ الردى حذرٌ نَجَاكَ بما أصابكَ الحَذَرُ
يرحمكَ الله منْ أخي ثقةٍ لم يكُ في صفو ودّه كدر
فهكذا يفسدُ الزمانُ وفيه نى العلم فيه ويدرسُ الأثر

وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية ، قيل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحّف في نَيْفٍ وثلاثين حرفاً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٦

حماد عجرد

أبو عمرو - وقيل أبو يحيى - حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي
- وقيل الواسطي - مولى بني سؤأة بن عامر بن صعصعة المعروف بعجرد

١ ذكرها ياقوت وقال إنها قرية بماسبذان قرب البندنيجين ، بها قبر أمير المؤمنين المهدي ؛
وعند وستنفيلد وص : الود ، وفي رم : ألوذ .

٢٠٦ - ترجمة حماد عجرد في طبقات ابن المعتز : ٦٧ والشعر والشعراء : ٦٦٣ والأغاني ١٤ :
٣٠٤ وتاريخ بغداد ٨ : ١٤٨ والمؤتلف والمختلف ١٥٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٤٩ .

الشاعر المشهور؛ هو من مُحَضَّرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية ، ونادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، وقال علي بن الجعد : قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم : حماد عجرد ومطيع بن إياس الكناني ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يُطاقون خبثاً ومجانة . وهو من الشعراء المجيدين ، وبينه وبين بشار بن برد أهاجٍ فاحشة ، وله في بشار كل معنى غريب ، ولولا فحشها لذكرت شيئاً منها ، وكان بشار يضح منه ، وقال بشار في حماد^١ :

إذا جِئْتَهُ في الحي أغلَقَ بابَه فلم تَلَقَهُ إلا وأنت كَمِينُ
فَقُلْ لأبي يَحْيَى متى تَبْلُغُ العُلا وفي كل مَعروف عليك يَمِينُ
وفيه يقول بشار أيضاً^٢ :

نِعْمَ الفتى لو كان يَعْْبُدُ رَبَّهُ وَيُقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
وابْيَضَّ من شُرْبِ المدامة وجهُهُ وبَيَاضه يومَ الحساب^٣ سوادُ

وكان يَبْرِي النَّبْل ، وقيل إن أباه كان يبري النبل^٤ ، وإنه هو لم يتعاط شيئاً من الصنائع . وكان ماجناً ظريفاً خليعاً مُتَّهَماً في دينه بالزندقة ؛ يحكى أنه كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار - وما يليق التصريح بذكر اسمه^٥ - مودة ، ثم تقاطعا ، فبلغه عنه أنه يتنقصه ، فكتب إليه :

إن كان نسكك لا يَتِمُّ بغيرِ شَتْمِي وانتقاصي
فاعدنْ وقسْمُ بي كيفَ شئتَ مع الأَداني والأقاصي

١ ديوان بشار : ٢٢٠ - ٢٢١ ، وذكر جامع الديوان أن الأبيات في هجاء عبد الله بن قزعة .

٢ ديوان بشار : ٧٠ .

٣ م : المعاد .

٤ اكتفى في م بقوله : وكان وأبوه يبريان النبل .

٥ صرَّحت به المصادر وتحرَّج في ذكره المؤلف ، انظر الاغانى ١٤ : ٣١٦ .

فَلَطَمَا زَكَّيْتَنِي وَأَنَا الْمَصْرُ عَلَى الْمَعَاصِي
أَيَّامَ نَأْخُذُهَا وَنَعِ طِي فِي أَبَارِيقِ الرَّصَاصِ

ومن شعره أيضاً :

فَأَقْسَمْتُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي قَبْضَةِ الْهَوَى لَأَقْصَرْتُ عَنْ لُومِي وَأَطْنَبْتُ فِي عُدْرِي
وَلَكِنْ بِلَائِي مِنْكَ أَنْكَ نَاصِحٌ وَأَنْكَ لَا تَدْرِي بِأَنْكَ لَا تَدْرِي

[وذكر ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء » قال^٢ : كان في الكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يُرمون بالزندقة .

وقيل إن حماد عجرد أهدى إلى مطيع بن إلياس غلاماً وكتب معه : قد أهديت إليك من يتعلم عليه كظم الغيظ .

ولما أقعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد :

قُلْ لِلْأَمِينِ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا تَجْمَعُ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ وَالذِّيبِ
فَالسَّخْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الذِّيبَ آكَلَهُ وَالذِّيبُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طَيْبِ

وقال أيضاً :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَمْ وَقِعِ الذِّيبَ فِي الْغَنَمِ
إِنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ شَيْخٌ سَوْءٌ قَدْ اغْتَلَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرْبَةً فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ
إِنْ رَأَى تَمَّ غَفْلَةً مَحْجِ الْمَيْمِ فِي الْقَلَمِ

فشاعت الأبيات ، فأمر الأمين أن يخرج حماد .

١ الاغاني : المقيم .

٢ انظر الشعر والشعراء : ٦٦٣ .

ومن شعر حماد عجرد :

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود
بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود^١

وأشعاره وأخباره مشهورة .

وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى . وقيل : كان من أهل واسط ، وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة في سنة خمس وخمسين ومائة ، وقيل : خرج من الأهواز يريد البصرة ، فبات في طريقه ، فدفن على تل هناك ، وقيل : مات سنة ثمان وستين ومائة .

ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة ، حُمل ودفن على حماد عجرد ، فمرَّ على قبريها أبو هشام الباهلي ، فكتب عليهما^٢ :

قد تبع الأعمى قفا عَجْرَدٍ فأصبَحَا جارَيْنِ في دارِ
صارا جميعاً في يدَي مالكٍ في النار ، والكافِرُ في النار
قالتْ بقاعُ الأرض لا مَرَحِبًا بقُرْبِ حَمَادٍ وبَشَارِ

وعَجْرَدٌ - بفتح العين المهملة وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها دال مهملة - وهو لقب عليه ، وإنما قيل له ذلك لأنه مر به أعرابي وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عُريان ، فقال له : لقد تَعَجْرَدْتَ يا غلام ، والمتعجرد : المتعرتي .

والخضرم - بضم الميم وفتح الحاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء وبعدها ميم - أصل هذه اللفظة أن تطلق على الشاعر الذي أدرك الجاهلية

١ زيادة من ص د ولم ترد في مسودة المؤلف .

٢ انظر الاغاني ١٤ : ٣٦٣ .

والإسلام مثل لبيد والنابغة الجمعي وغيرهما ، ثم توسّع فيها حتى صارت تطلق على من أدرك دولتين ، وسمع في ذلك أيضاً محضراً بالحاء المهملة وسمع بكسر الراء أيضاً .

٢٠٧

أبو سليمان الخطابي

أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب الخطّابي البُسْتِي ؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها « غريب الحديث » و « معالم السنن في شرح سنن أبي داود » و « أعلام السنن في شرح البخاري » وكتاب « الشحاح »^١ وكتاب « شأن الدعاء » وكتاب « إصلاح غلط المحدثين » وغير ذلك .
سمع بالعراق أبا علي الصّفّار وأبا جعفر الرّزّاز وغيرهما ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن البيّح النيسابوري وعبد الغفار بن محمد الفارسي وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطّابي وغيرهم ، وذكره صاحب « يتيمة الدهر » ، وأنشد له^٢ :

وما غمّة^٣ الإنسان في شقّة النّوى ولكنّها والله في عدَمِ الشّكلِ

٢٠٧ - ترجمة أبي سليمان الخطّابي في انباه الرواة ١ : ١٢٥ (تحت أحد) و يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ ومجمع الأدباء ٤ : ٢٤٦ وشذرات الذهب ٣ : ١٥٠ وبنية الوعاة : ٢٣٩ ، وانظر أنساب السمعاني واللباب : (الخطّابي) وتذكرة الحفاظ : ١٠١٨ وخزانة الادب ١ : ٢٨٢ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٨ ، ومن كتبه المنشورة : رسالة له في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل ، نشر دار المعارف) ورسالة في الغزلة (إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة : ١٣٥٢ هـ) ومعالم السنن (في مجلدين) . وله مؤلفات أخرى ذكرها ياقوت .
١ وكتاب الشحاح : لم يذكر إلا في ص ر والمسودة .
٢ يتيمة : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
٣ كذا في المسودة ؛ وفي سائر النسخ : غربة .

وإني غريبٌ بين بُسْتِ وأهلها وإن كان فيها أُسْرَتِي وبها أهلي
وأنشد له أيضاً :

شر السباع العَوادي دُونَهُ وزرُّ والناسُ شَرُّهُمُ ما دونه وزرُّ
كم معشرٍ سلّموا لم يؤذِهِم سَبْعٌ وما ترى بشراً لم يؤذِهِ بِشَرِّ
وأنشد له أيضاً :

فسامح ولا تَسْتوفِ حَقَكَ كله وأبقِ فلم يَسْتَقْصِ قَطُّ كَرِيمٌ
ولا تَغْلُ في شيء من الأمرِ واقتصدِ كلا طرفَيَّ قصدِ الأمورِ ذمِّمُ

وذكر له أشياء غير ذلك . وكان يشبّه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام
علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديباً وتأليفاً . وكانت وفاته في شهر ربيع الأول
سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بمدينة بُسْتِ ، رحمه الله تعالى .

والخطّابي - بفتح الحاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء
موحدة - وهذه النسبة إلى جده الخطّاب المذكور ، وقيل إنه من ذرية زيد بن
الخطّاب ، رضي الله تعالى عنه ، فنسب إليه ، والله أعلم .

والبُسْتِي - بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من
فوقها - هذه النسبة إلى بُسْتِ ، وهي مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزّنة
كثيرة الأشجار والأنهار .

وقد سمع في اسم أبي سليمان حمدٍ المذكور أحدٌ أيضاً - بإثبات الهمزة -
والصحيح الأول ؛ قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البيّح : سألت أبا القاسم المظفر
ابن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطّابي أحمد أو حمد فإن
بعض الناس يقول أحمد ، فقال : سمعته يقول : اسمي الذي سميت به حمد ،
ولكن الناس كتبوا أحمد ، فتركته عليه . وقال أبو القاسم المذكور : أنشدنا
أبو سليمان لنفسه :

١ وقد سمع ... عليه : سقطت هذه الفقرة من م .

ما دُمتَ حياً فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنما أنتَ في دارِ المُداراةِ
مَنْ يدرِ دارِي ومن لم يدرِ سوفَ يُرى عَمَّا قليلٍ نديماً للنداماتِ

٢٠٨

حمزة الزيات

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات ،
مولى آلِ عِكرِمَةَ بنِ رَبِيعِيّ التيميِّ ؛ كان أحدَ القُرَّاءِ السبعة ، وعنه
أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة ، وأخذ هو عن الأعمش ، وإنما قيل له « الزيات »
لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حُلوان ويحلب من حلوان الجبن والجوز
إلى الكوفة ، فعُرف به .

وتوفي سنة ست وخمسين ومائة بحلوان وله ست وسبعون سنة ، رحمه
الله تعالى .

وحُلوان - بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون -
وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل .

وربِيعِيّ : بكسر الراء وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد الياء .

٢٠٨ - ترجمته في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧ وغاية النهاية ١ : ٢٦١ وميزان الاعتدال ١ : ٦٠٥
وقد ولد حمزة بن حبيب سنة ٨٠ هـ هو وأبو حنيفة في عام واحد ، قال الذهبي : قد انعقد
الاجماع باخرة على تلقي قراءة حمزة بالقبول والانكار على من تكلم فيها ، فقد كان من بعض السلف
في الصدر الأول فيها مقال . وقيل توفي سنة ١٥٨ .

حنين بن إسحاق

أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور؛ كان إمام وقته في صناعة الطب، وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة وهو الذي عرّب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية، وجاء ثابت بن قرة المقدم ذكره فنقحه وهذبه، وكذلك كتاب المجسطي، وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت، وكان حنين المذكور أشدّ الجماعة اعتناء بتعريبها، وعرّب غيره أيضاً بعض الكتب، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان، لا جرم كل كتاب لم يعرّبه باقي على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة. وكان المأمون مُغرماً بتعريبها وتحجيرها وإصلاحها، ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها، لكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر. وحنين المذكور في الطب مصنّفات مفيدة كثيرة - وقد تقدم ذكر ولده إسحاق في حرف الهمزة -؛ ورأيت في كتاب «أخبار الأطباء» أن حنيناً المذكور كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء، ويخرج فيلتف في قטיפفة، ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة، ويتكئ حتى ينشف عرقه، وربما نام، ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فرّوج كبير مُسمّن قد طُبّخ زيرباجاً ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسّو من المرقّة ويأكل الفروج والخبز وبنام، فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي^٢ والسقّر^١ جلّ،

٢٠٩ - ترجمة حنين بن إسحاق في الفهرست : ٢٩٤ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٨٤ وتاريخ الحكماء : ١١٧ وقال ابن النديم أنه كان فصيحاً في اليونانية والسريانية والعربية . وله مؤلفات عدا ما نقله .

١ أ ج : اللغة اليونانية .

٢ هـ : الدمشقي .

وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء ١ لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين .
وقد سبق في ترجمة ولده نسبة العبادي إلى أي شيء هي .
واليونانيون كانوا حكاء متقدمين على الإسلام ، وهم من أولاد^٢ يونان بن يافث
ابن نوح عليه السلام ، وهو بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبين
النونين ألف .

٢١٠

ابن حيان صاحب المقتبس

أبو مروان حَيَّان بن خَلَف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن
وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
مروان ؛ هو من أهل قُرطبة ، وله كتاب « المقتبس في تاريخ الاندلس » في
عشر مجلدات ، وكتاب « المتين »^٣ في تاريخها أيضاً في ستين مجلداً .
ذكره أبو علي الفسافي فقال : كان عالي السن ؛ قوي المعرفة متبحراً في
الآداب بارعاً فيها ، صاحب لواء التاريخ بالاندلس ، أفصح الناس فيه وأحسنهم
نظماً له ، لزم الشيخ أبا عمرو ابن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي القالي
وأبا العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي ، وأخذ عنه كتابه المسمى

١ ه : السبب ؛ وفي الفهرست كما ثبت في المتن .

٢ أ ج : من ولد .

٢١٠ - ترجمة ابن حيان مؤرخ الاندلس في جذوة المقتبس : ١٨٨ والصلة : ١٥٤ وتكلمة بروكلمان
١ : ٥٧٨ وقد نشر من كتابه « المقتبس » قطعتان ، احدهما بعناية ملشور انطونية (باريس
١٩٣٧) والثانية بعناية الدكتور عبد الرحمن الحجبي (بيروت ١٩٦٥) ويعد الثالثة للنشر
الدكتور محمود مكي .

٣ يرد هذا الكتاب أحياناً في المصادر باسم « المبين » .

٤ أ : الهمة .

بـ « الفصوص » وسمع الحديث . وسمعتة يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة^١ ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة .

وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وأربعمائة ، ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الرُّبُض . ومولده سنة سبع وسبعين وثلثمائة . ووصفه القسائي بالصدق فيما حكاه في تاريخه . وأخبر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون قال : كان ابن حيان فصيحاً في كلامه ، بليغاً فيما يكتبه^٢ بيده ، وكان لا يتعمد كذباً فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار ، قال : ورأيت في النوم بعد وفاته مقبلاً إلي ، فقلت إليه وسلم علي وتبسم في سلامه ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت له : فالتاريخ الذي صنفت ندمت عليه ؟ قال : أما والله لقد ندمت عليه ، إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي .

وذكره أبو عبد الله الحميدي في « جذوة المقتبس » وابن بشكُوَال في « الصلة » ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

١ هـ : بالمولود .

٢ أ ج : يحكيه .

حرف الخاء

خارجة بن زيد

أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ؛
 - وقد تقدم ذكر أبي بكر ابن عبد الرحمن في حرف الباء ، وذكرت في ترجمته
 البيتين الجامعين لأسماء الفقهاء السبعة - وكان خارجة المذكور تابعياً جليل القدر ،
 أدرك زمان عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأبوه^١ زيد بن ثابت رضي الله
 عنه من أكابر الصحابة . وفي حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أفرَضُكُمْ زيد » .

توفي خارجة سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مائة ، رضي الله عنه ،
 بالمدينة .

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في « الطبقات »^٢ أن خارجة قال: رأيت
 في المنام كأنني بنيت سبعين درجةً ، فلما فرغت منها تدهورت^٣ ، وهذه
 السنة لي سبعون سنة قد أكملتها ؛ قال : فمات فيها . وروى عنه الزهري ،
 رحمها الله تعالى .

٢١١ - ترجمة خارجة بن زيد في رجال ابن حبان : ٦٤ والعبير : ١١٩ وحلية الاولياء : ٢ ؛
 ١٨٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ .
 ١ ج : وكان أبوه .
 ٢ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٢٦٢ - ٢٦٣ .
 ٣ الطبقات : تهورت .

خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ؛ كان من أعلم قريش^١ بفنون العلم ، وله كلام في صناعة^٢ الكيمياء والطب ، وكان بصيراً بهذين العلمين مُتَقِنًا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصناعة عن رجل من الرُهْبَانِ يقال له مريانس الراهب^٣ الرومي ، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهنَّ ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها ، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه . وله شعر جيد فمنه :

تجولُ خَلَاخِيلُ النساءِ ، ولا أرى لِرَمَلَةٍ خَلْخَالًا يجول ولا قلبًا
[فلا تكثروا فيها الملام فإنني تخيرتها منهم زبيرة قلبًا]^٤

٢١٢ - ترجمة خالد بن يزيد الأموي في الفهرست : ٣٥٤ وتهذيب ابن عساکر ٥ : ١١٦ ، وانظر تاريخ الحكماء : ٤٤٠ وكتاب :

Julius Ruska, Arabische Alchemisten, 1 Chalid ibn Jazid ibn Mu'awija, Heidelberg, 1924.

ويقول دي ميبيلي في كتابه العلم عند العرب (الترجمة العربية ص ٩٩ ط. القاهرة ١٩٦٢) في الحديث عن صلة خالد بالعلوم القديمة : « وليس ذلك كله إلا أسطورة محضاً على الأخص ما ذكروه من تبجره في علم الصنعة » .

١ أ ج : الناس .

٢ هـ : صنعة ، وسقطت الكلمة من م .

٣ أثبتنا كلمة « الراهب » عن م ولم ترد في المسودة ؛ وفي أ : بريانس ؛ هـ : مرياقش ؛ ولعل مريانوس أو مورينوس هو الصورة الاصلية للاسم عند من يثبت وجود مثل هذا الراهب .

٤ ج : تدل .

٥ زيادة من ص وحدها .

أَحِبُّ بَنِي الْعَوَّامِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحَبَبْتُ أَوْلِيَّهَا كَلْبًا

وهي طويلة ، ولها قصة مع عبد الملك بن مروان أضر بنا عن ذكرها لشهرتها .
وكان له أخ يسمى عبد الله ، فجاءه يوماً وقال : إن الوليد بن عبد الملك
يعبث بي ويحتقري ، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره ، وعبد
الملك مُطْرَقُ فرفع رأسه وقال : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا
أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾ (النمل : ٣٤) فقال خالد : ﴿ وإذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميراً ﴾ (الاسراء : ١٦) فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني ؟ والله لقد
دخل علي فيما أقام لسانه لحناً ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول ؟ فقال عبد
الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله
يلحن فإن أخاه خالد ، فقال له الوليد : اسكت يا خالد ، فوالله ما تُعَدُّ في
العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد
فقال : ويحك ! ومن العير والنفير غيري ؟ جدي أبو سفيان صاحب العير ،
وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت : غنيمات وحبيبات
والطائف ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت .

وهذا الموضوع يحتاج إلى تفسير ، فقله « العير » فهي عير قريش التي أقبل بها
أبو سفيان من الشام ، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
ليغنموها ، فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير ، وكان مقدّم القوم

١ زاد في د بعد هذا البيت :

فإن تسلمي نسل وإن تنصري يخط رجال بين أعينهم صلبا

وذكر هذا البيت الأخير لعبد الملك فقال خالد : يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله . ١ هـ (ثم
أورد الحكاية التالية بصورة أخرى وفيها : ان عبد الله قال لأخيه خالد : همت اليوم أن
أفتك بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بشس ما همت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد
المسلمين ، فقال عبد الله : ان خيلي مرت فتعبت بها وأصغرتني ، فقال له خالد : أنا أكفيك ،
ودخل على عبد الملك ... الخ) .

عُتْبَةَ^١ بن ربيعة ، فلما وصلوا إلى المسامين كانت وقعة بدر ، وكل واحد من أبي سفيان وعتبة جد خالد المذكور ، أما أبو سفيان فمن جهة أبيه ، وأما عتبة فلأن ابنته هند أم معاوية جد خالد .

وقوله « غنيمات وحيليات - إلى آخر كلامه » فإنه أشار إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص وكان جد عبد الملك المذكور إلى الطائف كان يرعى الغنم ويأوي إلى حُبَيْلَةٍ وهي الكَرَمَة ، ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة فردّه ، وكان الحكم عمّه ، ويقال: إن عثمان رضي الله عنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في ردّه متى أفضى الأمر إليه .

وأخبار خالد كثيرة ، وفي هذا القدر منها كفاية . وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٣

خالد بن عبد الله القسري

أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرُزِ البَجَلِيِّ ثم القَسْرِيِّ ؛ ذكره هشام بن الكلبي في كتاب « جهرة النسب » ، فقال : هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرُزِ بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس ابن غنمة بن جرير بن شِقِّ بن صَعْبِ بن يَشْكُرِ بن رهم بن أفرك بن أقصى بن نذير بن قَسْرٍ ، وهو مالك ، بن عَبْقَرِ بن أنمار بن أراش بن عمرو بن

١ م : يقدمهم عتبة .

٢١٣ - ترجمة خالد بن عبد الله القسري في كتب التاريخ التي تتحدث عن خلافة هشام كاطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الاثير وابن خلدون ... الخ . وراجع الاغانى ٢٢ : ٥ وابن عساكر ٥ : ٦٧ .

الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان^١ ، قال ابن ماكولا : يقال القسري والقصري .

كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي ، ولي مكة
سنة تسع وثمانين للهجرة ، وأمه نصرانية ، وكان لجدّه يزيد صحبة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد معدوداً من جملة^٢ خطباء العرب
المشهورين بالفصاحة والبلاغة^٣ ، وكان جواداً كثير العطاء ، دخل عليه شاعر
يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه بيتين ، فلما رأى اتساع الشعراء في القول
استصغر ما قال ، فسكت حتى انصرفوا ، فقال له خالد : ما حاجتك ؟ فقال :
مدحت الأمير بيتين ، فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتي^٤ ، فقال : ما هما ؟
فأنشده^٥ :

تَبَرَّعْتَ لي بالجوّد حتّى نَعَشْتَنِي وَأَعْطَيْتَنِي حتّى حَسَبْتَنِي تَلْعَبُ
فَأَنْتَ النَّدَى وابن الندى وأبو الندى حليف الندى ما للندى عنك مذهبُ

فقال : ما حاجتك ؟ فقال : عليّ دين ، فأمر بقضائه وأعطاه مثله .
[وحكى عبد الملك بن قريب الأصمعي قال : دخل أعرابي على خالد القسري
فقال : قد امتدحتك بيتين ولست أنشدكما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم ،
قال : قل ، فأنشأ يقول :

لِزِمْتَ « نَعَمَ » حتّى كأنك لم تكن سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم
وأنكرت « لا » حتّى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال : أعطه يا غلام عشرة آلاف درهم وخادماً ، فتسلمها ؛ ودخل عليه

١ ذكره... قحطان : سقط من س م . والنسب وارد في الاغاني ؛ وسقط من الاغاني « أفصى »

وزيد « لحيان » بعد عمرو ؛ وزيد « القرز » أو « الفرز » بعد الغوث .

٢ جملة : ثبتت في المسودة ونسخة ص .

٣ هكذا يقول المؤلف ، وصاحب الاغاني يزعم أن خالداً كان لحنة (٥ : ٣١) .

٤ م : فقال له وقد تقوض المجلس : من أنت ؟ قال شاعر مدحتك بيتين استقلتها في جنب ما

قبل فيك ، فاستنشه فأنشده ؛ وفي أ ج : استصغرت بيتي .

أعرابي فقال : قد قلت شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرِكَ حاجة سوى أنني عافٍ وأنت جوادُ
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي وأنت عمادُ

فقال له خالد : سل يا أعرابي ؛ قال ، وجعلتَ المسألة إليّ أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم ، قال : مائة ألف درهم ، قال : أكثرت يا أعرابي ، قال : فأحطتُك ؟ قال : نعم ، قال : قد حططتُك تسعين ألفاً ، قال له خالد : يا أعرابي لا أدري من أيّ أمريك أعجب ، فقال : أصلح الله الأمير ، أنت جعلتَ المسألة إليّ فسألتُك على قدرك وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطّ حططت على قدري وما استأهله في نفسي ، فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبنى ؛ يا غلام أعطه مائة ألف درهم ، فدفعها إليه^١ .

وكتب إليه هشام بن عبد الملك : « بلغني أن رجلاً قام إليك فقال : إن الله جواد وأنت جواد ، وإن الله كريم وأنت كريم ، حتى عدّ عشر خصال ، والله لأن لم تخرج من هذا لأستحلّن دمك »؛ فكتب إليه خالد : « نعم يا أمير المؤمنين قام إليّ فلان فقال : الله كريم يحب الكريم ، فأنا أحبك لحب الله إياك ، ولكن أشد من هذا مقام ابن شقي البجلي إلى أمير المؤمنين فقال : خليفتك أحب إليك أم رسولك ؟ فقلت : بل خليفتي ، فقال : أنت خليفة الله ومحمد رسول الله » والله لقتلُ رجل من بيحيلة أهون على الخاصة والعامة من كفر أمير المؤمنين ، هكذا ذكره الطبري في تاريخه .

وكان خالد يُتهم في دينه^٢ ، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها ، وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوهُ :

ألا قبِحَ الرحمنُ ظهرَ مطيِّبَةٍ أتتنا تهادي من دمشق بخالدِ

١ زيادة من رد ، ووردت في ص متأخرة عن هذا الموضع ، ولم ترد في المسودة .
٢ ان من يقرأ كتاب الاغاني ويجد اتهام خالد بالزندقة وانصباب اللعن عليه واتهامه بالتخنث يستطيع أن يدرك أسباب ذلك ، ويقف وقفة التأمل طويلاً طويلاً !!

وكيف يؤم الناس من كانت أمه^١ تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بعض منار المساجد

ثم إن هشاماً عزل خالداً عن العراقيين في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة ،
وذكر الطبري في تاريخه أن هشام بن عبد الملك عزل عمر بن هُبيرة عن العراق وولاه
خالداً في شوال سنة خمس ومائة ، ثم عزله وولى يوسف بن عمر الثقفي - وهو ابن
عم الحجاج - وكان سبب عزل خالد^٢ أن امرأة أخته فقالت : أصلح الله الأمير!
إني امرأة مسلمة ، وإن عاملك فلاناً المجوسي وثبّ علي فأكرهني على الفجور
وغصبني نفسي ، فقال لها : كيف وجدت قلبته ؟ فكتبت بذلك حسان النبطي
إلى هشام ، وعند هشام يومئذ رسول يوسف بن عمر ، وقد كان يوسف وجّهه
إليه من اليمن في بعض حاجته فاحتبس^٣ هشام عنده يوماً ، حتى إذا جنّته
الليل دعا به فكتب معه إلى يوسف بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله ، وأمره
أن يستخلف ابنه الصلّت على اليمن ، فخرج يوسف في نَفَر يسير ، فسار من
صنعاء إلى الكوفة على الرحال في سبع عشرة مرحلة حتى قدم الكوفة سَجَرًا ،
ثم أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ،
قيل : إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصا ، ثم رفع الخشبتين
إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقص
صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق ، وكان ذلك في المحرم سنة
ست وعشرين ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحيرة ، ودفن
في ناحية منها ليلاً ، رحمه الله تعالى .

والحيرةُ بينها وبين الكوفة فرسخ ، كانت منزل آل النعمان بن المنذر
ملوك العرب .

١ الاغاني : وكيف يؤم المسلمين وأمه .

٢ ذكر الطبري (في حوادث سنة ١٢٠) أسباباً متعددة لعزل خالد ليس فيها هذا السبب ،
وكذلك لم يرد هذا النص في السودة حتى قوله : سَجَرًا .

٣ أ ج د : فحبسه .

ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات ،
وهي في « كتاب الحماسة »^١ :

ألا إنَّ خيرَ الناسِ حيًّا وميتًا أسيرُ ثقيفٍ عندهم في السلاسلِ
لعمري لئن عمَّرتُمُ السجنَ خالدًا وأوطأتموه ووطأه المتشاقلِ
لقد كان نَهَاضًا بكلِّ مُلِمةٍ ومُعطي اللِّها غمراً كثير النوافلِ
وقد كان يبني المكرمات لقومه ويعطي اللِّها في كلِّ حقِّ وباطلِ
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معرُوفه في القبائلِ

وكان يوسف جعلَ على خالد في كل يوم حمل مال معلوم ، إن لم يقم به في
يومه عَذَّبَه ، فلما مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصل
في قسط يومه سبعين ألف درهم ، فأنفذها له ، وقال : اعذرني فقد ترى ما أنا
فيه ، فردّها أبو الشغب وقال : لم أمدحك لمالٍ وأنت على هذه الحال ، ولكن
لمعروفك وإفضالك ، فأنفذها إليه ثانياً وأقسم عليه ليأخذنّها فأخذها ، وبلغ
ذلك يوسف فدعاه وقال : ما حملك على فعلك ، ألم تخش العذاب ؟ فقال : لأن
أموت عذاباً أسهل عليّ من كفي بذي ، لا سيما على من مدحني^٢ .

وذكر أبو الفرج الاصبهاني^٣ أن خالداً كان من ولد شقّ الكاهن ، وهو
خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز ، وذكر أن كرزاً كان دعياً ، وأنه
كان من اليهود ، فجنى جناية فهرب إلى بجيلة فانتسب فيهم ، ويقال : كان
عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرقعة ، وسمي بذي الرقعة لأنه كان
أعور يغطي عينه برقعة ، وذو الرقعة هو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقِّ
الكاهن بن صعب ؛ انتهى كلام أبي الفرج .

قلت أنا : كان شقّ المذكور ابنَ خالة سطيح الكاهن الذي بشرّ بالنبي صلى
الله عليه وسلم ، وقصته في تأويل الرؤيا في ذلك مشهورة ، وهي مستوفاة في

١ شرح المرزوقي: ٩٢٧، واسم أبي الشغب العبسي عكرشة (وفي المسودة: أبو الشعب بالعين المهمله).

٢ وكان يوسف ... مدحني: سقط من ص م س والمسودة .

٣ الاغانى ٥ : ١٧ .

السيرة ، وكان شق وسطيح من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جَسَدًا مَلْقَى لا جوارح له ، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان لا يقدر على الجلوس ، إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس ، وكان شق نصفَ إنسان ، ولذلك قيل له شق ، أي شق إنسان ، فكانت له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وفتح عليها في الكهانة ما هو مشهور عنها ، وكانت ولادتها في يوم واحد ، وفي ذلك اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، ولما ولدا دعت بكل واحد منها وتَفَلَّتْ في فيه ، وزعمت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ، ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة ، وعاش كل واحد من شق وسطيح ستائة سنة .

وكرز : بضم الكاف وسكون الراء وبعدها زاي .

والقَسْرِي - بفتح القاف وسكون السين المهملة وبعدها راء - هذه النسبة

إلى قَسْر بن عَبْقَر ، وهي بطن من بجيلة .

٢١٤

خالد المهلب

أبو الهيثم خالد بن خدّاش بن عجلان المهلب مولى آل المهلب بن أبي صفرة ؛ من أهل البصرة ، سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن ومهدي بن ميمون وحامد بن زيد وغيرهم [وروى عنه أحمد بن حنبل

١ علق بعض الموقنين على هذا الموضوع في هامش النسخة د بقوله : « ومن جملة عجائب شق أن يكون له ولد وهو كما ذكر » قلت : حين تتحول الاسطورة إلى تاريخ يعيش شق أيضاً ستائة سنة ولا يجد من يعجب من ذلك .

٢١٤ - ترجمته في ميزان الاعتدال ١ : ٦٢٩ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٠٤ وتهذيب التهذيب ٣ : ٨٥ ؛ وقد قال فيه أبو حاتم : صدوق ؛ وقد انفردت ص وهذه الترجمة ، ولم ترد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

وأحمد بن إبراهيم الدورقي وحاتم بن الليث الجوهري وغيرهم^١ . قال محمد بن
 المثني : انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى ، فلقي خالد بن
 خدش المحدث ، فسلم عليه فقصر بشر في السلام ، فقال خالد : بيني وبينك
 مودة أكثر من ستين سنة فما تغيرت عليك فما هذا التغير؟ قال بشر : ما هاهنا
 تغير ولا تقصير ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا
 شيء أهدي لك وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً
 أبشهما بصاحبه فتركتك لتكون أفضل ثواباً مني ؛ مات خالد بن خدش في
 سنة ثلاث وعشرين ومائتين في جمادى الآخرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٥

خالد التميمي

أبو الهيثم خالد بن يزيد [بن الهيثم] التميمي الخراساني ؛ كان أحد كتّاب
 الجيش ببغداد وله شعر مدون وشعره كله في الغزل ؛ حكى أبو الحسن البرمكي
 قال : كنا جلوساً على باب عبد الصمد بن المعدل بن علي ومعنا رجل ينشدنا
 أشعار عبد الصمد، إذ أقبل خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا فقال : فيم كنتم؟
 فقلنا يجهلنا : هذا ينشدنا شيئاً من أشعار عبد الصمد، فالتفت إليه خالد فقال :
 يا فتى من ذا الذي يقول :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضرّ خالٍ من النفعِ

١ زيادة من ص .

٢١٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ والاعاني ٢٠ : ٢٣٤ والمنتظم ٥ : ٣٥ وطبقات ابن
 المعتز : ٤٠٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٤٧ والفوات ١ : ٢٩٦ ، وتوفي خالد الكاتب سنة ٢٦٩
 ببغداد ، وقال ابن شاعر : توفي في حدود السبعين ومائتين ؛ وله اشعار في الديارات : ١٠ -
 ١٣ ؛ وهذه الترجمة من رص ولم ترد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

ثم قال : يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعاً ؟ فقال : لا ،
ثم أنشد :

لئن كان أضحى فوق خديه روضة فإن على خدي غديراً من الدمع

ثم نهض ، فقال لنا المنشد : من هذا ؟ فقلنا : خالد الكاتب ، فعدا خلفه
وانقطعت نعله وانقلبت محبرته حتى كتب البيتين ؛ ومن شعر خالد المذكور :

هبك الخليفة حين ير كب في مواكبه وجنده
أو هبك كنت وزيره أو هبك كنت وليّ عهده
هل كنت تقدر أن تزيد المبتلى بك فوق جهده

وقال ثعلب : ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب إلا خالد الكاتب
فإنه أبدع في قوله :

رقدت فلم ترثٍ للساهرِ وليلُ الحبِّ بلا آخرِ
ولم تدرِ بعد ذهابِ الرقادِ ما صنع الدمعُ بالناظرِ

فإنه لم يجعل لليل آخرأ ، وقيل لخالد : من أين قلت في قصيدتك « وليل
الحب بلا آخر » ؟ فقال : وقفت على باب وعليه سائل مكفوف وهو يقول :
الليل والنهار عليّ سواء ، فأخذت هذا منه .

وذكر ميمون بن حماد قال : دخلت يوماً على أبي عبد الله ابن الأعرابي
فقلت له : أسمعت من شعر هذا الغليم شيئاً ؟ قال : من هو ؟ قلت : خالد بن
يزيد ، فقال : لا وإني لأحبّ ذلك ، فصاح به فجاء حتى وقف عليه ، فقلت :
أنشد أبا عبد الله من شعرك ، فقال : إنما أقول في شجون نفسي ولا أمدح ولا
أهجو ، فقلت : أنشده ، فأنشده :

أقول للشقم عدوً إلى بسدي شوقاً لشيء يكون من سبيك

فقال ابن الأعرابي : حسبك يا غلام فقد خيل لي ان الرقة قد جمعت لك في هذا البيت .

قال جحظة^١ : حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال : لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهدي قد وافاني ، فدخلت إليه فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من البدر والشمس المضيئة بالأرض
عشيّة حيّاني بوردي كأنه خدودٌ أضيفت بعضهم إلى بعض
وناولني كأساً كأنّ حبايها دموعي لما صدّ عن مقلتي غمضي
وراح وفعل الراح في حركاته كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلّى ثم قال : يا بني شبّه الناس الحدود بالورد وشبّهت أنت الورد بالحدود ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عابت نفسي في هواك فلم أجدها تقبل
وأجبت داعيها إليك ولم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوجوه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عنك من التصابي أجل

فزحف حتى صار خارج المصلّى ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

ظفر الحبّ بقلبٍ دنفٍ بك والسقم يجسم ناحل
وبكى العاذل من رحمة فبكائي لبكاء العاذل

فصاح وقال : يا بليق^٢ كم معك من العين ؟ قال : ستائة وخمسون ديناراً ، فقال : أقسمها بيني وبينه واجعل الكسر للغلام كاملاً .

وذكر أحمد بن صدقة المغني^٣ قال : اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له :

١ انظر هذه القصة في الاغاني ٢٠ : ٢٣٨ والديارات : ١١ .

٢ في الاغاني : يا رشيق .

٣ الديارات : ١٢ .

اعمل لي أبياتاً أغني بها أمير المؤمنين - يعني المأمون - فقال : وأيّ حظّ لي في ذلك ؟ تأخذ الجائزة وأحصل أنا على الإثم ، فحلف له أنه إن وصله بشيء قاسمه إياه فقال لي : أنت أنذل من ذلك ولكن ذكّره بي فلعله أن يصلني بشيء ، قلت : أفعل ، فأنشدني :

تقول سلا فمَن المدنفُ ومن عينه أبدأ تذرّفُ
ومن قلبه قَلِقٌ خائفٌ عليك وأحشاؤه ترجفُ

فحفظت الشعر وعلمت فيه لحناً وحضرنا عند أمير المؤمنين من الغد وكان بينه وبين بعض حظاياها هجرة فوجهت إليه بتفاحة عليها مكتوب بالغالية : يا سيدي سلوت ، وابتدأت أغني بشعر خالد ، فلما غنيتها إياه انقلبت عيناه ودارتا في رأسه وظهر الغضب في وجهه وقال : لكم على حُرَمي أصحابُ أخبار !! فقمت إعظاماً لما شهدت منه وقلت : أعيد أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبد من عبيده هذا الظن وأنزه داره أن يكون لأحد عليها صاحبُ خبر ، قال : فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا ؟ فحدثته حديثي مع خالد ، فلما انتهيت إلى قوله : أنت أنذل من ذلك فقال : أشهد أنك كذلك ، وأسفر وجهه وقال : ما أعجب هذا الاتفاق ! وأمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها .

وقال بعض من كان يحضر مجلس أبي العباس المبرد : كنا نختلف إليه فإذا كان في آخر المجلس أملى علينا من طرف الأخبار وملح الأشعار ما نرتاح إلى حفظه ، فأنشدنا يوماً مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب وهي :

إن الساحة والمروة والندى قبرٌ يبرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكلّ طرفٍ سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخدامٍ وذباح
مات المغيرة بعد طول تعرّضٍ للموت بين أسنةٍ وصفائح

قال : فخرجت من عنده وأنا أدير بها لساني لأحفظها ، فإذا بشيخ قد خرج

من خربةٍ وفي يده حجرٌ ، فهمٌ أن يرميني به ، فتترستُ منه بالحبرة والدفتر ،
فقال : ماذا تقول ؟ أتشتني ؟ قلت : اللهم لا ، ولكنني كنت عند أستاذنا أبي
العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب ، فقال : إيه إيه
أنشدني ما أنشدكم باردكم لا مبردكم ، فأنشدته الأبيات فقال : والله ما جوّد الراي
ولا أنصف المرثيَّ ولا أحسنَ الراوي ، قلت : فما عساه أن يقول ؟ قال : كان
يقول :

احملاني إن لم يكن لكما عة ر إلى جنبِ قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداء لو تعلمان

قال : فقلت : هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه ؟ قال : نعم ، هذا الفتح
ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بدمه ودمه بدمه ، ثم تركني
وولي ؟ قال : فلما عُدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال : أتعرفه ؟ قلت :
لا ، قال : ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان .
وقيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس ؛ قال بعضهم :
فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به : يا بارد يا بارد ، فأسند ظهره
إلى قصر المعتصم وقال لهم : كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول :

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين
ورقتُ دموعُ العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني

وحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال : حدثني أبي عن عمه قال :
اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري بسرّ من رأى والصبيانُ حوله
يولعون به ، فجاء إلي وسألني صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له : ما
تشتبي تأكل ؟ قال : هريسة ، فتقدمت بإصلاحها له ، فلما أكل قلت له : أي شيء
تحب بعد هذا ؟ قال : رُطَب ، فأمرت بإحضاره فأكل ، فلما فرغ من أكله
قلت : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني قوله :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضرّ خالي من النفع

أما عند عينيك اللتين هما لمكتبٍ يرجوك شيئاً سوى المنع
فإن كنت مطبوعاً على الصدِّ والجفا فمن أين لي صبر فأجمله طبعي
فإن يكُ أضحى فوق خديك روضةً فإن على خدي غديراً من الدمع
سل المطر العام الذي عمَّ أرضكم أجاءَ بمقدار الذي فاض من دمعي
فقلت : زدني ، فقال : لا يصيبك بهريسة ورطب غير هذا ، والله أعلم .

٢١٦

الشيخ الحضر بن عقيل الإربلي

أبو العباس الحضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربليُّ الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف ، اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ، ثم رجع إلى إربيلَ ، وبنى له بها الأمير أبو منصور سَرَ فَتَكِينُ بن عبد الله الزيني ، نائبُ صاحب إربيلَ ، مدرسة القلعة ، وتاريخها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودرّس فيها زماناً ، وهو أول من درّس بإربيلَ ، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك ، وله كتاب ذكر فيه ستّاً وعشرين خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلها مسندة ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً متقللاً ونَفَسُهُ مباركاً .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١ وأثنى عليه ، وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربيل .
ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

٢١٦ - ترجمة الحضر بن نصر الإربلي في طبقات السبكي ٥ : ٢١٨ (بايجاز) .

١ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ١٦٥ .

ابن درباس الهذباني ، الذي شرح « المهذب » - وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى - وتخرّج عليه أيضاً ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل ابن نصر وغيرهما .

وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة^١ وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة بإربل ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة ، وقبره يزار وزرته كثيراً ، رحمه الله تعالى .

(31) ولما توفي تولى موضعه ابن أخيه المذكور في المدرستين ، وكان فاضلاً ، ومولده بإربل سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وسخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل وأخرجه منها ، فانتقل إلى الموصل ، فكتب إليه أبو الدر الرومي - الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - من بغداد ، وكان صاحبه^٢ :

أيا ابن عَقِيلٍ لا تَخَفْ سَطْوَةَ العِدا وَإِنْ أَظْهَرْتَ ما أضمَرْتَ من عِنادِها
وأقصَتِكَ يَوْمَ ما عَن بلادِكَ فِتيةٌ رَأَتْ فيكَ فضلاً لم يَكُنْ في بلادِها
كذا عادة الغِربانِ تكره أن تَرى بياضَ البُزاةِ الشُّهبِ بين سوادِها

أشار بذلك إلى الجماعة الذين سَعَوْا به حتى غيروا خاطر الملك عليه ، وكان ذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وستائة ، كذا أعرفه ، وقال ابن باطيش : في سنة ست وستائة ، والله أعلم .

(32) وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند ، من أعمال أذربيجان ، وهي قريبة من إربل ، فقتلوا وسَبَّوا وأسروا ، فعمل شرف الدين محمد ولد عز الدين أبي القاسم المذكور في إخراجهم من إربل :

إِنْ يَكُنْ أَخْرَجُوا النساءَ من الأُو طانٍ ظُلماً وأسْرَفُوا في التَعديِّ

١ قال ابن عساكر : سئل عن مولده فقال : لا أتحققه لكني سمعت والدتي تقول : كنت في قبل شرف الدولة نفسها بك ؛ قال : وأظنه سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

٢ ج : صديقه .

فَلَمَّا أُسُوهُ بَمَنْ جَارَتْ الْكُرُجُ عَلَيْهِمْ وَأُخْرِجُوا مِنْ مَرْنَدٍ

وهذا الشرف له في عمل الدوبيت اليد الطولى ، ولولا خوف التطويل لذكرت شيئاً منها .

وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري ، وقرّر له صاحبُ الموصل راتباً ، ولم يزل هناك حتى توفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن بمقبرة تل توبه ، وهو ابن خالة الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس ، وتوفي ولده الشرف المذكور ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، رحمه الله تعالى ، ومولده في رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل ، وقرأ الفقه على أبيه وعلى عماد الدين بن يونس ، والأدب على أبي الحرم مكي .

(33) وسَرَفَتِكَيْنُ - بفتح السين المهملة والراء وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون - كان مملوك زين الدين علي صاحب إربل ، والد مظفر الدين ، وكان أرمنياً صالحاً فأعتقه وتقدم عنده واعتمد عليه واستنابه في المملكة ، وبنى مساجد كثيرة بإربل وقراها وبنى المدرسة المذكورة ، وبنى سور مدينة فيند التي في طريق مكة من جهة بغداد ، وأثر آثاراً صالحة ، كل ذلك من ماله ، وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

ابن بشكوال

أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن مسعود بن بَشَكُوَال بن يوسف بن داحَة ابن داكة بن نصر بن عبد الكرم بن وافد^١ الخزرجي الأنصاري القرطبي؛ كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة، منها « كتاب الصلة » الذي جعله ذيلًا على « تاريخ علماء الأندلس » تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرّاضي، وقد جمع فيه خلقًا كثيرًا، وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقصر فيه، وكتاب « الغوامض والمبهات » ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهمًا فعينه، ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب، وجزء لطيف ذكر فيه من روى « الموطأ » عن مالك بن أنس، رضي الله عنه، ورتب أسماءهم على حروف المعجم، فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلًا، ومجلد لطيف سماه « كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات » وله غير ذلك أيضًا من المصنفات.

قال أبو الخطاب ابن دحية^٢: نقلت من خط شيخنا - يعني ابن بَشَكُوَال - أنه فرغ من تأليف « الصلة » في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

وكان مولده يوم الاثنين ثالث - وقيل ثامن - ذي الحجة، سنة أربع وتسعين وأربعمائة. وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بقرطبة، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر بمقبرة ابن

٢١٧ - ترجمة ابن بشكوال في معجم شيوخ الصديقي: ٨٢ والتكلمة: ٣٠٤ والديباج المذهب: ١١٤.

١ أ ج والتكلمة: واقد.

٢ تتلمذ ابن دحية لابن بشكوال وقرأ عليه كتاب الصلة بقرطبة في العشر الآخر من صفر سنة ٥٧٤هـ (انظر المطرب: ٧).

عباس ، بمقربة من قبر يحيى بن يحيى ، رحمها الله تعالى .
 وداحة : بفتح الدال المهملة وبعد الألف حاء مهملة أيضاً مفتوحة ثم هاء ساكنة .
 وداكة : مثلها إلا أن عوض الحاء كاف .
 وبشكؤال : بفتح الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وبعد
 الواو ألف ولام .
(34) وتوفي والده أبو مروان عبد الملك بن مسعود صبيحة يوم الأحد ،
 ودفن عشي يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين
 وخمسة ، وعمره نحو ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٢١٨

خلف بن هشام

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب ، ويقال : هشام بن طالب ، بن غراب
 البزار المقرئ ؛ سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم ؛ روى
 عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم ؛ قال أبو العباس
 أحمد بن إبراهيم وراق خلف : سمعت خلفاً يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى
 سليم بن عيسى فقال : ما أقدمك ؟ قلت : أقرأ القرآن على أبي بكر ابن عياش
 بحرف عاصم ، فقال لي : ألا تزيد ؟ قلت : بلى ، قال : فدعا ابنه وكتب معه
 رقعة إلى ابن عياش ، فاستأذن لي عليه سليم بن عيسى ، فدخل عليه فأعطاه

١ ترجمته في الصلة : ٣٤٨ ويقول فيه ابنه : « وكان حافظاً للفقه على منهج مالك وأصحابه
 عارفاً بالشروط وعلماً حسن المقدم لها مقدماً في معرفتها وإتقانها ، وكان كثير التلاوة للقرآن
 العظيم ليلاً ونهاراً ويحتمه كل جمعة . »

٢١٨ - ترجمة خلف بن هشام في تاريخ بغداد ٨ : ٣٢٢ وغاية النهاية ١ : ٢٧٣ ، والترجمة موافقة
 لما في تاريخ بغداد ، وما هنا انفردت به النسختان : ص ر ولم يرد في المسودة وسائر النسخ .

الرقعة ، وكان خلف سبع عشرة سنة ؛ قال : فلما قرأها قال : أدخل الرجل ، فدخلت فسلمت فصعد في النظر ، ثم قال لي : أنت خلف ؟ قلت : نعم ، قال لي : أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك ؟ فسكت ، فقال لي : اقعد هات أقرأ ، قلت : عليك ؟ قال : نعم ، قلت : لا إله إلا الله ، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن ، وتركته وخرجت ، فوجه إلى سليم فسأله أن يرديني إليه فلم أرجع ؛ قال : فندمت واحتجت ، فكنت قراءة عاصم عن يحيى ابن آدم عن أبي بكر ابن عياش .

وقال خلف : أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه ، وكان بين يديه قوم وأظنهم سبقوني ، فلما جلست قال : بلغني أنك تريد الترفع في القراءة فلست آخذ عليك شيئاً ، قال : فكنت أحضر المجلس أسمع ولا يأخذ علي شيئاً ، فبكرت يوماً في الغلس ، وخرج فقال : من هاهنا يتقدم ويقرأ ، فتقدمت واستفتحت بسورة يوسف وهي من أشد القرآن إعراباً ، فقال لي : من أنت فما سمعت أقرأ منك ؟ فقلت : خلف ، فقال لي : فعلتها ما يحل لي أن أمنعك ، فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً حم المؤمن ، فلما بلغت إلى قوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (غافر : ٧) بكى بكاءً شديداً ثم قال لي : يا خلف ألا ترى ما أعظم حق المؤمن تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له .

وروى خلف بسنده إلى أبي هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل منها رحمة على عباده يتراحون بها وخبأ تسعاً وتسعين عنده فإذا كان يوم القيامة جمع تلك الرحمة إلى التسع والتسعين وفضها على عباده ، فمن رحمة واحدة جعلني مسلماً وعلمني القرآن وعرفني نبيته صلى الله عليه وسلم وفعل بي وفعل بي وأنا أرجو من تسع وتسعين الجنة .

وذكر لأبي جعفر النخيلي خلف بن هشام البزار فقال : كان من أصحاب السنة لولا بلية كانت فيه ، يشرب النبيذ ؛ قال عبد الكريم بن الحداد : وكان خلف يشرب من الشراب على التأويل ، فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ (الأنفال : ٣٧) فقال : يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب ؟ قال :

فكس رأسه طويلاً ثم قال : مع الخبيث ، قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يا بني امض إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه ، فتركه فأعقبه الله تعالى الصوم ، فصام الدهر إلى أن مات ، وقيل انه أعاد صلاة الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين . وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ ورتاه بعض الشعراء بقوله :

مضى شيخنا البزار بالفضل يُذكرُ هجان إمام في القراءة مبصرُ
سقى الله قبراً حله من غمامة بوابل غيث صفوه يتفجر
وقد طلب الحساد في الناس كيده فما قدروا حتى عموا وتحجروا

٢١٩

خليفة بن خياط

أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العُصْفُري البصري المعروف بشباب صاحب « الطبقات » ؛ كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النسوي^١ ، في آخرين ، وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست بن حمزة وتلك الطبقة .

٢١٩ - ترجمة خليفة بن خياط في تذكرة الحفاظ : ٤٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١٦٠ وأنساب السمعاني واللباب « المصفرى » وتاريخ البخاري ١/٢ : ١٧٥ والفهرست : ٢٣٢ والرسالة المستطرفة : ١٣٩ ومواطن من الاعلان بالتوبيخ للسخاوي . وقد طبع كتاباه في التاريخ والطبقات .

١ انظر اللباب في مادة « النسوي » .

توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين ، وقال الحافظ ابن عساكر في « معجم مشايخ الأئمة الستة » إنه توفي سنة أربعين ، وقيل : ست وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والعُصْفُري - بضم العين وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء وبعدها راء - هذه النسبة إلى العُصْفُر الذي تصبغ به الثياب حُمْراً .

وَسَبَاب - بفتح الشين المثناة والباء الموحدة وبعده الألف باء ثانية - وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى هو .

(35) وتوفي جده أبو هيبيرة خليفة بن خياط في رجب سنة ستين ومائة ، وكان أبو عمرو المذكور يقول : توفي جدي خليفة بن خياط وشعبة بن الحجاج في شهر واحد ، رحمهم الله أجمعين .

٢٢٠

الخليل بن أحمد

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال : الفرهودي الأزدي اليمعدي ؛ كان إماماً في علم النحو ، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر مجزاً ، ثم زاد فيه الأخفش مجزاً آخر وسماه الخَبَبَ . وقيل إن الخليل دعا بكفة أن يُرَزَقَ^١ علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه ، فرجع من حَجَّة ففتح عليه بعلم العروض ، وله معرفة بالإيقاع والنغم ، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض ، فإنها متقاربان في المأخذ .

٢٢٠ - ترجمة الخليل بن أحمد في انباه الرواة ١: ٣٤١ وفي الهامش ثبت بمصادر ترجمته والاختبار عنه .
١ د : أن يرزقه الله تعالى .

وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني^١ في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه «التنبيه على حدوث التصحيف» : «وبعد ، فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذَه ، ولا على مثال تقدمه احتداه ، وإنما اخترعه من ممر^٢ له بالصفارين^٣ من وقع مطرقة على طست ليس فيها حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتها أو يفيدان غير جوهرها ، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعتة ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن تأسيسه بناء كتاب «العين» الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم من إمداده سيويوه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام» انتهى كلامه .

وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً^٤ حليماً وقوراً ، ومن كلامه : لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره . وقال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلكسين ، وأصحابه يكسبون ، بعلمه الأموال ، ولقد سمعته يوماً يقول : إني لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همي . وكان يقول : أأكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة ، وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة ، وهي السن التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصفي ما يكون ذهن الإنسان في وقت السّحر .

وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز ، فكتب إليه يستدعيه ، فكتب الخليل جوابه :

١ كل المنقول عن حمزة لم يرد في م ومسودة المؤلف ونسختي س ص ؛ انظر التنبيه : ١٢٤ .

٢ أ : من ممر له عن الصفائري .

٣ م ج : عالماً ؛ أ : عاملاً .

٤ د : يكسبون .

أبلغ سليمان أنتي عنه في سعة^١ وفي غنى غير أني لستُ ذا مالٍ
شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن^٢ قدرٍ لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حولٌ محال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

إن الذي شقّ في ضامني للرزق حتى يتوقفاني
حرمتني خيراً قليلاً فما زادك في مالك حرمانني

فبلغت سليمان فأقامته وأعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف
راتبه ، فقال الخليل :

وزلّةٌ يكثر الشيطانُ إن ذُكرت منها التعجبُ جاءت من سليمان
لا تعجبني خَيْرُ زَلٍّ عن يدهِ فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفّع ليلة يتحدثان إلى الغداة ، فلما تفرقا
قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفّع ؟ فقال : رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله ،
وقيل لابن المقفّع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه .
ولللخليل من التصانيف كتاب « العين » في اللغة وهو مشهور ، وكتاب
« العروض » وكتاب « الشواهد » وكتاب « النقط والشكل » وكتاب « النغم »
وكتاب في العوامل^٣ .

وأكثر العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى
الخليل بن أحمد ليس تصنيفه ، وإنما كان قد شرع فيه وركّب أوائله وسمّاه
بـ « العين » ، ثم مات فأكمّله تلامذته النضر بن شميل ومن في طبقتهم وهم مؤرّج

١ ر : دعة .

٢ د : رزقي عل ؛ وانظر الأبيات في الانباء وغيره من المصادر .

٣ لم يذكر في م ؛ وقال القفطي : كتاب في العوامل منحول عليه .

السدوسي ونصر بن علي الجهضمي وغيرهما ، فما جاء الذي عملوه مناسباً لما
وضعه الخليل في الأول ، فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه ، وعملوا أيضاً
الأول ، فهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله ، وقد صنف ابن
درُستويه في ذلك كتاباً استوفى الكلام فيه ، وهو كتاب مفيد .

ويقال : إن الخليل كان له ولد متخلف ، فدخل على أبيه يوماً فوجده
يُقطع بيت شعر بأوزان العروض ، فخرج إلى الناس وقال : إن أبي قد جنّ ،
فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه ، فقال مخاطباً له :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني أو كنتَ تعلم ما تقول عذرتك
لكن جهلت مقالي فعذرتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك
وقد روي عنه أنه أنشد ، ولم يذكر لنفسه أم لغيره :

يقولون لي دارُ الأحبة قد دنتُ وأنت كئيبٌ إنَّ ذا لعجيبٌ
فقلتُ : وما تُعني الديار وقربُها إذا لم يكن بين القلوب قريبٌ

ويحكى عنه أنه قال : كان يتردد إلى شخص يتعلم العروض وهو بعيد
الفهم ، فأقام مدة ولم يعلق على خاطره شيء منه ، فقلت له يوماً : قطع
هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدعْهُ وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

١ قال الازهري في مقدمة التهذيب (١ : ٢٨) عند ذكر الليث بن المظفر (او الليث بن نصر او
ابن رافع) إنه نحل الخليل بن أحمد كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله ، وأثبت
لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال : كان الليث بن المظفر رجلاً صالحاً ، ومات
الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحب الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل ، فإذا
رأيت في الكتاب « سألت الخليل بن أحمد » او « أخبرني الخليل بن أحمد » فانه يعني الخليل
نفسه ، وإذا قال « قال الخليل » فإتما يعني لسان نفسه (وانظر بقية الصفحة ٢٩ ففيها تحقيقات
هامة عن هذا الكتاب) .

٢ م : أمراً .

فَشَرَعَ مَعِيَ فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَلَمْ يَعُدْ يَجِيءُ إِلَيَّ ، فَعَجِبْتُ مِنْ فِطْنَتِهِ لِمَا قَصَدْتَهُ فِي الْبَيْتِ مَعَ بُعْدِ فَهْمِهِ .

وأخبار الخليل كثيرة ، وسيبويه عنه أخذ علوم الأدب - وسيأتي ذكره في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى - . ويقال : إن أباه أحمد أول من سمي بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا ذكره المرزباني في كتاب « المقتبس »^١ نقلاً عن أحمد بن أبي خيثمة . وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة . وتوفي سنة سبعين ، وقيل خمس وسبعين ومائة ، وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى . وقال ابن قانع في تاريخه المرتب على السنين : إنه توفي سنة ستين ومائة . وقال ابن الجوزي في كتابه الذي سماه « شذور العقود » : إنه مات سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غلط قطعاً ، لكن نقله الواقدي ، ومات بالبصرة - أعني الخليل - وكان سبب موته أنه قال : أريد أن أقرب نوعاً^٢ من الحساب تضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه ظلمها ، ودخل المسجد وهو يُعمل فكره في ذلك ، فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره ، فانقلب على ظهره ، فكانت سبب موته ، وقيل : بل كان يُقَطِّعُ بجرأ من العروض .

والفَراهِيدي - بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة - هذه النسبة إلى فراهيد ، وهي بطن من الأزدي ، والفُرهُودي واحداً ، والفُرهُودي : ولد الأسد بلغته أزد شنوءة ، وقيل : إن الفراهيد صغار الغنم .

واليَحْمَدي - بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة - نسبة إلى يَحْمَد ، وهو أيضاً : بطن من الأزدي ، خرج منه خلق كثير .

ويحكى أن الخليل كان ينشد كثيراً هذا البيت ، وهو للأخطل^٣ :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذِّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

١ انظر نور القيس : ٥٦ .

٢ د : اعمل ؛ م : اعمل شيئاً .

٣ ديوانه : ١٥٨ .

خمارويه بن طولون

أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون - وقد تقدم ذكر أبيه وجده في حرف الهمزة - ولما توفي أبوه اجتمع الجند على توليته مكانه فولي وهو ابن عشرين سنة ، وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله ، وفي سنة ست وسبعين ومائتين تحرك الافشين : محمد بن أبي الساج ديوداذ بن دوست^١ من أرمينية والجال في جيش عظيم ، وقصد مصر ، فلقبه خمارويه في بعض أعمال دمشق ، وانهمزم الافشين ، واستأمن أكثر عسكره ، وسار خمارويه حتى بلغ الفرات ودخل أصحابه الرقة ، ثم عاد وقد ملك من الفرات إلى بلاد النوبة .

ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة ، بادر إليه خمارويه بالهدايا والتحف ، فأقره المعتضد على عمله ، وسأل خمارويه أن يزوج ابنته قَطْرَ الندى - واسمها أسماء - للمكتفي بالله بن المعتضد بالله ، وكان يوم ذاك وليّ العهد ، فقال المعتضد بالله : بل أتزوجها أنا ، فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ودخل بها في آخر هذه السنة ، وقيل في سنة اثنتين وثمانين ، والله أعلم . وكان صداقها ألف ألف درهم ، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل . حكي أن المعتضد خلا بها يوماً للأنس في مجلس أفرده لها ما حضره سواها ، فأخذت منه الكأس ، فنام على فخدها ، فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت وجلست في ساحة القصر ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً ونادى بها ، فأجابته عن قرب ، فقال : ألم أُخْلِكْ إكراماً لك ؟ ألم أدفع إليك مهجتي دون سائر

٢٢١ - ترجمة خمارويه في الكتب التاريخية كابن الاثير وخطط المقرئزي وابن خلدون وابن اياس والنجوم الزاهرة ، وانظر الولاية والقضاة : ٢٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ١٧٦ والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٣٤ .

١ م : دست وفي بعض النسخ الاخرى : يوسف ، وأثبتنا ما في المسودة .

حظايباي ؟ فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين ؟ ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلت قدر ما أنعمت به عليّ ، ولكن فيما أذّبتني به أبي أن قال : لا تنامي مع الجلوس ، ولا تجلسي مع النيام^١ .

ويقال : إن المعتضد أراد بنكاحها افتقار الطولونية ، وكذا كان ، فإن أباهما جهزها بجهاز لم يُعمل مثله ، حتى قيل : كان لها ألف هاون ذهباً . وشرط عليه المعتضد أن يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها مائتي ألف دينار ، فأقام على ذلك إلى أن قتله غلماناه بدمشق على فراشه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وقُتل قتلته أجمعون ، وحمل تابوته إلى مصر ، ودفن عند أبيه بسفح المقطم ، رحمها الله تعالى .

وكان خمارويه من أحسن الناس خطباً ، وكان وزيره أبا بكر محمد بن علي بن أحمد المعروف بالماذرائي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى^٢ - .

(36) ولما حُملت قطر الندى ابنة خمارويه إلى المعتضد ، خرجت معها عنها العباسية بنت أحمد بن طولون مشيعة لها إلى آخر عمارة الديار المصرية^٣ من جهة الشام ، ونزلت هناك وضربت فساطيطها ، وبنت هناك قرية فسميت باسمها ، وقيل لها العباسية ، وهي عامرة إلى الآن ، وبها جامع حسن وسوق قائم ؛ ذكر ذلك جماعة من أهل العلم .

وماتت قطر الندى لتسع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ، ودفنت داخل قصر الرصافة ببتعداد .

(37) وتوفي الافشين محمد بن أبي الساج في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، ببزعة ، وهي كرسي أعمال أذربيجان ، وقيل إنها من أران .

(38) وتوفي أبوه أبو الساج - وهو الذي تنسب إليه الأجناد الساجية

١ وكانت موصوفة ... النيام : سقطت من م س ص ومسودة المؤلف .

٢ كذا وعد بإيراد ترجمته في السودة أيضاً ، ويبدو أنه لم يفعل ؛ وترجمة الماذرائي في المغرب

(قسم مصر) : ٣٥٠ والخطط ٢ : ١٥٥ (ط. بولاق) .

٣ هذه رواية ص والمسودة ؛ وفي نسخ أخرى : إلى آخر أعمال مصر .

ببغداد - في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين يجند يسابور، من أعمال خوزستان .

وخمارويه : بضم الحاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة وواو ، ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة .

٢٢٢

خير النساج

أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي ؛ من أهل سر من رأى ، نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها ؛ وكان قد صحب أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي وغيره ، وصحب الجنيد بن محمد وأبا العباس ابن عطاء وأبا محمد الحريري وأبا بكر الشبلي ، وعمر عمراً طويلاً ، وللصوفية عنه حكايات غريبة ، وإنما سمي النساج لخبز ؛ قال جعفر الخلدي : سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفة ؟ قال : لا ، قلت : فمن أين سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله أن لا آكل الرطّيبَ أبداً ، فغلبتني نفسي ، فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليّ وقال : يا خير ، يا أبق هربت مني ، وكان له غلام [هرب منه] اسمه خير ، فوقع عليّ شبهه وصورته ، فاجتمع الناس وقالوا : هذا والله غلامك خير ، فبقيت متحيراً ، وعلمت بهم أخذت ، وعرفت جنابتي ، فأخذني وحملي إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي : يا عبء السوء ، تهرب من مولاك ! ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، وأمرني بنسج

٢٢٢ - وردت هذه الترجمة في ص ر وحدهما دون سائر النسخ والمسودة. وانظر ترجمة خير النساج في الباب ، مادة «النساج» وحلية الاولياء ١٠ : ٣٠٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٥٥ وطبقات السلمي : ٣٢٢ .

١ انظر حلية الاولياء : ٣٠٧ .

الكرباس ، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آله وكأني كنت أعمل من سنين . فبقيت معه أشهراً أنسج له ، فقامت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلت ، فأصبحت وإذا الشَّبه ذهب عني، وعُدتُ إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت ، وثَبَّتَ عليَّ هذا الاسم؛ وفي بعض الروايات : كان يقول : يا خير ، فيقول : لبيك ، ثم قال له الرجل بعد ذلك : لا أنت عبدي ، ولا اسمك خير ، فمضى وقال : لا أُغَيِّرُ اسماً سماني به رجل مسلم .

وكان يقول : لا نسب أشرف من نسب مَنْ خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولا أعلم أرفع ممن علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه . وكان خير قد احدودب ، وكان إذا سمِعَ قام ظهره ورجعت قوّته كالشباب المطلق ، فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله .

وكان قد عمَّرَ مائة وعشرين سنة ؛ وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه . وحكى علي بن هارون الحريري عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ، ثم أفاق ، ونظر إلى ناحية من باب البيت ، وقال : قف ، عافاك الله ، فإنما أنت عبد مأمور ، وأنا عبد مأمور ما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني ، فدعني أمضي لما أمرتُ به ، ثم امضِ أنت لما أمرتُ به ، ودعا بقاء فتوضاً للصلاة وصلى وتمدّد وأغمض عينيه وتشهد ، ثم مات ، رحمه الله تعالى . فرآه بعض أصحابه في النوم ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : لا تسكني عن هذا ، ولكن استرحت من دُنْيَاكم المضرّة . وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

حرف التلا



داود الظاهري

أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري؛ كان زاهداً متقللاً كثير الورع، أخذ العلم عن إسحاق بن راهوييه وأبي ثور وغيرهما، وكان من أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعي رضي الله عنه، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين، وكان صاحب مذهب مستقل^١، وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهرية، وكان ولده أبو بكر محمد^٢ على مذهبه - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد.

[قال أبو عبد الله المحاملي: صليت صلاة العيد يوم فطر في جامع المدينة، فلما انصرفت قلت في نفسي: أدخل إلى داود بن علي فأهنيه، وكان ينزل قطيعة الربيع؛ قال: فجثته، وإذا بين يديه طبَّق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة وهو يأكل، فهنأته وتعجبت من حاله، ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء، فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنعة يقال له الجرجاني، فلما علم بمجيئي خرج إليّ حاسراً الرأس حافي القدمين، وقال لي: ما عنى القاضي أيد الله؟ قلت: منهم، قال: وما هو؟ قلت: في جوارك داود بن علي، ومكانه من العلم ما تعلمه، وأنت فكثير البر والرغبة في الخير تَغفُلُ عنه، وحدثته بما رأيت منه، فقال لي: داود شرس الخلق، أعلم القاضي أنني وجهت إليه البارحة ألف درهم مع غلام ليستعين بها في بعض أمور

٢٢٣ - ترجمة داود الظاهري في تاريخ بغداد ٨: ٣٦٩ وطبقات الشيرازي، الورقة ٢٦ والقهرست:

٢١٦ والجواهر المضية ٢: ٤١٩ وطبقات السبكي ٢: ٤٢ وتذكرة الحفاظ: ٥٧٢ وميزان

الاعتدال ٢: ١٤.

١: ٥: مستقل بنفسه.

فردها مع الغلام وقال للغلام : قل له : بأي عين رأيتني ؟ وما الذي بلغك من حاجتي وختلتي حتى وجهت إلي بهذا ؟ قال : فتمعجت من ذلك وقلت له : هات الدراهم فأني أحملها إليه ، فدفعها إلي ثم قال : يا غلام ، الكيس الآخر ، فجاءه بكيس فوزن ألفاً أخرى ، وقال : تلك لنا وهذه لموضع القاضي وعنايته ، قال : فخرجت وجئت إليه ، فقرعت الباب فخرج و كلمني من وراء الباب وقال : ما رد القاضي ؟ قلت : حاجة أكلمك فيها ، فدخلت وجلست ساعة ، ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه ، فقال : هذا جزاء من ائتمنتك على سره [أنا بأمانة العلم أدخلتك إلي] ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك ، قال المحاملي : فرجعت وقد صغرت الدنيا في عيني ودخلت على الجرجاني فأخبرته بما كان ، فقال : أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى ، لا أرجع في شيء منها ، فليتولّ القاضي إخراجها في أهل الستر والعفاف على ما يراه القاضي^١ .

قيل : إنه كان يحضر مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر ، قال داود^٢ : حضر مجلسي يوماً أبو يعقوب الشريطي ، وكان من أهل البصرة ، وعليه خرقتان ، فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي : سل يا فتى عما بدا لك ، فكأني غضبت منه ، فقلت له مستهزئاً : أسألك عن الحجامة ، فبرك أبو يعقوب ثم روى طريق « أفطر الحاجم والمحجوم » ومن أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من الفقهاء ، وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطاء الحجّام أجره ، ولو كان حراماً لم يعطه ، ثم روى طرق أن النبي صلى الله عليه وسلم « احتجم بقرن » وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ، ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل « ما مررت ببلا من الملائكة » ومثل « شفاء أمتي في ثلاث » وما أشبه ذلك ، وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله عليه السلام « لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا » ، ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها ،

١ انفردت ص بهذا النص ، فلم يرد في المسودة وسائر النسخ .

٢ ص : قال أبو العباس الزيادي : دخل أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة مجلس داود الظاهري ... الخ. وابتداء من قوله : قال داود حتى قوله : أحداً أبداً ، لا وجود له في المسودة .

ثم ختم كلامه بأن قال : وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان ، فقلت له :
والله لا حَقَرْتُ بعدك أحداً أبداً .

وكان داود من عقلاء الناس ، قال أبو العباس ثعلب في حقه : كان عقلُ
داود أكثر من علمه .

وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين ، وقيل سنة مائتين ، وقيل سنة
إحدى ومائتين ، ونشأ ببغداد ، وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة ،
وقيل في شهر رمضان ، ودفن بالشونيزية ، وقيل في منزله .

وقال ولده أبو بكر محمد : رأيت أبي داود في المنام ، فقلت له : ما فعل الله
بك ؟ فقال : غفر لي وساحني ، فقلت : غفر لك ففيمَ ساحك ؟ فقال : يا بني
الأمر عظيم ، والويل كل الويل لمن لم يُسامحْ ، رحمه الله تعالى .

وأصله من أصبهان ، وقد تقدم الكلام على أصبهان والشونيزية فيما مر من
التراجم ، فلا حاجة إلى الإعادة .

٢٢٤

الملك الزاهر

أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، رحمه الله تعالى ، كان صاحبَ قلعة البيرة التي على شاطئ
الفرات ، وكان يجب العلماء وأهل الأدب ، ويقصدونه من البلاد ، ولما ولد

٢٢٤ - نراه في سنة ٥٩٢ يذهب رسولا عن الملك الظاهر إلى أخيه الملك العزيز بمصر ومعه سابق
الدين ابن الداية والقاضي بهاء الدين بن شداد، فلما أدوا الرسالة عادوا إلى دمشق؛ وفي سنة ٦٠١
كان منجداً للملك الأشرف ضد صاحب الموصل؛ وفي سنة ٦١٣ استولى من أملاك أخيه الظاهر
على عدة مناطق وأخرج المال الذين كانوا فيها (انظر صفحات متفرقة من مفرج الكروب
ج : ٣) .

١ هذه رواية المسودة والنسختين أ ج ، وفي النسخ الأخرى : أهل الفضل .

بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام ، وكان الثاني عشر من أولاده ، فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته ومن جملتها : « وهذا الولد المبارك هو الموفى لائني عشر ولداً ، بل لائني عشر نجماً متقدماً ، فقد زاد الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجماً ، وراهم المولى يقظة ورأى [يوسف] تلك الأنجم حلاً ، وراهم يوسف ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجوداً ، وهو تعالى قادر أن يزيد جدود المولى إلى أن يراهم آباء وجدوداً » ، وقد ألمّ القاضي الفاضل في آخر هذا الكلام بقول البحري في مدح الخليفة المتوكل وقد ولد له المعتز من جملة قصيدة^٣ :

وبقيتَ حقّ تستضيء برأيه وترى الكهولَ الشَّيبَ من أولاده

وحكى عنه جماعة أنه كان يقول: من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني ، فأنا أشبه أولاده به .

وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة ، وقيل ذي القعدة ، سنة ثلاث وسبعين وخمسة ، وهو شقيق الملك الظاهر - الآتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى - . وتوفي في البيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، وكنب بجلب وقد وصل نعيه إليها ، فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها ، رحمه الله تعالى .
والبيرة - بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة - وهي قلعة بقرب سُمَيْسَاط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية ؛ وسُمَيْسَاط في بر الشام بين قلعة الروم ومكَلَطِيَّة ، والفراتُ يفصل بين الجهتين .

١ أورد القلقشندي هذه الرسالة في صبح الاعشى ٧ : ٩٠ .

٢ في س ص لا والمسودة : المولى ؛ وسقطت اللفظة من م .

٣ ديوان البحري ٢ : ٧٠٤ .

٤ : ٥ : ينظر . . . فليُنظر في .

داود الطائي

أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ؛ سمع عبد الملك بن عمير وحبیب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم ؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فازم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره ، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته ؛ قال علي بن المديني : سمعت ابن عيينة يقول : داود الطائي من علم وفقه ، قال : وكان يختلف إلى أبي حنيفة رضي الله عنه حتى تقدم في ذلك الكلام ؛ قال : فأخذ يوماً حصة فحذف بها إنساناً فقال له : يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك ، قال : فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب ، فلما علم أنه تصبر عمد إلى كتبه ففرقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلّى . وقال عبيد بن جناد سمعت عطاء يقول : كان لداود الطائي ثلثمائة درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه ؛ قال : وكُنَّا ندخل على داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيها خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب .

وقال أبو سليمان الداراني : ورث داود الطائي من أمه داراً ، فكان ينتقل في بيوت الدار كلما تخرب بيت من الدار انتقل منه إلى آخر ولم يعمره حتى أتى على عامة البيوت التي في الدار ؛ قال وورث من أبيه دنانير فكان يتنفق بها حتى كفن بآخرها .

٢٢٥ - ترجمة داود الطائي في تاريخ بغداد ٨ : ٣٤٧ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٣ والجواهر المضية ٢ : ٥٣٦ وحلية الأولياء ٧ : ٣٣٥ ؛ ووردت هذه الترجمة في ص ورحدهما .

وقال اسماعيل بن حسان : جئت إلى باب داود الطائي فسمعتة يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً ، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت ، فقال : ما بدا لك في الاستئذان ؟ قلت : سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً ، قال : لا ولكن كنت أخاصم نفسي ؛ اشتيت البارحة تمرأ فخرجت فاشتريت لها ، فلما جئت اشتيت جزراً ، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمرأ ولا جزراً حتى ألقاه .

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال : أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس ؛ فقيل له : ما يجمع هذه إلا داود الطائي ، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم ، وقال : استعن بها على دهرك ، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لها : إن قبل البدرتين فأنتما حران ، فمضيا بها إليه فأبى أن يقبلها ، فقالا : إن في قبولها عتق رقابنا من الرق ، فقال لها : إني أخاف أن يكون في قبولها وهق رقبتني في النار ، رداها إليه وقولا له : إن ردها على من أخذها منه أولى من أن يعطيني أنا .

وكان حائطه قد تصدع فقيل له : لو أمرت به ، فقال : كانوا يكرهون فضول النظر .

وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله ، فكان يحمل غداه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء ، ولا يعلمون أنه صائم . وقال له رجل : ألا تسرح لحيتك ؟ قال : إني عنها مشغول . وقيل احتجم داود فدفع إلى الحجامة عشرة دراهم فقيل له : هذا سرف ، فقال : لا عبادة لمن لا مروءة عنده .

وقالت أخته : لو تنحيت عن الشمس ، فقال : هذه خطي لا أدري كيف تكتب^١ .

قال أبو الربيع الأعرج : دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرّب لي

١ كذا في تاريخ بغداد أيضاً .

كُسِيرَاتٍ يَابِسَةً ، فَعَطَشْتُ فَقَمْتُ إِلَى دَنٍّ فِيهِ مَاءٌ حَارٌ ، فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللهُ ! لَوْ اتَّخَذْتُ دَنًّا غَيْرَ هَذَا يَكُونُ فِيهِ الْمَاءُ بَارِدًا ، فَقَالَ لِي : إِذَا كُنْتَ لَا أَشْرَبُ إِلَّا بَارِدًا وَلَا آكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا أَلْبَسُ إِلَّا لَيِّنًا ، فَمَا أَبْقَيْتَ لِأَخْرَجِي ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي ، قَالَ : 'صُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ إِفْطَارَكَ فِيهَا الْمَوْتَ ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ السَّبْعِ ، وَصَاحِبِ أَهْلِ التَّقْوَى إِنْ صَحَبْتَ فَبِإِنِّهِمْ أَخْفَ مَوْؤَنَةً وَأَحْسَنَ مَعُونَةً ، وَلَا تَدْعِ الْجَمَاعَةَ ، حَسْبُكَ هَذَا إِنْ عَمِلْتَ بِهِ .

وقال داود الطائي : ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل ؛ فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل . قال أبو خالد : وبلغني أنه كان لا ينام الليل ، [إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً] ؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء .

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي ؟ فقالوا : داود يحييكم ؟ أرسلوا إليه ، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة : نحن نذهب إليه ، قال ابن السماك لحماد في الطريق : إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها ، فقال حماد : رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردّها !! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال : سوءة ، إنما يفعل هذا بالصبيان ، وأبى أن يقبلها .

قال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت : لو طبخت لك دسماً تأكله ، فقال : وددت ، فطبخت له دسماً ثم أتته به ، فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان ؟ قالت : على حالهم ، قال : اذهبي بهذا إليهم ، فقالت : أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا ، فقال : إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش ، وإذا أكلته صار إلى الحُشِّ ، فقالت له : يا سيدي أما تشتهي الخبز ؟ قال : يا داية ، بين مَضْغِ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .

وقال محارب بن دثار : لو كان داود في الأمم الماضية لقصَّ الله تعالى شيئاً من خبره .

توفي داود سنة ستين ، وقيل سنة خمس وستين ومائة ، رحمه الله تعالى .

ولما مات جاء ابن السهاك ووقف على قبره ثم قال :

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غداً عليهم ، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم ، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة ، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة ؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك ، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجمعتها وإنما تريد شعبها ، وأظلماتها وإنما تريد ريبها ، أخشنت الطعام وإنما تريد طيبه ، أخشنت الملابس وإنما تريد لينه ؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه ، ومن الماء بارده ، ومن اللباس لينه ؟ بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك ، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت ، فما أيسر ما ضيعت ، وأحقر ما فعلت في جنب ما أمّلت ، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك ، آانس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آانس ما يكون الناس . سمعت الحديث وتركت الناس يحدوثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتنون . لا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ، سجت نفسك في بيتك فلا يحدث لك ، ولا ستر على بابك ، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك ، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لجهة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد ، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً .

[وقيل إن ابن السهاك لما قام على قبر داود قال : رحمك الله يا داود ! كنت تسهر ليلك والناس نائمون ، وكنت تريح إذ الناس يخسرون ، فقال الناس جميعاً: صدقت ؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون ، فقال الناس جميعاً: صدقت ؛ حتى عدّ فضائله كلها . ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال : يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا ، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله ، وفرغ من دفنه وقام الناس .

قال جعفر بن نفيل الرهبي : رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له : كيف رأيت خير الآخرة ؟ قال : رأيت خيرها كثيراً ، قلت : فماذا صرت إليه ؟ قال :

صرت إلى خير الحمد لله ، قال فقلت له : هل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقال :
كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير^١ .

٢٢٦

دييس بن صدقة

أبو الأغر^٢ ديبس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن ديبس بن
علي بن مزيد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة
المزيدية ؛ كان جواداً كريماً عنده معرفة بالأدب والشعر ، وتمكن في خلافة
الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق ، وهو من بيت كبير -
وسايتي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد إن شاء الله تعالى - .

ودييس المذكور هو الذي عناه ابن الحريري صاحب « المقامات » في المقامة
التاسعة والثلاثين^٣ بقوله « أو الأسدي ديبس » لأنه كان معاصره - كما نذكره في
حرف القاف إن شاء الله تعالى - فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته ، ولجلالة
قدره أيضاً .

وله نظم حسن ، ورأيت العماد الكاتب في « الخريدة » وابن المستوفي في « تاريخ
إربل » وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها :

١ زيادة من رد .

٢٢٦ - ترجمة ديبس بن صدقة في كتب التاريخ كابن الأثير وابن خلدون ، وانظر النجوم الزاهرة ه :
٢٥٦ وشرح المقامات ٢ : ٢١٨ .

٢ الأغر : كذا هو في ص ر والمسودة بالغين المعجمة والراء المهملة ، وورد في بعض النسخ « الأعر » .

٣ هي المقامة العمانية ، وفيها يصف كيف أحاطت الجماعة بأبي زيد ثني عليه وتقبل يديه « حتى
خيل إلي أنه القرني أريس ، أو الأسدي ديبس » (المقامات : ٤١٥) .

أَسَلَهُ حَبُّ سَلْيَانِكُمْ إِلَى هَوَىٰ أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ

ورأيت ابن بسام صاحبَ كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » قد ذكرها لابن رشيق القيرواني - وقد ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء - والظاهر أنها لابن رشيق ، لأن ابن بسام ذكر في « الذخيرة » أنه ألفها في سنة اثنتين وخمسمائة ، وفي هذا التاريخ كان ديبس شاباً ويبعد أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس وينسب إلى مثل ابن رشيق ، مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب .

وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخوا ديبس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه :

أَلَا قُلْ لِمَنْصُورٍ وَقَلْ لِمَسِيبٍ وَقَلْ لِدَيْبِسٍ إِنِّي لَغَرِيبٌ
هَنِيئًا لَكُمْ مَاءَ الْفِرَاتِ وَطَيْبُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْفِرَاتِ نَصِيبٌ

فكتب إليه ديبس :

أَلَا قُلْ لِبَدْرَانَ الَّذِي حَنَّ نَازِعًا إِلَى أَرْضِهِ وَالْحَرَّ لَيْسَ يَخِيبُ
تَمَّتْ بِأَيَّامِ الشُّرُورِ فَإِنَّمَا عِذَارُ الْأَمَانِيِّ بِالْهَمُومِ يَشِيبُ
وَلِلَّهِ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ حِكْمَةٌ « وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ »

(39) وذكر غير ابن المستوفي أن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ، ولما قتل أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر ومات بها في سنة ثلاثين وخمسمائة ؛ وكان يقول الشعر ، وذكره العماد الكاتب الأصفهاني في كتاب « الخريدة » .

وكان ديبس في خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغة من بلاد أذربيجان ومعهم الإمام المسترشد بالله - لسبب

١ يريد أن تأليف الذخيرة كان في ذلك العام (٥٠٢) وابن بسام توفي سنة ٥٤٢ ؛ ولعل تأليفه استغرق فترة تجاوزت العام المذكور .

سندكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله تعالى - ، فيقال إن السلطان
دس عليه جماعة من الباطنية فهجموا خيمته - أعني المسترشد بالله - وقتلوه يوم
الخميس الثامن والعشرين ، وقال ابن المستوفي : الرابع عشر من ذي القعدة سنة
تسع وعشرين وخمسمائة ، وخاف أن تنسب القضية إليه ، وأراد أن تنسب إلى
دبيس المذكور ، فتركه إلى أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان ،
فسيرّ بعض مماليكه ، فجاءه من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانته ، وأظهر
السلطان بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاماً منه بما فعل في حق الإمام ، وكان
ذلك بعد قتل الإمام بشهر ، رحمه الله تعالى .

وذكر المأموني في تاريخه أنه قُتل في رابع عشر ذي الحجة من السنة
المذكورة على باب خوي . وكان قد أحسن بتغيير رأي السلطان فيه منذ
قتل المسترشد ، وعزم على الهرب مراراً ، وكانت المنية تُتَبَّطُه .

وذكر ابن الأزرق في تاريخه^١ أن قتله كان على باب تبريز ، وأنه لما قتل
حُمِلَ إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون ، فدفن بالمشهد عند نجم الدين إيلغازي^٢
صاحب ماردين ، والد كهارخاتون المذكورة ، ثم تزوج السلطان المذكور ابنة
دبيس المذكور ، وأما شرف خاتون ابنة عميد الدولة بن فخر الدولة محمد بن
جهير ، وأم شرف خاتون المذكورة زبيدة بنت الوزير نظام الملك - وسيأتي
ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى - .

والناشري - بفتح النون وبعد الألف شين معجمة مكسورة وبعدها راء ثم
ياء - هذه النسبة إلى ناشرة بن نصر بطن من أسد بن خزيمة .

١ هو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث أبو الفضل ابن الأزرق، له كتاب في تاريخ بلده ميفارقين .

٢ في المسودة : الغازي .

دعبل

أبو علي دِعْبِل بن علي بن رَزِين بن سليمان الخزاعي الشاعر المشهور ، وذكر صاحب الأغاني : أنه دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل - وقيل بهنس - بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمية بن سلامان بن أسلم ابن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا ويكنى : أبا علي . وقال الخطيب البغدادي في تاريخه : هو دِعْبِل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله ابن بُدَيْل بن وِرْقَاء الخزاعي .

أصله من الكوفة ، ويقال : من قرقيسيا وأقام ببغداد ، وقيل إن دِعْبِلًا لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل محمد ، وكنيته أبو جعفر والله أعلم . ويقال : إنه كان أطروشاً وفي قفاه سلعة^١ .

كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بَدِيًّا اللسان مؤلماً بالهَجْوِ والخطِّ من أقدار الناس ، وهجا الخلفاء فَمَنَ دونهم ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي^٢ ، أدور على مَنْ يصلبني عليها فما أجد مَنْ يفعل ذلك ، ولما عمل في إبراهيم بن المهدي - المقدّم ذكره - الأبيات التي أثبتّها في ترجمته وأولها :

نَعَرَ ابن شَكَلَةَ بالعراق وأهله فهفّا إليه كلُّ أطلَسَ مائق

٢٢٧ - ترجمة دعبل الخزاعي في الاغاني ٢٠ : ٦٨ والشعر والشعراء : ٧٢٧ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ولسان الميزان ٢ : ٤٣٠ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٩٠ والفهرست : ٢٢٩ والموشح : ٢٩٩ وطبقات ابن المعتز : ٢٦٤ ومعجم الأدباء ١١ : ٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٢٧ ورجال الكشي : ٣١٣ والشذرات ٢ : ١١ ، وقد جمع زولنديك ديوانه وقطعاً من كتابه في الشعراء (١٩٦١) كما قام الدكتور محمد نجم بجمع ديوانه (بيروت : ١٩٦٢) .

١ وذكر ... سلعة : سقط من س .

٢ ر : ظهري .

دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله سبحانه وتعالى فَضَّلَكَ في نفسك عليَّ وألهمك الرأفة والعفو عني ، والنسبُ واحد ، وقد هجاني دِعْبَل فانتقم لي منه ، فقال المأمون : ما قال ؟ لعل قوله :

نعر ابن شكلة بالعراق . . .

وأنشد الأبيات ، فقال : هذا من بعض هجائه ، وقد هجاني بما هو أقبح من هذا ، فقال المأمون : لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته ، وقال في^١ :

أَيْسَمُونِي المأمونُ خُطَّةَ جاهلٍ أوما رأى بالأمس رأسَ محمدٍ
إنِّي من القومِ الذين سيوفهم قتلتُ أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خُموله واستنقذوك من الحضيض الأوهَد

فقال إبراهيم : زادك الله حملاً يا أمير المؤمنين وعلماً فما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك ولا يحلم إلا اتِّباعاً لحلمك .

وأشار دعبل في هذه الأبيات إلى قضية طاهر بن الحسين الخزاعي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وحصاره بغداد ، وقتله الأمين محمد بن الرشيد ، وبذلك ولي المأمون الخلافة . والقصة مشهورة ، ودعبل خزاعي ، فهو منهم ، وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول : قبح الله دعبلاً فما أوقحه^٢ ، كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورَضعت ثديها وربيت في مهدها ؟

[ومثل هذا الحلم بل أعظم ما حكي عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان ويكثر من أكله ومعظم الرَّمَد بالعراق من أكل الباذنجان لحرِّ الإقليم والسوداء المتولدة من أكله ، فبعث إليه أبوه المعتصم وقال له : دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى ؟ فقال للرسول : قل لأمير المؤمنين إني تصدقت بعيني على الباذنجان ، ثم رمد رمدة صعبة ما تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيهِ بياض كاد

١ ديوانه : ٦٩ .

٢ أ : أقبحه .

يسدها ، وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه ، وسمي
المسدود لجسم سدّ منخريه فعمل :

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين
فيا طبلاً له رأس ويا طبلاً برأسين

فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقّه في ورقة وجعلها في عمامته
مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة الهجو فقرأها وضحك وقال :
خذ هذه وهات ورقة المستحق ولا تعد في مثل هذا ، وقضى حاجته [١] .
وكان بين دعبل ومسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير ، وعليه تحرّج دعبل
في الشعر [٢] ، فاتفق أن ولي مسلم جهةً في بعض بلاد خراسان أو فارس ثم إنني
ظفرت بالجهة التي تولاها مسلم وهي جرجان من ناحية خراسان ولاه إياها
الفضل بن سهل - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقصده دعبل لما يعلمه من
الصحة التي بينها ، فلم يلتفت مسلم إليه ، ففارقه وعمل [٣] :

غششتَ الهوى حتى تداعتْ أصوله بنا وابتذلت الوصلَ حتى تقطعا
وأنزلت من بين الجوانح والحشا ذخيرة ودّ طالما قد تمنعنا
فلا تغذلني ليس لي فيك مطمعٌ تحرّقتَ حتى لم أجد لك مرقعاً
وهبك يميني استأكلتْ فقطعتها وصبرتُ قلبي بعدها فتشجعا
ومن شعره في الغزل :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكي
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا

١ زيادة من د .

٢ س : الفقه .

٣ ديوانه : ١٠٢ .

٤ س : ما .

٥ ديوانه : ١١٧ .

لا تأخذنا بظلامتي أحداً قلبي وطرفني في دمي اشتركا

ومن شعره في مدح المطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر^١ :

زمني بمطلب سقيت زمانا ما كنت إلا روضةً وجنانا
كلّ الندى إلا نديك تكلف لم أرض غيرك كأننا من كانا
أصلحتني بالبرّ بل أفسدتني وتركتني أتسخط الإحسانا

ومن كلامه : من فضّل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه^٢ الناس ،
إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال
له : أحسنت والله ، فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى .

وقال دعبل^٣ : كنا يوماً عند سهّل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان شديد
البخل ، فأطلنا الحديث ، واضطره الجوع إلى أن دعأ بغدائه ، فأتي بقصعة
فيها ديك عاسٍ هرم لا تحرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر ، فأخذ كسرة خبز
فخاض بها مرقته ، وقلّب جميع ما في القصعة ، ففقد الرأس ، فبقي مطرقاً
ساعة ، ثم رفع رأسه وقال للطباخ: أين الرأس؟ فقال: رميت به ، قال : ولم؟
قال : ظننت أنك لا تأكله ، فقال : لبس ما ظننت ، ويحك والله إني لأمقت
من يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس
الأربع ، ومنه يصيح ، ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه^٤ الذي يتبرك به ،
وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه
عجب^٥ لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه

١ ديوانه : ١٩٠ ، وتنسب أيضاً لطريح الثقيفي في حسانة الخالدين ١ : ١٤ .

٢ د : اجتنبه .

٣ لم ترد هذه القصة في س .

٤ أ تي .

٥ فرقه : رواية ص والسودة ؛ وفي بعض النسخ : عرفه .

٦ ه : مثل عين .

٧ ر : عجيب .

خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق؟ فإن كان قد بلغ من نُبلك^١
أنك لا تأكله فانظر أين هو ، قال : والله لا أدري أين هو ، رميت به ، قال :
لكني أدري أين هو ، رميت به في بطنك فالله حسبك .

ودعبل ابن عم أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشيص
الجزاعي الشاعر المشهور ، وكان أبو الشيص من مُدّاح الرشيد ، ولما مات رثاه
ومدح ولده الأمين .

وكانت ولادة دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفي سنة ست وأربعين
ومائتين بالطيب ، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز ، رحمه الله تعالى .
وجده رزين مولى عبد الله بن خلف الجزاعي ، والد طلحة الطلحات ، وكان
عبد الله المذكور كاتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على ديوان الكوفة ،
وولي طلحة سجستان فمات بها ، رحمه الله تعالى .

ولما مات دعبل - وكان صديق البحترى ، وكان أبو تمام الطائي قد مات
قبله كما تقدم - رثاهما البحترى بأبيات منها^٢ :

قد زاد في كلّفي وأوقدَ لوّعتي مَنوَى حبيب يَومَ مات ودعبلِ
أخوَيَّ لا تزل الساء مخيلة تَغشَا كما بساء مُزَنٍ مُسبِلِ
جَدَثٌ على الأهواز يَبْعُدُ دونه مَسْرَى النعيِّ ورِمَّةٌ بالموصلِ

ودعبل - بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعدها
لام - وهو اسم الناقة الشارف ، وكان يقول : مررت يوماً برجل قد أصابه
الصَّرْعُ ، فَدَنَوْتُ منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي : دعبل ، فقام يمشي
كأنه لم يصبه شيء .

١ أ ج : من مثلك .

٢ ديوان البحترى : ١٧٩٠ .

دعلاج بن أحمد

دعلاج بن أحمد بن دعلاج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل ؛ سمع الحديث ببلاذ خراسان والري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من ذوي اليسار وله صدقات جارية وأوقاف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان ؛ وجاور بمكة زماناً طويلاً ثم سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمر الحرسى ومحمد بن النضر الجارودي وغيرهما ، وروى عنه الدارقطني أبو الحسن وغيره من شيوخ الخطيب . وكان ثقة ، وجمع له «المسند» وغير ذلك .

قال الخطيب : بلغني أنه بعث بكتابه «المسند» إلى أبي العباس ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً ؛ وكان يقول : ليس في الدنيا مثل داري ، وذلك أنه ليس في الدنيا مثل بغداد ، ولا في بغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ، ولا في درب أبي خلف مثل داري .

قال الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد - وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح - عن شيخ سماه وذهب عني حفظ اسمه قال : حضرت يوم الجمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الحشوع دائم الصلاة ، لم يزل يتنفلّ مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة ، ثم جلس ، قال : فغلبتني هيبته ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاة فلم يُصلِّ مع الناس الجمعة ، فكبر علي ذلك من أمره ، وتعجبت من حاله ، وغاظني فعله ، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت :

٢٢٨ - ترجمة دعلاج في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٢ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٧ وغير الذهبي ٢ : ٢٩١ والرسالة المستطرفة : ٧٣ ؛ وانفردت بهذه الترجمة النسختان : ص ر .

أيها الرجل ، ما رأيت أعجب من أمرك ، أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها ، فقال : يا هذا إن لي عذراً وبني علة منعتني من الصلاة ، قلت : وما هي ؟ قال : أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تُقام التفتُ فرأيت صاحب الدين ، فمن خوفه أحدثت في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري ، فقلت : ومن الذي له عليك الدين ؟ قال : دعلج بن أحمد ، وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ، ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة ، فقال له دعلج : امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ، ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد ، فقال الرجل : لا ، فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له : أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برويتك إيانا في مسجد الجامع ، أو كما قال .

وكانت وفاة دعلج المذكور يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وقيل لعشر بقين منها ، رحمه الله تعالى .

أبو بكر الشبلي

أبو بكر دُلْف بن جَحْدَر - وقيل جعفر ، وقيل جعفر بن يونس ، وهكذا هو مكتوب على قبره - المعروف بالشبلي الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان جليل القدر مالكي المذهب ، وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم ، وكان في مبدأ أمره والياً في دُنْبَاوَنَدَ ، فلما تاب في مجلس خيرِ النساء مضى إليها وقال لأهلها : كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل . ومجاهداته في أول أمره فوق الحد ، ويقال : إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه نوم ؛ وكان يبالي في تعظيم الشرع المطهر ؛ وكان إذا دخل شهر رمضان المبارك جَدَّ في الطاعات ويقول : هذا شهر عَظَّمَهُ ربي فأنا أولى بتعظيمه ، وكان في آخر عمره ينشد كثيراً :

وكم من مَوْضِعٍ لَو مُتُّ فِيهِ لَكُنْتُ بِهِ نَكَالًا فِي الْعَشِيرَةِ

ودخل يوماً على شيخه الجنيد ، فوقف بين يديه وصَفَّقَ بيديه ، وأنشد :

عَوَّدُونِي الْوَصَالَ وَالْوَصْلُ عَذْبٌ وَرَمَوْنِي بِالصَّدِّ وَالصَّدُّ صَعْبٌ
زَعَمُوا حِينَ أَرْمَعُوا أَن ذَنْبِي فَرَطُ حَبِّي لَهُمْ ، وَمَا ذَاكَ ذَنْبٌ
لَا وَحَقُّ الْخُضُوعِ عِنْدَ التَّلَاقِي مَا جَزَا مَنْ يُحِبُّ إِلَّا يُحِبُّ

قال : فأجابه الجنيد :

٢٢٩ - ترجمة الشبلي في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٨٩ والمنتظم ٦ : ٣٤٧ وصفة الصفة ٢ : ٢٥٨

وحلية الأولياء ١٠ : ٣٦٦ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٩ .

١ : ٥٢ : أعرضوا .

وَتَمَنَّيْتِ أَنْ أَرَاكَ فَلَمَّا رَأَيْتِكَ
غَلَبَتْ دَهْشَةُ السَّرْوِ رَأَيْتِ فَلَئِمَ الْمَلِكِ الْبَكَا

[حدث أحمد بن منصور بن نصر قال : جاء الشبلي يوماً إلى أبي بكر ابن مجاهد فلم يجده في مسجده فسأل عنه فقيل : هو عند علي بن الجوسي ، فلما دخل وقعدنا قال له أبو بكر ابن مجاهد : يا أبا بكر ، أخبرت أنك تحرق الثياب والحبز والأطعمة وما ينتفع الناس فيه ، أين هذا من العلم والشرع ؟ فقال له : يقول الله ﴿ فطفت مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ (ص : ٣٣) أين هذا من العلم ؟ فسكت أبو بكر ابن مجاهد ، فقال : كأي ما قرأتها قط . وقيل إنهم عابثوه في مثله فقرأ ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ (لأنبياء : ٩٨) هذه الأطعمة والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه وأحرقه ؛ ومن أناشيده :

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم سلم وسلمكم حرب

وحكي عن بعض المعترفين^٢ أنه أنس إلى طريقة التصوف واستشرف [وشاور أبا بكر فرداه عما أراد]^٣ وحذره التعرض له ، وعطفته الخواطر عليه فقال إلى قرين من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم ، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً إلى الحج ، فمجز في بعض الطريق من مسابرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم ، فاستند إلى بعض الرمال إرادة الاستراحة من الإعياء ، فمر به الشيخ المذكور فقال مخاطباً له :

إن الذين بخير كنتُ أذكرهم قضاوا عليك وعنهم كنتُ أنهاكا

فقال له الفقى : ما أصنع الآن ؟ فقال له :

لا تطلبن حياة غير جهنم فليس يحييك إلا من توفاك

١ : اللقاء .

٢ : المسرفين .

٣ : زيادة من د وموضعها بياض في ر .

قال محمد بن إبراهيم : حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ، وبقي تحليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل إصبعي في لحيته يخلها ، فبكيت وقلت : رجل لم يذهب عليه تحليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه .

ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيح عائداً في مرضه ، فسمعه يقول :

صحَّ عند الناس أني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمن

قال أبو بكر الشبلي : جئت يوماً إلى باب الطاق فرأيت والدة تضرب ولدها ، فقلت لها : لهذا حرمة ، فقال الصبي : معارضتك بيني وبين والدتي أشد علي من ضربها ، رأيت أحداً يضرب ولده إلا من محبته إياه ؟ إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة ، قال الشبلي : فكأنني كنت المقصود بهذه المخاطبة ، فانصرفت عنها وأنا أقول :

لييك تصديقاً أيا سيدي من الذي يالم من عثرتك^١

وحكى^٢ الخطيب في تاريخه ، قال أبو الحسن التميمي : دخلت على أبي بكر في داره يوماً وهو يهيج ، ويقول :

على بُعدك ما يصب رُمنُ عادتهُ القربُ

ولا يقوى على هجرِك من تيممهُ الحبُّ

فإن لم تترك العينُ فقد يبصرِك القلبُ^٣

وذكر الخطيب أيضاً في ترجمة أبي سعد إسماعيل بن علي الواعظ^٤ ما مثاله :
وأنشدنا أبو سعد قال : أنشدنا طاهر الحثمي قال : أنشدني الشبلي لنفسه :

١ ما بين معقنين زيادة من ر وبعضه في د ولا وجود له في المسودة ومائر النسخ .

٢ س : وذكر .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في م .

٤ ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ٣١٥ .

مَصَّتِ الشَّيْبَةَ وَالْحَبِيبَةَ فَانْبَرَى دَمْعَانِ فِي الْأَجْفَانِ يَزْدَحْمَانِ
مَا أَنْصَفْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، رَمَيْنِي بِمُودَعَيْنِ وَلَيْسَ لِي قَلْبَانِ

وقال الشبلي أيضاً^١ : رأيت يوم الجمعة معتمها عند جامع الرصافة قائماً
عُرْيَانًا ، وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله ، فقلت له : لم لا تدخل
الجامع وتتوارى وتصلي ؟ فأنشد :

يَقُولُونَ زُرْنَا وَاقْنُضِ وَاجِبَ حَقِّنَا وَقَدْ أَسْقَطْتَ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي
إِذَا أَبْصَرُوا حَالِي وَلَمْ يَأْنِفُوا لَهَا وَلَمْ يَأْنِفُوا مِنْهَا أَنْفَتُ لَهُمْ مِنِّي

وكانت وفاته يوم الجمعة^٢ لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين^٣
وثلاثمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة الخيزران ، وعمره سبع وثمانون سنة ، رحمه
الله تعالى ، ويقال إنه مات سنة خمس وثلاثين ، والأول أصح ، ويقال إن
مولده بسر^٤ من رأى .

والشَّبْلِيُّ : بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها لام - وهذه النسبة
إلى شِبْلَةَ ، وهي قرية من قرى أُسْرُوشَةَ ، واسروشة بضم الهمزة وسكون
السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها
هاء ساكنة - وهي بلدة عظيمة وراء سَمَرْقَنْدَ من بلاد ما وراء النهر .
وَدُنْبَاوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعدها
الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة - وهي ناحية من رُستاق
الرِّي في الجبال ، وبعضهم يقول : دماوند ، والأول أصح .

١ سقطت هذه القصة من س .

٢ أ : الخميس .

٣ أ ج : ٣٨٤ (وهو خطأ) .

حرف الك ذال

ذو القرنين ابن حمدان

أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب وجيه الدولة - وقد تقدم ذكر جده ناصر الدولة في حرف الحاء ، ورفعتُ هناك في نسبه فأغنى عن إعادته - ؛ كان أبو المطاع المذكور شاعراً ظريفاً حسنَ السبكِ جميل المقاصد ، ومن شعره قوله :

إني لأحسدُ « لا » في أسطرِ الصُّحفِ إذا رأيتُ اعتناقَ اللامِ للألفِ
وما أظنُّها طالَ اعتناقُهما إلا لما لقياً منْ شدّةِ الشَّغفِ
وله أيضاً :

أفندي الذي زُرتهُ بالسيفِ مُشتملاً ولحظُ عينيه أمضى منْ مضاربهِ
فما خلعتُ نِجادِي في العناقِ لهُ حتّى لبيستُ نِجاداً منْ ذوائبهِ
فكانَ أسعدنا في نيلِ بُغْيتهِ منْ كانَ في الحبِّ أشقانا بصاحبهِ

وأورد له الثعالبي في « اليتيمة »^٢ الأبيات التي تقدم ذكرها في ترجمة الشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبا العلوي التي أولها :

قالت لطيفِ خيالٍ زارني ومضى باللهِ صِفهُ ولا تنقصْ ولا تزِدْ

٢٣٠ - ترجمة ذي القرنين ابن حمدان في معجم الأدباء ٤ : ٢٠١ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٥٩

والشذرات ٣ : ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧ .

١ سقط البيت من س .

٢ انظر اليتيمة ١ : ١٠٦ - ١٠٧ .

وذكر في ترجمة أبي المطاع أنها له وفي ترجمة الشريف أنها له ، والله أعلم لمن هي منها .
وله أيضاً :

لَمَّا التَقِينَا مَعَا وَاللَّيْلُ يَسْتَرُنَا
بَيْنَنَا أَعْفَى مَبِيتِ بَاتِهِ بَشْرُ
فَلَا مَشَى مَن وَشَى عِنْدَ الْمَدْوَى بِنَا
من جنحه اظلمم في طيها نعيم
ولا مراقب إلا الطرف والكرم
ولا سعت بالذي يسمى بنا قدم^١

[وله أيضاً :

لَوْ كُنْتَ سَاعَةً بَيْنَنَا مَا بَيْنَنَا
أَيَقُنْتَ أَنْ مِنَ الدَّمُوعِ مَحْدَثًا
وقوله :

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ الْكَتَّانِ يَلْمَحُهَا
فَكَيْفَ تَنْكَرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرَهَا
والشريف الرضي في المعنى :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَالَتَهُ
وهو بدر وهي كتان^٢
ومن المنسوب إليه^٣ :

تَقُولُ لَمَّا رَأَيْتَنِي
هَذَا اللَّقَاءَ مَنَامٌ
فَقُلْتَ كَلَّا وَلَكِنْ
فَلَيْسَ تَعْرِفُ مِنِّي
نِضْوًا كَمَثَلِ الْخَلَالِ
وَأَنْتَ طَيْفُ خِيَالِ
أَسَاءَ بَيْنَكَ حَالِي
حَقِيقَتِي مِنْ مَحَالِي

١ ب : القدم .

٢ ما بين معقنين زيادة من ر وبعضه في د ولم يرد في ص أو المسودة .

٣ سقطت الأبيات من س .

وله أشعار كثيرة حسنة ، ولعبد العزيز بن نباتة الشاعر المشهور في أبيه
مدائح جمة .

وتوفي أبو المطاع في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكان قد وصل إلى
مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبّيدي صاحبها ، فقلده ولاية الاسكندرية
وأعمالها في رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وأقام بها مقدار سنة ، ثم رجع
إلى دمشق ، هكذا قاله المسبّحي في تاريخه .

حرف الراء

رابعة العدوية

أم الخير^١ رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك^٢ الصالحة المشهورة ؛ كانت من أعيان عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة »^٣ أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك ؟ فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا ، فلا تظني بنا ظنّ سوء . وقال يوماً عندها سفيان الثوري : واحزنه ! فقالت : لا تكذب بل قل واقبله حزنه ، لو كنت محزوناً لم يتها لك أن تتنفس . وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتها في المنام تقول : هداياك تأتينا على أطباق من نور شمرة بناديل من نور ، وكانت تقول : ما ظهر من أعمالي فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اکتبوا حسناتکم كما تکتبون سيئاتکم ، [وقالت لأبيها : يا أبه ، لست أجعلك في حل من حرام تطمئنيه ، فقال لها : أرأيت إن لم أجد إلا حراماً ؟ قالت : نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار . وكانت إذا جنّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادى : إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك

٢٣١ - كتب في ترجمتها الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً بعنوان «رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي» (ط. القاهرة) وفيه ذكر لمصادر ترجمتها ؛ وارجع أيضاً إلى الشريشي شارح المقامات ٢ : ٢٣١ .

١ أ : الخيزران .

٢ ج ٥ : عقيل .

٣ رسالة القشيري : ٢٦٤ .

٤ ؛ إلى هنا انتهت الترجمة في س ، ولم يزد عليها في المسودة سوى ذكر الوفاة .

أيها المحبوب ، فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار] ١ .

[ولقي سفيان الثوري رابعة - وكانت زرية الحال - فقال لها : يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى ، فقالت له : يا سفيان وما ترى من سوء حالي ؟ أأستُ على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه ؛ والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا مَنْ يملكها فكيف أسألها من لا يملكها ؟ فقام سفيان وهو يقول : ما سمعت مثل هذا الكلام . وقالت رابعة لسفيان : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم فاعمل .

كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم ، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها : أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله ، وأنا أخطبك نفسك ، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصيرٌ إليك من بعد أمثالها ، فأجيبيني ، فكتبت إليه : أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابي فهب زارك وقدم لمعادك ، وكن وصي نفسك ولا تجعل وصيتك إلى غيرك ، وصم دهرك واجعل الموت فطرك ، فما يسرني أن الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام .

وقالت امرأة لرابعة : إني أحبك في الله ، فقالت لها : أطيعي من أحببتني له . وكانت رابعة تقول : اللهم قد وهبت لك من ظمني فاستوهبني ممن ظلمته . قال رجل لرابعة : إني أحبك في الله ، قالت : فلا تعصِ الذي أحببتني له] ٢ .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب « عوارف المعارف » :

إنني جعلتك في القواد محدثي وأبجتُ جسمي من أرادَ جلوسي

١ زيادة من ص .

٢ زيادة من ص د ، وقد انفردت د منها بأشياء يسيرة .

فالجسمُ مني للجلّيس مؤانس وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي^١

وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة^٢ ، ذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وقال غيره : سنة خمس وثمانين ومائة ، رحمها الله تعالى ، وقبرها بزار ، وهو بظاهر القدس من شرقه على رأس جبل يسمى الطور^٣ . وذكر ابن الجوزي في كتاب « صفة الصفوة »^٤ في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة^٥ بنت أبي شوال - قال ابن الجوزي : وكانت من خيار إماء الله تعالى ، وكانت تخدم رابعة - قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصَلَّاهَا هَجْعَةً خفيفة حتى يُسْفِر الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فَرَجَةٌ : يا نفس ، كم تنامين ؟ وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها ، إلا لصرخة^٦ يوم النشور ، وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعمتني وقالت : يا عبدة لا تُؤذِنِي بموتِي أحداً ، وكفني في جبتي هذه ، وهي جبة من شَعَرٍ كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت : فكفنتها في تلك الجبة ، وفي خمار صوف كانت تلبسه ، ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه ، فقلت : يا رابعة ، ما فعلتِ بالجبة التي كفنتكِ فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إنه والله نزع عني وأبدلت به ما تَرَيْتَهُ عَلَيَّ ، فطويت أكفاني وختم عليها ، ورفعت في عَلِيَّين ليكل لي بها ثوابها يوم القيامة ، فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ، فقالت : وما هذا عندما رأيتُ من كرامة الله عز وجل لأوليائه ؟ فقلت لها : فما فعلتِ عبدة^٧ بنت أبي كلاب ؟ فقالت : هيات هيات سبقتنا والله إلى

١ ص : جليسي .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في ر .

٤ صفة الصفوة ٤ : ١٩ .

٥ ه : عبدة .

٦ أ ه : بصرخة .

٧ ه : عبدة .

الدرجات العلا ، فقلت : وبمَ وقد كنت عند الناس ، أي أكبر منها ؟ قالت :
إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست ، فقلت لها : فما فعل
أبو مالك ؟ أعني ضيفاً ، قالت : يزور الله عز وجل متى شاء ، قلت : فما
فعل بشر بن منصور ؟ قالت : يخ بخ ، أعطي والله فوق ما كان يؤمل ، قلت :
فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل ، قالت : عليك بكثرة ذكره ، يوشك
أن تغتبطي بذلك في قبرك ، رحمها الله تعالى .

٢٣٢

ربيعة الرأي

أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ ، مولى آل المنكدر التميميين
- تم قريش - المعروف بربيعة الرأي ، فقيه أهل المدينة ؛ أدرك جماعة من
الصحابة رضي الله عنهم ، وعنه أخذ مالك بن أنس رضي الله عنه . قال بكر بن
عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس ، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي ، فكنا
نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم
في ذاك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال : نعم ،
قلنا : أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال : نعم ، فقلنا : كيف
حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمت أن مثقالاً من دولة
خير من حمل علم ؟

وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول : الساكت بين النائم والأخرس . وكان

٢٣٢ - ترجمة ربيعة الرأي في تاريخ بغداد ٨ : ٤٧٠ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٨ وتذكرة الحفاظ :
١٥٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٤ وصفة الصفوة ٢ : ٨٣ والمعارف ٤٩٦ وعبر النهي ١ :
١٨٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٥ .

يوماً في مجلسه وهو يتكلم ، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف
والإنصات إلى كلامه ، فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه ، فقال له : يا أعرابي ،
ما البلاغة عندكم ؟ فقال : الإيجاز مع إصابة المعنى ، فقال : وما العيب ؟ فقال :
ما أنت فيه منذ اليوم ، فخبجل ربيعة^١ .

[قال عبد الوهاب بن عطاء الحفاف : حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخاً
أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعه
حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم
المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح ، فنزل ودفع
الباب برمحه فخرج ربيعة ، وقال : يا عدو الله ، أتتهجم على منزلي ؟ فقال فروخ :
يا عدو الله ، أنت دخلت على حرّمي ، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه
حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس والمشixe فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل
ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فروخ يقول : والله
لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي ؛ وكثر الضجيج ، فلما أبصروا بمالك
سكنوا ، فقال مالك : أيها الشيخ ، لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ :
هي داري وأنا فروخ ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت : هذا زوجي ،
وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا . فدخل فروخ
المنزل وقال : هذا ابني ؟ فقالت : نعم ، قال : أخرجني المال الذي لي عندك
وهذه معي أربعة آلاف دينار ، قالت : قد دفنته وأنا أخرجته بعد أيام ، ثم
خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقة ، فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي
علي اللهي والمساحقي وأشرف أهل المدينة وأحدق الناسُ به ، فقالت امرأته
لزوجها فروخ : اخرج فصل^٢ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج
فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه
يوهم أنه لم يره ، وعليه دنية طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟
فقالوا : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال : فقد رفع الله ابني ، ورجع إلى

١ لم يزد في م على هذا القدر من ترجمته سوى ذكر وفاته .

منزله ، وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقهاء عليها ، فقالت أمه : فأيا أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا والله بل هذا ، فقالت : فأني أنفقت المال كله عليه ، قال : فوالله ما ضيعته .

وقال معاذ بن معاذ : سمعت سوار بن عبد الله يقول : ما رأيت أحداً أعلم من ربعة الرأي ، قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو غيره من ربعة الرأي ، أنفق على إخوانه أربعين ألف درهم ، ثم جعل يسأل إخوانه ، فقيل له : أذهبت مالك وأنت تخلق جاهك ، فقال : لا يزال هذا دأبي ما وجدت أحداً يغبطني على جاهي^١ .

وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية ، وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ، ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى .

وقال مالك بن أنس : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربعة الرأي . قلت : ولا يمكن الجمع بين قول من يقول إنه توفي سنة ثلاثين ومائة وإنه دفن بالهاشمية التي بناها السفاح ، لأن السفاح ولي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه ، فتأمل .

١ ما بين معقنين زيادة من ر متقدمة على موضعها هنا ، ومن ص .

الربيع بن سليمان المرادي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري ، صاحب الإمام الشافعي؛ وهو الذي روى أكثر كتبه ، وقال الشافعي في حقه : الربيع راويتي ، وقال : ما خدمني أحد ما خدمني الربيع ، وكان يقول له : يا ربيع ، لو أمكنتني أن أطعمك العلم لأطعمتك . ويحكى عنه أنه قال : دخلت على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته ، وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم ، فنظر إلينا ثم قال : أما أنت يا أبا يعقوب - يعني البويطي - فتموت في حديدك ، وأما أنت يا مُزني فستكون لك في مصر هنات وهنات ، ولتدركنّ زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك ، وأما أنت يا محمد - يعني ابن عبد الحكم - فترجع إلى مذهب مالك ، وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب ، قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة . قال الربيع : فلما مات الشافعي رضي الله عنه صار كل واحد منهم إلى ما قاله ، حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وحكى الخطيب في تاريخه في ترجمة البويطي^١ : قال الربيع بن سليمان المرادي : كنا جلوساً بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبويطي والمزني ، فنظر إلى البويطي فقال : ترون هذا ؟ إنه لن يموت إلا في حديده ، ثم نظر إلى المزني فقال : ترون هذا ؟ أما إنه سيأتي عليه زمان لا يفسر شيئاً فيخطئه ، ثم نظر إلي فقال : أما إنه ما في القوم أحد أنفع لي منه ، ولوددت أني حشوته العلم حشواً . والربيع هذا آخر من روى عن الشافعي بمصر .

٢٣٣ - ترجمة الربيع بن سليمان المرادي في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ وطبقات الشيرازي ، الورقة:

٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .

١ لم ترد هذه الفقرة في س م ؛ وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ .

ورأيت بخط الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري شعراً للربيع المذكور :

صبراً جميلاً ما أسرع الفرجا من صدق الله في الأمور نجاً
من خشي الله لم ينله أذى ومن رجا الله كان حيث رجا

وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر ،
ودفن بالقرافة مما يلي الفقاعي في بحريه في حجرة هناك ، وعند رأسه بلاطة
رخام فيها اسمه وتاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى .
والمرادي - بضم الميم وفتح الراء وبعد الألف دال مهملة - هذه النسبة إلى
مُراد ، وهي قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق عظيم .

٢٣٤

الربيع بن سليمان الجيزي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزدي^١ بالولاء المصري الجيزي
صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ لكنه كان قليل الرواية عنه ، وإنما روى
عن عبد الله بن عبد الحكم كثيراً ، وكان ثقة ، وروى عنه أبو داود والنسائي .
[قيل : إنه اجتاز يوماً بمصر ، فطُرحت عليه إجانة رماد ، فنزل عن دابته
وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئاً ، فقيل له : ألا تزجرهم ؟ فقال : مَنْ
استحق النار ووصلح بالرماد فقد ربح]^١ .
وتوفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة ، وقبره بها ، كذا

٢٣٤ - ترجمة الربيع بن سليمان الأزدي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٧ وترتيب المدارك ٣ :
٨٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .
١ ما بين معقنين زيادة من د وحدهما .

قاله القضاعي في « الخطط » ، رحمه الله تعالى .

والأزدي : قد تقدم الكلام فيه .

والجزيري ١ - بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي -
هذه النسبة إلى الجيزة ، وهي بلدة في قبالة مصر يفصل بينها عرض النيل ،
والأهرام في عملها وبالقرب منها ، وهي من عجائب الأبنية [قال بعض الحكماء :
ما على وجه الأرض بَنِيَّةٌ إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فأنا
أرثي لليل والنهار منها .
ولأبي الطيب المتنبي فيها :

أين الذي الهرمان من بُنيانه ما قومه ما يومه ما المَصْرَعُ
تتخلفُ الآثارُ عَنْ أصحابها حيناً ويُدْرِكها الفناء فتتبعُ

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر
الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم ، وتوخَّوْا أن يبقى ذكْرهم بسببها
على تطاول الدهور وتراخي العصور . ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر
بنقب الهرمين ، فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل ، فوجدوا داخله
مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتاً
مكعباً طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام
مطبق فيه رمّةٌ بالية ، وقد أتت عليها العصور ، فكف عن نَقْب ما سواه ،
وكانت النفقة على نَقْبهِ عظيمة ، والمؤونة شديدة .

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة
وهو الذي يسميه العبرانيون خَنوخ - وهو إدريس عليه السلام - استدل من
أحوال الكواكب على الطوفان ، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يُشْفَق عليه
من الذهب ؛ وقيل بانها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي
الطوفان ؛ ويقال : إنه بناها في مدة ستة أشهر ، وغشَّأها بالدبياج الملون ،

١ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .

وكتب عليها : قد بيناها في ستة أشهر ، قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستائة سنة ، والهدم أيسر من البنيان ، وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصراً ، والحصر أهون من الديباج . وبالجملة فالأمر فيها عجيب جداً ، والله أعلم^١ .

٢٣٥

الربيع بن يونس

أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة - واسمه كيسان - مولى الحارث الحفار، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور ، ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني - الآتي ذكره في حرف السين إن شاء الله تعالى - وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه ؛ قال له يوماً : يا ربيع ، سل حاجتك ، قال : حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحبّ الفضل ابني ، فقال له : ويحك ! إن الهبة تقع بأسباب ، فقال له : قد أمكنتك الله من إيقاع سببها ، قال : وما ذلك؟ قال : تفضّل عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحبته ، قال : قد والله حببته إلي قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له الهبة دون كل شيء ؟ قال : لأنك إذا أحببت كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته إليك حاجة الشفيح العريان . أشار بقوله « الشفيح العريان » إلى قول الفرزدق الشاعر :

ليس الشفيح الذي يأتيك متزراً
مثل الشفيح الذي يأتيك عرياناً

١ هذه زيادة من روحها .

٢٣٥ - ترجمة الربيع حاجب المنصور في تاريخ بغداد ٨ : ٤١٤ والجيشياري : ١٢٥ وتهذيب ابن عساکر ٥ : ٣٠٨ ، هذا إلى ما ورد عنه في كتب التاريخ العامة .

وهذا البيت من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير بن العوام لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي ، وكان قد اختص الفرزدق وزوجته النوار ، فمضيا من البصرة إلى مكة ، ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت النوار عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد منها لنزله ، ففضى عبد الله للنوار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيح العريان مثلاً يضرب لكل من تُقبِلُ شفاعته .

[وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ، وإذا أراد به شراً سلمه للمسيب ، فكتب عامل فلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب واستغوى جماعة وعاب في العمل ، فكتب إليه أبو جعفر : دمك بواء بدمه إلى أن توجه به إليّ ، فأخذه ووجه به إليه ، فلما دخل عليه قال : أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين ؟ لأنثرن من لحمك أكثر ما بقي منه على عظمك ، فقال له بصوت ضئيل ، وكان شيخاً كبيراً :

أتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال أبو جعفر : يا ربيع ، ما يقول ؟ قال : يقول :

العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف

فقال : قد عفوت عنه ، فخلّني سبيله وأحسن إليه . وهذا الشعر لسحيم عبد بني الحسحاس^١ .

وقال له المنصور يوماً : ويحك يا ربيع ، ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : ما طابت إلا بالموت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال : صدقت . وقال له المنصور لما حضرته الوفاة : يا ربيع ، بعنا الآخرة بنوامة .

١ زيادة من دوحدها .

وقال الربيع : كنا يوماً وقوفاً على رأس المنصور وقد طُرحت لولده المهدي - وهو يومئذ ولي عهده - وسادةٌ إذ أقبل صالح بن المنصور، وكان قد رشحه أن يوليه بعض أموره ، فقام بين السطّاطين، والناس على قدر أنسابهم ومراتبهم ، فتكلم فأجاد ، فمدَّ المنصور يده إليه ، وقال : إني يا بني ، واعتنقه ، ونظر إلى وجوه الناس ، هل فيهم من يذكر مقامه ويصف فضله؟ فكلهم كرهوا ذلك بسبب المهدي خيفةً منه ، فقام شبة بن عقّال التميمي^١ ، فقال : لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ، ما أفصح لسانه ، وأحسن بيانه ، وأمضى جنانه ، وأبلّ ريقه ، وأسهل طريقه ، وكيف لا يكون كذلك ، وأمير المؤمنين أبوه ، والمهدي أخوه ؟ وهو كما قال الشاعر^٢ :

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِرِهَا عَلَى تَكْلِيفِ فَمَثَلُهُ لِحَقَا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَمَثَلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحِ سَبَقَا

فمجب من حضر يجمعه بين المدحين وإرضائه المنصور وخلصه من المهدي؛ قال الربيع : فقال لي المنصور : لا يخرج التميمي إلا بثلاثين ألف درهم ، فلم يخرج إلا بها .

ويقال : إن الربيع لم يكن له أب يُعرف ، وإن بعض الهاشمين دخل على المنصور وجعل يحدثه ، ويقول : كان أبي رحمه الله تعالى ، وكان وكان ، وأكثر من الترحم عليه ، فقال له الربيع : كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي : أنت معذور يا ربيع ، لأنك لا تعرف مقدار الآباء ، فحجل منه .

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة ، قال للربيع : ابغني رجلاً عاقلاً عالماً ليقفني على دورها ، فقد بعدَ عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس وأعقلهم ، فكان لا يتبدىء بالإخبار عن شيء حتى يسأله المنصور ،

١ ورد هذا في البيان ١ : ٣٥٢ منسوباً إلى شبيب بن شيبة النخعي الخطيب .

٢ الشعر لزهير بن أبي سلمى ؛ ديوانه : ٥١ .

فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، فأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجاهه ، فاجتاز بيت عاتكة بنت عبد الله بن أبي سفيان الأموي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة ، الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري^٢ :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتَعَزَلُ حَذَرَ العدا وبه الفؤاد مُوَكَّلُ
إني لأمنحكَ الصُدودَ وإنني قَسَمًا إِيكَ مَعَ الصُدودِ لأَمِيلُ

ففكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يُرَدِّدُ القصيدة ويتصفحها شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تَفَعَّلُ ما تَقُولُ وبعضُهُمْ مَدَقُ الحَدِيثِ^٣ يَقُولُ ما لا يَفَعَّلُ

فقال المنصور : يا ربيع ، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : تأخر عنه لعله ذكرها الربيع ، فقال : عَجَّلْهُ له مضاعفاً ، وهذا أَلطَف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور^٤ .

[وكان يقول : من كلم الملوك في الحاجات في غير أوقاتها لم يظفر ببغيته ، وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة ، فإن الصلاة لا تُقبل إلا فيها ، فمن أراد خطاب الملوك فليختر لذلك الوقت المنجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد ليصح النجح ، وإلا فلا]^٥ .

[وحكت فائقة بنت عبد الله أم عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قالت : كنا يوماً عند المهدي أمير المؤمنين ، وكان قد خرج متنزهاً إلى الأنبار ، إذ

١ أ ج : بنت يزيد بن معاوية .

٢ انظر الاغاني ٢١ : ٤٠٦ وما بعدها .

٣ ر : اللسان .

٤ هنا ينتهي ما في نسخة م ، ولا زيادة سوى ذكر تاريخ وفاته وما ورد في آخر الترجمة عن جده وعن قطيعة الربيع .

٥ ورد في د وحدها .

دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ ، وَمَعَهُ قِطْعَةٌ مِنْ جِرَابٍ فِيهِ كِتَابَةٌ بِرَمَادٍ وَخَاتَمٌ مِنْ طِينٍ
قَدْ عَجِنَ بِالرَّمَادِ وَهُوَ مَطْبُوعٌ بِخَاتَمِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا رَأَيْتَ
أَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ الرَّقْعَةِ ، جَاءَ فِيهَا رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ ، وَهُوَ يَنَادِي : هَذَا كِتَابُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، دَلُّونِي عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُسَمَّى الرَّبِيعَ ، فَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ
أُدْفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَهَذِهِ هِيَ الرَّقْعَةُ ؛ فَأَخَذَهَا الْمَهْدِيُّ وَضَحَكَ وَقَالَ : صَدَقْتَ ،
هَذَا خَطِي وَهَذَا خَاتَمِي ، أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِالْقِصَّةِ كَيْفَ كَانَتْ ؟ قُلْنَا : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْلَى رَأْيًا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : خَرَجْتُ أَمَسَ إِلَى الصَّيْدِ فِي غَيْبِ سَمَاءَ ، فَلَمَّا
أَصْبَحْتُ هَاجَ عَلَيْنَا ضَبَابٌ شَدِيدٌ وَفَقَدْتُ أَصْحَابِي حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ،
وَأَصَابَنِي مِنَ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، وَتَحَيَّرْتُ عِنْدَ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ
دَعَاءَ سَمْعَةَ مِنْ أَبِي ، يُحْكِيهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا - رَفَعَهُ ، قَالَ : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى « بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » وَوُقِيَ وَكُفِّي وَهُدِيَ وَشُفِيَ مِنَ الْحَرِّ وَالْعَرَقِ وَالْهَدْمِ
وَمِيتَةَ السَّوَاءِ ، فَلَمَّا قَلَّتْهَا ، رَفَعَ اللَّهُ لِي ضَوْءَ نَارٍ ، فَقَصَدْتُهَا فِإِذَا بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ فِي
خِيْمَةٍ لَهُ ، وَإِذَا هُوَ يوقِدُ نَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَعْرَابِيُّ ، هَلْ مِنْ
ضِيَافَةٍ ؟ فَقَالَ : أَنْزَلَ ، فَانزَلْتُ ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ : هَاتِي ذَلِكَ الشَّعِيرَ ، فَأَتَتْ بِهِ ،
فَقَالَ : اطْحَنِيهِ ، فَأَبْتَدَأَتْ تَطْحَنُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اسْقِنِي مَاءً ، فَأَتَى بِسِقَاءٍ فِيهِ
مَذْقَةٌ لَبَنٍ أَكْثَرُهَا مَاءٌ ، فَشَرِبْتُ مِنْهَا شَرْبَةً مَا شَرِبْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَهِيَ أَطْيَبُ
مِنْهُ ، وَأَعْطَانِي جِلْسًا لَهُ فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَيْهِ ، فَنَمْتُ نَوْمَةً مَا نَمْتُ أَطْيَبَ مِنْهَا
وَأَلَذَّ ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ ، فِإِذَا هُوَ قَدْ وَثَبَ إِلَى شَوْبِيَّةٍ فَذَبَحَهَا ، وَإِذَا امْرَأَتُهُ تَقُولُ
لَهُ : وَيْحَكَ ! قَتَلْتَ نَفْسَكَ وَصِيَّتَكَ ، إِنَّمَا كَانَ مَعَاشِكُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ ،
فَذَبَحْتَهَا فَبَإَيِّ شَيْءٍ نَعِيشُ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : لَا عَلَيْكَ ، هَاتِ الشَّاةَ ، فَشَقَقْتُ
جَوْفَهَا ، وَاسْتَخْرَجْتُ كَبِدَهَا بِسَكِينٍ كَانَتْ فِي خَفِيٍّ ، فَشَرَحْتُهَا ثُمَّ طَرَحْتُهَا
عَلَى النَّارِ وَأَكَلْتُهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ أَكْتُبُ لَكَ فِيهِ ؟ فَجَاءَنِي بِهَذِهِ
الْقِطْعَةِ مِنْ جِرَابٍ ، وَأَخَذْتُ عَوْدًا مِنَ الرَّمَادِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَتَبْتُ لَهُ هَذَا
الْكِتَابَ ، وَخَتَمْتُهُ بِهَذَا الْخَاتَمِ ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَحْيِيَ وَيَسْأَلَ عَنِ الرَّبِيعِ فَيُدْفَعُهَا

إليه ، فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم ، فقال : والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ، ولكن جرت بخمسمائة ألف درهم ، لا أنقص والله منها درهما واحداً ، ولو لم يكن في بيت المال غيرها ؛ احموها معه ، فما كان إلا قليل حتى كثرت إبله وشاؤه ، وصار منزلاً من المنازل ينزله الناس من أراد الحج ، وسمي منزل مُضَيِّف أمير المؤمنين المهدي^١ .

[وقال أبان بن صدقة : كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور ، فدخلت يوماً وَعَلِيٌّ خز أسود جديد والمنصور في قباء خز خَلَقَ ، فجعل ينظر إليّ فضافت عليّ الدنيا ، وخرج الربيع فقلت إني أخطأت خطأ عظيماً ، وعرفتته الخبر فقال : ما ذاك إلا لخير فلا يحزنك ، فلما كان من غدٍ دخلت في قباء خز خلق فقال لي المنصور : أما عندك أحسن من هذا تلبسه أمام المنصور ؟ قلت : بلى ، ولكن رأيت أمير المؤمنين لابس قباء خلقاً وكان عليّ قباء جديد فضافت عليّ الأرض إذ لبست أفضل من لباسه ، فقال : لا تفعل^٢ ، البس خير ما عندك في خدمتي ليتبين الناس إحساني إليك ولا تلبس مثل هذا فيظن بي إساءة إليك ، فإن الناس يعلمون أنني أقدر على أشرف اللباس وإن لم ألبس وأنت فلا يظن ذلك بك ، قال : فعلت أن الربيع أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين]^٢ .

وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومائة . وقال الطبري : مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة . وقيل إن الهادي سمه ، وقيل مرض ثمانية أيام ومات ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وإنما قيل لجده « أبو فروة » لأنه أدخل المدينة وعليه فروة ، فاشتراه عثمان رضي الله عنه وأعتقه ، وجعل يحفر القبور ، وكان من سبي جبل الخليل صلى الله عليه وسلم - وسياقي ذكر ولده الفضل إن شاء الله تعالى - .

وقطيفة الربيع منسوبة إليه ، وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، وإنما قيل لها قطيفة الربيع لأن المنصور أقطعه إياها .

١ ما بين معقنين زيادة من روحهما .

٢ زيادة من روحهما .

ربيعي بن حراش

ربيعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجار بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس بن بفيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي الكوفي ؛ روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [وعلي بن أبي طالب] وحذيفة بن اليان وأبي بكره وعمران بن الحصين رضي الله عنهم . حدث عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير ومنصور بن المعتمر وأبو مالك الأشجعي [وغيرهم] . وكان ثقة ، وهو أخو مسعود وربيع ابني حراش ، ورد المدائن غير مرة في حياة حذيفة وبعده .

قال أبو مسلم صالح بن عبد الله المجلي : حدثني أبي قال : ربيع بن حراش كوفي تابعي ثقة ؛ يقال إنه لم يكذب قط ، وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فقيل للحجاج : إن أباهما لا يكذب قط ، ولو أرسلت إليه فسألته عنها ، فأرسل إليه فقال له : أين ابناك ؟ قال : هما في البيت ، قال : قد عفونا عنها لصدقك .

وكان ربيع بن حراش آلى ألا تفقر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعد موته ؛ وكان أخوه ربيع بعده آلى ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار ؛ قال الحارث الفنوي : فأخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نفسله حتى فرغنا منه .

قال سعيد بن جميل العبسي : رأيت ربيع بن حراش رجلاً أعور .

٢٣٦ - ترجمة ربيع بن حراش في طبقات ابن سعد ٦ : ١٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٩٧ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٨ : ٤٣٣ وحلية الأولياء ٤ : ٣٦٧ ؛ ووردت ترجمته في ر ، ووقعت في ص بعد ترجمة روح بن حاتم ، ولم ترد في المسودة .

مات سنة أربع ومائة ، وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ،
وذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى .

٢٣٧

رجاء بن حيوة

أبو المقدم رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ؛ كان من العلماء ، وكان
يجالس عمر بن عبد العزيز ؛ ذكر أنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخمد ،
فقام إليه ليصلحه ، فأقسم عليه عمر ليقعدن ، وقام هو إليه فأصلحه ؛ قال :
فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز
ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

[قال : وأمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوباً بستة دراهم ، فأتيته
به فجسسه وقال : هو على ما أحب لولا أن فيه لنا ، قال : فبكيت ، قال :
فما يبكيك ؟ قال : أتيتك وأنت أمير بثوب بستائة درهم ، فجسسته وقلت :
هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة ، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة
دراهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه لنا ، فقال : يا رجاء
إن لي نفساً تواقّةً تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ، وتاقت إلى
الإمارة فوليتها ، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها ، وقد تاقت إلى الجنة فأرجو أن
أدركها إن شاء الله عز وجل] ١ .

٢٣٧ - ترجمة رجاء بن حيوة في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ وحلية الأولياء ٥ : ١٧٠ وتذكرة
الحفاظ ١١٨ وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ والمعارف ٤٧٢ وطبقات الشيرازي ، الورقة ١٩
وترد أخباره حيث وردت سيرة عمر بن عبد العزيز في الكتب التاريخية وفي سيرة عمر لابن
الجوزي وابن عبد الحكم وطبقات ابن سعد .

١ زيادة من دوحدها .

وقال : قَوِّمْتُ ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهماً ، وكانت قَبَاءَ وعمامةً وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة ؛ وله معه أخبار وحكايات .

وكان يوماً عند عبد الملك بن مروان ، وقد ذكر عنده شخص بسوء ، فقال عبد الملك : والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن ، فلما أمكنه الله منه همَّ بإيقاع الفعل به ، فقام إليه رجاء بن حيوةَ المذكور فقال : يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو ، فعفا عنه وأحسن إليه .

[ولما حضر أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة - وكان ولي عهد أبيه - دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوةَ ، فجعل سليمان ينظر في وجه أيوب ، فخنقته الخَبْرَةُ ، ثم قال : إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوجدُ عند المصيبة ، والناس في ذلك أصناف : فمنهم المحتسب ، ومنهم من يغلب صبره جَزَعَهُ فذلك الجَلْدُ الحازم ، ومنهم من يغلب جزعُه صبره فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أبردها خفت أن تنصدع كبدي كمدأ ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، الصبر أولى بك فلا يَحْبِطَنَّ أجرك . وقال سعيد بن عقبة : فنظر إليّ وإلى رجاء بن حيوةَ نظر مستغيثٍ يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء ، فأما أنا فكرهت أن أمره أو أنهاه ، وأما رجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لا أرى بذلك بأساً ما لم يأت الأمر المفرط ، وإني قد بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه ، فقال : « تدمع العين ، ويمزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون » ، فبكى سليمان حتى اشتد بكاءه ، فظننا أن نيباط قلبه قد انقطع ، فقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوةَ : بشس ما صنعت بأمر المؤمنين ، فقال : دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطراً ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي عليه ، ثم أمسك عن البكاء ، ودعا بجاء ففعل وجهه ، وقضى الفتى ، فأمر بجهازه ، وخرج يمشي أمام جنازته ، فلما دفن وقف ينظر

إلى قبره ، ثم قال :

وقفتُ على قبرٍ مقيمٍ بقفرةٍ متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مفارقٍ

ثم قال : السلام عليك يا أيوب ، وقال :

كنتَ لنا أنساً ففارقتنا فالعيشُ من بعدك مرُّ المذاقِ

ثم قال : يا غلامِ أدنِ دابتي مني ، فركب وعطف دابته إلى القبر ، وقال :

فإن صبرتُ فلم ألفظك من شبعٍ وإن جَزَعْتُ فعلقُ مُنْفِسٌ ذهباً

فقال عمر : بل الصبر أقرب إلى الله عز وجل ، قال : صدقت ، وانصرف [١] .
وكانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان رأسه أحمر ولحيته بيضاء ، رحمه
الله تعالى .

وحيثوة : بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو
وبعدها هاء ساكنة .

٢٣٨

رؤبة بن العجاج

أبو محمد رؤبة بن العجاج - والعجاج لقب واسمه : أبو الشعثاء^٢ عبد الله -
ابن رؤبة البصري التميمي السعدي ؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منها

١ زيادة من دوحدهما .

٢٣٨ - ترجمة رؤبة بن العجاج في الشعر والشعراء : ٤٩٥ والخزانة ١ : ٤٣ والمؤتلف والاختلف :

١٧٥ ولسان الميزان ٢ : ٤٦٤ وقد نشر ديوانه ولم بن الورد البروسي (سنة ١٩٠٣) ؛

والترجمة موجزة جداً في م .

٢ أ ج : البيضاء .

له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مجيدان في رجزها ، وكان بصيراً باللغة قيماً بحوشيها وغريبها .

حكى^١ يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو ابن العلاء ، فجاءه شيبيل بن عزرة الضبعي^٢ ، فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدَ بغلته ، فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شيبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤيتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعني رؤبة . قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره ، فقلت له : لملك تظن أن معدّ بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ؟ أفتعرف أنت ما الروبة ، والروبة ، والروبة ، والروبة ، والروبة ، وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِرْ جواباً ، وقام مُغضباً ، فأقبل علي أبو عمرو وقال : هذا رجل شريف ، يقصد مجالستنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة . فقال أبو عمرو : أو قد سلطت على تقويم الناس ؟ ثم فسر يونس ما قاله فقال : الرؤبة : خيرة اللبن ؛ والرؤبة : قطعة من الليل ؛ والرؤبة : الحاجة ، يقال : فلان لا يقوم بروبة أهله : أي بما أسندوا إليه من حوائجهم ؛ والرؤبة : جمام ماء الفحل ، والرؤبة - بالهمزة - القطعة التي يُشعبُ بها الإناء ، والجميع بسكون الواو وضم الراء التي قبلها ، إلا رؤبة فإنها بالهمز .

[وكان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب في ذلك ، فقال : هي أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي يأكلن العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر أو لُبَاب الطعام؟ ولما مات قال الخليل : دَفْنَا الشعر واللغة والفصاحة]^٣ .

وكان رؤبة مقيماً بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنب الفتنة ،

١ سقطت هذه القصة من س .

٢ كان شيبيل بن عزرة الضبعي نسابة لغويًا وانتهى به الأمر أخيراً إلى اعتناق المذهب الخارجي الصفري .

٣ ما بين معقفين زيادة من د .

فلما وصل إلى الناحية التي قصدتها أدركه أجلكه بها ، فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أسنَّ ، رحمه الله تعالى .

ورؤية - بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة - وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يُشعَب بها الإناء ، وجمعها رثاب ، وباسمها سمي الراجز المذكور .

٢٣٩

روح بن حاتم

أبو حاتم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي - وسيأتي تمام النسب عند ذكر جده المهلب في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ؛ كان روح المذكور من الكرماء الأجواد ، ووليّ خمسة من الخلفاء : أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد . ويقال إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فإنه وليّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم . وكان روح والياً على السند ، ولاء إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة تسع وخمسين ومائة ، وكان قد ولاء في أول خلافته الكوفة ، وقيل إنه وليّ السند سنة ستين ومائة ، ثم عزله عن السند سنة إحدى وستين ومائة ، ثم ولاء البصرة .

٢٣٩ - ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٣٦ والحلة السراء ٢ : ٣٥٨ وابن عذاري ١ : ٨٤ ، هذا إلى ما ورد في الكتب التاريخية العامة عن ولايته لأفريقية ، وفي تلك المصادر نفسها ترجمة أخيه يزيد .

١ في هذا الموضوع وردت قصة روح وأبي دلامة في ص وهامش السودة ، ولم تثبت هنا لأنها سترد في ترجمة أبي دلامة فيما بعد .

وكان يزيداً أخو روح والياً على إفريقية ، فلما توفي يزيد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بإفريقية في مدينة القيروان ودفن بباب سلم - وكان أقام والياً عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر - قال أهل إفريقية : ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الأخوين ، فإن أخاه بالسند وهذا هاهنا ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند وسيّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن في قبر أخيه يزيد ، فمجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد ، رحمها الله تعالى .

(40) ويزيد المذكور هو الذي قصده ربعة بن ثابت الأسدي الرقّي فأحسن إليه ، وكان ربعة مدح يزيد بن أسيد السلمي فقصر يزيد في حقه ، فمدح يزيد بن حاتم وهجا يزيد السلمي بقصيدته الميمية التي يقول من جلتها^٢ :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغرّ ابن حاتم
فهم الفتي الأزديّ إتلاف ماله وهم الفتي القيسيّ جمع الدراهم
فلا يحسب التمام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم
ومنها :

فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرّع إن ساميته سنّ نادِم
هو البحر إن كلفت نفسك حوضه تهالكت في آذيه المتلاطم
تمنيت مجداً في سليم سفاهة أمانيّ خالٍ أو أمانيّ حالم
ألا إنما آل المهلب غرّة وفي الحرب قادات لكم بالخزائم

١ ولي يزيد إفريقية في خلافة أبي جعفر فأصلحها ورتب أمر القيروان وجدد مسجدها، وكان غاية في الجود، وقبل ولايته المغرب كان قد ولي ولايات كثيرة منها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان.

٢ انظر الحلة السيرة ١ : ٧٤ ومصادر تاريخية أخرى ، والأغاني : ١٦ : ١٩٦ .

وهي طويلة ، ويكفي منها هذا القدر ، وكان قد قصّر في حقه أولاً فعمل
ربيعة أبياتاً من جملتها :

أراني ولا كُفْرانَ لله راجعاً بخُفْي حُنَيْنٍ من نوالِ ابنِ حاتمِ

فعاد فعطف عليه ، وبالغ في الإحسان إليه .
ويزيد المذكور جد الوزير أبي محمد المهلبي فينظر في ترجمته .

١ يقال ان يزيد بن حاتم لما بلغه هذا القول دعا به وقال : انزعوا خفيه ، فنزعا وهو خائف من
عقوبته ، فلأهما له دراهم ودنانير ، وكانا كبيرين كأخفاف الجند .

حرف الزاى

الزبير بن بكار

أبو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار - وكنيته أبو بكر - بن عبد الله بن مُصَنَّب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري؛ كان من أعيان العلماء ، وقولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى ، وصنف الكتب النافعة ، منها كتاب « أنساب قريش » وقد جمع فيه شيئاً كثيراً ، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين ، وله غيره مصنفات دلت على فضله واطلاعه . روى عن ابن عُيَيْنَةَ وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ ، وروى عنه ابن ماجه القزويني وابن أبي الدنيا وغيرهما .

[ولقي الزبير بن بكار اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال : يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميت « كتاب النسب » وهو كتاب الأخبار ، قال : وأنت يا أبا محمد - أيدك الله - عملت كتاباً سميت « كتاب الأغاني » وهو كتاب المعاني] .
[قال جحظة : كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ، فاستأذنت الزبير بن بكار حين جاء من الحجاز ، فدخل ، فأكرمه وعظَّمه ، وقال له : إن باعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب ، وإن أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده وأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة تُخُوت ثياب وعشرة أبغل تحمل عليها رَحْلَكَ إلى حضرة سُرٍّ مَنْ رَأَى ، فشكر ذلك وقبله ، فلما

٢٤٠ - ترجمة الزبير بن بكار في تاريخ بغداد ٨ : ٤٦٧ ، وقد جمع الأستاذ محمود شاكر (في مقدمة جبهة نسب قريش) ترجمته من المصادر المختلفة ، ووضع ثبناً باثنين وعشرين مصدراً ترجمت له (انظر المقدمة : ٥٤ ، ٥٥ - ٧٢) فليراجع ما أورده الأستاذ المحقق ففي ما جاء هنالك مقنع لمن شاء مزيداً من التعرف إلى المترجم به .
١ زيادة من ر وحدها .

ودعه قال للشيخ : أرؤنا حديثاً نذكرك به ، قال : أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت ؟ قال : بل بما شاهدت ، قال : بينا أنا في مسيري هذا بين مسجدين إذ بصرت بجبالَةٍ منصوبة فيها ظيبي ميت ، وبإزاءها رجل في نعشه ميت ، وامرأة حَسْرَى تسمى وتقول :

أَمَسْتُ فِتَاةَ بَنِي نَهْدٍ عِلَانِيَةً وَبَعَلَهَا فِي أَكْفِ الْمَوْتِ يَبْتَدَلُ
وَكَنتُ رَاغِبَةً فِيهِ أَضْنُ بِهِ فَحَالَ مِنْ دُونِ ظِيبي الرِّيمَةُ الْأَجَلُ

ثم خرج ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : أي شيء أفدنا من هذا الشيخ؟ قلنا : الأمير أعلم ، فقال : قوله « أمست فتاة بني نهد علانية » أي ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمع في كلام العرب قبل هذا .

قال الزبير بن بكار : قالت ابنة أخي لأهلنا : خالي خير رجل لأهله ، لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية ، فقالت المرأة : لهذه الكتب أشدُّ علي من ثلاث ضرائر وأصعب^١ .

وتوفي بمكة وهو قاضٍ عليها ليلة الأحد لسبع - وقيل لتسع - ليل بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره أربع وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى . وتوفي والده سنة خمس وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

أبو عبد الله الزبيري

أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام ، الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري البصري ؛ كان إمام أهل البصرة في عصره ومُدْرَسَهَا ، حافظاً للمذهب مع حظ من الأدب ، وقدم بغداد وحدث بها عن داود بن سليمان المؤدب ومحمد بن سنان^١ القزاز وإبراهيم بن الوليد ونحوهم . وروى عنه النقاش صاحب التفسير وعمر بن بشران السكري وعلي بن هارون السمسار ونحوهم . وكان ثقة صحيح الرواية ، وكان أعمى ، وله مصنفات كثيرة منها « الكافي » في الفقه ، وكتاب « النية » وكتاب « ستر العورة » وكتاب « الهداية » وكتاب « الاستشارة والاستخارة » وكتاب « رياضة المتعلم » وكتاب « الإمارة » وغير ذلك^٢ ، وله في المذهب وجوه غريبة . وتوفي قبل العشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٤١ - ترجمة الزبيري الفقيه الشافعي في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٤ ونكت الحميان : ١٥٣

والفهرست : ٢١٢ .

١ ر : عثمان .

٢ من مؤلفاته أيضاً المسكت وكتاب الفرائض وكتاب الجامع في الفقه .

زبيدة أم الأمين

أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حَجَّهَا وما اعتمده في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الألقاب»: «إنها سَقَتْ أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلت من الحِلِّ إلى الحرم، وعملت عقبه البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: أعملها ولو كانت ضَرْبَةَ فأسٍ بدينار، فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمئة ألف دينار؛ قال اسماعيل بن جعفر بن سليمان: حجت أم جعفر زبيدة فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخسين ألف ألف، ولها آثار كثيرة في طريق مكة والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من مصانع وبرك أحدثتها. وإنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكل واحدة ورْدُ عَشْرِ القرآن، وكان يسمع في قصرها كَدْوِي النحل من قراءة القرآن، وإن اسمها أمة العزيز، ولقبها جدها أبو جعفر المنصور «زُبَيْدَةَ» لبضاضتها ونضارتها.

[قال الطبري في تاريخه: أعرض بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة ١٦٥ في قصره المعروف بالخلد وحشد الناس من الآفاق وفرق فيهم الأموال ولم

٢٤٢ - ترجمة زبيدة أم جعفر في تاريخ بغداد ١٤ : ٤٣٣ وشرح المقامات للشرشي ٢ : ٢٢٥

والنجوم الزاهرة ٢ : ٢١٣ إلى أخبار في كتب التاريخ العامة والكتب الأدبية .

١ فبلغت النفقة ... أحدثتها : لم يرد هذا في المسودة .

٢ ر : لها دوي .

ير في الاسلام مثله ، وبلغت النفقة في هذا الغرض من بيت مال الخاصة خارجة
سوى ما أنفق هارون من ماله خمسين ألف درهم ، وليس في بني هاشم هاشمية
ولدت خليفة إلا هي . وحكي أنها أحضرت الأصمعي وقالت له : إن أمير المؤمنين
استدعاني وقال : هلمّي يا أمّ نهر ، فما معنى ذلك ؟ فقال لها : إن جعفرأ في
اللغة هو النهر الصغير وأنت أم جعفر .
وحضر شاعر بابها ، وأنشد :

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزازك المشاب
تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب

فتبادر الخدم إليه ليقعوا به على سوء أدبه وعبارته فقالت : دعوه فإن
من أراد خيراً فأخطأ خيراً ممن أراد شراً فأصاب ، سمع الناس يقولون : شمالك
أندى من بين غيرك ، فقدّر أنّ هذا مثل ذلك ؛ أعطوه ما أمّلت وعرفوه
ما جهل .

ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شرقتها جراً فعمل داود بن رزين مولى عبد
القيس شعراً وهو :

زمنٌ طيبٌ ويومٌ مطيرٌ هذه روضةٌ وهذا غدير
إنما أمّ جعفر جنة الخلد درضاها والسخط منها السعير
أنت عبدٌ لها ومولى لهذا لا خلق طراً وليس في ذا نكير
فاعتذر يا خليفة الله في الأر ض إليها وتركُ ذاك كبير

فصار إليها عندما وقف على الأبيات وسألت عن سبب مجيئه فعرفت ،
وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها وأضعافها بعد ذلك .
ولما ولدت ابنة جعفر محمداً قال مروان بن أبي حفصة :

لله دركٌ يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من الندى والسؤدد
إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد

إني لأعلم أنه خليفة إن بيعة عُقدت وإن لم تُعقد
فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار ، وأمرت زبيدة أن يحشى فوه جوهراً ،
فكانت قيمته عشرة آلاف دينار .

وقالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد : أهنئك بخلافة قد هنأت نفسي
[بها] عنك قبل أن أراك ، وإن كنت قد فقدت ابناً خليفةً لقد عوضت ابناً
خليفةً لم ألدّه ، وما خسر من اعتاض مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ،
وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض ؛ وقيل إن زبيدة أرسلت
إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يستعطف بها المأمون ، فأرسل هذه
الآيات :

ألا إنَّ صرفَ الدهر يدني ويبعدُ ويمتَعُ بالألآف طرّاً ويُفقدُ
أصابت بريب الدهر مني يدي فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلكت يد فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقدا وحمد

فسيرتها له ، فلما قرأها المأمون استحسناها وسأل عن قائلها فقيل له أبو
العتاهية ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكريمها
والبر بها .

اختلف الرشيد وأم جعفر في اللوزينج والفالودج أيها أطيب ، فمالت زبيدة
إلى تفضيل الفالودج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج ، وتخطرا على مائة
دينار ، فأحضرا أبا يوسف القاضي وقالوا له : يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على
كذا وكذا فاحكم فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يحكم على غائب وهو مذهبُ
أبي حنيفة ، فأحضر له جامين من المذكورين ، فطفق يأكل من هذا مرّة ومن
هذا مرّة ، وتحقق أنه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة ، وإن حكم لها لم
يأمن غضب الرشيد ، فلم يزل في الأكل إلى أن نصّف الجامين فقال له الرشيد :
إيه أبا يوسف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت خصمين أجدل منها ، كلما أردت

ان اسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته ، وقد حيرتُ بينهما ، فضحك الرشيد ، وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكوراً .

ومن عجائب التنجيم أن زبيدة فقدت خاتماً بفصّ له قيمة ، وأنها اتهمت به بعض جوارياها ، فأحضرت رجلاً من أهل الصناعة فأخذ الطالع على تلك المصانع وقال : ما أخذ هذا الخاتم إلا الله تعالى ، وردّد القول ولم يرجع عنه ، فبعد مدة فتحت زبيدة المصحف فوجدت الخاتم فيه ، وكانت قد جعلته علامة للوقف وأنسيته^١ .

وكانت وفاتها في سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد ، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست وثمانين ومائة .

[ورآها عبد الله بن المبارك الزمن في المنام فقال لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي الله بأول معول ضرب في طريق مكة ، قال : قلت ما هذه الصفرة في وجهك ؟ قالت : دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي فزفرت جهنم عليه زفرةً فاقشعر لها جسدي ، فهذه الصفرة من تلك الزفرة ، رحمها الله تعالى^٢ .

٢٤٣

زفر بن الهذيل الحنفي

أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنجور بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر

١ ما بين معقنين من ص ر د .

٢ ما بين معقنين من النسخ المذكورة .

٢٤٢ - ترجمة زفر صاحب أبي حنيفة في الجواهر المضية ١ : ٢٤٣ ، ٢ : ٥٣٤ ، وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٣ ، ورجال ابن حبان : ١٧٠ .

ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العنبري الفقيه الحنفي ؛ كان قد جمع بين العلم والعبادة ، وكان من أصحاب الحديث ، ثم غلب عليه الرأي ، وهو قياس أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكان أبوه الهذيل على أصبهان .

[حكى المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » عن عبد الرحمن ابن مغراء قال : جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال : إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري أطلّقتُ امرأتي أم لا ، قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك طلقته . ثم أتى سفيان الثوري فقال : يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها ، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً . ثم أتى شريك بن عبد الله فقال : يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ، ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : اذهب فطلقها ثم راجعها . ثم أتى زفر بن الهذيل فقال : يا أبا الهذيل إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : هل سألت غيري ؟ قال : أبا حنيفة . قال : فما قال لك ؟ قال قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقته ، قال : هو الصواب ، قال : فهل سألت غيره ؟ قال : سفيان الثوري ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها ، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً ، قال : ما أحسن ما قال لك ، فهل سألت غيره ؟ قال : شريك بن عبد الله ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فطلقها ثم راجعها ، قال : فضحك زفر وقال : لأضربن لك مثلاً ، رجل مرّ بمشعب سيل فأصاب ثوبه ، قال لك أبو حنيفة : ثوبك طاهر وصلاتك مجزئة حتى تستيقن أمر الماء ، وقال لك سفيان : اغسله فإن يك نجساً فقد طهر ، وإن يك طاهراً زاده نظافة ، وقال لك شريك : اذهب فبئل عليه ثم اغسله . قال المعافى : وقد أحسن زفر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتوا به في هذه المسألة ، وفيما ضربه لسائله من الأمثلة .

فأما قول أبي حنيفة فهو محض النظر وأمر الحق ولا يجوز أن يحكم على امرئ في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها بظن عرض له وهو أبعد عند ذوي

الأفهام من أضغاث الأحلام ، وأما قول سفيان الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوثقة والأخذ بالحزم والحيطه وهذه طريقه أهل الورع وذوي الاستقصاء والمشفقين على نفوسهم من أهل الدين ، وقتيا أبي حنيفه في هذا عين الحق وجل الفقه ، وأي هاتين المحجتين سلك من نزلت به هذه النازلة وعرضت له هذه الحادثة فهو مصيب محسن على ما بيتنا فيها من الفصل بين المنزلتين ، وأما ما أفتى به شريك فتعجب زفر منه واقع في موضعه ولا وجه في الصحة لما أشار به . وقد أصاب زفر أيضاً في الوجه الذي ضربه له وأرى شريكاً توهم أن الرجعة لا تحقق إلا مع تحقق الطلاق فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها وهذا مختل فاسد ولو كان كما يرى أنه توهم لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ، ولو ان رجلاً وكل رجلاً في طلاق زوجته ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه فأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحت رجعته ، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة لكانت المراجعة صحيحة لوقتها بعد الطلاق الذي لم يكن عالماً به [١] .

ومولده سنة عشر ومائة وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وزُفِرَ : بضم الزاي وفتح الفاء وبعدها راء .

والهذيل : بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام .

أبو دلامة

أبو دلامة زَنْدُ بن الجَوْن ؛ كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ، وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « تنوير الغبش » أنه كان أسود عبداً حبشياً [مولى لبني أسد وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له قصاص فأعتقه . أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانتقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبيون نوادره ، ومدح المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة فقال فيها :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسدُ الورْدُ
أبا مسلم ما غيرَ اللهُ نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصور في ملا من الناس فقال له : احتكم ، فقال له : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا به قال : أما والله لو تعديتها لقتلتك . وقد قيل إنه بقي إلى خلافة الرشيد ولا يثبت ، وكان مطبوعاً كثير النوادر] .
وقال محمد بن زياد^١ : سمعت ثعلباً يقول : لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبي جعفر فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدتها كئيب عليها وهي زوجته ، فأقبل أبو دلامة وجلس قريباً منه ، فقال له المنصور : ويحك ! ما

٢٤٤ - أخبار أبي دلامة في تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ والشعر والشعراء : ٦٦٠ والأغاني ١٠ : ٢٤٧ وطبقات ابن المعتز : ٥٤ والمؤتلف : ٢٣١ ومعاهد التنصيب ٢ : ٢١١ والدميري ١ : ١٦٣ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٦٥ (وبروكلمان ٢ : ١٨) وله طرائف منشورة في الكتب الأدبية العامة ؛ ولم ترد ترجمته في م ، وهي موجزة في س .
١ في المسودة : ومن نوادره أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنة عم ... وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان هذه الميتة هي حمادة ابنة عيسى زوجة المنصور ، وعيسى المذكور هو عم المنصور .

أعددت لهذا المكان؟ وأشار إلى القبر، فقال: ابنة عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى، ثم قال له: ويحك، فضحطنا بين الناس.

وأمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي، فقال أبو دلامة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحضرني شيئاً من عساكرك فإني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها، وأخاف أن يكون عساكر العاشر، فضحك منه وأعفاه.

قال أبو العيناء: بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة، فقال له: سئلي حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلباً، فغضب، وقال: أقول لك سئلي حاجتك، فتقول: هب لي كلباً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك؟ قال: بل لك، قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي؟ فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، من يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صدتُ صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية؟ فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء؟ قال: قد أقطعتك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً، قال: أما العامر فقد عرفت، فما العامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً، قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، قال: يا أمير المؤمنين، إذا حول منه المال صار غامراً، فضحك منه، قال: فهل بقيت لك حاجة؟ قال: نعم، تأذن لي أن أقبل يدك، فقال: ما لك إلى ذلك سبيل، قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون عليّ فقدأ منها.

واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم حضر، فأمر

بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده ، ووكّل به من يلاحظه في ذلك، فمرّ به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر ، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة محتومة ، وقال : هذه ظلامة لأمر المؤمنين ، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها :

أَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَنِي بِمَسْجِدِهِ وَالْقَصْرَ ، مَا لِي وَالْقَصْرَ
أَصْلَتِي بِهِ الْأُولَى مَعَ الْعَصْرِ دَائِمًا فَوَيْلِي مِنَ الْأُولَى وَوَيْلِي مِنَ الْعَصْرِ
وَوَاللَّهِ مَا لِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِمْ وَلَا الْبُرِّ وَالْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي
وَمَا ضَرَّةٌ وَاللَّهِ يُصْلِحُ أَمْرَهُ لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

فضحك المنصور وأمر بإحضاره ، فلما حضر قال : هذه قصتك ؟ قال : دفعتُ إلى أبي أيوب رقعة محتومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه ، فقال له أبو جعفر : اقرأها ، قال : ما أحسن أن أقرأ ، وعلم أنه إن أقرّ بكتابتها لها يحدهُ بذكره الصلاة وتعريضه بها ، فلما رآه يجيد من ذلك ، قال له : يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد ، ثم قال : لقد أعفيتك من لزوم المسجد ، فقال أبو دلامة : أو كنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت ؟ قال : نعم ، قال : مع قول الله عز وجل ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٦) فضحك منه وأعجب من اقتزاعه ، ووصله .

وذكر ابن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج - وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة - وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَالْيَ غَرِيمٍ مِنْ الْأَعْرَابِ قُبْحَ مِنْ غَرِيمٍ
لَهُ أَلْفٌ عَلِيٌّ وَنِصْفٌ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صِكَ قَدِيمٍ
دِرَاهِمٍ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شَيْخَ بَنِي تَمِيمٍ

فسير له [ابن] دعلج ما طلب .

وكان روحُ بن حاتم المهلبِيُّ والياً على البصرة ، فخرج إلى حرب الجيوش الخُرَّاسانية ومعه أبو دلامة ، فخرج من صَفِّ العدوِّ مبارزاً ، فخرج إليه جماعة فقتلهم ، فتقدم روح إلى أبي دلامة يبارزته فامتنع فألزمه فاستغفاه فلم يُعَفِّه ، فأنشد أبو دلامة :

إني أعوذ بروحِ ابنِ يقدَمَني إلى القتالِ فيخزَى بي بنو أسدِ
 إنَّ المهلبَ حُبُّ الموتِ أوْزثكم ولم أرثُ أنا حُبَّ الموتِ من أحدِ
 إنَّ الدثُوثُ إلى الأعداءِ أعلمه بما يُفَرِّقُ بين الروحِ والجسدِ

فأقسم عليه ليخرجن^١ ، وقال : لماذا تأخذ رزق السلطان ؟ قال : لأقاتل عنه ، قال : فما لك لا تبرز إلى عدو الله ؟ فقال : أيها الأمير ، إن خرجتُ إليه لحقتُ بمن مضى ، وما الشرط أن أقتل عن السلطان ، بل أقاتل عنه ، فحلف روح : لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تُقتل دون ذلك ، فلما رأى أبو دلامة الجِدَّ منه قال : أيها الأمير ، تعلم أن هذا أوّل يوم من أيام الآخرة ، ولا بد فيه من الزوادة ، فأمر له بذلك ، فأخذ رغيفاً مطويّاً على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيثاً من نَقْل ، وشهر سيفاً وحمل ، وكان تحته فرسٌ جواد ، فأقبل يجول ويلعب بالرمح ، وكان مليحاً في الميدان ، والفارسُ يلاحظه ويطلب منه غرّة ، حتى إذا وجدها حمل عليه ، والغبار كالليل ، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل : لا تَعَجَلْ واسمع مني - عافاك الله - كلماتٍ ألقين إليك ، فإنما أتيتك في مُهِمٍّ ، فوقف مقابله وقال : ما المهم ؟ قال : أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا أبو دلامة ، قال : قد سمعت بك حيّاك الله ، فكيف برزت إليّ وطمعت فيّ بعد مَنْ قتلت من أصحابك ؟ فقال : ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ، ولكنني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتبهت أن تكون لي صديقاً ، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا ، قال : قل على بركة الله تعالى ، قال : أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان ظمآن ، قال : كذلك

١ د : لتخرجن .

هو ، قال : فما علينا من خُرَاسان والعراق ، إن معي خبزاً ولحماً وشراباً
ونَقَلًا كما يتمنى المتمني ، وهذا غدير ماء غير بالقرب منا ، فهلم بنا إليه نصطحب
وأترنم لك بشيء من حُداء الأعراب ، فقال : هذا غاية أمني ، فقال : ها أنا
أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان ، ففعلاً ، وروح يتطلب أبا
دُلّامة فلا يجده ، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده ، فلما طابت نفس
الخراساني قال له أبو دلامة : إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام ، وحسبك
بابن المهلب جواداً ، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً
وسيفاً حليّ ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء ، وهذا خاتمه
معي لك بذلك ، قال : ويحك ! وما أصنع بأهلي وعيالي ؟ فقال : استخر الله
وسر معي ودع أهلك ، فالكل يخلف عليك ، فقال : سر بنا على بركة الله ،
فسارا حتى قدما من وراء العسكر ، فهجما على روح ، فقال : يا أبا دلامة أين
كنت ؟ قال : في حاجتك ، أما قتل الرجل فما أطقته ، وأما سفك دمي فما
طِبتُ به نفساً ، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه ، وقد تَلَطَّطْتُ وأتيتك
به أسيرَ كرمك ، وقد بذلت له عنك كيت وكيت ، فقال : مُضَى إذا وثق
لي ، قال : بماذا ؟ قال : بنقل أهله ، قال الرجل : أهلي على بعد ولا يمكنني
نقلهم الآن ، ولكن امدد يدك أضافحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة
أني لا أخونك ، فإن لم أفِ إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها ، قال : صدقت ،
فحلف له وعاهده ، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه ، وانقلب معهم
الخراساني يقاتل الخراسانية ، ويُنكبي فيهم أشدّ نكاية ، وكان أكبر أسباب
ظفر روح .

وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة ،
فكتب إلى المنصور :

يا بن عمّ النبيّ دَعْوَةَ شيخ قد دَنَا هَدْمُ داره وبَوَارُهُ
فهو كالمأخض التي اعتادها الطلّ قُ فَقَرَّتْ وما يقرُّ قَرَارُهُ

١ ابتداء من قوله : وأمر المهدي أبا دلامة حتى هذا الموضع ، لا وجود له في السودة .

لكم الأرضُ كلُّها فأعيروا عبدكم ما احتوى عليه جدارهُ
فأمر له بدارٍ عوضاً عنها .

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم
والتهنئة بقدمه ، فأقبل عليه المهدي ، وقال له : كيف أنت يا أبا دلامة ؟
فقال : يا أمير المؤمنين :

إني حلفتُ لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنتَ ذو وَقرٍ
لتصلينَ على النبيِّ محمدٍ وتملأنَ دراهماً حجري

فقال المهدي : أما الأولى فنعم ، وأما الثانية فلا ، فقال : جعلني الله فداك !
إنها كلمتان لا يفرق بينهما ، فقال : يملأ حجر أبي دلامة دراهم ، فقعد وبسط
حجره فملىء دراهم ، فقال له : قم الآن يا أبا دلامة ، فقال : ينخرق قميصي
يا أمير المؤمنين ، حتى أشيل الدراهم وأقوم ، فردّها إلى الأكياس ثم قام ،
فدعا له وخرج بها وله أشعار كثيرة ، وذكره ابن المنجم في كتاب « البارع في
اختيار شعر المحدثين » .

ومن أخباره : أنه مرض ولدُه ، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جُعلاً
معلوماً ، فلما برىء قال له : والله ما عندنا شيء نعطيك ، ولكن ادّع على فلان
اليهودي - وكان ذا مال كثير - بمقدار الجمل ، وأنا وولدي نشهد لك بذلك ،
فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة - وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي
ليلي ، وقيل : عبدالله بن شبرمة - وحمل إليه اليهودي المذكور ، وادّعى عليه
بذلك المبلغ ، فأنكر اليهودي ، فقال : لي بيّنةٌ ، وخرج لإحضارها ، فأحضر
أبا دلامة وولده ، فدخلا إلى المجلس ، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي
بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي :

إن الناسُ غَطَّوْني تَغْطِيتُ عنهمُ وإنْ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهم مباحثُ

وإن نبثوا بيثري نثبت أبتارهم^١ ليعلم قوم كيف تلك النبائت^٢

ثم حضرا بين يدي القاضي ، وأدبها الشهادة ، فقال له : كلامك مسموع وشهادتك مقبولة ، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي ، وما أمكنه أن يرد^٣ شهادتها خوفاً من لسانه ، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله .

قال العتابي : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد ومعها أبو دلامة ، فرمى المهدي ظيباً فأصابه ، ورمى علي بن سليمان ظيباً فأخطأه وأصاب كلباً ، فضحك المهدي ، وقال : يا أبا دلامة ، قل في هذا ، فقال :

قَد رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبِيًّا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَةَ
وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَيْئًا لَكُمَا كُلِّ امْرَأَةٍ يَأْكُلُ زَادَهُ

فأمر له بثلاثين ألف درهم .

ودخل أبو دلامة على المهدي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ماتت أم دلامة ، وبقيت^٤ ليس أحد يعاطيني ، فقال : إنا لله ، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه ، وكان قد دس^٥ أم دلامة على الخيزران ، فقالت : يا سيدي مات أبو دلامة وبقيت^٦ ضائعة ، فأمرت لها بألف درهم ، فدخل المهدي^٧ على الخيزران ، وهو حزين ، فقالت : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : ماتت أم دلامة ، فقالت : إنما مات أبو دلامة ، فقال : قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة ، قد خدعانا والله . وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله :

أَلَا أَبْلَغُ هُدَيْتَ أَبَا دُلَامَةَ فَلَيسَ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٍ
إِذَا لَبَسَ الْعِمَامَةَ كَانَ قِرْدًا وَخِيزِرًا إِذَا وَضَعَ الْعِمَامَةَ

فلم يتعرض له أبو دلامة^٨ . ونوادره كثيرة .

١ أ ج ٥ : وإن حفروا بيثري حفرت ، وعلى هامش المسودة : نبثوا أي حفروا .
٢ قال العتابي ... دلامة : لم يرد في المسودة .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى ، ويقال : إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد ، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة .
 ودلالة : بضم الدال المهملة .
 وزند : بفتح الزاي وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وقيل اسمه « زيد »
 بالباء الموحدة ، والأول أثبت .
 والجون : بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها نون .

٢٤٥

عماد الدين زنكي

أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب ؛ صاحب الموصل - وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الهمزة - وكان من الأمراء المقدمين ، وفوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسة ، ولما قبيل آق سنقر البرسقي - المذكور في حرف الهمزة - وتوفي أيضاً ولده مسعود - حسبما ذكرناه في ترجمته - ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل إلى ديبس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة - وقد تقدم ذكره أيضاً - فتجهز ديبس للسير ، وكان بالموصل أميراً كبير المنزل يُعرف بالجاولي ، وهو مستحفظ قلعة الموصل ومتولّي أمورها من جهة البرسقي ، فطمع في البلاد وحدثه نفسه بتملكها ، فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد البيهاساني لتقرير قاعدته ، فلما وصلا إليها

١ وكانت وفاته ... حتى آخر الترجمة : تقدم هذا في المسودة على القصة التي تخبر عن مرض ولده .
 ٢٤٥ - أخبار عماد الدين زنكي منشورة في صفحات متفرقة من كتاب الباهر والكمال ، وكلاهما لابن الأثير ؛ وقد جاءت هذه الترجمة مختصرة في س .

وجدا الإمام المسترشد قد أنكر تولية ديبس ، وقال : لا سبيل إلى هذا ، وتردّت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك ، وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية زَنكي المذكور ، فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معها أن يكون الحديث في البلاد لزَنكي ، ففعلا ذلك ؛ وضمنا للسلطان مالا وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة ألف دينار ، فبطل أمر ديبس وتوجه زَنكي إلى الموصل وتسلمها ، ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسة ، كذا قال ابن العظيبي^١ في تاريخه ، وقد قيل : إن انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنتين وعشرين وخمسة ، والأول أصح - وسيأتي ذكر السلطان محمود في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

ولما تقلد زَنكي الموصل سلم إليه السلطان محمود ولديه ألب أرسلان وفرّوخ شاه المعروف بالخفاجي ليربّيها فلهذا قيل له « أتابك » لأن الأتابك هو الذي يربّي أولاد الملوك - وقد تقدم ذكر ذلك في حرف الجيم عند ذكر جَقْر - ثم استولى زَنكي على ما والى الموصل من البلاد ، وفتح الرّهّا يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسة ، وكانت لجوسلين الأرميني^٢ ، ثم توجه إلى قلعة جعبر ومالكها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن عليّ بن مالك ، فحاصرها وأشرف على أخذها ، فأصبح يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الآخر^٣ سنة إحدى وأربعين وخمسة مقتولا ، قتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلا ، ودفن بصِفّين ، رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي^٣ أن زَنكي المذكور لما قُتل والده كان عمره تقديراً عشر سنين ، وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته ، فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة .
 [وعن بعض خواصه قال : دخلت إليه في الحال وهو حي ، فحين رأيته

١ هو محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله التنوخي العظيبي ، وكتابه الذي يشير إليه المؤلف تاريخ عام مرتب على السنين بلغ فيه إلى حوادث سنة ٥٣٨ (النجوم الزاهرة ٥ : ١٣٣) .

٢ د : ربيع الأول .

٣ انظر الباهر : ١٥ .

ظنّ أنّي أريد قتله فأشار إليّ بإصبعه السبّابة يستعطفني ، فوقفت من هيبته وقلت له : يا مولانا ، من فعل بك هذا ؟ فلم يقدر على الكلام ، وفاضت نفسه لوقته . وكان شديد الهيبة على عسكريه ورعيته ، عظيم السياسة ، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف ، وكانت البلاد قبل ان يملكها خراباً من الظلم ومجاورة الفرنج ، فممرها وامتلات اهلاً وسكاناً .

قال عز الدين بن الأثير في تاريخه : حكى لي والدي قال : رأيت الموصل واكثرها خراب ، وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة ، وهو الآن في وسط العمارة .
وكان شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد ، وكان يقول : لو لم تحفظ نساء الاجناد بالهيبة وإلا فسدن لكثرة غيبة ازواجهنّ في الأسفار . وكان من أشجع خلق الله تعالى [١] .

وصفّين - بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - وهي أرض على شاطئ الفرات بالقرب من قلعة جمبر ، إلا أنها في بر الشام ، وقلعة جمبر في بر الجزيرة الفراتية ، بينها مقدار فرسخ أو أقل ، وفيها مشهد في موضع الوقعة المشهورة التي كانت بها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنها ، وبهذه الأرض قبور جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - حضروا هذه الوقعة وقتلوا بها ، منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(41) وتوفي القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري الرسول المذكور يوم السبت سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة بحلب ، وحمل إلى صِفِّين ودفن بها ، رحمة الله تعالى عليه .

١ زيادة من النسخة ص وحدها .

عماد الدين صاحب سنجار

أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زَنكي بن قطب الدين مَوْدُود بن عماد الدين زَنكي المذكور قبله المعروف بصاحب سِنجَار ؛ كان قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زَنكي، وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وعمره تسع عشرة سنة .

وكان لما اشتد مرضه^١ وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي ، فقال : لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء ، فأفتاه فقيه من مدرسي الحنفية يجواز ذلك ، فقال له : أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر ؟ فقال الفقيه : لا ، فقال : والله لا لقيت الله عز وجل وقد استعملت ما حرمه عليّ . فلما ينس من نفسه أحضر الأمراء وسائر الأجناد ووصاهم بتسليم البلد إلى ابن عمه عز الدين مسعود واستحلفهم على ذلك ثم مات . وكان حليماً كريماً عفيف اليد والفرج ملازماً للدين والخير لا يعرف شيئاً مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب الخمر وغيره ، حسن السيرة في رعيته عادلاً فيهم ، رحمه الله تعالى .

ثم إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سار من عينتاب إلى حلب وحاصرها في سنة ثمانين وخمسمائة ، فنزل في الميدان الأخضر عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن، فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد بيني مساكن له ولعسكره ، والقتال بين العسكرين كل يوم . وكان صاحب حلب عماد الدين زَنكي المذكور ومعه العسكر النوري وهم مجدون في القتال، فلما رأى [تطاول القتال] كره الخرج كأنه استكثره ، فحضر عنده يوماً بعض أجناده وطلبوا منه شيئاً

٢٤٦ - ترجمة عماد الدين زَنكي بن مودود في ذيل الروضتين : ١٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٤٤ ؛ وهذه الترجمة مثبتة كما وردت في ص ، وهي موجزة في ر س م والمسودة .

١ يعني الملك الصالح (انظر الباهر : ١٨٢) .

فاعتذر بقلّة المال عنده ، فقال له بعضهم : من يريد يحفظ مثل حلب يخرج المال ، ولو باع حلي نسائه ، فمال حينئذ إلى تسليم حلب لصالح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وسروج ، وجرت اليمين على ذلك فتسلمها صلاح الدين ثامن عشر صفر ونزل عنها عماد الدين ، فعجب الناس من ذلك وقبحوا على عماد الدين فعله حتى إن بعض عامة حلب أحضر إجانة وماء وناداه : أنت لا يصلح لك الملك وإنما يصلح لك أن تغسل الثياب ، وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له ؛ وتقرر عماد الدين أن يكون في خدمة صلاح الدين متى استدعاه . ومن عجيب الاتفاقات أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

وكذا كان ، فإن القدس فتح في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى : أعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة : أخذنا فيه الدنانير وأعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم .

وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك أخو صلاح الدين الأصغر وقد تقدم ذكره . وانتقل عماد الدين المذكور في السنة المذكورة إلى سنجار ولم يزل بها إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسة .

(42) وملك ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك أبيه ، وكان ديتاً خيراً عادلاً حسن السيرة كثير البر والإحسان للفقراء ، إلا أنه كان شديد التعصب على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كثير الازم للشافعية ، وكان بجيلاً ؛ فمن تعصبه على الشافعية انه بنى مدرسة للحنفية بسنجان وشرط أن يكون النظر للحنفية من أولاده دون الشافعية ، وأن يكون البواب والفرّاش على مذهب أبي حنيفة .

بهاء الدين زهير

أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلي العتكي^١ الملقب بهاء الدين الكاتب؛ من فضلاء عصره، وأحسنهم نظاماً ونثراً وخطاً، ومن أكبرهم مروءة، كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد^٢ الشرقية، وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح، وخرجت عنه دمشق وخانه عسكريه وهو على نابلس وتفرق عنه، وقبض عليه الملك الناصر صاحب الكرك، واعتقله بقلعة الكرك، فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة - وهذا الفصل المذكور في ترجمة أبيه الملك الكامل محمد فينظر هناك - .

وكنت يومئذ مقيماً بالقاهرة، وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمعته عنه، فلما وصل اجتمعت به ورأيتَه فوق ما سمعت عنه^٣ من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة^٤ ودمائة السجايا، وكان متمكناً من صاحبه كبير القدر عنده، لا يطلع

٢٤٧ - ترجمة بهاء الدين زهير في النجوم الزاهرة ٧ : ٦٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٧٦ (وفيه نقل عن ابن خلكان)؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة الترتيب الذي وردت عليه في مخطوطة ص دون سواها، وهو مختلف عما في ر .

١ النجوم : المكي .

٢ أ ج : الديار .

٣ ص : وصف لي .

٤ أ : الرياضة .

على سره الخفي غيره ، ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ، ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته^١ .

وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما كتبه إلى بعض أصحابه وكان قد غرقت به سفينة فسلم بنفسه وذهب ما كان معه^٢ :

لا تعب الدهرَ في خطبِ رماك به إن استردَّ فقيداً طالما وهباً
حاسبُ زمانك في حالي تصرفه تجده أعطاك أضعاف الذي سلباً
والله قد جعل الأيامَ دائرةً فلا ترى راحةً تبقى ولا تعباً
ورأسُ مالك وهي الروحُ قد سلمت لا تأسفنَ لشيءٍ بعدها ذهباً
ما كنتَ أولَ مفدوحٍ بحادثة كذا مضى الدهر لا يدعاً ولا عجباً
ورُبَّ مالٍ نما من بعد مرزئةٍ أما ترى الشمعَ بعد القطِّ ملتهباً

وأنشدني المذكور ، وكتب بها لفخر الدين ابن قاضي دارياً يشكو إليه سوء أدب غلمانه^٣ :

سواك الذي ودِّي لديه مُضَيِّعُ وغيرُك من سعي إليه محبَّبُ
ووالله ما آتيك إلا محبَّةً وأنِّي في أهل الفضيلة أرغبُ
أبتُّ لك الذكر الذي طاب نشره وأطري بما أثني عليك وأطربُ
فما لي ألقى دون بابك جفوةً لغيرك تُعزِّي ، لا إليك ، وتُنسبُ
أردُّ بردَ الباب إن جئتُ زائراً فيا ليت شعري أين أهلُ ومرحبُ
ولست بأوقات الزيارة جاهلاً ولا أنا ممنُ قُربُه يُتجنبُ
وقد جعلوا في خادم المرء أنه بما كان من أخلاقه يتهدبُ

١ م : فلما وصلت إليه واجتمعت به بعد قدمه رأيته كامل الادوات كبير المنزلة عند مخدومه وكان لا يتوسط إلا في الخير ؛ (هذا نموذج للايجاز الذي تمثله هذه النسخة) .

٢ ديوانه : ١٧ .

٣ ديوانه : ٢٦ .

فَهَلَّا سَرَّتْ مِنْكَ اللطافَةَ فِيهِمْ وَأَعَدَدْتَهُمْ آدَابِهَا فَتَأَدَّبُوا
وَيَصْغُبُ عِنْدِي حَالَةَ مَا أَلْفِتْهَا عَلَى أَنْ بُعِدِي عَنْ جَنَابِكَ أَصْعَبَ
فَأَمْسَكَ نَفْسِي عَنْ لِقَائِكَ كَارِهَا
« أَغَالِبُ فِيكَ الشوقَ وَالشوقُ أَغْلَبُ »

وَأَغْضَبُ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ لِأَجْلِكَ ، لَا أُنِي لِنَفْسِي أَغْضَبُ
وَأَنْفُ إِذَا عِزَّةً مِنْكَ نَلِيتُهَا وَإِنَّمَا لِإِدْلالٍ بِهِ أَتَعْتَبُ
وَإِنْ كُنْتُ مَا أَعْتَدُ هَاتِيكَ زَلَّةً فَحَسْبِي بِهَا مِنْ خِجَلَةٍ حِينَ أَذْهَبُ

وله من قصيدة يمدح بها الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل
رحمه الله :

وتَهْتَزُّ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ بِاسْمِهِ فَهَلْ ذَكَرْتَ أَيَّامَهَا وَهِيَ قَضِيانُ
فَدَعِ كُلَّ مَاءٍ حِينَ يُذْكَرُ زَمْرَمُ وَدَعِ كُلَّ وادٍ حِينَ يذْكَرُ نَعْمَانُ
وَمَا كُلُّ أَرْضٍ مِثْلَ أَرْضِي هِيَ الْحَمَى وَمَا كُلُّ بَيْتٍ مِثْلَ بَيْتِي هُوَ الْبَانُ

وله من قصيدة يمدح به الأمير علاء الدين ولد الأمير شجاع الدين جلدك التقوي
بشعر دمياط سنة خمس وستائة ، وهي أول شيء قاله من المدح :

فِيَا ظِييَ هَلَّا كَانَ فِيكَ التَّفَاتَةُ وَيَا غِصْنَ هَلَّا كَانَ فِيكَ تَعَطُّفُ
وَيَا حَرَمَ الْحَسَنِ الَّذِي هُوَ آمَنُ وَأَلْبَابِنَا مِنْ حَوْلِهِ تَتَخَطَّفُ
عَسَى عَطْفَةً بِالْوَصْلِ يَا وَاوِ صَدَّغَهُ وَحَقَّقَكَ إِنِّي أَعْرِفُ الْوَاوِ تَعَطَّفُ
وله من قصيدة :

وَمَا كُلُّ مَخْضُوبِ الْبَنَانِ بِثِينَةٍ وَلَا كُلُّ مَسْلُوبِ الْفُؤَادِ جَمِيلِ
وله من قصيدة يمدح بها الأمير نصير الدين بن المظني ويهنيه :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ خَالَطَهُ الصَّادُ فَكُنْتُ لَهُ يَا ذَا الْمَوَاهِبِ صَيْقِلًا
وَمَا لِي لَا أَسْمُو إِلَى كُلِّ غَايَةٍ إِذَا كُنْتُ عَوْنِي فِي الزَّمَانِ وَكَيْفَ لَا

وله من أبيات كتب بها إلى القاضي فخر الدين ابن قاضي داريا يشكره
لمعروف ابتداءه به :

وخذها على ما خيلت بنت ساعةٍ أتتك على استحياها تتمثرُ
وبما أنشدني قوله ١ :

يا رَوْضَةَ الحسَنِ صِلِي فما عليكِ ضَيْرُ
فهل رأيتِ رَوْضَةَ ليسَ بها زُهَيْرُ
وأنشدني أيضاً لنفسه ٢ :

كيفَ خَلاصي من هَوَى وتائه أقبض في
يا بدرُ إن رُمْتَ به تشبها رُمْتَ شَطَطُ ٣
ودَعَهُ يا غصنَ النِّقا ما أنت من ذلك النَّمَطُ
قام بعذري وجْههُ عند عذولي وبَسَطُ
لله أَيُّ قَلَمٍ لياوِ ذلك الصَّدغِ خَطُ
ويا لهُ من عَجَبٍ في خَدِّهِ كيفَ نَقَطُ
يمرُّ بي مُلتَفِتاً فهل رأيتَ الظَّيِّ قَطُ
ما فيه من عيبٍ سِوَى فتُورِ عَيْنَيْهِ فقط
يا قمرَ السَّعدِ الذي نَجْمِي لديه قدَّ هَبَطُ
يا مانعي حلو الرضا وما نحي مرَّ السَّخَطُ
حاشاكَ أن ترضى بأن أموتَ في الحبِّ غَلَطُ

١ ديوانه : ١١٢ ؛ وكل ما تقدم من إنشادات لم يرد في السودة .

٢ ديوانه : ١٩٠ .

٣ الديوان : الشطط .

٤ أ : البدر .

وأنشدني لنفسه أيضاً :

أنا ذا زُهَيْرِكَ ليس إلا جُودَ كَفِّكَ لي مُزِينَتَهُ
أهوى جميلَ الذِكرِ عندَ كِ كَأَنما هو لي بِمُيْنَتِهِ
فاسألَ ضميرَكَ عَنّ ودَا دي إنه فيه جُهَيْنَتَهُ

وأنشدني لنفسه أيضاً أبياتاً لم يعلّقْ على خاطري منها سوى بيتين من
آخرها ، وهما^٢ :

وأنت يا نَرْجِسَ عَيْنِهِ كم تشرب من قلبي وما أذبلُكُ
ما لك في حُسْنِكَ من مُشْبِهِ ما تمّ في العالم ما تمّ لكُ

وأنشدني غير ذلك شيئاً كثيراً ، وشعره كله لطيف ، وهو كما يقال : السهل
المتنع ، وأجازني رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة
إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه .

وأخبرني جمال الدين أبو الحسين يحيى بن مطروح - الآتي ذكره في حرف
الياء إن شاء الله تعالى - قال : كتبت إليه ، وكان خصيصاً به :

أقولُ وقد تَتابعُ منك برُّ وأهلاً ما برحت لكلِّ خيرٍ
ألا لا تَذكروا هَرَمًا يَجودُ فما هَرَمٌ بأكرمٍ من زهيرٍ

[قال : وكتب إليه مرة أخرى يطلب درج ورق ومداداً^٣ :

أفلمستُ يا سيّدي من الورق فجِد بدرجٍ كعرضك اليقِيق
وأتني بالمداد مقترناً فمرحباً بالحدود والحدق

١ ديوانه : ٣٦٩ ، وقد وقعت متقدمة في المسودة على الأبيات السابقة لها .

٢ ديوانه : ٢٥٠ .

٣ ديوانه : ٢٣٣ .

فسيّر إليه زهير المذكور جوابه مع المطلوب :

مولاي سيّرتُ ما أمرتَ به وهو يسير المداد والورق
وعزّزّ عندي يسير ذاك وقد شبّهتهُ بالحدود والحدق^١

وأخبرني بهاء الدين زهير المذكور أنه توجه إلى الموصل رسولاً من جهة مخدومه الملك الصالح لما كان ببلاد الشرق ، وأنه كان ببلاد الموصل يومئذ صاحبنا الأديب شرف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن خطاب المعروف بابن الحلّوي الموصلّي الأصل الدمشقي المولد والدار ، فحضر إليه ومدحه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، وكان من جملتها قوله :

تجيزُها وتجيز المادحينَ بها فقلّ لنا أزهير أنت أم هرّمُ

وأنه لما رجع من الموصل اجتمع بجمال الدين بن مطروح المذكور فأوقفه على القصيدة المذكورة فأعجبه منها هذا البيت المذكور ، فكتب إليه البيتين المذكورين^٢ .
قلت : وبيت ابن الحلّوي المذكور ينظر إلى قول ابن القاسم في الداعي سبأ ابن أحمد الصليحي ، أحد ملوك اليمن ، وكان شاعراً جواداً من قصيدة^٣ :

ولما مدّختُ الهبرزيّ ابنَ أحمد أجازَ وكافاني على المدح بالمدح
فمَوْضني شعراً بشعريّ وزادني عطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي

وأخبرني بهاء الدين أيضاً أن مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله تعالى ، وأخبرني مرة أخرى أنه ولد بوادي نخلة ، وهو بالقرب من مكة ، والله أعلم ، وهو الذي أملى عليّ نسبه على هذه الصورة ، وسطّرت هذا الفصل وهو في قيد الحياة منقطعاً في بيته بالقاهرة بعد موت مخدومه ، طيب الله قلبه وأجراه على أجل عاداته ، وأخبرني أن نسبه

١ زيادة من در وحدها .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م ولم يزد عليها سوى ذكر وفاته .

٣ انظر تاريخ عمارة : ٦٥ ونسب الشعر لملي بن الحسين بن القاسم .

إلى المهلب بن أبي صفرة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .
ثم حصل بالقاهرة ومصر مرضٌ عظيم لم يكده يسلم منه أحد ، وكان حدوثه
يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستائة ، وكان بهاء
الدين المذكور ممن مسه منه ألم ، فأقام أياماً ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع
ذي القعدة من السنة المذكورة ، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى
بتربيته بالقرب من قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، في جهتها القبليّة ،
ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض ، رحمه الله تعالى . ولما أبلت من المرض
مضيت إلى تربيته وزرته وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه لمودة
كانت بيننا .

وأُنشدني الفقيه أبو الحجاج يوسف الضريبر لبهاء الدين لغزاً في القفل ٢ :

وأَسْوَدَ عَارٍ أَنَحَلَ الْبَرْدُ جَسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحَرَصُ وَالْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنَهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٤٨

أبو محمد البكائي

أبو محمد زياد بن عبد الله بن طُفَيْل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن
صَمْعَةَ ثم من بني البكّاء ؛ روى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
محمد بن إسحاق ، ورواها عنه عبد الملك بن هشام الذي رتبها ونسبت إليه .
والبكائي المذكور كوفي ، وكان صدوقاً ثقة ، خرّج عنه البخاري في كتاب

١ أ : الغربية .

٢ ديوانه : ٢١ .

٢٤٨ - ترجمة أبي محمد البكائي في ميزان الاعتدال ٢ : ٩١ .

الجهاد ، ومسلم في مواضع من كتابه ، وذكر البخاري في تاريخه عن وكيع قال : زياد أشرف من أن يكذب في الحديث ؛ ووم الترمذي فقال في كتابه عن البخاري قال ، قال وكيع: زياد بن عبد الله على شرفه يكذب في الحديث ، وهذا وهم ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه ، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرَّجَ البخاري عنه حديثاً واحداً ولا مسلم ، كما لم يخرجوا عن الحارث الأعور لما رماه الشعبي بالكذب ولا عن أبان بن أبي عياش لما رماه شعبة بالكذب . وروى عن الأعمش ، وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ، رضي الله عنه .

وكانت وفاة أبي محمد المذكور في سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .

والبكاوي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الكاف وبعد الهزرة الممدودة ياء مثناة من تحتها ، وهذه النسبة إلى البكاء ، واسمه ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وسمي البكاء لخبر يسمع ذكره .

٢٤٩

التاج الكندي

أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين البغدادي المولد والمنشأ الدمشقي الدار والوفاة المقرئ النحوي الأديب ؛ كان

١ قال فيه ابن معين : لا بأس به في المغازي وأما في غيرها فلا ، وقال ابن المديني: ضعيف، وكذلك قال النسائي وابن سعد ؛ أما اتهامه بالكذب فقير وارد .

٢٤٩ - ترجمة تاج الدين الكندي في انباه الرواة ٢ : ١٠ وذييل الروضتين : ٩٥ وغاية النهاية ١ : ٢٩٧ ومعجم الأدباء ١١ : ١٧١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ والخريدة (قسم الشام) ١ : ١٠٠ وبغية الوعاة : ٢٤٩ والجواهر المضية ١ : ٢٤٦ ؛ وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

أوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع ، وشهرته تفني عن الاطناب في وصفه ، وكان قد لقي جِلَّةَ المشايخ وأخذ عنهم ، منهم الشريف أبو السعادات ابن الشجري وأبو محمد ابن الخشاب وأبو منصور الجوالقي ، وسافر عن بغداد في شبابه ، وآخر عهده بها في سنة ثلاث وستين وخمسةائة ، واستوطن حلب مدة ، وكان يبتاع الخليج ، ويسافر به إلى بلاد الروم ويعود إليها . ثم انتقل إلى دمشق ، وصحب الأمير عز الدين قرطوخ شاه بن شاهان شاه ، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين ، واختص به وتقدم عنده وسافر في صحبته إلى الديار المصرية واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس ، وعاد إلى دمشق واستوطنها ، وقصده الناس وأخذوا عنه ، وله كتاب مشيخة على حروف المعجم .

أخبرني أحد أصحابه أنه قال : كنت قاعداً على باب أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداد ، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزمخشري الإمام المشهور ، وهو يمشي في جاون خشب فإن إحدى رجله كانت قد سقطت من الثلج ، قال : والناس يقولون : هذا الزمخشري . ونقل من خطه : كان الزمخشري أعلم فضلاء المعجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم أنساً واطلاعاً على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم ، وكان متحققاً بالاعتزال ، قدم علينا ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسةائة ، ورأيتُه عند شيخنا أبي منصور الجوالقي ، رحمه الله تعالى ، مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها ، لأنه لم يكن له - على ما عنده من العلم - لقاء ولا رواية ، عفا الله عنه وعنا .

وأخبرني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي بالقاهرة المحروسة قال : كتب إلي الشيخ تاج الدين الكندي من دمشق من جملة أبيات :

أيها الصاحبُ المحافظُ قد حمَّ لمتنًا من وفاء عهدك ديتنا

نحن بالشام رهن شوق إليكم هل لديكم بمصر شوق إلينا
 قد غلبنا بما حرمتنا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينا
 فعجزنا عن أن نرونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لدينا
 حفظ الله عهد من حفظ العهد وأوفى به كما قد وفينا
 قال : فكتبت جوابها أبياتاً من جملتها :

أياها الساكنون بالشام من كندة إننا بعهديكم ما وفينا
 لو قضينا حق المودة كنا نحبنا بعد بعدكم قد قضينا
 وأنشدني له الشيخ مهذب الدين المذكور :

دع المنجم يكتب في ضلالتك إن ادعى علم ما يجري به الفلك
 تفرّد الله بالعلم القديم فلا إلا إنسان يشركه فيه ولا الملك
 أعد للرزق من اشراكه شركاً وبئست المعدن الشرك والشرك

وكتب إليه أبو شجاع ابن الدهان الفرّضي ، الآتي ذكره إن شاء الله
 تعالى في حرف الميم :

يا زيد زادك ربي من مواهبه نعى يقصر عن إدراكها الأمل
 لا غير الله حالاً قد حباك بها ما دار بين النحاة الحال والبذل
 النحو أنت أحقّ العالمين به أليس باسمك فيه يضرب المثل

ومن شعر الشيخ تاج الدين ، وقد طعن في السن :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها إرهاق ذل وإرهاق
 تمتيت في عصر الشبيبة أنني أعمّر والأعمار لا شك أرزاق
 فلما أتاني ما تمتيت ساءني من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق
 يُخيل لي فكري إذا كنت خالياً ركوبي على الأعناق والسير إغناق
 ويذكرني مرّ النسيم وروحه حفاير يعلوها من التراب أطباق

وها أنا في إحدى وتسعين حجة لها في إرغاد مخوف وإبراق
يقولون تيرياقٌ لملك نافعٌ ومالي إلا رحمة الله تيرياق

وكانت ولادته بُكْرَةَ يَوْمِ الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان سنة
عشرين وخمسة بفسداد ، وتوفي يوم الاثنين ضحوة سادس شوال سنة ثلاث
عشرة وستائة بدمشق ، ودفن من يومه بجبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

(43) وأما مهذب الدين المذكور فهو أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن
علي بن المفضل بن التامغاز ، كذا أملى عليّ نسبه ، وأنشدني كثيراً من شعره
وشعر غيره ، وكان اجتمعنا بالقاهرة المحروسة في مجالس عديدة ، وأخبرني أن
مولده في الثامن والعشرين من شوال سنة تسع وأربعين وخمسة بالجلية
المزيدية ، وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين
وستائة ، ودفن من الغد بالقرافة الصغرى ، وحضرت الصلاة عليه ، وكان
إماماً في اللغة راوية للشعر والأدب ، رحمه الله تعالى .

وقاسيون : بفتح القاف وبعد الألف سين مكسورة مهمة وضم الياء المثناة
من تحتها وبعد الواو الساكنة نون ، وهو جبل مُطل على دمشق ، وفيه قبور
أهلها وتُرَيبهم ، وفيه مدارس ورباطات وجامع ، وفيه نهران ثورا ويزيد .

زيري بن مناد الصنهاجي

الأمير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جدّ المعز بن باديس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وقد تقدم ذكر ولده بُلُكَيْن وحفيده باديس في حرف الباء وذكر حفيد حفيده الأمير تميم في حرف التاء ، واستوعبت عنده الرفع في نسبه - ؛ وزيري المذكور أول من ملك من بيتهم ، وهو الذي بنى مدينة آشير ، وحَصَّنَهَا في أيام خروج أبي يزيد مخلد الخارجي - المقدم ذكره - لما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل وملكها وملك ما حولها . وأعطاه المنصور المذكور تَاهَرَتَ وأعمالها ، وكان حسن السيرة تام السياسة شجاعاً صارماً ، وكانت بينه وبين جعفر بن علي الأندلسي - المقدم ذكره في حرف الجيم - ضغائن وأحقاد أفضت إلى الحرب ، فلما تصافتا انجلى المصاف عن قتل زيري المذكور ، وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة ، وذكر أنه كَبَّأ به فرسه ، فسقط الى الأرض فقتل ، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة ، رحمه الله تعالى .

وزيري : بكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها مثناة من تحتها .

ومَنَاد : بفتح الميم والنون وبعده الألف دال مهملة .

والصنهاجي : تقدم الكلام عليه .

وأشير : بمد الهمزة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها

٢٥٠ - ترجمة زيري الصنهاجي في أعمال الاعلام : ٦٤ وأخباره في ابن عداري (الجزء الأول) وفي المقتبس (ط. دار الثقافة) ، وفي المصادر التاريخية العامة كابن الأثير وابن خلدون ، وقد استوفت المسودة هذه الترجمة دون نقص .

وبعدها راء ، وقد تقدم ذكرها في حرف الهزة في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم ابن قسْرُقُول .

وتاهَرَت : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هاء مفتوحة وراء ساكنة ثم تاء مثناة من فوقها ، وهي مدينة بافريقية ، وثَمَّ أيضاً تاهَرَت أخرى ، ويقال للواحدة القديمة وللأخرى الجديدة ، ولا أعلم أيّ المدينتين ملكها زيبي المذكور .

٢٥١

زينب بنت الشعري

أم المؤيد زينب - وتدعى حرة أيضاً - بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبْدُوْس الجُرْجاني الأصل النيسابوري الدار الصوفي المعروف بالشعري ؛ كانت عالمة ، وأدركت جماعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وإجازة . سَمِعَتْ من أبي محمد إسماعيل بن أبي القاسم ابن أبي بكر النيسابوري القاريء ، وأبي القاسم زاهر وأبي بكر وجيه ابني طاهر الشحاميين وأبي المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي وغيرهم ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري صاحب «الكشاف» وغيرهما من السادات الحفاظ .

ولنا منها إجازة كَتَبَتْهَا في بعض شهور سنة عشر وستائة ، ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستائة بمدينة

٢٥١ - ترجمة زينب بنت الشعري في النجوم الزاهرة ٥ : ٩٢ ، ٦ : ١٨١ وشذرات الذهب ٥ :

٦٣ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ يعني أنها أجازت له وهو طفل .

إربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، رحمها الله تعالى .
ومولد زينب المذكورة سنة أربع وعشرين وخمسمائة بنيسابور ، وتوفيت سنة
خمس عشرة وستمئة في جمادى الآخرة بمدينة نيسابور ، رحمها الله تعالى .
والشّعري : بفتح الشين المثلثة وسكون العين المهملة وفتحها وبعدها راء ،
هذه النسبة إلى الشّعر وعمله وبيعه ، ولا أعلم من كان في أجدادها يتعاطاه
فنسبوا إليه ، والله أعلم .

حَرْفُ السِّينِ

سالم بن عبد الله بن عمر

أبو عمرو - ويقال أبو عبد الله - سالم بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ أحد فقهاء المدينة ، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الزهري ونافع . توفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائة ، وقيل سنة ثمان ومائة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بالمدينة ، وكان قد حج بالناس تلك السنة ، ثم قدم المدينة فوافق موت سالم ، فصلى عليه بالبيع لكثرة الناس ، فلما رأى هشام كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام المخزومي [والي المدينة] : ' اضرب على الناس بعث أربعة آلاف ، فسمي عام أربعة آلاف .

[حدث الزهري قال سمعت سالم بن عبد الله يقول : دخلت على الوليد بن عبد الملك ، فقال : ما أحسن جسمك ! فما طعامك ؟ قلت : الكعك والزيت ، قال : وتشتهيه ؟ قلت : أدعُه حتى أشتهيه ، فإذا اشتهيته أكلته ، وكان يقول : إياكم ومداومة اللحم ، فإن له ضراوة كضراوة الشراب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أن اكتب لي بشيء من رسائل عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : « يا عمر ، اذكر الملوك الذين تفقت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتهم بها ، وتفقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ،

٢٥٢ - ترجمة سالم بن عبد الله في طبقات ابن سعد ٥ : ١٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٥٠ وغاية النهاية ١ : ٣٠١ وصفة الصفوة ٢ : ٥٠ ورحلية الاولياء ٢ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٣ : ٤٣٦ ورجال ابن حبان ٦٥ وتذكرة الحفاظ : ٨٨ .

وصاروا جيفاً في الأرض تحت آكامها ، لو كانت إلى جنب مساكن لنا لتأذينا
بريحهم ، [١] .

وقال محمد بن إسحاق صاحب المغازي والسير : رأيت سالم بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب رضي الله عنهم يلبس الصوف ، وكان عالج الخلق^٢ يعالج بيديه
ويعمل .

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة ، فرأى سالماً ، فقال له : سني حوائجك ،
فقال : والله لا سألت في بيت الله غير الله .

٢٥٣

سالم الخاسر

- أبو عمر سالم الشاعر عرف بالخاسر ؛ يقال إنه مولى أبي بكر الصديق ، وقيل
بل مولى المهدي ، وهو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، هكذا نسبة أحمد
ابن أبي طاهر ، وسمي الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً .
قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة ، وكان على طريقة غير مرضية من
المجون والتظاهر بالخلاعة والفسوق .
وكان سالم المذكور قد مدح المهدي بقصيدة منها :

حضر الرحيل وشدت الأحداج وحدا بين مشمر مزعاج

١ زيادة من ر ولم ترد في المسودة وسائر النسخ .

٢ : الخلق .

٢٥٣ - ترجمة سالم الخاسر (الشهير بسلم الخاسر) في معجم الأدباء ١١: ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٩: ١٣٦
وطبقات ابن المعتز : ٩٩ والأغاني ١٩ : ٢١٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في م س والمسودة وإنما
انفردت بها ص ر ؛ ومعظم ما ورد هنا منقول عن تاريخ بغداد .

شربت بمكة في ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج
وكان المهدي أعطى مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم بقصيدته التي أولها:

طرقتك زائرة فحي خيالها

فاراد أن ينقص سالماً من هذه الجائزة فحلف سالم أن لا يأخذ إلا مائة ألف
وقال : تطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخبروا بتقدم قصيدي ؛ فأنفذ له
المهدي مائة ألف درهم وألف درهم ، وكان هذا ماله .

وكان ينتمي إلى ولاء تيم بن مرة من قريش ، فلما بلغ زمن الرشيد ، وكان
الرشيد قد بايع لمحمد بن زبيدة ، يعني ولده الأمين ، قال قصيدته التي أولها :

قل للنازل بالكثيب الاعفر أسقيت غادية السحاب المطر
قد بايع الثقلان مهدي الهدى لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر

فحشت زبيدة فاه دراً فباعه بعشرين ألف دينار . وتقدم لمروان بن أبي
حفصة مع زبيدة مثل ذلك في حرف الزاي .

ومات سالم في أيام الرشيد وقد اجتمع عنده ستة وثلاثون ألف دينار ،
فاودعها أبا السمراء الغساني فبقيت عنده ، وإن إبراهيم الموصلي دخل يوماً على
الرشيد وغناه فأطربه فقال : سل ما شئت ، قال : نعم يا سيدي ، أسأل شيئاً
لا يرزأك ، قال : ما هو ؟ قال : مات سالم وليس له وارث وخلف ستة وثلاثين
ألف دينار عند أبي السمراء الغساني ، تأمره أن يدفعها إلي ، فقتلها .

وكان الجواز قدم هو وأبوه يطالبان ببيرات سالم بأنها من قرابته . وذكروا
انه لما قال أبو العتاهية ٢ :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

١ في الأغاني أن الرشيد هو الذي قبض تركة سلم الحامر وقال : « هذا خادمي ونديمي والذي
خلفه من مالي فأنا أحق به » .

٢ انظر الأغاني : ٢٣١ .

غضب سالم وقال : يزعم أني حريص ؟ وقال يرد عليه :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا ولم يقنّها ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود
كل يوفى رزقه كاملاً من كف عن جهده ومن يجهد

وكان سالم من الشعراء المجيدين من تلامذة بشار ، وصار يقول أرق من شعر
بشار . وكان بشار قد قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
وقال سالم :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال : ذهب والله بيتي ؛ يأخذ المعاني التي تعبت فيها فيكسوها
ألفاظاً أخف من ألفاظي ، لا ارضى عنه ، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه .
وقال أبو معاذ النميري : رأيت بشاراً لما قال هذا البيت وهو يلهج به
كثيراً :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... البيت

قلت : يا أبا معاذ ، قد قال سالم الخاسر بيتاً في هذا المعنى هو أخف من
هذا ، وأنشدته :

من راقب الناس مات غمًا

فقال : ذهب والله بيتي ، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت .
وكانت وفاة سالم المذكور سنة ست وثمانين ومائة ، رحمه الله تعالى .

أبو بكر ابن عياش

أبو بكر سالم بن عياش بن سالم الحنَّاط ، الأسدي مولاهم ، الكوفي ؛ كان من أرباب الحديث والعلماء المشاهير ، وهو أحد راوي القراءات عن عاصم ، وهو مولى واصل بن حيان الأحديب .

ذكر أبو العباس المبرد في كتاب «الكامل» ، قال^١ : قال أبو بكر ابن عياش : أصابتنى مصيبة آلمتنى ، فذكرت قول ذي الرمة^٢ :

لعلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِّنَ الوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمَ البَلَابِلِ

فخلوت بنفسي وبكيت فاسترحت . وله أخبار وحكايات كثيرة . وقيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه شعبة ، والله أعلم .

وروي عنه أنه قال^٣ : لما كنت شاباً وأصابتني مصيبة تجلّت لها ، ودفعت البكاء بالصبر ، فكان ذلك يؤذيني ويؤلمني ، حتى رأيت أعرابياً بالكناسة وهو واقف على نجيب له ينشد :

خَلِيلِي عُوْجَا مِّنْ صُدُورِ الرُّوَاحِلِ بِمَهْجُورِ حُزُوَى فَابْكِيَا فِي المَنَازِلِ

وبعده :

لعلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِّنَ الوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمَ البَلَابِلِ

٢٥٤ - ترجمة أبي بكر ابن عياش في ميزان الاعتدال ٤ : ٤٩٩ (في الكنى) وغاية النهاية ١ :

٣٢٥ (تحت اسم : شعبة) والحنَّاط : ضبطت بالنون ، وفي المسودة : الحياط ؛ وقال الجزري :

اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً ، وانظر ابن حبان : ١٧٣ .

١ الكامل ١ : ٨٨ .

٢ ديوان ذي الرمة : ٤٩١ - ٤٩٢ .

٣ تكرار للحكاية لم يرد في م .

فسألت عنه ، فقيل لي : ذو الرمة ، فأصابني بعد ذلك مصائب ، فكنت أبكي فأجد لذلك راحة ، فقلت : قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره !
 [قال أبو بكر : قال لي رجل وأنا شاب : خلّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً ، قال : فأنسيتها] ١ .
 وكانت وفاته بالكوفة في سنة ثلاث وتسعين ومائة ، بعد هارون الرشيد بثمانية عشر يوماً ، وعمره ثمان وتسعون سنة ، وكانت وفاة الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بمدينة طوس ، رحمها الله تعالى .
 وعيَّاش : بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة .

والأسدي والكوفي : قد تقدم الكلام عليها ، وقيل : هو مؤلف بني كاهل ابن أسد بن خزيمية .

٢٥٥

سابور بن أردشير

أبو نصر سابور بن أردشير ، الملقب بهاء الدولة وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي ؛ كان من أكابر الوزراء ، وأمائل الرؤساء ، جمعت فيه الكفاية والدراية ، وكان بابه محطّ الشعراء . ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « اليتيمة » ٢ ، وعقد لمدّاحه باباً مستقلاً ، لم يذكر فيه غيرهم ، فمن جملة من مدحه أبو الفرج البتّاء بقوله ٣ :

١ زيادة من دوحدها .

٢٥٥ - أخباره في صفحات متفرقة من تجارب الأمم والجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير .

٢ اليتيمة ٣ : ١٢٩ .

٣ المصدر السابق : ١٣٠ .

لمتُ الزمانَ على تأخيرِ مُطَلِّي فقال : ما وجهُ لومي وهو محذورُ
 فقلتُ : لو شئتَ ما فاتَ الغنى أُملي فقال : أخطأتُ ، بل لو شاء سابور
 لئذُ بالوزيرِ أبي نصرٍ وسلَّ شططاً أسرفُ فإنك في الإسرافِ معذور
 وقد تقبلتُ هذا النصحَ من زمي والنصحُ حتى من الأعداءِ مشكور

ولحمد بن أحمد الحرّون^١ فيه قصيدة من جملتها :

يا مؤنِسَ الملكِ والأيامِ موحشةً وربط الجأشِ والآجالِ في وجلِ
 ما لي وللأرضِ لم أوطنَ بها وطناً كأنني بـِكرٍ معنَى سارٍ في المثلِ
 لو أنصفَ الدهرُ أو لانتَ معاطفهُ أصبحتُ عندك ذا خيلٍ وذا خولِ
 لله لؤلؤُ ألفاظٍ أساقِطُها لو كنَّ للغيدي ما استأنسنَ بالعطلِ
 ومن عيونِ معانٍ لو كسحلنَ بها نجلَ العيونِ لأغناها عن الكحلِ

وكان قد صُرف عن الوزارة ثم أعيد إليها ، فكتب إليه أبو إسحاق الصابئ^٢ :

قد كنتَ طلقتَ الوزارة بعدما زلتَ بها قَدَمٌ وساءَ صَنِيعها
 فقدتَ بغيرك تستعجلُ ضرورةً كما يحلُ إلى ذراكِ رُجوعها
 فالآنَ عادتُ ثم آلتُ حلفةً أن لا يبيتَ سِوَاكَ وهو ضجيعُها

[ولبعض الشعراء في وزير صرف ثم أعيد من يومه فقال على لسانه :

عاداني الدهر نصفَ يومٍ فانكشف الناس لي وبانوا
 يا أيها المعرضون عنا عودوا فقد عاد لي الزمان^٣]

١ كذا في المسودة وسائر الأصول ؛ وورد في اليتيمة (١٢٩) : الحمدوني .

٢ اليتيمة ٢ : ٢٨٥ .

٣ زيادة من ص وحدها .

وله ببغداد دار علم، وإليها أشار أبو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة^١:
وغنّت لنا في دار سابور قينةٌ
مِنَ الورقِ مطرابُ الأصائلِ ميهالُ
وكانت وفاة سابور المذكور في سنة ست عشرة وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى. ومولده بشيراز، ليلة السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وتوفي مخدومه بهاء الدولة في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة بأرجان، وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً، رحمه الله تعالى.

وسابور: بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء. والأصل فيه «شاه بور» فعرّب لأن الشاه بالمعجمي: الملك، وبور: ابن، فكأنه قال: ابن الملك، وعادة المعجم تقديم المضاف إليه على المضاف. وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس.

وأردشير: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء، قاله الدارقطني الحافظ، وقال غيره: معناه دقيق حليب، وقيل معناه دقيق وحلو - وقال بعضهم: «أردشير» بالهمزة والزاي - وهو لفظ عجمي، وأرد عندهم: الدقيق، وشير: الحليب، وشيرين: الحلو، والله أعلم.

١ شروح السقط: ١٢٣٩.

سري السقطي

أبو الحسن سري^١ بن المغلس السقطي^٢ أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة؛ كان أرواحاً زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي، يقال: إنه كان في دكانه، فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم، فقال له: اكس هذا اليتيم، قال سري: فكسوته، ففرح به معروف، وقال: بَعَضَ اللهُ إِلَيْكَ الدُّنْيَا وَأَرَاكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ؛ ففقت من الدكان وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا. وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

ويحكى أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي مرة « الحمد لله »! قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال: نجّا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فأنا نادى من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردتُ لنفسي خيراً من الناس.

وحكى أبو القاسم الجنيد قال: دخلت يوماً على خالي سري السقطي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا أبت، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه هاهنا، ثم إنه حملني عنائي ففتمت فرأيت جارية من أحسن خلق الله قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وتناولت الكوز فضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الحزف^٣ المكسور لم يرفعه، حتى عفى عليه التراب.

٢٥٦ - ترجمة السري السقطي في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٧١ وحلية الأولياء ١٠ : ١١٦ وصفة الصفرة ٢ : ٢٠٩ وطبقات السلي ٤٨ : ٤٨ وتاريخ بغداد ٦ : ١٨٧ ولسان الميزان ٣ : ١٣.

١ ج د : البارد.

٢ هـ : الكوز.

[قال عبد الله بن شاکر ، قال سري : صليتُ وردي ليلة ، ومددت رجلي في المهراب فنوديتُ : يا سري ، هكذا تجالس الملوك ؟ قال : فضممت رجلي ، ثم قلت : وعزتك لا مددت رجلي أبداً . قال الجنيد : أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رثي مضطجعاً إلا في علة الموت .

ويحكى عن الجنيد أنه قال : سألتني السري يوماً عن المحبة ، فقلت : قال قوم : هي الموافقة ، وقال قوم : هي الإيثار ، وقال قوم : كذا وكذا ، فأخذ السري جلد ذراعه ومدّها فلم تمتدّ ، ثم قال : وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت .

قال الجنيد : وسمعت يقول : أريد أن آكل أكلة ليس لله عليّ فيها تبعّة ولا مخلوق فيها منّة فلم أجد ، فأقاني حي الجرجاني فدق عليّ باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي : يا سري ، ملحك مدقوق ؟ فقلت : نعم ، قال : لا تفلح ، ثم قال : لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع ، ولا تجر التاجر ، ولا تله الناس في الطرقات ، ثم مضى فاتعني وأبكاني .

وحكى الجنيد أيضاً عن سري قال : كنت في طلب صديق ثلاثين سنة ، فلم أظفر به ، فمررت في بعض الجبال بأقوام مَرْضَى وزَمَنِي وَعُمِي وبكم ، فسألتهم عن مقامهم في ذلك الموضع ، فقالوا : في هذا الكهف رجل يمسح بيده عليهم فيبرءون بإذن الله تعالى وبركة دعائه ، فوقفت أنتظر معهم ، فخرج شيخ عليه جبة صوف ، فمسهم ودعا لهم ، فكانوا يبرءون من عليهم بمشيئة الله عز وجل ، قال : فأخذت بذيله ، فقال : خَلْ عني يا سري لا يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه^١ .

[قال سري : المتصوف اسم لثلاثة معان ، وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى]^٢ .

١ ما بين مقفين زيادة من ص ، وهذه القصة الاخيرة نفسها وردت في زيادات د في ترجمة بشر

الحافي منسوبة له ؛ انظر الجزء الاول : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٢ لم يرد هذا النص في المخطوطات .

وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ، وقيل يوم الأربعاء لست خلون من شهر رمضان بعد الفجر سنة ست وخمسين ، وقيل سبع وخمسين ومائتين ببغداد ، ودفن بالشونيزية . وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : مقبرة الشونيزي وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي ، وسمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، وكانا أخوين يقال لكل واحد منها « الشونيزي » ودفن كل واحد منها في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه ، والله أعلم .

وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجنيد ، رضي الله عنهما .
والفلس : بضم الميم وفتح الفين المعجمة وكسر اللام المشددة وبمدها سين مهمل .

وكان سري كثيراً ما ينشد :

إذا ما شكوتُ الحبَّ قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حُبَّ حتى يُلصقَ الجلدُ بالحشا وتُدْهَلْ حتى لا تُجيبَ المناديا

٢٥٧

السري الرفاء

أبو الحسن السريُّ بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلِي الشاعر المشهور ؛ كان في صباه يَرَفُو وَيَطْرُزُ في دكان بالموصل ، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه ، وقصد سيف الدولة ابن حمدان بجلب ومدحه وأقام عنده مدةً ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح

٢٥٧ - ترجمة السري الرفاء في البيئمة ١١٧:٢ ومعجم الأدباء ١١٢:١١ وتاريخ بغداد ١٩٤:٩ .

الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها ، ونفق شعره وراج . وكانت بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليها سرقة شعره وشعر غيره .

وكان السري^١ مُفَرَّغِي بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو إذ ذاك ربحان الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قلبه يضرب ، فكان يدس^٢ فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالدين ، ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويقبلي شعره ويشنع بذلك عليها ويفض منها ويظهر مصداق قوله في سرقتها ، فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة .

وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف ، ولم يكن له رُوءاء ولا منظر ، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر ، وقد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة ورقة ، ثم زاد بعد ذلك ، وقد عمله بعضُ المحدثين الأدباء على حروف المعجم^٣ .

ومن شعر السري أبياتٌ يذكر فيها صناعته ، فمنها قوله^٤ :

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدته^٤ :

يَلْقَى النَّدَى بِرَقِيقِ وَجْهِ مُسْفِرٍ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ عَادَ صَفِيقَا
رَحْبُ الْمَنَازِلِ مَا أَقَامَ فَإِنْ سَرَى فِي جَحْفَلٍ تَرَكَ الْفَضَاءَ مَضِيقَا

١ مأخوذ عن اليتيمة : ١١٨ .

٢ وكان شاعراً ... حروف المعجم : سقط من س م .

٣ قال الثعالي عند إيراد هذه الأبيات : « وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزيان من بغداد » . وانظر ديوانه المطبوع : ١٤٠ .

٤ ديوانه ١٨٥ ، وهي في مدح سيف الدولة .

وذكر له الثعالي في كتاب «المنتخل» ١ :

ألبستني نعماً رأيتُ بها الدجى صُبْحاً وكنْتُ أرى الصبَّاحَ بهِما
فقدَوْتُ يحسُدُنِي الصديقُ وقَبَلها قد كان يلقاني العدوُّ رحِماً

ومن غرر شعره في النسب قوله ٢ :

بنفسي مَنْ أجود له بنفسي وَيَبْخَلُ بالتحية والسلام
وحَتفي كامنٌ في مقلتيه كُمُونُ الموتِ في حدِّ الحسامِ

[وله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ٣ :

تركهم بين مصبوغ ترائبهُ من الدماء ومخضوب ذوائبهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمحِ لاحِقُهُ وهاربٌ وذبابُ السيفِ طالبهُ
يهوي إليه بمثل النجم طاعنُهُ وينتحيه بمثل البرق غالبهُ
يكسوه من دمهِ ثوباً ويسلبه ثيابه فهو كاسيه وسالبهُ

وله من قصيدة أخرى :

وكم ليلة شمرت للراح رائحاً وبت لغزلان الصريم مغازلاً
وحليت كأسِي والسنا بجليها فماعطت حتى بدا الأفق عاطلاً

ومن شعره ٤ :

وفتية زهرُ الآداب بينهمُ أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مَشِي الرِّيحُ وانصرفوا والراح تمشي بهم مَشِي الفرازين

١ انظر ديوانه : ٢٥١ .

٢ ديوانه : ٢٦٠ واليتيمة : ١٣٧ .

٣ هي في ذكر وقعة له مع الدمستق (ديوانه : ١٨ واليتيمة : ١٢٦) .

٤ ديوانه : ٢٧٤ ومسالك الابصار : ١ : ٣٠٣ .

ومن شعره :

ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذانتها وحلّ خمارها

ومن شعره :

انظر إلى الليل كيف تصرعه راية صبح مبيضة العذب
كراهب جن للهوى طرباً فشق جلبابه من الطرب^١

واللسري المذكور ديوان شعر كله جيد ، وله كتاب « المحب والمحبوب
والمشعوم والشروب » وكتاب « الديرة » .

وكانت وفاته في سنة نيف وستين وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، هكذا
قال الخطيب البغدادي في تاريخه ، وقال غيره : توفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة
وقيل سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، والله أعلم . وذكر شيخنا ابن الأثير في
تاريخه^٢ أنه توفي سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٥٨

حيص بيص

أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين
المعروف بـ **حَيْصَ بَيْصَ** الشاعر المشهور ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالري
على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان ، وتكلم في مسائل الخلاف ، إلا أنه

١ ما بين معقنين زيادة من رد وبمضها من ص .

٢ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦١٧ .

٢٥٨ - له ترجمة مسبوقة في الخريدة (قسم العراق) ١ : ٢٠٢ ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٩ وابن أبي

أصيبة ١ : ٢٨٣ والمتنظم ١٠ : ٢٨٨ ولسان الميزان ٣ : ١٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢٢١

والبداية والنهاية ١٢ : ٣٠١ .

غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه ، وله رسائل
 فصيحة بليغة . ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب « الذيل » وأثنى
 عليه . وحدث بشيء من مسموعاته ، وقرأ عليه ديوانه ورسائله ، وأخذ
 الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً ؛ وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف
 لغاتهم . ويقال إنه كان فيه تيهٌ وتعاظمٌ ، وكان لا يخاطب أحداً إلا
 بالكلام العربي ، وكانت له حوالة بمدينة الحلة ، فتوجه إليها لاستخلاص مبلغها ،
 وكانت على ضامن الحلقة^١ ، فسير غلامه إليه فلم يعرج عليه وشم أستاذه ،
 فشكاه إلى والي الحلة ، وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجلاوي^٢ ،
 فسير معه بعض غلمان الباب ليساعده ، فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك ،
 فكتب إليه يعاتبه ، وكانت بينها مودة متقدمة^٣ « ما كنت أظن أن صحبة السنين
 ومودتها يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار ، بل كنت أظن أن الخميس
 الجحفل لو زن^٤ لي عرضاً لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلب^٥
 الرقاب ، فكيف بعامل سويقة ، وضامن حليّة وحليقة ؟ ويكون جواي
 في شكواي أن ينفذ إليه مستخدم يعاتبه ، ويأخذ ما قبله من الحق ، لا والله :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب

وبالله أقسم ، ونبيته وآل بيته ، لئن لم تقم لي حرمة يتحدث بها نساء الحلة في
 أعراسهن ومناحاتهن ، لا أقام وليك بجلتك هذه ، ولو أمسى بالجسر أو
 القناطر ، هبني خسرت حمر النعم أفاخسر أبيتني ، واذلاه ، واذلاه ، والسلام .
 وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً ، فعمل فيه أبو القاسم ابن الفضل - الآتي

١ س ر : الحلة .

٢ ه : أبي العساكر الجلاوي ؛ م : الجلاوي .

٣ لم يورد من هذه الرسالة في م إلا بيت أبي تمام الآتي من بعد .

٤ أثبتنا ما في المسودة وه ، وقد اضطربت في النسخ الأخرى .

٥ ناظر إلى قول الحماسي :

اذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوتة لانا

ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى - وذكر العباد في « الخريدة » أنها للرئيس علي بن الأعرابي الموصلي ، وذكر أنه توفي سنة سبع وأربعين وخمسة :

كَمْ تَبَادَى وَكَمْ تَطَوَّلُ طَرَطُو رَكَ ؟ مَا فِيكَ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمٍ
فَكَلِ الضَّبَّ وَأَقْرِطِ الحَنْظَلَ يَا بَسْ وَاشْرَبْ مَا شِئْتَ بَوَلِ الظِّلْمِ
لَيْسَ ذَا وَجْهٍ مِنْ يَضِيفُ وَلَا يَنْقُرِي وَلَا يَدْفَعُ الأَذَى عَنْ حَرِيمِ

فلما بلغت الأبيات أبا الفوارس المذكور عمل ٢ :

لَا تَضَعْ مِنْ عَظِيمٍ قَدْرًا وَإِنْ كُنْتَ مُشَارًا إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ
فَالشَّرِيفِ الكَرِيمِ يُنْقِصُ قَدْرًا بِالتَّعْدِي ٣ عَلَى الشَّرِيفِ الكَرِيمِ
وَلَعْنَةُ الحَمْرِ بِالعُقُولِ رَمَى الحَمْرَ بِتَنْجِيسِهَا وَبِالتَّحْرِيمِ
وعمل فيه خطيب الحويزة البُحَيْرِي :

لَسْنَا وَحَقُّكَ حَيْضٌ بَيْنَ صَ مِنْ الأَعْرَابِ فِي الصِّمِ
وَلَقَدْ كَذَبْتَ عَلَى بَحْرِ رَ كَمَا كَذَبْتَ عَلَى تَمِيمِ

وقال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمخزن ، وكان من الثقات أهل السنة : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، ثم يتم علي ولدك الحسين يوم الطَّفِّ ما تم ؟ فقال : أما سمعت أبيات ابن الصفي في هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : اسمعها منه ، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص ، فخرج إلي ، فذكرت له الرؤيا فشق وأجش بالبكاء ، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد ، وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ، ثم أنشدني :

١ د : واقترض .

٢ الخريدة : ٣٢٠ .

٣ ر : بالتجري .

ملكنا فكان العفو مناسجيةً فلما ملكتم سأل بالدم أبطح
وحللتكم قتل الأسارى ، وطالما غدونا على الأسرى نغف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر
شديد فقال : ما للناس في حيص بيص ، فبقي عليه هذا اللقب ، ومعنى هاتين
الكلمتين الشدة والاختلاط ، تقول العرب : وقع الناس في حيص بيص ، أي في
شدة واختلاط .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد ،
ودفن من الغد بالجانب الغربي في مقابر قريش ، رحمه الله تعالى .
وكان إذا سئل عن عمره يقول : أنا أعيش في الدنيا مجازفة ، لأنه كان
لا يحفظ مولده ، وكان يزعم أنه من ولد أكم بن صيفي التميمي حكيم العرب .
ولم يترك أبو الفوارس عقباً .

وصيفي : بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الفاء
وبعدها ياء .

والحويزة : بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها زاي ثم هاء ، وهي بليدة من إقليم خوزستان على اثني عشر فرسخاً
من الأهواز .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في م ، مع سقوط الفقرة التي أولها : « وكان يلبس ... تميم » فيما سبق .

أبو المعالي الحظيري

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الحزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب ؛ كانت لديه معارف ، وله نظم جيد ، وألف مجاميع ما قصر فيها ، منها كتاب « زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر أطفاف شعراء العصر » الذي ذيله على « دمية القصر » لأبي الحسن الباخري جمع فيه جماعة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره. وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأنشده عدة مقاطيع ، وروى عنه لغيره شيئاً كثيراً. وكان مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم ، وله كتاب سماه « ملح الملح » يدل على كثرة اطلاعه .
ومن شعر أبي المعالي المذكور قوله :

ومُعذَّر في خدّه وَرَدَّ وفي فمه مُدَامُ
ما لان لي حتى تفتشني صُبْحَ سالفه^٣ ظلام
كالمهر يجمع تحتَ را كبه ويعطفه اللجام

وهذا المعنى يقرب من قول أبي علي الحسن بن رشيق^٤ - المقدم ذكره - :

وأسمر اللونِ عسجديّ يستمطِرُ المقلّةَ الجهاما
ضاقَ بجملِ العذارِ ذرعاً كالمهر لا يعرفُ اللجاما

٢٥٩ - ترجمة أبي المعالي الحظيري في معجم الأدباء ١١ : ١٩٤ والخزانة ٣ : ١١٨ .

١ يا قوت : في ذكر لطائف شعراء .

٢ ب : يده .

٣ أ : عارضه ؛ يا قوت : طلعت .

٤ ديوان ابن رشيق : ١٦٨ .

فظنَّ أنَّ العذارَ مما يزيحُ عن جِسمي السَّقاما
فنكسَ الرأسَ إذ رأني كآبةً منه واحتشاما
وما درى أنهُ نباتٌ أنبتَ في قلبي الغراما
وهلْ ترى عارضيه إلا حمائلًا علقتُ حُساما

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب «العقد» معنى هذا البيت الأخيراً .
وله أيضاً :

أحدقتُ ظلمة العذار بجديّ ه فزادتُ في حبه حسراتي
قلتُ ماء الحياة في فمه العذوّ ب دَعُونِي^١ أخوضُ في الظلماتِ
[ومن شعره الرائق :

لئن قيل أبداع في شبه ولم يكسُ معناه لفظاً سليماً
فمن عنب الكرم يحنى السلاف وإن لم يكن غصنها مستقيماً
وله أيضاً :

قلْ لَمَنْ عابَ شامةً لجببي دونَ فيه دَعِ الملامة فيه
إنما الشامةُ التي قلتَ عنها فصُّ فيروزجٍ بخاتمٍ فيه^٢
[ومن شعره أيضاً :

لما حنى الشيبَ ظهري صحت واحرباً دنا أوان فراق الروح والجسد
أما ترى القوسَ أحنى ظهرها فدنا ترحل السهم عنها وهي في الكبد
وله في كتاب جمعه وسماه «زينة الدهر» :

١ انظر ١ : ١١٠ من الوفيات .
٢ د : فدعني .
٣ زيادة من رد وبعضه من ص .

هذا كتاب قد غدا روضة ونزهة للقلب والعين
جعلت من شعري له عوذة خوفاً وإشفاقاً من العين^١
وله أيضاً :

مدّ على ماء الشباب الذي في خدّه جسرٌ من الشعرِ
صارَ طريقاً لي إلى سلوَتِي وكنتُ فيه موثّقَ الأسرِ
ومن شعره أيضاً :

شكوتُ هوى من شفا قلبي بعدهُ توقدَ نار ليس يطفى سعيها
فقالَ بعبادي عنك أكثرَ راحةً ولولا بعبادُ الشمس أحرقَ نورها
]وله أيضاً :

ومهفّف شهبته شمس الضحى في حسن بهجتها وبعد مكانها
قد زاده نقش العذار محبةً نقش الفصوص يزيد في أثمانها
ومن شعره :

ومستحسن أصبحت أهذي بذكره وأمسيت في شغل من الوصل شاغل
وعارضني من سحر عينيه جنة فقيدني من صدغه بسلاسل^٢

وله كل معنى مليح مع جودة السبك .
وتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين ، وقيل الخامس عشر ، من صفر
سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، رحمه الله تعالى .
والحظيري : بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من
تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له « الحظيرة » ،
ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليه أيضاً^٣ .

١ زيادة من رد . ٢ زيادة من ص .

٣ م : ينسب إليه علماء وثياب .

سعيد الحيري

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري^١؛ ولد بالريّ ونشأ بها ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها ، وكان قد سمع بالريّ من محمد بن مقاتل وغيره ، وبالعراق من محمد بن إسماعيل الأحمسي وحמיד بن الربيع اللخمي وغيرهما ، ودخل بغداد .

ويقال : إنه كان مستجاب الدعوة [وقام في مجلسه رجل فقال : يا أبا عثمان ، متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه ؟ قال : إذا خلا من خلفه كان صادقاً في حبه ، قال : فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح ، وقال : كيف أدعي حبه ولم أخل طرفة عين من خلفه ؟ فبكى أبو عثمان وأهل المجلس ، وجعل أبو عثمان يقول : صادق في حبه ، مقصر في حقه .

قال أبو عمرو^٢ : وكنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي ، وحظيت عنده ، ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه ، وكنت إذا رأيته من بعيد أو في طريق اخفتيت حتى لا يراني ، فخرج علي يوماً من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصاً فتقدمت إليه وأنا دهش ، فلما رأى ذلك قال : يا أبا عمرو ، لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً^٣ .

وكان يقول : طول العتاب فرقة ، وترك العتاب حشمة ، وكان يقول : لا يستوي الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء : المنع والعطاء ، والعز والذل .

٢٦٠ - انظر النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧ وطبقات السلي : ١٧٠ وعبر الذهبي ٢ : ١١١ وشذرات الذهب ٢ : ٢٣٠ وحلية الأولياء ١٠ : ٢٤٤ وتاريخ بغداد ٩ : ٩٩ ؛ والحيري : نسبة إلى قرية يقال لها الحيرة من قرى نيسابور ، ولم ترد هذه الترجمة في م والمسودة .

١ ر : الحيري .

٢ أبو عمرو ابن حمدان كما في الحلية .

٣ زيادة من ر وحدها .

وكان يقال : ثلاثة أشياء لا رابع لها : أبو عثمان بنيسابور ، والجنيدي ببغداد ، وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام .
وقال أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في شيء فكرهته ، ولا نقلني إلى حال فسخطته .

وقالت مريم امرأة أبي عثمان : كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة ، فإنه إذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره . وقالت : صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها ، وقلت : يا أبا عثمان ، أي عملك أرجى عندك ؟ فقال : يا مريم ، لما ترعرت وأنا بالري وكانوا يراودوني على التزوج فأمتنع جاءني امرأة فقالت : يا أبا عثمان ، قد أحببتك حباً ذهب بنومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بي ، فقلت : ألكِ والد ؟ قالت : نعم ، فلان الخياط في موضع كذا ، فراسلته ، فأجاب ، فتزوجت بها ، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق ، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لي ، وكان أهل بيتي يلوموني على ذلك ، فأزيدها برّاً وإكراماً ، إلى أن صارت لا تدعني أخرج من عندها ، فتركت حضور المجلس إشاراً لرضاها وحفظاً لقلبها ، وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة ، وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض على الحجر ولا أبدي لها شيئاً من ذلك ، إلى أن ماتت ، فما شيء عندي أرجى من حفطي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

[ولما تغير على أبي عثمان الحال عند الموت مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه . ففتح أبو عثمان عينه وقال : خلاف السنة يا بني في الظاهر ، وعلامة رياء في الباطن] ١ .

توفي لثلاث عشرة بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وكان كثيراً ما ينشد في حال وعظه :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض

١ زيادة من ص .

سعيد بن جبير

أبو عبد الله - وقيل أبو محمد - سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمية ؛ كوفي أحد أعلام التابعين ، وكان أسود ، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم . قال له ابن عباس : حَدَّثْ ، فقال : أُحَدِّثُ وَأَنْتَ هَاهُنَا ؟ فقال : أليس من نعمة الله عليك أن تحدّث وأنا شاهد ، فإن أصبت فذاك ، وإن أخطأت علمتك .

وكان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس في الفتيا ، فلما عيى ابن عباس كتب ، فبلغه ذلك فغضب . [٢ وعن ابن عباس رضي الله عنه أخذ القراءة أيضاً عرضاً ، وسمع منه التفسير وأكثر روايته عنه .

وروى عن سعيد القراءة عرضاً المنهال بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء ؛ قال وفاء بن إياس^٣ : قال لي سعيد في رمضان : أمسك عليّ القرآن ، فما قام من مجلسه حتى ختمه ، قال سعيد : قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام ؛ وقال إسماعيل بن عبد الملك : كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره ، هكذا أبدأ ، وسأله رجل أن يكتب له تفسير القرآن ، فغضب وقال : لأن يسقط

٢٦١ - ترجمة سعيد بن جبير في طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٢ وحلية الأولياء ٤ : ٢٧٢ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١ وأخبار خروجه على الحجاج ومقتله في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير وابن كثير وغيرها ؛ وانظر أيضاً رجال ابن حبان : ٨٢ وتذكرة الحفاظ : ٧٦ والمقدّمين ٤ : ٥٤٩ ؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة رواية ص وقد اختلفت عما هي عليه في رفي التقديم والتأخير وحسب .

١ م : فقال وأنت موجود ؟

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة . ٣ أ : وفاء بن عياش .

شَقِيَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَقَالَ خَصِيفُ : كَانَ مِنْ أَعْلَمِ التَّابِعِينَ بِالطَّلَاقِ
سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ ، وَبِالْحُجِّ عَطَاءُ ، وَبِالْحِلَالِ وَالْحَرَامِ طَاوَسُ ، وَبِالتَّفْسِيرِ أَبُو
الْحِجَّاجِ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ ، وَأَجْمَعَهُمْ لِذَلِكَ كُلَّهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ .
وَكَانَ سَعِيدُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَاتِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ كَتَبَ لِأَبِي
بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

وَذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي « تَارِيخِ أَصْبَهَانَ » فَقَالَ^١ : دَخَلَ أَصْبَهَانَ وَأَقَامَ
بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ وَسَكَنَ قَرْيَةَ سَنْبَلَانَ .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ سَعِيدُ بْنَ جَبْرِ كَانَ بِأَصْبَهَانَ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ
فَلَا يَحْدُثُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ حَدَّثَ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، كُنْتَ بِأَصْبَهَانَ
لَا تَحْدُثُ وَأَنْتَ بِالْكُوفَةِ تَحْدُثُ ، فَقَالَ : انْشُرْ بَزْرَكَ حَيْثُ يُعْرَفُ^٢ .

وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ لَمَّا خَرَجَ عَلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ مِنْ دَيْرِ الْجَمَّامِ
هَرَبَ فَلَاحِقَ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ وَالِيهَا يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، فَأَخَذَهُ
وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ مَعَ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَوْسَطِ الْبَجَلِيِّ ، فَقَالَ
لَهُ الْحِجَّاجُ^٣ :

١ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٢٤ .

٢ ورد في المطبوعة النص التالي عند هذا الموضع ولم يرد في المخطوطات التي اعتمدهاها : فقال
له الحجاج :

مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، قَالَ : بَلْ أَنْتَ شَقِيٌّ بِنَ كَسِيرٍ ، قَالَ : بَلْ كَانَتْ أُمِّي أَعْلَمَ
بِاسْمِي مِنْكَ ، قَالَ : شَقِيَّتْ أُمُّكَ وَشَقِيَّتْ أَنْتَ ، قَالَ : الْغَيْبُ يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ ، قَالَ : لِأَبْدَلْنِكَ
بِالدُّنْيَا نَارًا تَلْظِي ، قَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَاتَّخَذْتُكَ إِهْلًا ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ :
نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَإِمَامُ الْهُدَى ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْجَنَّةِ أَمْ هُوَ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : لَوْ دَخَلْتُهَا
وَعَرَفْتُ مَنْ فِيهَا عَرَفْتُ أَهْلَهَا ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي الْخُلَفَاءِ ؟ قَالَ : لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ، قَالَ :
فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَرْضَاهُمْ لِحَالِقِي ، قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَرْضَى لِلخَالِقِ ؟ قَالَ : عَلِمْتُ ذَلِكَ عِنْدَ
الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، قَالَ : أَحَبُّ أَنْ تُصَدِّقَنِي ، قَالَ : إِنْ لَمْ أَحْبِبْ لَنْ أَكْذِبْكَ ، قَالَ :
فَمَا بَالُكَ لَمْ تُضَعِّكْ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ يَضْحَكُ مَخْلُوقٌ خَلَقَ مِنْ طِينٍ وَالطِّينُ تَأْكُلُهُ النَّارُ ؟ قَالَ : فَمَا
بِالنَّارِ تَضَعُّكَ ؟ قَالَ : لَمْ تَسْتَوْ الْقُلُوبَ .

ثُمَّ أَمَرَ الْحِجَّاجُ بِاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبْرِجَدِ وَالْيَاقُوتِ فَجَمَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ سَعِيدُ : إِنْ كُنْتُ جَمَعْتُ =

يا شقي بن كُسَير ، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً ؟ فقال : بلى ، قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى ، قال : أما جعلتك في سُمّاري وكلهم رؤوس العرب ؟ قال : بلى ، قال : أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث ، فغضب الحجاج ثم قال : أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل ؟ والله لأقتلنك ، يا حَرَسِيُّ اضرِبْ عنقه ، فضرب عنقه ، وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، بواسط ، ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها ، رضي الله عنه ، وله تسع وأربعون سنة .

وكان يوم أخذ يقول : وشى بي واشى في بلد الله الحرام ، أكليه إلى الله تعالى ، يعني خالد بن عبد الله القسري .

= هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففرجة واحدة تُذهِل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد ، فقال : ما يبكيك ؟ هو اللعب ، قال سعيد : هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تبعت معها يوم القيامة ، قال الحجاج : ويحك يا سعيد ! قال : لا ويل لمن زُحِرَ عن النار وأدخل الجنة ، قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك ، قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة ، قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك ، فردده وقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جراتك على الله وحلم الله عليك ، فأمر بالنطح فبُسط وقال : اقتلوه ، فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، قال : وجهتوا به لغير القبلة ، قال سعيد : فأينما تولوا فثمّ وجه الله ، قال : كبُتوه لوجهه ، قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ، قال الحجاج : اذبحوه ، قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

١ في المسودة : أعرابي .

وقال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبّير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة ، وقيل بل مات بعده بستة أشهر ، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات . ولما قتله سال منه دم كثير ، فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعنم كان قتله قبله ، فإنه كان يسيل منهم دم قليل ، فقالوا له : هذا قتله ونفسه معه والدم تبع للنفس ، ومَنْ كنتَ تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف ، فلذلك قلّ دمهم .

وقيل للحسن البصري : إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير ، فقال : اللهم ايت على فاسق ثقيف ، والله لو أن مَنْ بين المشرق والمغرب اشرَكوا في قتله لكبَّهم الله عز وجل في النار .

ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يفوص ثم يُفثق ويقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بجماع ثوبه يقول له : يا عدو الله ، فمِ قتلتي ؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ ! ويقال : إنه رُئي الحجاج في النوم بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتيل قتلته قتلةً ، وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلةً .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « المهذب » أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً ، ذكره في كتاب الشهادات في فصل اللعب بالشطرنج .

سعيد بن المسيب

أبو محمد سعيد بن المسيب بن حَزَن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشي المدني ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر اثنين منهم : أبو بكر في حرف الباء وخارجة في حرف الحاء .
كان سعيد المذكور سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة رضي الله عنهما .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة : ايت ذلك فسله ، يعني سعيداً ، ثم ارجع إلي فأخبرني ، ففعل ذلك وأخبره ، فقال : ألم أخبركم أنه أحد العلماء ؟ وقال أيضاً في حقه لأصحابه : لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرَّه . وكان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسمع منهم ، ودخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهن ، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكان زوج ابنته . وسئل الزهري ومكحول : مَنْ أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيب ؛ وروى عنه أنه قال : حججت أربعين حجة ؛ وعنه أنه قال : ما فاتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ، لمحافظة على الصف الأول ، وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة [وكان يقول : ما أعزَّت العباد نفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت نفسها بمثل معصية

٢٦٢ - ترجمة سعيد بن المسيب في طبقات ابن سعد ٥ : ١١٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٢ وحلية الأولياء ٢ : ١٦١ وصفة الصفوة ٢ : ٤٤ ورجال ابن حبان : ٦٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٨٤ .

١ د : أربعين .

٢ وكان يقول... لصلبه : سقط هذا كله من م وسقط من المسودة الى قوله : حتى على من أفتحها .

الله ، ودعي إلى نيف وثلثين ألفاً ليأخذها فقال : لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان ، حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم .

وقال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً ، فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت : يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : إن أنا فعلت تفعل ؟ قلت : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة ، قال : فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي ، وجعلت أتفكر من آخذ وأستدين ، ووصلت المغرب ، وكنت صائماً ، فقدمت عشاى لأفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بالباب يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد ، فقمتم وخرجت ، وإذا بسعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدأ له ، فقلت : يا أبا محمد ، هلا أرسلت إلي فأتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم صعدت إلى السطح ، فنادت الجيران ، فجاءوني وقالوا : ما شأنك ؟ فقلت : زوّجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة ، وها هي في الدار ، فنزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج ؛ قال : فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتية ، ثم أتيت بعد شهر وهو في حلقتة ، فسلمت عليه ، فرد عليّ ولم يكلهني حتى انفضّ من في المسجد ، فلما لم يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت : هو على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي .

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء ؛ قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب ، فكُتِبَ أن اعرضه على السيف ، فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطُفِّ به أسواق المدينة ، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب ، وقالوا : جئناك في أمر ، قد قدم كتاب عبد الملك إن لم تباع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً ، فأعطنا إحداهن ، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب ، فلا تقل لا ولا نعم ، قال : يقول الناس : بايع سعيد بن المسيب ، ما أنا بفاعل ، وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم ، قالوا : فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجده ، قال : فأنا أسمع الأذان فوق أذني حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة ، ما أنا بفاعل ، قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن لم يجده أمسك عنك ، قال : أفرقاً من مخلوق ؟ ما أنا بمتقدم شبراً ولا متأخر ، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث إليه ، فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تباع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين ، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة ، فمدت عنقه وسلت السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد ، فإذا عليه ثياب شعر ، فقال : لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن ، فضربه خمسين سوطاً ، ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة ، ومنعوا الناس أن يجالسوه ، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له : قم من عندي ، كراهية أن يضرب بسببه .

قال مالك رضي الله عنه : بلغني أن سعيد بن المسيب كان يلزم مكاناً من المسجد لا يصلي من المسجد في غيره ، وأنه ليالي صنع به عبد الملك ما صنع

قيل له أن يترك الصلاة فيه فأبى إلا أن يصلي فيه .
 وكان يقول: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط
 أعمالكم ؛ وقيل له وقد نزل الماء في عينه: ألا تقدر عينك؟ قال: حتى على من أفتحتها].
 ورأى عبد الملك بن مروان في منامه كأنه قد بال في المحراب أربع مرات فوجه
 إلى سعيد بن المسيب من يسأله ، فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان كما
 قال ، فإنه ولي الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، وهم أولاد عبد الملك لصلبه .
 وكانت ولادته لستين مَضْتًا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان في خلافة
 عثمان رضي الله عنه رجلا .

وتوفي بالمدينة سنة إحدى - وقيل اثنتين ، وقيل ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل
 خمس - وتسعين للهجرة ، وقيل إنه توفي سنة خمس ومائة ، والله أعلم ، رضي الله عنه .
 والمسيب : بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها ، وروي عنه أنه كان يقول
 بكسر الياء ، ويقول : سَيَّبَ الله من يسيَّب أبي .
 وحَزَنٌ : بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبعدها نون .
 وعائذ : بذال معجمة .

٢٦٣

أبو زيد الأنصاري

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك
 ابن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج ، وقال محمد بن سعد في « الطبقات »^١ : هو

٢٦٣ - ترجمة أبي زيد الأنصاري في نور القيس : ١٠٤ . وتاريخ بغداد ٩ : ٧٧ ومعجم الأدباء : ١١
 ٢١٢ وانباه الرواة ٢ : ٣٠ وبغية الوعاة : ٢٥٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣ وغاية النهاية : ١٠٥
 ٣٠٥ ومصادر أخرى سردها محقق انباه الرواة في الحاشية فلترجع . وهذه الترجمة مستوفاة
 في مسودة المؤلف .

١ ورد نسبه على هذا النحو في الطبقات (١/٧ : ١٧ من الطبعة الأوروبية) وانظر القفطي: ٣١.

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد ثابت بن زيد بن قيس .
والأول ذكره الخطيب في تاريخه ، والله أعلم بالصواب ، الأنصاري اللغوي
البصري ؛ كان من أئمة الأدب ، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب ، وكان
يرى رأي القدر ، وكان ثقة في روايته .

حدث أبو عثمان المازني قال : رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد
المذكور ، فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين
سنة^١ . وكان التوزي يقول : قال لي ابن مناذر : أصف لك أصحابك ؟ أما
الأصمعي فأحفظ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصاري
فأوثقهم . وكان النضر بن شميل يقول : كنا ثلاثة في كتاب واحد : أنا وأبو
زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي . وقال أبو زيد : حدثني خلف الأحمر ،
قال : أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر ، فبخلوا علي به ، فكنت أعطيهم
المنحول وأخذ الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم : ويلكم ! أنا تائب إلى الله تعالى ،
هذا الشعر لي ، فلم يقبلوا مني ، فبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب .

وأبو زيد المذكور له في الآداب مصنفات مفيدة : منها كتاب « القوس
والترس » وكتاب « الإبل » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « المطر » وكتاب
« المياه » وكتاب « اللغات » وكتاب « النوادر » وكتاب « الجمع والتثنية »
وكتاب « اللين » وكتاب « بيوتات العرب » وكتاب « تخفيف الهمزة » وكتاب
« القضيبي » وكتاب « الوحوش » وكتاب « الفرق » وكتاب « فعلت وأفعلت »
وكتاب « غريب الأسماء » وكتاب « الهمزة » وكتاب « المصادر » وغير ذلك ،
ولقد رأيت له في النبات كتاباً حسناً جمع فيه أشياء غريبة^٢ .

وحكى بعضهم^٣ أنه كان في حلقة شعبة بن الحجاج ، فضجر من إملاء
الحديث فرمى بطرفه^٤ فرأى أبا زيد الأنصاري في أخريات الناس فقال :

١ القفطي : منذ عشر سنين ؛ نزهة الالباء : منذ عشرين سنة .

٢ ذكر له ابن النديم والقفطي مؤلفات أخرى كثيرة لم يذكرها المؤلف .

٣ هو روح بن عبادة كما في القفطي : ٣٢ .

٤ أ : فرمى بطرفه في الحلقة .

يا أبا زيد^١ :

استعجمت دارُ مَيِّ ما تكلّمنا والدار لو كلّمتنا ذاتُ إخبارِ

إليّ يا أبا زيد ، فجاءه ، فجعلنا يتحدّثان ويتناشدان الأشعار ، فقال له بعض أصحاب الحديث : يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدعّنا وتقبل على الأشعار ؟ قال : فغضب شعبة غضباً شديداً ، ثم قال : يا هؤلاء ، أنا أعلم بالأصلح لي ، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذلك .

وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة - وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة - ومائتين ، وعمّر عمراً طويلاً حتى قارب المائة ، وقيل انه عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، وقيل خمساً وتسعين ، وقيل ستاً وتسعين ، رحمه الله تعالى .

٢٦٤

الأخفش الأوسط

أبو الحسن سعيد بن مسعدة المُجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط ؛ أحد نحاة البصرة ، والأخفش الأكبر أبو الخطاب ، وكان نحويّاً أيضاً من أهل هَجَرَ من مواليتهم ، واسمه عبد الحميد بن عبد الحميد ، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما .

وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية ، وأخذ النحو عن سيبويه ،

١ البيت للتأنيف : (شرح ابن السكيت : ٢٣٣) وقد وردت الحكاية في القفطي ونور القبس .
٢٦٤ - ترجمة الأخفش في نور القبس : ٩٧ وانباه الرواة ٢ : ٣٦ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٢٤
ونيفية الوعاة : ٢٥٨ وقد ساق محقق الانباه ثبناً بمصادر ترجمته الاخرى في الحاشية . قلت :
وهذه الترجمة مستوفاة في مسودة المؤلف .

وكان أكبر منه ، وكان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ ، وكان يرى أنه أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم به منه^١ .
وحكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سلم ، قالوا : دخل الفراء على سعيد المذكور ، فقال لنا : قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفش يعيش فلا .

وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الحَبَبِ كما سبق في حرف الخاء في ترجمة الحليل ، وله من الكتب المصنفة كتاب « الأوسط » في النحو وكتاب « تفسير معاني القرآن » وكتاب « المقاييس » في النحو ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافي » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « الملوك » وكتاب « الأصوات » وكتاب « المسائل » الكبير ، وكتاب « المسائل » الصغير ، وغير ذلك .

وكان أجَلِّعَ ، والأجلع : الذي لا تنضم شفتاه على أسنانه ، والأخفش : الصغير العينين مع سوء بصرهما . وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى^٢ . وكان يقال له : « الأخفش الأصغر » فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضاً ، صار هذا وسطاً .
ومسعدة : بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والذال المهملات وبعدهن هاء ساكنة .

والمجاشعي : بضم الميم وفتح الجيم وبعده الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم ، بطن من تميم .

١ قال القفطي : ان كتاب سيبويه لا يعلم أحد قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ولكنه لما مات قرئ على الأخفش فشرحه وبينه .

٢ ذكر ابن النديم أنه توفي سنة ٢١١ .

ابن الدهان النحوي

أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمداً بن شاكر بن عياض ابن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر^٢ كعب الأنصاري رضي الله عنه المعروف بابن الدهان النحوي البغدادي ؛ سمع الحديث من أبي القاسم هبة الله بن الحصين ومن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء وغيرهما ، وكان سيبويه عصره ، وله في النحو التصانيف المفيدة منها « شرح كتاب الإيضاح والتكلمة » وهو مقدار ثلاث وأربعين مجلدة ، ومنها « الفصول الكبرى » و « الفصول الصغرى » وشرح كتاب « اللمع » لابن جني شرحاً كبيراً يدخل في مجلدين وسماه « الغرة » ولم أر مثله مع كثرة شروح هذا الكتاب ، ومنها كتاب « العروض » في مجلدة وكتاب « الدروس في النحو » في مجلدة ، وكتاب « الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية » يشتمل على سرقات المتنبي في مجلدة ، وكتاب تذكرته سماه « زهر الرياض » في سبع مجلدات ، وكتاب « الغنية في الضاد والطاء » و « المعقود في المقصور والممدود » و « الرء »^٣ و « الغنية في الأضداد » [وغير ذلك من المصنفات]^٤ .

وكان في زمن أبي محمد المذكور ببغداد من النحاة ابن الجواليقي وابن الحشاش وابن الشجري ، وكان الناس يرجحون أبا محمد المذكور على الجماعة المذكورين مع أن كل واحد منهم إمام . ثم إن أبا محمد ترك بغداد وانتقل إلى الموصل قاصداً

٢٦٥ - ترجمة ابن الدهان في انباه الرواة ٢ : ٤٧ وممعج الأدباء ١١ : ٢١٩ ونكت الهيمان :

١٥٨ وبغية الرعاة : ٢٥٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٧٢ .

١ ص : أحمد .

٢ ص : الياس .

٣ كذا في ر والمسودة وسقط من س ص . وفي ياقوت : إزالة المرء في الغين والرء .

٤ زيادة من س .

جناب الوزير جمال الدين الأصهباني المعروف بالجواد - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - فتلقاه بالإقبال وأحسن إليه ، وأقام في كنفه مدة ، وكانت كتبه قد تحلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد ، فسيّر مَنْ يحضرها إليه إن كانت سالمة ، فوجدها قد غرقت ، وكان خلف داره مدبغة ففرقت أيضاً ، وفاض الماء منها إلى داره ، فتلفت الكتب بهذا السبب زيادة على إتلاف الغرق ، وكان قد أفنى في تحصيلها عمره ، فلما حملت إليه على تلك الصورة أشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ويصلح منها ما أمكن ، فبخرها باللاذن ولازم ذلك إلى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلاً لاذناً فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه فأحدث له العمى وكف بصره . وانتفع عليه خلق كثير ، ورأيت الخلق يشتغلون في تصانيفه المذكورة بالموصل وتلك الديار اشتغالاً كثيراً .

وكانت وفاته يوم الأحد غرة شوال سنة تسع وستين وخمسة ، وقال ابن المستوفي : سنة ست وستين بالموصل ، رحمه الله تعالى ، ودفن بمقبرة المعافى بن عمران بباب الميدان .

ومولده عشية الخميس سادس وعشرين رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببغداد بنهر طابق ، وهي محلة بها ، وقيل يوم الجمعة .
وله نظم حسن ، فمنه قوله :

لا تجعل الهزلَ دأباً فهو منقصة والجدُّ تغلوبه بين الورى القيمُ
ولا يفرنك من ملكٍ تبسّمه ما تصخبُ السحب إلا حين تبسّمُ
وله أيضاً :

لا تحسبن أن بالشعْ را مثلنا ستصير
فللدجاجة ريش لكنها لا تطير

وله أيضاً :

لا غرو أن أخشى فرا فكم وتخشاني الليوثُ

١ ص ر وياقوت : بالكتب .

أوما ترى الثوبَ الجديدَ مدّ من التفرّق يستقيثُ

[وذكره الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وأورد له :

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ
فالمر كالكأس يبدو في أوائله صفوٌ وآخره في قمره الكدرُ
وأورد له أيضاً :

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها إن ضاقَ رزقٌ تجدُ في الأرض منتحاً
قلت : انظروا الريق في الأفواه مخزناً عذباً فإن بانَ عنها صار مُطرحاً
وأورد له أيضاً :

أهوى الخمول لكي أظلّ مرفهاً مما يعانيه بنو الأزمانِ
إن الرياح إذا توالى عصفها تولى الأذية شامخ الأغصانِ
وأورد له أيضاً :

يا سادتي لا عدمتم استمعوا قول فتى عارف بمنطقه
كنت ببيتي كالرخ محترماً فصرت في غربتي كبيذقه^١

وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأثنى عليه ، وذكر طرّفاً من حاله . وقال الحافظ أبو سعد السمعاني^٢ : سمعت الحافظ ابن عساكر الدمشقي يقول : سمعت سعيد بن المبارك بن الدهان يقول : رأيت في النوم شخصاً أعرفه وهو ينشد شخصاً آخر كأنه حبيب له :

أيها الماطِلُ ديني أُمليُّ وتماطلُ ؟

١ أثبتنا ما بين معقنين من النسخ د ص ر على تفاوت فيما بينها ؛ وانظر القفطي : ٤٩ ، وهذه الزيادة لم ترد في المسودة .
٢ أوردما القفطي : ٤٩ .

عَلَّلَ القلب فإني قانع منك بباطل

قال السمعاني : فرأيت ابن الدهان وعرضت عليه الحكاية فقال : ما أعرفها ولعلّ ابن الدهان نسي ، فإن ابن عساكر من أوثق الرواة ، ثم استملى ابن الدهان من السمعاني هذه الحكاية وقال : أخبرني السمعاني عن ابن عساكر عني ، فروى عن شخصين عن نفسه ، وهذا غريب في الرواية .

(44) وكان له ولد - وهو أبو زكريا يحيى بن سعيد - وكان أديباً شاعراً ، ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسةائة تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وستائة بالموصل ، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلية .
ومن شعره :

إن مَدَحْتُ الخَولَ نَبَّهْتُ أَقْوَا ما نِياماً فسابقوني إليه
هُوَ قد دَلَّتْني على لَذَّةِ العِيدِ ش ، فما لي أدلّ غيري عليه

ومن شعره على ما قيل :

وعَهْدِي بالصبا زَمناً وَقَدِّي حكي أَلِفَ ابنِ مُقَلَّةِ في الكِتابِ
فَصِرْتُ الآنَ مُنْحَنِيّاً كَأَنِّي أَقْتَشُ في الترابِ على شَبابِي

١ وكان له ... شبابي : سقط النص من ص م والسودة وهو ثابت في س ر وروستنفيلد .

سفيان الثوري

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الثوري الكوفي ؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد رضي الله عنه كان على مذهبه ، على الاختلاف الذي تقدم في ترجمته في حرف الجيم .

[وقال يونس بن عبيد : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان ، قالوا : إنك رأيت سعيد بن جبير وفلاناً وفلاناً ، قال : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان . وقال سفيان بن عيينة : ما رأى سفيان مثله . أكل سفيان ليلة فشبغ فقال : الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام حتى أصبح .

وحدث ابن عيينة قال : دعانا سفيان فقدم إلينا غداء ولبناً خائراً ، فلما توسطنا قال : قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى ؛ قال ابن وكيع - وكان حاضراً - : لو قدم إلينا شيئاً من هذا اللوزينج المحدث لقال : قوموا بنا نصلي التراويح .

وقال بشر بن الحارث : كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه ، يأخذ منه ما يريد ويدع منه ما يريد .

٢٦٦ - ترجمة سفيان الثوري في الفهرست : ٢٢٥ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٣ وطبقات ابن سعد ٦ : ٣٧١ والمعارف : ٤٩٧ والجواهر المضية ١ : ٢٥٠ وحلية الأولياء ٦ : ٣٥٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١١ وتاريخ بغداد ٩ : ١٥١ وتذكرة الحفاظ ٢٠٣ : رجال ابن حبان : ١٦٩ .

وقال الأوزاعي : كنت أقول فيمن ضحك في الصلاة قولاً لا أدري كيف هو ، فلما لقيت سفيان الثوري سألته فقال : يعيد الصلاة والوضوء ، فأخذت به . وكان عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول : يا سفيان ، أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيراً .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك بن أنس ، ولا رأيت رجلاً أنصح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مبارك ، ولا أعلم بالحديث من سفيان ، ولا أقشف من شعبة . وقال سفيان الثوري : ما استودعت قلبي شيئاً فخانني .

وقيل : لقي سفيان الثوري شريكاً بعدما ولي القضاء بالكوفة فقال : يا أبا عبد الله ، بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء ، أو صرت قاضياً؟ فقال له شريك : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من قاض ، فقال سفيان : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من شرطي .

وحدث عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله البصري ، قال : قال رجل لسفيان : اوصني ، فقال : اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها والسلام .

وجاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار ، فأعطاه الدينار ، وكان معه آخر فسقط من سفيان ، فطلبه فإذا إلى جانبه دينار آخر ، فقال له الصيرفي : خذ دينارك ، قال : ما أعرفه ، قال : خذ الناقص ، قال : فلعله الزائد ، وتركه ومضى .

وقال شعيب بن حرب : سمعت سفيان الثوري يقول : انظر درهمك من أين هو وصل في الصف الآخر .

وقال عبد الله بن صالح العجلي : دخل سفيان على المهدي فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم يا أبا عبد الله ؟ ثم جلس فقال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال ، قال : فأبي شيء تريد ؟ تريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد كانت

كتبك تأتينا فننفيذها ، قال : من هذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري ، قال : احذره فإنه كذاب ، إني ما كتبت إليك ، ثم قام فقال له المهدي : إلى أين يا أبا عبد الله ، قال : أعود ؛ وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدي فلم يعد ، فقال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، فعلم أنه عاد لأخذ نعله ، فغضب فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام ، فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأته ، فقيل له : لم فعلت ؟ فقال : إنهن أرحم ؛ ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، صار في بعض البساتين ، وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض العشارين فقال : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أذقه ولكن رطب السابري بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ! فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ، ادركه إن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين ، فرجع في طلبه فما قدر عليه .

ودخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى : تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور ، فقال له سفيان : إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك .

وكان فتى يجالسه ولا يتكلم ، فأحب سفيان أن يعرف نطقه فقال له : يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيل سابقة وبقينا بعدهم على حمر ديرة ، فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم .

وحدث أبو بكر ابن عياش قال : كنت أنا وسفيان الثوري نمشي قرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية حسن السميت ، فقال له سفيان : يا شيخ أعندك شيء من الحديث ؟ قال : لا ، ولكن عندي عتيق سنين ، فنظرنا فإذا هو خمار . وحكى ضمرة قال : سألت سفيان الثوري : أصفح اليهود والنصارى ؟ فقال : برجلك نعم . وقال له رجل : إني أريد الحج ، فقال : لا تصحب من

يتكرم عليك فإن ساويته في النفقة أضرب بك وإن تفضل عليك استذلك .
وكان يقول : من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه فإنه في زمان
إن احتاج كان أول من يبذل دينه . وحكي عنه أنه قال : إني لألقى الرجل
أبغضه فيقول لي : كيف أصبحت ؟ فيلين له قلبي ، فكيف بمن أكل ثريدهم
ووطىء بساطهم ؟

وقيل إن المهدي قال للخيزران : أريد أتزوج ، وكانت بكتابا فقالت له :
لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ ، قال : بلى ، قالت له : بيني وبينك من شئت ،
قال : أترضين سفيان الثوري ؟ قالت : نعم ، فوجه إلى سفيان فقال : إن أمّ
الرشيد تزعم انه لا يحلّ لي أتزوج عليها وقد قال الله عز وجل ﴿ فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ ثم سكت ، فقال له سفيان : أمّ
الآية ، يريد قوله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ (النساء : ٣) وأنت
لا تعدل ، فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .

ومثل هذه النادرة ما أخبرني به الفقيه أمين الدين المحلي الذي كان في جملة
المتصدرين عند الفقيه برهان الدين ابن الفقيه نصر وهو يومئذ صاحب ديوان
الأحباس ، وكتب أسماءهم ينتدبهم للمضي إلى الخانقاه إلى المقام السلطاني في
مهم فاعتذر رجل منهم فخط على اسمه وكتب غيره ، فقام رجل يعتذر فقال :
المملوك كما قال الله عز وجل ﴿ ان بيوتنا عورة ﴾ فقال له الفقيه أمين الدين :
صل ، يشير إلى بقية الآية وهي قوله تعالى ﴿ وما هي بعورة ان يريدون
إلا فرارا ﴾ (الأحزاب : ١٣) فضحك البرهان والحاضرون ، وقال : لا أجمع
عليك بين الفقه وبين تكليفك الهجيء ، ثم خط على اسمه وابتدأ بغيره [٢] .

قال سفيان بن عيينة : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان
الثوري . وقال عبد الله بن المبارك : لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان
الثوري . ويقال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه رأس الناس ،
وبعده عبد الله بن عباس ، وبعده الشعبي ، وبعده سفيان الثوري .

١ في ر : بنكاح .

٢ زيادة من در وبعضه غير وارد في د وبعضه في ص أيضاً .

سمع سفيان الثوري الحديث من أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومن في طبقتها ، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك وتلك الطبقة .

وذكر المسعودي في « مروج الذهب » ما مثاله^١ : قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وقد أتى بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه يرقب أمره^٢ ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلقٍ ، وقال له : يا سفيان ، تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحم فيّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ إذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له المهدي : اسكت ويحك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بسعادتهم ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفع إليه ، فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ، فطُلبَ في كل بلد فلم يوجد . ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :

تحرّزَ سفيان وفَرَّ بدينه وأمسى شريك مرصداً للدّراهم

[وحكي عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني - وكان أحد السادة الأئمة الأكبر في الحفظ والدين - أنه قال : إنني لأحسب يُجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حُجّةً من الله على الخلق ، يقال لهم : لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام فلقد رأيتم^٣ سفيان الثوري ، ألا اقتديتم به ؟] ،^٤ ومولده في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين للهجرة . وتوفي

١ مروج الذهب ٣ : ٣٣٢ .

٢ ص : حاله .

٣ ه : أدركتم .

٤ ما بين معقنين لم يرد في المسودة و ص س م .

بالبصرة أول سنة إحدى وستين ومائة متوارياً من السلطان ، ودفن عشاء
رحمه الله تعالى ؛ ولم يُعقِب .

والتوري : بفتح التاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء ، هذه النسبة إلى ثور
ابن عبد مناة ، وثمّ ثوري آخر في بني تميم ، وثوري آخر بطن من همدان .
وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وستين ، والأول أصح .

٢٦٧

سفيان بن عيينة

أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، مولى امرأة من بني
هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل مولى بني
هاشم ، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم ، وقيل مولى مسعر بن كدام ؛ وأصله
من الكوفة ، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة ، ذكره ابن سعد في
« كتاب الطبقات » وعدّه في الطبقة الخامسة من أهل مكة^١ . كان إماماً عالماً
ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجماً على صحة حديثه وروايته ، وحج سبعين حجة .
روى عن الزهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر
وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرئ والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير
هؤلاء من أعيان العلماء ؛ وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد
ابن إسحاق وابن جريج والزهير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام
الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير ، رضي الله عنهم .

٢٦٧ - ترجمة سفيان بن عيينة في تاريخ بغداد ٩ : ١٧٤ وتذكرة الحفاظ : ٢٦٢ وحلية الأولياء

٧ : ٢٧٠ وصفة الصفوة ٢ : ١٣٠ ورجال ابن حبان ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١٧

وميزان الاعتدال ٢ : ١٧٠ والمقدّم الثمين ٤ : ٥٩١ .

١ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٤٩٧ .

ورأيت^١ في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى مَنْ جاءه يسمع منه وهو ضَجِيرٌ ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري ، وجالست عمرو^٢ بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنها ، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك ، حتى عدت جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حَدَّثْتُ في المجلس : أَتُنصِفُ يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا ؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس^٣ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَاَمْضَ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَّ بِجَمِّ فَاهِ بِلِجَامٍ

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدّث ، وكان ذلك الحدّث يحيى بن أكرم التميمي ، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء ، يعني السلطان -وسياّتي ذكر يحيى في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، وهو القاضي المشهور- . وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكفّ عن الفتيا منه .

[وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين . قال سفيان المذكور : كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفتي هؤلاء الصبيان ، ثم ينشد :

خَلَّتِ الدِّيارُ فَسَدَتْ غَيْرَ مَسْوَدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسَّوْدِ

قيل إنه في آخر سنة حج قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل

١ هذه الفقرة جميعها لم ترد في م .

٢ س ر والمسودة : عبيد ، وأثبتنا ما في ص .

٣ ديوان أبي نواس : ١٩٤ - ١٩٥ .

٤ سقط البيت من س ص والمسودة .

مرة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحيت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي في العام القابل^١ .

[وقال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك ؟ قال : أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه ؟]^٢ .

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق^٣ وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها ، وهو من أهل الكوفة .

وقال سفيان : دخلت^٤ الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار ، قال : فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته فقال لي : يا بني ، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث ، يضطرب في حفظ تلك الأحاديث .

ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة . وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة ، وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون ، رحمه الله تعالى .

وعيينة : بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثنتين من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة .

والحجون : بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعده الواو الساكنة نون ، جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها ، وله ذكر في الأشعار .

١ زيادة من ر ص .

٢ زيادة من د وحدها .

٣ ج : الكوفة . وفي م : فلما ولي الحجاج وطلب عمال خالد ؛ وهو خطأ عجيب .

٤ م : نزلت .

سكينة بنت الحسين

السيدة سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ؛ كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً ، وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام فولدت له قُرَيْنًا ، ثم تزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل ، وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا ، والطرة السكينية منسوبة إليها .

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم ، من ذلك ما يروى أنها وقفت على عُرْوَةَ بن أَدَيْنَةَ^١ - وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة - فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدتُ أوار الحب في كبدي أقبلتُ نحو سقاء الماء^٢ أبتردُ
هني بردتُ ببرد^٣ الماء ظاهره فمن نارٍ على الأحشاء تتقدُ

فقال لها : نعم ، فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبشمتها سِرِّي فبُحتُ به قد كنتَ عندي تحبُّ الستر فاسترِ

٢٦٨ - ترجمة السيدة سكينة وأخبارها في طبقات ابن سعد ٨ : ٤٧٥ ، ونسب قريش : ٥٩ وانظر الاغانى ١٦ : ١٧٠ ، ٩٣ : ١٧٠ ، ٣ صفحات متفرقة من (ج ٥) من أنساب الاشراف ؛ ولها أخبار في الكتب الأدبية العامة ؛ وهذه الترجمة مستوفاة بتامها في المسودة .

١ انظر الاغانى ١٨ : ٢٤٥ .

٢ ج د : القوم .

٣ هـ : تبردت برد .

أَلَسْتَ تَبْصِرَ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَّتِي هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
 فقال : نعم ، فالتفتت إلى جَوَارِي كُنَّ حَوْلَهَا وَقَالَتْ : هُنَّ حَرَائِرُ إِنْ كَانَ
 خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمِ قَطٍ .
 وكان لعروة المذكور أخ اسمه بكر فمات فرثاه عروة بقوله^١ :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النِّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فَتْرٍ
 أَرَأَيْتَ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرُضُ أَوْ عَلَى الْمَجْرَةِ يَجْرِي^٢
 لَهُمْ مَا أَزَالَ لَهُ قَرِينًا^٣ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَبْطَنَ حَرًّا جَمْرٍ
 عَلَى بَكَرٍ أَخِي ، فَارَقْتُ بَكَرًا^٤ وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلِحُ بَعْدَ بَكَرٍ؟

فلما سمعت سكينه هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوصف لها ،
 فقالت : أهو ذلك الأسيّد الذي كان يمر بنا ؟ قالوا : نعم ، قالت : لقد
 طاب بعده كل شيء حتى الخبز والزيت . وأسيّد : تصغير أسود .

ويحكى أن بعض المغنين غنى هذه الأبيات عند الوليد بن يزيد الأموي وهو
 في مجلس أنسه ، فقال للمغني : من يقول هذا الشعر ؟ فقال : عروة بن أذينة ،
 فقال الوليد : وأي العيش يصلح بعد بكر ؟ هذا العيش الذي نحن فيه ، والله
 لقد تحجّر واسمًا .

(45) وكان عروة المذكور^٥ كثير القناعة ، وله في ذلك أشعار سائرة ،
 وكان قد وفد من الحجاز على هشام بن عبد الملك بالشام في جماعة من الشعراء ،
 فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسنت القائل :

١ الاغاني ١٨ : ٢٥٠ .

٢ الاغاني : تعرض للجرة كيف يجري .

٣ الاغاني : ما أزال له مديماً .

٤ الاغاني و أ ج : ولي حميداً .

٥ أخبار عروة في الاغاني ١٨ : ٢٤٠ . وما بعدها والشعر والشعراء : ٤٨٣ والمؤتلف : ٥٤

والسمط : ٢٣٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٠٨ - ٤١٦ .

لقد علمتُ وما الإشراف^١ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمى له فيعنيني تطلبُبه^٢ ولو قعدت أتاني لا يُعنيني

وما أراك فعلت كما قلت ، فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ،
فقال : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالفت في الوعظ ، وأذكرت^٣ ما أنسانيه
الدهر ، وخرج من فوزه إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز ، فمكث
هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره ، وقال :
هذا رجل من قريش قال حكمة ووفد إليّ فجببته^٤ ورددته عن حاجته ، وهو
مع هذا شاعر لا آمن لسانه ، فلما أصبح سأله عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال :
لا جرّم ليعامن^٥ أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار ، وقال :
الحق بهذه عروة بن أذينة فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا وقد دخل بيته ،
فقرعت عليه الباب ، فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام
وقل له : كيف رأيت قولي ؟ سميت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه
الرزق . وهذه الحكاية وإن كانت دخيلة ليست مما نحن فيه لكن حديث عروة
ساقها .

ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج كحل الأندلسي^٦ في
معنى هذين البيتين ، وأحسن فيه :

مَثَلُ الرزقِ الذي تَطْلُبُهُ مثلُ الظلِّ الذي يمشي معك^٧
أنتَ لا تدركُهُ متبعاً فإذا وليتَ عنه تبعك^٨

وكان وفاة سكيننة بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة

١ ص ص ر : الإشراف ، وفي المسودة « معاً » أي بالسين والشين .

٢ ص : وأذكرتني .

٣ شاعر أندلسي من جزيرة شقر يقال إنه كان أميراً وكان يحفظ بزى أهل البادية وبينه وبين
شعراء عصره (كصفوان بن إدريس) مخاطبات (انظر الإحاطة ٢ : ٢٥٢ ونفع الطيب ٥ :
٥٠ وبرتامج الرعيني ٢٠٨ والمغرب ٢ : ٢٧٣ والروافي ٢ : ١٨١ والتكلمة : ٣٤٤) وبيتاه
في الإحاطة والنفع .

سبع عشرة ومائة ، رضي الله عنها ؛ وقيل اسمها آمنة ، وقيل أمينة ، وقيل أميمة ، وسكينة لقب لقبها به أمها الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي . وقال محمد بن السائب الكلبي النسابة : سألتني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن اسم سكينة ابنة الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فقلت : أميمة ، فقال : أصبت .

(46) وتوفي مرج كحل المذكور في سنة أربع وثلاثين وستائة ببلده - وهو جزيرة شقر بالأندلس - وكانت ولادته بها سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

٢٦٩

سليم الرازي

أبو الفتح سلّم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي الأديب ؛ كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة ، وصنف الكتب الكثيرة منها كتاب « الإشارة » وكتاب « غريب الحديث » ومنها « التقريب » وليس هو التقريب الذي ينقل عنه إمام الحرمين في « النهاية » والغزالي في « البسيط » و « الوسيط » فإن ذلك للقاسم بن القفال الشاشي ، وقد ذكره في الباب الثاني من كتاب الرهن في « الوسيط » .

وأخذ سلّم الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وأخذ عنه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

وقال سلّم^٢ : دخلت بغداد في حدّاثي لطلب علم اللغة ، فكنت آتي

١ ص : أربع وستين .

٢٦٩ - ترجمة سليم الرازي في انباه الرواة ٢ : ٦٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٩ وطبقات

السبكي ٣ : ١٦٨ . قلت : وقد وردت هذه الترجمة في المسودة كاملة .

٢ قارن بما عند القفطي : ٦٩ .

شيخاً هناك ، وذكره ، فبكرت في بعض الأيام إليه فقبل لي : هو في الحمام ، فمضيت نحوه ، فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يُملي ، فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة ، فوجدته في كتاب الصيام في مسألة إذا أُلج ثم أحس بالفجر فزِع ، فاستحسنت ذلك ، فعَلَّقت الدرس على ظهر جزء كان معي ، فلما عدت إلى منزلي وجعلت أعيد الدرس حلا لي ، وقلت : أتمُّ هذا الكتاب - يعني كتاب الصيام - فعلقته ، ولزمت الشيخ أبا حامد حتى علقت عنه جميع التعليقات .

وكان لا يخلو له وقت عن اشتغال ، حتى إنه كان إذا برى القلم قرأ القرآن أو سَبَّح ، وكذلك إذا كان ماراً في الطريق وغير ذلك من الأوقات التي لا يمكن الاشتغال فيها بعلم .

وسكن سَلِيم الشام بمدينة صور متصدياً لنشر العلم وإفادة الناس ، وكان يقول : وضَعْتُ مني صور ، ورفعت من أبي الحسن المحاملي بغداد . ثم إنّه غرق في بحر القلْزُوم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جُدَّة ، في سلخ صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان قد نَيَّفَ على ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى ؛ ودفن في جزيرة بقرب الجار عند المَخاضة في طريق عيداب .

والرازي : بفتح الراء وبعد الألف زاي ، هذه النسبة إلى الرّيّ ، وهي مدينة عظيمة من بلاد الديلم بين قومس والجبال ، وألقوا الزاي في النسبة إليها كما ألقوها في المروزي عند النسب إلى مَرَوَ ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

والجار : بفتح الجيم وبعد الألف راء ، وهي بليدة على الساحل ، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم وليلة ، وإليها ينسب القمع الجاري ، وذكر أبو القاسم الزنجشيري في « كتاب الأمكنة والجبال والمياه » في باب الشين أن الجار قرية على ساحل البحر ، بها ترسو مَطَايا القلزم ومطايا عيداب ومطايا بحر النعام .

وقال ابن حوقل في كتابه^٢ : « الجار فَرُضَة المدينة على ثلاث مراحل منها

١ لم أجد هذا في المادة المشار إليها من كتاب الزنجشيري .

٢ صورة الأرض : ٣٩ .

على البحر ، وجدّة فرضة مكة .

(47) وتوفي ولده أبو سعيد إبراهيم بن سلّيم يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بدمشق ، ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »^١ وقال : أخذ عن جماعة من جلة المشايخ وأخذوا عنه ، وكان صدوقاً ، رحمه الله تعالى .

٢٧٠

سليمان بن يسار

أبو أيوب - ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو عبد الله - سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدّم ذكر ثلاثة منهم . وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار ، وكان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة ؛ قال الحسن بن محمد : سليمان بن يسار عندنا أقهر من سعيد بن المسيب ، ولم يقل أعلم ولا أفقه . وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة ، رضي الله عنهم ، وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر . وكان المستفتى إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له : اذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلم من بقي اليوم . وقال قتادة : قدمت المدينة ، فسألت : من أعلم أهلها بالطلاق ؟ فقالوا : سليمان بن يسار .

وتوفي سنة سبع ومائة ، وقيل سنة مائة ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، والله أعلم ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

١ تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢١٤ .

٢٧٠ - ترجمة سليمان بن يسار في رجال ابن حبان : ٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٩١ وتهذيب التهذيب

٤ : ٢٢٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ ؛ وهذه الترجمة بتامها في المسودة .

الأعمش

أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً ، وكان أبوه من دُنْبَاوَنَدَ ، وقدم الكوفة وامراته حامل بالأعمش فولدته بها ؛ قال السمعاني : وهو لا يُعرف بهذه النسبة ، بل يُعرف بالكوفي ، وكان يقارن بالزهري^١ في الحجاز^٢ ، ورأى أنس ابن مالك - رضي الله عنه - وكلمه ، ولكنه لم يُرْزَقِ السماع عليه ، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس . ورأى أبا بكره الثقفى وأخذ بركابه فقال له : يا بني إنما أكرمت ربك . سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التيمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي^٣ ، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً ، ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم ، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء .

[وكان الأعمش يقول : إن كان بيننا وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ؛ قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : صدق ، هكذا كان ، وقد رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
وقال عيسى بن يونس : لم نر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش : ما رأيت الأغنياء والسلطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته .

٢٧١ - ترجمة الأعمش في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٤٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٣ وتذكرة الحفاظ :

١٥٤ وغاية النهاية ١ : ٣١٥ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

١ ص : يقارب الزهري .

٢ ج : الزهري بالحجاز .

٣ ورأى أبا بكره ... والنخعي : لم يرد في المسودة و ص س .

حدث محمد بن جرير ، قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى : اجمع الفقهاء ؛ قال : فجمعهم ، فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال : إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سيلنا ، فقال عيسى المذكور : قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا ؟ فقال : هذا سيدنا ، هذا الأعمش .

حدثنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له عن وكيع : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة فما رأيته يقضي ركعة .

وقال الأعمش : كنت آتي مجاهداً فيقول : لو كنت أطيق المشي لأتيتك . وجرى بينه وبين زوجته كلام ، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه ، فقال : يا أبا ليلى ، امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم ، فدخل عليها وكانت من أجل أهل الكوفة فقال : يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه ، فغضب الأعمش وقال : يا أعمى يا خبيث ، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ؛ أخرج من بيتي .

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش ، قال النخعي : وما عليك أن تؤجر ويأثموا ؟ فقال له الأعمش : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال : أيكما الأعمش ؟ فقال الأعمش : هذه ، وأشار إلى المرأة .

ودخل الحمام يوماً وجاء رجل حاسر ، فقال له الرجل : متى ذهب بصرك ؟ فقال : مذ بدت عورتك .

قال محمد بن حميد ، حدثنا جرير قال : جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر ، فجاء الأعمش

رجلٌ عليه سواد ، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال : قم فعبرني هذا الخليج ، وجذب يده وأقامه وركبه وقال : ﴿ سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (الزخرف : ١٣) فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال : ﴿ رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ (المؤمنون : ٢٩) ثم خرج وترك الأسود يجبط في الماء .

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلًا قال : كم غرضك تقيم في هذه البلدة ؟^١ . وكان لطيف الخلق مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم ، وقال : لولا أن في منزلي مَنْ هو أبفض إليّ منكم ما خرجت إليكم^٢ .

وقال له داود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلاة خلف الحائك ؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء ، فقال : ما تقول في شهادة الحائك ؟ فقال : تتقبل مع عدلين . ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه ، فطول القعود عنده ، فلما عزم على القيام قال له : ما كآني إلا ثقلت عليك ، فقال : والله إنك لتثقل عليّ وأنت في بيتك . وعاده أيضاً جماعة فاطالوا الجلوس عنده فضجر منهم ، فأخذ وسادته وقام وقال : شفى الله مريضكم بالعافية ؛ وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : « من نام عن قيام الليل بالشیطان في أذنه » فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني . وكانت له نوادر كثيرة .

[وقال^٣ أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساويء علي ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آتته بجوابك ، وتحملّ عليه بإخوانه^٤ ، فقالوا له : يا أبا محمد

١ زيادة من رد .

٢ بعد هذا الموضع ترد حكاية الأعمش وزوجه موجزة ، وقد وردت من قبل في المزيد من رد .

٣ هذه الفقرة بين معقفين لم ترد في م والمسودة .

٤ ص : بأصحابه .

افتدِه من القتل ، فلما ألحوا عليه كتب له « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد يا أمير المؤمنين ، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك ، ولو كانت لعليّ رضي الله عنه مساوىء أهل الأرض ما ضرتك ، فعليك بخويصة نفسك ، والسلام » [.
[وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه :

إنا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباقي بعد ميته ولا المعزى وإن عاش إلى حين]^١

ومولده سنة ستين للهجرة ، وقيل إنه ولد يوم مقتل الحسين رضي الله عنه ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وكان أبوه حاضراً مقتل الحسين ، وعدّه ابن قتبية في كتاب « المعارف »^٢ في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر .
وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

وقال زائدة بن قدامة : تبعت الأعمش يوماً ، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه ، ثم خرج منه وهو ينفضُ التراب عن رأسه ويقول :
واضيقَ مسكناه .

ودُنْبَاوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة ، وهي ناحية من رستاق الريّ في الجبال ، وبعضهم يقول « دماوند » والأول أصح ، وقد تقدم ذكرها قبل هذا .

١ زيادة من ص وحدهما .

٢ لم يرد هذا في فصل « من قصر به عن وقت الحمل » من الكتاب المذكور .

أبو داود السجستاني

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله ، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح ، طوّف البلاد وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزيريين ، وجمع كتاب « السنن » قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، فاستجاده واستحسنه ، وعدّه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »^١ من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، وقال إبراهيم الحربي لما صنف أبو داود كتاب « السنن » : أَلِدُنِ لِأَبِي دَاوُدَ الْحَدِيثُ كَمَا أَلِدُنِ لِدَاوُدِ الْحَدِيدِ .

وكان يقول : كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني « السنن » - جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمئة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » والثاني قوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » والثالث قوله « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » والرابع قوله « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات » الحديث بكامله .

وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقيل^٢ له : يا أبا داود ، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً ، قال : فرحّبَ به وأجلّسه ، فقال : يا أبا داود لي إليك

٢٧٢ - ترجمة أبي داود السجستاني في تاريخ بغداد ٩ : ٥٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٤
طبقات الحنابلة^١ : ١١٨ وتذكرة الحفاظ : ٥٩١ .
١ طبقات الشيرازي ، الورقة : ٥٠ .
٢ في المسودة : فقال .

حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : حتى تقول قضيتها مع الإمكان ، قال : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله ، قال : فأخرج له لسانه فقبله .

[وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق ، فقبل له : يرحمك الله ما هذا ؟ فقال : الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه . وكان يقول : الشهوة الخفية حب الرياسة . وكان في أيام حدائته وطلب الحديث جلس في مجلس بعض الرواة يكتب ، فدنا رجل إلى محبرته وقال له : أستمد من هذه المحبرة ؟ فالتفت إليه وقال : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان ؟ فسمي ذلك اليوم حكيماً^١ .

وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين ، وقدم بغداد مراراً ثم نزل إلى البصرة وسكنها ، وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

(48) وكان ولده أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان^٢ من أكابر الحفاظ ببغداد ، عالماً متفقاً عليه ، إمام ابن إمام ، وله كتاب « المصباح » وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام ، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز . وتوفي في سنة ست عشرة وثلاثمائة ، واحتج به بمن صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني .

والسجستاني : بكسر السين المهملة والجم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى سجستان ، الإقليم المشهور ، وقيل بل نسبته إلى سجستان أو سجستان ، قرية من قرى البصرة ، والله أعلم بذلك .

١ زيادة بعضها عن ص وجميعها عن د .

٢ ترجمة عبد الله بن أبي داود في تاريخ بغداد ٩ : ٦٤ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٣٣ ويروون أن أباه قال فيه : « ابني عبد الله كذاب » ؛ قال ابن عدي : « وأما كلام أبيه فيه فما أدري ايش تبين له منه . والاكثرون يجمعون على توثيقه » . قال صالح بن أحمد الحافظ : أبو بكر ابن أبي داود إمام العراق ، كان في وقته ببغداد مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ .

أبو موسى الحامض

أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض ؛ كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين ، أخذ النحو عن أبي العباس ثعلب ، وهو المقدم من أصحابه ، وجلس موضعه وخلفه بعد موته ، وصنف كتباً حسناً في الأدب ، وروى عنه أبو عمر الزاهد وأبو جعفر الأصبهاني المعروف ببرزويه غلام نبطويه . وكان دَيِّناً صالحاً ، وكان أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر ، وكان قد أخذ عن البصريين أيضاً ، وخلط النحويين ، وكان حسن الوراثة في الضبط ، وكان يتعصب على البصريين فيما أخذ عنهم في عربيتهم ، وله عدة تصانيف : فمنها كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « السبق والنضال » وكتاب « النبات » وكتاب « الوحوش » وكتاب في النحو مختصر ، وغير ذلك .

وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب التين ، رحمه الله تعالى .
 وإنما قيل له الحامض لأنه كانت له أخلاق شرسية ، فلقب الحامض لذلك ، ولما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري ، بخلاها أن تصير إلى أحد من أهل العلم .

٢٧٣ - ترجمة أبي موسى الحامض في معجم الأدباء ١١ : ٢٥٣ وانباء الرواة ٢ : ٢١ وبغية الوعاة : ٢٦٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٦١ (ومصادر أخرى في حاشية الانباه) . والترجمة مستوفاة في المسودة .

١ س : التين ، وموضعها بياض في ص ر .

أبو القاسم الطبراني

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيِّر اللخمي الطبراني ؛ كان حافظ عصره ، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية ، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسمع الكثير ، وعدَدُ شيوخه ألف شيخ ، وله المصنفات الممتعة النافعة الغريبة منها المعاجم الثلاثة : « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » وهي أشهر كتبه ، وروى عنه الحافظ أبو نعيم والخلق الكثير .

ومولده سنة ستين ومائتين بطبرية الشام ، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة ، وعمره تقديراً مائة سنة ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي في شوال ، والله أعلم ، ودفن إلى جانب حمة الدؤسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والطبراني : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى طبرية ، والطبري نسبة إلى طبرستان ، وقد تقدم ذلك .

واللخمي : بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى لخم ، واسمه مالك بن عدي ، وهو أخو جذام ، وقد تقدم القول في تسميتها بهذين الاسمين لِمَ كان .

ومُطَيِّر : تصغير مطر .

٢٧٤ - ترجمة الطبراني في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٠ والنجوم الزاهرة ٤ : ٥٩ وتذكرة الحفاظ : ٩١٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣١٥ ؛ وأول سماعه سنة ٢٧٣ بطبرية ورحل أولاً إلى القدس سنة ٢٧٤ ثم إلى قيسارية سنة ٢٧٥ ثم إلى حمص وجبله ومدائن الشام وحج ودخل اليمن وورد مصر ثم رحل إلى العراق وأصبهان وفارس . قلت : وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

أبو الوليد الباجي

أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التَّجِيبِيُّ المالكِي الأندلسي الباجي ؛ كان من علماء الأندلس وحفَّاظها ، سكن شرق الأندلس ورحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة أو نحوها ، فأقام بمكة مع أبي ذرّ الهَرَوِي ثلاثة أعوام وحج فيها أربع حجج ، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرّس الفقه ويقرأ الحديث ، ولقي بها سادة من العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المذهب » وأقام بالموصل مع أبي جعفر السَّمْنَانِي عاماً يدرس عليه الفقه ، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ، وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب ، وروى الخطيب أيضاً عنه ، قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه [يرثي ابنه ، وماتا مقترنين] :

لئن غُيِّبَا عن ناظري وتبوءَا فؤادي لقد زاد التباعد في القربِ
يقرّ بعيني أن أزور ثراهما وألصق مكنون الترائب بالترابِ [٢]

وروى الخطيب أيضاً عنه قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه ٣ :

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً بأنّ جميع حياتي كساعه

٢٧٥ - ترجمة أبي الوليد الباجي في الذخيرة (قسم ٣٨/٢ من مخطوطة بغداد) والقلائد : ١٨٨
والصلة : ١٩٧ وبغية اللتمس (رقم : ٧٧٧) والمغرب : ١ : ٤٠٤ والديباج المذهب : ١٢٠
والمرقبة العليا : ٩٥ ونفع الطيب : ٢ : ٦٧ (رقم : ٤٥) وتهذيب ابن عساكر : ٦ : ٢٤٨
ومعجم الأدباء : ١١ : ٢٤٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وشذرات الذهب : ٣ : ٣٣٤ .

١ انظر النفع : ٧٤ .

٢ زيادة ليست في المسودة .

٣ النفع : ٧٥ والروض المطار (باجة) .

فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَئِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

وصنف كتباً كثيرة منها كتاب «المنتقى» وكتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» وكتاب «التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح» وغير ذلك . وهو أحد أئمة المسلمين ، وكان يقول : سمعت أبا ذر عبد ابن أحمد الهروي يقول : لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة . وكان قد رجع إلى الأندلس وولي القضاء هناك ، وقد قيل إنه ولي قضاء حلب أيضاً ، والله أعلم . ومولده يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة بطليوس ، وتوفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة عشرة رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرباط على ضفة البحر ، وصلى عليه ابنه القاسم .

وأخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر صاحب «الاستيعاب» ، وبينه وبين أبي محمد ابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها . والباجي : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم ، هذه النسبة إلى باجة ، وهي مدينة بالأندلس^١ ، وثم باجة أخرى وهي مدينة بإفريقية ، وباجة أخرى ، قرية من قرى أصبهان . وبطليوس يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى . والمرية قد تقدم الكلام عليها .

١ باجة (Beja) من أقدم المداين الأندلسية ، نزل فيها جند مصر . وتقع اليوم في البرتغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

أبو أيوب المورياني

أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مغلداً - وقيل داود - المورياني الخوزي؛ كان وزير أبي جعفر المنصور، تولى وزارته بعد خالد بن برمك جد البرامكة وتمكن منه غاية التمكن، وسبب ذلك أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وكان المنصور قبلاً الخلافة ينوب عن سليمان المذكور في بعض كُؤَر فارس، فاتهمه بأنه احتجج^٢ المال لنفسه، فضربه بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال، فلما ولي الخلافة ضَرَبَ عنقه، وكان سليمان قد عزم على هتكه عقيب ضربه، فخلصه منه كاتبه أبو أيوب المذكور، فاعتدّها المنصور له واستوزره، ثم إنه فسدت نيته فيه ونسبته إلى أخذ الأموال، وهمّ أن يوقع به فتناول ذلك، فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالماً، فقيل إنه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحر فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور، فسار في العامة دهنُ أبي أيوب.

ومن مَلَح أمثاله أن خالد بن يزيد الأرقط قال: بينا أبو أيوب المذكور جالس في أمره ونهيه أتاه رسول المنصور فتغير لونه، فلما رجع تعجبنا من حالته، فضرب مثلاً لذلك وقال: زعموا أن البازي قال للديك: ما في الأرض حيوان أقل وفاء منك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أخذك أهلك بيضة فحَضَنوك، ثم خرجت على أيديهم وأطمموك في أكفهم ونشأت بينهم، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصوتت، وأخذت أنا مسنناً من الجبال، فعملوني وألقوا بي، ثم يخلصني فأخذ صيداً في الهواء

٢٧٦ - ترجمة أبي أيوب المورياني في الفخري: ١٥٧ والجيشياري: ٩٧ وما بعدها؛ وأخباره في

كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمسعودي... الخ.

١ في أصل المسودة: مجالد، وفوقها «مغلدا».

٢ ر: احتجز؛ س: اختزن.

وأجزيء به إلى صاحبي، فقال له الديك: إنك لو رأيت من البُرْاة في سَافيدم
المعدّة للشيء مثل الذي رأيت من الديوك لكنت أفقرَ مني، ولكنكم أنتم لو
علمتم ما أعلم لم تتعجبوا من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي .
ثم إنه أوقع به سنة ثلاث وخمسين ومائة، وعذبه وأخذ أمواله . ومات
سنة أربع وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى .

[وكان سبب ذلك ما حكاه المعافى بن زكريا في كتاب «الجلس والانس»
قال: كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من
الأزد بالموصل عن ضرٍ شديد أصابه، حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمدّ في
الحبل، أو فسل ذلك لأمرٍ خافه على نفسه، فتنكر وأكرى نفسه
في مدّادي السفن، فخطب هذه المرأة ورغبتا في نفسه ووعدها ومناها،
وأخبرها أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف، وأنها إن تزوجته سعدت،
ولم يزل يمنيها حتى أجابته، وأقام معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها
بما رزقه الله تعالى؛ ثم اشتمت على حمل فقال لها: أيتها المرأة، هذه رقعة
مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك، فإن ولدت ابناً فسميه
جعفراً وكنيته أبا عبد الله، وإن ولدت بنتاً فسميها فلانة، وأنا عبد الله بن
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فاستري أمري فإننا قوم
مطلوبون، والسلطان إلينا سريع، وودّعها وخرج؛ ففضي أنها ولدت ذكراً،
فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها، وسمته جعفراً، وضرب الدهر على ذلك،
ما تسمع له خبراً، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمه، وكان كيتساً ذهنياً
لقناً. واستخلف أبو العباس، فقيل للمرأة: إن كنتِ صادقة في رقعتك وكان
من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين. قالت: ما أدري، صفوا لي
صفة هذا الخليفة، قالوا: غلام حين بقل وجهه، قالت: ليس هو هو، [قالوا]:
فاستري أمرك، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحكم عندها اليأس، وأقبل
ابنها على الأدب فتأدّب وكتب ونزعت به همة إلى بغداد فدخل ديوان أبي
أيوب كاتب المنصور وانقطع إلى بعض أهله فأتى عليه زمان يتقوت بالكسب
ويزيد في أدبه وفهمه وخطه حتى صار يكتب بين يدي أبي أيوب، إلى أن تها

أن خرج خادم يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور ، فقال أبو أيوب للغلام : خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، فدخل الغلام فكتب ، وكان يتهاى من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله ، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه ، فكتب زماناً واستراح أبو أيوب إلى مكانه ، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلاً ، وبرّ الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها على أمير المؤمنين ؛ ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً : ما اسمك ؟ قال : جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت متحيراً ، قال : ابن من ويحك ؟ قال : ابن عبد الله ، قال : وأين أبوك ؟ قال : لم أره ولم أعرفه ، ولكنّ أُمِّي أخبرتني أن أبي شريف وأنّ عندها رقعة بخطه فيها نسبه : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور فقال : وأين أمك ؟ قال : في موضع كذا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، هو إمام مسجد محلّتنا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، خياط في مسجدنا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم في سكتنا ، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له وجزع وتدمع ، فأدركت أبا جعفر الرقعة عليه ، فلم يتالك أن قال : فلانة بنت فلانة من هي منك ؟ قال : أُمِّي ، قال : فلانة ؟ قال : خالتي ، قال : فلان ؟ قال : خالي ، فضمه إليه وبكى ، وقال : يا غلام لا تعلمنّ أبا أيوب ولا أحداً ما دار بيني وبينك ، انظر انظر ، احذر احذر ، فنهض الغلام وخرج ، فقال له أبو أيوب : لقد احتبست عند أمير المؤمنين ، قال : كتبت كتباً كثيرة أملاها عليّ ، قال : فأين هي ؟ قال : جعلها نسخاً يردد فيها نظره حتى يحكمها ، ثم خرج إلى الديوان .

ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب : هذا الغلام الذي يكتب بين يديّ استوص به ، فاتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ، ثم لم يلبث أن سأله مرة بعد مرة ، فقذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام وأنه يقوم مقامه إن فقدته أبو جعفر ، وأبو جعفر يزداد ولهاً إلى الغلام ويحن به جنوناً وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلا أمرٌ يريد الله ، فلما رأى أبو أيوب ذلك احتبسه عنده عناداً ، ثم قال المنصور

للخادم : اخرج إلى الديوان فجنني بفلان ، فإن بعث معك بغيره فقل : أمرني أمير المؤمنين لا يدخل عليه غيره ، ففعل الخادم ذلك ، واستحکم في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثه به نفسه ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخاف على نفسي ، فقال له أبو جعفر : يا بني قد حاك [ذلك] في صدري ، فإذا كان الغد فتعرض لأن يغلظ لك فإذا أغلظ فقم وانصرف كأنك مغضب ولا تعد إلى الديوان ، واجعل وجهك إلى أمك وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل في موضع كذا فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك ، فلا تطلعن أحداً من الخلق على ما معك وامض بهذا المال وهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان ؛ ثم قال للخادم : أخرجه من باب كذا وكذا ، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور ، ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا يخفى ذلك عليه وظهر الفرح في وجهه وشمائله ، فقال أبو أيوب : أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به ، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكري ما سره ، فاستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه ، ثم لم ينشب أن أغلظ له فقال الغلام : أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخفني بي فكأنني قد ثقلت عليك فأتحنى عنك قبل أن تطردني ، ثم قام وانصرف فافتقده أبو أيوب أياماً ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره فأرسل من يسأل عنه في الموضوع الذي كان نازلاً به ، فقبل له إنه قد تهيأ وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل ، فقال أبو أيوب في نفسه : ومن أين له ما يتجهز به ، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به لهذا الأمر ؟ وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له : قد كان أبو جعفر وصله بال ووهب له شيئاً ، فقال في نفسه : هذا الذي ظننت ، وقد نصبه مكاني ، ويجوز أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيسلم عليهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني ، فقال لرجل من أصحابه : اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية برّاً وبحراً فإذا عرفت موضعه فاقتله وجنني

بما معه ، فشخص .

وإن الغلام لما خرج من بغداد رأى أنه قد أمن في مسيره ، وكان يقيم في
الموضع الذي يستطيه اليوم واليومين والأكثر والأقل ، فلحقه رسول أبي أيوب
وعرفه فباتا في قرية فقام الرسول إليه فحنقه وطرحه في بئر وأخذ خرج
وخرائط كانت معه وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب فسلم ذلك إليه وشرح
له الخبر ، ففتش أبو أيوب متاعه فإذا المال والعقد فعرفه ، وإذا كتاب المنصور
بخطه إلى أمه ، فوجم أبو أيوب وندم ، وعلم أنه قد عجل وأخطأ وأن الخبر
لم يكن كما ظن ، وعزم على الخلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره .

وأبطأ خبر الغلام واستبطأه في الوقت الذي ضربه له فدعا خادماً من ثقافته
ورجلاً من خاصته وقال لهما : استقريا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية
وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلتم اقصدوا موضع كذا من الموصل فاسألا عن
فلانة - ووصف لهما كل ما أراد - ففعلا ، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب
فيه الغلام أعلما خبره ، وذكرنا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ، ثم مضيا
إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد الخلق ولها على ابنها وحاجتها إلى علم
خبره ، فأطلعاها على حاله وأمرها أن تستر نفسها ، ولم ترد الدنيا بعده ،
فكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه ؛ وأجمع أبو جعفر على الإيقاع
بأبي أيوب عند ذلك واستصفى أمواله وأموال أهل بيته ثم قتلهم جميعاً وأباد
خضراءهم ، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه وقال : ذلك قاتل حبيبي [١] .

والمُورِيَانِي : بضم الميم وسكون الواو وكسر الراء وفتح الياء المثناة من
تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى مُورِيَانٍ ، وهي قرية من قرى
الأهواز ، ذكره ابن نقطة ، من أعمال خوزستان .

والمُورِيَانِي نسبة إلى خُوزِستَان - بضم الخاء الموحدة وسكون الواو
وكسر الزاي وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف
نون - وهي بلاد بين البصرة وفارس ، وقيل إنما قيل له الخوزي لشجته ،
وقيل لأنه كان ينزل شُعب الخوز بمكة .

١ زيادة من ص رد .

سليمان بن وهب

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال، وكان فنال كاتباً ليزيد بن أبي سفيان لما ولي الشام ثم لمعاوية بعده، ووصله معاوية بولده يزيد، وفي أيامه مات، واستكتب يزيد ابنه قيساً، ثم كتب قيس لمروان ابن الحكم ثم لولده عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك، وفي أيامه مات، واستكتب هشام ابنه الحصين، ثم استكتبه مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية، ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة؛ ولما خرج يزيد إلى أبي جعفر المنصور أخذ للحصين أماناً، فخدم المنصور ثم المهدي، وتوفي في أيامه في طريق الري، فاستكتب المهدي ابنه عمراً، ثم كتب لخالد بن برمك، ثم توفي وخلف سعيداً، فما زال في خدمة آل برمك، وتحول ولده وهب إلى جعفر بن يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل، وقال ذو الرياستين في حقه: عجبت لمن معه وهب كيف لا تمه نفسه، ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده وقلده كرمان وفارس فأصلح حالهما، ثم وجه به إلى المأمون برسالة من فم الصلح، ففرق في طريقه بين بغداد وفم الصلح.

وكتب سليمان المذكور للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهدي بالله ثم للمعتد على الله، وله ديوان رسائل. وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وولي ديوان الرسائل، وكان أيضاً شاعراً بليغاً مترسلاً فصيحاً، وله ديوان رسائل أيضاً.

٢٧٧ - أخبار سليمان بن وهب في النجوم ٣ : ٣٧ وأخبار أبي تمام : ١٠٤ والاغاني ٢٣ : ٣ وله أخبار في كتب الأدب العامة ودواوين شعراء الفترة التي عاش فيها، (وترجمة الحسن في الاغاني ٢٢ : ٥٣٣).

وكان^١ هو وأخوه الحسن من أعيان عصرهما - وقد تقدم ذكر الحسن في حرف الحاء في ترجمة أبي تمام الطائي ، وأنه هو الذي ولاه بريد الموصل - ولما مات أبو تمام رثاه الحسن بما ذكرته ثم لم أظفر بتاريخ وفاته حتى أفرد له ترجمة ، وقد تقدم في خطبة هذا الكتاب أن مبناه على الوفيات وأن الذي أذكره من بعض أحوال مَنْ أذكره لم يكن إلا للإمتاع والتفكه لا غير ، لا أنه مقصود في نفسه .

وقد مدح هذين الأخوين خلق كثير من أعيان الشعراء مثل أبي تمام الطائي والبحثري ومَنْ في طبقتها . ومن محاسن قول أبي تمام في سليمان المذكور من جملة قصيدة^٢ :

كل شِعْبٍ كنتم به آلَ وَهَبٍ فَهَوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كلِّ أديبٍ
إن قَلْبِي لكم لكالكَبَدِ الحَرِّ يَ وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كالقَلُوبِ

وسمع هذين البيتين بعض الأفاضل فقال : لو كنا في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أليق ، فما يستحق هذا القول إلا هم ، رضي الله عنهم .
[وكان يقول : اني أغار على أصدقائي كما أغار على حرمي . ونظر يوماً في المرأة فرأى شيباً كثيراً فقال : عيبٌ لا عدمناه . وكان الحسن بن وهب لا يصحو من الشراب فقال له أخوه سليمان - وقد رآه لا يشرب ذات يوم - : أراك عازقاً ، قال : نعم ولذلك لا أعدّه من عمري ، وأنشد بديهاً :

إذا كان يومي غيرَ يومٍ مُدَامَةٍ ولا يوم قيناتٍ فما هو من عمري
وإن كان معموراً بعودٍ وقهوةٍ فذلك مسروق لعمري من الدهر^٣

وكانت وفاة سليمان المذكور في سنة اثنتين وسبعين ومائتين يوم الأحد

١ من هنا تبدأ الترجمة في س ؛ وأكثر ما تقدم مکتوب في هامش المسودة ، وقد سقطت أجزاء منه من ر م ص على التوالي .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٣١ - ١٣٢ .

٣ زيادة من د وحدها .

منتصف صفر في الحبس ، وقيل توفي سنة إحدى وسبعين . وقال الطبري في تاريخه : إنه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس الموفق طلحة والد المعتضد ، رحمه الله تعالى .

وللبحتري في سليمان بن وهب :

كَأَنَّ آرَاءَهُ وَالْحَزْمُ يَتَّبَعُهَا تَرِيهِ كُلَّ خَفِيٍّ وَهُوَ إِعْلَانُ
مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ فَالْقَلْبُ يَكْلُوهُ وَإِنْ تَنَمَّ عَيْنُهُ فَالْقَلْبُ يَقْطَانُ

وهذا المعنى قد استعمله الشعراء كثيراً ، فقال أوس بن حجر التميمي أحد شعراء الجاهلية^١ :

الْأَلْمِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وقال آخر :

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنما تخاطبه من كلِّ أمرٍ عواقبُهُ
وقال آخر^٢ :

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنما يرى بصوابِ الظنِّ ما هو واقعُ
وقال آخر :

علمٌ بأخبارِ الخطوبِ بيظنه كأنَّ له في اليومِ عيناً على غدٍ
وقال آخر :

كأنك مُطلعٌ في القلوبِ إذا ما تناجَتْ بأسرارِها
وهو باب متسع لا حاجة إلى الاطالة فيه .

١ ديوان أوس : ٥٣ .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م .

[وَتَنَقَّلَ سُلَيْمَانَ فِي الدَّوَابِّ الْكِبَارِ وَالْوِزَارَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَوَفَّى مَقْبُوضًا عَلَيْهِ .

وحكي أن سليمان بلغه أن الواثق نظر إلى أحمد بن الحصب الكاتب فأنشد:

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دِينِي عَلَيْهَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدَّ قَضِيَانِي
خَلِيلِيَّ أَمَا أُمَّ عَمْرُو فَإِنَّهَا وَأَمَا عَنِ الْآخِرَى فَلَا تُسَلِّانِي

فقال : إنا لله أحمد بن الحصب أم عمرو ، وأما الأخرى فأنا ، وكذلك كان ، فإنه نكبهما بعد أيام . ولما تولى سليمان بن وهب الوزارة - وقيل لما تولاها ابنه عبيدالله بن سليمان - كتب إليه عبيدالله بن عبد الله بن طاهر الآتي ذكره :

أَبَى دَهْرَنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا فَاسْعَفْنَا فِيمَنْ نَحَبُّ وَنُعْظَمُ
فَقُلْتُ لَهُ نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنَّ الْمَهْمَ الْمَقْدَمُ^١

٢٧٨

سليمان بن حرب

أبو أيوب سليمان بن حرب بن يحيى الأزدي^٢ الواشجي البصري ؛ سمع شعبة وجريير بن حازم والحمدان ومبارك^٣ بن فضالة وسعيد بن زيد بن درهم والبصري بن

١ ما بين مقفين انفردت به ر .

٢٧٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٣٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ١٧٨ والمعارف : ٥٢٦ وتذكرة الحفاظ : ٣٩٣ ؛ وهذه الترجمة تتابع ما ورد في تاريخ بغداد ؛ ولم ترد في م س والمسودة وإنما وردت في ص ر .

٢ ر : الأسدي .

٣ ر : ومالك .

يحيى ويزيد بن ابراهيم التستري ؛ وروى عنه يحيى بن سعيد القطان واحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وغيرهم .

قدم بغداد وحدث بها ، وولي قضاء مكة .

ذكره أبو حاتم الرازي فقال : إمام من الأئمة ، كان لا يدلس ؛ وقال : ظهر حديثه نحو عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتاباً قط ، ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل . وكان مجلسه عند قصر المأمون فبنى له شبه منبراً ، فصعد سليمان ، وحضر جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره^٢ وقد فتح باب القصر وقد أرسل ستراً وهو خلفه يكتب ما يبلي .

وقال يحيى بن اكرم : قال لي المأمون : من تركت بالبصرة ؟ فوصفت له مشايخ منهم سليمان بن حرب وقلت : هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية السر والسياسة ، فأمرني بحمله إليه ، فكتبت إليه في ذلك فقدم . فاتفق أني أدخلته إليه وفي المجلس ابن أبي دواد وثمامة وأشباههما ، فكرهت أن يدخل مثله بحضرتهم ، فلما دخل سلم ، فأجابه المأمون ، ودعا له سليمان بالعز والتوفيق ، فقال ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، نسأل الشيخ عن مسألة ؟ فنظر إليه المأمون نظرة تخيير له ، فقال سليمان : يا أمير المؤمنين ، حدثنا حماد ابن زيد قال : قال رجل لابن شبرمة : أسألك ؟ قال : إن كانت مسألتك لا تضحك الجلوس ولا تزري بالسؤال فسل ؛ وحدثنا وهيب بن خالد قال : قال إياس بن معاوية : من المسائل ما لا ينبغي للسائل^٣ ان يسأل عنها ولا للمجيب^٤ ان يجيب فيها ؛ فان كانت مسألة من غير هذا فليسأل ، وان كانت من هذا فليمسك ؛ قال : فهاووه فما نظر أحد منهم إليه حتى قام ، وولاه قضاء مكة فخرج إليها .

١ ر : فبنى له الطاهر سدة سنبة .

٢ فوق قصره : سقطت من ر .

٣ للسائل : سقطت من ر .

٤ ص : السؤال .

قال الخطيب : وكانت ولايته مكة^١ في سنة أربع عشرة ، فلم يزل على ذلك^٢ إلى ان عزل سنة تسع عشرة ومائتين . وولد سنة اربعين ومائة في صفر وتوفي بالبصرة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

٢٧٩

سليمان بن عبد الملك

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة أم أخيه الوليد ؛ بويح له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وتوفي بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة ، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام . وكان الناس يتبركون به ويسمونهُ مفتاح الخير ، وذلك أنه أذهب عنهم سنة الحجاج وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فكان يقال : فتح بخير وختم بخير .

وكان قد أعزى أخاه مسلمة الصائفة حتى بلغ القسطنطينية ، فأقام بها حتى هلك سليمان ؛ وقيل إن سليمان لما وجه أخاه لفتح القسطنطينية أمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره ، فسار إليها مسلمة^٣ ، فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مُدّين من الطعام حتى يأتي به قسطنطينية ،

١ فخرج ... مكة : سقط من ص .

٢ ر : فلم يزل قاضياً .

٢٧٩ - أخباره في المصادر التاريخية المشهورة فلا داعي لاثباتها ؛ ولم ترد الترجمة في م س ر والمسودة وإنما انفردت بها ص وهي خارجة على القاعدة التي بينها المؤلف في المقدمة .

٣ قارن هذا الخبر بما في العيون والحداثق : ٢٧ وما بعدها .

ففعّلوا ذلك ، وألقى ذلك الطعام مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، وأقام بأرضهم وشتا وصيف وزرع ، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ؛ فأقام مسلمة على قسطنطينية قاهراً لأهلها ومعه وجوه أهل الشام ، ومات ملك الروم ومسلمة نازل عليها ، فكتب الروم إلى اليون صاحب أرمينية ، فسار اليون من أرمينية ومكر في طريقه بمسلمة ووعدّه أن يسلم إليه قسطنطينية . وكانت الروم قد أرسلوا إلى اليون : إن صرفت عنا مسلمة ملككناك ، فلما أتى اليون مسلمة قال له : إنك لا تصدقهم القتال ولا تزال تطاولهم ما دام هذا الطعام عندك وقد أحسّوا بذلك منك ، فلو أحرقت الطعام أعطوا ما بأيديهم ، فأحرقه مسلمة ، ووجه مع اليون من شيعته حتى دخل القسطنطينية ، فلما دخلها ملكه الروم عليهم ، فأرسل إلى مسلمة يخبره بما جرى من أمره ويسأله أن يأذن له أن يدخل من الطعام ، من النواحي ، ما يعيش به القوم حتى يصدقوه بأن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم في أمان من الشتات والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة واحدة في حمل الطعام . وهياً اليون السفن والرجال ، فأذن له مسلمة ، فحمل جميع ما في تلك النواحي من الغلة في ليلة واحدة ، وأفرج اليون وأصبح محارباً لمسلمة ، وظهرت هذه الخديعة التي لا تتم على النساء ، وأقام المسلمون في قلة الميرة ، وحصلت الميرة جميعها عند الروم ، ولقي المسلمون من الشدة ما لم يلق أحد قط حتى إن الرجل كان يخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والعروق والورق وكلّ شيء حتى الروث ، هذا وسليمان مقيم بدابق ، فدهمهم الشتاء ولم يقدر أن يمدّم ، حتى هلك سليمان .

قيل إنه خرج من الحمام يريد الصلاة ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه فقال : أنا الخليفة الشاب ، فلقبته إحدى حظاياها ، فقال : كيف ترينني ؟ فتمثلت :

ليس فيما بدا لنا فيك عيبٌ عابه الناسُ غير أنك فانِ
أنت نعم المتاعُ لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسانِ

ورجع فحمّ ، فما بات تلك الليلة إلا ميتاً .

وكان عاقلاً دينا متوقفاً عن الدماء ، ويقال إنه كان شرهاً نكاحاً ، يأكل في كل يوم نحو مائة رطل ، وكان به عرج .

وحج بالناس سنة سبع وتسعين فمرّ على المدينة وهو يريد مكة فقال : أهاهنا أحد يذكّرنا ؟ فقيل له : أبو حازم ، فأرسل إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما عرفني قبل ولا أنا رأيتك ، فالتفت سليمان إلى محمد ابن شهاب وقال : أصاب الشيخ وأخطأت أنا ؛ فقال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل غداً ؟ قال : أما المحسن فكالفائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاة ، فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما أنا عند الله ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، اعرض عملك على كتاب الله عز وجل ، قال : وأين أجده ؟ قال : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ (الأعراف : ٥٦) ، قال : يا أبا حازم ، فأبي عباد الله أفضل ؟ قال : أولو المروءة والتقى ، قال : فأبي الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأبي الدعاء أسمع ؟ قال : دعوة المحسن للمحسن ، قال : فأبي الصدقة أزكى ؟ قال : صدقة السائل البائس وجهد من مقلّ ليس فيها من ولا أذى ؛ قال : فأبي القول أعدل ؟ قال : قول الحق عند من يخافه أو يرجوه ؛ قال فأبي الناس أحق ؟ قال : رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره ؛ قال : صدقت ، فما الذي تقول فيما نحن فيه ؟ قال : يا أمير المؤمنين أو تعفيني من ذلك ؟ قال : لا ، ولكن نصيحة تلقىها إليّ ؛ قال : إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة وارتحلوا عنها ، فلو سمعت ما قالوا وما قيل لهم ؛ ففشي على سليمان ، فقال رجل من جلسائه : بشس ما قلت يا أبا حازم ! قال أبو حازم :

١ هذا النص موافق في معظمه لما في الامامة والسياسة ٢ : ٨٨ وقارن بما في العقد ٣ : ١٦٣ .

كذبت يا عدو الله ، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننّته للناس ولا يكتُمونه ، فأفاق سليمان فقال : يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح للناس ؟ قال : تدع الصلف وتستمسك بالمرؤة وتقسم بالسوية ، قال سليمان : كيف المأخذ به ؟ قال : أن تأخذ المال من حله وتضعه في أهله ، قال سليمان : هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعود بالله يا أمير المؤمنين ! قال : ولم ؟ قال : أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ، قال : يا أبا حازم ارفع إليّ حوائجك ، قال : تنجيني من النار وتدخلي الجنة ، قال : ليس ذلك إليّ ، قال : فلا حاجة لي غيرها ، قال : فادع لي الله يا أبا حازم ، قال : اللهم إن كان سليمان وليك فيستره بخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى ، قال سليمان : زدني ، قال : يا أمير المؤمنين قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله ، وإن لم تكن من أهله فما ينبغي لي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر ، قال : أوصني يا أبا حازم ، قال : سأوصيك وأوجز : عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك ، ثم قام ، فبعث إليه سليمان بمائة دينار وكتب إليه ان أنفقها ولك مثلها كثير ، فردها عليه وكتب إليه : يا أمير المؤمنين أعود بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردّي عليك باطلاً ، فوالله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟ يا أمير المؤمنين إن كانت هذه المائة عوضاً لما حدثتك فالمئة ولحم الخنزير في حل الاضطراب أحلٌ من هذه ، وإن كانت هذه حقاً لي في بيت المال فلي فيها نظر ، فإن سويت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها ؛ قال له جلساؤه : يا أمير المؤمنين أيسرك أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال : لا والله ، قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل ما داموا على الهدى والرشد كان أمراؤهم يأتون علماءهم رغبة فيما عندهم ، [فلما رثي قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء] يريدون به الدنيا [استغنت الأمراء عن العلماء] فتعسوا ونكسوا وسقطوا من عين الله عز وجل ، ولو ان علماءهم زهدوا فيما عند الأمراء لرغب الأمراء في علمهم ، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا في أعينهم ، فقال الزهري : إياي تعني وتعرض بي ؟ فقال أبو حازم : لا والله ما تعمدتك ولكن

هو ما تسمع ؛ قال سليمان للزهري : هل تعرفه ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته ، قال أبو حازم : أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم تحب الله فنسيتني ، فقال الزهري : يا أبا حازم تشمتني ! قال : لا ، ولكنك شتمت نفسك ، أما علمت أن للجار حقاً كالقربة ؟
جاء سليمان يوماً إلى طاوس فلم ينظر إليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردت أن يعلم أن الله رجلاً يزهدون فيما لديه .

وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر ، فقال سليمان : هل علينا عين ؟ فقال عمر : نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق ، وسمعٌ نافذ لا يحتاج إلى إصغاء .
حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب : كل ما بين يديك ، فقال الأعرابي : من أجذب انتجع ، فشق ذلك على سليمان وقال له : لا تعد إلينا ؛ ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجب : كل ما يليك ، فقال : من أخصب تخير ، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

وحكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كنت نديماً لسليمان بن عبد الملك ، وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابياً وله دين ، فلو أذنت له فسمعت كلامه ، قال : نعم ، يا غلام ، إيذن للأعرابي ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يجب إن قلته ، فقال له : يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيباً والناصح جيباً فهات ، فقال الأعرابي : أما إذ أمنت بادرة غضبك فإني مطلقٌ لساني بما خرست به الألسن بإذنه ، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين ، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بأخرتهم ورضاك بسخط الله ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه فانهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفاً وعسفاً وأنت مسؤولٌ عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تقصد آخرتك بدنيا غيرك ، فإن المغبون كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك ، فقيل

له : سلّ أمير المؤمنين حاجة ، قال : ما آخذ خاصاً دون عامّ ، ثم خرج .
ظلم عامل لسليمان رجلاً فقال : يا أمير المؤمنين إني أحذرك يوم الأذان ،
قال : وما يوم الأذان؟ قال : قوله تعالى ﴿ فَأَذِنَ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٤٤) قال : لا جرم لا أبرح أو تصل إلى حقلك .

وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري ، فلما أدخل عليه قال : يا
أمير المؤمنين إن القدرة تُذهب الحفيظة وإنك تجل عن العقوبة ، فإن تعف
فأهل لذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا ، فعفا عنه .

احتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكراً بعد أن ولي الخلافة
فقعد في السباط ، وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه
لأنه كان ممن دعا إلى خلع سليمان والبيعة لعبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين
كن كنيي الله أيوب عليه السلام ، ابتلي فصبر وأُعطي فشكر وقدر فغفر ، قال :
ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد ، فعفا عنه .

كان سليمان قد طلب يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فلما دخل عليه مكبلاً
بالحديد ازدراه وقال : لعن الله رجلاً رفعك ووجهك في أمره ، فقال له :
رأيتني والأمرعني مدبر وعليك مقبل ، ولو رأيتني والأمر مقبل علي لاستعظمت
مني ما استصغرت ولا استجلت مني ما استحققت ، قال : صدقت ، اجلس لا أم
لك ، فلما جلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به ،
أتراه يهوي بعد في جهنم أو قد استقر فيها؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا
للحجاج فإنه بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم وأخاف عدوكم ،
وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك حيث شئت ؛ فصاح سليمان :
اخرج عني إلى لعنة الله .

بينما سليمان بن عبد الملك في مجلسه مرّ به رجل عليه ثياب يختال في مشيه ،
وكان العلاء بن كدير حاضراً فقال : ما ينبغي أن يكون إلا كوفياً وينبغي أن
يكون من همدان ، ثم قال : عليّ بالرجل ، فأتي به فقال : ممن الرجل؟ فقال :
ويلك دعني حتى ترتد اليّ نفسي ، فتركه هنيهة ثم قال له : ممن الرجل؟ فقال : من
أهل العراق ، قال : من أيهم؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من أي أهل

الكوفة؟ قال : من همدان ، فازداد عجباً ، قال : ما تقول في أبي بكر؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهري ، ولقد قال الناس فيه وأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك ، قال : فما تقول في عمر؟ فقال مثل ذلك ، فقال : ما تقول في عثمان؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهري ، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه ، قال : فما تقول في علي؟ فقال مثل ذلك ، قال : سبّ عليّاً ، قال : لا أسبه ، قال : والله لتسبنه أو لأضربنّ عنقك ، فقال : والله لا أسبه ، فأمر بضرب عنقه ، فقام رجل بيده سيف فهزّه حتى أضاء في يده كأنه خوصة وقال : لتسبنته أو لأضربنّ عنقك ، قال : والله لا أسبه ، ثم نادى : ويلك يا سليمان أدني منك ، فدعا به فقال : يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟ قال : وما ذلك؟ قال : الله تعالى رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شرّ من علي ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (المائدة : ١١٨) قال فنظرت إلى الغضب يتحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته ثم قال : خلّيا سيبله ، فعماد إلى مشيته فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مطرف .

قال سليمان لعديّ بن الرقاع : أنشدني قولك في الحمرة ، فأنشده :

كملت إذا شُجّت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين ديبب
تُريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قُطوب

فقال سليمان : شربتها ورب الكعبة ! فقال عديّ : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها لقد رابني معرفتك بها ، فتضحكا وأخذوا في الحديث .

وكان سليمان هرب من الطاعون ، فقيل له : إن الله عز وجل يقول ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلاً ﴾ (الأحزاب : ١٦) قال : ذلك القليل اطلب .

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وبين ابن لسليمان بن عبد الملك كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ويصفه فقال له ابن سليمان : إن شئت فأكثر أو فأقل ،

ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي ، لأن سليمان هو الذي ولّى عمر بن عبد العزيز .

٢٨٠

السلطان سنجر السلجوقي

أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ؛ سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر ، وخطب له بالمراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين ، وضربت السكة باسمه في الخافقين ، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين .

كان من أعظم الملوك همة ، وأكثرهم عطاء ، ذكر عنه أنه اصطحب خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب ، فبلغ ما وهبه من العين سبعمائة ألف دينار ، غير ما أنعم به من الخيل والحلج والأثاث وغير ذلك .

وقال خازنه : اجتمع في خزائنه من الأموال ما لم أسمع أنه اجتمع في خزائن أحد من الملوك الأكاسرة ، وقلت له يوماً : حصل في خزائنك ألف ثوب ديباج أطلس وأحب أن تبصرها ، فكت ، وظننت أنه رضي بذلك ، فأبرزت جميعها ، وقلت : أما تنظر إلى مالك ؟ أما تحمد الله تعالى على ما اعطاك وأنعم عليك ؟ فحمد الله تعالى ، ثم قال : يقبح بمثلي أن يقال : مال إلى المال ، وأمر للأمراء بالإذن في الدخول فدخلوا عليه ، ففرق عليهم الثياب الطلّس وانصرفوا . واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلاً ، ولم يُسمع عند أحد

٢٨٠ - أخبار سنجر بن ملكشاه في ج ١١ ، ١٢ من تاريخ ابن الأثير ، وصفحات متفرقة من تاريخ الملوك السلجوقية وراحة الصدور للراوندي ، والترجمة هنا مطابقة لما في المسودة .

١ س ر : خزائنه .

من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ، ولم يزل أمره في ازدياد وسعادته في الترتي إلى أن ظهرت عليه الأغز^١ - وهم طائفة من الترك - في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وهي واقعة مشهورة استشهد فيها الفقيه محمد بن يحيى - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكسروه وانحل نظام ملكه ، وملكوا نيسابور وقتلوا فيها خلقاً لا يحصى عدده ، وأسروا السلطان سنجر ، وأقام في أسرهم مقدار خمس سنين ، وتغلب خوارزم شاه على مدينة مرو ، وتفرقت مملكة خراسان .

ثم إن سنجر أفلت من الأسر وعاد إلى خراسان [وجُمع إليه أطرافه بمر ، وكاد يعود إلى ملكه ، فأدرکه أجله] ٢ .

وكانت ولادته يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة بظاهر مدينة سنجان ، ولذلك سمي سنجر ، فان والده السلطان ملكشاه لما اجتاز بديار ربيعة ونزل على سنجان جاءه هذا الولد ، فقالوا : ما نسيمه ؟ فقال : سموه سنجر ، وأخذ هذا الاسم من اسم المدينة .

وتولى المملكة في سنة تسعين وأربعمائة نيابة عن أخيه بركياروق - كما تقدم ذكره في حرف الباء - ثم استقل بالسلطنة في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وتوفي يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمر ، ودفن بها بعد خلاصه من الأسر ، وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية بخراسان ، واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشكين رحمه الله تعالى ، وهو جد السلطان محمد بن تكش خوارزم شاه ، فسبحان من لا يزول ملكه . وذكر ابن الأزرقي الفارقي في تاريخه أنه مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والله أعلم بذلك .

وقال غيره : توفي في جمادى الآخرة من السنة ، وقُطعت الخطبة ببغداد للسلجوقية عند وصول خبر وفاته في أيام المقتفي لأمر الله ، وكتب إلى بلاد الجزيرة الفراتية والشام بقطع الخطبة في هذه السنة ، والله أعلم .

١ كتبت في المسودة أولاً « الفز » ثم ضرب عليها وكتبت « الأغز » في الحاشية .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

أبو محمد التستري

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري الصالح المشهور ؛ لم يكن له في وقته نظيرٌ في المعاملات والورع ؛ وكان صاحب كرامات ، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى ، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة ، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار ، فإنه قال : قال لي خالي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت له : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقليبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي حلاوة ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتكم ودُمّ عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سري .

ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهدُه يعصيه ؟ إياك والمعصية . فكان ذلك أوّل أمره ، وسكن البصرة زمّاناً وعبّادانَ مدّة .

[وكان قد اعتقل بطن يعقوب بن الليث في بلد فارس ، فجمع له الأطباء فلم يغنوا عنه ، فوصف له سهل بن عبد الله ، فأمر بإحضاره فأخضر ، فلما دخل عليه قعد عند رأسه وقال : اللهم أريته ذلّ المعصية فأره عزّ الطاعة ، ففرج الله عنه من ساعته ، فأخرج إليه بيدراً وثياباً فردّها وما قبل منها شيئاً ، فلما رجع إلى تستر قال له بعض أصحابه : لو أخذت تلك الدراهم وفرقتها على

الفقراء ، فقال : انظر إلى الأرض ، فإذا الأرض كلها ذهب ؛ ثم قال : من كان حاله مع الله سبحانه هذا لا يستكثر هذا^١ .

وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، رضي الله عنه ، بالبصرة . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه^٢ أن مولده في سنة مائتين ، وقيل إحدى ومائتين بتُسْتَر .

والتُسْتَرِي^٣ : بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء ، هذه النسبة إلى تُسْتَر ، وهي بلدة من كُور الأهواز من خوزستان ، يقول لها الناس شُتَر - بشينين معجمتين - بها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه .

٢٨٢

أبو حاتم السجستاني

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي^١ السجستاني النحوي اللغوي المقرئ ، نزيل البصرة وعالمها ؛ كان إماماً في علوم الآداب ، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما ، وقال المبرد : سمعته يقول : قرأت كتاب سيويه على الأخفش مرتين ، وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ، عالماً باللغة والشعر ، حسن العلم بالعروض

١ زيادة من ص د وحدهما .

٢ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٨٣ .

٣ في السودة : وتستر .

٢٨٢ - ترجمة أبي حاتم السجستاني في معجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ والفهرست : ٥٨ وانباء الرواة

٢ : ٥٨ وبغية الوعاة : ٢٦٥ وتهذيب التهذيب : ٤ : ٢٥٧ والشذرات ٢ : ١٢١ وغاية

النهاية ١ : ٣٢٠ (وراجع حاشية الانباء للاطلاع على مزيد من المصادر) .

وإخراج الممسي، وله شعر جيد، ولم يكن حاذقاً في النحو، وكان إذا اجتمع
 بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر بالخروج خوفاً
 من أن يسأله عن مسألة في النحو. وكان صالحاً عفيفاً يتصدق كل يوم بدينار،
 ويحتم القرآن في كل أسبوع، وله نظم حسن. وكان أبو العباس المبرد يحضر
 حلقاته، ويلزم القراءة عليه، وهو غلام وسم في نهاية الحسن فعمل فيه أبو
 حاتم المذكور:

متمجّن خنثِ الكلام	ماذا لقيتُ اليوم من
فسمت له حدقُ الأنام	وقف الجبالُ بوجهِ
تُجنى بها ثمر الأثام	حركاته وسكونه
وعزمتُ فيه على اعتزام	وإذا خلوتُ بثله
ف، وذلك أوكدُ للغرام	لم أعدُ أفعال العفا
مباس جلُّ بك اعتصامي	نفسى فداؤك يا أبا الـ
نزر الكرى بادي السقام	فارحم أخاك فإنه
م فليس يرغب في الحرام	وأنله ما دون الحرام

ومن شعر أبي حاتم أيضاً:

ولاموا من افتتن	أبرزوا وجهه الجميل
ستروا وجهه الحسن	لو أرادوا عفافنا

[وله أيضاً:

كبد الحسود تقطعي قد بات من أهوى معي

وله غير ذلك كثير.

قال محمد بن الحسن الأزدي: حدثنا أبو حاتم قال: وفد علينا عامل من

١ وقال المبرد... النحو: سقط من س.

أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه ، فدخلت عليه مسلماً فقال لي : يا سجستاني ، من علماءكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادي أعلمنا بعلم الاصمعي ، والمازني أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهننا ، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث ، وأنا - رحمك الله - أنسب الى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط . قال : فقال لكاتبه : إذا كان غداً فاجمعهم اليّ ، قال : فجمعنا فقال : أيكم المازني ؟ فقال أبو عثمان : ها أناذا ، قال : هل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور ؟ قال المازني : لست صاحب فقه ، أنا صاحب عربية ، قال : يا زيادي ، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالها على الثلث من صداقها ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم هلال الرأي ، قال : يا هلال ، كم اسند ابن عون عن الحسن ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم الشاذكوني ، قال : يا شاذكوني ، من قرأ ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ﴾ (هود : ٥) قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم أبي حاتم ، قال : يا أبا حاتم ، كيف تكتب كتاباً الى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة وما اصابهم بي وتسأله النظر بالبصرة ؟ قلت : لست صاحب براعة وكتابة ، انا صاحب قرآن ؛ قال : ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنّاً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه ولم يُمرّ ، لكن علمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب [١] .

وقال أبو حاتم لتلميذه : إذا أردت أن تضمّن كتاباً سرّاً فخذ لبناً حليباً فاكتب به في قرطاس ، فيذر المكتوب إليه عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس فيظهر المكتوب ، وإن كتبته بماء الزاج الأبيض ، فإذا ذر عليه المكتوب إليه شيئاً من العفص ظهر ، وكذا بالعكس .

وله من المصنفات كتاب « إعراب القرآن » وكتاب « ما يلحن فيه العامة » وكتاب « الطير » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « النبات » وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « الفرق » وكتاب « القراءات » وكتاب « المقاطع والمبادي » وكتاب « الفصاحة » وكتاب « النخلة » وكتاب « الاضداد » وكتاب « القسي والنبال »

١ زيادة من ص وحدها .

والسهام» وكتاب «السيوف والرماح» وكتاب «الدرع والفرس»^١ وكتاب «الوحوش» وكتاب «الحشرات» وكتاب «الهجاء» وكتاب «الزرع» وكتاب «خلق الانسان» وكتاب «الإدغام» وكتاب «اللّبأ واللبن الحليب» وكتاب «الكرم» وكتاب «الشتاء والصيف» وكتاب «النحل والعسل» وكتاب «الإبل» وكتاب «العشب» وكتاب «الحِصْب والقَحْط» وكتاب «اختلاف المصاحف» وغير ذلك [من المصنفات] .

وكانت وفاته في المحرم ، وقيل رجب ، سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل أربع وخمسين ، وقيل خمس وخمسين ومائتين بالبصرة ، وصلى عليه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، وكان والي البصرة يومئذ ، ودفن بسرّة المصلى ، رحمه الله تعالى .
والجُشمي : بضم الجيم وفتح الشين المثلثة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى عدة قبائل يقال لكل واحدة منها جُشم ، ولا أدري إلى أيها ينسب أبو حاتم المذكور .

والسّجِسْتاني : قد تقدم الكلام عليه .

٢٨٣

أبو الفتح الأرغيباني

أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الأرغيباني الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً كبير المقدار في العلم والزهد ، تَفَقَّه بمرور على الشيخ أبي علي السنّجيني - المقدم ذكره في حرف الحاء - ثم قرأ على القاضي حسين بن محمد المرورودي

١ م : الدرور والفرس .

٢٨٣ - ترجمة سهل الأرغيباني في طبقات السبكي ٣ : ١٦٩ والسمعاني واللباب : « الأرغيباني » والترجمة مطابقة لما في المسودة .

وحصل طريقته ، حتى قال : ما علق أحد طريقتي مثله . ودخل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وناظر في مجلسه وارتضى كلامه ، ثم عاد إلى ناحية أرغيان ، وتقلد قضاءها سنين مع حسن السيرة وسلوك الطرائق المرضية ، ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجاز والجبال وسمع منهم وسمعوا منه ، ولما رجع من مكة ، حرسها الله تعالى ، دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائراً فأشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك ، وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت^١ والازواء ، وبنى للصوفية دُويّرة من ماله ، وأقام بها مشغولاً بالتصنيف والمواظبة^٢ على العبادة إلى أن توفي على تيقظ من حاله مستهلّ المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو^٣ صاحب الفتاوى المنسوبة إليه ، وسمع جماعة من الأئمة مثل أبي بكر البيهقي وناصر المروزي وعبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي صاحب «جمع الغرائب» و«ذيل تاريخ نيسابور» وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .
والأرغيانى : بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى أرغيان وهي اسم لناحية من نواحي نيسابور بها عِدَّة من القرى .

-
- ١ أ ج : العزلة .
 - ٢ أ : والمرابطة ؛ م : بالتصنيف والعبادة .
 - ٣ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .
 - ٤ بهامش س : منقولة من خط الشيخ العالم الورع الزاهد عبد الرحيم الاسنوي : « ليست الفتاوى له بل لحمد الأرغيانى الآتي ذكره في حرف الميم ، وقد نبه عليه المصنف » .

أبو الطيب الصعلوكي

أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري الفقيه الشافعي - وسيأتي ذكر ابيه ورفعه نسبة في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ؛ كان أبو الطيب المذكور مفتي نيسابور وابن مفتيها ، أخذ الفقه عن أبيه أبي سهل الصعلوكي ، وكان في وقته يقال له « الإمام » وهو متفق عليه ، عديم النظير في علمه وديانته ، وسمع أباه ومحمد بن يعقوب الأصم وابن مطر وأقرانهم . وكان فقيهاً أديباً متكلماً ، خرّجت له الفوائد من سواعته ، وقيل إنه وُضع له في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة وجمع رياضة الدنيا والآخرة وأخذ عنه فقهاء نيسابور .

وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب « الإرشاد » : إنه توفي أول سنة اثنتين وأربعمائة^٣ ، والله أعلم بالصواب .

والصعلوكي : بضم الصاد المهملة وسكون العين المهملة وضم اللام وسكون الواو وفي آخرها كاف ، هذه النسبة إلى صعلوك ، هكذا ذكره السمعاني وما زاد عليه .

[قال عبد الواحد اللخمي : أصاب سهلاً الصعلوكي رمد فكان الناس يدخلون عليه وينشدونه من النظم ويروون له من الآثار ما جرت به العادة ، فدخل عليه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وقال : أيها الإمام ، لو أن عينيك رأتا

٢٨٤ - ترجمة سهل الصعلوكي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٥ وطبقات السبكي ٣ : ١٦٩ .

١ ب : المثل .

٢ ر : سطر .

٣ قال السبكي : توفي في شهر رجب سنة أربع وأربعمائة بنيسابور .

وجهك ما رمدت ، فقال له الشيخ سهل : ما سمعت بأحسن من هذا الكلام ،
وسرّ به [١] .

ولما مات أبوه محمد بن سليمان - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته -
كتب أبو النضر ابن عبد الجبار إلى أبي الطيب المذكور يعزیه عن والده :

مَنْ مَبْلَغُ شَيْخِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً عَنِّي رِسَالَةٌ مَحْزُونٍ وَأَوَاهِ
أُولَى الْبِرَايَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مَمْتَحِنًا مَنْ كَانَ فَتْيَاهُ تَوْقِيعًا عَنِ اللَّهِ

١ ما بين معقنين لم يرد في ص والمسودة .

حرف الشين

شاوور وزير مصر

أبو شجاع شاوور بن مُجِير بن نزار بن عشاثر بن شأس بن مُغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعة بن مَخْنَس^١ بن أبي ذؤيب عبدالله - وهو والد حليلة مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»: حليلة مرضع النبي صلى الله عليه وسلم ابنة أبي ذؤيب وهو الحارث بن عبد الله بن شحنة بن جابر ابن ناصرة، أرضعته بلبن ابنتها الشَّيْثَاء بنت الحارث بن عبد العزى بن رِفَاعَة ابن ملان، وهو الذي حضن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان عند حليلة، والشَّيْثَاء المذكورة كانت تحمل النبي صلى الله عليه وسلم فعرضها وهي تحمله فلما وفدت عليه أرته الأثر، والله أعلم - ابن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي .

كان الصالح بن رُزَيْكَ وزير العاضد صاحب مصر قد ولاء الصعيد الأعلى من ديار مصر، ثم ندم على توليته، ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة - كما سيأتي في ترجمته في حرف الطاء إن شاء الله تعالى - كان يعد لنفسه ثلاث غلطات: إحداها تولية شاوور [وثانيتها بناء الجامع المعروف به على باب زويلة، فإنه كان قد بقي عوناً لمن يحاصر القاهرة^٢، وثالثتها خروجه إلى بلبليس^٣

٢٨٥ - أخبار شاوور السعدي في ابن الاثير (ج ١١) ومفرج الكروب ١: ١٥٨ وابن خلدون ٥: ٢٤٦ وما بعدها (وخاصة: ٢٨١) والتكت العصرية، وكتاب الروضتين ومرآة الزمان، واتعاظ الحنفا: ٢٨٨ وقد وردت الترجمة موجزة في م، وأكثرها في س أيضاً؛ كما أنها وردت في المسودة ونسخة ر.

١ ر: مَخْنَس .

٢ ج: القلعة .

٣ ب: تنيس .

بالعساكر ورجوعه بعد أن أنفق فيهم أكثر من مائتي ألف دينار حيث لم يتم إلى بلاد الشام ويفتح بيت المقدس ويستأصل شأفة الفرنج^١ .

ثم إن شاور تمكن في الصعيد ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية ، وكان الصالح قد أوصى ولده العادل رُزَيْكَ أن لا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله ، فإنه لا يأمن عصيانه والخروج عليه ، وكان كما أشار ، والشرح يطول . وقدم من الصعيد على واحات ، واخترق تلك البراري إلى أن خرج عند تَرَوْجَةَ بالقرب من الإسكندرية ، وتوجه إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وهرب العادل رزيك وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرم المذكور ، وقتل العادل بن الصالح ، وأخذ موضعه من الوزارة واستولى . ثم توجه في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في شهر رمضان منها إلى الشام مستنجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام لما خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللثخمي المنذري نائب الباب يجمع كثيرة وغلبه وأخرجه من القاهرة ، وقتل ولده طياً ، وولي الوزارة مكانه - كعادة المصريين - فأنجده بالأمير أسد الدين شيركوه ، والقصة مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها ، وآخر الأمر أن أسد الدين تردد إلى الديار المصرية ثلاث دفعات - كما سيأتي في ترجمته من هذا الحرف إن شاء الله تعالى - .

وقتل شاور يوم الأربعاء سابع عشر ، وقيل ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن في تربة ولده طي ، وتربته بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة القاضي الفاضل ، وكان المباشر لقتله الأمير عز الدين جُرْدِيك عتيق نور الدين صاحب الشام . وقال الروحي في كتاب « تحفة الخلفاء » : إن السلطان صلاح الدين أوقع به ، وكان إذ ذاك في صحبة عمه أسد الدين ، وإن قتله كان يوم السبت منتصف جمادى الأولى من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى . وذكر ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^٢ أن شاور المذكور خرج إلى أسد

١ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

٢ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

الدين في موكبه ، فلم يتجاسر أحد عليه إلا صلاح الدين ، فإنه تلقاه وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بقصد أصحابه ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور في خيمة مفردة ، وفي الحال جاء توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عاداتهم مع وزراءهم ، فحزناً رأسه وأنفذه إليهم ، وسير إلى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيراً فأكرمه واحترمه وبعث معه جيشاً فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفاء بما ورد من جهته ، ثم إن شاور بعث إلى ملك الفرنج واستنجده وضمن له أموالاً ، فرجع عسكر نور الدين إلى الشام ، وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر ، فحضر إلى بلبليس وأخذها وخيم عليها ، فلما بلغ نور الدين ذلك جهز عسكراً إليها ، فلما سمع العدو بتوجه الجيش رجعوا خائبين ، واطلع من شاور على الخامرة ، وأنفذ يرأسل العدو طمعاً منه في المظاهرة ، فلما خيف من شره تمارض أسد الدين فجاءه شاور عائداً له فوثب جرديك وبرغش مؤلياً نور الدين فقتلا شاور ، وكان ذلك برأي الملك الناصر صلاح الدين ، فإنه أول من تولى القبض عليه ومد يده بالمكره إليه ، وصفا الأمر لأسد الدين ، وظهرت السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

وللغيبه عمارة اليمنى - الآتي ذكره - فيه مدائح ، من جملتها قوله من جملة

قصيد :

ضجر الحديد من الحديد وشاورٌ من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حنت يمينك يا زمان فكفّر

وحكى الغيبه عمارة المذكور أنه لما تم الأمر لشاور وانقرضت دولة بني

رُزَيْكَ جالس شاور وحوله جماعة من أصحاب بني رزيك ومن لهم عليهم إحسان وإنعام ، فوقعوا في بني رُزَيْكَ تقرباً إلى قلب شاور ، وكان الصالح بن رزيك وابنه العادل قد أحسنا إلى عمارة عند دخوله إلى الديار المصرية ، قال :
فأنشدته :

صحّت بدولتك الأيام من سَقَمٍ	وزال ما يشتكيه الدهر من ألمٍ
زالت ليالي بني رُزَيْكَ وانصرمت	والحمد والذم فيها غيرُ منصرم
كان صالحهم يوماً وعادلهم	في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهي ساكنة	والسلم قد ينبت الأوراق في السلم
كنا نظنُّ وبعضُ الظن مائة	بأن ذلك جَمْعٌ غير منزهم
فمذ وقعتَ وقوعَ النسر خانهمُ	من كان مجتمعاً من ذلك الرخم
ولم يكونوا عدوًّا ذلَّ جانبه	وإنما غرقوا في سَيْلِكَ العرم
وما قصدتُ بتعظيمي عِدَاكَ سوى	تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم
ولو شكرتُ لِيَالِيهِمْ محافظةً	لهدها لم يكن بالعهد من قِدم
ولو فتحت فَمِي يوماً بدمهمُ	لم يرض فضلك إلا أن يسد فَمِي
والله يأمر بالإحسان عارفةً	منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

قال عمارة : فشكرني شاور وولدها على الوفاء لبني رُزَيْكَ .

(49) وأما الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي المذكور فإنه لما وصل شاور من الشام بالعساكر خرج من القاهرة وقتل يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، وقيل في رجب سنة تسع وخمسين وخمسة ، وكان قتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ، وحزوا رأسه وطافوا به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل وعمر عليه قبة ، هكذا وجدته في بعض

١ بعد هذا البيت جاء في ج : ومنها ، وأشار إلى من كان حاضراً ...

٢ هذه الفقرة لم ترد في س ، حتى قوله : المذكورة .

التواريخ ، وعلى البركة قبة ، وغالب ظني انها هي المذكورة .
 وواحات : بفتح الواو وبعد الألف هاء مهملة وبعد الألف الثانية تاء مثناة
 من فوقها ، وهي بلاد بنواحي الديار المصرية مستطيلة في طول صعيدها داخل
 البرية مما يلي أرض بَرَقَة وطريق المغرب .
 وتَرَوَجَة : بفتح التاء المثناة من فوقها والراء وبعد الواو الساكنة جيم ثم
 هاء ساكنة ، وهي قرية بالقرب من الإسكندرية أكثر زراعة أهلها الكَرَوِيَا .
 ونقلتُ نسبه على هذه الصورة من شجرة أحضرها إليّ أحد حَقَدَتِهِ .

ب ٢٨٥

شاور بن مجير الوزير المصري

[بعد النسب المتقدم في الترجمة السابقة] وزير العاضد صاحب مصر ، ولي
 الوزارة له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في صفر منها ، وكان ابتداء امره أنه كان
 يخدم الصالح بن رزيك ، فأقبل عليه وولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد
 الوزارة ، وظهرت منه كفاءة عظيمة وتقدم واستمال الرعية والمقدمين من العرب
 وغيرهم ، فعسر أمره على الصالح ولم يمكنه عزله ، فاستدام استعماله لئلا يخرج
 عن طاعته . ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة كان يعد لنفسه ثلاث غلطات
 إحداها تولية شاور . ولما حضر الصالح الموت كان من جملة وصيته للعادل رزيك
 ولده : انك لا تغير على شاور فإنني أنا أقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم
 يكتسي عزله فلا تغيروا عليه فيكون لكم ما تكرهون . فلما توفي الصالح وتولى
 ابنه العادل الوزارة حسّن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه

٢٨٥ ب - هكذا وردت هذه الترجمة في النسخة ص ، وقد آثرنا فصلها عن ترجمة شاور السابقة
 لما بينها من اختلاف .

منه ان اقره على عمله ، فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعاً كبيرة وقدم من الصعيد على واحات واخترق تلك البراري الى ان قدم عند تروجة من الاسكندرية وتوجه الى القاهرة ، فهرب منه العادل بن رزيك فأخذ وقتل . وكانت مدة وزارته ووزارة ابيه تسع سنين وشهراً واحداً وأياماً .

وصار شاوَر وزيراً وتلقب بأمير الجيوش ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية . ثم ان الضرغام جمع جموعاً كبيرة ونازع شاوَر في الوزارة ، وفي شهر رمضان ظهر أمره وانهزم شاوَر منه الى الشام وصار ضرغام وراه . فكان في هذه السنة مصير ثلاثة وزراء : العادل بن رزيك وشاوَر وضرغام . فلما تمكن ضرغام من الوزارة ، قتل كثيراً من الامراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع . ثم ان شاوَر لما نازعه ضرغام في الوزارة قصد نور الدين محمود بن زنكي ملتجئاً إليه مستجيراً به ، فأكرم مثواه واحسن إليه وانعم عليه ، وطلب منه إرسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ، ويكون لنور الدين ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر ، ويكون شيركوه مقيماً بعساكره في مصر ويتصرف بأمر نور الدين واختياره . فبقي نور الدين يقدم الى هذا العرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة تحمله رعاية قصد شاوَر به وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق من أجل الفرنج وخوفاً من أن شاوَر ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ؛ ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش ، فتقدم بتجهيزها وازاحة عنها . وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي بخافة ، فتجهز وساروا جميعاً وشاوَر صحبتهم في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، وتقدم نور الدين الى شيركوه أن يعيد شاوَر الى منصبه وينتقم له ممن نازعه ، ووصل أسد الدين والعساكر الى مدينة بلبليس ، فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة مهزوماً ، ووصل أسد الدين الى القاهرة أواخر جمادى الآخرة ، فخرج الملك المنصور ابو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري - المذكور أول الترجمة - من القاهرة سلخ الشهر ، فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين ثم حمل ودفن بالقاهرة . وقتل أخوه ناصر الدين ، وخلص

على شاور مستهل^١ رجب واعد الى الوزارة وتمكن منها ، والقصة مشهورة...^١
وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر وأخذ بلبليس وحكم عليها ، وكان
استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة^٢ وتكون أسوارها بيد
فرسانهم ليمتنع نور الدين من ايفاد عسكر إليهم ويكون لهم من دخل مصر كل
سنة مائة ألف دينار ، وهذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه
حكم ، قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها .

وعاد الفرنج الى بلاد الساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير
فرسانهم . وكان الكامل شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض
الأمرء ينهي إليه محبته وولائه ويسأله الدخول في طاعته ، وضمن على نفسه انه
يجمع الكلمة بمصر على طاعته وبذل مالا يحمله كل سنة ، فأجابته الى ذلك وحملوا
إليه مالا جزيلا ، فبقي الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر سنة أربع
وستين .

وفي ربيع الاول من هذه السنة ، سار أسد الدين شيركوه الى ديار مصر
ومعه العساكر النورية ، وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج وانهم جعلوا
لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا فيها جماعة من فرسانهم وحكموا
على المسلمين حكماً جائراً ، فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردم ،
ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام ، وهو مري ، ولم يكن للفرنج منذ ظهوروا
بالشام مثله شجاعة ومكراً ودهاء ، يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من
بمانع وهونوا عليه أمرها ، فلم يجيبهم الى ذلك ، فاجتمع عنده فرسان الفرنج
وذوو الرأي وأشاروا عليه بقصدها ، فقال لهم : الرأي عندي أننا لا نقصدها ،
فإنها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين ، وان نحن قصدناها
لنملكها فإن صاحبها وعساكره وعامة بلاده لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها
ويحملهم الخوف على تسليمها الى نور الدين ، وان أخذها وصار له فيها مثل أسد

١ تتفق هذه الترجمة مع السابقة بعد ذلك حتى قوله : « فرجع عسكر نور الدين إلى الشام » ،
وقد تضمنت النقل عن بهاء الدين ابن شداد والفيقي عمارة والحافظ ابن عساكر .

٢ الشحنة : ذخيرة الحرب .

الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من ارض الشام ، فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي ، والى ان يجهز نور الدين عسكرياً نكون قد ملكناها وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة . فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويُظهرون أنهم يقصدون مدينة حمص . فلما سمع نور الدين شرع أيضاً في جمع عسكريه . وجدّ الفرنج في السير الى مصر ونازلوا مدينة بلبليس وملكوها قهراً ونهبوا فيها وأسروا وسبوا . وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور ، منهم ابن الخياط وابن مرجلة ، فقوي جنان الفرنج بهم ، وساروا من بلبليس الى مصر فزلوا على القاهرة وحصروها ، فحاف الناس منهم واقبلوا على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا عليه وبدلوا جهدهم في حفظه . فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبليس لملكوا مصر والقاهرة ، ولكن الله حسن لهم ما فعلوا ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً . وأمر شاور باحراق مدينة مصر ، وأمر أهلها بالانتقال منها الى القاهرة وأن ينهب البلد ، فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة واقتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم أو يومين خوفاً ان يملكها الفرنج ، وبقيت النار فيها اربعة وخمسين يوماً . فأرسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج ، وأرسل في الكتب شعور النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري تستغيث بك لتتقدم من الفرنج . فشرع في تجهيز الجيوش .

وأما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال ، فضاقت به الأمر وضعف عن ردهم ، فأخذ في إعمال الحيلة ، فأرسل الى ملك الفرنج يعرفه مودته له ومحبته القديمة ، وأن هواه معه لخوفه من نور الدين ومن العاضد ، وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم إليه ، وبشر بالصلح على أن يعطيه ألف ألف دينار مصرية ، يعجل البعض ويؤخر الباقي ، فاستقرت القاعدة على ذلك . ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين ، فاجابوا الى ذلك فقالوا : نأخذ المال ونتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ، ومكروا ومكر الله والله خير

الماكرين . فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألمهم الرحيل عنهم ليجمع لهم المال ، فرحلوا وشرع شاور يجمع المال من أهل القاهرة ومضى فلم يتحصل له إلا قدر يسير لا يبلغ خمسة آلاف دينار وتنبه أن أهل مصر أحرقت دورهم بما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرّون على الأقوات فضلاً عن الاقساط ، وأما أهل القاهرة فالأغلب فيهم الجند وغلماهم فلهذا تمذر جمع المال ، وهم في خلال هذا يرأسون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث خراج ديار مصر وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر يكون مقطعاً في الديار المصرية خارجاً عن الثلث المختص به .

فأسرّ نور الدين لأسد الدين بالتجهز الى مصر واعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والأسلحة والدواب وغير ذلك وحكّمه في العسكر والحزائن ، فاختر من العسكر الفي فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار بهم هو وصلاح الدين ابن أخيه . فلما قرب أسد الدين من مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بحفّتي حنين . فلما وصل أسد الدين الى القاهرة دخل الى العاضد فخلع عليه وعاد الى الخيم بالخلعة وفرح بها أهل مصر وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة . ولم يمكن شاور المنع من ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم ، فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه وشرع يماطل أسد الدين في تقدير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه . ثم انه عزم على أن يعمل دعوة يدعو لها أسد الدين وجماعة من الأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فتتمنع بهم البلاد من الفرنج ، فنهاه ابنه الكامل وقال : والله لئن عزمتم على هذا لأعرفن شيركوه ، فقال له أبوه : والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعاً ، فقال : صدقت ولكن نقتل ونحن مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج الا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد ؛ فترك ما كان عزم عليه .

ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره ، واتفق صلاح الدين

ومن معه من الأمراء منهم عز الدين جرديك على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين ، فنهاهم عنه فسكتوا وهم على العزم . فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته في الخيام فلم يجده - وكان قد مضى لزيارة قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه - فمضى إليه ومعه صلاح الدين وجرديك في جمع من العسكر فساروا جميعاً ، فتناوله صلاح الدين وجرديك وألقياه الى الأرض عن فرسه ، فهرب عنه أصحابه وأخذ أسيراً ، ولم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين ، فوكلوا به وسيروا أعلموا أسد الدين بالحال ، فحضر ولم يمكنه إلا اتمام ما عملوه . وسمع العاضد الخبر فأرسل الى أسد الدين وطلب إيفاد رأس شاور وبايع الرسل بذلك ، فقتل كما تقدم في هذه الترجمة .

أما الكامل بن شاور فانه لما قُتل ابوه دخل إلى القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم . فكان شيركوه يتأسف كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شيركوه . وكان يقول : وددت لو بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

وصفا الامر لاسد الدين وظهرت السنة بالديار المصرية وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

٢٨٦

الأفضل ابن أمير الجيوش

أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجبالي .
(50) كان بدر المذكور أرمني الجنس ، اشتراه جمال الدولة بن عمار ، وتربى عنده وتقدم بسببه ، وكان من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة

٢٨٦ - أخبار الأفضل ابن أمير الجيوش في اتعاظ الحنفا : ٢٨١ وما بعدها ، وصفحات متفرقة من الدورة الماضية (ج ٦) ، وابن الأثير ، والاشارة إلى من نال الوزارة : ٥٧ .
 ١ انظر أخبار بدر في الاشارة : ٥٥ .

العزم، واستنابه المستنصر صاحب مصر بمدينة صور، وقيل عكا، فلما ضعف حال المستنصر واختلت دولته - كما سيأتي في ترجمته في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وُصِف له بدر النجمالي المذكور، فاستدعاه وركب البحر في الشتاء^١ في وقت لم تجر العادة بركوبه في مثله، ووصل إلى القاهرة عشية يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، وقيل الآخرة، سنة ست وستين وأربعمائة، فولاه المستنصر تدبير أموره، وقامت بوصوله الحرمة وأصلح الدولة؛ وكان وزير السيف والقلم، وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة، وساس الأمور أحسن سياسة، ويقال: إن وصوله كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه^٢، وكان يلقب «أمير الجيوش»؛ ولما دخل على المستنصر قرأ قارىء بين يدي المستنصر ﴿ولقد نصرمك الله ببدر﴾ (آل عمران: ١٢٣) ولم يتم الآية^٣، فقال المستنصر: لو أتمها ضربت عنقه، وجاوز ثمانين سنة، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

[قال علقمة العليمي: قصدت بدرأ الجمالي بمصر فرأيت الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه؛ قال: فبينما أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في إثره، فلما رجع وقف على نشز من الأرض وأوما برقعة في يده وأنشأ يقول:

نحن التجار وهذه أعلقتنا دُرَّرٌ، وجودُ يمينك المتباعُ
 قلبٌ وقتشها بسمعك إنما هي جوهرٌ تختاره الأسماعُ
 كسدت علينا بالشأم وكلل قلُّ النفاق تعطلَّ الصناعاتُ
 فأناك يحملها إليك تجارها ومطيها الآمالُ والأطعامُ
 فوهبت ما لم يعطه في دهره هرمٌ ولا كعبٌ ولا القمعاعُ
 وسبقت هذا الناس في طلب الملا فالناسُ بعدك كلهم أتباعُ

١ أ ج : فركب في الشتاء البحر .
 ٢ أ ج : خوله ؛ والقطوع : الإدبار والنحس .
 ٣ تمام الآية : وأنتم أذلة .

يا بدرُ أقسم لو بك اعتصم الورى ولجوا إليك بأسرهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازيّ فألقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات إلى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة علمانه وخاصته : من أحببني فليخلع على هذا الشاعر ، فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً تحمل الخِلع وأمر له بعشرة آلاف درهم وخرج من عنده وفرق كثيراً من ذلك على الشعراء [١] .

وهو الذي بنى الجامع الذي بثغر الإسكندرية المحروس الذي في سوق العطارين ، وكان فراغه من عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وبني مشهد الرأس بعسقلان .

ولما مرض واشتدّ مرضه في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين ، وزر ولده الأفضل المذكور موضعه في حياته ، وقضيته مع نزار بن المستنصر وعلامه أفتكين الأفضلي والي الإسكندرية مشهورة في أخذها وإحضارها إلى القاهرة المحروسة ، ولم يظهر لها خبر بعد ذلك ، وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة - وكان المستنصر قد مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، وأقام الأفضل ولده المستعلي أحمد المقدم ذكره مقامه واستمر على وزارته - فأما أفتكين فإنه قتل ظاهراً ، وأما نزار فيقال : إن أخاه المستعلي أحمد - المقدم ذكره - بنى في وجهه حائطاً فمات ، والله أعلم ، وقد سبق طرف من خبره في ترجمة المستعلي ، وأفتكين كان غلام الأفضل المذكور، ونزار المذكور إليه تنتسب ملوك الإسماعيلية أصحاب الدعوة أرباب قلعة الاموت وما معها من القلاع في بلاد المعجم .

وكان الأفضل المذكور حسنَ التدبير فَحَلَّ الرأى ، وهو الذي أقام الأمر ابن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه كما فعل مع أبيه ، ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات ، فإنه كان كثير اللعب - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - فحملة ذلك على أن عمل على قتله ، فأوثب عليه جماعة ، وكان يسكن بمصر في دار الملك التي على بحر النيل ، وهي اليوم دار الوكالة ، فلما ركب من داره المذكورة وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه

١ زيادة من ص وحدها .

فقتلوه ، وذلك في سلك رمضان المعظم عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسة ، رحمه الله تعالى .

وهو والد أبي علي أحمد بن شاهنشاه - الآتي ذكره في ترجمة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العبَّيْدِي صاحب مصر ، وما اعتده في حقه إن شاء الله تعالى . -

وقد تقدم في ترجمة المستعلي أحمد صاحب مصر وفي ترجمة أرتق التركياني طرف من حديث الأفضل المذكور وما فعل في أخذ القدس من سكان وإيل غازي ابني أرتق التركياني .

ثم رأيت بعد ذلك في كتاب « الدول المنقطعة » في ترجمة المستعلي شيئاً آخر فألحقته هاهنا ، فإنه قال : إن الأفضل تسلم القدس في يوم الجمعة خمس بقين من شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وولّى فيه من قبله ، فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ، فأخذه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ولو ترك في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ، فندم الأفضل حين لم ينفعه الندم . وخلف الأفضل من الأموال ما لم يُسْمَع بمثله ؛ قال صاحب « الدول المنقطعة » : خلف ستمائة ألف دينار عيناً ، ومائتين وخمسين إردباً دراهم نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسبار من ذهب وزن كل مسبار مائة مثقال ، في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل مسبار منديل مشدود مذهب بلون من الألوان أيما أحب منها لبسه ، وخمسة صندوق كسوة لخاصته من دق تنيس ودمياط ، وخلف من الرقيق والحيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لم يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى ، وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يُستحيا من ذكر عدده ، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيها إبر ذهب برسم النساء والجواري .

شاهنشاه بن أيوب

الأمير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان ، أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ؛ كان أكبر الإخوة ، وهو والد عز الدين فرثوخ شاه والد الملك الأجد صاحب بعلبك ووالد الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وقتل شاهنشاه المذكور في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين فارس وراجل على ما يقال ، وتقدموا إلى باب دمشق ، وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ، ونصر الله سبحانه وتعالى عليهم ، وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(51) [وفي من خرج إلى القتال واستشهد الفقيه حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوي المغربي ، وكان شيخاً كبيراً فقيهاً عالماً زاهداً صالحاً ، فلما رآه معين الدين مقدم العسكر وهو راجل قصده وسلم عليه وقال : يا شيخ ، أنت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذب عن المسلمين ، وسأله أن يعود فلم يفعل وقال له : قد بعثت واشترى مني ، فوالله لا أقبله ولا أستقبله ، يريد قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة : ١١١) وتقدم فقاتل الفرنج إلى أن قُتل عند النيرب . ورثي الفندلاوي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك وأين أنت ؟ فقال : غفر لي وأنا في جنات عدن على سرر متقابلين ، رحمه الله تعالى]^١ .

(52) وأما عز الدين أبو سعيد فرثوخ شاه^٢ فكان يُنعت بالملك المنصور، وكان

١ زيادة من ص وحدهما ، وانظر الباهر : ٨٩ .

٢ له دور في الحروب الصليبية أيام ولايته على دمشق إذ غلب الهنغري سنة ٥٧٤ وفي السنة التالية أعطاه صلاح الدين بعلبك وبعد سنتين (٥٧٧) استنابه بدمشق فخرج إلى طبرية وعكا ودبورية =

سَرِيًّا نَبِيلاً جَلِيلاً ، واستخلفه السلطان صلاح الدين بدمشق لما عاد إلى الديار المصرية من الشام ، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام ، ثم توفي في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسة بدمشق ، هكذا قال العماد الأصهباني في « البرق الشامي » ، وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » : إن السلطان بلغه وفاة ابن أخيه عز الدين فرُّوخ شاه في رجب سنة سبع وسبعين والعماد أخبر بذلك ، والله أعلم .

(53) وكان لشاهنشاه المذكور بنت تسمى عذرا وهي التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق ، وإليها تنسب ، وماتت عذرا المذكورة عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وخمسة .

(54) وأما الملك الأجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فرُّوخ شاه^١ فإن صلاح الدين أبقى عليه بعلبك ، وكان فيه فضل وله ديوان شعر ، وأخذ الأشرف بن العادل منه بعلبك فانتقل إلى دمشق ، وقتله مملوكه في داره ليلة الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثمانٍ وعشرين وستة^٢ .

= والتقى بهم في معركة كان النصر فيها حليفه ، وعاد إلى دمشق ، وتوفي سنة ٥٧٨ هـ (انظر ترجمته في مرآة الزمان : ٣٧٢ والخريدة مقدمة قسم الشام : ١١٣) .

١ أبقاه صلاح الدين في بعلبك بعد وفاة والده ، وشارك سنة ٥٩٤ في صد هجوم الفرنج على تبنين ، وأقام بعلبك حتى سنة ٦٣٧ حيث حصره الأشرف وأخرجه منها بمساعدة شيركوه صاحب حمص . وكان المملوك الذي قتله قد اتهم بسرقة أشياء ثمينة (مرآة الزمان : ٦٦٦ - ٦٦٨) وهذه الفقرة عن الأجد لم ترد في م .

٢ في النسخ ما عدا د : ٦٠٨ ، وهو خطأ .

شبيب الخارجي

أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة - وبقية النسب معروف - الشيباني الخارجي ؛ كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق يومئذ ، وخرج بالموصل ، فبعث إليه الحجاج خمسة قواد ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ثم خرج من الموصل يريد الكوفة ، وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة أيضاً ، وطمع شبيب أن يلقاه قبل أن يصل إلى الكوفة ، فأقحم الحجاج خيله فدخلها قبله ، وذلك في سنة سبع وسبعين للهجرة ، وتحصن الحجاج في قصر الإمارة ، ودخل إليها شبيب وأمه جهيزة وزوجته غزالة عند الصباح ، [فوجد باب القصر مغلقاً والحجاج فيه ، فقتل الحرس ثم دنا من الباب فعالجه هو وأصحابه فأعيام فتحه ، فضربه شبيب بعمود كان في يده فنقب الباب ، فيقال إن ذلك النقب لم يزل في الباب إلى أن خرب قصر الإمارة وفيه ضربة شبيب] ١ . وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيها سورة البقرة وآل عمران ، فأتوا الجامع في سبعين رجلاً فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها [فقيل فيها :

وفت الغزالة نذرها يا رب لا تغفر لها] ٢

وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في

٢٨٨ - وردت أخبار شبيب الخارجي مفصلة في الطبري وابن الاثير واليعقوبي وابن خلدون والبداية

والنهاية (٩ : ٢٠) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ زيادة من ص وحدها .

الحروب بنفسها ، وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزاة
فعيه ذلك بعضُ الناس بقوله^١ :

أَسَدٌ عَلِيٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَنْخَأُ تَنْفِيرٍ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَاءٌ بَرَزَتْ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

وكانت أمه جهيزة أيضاً شجاعة تشهد الحروب^٢ ، وكان شبيب قد ادعى
الخلافة ، ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث عبد الملك إليه عساكر كثيرة من
الشام عليها سفيان بن الأبرد الكلبي ، فوصل إلى الكوفة ، وخرج الحجاج أيضاً
وتكاثروا على شبيب فانهزم وقتلت غزاة وأمّه ونجا شبيب في فوارس من
أصحابه ، واتبعه سفيان في أهل الشام ، فلحقه بالأهواز فولى شبيب فلما
حصل على جسر دُجَيْل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومِغْفَر
وغيرهما فألقاه في الماء فقال له بعض أصحابه : أغرقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال :
ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دُجَيْل ميتاً في ساحله ، فحُمِلَ على البريد إلى
الحجاج ، فأمر الحجاجُ بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستُخرج فإذا هو كالحجر
إذا ضرب به الأرض نبا عنها ، فشُقَّ فكان في داخله قلب صغير كالكرة ،
فشُقَّ فأصيب علقة الدم في داخله .

وقال بعضهم : رأيت شيباً وقد دخل المسجد وعليه جُبَّةٌ طيالسة عليها
نقط من أثر المطر ، وهو طويل أشمط جَعْدُ آدم ، فجعل المسجد يرتج له .
وكان مولده يوم عيد النحر سنة ست وعشرين للهجرة ، وغرق بدُجَيْل كما
تقدم سنة سبع وسبعين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

١ ج : اسامة بن زيد البجلي ؛ والشعر ينسب لعمران بن حطان (شعر الخوارج : ٢٥ وتخريجها

ص : ١٥٦) .

٢ زاد في أنها :

وبلغنا أنه كان ينمى إليها في وقائمه فلا تصدق حتى بلغها أنه غرق في دجيل فسكنت ،
وقالت : الآن علمت انه قد هلك ، فقيل لها : وكيف ذلك ؟ فقالت : لأنني رأيت عند حملي به
ان شهاباً قد خرج مني فبلغ أقطار الأرض وعنان السماء وليس يطفىء النار غير الماء فلذلك
صدقت بنهايه .

(55) ولما غرق أحضر إلى عبد الملك رجل يرى رأي الخوارج وهو عتبان الحروري ابن أصيلة ، ويقال وصيلة ، وهي أمه ، وهي من بني محلم وهو من بني شيبان من شراة الجزيرة ، وقد عمل قصيدة وهي أبيات عديدة ذكرها المرزباني في « المعجم » فقال له : ألسن القائل يا عدو الله :

فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمر و منكم هاشم وجيب
فمنّا حصين والبطين وقعنّب ومنّا أمير المؤمنين شيب
فقال : لم أقل كذا يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت :

ومنّا أمير المؤمنين شيب

فاستحسن قوله ، وأمر بتخلية سبيله .

وهذا الجواب في نهاية الحسن ، فإنه إذا كان « أمير » مرفوعاً كان مبتدأ فيكون شيب أمير المؤمنين ، وإذا كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ومعناه يا أمير المؤمنين منا شيب ، فلا يكون شيب أمير المؤمنين ، بل يكون منهم .

وذكر الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر الدمشقي في « تاريخ دمشق » في أواخر كتابه المذكور في جملة تراجم أرباب الكنى ما مثاله : أبو المنهال الخارجي ، شاعر وقد على عبد الملك بن مروان مستأمناً بعدما كان قال لعبد الملك :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يدعى إليه قريب
فلا صلح ما دامت مناير أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

١ معجم المرزباني : ٢٦٦ وشعر الخوارج : ٦٣ ، وعتبان هو ابن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين الشيباني .

٢ مختصر تاريخ دمشق ٢٩ : ١٣٢ وأوردها المسعودي في المروج ٥ : ٤٤١ (ط. باريس) منسوبة لصقلة بن عتبان .

وإنك إن لا تُرَضِ بكر بن وائل يَكُنْ لك يومٌ بالعراق عصب

وبعد هذه الأبيات الثلاثة البيتان المذكوران . وأبو المنهال كنية عتبان بن وصيلة المذكور . وقوله « من ثقيف خطيب » يريد به الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره .

وجَهِيْزة : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة ، وهي التي يُضْرَبُ بها المثل في الحق فيقال « أحق من جهيزة » ، ذكر ذلك يعقوب بن السكيت في كتاب « إصلاح المنطق » في باب ما تضمنه العامة في غير موضعه^١ ، وقال : كان أبو شبيب من مهاجرة الكوفة ، فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة خمس وعشرين للهجرة ، فأثروا الشام ، فأغاروا على بلاد وأصابوا سبياً وغنموا ، وأبو شبيب في ذلك الجيش ، فاشترى جارية من السبي حمراء طويلة جميلة ، فقال لها : أسلمي ، فأبت ، فضرها فلم تُسَلِّمْ ، فواقها فحملت ، وتحرك الولد في بطنها فقالت : في بطني شيء ينقر^٢ ، فقيل : أحق من جهيزة ، ثم أسلمت فولدت شبيباً سنة ست وعشرين يوم النحر ، فقالت لمولها : إني رأيت قبل أن ألد كآني ولدتُ غلاماً فخرج مني شهاب من نار فسطع بين السماء والأرض ثم سقط في ماءٍ فحبا ، وقد ولدته في يوم أريق فيه الدماء وقد زَجَرْتُ أن ابني يعلو أمره ويكون صاحب دماء يهريقها ؛ هذا آخر كلام ابن السكيت .

ودُجَيْلٌ : بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، وهو نهر عظيم بنواحي الأهواز وتلك البلاد ، عليه قرى ومدن ، ومخرجه من جهة أصبهان ، وحفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان ملوك الفرس بالمداين ، وهو غير دُجَيْلِ بغداد فإن ذلك مخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد ، عليه كورة عظيمة .

وعِتْبَانٌ : بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وفتح الباء

١ انظر اصلاح المنطق : ٣٢٤ .

٢ ينقر : يشب ، وفي المسودة « ينقر » بالراء المهملة ، وهو كذلك في بعض أصول ابن السكيت .

الموحدة وبعد الألف نون .

والحروري : بفتح الحاء المهملة وضم الراء وسكون الواو وبعدها راء ، هذه النسبة إلى حروراء ، بالمد ، وهي قرية بناحية الكوفة ، كان أوّل اجتماع الخوارج بها فنسبوا إليها .

٢٨٩

شبيب بن شيبية

أبو معمر شبيب بن شيبية الخطيب المنقري البصري ؛ حدث عن الحسن ومعاوية بن قرة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم ، وروى عنه عيسى بن يونس وأبو بدر شجاع بن الوليد وغيرهما ، وكان له لسان وفصاحة . وقدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به وبالمهدي من بعده ، وكان كريماً عليها أثيراً عندهما .

٢٨٩ - انفردت النسخة ص بهذه الترجمة ؛ وشبيب بن شيبية من مشاهير الخطباء ، كانت بينه وبين خالد بن صفوان منافسة ، لما اتفق لهما من المشاركة في الصناعة والقرابة والمجاورة ، وكان يقال لولا أنها أحكم تميم لتباينا تباين الأسد والنمر (البيان ١ : ٤٧) وقد قيل : ان أي خطيب بلدي يكون في أول أمره متكلفاً مستثقلًا الى أن يحرز الاجادة بالدربة ؛ إلا شبيب بن شيبية فإنه ابتداءً بجلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة ، حتى صار ايجازه يغني عن اسهاب الكثيرين (١ : ١١٢) - (١١٣) ؛ وقد نسب إليه الجاحظ مقامه بين يدي المنصور لما خطب صالح بن المنصور فأحسن (راجع الترجمة رقم ٢٣٥ في هذا الكتاب) . ومن أقواله : « اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس » (١ : ٣٥٢) وله نصائح في البلاغة تدل على ذوق أدبي وقدرة نقدية منها : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبعده صاحبهم ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبعده صاحبهم . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت » . وقوله في نصحه للخطيب : « فإن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فإن قليلاً كافياً خيراً من كثير غير شاف » (١ : ١١٢) . وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٤ .

قال شبيب : كنت أسير في موكب أمير المؤمنين أبي جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين رويداً فإني أمير عليك ، فقال : ويلك ، أمير عليّ ؟ قلت : نعم ، حدثني معاوية بن قرّة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطف القوم دابة أميرهم ، فقال أبو جعفر : [أعطوه دابة فهو] أهون من أن يتأمر علينا . وقال أيضاً : قال لي أبو جعفر وكنت في ستماره : يا شبيب عظمي وأوجز ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم الدنيا فلم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا مثل الذي رضي لك من الدنيا ، وأوصيك بتقوى الله عز وجل فإنها عليكم نزلت وعنكم أقبلت واليكم صدرت . قال : لقد أوجزت وقصرت . قلت : والله لأن قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك .

وخرج شبيب من دار المهدي فقيل له : كيف تركت الناس ؟ قال : تركت الداخل راجياً والخارج راضياً .

وقال حماد بن سلمة : كان شبيب بن شيبّة يصلي بنا في المسجد الشارع في مريعة أبي عبيد الله ، فصلت يوماً الصبح فقرأ بالسجدة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ فلما قضى الصلاة قام رجل فقال : لا جزاك الله عني خيراً فإني كنت غدت لحاجة فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي فأطلت حتى فاتتني حاجتي . قال : وما حاجتك ؟ قال : قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتنبجز ذلك ، قال : فأنا أركب معك ، وركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقص عليه القصة ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : قضاء حاجته ، فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها إلى الرجل ، ودفع له شبيب من ماله أربعة آلاف درهم وقال له : لم تضرك يا أخي السورتان .

وقال الأصمعي : كان شبيب بن شيبّة رجلاً شريفاً يفرغ إليه أهل البصرة في حوائجهم ، وكان يغدو في كل يوم ويركب ، فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئاً ثم يركب ، فقيل له : إنك تباكر الغداء ، فقال : أجل أطفئ به فورة الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي ، فإني وجدت خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم عن بلوغ حاجته ويحمّله ذلك على

التقصير فيما به الحاجة ، وإني رأيت النهم لا مروءة له ، ورأيت الجوع داءً ،
فخذ من الطعام ما يذهب عنك النهم وتداوي به الداء .

قيل إن شيباً أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة ، فقال له سليمان : قد
حلفت أني لا أقضي هذه الحاجة ، فقال : أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين
قط فحنت فيها فما أحب أن أكون أول من أحثك ، وإن كنت ترى غيرها
خيراً منها فكفتر ، فقال : أستخير الله ، ثم قضاها .

وكان يقول : من سمع كلمة يكرها فسكت انقطع عنه ما يكره ، فإن
أجاب سمع أكثر مما يكره .

٢٩٠

القاضي شريح

أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش
ابن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع - بتشديد التاء المثناة من فوقها
وكسرها - الكندي ، وثور بن مُرتع هو كِنْدَة ، وفي نسبه اختلاف كثير ،
وهذه الطريق أصحها^٢ ؛ كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة ، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم
يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى
الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ، ولم يقض بين اثنين حتى مات .

١ قلت : ليست هذه الترجمة على شرط المؤلف لأنه لم يحدد السنة التي توفي فيها شيب .

٢٩٠ - ترجمة القاضي شريح في طبقات ابن سعد ٦ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢١

رحلية الأولياء ٤ : ١٧٢ والشذرات ١ : ٨٥ والمعارف ٤٣٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٩

والمعقد ١ : ٨٩ - ٥٠٩١ : ١٠ .

٢ هذا هو النسب الذي أورده ابن سعد أيضاً .

وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورسالة ، قال ابن عبد البر : وكان شاعراً محسناً ، وهو أحد السادات الطلثس ، وهم أربعة : عبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم ، والقاضي شريح المذكور . والأطلس : الذي لا شعر في وجهه .

وكان مزّاحاً ، دخل عليه عديّ بن أرطاة فقال له^١ : أين أنت أصلحك الله ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، قال : استمع مني ، قال : قل أسمع ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : مكان سحيق ، قال : تزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وأردت أن أرحلها^٢ ، قال : الرجل أحق بأهله ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا ، قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك^٣ .

١ العقد ١ : ٩٠ .

٢ ص : ادخل بها .

٣ زاد هنا في أما نصه :

حدث أبو جعفر المدني عن شيخ من قريش قال : عرض شريح ناقة ليبيها فقال له المشاري : يا أبا أمية كيف لبنها ؟ قال : احلب في أي اناه شئت ، قال : كيف الرطا ؟ قال : افرش ونم ، قال : كيف نجأؤها ؟ قال : اذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها ، علّق سوطك ونم ، قال : كيف قوتها ؟ قال : احمل على الحائط ما شئت ، فاشتراها فلم ير شيئاً بما وصفها به ، قال : ما كذبتك ، قال : اقلني ، قال : نعم .

وقيل تقدم رجلان الى شريح فاعترف أحدهما بما ادعي عليه وهو لا يعلم بذلك ف قضى عليه ، فقال الرجل : تقضي علي من غير بينة ؟ فقال : قد شهد عندي الثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخي عمك ؛ وقد ألم بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين بن الحجاج المقدم ذكره في قوله :

وان قدموا خيلهم للركوب خرجت فقدمت لي ركبتني

وفي جل الناس غلمانهم وليس سوى أنا في جلتي

ولا لي غلام فادعى به سوى من أبوه أخو عمي

وقال الأشعث بن قيس لشريح : ما أشد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ذلك ؟ قال : لا ، قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها في نفسك .

وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه : ان بيني وبين قوم خصومة =

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل مع خصم له ذمي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أول جورك ، ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال : أما إن خصمي لو كان مسلماً جلست بجانبه .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال : اجتمعوا لي القراء ، فاجتمعوا في رحبة المسجد ، فقال : إني أوشك أن أفارقكم ، فجعل يسألهم : ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا؟ وشريح ساكت ، ثم سأله ، فلما فرغ منهم قال : اذهب فأنت من أفضل الناس ، أو من أفضل العرب .

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب ، فنقم عليها شيئاً فضرها ، ثم ندم وقال :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فسلتُ بييني يوم أضرب زينبا
أضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضرب من ليس مذنباً
فزئبُ شمسٌ والنساء كواكب إذا طلعت لم تُبقي منهن كوكبا

هكذا ذكر هذه الحكاية صاحب «العقد»^١ .

ويروي أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية^٢ : « يا أمير المؤمنين ، قد ضبطت لك العراق بشمالها ، وفرغت يميني لطاعتك ، فولني الحجاز » ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، وكان مقيماً بمكة ، فقال : اللهم اشعل عينا بين زياد ، فأصابه الطاعون في يمينه ، فجمع الأطباء واستشارهم ، فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال له : لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ،

== فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم ، فقص قصته عليه فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق اليهم فتخاصموا اليه ، فقضى على ابنه ، فقال له لما رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدم اليك لم أملك ، فقال : والله يا بني لأنت أحب الي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله أعز علي منك ، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم .

١ . العقد ٥ : ٦٠٢٩٠ : ٩٤ .

٢ . انظر طرفاً منها في العقد ٥ : ١٢ .

وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعها؟ قلت: بغضاً في لقاءك وفراراً من قضائك . فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع ، لبغضهم له ، فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً . [وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يُعجزه من طلب ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يعجل امرأاً حيامه ولم يظلمه أيامه ، وانك وإياهم لعلى بساط واحد ؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام .

وعن الشعبي قال : شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينها فبكت ، فقلت أنا : ما اظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال : يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاءً فيكون . وسئل شريح عن الحجاج : أكان مؤمناً؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافرأ بالله تعالى] ١ .

وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين ، وقيل سنة ثمانين ، وقيل سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ست وسبعين ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل مائة وثمانين سنة ، رضي الله عنه .

والكِنْدِي : بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهلة ، هذه النسبة إلى كِنْدَةَ ، وهو ثور بن مُرْتَع بن مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل ثور بن عُنْفِير بن الحارث بن مرة بن أدد ، وسمي كِنْدَةَ لأنه كَنَدَ أباه نعمته : أي كفرها .

القاضي شريك النخعي

أبو عبدالله شريك بن عبدالله بن أبي شريك وهو الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي ، وبقية النسب في ترجمة إبراهيم النخعي في أول هذا الكتاب ؛ تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ، ثم عزله موسى الهادي . [أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا اسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وعبد الملك بن عمير وسماك بن حرب وغيرهم ، وروى عنه عبدالله بن المبارك وعباد بن العوام ووكيعة بن الجراح وغيرهم ؛ وكان شريك ولد ببخارى من أرض خراسان ، وكان جده قد شهد القادسية]١ .

✓ وكان عالماً فهماً ذكياً فظناً ، حكم يوماً على وكيل عبدالله بن مصعب^٢ بحكم لم يوافق هوى عبدالله ، فالتقى شريك بن عبدالله وعبدالله بن مصعب بحضرة المهدي فقال عبدالله بن مصعب لشريك : ما حكمت على وكيلي بالحق ، قال : ومن أنت ؟ قال : من لا ينكر . قال : قد نكرتك أشد النكير ، قال : أنا عبدالله بن مصعب ، قال : لا كبير ولا طيب ، قال : وكيف لا تقول ذلك وأنت تتنقص الشيخين ؟ قال : ومن الشيخان ؟ قال : أبو بكر وعمر رضي الله

٢٩١ - ترجمة القاضي شريك في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٣ وتذكرة الحفاظ : ٢٣٢ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٠ والبداية والنهاية ١٠ : ١٧١ والمعارف : ٥٠٨ ورجال ابن حبان : ١٧٠ ، وله أخبار في العقد (ج ٢ ، ٤) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ هو عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير والد مؤلف « نسب قريش » ، صحب المهدي ومن بعده الهادي والرشد وتوفي سنة ١٨٤ بالرقعة ، وكان المهدي استعمله على اليمامة واستعمله الرشد على المدينة ثم على اليمن (نسب قريش : ٢٤٢ وجمهرة الزبير بن بكار : ١٢٤ - ١٥٦) .

عنها ، قال : والله ما أتقص جدك وهو دونها فكيف أتقصها ؟^١ .
 وذُكِرَ معاوية بن أبي سفيان عنده ووُصِفَ بالحلم ، فقال شريك : ليس
 بحليم من سفّه الحق وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
 وخرج شريك يوماً إلى أصحاب الحديث ليسمعوا عليه ، فشموا منه رائحة
 النبيذ ، فقالوا له : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ، فقال : لأنكم أهل
 ريبّة .

ودخل يوماً على المهدي فقال له : لا بد أن تجيبي إلى خصلة من ثلاث خصال ،
 قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : إما أن تلي القضاء أو تحدث ولدي
 وتعلمهم أو تأكل عندي أكلة ، وذلك قبل أن يلي القضاء ، فأفكر ساعة ثم
 قال : الأكلة أخفها على نفسي ، فأجلسه وتقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من
 المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك ، فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل ،
 فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ : والله يا أمير المؤمنين ليس يُفْلح الشيخ بعد
 هذه الأكلة أبداً ؛ قال الفضل بن الربيع : فحدثهم والله شريك بعد ذلك ،
 وعلم أولادهم وولي القضاء لهم .

ولقد كتب له برزقه على الصيرفي فضايقه في النقد ، فقال له الصيرفي : إنك
 لم تبع به بزاً ، فقال له شريك : بل والله بعث أكثر من البز ، بعث به
 ديني .

[وقال يحيى بن البيان^٢ : لما ولي شريك القضاء أكره على ذلك وأقعده معه
 جماعة من الشرط يحفظونه ، ثم طاب للشيخ فقعده من نفسه ، فبلغ سفيان
 الثوري انه قعد من نفسه فجاء فتراى له ، فلما رأى الثوري قام إليه فعظمه
 وأكرمه ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، مسألة ، قال :
 أو ليس عندك من العلم ما يجزئك ؟ قال : أحببت أن أذكرك بها ، قال : قل ،

١ وردت هذه الفقرة موجزة كثيراً في ر والمسودة ، وهي موافقة لما في تاريخ بغداد : ٢٨٧ ،
 وفي المسودة : « جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله الزبيري كلام بحضرة المهدي فقال له
 مصعب : أنت تتقص أبا بكر وعمر رضي الله عنها ، فقال القاضي شريك ... دونها » .

٢ قارن بما في تاريخ بغداد : ٢٨٦ .

قال : ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتلمها ففجر بها ، لمن تحدُّ منها ؟ فقال : الرجل دونها لأنها منصوبة ، قال : فإنه لما كان من الغد جاءت فتزينت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل فرآها فاحتلمها ففجر بها ، لمن تحدُّ ؟ قال : أحدهما جميعاً لأنها جاءت من نفسها وقد علمت الخبر بالأمس ، قال : أنت كان عذرك حين كان الشرط يحفظونك ؛ اليوم أيُّ عذر لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، أكلمك ، قال : ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب ؟ قال : ووثب فلم يكلمه حتى مات ؛ وكان إذا ذكره قال : أي رجل كان لو لم يفسدوه !

واجتمع شريك ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد ، فقال يحيى لشريك : ما تقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : شربه خير أم تركه ؟ قال : بل شربه ، قال : قليله خير أم كثيره ؟ قال : بل قليله ؛ قال يحيى : ما رأيت خيراً قط إلا والازدياد منه خير إلا خيرا هذا ، فإن قليله خير من كثيره .

وروى صالح بن علي قال : كنت مع المهدي فدخل عليه شريك بن عبد الله فأراد أن يبخره ، فقال لخدم علي رأسه : هات عوداً للقاضي ، فجاء الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك ، فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي ، فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين [خيراً] ، فكسره . ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك : ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلّف ذلك الشيء ؟ فقال : يضمن يا أمير المؤمنين ، فقال للخادم : اضمن ما تلّف بقيمته .

وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي ، فكان يحمل المهدي عليه ، فدخل شريك يوماً على المهدي فقال له المهدي : بلغني أنك ولدت في قوصرة ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة ، قال : إني لأراك فاطمياً خبيثاً ، قال : والله إني لأحب فاطمة ، وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم ، قال : وأنا والله أحبها ، ولكني رأيتك في منامي مصروفاً

وجهك عني ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق ، قال : يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تُسْفك بالأحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام ؛ وأما قولك إني زنديق فإن للزنادقة علامة يُعرفون بها ، قال : وما هي ؟ قال : شرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ، وأنت خيرٌ من الذي حملني عليك .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : حدثني أبي قال^١ : دخل شريك على المهدي فقال له : ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين ، قال : ولم ؟ قال : لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة ، فقال : أما قولك : لخلافك على الجماعة ، فعن الجماعة أخذت ديني ، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني ؟ وأما قولك : وقولك بالإمامة ، فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك : مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين ، فهذا شيء أنتم فعلتموه ، فإن كان خطأ فلتستغفروا الله منه ، وإن كان صواباً فامسكوا عليه . قال : ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ قال : ما قال فيه جدك العباس وعبد الله ، قال : وما قالاً فيه ؟ قال : أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله . وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين ، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً ، فلو كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في احكام الله . فسكت المهدي وأطرق ، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عُزل شريك .

وقال عبد الله العجلي^٢ : قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء ، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة ، فقال موسى لشريك : ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك : عزلك عن القضاء ، قال له شريك : هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة اليهود فلا يعاب ذلك عليهم ، فقال موسى : ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به ، وكان أبوه عيسى بن

١ تاريخ بغداد : ٢٩٢ .

٢ المصدر نفسه .

موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر] ١ .
 وحكى الحريري في كتاب « درة الغواص » ٢ أنه كان لشريك المذكور
 جليس من بني أمية ، فذكر شريك في بعض الأيام فضائل علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه ، فقال ذلك الأموي : نعم الرجل علي ، فأغضبه ذلك وقال :
 ألعليّ يقال نعم الرجل ٣ ؟ فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال : يا أبا عبد الله ألم
 يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (المرسلات :
 ٢٣) وقال في أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٤)
 وقال في سليمان ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعِمَ الْعَبْدُ ﴾ (ص : ٣٠) أفلا ترضى لعليّ
 بما رضي الله به لنفسه ولأنبيائه ؟ فتنبه شريك عند ذلك لوجهه ، وزادت مكانة
 ذلك الأموي من قلبه .

وكان عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب ، قال له رجل يوماً :
 ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده ؟ فقال : هذا
 أراد أن يخطيء فأصاب .

وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة ، وتولى القضاء بالكوفة ثم
 بالأهواز ، وتوفي يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائة بالكوفة ،
 وقال خليفة بن خياط : مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة ، رحمه الله
 تعالى . وكان هارون الرشيد بالحيرة ، فقصده ليصلي عليه فوجدهم قد صلوا
 عليه ، فرجع .

والنَّخْعِي : بفتح النون والحاء المعجمة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى
 النخع ، وهي قبيلة كبيرة من مَذْحِج .

قلت : هكذا وجدت نسبه في « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، ثم وجدت
 في نسخة أخرى « ابن أبي شريك أوس بن الحارث بن ذهل بن وهبيل » ، والله
 أعلم بالصواب .

١ كل ما بين معقفين زيادة من ص .

٢ انظر ص : ١٤٥ .

٣ زاد في أ : ولا يزداد على ذلك ، ولم ترد العبارة في درة الغواص .

شعبة بن الحجاج

أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الأشاقر؛ واسطي الأصل بصريّ الدار، رأى الحسن ومحمد بن سيرين وسمع قتادة ويونس بن عبيد وأيوب وخالداً الحذاء وعبد الملك بن عمير وأبا اسحاق السبيعي وطلحة بن مصرف وخلقاً غيرهم من طبقتهم؛ روى عنه أيوب السختياني والأعمش ومحمد بن اسحاق وإبراهيم بن سعد وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة وغيرهم.

قدم شعبة بغداد مرتين وكان قدومه إحدى المرتين بسبب أخ له كان قد حُبس في دين كان عليه، ف جاء الى المهدي في شأن أخيه. فقال سفيان الثوري: هوذا شعبة قد جاء إليهم، فبلغ شعبة فقال: هو لم يُحْبَسْ أخوه. وكان أخوه اشترى طعاماً من طعام السلطان، فخرس هو وشركاؤه، فحبس بستة آلاف دينار بحصته، فلما دخل شعبة على المهدي قال له: يا أمير المؤمنين، أنشدني قتادة لأمية بن أبي الصلت بقول لعبد الله بن جدعان:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء
كريم لا يعطله صباح عن الخلق الكريم ولا مساء
فأرض أرض مكرمة بنوها بنو تيم وأنت لهم سماء

فقال المهدي: لا يا أبا بسطام، لا تذكرها، قد عرفناها وقضيناها لك؛ ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئاً، ووهب له ثلاثين ألف درهم فقسماها، وأقطعها ألف جريب بالبصرة، فقدم فلم يجد شيئاً يطيب له فتركها.

٢٩٢ - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ وابن سعد ٧ : ٢٨٠ وعبر الذهبي ١ : ٢٣٤ ورجال ابن حبان : ١٧٧ ، وانظر ما ورد عنه في ترجمة أبي زيد الانصاري من هذا الكتاب؛ وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص .

وقال النضر بن شميل : ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة ؛ كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى . وكان يقول : والله لأنا في الشعر اسلم مني في الحديث ، ولو أردت الله لما خرجت إليكم ، ولو أردتم الله ما حييتموني ، ولكننا نحب المدح ونكره الذم .

ركب شعبة يوماً حماره فلقبه سليمان بن المغيرة فشكا إليه الفقر والحاجة ، فقال : والله ما أملك غير هذا الحمار ، ثم نزل عنه ودفعه إليه فابتيع بستة عشر درهماً .

توفي بالبصرة سنة ستين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة ١ ، رحمه الله تعالى .

٢٩٣

شعيب بن حرب

أبو صالح شعيب بن حرب المدائني ؛ وهو من أبناء خراسان ، سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم ، روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم . وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال شعيب بن حرب : بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد ، فقلت لنفسي : قد وجب عليك الأمر والنهي ، فقالت لي : لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك ، فقلت لنفسي : لا بد من ذلك . فلما دنا مني صحت : يا هارون قد أتعت الأمة وأتعت البهائم ، فقال : خذوه ، ثم أدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به فقال : بمن الرجل ؟

١ تاريخ بغداد : وهو ابن سبع وسبعين .

٢٩٣ - انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٢٣٩ وعبر النعمي ١ : ٣٢٣ والعقد الثمين ٥ : ١١ ، وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص ، والنص متابع لما عند الخطيب .

قلت : من أفناء الناس ، فقال : بمن ثكلتك أمك ! قلت : من الأبناء . قال :
ما حملك على أن تدعوني باسمي ؟ قال شعيب : فورد على قلبي كلمة ما خطرت
لي قط على بال ، فقلت له : أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمن ، لا أدعوك
باسمك ؟ وما ينكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمى في كتابه أحب
الخلق إليه محمداً وكسى أبغض الخلق إليه أبا لهب ، فقال ﴿ تبتّ يدا أبي لهب ﴾
(المسد : ١) فقال : أخرجوه ، فأخرجت .

وكان يقول : من أراد الدنيا فليتها للذل . وأراد أن يتزوج امرأة ، فقال
لها : أنا سيء الخلق ، قالت : أسوأ منك خلقاً من أحوجك ان تكون سيء
الخلق ، فقال لها : أنت إذا امرأتي .

قال سري السقطي رحمه الله تعالى : أربعة كانوا في الدنيا أعملوا انفسهم في
طلب الحلال ، فلم يدخلوا اجوافهم إلا الحلال ، فليل له : من هم ؟ قال :
وهيب بن الورد وشعيب بن حرب ويوسف بن اسباط وسليمان الخواص .
قال شعيب : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه أبو بكر وعمر
رضي الله عنهما ، فجئت ، فقال : أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عز وجل .
وقال شعيب : أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة . وكان ثقة مأموناً ،
مات بمكة سنة تسع وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٩٤

أشعب الطامع

واسمه شعيب واسم أبيه جبير ؛ قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في
« المنتظم » : ولد أشعب سنة تسع من الهجرة ، وكان أشعب خال الأصمعي ،

٢٩٤ - ترجمة أشعب في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٧٥ وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ وتاريخ بغداد
٣٧ : ٧ والقوات ١ : ٣٧ والمحسن والمسارء : ٥٩٧ والأغاني ١٩ : ٦٩ وأخبار الظرفاء : =

وفي اسم أمه ثلاثة أقوال : أحدها جمدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله عنها ، والثاني أم حُميدة - بضم الحاء - والثالث أم حَميدة - بفتح الحاء - .

اتفقوا أنه مولى واختلفوا في ولائه على أربعة أقوال : أحدها لعثمان رضي الله عنه والثاني عبد الله بن الزبير والثالث سعيد بن العاص والرابع فاطمة بنت الحسين .

عمر دهرأ طويلاً ، وكان قد أدرك زمن عثمان رضي الله عنه ، وقرأ القرآن وتنسك . روى عن عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعكرمة ، وله أخبار طريفة : من ذلك ما حكى العباس بن نسيم الكاتب قال^١ :

قيل لأشعب : طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك ، فقال : نعم ، فجلس لهم فقالوا : حدثنا ، فقال : سمعت عكرمة يقول سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلطان لا يجتمعان في مؤمن ، ثم سكت فقالوا : ما الخلتان ؟ فقال : نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى . وحدثنا الزبير بن بكار قال : قال الواقدي^٢ : لقيت أشعب يوماً فقال لي : يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف اصنع به ؟ قلت : تعرفه ، قال : سبحان الله ، قلت : فما الرأي ؟ قال : اشتري به قميصاً وأعرفه ، قلت : إذن لا يعرفه أحد ، قال : فذاك أريد .

وقال الهيثم بن عدي : أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين فقيل له : أين بلغت من معرفة البز ؟ فقال : أحسن النشر ولا أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي . ومر برجل يتخذ طبقاً فقال : اجعله واسماً لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

= ٣١ وثمار القلوب : ١٥٠ ، وهذه الترجمة انفردت بها ص ، ووردت في طبعة وستنفيلد مع اختلاف في الترتيب وعدد النوادر .

١ تاريخ بغداد : ٣٩ وابن عساكر : ٧٦ وميزان الاعتدال : ٢٥٩ .

٢ ميزان الاعتدال : ٢٦٠ وأخبار الظرفاء : ٣١ .

وخرج سالم بن عبد الله^١ إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرمة ، فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً فتسور الحائط فقال له سالم : ويحك بناتي وحرمي ، فقال : ﴿ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ (هود : ٧٩) فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزله .

وقال سليمان الشاذكوني : كان لي بُنيّ في المكتب فأنصرف إليّ يوماً فقال : يا أبه ألا أحدثك بطريف ؟ فقال : هات ، فقال : كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالسٌ ، فلبس نعله وقال : امش بين يديّ ، فقلت : إنما أقرأ عشري ، فقال : عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك .

وحكى الحسن بن علي الخلال عن أبي عاصم النبيل قال : سمعت أشعب يقول : ما زُفّت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنت بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدى إليّ .

وقيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته جبل قتّ فأهوت إليه واثبةً من السطح فاندقتّ عنقها .

وقدم علي يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس ، فدعا يزيد بعض غلامه وأسرّ له بشيء ، فقام أشعب فقبل يده ، فقال له : ولم فعلت هذا ؟ قال : رأيتك أسررتَ إلى غلامك بشيء فعلت أنك قد أمرت لي بصلة ، فضحك منه وقال : ما فعلت ولكنني أ فعل ، وأمر له بصلة .

وحكى المدائني قال : تغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بمضيرة فقال أشعب للخباز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : من يصلي بأهل السجن ؟ قالوا : ليس لهم إمام ، فقال : أدخلوا أشعب يصلي ٣٣ ، قال : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ أحلف لا آكل مضيرة أبداً .

وحكى المدائني قال : أتى أشعب بفالودجة عند بعض الولاة فأكل منها فلم

توافقه ، فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحى الله إلى النحل .

وحكى المدائني عن جهم بن خلف قال : حدثني رجل قال : قلت لأشعب : لو تحدثت عندي العشيّة ، قال : أكره أن يجيء ثقيل ، قلت : ليس غيرك وغيري ، قال : فإذا صليت الظهر فأنا عندك ، فصلى وجاء ، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب ، قال : ألا ترى ؟ قد صرت إلى ما أكره ، قلت : ان لك عندي فيه عشر خصال ، قال : فما هي ؟ قلت : أولها أنه لا يأكل مع ضيف ، قال : التسع خصال لك ، أدخله .

ووجدت في بعض الكتب عن المدائني قال : توضع أشعب ففصل رجله اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : تركت غسل اليمنى ، فقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمي غرة محجلون من آثار الوضوء ، وأنا أحب أن أكون أغرة محجلاً من الثلاث مطلق اليمن .

وحكى الهيثم بن عدي قال : لقيت أشعب فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد . وحكى المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى ، فقال له : يا أشعب ان لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبليّ رسالتي سعدى ، فقال له : أحضر المال حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بكرة فوضعها أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك يا أمير المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك :

أسعدى هل إليك لنا سبيل وهل حق القيامة من تلاق
بلى ولعلّ دهرأ ان يُواتي بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره ، فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال : يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبلفه كما تبلفني ، قال : هاتي رسالتك جعلت فداك ، قالت : قل له :

أتبكي على ابني وأنت تركتها وقد ذهبت لبني فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال : اوه ! قتلتني والله ، ما تراني صانعاً بك يا ابن الزانية ؟ اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ، فقال : ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرنا إلى سعدى ، قال : صدقت يا ابن الزانية ، اخرج عني .
قال الزبير : حدثني مصعب قال ، قال لي ابن كليب : حدثت أشعباً مرة فبكى فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت هي ، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي .
وكان أشعب يبغي وله أصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة يبغيها ، فمن أصواته هذه :

أروني من يقوم لك مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى من تفرعون إذا حثوتم بأيديكم عليّ من الترابِ

٢٩٥

شقيق البلخي

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي؛ من مشايخ خراسان ، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه ، صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق ، وهو أستاذ

٢٩٥ - ترجمة شقيق البلخي في حلية الأولياء ٨ : ٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٢٧ وميزات الاعتدال ٢ : ٢٧٩ وطبقات السلي ٦١ ؛ وقد سقطت الترجمة من س ص ر م ووردت في المطبوعة فقط ؛ وعلى هامش المسودة إشارة تدل على أن المؤلف كان ينوي اثباتها إذ جاء هناك : « يذكر بعد شريك : شقيق البلخي وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة ، ذكره ابن الجوزي في الشذور » .

حاتم الأصم ، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حَدَث ، فدخل إلى بيت أصنامهم ، فقال لعالمهم : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهذا الخلق خالق ليس كمثل شيء رازق كل شيء ، فقال له : ليس يوافق قولك فعلك ، فقال له شقيق : كيف ؟ قال : زعمت أن لك خالفاً قادراً على كل شيء وقد تعنيت إلى هاهنا لطلب الرزق ، قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركي ، فرجع وتصدق بجميع ما يملك ، وطلب العلم .
وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن الجوزي في « الشذور » .

٢٩٦

شقيق بن سامة

ابو وائل شقيق بن سلمة الأسدي ؛ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقه ، وسمع عمر بن الخطاب وعثمان وعلياً وعماراً وعبد الله بن مسعود وخباب ابن الأرت وأبا موسى الأشعري وأسامة بن زيد وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجريير بن عبد الله وأبا مسعود الأنصاري والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم اجمعين ، وروى عنه منصور بن المعتمر والحكم بن عتبة وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم . وكان ممن سكن الكوفة وورد المدائن مع علي رضي الله عنه حين قاتل الخوارج بالنهر وان ؛ قيل له : من أدركت ؟ قال : بينا أنا أرعى غنماً لأهلي إذ مرَّ ركب أو فوارس ففرقوا غنمي ، فوقف رجل فقال : اجمعوا للغلام غنمه كما فرقتموها عليه ، فتبعته رجلاً منهم فقلت : من هذا ؟ قال : النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الأعمش : قال لي شقيق بن سلمة : لو رأيتني ونحن هُرَّاب من خالد بن

٢٩٦ - شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل ، توفي سنة ٨٢ هـ . انظر ابن سعد ٦ : ١٨٠ وتذكرة الحفاظ : ٦٠ ؛ وقد انفردت النسخة ص بهذه الترجمة .

الوليد يوم بزاحة فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقي ، فلو ميت يومئذ كانت النار ؛ وقال : كنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة .
 وكان لأبي وائل خص من قصب هو فيه وفرسه . وكان إذا غزا نقضه وإذا قدم بناه . وكان يقول للأعمش : يا سليمان ، نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصيناه . وقال أيضاً : أسمع الناس يقولون الدائق والقيراط ، الدائق اكبر أو القيراط ؟ وقال سعيد بن صالح : كان أبو وائل يؤم جنازتنا وهو ابن خمسين ومائة سنة ...

٢٩٧

شهادة بنت الإبري

فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري الكاتبة الدينورية الأصل البغدادية المولدة والوفاة ؛ كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصغر بالأكبر ؛ سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر وأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعماني وطراد بن محمد الزينبي وغيرهم مثل أبي الحسن علي ابن الحسين بن أيوب وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي واشتهر ذكرها وبعد صيتها . وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، ودفنت بباب أبرز وقد نسيقت على تسعين سنة من عمرها ، رحمها الله تعالى .
 والإبري : بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مثناة من تحتها ،

٢٩٧ - ترجمة شهدة الكاتبة في مرآة الزمان : ٣٥٣ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٠ والشذرات ٤ : ٢٤٨
 ونزهة المجالس : ٦١ ؛ قلت : وقد وردت هذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .
 ١ سمعت ... الشاشي : سقط من س ، وبعضه سقط من ص .

هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبرة التي يخاط بها ، وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها .

والدينورية : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى الدينور ، وهي بلدة من بلاد الجبل ينسب إليها جماعة من العلماء ، وقال أبو سعد ابن السماعي: إن الدال من الدينور مفتوحة ، والأصح الكسر كما ذكرناه .

(56) ومات والدها أبو نصر أحمد في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسة رحمة الله تعالى ، وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب أبرز .

(57) وذكر ابن النجار في « تاريخ بغداد » عليّ بن محمد بن يحيى أبا الحسن الدرّيني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري فقال : كان من الأماثل والأعيان ، واختص بالإمام المقتفي لأمر الله ، وكان فيه أدب ويقول الشعر ، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطئ دجلة بباب الأزج وإلى جانبها رباطاً للصوفية ووقف عليها وقوفاً حسنة ، وسمع الحديث ؛ قال السماعي : كان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الإبري وزوجه بنته شهدة الكاتبة ، ثم علت درجته إلى أن صار خصيصاً بالمقتفي . مولده سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ودفن في داره برحبة الجامع ، ثم نُقل بعد موت زوجته شهدة فدفننا بباب أبرز قريباً من المدرسة التاجية في محرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة^١ .

١ وذكر ... وخمسمائة : سقط من س .

أسد الدين شيركوه

أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ؛ قد تقدم من حديثه نبذة في أخبار شاور ، وكان شاور قد وصل إلى الشام يستنجد بنور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة . وذكر بهاء الدين بن شداد أن ذلك كان في سنة ثمان وخمسين ، وأنهم وصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، حكاها في « سيرة صلاح الدين »^١ رحمه الله تعالى ، فسير معه جماعة من عسكره ، وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه ، وقدموا مصر ، وغدّر بهم شاور ولم يَفِ بِمَا وعدهم به ، فعادوا إلى دمشق^٢ ، وكان رحيلهم عن مصر في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة . ثم إنه عاد إلى مصر ، وكان توجهه إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين ، لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى ، وسلك طريق وادي الغزلان ، وخرج عند إطفيح ، وكانت في تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين ، وتوجه السلطان صلاح الدين إلى الاسكندرية واحتمى بها ، وحاصره شاور وعسكر مصر .

ثم رجع أسد الدين من الصعيد إلى بلبليس ، وجرى الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا له صلاح الدين ، وعاد إلى الشام ، ولما وصل الفرنج إلى بلبليس وملكوها وقتلوا أهلها في سنة أربع وستين ، سيروا إلى أسد الدين

٢٩٨ - ترجمة شيركوه وأخباره في ابن عساكر ٣٥٨:٦ وتاريخ ابن خلدون ٢٨٢:٥ وصفحات متفرقة من ابن الأثير والنجوم الزاهرة (ج: ٥) ومفرج الكرب (ج: ١) وسيرة ابن شداد، وهذه الترجمة متابعة للنسخة ر .

١ انظر ابن شداد : ٢٩ .

٢ س : طريق دمشق .

وطلبوه ومَنّوهُ ودخلوا في مرضاته لأن ينجدهم ، فمضى إليهم وطردهم الفرنج عنهم . وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وعزم شاور على قتله وقتل الأمراء الكبار الذين معه ، فبادروهُ وقتلوه كما تقدم في ترجمته .

وتولى أسد الدين الوزارة يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة ، وأقام بها شهرين وخمسة أيام ، ثم توفي فجأة يوم السبت الثاني والعشرين ، وقال الروّاحي : يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن بها ، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه ، رحمه الله تعالى ، وتولى مكانه صلاحُ الدين .

وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^١ : إن أسد الدين كان كثير الأكل ، شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة ، فأخذه مرض شديد ، واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور^٢ ، ولم يخلف ولداً سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب الملك القاهر .

(58) ولما مات أسدُ الدين أخذ نور الدين حمصَ منهم في رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . فلما ملك صلاحُ الدين الشام أعطى حمصَ لناصر الدين المذكور ، ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ونقلته زوجته بنتُ عمه ستُ الشام بنتُ أيوب إلى تربتها بدمرتها بدمشق ظاهر البلد ، ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره .

(59) ومَلَكَ حمص بعده ولده أسدُ الدين شيركوه ، ومولده في سنة تسع وستين وخمسمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستائة بجمص ، ودفن في تربته داخل البلد^٣ . وكانت له أيضاً الرحبة وقد مُر

١ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

٢ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة س .

٣ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة ص والسودة .

وماكسين من بلد الخابور .

(60) وخلف جماعة من الاولاد ، فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم . ولم يزل حتى توفي يوم الجمعة عاشر صفر سنة أربع وأربعين وستائة بالنيرب من غوطة دمشق ، ونُقل إلى حمص ، ودفن ظاهر البلد في مسجد الخضر عليه السلام من جهتها القبلية .

(61) وترتب مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى . وأخبرني الأشرف المذكور بدمشق في أواخر سنة إحدى وستين وستائة أن مولده في السنة التي كسر فيها الخوارزمية بالروم ، وأن والده بُشِّرَ به وهم راجعون من هناك . وكانت الواقعة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستائة حسبا هو مشروح في ترجمة الأشرف بن العادل ، وقال لي : إن والده لما بُشِّرَ به قال للملك الأشرف بن العادل : يا خوند قد زاد في ممالكك واحد ، فقال : سمّه باسمي ، فسماه الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسى .

وكانت وفاة الأشرف بن المنصور المذكور بمحصر يوم الجمعة عاشر صفر سنة اثنتين وستين وستائة ، ودفن عند قبر أسد الدين شيركوه جده داخل حمص ، فيكون تقدير ولادته في شوال أو ذي القعدة سنة سبع وعشرين .

وشيركوه : لفظ عجمي تفسيره بالعربي أسد الجبل ، فشير : أسد ، وكوه : جبل .

وحجّ شيركوه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة من دمشق على طريق تيماء وخيبر ، وفي تلك السنة حج زين الدين عليّ بن بكتكين على طريق العراق ، واجتمع بالخليفة .

حَرْفُ الضَّادِ

أبو عمر الجرمي

أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي؛ كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة، وهو من البصرة وقدم بغداد، وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقتهم^٢.

وكان ديناً ورعاً حسن المذهب صحيح الاعتقاد، روى الحديث، وله في النحو كتاب جيد يُعرف بـ «الفرخ»، معناه^٣ فرخ كتاب سيبويه، وناظر بغداد الفراء.

وحدّث أبو العباس المبرد عنه قال: قال لي أبو عمر: قرأت ديوان الهذليين على الأصمعي، وكان أحفظ له من أبي عبيدة، فلما فرغت منه قال لي: يا أبا عمر، إذا فات الهذلي أن يكون شاعراً أو رامياً أو ساعياً فلا خير فيه.

وكان يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال: لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم تَرَ، ولا علمت ولم تعلم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الاسراء: ٣٦).

وقال المبرد أيضاً: كان الجرمي أثبت القوم في كتاب سيبويه، وعليه قرأت الجماعة.

٢٩٩ - ترجمة صالح الجرمي في معجم الأدباء ١٢: ٥ وبغية الوعاة: ٢٦٨ وانباء الرواة ٢: ٨٠ وتاريخ بغداد ٩: ٣١٣ وشذرات الذهب ٢: ٥٧ وغاية النهاية ١: ٣٣٢ والفهرست ٥٦ ونزهة الألباء: ٩٨ وقد جاءت هذه الترجمة في المسودة دون نقص.

١ ج ٥: أبو عمرو (حيثما وقع).

٢ وطبقتهم: سقطت من ص.

٣ ج د: يعني.

وكان عالماً باللغة حافظاً لها، وله كتب انفرد بها ، وكان جليلاً في الحديث والأخبار ، وله كتاب في السير عجيب وكتاب « الأبنية » وكتاب « المروض » ومختصر في النحو وكتاب « غريب سيويه » . وذكره الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في « تاريخ أصبهان »^٢ . وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والجرمي - بفتح الجيم وسكون الراء وبعدها ميم - هذه النسبة إلى عدة قبائل كل واحدة يقال لها جرّم ، ولا أعلم إلى أيها ينسب أبو عمر المذكور ، ولم يكن منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم ، ثم وجدت في كتاب « الفهرست »^٣ تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبي يعقوب الوراق النديم البغدادي أن أبا عمر المذكور مولى جرّم بن ربّان ، وفي كتاب السمعاني أن ربان بالراء والباء الموحدة المشددة ، وهو ربان بن عمران بن الحاف بن قضاة القبيلة المشهورة ، وقيل إنه مولى بجيلة أيضاً . وفي بجيلة جرّم بن علقمة بن أثمار ، والله أعلم بالصواب^٤ .

وما أحسن قول زياد الأعجم في هجو جرّم^٥ :

تكلفني سويقَ الكرم جرّمٌ وما جرّمٌ وما ذاك السويقُ
وما شربته جرّمٌ وهو حِلٌّ ولا غالت به منذ كان سوق
فلما أنزلَ التحريمُ فيها إذا الجرميُّ منها لا يُفِيقُ

وكتنى بالسويق عن الحمر ، وفي ذلك كلام يطول شرحه فأضربت عنه ،

١ ومختصر في النحو : سقط من ص .

٢ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٤٦ .

٣ الفهرست : ٥٧ .

٤ ثم وجدت ... بالصواب : سقطت من س .

٥ زياد الأعجم : من شعراء العصر الأموي كانت به لكنة ولذلك سمي الأعجم ، وقيل سمي الأعجم لكثرة لحنه بسبب سكناه بفارس إذ كان ينزل إصطخر . وأبياته في الشعر والشعراء : ٣٤٥ وانظر الأغاني ١٤ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢١ والمؤتلف : ١٣١ والخزانة ٤ : ١٩٢ والشعر والشعراء : ٣٤٣ .

وحاصل ما قالوه أن الشاعر كنى عن الحجر بالسويق لانسياقها في الحلق ، فسماها سويقاً لذلك .

٣٠٠

صالح بن مرداس

أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن مدرك ابن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الكلابي ؛ كان من عرب البادية ، وقصد مدينة حلب وبها مرتضى الدولة ابن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن سعد الدولة نصر بن سيف الدولة بن حمدان نيابة عن الظاهر بن الحاكم العبّيدي صاحب مصر ، فاستولى عليها وانتزعها منه ، وكان ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة وشوكة ، وكان تملكه لها في ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، واستقر بها ورتب أمورها ، فجهز إليه الظاهر المذكور أمير الجيوش أنوشكين الدزبري في عسكر كثيف - والدزبري بكسر الدال المهمل والباء الموحدة وبينها زاي وفي الآخر راء ، هذه النسبة إلى دزبر بن أويتم الديلمي وهو بالدال وبالطاء ، أيضاً ، وكان بدمشق نائباً عن الظاهر ، وكان ذا شهامة وتقدمة ومعرفة بأسباب الحرب - فخرج متوجهاً إليه ، فلما سمع صالح الخبر خرج إليه ، وتقدم حتى تلاقيا على الأقحوانة فتصافوا وجرت بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسد الدولة صالح المذكور ، وذلك في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقيل تسع عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

٣٠٠ - أخبار صالح بن مرداس في ابن الأثير (ج : ٩) وابن خلدون : ٢٧١ وزبدة الحلب (١) : (٢٧٧) ؛ وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمة .

وهو أول ملوك بني مرداس المملكين لحلب . وسيأتي ذكر حفيده نصر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن حيّوس الشاعر .

ومرداس : بكسر الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وبعد الألف سين مهملة .

والأقحوانة : بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة وفتح الواو وبعد الألف فون مفتوحة ثم هاء ساكنة ، وهي بليدة بالشام من أعمال فلسطين بالقرب من طبرية . وبالبحاز أيضاً بليدة يقال لها الأقحوانة كان يسكنها الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وفيها يقول من جملة أبيات^١ :

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلِنَا فَالْأَقْحَوَانَةُ مَنَّا مَنْزِلُ قَمْنُ
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ صَفْوًا لَا يَكْدِرُهُ طَعْنُ الْوَشَاةِ وَلَا يَتَّبِعُونَا الزَّمَنُ

٣٠١

صاعد البغدادي اللغوي

أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الرّبّعيّ البغدادي اللغوي صاحب كتاب « الفصوص » ؛ روى بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي سليمان الخطابي ، ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور ابن أبي عامر في حدود الثمانين والثلاثمائة ، وأصله من بلاد الموصل ، ودخل بغداد ، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة مُتّبِعاً ، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه ، وكان مع ذلك

١ انظر الاغاني ٣ : ٣٢٠ .

٣٠١ - ترجمة صاعد البغدادي في الذخيرة ١/٤ : ٢ وانباه الرواة ٢ : ٨٥ والجدوة : ٢٢٣

وبغية الوعاة : ٢٦٧ وفتح الطيب ٣ : ٧٥ (رقم : ٥٩) .

محسناً للسؤال حاذقاً في استخراج الأموال ، وجمع له كتاب « الفصوص » نحا فيه منحى القالي في أماليه ، وأتابه عليه خمسة آلاف دينار ، وكان يُتهم بالكذب في نقله ، فلهذا رَفَضَ الناس كتابه .

ولما دخل مدينة دائية وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار ، فقال للموفق مجاهد : دعني أعبث بصاعد ، فقال له مجاهد : لا تتعرض إليه فإنه سريع الجواب ، فأبى إلا مشاكته ، فقال له بشار ، وكان أعمى : يا أبا العلاء ، فقال : لبّيك ، فقال : ما النجرَ نفلُ في كلام العرب ؟ فعرف أبو العلاء أنه قد وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة ، فقال له بعد أن أطرق ساعة : هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن ، ولا يكون الجر نفل جر نفلاً حتى لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكتفي ، قال : فخجل بشار وانكسر ، وضحك مَنْ كان حاضراً ، فقال له الموفق : قلتُ لك لا تفعل فلم تقبل .

وتوفي صاعد المذكور سنة سبع عشرة وأربعمائة بصقلية ، رحمه الله .
ولما ظهر^٢ للمنصور كذبه في النقل^٣ وعدم تثبته ، رمى كتاب « الفصوص » في النهر ، لأنه قيل له : جميع ما فيه لا صحة له ، فعمل فيه بعض شعراء عصره :

قد غاص في البحر كتاب الفُصوصُ وهكذا كلُّ ثقیل یغوصُ

فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد :

عاد إلى عُنُصره إنما يخرج من قعر البحور الفُصوصُ

وله أخبار كثيرة في الامتحان^٤ ، ولولا التطويلُ لذكرتها .

والجر نفل : بفتح الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام .

١ : مساءلته .

٢ : ص : حكي .

٣ : أ : القول .

٤ : انفردت النسخة ج في هذا الموضع برواية أخبار صاعد وكلها منقول عن الذخيرة لابن بسام =

صدقة بن ديبس

أبو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخر الدين بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزَيْد الأسدي الناشري صاحب الحِلَّة السيفية؛ كان يقال له ملك العرب وكان ذا بأس وسطوة وهيبة ، ونافرَ السلطان محمد ابن ملكشاه بن ألبَ أَرَسِلَانَ السلجوقي وأفضت الحال إلى الحرب ، فتلقيا عند النعمانية ، وقتل الأمير صدقة المذكور في المعركة يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ، وقيل العشرين من رجب سنة إحدى وخمسة ، وحُمِلَ رأسه إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

وذكر عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في استدراكاته على السمعي في كتاب « الأنساب »^١ أنه توفي سنة خمائة ، والله أعلم .

وله نظَمَ الشريف أبو يعلى محمد بن الهَبَّارية كتاب « الصادح والباغم » - وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة ابن الهَبَّارية ، إن شاء الله تعالى^٢ - .

١/٤ : ٧ - ١٦ ، فأغنانا ذلك عن إثباتها هنا ، وقول المؤلف « ولولا التطويل لذكرتها » يشير إلى أنه بنى الترجمة على الإيجاز ؛ وما ورد هنا هو ما جاء بهتمامه في المسودة أيضاً .
٣٠٢ - أخبار صدقة بن ديبس في ابن الأثير (ج : ١٠) وابن خلدون ٥ : ٣٨ وأخبار الدولة السلجوقية : ٨٠ - ٨١ ، قلت : وقد استكملت المسودة هذه الترجمة بتمامها .

١ انظر مادة « الناشري » في كتاب اللباب .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضوع بالزيادة التالية : ورأيت في بعض التواريخ أن صدقة المذكور كان قد بنى داراً فوقت فيها نار يوم الفراغ منها ، فعمل الحكيم أبو الفرج ابن التليذ :

يا بانياً دار الملا مليتها لتريدهما شرفاً على كيوان

علمت بأنك إنما شتيتها للمجد والافضال والإحسان

فقت عوائدك الكرام وأقبلت تستقبل الأضياف بالنيران

(قلت : انظر طبقات ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٩٥ ط. بيروت) .

(62) وكانت وفاة والده أبي كامل منصور في أواخر شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

(63) وتوفي جده دُبَيْسُ المذكور ولقبه نور الدولة أبو الأغرّ في ليلة الأحد عاشر شوال سنة ثلاث ، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة ، وكانت إمارته سبعا وستين سنة ، ولي الإمارة سنة ثمان وأربعمائة وعمره يوم ذاك أربع عشرة سنة ، وكان أبو الحسن علي بن أفلح الشاعر المشهور كاتباً بين يديه في شببته^١ .

(64) وتوفي جد أبيه علي بن مزّيد سنة ثمان وأربعمائة ، وقد تقدم ذكر ولده دبّيس بن صدقة في حرف الدال .

ودبّيس : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة .

ومزّيد : بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

والأسدي والناصري : تقدم الكلام عليها في حرف الدال في ترجمة دبّيس .
والحِلَّة : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها هاء ساكنة ، وهي بلدة بالعراق بين بغداد والكوفة على الفرات في بر الكوفة ، اختطّها سيف الدولة صدقة المذكور في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، فنسبت إليه .
والنعمانية ، بضم النون ، بلدة بين الحِلَّة وواسط .

١ وكان أبو الحسن ... شببته : سقط من ص ر ، وثبت في س وفي هامش المسودة .

صالح بن عبد القدوس

أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزدي؛ أحد الشعراء، اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله، فأحضر، فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله، فلما ولّى رده وقال: ألت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه

قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر؛ ويقال إن المهدي أبلغ عنه أبياتاً عرض فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فأحضره المهدي وقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادروا الحدود بالشبهات، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رقى له وأمر بتخليته. فلما ولي قال: أنشدني قصيدتك السنيئة، فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها: والشيخ لا يترك أخلاقه... فأمر به حينئذ فقتل. ومن مستحسنات قصائد صالح المذكور القصيدة التي أولها:

المرء يجمع الزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق

٣٠٣ - كان شاعراً حكيماً يجلس في مسجد البصرة ويقص على الناس، وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وهو يكثر في شعره من الأمثال والحكم (انظر تاريخ بغداد ٩: ٣٠٣ ومعجم الأدباء ١٢: ٦ ونكت الحميان ١٧١: ٦ وتهذيب ابن عساكر ٦: ٣٧١ والقوات ١: ٣٩١ وميزان الاعتدال ٢: ٢٩٧) وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص.

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
ومن الرجال إذا استوت أحلامهم
حتى يجيل بكل واد قلبه
ما الناس إلا عاملان فعامل
والناس في طلب المعاش فإنما
لو يرزقون الناس حسب عقولهم
لكنه فضل المليك عليهم
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا
سكت الذي تبع العروس مبهتاً
ومن مختار شعره :

ان الغني الذي يرضى ببعيشته
لا تحقرن من الأيام محتقراً
قد يحفز المرء ما يهوى فيركبه
لا من يظل على ما فات مكتئباً
كل امرئ سوف يجزى بالذي اكتسباً
حتى يكون إلى توريطه سبباً

قال أحمد بن عبد الرحمن المعبر : رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام
ضاحكاً مستبشراً فقلت له : ما فعل بك ربك ، وكيف نجوت مما كنت ترمى
به ؟ قال : إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية ، فاستقبلني برحمته وقال :
لقد علمت براءتك مما كنت تُقذِفُ به . وكان قتله سنة سبع وستين ومائة .

صالح المري

أبو بشير صالح بن بشير القاريء المعروف بالمري ؛ من أهل البصرة ، حدث عن الحسن ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله وغيرهم ؛ روى عنه شجاع بن أبي نصر البلخي وسريخ بن النعمان الجوهري وعفان بن مسلم وغيرهم .

كان عبداً صالحاً ، وكان المهدي قد بعث إليه فأقدمه عليه ؛ قال صالح المري : دخلت على المهديّ بالرصافة ، فلما مثلت بين يديه قلت : يا أمير المؤمنين ، احمل الله ما أكلك به اليوم ، فإنّ أولى الناس بالله أحملهم لفظة النصيحة فيه ، وجديرٌ بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ، ويأتمّ بهديه ، وقد ورّثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك ، فمهما ادعيتَ من حجة أو ركبتَ من شبهة لم يصحّ لك فيها برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلتَه من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل ؛ واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالف في أمته [يبتزها] أحكامها . ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه ، كان الله خصمه ، فأعدّ لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حججاً تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة . واعلم [أن أبطأ الصرعى نهضة] صريح هوى ، وأن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ، ولكن تمثل له الآساءة إحساناً ، ويشهد له

٣٠٤ - صالح بن بشير زاهد واعظ بصري ؛ ضعفه ابن معين والدارقطني ، وقال البخاري : منكر الحديث ؛ انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٥ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٩ وذكر أن وفاته سنة ١٧٣ ، وقال في العبر (ج ١ ص ٢٦٢) فيها أر في ١٧٦ ؛ وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص وهي متابعة لما في تاريخ بغداد .

عليها خونة العلماء ، وبهذه الجبالة تصيدت الدنيا نظراؤك ، فأحسن الحمل فقد أحسنتُ إليك الأداء ؛ قال : فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله ؛ وحكى بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوباً في دواوين المهدي .

وقال عفان بن مسلم : كنتُ نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقصّ ، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه شكلى . وكان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث بن عبد القيس . ومات سنة ست وسبعين ، ومائة ، رحمه الله تعالى .

حَرْفُ الْإِضْطِاقِ

الأحنف بن قيس

أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف ، وقيل اسمه صخر ، وهو الذي يضرب به المثل في الحِلْمِ - والحارث المذكور لقبه مقاعس - .

كان من سادات التابعين رضي الله عنهم ؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتمرة ، وذكره الحافظ أبو نعيم في « تاريخ أصبهان »^١ وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ما صورته^٢ : ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ، ولم يجيبوا إلى اتباعه ، فقال لهم الأحنف : إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملامتها ، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وفد عليه . وكان من جلة التابعين وأكابرهم ، وكان سيد قومه ، موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم ، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة ، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين ، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان ، رضي الله عنها .

٣٠٥ - ترجمة الأحنف بن قيس في طبقات ابن سعد ٧ : ٩٣ وتهذيب ابن عساکر ٧ : ١٠ وتهذيب التهذيب ١ : ١٩١ وسرح العمون : ٥٤ ؛ وأخبار حله والحكايات عنه منشورة في كتب الأدب .

١ تاريخ أصبهان ١ : ٢٢٤ .

٢ المعارف : ٤٢٣ .

ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوماً فقال له معاوية : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال له الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أعقادها ، وإن تدن من الحرب فترأ نَدْنُ منها شبراً ، وإن تمس إليها نهول إليها ، ثم قام وخرج . وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا أمير المؤمنين ، مَنْ هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب .

وروي أن معاوية أيضاً لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها ، والأحنف بن قيس جالساً ، فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بجر ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت ، فقال له معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بألوف ؛ فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالبواب فقال له : يا أبا بجر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله سبحانه وتعالى هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فليس نطمع في استخراجها إلا بما سمعت ، فقال له الأحنف : أمسيك عليك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله تعالى وجيهاً .

ومن كلام الأحنف : في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يُدخلاني بينها ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم

١ ج : ساكت .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضع بهذه الزيادة : وقال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟ قال : إن شئت حدثتك ألفاً ، وإن شئت حذفته الحديث لك حذفاً ، قال : احذفه لي حذفاً ، قال : وإن شئت فثلاثاً وإن شئت فاثنتين وإن شئت فواحدة ، قال : ما الثلاث ؟ قال : كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقاً ، قال : فما الثنتان ؟ قال : كان موقفاً للخير معصوماً عن الشر ، قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أشد الناس على نفسه سلطاناً .

ادع إليه ، يعني الملوك ، ولا حلت حبوتي^١ إلى ما يقوم الناس إليه .
 ومن كلامه : ألا أدلكم على المحمّدة بلا مرزئة ؟ الخلق السجّيح والكف عن
 القبيح ، ألا أخبركم بأدواء الداء ؟ الخلق الديء واللسان البذيء .
 ومن كلامه : ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن . وقال :
 ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقّت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف
 عند ذوي الأحساب والآداب . وقال : كثرة الضحك تُذهب الهيبة ، وكثرة
 المزاح تُذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عُرف به .
 وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أمُدحت أم ذُمت ، فقال له : لقد
 استرحت من حيث تعب الكرام .

ومن كلامه : جنّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإنّي أبغض الرجل
 يكون وصافاً لفرجه وبطنه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو
 يشتهيّه .

وقال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور : شهدت الأحنف بن
 قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم ، فقال : احكوا ، فقالوا : نحكم
 بديتين . قال : ذلك لكم ، فلما سكتوا قال : أنا أعطيك ما سألتم غير أني
 قائل لكم شيئاً ، إن الله عز وجل قضى بديّة واحدة ، وإن النبي صلى الله عليه
 وسلم قضى بديّة واحدة ، وأنتم اليوم طالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ،
 فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سنتم لأنفسكم ، فقالوا : فردّها إلى دية واحدة ؛
 فحمد الله وأثنى عليه وركب .

وسئل عن الحلم ما هو فقال : هو الذل مع الصبر . وكان يقول إذا عجب
 الناس من حلمه : إني لأجد ما تجدون ، ولكنني صبور . وكان يقول : وجدت
 الحلم أنصر لي من الرجال . وكان يقول : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم
 المنقري ، لأنه قَتَلَ ابنُ أخ له بعضَ بنيه فأتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه ،
 فقال : ذَعَرْتَم الفتى ، ثم أقبل على الفتى فقال : يا بني ، بس ما صنعت : نقصت

١ كتب فوقها في المسودة « معاً » أي بضم الحاء وفتحها .

عددك وأوهنت عضدك وأشمت^١ عدوك وأسأت بقومك ؛ خلوا سبيله ، واحلوا
إلى أم المقتول ديتة فإنها غريبة . ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا
تغير وجهه^٢ .

وكان^٣ زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقيين كثير الرعاية لحارثة بن بدر
الغداني وللأحنف ، وكان حارثة مكباً على الشراب ، فوقع أهل البصرة فيه
عند زياد ولاموا زياداً في تقريبه ومعاشرته ، فقال لهم زياد : يا قوم ، كيف
لي باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق ، ولم يصكك ركابي ركاباه قط ،
ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي ، ولا أخذ علي
الروح في سيف قط ، ولا الشمس في شتاء قط ، ولا سألته عن شيء من
العلوم إلا وظننته لا يحسن سواه ، ثم وجدت هذا الكلام في كتاب « ربيع
الأبرار » تأليف الزمخشري في باب معاشرة الناس على هذه الصورة ، والله أعلم .
وأما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال . فلما مات زياد وتولى ولده عبيد الله
قال لحارثة : إما أن تترك الشراب أو تبعد عني ، فقال له حارثة : قد علمت
حالي عند والدك ، فقال عبيد الله : إن والدي كان قد برع بروعاً لا يلحقه
معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب علي ، وأنت رجل تديم
الشراب فمتى قربت بك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يُظنَّ بي ،
فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني ، فقال له حارثة : أنا لا أدعه
لمن يملك ضري ونفمي ، أفأدعه للحال عندك ؟ قال : فاختر من عملي ما شئت ،
قال : توليني سُرق فقد وصف لي شرابها ، وتضم إليها رامَ هُرْمُز ، فولاه إياهما ،
فلما خرج شيعة الناس ، فقال له أنس بن أبي أنس ، وقيل أبو الأسود الدؤلي^٤ :

أحارِبَ بنَ بدرٍ قد وُكِّيتَ إمارةً فكن جُرْداً فيها تخون وتَسْرِقُ
ولا تحتقر يا حارِ شيئاً وجَدْتَهُ فحظك من مال العراقيين سُرق

١ وسمع الأحنف ... ولا تغير وجهه : سقط من س وبعضه من ص والمسودة ؛ وانظر الجمان لابن

ناقيا : ٢٥٣ .

٢ قارن بما في الاغانى ٢٣ : ٤٤٦ .

٣ رواها أبو الفرج (٢٣ : ٤٧١) لأبي الأسود الدؤلي .

وباه تيمماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرء الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
فإن جميع الناس إما مكذب يقول بما تهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حَقِّقُوا لم يحققوا

وأما الأحنف فإنه تغيرت منزلته عند عبيد الله أيضاً ، وصار يقدم عليه من
لا يساويه ولا يقاربه .

ثم إن عبيد الله جمع أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم إلى الشام
للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء
العراق ، فقال : أدخلهم إليّ أولاً فأولاً على قدر مراتبهم عندك . فخرج إليهم
وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، وآخر من دخل الأحنف . فلما رآه
معاوية - وكان يعرف منزلته ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته - قال له :
إليّ يا أبا بجر ، فتقدم إليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله
ويحادثه وأعرض عن بقية الجماعة ؛ ثم إن أهل العراق أخذوا في الشكر من
عبيد الله والثناء عليه ، والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا
بجر ؟ فقال : إن تكلمتُ خالفتم ، فقال لهم معاوية : اشهدوا عليّ أنني قد
عزلت عبيد الله عنكم ، قوموا انظروا في أمير أوليه عليكم وترجعون إليّ بعد
ثلاثة أيام . فلما خرجوا من عنده كان فيهم جماعة يطلبون الإمارة لأنفسهم وفيهم
من عيّن غيره وسعّوا في السر مع خواصّ معاوية أن يفعل لهم ذلك ، ثم
اجتمعوا بعد انقضاء الثلاثة كما قال معاوية ، والأحنف معهم ، ودخلوا عليه
فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول ، وأخذ الأحنف إليه كما فعل أولاً وحادثه
ساعة ، ثم قال : ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ فجعل كل واحد يذكر شخصاً ،
وطال حديثهم في ذلك وأفضى إلى منازعة وجدال ، والأحنف ساكت ، ولم
يكن في الأيام الثلاثة تحدّث مع أحد في شيء ، فقال له معاوية : لم لا تتكلم
يا أبا بجر ؟ فقال الأحنف : إن وليتَ أحداً من أهل بيتك لم تجد من يعدل
عبيد الله ولا يسدّ مسدّه ، وإن وليت من غيرهم فذلك إلى رأيك . ولم يكن في

الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله مَنْ ذكره في هذا المجلس ولا سأل عَوْدَهُ إِلَيْهِمْ ، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة : اشهدوا عليّ أني أعدت عبيد الله إلى ولايته ، فكلُّ منهم ندم على عدم تعيينه ، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولّي . فلما فَصَلَ الجماعة من مجلس معاوية خلا بعبيد الله وقال له : كيف ضيعت مثل هذا الرجل - يعني الأحنف - فإنه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عَرَّجُوا عليك لما فوضت الأمر إليهم ، فمثل الأحنف مَنْ يتخذ الانسان عوناً وذُخْراً . فلما عادوا إلى العراق أقبل عليه عبيد الله وجعله بِطَانَتَه وصاحب سره . ولما جرت لعبيد الله تلك الكائنة المشهورة لم ينفعه فيها سوى الأحنف ، وتخلّى عنه الذين كان يعتقدهم أعواناً .

وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير ، فخرج معه إلى الكوفة ، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين عن سبعين سنة ، والأول أشهر ، رضي الله عنه ، وكان قد كبر جداً ، ودفن بالثَوِيَّة عند قبر زياد .

وحكى عبد الرحمن بن عمار بن عتبة بن أبي معيط قال : حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة ، فكننت فيمن نزل قبره ، فلما سويته رأيت قد فُسِح له مَدَّةٌ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي ، فلم يروا ما رأيت ؛ ذكر ذلك ابن يونس في « تاريخ مصر » المختص بالغرباء في ترجمة عبد الرحمن المذكور . وهو أحد [السادات] الطُّلُس ، كما تقدم في أخبار القاضي شريح .

[وحدث الكندي عن أبيه قال : ان معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن سب علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس ،

١ هـ : اخوانا .

٢ في المسودة : فلما .

٣ زيادة من ص .

٤ ص : ترجمة .

وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل آتفاً لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لفعل ؛ فاتق الله ودع عنك علياً فقد لقي ربه وأُفرد في قبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز سيفه ، الطاهر ثوبه ، الميمون نقيبته ، العظيم مصيبته . فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين عن القذى وقلت فيما ترى ، وإيم الله لتصعدن المنبر وتلعننه طوعاً أو كرهاً . فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إن تعفي فهو خير لك وإن تجبرني فوالله لا تجبرني به شفتاي أبداً . قال : قم فاصعد ، قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل ، قال : وما أنت قائل يا أحنف ان انصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله تعالى بما هو أهله وأصلي على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقول : أيها الناس ، ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وإن علياً ومعاوية اقتتلا واختلفا فادعى كل منهما انه مغيّب عليه وعلى فنته ، فإذا دعوت فأمتنوا رحمكم [الله] ، ثم أقول : اللهم المن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منها على صاحبه ، واللعن الفئة الباغية لعنا كثيراً ، أمتنوا رحمكم الله ؛ يا معاوية لا ازيد على هذا حرفاً ، ولا انقص منه حرفاً ، ولو كان فيه ذهاب نفسي . فقال معاوية : إذنت نعيمك أبا بجر . ومثل هذا ما قال معاوية أيضاً لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه : ان علياً قد قَطَعَكَ وَوَصَلَتِكَ ، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر ، قال : أفعل ، قال : فاصعد المنبر ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ثم نزل ، فقال له معاوية : انك لم تبتن ، قال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر ، والكلام على نية المتكلم .

وكان الأحنف بن قيس يقول : عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر ؛ وكان يقول : اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار . وقال الأحنف : شكوت إلى عمي مصيبةً نزلت بي فأسكتني ثلاثاً ثم قال لي : يا أبا بجر ، لا تشك الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره .

وقال رجل للأحنف : أخبرني الثقة عنك بسوء ، قال : الثقة لا ينم^١ .
 ووُلد ملتزق الأليتين حتى شقَّ ، أحنفَ الرَّجُلِ يَطأُ على وحشيتها ولذلك
 قيل له الأحنف ، وذهبت عينه عند فتح سمرقند ، ويقال بل ذهبت بالجدري ؛
 وكان متراكب الأسنان صغير الرأس مائل الذقن ، وقَتَلَ عنترَةُ بن شداد
 العبسي الفارس المشهور جدَّهُ معاوية بن حصين في يوم الفَرُوقِ ، وهو أحد أيام
 وقائع العرب المشهورة .
 وهانئا ألفاظ تحتاج إلى تفسير ، فالأحنف : المائل ، ووحشي الرَّجُلِ :
 ظهرها .

والغداني : بضم الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون ، هذه
 النسبة إلى غدانة بن يَرْبُوع ، بطنٍ من تميم .
 ورامَ هُرْمَزُ : مشهورة لا حاجة إلى ضبطها ، وهي من بلاد الأهواز من
 إقليم خوزستان الذي بين البصرة وفارس .
 وسُرَّقَ : بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة وبعدها قاف ، من كور
 الأهواز أيضاً ومدينتها دَوْرَقُ : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء
 وبعدها قاف ، ويقال لها : دورق الفرس .
 والثَوِيَّةُ : بفتح الثاء المثلثة وكسر الواو وتشديد الياء المثناة من تحتها ،
 وتصغر أيضاً فيقال لها الثَوِيَّةُ ، اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من
 الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم ، وفيه ماء .
(65) وكان للأحنف ولد يقال له بحر ، وبه كُني ، وكان مضعوفاً ، قيل
 له : لم لا تتأدب بأخلاق أبيك ؟ فقال : الكسل . ومات وانقطع عقبه .

حَرْفُ الظَّاءِ

طاوس

أبو عبد الرحمن طاوس بن كَيْسَانَ الخَوْلَانِي الهَمْدَانِي اليَمَانِي ، من أبناء
الفرس ؛ أحد الاعلام التابعين ، سمع ابن عباس وأبا هريرة رضي الله عنهما ،
وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار ، وكان فقيهاً جليل القدر نبهه الذكر . قال
ابن عُيَيْنَةَ : قلت لعبيد الله بن يزيد : مع من تدخل على ابن عباس ؟ قال :
مع عطاء وأصحابه . قلت : وطاوس ؟ قال : أَيْهَاتَ ، كان ذلك يدخل مع
الخواص . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً قط مثل طاوس .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس المذكور : إن أردت
أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .
وتوفي حاجاً بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك
وذلك في سنة ست ومائة رضي الله عنه ، وقيل سنة أربع ومائة ، والله أعلم .
قال بعض العلماء : مات طاوس بمكة فلم يتبها إخراج جنازته لكثرة الناس ،
حتى وجهه إبراهيم بن هشام الخزومي أمير مكة بالحرس ، فلقد رأيت عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، واضع السرير على
كاهله ، وقد سقطت قَلَنْسُوَةٌ كانت على رأسه ومُرَّقٌ رداؤه من خلفه .
ورأيت بمدينة بَعْلَبَكَّ داخلَ البلد قبراً يزار ، وأهل البلد يزعمون أنه
طاوس المذكور ، وهو غلط .

٣٠٦ - ترجمة طاوس بن كيسان في طبقات ابن سعد ٧ : ٥٣٧ وتذكرة الحفاظ : ٩٠ وصفة
الصفوة ٢ : ١٦٠ وحلية الأولياء ٤ : ٣ وتهذيب التهذيب ٥ : ٨ وعبر الذهبي ١ : ١٣٠
والمقد الثمين ٥ : ٥٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٩ .

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » إن اسمه ذكوان، وطاوس لقبه وإنما لقب به لأنه كان طاوسَ القراء ، والمشهور أنه اسمه .

[وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : إيتوني برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين قد تفتانوا ، قال : فمن التابعين ، فأتي بطاوس اليماني ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال : كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همّ بقتله ، فقيل : يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لا يمكن ذلك ، فقال له : يا طاوس ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ فاشتد غضبه له وغيظه وقال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت : يا هشام كيف أنت ؟ قال : أما خلع نعليّ بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي ؛ وأما ما قلت : لم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً ؛ وأما ما قلت : لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه ، قال : يا داود يا يحيى يا عيسى ، وكسى أعداءه فقال : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ ؛ وأما قولك : جلست بإزائي ، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالسٍ وحوله قوم قيام ؛ فقال له : عظني ، قال : إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول : إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبلغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته . ثم قام وخرج .

قالت امرأة ماجنة : ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فإني تعرضت له فقال : إذا كان وقت كذا فتعال ، فبحث ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال : اضطجعي ، فقلت : هاهنا ؟ فقال : الذي يرانا هنا يرانا ثم .

وقال رجل لطاوس : ادع لي ، قال : ادع أنت لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

ابن جريج قال ، قال لي عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء ، إياك أن

ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وعليك بطلب حوائجك إلى مَنْ بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة ، طَلَبَكَ أن تدعوه ووعدك الإجابة .

وقال عبد الله بن طاوس : قال لي أبي : يا بني صاحب العقلاء تُنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن لكل شيء غاية ، وغاية المرء حسن عقله [١] .

وروي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاوس المذكور ومالك بن أنس رحمهما الله تعالى ، فلما دخلا عليه أطرق ساعة ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، وقال له : حدثني عن أبيك ؟ فقال : حدثني أبي أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكه ، فأمسك أبو جعفر ساعة ؛ قال مالك : فضمتُ ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه . ثم قال له المنصور : ناولني تلك الدواة ، ثلاث مراتٍ ، فلم يفعل ، فقال له : لم لا تناولني ؟ فقال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركك فيها ، فلما سمع ذلك قال : قوما عني ، قال : ذلك ما كنا نبغي . قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم .

والخَوْلَانِي : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف ثم نون ، هذه النسبة إلى خَوْلَان ، واسمه أفكل بن عمرو بن مالك ، وهي قبيلة كبيرة نزلت بالشام .

والهمْدَانِي : بسكون الميم وفتح الدال المهملة ، قد تقدم الكلام عليه ونسبته إليهم بالولاء .

أبو الطيب الطبري

أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي؛ كان ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه ، محققاً في علمه ، سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب ، يقول الشعر على طريقة الفقهاء .

[ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي - المقدم ذكره - في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري ، فقال مسنداً عنه : كتبتُ إلى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد ، وكان قد نزل في سويقة غالب :

وما ذاتُ دَرٍّ لا يجلُّ الحالبِ تناوله واللحمُ منها مُحكَلٌ
لمن شاء في الحالين حياً وميتاً ومن شاء شربَ الدَرِّ فهو مُضلل
إذا طعنتُ في السن فاللحمُ طيبٌ وآكلهُ عندَ الجميع مُغفَل
وخرفانها للأكل فيها كزازة فما لحصيفِ الرأي فيهنَّ ما كل
وما يجتني معناه إلا مبرزُ علمٍ بأسرار القلوب حصَل

فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً :

جوابانٍ عن هذا السؤال كِلَما صوابٌ ، وبعضُ القائلين مضلل
فمن ظنه كرمًا فليس بكاذبٍ ومن ظنه نخلاً فليس يجهل
لحومها الأعنابُ والرطبُ الذي هو الحلُّ ، والدَرُّ الرحيقُ المسكَل
ولكن ثمارُ النَّخلِ وهي غضيضةٌ تمرُّ وغضُّ الكرمِ يُجنى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليلُ مسائلًا
ولو لم أجب عنها لكنتُ يجهلها
فأجبتُه عنه ، وقلت :

أنا رَ ضميري مَنْ يعزُّ نظيره
ومَنْ قلبه كتبُ العلوم بأشْرها
تساوى له سِرُّ المعاني وجهرُها
ولما أثارَ الحبَّ قادَ منيعه
وقرَّبه مِنْ كلِّ فهمٍ بكشفه
وأعجبُ منه نظمُه الدرَّ مُسرعا
فيخرجُ مِنْ بَحْرٍ ويسمو مكانه
فهتاهُ اللهُ الكريمُ بفضلِه

فأجاب مرتجلاً وأملَى على الرسول :

ألا أيها القاضي الذي بدّهائِه
فؤادك ممهورٌ من العلم أهلُ
فإن كنتَ بين الناس غير ممولٍ
إذا أنتَ خاطبتَ الخصوم مجادلاً
كأنك مِنْ في الشافعيِّ مخاطب
وكيف يرَى علم ابن إدريس دارساً
تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما
لأنك في كنه الثريا فصاحةٌ
فمذركُ في أي أجبتك واثقاً
وأخطأتُ في إنفاذ رقتك التي
ولكن عداني أن أروم احتفاظها

سَيُوفُ على أهل الخلاف تُسكَلُ
وجدكُ في كل المسائلِ مقبل
فأنتَ من الفهم المصون مُمول
فأنتَ ، وهمُ مثل الحمام ، أجدلُ
ومِنْ قلبه تملي فما تتمهلُ
وأنتَ بإيضاح الهدى متكفل
فعلتَ وكفّتي عن جوابك أجل
وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل
بفضلك فالإنسان يسهُو ويذهل
هي المجدُ لي منها أخيرٌ وأوّل
رسولك وهو الفاضل المتفضل

ومن حقها. أن يصبح المسكُ عامراً لها وهي في أعلى المواضع تجعل
فمن كان في أشعاره مُتمثلاً فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بأنك فوقها ومثلك حقاً من به تتجمل

وذكر السمعاني في « الذيل » في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن
أحمد بن الحسين بن محمود اليزدي أنه كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه : إذا
خرج ذاك قعد هذا في البيت ، وإذا خرج هذا احتاج ذاك أن يقعد . قال
السمعاني : وسمته يقول يوماً ، وقد دخلت عليه مع علي بن الحسين الغزنوي
الواعظ مسلماً داره ، فوجدناه عرياناً ، متأزراً بمنزرة ، فاعتذر من العري وقال :
نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري :

قَوْمٌ إِذَا غَسَلُوا ثِيَابَ جَمَالِهِمْ لَبَسُوا الْبُيُوتَ إِلَى فِرَاقِ الْفَاسِلِ [١]

عاش مائة سنة وستين ، لم يختل عقله ولا تغير فهمه ، يفتي ويستدرك على
الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات .
تفقه بآمل على أبي علي الزجاجي صاحب ابن القاص ، وقرأ على أبي سعد
الإسماعيلي وأبي القاسم بن كجج يجرجان ، ثم ارتحل إلى نيسابور ، وأدرك أبا
الحسن الماسرجسي فصحبه أربع سنين وتفقه عليه ، ثم ارتحل إلى بغداد وحضر
مجلس الشيخ أبي حامد الاسفرايني . وعليه اشتغل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ،
وقال في حقه : « لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهاداً وأشد تحقيقاً وأجود نظراً
منه » .

وشرح مختصر المزني وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري ، وصنّف في الأصول
والمذهب والخلاف والجدل كتباً كثيرة .

وقال الشيخ أبو إسحاق : « لازمتم مجلسه بضع عشرة سنة ، ودرست
أصحابه في مسجده سنين بإذنه ، ورتبني في حلقة » ٢ .

١ ومن شعره ... إلى فراغ الفاسل : سقط من ص م م والمسودة .

٢ طبقات الشيرازي : وسألني أن أجلس في مسجد للتدريس ففعلت ذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة .

واستوطن بغداد وولي القضاء برُبْع الكَرْخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته .
 وكان مولده بآمل سنة ثمان وأربعين وثلثائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه سنة خمسين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ببغداد ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب وصلي عليه في جامع المنصور .
 والطبري : قد تقدم الكلام عليه أنه منسوب إلى طبرستان .
 وآمل : بمد الهمزة وضم الميم وبعدها لام ، مدينة عظيمة هي قصبه طبرستان .

٣٠٨

ابن بابشاذ النحوي

أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي ؛ يقال إن أصله من الديلم ، وكان هو بمصر إمام عصره في علم النحو ، وله المصنفات المفيدة ، منها : « المقدمة » المشهورة ، وشرحها ، و« شرح الجمل » للزجاجي ، و« شرح كتاب الأصول » لابن السراج ، وجمع في حال انقطاعه شكة^٢ كبيرة في النحو ، يقال إنها لو بُيَضَتْ قاربت خمس عشرة مجلدة ، وسماها النحاة بعده الذين وصلت إليهم « تعليق الغرفة » [وانتقلت هذه التعليقة إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بن بركات السعدي^٣ النحوي اللغوي المتصدر موضعه ، ثم انتقلت منه إلى صاحبه : أبي محمد عبد الله بن برّي النحوي المتصدر في مكانه ، ثم انتقلت بعده إلى صاحبه

٣٠٨ - ترجمة ابن بابشاذ النحوي في مجمع الأدباء ١٢ : ١٧ وبغية الوعاة ٥ : ٢٧٢ وانباه الرواة

٢ : ٩٥ والشذرات ٣ : ٣٣٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٠٥ .

١ القفطي : أصله من العراق ، وكان جده أو أبوه قدم مصر تاجراً .

٢ الشكة : لم أجد لها معنى مناسباً في المعاجم ، وهي تفيد هنا مجموعة جذاذات .

٣ القفطي : السعدي .

أبي الحسين النحوي المنبوز بثلط الفيل ، المتصدر في موضعه ، وقيل : إن كل واحد من هؤلاء كان يهبها لتلميذه ويعهد إليه بحفظها^١ . ولقد اجتهد جماعة من الطلبة في نَسْخِها ، فلم يتمكنوا من ذلك^٢ .

وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه . وكانت وظيفته بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يُعرض عليه ويتأمله ، فإن كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه ، وإلا استرضاه فسيروه إلى الجهة التي كتب إليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر ، وأقام على ذلك زماناً .

ويحكى أنه كان يوماً في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئاً عنده ناس ، فحضرهم قط^٣ فرموا له لقمة ، فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم ، فرموا له شيئاً آخر ففعل كذلك ، وتردد مراراً كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويفيب به ثم يعود من فَوْره ، حتى عجبوا منه ، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرتة ، فلما استرابوا حاله تبعوه فوجدوه يرقى إلى حائط في سطح الجامع ، ثم ينزل إلى موضع خالٍ صورة بيت خراب ، وفيه قط آخر أعمى ، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله . فعجبوا من تلك الحال ، فقال ابن بابشاذ : إذا كان هذا حيواناً أخرس قد سخر الله سبحانه وتعالى له هذا القط ، وهو يقوم بكفائته ولم يجرمه الرزق ، فكيف يُضَيِّع مثلي؟ ثم قطع الشيخ علانقه واستعفى من الخدمة ونزل عن راتبه ولازم بيته واشتغاله متوكلاً على الله سبحانه وتعالى . وما زال محروساً محمول الكلفة إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر ، ودفن في القرافة الكبرى ، رحمه الله تعالى ، وزرت بها قبره ، وقرأت تاريخ وفاته على حجر عند رأسه ، كما هو هاهنا .

وكان سبب موته أنه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ما حوله وأبقى ما لا

١ ذكر القفطي أنه أرسل من حلب من يشترى له تلك التعليقة بأي ثمن بلغت ، فذكر له الشخص المرسل أنها صارت إلى الملك الكامل محمد بن العادل .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

بُدَّ له منه ، كان انقطاعه في غرفة يجامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق بمصر ، فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع ، فزلَّتْ رجله من بعض الطاقات المؤدية للضوء^١ إلى الجامع ، فسقط وأصبح ميتاً .
 وبإشاذ : بباءين موحدتين بينها ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، وهي كلمة عجمية تتضمن الفرغ والسرور .

٣٠٩

طاهر بن الحسين

أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مُصْعَب بن رُزَيْق^٢ بن مَاهَانَ ، ورأيت في مكان آخر : رزيق بن أسعد بن رادويه ، وفي مكان آخر : أسعد بن زاذان - والله أعلم - وقيل مصعب بن طلحة بن رزيق الخزاعي بالولاء الملقب ذا اليمينين ؛ كان جده رزيق بن ماهان مولى طلحة الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط ، وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، وسيره من مَرَوْ كَرَسِيَّ خراسان لما كان المأمون بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد لما خلع المأمون بيعته ، والواقعة مشهورة ، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع طاهر عنه ، فتواقعا وقتل علي في المعركة .
 ذكر ابن العظيمي الحلبي^٣ في تاريخه أن الأمين وَجَّه علي بن عيسى بن

١ ص : إلى النور .

٣٠٩ - أخبار ذي اليمينين في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير (ج : ٦) والعيون والحدائق : ٣٣٢ - ٤٦٣ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٥ والديارات : ٩١ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٩ والشذرات ٢ : ١٦١ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣ وكتاب بغداد لابن طاهر : في صفحات مختلفة . وانظر التمثيل والمحاضرة : ٢٩١ والجيشياري : ٢٩٠ .

٢ س ص : رزيق .

٣ مر التعريف به في ترجمة عماد الدين زنكي .

ماهان للملاقة طاهر بن الحسين ، فلقية بالري فقتل علي بن عيسى لسبع^١ خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة . قلت : وذكر الطبري في تاريخه^٢ هذه الواقعة في سنة خمس وتسعين ، ولم يعين الشهر ، لكنه قال : إنه قتل في الحرب ، وسير طاهر بالخبر إلى مرو ، وبينهما نحو مائتين وخمسين فرسخاً ، فسار الكتاب ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، ولم يذكر في أي شهر ، فوصلهم يوم الأحد ، ثم قال بعد هذا^٣ : وخرج علي بن عيسى من بغداد لسبع ليال خلون من شعبان من سنة خمس وتسعين . والظاهر أن ابن العظيم اشتبه عليه يوم قتل علي بن عيسى بيوم خروجه من بغداد . ثم قال بعد هذا^٤ : إن الخبر وصل إلى بغداد بقتله يوم الخميس النصف من شوال من السنة ، فيحتمل أنه قتل لسبع أو لتسع من شوال ، وتصحَّف على الناسخ شوال بشعبان ، فيكون كما قال الطبري خرج من بغداد في شعبان ، وقتل في شوال أو في رمضان ، والله أعلم .

وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد ، وحاصر بغداد والأمين بها ، وقتله يوم الأحد لست أو أربع خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة ، ذكره الطبري في تاريخه ؛ وقال غيره : إن طاهراً سَير إلى المأمون يستأذنه في أمر الأمين إذا ظفر به ، فبعث إليه بقميص غير مَقْوَر ، فعلم أنه يريد قتله ، فعمل على ذلك ، والله أعلم ؛ وحمل رأسه إلى خراسان ووضع بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة ، فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته . وقيل لطاهر ببغداد لما بَلَغ ما بلغ : لِيَهْنِكَ ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس هينيني ذلك ، لأنني لا أرى عجائز بُوشَنج يتطلعن إلي من أعالي سطوحهن إذا مررت بهن ، وإنما قال ذلك لأنه ولد ونشأ بها ، وكان جده مصعب والياً عليها وعلى هراة .

١ ص : لتسع .

٢ تاريخ الطبري (حوادث : ١٩٥) ج ١٠ : ١٤١ (من الطبعة المصرية : ١٣٢٦) .

٣ ص : ١٤٩ من المصدر السابق .

٤ نص ما قاله الطبري (ص : ١٥٣) : ومشى القواد بعضهم إلى بعض وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة ١٩٥ فقالوا ان علياً (يعني علي بن عيسى بن ماهان) قد قتل .

وكان شجاعاً أديباً ، وركب يوماً ببغداد في حرّاقته ، فاعترضه مقدّسُ
ابن صيفي الخلوقي الشاعر ، وقد أدنيت من الشط ليخرج ، فقال : أيها الأمير ،
إن رأيت أن تسمع مني أبياتاً ، فقال : قل ، فأنشأ يقول :

عجبتُ لحرّاقة ابن الحسين لا غرقتُ كيف لا تنغرقُ
وبحّرانٍ : من فوقها واحدٌ وآخرُ من تحتها مطبقُ
وأعجبُ من ذلك أعوادها وقد مسّها كيف لا تورقُ ؟

فقال طاهر : أعطوه ثلاثة آلاف ديناراً ، وقال له : زدنا حتى نزيدك ،
فقال : حسي .

ولبعض الشعراء في بعض الرؤساء ، وقد ركب البحر ، وما أقصر فيه :

ولما امتطى البحرَ ابتهلتُ تضرُّعاً إلى الله يا مُجري الرياحِ بلطفه
جملتُ الندى من كفتهِ مثلَ موجهٍ فسلمته واجعلْ موجهٍ مثلَ كفتهِ

وكان طاهر قد احتاج إلى الأموال عند محاصرة بغداد ، فكتب إلى المأمون
يطلبها منه ، فكتب له إلى خالد بن جيلويه الكاتب ليقرضه ما يحتاج إليه ،
فامتنع خالد من ذلك ، فلما أخذ طاهر ببغداد أحضر خالداً وقال له : لأقتلنك
شر قتلة ، فبذل من المال شيئاً كثيراً فلم يقبله منه ، فقال خالد : قد قلتُ
شيئاً فاسمعه ، ثم شأنك وما أردت ، فقال طاهر : هات ، وكان يعجبه
الشعر ، فأنشده :

زعموا بأن الصقّر^٣ صادف مرةً عصفور برّ ساقه المقدور^٤ ،
فتكلّم العصفور تحت جناحه والصقرُ منقضٌّ عليه يطير

١ س : فأنشده ، والأبيات منسوبة لعوف بن محلم في طبقات الشعراء : ١٨٩ .

٢ ر : درم .

٣ م : نبئت أن الباز .

٤ أ : التقدير .

ما كنتُ يا هذا لمثلك لقمة^١ ولئن شويت^٢ فإنني لحقير
فتهاونَ الصقرُ المدلُّ بصيدهِ^٣ كرمًا فأفطتَ ذلكَ العصفور

فقال طاهر : أحسنت ، وعفا عنه .

وكان طاهر بفرد عين ، وفيه يقول عمرو بن بانة - الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى - :

يا ذا اليمينينِ وعينٍ واحدٍ نقصانُ عينٍ ويمينٌ زائدةٌ

ويحكى أن إسماعيل بن جرير البجلي كان مداحاً لطاهر المذكور ، فقبل له :
إنه يسرق الشعر ويمدحك به ، فأحبَّ طاهر أن يمتحنه ، فقال له : تهجوني ،
فامتنع ، فألزمه بذلك ، فكتب إليه :

رأيتُكَ لا ترى إلا بعينٍ وعينُكَ لا ترى إلا قليلاً
فأما إذ أصبت بفرد عينٍ فخذ من عينك الأخرى كفيلاً
فقد أيقنتُ أنك عن قريبٍ بظهر الكف تلمس السبيلاً

فلما وقف عليها قال له : احذر أن تنشدها أحداً ، ومزق الورقة .

ولما استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه الأمين كتب إلى طاهر بن الحسين
المذكور وهو مقيم ببغداد والمأمون مقيم بخراسان بأن يسلم إلى الحسن بن سهل
- المقدم ذكره - جميع ما افتتحه من البلاد ، وهي العراق وبلاد الجبل وفارس
والأهواز والحجاز واليمن ، وأن يتوجه هو إلى الرقة ، وولاه الموصل وبلاد
الجزيرة الفراتية والشام والمغرب ، وذلك في بقية سنة ثمان وتسعين ومائة .
وأخبار طاهر كثيرة - وسيأتي ذكر ولده عبد الله وحفيده عبيد الله في
حرف العين إن شاء الله تعالى - .

١ : مثل لمثل لا يفيد بأكله .

٢ : أكلت .

٣ : بنفسه .

وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة . وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين بمدينة مرو رحمه الله تعالى .
 وكان المأمون قد ولاه خراسان ، فوردتها في شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين ، واستخلف ابنه طلحة ، هكذا قال السلامي في كتاب « أخبار ولاية خراسان » ، وقال غيره^١ : إنه خلع طاعة المأمون ، وجاءت كتب البريد من خراسان تتضمن ذلك ، فقلق المأمون لذلك قلقاً شديداً ، ثم جاءت كتب البريد ثاني يوم أنه أصابته عقيب ما خلع حُمى فوجد في فراشه ميتاً ، وقيل إنه حدث به في جفن عينه حادث ، فسقط ميتاً .

[وحكى هارون بن العباس بن المأمون في تاريخه ، قال^٢ : دخل طاهر يوماً على المأمون في حاجة فقضاها وبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، فقال طاهر : يا أمير المؤمنين لم تبكي ؟ لا أبكي الله عينك ، وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني ، فقال : أبكي لا عن ذل ولا عن حزن ، ولكن لا تخلو نفس من شَجَنٍ ، فاغتم طاهر وقال لحسين الخادم وكان يجب المأمون في خلواته : أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن موجب بكائه عندما رأيته ، ثم أنفذ طاهر للخادم مائة ألف درهم ، فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب خاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لم بكيت لما دخل عليك طاهر ؟ فقال : ما لك ولهذا ويلك ؟ قال : غمّني بكاؤك ، فقال : هو أمر إن خرج من رأسك أخذته ، فقال : يا سيدي ومتى أبحت لك سرّاً ؟ قال : إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلة ، فحنقتني العبرة ، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره ، فأخبر حسين طاهراً بذلك ، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له : إن الثناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع ، فغيبني عن المأمون ، فقال : سأفعل ، فبكرت إليّ غداً ، وركب أحمد إلى المأمون فقال له : لم أنم البارحة ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنك ولّيت خراسان غسان وهو ومن معه أكلة رأس ، وأخاف أن يصطلمه مصطلم ، فقال : فمن ترى ؟ قال : طاهر ، قال : هو

١ انظر تفصيل هذا الخبر في كتاب ابن طاهر : ٧٣ وما بعدها .
 ٢ ورد الخبر في المصدر السابق : ٢٣ وقد جاء في النسخة ج باختلاف يسير .

جائع ، فقال : أنا ضامن له ، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته ، وأهدى له خادماً كان رباه ، وأمره إن رأى ما يريه أن يَسْمَهُ ، فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة . حكى كلثوم بن ثابت متولي بريد خراسان قال : صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وخطب ، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك ، فكتب بذلك إلى المأمون على خيل البريد ، وأصبح طاهر يوم السبت ميتاً فكتب إليه أيضاً بذلك ، فلما وصلت الخريطة الأولى إلى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال : اشخص الآن فأت به كما ضمننت ، وأكرهه على المسير في يومه ، ثم بعد شذائد أذن له في المبيت ، ثم وافت الخريطة الثانية من يومه بموته ، وقيل : إن الخادم سَمَّه في كامنخ^١ .

(66) ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة على خراسان ، وقيل إنه جعله خليفة بها لأخيه عبد الله بن طاهر الآتي ذكره ، وتوفي طلحة سنة ثلاث عشرة ومائتين ببلنخ .

واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين^٢ لأي معنى كان ، فقيل لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان كما تقدم فقدّه نصفين ، وكانت الضربة بيساره ، فقال فيه بعض الشعراء :

كلتا يديك يمين^٣ حين تضربه

فلقبه المأمون « ذا اليمينين » ، وقيل غير ذلك .

(67) وكان جده مصعب بن رزيق^٣ كاتباً لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس ، وكان بليغاً ، فمن كلامه : ما أحوج الكاتب إلى نفس تسمو به إلى أعلى المراتب ، وطبع يقوده إلى أكرم الأخلاق ، وهمة تكفه عن دنس الطمع ودناءة الطبع .

١ ما بين معقنين سقط من ص س والمسودة .

٢ ذكر الثعالي (ثمار القلوب : ٢٩١) انه لقب بذلك لأن المأمون كتب اليه : « يمينك يمين أمير

المؤمنين وشمالك يمين » .

٣ انظر الجهشيارى : ٧٤ .

وَبُوشَنج : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبعدها جيم ، وهي بلدة بخراسان على سبعة فراسخ من هراة .
 ومُقَدَّس : بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المكسورة وبعدها سين مهملة ، وهو اسم علم على الشاعر المذكور .
 والخَلَوَقِي : بفتح الخاء المعجمة وضم اللام وسكون الواو وبعدها قاف ، هذه النسبة إلى خَلُوق أو خَلُوقَة ، وهي قبيلة من العرب مشهورة .
(68) ومات والده الحسين بن مصعب بخراسان في سنة تسع وتسعين ومائة ، وحضر المأمون جنازته وبعث إلى ابنه طاهر وهو بالعراق يعزيه .

٣١٠

سيف الإسلام طغتكين

سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين ، صاحب اليمن ؛ كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة تُوْرانَ شاه - المقدم ذكره في حرف التاء - إلى بلاد اليمن ، فملكها واستولى على كثير من بلادها ، ورجع عنها - حسبما هو مذكور في ترجمته - ثم سير السلطان إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام المذكور ، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسةائة . وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة حسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ، ودخل إليه شرف الدين أبو المحاسن ابن عنين الدمشقي - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ومدحه بفرص القصائد ، فأحسن إليه وأجزل صلته ، واكتسب من جهته مالاً وافراً وخرج به من اليمن ،

٣١٠ - ترجمة طغتكين في ابن الأثير ١١ : ٤٨٠ . ومفرج الكروب ٢ : ١٠٥ . وصفحات كثيرة في مرآة الزمان ، والمعقد اللؤلؤية ١ : ٢٩ .

فلما وصل إلى الديار المصرية وسلطانها يومئذ الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته ، فعمل^١ :

ما كلُّ من يَتَسَمَّى بالعزيز لها أهلٌ ولا كلُّ بَرِّقٍ سُحْبُهُ غَدِيقَةٌ
بين العزيزين بَوْنٌ في فعَّالها هذاك يُعْطِي ، وهذا يأخذ الصَّدَقَةَ

وكانت وفاة سيف الإسلام في شوال تاسع عشر سنة ثلاث وتسعين وخمسةائة بالمنصورة ، وهي مدينة اختطها باليمن ، رحمه الله تعالى .

(69) وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين إسماعيل^٢ ، وللمعز المذكور صنَّف أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري كتابه الذي سماه « عجائب الأسفار وغرائب الأخبار » وأودع فيه من أشعاره وأخبار الناس كثيراً ، وذكر العز بن عساكر أنه مات بالحمراء من بلاد اليمن ، وذكر أبو الغنائم المذكور في كتابه الذي سماه « جهرة الإسلام ذات النثر والنظام »^٣ أنه مات بتعز ، ودفن بها بالمدرسة . ثم قال : وقتل ولده فتح الدين أبو الفداء إسماعيل في رجب سنة ثمان وتسعين ، بمكان يقال له عجي شامي^٤ زبيد ، وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أيوب^٤ .

[وكان الملك المعز إسماعيل أهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي ، فلما سمع عمه الملك العادل

١ ديوان ابن عنين : ٢٢٣ .

٢ راجع نبذة عنه في بلوغ المرام : ٤١ .

٣ من هذا الكتاب نسخة خطية بليدن رقم ٨٠٤ ، وقد جاء في مقدمتها : « أما بعد فهذا كتاب ألقته وبعضه أنشأته لخزانة مولانا الملك المسعود السيد الأجل الكبير العالم العامل الجهاد المظفر المنصور صلاح الدين ملك المسلمين ، ذخر الإسلام ، عدة الأنام ، أسد الدولة ، بهاء الملة ، شمس الملوك والسلاطين ، قاتل الكفرة والملحدن ، قاهر الخوارج والمتمردين ، صلاح الدين سلطان اليمن ... الخ » وقد قسمه في ستة عشر كتاباً وختم كل كتاب بإيراد شيء من قوله وقول ولده أحمد في مدح الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن محمد بن سيف الدين أبي بكر .

٤ ترتيب أخبار الملك المعز مختلف في نسخة ص عما هو عليه في سائر النسخ .

ذلك ساءه وأهمه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ،
وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه ، فلم يلتفت ولم يرجع ؛ وانضاف إلى
ذلك أنه أساء السيرة مع اجناده وامرائه ، فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا عليهم
أخاه الملك الناصر محمداً^١ .

(70) وكان أبو الغنائم المذكور أديباً شاعراً ، وكان موجوداً في سنة سبع
عشرة وسمائة . فقد توفي في هذه السنة أو بعدها .

(71) وكان أبوه أبو الثناء محمود^٢ نحويّاً متصديراً يجامع دمشق لإقراء النحو ،
وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وذكره العماد الكاتب في كتاب
« الحرّيدة »^٣ وقال : توفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة . وقال شرف الدين
ابن عنين : أنشدني محمود المذكور لنفسه^٤ :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هي إلا واحد غير مُفْتَرَى
إذا صح كاف الكيس فالكلُّ حاصلٌ لديك ، وكل الصيد يوجد في الفرا

وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر ، والله أعلم .
وطُغْتِكَيْنُ : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر التاء المثناة
من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهو اسم تركي
[لا أعرف معناه] .

١ زيادة من ص .

٢ قال القفطي (انباه ٣ : ٢٧٣) : كان محمود بن نعمة شاعر ابن منقذ ، وله شعر حسن وكان
يحفظ أشعاراً كثيرة ، وتوفي بدمشق ؛ وانظر أيضاً بغية الوعاة : ٣٩٠ والنجوم الزاهرة ٥ :

٣٥٨ .

٣ الحرّيدة (قسم الشام) ١ : ٥٧٥ .

٤ الحرّيدة : ٥٧٦ .

الصالح بن رزيك

أبو الغارات طلائع بن رزَيْك الملقب الملك الصالح وزير مصر ؛ كان والياً بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر، فلما قُتل الظافر إسماعيل صاحب مصر - كما تقدم في حرف الهمزة - سير أهل القصر إلى الصالح ، واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله ، فتوجه الصالح إلى القاهرة ومعه جمع عظيم من العربان ، فلما قربوا من البلد هرب عباس وولده وأتباعها ومعها أسامة بن منقذ - المذكور في حرف الهمزة أيضاً - لأنه كان مشاركاً لها في ذلك على ما يقال ، ودخل الصالح إلى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفاتر ، واستقل بالأمور وتديبر أحوال الدولة ، وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسة . وكان فاضلاً سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء محباً لأهل الفضائل جيد الشعر، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين ، ومن شعره قوله^١ :

كَمْ ذَا يُرِينَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَائِهِ عِبْرًا وَفِينَا الصَّدُ وَالْإِعْرَاضُ
تَنْسَى الْمَمَاتَ وَلَيْسَ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِينَا فَتَنْذُرْنَا بِهِ الْأَمْرَاضُ

ومن شعره أيضاً^٢ :

وْمُهَقِّفٍ ثَمَلِ الْقَوَامِ سَرَّتْ إِلَى أَعْطَافِهِ النَّشْوَاتُ مِنْ عَيْنِهِ
مَاضِي اللَّحَاطِ كَأَنَّمَا سَلَّتْ يَدِي سِيفِي غَدَاةَ الرُّوحِ مِنْ جَفْنِيهِ

٣١١ - ترجمة طلائع بن رزيك في الخريدة (قسم مصر) ١: ١٧٣ وفي الحاشية ثبت بمصادر ترجمته ؛ وانظر النكت المصرية ١: ٣٢ وما بعدها ، وقد جمع محمد هادي الأميني ديوانه (ط. النجف: ١٩٦٤) وألحق بمقدمته ثبناً مفصلاً في مصادر ترجمته) قلت: وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ ديوانه : ٨٤ .

٢ الخريدة ١: ١٧٧ والديوان : ١٧٤ .

قد قلتُ إذ خَطَّ العِذارُ بِمِسْكَةٍ في خَدِهِ أَلْقَيْنِهِ لَا لَامِيهِ
 ما الشَّعْرُ دَبٌّ بِعَارِضِيهِ وَإِنَّمَا أَصْدَاعُهُ نَفَضَتْ عَلَى خَدَيْهِ
 النَّاسُ طَوَّعُ يَدِي وَأَمْرِي نَافِذُ فِيهِمْ وَقَلْبِي الْآنَ طَوَّعُ يَدَيْهِ
 فَاعْجَبْ لِسُلْطَانِ يَعْمُ بَعْدَهُ وَيَجُورُ سُلْطَانُ الْغَرَامِ عَلَيْهِ
 وَاللَّهِ لَوْلَا اسْمُ الْفِرَارِ وَأَنْتَ مُسْتَقْبَحٌ لَفَرَرْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ

وروى عنه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نُجَيْة الواعظ المشهور الدمشقي قال : أنشدني طلائع بن رُزَيْك لنفسه بمصر :

مَشِيْبِكُ قَدْ نَضَا صَبْغَ الشَّبَابِ وَحَلَّ الْبَازُ فِي وَكْرِ الْغُرَابِ
 تَنَامُ وَمُقَلَّةُ الْحِدْثَانِ يَقْظِي وَمَا نَابَ النَّوَائِبُ عَنْكَ نَابِي
 وَكَيْفَ بَقَاءَ عُمْرِكَ وَهُوَ كَنْزٌ وَقَدْ أَنْفَقْتَ مِنْهُ بِلا حِسَابِ

وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلِي نزيل حِمِصَ قد قصده من الموصل ، ومدحه بقصيدته الكافية التي أولها :

أما كَفَاكَ تَلَانِي فِي تَلَانِيكَ وَلَسْتَ تَنْقِمُ إِلَّا فَرَطَ حُبِّيكَ
 وهي من نخب القصائد ، وغلصها :

وَفِيمَ تَغْضَبُ أَنْ قَالَ الْوُشَاةُ سَلَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَسْلُوكَا
 لَا نِلْتُ وَصَلَّكَ إِنْ كَانَ الَّذِي زَعَمُوا وَلَا شَفَى ظَمِّي جُودُ ابْنِ رُزَيْكََا

وهي طويلة طائفة ولولا خوف الإطالة لكتبتها .

١ الديوان : ٥٧ .

٢ س : الحوادث .

٣ انظر ابن الصابوني : ٣٦٠ .

٤ سقطت هذه العبارة من ر .

ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد ابنته ، فاغترت بطول السلامة ، وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره ، فلما طال عليه ذلك أعمل الحيلة في قتله ، فاتفق مع قوم من أجناد الدولة يقال لهم أولاد الراعي وتقرر ذلك بينهم ، وعيّن لهم موضعاً في القصر يجلسون فيه مُسْتَخْفِينَ ، فإذا مرّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قتلوه ، فقمعدوا له ليلة وخرج من القصر ، فقاموا ليخرجوا إليه ، فأراد أحدهم أن يفتح غلّقى الباب فأغلقه وما علم ، فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى فِي تَأْخِيرِ الْأَجْلِ ، ثُمَّ جَلَسُوا لَهُ يَوْمًا آخَرَ ، فَدَخَلَ الْقَصْرَ نَهَارًا فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَجَرَحُوهُ جَرَاحَاتٍ عَدِيدَةً بَعْضُهَا فِي رَأْسِهِ ، وَوَقَعَ الصَّوْتُ ، فَعَادَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ فَفَقَتَلُوا الَّذِينَ جَرَحُوهُ وَحَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ مَجْرُوحًا وَدَمَهُ يَسِيلُ ، وَأَقَامَ بَعْضُ يَوْمٍ . وَمَاتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ تَاسِعَ عَشْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَخَرَجَتْ الْخَلْعُ لَوْلَاهُ الْعَادِلُ مِحْبِي الدِّينِ رُزَيْكُ - الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ فِي تَرْجَمَةِ شَاوِر - يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي يَوْمٍ وَفَاةِ أَبِيهِ ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو شَجَاعٍ ، وَلَمَّا تَوَلَّى الْوِزَارَةَ لَقِبُوهُ الْعَادِلُ النَّاصِرُ . وَلَمَّا مَاتَ رثاه الفقيه عمارة اليميني بقصيدة ، أولها :

أَفِي أَهْلِ ذَا النَّادِي عَلِيمٌ أُسَائِلُهُ فإني لما بي ذاهبُ اللَّبِّ ذَاهِلُهُ
سَمِعْتُ حَدِيثًا أَحْسَدُ الصُّمِّ عِنْدَهُ وَيَدْهَلُ وَاَعِيهِ وَيَخْرَسُ قَائِلُهُ
فَهَلْ مِنْ جَوَابٍ يَسْتَعِيثُ بِهِ الْمُنَى وَيَعْلُو عَلَى حَقِّ الْمُنْصِيْبَةِ بَاطِلُهُ
وَقَدْ رَابَنِي مِنْ شَاهِدِ الْحَالِ أَنْتِي أَرَى الدَّسْتَ مَنْصُوبًا وَمَا فِيهِ كَافِلُهُ
فَهَلْ غَابَ عَنْهُ وَاسْتَنَابَ سَلِيلُهُ أَمْ اخْتَارَ هَجْرًا لَا يُرْجَى تَوَاصِلُهُ
فإني أرى فَوْقَ الْوُجُوهِ كِآبَةً قَدُلْتُ عَلَى أَنْ الْوُجُوهُ ثَوَاكِلُهُ

ومنها :

دَعُونِي فَمَا هَذَا أَوْانُ بُكَائِهِ سَيَأْتِيكُمْ طَلُّ الْبُكَاءِ وَوَابِلُهُ

١ التكت المصرية : ٥٠ ، وهي في ديوانه في ٧٦ بيتاً .

ولا تُنكروا حُزني عليه فإنني تَقَشَّعَ عَنِّي وإبلٌ كنت أمله
ولم لا نُبكيه وتندبُ فقدهُ وأولادنا أيتامه وأراميله
فيا ليت شعري بعدَ حُسنِ فعاليه وقد غابَ عَنَّا ما بنا الله فاعله
أبكرمُ مثوى ضيفكم وغريبكم فيمكثَ أمْ تُطوى بينِ مراحلِه

وهي طويلة ؛ وكان قد دفن بالقاهرة ، ثم نقله ولده العادل من دار الوزارة التي
دفن بها ، وهي المعروفة بإنشاء الأفضل شاهان شاه - المقدم ذكره - ؛ وكان
نقله في تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين في تابوت وركب خلفه العاضد إلى
تربته التي بالقرافة الكبرى ، فعمل في ذلك الفقيه عمارة أيضاً قصيدة طويلة
أجاد فيها ، ومن جملتها في صفة التابوت :

وكانه تابوتُ موسى أودعتْ في جانبِهِ سَكِينَةٌ ووَقَارُ

وله فيه مرآثٍ كثيرة .

وهذا الصالح هو الذي بنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة .

(72) وأما ولده العادل رُزَيْكٌ فقد ذكرت في ترجمة شاور تاريخ هربه
من القاهرة ، وكان قد حمل معه من الذخائر ما لا يحصى ، ومعه أهله وحاشيته ،
واستجار بسليمان ، وقيل ببعقوب بن النيص^٢ اللخمي ، وكان من خواص
أصحابهم ، وحصلَ من جهتهم نعمة وافرة ، فأنزلهم عنده وهو بإطفيح ،
وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم ، فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل
وأخذوه أسيراً وأحضره إلى باب شاور ، فوقف زماناً طويلاً ثم حبسه .

ثم قال شاور لابن النيص : لقد خبأك الصالح ذخيرةً سالحة لولده وأنا
أخبؤك أيضاً لولدي ، ثم شنقه ، وبقي العادل في الاعتقال مدة مديدة ، ثم قتله

١ يلقب بالملك الناصر ، قال عمارة (النكت : ٥٣) « إن الله لم يمهله إلا مديدة يسيرة ، وكانت
أفعال الخير فيها كثيرة وذلك أنه سامح الناس بالبواقي والحسابات القديمة وأسقط من رسوم الظلم
مبالغ عظيمة ... الخ » .

٢ ص : الفيض ، وأثبتنا ما في ر والمسودة .

وأخرج رأسه لأمرأة الدولة^١ .

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشر ، وقتل في التاسع عشر ، ونقل تابوته في التاسع عشر ، وزالت دولتهم في التاسع عشر .
ورزّيك : بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها كاف .

(73) وكانت^٢ ولادة زين الدين الواعظ^٣ المذكور سنة ثمان وخمسة بدمشق ، ونشأ بها وقدم بغداد مراراً ، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي ، على ابنته أم عبد الكريم فاطمة ، وانتقل قبل وفاته إلى مصر ، وحدث بها ، وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسة بمصر ، وهو المعروف بابن نُجَيْيَّة ، رحمه الله تعالى .

١ وأما ولده العادل ... الدولة : لم ترد هذه الفقرة في م .

٢ من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد في م .

٣ ترجمة زين الدين علي بن إبراهيم الواعظ في ذيل الروضتين : ٣٤ وذيل ابن رجب ١ : ٤٣٦ ، وفي إحدى رحلاته إلى بغداد (سنة ٥٦٤) كان رسولاً عن نور الدين زنكي ، وهناك تعرف إلى سعد الخير البلنسي وصاهره على ابنته فاطمة ونقلها معه إلى مصر ، وانتقلت كتب سعد الخير إليه ، وكان انتقاله إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين ، وهناك كان يعظ بجامع القرافة ، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص لصواب رأيه ، وهو الذي أنهى إلى صلاح الدين خبر مؤامرة عمارة اليمنى ورفاقه لإعادة الدولة الفاطمية ، ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه .

٤ أندلسي رحاله وصل الصين وقامى المشقات ، وتلفذ ببغداد للقرالي ، وسكنها بعد أن استقر فترة بأصبهان وتوفي سنة ٥٤١ (ترجمته في التكملة : رقم ٢٠١١ والذيل والتكملة ٤ :

١٦ ونفع الطيب ٢ : ٦٣٢ ، رقم : ٢٥٥) .

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البَسْطَامِيُّ الزاهد المشهور ؛ كان جده مجوسياً ثم أسلم ، وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً : آدم وعلي ، وكان أبو يزيد أجلبهم . وسئل أبو يزيد : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار ؛ وقيل لأبي يزيد : ما أشد ما لقيته في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه ، فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طوعاً ، فممنعتها الماء سنة . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة . وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ، وقيل أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وطَيْفُور : بفتح الطاء المهملة وسكون الباء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء .

والبسطامي : بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى بَسْطَامَ ، وهي بلدة مشهورة من أعمال قُومِسَ ويقال : إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق ، والله أعلم .

٣١٢ - ترجمة أبي يزيد البسطامي في طبقات السلمي : ٦٧ وحلية الأولياء : ١٠ : ٣٣ وطبقات الناري : ١ : ٢٤٤ وميزان الاعتدال ٢ : ٣٤٦ وقد وردت في المسودة دون نقص .

حرف الظاء

أبو الأسود الدؤلي

أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفثة ابن عدي بن الدليل بن بكر الديلي ، ويقال : الدؤلي ، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير ؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم ، صحب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وشهد معه وقعة صفين ، وهو بصري ، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً .

وهو أول من وضع النحو ، قيل إن علياً ، رضي الله عنه ، وضع له : الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم رفعه إليه وقال له : تم على هذا .

[وكان ينزل البصرة في بني قشير ، وكانوا يرجونه بالليل لمحبه علياً كرم الله وجهه ، فإذا ذكر رجهم قالوا : إن الله يرجمك ، فيقول لهم : تكذبون ، لو رجمني الله لأصابني ولكنكم ترجون ولا تصيبون ... وهذا بالعكس مما جرى لأبي الجهم العدوي فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال : فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ قالوا : وهل يشتري جوار قط ؟ قال : ردّوا عليّ داري ثم خذوا مالكم ، لا أدع جوار رجل ان قعدت سأل عني وإن رأيني رجب بي وإن غبت حفظني وإن شهدت قربني وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني وإن نابتني جائحة فرّج عني ، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم .

٣١٣ - ترجمة أبي الأسود الدؤلي في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٠٤ والخزانة ١ : ١٣٦ والفهرست : ٣٩ وانباه الرواة ١ : ١٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٣٤ وشرح العميون : ١٥٣ وغاية النهاية ١ : ٣٤٥ (وفي حاشية الانباه ثبت واف بمصادر ترجمته) .

وحكى أبو غفر الدؤلي - وكان شاعراً - قال : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ دخل عليه أبو الأسود الديلي - وكان أحول دميماً قبيح المنظر - فقال له عبد الملك : يا أبا الأسود ، لو علقت عليك عوذة من العين ، فقال : ان لك جواباً يا أمير المؤمنين ، وأنشد :

افنى الشبابَ الذي افنيت جدته كرهُ الجديدين من آتٍ ومنطلق
لم يتركا ليَ في طول اختلافها شيئاً أخاف عليه لذعة الحدق

أما والله لئن كانت أبلتني السنون وأسرت إليّ المنون لما اثبتتُ ذلك إلا في موضعه ، ولرب يوم كنت فيه إلى الآنسات البيض اشهى منك إليهن ، وإني اليوم لكما قال امرؤ القيس :

أراهنّ لا يجبن من قلّ ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوساً
ولقد كنت كما قال أيضاً :

ورعن إلى صوتي إذا ما سمعته كما يرعوي عيط إلى صوت اعيسا

فقال عبد الملك : قاتلك الله من شيخ ما اعظم همتك !
وكان لأبي الأسود من معاوية ناحية حسنة فوعده وعداً أبطأ عليه فقال :

لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معه
لا تهني بعد إذ أكرمتني فقبيحٌ عادة منتزعه^١

وقيل إنه كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ ، فجاءه يوماً وقال له : أصلح الله الأمير ، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، قال : فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك

١ ما بين معقنين زيادة من د .

بنون ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنون !! ادعوا لي أبا الأسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم .

وقيل : إنه دخل بيته يوماً فقال له بعض بناته : يا أبت ، ما أحسنُ السماء ، فقال : يا بنية نجومها ، فقالت له : إني لم أرد أي شيء منها أحسن ، إنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقولي ما أحسن السماء ، وحينئذ وضع النحو . وحكى ولده أبو حرب قال : أولُ باب رسم أبي بابُ التعجب .

وقيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ يعنون النحو ، فقال : لقت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقيل إن أبا الأسود المذكور كان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد ، حتى بعث إليه زياد المذكور : أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ويُعرف به كتاب الله عز وجل ، فاستغفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ ﴿ ان الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ (التوبة : ٣) بالكسر ، فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد فقال : أفعُلُ ما أمر به الأمير ، فليبغني كاتباً لقننا يفعل ما أقول له ، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتي بآخر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه ، وإن ضمنت فمي فانقط بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت ، ففعل ذلك .

وإنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود المذكور قال : استأذنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن أضع نحو ما وضع ، فسمي لذلك نحواً ، والله أعلم .

وكان لأبي الأسود بالبصرة دار ، وله جار يتأذى منه في كل وقت ، فباع الدار فقبل له : بعث دارك ، فقال : بل بعث جاري ، فأرسلها مثلاً .

ودخل أبو الأسود يوماً على عبید الله بن أبي بكره نقيع بن الحارث بن كلدة الثقفي رضي الله عنه ، فرأى عليه جبة رثة كان يكثر لبسها ، فقال : يا أبا الأسود أما تملُّ هذه الجبة ؟ فقال : ربِّ مملوكٍ لا يُستطاع فراقه ، فلما خرج من عنده بعث إليه مائة ثوب ، فكان ينشد بعد ذلك - وقيل إن هذه

القضية جرت له مع المنذر بن الجارود^١ - :

كساني ولم أستكسبه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكرًا بشكركم من أعطاك والعرض وافر

يروى « مملوك » بالكاف و « مملول » باللام ، ويروى « ناصر » بالنون و « ياصر »
بالياء ، ولكل واحد منها معنى ، فمعناه بالنون ظاهر لأنه من النصره وبالياء
من التعطف والحنو ، يقال : فلان ياصر على فلان ، إذا كان يعطف عليه ويحنو .
وله أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله^٢ :

وما طلبُ المعيشة بالتمني ولكن ألتقِ دلتوك في الدلاء
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بجمأةٍ وقليل ماء

ومن شعره أيضاً - وله ديوان شعر - :

صبغت أمةً بالدماء أكفنا وطوت أمةً دوننا دنيها

ويحكى أنه أصابه الفالج فكان يخرج إلى السوق يجرُّ رجله ، وكان موسراً
ذا عبيد وإماء ، فقيل له : قد أغناك الله عز وجل عن السعي في حاجاتك ،
فلو جلست في بيتك ، فقال : لا ، ولكنني أخرج وأدخل فيقول الخادم : قد
جاء ، ويقول الصبي : قد جاء ، ولو جلست في البيت^٣ فبالت علي الشاة ما
منعها أحد عني .

وحكى خليفة بن خياط أن عبد الله بن عباس رضي الله عنها كان عاملاً
لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة ، فلما شخّص إلى الحجاز استخلف
أبا الأسود عليها ، فلم يزل حتى قُتل علي رضي الله عنه .
وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل ، وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا

١ ديوان أبي الأسود : ٣٨ .

٢ ديوانه : ٣٦ .

٣ أ : بيتي .

لكننا أسوأ حالاً منهم . وقال لبنيه : لا تُجاوِدوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد ، ولو شاء أن يوسّع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلاً . وسمع رجلاً يقول : مَنْ يُعَشِّي الجائع ؟ فقال : عليّ به ، فعشاه ، ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أهلي ، قال : هيات ، ما عشيتك إلا على أن لا تؤذي المسلمين الليلة ، ثم وضع في رجله القيد حتى أصبح . وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف ، وعمره خمس وثمانون سنة رضي الله عنه ، وقيل إنه مات قبل الطاعون بيلة الفالج ، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وتولى عمر الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ، رضي الله عنه . وقيل لأبي الأسود عند الموت : أبشر بالمغفرة ، فقال : وأين الحياء مما كانت له المغفرة ؟

والدَّيْلِيُّ : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، والدوئي : بضم الدال المهملة وفتح الهمزة وبعدها لام ، هذه النسبة إلى الدئيل بكسر الهمزة ، وهي قبيلة من كنانة ، وإنما فتحت الهمزة في النسبة لبلا تتوالى الكسرات ، كما قالوا في النسبة إلى نَمِرَةَ نَمْرِي - بالفتح - وهي قاعدة مطردة ، والدئيل : اسم دابة بين ابن عرس والثعلب .

وحلّس : بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة ، هكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « الإيناس » وهو مما يحرف كثيراً فقد وجدت فيه اختلافاً ، وهذا الأصح .

ظافر الحداد

أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني الجذامي الإسكندراني المعروف بالحداد الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر أكثره جيد ، ومدح جماعة من المصريين ، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي وغيره من الأعيان . ومن مشهور شعره قوله^١ :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُه	ما زال جيشُ الحبِّ ^٢ يَغزو قلبه
لم يَبْقَ فيهِ معِ ^٣ العَرامِ بَقِيَّةُ	إلا رَسيسٌ يَحتويهِ جُذادُه
مَنْ كانَ يرْغِبُ في السَّلامَةِ فليَكنْ	أَبداً مِنَ الحَدَقِ المِراضِ عِياذُه
لا تَخدَعَنَّكَ بالفُتورِ فَإِنَّهُ	نَظَرٌ يَضرُّ بِقَلْبِكَ اسْتِلاذُه
يا أَيُّها الرِّشأُ الَّذي مِنَ طَرفِه	سَهْمٌ إلى حَبِّ القلوبِ نَفادُه
دُرٌّ يَلوحُ بِفِيكَ مَنْ نَظَّامُه	خَرٌّ يَحوِلُ عَلَيهِ مَنْ نَبَّادُه
وقنائةُ ذاكِ القَدِّ كَيفَ تَقوِّمَتُ	وسِنانُ ذاكِ اللَحظِ ما فُولاذُه
رِفقاً بِجِسمِكَ لا يَدوبُ فَإِنِّي	أَخشى بَأَن يَحفو عَلَيهِ لاذُه
هاروتُ يَعبِزُ عَن مَواقِعِ سِحرِه	وهُوَ الإِمامُ فَمَنْ تَرى أَسَازُه

٣١٤ - ترجمة ظافر الحداد في معجم الأدباء ١٢ : ٢٧ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١ - ١٧

والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٦ ورسالة أبي الصلت (نوادير المخطوطات ١ : ٥٣) .

١ ياقوت : ٣٦ وديوان ظافر : ١٢٧ .

٢ أ ج : المهم .

٣ م : من .

٤ سقط هذا البيت من م وياقوت .

ثالله ما علقتُ مَحاسِنِكَ امرءًا
أغرَيْتَ حُبَّكَ بِالْقُلُوبِ فَأذَعَنْتُ
ما لي أتيتُ الحظَّ مِنْ أبوابِهِ
كذليلِهِ وَغَيْثُهُ شَحَاذُهُ
إِيَّاكَ مِنْ طَمَعِ الْمُنَى فَعَزِيزُهُ
منها :

ذالِيةَ ابنِ دُرَيْدٍ اسْتَهْوَى بِهَا
دَانُوا لَزُخْرُفِ قَوْلِهِ فَتَفَرَّقَتْ
طَمَعًا بِهِمْ صرْعَاهُ أَوْ جُنْدَاذُهُ
قَد كَانَ لَيْسَ يَضُرُّهُ إِنْفَاذُهُ
من قَدَرِ الرِّزْقِ السَّنِيِّ لَكَ أَنَّمَا

وهذه القصيدة من غرر القصائد . والعجب أني رأيت صاحبنا عماد الدين
أبا المجد إسماعيل المعروف بابن باطيش الموصلي قد ذكر هذه الأبيات في كتابه
« المعني » الذي وضعه على كتاب « المهذب » في الفقه ، وفسر فيه غريبه ، وتكلم
على أسماء رجاله ، فلما انتهى إلى ذكر أبي بكر محمد بن الحداد المصري الفقيه
الشافعي وشرح طرفاً من حاله قال بعد ذلك : وكان مليح الشعر ، أنشدني
بعض الفقهاء أبياتاً من قصيدة عَزَّاهَا إِلَيْهِ ، وذكر بعض هذه الأبيات المكتوبة^٢
ها هنا ، وما أوقعه في هذا إلا كون ظافر يُعرف بالحداد ، والفقيه ابن الحداد ،
فجمعتها لفظة الحداد ، فمن ها هنا حصل الالتباس^٣ .
ومن شعره أيضاً :

رَحَلُوا فَلَوْلَا أَنَّنِي أَرْجُو الْإِيَابِ قَضَيْتَ نَحْيِي
وَاللَّهِ مَا فَارَقْتَهُمْ لَكِنِّي فَارَقْتُ قَلْبِي

١ ومنها ... يضره إنفاذه : سقط من ص .

٢ ج : المكتوبة .

٣ من قوله : وهذه القصيدة ... الالتباس : لم ترد هذه الفقرة كلها في م .

٤ رسالة أبي الصلت : ٥٤ والديوان : ٥٣ .

(74) وذكر العماد الكاتب في « الخريدة » هذين البيتين للميني^١ ، ثم قال :
كان العيني من الأجناد الأكياس ، مذكوراً بالباس . وتوفي سنة ست وأربعين
 وخمسة . والصحيح أنها لظافر الحداد ، وذكرهما في « الخريدة » في ترجمة
 ظافر الحداد أيضاً^٢ .

وله من جملة قصيد :

يذمُّ المحبُّونَ الرقيبَ وليتَ لي مِن الوصلِ ما يُخشى عليه رقيبُ

وكانت وفاته بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسة . وقد تقدم
 الكلام على الجذامي^٣ .

[وله أيضاً من الشعر في كرسي النسخ^٤ :

انظرُ بعينك في بديع صناعي وعجيب تركيبي وحكمة صانعي
 فكأنني كفا محبِّ شبكتُ يومَ الفراقِ أصابعا بأصابعِ

وذكره علي بن ظافر بن منصور في كتاب « بدائع البدائه »^٥ وأثنى عليه ،
 وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الأمدى النائب كان في الحكم
 بشعر الاسكندرية المحروس ، قال : دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام
 ولايته للشعر ، فوجدته يقطر دهنأ على خنصره ، فسألته عن سببه ، فذكر
 ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه ، فقلت له : الرأي قطع حلقتك قبل أن
 يتفاقم الأمر فيه ، فقال : اخترتُ مَنْ يصلح لذلك ، فاستدعيت أبا المنصور
 ظافر بن القاسم الحداد المذكور ، فقطع الحلقة ، وأنشد بديها^٦ :

١ الخريدة ٢ : ١٢٠ .

٢ الخريدة ٢ : ٤ .

٣ هنا تنتهي ترجمة ظافر في المسودة وص م مع اختلاف بينها في الترتيب ، وراعينا ما جاء في
 المسودة .

٤ وردا في هامش س ؛ وانظر الخريدة ٢ : ١٤ وياقوت ١٢ : ٣٣ والديوان : ١٩٥ .

٥ انظر بدائع البدائه ٢ : ١٦٠ - ١٦١ .

٦ البيتان في الخريدة : ١٥ وكذلك الأبيات التالية ؛ والديوان : ٢٩٥ ، ١٢٦ ، ٣٤٤ .

قَصَّرَ عَنْ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنُّ الْبَحْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْخَاتِمُ

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة ، وكانت من ذهب . وكان بين يدي
الأمير غزال مستأنس ، وقد رَبَّضَ وجعل رأسه في حجره ، فقال ظافر بديهاً :

عَجِبْتُ لِمَرْأَةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخَطَّى لَهُ وَعَتَمَدُ
وَأَعْجَبُ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ اطْمَأَنَّ وَأَنْتَ الْأَسَدُ

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان . وتأمل ظافر شيئاً كان على باب المجلس
يمنع الطير من دخولها فقال :

رَأَيْتُ بِبَابِكَ هَذَا الْمَنِيْفَ شَبَاكَ فَاذْرَكْنِي بَعْضُ شَكِّ
وَفَكَّرَ فِيمَا رَأَى خَاطِرِي فَقَلْتُ الْبَحَارُ مَكَانَ الشَّبَكِ

ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديته ، رحمه الله تعالى وغفر له [١] .

١ انفردت و بأكثر ما ورد بين معقنين ، وبعد هذا الموضع زاد في النسخة ج ما يلي :
وقال علي بن ظافر في كتاب « البدائنه » : وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل
خرجوا متنزهمين الى الأهرام ليروا عجاب بناثها ويتأملوا ما سطر الدهر من العبر ، فاقترح بعض
من كان معهم العمل فيها ، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

بِمِشْكِ هَلْ أَبْصَرْتُ أَعْجَبَ مَنْظَرًا عَلَى مَا رَأَيْتُ عَيْنَاكَ مِنْ هَرْمِي مِصْرَ
أَنَا فَا بَاعْنَانَ السَّمَاءِ وَأَشْرَفَا عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ أَوْ النَّسْرِ

وأشد أبو المنصور ظافر الحداد (الديوان : ٤) :

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينها أبو الهول المعجب
كهما ريتين على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دمرع وصوت الريح بينهما نجيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف فهو محزون كئيب

محتويات الكتاب

حرف الحاء

١١	حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس ، أبو تمام الطائي	١٤٧
٢٦	حاتم بن عنوان الأصم	١٤٨
٢٩	الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عبدل الثقفي	١٤٩
٥٤	حجاج بن أرطاة ، أبو أرطاة النخعي الكوفي	١٥٠
٥٦	الحارث بن مسكين ، أبو عمر المصري	١٥١
٥٧	الحارث بن أسد المحاسبي البصري ، أبو عبد الله	١٥٢
٥٨	الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، أبو فراس الحمداني	١٥٣
	حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة التجيبي ، أبو حفص	١٥٤
٦٤	وأبو عبد الله صاحب الشافعي	
٦٥	الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد	١٥٥
٦٩	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد	١٥٦
	الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، أبو علي صاحب	١٥٧
٧٣	الإمام الشافعي	
	الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى ، أبو سعيد الإصطخري	١٥٨
٧٤	الفقيه الشافعي	
٧٥	الحسن بن الحسين بن أبي هريرة ، أبو علي الفقيه الشافعي	١٥٩
٧٦	الحسن بن القاسم ، أبو علي الطبري الفقيه الشافعي	١٦٠
	الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون ، أبو علي الفارقي الفقيه	١٦١
٧٧	الشافعي	

٧٨	١٦٢	الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، أبو سعيد السيرافي القاضي النحوي
٨٠	١٦٣	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد ، ابو علي الفارسي النحوي
٨٣	١٦٤	الحسن بن عبد الله بن سعيد ، أبو أحمد العسكري
٨٥	١٦٥	الحسن بن رشيق القيرواني ، أبو علي
٨٩	١٦٦	الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني ، أبو علي
٩١	١٦٧	الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، أبو محمد ابن زولاق المصري
٩٢	١٦٨	الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله ، أبو نزار النحوي المعروف بملك النحاة
٩٤	١٦٩	الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا ، أبو محمد العسكري
٩٥	١٧٠	الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن الصباح ، أبو علي المعروف بأبي نواس السلمي
١٠٤	١٧١	الحسن بن علي بن أحمد بن محمد ، أبو محمد ابن وكيع التنيسي
١٠٧	١٧٢	الحسن بن علي بن أحمد بن بشار ، أبو بكر ابن العلاف الضرير
١١١	١٧٣	الحسن بن علي بن محمد بن باري ، أبو الجوائز الواسطي
١١٣	١٧٤	الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار ، أبو علي علم الدين الشاتاني
١١٤	١٧٥	الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، أبو محمد ناصر الدولة ابن حمدان
١١٨	١٧٦	الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ، أبو علي ركن الدولة ابن بويه
١٢٠	١٧٧	الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، أبو محمد
١٢٤	١٧٨	الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم ، أبو محمد الوزير المهلب
١٢٨	١٧٩	الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس ، أبو علي نظام الملك قوام الدين الطوسي

- ١٨٠ الحسن بن علي بن إبراهيم ، أبو علي فخر الكتاب الجويني ١٣١
- ١٨١ الحسين بن علي بن يزيد الكرايسي ، أبو علي صاحب الشافعي ١٣٢
- ١٨٢ الحسين بن صالح بن خيران ، أبو علي الفقيه الشافعي ١٣٣
- ١٨٣ الحسين بن محمد بن أحمد المروروذي ، أبو علي القاضي ١٣٤
- ١٨٤ الحسين بن شعيب بن محمد السنجي ، أبو علي الفقيه الشافعي ١٣٥
- ١٨٥ الحسين بن مسعود بن محمد ، أبو محمد المعروف بالفرء البغوي ١٣٦
- الفقيه الشافعي
- ١٨٦ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، أبو عبد الله الحلبي ١٣٧
- الفقيه الشافعي
- ١٨٧ الحسين بن محمد الوتبي الفرضي الحاسب ، أبو عبد الله ١٣٨
- ١٨٨ الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين ، أبو عبد الله ابن خميس ١٣٩
- الكعبي الموصل الجهنبي تاج الإسلام مجد الدين
- ١٨٩ الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث الزاهد المشهور ١٤٠
- ١٩٠ الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي الحكيم المشهور ١٥٧
- ١٩١ الحسين بن الضحاك بن ياسر ، أبو علي الشاعر المعروف بالخليع ١٦٢
- ١٩٢ الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله ابن الحجاج ١٦٨
- الشاعر
- ١٩٣ الحسين بن علي بن الحسين بن علي ، أبو القاسم الوزير المغربي ١٧٢
- ١٩٤ الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي ، أبو عبد الله ١٧٨
- ١٩٥ الحسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي الجياني الأندلسي المحدث ١٨٠
- ١٩٦ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد ، أبو عبد الله البارع ١٨١
- الدبّاس
- ١٩٧ الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو إسماعيل العميد ١٨٥
- فخر الكتاب مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي
- ١٩٨ الحسين بن علي بن الحسين ، أبو الفوارس ابن الخازن الكاتب ١٩١
- ١٩٩ الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أبو عبد الله الشيعي ١٩٢
- ٢٠٠ حسّان بن سنان بن أوفى بن عوف التنوخي ، أبو ليلى ١٩٤

١٩٥	حفص بن سليمان ، أبو سلمة الخلال الهمداني	٢٠١
١٩٨	حفص بن غياث بن طلق بن معاوية ، أبو عمرو النخعي الكوفي	٢٠٢
٢٠١	الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو الأسدي	٢٠٣
٢٠٥	حمّاد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، أبو إسماعيل	٢٠٤
	حمّاد بن أبي ليلى سابور - وقيل ميسرة - الديلمي الكوفي ،	٢٠٥
٢٠٦	أبو القاسم المعروف بالراوية	
	حمّاد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي ، أبو عمرو وقيل	٢٠٦
٢١٠	أبو يحيى المعروف بعجرد	
٢١٤	حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، أبو سليمان الخطّابي البستي	٢٠٧
	حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي ، أبو عمارة	٢٠٨
٢١٦	المعروف بالزيّات	
٢١٧	حنين بن إسحاق ، أبو زيد العبّادي الطبيب المشهور	٢٠٩
	حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان ، أبو مروان ابن حيّان	٢١٠
٢١٨	المؤرخ الأندلسي	

حرف الخاء

٢٢٣	خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري ، أبو زيد الفقيه	٢١١
٢٢٤	خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو هاشم	٢١٢
	خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، أبو يزيد	٢١٣
٢٢٦	وأبو الهيثم	
٢٣١	خالد بن خدّاش بن عجلان المهلبّي ، أبو الهيثم	٢١٤
٢٣٢	خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي الخراساني ، أبو الهيثم	٢١٥
	الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربلي ، أبو العبّاس الفقيه	٢١٦
٢٣٧	الشافعي	
	خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ، أبو القاسم	٢١٧
٢٤٠	الأنصاري القرطبي	

٢٤١	خلف بن هشام بن ثعلب ، أبو محمد البزار المقرئ	٢١٨
	خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الشيباني العصفري البصري ،	٢١٩
٢٤٣	أبو عمرو	
٢٤٤	الحليل بن أحمد بن عمرو بن تميم القراهيدي ، أبو عبد الرحمن	٢٢٠
٢٤٩	خمارويه بن أحمد بن طولون ، أبو الجيش	٢٢١
٢٥١	خير بن عبد الله النساج الصوفي ، أبو الحسن	٢٢٢

حرف الدال

	داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المعروف بالظاهري ،	٢٢٣
٢٥٥	أبو سليمان	
	داود ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبو سليمان	٢٢٤
٢٥٧	الملقب الملك الزاهد مجير الدين	
٢٥٩	داود بن نصير الطائي الكوفي ، أبو سليمان	٢٢٥
	دييس بن صدقة بن منصور بن ديبس الأسدي الناشري ،	٢٢٦
٢٦٣	أبو الأغر نور الدولة ملك العرب	
٢٦٦	دعلج بن علي بن رزين بن سليمان الخزامي الشاعر ، أبو علي	٢٢٧
٢٧١	دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل	٢٢٨
٢٧٣	دلف بن جحدر ، أبو بكر الشبلي	٢٢٩

حرف الراء

	ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة ، أبو المطاع	٢٣٠
٢٧٩	وجيه الدولة ابن حمدان	

حرف الراء

٢٨٥	رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، أم الخير	٢٣١
-----	--	-----

٢٨٨	٢٣٢	ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، أبو عثمان المعروف بربيعة الرأي
٢٩١	٢٣٣	الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي ، أبو محمد
٢٩٢	٢٣٤	الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي الأزدي ، أبو محمد
٢٩٤	٢٣٥	الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله ، أبو الفضل
٣٠٠	٢٣٦	ربيع بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي الكوفي
٣٠١	٢٣٧	رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ، أبو المقدم
٣٠٣	٢٣٨	رؤبة بن العجاج بن رؤبة البصري التميمي السعدي ، أبو محمد
٣٠٥	٢٣٩	روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أبو حاتم

حرف الزاي

٣١١	٢٤٠	الزبير بن بكر بن بكار بن عبد الله الأسدي الزبيري ، أبو عبد الله
٣١٣	٢٤١	الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله ، أبو عبد الله الزبيري البصري
٣١٤	٢٤٢	زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، أم جعفر
٣١٧	٢٤٣	زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم الحنفي ، أبو الهذيل
٣٢٠	٢٤٤	زند بن الجون ، أبو دلامة
٣٢٧	٢٤٥	زنكي بن آق سنقر بن عبد الله ، أبو الجود عماد الدين الملقب بالمملك المنصور
٣٣٠	٢٤٦	زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ، أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين المعروف بصاحب سنجار
٣٣٢	٢٤٧	زهير بن محمد بن علي بن يحيى ، أبو الفضل الملقب بهاء الدين الكاتب

٣٣٨	٢٤٨	زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسي العامري ، أبو محمد
		البكائي
٣٣٩	٢٤٩	زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن ، أبو اليمن تاج الدين الكندي
٣٤٣	٢٥٠	زيري بن مناد الحميري الصنهاجي
٣٤٤	٢٥١	زينب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن عبدوس الشعري ، أم المؤيد

حرف السين

٣٤٩	٢٥٢	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عمرو ويقال أبو عبد الله
٣٥٠	٢٥٣	سالم الشاعر المعروف بالخاسر ، أبو عمر
٣٥٣	٢٥٤	سالم بن عيَّاش بن سالم الحنَّاط الأَسدي الكوفي ، أبو بكر
٣٥٤	٢٥٥	سابور بن أردشير ، أبو نصر الملقب بهاء الدولة
٣٥٧	٢٥٦	سري بن المغلِّس السقْطي ، أبو الحسن
٣٥٩	٢٥٧	السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء ، أبو الحسن
٣٦٢	٢٥٨	سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي ، أبو الفوارس شهاب الدين المعروف بـحيص بيص
٣٦٦	٢٥٩	سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنباري ، أبو المعالي الحظيري الوراق المعروف بدلال الكتب
٣٦٩	٢٦٠	سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري ، أبو عثمان
٣٧١	٢٦١	سعيد بن جبير بن هشام الأَسدي ، أبو عبد الله وقيل أبو محمد
٣٧٥	٢٦٢	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني ، أبو محمد
٣٧٨	٢٦٣	سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد ، أبو زيد الأنصاري
٣٨٠	٢٦٤	سعيد بن مسعدة المجاشعي ، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط

٣٨٢	سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله، أبو محمد ابن الدهان النحوي	٢٦٥
	سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي ، أبو	٢٦٦
٣٨٦	عبد الله	
٣٩١	سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد	٢٦٧
٣٩٤	سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب	٢٦٨
٣٩٧	سليم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي ، أبو الفتح	٢٦٩
	سليمان بن يسار ، أبو أيوب ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو	٢٧٠
٣٩٩	عبد الله	
٤٠٠	سليمان بن مهران ، أبو محمد المعروف بالأعمش	٢٧١
٤٠٤	سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشر ، أبو داود السجستاني	٢٧٢ ✓
	سليمان بن محمد بن أحمد ، أبو موسى النحوي المعروف	٢٧٣
٤٠٦	بالحامض	
٤٠٧	سليمان بن أحمد بن أبوب بن مطير ، أبو القاسم الطبراني	٢٧٤
٤٠٨	سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ، أبو الوليد الباجي	٢٧٥
٤١٠	سليمان بن أبي سليمان مخلد وقيل داود ، أبو أيوب المورياني	٢٧٦
٤١٥	سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو ، أبو أيوب	٢٧٧
٤١٨	سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي ، أبو أيوب	٢٧٨
٤٢٠	سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو أيوب	٢٧٩
	سنجر بن ملكناه بن ألب أرسلان بن داود ، أبو الحارث	٢٨٠
٤٢٧	السلطان السلجوقي	
٤٢٩	سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى ، أبو محمد التستري	٢٨١
٤٣٠	سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد ، أبو حاتم السجستاني	٢٨٢
٤٣٣	سهل بن أحمد بن علي ، أبو الفتح الأرغيباني الفقيه الشافعي	٢٨٣
٤٣٥	سهل بن محمد بن سليمان بن محمد ، أبو الطيب الصعلوكي	٢٨٤

حرف الشين

- ٢٨٥ شاور بن مجير بن نزار بن عشاثر ، أبو شجاع وزير مصر ٤٣٩
- ٢٨٥ب شاور بن مجير بن نزار بن عشاثر ، أبو شجاع وزير مصر ٤٤٣
- ٢٨٦ شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الملقب الملك الأفضل ، ٤٤٨
- أبو القاسم
- ٢٨٧ شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان ، الأمير ٤٥٢
- نور الدين
- ٢٨٨ شيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني الخارجي ، أبو الضحاك ٤٥٤
- ٢٨٩ شيب بن شيبه الخطيب المقرئ ، أبو معمر ٤٥٨
- ٢٩٠ شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم القاضي ، أبو أمية ٤٦٠
- ٢٩١ شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي القاضي ، أبو عبد الله ٤٦٤
- ٢٩٢ شعبة بن الحجاج بن الورد ، أبو بسطام ٤٦٩
- ٢٩٣ شعيب بن حرب المدائني ، أبو صالح ٤٧٠
- ٢٩٤ شعيب بن جبير المعروف بأشعب الطامع ٤٧١
- ٢٩٥ شقيق بن إبراهيم البلخي ، أبو علي ٤٧٥
- ٢٩٦ شقيق بن سلمة الأسدي ، أبو وائل ٤٧٦
- ٢٩٧ شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرغ بن عمر الإبري ، فخر النساء الكاتبة ٤٧٧
- ٢٩٨ شيركوه بن شاذي بن مروان ، أبو الحارث الملقب الملك المنصور ٤٧٩
- أسد الدين

حرف الصاد

- ٢٩٩ صالح بن إسحاق الجرمي النحوي ، أبو عمر ٤٨٥
- ٣٠٠ صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر ، أبو علي أسد الدولة الكلابي ٤٨٧

- ٤٨٨ صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي البغدادي ، أبو العلاء ٣٠١
٣٠٢ صدقة بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن ديبس الأسدي
الناصري ، أبو الحسن سيف الدولة فخر الدين صاحب
٤٩٠ الحلة السيفية
٤٩٢ صالح بن عبد القدوس البصري ، أبو الفضل ٣٠٣
٤٩٤ صالح بن بشير القاريء المعروف بالمرّي ، أبو بشير ٣٠٤

حرف الضاد

- ٤٩٩ الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين ، أبو بحر التميمي ٣٠٥
المعروف بالأحنف

حرف الطاء

- ٥٠٩ طوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني ، أبو عبد الرحمن ٣٠٦
٥١٢ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، أبو الطيب الطبري ٣٠٧
٥١٥ طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي ، أبو الحسن ٣٠٨
٥١٧ طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ، أبو الطيب ٣٠٩
المعروف بذي اليمينين
٥٢٣ طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان ، أبو الفوارس سيف ٣١٠
الإسلام الملك العزيز ظهير الدين
٥٢٦ طلائع بن رزيك ، أبو الغارات الملقب الملك الصالح وزير مصر ٣١١
٥٣١ طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى ، أبو يزيد البسطامي ٣١٢

حرف الظاء

- ٥٣٥ ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي ٣١٣
٥٤٠ ظافر بن القاسم بن منصور الاسكندراني المعروف بالحداد ٣١٤

فهرست التراجم العارضة

٥١	سعید بن نجاح الأحول	14
٥٤	محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج	15
٦١	سعید بن حمدان بن حمدون ، والد أبي فراس الحمداني	16
٦٥	حرملة بن عمران ، جد حرملة صاحب الشافعي	17
٩٨	جمال الدين محمود بن عبد الله الإربلي الأديب	18
١٠٤	توزون	19
١٠٦	وكيع (محمد بن خلف) جد ابن وكيع التنيسي	20
١٠٧	مرتضى الدين أبو الفتح نصر بن محمد بن مقلد الشيزري	21
١١٧	الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان	22
١٤٧	أبو سعيد الجنابي القرمطي	23
١٤٨	أبو طاهر الجنابي القرمطي	24
١٥١	عبد الله بن المقفع	25
١٥٦	أبو جعفر محمد بن علي السلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر	26
١٥٦	ابن أبي عون	27
١٨٩	الكمال السميري نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب	28
١٩٣	زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب	29
٢٠٥	إسماعيل بن حماد ابن الإمام أبي حنيفة	30
٢٣٨	عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الإربلي	31
٢٣٨	شرف الدين محمد بن عز الدين أبي القاسم نصر بن عقيل الإربلي	32
٢٣٩	سرفتكين مملوك زين الدين علي صاحب إربل	33
٢٤١	أبو مروان عبد الملك بن مسعود ، والد ابن بشكوال	34
٢٤٤	أبو هيرة خليفة بن خياط ، جد صاحب الطبقات	35
٢٥٠	قطر الندى ابنة خمارويه	36

٢٥٠	الافشين محمد بن أبي الساج	37
٢٥٠	أبو الساج ، والد الافشين	38
٢٦٤	تاج الملوك بدران بن صدقة	39
٣٠٦	يزيد بن حاتم المهلبي والي إفريقية	40
٣٢٩	القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري	41
٣٣١	قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار	42
	مهذب الدين أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن المفضل	43
٣٤٢	ابن التامغاز	
٣٨٥	أبو زكريا يحيى بن سعيد ، ولد ابن الدهان النحوي	44
٣٩٥	عروة بن أذينة	45
٣٩٧	محمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل الأندلسي	46
٣٩٩	أبو سعيد إبراهيم بن سليم الرازي	47
٤٠٥	أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني	48
٤٤٢	الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي	49
٤٤٨	بدر الحمالي	50
٤٥٢	حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوي المغربي	51
٤٥٢	عز الدين أبو سعيد فروخشاہ المنعوت بالملك المنصور	52
٤٥٣	عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب	53
٤٥٣	الملك الأجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخشاہ	54
٤٥٦	أبو المنهال عتبان بن وصيلة الحروري	55
٤٧٨	أبو نصر أحمد بن الفرغ بن عمر الإبري ، والد شهدة الكاتبة	56
	علي بن محمد بن يحيى أبو الحسن الدريني المعروف بثقة الدولة	57
٤٧٨	ابن الأنباري	
٤٨٠	ناصر الدين محمد بن شيركوه	58
٤٨٠	أسد الدين شيركوه ابن ناصر الدين محمد بن شيركوه	59
٤٨١	الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم	60

٤٨١	الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى	61
٤٩١	أبو كامل بهاء الدولة منصور بن ديبس	62
٤٩١	ديبس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري	63
٤٩١	علي بن مزيد الأسدي الناشري	64
٥٠٦	بجر ابن الأحنف بن قيس	65
٥٢٢	طلحة بن طاهر بن الحسين	66
٥٢٢	مصعب بن رزيق بن ماهان ، جد طاهر بن الحسين	67
٥٢٣	الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ، والد طاهر بن الحسين	68
٥٢٤	الملك المعز فتح الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين	69
٥٢٥	أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري	70
٥٢٥	أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، والد أبي الغنائم	71
٥٢٩	العادل رزيق ، ولد الملك الصالح وزير مصر	72
٥٣٠	زين الدين الواعظ ، أبو علي ابن إبراهيم	73
٥٤٢	العيني	74

وَفِيَّ الْأَعْيَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلَادِ النَّسَبِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِيفَةَ
(٦٠٨ - ٨٦٨)

حققه

الدكتور احسان عباس

المجلد الثالث

دار صادر

بيروت

وفيات الأعيان

٣

مقدمة

يستمر اعتمادنا في تحقيق هذا الجزء على النسخ الخطية التي اعتمدنا عليها في الجزء السابق وهي :

١ - مسودة المؤلف (المتحف البريطاني رقم : Add. ٢٥٧٣٥) التي تنتهي عند آخر حرف الفين .

٢ - نسخة المكتبة الظاهرية ، ورمزها « ر » .

٣ - نسخة آيا صوفيا (رقم : ٢٥٣٢) ، ورمزها « ص » ، وآخر ترجمة في القسم الموجود منها هي ترجمة أبي زيد السهيلي .

٤ - نسخة احمد الثالث ، ورمزها « س » .

٥ - نسخة المتحف البريطاني ، ورمزها « م » .

ويحسن أن نشير إلى أن الفروق بين النسخ التي اعتمدها وستنفيد قد توقفت الإشارة إليها عند آخر حرف الظاء (أي عند نهاية الجزء الثاني حسب تجزئتنا) . وقد اعتمدنا بالإضافة إلى النسخ المذكورة على ما يلي :

١ - نسخة كوبريلي (رقم : ١١٩٢) ، ورمزها « ل » ، وتقع في ٢٣٠

ورقة ، في الصفحة الواحدة ٢١ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر ١٣

كلمة ؛ وهي تبدأ بترجمة عبد الرحمن بن مسلم وتنتهي بترجمة ابن التعاويذي .

وقد كتبت بخط أحمد بن محمد بن حمدان الحرّاني ، وكان الفراغ منها يوم

الأربعاء ١٣ شعبان سنة ٧٣١ ، وهي غير دقيقة الضبط وتشارك كثيراً مع

النسخة « س » في عدم إيراد الإضافات التي قيدها المؤلف على هوامش المسودة ،

إلا أنها ابتداء من تراجم المحمدين يرد في هوامشها إضافات تنفرد بها دون

النسخة « س » .

٢ - نسخة لاله لي (رقم : ٢١١٢) ، ورمزها « لي » ، وتقع في ٢٢٧ ورقة ، في الصفحة الواحدة ١٩ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر ١٤ كلمة ؛ وهي تبدأ بترجمة عبد الحميد بن يحيى وتنتهي بترجمة ابن التعاويذي . وقد كتبت بخط نسخي جميل مضبوط بالشكل ، وجاء في الورقة الأخيرة أنها نجزت في أواخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وهي تشترك مع « س » و « ل » فيما تمثله من مسودة المؤلف .

٣ - نسخة ولي الدين (رقم : ٢٤٦٠) ، ورمزها « ن » ، وتقع في ٣٨٧ ورقة ، في الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر ١٠ كلمات ، وهي تبدأ بترجمة علي بن بويه وتنتهي بترجمة يحيى بن خالد البرمكي ، ويبدو من الخاتمة فيها أنها تمثل ما قيده المؤلف حتى سنة ٦٥٩ ، ولذلك خلت مما زاده بعدئذ من تراجم ، كما خلت من الإضافات التي جدت على هوامش المسودة ، فهي تقارب النسخ س ل لي . وقد تم نسخها على يد علي بن مبارك النوري الشافعي في يوم السبت بكرة النهار قبل الغد ٢١ محرم سنة ٨٣٠ ، ونجزت مقابلةً وتحريراً وضبطاً في شوال من العام نفسه .

إحسان عباس

بيروت في شباط (فبراير) ١٩٧٠

حَرْفُ الْعَيْنِ

عاصم المقرئ

أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهندلة مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين بن أسد ؛ كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات ، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش ، وأخذ عنه أبو بكر ابن عيَّاش وأبو عمر البزار^١ واختلفوا اختلافاً شديداً في حروف كثيرة .

وتوفي عاصم في سنة سبع وعشرين ومائة ، رحمه الله تعالى ، بالكوفة^٢ .
والنَّجُود : بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال مهملة ، وهي الحمارة الوحشية التي لا تحمل ، وقيل هي المشرفة^٣ .

وبهندلة : بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الدال المهملة واللام وبعدها هاء ساكنة ، ويقال إنه اسم أمه .

٣١٥ - ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١١٩ وميزان الاعتدال ٢ : ٣٥٧ وتهذيب التهذيب ٥ :

٣٨ وغاية النهاية ١ : ٣٤٦ ، وتاج العروس (نجد) .

١ براء مهملة في آخره نسبة إلى بزر الكتان ، وهو دينار بن عمر الأسدي (تهذيب التهذيب ٣ : ٢١٦) .

٢ بالكوفة : سقطت من س .

٣ قوله : الحمارة الوحشية التي لا تحمل ، قال شمر : هذا منكر ، والصواب ما روي في الأجناس ، النجود : الطويلة من الحمر ، وقيل هي الناقة التي لا تبرك إلا على مكان مرتفع .

أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري

أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ؛ كان أبوه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم عليه من اليمن في الأشعريين ، فأسلموا . وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة ، وليها بعد القاضي شريح ، هكذا ذكره محمد ابن سعد في « كتاب الطبقات » ، وله مكارم ومآثر مشهورة . [وكان أبو موسى تزوج في عمله على البصرة طنية بنت دمون^١ ، وكان أبوها رجلاً من أهل الطائف ، فولدت له أبا بردة ، فاسترضع له في بني فقيم في آل الغرق وسماه أبو موسى عامراً ، فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا به إلى أبيه فكناه أبا بردة ، فذهب اسمه]^٢ .

(75) وكان ولده بلال^٣ قاضياً على البصرة ، وهم الذين يقال في حقهم : ثلاثة قضاة في نسق^٤ ؛ فإن أبا موسى رضي الله عنه قضى لعمر رضي الله عنه بالبصرة ثم قضى بالكوفة في زمن عثمان رضي الله عنه . وبلال المذكور هو ممدوح ذي الرمة وله فيه غير المدائح ، وفيه يقول مخاطباً لناقته^٥ :

إذا ابن أبي موسى بلال بلغته فقام بفأس بين وصليك جازر

٣١٦ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٢٦٨ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ١٧٣ وعبر الذهبي ١ : ١٢٨ وتهذيب التهذيب ١٢ : ١٨ (في الكنى) .

١ ر : طيفة بنت دمون ؛ وفي ابن عساكر (٧ : ١٧٤) : طفية .

٢ انفردت ربما ورد بين معقنين ، وفي المسودة عند هذا الموضع « محل التخريجة » مما قد يشير إلى أن المؤلف كان ينوي إضافة ما .

٣ ترجمة بلال في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣١٨ وتهذيب التهذيب ١ : ٥٠٠ وخزانة الأدب ٤٥٢ : ١ .

٤ ص : نسق واحد .

٥ ديوان ذي الرمة : ٢٥٣ ، ٤٤٢ .

وفيه يقول أيضاً :

سمعتُ الناسَ ينتجعون غيثاً فقلت لصيّدحَ انتجعي بلالاً

وصيدح : اسم ناقته ، وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدها حاء مهملة .

وكان بلال أحد نواب خالد بن عبد الله القسري - المقدم ذكره في حرف الخاء - فلما عُرِّل وولي موضعه يوسف بن عمر الثقفي على العراقيين حاسب خالداً ونوابه وعذبهم ، فمات خالد من عذابه ومات بلال من عذابه أيضاً .

ورأيت في بعض المجاميع أن أبا بردة جلس يوماً يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبته^٢ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر ، فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق أن يعض منه فقال : لو لم تكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حجّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاه ، فامتعض أبو بردة من ذلك ثم قال : صدقت ، لكنه ما حجّم أحداً قبله ولا بعده ، فقال الفرزدق : كان أبو موسى والله أفضلَ من أن يُجربَ الحجاماة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكت أبو بردة على غيظ .

وحكى غرس النعمة بن الصابئ في بعض تصانيفه أن أبا صفوان خالد ابن صفوان التميمي المشهور بالبلاغة كان يدخل على بلال بن أبي بردة المذكور^٣ فيحدثه فيلحن في كلامه ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : يا خالد ، تحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاة ، يعني النساء اللواتي يسقين الماء للناس ، فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب ، وكفّ بصره ، فكان إذا مرّ به موكب بلال يقول : من هذا ؟ فيقال : الأمير ، فيقول خالد : سحابة صيف عن قليل تقشع ، فقيل ذلك لبلال فقال : لا تقشع والله حتى يصيبك منها

١ م : فمات خالد وبلال من عذابه ، وانظر ترجمة خالد ٢ : ٢٢٦ .

٢ ر : فضله في صحبته .

٣ وحكى ... المذكور : سقط من س ، وهو ثابت في هامش السودة .

شؤبوب^١ ، وأمر به ف ضرب مائتي سوط .

(76) وكان خالد كثير الهفوات لا يتأمل ما يقول ولا يفكر فيه ، وهو من ذرية عمرو بن الأهم التميمي الصحابي رضي الله عنه ، فإنه خالد بن صفوان ابن عبد الله بن عمرو بن الأهم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر التميمي المنقري ، واسم الأهم سنان ، وإنما قيل له الأهم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم ثناياه ، وقيل بل هُتمت يوم الكلاب ، والله أعلم .
وشيب بن شيبة ابن عم خالد المذكور^٢ .

وكانت وفاة أبي بردة المذكور في سنة ثلاث ومائة بالكوفة ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ست أو سبع ومائة ، وقال ابن سعد : مات أبو بردة والشعبي في سنة ثلاث ومائة في جمعة واحدة ، رحمها الله تعالى .
وسياتي الكلام على الأشعري في ترجمة أبي الحسن إن شاء الله تعالى^٣ .

٣١٧

الشعبي

أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، وذو كبار قيل من أقبال اليمن ، الشعبي ، وهو من حمير وعيدادته في همدان ؛ وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ، روي أن ابن عمر رضي الله عنه مر به يوماً وهو يحدث

١ ص : شؤبوب برد .

٢ وشيب ... المذكور : سقط من ص والمسودة وثبت في ر .

٣ وسياتي ... تعالى : سقط من م .

٣١٧ - ترجمة الشعبي في طبقات ابن سعد ٦ : ٢٤٦ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٢ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ١٣٨ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٢٧ وتهذيب التهذيب ٥ : ٦٥ وحلية الأولياء ٤ : ٣١٠ وعبر الذهبي ١ : ١٢٧ وسمط اللآلي : ٧٥١ .

بالمغازي فقال : شهدت القوم وإنه أعلم بها مني . وقال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام . ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وحكى الشعبي قال : أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم ، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبتُه ، وكانت الرسلُ لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحشثت خروجي ، فلما أردت الانصراف قال لي : من أهل بيت الملكة أنت ؟ فقلت : لا ، ولكنني رجل من العرب في الجملة ، فهمس بشيء ، فدفعَتُ إليّ رقعة وقال لي : إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة ، قال : فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة ، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها ، فرجعت فأوصلتها إليه ، فلما قرأها قال لي : أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم ، قال لي : من أهل بيت الملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنني من العرب في الجملة . ثم خرجت من عنده ، فلما بلغت الباب رُددت ، فلما مثلت بين يديه قال لي : أتدري ما في الرقعة ؟ قلت : لا ، قال : اقرأها ، فقرأتها فإذا فيها « عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره » ، فقلت له : والله لو علمت ما حملتها ، وإنما قال هذا لأنه لم يركك ، قال : أفندري لم كتبها ؟ قلت : لا ، قال : حسدني عليك ، وأراد أن يغريني بقتلك ، قال : فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال : ما أردت إلا ما قال .

[ولما حُمل الشعبي إلى عبد الملك وناداه قال له : يا شعبي ، لا تساعدني على قبح ولا ترد عليّ الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، واجعل بدل التعريض لي صواب الاستماع مني ، واعلم أن صواب الاستماع أولى من صواب القول ، وإذا سمعني أتحدث فلا يفتك منه شيء ، وارعني فهمك وسمعك ، ولا تجهد نفسك في تطرية سواي ، ولا تستدعِ بذلك الزيادة من كلامي ، فإن

١ ر : ردني .

٢ ص : علمت ما فيها .

أسوأ الناس حالاً من شكر الملوك بالباطل وأسوأ حالاً منه من استخف بحقهم ؛
واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ويُسقط حق الحرمة ،
وان الصمت في موضعه وعند إصابته فرصة .

وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت ، فقال له الشعبي يوماً : ألا
تتكلم ؟ فقال : أسكت فأسلم وأسمع فأعلم ؛ إن حظ المرء في أذنه له ، وفي
لسانه لغيره .

وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع فيه فقال له : ان كنت صادقاً غفر الله لي
وإن كنت كاذباً غفر الله لك^١ .

وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال : لأن
اتركها وأنا موسر أحب إليّ من أن اتكلفها وأنا معسر .

وقال الشعبي : كانت درة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجاج ؛
وقال أيضاً : مَنْ زَوَّجَ كريمته من فاسق فقد قطع رحمها .

وأحضر الشعبي بين يدي الحجاج - وكان قد خرج مع ابن الأشعث - فسلم
على الحجاج بالإمرة ثم قال : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك
لغير ما يعلم الله انه الحق ؛ وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً : قد والله
خرجنا عليك وجهدنا كل الجهد فما كنا بالفجرة الأقياء ولا البررة الأتقياء ،
وقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرّت إلينا
أيدينا ، وان عفوت عنا فبحلمك ؛ وبعد ، فالحجة لك علينا . فقال الحجاج :
أنت والله أحب إليّ ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلت
وما شهدت ؛ قد أمنت عندنا يا شعبي ، فانصرف .

وقال له الحجاج : يا شعبي ، ما كان عبد الرحمن يزجر حين رأيته نزلت دبر
قرة ونزل هو دبر الجماجم محارباً ؛ وكان أبداً يقول هذا الكلام على سبيل الفأل
والزجر^٢ .

١ زاد في النص بعده : ثم تمثل بقول مسكين الدارمي :

ليست الأحلام في حال الرضى إنما الأحلام في حال الغضب

وسيرد هذا في موضعه حسبما جاء في المسودة .

٢ زيادة من ص وحدها ، وانظر ج ٢ : ٣١ فإن القصة مع الحجاج مكررة .

وكلّم الشعبي عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى ، فقال له : أيها الأمير ، إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم ، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم ، فأطلقهم .

وكان ضئيلاً نحيفاً ، فقيل له يوماً : ما لنا نراك ضئيلاً ؟ فقال : زوجمت في الرحم ، وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن وأقام في البطن سنتين ، ذكره في كتاب « المعارف »^١ . ويقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوماً : كم عطاءك في السنة ؟ فقال : ألفين ، فقال : ويحك ! كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، قال : كيف لحنت أوّلاً ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا . فاستحسن ذلك منه وأجازه . وكان مزّاحاً ، يحكى أن رجلاً دخل عليه ومعه امرأة في البيت فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال : هذه .

وكانت ولادته لست سنين خلت من خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وقيل سنة عشرين للهجرة ، وقيل إحدى وثلاثين ، وروي عنه أنه قال : ولدت سنة جلكولاء وهي سنة تسع عشرة . وقال قتادة : ولد الشعبي لأربع سنين بقين من خلافة عمر رضي الله عنه ، وقال خليفة بن خياط : وُلد الشعبي والحسن البصري في سنة إحدى وعشرين ، وقال الأصمعي : في سنة سبع عشرة بالكوفة . وتوفي بالكوفة سنة أربع ، وقيل ثلاث ، وقيل ست ، وقيل سبع ، وقيل خمس ومائة ، وكانت وفاته فجأة . وكانت أمه من سبي جلولاء ، رضي الله عنه .

وشراحيل : بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها لام .

والشعبي : بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان ، وقال الجوهري^٢ : هذه النسبة إلى جبل باليمن نزله حسان بن عمرو الحميري هو وولده ودفن به ، وهو ذو شعبين ، فمن كان بالكوفة منهم قيل لهم : شعبيون ، ومن كان منهم بمصر

١ المعارف : ٤٥٠ .

٢ ر س : ابن قتيبة ؛ والنص في المعارف أيضاً .

والمغرب قيل لهم : الأشعوب، ومن كان منهم بالشام قيل لهم : شعبانيون ، ومن كان باليمن قيل لهم : آل ذي شَعْبين .
وجكُولاء : بفتح الجيم وضم اللام ومد آخره ، قرية بناحية فارس كانت بها الواقعة المشهورة زمن الصحابة رضي الله عنهم .
وكان كثيراً يتمثل بقول مسكين الدارمي :

ليست الأحلام في حال الرضى إنما الأحلام في وقت الغضب

٣١٨

أم المؤمنين عائشة

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن والدها ؛ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة ، شرفها الله تعالى ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل انه تزوجها قبل سودة ، زوجه إياها أبوها فأصدقها مثلما أصدق سودة . وكان لها يوم تزوجها ست سنين ، وما تزوج بكرأ سواها ، وقُبض صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثماني عشرة سنة ، وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستون سنة ، ودفنت بالبقيع ؛ ولما ماتت بكى عليها ابن عمر رضي الله عنه ، فبلغ ذلك معاوية فقال له : أتبكي على امرأة ؟ فقال : إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها وأما من ليس لها بائن فلا .
وقال المبرد : قالت عائشة رضي الله عنها : لما أمر الله نبيّه صلى الله عليه

٣١٨ - ترجمة عائشة أم المؤمنين في طبقات ابن سعد ٨ : ٥٨ والاستيعاب : ١٨٨١ وأسد الغابة ٥ : ٥٠١ والإصابة ٨ : ١٣٩ وحمية الأولياء ٢ : ٤٣ وتهذيب التهذيب ١٢ : ٤٣٣ وصفة الصفوة ٢ : ٦ ، ولها أخبار في معركة الجمل في كتب التاريخ كالطبري والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغير ذلك وفي كتب الحديث المختلفة . وهذه الترجمة انفردت بها ص ، وهي خارجة على خطة المؤلف في مقدمة الكتاب لأنه ذكر أنه لن يترجم لأحد من الصحابة .

وسلم أن يخيّر نساءه قال لي : أتختارين الله ورسوله والدار الآخرة أو الحياة الدنيا وزينتها ؟ قلت : الله ورسوله أحب إلي والدار الآخرة ، ثم قلت له : أخبرت أحداً قبلي ؟ قال : لا ، قلت : لا تخبرهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني نذيراً ولم يبعثني معنتاً [ولا متعنتاً] ١ .

وبلغ عائشة رضي الله عنها أن أناساً يسبّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت : إن الله قطع عنها العمل فأحب أن لا يقطع عنها الأجر .
وقيل لعائشة رضي الله عنها : متى يكون الرجل مسيئاً ؟ فقالت : إذا ظن أنه محسن .

قال مسلم بن دارة : ما زلت أستجفي عائشة رضي الله عنها في قولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئنة الله لا بمنتك » حتى سألت أبا زرعة الرازي فقال : وآت الحمد أهله .

وقالت عائشة رضي الله عنها للخنساء : كم تبكين على صخر وإنما هو جرة في النار ؟ قالت : ذاك أشد لجزعي عليه .

وسئلت عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ قالت : نعم ، كان عندي عجوز فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ادعُ الله أن يجعلني من أهل الجنة ، قال : إن الجنة لا يدخلها العجائز ؛ وسمع النداء فخرج وهي تبكي فقال : ما لها ؟ قالوا : إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز ، قال : ان الله سبحانه وتعالى يحولهن أبقاراً عُرباً أتراباً .
وكان عند عائشة رضي الله عنها طبق عنب فجاء سائل فدفعت إليه واحدة منه ، فضحك نساءً كنّ ، فقالت : إن فيما ترون مثاقيل الذمركثيرة .

وقيل : وقعت بين حين من قریش منازعة فخرجت عائشة [على بغلة] تصلح بينها ، فلقيها ابن أبي عتيق فقال : إلى ابن جُعلت فذاك ؟ فقالت : أصلح بين هذين الحيين ، فقال : والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد فكيف إذا قيل يوم البغل ؟ فضحك وانصرفت .

ومثل هذه النادرة : أرسل القاضي شرف الدين بن عين الدولة الشرف ابن

١ زيادة من تفسير القرطبي ١٤ : ١٦٢ .

منهال مؤقّعه إلى الحسام بن منقذ بسبب شهادة شهدها علي ابن الجمل أن
يتثبت منها ويتحققها قبل أداها ، ثم قال في أثناء ذلك : قل له نوبة الجمل ما
كانت قليل .

وكانت عائشة رضي الله عنها خرجت من المدينة حاجّة وعمّان محصور ثم
صدرت عن الحج ، فلما كانت بسرف - وهو موضع قبر ميمونة زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم - لقيها الخبر بقتل عمّان وبيعة علي ، فانصرفت راجعة إلى
مكة ولحق بها طلحة والزبير ومروان بن الحكم ، فلما تتامّوا بمكة تشاوروا
فما يريدون من الطلب بدم عمّان وهموا بالشام لمكان معاوية ، فصرّهم عبد الله
ابن عامر عن ذلك إلى البصرة ، فتوجهوا إليها فأخذوا عمّان بن حنيف عامل
علي بها فهموا بقتله فنأشدهم الله وذكّرمه صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأشير بضربه اسواطاً فضربوه وتنفوا لحيته ورأسه حتى حاجبيه وأشفار عينيه ،
ثم حبسوه ، وقتلوا خمسين رجلاً كانوا معه علي بيت المال وغير ذلك من أعماله ،
فلما بلغ علياً مسيرهم خرج مبادراً إليهم واستنفر أهل الكوفة ثم سار بهم إلى
البصرة ، وهم بضعة عشر ألفاً ، فخرج إليه طلحة والزبير وعائشة وأهل البصرة
فأقتلوا قتالاً شديداً ؛ قال عبد الله بن الزبير : أمسيت يوم الجمل وفي سبع
وثلاثون جراحة من طعنة وضربة ، وما رأيت مثل يوم الجمل قط لا يهزم منا
أحد ولا منهم ، وما أخذ خطام الجمل أحدٌ إلا قُتل ، فأخذت بالخطام فقالت
عائشة : من ؟ قلت : ابن الزبير ، قالت : وائكل أسماء ! ومرّ بي الأشر
فمرفته فعانقته وناديت : اقتلوني ومالكاً ، فجاء ناس منا ومنهم فقاتلوا حتى
تجاجزنا وضاع مني الخطام ، فسمعت علياً ينادي : اعقروا الجمل فإنه ان عقر
تفرقوا ، فضربه رجل فسقط ، فما سمعت قط أشدّ عجباً منه ، ثم أمر علي
رضي الله عنه بجمل الهودج من بين القتلى ، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث
انزلاه عن ظهر البعير فوضعه إلى جنب البعير ، فأقبل محمد بن أبي بكر ومعه
عمار حتى احتملاه ، وأدخل محمد بن أبي بكر يده فقال : يا أخية قولي بنار
الدنيا ، فقالت : بنار الدنيا .

١ بيدو في النص اضطراب هنا .

وقيل إن طلحة أصابه سهم فشكّ ركبته بصفحة الفرس وسال دمه فضعف ، فقال : يا غلام ، ابغني مكاناً ، فمات قبل ان يصل إلى الموضع الذي أمر أن يحمل إليه ، ورجع الزبير فقتل بوادي السباع ، قتله عمرو بن جرموز وعاد بسيفه إلى علي ، فلما رآه قال : إنه لسيف طالما جلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرب ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار . واحيط بعائشة رضي الله عنها ، ودخل علي البصرة بمن معه ، فبايعه أهلها واطلق عثمان بن حنيف وجهز عائشة رضي الله عنها ، وأمر أخاها محمداً بالخروج معها وخرج في تشيعها اميالاً وسرحّ بنيه معها يوماً . وقيل إن أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تقرب الشمس - وفيه كان القتال - وذلك ان نسرأ مرّ بباء حول المدينة معه شيء معلق ، فتأمله الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب ، ثم كان [من] بين مكة والمدينة بمن قرب من البصرة أو بعد قد علموا بالوقعة مما تنقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام . ويقال ان عدة المقتولين من اصحاب الجمل ثمانية آلاف ، وقيل سبعة عشر ألفاً ، وذكر أنه قُطع على خطام الجمل سبعون يداً كلهم من بني ضبة ، كلما قطعت يد رجل تقدم آخر ، وقتل من أصحاب علي رضي الله عنه نحو ألف .

١ ذكر وستنفيلد بعد هذه الترجمة « عافية بن يزيد » (ورقمه عنده ٣١٨) وأورد في ترجمته سطراً واحداً ، ولم ترد لعافية ترجمة فيما لدينا من مخطوطات ، ولذلك لم نفرده برقم ؛ وهو عافية بن يزيد بن قيس القاضي الكوفي ، كان قاضياً في عهد المهدي سنة ١٦١ ، وكان عالماً زاهداً ، وثقه ابن معين وغيره في الحديث ونسبه آخرون إلى الضعف ، وتوفي سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧ وتهذيب التهذيب ٥ : ٦٠ وميزان الاعتدال ٢ : ٣٥٨ والدميري ١ : ١٦٣ .

العباس بن الأحنف

أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جرّاذن بن كلكدة ابن خُرَيْم بن شهاب بن سالم بن حَيْثَ بن كليب بن عبد الله بن عدي بن حنيفة بن لُجَيْم الحنفي اليمامي الشاعر المشهور ؛ كان رقيق الحاشية لطيف الطباع ، جميع شعره في الغزل ، لا يوجد في ديوانه مديح ، ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة^١ :

يا أيها الرَّجُلُ المُعَدَّبُ نَفْسُهُ أَقْصِرْ فَإِنْ شِفاءَكَ الإِقْصَارُ
نَزَفَ البُكاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرْ عَيْنًا يَعِينُكَ دَمْعُهَا المِدرارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا للبكاءِ تُعَارُ

ذكر أبو علي القالي في كتاب « الأماي »^٢ قال : قال بشار بن برد : ما زال غلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها منا حتى قال هذه الأبيات .
ومن شعره أيضاً من جملة أبيات ، وينسب إلى بشار بن برد أيضاً والله اعلم^٣ :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنصوني فلما قمت منتصباً بثقل ما حملوني منهم قعدوا

٣١٩ - ترجمته في الأغاني ٨ : ٣٥٤ والشعر والشعراء : ٧٠٧ وتاريخ بغداد ١٢ : ١٢٧ ومعجم الأدباء ١٢ : ٤٠ والسقط : ٣١٣ ، ٤٩٧ والموشح : ٢٩٠ وعبر الذهبي ١ : ٣١٣ ، وقد طبع ديوانه مرات آخرها بتحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي (القاهرة : ١٩٥٤) .

١ ديوانه : ١١٦ .

٢ الأماي ١ : ٢٠٦ .

٣ ديوانه : ٨٤ .

[ويحكى أن الرشيد كان يهوى جاريته ماردة هوى شديداً ، فتغاضبا مرة ودام بينهما الغضب ، فأمر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل في ذلك شيئاً فعمل^١ :

راجع أحببتك الذين هجرتهم إذ المتيم قلماً يتجنب
إن التجانب، إن تناول منكما دبّ السلو له ففرّ المطلب

وأمر ابراهيم الموصلبي فغنى بها ، فلما سمعه الرشيد بادر إلى ماردة فترضاها، فسألت عن السبب في ذلك ف قيل لها ، فأمرت لكل واحد من العباس و ابراهيم بعشرة آلاف درهم وأمرت الرشيد أن يكافئها فأمر لها بأربعين ألف درهم^٢. وله أيضاً^٣ :

تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى خير له من راحة في الياس
لولا محبتكم لما عاتبتم ولكنتم عندي كبعض الناس
وله أيضاً :

وحدثني يا سعد عنها فزدتني جنوناً فزدني من حديثك يا سعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعد
وله أيضاً :

إذا أنت م تطفك إلا شفاعه فلا خير في ودّ يكون بشافع
فأقسيم ما تركي عتابك عن قلى ولكن لعلمي أنه غير نافع
وإني إذا لم ألزم الصبر طائعا فلا بد منه مكرها غير طائع

١ ديوانه : ٢٨ .

٢ زيادة من ر وحدها، وحذفنا منها بيتين قافيين - من قافية القاف المطلقة - سيردان في الزيادات المنقولة عن نسخة ص (انظر صفحة : ٢٤ في ما يلي) .

٣ وردت هذه الاقطعات في ديوانه : ١٦١ ، ٩٨ ، ١٧٤ وقد سقطت جميعها من س ، وجميعها في المسودة .

[قيل انه أنشد الرشيد يوماً قوله^١ :

طاف الهوى في عباد الله كلهم حتى إذا مرّ بي من بينهم وقفنا

قال له الرشيد : ما الذي رأى فيك حتى وقف عليك ؟ قال : سألتني عن جود أمير المؤمنين فأخبرته ، فاستحسن الرشيد جوابه ووصله .

قيل إن الرشيد^٢ عمل في الليل بيتاً ورام أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه ، فقال : عليّ بالعباس ، فلما طرق عليه دعر وفزع أهله ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : وجهت إليك بسبب بيت قلته ورمت أن أشفعه بمثله فامتنع القول عليّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني حتى ترجع إليّ نفسي فأني تركت عيالي على حال من القلق عظيمة ، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف ؛ فانتظر هنيهة ثم أنشده :

جنانٌ قد رأيناها ولم نر مثلها بشراً

فقال العباس بن الأحنف :

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظراً

فقال : زدني ، فقال :

إذا ما الليل سال عليّ بك بالإظلام واعتكرا

ودجاً فلم تر قمراً فأبرزها تر قمراً

فقال له الرشيد : قد ذعرتك وأفزعتنا عيالك وأقلّ الواجب أن نعطيك ديتك ، وأمر له بمشرة آلاف درهم .

وله - أعني الرشيد - :

إن تشقّ عيني بها فقد سعدت عينا رسولي وفزت بالخبر

١ ديوانه : ١٨٢ .

٢ متابع لما في تاريخ بغداد : ١٣١ ، وانظر الديوان : ١٢٨ .

وكلما جاءني الرسول لها رددت عمداً في عينه نظري
خذ مقلتي يا رسول عاريةً فانظر بها واحتكم على بصري

وأخذ المأمون هذا المعنى بعينه فقال :

بعثك مرثداً ففزتَ بنظرةٍ وأغفلتني حتى أسأتُ بك الظننا
فناجيتُ من أهوى وكنت مباحداً فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثراً منها بعينك بيتاً لقد أخذتُ عيناك من عينها حسناً
وللعباس أيضاً :

أغيبُ عنك بودٍ لا يغيّره نأيُ المحلِّ ولا صرفُ من الزمنِ
فإن أعش فلعلَّ الدهرُ يجمعنا وإن أمتُ فبطولُ الهمِّ والحزنِ
قد حسّن الحب في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسنِ
تعتلُّ بالشغل عتاً لا تكلمنا الشغلُ للقلب ليس الشغل للبدنِ

قال الزبير بن بكار : لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو
يصلح أن يتمثل فيه بنصف هذا البيت الأخير .
وله أيضاً :

قد كنت أبكي وأنتِ راضيةٌ حذار هذا الصدود والغضبِ
إن تمّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا تمّ فمالي في العيش من أربِ
وله أيضاً :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرتُ كأي ذبالةٍ نُصبتُ تضيءُ للناسِ وهي تحترقُ

١ ديوانه : ٢٧٦ وتاريخ بغداد : ١٢٩ .

٢ هذه المقطوعة والتالية لها في ديوانه : ٣٣ ، ١٩٧ .

قال الرياشي : لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفياه .
وقال أبو بكر الصُّولي^١ : كنت عند القاسم بن اسماعيل فقال : انشدني عمك
إبراهيم بن العباس لخاله العباس بن الأحنف :

قد سحب الناسُ أذيالَ الظنون بنا وفرّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظنِّ غيركمُ وصادقٌ ليس يدري أنه صدقا

قال عبد الله بن المعتز : لو قيل لي : ما أحسن شيء تعرفه ؟ لقلت : بيتا
العباس بن الأحنف ، وأنشد هذين البيتين .
وله أيضاً^٢ :

اليومَ آخرُ أيامِ السرورِ به واليومَ أولُ يومٍ فيه أكتئبُ
ما كنتُ أحسبُ أن الحزنَ ينزلُ بي بعد السرورِ فقد جاءت به العقبُ
وله أيضاً :

خيالك حين أرقدُ نصبَ عيني إلى وقت انتباهي لا يزولُ
وليس يزورني صلةٌ ولكن حديثُ النفسِ عنك به الوصولُ
وله أيضاً :

يا ذا الذي أنكرني طرفه إن ذاب جسمي وعلاني الشحوبُ
ما مسني ضرٌّ ولكنني جفوتُ نفسي إذ جفاني الحبيبُ
وله أيضاً :

أرى الطريقَ قريباً حين أسلكه إلى الحبيبِ بعيداً حين أنصرف^٣

١ تاريخ بغداد : ١٢٨ - ١٢٩ والديوان : ١٩٩ .

٢ راجع ديوانه : ٢٣١ ، ٥٧ ، ١٨٩ .

٣ ما بين معقفين زيادة من ص .

وشعره كله جيد ، وهو خال إبراهيم بن العباس الصُّولي - وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته في حرف الهمزة .

وتوفي سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد .

وحكى عمر بن شبة قال : مات إبراهيم الموصلي المعروف بالنديم سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف وهشيمة الخمار ، فرجع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال : من هذا الأول ؟ فقالوا : إبراهيم الموصلي ، فقال : أخروه وقدموا العباس بن الأحنف ، فقدم فصلى عليه ، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال : يا سيدي ، كيف آثرت العباس بن الأحنف بالتقدمة على من حضر ؟ فأشدا :

وسعى بها ناس فقالوا : إنها لهي التي تشقى بها وتكابدُ

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبني المحبُّ الجاحدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ فقلت : نعم ، وأنشدته ، فقال لي المأمون : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة ؟ فقلت : بلى والله يا سيدي .

قلت : وهذه الحكاية تخالف ما يأتي في ترجمة الكسائي ، لأنه مات بالري على الخلاف في تاريخ وفاته^٢ . وقيل إن العباس توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة^٣ ، وقال أبو بكر الصولي : حدثني عون بن محمد قال : حدثني أبي قال : رأيت العباس بن الأحنف ببغداد بعد موت الرشيد ، وكان منزله بباب الشام ، وكان لي صديقاً ، ومات وسنه أقل من ستين سنة . قال الصولي : وهذا يدل على أنه مات بعد سنة اثنتين وتسعين ، لأن الرشيد مات ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بمدينة طوس .

وكانت وفاة الأحنف والد العباس المذكور سنة خمسين ومائة ، ودفن بالبصرة ، رحمه الله تعالى .

١ ديوانه : ٨١ .

٢ قلت ... وفاته : سقط من رس م ، وهو بهامش المسودة .

٣ كذا هو مكرر بخط المؤلف .

وحكى المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^١ عن جماعة من أهل البصرة قالوا : خرجنا نريد الحج ، فلما كنا ببعض الطريق إذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي : أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ قال : فعدلنا إليه وقلنا له : ما تريد ؟ قال : إن مولاي لما به يريد أن يوصيكم ، فلما معه ، فإذا بشخصٍ ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يُحير جواباً ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً ، وأنشأ يقول^٢ :

يا غريب الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شَجْنِهِ
كلما جدَّ البكاء به دبَّتِ الأسقام في بدنه

ثم أغمى عليه طويلاً ونحن جلوس^٣ حوله ، إذ أقبل طائر فوق على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر، ثم أنشأ الفقى يقول:

ولقد زاد الفؤادَ شَجْنِي طائر يبكي على فتنِهِ
شفهُ ما شفَّنِي فبكي كلنا يبكي على سكتِنِهِ

قال : ثم تنفَّسَ تنفَّساً فاظت نفسه^٤ منه ، فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف ، رحمه الله تعالى ؛ والله أعلم أي ذلك كان .
والحنفي : بفتح الحاء المهملة والتون وبعدها فاء ، هذه النسبة إلى بني حنيفة ابن لُجَيْم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة ، واسم حنيفة أثال - بضم الهمزة وبعدها ثاء مثلثة وبعده الألف لام - وإنما قيل له حنيفة لأنه جرى بينه وبين الأحنف بن عوف العبدي مفاوضة في قصة يطول شرحها فضرب حنيفة الأحنف المذكور بالسيف ، فجزمه فسمي جذيعاً ، وضرب

١ مروج الذهب ٤ : ١٠٩ .

٢ الديوان : ٢٧٨ .

٣ ر : ساعة طويلاً ونحن حوله .

٤ ص : روحه .

الأحزن حنيفة على رجله فحَنَفَهَا ، فسمي حنيفة وحنيفة ، أخو عجل .
واليامي : بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبعد الألف ميم ثانية ، هذه
النسبة إلى اليامة ، وهي بلدة بالحجاز في البادية أكثر أهلها بنو حنيفة وبها تنبأ
مسيلة الكذاب ، وقتل ، وقصته مشهورة .

٣٢٠

الرياشي

أبو الفضل العباس بن الفرغ الرياشي النحوي اللغوي البصري ؛ كان عالماً
راوية ثقة عارفاً بأيام العرب كثير الاطلاع ، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة
معمر بن المثنى وغيرهما ، وروى عنه إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وغيرهما .
ومما رواه عن الأصمعي^٢ قال : مر بنا أعرابي ينشد ابناً له ، فقلنا له : صفه
لنا ، فقال : كأنه دينير ، فقلنا له : لم نره ، قال : فلم يلبث أن جاء بصغير
أسيّد كأنه جعل^٣ قد حمله على عنقه ، فقلنا : لو سألتنا عن هذا لأرشدناك^٣ ،
فإنه ما زال اليوم بين أيدينا . ثم أنشد الأصمعي :

نعم ضجيع الفتى إذا برد الليل سحيراً وقَرَقَفَ الصردُ
زيتها الله في الفؤاد كما زُيِّنَ في عين والد ولد

قتل الرياشي المذكور بالبصرة أيام العلوي البصري صاحب الزنج في شوال

١ زاد في ص : عليه لعنة الله .
٢٢٠ - ترجمة الرياشي في انباء الرواة ٢ : ٣٦٧ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى . وهذه الترجمة
مستوفاة في المسودة دون نقص .
٢ القصة في الكامل ١ : ٢٣٩ .
٣ ص : لأجبتك .

سنة سبع وخمسين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
 وسئل في عقب ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائتين : كم يعدُّ سنَّه ؟
 فقال : أظن سبعاً وسبعين ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه الكبير أنه قتل
 في سنة خمس وستين ومائتين ، قتله الزنج بالبصرة ، وهو غلط ، إذ لا خلاف
 بين أهل العلم بالتاريخ أن الزنج دخلوا البصرة وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة
 ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ، فأقاموا على القتل والإحراق ليلة السبت
 ويوم السبت ثم عادوا إليها يوم الاثنين ، فدخلوها وقد تفرق الجند وهربوا
 فنادوا بالأمان ، فلما ظهر الناس قتلهم ، فلم يسلم منهم إلا النادر ، واحترق
 الجامع ومن فيه ، وقتل العباس المذكور في أحد هذه الأيام فإنه كان في الجامع
 لما قتل^٢ .

والرياشي : بكسر الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة ،
 هذه النسبة إلى رياش ، وهو اسم جد رجل من جندام كان والد المنسوب إليه
 عبداً له فنسب إليه وبقي عليه .

٣٢١

ابن عمر

أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، القرشي العدوي ؛
 أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وعرض على

١ ابن الأثير ٧ : ٣٢٨ .

٢ وذكر شيخنا ... قتل : سقط من النسخ ما عدا النسخة ر وهو ثابت في هامش المسودة أيضاً .
 ٣٢١ - ترجمة عبد الله بن عمر في طبقات ابن سعد ٤ : ١٤٢ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٠ .
 والاستيعاب : ٩٥٠ وحلية الأولياء ١ : ٢٩٢ وصفة الصفوة ١ : ٢٢٨ وتهذيب التهذيب ٥ :
 ٣٢٨ والإصابة ٤ : ١٠٧ وأسد الغابة ٣ : ٢٢٧ ونكت الهميان ١٨٣ ولم ترد هذه
 الترجمة في جميع المخطوطات التي اعتمدها ، ولا في مطبوعة رستنفيلد ، وإنما ثبتت في الطبعات =

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدَ فردّه لصغر سنه ، فعُرِضَ عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازته ، وكان من أهل الورع والعلم ، وكان كثير الاتّباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شديد التحرّي والاحتياط والتوقّي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه ، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان بعد موته مولماً بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات .

ويقولون : إنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُم المؤمنين حفصة بنت عمر : « إن أخاك عبد الله رجل صالح ، لو كان يقوم من الليل » ؛ فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل .
وقال جابر بن عبد الله : ما منا أحد إلا مالته به الدنيا ومال بها ، ما خلا عمر وابنه عبد الله .

وقال ميمون بن مهران : ما رأيت أروعَ من ابن عمر ، ولا أعلم من ابن عباس . وقال سعيد بن المسيب : لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة ، لشهدت لعبد الله بن عمر .

وحكى الأصمعي قال : حدثنا أبو عبد الرحمن - وهو أبو الزناد - عن أبيه ، قال : اجتمع في الحِجْر : مُصعب وعُروة وعبد الله بنو الزبير ، وعبد الله بن عمر ، فقالوا : نتمنى ، فقال مصعب بن الزبير : أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة ، قال : فنالوا ما تمنوا ؛ ولعل ابن عمر قد غفر له^١ .

وحكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي ، قال : لقد رأيت عجيباً ، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فقال القوم بعدما فرغوا من صلاتهم :

= المصرية من الكتاب؛ وإيرادها يعد خروجاً على منهج المؤلف إذ ذكر أنه لن يترجم للصحابة، في مقدمة كتابه .

١ أوجز في الخبر إذ حذف ما قاله عروة وعبد الله ، وسترّد رواية شبيهة بهذه الرواية في المعنى دون اللفظ في ترجمة عروة بن الزبير ، وليس فيها ذكر لابن عمر .

ليقم رجل رجل منكم فليأخذ الركن اليباني ويسأل الله حاجته ، فإنه يعطى من ساعته ، قم يا عبد الله بن الزبير ، فإنك أول مولود ولد في الهجرة ، فقام وأخذ بالركن اليباني ، ثم قال : اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم ، أسألك بجمرة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك ، عليه الصلاة والسلام ، أن لا تمني حتى توليني الحجاز ، ويسلم علي بالخلافة ، وجاء حتى جلس ، فقال : قم يا مصعب ، فقام حتى أخذ بالركن اليباني ، فقال : اللهم إنك رب كل شيء ، وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، أن لا تمني من الدنيا حتى توليني العراق ، وتزوجني سكينه بنت الحسين ، وجاء حتى جلس ، فقال : قم يا عبد الملك ، فقام وأخذ بالركن اليباني ، وقال : اللهم رب السموات السبع ، ورب الارض ذات القفر ، أسألك بما سألك عبداك المطيعون لأمرك ، وأسألك بجمرة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك ، أن لا تمني من الدنيا حتى توليني شرق الارض وغربها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس ، فقال : قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليباني ، ثم قال : اللهم إنك رحمن رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تمني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عينا من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل وبُشِّر عبد الله بن عمر بالجنة ورؤيت له .

وحكى حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال : خطرت لي هذه الآية ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران : ٩٢) فذكرت ما أعطاني الله عز وجل فما وجدت شيئا أحب إلي من جاريتي رمينة ، فقلت : هي حرة لوجه الله ، فلولا أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها ، فأنكحها نافعاً ، فهي أم ولده .

وكان ابن عمر إذا اشتد عجه بشيء من ماله قرّبه إلى ربه عز وجل . قال نافع : كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنه أعتقه ، فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن ، والله ما بهم إلا أن يخذعوك ، فيقول : ما خدعنا أحد بالله

إلا اتخذنا له .

قال نافع : ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان ، أو ما زاد ، وكان يحيي الليل صلاة^١ ، فإذا جاء السحر استغفر إلى الصباح .

وتوفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل^١ ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجَّاج ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين .

وكان الحجاج^٢ قد أمر رجلاً سَمَّ زُجَّه وزحمه في الطريق ، ووضع الزج على ظهر قدمه ، وذلك أن الحجاج خطب يوماً وأخَّر الصلاة ، فقال ابن عمر : إن الشمس لا تنتظرُك ، فقال له الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذي فيه عينك ، قال : إن تفعل فإنك سفيه [مسلط] . وقيل : إنه أخفى قوله ذلك على الحجاج ولم يسمعه ، وإنما كان يتقدمه في المواقف بعرفَة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها ، وكان ذلك يعز على الحجاج ، فأمر الحجاج رجلاً معه حربة يقال إنها كانت مسمومة ، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل ، فأمر الحربة على قدمه ، وهي في غرَزِ راحلته ، فمرض منها أياماً ، فدخل عليه الحجاج يعوده ، فقال : من سَمَّك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قتلني الله إن لم أقتله ، قال : ما أراك فاعلاً ، أنت أمرت مَنْ نخسني بالحربة ، فقال : لا تفعل يا أبا عبد الرحمن ، وخرج عنه . وروي أنه قال للحجاج - إذ قال له : من سمك ؟ - قال : أنت أمرت بإدخال السلاح في الحرم . فلبث أياماً ثم مات ، رضي الله عنه ونفع به ، وصلى عليه الحجاج .

١ كذا ، وفي الاستيعاب : في الحل .

٢ متابع لما في الاستيعاب : ٩٥٢ وجانب كبير من هذه الترجمة عنه .

عبد الله بن المبارك

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح^١ المروزي ، مولى بني حنظلة ؛ كان قد جمع بين العلم والزهد ، تفقه على سفیان الثوري ومالك بن أنس رضي الله عنهما ، وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة شديد التورع ، وكذلك كان أبوه^٢ .

ويحكى عن أبيه أنه كان يعمل في بستان لمولاه وأقام فيه زماناً ، ثم إن مولاه جاءه يوماً وقال له : أريد زماناً حلواً ، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها زماناً فكسره فوجده حامضاً ، فحرد عليه وقال : أطلب الحلو فتحضر لي الحامض^٣ ؟ هات حلواً ، فمضى وقطع من شجرة أخرى ، فلما كسره وجده أيضاً حامضاً فاشتد حرده عليه ، وفعل كذلك دفعةً ثالثة ، فقال له بعد ذلك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال : لا ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال : لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه ، فقال : ولم لم تأكل ؟ قال : لأنك ما أذنت لي ، فكشف عن ذلك فوجد قوله حقاً ، فعظم في عينه وزوجه ابنته ، ويقال : إن عبد الله رُزقه من تلك الابنة ، فَتَمَّتْ عليه بركة أبيه . ورأيت في بعض التواريخ هذه القضية منسوبة إلى إبراهيم بن آدم العبد الصالح ،

٣٢٢ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٠ : ١٥٢ وترتيب المدارك ١ : ٣٠٠ وطبقات الشيرازي ، بالورقة ٢٦ وتذكرة الحفاظ ٤ : ٢٧٤ والديباج المذهب : ١٣٠ والعارف ١١١ : ٥١١ وغاية النهاية ١ : ٤٤٦ وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٨٢ وحلية الأولياء ٨ : ١٦٢ وعبر الذهبي ١ : ٢٨٠ والشذرات ١ : ٢٩٥ والانتقاء : ١٣٢ .

١ ابن واضح : سقطت من س م ر ، وهي في المسودة وص .

٢ وكان كثير ... أبوه : سقط من ر .

٣ ر : أطلب حلواً فتأتيني بحامض .

رضي الله عنه^١ ، وكذا ذكرها الطرطوشي في أول « سراج الملوك » لابن آدم^٢ .

ونقل أبو علي الغساني الجبائي أن عبد الله بن المبارك المذكور سئل : أيها أفضل : معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة ، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : ربنا ولك الحمد ، فما بعد هذا ؟

[ووقفت في كتاب « النصوص على مراتب أهل الخصوص » عن أشعث بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد الرقة فأنجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الحشب ، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان]^٣ .

وكان لعبد الله شعر^٤ ، فمن ذلك قوله :

قد يفتحُ المرءُ حانوتاً لمتجره وقد فتحتَ لك الحانوتَ بالدينِ
بين الأساطينِ حانوتٌ بلا غلَقٍ تبتاعُ بالدينِ أموالَ المساكينِ
صيرتَ دينك شاهيناً تصيدُ به وليس يُفْلحُ أصحابُ الشواهينِ
[وكان إذا خرج إلى مكة حرسها الله تعالى يقول :

بِعَضِّ الحِياةِ وخوفِ اللهِ أخرجني وبيع نفسي لما ليست له ثمنًا

١ في س ر في هذا الموضع : « المقدم ذكره » مع أن ترجمة ابراهيم بن آدم لم ترد في س .

٢ وكذا ذكرها ... آدم : هذه العبارة لم ترد الا في ص والمسودة ؛ وانظر سراج الملوك : ٢١ .

٣ ما بين معقنين لم يرد في المخطوطات ، وانما هو في المطبوعة .

٤ انظر نماذج من شعر ابن المبارك في الورقة : ١٤ - ١٦ وطبقات السبكي ١ : ١٥٠ وما بعدها

وترتيب المدارك ١ : ٣٠٥ .

اني وزنت' الذي يبقى ليعدله' ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا^١

ومن كلامه : تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا .

وكان عبد الله قد غزا ، فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها في رمضان سنة إحدى ، وقيل اثنتين وثمانين ومائة ، ومولده بمرور سنة ثمان عشرة ومائة ، رضي الله عنه .

وهيت : بكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء مثناة من فوقها ، مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق لكنها في بر الشام والأنبار في بر بغداد ، والفرات يفصل بينها ، ودجلة تفصل بين الأنبار وبغداد ، وقبره ظاهر يزار بها ، وقد جمعت^٢ أخباره في جزأين .

٣٣٣

عبد الله بن عبد الحكم

أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع^٣ ، الفقيه المالكي المصري ؛ كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله ، وأفضت إليه رئاسة الطائفة المالكية بعد أشهب ، وروى عن مالك الموطأ سمعاً ، وكان من ذوي الأموال والرباع ، له جاه عظيم وقدر كبير ، وكان يزكي الشهود ويحرحهم ، ومع هذا لم

١ زيادة من ص .

٢ شكله في المسودة بضم الجيم ، على البناء للمجهول ، فليس المؤلف هو الذي جمع أخباره .
٣٣٣ - ترجمة عبد الله بن عبد الحكم في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٤ وترتيب المدارك : ٥٢٣ والديباج المذهب : ١٧٤ وتهذيب التهذيب : ٥ : ٢٨٩ وعبر الذهبي : ١ : ٣٦٦ والشذرات : ٢ : ٣٤ والانتقاء : ٥٢ : ١١٣ .

٣ ابن ليث بن رافع : سقط من س ر ، وهو بهامش المسودة .

يشهد ولا أحد من ولده لدعوة سبقت فيه^١ ، ذكر ذلك القضاعي في كتاب «خط مصر» ؛ ويقال : إنه دفع للإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، عند قدومه إلى مصر ألف دينار من ماله ، وأخذ له من ابن عُسامة التاجر ألف دينار ، ومن رجلين آخرين ألف دينار ، وهو والد أبي عبد الله محمد ، صاحب الإمام الشافعي - وسيأتي ذكره في حرف الميم ، ان شاء الله تعالى .

وروى بشر بن بكر ، قال : رأيت مالك بن أنس في النوم بعدما مات بأيام ، فقال : إن ببلدكم رجلاً يقال له ابن عبد الحكم ، فخذوا عنه فإنه ثقة . وكان لأبي محمد المذكور ولد آخر يسمى عبد الرحمن من أهل الحديث والتواريخ^٢ ، صنف كتاب فتوح وغيره^٣ .

وكانت ولادة أبي محمد المذكور في سنة خمسين ومائة ، وقيل سنة خمس وخمسين ومائة . وتوفي في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين بمصر ، وقبره إلى جانب قبر الإمام الشافعي ، رضي الله عنها ، مما يلي القبلة ، وهو الأوسط من القبور الثلاثة .

(77) وتوفي ولده عبد الرحمن المذكور في سنة سبع وخمسين ومائتين ، وقبره إلى جانب قبر أبيه من جهة القبلة .
وأعين : بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

وعُسامة : بضم العين المهملة وفتح السين المهملة وبعده الألف ميم ثم هاء .

١ عند هذا الموضع ورد في هامش س : « وكان يكرم للشافعي ويلزم مجلسه وأمر ابنه محمد بالزوم الشافعي والأخذ عنه ، وكان ذلك سبب تمييزه على نظرائه ، وله مصنفات في الفقه معروفة ، وكان محدثاً ، غير قبره وقبر ولديه عبد الرحمن ومحمد وكانا من أهل العلم والتصانيف وفضلها مشهور وجعل قبورهم لاطئة بالأرض محقورة في العين تعصباً على مذهب مالك وأصحابه ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وأن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ، ولو رأى الشافعي ذلك لساءه ، إذ الأرض أرضهم والتربة ملك لهم ، وإنما دفنوا الشافعي عندهم إيثاراً له ومعرفة بفضله ، رضي الله عنهم أجمعين » .

٢ ص : والتاريخ .

٣ روى بشر ... وغيره : سقط من س ، وهو بهامش المسودة .

ابن وهب الفقيه المالكي

أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم ، القرشي بالولاء^١ الفقيه المالكي المصري مولى ربحانة مولاة أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري^٢ ؛ كان أحد أئمة عصره وصاحب الإمام مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، عشرين سنة ، وصنف « الموطأ الكبير » و « الموطأ الصغير » وقال مالك في حقه : عبد الله بن وهب إمام . وقال أبو جعفر ابن الجزار : رحل ابن وهب إلى مالك في سنة ثمان وأربعين ومائة ولم يزل في صحبته إلى أن توفي مالك ، وسمع من مالك قبل عبد الرحمن بن القاسم ببضع عشرة سنة . وكان مالك يكتب إليه إذا كتب في المسائل : إلى عبد الله بن وهب المقتي ، ولم يكن يفعل هذا مع غيره . وأدرك من أصحاب ابن شهاب الزهري أكثر من عشرين رجلاً . وذُكر ابن وهب وابن القاسم عند مالك ، فقال : ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه .

قال القضاعي في كتاب « خطط مصر » : قبر عبد الله بن وهب مختلف فيه ، وفي مجرّ بني مسكين قبر صغير مخلوق يُعرف بقبر عبد الله ، وهو قبر قديم يشبه أن يكون قبره^٣ .

وكان مولده في ذي القعدة سنة خمس ، وقيل أربع وعشرين ومائة بمصر . وتوفي بها يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة سبع وتسعين ومائة ، رضي الله عنه .

٣٢٤ - ترجمة ابن وهب في طبقات الشيرازي، الورقة: ٤٤ وترتيب المدارك ٢ : ٤٢١ والديباج المذهب : ١٣٢ وتذكرة الحفاظ : ٣٠٤ وعبر الذهبى ١ : ٣٢٢ وغاية النهاية ١ : ٤٦٣ وتهذيب التهذيب ٦ : ٧١ والشذرات ١ : ٣٤٧ والانتقاء : ٤٨ .

١ بالولاء : سقطت من ر س م .
٢ مولى ربحانة ... الفهري : سقطت من س وبعضه من ر وهو محشئ بين السطور في المسودة .
٣ قال القضاعي ... قبره : سقطت من م س .

وله مصنفات في الفقه معروفة ، وكان محدثاً . وقال يونس بن عبد الأعلى صاحب الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى : كَتَبَ الخليفة إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر ، فجنن نفسه ، ولزم بيته ، فاطلع عليه رشدين بن سعد ، وهو يتوضأ في صحن داره ، فقال له : ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله عز وجلّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فرفع إليه رأسه وقال : إلى هاهنا انتهى عقلك ؟ أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء وأن القضاة يحشرون مع السلاطين ؟ وكان عالماً صالحاً خائفاً لله تعالى .

وسبب موته أنه قرىء عليه كتاب « الأهوال » من جامعه ، فأخذه شيء كالغشي ، فحُمِلَ إلى داره فلم يزل كذلك إلى أن قضى نَحْبَهُ .

قال ابن يونس المصري في تاريخه : هو مولى يزيد بن رمانة مولى أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري ، والذي ذكرته أولاً قاله ابن عبد البر^٣ ، والله أعلم . [وقال عبد الله بن وهب المصري : كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين ديناراً . قال : وكان إذا أخذه لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به . قال : ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه . قال : وكان له ابن عم ، فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به ، ثم جاء يطلبه تحت فراشه فلم يجد شيئاً . قال : فشكا إلى حيوة ، فقال له حيوة : أنا أعطيت ربي بيقين ، وأنت أعطيت ربك تجربة]٤ .

١ ترتيب المدارك : حجاج بن رشدين ؛ وانظر رشدين بن سعد في المصدر نفسه ٣ : ٨٢ .
 ٢ وقال يونس... السلاطين: سقط من م وهو بهامش المسودة، وكل ما جاء في هوامش المسودة أو بين سطورها فانه لا يرد في النسخة م، ولهذا لن نشير اليه من بعد، فقد مرت منه نماذج كثيرة.
 ٣ الانتقاء : ٤٨ .
 ٤ ما بين معقفين لم يرد في م ص والمسودة ؛ وحيوة بن شريح أبو زرعة التجيبي فقيه زاهد محدث ثقة ، توفي سنة ١٥٨ أو في التي بعدها (تهذيب التهذيب ٣ : ٧٠) .

عبد الله بن لهيعة

أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عُقبَة بن لهيعة الحضرمي النافقي المصري ؛ كان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية . قال محمد بن سعد في حقه^١ : إنه كان ضعيفاً ، ومن سمع منه في أول أمره أقربُ حالاً من سمع منه في آخره . وكان يقرأ عليه ما ليس من حديثه فيسكت ، فقيل له في ذلك فقال : ما ذنبي ؟ إنما يجيئونني بكتاب يقرأونه عليّ ويقومون ، ولو سألوني لأخبرتهم أنه ليس من حديثي .

وكان أبو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر في مُستَهَلِّ سنة خمس وخمسين ومائة ، وهو أول قاض ولي بمصر من قبيل الخليفة ، وصُرف عن القضاء في شهر ربيع الأول^٢ سنة أربع وستين ومائة ، وهو أول قاض حضر لنظر الهلال في شهر رمضان واستمر القضاء عليه إلى الآن^٣ .

ذكر ابن الفراء في تاريخه في سنة اثنتين وخمسين ومائة فقال : وفيها توفي أبو خزيمَة إبراهيم بن يزيد القاضي الحميري^٤ وولي مكانه عبد الله بن لهيعة الحضرمي ، وكان سبب ولايته أن ابن حُدَيْج كان بالمعراق ؛ قال : فدخلت على أبي جعفر المنصور فقال لي : يا ابن حُدَيْج ، لقد توفي ببلدك رجل أصيب به العامة ، قلت : يا أمير المؤمنين ذاك إذا أبو خزيمَة ، قال : نعم ، فمن ترى أن نولي القضاء بعده ؟

٣٢٥ - ترجمته في الكندي : ٣٦٨ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٣٧ ، وعبر الذمهي ١ : ٢٦٤ ، والمعارف : ٥٠٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٧٥ ، ورفع الإصر : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٧٧ ، والشذرات ١ : ٢٨٣ .

١ انظر الطبقات ٧ : ٥١٦ .

٢ الكندي : ربيع الآخر .

٣ وصرف ... الآن : سقط من ر .

٤ انظر ترجمته في الكندي : ٣٦٣ .

قلت : أبا معدان [عامر بن مرة] اليحصبي يا أمير المؤمنين ، قال : ذلك رجل أصم ، لا يصلح للقاضي أن يكون أصم . قال فقلت : فابن لهيعة يا أمير المؤمنين ، قال : فابن لهيعة على ضَعْف فيه ، فأمر بتوليته ، وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين ديناراً ، وهو أول قضاة مصر أُجرى عليه ذلك ، وأول قاض بها استقضاه خليفة ، وإنما كان ولاة البلد هم الذين يُولَّون القضاة^١ .
وتوفي بمصر يوم الأحد منتصف شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين ، وقيل سنة سبعين ومائة ، وعمره إحدى وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى .
قال أبو موسى العنزي في تاريخه : وكان الليث بن سعد أكبر من ابن لهيعة بسنة أو بسنتين .

[وذكره ابن يونس في تاريخه فقال : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان ابن ربيعة الحضرمي ثم الأعدولي ، من أنفسهم ، قاضي مصر ، يكنى أبا عبد الرحمن وروى عنه عمرو بن الحارث والليث بن سعد وعثمان بن الحكم الجذامي وابن المبارك ، وذكر تاريخ وفاته ، ثم قال : وكان مولده سنة سبع وتسعين ، ثم روى بإسناد متصل إليه أنه قال : كنت إذا أتيت يزيد بن أبي حبيب يقول لي : كأني بك وقد قعدت على الوسادة ، يعني وسادة القضاء ، فمات ابن لهيعة حتى ولي القضاء]^٢ .

ولهيعة : بفتح اللام وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح العين المهملة وبعدها هاء ساكنة .
والحضرمي : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد الموحدة وفتح الراء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى حَضْرَمَوْت ، وهي من بلاد اليمن في أقصاها .

١ هذا النص المنقول عن ابن الفراء انفردت بإيراده كاملاً النسخة ر ، وبلغ في المسودة إلى قوله : « فدخلت على أبي جعفر المنصور فقال لي » ثم كتب « تنمة ذلك في الورقة » ويبدو أنه أتته في ورقة منفصلة ضاعت ؛ ولهذا سقط سائر من ص ، كما أن الخبر كله سقط من س م ، وقارن بما عند الكندي : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٢ ما بين معقنين انفردت به ر .

القنعني

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَبِ الحارثي المعروف بالقَعْنَبِي ؛ كان من أهل المدينة ، وأخذ العلم والحديث عن الإمام مالك رضي الله عنه ، وهو من جَلَّة أصحابه وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم ، وهو أحد رواة « الموطأ » عنه ، فإن « الموطأ » رواه عن مالك رضي الله عنه جماعة ، وبين الروايات اختلاف ، وأكملها رواية يحيى بن يحيى - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى . وكان يسمى « الراهب » لعبادته وفضله . وقال عبد الله بن أحمد بن الهيثم : سمعت جدي يقول : كنا إذا أتينا عبد الله بن مسلمة القَعْنَبِي خرج إلينا كأنه مُشْرِف على جهنم ، ونعوذ بالله منها . وكان القنعني يسكن البصرة ، وهو من الثقات في روايته . وتوفي يوم الجمعة لست خلون من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة ، رحمه الله تعالى ، وذكر أبو القاسم ابن بَشْكُوَال في تسمية من روى « الموطأ » عن مالك أنه توفي بمكة ، والله أعلم .

والقنعني : بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى جده المذكور أعلاه ، رحمه الله تعالى .

٣٢٦ - ترجمته في ترتيب المدارك ١ : ٣٩٧ والديباج المذهب : ١٣١ والانتقاء : ٦١ وتذكرة الحفاظ : ٣٨٣ وتهذيب التهذيب ٦ : ٣٠ والشذرات ٢ : ٤٩ .

ابن كثير المقرئ

أبو سعيد عبد الله بن كثير ؛ أحد القراء السبعة . توفي سنة عشرين ومائة بمكة ، رحمه الله تعالى ، ولم أقف على شيء من حاله لأذكره . ثم وجدت صاحب كتاب « الإقناع » في القراءات^٢ ذكره فقال : ابن كثير ، المكي الداري - والدار بطن من لحم منهم تميم الداري رضي الله عنه ، وقيل إنما نسب إلى دارين لأنه كان عطاراً ، وهو موضع الطيب ، وهذا هو الصحيح - قالوا : وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني ، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن إلى اليمن حين طرد الحبشة عنها ، وكان يَخْضِبُ بالحناء ، وكان قاضي الجماعة بمكة ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين ، وكان شيخاً كبيراً ، أبيض الرأس واللحية طويلاً جسيماً أسمر أشهل العينين ، يغير شيبته بالحناء أو بالصفرة ، وكان حسن السكينة ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ، ومات بها سنة عشرين ومائة^٣ .

ثم قال هذا المصنف : ما ذكر من وفاته هو كالإجماع بين القراء ، ولا يصح عندي ، لأن عبد الله بن إدريس الأودي قرأ عليه ، ومولد ابن إدريس سنة خمس عشرة ومائة ، فكيف تصح قراءته عليه لولا أن ابن كثير تجاوز سنة عشرين؟ وإنما الذي مات فيها عبد الله بن كثير القرشي وهو غير القاريء ، وأصل الغلط في هذا من أبي بكر ابن مجاهد ، والله أعلم .

٣٢٧ - ترجمة ابن كثير المقرئ في طبقات ابن سعد ٥ : ٨٤ ، وغاية النهاية : ٤٤٣ ، وتهذيب

التهذيب ٥ : ٣٦٧ والعقد الثمين ٥ : ٢٣٦ والشذرات ١ : ١٥٧ .

١ هكذا هو في المسودة وسائر النسخ وفي المصادر « أبو معبد » .

٢ هذا الكتاب من تأليف أبي جعفر أحمد بن علي ابن الباذش المتوفى سنة ٥٤٦ .

٣ الى هنا انتهت الترجمة في م .

٤ أورد الجزري رأي ابن الباذش هذا ثم قال : وهو معذور فيما قال ، غير أن الصواب في ذلك

أن ابن إدريس (الأودي) لم يقرأ على ابن كثير .

(78) وراويه : قُنْبُل وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد ابن جرجة المكي الخزومي^١، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة .

(79) . وراويه الآخر البزي ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة بشار الفارسي، كنيته أبو الحسن^٢، توفي سنة سبعين ومائتين وله ثمانون سنة ، رحمهم الله اجمعين .

٣٢٨

ابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي^١، وقيل المروزي ، النحوي اللغوي صاحب كتاب « المعارف » و « أدب الكاتب » ؛ كان فاضلاً ثقة ، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزياتي^٢ وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة ، وروى عنه ابنه أحمد وابن دُرُستويه الفارسي ، وتصانيفه كلها مفيدة ، منها ما تقدم ذكره ، ومنها « غريب القرآن الكريم » و « غريب الحديث » و « عيون الأخبار » و « مشكل القرآن » و « مشكل الحديث » و « طبقات الشعراء » و « الأشربة » و « إصلاح الغلط » و « كتاب التقية » و « كتاب الخيل » و « كتاب إعراب القراءات »^٣

١ انظر غاية النهاية ٢ : ١٦٥ وعبر الذهبي ٢ : ٨٩ والشذرات ٢ : ٢٠٨ .

٢ انظر غاية النهاية ١ : ١١٩ وعبر الذهبي ١ : ٤٥٥ والشذرات ٢ : ١٢٠ وميزان الاعتدال ١ : ١٤٤ .

٣٢٨ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ١٤٣ وهناك ثبت بمصادر أخرى في الحاشية .

٣ سقط نسب الزياتي من ص س .

٤ س : القرآن .

و « كتاب الأنواء » و « كتاب المسائل والجوابات »^١ و « كتاب الميسر والقдах » وغير ذلك . وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وقيل إن أباه مروزي ، وأما هو فمولده ببغداد ، وقيل بالكوفة ، وأقام بالدينور مدة قاضياً فنسب إليها . وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين ، وقيل سنة إحدى وسبعين ، وقيل أول ليلة في رجب ، وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين ، والأخير أصح الأقوال ، وكانت وفاته فجأة ، صاح صيحة سمعت من بُعد ثم أغمى عليه ومات ، وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر ، ثم مات رحمه الله تعالى .

(80) وكان ولده أبو جعفر أحمد بن عبد الله المذكور فقيهاً^٢ ، وروى عن أبيه كتبه المصنفة كلها وتولى القضاء بمصر ، وقدمها في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلثائة ، وتوفي بها في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثائة ، وهو على القضاء ، ومولده ببغداد .

والناس يقولون : إن أكثر أهل العلم يقولون : إن « أدب الكاتب » خطبة بلا كتاب ، و « إصلاح المنطق » كتاب بلا خطبة ، وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن « أدب الكاتب » قد حوى من كل شيء وهو مُفَنِّنٌ ، وما أظن حَمَلَهُمْ على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة ، و « الإصلاح » بغير خطبة ، وقيل إنه صنف هذا الكتاب لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله بن المتوكل على الله الخليفة العباسي ، وقد شرح هذا الكتاب أبو محمد بن السيد النبطليوني^٣ - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - شرحاً مستوفى ، ونبّه على مواضع الغلط منه ، وفيه دلالة على كثرة اطلاع الرجل ، وسماء « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » .

وقتيبة : بضم القاف وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من

١ ص : والأجوبة .

٢ انظر ترجمة أبي جعفر ابن قتيبة في الكندي : ٤٨٥ ورفع الإصر : ٧٢ .

تحتها وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة ، وهي تصغير قتبة بكسر القاف ، وهي واحدة الأقتاب ، والأقتاب : الأمعاء ، وبها سمي الرجل ، والنسبة إليه قُتَيْبٌ .
والدينوري : بكسر الدال المهملة ، وقال السمعاني بفتحها وليس بصحيح ، وبسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وبعدها راء ، هذه النسبة إلى دِينَوْرَ ، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير .

٣٢٩

ابن درستويه

أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتُوِيَه بن المَرَزُبَان الفارسي الفسوي النحوي ؛ كان عالماً فاضلاً أخذ فن الادب عن ابن قُتَيْبَةَ - المقدم ذكره - وعن المبرد وغيرهما ببغداد ، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره . وكانت ولادته في سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وتوفي يوم الاثنين لتسع بقين من صفر ، وقيل لست بقين منه ، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى . وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم .
ودُرُسْتُوِيَه : بضم الدال المهملة والراء وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، هكذا قاله السمعاني ، وقال غيره : هو يفتح الدال والراء والواو ، وهذا القائل هو ابن ماكولا في كتاب « الاكمال » .
والفارسي والفسوي قد تقدم الكلام عليهما في ترجمة البساسيري في حرف الهمزة .

وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان ، منها : « تفسير كتاب النجومي »

٣٢٩ - ترجمة ابن درستويه في انباه الرواة ٢ : ١١٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

١ س ص : لسبع .

و « الارشاد » في النحو ، و « كتاب الهجاء » و « شرح الفصيح » و « الرد على الفضل الضبي في الرد على الخليل » و « كتاب الهداية » و « كتاب المقصور والمدود » و « كتاب غريب الحديث » و « كتاب معاني الشعر » و « كتاب الحي والميت » و « كتاب التوسط بين الأخفش و ثعلب في تفسير القرآن » و « كتاب خبر قس بن ساعدة » و « كتاب الأعداد » و « كتاب أخبار النحويين » و « كتاب الرد على الفراء في المعاني » ، وله عدة كتب شرع فيها ولم يكملها .

٣٣٠ .

الكعبي

أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور ؛ كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم « الكعبية » ، وهو صاحب مقالات ، ومن مقالته : أن الله سبحانه وتعالى ليست له إرادة ، وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها . وكان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات في علم الكلام ، وتوفي مستهل شعبان سنة سبع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .
والكعبي : بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى بني كعب .
والبُلخي : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى بُلخَ إحدى مدن خراسان .

٣٣٠ - ترجمة الكعبي في تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤ وطبقات المعتزلة : ٨٨ ومقالات الإسلاميين : (انظر فهرست الكتاب) ، والفصل ٤ : ٢٠٣ وعبر الذهبي ٢ : ١٧٦ والشذرات ٢ : ٢٨١ والفرق : ١٢ ، ١٨٠ ، ١٨١ ومختصره : ١١٩ والتبصير : ٥١ والمثل والنحل : ١ : ٧٦ والجواهر المضية ١ : ٢٧١ .

القفال المروزي

أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعي المعروف بالقفال المروزي ؛ كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وورعاً وزهداً ، وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره ، وتخليجه كلها جيدة وإلزاماته لازمة ؛ واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، منهم الشيخ أبو علي السنجبي والقاضي حسين بن محمد - وقد تقدم ذكرهما - والشيخ أبو محمد النجويني والد إمام الحرمين - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وغيرهم ، وكل واحد من هؤلاء صار إماماً يشار إليه ، ولهم التصانيف النافعة ونشروا علمه في البلاد وأخذوا عنهم أئمة كبار أيضاً .

وكان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعدما أفنى شبابه في عمل الأقال ولذلك قيل له «القفال» وكان ماهراً في عملها . ويقال إنه لما شرع في التفقه كان عمره ثلاثين سنة ، وشرح «فروع» أبي بكر محمد بن الحداد المصري فأجاد في شرحها ، وشرحها أيضاً أبو علي السنجبي المذكور والقاضي أبو الطيب الطبري ، وهو كتاب مشكل مع صغر حجمه ، وفيه مسائل عويصة وغريبة ، والمبرز من الفقهاء الذي يقدر على حلها وفهم معانيها - وسيأتي ذكر مصنفها في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

وكانت وفاة القفال المذكور في بعض شهور سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بسجستان ، وقبره بها معروف بزار ، رحمه الله تعالى .

٣٣١ - ترجمة القفال في طبقات السبكي ٣ : ١٩٨ وعبر الذهبي ٣ : ١٢٤ والشذرات ٣ : ٢٠٧ وقد وردت الترجمة موجزة في م ، مستوفاة في المسودة .

الشيخ أبو محمد الجويني

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد حَيْثُويه الجَوَيْنِيُّ الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - ؛ كان إماماً في التفسير والفقه والأصول والعربية والأدب ، قرأ الأدب أولاً على أبيه أبي يعقوب يوسف يَجْوَيْنَ ، ثم قدم نيسابور واشتغل بالفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصُّعْلُوكِي - المقدم ذكره في حرف السين - ثم انتقل إلى أبي بكر القفال المروزي المذكور قبله ، واشتغل عليه بمرور ولازمه واستفاد منه وانتفع به وأتقن عليه المذهب والخلاف وقرأ عليه طريقته وأحكها ، فلما تخرج عليه عاد إلى نيسابور سنة سبع وأربعمائة وتصدَّر للتدريس والفتوى فتخرج عليه خلق كثير منهم ولده إمام الحرمين .

وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجد ، وصنف « التفسير الكبير » المشتمل على أنواع العلوم ، وصنف في الفقه « التبصرة » و « التذكرة » و « مختصر المختصر » و « الفرق والجمع » و « السلسلة » و « موقف الإمام والمأموم » وغير ذلك من التعاليق ، وسمع الحديث الكثير .

وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين ، كذا قال السمعاني في كتاب « الذيل » ، وقال في « الأنساب » في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بنيسابور ، والله أعلم . وقال غيره : وهو في سن الكهولة ، رحمه الله تعالى . وقال الشيخ أبو صالح المؤذن : مرض الشيخ أبو محمد الجويني سبعة عشر يوماً ، وأوصاني أن أتولّى غسله وتجهيزه ، فلما توفي غسلته ، فلما لففته في الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرةً من غير سوء ، وهي تتلألأ لتألؤلؤ القمر ، فتحيرت وقلت في

٢٢٢ - ترجمته في الأنساب ٣ : ٢٩ ؛ وطبقات السبكي ٣ : ٢٠٨ وطبقات المفسرين : ١٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٨ والشذرات ٣ : ٢٦١ ؛ قلت : وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .

نفسى : هذه بركات فتاويه .
 وحَيَّوِيَه : بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وضمها وسكون
 الواو وفتح الياء الثانية وبعدها هاء .
 والجويبي : بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ،
 هذه النسبة إلى جَوَيْن ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على
 قرى كثيرة مجتمعة .

٣٣٣

أبو زيد الدبوسي

أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدَّبُوسِيُّ الفقيه الحنفي ؛ كان من كبار
 أصحاب الإمام أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، ممن يُضرب به المثل ، وهو أول
 من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود ، وله كتاب « الأسرار والتقويم
 للأدلة » وغيره من التصانيف والتعليق . وروي أنه ناظر بعض الفقهاء فكان
 كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم أو ضحك ، فأنشد أبو زيد :

ما لي إذا ألزمتُهُ حُجَّةً قابلي بالضَّحْك والقهقهة
 إن كان ضحكُ المرء من فقهه فالدبُّ في الصحراء ما أفقهه

وكانت وفاته بمدينة بخارى سنة ثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
 والدَّبُوسِيُّ : بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة
 وسين مهملة ، هذه النسبة إلى دَبُوسَة^١ ، وهي بليدة بين بخارى وسمرقند نسب
 إليها جماعة من العلماء .

٣٣٣ - ترجمته في الجواهر المضية ١ : ٣٣٩ (باسم : عبيد الله) وانظر أيضاً ٢ : ٣٠٦ والأنساب
 . ٣٠٦ : ٥

١ الجواهر : فالذئب .

٢ كذا في ص ص والمسودة والجواهر المضية ؛ وفي الأنساب « دبوسية » .

المرتضى ابن الشهرزوري

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري المنعوت بالمرتضى، والد القاضي كمال الدين - وسيأتي ذكر ولده ووالده إن شاء الله تعالى - ؛ كان أبو محمد المذكور مشهوراً بالفضل والدين ، وكان مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس ، وأقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ، ثم رجع إلى الموصل وتولى بها القضاء وروى الحديث ، وله شعر رائق ، فمن ذلك قصيدته التي على طريقة الصوفية ولقد أحسن فيها وهي :

لمعت نارهم وقد عسعس اللد	ل' ومل' الحادي و حار الدليل'
فتأملتُها وفكري من البيد	نِ عليل' ولحظ' عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد' المعنى	وغرامي ذاك الغرام' الدخيل
ثم قابلتها وقلت' لصحي	هذه النار' نار ليلي فيلوا
فرموا نحوها لحاظا صحيحا	تِ فعادتِ خواسيا' وهي حول
ثم مالوا إلى الملام وقالوا	خلب' ما رأيت أم تخيل
فتجنبتهم وملت' إليها	والهوى مركبي وشوقي الزميل
ومعي صاحب أتى يقفني الآ	ثار والحب' شرطه التطفيل
وهي تعلقو ونحن ندنو إلى أن	حجزت' دونها طول' محول
فدنونا من الطلول فحالت	زفرات' من دونها وغليل
قلت : من' بالديار؟ قالوا : جريح'	وأسير' مكبل' وقتيل

٢٢٤ - ترجمته في الحريرة (قسم الشام) ٢ : ٣٠٨ وطبقات السبكي ٤ : ١٢٤ والنجوم الزاهرة
٥ : ٢٣١ والشذرات ٤ : ١٢٤ .

ما الذي جئتَ تبتغي؟ قلت: ضيف
 فأشارت بالرحبِ دونك فاعقرُ
 مَنْ أتاها ألقى عصا السير عنه
 فحططنا إلى منازل قومٍ
 درسَ الوجدُ منهمُ كلَّ رَسْمٍ
 منهمُ من عفا ولم يبق للشك
 ليس إلا الأنفاسُ تخبر عنه
 ومن القوم من يشير إلى وجْ
 ولكلِّ رأيت منهم مقاماً
 قلت أهلَ الهوى سلامٌ عليكم
 وجفونٌ قد أقرحتها من الدم
 لم يزل حافز من الشوق يحدو
 واعتداري ذنبٌ فهل عند من
 جئتُ كي أصطلي فهل لي إلى نا
 فأجابت شواهدُ الحالِ عنهم
 لا تروقنَّك الرياضُ الأنيقا
 كم أتاها قومٌ على غيرةٍ مذ
 وقفوا شاخصين حتى إذا ما
 وبدت راية الوفا بيد الوجْ
 أين مَنْ كان يدعينا فهذا ال
 حلوا حملةَ الفحول ولا يُض
 بدلوا أنفُساً سخَّتْ حين شحَّتْ
 ثم غابوا من بعد ما اقتحموها
 قذفتهم إلى الرسوم فكلُّ

جاء يبغي القيرى فأين النزول
 ها فما عندنا لضيفٍ رحيل
 قلتُ: مَنْ لي بها وأين السبيل؟
 صرَعَتْهم قبل المذاق الشمول
 فهو رَسْمٌ والقومُ فيه حلول
 وى ولا للدموع فيه مقيل
 وهو عنها مبرأً معزول
 يدِ تَبَقَّى عليه منه القليل
 شرحه في الكتاب بما يطول
 لي فؤادٌ عنكم بكم مشغول
 ع حثيثاً إلى لقاكم سيُول
 في إليكم والحادثاتُ تحول
 يعلم عذري في ترك عذري قبول
 ركمُ هذه الغداةَ سبيل
 كل حَدِّ من دونها مقلُول
 ت فمَنْ دونها رُبِّي ودُحُول
 ها وراموا أمراً فعزَّ الوصول
 لاح للوصل غيرةٌ وحُجُول
 يدِ ونادى أهلُ الحقائق جولوا
 يومٌ فيه صبغُ الدعاوى يحُول
 برعُ يومَ اللقاء إلا الفحول
 بوصالٍ واستُصغِرَ المبدول
 بين أمواجها وجاءت سيول
 دمه في طلولها مطلول

نارنا هذه تضيء لمن يَسْ
 منتهى الحظ ما تزود منها اللحد
 جاءها مَنْ عرفتَ يبغي اقتباساً
 وله البسطُ والمنى والسُّول
 فتعلتْ عن المنالِ وعزّتْ
 عن دُنُوِّ إليه وهو رسول
 فوقفنا كما عهدت حيارى
 كلُّ عزمٍ من دونها مخذول
 ندفع الوقتَ بالرجاء وناهيه
 بك بقلبٍ غذاؤه التعليل
 كلما ذاقَ كأسَ يأسٍ مريرٍ
 جاء كأسٌ من الرجا معسول
 فإذا سَوَّلتْ له النفسُ أمراً
 حيد عنه وقيل : صبرٌ جميل
 هذه حالنا وما وصل العا
 م إليه ، وكلُّ حال تحول

وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود وهي مطلوبة . وحي
 عن بعض المشايخ أنه رأى في النوم قائلاً يقول : ما قيل في الطريق مثل القصيدة
 الموصلية ، يعني هذه .

وأنشد له مجد العرب العامري دوبيت :

يا قلب إلامَ لا يفيد النصحُ دع مزحك كمّ جنى عليك المزحُ
 ما جارحة فيك عداها جرحُ ما تشمرُ بالخمار حتى تصحو
 وأورد له العماد الكاتب في « الحريدة » قوله :

فعاودتُ قلبي أسأل الصبرَ وقفةً عليها فلا قلبي وجدتُ ولا صبري
 وغابت شمسُ الوصلِ عني وأظلمت مسالكة حتى تحيرتُ في أمري
 فما كان إلا الخطف حتى رأيتها مُحَكِّمة والقلب في رِبْقَةِ الأسر
 وله من أبيات :

١ الحريدة ٢ : ٣١٠ ، وعند هذا الحد في المسودة ذكر أنه سيكمل النقل عن العماد في ورقة
 أخرى ولعلها ضاعت؛ وقد اختلف ترتيب الترجمة في س ص عا هو عليه هنا بعد انتهاء القصيدة
 اللامية ؛ ولكنه استمر كما هو مثبت هنا في ر م والمسودة .

وبانوا فكم دمع من الأسر أطلقوا
فلا تنكروا خلعي عذارى تأسفاً
و من شعره أيضاً :

بقلبي منهم علقُ
وعندي منهم حرقُ
ونحن بياهم فرقُ
وما تركوا سوى رمقُ
فلا وصلٌ ولا هجرُ
ولا يأسٌ ولا طمعُ
فليتهم وقد قطعوا
أفنى في محبتهم^٢
ودمعي فيهم علقُ
لها الأحشاء تحرقُ
أذابَ قلوبنا الفرقُ
فليتهم له رمقوا
ولا نومٌ ولا أرقُ
ولا صبرٌ ولا قلقُ
ولم يُبقوا عليّ بقوا
وطيبٌ محبتي عبقُ
ينادمه ويمحقُ
كمثل الشمع يتبعُ من

وله أيضاً :

يا ليل^٣ ما جتكم زائراً
ولا ثنيت العزم عن بابكم
إلا وجدت الأرض تطوى لي
إلا تعثرت بأذيالي

وغالب شعره على هذا الأسلوب .

وكانت ولادته في شعبان سنة خمس وستين وأربعمائة ، وتوفي في شهر ربيع
الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بالموصل ، ودفن في التربة المعروفة بهم ،
رحمه الله تعالى .

١ الخريدة : ٣١٥ .

٢ الخريدة : فأنى في بقائهم .

٣ رس م : تالله ؛ ص : بالليل .

وذكر عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة »^١ في ترجمة المرتضى المذكور قال السمعاني : إنه سمع أن القاضي أبا محمد ، يعني المرتضى المذكور ، توفي بعد سنة عشرين وخمسة ، والله أعلم .

٣٣٥

شرف الدين ابن أبي عصرون

أبو سعد عبد الله بن أبي السريّ محمد بن هبة الله بن مُطَهَّر بن علي بن أبي عُصْرُون ابن أبي السريّ التميمي الحديثي ثم الموصلّي ، الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين ؛ كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره^٢ ، ومن سار ذكره وانتشر أمره . قرأ في صباه القرآن الكريم بالعشر على أبي الغنائم السُلَمي السروجي والبارع أبي عبد الله ابن الدباس وأبي بكر المَزْرَفي وغيرهم . وتفقه أولاً على القاضي المرتضى أبي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري - المذكور قبله - وعلى أبي عبد الله الحسين بن خميس الموصلّي ، ثم على أسعد المهيني ببغداد ، وأخذ الأصول عن أبي الفتح ابن برهان الأصولي ، وقرأ الخلاف ، وتوجه إلى مدينة واسط وقرأ على قاضيها الشيخ أبي علي الفارقي - المذكور في حرف الحاء - وأخذ عنه فوائد « المهذب » ، ودرس بالموصل في سنة ثلاث وعشرين وخمسة ، وأقام بسنجار مدة ثم انتقل إلى حلب في سنة خمس وأربعين ، ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زَنْكِي في صفر سنة تسع وأربعين وخمسة ، ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وتولى أوقاف

١ الخريدة : ٣٢١ ؛ وقد سقط هذا النقل عن العماد من النسخة س .
٢٣٥ - ترجمته في غاية النهاية ١ : ٥٥٥ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٥١ وطبقات السبكي ٤ : ٢٣٧ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٦ ونكت الهميان : ١٨٦ وصفحات متفرقة من مرآة الزمان ؛ والشذرات ٤ : ٢٨٣ وابن الصابوني (الحاشية) : ١٠١ - ١٠٣ .
٢ ص : والفضلاء .

المساجد ، ثم رجع إلى حلب ، وأقام بها وصنف كتباً كثيرة في المذهب ، منها « صفوة المذهب من نهاية المطلب » في سبع مجلدات ، وكتاب « الانتصار » في أربع مجلدات ، وكتاب « المرشد » في مجلدين ، وكتاب « الذريعة في معرفة الشريعة » وصنف « التيسير » في الخلاف أربعة أجزاء ، وكتاباً سماه « ما أخذنا النظر » و « مختصراً في الفرائض » ، وكتاباً سماه « الإرشاد المغرب في نصرة المذهب » ولم يكله ، وذهب فيما نهب^١ له بحلب . واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وتمين بالشام وتقدم عند نور الدين صاحب الشام وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، وقولى القضاء بسنجار ونصيبين وحران وغيرها من ديار بكر ، ثم عاد إلى دمشق في سنة سبعين وخمسة ، وقولى القضاء بها في سنة ثلاث وسبعين عقيب انفصال القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم ابن تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري - حسباً شرحته في ترجمة القاضي كمال الدين أبي الفضل محمد الشهرزوري .

ثم عمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين ، وابنه يحيى الدين محمد ينوب عنه وهو باق على القضاء ، وصنف جزءاً لطيفاً في جواز قضاء الأعمى ، وهو على خلاف مذهب الشافعي . ورأيت في كتاب « الزوائد » تأليف أبي الحسين العمراني صاحب كتاب « البيان » وجهاً أنه يجوز ، وهو غريب لم أره في غير هذا الكتاب . ووقع لي كتاب جميعه بخط السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، قد كتبه من دمشق إلى القاضي الفاضل وهو بمصر وفيه فصول من جملتها حديث الشيخ شرف الدين المذكور ، وما حصل له من النعمى ، وأنه يقول : إن قضاء الأعمى جائز ، وإن الفقهاء قالوا : إنه غير جائز ، فتجتمع بالشيخ أبي الطاهر ابن عوف الاسكندراني وتساءله عما ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى : هل يجوز أم لا ؟

وبالجملة فلا شك في فضله . وقد ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وذكره العماد الكاتب في كتاب « الحريدة » وأثنى عليه ،

١ كذا في المسودة ؛ س ص : ماخذ .

٢ ص : ذهب .

وقال : ختمت به الفتاوى ، وذكر له شيئاً من الشعر ، وأنشدني بعض المشايخ
قال : سمعته كثيراً ما ينشد ، ولا أعلم هل هو له أم لا ، وذكرهما العماد الكاتب
في « الخريدة » :

أؤمل أن أحيا وفي كل ساعةٍ تمرُّ بي الموتى تهزُّ نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليلٍ في الزمان أعيشها
وأورد له أيضاً في « الخريدة » :

أؤملُ وصلاً من حبيبٍ وإنني على ثقةٍ عما قليل أفارقه
تجاري بنا خيلُ الحيام كأنما يسابقي نحو الردى وأسابقه
فيا ليتنا متنا معاً ثم لم يذق مرارةً فقدي لا ولا أنا ذائقه
وأورد له أيضاً :

يا سائلي كيف حالي بعد فرقته حاشاك مما بقلي من تنائكا
قد أقسمَ الدمع لا يحفو الجفون أسى والنومُ لا زارها حتى الأيقا
وأورد له أيضاً :

وما الدهر إلا ماضٍ وهو فائتٌ وما سوف يأتي وهو غير محصلٍ
وعيشك فيما أنت فيه فإنه زمانُ الفتى من مجملٍ ومفصلٍ

وكانت ولادته يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين
وتسعين وأربعمائة بالموصل . وتوفي ليلة الثلاثاء الحادية عشرة من شهر رمضان
سنة خمس وثمانين وخمسة مائة بمدينة دمشق ، ودفن في مدرسته التي أنشأها داخل
البلد ، وهي معروفة به ، وزرت قبره مراراً ، رحمه الله تعالى .

[ولما توفي القاضي ورد من القاضي الفاضل تعزية فيه جواباً عن كتاب ورد
عليه بذلك ، والتعزية « وصل كتاب الذات الكريمة - جمع الله شملها وسر بها
أهلها ويسر إلى الخيرات سبلها وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها - وفيه

زيادة هي نقص الإسلام ، وثلكم في البرية يتجاوز رتبة الانثلام إلى الانهدام ، وذلك ما قضاه الله [وقدره] ^١ من وفاة الإمام شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله تعالى ، وما حصل بؤته من نقص الأرض من أطرافها ، ومن مساء أهل الملة ومسرة أهل خلافها ، فلقد كان علكمًا للعلم منصوبًا ، وبقية من بقايا السلف الصالح محسوبًا] ^٢ .

[والعلم بالشام زرعه ، وكل من انتفع فعليه كان وإليه ينسب نفعه ، رضي الله عنه وأرضاه ، ونضح بماء الرحمة مشواه ، وما مات من أبقى تلك التصانيف التي هي المعنى المغني ، بل ما مات من ولده المحيي ، فإنه والله لآثاره ولعلمه المحيي ، والحضرة تنوب عني في تعزيتيه ، والقيام بحق تسليته ، وقد ساءتني الغيبة عن مشهده ، وتعبير القسدم وراء سريره ، والتوسل إلى الله في ساعة مقدمه ، ولقد علم الله اغتامي لفقد حضرته ، واستيحاشي لخلو الدنيا من بركته ، واهتمامي بما عدمت من النصيب الموفور [كان] من أديته ، وما مات بحمد الله حتى أحرز غيبته بأولاد كرام بررة ، وأنشأ طلبةً للعلم نقلةً وللمدارس عمرة ، وحتى بنى لله المدارس والمساجد ، وأحيا نهاره وليله بين راكم وساجد ، فهو حيٌ لمجده ، وإنما نحن الموتى بفقده ، وتعذر عليّ أن ينتقل بقايا الخير وأعقاب السلف ، وان يفارق من ليس لنا منه لولا خلفه خلف] ^٣ .

والحديثي : بفتح الحاء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثناة ، هذه النسبة إلى حديثه الموصل ، وهي بليدة على دجلة بالجانب الشرق قرب الزاب الأعلى ، وهي غير الحديثة التي يقال لها حديثه النشورة ، وهي قلعة حصينة على فراسخ من الأنبار في وسط الفرات ، والماء

١ زيادة من ص .

٢ هذا النص لم يرد في المسودة و س ؛ و صدره في ص بقوله : « ورأيت للقاضي الفاضل كتاب تعزية في القاضي شرف الدين المذكور عن كتاب ورد إليه في ذلك ، وقد اشتركت ر في هذا القدر منه وبهامش المسودة « محلّ التخريجة » .

٣ ما بين معقنين زيادة من ص وحدها .

٤ إلى هنا انتهى النص في س .

محيط بها ، وحديثه الموصل هي آخر حدّ أرض السواد في الطول ، وقول الفقهاء في كتبهم أرض السواد ما بين حديثه الموصل إلى عبّادان طولاً ، ومن القادسية إلى حُلوان عرضاً ، يريدون به هذه الحديثه لا حديثه الفرات .

٣٣٦

ابن أسعد الموصللي

أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي بن عيسى بن عليّ المعروف بابن الدهان الموصللي ، ويعرف بالحمصي أيضاً ، الفقيه الشافعي المنعوت بالمهذب ؛ كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً لطيف الشعر مليح السبك حسن المقاصد ، غلب عليه الشعر واشتهر به^١ وله ديوان صغير^٢ وكله جيد ، وهو من أهل الموصل . ولما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رُزَيْك وزير مصر المذكور في حرف الطاء^٣ ، وعجزت قدرته عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف ضياء الدين^٤ أبي عبد الله^٥ زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات^٦ :

وذا ت شَجْوٍ أسال البينُ عَبْرَتها باتت تؤمّلُ بالتفنيّد إمساكي

٢٢٦ - ترجمته في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٢٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢٢٣ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ٢٩٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٤٣ والشذرات ٤ : ٢٧٠ ، وقد نشر ديوانه الأستاذ عبد الله الجبوري (بغداد : ١٩٦٨) .

١ س : واشتغل به ؛ ر : واشتهر بقوله .

٢ صغير : سقطت من ص .

٣ ص : المقدم ذكره .

٤ ضياء الدين : سقطت من ص .

٥ فوقها في المسودة : طاهر .

٦ الديوان : ١٨٢ وفيه أنه خاطب بها والدته .

لَجَّتْ فلما رأني لا أصيخُ لها بَكَتْ فأقرح قلبي جفنها الباكي
قالت وقد رأتِ الأجمالَ مُحدَجَةً والبينُ قد جمع المشكوكُ والشاكي
من لي إذا غبتُ في ذا المحل قلتُ لها الله وابنُ عبيدِ الله مولاكِ
لا تجزعي بالنجاسِ الغيثِ عنكِ فقد سألتُ نوءَ الثريا جودَ مَغناكِ

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها . ثم توجه إلى مصر ومدح الصالح بن رُزَيْكٍ بالقصيدة الكافية ، وقد ذكرت بعضها هناك ، ثم تقلبت به الأحوال وتولى التدريس بمدينة حمص ، وأقام بها فلهذا ينسب إليها .

قال العماد الكاتب في « الخريدة »^١ : ما زلت وأنا بالعراق ، إلى لقائه بالأشواق ، فإني كنت أقف على قصائده المستحسنة ، ومقاصده الحسنة ، وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفائته ، وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته . ثم قال بعد الثناء عليه : فيه تتممة تسفر عن فصاحة تامة ، وعقدة لسانٍ تبين عن فقه في القول . ثم قال بعد ذلك : ولما وصل السلطان صلاح الدين رحمه الله إلى حمص وخيم بظاهرها خرج إلينا أبو الفرج المذكور ، فقدمته إلى السلطان ، وقلت له : هذا الذي يقول في قصيدته الكافية التي في ابن رُزَيْكٍ :

أمدح التُّرُكَ أُنبي الفضل عندهمُ والشعر ما زال عند الترك متروكا

قال : فأعطاه السلطان وقال : حتى لا يقول^٢ إنه متروك ، ثم امتدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها^٣ :

قل للبخيلة بالسلام تورعاً كيف استبحتِ دمي ولم تتورعِي

١ الخريدة : ٢٧٩ .

٢ النص عند العماد مختلف عما أورده ابن خلكان .

٣ الديوان : ٢٧ .

وزعمت أن تصلي بعامٍ قابلٍ هيات أن أبقى إلى أن ترجعي
أبدية الحسن التي في وجهها دون الوجوه علامة للبدع
ما كان ضرك لو غمزت بحاجب يوم التفرق أو أشرت بإصبع
وتيقني أني بحبك مفرم ثم اصنعي ما شئت بي أن تصنعي

وقال العماد أيضاً : أنشدني هذين البيتين وزعم أنه ابتكر معناه ولم يسبق
إليه ، وهما :

تردي الكتاب كُتبه فإذا انبرت لم تدر أنفدَ أسطراً أم عسكراً
لم يحسن الإتراب فوق سطورها إلا لأن الجيش يعقد عثيراً

وهذان البيتان من جملة قصيدة ولقد أبدع فيها . وفي معنى تشبيه القلم
بالجيش قول بعضهم :

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ما لم ينالوا بجد المشرقيات

قلت : ومعنى البيت الأول ينظر إلى قول أبي تمام الطائي في مدح محمد بن
عبد الملك الزياد وزير المعتصم :

هزرت أمير المؤمنين محمداً فكان رُدِينِيّاً وأبيض منصلاً
فما إن تبالي إذ تجهز رأيه إلى ناكث أن لا تجهز جحفاً

ثم إنني وجدت معنى البيت الثاني للأستاذ أبي إسماعيل الحسين بن علي
المنشيء الطغراني المقدم ذكره ، وهو من جملة قصيدة يمدح بها نظام الملك :

إذا ما دجا ليلُ العجاجة لم يزل بأيديهم جمرٌ إلى الهند منسوبُ

١ الديوان : ٥١ - ٥٢ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٠١ .

عليها سطور الضرب يعجمها القنا صحائف يفشاها من النقع تتريب
ومن شعره السائر^١ :

يضحي يجانبي مجانبة العدا ويبيت وهو إلى الصباح نديم
ويمرُّ بي يخشى الرقيب فلفظه شتم وغنح لحاظه تسليم
وله في غلام لسبته نخلة في شفته^٢ :

بأبي من لسبته نخلة^٢ آلمت أكرم شيء وأجل
أثرت لسبتها في شفة ما براها الله إلا للقبيل
حسبت أن بفيه^٣ بيته^٣ إذ رأته ريقته مثل العسل

ولولا خوف الإطالة لذكرت له أشياء بديعة .

وتوفي بمدينة حمص في شعبان سنة إحدى ، وقيل اثنتين وثمانين وخمسة ،
والثاني ذكره في « السيل والذيل » والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وقد قارب
ستين سنة .

(81) وتوفي الشريف ابن عبيد الله المذكور بالموصل سنة ثلاث وستين
 وخمسة ، رحمه الله تعالى ، وكان رئيساً جواداً كثير الإحسان جم الإفضال ،
وله شعر ، فمنه قوله :

قالوا سلا ، صدقوا عن السلوان ليس عن الحبيب
قالوا فلم ترك الزيار ؟ قلت من خوف الرقيب
قالوا وكيف تعيش مع هذا ؟ فقلت من العجيب

١ الديوان : ٢٣٠ وهو من الملحقات .

٢ الديوان : ٢٣١ من الملحقات عن ابن خلكان نفسه .

٣ في المسودة : بقيه ، وهو سهو .

٤ هنا تنتهي الترجمة في س .

وذكره عماد الدين في كتاب « الخريدة »^١ وبالغ في الثناء عليه ، ثم قال :
وسمعت ببغداد أبياتاً يغنى بها فنسبها بعض الشاميين إلى الشريف ضياء الدين
المذكور ، منها :

يا بانه الوادي التي سفكت دمي بلحاظها بل يا فتاة^٢ الأجرع
لي أن أبت إليك ما ألقاه من ألم الهوى وعليك أن لا تسمعي
كيف السبيل إلى تناول حاجة قصرت يدي عنها كزند الأقطع

٣٣٧

ابن شاس

أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن
شاس الجذامي السعدي الفقيه المالكي المنعوت بالجلال ؛ كان فقيهاً فاضلاً في
مذهبه عارفاً بقواعده ، رأيت بمصر جمعاً كبيراً من أصحابه يذكرون فضائله ،
وصنف في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه كتاباً نفيساً أبدع فيه ، وسماه
« الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » وضعه على ترتيب « الوجيز » تصنيف
حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، رحمه الله تعالى ، وفيه دلالة على غزارة فضله ،
والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده . وكان مدرساً بمصر
بالمدرسة المجاورة للجامع ، وتوجه إلى ثغر دمياط لما أخذه العدو المخذول بنية
الجهاد ، فتوفي هناك في جمادى الآخرة أو في رجب سنة ست عشرة وستائة ،
رحمه الله تعالى .

١ الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٢٤٩ واسمه عنده زيد بن محمد بن محمد بن عبد الله العلوي .

٢ هكذا هو في المسودة والخريدة .

٣٣٧ - ترجمته في الديباج المذهب : ١٤١ والشذرات ٥ : ٦٩ ؛ قلت : وهذه الترجمة هنا مطابقة لما
في المسودة تماماً .

وشاس : بالشين المعجمة والسين المهملة بينها ألف .
والجذامي والسعدي : قد تقدم الكلام عليها .

٣٣٨

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ،
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله
ثلاث عشرة سنة ، وكان صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : اللهم فقّسه في الدين
وعلمه التأويل .

وحرق علي رضي الله عنه قوماً من الزنادقة فأنكر عليه ابن عباس فقال :
ويح ابن أم الفضل ، إنه لغواص على الهنات . وكان عطاء إذا حدث عنه قال :
حدثني البحر ، وكان ميمون بن مهران إذا ذكر عنده عبد الله بن عمر وعبد الله
ابن العباس قال : كان ابن عباس أفقه .

وأخذ الفقه عن ابن عباس جماعة منهم عطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد
وسعيد بن جبير وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود وأبو الشعثاء جابر بن زيد
وابن أبي مليكة وعكرمة وميمون بن مهران وعمرو بن دينار وغيرهم .
ذكر أنه اجتمع من بني هاشم جماعة عند معاوية يوماً فأقبل عليهم فقال :
يا بني هاشم والله إن خيري لمنوح وإن بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم علة ،
ولا يوصد بابي دونكم مسألة ، وإني نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمراً مختلفاً :
إنكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني ، وإذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم

٣٣٨ - انفردت ص هذه الترجمة ، وهي غير ملتزمة بخط المؤلف . وترجمة ابن عباس في كتب
الصحابة وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٠ . وتذكرة الحفاظ : ٤٠ . وغاية النهاية ١ : ٤٢٥ .
والمقدّم الثمين ٥ : ١٩٠ . ونكت الهميان : ١٨٠ .

قلتم : اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا ، فصرت كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ، هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم ؛ قال : فأقبل ابن عباس فقال : أما والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع خيراً منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفئن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل واحد من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنيمة وحق في الفبيء . فالغنيمة ما غلبنا عليه والفبيء ما احتسبناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خفٌ ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني فإنك لا تهتر ولا تنبح .

وحكى المدائني قال : قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية وذكر مشاهدته بصفين ، واجتمعت قريش فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال : يا عمرو انك بعث دينك من معاوية واعطيته ما بيدك ، ومنّاك ما بيد غيره ، فكان الذي أخذ منك أكثر مما أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته ، وكل راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر في يدك كسدها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك بيدك ألقيتها ؛ وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت لطويل اللسان ، قصير السنان ، آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان : يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا تقبضها عن شر ، ووجهان : وجه موحش ووجه مؤيس ، ولعمري ان من باع دينه بدنياه غيره لحري أن يطول ندمه . لك لسان وفيك خطل ، ولك رأي وفيك نكد ، ولك قدر وفيك حسد ، فأصغر عيب فيك أكبر عيب في .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : ما رأيت رجلاً لي عنده معروف إلا أضاء ما بيني وبينه . وقال رضي الله عنه : أربعة لا أقدر على مكافأتهم : رجل بداني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي في حاجتي ، فأما الرابع فما يكافئه عني إلا الله عز وجل ، قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر فيمن يقصده ثم رأني أهلاً لحاجته فأنزله بي .

وقال له رجل : زوجني من فلانة - وكانت يتيمة في حجره - فقال : لا أرضاها لك لأنها تسرف ، فقال الرجل : قد رضيت ، فقال ابن عباس : الآن لا أرضاك لها .

ومات ابن عباس بالطائف في فتنة ابن الزبير وبلغ سبعين سنة . قال أبو صالح صاحب التفسير : ما رأينا بني أم قط أبعد قبوراً من بني العباس لأم الفضل : مات الفضل بالشام ، ومات عبد الله بالطائف ، ومات عبيد الله بالمدينة ، ومات قثم بسمرقند ، وقتل معبد بإفريقية .
قال الواقدي : مات ابن عباس سنة ثمان وسبعين بالطائف وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقد كف بصره ، فصلى عليه ابن الحنفية وكبّر أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً ، رحمه الله تعالى .

٣٣٩

أبو بكر الصديق

أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة - واسمه عثمان - بن عامر ، من ولد تيم ابن مرة - تيم قريش - يلتقي هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب وهما في القعدد إليه سواء ، بين كل واحد منهما وبينه ستة آباء ، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، ولقبه عتيق ، لقّب به لجمال وجهه رضي الله عنه ، وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق من النار ، وسمي صديقاً لتصديقه خبر المسرى .
وأمه سلمى وتكنى أم الخير بنت صخر وهي بنت عم أبيه .

٣٣٩ - انفردت ص أيضاً بهذه الترجمة ، وهي غير متسقة مع خطة المؤلف ؛ وترجمة أبي بكر في كتب الصحابة وكتب الحديث وكتب التاريخ - وذلك عدد جم وافر - وفي الرياض النضرة وتذكرة الحفاظ وغاية النهاية ، ولا تكاد المصادر عنه تقع تحت حصر .

كان طويلاً آدم خفيف العارضين يخضب بالحناء والكم . ببيع له يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي بالسل ليلة الثلاثاء ، وقيل يوم الجمعة ، لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وسنه ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة أيام ، وغسلته زوجته أسماء ابنة عميس ، وصلى عليه عمر رضي الله عنها ، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سرير عائشة رضي الله عنها ، وكان من خشبتي ساج منسوجاً بالليف ، وبيع في ميراث عائشة ، رضي الله عنها ، بأربعة آلاف درهم ، فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين ، ويقال إنه بالمدينة ، ودفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم ، وكان قال لعائشة : انظري يا بنية ما زاد في مال أبي بكر منذ وليت هذا الأمر فريده على المسلمين ، فنظرت فإذا بكر وقطيفة لا تساوي خمسة دراهم ومجشة ، فلما جاء بذلك الرسول إلى عمر قال : رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً .

وروي أن أبا بكر خرج بعد البيعة ومعه ميزان ورزمة ثياب تحت يده وخرج إلى السوق فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أكتسب لنفسي وعيالي ، فأجمعوا رأيهم وفرضوا له في كل يوم درهماً وثلثي درهم من بيت مال المسلمين .

وأبو بكر رضي الله عنه أول من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدلالة على نبوته ، وسبب ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه كان باليمن في تجارة ، ونسبى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غائب ، فنزل أبو بكر رضي الله عنه في طريقه على دير فيه راهب باليمن هو ورفقته ، فسألهم الراهب : هل فيكم خطيب ؟ قالوا : نعم ، وأشاروا إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فدعاه إليه وحده فقال له الراهب : من أين أنت ؟ فقال : من مكة ، فقال : هل ظهر بها أحد يدعي النبوة ؟ فقال : لا ، فقال الراهب : عندي صورة أريكها فإن عرفت أحداً يشبهها فعرفني ، فعرض عليه الصورة فقال : هذه صورة رجل يُعرف بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال الراهب : هذا هو النبي المدعوبه وهو خاتم الأنبياء ، يظفر بأعدائه ويعلو دينه الأديان . فقال أبو بكر رضي الله عنه :

ما عرفنا هذا منه ولا ادعاه ولا عُرف بالعلم ولا يحسن الكتابة ولا خالط اليهود والنصارى ، فقال الراهب : هذا هو النبي نفسه . وقيل إن الراهب قال لأبي بكر : وأنت الخليفة من بعده على أهل دينه . فرجع أبو بكر من عند الراهب ولم يُشعر أحداً من رفقته بما قال له الراهب ، فلما قدم مكة قالت له أمه سلمى أم الخير : ما بلغك ما حدث من صديقك محمد ؟ زعم أنه نبي نبأه الله وأرسله إلى قومه وكافة الخلق ، فقال لها : وأين هو ؟ قالت : يجبل حراء ، فأسرع أبو بكر رضي الله عنه نحو الجبل فرآه في غار فسلمت عليه وقال : بلغني أنك ادعيت النبوة والرسالة ، فقال له : لست بمدّعي ، وقد فعل الله ذلك بي ، قال له : فما الدليل على صدقك ؟ قال : هل خرجت علي كذباً ؟ قال : لا والله ، غير أن هذا أمر لا يُقبل بغير دليل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دليله ما قاله لك الراهب ، قال أبو بكر : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، أنا أول متابع لك على هذا الأمر .

وهو أول من أمّ في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وأول من دعي بخليفة ، وأول من رقي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الشعبي : لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اني وليتكم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن فادبنا فتأدبنا ، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمنا فتعلمنا ، وان أكينس الكيس التقى وأحمق الحق الفجور ، وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق . إنما أنا متبع ولست بمتدع ، فإن أحسنت فأعينوني وان زغت فسدوني . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين .

ولما تم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه ارتدت العرب إلا قليلاً منهم ، وكان قد ثبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : الأسود بن كعب الغنسي ومسيلمة الكذاب - واسمه ثمامة بن حبيب - وطليحة الأسدي . فأما الأسود فإنه غلب على صنعاء ونجران إلى عمل الطائف واستطار استطاراة الحريق فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بقتله فقتله فيروز الديلمي في منزله ، وجاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر بقتله من السماء فأخبر به أصحابه ، ثم وصل الخبر بقتله إلى المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول فتح [فتح على] أبي بكر رضي الله عنه . كذا ذكره الطبري في تاريخه ، وقال أبو بشر الدولابي إنه قتل في خلافة أبي بكر . وأما مسيلة وطليحة فإن أمرهما استغلظ ، واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وغطفان ، وارتدت قبائل العرب إلا قيساً وثقيفاً ومنعوا الزكاة ، فأشار الناس على أبي بكر رضي الله عنه بأخذ العرب بالصلاة ومساحتهم في الزكاة فقال : والله لو منعوني عقلاً أو عناقاً مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على ذلك . ثم خرج إلى عبس وذبيان فقاتلهم فانهزموا وعادوا إلى المدينة ، ثم سیر الجيوش لقتال أهل الردة ، وعقد أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً ، وسیر خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى طليحة ومن تابعه من غطفان ، فهزمهم وانهزم طليحة حتى لحق بالشام ، وقتل من أصحابه جمع كبير ، ثم أسلم طليحة بعد ذلك لما بلغه عن أسد وغطفان ، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر رضي الله عنه ثم أتى عمر رضي الله عنه فبايعه ورجع إلى ديار قومه . وسار خالد لقتال بني حنيفة ومسيمة . وكانت امرأة تُعرف بسجاح ابنة الحارث قد تنبأت في بني تغلب وسارت إلى مسيلة الكذاب فتزوجت به وأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها ، ثم هزم الله بني حنيفة وقتل مسيلة الكذاب ، قتله وحشي قاتل حمزة .

ولما فرغ خالد ، رضي الله عنه ، من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، يأمره بالسير إلى العراق ، فسار وصالح أهل الحيرة على جزية حملها إلى المدينة ، وكانت أول جزية حملت إليها . وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد حين بعثه إلى أهل الردة : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ففتح الأنبار وعين التمر وأنفذ السبي إلى المدينة ، وسار إلى دومة الجندل فقتل وسبي ، ثم وجه أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى الشام ، وأمر خالد بالسير إليها ، وفتحت بصرى في خلافته ، وهي أول مدينة فتحت بالشام .

وحج بالناس سنة اثنتي عشرة ، وهي السنة الثانية من خلافته وولي الأولى
عمر رضي الله عنه .

ومات أبو قحافة والد أبي بكر بعد موت أبي بكر رضي الله عنه
بسنة ، وقيل تسعة اشهر ، وذلك في سنة أربع عشرة ، وسنَّه سبع وتسعون
سنة . وكان إسلامه يوم فتح مكة ، وكان يوم مات أبو بكر رضي الله عنه
بمكة ، ولم يلب الخِلافة من أبوه حي غير أبي بكر رضي الله عنه .

وهو أول من جمع القرآن الكريم بين اللوحين ، وذلك ان المسلمين لما اصابوا
باليامة خاف أبو بكر ، رضي الله عنه ، أن يفنى قراء القرآن - وإنما كان في
صدور الرجال - فجمعه وجعله بين اللوحين وسماه مصحفاً ، ولم يزل عنده إلى
أن مات ، وبقي عند عمر ، رضي الله عنه ، إلى أن مات ، وبقي عند حفصة
ابنته .

ولما احتضر أبو بكر رضي الله عنه استخلف على المسلمين عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه ، ووصاه ، فكان من وصيته ان قال : هذا ما وصى به أبو بكر
ابن أبي قحافة عند آخر عهده من الدنيا وأول عهده بالآخرة ؛ إني قد استخلفت
عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذاك ظني به ورجائي فيه ، وان غير
وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، ﴿وسيعلم
الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ .

ووصل الخبر بموت أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام وخالد بن الوليد على
دمشق يحاصرها ، وفي اليوم الثاني من ورود الخبر فتحت دمشق . وكان خالد
رضي الله عنه أخفى خبر موته إلى أن فتح دمشق .

واختلفوا في سبب مرضه الذي مات فيه ، فقيل : سمَّته يهودية ، وقيل
اغتسل في يوم بارد فجمّ ومرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر رضي الله عنه
يصلي بالناس حين ثقل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة يركب وأبو بكر
رضي الله عنه رديفه ، وهو أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان أبو بكر ، رضي الله عنه ، يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام ، فكان يمر

بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هادٍ يهديني . وهذا الحديث يدل على أنه أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأى أبو بكر رضي الله عنه رجلاً بيده ثوب فقال : أهو للبيع ؟ قال : لا أصلحك الله ، فقال : هلا قلت : لا ، وأصلحك الله لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي ؟ وقال لرجل قال له : لأشمتك شتماً يدخل معك قبرك ، قال : معك يدخل والله لا معي . ومدح قوم أبا بكر رضي الله عنه فقال : الله أعلم بي مني بنفسي ، وأنا أعلم بنفسي منكم ، فاستغفروا الله بما لا تعلمون ، وأسأله أن لا يؤاخذكم بما تقولون ، وأن يجعلني خيراً مما تظنون .

وحكي أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها فقال : يا رسول الله ، هذه صدقتي والله عندي معاد ، وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأظهرها وقال : يا رسول الله ، هذه صدقتي ولي عند الله المعاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر ، وترت قوسك بغير وتر ، ما بين صدقتي كما بين كلمتيكما .

أولاده لصلبه وأعقابهم : عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وأمهما قتيلة من بني عامر بن لؤي ، وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت الحارث ابن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة ، ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عيسى ، وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة - رجل من الأنصار .

(82) فأما عبد الله بن أبي بكر فإنه شهد الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فجرح وبقي إلى خلافة أبيه ومات وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبوه رضي الله عنه . وولد عبد الله إسماعيل ، وهلك ولا عقب له .

(83) وأما أسماء فهي ذات النطاقين وتزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد ، ثم طلقها فكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل ، وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة رضي الله عنها .

وأما عائشة رضي الله عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم ذكرها في هذا الحرف - .

(84) وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم

وحسن إسلامه ومات فجأة سنة ثلاث وخسين يجبل بقرب مكة ، فأدخلته عائشة الحرم ودفنته وأعتقت عنه . وكان شهد الجمل معها ، ويكنى أبا عبد الله . (85) وأما أم كلثوم فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وكان عاملاً على مكة . وولدت له زكريا وعائشة ، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي - الآتي ذكره - ولطلحة عقب كثير وهم ينزلون بالقرب من المدينة ، وكانت بنت محمد بن طلحة عند سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس .

(86) وأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبد الله بن محمد وله عقب يقال لهم آل أبي عتيق من بين ولد أبي بكر وذلك أن عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا فقال أحدهم : أنا ابن الصديق ، وقال الآخر : أنا ابن ثاني اثنين ، وقال آخر : أنا ابن صاحب الغار ، وقال محمد بن عبد الرحمن : أنا ابن عتيق ، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم .

وأما محمد بن أبي بكر فسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى . (87) مواليه : بلال بن أبي رباح وأمه حمامة ، وكان من مولدي السراة فيما بين اليمن والطائف ، وكان لرجل من بني جمع فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه بخمس أواق وأعتقه ، وكان من المعذبين في الله عز وجل ، وشهد بلال بداراً والمشاهد كلها ، وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فاستأذنه إلى الشام فأذن له ، فلم يزل مقيماً بها ولم يؤذن بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأحد منهم ، فلما قدم عمر رضي الله عنه إلى الشام لقيه فأمره بالأذان فأذن ، فبكى عمر والمسلمون معه . وكان بلال يكنى أبا عبد الله ، وكان شديد الأدمة نحيفاً طويلاً خفيف العارضين به شمت كبير وكان لا يغير شيبه . مات بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة ، رحمه الله تعالى . كتابه : عثمان بن عفان رضي الله عنه وزيد بن ثابت .

١ هذا ما تقوله النسخة ص ، وتراجع حرف الميم منها مفقودة ، أما سائر النسخ فلم تورد لمحمد بن أبي بكر ترجمة .

قاضيه : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقيل انه أقام سنة لم يختصم إليه أحد .

حاجبه : شديد مولاه .

وكان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده .

٣٤٠

عبد الله بن الزبير

أبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وامه اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم ذات النطاقين - وقد تقدم ذكرها مع ابينا ؛ وهو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة . بويع له بمكة سنة أربع وستين بعد أن أقام الناس بغير خليفة جماديين وأياماً من رجب ، وبإيعه أهل العراق ، وولت أخاه مصعباً البصرة ، وولت عبد الله بن مطيع الكوفة فوثب المختار بن أبي عبيد على الكوفة فأخذها ، ووجه شميظاً إلى البصرة فقتله مصعب ، وسار مصعب إلى المختار فقتله في سنة سبع وستين . وبنى ابن الزبير الكعبة وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين مع الأرض يدخل من احدهما ويخرج من الآخر ، وخلق داخل الكعبة وخارجها فكان أول من خلقها وكساها القباطي .

وولى أخاه عبيدة بن الزبير المدينة ، واخرج مروان بن الحكم وبنيه منها فصار إلى الشام ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين

٣٤٠ - انفردت ص هذه الترجمة ، ويقال فيها ما قيل في التي تقدمتها ؛ وأخبار عبد الله بن الزبير في كتب الصحابة وكتب التاريخ ، وانظر أنساب الأشراف (الجزء الرابع والخامس) والفوات ٤٤٥ : ١ والعقد الثمين ٥ : ١٤١ وغاية النهاية ١ : ١٩٤ ؛ وورود ترجمته في الفوات وهو استدراك على ابن خلكان ربما يؤكد أن الكتبي لم ير نسخاً من الوفيات تحتوي ترجمته .

وسبعين ، فلما ولي عبد الملك منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير : لأن يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا ، فضج الناس لما منعوا الحج ، فبنى عبد الملك في بيت المقدس الصخرة ، فكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها ، ويقال إن ذلك سبب التعريف من مسجد بيت المقدس ومساجد الأمصار . وذكر الجاحظ في كتاب « نظم القرآن » أن أول من سنّ التعريف في مساجد الأمصار عبد الله بن عباس ؛ وذكر أبو عمر الكندي أن عبد العزيز بن مروان أول من سنّ التعريف بمصر في الجامع بعد العصر .

ثم بعد ذلك بعث عبد الملك الحجاج إلى عبد الله بن الزبير ، وسبب ذلك أن عبد الملك لما قتل مصعباً وابنه عيسى وأراد الرجوع إلى الشام قام إليه الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين اني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلكته فابعثني إليه وولتني عليه ، فبعثه في جيش من أهل الشام كثيف ، فنزل الطائف ، وكان يبعث البعوث فيقاتلون ابن الزبير ، ففي ذلك كله ترجع خيل الحجاز بالظفر ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم عليه وحصاره ، وأخبره أن شوكته قد كَلَّت ، فأذن له في ذلك ، فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير . وأمدّ عبد الملك الحجاج لهلال ذي الحجة ، ولم يطف بالبيت ولم يصل إليه ، وكان يلبس السلاح ولا يمسّ النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير . ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه في هذه السنة لأنهم لم يقفوا بعرفة ، وحج الحجاج في هذه السنة ثم حصر ابن الزبير ثمانية اشهر ، فتفرق عامة من كان معه وخرجوا إلى الحجاج في الأمان حتى بلغ عدة المستأمنة عشرة آلاف ، وكان في جملتهم ابنا عبد الله بن الزبير ، أخذوا أماناً لنفسيهما .

فلما رأى عبد الله بن الزبير ما رأى من ولده وأصحابه دخل على أمه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال : يا أمه ، قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبقَ إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع إلا صبر ساعة ،

والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : والله يا بُني أنت أعلم بنفسك ؛ ان كنت تعلم أنك على حق فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك ، وان قلت إني على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال : هذا رأيي ولكن أحببت أن اعلم رأيك فزدتني بصيرة ، فانظري يا أماه إني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عمل بفاحشة ، ولم يجز في حكم ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، اللهم إني لا اقول هذا تزكية لنفسي ولكن تعزية لأمي لتسلو عني . فقالت أمه : اني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً ؛ اخرج حتى انظر إلى ما يصير إليه أمرك ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك التحنث والظمأ في الهواجر بالمدينة ومكة وبره بأبيه وبني ؛ اللهم قد اسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين . ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت : هذا وداع فلا تبعد . وكان عليه درع فلما عانقها وجدت مس الدرع فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ، قال : ما لبستها إلا لأشد منك ، قالت : فإنها لا تشد مني ، فزعاها ثم أدرج كفيه وأدخل أسفل قميصه وجبة خز كانت عليه من اسفل المنطقة وخرج ، وقد كبر الناس ، فحمل عليهم فلم يبق بين يديه أحد ، وانهمز الناس ووقف بالأبطح لا يدنو منه أحد . وكان الحجاج وطارق ابن عمرو جميعاً في ناحية الأبطح إلى المروة والناس لكل طائفة منهم باب ، فمرة يحمل عبد الله في هذه ومرة في هذه وكأنه أسد في اجمة ، فلما كان يوم الثلاثاء أذن المؤذن فتقدم فصلسى بالناس ، فلما فرغ من الصلاة أمر أهله وحضهم على القتال ثم قال لهم في جملة كلامه : ألا من كان سائلاً عني فاني في الرعييل الأول ، احموا على بركة الله وعونه ، ثم حمل حتى بلغ بهم الحجون فرمي بأجرة فأرعرش لها ودمي وجهه ، فلما وجد سخونة الدم على وجهه ولحيته قال :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدمانا تقطر الدماء
وصاحت مولاة لآل الزبير مجنونة : وا امير المؤمنيناه ! وكانت رآته حيث

هوى . وكان قتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وقيل جمادى الآخرة ، وكان منه اثنتين وسبعين سنة ، رضي الله عنه ؛ وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق حتى وقفنا عليه فقال طارق : ما ولدت النساء اذكر من هذا ، فقال الحجاج : اتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين؟ قال: نعم، هو اعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر بالمحصرة وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة اشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا ، فبلغ كلامها عبد الملك فصوب رأي طارق .

وحكى الشعبي قال : حضرت عبد الله بن الزبير وهو يخطب بمكة فقال في آخر خطبته : أما والله لو كانت الرجال تصرف لصرفتكم تصريف الذهب بالفضة ، أما والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلا من أهل الشام بل بكل خمسة بل بكل عشرة ، فما بكم يُدرك النار ولا بكم يمنع الجار . فقام إليه رجل من أهل البصرة فقال : ما نجد لنا ولك مثلاً إلا قول الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلقت اخرى غيرها الرجل

علقتك وعلقت أهل الشام ، وعلقت أهل الشام بني مروان فما عسانا أن نصنع ؟ قال الشعبي : فما سمعت يجواب أحضر منه ولا أحسن .

ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش ، وبعث برأس ابن الزبير وجماعة إلى المدينة فنصبوا بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان فبعث عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن خازم الأسلمي وهو بخراسان والى من جهة ابن الزبير ، وكتب إليه عبد الملك يدعوه إلى طاعته ويقول له : بايعني حتى اجعل لك خراسان طعمة سبع سنين ، فقال ابن خازم لرسوله : لولا ان الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك ، ولكن كئيل كتاب صاحبك ، فأكله ، ثم أخذ الرأس ففسله وطيبه وكفنه ودفنه ، وقيل : إنه بعث به إلى آل الزبير إلى المدينة فدفنوه مع جثته ، ثم قال :

أعيش زبيري الحياة فإن أمتي فإنتي موصي هامتي بالزبير

ثم ان عبد الملك بن مروان ولّى الحجاج مكة واليمن واليامة فنقض الحجاج

بنيان الكعبة الذي بناه ابن الزبير لأنه كان تخلخل من حجارة المنجنيق ، فأعادته إلى بناء قريش الأول . ولما توفي بشر بن مروان كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف وهو بالمدينة بوفاته فأقبل في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر ، وستأتي تمة الكلام ١ .

وقيل إن عبد الله بن الزبير قال لأمه أسماء : اني لا آمن إن قُتلت أن يُمثَّل بي وأصلب ، قالت : يا بني ان الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ . وماتت أمه بعده بخمسة ايام ولها مائة سنة رضي الله عنها ، وكان سلطاناه بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوماً رضي الله عنه ٢ .

١ قلت : قد جاء طرف من ذلك في ترجمة الحجاج .

٢ بعد هذه الترجمة (وهي رقم ٣٣٩ عند وستنفيلد ولم يثبت منها إلا العنوان) أثبت وستنفيلد عناوين التراجم الآتية :

٣٤٠ - أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عباس توفي سنة ١٥٨ ، قال الدولابي : وله ثلاث وستون سنة .

٣٤١ - أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر بالله .

٣٤٢ - أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد توفي سنة ٢١٨ وعمره ثمان وقيل تسع وأربعون سنة .

٣٤٣ - أبو عمرو عبد الله بن قيس الملائي توفي سنة ١٤٦ .

٣٤٤ - أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي الشاعر .

٣٤٥ - أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب توفي سنة ١٣٦ عن اثنتين وثلاثين سنة .

٣٤٦ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز العمري توفي سنة ١٨٤ وهو ابن ست وستين سنة .

٣٤٧ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب توفي بمكة سنة ٧٣ وقيل سنة ٧٤ وعمره أربع وثمانون سنة .

والترجمة الأخيرة قد وردت رقم ٣٢١ من هذا الجزء وقلنا انها لم ترد في المخطوطات التي اعتمدها ؛ أما التراجم الأخرى فليس لها وجود في النسخ الخطية الممتدة ورقم ٣٤٠ ترجمة أبي جعفر المنصور وهذه الترجمة واردة دون ريب في الجزء الثاني من مخطوطة آيا صوفيا (ص) ولكن هذا الجزء مفقود فيما يبدو وقد جاء في آخر الجزء الأول « يتلوه في الجزء الثاني (ترجمة) =

عبد الله بن المعتز

أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي؛ أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرها ، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدرأ على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم ، إلى أن جرت له الكائنة في خلافة المقتدر، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين ، وقيل لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، وبايعوا عبد الله المذكور ولقبوه المرتضي بالله ، وقيل المنصف بالله ، وقيل الغالب بالله ، وقيل الراضي بالله ، وأقام يوماً وليلة ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتنهم^٢ ، وأعادوا المقتدر إلى دسسته ، واستخفى ابن المعتز في دار أبي عبد

= أبي جعفر المنصور» وهي من مستدركات الكتبي في الفوات (١ : ٤٨٧) وكذلك الترجمة رقم ٣٤٢ (الفوات ١ : ٥٠١) وكذلك الترجمة رقم ٣٤٥ (الفوات ١ : ٤٨٦) ؛ وربما كانت هذه التراجم جميعاً في الجزء الثاني من مخطوطة (ص) .

٣٤١ - وقعت هذه الترجمة في ص بعد ترجمة ابن الفرضي متأخرة عن هذا الموضع ، وهي في المسودة وسائر النسخ بعد ترجمة ابن شاس المتقدم الذكر (رقم : ٣٣٧) . قلت : وانظر ترجمة ابن المعتز في تاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ والأغاني ١٠ : ٢٨٦ والمنتظم ٦ : ٨٤ وأشعار أولاد الخلفاء : ١٠٧-٢٩٦ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٤ والشذرات ٢ : ٢٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٨ وكتب التاريخ في حوادث سنة ٢٩٦ وفوات الوفيات ١ : ٥٠٥ ، وورودها في الفوات بما يستوقف النظر ، مع أنها مستوفاة بتمامها في المسودة .

١ ص : المنتصف .

٢ بعد هذا في س : وقتلوا ابن المعتز خنقاً وأعادوا المقتدر إلى دسسته ، وهو مشطوب في المسودة ، وقد كتب بدله النص المثبت هنا بتفصيل في الحادثة ، ونسخة من لا يثبت فيها ما زيد في حواشي المسودة ، كما تقدم القول .

الله الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهري ، فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم الخازن فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساء ، وقيل إنه مات حتف أنفه وليس بصحيح بل خنقه مؤنس ، وذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ، ودفن في خرابة بإزاء داره ، رحمه الله تعالى .

ومولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ، وقال سنان بن ثابت : في سنة ست وأربعين ومائتين ، والقضية مشهورة وفيها طول ، وهذا خلاصتها .
(88) ثم قبض المقتدر على ابن الجصاص المذكور وأخذ منه مقدار ألفي ألف دينار ، وسلم له بعد ذلك مقدار سبعمائة ألف دينار ، وكان فيه غفلة وبكته ، وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس عشرة وثلثمائة .
ولابن المعتز من التصانيف كتاب « الزهر والرياح » وكتاب « البديع » وكتاب « مكاتبات الإخوان بالشعر » وكتاب « الجوارح والصيد » وكتاب « السرقات » وكتاب « أشعار الملوك » وكتاب « الآداب » وكتاب « حلى الأخبار »^١ وكتاب « طبقات الشعراء » وكتاب « الجامع في الغناء » وكتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح .

ومن كلامه : البلاغة البلوغ إلى المعنى ، ولم يطل سقر الكلام ، وكان يقول : لو قيل لي : ما أحسن شعر تعرفه ؟ لقلت : قول العباس بن الأحنف^٢ :

قد سَحَبَ الناسُ أذيالَ الظنون بنا وفرَّقَ الناسَ فينا قولهم فِرَقًا
فكاذبٌ قد رَمَى بالظنِّ غيركمُ وصادقٌ ليس يدري أنه صدقًا

ورثاه علي بن محمد بن بسام الشاعر - الآتي ذكره - بقوله :

لله درك من مَيَّتْ بِمَضِيَعَةٍ ناهيك في العلم والآداب والحسبِ
ما فيه لَوْ ولا لولا فتنقصه وإنما أدركته حُرْفَةُ الأَدبِ

١ سقط اسم هذا الكتاب من ص .

٢ مر هذا في ترجمة العباس ص : ٢٤ .

ولعبد الله المذكور أشعار رائقة وتشبيهات بديعة ، فمن ذلك قوله :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر
فطالما نبهتني للصبوح بها
أصوات رهبان دير في صلاتهم
مزنّين على الأوساط قد جعلوا
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل
لاحظته بالهوى حتى استقاد له
وجاءني في قميص الليل مستتراً
فقلت أفرش خدي في الطريق له
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا
وكان ما كان مما لست أذكره

ودير عبدون هطال من المطر
في غرة الفجر والعصفور لم يطير
سود المدارع نعارين في السحر
على الرؤوس أكليلاً من الشعير
بالسحر يطبق جفنيه على حور
طوعاً وأسلمني الميعاد بالنظر
يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ذلاً وأسحب أذيالي على الأثر
مثل القلامة قد قدت من الظفر
فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ومن ظريف شعره قوله ، ولم أجدها في ديوانه ، ولكن الرواة أطبقوا على أنها له ، والله أعلم :

ومقرطق يسمى إلى الندماء
والبدر في أفق السماء كدرهم
كم ليلة قد سرني بمبيته
ومهفف عقد الشراب لسانه
حررته بيدي وقلت له أنتيه
فأجابني والسكر يخفض صوته
إنني لأفهم ما تقول وإنما
دعني أفيق من الخمار إلى غد

بعقبة في درة بيضاء
ملقى على ياقوتة زرقاء
عندي بلا خوف من الرقباء
فحديثه بالرمز والإيماء
يا فرحة الخلطاء والندماء
بتلجلج كتلجلج الفأفء
غلبت علي سلافة الصهباء
واحكم بما تختار يا مولائي

١ سقط البيت من جميع النسخ ما عدا م .

وله في الحمرة المطبوخة ، وهو معنى بديع وفيه دلالة على أنه كان حنفي المذهب :

خليلي قد طابَ الشرابُ المورَدُ^١ وقد عدتُ بعدَ النُسكِ والعودُ أحمدُ
فهاها عَقاراً في قَميصِ زُجاجةٍ كياقوتةٍ في درّةٍ تَتوقَدُ
يَصُوغُ عليها الماءُ شُبّاكَ فيضَةٍ له حَلَقٌ بيضٌ تَحَلُّ وتَعَقَدُ
وقَتَني من نارِ الجحيمِ بنفسها وذلك من إحسانها ليس يُجحدُ

وكان ابن المعتز شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد .

ورأيت في بعض الجمايع أن عبد الله بن المعتز المذكور كان يقول^١ : أربعة من الشعراء سارت أسماؤهم بخلاف أفعالهم ، فأبو العتاهية سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد ، وأبو نواس سار شعره باللواط وكان أذن من قرد ، وأبو حكيمة الكاتب سار شعره بالعنة وكان أهب من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة وكان أحرص من كلب .

وقد رويت لابن حازم خبراً يخالف حكاية ابن المعتز ويوافق شعره^٢ ، وذلك أنه كان جار سعيد بن حميد الكاتب الطوسي ، فهجاه لأمر كان بينها ، فبلغ سعيداً هجوه ، فأغضى عنه مع القدرة . ثم إن محمداً ساءت حاله فتحول عن جواره ، فبلغ ابن حميد ذلك ، فبعث إليه عشرة آلاف درهم وتُخوت ثياب وفرساً بآلته ومملوكاً وجارية ، وكتب إليه « ذو الأدب يحمله ظرفه على نعت الشيء بغير هيئته ، وتبعته قدرته على وصفه بخلاف^٣ حليته ، ولم يكن ما شاع من هجائك في جارياً إلا هذا المجرى ، وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلكتك ما لا غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك ، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون فيما تحت أيدينا ، وقد بعثت إليك بما جعلته وإن قل^٤ : استفتاحاً لما

١ انظر طبقات الشعراء : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٢ وردت هذه الحكاية أيضاً في طبقات الشعراء : ٣٠٩ وصدرها المؤلف بقوله : وذكر على خلاف

ما وصفنا من حرصه وكنبه فعل عجيب ... الخ .

٣ ر : بغير .

بعده وإن جلّ» . فردّ ابن حازم جميعه ولم يتقبل منه شيئاً وكتب إليه :

وَفَعَلْتَ بِي فِعْلَ الْمَهْلَبِ إِذْ غَمَرَ الْفِرْزْدَقَ بِالْنَدَى الدَّثْرِ
فَبَعَثْتَ بِالْأَمْوَالِ تَرْغِبِي كَلَّا وَرَبَّ الشَّعْرِ وَالْوَتْرِ
لَا أَلْبَسَ النِّعْمَاءَ مِنْ رَجُلٍ أَلْبَسْتُهُ عَاراً عَلَى الدَّهْرِ

وهذا دليل على قناعته وحسن صبره واحتماله الإضاقة .

(89) وهذا سعيد بن حميد يكنى أبا عثمان ، وكان كاتباً شاعراً مترسلاً عذب الألفاظ مقدماً في صناعته جيد السرقة ، حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك ، لما بقي معه منه شيء . وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس ، وله من الكتب : كتاب « انتصاف العجم من العرب » ، ويعرف بالتسوية^١ ، وله ديوان رسائل ، وديوان شعر صغير^٢ . والمطيرة : بفتح الميم وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الراء المفتوحة هاء ، وهي قرية من نواحي سُرّ من رأى .

وعبدون الذي يضاف الدير إليه ، فيقال « دير عبدون » ، هو ابن مخلد وهو أخو الوزير صاعد بن مخلد ، وإنما أضيف إليه لأنه كان كثير التردد إليه ، والمقام فيه ، والعناية بعمارة ، وهو إلى جنب المطيرة ، ودير عبدون أيضاً : قرب جزيرة ابن عمر ، بينها دجلة ، وقد خرب الآن ، وكان متنزهاً لأهلها . وقوله « ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا » ، مأخوذ من قول عمرو بن قميئة في صفة الهلال^٣ :

كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتَهَا جَانِحًا فَسِيطَ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خِنَصِرٍ

والفسيط : قلامة الظفر .

١ ويعرف بالتسوية : سقط من ر .

٢ هنا تنتهي الترجمة في المسودة وص س؛ وانظر ترجمة سعيد بن حميد في الأغاني ١٨ : ٩٠-١٠٢ .

٣ التاج واللسان (فسط) ، وروى ابن دريد كان ابن ليتها وقال : يعني بذلك هلالاً بدا في الجذب

والسواء مغبرة ، ومن رواه ابن مزنتها قال : أراد هلالاً أهلّ بين السحاب في الأفق الغربي .

ابن طباطبا

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبَا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الحجازي الأصل المصري الدار والوفاة ؛ كان طاهراً كريماً فاضلاً صاحب رباع وضياع ونعمة ظاهرة وعبيد وحاشية ، كثير التمتع ، كان بدهليزه رجل يكسر اللوز كل يوم من أول النهار إلى آخره برسم الحلوى التي يُنْفِذُهَا لأهل مصر من الأستاذ كافور الإخشيدي إلى من دونه ، ويطلق للرجل المذكور دينارين في كل شهر أجره عمله ، فمن الناس من كان يرسل له الحلوى كل يوم ، ومنهم كل جمعة ، ومنهم كل شهر . وكان يرسل إلى كافور في كل يوم جامين حلوى ورغيفاً في منديل مختوم ، فحسده بعض الأعيان وقال لكافور : الحلوى حسن ، فما لهذا الرغيف ؟ فإنه لا يحسن أن يقابلك به ؛ فأرسل إليه كافور وقال : يُجْرِينِي الشريف في الحلوى على العادة ويُعْفِينِي من الرغيف . فركب الشريف إليه ، وعلم أنهم قد حسدوه على ذلك وقصدوا إبطاله ، فلما اجتمع به قال له : أيدك الله ، إنا ما ننفذ الرغيف تطاولاً ولا تعاضماً وإنما هي صَيِّبَةٌ حَسَنِيَّةٌ^١ تعجنه بيدها وتخبزه ، فنرسله على سبيل التبرك ، فإذا كرهته قطعناه . فقال كافور : لا والله لا تقطعه ولا يكون قوتي سواه . فعاد إلى ما كان عليه من إرسال الحلوى والرغيف .

ولما مات كافور وملك المعز أبو تميم مَعَدُّ بن المنصور العُبَيْدِي الديار المصرية على يد القائد جوهر - المقدم ذكره في حرف الجيم - وجاء المعز بعد ذلك من

٣٤٢ - لم أجد له ترجمة في المصادر ، وقد نقل ابن أبيك الدواداري هذه الترجمة عن ابن خلكان في أخبار المعز (الدررة المضية : ١٤٥ - ١٤٧) ، واستوفت المسودة هذه الترجمة كاملة .

١ ر : حسنة ، وهو خطأ .

إفريقية وكان يطمئن في نسبه ، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقائه ، اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له من بينهم ابن طباطبا المذكور : إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز : سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال : هل بقي من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق معتبر ، فسئل عند ذلك نصف سيفه وقال : هذا نسبي ، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسي ، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا . وكان الشريف المذكور حسن المعاملة في معاملته حسن الإفضال عليهم ملاطفاً لهم ، يركب إليهم وإلى سائر أصدقائه ، ويقضي حقوقهم ويطيّل الجلوس عندهم ، وأغنى جماعة ، وكان حسن المذهب .

وكانت ولادته سنة ست وثمانين ومائتين . وتوفي في الرابع من رجب سنة ثمان وأربعين وثلثمائة بمصر ، وصلي عليه في مصلّى العيد ، وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ، ودفن بقرافة مصر ، وقبره معروف ومشهور بإجابة الدعاء . روي أن رجلاً حجّ وفاته زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فضاق صدره لذلك ، فرآه في نومه صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إذا فاتتك الزيارة فزر قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا . وكان صاحب الرؤيا من أهل مصر .

وحكي بعض من له عليه إحسان أنه وقف على قبره وأنشد :

وخلفتَ الهمومَ على أناسٍ وقد كانوا بعيشك في كفافٍ

فراه في نومه فقال : قد سمعتُ ما قلت ، وحيلَ بيني وبين الجواب والمكافأة ، ولكن صر إلى مسجدٍ وصلّ ركعتين ، وادعُ يُسْتَجَبْ لك ، رحمه الله تعالى . وقد تقدم في حرف الهمزة الكلام على طباطبا .

وهذه الحكاية التي جرت له مع المعز عند قدومه مصر ذكرها في كتاب « الدول المنقطعة » لكنها تناقض تاريخ الوفاة ، فإن المعز دخل مصر في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وابن

طباطبا المذكور توفي في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة كما هو مذكور هاهنا^١، فكيف يتصور الجمع بينهما؟ وأفادني تاريخ وفاته شيخنا الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري، وراجعته في هذا التناقض فقال: أما الوفاة في هذا التاريخ فهي محققة ولعل صاحب الواقعة مع الممز كان ولده، والله أعلم أي ذلك كان. ثم رأيت تاريخ وفاته كما هو هاهنا في تاريخ الأمير المختار المعروف بالمسبّحي وقال: وكانت علته قد طالت من توتة^٢ عرضت له في حنكه، فتعالج بضروب العلاجات فلم ينجع فيها شيء، وكانت علة غريبة لم يعهد مثلها. ثم رأيت في تاريخ ابن زولاق أن الشريف الذي التقى بالمز هو أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الرسي^٣، ولعل أحدهما صاحب هذه الواقعة، والله أعلم.

٣٤٣

عبد الله بن طاهر

أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْنَعِب بن رُزَيْق بن مَاهَانَ الخزاعي - وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الطاء؛ وقد كان عبد الله المذكور سيّداً نبيلاً عالي الهمة شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه لذاته، ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان والياً على الديّنة^٤، فلما خرج بابك الخرمي^٥ على خراسان وأوقع الخوارج^٦ بأهل قرية

١ ص: وان ابن طباطبا كانت وفاته كما ذكرته.

٢ التوت - بالثاء - كالتوت؛ وهو يريد تورماً يشبه التوتة.

٣ يكثر ذكر هذين الشريفين في أخبار الممز وجوهر في اتعاظ الحنفا.

٤٤٣ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير ومروج الذهب والأغانى ١٢: ٩٢، ٢٠٠: ١٤٣،

والديارات: ٨٦ - ٩١، وتاريخ بغداد ٩: ٤٨٣، وكتاب بغداد (صفحات متفرقة) والكندي:

١٨٠ - ١٨٥، ٤٢٩ - ٤٣٥، والتجوم الزاهرة (ج: ٢) والفرج بمد الشدة.

الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج إلى خراسان ، فخرج إليها في النصف من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين وحارب الخوارج ، وقدم نيسابور في رجب سنة خمس عشرة ومائتين ، وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة ، فلما دخلها مُطِرَتْ مطراً كثيراً ، فقام إليه رجل بزاز من حانوته وأنشده :

قد قُحِطَ الناس في زمانهمُ حتى إذا جثت جثت بالدرِّ
غيثان في ساعةٍ لنا قدما فمرحبا بالأمير والمطرِ

هكذا قال السلامي في أخبار خراسان ؛ وذكر الطبري في تاريخه أن طلحة ابن طاهر - المذكور في ترجمة أبيه - لما مات في سنة ثلاث عشرة وعبدُ الله يوم ذاك بالدينور أرسل المأمون إليه القاضي يحيى بن أكرم يعزبه عن أخيه طلحة ويهنئه بولاية خراسان ، وذكر بعد هذا في ولاية طلحة شيئاً آخر فقال : إن المأمون لما مات طاهر وكان ولده عبد الله بالرقعة على محاربة نصر بن سبث ولاء عمل أبيه كله، وجمع له مع ذلك الشام، فوجه عبدُ الله أخاه طلحة إلى خراسان والله أعلم. وذكر الطبري أيضاً في سنة ثلاث عشرة أن المأمون ولى أخاه المعتصم الشام ومصر ، وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والمعاصم ، وأعطى كل واحد منها ومن عبد الله بن طاهر خمسمائة ألف دينار ، وقيل إنه لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك .

وكان أبو تمام الطائي قد قصد عبد الله من العراق ، فلما انتهى إلى قومس وطالت به الشقة وعظمت عليه المشقة قال :

يقول في قومس صحبي وقد أخذت منّا السرى وخطى المهريّة القود
أمطلع الشمس تنوي أن تؤم بنا فقلت كلاً ولكن مطلع الجود

قلت : وقد أخذ أبو تمام هذين البيتين من أبي الوليد مسلم بن الوليد

الأنصاري المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور حيث يقول^١ :

يقول صحي وقد جدّوا على عجل والخيل تستن^٢ بالركبان في اللّجْمِ
أمرغب الشمس تنوي أن تؤم بنا فقلت كلاً ولكن مطلع الكرمِ

فإنه أغار على اللفظ والمعنى .

رجعنا إلى ما كنا فيه :

ولما وصل أبو تمام إليه أنشده قصيدته البديعة البائية التي يقول فيها^٣ :

وركب كأطراف الأسته عرّسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تم صدوره^٤ وليس عليهم أن تم عواقبه

وهي من القصائد الطنانة ، وفيها يقول :

فقد بثّ عبدُ الله خوفَ انتقامه على الليل حتى ما تدبّ عقاربُه

وفي هذه السفارة ألف أبو تمام كتاب « الحماسة » ، فإنه لما وصل إلى همدان وكان في زمن الشتاء والبرد بتلك النواحي شديد خارج عن حد الوصف ، قطع عليه كثرة الثلوج طريق مقصده ، فأقام بهمدان ينتظر زوال الثلج ، وكان نزوله عند بعض رؤسائها ، وفي دار ذلك الرئيس خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها أبو تمام وطالها واختار منها كتاب « الحماسة » . وكان عبد الله المذكور أديباً ظريفاً جيد الغناء ، نسب إليه صاحب « الأغاني » أصواتاً كثيرة أحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه ، وله شعر مليح ورسائل ظريفة ، فمن شعره قوله ، وجدتها منسوبة إليه :

نحن قوم تلييننا الحدقُ النجْدُ لُ على أننا نلينُ الحديداً

١ ديوان مسلم : ٣٤٠ .

٢ م : تشدد .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٢٢٩ ، ٢٣٦ .

طَوَّعَ أَيْدِي الطَّبَّاءِ تَقْتَادَا الْعِيْدَ نَ وَنَقْتَادَ بِالطَّعَانِ الْأَسْوَدَا
مَمْلُوكِ الصَّيْدِ ثُمَّ تَمَلَّكْنَا الْبَيْدِ ضُ الْمَصَوْنَاتُ أَعْيُنَا وَخُدُودَا
تَقِي سَخَطَنَا الْأَسْوَدُ وَنَخْشَى سَخَطَ الْخَيْشَفِ حِينَ يُبْدِي الصَّدُودَا
فَتَرَانَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَحْرَا رَأَى فِي السَّلْمِ لِلغَوَالِي عَيْدَا

وقيل : إنها لأصرم بن حُمَيْد ممدوح أبي تمام^١ ، والله أعلم .
ومن مشهور شعر عبد الله قوله :

اغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتُحْرَزَ فَضْلَ الشُّكْرِ مِنْي وَلَا يَفُوتَكَ أَجْرِي
لَا تَكِلْنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعَدَا رَلْعَتِي أَنْ لَا أَقُومَ بَعْدَرِي

[وكان عبد الله أحد الأجواد الأسخياء ؛ حكى محمد بن داود بن الجراح
عن محلم بن أبي محلم الشيباني عن أبيه قال^٢ : عادت عبد الله بن طاهر إلى
خراسان فدخلنا الري وقت السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة ، فقال عبد
الله بن طاهر : أحسن والله أبو كبير الهذلي حيث يقول :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفَلَكِ حَاضِرُ وَغَصْنِكَ مِيَادَ فَمِيمَ تَنُوحُ

ثم قال : ما أحسن هذا ، فقلت وقد عملت على البدئية في معارضته ثم قلت :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ غَرِبَةً وَتَزُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ أَوْبَةٍ فَتَرْوَحُ
لَقَدْ طَلَّحَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ رَكَائِي فَهَلْ أَرِينَا الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرْقَنِي بِالرِّي نُوْحُ حَمَامَةٍ فَنَحْتُ وَذُو الشُّجُو الْقَدِيمِ يَنْوَحُ
عَلَى أَنْهَا نَاحَتْ فَلَمْ تَنْدِرِ دَمْعَةً وَنَاحَتْ وَفَرَاخَهَا بِحَيْثُ تَرَامَا
عَسَى جُودَ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكَسَ النَّوَى فَتَضْحِي عَصَا الْأَسْفَارِ وَهِيَ طَرِيحُ

١ انظر ديوان أبي تمام ٣ : ٢٧٠ .

٢ قارن بما في طبقات الشعراء : ١٨٧ .

قال : فأذن من ساعتى بالرجوع ووصلني بعشرة آلاف درهم وردني الى منزلي .
ولما رجع عبد الله إلى الشام ارتفع فوق سطح قصره فنظر إلى دخان يرتفع
من جواره فقال : ما هذا الدخان ؟ فقيل : إن الجيران يجذبون ، فقال : ان
من اللؤم ان نقيم بكان فنكلف جيرانه بالحبز ، فاقصدوا الدور واكسروا التناير
واحضروا ما بها من رجل وامرأة ، فأجرى على كل إنسان خبزه ولحمه وما
يحتاج إليه ، فسميت أيامه أيام الكفاية .

وكتب إليه وكيله أن دابة بعض الأضياف به نَقَبٌ ، فوَقَّعَ : يجلب عليه
وعلى مثله من بعد ، بلا استشارة ولا استئذان [١] .

ومن كلامه : سَمِنُ الكيس ونُبُل الذِّكْر لا يجتمعان في موضع واحد .
ورُفِعَت إليه قصة مضمونها أن جماعة خرجوا إلى ظاهر البلد للتفرج ،
ومعهم صبي ، فكتب على رأسها : ما السبيل على فتيمة خرجوا لمتزَّههم يقضون
أوطارهم ، على قدر أخطارهم ، ولعل الغلام^٢ ابن أحدهم أو قرابة بعضهم .
وكان عبد الله قد تولى الشام مدة ، والديار المصرية مدة ، وفيه يقول بعض
الشعراء وهو بمصر :

يقول أناسُ إنَّ مصرأ بعيدة وما بَعُدَتْ مصر وفيها ابن طاهر
وأبعَدُ من مصر رجال تراهُمُ بحضرتنا مَعروفهُم غير حاضر
عن الخير مَوْتى ما تبالي أزرتهُمُ على طمع أم زرتَ أهل المقابر

وتنسب هذه الأبيات إلى عوف بن مُحَلِّم الشيباني ، والله أعلم .
وكان دخوله إليها سنة إحدى عشرة ومائتين ، وخرج منها في أواخر هذه
السنة فدخل بغداد في ذي القعدة منها ، واستمر نوابه بمصر ، وعزل عنها في
سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ووليها أبو إسحاق ابن الرشيد وهو الملقب بالمعتصم .
وذكر الفرغاني في تاريخه أن عبد الله بن طاهر وليها بعد عبيد الله بن السَّري

١ زيادة من ر .

٢ ص : الصبي .

ابن الحكم ، وخرج عبيد الله عنها في صفر سنة إحدى عشرة ومائتين ، وخرج عبد الله بن طاهر عنها إلى العراق لخمس بقين من رجب سنة اثنتي عشرة ومائتين ، وقد استخلف بها إلى أن وليها المعتصم . وذكر الوزير أبو القاسم ابن المغربي في كتاب « أدب الخواص » أن البطيخ العبْدَلَاوي الموجود بالديار المصرية منسوب إلى عبد الله المذكور ، وهذا النوع من البطيخ لم أره في شيء من البلاد سوى مصر ، ولعله نسب إليه لأنه كان يستطيعه ، أو أنه أول من زرعه هناك .

(90) وعبد الله وقومه خزاعيون بالولاء ، فإن جدّهم رزيقاً كان مولى أبي محمد طلحة بن عبيد الله بن خلف المعروف بطَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ الخِزَاعِي ، وكان طلحة المذكور والياً على سجستان من قبل مسلم بن زياد بن أبيه والي خراسان ، وكنيته أبو حرب ، فمات بها في فتنة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، وفيه يقول الشاعر وهو عبيد الله بن قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ٢ :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وإنما قيل له « طلحة الطلحات » لأن أمه طلحة بنت أبي طلحة ، هكذا قاله أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في « تاريخ ولاة خراسان » . وقومس المذكور في شعر أبي تمام : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم ، وقيل بكسرها ، وبعدها سين مهملة ، وهو إقليم من عراق العجم حدّه من جهة خراسان بَسْطَام ، ومن جهة العراق سمنان ، هاتان المدينتان داخلتان في أعمال قومس وكرسيّ قومس الدامغان ٣ .

وكانت وفاة عبد الله المذكور في شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين بمرو ، وقيل : سنة ثلاثين ، وهو الأصح . وقال الطبري : مات بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاثين

١ المسودة : رزيق .

٢ ديوانه : ٢٠ .

٣ في شرح ديوان أبي تمام ٢ : ١٣٢ : قومس بلد وهو بالفارسية « كومش » .

ومائتين ، بعد موت أشناس التركي بسبعة أيام . وعاش مثل أبيه طاهر ثمانياً وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى - وسيأتي ذكر ولده عبيد الله إن شاء الله تعالى .

٣٤٤

أبو العميثل

أبو العَمَيْثَلِ عبدُ الله بن خَلِيدٍ ، مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنهم ؛ ويقال : أصله من الري ، وكان يُفخِّمُ الكلام ويفرِّبه ، وكان كاتبَ عبد الله بن طاهر المذكور قبله وشاعره ، ومنقطعاً إليه ، وكاتبَ أبيه طاهر من قبله ، وكان مكثراً من نقل اللغة ، عارفاً بها شاعراً مجيداً ، فمن شعره في عبد الله المذكور قوله :

يا مَنْ يُحاولُ أن تكون صفاتُهُ كصفات عبد الله أنصيتَ واسمَعِ
فلأنصحنك في المشورة والذي حجَّ الحجاجُ إليه فاسمع أو دع
أصدُق وعفّ وبرّ واصبر واحتملْ^١ واصفح وكافِ ودارِ واحلم واشجع
والطف ولين وتأنّ وارفتق واتئد واحزم وجِدِّ وحامِ واحمل وادفع
فلقد محضتك^٢ إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهبع

ولقد أحسن في هذا المقطوع كل الإحسان ، وله غيره أشعار حسان ؛ ويقال إنه وصل يوماً إلى باب عبد الله بن طاهر ، فرام الدخول إليه فحُجِبَ فقال^٣ :

٣٤٤ - ترجمته في طبقات ابن المعتز : ٢٨٧ والموشح : ١٤ وسمط الآلي : ٣٠٨ والبيان والتبيين : ١ وأخبار أبي تمام : ٢٢٣ ، ٢٢٥ ؛ والترجمة هنا مطابقة تماماً لنص المسودة .
١ م : وبرّ واحتمل الأذى .
٢ المسودة : محضتك .
٣ طبقات ابن المعتز : ٢٨٧ - ٢٨٨ .

سأترك هذا البابَ ما دامَ إذنهُ على ما أرى حتى يخفّ قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الإذن سلماً وجدتُ إلى تركِ اللقاءِ سبيلاً

فبلغ ذلك عبد الله فأنكره ، وأمر بدخوله .

وكان يقول : النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل : « شقائق النعمان »
نسبت إلى الدم لمحرتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر » ليس
بشيء ، وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني ؛ هذا كله كلام أبي العميثل ؛ والذي
ذكره أربابُ اللغة بخلافه ، فإن ابن قتيبة ذكر في كتاب « المعارف »^١ أن
النعمان بن المنذر ، وهو آخر ملوك الحيرة من اللخمين ، خرج إلى ظهر
الكوفة ، وقد اعتمَ نبتُهُ من بين أصفر وأحمر وأخضر ، وإذا فيه من هذه
الشقائق شيء كثير ، فقال : ما أحسنها ، أحموها ، فحمّوها ، فسمي شقائق
النعمان بذلك ، وقال الجوهري في « الصحاح »^٢ : إنها منسوبة إلى النعمان المذكور ،
وكذا غيره ، والله أعلم .

ويحكى أن أبا تمام الطائي لما أنشدَ عبدَ الله بن طاهر قصيدته البائية
المذكورة في ترجمته ، كان أبو العميثل حاضراً ، فقال له : يا أبا تمام ، لم لا تقول
ما يُفهم ؟ فقال : يا أبا العميثل ، لم لا تفهم ما يقال ؟^٣ .

وقبلَ يوماً كفَّ عبد الله بن طاهر ، فاستخشن مسَّ شاربيه ، فقال أبو
العميثل في الحال : شوكُ القنفذ لا يؤلم كفَّ الأسد ، فأعجبه كلامه وأمر له
بجائزة سنة .

وصنف كتباً منها : « كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه » و « كتاب
التشابه »^٤ و « كتاب الأبيات السائرة » و « كتاب معاني الشعر » وغير ذلك .
وكانت وفاة أبي العميثل سنة أربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

١ المعارف : ٦١٠ ، وفيه : خرج إلى « الظهر » .

٢ الصحاح (شقق) ٤ : ١٥٠٣ .

٣ انظر أخبار أبي تمام : ٧٢ ولم ينسبها لأبي العميثل وإنما ذكر أن القائل هو أبو سعيد الضريح
وكان متصلاً بالطاهريين .

٤ كذا قيده المؤلف ، وفي ر : النسابة ، وسقط الاسم من ص .

والعميثل : بفتح العين المهملة والميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح
الثاء المثناة وبعدها لام ، وهو اسم لعدة أشياء من جملتها الأسد ، والظاهر أنه
هو المقصود هاهنا .

٣٤٥

الناشي الأكبر

أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي الأنباري المعروف بابن شَرِّشِير الشاعر؛
كان من الشعراء المجددين ، وهو في طبقة ابن الرومي والبحثري وأنظارهما ،
وهو الناشي الأكبر - وسيأتي ذكر الناشي الأصغر إن شاء الله تعالى - وكان
نحويًا عروضيًا متكلمًا ، أصله من الأنبار ، وأقام ببغداد مدة طويلة ثم خرج
إلى مصر ، وأقام بها إلى آخر عمره . وكان متبحرًا في عدة علوم من جملتها علم
المنطق . وكان بقوة علم الكلام قد نَقَضَ علل النحاة ، وأدخل على قواعد
العروض شُبُهًا ، ومثلها بغير أمثلة الخليل ، وكلُّ ذلك بمجدقه وقوة فطنته .
وله قصيدة في فنون من العلم على رَوِيٍّ واحد تبلغ أربعة آلاف بيت ،
وله عدة تصانيف جميلة ، وله أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته ، والصيود
وما يتعلق بها ، كأنه كان صاحب صيد ، وقد استشهد كشاجم بشعره في
كتاب « المصايد والمطارد » في مواضع ، منها قصائد ومنها طرديات على أسلوب
أبي نواس ومنها مقاطيع ، وقد أجاد في الكل ، فمن ذلك قوله طردية في
وصف بازٍ :

٣٤٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢ وطبقات المعتزلة : ٩٢ وانباء الرواة ٢ : ١٢٨ والمنظم
٦ : ٥٣ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٥٨ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٠ وتاريخ ابن الأثير ٧ :
٥٤٧ والشذرات ٢ : ٢١٤ ؛ وقد أوردت المسودة هذه الترجمة كاملة .
١ المصايد : ٦٧ .

لَمَّا تَفَرَّيَ اللَّيْلَ عَنِّ أَتْبَاجِهِ وَارْتَاحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ لِانْبِلَاجِهِ
 غَدَوْتُ أَبْغِي الصَّيْدَ فِي مَنَاجِهِ بِأَقْمَرٍ أَبْدَعَ فِي نِتَاجِهِ
 أَلْبَسَهُ الْخَالِقُ مِنِّ دِيْبَاجِهِ وَشَيْئاً يَحَارُ الطَّرْفُ فِي انْدِرَاجِهِ
 فِي نَسَقٍ مِنْهُ وَفِي انْعِرَاجِهِ وَزَانَ فَوْدِيهِ إِلَى حِجَاجِهِ
 بَزِينَةٍ كَفَّتَهُ نَظْمَ تَاجِهِ مَنَسِرُهُ يَنْبِئُ عَنِّ خِلَاجِهِ
 وَظَفْرُهُ يُخْبِرُ عَنِّ عِلَاجِهِ لَوْ اسْتِضَاءَ الْمَرْءُ فِي إِدْلَاجِهِ
 بَعَيْنِهِ كَفَّتَهُ مِنْ سِرَاجِهِ

ومن شعره في جارية مغنية بديعة الجمال :

فَدَيْتِكَ لَوْ أَنَّهُمْ أَنْصَفُوكِ لَرَدُّوا النَّوَاطِرَ عَنِّ نَاطِرِيكِ
 تَرُدِّينَ أَعْيُنَنَا عَنِّ سِوَاكِ وَهَلْ تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْكِ
 وَهَمْ جَعَلُوكِ رَقِيبًا عَلَيْنَا فَمَنْ ذَا يَكُونُ رَقِيبًا عَلَيْكِ
 أَلَمْ يَقْرَأُوا وَيَجْهَمُ مَا يَرَوْنَ مِنْ وَحْيِ حَسَنِكَ فِي وَجْهِتِيكِ

وشعره كثير ، ونقتصر منه على هذا القدر .

وكانت وفاته بصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والناشي : بفتح النون وبعد الألف شين معجمة وبعدها ياء ، وهو لقب عليه .
 وشِرْشِير : بكسر الشين الأولى والثانية المعجمتين وبينهما راء ساكنة ثم
 ياء مثناة من تحتها وبعدها راء ، وهو في الأصل : اسم طائر^١ يصل إلى الديار
 المصرية في البحر في زمن الشتاء وهو أكبر من الحمام بقليل وأظنه من طير الماء ،
 وهو كثير الوجود بساحل دمياط وأظنه يأتي من صحراء الترك ، وباسمه سمي
 الرجل ، والله أعلم . -

والأنباري : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الألف
 راء ، هذه النسبة إلى الأنبار وهي مدينة قديمة على الفرات في جهة بغداد يفصل

١ لم يذكره الدميري ، وذكر الشرشور وقال : طائر أغبر على لطافة الحمرة .

بينها دجلة وهي في الجانب الغربي وبغداد في الجانب الشرقي وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، خرج منها جماعة من العلماء ، وهو جمع واحد نهر ، بكسر النون وسكون الباء . والأنبار : أهراء الطعام ، وإنما قيل لهذه البلدة الأنبار لأن الملوك الأكاسرة كانوا يخزنون بها الطعام فسميت بذلك .

٣٤٦

ابن صارة الشنتريني

أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة البكري الأندلسي الشنتريني الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً ماهراً ناظماً ناثراً ، إلا أنه كان قليل الحظ إلا من الحرمان ، لم يسمه مكان ، ولا اشتمل عليه سلطان ، ذكره صاحب « قلائد العقيان » ، وأثنى عليه ابن بسّام في « الذخيرة » وقال : إنه تتبع المحقرات ، وبعد جهْد ارتقى إلى كتابة بعض الولاة ، فلما كان من خلع الملوك ما كان أوى إلى إشبيلية أوحش حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبَلَّغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول :

أما الوراقةُ فهيَ أَيْكَةُ حِرْفَةٍ أوزاقُها وثمارُها الحِرْمَانُ
شَبَّهْتُ صاحبها بصاحبِ إِبْرَةِ تكسو العُرَاةَ وجسمُها عُرْيَانُ

٣٤٦ - ترجمته في بنية اللمتمس (رقم : ٨٩٦) وزاد المسافر : ٦٦ والقلائد : ٢٦٠ والتكلمة : ٨١٦ والسلفي : ١٥ والمطرب : ٧٨ ، ١٣٨ والمغرب : ١ ، ٤١٩ والذخيرة (القسم الثالث) : ٣٢٣ ونفح الطيب : ١ ، ٤٤٩ والمسالك : ١١ ، ٣٨٣ والشذرات : ٤ ، ٥٥ ؛ والترجمة المثبتة هنا تطابق ما في المسودة .

١ : م : يبيع .

وله ١ :

ومُعَدِّرٍ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ ففَقُلُوبُنَا وَجَدًا عَلَيْهِ رِقَاقُ
لَمْ يَكْسُ عَارِضَهُ السَّوَادُ وَإِنَّمَا نَفَضْتُ عَلَيْهِ سَوَادَهَا الْأَحْدَاقُ
وله في غلام أزرق العين :

ومُهَفَّفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاقِهِ قَمَرًا بِآفَاقِ الْحَاسِنِ يُشْرِقُ
تَقْضِي عَلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةٌ مُتَأَلِّقٌ فِيهَا سِنَانٌ أَرْزَقُ
وهذا كقول السلامي :

أَعَانِقُ مِنْ قَدِّهِ صَعْدَةٌ تَرَى اللَّحْظَ مِنْهَا مَكَانَ السِّنَانِ
ومن هاهنا أخذ ابن النبيه المصري قوله :

أَسْمَرَ كَالرُّمْحِ لَهُ مُقْلَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ كَحَلَاءِ كَانَتْ سِنَانُ
وأورد له صاحب كتاب « الحديقة » :

أَسْنَى لِيَابِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أُخْلِ فِيهَا الْكَأْسَ مِنْ إِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْحَلْخَالِ

وقال غيره : هذان البيتان لصالح الهزلي الإشبيلي ، والله أعلم .
وله في الزهد :

يَا مَنْ يُصِيخُ إِلَى دَاعِي السَّفَاهِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ : الشَّيْبُ وَالْكَبِيرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فِيمَ تَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لَيْسَ الْأَصْمُ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ : الْعَيْنُ وَالْأَنْرُ

١ وقع البيتان في ص متأخرين عن هذا الموضع .

٢ س : صباغها .

لا الدهرُ يَبْقَى ولا الدنيا ولا الفلَكُ إلا
أعلى ولا النسيْرانِ : الشَّمْسُ والقَمَرُ
ليُرْحَلْنَ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا
فِرَاقَهَا الشَّائِوِيَانِ : البَدْوُ والحَضْرُ
وله :

وصاحب لي كداء البطن صُحْبَتُهُ
يودّني كودادِ الذئبِ للرّاعي
يُثْنِي عَلَيَّ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً
ثَنَاءً هِنْدِيَّ عَلَى رُوحِ بْنِ زَنْبَاعِ

قوله « ثناء هند على روح بن زنباع » : هذه هند هي بنت النعمان
ابن بشير الأنصاري رضي الله عنه . وكان روح بن زنباع الجذامي صاحب عبد
الملك بن مروان^١ قد تزوّجها وكانت تكرهه ، وفيه تقول^٢ :

وهلْ هِنْدٌ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بِفَلْ
فَإِنْ نَتَجَّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى
وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ الْفَحْلُ

ويروى « فمن قبل الفحل » وهو إقواء ؛ ويروى هذان البيتان لأختها حميدة
بنت النعمان ، والإقراف : أن تكون الأم عربية والأب ليس كذلك ، والهَجْنَةُ
خلاف ذلك بأن يكون الأب عربياً والأم خلاف ذلك .

وله ديوان شعر أكثره جيد ، وكانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسة مائة بمدينة
المرية من جزيرة الأندلس وقد تقدم ذكرها .

ويقال في اسم جده : صارة وسارة ، بالصاد والسين المهملتين .
والشَّنْتَرِينِي : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من
فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهذه النسبة
إلى شَنْتَرِين^٣ ، وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس أيضاً ، رحمه الله تعالى .

١ ص : صاحب ... ووزيره .

٢ انظر الشعر ونسبته في الأغاني ٩ : ١٦٠ ٢٢١ : ٢٢ .

٣ شَنْتَرِين (Santarem) تقع اليوم في البرتغال على بعد ٦٧ كيلومتراً الى الشمال من لشبونة .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البَطْلَيْوِسيُّ النحوي ؛ كان عالماً بالأدب واللغات متبحراً فيها مقدماً في معرفتها وإتقانها ، سكن مدينة بَلَنْسِيَّةَ ، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرأون عليه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم جيد التفهيم ثقة ضابطاً ، ألف كتباً نافعة ممتعة منها : كتاب « المثلث » في مجلدين ، أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم ، فإن « مثلث » قطرب في كراسة واحدة ، واستعمل فيها الضرورة وما لا يجوز وغلط في بعضه . وله كتاب « الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب » - وقد ذكرته في ترجمة عبد الله بن قُتَيْبَةَ - وشرح « سقط الزند » لأبي العلاء المعري شرحاً استوفى فيه المقاصد ، وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان الذي سماه « ضوء السقط » ، وله كتاب في الحروف الخمسة ، وهي : السين والصاد والضاد والطاء والذال ، جمع فيه كل غريب ، وله كتاب « الحلل في شرح أبيات الجمل » و« الحلل في أغاليط الجمل »^١ أيضاً ، وكتاب « التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة » وكتاب « شرح الموطأ » ، وسمعت أن له شرح ديوان المتنبي ، ولم أقف عليه ، وقيل إنه لم يخرج من المغرب ، وبالجملة فكل شيء يتكلم فيه فهو في غاية الجودة ، وله نظم حسن ، فمن ذلك قوله :

أخو العلم حيّ خالدٌ بعد موته وأوصاله تحت التراب رَمِيمٌ

٣٤٧ - ترجمة ابن السيد في الديباج المذهب : ١٤٠ ، والصلة ١ : ٢٨٢ والقلائد : ١٩٣ والمغرب ١ : ٣٨٥ والنفح ١ : ١٨٥ (وصفحات أخرى) وأزهار الرياض ٣ : ١٠١ وبنية الوعاة : ٢٨٨ وغاية النهاية ١ : ٤٤٩ ومعجم البلدان (بطليوس) والشذرات ٤ : ٦٤ ؛ وما أثبت في هذه الترجمة مستوفى في المسودة .

١ ورد في المصادر باسم : اصلاح الحلل الواقع في الجمل .

وذو الجهل مَيّتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظَنُّ من الأحياء وهو عديمٌ
وله في طول الليل^١ :

تُرى ليلنا شابت نواصيه كبرة كما شبتُ أم في الجوّ رَوْضَ بَهَارٍ
كأنّ الليالي^٢ السَّبْعُ في الجوّ جُمِعَتْ ولا فَصَلَ فيما بينها لِنَهَارٍ
وله من أول قصيد يمدح بها المستعين بن هُود^٣ :

هُمُ سَلْبُونِي حُسْنٌ صَبْرِي إِذْ بَانُوا بِأَقْبَارِ أَطْوَاقِ مَطَالِمِهَا بَانَ
لئن غادروني باللوى إنَّ مُهْجَتِي مَسَايِرَهُ أَطْعَمَانَهُمْ حَيْثَمَا كَانُوا
سقى عهدهم بالخيف عهدُ غَمَائِمٍ يَنَازِعُهَا مُزْنَ من الدمعِ هَتَّانِ
أَحِبَابِنَا هَلْ ذَلِكَ الْعَهْدُ رَاجِعٌ وَهَلْ لِي عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ سَلْوَانِ
ولي مقلةٌ عَبْرِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي فَوَادٍ إِلَى لِقْيَاكُمْ الدَّهْرَ حَنَّانِ
تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا لَنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَحَلَّتْ بِنَا مِنْ مَعْضَلِ الْخُطْبِ أَلْوَانِ
ومن مديحها^٤ :

رحلنا سَوَامَ الْحَمْدِ عَنْهَا لَغَيْرِهَا فَلَا مَأْوَاهَا صَدًّا وَلَا النَّبْتَ سَعْدَانِ^٥
إلى ملك حاباه بالحسن يوسف وشاد له البيتَ الرَفِيعَ سَلِيمَانَ
من النفر الشُّمِّ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ غِيُوثٌ وَلَكِنَّ الْخَوَاطِرَ نِيرَانَ

١ أزهار الرياض ٣ : ١٢٧ .

٢ س : النجوم .

٣ كان ابن السيد عند بني رزين أصحاب السهلة ثم فارقه ولحق بسرقسطة وفيها بنو هود ورأس دولتهم المستعين أحمد بن محمد بن سليمان بن هود (٤٧٨ - ٥٠١) ومدحه بهذه القصيدة ، انظر

أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .

٤ ر : أيّنا بانوا .

٥ ر : ومنها .

٦ يشير إلى قولهم في المثل : ماء ولا كصداه ومرعى ولا كالسعدان ، وفي المسودة : صُدّي .

وهي طويلة ونقتصر منها على هذا القدر .
 ومولده في سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بَطْلَيْوَسَ وتوفي في
 منتصف رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة بمدينة بَلَنْسِيَّة ، رحمه الله تعالى .
 والسَّيِّد : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال
 مهملة ، وهو من جملة أسماء الذئب سمي الرجل به .
 والبَطْلَيْوَسِي^١ : بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح
 الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها سين مهملة . وبلَنْسِيَّة^٢ : بفتح
 الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من
 تحتها وبعدها هاء ساكنة ، هاتان المدينتان يجزيرة الأندلس خرج منها جماعة
 من العلماء .

٣٤٨

ابن ناقيما

أبو القاسم عبد الله ، وقيل عبد الباقي ، بن محمد بن الحسين بن داود بن
 ناقيما الأديب الشاعر اللغوي المترسل ؛ هو من أهل الحرِيم الطاهري ، وهي محلة
 ببغداد ، وكان فاضلاً بارعاً ، وله مصنفات حسنة مفيدة ، منها مجموع سماه « مَلْح
 المألحة » ومنها كتاب « النجْمان في تشبيهات القرآن » ، وله مقامات أدبية
 مشهورة ، واختصر « الأغاني » في مجلد واحد وشرح كتاب « الفصيح » وله ديوان

١ بطليوس (Badajoz) : تقع على الحدود الشرقية للبرتغال ، وكانت عاصمة بني الأفطس التيجيين

في عهد ملوك الطوائف ، وقال البكري : بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي .

٢ بلنسية (Valencia) : من مدن شرق الأندلس (الروض المعطار : ٤٧) .

٣٤٨ - ترجمة ابن ناقيما في انباه الرواة ٢ : ١٣٣ وميزان الاعتدال ٢ : ٥٣٣ ولسان الميزان ٣ :

٣٨٤ والجواهر المضية ١ : ٢٨٣ ، وانظر مقدمة « عقد الجمان » بتحقيق زرزور والدايسة

(الكويت ١٩٦٨) ؛ وهذه الترجمة طبقت لما في المسودة .

شعر كبير وديوان رسائل ، وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الحريدة » وأثنى عليه وذكر طرفاً من أحواله ، وأورد له هذين البيتين في بعض الرؤساء وقد اقتصد فكتبها إليه :

جعلَ الله ذو المواهبِ عُقباً ك من الفصدِ صحةً وسلاماً
قلْ لِيُمنَاكَ كيف شئتِ استهلي لا عدمتِ الندى فأنتِ غمامة
ولقد أجاد فيها ، ومن شعره أيضاً :

أخلاقِي ما صاحبتُ في العيشِ لذة ولا زال عن قلبي حنينُ التذكري
ولا طابَ لي طعامُ الرقادِ ولا اجتنت لحاظيَ مذ فارقتكم حُسنَ منظر
ولا عبثتُ كفتي بكأسِ مُدامة يطوف بها ساقٍ ولا جسِّ مزهر

وكان ينسب إلى التعطيل ومذهب^١ الأوائل ، وصنّف في ذلك مقالة. وكان كثير المحون ، وحكى الذي تولى غسله بعد موته أنه وجد يده اليسرى مضمومة ، فاجتهد حتى فتحها ، فوجد فيها كتابة بعضها على بعض ، فتمهل حتى قرأها ، فإذا فيها مكتوب :

نزلتُ بيجار لا يخيبُ ضيفهُ أرجي نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفٍ من الله واثقٌ بإنعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة . وتوفي ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، ودفن بباب الشام^٢ ببغداد ، رحمه الله تعالى . وناقيا : بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف .

وقد تقدمت له أبيات مرثية في ترجمة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي^٣ .

١ ص : وإلى مذهب .

٢ ر : السلام .

٣ انظر ج ١ ص : ٣٠ .

الشيخ أبو البقاء

أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين ،
العُكْبَرِيُّ الأصل البغدادي المولد والدار ، الفقيه الحنبلي الحاسب الفَرَضِيُّ
النحوي الضرير ، الملقب بحب الدين ؛ أخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشاب
المذكور بعده وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من أبي الفتح
محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ، ومن أبي زُرْعَةَ طاهر بن
محمد بن طاهر المقدسي ، وغيرهما . ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في
فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة ، وشرح
كتاب « الإيضاح » لأبي علي الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب « إعراب
القرآن الكريم » في مجلدين ، وكتاب « إعراب الحديث » لطيف ، وكتاب
« شرح اللمع » لابن جني ، وكتاب « اللباب في علل النحو » وكتاب « إعراب
شعر الحماسة » وشرح « المفصل » للزخشي شرحاً مستوفى ، وشرح « الخطب
النباتية » و « المقامات الحريرية » وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه

٣٤٩ - ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ١٠٩ ونكت اھميان : ١٧٨ وانباه الرواة ٢ : ١١٦
وبغية الوعاة : ٢٨١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٤٦ والشذرات ٥ : ٦٧ ومعجم البلدان :
(عكبرا) ؛ وما أثبتناه في هذه الترجمة هو نص المسودة .

١ سقط من س أسماء بعض مؤلفاته وورد في حاشية النسخة ما يلي :
« قلت : ذكره ابن النجار في تاريخه وذكر أسماء مصنفاته كلها فمنها تفسير القرآن ، وإعراب
القرآن ، وإعراب الشواذ من القراءات ، وتشايبه القرآن ، وعدة آي القرآن ، وإعراب
الحديث ، الناهض في علم الفرائض ، الاستيعاب في أنواع الحساب ، شرح الفصيح ، شرح
الحماسة ، شرح المقامات الحريرية ، شرح الخطب النباتية ، إعراب الحماسة ، شرح أبيات كتاب
سيبويه ، اللباب في علل البناء والإعراب ، مقدمة في النحو ، شرح شعر المتنبي ، وغير ذلك
من المصنفات التي يطول ذكرها . قال ابن النجار : وكان ضريراً أضر في صباه يجدرى لحقه ،
وكان يجب الاشتغال ليلاً ونهاراً ما يمضي عليه ساعة إلا وأحد يقرأ عليه أو يطالع حتى انه =

خلق كثير ، وانتفعوا به ، واشتهر اسمه في البلاد وهو حيّ وبعُد صيته .
 وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . وتوفي ليلة الأحد ثامن شهر ربيع
 الآخر سنة ست عشرة وستمئة ببغداد ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .
 والعُكْبَرِي : بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها
 راء ، هذه النسبة إلى عُكْبَرَا ، وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة
 فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

وحكى الشيخ أبو البقاء المذكور في كتاب « شرح المقامات » عند ذكر
 العنقاء أن أهل الرس^١ كان بأرضهم جبل يقال له « رمخ »^١ صاعد في السماء
 قدر ميل ، وكان به طيور كثيرة ، وكانت العنقاء طائفة عظيمة الخلق ،
 طويلة العنق ، لها وجه إنسان وفيها من كل حيوان شَبَه ، من أحسن الطير ،
 وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل فتلتقط طيره ، فجاعت في بعض السنين
 وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ، فسميت « عنقاء مغرباً »
 لإبعاها بما تذهب به ، ثم ذهبت يجارية^٢ أخرى ، فشكا أهل الرس^٣ إلى نبيهم
 حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابها صاعقة فاحترقت ، والله أعلم .

قلت : هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس^٤ ، كان في زمن الفترة بين
 عيسى والنبي عليها الصلاة والسلام . ثم رأيت في تاريخ أحمد بن عبد الله بن
 أحمد الفرغاني نزيل مصر أن العزيز نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من
 غرائب الحيوان ما لم يوجد عند غيره ، فمن ذلك العنقاء ، وهو طائر جاء من
 صعيد مصر في طول البلشوم^٥ ، وأعظم جسماً منه ، له غبب وحية وعلى

= بالليل تقرأ له زوجته في كتب الأدب وغيرها ، وله شعر مدح به ابن مهدي الوزير وهو :

بك أضحى جيد الزمان محلى بعد أن كان من حلاه محلى
 لا يجاريك في تجاريك خلق أنت أعلى قدراً وأعلى محلا
 دمت تحيي ما قد أميت من الفضل وتنفي فقراً وتطرده محلا

١ في بعض الأصول : دمخ .

٢ ص : اختطفت جارية .

٣ هكذا في ص ر والسودة ، وفي المطبوعة « البلاشون » ، وقال الدميري : البلشون هو مالك

الجزين ، فلعله بالميم لغة .

رأسه وقاية ، وفيه عدة ألوان ومشابه من طيور كثيرة ، والله أعلم .
ثم وجدت في أواخر كتاب « ربيع الأبرار » تأليف العلامة أبي القاسم
الزخشري في باب الطير عن ابن عباس ، رضي الله عنها ، أن الله تعالى خلق
في زمن موسى عليه السلام طائفة اسمها العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ،
ووجهها كوجه الإنسان ، وأعطاهما من كل شيء حسن قسطاً وخلق لها ذكراً
مثلها ، وأوحى إليه أني خلقت طائرين عجبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي
حوّل بيت المقدس وآنتك بها وجعلتها زيادة فيما فضّلتُ به بني إسرائيل ،
فتناسلا وكثر نسلها ، فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوَقعت بنجد والحجاز ،
فلم تزل تأكل الوحش وتختطف الصبيان إلى أن نُبئى خالد بن سنان العبسي
بين عيسى ومحمد عليها السلام ، فشكوها إليه ، فدعا الله فقطع نسلها
وانقرضت ، والله أعلم .

٣٥٠

ابن الخشاب

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي؛
العالم المشهور في الأدب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب
وحفظ الكتاب العزيز بالقراءات الكثيرة ، وكان متضلعا من العلوم وله فيها
اليد الطولى ، وكان خطه في نهاية الحسن ، ذكره العماد الأصبهاني في « الخريدة »
وعدد فضائله ومحاسنه ، ثم قال : وكان قليل الشعر ، ومن شعره في الشمعة ٢ :

١ العلامة : سقطت من ص .

٣٥٠ - ترجمته في معجم الأدباء ١٢ : ٤٧ ؛ وانباء الرواة ٢ : ٩٩ وذيل طبقات الخنابلة ١ : ٣١٦

وربغية الوعاة : ٢٧٦ والمنظم ١٠ : ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٦٥ .

٢ هذه المقطوعة والتي تليها في ياقوت : ٥٢ - ٥٣ وذيل ابن رجب : ٣٢١ والانباء : ١٠١ .

صفراء من غير سقام بها كيف وكانت أمها الشافية
عارية باطنها مكتمس فاعجب بها عارية كاسية
وذكر له لغزاً في كتاب وهو :

وذي أوجهٍ لكنه غير بائع بسرٍ وذو الوجهين للسر مظهر
تتاجيك بالأسرار أسرار وجهه فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

وهذا المعنى مأخوذ من قول المتنبي في ابن العميد :

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ودعاك خالقك الرئيس الأكبر
خلقت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

وشرح كتاب « الجمل » لعبد القاهر الجرجاني وسماه « المرتجل في شرح الجمل »
وترك أبواباً من وسط الكتاب ما تكلم عليها ، وشرح « اللع » لابن جني ولم
يكلها ، وكانت فيه بذادة وقلة اكترت بالمأكل والملبس .

وذكر العماد أنه كانت بينها صحبة ومكاتبات ، وقال : لما مات كنت بالشام
فرأيت ليلة في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، فقلت : فهل
يرحم الله الأدباء ؟ فقال : نعم ، قلت : وإن كانوا مقصرين ؟ فقال : يجري
عتاب كثير ، ثم يكون النعيم .

ومولده سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . [قلت : هكذا وجدت تاريخ
ولادته ، وعندني في ذلك شيء ، لأنني وقع لي جزء فيه تعاليتي وفوائد علقها
بخطه ، وكتب على ظهره ما صورته مختصراً : سألت أبا الفضل محمد بن ناصر
عن مولد شيخنا أبي الكرم المبارك بن فاخر المعروف بابن الدباس النحوي ،
فقال : سنة ثلاثين وأربعمائة ، وأظنه خن ، لأنه توفي سنة خمس وخمسمائة ،
وسنه فيما أرى أعلى من ذلك ، فسألت أبا المحاسن ابن أبي نصر بن الدباس

١ انظر انباه الرواة ٣ : ٢٥٦ ومصادره ، قال : سئل عن مولده فقال في سنة إحدى وثلاثين
وأربعمائة ، وذكر أن وفاته كانت سنة خمسمائة .

الناسخ عن مولد عمه أبي الكرم المذكور ، فقال : قال لي قبل وفاته بسنة : أنا في سنتي هذه بين فمي سَبْعَيْنِ ، وإني لأخشى من ذلك ، يعني لي سبع وسبعون ، وهذا يقتضي أن يكون مولده سنة ست وعشرين .

فمضمون هذه الحكاية أن وفاة ابن الدباس محققة في سنة خمس وخمسمائة ، وهو أحد مشايخ ابن الحشاش المذكور ، ومن أكثر الرواية عنه ، ويبعد أن يكون قد حصل له هذا التحصيل واستفاد منه ، وسنه حينئذ لم يبلغ الحلم ، فإنه على ما ذكرناه من تاريخ وفاة المذكور ومولد ابن الحشاش المذكور يكون تقدير عمره عند وفاة شيخه أبي الكرم ثلاث عشرة سنة ، وفي مثل هذا السن يبعد اشتغاله وجمعه ، ولا شك أن خط ابن الحشاش يُعتمد عليه ، فعلى هذا التقدير يكون مولده قبل هذا التاريخ الذي ذكرناه ، ويحتمل أن يكون التاريخ صحيحاً ، وتكون روايته عن شيخه المذكور بمجرد الرواية دون الاشتغال والاستفادة ، ومثل ذلك يكون كثيراً ، والله أعلم^١ . وكانت وفاته عشية^٢ الجمعة ثالث شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، بباب الأزج ، بدار أبي القاسم ابن الفراء . ودفن بمقبرة أحمد بباب حرب ، وصلّي عليه بجامع السلطان يوم السبت .

١ انفردت ر بما بين معقنين .

٢ ر : ليلة .

ابن الفرضي

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي الحافظ المعروف بابن الفَرَضِيِّ ؛ كان فقيهاً عالماً في فنون من العلم : الحديث وعلم الرجال والأدب البارع وغير ذلك . وله من التصانيف « تاريخ علماء الأندلس » وهو الذي ذُيِّلَ عليه ابنُ بَشْكُوَال بكتابه الذي سماه « الصلة » ، وله كتاب حسن في « المؤلف والمختلف » وفي « مشتهر النسبة » وكتاب في أخبار شعراء الأندلس وغير ذلك .

ورحل من الأندلس إلى المشرق في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، فحج وأخذ عن العلماء وسمع منهم وكتب من أماليهم .

ومن شعره :

أسيرُ الخطايا عندَ بابِكِ واقِفُ على وجلٍ مِمَّا بهِ أَنْتَ عارِفُ
يخافُ ذنوباً لم يغبُ عنكَ غيبُها ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وخائفُ
ومن ذا الذي يرجو سِوَاكَ ويتقي وما لكَ في فصل القضاء مُخالفُ
فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي إذا نُشِرت يومَ الحسابِ الصحائفُ
وكن مؤنسي في ظلمةِ القبرِ عندما يصدُّ ذو القربى ويحفو الموالِفُ
لئن ضاقَ عني عفوكَ الواسِعُ الذي أَرَجِي لإسرافي فإنِّي لتألفُ

ومن شعره أيضاً :

٣٥١ - ترجمة ابن الفرضي في الصلة : ٢٤٦ وجذوة المقتبس : ٢٣٧ وبغية الملتبس (رقم: ٨٨٨) والمطمح : ٥٧ والذخيرة ٢/١ : ١٣٠ والمغرب ١ : ١٠٣ والطرب : ١٣٢ وتذكرة الحفاظ : ١٠٧٦ والديباج المنهب : ١٤٣ والتفح ٢ : ١٢٩ والشذرات ٣ : ١٦٨ ؛ والترجمة هنا مطابقة لما في السودة .

إِنَّ الَّذِي أَصْبَحَتْ طَوَّعَ يَمِينِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَمَرًا فَلَيْسَ بَدُونِهِ
ذُلِّي لَهُ فِي الْحَبِّ مِنْ سُلْطَانِهِ وَسَقَامُ جَسْمِي مِنْ سَقَامِ جُفُونِهِ

وله شعر كثير . ومولده في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة . وتولى القضاء بمدينة بكنسية . وقتلته البربر يوم فتح قرطبة ، وهو يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيراً من غير غسل ولا كفن ولا صلاة ؛ روي عنه أنه قال : تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ، ثم انحرفت وفكرت في هَوْلِ القتل ، فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه ذلك ، فاستحييت . وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف : لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ يَكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَعَبَبُ دَمًا لَلْوَنُ لَوْنُ دَمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكَ ، كَأَنَّهُ يَعِيدُ عَلَى نَفْسِهِ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ قَضَى عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ، وَهَذَا الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي حَدِيثِهِ ٢ .

٣٥٢

الرشاطي

أبو محمد عبدالله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي المعروف بالرشاطي الأندلسي الميري ؛ كانت له عناية كثيرة بالحديث والرجال

١ ر : بأذيال .

٢ كذا في المسودة والنسخة س ؛ والأوجه أن يقال : في صحيحه ، وانظر صحيح مسلم ٢ : ٩٥ .

٣٥٢ - ترجمة الرشاطي في الصلة : ٢٨٥ ومعجم الصديقي (رقم : ٢٠٠) والمطرب : ٦١ ، ١٢٠ والنفع : ٤ ، ٦٢ ؛ وتذكرة الحفاظ : ١٣٠٧ ؛ والترجمة هنا مستوفاة في المسودة .

والرواة والتواريخ ، وله كتاب حسن سماه كتاب « اقتباس الأنوار والتاس الأزهاري في أنساب الصحابة ورواة الآثار » أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما أقصر ، وهو على أسلوب كتاب أبي سعد ابن السمعاني الحافظ الذي سماه « بالأنساب » - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

ومولد الرُّشَاطِي صبيحة يوم السبت لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة بقرية من أعمال مرسية ، يقال لها أوريُوالة^١ : بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وبعد الألف لام مفتوحة بعدها هاء . وتوفي شهيداً بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة^٢ ، رحمه الله تعالى .
والرُّشَاطِي^٣ : بضم الراء وفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ، هذه النسبة ليست إلى قبيلة ولا إلى بلد بسل ذكر في كتابه المذكور أن أحد أجداده كانت في جسمه شامة كبيرة وكانت له خادم عجمية تحضنه في صفره ، فإذا لاعتته قالت له : رُشَطَاله ، وكثر ذلك منها ، فقليل له : الرُّشَاطِي .

١ أوريُوالة (Orihuela) وتكتب في المصادر الأندلسية « أوريولة » مع تساهل في الضبط الذي أورده ابن خلكان ، وهي على نهر الأبيض ، نهر مرسية ، وتبعد عنها بنحو ١٢٠ ميلاً وبينها وبين البحر عشرون ميلاً .

٢ بعد انهيار حكم المرابطين في الأندلس (٥٣٩) قامت حملة برية بحرية بتجهيز ممالك قشتالة ونبره وأراجون وقطلونية ومهما مدد من جنوة وبيزة وغيرها وهاجمت المرية واستولت عليها سنة ٥٤٢ هـ وظلت في أيديهم حتى قام الموحدون باسترجاعها بعد حوالي عشر سنوات .

أبو محمد عبد الله بن أبي الوَحْشِ بَرِّي بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري^١ الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية؛ كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره. أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد ابن عبد الملك الشَّنْتَرِينِي النحوي^٢ وأبي طالب عبد الجبار بن محمد بن علي المَعَاْفَرِي القرطبي^٣ وغيرهما، وسمع الحديث على أبي صادق المدني وأبي عبد الله الرازي وغيرهما، واطلع على أكثر كلام العرب، وله على كتاب «الصحاح» للجوهري حواشٍ فائقة أتى فيها بالفرائب، واستدرك عليه فيها مواضع كثيرة، وهي دالة على سعة علمه وغزارة مادته وعظم اطلاعه، وصحبه خلق كثير اشتغلوا عليه وانتفعوا به، ومن جملة من أخذ عنه أبو موسى الجُزُولِي صاحب المقدمة في النحو - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وذكره في مقدمته ونقل عنه في آخرها. وكان عارفاً بكتاب سيبويه وعلله، وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء، لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه ويصلح ما لعله فيه^٤ من خلل خفي، وهذه كانت وظيفة ابن بابشاذ - وقد ذكرت ذلك في ترجمته في حرف الطاء - .

٣٥٣ - ترجمة ابن بري في معجم الأدباء ١٢ : ٥٦ وانباه الرواة ٢ : ١١٠ وبقية الوعاة : ٢٧٨ وحسن المحاضرة ١ : ٢٢٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٣ والشذرات ٤ : ٢٧٣ ومصادر أخرى في حاشية الانباه؛ وما ثبت هنا مطابق لما في المسودة .

١ المصري : سقطت من ص م وهي ثابتة في المسودة .
٢ كان أحد أئمة العربية صنف « تلميح الألباب في عوامل الإعراب » وتوفي سنة ٥٥٠ (بقية الوعاة : ٦٨) .

٣ مات أبو طالب سنة ٥٦٦ (بقية الوعاة : ٢٩٥) .
٤ ر : ويصلح ما فيه .

ولقيت بمصر جماعة من أصحابه وأخذت عنهم رواية وإجازة ؛ ويحكى أنه كانت فيه غفلة ، ولا يتكلف في كلامه ، ولا يتقيد بالإعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق ، حتى قال يوماً لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو : اشتر لي قليل هندبا بعروقه ، فقال له التلميذ : هندبا بعروقه ، فعزّ عليه كلامه وقال له : لا تأخذه إلا بعروقه ، وإن لم يكن بعروقه فما أريده . وكانت له ألفاظ من هذا الجنس لا يكثرث بما يقوله ولا يتوقف على إعرابها .

ورأيت له حواشي على « درة الغواص في أوهام الخواص » للحريري ، وله جزء لطيف في أغاليط الفقهاء ، وله الرد على أبي محمد ابن الخشاب - المذكور في هذا الحرف - في الكتاب الذي بيّن فيه غلَطَ ابن الحريري في المقامات ، وانتصر لابن الحريري وما أقصر فيما عمله .

وكانت ولادته بمصر في الخامس من رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة . وتوفي بمصر ليلة السبت السابعة والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وبَرِّي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المكسورة وبمدها ياء ، وهو اسمٌ علمٌ يشبه النسبة .

٣٥٤

العاضد

أبو محمد عبد الله الملقب العاضد بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ، آخر

٣٥٤ - أخباره في اتعاظ الحنفا : ٢٨٧ والدرّة المضية : ٣٥٢ ، ٥١٢ والنجوم الزاهرة ٥ :
٣٣٤ - ٣٥٧ وابن الأثير ١١ : ٣٦٨ وخطط المقرئ ٢ : ٢٩٤ وحسن المحاضرة ٢ :
١٧ (وفيه نقل عن ابن خلكان) ، وما في المتن هنا مستوفى من المسودة .

ملوك مصر من العبَّيديين - وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقيين - ؛ ولي المملكة بعد وفاة ابن عمه الفائز في التاريخ المذكور في ترجمته ، وكان أبوه يوسف أحد الأخوين اللذين قتلها عباس بعد الظافر - وقد سبق ذلك في ترجمة الظافر في حرف الهمزة - واستقر الأمر للعاضد المذكور اسماً وللصالح بن رُزَيْك - المذكور في حرف الطاء - جسماً .

وكان العاضد شديد التشيع متغالياً في سب الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وإذا رأى سُنيّاً استحل دمه ، وسار وزيره الصالح بن رُزَيْك في أيامه سيرة مذمومة فإنه احتكر الغلات فارتفع سعرها ، وقتل أمراء الدولة خشية منهم ، وأضعف أحوال الدولة المصرية فقتل مقاتلتها وأفنى ذوي الآراء والحزم منها ، وكان كثير التطلع إلى ما في أيدي الناس من الأموال ، وصادر أقواماً ليس بينه وبينهم تعلق .

وفي أيام العاضد ورد أبو عبد الله الحسين بن نزار بن المستنصر من المغرب ومعه عساكر وحشود ، فلما قارب بلاد مصر غدر به أصحابه وقبضوه وحملوه إلى العاضد فقتله صبراً ، وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسةائة في شهر رمضان ، وقيل إن ذلك كان في أيام الحافظ عبد المجيد - هكذا قاله صاحب كتاب « الدول المنقطعة » والله أعلم ، ثم أعاد ذلك في أيام العاضد كما ذكرته أولاً ، والله أعلم بالصواب - وكان قد تلقب بالمنتصر بالله . وقد تقدم في ترجمة شاور وأسد الدين شيركوه في حرف الشين ما يغني عن الإطالة في سبب انقراض دولته ، واستيلاء الغزّ عليها ، وسيأتي في أخبار السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، في حرف الياء طرّف من ذلك أيضاً .

وسمعت من جماعة من المصريين يقولون : إن هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء : تكتب لنا ورقة تذكر فيها ألقاباً تصلح للخلفاء ، حتى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب ، فكتب لهم ألقاباً كثيرة ، وآخر ما كتب في الورقة « العاضد » فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقب بالعاضد ، وهذا

من عجيب الاتفاق . وأيضاً فإن العاضد في اللغة القاطع ، يقال : عَضَدْتُ الشيء فأنا عاضِدٌ له ، إذا قطعته ، فكأنه عاضِدٌ لدولتهم ، وكذا كان لأنه قطعها .

وأخبرني أحد علماء المصريين^١ أيضاً أن العاضد المذكور في أواخر دولته رأى في منامه وهو بمدينة مصر وقد خرجت إليه عقرب من مسجد هو معروف بها ، فلدغته ، فلما استيقظ ارتاع لذلك ، فطلب بعض مُعَبَّرِي الرؤيا وقص عليه المنام فقال له : ينالك مكروه من شخص هو مقيم في هذا المسجد ، فطلب والي مصر وقال له : تكشف عنم هو مقيم في المسجد الفلاني ، وكان العاضد يعرف ذلك المسجد ، فإذا رأيت به أحداً تحضره عندي . فمضى الوالي إلى المسجد فرأى فيه رجلاً صوفياً فأخذه ودخل به على العاضد ، فلما رآه سأله : من أين هو ؟ ومتى قدم البلاد؟ وفي أي شيء قدم؟ وهو يجاوبه عن كل سؤال ، فلما ظهر له منه ضعف الحال والصدق والمعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئاً وقال له : يا شيخ ادع لنا ، وأطلق سبيله ، فنهض من عنده وعاد إلى مسجده^٢ . فلما استولى السلطان صلاح الدين وعزم على القبض على العاضد واستفتى الفقهاء في قتله ، أفتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضد وأشياعه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاستهتار بذلك . وكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الصوفي المقيم في المسجد ، وهو الشيخ نجم الدين الجبوشاني - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - فإنه عدّد مساوىء هؤلاء القوم وسلب عنهم الإيمان وأطال الكلام في ذلك ، فصحّت بذلك رؤيا العاضد .

وكانت ولادة العاضد يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة ست^٣ وأربعين^٣ وخمسة . وتوفي ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع

١ ص : علماء مصر .

٢ ص : المسجد .

٣ س : ست وخمسين .

وستين وخمسة ، وقيل إن العاضد حصل له غيظ من شمس الدولة تُوْران شاه
ابن أيوب أخي صلاح الدين فسمّ نفسه فهات ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .
وقيل إنه مات يوم عاشوراء .

٣٥٥

ابن الرداد المؤذن

أبو الرّداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرّداد المؤذن البصري^١ ،
صاحب المقياس بمصر ؛ كان رجلاً صالحاً^٢ وقولى مقياس النيل الجديد بجزيرة
مصر ، وجُمع إليه جميع النظر في أمره وما يتعلق به في سنة ست وأربعين
ومائتين ، واستمرت الولاية في ولده إلى الآن . وتوفي في سنة تسع وسبعين
ومائتين ، وقيل سنة ست وستين ومائتين^٣ ، والله أعلم .

والرّداد : بفتح الراء وبالداين المهملتين وتشديد الأولى منها وبينهما ألف .
ذكره القضاعي في « خطط مصر » وذكر قضية الجارية التي كانت تلقى
في النيل ، وذلك في فصل المقياس^٤ .

[وهذا المقياس : وضعه أحمد بن محمد الحاسب القرصاني بأمر المتوكل على الله .
- وكان أسامة بن زيد التَّنُوخي في سنة ست وسبعين للهجرة قد أمر ببناء
المقياس في الجزيرة قديماً - وحكي عنه أنه قال : لما أردت أن أكتب على

٣٥٥ - انظر حسن المحاضرة ٢ : ١٩٨ وخطط المقرئ ٢ : ١٨٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ٣١١

والكندي : ٥٠٧ - ٥٠٨ ورفع الإصر ١ : ١٤٤ .

١ ص : المصري ، وهو خطأ ، إذ أصل أبي الرداد من البصرة .

٢ جاء في المطبوعة بعده : وكان يؤذن في الجامع العتيق ويعلم الصبيان القرآن ؛ ولم يرد في النسخ
التي اعتمدها .

٣ في رفع الإصر : ست وثمانين ومائتين .

٤ هنا ينتهي ما ورد في النسخ الخطية .

مواضع من المقياس ناظرت يزيد بن عبد الله وسليمان بن وهب والحسن الخادم فيما ينبغي أن يكتب عليه ، وأعلمتهم أن أحسن ما يكتب عليه آيات من القرآن ، واسم أمير المؤمنين المتوكل على الله واسم الأمير المنتصر ، إذ كان العمل له ، فاختلفوا في ذلك ، وبادر سليمان بن وهب فكتب من غير أن يعلم ويستطلع الرأي في ذلك ، فورد كتاب أمير المؤمنين أن يكتب عليه آيات من القرآن وما يشبه أمر المقياس ، واسم أمير المؤمنين ، فاستخرجت من القرآن آيات لا يمكن أن يكتب على المقياس أحسن ولا أشبه بأمر المقياس منها ، وجعلت جميع ما كتبت في الرخام الذي تقدم في البناية في المواضع التي قدرت الكتابة فيها بخط مقوم غليظ على قدر الإصبع ثابت في بدن الرخام مصبغ الحفر باللازور ورد المشمع يقرأ من بعد ، فجعلت أول ما كتبت أربع آيات متساوية المقادير في سطور أربعة في تربيعة بناء المقياس على وزن سبع عشرة ذراعاً من العمود .

فكتبت في الجانب الشرقي ، وهو المقابل لمدخل المقياس : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحباً الحصيد ﴾ (ق : ٩) وفي الجانب الشمالي : ﴿ وترى الأرض هامدةً ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج ﴾ (الحج : ٥) وعلى الجانب الغربي : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبیح الأرض مخرجةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ ﴾ (الحج : ٦٣) وعلى الجانب الجنوبي : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولي الحميد ﴾ (الشورى : ٢٨) فصارت هذه الآيات سطوراً على وجه الماء إذا بلغ سبع عشرة ذراعاً ، لأن هذا وسط الزيادة ، ثم جعلت في الذراع الثامن عشر في جميع التربيعة نطاقاً مثل النطاق الذي جعلته علامة للذراع السادس عشر ، وكتبت بإزاء الذراع الثامن عشر سطوراً واحداً يحيط بجميع التربيعة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا

نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿ (إبراهيم : ٣٢-٣٤)
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مقياس يُمَنِّ وسعادةٍ ونعمة وسلامة . أمر ببناؤه
عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه وأدام
عزه وتأييده ، على يدي أحمد بن محمد الحاسب ، سنة سبع وأربعين ومائتين .
وجعلت ما فوق ذلك من الحيطان التي بأعلى البناء منقوشاً كله ، محفوراً مصبوغاً
باللازورِدِ المشمع ، وعمدت إلى ما جاوز من العمود تسع عشرة ذراعاً ،
والرأس المنصوب عليه ، والعارضة اللبخ المسككة له ، فنقشت ذلك كله بالذهب
واللازورد ، وكتبت على العارضة آية الكرسي إلى آخرها ، وكتبت على حائط
الزقاق المقابل للنيل ، فوق باب مدخل المقياس حيث يقرؤه السابلة سطرأ إلى
الرخام من أوله إلى آخره ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين ، أمر عبد الله جعفر الإمام المتوكل على
الله أمير المؤمنين ببناء هذا المقياس الهاشمي ، لتعرف به زيادة النيل ونقصانه ،
وأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام له العز والتمكين والظفر على الأعداء ،
وتتابع الإحسان والنعماء ، وزاده في الخير رغبة ، وبالرعية رافة ؛ وكتبه أحمد
ابن محمد الحاسب في رجب سنة سبع وأربعين ومائتين .»

وكتبت سطرين في رخام عن جنبي الباب : أحدهما « بسم الله ما شاء الله ،
لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ،
والآخر « بسم الله ، بلغ الماء في السنة التي بني فيها هذا المقياس المتوكلي
المبارك سبع عشرة ذراعاً وثمانية عشر إصباعاً .»

واتخذت مثال سبع من رخام ركبت في وجه حائط فويقة القناة المطل على
النيل ، على المقدار الذي إذا بلغ الماء ست عشرة ذراعاً دخل الماء في فيه ،
وكتبت فوق ذلك في أعلى الحائط : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ
الْجُرُزُ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾
(السجدة : ٢٧) كُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَاسِبِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعِ
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

والذراع في المقياس ثمانية وعشرون إصبعاً إلى أن ينتهي إلى اثنتي عشرة ذراعاً ، وبعد ذلك يصير اعتباره أربعة وعشرين إصبعاً ^١ .

٣٥٦

عبيد الله بن عبد الله

أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صباح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الهذلي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة - وقد تقدم ذكر أربعة منهم - وهذا عبيد الله ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي ، رضي الله عنه ، وهو من أعلام التابعين ، لقي خلقاً كثيراً من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وسمع من ابن عباس وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وروى عنه أبو الزناد والزهري وغيرهما ، وقال الزهري : أدركت أربعة بحور ، فذكر فيهم عبيد الله المذكور ، وقال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله فإذا كأني ليس في يدي شيء . وقال عمر^٢ بن عبد العزيز : لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا ؛ [وقال : والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، تقول هذا مع تحريكك وشدة تحفظك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إني لأعود برأيه

١ ما بين معقنين ورد في المطبوعة وحدها . وانظر عن المقياس ، حسن المحاضرة ٢ : ١٩٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٠٩ وخطط المقرئ ١ : ٥٨ (ط. بولاق) وابن عبد الحكم : ١٦ .
٢٥٦ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ وتذكرة الحفاظ : ٧٨ وتهذيب التهذيب : ٧
٢٣ والأغانى ٩ : ١٣٥ ونكت الهميان : ١٩٧ وحلية الأولياء ٢ : ١٨٨ وصفة الصفة
٢ : ٥٧ وسمط اللآلي : ٧٨١ والشذرات ١ : ١١٤ .
٢ في المسودة : محمد ، والتصويب عن طبقات الشيرازي .

وبنصيحته وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف ، إن في الحادثة تلقياً للعقل ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم* ، وتنقيحاً للأدب^١ .
وكان عالماً ناسكاً . وكانت وفاته سنة اثنتين ومائة ، وقيل سنة تسع وتسعين ، وقيل ثمان وتسعين للهجرة بالمدينة ، رضي الله عنه .
وله شعر ، فمن ذلك ما أورده له في كتاب « الحماسة » وهو قوله^٢ :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ
تَغْلَقَلَّ حُبُّ عَشْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيَهُ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَقَلَّ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

ولما قال هذا الشعر قيل له : أتقول مثل هذا ؟ فقال : في اللُدُودِ ، راحةُ المفؤود . وهو القائل : لا بد للمصدر من أن ينفث .

والهذلي : بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وبعدها لام ، هذه النسبة إلى هُذَيْلِ بن مدركة كما تقدم في نسبه ، وهي قبيلة كبيرة ، وأكثر أهل وادي نخلة المجاور لمكة ، حرسها الله تعالى ، من هذه القبيلة .
وتوفي والده عبد الله سنة ست وثمانين للهجرة ، رضي الله عنه ، وكانت الرياسة في الجاهلية إلى جده صبح بن كاهل^٣ .

١ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

٢ هي الحماسة رقم : ٥٥٠ في شرح المرزوقي .

٣ بعد هذه الترجمة أورد وستيفيلد ترجمة (برقم ٣٦٤ حسب ترقيمه) لعبد الله بن عياش الهمداني جاء فيها : عبد الله بن عياش الهمداني يعرف بالمنتوف صاحب رواية الأخبار والآداب ، توفي في سنة ١٥٨ للهجرة اه . قلت : وليس في النسخ الخطية وجود لهذه الترجمة ، ولهذا لم نقردها برقم . (وانظر ترجمة المنتوف في البيان ١ : ٢٦٠ ولسان الميزان ٣ : ٣٢٢ ونور القبس : ٢٦٤ - ٢٦٧ قال : وهو من الرواة النسابين وكان عالماً بالثالب) .

المهدي عبيد الله

أبو محمد عبيد الله ، الملقب بالمهدي ؛ وجدت في نسبه اختلافاً كثيراً ، قال صاحب « تاريخ القيروان »^٢ هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال غيره : هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور ، وقيل هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقيل هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله ، والرضي المذكور ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور ، واسم التقي الحسين ، واسم الوفي احمد ، واسم الرضي عبد الله ، وإنما استبروا خوفاً على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس ، لأنهم علموا أن فيهم من يروم الخلافة أسوة غيرهم من العلويين ، وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة . وإنما تسمى المهدي عبيد الله استتاراً ، هذا عند من يصحح نسبه ، ففيه اختلاف كثير^٣ . وأهل العلم

٣٥٧ - أخباره في اتعاظ الحنفا : ٦٠ - ٧٣ والدرة المضية : ١٠٨ وابن عذارى : ١ : ١٥٨ والخطط المقرزية : ١ : ٣٤٩ ورسالة افتتاح الدعوة ؛ وابن خلدون ؛ : ٣٤ وابن الأثير : ٨ : ٢٨٤ وعبر الذهبي : ٢ : ١٩٣ والمؤنس : ٥٦ والشذرات : ٢ : ٢٩٤ ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من م ، وما أثبتناه مطابقاً تماماً لما أوردته المسودة .

١ قد حفلت كتب التاريخ بصور هذا الخلاف في نسب عبيد الله فلا داعي لإثباتها ، وإنما ننقل جملة أوردتها البيروني في الآثار الباقية : ٣٩ حيث قال : فلا يحتاج في تصحيحه (أي النسب) إلى بذل الأموال والجمل كما بذها عبيد الله بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح لقباء العلوية لما كذبوا اعتزاهم إليهم أيام خروجه بالمغرب حتى أراضهم وأسكتهم .

٢ لا أدري من هو المؤلف المقصود هنا ، فهناك غير كتاب في تاريخ القيروان ، منها واحد اسمه الجامع والبيان للصنهاجي وثان للرفيق القيرواني وثالث لابن رشيق .

٣ وإنما تسمى ... كثير : سقط من ر .

بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب ، وقد تقدم في ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبأ^١ ما جرى بينه وبين المعز عند وصوله إلى مصر وما كان من جواب المعز له ، وفيه أيضاً دلالة على ذلك ، فإنه لو عرف نسبه لذكره وما احتاج إلى ذلك المجلس الذي ذكرناه هناك .

ويقولون أيضاً : إن اسمه سعيد ولقبه عبيد الله ، وزوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، وسمي قداحاً لأنه كان كحاحاً لا يقدر العين إذا نزل فيها الماء . وقيل إن المهدي لما وصل إلى سجلماسة ونما خبره إلى اليسع مالکها ، وهو آخر ملوك بني مدرار ، وقيل له : إن هذا هو الذي يدعو إلى بيعته أبو عبد الله الشيعي بإفريقية - وقد تقدم الكلام على ذلك في ترجمة أبي عبد الله في حرف الحاء^٢ - أخذه اليسع واعتقله ، فلما سمع أبو عبد الله الشيعي باعتقاله حشد جمعاً كثيراً من كتامة وغيرها ، وقصد سجلماسة لاستنقاذه ، فلما بلغ اليسع خبر وصولهم قتل المهدي في السجن ، فلما دنت العساكر من البلد هرب اليسع ، فدخل أبو عبد الله إلى السجن فوجد المهدي مقتولاً وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه ، فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبره من الأمر إن عرفت العساكر بقتل المهدي ، فأخرج الرجل وقال : هذا هو المهدي ؛ وبالجملة فأخبره مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها .

وهو أول من قام بهذا الأمر من بيتهم وادعى الخلافة بالمغرب ، وكان داعيه أبا عبد الله الشيعي - المذكور في حرف الحاء - ولما استتب له الأمر قتله وقتل أخاه - كما ذكرناه في ترجمته - وبني المهدي بإفريقية وفرغ من بنائها في شوال سنة ثمان وثلاثمائة ، وكان شروعه فيها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وبني سور تونس وأحكم عمارتها وجدد فيها مواضع ، فنسبت [المهدي] ^٣ إليه . وملك بعده ولده القائم ، ثم المنصور ولد القائم - وقد تقدم ذكره - ثم

١ انظر ص ٨١ : من هذا الكتاب .

٢ انظر ج ٢ : ١٩٢ من هذا الكتاب .

٣ زيادة لا بد منها للتوضيح ، إذ كان النص قبل التحشية « وبني المهدي بإفريقية فنسبت إليه » .

المعز بن المنصور ، وهو الذي سير القائد جوهرأ ومَلَكَ الديار المصرية وبنى القاهرة ، واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يد السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى . وقد تقدم ذكر جماعة من حَقَدَتِه وسيأتي ذكر باقيهم ، إن شاء الله تعالى . ولأجل نسبتهم إليه يقال لهم « العُبَيْدِيون » ، هكذا ينسب إلى عُبَيْدِ اللَّهِ .

وكانت ولادته في سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة ستين ومائتين ، وقيل ست وستين ومائتين بمدينة سَلَمِيَّةَ ، وقيل بالكوفة ، ودعي له بالخلافة على منابر رَقَادَةَ والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ، بعد رجوعه من سجالسة ، وقد جرى له بها ما جرى . وكان ظهوره بسجالسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين ، وخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس . وتوفي ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثائة بالمهدية ، رحمه الله تعالى .

وسَلَمِيَّةُ : بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وتخفيفها أيضاً مع سكون الميم ، وهي بليدة بالشام من أعمال حمص . ورقَادَةُ : بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة ثم هاء ساكنة ، بلدة بإفريقية ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالشمسي ، وكان قد بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب جد زيادة الله بن الأغلب المذكور في ترجمة الشمسي أيضاً ، وكان شرعه أيضاً في بنائها في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منها في سنة أربع وستين ومائتين وانتقل إليها لما فرغت .

والقيروان وسجالسة : قد تقدم الكلام عليها في مواضعها .

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَبِ بن رُزَيْقِ ابن ماهان الخُزَاعِي ؛ - تقدم ذكر أبيه وجده وما كانا عليه من التقدم وعلو المنزلة عند المأمون ، وتوليتها خراسان وغيرها - وكان عبيد الله المذكور أميراً ، ولياً الشرطة ببغداد خلافةً عن أخيه محمد بن عبد الله ، ثم استقل بها بعد موت أخيه ، وكان سيداً ، وإليه انتهت رئاسة أهله ، وهو آخر من مات منهم رئيساً ، وله من الكتب المصنفة كتاب « الإشارة في أخبار الشعراء » وكتاب « رسالة في السياسة الملوكية » وكتاب مراسلاته لعبد الله بن المعتز ، وكتاب « البراعة والفصاحة »^١ وغير ذلك . وحدث عن الزبير بن بكار وغيره ، وكان مترسلاً شاعراً لطيفاً حسن المقاصد جيد السبك رقيق الحاشية .
ومن شعره ، ثم وجدتها لأبي الطريف شاعر المعتمد الخليفة العباسي ، وزعم الصولي أن البحترى أنشده هذه الأبيات لنفسه ، والله أعلم^٢ ، وهي :

أتهجرون فتي أغري^٣ بكم تها لحق دعوة صبّ أن تجبيوها
أهدى إليكم على ناي تحيته حيّوا بأحسن منها أو فردوها
زَمُوا المطايا غداةَ البين واحتملوا وخلقوني على الأطلال أبكيها
شيعتَهُمْ فاسترابوا بي فقلت لهم إني بعِثتُ مع الأجمال أحدوها

٣٥٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٠ : ٣٤٠ والديارات : ٧١ - ٧٩ والأغاني ٩ : ٣٩ وصلة عريب : ٢٢ والجزء السابع من ابن الاثير .

١ ر : البراعة في الفصاحة .

٢ ثم وجدتها ... أعلم : هذا هو موضع النص في المسودة ، وقد تأخر عن الأبيات التالية في النسخ الأخرى .

٣ س : لكي أغري .

قالوا فما نفسٌ يعلو كذا صُعداً وما لعينك لا تترقا ما أقبها
 قلت التنفّس من إدمان سيركم^١ ودمعُ عيني جاري من قذّي فيها
 حتى إذا انجذبوا والليلُ معتكر رفعتُ في جُنْحِهِ صوتي أناديا
 يا من به^٢ أنا هيّانٌ ومُختَبَلٌ هل لي إلى الوصل^٣ من عقبى أراجيها

[ومن شعره ما ذكره ابن رشيقي في كتاب «العمدة» في باب الاستطراد،
 فقال: ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج، ونحو ذلك قول عبيد الله بن عبد
 الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا في من نجبٌ ونكرمُ
 فقلت له نعباك فينا أتمها ودع أمرنا إن المهمُّ المقدمُ^٤
 ومن شعره:

واحرباً من فراقِ قومِهم المصابيحُ والحصونُ
 والأسندُ والمزنُ والرواسي والأمنُ والخفضُ والسكون
 لم تتنكرُ لنا الليالي حتى توفتْهمُ المنون
 فكلُّ نارٍ لنا قلوبِهم وكلُّ ماءٍ لنا عيون
 وله:

إن الأمير هو الذي يُضحى أميراً يومَ عزّله
 إن زال سلطانُ الولاية لم يزل سلطانَ فضلِه

١ كذا في المسودة؛ ص ر س: سيركم.

٢ س: بها.

٣ ر: هيّان وهل لي في، يوم التواصل.

٤ زيادة من ر، وانظر العمدة ٢: ٣٣.

٥ ص: بعد.

٦ ص: عاش في سلطان فضلِه.

وله :

اقضِ الحوائج ما استَطَعْتَ وَ كُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارْجِ
فَلْخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتْحِ يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجِ

وله ديوان شعر ونقتصر من نظمه على هذا القدر .

وكان عبيد الله قد مرض فعاده الوزير ، فلما انصرف عنه كتب إليه :
« ما أعرف أحداً جزى العلة خيراً غيري ، فإني جزيتها الخير ، وشكرت نعمتها
علي ، إذ كانت إلى رؤيتك مؤدية ، فأنا كالأعرابي الذي جزى يوم البين
خيراً فقال :

جَزَى اللهُ يَوْمَ الْبَيْنِ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَرَانَا عَلَى عِلَاتِهِ أُمَّ ثَابِتٍ
أَرَانَا رَبِيبَاتِ الْخُدُورِ ، وَلَمْ نَكُنْ نَرَاهُنَّ إِلَّا بِاتْنَعَاتِ النَّوَاعِتِ »

قلت : ومثل هذا ما كتبه البحثري إلى أبي غانم وقد مرض فعاده الوزير ،
وهو قوله^١ :

يَا أَبَا غَانِمٍ غَنِمْتَ وَلَا زَا لَتَ عِيَادُ الْوَسْمِيِّ^٢ تَسْقِي بِلَادَكَ
لَيْتَ أَنَا مِثْلَ اعْتِلَالِكَ نَعْتَهُ لِي عَلَى أَنْ يَعُودَنَا مِنْ عَادِكَ
أَبْهَجَتْ زُورَةَ الْوَزِيرِ أُوْدَاكَ جَمِيعًا وَأَرْغَمَتْ حُسَادَكَ

وكانت ولادته سنة ثلاث وعشرين ومائتين . وكانت وفاته ليلة السبت
لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلثمائة ببغداد ، ودفن بمقابر قريش ، رحمه
الله تعالى .

(91) [وتوفي الأمير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان سنة ثمان وثمانين ومائتين ،

١ ديوانه : ٦٨٨ وأبو غانم هو الشاه بن ميكال (- ٣٠٢) والوزير الذي عاده هو إسماعيل
ابن بلبل .

٢ الديوان : الانواء .

وعمره اثنتان وستون سنة ، وكانت وزارته عشر سنين وخمسين يوماً^١ .
(92) ولما مات أخوه سليمان بن عبد الله بن طاهر^٢ في سنة خمس وستين ومائتين
وقف أخوه عبيد الله المذكور على قبره متكئاً على قوسه ونظر إلى قبور أهله ،
وأنشد :

النفسُ ترقى بمحزن في تراقبها ودمعةُ العين تجري من مآقبا
لبقعة ما رأت عيني كقلبتِها ولا ككثرة أحباب ثووا فيها

٣٥٩

أبو الحكم المغربي

أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي ، الحكيم^٣ الأديب
المعروف بالمغربي ؛ أصله من أهل المرية بالأندلس - وتقدم ذكرها - ومولده
ببلاد اليمن . ذكر أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان الفرضي - الآتي ذكره إن
شاء الله تعالى - في تاريخ جمعه أن أبا الحكم المذكور قدم بغداد وأقام بها مدة
يعلم الصبيان ، وأنه كان ذا معرفة بالأدب والطب والهندسة ؛ انتهى كلام أبي
شجاع وذكر مولده ووفاته . وقال غيره : كان كامل الفضيلة ، جمع بين الأدب
والحكمة ، وله ديوان شعر جيد ، والخلاعة والمجون غالبية عليه .

وذكر العماد الأصبهاني في « الخريدة » أن أبا الحكم المذكور كان طبيباً

١ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

٢ انظر أخباره في الديارات : ٨٣ ، وقال الشاشي : توفي سنة ست وستين ومائتين في الحرم .

٣٥٩ - ترجمة الحكم المغربي في ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٤٤ - ١٥٥ والنفع ٢ : ١٣٣ والشذرات

٤ : ١٥٣ ؛ والترجمة الواردة هنا مستوفاة في المسودة .

٣ الحكيم : سقطت من ر .

البيارستان الذي كان يحمله أربعون جملاً المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيّم، وكان السديد أبو الوفاء يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخّم^٢ الذي صار أفضى القضاة ببغداد في أيام الإمام المقتفي فاصداً وطبيباً في هذا البيارستان، ثم إن العماد أثنى على أبي الحكم المذكور، وذكر فضله وما كان عليه، وذكر أن له كتاباً سماه « نهج الوضاعة لأولي الخلاعة ». ثم إن أبا الحكم المذكور انتقل إلى الشام وسكن دمشق، وله فيها أخبار ومجرايات ظريفة تدل على خفة روحه .

رأيت في ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي - المقدم ذكره في حرف الهزمة^٣ - كان عند الأمراء بني منقذ بقلعة شيزر، وكانوا مقبلين عليه، وكان بدمشق شاعر يقال له أبو الوحش سبع بن خلف بن محمد بن هبة الله الفقعسي، وكانوا يصغرون كنيته فيقولون « وحيش »^٤، وكانت فيه دُعابة، وبينه وبين أبي الحكم مودة وألفة متحدة، فعزم أبو الوحش أن يتوجه إلى شيزر يمدح بني منقذ ويسترفدهم، فالتمس من أبي الحكم المذكور كتاباً إلى ابن منير بالوصية عليه، فكتب أبو الحكم :

أبا الحسين استمع مقال فتّى عُوْجِلَ فيما يقول فارتجلا
هذا أبو الوحش جاء ممدح الـ قوم فنوّه به إذا وصلّا
واتل عليهم بحُسن شَرْحِك ما أتلوه من حديثه جُملاً
وخبّر القوم أنه رجُل ما أبصر الناس مثله رجلاً
تنوب عن وصفه شمائله لا يبتغي عاقل به بدلاً

١ ر : عسكر .

٢ ولاء المقتفي القضاء سنة ٥٤١ هـ ثم عزله المستنجد عن القضاء لما ولي الخلافة (٥٥٥ هـ) وكان ظالماً يأخذ الرشا (انظر مرآة الزمان : ١٨٧ وابن الأثير ١١ : ٢٥٨ : ٣٦٢) .

٣ انظر ج ١ ص : ١٥٦ .

٤ ترجمة أبي الوحش في الحريرة (قسم الشام) ١ : ٢٤٢ .

٥ كذا في جميع النسخ .

وهو على خفة به أبداً معترف أنه من الثقل
يَمْتُ بالثُّلْب والرقاعة والسُّ خَفٍ ، وأما بما سواه فلا
إن أنت فاتحته لتخبر ما يصدر عنه فتحت منه خلا
فسمه إن حل خطة الحسف والا هُونٍ ورحب به إذا رحلا
وسقه السم إن ظفرت به وامزج له من لسانك العسلا

وله أشياء مستلحة ، منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد ،
من جلتها :

وكل ملوم فلا بد له من فرقة لو لزقوه بالفرا

وله مرثية في عماد الدين زكي بن آق سنقر الأتابك - المقدم ذكره^١ -
شاب فيها الجدة بالهزل ، والغالب على شعره الانطباع .
وكانت ولادته في سنة ست وثمانين وأربعمائة باليمن ، على ما حكاه ابن
الديبشي في ذيله . وتوفي ليلة الأربعاء رابع^٢ ذي القعدة سنة تسع وأربعين
وخمسمائة ، وقال ابن الديبشي : توفي لساعتين خلتما من ليلة الأربعاء سادس ذي
القعدة بدمشق ، وهو الأصح ، ودفن بباب الفراديس ، رحمه الله تعالى .
(93) والقاضي ابن المرخّم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاسم هبة الله
ابن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان - الآتي ذكره^٣ إن شاء الله تعالى - :

يا ابن المرخّم صرت فينا قاضياً خرف الزمان تراه أم جنّ الفلك
إن كنت تحكم بالنجوم فربما أما بشرع محمدٍ من أين لك

١ انظر ج ٢ : ٣٢٧ من هذا الكتاب .
٢ ر ص : سادس ، وأثبتنا ما في المسودة .
٣ ص : الآتي ذكره في حرف الهاء .

عبد الرحمن بن أبي ليلى

أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ، وقيل داود ، بن بلال بن أحيحة ابن الجلاح الأنصاري^١ ، وفي اسم أبيه خلاف غير هذا ، كان من أكابر تابعي الكوفة ، سمع علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبا أيوب الأنصاري وغيرهم ، رضي الله عنهم ، ويروى أنه سمع من عمر ، رضي الله عنه ، والحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر ، وأبوه أبو ليلى له رواية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وشهد وقعة الجمل وكانت زاية علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، معه . وسمع من عبد الرحمن : الشعبي^٢ ومجاهد وعبد الملك بن عمير وخلق سواهم ، رضي الله عنهم . ولد لست سنين بقين من خلافة عمر ، وقُتِل بدُجَيْل ، وقيل غرق في نهر البصرة ، وقيل فقد بدير المهاجم سنة ثلاث وثمانين في وقعة ابن الأشعث ، وقيل سنة إحدى ، وقيل سنة اثنتين وثمانين للهجرة ، رضي الله عنه .
وأحيحة : بضم الهززة وفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الحاء الثانية وبعدها هاء ساكنة .

والجُلّاح : بضم الجيم وبعده اللام ألف حاء مهمة .
وسياقي ذكر ولده محمد إن شاء الله تعالى .

٣٦٠ - ترجمة ابن أبي ليلى في طبقات ابن سعد ٦ : ١٠٩ و تاريخ بغداد ١٠ : ١٩٩ وتذكرة الحفاظ : ٥٨ وعبر الذهبي ١ : ٩٦ وغاية النهاية ١ : ٣٧٦ وتهذيب التهذيب ٦ : ٢٦٠ والشذرات ١ : ٩٢ ؛ وما في المسودة هو ما أثبتناه هنا .

١ الأنصاري : سقطت من ر .

٢ كذا في المسودة ونسخة ر ؛ ص : من عامر الشعبي ؛ س : من الشعبي .

الأوزاعي

أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِدِ الأوزاعي إمام أهل الشام ؛ لم يكن بالشام أعلم منه ، قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة ، وكان يسكن بيروت . روي أن سفيان الثوري بلغه مَقْدَمُ الأوزاعي فخرج حتى لقيه بندي طوى ، فحلَّ سفيان رأس بغيره عن القطار ووضع على رقبتة ، فكان إذا مر بجماعة قال : الطريقَ للشيخ . سمع من الزهري وعطاء وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة .

وكانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وتسعين . ومنشؤه بالبقاع ، ثم نقلته أمه إلى بيروت . وكان فوق الرُبْعَةَ خفيف اللحية به سمرة ، وكان يخضب بالحناء . وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة يوم الأحد لليلتين بقتينا من صفر ، وقيل في شهر ربيع الأول بمدينة بيروت ، رحمه الله تعالى ، ورثاه بعضهم بقوله :

جَادَ الحَيَاَ بالشَّامِ كلَّ عَشِيَّةٍ قَبْرًا تَضْمَنَ لِحْدَهُ الأوزاعي
قَبْرٌ تَضْمَنَ فِيهِ طَوْدٌ شَرِيعَةٍ سَقِيَا لَهُ مِنْ عَالَمِ نَفْعِ
عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ مُقْلَعًا عَنْهَا بَزْهُدٍ أَيْمًا إِقْلَاعِ

وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها حَنْتُسُوسُ ، وأهلها مسلمون ، وهو مدفون في قبلة المسجد ، وأهل القرية لا يعرفونه ، بل يقولون : هاهنا رجل صالح ينزل عليه النور ؛ ولا يعرفه إلا الخواص من الناس .

٣٦١ - ترجمة الأوزاعي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٠ . والفهرست : ٢٢٧ . والمعارف : ٤٩٦ . وحلية الأولياء : ٦ : ١٣٥ . وصفة الصفوة : ٤ : ٢٢٨ . وتذكرة الحفاظ : ١٧٨ . وعبر الذهبي : ١ : ٢٢٧ . وتهذيب التهذيب : ٦ : ٢٣٨ . والشذرات : ١ : ٢٤١ .

[ذكر الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » أن الأوزاعي دخل الحمام ببيروت وكان لصاحب الحمام شغل ، فأغلق الحمام عليه وذهب ، ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً ، قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة ؛ وقيل إن امرأته فعلت ذلك ، ولم تكن عامدة لذلك ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعق رقبة^١ .

ويحمد : بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وكسر الميم وبعدها دال مهملة .

والأوزاعي : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي وبعده الألف عين مهملة ، هذه النسبة إلى الأوزاع ، وهي بطن من ذى الكلاّع من اليمن ، وقيل بطن من همدان ، واسمه مرثد بن زيد ، وقيل الأوزاع قرية بدمشق على طريق باب الفراديس ، ولم يكن أبو عمرو منهم ، وإنما نزل فيهم فنسب إليهم وهو من سبى اليمن .

وبيروت : بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الراء وسكون الواو وفي آخرها تاء مثناة ، وهي بليدة بساحل الشام أخذها الفرنج من المسلمين يوم الجمعة عاشر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسة .

[وحشئوس : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو ثم سين مهملة]^٢ .

١ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

٢ لم يرد هذا الضبط في النسخ الخطية ؛ والكلمة مضبوطة بالحركات بخط المؤلف في المسودة .

ابن القاسم المالكي

أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جُنادة العُتقي بالولاء ،
 الفقيه المالكي؛ جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك رضي الله عنه ونظرائه ،
 وصحب مالكا عشرين سنة ، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك ، وهو
 صاحب « المدونة » في مذهبهم ، وهي من أجل كتبهم ، وعنه أخذها
 سَحْنُون .

وكانت ولادته في سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وثلاثين ومائة ، وقيل ثمان
 وعشرين . وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة ، ليلة الجمعة لسبع ليال مضين من
 صفر بمصر^١ ، ودفن خارج باب القرافة الصغرى قبالة قبر أشهب الفقيه المالكي ،
 وزرت قبريها ، وهما بالقرب من السور ، رحمها الله تعالى .

وجُنادة : بضم الجيم وفتح النون وبعد الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء
 ساكنة .

والعُتقي : بضم العين وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف ، هذه
 النسبة إلى العُتقاء ، وليسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى ، منهم من
 حَجَّر حمير ، ومن سعد العشيرة ، ومن كنانة مضر وغيرهم ، وعامتهم بمصر .
 وعبد الرحمن المذكور مولى زُبَيْد بن الحارث العتقي ، وكان زبيد من حجر
 حمير ، وقال أبو عبد الله القضاعي : وكانت القبائل التي نزلت الظاهر العُتقاء ،

٢٦٢ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٤ والانتقاء : ٥٠ وترتيب المدارك ٢ : ٤٣٣
 والديباج المذهب : ١٤٦ وتذكرة الحفاظ : ٣٥٦ وعبر الذهبي ١ : ٣٠٧ وتهذيب التهذيب
 ٦ : ٢٥٢ والشذرات ١ : ٣٢٩ وحسن المحاضرة ١ : ١٢١ ؛ قلت : والترجمة هنا لا
 تتمدى ما في السودة .

١ بمصر : سقطت من ر .

وهم جُماع من القبائل كانوا يقطعون على من أراد النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم ، فقبل لهم العتقاء .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر ، وكان ذلك يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين للهجرة ، كان العتقاء معه معدودين في أهل الراية ، وإنما قيل لهم أهل الراية لأن العرب كانوا يجعلون لكل بطن منهم راية يُعرَفون بها ، ولم يكن لكل بطن من بطون أهل الراية من العدد ما يجعلون لكل بطن راية ، فقال عمرو بن العاص : أنا أجعل راية لا أنسبها إلى أحد ، فتكون دعوتكم عليها ، ففعلوا ، فكان هذا الاسم كالنسب الجامع ، وعليها كان ديوانهم^١ . ولما فتحوا الإسكندرية ورجع عمرو إلى الفسُطاط اختط^٢ الناسُ بها خططهم ، ثم جاء العتقاء بعدم فلم يجدوا موضعاً يختطون فيه عند أهل الراية ، فشكوا ذلك إلى عمرو ، فقال لهم معاوية بن حُديج ، وكان يتولى أمر الخطط^٣ : أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذونه منزلاً وتسمونه الظاهر ، ففعلوا ذلك ، فقبل لهم « أهل الظاهر » لذلك ، ذكر هذا كله أبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب التَّحِيبي في كتاب « خطط مصر » وهي فائدة غريبة يحتاج إليها ، فأحببت ذكرها .

١ انظر ابن عبد الحكم : ١١٦ - ١١٧ .

٢ ص : فتحت .

٣ انظر خطط القرظي : ١ : ٢٩٧ .

أبو سليمان الداراني

أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي^١ ، الداراني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة ؛ كان من جلة السادات ، وأرباب الجد في المجاهدات . ومن كلامه : من أحسن في نهاره كُفي في ليله ، ومن أحسن في ليله كُفي في نهاره ، ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله سبحانه وتعالى بها من قلبه ، والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له . ومن كلامه : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال : نمت ليلة عن وردي فإذا بيحوراء تقول لي : تنام وأنا أربى لك في الحدور منذ خمسمائة عام؟ وله كل معنى مليح . وكانت وفاته سنة خمس ومائتين ، وقيل سنة خمس عشرة ومائتين ، رضي الله عنه .

والعنسي : بفتح العين المهملة وسكون النون وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى بني عنس بن مالك بن أدَدَحيّ من مذحج ينسب أبو سليمان المذكور إليها .

والداراني : بفتح الدال المهملة وبعدهم الألف راء مفتوحة وبعدهم الألف الثانية نون ، هذه النسبة إلى دارياً وهي قرية بغوطة دمشق ، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب ، والباء في دارياً مشددة .

٣٦٣ - ترجمته في طبقات السلمي : ٧٥ وتاريخ بغداد : ١٠ : ٢٤٨ وحلية الأرياء : ٩ : ٢٥٤ والأنساب : ٥ : ٢٧١ واللباب (الداراني) وصفة الصفوة : ٤ : ١٩٧ والقوات : ١ : ٥٢٤ : والمسودة استوفت الترجمة .

١ س : العبسي ، وقد ضبط في هذه النسخة أيضاً بالباء في آخر الترجمة ، وهو خطأ ، سببه أن المؤلف كان قد كتبه في الأصل القديم « بالباء الموحدة » بدل النون ، ثم غيره .

الفوراني

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني^١ المروزي الفقيه الشافعي ؛ كان مقدم الفقهاء الشافعية بمرور ، وهو أصولي فروعوي ، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي^٢ ، وصنف في الأصول والمذهب والخلاف والجدل والملل والنحل ، وانتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية ، وطبق الأرض بالتلامذة ، وله في المذهب الوجوه الجيدة ، وصنف في المذهب كتاب « الإبانة » وهو كتاب مفيد . وسمعت بعض فضلاء المذهب يقول : إن إمام الحرمين كان يحضر حلقاته وهو شاب يومئذ ، وكان أبو القاسم^٣ لا ينصفه ولا يُصنفي إلى قوله لكونه شاباً ، فبقي في نفسه منه شيء ، فمضى قال في « نهاية المطلب » وقال بعض المصنفين^٤ كذا وغلط في ذلك ، وشرع في الوقوع فيه ، فمراده أبو القاسم الفوراني .

وكانت وفاته في شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربعمائة بمدينة مرو ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى . وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في « سياق تاريخ نيسابور »^٤ وأثنى عليه . والفوراني : بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى جده فوران المذكور ، هكذا ذكره السمعاني^٥ .

٣٦٤ - ترجمة الفوراني في طبقات السبكي ٣ : ٢٢٥ وعبر الذهبي ٣ : ٢٤٧ ولسان الميزان ٣ :

٣٣٤ ؛ والشذرات ٣ : ٣٠٩ ؛ قلت : والترجمة كما في المسودة تماماً .

١ س : المروزي .

٢ ص : وكان الفوراني .

٣ ص : المتفبين .

٤ انظر Histories (القطعة الثانية من ملخص السياق : الورقة ٩٠) .

٥ اللباب : (الفوراني) .

أبو سعد المتولي

أبو سعد عبد الرحمن بن محمد واسمه مأمون بن علي ، وقيل إبراهيم ، المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي النيسابوري ؛ كان جامعاً بين العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة ، له يد قوية في الأصول والفقه والخلاف ، تولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين وأربعمائة وأعيد أبو نصر ابن الصَّبَّاغ صاحب « الشامل » ، ثم عزل ابن الصَّبَّاغ في سنة سبع وسبعين وأعيد أبو سعد المذكور واستمر عليها إلى حين وفاته .

[وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني في كتابه الذي ذيله على طبقات الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في ذكر الفقهاء ما مثاله : حدثني أحمد بن سلامة المحتسب قال : لما جلس للتدريس أبو سعد عبد الرحمن واسمه مأمون بن علي المتولي بعد شيخنا ، يعني أبا إسحاق الشيرازي ، أنكر عليه الفقهاء استناده موضعه ، وأرادوا منه أن يستعمل الأدب في الجلوس دونه ، فظن وقال لهم : اعلّموا أنني لم أفرح في عمري إلا بشيئين : أحدهما أني جئت من وراء النهر ودخلت سرخس وعليّ أثوابٌ أخلاقٌ لا تشبه ثياب أهل العلم ، فحضرت مجلس أبي الحارث ابن أبي الفضل السرخسي ؛ وجلست في أخريات أصحابه ، فتكلموا في مسألة فقلت واعتزضت ، فلما انتهت في نوبتي أمرني أبو الحارث بالتقدم ، فتقدمت ، ولما عادت نوبتي استدناني وقربني حتى جلست إلى جنبه ، وقام بي وألحقني بأصحابه ، فاستولى عليّ الفرح ، والشيء الثاني حين

٣٦٥ - ترجمة المتولي في المنتظم ٩ : ١٨ وطبقات السبكي ٣ : ٢٢٣ وعبر الذهبى ٣ : ٢٩٠ والشذرات ٣ : ٣٥٨ ، وقد ورد نسبه كما أثبتناه في ر والمسودة ؛ وفي ص : ابن محمد بن مأمون ، وذكر في المصادر باسم عبد الرحمن بن مأمون وفي قوله : « واسمه مأمون » إشكال .

أهملتُ للاستناد في موضع شيخنا أبي إسحاق ، رحمه الله تعالى ، فذلك أعظم النعم ، وأوفى القسم^١ .

وتخرج على أبي سعد جماعة من الأئمة ، وأخذ الفقه بمرور عن أبي القاسم عبد الرحمن الفُوراني - المذكور قبله - وبمرور الروذ عن القاضي حسين بن محمد ، وبيخارى عن أبي سهل أحمد بن علي الأبيوردي^٢ ، وسمع الحديث وصنف في الفقه كتاب « تمة الإبانة » تمّم به « الإبانة » تصنيف شيخه الفُوراني لكنه لم يكمله وعاجلته المنية قبل إكماله ، وكان قد انتهى فيه إلى كتاب الحدود ، وأتمه من بعده جماعة منهم أبو الفتح أسعد المعجلي - المذكور في حرف الهمزة^٣ - وغيره ، ولم يأتوا فيه بالمقصود ولا سلكوا طريقه ، فإنه جمع في كتابه الفرائض من المسائل والوجوه الغريبة التي لا تكاد توجد في كتاب غيره ، وله في الفرائض مختصر صغير وهو مفيد جداً ، وله في الخلاف طريقة جامعة لأنواع المآخذ ، وله في أصول الدين أيضاً تصنيف صغير ، وكل تصانيفه نافعة .

وكانت ولادته سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وقيل سنة سبع وعشرين ، بنيسابور ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر شوال^٣ سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب أبرز ، رحمه الله تعالى .

والتولي : بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها والواو وتشديد اللام المكسورة ، ولم أعلم لأي معنى عرف بذلك ، ولم يذكر السمعاني هذه النسبة .

١ ما بين معقنين انقردت به ر ، وموضعه في المسودة : « التخريجة بعد هذا » .

٢ انظر ج ١ : ٢٠٨ .

٣ س : ثامن شوال ؛ ر : ثامن شهر شوال ، وأثبتنا ما في المسودة .

فخر الدين ابن عساكر

أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين
الدمشقي الملقب بفخر الدين المعروف بابن عساكر الفقيه الشافعي ؛ كان إمام
وقته في علمه ودينه ، تفقه على الشيخ قطب الدين أبي المعالي مسعود النيسابوري
- الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وصحبه زماناً وانتفع بصحبته
وتزوج ابنته ثم استقل بنفسه ودرّس بالقدس زماناً وبدمشق^١ واشتغل عليه
خلق كثير وتخرجوا عليه وصاروا أئمة وفضلاء . وكان مسدداً في الفتاوى ، وهو
ابن أخى الحافظ أبي القاسم علي ابن عساكر صاحب « تاريخ دمشق » - الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى - وخرج من بيتهم جماعة من العلماء والرؤساء .
وكانت ولادته سنة خمسين وخمسة ، ظناً ، وكتب بخطه أن مولده سنة
خمسين وخمسة . وتوفي في العاشر من رجب يوم الأربعاء سنة عشرين وستائة
بدمشق ، رحمه الله تعالى ، وزرت قبره مراراً بمقابر الصوفية ظاهر دمشق .

٣٦٦ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٦٦ والفوات ١ : ٥٤٤ وذيل الروضتين : ١٣٦ وعبر
الذهبي ٥ : ٨١ والشذرات ٥ : ٩٢ ومرآة الزمان : ٦٣٠ ؛ قلت : واستوفت المسودة
هذه الترجمة .

١ درّس في دمشق بالمدسة الجاروخية ، وفي القدس بالمدسة الناصرية ، وكان يقيم بدمشق أشهراً
وبالقدس أشهراً ، ثم ولاه العادل ابن أيوب التدريس بالمدسة التقوية التي كانت تسمى « نظامية
الشام » .

أبو القاسم الزجاجي

أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَاجِي النحوي البغدادي داراً ونشأة،
 النُّهْوَ وَنَدِيُّهُ أَصْلاً وَمَوْلِداً ؛ كان إماماً في علم النحو ، وصنف فيه كتاب
 « الجمل الكبرى » وهو كتاب نافع لولا طوله بكثرة الأمثلة . أخذ النحو عن
 محمد بن العباس اليزيدي وأبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري، وصحب
 أبا إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج - وقد تقدم ذكره - فنسب إليه
 وعُرف به ، وسكن دمشق وانتفع الناس به وتخرجوا عليه . وتوفي في رجب
 سنة سبع وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل في شهر رمضان سنة
 أربعين ، والأول أصح ، بدمشق وقيل بطبرية ، رحمه الله تعالى . وكان قد
 خرج من دمشق مع ابن الحارث عامل الضياع الإخشيديّة فمات بطبرية .
 وكتابه « الجمل » من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به، ويقال
 إنه صنفه بمكة ، حرسها الله تعالى ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا
 الله تعالى أن يفر له وأن ينفع به قارئه .
 والزَّجَاجِي : بفتح الزاي وتشديد الجيم وبعد الألف جيم ثانية ، وقد تقدم
 القول في سبب هذه النسبة .

٢٩٧ - ترجمة الزجاجي في الفهرست : ٨٠ وطبقات الزبيدي : ١٢٩ وبغية الوعاة : ٢٩٧
 واللباب : (الزجاجي) وعبر الذهبي : ٢ : ٢٥٤ والشذرات : ٢ : ٣٥٧ وأنباه الرواة : ٢ : ١٦٠
 (وفي الحاشية مزيد من مصادر ترجمته) ، وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .
 ١ انظر ج ١ ، ص : ٤٩ .

ابن يونس صاحب تاريخ مصر

أبو سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد بن أبي موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصديقي المحدث المؤرخ المصري ؛ كان خبيراً بأحوال الناس ، ومطلماً على تواريخهم عارفاً بما يقوله ، جمع لمصر تاريخين : أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين ، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر ، وما أقصر فيها ، وقد ذيلها أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي وبنى عليها .

وهذا أبو سعيد المذكور هو حفيد يونس بن عبد الأعلى صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والناقل لأقواله الجديدة - وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - وقال أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المذكور : كانت ولادة أبي في سنة إحدى وثمانين ومائتين .

وكانت وفاته يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لست وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه أبو القاسم ابن حجاج ، ورتاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان الخولاني الخشاب المصري^١ النحوي العروضي بقوله :

بَشَّتَ عَمَكَ تَشْرِيقًا وَتَغْرِيبًا^٢ وَعُدَّتْ بَعْدَ لَذِيذِ الْعَيْشِ مَنَدُوبًا
أَبَا سَعِيدٍ وَمَا نَأْلُوكَ أَنْ نَشْرْتَ عَنكَ الدَّوَابِينَ تَصْدِيقًا وَتَصُوبًا

٣٦٨ - ترجمة ابن يونس في الفوات ١ : ٥٢٦ وتذكرة الحفاظ : ٨٩٨ وعبر الذهبي ٢ : ٢٧٦ والشذرات ٢ : ٣٧٥ وحسن المحاضرة ١ : ١٤٧ والرسالة المستطرفة : ١٣٣ ؛ وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمات .

١ ترجمته في بنية الوعاة : ٢٩٧ نقلًا عن الصفدي .

٢ على هامش المسودة : بينت عمك تصنيفاً وتقريباً ، ولعله تصويب .

ما زلتَ تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
 أرخت موتك في ذكري وفي صحفي لمن يؤرخني إذ كنت محسوبا
 نشرت عن مصر من سكانها علما مُبَجَّلاً يجهل القوم منصوبا
 كشفت عن فخرهم للناس ما سجمت ورُقُّ الحمام على الأغصان تطريبا
 أعربت عن عرب نقبت عن 'مُجَبِّبِ سارت مناقبهم في الناس تنقيا
 أنشرت ميتهم حيا بنسبته حتى كأن لم يميت إذ كان منسوبا
 إن المكارم للإحسان موجبة وفيك قد رُكِّبت يا عبد تركيا
 حجت عنا وما الدنيا بمظهرة شخصا وإن جلَّ إلا عاد محجوبا
 كذلك الموت لا يبقى على أحدٍ مدى الليالي من الأحباب محبوبا

— وسيأتي ذكر ولده أبي الحسن علي بن المنجم صاحب الزيج إن شاء الله

تعالى — .

والصدّفي : بفتح الصاد والdal المهملتين وبعدهما فاء ، هذه النسبة إلى
 الصدّف بن سهل ، وهي قبيلة كبيرة من حمير نزلت مصر . والصدّف بكسر
 الدال ، وإنما تفتح في النسب كما قالوا في النسب إلى نَمِرَة نَمْرِي ، وهي
 قاعدة مطّردة ، وفيه لغة أخرى أنه الصدّف — بفتح الدال .

(94) وتوفي أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل صاحب الأبيات المذكورة

في صفر سنة ست وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

١ وضع في المسودة فوقها : يؤرخه .

ابن الأنباري النحوي

أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله ابن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري ، الملقب كمال الدين ، النحوي ؛ كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو ، وسكن بغداد من صباه إلى أن مات ، وتفقّه على مذهب الشافعي ، رضي الله عنه ، بالمدرسة النظامية وتصدّر لإقراء النحو بها ، وقرأ اللغّة على أبي منصور ابن الجوّاليقي ، وصحب الشريف أبا السعادات هبة الله بن الشّجّري - الآتي ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى - وأخذ عنه وانتفع بصحبته ، وتبحّر في علم الأدب ، واشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء ، ولقيت جماعة منهم ، وصنف في النحو كتاب « أسرار العربية » وهو سهل المأخذ كثير الفائدة ، وله كتاب « الميزان » في النحو أيضاً ، وله كتاب في « طبقات الأدباء » جمع فيه المتقدمين والمتأخرين مع صغر حجمه ، وكتبه كلها نافعة ، وكان نفسه مباركاً ما قرأ عليه أحد إلا وتميّز . وانقطع في آخر عمره في بيته مشتغلاً بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها ، ولم يزل على سيرة حميدة .

وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وتوفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسة ببغداد ، ودفن بباب أبرز بقرية الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى .

٣٦٩ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ١٦٩ (وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى) ؛ وهذه الترجمة مطابقة للسودة .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في س ، وضبط « الأنباري » بعده مكرر وقد تقدم في ترجمة النائي الأكبر ، وأثبتناه لوروده في المسودة والنسخة ر ؛ وجاء في نسخة ص : والأنباري تقدم الكلام فيه في ترجمة أبي العباس النائي الأنباري .

والأنباري : بفتح الهمزة وسكون النون وبعدها باء موحدة وبعده الألف
 راء ، هذه النسبة إلى الأنبار ، بلدة قديمة على الفرات ، بينها وبين بغداد عشرة
 فراسخ ، وسميت الأنبار لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابيب الطعام ، والأنابيب :
 جمع الأنبار جمع نَبْر بكسر النون وبعدها راء ، مثل نَقَسْ وأنقاس ، والنَّبْر:
 الهُرْبُ الذي يجعل فيه الغلة ، والنَّقَس : بكسر النون وسكون القاف وبعده
 سين مهملة وهو المداد .

٣٧٠

٢ أبو الفرج ابن الجوزي

أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن
 عبد الله بن حُمَادَى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن
 النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي
 بكر الصديق^١ ، رضي الله عنه ، وبقية النسب معروف^٢ ، القرشي التَّيْمِيّ
 البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ ؛ كان علامة
 عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ . صنف في فنون عديدة ، منها
 « زاد المسير في علم التفسير » أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة ، وله في الحديث
 تصانيف كثيرة ، وله « المنتظم » في التاريخ^٣ ، وهو كبير ، وله « الموضوعات »

٣٧٠ - له ترجمة مطولة في كل من ذيل طبقات الحنابلة ١ : ٣٩٩ ومرآة الزمان : ٤٨١ ؛ وذيل
 الروضتين : ٢١ وانظر الكامل لابن الأثير ١٢ : ١٧١ وتذكرة الحفاظ : ١٣٤٢ وعبر
 الذهبي ٤ : ٢٩٧ والشذرات ٤ : ٣٢٩ ؛ والترجمة هنا مطابقة للمسودة وفيها زيادات على
 المطبوعة المصرية .

١ أوجز النسب في ر .

٢ كذا في المسودة ، حيث ورد ، وقد مر في مواطن .

٣ في التاريخ : سقطت من ص .

في أربعة أجزاء ، ذكر فيها كل حديث موضوع ، وله « تلقيح فهوم الأثر » على وضع كتاب « المعارف » لابن قتيبة^١ ، وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعدّ . وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يغالون^٢ في ذلك حتى يقولوا^٣ : إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحُسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس ، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل . ويقال إنه جمعت بُرَاية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يُسَخَّن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكفت وفضل منها . وله أشعار لطيفة ، أنشدني له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد :

عَدِيرِيّ من فتية بالعراق قلوبهمُ بالجفا قلبُ
 يروْنَ العجيبَ كلامَ الغريبِ وقولُ القريبِ فلا يُعجِبِ
 ميازيبهم إن تندت بخيرٍ إلى غير جيرانهم تقلب
 وعذرهمُ عند توبيخهمُ مُغَنِّيَةَ الحيِّ ما تطرب

وله أشعار كثيرة . وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي ، رضي الله عنهما ، فرضي الكل بما يجب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاماه شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه ، فقال : أفضلها من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك ، فقالت السنة : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الشيعة : هو علي لأن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه

١ زاد في المطبوعة : وله لقط المنافع في الطب ، ولم يرد ذلك في المخطوطات .

٢ ص : يتغالون .

٣ يقولوا : كذا في ص والمسودة ، وله وجه .

٤ ر : كان يكتب .

٥ كذا في المسودة و س ر ص ، والضمير عائد إلى الفرقتين : السنة والشيعة .

وسلم تحته ، وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة . وله محاسن كثيرة يطول شرحها . وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان ، وقيل عشر وخمسة . وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسة ببغداد ودفن بباب حرب ، وتوفي والده في سنة أربع عشرة وخمسة ، رحمها الله تعالى .
وحُمّادى : بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهمة مفتوحة وياه مفتوحة .

والجوزي : بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي ، هذه النسبة إلى فريضة الجوز ، وهو موضع مشهور^١ .
ورأيت بخطي في مسوداتي أن جده كان من مشرعة الجوز ، إحدى محالّ بغداد بالجانب الغربي ، والله أعلم .

وقال ابن النجار في تاريخ بغداد: كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول: لا أتحقق مولدي غير أن^٢ والذي مات سنة أربع عشرة وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . وكان والده يعمل الصفر بنهر القلايين ، والله أعلم .

(95) وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن محتسب بغداد وتولى تدريس المدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة ، وكان يتردد في الرسائل إلى الملوك ، وصار أستاذ دار الخلافة ، ومولده ليلة السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمانين وخمسة ببغداد ، وتوفي في وقعة التتر قتيلاً سنة ثلاث وخمسين وستائة .

(96) وكان سبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قسزعلي الواعظ المشهور حنفي المذهب ، وله صيت وسمعة في مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم ، وصنّف تاريخاً كبيراً رأيت بخطه في أربعين مجلداً سماه « مرآة الزمان » ، وتوفي ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستائة بدمشق بمنزله بجبل قاسيون ودفن هناك ، ومولده سنة إحدى وثمانين وخمسة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وكان هو يقول : أخبرتني أمي ان مولدي سنة اثنتين وثمانين^٣ .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في س م .

٢ « رأيت بخطي » إلى آخر الترجمة : لم يرد في المطبوعة المصرية وهو ثابت في المسودة ر ص ر .

السهيلي

أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله ابن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخِل إلى الأندلس . - قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية : هكذا أملى عليّ نسبه - الحثمي السهيلي الإمام المشهور صاحب كتاب « الروض الأثرف » في شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله كتاب « التعريف والإعلام فيما أهبهم في القرآن من الأسماء الأعلام » ، وله كتاب « نتائج الفكر » ومسألة رؤية الله تعالى في المنام ، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة السر في عَوْر الدجال ، ومسائل كثيرة مفيدة . وقال ابن دحية : أنشدني وقال : إنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي :

يا من يَرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المُعدّة لكل ما يُتَوَقَّعُ
يا من يُرَجى للشدائد كلتها يا مَنْ إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كُنْ امن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ فبالافتقار إليك فقري أرفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ فلئن رددت فأني باب أقرع
ومَنْ الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجندك أن يقنط عاصياً الفضل أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

- ٣٧١ - ترجمة السهيلي في زاد المسافر : ٩٦ وبغية الملتبس (رقم : ١٠٢٥) والتكلمة (رقم : ١٦١٣) والديباج المذهب : ١٥٠ والغرب : ١ : ٤٤٨ والنفع : ٢ : ١٠٢ ونكت الهميان : ١٨٧ وانباء الرواة : ٢ : ١٦٢ وتذكرة الحفاظ : ١٣٤٨ وعبر الذهبية : ٤ : ٢٤٤ والشذرات : ٤ : ٢٧١ وغاية النهاية : ١ : ٣٧١ ؛ والترجمة هنا مطابقة لما في المسودة .
١ انظر المطرب : ٢٣٠ وفيه ترجمة مطولة له .

وأشعاره كثيرة وتصانيفه متممة ، وكان ببلده يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف ، حتى نمي خبره إلى صاحب مراکش فطلبه إليها وأحسن إليه ، وأقبل بوجه الإقبال عليه ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام .

ومولده سنة ثمان وخمسة مائة بمدينة مالقة . وتوفي بحضرة مراکش يوم الخميس ودفن وقت الظهر ، وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسة مائة ، رحمه الله تعالى ؛ وكان مكفوفاً .

والخشمي : بفتح الخاء الموحدة وسكون التاء المثناة وفتح العين المهملة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى خشم بن أنمار ، وهي قبيلة كبيرة ، وفيه اختلاف .

والسهيبي : بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، هذه النسبة إلى سهيل ، وهي قرية بالقرب من مالقة ، سميت باسم الكوكب لأنه لا يرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطيل عليها .

ومالقة - بفتح الميم وبعده الألف لام مفتوحة ثم قاف مفتوحة وبعدها هاء ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وقال السمعاني : بكسر اللام ، وهو غلط^٢ .

١ انظر الروض المعمار : ١٨٠ .

٢ إلى هنا تنتهي النسخة ص وقد جاء في ختامها : « تجز الجزء الأول من وفيات الأعيان بحمد الله ومنه وإعاقته وحسن توفيقه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، علقه لنفسه الفقير إلى الله عز وجل محمد بن الحسين بن محمود البالسي عفا الله عنه وسامحه بنه ولطفه وكرمه ، يتاوه في الجزء الثاني (ترجمة) أبي جعفر المنصور... الخ . » قلت : وقد وضع وستفيلد عنواناً لترجمة أبي جعفر (رقم ٣٨١ مع أنها تقدمت عنده رقم ٣٤٠ ، ووضع بعدها عنواناً لترجمة القائم بأمر الله العباسي رقم ٣٨٢ وهي من مستدركات الفوات ١ : ٤٣١) .

أبو مسلم الخراساني

أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل عثمان ، الخراساني القائم بالدعوة العباسية ، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شدوس بن جودرن^١ من ولد بزرجهر بن البختكان^٢ الفارسي ، قال له إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : غَيَّرَ اسْمَكَ فَمَا يَتَم لَنَا الْأَمْرُ حَتَّى تَغْيِرَ اسْمَكَ ، فسمى نفسه عبد الرحمن ، والله أعلم .

كان أبوه من رستاق فريدين من قرية تسمى سنجدرد^٣ وكانت هذه القرية له مع عدة قرى ، وقيل : إنه من قرية يقال لها ماخوان ، على ثلاث^٤ فراسخ من مرو ، وكان بعض الأحيان يجلب إلى الكوفة مواشي ، ثم إنه قاطع^٥ على رُستاق فريدين ، فلحقه فيه عجز ، وأنفذ عامل البلد إليه من يُشخصه إلى الديوان ، وكان له عند أذين بنداذ ابن وستجان جارية اسمها وشيكة جلبها من الكوفة ، فأخذ الجارية معه وهي حامل ، وتنحى عن مؤدّى خواجه آخذاً إلى أذربيجان ، فاجتاز على رستاق فاتق بعيسى بن معقل بن عمير أخي إدريس بن معقل جد أبي دُلْف العجلي فأقام عنده أياماً ، فرأى في منامه

٣٧٢ - أخباره في كتب التاريخ التي تناولت الدعوة العباسية كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير وابن خلدون وغيرها ؛ وانظر أيضاً تاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧ والمعارف : ٣٧٠ وميزان الاعتدال ٢ : ٥٨٩ وعبر الذهبي ١ : ٣٨٦ والشذرات ١ : ١٧٩ ، وابتداءً من هذه الترجمة تشترك نسخة كوبريلي (ورمزها ل) مع سائر المخطوطات .

١ ر : جودون .

٢ الكاف هنا فارسية النطق .

٣ ل : سنجر .

٤ كذا في المسودة .

٥ س : قطع .

كانه جلس للبول فخرج من إجليه نار وارتفعت في السماء وسدت الآفاق وأضاءت الأرض ووقعت بناحية المشرق ، فقص رؤياه على عيسى بن معقل فقال له : ما أشك أن في بطنها غلاماً ، ثم فارقه ومضى إلى أذربيجان ومات بها .

ووضعت الجارية أبا مسلم ، ونشأ عند عيسى ، فلما ترعرع اختلف مع ولده إلى المكتب ، فخرج أديباً لبيباً يُشار إليه في صغره . ثم إنه اجتمع على عيسى ابن معقل وأخيه إدريس جد أبي دلف العجلي بقايا من الخراج تقاعداً من أجلها عن حضور مؤدّي الخراج بأصبهان ، فأنهى عامل أصبهان خبرهما إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراقين ، فأنفذ خالد من الكوفة^١ من حملها إليه بعد قبضه عليها ، فتركها خالد في السجن ، فصادفها فيه عاصم بن يونس العجلي محبوساً بسبب من أسباب الفساد ، وقد كان عيسى بن معقل قبل أن يقبض عليه أنفذ أبا مسلم إلى قرية من رستاق فاتق لاحتمال غلّتها ، فلما اتصل به خبر عيسى بن معقل باع ما كان احتمله من الغلة وأخذ ما كان اجتمع عنده من ثمنها ولحق بعيسى بن معقل ، فأنزله عيسى بداره في بني عجل ، وكان يختلف إلى السجن ويتعهد عيسى وإدريس ابني معقل .

وكان قد قدم الكوفة جماعة من نُقباء الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - مع عدة من الشيعة الخراسانية ، فدخلوا على العجليين السجن مسلمين ، فصادفوا أبا مسلم عندهم ، فأعجبهم عقله ومعرفته وكلامه وأدبه ، ومال هو إليهم ، ثم عرف أمرهم وأنهم دُعاة ، واتفق مع ذلك هَرَبُ عيسى وإدريس من السجن ، فعُدل أبو مسلم من دور بني عجل إلى هؤلاء النقباء ، ثم خرج معهم إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، فأورد النقباء على إبراهيم بن محمد الإمام - المذكور في ترجمة أبيه محمد بن علي وقد تولى الإمامة بعد وفاة أبيه - عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ، وأهدوا إليه أبا مسلم ، فأعجب به وبنطقه وعقله وأدبه ، وقال لهم : هذا عُضلة من العضل . وأقام أبو مسلم عند الإمام إبراهيم يخدمه حَضراً وسَفَراً.

١ من الكوفة : سقط من ل .

ثم إن النقباء عادوا إلى إبراهيم الإمام وسألوه رجلاً يقوم بأمر خراسان ، فقال : إني قد جرّبت هذا الأصبهاني وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حَجَرَ الأرض ، ثم دعا أبا مسلم وقلده الأمر وأرسله إلى خراسان وكان من أمره ما كان . وكان إبراهيم الإمام قد أرسل إلى أهل خراسان سليمان بن كثير الحراني يدعوهم إلى أهل البيت ، فلما بعث أبا مسلم أمر مَنْ هناك بالسمع والطاعة له ، وأمره أن لا يخالف سليمان بن كثير ، فكان أبو مسلم يختلف ما بين إبراهيم وسليمان .

وقال المأمون ، وقد ذُكر أبو مسلم عنده : أجلُّ ملوك الأرض ثلاثة ، وهم الذين قاموا بثقل الدول : الاسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراساني .

وكان أبو مسلم يدعو الناس إلى رجل من بني هاشم وأقام على ذلك سنين وفعل في خراسان وتلك البلاد ما هو مشهور ولا حاجة إلى الإطالة بذكره .

وكان مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، يحتال على الوقوف على حقيقة الأمر وأن أبا مسلم إلى من يدعو منهم ، فلم يزل على ذلك حتى ظهر له أن الدعاء لإبراهيم الإمام ، وكان مقيماً عند اخوته وأهله بالحُميمة - الآتي ذكرها في ترجمة جده علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنها - فأرسل إليه وقبض عليه وأحضره إلى حران فأوصى إبراهيم بالأمر من بعده لأخيه عبد الله السفاح . ولما وصل إبراهيم إلى حران حبسه مروان بها ثم غمه يجراب طرح فيه نَوْرَة وجعل فيه رأسه وسدَّ عليه إلى أن مات ، وذلك في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل إنه قتله غير هذه القتلة لكن هذا هو الأكثر ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة ، وكان دفنه هناك داخل حران .

ثم صار أبو مسلم يدعو الناس إلى أبي العباس عبد الله بن محمد الملقب السفاح . وكان بنو أمية يمنعون بني هاشم من نكاح الحارثية للخبر المروي في ذلك أن هذا الأمر يتم لابن الحارثية ، فلما قام عمر بن عبد العزيز بالأمر أتاه محمد بن علي

١ قدم القول إنه سيذكر إبراهيم الإمام في ترجمة أبيه ، وما هو يذكره هنا ، والنص من الزيدات في حاشية المسودة .

وقال : اني أردت أن اتزوج ابنة خالي من بني الحارث بن كعب ، أفتأذن لي ؟
قال : تزوج من شئت ، فتزوج ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان
ابن الركال بن قطن بن زياد بن الحارث بن كعب ، فأولدها السفاح المذكور ،
فتولى الخلافة^١ .

ووصف المدائني أبا مسلم فقال : كان قصيراً أسمر جميلاً حلواً نقي البشرة
أحور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرهما طويل الشعرة طويل الظهر
قصير الساق والفتخذ خافض الصوت ، فصيحاً بالعربية والفارسية حلو المنطق
راوية للشعر عالماً بالأموار ، لم يُرَ ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته ولا يكاد
يُقَطَّب في شيء من أحواله ، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور ،
وتنزل به الحوادث القادحة^٢ فلا يُرى مكتئباً ، وإذا غضب لم يستفزّه الغضب ،
ولا يأتي النساء في السنة إلا مرة واحدة ، ويقول : الجماع جنون ويكفي
الإنسان أن يُجنّ في السنة مرة ، وكان من أشد الناس غيرةً [لا يدخل
قصره غيره ، وكان في القصر كوى يطرح لنسائه منها ما يحتجن
إليه ، قالوا : وليفة زفت إليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق
سرجه ، لئلا يركبه ذكر بعدها ، وقال له ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، من
أشجع الناس ؟ قال : كل قوم في إقبال دولتهم ؛ وكان أقل الناس طمعاً ،
واكثرهم طعاماً ، ولما حج نادى في الناس : برئت الذمة ممن أوقد ناراً ، فكفى
العسكر ومن معه أمر طعامهم وشرايهم في ذهابهم وإيابهم ومنصرفهم ،
وهربت الأعراب ، فلم يبق في المناهل منهم أحد لما كانوا يسمعون من سفكه
الدماء : قتل في دولته ستائة ألف صبراً ، فقيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم
خير أو الحجاج ؟ قال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكن الحجاج
كان شراً منه^٣ .

١ وكان أبو مسلم يدعو ... الخلافة : ورد في المسودة ور وبعضه في م ولم يرد في سائر النسخ
والمطبوعة المصرية .

٢ ل : القادحة ، وسقطت من م .

٣ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

وقيل له : بمَ بلغتَ ما بلغتَ ؟ فقال : ما أخرتُ أمرَ يومي إلى غد قط .
 وذكر الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » في باب « الأسنان وذكر الصِّبا
 والشباب » أن أبا مسلم نهض للدعوة وهو ابن ثمانين سنة ، وقتل وهو ابن
 ثلاث وثلاثين سنة . وقال الزمخشري أيضاً في كتابه المذكور انه كان عظيم
 القدر - يعني أبا مسلم - وإنه قدم مرة فتلقيه ابن أبي ليلى القاضي المشهور
 فقبل يده ، فقيل له في ذلك فقال : قد لقي أبو عبيدة ابن الجراح عمر بن
 الخطاب رضي الله عنها فقبل يده ، فقيل له : أتشبه أبا مسلم بعمر ؟ فقال :
 أتشبهونني بأبي عبيدة ؟

وكان له إخوة من جملتهم يسار جدُّ علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن
 يسار الأصبهاني .

وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة ، والخليفة يومئذ عمر بن عبد العزيز
 رضي الله عنه ، في رستاق فاتق ، بقرية يقال لها ناوانة^٢ ، ويدعي أهل
 مدينة جي الأصبهانية أن مولده بها . ولما ظهر بخراسان كان أول ظهوره
 بمرور يوم الجمعة لتسع بقين ، وقال الخطيب لخمس بقين من شهر رمضان سنة
 تسع وعشرين ومائة ، والوالي بخراسان يومئذ نصر بن سيار الليثي من جهة
 مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ، فكتب نصر إلى مروان :

أرى جدَّعاً إن يئن لم يقنوَ ريضٌ عليه ، فبادرْ قبلَ أن يئني الجدَّعُ

وكان مروان مشغولاً عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتية وغيرها منهم
 الضحاك بن قيس الحروري وغيره فلم يجبه عن كتابه ، وأبو مسلم يوم ذلك في
 خمسين رجلاً ، فكتب إليه ثانية قول أبي مريم عبد الله بن إسماعيل البجلي
 الكوفي وهو من جملة أبيات كثيرة ، وكان أبو مريم منقطعاً إلى نصر بن سيار
 وكان له مكتب بخراسان :

١ انظر هذا الخبر في البصائر والذخائر ٢/٢ : ٨١٢ .

٢ كذا في المسودة وس ؛ ر : ماوان .

أرى خَلَلَ الرماد وميضَ نارٍ ويوشك أن يكون لها ضِرامُ
فإن النار بالزندَينِ تُورى وإن الحرب أولها كلام
لئن لم يُطْفِئها عقلاء قوم يكون وقودها جُثثٌ وهام
أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظُ أُمَّةٍ أم نيام
فإن كانوا حينهم نياماً فقل قوموا فقد حان القيام

وهذا مثل ما يحكى عن بعض علوية الكوفة أنه قال ، لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أبي جعفر المنصور وأخوه إبراهيم بن عبد الله :

أرى ناراً تشبُّ على يَفَاعٍ لها في كل ناحية شعاعُ
وقد رقدت بنو العباس عنها وباتت وهي آمنة رتاع
كما رقدت أُمَّةٌ ثم هبَّت تدافعُ حين لا يغني الدفاعُ

رجعنا إلى الأول :

فانتظر ابن سيار ما يكون من مروان ، فجاءه جوابه وهو يقول : إنا حين وليناك خراسان ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلؤل قبلك ، فقال نصر حين أتاه الجواب : قد أعلمكم أن لا نصر عنده ، ثم كتب ثانياً فأبطأ عنه الجواب . واشتدت شوكة أبي مسلم فهرب نصر من خراسان وقصد العراق ، فمات في الطريق بناحية ساوة ، وقيل إنه مرض بالري وحمل إلى ساوة وهي بالقرب من همدان ، فمات بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكانت ولايته بخراسان عشر سنين .

وفي يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وثبَّ أبو مسلم على علي بن جديع بن علي الكرماني بنيسابور فقتله بعد أن قيَّده وحبسه ،

١ وهذا مثل ما يحكى... كتب ثانياً : ورد في المسودة وم ر ووستنفيلد وسقط من سائر النسخ المطبوعة المصرية .

وقعد في الدست وسلّم عليه بالإمرة وصلى وخطب ودعا للسفاح أبي العباس عبد الله بن محمد أوّل خلفاء بني العباس ، وصفّت له خراسان وانقطعت عنها ولاية بني أمية . ثم سير العساكر لقتال مروان بن محمد ، وظهر السفاح بالكوفة وبويح بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وقيل الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل غير هذا التاريخ .

وتجهزت العساكر الخراسانية وغيرها من جهة السفاح لقصد مروان بن محمد ومُقدّمها عبد الله بن علي عم السفاح ، فتقدم مروان إلى الزاب ، النهر الذي بين الموصل وإربل ، وكانت الواقعة على كُشَاف - بضم الكاف وهي قرية هناك - ، وانكسر عسكر مروان وهرب إلى الشام ، فتبعه عبد الله بجيوشه ، فهرب إلى مصر ، فأقام عبد الله بدمشق وأرسل جيشاً وراء مروان مع الأصفر - وقيل : مصفر - وعامر بن إسماعيل الجرجاني^١ .

فلما وصل إلى بُوَصِيرَ القرية التي عند الفيوم قُتِل بها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى ، وقيل في ذي القعدة من السنة ، قتله عامر المذكور ، واحتزّوا رأسه وبعثوه إلى السفاح ، فبعثه السفاح إلى أبي مسلم وأمره يطيف به في بلاد خراسان .

وقيل لمروان : ما الذي أضرارك إلى هذا ؟ قال : قلة مبالاتي بكتب نصر ابن سيار لما استنصرني وهو بخراسان^٢ .

فاستقل السفاح بالخلافة ، وخلا له الوقت من منازع .

[وقال أبو عثمان التيمي قاضي مروان بن محمد : رأيت في منامي كأن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ناشرة شعرها وهي واقفة على مرقى بين مراقي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تنشد بيتين من قصيدة الأحوص التي أولها :

يا بيت عاتكة الذي أتعرّج

١ فأقام عبد الله ... الجرجاني : زيادة من ر والمسودة ووستنفيلد ، ولم يرد في المطبوعة المصرية .
٢ وقيل في ذي القعدة ... بخراسان : من ر والمسودة ووستنفيلد ، ولم يرد في المطبوعة المصرية .

أين الشباب وعيشنا اللذّي كُنّا به زمنًا نسرّ ونجذل
ذهبت بشاشته وأصبح ذكره حزنًا يعلّ به الفؤاد وينهل

قال أبو عثمان التيمي : فلم يكن بين ذلك وبين الحادثة على بني أمية إلا أقل
من شهر .

ووجد بخط محمد بن أسعد قال : كان الخراز يقول : من أعجب أحاديث
مروان بن محمد ما رواه المدائني قال : لما حاصر مروان تدمر فظفر بها وهدم
دورها أفضى إلى جرن طويل ، فلم يشك مروان والحاضرون أن تحته كنزاً ،
فنبشوه فإذا امرأة مسجّاة عظيمة الخلق على قفاها فوق سريرٍ من حجارة
عليها سبعون حلة منسوجة بالذهب جريئاتها ، لها غداثر من رأسها إلى رجليها ،
فذرع قدمها فكانت عظيمة الساق ، وكان طولها سبعة أذرع ، وإذا عند رأسها
صفيحة من نحاس مكتوب عليها بالحميرية ، فطلب من قرأه فإذا فيه : أنا تدمر
بنت حسان بن أذينة بن السميدع بن هرم العماليقي ، من دخل عليّ بيتي هذا
فأزعجني منه حتى يراني أدخل الله عليه المهانة والذل والصغار ؛ فلما قرىء
المكتوب على مروان عظم عليه وندم على ما كان منه وتطيّر بذلك وجعل
يسترجع ، ثم أمر بطبق الجرن وأن يرد إلى موضعه ، وما كان بين ذلك وبين
الظفر به وزوال الملك واستباحة حريمه إلا قليل [١] .

وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما صنعه ودبره ، وكان أبو مسلم عند
ذلك ينشد في كل وقت :

أدركتُ بالجزم والكتان ما عجزتُ
ما زلت أسعى يجهدني في دمارهمُ
حتى ضربتُهمُ بالسيف فانتبهوا
ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبّعةٍ
عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
من نومةٍ لم ينمها قبلهم أحد
ونام عنها تولّى رغيها الأسد

١ ما بين معقنين زيادة من رثابة عند وستنفيلد ، وقد أشار المؤلف في المسودة إلى وجود
« تحريجة » في هذا الموضع .

ولما مات السفاح في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بعلة الجديري - وكانت وفاته بالأنبار - وتولى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة وهو بمكة ، صدرت من أبي مسلم أسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه فعزم على قتله ، وبقي حائراً بين الاستبداد برأيه في أمره أو الاستشارة ، فقال يوماً لسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: ما ترى في أمر أبي مسلم؟ قال: ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) فقال: حَسْبُكَ يا ابن قتيبة ، لقد أودعتها أذنًا واعية .

وكان أبو مسلم قد حج ، فلما عاد نزل الحيرة التي عند الكوفة وكان بها نصراني عمره مائتا سنة يخبر عن الكوائن ، فأحضره وسمع كلامه ، وكان في جلته أنه يُقتل ، وقال له : إن صرت إلى خراسان سلمت ، فعزم على الرجوع إليها .

فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه ، وكان أبو مسلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه ميمت دولة ومحيي دولة وأنه يُقتل ببلاد الروم ، وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التي بناها كسرى ، ولم يخطر بقلب أبي مسلم أنها موضع قتله ، بل راح وهمه إلى بلاد الروم ، فلما دخل على المنصور رحّبَ به ثم أمره بالانصراف إلى مُحَيِّمِهِ ، وانتظر المنصور فيه القرص والغوائل ، ثم إن أبا مسلم ركب إليه مراراً فأظهر له التجني ، ثم جاءه يوماً فقيل له: إنه يتوضأ للصلاة ، فقم تحت الرواق ، ورتب المنصور له جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف أبي مسلم ، فإذا عاتبه لا يظهرون فإذا ضرب يداً على يد ظهرها وضربوا عنقه ؛ ثم جلس المنصور ودخل عليه أبو مسلم فسلم فرد عليه وأذن له في الجلوس وحادثه ثم عاتبه وقال : فعلت وفعلت ، فقال أبو مسلم : ما يقال هذا لي بعد سعيي واجتهادي وما كان مني ، فقال له : يا ابن الخبيثة إنما فعلت ذلك يحدّنا وحظنا ، ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عمالك^١ ،

١ وكان أبو مسلم ... الرجوع إليها : من ر والمسودة ، واردة عند وستيفيلد ، ساقطة من المطبوعة المصرية .

٢ ر : ما عملت .

ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك قبلي؟ ألست الكاتب تحطبت عمي آسية وتزعم أنك ابن سليط^١ بن عبد الله بن العباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرّتقى صعباً. فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر إليه، فقال له المنصور وهو آخر كلامه: قتلني الله إن لم أقتلك، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى، فخرج إليه القوم وخطبوه بسوفهم، والمنصور يصيح^٢: اضربوا قطع الله أيديكم، وكان أبو مسلم قد قال عند أول ضربة: استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك، قال: لا أبقياني الله أبداً إذا^٣، وأي عدو أعدي منك؟

وكان قتله يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، وقيل لليلتين، وقيل يوم الأربعاء لسبع ليال خلون منه، سنة سبع وثلاثين ومائة، وقيل سنة ست وثلاثين، وقيل سنة أربعين وهذا القول ضعيف، وكان قتله برومية المدائن، وهي بلدة بالقرب من بغداد على دجلة بالجانب الغربي معدودة من مدائن كسرى. ولما قتله أدرجه في بساط فدخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور: ما تقول في أمر أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل، فقال المنصور: وفقك الله، ها هو في البساط، فلما نظر إليه قتيلاً قال: يا أمير المؤمنين عدّ هذا اليوم أول خلافتك، فأنشد المنصور:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرء عيناً بالإياب المسافر
ثم أقبل المنصور على مَنْ حضره، وأبو مسلم طريح بين يديه وأنشد:

زعمت أن الدين لا يُقنّصى فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم

١ هامش المسودة: خ: من ولد سليط.

٢ ر: يقول.

٣ ر: لا أبقياني الله أبداً إن أنا أبقيتك.

٤ س: قتل.

وكان المنصور بعد قتله أبا مسلم كثيراً ما ينشد جلساءه قول بعضهم :

طوى كشحه عن أهل كل مشورةٍ وبات يناجي عزّمه ثم صمّا
وأقدم لما لم يجد ثمّ مذهباً ومن لم يجد بُدّاً من الأمر أقدماً

قلت : ومن هاهنا أخذ البحري قوله في قصيدته التي مدح بها الفتح بن خاقان صاحب المتوكل على الله وقد لقي أسداً في طريقه فلم يقدم عليه الأسد فقتله الفتح ، وهي من غرر قصائده والمقصود منها قوله :

فأحجمَ لما لم يجد فيك مطعماً وأقدمَ لما لم يجد منك مهرباً

والله أعلم^٢ .

وقد اختلف الناس في نسب أبي مسلم ، فقيل إنه من العرب ، وقيل من العجم ، وقيل من الأكراد ، وفي ذلك يقول أبو دلّامة المقدم ذكره^٣ :

أبا مجرم ما غير الله نعمةً على عبّده حتى يغيرها العبدُ
أني دولة المنصور حاولتَ غدرةً ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الورّد

ورومية : بضم الراء وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، بناها الإسكندر ذو القرنين لما أقام بالمداين ، وكانت قد طاف الأرض شرقاً وغرباً ، كما أخبر عنه الباري تعالى في القرآن الكريم ، ولم يختر منها منزلاً سوى المداين فنزلها ، وبني رومية المذكورة إذ ذاك ، والله أعلم .

١ ديوان البحري ١ : ٢٠٠ .

٢ وكان المنصور ... أعلم : سقطت من المطبوعة المصرية وثبتت في المسودة وستنفيلد .

٣ ر : وفي ذلك يقول بعضهم ؛ وقد مر هذا في ترجمة أبي دلّامة رقم : ٢٤٤ من زيادات النسخ .

الخطيب ابن نباتة

الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة ، الحنذاقي الفارقي صاحب الخطب المشهورة ؛ كان إماماً في علوم الأدب ، ورزق السعادة في خطبه التي وقع الإجماع على أنه ما عمل مثلها ، وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته . وهو من أهل ميفارقين ، وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة بن حمدان ، وقالوا : إنه سمع عليه بعض ديوانه^١ . وكان سيف الدولة كثير الغزوات فلهذا أكثر الخطيب من خطب الجهاد ليحرض الناس عليه ، ويحثهم على نصره سيف الدولة ، وكان رجلاً صالحاً . وذكر الشيخ^٢ تاج الدين الكندي بإسناده المتصل إلى الخطيب ابن نباتة أنه قال : لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة السبت في منامي كأني بظاهر ميفارقين عند الجبانة فقلت : ما هذا الجمع ؟ فقال لي قائل : هذا النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ، فقصدت إليه لأسلم عليه ، فلما دنوت منه التفت فرآني فقال : مرحباً يا خطيب الخطباء ، كيف تقول ؟ وأوماً إلى القبور ؛ قلت : لا يخبرون بما إليه آلوا ، ولو قدروا على المقال لقالوا ، قد شربوا من الموت كأساً مرة ، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة ، وآلى عليهم الدهر

٣٧٣ - له ترجمة في عبر الدهي ٢ : ٣٦٧ والشذرات ٣ : ٨٣ ، وانظر بروكلمان ٢ : ١٠٨ (الترجمة العربية) .

١ وقالوا ... ديوانه : سقط من ل .

٢ س ل : ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو في المقابر ، قال : فأشار بيده إلى القبور وقال : يا خطيب كيف قلت ... الخ ؛ وهذه هي الرواية المثبتة في متن المسودة وقد كتب فوقها : « هاهنا تكتب التخريجة » وقد شطب على الأسطر المذكورة بخط ضعيف ؛ وهذا ربما يدل على أن المؤلف كان ينوي إدراج السند وإحداث تغيير في النقل . وقد أوردت النسخة والنص كما أثبتناه هنا .

ألية برة ، أن لا يجعل لهم إلى دار الدنيا كرة ، كأنهم لم يكونوا للعيون قررة ، ولم يُعدّوا في الأحياء مرة ، أسكتهم والله الذي أنطقهم ، وأبادهم الذي خلقهم ، وسيجدهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم [يوم يعيد الله العالمين خلقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً - وأومات عند قولي « تكونون شهداء على الناس » إلى الصحابة وبقولي « شهيداً » إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ ، فقال لي : أحسنت ، ادن ، فدنوت منه صلى الله عليه وسلم فأخذ وجهي وقبّله [١] ثم تفل في فيّ وقال : وفقك الله ، قال : فانتبهت من النوم وبني من السرور ما يحل عن الوصف فأخبرت أهلي بما رأيت .

قال الكندي بروايته^٢ : وبقي الخطيب بعد هذا المنام ثلاثة أيام لا يطعم طعاماً ولا يشتهي ، ويوجد في فيه رائحة المسك ، ولم يعيش إلا مدة يسيرة . ولما استيقظ الخطيب من منامه كان على وجهه أثر نور وبهجة لم تكن قبل ذلك ، وقص رؤياه على الناس ، وقال : سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً ، وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يوماً لا يستطعم فيها طعاماً ولا شرباً من أجل تلك التفلة وبركتها . وهذه الخطبة التي فيها هذه الكلمات تُعرف بالمنامية لهذه الواقعة .

وهذا الخطيب لم أرَ أحداً من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه ، فإنه قال : ولد في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة . وتوفي في سنة أربع وسبعين وثلثمائة بميفارقين ودفن بها ، رحمه الله تعالى . ورأيت في بعض المجاميع قال الوزير أبو القاسم ابن المغربي : رأيت الخطيب ابن نباتة في المنام بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : دُفِع لي ورقة فيها سطران بالأحمر وهما :

قد كان أمنٌ لك من قبل ذا واليوم أضحي لك أمنان

١ زيادة انفردت بها ر ، وقد جاءت عند وستنفيلد .

٢ بعض النص التالي سقط من س وبعضه الآخر سقط من ل .

والصفح لا يحسن عن مُحسن وإنما يحسن عن جاني

قال : فانقبت من النوم وأنا أكررها .

ونُبأة : بضم النون وفتح الباء الموحدة وبعد الألف ثاء مثناة من فوقها مفتوحة ثم هاء ساكنة .

والحذاقي^١ : بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة وبعد الألف قاف ، هذه النسبة إلى حُذاقة بطن من قضاة ، وقال ابن قتيبة في كتاب « أخبار الشعراء »^٢ : وحذاق قبيلة من إباد ، والله أعلم .

٣٧٤

الفاضي الفاضل

أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن القَرَاج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار ، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب بمجير الدين ؛ وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، وتمكن منه غاية التمكن ، وبرز في صناعة الإنشاء ، وفاق المتقدمين ، وله فيه الغرائب مع الإكثار . أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات

١ لم يرد هذا الضبط في س ل ، وورد في ر والمسودة .

٢ انظر الشعر والشعراء : ١٦٢ .

٣٧٤ - أخباره في الكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة الصلاحية كابن الأثير وسيرة السلطان يوسف والروضتين ومفرج الكروب ، وانظر ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٥٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٥٦ وعبر الذهبية ٤ : ٢٩٣ والشذرات ٤ : ٣٢٤ وفي نهاية الأرب ٨ : ١ - ٥١ مجموعة من رسائله وكذلك في صبح الأعشى ورسائله الخطية في مجموعات كثيرة ، وله ديوان مطبوع في جزئين بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي (القاهرة ١٩٦١) .

٣ ر س : بعض .

والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد في أكثرها.
قال العماد الأصباني في كتاب «الخريدة» في حقه: «رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره، أو جرى في مضاره، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع، ورسخت بها الصنائع، يبتدع الأفكار، ويفتزع الأبدان، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار، وهو ضابط الملك بأرائه، رابط السلك بآلائه، إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة، أين قس عند فصاحته؟ وابن قيس في مقام حصافته؟ ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته؟ وأطال القول في تقريره.

ونذكر له رسالة لطيفة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي: «أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته، وتقبل عمله بقبول صالح وأنبته، وأخذ عدوة قائلاً أو بيته، وأرغم أنفه بسيفه وكتبته، خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب، ولما نبا به المنزل عنها، وقل عليه المرفق فيها، وسمع بهذه الفتوحات التي طبقت الأرض ذكرها ووجب على أهلها شكرها، هاجر من هجير عيذاب وملحها، سارياً في ليلة أمل كلها نهار فلا يسأل عن صباحها. وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب، وتوسل بالمملوك في هذا الملتبس وهو قريب، ونزع من مصر إلى الشام ومن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب، والفقر سائق عنيف، والمذكور عائل ضعيف، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف، والسلام».

وله من جملة رسالة في صفة قلعة شاهقة ولقد أبدع فيها، ويقال إنها قلعة كوكب «وهذه القلعة عقاب في عقاب، ونجم في سحب، وهامة لها الغمامة عمامة، وأتملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة».

وملحه ونوادره كثيرة. وقوله «كان الهلال لها قلامة» أخذه من قول

عبد الله بن المعتز من جملة أبياته المتقدم ذكرها في ترجمته وهو قوله :
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحُنَا مثلُ القلّامة قد قدّت من الظّففر
وابن المعتز أخذه من قول عمرو بن قميئة وهو :

كأن ابن مزنتها جانحاً فسيط لدى الأفق من خنصر

والفسيط ، بفتح الفاء وكسر السين المهملة ، قلامة الظفر^١ .
ومن كلامه في أثناء رسالة وقد كبر: « والمملوك قد وهت ركبتاه ، وضعف
أطيباه ، وكتبت لام ألف عند قيامه رجلاه ، ولم يبق من نظره إلا شفاقة ،
ومن حديثه إلا خرافة » .

وله في النظم أيضاً أشياء حسنة ، منها ما أنشده عند وصوله إلى الفرات في
خدمة السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ويتشوق نيل مصر^٢ :

بالله قل للنيل عني إنني لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسلّ الفؤاد فإنه لي شاهد إن كان جفني بالدموع بجيلا
يا قلب كم خلّفت ثمّ بُئِنِنَةً وأعيد صبرك أن يكون جيلا

ومن المنسوب إلى القاضي الفاضل قوله :

عتبٌ أقلبُ فيه طرف ترقبي فعمى يكون وراءه الإعتابُ
ومن شعره أيضاً^٣ :

بتنا على حال يسرّ الهوى وربما لا يمكن الشرحُ
بوأبنا الليل ، وقلنا له : إن غبت عنا دخل الصبحُ

١ انظر ما تقدم ص : ٨٠ من هذا الكتاب .

٢ ديوانه : ٩١ .

٣ ديوانه : ٢٦ .

ولقد نظمت هذا المعنى في دوبيت وهو :

ما أطيب ليلة مَضَّتْ بالسفحِ والوصفُ لها يقصر عنه شرحي
إذ قلت لها بوايها أنت متى ما غبت تخاف من دخول الصبحِ

وكان كثيراً ما ينشد لابن مكنسة ، وهو أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن
الحسين القرشي الإسكندري^١ :

وإذا السعادة أحرستك عيونها نَمَ فالخاوفُ كلُّهن أمانُ
واصنطدُ بها العنقاء فهي حباثل^٢ واقتمدُ بها الجوزاء فهي عنانُ

[وكان الملك العزيز بن صلاح الدين يميل إلى القاضي الفاضل في حياة أبيه ،
فاتفق أن العزيز هوي قينة شغلته عن مصالحه ، وبلغ ذلك والده ، فأمره
بتركها ومنعها من صحبتها ، فشق ذلك عليه ، وضاق صدره ، ولم يحسر أن
يجتمع بها ، فلما طال ذلك بينها سيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر ، فكسرها
فوجد في وسطها زر ذهب ، فأفكر فيه ولم يعرف معناه ، واتفق حضور
القاضي ، فعرفه الصورة ، فعمل القاضي الفاضل في ذلك بيتين وأرسلها إليه وهما :

أهدت لك العنبر في وسطه زرٌ من التبر دقيق اللحم
فالزرُّ في العنبر معناهما زرٌ هكذا مستتراً في الظلام

فعمل الملك العزيز أنها أرادت زيارته في الليل [٣] .

وشعره أيضاً كثير .

وكانت ولادته يوم الاثنين في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين
وخمسة مائة بمدينة عسقلان ، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان فلهاذا نُسبوا إليها ،

١ ترجمة ابن مكنسة في الخريدة (قسم مصر) ٢ : ٢٠٣ والفوات ١ : ٣٦ .

٢ ر : حباله .

٣ زيادة انفردت بها ر ، وانظر ديوانه : ١٠٥ ومطالع البدور ١ : ٢٧١ .

وفي ترجمة الموفق يوسف بن الخلال - في حرف الباء - صورة مبدأ أمره وقدمه الديار المصرية واشتغاله عليه بصناعة^١ الإنشاء ، فلا حاجة إلى ذكره هاهنا . ثم إنه تعلق بالخدم في نعر الاسكندرية وأقام به مدة ، وقال الفقيه عمارة اليمني في كتاب « النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية »^٢ في ترجمة العادل ابن الصالح بن رزّيك : ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها ، بل هي الحسنة التي لا توازي ، بل هي اليد البيضاء التي لا تجازي ، خروج أمره إلى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل إلى الباب ، واستخدامه بحضرتة وبين يديه في ديوان الجيش ، فإنه غرس منه للدولة بل للمة ، شجرة مباركة متزايدة النماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

وقد تقدم ذكر ما آل إليه أمره من وزارة السلطان صلاح الدين ، وترقي منزلته عنده ، وبعد وفاة صلاح الدين استمر^٣ على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز في المكانة والرفعة ونفاذ الأمر ، ولما توفي العزيز وقام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الأفضل نور الدين كان أيضاً على حاله . ولم يزل كذلك إلى أن وصل الملك العادل وأخذ الديار المصرية ، وعند دخوله القاهرة توفي القاضي الفاضل ، وذلك في ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسة بالقاهرة ، فجأة^٥ ، ودفن في تربته من الغد بسفح المقطم في القرافة الصغرى ، وزرت قبره مراراً ، وقرأت تاريخ وفاته على الرخام المحوّط حول القبر كما هو هاهنا ، رحمه الله تعالى ؛ وكان من محاسن الدهر وهيئات أن يخلف الزمان مثله^٦ .

وبنى بالقاهرة مدرسة بدرب ملوخية ، ورأيت بخطه أنه استفتح التدريس بها يوم السبت مستهل المحرم من سنة ثمانين وخمسة . وأما لقبه فإن أهله يقولون :

١ ر : بصنعة .

٢ س : في أخبار الدولة المصرية ؛ وانظر النكت : ٥٣ - ٥٤ .

٣ ر : وبعد وفاته أيضاً فإنه استمر .

٤ س : سابع عشر .

٥ فجأة : سقطت من ل .

٦ هنا تنتهي الترجمة في س ل .

إنه كان يلقب بحمي الدين ، ورأيت مكاتبة الشيخ شرف الدين عبد الله بن أبي عَصْرُون - المقدم ذكره - إليه وهو يخاطبه بمجير الدين، والله أعلم بالصواب .
(97) وكان ولده القاضي الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي الفاضل كبير المنزلة عند الملوك ، وكان مثابراً على سماع الحديث وتحصيل الكتب ، ومولده في المحرم سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة بالقاهرة ، وتوفي بها في ليلة الاثنين سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستائة ، ودفن بسفح المقطم إلى جانب قبر أبيه ، وكان الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب قد سيره من مصر في رسالة إلى بغداد ، فأنشد الوزير من نظمه :

يا أيها المولى الوزيرُ ومَنْ لهُ مَنْ حَلَكْنَ من الزمانِ وثاقِي
 مَنْ شاكِرٌ عني نَدَاكَ فَإِنِّي مِنْ عَظْمِ ما أوليت ضاقِ نِطَاقِي
 مَنْ تَخِفْتُ على يديك ، وإِنَّمَا ثَقُلْتُ مَوَوتَها على الأَعْناقِ

٣٧٥

ابن جريج

أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، القرشي بالولاء المكي ، مولى أمية بن خالد بن أسيد ، ويقال إن جريجاً كان عبداً لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فنسب ولاؤه إليه .

١ انظر أخباره في الشذرات ٥ : ٢١٨ والوافي ٧ : ٥٧ (رقم ٢٩٨٩) وابن الشعار ١ : ١٧٧ .
 ٢ ابن الشعار : وربما .

٣٧٥ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ١٨ وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٠٠ وتذكرة الحفاظ : ١٦٩ وعبر الذهبي ١ : ٢١٣ وميزان الاعتدال ٢ : ٦٥٩ وغاية النهاية ١ : ٤٦٩ وتهذيب التهذيب ٦ : ٤٠٢ ؛ والترجمة المثبتة هنا مطابقة للسودة .

وكان عبد الملك أحد العلماء المشهورين ، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام ، وكان يقول : كنت مع مَعْن بن زائدة باليمن ، فحضر وقت الحج فلم تحضرني نية ، فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعة :

بالله قولي له مِنْ غيرِ مَعْتَبَةٍ ماذا أردت بطول المكثِ في اليمنِ
إن كنت حاولت دنيا أو نَعِمْتَ بها فما أخذتَ بتركِ الحجِ من ثَمَنِ

قال : فدخلت على معن فأخبرته أني قد عزمت على الحج ، فقال لي : ما يدعوك إليه ولم تكن تذكره ؟ فقلت له : ذكرت بيتين لعمر بن أبي ربيعة ، وأنشدته إياهما ، فجهزني وانطلقت .

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور . وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة ، وقيل سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وجرّيج : بضم الجيم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها جيم ثانية .

٣٧٦

عبد الملك بن عمير

أبو عمر ، ويقال أبو عمرو ، عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة بن املاص ابن شنيف بن عبد شمس بن سعد بن الوسيح بن الحارث بن يثيغ بن أزدة بن حجر بن جزيمة بن لحم اللخمي الكوفي القبطي الفرسي ؛ كان قاضياً على

١ ديوانه : ٤١٣ .

٣٧٦ - ترجمته في تذكرة الحفاظ : ١٣٥ وعبر الذهبي : ١ : ١٨٤ وميزان الاعتدال : ٢ : ٦٦٠ واللباب : (الفرسي) وتهذيب التهذيب : ٥ : ١١ ؛ ، وقد استوفت المسودة هذه الترجمة .

الكوفة بعد الشَّعبي ، وهو من مشاهير التابعين وثقاتهم ومن كبار أهل الكوفة ، رأى علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وروى عن جابر بن عبد الله . ومن أخباره أنه قال : كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء برأس مُصعب بن الزبير فوضع بين يديه ، فرآني قد ارتعت ، فقال لي : ما لك ؟ فقلت : أعينك بالله يا أمير المؤمنين ، كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله ابن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه في هذا المكان ، ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ، ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار فيه بين يديه ، ثم هذا رأس مصعب بن الزبير بين يديك . قال : فقام عبد الملك من موضعه ، وأمر بهدم ذلك الطاق الذي كنا فيه^١ .

ومرض عبد الملك بن عمير مرة ، فاعتذر إليه رجل من تخلفه عن عيادته ، فقال له : ما كنت لألومَ على ترك عيادتي رجلاً لو مرض لسا عُدته . وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة في ذي الحجة^٢ ، وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين . والقبطي : بكسر القاف وسكون الباء الموحدة وكسر الطاء المهملة ، هذه النسبة إلى القبطي ، وهو فرَسٌ سابق كان له فنسب إليه . والفرسي : بالفاء والراء المفتوحتين والسين المهملة ، نسبة إلى هذا الفرس أيضاً ، وأكثر الناس يصحفونه^٣ بالقرشي ، رحمه الله تعالى .

١ انظر هذه القصة في الغيث المنسجم ٢ : ١٣٢ .

٢ في ذي الحجة: سقطت من ر، وورد موضعها في النسخ الاخرى: أو نحوها؛ وأثبتنا ما في المسودة.

٣ ر : يصحفونها .

ابن الماجشون

أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة المَاجِشُونُ ، واسمه ميمون ، وقيل دينار ، القرشي التَّيْمِيُّ المنكدري مولاهم ، المدني الأعمى الفقيه المالكي ؛ تفقه على الإمام مالك ، رضي الله عنه ، وعلى والده عبد العزيز وغيرهما . وقيل إنه عمي في آخر عمره ، وكان مولعاً بسماع الغناء ، قال أحمد بن حنبل : قدم علينا ومعه مَنْ يَغْنِيهِ . وَحَدَّثَ ، وكان من الفصحاء ، روي أنه كان إذا ذكروه الإمام الشافعي رضي الله عنه لم يعرف الناس كثيراً مما يقولان ، لأن الشافعي تأدب بهذيل في البادية وعبد الملك تأدب في خؤولته من كَلْبٍ بالبادية . وقال يحيى بن أحمد بن المعذل : كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك صغرت الدنيا في عيني . وسئل أحمد بن المعذل فقيل له : أين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك ؟ فقال : كان لسان عبد الملك إذا تَعَايَا أَحْيَى من لساني إذا تَحَايَا .

ومات عبد الملك المذكور سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وقال أبو عمر ابن عبد البر : توفي سنة اثنتي عشرة ، وقيل سنة أربع عشرة ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والمَاجِشُونُ : بفتح الميم وبعد الألف جيم مكسورة ثم شين معجمة مضمومة وبعد الواو نون ، وهو المورِّدُ ، ويقال : الأبيض الأحمر^٢ ، وهو لقب أبي

٣٧٧ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٣ ؛ والديباج المذهب : ١٥٣ ؛ ونكت الهميان : ١٩٧ والانتقاء : ٥٧ وميزان الاعتدال : ٢ : ٦٥٨ وعبر الذهبي : ١ : ٣٦٣ وتهذيب التهذيب : ٦ : ٥٧ ؛ والشذرات : ٢ : ٢٨ ؛ والترجمة مستوفاة في المسودة .

١ ر : وقيل .

٢ قيل في الماجشون إنه معرَّبُ ماء كون ، ومعناه يشبه القمر ، وقال في شرح الشفاء ، معناه الأبيض المشرب بجمرة (التاج : ماجشون) .

يوسف يعقوب بن أبي سلمة المذكور ، وهو عم والد عبد الملك المذكور ، لقبته بذلك سكينه بنت الحسين بن علي ، رضي الله عنهم ، وجرى هذا اللقب على أهل بيته من بنيه وبني أخيه ، وقيل : إن أصلهم من أصحابان ، فكان إذا سلم بعضهم على بعض قال : شوني ، شوني ، فسمي الماجشون ، حكاه الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني ، وقال أبو داود : كان عبد الملك الماجشون لا يعقل الحديث ، قال ابن البرقي : دعاني رجل أن أمضي إليه ، فجنناه فإذا هو لا يدري الحديث أيش هو ، وذكره محمد بن سعد في « الطبقات الكبرى »^١ وقال : كان له فقه ورواية^٢ .

والمكدري : منسوب إلى المنكدر بن عبد الله بن هدير القرشي التيمي ، والد محمد وأبي بكر وعمر بن المنكدر ، وقد استوفى ابن قتيبة حديثهم في كتاب « المعارف »^٣ في ترجمة محمد بن المنكدر .

٣٧٨

إمام الحرمين

أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية ، الجويني ، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين ، المعروف بإمام الحرمين ؛ أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق ، المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول

١ الطبقات ٥ : ٤٤٢ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س ل .

٣ المعارف : ٤٦١ .

٣٧٨ - ترجمته في المنتظم ٩ : ١٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٧٨ وطبقات السبكي ٣ : ٢٤٩ وغير الذهبي ٣ : ٢٩١ والشذرات ٣ : ٣٥٨ ؛ والترجمة هنا مطابقة لما في السودة .

والفروع والأدب وغير ذلك ، وقد تقدم ذكر والده في العبادلة^١ ، ورزق من التوسع في العبارة ما لم يعهد من غيره ، وكان يذكر دروساً يقع كل واحد منها في عدة أوراق ولا يتعلم في كلمة منها ، وتفقّه في صباه على والده أبي محمد ، وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الإقبال ، فأتى على جميع مصنفات والده وتصرف فيها ، حتى زاد عليه في التحقيق والتدقيق . ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس ، وإذا فرغ منه مضى إلى الأستاذ أبي القاسم الإسكافي الإسفرائيني بمدرسة البيهقي حتى حصّل عليه علم الأصول ، ثم سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ، ثم خرج إلى الحجاز وجاور بحكة أربع سنين^٢ ، وبالمدينة ، يدرّس ويفتي ويجمع طرق المذهب ، فلهذا قيل له إمام الحرمين ، ثم عاد إلى نيسابور في أوائل^٣ ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، والوزير يومئذ نظام الملك ، فبنى له المدرسة النظامية بمدينة نيسابور ، وتولى الخطابة بها ، وكان يجلس للوعظ والمناظرة ، وظهرت تصانيفه ، وحضر دروسه الأكبر من الأئمة وانتهت إليه رياسة الأصحاب ، وفوض إليه أمور الأوقاف ، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مُسَلِّم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة .

وصنف في كل فن : منها كتاب « نهاية المطلب في دراية المذهب »^٤ الذي ما صنف في الإسلام مثله ، قال أبو جعفر الحافظ : سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين : يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئمة . وسمع الحديث من جماعة كبيرة من علمائه ، وله إجازة من الحافظ أبي نعيم الأصبهاني صاحب « حلية الأولياء » . ومن تصانيفه « الشامل » في أصول الدين ، و « البرهان »^٥ في أصول الفقه ، و « تلخيص التقريب » و « الإرشاد »^٦

١ انظر ما تقدم ص : ٤٧ .

٢ ر : أربعين سنة .

٣ ل : أول .

٤ ر : دراية ورواية المذهب .

٥ ر : والبيان والبرهان .

٦ ر : والإشارة .

و « العقيدة النظامية » و « مدارك العقول » لم يتمه ، وكتاب « تلخيص نهاية المطلب » لم يتمه ، و « غياث الأمم في الإمامة » و « مغيث الخلق في اختيار الأحق » و « غنية المسترشدين » في الخلاف وغير ذلك من الكتب . وكان إذا شرع في علوم الصوفية وشرح الأحوال أبكى الحاضرين ، ولم يزل على طريقة حميدة مرضية من أوّل عمره إلى آخره .

أخبرني بعض المشايخ أنه وقف على جليّة أمره^١ في بعض الكتب ، وأن والده الشيخ أبا محمد، رحمه الله تعالى، كان في أوّل أمره ينسخ بالأجرة ، فاجتمع له من كسب^٢ يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح ، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً إلى أن حملت بامام الحرمين ، وهو مستمر على تربيتها بكسب الحِلِّ^٣ ، فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحداً من إرضاعه ، فانفق أنه دخل عليها يوماً وهي متألّمة والصغير يبكي ، وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بشديها فوضع منه قليلاً ، فلما رآه شق عليه وأخذته إليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل إصبه في فيه ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه ، وهو يقول : يسهل عليّ أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه . ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان تَلَحَّقه بعض الأحيان^٤ فترة^٥ في مجلس المناظرة فيقول : هذا من بقايا تلك الرضعة .

ومولده في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة ، ولما مرض حُمِلَ إلى قرية من أعمال نيسابور ، يقال لها بَشْتَنْقَان^٦ موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء ، فمات بها ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ونُقل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من القعد في داره ، ثم نقل بعد سنين^٦ إلى مقبرة الحسين فدفن بجانب

١ ل : عمره .

٢ ل : كتب .

٣ س : الأيام .

٤ وضع على الباء فتحة في المسودة ، وقال ياقوت بأن الباء مضمومة .

٥ ر : الخامس من شهر .

٦ ر : سنتين .

أبيه^١ ، رحمها الله تعالى ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فأغلقت الأسواق يوم
موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه وأكثروا فيه المراني .
وبما رثي به :

قلوبُ العالمينَ على المَقَالِي وأيامَ الوَرَى شينه اللِّيالي
أيشمرُ غصنُ أهلِ العلمِ يوماً وقد مات الإمامُ أبو المعالي

وكانت تلامذته يومئذ قريباً من أربعائة واحد ، فكسروا محابرهم وأقلامهم
وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً .

٣٧٩

الأصمعي

أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أضحَم بن مُظَهَّر
ابن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قُتَيْبَة بن مَعْن
ابن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدَّ بن
عدنان ، المعروف بالأصمعي الباهلي ، وإنما قيل له الباهلي وليس في نسبه اسم
باهلة لأن باهلة اسم امرأة مالك بن أعصر ، وقيل إن باهلة ابن أعصر .

كان الأصمعي المذكور صاحبَ لغة ونحو ، وإماماً في الأخبار والنوادر
والملاح والفرائب ، سمع شعبة بن الحجاج والحمّاديين ومسعر بن كدام وغيرهم ،
وروى عنه عبد الرحمن ابن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم

١ ر : يجنب قبر أبيه .

٣٧٩ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ١٩٧ (وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى) ونور القبس : ١٢٥
وأخباره متناثرة في مختلف الكتب الأدبية، كالكمال والبيان والحيوان والبخلاء والعقد والموشح
وفي كتب اللغة والأمازي والمعجم وشروح الدواوين ، وانظر بروكلمان ٢ : ١٤٧ - ١٥١
(من الترجمة العربية) .

السجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم ، وهو من أهل البصرة ، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد .

قيل لأبي نواس^١ : قد أحضر أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد ، فقال : أما أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين ، وأما الأصمعي فلبل يطربهم بنغماته .

وقال عمر بن شبة : سمعت الأصمعي يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة . وقال إسحاق الموصلي : لم أر الأصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون أحد أعلم به منه .

[وحكى محمد بن هبيرة قال^٢ : قال الأصمعي للكسائي وهما عند الرشيد : ما معنى قول الراعي^٣ :

قتلوا ابن عقّان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولاً

قال الكسائي : كان محرماً بالحج ، قال الأصمعي : ما أراد عدي بن زيد بقوله^٤ :

قتلوا كسرى بلبيل محرماً فتولّى لم يُمتّع بيكفن

هل كان محرماً بالحج ؟ وأي إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد للكسائي : إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي . قال الأصمعي : قوله « محرماً » في حرمة الإسلام ومن ثم قتل مسلماً محرماً ، أي لم يحل في نفسه شيئاً يوجب القتل ؛ وقوله « محرماً » في كسرى يعني حرمة العهد الذي كان في عنق أصحابه^٥ . وقال

١ قد مر قريب من هذا في ترجمة أبي نواس ج ٢ : ص ١٠٠ .

٢ انظر مجالس العلماء : ٣٣٦ (وأورد النص هنا بإيجاز واختلاف) ؛ وفي هذا الكتاب مجالس أخرى للأصمعي مع الكسائي وغيره .

٣ جمهرة أشعار العرب : ٣٣٧ ط . صادر .

٤ ديوانه : ١٧٨ .

٥ ما بين معقنين زيادة من ر .

الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي ، رضي الله عنه ، يقول : ما عبّرَ أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي . وقال أبو أحمد العسكري : لقد حرصَ المأمون على الأصمعيّ وهو بالبصرة أن يصير إليه فلم يفعل واحتج بضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها إليه ليجيب عنها .

وقال الأصمعي : حضرت أنا وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى عند الفضل بن الربيع فقال لي : كم كتابك في الخيل ؟ فقلت : جلد واحد ، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلدة^٢ ، فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك عضواً عضواً منه وسمّه ، فقال : لست بيطاراً ، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب^٣ ، فقال لي : قم يا أصمعي وافعل ذلك ، فقمتم وأمسكت ناصيته وشرعت أذكر عضواً عضواً وأضع يدي عليه وأنشيدُ ما قالت العرب فيه ، إلى أن فرغت منه ، فقال : خذه ، فأخذته ، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه . وقد روي من طريق أخرى أن ذلك كان عند هارون الرشيد ، وأن الأصمعي لما فرغ من كلامه في أعضاء الفرس قال الرشيد لأبي عبيدة : ما تقول فيما قال ؟ قال : أصاب في بعض وأخطأ في بعض ، فالذي أصاب فيه مني تعلمه ، والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به .

وكان شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة ، فإذا سئل عن شيء منها يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو .

وأخباره ونوادره كثيرة ، [حدث محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل ، فقال : يا أصمعي ، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا ! قلت : والله يا أمير المؤمنين

١ ر : فيجيب .

٢ ر : قال فأمر بإحضار الكتابين وأحضر فرساً وقال لأبي عبيدة اقرأ كتابك حرفاً حرفاً وضع يدك في موضع موضع من الفرس ، فقال لست ... الخ ، قلت : وسيورد المؤلف مثل هذا النص في ترجمة أبي عبيدة أيضاً .

٣ ر : أخذته وسممته ... وألفته .

ما لاقْتَنِي بلاد بعدك حتى أتيتك ، قال : فأمرني بالجلوس ، فجلست وسكت عني ، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام ، فأشار إليّ أن اجلس فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومَنْ بين يديه من الغلمان ، فقال : يا أبا سعيد ، ما معنى قولك ما لاقْتَنِي بلاد بعدك^١ ؟ قلت : ما أمسكتني يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كفّاك كفّ ما تليقُ درهماً ، وأخرى تعط بالسيف دماً

أي : ما تمسك درهماً ، فقال : أحسنت ، وهكذا فكن ، وقرنا في الملا ، وعلمنا في الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً ، إما أن أسكت فيعلم الناس أنني لا أفهم إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم مَنْ حولي أنني لم أفهم ما قلت ، قال الأصمعي : فعلمتني أكثر مما علمته .
وحكى المبرد أيضاً قال : مازح الرشيد أم جعفر فقال لها : كيف أصبحت يا أم نَهْرٍ ؟ فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه ، فأنفذت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك ، فقال : الجعفر النهر الصغير ، وإنما ذهب إلى هذا ، فطابت نفسها^٢ .
وقال أبو بكر النحوي : لما قدم الحسن بن سهل العراق قال : أحب أن أجمع قوماً من أهل الأدب ، فأحضر أبا عبيدة والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي ، وحضرت معهم ، فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم ، فوقع عليها ، فكانت خمسين رقعة ، ثم أمر فدفعت إلى الخازن ، ثم أقبل علينا فقال : قد فعلنا خيراً ، ونظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية ، فנأخذ الآن فيما نحتاج إليه ، فأقضنا في ذكر الحفاظ ، فذكرنا الزهري وقتادة ، ومررنا ، فالتفت أبو عبيدة فقال : ما الغرض أيها الأمير في ذكر مَنْ مضى وبالخضرة هاهنا من يقول ما قرأ كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه ؟ فالتفت الأصمعي وقال : إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير ، والأمر في ذلك على ما حكى ، وأنا أقرب

١ بلاد بعدك : سقط من ر .

٢ قد مر هذا في ترجمة زبيدة ج ٢ ص : ٣١٥ من هذا الكتاب .

إليك ، قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع ، وأنا أعيد ما فيها وما وقع به الأمير على رقعة رقعة ، قال : فأمر وأحضرت الرقاع ، فقال الأصمعي : سألت صاحب الرقعة الأولى كذا ، واسمه كذا ، فوقع له بكذا ، والرقعة الثانية والثالثة حتى مرَّ في نيف وأربعين رقعة ، فالتفت إليه نصر بن علي فقال : أيها الرجل ، أبقي على نفسك من العَيْن ، فكفَّ الأصمعي .
وحكي عن عباس بن الفرج قال : ركب الأصمعي حماراً دميماً ، فقيل له : بعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً :

ولما أبت إلا انصراماً لودِّها وتكديراً للشرب الذي كان صافياً
شربنا برنتقٍ من هواها مكدرٍ وليس يعاف الرنتق من كان صادياً

هذا وأملك ديني أحبَّ إليَّ من ذلك مع فقدته .

وقال الأصمعي : ذكرت يوماً للرشيد نهم سليمان بن عبد الملك ، وقلت : إنه كان يجلس ويحضر بين يديه الحراف المشويَّة وهي كما أخرجت من تنانيرها ، فيريد أخذ كُلاها فتمنعه الحرارة ، فيجعل يده على طرف جبهته ويدخلها في جوف الخروف فيأخذ كُلاه ، فقال لي : قاتلك الله ، ما أعلمك بأخبارهم ! اعلم أنه عرِضت علي ذخائر بني أمية ، فنظرت إلى ثياب مذهبة ثينة^١ وأكامها ودِكة^٢ بالدُّهن ، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ، ثم قال : عليّ بثياب سليمان ، فأتيت بها ، فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلة ، وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحياناً فيقول : هذه جبة سليمان التي كسانها الرشيد . وحكي عنه قال : رأيت بعض الأعراب يفلي ثيابه ، فيقتل البراغيث ويَدَعُ القمل ، فقلت : يا أعرابي ، ولم تصنع هذا ؟ فقال : أقتل الفرسان ثم أعطف على الرِّجَال^٣ .

وكان جده علي بن أصمَعٍ سَرَقَ بسَقَوَانَ ، فأتوا به علي بن أبي طالب

١ المطبوعة : يئنية .

٢ ر : زهكة .

٣ ما بين معقنين زيادة من ر ، وقد سقط بعضه من وستنفيلد ، وكتب في المسودة في موضع هذا النص : « هاهنا تكتب التخريجة » .

رضي الله عنه ، فقال : جيئوني بمن يشهد أنه أخرجها من الرحل ، قال : فشهد عليه بذلك عنده ، فأمر به فقطع من أشاجعه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا قطعته من زَنده ، فقال : يا سبحان الله ، كيف يتوكأ ؟ كيف يصلي ؟ كيف يأكل ؟ فلما قدم الحجاج بن يوسف البصرة أتاه علي بن أصمغ فقال : أيها الأمير ، إنَّ أباي عَقَّاني فسمياني علياً ، فسَمَّني أنت ، فقال : ما أحسن ما توسلت به ، قد وليتك سمك البارجاه ، وأجريت لك في كل يوم دانقين فلوساً ، ووالله لئن تعديتها لأقطعنَّ ما أبقاه علي* من يدك .

وكانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وعشرين ومائة . وتوفي في صفر سنة ست عشرة ، وقيل أربع عشرة ، وقيل خمس عشرة ، وقيل سبع عشرة ومائتين ، بالبصرة ، وقيل بمرو ، رحمه الله تعالى .
وقال الخطيب أبو بكر : بلغني أن الأصمعي عاش ثمانياً وثمانين سنة . ومولد أبيه قُرَيْبٍ سنة ثلاث وثمانين للهجرة ، ولم أقف على تاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى .

وقُرَيْب : بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ، وهو لقب له ، قال المرزباني وأبو سعيد السيرافي : اسمه عاصم وكنيته أبو بكر ، وغلب عليه لقبه . والأصمعي : نسبة إلى جده أصمغ .
ومُظَهَّر : بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وكسرها وبعدها راء .
وأعنيا : بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها .
وباهلة : قد تقدم الكلام عليها في أول الترجمة^١ ، وهي بالباء الموحدة وكسر الهاء وفتح اللام .

وسَفَوَان : بفتح السين المهملة والفاء والواو وبعد الألف نون ، وهو اسم موضع عند البصرة ومن قصد البحرين من البصرة يخرج إلى سَفَوَان ثم إلى كاظمة ومنها يتوجه إلى هَجَرَ ، وهي مدينة البحرين .
والبارجاه : موضع بالبصرة .

١ في أول الترجمة : سقط من س ل .

قال أبو العيناء : كنا في جنازة الأصمعي ، فجدبني أبو قلابة حبيش بن عبد الرحمن الجرمي ، وقيل حبيش بن منقذ ، قاله المرزباني في « المعجم » ، الشاعر فأنشدني لنفسه :

لن الله أعظماً حملوها نحوَ دارِ البلي على خشباتِ
أعظماً تُبغِضُ النبيّ وأهلَ البيتِ والطيبين والطيباتِ

قال : وجدبني أبو العالية الشامي وأنشدني ، واسم أبي العالية الحسن بن مالك :

لا درّ درّ بناتِ الأرضِ إذ فُجِعَتْ بالأصمعيّ لقد أبقت لنا أسفا
عِشْ ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناسِ مِنْهُ ولا مِنْ علمه خَلْفا

قال : فمجبت من اختلافها فيه .

وللأصمعي من التصانيف كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « الأجناس » وكتاب « الأنواء » وكتاب « الهمز » وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « الفرق » وكتاب « الصفات » وكتاب « الأبواب »^١ وكتاب « الميسر والقдах » وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « الخيل » وكتاب « الإبل » وكتاب « الشاء » وكتاب « الأخبية »^٢ وكتاب « الوحوش » وكتاب « فَعَلَ وَأَفْعَلَ » وكتاب « الأمثال » وكتاب « الأضداد » وكتاب « الألفاظ » وكتاب « السلاح » وكتاب « اللغات » وكتاب « مياه العرب » وكتاب « النوادر » وكتاب « أصول الكلام » وكتاب « القلب والإبدال » وكتاب « جزيرة العرب » وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « المصادر » وكتاب « الأراجيز » وكتاب « النخلة » وكتاب « النبات » وكتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وكتاب « غريب الحديث » وكتاب « نوادر الاعراب » وغير ذلك .

١ كذا في المسودة ؛ فهرست : كتاب الأنواب .

٢ فهرست : الأخبية والبيوت .

ابن هشام صاحب السيرة

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ؛ قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب «الروض الأنف» - شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - : إنه مشهور بجمل العلم ، متقدم في علم النسب والنحو ، وهو من مصر وأصله من البصرة ، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها ، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي . وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، رحمه الله تعالى .

قلت : وهذا ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من «الغازي والسير» لابن إسحاق وهذبا ولخصها وشرحها السهيلي المذكور ، وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب «تاريخ مصر» المقدم ذكره في تاريخه الذي جعله للغرباء القادمين على مصر : إن عبد الملك المذكور توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ومائتين بمصر ، والله أعلم بالصواب ، وقال : إنه ذهلي .
والحميري قد تقدم الكلام عليه .

والمعافري : بفتح الميم والعين المهملة وبعد الألف فاء مكسورة ثم راء ، هذه النسبة إلى المعافر بن يعفر^١ قبيل كبير^٢ ينسب إليه بشر كثير عامتهم بمصر .

٢٨٠ - ترجمته في الروض الأنف ١ : ٥ وانباه الرواة ٢ : ٢١١ وبغية الرعاة : ٣١٥ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٧ وعبر الذهبي ١ : ٣٧٤ وحسن المحاضرة ١ : ٢٢٨ .
١ كذا ضبطه المؤلف بالحركات ، بفتح الياء وضم الفاء .
٢ ر : قبيلة كبيرة .

الثعالي

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالي النيسابوري ؛ قال ابن بسّام صاحب « الذخيرة » في حقه : « كان في وقته راعي تَلَعَات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباطُ الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الفياهب ، وتوالياه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع ، مِنْ أن يستوفيا حدًا أو وصف ، أو يوفيا حقوقها نظم أو رصف » ، وذكر له طَرَفًا من النثر وأورد شيئاً من نظمه ، فمن ذلك ما كتبه إلى الأمير أبي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر مُعْجِزَاتٌ جَمَّةٌ	أيداً لِغَيْرِكَ في الوري لم تجمعِ
بحران : بحر في البلاغة شأنه	شعر الوليداً وحسن لفظ الأصمعي
[وَقَرَسْتُ الصَّايِي يَزِينُ علوه	خطُّ ابنِ مقلَّةَ ذَوِ المَحلِّ الأرفع] ٢
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو	كالوشي في بُرْدٍ عليه مُوسِعٌ
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى	وافي الكرمِ بُعِيدَ فقر مُدَقِّع
وإذا تفتق نَوْرُ شعرك ناضراً	فالحسنُ بين مرصع ومصرع
أرجلتَ فرسان الكلام ورضتَ أف	راسَ البديع وأنت أجد مبدع

٢٨١ - ترجمته في معامد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ وشذرات الذهب ٣ : ٢٤٦ والذخيرة (القسم الأخير في تراجم المشارقة) . ونزهة الألباء : ٢٤٩ ودمية القصر : ١٨٣ .
١ الوليد هو أبو عبادة البحترى ؛ وقوله « شانه » كذا ضبطت في المسودة وهي مخفف « شانه » ؛ وفي هامش ل : لمله زانه .
٢ سقط البيت من النسخ المخطوطة .

ونقشت في فصّ الزمان بدائماً تزري بآثار الربيع المُمَرع
[ومنها في وصف فرس أهداه إليه ممدوحه :

يا واهب الطّرفِ الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلاّ خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أنّي أنصفت في إكرامه لجلال مُهَيِّدِه الكريم الألمي
أقضته حبّ الفؤاد محبّة وجعلت مربطه سوادَ المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضتّع بُرد الشباب لجلّته والبرقع]¹
ومن شعره² :

لما بعثتُ فلم توجب مطالعتي وأمعتُ نار شوقي في تلهبها
ولم أجدُ حيلةً تُبقي على رَمَقي قَبَلتُ عيني رَسولي إذ رآك بها
[وكتب إلى أبي نصر بن سهل ابن المرزبان يُحاجيه :

حاجيتُ شمس العلم في ذا العصر نديمَ مولانا الأمير نصر
ما حاجةٌ لأهل كل مصر في كل ما دار وكل قَطْر
ليست تُرى إلا بُعِنَدَ العَصْر

فكتب إليه جوابه :

يا بحرَ آدابٍ بغيرِ جَزَرٍ وحظّه في العلم غير نَزَرٍ
خزرت ما قلت وكان حَزْرِي أن الذي عنيت دهن البز
بمصره³ ذو قُوّةٍ وأزْر]

١ زيادة من ر .

٢ ر : وله .

٣ زيادة لم ترد في المخطوطات ، واعتمدنا فيها على المطبوعات المصرية ، ولم ترد عند وستنفيلد .

وله من التواليف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها ، وفيها يقول أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الإسكندري الشاعر المشهور - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - :

أبيات أشعار اليتيمه أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشتْ بعدهم فلذلك سميت اليتيمه

وله أيضاً كتاب « فقه اللغة » و « سحر البلاغة وسر البراعة » و « من غاب عنه المطرب » و « مؤنس الوحيد » وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم ، وفيها دلالة على كثرة اطلاعه . وله أشعار كثيرة . وكانت ولادته سنة خمسين وثلثمائة وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والثَعَالِي : بفتح الثاء المثناة والعين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فَرَّاء .

٣٨٢

سحنون

أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التَّنُوخِي الملقب سَحْنُون الفقيه المالكي ؛ قرأ على ابن القاسم وابن

٢٨٢ - ترجمة سحنون في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٦ وترتيب المدارك : ٢ : ٥٨٥ والديباج المذهب : ١٦٠ وقضاة الحشني : ١٦٠ ورياض النفوس : ١ : ٢٤٩ ومعالم الإيمان : ٢ : ٤٩ وكتاب أبي العرب : ١٠١ وعبر الذهبي : ١ : ٤٣٢ والشذرات : ٢ : ٩٤ وقد وردت في م بعد ترجمة ديك الجن ، موجزة كثيراً .
١ كتب فوق السين في المسودة « معاً » يعني بفتحها وضها .

وهب وأشهب ، ثم انتهت الرياسة في العلم بالمغرب إليه ، وكان يقول : قبح الله
 الفقر ، أدركنا مالكا وقرأنا على ابن القاسم . كان أصله من الشام من مدينة
 حمص ، قدم به أبوه مع جند أهل حمص وولي القضاء بالقيروان ، وعلى قوله
 المعول بالمغرب . وصنف كتاب « المدونة » في مذهب الإمام مالك ، رضي الله
 عنه ، وأخذها عن ابن القاسم ، وكان أول من شرع في تصنيف « المدونة »
 أسد بن الفرات الفقيه المالكي بعد رجوعه من العراق ، وأصلها أسئلة سأل
 عنها ابن القاسم فأجابه عنها ، وجاء بها أسد إلى القيروان وكتبها عنه
 سحنون ، وكانت تسمى « الأسمية » ، ثم رحل بها سحنون إلى ابن
 القاسم في سنة ثمان وثمانين ومائة ، فمرضاها عليه ، وأصلح فيها مسائل ، ورجع
 بها إلى القيروان في سنة إحدى وتسعين ومائة ، وهي في التأليف على ما جمعه أسد
 ابن الفرات أولاً غير مرتبة المسائل ، ولا مرسمة التراجم ، فرتب سحنون أكثرها ،
 وبوّبه على ترتيب التصانيف واحتج لبعض مسائلها بالآثار من روايته من موطأ
 ابن وهب وغيره ، وبقيت منها بقية لم يتم فيها سحنون هذا العمل المذكور ،
 ذكر هذا كله القاضي عياض وغيره .

وذكر لي بعض الفقهاء المالكية أن الشيخ جمال الدين أبا عمرو المعروف بابن
 الحاجب الفقيه المالكي النحوي - الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى ، واسمه
 عثمان - قال : إن أسد بن الفرات الفقيه المالكي جاء من الغرب إلى مصر ،
 وقرأ على ابن القاسم وأخذ عنه « المدونة » ، وكانت مسودة ، وعاد بها إلى بلاده ،
 فحضر إليه سحنون وطلبها منه لينقلها فبخل عليه بها فرحل سحنون إلى ابن
 القاسم ، وأخذ عنه « المدونة » وقد حررها ابن القاسم ، فدخل بها إلى الغرب وعلى
 يده كتاب ابن القاسم إلى أسد بن الفرات يقول فيه : تقابل نسختك بنسخة
 سحنون ، فالذي تتفق عليه النسختان يثبت ، والذي يقع فيه الاختلاف
 فالرجوع إلى نسخة سحنون ، وتمحى نسخة ابن الفرات ، فهذه هي
 الصحيحة ، فلما وقف ابن الفرات على كتاب ابن القاسم عزم على العمل به ،
 فقال له أصحابه : إن عملت هذا صار كتاب سحنون هو الأصل وبطل كتابك ،
 وتكون أنت قد أخذته عن سحنون ، فلم يعمل بكتاب ابن القاسم ، فلما بلغ

ابن القاسم الخبْرُ قال : اللهم لا تنفع أحداً بابن الفرات ولا بكتابه ، فهجره الناس لذلك ، وهو الآن مهجور ، وعلى كتاب سحنون يعتمد أهل القيروان^١ . وحصل له من الأصحاب والتلامذة ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك مثله وعنه انتشر علم مالك بالمغرب . وكانت ولادته أول ليلة من شهر رمضان سنة ستين ومائة ؛ وتوفي في يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وسحْنُونُ : بفتح السين المهملة وضمها وسكون الحاء المهملة وضم النون وبعد الواو نون ثانية ، وفي فتح السين وضمها كلام من جهة العربية يطول شرحه وليس هذا موضعه ، وقد صنف فيه أبو محمد ابن السيد البَطْلَيْسِيُّ جزءاً وقفت عليه ، وقد استوفى الكلام فيه كما ينبغي وهو مجيد في كل ما يصنعه ، وقد تقدمت ترجمته^٢ . ولُقِبَ سحنون باسم طائر حديد بالمغرب يسمونه سَحْنُونًا لحدته ذهنه وذكائه ، ذكر ذلك أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني في كتاب « طبقات مَنْ كان بإفريقية من العلماء »^٣ ، والله أعلم .

(98) وأما أسد بن الفرات فإنه أرسله زيادة الله بن الأغلب في جيش إلى جزيرة صقلية ، ونزلوا على مدينة سرقوسة ، ولم يزالوا محاصرين لها إلى أن مات ابن الفرات في رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ودفن بمدينة بلرم من الجزيرة أيضاً ، والله أعلم .

١ وكان أول من شرع ... القيروان : ثبت في ر والمسودة وسقط من سائر النسخ .

٢ هذا آخر الترجمة في س ل .

٣ لم يرد هذا في ترجمة سحنون في الكتاب المذكور .

أبو هاشم الجبائي

أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي^١ بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمُران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، المتكلم المشهور العالم ابن العالم ؛ كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ، وكتب الكلام مشحونة بذهابها واعتقادها ، وكان له ولد يسمى أبا علي ، وكان عامياً لا يعرف شيئاً ، فدخل يوماً على صاحب بن عباد ، فظنه عالماً فأكرمه ورفع مرتبته ، ثم سأله عن مسألة فقال : لا أعرف نصف العلم ، فقال له صاحب : صدقت يا ولدي ، إلا أن أباك تقدم بالنصف الآخر^٢ .

وكانت ولادة أبي هاشم المذكور سنة سبع وأربعين ومائتين . وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد ، ودفن في مقابر البستان من الجانب الشرقي ، وفي ذلك اليوم توفي أبو بكر محمد ابن دُرَيْد اللغوي المشهور - وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى - رضي الله عنهم أجمعين .

وحُمُران : بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الراء وبعد الألف نون .

وأبان : بفتح الهمزة والباء الموحدة وبعد الألف نون .

والجبائي : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة ، هذه النسبة إلى قرية من قرى البصرة خرج منها جماعة من العلماء ، هكذا قاله السمعاني في كتاب « الأنساب »^٣ ،

٣٨٣ - ترجمة الجبائي في طبقات المعتزلة : ٩٤ والفرق : ١٨٤ ومختصر الفرق : ٢٧ ، ١٢١

وتاريخ بغداد ١١ : ٥٥ وميزان الاعتدال ٢ : ٦١٨ والبداية والنهاية ١١ : ١٧٦ وعبر

الذهبي ٢ : ١٨٧ والشذرات ٢ : ٢٨٩ .

١ الجبائي : سقطت من س ل م والمسودة .

٢ وكان له ولد ... الآخر : سقط من س .

٣ الأنساب ٣ : ١٨٦ .

وقال ياقوت الحموي في كتابه «المشترك»^١ : إنها كورة وبلدة ذات قرى
وعمارات^٢ من نواحي خوزستان^٣ ، والله أعلم .

٣٨٤

ديك الجن

أبو محمد عبد السلام بن رَغْبَان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن
رَغْبَان بن زيد بن تميم الكلبي الملقب بديك الجن ، الشاعر المشهور ؛ وذكر ابن
الجراح في كتاب « الورقة »^٤ أنه مولى لطيء ، والله أعلم ؛ أصله من أهل سَكَمِيَّة ،
ومولده بمدينة حمص ، وتيم أول من أسلم من أجداده على يد حبيب بن مسلمة
الفهري^٥ ، أخذ محارباً ، وكان يفخر على العرب ويقول : ما لهم فضل علينا ،
أسلنا كما أسلموا . وهو من شعراء الدولة العباسية ، ولم يفارق الشام ولا رحل
إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعر ، ولا متصدياً لأحد ، وكان يتشيع تشيعاً
حسناً ، وله مراثٍ في الحسين ، رضي الله عنه . وكان ماجناً خليعاً عاكفاً على
القصف واللبو متئلاً لما ورثه ، وشعره في غاية الجودة .

حدث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال : كنت جالساً عند ديك
الجن ، فدخل عليه حَدَث فأنشده شعراً عمله ، فأخرج ديك الجن من تحت
مُصَلَّاهُ درجاً كبيراً فيه كثير من شعره فسلمه إليه وقال : يا فتى تكسب بهذا
واستعن به على قولك . فلما خرج سأله عنه فقال : هذا فتى من أهل جاسم ،

١ المشترك : ٩٢ (جسبي) .

٢ المشترك : رمزارع .

٣ ر : بغداد .

٣٨٤ - ترجمة ديك الجن في الأغاني ١٢ : ٤٩ والدميري ١ : ٤٨٨ وثمار القلوب : ٢٧ ، ٤٧٠ .

وله أخبار في مصارع العشاق وتزيين الأسواق ، وانظر مقدمة ديوانه (ط. دار الثقافة ١٩٦٤) .

٤ لم يرد في كتاب « الورقة » المطبوع .

يذكر أنه من طيء ، يكنى أبا تمام ، واسمه حبيب بن أوس ، وفيه أدب
وذكاء وله قريحة وطبع ، قال : وعُمِّرَ الملقب ديك الجن إلى أن مات أبو تمام
ورثاه .

ومولد ديك الجن سنة إحدى وستين^١ ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة ،
وتوفي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين .

ولما اجتاز أبو نواس بمحص قاصداً مصر لامتداح الحبيب بن عبد الحميد سمع
ديك الجن بوصوله ، فاستخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة
إليه ، فقصده أبو نواس في داره وهو بها ، فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت
الجارية : ليس هو هاهنا ؛ فعرف مقصده فقال لها : قولي له اخرج فقد فَتَّنتَ
أهل العراق بقولك :

موردة من كفّ ظي كأنما تناولها من خده فأدارها

فلما سمع ديك الجن ذلك خرج إليه واجتمع به وأضافه . وهذا البيت من جملة
أبيات وهي^٢ :

بها غير معذول^٣ فداو خبأها
ونل من عظيم الوزر كل عظمة
وقم أنت فاحث كاسها غير صاغر
فقام يكاد الكأس يخرق كفه
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها
موردة من كفّ ظي كأنما تناولها من خده فأدارها

١ ر : إحدى وسبعين .

٢ الديوان : ١٠٧ .

٣ م والديوان : معذور .

٤ ر والديوان : بعثيات .

وذكرَ الجهشيارى في كتاب « أخبار الوزراء »^١ أن حبيب بن عبد الله بن رَغْبَانَ المذكور في هذا النسب كان كاتباً في أيام الخليفة المنصور ، وكان يتقلد الاعطاء ، وكان موجوداً في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، وأن ديك الجن الشاعر من ولده ، وإليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام ، وأنه مولى حبيب ابن مسلمة الفهري^٢ .

(99) قلت : وحبيب بن مسلمة كان من خواص معاوية ، وله معه في وقعة صفين آثار شكرها له ، ولما استقر الأمر لمعاوية سير حبيباً في بعض مهامه ، فلقبه الحسن بن علي ، رضي الله عنها ، وهو خارج فقال له : يا حبيب ، رب مسير لك في غير طاعة الله ، فقال له حبيب : أمّا إلى أهلك فلا ، فقال له الحسن : بلى والله ، ولقد طاوعت معاوية على دنياه ، وسارعت في هواه ، فلئن قام بك في دنياك فقد قعد بك في دينك ، فليتك إذ أسأت الفعل أحسنت القول ، فتكون كما قال الله تعالى ﴿ وَأَخْرُوجُوا بَدَنُومَهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيْئًا ﴾ (التوبة : ١٠٢) ولكنك كما قال الله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين : ١٤) . وكنية حبيب هذا أبو عبد الرحمن ، ولأه معاوية أرمينية فمات بها سنة اثنتين وأربعين للهجرة ولم يبلغ خمسين سنة .

وكانت لديك الجن جارية يهاها اسمها دنيا ، فاتهمها بغلامه وصيف فقتلها ثم ندم على ذلك فأكثر من التغزل فيها ، فمن ذلك قوله^٢ :

يا طلعةً طلَعَ الحِمامُ عليها	وجنى لها ثمرَ الردى بيديها
رويتُ من دَمِها الثرى ولطالما	روى الهوى شفتي من شفتيها
مكنتُ سيفي من مجالِ خناقها	ومدامي تجري على خديها
فوحقّ نعلها وما وطىء الحصى	شيءٌ أعزُّ عليّ من نعلها
ما كان قتلها لأنّي لم أكن	أبكي إذا سقط الغبارُ عليها

١ أخبار الوزراء : ١٠٢ .

٢ ديوانه : ٩٠ .

لَكِنْ بَخِلْتُ عَلَى سِوَايَ بِحُبِّهَا وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْغُلَامِ إِلَيْهَا
وله فيها ٢ :

جَاءَتْ تَزْوُرُ فِرَاشِي بَعْدَ مَا قُبِرْتِ
وَقُلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي قَدْ بُعِثَتْ لَنَا
قَالَتْ هُنَاكَ عِظَامِي فِيهِ مُودَعَةٌ
وَهَذِهِ الرُّوحُ قَدْ جَاءَتْكَ زَائِرَةً
فَظَلَّتْ أَلِيمٌ نَحْرًا زَانَهُ الْجَيْدُ
فَكَيْفَ ذَا وَطَرِيقُ الْقَبْرِ مَسْدُودٌ
تَعَيْتُ فِيهَا بَنَاتُ الْأَرْضِ وَالذُّوْدُ
هَذِي زِيَارَةٌ مَن فِي الْقَبْرِ مَلْحُودٌ
وله فيها ، وقيل إن هذه الأبيات لها في ولدها منه ، واسمه رغبان ٣ :

بِأبي نَبَذْتُكَ بِالْعَرَاءِ الْمُقْفِرِ
بِأبي بَدَلْتُكَ بَعْدَ صَوْنِ اللَّيْلِ
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَرَى أَثَرَ الْبَيْلِ
وَسَتَرْتُ وَجْهَكَ بِالتُّرَابِ الْأَعْفَرِ
وَرَجَعْتُ عَنْكَ صَبْرْتُ أَوْ لَمْ أَصْبِرْ
لَتَرَكْتُ وَجْهَكَ ضَاحِيًا لَمْ يُقْبَرَ
[ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان
وهي ٥ :

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بَعْدَ رِهِ
فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلِيٌّ كَرَامَةٌ
قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ
أَوْ أَبْتَلِي بَعْدَ الْوَصَالِ بِهَجْرِهِ
مِائَةُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
لِبَلِيَّتِي وَرَفَعْتُهُ مِنْ خِدْرِهِ
وَالْحَزَنُ يَنْحَرُّ مَقْلَتِي فِي نَحْرِهِ

١ كتب في المسودة :

لكن ضننت على الميرون بحسبها وأنفت من نظر الميرون إليها

ثم ضنبت فوقه وكتب البيت كما أثبتناه .

٢ ديوانه : ١٤٢ .

٣ ديوانه : ١٤٤ .

٤ ر : الأغبر .

٥ ديوانه : ٩٢ .

لو كان يدري الميتُ ماذا بعدهُ بالحَيِّ منهُ بكى لهُ في قبره
غُصَصٌ تكادُ تفيظُ منها نفسهُ ويكادُ يخرُجُ قلبهُ من صدره
فصنعت أخت الغلام :

يا وَيْحَ ديكِ الجِنِّ يا تَبًّا لهُ مما تَضَمَّنَ صدرهُ من غدره
قتلَ الذي هوى وعُمِّرَ بعدهُ يا رَبِّ لا تمدُّدُ لهُ في عمره^١

وقد ذكر أبو بكر الخرائطي في كتاب «اعتلال القلوب»^٢ حديثه وشعره
وله كل معنى حسن ، رحمه الله تعالى .

ورَغَبان : بفتح الراء وسكون الفين المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد
الألف نون .

وقد تقدم الكلام على سَلَمِيَّةَ في ترجمة المهدي عبيد الله . وحمص : مدينة
مشهورة .

٣٨٥

أبو القاسم الداركي

أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركي ، الفقيه
الشافعي ؛ كان أبوه محدث أصبهان في وقته ، وكان أبو القاسم من كبار فقهاء

١ زيادة انفردت بها ر .

٢ ر : اعتلال القلوب ؛ وقد ذكره حاجي خليفة ومؤلفه أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي
السامري ، توفي سنة ٣٢٧ (كشف الظنون : ١١٩) .

٣٨٥ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٤ وتاريخ بغداد : ١٠٥ : ٦٣ وطبقات السبكي :
٢٤٠ وعبر الذهبي : ٢ : ١٧٠ والشذرات : ٣ : ٨٥ وهي موجزة كثيراً في م ، ومستوفاة
في المسودة .

الشافعيين ، نزل نيسابور سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ودرس الفقه بها سنين ، ثم انتقل إلى بغداد وسكنها إلى حين وفاته ، وأخذ الفقه عن أبي إسحاق المرزوزي ، وعليه تفقه الشيخ أبو حامد الإسفرائيني بعد موت أبي الحسن ابن المرزبان ، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهل الآفاق . وكان يدرّس ببغداد في مسجد دَعَلَج بن أحمد بدرب أبي خلف من قطيعة الربيع ، وله حلقة في الجامع للفتوى والنظر ، وانتهى التدريس إليه ببغداد وانتفع به خلق كثير . وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه ، وكان يُتَّهَمُ بالاعتزال ، وكان الشيخ أبو حامد الإسفرائيني يقول : ما رأيت أحداً أفقه من الداركي ، وأخذ الحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي . وكان إذا جاءته مسألة تفكر طويلاً ثم يفتي فيها ، وربما أفتى على خلاف مذهب الإمامين الشافعي وأبي حنيفة ، رضي الله عنها ، فيقال له في ذلك ، فيقول : ويحكّم ، حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا ، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الإمامين .

وتوفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، عن نيف وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى ، وقيل : إنه توفي في ذي القعدة ، والأول أصح . وكان ثقة أميناً .

والداركي : بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف ، قال السمعاني : هذه النسبة إلى دارك ، وظني أنها من قرى أصبهان ، وقال : هو عبد العزيز بن الحسن بن أحمد الداركي ، والله أعلم بالصواب .

ابن نباتة الشاعر

أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج ابن مطر بن خالد بن عمرو بن رزاح بن رياح بن سعد بن ثجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر ، التميمي السعدي ، وبقية النسب معروف ؛ كان شاعراً مجيداً ، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان غرر القصائد ونخب المدائح ، وكان قد أعطاه فرساً أدم أغر مُحجلاً فكتب إليه :

يا أيها الملكُ الذي أخلاقه	مِنْ خَلْقِهِ ورُواؤُهُ مِنْ رَائِهِ
قد جاءنا الطَّرْفُ الذي أهدَيْتَهُ	هاديه يَعْقدُ أرضهُ بسائِه
أولايَةٍ وليتَنَا فَبَعَثْتَهُ	رحماً سَيِّبُ العُرفِ عقدُ لوائِه
نَحْتَلُ مِنْهُ على أغرٍ مُحجَلٍ	ماءُ الدِّياجي قَطْرَةٌ مِنْ مائِه
فكاننا لَطَمَ الصِّباحُ جَبِينَهُ	فاقتَصَّ مِنْهُ فِخاضَ في أحشائِه
مُتَمَهِّلاً والبَرَقُ مِنْ أسْمائِه	مُتَبَرِّقِماً والحُسْنُ مِنْ أكفائِه
ما كانتِ النيرانُ يَكُنُ حرَّها	لوْ كانَ للنيرانِ بَعْضُ ذَكانِه
لا تَعَلَّقُ الأَحاظُ في أعطافِه	إِلا إذا كَفَكَفَتَ مِنْ غَلوائِه
لا يُكِلُّ الطَّرْفُ الحاسِنَ كلِّها	حقى يَكُونُ الطَّرْفُ مِنْ أسرائِه

وهذا المعنى الذي وقع له في صفة الغرة والتحجيل في غاية الإبداع ، وما أظنه سبق إليه .

٣٨٦ - ترجمة ابن نباتة السعدي في تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦٦ ، واليتمية ٢ : ٣٨٠ ، وعبر الذمبي ٣ : ٩١ والشذرات ٣ : ١٧٥ ، وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٣٦ ؛ وهذه الترجمة مطابقة تماماً لما في المسودة .

وله في سيف الدولة أيضاً قصيدة لامية طويلة ومن جملة أبياتها قوله :

قد جُدتَ لي باللهَا حتى ضَجِرْتُ بها وكِدْتُ مِنْ ضَجْرِي أُثْنِي عَلَى الْبِخْلِ
إِنْ كُنْتُ تَرْغَبُ فِي أَخْذِ النَّوَالِ لَنَا فَاخْلُقْ لَنَا رَغْبَةً أَوْ لَا فَلَا تَنْتَلِ
لَمْ يُبْقِ جُودَكَ لِي شَيْئاً أَوْ مِثْلَهُ تَرَكَتْنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

وهذا المعنى فيه إلمام بقول البحري^١ ، أعني البيت الأول :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشة^٢ لا العودُ يذهبها ولا الإبداء
أخجلتني^٣ بندي يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالجدود حتى إنني متخوف أن لا يكون لقاء
صلة غدت في الناس وهي قطعة عجب وبر راح وهو جفاء

وفي معناه أيضاً قول دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر^٣ :

زمني بمطلب سقيت زمانا ما كنت إلا روضةً وجنانا
كلُّ الندى إلا ندادك تكلف^٤ لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبر بل أفسدتني وتركتني أتسخطُ الإحسانا

وهو معنى مطروق تداولته الشعراء ، وأكثر استعماله ، فمنهم من يستوفيه ومنهم من يقصر فيه ، وكتب به علي بن جبلة المعروف بالعكوك - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - إلى أبي دلف العجلي في أبيات رائية ، ولولا خوف الإطالة لذكرتها ، وما أطف قول أبي العلاء المعري فيه :

لو اختصرتُم من الإحسان زرتكم^٥ والعذب يُهجر للإفراط في الخصر

١ ديوان البحري : ٢١ - ٢٢ والقصيدة في مدح أبي جعفر محمد بن علي القمي .

٢ الديوان : أحشمتني .

٣ انظر ترجمة دعبل ج ٢ ص : ٢٦٩ من هذا الكتاب .

رجعنا إلى ذكر أبي نصر المذكور :

ومعظم شعره جيد ، وله ديوان كبير ، وكان قد وصل إلى مدينة الري ، وامتحده أبا الفضل محمد بن العميد وجرى بينها مفاوضة يأتي شرحها في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادته في سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، وتوفي يوم الأحد بعد طلوع الشمس ثالث شوال سنة خمس وأربعمائة ببغداد ، ودفن قبل الظهر في مقبرة الخيزران من الجانب الشرقي ، رحمه الله تعالى .

ونبأته : بضم النون كما تقدم في جد الخطيب ابن نبأته .

وثُجِّيرٌ : بضم الثاء المثلثة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء .

وبقية الأسماء معروفة^٢ .

قال أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل : دخلت على أبي الحسن محمد بن علي ابن نصر البغدادي صاحب الرسائل وصاحب كتاب « المفاوضة » - قلت : وهو أخو القاضي عبد الوهاب المالكي ، وسيأتي ذكرهما في ترجمة عبد الوهاب إن شاء الله تعالى - قال : وكان في مرض موته بواسط ، فقعدت عنده قليلا ثم قمت لأنه كان به قيام ، فأنشدني بيت أبي نصر عبد العزيز وهو :

متع لحاظك من خلّ تودّعه^١ فما إخالك بعدَ اليوم بالوادي

ثم قال لي أبو الحسن المذكور : عدت أبا نصر ابن نبأته في اليوم الذي توفي فيه فأنشدني هذا البيت ، وودعته وانصرفت ، فأخبرت في طريقي أنه توفي ، قال الشيخ أبو غالب : وفي تلك الليلة توفي أبو الحسن المذكور ، وقد ذكرت تاريخ ذلك في ترجمة عبد الوهاب [المالكي]^٣ .

١ ر : ذكرها .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ل س م .

٣ زيادة من ر .

وقال أبو علي محمد بن وشاح بن عبد الله : سمعت أبا نصر ابن نباتة يقول :
كنت يوماً قاتلاً في دهليزي ، فدق عليّ الباب ، فقلت : مَنْ ؟ فقال : رجل
من أهل المشرق ، فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القاتل :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسِّيفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالذَّاءُ وَاحِدٌ

فقلت : نعم ، فقال : أرويه عنك ؟ فقلت : نعم ، فمضى ، فلما كان آخر النهار
دقّ عليّ الباب ، فقلت : من ؟ فقال : رجل من أهل تاهرت من الغرب ،
فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القاتل :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسِّيفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالذَّاءُ وَاحِدٌ

فقلت : نعم ، فقال : أرويه عنك ؟ فقلت : نعم ، وعجبت كيف وصل إلى
الشرق والغرب .

٣٨٧

ابن مغلّس الأندلسي

أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيّد بن مغلّس القيسي الأندلسي ؛
كان من أهل العلم باللغة والعربية مشاراً إليه فيها ، رحل من الأندلس وسكن
مصر واستوطنها ، وقرأ الأدب على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي صاحب
كتاب « الفصوص » - وقد سبق ذكره في حرف الصاد^٢ - وعلى أبي يعقوب

١ ر : وعجبت من شعري .

٣٨٧ - ترجمة ابن مغلّس في الصلة : ٣٥١ والجذوة : ٢٦٩ وبنية الملتبس (رقم : ١٠٨٨)
وبنية الرعاة : ٣٠٧ والنفع : ٢ : ١٣٢ ؛ وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .

٢ انظر ترجمة صاعد رقم : ٣٠١ .

يوسف بن يعقوب النجيري بمصر ، ودخل بغداد واستفاد وأفاد ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله :

مريضُ الجُفُونِ بلا عِلَّةٍ ولكنَّ قلبي به مُعرَضُ
أعانَ الشَّهادَةَ على مقلتي بفيضِ الدموعِ فما تُغمضُ
وما زارَ شوقاً ولكن أتى يُعرَضُ لي أنه مُعرَضُ

وله أشعار كثيرة ، وكانت بينه وبين أبي الطاهر إسماعيل بن خلف صاحب كتاب « العنوان »^١ معارضات في قصائد^٢ هي موجودة في ديوانها ، ولولا خوف الإطالة لأتيت بشيء منها .

وتوفي يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، بمصر ، وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي^٣ صاحب التفسير في مصلى الصديقي ، ودفن عند بني إسحاق ، رحمهم الله أجمعين .

ومغلس : بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد اللام وكسرها وبعدها سين مهملة .

١ إسماعيل بن خلف مقرئ أندلسي استوطن مصر وتوفي سنة ٤٥٥ هـ ، ومن مؤلفاته - سوى العنوان - كتاب الاكتفاء . (انظر الصلة : ١٠٥ وغاية النهاية ١ : ١٦٤) .

٢ في قصائد : سقطت من ر .

٣ سترجم له ابن خلكان .

عبد الصمد بن علي الهاشمي

أبو محمد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي؛ ذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «شذور العقود» أنه كانت فيه عجائب، منها أنه ولد في سنة أربع ومائة، وولد أخوه محمد بن علي والد السفاح والمنصور في سنة ستين للهجرة، فبينهما في المولد أربع وأربعون سنة، وتوفي محمد في سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي عبد الصمد المذكور في سنة خمس وثمانين ومائة، فكان بينها في الوفاة تسع وخمسون سنة، ومنها أنه حج يزيد بن معاوية في سنة خمسين للهجرة وحج عبد الصمد بالناس سنة خمسين ومائة، وهما في النسب إلى عبد مناف سواء، لأن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فبين يزيد وعبد مناف خمسة أجداد، وبين عبد الصمد وعبد مناف خمسة، لأن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ومنها أنه أدرك السفاح والمنصور وهما ابنا أخيه، ثم أدرك المهدي ابن المنصور وهو عم أبيه، ثم أدرك الهادي وهو عم جده، ثم أدرك الرشيد وفي أيامه مات. وقال يوماً للرشيد: يا أمير المؤمنين، هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعمّ أمير المؤمنين وعمّ عمّ أمير المؤمنين وعمّ عمّ عمّ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عمّ الرشيد، والعباس عمّ سليمان، وعبد الصمد عمّ العباس. ومنها أنه مات بأسنانه التي ولد بها، ولم يُشْفَر، وكانت قطعة واحدة من أسفل.

٣٨٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٦٢٠ ونكت الهميان : ١٩٣ وعبر الذهبي ١ : ٢٩٠ (وفيات سنة ١٨٥) وصفحات متفرقة من الجزئين الخامس والسادس من ابن الأثير؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة بتامها.

١ هنا تنتهي الترجمة في م.

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن عبد الصمد المذكور ولد في رجب سنة ست ومائة ، ومات في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين ومائة . وقال غيره : كانت وفاته ببغداد ، وقال غيره : ولد في سنة تسع ، وقيل في سنة خمس بالحميمة من أرض البلقاء ، والله أعلم .
 وأمه كبيرة التي يقول فيها عبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر المشهور قصيدته التي أولها :

عَادَ لَهُ مِنْ كَبِيرَةَ الطَّرْبُ

وعمي في آخر عمره .
 يقال : ثَغِرَ الصبي يُثْغِرُ فهو مثغور ، إذا سقطت أسنانه ، وإذا نبتت قيل قد اثْغَرَ ، واثْغَرَ ، بالثاء والتاء مع التشديد فيها - وسيأتي ذكر والده وأخيه إن شاء الله تعالى .

٣٨٩

ابن بابك

أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور ؛ أحد الشعراء المجيدين الكثيرين ، رأيت ديوانه في ثلاث مجلدات ، وله أسلوب رائق في نظم الشعر ، وجاب البلاد ، ولقي الرؤساء ، ومدحهم ، وأجزلوا جائزته [ولما قدم على صاحب بن عباد قال له : أنت بابك الشاعر ؟ فقال : أنا ابن

١ ديوان ابن قيس الرقيات : ١ ، وعجز البيت « فمينه بالدموع تنسكب » . وكبيرة - بالباء - في المسودة والنسخة ر ، وسقط الكلام من س ل م ؛ وفي الديوان « كثيرة » .
 ٢٨٩ - ترجمته في اليتيمة ٣ : ٣٧٧ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٤ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٠٢ والشذرات ٣ : ١٩١ .

بابيك ، فاستحسن قوله وأجازه وأجزل صلته^١ .

ومن شعره قوله :

وأغيدَ معسولِ الشمائلِ زارني
فلما جلا صبغَ الدجى قلت حاجبُ
إلى أن دنا والسحرُ رائدُ طرفه
فنازعتُهُ الصبَاءَ والليلُ دامسُ^٢
عقارِ عليها من دمِ الصبِّ نَفْضَةٌ
تُدِيرُ إِذَا شُجَّتْ عيوناً كأنها
مُعَوَّدَةٌ غَضَبَ العقولِ كأنما
فبتنا وظلُّ الوصلِ دان^٣ وسرُّنا
إلى أن سلا عنَ وردهِ فارطُ القطا
فولَّى أسيرَ السكرِ يكبو لسانه
وله :

يا صاحبي امزجا كأس المدام لنا
خمرأ إذا ما نديمي هم يشربها
لورام يحلف أن الشمس ما غربت
في فيه كذبه في وجهه الشفق
كما يضيء لنا من نورها الغسق
أخشى عليه من الألاء يحترق

وله من قصيد بيت^٤ في غاية الرقة وهو :

ومرّ بي النسيمُ فرقاً حتى
كأني قد شكوتُ إليه ما بي

١ لم يرد ما بين معقفين في النسخ الخطية .

٢ س : طامس .

٣ س ل : باد .

٤ سقط الشعر من س ل .

وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .
وبابك : بفتح الباءين الموحدتين بينها ألف وفي الأخير كاف .

٣٩٠

أبو المحاسن الروياني

أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الرُّوياني الفقيه الشافعي؛
من رؤوس الأفاضل في أيامه مذهباً وأصولاً وخلاقاً ، سمع أبا الحسين عبد الغافر
ابن محمد الفارسي بميفارقين ومن أبي عبد الله محمد بن بيان بن محمد الكازروني وتفقه
عليه على مذهب الشافعي ، وروى عنه زاهر بن طاهر الشحامي وغيره .
وكان له الجاه العظيم والحرمة الوافرة في تلك الديار ، وكان الوزير نظام
الملك كثير التعظيم له لكمال فضله . رحل إلى بخارى وأقام بها مدة ودخل
غزنة ونيسابور ، ولقي الفضلاء ، وحضر مجلس ناصر المروزي وعلق عنه
وسمع الحديث ، وبني بأمل طبرستان مدرسة ، ثم انتقل إلى الري ودرّس بها ،
وقدم أصبهان وأمل بجامعها ، وصنف الكتب المفيدة : منها « بحر المذهب »^٢
وهو من أطول كتب الشافعيين وكتاب « مناصب الإمام الشافعي » وكتاب
« الكافي » وكتاب « حلية المؤمن » وصنف في الأصول والخلاف ، ونُقل عنه أنه
كان يقول : لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من خاطري .
وذكره القاضي أبو محمد عبد الله بن يوسف الحافظ في « طبقات أئمة الشافعية »^٣

٣٩٠ - ترجمة الروياني في طبقات السبكي ٤ : ٢٦٤ والأنساب ٦ : ١٩٨ وعبر الذهبي ٤ : ٤
والشذرات ٤ : ٤ وسياق تاريخ نيسابور (المختصر الأول ، الورقة ٥٢ ب) . وهذه الترجمة
مطابقة لمسودة المؤلف .

١ ر : الحلواني .

٢ س : بحر الذهب ؛ ر : تحرير المذهب .

٣ عبد الله بن يوسف القاضي أبو محمد الجرجاني (- ٤٨٩) محدث فقيه صنف أيضاً « فضائل »

فقال : أبو المحاسن الروياني باقرة^١ العصر إمام في الفقه ، وذكره الحافظ أبو زكرياء يحيى بن مئنه ، وروى الحديث عن خلق كثير في بلاد متفرقة . وكانت ولادته في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وقال الحافظ أبو طاهر السلفي : بلغنا أن أبا المحاسن الروياني أملى بمدينة آمل ، وقُتل بعد فراغه من الإملاء بسبب التعصب في الدين ، في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة .

وذكر معمر^٢ بن عبد الواحد بن فاخر في الوفيات التي خرجها للحافظ أبي سعد ابن السمعاني أن أبا المحاسن المذكور قتل بآمل في جامعها يوم الجمعة الحادي عشر من المحرم من السنة المذكورة ، قتله الملاحدة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .
والرؤياني : بضم الراء وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى رؤيان ، وهي مدينة بنواحي طبرستان خرج منها جماعة من العلماء ؛ وآمل مدينة هناك وقد سبق ذكرها .

٣٩١

البيغاء

أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد الخزومي الشاعر المعروف بالبيغاء ؛ ذكره الثعالبي في « يتيمة الدهر »^٣ وقال : هو من أهل نصيبين ، وبالغ في

= الشافعي » و « فضائل أحد » (طبقات السبكي ٣ : ٢١٩) ، وقد بين السبكي في مقدمته أنه لم يطلع على كتاب « طبقات أئمة الشافعية » المذكور .

١ باقرة : كذا في أصول الوفيات ، ويقال ان الباقور لقب جرى على صاحبه لتضلعه في العلم ؛ المشهور في مثل هذا « باقعة » ؛ وفي السبكي : نادرة العصر ، ونسب القول إلى الحافظ الجرجاني - ولعله ينقل قوله من مصدر آخر .

٢ هذه الفقرة سقطت من س ل .

٣٩١ - ترجمته في تاريخ بغداد ١١ : ١١ والمتنظم ٧ : ٢٤١ وعبر الذهبي ٣ : ٦٨ والشذرات

١٥٢ : ٣

٣ يتيمة ١ : ٢٥٢ .

الثناء عليه وذكر جملة من رسائله ونظمه وما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي ،
وأشياء يطول شرحها .

[واتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل مدة طويلة ولم
يصر عنه وزاره في مجلسه ثم انصرف ولم يعاوده فكتب إليه أبو إسحاق :

أبا الفرجِ اسلمْ وابقَ وانعمْ ولا تزُلْ
مضى زمن تستامُ وصليَ غالباً
وأنتسني في مجلسي بزيارة
ولكنها كانت كحسوةٍ طائريِ
وأحسبك استوحشتَ من ضيقِ محبسي
كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه
فحوشيت يا قسَّ الطيور بلاغةً
من المنسر الأشقى ومن حدة المدى
فهذي دواهي الطيرِ وقيت شرها
يزيدك صرْفُ الدهرِ حظاً إذا نقصَ
فأرخصته والبيعُ غالٍ ومرتحص
شفتُ كبدأ من صاحبٍ لك قد خلص
فواقاً كما يستفرصُ السارقُ الفرص
وأوجست خوفاً من تذكرك القفص
إذا عاين الأشرار تَنْصب للقفص
إذا أنشد المنظومُ أو دُرس القصص
ومن بندقِ الرامي ومن قصة المقص
إذا الدهر من أحداثه جرَّع الغمص

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجداً [مذيَّم] المجد ما نكص
ستخلصُ من هذا السرارِ وأيما
برأفةٍ تاج الملة الملك الذي
تقنصت بالألطف شكري ولم أكنُ
وصادفت أدنى فرصة فانتهزتها
أتني القوافي الزاهراتُ تجمل الـ
فقابلتُ زهرَ الروض منها ولم أُرِدْ
وبدرَ تامٍ مذ تكامل ما نقص
هلالٍ تواري بالسرارِ فما خلص
[لسؤدده] في خطة المشتري حصص
علمتُ بأن الحرَّ بالبر يُقنص
بلياك إذ بالحزم تنتهز الفرص
بدائع من مستحسن الجد والرخص
وأحرزتُ [دُر] البحر منها ولم أغص

فإن كنتُ بالبيغاء قديماً ملقباً فكم لقبٍ بالجور لا العدل مُختَرَص
 وبعدُ فما أخشى تقتنصَ جارحٍ وقلبك لي وكرُّ ورأيك لي قفص
 فانتهى الابتداء والجواب الى عضد الدولة فأعجب بها واستظرفها ، وكان ذلك
 أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله . ثم اتصلت بينها المودة والكتابة .
 وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال : دخل أبو الفرج عبد الواحد البيغاء
 على الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وقد نثرت عليه دنانير وجواهر ، فأنشد
 بديها :

نثروا الجواهرَ واللجينَ وليس لي شيء عليه سوى المدائح أنثرُ
 بقصائدٍ كالدرِّ إن هي أنشدت وثنا إذا ما فاح فهو العنبرُ^١
 ومن شعره :

يا سادتي هذه روعي تودِّعكم إذ كان لا الصبرُ يُسليها ولا الجزعُ
 قد كنت أطمع في رَوْحِ الحياة لها فالآن إذ بنتمُ لم يبقَ لي طمَع
 لا عذَّب الله روعي بالبقاء فما أظنُّها بعدكم بالعيش تنفع
 وله^٢ :

خيالكَ منك أعرفُ بالغرامِ وأرأفُ بالحبِّ المستهامِ
 ولو يسطيعُ حين حطرتَ نومي عليّ لزار في غير المنامِ
 وله أيضاً :

ومهفهِ لما اكتستَ وجناتهِ خَلَعَ الملاحَ طُرزَتَ بعذارهِ
 لما انتصرتُ على ألمِ جفائهِ بالقلب كان القلبُ من أنصارهِ

١ انفردت بهذه الزيادة .

٢ سقط البيتان من ل .

كَمَلَّتْ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَقْ
وَإِذَا أَلْحَ الْقَلْبُ فِي هِجْرَانِهِ قَالَ الْهَوَى لَا بَدَّ مِنْهُ فَدَارِهِ
وَلَهُ فِي التَّشْبِيهِ وَقَدْ أَبْدَعَ فِيهِ :

وَكَأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِهِ لِلنَّاطِرِينَ أَهْلَةً فِي الْجَمَدِ
وَكَانَ طَرَفَ الشَّمْسِ مَظْرُوفٌ وَقَدْ جُعِلَ الْغَبَارُ لَهُ مَكَانَ الْإِثْمِ
وَلَهُ فِي سَعِيدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

لَا غَيْثُ نِعْمَاهُ فِي الْوَرَى خُلْبُ الْبَرْقِ وَلَا وَرْدُ جُودِهِ وَشَلُّ
جَادٍ إِلَى أَنْ لَمْ يُبْتَقِ نَائِلُهُ مَالًا وَلَمْ يَبْتَقِ لِلْوَرَى أَمَلُ

وقد سبق نظير هذا المعنى في شعر أبي نصر ابن نباتة السعدي . وأكثر
شعر أبي الفرج المذكور جيد ومقاصده فيه جميلة . وكان قد خدم سيف الدولة
ابن حمدان مدة ، وبعد وفاته تنقل في البلاد .

وتوفي يوم السبت سلخ شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وقال الخطيب في
تاريخه : توفي في ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، والله
أعلم ، رحمه الله تعالى . وقال الثعالبي وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول
عند صدوره من الحج ودخوله بغداد في سنة تسعين وثلثمائة : رأيت بها أبا
الفرج البيهقي شيخاً عالي السن متطاول الأمد ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته
ولم تأخذ من ظرفه وأدبه .

والببغاء : بفتح الباء الأولى وتشديد الباء الثانية وفتح الغين المعجمة وبعدها
ألف ، وهو لقب ، وإنما لقب به لحسن فصاحته ، وقيل : للثغة كانت في لسانه .
ووجد بخط أبي الفتح ابن جني النحوي الففغاء ، بفاءين ، والله أعلم بالصواب .

أبو منصور البغدادي

الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب ؛ كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب ، فإنه كان متقناً له وله فيه تواليف نافعة ، منها كتاب « التكملة » ، وكان عارفاً بالفرائض والنحو ، وله أشعاراً ، وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في « سياق تاريخ نيسابور »^٢ ، وقال : « ورد مع أبيه نيسابور ، وكان ذا مال وثروة وأنفقه على أهل العلم والحديث ولم يكتسب بعلمه مالاً ، وصنف في العلوم وأرُبى على أقرانه في الفنون ودرّس في سبعة عشر فنّاً ، وكان قد تفقه على أبي إسحاق الإسفرائيني وجلس بعده للإملاء في مكانه بمسجد عقيل فأملى سنين ، واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه ، مثل ناصر المروزي وزين الإسلام القشيري وغيرهما » .

وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة بمدينة إسفران ، ودفن إلى جانب شيخه الأستاذ أبي إسحاق ، رحمها الله تعالى .

٢٩٢ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ١٨٥ وطبقات السبكي ٣ : ٢٣٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٥٣

ربغية الوعاة : ٣١٠ والقوات ١ : ٦١٣ ؛ وما هنا مطابق لما في المسودة .

١ ر : أشعار كثيرة .

٢ انظر Histories : (المختصر الأول ، الورقة : ٥٥) .

أبو النجيب السهروردي

أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمّويّه ، واسمه عبد الله ، بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، الملقب ضياء الدين الشّهْرَوَرْدِي . وقال محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » : نقلت نسب الشيخ أبي النجيب من خطه وهو : عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، واسمه عبد الله ، بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن سعد بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وإذا كان بخطه هكذا فهو أصح . كان شيخ وقته بالعراق ، وولد بسهْرَوَرْدَ سنة تسعين وأربعمائة تقريباً ، وقدم بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية على أسعد الميهني - المقدم ذكره - وغيره ، ثم سلك طريق الصوفية وحُبِّبَ إليه الانقطاع والعزلة فانقطع عن الناس مدة مديدة ، وأقبل على الاشتغال بالعمل لله تعالى وبذل الجهد في ذلك ، ثم رجع ودعا جماعة إلى الله تعالى ، وكان يعظ ويذكر ، فرجع بسببه خلق كثير إلى الله تعالى . وبنى رباطاً على الشط من الجانب الغربي ببغداد ، وسكنه جماعة من أصحابه الصالحين ، ثم نُدِبَ إلى التدريس بالمدرسة النظامية فأجاب ودرّس بها مدة ، وظهرت بركته على تلامذته ، وكانت ولايته في السابع والعشرين من المحرم سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، وصُرف عنها في رجب سنة سبع وأربعين . وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وذكره في كتابه .

وقدم الموصل مجتازاً إلى الشام لزيارة البيت المقدس في سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وعقد بها مجلس الوعظ بالجامع العتيق ، ثم توجه إلى الشام فوصل إلى

٣٩٣ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٥٦ ومعجم البلدان واللباب (سهرورد) وعبر الذهبي ٤ : ١٨١ والشذرات ٤ : ٢٠٨ ؛ وما هنا مطابق لنص المسودة .

دمشق ، ولم تتفق له الزيارة لانفساخ الهدنة بين المسلمين والفرننج ، خذهم الله تعالى ، فأكرم الملك العادل نور الدين محمود صاحب الشام مؤزده ، وأقام بدمشق مدة يسيرة وعقد بها مجلس الوعظ وعاد إلى بغداد ، وتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسة ، ودفن بكرة الغد في رباطه . وكان مولده تقديراً سنة تسعين وأربعمائة ، كذا ذكره ابن أخيه شهاب الدين في مشيخته .
وهو عم شهاب الدين أبي حفص عمر الشهروردي ، وسيأتي اسمه ،
رحمها الله تعالى .

وعمثويه : بفتح العين المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها .

وسهرورذ : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة ، وهي بليدة عند زنجان من عراق العجم .

٣٩٤

أبو القاسم القشيري

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري^١ الفقيه الشافعي ؛ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، أصله من ناحية أستثوا من العرب الذين قدموا خراسان ، توفي أبوه وهو صغير ، وقرأ الأدب

٣٩٤ - ترجمة القشيري في تاريخ بغداد ١١ : ٨٣ ودمية القصر : ١٩٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٧١ والمنتظم ٨ : ٢٨٠ واللباب (قشيري) وتاريخ ابن الأثير ١٠ : ٨٨ وانباه الرواة ٢ : ١٩٣ وطبقات السبكي ٣ : ٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٩١ وطبقات المفسرين ٢١ : والشذرات ٣ : ٣١٩ وعبر الذهبية ٣ : ٢٥٩ .

في صباحه ، وكانت له قرية مثقلة الخراج بنواحي أستاذوا فرأى من الرأي أن يحضر إلى نيسابور يتعلم طرفاً من الحساب ليتولى الاستيفاء ويحمي قريته من الخراج ، فحضر نيسابور على هذا العزم ، فاتفق حضوره مجلس الشيخ أبي علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق ، وكان إمام وقته ، فلما سمع كلامه أعجبه ووقع في قلبه ، فرجع عن ذلك العزم ، وسلك طريق الإرادة ، فقبله الدقاق ، وأقبل عليه ، وتفرّس فيه النجابة فجذبه بهيمته ، وأشار عليه بالاشتغال بالعلم ، فخرج إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي ، وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه ، ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر ابن فورك ، فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول ، ثم تردد إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، وقعد يسمع درسه أياماً ، فقال الأستاذ : هذا العلم لا يحصل بالسماع ، ولا بد من الضبط بالكتابة ، فأعاد عليه جميع ما سمعه منه تلك الأيام ، فعجب منه وعرف محله فأكرمه ، وقال له : ما تحتاج إلى درس بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، فقعد وجمع بين طريقتيه وطريقة ابن فورك ، ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلائي ، وهو مع ذلك يحضر مجلس أبي علي الدقاق ، وزوّجته ابنته مع كثرة أقاربها .

وبعد وفاة أبي علي سلك مسلك المجاهدة والتجريد وأخذ في التصنيف ، فصنّف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة ، وسماه « التيسير في علم التفسير » وهو من أجود التفاسير ، وصنف « الرسالة » في رجال الطريقة ، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وأحمد بن الحسين البيهقي وجماعة من المشاهير ، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز .

وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء ، وأما مجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها ، وعقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . وذكره أبو الحسن علي البخارزي في كتاب « دمية القصر » وبالغ في الثناء عليه ، وقال في حقه : لو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب .

وذكره الخطيب في تاريخه وقال : قدم علينا - يعني إلى بغداد - في سنة

ثمان وأربعين وأربعمائة وحدث ببغداد وكتبنا عنه ، وكان ثقة وكان يقص وكان حسن الوعظ مليح الإشارة ، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري ، والفروع على مذهب الشافعي . وذكره عبد الغافر الفارسي في تاريخه^١ . وقال أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي : أنشدنا عبد الكريم بن هوازن القشيري لنفسه :

سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهِكم وثَغَرُ الهوى في روضة الأَنسِ ضاحِكُ
أَقَمْنَا زماناً والعيونُ قريرةً وأصَبَحْتُ يوماً والجفونُ سوافِكُ

وقال أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الواعظ الفراوي : وكان أبو القاسم القشيري كثيراً ما ينشد لبعضهم وهو ذو القرنين ابن حمدان المقدم ذكره في حرف الذال :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدت كيف تُكرّر التوديعا
أيقنت أنّ من الدموع مُحدّثاً وعلمت أنّ من الحديث دُموعا

ولد في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلثمائة ؛ وتوفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشمس سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور ، ودفن بالمدرسة تحت شيخه أبي علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، ورأيت في كتابه المسمى بـ « الرسالة » بيتين أعجباني ، فأحببت ذكرهما^٢ :

ومنّ كان في طول الهوى ذاق سَكْوةً فإني من ليلي لها غيرُ ذائقِ
وأكثر شيء نلّته من وصالها أماني لم تصدق كخطفة بارقِ

(100) وكان ولده أبو نصر^٣ عبد الرحيم إماماً كبيراً أشبه أباه في علومه

١ انظر Histories : (المختصر الاول ، الورقة ٩٤) وأورد له عدداً آخر من المقطعات الشعرية.

٢ الرسالة القشيرية : ٦١٧ .

٣ أخبار أبي نصر القشيري في تبين كذب المفتري : ٣٠٨ والبداية والنهاية ١٢ : ١٨٧ وطبقات

السبكي ٤ : ٢٤٩ وتاريخ عبد الغافر (الملخص الثاني ، الورقة : ٩٣) وأخبار ما جرى له مع

الحنابلة في المنتظم وتاريخ ابن الأثير .

ومجالسه ، ثم واطب دروس إمام الحرمين أبي المعالي حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف ثم خرج للحج فوصل إلى بغداد ، وعقد بها مجلس وعظ ، وحصل له قبول عظيم وحضر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مجلسه ، وأطبق علماء بغداد على أنهم لم يروا مثله ، وكان يعظ في المدرسة النظامية ورباط شيخ الشيوخ ، وجرى له مع الحنابلة خصام بسبب الاعتقاد لأنه تعصب للأشاعرة ، وانتهى الأمر إلى فتنة قتل فيها جماعة من الفريقين ، وركب أحد أولاد نظام الملك حتى سكنها ، وبلغ الخبر نظام الملك وهو بأصبهان ، فسير إليه واستدعاه ، فلما حضر عنده زاد في إكرامه ثم جهزه إلى نيسابور ، فلما وصلها لازم الدرس والوعظ إلى أن قارب انتهاء أمره فأصابه ضعف في أعضائه ، وأقام كذلك مقدار شهر ، ثم توفي ضحوة نهار الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسةائة بنيسابور ، ودفن بالمشهد المعروف بهم ، رحمه الله تعالى .

وكان يحفظ من الشعر والحكايات شيئاً كثيراً ، ورأيت له في بعض المجاميع هذه الأبيات ، وذكرها السمعاني في « الذيل » أيضاً :

القلب نحوك نازعٌ والدهر فيك مُنازعٌ
جرت القضية بالنوى ما للقضيةِ وازع
الله يعلم أنني لفراق وجهك جازع

وتوفي شيخه أبو علي الدقاق المذكور في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .
والقُشَيْرِي : بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى قُشَيْرِ بن كعب ، وهي قبيلة كبيرة .
وأُسْتُوَا : بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها أو فتحها وبعدها واو ثم ألف ، وهي ناحية بنيسابور كثيرة القرى خرج منها جماعة من العلماء .

ابن السمعاني

تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل ابن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيب التميمي السمعاني المروزي الفقيه الشافعي الحافظ الملقب قوام الدين؛ ذكره الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير الجزري في أول مختصره فقال^٢ : كان أبو سعد واسطة عقد البيت السمعاني وعينهم الباصرة ويدهم الناصرة ، وإليه انتهت رياستهم ، وبه كملت سيادتهم ، رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ، وسافر إلى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دفعات ، وإلى قُومسَ والريِّ وأصبهان وهَمَدان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام وغيرها من البلاد التي يطول ذكرها ويتعذر حصرها ، ولقي العلماء وأخذ عنهم وجالسهم وروى عنهم واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة ، وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ ، وذكر في بعض أماليه فقال : ودعني عبد الله بن محمد بن غالب أبو محمد الجيلي الفقيه نزيل الأنبار ، وبكى وأنشدني :

ولما بَرَزْنَا لَتَوَدِّعُهُمْ بَكَوْا لَتَوْلُوْا وَبَكِينَا عَقِيْقَا
أَدَارُوا عَلَيْنَا كَوْوَسَ الْفِرَاقِ وَهَيْهَاتَ مِنْ سَكْرِهَآ أَنْ نَفِيْقَا
تَوَلَّوْا فَاتَّبَعْتُهُمْ أَدْمَعِي فَصَاحُوا الْغَرِيْقَ فَصَحْتُ الْحَرِيْقَا

٣٩٥ - ترجمته في طبقات السبكي : ٢٥٩ وتذكرة الحفاظ : ١٣١٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٧٨ والشذرات ٤ : ٢٠٥ والنجوم الزاهرة ٥ : ٥٦٣ ، وانظر مقدمة الأنساب (تحقيق الشيخ عبد الرحمن اليانبي) ؛ قلت : وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .
١ بعد هذا في المطبوعة المصرية : ويقال أبو سعيد ، ولا وجود لهذا في النسخ الخطية .
٢ الباب ١ : ٩ .

[ومما قيل في المعنى :

تَنَفَّسْتُ الْغَدَاةَ غَدَاةً وَلَوًّا وَعَيْرُهُمْ مُعَارَضَةَ الطَّرِيقِ
فصاحوا بالحريق ، فظلت أبي فصاحوا بالحريق وبالغريق] ١

وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة^٢ ، فمن ذلك « تذييل تاريخ بغداد »
الذي صنعه الحافظ أبو بكر الخطيب وهو نحو خمسة عشر مجلداً ، ومن ذلك
« تاريخ مرو » يزيد على عشرين مجلداً ، وكذلك « الأنساب » نحو ثمانين مجلدات
وهو الذي اختصره عز الدين المذكور واستدرك عليه ، وهو في ثلاث مجلدات ،
والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والأصل قليل الوجود .

ذكر أبو سعد السمعاني المذكور في ترجمة والده أن أباه حج سنة سبع
وتسعين وأربعمئة ، ثم عاد إلى بغداد وسمع بها الحديث من جماعة من المشايخ ،
وكان يعظ الناس في المدرسة النظامية ، ويقراً عليه الحديث ، ويحصل الكتب ،
وأقام كذلك مدة ، ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها من جماعة كبيرة ، ثم رجع
إلى خراسان وأقام بمرو إلى سنة تسع وخمسمائة ، وخرج إلى نيسابور .

قال أبو سعد : وحملني وأخي إليها ، وسمعنا الحديث من أبي بكر عبد
الغفار بن محمد الشيروي وغيره من المشايخ ، وعاد إلى مرو ، وأدركته المنية
وهو شاب ابن ثلاث وأربعين سنة^٣ .

وكانت ولادة أبي سعد المذكور بمرو يوم الاثنين الحادي والعشرين من شعبان
سنة ست وخمسمائة . وتوفي بمرو في ليلة غرة شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين
وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(101) وكان أبوه محمد إماماً فاضلاً مناظراً محدثاً فقيهاً شافعيًا حافظاً ،
وله الإملاء الذي لم يُسبق إلى مثله ، تكلم على المتون والأسانيد ، وأبان

١ ما بين معقنين سقط من النسخ الخطية ومستفيد ، وثبت في المطبوعة المصرية .

٢ ر : الغزيرة الحسنة الفائقة .

٣ ذكر أبو سعد ... وأربعين سنة : هو في هامش المسودة وقد سقط من س وثبت في ل .

٤ ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٨٦ .

مشكلاتها^١ ، وله عدة تصانيف ، وكان له شعر غسّله قبل موته ، وكانت ولادته في جمادى الأولى سنة ست وستين وأربعمائة ، وتوفي وقت فراغ الناس من صلاة الجمعة ثاني صفر سنة عشر وخمسمائة ، ودفن يوم السبت عند والده أبي المظفر بسفحوان إحدى مقابر مرو ، رحمه الله تعالى .

(102) وكان جده المنصور^٢ إمام عصره بلا مدافعة ، أقرّ له بذلك الموافق والمخالف ، وكان حنفي المذهب متعينا عند أئمتهم ، فحج في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وظهر له بالحجاز ما اقتضى^٣ انتقاله إلى مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، فلما عاد إلى مرو لقي بسبب انتقاله محناً وتعصباً شديداً ، فصبر على ذلك ، وصار إمام الشافعية بعد ذلك يدرّس ويفي ، وصنف في مذهب الشافعي رضي الله عنه وفي غيره من العلوم تصانيف كثيرة ، منها « منهاج أهل السنة » و « الانتصار » و « الرد على القدرية » وغيرها . وصنف في الأصول « القواطع » وفي الخلاف « البرهان » يشتمل على قريب من ألف مسألة خلافية ، و « الأوسط » و « الاصطلام » رد فيه على أبي زيد الدبوسي ، وأجاب عن الأسرار التي جمعها ، وله تفسير القرآن العزيز ، وهو كتاب نفيس ، وجمع في الحديث ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها فأحسن ، وله وعظ مشهور بالجودة ، وكانت ولادته في سنة ست وعشرين وأربعمائة في ذي الحجة ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة بمرو ، رحمه الله تعالى .
وفي بيتهم جماعة كثيرة علماء رؤساء .

والسمعاني : بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح العين المهملة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى سمعان ، وهو بطن من تميم ، وسمعت بعض العلماء يقول : يجوز بكسر السين أيضاً .

١ في المسودة : مشكلاته .

٢ ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢١ و Histories (المختصر الاول ، الورقة ٨٨ ب) والأنساب : « السمعي » .

٣ ل : مقتضى ؛ وقد قص السبكي أنه رأى الله في المنام بعد أن اختلج في ذهنه أتباع الشافعي ، يقول له : « عد إلينا أبا المظفر » فرأى أن ذلك يعني التحول إلى مذهب الشافعي .

(103) وكان لأبي سعد عبد الكريم ولد يقال له أبو المظفر عبد الرحيم^١ بَكَرَّ به والده في سماع الحديث وطاف به في بلاد خراسان وما وراء النهر وأسمعه الحديث وحصل له النسخ وجمع له معجماً لمشايعه في ثمانية عشر جزءاً^٢، وعوالي في مجلدين ضخمين^٣، وشغله بالفقه والأدب والحديث حتى حصل من كل واحد طرفاً صالحاً^٤، وحدث بالكثير ورحل إليه الطلاب، وكان محترماً ببلاده، ومولده في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وخمسة مائة بنيسابور، وتوفي بمرور ما بين^٥ سنة أربع عشرة وستائة، رحمه الله تعالى.

٣٩٦

ابن حمديس الشاعر الصقلي

أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر ابن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور؛ قال ابن بسام في حقه: هو شاعر ماهر يُقَرِّطِسُ أغراض المعاني البديعة، ويعبّر عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة، ويتصرف في التشبيه المصيب، ويفوص في بحر الكلم^١ على در المعنى الغريب، فمن معانيه البديعة قوله في صفة نهر^٢:

١ ترجمته في الشذرات ٥ : ٧٥ والمعر ٥ : ٦٨ .

٢ كذا في ر وقد طمس في هامش المسودة، وفيه نقص على ما يبدو؛ وقد جعل صاحب الشذرات وفاته سنة ٦١٧، وفي مقدمة كتاب «الانساب» ترجمة له منقولة عن تقييد ابن نقطة (انظر الانساب ١ : ٢٣) وفيها: انقطعت عنا أخباره من سنة سبع عشرة وستائة وظهور الترك (التر) بخراسان .

٣٩٦ - انظر مقدمة ديوانه (بيروت ١٩٦١) والمصادر المذكورة هنالك؛ وقد أحاطت المسودة بما جاء في هذه الترجمة .

٣ ر ل : الكلام .

٤ ديوانه : ١٨٦ .

ومطرّرد الأجزاء تَصْقُلُ مَتْنَهُ صَبَاً أعلنت للعين ما في ضميره
 جريحٌ بأطراف الحصى كلما جرى عليها شكا أوجاعه بخريه
 كأن حُبَاباً ربيعَ تحت حبابه فأقْبَلَ يُلْقِي نفسه في غديره
 كأن الدجى خَطَّ المجرَّةَ بيننا وقد كَلَّتْ حافاته بدوره
 شربنا على حافاته دَوْرَ سكره وأقتلُ سكرأ منه عينا مُدِيره
 وله من قصيد^٢ :

بتُ منها مستعيداً قَبْلَا كُنْ لي منها على الدهر اقتراحُ
 وأروِّي غلَلَ الشوق بما لم يكن في قدرة الماء القراحُ
 قوله « وأروِّي غلَل الشوق » مأخوذ من قول البحري^٣ :

وبي ظمأ لا يملكُ الماء دفعه إلى نَهْلَةٍ من ريقها البارد العذْبِ
 وقوله « جريح بأطراف الحصى » مأخوذ من قول المتنبي^٤ :

وذكيّ رائحة الرياض كأنها تُلْقِي الثناء على الحيا فيفُوحُ
 جَهْدَ المقلِّ فكيف بآبن كريمة توليه خيراً واللسانُ فصيحُ
 وله من قصيدة أولها^٥ :

قم هاتها من كف ذات الوشاحِ فقد نَمَى الليلَ بشيرُ الصباحِ
 باكر إلى اللذات واركبُ لها سوابقَ اللهبِ وذوات المراحِ
 من قبل أن ترشَفَ شمسُ الضحى ريقَ الغواصي من ثغور الأقاحِ

١ سقط هذا البيت والذي يليه من س ل .

٢ ديوانه : ٨٢ .

٣ ديوان البحري : ١ : ١٠٤ .

٤ ديوان المتنبي : ٦٢ .

٥ ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

ومن معانيه النادرة قوله^١ :

زادت على كحلّ الجفون تكحلاً ويُسَمُّ نَصْلُ السهم وهو قَتُولُ

وله من جملة قصيد يتشوق صقلية^٢ :

ذكرتُ صَقْلِيَّةً والأسيَّ يحدِّدُ^٣ للنفس تذكّارها
فإن كنت أخرجتُ من جَنَّةٍ فأني أحدثُ أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاءِ حسبتُ دموعيَ أنهارها

وكان قد دخل إلى الأندلس سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، ومدح المعتمد ابن عباد فأحسن إليه وأجزل عطاياه ، ولما قبض المعتمد وحبس بأغمات - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - سمع ابن حمديس المذكور له أبياتاً عملها [المعتمد]^٤ في الاعتقال ، فأجابه عنها بقوله^٥ :

أتأسُّ من يوم يناقضُ أمسه وشهبُ الدراري في البروج تدورُ
ولما رحلتُم بالندى في أكفكم وقملقلِ رضوى منكمُ وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنتُ فهذي الجبالُ الراسيات تسير

وقد ألمّ في البيت الأخير بقول عبد الله بن المعتز في مرثيته للوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب :

قد استوى الناس ومات الكمالُ وقال صرْفُ الدهر أين الرجالُ
هذا أبو القاسم في نَعَشِهِ قوموا انظروا كيف تزول الجبالُ

١ ديوانه : ٥٥٨ .

٢ ديوانه : ١٨٣ .

٣ هامش المسودة : خ : يهيج .

٤ زيادة من ر .

٥ ديوانه : ٢٦٨ .

وله ديوان شعر أكثره جيد .

وتوفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسة مائة بجزيرة ميورقة ودفن إلى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور ، وكان قد عمي ، وقيل ببجاية ، وأبياته الميمية التي في الشيب والعصا تدل على أنه بلغ الثمانين ، رحمه الله تعالى .

وحَمْدِس : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة .

والصَقْلَسِيُّ : بفتح الصاد المهملة والقاف وبعدها لام مشددة - هذه النسبة إلى جزيرة صَقْلِيَّة ، وهي في بحر المغرب بالقرب من إفريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة أربع وستين وأربعمائة .

٣٩٧

أبو طالب المعافري

أبو طالب عبد الجبار بن محمد بن علي بن محمد المعافري المغربي ؛ كان إماماً في اللغة وفنون الأدب ، جاب البلاد وانتهى إلى بغداد وقرأ بها ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، ودخل الديار المصرية في سنة إحدى وخمسين وخمسة مائة ، وقرأ عليه بها الشيخ العلامة أبو محمد عبد الله بن بري - المقدم ذكره - وكتب بخطه كثيراً ، وهو حسن الخط على طريق المغاربة ، وأكثر ما كتب في الأدب ، ورأيت منه شيئاً كثيراً ، وقد أتقن ضبطه غاية الإتقان ، ورأيت

١ هي التي يقول فيها (الديوان : ٤٨٢) :

كأنني وهي في كفي أشس بها على ثمانين عاماً لا على غنمي

٣٩٧ - ترجمته في بغية الوعاة : ٢٩٤ والتكلمة رقم : ١٧٧٩ .

٢ ورأيت ... الحمدنين : سقط من س ل م وثبت في ر ؛ وكتب عند موضعه في المسودة : « هاهنا تكتب التخريجة » .

بخطه على ظهر كتاب « المذيل » في اللغة بيتين وهما :

أقسم بالله على كل من أبصرَ خطي حينما أبصره
أن يدعُوَ الرحمن لي مخلصاً بالعفو والتوبة والمغفرة

وكتاب « المسلسل » للشيخ أبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي وهو يروي الكتاب عن مؤلفه - وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي الطاهر المذكور في حرف الميم في ترجمة المحمدين .
وتوفي في سنة ست وستين وخمسةائة وهو عائد إلى المغرب من الديار المصرية، رحمه الله تعالى .

والمعافري^٢ : بفتح الميم والعين المهملة وبعد الألف فاء مكسورة ثم راء ، هذه النسبة إلى المعافر بن يعفر ، وهي قبيل كبير ، عامتهم بصر .

٣٩٨

عبد الرزاق الصنعاني

أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ، مولى حَمِيرَ ؛ قال أبو سعد ابن السمعاني : قيل ما رَحَلَ الناس إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل^٣ ما رحلوا إليه . يروي عن معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري والأوزاعي وابن جريج وغيرهم ، وروى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر منهم

١ كذا في ر ، ولعل الصواب « المسلسل » .

٢ قد تقدم هذا الضبط ، انظر الترجمة رقم : ٣٨٠ .

٣٩٨ - ترجمته في طبقات الحنابلة ١ : ٢٠٩ ونكت الهميان : ١٩١ وطبقات ابن سمره : ٦٧

وميزان الاعتدال ٢ : ٦٠٩ وعبر الذهبي ١ : ٣٦٠ وتهذيب التهذيب ٦ : ٣١٠ والشذرات

٢ : ٢٧ .

٣ ل : بمثل .

سفيان بن عيينة وهو من شيوخه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم .
وكانت ولادته في سنة ست وعشرين ومائة . وتوفي في شوال سنة إحدى
عشرة ومائتين باليمن ، رحمه الله تعالى .

والصنعاني : بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح العين المهملة وبعد الألف
نون ، هذه النسبة إلى مدينة صنعاء ، وهي من أشهر مدن اليمن ، وزادوا
النون في النسبة إليها ، وهي نسبة شاذة ، كما قالوا في بهراء : بهرائي .
وقال أبو محمد عبد الله بن الحارث الصنعاني : سمعت عبد الرزاق يقول :
من يصحب الزمان يرّاهوان ، قال : وسمعت ينشد :

فذاك زمان لعيننا به وهذا زمان بنا يلعب^١

٣٩٩

ابن الصباغ صاحب الشامل

أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، المعروف
بابن الصباغ ، الفقيه الشافعي ؛ كان فقيه العراقيين في وقته ، وكان يضاوي الشيخ
أبا إسحاق الشيرازي ، وتقدم عليه في معرفة المذهب . وكانت الرحلة إليه من
البلاد ، وكان تقياً حجة صالحاً ، ومن مصنفاته كتاب « الشامل » في الفقه ،
وهو من أجود كتب أصحابنا ، وأصحها نقلاً وأثبتها أدلة ، وله كتاب
« تذكرة العالم والطريق السالم »^٢ و« العدة » في أصول الفقه ، وتولى التدريس
بالمدرسة النظامية ببغداد أول ما فتحت ، ثم عُزل بالشيخ أبي إسحاق ، وكانت

١ وقال أبو محمد ... يلعب : ثبت في ر ، وفي موضعه من المسودة : « بعد ذلك التحريجة » .
٣٩٩ - ترجمته في المنتظم ٩ : ١٢ ونكت الهميان : ١٩٣ وطبقات السبكي ٣ : ٢٣٠ وعبر
الذهبي ٣ : ٢٨٧ والشذرات ٣ : ٣٥٥ ، وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .
٢ ل س : وطريق السالم .

ولايته لها عشرين يوماً ، ولما توفي أبو إسحاق أعيدَ لها أبو نصر المذكور .
وذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن الصابي في تاريخه أن المدرسة النظامية
بُدِيءَ بعمارتها في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وفتحت يوم
السبت عاشر ذي القعدة من سنة تسع وخمسين ، وكان نظام الملك أمر أن
يكون المدرس بها أبا إسحاق الشيرازي ، وقرروا معه الحضور في هذا اليوم
للتدريس ، فاجتمع الناس ولم يحضر ، وطُلب فلم يوجد ، فنفذ إلى أبي نصر
ابن الصباغ فأحضر ورتب بها مدرسا ، وظهر الشيخ أبو إسحاق في مسجده ،
ولحق أصحابه من ذلك ما بان عليهم وفترُوا عن حضور درسه وراسلوه إن
لم يدرّس بها مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه ، فأجاب إلى ذلك ، وعزل ابن
الصباغ ، وجلس أبو إسحاق يوم السبت مستهلاً ذي الحجة فكان مدة تدريس
ابن الصباغ عشرين يوماً .

وقال ابن النجار في « تاريخ بغداد » : ولما مات أبو إسحاق تولى أبو سعد
المتولي ثم صرف في سنة ست وسبعين ، وأعيد ابن الصباغ ثم صرف في سنة سبع
وسبعين ، وأعيد أبو سعد إلى أن مات ، وقد ذكرت ذلك في ترجمته . وقد
سبق في ترجمة الشيخ أبي إسحاق في حرف الهمزة طرّف من هذه القضية .
وكانت ولادته سنة أربعمائة ببغداد ، وكُفَّ بصره في آخر عمره .
وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة ببغداد ، وقيل بل توفي
يوم الخميس منتصف شعبان من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى .

القاضي عبد الوهاب المالكي

القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون ابن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي ، وهو من ذرية مالك بن طوق التغلبي صاحب الرحبة ؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً ، صنف في مذهبه كتاب « التلقين » وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة ، وله كتاب « المعونة » و « شرح الرسالة » وغير ذلك عدة تصانيف .

ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد » فقال^١ : سمع أبا عبد الله ابن العسكري وعمر بن محمد بن سبنك^٢ وأبا حفص ابن شاهين ، وحدث بشيء يسير . كتبت عنه ، وكان ثقة ، ولم يلق من المالكيين أحداً أفقه منه ، وكان حسن النظر جيد العبارة ، وتولى القضاء ببادرايا وبالكسايا ، وخرج في آخر عمره إلى مصر فمات بها .

وذكره ابن بسام في كتاب « الذخيرة » فقال^٣ : كان بقیة الناس ، ولسان أصحاب القياس ، وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر بالنشجج ، ونسبت به بغداد كعادة البلاد بدوي فضلها ، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودع ماءها وظلها ، وحدثت أنه شيعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف

٤٠٠ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٩ ، وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وترتيب المدارك
٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ والمرقبة العليا : ٤٠ ، والبداية والنهاية : ١٢ : ٣٢ والشذرات
٣ : ٢٢٣ وقد ترجم له الكتبي في الفوات (٢ : ٤٤) والزركشي في عقود الجمان (ج ٢ ،
الورقة : ٢٠٢) رغم أنها يستدركان على المؤلف .

١ تاريخ بغداد ١١ : ٣١ .

٢ ل س : سبنك .

٣ ترجمته في القسم الاخير من الذخيرة الخاص بالمشارقة .

كثيرة ، وأنه قال لهم : لو وجدت بين ظهرانيكم رغيين كل غداة وعشية ،
ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية ، وفي ذلك يقول :

سلام على بَغدادَ في كل موطنٍ وحقُّ لها مني سلامٌ مضاعفٌ
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها وإني بشطبي جانبيها لعارِفٌ
ولكنَّها ضاقت علي بأسرها ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعِفٌ
وكانت كخَلٍ كنت أهوى دنوهُ وأخلاقه تنأى به وتخالِفُ

واجتاز في طريقه بمَعرَّةِ النعمان ، وكان قاصداً مصر ، وبالمعرة يومئذ أبو
العلاء المعري فأضافه ، وفي ذلك يقول من جملة أبيات :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ رارَ في سفرٍ بلادنا فحمدنا النأيَ والسفرا
إذا تفقَّهَ أحياناً مالكا جَدلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا

ثم توجه إلى مصر فحمل لواءها ، وملاً أرضها وسماءها ، واستتبع سادتها
وكبراءها ، وتناهت إليه الغرائب ، وانثالت في يديه الرغائب ، فمات لأول
ما وصلها من أكلة اشتهاها فأكلها ، وزعموا أنه قال وهو يتقلب ، ونفسه
يتصعد ويتصوب : لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا .

وله أشعار رائقة طريفة ، فمن ذلك قوله :

ونائمة قبَّلتُها فتنبَّهت فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحدِّ
فقلت لها إني فديتكِ غاصبٌ وما حكموا في غاصبٍ بسوى الردِّ
خُذِها وكفِّي عن أئيمٍ ظلَّامةٍ وإن أنت لم ترضي فألفاً على العدِّ
فقالت : قصاص يشهد العقل أنه على كبدِ الجاني ألد من الشهدِ
فباتت يميني وهي هميانٌ خصرها وباتت يساري وهي واسطة العقدِ

١ شروح السقط : ١٧٤٠ .

٢ ر : زار بلادنا في سفرة .

٣ الديوان : أعيان .

فقلت : ألم أَخْبَرَ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ
ومن شعره أيضاً :

بغداد دارٌ لأهل المال طيبة
ظللت حيرانَ أمشي في أزقتها
وللمفاليس دار الضنك والضيقِ
كأنني مصحفٌ في بيت زنديقِ
[وله :

أهمُّ بذكر الشرق والغرب دائماً
ولكنَّ أوطاناً نأت وأحبةً
ولم أنسَ من ودعتُ بالشطِّ سحرةً
أليفان هذا سائرٌ نحو غربةٍ
وما لي لا شرقُ البلاد ولا غربُ
فعدتُ متى أذكرُ عهودهمُ أصبُ
وقد غرد الحادون واشتغل الركب
وهذا مقيمٌ سار من صدره القرب
وله أيضاً :

قطعتُ الأرضَ في شهرَي ربيعِ
فقال لي الحبيب وقد رأني
ركبتَ على البراقِ ؟ فقلتُ كلاً
إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ
مَشُوقاً للمضمرة العتاقِ
ولكني ركبتُ على اشتياقي^١

وكان على خاطري أبيات لا أعرف
للقاضي عبد الوهاب المذكور وهي :

متى يصلُ العِطاشُ إلى ارتواءِ
ومن يثنى الأصغر عن مُرادِ
وإن ترفُّعَ الوضعاء يوماً
إذا استوتِ الأسافلُ والأعالي
إذا استقتِ البحارُ من الركايا
وقد جلس الأَكابر في الزوايا
على الرفعاء من إحدى الرزايا
فقد طابت مُنادمةُ المنايا^٢

١ انفردت ربما بين معقنين .

٢ بعد هذا جاء في المطبوعة المصرية : وله أيضاً :

حدث إلهي إذ بليت مجبها وي حول يفني عن النظر الشزر

وذكر صاحب « الذخيرة » أنه ولي القضاء بمدينة اسعد ، وقال غيره : كان قاضياً في بادرايا وباكسايا ، وهما بُلَيْدَتَانِ من أعمال العراق . وسئل عن مولده فقال : يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد . وتوفي ليلة الاثنين الرابعة عشرة من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر ، وقيل : إنه توفي في شعبان من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في القرافة الصغرى ، وزرت قبره فيما بين قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وباب القرافة ، بالقرب من ابن القاسم وأشهب ، رحمها الله تعالى .
وكان أبوه من أعيان الشهداء المعدلين ببغداد .

(104) وكان أخوه أبو الحسن محمد بن علي بن نصر أديباً فاضلاً ، صنف كتاب « المفاوضة » للملك العزيز جلال الدولة أبي منصور ابن أبي طاهر بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بُوَيْه ، جمع فيه ما شاهده ، وهو من الكتب الممتعة ، في ثلاثين كراسة ، وله رسائل ، ومولده ببغداد في إحدى الجماديين سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بواسط ، وكان قد صعد إليها من البصرة فمات بها .
(105) وتوفي أبوها أبو الحسن عليّ يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

نظرت إليها والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر
وهذان البيتان لأبي حفص الشطرنجي في جارية حواء ، وسيذكرها المؤلف في ترجمة محمد بن الحسن بن حمدون الكاتب ، ولا ريب في أن المؤلف مدقق شديد التحري ، فلعل هذه الزيادة هنا ليست من الاصل أو من الإضافات التي ألحقها .
زاد في المسودة كلمة « بن » بعد « طاهر » ، وفي النص اضطراب ، فان جلال الدولة يكنى أبا طاهر ، ويكنى أبوه بهاء الدولة : أبا نصر .

الحافظ عبد الغني

أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبيد العزيز الأزدي الحافظ المصري ؛ كان حافظ مصر في عصره ، وله تواليف نافعة ، منها « مشبه النسبة » وكتاب « المؤتلف والمختلف » وغير ذلك ، وانتفع به خلق كثير . وكانت بينه وبين أبي أسامة جُنادة اللغوي وأبي علي المقرئ الأنطاكي مودة أكيدة واجتماع في دار الكتب ومذاكرات ، فلما قتلها الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفاً أن يلحق بها لاتهامه بعاشرتها ، وأقام مستخفياً مدة حتى حصل له الأمن فظهر - وقد تقدم في ترجمة أبي أسامة خبر ذلك^٢ .

وكانت ولادة الحافظ عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة^٣ سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة . وتوفي ليلة الثلاثاء ، ودفن يوم الثلاثاء سابع صفر سنة تسع وأربعمائة بمصر ، ودفن بحضرة مُصَلَّى العيد ، رحمه الله تعالى .

وذكر أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي المعروف بابن الطحان^٤ في تاريخه الذي جعله ذيلًا لتاريخ ابن يونس المصري أن عبد الغني بن سعيد المذكور مولده في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، والله أعلم .

٤٠١ - ترجمته في المنتظم ٧ : ٢٩٠ وتذكرة الحفاظ : ١٠٤٧ وعبر الذهبي ٣ : ١٠٠ والشذرات ٣ : ١٨٨ .

١ في ترجمة جنادة في الجزء الاول (١ : ٣٧٢) أنه أبو الحسن علي بن سليمان ، وقد اضطرب في المسودة ، فهو حيناً يكتبه أبو علي وحيناً أبو الحسن ، وقد ترجم له ابن الجزري (١ : ٢١٥) باسم الحسن بن سليمان .

٢ انظر ج ١ ص ٣٧٢ .

٣ هكذا في المسودة ول ، ولم يثبت في م ؛ ر : من ذي الحجة .

٤ توفي ابن الطحان سنة ٤٦١ (انظر الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٦ وبروكلمان ، التكملة ١ : ٥٧١) .

(106) وتوفي والده سعيد المذكور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وعمره ثلاث وأربعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقال ولده الحافظ عبد الغني : لم أسمع من والدي شيئاً .

وقال أبو الحسن علي بن بقا كاتب الحافظ عبد الغني بن سعيد : سمعت الحافظ عبد الغني بن سعيد يقول : رجلا ن جليلان لزمها لقبان قبيحان : معاوية ابن عبد الكريم الضالّ ، وإنما ضلّ في طريق مكة ، وعبد الله بن محمد الضعيف ، وإنما كان ضعيفاً في جسمه ، لا في حديثه .

وقال أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ السوري : قيل للدارقطني : هل رأيت في الحديث أحداً يُرْجى علمه ؟ فقال : نعم ، شاباً بصر كأنه شعله نار يقال له : عبد الغني ، فلما خرج الدارقطني من مصر جاءه المودعون وتحزنوا على مفارقتهم وبكوا ، فقال : لقد تركت عندي خلفاً ، يعني عبد الغني .

وقال أيضاً - أعني السوري - لما صنف عبد الغني « المؤلف والمختلف » عرضه على الدارقطني فقال له : اقرأه ، فقال : كيف أقرأه لك ومُعْظَمُهُ أخذته عنك ؟ فقال : نعم أخذته عني متفرقاً ، والآن قد جمعت .

١ نهاية الترجمة في س ل م ، وعند هذا الموضع كتب في المسودة « تكتب التخريجة هاهنا » فالإضافة التالية حتى نهاية الترجمة - وهي ما انفردت به ر - مما كان المؤلف ينوي إثباته ، ولم ترد عند وستنفيلد .

الحافظ عبد الغافر الفارسي

أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر ابن أحمد بن محمد بن سعيد الفارسي الحافظ ؛ كان إماماً في الحديث والعريضة وقرأ القرآن الكريم ، ولُتِّقَنَ الاعتقاد بالفارسية وهو ابن خمس سنين ، وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجَوَيْنِيِّ صاحب « نهاية المطلب » في المذهب والخلاف ولازمه مدة أربع سنين وهو سبِطُ الإمام أبي القاسم عبد الكريم القُشَيْرِيِّ - المقدم ذكره - وسمع عليه الحديث الكثير ، وعلى جدته فاطمة بنت أبي علي الدقاق وخالته أبي سعد وأبي سعيد ولَدَيَّ أبي القاسم القشيري ووالده أبي عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر ووالدته أمة الرحيم ابنة أبي القاسم القشيري وجماعة كبيرة سواهم . ثم خرج من نيسابور إلى خوارزم ولقي بها الأفاضل ، وعقد له المجلس ، ثم خرج إلى غَزَنَةَ ومنها إلى الهند ، وروى الأحاديث ، وقرأ عليه لطائف الإشارات بتلك النواحي ، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها ، وأملى بها في مسجد عقيل أعصار يوم الاثنين سنين ، ثم صنف كتباً عديدة منها « المفهم لشرح غريب صحيح مسلم » و« السياق لتاريخ نيسابور » وفرغ منه في أواخر ذي القعدة سنة ثمانٍ عشرة وخمسة ، وكتاب « مجمع الغرائب » في غريب الحديث ، وغير ذلك من الكتب المفيدة . وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ؛ وتوفي في سنة تسع وعشرين وخمسة نيسابور ، رحمه الله تعالى .

٤٠٢ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ : ١٢٧٥ وعبر الذهبي ٤ : ٧٩ والشذرات ٤ : ٩٣ ؛ وهذه الترجمة مطابقة للسودة .

أبو الوقت

أبو الوقت عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي ؛ كان مكثرًا من الحديث عالي الاسناد ، طالت مدته وألحق الأصغر بالأكابر .

سمعتُ صحيح البخاري بمدينة إربيلَ في بعض شهور سنة إحدى وعشرين وستائة على الشيخ الصالح أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي البغدادي ، بحق سماعه في المدرسة النظامية ببغداد من الشيخ أبي الوقت^٢ المذكور ، في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وخمسة ، بحق سماعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي في ذي القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة ، بحق سماعه من أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي في صفر سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، بحق سماعه من أبي عبد الله محمد بن يوسف ابن مطر الفيربيري سنة ست عشرة وثلثمائة ، بحق سماعه من مؤلفه الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مرتين ، إحداهما سنة ثمان وأربعين ومائتين والثانية سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، رحمهم الله أجمعين^٣ .

وكان الشيخ أبو الوقت صالحًا يغلّب عليه الخير ، وانتقل أبوه إلى مدينة هراة وسكنها فولد له بها أبو الوقت في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين

٤٠٣ - ترجمته في اللباب (السجزي) وتذكرة الحفاظ : ١٣١٥ وعبر الذهبي : ٤ : ١٥١ والشذرات : ٤ : ١٦٦ ؛ قلت : وما ثبت هنا مطابق لما في المسودة .

١ ر : عالي الهمة والاسناد .

٢ هنا تنتهي الترجمة في م .

٣ سمعت صحيح البخاري ... أجمعين : هذا النص محشّى في عدة مواضع في المسودة ، وقد ثبت جميعه في ر ، وسقط أكثره من س ل .

وأربعمائة . وتوفي في ليلة الأحد سادس ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . وكان قد وصل إلى بغداد يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، ونزل في رباط فيروز وبه مات ، وصلي عليه فيه ثم صلوا عليه الصلاة العامة بالجامع ، وكان الإمام في الصلاة الشيخ عبد القادر الجيلي ، وكان الجمع متوفراً ، ودفن بالشونيزية في الدكة المدفون بها رؤيّم الزاهد ؛ وكان سماعه الحديث بعد الستين والأربعمائة ، وهو آخر من روى في الدنيا عن الداودي ، رحمه الله تعالى .

وتوفي والده سنة بضع عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على السجزي ، وهي من شواذ النسب .

(107) وكانت ولادة شيخنا أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقيل سنة ست ، وقيل سنة سبع وثلاثين . وتوفي ليلة الخميس من المحرم سنة إحدى وعشرين وستمئة ببغداد ، ودفن من الغد بالشونيزية ، رحمهم الله أجمعين .

٤٠٤

ابن كليب الحراني

أبو الفرج عبد المنعم بن أبي الفتح عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن الحضرمي ابن كليب ، الملقب شمس الدين ، الحراني الأصل البغدادي المولد والدار الحنبلي المذهب ؛ كان تاجراً وله في الحديث السماعات العالية ، وانتهت الرحلة إليه من أقطار الأرض وألحق الصغار بالكبار لا يشاركه في شيوخه ومسموعاته أحد .

١ نهاية الترجمة في س ل .

٤٠٤ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٨ وعبر الذهبي : ٢٩٣ والشذرات : ٤ : ٣٢٧ ؛ وقد جاءت هذه الترجمة طبقاً لما في المسودة .

وكانت ولادته في صفر سنة خمس وخمسة . وتوفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسة ببغداد ، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، بباب حرب ، عند أبيه وأهله ، وكان صحيح الذهن والحواس إلى أن مات ، وتسرى مائة وثمانياً وأربعين جارية ، رحمه الله تعالى .

٤٠٥

عبد الحميد الكاتب

عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب ، الكاتب البليغ المشهور ، وبه يضرب المثل في البلاغة ، حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إماماً ، وهو من أهل الشام ، وكان أولاً معلماً صبيّةً ينتقل في البلدان ، وعنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا ، وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في الترسل ، وجموع رسائله مقدار ألف ورقة . وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده ، وكان كاتب مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي ، فقال له يوماً وقد أهدى له بعض العمال عبداً أسود فاستقله : اكتب إلى هذا العامل كتاباً مختصراً ، وذمّه على ما فعل ، فكتب إليه « لو وجدت لونا شراً من السواد وعدداً أقل من الواحد لأهديته ، والسلام » .

ومن كلامه أيضاً : القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

٤٠٥ - ترجمته في الجهشيارى : ٧٢ - ٧٣ ، ٧٩ - ٨٣ والفهرست : ١١٧ وثمار القلوب : ١٩٦
ومروج الذهب : ٣ : ٢٦٣ وشرح العيون : ١٣٠ : وانظر عيون الأخبار : ١ : ٢٦ والبيان
والتبيين : ٣ : ٩ والصناعتين : ٦٩ وصبح الأعشى : ١٠ : ١٩٥ .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي^١ ، وقد ذكر عبد الحميد المذكور عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ما تمنيت كلام أحد من الكتاب قط أن يكون لي مثل كلامه . وفي رسالته له « والناس أخياف مختلفون ، وأطوار متباينون ، منهم علق مَصْنَعَة لا يباع ، وغل مظنة لا يبتاع » . وكتب على يد شخص كتاباً بالوصاة عليه إلى بعض الرؤساء فقال : « حَقُّ موصل كتابي إليك عليك كحقة علي إذ رأك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق أمله » . ومن كلامه « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكرةً » . وكان كثيراً ما ينشد :

إذا جرح الكتاب كانت دُوَيْهُهُمْ قِيسِيًّا وأقلام الدُوَيْيِّ لها نَبِلا

وله رسائل بليغة .

وكان حاضراً مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره ، وقد سبق في أخبار أبي مسلم الخراساني طرف من ذلك . ويحكى أن مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت أن تصير مع عدوِّي وتُظنَّه الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي ، وإلا لم تمجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي . فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك وأقبحها بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى أو أقتل معك ؛ وأنشد :

أَسِرُّ وفاء ثم أظهر غَدْرَةَ فَمَنْ لي بعُدْر يوسِعُ الناسَ ظاهراً

ذكر ذلك أبو الحسن المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^٢ .

ثم إن عبد الحميد قُتِلَ مع مروان ، وكان قتل مروان يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بقرية يقال لها بُوَصِير من أعمال الفيوم بالديار المصرية ، رحمها الله تعالى .

١ ثار القلوب : ١٩٧ .

٢ مروج الذهب : ٣ : ٢٦٣ .

ورأيت بخطي في مسوداتي أنه لما قُتل مروان بن محمد الأموي استخفى عبد الحميد بالجزيرة ، فغمز عليه ، فأخِذ ودفعه أبو العباس ، وأظنه السفاح ، إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته ، فكان يحتمي له طستاً بالنار ويضعه على رأسه حتى مات . وكان من أهل الأنبار وسكن الرقة ، وشيخه في الكتابة سالم مولى هشام بن عبد الملك .

[وروى محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره قال : أتى أبو جعفر المنصور أخو السفاح - وهو ثاني خلفاء بني العباس بعد قتل مروان بن محمد الجمدي - بعبد الحميد الكاتب والبعليكي المؤذن وسلام الحادي ، فهم المنصور يقتلهم جميعاً لكونهم من أصحاب مروان ، فقال سلام : استبقني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الناس حداً ، فقال : وما بلغ من حدائك ؟ فقال : تمعد إلى إبل فتظمئها ثلاثاً ثم توردها الماء ، فإذا وردت رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى أسكت ، قال : فأمر المنصور بإبل فأظمئت ثلاثة أيام ، ثم أوردت الماء ، فلما بدأت بالشرب رفع سلام صوته بالحداء فامتنعت من الشرب ثم لم تشرب حتى سكت ، فاستبقني سلاماً وأجازه وأجرى عليه رزقه . وقال له البعلبيكي [المؤذن] : استبقني يا أمير المؤمنين ، قال : وما عندك ؟ قال : أنا مؤذن ، قال : وما بلغ من أذائك ؟ قال : تأمر جارية تقدم إليك طستاً وتأخذ بيدها إبريقاً وتصب عليك ، وأبتدىء الأذان فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم ؛ فأمر جارية فأعدت إبريقاً فيه ماء وقدمت إليه طستاً وجعلت تصب عليه ، ورفع البعلبيكي صوته بالأذان فبقيت الجارية شاخصة وألقت الإبريق من يدها ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه الرزق وصير أمر الجامع إليه . وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين ، قال : وما عندك ؟ قال : أنا أبلغ أهل زمانى في الكتابة ، فقال له المنصور : أذت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي . فأمر به فقطعت يدها ورجلاه ثم ضربت عنقه ، والله

١ هنا تبدأ نسخة لاله لي وقد جعلنا رمزها : لي .

أعلم أي ذلك كان^١ .

وكان ولده إسماعيل كاتباً ماهراً نبيلاً معدوداً في جملة الكتّاب المشاهير .
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - كاتباً
بين يدي عبد الحميد المذكور ، ومن تخرّج عليه وتعلم منه .
[وساير عبد الحميد^٢ يوماً مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه ،
فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها ، فقال له : فكيف سيرها؟ فقال:
هما أمامها وسوّطها عنانها وما ضربت قط إلا ظلماً .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى في كتاب « أخبار الوزراء »^٣ :
وجدت بخط أبي علي أحمد بن إسماعيل : حدثني العباس بن جعفر الأصهباني ،
قال : طلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صديقاً لابن المقفع ، ففاجأهما
الطلب وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل
واحد منها : أنا ، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه ، وخاف عبد الحميد أن
يسرعوا إلى ابن المقفع فقال : تَرَفَّقُوا بنا ، فإن كلاً منا له علامات ، فوكلوا
بنا بعضكم ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ، ففعلوا ،
وأخذ عبد الحميد^٤ .

وبوصير : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها راء . ويقال : إن مروان لما وصل إليها منهزماً
والمساكر في طلبه قال : ما اسم هذه القرية ؟ فقيل له : بوصير ، فقال : إلى
الله المصير ، فقتل بها ، وهي واقعة مشهورة .

وقال إبراهيم بن جبلة^٥ : رأني عبد الحميد الكاتب أخط خطأً رديئاً فقال لي :

١ ما بين معقنين ورد في رويقية منه بديء الجزء الثاني من لي ، وهو ثابت عند وستنفيلد .

وقارن هذا النص بما في ثمار القلوب : ١٩٩ ؛ قلت : ولا وجود له في مسودة المؤلف .

٢ قارن بما في ثمار القلوب : ١٩٨ .

٣ أخبار الوزراء : ٧٩ - ٨٠ .

٤ ما بين معقنين لم يرد في المخطوطات وستنفيلد وإنما هو في المطبعة المصرية .

٥ ثمار القلوب : ١٩٨ .

أحب أن تجودَ خطك ؟ فقلت : نعم ، فقال : أطل جلفه قلمك وأسمها ،
وحرف قطنك وأيمنها ، ففعلت فجاد خطي .

٤٠٦

عبد المحسن الصوري

أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلثبُون الصُّوري الشاعر
المشهور ؛ أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، شعره بديع الألفاظ حسن
المعاني ، رائق الكلام مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، له ديوان شعر
أحسن فيه كل الإحسان ، فمن محاسنه قوله :

أترى بشأري أم بدّينِ علكت محاسنها بعيني
في لحظها وقوامها ما في المهنتِ والرؤديني
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتين
بكرت عليّ وقالت اخذ ترّ خصلة من خصلتين
إما الصدود أو الفرا ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي تنهلّ مثل المأزمين^٢
لا تفعلني ، إن حان ص دك أو فراقك حان حيني
فكأنما قلت انهضي فمضت مسارعةً لبيني

٤٠٦ - ترجمته في اليقظة ١ : ٣١٢ وتمة اليقظة : ٣٥ والنجوم الزاهرة : ٢٦٩ وعبر الذمبي
٣ : ١٣١ والشذرات ٣ : ٢١١ .

١ رل : فكرت .

٢ كتب في المسودة وم : تنهلّ فوق الوجنتين . والمأزمان : اسم لموضع ، والمأزم : المضيق بين
جبلين ، ولعله يعني مسيلاً في مضيق .

ثم استقلتُ ابنَ حَلَّةٍ تَ عَيْسُهَا رُمِيَّتْ بِأَيْنِ
ونوائِبِ أَظْهَرْنَ أَيًّا مِي إِلَيَّ بِصُورَتَيْنِ
سَوَدْنَهَا وَأَطْلَنَهَا فَرَأَيْتَ يَوْمًا لِيْلَتَيْنِ

ومنها :

هل بعد ذلك من يُعَمِّ رَفِي النَّضَارِ مِنَ اللُّجَيْنِ
فلقد جهلتها لبه د العهد بينها وبينى
متكسباً بالشعر يا بش الصناعة في اليدين
كانت كذلك قبل أن يأتي عليُّ بن الحسين
فاليومَ حالُ الشعرِ ثا لثة لحالِ الشعريين
أغنى وأغنى مدحه ال مافين عن كذب ومين

وهذه القصيدة عملها عبد المحسن في علي بن الحسين والد الوزير أبي القاسم ابن المغربي ، وهي قصيدة طويلة جيدة ولها حكاية ظريفة ، وهي أنه كان بمدينة عسقلان رئيس يقال له ذو المنقبتين ، فجاءه بعض الشعراء وامتدحه بهذه القصيدة وجاء في مديحها :

ولك المناقبُ كلُّها فلم اقتصرت على اثنتين ؟

فأصغى الرئيس إلى إنشاده واستحسنها وأجزل جائزته ، فلما خرج من عنده قال له بعض الحاضرين : هذه القصيدة لعبد المحسن ، فقال : أعلم هذا وأحفظ القصيدة ، ثم أنشدها ، فقال له ذلك الرجل : فكيف حتى عملت معه هذا العمل من الإقبال عليه والجائزة السنوية ؟ فقال : لم أفعل ذلك إلا لأجل البيت الذي ضمنها ، وهو قوله :

ولك المناقبُ كلُّها ٦

فإن هذا البيت ليس لعبد المحسن ، وأنا ذو المنقبتين ، فأعلم قطعاً أن هذا البيت ما عمل إلا في ، وهو في نهاية الحسن .

ومن شعره أيضاً ، وذكر الثعالبي في كتابه الذي جعله ذبيلاً على « يتيمة الدهر » ، هذه الأبيات لأبي الفرج ابن أبي حصين علي بن عبد الملك الرقي أصلاً ، وكان أبوه قاضي حلب ، والله أعلم ، ولكنها في ديوان عبد المحسن - والثعالبي قد نسب أشياء إلى غير أربابها وغلط فيها ، ولعل هذا من جملة الغلط أيضاً - وذكر في ديوانه أنه عملها في أخيه عبد الصمد ، وهي :

وأخِ مَسَّه نَزُولِي بِقَرَحٍ مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرَحٌ
 بِتُّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّمُ رُوفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرِّ قُبْحُ
 فابْتَدَانِي يَقُولُ وَهُوَ مِنَ السُّكْرِ رَةً بِالْهَمِّ طَافِحٌ لَيْسَ يَصْحَوُ
 لَمْ تَقْرَبْتِ؟ قُلْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْقَوْلُ مِنْهُ نَصْحٌ وَنُجْحُ
 سَافِرُوا تَعْنَمُوا ، فَقَالَ : وَقَدْ قَالُوا لَتَمَامَ الْحَدِيثِ صَوْمُوا تَصْحَوُا

وذكر له صاحب « اليتيمة » هذين البيتين :

عندي حدائق شكرٍ غرسُ جودكمُ قد مَسَّهَا عطشُ فليَسِقِ من غَرَسَا
 تداركوها وفي أغصانها رَمَقُ فلن يعودَ اخضرارُ العودِ إن يَبَسَا
 واجتاز يوماً بقبر صديق له فأنشد :

عجباً لي وقد مررتُ على قبرِ رِكِ كَيْفَ اهْتَدَيْتُ قَصْدَ الطَّرِيقِ
 أتراني نسيْتُ عهدك يوماً؟ صدقوا ما لَمِيتُ من صديقِ

ولما ماتت أمه ودفنها وجد عليها وجداً كثيراً فأنشد :

رهينة أحجار ببيداء دَكْذِكِ تولت فحلت عُروة الممسكِ
 وقد كنت أبكي إن تشكت وإنما أنا اليوم أبكي أنها ليس تشتكِ

وهذا المعنى مأخوذ من قول المتنبي :

وشكيتي فَقَدُ السَّقَامِ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ لِمَا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

وقد استعمل أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن سنان الخفاجي الحلبي

هذا المعنى في بيت من جملة قصيدة طويلة فقال :

بكى الناسُ أطلال الديار وليتني وجدت دياراً للدموع السواكبِ

ومحاسنه كثيرة ، والاقتصار أولى .

وتوفي يوم الأحد تاسع شوال سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وعمره ثمانون سنة أو أكثر ، رحمه الله تعالى .

وغلبتُون : بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وضم الباء الموحدة وبعده الواو نون .

والصوري قد تقدم الكلام عليه .

٤٠٧

الحافظ عبد المجيد العبيدي

أبو الميمون عبد المجيد ، الملقب الحافظ ، ابن أبي القاسم محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله - وقد تقدم ذكر المهدي وجماعة من خلفته - ؛ بويع الحافظ بالقاهرة يوم مقتل ابن عمه الأمر بولاية العهد وتدبير الملكة حتى يظهر الحمل الخلف عن الأمر - حسبما يأتي شرحه في آخر هذه الترجمة إن شاء الله تعالى - فغلب عليه أبو علي أحمد بن الأفضل شاهان شاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي - وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الشين - في صبيحة يوم مبايعته ، وكان الأمر لما قتل الأفضل اعتقل جميع أولاده وفيهم أبو علي المذكور ، فأخرجه الجند من الاعتقال لما قُتل الأمر

٤٠٧ - أخباره في اعطاء الحنفا : ٢٨٤ والخطط ١ : ٣٥٧ وابن الأثير ١١ : ١٤١ والدرة المضية : ٥٠٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٣ وما بعدها ؛ وانظر عبر الذهبية ٤ : ١٢٢ والشذرات ٤ : ١٣٨ ، وسقطت الترجمة من م .

وبايعوه^١ فسار إلى القصر وقبض على الحافظ المذكور واستقل بالأمر وقام به أحسن قيام ، ورد^٢ على المصادرين أموالهم ، وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالأئمة الاثني عشر ، ورفض الحافظ وأهل بيته ، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم وكتب اسمه على السكة ، ونهى أن يؤذَن « حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » ، وأقام كذلك إلى أن وثب عليه رجل من الخاصة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسة فقتله ، وكان ذلك بتدبير الحافظ ، فبادر الأجناد بإخراج الحافظ وبايعوه ولقبوه الحافظ ، ودعي له على المنابر .

وكان مولده بمسقلان^٢ في المحرم من سنة سبع وستين وأربعمائة ، وقيل سنة ست وستين ، وكان قد بويع بالعهد يوم قتل الأمر - وسيأتي تاريخه في ترجمته في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ثم بويع بالاستقلال يوم قتل أحمد بن الأفضل في التاريخ المذكور . وتوفي آخر ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع ، وقيل ثلاث وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى . وقيل إنه ولد في الثالث عشر وقيل الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وكان سبب ولادته بمسقلان أن أباه خرج إليها من مصر في أيام الشدة والغلاء المفرط الذي حصل بمصر في زمان جده المستنصر - حسبما هو مشروح في ترجمته في حرف الميم - فأقام بها ينتظر أيام الرخاء وزوال الشدة ، فولد له الحافظ المذكور هناك ، هكذا قاله شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير ، والله أعلم^٣ . ولم يتول الأمر من ليس أبوه صاحب الأمر من بيتهم سواه وسوى العاضد عبد الله - وقد تقدم ذكره في العبادلة - وكان سبب توليته أن الأمر لم يخلف ولداً وخلف امرأة حاملاً ، فهاج أهل مصر وقالوا : هذا البيت لا يموت إمام

١ لي ل س : يوم مبايعته فبايعه الأجناد فسار إلى القصر ... الخ ؛ وهذا هو الأصل في المسودة ثم صحح كما أثبتناه منها ومن ر .

٢ بمسقلان : سقط من س ؛ ل لي : بالقاهرة .

٣ وكان سبب ولادته ... والله أعلم : سقط من س لي ل ، وفي المسودة عند هذا الموضع : « هاهنا تكتب التخريجة » .

منهم حتى يخلف ولدأ ذكرأ وينص عليه بالإمامة ، وكان الأمر قد نص على الحمل ، فوضعت له المرأة بنتاً ، فكان ما شرحناه من حديث الحافظ المذكور وأحمد بن الأفضل أمير الجيوش ، ولهذا السبب بويع الحافظ بولاية العهد ولم يبايع بالإمامة مستقلاً ، لأنهم كانوا ينتظرون ما يكون من الحمل . وهذا الحافظ كان كثير المرض بعملة القولنج ، فعمل له شيرماه الديلمي - وقيل موسى النصراني - طبل القولنج الذي كان في خزائهم لما ملك السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، الديار المصرية ، وكسره السلطان المذكور ، وقصته مشهورة ، وأخبرني حفيد شيرماه المذكور أن جده ركّب هذا الطبل من المعادن السبعة والكواكب السبعة في إشرافها كل واحد منها في وقته ، وكان من خاصته أن الإنسان إذا ضربه خرج الريح من مخرجه ، وهذه الخاصية كان ينفع من القولنج .

٤٠٨

عبد المؤمن صاحب المغرب

أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الذي قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدي ؛ كان والده وسطاً في قومه ، وكان صانعاً في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها ، وكان عاقلاً من الرجال وقوراً . ويحكى أن عبد المؤمن في صباه كان نائماً توجاه أبيه ، وأبوه مشغول بعمله في الطين^٢ ، فسمع أبوه دويّاً

١ ل لي : إشرافها .

٤٠٨ - أخباره في المعجب للمراكشي والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة وتاريخ البيذق وروض القرطاس والحلل الموشية وتاريخ ابن القطان والاستقصا والتواريخ العامة كالعبر لابن خلدون والكامل لابن الأثير، وانظر العبر للذهبي ٤ : ١٦٥ والشذرات ٤ : ١٨٣ ، وقد جاءت هذه الترجمة مستوفاه في المسودة .

٢ ل لي : مشغلاً بعمل الطين .

من السماء ، فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار ، فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم ، فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها ، فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفاً على ولدها ، فسكتها أبوه فقالت : أخاف عليه ، فقال : لا بأس عليه ، بل إني متعجب مما يدل عليه ذلك ، ثم إنه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل ، فطار عنه بأجمعه ، فاستيقظ الصبي وما به من ألم ، فتفقدت أمه جسده فلم تر به أثراً ، ولم يَشْكُ إليها ألماً ، وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزَجْر ، فمضى أبوه إليه فأخبره ما رآه من النحل مع ولده ، فقال الزاجر : يوشك أن يكون له شأن ، يجتمع على طاعته أهل المغرب ، فكان من أمره ما اشتهر .

ورأيت في بعض تواريخ المغرب^١ أن ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له « الجفر » وفيه ما يكون على يده وقصة عبد المؤمن وحليته واسمه ، وأن ابن تومرت أقام مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه وهو إذ ذاك غلام ، وكان يكرمه ويقدمه على أصحابه ، وأفضى إليه بسر^٢ه وانتهى به إلى مراکش وصاحبها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ملك الملتئمين ، وجرى له معه فصول يطول شرحها ، وأخرجه منها فتوجه إلى الجبال وحشد واستمال المصامدة ، وبالجملة فإنه لم يملك شيئاً من البلاد ، بل عبد المؤمن ملك بعد وفاته بالجيوش التي جهزها ابن تومرت والترتيب الذي رتبته ، وكان أبدأ يتفرس فيه النجابة وينشد إذا أبصره :

تَكاملتُ فيكَ أوصافٌ خُصِصَتْ بِها فكلنا بك مسرورٌ ومغتبطٌ
السنُّ ضاحكةٌ والكفُّ مانحةٌ والنفسُ واسعةٌ والوجهُ منبسطٌ

وهذان البيتان وجدتها منسوبين إلى أبي الشَّيْص الخزاعي الشاعر المشهور^٣ ،

١ لي : تواريخ أهل المغرب .

٢ ر : أمره .

٣ وهذان ... المشهور : سقط من س ل لي م ، وهو في السودة .

وكان يقول لأصحابه : صاحبكم هذا غلاب الدول ، ولم يصح عنه أنه استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته فتم له الأمر وكمل .

وأول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة ، وانتقل بعد ذلك إلى مراكش وحاصرها أحد عشر شهراً ثم ملكها ، وكان أخذه لها في أوائل سنة اثنتين وأربعين وخمسة ، واستوسق له الأمر ، وامتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس ، وتسمى أمير المؤمنين ، وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح ، وذكر العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي لما أنشده :

ما هزَّ عِطْفِيهِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار . ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه خرج من مراكش إلى مدينة سلا ، فأصابه بها مرض شديد ، وتوفي منه في العشر الأخير من جمادى الآخرة السابع والعشرين منه سنة ثمان وخمسين وخمسة ، وقيل إنه حمل إلى تين مل^٣ المذكورة في ترجمة المهدي محمد بن تومرت ، ودفن هناك ، والله أعلم ، وكانت مدة ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهرأ ، وكان عند موته شيخاً نقي البياض .

ونقلت من تاريخ فيه سيرته وخصاله ، فقال مؤلفه : رأيت شيخاً معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شثن الكفين طويل القعدة واضح بياض الأسنان ، بجده الأيمن خال ، رحمه الله تعالى .

وقيل إن ولادته كانت سنة خمسمائة ، وقيل سنة تسعين وأربعمائة ، والله أعلم . وعهد إلى ولده أبي عبد الله محمد فاضطرب أمره وأجمعوا على خلعهم في شعبان من سنة ولايته ، وبويع أخوه يوسف - على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

١ ر : وامتدحوه .

٢ هذه العبارة بهامش المسودة ، وقد سقطت من س ل ر م .

والكومي : بضم الكاف وسكون الواو وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى كومية ، وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ، ومولده في قرية هناك يقال لها تاجرة^١ .

وأما كتاب «الجفر» فقد ذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب «اختلاف الحديث»^٢ فقال بعد كلام طويل : وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره سعد بن هارون العجلي وكان رأس الزيدية فقال :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلّهم في جعفر قال منكرًا
فطائفة قالوا إمامٌ ومنهم طوائف سمّته النبيّ المطهراً
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجفّرا

والأبيات أكثر من هذا^٣ فاقترنت منها على هذا لأنه المقصود بذكر الجفر، ثم قال ابن قتيبة بعد الفراغ من الأبيات : « وهو جلد جفر ادّعوا أنه كتب لهم فيه الإمام كل ما يحتاجون إليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة » . قلت : وقولهم « الإمام » يريدون به جعفرأ الصادق ، رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكره . وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله من جملة أبيات^٤ :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفّر
ومرأة المنجم وهي صغرى أرته كل عامرة وقفّر

وقوله « في مسك جفّر » المسك ، بفتح الميم وسكون السين المهملة ، الجلد . والجفر ، بفتح الجيم وسكون الفاء وبعدها راء ، من أولاد المعز ما بلغ أربعة

١ لي : ناحرة ؛ ر : باحرة ، وهنا تنتهي الترجمة في س ل .

٢ انظر تأويل مختلف الحديث : ٨٤ - ٨٥ .

٣ أورد ابن قتيبة بعدها خمسة أبيات .

٤ اللزوميات ١ : ٥٥٣ .

أشهر ، وجَقَر جنباه ، وفَصَل عن أمه ، والأنثى جَفرة ، وكانت عادتهم ذلك الزمان أنهم^١ يكتبون في الجلود والعظام والخزف^٢ ، وما شاكل ذلك .

٤٠٩

أبو القاسم الأنماطي

أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بَشَارِ الأحول الأنماطي الفقيه الشافعي ؛ كان من كبار الفقهاء الشافعية ، أخذ الفقه عن المَزَنِي والربيع بن سليمان المُرادي ، وأخذ عنه أبو العباس ابن سُرَيْج وغيره ، وكان هو السبب في نشاط الناس ببغداد في كتب الشافعي وتحفظها . وقال عن المَزَنِي : أنا أنظر في كتاب « الرسالة » عن الشافعي ، رضي الله عنه ، منذ خمسين سنة ما أعلم أي نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد منه شيئاً كثيراً لم أكن عرفته . وتوفي في شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين ببغداد ، رحمه الله تعالى .

وقال أبو حفص عمر بن علي المطوعي في كتاب « المذهب في ذكر أئمة المذهب » اسم أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن بشار الأنماطي ، رحمه الله تعالى . والأنماطي : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وبعد الألف طاء مهملة ، هذه النسبة إلى الأنماط وبيئتها^٣ ، وهي البُسُط التي تفرش وغير ذلك من آلة الفرش من الأنطاع والوسائد ، وأهل مصر يسمون هذه الآلات الأنماط وبائعها الأنماطي ، والله أعلم .

١ لي : أنهم في ذلك الزمان .

٢ رلي : والخزف .

٤٠٩ - ترجمته في تاريخ بغداد ١١ : ٢٩٢ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٩ وطبقات السبكي ٢ : ٥٢ وعبر الذهبي ٢ : ٨١ والشذرات ٢ : ١٩٦ ؛ وهذه الترجمة قد جاءت كاملة في المسودة .

٣ هنا تنتهي الترجمة في لي ، وبعد لفظة « تفرش » تنتهي في س ل .

ضياء الدين شارح المذهب

أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس بن فير بن جهّم بن عبدوس الهذباني الماراني الملقب ضياء الدين ؛ كان من أعلم الفقهاء في وقته بمذهب الإمام الشافعي ، وهو أخو القاضي صدر الدين أبي القاسم عبد الملك الحاكم بالديار المصرية - كان - وناب عنه في الحكم بالقاهرة ، واشتغل في صباه بإربل على الشيخ أبي العباس الخضر بن عقيل - المقدم ذكره في حرف الخاء - ثم انتقل إلى دمشق وقرأ على الشيخ أبي سعد عبد الله بن أبي عَصْرُون - المقدم ذكره - وتمهر في المذهب وأصول الفقه وأتقنها ، وشرح « المذهب » شرحاً شافياً لم يسبق إلى مثله في قريب من عشرين مجلداً ولم يكمله ، بل بقي من كتاب الشهادات إلى آخره ، وسماه « الاستقصاء لمذاهب الفقهاء » وشرح « اللمع » في أصول الفقه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي شرحاً مُستوفى في مجلدين ، وصنف غير ذلك . وقبل أن مات القاضي صدر الدين ، رحمه الله تعالى - وكان موته في الليلة الخامسة من رجب ليلة الأربعاء سنة خمس وستائة - عُزِل ضياء الدين المذكور عن النيابة ، فوقف عليه الأمير جمال الدين خُشْتَرِين الهكاري مدرسة أنشأها بالقصر بالقاهرة وفوضَ تدريسيها إليه . ولم يزل بها إلى أن توفي في ثاني عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستائة بالقاهرة ودفن بالقرافة الصغرى وقد قارب تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

ثم توفي صدر الدين في التاريخ المذكور ، ودفن في تربته بالقرافة الصغرى ، وكان يتردد في مولده : هل هو في أواخر سنة ست عشرة أو أوائل سنة سبع عشرة وخمسةائة ؛ وفوض إليه السلطان صلاح الدين القضاء بالديار المصرية بعد

٤١٠ - انظر شذرات الذهب ٥ : ٧ .

١ هكذا في المسودة ، وفي ر : حسين الهكاري ؛ س : ابن خشتَر ابن الهكاري .

أن كان قاضي الغربية من أعمال الديار المصرية في الثاني والعشرين من جمادى
 الآخرة سنة ست وقيل سنة خمس وستين وخمسة ، رحمه الله تعالى .
 وفير : بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء .
 وجَهْم : بفتح الجيم وسكون الهاء وبعدها ميم .
 وعَبْدُوس : بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وضم الدال المهملة
 وسكون الواو وبعدها سين مهملة .
 والماراني : بفتح الميم وبعدهم الألف راء مفتوحة وبعدهم الألف الثانية نون ،
 هذه النسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل .

٤١١

تقي الدين ابن الصلاح

أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النضري
 الكردي الشهْرَزُورِيُّ المعروف بابن الصلاح ، الشَّرْحَانِي الملقب بتقي الدين ،
 الفقيه الشافعي ؛ كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال
 وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة ، وكانت له مشاركة في فنون عديدة ،
 وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد أسيّاحي الذين انتفعت بهم . قرأ الفقه أولاً
 على والده الصلاح وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم ، ثم نقله والده
 إلى الموصل واشتغل بها مدة ، وبلغني أنه كرر على جميع كتاب « المهدب »
 ولم يطرّاً شاربهُ ، ثم إنه تولى الإعادة عند الشيخ العلامة عماد الدين أبي حامد

٤١١ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٧٥ - ١٧٦ وطبقات السبكي ٥ : ١٢٧ وتذكرة الحفاظ :
 ١٤٣٠ وعبر الذهبي ٥ : ٧٧ ومرآة الزمان : ٧٥٧ والشذرات ٥ : ٢٢١ وفي رحلة ابن
 رشيد أخبار كثيرة عنه (انظر السنة الثالثة من مجلة العرب) والأنس الجليل ٢ : ٤٤٩ ؛
 وسقطت الترجمة من م وفي المسودة تحشيات كثيرة سقطت من س ل ، وسقط بعضها من لي .

ابن يونس بالموصل أيضاً ، وأقام قليلاً ثم سافر إلى خراسان فأقام بها زماناً وحصل علم الحديث هناك ، ثم رجع إلى الشام وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس المنسوبة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمه الله تعالى ، وأقام بها مدة ، واشتغل الناس عليه وانتفعوا به ، ثم انتقل إلى دمشق وتولى تدريس المدرسة الرواحية التي أنشأها الزكي أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة المحوي ، وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بجلب أيضاً . ولما بنى الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب ، رحمه الله تعالى ، دار الحديث بدمشق فوض تدريسها إليه . واشتغل الناس عليه بالحديث ، ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام زمرّد خاتون بنت أيوب - وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره التي هي داخل البلد قبلي البيارستان الثوري ، وهي التي بنت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق ، وبها قبرها وقبر أخيها المذكور وزوجها ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص - فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير إخلال بشيء منها إلا لعذر ضروري لا بد منه ، وكان من العلم والدين على قدم حسن ، وقدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، وأقامت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة .

وصنف في علوم الحديث كتاباً نافعاً ، وكذلك في مناسك الحج جمع فيه أشياء حسنة يحتاج الناس إليها ، وهو مبسوط ، وله إشكالات على كتاب « الوسيط » في الفقه ، وجمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد . ولم يزل أمره جارياً على سداد وصلاح حال واجتهاد في الاشتغال والنفع إلى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح ، وصلي عليه بعد الظهر ، وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر ، رحمه الله تعالى . ومولده سنة سبع وسبعين وخمسةائة بشرخان .

(108) وتوفي والده الصلاح ليلة الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانى عشرة وستائة بجلب ، ودفن خارج باب الأربعين في الموضع المعروف بالجلب بتربة الشيخ علي بن محمد الفارسي ، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين

وخمسةائة تقديراً لأنه كان لا يتحققه ، وتولى بحلب تدريس المدرسة الأسدية المنسوبة إلى أسد الدين شيركوه بن شاذي - المقدم ذكره - وكان قد دخل بغداد واشتغل بها ، واشتغل أيضاً على شرف الدين بن أبي عصرون - المقدم ذكره .

والتصري : بفتح النون وسكون الصاد المهملة وبعدها راء ، هذه النسبة إلى جده أبي نصر المذكور .

وشرخان : بفتح الشين المثناة والراء والحاء المعجمة وبعد الألف نون ، قرية من أعمال إربيل قريبة من شهرزور .

(109) وتوفي الزكي ابن رواحة المذكور يوم الثلاثاء سابع رجب سنة اثنتين وعشرين وستائة بدمشق ودفن في مقابر الصوفية ، وذكر الشهاب عبد الرحمن المعروف بأبي شامة في تاريخه المرتب على السنين أنه مات سنة ثلاث وعشرين .

(110) وتوفيت ست الشام بنت أيوب المذكورة في سنة ست عشرة وستائة يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة ، رحمها الله تعالى^٢ .

[وروي عن تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : أخبرني الشيخ الصالح علي بن الرواس ، قدس الله روحه ، قال : ألهمت في النوم هذه الكلمات : ادفع المسألة ما وجدت التجمل يمكنك ، فإن لكل يوم رزقاً جديداً ، والإلحاح في الطلب يذهب البهاء ، وما أحسن الصنيع إلى الملهوف ، وربما كانت الغير نوعاً من أدب الله تعالى ، والحظوظ مراتب ، فلا تعجل على ثمرة قبل أن تدرك ، فإنك ستناولها في أوانها ، ولا تعجل في حوائجك فتضيع بها ذرعاً ويغشاك القنوط ، والله أعلم]^٣ .

١ ذيل الروضتين : ١٤٩ .

٢ ذيل الروضتين : ١١٩ .

٣ انفردت ربما بين معقفين .

ابن جني

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور ؛ كان إماماً في علم العربية ، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي - المقدم ذكره في حرف الحاء - وفارقه وقعد للإقراء بالموصل ، فاجتاز بها شيخه أبو علي فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه ، فقال له « زببتَ وأنت حصرم » ، فترك حلقة وتبعه ولازمه حتى تهر .

وكان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي ، وإلى هذا أشار بقوله في جملة أبيات :

فإن أصبحَ بلانِـبِ فعملي في الوري نسي
على أني أوول إلى قرُومٍ سادة نُـجُبِ
قياصرة إذا نطقوا أرمُ الدهر ذو الخطب
أولاك دَعَا النبي لهم كفى شرفاً دعاء نبي

« أرم » بمعنى سكت .

وله أشعار حسنة ، ويقال إنه كان أعور ، وفي ذلك يقول - وقيل إن هذه الأبيات لأبي منصور الديلمي :

صدودك عني ولا ذنب لي يدلُّ على نيّة فاسده
فقد وحياتك مما بكيت خشيتُ على عيني الواحده
ولولا مخافةُ أن لا أراك لما كان في تركها فائده

٤١٢ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٣٣٥ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى ، وهذه الترجمة مطابقة لما في السودة .

ورأيت له قصيدة بائية يرثي بها المتنبى ولولا طولها لأتيت بها^١ .
(111) وأما أبو منصور الديلمي فالمشهور عنه غير هذه التسمية ، وأنه
أبو الحسن علي بن منصور ، وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان ، وكان
شاعراً مجيداً خليعاً ، وكان بفرد عين ، وله في ذلك أشياء مليحة فمن ذلك
قوله :

يا ذا الذي ليس له شاهدٌ في الحبِّ معروفٌ ولا شاهده
شواهدِي عيناِي إني بها بكيتُ حتى ذهبَتُ واحده
وأعجبُ الأشياء أن التي قد بقيت في صحبتي زاهده

وله في غلام جميل الصورة بفرد عين ، وقد أبدع فيه :

له عين أصابت كلَّ عين وعين قد أصابتها العيون

ولابن جنبي من التصانيف المفيدة في النحو كتاب « الخصائص » و « سر
الصناعة » و « المنصف في شرح تصريف أبي عثمان المازني » و « التلقين في
النحو » و « التعاقب » و « الكافي في شرح القوافي » للأخفش ، و « المذكر
والمؤنث » و « المقصور والمدود » و « التمام في شرح شعر الهذليين » و « المنهج
في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة » ومختصر في العروض ومختصر في القوافي
و « المسائل الخاطريات » و « التذكرة الأصبهانية » و « مختار تذكرة أبي علي
الفارسي » وتهذيبها و « المقتضب » في المعتل العين و « اللمع » و « التنبيه »
و « المهذب » و « التبصرة » وغير ذلك ، ويقال : إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي
أخذ منه أسماء كتبه ، فإن له « المهذب » و « التنبيه » في الفقه ، و « اللمع »
و « التبصرة » في أصول الفقه . وشرح ابن جنبي ديوان المتنبى وسماه الفسر^٢

١ مطلعها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد ري دوحة الكتب
وقد وردت في بعض المصادر المذكورة آنفاً .

٢ كذا في السودة ول لي ؛ ر : القشر ؛ القفطي والمطبوعة المصرية : الصبر .

وكان قد قرأ الديوان على صاحبه ، ورأيت في شرحه قال : سأل شخص
أبا الطيب المتنبي عن قوله :

بَادِ هَوَاكَ صَبْرَتَ أُمِّ لَمْ تَصْبِرَا

فقال : كيف أثبت الألف في « تصبرا » مع وجود لم الجازمة ، وكان من
حقه أن يقول « لم تصبر » ، فقال المتنبي : لو كان أبو الفتح هاهنا لأجابك ، يعنيني ،
وهذه الألف هي بدل من نون التأكيد الخفيفة ، كان في الأصل « لم تصبرن »
ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل منها ألفاً ، قال الأعشى :

وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

وكان الأصل « فاعبدن » فلما وقف أتى بالألف بدلاً .
وكانت ولادة ابن جني قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل . وتوفي يوم الجمعة
لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، ببغداد .
وجني : بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء .

٤١٣

أبو عمرو ابن الحاجب

أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدؤاني ثم المصري الفقيه المالكي
المعروف بابن الحاجب ، الملقب جمال الدين ؛ كان والده حاجباً للأمير عز الدين
موسك الصلاحي ، وكان كردياً ، واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة في
صغره بالقرآن الكريم ، ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك ، رضي الله عنه ، ثم

٤١٣ - ترجمته في الطالع السعيد : ١٨٨ وغاية النهاية ١ : ٥٠٨ وذيل الروضتين : ١٨٢ وبغية
الوعاء : ٣٢٣ وعبر الذمبي ٥ : ١٨٩ والشذرات ٥ : ٢٣٤ .

بالعربية والقراءات ، وبرَعَ في علومه وأتقنها غاية الإتقان ، ثم انتقل إلى دمشق ودرّس بجامعة في زاوية المالكية ، وأكبّ الخلق على الاشتغال عليه ، والتزم لهم الدروس وتبحر في الفنون ، وكان الأغلب عليه علم العربية ، وصنف مختصراً في مذهبه ، ومقدمة وجيزة في النحو ، وأخرى مثلها في التصريف وشرح المقدمتين [وله] :

أَيُّ غَدٍّ مَعَ يَدٍ دَدٍ ذِي حُرُوفٍ طَاوَعَتْ فِي الرُّوِيِّ وَهِيَ عِيُونُ
وَدَوَاةِ وَالْحَوْتِ وَالنُّونِ نُونًا تَعَصَّتْهُمُ وَأَمْرَهَا مُسْتَبِينُ
وهو جواب عن البيتين المشهورين وهما :

ربما عالج القوافي رجالٌ في القوافي فتلتوي وتلين
طاوَعْتَهُمْ عَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَيْنٌ وَعَصَّتَهُمْ نُونٌ وَنُونٌ وَنُونٌ^٢

فيعني بقوله « عين وعين وعين » نحو غد ويدٍ ودَدٍ ، فإن وزن كل منها « فع » إذ أصل غد : غدوٌ ويد : يديٌ ودد : ددن ، ويقول « نون ونون ونون » الدواة والحوت والنون الذي هو الحرف ، وله أيضاً في أسماء قذاح الميسر ثلاثة أبيات ، وهي :

هي فَذٌ وَتَوَامٌ وَرَقِيبٌ ثُمَّ حَلَسٌ وَنَافَسٌ ثُمَّ مَسْبِلٌ
وَالْمَعْلِيُّ وَالْوَعْدُ ثُمَّ سَفِيحٌ وَمَنْبِجٌ وَذِي الثَّلَاثَةِ تَهْمَلُ
وَلِكُلِّ مِمَّا عَدَاهَا نَصِيبٌ مِثْلُهُ أَنْ تَعُدَّ أَوَّلَ أَوَّلٍ^٣

١ الفيت الذي انسجم ١ : ٣٥ والفوات ٢ : ١٢٢ .

٢ قال السلفي (٤٧) : كتب أديب من أدباء الأندلس إلى الفقيه أبي عبدالله المازري بالمهدية « ربما عارض القوافي ... الخ » وابن لي ما طارعهم وما عصام ، فأجابه نثراً : طارعهم المعجمة والعي والمعز وعصتهم اللسان والبيان والجنان ؛ وانظر الفيت الذي انسجم ١ : ٣٤ ونسبا في الفوات ٢ : ١٢٢ للحسين بن عبد السلام .

٣ ما بين معقفين زيادة لم ترد إلا في ر ؛ وفي المسودة « هاهنا التخريجة » .

وصنف في أصول الفقه ، وكل تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة ، وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تبعد الإجابة عنها ، وكان من أحسن خلق الله ذهنًا .

ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه ، وجاءني مراراً بسبب أداء شهادات ، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة ، فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير وثبت تام ، ومن جملة ما سألته عن مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم « إن أكلت إن شربت فأنت طالق » لم تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق حتى لو أكلت ثم شربت لا تطلق ؟ وسألته عن بيت أبي الطيب المتنبي وهو قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أمحم حتى لات مقتحم

ما السبب الموجب لحفض مصطبر ومقتحم ، ولات ليست من أدوات الجر ؟ فأطال الكلام فيها وأحسن الجواب عنها ، ولولا التطويل لذكرت ما قاله . ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها ، فلم تطل مدته هناك ، وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ست وأربعين وستائة ، ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة ؛ وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسةائة بأسنا ، رحمه الله تعالى .

وأسنا : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وبعدها ألف ، وهي بلدة صغيرة من الأعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر .

الملك العزيز ابن صلاح الدين

الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ كان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام ، وتوفي أبوه بدمشق ، فاستقل بملكته باتفاق من الأمراء ، كما هو مشهور فلا حاجة إلى شرحه . وكان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً إلى الناس معتقداً في أرباب الخير والصلاح ؛ وسمع بالاسكندرية الحديث من الحافظ السلفي والفقير أبي الطاهر ابن عوف الزهري ، وسمع بصر من العلامة أبي محمد ابن بري النحوي وغيرهم . ويقال إن والده كان يؤثره على بقية أولاده ، ولما ولد له الملك المنصور ناصر الدين محمد كان والده بالشام والقاضي الفاضل بالقاهرة فكتب إليه يهنئه « الملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر ، دام رشده وإرشاده ، وزاد سعده وإسعاده ، وكثرت أولياؤه وعبيده وأعداده ، واشتد بأعضاده فيهم اعتضاده ، وأتمى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولاده ، وينهي أن الله تعالى وله الحمد رزق الملك العزيز عز نصره ولدأ مباركاً علياً ، ذكراً سرياً ، برأ زكياً تقياً نقياً ، من ذرية كريمة بعضها من بعض ، وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء وبماليكه ملوكاً في الأرض» . وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسة ، وكان قد توجه إلى الفيوم ، فطرد فرسه وراء صيد فقتطربه فأصابته الحمى من ذلك وحمل إلى القاهرة ، فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

٤١٤ - أخباره في مرآة الزمان : ٤٦٠ وابن الأثير ١٢ : ١٤٠ وذيل الروضتين : ١٦ والسلوك ١١٤ : ١ والحطط ١ : ٢٣٥ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٢٠ وعبر الذهبي ٤ : ٢٨٧ والشذرات ٤ : ٣١٩ ، وسقطت هذه الترجمة من م .

[نقلت من خط القاضي الفاضل فصلاً يتعلق بالملك العزيز بن صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ما مثاله : لما كان يوم السبت تاسع عشر المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة اشتد المرض بالملك العزيز وخيف عليه ، وأدركه في ليلته فوفاقٌ وأخذ نبضه في الضعف وأصبح الطبيب على إياسٍ منه ، ثم لما كان وقت الظهر وقعت البشرى أنه أفاق وحضر ذهنه ، وكلمت مَنْ حوله وحضر إليه الأمراء والخوفاص ، ثم قال بعد ذلك : إلى أن كان وقت العتمة من ليلة الأحد ، فبدت قوته تخور ، والفوفاق يشتد وبَعَثَهُ الأمر وعظمت الحمى وصغر النبض وكثر عليه الغشي ، وكانت وفاته في الساعة السابعة من ليلة الأحد ، ولما كان في آخر الليل خرج فخر الدين جهاركس وأسد الدين سراسنقر وجماعة من المماليك واستدعوا الأمراء فأحضرت وأعلمت بوفاته ، وقال المذكورون : إنا قد اجتمعنا كلمتنا على أن يكون ولد العزيز الأكبر وتقدير عمره عشر سنين واسمه محمد ولقبه ناصر الدين المنتصب في السلطنة والقائم بالأمر ، وأن يكون أتابكه بهاء الدين قراقوش ، وقالوا : قد كان السلطان استناب هذا الولد واستخلف على تربيته قراقوش ، ونريد أن يجتمع الأمراء ، ويخرج الخدام يبلغونهم رسالة عن السلطان وأنه حي ، ومعنى الرسالة أن هذا ولدي سلطانكم من بعدي ، فاحلفوا له واحفظوني فيه ، فقلت لهم : فإن طالبكم الأمراء بسماع هذه المشافهة من السلطان ما الذي تقولون لهم ؟ فرجعوا إلى أن يخاطبوا الأمراء إذا حضروا بأن السلطان وصّى بهذه الوصية ، وأنه قد قضى ، ويدخلون عليهم من جانب الموافاة لجد هذا الصبي وأبيه ، فقلت لهم : لا تنتظروا اجتماع الأمراء ، فإنهم إن حضروا جملة فلا تأمنوا أن يمتنعوا جملة ، بل كل مَنْ حضر من الأمراء تقولون له : قد اتفقنا فكن معنا ، وقد حلفنا فاحلف كما حلفنا ، وقدموا المصحف وأسرعوا في تلقينه ، فجرى الأمر على هذا ، فلما تكامل الحلف أو أكثره أحضروا الولد ، فبكى الناس لما رأوه وصاحوا وقاموا إليه ، ووقفوا بين يديه ، جميع ذلك قبل أن يُسفر صباح الأحد ، ثم صليت فريضة الفجر ، وشرعوا في تجهيز الملك العزيز إلى قبره ، وغسل في مكان موته ، واجتمع الناس فيما بين الظهر والمصر للصلاة عليه ، وكثر الزحام ، وقامت الواعية ، فلم يخلص

من دفنه إلى قريب المغرب ، وخوطف ولده بالملك الناصر بلقب جده في هذا اليوم^١ .

ولما مات كتب القاضي الفاضل إلى عمه الملك العادل رسالة يعزيه ، من جملتها : « فنقول في توديع النعمة بالملك العزيز : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قول الصابرين ، ونقول في استقبالها^٢ بالملك العادل : الحمد لله رب العالمين ، قول الشاكرين ، وقد كان من أمر هذه الحادثة ما قطع كل قلب ، وجلب كل كرب ، ومثل وقوع هذه الواقعة لكل أحد ولا سيما لأمثال المملوك ، ومواعظ الموت بليغة ، وأبلغها ما كان في شباب المملوك ، فرحم الله ذلك الوجه ونصّره ، ثم السبيل إلى الجنة^٣ يسّره .

وإذا محاسن أوجه بليت فعفا الثرى عن وجهه الحسن

والمملوك في حال تسطير هذه الخدمة جامع بين مرّضي قلب وجسد ، ووجع أطراف وغليل كبد ، فقد فجع المملوك بهذا المولى والعهد بوالده غير بعيد ، والأسى في كل يوم جديد ، وما كان ليندمل ذلك القرح ، حتى أعقبه هذا الجرح ، فالله تعالى لا يعدم المسلمين بسلاطنتهم الملك العادل السلوة ، كما لم يعدمهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم الأسوة . ودفن بالقرافة الصغرى في قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وقبره معروف هناك .

١ انفردت ربما حصر بين معقنين .

٢ ر : استبقائها .

٣ إلى الجنة : سقط من ر .

عدي الهكاري

الشيخ عدي بن مسافر [بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان ، كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته] ^١ الهكاري مسكنًا ، العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية ؛ سار ذكره في الآفاق ، وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يُعَوَّلون عليها ، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير [مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وأبي النجيب عبد القاهر السهروردي وعبد القادر الجيلي وأبي الوفاء الحلواني] ^١ ثم انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل ، وبني له هناك زاوية ، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله .

وكان ^٢ مولده في قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك ، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن . وتوفي الشيخ سنة سبع ، وقيل خمس وخمسين وخمسة ، في بلده بالهكارية ودفن بزايوته ، رحمه الله تعالى ؛ وقبره عندهم من المزارات المعدودة ، والمشاهد المقصودة ، وحفدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمه .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربيل » وعدّه من جملة الواردين على إربيل . وكان مظفر الدين صاحب إربيل ، رحمه الله تعالى ، يقول : رأيت

٤١٥ - انظر تاريخ ابن الوردي ٢ : ٦٤ وعبر الذهبي ٤ : ١٦٣ والشذرات ٤ : ١٧٩ والاعلام للزركلي .

١ ما بين معقنين زيادة من ر .

٢ ل س : وقيل ان .

الشيخ عدي بن مسافر وأنا صغير بالموصل ، وهو شيخ رُبْعَة أسمر اللون ،
وكان يحكي عنه صلاحاً كثيراً ، وعاش الشيخ عدي تسعين سنة ، رحمه
الله تعالى .

٤١٦

عروة بن الزبير

أبو عبد الله عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد المُرِّيّ
ابن قصي بن كلاب القرشي الأسدي ، وبقية النسب معروف^١ ؛ هو أحد الفقهاء
السبعة بالمدينة - وقد تقدم ذكر خمسة منهم كل واحد في بابيه - وأبوه الزبير
ابن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفيّة عمّة النبي ، صلى
الله عليه وسلم . وأم عروة المذكور أسماء بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله
عنه ، وهي ذات النِّطَاقين وإحدى عجائز الجنة ، وعروة شقيق أخيه عبد الله
ابن الزبير ، بخلاف أخيها مُصَنَّب فإنه لم يكن من أمها ، وقد وردت عنه
الرواية في حروف القرآن ، وسمع خالته عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ؛
وروى عنه ابن شهاب الزهري وغيره . وكان عالماً صالحاً ، وأصابته الأكلة في
رجله وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك ، فقُطعت رجله في مجلس الوليد ،
والوليد مشغول عنه بمن يحدثه ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قطعت حتى
كويت فوجد رائحة الكي ، هكذا قال ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٢ ، ولم يتحرك
ورُده تلك الليلة ، ويقال : إنه مات ولده محمد في تلك السفارة فلما عاد إلى

٤١٦ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ١٧٨ ونسب قريش : ٢٤٥ - ٢٤٦ وطبقات الشيرازي ،
الورقة : ١٣ وحلية الأولياء ٢ : ١٧٦ وصفة الصفوة ٢ : ٤٧ وتذكرة الحفاظ : ٦٢ وعبر
الذهبي ١ : ١١٠ والشذرات ١ : ١٠٣ .

١ كذا في الاصول .

٢ المعارف : ٢٢٢ .

المدينة قال : ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ ، وعاش بعد قطع رجله ثماني سنين .
وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « التعازي » ما مثاله^١ : وقال إسحاق بن
أيوب وعامر بن حفص وسلمة بن محارب : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن
عبد الملك ومعه ولده محمد بن عروة ، فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة
فخر ميتاً ، ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يدع ورده تلك الليلة فقال له
الوليد : اقطعها ، فقال : لا ، فسرت إلى ساقه ، فقال له الوليد : اقطعها وإلا
أفسدت عليك جسدك ، فقطعها بالنشار وهو شيخ كبير ولم يسكه أحد ، وقال :
﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ . وقدم تلك السنة قوم من بني عيس فيهم
رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال : يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن
واد ، ولا أعلم عسبياً يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من
أهل وولد ومال غير بعير وصبي مولود ، وكان البعير صعباً فندد ، فوضعت
الصبي واتبعت البعير ، فلم أجوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم
الذئب وهو يأكله ، فلحقت البعير لأحبسه فنفخني برجله على وجهي فحطمه
وذهب بعيني ، فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر ؛ فقال الوليد :
انطلقوا به إلى عروّة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء .

وكان أحسن من عزّاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال له : والله ما بك
حاجة إلى المشي ، ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن
من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض ، إن شاء الله تعالى ، وقد أبقى الله
لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء ، من علمك ورأيك ، نفمك
الله وإيانا به ، والله ولي ثوابك ، والضمين بحسابك .

[وحكى سعيد بن أسد قال : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : كان
عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلّم حائطه فيدخل الناس فيأكلون
ويحتلمون ، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ (الكهف : ٣٩) حتى يخرج منه . وكان يقرأ

١ هذا النص المنقول عن المبرد حتى قوله ... بحسابك : سقط من س ل ي م ، وانفردت به ر
وأشار في المسودة إلى أن « التخريجة » تكتب هنا .

رُبْعَ القرآن كل يوم نظراً في المصحف ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ، ثم عاد من الليلة المقبلة .

وقال ابن قتيبة وغيره : لما دعي الجزار ليقطعها قال له : نسّيتك الحجر حتى لا تجد لها ألماً ، فقال : لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية ، قالوا : فنسّيتك المُرْقِدَ ، قال : ما أحب أن أسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه ، قال : ودخل عليه قوم أنكروهم ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يسكونك فإن الأم ربما عَزَبَ معه الصبر ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي ، فقتطعت كعبه بالسكين حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المنشار فقتطعت وهو يُهَلِّلُ ويكبر ، ثم إنه أغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسم به ، فغشي عليه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ، أو قال معصية ، ولما دخل ابنه إصطبل الوليد بن عبد الملك وقتلته الدابة كما تقدم لم يسمع في ذلك منه شيء ، حتى قدم المدينة فقال : اللهم ، إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وإيم الله لأن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت [١] .

ولما قتل أخوه عبد الله قَدِمَ عروة على عبد الملك بن مروان فقال له يوماً : أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله ، فقال له : هو بين السيوف ولا أميزه من بينها ، فقال عروة : إذا حضرت السيوف ميزته أنا ، فأمر عبد الملك بإحضارها ، فلما حضرت أخذ منها سيفاً مُفَكَّلَ الحد فقال : هذا سيف أخي ، فقال عبد الملك : كنت تعرفه قبل الآن ؟ فقال : لا ، فقال : كيف عرفته ؟ قال : بقول النابغة الذبياني :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

وعُرْوَةُ هَذَا هُوَ الَّذِي احْتَفَرَ بئرَ عروة التي بالمدينة وهي منسوبة إليه وليس بالمدينة بئر أعذب من مائها .

١ ما بين معقنين لم يرد في المخطوطات .

وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين ، وقيل ست وعشرين للهجرة . وتوفي في قرية له بقرب المدينة يقال لها فرُوع - بضم الفاء وسكون الراء - وهي من ناحية الرَبْدَة ، بينها وبين المدينة أربع ليال ، وهي ذات نخيل ومياه ، سنة ثلاث وتسعين ، وقيل أربع وتسعين ، ودفن هناك ، قاله ابن سعد ، وهي سنة الفقهاء ، رضي الله عنهم ، وسيأتي ذكر ولده هشام إن شاء الله تعالى .

وذكر العتيبي^١ أن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وأخويه مُصْنَع وعروة المذكور أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان ، فقال بعضهم : هلم فلنتمنه ، فقال عبد الله بن الزبير : مُنِّيَّي أن أملك الحرمين وأنال الخلافة ، وقال مصعب : منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، وقال عبد الملك بن مروان : منيتي أن أملك الأرض كلها وأخلف معاوية ، فقال عروة : لست في شيء مما أنتم فيه ، مُنِّيَّي الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة وأن أكون ممن يُرَوَى عنه هذا العلم ، قال : فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمه . وكان عبد الملك لذلك يقول : من سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير .

٤١٧

ركن الدين الطاوسي

أبو الفضل العراقي بن محمد بن العراقي القزويني ، الملقب ركن الدين ، المعروف بالطاوسي ؛ كان إماماً فاضلاً مناظراً محجاجاً ، قيماً بعلم الخلاف ماهراً فيه ،

١ انظر رواية مشابهة في ترجمة عبد الله بن عمر ص : ٢٩ .
٤١٧ - انظر عبر الذهبي ٤ : ٣١٣ والجواهر المضية ٢ : ٢٦٣ والشذرات ٤ : ٣٤٦ (وهو نقل عن ابن خلكان) ؛ وسماء في العبر والشذرات عزيز بن محمد ؛ وقد جاءت هذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

اشتغل به على الشيخ رضي* الدين النيسابوري الحنفي صاحب الطريقة في الخلاف وبرز فيه ، وصنف ثلاث تعاليق في الخلاف : مختصرة وثانية وثالثة مبسطة ، واجتمع عليه الطلبة بمدينة همدان ، وقصدوه من البلاد البعيدة والقريبة للاستفادة عليه ، وعَلَّقُوا تعاليقه . وبني له الحاجب جمال الدين بهمدان مدرسة تعرف بالحاجبية ، وطريقته الوسطى أحسن من طريقته الآخرين لأن فقهها كثير وفوائدها جمة ، وأكثر اشتغال الناس في هذا الزمان بها ، واشتهر صيته في البلاد وحُملت طريقته إليها . وتوفي بهمدان في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ستائة ، رحمه الله تعالى .

ولم أعلم نسبة الطاوسي إلى أي شيء ولا ذكرها السمعاني . والله أعلم . وسمعت جماعة من الفقهاء من أهل بلاده يقولون : إن في قزوين خلقاً كثيراً ينتسبون هذه النسبة ، ويزعمون أنهم من نسل طاوس بن كَيْسَانَ التابعي المذكور قبل هذا ، فلعله منهم ، والله أعلم .

٤١٨

شيدلة

أبو المعالي عَزِيزِي بن عبد الملك بن منصور الجيلي ، المعروف بشيدلة ، الفقيه الشافعي الواعظ ؛ كان فقيهاً فاضلاً واعظاً ماهراً فصيح اللسان حلو العبارة

١ انظر ترجمة طارس رقم : ٣٠٦ .

٤١٨ - ترجمته في المنتظم ٩: ١٢٦ وطبقات السبكي ٣: ٢٨٧ وعبر الذهبي ٣: ٣٣٩ والشذرات ٣: ٤٠١ ؛ وذكر السبكي أن لقبه شيدل ، وقال : بفتح الشين المعجمة وسكون (الياء) آخر الحروف وفتح اللام والبدال ، فتأمل الفرق بين الضبطين ، وذكر في التاج لفظ « شيدله » وقال إن السبكي ضبطه بالبدال المهملة مما قد يرجح أن المطبوعة من الطبقات وقع فيها خطأ . قلت : وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .

كثير المحفوظات ، صنف في الفقه وأصول الدين والوعظ ، وجمع كثيراً من أشعار العرب ، وتولى القضاء بمدينة بغداد بباب الأزج ، وكانت في أخلاقه حدة ، وسمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة ، وكان يتظاهر بمذهب الأشعري . ومن كلامه : إنما قيل لموسى ، عليه السلام ، ﴿ لن تراني ﴾ لأنه لما قيل له ﴿ انظر إلى الجبل ﴾ نظر إليه ، فقيل له : يا طالب النظر إلينا لم تنظر إلى سوانا ؟

يا مدعي بمقاله صدق المحبة والإخاء
لو كنت تصدق في المقام لما نظرت إلى سواني
فسلكت سبيل محبتي واخترت غيري في الصفاء
هيهات أن يحوي الفؤاد محبتين على استواء

وقال : أنشدني والدي عند خروجه من بغداد للحج :

مددت إلى التوديع كفتاً ضعيفةً وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا العهد آخر عهدنا ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وتوفي يوم الجمعة سابع عشر صفر سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببغداد ، ودفن بباب أبرز محاذياً للشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمها الله تعالى .
وعزيزي : بفتح العين المهملة وزاين بينها ياء مثناة من تحتها وهي ساكنة ، وبعد الزاي الثانية ياء ثانية .

وشيدكة : بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام وبعدها هاء ساكنة ، وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كثرة كسفي عنه .

عطاء بن أبي رباح

أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم - وقيل سالم - بن صفوان مولى بني فهر أو جُمَحَ المكي ، وقيل إنه مولى أبي مَيْسَرَةَ الفهري ، من مولدي الجُنْدِ ؛ كان من أجلاء الفقهاء وقابعي مكة وزهادها ، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير ، رحمهم الله تعالى ، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها . قال قتادة : أعلم الناس بالمناسك عطاء . وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان : أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح : لا يُفْتِي الناسَ إلا عطاء بن أبي رباح ، وإياه عنى الشاعر بقوله :

سَلِّ المَفْتِيَ المَكِّيَّ هل في تَزَاوُرٍ وضمّةٍ مشتاقِ الفؤادِ جُنَاحُ
فقالَ مَعَاذَ الله أن يُذْهِبَ التقيَ تَلاصُّقُ أكبادِ بهنَّ جِرَاحُ

فلما بلغه البيتان قال : والله ما قلت شيئاً من هذا .
[وحكي عن وكيع قال : قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأتُ في
خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمتُ منها حَجَّامٌ ، وذلك أني أردت أن أحلق

٤١٩ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٢ : ٣٨٦ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٧ والمعارف :
٤٤٤ وحلية الاولياء ٣ : ٣١٠ وصفة الصفوة ٢ : ١١٩ ونكت الهميان ١٩٩ وميزان
الاعتدال ٣ : ٧٠ وتذكرة الحفاظ : ٩٨ وعبر الذهبي ١ : ١٤١ وتهذيب التهذيب ٧ : ١٩٩
والشذرات ١ : ١٤٧ .

١ وقع بعد هذا في زيادة تقطع أنها من عمل أحد النساخ لأنها نقل عن التاج السبكي صاحب
طبقات الشافعية ، وهو متأخر عن المؤلف ، ولهذا لم ندرجها هنا ، وهي تتعلق بفتوى الشافعي
في هذين البيتين (انظر طبقات السبكي ١ : ١٦١) .

رأسي ، فقال لي : أعربي أنت ؟ قلت : نعم ، وكنت قد قلت له : بكم تحلق رأسي ؟ فقال : النسك لا يُشارَطُ فيه ، اجلس ، فجلست منحرفاً عن القبلة ، فأوماً لي باستقبال القبلة ، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال : أدر شِقِّكَ الأيمن من رأسك ، فأدرته ، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت ، فقال لي : كَبِّرْ ، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال : أين تريد ؟ قلت : رحلي ، فقال : صلِّ ركعتين ثم امض ، فقلت : ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم ، فقلت : من أين لك ما رأيتك أمرتني به ؟ فقال : رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا .

وحكي عن خليفة بن سلام عن يونس قال : سمعت الحسن البصري ذات يوم في مجلسه يقول : اعتبروا من المنافق بثلاث ، إن حدّث كذب ، وإن أوّتمن خان ، وإن وعد أخلف ، فبلغ ذلك عطاء ، فقال : قد كانت هذه الخلال الثلاث في ولد يعقوب ، حدّثه فكذبوه ، واتّمنهم فخانوّه ، ووعدوه فأخلفوه ، فأعقبهم الله النبوة ، فبلغ الحسن فقال ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ (يوسف : ٧٦) [١] .

ونقل أصحابنا عن مذهبه أنه كان يرى إباحتها وطء الجوارح بإذن أربابهم ؛ وحكى أبو الفتوح العجلي - المقدم ذكره في حرف الهمزة^٢ - في كتاب « شرح مشكلات الوسيط والوجيز » في الباب الثالث من كتاب الرهن ما مثاله : وحكي عن عطاء أنه كان يبعث يجوارحه إلى ضيفانه ، والذي أعتقد أنا أن هذا بعيد ، فإنه ولو رأى الحل لكن المروءة والغيرة تأبى ذلك ، فكيف يظن هذا بمثل ذلك السيد الإمام ؟ ولم أذكره إلا لغرابته .

وكان أسود أعور أفضس أشل أعرج ، ثم عمي ، مفلفل الشعر . قال سليمان ابن ربيع : دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلمت فإذا عطاء ابن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود .
توفي سنة خمس عشرة ومائة ، وقيل أربع عشرة ومائة ، وعمره ثمان وثمانون

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٢ انظر المجلد الأول ص : ٢٠٨ .

سنة ، رضي الله عنه ، وقال ابن أبي ليلى : حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة ، والله أعلم .

ورَبَّاح : بفتح الراء والباء الموحدة .

وَأَسْلَمَ : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح اللام .

وفِهر : بكسر الفاء وسكون الهاء وبعدها راء .

وجَمَحَ : بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة .

والباقي معلوم .

والجَنَدَ : بفتح الجيم والنون وبعدها دال مهملة ، وهي بلدة مشهورة باليمن

خرج منها جماعة من العلماء ، رحمهم الله تعالى .

٤٢٠

المقنع الخراساني

المقنَعُ الخراساني ، اسمه عطاء ، ولا أعرف اسم أبيه وقيل اسمه حكيم ، والأول أشهر ؛ وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو ، وكان يعرف شيئاً من السحر والنجرات^١ فادعى الربوبية من طريق المناسخة ، وقال لأشباعه والذين اتبعوه : إن الله سبحانه وتعالى تحوّل إلى صورة آدم ، ولذلك قال للملائكة : اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس فاستحق بذلك السخط ، ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام ، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني - المقدم

٤٢٠ - أخباره في الطبري ٩ : ٣٣٨ وابن الأثير ٦ : ٣٨ ، ٥١ والملل والنحل ١ : ٢٤٨ وعبر

الذهبي ١ : ٢٣٥ ، ٢٤٠ والشذرات ١ : ٢٤٨ والآثار الباقية : ٢١١ وقال إن اسمه هاشم

ابن حكيم ، وشروح السقط : ١٥٤٥ ؛ وقد جاءت الترجمة هنا مطابقة لما في المسودة .

١ لي : والنيرنجيات ؛ ر : والنيرنجيات ، وأثبتنا ما في المسودة ول س .

ذكره - ثم زعم أنه انتقل إليه منه ، فقبل قوم ' دعواه وعبدوه وقتلوا دونه ، مع ما عاينوا من عظيم ادعائه وقبح صورته ، لأنه كان مُسَوِّء الخلق أعور ألكن قصيراً ، وكان لا يُسْفِر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به ، فلذلك قيل له « المقنّع » ، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات . وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ، ثم يغيب ، فعظم اعتقادهم فيه ، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله^٢ :

أفِقْ إِنَّمَا الْبَدْرُ الْمَقْنَعُ رَأْسُهُ ضَلَالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ الْمَقْنَعِ

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة ، وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر - الآتي ذكره - في جملة قصيدة طويلة بقوله^٣ :

إِلَيْكَ فَمَا بَدَرُ الْمَقْنَعِ طَالِعاً بِأَسْحَرِ مِنْ أَلْحَاطِ بَدْرِ الْمَعْمَمِ

ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره ثار عليه الناس ، وقصدوه في قلعتهم التي كان اعتصم بها وحصلوه ، فلما أيقن بالهلاك جمَعَ نساءه وسقاهن سماً فمتن منه ثم تناول شربة من ذلك السم فمات ، ودخل المسلمون قلعتهم فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه ، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة ، لعنه الله تعالى ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قلت : ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها ، ثم رأيت في كتاب الشهاب ياقوت الحموي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة ، فقال في باب سَنَام بفتح السين^٤ : إنها أربعة مواضع والموضع الرابع منها سَنَام قلعة عمَّرها المقنّع الخارجي بما وراء النهر ،

١ ر : قومه .

٢ شروح السقط : ١٥٤٤ .

٣ ديوانه : ٦٩٨ .

٤ انظر المشترك : ٢٥٤ .

والله أعلم ، والظاهر أنها هذه القلعة ، ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي ،
وأنها من رستاق كش ، والله أعلم .

٤٢١

عكرمة

أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ؛
أصله من البربر من أهل المغرب ، كان لحصين بن الحرّ العنبري ، فوهبه لابن
عباس ، رضي الله عنهما ، حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ،
واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب .

حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة ، رضي الله عنهم ؛ وهو
أحد فقهاء مكة وتابعيها ، وكان ينتقل من بلد إلى بلد ؛ روي أن ابن عباس
قال له : انطلق فأفت الناس . وقيل لسعيد بن جبير : هل تعلم أحداً أعلم
منك ؟ قال : عكرمة . وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأي الخوارج .

وروى عن جماعة من الصحابة ، رضي الله عنهم ، وروى عنه الزهري وعمرو
ابن دينار والشعبي وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم . ومات مولاه ابن عباس وعكرمة
على الرق ولم يعتقه ، فباعه ولده علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن
معاوية بأربعة آلاف دينار ، فأتى عكرمة مولاه علياً ، فقال له : ما خير لك ،
بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار ، فاستقاله فأقاله وأعتقه . وقال عبد الله بن
الحارث : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مؤثّق على باب

٤٢١ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٢ : ٣٨٥ والمعارف ٤٥٥ : ٣٢٦ و تذكرة
الحفاظ : ٩٥ وميزان الاعتدال ٣ : ٩٣ وتهذيب التهذيب ٧ : ٢٦٣ والشذرات ١ : ١٣٠ ،
وقد استوفت المسودة هذه الترجمة بتمامها .

كنيف ، فقلت : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : إن هذا يكذب على أبي .
 وقوفي عكرمة في سنة سبع ومائة ، وقيل سنة ست ، وقيل أربع ، وقيل
 سنة خمس ، وقيل سنة خمس عشرة ، والله أعلم ، وعمره ثمانون ، وقيل أربع
 وثمانون سنة . وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن القاسم البياضي
 قال : مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد ، سنة خمس ومائة ،
 فرأيتها جميعاً صلي عليها في موضع الجنائز بعد الظهر ، فقال الناس : مات أفقه
 الناس وأشعر الناس ، رحمها الله تعالى ، وكان موتها بالمدينة ، وقيل إن عكرمة
 مات بالقيروان ، والأول أصح .

وكان عكرمة كثير التطواف والجولان في البلاد : دخل خراسان وأصبهان
 ومصر وغيرها من البلاد .

وعكرمة : بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم
 وبعدها هاء ساكنة ، وهو في الأصل اسم الحمامة الأنثى ، فسمي به الإنسان .
 وعمارة بن حمزة مولى المنصور الموصوف بالتيه من أولاده ، وقال الخطيب
 البغدادي : هو ابن ابنة عكرمة المذكور ، والله أعلم .

٤٢٢

زين العابدين

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ،
 المعروف بزین العابدين ، ويقال له علي الأصغر ، وليس للحسين ، رضي الله عنه ،

٤٢٢ - ترجمته في « الأئمة الاثنا عشر » : ٧٥ ، ومقابل الصفحة ثبت بمصادر أخرى ، يضاف إليها
 صفة الصفوة ٢ : ٥٢ وحلية الأولياء ٣ : ١٣٣ وعبر الذهبي ١ : ١١١ ، وهذه الترجمة
 مطابقة لما في المسودة .

١ ر : الإمام أبو الحسن .

عَقِبُ إِلَّا من ولد زين العابدين هذا ؛ وهو أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين ، قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه .

وأمه سلافة بنت يَزْدَجِرْد آخر ملوك فارس ، وهي عمة أم يزيد بن الوليد الأموي المعروف بالناقص . وكان قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان لما تتبع دولة الفرس وقتل فيروز بن يزدجرد المذكور بعث بابنتيه إلى الحجاج بن يوسف الثقفي - المقدم ذكره - وكان يومئذ أمير العراق وخراسان وقتيبة نائبه بخراسان ، فأمسك الحجاج إحدى البنتين لنفسه وأرسل الأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها يزيد الناقص ، واسمها شاه فرزند ، وسمي بالناقص لأنه نقص أعطية الجند . وكان يقال لزين العابدين ابن الخيرتين ، لقوله صلى الله عليه وسلم « الله تعالى من عباده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس » .

وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » أن الصحابة ، رضي الله عنهم ، لما أتوا المدينة بسبني فارس في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد ، فباعوا السبايا ، وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً ، فقال له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : إن بنات الملوك لا يُعامَلن معاملة غيرهن من بنات السوقة ، فقال : كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال : يُقَوِّمُنَّ ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن ، فقوِّمُنَّ وأخذهن علي ، رضي الله عنه ، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق ، وكان ربيبه ، رضي الله عنهم أجمعين ، فأولد عبد الله أمته ولده سالمًا ، وأولد الحسين زين العابدين ، وأولد محمد ولده القاسم ، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة^١ ، وأمهاتهم بنات يزدجرد .

وحكى المبرد في كتاب « الكامل »^٢ ما مثاله : يروى عن رجل من قريش لم يسم لنا قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فقال لي يوماً : مَنْ أخوالك؟

١ لي : خالات .

٢ الكامل ٢ : ١٢٠ .

فقلت له : أمي فتاة ، فكأنني نقصت من عينه ، فأمهلت حتى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم ، فلما خرج من عنده قلت : يا عم مَنْ هذا ؟ فقال : سبحان الله ، أتجهل مثل هذا من قومك ؟ هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قلت : فمن أمه ؟ قال : فتاة ، قال : ثم أتاه القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، فجلس عنده ثم نهض ، قلت : يا عم ، مَنْ هذا ؟ فقال : أتجهل من أهلك مثله ؟ ما أعجب هذا ، هذا القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، قلت : فمن أمه ؟ قال : فتاة ، قال : فأمهلت شيئاً حتى جاءه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فلم عليه ثم نهض ، فقلت : يا عم ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا الذي لا يسعُ مسلماً أن يجهره ، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقلت : مَنْ أمه ؟ قال : فتاة ، فقلت : يا عم ، رأيتني نقصتُ في عينك لما علمت أن أمي فتاة^١ ، أفما لي في هؤلاء أسوة ؟ قال : فجعلت في عينه جداً .

وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسن والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً ، فرغب الناس في السراري^٢ .

وكان زين العابدين كثير البر بأمه ، حتى قيل له : إنك أبرّ الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ، فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عيني فأكون قد عققتُها ، وهذا ضد قصة أبي الخشّ مع ابنه ، فإنه قال^٣ : كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرزُ كفاً كأنها طلعة في ذراع كأنه جُمارة فما تقع عينيها على لقمة نفيسة إلا خصّصتني بها ، فزوجتها ، فصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفاً كأنها كرنافة ، في ذراع كأنه كربة ،

١ لي : ما علمت أني لأم ولد .

٢ زاد هنا في هامش المسودة : وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن زين العابدين يقال ان أمه سندية يقال لها سلافة ويقال غزالة والله أعلم بالصواب ، وهذا مكرر ، وسيأتي بعد سطور .

٣ انظر هذه القصة في عيون الأخبار ٣ : ٢١٩ .

٤ الكرائيف : أصول الكرب تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف ، والكرب أصول السعف .

فوالله ما تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .
 وحكى ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ أن أم زين العابدين سندية يقال لها سلافة ويقال غزالة والله أعلم بالصواب ، وأنه زوّجها بعد أبيه بزُبَيْد مولى أبيه ، وأعتق جارية له وتزوجها ، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره ذلك ، فكتب إليه زين العابدين : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، وقد أعتق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صفية بنت حَيِّ بن أخطب وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش » .
 وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر . وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل تسع وتسعين وقيل اثنتين وتسعين للهجرة بالمدينة ، ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن ابن علي ، رضي الله تعالى عنه ، في القبة التي فيها قبر العباس ، رضي الله عنه .

٤٢٣

علي الرضا

أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين المذكور قبله؛ وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في سنة اثنتين ومائتين وجعله ولياً عهداً ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء ، وهو بمدينة مَرَوَ من بلاد خراسان ، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار ، واستدعى عليّاً المذكور فأنزله

١ المعارف : ٢١٣ - ٢١٥ .

٤٢٣ - ترجمته في « الأئمة الاثنا عشر » : ٩٧ وعلى الصفحة المقابلة مصادر أخرى يضاف إليها تاريخ الطبري (حوادث ٢٠٢) وعبر الذهبي ١ : ٣٤٠ (وفيات : ٢٠٣) .

أحسن منزلة ، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب ، رضي الله عنها ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايعه ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ؛ ونمي الخبر إلى مَنْ بالعراق من أولاد العباس ، فعملوا أن في ذلك خروج الأمر عنهم ، فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي - المقدم ذكره^١ - وهو عم المأمون ، وذلك يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ، وقيل سنة ثلاث ومائتين ، والشرح في ذلك يطول والقصة مشهورة ، وقد اختصرته في ترجمة إبراهيم بن المهدي .

وكانت ولادة علي الرضا يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة ، وقيل بل وُلِدَ سابع شوال ، وقيل ثامن ، وقيل سادس ، سنة إحدى وخمسين ومائة . وتوفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين ، وقيل بل توفي خامس ذي الحجة ، وقيل ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين ، بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودَفَنَه ملاصق قبر أبيه الرشيد ، وكان سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه ، وقيل بل كان مسموماً فاعتل منه ومات ، رحمه الله تعالى .

وفيه يقول أبو نواس :

قِيلَ لِي أَنْتَ أَحْسَنُ النَّاسِ طَرًّا فِي فَنُونٍ مِنَ الْكَلَامِ النَّبِيهِ
لَكَ مِنْ جَيْدِ الْقَرِيضِ مَدِيحٌ يُثْمِرُ الدَّرَّ فِي يَدِي مُجْتَنِيهِ
فَعَلَامَ تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى وَالْخِصَالِ الَّتِي تَجْمَعُنَ فِيهِ
قُلْتَ لَا أَسْتَطِيعُ مَدْحَ إِمَامٍ كَانَ جَبْرِيلُ خَادِمًا لِأَبِيهِ

وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له : ما رأيت أوقح منك ، ما تركت خمرأ ولا طردأ ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً ، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً ، فقال : والله ما تركت ذلك إلا

١ تقدمت ترجمة إبراهيم بن المهدي في الجزء الاول : ٣٩ .

إعظماً له ، وليس قدراً مثلي أن يقول في مثله ، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات .

وفيه يقول أيضاً [وله ذكر في « شذور العقود » في سنة إحدى أو اثنتين ومائتين] ١ :

مُطَهَّرُونَ نَقِيَاتٌ جِيُوبُهُمْ تجري الصلاةُ عليهمُ أينما ذُكِرُوا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مُفْتَخِرُ
الله لما بَرَا خلقاً فأتقنه صَفَاكُمْ واصطفاكم أيها البشر
فأنتمُ الملأ الأعلى وعندكمُ علم الكتاب وما جاءت به السورُ ٢

وقال المأمون يوماً لعلي بن موسى الرضا المذكور : ما يقول بنو أبيك في جدنا العباس بن عبد المطلب ؟ فقال : ما يقولون في رجل فرضَ الله طاعةَ بنيه على خلقه وفرض طاعته على بنيه ، فأمر له بألف ألف درهم .

وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون ، وفتك بأهلها ، فأرسل إليه المأمون أخاه عليّاً المذكور يردّه عن ذلك ، فجاءه وقال له : ويليكَ يا زيد ، فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت ، وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! والله لأشدُّ الناس عليك رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يعطي به ، فبلغ كلامه المأمون ، فبكى وقال : هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قلت : وآخر هذا الكلام مأخوذ من كلام علي زين العابدين - المقدم ذكره - فقد قيل : إنه كان إذا سافر كتم نفسه ، فقيل له في ذلك فقال : أنا أكره أن أخذ برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما لا أعطي به .

١ سقط من س ر ل ي ، وكان مثبتاً في المسودة ثم رمج ، وفي رأس الصفحة كتب أيضاً « له ذكر في زهر الآداب في التعليم الحادي عشر من السفر الاول » ثم وضع خطأ فوق هذه الجملة .
٢ نهاية الترجمة في س ل .

أبو الحسن العسكري

أبو الحسن^١ علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا - المقدم ذكره - وهو حفيد الذي قبله ، فلا حاجة إلى رفع نسبه ، ويعرف بالعسكري ؛ وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان قد سُعي به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه ، فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة ، فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مِدْرَعَةٌ من شَعْرٍ ، وعلى رأسه ملحفة من صوف ، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى ، فأخذ على الصورة التي وُجِدَ عليها وحُمِلَ إلى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حالة يُتعلّق عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحي ودمي قط فأعفني منه ، فأعفاه وقال : أنشدني شعراً أستحسنه ، فقال : إني لقليل الرواية للشعر ، قال : لا بد أن تنشدني فأنشده^٢ :

باتوا على قُلَلِ الأَجْبالِ تحرسهم غُلُوبُ الرجالِ فما أًغْنَتْهم القُلَلُ
واستَنزَلُوا بعدَ عَزٍّ من مَعاقلهم فأودِعُوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبِرُوا أين الأَسْرَةُ والتيجانُ والحُلَلُ

٤٢٤ - ترجمته في « الأئمة الاثنا عشر » : ١٠٧ وعلى الصفحة المقابلة ثبت بمصادر أخرى ، وانظر الباب : (العسكري) ؛ والترجمة هنا طبق لما في المسودة .

١ ر : الإمام أبو الحسن .

٢ انظر البصائر والذخائر ٤ : ٢٢٣ .

أين الوجوه التي كانت منعمّةً من دونها تُضربُ الأستار والكللُ
فأفصحَ القبر عنهم حين ساءَ لهمُ تلك الوجوه عليها الدود يَقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال : فأشفق من حضر على عليّ وظنّ أن بادرة تبدر إليه ، فبكى
المتوكل بكاءً كثيراً حتى بليت دموعه لحيته وبكى من حضره ، ثم أمر برفع
الشراب ثم قال : يا أبا الحسن ، أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ،
فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله مكرماً .

وكانت ولادته يوم الأحد ثالث عشر رجب ، وقيل يوم عرفة سنة أربع
عشرة وقيل ثلاث عشرة ومائتين . ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل
أحضره من المدينة ، وكان مولده بها ، وأقره بسر من رأى وهي تدعى
بالعسكر ، لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره ، فقيل لها العسكر ،
ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور « العسكري » لأنه منسوب إليها ، فأقام بها
عشرين سنة وتسعة أشهر . وتوفي بها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة ،
وقيل لأربع بقين منها وقيل في رابعها ، وقيل في ثالث رجب سنة أربع وخمسين
ومائتين ، ودفن في داره ، رحمه الله تعالى .

١ لي : وظنوا .

علي بن عبد الله بن العباس

أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، وهو جد السفاح والمنصور الخليفين ؛ كان سيداً شريفاً بليغاً ، وهو أصغر ولد أبيه ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه ، وأكثره صلاة ، وكان يدعى السَّجَّادَ لذلك . وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم إلى كل أصل ركعتين ، وكان يُدعى « ذا الثَّفِنَات » هكذا قاله المبرد في « الكامل »^١ ، وقال أبو الفرج ابن الجوزي الحافظ : ذو الثفنات هو علي بن الحسين ، يعني زين العابدين ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يصلي في كل يوم ألف ركعة ، فصار في ركبته مثل ثفن البعير ، ذكر ذلك في كتاب « الألقاب » .

وروي أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، افتقد عبد الله بن العباس ، رضي الله عنه ، في وقت صلاة الظهر ، فقال لأصحابه : ما بال أبي العباس لم يحضر الظهر؟ فقالوا : ولد له مولود ، فلما صلى علي ، رضي الله عنه ، قال : امضوا بنا إليه ، فأناه فهنَّاه فقال : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، ما سميته ؟ فقال : أويجوز لي أن أسميه حتى تسميه ؟ فأمر به فأخرج إليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده إليه وقال : خذ إليك أبا الأملاك ، قد سميته علياً وكنيته أبا الحسن ، فلما قام معاوية خليفة قال لابن عباس : ليس لك اسمه وكنيته ، وقد كنيته أبا محمد ، فجرت عليه ، هكذا قاله المبرد في « الكامل »^٢ .

٤٢٥ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٣١٢ وحلية الاولياء ٣ : ٢٠٧ وصفة الصفوة ٢ : ٥٩ ومعجم المرزباني : ١٣٣ وعبر الذهبي ١ : ١٤٨ والشذرات ١ : ١٤٨ : وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمة .

١ الكامل ٢ : ٢١٧ .

٢ المصدر السابق .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب « حلية الأولياء »^١ : إنه لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له : غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي على اسمك وكنيتك ، قال : أما الاسم فلا ، وأما الكنية فأكتفي بأبي محمد ، فغير كنيته ؛ انتهى كلام أبي نعيم .

قلت أنا : وإنما قال له عبد الملك هذه المقالة لبغضه في علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فكره أن يسمع اسمه وكنيته .

وذكر الطبري في تاريخه^٢ أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه ، وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال : لا يجتمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد ، وسأله : هل له من ولد ؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد .

وقال الواقدي : ولد أبو محمد المذكور في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والله أعلم بالصواب .

وقال المبرد أيضاً^٣ : وضربَ علي بالسياط مرتين كلتاها ضربه الوليد بن عبد الملك : إحداهما في تزوجه لبُابة ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكانت عند عبد الملك فعضاً تفاحاً ثم رمى بها إليها ، وكان أبحر ، فدعت بسكين ، فقال : ما تصنعين بها ؟ فقالت : أميط عنها الأذى ، فطلقها ، فتزوجها علي بن عبد الله المذكور فضربه الوليد وقال : إنما تزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم ، لأن مروان بن الحكم إنما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه ، فقال علي بن عبد الله : إنما أرادت الخروج من هذا البلد وأنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرماً .

١ حلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ .

٢ تاريخ الطبري : (حوادث ١١٨) .

٣ الكامل ٢ : ٢١٧ .

٤ ورد في المطبوعة المصرية بعد هذا : « وقد قيل إن عبد الملك كان تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر فقالت له يوماً وكان أبحر : لو استكت ، فاستاك وطلقها ، ثم تزوجها علي بن عبد الله ابن العباس وكان أقرع وكانت لا تفارقه قلنسوته فبعث عبد الملك جارية وهو جالس مع لبابة فكشفت رأسه على غفلة لترى ما به ، فقالت لبابة للجارية : هاشمي أقرع أحب إلي من أموي =

وأما ضربه إياه في المرة الثانية فقد حَدَّثَ أبو عبد الله محمد بن شجاع في إسناده متصل يقول في آخره : رأيت علي بن عبد الله يوماً مضروباً بالسوطاً يُدارُ به علي بغير وجهه مما يلي ذَنَبَ البعير ، وصائح يصيح عليه : هذا علي ابن عبد الله الكذاب ، فأثيته وقلت : ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب ؟ قال : بلغهم عني أنني أقول : إن هذا الأمر سيكون في ولدي ، والله ليكوننَّ فيهم حتى تملكهم عبيدهم ، الصغار العيون ، العراض الوجوه ، الذين كأن وجوههم الجمانُ المطرقة^٢ .

قلت : ذكر ابن الكلبي في كتاب « النسب » أن الذي تولى ضرب علي بن عبد الله بن العباس ، رضي الله عنهم ، هو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قشير بن الأعور بن قشير ، كان والي الشرطة للوليد بن مروان ، ثم إنه تولى إفريقية لهشام بن عبد الملك وقتل بها ، وقال غير ابن الكلبي : كان قتله في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ومائة .

وروى^٣ أن علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ، وهو غلط ، بل الصحيح أنه هشام بن عبد الملك ، معه ابننا ابنه الخليفةان وهما السفاح والمنصور ابنا محمد بن علي المذكور ، فأوسع له على سريره وبره وسأله عن حاجته ، فقال : ثلاثون ألف درهم عليّ دين ، فأمر بقضائها ، ثم قال له : وتستوصي بابني هذين خيراً ، ففعل ، فشكره وقال : وَصَلِّتْكَ رَحِمَ . فلما ولّى علي قال هشام لأصحابه : إن هذا الشيخ قد اختلَّ وأسنَّ وخلَّط فصار يقول : إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده ، فسمعه علي فقال : والله ليكوننَّ ذلك وليملكنَّ هذان .

وكان علي المذكور عظيم المحل عند أهل الحجاز ، حتى قال هشام بن سليمان

= أنجر - وهذا النص لم يرد في المخطوطات، وليس هو من المنقول عن المبرد ، كما أنه في موضعه يفصل سياق نص « الكامل » في قسمين .

١ ر : بالسياط .

٢ في المسودة : المطارقة ؛ وفي الحديث « الجمان المطرقة » وهي التي طرق بعضها على بعض أي خصف ، أراد أنهم عراض الوجوه غلاظها ؛ والمطارقة أيضاً : المحصورة .

٣ انظر الكامل : ٢١٨ - ٢١٩ .

الحزومي : إن علي بن عبد الله كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عَطَلَتْ قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً له ، فإن قعد قعدوا وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعاً حوله ، ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم .

وكان آدمَ جسيماً له لحية طويلة ، وكان عظيم القدم جداً لا يوجد له نعل ولا خف حتى يستعمله ، وكان مفرطاً في الطول ، إذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله ، وكان مع هذا الطول يكون إلى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب. ونظرتُ عجوز إلى علي وهو يطوف وقد فرَعَ الناسَ - فرَع بالعين المهملة : أي علا عليهم - فقالت : مَنْ هذا الذي فرع الناسَ ؟ فقيل : علي ابن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناسَ ليرُدُّونَ ، عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فُسْطَاط أبيض . ذكر هذا كله المبرد في « الكامل » ، وذكر أيضاً أن العباس كان عظيم الصوت ، وجاءتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح بأعلى صوته : واصباحاه ، فلم تسمعه حامل في الحي إلا وضعت .

وذكر أبو بكر الحازمي في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف مسماه » في أول حرف الغين في باب عانة وغابة ، قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع ، وهو جبل عند المدينة ، فينادي غلمانَه وهم بالغابة فيُسْمِعهم ، وذلك من آخر الليل ، وبين الغابة وسَلْع ثمانية أميال .

وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة سبع عشرة ومائة بالشَّراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة . وقال الواقدي : ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكان قتل علي ، رضي الله عنه ، في ليلة الجمعة سابع عشر شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة ، وقيل غير ذلك ، وتوفي علي بن عبد الله سنة ثمانين عشرة ومائة ، وقال غير الواقدي : إن وفاته كانت في ذي القعدة ، وقال خليفة

ابن خياط: مات في سنة أربع عشرة ، وقال في موضع آخر : سنة ثمانى عشرة ،
وقال غيره : سنة تسع عشرة ، والله أعلم .

وكان يَخْضِبُ بالسواد ، وابنه محمد والد السفاح والمنصور يخضب بالحمرة ،
فيظن من لا يعرفها أن محمداً علي وأن علياً محمد ، رضى الله عنها .

والشُرَاة : بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف هاء مثناة ، صقع بالشام
في طريق المدينة من دمشق بالقرب من الشوبك وهو من إقليم البلقاء وفي بعض
نواحيه القرية المعروفة بالحُمَيْمَةِ - بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء
المثناة من تحتها وفتح الميم الثانية وبعدها هاء ساكنة - وهذه القرية كانت لعلي
المذكور وأولاده في أيام بني أمية ، وفيها ولد السفاح والمنصور وبها تربياً ومنها
انتقلا إلى الكوفة ، وبويع السفاح بالخلافة فيها كما هو مشهور - وسيأتى ذكر
ولده محمد إن شاء الله تعالى .

وذكر الطبري في تاريخه أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أخرج علي
ابن عبد الله بن العباس من دمشق وأزله الحميمة في سنة خمس وتسعين للهجرة ، ولم
يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية وولده بها نَيْفٌ وعشرون ولداً ذكراً .

٤٢٦

القاضي أبو الحسن الجرجاني

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً
أديباً شاعراً ، ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء » ،
وقال : له ديوان شعر وهو القائل :

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِباضٌ وَإِنَّمَا رَأَوْا رَجُلًا عَن مَوْقِفِ الذَّلِّ أَحْجَبًا

٤٢٦ - ترجمته في معجم الادباء ١٤ : ١٤ ، وطبقات السبكي ٢ : ٣٠٨ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٣١
والشذرات ٣ : ٥٦ ، والترجمة مستوفاة في المسودة .

١ طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٥ .

وهي أبيات طويلة ومشهورة ، فلا حاجة إلى ذكرها . وذكره الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر » فقال^١ : « هو فرْدُ الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، وقبّة^٢ تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمعُ خطَّ ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحري ، وقد كان في صباه خلفَ الخضر في قطع الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً ، وفي الكمال عالماً ، وأورد له مقاطيع كثيرة من الشعر ، فمن ذلك قوله :

قد برّحَ الحبُّ بمشاقكُ فأولِهَ أحسنَ أخلاقكُ
لا تجفهُ وارِعَ له حقهُ فإنه آخرَ عشاقِكُ

وأنشدني صاحبنا الحمام عيسى بن سنجر بن بهرام المعروف بالحاجري -
الآتي ذكره - لنفسه دوبيت في هذا المعنى وهو :

يا عارضه فديت بالأحداقِ لم يبقَ على العهد غيري باقي
ناشدتُك إلا ما عسى ترفقُ بي في الحب فإني آخرَ العشاقِ
وله من أبيات :

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى وما علموا أن الخضوع هو الفقرُ
وبيني وبين المال شيان حرّما عليّ الغنى : نفسي الأبيّة والدّهْرُ
إذا قيل هذا اليسرُ أبصرتُ دونه مواقفَ خيرٍ من وقوفي بها العُسْرُ
وله أيضاً :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع فقلت ولكن موضع الرزق ضيقُ
إذا لم يكن في الأرض حرّ يُعِينني ولم يك لي كسبٌ فمن أين أرزقُ

١ يتيمة ٤ : ٣ .

٢ س : ودرة .

وله أيضاً في الصحاح بن عبّاد :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها
سبقت لأفراد المعاني وألفت
فإن نحن حاولنا اختراع بديعة
حاصلنا على مسروقها ومُعَادِهَا
إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها
خواطيرك الألفاظ بعد شرادها

وله فيه يهينه بالعافية من جملة أبيات :

أفي كل يوم للمكارم رَوْعَةٌ
تقسّمت العلياء جِسْمَكَ كله
إذا ألت نَفْسُ الوزير تألمت
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه^١
وليس شعبياً ما أراه بوجهه
فلا تجزَعَنُ تلك السماء تقيمت
لها في قلوب المكرمات وجيبُ
فمن أين للأسقام فيه نصيب
لها أنفسٌ تحيا بها وقلوب
حياتي^٢، وفي وجه الوزير شُحُوب
ولكنه في المكرمات نُدُوب
وعما قليل تبتدي فتصُوب

وله :

ما تطعمتُ لذةَ العيش حتى
ليس شيء أعزّ عندي من^٣ العا
صِرْتُ للبيت والكتاب جليسا
م فما أبتغي سواه أنيسا
س فدعهمْ وعش عزيزاً رئيسا
إنما الذل في مخالطة النا

وله :

ما لي وما لك يا فراق
يا نفس موتي بعمدم
أبدأ رحيلٌ وانطلاق
فكذا يكون الاشتياق

وشعره كثير وطريقه فيه سهل، وله كتاب « الوساطة بين المتني وخصومه »

١ ر : وجه أحبة .

٢ م : حياء .

٣ ر : عندي ألد من .

أبان فيه عن فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة .
 وذكر الحاكم أبو عبد الله ابن البيّح في « تاريخ النيسابوريين »^١ أنه توفي في
 سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة ، رحمه
 الله تعالى ، وقال غيره : إنه كان حسن السيرة في قضائه صدوقاً ، وردّ به
 أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وهو صغير غير بالغ ، وسمعا من
 سائر الشيوخ ، ومات بالري وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ،
 وحمل تابوته إلى جُرْجان ودفن بها ، ونقلُ الحاكم أثبت وأصح .
 وجُرْجانُ : بضم الجيم وسكون الراء وفتح الجيم الثانية وبعد الألف نون ،
 وهي مدينة عظيمة من ناحية خراسان .

٤٢٧

ابن المرزبان

أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان البغدادي الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً
 ورِعاً من جِلَّةِ العلماء ، أخذ الفقه عن أبي الحسين ابن القطان ، وعنه أخذ الشيخ
 أبو حامد الإسفرايني أولَ قدومه بغداد . وحُكي عنه أنه قال : ما أعلم أن لأحد
 عليّ مظلمة ، وقد كان فقيهاً يعلم أن الغيبة من المظالم ، وكان مدرّساً ببغداد وله وجه
 في مذهب الشافعي . وتوفي في رجب سنة ست وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .
 والمرزبانُ : بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد
 الألف نون ، وهو لفظ فارسي معناه صاحب الحد ، ومرز هو الحد ، وبان
 صاحب ، وهو في الأصل اسم لمن كان دون الملك .

١ لي : في تاريخ نيسابور ؛ ر : في تاريخه .

٤٢٧ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٤ ، وطبقات السبكي ٢ : ٢٤٥ وتاريخ بغداد ١١ :
 ٣٢٥ والشذرات ٣ : ٥٦ ؛ وما هنا مطابق لما في السودة .

الماوردي

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، المعروف بالماوردي ، الفقيه الشافعي ؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم ، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصنمري^١ بالبصرة ، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد ، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب « الحاوي » الذي لم يُطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحُّر والمعرفة التامة بالمذهب . وفوَّضَ إليه القضاء ببلدان كثيرة ، واستوطن بغداد في درب الزعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب « تاريخ بغداد »^٢ وقال : كان ثقة .

وله من التصانيف غير « الحاوي » « تفسير القرآن الكريم »^٣ و « النكت والعيون » و « أدب الدين والدنيا » و « الأحكام السلطانية » و « قانون الوزارة » و « سياسة الملك » و « الإقناع » في المذهب ، وهو مختصر ، وغير ذلك ، وصنف في أصول الفقه والأدب وانتفع الناس به .

وقيل : إنه لم يُظْهر شيئاً من تصانيفه في حياته ، وإنما جمع كلها في موضع ، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه : الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي ، وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر ، فإن عاينت الموت ووقعت في النزاع فاجعل يدك في يدي ، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها ، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة

٤٢٨ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٣٠٣ واللباب : (الماوردي) وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٩ والمنتظم ٨ : ١٩٩ وميزان الاعتدال ٣ : ١٥٥ وطبقات المفسرين : ٢٥ والشذرات ٣ : ٢٨٥ ؛ وأوردت المسودة هذه الترجمة كاملة .

١ وضع فوق الميم في المسودة فتحة وضممة وكتب فوقها « معاً » .

٢ تاريخ بغداد ١٢ : ١٠٢ .

٣ ر : سماه النكت والعيون .

ليلاً ، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبّلت وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة . قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي ، فعلت أنها علامة القبول ، فأظهرت كتبه بعده .

وذكر الخطيب في أول « تاريخ بغداد »^١ عن الماوردي المذكور ، قال :
كتب أخي إليّ من البصرة وأنا ببغداد :

طيب الهواء ببغداد يُشوّقني قدماً إليها وإن عاقتُ مقاديرُ
فكيف صبريَ عنها الآن إذ جمعتُ طيب الهواءين بمدود ومقصورُ

وقال أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش : أنشدني أبو الحسن الماوردي ،
قال : أنشدنا أبو الخير الكاتب الواسطي بالبصرة لنفسه :

جرى قلم القضاء بما يكونُ فسيانَ التحرُّكُ والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويرزقُ في غشاوته الجنينُ

ويقال إن أبا الحسن الماوردي لما خرج من بغداد راجعاً إلى البصرة كان ينشد
أبيات العباس بن الأحنف - المقدم ذكره - وهي^٢ :

أقمنا كارهين لها فلما ألفتناها خرّجنا مكرهينا
وما حُبُّ البلاد بنا ولكن أمرَ العيش فرقةً من هويننا
خرجتُ أقرُّ ما كانت لعيني وخلّفتُ الفؤاد بها رهينا

وإنما قال ذلك لأنه من أهل البصرة وما كان يؤثر مفارقتها ، فدخل بغداد كارهاً لها ثم طابت له بعد ذلك ونسي البصرة فشق عليه فراقها ، وقد قيل إن هذه الأبيات لأبي محمد المزني الساكن بما وراء النهر ، كذا قال السمعاني ، والله أعلم .

١ تاريخ بغداد ١ : ٥٤ .

٢ انظر تاريخ بغداد ١ : ٥٣ وديوان العباس : ٢٨٠ .

وتوفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ، ودفن من
الغد في مقبرة باب حرب ببغداد ، وعمره ست وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى .
والماوردي : نسبة إلى بيع الماورد ، هكذا قاله الحافظ ابن السمعاني .

٤٢٩

أبو الحسن الأشعري

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله
ابن موسى بن بلال بن أبي بُرْدَةَ عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ؛ هو صاحب الأصول والقائم بنُصرة مذهب السنة ، وإليه
تنسب الطائفة الأشعرية ، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه ، والقاضي أبو
بكر الباقلاني ناصر مذهبه ومؤيد اعتقاده ، وكان أبو الحسن يجلس أيام الجمع في
حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور ببغداد . ومولده
سنة سبعين ، وقيل ستين ومائتين بالبصرة . وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلثمائة ،
وقيل : سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، وقيل : سنة ثلاثين [فجأة]^١ - حكاه
ابن الهمداني في « ذيل تاريخ الطبري »^٢ ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة ،
رحمه الله تعالى .

[قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفترى فيما

٤٢٩ - ترجمته في الأنساب ١ : ٢٦٦ وتاريخ بغداد ١١ : ٣٤٦ والمنتظم ٦ : ٣٣٢ وطبقات
السبكي ٢ : ٢٤٥ والجواهر المضية ١ : ٣٥٣ والخطط القرظية ٢ : ٣٥٩ والديباج المنهب :
١٩٣ والبداية والنهاية ١١ : ١٨٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢٠٢ : وتبين كذب المفترى لابن
عساكر في الدفاع عنه .

١ فجأة : لم ترد في المسودة .

٢ تكله تاريخ الطبري : ١٣٠ .

نسب للشيخ أبي الحسن الأشعري^١ - بعد أن حكى في تاريخ وفاته أقوالاً - :
وقال بعض البصريين : مات سنة ثلاث وثلاثين ، وهذا القول أراه صحيحاً ،
والأصح أنه مات سنة أربع وعشرين ، وكذلك ذكره أبو بكر ابن فورك ؛
انتهى^٢ .

وقد تقدم ذكر جده أبي بردة في أول حرف العين .

والأشعري : بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها
راء ، هذه النسبة إلى أشعَرَ ، واسمه نبت بن أدد بن زيد بن يشجب ،
وإنما قيل له أشعر لأن أمه ولدته والشعْرُ على بدنه ، هكذا قاله السمعاني ،
والله أعلم .

وقد صنف الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في مناقبه مجلداً^٣ .

وكان^٤ أبو الحسن الأشعري أولاً معتزلياً ، ثم تاب من القول بالعدل وخلق
القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ، ورتي كرسياً ونادى بأعلى صوته :
من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا فلان بن فلان ،
كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعالها ،
وأنا تأئب مقلع ، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعاييبهم .

وكان فيه دُعابة ومزاح كثير ، وله من الكتب كتاب « اللع » وكتاب
« الموجز » وكتاب « إيضاح البرهان » وكتاب « التبيين عن أصول الدين »
وكتاب « الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل » وهو صاحب
الكتب في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج ،
وسائر أصناف المتدعة .

١ التبيين : ١٤٦ - ١٤٧ والنقل غير دقيق .

٢ ما بين معقنين زيادة من ر .

٣ هو تبيين كذب المفترى ، المذكور آنفاً . وعند هذا الموضع انتهت الترجمة في س وبها ينتهي
الجزء الأول من هذه المخطوطة ، وفي آخره : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة الكبرى والله الحمد ؛
وعند هذا الموضع أيضاً تنتهي الترجمة في ل بي م .

٤ من هنا إلى آخر الترجمة ورد في ر ، وكتب في المسودة في موضعه « هاهنا التخريجة » .

ودفن في مشرعة الروايا في تربة إلى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهو عن يسار المار من السوق إلى دجلة . وكان يأكل من غلّة ضيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى على عقبه ، وكانت نفقته في كل يوم سبعة عشر درهماً ، هكذا قاله الخطيب . وقال أبو بكر الصيرفي : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجحروهم في أقماع السمسم . وقال أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي : إن أبا الحسن له من التصانيف خمسة وخمسون تصنيفاً^١ .

٤٣٠

الكيا الهراسي

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري ، الملقب عماد الدين ، المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي ؛ كان من أهل طبرستان ، وخرج إلى نيسابور وتفقّه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع ، وكان حسن الوجه جهوري الصوت فصيح العبارة حلو الكلام ، ثم خرج من نيسابور إلى بيتهق ودرس بها مدة ، ثم خرج^٢ إلى العراق وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي .

وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي - المقدم ذكره^٣ - في « سياق تاريخ نيسابور »^٤ فقال : كان من رؤوس مُعيدي إمام الحرمين في

١ ر : خمسة عشر تصنيفاً .

٤٣٠ - ترجمته في تبين كذب المفتري : ٢٨٨ والمنتظم ٩ : ١٦٧ ومرآة الزمان : ٣٧ وابن الأثير ١٠ : ٤٨٤ وطبقات السبكي ٤ : ٢٨١ وعبر الذهبي ٤ : ٨ والشذرات ٤ : ٨ .

٢ ر : إلى أن خرج .

٣ انظر الترجمة رقم : ٤٠٢ .

٤ انظر Histories (المختصر الاول ، الورقة : ٧٢) .

الدرس . وكان ثاني أبي حامد الغزالي ، بل أصل وأصلح وأطيب في الصوت والنظر ، ثم اتصل بخدمة مجد الملك بَرَكِيَارُوقَ بن ملك شاه السلجوقي - المذكور في حرف الباء^١ - وحظي عنده بالمال والجاه وارتفع شأنه ، وتولى القضاء بتلك الدولة ، وكان محدثاً يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه . ومن كلامه : إذا جالَتِ فُرْسَانُ الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤوس المقاييس في مَهَابِ^٢ الرياح .

وحدث الحافظ أبو طاهر السلفي قال : استفتيت شيخنا أبا الحسن المعروف بالكنيا الهراسي ببغداد في سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بيني وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية ، وصورة الاستفتاء : « ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل أوصى بثلك ماله للعلماء والفقهاء ، هل تَدْخُلُ كِتَابَةُ الحديث تحت هذه الوصية أم لا ؟ » فكتب الشيخ تحت السؤال « نعم ، كيف لا وقد قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من حفظ على أمي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ؟ »

وسئل الكيا أيضاً عن يزيد بن معاوية فقال : إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام^٣ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وأما قول السلف ففيه لأحد قولان تلويح وتصريح ، ولمالك قولان تلويح وتصريح ، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح ، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح ، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر ، وشعره في الخمر معلوم ، ومنه قوله :

أَقُولُ لَصَحْبِ ضَمَّتِ الكَأْسُ شُمَّلَهُمْ^٤ وداعي صَبَابَاتِ الهَوَى يَتَرَنَّمُ
خُذُوا بِنَصِيبٍ مِنْ نَعِيمٍ وَلذَّةٍ فكلُّ^٥ وَإِنْ طَالَ البَدَى يَتَصَرَّمُ
[وَلَا تَتْرُكُوا يَوْمَ الشَّرُورِ إِلَى غَدٍ فَرَبٌّ غَدٍ يَأْتِي بِمَا لَيْسَ يُعْلَمُ]

١ انظر الجزء الاول : ٢٦٨ .

٢ لي : مهب .

٣ لي : زمان .

٤ لم يرد البيت في المخطوطات ؛ والأبيات الثلاثة في تمام المتن : ٨٢ .

وكتب فصلاً طويلاً ، ثم قلب الورقة وكتب : لو مُدِدْتُ ببياضٍ لمددْتُ
العنان في مخازي^١ هذا الرجل ؛ وكتب فلان بن فلان .

وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي ، رحمه الله تعالى ، في مثل هذه المسألة
بمخلاف ذلك ، فإنه سئل عن صرح بلعن يزيد^٢ : هل يحكم بنفسه أم هل يكون
ذلك مرخصاً فيه ؟ وهل كان مريداً قتل الحسين ، رضي الله عنه ، أم كان قصده
الدفع ؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل ؟ يُنعم بإزالة الاستباه
مثاباً ، فأجاب : لا يجوز لعن المسلم أصلاً ، ومن لعن مسلماً فهو الملعون ، وقد قال
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « المسلم ليس بلعنَّانٍ » وكيف يجوز لعن المسلم
ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهي عن ذلك ، وحرمة المسلم أعظم من حرمة
الكعبة بنص النبي ، صلى الله عليه وسلم . ويزيد صحَّ إسلامه ، وما صح قتله
الحسين ، رضي الله عنه ، ولا أمره ولا رضاه بذلك ، ومهما لم يصح ذلك منه
لا يجوز أن يظن ذلك به فإن إساءة الظن بالمسلم أيضاً حرام ، وقد قال تعالى
﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (الحجرات : ١٢) وقال النبي ،
صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرَّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به
ظن السوء » ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين ، رضي الله عنه ، أو رضي به
فينبغي أن يُعلم به غاية حماقة ، فإن من قُتل من الأكابر والوزراء والسلطين في
عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله ومن الذي رضي به ومن الذي
كرهه لم يقدر على ذلك ، وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده ،
فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن قديم قد انقضى ، فكيف يُعلم ذلك فيما انقضى
عليه قريب من أربعمئة سنة في مكان بعيد ؟ وقد تطرق التعصب في الواقعة
فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب ، فهذا أمرٌ لا تعرف حقيقته أصلاً ، وإذا
لم يُعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به ، ومع هذا
فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر ، والقتل
ليس بكفر بل هو معصية ، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة ، والكافر

١ لي : خزي .

٢ م : وسئل الغزالي هل يجوز لعن يزيد وقد فعل كذا وكذا فأجاب .

لو تاب من كفره لم تجز لعنته ، فكيف من تاب عن قتل ؟ وبِمَ يعرف أن قاتل الحسين ، رضي الله عنه ، مات قبل التوبة ؟ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، فإذا لا يجوز لعن أحد من مات من المسلمين ، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى ، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع ، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له يوم القيامة : لِمَ لم تلعن إبليس ، ويقال للاعن : لم لعنت ؟ ومن أين عرفت أنه مطرود ملعون ؟ والملعون هو المبعد من الله عز وجل ، وذلك غيب لا يعرف إلا فيمن مات كافراً فإن ذلك علم بالشرع ، وأما الترحم عليه فهو جائز ، بل هو مستحب ، بل هو داخل في قولنا في كل صلاة « اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات » فإنه كان مؤمناً ، والله أعلم ؛ كتبه الغزالي .

وكانت ولادة الكيا في ذي القعدة سنة خمسين وأربعمائة . وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهلاً المحرم سنة أربع وخمسة ببنغداد ، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، وحضر دفنه الشيخ أبو طالب الزيني وقاضي القضاة أبو الحسن ابن الدامغاني ، وكانا مقدمي الطائفة الحنفية ، وكان بينه وبينها في حال الحياة منافسة ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الدامغاني متمثلاً :

وما تُعْني النّواديّ والبواكي وقد أصبَحْتَ مثلَ حديثِ أمس

وأُشدّ الزيني متمثلاً أيضاً :

عَقِمَ النّساءُ فما يَلِدُنَّ شبيهُهُ إنّ النّساءَ بِمثلِه عَقُمُ

ولم أعلم لأي معنى قيل له الكيا ، وفي اللغة العجمية الكيا هو الكبير القدر المقدم بين الناس ، وهو بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف . وكان في خدمته بالمدرسة النظامية أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان القرظي الشاعر المشهور - المقدم ذكره في حرف الهزرة - فرثاه ارتجالاً بهذه الأبيات على ما حكاه الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وهي :

هي الحوادثُ لا تبقي ولا تذرُ
لو كان يُنجي علوُّ من بوائقها
قل للجبان الذي أمسى على حذرٍ
بكى على شمسهِ الإسلامُ إذْ أفلَتُ
حَبْرُ عهدناه طلقَ الوجهِ مُبتَسِماً
لأن طوته المنايا تحتَ أخمصها
سقى ثراك عمادَ الدين كلَّ ضحى
عند الورى من أمسى أيقنته خَبْرُ
أحيا ابن إدريسَ دَرَسُ كُنت تُوردهُ
مَنْ فازَ مِنْهُ بتعليقٍ فقد عَلِقَتْ
كأنما مشكلاتُ الفقه يوضِّحها
ولو عرفتُ له مثلاً دعوتُ له

ما للبريةِ مِنْ مَحْتومِها وزَرُ
لم تُكسِفِ الشمسُ بل لم يُخسِفِ القمرُ
مِنَ الحِمامِ متى رَدَّ الردى الحَذَرُ
بأذمِعِ قَلِّ في تشبيهِها المَطَرُ
والبِشْرُ أَحْسَنُ ما يُلْقَى به البَشَرُ
فعلِمُهُ الجَمِّ في الآفاقِ منتَشِرُ
صَوَّبَ الغمامِ مِلْثُ الودقِ مُنْهِمِراً
فهل أذاك من استيحا شِهِمِ خَبْرُ
تَحَارُ في نظمه الأذهانُ والفِكرُ
يَينهُ بِشَهابٍ ليس يَنكَدِرُ
جِياهُ دُهْمٌ لها من لفظه غُررُ
وقلت دهري إلى شرواه^٢ مُفْتَقِرُ

٤٣١

الحافظ المقدسي

أبو الحسن علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن علي بن أبي الفيث
مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الأصل ،
الاسكندراني المولد والدار ، المالكي المذهب ؛ كان فقيهاً فاضلاً في مذهب الإمام

١ هنا تنتهي الترجمة في بي .

٢ شرواه : نظيره ؛ وقد سقط البيتان الأخيران من س .

٤٣١ - ترجمته في تذكرة الحفاظ : ١٣٩٠ والبدر السافر ، الورقة : ٣٣ وعبر الذهبي : ٣٨

والشذرات : ٥ ؛ ٧ ؛ ونيل الابتهاج (بهامش الديباج) : ٢٠٠ .

مالك ، رضي الله عنه ، ومن أكابر الحفاظ المشاهير في الحديث وعلومه ١ ،
 صاحب الحفاظ أبا الطاهر السلفي الأصبهاني نزيل الاسكندرية ، رحمه الله تعالى ،
 وانتفع به ، وصحبه شيخنا الحفاظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن
 عبد القوي بن عبد الله المنذري ، ولازم صحبته وبه انتفع وعليه تخرج ، وذكر
 عنه فضلا غزيراً وصلاً كثيراً ، وأنشدني له مقاطيع عديدة ؛ فما أنشدني
 قال ، أنشدني الحفاظ أبو الحسن المقدسي المذكور لنفسه :

تجاوَزْتُ سَتِينَ مِنْ مَوْلِدِي فَأَسْعَدُ أَيَّامِيَ الْمُشْتَرَكِ
 بِسَائِلِي زَائِرِي حَالَتِي وَمَا حَالَ مِنْ حَلٍّ فِي الْمُعْتَرَكِ

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني الحفاظ لنفسه ٢ :

أَيَا نَفْسٍ بِالْمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مَرْسَلٍ وَأَصْغَابِهِ وَالتَّابِعِينَ تَمَسَّكِي
 عَسَاكَ إِذَا بَالَعْتَ فِي نَشْرِ دِينِهِ بِمَا طَابَ مِنْ نَشْرِ لَهْ أَنْ تَمَسَّكِي
 وَخَافِي غَدَاً يَوْمَ الْحِسَابِ جَهَنَّمَا إِذَا لَفَحَتْ نِيرَانُهَا أَنْ تَمَسَّكِي

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني لنفسه :

ثَلَاثُ بَاءَاتٍ بُلِينَا بِهَا : الْبَقُّ وَالْبُرْعُوثُ وَالْبَرْعَشُ
 ثَلَاثَةٌ أَوْحَشُ مَا فِي الْوَرَى وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهَا أَوْحَشُ

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني لنفسه :

وَلَعْمِيَاءَ تَحِيٍّ مِنْ تَحِيَّتِي بِرِيقِهَا كَأَنَّ مَزَاجَ الرَّاحِ بِالْمَسْكِ فِي فِيهَا
 وَمَا ذُقْتُ فَاها غَيْرَ أَنِّي رَوَيْتُهُ عَنْ الثَّقَةِ الْمِسْوَاكِ وَهُوَ مُوَافِيهَا

وهذا معنى مستعمل قد سار في كثير من أشعار المتقدمين والمتأخرين ، فمن

١ لي : وفي العلوم ؛ ر : والعلوم .

٢ سقطت الأبيات التالية من ل .

ذلك قول بشار بن برد من جملة أبيات^١ :

يا أطيب الناس ريقاً غيرَ مختبرٍ إلا شهادة أطرافِ المساويك
وقول الأبيوردي من جملة أبيات :
وأخبرني أترابُها أن ريقها على ما حكى عودُ الأراك لذيذُ

ونقتصر على هذا القدر .

وكان الحافظ المذكور ينوب في الحكم بشعر الاسكندرية المحروس ، ودرّس به بالمدرسة المعروفة به هناك ، ثم انتقل إلى مدينة القاهرة المحروسة ودرّس بها بالمدرسة الصاحبية ، وهي مدرسة الوزير صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر ، واستمر بها إلى حين وفاته .

وكانت ولادته ليلة السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسةائة بالثغر المحروس . وتوفي يوم الجمعة مستهلّ شعبان سنة إحدى عشرة وستائة بالقاهرة ، رحمه الله تعالى .

(112) وتوفي^٢ والده القاضي الأنجب أبو المكارم المفضل في رجب سنة أربع وثمانين وخمسةائة ، وكان مولده في سنة ثلاث وخمسةائة ، رحمهما الله تعالى .
والمقدسي : بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وفي آخرها سين مهملة ، هذه النسبة إلى بيت المقدس .
واللخمي : تقدم الكلام عليه .

١ ديوانه (ط. بيروت) : ١٧٣ .

٢ عند هذا الموضع في المسودة «هاهنا التخريجة» ، حتى قوله : «رحمهما الله تعالى» ، وقد ثبت في ر .

السيف الآمدي

أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي^٢ الفقيه الأصولي ، الملقب
سيف الدين الآمدي ؛ كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب ، وانحدر إلى بغداد
وقرأ بها على ابن المنسي أبي الفتح نصر بن فتيان الحنبلي^٣ ، وبقي على ذلك مدة
ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وصحب الشيخ أبا القاسم
ابن فضلان واشتغل عليه في الخلاف وتميز فيه ، وحفظ طريقة الشريف وزوائد
طريقة أسعد الميهني - المقدم ذكره ؛ - ثم انتقل إلى الشام واشتغل بفنون
المعقول وحفظ منه الكثير وتمهر فيه وحصل منه شيئاً كثيراً ، ولم يكن في
زمانه أحفظ منه لهذه العلوم . ثم انتقل إلى الديار المصرية وتولى الإعادة بالمدرسة
المجاورة لضريح الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، التي بالقرافة الصغرى ، وتصدر
بالجامع الظافري بالقاهرة مدة ، واشتهر بها فضله واشتغل عليه الناس وانتفعوا
به ، ثم حسده جماعة من فقهاء البلاد وتمصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة
والمحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن
ذلك ، ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم ؛ وبلغني عن رجل منهم فيه
عقل ومعرفة أنه لما رأى تحاملهم عليه وإفراط التعصب كتب في المحضر وقد
حمل إليه ليكتب فيه مثل ما كتبوا فكتب :

٤٣٢ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ١٢٩ ولسان الميزان ٣ : ١٣٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٢٤

والشذرات ٥ : ١٤٤ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ كذا في ر ل ي والمسودة والسبكي ، بثبوت لفظة « ابن » هنا . وسقط أكثر النسب من س ل .

٢ هكذا في المسودة ، وفي ر ل ي م والمصادر : الثعلبي .

٣ كتب بعده في س ل : الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، والعبارة في المسودة مشطوبة ، مما يدل

على أن المؤلف عدل عن إيراد ترجمته وعرف به في هذه الترجمة .

؛ انظر المجلد الأول : ٢٠٧ .

حَسَدُوا الْفَقِي إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ

والله أعلم ، وكتب فلان بن فلان . ولما رأى سيف الدين تألبهم عليه وما اعتمده في حقه ، ترك البلاد وخرج منها مستخفياً وتوصل إلى الشام ، واستوطن مدينة حماة .

وصنف في أصول الفقه والدين والمنطق والحكمة والخلاف ، وكل تصانيفه مفيدة . فمن ذلك كتاب « أباكار الأفكار » في علم الكلام^١ واختصره في كتاب سماه « منائح القرائح » و « رموز الكنوز » وله « دقائق الحقائق » و « لباب الألباب » و « منتهى السؤل في علم الأصول » ، وله طريقة في الخلاف ، ومختصر في الخلاف أيضاً ، وشرح جدل الشريف ، وله مقدار عشرين تصنيفاً .

وانتقل إلى دمشق ودرس بالمدرسة العزيزية وأقام بها زماناً ، ثم عزل عنها لسبب اتهم فيه وأقام بطالاً في بيته . وتوفي على تلك الحال في رابع صفر يوم الثلاثاء سنة إحدى وثلاثين وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون . وكانت ولادته في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والآمدي : بالهزمة المدودة والميم المكسورة وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى آمد ، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم^٢ .

(113) وكان أبو الفتح نصر بن فتيان بن المنى المذكور^٣ فقيهاً محدثاً ، انتفع به جماعة كبيرة . ومولده سنة إحدى وخمسمائة ، وتوفي خامس شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١ لي س : في الحكمة .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س ل م .

٣ كان فقيه العراق وشيخ الحنابلة في عصره ، وكان زاهداً ورعاً متمبداً على منهاج السلف (عبر

الذهبي ٤ : ٢٥١ وذيل ابن رجب : ٣٥٨) .

الكسائي

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن^١ بن فيروز ، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي ؛ أحد القراء السبعة^٢ ، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات ، ولم تكن له في الشعر يد ، حتى قيل : ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب ، ولم يكن له زوجة ولا جارية ، فكتب إلى الرشيد يشكو العزبة في هذه الأبيات :

قل للخليفة ما تقول لمن أمسى إليك بجرمة يُدني
مازلت مذ صار الأمين معي عبّدي يدي ومطيتي رجلي
وعلى فراشي مَنْ ينبهني من نومتي وقيامه^٣ قبلي
أسعى برجل منه ثالثة موفورة مني بلا رجل^٤
وإذا ركبت أكون مرتدفاً قدام سرجي راكب^٥ مثلي
فامن علي بما يسكنه عني وأهد الغمد للنّصل

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم وجرارية حسناء بجميع آلاتها وخادم وبردون بجميع آله .

٤٣٣ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٥٦ وفي الحاشية ذكر لعدد كبير من المصادر الأخرى؛ وانظر نور القبس : ٢٨٣ وصفحات كثيرة من « مجالس العلماء » ؛ وقد وردت الترجمة بكاملها في المسودة .

١ بهمن : سقط من ل ر ؛ س : عثمان الأسدي .

٢ زاد في س : وهو من ولد بهمن بن فيروز ، وهو أصل المسودة لكنه شطب .

٣ نور القبس : بقيامه .

٤ نور القبس : نقصت زيادتها من الرجل .

٥ ر : راكباً .

واجتمع يوماً بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد فقال الكسائي: مَنْ تَبَحَّرَ فِي عِلْمٍ تَهَدَّى إِلَى جَمِيعِ الْعُلُومِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : مَا تَقُولُ فِيمَنْ سَهَا فِي سَجُودِ السُّهُوِ ، هَلْ يَسْجُدُ مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ الْكَسَائِيُّ : لَا ، قَالَ : لِمَاذَا ؟ قَالَ : لِأَنَّ النُّحَاةَ تَقُولُ : التَّصْغِيرُ لَا يَصْغُرُ ، هَكَذَا وَجَدْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ ؛ وَذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي « تَارِيخِ بَغْدَادِ »^١ أَنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ جَرَتْ بَيْنَ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ وَالْفَرَاءِ - الْآتِي ذِكْرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

رجعنا إلى بقية الحكاية :

فقال محمد : فما تقول في تعليق الطلاق بالملك ؟ قال : لا يصح ، قال : لم ؟ قال : لأن السيل لا يسبق المطر .

وله مع سيويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات - سيأتي ذكر بعضها في تراجم أربابها إن شاء الله تعالى .

روى الكسائي عن أبي بكر ابن عيَّاش وحمزة الزيات وابن عُيَيْنَةَ وغيرهم وروى عنه الفراء وأبو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بن سلام وغيرهما . وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد . قال السمعاني : وفي ذلك اليوم توفي محمد بن الحسن المذكور بالري أيضاً - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكذا قال ابن الجوزي في « شذور العقود » ، توفي برَنْبَوَيْه^٢ قرية من قرى الري - وربويه مذكورة في ترجمة محمد بن الحسن - وقال السمعاني أيضاً : وقيل إن الكسائي مات بطوس سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة ، والله أعلم ، ويقال إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالري .

والكسائي : بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة ، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف

١ تاريخ بغداد ١٤ : ١٥١ .

٢ تصحفت في النسخ كثيراً ، وأثبتنا ما في المسودة وضبط المؤلف .

بكساء ، فقال حمزة : من يقرأ ؟ فقيل له : صاحب الكساء ، فبقي عليه ١ ،
وقيل بل أحرم في كساء فنسب إليه ، رحمه الله تعالى .

٤٣٤

الدارقطني

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني الحافظ المشهور؛
كان عالماً حافظاً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، أخذ الفقه
عن أبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي ، وقيل بل أخذه عن صاحب لأبي
سعيد ، وأخذ القراءة عَرَضاً وسماعاً عن محمد بن الحسن النقاش وعلي بن سعيد
القرزاز ومحمد بن الحصين الطبري ومن في طبقتهم ، وسمع من أبي بكر ابن مجاهد
وهو صغير ، وانفرد بالإمامة في علم الحديث في دهره ، ولم ينازعه في ذلك أحد
من نظرائه ، وتصدّر في آخر أيامه للإقراء ببغداد . وكان عارفاً باختلاف الفقهاء
ويحفظ كثيراً من دواوين العرب ، منها ديوان السيّد الحميري ، فنسب إلى التشييع
لذلك . وروى عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب « حلية الأولياء » وجماعة
كثيرة ، وقبل القاضي ابن معروف شهادته في سنة ست وسبعين وثلثمائة ، فندم
على ذلك وقال : كان يقبل قولي على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بانفرادي ،
فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع آخر .

وصنف كتاب « السنن » و « المختلف والمؤتلف » وغيرهما ، وخرج من بغداد

١ لي : فبقي عليه لقب .

٤٣٤ - ترجمته في الأنساب ٥ : ٢٧٣ واللباب : (الدارقطني) والمنتظم ٧ : ١٨٣ وتاريخ بغداد
١٢ : ٣٤ وطبقات السبكي ٢ : ٣١٠ وتذكرة الحفاظ : ٩٩١ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨ وغاية
النهاية ١ : ٥٥٨ والشذرات ٣ : ١١٦ وصفحات متفرقة من الرسالة المستطرفة ، وهذه الترجمة
بأكملها في السودة .

إلى مصر قاصد أباً الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن حنزابة وزير كافور الإخشيدي - المذكور في حرف الجيم^١ - فإنه بلغه أن أبا الفضل عازم على تأليف مسند فمضى إليه ليساعده عليه ، وأقام عنده مدة ، وبالغ أبو الفضل في إكرامه وأنفق عليه نفقة واسعة وأعطاه شيئاً كثيراً وحصل له بسببه مال جزيل^٢ . ولم يزل عنده حتى فرغ المسند ، وكان يجتمع هو والحافظ عبد الغني ابن سعيد - المقدم ذكره^٣ - على تخريج المسند وكتابته إلى أن نجز .

وقال الحافظ عبد الغني المذكور^٤ : أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة : علي بن المديني^٥ في وقته ، وموسى بن هارون^٦ في وقته ، والدارقطني في وقته .

وسأل الدارقطني يوماً أحد أصحابه : هل رأى الشيخ مثل نفسه ؟ فامتنع من جوابه ، وقال : قال الله تعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ (النجم : ٣٢) فألح عليه ، فقال : إن كان في فن واحد فقد رأيت من هو أفضل مني ، وإن كان من اجتمع فيه ما اجتمع في^٧ فلا ، وكان مفضناً في علوم كثيرة وإماماً في علوم القرآن .

وكانت ولادة الحافظ المذكور في ذي القعدة سنة ست وثلثمائة . وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة ، وقيل ذي الحجة ، سنة خمس وثمانين وثلثمائة ببغداد ، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفرايني الفقيه المشهور المقدم ذكره . ودفن قريباً من معرُوف الكرخي ، في مقبرة باب الدبر ، رحمه الله تعالى .

والدارقطني : بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة ثم قاف مضمومة

١ انظر المجلد الأول : ٣٤٦ .

٢ ل : كثير .

٣ ترجمة الحافظ عبد الغني رقم : ٤٠١ .

٤ قارن بما في تذكرة الحفاظ : ٩٩٤ .

٥ علي بن عبد الله بن جعفر المديني ولد سنة ١٦١ وتوفي بإسرامنة سنة ٢٣٤ (تذكرة الحفاظ : ٤٢٨) .

٦ موسى بن هارون الحمال الحافظ الحجية البغدادي محدث العراق ، توفي سنة ٢٩٤ (تذكرة الحفاظ : ٦٦٩) .

وبعدها طاء مهملة ساكنة ثم نون ، هذه النسبة إلى دار القُطن وكانت محلة كبيرة ببغداد .

٤٣٥

الرماني

أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم ؛ أحد الأئمة المشاهير ، جمع بين علم الكلام والعربية ، وله تفسير القرآن الكريم ، أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دُرَيْد وأبي بكر ابن السَّرَّاج ، وروى عنه أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهما . وكانت ولادته ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين ، وتوفي ليلة الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين ، وقيل اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وأصله من سُرم من رأى .
والرماني : بضم الراء وتشديد الميم وبعد الألف نون ، هذه النسبة يجوز أن تكون إلى الرمان ويبيحُه ، ويمكن أن تكون إلى قصر الرمان ، وهو قصر بواسط معروف ، وقد نسب إلى هذا وهذا خلق كثير ، ولم يذكر السمعاني أن نسبة أبي الحسن المذكور إلى أيهما ، والله أعلم .

٤٣٥ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٩٤ ومعه ثبت بمصادر أخرى في الحاشية ، وانظر أيضاً الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣٣ ؛ والترجمة كاملة في السودة .
١ لي : ولم يدر .

الحوفي صاحب التفسير

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي ؛ كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن الكريم ، وله تفسير جيد ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، ورأيت خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لأربابها بالقراءة كما جرت عادة المشايخ . وتوفي بكرة يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والحوفي : بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفي آخرها فاء ، هذه النسبة إلى حَوْف ، قال السمعاني : ظني أنها قرية بمصر ، حتى قرأت في تاريخ البخاري أنها من عمان منها أبو الحسن المذكور ، ثم قال : وكان عنده من تصانيف النحاس أبي جعفر المصري قطعة كثيرة .

قلت : قوله قرية بمصر ، ليس كذلك ، بل الناحية المعروفة بالشرقية التي قصبته مدينة بُلْبَيْس جميع ريفها يسمونه الحَوْف ، ولا أعلم ثم قرية يقال لها حوف ، والله أعلم ، وأبو الحسن من حوف مصر^١ .

وبعد أن فرغت من ترجمة أبي الحسن الحوفي على هذه الصورة ظفرت بترجمته مفصلة ، وذلك أنه^٢ من قرية يقال لها شُبْرَا اللنجة^٣ من أعمال الشرقية

٤٣٦ - كتب المؤلف في المسودة عند هذه الترجمة : « له ترجمة في كتاب المنتظم فتتظر فيه في موضعين » وفوق هذا الكلام شطب خفيف جداً ، ولم أجد له ترجمة في الكتاب المذكور ، وقد ترجم له القفطي في الانباه ٢ : ٢١٩ وكتب المحقق أسماء مصادر أخرى في الحاشية ؛ ولم تخل المسودة بشيء من هذه الترجمة .

١ انتهت الترجمة في م .

٢ هذا النقل متابع لما أورده القفطي .

٣ كذا بخط المؤلف وضبطه ، وكذلك ورد الاسم في س ر ل لي والقفطي ؛ وقد ذكرها ابن دقاق (الانتصار ٥ : ٦٢) كما أثبتتها المؤلف .

المذكورة ، وأنه دخل مصر وقرأ على أبي بكر الأدفوي ، ولقي جماعة من علماء المغرب وأخذ عنهم ، وتصدر لإفادة العربية^١ ، وصنف في النحو مصنفاً كبيراً وصنف في إعراب القرآن كتاباً في عشر مجلدات ، وله تصانيف^٢ كثيرة يشتغل بها الناس .

٤٣٧

الأخفش الأصغر

أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر النحوي ؛ كان عالماً ؛ روى عن المبرد وثعلب وغيرهما ، وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما ، وكان ثقة ، وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط .

(114) فإن الأخفش الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هَجَرَ من مواليهم ، وكان نحويًا لغويًا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيويه وأبو عبيدة ومن في طبقتها ، ولم أظفر له بوفاة حتى أفرد له ترجمة .

والأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة - وقد تقدم ذكره في حرف السين^٣ - وهو صاحب سيويه .

وكان بين الأخفش المذكور وبين ابن الرومي الشاعر منافسة ، فكان الأخفش يباكر داره ويقول عند بابه كلاماً يتطير به^٤ ، وكان ابن الرومي كثير التطير ،

١ لي : لإفادة في العربية .

٢ لي : مصنفات .

٤٣٧ - راجع انباه الرواة ٢ : ٢٧٦ وما في الحاشية من مصادر .

٣ انظر الترجمة رقم : ٢٦٤ .

٤ ل لي : يتطير ؛ ر : يتأذى به .

فإذا سمع كلامه لم يخرج ذلك اليوم من بيته ، فكثير ذلك منه ، فهجاه ابن الرومي بأهاج كثيرة ، وهي مثبتة في ديوانه ، وكان الأخفش يحفظها ويوردها في جملة ما يوردها استحساناً لها واقتخاراً بأنه نوهً بذكره إذ هجاه ، فلما علم ابن الرومي بذلك أقصر عنه .

وقال المرزباني^١ : لم يكن الأخفش بالمتسع في الرواية للأشعار والعلم بالنحو؛ وما علمته صنف شيئاً البتة ولا قال شعراً ، وكان إذا سئل عن مسألة في النحو ضجر وانتهر من يسأله .

وكانت وفاة أبي الحسن المذكور في ذي القعدة ، وقيل شعبان ، سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة وثلاثمائة ، فجأة ببغداد ، ودفن بمقبرة قنطرة بَرَدان . ودخل مصر سنة سبع وثمانين ومائتين ، وخرج منها إلى حلب سنة ست وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

والأخفش : بفتح الهمزة وسكون الحاء المعجمة وفتح الفاء وبعدها شين معجمة ، وهو الصغير العين مع سوء بصرها .

وبَرَدان^٢ : بفتح الباء الموحدة والراء والذال المهملة وبعدهم الألف نون ، وهي قرية من قرى بغداد خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

وقال أبو الحسن ثابت بن سنان : كان الأخفش المذكور يواصل المقام عند أبي علي ابن مقلة ، وأبو علي يراعيه ويبرّه ، فشكا إليه في بعض الأيام ما هو فيه من شدة الفاقة وزيادة الإضاعة ، وسأله أن يكلم^٣ الوزير أبا الحسن علي بن عيسى في أمره ، ويسأله إقرار رزق له في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخاطبه أبو علي في ذلك ، وعرفه اختلال حاله وتمذّر القوت عليه في أكثر أيامه ، وسأله أن يجري عليه رزقاً أسوة بأمثاله ، فانتهره الوزير انتهاراً شديداً^٤ ، وكان ذلك في مجلس حافل ، فشق ذلك على أبي علي وقام من مجلسه ، وصار إلى منزله لاثماً نفسه على سؤاله ، ووقف الأخفش على الصورة ، فاغتم لها ، وانتهت

١ نور القبس : ٣٤١ ، وفيه : في الرواية للأخبار والعلم .

٢ س لي ل : يعلم .

٣ شديداً : سقطت من س .

به الحال إلى أكل السلجم النيء ، فقيل إنه قبض على فؤاده ، فمات فجأة في التاريخ المذكور .

[وكان أبو الحسن الأخفش كثيراً ما ينشد وعليّ على الناس ، وكأنه كان يعرض بأبي علي ابن مقلة الوزير^١ :

هوّن عليك فإني غير جائكا وإنني غير ماضٍ في نواجكا
والله لو كانت الدنيا بزينتها وادٍ بكفك لم أحللّ بوادىكا
ولو ملكت رقاب الناس كلهم^٢ شرقاً وغرباً لما جئنا نهنيكا^٣]

٤٣٨

الواحدى

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدى المتثوي صاحب التفاسير المشهورة ؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير ، ورزق السعادة في تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم ، منها « البسيط » في تفسير القرآن الكريم ، وكذلك « الوسيط » وكذلك « الوجيز » ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة ، وله كتاب « أسباب النزول » و « التحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنى » وشرح ديوان أبي الطيب المتنبى شرحاً مستوفى ، وليس في شروحه مع كثرتها مثله ، وذكر فيه أشياء غريبة منها أنه في شرح هذا البيت وهو^٤ :

١ لعل الصواب أن يقول : يعرض بعلي بن عيسى حين كان وزيراً .

٢ ما بين معقفين زيادة من ر .

٤٣٨ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٢٣ وفي الحاشية أسماء مصادر أخرى ؛ وقد جاءت المسودة بهذه الترجمة كاملة .

٣ شرح الواحدى : ٧١٢ - ٧١٣ ، وفي النقل شيء من التصرف .

وإذا المكارمُ والصَّوارمُ والقنناُ وبَناتُ أعوجَ كلِّ شيءٍ يَجْمَعُ

تكلم على البيت ثم قال في أعوج : إنه فحل كريم كان لبني هلال بن عامر، وإنه قيل لصاحبه : ما رأيت من شدة عدوِّه ؟ فقال : ضللت في بادية وأنا راكبه، فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته ، وأنا أغضُّ من لجامه ، حتى توافينا الماء دفعة واحدة ، وهذا أغرب شيء يكون ، فإن القطا شديد الطيران ، وإذا قصدَ الماء اشتد طيرانه أكثر من غير قصد الماء ، ثم ما كفى حتى قال : كنت أغض من لجامه ، ولولا ذلك لكان يسبق القطا ، وهذه مبالغة عظيمة ، وإنما قيل له أعوج لأنه كان صغيراً وقد جاءتهم غارة فهربوا منها وطرحوه في خرج وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصغره، فاعوجَّ ظهره من ذلك فليل له أعوج. وهذا البيت من جملة القصيدة التي رثى بها فاتكاً المجنون .

وكان الواحدي المذكور تلميذ الثعلبي صاحب التفسير - المقدم ذكره في حرف الهمزة^٢ - وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه ؛ وتوفي عن مرض طويل في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور ، رحمه الله تعالى .
ومتَّويه : بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وضمها وسكون الواو وبعدها ياء مفتوحة مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة ، ونسبة المتوي إلى هذا الجد .
والواحدي : بفتح الواو وبعده الألف حاء مهملة مكسورة وبعدها دال مهملة ، لم أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي ، ولا ذكرها السمعاني ، ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الدين^٣ بن مهرة ، ذكره أبو أحمد العسكري .

١ ر : المبالغة .

٢ انظر المجلد الأول : ٧٩ .

٣ كذا في المسودة ؛ وفي التصحيف (٥٠٦) : الدثن .

ابن ماكولا

الأمير سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي ، المعروف بابن ماكولا - وبقية نسبه مستوفاة في ترجمة جده أبي دلف القاسم بن عيسى في حرف القاف - وأصله من جرّ باذقان من نواحي أصبهان ، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للإمام القائم بأمر الله ، وتولى عمه أبو عبد الله الحسين ابن علي قضاء بغداد .

سمع الحديث الكثير وصنف المصنفات النافعة ، وأخذ عن مشايخ العراق وخراسان والشام وغير ذلك . وكان أحد الفضلاء المشهورين ، تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام وجمع منها شيئاً كثيراً ، وكان الخطيب أبو بكر صاحب « تاريخ بغداد » قد أخذ كتاب الحافظ أبي الحسن الدارقطني المسمى « المختلف والمؤتلف » وكتاب الحافظ عبد الغني بن سعيد الذي سماه « مشتهب النسبة » وجمع بينهما ، وزاد عليها ، وجعله كتاباً مستقلاً سماه « المؤتلف تكله المختلف » ؛ وجاء الأمير أبو نصر المذكور وزاد على هذا « المؤتلف » وضم إليه الأسماء التي وقعت له ، وجعله أيضاً كتاباً مستقلاً سماه « الإكمال » وهو في غاية الإفادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد ، وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن ، فإنه لم يوضع مثله ولقد أحسن فيه غاية الإحسان . ثم جاء ابن نقطة - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وذيله وما أقصر فيه أيضاً ، وما يحتاج الأمير

٤٣٩ - انظر ترجمته في المنتظم ٩ : ٥ ومعجم الادباء ١٥ : ١٠٢ وتذكرة الحفاظ : ١٢٠١ وابن الأثير ١٠ : ١٢٨ وعبر الذهبي ٣ : ٣١٧ والشذرات ٢ : ٣١٨ ، وقد ترجم له الكتبي (الفوات ٢ : ١٨٥) مع أنه يستدرك على ابن خلكان ؛ وانظر الرسالة المستطرفة : ١١٦ وكشف الظنون : ١٦٣٧ ؛ وقد جاءت الترجمة كاملة في المسودة .
١ فوقها في المسودة : خ : عمرو ؛ لي : وقيل عمرو .

المذكور مع هذا الكتاب إلى فضيلة أخرى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه
وضبطه وإتقانه .

ومن الشعر المنسوب إليه :

قَوَّضَ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُ بِهَا وَجَانِبِ الذُّلِّ إِنْ الذُّلُّ يُجْتَنَّبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقُصَةً^١ فَاَلْمَنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ

وكانت ولادته في عُكْبَرَا في خامس شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ،
وقته غلمانه يجرجان في سنة نيف وسبعين وأربعمائة . وذكر أبو الفرج ابن الجوزي
في كتاب « المنتظم » أنه قتل في سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، وقيل في سنة
سبع وثمانين ، وقال غيره : في سنة تسع وسبعين بخوزستان ، وقيل بالأهواز .
وقال الحميدي : خرج إلى خراسان ومعه غلمان له أتراك فقتلوه يجرجان وأخذوا
ماله وهربوا ، وطاح دمه هدراً ، رحمه الله تعالى .

ومدحه الشاعر المعروف^١ بصرِّدُر^٢ - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى -

ومدحه في ديوانه موجود .

وما كولا : بفتح الميم وبعد الألف كاف مضمومة وبعدها واو ساكنة ثم لام
ألف ، ولا أعرف معناه ، ولا أدري سبب تسميته بالأمير ، هل كان أميراً
بنفسه أم لأنه من أولاد أبي دلف العجلي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وعكبرا قد تقدم القول^٢ عليها في ترجمة الشيخ أبي البقاء .

١ ر : المشهور .

٢ ر لي : الكلام .

أبو الفرج الأصبهاني

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي الكاتب الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بني أمية ؛ وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ ، كان من أعيان أدباؤها ، وأفراد مصنفها ، وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير .

قال التنوخي : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني ، كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والحرفات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً ، مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك ، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء .

وله المصنفات المستملحة منها : كتاب « الأغاني » الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابيه مثله ، يقال إنه جمعه في خمسين سنة ، وحمله إلى سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه . وحكي عن صاحب بن عباد أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالها ، فلما وصل إليه كتاب « الأغاني » لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه ، استغناءً

٤٤٠ - ترجمته في الفهرست : ١١٥ وتاريخ بغداد ١١ : ٣٩٨ والبيئمة ٣ : ١١٤ وتاريخ أصبهان ٢ : ١١ والمنتظم ٧ : ٤٠ ومعجم الأدباء ١٣ : ٩٤ وانباء الرواة ٢ : ٢٥١ وميزات الاعتدال ٣ : ١٢٣ ولسان الميزان ٤ : ٢٢١ وابن الاثير ٨ : ٥٨١ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٥ وعبر الذهبي ٢ : ٣٠٥ والشذرات ٣ : ١٩ ؛ والترجمة هنا مستوفاة في المسودة .

به عنها . ومنها : كتاب « القيان » وكتاب « الإماء الشواعر » وكتاب « الديارات » وكتاب « دعوة التجار » وكتاب « مجرد الأغاني » وكتاب « أخبار جحظة البرمكي » و « مقاتل الطالبين » وكتاب « الحانات » و « آداب الغرباء » . وحصل له ببلاد الأندلس كتب صنفها لبني أمية ملوك الأندلس يوم ذلك وسيّرها إليهم سرّاً وجاءه الإنعام منهم سرّاً ، فمن ذلك كتاب « نسب بني عبد شمس » وكتاب « أيام العرب » ألف وسبعمائة يوم ، وكتاب « التعديل والانتصاف » في مآثر العرب ومثالبها ، وكتاب « جهرة النسب » وكتاب « نسب بني شيان » وكتاب « نسب المهالبة » وكتاب « نسب بني تغلب » و « نسب بني كلاب » وكتاب « الغلمان المغنين » ذلك . وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبى وله فيه مدائح ، فمن ذلك قوله فيه :

ولما انتَجَعْنَا لائِذِينَ بَظَلَهُ أَعَانَ وَمَا عَنَى وَمَنْ وَمَا مَنَّا
وَرَدُّنَا عَلَيْهِ مَقْتَرِينَ فَرَاشَنَا وَرُدُّنَا نَدَاهُ مُجْدِبِينَ فَأَخْضَبْنَا
وله فيه من قصيدة تهنئة ببولود جاءه من سُريّة رومية :

اسْعُدْ بِبَوْلُودٍ أَتَاكَ مَبَارَكًا كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ جُنْحَ لَيْلٍ مَقْمَرٍ
سَعِدَ لَوْقَتِ سَعَادَةٍ جَاءَتْ بِهِ أُمَّ حَصَانٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ
مُتَبَجِّحٌ فِي ذُرُوتِي شَرَفِ الْوَرَى بَيْنَ الْمُهَلَّبِ مِنْمَاهُ وَقَيْصِرِ
شَمْسِ الضُّحَى قُرْنَتْ إِلَى بَدْرِ الدَّجَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَا أَتَتْ بِالْمَشْتَرَى

وكتب إلى بعض الرؤساء وكان مريضاً :

أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَمُودَ يَا حَسَنَ الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ يَا بَحْرَ الْوَدَى الطَّامِي
حَاشَاكَ مِنْ عَوْدِ عَوَادِ إِلَيْكَ وَمِنْ دَوَاءِ دَاءِ وَمِنْ إِمَامِ آلَامِ
وشعره كثير ، ومحاسنه شهيرة . وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين ،

١ يقال إن أبا الفرج أرسل نسخة من الاغاني إلى الحكم المستنصر ، فأجازها عليها .

وفي هذه السنة مات البحرني الشاعر . وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد ، وقيل سنة سبع وخمسين ، والأول أصح ، وكان قد خلط قبل أن يموت ، رحمه الله تعالى ؛ وهذه سنة ست وخمسين مات فيها عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار ، فالعالمان أبو الفرج المذكور وأبو علي القالي - وقد ذكرناه في حرف الهمزة - والملوك الثلاثة سيف الدولة بن حَمْدان ، ومعز الدولة بن بُؤَيه وكافور الإخشيدي ، وهو مذكور في ترجمة كل واحد .

٤٤١

الحافظ ابن عساكر

الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر ، الدمشقي الملقب ثقة الدين ؛ كان محدث الشام في وقته ، ومن أعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره ، ورحل وطوّف وجاب البلاد ولقي المشايخ ، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة ، وكان حافظاً ديناً ، جمع بين معرفة المتون والأسانيد .

سمع ببغداد في سنة عشرين وخمسمائة من أصحاب البرمكي والتنوخي والجوهري ، ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال ، وصنف التصانيف المفيدة وخرّج التخاريج . وكان حسن

١ راجع المجلد الاول : ٢٢٦ .

٤٤١ - ترجمته في معجم الادباء ١٣ : ٧٣ والمنتظم ١٠ : ٢٦١ وابن الاثير ١٢ : ٣٥٧ ومراة الزمان : ٣٣٦ وتذكرة الحفاظ : ١٣٢٨ وعبر الذهبي ٤ : ٢١٢ وطبقات السبكي ٤ : ٢٧٣ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٩٤ ؛ والترجمة مطابقة لما في المسودة .

الكلام على الأحاديث ، محظوظاً في الجمع والتأليف ، صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلدة ، أتى فيه بالمجائب ، وهو على نسق « تاريخ بغداد » . قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر أدام الله به النفع ، وقد جرى ذكر هذا التاريخ ، وأخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في أمره واستظامه : ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه ، وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه . ولقد قال الحق ، ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول^١ ، ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله ؟ وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره ، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضب حصرها . وله غيره تواليف حسنة وأجزاء متممة ، وله شعر لا بأس به ، فمن ذلك قوله على ما قيل^٢ :

ألا إن الحديثَ أجَلٌ علمٍ وأشرفه^٣ الأحاديث العوالي
وأففعُ كلَّ نوعٍ منه عندي وأحسنته الفرائد في الأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئاً يُحقِّقه كأفواه الرجال
فكنن يا صاح ذا حرصٍ عليه وخذُه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذُه من صحفٍ فترمى من التصحيفِ بالداءِ العضال
ومن المنسوب إليه أيضاً :

أيا نفسٍ ويحكِ جاءَ المشيبُ فماذا التصابي وماذا الغزلُ
تولّى شبّابي كأن لم يكنْ وجاءَ مَشِيبي كأن لم يَزَلْ
كانني بنفسي على غيرةٍ وخطبُ المنون بها قد نَزَلْ
فيا ليت شعري ممّن أكونُ وما قدّرَ اللهُ لي بالأزَلْ

١ لي : عليه حقق هذا القول .

٢ سقطت الأبيات من ل س لي .

٣ م : ولاسيا .

وقد التزم فيها ما لا يلزم ، وهو الزاي قبل اللام ، والبيت الثاني هو بيت علي بن جبلة المعروف بالمكوك ، وهو قوله :

شَبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُنْ وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلْ

وليس بينها إلا تغيير يسير كما تراه ، وهذا البيت من جملة أبيات - وسيأتي ذكر قائله بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادة الحافظ المذكور في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة . وتوفي ليلة الاثنين الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق ، ودفن عند والده وأهله بمقابر باب الصغير ، رحمهم الله تعالى . وصلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .

(115) وتوفي ولده أبو محمد القاسم الملقب بهاء الدين ابن الحافظ^١ في التاسع من صفر سنة ست مائة بدمشق ، ودفن من يومه خارج باب النصر ، ومولده بها ليلة النصف من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وكان أيضاً حافظاً^٢ .

(116) وتوفي أخوه الفقيه المحدث الفاضل صائغ الدين هبة الدين بن الحسن بن هبة الله يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة بدمشق ، ودفن من الغد بمقبرة باب الصغير ، ومولده على ما ذكر أخوه الحافظ المذكور في العشر الأول من رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقدم بغداد في سنة عشرين وخمسمائة ، وقرأ على أسعد الميهني - المقدم ذكره^٣ - وابن برهان ، وعاد إلى دمشق ، ودرس بالمقصورة الغربية في جامع دمشق وأفتى وحدث ، رحمه الله تعالى .

١ ذيل الروضتين : ٤٧ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ل س .

٣ المجلد الأول : ٢٠٧ .

السسماني

أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السسماني اللغوي ؛ كان قيماً بعلم اللغة مشهوراً ؛ وكتب الأدب التي عليها خطه مرغوب فيها ، ولا أعرف شيئاً من أحواله سوى أنه سمع أبا بكر ابن شاذان وأبا الفضل ابن المأمون ؛ وذكره الخطيب في تاريخه وقال^٢ : كتبت عنه .

وكان صدوقاً ، وكتب الكثير ، وخطه في غاية الإتقان والصحة ، وتصدر ببغداد للرواية وإقراء الأدب ، وأكثر كتبه بخطه ، وحصلت بعده عند ابن دينار الواسطي الأديب وأدركها الفرق ففسد أكثرها . وتوفي يوم الأربعاء رابع المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

ولا أعرف نسبه إلى ماذا هي ، وهي بكسر السينين المهملتين وسكون الميم الأولى وفتح الثانية وبالنون ، ثم وجدت في « درة الغواص » للحريري ما مثاله^٣ : ويقولون في النسبة إلى الفاكة والباقلاء والسسم : فاكهاني ، وباقلاني ، وسسماني ، فيخطئون فيه ، وبيّن وجه الخطأ ، ثم قال بعد ذلك : ووجه الكلام أن يقال في المنسوب إلى السسم سِسمِمي ، وتم الكلام إلى آخره . فلما وقفت على هذا علمت أن نسبة أبي الحسن المذكور إلى السسم ، وأنه استعمل على اصطلاح الناس ، والله أعلم .

٤٤٢ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٨٨ ومعجم الادباء ١٤ : ٥٨ وبغية الرعاة : ٣٤٣ ، وهذه الترجمة متابقة تماماً لما في المسودة .

١ ر : الفقه .

٢ انظر تاريخ بغداد ١٢ : ١٠ .

٣ درة الغواص : ٨٤ .

الشريف المرتضى

الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ؛ كان تقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر ، وهو أخو الشريف الرضي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين ، وله ديوان شعر كبير^٢ ، وإذا وصف الطينفَ أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من المواضع . وقد اختلف الناس في كتاب « نهج البلاغة » المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هل هو^٣ جَمَعَهُ أم جمع أخيه الرضي ؟ وقد قيل : إنه ليس من كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبته إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم . وله الكتاب الذي سماه « الفرر والدرر »^٤ ، وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك ، وهو كتاب مُمتِع يدل على فضل كثير ، وتوسع في الاطلاع على العلوم .

وذكره ابن بسام الأندلسي في أواخر كتاب « الذخيرة » فقال : كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماءها ، وعنه

٤٤٣ - ترجم له في انباه الرواة ٢ : ٢٤٩ وفي الحاشية ثبت بمصادر كثيرة ؛ يضاف إليها بعض المصادر الشيعية مثل روضات الجنات والذريعة وغيرها ، وانظر أدب المرتضى للدكتور عبد الرزاق محيي الدين (بغداد ١٩٥٧) ؛ وقد استوفت المسودة هذه الترجمة .

١ لي : والآداب .

٢ زاد في س : في ثلاثة أجزاء ، وسقطت لفظة « كبير » من ر .

٣ لي : هو الذي .

٤ ر : الدرر والفرر .

أخذ عظمائها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وأنسها، ممن سارت أخباره، وعُرفت له أشعاره، وحدث في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تواليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، مما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل، وأورد له عدة مقاطيع، فمن ذلك قوله^١ :

ضَنَّ عَنِّي بالنَّزْرِ إِذ أَنَا يَقْظَا نٌ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ
والتقينا كما اشتهدنا ولا عيب سوى أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيام
قلت : وهذا من قول أبي تمام الطائي^٢ :

استزارته ففكرتي في المنامِ فَأَنَانِي فِي خَفِيَّةِ وَاكْتِنَامِ
يا لها زَوْرَةٌ تَلْدَذَّتِ الأَرَّاحَ فِيهَا سِرًّا مِنَ الأَجْسَامِ
مجلسٌ لم يكن لنا فيه عيب غير أننا في دَعْوَةِ الأَحْلَامِ
ومن شعره أيضاً^٣ :

يا خليلي من ذؤابة قيسٍ فِي التَّصَابِي رِيَاضَةِ الأَخْلَاقِ
عَلَّانِي بِذِكْرِهِمْ تَطْرِبَانِي وَاسْقِيَانِي دَمْعِي بِكَأْسِ دِهَاقِ
وخذا النوم من جفوني فإني قَدْ خَلَمْتُ الكَرَى عَلَى العِشَاقِ

فلما وصلت هذه الأبيات إلى البصري الشاعر قال : المرتضى قد خلع ما لا يملك على من لا يقبل .
ومن شعره أيضاً :

ولما تفرقنا كما شاءت النَّوَى تَبَيَّنَ وَدٌّ خَالِصٌ وَتَوَدَّدٌ

١ ديوانه ٣ : ٢٧٠ .

٢ ديوان أبي تمام ٤ : ٢٦٢ .

٣ ديوان المرتضى ٢ : ٣٤٢ ؛ وهذا الشعر والذي قبله سقط من س ل ي .

كأني وقد سار الخليطُ عشيةً أخو جِنَّةٍ مما أقوم وأقعد

ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول المتنبي في مديح عضد الدولة بن بُوَيْه من جملة قصيدته الكافية التي ودعه بها لما عاد من خدمته من شيراز إلى العراق وقتل في الطريق ، كما هو مشروح في ترجمة المتنبي وهو^٢ :

وفي الأحباب مخصٌ بوجدي وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيّنَ مَنْ بكى من تباكى

ونقلت من كتاب « جنان الجنان ورياض الأذهان » الذي صنّفه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد المعروف بابن الزبير الفسّاني - المقدم ذكره^٣ - ما نسبته إلى الشريف المرتضى المذكور ، وهو^٤ :

بيني وبين عَوَازِلِي في الحب أطرافُ الرماحِ
أنا خارجيٌ في الهوى لا حكمَ إلا للملاحِ

ونسب إليه أيضاً :

مولايَ يا بَدَرَ كل داجية خذ بيدي قد وقعتُ في اللُجَجِ
حُسْنُكَ ما تنقضي عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حَرَجِ
بحقٍّ من خطِّ عارضيكَ ومَنْ سلط سلطانها على المهجِ
مُدَّ يديك الكريمتين معي ثم ادعُ لي مِنْ هواك بالفرجِ
وذكر له أيضاً :

قل لمن خده من اللحظ دامِ رِق لي من جوانح فيك تَدَمَى

- ١ هنا كتب في المسودة « هاهنا التخريجة » ووجدته قد ألحق التخريجة بعد ورقة ؛ وكله حتى قوله ... إما وإما : سقط من س ل لي .
- ٢ ديوان المتنبي : ٥٨٦ .
- ٣ المجلد الأول : ١٦٠ .
- ٤ هذه المقطوعة والمقطوعتان التاليتان في ديوان المرتضى ١ : ٢١١ ، ١٧٤ ، ٣ : ٢٢٢ .

يا سقيم الجفون من غير سقم لا تلمني إن مت منهن سقما
أنا خاطرت في هواك بقلبٍ ركب البحر فيك إماماً وإماماً

وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي اللغوي أن أبا الحسن علي
ابن أحمد بن علي بن سلك الفالي الأديب كانت له نسخة بكتاب «الجمهرة» لابن
دُرَيْد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها واشتراها الشريف
المرتضى أبو القاسم المذكور بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها
أبي الحسن الفالي وهي :

أَنْسَتْ بِهَا عَشْرِينَ حَوًّا وَبِعْتَهَا لَقَدْ طَالَ وَجَدِّي بَعْدَهَا وَحْنِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنِّي سَأْبِعُهَا وَلَوْ خَلَدْتَنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصَبِيَّةٍ صَفَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُؤُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عِبْرَةٍ مَقَالَةَ مَكْوِيٍّ الْفُؤَادِ حَزِينِ :
« وَقَدْ تَخْرُجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ كِرَامًا مِنْ رَبِّ بَيْنِ ضَمِينِ »^١

وهذا الفالي منسوب إلى فالة - بالفاء - وهي بلدة بخوزستان قريبة من
إيندج ، أقام بالبصرة مدة طويلة ، وسمع بها من أبي عمرو ابن عبد الواحد الهاشمي
وأبي الحسن ابن النجاد وشيوخ ذلك الوقت ، وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها .
وأما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعدها كاف ،
هكذا وجدته مقيداً ، ورأيت في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام ،
والله أعلم بالصواب .

وملح الشريف المرتضى وفضائله كثيرة . وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين
وثلاثمائة . وتوفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست
وثلاثين وأربعمائة ببغداد ، ودفن في داره عشية ذلك النهار ، رحمه الله تعالى .
(117) وكانت وفاة أبي الحسن الفالي المذكور في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين

١ زاد بعده في المطبوعة : « فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير ، رحمه الله تعالى » ولم يرد هذا
في أصل المؤلف أو في سائر المخطوطات .

وأربعمائة ليلة الجمعة ثامن الشهر المذكور ، ودفن في مقبرة جامع المنصور ،
وكان أديباً شاعراً . روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب « تاريخ بغداد »^١ ،
وأبو الحسين ابن الطيوري وغيرهما ، رحمهم الله أجمعين .

٤٤٤

الخلعي

أبو الحسين علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي ، المعروف بالخلعي ،
الموصلية الأصل المصري الشافعي ، صاحب « الخليات » المنسوبة إليه ؛
سمع أبا الحسن الحنّافي وأبا محمد ابن النحاس وأبا الفتح العدّاس وأبا سعد الماليني
وأبا القاسم الأهوازي وغيرهم .

قال القاضي عياض اليحصبي : سألت أبا علي الصديقي عنه ، وكان قد لقيه لما
رحل إلى البلاد الشرقية ، فقال : فقيه له تواليف ، ولي القضاء وقضى يوماً
واحداً واستمعى وانزوى بالقرافة الصغرى ، وكان مسند مصر بعد الحبال .
وذكره القاضي أبو بكر ابن العربي فقال : شيخ معتزل في القرافة له علوٌّ في
الرواية وعنده فوائد ، وقد حدث عنه الحميدي وكنى عنه بالقرافي . وقال
غيره : ولي الخلعي قضاء فامية ، وخرّج له أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازي
أجزاء من مسموعاته ، آخر من رواها عنه أبو رفاعة ، ونقلت منها عن

١ تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٤ .

٤٤٤ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٢٩٦ وعبر الذهبي ٣ : ٣٣٤ والشذرات ٣ : ٣٩٨ والرسالة
المستطرفة : ٩١ ، وقد تفاوتت هذه الترجمة في النسخ لأن المؤلف ألحق تخريجه مستقلة بها ،
ولهذا كانت في س ل على النحو الآتي - بعد ذكر النسب - « كان محدثاً مكثراً وجمع له أبو نصر
أحمد بن الحسن الشيرازي عشرين جزءاً أخرجا عنها وسمّاها الخليات وهي المنسوبة إليه وغيرها
ونقلت منها ... الخ » ثم ذكر ميلاده ووفاته ؛ والمثبت هنا ثبت في ر لي وسقط بعضه من
لي ، وهو مطابق لما في المسودة .

الأصمعي ، قال : كان نقش خاتم أبي عمرو ابن العلاء :

وإن امرءاً دنياه أكبر همّه لمستمسكٌ منها بجبلٍ غرُورٍ

فسألته عن ذلك فقال : كنت في ضيعتي نصف النهار أدور فيها ، فسمعت قائلاً يقول هذا البيت ونظرت فلم أر أحداً ، فكتبته على خاتمي .

قال أبو العباس ثعلب : هذا البيت لهانيء بن توبة بن سحيم بن مرة المعروف بالشويمر الحنفي .

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي : كان أبو الحسن الخَلَمي إذا سُمِع عليه الحديث يختم مجالسه بهذا الدعاء : اللهم ما مننت به فتّمه ، وما أنعمت به فلا تسلبه ، وما سترته فلا تهتكه ، وما علمته فاغفره . وكانت ولادة الخَلَمي في المحرم سنة خمس وأربعمائة بمصر . وتوفي بها في ثامن عشر ذي الحجة يوم السبت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقيل في السادس والعشرين من الشهر المذكور .

وتوفي أبوه في شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، رحمها الله تعالى . والخَلَمي : بكسر الخاء المعجمة وفتح اللام وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى الخَلَع ، ونسب إليها أبو الحسن المذكور لأنه كان يبيع بمصر الخَلَع لأملاك مصر ، فاشتهر بذلك وعرف به .

وأما القَرافة : بفتح القاف والراء المخففة وبعده الألف فاء ، فيها قرافتان الكبرى منها ظاهر مصر ، والصغرى ظاهر القاهرة ، وبها قبر الإمام الشافعي ، رضي الله عنه .

وبنو قرافة : فخذ من المعافر بن يعفر ، نزلوا هذين المكانين فنسبا إليهم . وقامية : بالفاء وبعده الألف ميم مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء وقد يزداد فيها الألف فيقال : أقامية ، وهي قلعة ورستاق من أعمال حلب الآن .

١ كتب في تحريجة السودة عند هذا الحد : « وهو مذكور في الأصل فينقل منه ولا حاجة إلى ذكره هنا - يعني الكلام في ميلاده ووفاته ؛ ووم ناسخ رفكتب : « وكانت ولادة الخلمي في المحرم وهو مذكور في الاصل » ظاناً أن ذلك كله من صلب الترجمة .

الشابشتي

أبو الحسين علي بن محمد الشابشتي^١ الكاتب ؛ كان أديباً فاضلاً ، تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبّيدي صاحب مصر ، فولاه أمر خزانة كتبه ، وجعله دَفْتَرِخْوَان يقرأ له الكتب ويجالسه ويناديه ، وكان حلواً المحاوره ، لطيف المعاشرة ، وله مصنفات حسنة ، منها : كتاب « الديارات » ، ذكر فيه كل دَير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية وجميع الأشعار المقولة في كل دير وما جرى فيه ، وهو على أسلوب « الديارات » للخالدين وأبي الفرج الأصبهاني ، مع أن هذه الديارات قد جمع فيها تواريخ كثيرة ، وله كتاب « اليسر بعد العسر » وكتاب « مراتب الفقهاء » وكتاب « التوقيف والتخويف » وله مكاتبات ومراسلات مضمنة شعراً وحكماً ، وغير ذلك من المصنفات في الأدب وغيره .

وتوفي سنة تسعين وثلثمائة ، وقال الأمير المختار المعروف بالمسبّحي : توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وزاد غيره فقال : ليلة الثلاثاء منتصف صفر ، رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بمصر .

والشَابَشْتِي : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة مضمومة ثم شين معجمة ساكنة وبعدها تاء مثناة من فوقها - كشفت عن هذه النسبة كثيراً فلم أعرفها ، ثم بعد هذا بسنين كثيرة وجدت في كتاب « التساجي » تصنيف أبي إسحاق الصابي أن الشابشتي حاجب وشمكير بن زيار الديلمي ، قتل في سنة

٤٤٥ - انظر معجم الأدباء ١٨ : ١٦ ومراسد الاطلاع ١ : ٤٢٧ والفوات ٢ : ١٩٤ باسم « محمد بن إسحاق » وهذه الترجمة موجزة كثيراً في م ، وقد سقطت تحشيات المسودة من م ل في كما هو الحال في معظم ما جاء في هوامش المسودة أو بين سطورها بالنسبة لهذه النسخ .
١ : ابن الشابشتي .

ست وعشرين وثلثمائة بالقرب من أصبهان .

قلت : وهذا اسمٌ ديلمي يشبه النسبة وليس بنسبة ، ويحتمل أن يكون صاحب هذه الترجمة منسوباً إليه ، بأن يكون أحد أجداده من أصحابه فنسب إليه ، وبقي النسب على أولاده كذلك . وهذا وشمكير هو والد الأمير قابوس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٤٤٦

القاسبي

أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي ، المعروف بابن القاسبي^٢ ؛ كان إماماً في علم الحديث ومتوناً وأسانيده وجميع ما يتعلق به ، وكان للناس فيه اعتقاد كثير ، وصنف في الحديث كتاب « الملخص » جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، في كتاب « الموطأ » رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المصري ، وهو على صغر حجمه جيد في بابيه . وكانت ولادة أبي الحسن المذكور في يوم الاثنين لست مَضَيْن من رجب سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ورحل إلى الشرق يوم السبت لعشر مَضَيْن من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، وحبس سنة ثلاث وخمسين ، وسمع كتاب البخاري بمكة من أبي زيد ، ورجع إلى القيروان فوصلها غداة الأربعاء أول شعبان أو ثانيه سنة سبع وخمسين ، كذا قاله أبو عبد الله مالك بن وهيب . وذكر الحافظ السلفي في « معجم السفر » أن شخصاً قال في مجلس القاسبي وهو

١ ر : الاسم .

٤٤٦ - ترجمته في ترتيب المدارك ٤ : ٦١٦ والديباج المذهب : ١٩٩ ونكت الحميان : ٢١٧

ومعالم الايمان ٢ : ١٦٨ وعبر الذهبي ٣ : ٨٥ والشذرات ٣ : ١٦٨ .

٢ زاد في ر : الفقيه المالكي .

بالقيروان : ما قصر المتنبى في معنى قوله ١ :

يُرَاد من القلب نسيانكم وتأبى الطباعُ على الناقل

فقال له : يا مسكين ، أين أنت عن قوله تعالى ﴿ لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم : ٣٠) ٢ . وتوفي ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن يوم الأربعاء وقت العصر بالقيروان ، وبات عند قبره من الناس خلق عظيم ، وضربت الأخبية ، وأقبل الشعراء بالمراثي ، رحمه الله تعالى .

ولما طعن في السن كان كثيراً ما ينشد قول زهير بن أبي سلمى المزني ٣ :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

وقال أبو بكر الصقلي : قال لي أبو الحسن القاسبي : كُذِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ وَسَمَوْنِي بِالْقَاسِبِيِّ وَمَا أَنَا بِالْقَاسِبِيِّ ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَمِّي كَانَ يَشُدُّ عِمَامَتَهُ شِدَّةً قَاسِبِيَّةً فَقِيلَ لِعَمِّي « قَاسِبِي » وَاشْتَهَرْنَا بِذَلِكَ ، وَإِلَّا فَأَنَا قُرَوِي ؛ وَأَنْتَ ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُوكَ مَسَافِرًا إِلَى صَقْلِيَّةٍ نَسَبَ إِلَيْهَا فَقِيلَ « الصَّقْلِيُّ » .
وما سمع القاضي يقول أول جلوسه للمناظرة بأثر صوت أبي محمد :

لَعَمْرُؤُ أَيْبِكُ مَا نَسَبَ الْمَعْلَى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْتَمَعَتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُعِيَّ الْهَشِيمُ

ثم بكى حتى أبكى القوم وقال : أنا الهشيم أنا الهشيم ، والله لو ان في الأرض خضراء ما رُعيتُ أنا . وأبو محمد هذا هو أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم التجيبي شيخه الذي روى عنه ، وهو قروي . وقال أبو عمرو الداني : كان شيخنا أبو الحسن - يعني القاسبي - يقرأ «الملخص» - بكسر الخاء - يجعله فاعلاً ، يريد

١ ديوان المتنبى : ٢٥٩ .

٢ ورحل ... يعلمون : سقط من س ل .

٣ ديوان زهير : ٢٩ .

انه يلخص المتصل من حديث مالك ، رحمه الله تعالى ، وتقدير الترجمة : ما اتصل
من حديث مالك للمستحفظين^١ .

والقاسي : بفتح القاف وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم سين مهملة ،
هذه النسبة إلى قابس ، وهي مدينة بإفريقية بالقرب من المهديّة ، ولما فتحها
الأمير تميم بن المعز بن باديس - المقدم ذكره^٢ - قال ابن محمد خطيب سوسة
قصيدة طائفة أولها :

ضحك الزمانُ وكان يُدعى عابسا لما فتحت بجدّ عزمك قابسا
أنكِحتّها عذراء ما أصدقتّها إلا قنّا وبواتراً وفوارسا
الله يعلم ما جنيت ثارها إلا وكان أبوك قبلك غارسا
من كان بالسُّمر العوالي خاطباً أضحت له بيضُ الحصون عرائسا

٤٤٧

ابن القطاع

أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد
ابن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال
ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرت^٣ بن سعد بن حرام^٤ بن سعد بن
مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر
ابن نزار بن معدّ بن عدنان ، المعروف بابن القطاع السعدي ، الصقلي المولد

١ وقال أبو بكر ... للمستحفظين ثبت في ر ، وموضعه في المسودة : « هامننا التخريجة » .

٢ المجلد الأول : ٣٠٤ .

٣٤٧ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٣٦ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٣ ر : محرز ؛ ل س : محارب .

٤ س لي : حزام .

المصري الدار والوفاة ، اللغوي ؛ هكذا وجدت هذا النسب بخطي في مسوداتي ،
وما أعلم من أين نقلته . والمنقول من خطّه أنه علي بن جعفر بن علي بن محمد
ابن عبد الله بن الحسين الشنتريني السعدي ، أحد بني سعد بن زيد مناة
ابن تميم ، والله أعلم .

كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة ، وله تصانيف نافعة ، منها كتاب
« الأفعال » أحسن فيه كل الإحسان ، وهو أجود من « الأفعال » لابن القوطيّة
وإن كان ذلك قد سبقه إليه ، وله كتاب « أبنية الأسماء » جمع فيه فأوعب ،
وفيه دلالة على كثرة اطلاعه ، وله عروض حسن جيد ، وكتاب « الدرّة الخطيرة
في المختار من شعراء الجزيرة »^٢ وكتاب « ملح الملح »^٣ جمع فيه خلقاً من شعراء
الأندلس .

وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ
الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي ، وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجابة ،
ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج^٤ ، ووصل إلى مصر في حدود سنة
خمسائة ، وبالغ أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ،
ونظم الشعر في سنة ست وأربعين ، ومن شعره في الثلج :

وشادِنِ في لسانه عَقْدٌ حَلَّتْ عَقُودِي وَأَوْهَنْتْ جَلْدِي
عابوه جهلاً بها فقلت لهم أما سمعتم بالنَّفْثِ في العُقْدِ
وله من جملة قصيدة :

فلا تُتَفِدَنَّ العَمْرَ في طلب الصِّبَا ولا تشقِّينَ يوماً بسُعْدَى ولا نَعْمَ

١ ر : الشيري ؛ والكلمة قد ذهب شطر منها في المسودة .

٢ هو في تراجم شعراء جزيرة صقلية ، وقد بقيت منه ملخصات ومختصرات ونقول متفرقة في
المصادر .

٣ اقتبس صاحب مسالك الأبصار قطعة من تراجم هذا الكتاب .

٤ ابن البرّ الصقلي : أبو بكر محمد بن علي بن الحسن التميمي ، من أكبر علماء اللغة بصقلية (انظر

الانباء ٣ : ١٩٠ والحاشية) .
٥ لي : الفرنج على تملكها .

[ولا تندُبَنَ أطلال ميةً باللّوى
فإن قُصارى المرء إدراكُ حاجةٍ
ولا تسفَحَنُ ماء الشؤون على رسم]¹
وتبقى مذمّاتُ الأحاديث والإثم
ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يا من رمى النار في فؤادي
اسمك تصحيفه بقلي²
وأنبطَ العين بالبكاء
اردد سلامي فإنّ نفسي
وفي ثناياك بُرء دائي
وارفّق بصبّ أتى ذليلاً
لم يبق منها سوى الدماء
أنهك في الهوى التجنّي
قد مزج اليأس بالرجاء
فصار في رقة الهواء

وله شعر كثير .

[وكانت ولادته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، هكذا ذكره في كتابه
« الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة » عند ذكر ترجمة نفسه ، رحمه الله تعالى ،
في أواخر الكتاب المذكور ، ورأيتّه بخطه]³ . وتوفي بمصر في صفر سنة خمس
عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على السعدي والصقلي .

١ سقط البيت من المسودة والنسخة لي .

٢ يريد : « جمرة » وهو تصحيف حمزة .

٣ زيادة من ر .

ابن حزم الظاهري

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي ، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وأصله من فارس ، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آباءه . ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشرقي منها .

وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب ، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، وكان متفناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك ، متواضعاً ذا فضائل جمة وتوالياً كثيرة ، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً ، وسمع سماعاً جماً ، وألّف في فقه الحديث كتاباً سماه « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة » لمجل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع » أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، رضي الله عنهم أجمعين ، في مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة وعليها ، وهو كتاب كبير ، وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » في غاية التقصي وإيراد

٤٤٨ - ترجمته في جذوة المقتبس : ٢٩٠ وبغية الملتبس (رقم ١٢٠٤) والذخيرة ١/١ : ١٤٠ وطبقات صاعد : ٨٦ والمطمح : ٤٥ والمغرب : ١ : ٣٥٤ والمعجب : ٣٠ ومعجم الادباء : ١٢ : ٢٣٥ وتاريخ الحكماء : ١٥٦ والنفع : ٢ : ٧٧ وتذكرة الحفاظ : ١١٤٦ وعبر الذهبي : ٣ : ٢٣٩ والشذرات : ٣ : ٢٩٩ ، وفي طوق الحمامة مادة صالحة في شئون حياته وأخباره ، وقد كتبت عنه في العصر الحديث دراسات متعددة ، ونشر من آثاره عدد غير قليل ؛ وقد تابع ابن خلكان في هذه الترجمة ما كتبه الحميدي وابن بشكوال ، وهي مستوفاة في المسودة بكاملها .
١ ر : كتاب الافضال إلى الفهم وكتاب الخصال البديعة .

الحجج ، وكتاب « الفصل في الملل في الأهواء والنحل » وكتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه ، وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض ، وكتاب « إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك بما لا يحتمل التأويل » وهذا معنى لم يُسبق إليه ، وكتاب « التقريب بحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية » فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله ، وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني^١ ، وكان أديباً شاعراً طيباً له في الطب رسائل ، وكتب في الأدب ، ومات بعد الأربعمائة ، ذكر ذلك ابن ماكولا في كتاب « الإكمال » في باب الكتامي والكتاني ، نقلاً عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي . وله كتاب صغير سماه « نَقَطُ العروس » جمع كل غريبة نادرة ، وهو مفيد جداً .

وقال ابن بشكوال في حقه^٢ : كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسِّيَر والأخبار . أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي^٣ : ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وما رأيت من يقول الشعر على البدئية أسرع منه . ثم قال : أنشدني لنفسه :

لئن أصبحتُ مرتحلاً يجسمي فروحي عندكم أبداً مقيمٌ
ولكن للعيانٍ لطيفٍ معنى لهُ سألَ المعاينة الكليمُ

وله في المعنى :

١ ترجمة ابن الكتاني في طبقات صاعد : ٨٢ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٤٥ والجذوة : ٤٥ والوافي ٣ : ٢٠١٦ : ٣٤٨ والذيل والتكملة ٦ : ٦٠ (مخطوطة باريس) وراجع مقدمة كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس (بيروت ١٩٦٦) .
٢ الصلة : ٣٩٥ .
٣ الجذوة : ٢٩١ .

يقول أخي شجارك رحيلُ جسمٍ ورُوحك ما له عنّا رحيلُ
فقلت له : المعانُ مطمئن لذا طلب المعاينةَ الخليلُ

وروى له الحافظ الحميدي أيضاً^١ :

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وما يُعني المشوقَ وقوفُ ساعةٍ
كأنَّ الشمْلَ لم يكُ ذا اجتماع إذا ما شتتَ البينُ اجتماعه

وقال الحميدي أيضاً^٢ : أنشدني أبو محمد علي بن أحمد بن حزم - يعني
المذكور - لعبد الملك بن جهور :

إن كانتِ الأبدانُ بائنةً فنفسُ أهل الظرف تأتلفُ
يا ربُّ مُفترِقينِ قد جمعتُ قلبَيْهِمَا الأَقلامُ والصُّحفُ
ومن شعره أيضاً^٣ :

وذِي عَدَلٍ فِيمَن سَبَانِي حُسْنُهُ يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهُوَى وَيَقُولُ
أَفِي حُسْنٍ وَجَهٍ لَاحٍ لَمْ تَرِ غَيْرَهُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجِسْمُ أَنْتَ قَتِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ أَسْرَفْتَ فِي اللُّومِ ظَالِماً وَعِنْدِي رَدٌّ لَوْ أَرَدْتَ طَوِيلُ
أَلَمْ تَرِ أَنِّي ظَاهِرِي وَأَنِّي عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ

وكانت بينه وبين أبي الوليد سليمان الباجي - المذكور في حرف السين^٤ -
مناظرات وماجرايات يطول شرحها ، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ،
لا يكاد يسلم أحد من لسانه ، فنفرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته ، فتألأوا
على بغضه وردوا قوله وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من

١ لم ترد هذه القطعة في ترجمته في الجذوة .

٢ الجذوة : ٢٦٣ .

٣ حاشية س : ليست هذه الابيات لأبي محمد رحمه الله بل لرجل آخر من ذريته ؛ اهـ .

٤ راجع الترجمة رقم : ٢٧٥ .

فنتته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ، فأقصته الملوك وشردته عن بلاده حتى انتهى إلى بادية لبَّلة فتوفي بها آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وقيل إنه توفي في منته ليشم ، وهي قرية ابن حزم المذكور ، رحمه الله تعالى .

وفيه قال أبو العباس ابن العريف - المقدم ذكره^١ - : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين ، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة .

(118) وكانت وفاة والده أبي عمر أحمد^٢ في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة ، وكان وزير الدولة العامية ، وهو من أهل العلم والأدب والحير والبلاغة ، وقال ولده أبو محمد المذكور: أنشدني والذي الوزير في بعض وصاياه لي رحمه الله تعالى:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلا رضيتَ بدونها

وذكر الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس »^٣ أن الوزير المذكور كان جالساً بين يدي مخدومه المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه العامة ، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور اعتقله حنقاً عليه لجرم استعظمه منه ، فلما قرأها اشتد غضبه ، وقال : ذكرتني والله به ، وأخذ القلم وأراد أن يكتب : يصلب ، فكتب : يطلق ، ورمى الورقة إلى وزيره المذكور ، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة ، فقال له المنصور : ما هذا الذي تكتب ؟ قال : بإطلاق فلان ، فحرد ، وقال : من أمر بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فلما رآه قال : همت ، والله ليصلبن ، ثم خط على التوقيع ، وأراد أن يكتب « يصلب » فكتب « يطلق » ، فأخذ الوزير الورقة ، وأراد أن يكتب إلى الوالي بالإطلاق ، فنظر إليه المنصور وغضب

١ راجع الترجمة رقم : ٦٨ .

٢ ترجمة أبي عمر والد ابن حزم في الجذوة : ١١٧٠ وبغية الملتبس (رقم : ٤١١) واعتاب

الكتاب : ١٩١ .

٣ الجذوة : ١١٨ .

٤ الجذوة : للعامة .

أشد من الأول ، وقال : من أمر بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فرأى خطه ، فخط عليه ، وأراد أن يكتب « يصلب » فكتب « يطلق » ، وأخذ الوزير التوقيع وشرع في الكتابة إلى الوالي ، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المرتين الأوليين ، فأراه خطه بالإطلاق ، فلما رآه عجب من ذلك ، وقال : نعم يطلق على رغمي ، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه .

(119) وكان لأبي محمد المذكور ولد نبيه سري^١ فاضل يقال له أبو رافع الفضل ابن أبي محمد علي ، وكان في خدمة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس ، وكان المعتمد قد غضب على عمه أبي طالب عبد الجبار بن محمد بن إسماعيل بن عباد وهم بقتله لأمر^٢ رابه منه ، فاستحضر وزراءه وقال لهم : من يعرف منكم في الخلفاء أو ملوك الطوائف من قتل عمه عندما هم بالقيام عليه ؟ فتقدم أبو رافع المذكور ، وقال : ما نعرف أيديك الله إلا من عفا عن عمه بعد قيامه عليه ، وهو إبراهيم بن المهدي عم المأمون من بني العباس ، فقَبَلَه المعتمد بين عينيه وشكره ، ثم أحضر عمه وبسطه وأحسن إليه . وقُتِل أبو رافع المذكور في وقعة الزلاقة مع مخدومه المعتمد في يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة - وقد استوفيت خبر هذه الواقعة في ترجمة يوسف بن تاشفين فليُنظر هناك ، وقد سبق ذكر إبراهيم بن المهدي في هذا الكتاب^٣ - والله أعلم .

وَلَسْبَلَة : بفتح اللامين ، وبينها باء موحدة ساكنة ، وفي الأخير هاء ساكنة ، بلدة بالأندلس^٤ .

وَمَنْتَ لَيْشَم : بفتح الميم وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر

١ من هنا إلى آخر الترجمة سقط من س ل ، ما عدا التعريف ببلبة .

٢ انظر المجلد الاول : ٣٩ .

٣ بلبة (Niebla) : اسم لمدينة وكورة ؛ وتقع المدينة على مسافة خمسين كيلومتراً إلى الغرب من إشبيلية ، سقطت نهائياً في يد الفرنج سنة ٦٥٥ ؛ وهي على نهر لُشُر ويسمى اليوم Tinto ؛ أما كورة بلبة فتمتد حتى حدود كورة اكشونية الواقعة إلى شمالها (انظر العذري: ١١٠-١١١) .

اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الشين المعجمة وفي آخرها ميم ، وهي قرية من أعمال لَبْلَةَ كانت ملك ابن حزم المذكور ، وكان يتردد إليها .

٤٤٩

ابن سيده

الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده المرسي ؛ كان إماماً في اللغة والعربية حافظاً لهما ، وقد جمع في ذلك جموعاً ، من ذلك كتاب « المحكم » في اللغة ، وهو كتاب كبير جامع مشتمل على أنواع اللغة ، وله كتاب « المخصص » في اللغة أيضاً وهو كبير ، وكتاب « الأنيق » في شرح الحماسة في ست مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات النافعة .

وكان ضريراً ، وأبوه ضريراً ، وكان أبوه أيضاً قيساً بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده في أول أمره ، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي - المقدم ذكره - وقرأ أيضاً على أبي عمر الطلمنكي ، قال الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبت بي أهلها يسمعون عليّ « غريب المصنف » فقلت لهم : انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده ، فقرأه عليّ من أوله إلى آخره ، فتمعجت من حفظه . وكان له في الشعر حظ وتصرف .

وتوفي بجزيرة دانية عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وعمره ستون سنة أو نحوها . رأيت على ظهر مجلد من « المحكم » بخط بعض فضلاء الأندلس أن ابن سيده المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الأحد المذكور صحيحاً سويّاً إلى وقت صلاة المغرب ، فدخل المتوضأ فأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه ، فبقي على تلك الحال إلى العصر من

٤٤٩ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٢٥ ، ومصادر أخرى في الحاشية ، وانظر النفع ٤ : ٢٧
وعبر الذهبي ٣ : ٢٤٣ ؛ وترجمته مستوفاة في المسودة .

يوم الأحد ثم توفي ، رحمه الله تعالى؛ وقيل سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، والأول أصح وأشهر .

وسيده : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة .

والمبرسي : بضم الميم وسكون الراء وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى مَرْسِيَّة ، وهي مدينة في شرق الأندلس .

والطَّلَمَنَكِي : بفتح الطاء المهملة واللام والميم وسكون النون وبعدها كاف ، هذه النسبة إلى طَلَمَنَكَة وهي مدينة في غرب الأندلس .

ودَانِيَّة : بفتح الدال المهملة وبعدهم الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها هاء ساكنة ، وهي مدينة في شرق الأندلس أيضاً .

٤٥٠

أبو الحسن الحصري

أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرئ الضريب الحصري القيرواني الشاعر المشهور .

قال ابن بسام صاحب « الذخيرة »^٢ في حقه : كان بجزر بَرَاعَة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طراً على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقسا نافق السوق ،

١ طلمنكة (Salamanca) : إلى الغرب من وادي الحجارة ، قال الحميري : بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً . وربما كان الأصح أن يقال إنها من موسطة الأندلس .
٤٥٠ - ترجمته في الجذوة : ٢٩٦ وبغية الملتبس (رقم : ١٢٢٩) ومعجم الأدياب : ١٤ : ٣٩ ونكت الحميان : ١١٣ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢١ والشذرات ٣ : ٣٨٥ ؛ وقد أوردت المسودة هذه الترجمة كاملة .

٢ الذخيرة ١/٤ : ١٩٢ .

معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهاديَ الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم ، على أنه كان فيما بلغني ضيق العطن ، مشهور اللسن ، يتلفت إلى الهجاء تلفتُ الظمان إلى الماء ، ولكنه طوي على غرّه^١ ، واحتمل بينَ زمانته وبعُدِ قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفئنا اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه ، وتراجع طبعه .

قلت : وهذا أبو الحسن ابن خالة أبي إسحاق الحصري صاحب « زهر الآداب » ؛ وذكره ابن بشكوال في كتاب « الصلة »^٢ والمحيدي أيضاً ، وقال^٣ : كان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن الكريم بسبته وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءة نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة^٤ ، وله ديوان شعر ، فمن قصائده السائرة القصيدة التي أولها :

يا ليلَ الصَّبِّ متى غَدَّهُ أقيامُ الساعةِ موعِدُهُ
رقدَ السُّمَّارُ فأرقَّه أسفُّ اللبِّينِ يردُّدُهُ

وهي مشهورة^٥ فلا حاجة إلى إيرادها . وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الكناني أبو الفضائل المعروف بالقمرأوي ، رحمه الله تعالى^٦ - والقمرأوي بفتح القاف وسكون الميم وبعد الراء ألف ثم واو ، هذه النسبة إلى قمرأ وهي ضيعة بالشام من أعمال صرخد - والأبيات :

قد ملَّ مريضك عودُهُ ورثي لأسيرك حُسَدُهُ

١ يقال طويت فلاناً على غره : أي لبسته على دخل .

٢ الصلة : ٤١٠ .

٣ انظر الجذرة : ٢٩٦ ، قلت : وابن خلكان ينقل عن ابن بشكوال لا عن المحيدي ؛ فإن ابن بشكوال زاد على ما ذكره المحيدي في ترجمة الحصري ، وهذه الزيادة هي المنقولة هنا .

٤ لي : وتسعة أبيات .

٥ كذا ضبطها بالشكل في المسودة .

٦ ر : شهيرة . ٧ بعدها في المسودة : بأبيات من جملتها ، وفوقها خط خفيف .

لم يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسٍ زَفَرَاتُ الشُّوقِ تُصَعِّدُهُ
هَارُوتُ يُعْنَعِنُ فَنَ السَّحَرِ رَ إِلَى عَيْنِكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَعْمَدْتَ اللَّحْظَ فَتَكَ تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجْرُدُهُ

ومنها :

كَمْ سَهَّلَ خَدَكَ وَجْهَ رِضَا وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَلِمَ فِي نَارِ الْهَجْرِ تُخَلِّدُهُ

ومن شعر الحصري أيضاً :

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيَّا بِكَاسٍ لَهَا مِنْ مِسْكِ رَيْقَتِهِ خَتَامُ
أَمِنْ خَدَيْكَ تَعَصَّرُ قَالَ كَلَّا مَتَى عَصِرَتْ مِنْ الْوَرْدِ الْمُدَامُ

ولما كان مقيماً بمدينة طنجة أرسل غلامه إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ،
واسمها في بلادهم حمص ، فأبطأ عنه ، وبلغه أن المعتمد ما احتفل به ، فعمل :

نَبَّهُ الرِّكْبَ الْهَجُوعَا وَلَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا
حِمْصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ لِفَلَامِي لَا رُجُوعَا
رَحِمَ اللهُ غَلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وقد التزم في هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم .

وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة ، قال : حدثني أبو أصبغ نباتة
ابن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثي الأندلسي عن جده زيد بن محمد ، قال : بعث
المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلى أبي العرب الزبير بن خمائة دينار ، وأمره
أن يتجهز بها ويتوجه إليه ، وكان يجزيرة صقلية وهو من أهلها - وهو أبو
العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الزبير بن الصقلي الشاعر - وبعث
مثلها إلى أبي الحسن الحصري وهو بالقيروان ، فكتب إليه أبو العرب :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَى وَأَعْجَبَ لِأَسْوَدِ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا تَجْرِي السُّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبُرُؤُ لِلْعَرَبِ

وكتب إليه الحصري :

أمرتني بركوب البحر أقطعه^١ غيري لك الخير فاحصصه^٢ بهذا الرأي
ما أنت نوح^٣ فتنجيني سفينته ولا المسيح أنا أمشي على الماء

ثم دخل الأندلس بعد ذلك ، وامتدح المعتمد وغيره^٤ . وتوفي سنة ثمان
وثمانين وأربعمائة بطنجة ، رحمه الله تعالى .

(120) ومولد القمرابي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة تقديراً ، وتوفي راجعاً
من اليمن في أواخر صفر سنة إحدى وخمسين وستائة ، على ساحل بحر عيذاب
بموضع يقال له رأس دواير بين عيذاب وسواكن ، ودفن في برّ عيذاب قبالة
موضع موته .

والحصري : قد تقدم الكلام عليه في حرف الهمزة .
وطنجة : بفتح الطاء وسكون النون وفتح الجيم ، وهي بلدة بالمغرب ، بينها
وبين سبتة مرحلتان من تلك الناحية .

(121) وأما أبو العرب الزبيري فإنه ولد بصقلية سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ،
وخرج منها لما تغلب الروم عليها سنة أربع وستين وأربعمائة قاصداً للمعتمد بن
عباد ، قال ابن الصيرفي : وبلغني أنه^٥ في سنة سبع وخمسمائة حيّ^٦ بالأندلس .

١ زاد هنا في س ل ي : وكان عالماً بالقراءات ... بسبته وغيرها ، وهو نص قد تقدم من قبل ،

وكان المؤلف قد كتبه في هذا الموضع إلا أنه مشطوب في المسودة .

٢ ر لي : وبلغني أنه توفي في ... الخ .

ابن خروف

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي ، المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي الإشبيلي ؛ كان فاضلاً في علم العربية ، وله فيها مصنفات^١ شهدت بفضلها وسعة علمه ، شرح كتاب سيبويه شرحاً جيداً ، وشرح أيضاً كتاب « الجمل » لأبي القاسم الزجاجي وما أقصر فيه ، وكان قد تخرّج على ابن طاهر النحوي الأندلسي المعروف بالحدب^٢ . وتوفي سنة عشر وستائة ، وقيل إنه توفي سنة تسع وستائة بإشبيلية ، رحمه الله تعالى .

وخروف : بفتح الحاء المعجمة - وهو غير ابن خروف الشاعر ، وسيأتي ذكر ذلك أيضاً إن شاء الله تعالى في رسالته التي كتبها إلى بهاء الدين بن شداد ، رحمه الله تعالى - .

والحَضْرَمِي : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى حضرَمَوْت ، وقد تقدم الكلام عليها .

٤٥١ - ترجمة ابن خروف النحوي في صلة الصلة : ١٢٢ والتكملة (رقم ١٨٨٤) والذيل والتكملة ٥ : ٣١٩ وبرنامج الرعيبي : ٨١ والنفع ٢ : ٦٤٠ وجذوة الاقتباس : ٣٠٧ وبغية الوعاة : ٣٥٤ ومعجم الأدباء ١٥ : ٧٥ ، والبدر السافر ، الورقة : ٢٨ والزركشي ، الورقة : ٢٢٥ وترجم له الكتبي في الفوات ٢ : ١٦٠ مع أنه في أصل المؤلف ؛ وانظر الجامع المختصر : ٣٠٦ ويخلط بعض المصادر في ترجمته بينه وبين الشاعر ابن خروف وهو علي بن محمد بن يوسف ؛ وما ورد في هذه الترجمة مطابق للسودة .

١ ر : تصانيف .

٢ هو محمد بن أحمد بن طاهر أبو بكر الأنصاري (- ٥٨٠) . انظر ترجمته في الوافي ٢ : ١١٣ وبغية الوعاة ١٢ والتكملة : ٥٣٢ .

الربيعي النحوي

أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربيعي النحوي ، البغدادي المنزل الشيرازي الأصل ؛ كان إماماً في النحو متقناً له ، شرح كتاب « الإيضاح » لأبي علي الفارسي فأجاد فيه ؛ اشتغل ببغداد على السيرافي ثم خرج إلى شيراز فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد . وقال أبو علي : قولوا لعلي البغدادي لو سرتَ من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك . وقال أبو علي أيضاً لما انفصل عنه : ما بقي له شيء يحتاج يسأل عنه . وله عدة تواليف في النحو منها « شرح مختصر الجرمي » . وانتفع بالاشتغال عليه خلق كثير . وذكره ابن الأنباري في كتاب « طبقات الأدباء »^١ .

وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وثلثمائة . وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة عشرين وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

والربيعي : بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة ، ولا أعلم أهو ربيعة بن نزار أم غيره ، فقد جاءت هذه النسبة إلى جماعة اسم كل واحد منهم ربيعة ، والله أعلم .

٤٥٢ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٩٧ وقد أثبت المحقق في الحاشية مصادر أخرى ؛ وما أثبت هنا مطابق للسودة .

١ نزهة الالباء : ٢٣٣ .

الفصيحى

أبو الحسن علي بن أبي زيد محمد بن علي النحوي ، المعروف بالفصيحى الإسترابادى ؛ أخذ النحو عن عبد القاهر الجرجاني صاحب « الجمل الصغرى » وتبحر فيه حتى صار أعرف أهل زمانه به ، وقدم بغداد واستوطنها ودرّس النحو بالمدرسة النظامية مدة ، وكان يكتب خطأ في غاية الصحة ، وكتب كثيراً من كتب الأدب ، وانتفع به خلق كثير ، ومن جملة من أخذ عنه ملك النحاة الحسن بن صافي - وقد تقدم ذكره - وروى عنه الحافظ أبو الطاهر السلفى الأصبهاني ، وقال : جالسته ببغداد وسألته عن أحرف من العربية ، وقال : أنشدني لبعض النحاة :

النحو شؤمٌ كله فاعلّموا يذهبُ بالخبزِ مِنَ البيتِ
خيرٌ من النحو وأصحابه ثريدةٌ تُعملُ بالزيتِ

وتوفي يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

ولم أعرف نسبه بالفصيحى : إلى كتاب « الفصيح » لثعلب ، أم إلى شيء آخر .

والإسترابادى : بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الراء وبعد الألف باء موحدة مفتوحة وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، هذه النسبة إلى إستراباد ، وهي بلدة من أعمال مازندران بين سارية وجرجان .

٤٥٤ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٣٠٦ ومعجم الأدباء ١٥ : ٦٦ وبغية الرعاة : ٣٥١ ، والترجمة مستوفاة في المسودة .

١ انظر الترجمة رقم : ١٦٨ .

ابن العصار

أبو الحسن علي بن أبي الحسين عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي الرقي الأصل ، البغدادي المولد والدار ، الملقب مهذب الدين ، المعروف بابن العصار اللغوي ؛ كان من الأدباء المشاهير ، وحصل له منه^٢ أشياء غريبة ، وقرأ الأدب على الشريف أبي السعادات ابن الشجري وأبي منصور ابن الجواليقي ، وبرع في فنه ، وأقرأ الناس زماناً ، ورحل إلى مصر واجتمع بأبي محمد ابن بري والموفق بن الخلال كاتب الإنشاء . وكان عارفاً بديوان أبي الطيب المتنبي علماً ورواية ، وقرأه عليه جمع كثير في العراق والشام ومصر ، وكتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ، ويقع في خطه الغلط مع كثرة ضبطه واحترازه . وقيل إنه لم يكن ذكياً ، ولم يكن في النحو كما هو في اللغة ، وكانت طريقته في الخط حسنة ، والناس يتنافسون في خطه ويتغالون به^٣ ، وكان حريصاً على الفوائد وطلبها وسطرها على كتبه . ورأيت جماعة ممن لقيه وأخذ عنه . وكانت ولادته في سنة ثمان وخمسة . وتوفي يوم السبت بعد صلاة الظهر ثالث المحرم سنة ست وسبعين وخمسة ببغداد . ودفن بمقبرة الشونيزي ببغداد ، رحمه الله تعالى ، يجنب قبر أبيه يوم الأحد .

٤٥٤ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٩١ ومجمع الادباء ١٤ : ١٠ وبغية الوعاة : ٣٤١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٩ والشذرات ٤ : ٢٥٧ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ ر : بان عضاد القصار .

٢ منه : ثابتة في أصل المؤلف ، ساقطة من ر لي ، ولا أدري إلى أين يعود الضمير في هذه اللفظة .

٣ ر لي : ويتغالون به .

٤ ر : وتسطرها .

شميم الحلبي

أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت ، الملقب مهذب الدين ، المعروف بشميم الحلبي ؛ كان أديباً فاضلاً خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب حسن الشعر ، وكان اشتغاله ببغداد على أبي محمد ابن الخشاب ومن في طبقة من أدباء ذلك الوقت ، ثم سافر إلى ديار بكر والشام ومدح الأكابر وأخذ جوائزهم ، واستوطن الموصل ، وله عدة تصانيف ، وجمع من نظمه كتاباً سماه « الحماسة » رتبها على عشرة أبواب ، وضاهى به كتاب « الحماسة » لأبي تمام الطائي ، وكان جمّ الفضيلة إلا أنه كان بذوي اللسان كثير الوقوع في الناس مُسلطاً على ثلث أعراضهم ، لا يُثبت لأحد في الفضل شيئاً .

ذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وقبح ذكره بأشياء نسبها إليه : من قلة الدين وتركه للصلوات المكتوبة ومعارضته للقرآن^٢ الكريم واستهزائه بالناس ؛ وذكر مقاطيع من شعره . وفي شعره تعسف ؛ وقال : سئل لم سمي شميماً ، فقال : أقمت مدة آكل كل يوم شيئاً من الطين^٣ فإذا وضعت

٤٥٥ - ترجمته في ذيل الروضتين : ٥٢ . والبدر السافر ، الورقة : ١٣ . والجامع المختصر : ١٥٧ .

وانباه الرواة ٢ : ٢٤٣ . ومعجم الادباء ١٣ : ٥٠ . وعبر الذهبي ٥ : ٢ . والشذرات ٥ : ٤ .

وبغية الرعاة : ٣٣٣ ؛ والترجمة هنا مطابقة للسودة .

١ ر : وقتح .

٢ ر س : ومعارضة القرآن .

٣ يقول آدم متر (٢ : ٢٢٩) وكان من الاطعمة المحبوبة الطين الذي يؤكل في آخر الطعام ، وأحسنه ما كان يجلب من ناحية كران ، وهو أخضر كالسلق وأشرق منه ولا نظير له ، وكذلك ورد ذكر الطين الأبيض العادي في كلام الشعراء ، وكانت الاخضر يجلب بكثرة من بلاد قوهستان ، وكان يجلب من نيسابور طين يسمى بالنقل يحمل إلى أداني البلاد وأقاصيها ويتحف به الملوك والسادة ، وكان الرطل منه ربما يباع في مصر وبلاد المغرب بدينار ... على أن كثيراً من الفقهاء حرّموا أكل الطين .

عند قضاء الحاجة شمته فلا أجد له رائحة ، فسميت لذلك شميماً . وتوفي ليلة
الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستائة بالموصل ،
ودفن بمقبرة المعافى بن عمران ، رحمه الله تعالى .
وشمّم : بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها
ميم ، وهو من الشمّ .

٤٥٦

العلم السخاوي

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني
المصري السخاوي المقرئ النحوي ، الملقب علم الدين ؛ كان قد اشتغل بالقاهرة
على الشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي المقرئ - المذكور في حرف القاف - وأتقن
عليه علم القراءات والنحو واللغة ، وعلى أبي الجود غياث بن فارس بن مكي
المقرئ ، وسمع بالإسكندرية من السلفي وابن عوف ، وبمصر من البوصيري
وابن ياسين ، ثم انتقل إلى مدينة دمشق وتقدم بها على علماء فنونه واشتهر ،
وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، وشرح « المفصل » للزخشي في أربع مجلدات ،
وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات ، وكان قد قرأها على ناظمها ، وله خُطَب
وأشعار ، وكان متميناً في وقته .

ورأيت بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة ، ولا تصحّ

٤٥٦ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٣١١ والبدر السافر ، الورقة : ٢٤ وطبقات السبكي ١٢٦ : ٥
وذيل الروضتين : ١٧٧ ومرآة الزمان : ٧٥٨ وغاية النهاية ١ : ٥٦٨ وخزانة الادب ٢ :
٥٢٩ وعبر الذمهي ٥ : ١٧٨ والشذرات ٥ : ٢٢٢ ومعجم الادباء ١٥ : ٦٥ وطبقات
المفسرين : ٢٥ وحسن المحاضرة ١ : ١٧٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٤ .
١ وعلى أبي الجود ... ياسين : سقط من م م ل ي والمسودة ، وعند هذا الموضع في المسودة
إشارة إلى « تحريجة » .

لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان ، ورأيته مراراً يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحين^١ وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر ، والكل في دفعة واحدة ، وهو يردُّ على الجميع . ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن توفي بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وقد نيفَ على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .
ولما حضرته الوفاة أنشد لنفسه^٢ :

قالوا غداً نأتي ديار الحمى وينزل الركبُ بمغناهمُ
وكل من كان مُطيعاً لهم أصبح مسروراً بلبياهمُ
قلت : فلي ذنبُ فما حيلتي بأيِّ وجه أتلقتاهمُ
قالوا: أليس العفو من شأنهم لا سيما عن ترجاهمُ

ثم ظفرت بتاريخ مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بسخا ، والله أعلم .
والسَخاوي : بفتح السين المهملة والخاء المعجمة وبعدها ألف ، هذه النسبة إلى سخا ، وهي بليدة بالقرية من أعمال مصر ، وقياسه سَخَوِي ، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى .

١ كذا في المسودة وهو معدّل ، إذ كان مكتوباً من قبل « الصالحية » .
٢ زاد في لي : هذه الأبيات .

ابن البواب الكاتب

أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور ؛ لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتَبَ مثله ولا قاربه ، وإن كان أبو علي ابن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين ، وأبرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة سبق وخطه أيضاً في نهاية الحسن ، لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة . وقيل إن صاحب الخط المنسوب المشهور ليس أبا علي المذكور ، وإنما هو أخوه أبو عبد الله الحسن - وهو المذكور في ترجمة أخيه أبي علي المذكور في المحمدين فليُنظر هناك - ولما شاهد أبو عبيد البكري الأندلسي صاحب التصانيف خط ابن مقلة أنشد :

خط ابن مقلة من أرعاه مُقَلَّتَهُ ودَّتْ جوارحه لو أصبحت مُقَلًّا

والكل معترفون لأبي الحسن بالتفرد ، وعلى منواله ينسجون ، وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعي ذلك ، مع أن في الخلق من يدعي ما ليس فيه ، ومع هذا فما رأينا ولا سمعنا أن أحداً ادعى ذلك ، بل الجميع أقروا له بالسابقة وعدم المشاركة . ويقال له « ابن الستري » أيضاً ، لأن أباه كان يواباً ، والبواب ملازم ستر الباب ، فلهذا نسب إليه .

(122) وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب المشهور^١، وهو أبو عبد الله محمد بن أسد بن علي بن سعيد القاريء الكاتب البزاز البغدادي [سمع أبا بكر أحمد بن

٤٥٧ - ترجمته في المنتظم ٨ : ١٠ ومعجم الادباء ١٥ : ١٨ وشروح السقط : ١١٩٨ وعبر
الذهبي ٣ : ١١٣ والشذرات ٣ : ١٩٩ والبداية والنهاية ١٢ : ١٤ وتحفة أولي الالباب :
٤٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٣٥٧ وصح الأعشى ٣ : ١٣ .
١ انظر ترجمة ابن أسد في تاريخ بغداد ٢ : ٨٣ والمنتظم ٧ : ٢٩٦ وبغية الرعاة : ٣٤٣ .

سليمان النجاد وعلي بن محمد بن الزبير الكوفي وجعفر الخدي وعبد الملك بن الحسن السقطي ، وجماعة من هذه الطبقة ، وكان صدوقاً ؛ مات محمد بن أسد في يوم الاحد لليلتين خلتا من المحرم سنة عشر وأربعمائة ، ودفن بالشونيزي [١] .
وتوفي ابن البواب يوم الخميس ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ، وقيل ثلاث عشرة وأربعمائة ببغداد ، ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه .

وأنشدي بعض العلماء بيتين ذكر أنه رُئي بهما ابن البواب وهما :

استشعر الكتابُ فقدك سالفاً وقصّتْ بصحة ذلك الأيامُ
فلذاك سوّدتِ الدويُّ كآبةً أسفاً عليك وشقتِ الأقلامُ

وهذا معنى حسن جداً .

وسألني بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين من جملة أبيات في صفة كتاب :

كتابٌ كوشي الروض خطتْ سطورهُ يدُ ابنِ هلالٍ عن فمِ ابنِ هلالٍ
فقلت له : هذا يقول إن خطه في الحسن مثل خط ابن البواب وفي بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابي ، لأنه ابن هلال أيضاً - كما تقدم في ترجمته^٢ - ثم سألت الفقيه المذكور عن بقية الأبيات التي منها هذا البيت ، فأنشديها ، وهي :

ولما أتى منك الكتابُ الذي حوى قلائدَ سحرٍ للبيانِ حلالِ
وقفتُ على ربّعٍ من الفضلِ أهلِ وقوفي بربعٍ للأحبةِ خالِ
أرقرقُ من دمعي وأدمنُ^٣ لثمه وأسألُ أطلالاً تجيبُ سؤالي
وهيمتُ به حتى توهّمتُ لفظه نجومُ ليالٍ أم سُموطُ لآلي

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٢ المجلد الأول : ٥٢ .

٣ لي : أرقرق دمعي ثم أدمن .

كتاب كوشى الروض خَطَّتْ سطورَه يد ابن هلال عن فم ابن هلال

ومما يتعلق بالكتابة^١ أن أول من خط بالعربي إسماعيل عليه السلام ،
والصحيح عند أهل العلم أنه مرامر بن مروّة من أهل الأنبار ، وقيل إنه من
بني مرة ، ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس . قال الأصمعي : ذكروا أن
قريشاً سئلوا : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الحيرة ، وقيل لأهل الحيرة :
من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار^٢ .

وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي أن الناقل لهذه الكتابة من الحيرة إلى
الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، وكان
قدم الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة ، وقالوا : قيل لأبي سفيان ابن حرب :
من أخذ أبوك هذه الكتابة ؟ فقال : من أسلم بن سدره ، وقال : سألت أسلم :
من أخذت هذه الكتابة ؟ فقال : من واضعها مرامر بن مروّة ، فحدث هذه
الكتابة قبل الإسلام بقليل . وكان لمخير كتابة تسمى المسند ، وحروفها منفصلة
غير متصلة ، وكانوا ينعون العامة من تعلمها ، فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم ، فجاءت
ملة الإسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب .

وجميع كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة ، وهي :
العربية والحيرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبانية والرومية والقبطية
والبربرية والأندلسية والهندية والصينية^٣ ، فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها
وذهب من يعرفها ، وهي : الحيرية واليونانية والقبطية والبربرية والأندلسية ،
وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها وعُدِمَ من يعرفها في بلاد الإسلام ، وهي :
الرومية والهندية والصينية ، وحصلت أربع هي مستعملات في بلاد الإسلام ،
وهي : العربية والفارسية والسريانية والعبانية .

١ قارن بما في الفهرست : ٤ - ٥ وأكثر النص متابع لما جاء في التنبيه لمحة : ١٩ - ٢٠ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س ل .

٣ هنا تنتهي الترجمة في لي والسودة ؛ وأحال المؤلف في المسودة على « تحريجة » لم ترد .

شيخ الإسلام

أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الهكاري الملقب شيخ الإسلام ؛ هو من ولد عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وكان كثير الخير والعبادة ، وطاف البلاد واجتمع بالعلماء والمشايع وأخذ عنهم الحديث ، ورجع إلى وطنه وانقطع به وأقبل الناس عليه وكان لهم فيه اعتقاد حسن ، ولقي الشيخ أبا العلاء المعري وسمع منه ، فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته ، فقال : هو رجل من المسلمين . وسمعت أن بعض الأكابر قال له : أنت شيخ الإسلام ، فقال : بل أنا شيخ في الإسلام ، وخرج من أولاده وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك وعلت مراتبهم ، منهم فقهاء ومنهم أمراء .

وكانت ولادته سنة تسع وأربعمائة . وتوفي في أول المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والهكاري : بفتح الهاء وتشديد الكاف وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل من جهتها الشرقية .

٤٥٨ - ترجمته في المنتظم ٩ : ٧٩ وابن الاثير ١٠ : ٢٢٦ واللباب : (الهكاري) وعبر الذهبي ٣ : ٣١٢ والشذرات ٣ : ٣٧٨ ؛ وما ورد هنا مطابق للسودة .

الشيخ علي الهروي السائح

أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل الموصلبي المولد ، السائح المشهور نزيل حلب ؛ طاف البلاد وأكثر من الزيارات ، وكاد يطبق الأرض بالدوران ، فإنه لم يترك برّاً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدتها ورؤيتها إلا رآه ، ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه ، ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها ، ولما سار ذكره بذلك واشتهر به ضُرب به المثل فيه ، ورأيت لبعض المعاصرين ، وهو ابن شمس الخلافة^١ جعفر - المقدم ذكره^٢ - بيتين في شخص يستجدي من الناس بأوراقه وقد ذكر فيها هذه الحالة وهما :

أوراقُ كُدَيْتِهِ فِي بَيْتِ كُلِّ فَتَى عَلَى اتِّفَاقٍ مَعَانٍ وَاخْتِلَافٍ رَوِي

٤٥٩ - ترجم له المنذري شيخ ابن خلكان في التكملة لوفيات النقلة (انظر الاعلام ٥ : ٧٣) ولخص ابن العماد في الشذرات (٤٩: ٥) ما أورده ابن خلكان، وتعدّ هذه الترجمة معتمد كل من كتب عن الهروي (انظر بروكلمان ١ : ٧٨؛ والتكملة ١ : ٨٧٩ والأدب الجغرافي عند العرب : ٣٢٠ - ٣٢٢) ؛ وقد سجل الهروي في كتابه «الإشارات» بعضاً من الشؤون المتصلة به ، ففراه في فلسطين سنة ٥٦٩ يزور القدس والخليل وغيرها (ص : ٣١) ويصل إلى ثغر عسقلان في العام التالي (٣٢) وفي العام نفسه كان في الإسكندرية يسمع الحديث عن السلفي (٣٠) ويتجول في الديار المصرية حتى أسوان ، ويحلّ عام ٥٧٢ وهو لا يزال في مصر (٥١) ؛ وقد حمله التطواف إلى شمال إفريقية وصقلية ، وفي هذه الجزيرة شاهد بركان اتنا ، واجتمع إلى أحد زعماء المسلمين هنالك وهو أبو القاسم ابن حمود المعروف بابن الحجر الذي أرسل معه رسائل إلى السلطان صلاح الدين يبحث فيها على أخذ صقلية من يد النورمان، لكن المركب غرق وركب الهروي في مركب آخر إلى قبرس (٥٥) ؛ وفي عام ٥٨٨ أخذ الفرنج كتبه في نوبة الوقعة بخولقة ، ثم إن ملك الانكتار أرسل للهروي رسواً يطلب الاجتماع به ووعده برد كتبه ، ولكنه لم يرض اليه (٣٠) ؛ والترجمة المثبتة هنا هي عين ما أوردهت المسودة .

١ لي : ورأيت لابن شمس الخلافة ...

٢ المجلد الاول : ٣٦٢ .

قد طبّق الأرضَ من سهّلٍ إلى جبلٍ كأنه خطُّ ذاك السائح الهروبي

وإنما ذكرت البيتين استشهاداً بها على ما ذكرته من كثرة زيارته وكتب خطه . وكان مع هذا فيه فضيلة ، وله معرفة بعلم السيمياء ، وبه تقدم عند الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، وأقام عنده ، وكان كثير الرعاية له ، وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة هو مدفون بها ، وبذلك المدرسة بيوت كُتِبَ على باب كل بيت ما يليق به ، ورأيت كتب على باب الميضأة « بيت المال في بيت الماء » ، ورأيت في قبته معلقاً عند رأسه غصناً وهو حلقة خَلْقِيَّة^١ ليس فيه صنعة ، وهو أعجوبة ، وقيل إنه رآه في بعض سياحاته فاستصعبه وأوصى أن يكون عند رأسه ليعجب^٢ منه مَنْ يراه .
وله مصنفات : منها كتاب « الإشارات في معرفة الزيارات » وكتاب « الخطب الهروية » وغير ذلك^٣ .

ورأيت في حائط الموضوع الذي تلقى فيه الدروس من المدرسة المذكورة بيتين مكتوبين بخط حسن ، وكأنها كتابة رجل فاضل نزل هناك قاصداً الديار المصرية ، فأحبت ذكرهما لحسنهما وهما :

رحمَ اللهُ من دعا لأناسٍ نزلوا هاهنا يريدون مِصراً
نزلوا والحدودُ بيضٌ فلما أزفَ البينَ عُدنَ بالدمعِ حُمراً

وتوفي في شهر رمضان في العَشرِ الوسط سنة إحدى عشرة وستائة في مدرسته المذكورة ودفن في القبة ، رحمه الله تعالى .

والهروبي : بفتح الهاء والراء وبعدها واو ، هذه النسبة إلى مدينة هَرَاء ، وهي أحد كراسي مملكة خراسان ، فإنها مملكة عظيمة ، وكراسيها أربعة :

١ ر : علقت خليقة .

٢ لي : ليعجب .

٣ يقول الهروي في ختام الإشارات (ص ١٠٠) إنه ألف كتاباً سماه « منازل الأرض ذات الطول والعرض » .

نيسابور ومرؤ وبلنخ وهراة ، والباقي مدن كبار ، لكنها ما تنتهي إلى هذه الأربعة ؛ وهراة بناها الإسكندر ذو القرنين عند مسيره إلى المشرق .

٤٦٠

عز الدين ابن الأثير الجزري

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب عز الدين ؛ ولد بالجزيرة ونشأ بها ، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه - الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى - وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقتة ، وقدم بغداد مراراً حاجباً ورسولاً من صاحب الموصل وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما ، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى التوفر على النظر في العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها .

وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفة وما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم ، صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه « الكامل » ابتداءً فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستائة وهو من خيار التواريخ ، واختصر كتاب « الأنساب » لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني ، واستدرك عليه فيه مواضع ونبه على أغلاط

٤٦٠ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٦٢ والبدر السافر ، الورقة : ٢٥ وطبقات السبكي ٥ : ١٢٧ ، وعبر الذهبي ٥ : ١٢٠ والشذرات ٥ : ١٣٧ ، وانظر كشف الظنون : ٨٢ ، ١٣٨٠ ، وصفحات متفرقة من الاعلان بالتوبيخ للسخاري ، وذكر مؤلف الأعلام (٥ : ١٥٣) أن له ترجمة في التكملة للندري ؛ وهذه الترجمة هي ما أورده المسودة .

وزاد أشياء أهلها ، وهو كتاب مفيد جداً ، وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر ، وهو في ثلاث مجلدات ، والأصل في ثمان وهو عزيز الوجود ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب ، ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور . وله كتاب « أخبار الصحابة »^١ ، رضوان الله عليهم ، في ست مجلدات كبار .

ولما وصلت إلى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وستائة كان عز الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب ، وكان الطواشي كثير الإقبال عليه حسن الاعتقاد فيه مكرماً له ، فاجتمعت به فوجدته رجلاً مكللاً في الفضائل وكرماً الأخلاق وكثرة التواضع ، فلازمت التردد إليه ، وكان بينه وبين الوالد ، رحمه الله تعالى ، مؤانسة أكيدة ، فكان بسببها يباليغ في الرعاية والإكرام . ثم إنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين ، ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمان وعشرين ، فجزيت معه على عادة التردد والملازمة ، وأقام قليلاً ثم توجه إلى الموصل .

وكانت ولادته في رابع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة بجزيرة ابني عُمَرَ ، وهم من أهلها . وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وستائة ، رحمه الله تعالى ، بالموصل .

وسياتي ذكر أخويه مجد الدين أبي السعادات المبارك ، وضياء الدين أبي الفتح نصر الله ، إن شاء الله تعالى .

والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون : إنها جزيرة ابن عمر ، ولا أدري مَنْ ابن عمر [وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين]^٢ ، ثم إنني ظفرت بالصواب في ذلك ، وهو أن رجلاً من أهل برقععيد من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضيفت إليه . ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر أوسٍ وكاملٍ ، ولا أدري أيضاً مَنْ هما ، ثم رأيت في

١ هو الكتاب المسمى « أسد الغابة » .

٢ ما بين معقنين قيّد في حاشية المسودة ثم شطب .

تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن
المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي .

٤٦١

العكوك

أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن ، المعروف بالعكوك
الشاعر المشهور ؛ أحد فحول الشعراء المبرزين [قال الجاحظ في حقه : كان
أحسن خلق الله إنشاداً ، ما رأيت مثله بدويًا ولا حضريًا] ^٢ وكان من الموالى ،
وولد أعمى ، وكان أسود أبرص ، ومن مشهور شعره قوله :

بأبي من زارني مكنتمًا خائفًا من كل شيء جزعًا
زائرٌ نَمَّ عليه حُسْنُهُ كيف يُخفي الليلُ بدرًا طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنتُ ورعى السامرَ حتى هجما
ركب الأهوالَ في زورتيه ثم ما سلّمَ حتى ودعا

[ومن قوله في الحسن بن سهل :

أعطيتني يا وليّ الحق مبتدئًا عطيةً كافاتٍ شعري ولم ترني
ما شئتُ برقك إلا نلتُ ريقه كأنما كنتَ بالجدوى تبادرني] ^٣

٤٦١ - ترجمته في الورقة : ١٠٦ والشعر والشعراء : ٧٤٢ وطبقات ابن المعتز : ١٧١ والأغاني

١٩ : ٢٨٧ ونكت الهميان : ٢٠٩ وتاريخ بغداد : ١١ : ٣٥٩ والشذرات ٢ : ٣٠

وبروكلمان ٢ : ٣٧ (الترجمة العربية) .

١ ر : خراساني أموي مشهور ، وأحد فحول ... الخ .

٢ ما بين معقفين سقط من لي والمسودة .

٣ انفردت ربما بين معقفين .

وله في أبي دُلْفِ العجلي وأبي غانم حُمَيْد بن عبد الحميد الطوسي غُرَّ
المدائح ، فمن قصائده الفاتحة في أبي دُلْفِ القصيدة التي أولها :

ذادَ وِرْدَ الغيِّ عن صَدْرِهِ فارْعَوَى واللّهُ من وطَرِهِ
يقول في مدحها :

إنما الدنيا أبو دُلْفِ بين مغزاهِ ومحتضره
فإذا ولّى أبو دلفٍ ولّت الدنيا على أثره
ومنها :

كلُّ من في الأرض من عَرَبٍ بين يديه إلى حَضْرِهِ
مستعيرٌ منك مَكْرُمَةٌ يكتسبها يومَ مُفْتَخَرِهِ

وهي طويلة عددها ثمانية وخمسون بيتاً، ولولا خوف الإطالة لأثبتها كلها
لأجل حسنها .

ولقد سئل شرف الدين بن عنين - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكان
من أخبر الناس بنقد الشعر ، عن هذه القصيدة وقصيدة أبي نُوَاس الموزنة
لها التي أولها :

أيها المتتاب من عُفْرِهِ لستَ من ليلى ولا سَمْرِهِ

وهي من نوادر الشعر أيضاً ، فلم يفضل إحداها على الأخرى ، وقال : ما
يصلح أن يفاضل بين هاتين إلا شخصٌ يكون في درجة هذين الشعارين .

ورأيت لأبي العباس المبرد كلاماً في وصف قصيدة أبي نُوَاس المذكورة ، فإنه
قال بعد ذكر القصيدة : ما أحسب شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يبلغ هذا المبلغ
فضلاً أن يزيد عليه جزالة وفخامة .

[وقال محمد بن خلف بن محمد الطائي : قلت لعلي بن جبلة : عارضت أبا نُوَاس

بقصيدتك هذه « زاد ورد الغي* عن صدره » في قصيدته^١ .
ويحكى أن العكوك^٢ مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لأبي
دلف بهذه القصيدة فقال له حميد : ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد
قولك في أبي دلف : إنما الدنيا أبو دلف ... وأنشد البيتين ، فقال : أصلح الله
الأمير ، قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا ، قال : وما هو ؟ فأنشد :

إنما الدنيا حميد وأياديه الجسامُ
فإذا ولّى حميد فعلى الدنيا السلامُ

قال : فتبسم ولم يجر جواباً ، فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم
بالشعر أن هذا أحسن مما قاله في أبي دلف ، فأعطاه وأحسن جائزته .
[وحكي أنه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها ، وتوسل بحميد الطوسي في
إيصالها إليه ، فقال له المأمون : خيّر بين أن نجمع بين قوله هذا وبين قوله
فيك وفي أبي دلف ، فإن وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف ، وإلا
ضربناه مائة سوط ، فخيّر حميد فاختر الإعفاء]^٣ .

وقال ابن المعتز في « طبقات الشعراء »^٣ : ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة
غضب غضباً شديداً وقال : اطلبوه حيثما كان وائتوني به ، فطلبوه فلم يقدروا
عليه لأنه كان مقيماً بالجبل ، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية ،
وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق أن يؤخذ حيث كان ، فهرب من الجزيرة حتى توسط
الشامات ، فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون ، فلما صار بين يديه قال
له : يا ابن اللّخناء ، أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى ، وهو أبو دلف :

كل من في الأرض من عرب

وأنشد البيتين ، جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به ، قال : يا أمير

١ زيادة من ر .

٢ ما بين معقنين لا وجود له في أصل المؤلف وسائر النسخ الخطية .

٣ طبقات ابن المعتز : ١٧٢ وفي النقل بعض اختلاف .

المؤمنين : أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم الكتاب والحكمم وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنما ذهبتُ في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس ، فقال : والله ما أبقيت أحداً ، ولقد أدخلتنا في الكل ، وما أستحل دمك بكلمتك هذه ، ولكني أستحله بكفرك في شرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكا قادراً ، وهو :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله عز وجل يفعله ، أخرجوا لسانه من قفاه ، فأخرجوا لسانه من قفاه فمات ، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد . ومولده سنة ستين ومائة ، وقيل إنه أصابه الجدري وهو ابن سبع سنين فذهب بصره منه ، وهذا خلاف ما قيل في الأول .

قلت : هكذا ذكر ابن المعتز هذه القصة ، وكذلك قال أيضاً أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » ١ ، ورأيت في كتاب « البارع في أخبار الشعراء المولدين » تأليف أبي عبد الله ابن المنجم هذين البيتين مع بيت ثالث ، وهو :

تَزَوَّرْهُ سَخَطًا فَتُمْسِي الْبَيْضُ رَاضِيَةً وَتَسْتَهْلُ فِتْبَكِي أَعْيُنُ الْمَالِ
لِخَلْفِ بْنِ مَرْزُوقٍ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ رَيْطَةَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .
وَمِنْ مَدِيحِهِ حَمِيداً قَوْلُهُ :

تَكْفَلُ سَاكِنِي الدُّنْيَا حَمِيدٌ فَقَدْ أَضْحَوْا لَهُ فِيهَا عِيَالاً
كَأَنَّ أَبَاهُ آدَمَ كَانَتْ أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يَعْوَلَهُمْ فَعَمَّالاً

وقوله أيضاً فيه :

١ الاغاني ١٩ : ٣١٧ .

٢ المسودة : حميد .

دجلةٌ تَسْقِي وأبو غانمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي من الناس
فالناسُ جِسْمٌ وإمام الهدى رأسٌ ، وأنت العين في الراس

ولما مات حميد في يوم عيد الفطر سنة عشر ومائتين رثاه بقصيدة من جملتها:

فأدبنا ما أدبَ الناسَ قبلنا ولكنه لم يبقَ للصبرِ موضعُ

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانمٍ أمّا ذرّاكَ فواسعٌ وقبركَ معمور الجوانبِ محكمٌ
وما ينفع المقبورَ عُمرانُ قبره إذا كان فيه جسّمه يتهدّمُ

وأخبار العكوك كثيرة ، ونقتصر منها على هذا القدر .

والعكوك : بفتح العين المهملة والكاف وتشديد الواو وبعدها كاف ثانية ،

وهو السمين القصير مع صلابة ، رحمه الله تعالى .

وجبلة : بفتح الجيم والباء الموحدة واللام وبعدها هاء ساكنة^١ .

وأما حميد الطوسي فإن الطبري ذكر في تاريخه تاريخ وفاته كما ذكرته

هاهنا ، وغالب ظني أنه توفي بضم الصلح ، لأنه كان مع المأمون لما توجه إليها

للدخول على بُوران ، حسبما شرحته في ترجمتها في هذا التاريخ^٢ .

١ هنا تنتهي الترجمة في س ل ي م .

٢ انظر المجلد الاول : ٢٨٧ .

علي بن الجهم

أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرّار بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن [جابر] بن الحارث بن قطن بن مدليج بن قطن بن أحزم^٢ بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة ابن لؤي بن غالب القرشي السامي الشاعر المشهور^٣ ؛ أحد الشعراء المجيدين ، هكذا ساق الخطيب في « تاريخ بغداد »^٤ نسبه في ترجمة والده الجهم ، وذكره أيضاً في ترجمة مفردة ، فقال^٥ : له ديوان شعر مشهور ، وكان جيد الشعر عالماً بفنونه ، وله اختصاصٌ بجعفر المتوكل ، وكان متديناً فاضلاً ؛ انتهى كلامه .

وكان - مع انحرافه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وإظهاره التسنن - مطبوعاً مقتدرأ على الشعر عذب الألفاظ . وكان من ناقلة خراسان إلى العراق ثم نفاه المتوكل إلى خراسان في سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين ومائتين ، لأنه هجا المتوكل ، وكتب إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أنه إذا ورد عليه صلبه يوماً ، فوصل إلى شاذياخ نيسابور ، فحبسه طاهر ثم أخرجَه فصلبه مجرداً نهراً كاملاً ، فقال في ذلك^٦ :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحةً الـ إثنين مسَبُوقاً ولا مجهولاً

٤٦٢ - ترجمته في معجم المرزباني : ١٤٠ وطبقات ابن المعتز : ٣١٩ والأغاني ١٠ : ٢١٥ وانظر مقدمة محقق الديوان .

- ١ سقطت من تاريخ بغداد ، وضرب عليها المؤلف في المسودة ؛ وفي ر : عامر .
- ٢ غير منقوطة في المسودة .
- ٣ جاءت سلسلة النسب ناقصة في ر س .
- ٤ تاريخ بغداد ٧ : ٢٤٠ .
- ٥ تاريخ بغداد ١١ : ٣٦٧ .
- ٦ ديوانه : ١٧١ ، ٢١٥ .

نصّبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تَبَجِيلاً

وهي أبيات كثيرة مشهورة^١ ، ثم رجع إلى العراق ثم خرج إلى الشام ، وبعد ذلك ورد على المستعين كتاب من صاحب البريد بجلب أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى العراق ، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من بني كلب ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ولحقه الناس وهو جريح بأخر رمق ، فكان مما قال^٢ :

أزِيدَ في اللَّيْلِ لَيْلُ أُمِّ سَالٍ بِالصَّحْرِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ

وكان منزله ببغداد في شارع الدجيل ، وكان ورود الكتاب في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وتوفي في وقته ، ولما نزع ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة وقد كتب فيها^٣ :

يَا رَحِمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ الْإِنِّ
فَارَقَ أَحِبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا

وكانت بينه وبين أبي تمام مودة أكيدة ، وإليه كتب أبو تمام الأبيات التي يودعه فيها التي أولها^٤ :

هي فرقة من صاحب لك ماجد فغداً إراقته كل دمع جامد
وديوان شعره صغير ، فمنه قوله وهو معنى مليح^٥ :

١ لأنه هجا ... مشهورة : سقط من ل لي ؛ والنص موجز في م .

٢ ديوانه : ١٧٠ .

٣ ر : رقعة فيها مكتوب ؛ وانظر البيهقي في ديوانه : ١٥٤ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٦ ، وفيه : فغداً إذابة .

٥ ديوان ابن الجهم : ١٨٧ .

بَلَاءٍ لَيْسَ يَغْدِلُهُ بَلَاءٌ عِدَاوَةٌ غَيْرُ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ
يُبِيحُكَ مِنْهُ عَرِضًا لَمْ يَصْنُهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عَرِضِ مَصُونٍ

وهذان البيتان قالهما في مروان بن أبي حفصة لما عمل فيه :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا عليٌ بعده يدعي الشعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهمني أمرا

وهذا المعنى مأخوذ من قول كثير عزة ، وقد أنشد الفرزدق شعراً له
فاستحسنه فقال له : يا أبا صخر ، هل كانت أمك ترد البصرة ؟ فقال : لا ،
ولكن كان أبي كثيراً ما يردّها .

وله وقد حيس أبياته المشهورة التي أولها :

قالت حُبِسْتَ فقلت ليس بضائري حَبْسِي ، وأيُّ مَهْنَدٍ لَا يُعْمَدُ

وهي أبيات جيدة في هذا المعنى لم يُعمل مثلها ، ولولا طولها لذكرتها .
وله أيضاً :

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا هل أنت إلا مليك جار إذ قدرا
لولا الهوى لتجارينا على قدر فإن أفتق منه يوماً ما فسوف ترى

وله أشياء حسنة .

والسامي : بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى سامة بن
لؤي المذكور في نسبه ، ويتصحف على كثير من الناس بالشامي ، بالشين
المعجمة ، وهو غلط .

ودُجَيْلٌ : بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها^٣

١ ديوانه : ٤١ .

٢ ديوانه : ١٤١ ؛ وقد سقط البيتان من ر ، وروى صاحب الأغاني نسبتها لغيره .

٣ إلى هنا تنتهي الترجمة في بي م .

[وبعدهما لام] ١ - تصغير دجلة، تصغير ترخيم - وهو نهر بأعلى بغداد ، مخرجه من دجلة ، مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد ، عليه مدن وقرى ، وهو غير دجيل الأهواز، وهو أيضاً نهر عليه قرى ومدن ومخرجه من جهة أصبهان ، حفره أردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس .

٤٦٣

ابن الرومي

أبو الحسن علي بن العباس بن جُرَيْج ، وقيل جُورجيس ، المعروف بابن الرومي ، مولى عبید الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ؛ الشاعر المشهور صاحب النظم المعجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية ، وكان شعره غير مرتب ، ورواه عنه المسيبي^٢ ، ثم عمله أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ ، فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت . وله

١ سقط من س والسودة .

٤٦٣ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ ومعجم المرزباني : ١٤٥ ومروج الذهب ٤ : ٢٨٣ ورسالة الغفران : ٤٦٨ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٨ وزهر الآداب : ٢٩٥ وصفحات أخرى ، وفي العمدة لابن رشتي (في صفحات متفرقة) ؛ وقد كتبت عنه في العصر الحديث دراسات متعددة .

٢ انظر الفهرست : ١٦٥ ؛ وقد تصحفت لفظة «المسيبي» في المطبوعة المصرية إلى «المتنبي» ، وذلك تصحيف طريف؛ وهناك من اسمه محمد بن إسحاق المسيبي المدني وهو مقريء مشهور توفي سنة ٢٣٦ (غاية النهاية ٢ : ٩٨) ، فلا أدري إن كان هو الذي روى ديوان ابن الرومي أو هو مسيبي آخر ، فإن المقريء معاصر أيضاً لابن الرومي .

القصائد المطولة والمقاطيع البديعة ، وله في الهجاء كل شيء ظريف ، وكذلك في المديح ، فمن ذلك قوله :

المنعمون وما منثوا على أحدٍ يَوْمَ العطاء ولو منثوا لما مانثوا
كم ضَنَّ بالمال أقوامٌ وعندهمُ وفرٌ، وأعطى العطايا وهو يدانُ

وله أيضاً ، وقال : ما سبقني إلى هذا المعنى أحد :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجّونَ نجومُ
منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والأخريات رُجومُ

ومن معانيه البديعة قوله^١ :

وإذا امرؤٌ مدحَ امرءاً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يُقدّر فيه بُعدُ المستقى عند الورود لما أطال رِشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب ، قال أبو الحسين جعفر بن علي الحمداني :
ما سبقه أحد إلى هذا المعنى^٢ :

إذا دام للمرء السواد وأخلقتْ شيبتهُ ظنُّ السوادِ خِضاباً
فكيف يظنُّ الشيخُ أن خِضابه يُظنُّ سواداً أو يُخال شباباً

[وقوله :

كم يَعدُ القِرْنَ باللقاءِ وم يكذبُ في وعده ويخلفهُ
لا يعرف القِرْنَ وجهه ويرى قفاه من فرسخٍ فيعرفهُ

أخذ هذا المعنى الأخير من قول الخارجي وقد قال المنصور : أي أصحابنا أشدّ

١ ديوانه : ٩٧ .

٢ ديوانه : ٣٣٩ ؛ وكذا ترتيب القول في المسودة ، وفي ر : ينصرف قول الحمداني إلى البيتين السابقين .

إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقباءهم، فقل لهم يقبلوا فأعرفهم.

وقال رجل لابن الرومي وهو يمازحه: ما أنت والشعر وقد نلت منه حظاً جسيماً وأنت من العجم؟ أراك عربياً أو مدعياً في الشعر، قال: بل أنت دعوي إذ كنت تُنسبُ عربياً ولا تحسن من ذلك شيئاً، وأنشده^١:

إياك يا ابن بويب أن يستثار بويبُ
قد تحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنته العُريبُ

وكان كثير الطيرة، وربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً لسوء ما يراه أو يسمعه حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده وعرف بحاله في الطيرة فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاهل به، فلما أخذ أهبة ركوبه قال للخادم: انصرف إلى مولاك^٢.

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً:

سألتك في أمر فجذتَ ببذلهِ على أنني ما خلت أنك تَفَعَلُ
وألزمتني بالبذل شكراً وإنه عليّ من الحرمان أدهى وأعضل
وما خلت أن الدهر يثني بصرفه إلى أن أرى في الناس مثلك يسأل
لئن سرتني ما نلتُ منك فإنه لقد ساءني إذ أنت ممن يؤمّل

وهذه الأبيات تنسب إلى ابن وكيع التنيسي أيضاً - وقد سبق ذكره واسمه الحسن - والله أعلم^٣.

وبالجملة فإن محاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة. وكانت ولادته يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد،

١ ديوانه: ٢٣٤.

٢ زيادة من ر، ولم يبين وجه الطيرة، وقد قلب ابن الرومي اسم «إقبال» فإذا هو «لابقا» فتطير منه.

٣ وهذه الابيات... أعلم: سقط من س ل ي م؛ وانظر ترجمة ابن وكيع رقم: ١٧١.

في الموضع المعروف بالعقبيّة ودرب الحتلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر ابن المنصور ، وفي بغداد يقول وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشيبية والصّبا ولبيست^١ ثوب العيش وهو جديد^٢
فإذا تمثّل في الضمير رأيت^٣ وعليه أغصان^٤ الشباب تميد^٥

وتوفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل أربع وثمانين ، وقيل ست وسبعين ومائتين ببغداد ، ودفن في مقبرة باب البستان ، وكان سبب موته ، رحمه الله تعالى ، أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش ، فدس عليه ابن فراس^١ ، فأطعمه خُسْكَناجحة مسمومة وهو في مجلسه ، فلما أكلها أحس بالسّم فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذي بعثني إليه ، فقال له : سلم على والدي ، فقال : ما طريقي على النار ؛ وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات . وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسّم ، فزعم أنه غلط في بعض العقاقير ؛ قال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه : رأيت ابن الرومي يجود بنفسه فقلت : ما حالك ؟ فأنشد :

غلط الطبيب^١ عليّ غلطة مؤرد^٢ عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون^٣ الطبيب وإنما غلط^٤ الطبيب إصابة المقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال لي :

أبا عثمان أنت حميد^١ قومك^٢ وجودك^٣ للعشيرة دون لومك^٤
تزوّد^٥ من أخيك^٦ فما أراه يراك^٧ ولا تراه^٨ بعد^٩ يومك^{١٠}

(123) وكان الوزير المذكور عظيم الهيبة شديد الإقدام سفاكا للدماء، وكان

١ ر : ابن فراس ؛ ل لي : فداس ، وأثبتنا ما في س والمسودة . ٢ فوقها في المسودة : «خطأ» .

الكبير والصغير منه على وجَلٍ ، لا يعرف أحدٌ من أرباب الأموال معه نعمة .
وتوفي الوزير المذكور عشية الأربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة
إحدى وتسعين ومائتين في خلافة المكتفي ، وعمره نيف وثلاثون سنة ، وفي
ذلك يقول عبد الله بن الحسن بن سعد :

شربنا عشية مات الوزيرُ سروراً ، ونشرب في ثلثه
فلا رحم الله تلك العظام ولا بارك الله في وارثه

وكان لهذا الوزير أخ يقال له أبو محمد الحسن ، فمات في حياة أبيه والوزير ،
فعمل أبو الحارث النوفلي ، وقيل البسامي وهو الأصح - وسيأتي ذكره
بعد هذا إن شاء الله تعالى - ثم رأيت في « الذيل » للسماعي في ترجمة علي
ابن مقلد بن عبد الله بن كرامة البواب أن أبا الحارث النوفلي قال : كنت أبغض
القاسم بن عبيد الله لمكروه نالني منه ، فلما مات أخوه الحسن قلت على لسان
ابن بسام ، وأنشد هذه الأبيات ، وقال السماعي قبل هذا الكلام : قال أبو
بكر الصولي النديم : وقد رأيت أبا الحارث هذا ، وكان رجلاً صدوقاً ، وهي هذه :

قل لأبي القاسم المرزاً قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابنٌ وكان زيناً وعاش ذو الشين والمعائب
حياةٌ هذا كموت هذا فلست تخلو من المصائب

وعمل آخر في المعنى أيضاً ولا أعرفه ، ثم وجدت هذه الأبيات له أيضاً ٢ :

قل لأبي القاسم المرزاً ونادِ يا ذا المصبتين
مات لك ابنٌ وكان زيناً وعاش شينٌ وأيُّ شين
حياةٌ هذا كموت هذا فالطم على الرأس باليدين

١ انظر الترجمة التالية رقم : ٤٦٤ .

٢ س : وله في المعنى أيضاً .

٣ س : المرجى .

البسامي الشاعر

أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ، الشاعر المعروف بالبسامي الشاعر المشهور ؛ كانت أمه أمانة ابنة حمدون النديم ، وروى عنه أبو بكر الصولي وأبو سهل بن زياد وغيرهما ، وكان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناً مطبوعاً في الهجاء ، لم يسلم منه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير ، وهجا أباه وإخوته وسائر أهل بيته ، فمن قوله في أبيه :

هَبْكَ عُمِّرْتَ عَمْرَ عَشْرِينَ نَسْرًا أَرَى أَنْتِي أَمُوتَ وَتَبْقَى
فَلَنْ عَشْتُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَوْمًا لِأَشَقَّنَ جَيْبَ مَالِكَ شَقًّا

وله :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلْبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ
لِلَّهِ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَلِهَوَاهُ لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تَبَاعُ
فَدَعِ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَاسْلُ عَنْ الْهَوَى مَا فِيكَ بَعْدَ مَشِيبِكَ اسْتِمَاعُ
وَانظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مَوَدِّعٍ فَلَقَدْ دَنَا سَفَرٌ وَحَانَ وَدَاعُ
وَالْحَادِثَاتُ مَوَكَّلَاتٌ بِالْفَتَى وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

٤٦٤ - ترجمته في الفهرست : ١٥٠ ومعجم الرزباني : ١٥٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٦٣ وهدايا والتحف : ١٣٩ ومعجم الادباء ٥ : ٣١٨ واللباب : (البسامي) ومروج الذهب ٤ : ٢٩٧ - ٣٠٤ وانظر اعتاب الكتاب : ١٨٨ والزرکشي ، الورقة : ٢٢٥ ، وله أيضاً ترجمة في الفوات ٢ : ١٦٧ وهو ما يحسن التنبيه له ، لأن الترجمة ثابتة في أصل ابن خلكان ، وهي هنا مطابقة للمسودة تماماً .

١ ر : أحمد .

٢ ابن نصر : سقطت من ر .

وله في الوزير ابن المرزبان ، وكان قد سأله برذوناً فمنعه إياه :

بخلتَ عني بمقرِفِ عَطِبِ فلن تراني ما عشتُ أطلبه
وإن تَقُلْ صنته فما خلق الله مصوناً وأنت تركبه
وله في أسد بن جهور الكاتب :

تعيَسَ الزمانُ لقد أتى بمعجَابِ^١ ومحا رسوم الظرف والآدابِ
وأتى بكتّابٍ لو انبسطتْ يدي فيهم رددتهم إلى الكُتّابِ
أوما ترى أسدَ بنَ جهورٍ قد غدا متشبهاً بأجلة الكُتّابِ
وله أيضاً^٢ :

وكانت بالصرّة لنا ليالٍ سرقناهن من ريبِ الزمانِ
جعلناهن تاريخَ الليالي وعنوانَ المسرة والأمانِ

وكان أبوه محمد بن نصر رجلاً مترفاً في نهاية السُرورِ وحسن الزي ، ظاهر
المروءة ، متخصصاً في هيئته ومطعمه وملبسه وتجميل داره .
ويحكى أن الوزير القاسم بن عبيد الله المذكور قبله دخل على المعتضد يوماً
وهو يلعب بالشطرنج وينشد قول ابن بسام هذا :

حياة هذا كموتِ هذا فلستَ تخلو من المصائبِ

وقد تقدم ذكر الأبيات الثلاثة ، ثم رفع المعتضد رأسه ، فنظر إلى الوزير^٣
فاستحيا منه ، فقال له : يا قاسم ، اقطع لسان ابن بسام عنك ، فخرج مبادراً
لقطع لسانه ، فبلغ ذلك المعتضد فاستدعاه وقال له : لا تعرض إليه بسوء ،
بل اقطعه بالبر والشغل ، فولاه البريد والجسر يجند قنيسرين والعواصم من
أرض الشام .

١ ر : بمعجائب .

٢ تأخر موضع البيتين في ل لي س فوقهما بعد الأبيات الميمية الآتية .

٣ لي : فإذا الوزير قائماً .

وتوفي ابن بسام المذكور في صفر سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، عن نيف وسبعين سنة .

وجده نصر بن منصور ممدوح أبي تمام^١ .

والعواصم : كورة متسعة بالشام قصبَتُها أنطاكية ، وذكرها المعري بقوله^٢ :

متى سألت بغدادُ عنِّي وأهلها فإنِّي عن أهل العواصم سأل

وإنما قال هذا لأن بلاده معرة النعمان من جملة العواصم .

وذكر الطبري في تاريخه أن هارون الرشيد عزل الثغور كلها عن بلاد الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً ، وسميت العواصم ، وذلك في سنة سبعين ومائة .

ولما هدم المتوكل على الله قبر الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنها ، في سنة ست وثلاثين ومائتين عمل البسامي :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتلَ ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بثله هذا لعمرُك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رَمياً

وكان المتوكل كثير التحامل على عليّ وولديه الحسن والحسين ، رضي الله عنهم أجمعين ، فهدم هذا المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به وأمر أن يُبذَر ويسقى موضع قبره ومنع الناس من إتيانه ، هكذا قال أرباب التواريخ ، والله أعلم .

ولابن بسام المذكور من التصانيف « أخبار عمر بن أبي ربيعة » ولم يستقص

١ انظر مديحه فيه (ديوانه ٢ : ٥٩) بقصيدة مطلعها : أطلال هند ساء ما اعتضت من هند ،
رفيها يقول :

نصر بن منصور بن بسام انفرى لنا شظف الأيام عن عيشة رغد

٢ شروح السقط : ١٢٥٣ .

أحد في بابه أبلغ منه ، وكتاب « أخبار الأحوص » وكتاب « مناقضات الشعراء » وكتاب « ديوان رسائله » وغير ذلك .

٤٦٥

القاضي التنوخي

أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هانيء ابن زيد بن عبيد بن مالك بن مريط بن سرح بن نزار بن عمرو بن الحارث بن صباح ابن عمرو بن الحارث ، وهو أحد ملوك تنوخ الأقدمين ، ابن فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن إلخاف بن قُضاعة ، التنوخي ، الأنطاكي ؛ كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم ، قال الثعالبي في حقه^١ : « هو من أعيان أهل العلم والأدب ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب بن عباد : إن أردت فإني سُبحة ناسك ، وإن أحببت فإني تفاحة فاتك ، أو اقتدرت فإني مدرعة راهب ، أو آثرت فإني تحية شارب » . وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صُرف عنه ورد حضرة سيف الدولة بن حمدان زائراً ومادحاً ، فأكرم مثواه وأحسن قِراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته . وكان الوزير المهلي وغيره من رؤساء^٢ العراق يميلون إليه ويتعصبون له ويعدون له ريجانة الندماء ، وتاريخ^٣ الظرفاء ، وكان في جملة الفقهاء والقضاة الذين ينادمون الوزير المهلي ، ويحتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في

٤٦٥ - ترجمته في معجم الادباء ١٤ : ١٦٢ والجواهر المضية ١ : ٣٧٢ ومعامد التنصيص ٢ : ١١ ، وذكر في طبقات المعتزلة : ١٣٢ ؛ والترجمة كاملة في المسودة .

١ اليقظة ٢ : ٣٣٦ .

٢ ر : وزراء .

٣ كذا وردت هذه اللفظة في جميع النسخ ، وربما كانت « وتاريخ » .

القَصْف والحلاعة ، وهم : القاضي أبو بكر ابن قريعة وابن معروف والتنوخي المذكور وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعُقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب فيه ألف مثقال ، مملوء شراباً قطربلياً أو عكبرياً ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ويرش بها بعضهم بعضاً ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخاتق المنثور والبرم ، فإذا أصبحوا عادوا كعادتهم في التوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء . وأورد من شعره قوله ١ :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدح من نهار
هواء ولكنهُ جامدٌ وماء ولكنهُ غيرُ جار
كان المدير لها باليمينِ إذا مالَ للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسينِ له فردٌ كم من الجلنار

وأورد له أيضاً ٢ :

بأبي حُسْنِك لو أش به منك صنيعُ
أنت بدرٌ ماله في فلكِ الوصل طلوعُ

وأورد له ٣ :

رِضاكَ شبابٌ لا يليه مشيبُ وسخطك داء ليس منه طيبُ
كانك من كلِّ النفوس مركَّبُ فأنت إلى كلِّ النفوس حبيبُ

وذكر له شيئاً كثيراً غير هذا .

١ اليقظة : ٣٣٩ .

٢ اليقظة : ٣٤٥ .

٣ اليقظة : ٣٤٥ .

٤ ر : أشياء كثيرة .

وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^١ : وقد عارض أبو القاسم التنوخي المذكور أبا بكر ابن دريد في مقصورته ، وذكر منها أبياتاً ، ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاة .

وقال غيره : حكى أبو محمد الحسن بن عسكر الصوفي الواسطي قال : كنت ببغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسة جالساً على دكة بباب أبرز للفرجة إذ جاء ثلاث نسوة فجلسن إلى جانبي ، فأنشدت متمثلاً :

هواة ولكنّه جامد وماء ولكنّه غير جار

وسكت^٢ ، فقالت إحداهن : هل تحفظ لهذا البيت تماماً ؟ فقلت : ما أحفظ سواه ، فقالت : إن أنشدك أحدٌ تماماً وما قبله ماذا تعطيه ؟ فقلت : ليس لي شيء أعطيه ، ولكنني أقبل فاه ، فأنشدتني الأبيات المذكورة ، وزادت بعد البيت الأول :

إذا ما تأملتها وهي فيه تأملت نوراً محيطاً بنارٍ
فهذا النهاية في الأبيضا وهذا النهاية في الاحرار

فحفظت الأبيات منها ، فقالت لي : أين الوعد ؟ تعني التقبيل ، أرادت مداعبتي بذلك^٣ .

وقال الخطيب^٤ : إنه ولد بأنطاكية يوم الأحد لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وقدم بغداد وتفقّه بها على مذهب الإمام أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، وسمع الحديث [وكان معتزلياً]^٥ . وقوفي بالبصرة يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله

١ مروج الذهب ٤ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، ومطلع مقصورة التنوخي :

لولا انتهائي لم أطع نبي النهى أي مدعى يطلب من جاز المدى

٢ وقال غيره ... بذلك : سقط من س ل ي ، وبعضه سهواً من ر ؛ وما هنا مطابق لما في أصل المؤلف .

٣ تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ .

٤ شطب هذا من المسودة ، وسقط من ر ، إذ إنه تكرار .

تعالى . ودفن من الغد في تربة اشترت له ، بشارع المِرْبَد - وسيأتي ذكر ولده
المحسن في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وكل واحد منها له ديوان شعر .

٤٦٦

الناشيء الأصغر

أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف ، المعروف بالناشيء الأصغر ، الحلاء
الشاعر المشهور ؛ هو من الشعراء المحسنين ، وله في أهل البيت قصائد كثيرة .
وكان متكلماً بارعاً ، أخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت
المتكلم ، وكان من كبار الشيعة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان جده وصيف
مملوكاً وأبوه عبد الله عطاراً . والحلاء : بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام ألف ،
وإنما قيل له ذلك لأنه كان يعمل حلية من النحاس^١ .
قال أبو بكر الخوارزمي : أنشدني أبو الحسن الناشيء بحلب لنفسه ، وهو
مليح جداً :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنما أخطئ بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ، ألم تكن مودته طبعاً فصارت تكلفا

ومضى إلى الكوفة في سنة خمس وعشرين وثلثمائة وأملى شعره بجامعها ،
وكان المتنبي وهو صبي يحضر مجلسه بها . وكتب من إملائه لنفسه من قصيدة^٢ :

كأن سنان ذابله ضميرٌ فليس عن القلوب له ذهابٌ

٤٦٦ - ترجمة الناشيء الأصغر في اليتيمة ١ : ٢٤٨ ومعجم الادباء ١٣ : ٢٨٠ ولسان الميزان ٤ :
٢٣٨ ؛ وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .

١ - وكان جده ... النحاس : سقط من س ل لي م ، وهو بهامش المسودة .

٢ - نسبها العكبري (١ : ٣٦١) لدعبل في مدح علي بن أبي طالب .

وصارمه كبيعته بجمّ مقاصدُها من الخلق الرقابُ
فنظم المتنبي هذا وقال^١ :

كأن الهام في الهيجا عيونٌ وقد طُبعت سيفك من رقاد
وقد صُغتَ الأسنّة من هموم فما يخطرُن إلا في فؤاد^٢

وكان قد قصد حضرة سيف الدولة بن حمدان بجلب ، ولما عزم على مفارقتة ،
وقد غمره بإحسانه ، كتب إليه يودعه :

أودّع لا أني أودّع طائعا وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن ألفت بالنفس راجعا
تحملت عنا بالصنائع والملا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضراً يانعا

ومن شعره أيضاً ، عزاها إليه الثعالبي ، ثم عزاها إلى أبي محمد ابن المنجم^٣ :

إذا لم تنل همّ الأكرمين وسميهمُ وادعاً فاغترب
فكم دعةً أتعبت أهلها وكم راحة ننتجت من تعب

وله أيضاً :

إني ليهجرني الصديقُ تجنياً فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف إن عاتبتهُ أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بليتُ ييهاهل متغافل يدعو المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوتَ وربما كان السكوتُ عن الجواب جواباً

١ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٢ ومضى ... فؤاد : سقط من س ل لي .

٣ البيهقي : ١ ، ٢٤٨ ، ٣ : ٣٩٤ .

٤ هنا تنتهي الترجمة في ل .

وفي أشعاره مقاصد جميلة .
وتوفي سنة ست وستين وثلثائة ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي يوم الاثنين
لخمس خلون من صفر من سنة خمس وستين ببغداد . ومولده في سنة إحدى
وسبعين ومائتين .

٤٦٧

الزاهي الشاعر

أبو القاسم علي بن إسحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاهي الشاعر المشهور؛
كان وصافاً محسناً كثير الملح ، ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »^١ فقال :
إنه حسن الشعر في التشبيهات وغيرها ، وأحسب شعره قليلاً ، وأشار إلى أنه
كان قَطَّاناً ، وكانت دكانه في قطعة الربيع .
وذكره عميد الدولة أبو سعد ابن عبد الرحيم^٢ في « طبقات الشعراء » فقال :
ولد يوم الاثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ثمانى عشرة وثلثائة ، وتوفي يوم
الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلثائة^٣ ببغداد ،
ودفن في مقابر قريش ؛ وشعره في أربعة أجزاء ، وأكثر شعره في أهل البيت ،
ومدح سيف الدولة والوزير المهلبى وغيرهما من رؤساء وقته ، وقال في جميع
الفنون ؛ وذكر له :

صدودك في الهوى هتاك استتاري وعاونه البكاء على اشتهاري

٤٦٧ - ترجمته في اليتيمة ١ : ٢٤٩ والمنتظم ٧ : ٥٩ ؛ وما أثبتناه هنا مطابق لما في المسودة .

١ تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٠ .

٢ هو محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير (- ٣٨٨) وزر عدة مرات لجلال الدولة (راجع صفحات متفرقة من تاريخ ابن الاثير ج : ٩) .

٣ في تاريخ بغداد أنه توفي بعد سنة ستين وثلثائة وذكره مؤلف المنتظم في وفيات إحدى وستين وثلثائة .

ولم أخلع عذارى فيك إلا لما عاينتُ من حسن العذارِ
وكم أبصرت من حسنٍ ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري
وللزاهي المذكور في تشبيه البنفسج :

ولازَ وَرَدِيَّةٍ أوفت بزُرقتها بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت
وله :

ومدامةٍ لضيائها في كأسها نورٌ على فلِكَ الأنامل بازغُ
رقتُ وغاب عن الزجاجة لطفها فكأنما الإبريق منها فارغُ
ومن محاسن شعره قوله :

وبيضٍ بألحاظ العيون كأنما هززن سيوفاً واستلان خناجرا
تصدّين لي يوماً بمنعراج اللوى فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بُدوراً وانتقبن أهلة ومسنن غصوناً والتفتن جاذرا
وأطلعن في الأجياد بالدر انجماً جعلن لحبات القلوب ضراثرا

وهذا تقسيم عجيب ، وقد استعمله جماعة من الشعراء ، لكنهم ما أتوا به
على هذه الصورة ، فإنه أبداع فيه ، وهو مثل قول المتنبي^٢ :

بدت قمراً ومالت خُوطَ بان وفاحت عنبراً ورتت غزالا
وذكر الثعالبي لبعض شعراء عصره على هذا الأسلوب في وصف مغنٍّ :
فديتك يا أتم الناس ظرفاً وأصلحهم لتخذ حبيبا

١ ر : كأنها فوق طاقات شغفن بها ؛ م : كأنها وضعا القضب تحملها .

٢ ديوان المتنبي : ١٢٩ .

فوجهك نزهة الأبصاراً حُسناً وصوتك مُتَّعَةً الأسماع طيباً
وسائلة تسائل عنك قلْنَا لها في وصفك العَجَبَ العجيباً
رنا ظيباً وغنّى عِنْدَ لَيْبَاً ولاح شقائقاً ومشَى قضيباً
ولولا خوف التطويل لذكرت له نظائراً^٢ .
وللزاهي أيضاً :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ عِذَارِي قَمَرٍ عَرَّضَ الْقَلْبَ لِأَسْبَابِ التَّلْفِ
عَلِمَ الشُّعْرَ الَّذِي عَاجَلَهُ أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوْقَ

والزاهي : بفتح الزاي وكسر الهاء بعد الألف ، قال السمعي^٣ : هذه النسبة
إلى قرية من قرى نيسابور ، ونسب إليها جماعة ، ثم قال : وأما أبو الحسن علي
ابن إسحاق بن خلف الشاعر البغدادي المعروف بالزاهي فلا أدري نسب إلى هذه
القرية أم لا ، غير أنه بغدادي ، وكان حسن الشعر .

٤٦٨

علي بن المنجم

أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ؛ كان نديم المتوكل على الله
ومن خواصه وجلسائه المتقدمين عنده ، ثم انتقل إلى مَنْ بعده من الخلفاء ، ولم

١ ر : روضة الازهار .

٢ زاد في س ل لي : وتوفي الزاهي بعد سنة ستين وثلاثمائة ببغداد ، وهو مشطوب في المسودة .

٣ الأنساب ٦ : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

٤ اسم القرية أزاه ويقال لها الزاه أيضاً .

٤٦٨ - ترجمته في الفهرست : ١٤٣ ومعجم المرزباني : ١٤١ والاعاني ٨ : ٣٦٩ ، ٢٢ ، ١٥٧
ومعجم الادباء ١٥ : ١٤٤ وسقط اللآلي : ٥٢٥ ؛ وهذه الترجمة متابعة للمسودة ، والنص كله
واقع في حاشيتها .

يزل مكيناً عندهم حَظِيماً لديهم يجلس بين يدي أسرتهم ويفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم، ولم يزل عندهم في المنزلة العلية. وكان قبل اتصاله بالخلفاء يلوذ بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبى، ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب أكثرها حكمة، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزائنه. أضعافاً مضاعفة مما لم تشتمل عليه خزائنه. وكان راوية للأشعار والأخبار حاذقاً في صنعة الغناء، أخذ عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وشاهده، وصنف عدة كتب منها كتاب « الشعراء القدماء والإسلاميين » وكتاب « أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي » وكتاب في الطبخ، وغير ذلك. وكان شاعراً محسناً، فمن شعره قوله في الطيف :

بأبي والله من طَرَقا كابتسام البرق إذ خَفَقا
 زادني شوقاً برؤيته وحشا قلبي به حُرَقا
 من لقلب هائم كَلِفِ كلما سكنته خَفَقا
 زارني طيفُ الحبيب فما زاد أن أغرى بي الأرقا

وله أشعار حسان، وعاش إلى أن خدم المعتمد على الله وتوفي في أواخر أيامه، وذلك في سنة خمس وسبعين ومائتين بسر من رأى، رحمه الله تعالى، وخلف جماعة من الأولاد، وكلهم نجباء علماء ندماء - وسيأتي ذكر بعضهم في مواضعهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

علي بن هارون المنجم

أبو الحسن علي بن أبي عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم الشاعر المشهور ؛ ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء وندماء الخلفاء والوزراء ، وله مع صاحب ابن عباد مجالس ، وفي تشريفه يقول صاحب :

لبنى المنجم فطنةٌ لهيئة^١ ومحاسن عجميةٌ عربيةٌ
مازلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عرفت بشدة العصية^٢
ولأبي الحسن المذكور أشعار نادرة ، وما يتغنى به من شعره قوله :

[بيني وبينك في الهوى أسبابٌ وإلى الهبة ترجع الأنساب]^٣
بيني وبين الدهر فيك عتابٌ سيطول إن لم يحه الإعتاب
يا غائباً بوصاله وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجا لتقطعت نفسٌ عليك شعارها الأوصاب
لا يأس^٤ من رَوْح الإله فرمبا يصلُ القَطوعُ وتحضرُ الغُياب

وكتب إلى ابن الخوارزمي وقد وثت رجله من عثرة لحقته :

كيف نال العثارُ من لم يزل منه^٥ مُقبلاً في كل خطب جسيم

٤٦٩ - ترجمته في الفهرست : ١٤٤ ، واليتيمة ٣ : ١١٩ ، ومعجم المرزباني : ١٥٦ ، ومعجم الادباء

١٥ : ١١٢ ؛ وقد اختلطت هذه الترجمة في ر والتي قبلها .

١ كذا ضبطها المؤلف - بفتح اللام والهاء - أي فطنة متوقدة كاللهب ، ولعل الصواب بكسر اللام

وإسكان الهاء نسبة إلى بني لهب وهم قوم عرفوا بالزجر ، وإلهم يشير الشاعر بقوله :

خير بنو لهب فلا تك ملغياً مقالة هي إذا الطير مرت

٢ لم يرد البيت في المسودة وس ل ي م .

٣ في المسودة : لا تأس .

أو ترقى الردى إلى قدم لم تَخْطُ إلا إلى مقام كريم

وأشعاره ونوادره كثيرة .

وله من التصانيف كتاب « شهر رمضان » عمله للإمام الراضي ، وكتاب « النيروز والمهرجان » وكتاب « الرد على الخليل » في العروض ، وكتاب ابتداء فيه بنسب أهله ، عمله للوزير المهلبى ولم يتمه ، وكتاب رسالته في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي في الغناء وكتاب « اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط » وهو يعارض كتاب أبي الفرج الأصبهاني الذي سماه « الفرق والعيار بين الأوغاد والأحرار » . وهو ولد صاحب كتاب « البارح في اختيار شعر المحدثين » - وسيأتي ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى - وحفيد أبي الحسن المذكور قبله .

وكانت ولادته لتسع خلون من صفر سنة ست ، وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين . وتوفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وكان يخضب إلى أن توفي .

٤٧٠

أبو الفتح البستي

أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البُستي الشاعر المشهور؛ صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسيس ، فمن ألفاظه البديعة قوله : من أصلح فاسده ، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضع أدبه . عادات السادات ،

٤٧٠ - ترجمته في الأنساب ٢ : ٢٢٦ واليتيمة ٤ : ٣٠٣ والمنتظم ٧ : ٧٢ (وفيات سنة ٣٦٣)
وتاريخ الحكماء للبيهقي ٩ : ٤٩ وطبقات السبكي ٤ : ٤ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢١٢ والبداية
والنهاية ١١ : ٢٧٨ والشذرات ٣ : ١٥٩ وعبر الذهبي ٣ : ٧٥ .

سادات العادات . من سعادة جَدِّكَ ، وقوفك عند حدك . الرشوة رشاء
 الحاجات . أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً ، وعلى السلطان مذلاً . الفهم
 شعاع العقل . النية تضحك من الأمانة . حد العفاف ، الرضا بالكفاف .
 ما لخرق الرقيع ترقيع .
 ومن نادر شعره قوله :

إن هز أقلامه يوماً ليُعملها أنساك كل كميّ هز عامله
 وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له
 وله ١ :

وقد يلبس المرء حرّ الثياب ومن دونها حالة مُضنيّه
 كمن يكتسي خدّه حُمْرةً وعلتها ورَمٌ في الريه
 وله :

إذا تحدثتَ في قوم لتؤنسهم بما تُحدثُ من ماضٍ ومن آتٍ
 فلا تُعدّ حديث إن طبعهم مُوكل بمعاودة المعاداتِ
 وله ٢ :

تحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطمعُ
 وأنسى له خلُوق واحد وفيه طبائعه الأربع^٣

وللبستي حين تغيّر عليه السلطان ، وهو معنى بديع :

قل للأمير أدام ربي عزّه وأناله من فضله مكنونه

١ سقط البيتان التاليان من ر .

٢ سقط البيتان التاليان من لي .

٣ جاء في حاشية من زيادة من غير الاصل ، وهي قول البستي :

عزلت ولم أذنب ولم أك جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلاف
 حذفه وغيري مثبت في مكانه كأنني نون الجمع حين تضاف

إني جنيتُ ولم يزل أهل النهى يهبون للخدام ما يجنونه
ولقد جمعتُ من العميون فنونها فاجمع من العفو الكريم فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه عن ذنبه فليعفُ عن دونه
وله أيضاً :

إذا أحسست في لفظي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان
فلا ترتبْ بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان

هكذا قاله في « زهر الآداب »^١ ، والله أعلم^٢ .

وشعره كثير في التجنيس وغيره .

وتوفي سنة أربعمائة ، وقيل سنة إحدى وأربعمائة ببخارى ، والله أعلم ،
رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على البُستي في ترجمة الخطابي ، ورأيت في أول ديوانه أنه
أبو الفتح علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز الكاتب الشاعر ،
والله أعلم .

٤٧١

التهامي الشاعر

أبو الحسن علي بن محمد التهامي الشاعر المشهور ؛ قال ابن بسام الأندلسي في
كتاب « الذخيرة » في حقه : كان مشتهراً بالإحسان ، ذربَ اللسان ، مخلّى بينه

١ زهر الآداب : ١٥٤ وانظر المختار من شعر بشار : ٢١٥ .

٢ وللبستي حين تغير ... أعلم : انفردت به ر ، وفي موضعه في المسودة إحالة على « تخريجة » .

٤٧١ - ترجمته في تنمة اليتيمة ١ : ٣٧ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٣ وعبر الذهبي ٣ : ١٢٢
والشذرات ٣ : ٢٠٤ وانظر بروكلمان ، التكملة ١ : ١٤٧ ؛ وقد أورد المؤلف إضافات كثيرة
في هوامش المسودة سقطت جميعها من س ل لي ؛ وكانت الترجمة هنا مطابقة للمسودة تماماً .

وبين ضروب البيان ، يدل شعره على فوز القِدْح ، دلالة برْد النسيم على الصبح ،
ويُعْرَب عن مكانه من العلوم ، إعرابَ الدمع عن سر الهوى المكتوم .
قلت : وله ديوان شعر صغير أكثره نُخَب . ومن لطيف نظمه قوله من
جملة قصيدة طويلة مدح بها الوزير أبا القاسم ابن المغربي - المقدم ذكره في
حرف الحاء^١ :

قلت لخلِّي وثغورُ الربا مبتسمات وثغور الملاح^٢
أيهما أحلى ترى منظراً فقال : لا أعلم ، كلُّ أقاح

ومثل هذا ما ينسب إلى ابن سناء الملك - الآتي ذكره - وهو^٣ :

فتحيرتُ أحسبُ الثغرَ عقداً لسلمي وأحسب العقد ثغرا
فلثمت الجميع قطعاً لشكي وكذا فعل كل من يتحرّى

وله في المديح وقد بالغ فيه :

أعطى وأكثر فاستقلَّ هباته فاستحييت الأنواء وهي هواملُ
فاسمُ السحاب لديه وهو كنهورُ آلُ ، وأسماء البحور جداولُ

وله مرثية في ولده ، وكان قد مات صغيراً ، وهي في غاية الحسن ولم ينعني
من الإتيان بها إلا أن الناس يقولون : إنها محدودة ، فتركتها ، لكن من جملتها
بيتان في الحساد ومعناها غريب فأثبتهما^٤ :

إني لأرحم حاسديَّ حرّاً ما ضمت صدورهم من الأوغارِ
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة ، وقلوبهم في نارِ

١ انظر الترجمة رقم : ١٩٣ .

٢ ديوان التهامي : ١٣ .

٣ ديوان ابن سناء الملك : ١٩ .

٤ القصيدة في ديوانه : ٢٧ - ٣٢ .

ومنها في ذم الدنيا :

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقداء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار
ومنها :

جاورت أعدائي وجاور ربه شتآن بين جواره وجواري
وتلهبُ الأحشاء شيبَ مفرقي هذا الشعاع شواظُ تلك النارِ
ومعنى البيت الأخير مأخوذ من قول أبي نصر سعيد بن الشاه ، وهو :

قالت اسودَّ عارضاك بشعرٍ وبه تقبح الوجوه الحسانُ
قلت أشعلت في فؤادي ناراً فعلى وجنتي منه دخانُ

وله من جملة قصيدة طويلة^١ :

كم قلتُ إياك الحجازَ فإنه ضريتُ جآذره بصيد أسوده
وأردتُ صيدَها الحجازِ فلم يسأ عدك القضاء فصرت بعض صيوده
ومن شعره المشهور قوله :

بين كريمين مجلسٌ واسعٌ والودُّ حال يقربُ الشاسعُ
والبيت إن ضاق عن ثمانية متسعٌ بالوداد للتاسعُ

وله بيت بديع من جملة قصيدة وهو^٢ :

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى طراً فلا تتعب على أولاده

١ ديوانه : ٦٥ .

٢ ديوانه : ٦٣ .

وكان التهامي المذكور قد وصل إلى الديار المصرية مستخفياً ، ومعه كتب كثيرة من حسّان بن مفرج بن دغفل البدوي وهو متوجه إلى بني قرة ، فظفروا به ، فقال : أنا من بني تميم ، فلما انكشفت حاله عرف أنه التهامي الشاعر ، فاعتقل في خزانة البنود ، وهو سجن بالقاهرة المحروسة ، وذلك لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وأربعمائة ، ثم قُتل سرّاً في سجنه في تاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى . وكان أصفر اللون ، هكذا نقلته من بعض تواريخ المصريين ، وهو مرتب على الأيام ، قد كتب مؤلفه كل يوم وما جرى فيه من الحوادث ، رأيت منه مجلداً واحداً ، ولا أعلم كم عدد مجلداته . وبعد موته رآه بعض أصحابه في النوم ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقال : بأي الأعمال ؟ فقال : بقولي في مرثية ولدي الصغير :

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

والتهامي : بكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى تهامة ، وهي تنطلق على مكة ، حرسها الله تعالى ، ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : تهامي لأنه منها ، وتنطلق أيضاً على جبال تهامة وبلادها ، وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ، ولا أعلم هل نسبة هذا الشاعر إلى مكة أم إليها ، والله أعلم .

ابن نوبخت

أبو الحسن علي بن أحمد بن نُوْبَخْتِ الشاعر ؛ كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان قليل الحظ من الدنيا ، لم يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة ، وتوفي بمصر في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة ، وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة ، رحمه الله تعالى ؛ وكفَّنه ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر .

(124) وهذا ابن خيران^١ كان متولي كتب السجلات عن الظاهر بن الحاكم صاحب مصر ، وله ديوان شعر أيضاً صغير الحجم ومن شعره البيتان المشهوران وهما :

سعى إليك بي الواشي فلم ترني أهلاً لتكذيب ما ألقى من الخبر
ولو سعى بك عندي في الذِّكْرِ كَرِي طيفُ الخيال لبعثُ النوم بالسهر

قلت : ويقرب من هذا المعنى قول أبي عبد الله الحسين بن القمِّ اليميني الشاعر المشهور صاحب الرسالة المشهورة^٢ من جملة أبيات ، وهو قوله^٣ :

أنبتت أنك قد أتتك قوارضٌ عني ثنتك على الضمير الواحد
عملت رقى الواشين فيك وإنما عندي لتضرب في حديد بارد

والأصل في هذا كله قول عبد الله بن الدمينة الخثعمي الشاعر المشهور

٤٧٢ - هذه الترجمة مطابقة لنص المسودة .

١ ترجمته في معجم الأدباء ٢ : ٥ والروافي ٧ : ٢٣٤ .

٢ لابن القمِّ ترجمة في الخريدة (٣ : ٧٤ ، قسم الشام) ومعجم الأدباء ١٠٠ : ١٣٠ والفوات ١ : ٢٧٨ ورسالته المشار إليها كتبها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن مظفر الصليحي بعد انفصاله عنه .

٣ انظر الخريدة : ٨٢ وهما من قصيدة في مدح عبد الواحد بن بشار .

المعروف بنائحة العرب من جملة قصيدته البائية المشهورة ، وهو قوله^١ :

وكوفي على الواشين لءاء شَغْبَة^٢ كما أنا للواشي ألدُّ شغوبُ

ونُوبخت : بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها^٣ .

وإنما ذكرت ابن خيران في هذه الترجمة ، ولم أفرده بترجمة ، لأنني لم أقف على تاريخ وفاته ، وقد التزمت في هذا الكتاب ذكر أرباب الوفيات ، ثم إنني وجدت في كتاب « طبقات الشعراء » تأليف الوزير أبي سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الملقب عميد الدولة ترجمة ولي الدولة ابن خيران المذكور ، وذكر له شعراً وقال : كان شاباً حسن الوجه ، ورد الخبر بوفاته في شهر رمضان من سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان وقوفي على هذا الفصل في أواخر سنة خمس وسبعين وستائة بالقاهرة^٤ ، والله أعلم .

٤٧٣

صريح الدلاء

أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي ، المعروف بصريح الدلاء قتيل الغواشي ذي الرقاعتين الشاعر المشهور ؛ ذكره الرشيد أبو الحسين أحمد بن الزبير المذكور في حرف الهمة في كتاب « الجنان » ، فقال : « كان يسلك في

١ ديوان ابن الدمينية : ١١٢ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س ل ي م .

٣ ورد هذا في المسودة ، وهو يدل على أنها الصورة النهائية التي أرادها المؤلف لكتابه .

٤٧٣ - ترجمته في عبر الذهبى ٣ : ١١٠ (باسم محمد) والشذرات ٣ : ١٩٧ (ملخصة عن ابن خلكان) ، وسماء في تمة اليتيمة (١ : ١٤) محمد بن عبد الواحد أيضاً وقال : إنه بصريّ المولد والمنشأ إلا أنه استوطن بغداد ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

شعره مسلك أبي الرقعق^١ ، وله قصيدة في المجون ختمها بيت لو لم يكن له في الجد سواه لبلغ به درجة الفضل وأحرز معه قَصَبَ السبق وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلبُ على حال سوا

وقدم مصر سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ومدح الظاهر لإعزاز دين الله ؛ انتهى كلام ابن الزبير .

ورأيت في نسخة من ديوان شعره أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصّار البصري ، والله أعلم بالصواب^٢ . وكانت وفاته في سابع رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، فجأة ، من شرقة لحقته عند الشريف البطحاني ، وغالب ظني أنه توفي بمصر ، رحمه الله تعالى ، لأني نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة التهامي ، ومبناه على الحوادث الكائنة بمصر يوماً فيوماً ، ويؤيد ذلك أن ابن الزبير قد ذكر أنه قدم مصر في سنة اثنتي عشرة ، وهي السنة التي توفي فيها ، والله أعلم .

وفيه قال أبو العلاء المعري^٣ :

دعيتَ بصارعٍ فتداركتهُ مبالغةً فرُدَّ إلى فصيل

كان طلب منه شراباً وما يليق به ، فسير له قليل نفقة ، واعتذر بهذه الأبيات .

١ ترجم له المؤلف في المجلد الاول : ١٣١ (رقم : ٥٤) .

٢ ديوانه بمكتبة أحمد الثالث رقم : ٢٤٥٠ .

٣ شروح السقط : ١١٤١ وأول القصيدة :

تفهم يا صريع البين بشري أتت من مستقل مستقيل

ولم يعرف شراح الديوان من هو الشاعر المعني وقالوا هو رجل يلقب بصريع البين .

صردر الشاعر

الرئيس أبو منصور علي بن الحسن^١ بن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر^٢ الشاعر المشهور ؛ أحد نجباء شعراء عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وعلى شعره طلاوة رائقة وبهجة فائقة ، وله ديوان شعر وهو صغير ، وما أطف قوله من جملة قصيدة^٣ :

نسائل عن ثماماتٍ مجزّوى وبان الرّمْلِ يَعْلَم ما عنيْنا
فقد كشف الغطاء فما نبالي أصرّحنا بذكرك أم كنتينا
ولو أني أنادي يا سُلَيْمى لقالوا ما أردت سوى لُبَيْنى
ألا لله طيفٌ منك يسقي بكاسات الكرى زُوراً وميْنا
مَطِيَّتُهُ طوال الليل جفني فكيف شكاك إليك وجى وأينا
فأمسينا كأننا ما افترقنا وأصبَحنا كأننا ما التقينا

وقوله في الشيب :

لم أبك أن رحل الشباب ، وإنما أبكي لأن يتقارب المعاد

٤٧٤ - ترجمته في عبر الزهبي ٣ : ٢٥٩ والشذرات ٣ : ٣٢٢ (تلخيصاً عن ابن خلكان) والمنتظم ٨ : ٢٨١ وتاريخ ابن الاثير ١٠ : ٨٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٤ ؛ وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمة .

١ ر : الحسين ، وكذلك ورد في بعض المصادر المذكورة آنفاً .

٢ شكله المؤلف في الاصل بضم الصاد .

٣ وردت هذه المقطوعة وما يليها في ديوانه : ٩١ ، ٢١٦ - ٢١٧ .

٤ الديوان : الردى .

٥ الديوان : الدهر .

شعر الفتي أوراقه ، فإذا ذوى جفت على آثاره الأعوادُ

وله في جارية سوداء ، وهو معنى حسن :

علقتها سوداءً مصقولةً سوادُ قلبي صفةً فيها
ما انكسفَ البدرُ على تيمه ونوره إلا ليحكيها
لأجلها الأزمانُ أوقاتُها مؤرخات بلياليها

وإنما قيل له « صردر » لأن أباه كان يلقب « صربعر » لشحه ، فلما نبغ
ولده المذكور وأجاد في الشعر قيل له : صردر ، وقد هجاه بعض شعراء وقته
وهو الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر - وسيأتي ذكره إن
شاء الله تعالى :

لئن لقتبَ الناسُ قديماً أباك وسموه من شحه صرّاً بعرا
فإنك تنثر ما صرّة عقوقاً له وتسميه شعرا

ولعمري ما أنصفه هذا الهاجي ، فإن شعره نادر ، وإنما العدو لا يبالي
بما يقوله .

وكانت وفاة صردر في سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكان سبب موته أنه
تردى في حفرة حفرت للأسد في قرية بطريق خراسان . وكانت ولادته قبل
الأربعمائة - وسيأتي ذكره في ترجمة الوزير فخر الدولة بن جهير^٣ ، واسمه محمد ،
وله هناك شعر بديع .

١ الديوان : حياء .

٢ شكلها المؤلف هنا بفتح الصاد ، ووردت في لي بضمها .

٣ كرر في المسودة لفظة « الوزير » في هذا الموضع أيضاً .

الباخرزي

أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخريّ الشاعر المشهور ؛ كان أوحده عصره في فضله وذهنه ، والسابق إلى حيازة القصب في نظمه ونثره . كان في شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، واختصّ بملازمة درس الشيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين ، ثم شرع في فن الكتابة ، واختلف إلى ديوان الرسائل ، وارتفعت به الأحوال وانخفضت ، ورأى من الدهر المعائب سفراً وحضراً ، وغلب أدبه على فقهه ، فاشتهر بالأدب وعمل الشعر ، وسمع الحديث ، وصنف كتاب « دُمِيَّة القَصْر وعَصْرَة أهل العصر » وهو ذَيْلٌ « بَيْتِيَّة الدهر » التي للثعالبي ، وجمَعَ فيها خلقاً كثيراً . (125) وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً سماه « وشاح الدمية » وهو كالذيل له ، هكذا سماه السمعاني في « المذيل » ، وقال العماد في « الخريدة » : هو شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي ، والله أعلم ، وذكر أشياء من شعره ، فمن ذلك :

يا خالق الخلق حملت الوري لما طغى الماء على جارية
وعبدك الآن طغى ماؤه في الصُّلب فاحمله على جارية

٤٧٥ - ترجمته في الانساب ٢ : ١٧ واللباب : (الباخري) وعبر الذهبي ٣ : ٢٦٥ والشذرات ٣ : ٣٢٧ (تلخيصاً عن ابن خلكان) وطبقات السبكي ٣ : ٢٩٨ . وكتابه المنشور باسم « دمية القصر » مختصر للكتاب الأصلي ولعل مخطوطة رئيس الكتاب (رقم : ٧٩٥) تمثل النسخة الكاملة ؛ وفي آخر المطبوعة ملقط من ديوانه ، ولكن له ديواناً كاملاً ، انظر : أحمد الثالث رقم : ٢٦٤٣ ، وهناك مختارات من ديوانه (آيا صوفيا : ٣٧٦٧) ؛ قلت : وترجمته المثبتة هنا مستوفاة في المسودة .

رجعنا إلى الباخريزي :

وديون شعره مجلد كبير والغالب عليه الجودة ، فمن معانيه الغريبة قوله :

وإني لأشكو لسع أصداعك التي عقاربها في وجنتيك تحومُ
وأبكي لدر الثغر منك ولي أبُ فكيف يُديم الضحك وهو يَتمُ
ومن قوله في شدة البرد :

كم مؤمن قرصته أظفار الشتا ففدا لسكتان الجحيم حسودا
وترى طيور الماء في وكناتها تختار حرّ النار والسقودا
وإذارميت بفضل كأسك في الهوى عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملها حرق لنا عوداً وحرك عودا
وقوله من جملة أبيات :

يا فالتق الصبّح من لآء غرته وجاعل الليل من أصدغه سكتنا
بصورة الوثن استعبدتني ، وبها فتنتني ، وقديماً هجت لي شجنا
لاغرو أن أحرقت نار الهوى كبدي فالنار حق على من يعبد الوثنا
ومن المنسوب إليه ، والله أعلم :

وإذا بكيتُ دماً تقول شمتٌ بي يوم النوى فصبغت دمعك أحمرأ
من شاء أمنحه الغرام فدونه هذي خلائقها بتحير الشرى

هكذا أنشدنيها بعض المتأدبين والمهدة عليه في ذلك^٢ .

وقتل الباخريزي في مجلس الأندلس بباخريزي^٣ في ذي القعدة سنة سبع وستين

١ فوقها في المسودة : بسور ، وكذلك وردت في ل س .

٢ ومن المنسوب ... ذلك : لم يرد إلا في حاشية المسودة .

٣ ر : وقاتل الباخريزي في الأندلس ، وما كنا لنشير إليه وهو خطأ بين لولا أنه ورد كذلك في شذرات الذهب .

وأربعمائة ، وذهب دمه هدراً ، رحمه الله تعالى .
وباخْرُزُ : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف خاء موحدة مفتوحة ثم راء
ساكنة وبعدها زاي ، وهي ناحية من نواحي نيسابور تشتمل على قرى ومزارع ،
خرج منها جماعة من الفضلاء وغيرهم .

٤٧٦

ابن أفصح الشاعر

جمال الملك أبو القاسم علي بن أفصح العبسي الشاعر المشهور ؛ شاعر ظريف
حسن المديح كثير الهجاء ، مدح الخلفاء فمن دونهم من أرباب المراتب ، وجاب
البلاد ولقي رؤساءها وأكابرها ، رأيت ديوانه في مجلد وسط وقد جمعه بنفسه
وعمل له خطبة ووقفاته ، وذكر عدد ما في كل قافية من بيت ، واعتنى بأمره
وهذبه ، نقلت منه قوله يخاطب محبوبه :

يا جاهلاً قدرَ المحبة ساءني ما ضاع من كلّفي ومن تبريحي
سيّانٍ عندك مُغرَمٌ بك هائمٌ وخليُّ قلبٍ فيك غير قريح
لو كنتُ أعلمُ أن طبعك هكذا لم أعصِ يوم نُصِحتُ فيك نصيحي
ما كان في عزمي السلوُّ وإنما ألزمتنيهِ بكثرة التقيح
وله في غلام ناقص الجمال :

وما عشقي له وحشاً لأنني كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرّتُ أن أهوى مليحاً وكل الناس يهوون المليحا

٤٧٦ - ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٥٢ والمتنظم ١٠ : ٨٠ (وفيات ٥٣٣) ومراة
الزمان : ١٦٩ وتاريخ ابن الأثير ١١ : ٨٠ (وفيات ٥٣٥) .

ولابن المعتز في هذا المعنى أيضاً ، أي في ناقص الجمال :

قليّ ميّال إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهم بالحسن كما ينبغي ويرحم القُبْح فيهواه

ومن أبياته السائرة المشهورة من جملة أبيات قوله :

بيننا يوم أثيلات منى كان عن غير تراضٍ بيننا

[ولبعض المتأخرين في المعنى الأول :

أنا لا أعشق من يه شقه كل الأنام
وأعافُ المنهلَ العذ بَ لبغضي في الزحام] ٢

وله في غلام أعرج ، أي لابن أفلح المذكور :

بأبي من رأيتَه يتثنى فهو من لِينِه يحلُّ ويُعقَدُ
حسدوه على الجمال فقالوا أعرجُ والمليحُ ما زال يحسد
هو غصنٌ والحسنُ في الغصنِ لنا عم ما كان مائلاً يتأوّد

وله في بعض الرؤساء ، وقد وصل إلى بابه ، فمنعه البواب من
الدخول إليه ٣ :

حدث بوابك إذ ردني وذمّهُ غيري على رده
لأنه قلدي نعمة تستوجب الإغراق في حده
أراحي من قبح مكثفك لي وكبرك الزائد في حده

[وأورد له الحظيري في « زينة الدهر » :

١ ومن أبياته ... بيننا : ورد في المسودة والنسخة رفقة .

٢ انفردت ربما حصر بين ممقنين .

٣ الخريدة : ٦٧ .

لا غروَ من جزعي لبينهمُ يومَ النوى وأنا أخو الفهمِ
فالقوسُ من خشبِ تثنُ إذا ما كلفوها فرقة السهمِ

وقال وقد وعده رجل بدرياق وتأخر عنه :

لا غرو أن أخلف ميعاده من لم يجد قطُّ ولم يكرمِ
وإنما الأعجبُ منه أنا أن أطلبَ الدرياق من أرقمِ [١]

وله نوادر كثيرة .

وتوفي يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وثلاثين وخمسة ، وعمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وكانت وفاته ببغداد ، ودفن بالجانب الغربي بمقابر قريش ، رحمه الله تعالى .

وأفصح : بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح اللام وبعدها حاء مهملة .

والعبسي : بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى عبس ، وهو اسم لعدة قبائل ، ولا أعلم إلى أيها ينسب المذكور ، وهو يتصحف بالعنسي ، مثل الأول لكن بدل الباء نون ، وهي قبيلة أيضاً .

٤٧٧

ابن مسهر الموصلي

أبو الحسن علي بن أبي الوفاء سعد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد بن عبد القاهر بن أحمد بن مسهر الموصلي ، الملقب مهذب الدين ؛ كان شاعراً بارعاً رئيساً مقدماً ، تنقل في أكثر ولايات الموصل ومدح الخلفاء والأمراء ؛ رأيت

١ ما بين معقنين زيادة من ر .

٤٧٧ - ترجمته في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٢٧١ .

ديوان شعره في مجلدين^١ ، وذكر في ديوانه أنه ولد بمدينة آمد ، ومن محاسن شعره قوله في صفة فهد :

[وكل أهرتَ بادي السخطِ مطرَحِ ١
والشمس مذ لقبوها بالفزالة أء
وحياة جهنم الهيتا سيء الخلقِ] ٢
طته الرثا حسداً من لونها اليقق ٣
على المنايا نعاجُ الرمل بالحدق
هذا ولم يبرز مع سلم جانبه
يوماً لناظِرِهِ إلا على فرق
ومن هذه القصيدة في صفة الخيل :

سودٌ حوافرها بيضٌ جحافلُها
من طول ما وطئت ظهر الدجا خبباً
صبغ تولد بين الصبح والغسق
وطول ما كرعنت من منهل الفلق
[وهي قصيدة بديعة ، وأولها :

هي الموارد بين السحر والحدق
وأطيب العيش ما تجنيه من تعب
فرد دنان المنايا مورد الأنق
وأعذب الشرب ما يصفو من الرنق
يا دار دركٍ إخلافُ الغمام على
وإن عدتكَ عوادي المزن فانتجمي
مر النسيم يجاري الغيث مُنبثق
بأروض الأرض من أجفان ذي حرُق] ٤

وهذه الأبيات^٦ مع أنها جيدة مأخوذة من أبيات الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد السراج الصوري ، وكان معاصره ، وهي من جملة قصيدة :

- ١ ر : مجلدات .
- ٢ لم يرد هذا البيت إلا في ر .
- ٣ فوقها في المسودة « ممأ » أي بفتح القاف الأولى وكسرهما .
- ٤ الجحفة للفرس والبغل والحمار بمنزلة الشفة للإنسان .
- ٥ انفردت ر بما بين معقنين .
- ٦ زاد في ر : التي في وصف الفهد ؛ وهي زيادة ضرورية بعد ورود أبيات أخرى فصلت بين الأبيات الأولى والتعليق ؛ إذ إن المؤلف يملق هنا على الأبيات التي ذكرها في صفة الفهد .

شَتْنُ البرائِنِ في فيه وفي يَدِهِ ما في الصَّوارِمِ والعَسَّالَةِ الذَّبُلِ
تنافس الليل فيه والنهار معاً فقمَّصاهُ يجلباب من المقل
والشمسُ منذ دَعَوْها بالفرالة لم تَبْرُزْ لناظره إلا على وجَل
ومن شعر ابن مُسَهَّرٍ أيضاً بيتان كتبهما إلى بعض الرؤساء :

ولما اشتكيتَ اشتكى كل ما على الأرض واعتلَّ شَرَقُ وغَرَبُ
لأنك قلبُ لِحْسِمِ الزمانِ وما صحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلبُ

[وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » ، وبالغ في الثناء عليه ، ثم قال :
أنشدني العلم الشافعي له هذه القصيدة :

حسرت عن يومنا النُوبُ واكتسى نوارةُ العُشْبُ
واستقامت في مَجَرَّتِها بالأمانِ السبعة الشهبُ
يا خليلي أين مُصْطَبِحٌ فيه للذات مصطحبُ
وثغور الزهر ضاحكة ودموع القطر تنسكب
ولنا في كل جارحة من غنا أطيابه طربُ
اسقنيها بنت دسكرة وهي أم حين تنتسب
خندريسٌ دون مدتها جاءت الأزمان والحقب
طاف يجلوها لنا رشاً قَصُرَتْ عن لحظة القُضْبُ
أوقدتها نارُ وجنته فهي في كفيته تلتب
ولها من ذاتها طربُ فلماذا يرقصُ الحَبُ

ثم قال بعد ذلك : وكان قد حكى لي كمال الدين بن السهروردي قال : كان
ابن مسهر إذا أعجبه معنى لشاعر أو بيت عمل عليه قصيدة وادعاه لنفسه ،
واجتمع هو والأبيوردي مرة ، وهو لا يعرف ابن مسهر ، فجرى حديث ابن

١ هو أبو علي الحسن بن سعيد علم الدين الشافعي، انظر ترجمته في المجلد الثاني من الوفيات: ١١٣.

مسهر وأنه سرق بيت الأبيوردي، فقال ابن مسهر: بل الأبيوردي سرق شعري .
 وقال في « الحريدة » أيضاً في حقه في أول ترجمته^١ : عاش إلى زماننا هذا،
 ورأيته شيخاً أناف على التسعين لما كنت بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسة ،
 ثم وصفه على جاري عادته ، ثم قال : وابن مسهرٍ مُسهرُ المعاصرين حسداً ،
 وميت القاصرين عن شأوه كمدأ ، ثم قال في أثناء الترجمة [٢] : ومن غريب
 الاتفاق ما حكاه السمعاني عن أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي الفنائم محمد بن أحمد
 ابن علي بن عبد الغفار المعروف بابن الأخوة البيع الأديب الكاتب ، أنه رأى
 في منامه منشداً ينشد :

وأعجبُ من صبري القلوصُ التي سرّتْ بهوٌ دَجك المزموم أنتى استقلّتِ
 وأطبقُ أحناء الضلوع على جوّى جميعٍ وصبرٍ مستحيلٍ مُشتّتِ

قال أبو الفتح المذكور : فلما انتبعت جعلت دأبي السؤال عن قائل هذين
 البيتين مدة ، فلم أجد مخبراً عنها ، ومضى على ذلك عدة سنين ، ثم اتفق نزول
 أبي الحسن علي بن مسهر المذكور في ضيافتي ، فتجادبنا في بعض الليالي ذكر
 المنامات ، فذكرت له حال المنام الذي رأيته ، وأنشدته البيتين المذكورين ،
 فقال : أقسم بالله أنها من شعري من جملة قصيدة ، وأنشدني منها :

إذا ما لسانُ الدمعِ نَمَّ على الهوى فليس بسرٍّ ما الضلوعُ أجنّتِ
 فوالله ما أدري عشيّة ودّعتْ أناحتُ حماماتُ اللّوى أم تفنّنتِ
 وأعجب من صبري القلوصُ التي سرّتْ بهوٌ دَجك المزموم أنتى استقلّتِ
 أعاتبُ فيك اليعملاتِ على النّوى وأسأل عنك الريحَ من حيث هبّتِ
 وأطبقُ أحناء الضلوع على جوّى جميعٍ وصبرٍ مستحيلٍ مُشتّتِ

قال : فعجبنا من هذا الاتفاق ، ثم تذاكرنا بقية ليلتنا بأنواع الأدب .

١ الحريدة : ٢٧١ .

٢ ما بين معقنين لم يرد إلا في ر ؛ وأول النص التالي في النسخ الأخرى : « قرأت في تاريخ
 السمعاني قال سمعت أبا الفتح ... الخ » وهو موافق لما جاء في الحريدة : ٢٧٣ .

[ومن شعره أيضاً ، وهو ما أورده له في « الخريدة » من قصيدة^١ :

الوجد ما قد هيج الطللان مني ، وأذكرني حمامُ البان
أنا والحمام حيث تندبُ شجوها فوق الأراكمة سُحرةً سيان
فأنا المعنى بالقدود أمالها شرخُ الشباب وهُنَّ بالأغصان
ومنها :

فافخر فإنك من سلالة معشر عقدوا عمائم على التيجان
كل الأنام بنو أبٍ لكننا بالفضل تُعرفُ قيمة الإنسان]^٢

وتوفي في أواخر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، وقال
العماد الكاتب في « الخريدة » : سنة ست وأربعين .
ومُسْمِيهِ : بضم الميم وسكون السين المهملة وكسر الهاء وبعدها راء ، وهو
اسم علم .

٤٧٨

ابن الساعاتي

أبو الحسن علي بن رُسْتَم بن هَرْدُوز المعروف بابن الساعاتي ، الملقب بهاء
الدين ، الشاعر المشهور ؛ شاعر مبرز في حلبة المتأخرين ، له ديوان شعر يدخل

١ الخريدة : ٢٧٧ .

٢ ما بين ممقين انفردت به ر ؛ وواضح أن الزيادات التي انفردت بها هذه النسخة كلها منقولة
عن الخريدة .

٤٧٨ - ترجمته في البدر السافر ، الورقة : ١٩ وعبر الذهبي ٥ : ١١ والشذرات ٥ : ١٣ وذكره
في مرآة الزمان : ٣٧٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ١٨٤ وروضات الجنات : ٨٩ وانظر مقدمة
محقق الديوان .

في مجلدين ، أجاد فيه كل الإجادة ، وديوان آخر لطيف سماه « مقطعات النيل »
نقلت منه قوله ١ :

لله يومٌ في سُبُوطٍ وَلَيْلَةٌ صَرَفُ الزمانِ بأخْتِها لا يغلطُ
بتنا وعَمْرُ الليلِ في غُلُواته وله بنور البدر فرعٌ أشمطُ
والطلُّ في سلكِ الغصونِ كلُّؤلؤُ رطبٌ يُصافحه النسيمُ فبسقط
والطيرُ يقرأ والغديرُ صحيفةً والريحُ تكتبُ والقمامةُ تنقطُ
وهذا تقسيمٌ بديعٌ ؛ ونقلتُ منه أيضاً ٢ :

ولقد نزلتُ بروضة حَزْنِيَّةٍ رتَعَتْ نواظرتنا بها والأنفُسُ
فظللتُ أعجَبُ حيثُ يحلفُ صاحبي والمسكُ من نَفحاتها يتنفسُ
ما الجوى إلا عنبرٌ والدوحُ إلا جوهرٌ والروضُ إلا سندسُ
سفرت شقائقها فهمُ الأَفحُوا ن بلثمها فرانا إليه النرجسُ
فكان ذا خدٍ وذا ثغرٍ يحاُ وله وذا أبدأ عيون تحرُسُ
وله كل معنى مليح .

أخبرني ولده بالقاهرة المحروسة أن أباه توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من
شهر رمضان سنة أربع وستائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وعمره إحدى
وخمسون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوماً . ورأيت بخط بعض المشايخ وقد
وافق في تاريخ الوفاة لكنه قال : عاش ثمانياً وأربعين سنة وسبعة أشهر واثني
عشر يوماً ، وأنه ولد بدمشق ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

ورُسم : بضم الراء وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها .
وهَرْدُوز : بفتح الهاء وسكون الراء وضم الدال وسكون الواو وبعدها

زاي .

١ ديوانه ٢ : ٤ .

٢ ديوانه ٢ : ١٦٤ .

وسَيُوط : بضم السين المهملة والياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها طاء مهملة ، وهي بلدة بصعيد مصر ، ومنهم من يقول أَسْيُوط بزيادة همزة مضمومة [وسكون السين] ^١ .

٤٧٩

ابن الآمدي قاضي واسط

أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن عبّيد الله بن الحسين ابن أحمد بن جعفر ، الآمديّ الأصل الواسطيّ المولد والدار ؛ هو من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية والعدالة ، قدم بغداد وأقام بها مدة متفقها على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، على الشيخ أبي طالب المبارك بن المبارك صاحب ابن الخُل ، ثم من بعده على أبي القاسم يعينش بن صدقة الفراتي ، وأعاد له درسه بالمدرسة الثقتية بباب الأزج ، وكان حسن الكلام في المناظرة ، وسمع الحديث من جماعة كبيرة ببلده وببغداد ، وتولى القضاء بواسط في أواخر صفر سنة أربع وستائة ، وصار إليها في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وأضيف إليه أيضاً^٢ الاشراف بالأعمال الواسطية ، وكان له معرفة بالحساب ، وله أشعار رائقة ، فمن ذلك الأبيات السائرة وهي :

وأما له ذكرَ الحمى فتأوّها ودعا به داعي الصبّا فتولّها
هاجتْ بلبالبه البلبالبُ فانثنت أشجانهُ تَنني عن الحلم النهي
فشكا جوى وبكى أسى وقنّبهُ الـ وجد القديم ولم يزل متنبها

١ ما بين معقفين سقط من المسودة .

٤٧٩ - هذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

٢ س : نقابة الاشراف بها ، وكان فاضلاً رائق الشعر لطيف، المقاصد فيه عارفاً بالفقه والأدب فمن شعره ... الخ . وقد كان هذا مثبتاً في المسودة ثم شطب واستعيب عنه بما ورد في الترجمة .

قالوا وهى جلدأ ولو علق الهوى
لا تكرهوه على السلو فطائعا
يا عتب لا عتب عليك فسامحي
علمت بان الجزع ميل غصونه
ومنحت غنج اللعظ غزلان النقا
لولا دلالك لم أبت متقسم ال
لي أربع شهداء في صدق الولا
وبلايل تعنادني لو أنها
لام العواذل في هواءك وما ارعوى
قالوا اشتهاك وقد رآك مليحة
أنا أعشق العشاق فيك ولا أرى

يللم يوماً تأوّه أو وهى
حمل الغرام فكيف يسلو مكرها
وصلي فقد بلغ السقام المنتهى
لما خطرت عليه في حلل البها
فلذاك أحسن ما يرى عين المها
مزّمت مسلوب الرقاد متيها
دمع وحزن مفرط وتدلها
في يذبل يوماً لأصبح كالسها
ونها عنك اللاثون وما انتهى
عجبا وأي مليحة لا تشتهي
مثلي ولا لك في الملاحه مشها

وله غيرها أشعار رقيقة .

(126) قلت : هكذا وجدت هذه الأبيات منسوبة إليه ولا أتحقق صحتها ، والله أعلم ، ثم وجدت بخطي في مسوداتي أن توفي ابن الأمدى الشاعر سنة إحدى وخمسين وخمسة ، وكان في طبقة الغزي والأرجاني ، ولم أقف على اسمه ونسبه حتى أعلم من هو ، لكنه قال : وكان من أهل النيل ، يعني البليلة التي في العراق ، وكان قد زاد على تسعين سنة ، فيحتمل أن تكون له هذه الأبيات المذكورة في هذه الترجمة ، ويحتمل أن تكون لهذا الثاني المجهول الاسم والنسب ، والله أعلم ، لكن يرجح الأول لأنه كان قاضي واسط فهو الفقيه ، وهذا الشاعر . وكانت ولادته بواسط في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين

١ لي : موها .

٢ كذا في ل لي ؛ وفي ر : وتوها ؛ وفي كلتا الحالتين يحيى النصب اضطراراً .

٣ لعل الأمدى الشاعر الذي يتحدث عنه هنا هو أبو المكارم محمد بن الحسين الأمدى ، شاعر بغدادى مكث مدح جمال الدين الاصبهاني وزير الموصل ، وقال ياقوت (أمد) : مات أبو المكارم هذا سنة ٥٥٢ وقد جاوز ثمانين سنة .

وخمسة . وتوفي ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة ثمان وستائة بواسطة ،
وصلي عليه يوم الاثنين ، ودفن عند أبيه وأهله بظاهر البلد ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على الآمدي ، وأن نسبه إلى آمد .

٤٨٠

عماد الدولة ابن بويه

عماد الدولة أبو الحسن علي بن بُوَيْه بن فَنَسَاخُسَرُو الديلمي صاحب بلاد فارس
- وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه معز الدولة أحمد بن بويه في حرف الهمزة^١
فأغنى عن الإعادة^٢ ؛ وعماد الدولة المذكور أول من ملك من بني بُوَيْه ، وكان
أبوه صياداً وليست له معيشة إلا من صيد السمك ، وكانوا ثلاثة إخوة : عماد
الدولة أكبرهم ، ثم ركن الدولة الحسن وهو والد عضد الدولة - وقد تقدم
ذكره في حرف الحاء^٣ - ثم معز الدولة ، والجميع ملكوا . وكان عماد الدولة
سبب سعادتهم وانتشار صيتهم ، واستولوا على البلاد وملكوا العراقيين والأهواز
وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة ، ثم لما ملك عضد الدولة بن ركن
الدولة اتسعت مملكته ، وزادت على ما كان لأسلافه ، ولولا خوف الإطالة
لذكرت طرفاً من سبب تملك عماد الدولة المذكور وكيفية أمره من أول الحال .
وذكر أبو محمد هارون بن العباس المأموني في تاريخه أن عماد الدولة المذكور
اتفقت له أسباب عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه : منها أنه لما ملك شيراز في

٤٨٠ - أخباره في الكتب التاريخية مثل تكلمة الهمداني والجزء الثاني من تجارب الأمم والثامن من
الكامل لابن الأثير وانظر المنتظم ٦ : ٣٦٥ وعبر الذهبي ٢ : ٢٤٧ والشذرات ٢ : ٣٤٦ ،
وابتداء من هذه الترجمة تشترك مع سائر النسخ مخطوطة ولي الدين وقد رمزنا لها بالرمز : (ن) .

١ انظر المجلد الأول : ١٧٤ .

٢ س : الإطالة .

٣ انظر المجلد الثاني : ١١٨ .

أول ملكه اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال ، ولم يكن معه ما يرضيهم به وأشرف أمره على الانحلال ، فاعتم لذلك ، فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للفكرة والتدبير إذ رأى حيّة قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعا الفراشين^١ وأمرهم بإحضار سلّم ، وأن تخرج^٢ الحية ؛ فلما صدعوا وبجثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يُفضي إلى غرفة بين سقفين ، فمرّوه ذلك ، فأمرهم بفتحها ففتحت فوجد فيها عدة صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة ألف دينار، فحمل المال إلى بين يديه ، فسُرَّ به وأنفقه في رجاله ، وثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانحرام . ثم إنه قطع ثياباً وسأل عن خياط حاذق ، فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله ، فأمر بإحضاره ، وكان أطروشاً، فوقع له أنه قد سُمي به إليه في وديعة كانت عنده لصاحبه^٣ ، وأنه طلبه لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لا يدري^٤ ما فيها ، فعجب عماد الدولة من جوابه ، ووجه معه مَنْ حملها ، فوجد فيها أموالاً وثياباً يجملة عظيمة^٥ ، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ، ثم تمكنت حاله واستقرت قواعده^٦ .

وكانت وفاته يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين وثلاثمائة بشيراز ، ودفن في دار المملكة ، وأقام في المملكة ست عشرة سنة ، وعاش سبعاً وخمسين سنة ولم يعقب ، رحمه الله تعالى . وأتاه في مرضه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم بلاد فارس إلى عضد الدولة بن ركن الدولة فتسلمها .

١ لي : فأمر باستدعاء الفراشين فحضروا .

٢ لي : وأن يخرجوا .

٣ لي : لصاحب البلد .

٤ لي : ليس يدري .

٥ ر : وثياباً عظيماً .

٦ وذكر أبو محمد ... واستقرت قواعده : سقط هذا النص من ن .

سيف الدولة بن حمدان

سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان - وقد تقدم تسمية نسبه في ترجمة أخيه ناصر الدولة الحسن^٢ في حرف الحاء فلا حاجة إلى إعادته ؛ قال أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر»^٣: كان بنو حمدان ملوكاً أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة؛ وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم، وحضرتة مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها؛ وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز له، وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي؛ قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت.

ومن محاسن شعر سيف الدولة في وصف قوس قزح وقد أبدع فيه كل

٤٨١ - ترجمته في اليتيمة ١: ٢٧ وزبدة الحلب ١: ١١١ - ١٥٢ والمنتظم ٧: ٤١ وغير
الذهبي ٢: ٣٠٥ والشذرات ٣: ٢٠ وأخباره في الكتب التاريخية مثل تكملة الهمداني وتجارب
الأمم والكامل لابن الأثير، وقد جمع كانار مجموعة في أخباره بعنوان «الأمير سيف الدولة
الهمداني» (ط الجزائر: ١٩٣٤)؛ والترجمة هنا موجودة بكاملها في المسودة.

١ ر: بقية.

٢ انظر المجلد الثاني: ١١٤.

٣ في كتاب يتيمة الدهر: سقط من س ل ن لي م، وهو بهامش المسودة؛ وانظر اليتيمة ١: ٨.

٤ كان شاعراً مصنفاً له من الكتب كتاب أخبار أبي تمام والختار من شعره وكتاب تفضيل أبي
نواس على أبي تمام وغيرهما (انظر الفهرست: ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٤: ٢٤٠).

الإبداع، وقيل : إن هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي^١ ، والأول ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة »^٢ :

وساقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُوحِ دَعْوَتُهُ فِقَامٌ وَفِي أَجْفَانِهِ سِنَةٌ الْغُمُضِ
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ كَأَنْجُمٍ فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍ عَلَيْنَا وَمَنْفُضِ
وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْفَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ تَحْتَ مُبْيَضِ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَائِلِ مُصَبَّغَةٍ ، وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة ، والبيت الأخير أخذ معناه أبو علي الفرج بن محمد بن الأخوة المؤدّب البغدادي ، فقال في فرس أدهم مُحَجَّلٌ :

لَيْسَ الصَّبْحَ وَالذُّجْنَةَ بَرْدِيذٍ نِ فَارْخِي بَرْدًا وَقَلِّصَ بَرْدًا

وقيل إنها لعبد الصمد بن المعدل^٣ .

وكانت له جارية من بنات ملوك الروم في غاية الجمال ، فحسدها بقية الحظايا لقبها منه ومحلها من قلبه ، وعزّ من على إيقاع مكروه بها من سم أو غيره ، فبلغه الخبر وخاف عليها ، فنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً ، وقال :

رَاقِبَتِي الْعِيونُ فَيْكَ فَاشْفَقَتْ تَ وَلَمْ أَخْلُ قَطُّ مِنْ إِشْفَاقِ
وَرَأَيْتُ الْعِدْوَ يَحْسُدُنِي فَيْكَ كَ مَجْدًا يَا أَنْفَسَ الْأَعْلَاقِ
قَتَمْنَيْتُ أَنْ تَكُونِي بَعِيدًا وَالَّذِي بَيْنَنَا مِنَ الْوَدِّ بَاقِ
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفٍ هَجْرٌ وَفِرَاقٍ يَكُونُ خَوْفَ فِرَاقِ

- ١ ل : القبيصي ؛ ولأبي الصقر القبيصي ذكر في الفهرست ، ويفهم مما فيه أنه كان من غلمان أبي عثمان الدمشقي وكان يقرأ عليه الجسطي .
- ٢ وقيل إن هذه ... اليتيمة : سقط من ن .
- ٣ والبيت الأخير ... المعدل : سقط من ن ، وهو هامش المسودة .
- ٤ ر : فرط .

ورأيت هذه الأبيات بعينها في ديوان عبد المحسن السوري ، والله أعلم لمن هي منها .

ومن شعره أيضاً :

أَقْبَلَهُ عَلَى جَزَعٍ كَشَرِبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
رَأَى مَاءً فَأَطْمَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
وَصَادَفَ خُلُوسَةَ فِدَانًا وَلَمْ يَلْتَذْ بِالْجُرْعِ

ويحكى أن ابن عمه أبا فراس - المقدم ذكره في حرف الحاء - كان يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يميز قولي ، وليس له إلا سيدي ، يعني أبا فراس :

لَكَ جَسْمِي تَعْلَةً فَدَمِي لِمَ تَحِلُّهُ ؟

فارتجل أبو فراس وقال :

قَالَ إِنْ كُنْتَ مَالِكًا فَلِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بأعمال مَنبِجَ المدينة المعروف تَغْلٍ ألفي دينار في كل سنة .

ومن شعر سيف الدولة أيضاً قوله :

تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبَ وَالذَّنْبُ ذَنْبُهُ وَعَاتَبَنِي ظُلْمًا وَفِي شِقِّهِ الْعَتَبُ
إِذَا بَرِمَ الْمَوْلَى بِخُدْمَةِ عَبْدِهِ تَجَنَّى لَهُ ذَنْبًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ
وَأَعْرَضَ لِمَا صَارَ قَلْبِي بِكَفِّهِ فَهَلَّا جَفَانِي حِينَ كَانَ لِي الْقَلْبُ

وأنشدني الفقير أيدمر الصوفي المسمى إبراهيم لنفسه دوبيت في معنى البيت

الثالث :

١ انظر المجلد الثاني : ٥٨ .

قوم نقضوا عهدنا بالشَّعبِ من غير جناية ولا من ذنبِ
صدوا وتعتبوا وقد همتُ بهم هلا هجروا وكان قلبي قلبي
ويحكى أن سيف الدولة كان يوماً يجلسه والشعراء ينشدونه، فتقدم أعرابي
رث الهينة وأنشد وهو بمدينة حلب :

أنتَ عليٌّ وهذه حلبُ قد نفذ الزَّادُ وانتهى الطلبُ
بهذه تفخرُ البلادُ وبإي أمير تزُهي على الوري العرب
وعبْدُكَ الدهرُ قد أضرَّ بنا إليك من جورِ عبدك الهرب

فقال سيف الدولة : أحسنت والله ، وأمر له بأثني دينار .
وقال أبو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زَرْبَةَ^١ : حضرت مجلس
الأمير سيف الدولة بحلب ، وقد وافاه القاضي أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري ،
فطرح من كمه كيساً فارغاً ودرجاً فيه شعر استأذن في إنشاده ، فأذن له ،
فأنشد قصيدة أولها :

حباؤك معتادٌ وأمرك نافذٌ وعبْدُكَ محتاجٌ إلى ألف درهم

فلما فرغ من إنشاده ضحك سيف الدولة ضحكاً شديداً ، وأمر له بألف
درهم ، فجعلت في الكيس الفارغ الذي كان معه^٢ .
وكان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم المعروفان بالخالدين الشعارين
المشهورين^٣ ، وأبو بكر أكبرهما ، قد وصلا إلى حضرة سيف الدولة ومدَّحاه ،
فأنزلهما وقام بواجب حقهما ، وبعث لهما مرة وصيفاً ووصيفة ومع كل واحد منهما

١ في معجم ياقوت : عين زربى .

٢ وقال أبو القاسم ... كان معه : سقط من س ل ن لي وثبت في م ر وهامش المسودة ؛ وقد
وردت في هذه الترجمة تحشيات كثيرة في هامش المسودة سقطت من النسخ المذكورة .

٣ انظر مقدمة الدكتور السيد محمد يوسف محقق كتاب الأشباه والنظائر للخالدين وفيها إشارة إلى
المصادر التي ترجمت لهما ، وكذلك مقدمة الدكتور سامي الدمان على كتاب الهدايا والتحف
لهذين المؤلفين .

بدرة وتحت ثياب من عمل مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة :

لم يَعدُ شكرك في الخلائق مطلقاً إلا ومالك في النوال حبيسُ
خَوَّلْتَنَا شمساً وبدراً أشرقت بها لدينا الظلمة الحنديسُ
رشاً أانا وهو حُسنُ يوسفٍ وغزاةٌ هي بهجةٌ بلبقيسُ
هذا ولم تَقنع بذلك وهذه حتى بعثت المال وهو نقيسُ
أنت الوصيفة وهي تحمل بدرة وأتى على ظهر الوصيف الكيسُ
وحبوتنا مما أجادت حوكه مصرٌ وزادت حسنه تنيسُ
فعدا لنا من جودك المأكول وال مشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظة « المنكوح » فليست مما يخاطب الملوك بها .

وأخبار سيف الدولة كثيرة مع الشعراء ، خصوصاً مع المتنبى والسري الرفاء والنامي والبيفاء والوأواء وتلك الطبقة ، وفي تعدادهم طول .
وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة ، وقيل سنة إحدى وثلثمائة . وتوفي يوم الجمعة ثالث ساعة ، وقيل رابع ساعة ، لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة بحلب ، ونقل إلى ميسافارقين ، ودفن في تربة أمه ، وهي داخل البلد ، وكان مرضه عسر البول .
وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً وعمله لبينة بقدر الكف ، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفذت وصيته في ذلك .
وملك حلب في سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة ، انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد .

(127) ورأيت في « تاريخ حلب » أن أول من ولي حلب من بني حمدان الحسين بن سعيد ، وهو أخو أبي فراس ابن حمدان ، وأنه تسلمها في رجب سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ، وكان شجاعاً موصوفاً ، وفيه يقول ابن المنجم :

وإذا رأوه مقبلاً قالوا ألا إن المنايا تحت راية ذا كذا

وتوفي يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة بالموصل ، ودفن بالمسجد الذي بناه في الدير الأعلى ، وكنت أظن أن دير سعيد الذي بظاهر الموصل منسوب إلى أبيه حتى رأيت في كتاب الديرة منسوباً إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي .

وكان سيف الدولة قبل ذلك مالك واسط وتلك النواحي ، وتقلبت به الأحوال وانتقل إلى الشام وملك دمشق أيضاً وكثيراً من بلاد الشام وبلاد الجزيرة ، وغزواته مع الروم مشهورة ، وللمتني في أكثر الوقائع قصائد ، رحمه الله تعالى^١ .
(128) وملك بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة^٢ ، وطالت مدته أيضاً في المملكة ، ثم عرض له قولنج وأشفى منه على التلف ، وفي اليوم الثالث من عافيته واقع جاريته ، فلما فرغ منها سقط عنها وقد جف شقه الأيمن ، فدخل عليه طبيبه ، فأمر أن يسجر عنده الند والعنبر ، فأفاق قليلاً ، فقال له الطبيب : أرني بجسك ، فناوله يده اليسرى ، فقال : أريد اليمين ، فقال : ما تركت لي اليمين يمينا ، وكان قد حلف وغدر . وتوفي ليلة الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وعمره أربعون سنة وستة أشهر وعشرة أيام .

(129) وتولى بعده ولده أبو الفضائل سعد ، ولم أقف على تاريخ وفاته ، وبموته انقرض ملك بني سيف الدولة .

(130) وتوفي أبو علي ابن الأخوة^٣ المذكور يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وكان شاعراً مجيداً .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في ن .

٢ زبدة الحلب ١ : ١٥٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٦ والشذرات ٣ : ١٠٠ .

٣ أبو علي الفرج بن محمد بن الأخوة مؤدب بغداد من الشعراء المشهورين (انظر ترجمته وأشعاره في الخريدة - قسم العراق - ٢ : ١٨٦) .

الظاهر العيدي

أبو هاشم علي ، الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله ، ابن الحاكم بن العزيز بن المعز ابن المنصور بن القائم بن المهدي عبّيد الله صاحب مصر ، وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته ؛ كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدة ، لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكان الناس يَرجونَ ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحققوا عدمه ، فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة ، وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام ، فقصد صالح بن مرداس الكلابي - المذكور في حرف الصاد - مدينة حلب وحاصرها ، وفيها مرتضى الدولة بن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن شريف بن سيف الدولة الحمداني نيابة عن الظاهر المذكور ، فانزعها منه واستولى على ما يليها ، وتغلّب حسان بن مُقرّج بن دَعْنَقَل البدوي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام ، وتضعفت دولة الظاهر وجرت أمور وأسباب يطول شرحها .

واستوزر نجيب الدولة أبا القاسم علي بن أحمد الجَرَجرائي^٢ ، وكان أقطع اليبدين من المرفقين ، قطعها الحاكم والد الظاهر في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعمائة على باب القصر البحري بالقاهرة المحروسة ، وحمل إلى داره ، وكان يتولى بعض الدواوين فظهرت عليه خيانة قُطع بسببها ، ثم بعد ذلك ولي ديوان

٤٨٢ - ترجمته في اتماظ الحنفا : ٢٧١-٢٧٧ والدرّة المضية : ٣١٦-٣٤٠ والخطط ١ : ٢٥٤ والمنتظم ٨ : ٩٠ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٢ والشذرات ٣ : ٢٣١ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ انظر الترجمة رقم : ٣٠٠ .

٢ انظر الاشارة الى من نال الوزارة : ٣٥ .

النفقات سنة تسع وأربعمائة ، ثم وزَرَ للظاهر سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، وهذا كله بعد أن تنقل فى الخدم بالأرياف والصعيد . ولما استوزر كان يكتب عنه العلامة القاضي أبو عبد الله القضاعى صاحب كتاب « الشهاب » - وسأأتى ذكره إن شاء الله تعالى - وكانت علامته « الحمد لله شكراً لنعمته » واستعمل العفاف والأمانة الزائدة والاحتراز والتحفظ ، وفى ذلك يقول جاسوس الفلك :

يا أحقماً اسمعْ وقُلْ ودعِ الرقاعةَ والتحامقْ
أُقمتَ نفسك فى الثقا ت وهبْكَ فيما قلت صادق
فمن الأمانة والتقى قُطِعتْ يداك من المرافق

وهو منسوب إلى جَرُّجَرايا - بفتح الجيمين بينها راء ساكنة ثم راء مفتوحة وبين الألفين ياء مثناة من تحتها - وهى قرية من أرض العراق . وكانت ولادة الظاهر يوم الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بالقاهرة . وتوفى آخر ليلة الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله .

وسمعت أنه توفى ببستان الدكة ، وكان بالمقس فى الموضع المعروف بالدكة ، والله أعلم .

(131) وتوفى وزيره الجرُّجرائى سنة ست وثلثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، فى سابع شهر رمضان ، وكانت مدة وزارته للظاهر ولولده المستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً .

علي بن منقذ

أبو الحسن علي بن مقلداً بن نصر بن منقذ الكناني ، الملقب سديد الملك ، صاحب قلعة شيزر ؛ كان شجاعاً مقدماً قوي النفس كريماً ، وهو أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ ، لأنه كان نازلاً بجاور^٢ القلعة بقرب الجسر^٣ المعروف اليوم بجسر بني منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها ، فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ولم تنزل في يده ويد أولاده إلى أن جاءت الزلزلة في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الهدم ، وشغرت^٤ ، فجاءها نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة وأخذها .

وذكر بهاء الدين بن شداد في كتاب « سيرة صلاح الدين »^٥ أنه جاءت زلزلة بحلب ، وأخربت كثيراً من البلاد ، وذلك في ثاني عشر شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، وهذه غير تلك ، فلا يظن الواقف عليه أن هذا غلط ، بل هما زلزلتان ، والأول ذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وغيره أيضاً .
وكان سديد الملك المذكور مقصوداً ، وخرج من بيته جماعة نجباء أمراء فضلاء كرماء ، ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والحفاجي وغيرهما^٦ ، وكان له شعر جيد أيضاً ، فمنه قوله وقد غضب علي مملوك له وضربه :

أسطو عليه وقلبي لو تمكّن من كَفَسِي غَلَّهَا غِيظًا إلى عُنُقِي

٤٨٣ - ترجمته في الحريرة (قسم الشام) ١ : ٥٥٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٢٤ .

١ لي س : منقذ .

٢ ر : بجوار . ٣ فوقها في المسودة « معاً » أي بفتح الجيم وكسرهما .

٤ ر : ودثرت .

٥ سيرة صلاح الدين : ٤٣ .

٦ ن س : كابن الخياط وغيره .

وأستعير إذا عاقبته حنقاً وأين ذلُّ الهوى من عزة الحنقِ

وكان موصوفاً بقوة الفطنة ، وتنقل عنه حكاية عجيبة ، وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحبُ حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار ، فأقام عنده ، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه ، ففهم الكاتب أنه يقصد له شراً ، وكان صديقاً لسديد الملك ، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى « إن شاء الله تعالى » فشدد النون وفتحها ، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن يجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموها ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربيه ، فقال سديد الملك : إني أرى في الكتاب ما لا ترون ، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال ، وكتب في جملة الكتاب « أنا الخادم المقر بالانعام » وكسر الهمزة من أنا وشدد النون ، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لأصدقائه : قد علمت أن الذي كتبت لا يخفى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طيب نفسي ؛ وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى ﴿ إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك ﴾ (القصص : ٢٥) فأجاب سديد الملك بقوله تعالى ﴿ إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ﴾ (المائدة : ٢٤) فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه ؛ هكذا ساق هذه الحكاية أسامة في مجموعته إلى الرشيد بن الزبير في ترجمة ابن النحاس .

وكانت وفاته في سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم ذكر حفيده أسامة بن مرشد بن علي المذكور في حرف الهمزة - وسيأتي ذكر والده في حرف الميم ، إن شاء الله تعالى .
وذكرهم العماد الأصبهاني في « الخريدة » وبالغ في الثناء عليهم [وذكر أيضاً

١ وكان موصوفاً ... ابن النحاس: سقط النص من سن ، ومع أنه بهامش المسودة فقد ورد في ل ي .

في كتاب « السيل والذيل » أنه توفي تحت الهدم لما هدمت الزلزلة حصن شيزر
يوم الاثنين ثالث رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، والله أعلم^١ .

٤٨٤

الصليحي

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي القائم باليمن ؛ كان أبوه محمد قاضياً
باليمن سُني المذهب ، وكان أهله وجماعته يطيعونه ، وكان الداعي عامر بن عبد
الله الزواحي يلاطفه ويركب إليه ، لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه ، فلم يزل
عامر المذكور حتى استمال قلب ولده عليّ المذكور وهو يومئذ دون البلوغ ولاحت
له فيه مخايل النجابة ، وقيل كانت عنده حلية عليّ الصليحي في كتاب «الصّور»
وهو من الذخائر القديمة ، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله ، وأطلععه
على ذلك سرّاً من أبيه وأهله .

ثم مات عامر عن قرب وأوصى له بكتبه وعلومه ، ورسخ في ذهن علي من
كلامه ما رسخ ، فعكف على الدرس ، وكان ذكياً ، فلم يبلغ الحلم حتى تزلزل من
معارفه التي بلغ بها وبالجدّ السعيد غاية الأمل البعيد ، فكان فقيهاً في مذهب
الدولة^٢ الإمامية مستبصراً في علم التأويل ، ثم إنه صار يحج بالناس دليلاً على
طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة ، وكان الناس يقولون له : بلغنا أنك
ستملك اليمن بأسره ويكون لك شأن ، فيكره ذلك وينكره على قائله ، مع
كونه أمراً قد شاع وكثر في أفواه الناس ، الخاصة والعامة ؛ ولما كان في سنة

١ انفردت ربما بين معقنين .

٤٨٤ - ترجمته وأخباره في تاريخ اليمن لعلمارة : ٤٧ وبهجة الزمن : ٤٦ ودمية القصر : ١٤ وبلوغ
المرام : ١٥ وكشف أسرار الباطنية للحادي : ٤٢ والذهب المسبوك : ٣٥ وانظر كتاب
« الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » للهمداني ومحمود : ٦٢ - ١١٢ .

٢ لي : فقيهاً في الدولة .

تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار^١، وهو أعلى ذروة في جبال [اليمن]^٢، وكان معه ستون رجلاً قد حالقهم بمكة في موسم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على الموت والقيام بالدعوة، وما منهم إلا مَنْ هو من قومه وعشائره في منعة وعدد كثير، ولم يكن برأس الجبل المذكور بناء، بل كان قلعة منيعة عالية، فلما ملكها لم ينتصف نهار ذلك اليوم الذي ملكها في ليلته إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه وشموه وسفهاوا رأيه وقالوا له: إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك بالجوع، فقال لهم: لم أفعل هذا إلا خوفاً علينا وعليكم أن يملكه غيرنا، فإن تركتموني أحرسه وإلا نزلت إليكم، فانصرفوا عنه؛ ولم تمض عليه أشهر حتى بناه وحصنه وأتقنه.

واستفحل أمر الصليحي شيئاً فشيئاً، وكان يدعو للمستنصر صاحب مصر في الحفية، ويخاف من نجاح صاحب تهامة ويلطفه ويستكين لأمره، وفي الباطن يعمل الحيلة في قتله، ولم يزل حتى قتله بالسم مع جارية جميلة أهداها إليه، وذلك في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة بالكدراء. وفي سنة ثلاث وخمسين كتب الصليحي إلى المستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة^٣، فأذن له، فطوى البلاد طياً وفتح الحصون والتهائم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وقد ملك اليمن كله سهله ووعره وبره وبجره، وهذا أمر لم يمهد مثله في جاهلية ولا إسلام، حتى قال يوماً وهو يخطب الناس في جامع الجند: وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن، ولم يكن ملكها بعد، فقال بعض من حضر مستهزئاً: سُبُوح قُدُوس، فأمر بالحوطة عليه، وخطب الصليحي في مثل ذلك اليوم على منبر عدن، فقام ذلك الإنسان وتعالى في القول وأخذ البيعة ودخل في المذهب.

ومن سنة خمس وخمسين استقر حاله في صنعاء، وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم، وأسكنهم معه وولّى في الحصون غيرهم، واختط بمدينة صنعاء

١ س : مسار ؛ ر : ساد ؛ وفي ياقوت : « مسار » وقال : قلة في أعلى موضع من جبال حراز منه كان يخرج الصليحي؛ وكتب في متن « صفة جزيرة العرب » بالشين حيثما ورد ثم جاء في فهرس الكتاب بالسین مصوّباً .

٢ المسودة : في جبال ؛ ي : ن : الجبال .

٣ ر : الدولة .

عدة قصور^١ ، وحلف أن لا يولي تهامة إلا لمن وزن مائة ألف دينار، فوزنت له زوجته^٢ أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب ، فولاه ، وقال لها : يا مولاتنا أنى لك هذا ؟ فقالت : ﴿ هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (آل عمران : ٣٧) فتبسم وعلم أنه من خزائمه ، فقبضه وقال : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ، وغير أهلنا ونحفظ أخانا ﴾^٣ (يوسف : ٦٥) .

ولما كان في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة عزم الصليحي على الحج ، فأخذ معه الملوك الذين كان يخاف منهم أن يثوروا عليه ، واستصحب زوجته أسماء ابنة شهاب ، واستخلف مكانه ولده الملك المكرم أحمد ، وهو ولدها أيضاً ، وتوجه في ألفي فارس فيهم من آل الصليحي مائة وستون شخصاً ، حتى إذا كان بالمهجم ، ونزل في ظاهرها بضعة يقال لها أم الذهب وبئر أم معبد ، وخيمت عساكره والملوك التي معه من حوله ، لم يشعر الناس حتى قيل : قد قتل الصليحي ، فاندعر الناس وكشفوا عن الخبر ، فكان سعيد الأحول ابن نجاح المذكور الذي قتله الجارية بالسم قد استتر في زبيد ، وكان أخوه جياش في دهلك ، فسير إليه وأعلمه أن الصليحي متوجه إلى مكة ، فتحضر حتى قطع عليه الطريق ، ونقتله ، فحضر جياش إلى زبيد ، وخرج هو وأخوه سعيد ومعها سبعون رجلاً بلا ركوب ولا سلاح ، بل مع كل واحد جريدة في رأسها مسمار حديد ، وتركوا جادة الطريق وسلكوا طريق الساحل ، وكان بينهم وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمجد .

وكان الصليحي قد سمع بخروجهم ، فسير خمسة آلاف حربة من الحبشة الذين في ركابه لقتالهم ، فاختلفوا في الطريق ، فوصل سعيد ومن معه إلى طرف الخيم ، وقد أخذ منهم التعب والحفاة وقلة المادة ، فظن الناس أنهم من جملة عبيد العسكر ، ولم يشعر بهم إلا عبد الله أخو علي الصليحي ، فقال لأخيه : يا مولانا

١ ن : حصون .

٢ ل س : أخته .

٣ وحلف ... أخانا : سقط من ن .

٤ ل : حتى نفع عليه في الطريق .

اركب ، فهذا والله الأحول سعيد بن نجاح ، وركب عبد الله ، فقال الصليحي لأخيه : إني لا أموت إلا بالدهم وبئر أم معبد ، معتقداً أنها أم معبد التي نزل بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة^١ ، فقال له رجل من أصحابه : قاتل عن نفسك ، فهذه والله الدهم وهذه بئر أم معبد ، فلما سمع الصليحي ذلك لحقه زعم اليأس من الحياة ، وبال ، ولم يبرح من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه وقتل أخوه معه وسائر الصليحيين ، وذلك في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

ثم إن سعيداً أرسل إلى خمسة الآلاف التي أرسلها الصليحي لقتالهم ، وقال لهم : إن الصليحي قد قتل ، وأنا رجل منكم ، وقد أخذت ثأراً^٢ أبي ، فقدموا عليه وأطاعوه ، واستعان بهم على قتال عسكر الصليحي ، فاستظهر عليهم قتلاً وأسراً ونهباً ، ثم رفع رأس الصليحي على عود المظلة ، وقرأ القاريء : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾^٣ ... الآية (آل عمران : ٢٦) . ورجع إلى زبيد ، وقد حاز الفنائم ملكاً عقيماً ، ودخلها في السادس عشر من ذي القعدة من السنة وملكها ، وملك بلاد تهامة . ولم يزل على ذلك حتى قتل في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بتدبير الحررة ، وهي امرأة من الصليحيين ، وخبر ذلك يطول .

ولما قتل الصليحي ورفع رأسه على عود المظلة - كما تقدم ذكره - عمل في ذلك القاضي العثماني^٤ :

بكرت مظلمته عليه فلم ترُحْ إلا على الملك الأجل سعيدها
 ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها
 سود الأرقام قابلت أسد الشرى وارحمتا لأسودها من سودها

١ قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب امرأة من بني كعب من خزاعة (السيرة ١ : ٤٨٧) واسمها عاتكة بنت خالد .

٢ لي : بثأر .

٣ وردت الآية بكاملها في س لي .

٤ انظر الحريرة ٣ : ٢٣١ ، ٢٣٣ (قسم الشام) .

ولعلي الصليحي شعر جيد ، فمن ذلك قوله :

أنكحتَ بيض الهند سمر رماحهم فرؤوسهم عوض النشار نثارُ
وكذا العلاء لا يستباحُ نكاحها إلا بحيث تطلّق الأعمارُ

وذكره العماد في « الخريدة »^٢ فقال : ومن شعره ، وقيل لغيره على لسانه :

وَألذ من قرع المثاني عندهُ في الحرب أجمُ يا غلامُ وأسرجِ
خيل بأقصى حضرموت أشدّها وصهيلها بين العراق ومنبج^٣

والصليحي : بضم الصاد المهملة وفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها حاء مهملة ، لا أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي ، والظاهر أنها إلى
رجل ، فقد جاء في الأسماء الأعلام صليح ، ونسبوا إليه أيضاً .

وأما الأماكن المذكورة فكلها من بلاد اليمن ، ولم أتُحقق ضبطها فكتبتها
على الصورة التي وجدتها .

وأكثر هذه الترجمة نقلته من « أخبار اليمن » للفقير عمارة اليمني الشاعر
- وسياقي ذكره إن شاء الله تعالى .

١ لي : إن .

٢ الخريدة ٣ : ٢٢٥ (قسم الشام) .

٣ أشدها : ضبب فوقها في المسودة ، ولعل الصواب « شدّها » أي ركضها ، وفي الخريدة :

أشدها ؛ لي : زئيرها بين العراق وبين بلدة منبج ؛ ر : أسرجت وزئيرها ... الخ .

العادل ابن السلار

أبو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك العادل سيف الدين ، ورأيت في مكان آخر أنه أبو منصور علي بن إسحاق ، عرف بابن السلار ، وزير الظافر العبيدي صاحب مصر ؛ رأيت في بعض تواريخ المصريين : أنه كان كروياً زرزارياً ، وكان تربية القصر بالقاهرة ، وتقلبت به الأحوال في الولايات بالصعيد وغيره إلى أن تولى الوزارة للظافر المذكور في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ثم وجدت في مكان آخر أن الظافر المذكور استوزر نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال في أول ولايته . وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة ، ثم تغلب عليه العادل بن السلار وعدى ابن مصال إلى الجيزة ليلة الثلاثاء رابع عشر شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة عندما سمع بوصول ابن السلار من ولاية الإسكندرية طالباً للوزارة ، ودخل ابن السلار القاهرة في الخامس عشر من الشهر المذكور وتولى تدبير الأمور ونعت بالعادل أمير الجيوش ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة وغيرهم ، وجرّد العادل العساكر للقائه ، فكسره بدلاص من الوجه القبلي ، وأخذ رأسه ودخل به إلى القاهرة على رمح يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر العادل إلى أن قتل ، وهذا القول أصح من الأول ، والله أعلم .

(132) وكان ابن مصال من أهل لُكَّ - بضم اللام وتشديد الكاف - وهي

٤٨٥ - أخباره في اتعاظ الحنفا : ٣٢٤ والدرّة المضية : ٥٥٢ ومرآة الزمان : ٢١٤ والاعتبار لأسامه : ٧ ، ١٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٩ وعبر الذهبي ٤ : ١٣١ والشذرات ٤ : ١٤٩ ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة م ، وجاءت كاملة في المسودة .

١ ر : بعض النسخ من تاريخ .
٢ ر : الحادي عشر ، وعند الدواداري : ودخل ابن السلار (أي القاهرة) خامس الشهر المذكور (وعلى هذا يكون خروج ابن مصال في الرابع من شعبان) .

بليدة عند برقة من أعمالها، وكان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة، وبذلك تقدمتا، وكانت وزارة ابن مصال نحواً من خمسين يوماً.

وكان [ابن السلار] شهماً مقداماً مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح، عمر بالقاهرة مساجد، ورأيت بظاهر مدينة بلبليس مسجداً منسوباً إليه، وكان ظاهر التسنن شافعي المذهب، ولما وصل الحافظ أبو طاهر السلفي، رحمه الله تعالى، إلى ثغر الإسكندرية المحروس وأقام به - كما ذكرته في ترجمته^١ - ثم صار العادل المذكور والياً به احتفل به وزاد في إكرامه وعمر له هناك مدرسة فووض تدريسيها إليه، وهي معروفة به إلى الآن، ولم أر بالإسكندرية مدرسة للشافعية سواها.

وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائزة وسطوة قاطعة يؤاخذ الناس بالصفائر والمحقرات. وما يحكى عنه أنه قبل وزارته بزمان، وهو يومئذ من آحاد الأجناد، دخل يوماً على الموفق أبي الكرم ابن معصوم التنيسي، وكان يتولى^٢ الديوان، فشكا إليه حاله من غرامة لزمته بسبب تقريطه في شيء من لوازم الولاية بالغربية، فلما أطال عليه الكلام قال له أبو الكرم: والله إن كلامك ما يدخل في أذني، فحقد عليه ذلك. فلما ترقى إلى درجة الوزارة طلبه، فخاف منه واستتر مدة، فنأدى عليه في البلد، وأهدر دم من يخفيه، فأخرجه الذي خبأه عنده، فخرج في زي امرأة بإزار وخف، فعرف فأخذ وحمل إلى العادل، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل وأمر به فألقي على جنبه وطرح اللوح تحت أذنه، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى، وصار كلما صرخ يقول له: دخل كلامي في أذنك بعد أم لا؟ ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح، ثم عطف المسمار على اللوح، ويقال: إنه شنقه بعد ذلك.

وكان قد وصل من إفريقية إلى الديار المصرية أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي^٣ وهو صبي ومعه أمه واسمها بُلْأَرَة، فتزوجها العادل المذكور وأقامت عنده زماناً، ورزق عباس ولدأ سماه نصرأ

١ انظر المجلد الأول: ١٠٥.

٢ كذا في ر والسودة؛ وظاهر من كتابتها في السودة أنها مفترية؛ وفي سائر النسخ: مستوفي.

٣ الصنهاجي: فوقها «معاً» في السودة، أي بكسر الصاد وضمها.

فكان عند جدته في دار العادل والعاقل يحنو عليه ويُعزّه^١ ، ثم إن العادل جهز عباساً إلى جهة الشام بسبب الجهاد ، وكان معه أسامة بن منقذ - المذكور في حرف الهمزة^٢ - فلما وصل إلى بلبيس وهو مقدم الجيش الذي سار في صحبته تذاكرا طيب الديار المصرية وحسنها وما هي عليه ، وكونه يفارقها ويتوجه للقاء العدو ويقاسي البيكار^٣ ، فأشار عليه أسامة على ما قيل بقتل العادل ، ويستقل هو بالوزارة ويستريح من البيكار ، وتقرر بينها أن ولده نصرأ يباشر ذلك إذا رقد العادل ، فإنه معه في الدار ولا ينكر عليه ذلك . وحاصل الأمر أن نصرأ قتله على فراشه يوم الخميس سادس المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسة ، بدار الوزارة بالقاهرة المحروسة ، رحمه الله تعالى ، وتفصيل الواقعة يطول^٤ . وقيل إنه قتل يوم السبت حادي عشر المحرم من السنة المذكورة .

وكان والده في صحبة سقمان بن أرتق صاحب القدس ، فلما أخذ الأفضل أمير الجيوش القدس من سقمان - كما هو المذكور في ترجمة أبيه أرتق^٥ - وجد فيه طائفة من عسكر سقمان ، فضمهم الأفضل إليه ؛ وكان في جملتهم السلار والد العادل المذكور ، فأخذه الأفضل إليه ، وتقدم عنده ، وسماه « ضيف الدولة » وأكرم ولده هذا ، وجُعِلَ في صبيان الحُجْر ، ومعنى صبيان الحُجْر عندهم : أن يكون لكل واحد منهم فرس وعدة ، فإذا قيل له عن شغلٍ ، ما يحتاج أن يتوقف فيه ، وذلك على مثال الداوية والاسبتار^٦ ، فإذا تميز صبي من هؤلاء بعقل وشجاعة قدم للإمرة ، فترجح العادل بهذه الصفات وزاد عليها بالحزم والهيبة وترك المخالطة ، فأمره الحافظ ، وولاه الإسكندرية ، وكان

١ ر : ويبره .

٢ المجلد الأول : ١٩٥ .

٣ أشكلت هذه اللفظة على بعض النساخ فكتبت في ر: النكال؛ وهي كما أثبتناها في ل ن والمسودة؛ والبيكار هو ميدان الحرب .

٤ هنا تنتهي الترجمة في س ل ل ن .

٥ المجلد الأول : ١٩١ .

٦ الداوية أو الدويوية (Templars) والاسبتار (Hospitalers) منظمتان للافرنج في الحروب الصليبية ، كان لهما دور هام في تلك الحروب وفيها بعدما كذلك .

يعرف برأس البغل ، ثم تقدم .
وهذا نصر بن عباس هو الذي قتل الظافر إسماعيل بن الحافظ ، صاحب
مصر ، وقد ذكرته في ترجمته في أوائل هذا الكتاب^١ .

٤٨٦

الملك الأفضل ابن صلاح الدين

أبو الحسن علي ، الملقب الملك الأفضل نور الدين ، ابن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ؛ سمع بالإسكندرية من الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن
عوف الزهري ، وبمصر من العلامة أبي محمد عبد الله بن بري النحوي ، وأجاز له
أبو الحسين أحمد بن حمزة بن علي السلمي ، وأبو عبد الله محمد بن علي بن صدقة
الحراني ، وغيرهما من الشاميين ، وأجاز له أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود
وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن حامد وغيرهما من المصريين . وكان يكتب خطأ
حسناً ، واجتمعت فيه فضائل^٢ .

وكان أكبر أولاد أبيه وإليه كانت ولاية عهده ، فلما توفي بدمشق رحمه الله
تعالى - كما سيأتي في ترجمته - وكان الملك الأفضل في صحبته ، استقل بمملكة
دمشق واستقل أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان بالديار المصرية - كما سبق في
ترجمته^٣ - وبقي الملك الظاهر أخوهما بجلب ، ثم إن الملك الأفضل جرت له مع
أخيه وقائع في أسباب يطول شرحها . وآخر الأمر أن العزيز والملك العادل عمه

١ المجلد الأول : ٢٣٧ .

٤٨٦ - أخباره في ذيل الروضتين ؛ ١٤٥ ومرآة الزمان : ٦٣٧ وتاريخ ابن الاثير ١٢ : ٢٨ ؛
والسلوك ١/١ : ٢١٦ وعبر الذهبي ٩١:٥ والشذرات ١٠١:٥ والزرکشي، الورقة: ٢٣٤ .
٢ سمع ... فضائل : انفردت به ر ، وكتب المؤلف في موضعه في المسودة لإحالة على تحريجة ؛ وقد
سقط من سائر النسخ وكذلك سقط منها كل ما هو في هوامش المسودة أو بين سطورها .
٣ انظر الترجمة رقم : ٤١٤ .

حاصرا دمشق وأخذها من الأفضل وأعطياه^١ صرّخَدَ ، فمضى إليها وأقام بها قليلاً ، فمات العزيز بمصر وتولى ولده الملك المنصور محمد وكان صغيراً ، فطلبَ الملك الأفضل من صرخد ليكون أتابكه ، وكان طلبه ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من صفر سنة خمس وتسعين وخمسة ، عقيب موت أخيه العزيز عثمان ، ومضى في ركاب المنصور محمد ابن العزيز .

ثم إن الملك العادل قصد الديار المصرية وأخذها ، ودفع للأفضل عدة بلاد بالشرق^٢ ، فمضى إليها ، فلم يحصل له سوى سُمَيْسَاط فأقام بها ، ولم يزل بها إلى أن مات .

وما أحسن كلام القاضي الفاضل ، من جملة كتاب كتبه في أثناء هذه الوقائع : « أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا ، والأبناء اختلفوا فهلكوا ، وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقه ، وإذا بدا خرقُ ثوبٍ فما يليه إلا تمزيقه ، وهيهات أن يُسَدَّ على قدر طريقه ، وقد قُدِّرَ طروقه ، وإذا كان الله مع خصم على خصم ، فمن كان الله معه فمن يطيقه ؟ » .

وكان الأفضل فيه فضيلة^٣ ومعرفة وكتابة ونباهة ، وكان يحب العلماء ويعظم حرمتهم ، وله شعر . فمن المنسوب إليه أنه كتبه إلى الإمام الناصر يشكو من عمه العادل وأخيه العزيز لما أخذوا منه دمشق :

مولاي إن أبا بكر وصاحبَه
عُثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده
عليها فاستقام الأمر حين ولي
فخالفاهُ وحلاًّ عقَدَ بيعته
والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حَظِّ هذا الاسم كيف لقي
من الأواخرِ ما لاقى من الأوّلِ

فجاءه جواب الإمام الناصر وفي أوله :

١ في المسودة : وأعطاه .

٢ ر : بالشرق .

٣ ن : وكان ذا فضيلة .

٤ ورد هذا الشعر في عدة مصادر ، انظر مثلاً تمام التوزن : ٢٤٩ وفيه جواب الناصر أيضاً .

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالود يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا علينا حقّه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فابشر فإن غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الإمام الناصر

وكانت ولادته يوم عيد الفطر وقت العصر سنة ست ، وقيل خمس وستين
وخمسة بالقاهرة ، ووالده يومئذ وزير المصريين . وتوفي في صفر سنة اثنتين
وعشرين وستة فجأة بسُمَيْسَاط ، رحمه الله تعالى ، ونقل إلى حلب ، ودفن
في تربته بظاهر حلب بالقرب من مشهد الهروي .
وسُمَيْسَاط : بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها
وفتح السين الثانية وبعد الألف طاء مهملة ، وهي قلعة في بر الشام على الفُرات
في ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملطية .

٤٨٧

ابن الفرات

أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفُرات وزير المقتدر بالله بن
المعتضد بالله ، وزرَّ له ثلاث دفعات ، فالأولى منهن لثمان خلون من شهر ربيع
الأول ، وقيل لسبع بقين منه ، سنة ست وتسعين ومائتين ، ولم يزل وزيره إلى
أن قبَّضَ عليه لأربع خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ونكبه
ونهب داره وأمواله ، واستغل من أملاكه إلى أن عاد إلى الوزارة في المرة الثانية
سبعة آلاف ألف دينار^٢ ، وذكروا عنه أنه كتب إلى الأعراب أن يكبسوا بغداد ،

٤٨٧ - أخباره في صلة عريب وتكلة الهمذاني وتجارب الامم وتاريخ ابن الاثير (ج : ٨) والوزراء
للصايي: ١١ وما بعدها واعتاب الكتاب: ١٨٠ وقد سقطت هذه الترجمة من س ل ن م والمسودة،
ووقعت في لي بعد ترجمة الكيا الهراسي ، واثباتها هنا متابع لما جاء في لي في مجمله .
١ في المرة : سقط من ر . ٢ ر : سبعة آلاف دينار .

والله أعلم . ثم عاد إلى الوزارة يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة ، وخلق عليه سبع خلع ، وحمل إليه ثلثمائة ألف درهم لفلانته وخمسون بفلا لثقله وعشرون خادماً وغير ذلك من العدد والآلات ، وزاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع في كل من قيراط ذهب لكثرة استعماله إياه ، وكان ذلك النهار^١ شديد الحر ، فسقي في ذلك النهار^٢ وتلك الليلة في داره أربعون ألف رطل ثلج^٣ ، ولم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه يوم الخميس ثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ، ثم عاد إلى الوزارة يوم الخميس لسبع ليلال بقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وكان يوم خرج من الحبس مغتاضاً ، فصادر الناس ، وأطلق يد ولده الحسن فقتل حامد بن العباس الوزير الذي كان قبل أبيه ، وسفك الدماء ، ولم يزل وزيراً^٤ إلى أن قبض عليه لتسع ليلال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، [وقيل قبض عليه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول]^٥ .

وكان يملك أموالاً كثيرة تزيد على عشرة آلاف ألف دينار ، وكان يستغل من ضياعه في كل سنة ألفي ألف دينار ينفقها ، قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : مدحته بقصيدة ، فحصل لي في ذلك اليوم ستائة دينار .

وكان كاتباً كافياً خبيراً ، قال الإمام المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان : قد دفعت إلى ملك مختل وبلاد خراب ومال قليل ، وأريد أعرف ارتفاع الدنيا لتجري النفقات عليه ، فطلب عبيد الله ذلك من جماعة من الكتاب ، فاستمهله شهراً ، وكان أبو الحسن ابن الفرات وأخوه أبو العباس محبوسين منكوبين ، فأعلما بذلك ، فعملاه في يومين وأنفذه ، فعلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى على المعتضد ، فكلمه فيها ووصفها ، فاصطنعها .

وكانت في دار أبي الحسن ابن الفرات حجرة شراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم^٦ يأخذون منها الأشربة والقفاع والجلاب إلى دورهم .

١ ر : الزمان . ٢ ر : اليوم . ٣ ر : من الثلج .
٤ ر : وزيره . ٥ سقط من لي . ٥ ر : ثم انهم .

وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم مائة درهم^١ في الشهر ، وأقلهم خمسة دراهم ، وما بين ذلك .
قال الصولي : ومن فضائله التي لم يُسبق إليها أنه كان إذا رُفعت إليه قصة فيها سعاية خرج من عنده غلام فنأدى : أين فلان بن فلان الساعي ؟ فلما عرف الناس ذلك من عادته امتنعوا من السعاية بأحد ، واغتناظ يوماً من رجل فقال : اضربوه مائة سوط ، ثم أرسل رسولاً^٢ فقال : اضربوه خمسين ، ثم أرسل آخر وقال : لا تضربوه ، وأعطوه عشرين ديناراً ، فكفاه ما مر به المسكين من الخوف .

قال الصولي : قام من مرضه - وقد اجتمعت الكتب والرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب ، ووقع في ألف رقعة ، فقلنا له : بالله لا يسمع بهذا أحد ، خوفاً من العين عليه .

قال الصولي : ورأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخلافة^٣ ليختم به كتاباً ، فلما رآه قام على رجله تعظيماً للخلافة ، قال : ورأيت جالساً للمظالم ، فتقدم إليه خصمان في دكاكين في الكرخ ، فقال لأحدهما : رفعت إلي قصة في سنة اثنتين وثمانين ومائتين في هذه الدكاكين ، ثم قال : سنك يقصر عن هذا ، فقال له : ذاك كان أبي ، قال : نعم وقَعْتُ له على قصة رفعها .

وكان إذا مشى الناس بين يديه غضب وقال : أنا لا أكلف هذا غلماني فكيف أكلف أحراراً لا إحسان لي عليهم .

وقتل نازوك صاحب الشرطة أبا الحسن ابن الفرات المذكور وابنه المحسن يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلثائة . وقال بعض المؤرخين^٤ : كان مولده لتسع خلون^٥ من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان عمر ابنه المحسن يوم قتل ثلاثاً وثلثين سنة .

قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد المقدم ذكره : أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف - وهو المشهور بكثرة الأكل - قصيدة^٦ أبيه أبي بكر في الهر وقال :

١ ر : دينار . ٢ لي : آخر . ٣ ر : الخليفة .
٤ وقال ... المؤرخين : سقط من ر . ٥ ر : بعين . ٦ ر : قصائد .

إنما كنى بالهر عن الحسن بن أبي الحسن ابن الفرات أيام محنتهم ، لأنه لم يحسر أن يذكره ويرثيه . قلت : وقد سبق ذكر المرثية في ترجمة أبي بكر العلاف^١ .

ومن غرائب^٢ الأخبار أن زوجة الحسن ابن الفرات أرادت أن تتخّن ابنها بعد قتل أبيه فرأت الحسن في منامها ، فذكرت له تعذر النفقة ، فقال لها : إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها ، فانتبعت ، وأخبرت أهلها فسألوا الرجل فاعترف وحمل المال عن آخره .

(133) وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكور أكتب أهل زمانه ، وأضبطهم للعلوم والآداب ، وللبحثري فيه القصيدة التي أولها^٣ :

بتُّ أبدي وجداً وأكتمُ وجداً لخيالٍ قد بات لي منك يهدى

وتوفي أبو العباس المذكور يوم الثلاثاء^٤ منتصف شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وأما أخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد بن الفرات فإنه عرضت عليه الوزارة فأبأها . **(134)** وتولاها ابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر ، وكان كاتباً مجوداً ، وهو المعروف بابن حنزابة ، وهي أمه ، وكانت جارية رومية ، قلده المقتدر الوزارة يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنة عشرين وثلاثمائة [وقيل خلع عليه في أول شهر ربيع الآخر سنة عشرين وثلاثمائة ، والله أعلم]^٥ ولم يزل وزيره إلى أن قتل المقتدر لأربع بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، وتولى الخلافة أخوه القاهر بالله ، فاستتر أبو الفتح ابن حنزابة ، فولى القاهرُ أبا علي محمد بن علي بن مقلة الكاتب - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - الوزارة ، ثم تولى أبو الفتح الدواوين في أيام القاهر أيضاً ، وخلع القاهر وسُملت عيناه في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

١ انظر ج ٢ : ١٠٩ . ٢ ر : غريب .

٣ ر : وللبحثري المعروف فيه القصيدة المشهورة التي أولها ؛ وانظر ديوان البحثري : ١ : ٥٦٩ .

٤ ر : ليلة السبت . ٥ سقط من لي .

وولي الخلافة الراضي بالله ابن المقتدر بالله المقدم ذكره ، فقلد أبا الفتح ابن حنزابة الشام ، فتوجه إليها ، ثم إن الراضي بالله ولاء الوزارة ، وهو يومئذ مقيم بحلب ، وعقد له الأمر فيها يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكوتب بالمسير إلى الحضرة ، فوصل إلى بغداد يوم الخميس لست خلون من شوال من السنة ، فأقام ببغداد قليلاً ، فرأى الأمور مضطربة ، وقد استولى الأمير أبو بكر محمد بن رائق على الحضرة ، فتحدث أبو الفتح مع ابن رائق في أنه يعود إلى الشام ، وأطمعه في حمل الأموال إليه من مصر والشام ، فعاد إليها في الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين ، فأدركه أجله بغزة ، وقيل بالرملة ، وجاءت الكتب إلى الحضرة بموته في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وقيل ست وعشرين والأول أصحّ ودفن في داره بالرملة. وكان مولده في ليلة السبت لسبع^٢ ليال بقين من شعبان سنة تسع وسبعين ومائتين ، وكانت الكتب تصدر باسمه في الشام .

وأما ابنه أبو الفضل جعفر بن الفضل فقد سبق ذكره في حرف الجيم من هذا الكتاب^٣ ، وتاريخ وفاته ومولده ، رحمهم الله تعالى أجمعين . وهذا الذي ذكرته في هذه الترجمة نقلته من عدة مواضع : منها كتاب « أخبار الوزراء » تأليف صاحب ابن عباد ، وكتاب « عيون السير » تأليف محمد بن عبد الملك الهمداني ، وكتاب « الوزراء » تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الفارسي^٤ ، وما منهم أحد تعرض إلى قضية عبد الله بن المعتز .

وترجمة ابن الفرات المذكور تترتب على قضية ابن المعتز فلا بد من ذكر شيء من أحوالها ، وأصح التواريخ نقلاً تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، فنذكر ما قاله في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين : إن القواد والكتّاب اجتمعوا على خلع الخليفة المقتدر ، وتناظروا فيمن يعملونه موضعه ، فأجمعوه رأيهم على عبد الله بن المعتز ، وناظروه في ذلك ، فأجابهم إليه على أنه لا يكون

١ ر : فوصل الى بغداد ليتولى الوزارة . ٢ ر : لتسع . ٣ المجلد الأول : ٣٤٦ .
٤ لي : القادسي . ٥ ر : فاجتمع .

في ذلك سفك دم ولا حرب ، فأخبروه أن الأمر يسلم إليه عفواً ، وأن جميع مَنْ وراءهم من الجند والقواد والكتّاب قد رَضُوا ، فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس في ذلك محمد بن داود بن الجراح وأبا المنثى أحمد بن يعقوب القاضي ، وواطأ محمد بن داود جماعة من القواد على الفتك بالمقتدر والعباس بن الحسن ؛ قلت : وكان وزير المقتدر يومئذ .

قال الطبري : وكان العباس بن الحسن على ذلك قد واطأ جماعة من القواد على خلع المقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتز ، فلما رأى أمره مستوسقاً له مع المقتدر على ما يُحِبُّ بدا له فيما كان قد عزم عليه من ذلك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، يعني الوزير المذكور ، وقال الطبري : وكان الذي تولى قتله [بدر الأعجمي] والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، ولما كان من غد هذا اليوم ، وهو يوم الأحد ، خلع المقتدرَ الكتّابُ والقواد وقضاة بغداد^١ ، وبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوه الراضي بالله ، وكان الذي يأخذ البيعة له على القواد ويلى استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش . وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوة إلى انتصاف النهار ، وفي هذا اليوم انفضتِ الجموع التي كان ابن داود جمعها لبيعة ابن المعتز عنه ، وذلك أن الخادم الذي يدعى مؤنساً حمل غلماناً من غلمان الدار في الشدوات - قلت : وهي عندهم المراكب - قال : فصاعد بها وهم فيها وهي في دجلة ، فلما جاوزوا الدار^٢ التي فيها ابن المعتز ومحمد بن داود صاحوا بهم ورشقوهم بالنشاب ، فتفرقوا وهرب من كان في الدار من الجند والقواد والكتّاب وهرب ابن المعتز ، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر ، فاعتذروا إليه بأنهم منعوا^٣ من المصير إليه ، واستخفى بعضهم ، فطلبوا وأخذوا وقتلوا وانتهت العامة دور ابن داود ، وأخذ ابن المعتز فيمن أخذ ؛ انتهى كلام الطبري في ذلك .

١ لي : والبيعة . ٢ ر : الدكة .
٣ ر : بأنه منع . ٤ ر : ما ذكره .

(135) فنذكر ما قال^١ غيره ، جمعه من مواضع متفرقة ، حاصله أن عبد الله بن المعتز رتب للوزارة في ذلك اليوم محمد بن داود المذكور ، وللقضاء أبا المثنى المذكور ، فلما انتقض أمره وأخذ ابن المعتز استتر ابن داود ، وكان من فضلاء أهل عصره وله عدة تصانيف منها كتاب « الورقة في أخبار الشعراء » وكتاب « الوزراء » وغير ذلك ، ثم ظهر لمؤنس الخادم المذكور ، وخافه أبو الحسن علي بن الفرات المذكور ، فأشار على مؤنس بقتله ، فقتل وأخرج وطرح في سقاية عند المأمونية ، فحمل إلى منزله ، وكان قتله في شهر ربيع الآخر^٢ من السنة ، ومولده في سنة ثلاث وأربعين ومائتين في الليلة التي توفي فيها إبراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره .

ولما عاد أمر المقتدر إلى ما كان عليه وقد قتل وزيره العباس بن الحسن في التاريخ الذي ذكره الطبري استوزر أبا الحسن علي بن الفرات المذكور ، فأول ما ظهر^٣ من محاسنه أنه حمل إليه من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان ، فقال : أعلمت ما فيها ؟ قيل : نعم ، جرائد بأسماء^٤ من بايعه ، فقال : لا تفتحوهما ، ودعا بنار فطرح الصندوقين^٥ فيها ، فلما احترقا قال : لو فتحتها وقرأت ما فيها^٦ فسدت نيات الناس بأجمعهم علينا ، واستشعروا منا ، ومع ما فعلناه قد هدأت القلوب وسكنت النفوس .

ومما يتعلق بهذه الترجمة أن القاهر بالله لما خُلع وسُملت عيناه كما ذكرناه آل به الأمر^٧ إلى أن خرج إلى جامع المنصور ببغداد ، فعرّف الناس بنفسه ، وسألهم التصديق عليه ، فقام إليه ابن أبي موسى الهاشمي فأعطاه ألف درهم ، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب .

وقد سبق ذكر عبد الله بن المعتز في ترجمته ، لكن هذه الحاجة دعت إلى إعادتها ها هنا .

ونقلت من كتاب « الأعيان والأمائل » تأليف الرئيس أبي الحسن هلال بن الحسن بن أبي إسحاق إبراهيم الصابي : وحدث القاضي أبو الحسين عبيد الله بن

١ ر : ذكره . ٢ ر : الأول . ٣ ظهر للناس . ٤ لي : باسم .
٥ ر : الصندوقان . ٦ لي : وقرأتها . ٧ ر : الحال .

عباس أن رجلاً اتصلت عطلته ، وانقطعت مادته ، فزور كتاباً من أبي الحسن ابن الفرات إلى أبي زنبور المادرائي^١ عامل مصر في معناه يتضمن الوصاة به والتأكيد في الإقبال عليه والإحسان إليه ، وخرج إلى مصر فلقبه به ، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة وكون الدعاء ألين^٢ مما يقتضيه محله ، فراعاه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة ، واحتبس عنده على وعد وعده به ، وكتب إلى أبي الحسن ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستثبته فيه ، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور ، فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه ، وما يقال في ذلك مما قد استوفى الخطاب^٣ فيه ، وعرضه على كتابه وعرفهم الصورة فيه ، وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل ، وقال لهم : ما الرأي في أمر هذا الرجل عنكم ؟ فقال بعضهم : تأديبه أو حبسه ، وقال آخر : قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا أو يقتدي به غيره فيما هو أكثر من هذا ، وقال أجملهم محضراً : يكشف لأبي زنبور قصته ويرسم له طرده وحرمانه ، فقال ابن الفرات : ما أبعدم عن الخيرية والحرية وأنقر طباعكم منها ! رجلٌ توَسَّل بنا وتحمل المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح مجاهدنا ، واستمداد صنع الله عز وجل بالانتساب إلينا ، يكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضراً تكذيب ظنه وتخيب سعيه ، والله لا كان هذا أبداً ! ثم إنه أخذ القلم من دواته وكتب على الكتاب المزور « هذا كتابي ، ولست أعلم لم أنكرت أمره ، واعترضتكم شبهة فيه ، وليس كل من خدَمنا وأوجب حقاً علينا تعرفه ، وهذا رجل خدمني في أيام نكبتني ، وما أعتقده في قضاء حقه أكثر مما كلفتك في أمره من القيام به ، فأحسن تفقده ووفّر رفده وصرفه فيما يعود عليه نفعه ويصل إلينا فيما يحقق ظنه ويبين موقعه » وردّه إلى أبي زنبور من يومه ، فلما مضت على ذلك مدة طويلة دخل على أبي الحسن ابن الفرات رجلٌ ذو هيئة مقبولة وبزة

١ هامش لي : حاشية بالأصل هو أبو علي الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زنبور .

٢ ر : أكثر . ٣ لي : المقال .

٤ ر : روقع . ٥ ر : ويؤمن .

جميلة ، وأقبل يدعو له ويثنى عليه ويبكي يده وويقبل الأرض ، فقال له ابن الفرات : من أنت بارك الله فيك ؟ وكانت هذه كلمته ، فقال : صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور الذي صححه كرم الوزير وتفضّله ، فعَلَ اللهُ به وصنع ، فضحك ابن الفرات وقال : كم وصل إليك منه ؟ قال : وصل إلي من ماله وتقسط قسطه على عماله ومعامله وعمل صرّفتي فيه عشرون ألف دينار ، فقال ابن الفرات : الحمد لله ، الزمنا ، فإننا نعرّضك إلى عمل يزداد^٢ به صلاح حالك ، ثم اختبره فوجده كاتباً سديداً ، فاستخدمه وأكسبه مالاً جزيلاً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

والفرات : بضم الفاء وبعد الراء ألف وبعدها تاء مثناة من فوقها .
وتازوك : بالنون وبعد الألف زاء مضمومة وبعد الواو كاف .

٤٨٨

ابن يونس المنجم صاحب الزيج الحاكمي

أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي المنجم المصري المشهور ، صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس ، وهو زيج كبير رأبته في أربع مجلدات ، بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره ، ولم أر في الأزياج على كثرتها أطول منه ، وذكر أن الذي أمره بعمله وابتدأه له العزيز أبو الحاكم صاحب مصر - وسيأتي ذكره في حرف النون إن شاء الله تعالى .

١ ر : ويقبل الأرض ويديه . ٢ ر : لما يزداد .

٤٨٨ - ترجمته في طبقات صاعد : ٥٩ وأخبار الحكماء : ٢٣٠ والشذرات ٣ : ١٥٦ ، وانظر تاريخ الفلك عند العرب لنلتينو : ١٨٦ ، ٢٨١ وتراث العرب العلمي لقدري طوقان :

٢٤٣ - ٢٤٨ .

كان مختصاً بعلم النجوم متصرفاً في سائر العلوم بارعاً في الشعر ، وعلى إصلاحه لزيح يحيى بن منصور تعويلُ أهل مصر في تقويم الكواكب ، وعدّله القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلثمائة ، وخلف ولداً متخلفاً باع كتبه وجميع تصنيفاته بالأرطال في الصابونيين ، وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد وعمل فيها ما لا نظير له ، وكان يقف للكواكب ، قال الأمير المختار المعروف بالمسبحي : أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني أنه طلع معه إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة ، فنزع ثوبه وعمامة ولبس ثوباً نساوياً أحمر ومقنعة حمراء تقنع بها ، وأخرج عوداً فضرب به ، والبخورُ بين يديه ، فكان عجباً من العجب^١ .

قال الأمير المختار في تاريخ مصر^٢ : كان ابن يونس المذكور أبله مغفلاً ، يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة ، وكان طويلاً ، وإذا ركب ضحك منه الناس لشهرته وسوء حاله وورثاة لباسه ، وكان له مع هذه الهيئة إصابة بديمة غريبة في النجمية لا يشاركه فيها غيره ، وكان أحد الشهود ، وكان متفنناً في علوم كثيرة^٣ ، وكان يضرب بالعود على جهة التأدب ، وله شعر حسن فمنه قوله :

أَحْمَلُ نَشْرَ الرِّيحِ عِنْدَ هَبْوِهِ رِسَالَةَ مَشْتَاقِ لُوجِهِ حَبِيبِهِ
بِنَفْسِي مَنْ تَحْيَا النُّفُوسُ بِقُرْبِهِ وَمَنْ طَابَتْ الدُّنْيَا بِهِ وَبَطْبِيهِ
لِعَمْرِي لَقَدْ عَطَلْتُ كَأْسِي بَعْدَهُ وَغَيَّبْتُهَا عَنِّي لِطُولِ مَغْيَبِهِ
وَجَدَّدَ وَجْدِي طَائِفَ مَنْهُ فِي الْكُرَى سَرَى مَوْهِنًا فِي خَفِيَةِ مَنْ رَقِيبِهِ

وله شعر كثير .

وقد تقدم ذكر والده في حرف العين وهو صاحب التاريخ - وسيأتي ذكر

١ كان مختصاً ... العجب : انفردت به ر ، وفي موضعه في المسودة احالة على تخریجة .
٢ في النسخ : قال الأمير المختار المعروف بالمسبحي ؛ وقد ورد قبل قليل ، والسبب في عدم ايجازه أن النص السابق غير موجود الا في ر .
٣ زاد هنا في لي ل س والمسودة : وكان قد أفنى... لا نظير له ؛ وقد مر هذا النص قبل سطور .

جده في حرف الياء إن شاء الله تعالى .

ويحكى أن الحاكم العبيدي صاحب مصر قال وقد جرى في مجلسه ذكر ابن يونس وتفغله : دخل إلى عندي يوماً ومداسه بيده ، فقبل الأرض وجلس وترك المداس إلى جانبه ، وأنا أراه وأراها ، وهو بالقرب مني ، فلما أراد أن ينصرف قبل الأرض وقدم المداس ولبسه وانصرف . وإنما ذكر هذا في معرض غفلته وقلة اكتراثه .

وقال المسبّحي : كانت وفاته بكرة يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فجأة ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه في الجامع بمصر القاضي مالك بن سعيد [بن أحمد بن محمد بن سليمان بن ثواب]^٣ ، ودفن بداره بالفرائين .

٤٨٩

الفقيه عمارة اليمني

الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن ريدان^٤ بن أحمد^٥ الحكيمي اليمني ،

١ لي : الانصراف .

٢ ن : وغالب ظني أنه توفي بمصر ، ثم سقطت العبارة حتى لفظة « ثواب » .

٣ انظر التعليق على نسب عمارة ، الحاشية رقم : ٤ فيا يلي .

٤٨٩ - ترجمته في الحريرة (قسم الشام) ٣ : ١٠١ والروضتين ٢/١ : ٥٧٢ وتاريخ ابن الاثير ١١١ :

٣٩٨ ومفرج الكروب ١ : ٢١٢ ، ٢٣٨ ومرآة الزمان ٢٧٧ ، ٣٠٢ والسلوك ١/١ : ٥٣

والنجوم الزاهرة ٦ : ٧ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٨ والشذرات ٤ : ٢٣٤ وصبح الأعشى ٣ :

٥٢٦ وكشف الظنون : ١٧٧٧ وقد كتب أخباره على نحو سيرة ذاتية في كتابه « النكت

المصرية » ؛ وهذه الترجمة أوردتها المسودة بكاملها .

٤ ريدان : بالراء المهملة في المسودة ، وبالزاي في ل ن وكذلك في النكت المصرية واليتمية ؛ وفي

ر : بدران .

٥ أحمد : نبشت في س ل لي ر ؛ وسقطت من ن ؛ وفي م : زيد بن ثواب الحكمي ، وفي المسودة

تحشية مضللة ، فإذا كان أحمد في نسب عمارة - وهو موجود حقاً - فتتمة النسب يجب أن تكون =

الملقب نجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ نقلت من بعض تواليفه^١ أنه من قحطان ، ثم الحكم بن سعد العشيبة المذحجي ، وأن وطنه من تهامة باليمن مدينة يقال لها مرطان من وادي وساع^٢ ويُعدّها من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يوماً ، وبها مولده ومرباه ، وأنه بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسة ، ورحل إلى زيد سنة إحدى وثلاثين وخمسة ، فأقام بها يشتغل بالفقه في بعض مدارسها مدة أربع سنين ، وأنه حج سنة تسع وأربعين وخمسة ، وسيّره قاسم بن هاشم ابن فليته صاحب مكة شرفها الله تعالى رسولا إلى الديار المصرية ، فدخلها في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسة ، وصاحبها يومئذ الفاضل بن الظافر ، والوزير الصالح ابن رزيك - المذكور في حرف الطاء - وأنشدهما في تلك الدفعة قصيدته الميمية ، وهي^٣ :

الحمدُ للعيسِ بعد العزمِ والهممِ	حمداً يقومُ بما أولتُ من النعمِ
لا أجدُ الحقَّ عندي للركابِ يدُ	تمنتُ اللّجُمُ فيها رتبةَ الخُطُمِ
قرّين بعد مزار العز من نظري	حقى رأيت إمام العصر من أمم
ورُحْن من كعبة البطحاء والحرم	وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيتُ أني بعد فرقتَه	ما سرتُ من حرمٍ إلا إلى حرم
حيث الخلافة مضروبٌ سُرادقها	بين النقيضين من عفو ومن نقم
ولالإمامة أنوارٌ مقدّسة	تجلو البغيضين من ظلّم ومن ظلّم
وللنبوة آيات تنصُّ لنا	على الحقيين ^٥ من حكم ومن حكم

= « ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن ثواب » فهذا هو المكتوب بأثر لفظة ريدان في المسودة ولكن بعض النسخ ألحقت « محمد بن سليمان بن ثواب » بنسب القاضي مالك بن سعيد (انظر آخر الترجمة السابقة) .

١ انظر النكت المصرية : ٧ وما بعدها .

٢ ذكر ياقوت أن « وساع » من قرى عثر باليمن ؛ ن : زنباع ؛ ر : يتناع .

٣ النكت المصرية : ٣٢ .

٤ س ل : أوليت من نعم .

٥ ر : الحقيين .

وللمكارم أعلامٌ تعلمنا
 وللعلا ألسنٌ تثني بحامدها
 ورايةُ الشرفِ البذاخ ترفعُها
 أقسمتُ بالفائزِ المعصوم معتقداً
 لقد حمى الدينَ والدنيا وأهلها
 اللابس الفخر لم تنسج غلائلهُ
 وجوده أوجدَ الأيام ما اقترحت
 قد ملكته العوالي رِقٌ مملكة
 أرى مقاماً عظيمَ الشأن أوهمني
 يوم من العمر لم يخطر على أمني
 ليت الكواكب تدنوني فأنظِمها
 ترى الوزارة فيه وهي باذلة
 عواطف علمتنا أن بينها
 خليفة ووزير مَدٌ عدلها
 زيادة النيل نقص عند قبضها
 مدحَ الجزيلين من بأس ومن كرم
 على الحميدين من فعل ومن شيم
 يدُ الرفيعين من مجدٍ ومن همم
 فوز النجاة وأجرَ البر في القَسَم
 وزيرُه الصالح الفراج للغمم
 إلا يد الصنّعين السيف والقلم
 وجوده أعدمَ الشاكين للعدم
 تُعيرُ أنفَ الثريا عزةَ الشَمَم
 في يَقظتي أنها من جملة الحلم
 ولا ترقّتْ إليه رغبةُ الهمم
 عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
 عند الخلافة نصحاً غير متهم
 قرابة من جميل الرأي لا الرّحيم
 ظللاً على مفرقِ الإسلام والأمم
 فما عسى تتعاطى منةَ الديقم

فاستحسننا قصيدته وأجزلا صلته ، وأقام إلى شوال من سنة خمسين في أرغد
 عيش وأعز جانب ، ثم فارق مصر في هذا التاريخ وتوجه إلى مكة ومنها
 إلى زبيد في صفر سنة إحدى وخمسين ، ثم حج من عامه فأعاده قاسم
 صاحب مكة المذكور في رسالة إلى مصر مرة ثانية ، فاستوطنها ولم يفارقها
 بعد ذلك .

ورأيت في كتابه الذي جعله تاريخ اليمن أنه فارق بلاده في شعبان سنة
 اثنتين وخمسين ، وكان فقيهاً شافعي المذهب شديد التعصب للسنة ، أديباً ماهراً
 شاعراً مجيداً محادثاً متمعاً ، فأحسن الصالح وبنوه وأهله إليه كل الإحسان ،
 وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته ، وله في الصالح وولده مدائح كثيرة

— وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة شاور السعدي والصالح^١ ، وما رثاه به —
وكانت بينه وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه ، فلما وزر
استحال عليه ، فكتب إليه^٢ :

إذا لم يُسألك الزمانُ فحاربِ وباعدِ إذا لم تنتفع بالأقاربِ
ولا تحتقر كيداً ضعيفاً فربما تموت الأفاعي من سهام العقاربِ
فقد هدماً قدماً عرشاً بليقيسَ مهددٌ وخرّبَ فأرُ قبلَ ذا سُدِّ ماربِ^٣
إذا كان رأسُ المالِ عمركَ فاحترز عليه من الإنفاقِ في غيرِ واجبِ
فبين اختلافِ الليلِ والصبحِ مَعْرَكِ يكرهُ علينا جيشهُ بالمعائبِ
وما راعني غدراً الشبابِ لأنني أنستُ بهذا الخُلُقِ من كلِ صاحبِ
وغدراً الفتى في عهده ووفائه وغدراً المواضي في نُبوِّ المضاربِ
ومنها :

إذا كان هذا الدرُّ معدنه فمي فصونوه عن تقبيلِ راحةِ واهبِ
رأيت رجلاً أصبَحَتْ في مادبِ لديكم وحالي وحدها في نوادبِ
تأخرتُ لما قدَّمَتْهُمُ علاكمُ عليّ وتأبى الأسدُ سَبَقَ الثعالبِ
تُرى أين كانوا في مواطني التي غدوت لكم فيهن أكرم نائبِ
لياليَ أتلو ذكركم في مجالسِ حديثِ الوري فيها بغمزِ الحواجبِ

وزالت دولة المصريين وهو في البلاد .

ولما ملك السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، مدحه ومدح جماعة من أهل
بيته ، يتضمن ديوانه جميع ذلك ، وكتب إلى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح
حاله وضرورته ، وسماها « شكاية المتظلم ونكاية المتألم » وهي بديعة ، ورثى

١ انظر الترجمتين رقم : ٢٨٥ و ٣١١ .

٢ التكت المصرية : ١٣٠ .

٣ بهامش المسودة : مارب مدينة السد .

أصحابَ القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها ، وغالبُ شعره جيد .

ثم إنه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للمصريين وإعادة دولتهم ، فأحسن بهم السلطان صلاح الدين ، وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة المذكور، وشنَقهم في يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة ، رحمهم الله تعالى، وكان قبضهم يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة .

وله تواليف منها كتاب « أخبار اليمن » وفيه فوائد ، ومنها « النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية » وغير ذلك .

وقال العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة »^١ : إنه صُلب في جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير عليه ، يعني السلطان صلاح الدين ، ومكاتبة الفرنج واستدعائهم إليه ، حتى يُجلسوا ولدأ للعاقد ، وكانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر ، فحضر عند صلاح الدين وأخبره بما جرى ، فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكراً ، فقطع الطريق على عمُر عمارة ، وأعيض بخراجه عن العمارة ، ووقعت اتفاقات عجيبة ، فمن جملتها أنه نسب إليه بيت من قصيدة ذكروا أنه يقول فيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن يدعوهُ سيدَ الأمم

ويجوز أن يكون البيت معمولاً عليه ، فأفقى فقهاء مصر بقتله ، وحرضوا السلطان على المثلثة بمثله ، ومنها أنه كان في النوبة التي لا تقال عثرتها ، ولا يحترم الأديب فيها ولو أنه في سماء النظم والنثر نثرتها ، ومنها أنه كان قد هجا أميراً فعد ذلك من كبائره ، وجرى عليه الردى في جرائره ؛ ثم قال في آخر ترجمته^٢ : والمعجب من عمارة أنه تأبى في ذلك المقام عن الانتاء إلى القوم [وترك] ، وغطى القدر على بصره حتى أراد أن يتعصب لهم ويميد دولتهم

١ الخريدة ٣ : ١٠٣ وما بعدها .

٢ الخريدة ٣ : ١٤٠ - ١٤١ .

فهلك ؛ وإنما قال العماد هذا لأجل الأبيات التي كتبها الصالح بن رُزَيْك يرغبه في التشيع ، وهي في الورقة التي هي قريبا .

والمَذْحِجِي : بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها جيم ، هذه النسبة إلى مَذْحِج ، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ، وإنما قيل له مذحج لأنه ولد على أكمة حمراء باليمن يقال لها مذحج فسمي بها ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

٤٩٠

عمر بن أبي ربيعة الخزومي

أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَةَ بن مرة ، القرشي الخزومي الشاعر المشهور ؛ لم يكن في قريش أشعر منه ، وهو كثير الفزك والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، وله في ذلك حكايات مشهورة . وكان يتنزل في شعره بالثرثيا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية ، وقال السهيلي في « الروض الأنف » : هي الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر علياً ، ثم قال : وقتيلة ابنة

١ يعني أن القصيدة التي كتبها الصالح يرغب فيها عمارة بالتشيع موجودة في الورقة السابقة التي ورد فيها تعليق العماد ، ومن تلك القصيدة :

أقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى قل حطةً وادخل إلينا البسابا
تلقى الأئمة شافعين ولا ترى إلا لديهم سنة وكتابا

وانظر النكت : ٤٥ .

٤٩٠ - ترجمته وأخباره مبثوثة في كثير من كتب الأدب ، انظر مثلاً الأغاني ١ : ٧١ - ٢٣٠ والشعر والشعراء : ٤٥٧ والخزانة ١ : ٢٤٠ والموشح : ٢٠١ ومرح العميون : ١٩٨ وشرح شواهد المغني : ١١ وزهر الآداب : ٢٤٦ - ٢٥٧ والشذرات ١ : ١٠١ .

النضر جَدَّتْهَا ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها وهو والد
الثريا ، وهذه قَتِيلَةٌ هي التي أنشدت رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عقيب
وقعة بدر الأبيات القافية ، وكان قد قتل أباهما النضر بن الحارث بن علقمة بن
كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي ، وقيل كان أخاها ،
ومن جملة الأبيات :

أحمد ولأنت ضنءٌ نجيبيةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ مُفَرَّقُ
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما مَنَّ الفتي وهو المَغِيظُ المَحْتَقُ
فالنضر أقربُ من تركت وسيلةً وأحقتهم إن كان عتق يُعْتَقُ

فقال عليه السلام : لو سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلتها ؛ وكان شديد
العداوة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأسره في يوم بدر ، فلما رجع إلى
المدينة أمر علي بن أبي طالب ، وقيل المقداد بن الأسود بقتله ، فقتله صبراً بين
يديه بالصفراء ، وهي مكان بين المدينة وبدر ؛ وهذه الأبيات من جملة أبيات
مذكورة في كتاب « الحماسة »^٣ في باب المراثي .

وكانت الثريا موصوفةً بالجمال ، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف
الزهري ، رضي الله عنه ، ونقلها إلى مصر ، فقال عمر المذكور في زواجها
يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين ؛ :

أيها المنكحُ الثريا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهُ كيف يلتقيانِ
هي شاميةٌ إذا ما استَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا استَقَلَّ يمانِي

وهذه الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريص المغني المشهور^٥ صاحب معبد ،

-
- ١ انظر ترجمتها وقصيدتها القافية في أسد الغابة ٥ : ٥٣٣ والاصابة ٨ : ١٦٩ .
 - ٢ الضنء - بالفتح ويكسر - الولد ؛ وكتب فوقها في المسودة « نجل » ولقظة « معاً » ؛ وفي ن :
 - ابن ؛ ر : أنت ابن خير . ٣ شرح المازوني (الحماسة رقم : ٣٣٢) .
 - ٤ ديوان عمر : ٤٣٨ .
 - ٥ أخبار الغريص في الأغاني ٢ : ٣١٨ .

واسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ، وسمي الغريض باسم الطُّنح ، ويقال فيه الغريض والاعريض ، وإنما سمي به لتقاء لونه ، وقيل إنما سمي به لظراوته .

[يروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام [بترس] قبيح ، فقال له : يا أبا الشام ، مجنّ ابن أبي ربيعة أحسن من مجنّك ، يريد قول ابن أبي ربيعة :

وكان مجنّي دون من كنت أتقي ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

وهذا البيت من جملة قصيدة ، وهي من ظريف شعره ، فمن جملتها :

فحييت إذ فاجأتها فتلفت	وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان : فضحتني	وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك إن هنتا عليك ولم تحف	رقيباً وحولي من عدوك حُضِر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة	سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها : بل قادي الشوق والهوى	إليك وما عين من الناس تنظر
فلما تقضى الليل إلا قليله	وكادت توالي نجمه تنغور
أشارت بأن الحيّ قد حان منهم	هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني إلا منادٍ برحلة	وقد لاح مفترق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم	وأيقاظهم قالت : أشر كيف تأمر
فقلت : أباديهم فإما أفوتهم	وإما أسلّ السيف ثاراً فيثار
فقلت : أتحقيقاً لما قال كاشح	علينا وتصديقاً لما كان يؤثر
وإن كان ما لا بد منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقصّ على أختي بدء حديثنا	وما لي من أن يعلمنا متأخر
لعلها ان يبغيها لك مخرجاً	وأن يرحبا سرباً بما كنت أحصر
فقلت لأختيها : أعينا على فتى	أتى زائراً والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :	أقلتي عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكراً
وكان مجنّي دون من كنت أتقي
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر^١
ومن شعر عمر المذكور أيضاً^٢ :

حَيّ طَيِّفاً من الأحبة زارا
طارقاً في المنام تحت دُجى اللية
بعدهما صرّع الكرى السُّمّارا
ل ضنيناً بأن يزورَ نهارا
قلتُ ما بالنّا جُفينا وكنّا
قبلَ ذلكَ الأسماعَ والأبصارا
قال إنا كما عهدتَ ولكن
شغلَ الحليَ أهله أن يعارا

وكانت ولادته في الليلة التي قُتِل فيها عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ،
وهي ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة . وغزا
في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره
مقدار سبعين سنة ، رحمه الله تعالى ، وقال الهيثم بن عدي : مات سنة ثلاث
وتسعين للهجرة ، وعمره ثمانون سنة ، والله أعلم .

وقتل والده عبد الله في سنة ثمان وسبعين للهجرة بسجستان .
وكان الحسن البصري ، رضي الله عنه ، إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي
ربيعه في الليلة التي قتل فيها عمر ، رضي الله عنه ، يقول : أي حق رفع ؟ وأي
باطل وضع ؟
وكان جده أبو ربيعة يلقب ذا الرمحين ، واسمه عمرو ، وقيل حذيفة ، وقيل
اسمه كنيته .

وكان أبوه عبد الله أخا أبي جهل ابن هشام المخزومي لأمه ، وأمها أسماء
بنت مخزبة ، من بني مخزوم ، وقيل من بني نهشل ، وهما ابناع عم ، يجمعها
المغيرة بن عبد الله .

ويَقَطِّطُ : بفتح الياء المثناة من تحتها والقاف والطاء المعجمة .

١ القصيدة في الديوان : ١٢٠ - ١٢٧ ، وهذه زيادة من ررحدهما ، وليس في المسودة أدنى إشارة
توحي بهذه الزيادة ، وفي بعض رواية القصيدة اختلاف عما في الديوان لم نشر إليه .

٢ ديوانه : ٢٠٩ .

عمر بن شبة

أبو زيد عمر بن شبة^١ ، واسمه زيد وشبة لقب^٢ ، ابن عبيدة بن زيد ، ويقال ابن رايطة^٣ ، النميري البصري ؛ كان صاحب أخبار ونوادر ورواية واطلاع كثير ، وصنف « تاريخ البصرة » . روى القراءة عن جبلة بن مالك عن الفضل عن عاصم بن أبي النجود ، وسمع الحروف من محبوب بن الحسن ، وروى عن عبد الوهاب الثقفي وعمرو بن علي ، وروى القراءة عنه عبد الله بن سليمان وعبد الله بن عمرو الوراق وأحمد بن فرج ، وسمع منه أبو محمد ابن الجارود وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال : صدوق ، وروى عنه الحافظ محمد بن ماجه صاحب السنن وغيره .

وقد تقدم ذكره في ترجمة العباس بن الأحنف^٣ . وكانت ولادته يوم الأحد مستهل رجب سنة ثلاث وسبعين ومائة . وتوفي يوم الاثنين لست بقين ، وقيل يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وستين ومائتين بسراً من رأى ، رحمه الله تعالى .

وشبة : بفتح الشين وتشديد الباء الموحدة .

والنميري : بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم .

٤٩١ - ترجمته في نور القبس : ٢٣١ والفهرست : ١١٢ - ١١٣ وتاريخ بغداد : ١١ : ٢٠٨ ومعجم

الأدباء : ١٦ : ٦٠ وبغية الوعاة : ٣٦١ وتهذيب التهذيب : ٧ : ٤٦٠ وعبر الذهبي : ١ : ٣٦٢

والشذرات : ٢ : ١٤٦ ، وقد استوفت المسودة هذه الترجمة .

١ قيل انه لقب به لأن أمه كانت ترقصه وتقول : يا بآبي وشبًا ... الخ .

٢ نور القبس : ربيعة .

٣ انظر الترجمة رقم : ٣١٩ .

الخرقي

أبو القاسم عمر بن أبي علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخِرَاقِي الفقيه الحنبلِي؛ كان من أعيان الفقهاء الحنابلة، وصنف في مذهبهم كتباً كثيرة من جملتها المختصر الذي يشغل به أكثر المبتدئين من أصحابهم^١، وكان قد أودعها في بغداد لما عزم على السفر إلى دمشق لما ظهر بها - أعني بغداد - من سبِّ السلف، فاحترقت في غيبته.

وتوفي بدمشق، وقيل ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، رحمه الله تعالى. وكان والده أيضاً من الأعيان، روى عن جماعة، وروى عنه جماعة، رحمهم الله أجمعين.

والخِرَاقِي: بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وبعدها قاف، هذه النسبة إلى يسع الخِرَاقِي والثياب.

٤٩٢ - ترجمته في طبقات الشيرازي، الورقة: ٥٠. وتاريخ بغداد ١١: ٢٣٤. والمنتظم ٦: ٣٤٦. وطبقات الحنابلة ٢: ٧٥ - ١١٨ والأنساب ٥: ٩٩ واللباب: (الخرقي) والنجوم الزاهرة ٣: ١٧٨ والشذرات ٢: ٣٣٦ وعبر الذهبي ٢: ٢٣٨؛ وسقطت هذه الترجمة من م وجاءت مستوفاة في المسودة.

١ يقال إن عدد مسائل المختصر ٢٣٠٠ مسألة، وانظر بعض هذه المسائل في طبقات الحنابلة.

عمر بن ذر

أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زُرارة بن معاوية بن منبه بن غالب بن وقش بن قُسَيْم بن مُهَبَّة بن دُعَام بن مالك بن معاوية بن صعْب بن دُوَمان ابن بكيل بن جُشَم بن مالك ، وهو الحارث بن عبد الله بن كبير بن مالك ابن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن هَمْدان ، هكذا ساق نسبة هشام بن الكلبي في كتاب « جهرة النسب » الهمداني الكوفي الفقيه القاص ؛ كان صالحاً عابداً كبير القدر ، روى عن عطاء ومجاهد ، وروى عنه وكيع وأهل العراق ، وكان ولده ذر كثير البرّ له^١ شديد التوفّر على طاعته^٢ ، ولما حضرته الوفاة دخل عليه أبوه عمر المذكور وهو يجود بنفسه ، فقال له : يا بني ، إنه ما علينا من موتك غَضاضة ، ولا بنا إلى أحد سوى الله من حاجة ، فلما قضى صلى عليه ودفنه ووقف على قبره وقال : أما والله يا ذر لقد شغلنا البكاء لك عن البكاء عليك ، لأننا ما ندرى ما قلتَ ولا ما قيل لك ، اللهم إني قد وهبتُ له ما قَصَّر فيه مما افترضتَ عليه من حقي ، فهب لي ما قصر فيه مما افترضت عليه من حَقِّك واجعل ثوابي عليه له ، وزدني من فضلك إني إليك من الراغبين .

وقيل له : كيف كان برُّ ابنك بك ؟ فقال : ما مَشَيْتُ قط بنهار وهو

٤٩٣ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٦٢ وحلية الأولياء ٥ : ١٠٨ وصفة الصفوة ٣ : ٥٨ وعبر الذهبي ١ : ٢٢٦ وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٤٤ والشذرات ١ : ٢٤٠ ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من م وقد ورد النسب موجزاً في س ل ن لي ، لأنه من تحشيشات المسودة ، والترجمة مستوفاة فيها .

١ ن : البركة .

٢ ن : فاتفق أنه مات في حياته فلما دفنه والده وقف على قبره وقال ... الخ ؛ وقد عكس الترتيب بين هذا الموقف والذي يليه ، وكان ذلك ثابتاً في المسودة ثم غيره المؤلف وعدل عنه .

معي إلا مشى خلفي ، ولا بليل إلا مشى أمامي ، ولا رَقِيَّ سطحاً وأنا تحته .
ويحكى عنه في ذلك أشياء كثيرة . وكان عمر المذكور يُعَدُّ من المرجئة . وتوفي
سنة ست ، وقيل خمس وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وذَرَّ : بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء .

والهَمْدَانِي : بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة ، وقد تقدم الكلام
عليها ، وإنما قيدتها كيلا تتصحف بالهمداني .

وزُرَّارَة : بضم الزاي وفتح الراءين بينها ألف .
وكان أبوه ذر فقيهاً أيضاً .

٤٩٤

الثماني

أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني الضرير النحوي ؛ كان قَيِّماً بعلم النحو
عارفاً بقوانينه^١ ، شرح كتاب « اللع » لابن جني شرحاً تاماً حسناً أجاد فيه ،
وانتفع بالاستشغال عليه جمعٌ كبيرٌ^٢ ؛ وكان نحوياً فاضلاً ، أخذ النحو عن أبي
الفتح ابن جني ، وأخذ عنه الشريف أبو المعمر يحيى بن محمد بن طباطبَا
العلوي الحسيني ، وشرح كتاب « اللع » في التصريف لابن جني أيضاً^٣ ، وكان
هو وأبو القاسم ابن برهان متعارضين يُقرئان الناس بالكَرْنِخ ببغداد ، فكان

٤٩٤ - ترجمته في معجم الأدباء ١٦ : ٥٧ ونكت الهميان : ٢٢٠ والمنتظم ٨ : ١٤٦ ومعجم
البلدان : (ثمانين) وبغية الوعاة : ٣٦٠ وعبر الذهبي ٣ : ٢٠٠ والشذرات ٣ : ٢٦٩ وقد
سقطت الترجمة من م .

١ ر : بالعربية .

٢ ن : خلق كثير .

٣ هذا مكرر فقد سبق قبل أسطر .

خواص الناس يقرأون على ابن برهان ، والعوام يقرأون على الثمانيني^١ .
وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والثمانيني : بفتح الثاء المثلثة والميم وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة
من تحتها ثم نون أخرى ، هذه النسبة إلى ثمانين ، وهي قرية من نواحي جزيرة
ابني عمر عند الجبل الجودي . وهي أول قرية بنيت بعد الطوفان ، وسميت
بعدد الجماعة الذين خرجوا من السفينة مع نوح عليه السلام ، فإنهم كانوا ثمانين
وبنى كل واحد منهم بيتاً ، فسميت القرية ثمانين ، وقد خرج من هذه القرية جماعة .
[وتوفي الشريف ابن طباطبا المذكور في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين
وأربعمائة ، رحمه الله تعالى]^٢ .

٤٩٥

ابن البزري

أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة ، المعروف بابن البزري الجزري
الفقيه الشافعي إمام جزيرة ابني عمر وفقهها ومفتيها ؛ تفقه أولاً بالجزيرة على
الشيخ أبي الغنائم محمد بن الفرج بن منصور بن إبراهيم بن الحسن السامي الفارقي
نزيل جزيرة ابني عمر ، ثم رحل إلى بغداد ، واشتغل على الكيا الهراسي وحجة
الإسلام أبي حامد الغزالي ، وسمع عليه وعلى أخيه أحمد ، وصحب الشاشي
صاحب كتاب « المستظري » وأدرك جماعة من العلماء ، واستفاد منهم ، ورجع

١ وكان نحوياً ... الثمانيني : انفردت به ر ، وأشار في موضعه في المسودة إلى أنه ينوي إضافة
« التخريجة » .

٢ انفردت ربما بين معقنين ، وليس له وجود في المسودة .

٤٩٥ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٨٨ وممجم البلدان (جزيرة ابن عمر) والنجوم الزاهرة ٥ :
٣٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ١٧١ والشذرات ٣ : ١٨٩ وقد سقطت الترجمة من م ؛ وهي مستوفاة
في المسودة .

إلى الجزيرة ودرس بها ، وقصِد من البلاد للاشتغال عليه وبطريقته ، وصنف كتاباً شَرَح فيه إشكالات كتاب « المذهب » للشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغريبَ ألفاظه وأسماء رجاله ، سماه « الأسامي والعلل من كتاب المذهب » وهو مختصر .

وكان من العلم والدين في محل رفيع ، وكان أحفظ مَنْ بقي في الدنيا على ما يقال لمذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وكان الغالب عليه المذهب ، وانتفع به خلق كثير ، وكان ينعمت زين الدين جمال الإسلام . ومولده في سنة إحدى وسبعين وأربعمئة . وتوفي في ثاني شهر ربيع الأول ، وقيل الآخر ، سنة ستين وخمسمئة بالجزيرة ، رحمه الله تعالى . وما خلف مثله ، وله تلاميذ كثيرون^١ .

(136) وتوفي شيخه أبو الغنائم الفارقي المذكور سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة ، رحمه الله تعالى ، وعليه اشتغل الفقيه عيسى بن محمد الهكاري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بالجزيرة .

والبَزْرِي : بفتح الباء الموحدة وسكون الزاي وبعدها راء ، هذه النسبة إلى عمل البَزْر أو بيعه ، والبَزْر في تلك البلاد اسم للدَّهْن المستخرج من حب الكتان ، وبه يستصَبحون .

١ رقت هذه الجملة في س ل لي في وصف شيخه أبي الغنائم بعد لفظة « بالجزيرة » ، وموضعها في المسودة يجيز هذا الاضطراب ، وقد سقطت من ن .

شهاب الدين السهروردي

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمّويه ، واسمه عبد الله ، البكري الملقب شهاب الدين السهروردي - وقد تقدم تنمة نسبه إلى أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، في ترجمة عمه الشيخ أبي النجيب عبد القاهر ، فأغنى عن إعادته ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرّج عليه خلق كثير من الصوفية في الجاهدة والخلوة ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله ، وصحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ ، والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وغيرهما ، وانحدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد ابن عبد ، ورأى غيرهم من الشيوخ ، وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف ، وقرأ الأدب ، وعقد مجلس الوعظ سنين . وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له مجلس وعظ ، وعلى وعظه قبول كثير وله نفس مبارك ؛ حكى لي من حضر مجلسه أنه أنشد يوماً على الكرسي :

لا تَسْقِنِي وَحْدِي فَمَا عَوَّدْتَنِي أَنِي أَشِحُّ بِهَا عَلَى جُلَاسِي
أَنْتَ الْكَرِيمُ وَلَا يَلِيقُ تَكَرُّمًا أَنْ يَعْبرَ النَّدْمَاءَ دَوْرُ الكَاسِ

فتواجد الناس لذلك ، وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع كبير .
وله تواليف حسنة منها كتاب « عوارف المعارف » وهو أشهرها ، وله شعر فمناه ٣ :

- ٤٩٦ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٦٣ وطبقات الشافعية ٥ : ١٤٣ والحوادث الجامعة : ٧٤
ومرآة الزمان : ٦٧٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٩٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٢٩ والشذرات ٥ :
١٥٣ والبداية والنهاية ١٣ : ١٣٨ ، ١٤٣ والبدر السافر ، الورقة : ٤٨ .
١ ل س : وفقن الأدب .
٢ ر : أن يصبر الندمان دون . ٣ ر لي : من ذلك قوله .

تصرمتْ وحشة الليالي وأقبلتْ دولة الوصالِ
 وصار بالوصل لي حَسوداً مَنْ كان في هجركم رثى لي
 وحقكم بعد إن حصَلتم بكل ما فات لا أبالي
 أحيتموني وكنت ميتاً وبعتموني بغير غالي
 تقاصرت عنكم قلوبٌ فيا له مورداً حلا لي
 علي ما للورى حرام وحبكم في الحشا حلا لي
 تشربت أعظمي هواك فما لغير الهوى وما لي
 فما على عادم أجاباً وعنده أعين الزلال

ورأيت جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه ، كجاري
 عادة الصوفية ، فكانوا يحكون غرائب مما يطراً عليهم فيها وما يجدونه من
 الأحوال الخارقة ، وكان قد وصل رسولاً إلى إربل من جهة الديوان العزيز ،
 وعقد بها مجلس وعظ ، ولم تتفق لي رؤيته لصغره السن .

وكان كثير الحج ، وربما جاور في بعض حججه ، وكان أرباب الطريق من
 مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم ؛
 سمعت أن بعضهم كتب إليه « يا سيدي إن تركت العمل أخذت إلى البطالة ،
 وإن عملت داخلني العجب ، فأيهما أولى ؟ » فكتب جوابه : « اعمل واستغفر
 الله تعالى من العجب » . وله من هذا شيء كثير ، وذكر في كتابه « عوارف
 المعارف » أبياتاً لطيفة منها :

أشم منك نسيماً لست أعرفه أظن لَمَياء جَرَّتْ فيك أذبالا
 وذكر فيه أيضاً :

إن تأملتكم فكلّي عيونٌ أو تذكرتكم فكلّي قلوبٌ

١ هذا البيت وقع رابعاً في لي .

٢ لي : بصغر .

وذكر أشياء غير هذا لا حاجة إلى التطويل بذكرها .
 وكان قد صحب عمه الشيخ أبا النجيب المذكور زماناً ، وعليه تخرّج . ومولده
 بسهرورد في أواخر رجب ، أو أوائل شعبان ، والشك منه ، في سنة تسع
 وثلاثين وخمسمائة . وتوفي في مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستائة ببغداد ،
 رحمه الله تعالى ، ودفن من الغد بالوردية .

٤٩٧

الحافظ ابن دحية

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجُمَيْل بن فَرَح بن خلف بن
 قُومِس بن مَزَلال بن مَلال بن بدر بن أحمد بن دِحْيَة بن خليفة بن فروة
 الكلبي ، المعروف ببذي النسبين ، الأندلسي البلنسي الحافظ ؛ نقلت نسبه على
 هذه الصورة من خطه ، وكان قد قيّدَه وضبطه كما هو هاهنا .

الجُمَيْل : بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها لام
 وهو تصغير جميل .

وفرّح : بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها حاء مهملة .

وقومس : بضم القاف وفتحها وسكون الواو وكسر الميم وبعدها سين مهملة .

ومزلال : بفتح الميم وسكون الزاي وبعده اللام ألف لام .

وملّال : بفتح الميم وتشديد اللام ألف وبعدها لام .

٤٩٧ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٦٣ والبدر السافر ، الورقة : ٤٠ . وعنوان الدراية : ١٥٩
 والتكلمة ، رقم : ١٨٣٢ وصلة الصلة : ٧٣ ومرآة الزمان : ٦٩٨ وتذكرة الحفاظ : ١٤٢٠
 وعبر الذهبي ٥ : ١٣٤ وميزان الاعتدال ٣ : ١٨٦ ولسان الميزان ٤ : ٢٩٢ والنجوم الزاهرة
 ٦ : ٢٩٥ والشذرات ٥ : ١٦٠ والنفع ٢ : ٩٩ .
 ١ فوقها في المسودة « معاً » أي بضم القاف وفتحها .

ودحية : بكسر الدال المهملة وفتحها وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ، وهو دحية الكلبي صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه .

كان يذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله ابن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فلهذا كان يكتب بخطه « ذو النسبين دحية والحسين ، رضي الله عنها » وكان يكتب أيضاً « سبط أبي البسام » إشارة إلى ذلك .

كان أبو الخطاب المذكور من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، مُتَقِنًا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، واشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية ، ولقي بها علماءها ومشايخها ، ثم رحل منها إلى بر العُدْوَة ودخل مراکش واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل إلى إفريقية ومنها إلى الديار المصرية ثم إلى الشام والشرق والعراق ؛ [وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسطة من أبي الفتح محمد ابن أحمد بن الميداني] ^١ ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازَندَران ، كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمتة والأخذ عنهم ، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ، ويستفاد منه [وسمع بأسبهان من أبي جعفر الصيدلاني ، وبنيسابور من منصور بن عبد المنعم الفراوي] ^١ وقدم مدينة إربل في سنة أربع وستائة ، وهو متوجه إلى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، رحمه الله تعالى ، مولعاً بعمل مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عظيم الاحتفال به - كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب - فعمل له كتاباً سماه « كتاب التنوير في مولد السراج المنير » وقرأه عليه بنفسه ، وسمعه على الملك المعظم في ست ^٢ مجالس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين

١ ما بين معقنين لم يرد في المسودة ، وقد سقط أيضاً من س ل لي م ن وثبت في ر .

٢ كذا في المسودة .

وستائة ، وكان الحافظ أبو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها :

لولا الوشاة وهمُّ أعداؤنا ما وهموا

وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مَتَاقِي في حرف الهمزة حديث هذه القصيدة فليتأمل هناك ؛ ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم المذكور ألف دينار ، وله عدة تصانيف .

وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسة . وتوفي في يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ، أخبرني بذلك ولده ؛ وأخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم أنه سأل ولده المذكور عن مولد أبيه ، فقال : في ذي القعدة من سنة ثمان وأربعين ، وأخبرني ابن أخيه قال : سمعت عمي أبا الخطاب غير مرة يقول : ولدت في مستهل ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمسة ، والله أعلم .

والبلكنسي : بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى بَلْكَنْسِيَّة ، وهي مدينة في شرق الأندلس .

(137) وكان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبي الخطاب ، وكان حافظاً للغة العرب قيماً بها . وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ، ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حوشي اللغة .

أبو علي الشلويني

أبو علي عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي ، المعروف بالشَّلَوِينِي ، الأندلسي الإشبيلي النحوي [تلميذ أبي بكر محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله ابن صافي اللخمي الإشبيلي ، ومن قوله :

قالوا : حبيبك معلول فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علتك بي غير أن له أجر العليل واني غير ماجور]١

كان إماماً في علم النحو مستحضراً له غاية الاستحضر ، ولقد رأيت جماعة من أصحابه وكلهم فضلاء ، وكل منهم يقول : ما يتقاصر الشيخ أبو علي الشلويني عن الشيخ أبي علي الفارسي ، ويغالون فيه مغالاة زائدة ، وقالوا : فيه مع هذه الفضيلة غفلة وصورة بلكه في الصورة الظاهرة ، حتى قالوا : إنه كان يوماً على جانب نهر وبيده كراريس فوقع منه كراسة في الماء وبعدت عنه فلم تصل يده إليها ليأخذها فأخذ كراسة أخرى وجذبها بها فتلفت الأخرى بالماء ؛ وكان

٤٩٨ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٣٣٢ والديباج المذهب : ١٨٥ ومعجم البلدان (شلوين) والروض المطار (شلوينية) والذيل والتكملة ٥ : ٦٠ ؛ (رقم ٨٠٧) والمغرب ٢ : ١٢٩ وبغية الرعاة : ٣٦٤ والتكملة ، رقم : ١٨٢٩ واختصار القدرح : ١٥٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٨٦ والشذرات ٥ : ٢٣٢ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٨ والبدر السافر ، الورقة : ٤ ؛ والمقتطف من أزهار الطرف ، الورقة : ٨٠ .

١ ما بين معقنين لم يرد إلا في ر ؛ ونسبة البيتين الى الشلوين تضعف من أن تكون هذه الزيادة من عمل المؤلف ، لأنه سيورد هذين البيتين في ترجمة عمرو بن مسعدة منسوبين الى محمد بن البيدق النصيبي فقلاً عن ابن الجراح ؛ وورودها في كتاب ابن الجراح يمنع أن يكونا لشاعر أندلسي ، ثم يمنع أن يكونا لرجل متأخر في الزمن مثل الشلوين ، ولعل الشلوين استشهد بها في بعض المناسبات ؛ ولكن بما بلغت النظر ان المؤلف قد أشار الى تحريجه هنا .

له مثل هذه الأسباب^١ الدالة على البله^٢ .
 وشرح المقدمة الجزئية شرحين كبيراً وصغيراً ، وله كتاب في النحو سماه
 « التوطئة » . وكانت إقامته بإشبيلية ، وأخباره متواصلة إلينا وتلامذته واردة
 في كل وقت ، وبالجملة فإنه على ما يقال كان خاتمة أئمة النحو .
 وكانت ولادته بإشبيلية في سنة اثنتين وستين وخمسة مائة . وتوفي في أحد الربيعين ،
 وقيل في صفر ، سنة خمس وأربعين وستائة بإشبيلية ، رحمه الله تعالى .
 والشَّلُونِي : بفتح الشين المثناة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة
 وسكون الباء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى الشلوبين ، وهو بلغة
 الأندلس الأبيض الأشقر^٣ ، هكذا ذكروا ، والله أعلم .

٤٩٩

ابن طبرزد

أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان
 المؤدب ، المعروف بابن طبرزد ، المحدث المشهور البغدادي ، الملقب موفق الدين
 من أهل الجانب الغربي ببغداد ، من ساكني محلة دار القز ولهذا عرف بالدارقزي ؛
 كان أخوه الأكبر أبو البقاء محمد قد أسمعه الكثير من الحديث ، ثم استقل
 بإفادة نفسه ، وعُمِّر حتى حدث سنين ، وحفظ الأصول إلى وقت الحاجة إليها ،
 وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل ، وكان سماعه من أبي القاسم

١ ر ل ي : الأشياء .

٢ انظر ما يتصل بنوادره في اختصار القدر .

٣ قال ابن عبد الملك : وسأله أبو محمد الحرار عن هذه النسبة : أهي إلى شلوبين الذي بلسان روم
 الأندلس الأشقر الأزرق أم إلى شلوبانية بلد بساحل غرناطة فقال : كان أبي أشقر أزرق... الخ .

٤٩٩ - ترجمته في ميزان الاعتدال ٣ : ٢٢٣ وعبر الذهبي ٥ : ٢٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٠١
 والشذرات ٥ : ٢٦ وذيل الروضتين : ٧٠ ومرآة الزمان : ٥٣٧ .

هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين وأبي المواهب أحمد بن محمد بن ملوك الوراق وأبي الحسن ابن الزاغوني وأبي غالب ابن البناء وأبي القاسم هبة الله بن عبد الشرطي وأبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي منصور ابن زريق وإسماعيل بن أحمد السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وخلق كثير يطول ذكرهم؛ وكان سماعه صحيحاً على تخليط فيه، وسافر في آخر عمره إلى الشام، وحدث في طريقه بإربل والموصل وحران وحلب ودمشق وغيرها وعاد إلى بغداد وحدث بها، وتفرد بالرواية عن جماعة منهم الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن الزاغوني وابن ملوك المذكور وأبو القاسم الشرطي المذكور وأبو غالب محمد بن أحمد بن قريش وأبو البركات ابن كامل بن حبيش وأبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء وأبو القاسم هبة الله ابن الحصين وغيرهم، وجمع له ابنُ المديني مشيخةً في جزأين وبعض ثالث فيها ثلاثة وثمانون شيخاً .

وكان عالي الإسناد في سماع الحديث، طاف البلاد وأفاد أهلها وألحق الأصغر بالأكبر وطبق الأرض بالسماعات والإجازات، وامتدت له الحياة فخلا له العصر، وكان فيه صلاح وخير . ومولده في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة^٢ . وتوفي في عصر يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة سبع وستائة ببغداد، ودفن من الغد بباب حرب، رحمه الله تعالى .

وطَبَّرَ زَدَ : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها ذال معجمة ، وهو اسم لنوع من السكر .

١ كان أخوه ... شيخاً : انفردت ربه ، وفي المسودة اشارة الى «تخریجة» في هذا الموضع .

٢ عند أبي شامة : سنة عشر وخمسمائة .

الشرف ابن الفارض

أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض ، المنعوت بالشرف ؛ له ديوان شعر لطيف ، وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحنى طريقة الفقراء ؛ وله قصيدة مقدار ستائة بيت^١ على اصطلاحهم ومنهجهم ، وما ألفت قوله في جملة قصيدة طويلة^٢ :

أهلاً بما لم أكنُ أهلاً لموقعه قولُ المبشر بعد اليأس بالفرجِ
لكَ البِشارةَ فاخْلَعْ ما عليك فقد ذُكِرْتَ تَمَّ على ما فيك من عِوَجِ
وقوله من قصيدة أخرى^٣ :

لم أخلُ مِنْ حَسَدِ عَلَيْكَ فلا تُضِغْ سهري بتشنيع الخيال المرجفِ
واسأل نجومَ الليل هل زارَ الكرى جفني ؟ وكيف يزور مَنْ لم يعرفِ ؟
ومنها :

وعلى تَقَنَّنِ واصفِيه بحسنه يَفْنَى الزمانُ وفيه ما لم يوصفِ

٥٠٠ - ترجمته في ميزان الاعتدال ٣ : ٢١٤ ولسان الميزان ٤ : ٣١٧ وعبر الذهبي ٥ : ١٢٩ والشذرات ٥ : ١٤٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٨٨ وحسن المحاضرة ١ : ٢٢١ ، وانظر مقدمة شرح الديوان للبوريني والبدر السافر ، الورقة : ٤٣ ؛ وهذه الترجمة وردت بكاملها في المسودة .

١ لعله يعني تأنيته المشهورة ، ومطلعها :

نعم بالصبا قلبي صبا لأحبي فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت

٢ ديوانه ٢ : ٨٠ .

٣ ديوانه ١ : ٢٠٨ .

وله دوبييت ومواليا وألغاز .
وسمعت أنه كان رجلاً صالحاً كثير الخير ، على قدم التجرد ، جاور بمكة ،
زادها الله تعالى شرفاً ، زماناً . وكان حسن الصحبة محمود العشرة ، أخبرني عنه
بعض أصحابه أنه ترنم يوماً وهو في خلوة ببيت الحريري ، صاحب « المقامات » وهو :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

قال : فسمع قائلاً ولم يرَ شخصه وقد أنشد :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

وأُشدني له جماعة من أصحابه موالياً في غلام صنعته الجزيرة ، وهو كيتس ،
ولم أره في ديوانه :

قلتو لجزر عشقتو كم تُشَرِّخني قتلتي قال ذا سُغلي تُوْبَخني
وملّ إليّ وبسّ رجلي يُرَبِّخني^١ يريد ذبحي فينفخني ليسلخني^٢

وقد كتبه على اصطلاحهم فإنهم لا يراعون فيه الإعراب والضبط بل يجوزون
فيه اللحن ، بل غالبه ملحون ، فلا يؤاخذ من يقف عليه .
وكان يقول : عملت في النوم بيتين ، وهما^٣ :

وحياة أشواقٍ إليّ ك وحُرمة الصبر الجميل
لا أبصرت عيني سوا ك ولا صبوت إلى خليل

وكانت ولادته في الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة
بالقاهرة . وتوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستائة
ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .

١ يربخ : يحمل مسترخياً ضعيفاً ؛ ل س لي : وقام إليّ ييوس رجلي يربخي .

٢ لي س : اودايش أقول قصود ينفخني ليسلخني ؛ وانظر الديوان ٢ : ٢٣٣ .

٣ الديوان ٢ : ٢٣٢ .

٤ ر : ما استحسنت عيني .

والفارض : بفتح الفاء وبعد الألف راء مفتوحة^١ وبعدها ضاد معجمة ، وهو الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال .

٥٠١

تقي الدين صاحب حماة

الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب صاحب حياة^٢ ، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى - وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الشين^٣ ؛ كان شجاعاً مقداماً منصوراً في الحروب مؤيداً في الوقائع ومواقفه مشهورة مع الفرنج . وكانت له آثار في المصافات دلت عليها التواريخ ، وله في أبواب البر كلُّ حسنة ، منها : مدرسة منازل العز التي بمصر ، يقال إنها كانت دار سكنه ، فوقف عليها وقفاً كثيراً وجعلها مدرسة . وكانت الفيوم وبلادها إقطاعه ، وله بها مدرستان : شافعية ومالكية ، وعليها وقفٌ جيد أيضاً^٤ ، وبنى بمدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد الشرقية ، وكان كثير الإحسان إلى العلماء والفقراء وأرباب الخير .

وناب عن عمه صلاح الدين بالديار المصرية في بعض غيابه عنها ، فإن الملك العادل كان نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين بالديار المصرية ، فلما حاصر الكرك في سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب أخاه من مصر بالعاكر ، وسير إليها تقي الدين في العشر الوُسْط من شعبان من السنة نائباً عنه ، ثم استدعاه

٥٠١ - أخباره في مرآة الزمان : ٦٨٤ وصفحات متفرقة من مفرج الكروب (الجزء الأول) ومن السلوك (الجزء الأول) والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٣ وعبر الذهبي ٤ : ٢٦٢ والشذرات ٤ : ٢٨٩ والبدر السافر ، الورقة : ٤١ .

١ كذا في المسودة . ٢ انظر الترجمة رقم : ٢٨٧ (٢ : ٤٥٢) .

٣ ر : ووقف عليها وقفاً جيداً .

إليه بالشام ، ورتب بالديار المصرية ولده الملك العزيز عثمان - المقدم ذكره^١ -
ومعه الملك العادل ، فشق ذلك على تقي الدين وعزم على دخوله بلاد المغرب
ليفتحها ، فقبّح أصحابه عليه ذلك ، فامتل قول عمه صلاح الدين وحضر إلى
خدمته . وخرج السلطان التقاه بمرج الصفّر ، واجتمعا هناك في الثالث والعشرين
من شعبان سنة اثنتين وثمانين وخمسة ، وفرح به وأعطاه حماة ، فتوجه إليها^٢
وتوجه إلى قلعة منازكيرد من نواحي خلاط ليأخذها ، فحاصرها مدة ، وتوفي
عليها يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان ، سنة سبع وثمانين وخمسة وقيل
بل توفي ما بين خلاط وميافارقين ، ونقل إلى حماة ، ودفن بها .

(138) وترتب مكانه ولده الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عمر ،
ومات يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة سبع عشرة وستائة
بجامة ، رحمها الله تعالى .

ورأيت بخطي في مسوداتي أن تقي الدين مولده سنة أربع وثلاثين وخمسة .
قال ابن شداد في « السيرة »^٣ : لما كان يوم الجمعة حادي عشر شوال سنة
سبع وثمانين وخمسة ركب السلطان إلى جهة العدو وأشرف عليهم ، ثم عاد
وأمرني بالإشارة إلى الملك العادل بأن يحضر معه علم الدين سليمان بن جندر وسابق
الدين بن الداية وعز الدين بن المقدم ؛ فلما مثلت بين يديه الجماعة بخدمته ، أمر
بإخلاء المكان من غير المذكورين وإبعاد الناس عن الخيمة ، وكنت من جملة
الحاضرين ؛ فأخرج كتاباً من قبائه وفضّه ووقف عليه ، ففاضت دموعه وغلبه
النحيب والبكاء حتى وافقناه من غير أن نعلم السبب في ذلك ، ثم ذكر أنه
يتضمن وفاة الملك المظفر تقي الدين ، رحمه الله تعالى ، فاستأنف الحاضرون البكاء
عليه والأسف ، ثم ذكرته الله تعالى وعرفته ما يجب من الانقياد لقضائه وقدره
فقال : أستغفر الله ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ؛ ثم قال : من المصلحة كتّان
ذلك وإخفاؤه لئلا يتصل بالعدو ونحن منازلوه . ثم أمر بإحضار الطعام وأطعم

١ انظر الترجمة رقم : ٤١٤ .

٢ فإن الملك العادل ... فتوجه إليها : سقط من ر ن س ل ي ، وهو في هامش المسودة .

٣ سيرة صلاح الدين : ١٩٧ .

الجماعة وانفصلوا من بين يديه . وكانت وفاته في طريق خلاط عائداً إلى ميفارقين ، فحُمل ميتاً إلى ميفارقين ، وعملت له تربة ومدرسة مشهورة بأرض حماة ، وحمل إليها ودفن بها وزرته بها . وكانت وفاته يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وذكر قبل هذا : لما كان يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر رمضان - يعني من السنة - وصل كتاب من الديوان العزيز ينكر قصد الملك المظفر تقي الدين إلى جهة خلاط وفيه معاتبته نائبه بسبب بكتمر ويشفع فيه وفي حسن بن قفجاق وأن يتقدم بإطلاقه - وكان مظفر الدين قد قبض عليه بإربل - وأن يسير القاضي الفاضل إلى الديوان لبتّ حال ، فسير الكتاب إلى القاضي الفاضل ليقف عليه ويكتب إلى الملك المظفر بما رسم فيه . ثم عاد ابن شداد إلى هذا الكلام في كتاب آخر بعد هذا التاريخ وقال^٢ : كان الجواب عن تقي الدين : إننا لم نأمره إلى التعريض ببكتمر صاحب اخلاط وإنما عبر ليجمع العساكر للجهاد ويعود ، فاتفقت أسباب اقتضت ذلك وقد أمرنا بالعود عنه ؛ وعن ابن قفجاق بأن قد عرفتم حال ابن قفجاق وما يتصدى له من الفساد في الأرض وأنه قد تقدم إلى مظفر الدين بإحضاره معه إلى الشام ليقطعه فيه ويكون ملازماً للجهاد ؛ وعن الثالث بالاعتذار عن القاضي الفاضل بأن قوته تضعف عن الحركة إلى العراق ؛ هذا حاصل الجواب^٣ .

١ المصدر السابق : ١٩٢ .

٢ انظر السيرة : ١٩٨ وهذا الكتاب ردّاً على كتاب وصل من بغداد .

٣ قال ابن شداد ... الجواب : انفردت به ر ، وأشار المؤلف في المسودة الى ادراج «تخریجة» في هذا الموضوع .

أبو إسحاق السبيعي

أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد بن ذي يَحْمَد بن السَّبَّيع السَّبَّيعي الهمداني الكوفي من أعيان التابعين ؛ رأى علياً وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وروى عنه الأعمش وشُعْبَة والثوري وغيرهم ، رضي الله عنهم ، وكان كثير الرواية . ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان ، رضي الله عنه ، وتوفي سنة تسع وعشرين ، وقيل سبع وعشرين ، وقيل ثمان وعشرين ومائة^١ . وقال يحيى بن مَعِين والمدائني : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، والله أعلم ، رضي الله عنه .

والسَّبَّيعي : بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى سَبَّيع ، وهو بطن من هَمْدَان ، وتقدم الكلام على همدان .

وكان أبو إسحاق المذكور يقول: رَفَعَنِي أَبِي حَتَّى رَأَيْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رضي الله عنه ، يخطب وهو أبيض الرأس واللحية .

٥٠٢ - انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٣١٣ وتاريخ أصفهان ٢ : ٢٦ وحلية الأولياء ٤ : ٣٣٨ واللباب : (السبيعي) وميزان الاعتدال ٣ : ٢٧٠ وغاية النهاية ١ : ٦٠٢ وتهذيب التهذيب ٨ : ٦٣ ؛ والترجمة بكاملها في المسودة .
١ هنا تنتهي الترجمة في م .

عمرو بن عبيد

أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب ، المتكلم الزاهد المشهور ، مولى بني عقيل ثم آل عرادة بن يربوع بن مالك . كان جده باب من سبني كابل من جبال السند ، وكان أبوه يخلّف أصحاب الشرط بالبصرة ، فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه ، قالوا : هذا خير الناس ابن شر الناس ، فيقول أبوه : صدقتم ، هذا إبراهيم وأنا آزر ، وقيل لأبيه عبيد : إن ابنك يخلّف إلى الحسن البصري ، ولعله أن يكون ، فقال : وأي خير يكون من ابني وقد أصبت أمه من غول وأنا أبوه ؟ وكان عمرو شيخ المعتزلة في وقته - وسيأتي في ترجمة واصل بن عطاء سبب اعتزاله ، ولم سموا المعتزلة إن شاء الله تعالى - وكان آدم مربوعاً بين عينيه أثر السجود .

وسئل الحسن البصري عنه ، فقال للسائل : لقد سألت عن رجل كان الملائكة أدبته ، وكان الأنبياء ربّته ، إن قام بأمر قعد به ، وإن قعد بأمر قام به ، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن ولا باطناً أشبه بظاهر منه .

[ولما كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أميراً على العراق أرسل إلى عامله على البصرة - وهو شبيب بن شيبة - أن يوفد إليه وفداً ، فأرسل إلى جماعة يأمرهم بذلك ، وأرسل إلى عمرو بن عبيد فامتنع ، فأعاد سؤاله فقال : إن أول ما يسألني عنه سيرتك ، فما تراني قائلاً ؟ قال : فكفّ عنه .

٥٠٣ - له ترجمة في تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ ومروج الذهب ٣ : ٣١٣ وشرح الشريشي ١ : ٣٣٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٦٤ - ١٧١ ، ١٧٣ - ١٧٨ وطبقات المعتزلة : ٣٥ والحوار العين : ١١١ وميزان الاعتدال ٣ : ٢٧٣ وعبر الذهبي ١ : ١٩٣ والبداية والنهاية ١٠ : ٧٨ وتهذيب التهذيب ٨ : ٧ والشذرات ١ : ٢١٠ ورواية النهاية ١ : ٦٠٢ وقد نشر الدكتور فان اس ما كتبه الدارقطني عنه في كتيب مستقل (بيروت : ١٩٦٧) .

قلت : هذا عبدُ الله بن عمر هو الذي حفر نهر البصرة المعروف بنهر ابن عمر المشهور في مكانه ، وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي الحكيم ، حبسه مروان بن محمد المنبوز بالحمار ، آخر ملوك بني أمية ، مع إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، المعروف بالإمام ، بجران ، وقتلها في سنة نيف وثلاثين ومائة^١ .

ودخل عمرو يوماً على أبي جعفر المنصور في خلافته ، وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة وله معه مجالس وأخبار ، فقرّبه وأجلسه ، ثم قال له : عظني ، فوعظه بمواعظ^٢ ، منها : إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فأحذرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض ، قال : قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال : والله تأخذها ، قال : والله لا أخذها . وكان المهدي ولد المنصور حاضراً ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو الى المنصور وقال : مَنْ هذا الفتى ؟ قال : هذا المهدي ولدي وولي عهدي ، فقال : أما لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم التفت عمرو إلى المهدي وقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك أحثه عمك ، لأن أباك أقوى على الكفّارات من عمك ، فقال له المنصور : هل من حاجة ؟ قال : لا تبعث إلي حتى آتيك ، قال : إذاً لا تلقني ، قال : هي حاجتي ، ومضى ، فأتبعه المنصور طرفه^٣ ، وقال :

كلكم يمشي رُوَيْدٌ كلكم يطلب صَيْدٌ

غيرَ عمرو بن عبيد

[ولما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنهم ، على أبي جعفر المنصور وقدم البصرة ثم خرج منها ، وبلغ

١ ما بين معقنين لم يرد الا في ر .

٢ ن : بموعظة ؛ وحذف نص الموعظة .

٣ ن : بصره .

المنصور خبره ، أقبل مسرعاً في سنة اثنتين وأربعين ومائة ، وبها عمرو بن عبيد ، فقال له أصحابه : نخرج للقائه ، فأبى ، فعاودوه وغلبوه على رأيه حتى خرج إليه ، فقال له : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا ، قال : أفأقتصر على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ، فانصرف ولم يدخلها [1] . ولعمرو المذكور رسائل وخطب ، وكتاب التفسير عن الحسن البصري ، وكتاب « الرد على القدرية » ، وكلام كثير في العدل والتوحيد ، وغير ذلك . ولما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بي الموت ولم أتأهب له ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أنه لم يسئح لي أمران في أحدهما رضيت لك وفي الآخر هووى لي إلا اخترت رضاك على هواي ، فاغفر لي . وكانت ولادته في سنة ثمانين للهجرة . وتوفي سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل اثنتين ، وقيل ثلاث ، وقيل ثمان ، وهو راجع من مكة بموضع يقال له مَرَّان ؛ ورثاه المنصور بقوله :

صلى الإلهُ عليك من متوسدٍ قبراً مرتُّ به على مَرَّانِ
قبراً تضمَّنَ مؤمناً متحنِّفاً صدق الإلهَ ودان بالعرفانِ
لو أن هذا الدهر أبقي صالحاً أبقي لنا عمراً أبا عثمانِ

ولم يسمع بخليفة رثى مَنْ دونه سواه ، رضي الله عنه . ومَرَّانُ : بفتح الميم وتشديد الراء وبعده الألف نون ، موضع بين مكة والبصرة على ليلتين من مكة ، وبه دفن أيضاً تميم بن مر الذي تنسب إليه بنو تميم القبيلة الكبيرة المشهورة .
واسم جده باب : بباءين موحدتين بينها ألف ، وإنما قيدته لأنه يتصحف بناب .

١ ما بين معقفين انفردت به ر .

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب سيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي؛ كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه ، وذكره الجاحظ يوماً فقال : لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله ، وجميع كتب الناس عليه عيال . وقال الجاحظ : أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتم ففكرت في شيء أهديه له ، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه ، فلما وصلت إليه قلت له : لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب ، وقد اشتريته من ميراث الفراء ، فقال : والله ما أهديت لي شيئاً أحب إلي منه . ورأيت في بعض التواريخ أن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات بكتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره ، فقال له ابن الزيات : أوظننت أن خزانة خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ ، يعني نفسه ، فقال ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد وأعزها ، فأحضرها إليه ، فسرّ بها ووقعت منه أجل موقع .

وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد - المقدم ذكره^٢ - وعن عيسى ابن عمّرو ويونس بن حبيب وغيرهم ، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره .

وقال ابن النطاح : كتبت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه ، فقال الخليل :

٥٠٤ - انظر ترجمته في نور القبس : ٩٥ وانباه الرواة ٢ : ٣٤٦ وفي الحاشية ثبت بمصادر

أخرى ؛ وعبر الذهبي ١ : ٢٧٨ .

١ ل ي س : وقوع ؛ ر : أجل موقع .

٢ المجلد الثاني : ٢٤٤ .

مرحباً بزائر لا يُعْمَلُ ، قال أبو عمر الخزومي^١ وكان كثير المجالسة للخليل :
ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه .

وكان قد ورد إلى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ يعلم الأمين بن هارون
الرشيد ، فجمع بينهما وتناظرا وجرى مجلس يطول شرحه ؛ وزعم الكسائي
أن العرب تقول : كنت أظن أن الزنبور أشدُّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها ،
فقال سيبويه : ليس المثل كذا ، بل فإذا هو هي ، وتشاجرا طويلاً ، واتفقا
على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام أهل الحضْر ، وكان
الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه ، فاستدعى عربياً وسأله فقال كما قال
سيبويه . فقال له : نريد أن تقول كما قال الكسائي ، فقال : إن لساني لا يطاوعني
على ذلك فإنه ما يسبق إلا إلى الصواب ، فقررُوا معه أن شخصاً يقول : قال
سيبويه كذا وقال الكسائي كذا ، فالصواب مع من منها ؟ فيقول العربي : مع
الكسائي ، فقال هذا يمكن ، ثم عقد لهما المجلس واجتمع أئمة هذا الشأن وحضر
العربي ، وقيل له ذلك فقال : الصواب مع الكسائي ، وهو كلام العرب ، فعمل
سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي ، فخرج من بغداد وقد حمل في نفسه
لما جرى عليه ، وقصد بلاد فارس فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء
في سنة ثمانين ومائة ، وقيل سنة سبع وسبعين ، وعمره نيف وأربعون سنة ،
وقال ابن قانع : بل توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل سنة ثمان
وثمانين ، وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي : توفي سنة أربع وتسعين ومائة ،
وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وإنه توفي بمدينة ساوة ، وذكر الخطيب في « تاريخ
بغداد »^٢ عن ابن دريد أنه قال : مات سيبويه بشيراز ، وقبره بها ، والله أعلم .
وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة ، لا وفاته . قال أبو سعيد الطُّوال :
رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة ، وهي لسليمان بن يزيد العدوي :

ذهب الأحيّة بعد طول تزاور ونأى المزارُ فأسلموك وأقشعوا

١ الخزومي في أصل ن ، وضرب عليها وكتب « الجرمي » .

٢ تاريخ بغداد ١٢ : ١٩٥ .

تركوك أو حش ما تكون بقفرة لم يؤنسوك ، وكرية لم يدفعا ؟
قضي القضاء وصرت صاحب حفرة عنك الأعبة أعرضوا وتصدعوا

وقال معاوية بن بكر العليمي ، وقد ذكر عنده سيويوه : رأيتُه وكان
حديث السن ، وكنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن
أحمد ، وقد سمعته يتكلم وينظر في النحو ، وكانت في لسانه حُبسة ، ونظرت
في كتابه فقله أبلغ من لسانه .

وقال أبو زيد الأنصاري : كان سيويوه غلاماً يأتي مجلسي وله ذؤابتان ،
فإذا سمعته يقول : حدثني من أتق بعربيته ، فإنما يعني .
وكان سيويوه كثيراً ما ينشد :

إذا بلّ من داءٍ به ظن أنه نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله

وسويويوه : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء
الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة ، ولا يقال بالياء البتة ،
وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح ؛ هكذا يضبط أهل العربية^٢ هذا
الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما ، والمعجم يقولون « سيويوه »
بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة بعدها ، لأنهم يكرهون أن
يقع في آخر الكلمة « ويّه » لأنها للندبة . وقال إبراهيم الحربي : سمي سيويوه
لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان^٣ ، وكان في غاية الجمال ، رحمه الله تعالى .

١ المسودة : وهي .

٢ أهل العربية : غير ظاهرة في مصورة المسودة .

٣ لي ن ل س : تفاحة .

أبو عمرو بن العلاء

أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري . ورأيت بخطي في مُسَوِّداتي : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ابن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : جلهم بن حجر بن خزاعي ، واسمه العريان ؛ أحد القراء السبعة ، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . قال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء : لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعمش وما لو كتب لما استطاع أن يحمله . وقال أيضاً : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة ، فأجابني فيها بألف حجة .

وكان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مقدماً في عصره . وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر .

وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ - أي تنسك - فأخرجها كلها ، فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وكانت عامة أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهلية . قال الأصمعي : جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ، فلم أسمعهُ يحتج ببيت إسلامي ، قال : وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

٥٠٥ - ترجمته في طبقات الزبيدي : ٢٨ ، ١٧٦ ، والمعارف : ٥٣١ ، ٥٤٠ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٢ ومراتب النحويين : ١٣ ونور القبس : ٢٥ ونزهة الألباء : ١٥ وغاية النهاية : ١ ، ٢٨٨ وعبر الذهبي : ١ ، ٢٢٣ والشذرات : ١ ، ٢٣٧ وبغية الوعاة : ٣٦٧ وقد ترجم له الكتبي أيضاً في الفوات : ١ ، ٣٣١ مع انه يستدرك على مؤلف الوفيات ، وهذه الترجمة بكاملها في المسودة .

ما زلتُ أغلقُ أبواباً وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمّار

والصحيح أن كنيته اسمه ، وقيل اسمه زبّان^١ ، وقيل غير ذلك ، وليس بصحيح ، وهو من خزاعيّ بن مازن ، وحكي في نسبه في بعض الروايات أنه أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : جلهم بن حجر بن خزاعي^٢ ، والله أعلم .

وحكى أبو عمرو قال : طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي ، فخرج منه هارباً إلى اليمن ، فإننا لتنسير بصحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد :

رُبُّها تكره النفوس من الام ر له فَرَجَةٌ كحلّ العقال

قال : فقال أبي : ما الخبر ؟ قال : مات الحجاج ، قال أبو عمرو : فأنا بقوله « له فَرَجَةٌ » أشدُّ سروراً مني بموت الحجاج ، قال ، فقال أبي : اصرف ركابنا إلى البصرة . قال أبو عبيدة ، قلت لأبي عمرو : كم سنك يومئذ ؟ قال : كنت قد خنقت بضعاً وعشرين سنة .

يقال فَرَجَةٌ بالفتح بين الأمرين وبالضم بين الجبلين .

وذكر في كتاب « طبقات النحاة »^٣ قال : حدّث الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء في قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « في الجنين غرةٌ عبْدٌ أو أمةٌ » لولا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أراد بالغرة معنى لقال : « في الجنين عبْدٌ أو أمةٌ » ولكنه عنى البياض ، ولا يُقبَل في الدية إلا غلام أبيض أو جارية بيضاء ، لا يقبل فيها أسود ولا سوداء ، وهذا غريب ، ولا أعلم هل يوافق مذهب أحد من الأئمة المجتهدين أم لا ، ولغرابته نقلته . وذكر في هذا الكتاب أيضاً ؛ قال الأصمعي : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قولهم « أرهبتته

١ بلباء الموحدة في المسودة : ر : ريان ، وكذلك عند المرزباني .

٢ قد كرر المؤلف هنا ما سبق دون أي تغيير ، وكلا النصين ثابت عنده في المسودة .

٣ ورد النص في كتاب الزبيدي : ٣٠ .

٤ لم يرد هذا النص في ترجمة أبي عمرو من كتاب الزبيدي .

ورهبته « فقال : ليستا بسواء^١ ، فقلت : رهبته فرقتُه ، وأرهبته أدخلت الفرق في قلبه ، قال أبو عمرو : ذهب مَنْ يعرف هذا منذ ثلاثين سنة .
وقال ابن مناذر : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به . وقال أبو عمرو : حدثنا قتادة السدوسي قال : لما كُتِبَ المصحف عرض على عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فقال : إن فيه لنا ولتقيمته العرب بألسنتها .

وكان أبو عمرو إذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعراً حتى ينقضي . وكان له في كل يوم فلّسان يشترى بأحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه ثم يتركه لأهله ، ويشترى بالآخر رينحاناً فيشمه يومه فإذا أمسى قال لجاريته : جفّفيه ودقيه في الأشنان .

وروى يونس بن حبيب النحوي قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتاً واحداً ، وهو :

وأنكرتني وما كان الذي نكّرتُ من الحوادث إلا الشيب والصلما
وهذا البيت يوجد في جملة أبيات للأعشى ، وهي أبيات مشهورة . وقال أبو عبيدة : دخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن علي ، وهو عم السفاح ، فسأله عن شيء فصدقه ، فلم يعجبه ما قاله ، فوجد أبو عمرو في نفسه وخرج ، وهو يقول :

أنفتُ من الذل عند الملوك وإن أكرموني وإن قرّبوا
إذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون مني بأن يكذبوا

وحكى علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال : سمعت أبي يقول لأبي عمرو ابن العلاء : خبرني عما وضعت مما سميته عربية ، يدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة ؟ قال :

١ ل : بالسواء .

٢ ر : بيتاً من الشعر .

أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات . وأخبار أبي عمرو كثيرة .
 وكانت ولادته سنة سبعين ، وقيل ثمان وستين ، وقيل خمس وستين للهجرة
 بمكة . وتوفي سنة أربع وخمسين ، وقيل تسع^١ وخمسين ، وقيل ست وخمسين
 ومائة بالكوفة ، وكان قد خرج إلى الشام يمتدي عبد الوهاب ابن إبراهيم الإمام
 والي دمشق ، فلما عاد إلى الكوفة توفي بها ، وقال ابن قتيبة : مات في طريق
 الشام ، ونسبوه في ذلك إلى الغلط ، فقد ذكر^٢ بعض الرواة أنه رأى قبر أبي
 عمرو بالكوفة مكتوباً عليه « هذا قبر أبي عمرو بن العلاء » .

ولما حضرته الوفاة كان يُعشى عليه ويفيق ، فأفاق من غشية له ، فإذا ابنه
 بشر يبكي ، فقال : ما يبكيك وقد أتت عليّ أربع وثمانون سنة ؟ رحمه الله تعالى .
 وراثه عبد الله بن المقفع بقوله :

رُزِنَا أبا عمرو ولا حيّ مثله فله ريب الحادثات بمن فجع
 فإن تكُ قد فارقتنا وتركتنا ذوي خَلَّةٍ ما في انسداد لها طمع
 فقد جرّ نفعاً فقدنا لك أننا أمينا على كل الرزايا من الجزع

وقد قيل : إنما رُئي بها يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان
 الحارثي الكوفي الشاعر المشهور ، وهو ابن خال السفاح أول خلفاء بني العباس ،
 رضي الله عنه ؛ وقيل بل رثي بها عبد الكريم بن أبي العوجاء ، والأول أشهر ،
 والله أعلم ؛ وقيل إن هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن المقفع ، والله أعلم .
 وأقول : إن هذه المرثية إن كانت في أبي عمرو المذكور فما يمكن أن تكون
 لعبد الله لأنه مات قبل موت أبي عمرو ، وإن كانت لمحمد فيمكن ذلك ،
 ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور .

وإنما أتيت بأبي عمرو في هذا الحرف ، وهذه كنية لا اسم ، للعذر الذي
 تقدم في حرف الباء في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن ، فلينظر هناك^٣ .
(139) وأما عبد الوهاب المذكور فهو ابن إبراهيم المعروف بالإمام المذكور

١ كتب فوقها في المسودة : سبع . ٢ ر : وقد نقل . ٣ انظر المجلد الأول : ٢٨٢ .

في ترجمة أبيه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رضي الله عنه ، وكان عبد الوهاب يتولى الشام من جهة عمه المنصور ، وكان المنصور يخافه ، فلما حضرت المنصور الوفاة وهو بباب مكة عند بئر ميمون كما هو مشهور قال لحاجبه الربيع ابن يونس المقدم ذكره : ما أخاف إلا صاحب الشام عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم اكفني عبد الوهاب ، قال الربيع : فلما مات المنصور ودلّيته في القبر وعرضت عليه الحجارة سمعت هاتفاً يهتف من القبر : مات عبد الوهاب ، وأجيب الدعوة ، قال الربيع : فهالني ذلك الصوت ، وجيء بالخبر من بعد سادسة أو سابعة بوفاة عبد الوهاب ، هكذا ذكره ابن بُدرون في شرح قصيدة ابن عبدون التي أولها :

الدهر يَفْجَعُ بعد العين بالأثر

بعد قوله فيها :

ورَوَّعَتْ كل مأمون ومؤتمن وأسلمت كل منصور ومنتصر

والله أعلم .

٥٠٦

الجاحظ

أبو عثمان عمّرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ ،

١ انظر شرح البسامة ص : ٢٨٢ - ٢٨٣ (ط. مصر) .

٥٠٦ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٢ وطبقات المعتزلة : ٦٧ وأمالي المرتضى ١ : ١٩٤ ونزهة الألباء : ١٣٢ وتأويل مختلف الحديث : ٧١ ومعجم الأدباء ١٦ : ٧٤ وإعتاب الكتاب : ١٥٤ وشرح العميون : ١٣٦ وميزان الاعتدال ٣ : ٢٤٧ ولسان الميزان ٤ : ٣٥٥ وعبر الذهبي ١ : ٤٥٦ والشذرات ٢ : ١٢١ وبنية الوعاة : ٢٦٥ ولأبي حيان التوحيدي كتاب في تقريظ الجاحظ لم يصلنا، وعنه ينقل باقوت. وقد كتبت عن الجاحظ دراسات كثيرة =

البصري العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين^١، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، وهو خال يموت بن المزرع - الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - ومن أحسن تصانيفه وأتمها كتاب «الحيوان» فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب «البيان والتبيين» وهي كثيرة جداً^٢. وكان مع فضائله مشوّه الخلق، وإنما قيل له «الجاحظ» لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: التتوّ، وكان يقال له أيضاً «الحدقي» لذلك.

ومن جملة أخباره أنه قال: ذُكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رأي استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفتي، فخرجت من عنده فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام، فمرّض عليّ الخروج معه والانحدار في حرّاقته وكنا بسرّ من رأى، فركبنا في الحراقة، فلما انتهينا إلى فم نهر القاطول نصب ستارة^٣ وأمر بالغناء، فاندفعت عوادة فغنت:

كلّ يوم قطيعة^٤ وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضابُ
ليت شعري أنا خُصِصْتُ بهذا دون ذا الخلق أم كذا^٣ الأحبابُ

وسكتت، فأمر الطنبورية^٢ فغنت:

وارحمتا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا
كم يهجرّون ويضرّون ويقطّعون فيصبرونا

= في العصر الحديث منها كتب مستقلة لشارل بلاوطه الحاجري وبديعة طه النجم والأب شلحت وسلوم وجبري هذا عدا ما كتب عنه من فصول ومقالات؛ قلت: وقد جاءت هذه الترجمة هنا مطابقة لما في المسودة.

١ ر: في الأصول.

٢ ن: وهو كبير جداً.

٣ ر: دون صحي أم هكذا.

٤ ل لي: طنبورية.

قال : فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ، وضربت بيدها إلى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر ، فألقت نفسها في الماء ، وعلى رأس محمد غُلام يضاهاها في الجمال ، ويده مِدْبَة ، فأتى الموضع ونظر إليها وهي تمر بين الماء ، وأنشد :

أنتِ التي غَرَّقْتِني بعد القضا لو تعلمينا

وألقى نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة ، فإذا بها معتقان ثم غاصا فلم يريا ، فاستعظم محمد ذلك وهاله أمره ، ثم قال : يا عمرو ، لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين ، وإلا الحقنك بها ، قال : فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك ، وقد قعد للمظالم يوماً وعُرِضت عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يُخرج إليّ جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل ، » فاعتاظ يزيد من ذلك ، وأمر مَنْ يخرج إليه ويأتيه برأسه ، ثم أتبع الرسول برسولٍ آخر يأمره أن يدخل إليه الرجل ، فأدخله ، فلما وقف بين يديه قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بملك والاتكال على عفوك ، فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها ، فقال لها الفقي غني :

أفاطمَ مهلاً بَعْضَ هذا التدلل وإن كنت قد أزمعتِ صرمي فأجلي
فغنته ، فقال له يزيد : قل ، فقال : غني :

تألق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغولُ

فغنته ، فقال له يزيد : قل ، قال : تأمر لي برطل شراب ، فأمر له ، فما استتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد ، فرمى نفسه على دماغه فمات ، فقال يزيد : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أتراه الأحق الجاهل ظن أني أخرج إليه جاريتي وأردها إلى ملكي ، يا غلمان خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه . فانطلقوا بها إلى أهله ، فلما توسطت الدار نظرت إلى حُفيرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر

فجذبت نفسها من أيديهم ، وأنشدت :

من مات عِشْقاً فليمتْ هكذا لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت^١. فسُرِّي عن محمد وأجزَلَ صلتي .
وقال أبو القاسم السيرافي : حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل ابن العميد الوزير
- الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فجرى ذكر الجاحظ ، فغَضَّ منه بعضُ
الحاضرين وأزرى به ، وسكت الوزير عنه ، فلما خرج الرجل قلت له : سكتَ
أيها الأستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله ، فقال : لم
أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ، ولو وافقته وبينت له لنظر في كتبه
وصار بذلك إنساناً ، يا أبا القاسم ، فكتبُ الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب
ثانياً ، ولم أستصلحه لذلك .

وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج ، فكان يَطِّي نصفه الأيمن
بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الأيسر لو قُرِض بالمقاريض لما
أحس به من خدره وشدة برده . وكان يقول في مرضه : اصطلحت على جسدي
الأضداد ، إن أكلت بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي . وكان
يقول : أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به ، ومن
جانبي الأيمن مُتَقَرَسٌ فلو مر به الذباب^٢ ألمت ، وفي حصة لا ينسرح لي البول
معه ، وأشد ما عليّ ست وتسعون سنة ، وكان ينشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوبٌ دَرِيسٌ كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال : كنت تقلدت السند ، فأقمت بها ما شاء الله ،
ثم اتصل بي أبي صُرِفَتْ عنها ، وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار ،
فخشيت أن يفجأني الصارف فيسمع بكان المال فيطمع فيه ، فصغته عشرة آلاف
إهليلجة في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ؛ ولم يمكث الصارف أن أتى ، فركبت

١ انظر كتاب ذم الهوى : ٣٥٦ . ٢ ر : مرت به الذبابة .

البحر والمحدرت إلى البصرة ، فخبّرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج ، فأحبيت أن أراه قبل وفاته ، فسرت إليه ، فأفضيت إلى باب دار لطيف ، فقرعته ، فخرجت إلي خادم صفراء فقالت : من أنت ؟ قلت : رجل غريب وأحب أن أسر بالنظر إلى الشيخ ، فبلغته الخادم ما قلته ، فسمعتة يقول : قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل ، فقلت للجارية : لا بد من الوصول إليه ، فلما بلغته قال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعليّ فقال : أراه قبل موته لأقول : قد رأيت الجاحظ ، ثم أذن لي فدخلت فسلمت عليه وردّ ردّاً جميلاً ، وقال : مَنْ تكون أعزّك الله ؟ فانتسبت له ، فقال : رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد ، فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقياً لهم ورعياً ، فدعوت له وقلت : أنا أسألك أن تشدني شيئاً من الشعر ، فأشدني :

لئن قُدِّمَتْ قبلي رجالُ فطالما مشيتُ على رِسْلي فكنتُ المقدِّما
ولكنَّ هذا الدهرَ تأتي صُروفُهُ فتُبْرِمُ منقوضاً وتَنْقُضُ مُبرِما

ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز قال : يا فتى أرأيت مفلوجاً ينفعه الإهليلج ؟ قلت : لا ، قال : فإن الإهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه ، فقلت : نعم ، وخرجت متعجباً من وقوعه على خبري مع كتّابي له ، وبعثت له مائة إهليلجة . وقال أبو الحسن البرمكي : أنشدني الجاحظ :

وكان لنا أصدقاء مَضَوْا تَفَانَوْا جميعاً فما خَلَدُوا
تَسَاقَوْا جميعاً كؤوسَ المنونِ فبات الصديقُ ومات العدو

وكانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة ، وقد نَيَّفَ على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .
وبَحْرُ : بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وبعدها راء .

ومَحْبُوب : بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها باء موحدة .
 والجاحِظ : بفتح الجيم وبعء الألف حاء مهملة مكسورة وبعدها ظاء معجمة .
 والكناني : بكسر الكاف وفتح النون وبعء الألف نون ثانية .
 والليثي : بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثناة ، هذه النسبة إلى لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاءَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ .

٥٠٧

عمرو بن مسعدة

عمرو بن مَسْعَدَةَ بن سعيد بن صُول الكاتب ، وكنيته أبو الفضل ؛ أحد وزراء المأمون ؛ ذكر الخطيب في « تاريخ بغداد » أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر - وقد تقدم ذكره - وكان كاتباً بليغاً جَزَلَ العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني . ولما كان الفضلُ بن سهل أخو الحسن بن سهل وزير المأمون لم يكن لأحد معه كلام ، لاستيلائه على المأمون ، فلما قتل سلم عليه الوزراء بعد ذلك ، وهم : أحمد بن أبي خالد الأحول وعمرو بن مَسْعَدَةَ المذكور وأبو عَبَّاد .

وكان المأمون قد أمره أن يكتب لشخص كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه والاعتناء بأمره ، فكتب له « كتابي إليك كتابٌ واثقٌ بمن كتبتُ إليه ، مَعْنِيَّ بمن كتبتُ له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصلُهُ ، والسلام » .

٥٠٧ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٢٠٣ ومعجم المرزباني : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٧ وانظر الجهشاري : ٢١٦ ونصوص ضائعة : ٤٨ وصفحات متفرقة من كتاب « بغداد » لابن أبي طاهر ، وإعتاب الكتاب : ١١٦ ؛ وجاءت الترجمة مستوفاة في المسودة .
 ١ المجلد الأول : ٤٤ .

وقيل إن هذا من كلام الحسن بن وهب ، والأول أصح وأشهر . وقال عمرو بن مسعدة المذكور : كنت أوقّع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيذونه في روايتهم ، فرمى بها إلي ، وقال : أجب عنها ، فكتبت « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهري ، وقال : أي وزير في جلدك ؟

وله كل معنى بديع . وتوفي في سنة سبع عشرة ومائتين بموضع يقال له أذنة ، وذكر الجهشيارى في كتاب « الوزراء » أنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة ومائتين ، والله أعلم . ولما مات رفعت إلى المأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ، فوقع في ظهرها « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك » . وذكر المسعودي في كتاب « مروج الذهب » أنه لما مات عرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره ، رحمه الله تعالى .

ومسعدة : بفتح الميم وسكون السين المهملة وفتح العين والذال المهملتين . وأذنة : بفتح الهززة والذال المعجمة والنون ، وهي بليدة بساحل الشام عند طرسوس ، بني حصنها سنة أربع وأربعين ومائة . وبعد انتهائي إلى هذا الموضع ظفرت له برسالة بديعة كتبها إلى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فساء ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها وذهب عنه ما كان يجده ، فأثرت الإتيان بها لحسنها ، وهي « الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومنع من عَضَلِ الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استنزالاً للنفوس الأبيسة ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عَرَضَ لجزيل الأجر من استسلم لواقع قضائه ، وعوَضَ جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهنأك الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البلوى صبرك ، وألهمك من التسليم لمشيئته ، والرضا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل تعالى جدّه ما تجرعته من أنف ، وكظمته من أسف ، معدوداً فيما يعظم به أجرك ،

ويَجْزُلُ عليه ذخرِك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها ، المنتظرَ من ارتعاضك بدفنها ، فتستوفى بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على عرسها ، ما يستكسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أسيرة فرشها ، أعواد نعشها ، وجمل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، مُعَرِّى من نعمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحكام الله تعالى جده وتقدست أسماؤه جارية على غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ، ما هو خير لهم في العاجلة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها إليه ، وقدمها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجمل القبر كفوًّا لها ، والسلام .

وقيل : إن هذه الرسالة لأبي الفضل ابن العميد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .
ولقد أذكرتني هذه الرسالة بيتين للصاحب بن عباد في شخص زوج أمه ، وهما :

عذلت لتزويجه أمه فقال : فعلت حلالاً يجوزُ
فقلت : صدقت ، حلالاً فعلت ولكن سمحتَ بصدعِ المعجوزِ

وكتب عمرو إلى بعض أصحابه في حق شخص يعزّ عليه « أما بعد فموصول كتابي إليك سالم ، والسلام » ؛ أراد قول الشاعر :

يُدبروني عن سالم وأديرهمُ وجلدةُ بينَ العينِ والأنفِ سالمُ

أي : يحل مني هذا المحل .

وأشد محمد بن داود بن الجراح لمحمد البيدق النصيبي في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى :

قالوا أبو الفضل معتلٌ فقلت لهم : نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته بي ثم ان له أجر العليل وأنتي غير ماجور

وكان بين عمرو المذكور وبين إبراهيم بن العباس الصولي - المقدم

١ انظر ما تقدم في ترجمة الشلوبيني ص ٤٥١ .

ذكره - مودة ، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات ، فبعث له عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم^١ :

سأشكر عمراً ما تراخت منيقي أياذي لم تُمنن وإن هي جلتِ
ففي غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال أحمد بن يوسف الكاتب - المقدم ذكره^٢ - : دخلت على المأمون ، وهو يمسك كتاباً بيده ، وقد أطال النظر فيه زماناً وأنا ملتفت إليه ، فقال : يا أحمد ، أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم ، وقى الله أمير المؤمنين من المكاره وأعاذه من المخاوف ، قال : فإنه لا مكروه فيه ، ولكنني قرأت كلاماً وجدته نظير ما سمعته من الرشيد يقوله في البلاغة ، كان يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى ، وما كنت أتهم أن أحداً يقدر على المبالغة في هذا المعنى ، حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به إلي ، وقال : هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إليه ، قال : فقرأته فإذا فيه « كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جندي تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، واختلت لذلك أحوالهم ، والتاثت معه أمورهم » فلما قرأته قال : إن استحساني إياه بعثني على أن أمرت للجندي قبيله بمعطائهم لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته .

١ انظر الطرائف الأدبية : ١٣٠ .

٢ كذا كتب المؤلف في المسودة ، ولم يتقدم لأحمد بن يوسف الكاتب ترجمة مستقلة ، وإنما ذكر

في ترجمة بوران ١ : ٢٨٩ .

ابن بانه

عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، المعروف بابن بانه ، مولى يوسف بن عمر الثقفي ؛ أحد المغنين المشهورين المجيدين في طبقة المتقدمين منهم ، ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني »^١ وقال : كان أبوه صاحب ديوان ووجهاً من وجوه الكتّاب ، وكان مغنياً مجيداً وشاعراً صالح الشعر ، وله كتاب في الأغاني ؛ وكان تيّاهاً معجباً بنفسه ، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم ، على ما كان به من الوضّح ؛ وتوفي سنة ثمان وسبعين ومائتين بسرّاً من رأى ، رحمه الله تعالى ؛ وكان خصيصاً بالمتوكل على الله آنساً به ، أخذ الغناء عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وغيره ، وله صنعة في الغناء تدل على حذقه ، وكان منزله بغداد ، ويتردد إلى سرّاً من رأى في الأحيان .

وبانه : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون مفتوحة ثم هاء ساكنة ، وهو اسم أمه ، وهي بانه ابنة روح كاتب سلمة الوصيف ، وكان ينسب إليها ، وقد تقدم في ترجمة طاهر بن الحسين ذكر بيتين من شعره يهجو بهما .^٢

٥٠٨ - وردت الترجمة كاملة في المسودة .

١ الأغاني ١٥ : ٢١١ .

٢ انظر ص : ٥٢٠ من المجلد الثاني .

ابن الموصلايا

أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا ، الكاتب البغداديّ منشيء دار الخلافة ، الملقب أمين الدولة ؛ كان نصرانياً وأسلم على يد الإمام المقتدي بالله وحسن إسلامه ، وله الرسائل الرائقة والأشعار الجيدة^١ ، وكل منها مدون . وكان كثير الفضل ، وخدم بديوان الإنشاء للإمام القائم في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . وتوفي بعد أن كُفِّ بصره في تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

(140) وتوفي ابن أخته تاج الرؤساء^٢ أبو نصر هبة الله بن صاحب الخير الحسن ابن علي الكاتب - وكان فاضلاً له معرفة بالأدب والبلاغة والحظ الحسن ، وكان ذا رسائل جيدة ، وهي مدونة أيضاً ومشهورة - في عشية الاثنين حادي عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببغداد ، ودفن بباب أبرز ، وكان مرضه خمسة أيام ، وعمره سبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وكان قد أسلم مع خاله المذكور ، وكان إسلامها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة .
والموصلايا : بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد المهملة وبعد اللام ألف ياء مثناة من تحتها وبعدها ألف ، وهو من أسماء النصارى .

٥٠٩ - ترجمته في نكت الهميان : ٢٠١ والخريدة (قسم العراق) ١ : ١٢٣ والمنتظم ٩ : ١٤١
ومرآة الزمان : ١١ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٨٩ ؛ وقد جاءت الترجمة بكاملها في السودة .
١ ر : والأشعار الفائقة الجميلة الجيدة .
٢ انظر ترجمة تاج الرؤساء في الخريدة (قسم العراق) ١ : ١٣٢ .

ابن السوادي

أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عبيد الله الواسطي ،
المعروف بابن السوادي الواسطي الكاتب الشاعر ؛ كان شاعراً فاضلاً ظريفاً خليماً
مطبوعاً من بيت كبير في بلده مشهور بالكتابة والنباهة والتميز ، وله شعر
حسن فمنه قوله :

أشكو إليك ومن صدودك أشكي وأظن من شَغَفِي بأنك منصفي
وأصد عنك مخافة من إن يُرى منك الصدود فيشتفي من يشتفي
وهو مأخوذ من قول بعضهم :

أخفي هواه عن العذول تجلداً كي لا يرى جزاعي عليه فيشتفي

وكنت قد وقفت على هذا البيت قبل وقوفي على بيتي ابن السوادي ، فأعجبني
المعنى ، فنظمته في دوبيت ، وهو :

يا غصنَ نقا قوامه مبادُ أيام رضاك كلُّها أعيادُ
ما أكرم حزني عندما تهجرني إلا حذراً أن تشمتَ الحسادُ

وقال عماد الدين الكاتب في كتاب « الحريدة » : أنشدني لنفسه :

يمينا بما ضم المصكسى وما حوتْ رحابُ منى إني إليك مشوقُ

وهي ثلاثة أبيات اقتصرت منها على هذا لأنه أحسنها .
وكان أبو القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان - الآتي ذكره في

حرف الهاء إن شاء الله تعالى - قد هجا قاضي القضاة الزيني بقصيدته الكافية التي أولها :

يا أخي الشرطُ أملكُ لستُ للثلبِ أتركُ

وهي طويلة عدد أبياتها مائة وثمانية عشر بيتاً ، وتناقلتها الرواة وسارت عنه ، فبلغ ذلك الزيني المذكور ، فأحضر ابن الفضل وصفه وحبسه مدة ثم أفرج عنه ، فاتفق أن حضر ابن السوادي المذكور إلى بغداد من واسط عقيب هذه الواقعة ، ومدح الزيني المذكور بقصيدة ، فتأخرت عنه الجائزة ، وتردد إلى مجلسه كثيراً فما أجدى عليه ، فاجتمع بابن الفضل المذكور وشرح له حاله ، وقال : أنا على عزم الانحذار إلى واسط ، فإذا وصلت إلى بلدي هجوت الزيني ، وكان للزيني صاحب يقال له أبو الفتح فكتب إليه ابن الفضل أبياتاً من جملتها^٢ :

يا أبا الفتح الهجاء إذا جاش صدرٌ فهو متسعُ
وقوافي الشعر واثبةٌ ولها الشيطانُ متبعُ
فاحذروا كافاتٍ منحدرٍ ما لكم في صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزيني ، فأرسل لابن السوادي جائزة وطيب قلبه . وكانت ولادة ابن السوادي بواسطة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، منتصف شهر ربيع الآخر ليلة الأربعاء . وتوفي سنة ست وخمسين وخمسمائة بواسطة^٣ . والسوادي : بفتح السين المهملة والواو وبعد الألف دال مهملة ، هذه النسبة إلى سواد العراق ، وإنما قيل له السواد لأن العرب لما رأَت خضرة الأشجار قالت : ما هذا السواد ؟ فبقي الاسم عليه .

١ معاهد التنصيص ٤ : ٢٢٢ .

٢ المصدر السابق : ٢٢٣ .

٣ ن : وتوفي في رجب سنة احدى وخمسين وخمسمائة؛ وموضع الجملة بياض في س ل؛ وسقطت من ل.

القاضي عياض

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو^١ بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي^٢ السبتي ؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها «الإكمال في شرح كتاب مسلم» كمل به «المعلم في شرح مسلم» للمازري ، ومنها «مشارك الأنوار» وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصالح الثلاثة وهي: الموطأ والبخاري ومسلم، وشرح حديث أم زرع شرحاً مستوفى ، وله كتاب سماه «التنبيهات» جمع فيه غرائب وفوائد^٣ ، وبالجملة فكل توافيه بديعة .

ذكره أبو القاسم بن بشكروال في كتاب «الصلة»^٤ فقال : دخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له عناية كبيرة به والاهتمام^٥ يجمعه وتقييده . وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة

- ٥١١ - ترجمته في بغية المتتمس (رقم : ١٢٩٦) وقلائد العقيان : ٢٢٢ والديباج المذهب : ١٦٨ وانباء الرواة ٢ : ٣٦٣ والإحاطة ٢ : ١٦٧ وقضاة النباهي : ١٠١ ومجمع الوادي آشي وتذكرة الحفاظ : ١٣٠٤ وعبر الذهبي ٤ : ١٢٢ والشذرات ٤ : ١٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٥ وجذوة الاقتباس : ٢٧٧ وأزهار الرياض ١ : ٢٣ وفهرس الفهارس ٢ : ١٨٣ .
- ١ كذا ثبت عند ابن الأبار ونقل الوادي آشي عن أبي القاسم الملاحي أنه : عمرو بن بنوت بعد الوار . وقال ابن الملجوم اجتاز علينا القاضي عياض عند انصرافه من سبتة قاصداً إلى الحضرة زائراً لأبي بداره عشية يوم الاثنين الثامن لرجب (٥٤٣) ... وسألته عن نسبه فقال لي : أنا أحفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض وأحفظ أيضاً : محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض ولا أعرف أن محمداً هذا هو أبو عياض أو بينها أحد .
- ٢ وضع على الصادقة وفتحة وتحته كسرة وكتب فوقها «جميعاً» - في المسودة .
- ٣ زاد في ر ؛ وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم .
- ٤ الصلة : ٤٢٩ .
- ٥ ر : واهتمام .

والفهم ، واستقضي ببلده - يعني مدينة سبتة - مدة طويلة حُمدت سيرته فيها ،
ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده فيها ؛ انتهى كلامه .
وللقاضي عياض شعر حسن ، فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضي
دانية قال : أنشدني أبي لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبَّت
عليه ريح :

انظر إلى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة حمراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

الخامة : القصبة الرطبة من الزرع .
وأنشد أيضاً لأبيه :

الله يعلمُ أني منذُ لم أركمُ كطائرٍ خانهُ ريشُ الجناحينِ
فلو قد رت ركبُ البحر نحوكمُ لأن بعدكم عني جنى حيني

ورأيت لابن العريف رسالة كتبها إليه فأحببت ذكرها ، ثم أضربت عنها
لطولها .

وذكره العماد في « الخريدة » فقال : كبير الشأن ، غزير البيان ، وذكر له
البيتين في الزرع الذي بينه شقائق النعمان ، ثم قال بعد ذلك : وله في لزوم
ما لا يلزم :

إذا ما نشرتَ بساطَ انبساطٍ فعنه فديتُكَ فاطورِ المزاحا
فإنَّ المزاح على ما حكاه أولو العلم قبلي عن العلم زاحا
ومدحه أبو الحسن ابن هارون المالقي الفقيه المشاور بقوله :

ظلموا عياضاً وهو يحلمُ عنهم والظلم بين العالمين قديمُ
جمَعُوا مكانَ الرء عيْنًا في اسمه كي يكتموه فإنه معلوم

١ ن ر : خضراء .

لولاهُ ما ناحت أباطحُ سَبْتَةِ والروضُ حولَ فنائها معدوم

وذكره ابن الأبار في تسمية أصحاب أبي علي الفسافي ، فقال^١ : من أهل سبتة ، وأصله من بسطة ، يكنى أبا الفضل ، أحد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء ، وتواليفه وأشعاره شاهدة بذلك ، كتب إليه أبو علي في جماعة جِلَّةٍ ، ولقي أيضاً آخرين مثلهم ، وشيوخه يقاربون^٢ المائة^٣ .

وكان مولد القاضي عياض بمدينة سَبْتَةِ في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة . وتوفي براكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ، وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن بباب إيلان داخل المدينة ؛ وتولى القضاء بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

وتوفي ولده المذكور سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى^٤ .

وعياض : بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف ضاد معجمة .

والْيَحْصِي : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير .

وسَبْتَةِ : مدينة مشهورة بالمغرب ، وكذلك غرناطة - بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح النون وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء - وهي بالأندلس .

١ انظر المعجم في أصحاب الصديقي : ٢٩٤ .

٢ قوله « يقاربون المائة » يشير إلى أن العدد الذي تحويه بعض نسخ « الغنية » - وهو الكتاب الذي يضم تراجم شيوخ القاضي عياض - ينقص عن مائة .

٣ وذكره العماد ... المائة : انفردت به ر ، وموضعه في المسودة « تخريجة » .

٤ زاد في ر : والصواب في وفاة ولده سنة اثنتين وسبعين ، قال رضي الدين الشاطبي : بدانية .

عيسى بن عمر الثقفي

أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري ، قيل كان مولى خالده بن الوليد ، رضي الله عنه ، ونزل في ثقيف فنسب إليهم ؛ كان صاحب تقمير في كلامه واستعمال للغريب فيه وفي قراءاته ، وكانت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صحبة ، ولهما مسائل ومجالس [وأخذ القراءة عَرَضاً عن عبد الله بن أبي إسحاق وروى الحروف عن عبد الله بن كثير وابن مُحَيِّصين ، وسمع الحسن البصري ، وله اختيار في القراءة على قياس العربية ، وروى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي وهارون بن موسى النحوي والأصمعي والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل] ^١ وأخذ سيبويه عنه النحو ، وله الكتاب الذي سماه «الجامع» في النحو ، ويقال إن سيبويه أخذ هذا الكتاب وبَسَطَه وحَسَّنَ عليه من كلام الخليل وغيره ، ولما كمل بالبحث والتحشية نسب إليه ، وهو كتاب سيبويه المشهور ، والذي يدل على صحة هذا القول أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنفات عيسى ، فقال له سيبويه : صنف نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو ، وإن بعض أهل اليسار جمعها وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين : أحدهما اسمه «الإكمال» ، وهو بأرض فارس عند فلان ، والآخر «الجامع» وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه ، فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال : رحم الله عيسى ، وأنشد :

ذهبَ النحوُ جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

٥١٢ - ترجمته في نور القبس : ٦٤ ؛ وانباه الرواة ٢ : ٣٧٤ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى .
١ انفردت ربما بين معقدين ، وزاد بعد «عقيل» في المطبوعة المصرية : وشجاع بن أبي نصر ، وقارن ابن الجزري ١ : ٦١٣ .

ذاك إكمال وهذا جامعٌ وما للناس شمسٌ وقمر

فأشار بالإكمال إلى الغائب وبالجامع إلى الحاضر^١ . وكان الخليل قد أخذ عنه أيضاً .

ويقال : إن أبا الأسود الدؤلي لم يضع في النحو إلا باب الفاعل والمفعول فقط ، وإن عيسى بن عمر وضع كتاباً على الأكثر وبؤبه وهذبه وسمّى ما شذ عن الأكثر لغات . وكان يطعن على العرب ويخطيء المشاهير منهم ، مثل النابغة في بعض أشعاره وغيره ، وروى الأصمعي قال^٢ : قال عيسى بن عمر لأبي عمرو ابن العلاء : أنا أفصح من معدّ بن عدنان ، فقال له أبو عمرو : لقد تعديت ، فكيف تنشد هذا البيت :

قد كن يخبّان الوجوه تسترأ فاليومَ حين بدآنَ للنظّار^٣

أو « بدين للنظار » فقال عيسى : بدآن ، فقال له أبو عمرو ، أخطأت ؛ يقال : بدا يبدو إذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء ، والصواب « حين بدّونَ للنظار » . وإنما قصد أبو عمرو تغليطه ، لأنه لا يقال في هذا الموضع « بدآن » ولا « بدّين » بل « بدّون » .

ومن جملة تقييده في الكلام ما حكاه الجوهري في كتاب « الصحاح » قال^٤ : سقط عيسى بن عمر عن حمار له ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : ما لكم تكأ كأتم علي تكأ كؤم علي ذي جينة ، افرقعوا عني ؛ معناه : ما لكم تجمعتم علي تجمعكم علي مجنون ، انكشفوا عني .

ورأيت في بعض المجاميع أنه كان به ضيق النفس ، فأدركه يوماً وهو في السوق ، فوقع ودار الناس حوله يقولون : مصروع مصروع ، فبين قارىء ومعوذ من الجان ، فلما أفاق من غشيته نظر إلى ازدحامهم فقال هذه المقالة ، فقال بعض الحاضرين : إن جنّيه يتكلم بالهندية^٥ .

١ قال القفطي : فأشار إلى الجامع بما يشار به إلى الحاضر ، وهي لفظة « هذا » .

٢ انظر مجالس العلماء : ١٤٤ وقد رويت القصة عن أبي عمر الجرمي والأصمعي .

٣ البيت للربيع بن زياد العبسي . ٤ الصحاح : ٦٦ ، ١٢٥٨ .

٥ لي ن : جنّيته تتكلم . ٦ ر : بالسريانية .

ويروى أن عمر بن هيرة الفزاري أمير العراقيين كان قد ضربه بالسياط ، وهو يقول : والله إن كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك . وله من هذا النوع شيء كثير . وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وقيل إن الذي ضربه كان يوسف بن عمر أمير العراقيين - وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - وكان سبب ضربه إياه أنه لما تولى العراقيين بعد خالد بن عبد الله القسري تتبع أصحابه ، وكان بعض جلسائه قد أودع عند عيسى بن عمر المذكور وديعةً فَنَمِيَ الخبز إلى يوسف ، فكتب إلى نائبه بالبصرة يأمره أن يحمل إليه عيسى بن عمر مقيّداً ، فدعا به ودعا حدّاداً^١ ، وأمره بتقييده : فلما قيّده قال له الوالي : لا بأس عليك ، إنما أراذك الأمير لتأديب ولده ، قال : فما بال القيد إذأ^٢ ؟ فبقيت هذه الكلمة مثلاً بالبصرة ، فلما وصل إلى يوسف سأله عن الوديعة فأنكر ، فأمر بضربه^٣ ، فلما أخذه السوط جزع فقال هذه المقالة المقدم ذكرها .

٥١٣

الجزولي

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَسْبَخْت بن عيسى بن يُوماريلي الجُزُولي اليزدكستاني؛ كان إماماً في علم النحو، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشأده، وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون ، ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهي في غاية

١ لي ن ل س : فدعا حداداً .

٢ ن : الأدم .

٣ ن : فأمر به ف ضرب ، وكذلك في القفطي .

٥١٣ - ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٣٧٨ وصلة الصلة : ٥٣ والتكملة (رقم : ١٩٣٢) وغير الذهبي ٥ : ٢٤ ، وفي حاشية الانباه ذكر لمصادر أخرى ؛ وذكر في الانباه أنه كان مزوراً ، قال : والمزوار بالبربرية مقدم جماعة ؛ قلت : وقد أوردت المسودة هذه الترجمة كاملة .

الإيجاز مع الاشتغال على شيء كثير من النحو ، ولم يُسَبِّقَ إلى مثلها ، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة ، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها ، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن مَوْقِفٍ يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها ، فإنها كلها رموز وإشارات ؛ ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار إليه في وقته وهو يقول : أنا ما أعرف هذه المقدمة ، وما يلزم من كوني ما أعرفها أن لا أعرف النحو . وبالجملة فإنه أبدع فيها . وسمعت أن له أمالي في النحو ، ولكنها لم تشتهر ، ورأيت له مختصر « الفسّر » لابن جني في شرح ديوان المتنبي ، ويقال : إنه كان يدري شيئاً من المنطق .

ودخل إلى الديار المصرية ، وقرأ على الشيخ أبي محمد بن بري المقدم ذكره^٢ ، وقد نقل عنه شيئاً في المقدمة المذكورة ، وذكر بعض المتأخرين في تصنيفه أنه كان قد قرأ « الجمل » على ابن بري ، وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب ، فأجابه ابن بري عنها ، وجرى فيها بحث بين الطلبة حصلت منه فوائد عكّتها الجزولي مفردة ، فجاءت كالمقدمة فيها كلام غامض وعقود لطيفة وإشارات إلى أصول صناعة النحو غريبة ، فنقلها الناس عنه واستفادوها منه . ثم قال هذا المصنف^٣ : وبلغني أنه كان إذا سئل عنها : هل هي من تصنيفك ؟ قال : لا ، لأنه كان متورعاً ، ولما كانت من نتائج خواطر الجماعة عند البحث ومن كلام شيخه ابن بري لم يسعه أن يقول : هي من تصنيفي ، وإن كانت منسوبة إليه ، لأنه هو الذي انفرد بترتيبها .

ثم رجع الجزولي إلى بلاد المغرب بعد أن حج ، وأقام بمدينة بجاية مدة ، والناس يشتغلون عليه ، وانتفع به خلق كثير ، ورأيت جماعة من أصحابه . وتوفي سنة عشر وستائة بمدينة مراكش^٤ ، رحمه الله تعالى ، هكذا سمعت

١ ل : القسر ، وغير معجمة في ن ؛ ر : التفسير .

٢ انظر ما تقدم ص : ١٠٨ من المجلد الثالث .

٣ النقل متابع لما في انباه الرواة .

٤ ذكر ابن الزبير أن الجزولي دخل الأندلس بعد قفوله من المشرق ، فنزل المرية .

٥ حاشية س : بل توفي بمدينة أزمور ودفن حذاء قبر الشيخ الصالح أبي شعيب أيوب المعروف =

جماعة يذكرون تاريخ وفاته ، ثم وقفت على ترجمته ، وقد رتبها أبو عبد الله ابن الأثير القضاعي فقال : في سنة ست أو سبع وستائة مات الجزولي^١ .

ويَلْتَبَخْتُ : بفتح الياء المثناة من تحتها واللام وسكون اللام الثانية وفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها ، وهو اسم بربري .
ويُوماريلي : بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الميم وبعدها الألف راء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها لام ثم ياء ، وهو اسم بربري أيضاً .

والجُزُولِي : بضم الجيم والزاي وسكون الواو وبعدها لام ، هذه النسبة إلى جُزولة ، ويقال لها أيضاً كزولة - بالكاف - وهي بطن من البربر .

واليزدكتني : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جزولة^٢ .

ورأيت بخطي في مسوداتي أنه تولى الخطابة بجامع مراکش وأن قبيلته كزولة من الرحالة يكونون بصحراء بلاد السوس في المغرب الأقصى ، وكان إماماً في القراءات والنحو واللغة ، وكان يتصدّر في الجامع للقراء ، وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد ، وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقراً عليه قراءة أبي عمرو فقال بعض الحاضرين : أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو؟ قال : فقلت : لا ، قال : فسألني آخر كذلك ، فقلت : لا ، فأنشد الشيخ وقال : قل لهم :

لستُ للنحو جئتكمُ لا ولا فيه أرغبُ
خلّ زيداً لشأنه أينما شاء يذهبُ

= بالباريه خارج باب عبدون ، قدمها في رسالة عن المستنصر من بني عبد المؤمن ؛ نقلت هذه الحاشية من خط أبي حيان على بعض النسخ .

١ قال ابن الزبير : مات قبيل سنة ٦٠٠ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س ل ن لي .

أنا ما لي ولا مریء أبد الدهر یضرب

وكانت وفاته بهسكورة من أعمال مراکش ، والله أعلم .

٥١٤

الفائز العبيدي

أبو القاسم عيسى الملقب بالفائز بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته ، وكيف قتل نصر بن عباس أباه حسبا شرح هناك ، وهذا نصر بن عباس هو الذي قتل العادل بن السلار ، وقد رفعت هناك في نسبه^١ ، فمن أراد معرفته فلينظره هناك .

ولما كان صبيحة ليلة قُتل فيها الظافر حضر عباس إلى القصر على جاري عادته في الخدمة ، وأظهر عدم الاطلاع على قضيته وطلب الاجتماع به ، ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله بعد ، فإنه خرج من عندهم في خفية كما ذكر ثم ، وما علم أحد بمخروجه ، فدخل الخدم إلى موضعه ليستأذنوا لعباس فلم يجدوه ، فدخلوا إلى قاعة الحُرَم فقبل : إنه لم يَبْتْ هاهنا ، وحاصل الأمر أنهم تطلبوه في جميع مظانته في القصر فلم يقفوا له على خبر ، فتحققوا عدمه ، فأخرج عباس المذكور أخوَي الظافر - وهما جبريل ويوسف وهو أبو العاضد المقدم ذكره في جملة من اسمه عبد الله - وقال لهما : أنما قتلنا إمامنا وما نعرف

٥١٤ - أخباره في المنتظم ١٠ : ١٩٦ واتعاظ الحنفا : ٢٨٧ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٥٧ وتاريخ ابن الأثير ١١ : ١٩١ ، ٢٥٥ وخطط القرظي ١ : ٣٥٧ والدرة المضية : ٥٦٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، والشذرات ٤ : ١٧٤ ؛ وقد جاءت هذه الترجمة كاملة في المسودة .

١ انظر ما تقدم في هذا الجزء ص : ٤١٧ .

حاله إلا منكما ، فأصرّا على الإنكار وكانا صادقين في ذلك ، فقتلها في الوقت لينفي عن نفسه وابنه التهمة ، ثم استدعى ولدَه الفائز المذكور وتقديرُ عمره خمس سنين ، وقيل سنتان ، فحمّله على كتفه ووقف في صحن الدار ، وأمر أن يدخل الأمراء ، فدخلوا ، فقال لهم : هذا ولد مولاكم وقد قتلَ عمّاه أباه ، وقد قتلتهما كما ترون ، والواجبُ إخلاصُ الطاعة لهذا الطفل ، فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ، وصاحوا صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس ، وسَمَوْهُ الفائز ، وسيروه^١ إلى أمه ، واختلّ من تلك الصيحة فصار يُصرّح في كل وقت ويختلج ، وخرج عباس إلى داره ودبر الأمور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد .

وأما أهل القصر فإنهم اطلعوا على باطن الأمر ، وأخذوا^٢ في إعمال الحيلة في قتل عباس وابنه نصر ، وكتبوا الصالح بن رزّيك الأرمني - المذكور في حرف الطاء^٣ - وكان إذ ذاك والي منية بني خصيب بالصعيد ، وسأله الانتصار لهم ولمولاه والخروج على عباس ، وقطعوا شعورهم وسيروها^٤ طي^٥ الكتاب وسودوا الكتاب ، فلما وقف الصالح عليه أطلع من حوله من الأجناد عليه وتحدث معهم في المعنى ، فأجابوا إلى الخروج معه ، واستمال جمعاً من العرب ، وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد ، فلما قاربوها خرج إليهم جميع من بها من الأمراء والأجناد والسودان ، وتركوا عباساً وحده ، فخرج عباس في ساعته من القاهرة هارباً ومعه شيء من ماله، وخرج معه ولده نصر قاتل الظافر ، وأسامة^٦ بن مُنقذ - المذكور في حرف الهمزة^٥ - فقد قيل : إنه الذي أشار عليها بقتل الظافر وشرح ذلك يطول وقد تقدم في ترجمة العادل بن السلار ذكره أيضاً وأنه الذي أشار بقتله ، والله العالم بالخفيات . وكان معهم جماعة يسيرة من أتباعهم ، وقصدوا طريق الشام على أيلة ، وذلك في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسةائة .

١ ن : وأرسلوه .

٢ ر : لما اطلعوا ... فأخذوا .

٣ انظر ج ٢ : ٥٢٦ .

٤ لي : وسيروها مع . ٥ المجلد الأول : ١٩٥ .

وأما الصالح بن رُزَيْك فإنه دخل القاهرة بغير قتال ، وما قدّم شيئاً على النزول بدار عباس المعروفة بدار المأمون ابن البطائحي وهي اليوم مدرسة للطائفة الحنفية ، وتعرف بالسيوفية ، واستحضر الخادم الصغير الذي كان^١ مع الظافر ساعة قتله ، وسأله عن الموضع الذي دفن فيه ، فعرفه به ، وقلع البلاطة التي كانت^٢ عليه ، وأخرج الظافر ومن معه من المقتولين وحلوا ، وقُطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنياح في البلد ، ومشى الصالح والحلق قدام الجنازة إلى موضع الدفن ، وهو في تربة آبائه ، وهي معروفة في قصرهم . وتكفّل الصالح بالصغير ودبّر أحواله .

وأما عباس ومن معه فإن أخت الظافر كاتبت فرنج عسقلان بسببه وشرطت لهم مالاً جزيلاً بسببه إذا أمسكوه ، فخرجوا عليه وصادفوه ، فتواقعوا وقتلوا عباساً وأخذوا ماله وولده ، وانهمز بعض أصحابه إلى الشام ، وفيهم ابن منقذ، فسلموا ، وسيّرت^٣ الفرنج نصر بن عباس إلى القاهرة تحت الحوطة في قفص حديد، فلما وصل تسلم رسولهم ما شرطوا لهم من المال، فأخذوا نصرأ المذكور وضربوه بالسياط ومثلوا به ، وصلبوه بعد ذلك على باب زويلة ، ثم أنزلوه يوم عاشوراء من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ثم أحرقوه ، هذه خلاصة الواقعة وإن كان فيها طول .

وكان دخول نصر بن عباس إلى القصر بالقاهرة في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة خمسين وخمسمائة ، وأخرج من القصر يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الآخر من السنة ، وكان قد قطعت يده اليمنى وقرض جسمه بالمقاريض ، والله أعلم ، وقيل كان ذلك يوم الجمعة ثامن الشهر المذكور .

ولم تطل مدة الفائز في ولايته ، وكانت ولادته يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتولى في تاريخ وفاة والده - وهو مذكور في

١ س : خادماً صغيراً كان .

٢ ن : البلاط الذي كان .

٣ ن : وأرسلت .

٤ س : قفص من حديد .

ترجمته في حرف الهمزة^١ ، واسمه إسماعيل - وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وتولى بعده العاضد - وقد سبق ذكره^٢ - وهو آخرهم .

٥١٥

الملك المعظم ابن العادل

الملك المعظم شرف الدين عيسى ، ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ؛ كان عالي الهمة حازماً شجاعاً مهيباً فاضلاً جامعاً شمل أرباب الفضائل محباً لهم ، وكان حنفي المذهب متعصباً لمذهبه وله فيه مشاركة حسنة ، ولم يكن في بني أيوب حنفي سواه ، وتبعه أولاده ، وكان قد حج إلى بيت الله الحرام في سنة إحدى عشرة وستائة ، سار من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة في جماعة من خواصه ، وسلك طريق العلا وتبوك ، وفي هذه السنة أخذ المعظم صرّخداً من ابن قراجا وأعطاه مملوكه عز الدين أيبيك المعروف بصاحب صرّخداً ، ولم يزل بها إلى أن أخذها منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في سنة أربع وأربعين وستائة ، وحمله إلى القاهرة واعتقله بدار الطواشي صواب .

وكان المعظم يحب الأدب كثيراً ومدحه جماعة من الشعراء المهيدين فأحسنوا في مدحه ، وكانت له رغبة في فن الأدب ، وسمعت أشعاراً منسوبة إليه ولم

١ المجلد الأول : ٢٣٧ .

٢ انظر ما تقدم ص : ١٠٩ .

٥١٥ - ترجمته وأخباره في مفرج الكروب (الجزء : ٣) وذيل الروضتين : ١٥٢ وابن الاثير : ١٢ : ٤٧١ والجواهر المضية ١ : ٤٠٢ والساوك ١/١ : ٢٢٤ والبداية والنهاية ١٣ : ١٢١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٧ وعبر الذهبي ٥ : ١٠٠ والشذرات ٥ : ١١٥ والزرکشي ، الورقة : ٢٣٥ .

أستثنيتها فلم أثبت شيئاً منها . وقيل إنه كان قد شرط لكل من يحفظ «الفصل»
للزخشري مائة دينار وخلعة ، فحفظه لهذا السبب جماعة ، ورأيت بعضهم
بدمشق ، والناس يقولون : إن سبب حفظهم له كان هذا ، وقيل إنه لما توفي
كان قد انتهى بعضهم إلى أواخره وبعضهم في أثنائه وهم على قدر أوقات
شروعهم فيه ، ولم أسمع بمثل هذه المنقبة لغيره .

وكانت مملكته متسعة من حدود بلد حمص إلى العريش يدخل في ذلك بلاد
الساحل الإسلامية منها وبلاد النور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك
وصرخد وغير ذلك .

وكانت ولادته في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وذكر أبو المظفر يوسف
سبط ابن الجوزي في تاريخه «مرآة الزمان»^١ أن المعظم ولد في سنة ست وسبعين
 وخمسمائة بالقاهرة ، وولد أخوه الأشرف موسى قبله بليلة واحدة . وتوفي المعظم
يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستائة ، والله أعلم بالصواب .
وقال غيره : بل توفي يوم الجمعة ثامن ساعة من نهار سلخ ذي القعدة سنة أربع
 وعشرين وستائة بدمشق ، ودفن بقلعتها ثم نقل إلى جبل الصالحية ، ودفن في
مدرسة هناك بها قبور جماعة من إخوته وأهل بيته تعرف بالمعظمية ، وكان نقله
ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة سبع وعشرين .
وكان كثيراً ما ينشد :

ومورِدِ الوجناتِ أغيدَ خالهُ بالحسن من فرطِ الملاحِ عمهُ
كحل الجفون وكان في الحاظهِ كحلٌ فقلتُ سقى الحُسامَ وسمهُ

وهذا ينظر إلى قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي - المقدم ذكره^٢ :

زادت على كحل الجفون تكحلاً ويُسَمُّ نصل السيف وهو قتولُ

رحمه الله تعالى ، فلقد كان من النجباء الأذكياء ؛ أخبرني جماعة عن شرف

١ انظر مرآة الزمان : ٦٤٤ .

٢ المجلد الثالث : ٢١٤ .

الدين بن عنين بأمر كانت تجري بينها تدل على حسن الإدراك وإصابة المقصد ،
منها : أنه كان ابن عنين قد مرض فكتب إليه :

انظر إليّ بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تَلاني
أنا كالذي أحتاج ما تحتاجه فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فجاء بنفسه إليه يعوده ومعه صرة فيها ثلثائة دينار ، فقال : هذه الصلة
وأنا العائد ، وهذه لو وقعت لأكابر النحاة ومن هو في ممارسته طولَ عمره
لاستعظم منه ، لا سيما مثل هذا الملك ، وأشياء كثيرة غير هذه يطول شرحها
وكان المقصود ذكر أنموذج منها ليستدل بها على الباقي .

(141) وتولى موضعه : ولده الملك الناصر صلاح الدين داود ، وتوفي في
السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستائة ، في قرية يقال لها
البويضاء على باب دمشق ، ودفن عند والده . وكانت ولادته يوم السبت ، سابع
عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستائة بدمشق .

(142) وتوفي عز الدين أيبك صاحب صرخند المذكور في أوائل جمادى
الأولى من سنة ست وأربعين وستائة في موضع اعتقاله بالقاهرة . ودفن خارج
باب النصر في تربة شمس الدولة ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه . ثم نقل إلى
تربته في مدرسته التي أنشأها ظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان
الأخضر الكبير .

الفقيه عيسى الهكاري

الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم ابن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هكذا أملى عليّ نسبه ولد ولد أخيه ، ويقال له الهكاري ، الملقب ضياء الدين .

كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية ، كبير القدر وافر الحزمة معمولاً عليه في الآراء والمشورات^١ . وكان في مبدأ أمره يشتغل في الفقه بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب ، فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين - المقدم ذكره^٢ - وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس . ولما توجه أسد الدين إلى الديار المصرية ، وتولى الوزارة - كما سبق شرحه - كان في صحبته . ولما توفي أسد الدين اتفق الفقيه عيسى المذكور والطواشي بهاء الدين قراقوش - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - على ترتيب السلطان صلاح الدين موضعه في الوزارة ، ودققا الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصود ، وشرح ذلك يطول ؛ فلما تولى صلاح الدين رأى له ذلك واعتمد عليه ، ولم يكن يخرج عن رأيه ، وكان كثير الإدلال عليه ، يخاطبه بما لا يقدر عليه غيره من الكلام ، وكان واسطة خير للناس نفع يجاهه خلقاً كثيراً .

ولم يزل على مكاتته وتوفّر حرمة إلى أن توفي في يوم الثلاثاء عند طلوع الشمس ، التاسع من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالهيم بمنزلة الخروبة ، ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهاها ، رحمه الله تعالى .

٥١٦ - أخباره في صفحات متفرقة من سيرة صلاح الدين وابن الاثير ومرآة الزمان والسلوك ومفرج الكرب ، وانظر النجوم الزاهرة ٦ : ١١٠ وقد سقطت هذه الترجمة من م وجاءت بتامها في المسودة .

١ ر : والمشاورات . ٢ المجلد الثاني : ٤٧٩ .

وكان يلبس زي الأجناد ويعتمّ بعمائم الفقهاء ، فيجمع بين اللباسين . ورأيت أخاه الأمير مجد الدين أبا حفص عمر أيضاً على هذه الصفة .
والخروبة : بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وضهما وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة ، موضع بالقرب من عكا .
(143) وكانت ولادة أخيه مجد الدين عمر في رجب سنة ستين وخمسمائة . وتوفي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وستائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ، عليه رحمة الله .

٥١٧

فخر الدين صاحب تكريت

أبو المنصور عيسى بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شُعَيْب ، الملقب فخر الدين صاحب تكريت ؛ هو من أتراك الشام ، وكانت فيه فضائل ، وله ديوان شعر حسن ورسائل مطبوعة ودوبيت رقيق ، فمن شعره قوله :

وما ذاتُ طَووقٍ في فروعِ أراكَةٍ	لها رنةٌ تحت الدجى وصدوحُ
ترامت بها أيدي النوى وتمكّنت	بها فرقة من أهلها ونزوح
فحلّت بزوراء العراق وزغبها	بعُسفانَ ثاورٍ منهم وطليح
تحنُّ إليهم كلما ذرَّ شارقٌ	وتسجعُ في جُح الدجى وتنوح
إذا ذكرتهم هيّجتُ ذا بلابل	وكادت بكموم الغرامِ تبُوحُ
بأبرح من وجدني لذكراكمُ متى	تألقَ بَرِّقٌ أو تنسَم ريح

ومن رسائله على هذا الأسلوب قوله : « ما شوارد أنعام بسباسب فلوات ،

٥١٧ - راجع أخباره في ابن الاثير ١١ : ٤٧٧ ، ١٢ : ٤٢ ، وهذه الترجمة بكاملها في المسودة .

لم يسمها أخص دارج ، ولم يَلِجْ فيها جانٌ من مارج ، منحتها أنفاسُ الهجير ،
لوافح زفرات السعير ، فارجَحَنَّتْ مِنَ الأين ، وراهِقت مداناة الحين ، فأنت
العُمق ، بعد ثلاثِ تستبق ، وقد أدْنَفها اللغوب ، وكادت أن تعلق بها
شَعُوب ، فألَفَتِ الماءَ أزرق سلسالا يعثر بصفحاته النسيم ، وتعطفه ذوائب
التسليم ، غير أن لا سبيل لها إلى مِقْرَاته ، ولا وصولَ إلى موارده ونهلاته :

ترنو إليه خوازراً بعيونها إذ حاولت مضض الجواد عظيماً
بأشد من ظمئي إلى لقياكُم من حيث آنس قلبي التسليماً

فالرغبة والابتهال إلى فارض الفرض ، وربُّ السكون والنبض ، أن يحقق
الأماني ، ويبدل الثاني بالداني ، إنه سميع الدعاء .
ومن دوبيتياته :

القبضُ لديك في الهوى والبسطُ يا مَنْ أَملي عذاره المختطُ
قالوا رشاً فقلت مَهْ لا تُخطوا من أين لساكنِ الفيافي قُرطُ

وله في النظم والنثر شيء كثير ولطيف .

ومولده بمدينة حماة ، وقتله إخوته سنة أربع وثمانين وخمسمائة بقلعة تكريت ،
رحمه الله تعالى . وكان له أخ اسمه الياس ، وهو الذي سلم تكريت إلى
الإمام الناصر في شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة - وسيأتي في ترجمة مظفر
الدين كوكبوري صاحب إربل أن تكريت كانت لأبيه زين الدين - وكان له
غلام من أهل حمص اسمه « تبر » ويقال « طبر » أيضاً - بالتاء والطاء - فولاه
قلعة العمادية وكانت أيضاً له ، ثم نقله إلى قلعة تكريت ، فلما كبر زين الدين
وعزم على الانتقال إلى إربل كما شرحته في ترجمة ولده مظفر الدين سلم البلاد
التي كانت له إلى قطب الدين ، فعصى تبر في تكريت وسيّر إلى قطب الدين
مودود صاحب الموصل يقول له : أنت ما تقيم بتكريت ، ولا بد لك فيها من

١ الجواد : العطش أو شدته .

نائب ، وأنا ذلك النائب ، فلم يقدر على مشاقته خوفاً أن يسلمها إلى الخليفة ، فسكت عنه وأقره على حاله .

ولما امتنع تبر من التسليم كان زين الدين يقول : سَوَدَ اللهُ وجهك يا تبر كما سودت وجهي مع قطب الدين ، ولم يزل تبر بها إلى أن مات ، ولم يكن له ولد سوى بنت ، فتزوجها ابن أخيه ، وهو عيسى بن مودود صاحب هذه الترجمة وملك تكريت .

ثم إنه أحب مطربة فتزوجها وأولدها ولدين : شمس الدين وفخر الدين ، وتوصلت المطربة وزوجت ابنها الشمس بابنة حسن بن قفجاق أمير التركان ، وطلبت منه خمسين فارساً تكون عندهم في تكريت لتحفظها . فلما علم إخوته بذلك ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، وثبوا على أخيهم عيسى المذكور فقتلوه خنقاً وملكوا تكريت . ثم وقع بينهم الاختلاف ، فباعها المقدم منهم للإمام الناصر لدين الله ، والله أعلم .

وتكريت : بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الكاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها ، وهي بلدة كبيرة لها قلعة حصينة على دجلة فوق بغداد بنحو ثلاثين فرسخاً ، وهي في بر الموصل ، وسميت تكريت بتكريت بنت وائل أخت بكر بن وائل ، وبني قلعها سابور بن أردشير بن بابك ، وهو ثاني ملوك الفرس .

الحاجري الإربليّ

أبو يحيى وأبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتيكين بن طاشتكيكين الإربليّ ، المعروف بالحاجري الملقب حسام الدين ؛ هو جندي ومن أولاد الأجناد ، وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة وفيه معان جيدة وهو مشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا ، وقد أحسن في الكل مع أنه قلّ من يجيد في مجموع هذه الثلاثة ، بل مَنْ غلب عليه واحد منها قَصَرَ في الباقي ، وله أيضاً « كان وكان »^١ واتفقت له فيها مقاصد حسان . وكان صاحبي وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك قوله وهو معنى جيد :

ما زال يحلف لي بكلّ أليّةٍ ألا يزال مَدَى الزمان مُصاحبي
لما جفّ نزل العذارُ بجدّه فتعجبوا لسوادِ وجه الكاذبِ
وأنشدني لنفسه أيضاً :

لكّ خالٌ من فوق عَرَ ش شقيقٍ قد استوى
بعث الصّدغَ مرسلًا يأمر الناس بالهوى

٥١٨ - انظر الشذرات ٥ : ١٥٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٩٠ - ٢٩١ (والنقل عن ابن خلكان) ؛ وابن الشعار ٥ : الورقة ٤٨٣ ، وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .
١ قالب من الشعر العامي كان في مبدأ نشأته مقصوراً على الحكايات والخرافات ولذلك سموه السكان وكان ، وقد نظم فيه ابن الجوزي وغيره من الوعاظ الرقائق والزهديات ؛ قال ابن سعيد في المقتطف من أزاهر الطرف (الورقة : ٣٩) : ويعرفونه أيضاً بالبطانحي لتولع أهل البطائح به وأكثر ما حفظته من الملاحين في دجلة وهو من العروض المجتث ، وقال الصفي الحلبي (الماعطل الحالي : ١٤٨) : وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ولا تكون قافيته إلا مردفة قبل حرف الروي بأحد حروف العلة ، ومخترعه البغداديون ثم تداوله الناس في البلاد .

وأنشدني لنفسه أيضاً أبياتاً منها في صفة الخال :

لم يحوِ ذاك الخدُّ خالاً أسوداً إلا لنتبت شقائق النعمان

وله في الخال أيضاً ، [وهو معنى لطيف]^١ :

ومُهَفَّفٍ من شَعْرِهِ وجبينه أمسى الورى في ظلمة وضياء
لا تتكروا الخال الذي في خدّه كلُّ الشقيق بنقطة سوداء

ومثل هذا قول ابن وكيع التنيسي - المقدم ذكره^٢ - واسمه الحسن :

إن الشقيق رأى محاسن وجهه فأراد أن يحكيه في أحواله
فأفاد حمرة لونه من خدّه وأفاد لون سواده من خاله

[وله أيضاً :

يقولون لما خط لامُ عذاره سلا كلُّ قلب كان منه سليماً
لقد كنت أهوى ورد خديه زائراً فكيف إذا ما الآس جاء مقياً]^٣

وأنشدني أيضاً أكثر دوبيتياته ، فمن ذلك قوله ، وقال لي : ما يعجبني فيما
عملته مثل هذا الدوبيت ، وهو آخر شيء عملته إلى الآن ، وهو :

حيّاً وسقى الحمى سحابٌ هامى ما كان ألد عامه من عام
يا علوة ما ذكرت أيامكم إلا وتظلمت على الأيام

وكان لي أخ يسمى ضياء الدين عيسى بينه وبين الحاجري المذكور مودة
أكيدة ، فكتب إليه من الموصل في صدر كتاب ، وكان الأخ بإربل ، وذلك
في سنة تسع عشرة وستمائة :

الله يعلم ما أبقى سوى رمقٍ مني فراقك يا من قرّبهُ الأملُ

١ وهو معنى لطيف : سقط من ر والمسودة .

٢ المجلد الثاني : ١٠٤ . ٣ ما بين معقنين سقط من المسودة .

فابعث كتابك واستودعه تعزيةً فر بما مُتُّ شوقاً قبل ما يصلُ

ومع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس لا حاجة إلى الإطالة في إيراد أكثر من هذا .

وكنت خرجت من إربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستائة وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شرحه ، بعد أن كان قد حبس في قلعة خُفْتِيدكان ثم نقل منها ، وله في ذلك أشعار ، فمن ذلك قوله أبيات أولها :

قيد أكابدهُ وسِجْنُ ضيقُ ياربَّ شابَّ من الهمومِ المفرقُ
ومنها :

يا برق إن جيئتَ الديارِ بإربلِ وعلا عليك من التداي رَوْنَقُ
بلَغَ تحيَّةَ نازحِ حسرائهُ أبدأ بأذيالِ الصِّبا تتعلَّقُ
قل يا جعلتُ لك الفداء أسيرُكُمْ من كل مشتاق إليكم أشوق
والله ما سرَّتِ الصِّبا نجديةً إلا وكدتُ بدمع عيني أشرق
كيف السبيلُ إلى اللقاء ودونه شَاءَ شاهقةً وبابٌ مُغلَقُ
وله وهو في السجن أيضاً :

أحبابنا أيُّ داعٍ بالبعاد دعا وأيُّ خطبٍ دهانا منه تفريقُ
لا كان دهرُ رمانا بالفراق فقد أضحى له في صميم القلب تَمزِيقُ
كانت تضيق بي الدنيا بغيبتكم فكيف سِجْنُ ومن عاداته الضيقُ

ثم بلغني بعد ذلك أنه خرج من الاعتقال ، واتصل بخدمة الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، رحمه الله تعالى ، وتقدّم عنده وغير لباسه وتزيّناً بزي الصوفية ، فلما توفي مظفر الدين - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - سافر عن إربل ثم عاد إليها وقد صارت في مملكة أمير المؤمنين

١ في هامش ل ثلاثة أبيات له وقد ذهب أكثر ألفاظها لتطرّفها ، وهي بخط مخالف لخط النسخة .

المستنصر بالله ونائبه^١ بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين ، فأقام مُدَيِّدَةً ، وكان وراءه من يقصده ، فاتفق أن خرج يوماً من بيته قبل الظهر ، فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حُشوته ، فكتب في تلك الحال إلى باتكين المذكور وهو يكابد الموت :

أشكوك يا ملك البسيطة حالة لم تبق رعباً فيّ عضواً ساكناً
إن تستبح إبلي لقيطة^٢ معشر ممن أومل غير جأشك مازناً^٣
ومن العجائب كيف يُمسي^٤ خائفاً مَنْ بات في حرم الخلافة آمناً^٥

ثم توفي بعد ذلك من يومه في يوم الخميس ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة باب الميدان ، رحمه الله تعالى ، وتقدر عمره خمسون سنة .
(144) وباتكين المذكور كان أرمني الجنس ، وهو مملوك أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله ، ولما أخذ التتر إربل في الدفعة الأولى في أواخر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة رجع إلى بغداد ومات بها يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة أربعين وسبعمائة ، ودفن بالشونيزية .

والحاجري : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء ، هذه النسبة إلى حاجر ، وكانت بليدة^٦ بالحجاز ولم يبق اليوم منها سوى الآثار ، ولم يكن الحاجري منها ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً نسب إليها ، وهو إربلي الأصل والمولد والمنشأ ، ولما غلبت عليه هذه النسبة وعرف بها واشتهرت بحيث صارت كالعلم عليه عمل في ذلك دوبيت ، وهو^٧ :

لو كنت كفيت من هواك البينا ما بات يحاكي دمع عيني عينا

١ كتب في المسودة « روعاً » وضب عليها وكتب « رعباً » .

٢ يشير إلى قول الحماسي :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

٣ س : يصبح ؛ ل : يمشي .

٤ كان قد كتب في المسودة : يا للعجائب كيف يصبح خائفاً ، ثم ضرب عليه ووضع ما أثبتناه .

٥ ل : بلدة . ٦ ر : وهو هذا .

لولاك لما ذكرت نجداً بفمي من أين أنا وحاجر من أيننا
وذكر ذلك أيضاً في أبيات لطيفة أولها :

أي طرف أحيّورٍ للغزال الأسيّميرِ
وأخرها :

أيُّ هذا الأريبيّ هام فيك الحويميّري

وفي مدينة إربل^١ محلة يقال لها قُرَيّة جبريل بالتصغير ذكر أبو البركات ابن
المستوفي في « تاريخ إربل » أنها منسوبة إلى جده جبريل المذكور .
وخارتكين : بضم الخاء المعجمة .
وطاشتكين : بفتح الطاء المهملة وسكون الشين المثناة .
والباقي معروف .

وخفّتيديكان : بضم الخاء المعجمة وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وكاف وبعدهم الألف نون^٢، وهي
قلعة حصينة مشهورة في بلد إربل ، ويقال لها خفّتيديكان صارم الدين وهي غير
خفّتيديكان أبي علي .

١ س : وبالقرب من إربل .

٢ في المسودة : وبعدهم الألف كاف وفون ، وهو سهو .

طويس المغني

قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»^١ : اسمه عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم ، وغيرها المخبثون فقالوا : عبد النعم ، وهو مولى بني مخزوم ، وطويس لقب عليه .

وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف»^٢ في فصل عامر بن عبد الله الصحابي ، رضي الله عنه : ومن موالي آل كُرَيْز طويس مولى أروى بنت كُرَيْز ، وهي أم عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، واسمه عبد الملك ويكنى أبا عبد النعم .
وقال الجوهري في كتاب «الصحاح»^٣ : اسمه طاوس ، فلما تخنث جملة طويساً ويسمى بعبد النعم .

وقد وقع هذا الاختلاف في اسمه كما تراه ، وقيل إن الأصح أنه عيسى لتطابق جماعة من العلماء عليه .

وكان طويس المذكور من المبرزين في الفناء المجيدين فيه ، ومن تضرب به الأمثال ، وإياه عنى الشاعر بقوله في مدح معبد المغني :

تغنّى طوَيْسٌ والشَّرِيحِيُّ بعده وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لمعبد

وقد ذكر في كتاب «الأغاني» ترجمته وأطال الحديث في أمره ، وهو الذي يضرب به المثل في الشؤم ، فيقال : أشأم من طوَيْسٍ ، وإنما قيل له ذلك

٥١٩ - انظر نهاية الأرب ٤ : ٢٤٦ والشذرات ١ : ٩٩ وشرح العيون : ٢١٢ ؛ والترجمة كاملة في المسودة .

١ الأغاني ٣ : ٢٧ .

٢ المعارف : ٣٢٢ .

٣ الصحاح : ٩٤٢ .

٤ الميداني ١ : ١٧٣ (أخنث من طويس) .

لأنه ولد في اليوم الذي قبض فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفطم في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وخُتِنَ في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وقيل بل بلغ الحلم في ذلك اليوم ، وتزوج في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وولد له مولود في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقيل بل في يوم مات الحسن بن علي ، رضي الله عنها ، فلذلك تشاءموا به . وهذا من عجائب الاتفاقات .

وكان مفرطاً في طوله مضطرباً في خلقه أحول العين ، وكان يسكن المدينة ثم انتقل عنها إلى السَّوِيْدَاءِ ، وهي على مرحلتين من المدينة في طريق الشام ، فلم يزل بها حتى توفي سنة اثنتين وتسعين للهجرة ، رحمه الله تعالى وسامحه ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل إنه مات بالمدينة ، والله أعلم .
وذكر ياقوت الحموي في كتابه « المشترك »^١ أن قبر طُوَيْسِ الخنث في سقيا الجزل ، وما ذكر أين هي^٢ .

وطويس : بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة ، وهي تصغير طاوس بعد حذف الزيادات ، هكذا قاله الجوهري في « الصحاح » ، وله ذكر في كتاب « الأوائل » تأليف أبي هلال العسكري .

١ المشترك : ٢٥٠ .

٢ في المشترك : وسقيا الجزل موضع بالحجاز .

محتويات الكتاب

حرف العين

٩	عاصم بن أبي النجود بهدلة ، أبو بكر المقرئ	٣١٥
١٠	عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس ، أبو بردة الأشعري	٣١٦
١٢	عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، أبو عمرو الشعبي	٣١٧
١٦	عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين	٣١٨
	العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة ، أبو الفضل الشاعر	٣١٩
٢٠	المشهور	
٢٧	العباس بن الفرغ الرياشي النحوي ، أبو الفضل	٣٢٠
٢٨	عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي ، أبو عبد الرحمن	٣٢١
٣٢	عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، أبو عبد الرحمن	٣٢٢
٣٤	عبد الله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث ، أبو محمد الفقيه المالكي	٣٢٣
٣٦	عبد الله بن وهب بن مسلم ، أبو محمد الفقيه المالكي	٣٢٤
	عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري ،	٣٢٥
٣٨	أبو عبد الرحمن	
٤٠	عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، أبو عبد الرحمن القعني	٣٢٦
٤١	عبد الله بن كثير ، أبو سعيد المقرئ	٣٢٧
٤٢	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد	٣٢٨
٤٤	عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الهارسي ، أبو محمد	٣٢٩
٤٥	عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ، أبو القاسم	٣٣٠

٤٦	عبد الله بن أحمد بن عبد الله ، ابو بكر الففّال المروزي	٣٣١
	عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ، ابو محمد الجويني	٣٣٢
٤٧	والد لإمام الحرمين	
٤٨	عبد الله بن عمر بن عيسى ، ابو زيد الدبوسي الفقيه الحنفي	٣٣٣
	عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي ، أبو محمد المرتضى	٣٣٤
٤٩	ابن الشهرزوري	
	عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن مطهر ، ابو سعد	٣٣٥
٥٣	شرف الدين ابن أبي عصرون	
	عبد الله بن اسعد بن علي بن عيسى ، أبو الفرج مهذب الدين	٣٣٦
٥٧	ابن الدهان الموصللي الحمصي	
	عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار ، ابو محمد جلال الدين	٣٣٧
٦١	ابن شاس	
٦٢	عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابو العباس	٣٣٨
٦٤	عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر التيمي ، ابو بكر الصديق	٣٣٩
٧١	عبد الله بن الزبير بن العوام ، ابو حبيب	٣٤٠
	عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ،	٣٤١
٧٦	أبو العباس	
٨١	عبد الله بن احمد بن علي بن الحسن ، ابو محمد ابن طباطبا	٣٤٢
٨٣	عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، ابو العباس	٣٤٣
٨٩	عبد الله بن خليل ، ابو العميثل	٣٤٤
	عبد الله بن محمد الأنباري الناشي الأكبر المعروف بابن شرشير ،	٣٤٥
٩١	ابو العباس	
٩٣	عبد الله بن محمد بن صارة البكري الأندلسي ، ابو محمد	٣٤٦
٩٦	عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، ابو محمد	٣٤٧
٩٨	عبد الله (وقيل عبد الباقي) بن محمد بن الحسن ، ابو القاسم ابن نايقا	٣٤٨
	عبد الله بن ابي عبد الله الحسين بن ابي البقاء عبد الله ، ابو البقاء	٣٤٩
١٠٠	محب الدين العكبري	

- ٣٥٠ عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد ، ابو محمد ابن الخشّاب
١٠٢ البغدادي
- ٣٥١ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر ، ابو الوليد ابن الفرضي
١٠٥
- ٣٥٢ عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف ، ابو محمد الرشاطي
١٠٦ الأندلسي
- ٣٥٣ عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار المقدسي ، ابو محمد
١٠٨
- ٣٥٤ عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر ، ابو محمد
١٠٩ العاضد العبيدي
- ٣٥٥ عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله ، ابو الرداد ابن الرداد المؤذن
١١٢
- ٣٥٦ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ابو عبد الله
١١٥
- ٣٥٧ عبيد الله ابو محمد الملقب بالمهدي
١١٧
- ٣٥٨ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ابو أحمد
١٢٠
- ٣٥٩ عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي ، ابو الحكم ،
١٢٣ الحكيم المغربي
- ٣٦٠ عبد الرحمن بن ابي ليلى يسار ، وقيل داود ، بن بلال بن
أحيحة الأنصاري ، أبو عيسى
- ١٢٦
- ٣٦١ عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، ابو عمرو
١٢٧
- ٣٦٢ عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المالكي ،
ابو عبد الله
- ١٢٩
- ٣٦٣ عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، ابو سليمان الداراني
١٣١
- ٣٦٤ عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوران ، ابو القاسم الفوراني
١٣٢ المروزي
- ٣٦٥ عبد الرحمن بن محمد مأمون ، ابو سعد المتولي
١٣٣
- ٣٦٦ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ، ابو منصور فخر
الدين ابن عساكر
- ١٣٥
- ٣٦٧ عبد الرحمن بن إسحاق ، ابو القاسم الزجاجي النحوي
١٣٦

١٣٧	عبد الرحمن بن أبي الحسن احمد بن ابي موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، ابو سعيد ابن يونس المؤرخ المصري	٣٦٨
١٣٩	عبد الرحمن بن ابي الوفاء محمد بن عبيد الله ، ابو البركات كمال الدين ابن الأنباري	٣٦٩
١٤٠	عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي ، ابو الفرج ابن الجوزي	٣٧٠ ✓
١٤٣	عبد الرحمن بن الخطيب ابي محمد عبد الله بن الخطيب ابي عمر ، ابو القاسم وابو زيد السهيلي	٣٧١
١٤٥	عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل عثمان ، ابو مسلم الخراساني عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحداقي الفارقي	٣٧٢ ✓ ٣٧٣
١٥٦	الخطيب ابو يحيى عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين ابي المجد علي بن القاضي السعيد ابي محمد الحسن ، ابو علي مجير الدين المعروف	٣٧٤
١٥٨	بالقاضي الفاضل	
١٦٣	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ابو خالد وابو الوليد	٣٧٥
١٦٤	عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة ، ابو عمر ويقال ابو عمرو القبطي القُرسي	٣٧٦
١٦٦	عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون ، ابو مروان الفقيه المالكي	٣٧٧
١٦٧	عبد الملك بن ابي محمد عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ، إمام الحرمين ابو المعالي الجويني	٣٧٨ —
١٧٠	عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمغ ، ابو سعيد الأصمعي	٣٧٩
١٧٧	عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري ، ابو محمد صاحب السيرة	٣٨٠
١٧٨	عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ابو منصور	٣٨١

- ٣٨٢ عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان ، ابو سعيد التنوخي
الملقب سحنون ١٨٠
- ٣٨٣ عبد السلام بن أبي علي محمد ، ابو هاشم الجبائي ١٨٣
- ٣٨٤ عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب ، ابو محمد
المعروف بديك الجن الشاعر المشهور ١٨٤
- ٣٨٥ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركي ، ابو
القاسم الفقيه الشافعي ١٨٨
- ٣٨٦ عبد العزيز بن عمر بن محمد بن احمد ، ابو نصر ابن نباتة الشاعر ١٩٠
- ٣٨٧ عبد العزيز بن احمد بن السيد بن مغلس ، ابو محمد الأندلسي ١٩٣
- ٣٨٨ عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ، ابو محمد ١٩٥
- ٣٨٩ عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك ، ابو القاسم الشاعر
المشهور ١٩٦
- ٣٩٠ عبد الواحد بن إسماعيل بن احمد بن محمد ، ابو المحاسن
الروياتي ١٩٨
- ٣٩١ عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي ، ابو الفرج الشاعر
المعروف بالبيضاء ١٩٩
- ٣٩٢ عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ابو منصور البغدادي ٢٠٣
- ٣٩٣ عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، ابو النجيب
السهروردي ٢٠٤
- ٣٩٤ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ، ابو القاسم
القشيري ٢٠٥
- ٣٩٥ عبد الكريم بن ابي بكر محمد بن ابي المظفر المنصور ، تاج
الإسلام قوام الدين ابو سعد ابن السمعاني ٢٠٩
- ٣٩٦ عبد الجبار بن ابي بكر محمد بن حمديس الصقلي ، ابو محمد
الشاعر المشهور ٢١٢
- ٣٩٧ عبد الجبار بن محمد بن علي بن محمد ، ابو طالب المعافري الفزاري ٢١٥

٢١٦	عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ، ابو بكر مولى حمير	٣٩٨
	عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ، ابو نصر ابن	٣٩٩
٢١٧	الصباغ	
	عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد ، ابو محمد القاضي	٤٠٠ ✓
٢١٩	المالكي	
٢٢٣	عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد ، ابو محمد الحافظ المصري	٤٠١
	عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر ، ابو الحسن الفارسي	٤٠٢
٢٢٥	الحافظ	
٢٢٦	عبد الأول بن ابي عبد الله عيسى بن شعيب ، ابو الوقت السجزي	٤٠٣
	عبد المنعم بن ابي الفتح عبد الوهاب بن سعد بن صدقة ، ابو	٤٠٤
٢٢٧	الفرج شمس الدين ابن كليب الحراني	
٢٢٨	عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب المشهور	٤٠٥
	عبد المحسن بن محمد بن احمد بن غالب الصوري ، ابو محمد	٤٠٦
٢٣٢	الشاعر المشهور	
	عبد المجيد بن ابي القاسم محمد بن المستنصر بن الظاهر ، ابو	٤٠٧
٢٣٥	الميمون الملقب الحافظ العبيدي	
٢٣٧	عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ، ابو محمد صاحب المغرب	٤٠٨
٢٤١	عثمان بن سعيد بن بشار ، ابو القاسم الأنماطي	٤٠٩
	عثمان بن عيسى بن درباس بن فير ، ابو عمرو ضياء الدين	٤١٠
٢٤٢	الهدباني الماراني ، شارح المهذب	
	عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى ، ابو عثمان تقي	٤١١
٢٤٣	الدين ابن الصلاح	
٢٤٦	عثمان بن جني ، ابو الفتح	٤١٢
٢٤٨	عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس ، ابو عمرو ابن الحاجب	٤١٣
	عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، ابو الفتح	٤١٤
٢٥١	عماد الدين الملقب الملك العزيز	

- ٢٥٤ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الهكاري ٤١٥
- ٢٥٥ عروة بن الزبير بن العوام ، ابو عبد الله القرشي الأسدي ٤١٦ ✓
- العراقي بن محمد بن العراقي القزويني . ابو الفضل ركن الدين ٤١٧
- ٢٥٨ الطاوسي
- ٤١٨ عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي ، ابو المعالي المعروف بشيدلة
- ٢٥٩ ٤١٩ عطاء بن أبي رباح اسلم ، وقيل سالم ، بن صفوان ، ابو محمد
- ٢٦١ ٤٢٠ عطاء المقنع الحراساني
- ٢٦٣ ٤٢١ عكرمة بن عبد الله . ابو عبد الله مولى عبد الله بن عباس
- ٢٦٥ ٤٢٢ علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . ابو الحسين المعروف بزین العابدين
- ٢٦٦ ٤٢٣ علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر . ابو الحسن
- ٢٦٩ ٤٢٤ علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا . ابو الحسن العسكري
- ٢٧٢ ٤٢٥ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي
- ٢٧٤ ٤٢٦ علي بن عبد العزيز . القاضي ابو الحسن الجرجاني
- ٢٧٨ ٤٢٧ علي بن أحمد بن المرزبان . ابو الحسن الفقيه الشافعي
- ٢٨١ ٤٢٨ علي بن محمد بن حبيب البصري . ابو الحسن الماوردي
- ٢٨٢ ٤٢٩ علي بن اسماعيل بن ابي بشر إسحاق بن سالم . ابو الحسن الأشعري
- ٢٨٤ ٤٣٠ ✓ علي بن محمد بن علي الطبري . ابو الحسن عماد الدين الكيا
- ٢٨٦ الهراسي
- ٤٣١ علي بن الأنجب ابي المكارم الفضل بن ابي الحسن علي . ابو الحسن
- ٢٩٠ الحافظ المقدسي
- ٤٣٢ ✓ علي بن ابي علي بن محمد بن سالم التغلبي . ابو الحسن سيف
- ٢٩٣ الدين الأمدني

٢٩٥	٤٣٣	علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ، ابو الحسن المعروف بالكسائي
٢٩٧	٤٣٤	علي بن عمر بن احمد بن مهدي ، ابو الحسن الدارقطني
٢٩٩	٤٣٥	علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، ابو الحسن الرماني
٣٠٠	٤٣٦	علي بن إبراهيم بن سعيد ، ابو الحسن الحوفي النحوي
٣٠١	٤٣٧	علي بن سليمان بن الفضل ، ابو الحسن المعروف بالأخفش الأصغر
٣٠٣	٤٣٨	علي بن احمد بن محمد بن علي ، ابو الحسن الواحدي
٣٠٥	٤٣٩	علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ، الأمير ابو نصر سعد الملك المعروف بابن ماكولا
٣٠٧	٤٤٠	علي بن الحسين بن محمد بن أحمد ، ابو الفرج الأصبهاني
٣٠٩	٤٤١	علي بن ابي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله ، ابو القاسم ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الحافظ
٣١٢	٤٤٢	علي بن عبيد الله بن عبد الغفار ، ابو الحسن السمساني
٣١٣	٤٤٣	علي بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد ، ابو القاسم الشريف المرتضى
٣١٧	٤٤٤	علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي ، ابو الحسين الحلبي
٣١٩	٤٤٥	علي بن محمد الشابثي ، ابو الحسين الكاتب
٣٢٠	٤٤٦	علي بن محمد بن خلف ، ابو الحسن القروي المعروف بابن القابسي
٣٢٣	٤٤٧	علي بن جعفر بن علي بن محمد ، ابو القاسم ابن القطاع الصقلي
٣٢٥	٤٤٨	علي بن احمد بن سعيد بن حزم ، ابو محمد ابن حزم الظاهري
٣٣٠	٤٤٩	علي بن اسماعيل ، الحافظ ابو الحسن المرسي المعروف بابن سيده
٣٣١	٤٥٠	علي بن عبد الغني الفهري الضرير ، ابو الحسن الحصري القيرواني
٣٣٥	٤٥١	علي بن محمد بن علي ، ابو الحسن ابن خروف النحوي الإشبيلي

- ٤٥٢ علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح الربيعي النحوي ، ابو الحسن ٣٣٦
- ٤٥٣ علي بن ابي زيد محمد بن علي الفصيحى الاستراباذي ، ابو الحسن ٣٣٧
- ٤٥٤ علي بن ابي الحسين عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك ، ابو ٣٣٨
الحسن ابن العصار
- ٤٥٥ علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت ، ابو الحسن مهذب الدين ٣٣٩
المعروف بشميم الحلبي
- ٤٥٦ علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد ، ابو الحسن علم الدين ٣٤٠
السخاوي
- ٤٥٧ علي بن هلال ، ابو الحسن ابن البوّاب ٣٤٢
- ٤٥٨ علي بن احمد بن يوسف بن جعفر ، ابو الحسن شيخ الإسلام ٣٤٥
الهكتاري
- ٤٥٩ علي بن ابي بكر بن علي الهروي السائح ، ابو الحسن ٣٤٦
- ٤٦٠ علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، ابو الحسن ٣٤٨
عز الدين ابن الأثير الجزري
- ٤٦١ علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن ، ابو الحسن الشاعر ٣٥٠
المعروف بالعكوك
- ٤٦٢ علي بن الجهم بن بدر بن الجهم الشاعر المشهور ، ابو الحسن ٣٥٥
- ٤٦٣ علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس ، ابو الحسن الشاعر ٣٥٨
المعروف بابن الرومي
- ٤٦٤ علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ، ابو الحسن البسامي ٣٦٣
الشاعر
- ٤٦٥ علي بن محمد بن ابي الفهم داود ، ابو القاسم القاضي التنوخي ٣٦٦
- ٤٦٦ علي بن عبد الله بن وصيف ، ابو الحسن الحلاء المعروف ٣٦٩
بالناشيء الأصغر
- ٤٦٧ علي بن إسحاق بن خلف ، ابو القاسم الزاهي الشاعر ٣٧١
- ٤٦٨ علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم ، ابو الحسن ٣٧٣

- ٤٦٩ علي بن ابي عبد الله هارون بن علي بن يحيى المنجم . ابو الحسن ٣٧٥
- ٤٧٠ علي بن محمد . ابو الفتح البستي الكاتب ٣١٦
- ٤٧١ علي بن محمد . ابو الحسن التهامي الشاعر ٣٧٨
- ٤٧٢ علي بن احمد بن نوبخت . ابو الحسن الشاعر ٣٨٢
- ٤٧٣ علي بن عبد الواحد . ابو الحسن الشاعر المعروف بصريع الدلاء ٣٨٣
- ٤٧٤ علي بن الحسن بن علي بن الفضل . الرئيس ابو منصور الكاتب ٣٨٥
- المعروف بصردر
- ٤٧٥ علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب . ابو الحسن الباخري ٣٨٧
- الشاعر المشهور
- ٤٧٦ علي بن افلح العبيسي . ابو القاسم جمال الملك الشاعر المشهور ٣٨٩
- ٤٧٧ علي بن ابي الوفاء سعد بن ابي الحسن علي . ابو الحسن مهذب ٣٩١
- الدين ابن مسهر الموصللي
- ٤٧٨ علي بن رسم بن هردوز . ابو الحسن بهاء الدين المعروف بابن ٣٩٥
- الساعاني
- ٤٧٩ علي بن ابي المظفر يوسف بن احمد بن محمد . ابو الفضائل ابن ٣٩٧
- الأمدي قاضي واسط
- ٤٨٠ علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي . ابو الحسن عماد الدولة ٣٩٩
- البويهي
- ٤٨١ علي بن عبد الله بن حمدان . ابو الحسن سيف الدولة الحمداني ٤٠١
- ٤٨٢ علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز . ابو هاشم الملقب الظاهر ٤٠٧
- لإعزاز دين الله العبيدي
- ٤٨٣ علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، ابو الحسن سديد الملك الشيزري ٤٠٩
- ٤٨٤ علي بن محمد بن علي الصليحي ، ابو الحسن ٤١١
- ٤٨٥ علي بن السلار ، ابو الحسن الملك العادل سيف الدين ٤١٦
- ٤٨٦ علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، ابو الحسن ٤١٩
- نور الدين الملقب الملك الأفضل

- ٤٢١ علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، ابو الحسن ٤٨٧ ✓
- علي بن ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الأعلى ٤٨٨ ✓
- ٤٢٩ الصديقي المنجم المصري ، ابو الحسن
- ٤٨٩ عمارة بن ابي الحسن علي بن ريدان بن احمد الحكمي اليمني ،
- ٤٣١ الفقيه ابو محمد نجم الدين الشاعر المشهور
- ٤٩٠ عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة القرشي المخزومي الشاعر ، ابو
- ٤٣٦ الخطاب
- ٤٤٠ عمر بن شبثة زيد بن عبيدة بن زيد ، ابو زيد ٤٩١
- ٤٩٢ عمر بن ابي علي الحسين بن عبد الله بن احمد الحرقي ، ابو القاسم
- ٤٤١ الفقيه الحنبلي
- ٤٤٢ عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة ، ابو ذر ٤٩٣
- ٤٤٣ عمر بن ثابت الثماني الضريبر النحوي ، ابو القاسم ٤٩٤
- ٤٤٤ عمر بن محمد بن احمد بن عكرمة ، ابو القاسم ابن البزري ٤٩٥
- ٤٩٦ عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد ، ابو حفص شهاب الدين
- ٤٤٦ السهروردي
- ٤٩٧ عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الحميتل ، الحافظ ابو الخطاب
- ٤٤٨ ابن دحية
- ٤٥١ عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، ابو علي الشلوبيني النحوي ٤٩٨
- ٤٩٩ عمر بن ابي بكر محمد بن معمر بن احمد ، ابو حفص ابن
- ٤٥٢ طبرزد
- ٥٠٠ عمر بن ابي الحسن علي بن المرشد بن علي ، ابو حفص و ابو
- ٤٥٤ القاسم الشرف ابن الفارض
- ٥٠١ عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن ايوب ، ابو سعيد الملك المظفر
- ٤٥٦ تقي الدين
- ٥٠٢ عمرو بن عبد الله بن علي بن احمد ، ابو إسحاق السبيعي
- ٤٦٠ عمرو بن عبيد بن باب ، ابو عثمان ٥٠٣

- ٤٦٣ عمرو بن عثمان بن قنبر ، ابو بشر الملقب سيبويه ٥٠٤
- ٤٦٦ ابو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري ٥٠٥
- ٥٠٦ عمرو بن بحر بن محبوب الكنافي الليثي ، ابو عثمان المعروف
بالجاحظ ٤٧٠
- ٥٠٧ عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، ابو الفضل الكاتب ٤٧٥
- ٥٠٨ عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، المعروف بابن بانه ٤٧٩
- ٥٠٩ العلاء بن الحسين بن وهب بن الموصلايا الكاتب ، ابو سعد أمين
الدولة منشىء دار الخلافة ٤٨٠
- ٥١٠ العلاء بن علي بن محمد بن علي ، ابو الفرج ابن السوادى ٤٨١
- ٥١١ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو ، القاضي ابو الفضل
اليحصبي السبتي ٤٨٣
- ٥١٢ عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري ، ابو عمرو ٤٨٦
- ٥١٣ عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى بن يوماريلي الجزولي
اليزدكتي ، ابو موسى ٤٨٨
- ٥١٤ عيسى بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن المستنصر ، ابو القاسم
الملقب الفائز العبيدي ٤٩١
- ٥١٥ عيسى بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب ، الملك
المعظم شرف الدين صاحب دمشق ٤٩٤
- ٥١٦ عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ، الفقيه ابو محمد ضياء الدين
الهكاري ٤٩٧
- ٥١٧ عيسى بن مودود بن علي بن عبد الملك ، ابو المنصور فخر
الدين صاحب تكريت ٤٩٨
- ٥١٨ عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين ، ابو يحيى
وابو الفضل حسام الدين الحاجري اليربلي ٥٠١
- ٥١٩ عيسى بن عبد الله ، ابو عبد المنعم (عبد النعم) المعروف بطويس المغني ٥٠٦

فهرست التراجم العارضة

١٠	بلال بن أبي بردة الأشعري	75
١٢	خالد بن صفوان التميمي المنقري	76
٣٥	عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم	77
	قنبل راوية ابن كثير (وهو محمد بن عبد الرحمن بن جرجة	78
٤٢	المكي المخزومي)	
٤٢	البيزي راوية ابن كثير (وهو ابو الحسن احمد بن محمد الفارسي)	79
٤٣	ابو جعفر احمد بن عبد الله بن قتيبة	80
	الشريف ابن عبيد الله (ضياء الدين ابو عبد الله زيد بن محمد	81
٦٠	الحسيني نقيب العلويين)	
٦٩	عبد الله بن ابي بكر الصديق	82
٦٩	أسماء بنت ابي بكر الصديق	83
٦٩	عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق	84
٧٠	ام كلثوم بنت ابي بكر الصديق	85
٧٠	محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق	86
٧٠	بلال بن ابي رباح	87
٧٧	ابن الجصاص التاجر	88
٨٠	سعيد بن حميد ، ابو عثمان	89
٨٨	طلحة الطلحات الخزاعي (ابو محمد طلحة بن عبيد الله بن خلف)	90
١٢٢	الأمير ابو القاسم عبيد الله بن سليمان	91
١٢٣	سليمان بن عبد الله بن طاهر	92
	القاضي ابن المرخّم (السيد ابو الوفاء يحيى بن سعيد بن	93
١٢٥	المظفر)	

١٣٨	ابو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخشّاب المصري	94
١٤٢	محيي الدين ابو محمد يوسف بن عبد الرحمن ، ولد ابن الجوزي	95
١٤٢	شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قرغلي ، سبط ابن الجوزي	96
	القاضي الأشرف بهاء الدين ابو العباس احمد ، ابن القاضي الفاضل	97
١٨٢	اسد بن الفرات	98
١٨٦	حبيب بن مسلمة	99
٢٠٧	ابو نصر عبد الرحيم بن ابي القاسم عبد الكريم القشيري	100
٢١٠	محمد بن ابي المظفر المنصور ، والد ابي سعد ابن السمعاني	101
٢١١	المنصور ابو المظفر ابن محمد ، جدّ ابي سعد ابن السمعاني	102
٢١٢	ابو المظفر عبد الرحيم ، ولد ابي سعد ابن السمعاني	103
٢٢٢	ابو الحسن محمد بن علي بن نصر ، اخو القاضي عبد الوهاب المالكي	104
٢٢٢	ابو الحسن علي بن نصر ، والد القاضي عبد الوهاب المالكي	105
٢٢٤	سعيد بن علي بن سعيد ، والد الحافظ عبد الغني	106
٢٢٧	ابو جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفي	107
٢٤٤	الصلاح عبد الرحمن بن عثمان ، والد ابن الصلاح	108
٢٤٥	الزكي بن رواحة	109
٢٤٥	ست الشام بنت ايوب	110
٢٤٧	ابو منصور الديلمي (ابو الحسن علي بن منصور)	111
	القاضي الأنجب ابو المكارم الفضل المقدسي ، والد ابن الفضل الحافظ المقدسي	112
٢٩٢		
٢٩٤	ابو الفتح نصر بن فتيان بن المتي	113
٣٠١	الأخفش الأكبر (ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد)	114
٣١١	بهاء الدين ابو محمد القاسم ، ولد الحافظ ابن عساكر	115
	صائغ الدين هبة الدين بن الحسن بن هبة الله ، اخو الحافظ ابن عساكر	116
٣١١		

٣١٦	ابو الحسن الفالي	117
٣٢٨	ابو عمر احمد . والد الفقيه ابن حزم الظاهري	118
٣٢٩	ابو رافع الفضل . ولد الفقيه ابن حزم الظاهري	119
	القمراوي (وهو الفقيه ابو الفضائل نجم الدين موسى	120
٣٣٤	ابن محمد الكناي)	
٣٣٤	ابو العرب الزبيري	121
٣٤٢	محمد بن اسد الكاتب اليزاز البغدادي	122
٣٦١	الوزير ابو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب	123
٣٨٢	ابن خيران (ابو محمد احمد بن علي)	124
٣٨٧	ابو الحسن علي بن زيد البيهقي	125
٣٩٨	ابن الآمدي الشاعر	126
٤٠٥	الحسين بن سعيد بن حمدان . أخو ابي فراس الحمداني	127
٤٠٦	سعد الدولة ابو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني	128
٤٠٦	ابو الفضائل سعد بن ابي المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني	129
٤٠٦	ابو علي ابن الأخوة (الفرغ بن محمد)	130
٤٠٨	الوزير ابو القاسم علي بن احمد الجرجرائي	131
٤١٦	نجم الدين ابو الفتح سليم بن محمد بن مصال	132
٤٢٤	ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات	133
٤٢٤	ابو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات	134
٤٢٧	محمد بن داود بن الجراح	135
٤٤٥	ابو الغنائم محمد بن الفرغ الفارقي	136
٤٥٠	ابو عمرو عثمان بن الحسن ، اخو الحافظ ابن دحية	137
٤٥٧	الملك المنصور ناصر الدين ابو المعالي محمد بن عمر	138
٤٦٩	عبد الوهاب بن إبراهيم المعروف بالإمام	139
٤٨٠	تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله بن صاحب الخير الكاتب	140

٤٩٦	المملك الناصر صلاح الدين داود ، ولد الملك المعظم	141
٤٩٦	صاحب دمشق	
٤٩٦	عز الدين ايبك صاحب صرخد	142
٤٩٨	مجد الدين عمر ، اخو الفقيه عيسى الهكاري	143
٥٠٤	باتكين الأمير شمس الدين ابو الفضائل	144

حَرْفُ الْغَيْنِ

غازي بن زنكي

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، صاحب الموصل - وقد تقدم ذكر والده في حرف الزاي^١ - وأنه قتل على حصار قلعة جَعْبَر ، فلما قتل وكان معه ألب أرسلان بن السلطان محمود المعروف بالحقاجي السلجوقي ، المذكور في ترجمة عماد الدين زنكي ، اجتمع أكابر الدولة ، وفيهم الوزير جمال الدين محمد^٢ الأصبهاني ، المعروف بالجواد ، والقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري - وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى - وقصدوا خيمة ألب أرسلان المذكور ، وقالوا له : كان عماد الدين زنكي غلامك ونحن غلمانك ، والبلاد لك ، وطمنوا^٣ الناس بهذا الكلام .

ثم إن العسكر افترق فرقتين : فطائفة منهم^٤ توجهت صحبة نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - إلى الشام ، والطائفة الثانية سارت مع ألب أرسلان وعساكر الموصل وديار ربيعة إلى الموصل ، فلما انتهوا إلى سنجار تخيل ألب أرسلان منهم الغدر فتركهم وهرب ، فلحقه بعض

٥٢٠ - أخبره في التاريخ الباهر : ٨٦ - ٩٣ و امرأة الزمان : ٢٠٣ ومفرج الكروب ١ : ١١٦ والسلوك ١ / ١ : ٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٢٣ والشذرات ٤ : ١٣٩ وأماكن متفرقة من الجزء الحادي عشر من تاريخ ابن الأثير ؛ وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في م ، مستوفاة في المسودة ، ولم ترد في المختار .

١ المجلد الثاني : ٣٢٧ .

٢ ر : أبو الفضل محمد .

٣ يريد : وطمنوا ، وحذف الهمزة للتخفيف .

٤ ل س : منه .

العسكر وردّوه ، فلما وصلوا إلى الموصل وصلهم سيفُ الدين غازي المذكور ، وكان مقيماً بشهرزور لأنها كانت إقطاعه من جهة السلطان مسعود السلجوقي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فلما استقر بالموصل قبض على ألب أرسلان المذكور وسيره إلى بعض القلاع ، وملك الموصل وما كان لأبيه من ديار ربيعة ، وترتبت أحواله ، وأخذ أخوه نور الدين محمود - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - حلبَ وما والاها من بلاد الشام ، ولم تكن دمشق يومئذ لهم .

وكان غازي المذكور منظوياً على خير وصلاح يجب العلم وأهله ، وبني بالموصل المدرسة المعروفة بالعتيقة ، ولم تطل مدته في المملكة حتى توفي في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة ، وقد قارب في العمر أربعين سنة ، ودفن في مدرسته المذكورة ، رحمه الله تعالى ، وتولى بعده أخوه قطب الدين مودود - وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

٥٢١

الغازي ابن مودود

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، صاحب الموصل ، وهو ابن أخي المذكور قبله ؛ تقلد المملكة بعد وفاة أبيه مودود ، وهو والد سنجر شاه صاحب جزيرة ابني عمر ، ولما توفي والده - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته - بلغ الخبرُ نورَ الدين وهو بتلّ باشر ، فسار من

١ ر : الملك .

٥٢١ - أخباره في التاريخ الباهر : ١٤٦ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ومرآة الزمان : ٣٦٣ وصفحات متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج : ١١) ومفرج الكروب (الجزء ١ ، ٢) والنجوم الزاهرة ٦ : ٨٨ والسلوك ١ / ١ : ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ٢٣٠ والشذرات ٤ : ٢٥٧ ؛ وقد سقطت الترجمة من م ، وجاءت كاملة في المسودة ؛ ولم ترد في المختار .

ليلته طالباً بلاد الموصل فوصل إلى الرقة في المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وملكها ، وسار منها إلى نصيبين فملكها في بقية الشهر ، وأخذ سنجار في شهر ربيع الآخر منها ، ثم قصد الموصل وقصد أن لا يقاتلها ، فعبه بعسكره من مخاضة بلد - وهي بليدة بقرب الموصل - وسار حتى خيم قبالة الموصل ، وراسل ابن أخيه سيف الدين المذكور وعرفه صحة قصده ، فصالحه ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى ، وأقر صاحبها فيها وزوجه ابنته وأعطى أخاه عماد الدين زنكي - المذكور في ترجمة جده عماد الدين زنكي - سنجار ، وخرج من الموصل وعاد إلى الشام ودخل حلب في شعبان من السنة المذكورة ، فلما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق ونزل على حلب يحاصرها ستر سيف الدين المذكور جيشاً مقدّمه أخوه عز الدين مسعود - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - والتقوا عند قرون حماة ، وسيأتي تفصيل ذلك هناك ، فلما انكسر عز الدين مسعود تجهز سيف الدين بنفسه وخرج إلى لقائه وتصافوا على تل السلطان ، وهي قرية بين حلب وحماة ، وذلك في بكرة الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ؛ قال العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » وابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^٢ : إنه انكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين ابن زين الدين ، فإنه كان في ميمنة سيف الدين ثم حمل صلاح الدين بنفسه ، فانهزم جيش سيف الدين وعاد إلى حلب ، ثم رحل إلى الموصل ، ومظفر الدين المذكور هو صاحب إربل - وترجمته في حرف الكاف - وأقام غازي في المملكة عشر سنين وشهوراً ، وأصابه مرض مؤزمين^٣ وتوفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وتولى بعده أخوه عز الدين مسعود - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكان مرضه السل ، وطال به ، وعاش مقدار ثلاثين سنة^٤ .

١ وردت ترجمة عماد الدين زنكي الشهيد في ج ٢ : ٣٢٧ وليس فيها ذكر لما أشار إليه المؤلف

هنا ؛ ولعماد الدين زنكي صاحب سنجار ترجمة مستقلة رقم : ٢٤٦ .

٢ سيرة صلاح الدين : ٥٢ . ٣ لي ل ن س بر : مرض السل .

٤ وكان مرضه . . . سنة : سقط من لي ل ن س بر .

الملك الظاهر صاحب حلب

أبو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الملقب بالملك^١ الظاهر غياث الدين صاحب حلب ؛ كان ملكاً مهيباً حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محباً للعلماء مجيزاً للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسة بعد أن كانت لعمه الملك العادل ، فنزل عنها وتعوّض غيرها ، كما قد شهر .

ويحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة : منها أنه جلس يوماً لعرض العسكر ، وديوان الجيش بين يديه ، فكان كلما حضر واحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه لينزلوه^٢ ، حتى حضر واحد فسأله^٣ فقبل الأرض ، فلم يفتن أحد من أرباب الديوان لما أراد ، فعاودوا سؤاله ، فقال الملك الظاهر : اسمه غازي ، وكان كذلك ، وتأدب الجندي أن يذكر اسمه لما كان موافقاً لاسم السلطان ، وعرف هو مقصوده ، وله من هذا الجنس شيء كثير لا حاجة إلى التطويل فيه .

وكانت ولادته بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسة ، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية . وتوفي بقلعة حلب ، ليلة

٥٢٢ - أخباره في ذيل الروضتين : ٩٤ ومرآة الزمان : ٥٧٩ ومفرج الكروب ٢ : ١٧٨ ،

٣ : ٢٣٧ وصفحات متفرقة من السلوك (ج : ١) ومن تاريخ ابن الأثير (ج : ١٢)

والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ وعبر الذهبي ٥ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٥٥ .

١ الملك : سقطت من س ر .

٢ ر : ليزكوه .

٣ ن : فسأله عن اسمه .

الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وستائة ، ودفن بالقلعة ،
ثم بنى الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك ولده الملك العزيز مدرسة
تحت القلعة وعمر فيها تربة ونقله إليها ، رحمه الله تعالى . والمعجب أنه دخل
حلب مالكا لها في الشهر بعينه واليوم من سنة اثنتين وثمانين وخمسة .
ورثاه شاعره الشرف راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلبي ،
وكنيته أبو الوفاء ، بهذه القصيدة ، ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمداً
وأخاه الملك الصالح صاحب عين تاب ، وما أقصر فيها ، وهي :

سَلَّ الخُطْبَ إنْ أَصْفَى إلى من يَخاطِبُه
نَشَدْتُكَ عَاتِيَهُ على نَائِيَاتِهِ
لِيَ اللهُ كَمْ أُرْمِي بِطَرْفِي ضَلَالَةً
فَمَا لِي أَرَى الشُّهْبَاءَ قَدْ حَالَ صُبْحُهَا
أَحَقًّا حِمَى الغَازِي الغِيَاثِ بنِ يوسُفِ
نعم كُورَتِ شمسُ المَدَائِحِ وانطَوَّتْ
فمن مُخْبِرِي عن ذلك الطَّوْدِ هِلْ وَهَتْ
أَجَلْ ضُعُضِعَتْ بعد الثُّبَاتِ وزُعِرِعَتْ
وغيِضَ ذَاكَ البَحْرُ من بعد ما طَمَّتْ
فشَكَّتْ يَمِينُ الخُطْبِ أيُّ مُهْتَدٍ
لئن حَبَسَ الغَيْثُ الغِيَاثِي قَطْرَهُ
فَأَنْتَى يَلدُّ العَيْشَ بعد ابنِ يوسُفِ
فلا أدركتْ نيلَ المُنَى طَالِبَاتُهُ
بنُ عَلِقَتْ أَنيَابُهُ ومَخَالِبُهُ
وإن كان نَائِي السَّمْعِ عن يُمَاتِيهِ
إلى أَفْتَقِ مجدٍ قد تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهُ
عَلِيٌّ دُجِّي لا تَسْتَنِيرُ غِيَاهِيهِ
أُبِيعَ وَعَادَتْ خَائِبَاتِ مَوَاكِبِهِ
سَمَاءُ العُلا والنَّجْحُ ضَاقَتْ مَدَاهِيهِ
قَوَاعِدُهُ أم لَانَ للخُطْبِ جَانِبُهُ
بَرِيحِ المَنَايَا العاصِفَاتِ مَنَاكِبِهِ
وَطَمَّتْ لَغِيَانٌ ٢ البِلَادِ غَوَابِرُهُ
بِرغمِ العُلا سَلَّتْ وَفَلَّتْ مَضَارِبُهُ
فقد سَحَبَتْ في كل قَطْرِ سَحَابِهِ
أخُو أَمَلٍ أَكَدَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ
ولا بَرَكْتَ في أرضِ يَمْنٍ ٣ رِكَابِهِ

١ انظر ترجمة راجح الحلبي في الفوات ١ : ٣١٨ والشذرات ٥ : ١٢٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ .

٢ الغييان : بتخفيف الباء هنا وقد تشدد ، ما لم تصبه الشمس من النبات . وفي ر : الغييات ، وقد خطأه صاحب التاج .

٣ في هامش المسودة : خ : أمن ؛ وكذلك وردت في لي ن ل .

من الجذب لا تثني عليه حقائبه
 وآمن من خطب تدب^١ عقاربه
 ومن مستباح قد حمته كتائبه
 أما فيكم^٢ من مخبر أين صاحبه
 لعل فؤادي بالوجيب يجاوبه
 بنار كروب أججتها نواديه
 بدب^٣ ولم تتعلم بضرب قواضيه
 ولا ازدحمت بين الصفوف جنايبه
 تشق^٤ مثار النقع فيها سلاهبه
 أيحسن^٥ بي أن التسلتي ساليه
 علي^٦، وحوض الجود تصفو مشاربه
 لمفروض مدح ما تعداك واجبه
 إذا جنت^٧ يثنيني عن الباب حاجبه
 فلا كان يوم^٨ كاسف^٩ الوجه شاحبه
 جواد^{١٠} من الحزم الذي أدت راكبه
 إذا الفيث^{١١} لم ينقع صدى العام ساكبه
 ظليلاً إذا ما الدهر ثابت نوابه
 متى ساءني بالجد^{١٢} قمت^{١٣} الأعبه
 من الفيث^{١٤} ساربه المثلث^{١٥} وساربه

ولا انتجعت إلا معبس^{١٦} حقبه
 مَضَى من أقام الناس^{١٧} في ظل^{١٨} عدله
 فكم من حمى صعب^{١٩} أباحت سيوفه^{٢٠}
 أرى اليوم دنت^{٢١} الملك أصبح خالياً
 فمن سألني عن سائل^{٢٢} الدمع لِمَ جرى
 فكم من ندوب^{٢٣} في قلوب^{٢٤} تضيجه^{٢٥}
 أيسلم^{٢٦} لم تحطم^{٢٧} صدور^{٢٨} رماحه
 ولا اصطدمت^{٢٩} عند الختوف^{٣٠} كئاته^{٣١}
 ولا سيم^{٣٢} أخذ^{٣٣} النار يوم^{٣٤} كرية^{٣٥}
 فيا ملبسي ثوباً من الحزن^{٣٦} مُسبلاً
 خدمتك^{٣٧}، روض^{٣٨} المجد^{٣٩} تطفو ظلاله^{٤٠}
 وقد كنت^{٤١} تُدنيني وترفع^{٤٢} مجلسي
 فما بال^{٤٣} إذني قد تمادى ولم يكن^{٤٤}
 أرى الشمس^{٤٥} أخفت^{٤٦} يوم^{٤٧} فقدك^{٤٨} نورها
 فكيف^{٤٩} نبا سيف^{٥٠} اعتزامك^{٥١} أو كبا
 فمن^{٥٢} لليتامى^{٥٣} يا غياث^{٥٤} يُغيثهم^{٥٥}
 ومن^{٥٦} للملوك^{٥٧} كنت^{٥٨} ظلاً^{٥٩} عليهم^{٦٠}
 أيا تاركي^{٦١} ألقى^{٦٢} العدو^{٦٣} مُسالمًا
 سقت^{٦٤} قبرك^{٦٥} الغر^{٦٦} الغوادي^{٦٧} وجاده^{٦٨}

١ س : وآمن خطباً أن تدب .

٢ ر : صحيحة .

٣ ر : الحروب .

٤ لي : يصفو جلاله .

٥ ر : الغيم .

فإن يكُ نورٌ من شهابك قد خبا
فقد لاحَ بالملكِ العزيزِ محمدٍ
فتى لم يفتنه من أبيه وجده
ومن كان في المسمى أبوه دليله
وبالصالح استعلى صلاحُ رعيةٍ
فحسبُ الورى من أحمدٍ ومحمدٍ
ها أحرزا علينا غازي بن يوسفٍ
فأفتقُ الورى لولاها كان أظلمتُ
سيخمي على رغم الليالي حياهما
فكم من مُلمِّ جَلٍّ مَوَقِعُ خطبه
فيا قمرَيَّ سعيَ أطلالٍ على الدجى
أيكثُ في الشهباءِ عبدُ أيكثا
فإن شئتُما بعدَ الفياثِ أغثتُما
كان لم أقفُ أجلو التهانى أمامه
فهنئيتُما ما نلتُما وبقيتُما

فيا طالما جلتى دُجى الليلِ ثاقبه
صباحُ هدى كنا زماناً نراقبه
إبائه وجدّه غالباً من يُغالبه
تداني له الشاؤُ الذي هو طالبه
لها منه رَعْيٌ ليس يُقْلِعُ راتبه
مليكانٍ مَنْ عاداهما ذَلٌّ جانبه
وما ضيَّعا المجدَ الذي هو كاسبه
مشاركهُ من بعده ومغاربه
عوالي قنّا تُرْدي الأسودِ ثعالبه
فساءت مباديه وسرّت عواقبه
فولى وما ألوى على الأرضِ هاربه
ومادِحهُ أم تستقل نجائبه
مُصابَ سهامٍ فَوَقَّتْها مصائبه
وتضحكُ في وجهِ الأماني مَواهبه^٢
لإعلاءِ ملكٍ سامياتٍ مراتبه

وهذه القصيدة مع جَوَدتها فيها مواضع مأخوذة من مرثية الفقيه عمارة اليمني
للصالح بن رُزَيْكٍ ، وبعضها مذكور في ترجمة الصالح ، وكأنه قد نسج على
منوالها ، فإنها على وزنهما وإت كان حرف الروي مختلفاً ، فقد استعمل هاء
الوصل كما استعمله عمارة ، والظاهر أنه كان قد وقف عليها فقصدها مُضاهاتها^٣ .

(145) وقام بالأمر ومملكة حلب من بعده : ولدهُ الملك العزيز غياث
الدين أبو المظفر محمد ابن الملك الظاهر ، ومولده يوم الخميس خامس ذي الحجة

١ س : الأقف ، وفي الحاشية : خ : الأرض . وقد سقط البيت من لي .

٢ هنا تنتهي الترجمة في م بعد حذف كثير من أبيات القصيدة .

٣ هنا تنتهي الترجمة في بر س ل ن لي بعد ذكر ترجمة راجح الحلي .

سنة عشر وستائة بقلعة حلب ، وتوفي يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستائة ، وكنت بحلب في ذلك الوقت ، ودفن بالقلعة .

(146) وترتب مكانه ولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز ، واتسعت مملكته ، فإنه ملك عدة بلاد من الجزيرة الفراتية لما كسر الخوارزمية ، وكان مقدم جيشه الملك المنصور صاحب حمص ، وذلك في أواخر سنة إحدى وأربعين أو أوائل سنة اثنتين وأربعين ، ثم ملك دمشق والبلاد الشامية يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستائة ، ومولده بقلعة حلب في تاسع عشر رمضان سنة سبع وعشرين وستائة ، وقصده التتسر وملكوا الشام ، فخرج من دمشق في صفر سنة ثمان وخمسين ، وقُتل في الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين بالقرب من المراغة من أعمال أذربيجان على ما نقل الناقل ، والله أعلم ، وقصته مشهورة .

(147) وتوفي عمه الملك الصالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين تاب في شعبان سنة إحدى وخمسين وستائة ، وكانت ولادته في صفر سنة ستائة بحلب ، ومات بعين تاب ، رحمهم الله تعالى أجمعين . وإنما قدموا العزيز وهو الأصغر على أخيه الصالح لأن أمه صفية خاتون بنت الملك العادل بن أيوب ، فقدموه في الملك لأجل جده وأخواله أولاد العادل ، وأما الصالح فإن أمه جارية .

(148) وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستائة بدمشق ، رحمه الله تعالى ، ودفن بظاهرها في جوار مسجد النارنج شرقي مصلى العيد ، ومولده في منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسةائة بالحلة ، وهو من مشاهير شعراء عصره .

ذو الرمة

أبو الحارث غَيْلان بن عُقبة بن بُهَيْش^١ بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن مِلْكان بن عدي بن عبد مناة ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الشاعر المشهور المعروف بذِي الرِّمَّة، أحد فحول الشعراء؛ ويقال إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل، فجاء الفرزدق فوقف عليه، فقال له ذو الرِّمَّة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ فقال: ما أحسن ما تقول! قال: فما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قَصَّر بك عن غايتهم بكأوك في الدَّمَن، وصفتك للأبعار والعَطَن.

وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مَيَّةُ ابنة مقاتل بن طلبة^٢ بن قيس بن عاصم المنقري، وقيس بن عاصم هو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فأكرمه، وقال له: أنت سيد أهل الوبر، وقال أبو عبيد البكري^٣: هي مية بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم، والله أعلم بالصواب.

وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها في شعره، وإياهما عنى أبو تمام الطائي بقوله في قصيدته البائية:

ما رَبَعُ مَيَّةَ مَعْمُوراً يَطِيفُ بِهِ غَيْلانُ أُمِّي رُباً من رَبَعِها الخَرِبِ

٥٢٣ - ترجمته في طبقات ابن سلام: ٤٦٥ والشعر والشعراء: ٤٣٧ والأغاني ١٧: ٣٠٤

والموشح: ١٧٠ وسمط اللالي: ٨١ والشريشي ٢: ٥٣ وتزيين الأسواق ١: ٨٨ والعيبي

١: ٤١٢ وشرح شواهد المغني: ٥٢ ومعاهد التنصيص ٣: ٢٦٠ والخزانة ١: ٥٠.

١ كذا في المسودة، واضطرب في سائر النسخ، وفي س: نهيس وكذلك ورد في السمت.

٢ وضع فتحة وكسرة على اللام في المسودة وكتب فوق الكلمة «معاً».

٣ السمت: ٨٢.

وقال ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء »^١ : قال أبو ضرار الغنوي^٢ :
رأيت مية وإذا معها بَنُونٌ لها ، فقلت : صفها لي ، قال : مَسْنُونَةُ الوجه
طويلة الحد شماء الأنف ، عليها وشم جمال ، قلت : أكانت تنشدك شيئاً بما قال
فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم . ومكثت مية زماناً تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه ،
فجعلت لله تعالى عليها أن تنحَرَ بَدَنَةَ يوم تراه ، فلما رأته رأته رجلاً دميماً
أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوأناه ، وابؤسناه ! فقال ذو الرمة^٣ :

على وجه مَيِّ مَسْحَةٍ من مَلَاحَةٍ وتحتَ الثيابِ العارُ لو كانَ بادياً
ألم تَرَ أنَّ الماءَ يَجْبُثُ طعمه وإن كانَ لونُ الماءِ أبيضَ صافياً
فواضِعَةَ الشعرِ الذي لَجَّ فانقضى بمَيِّ ولم أملكُ ضلالَ فؤادياً

[ويروى أن ذا الرمة لم يَرَ مية قط إلا في بُرْقُع ، فأحبَّ أن ينظر إلى
وجهها فقال :

جَزَى اللهُ البراقِعَ من ثيابِ عن الفتيانِ شراً ما بقينا
يُوارينَ الملاحَ فلا نراها ويُخفينَ القباحَ فيزدهينا
فزعت البرقع عن وجهها ، وكانت باهرة الحسن ، فلما رآها مسفرة قال :

على وجه مَيِّ مَسْحَةٍ من مَلَاحَةٍ

البيتَ المقدم ، فزعت ثيابها وقامت عريانة ، فقال :

ألم تر أن الماءَ يَجْبُثُ طعمه

البيتَ المذكور ، فقالت له : أتحب أن تذوق طعمه ؟ قال : إي والله ، فقالت

١ الشعر والشعراء : ٤٣٩ .

٢ الشعر والشعراء : أبو سوار الغنوي .

٣ أكثر المصادر على أن هذه الأبيات موضوعة على لسان ذي الرمة (انظر مثلاً الأغاني : ٣٢٧)

والمؤلف ينقل هنا عن ابن قتيبة .

له : تذوق الموتَ قبل أن تذوقه ، والله أعلم^١ .
ومن شعره السائر فيها^٢ :

إذا هبت الأرواح من نحوِ جانبٍ به أهلٌ مَيَّ هاجَ قلبي هُبُوبُها
هَوَى تذرِفُ العينانِ منهُ وإنما هَوَى كلُّ نفسٍ حيثَ كانَ حبيبُها

وكان ذو الرمة يُسَبِّبُ بخرقاء أيضاً ، وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة وسببُ تشبيهه بها أنه مر في سفر ببعض البوادي ، فإذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقمت في قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطم كلامها ، فقال : إني رجل على ظهر سفر ، وقد تحرقت إداوتي ، فأصلحها لي ، فقالت : والله ما أحسن العمل وإني لخرقاء ، والخرقاء التي لا تعمل شغلاً لكرامتها على أهلها ، فشبب بها ذو الرمة وسماها خرقاء ، وإياها عني بقوله وهو في غاية المبالغة^٣ :

وما شئتَا خرقاءَ واهيتَا الكلى سقى بها ساقٍ ولم يتبَّلا
بأضيقَ من عَيْنِكَ للدمعِ كلما تذكرتَ ربَّعاً أو توهمتَ منزلاً

وقال المفضل الضبي^٤ : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لي يوماً : هل لك أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة ؟ فقلت له : إن فعلت فقد بررتي ، فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا

١ انفردت ر بما وضعناه بين معقنين .

٢ ديوانه : ٦٦ - ٦٧ .

٣ ر والمختار : حيث حل .

٤ يتابع المؤلف النقل عن ابن قتيبة .

٥ و : تشبب .

٦ أدرج البيتان في ملحقات الديوان : ٦٧١ وقول المؤلف إن الشاعر عني صاحبه خرقاء بهذين

البيتين من التأويل الذي لا داعي له .

٧ الشعر والشعراء : ٤٤٠ .

أبيات شعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بها قوة ، والحسَّانة أشد حسناً من الحسناء ، فسلمت وجلست وتحدثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتي ، أما علمت أي مَنَسَك^١ من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذي الرمة^٢ :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَأَضَعَةَ اللَّثَامَ

وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيِّدَحَ ، وهذا الاسم علم عليها :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالًا بَلَّغْتِهِ فِقَامَ بَفَاسٍ بَيْنَ وَصَلَيْكَ جَاوِرُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ في عرابة الأوسي رضي الله عنه ، وهو أيضاً يخاطب ناقته من جملة أبيات :

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وجاء بعدهما أبو نواس^٣ فكشف عن هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمد بن هارون الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظَهْرُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ

حتى قال بعض العلماء ، ولا أستحضر الآن مَنْ هو القائل ، لما وقف على بيت أبي نواس : هذا المعنى والله الذي كانت العربُ تحومُ حوله فتخطئه ولا تصيبه فقال الشماخ كذا ، وقال ذو الرمة كذا ، وأنشد بيتيها المذكورين ، وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت ، وهو في نهاية الحسن . والأصل في هذا المعنى^٤

١ وضع على السين في المسودة فتحة وكسرة وكتب فوقها « معاً » .

٢ ديوانه (الملحقات) : ٦٧٣ .

٣ ن : أبو نواس بعدها .

٤ س : البيت .

قول الأنصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نَجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله ، إني نذرت إن نجوتُ عليها أن أنحرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لبئس ما جزيتُها » . وتفسير هذا المعنى : إني لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك ، فقد كفيتني وأغنيتني ، إلا أن السماخ وعدّ ناقته بالذبح ، وذا الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد في الأسفار ، فهو أتم في المقصود ، لكونه أحسن إليها في قبالة إحسانها إليه ، حيث أوصلته إلى المدوح .
 وكان لذي الرمة إخوة : هشام وأوفى^١ ومسعود ، فمات أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيها - هكذا قال ابن قتيبة ، وقال في « الحماسة » في المرثي خلاف هذا ، والله أعلم بالصواب - والأبيات التي قالها مسعود :

تعزيتُ عن أوفى بغيّلان بَعْدَه عَزَاءً وَجَفْنُ العَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعٌ
 ولم يُنْسِنِي أوفى المصيبات بعده وَلَكِنْ نَكَءُ القَرَحِ بِالقَرَحِ أَوْجَعُ
 وهي من جملة أبيات ؛ وهذا مسعود هو الذي أشار إليه أبو تمام بقوله :
 إن كان مَسْعُودٌ سقى أَطْلَالَهِمْ سَبَلَ الشُّوْنِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودٍ

قال أبو القاسم الآمدي صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » في الكلام على هذا البيت : هذا مسعود أخو ذي الرمة ، وكان يلوم أخاه ذا الرمة على بكائه الطلول ، حتى قال فيه ذو الرمة^٢ :

عشيّة مسعودٍ يقول وقد جرى على لِحْيَتِي من واكِفِ الدَمْعِ قَاطِرُ
 أفي الدار تبكي إذ بكيت صَبَابَةً وَأنتَ امرؤٌ قد حَلَمْتَكَ العِشَائِرُ

١ ذكر أبو الفرج أوفى بن دهم وقال إنه ابن عم لذي الرمة ومسعود ، وكذلك قال التبريزي في شرح الحماسة وغيره ، والأبيات في الحماسة منسوبة لهشام أخي ذي الرمة لا لمسعود (انظر شرح المرزوقي : ٧٩٣) وانظر تحقيق الأستاذ محمود شاكر لهذا الخلاف في هامش ابن سلام :

. ٤٨٠

٢ ديوان ذي الرمة : ٢٤٠ .

فكان أبا تمام يقول : إن كان مسعود قد رجع عن ذلك المذهب وصار يبكي على الطول فلست منه ، وهذا أبلغ في التبزي منه بما إذا كان هذا شأنه ، فصار كقول القائل : إن كان حاتم قد بخل أو السموأل قد غدر فلست منها ، وهذا أبلغ من قوله : إن كان البخيل قد بخل والغادر قد غدر فلست منها ، هذا حاصل ما قاله الآمدي ، وإن كان بغير هذه العبارة .
وأخبار ذي الرمة كثيرة ، والاختصار أولى . وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى ، ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد^٢ :

يا قابضَ الروح عن نفسي إذا احتضرتَ وغافرَ الذنب زحزحني عن النار
وإنما قيل له « ذو الرمة » بقوله في الوتد^٣ :

أشعث باقي رمة التقليد

والرمة - بضم الراء - الجبل البالي ، وبكسرهما العظم البالي .
وقال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بنذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج^٤ ، ف قيل له : إن رؤبة حي ، فقال : نعم ، ولكن ذهب شعره كما ذهب مطعمه وملبسه ومنكحه ، ف قيل له : فهؤلاء الآخرون ؟ فقال : مرقعون مهديمون ،
إنما هم ككل على غيرهم^٥ .

١ قد وردت صورة من هذا الخبر وممها نقل عن الآمدي في ترجمة أبي تمام (٢ : ١١) مختلف عن المثبت هنا ، والذي أورده هنا رغم أنه منقول بالمعنى أقرب إلى ما جاء في الموازنة ؛ قلت : والذي ذكر في ترجمة أبي تمام هناك من زيادات بعض النسخ وليس هناك ما يدل على أن له وجوداً في مسودة المؤلف .

٢ ملحقات الديوان : ٦٦٧ .

٣ الديوان : ١٥٥ .

٤ في المختار : افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بنذي الرمة ؛ وهنا تنتهي الترجمة في م .

٥ عند هذا الحد ينتهي القدم الأول الموجود من مسودة المؤلف ، وبه تنتهي الترجمة في بر والنسخ الأخرى ما عدا ر .

[وقال أبو عمرو ، قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قوله قصيدته التي أولها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

كان أشعر الناس ؛ وقال أبو عمرو : سمعت ذا الرمة يقول : إذا نزل بنا نازل قلنا له : الحليب أحب إليك أم الخيض ؟ فإن قال الخيض ، قلنا : عبد من أنت ؟ وإن قال الحليب ، قلنا : ابن من أنت ؟ وقال أبو عمرو : شعر ذي الرمة نقط عروس يضحل عن قليل ، وأبعار ظباء لها شم في أول رائحة ، ثم يعود إلى البحر . وبالجملة فقد كان من مشاهير الشعراء في عصره ، وذوي التقدم في النظم في دهره ، رحمه الله تعالى .

وذكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب « اعتلال القلوب » عن محمد ابن سلمة الضبي قال : حججت ، فلما صدرت من الحج تيممت منهنه من المناهل ، وإذا بيت بناحية من الطريق ، فأنتخت بفنائها ، فقلت : أنزل ؟ فقالت ربة البيت : نعم ، فقلت : وأدخل ؟ قالت : أجل ، فدخلت فإذا جارية أحسن من الشمس ، فجلست أحدثها وكان الدر ينثر من فيها ، فبينما أنا كذلك إذ خرجت عجوز مؤتررة بمبائة مشتملة بأخرى ، فقالت : يا عبد الله ، ما جلوسك هاهنا عند هذا الغزال النجدي الذي لا تأمن حباله ، ولا ترجو نواله ؟ فقالت لها الجارية : أي جدة دعيه يتعلل كما قال ذو الرمة^١ :

فإن لا يكن إلا تَعَلَّلَ ساعةً قليلاً فإني نافع لي قليلاً

قال : فأقمت يومي وانصرفت ، وفي قلبي كجمر الغضا من حبا^٢ .

١ ديوانه : ٥٥٠ .

٢ انفردت ر بما بين معقنين ، ومعظمه في المختار ، وأكثر ما سيرد بين معقنين إنما هو ما تنفرد به ر .

خرف الفناء

فاتك المجنون

أبو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون ؛ كان رومياً ، أخذ صغيراً هو وأخ له وأخت لها من بلد الروم من موضع قرب حصن يُعرف بذي الكلاع ، فتعلم الخط بفلسطين ، وهو من أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كرهاً بلائمين ، فأعتقه صاحبه ، وكان معهم حراً في عدة الماليك ؛ وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « المجنون » ، وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الإخشيد ، فلما مات مخدموها وتقرر كافور في تربية ابن الإخشيد - كما سيأتي في ترجمة كافور إن شاء الله تعالى - أنف فاتك من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ، ويحتاج أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له ، فانتقل إليها واتخذها سكناً له ، وهي بلاد وبيئة كثيرة الوحش ، فلم يصح له بها جسم ، وكان كافور يخافه ويكرمه فزعاً منه وفي نفسه منه ما فيها ، فاستحكمت العلة في جسم فاتك وأحوجته إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبها أبو الطيب المتني ضيفاً للأستاذ كافور ، وكان يسمع بكرم فاتك وكثرة سخائه^٢ ، غير أنه لا يقدر على قصد خدمته خوفاً من كافور ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثم التقيا في الصحراء مُصادفة من غير ميعاد، وجرى بينها مفاوضات ، فلما رجع فاتك إلى داره حمل لأبي الطيب في ساعته هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن المتني الأستاذ كافوراً في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة

٥٢٤ - انظر النجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٩ ، ٤ : ٥٦ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٨٧ والشذرات ٣ : ٥ .

١ ر : خدمة .

٢ ن : شجاعته .

ثمان وأربعين وثلاثمائة بقصيدته المشهورة التي أولها ، وهي من غرّ القصائد :
لا خَيْلَ عندكَ تُهْدِيهَا ولا مالٌ فليُسْعِدِ النطقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ
وما أحسن قوله فيها :

كفَاتِكَ ودخولُ الكافِ مَنْقَصَةٌ كالشَّمْسِ قلت وما للشَّمْسِ أمثالُ
ثم توفي فاتك المذكور ليلة الأحد عشاءً ، لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال
سنة خمسين وثلاثمائة بمصر ، فرثاه المتنبي ، وكان قد خرج من مصر ، بقصيدته
التي أولها^٢ :

الحزن يُقْلِقُ والتجملُ يردع والدمعُ بينها عَصِيٌّ طَيِّعُ
وما أرقُّ قوله فيها :

إني لأجبنُ من فراقِ أحبتي وتحسّ نفسي بالحمّام فأشجعُ
ويزيدني غَضَبُ الأعداءِ قسوةً ويُلِمُّ بي عَتَبُ الصديقِ فأجزعُ
تَصَفُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عما مَضَى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولن يفالط في الحقائقِ نفسهُ ويسومُها طلبَ الحالِ فتطمعُ
أين الذي الهرمانِ من بُنيانه ما قومه ما يومه ما المصراعُ
تخلفُ الآثارُ عن أصحابها حيناً فيدركها الفناء فتتبعُ

وهي من المرثي الفارقة . ثم عمل بعد خروجه من بغداد يذكر مسيره من
مصر ويرثي فاتك المذكور ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة
اثننتين وخمسين وثلاثمائة ، وأولها^٣ :

حَتّامُ نحن نَساري النجمِ في الظلّمِ وما سُرّاه على خُفٍّ ولا قَدَمِ

١ ديوان المتنبي : ٥٠٢ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٠٦ .

٣ ديوانه : ٥١٠ وفيه أنه أنشدها لسبع خلون من شعبان .

ومنها في ذكر فاتك :

لا فاتك "آخر" في مصرَ نَقِصِدُهُ ولا له خَلَفٌ في الناس كلهم
من لا تشابه الأحياء في شِيَمٍ أمسى تشابه الأموات في الرَّمَمِ
عدمته وكأنتي سرت أطلبه فما تزيدني الدنيا على العدم
وله فيه شيء آخر^١ ، رحمه الله تعالى .

٥٢٥

صاحب قلائد العقيان

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القينسي الإشبيلي صاحب كتاب « قلائد العقيان » ؛ له عدة تصانيف منها الكتاب المذكور وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة ، وتكلم على ترجمة كل واحد منهم^٢ بأحسن عبارة وألطف إشارة ، وله أيضاً كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الأندلس » وهو ثلاث نسخ : كبرى وصغرى ووسطى ، وهو كتاب كثير الفائدة ، لكنه قليل الوجود في هذه البلاد ، وكلامه في هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته ، وكان كثير الأسفار سريع التنقلات . وتوفي قتيلاً سنة خمس وثلاثين وخمسمائة بمدينة مرّاكش^٣ في الفندق .

١ ر : أشياء آخر .

٥٢٥ - ترجمته في معجم شيوخ الصدي : ٣٠٠ والذيل والتكملة ٥ : ٥٢٩ والمغرب ١ : ٢٥٤
ومعجم الأدباء ١٦ : ١٨٦ ونفح الطيب ٧ : ٢٩ والمسالك ١١ : ٣٩٤ والشذرات ٤ : ١٠٧ ؛
وسقطت الترجمة من المختار .

٢ ر : منهم بعينه .

٣ ن : الخندق ، وهو خطأ .

وقال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه «المطرب من أشعار أهل المغرب»^١ : «إني لقيت جماعة من أصحابه وحدثوني عنه بتصانيفه وعجائبه ، وكان مخلوع^٢ العذار في ديناه ، لكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال ، قتل ذبحاً في مسكنه بفندق^٣ من حضرة مراکش صدر سنة تسع وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، وإن الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين^٤ ، هذا كله لفظه ، والله أعلم بالصواب .
 وأمير المسلمين المذكور هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف له أبو نصر المذكور «قلائد العقيان» وقد ذكره في خطبة الكتاب .

٥٢٦

الشهاب فتیان الشاغوري

الشهاب فتیان بن علي بن فتیان بن شمال^٤ ، الأسدي الحريمي^٥ المعروف بالشاغوري المعلم؛ كان فاضلاً وشاعراً ماهراً ، خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم ، وله ديوان شعر فيه مقاطيع حسان ، وأقام مدة بالزبداني وله فيها أشعار لطيفة ، فمن ذلك قوله في جنة الزبداني ، وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتُنبِت أنواع الأزهار في زمن الربيع ، ولقد

١ انظر المطرب : ٢٥ .

٢ ر : خليع .

٣ اسمه فندق لبيب ، قال ابن عبد الملك : أحد فنادق مراکش الخنوية .

٥٢٦ - انظر مطالع البدور ١ : ٢٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٢٦ والشذرات ٣ : ٦٣ والخريدة

(قسم الشام ١ : ٢٤٧) ومعجم البلدان (شاغور) .

٤ كذا في ل ن ر ، وسقطت «شمال» من س م ، والثاء غير معجمة في ل .

٥ ر : الحنفي الدمشقي ؛ وفي الخريدة : الحرزيمي .

٦ نشر ديوانه بدمشق سنة ١٩٦٧ .

أحسن فيها كل الإحسان ، وهي^١ :

قد أجمدَ الحمرَ كانونٌ بكلِّ قدَحٍ وأخذ الجمر في الكانون حين قدَحٍ
يا جنة الزبداني أنت مسفرة بحسن وجه إذا وجه الزمان كلَّح
فالتلج قطنٌ عليك السحبُ تندفه والجوُّ يجلجهُ والقوسُ قوسُ قُزَح
وله وقد دخل إلى حمام ماؤها شديد الحرارة ، وكان قد شاخ [وكبر]^٢ :

أرى ماء حمامك كالحميم نكابد منه عناء وبؤسا
وعهدي بكم تسمطون الجداء فما بالكم تسمطون التيوسا

[ثم وجدت في كتاب « الخريدة » في ترجمة سعد بن إبراهيم الشيباني الاسعدي الملقب بالمجد الكاتب خمسة أبيات ، قال العماد الأصبهاني صاحب « الخريدة » :
أنشدنيها سعد المذكور في ذم حمام ، ولم يقل إنها له ، والبيت الخامس منها :

وقد كان في العرف سمط الجداء فلم صرتم تسمطون التيوسا

وقال العماد : وهو إلى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة
مقيم بالعسكر المنصور على عكّا .

قلت : فقد استعمله فتیان الشاعر تضميناً ، فنبت عليه كيلا يظن أنه لفتيان] .
وكان قد تعلق بخدمة الأمير بدر الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق ، وهو
أخو عز الدين قرئوخ^٣ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين لأمه ، وكان يعلم
أولاده الخط ، فكتب إليه شرف الدين بن عنين :

يا مَنْ تَلَقَّبَ ظمأً بالشهابِ وإن نافى بظلمته في أفقها الشهبأ
لا يَغْرُرَنَّكَ من مودودِ دولته وإن تمسكت من أسبابها سببأ

١ الأبيات في ديوان فتیان : ٩٤ .

٢ البيتان في ديوانه : ٢٣٨ ؛ وزاد في المختار : وقيل إنها لغيره .

٣ ن لي : فرخ .

« فَلَسْتَ تَنْبَحُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى تَلْفَ عَلَى خَيْشُومِكَ الذَّنْبَا »

وهذا البيت الأخير من أبيات « الحماسة » وقد استعمله تضيفيناً ، وكانت بينها مكاتبات ومداعبات يطول شرحها .
[ومولده بعد سنة ثلاثين وخمسة مائة ببانياس . ومن شعره :

علامَ تحركي والحظ ساكن وما نهنتُ في طلبٍ ولكن
أرى نذلاً تقدمه المساوي على حرٍّ تؤخره المحاسن

وله ديوان آخر صغير جميع ما فيه دوبيت رأيتَه بدمشق ونقلت منه :

الورد بوجنتيك زاه زاهر والسحر بمقلتيك واف وافر
والعاشق في هواك ساه ساهر يرجو ويخاف فهو شاك شاكر^١

وتوفي فتيان المذكور سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وستائة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى .
والشاغوري : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف غين معجمة مضمومة ثم واو ساكنة بعدها داء ، هذه النسبة إلى الشاغور ، وهي عمارة بظاهر دمشق من جملة ضواحيها^٢ .

والزبداني : بفتح الزاي والباء الموحدة والذال المهملة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ، وهي قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه ، رأيتها مراراً ، وهي في غاية الحسن والطيبة^٣ .

١ ما بين معقنين ثبت في ر ، ولم أجد البيتين اللذين بقافية النون في ديوانه .

٢ ر : نواحيها .

٣ ر : والطيب .

الفضل بن يحيى البرمكي

أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك^١ البرمكي ؛ كان من أكثرهم كرمًا مع كرم البرامكة وسعة جودهم ، وكان أكرم من أخيه جعفر المقدم ذكره^٢ ، وكان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه ؛ وكان هارون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر ، وأراد أن ينقلها إلى جعفر فقال لأبيها يحيى : يا أبت - وكان يدعوه يا أبت - إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر ، وكان يدعو الفضل يا أخي ، فإنها متقاربان في المولد ، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد ، واسمها زبيدة من مولدات المدينة ، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل ، فكانا أخوين من الرضاع ، وفي ذلك قال مروان بن أبي حفصة مدح الفضل :

كفى لك فضلًا أن أفضل حرة غذتك بشدني والحليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كازان يحيى خالدًا في المشاهد

قال الرشيد ليحيى^٣ : وقد احتشمت من الكتاب إليه في ذلك فاكفنيه ، فكتب والده إليه : « قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك » فكتب إليه الفضل « قد سمعت مقالة أمير المؤمنين في أخي وأطعت ، وما

٥٢٧ - أخباره في ابن الأثير (ج : ٦) والطبري والوزراء والكتاب ومروج الذهب (ج : ٣) وزهر الآداب ٣٦٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٤ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٠ وعبر الذهبي ١ : ٣٠٩ والشذرات ١ : ٣٣٠ .

١ زاد في بن : ابن يزيد .

٢ ترجمة جعفر البرمكي في (ج : ٣٢٨) .

٣ والخيزران . . . يحيى : ورد في ر م والمختار .

٤ ر : ما قاله .

انتقلت عنى نعمة صارت إليه ، ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه ، فقال
جعفر : لله أخي ما أنفس نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منة العقل
فيه ، وأوسع في البلاغة ذرعه .

وكان الرشيد قد جعل ولده محمداً في حجر الفضل بن يحيى ، والمأمون في
حجر جعفر ، فاخص كل واحد منهما بمن في حجره ، ثم إن الرشيد قلد الفضل
بعمل خراسان ، فتوجه إليها وأقام بها مدة ، فوصل كتاب صاحب البريد
بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه ومضمون الكتاب أن الفضل بن
يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه
الرشيد رمى به إلى يحيى ، وقال له : يا أبت ، اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه
بما يرده عن هذا ، فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد : «حفظك الله
يا بني وأمتع بك ، قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد
ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعاد ما هو أزين
بك ، فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به ، والسلام»
وكتب في أسفله هذه الأبيات :

انصب نهاراً في طلاب العُلا	واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذ الليل أتى مقبلاً	واستترت فيه وجوه العيوب
فكابِدِ الليلَ بما تشتهي	فإنما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا	يستقبل الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره	فبات في لهُوٍ وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة	يسمى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب^٣ ، فلما فرغ قال : أبلغت يا أبت ، فلما ورد

١ وكان الرشيد . . . ثم إن : ورد في ر م والمختار ؛ وجاء في سائر النسخ : وكان الرشيد قد
ولاه خراسان وأقام بها مدة . . . الخ .

٢ ر : التغافل . ٣ ن : ما كتب ، وسقطت من لي .

الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهراً إلى أن انصرف من عمله^١ .
ومن مناقبه أنه لما تولى^٢ خراسان دخل إلى بلخ وهو وطنهم ، وبها النوبهار
وهو بيت النار التي كانت الجحوس تمبدها ، وكان جدّهم برمك خادم ذلك البيت
- حسبما هو مشروح في ترجمة جعفر - فأراد الفضل هدم ذلك البيت ، فلم يقدر
عليه لإحكام بنائه ، فهدم منه ناحية وبني فيها مسجداً .

وذكر الجهشيارى في « أخبار الوزراء »^٣ أن الرشيد ولى جعفر بن يحيى
الغرب كله من الأنبار إلى أفريقية في سنة ست وسبعين ومائة ، وقتل الفضل
الشرق كله من شروان^٤ إلى أقصى بلاد الترك ، فأقام جعفر بمصر^٥ واستخلف على
عمله ، وشخص الفضل إلى عمله في سنة ثمان وسبعين ، فلما وصل إلى خراسان
أزال سيرة الجور ، وبني المساجد والحياض والرُبُطَ وأحرق دفاتر البقايا^٦ وزاد
الجند ، ووصل الزوار والقواد والكتاب في سنة تسع بعشرة آلاف درهم ،
واستخلف على عمله ، وشخص في آخر هذه السنة إلى العراق ، فتلقاء الرشيد
وجمع له الناس وأكرمه غاية الإكرام ، وأمر الشعراء بمدحه والخطباء بذكر
فضله ، فكثرت المادحون له ، ومدحه إسحاق بن إبراهيم الموصلي بأبيات منها :

لو كان بيني وبين الفضل معرفة فضل بن يحيى لأعداني على الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

وكان أبو الهول الحميري^٧ قد هجا الفضل ، ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له :

١ راجع هذه القصة المتقدمة في سرور النفس للثيفاشي ، الورقة : ٤٥ - ٤٦ .

٢ ر : ولي .

٣ الجهشيارى : ١٩٠ .

٤ الجهشيارى : النهروان .

٥ الجهشيارى : بحضرة الرشيد .

٦ هكذا في المطبوعة والجهشيارى ، ولعل المعنى : الدفاتر التي تحتوي بقايا مستحقة من الضرائب ،

وفي المختار : مراكز البقايا ، وفي ر : مراكز البقايا .

٧ انظر طبقات ابن المعتز : ١٥٣ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٣ .

ويلك ! بأي وجه تلقاني؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به الله عز وجل وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك ، فضحك ووصله^١ .

ومن كلامه : ما سرور الموعود بالفائدة كسروري بالإنجاز .
وقيل له : ما أحسن كرمك لولا تيه^٢ فيك ، فقال : تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة^٣ . فقيل له : وكيف ذلك؟ فقال : كان أبي عاملاً على بعض كور بلاد فارس ، فانكسرت عليه جملة مستكثرة ، فحُمل إلى بغداد ، وطولب بالمال ، فدفعت جميع ما يملكه ، وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهاً ، والطلب عليه حثيث ، فبقي حائراً في أمره ، وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة ، لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو ، فقال لي يوماً وأنا صبي : امض إلى عمارة وسلم عليه عني وعرفه الضرورة التي قد صرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهل الله تعالى باليسرة ، فقلت له : أنت تعلم ما بينكما ، وكيف أمضي إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك؟ فقال : لا بد أن تمضي إليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة ، قال الفضل : فلم يمكني معاودته^٤ ، وخرجت وأنا أقدم رجلاً وأوخر^٥ أخرى ، حتى أتيت داره واستأذنت في الدخول عليه ، فأذن لي ، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه متكئاً على مفارشٍ وثيرة ، وقد غلف شعر رأسه ولحيته بالمسك ، ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تيهه لا يقعد إلا كذلك ، قال الفضل : فوقفت^٥ أسفل الإيوان ، وسلمت عليه فلم يرد السلام ، فسلمت عليه عن أبي وقصصت عليه

١ ومن مناقبه ... ووصله : ورد منه جزء يسير في م ، وثبت جميعه في المختار والنسخة ر وسقط من سائر النسخ .

٢ انظر عن عمارة بن حمزة ، معجم الأدباء ١٥ : ٢٤٢ والهدايا والتحف : ١٤٣ ومواضع متفرقة من الجهشيارى ؛ وقصة الفضل وتشبهه بعمارة في الفرج بعد الشدة ٢ : ٦٥ .

٣ ر : مخالفته .

٤ ر والمختار : مقدم ... ومؤخر .

٥ ن : فضيت إلى .

القصة ، فسكت^١ ساعة ثم قال : حتى ننظر ، فخرجت من عنده نادماً على نقل خطاي إليه ، موقناً بالحرمان عاتباً على أبي كونه^٢ كلفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه ، وعزمت على أن لا أعود إليه غيظاً منه ، فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي ، فلما وصلت إلى الباب وجدت أبنغلاً محملة ، فقلت : ما هذه ؟ فقيل : إن عمارة قد ستر المال^٣ ، فدخلت على أبي ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كيلاً أكره عليه إحسانه ، فمكثنا قليلاً ، وعاد أبي إلى الولاية وحصلت له أموال كثيرة ، فدفع إلي ذلك المبلغ وقال : تحمله إليه ، فجئت به ودخلت عليه ، فوجدته على الهيئة الأولى ، فسلمت عليه فلم يرد ، فسلمت عليه عن أبي وشكرت إحسانه وعرفته بوصول المال ، فقال لي بجردي : ويحك أقسطاراً كنت لأبيك ؟ اخرج عني لا بارك الله فيك ، وهو لك ، فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله ، فقال لي : يا بني ، والله ما تسمح نفسي لك بذلك ، ولكن خذ ألف ألف درهم واترك لأبيك ألفي ألف درهم ، فتعلمت منه الكرم والتهبه .

[وحكى الجهشيارى في « أخبار الوزراء »^٣ هذه الحكاية ، لكن بين الحكايتين اختلاف قليل ، وذكر أن جملة المال ألف ألف درهم ، وكان ذلك في أيام المهدي ، وكان يحيى قد ضمن فارس فانكسر عليه المال ، وقال المهدي لمن يطالبه بالمال : إن أدى لك المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه ، وكان المهدي مغضباً عليه]^٤ .

والقسطار : الصيرفي^٥ .

وعمارة المذكور من أولاد عكرمة مولى ابن عباس ، وقد تقدم ذكره ، وكان

١ ر : وسكت فسكت .

٢ المختار : قد سير إلى يحيى المال .

٣ الجهشيارى : ١٩٧ .

٤ ما بين معقفين ورد في ر وحدها .

٥ القسطار : تعريب للفظة اللاتينية quaestor وهو موظف كانت إليه جباية الخراج أو أمانة المال .

كاتب أبي جعفر المنصور ومولاه ، وكان ثائهاً معجباً ، كريماً بليغاً فصيحاً ، أعور . وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ، ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولي لها الأعمال الكبار ، وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس^١ التي تقرأ لبني العباس .

ويحكى أن الفضل دخل عليه حاجبُه يوماً فقال له^٢ : إن بالباب رجلاً زعم^٣ أن له سبباً يمتُّ به إليك ، فقال : أدخله ، فأدخله فإذا هو شاب حسن الوجه رث الهيئة ، فسلم ، فأوماً إليه بالجلوس فجلس ، فقال له بعد ساعة : ما حاجتك ؟ قال ، أعلمتك بها رثائتي^٤ ملبسي^٥ ، قال . نعم ، فما الذي تمتُّ به إلي ؟ قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسم مشتق من اسمك ، قال الفضل : أما الجوار فيمكن ، وقد يوافق الاسم الاسم ، ولكن من أعلمك بالولادة ؟ قال : أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها : قد ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل ، فسميتني أمي فُضَيْلاً إكباراً لاسمك أن تلحقني به ، وصغرت له قصور قدرتي عن قدرك ، فتبسم الفضل وقال له : كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمس وثلاثون سنة ، قال : صدقت ، هذا المقدار الذي أعدت^٦ ، قال : فما فعلت^٧ أمك ؟ قال : ماتت ، قال : فما منعك من اللحاق بنا متقدماً ؟ قال : لم أرض نفسي للقائك ، لأنها كانت في عامية معها حدائث تعقدني عن لقاء الملوك ، وعلق هذا بقلي منذ أعوام ، فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي^٨ ، قال : فما تصلح له ؟ قال : الكبير من الأمر والصغير ، قال : يا غلام ، أعطه لكل عام مضي من سنِّه ألفَ درهم ، وأعطه

١ س ل : الجيش ، ن : الحسن ؛ ورسالة الخميس هذه ما احتفظ به ابن طيفور في كتابه « المنظوم والمنثور » .

٢ انظر القصة في تمام المتن : ٢٦٥ .

٣ ر : يزعم .

٤ ن : حالي .

٥ ر : عملت .

٦ حتى . . . نفسي : سقط من ر .

عشرة آلاف درهم يحمل بها نفسه إلى وقت استعماله^١. وأعطاه مر كوباً سرياً. ثم إن الرشيد لما قتل جعفرأ - على ما تقدم في ترجمته - قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل المذكور، وكان عنده، ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى، فلما وصلوا إليها وجه الرشيد إلى يحيى أن أقم بالرقة أو حيث شئت، فوجه^٢ إليه : إني أحب أن أكون مع ولدي، فوجه إليه : أترضى بالحبس؟ فذكر أنه يرضى به، فحبس معهم، ووسع عليهم، ثم كانوا حيناً يوسع عليهم وحيناً يُضَيَّق عليهم حسبما ينقل إليه عنهم، واستصفى أموال البرامكة^٣. ويقال : إن الرشيد سير^٤ مسروراً الخادم إلى السجن، فجاءه فقال للمتوكل بها : أخرج إليّ الفضل، فأخرجه، فقال له : إن أمير المؤمنين يقول لك : إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم^٥، فزعمت أنك قد فعلت^٦، وقد صح عندي أنك بقيت لك أموالاً كثيرة^٧، وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضربك مائتي سوط^٨، وأرى لك أن لا تؤثر مالك على نفسك، فرفع الفضل رأسه^٩ وقال : والله ما كذبت فيما أخبرت به، ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا^٩ وأن أضربَ سوطاً واحداً لاخترت الخروج، وأمير المؤمنين يعلم ذلك، وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا، فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا؟ فإن كنت قد أمرت بشيء فامض له، فأخرج مسروراً أسواطاً كانت معه في منديل، وضربه مائتي سوط، وتولى ضربه الخدم

١ ن : اشتغاله .

٢ ر : فأرسل .

٣ تم إن الرشيد . . . البرامكة : ورد هذا النص بإيجاز شديد في س بر ل ن لي .

٤ ن : أرسل إليه .

٥ ر س : أموالك .

٦ ر : صدقت .

٧ ن لي والمختار : مالا كثيراً .

٨ ر بر : رأسه إليه .

٩ ن : أن أخرج من الدنيا ؛ ر : مال الدنيا .

فضربوه أشدّ الضرب ، وهم لا يحسنون^١ الضرب ، فكادوا أن يتلفوه ، وتركوه . وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته ، فلما رآه قال : يكون قد ضربوه خمسين سوطاً ، فقيل : بل مائتي سوط ، فقال : ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير ، ولكن يحتاج أن ينامَ على ظهره على باريّةٍ وأدوس صدره ، فجزع الفضل من ذلك ثم أجاب إليه ، فألقاه على ظهره وداسه ، ثم أخذ بيده وجذبه عن البارية ، فتملق بها من لحم ظهره شيء كثير ، ثم أقبل يعالجه ، إلى أن نظر يوماً إلى ظهره ، فخر المعالج ساجداً لله تعالى ، فقيل له : ما بالك ؟ فقال : قد برىء وقد نبتَ في ظهره لحم حي ، ثم قال : أأست قلتَ هذا ضرب خمسين سوطاً ، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشدّ من هذا الأثر ، وإنما قلت ذلك حتى تقوى نفسه^٢ فيعيني على علاجه^٣ .

ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم ، وسيرها له^٥ ، فردّها عليه ، فاعتقد أنه قد استقلها ، فاقترض عليها عشرة آلاف أخرى وسيرها فأبى أن يقبلها وقال : ما كنت لأخذ على معالجة فتى من الكرام كراءً ، والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها ، فلما بلغ ذلك الفضل قال : والله إن الذي فعله هذا أبلغ من الذي فعلناه في جميع أيامنا من المكارم ، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج كان في شدة وضائقة .

وكان الفضل ينشد وهو في السجن هذه الأبيات ، وأظنها لأبي العتامية ، ثم وجدتها لصالح بن عبد القدوس من جملة أبيات قالها وهو محبوس ، وقيل إنها لعلي بن الخليل ، وكان هو وصالح المذكور يتهان بالزندقة ، فحبسها الخليفة المهدي بن المنصور ، فقال هذه الأبيات^٦ :

١ ل : يحسون .

٢ لي : يقوى على نفسه .

٣ لي : معالجته .

٤ ر : درهم أخرى .

٥ ن : وأرسلها إليه .

٦ ثم وجدتها . . . الأبيات : سقط من س ل لي بر .

إلى الله فيما نالنا نرفعُ الشكوى ففي يده كَشَفُ المضرة والبَلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوماً حاجة عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم ، فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة ، وقيل إنها لأبي الحجناء في الفضل المذكور :

عندَ الملوكِ منافعٌ ومضرةٌ وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفَعُ
إن كان شرٌّ كان غيرهمُ له والخير منسوبٌ إليهم أجمع
وإذا جهلتَ من امرئ أعراقه وقديمهُ فانظر إلى ما يصنع
إن العروق إذا استسر بها الندى أشبَّ النباتاتُ بها وطاب المزرع

وغضب الرشيد على العتابي الشاعر فشَقَّع له الفضل فرضي عنه ، فقال :

ما زلتُ في غمراتِ الموتِ مُطَرِّحاً يضيقُ عني وسيعُ الرأي والحيلِ
فلم تزل دائماً تَسْعَى بلطفك لي حتى اختلستَ حياتي من يَدَي أَجَلِي
ومدحه أبو نواس بقصائد ، قال في بعضها :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ هواكٍ لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا
فقيل له : قد أسأتَ المقال في المخاطبة بهذا القول ، فقال : أردت جمع
تفضل لا جمع توصل ، وتبعه المنبي بقوله :

علَّ الأمير يرى ذلِّي فيشفَع لي إلى التي صيرتني في الهوى مَثَلاً
وعمل فيه بعض الشعراء بيتاً واحداً وهو :

ما لقينا من جودِ فضل بن يحيى تركَ الناسَ كلهم شعراء

١ هذا البيت متقدم على الذي قبله في ر .

٢ ر : أشر .

فاستحسنوا منه ذلك وعاثوا عليه كونه مفرداً ، فقال [أبو] العذاfer ورد
ابن سعد العمى^١ :

علمَ المفحمين أن ينظموا الأشْ حارَ منا والباخلين السخاءَ

فاستحسنوا منه ذلك .

وكان الفضل كثير البر بأبيه ، وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد في
زمن الشتاء . فيحكى انها لما كانا في السجن لم يقدرنا على تسخين الماء ، فكان
الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر
برودته بجمرة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك .

وأخباره كثيرة . وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة سنة سبع^٢
وأربعين ومائة [وذكر الطبري في تاريخه في أول خلافة هارون الرشيد أن مولد
الفضل بن يحيى سنة ثمان وأربعين ، والله أعلم]^٣ . وتوفي بالسجن سنة ثلاث
وتسعين ومائة في المحرم غداة جمعة بالرقعة ، وقيل إنه توفي في شهر رمضان سنة
اثننتين وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

ولما بلغ الرشيدَ موته قال : أمري قريب من أمره ، وكذا كان ، فإنه توفي
بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة ،
وقيل النصف منه ، وقيل ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى ، وقال ابن
اللبان الفرضي : في شهر ربيع الآخر ، مع اتفاقهم على السنة وقد تقدم أنه كان
قربنه في الولادة أيضاً [وترتبَ في الخلافة ولدهُ الأمين محمد والمأمون صاحب
خراسان]^٤ .

١ م : العذاfer بن ورد بن سعد القمي وكذلك في المختار بإسقاط « بن سعد » وفي ر : العذاfer بن
ورد التيمي ، وفي أصول البيان ١ : ١٤٢ العذاfer الكندي ، وذكره المرزباني (الموشح :
١٨٥ والمعجم ٥١٢) بكنيته : (أبو العذاfer الكندي) وكذلك ذكره البكري (السط :
٦٩٦-٦٩٧) والخبر الذي أورده المؤلف منقول عن الجهشياري : ١٩٥ وفيه : أبو العذاfer
ورد بن سعد التيمي ، وهو شاعر ترجم له ابن الجراح في الورقة : ٣ وكان قد صحب علي بن
عيسى بن ماهان إلى خراسان ثم اتصل بالفضل بن يحيى .

٢ هامش المختار : وقيل ثمان . ٣ ما بين معقنين انفردت به ر .

الفضل بن الربيع

أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ، واسمه كيسان ، مولى عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الراء وشيء من أخباره مع المنصور أبي جعفر ، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة ، كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ، ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم ، فكان في نفسه منهم إحسن وشحناء ، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب : إذا أراد الله تعالى هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسباباً ، فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالاه على ذلك كاتبتهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان .

ويحكى أن الفضل المذكور دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي ، وقد جلس لقضاء حوائج الناس ، وبين يديه ولده جعفر يوقع في القصص ، فعرض الفضل عليه عشر رقاع للناس ، فتعلل يحيى في كل رقعة بعلّة ولم يوقع في شيء منها

٥٢٨ - أخباره وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٣ ومعجم المرزباني : ١٨٢ ومواضع متفرقة من الوزراء والكتاب والكمال لابن الأثير (ج : ٦) والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٥ وزهر الآداب : ٥٤١ ، ٥٤٥ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٥ والشذرات ٢ : ٢٠ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٣ وإعتاب الكتاب : ٩٩ ، وهذه الترجمة كما أثبتناها وردت في ر والمختار وهي موجزة في سائر النسخ .

١ ر : لحاقهم .

٢ المختار : وتمكن بالمجالسة من الرشيد .

٣ تجد أخبار إسماعيل في صفحات متفرقة من « الوزراء والكتاب » للجهمي وإعتاب الكتاب :

. ١٠٢

ألبتة ، فجمع الفضل الرقاع وقال : ارجِعْن خائبات خاسئات^١ ، ثم خرج وهو يقول :

عسى وعسى^٢ يثني الزمان عنانَه
بتصريفِ حالٍ والزمانُ عثورُ
فتَقضى لِباناتٍ وتشفى حَسائِفُ وتحدُثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ

فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك ، فقال له : عزمْتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعت ، فرجع فوقَّع له في جميع الرقاع . ثم ما كان إلا القليل حتى نكبوا على يده وتولى بعدهم وزارة الرشيد ، وفي ذلك يقول أبو نواس وقيل أبو حزره^٣ :

ما رعى الدهرُ آلَ برمكٍ لمَّا
أنتَ رمى ملكهم بأمرٍ فظيع
إنَّ دهرًا لم يرعَ عهداً ليحيى
غير راعٍ ذِمَامَ آلِ الربيع

وتنازع يوماً جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يا لقيط ، إشارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع : إنه لا يُعرَفُ نسبه وأبوه ، حسباً ذكرناه في ترجمته ، فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : تراه عند مَنْ يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين ، وأنت حاكم الحكام .

ومات الرشيد والفضل مستمر على وزارته [وكان في صحبة الرشيد ، فقرر الأمور للأمين محمد بن الرشيد ، ولم يعرج على المأمون وهو بخراسان ، ولا التفت إليه ، فعزم المأمون على إرسال طائفة من عسكره لأن يعترضوه في طريقه لما انفصل عن موضع وفاة الرشيد ، وهو طوس حسباً ذكرته في ترجمة الفضل ابن يحيى البرمكي ، فأشار عليه وزيره الفضل بن سهل أن لا يتعرض له ، وخاف عاقبته .

١ ر : خاسرات .

٢ في س كتب فوق لفظة عسى الأولى «متى» وإلى جانبها خ ؛ وانظر الفرج بعد الشدة ١ : ٦٥ .

٣ ر : أبو حزره ؛ وفي من عرف بكنيته عند المرزباني (المعجم : ٥٠٩) أبو حزره المصري ؛ وفي المختار : أبو حزره .

ثم إن الفضل بن الربيع خاف من المأمون إن انتهت الخلافة إليه ، فزَيَّنَ
للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهد ، ويجعل ولي عهده موسى بن الأمين ،
وحصلت الوحشة بين الأخوين إلى أن سير المأمون جيشاً من خراسان مُقَدِّمَهُ
طاهر بن الحسين المقدم ذكره بإشارة وزيره الفضل بن سهل ، وأخرج الأمين من
بغداد جيشاً بإشارة وزيره الفضل بن الربيع المذكور ، مُقَدِّمَهُ علي بن عيسى
ابن ماهان ، فالتقيا ، وقتل علي بن عيسى ، وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة .
ثم اضطربت أحوال الأمين وقويت شوكة المأمون ، فلما رأى الفضل ابن
الربيع الأمور مختلفة استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة ، ثم ظهر لما
ادعى إبراهيم بن المهدي الخلافة ببغداد ، كما ذكرته في ترجمته ، واتصل به ابن
الربيع ، فلما اختلَّ حال إبراهيم استتر ابن الربيع ثانياً ، وشرح ذلك يطول .
وخلصته أن طاهر بن الحسين سأل المأمون الرضا عنه ، فأدخله عليه ، وقيل
غير ذلك ، إلا أنه لم يزل بطالاً إلى أن مات ، ولم يكن له في دولة المأمون
حظ ، والله أعلم^٢ .

وكتب^٣ إليه أبو نواس يعزيه في الرشيد ، ويهنئه بولاية ولده الأمين ؛ :

تَعَزَّ أبا العباس عن خيرِ هالكٍ بأكرمِ حيٍّ كان أو هو كائنُ
حوادثُ أيامٍ تدورُ صُرُوفها لهنَّ مساوٍ مرّةً ومَحاسنُ
وفى الحيِّ بالميت الذي غيَّبَ الثرى فلا أنتَ مغبونٌ ولا الموت غابنُ

وفيه أيضاً قال أبو نواس من جملة أبيات :

وليس لله^٤ بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

١ ر : ست .

٢ ما بين معقفين انفردت به ر : ولم يأت في المختار من هذه الترجمة بعد ذلك سوى بيت أبي
نواس « وليس لله . . . الخ » وسقط سائرهما .

٣ في جميع النسخ ما عدا ر : فكتب ، لأن النص أصلاً : ومات الرشيد والفضل مستمر على
وزارته فكتب . . . الخ .

٤ ر : ليس على الله .

ديوان أبي نواس : ١٣٠ .

قال أبو بكر الصولي : ولقد أخذ أحمد بن يوسف الكاتب هذا المعنى وزاد عليه ، وكتبه إلى بعض إخوانه ، وقد ماتت له ببغاء ، وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد :

أنت تبقى ونحن طرراً فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاکا
فلقد جل خطب دهرِ أتاكا بمقاديرَ أتلفتَ ببغاکا
عجبا للمنون كيف أتتها ونخطتْ عبد الحميد أخاکا
كان عبد الحميد أصلحَ للموت من الببغا وأولى بذاکا
شملتنا المصیبتان جميعاً فقدنا هذه ورؤية ذاکا

وقد تقدم في ترجمة ابن الرومي ذكر المقطوعين المقولين في الوزير أبي القاسم عبيد الله وولديه الحي والميت^١ ، وذلك المعنى مأخوذ من هذه الأبيات وأبو نواس هو الذي فتح لهم الباب ، ومنه أخذ الباقون ، وإن كان بينهم مغايرة ما لكن المادة واحدة .

وكانت وفاة الفضل بن الربيع في ذي القعدة ، سنة ثمان ومائتين وسنه ثمان وستون سنة ، وقيل في شهر ربيع الآخر ، رحمه الله تعالى ؛ وفيه يقول أبو نواس أبياته الدالية التي فيها « والخير عادة »^٢ .

١ انظر ج ٣ : ٣٦٢ .

٢ يشير إلى قوله (ديوانه : ١٠٨) :

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عادة

الفضل بن سهل

أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي أخو الحسن بن سهل - وقد تقدم ذكره في حرف الحاء - ؛ أسلم على يد المأمون في سنة تسعين ومائة ، وقيل إن أباه سهلاً أسلم على يد المهدي ، والله أعلم ، فوزرَ للمأمون واستولى عليه حتى ضايقه في جارية أراد شراءها .

ولما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون ، وصفه يحيى بحضرة الرشيد ، فقال له الرشيد : أوصله إلي ، فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت ، فنظر الرشيد إلى يحيى نظر منكر لاختياره ، فقال ابن سهل : يا أمير المؤمنين ، إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن يملك قلبه هيبة سيده ، فقال الرشيد : لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فلقد أحسنت ، وإن كان بديهية إنه لأحسن وأحسن ، ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدق وصف يحيى له .

وكانت فيه فضائل ، وكان يلقب بندي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف . وكان يتشيع ؛ وكان من أخبر الناس بعلم النجامة ، وأكثرهم إصابة في أحكامه . حكى أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في « تاريخ ولاية خراسان » : أن طاهر بن الحسين ، المقدم ذكره ، لما عزم المأمون على إرساله إلى محاربة أخيه محمد الأمين نظر الفضل بن سهل في مسأله ، فوجد الدليل في وسط السماء ، وكان ذا يمينين ، فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ويلقب بندي اليمينين ،

٥٢٩ - أخباره في أماكن متفرقة من « الوزراء والكتاب » والكامل لابن الأثير (ج : ٦) وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٩ ومروج الذهب ٤ : ٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٧٢ وعبر الذهبى ١ : ٣٣٨ والشذرات ٢ : ٤ وله أخبار في ترجمة أخيه الحسن في إعتاب الكتاب : ١٠٧ .

فتعجب المأمون من إصابة الفضل ، ولقب طاهراً بذلك ، وولع^١ بالنظر في
في علم النجوم .

وقال السلمي أيضاً : وما أصاب الفضل بن سهل فيه من أحكام النجوم^٢ أنه
اختار لطاهر بن الحسين حين سمي للخروج إلى الأمين وقتاً ، فعقد فيه لواءه^٣
وسلمه إليه ، ثم قال له : قد عقدت لك لواء لا يحل خمساً وستين سنة ، فكان
بين خروج طاهر بن الحسين إلى وَجْهِ علي بن عيسى بن ماهان ، مقدم جيش
الأمين ، وقبض يعقوب بن الليث الصفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر
ابن الحسين بنيسابور خمس وستون سنة . وكان قبض يعقوب بن الليث على محمد
المذكور يوم الأحد لليلتين خلتا من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين .

ومن إصاباته^٣ أيضاً ما حكم به على نفسه ، وذلك أن المأمون طالب والدّة
الفضل بما خلفه ، فحملت إليه سلة مختومة مقلّة ، ففتح قفلها ، فإذا صندوق
صغير مختوم ، وإذا فيه درج ، وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه ، قضى أنه
يعيش ثمانياً وأربعين سنة ، ثم يقتل ما بين ماء ونار » فعاش هذه المدة ، ثم قتله
غالب ، خال المأمون في حمام بسرّخس - كما سيأتي إن شاء الله تعالى ؛ وله
غير ذلك إصابات كثيرة .

ويحكى أنه قال يوماً لشامة بن الأشرس : ما أدري ما أصنع بطلاب
الحاجات فقد كثروا علي وأضجروني ؛ فقال له : زل عن موضعك ، وعليّ أن
لا يلقاك أحد منهم ، فقال : صدقت ، وانتصب لقضاء أشغالهم .

وكان قد مرض بخراسان وأشفى على التلف ، فلما أصاب العافية جلس
للناس ، فدخلوا عليه وهنّوه بالسلامة ، وتصرفوا في الكلام ، فلما فرغوا
من كلامهم أقبل على الناس وقال^٥ : إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعقلاء أن

١ المختار : وأولع .

٢ ر : الأحكام . ٣ ر : إصابته .

٤ زاد في هامش المختار : السعودي الأسود .

٥ انظر الفرج بعد الشدة ١ : ٤٠ .

يجهلوها : تمحيص الذنوب ، والتعرض لثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ،
والإذكار بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء التوبة ، والحض على الصدقة .
وقد مدحه جماعة من أعيان الشعراء^١ ، وفيه يقول إبراهيم بن العباس الصولي ،
وقد سبق ذكره^٢ :

لفضل بن سهل يدُ تقاصرَ عنها المثلُ
فنائِلها لِلغنى وَسَطَوَتْها لِلأجلِ
وباطنها لِلنَدَى وظاهرُها لِلقُبَلِ

ومن هاهنا أخذ ابن الرومي قوله في الوزير القاسم بن عبيد الله من جملة أبيات :
أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّلِ والحُرُّ بينهما يموت هزيبلا
فامدُّدُ إلى يداً تعوددَ بطنها بذلَ النوالِ وظَهَرُها التقبيلِ
وفيه يقول أبو محمد عبد الله بن محمد ، وقيل ابن أيوب التيمي^٣ :

لعمرك ما الأشرافُ في كل بلدة وإن عظموا للفضل إلا صنائعُ
ترى عظماءَ الناسِ للفضلِ خُشَعاً إذا ما بدا ، والفضلُ لله خاشع
تواضعَ لما زاده الله رفعةً وكلُّ جليلٍ عندهُ متواضع

وقال فيه مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني من جملة قصيدة^٤ :
أقمتَ خلافةً وأزلتَ أخرى جليلٌ ما أقمتَ وما أزلتَ

[وحكى الجهشيارى^٥ أن الفضل بن سهل أصيب بابن له يقال له العباس ، فجزع

١ المختار : الشعراء الأعيان .

٢ الطرائف الأدبية : ١٣٦ .

٣ الجهشيارى : ٣٢٠ ، وفي لي ن ل : التيمي .

٤ ديوان مسلم (الملحقات) : ٣٠٧ نقلا عن الوفيات .

٥ لم يرد في المطبوعة من كتاب الجهشيارى واستدركه الأستاذ ميخائيل عواد في «نصوص ضائعة من كتابه الوزراء والكتاب» : ٥٣ نقلا عن المؤلف ؛ ولم يرد هذا النص في المختار .

عليه جزعاً شديداً ، فدخل عليه إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي وأنشده :

خيرٌ من العباس أجرك بعده والله خيرٌ منك للعباس

فقال : صدقت ، ووصله وتعزى له] .

ولما ثقل أمره على المأمون دس عليه خاله غالباً [المسعودي الأسود] ، فدخل عليه الحمام بسرّخس ، ومعه جماعة ، وقتلوه مغافصةً ، وذلك يوم الخميس ، ثاني شعبان سنة اثنتين ومائتين ، وقيل ثلاث ومائتين ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، وقيل إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر ، والله أعلم .

[وذكر الطبري في تاريخه أنه كان عمره ستين سنة ، وقيل سنة اثنتين ومائتين يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان . قلت : وهو الصحيح .

ورثاه مسلم بن الوليد ودعبل وإبراهيم بن العباس ، رحمه الله تعالى . ومات والده سهل في سنة اثنتين أيضاً ، بعد قتل ابنه بقليل . وعاشت أمه وأم أخيه الحسن حتى أدركت عُرُس بوران على المأمون] ٢ .

ولما قتل مضى المأمون إلى والدته ليعزيها ، فقال لها : لا تأسيّ عليه ولا تحزني لفقده ، فإن الله قد أخلف عليك مني ولدأ يقوم مقامه ، فمها كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضي عني منه ، فبكت ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدأ مثلك ؟ .

والسرّخسي : بفتح السين المهملة والراء وسكون الحاء المعجمة وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى سرّخس ، وهي مدينة بخراسان .

١ كذا في ل ل لي ؛ وفي ر ن س : الجمعة .

٢ انفردت ر بما بين معقفين .

الفضل بن مروان

أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس^١ وزير المعتصم ؛ وهو الذي أخذ له البيعة ببغداد وكان المعتصم يرمثد ببلاد الروم ، فإنه توجه إليها صحبة أخيه المأمون ، فاتفق موت المأمون هناك ، وتولى المعتصم بعده ، واعتد له المعتصم بها يداً عنده [وقوَضَ إليه الوزارة يوم دخوله بغداد ، وهو يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، وخلع عليه ، ورد أموره كلها إليه ، فغلب عليه بطول خدمته ، وتربيته إياه]^٢ واستقل بالأمور ، وكذلك كان في أواخر ولاية المأمون ، فإنه غلب عليه كثيراً . وكان نصراني الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، وله ديوان رسائل وكتاب « المشاهدات والأخبار » التي شاهدها ، ومن كلامه : مَثَلُ الكَاتِبِ كالدُّوَلَابِ^٣ إذا تعطل انكسر . وكان قد جلس يوماً لقضاء أشغال الناس ورفعت إليه قصص العامة ، فرأى في جلتها رقعة مكتوباً فيها :

تَفَرَّعْتِ يَا فَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ فَاعْتَبِرْ فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاكٍ مَضَوْا لسبيلهم أبادتهم الأقياد والحبس والقتل
وإنك قد أصبحت في الناس ظلماً ستؤدي كما أودى الثلاثة من قبل

أراد الفضول الثلاثة الذين تقدم ذكرهم ، وهم : الفضل بن يحيى البرمكي ،

٥٣٠ - أخباره في مواضع متفرقة من « الوزراء والكتاب » والكامل لابن الأثير ٣٨ (ج ٦ ، ٧)
وإعتاب الكتاب : ١٣٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٣٢ والشذرات ٢ : ١٢٢ ؛ وقد اجتزأ في المختار بإيراد قسم يسير من هذه الترجمة .

١ س : ماسرجس ؛ لي : ماسرجين .

٣ ن : الكاتب مثل الدولاب .

٢ انفردت ر بما بين معقفين .

والفضل بن الربيع ، والفضل بن سهل .
 وذكر المرزباني في « معجم الشعراء » هذه الأبيات للهيثم بن فراس السامي ،
 من بني سامة بن لؤي ، وكذا ذكرها الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار »^٢ .
 ومثل هذه القضية ما جرى لأسد بن زريق^٣ الكاتب ، فإنه جاء إلى باب
 أبي عبد الله الكوفي لما قلّد مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وانتقل إلى داره ،
 وجلس في دسته ، فمنعه البواب من الدخول إليه ، فرجع إلى داره وكتب إليه :

إنا رأينا حجاباً منك قد عرضاً فلا يكن ذلنا فيه لك الغرّاضاً
 اسمع مقالي ولا تغضب علي فما أبغي بذلك لا مالا ولا عرّاضاً
 الشكر يبقى ويفنى ما سواه ، ومم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
 في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأيت العز وانقرّضاً

فلما وقف أبو عبد الله على هذه الأبيات استدعاه واعتذر إليه وقضى حاجته .
 وقد سبق نظير هذا في ترجمة عبد الملك بن عمير ، وما جرى له مع عبد الملك
 ابن مروان الأموي لما حضر بين يديه رأس مصعب بن الزبير ، فليُنظر هناك .
 ثم إن المعتصم تغيّر على الفضل بن مروان ، وقبض عليه في رجب سنة إحدى
 وعشرين ومائتين ، ولما قبض عليه قال : عصى الله في طاعتي فسلطني عليه ، ثم
 خدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء ، ثم توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمسين
 ومائتين ، وعمره ثمانون سنة ، رحمه الله تعالى .

وقال في كتاب « الفهرست »^٥ : عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، والله أعلم بالصواب .
 [وقال الطبري : كانت نكبته في صفر من السنة المذكورة . وقال الصولي :

-
- ١ لم يرد في المعجم المطبوع .
 ٢ وذكر المرزباني . . . الأبرار : سقط من س ل لي بر والمختار .
 ٣ س والمختار : زريق ؛ ن : زيد .
 ٤ هو محمد بن يحيى بن شيرزاد وكان وزيراً لبيحكيم (انظر أخباره في ج ٨ من تاريخ ابن
 الأثير وتجارب الأمم) . ل ن لي س بر : شيراز .
 ٥ الفهرست : ١٢٧ .

أخذ المعتصم من داره لما نكبه ألف ألف دينار ، وأخذ أثنائاً وآنية بألف ألف دينار ، وحبسه خمسة أشهر ، ثم أطلقه وألزمه بيته ، واستوزر أحمد بن عمار . ومن كلامه : لا تتعرض لعدوك وهو مقبل ، فإن إقباله يعينه عليك ، ولا تتعرض له وهو مدبر ، فإن إدباره يكفيك أمره [٣] .

٥٣١

الفضيل بن عياض

أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل ، الفنديني^١ ، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة ؛ كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فيينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فقال : يا رب قد آن ، فرجع ، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة ، فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا ، فتأب^٢ الفضيل وآمنهم .

وكان من كبار السادات ؛ حدث سفيان بن عيينة قال : دعانا هارون الرشيد فدخلنا عليه ، ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه ، فقال لي :

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٥٣١ - ترجمته في طبقات السلمي : ٦ - ١٤ وتذكرة الحفاظ : ٢٤٥ وميزان الاعتدال ٣ : ٣٦١

وعبر الذهبي ١ : ٢٩٨ وصفة الصفوة ٢ : ١٣٤ وحلية الأولياء ٨ : ٨٤ والجواهر المضية

١ : ٤٠٩ وتهذيب التهذيب ٨ : ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢١ ، ١٤٣ والشذرات ١ : ٣١٦ .

٢ الفنديني : سقطت من س والمختار ، واضطربت في سائر النسخ ، ولم يرد لها ضبط في خاتمة

الترجمة إلا في النسخة ر .

٣ ن س : فبات .

يا سفيان ، وأهم أمير المؤمنين ؟ فقلت : هذا ، وأومات إلى الرشيد ، فقال له :
يا حسن الوجه ، أنت الذي أمرت هذه الأمة في يدك وعنقك ؟ لقد تقلدت أمراً
عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتى كل رجل منا ببكرة ، فكل قبلها إلا الفضيل ،
فقال الرشيد : يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطاها ذا دينٍ أو أشبع بها
جائماً أو اكس بها عارياً^١ فاستغفاه منها ، فلما خرجنا قلت : يا أبا علي ،
أخطأت ، ألا أخذتها وصرقتها في أبواب البر ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ،
أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط^٢ ؟ لو طابت لأولئك
لطابت لي .

ويحكى أن الرشيد قال له يوماً^٣ : ما أزهديك ! فقال الفضيل : أنت أزهدي
مني ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أزهدي في الدنيا ، وأنت تزهد في الآخرة ،
والدنيا فانية والآخرة باقية .

وذكر الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » في آخر باب الطعام أن الفضيل
قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في رجل في كفه ثمرة ثم يقعد على رأس الكنيف
فيطرحة فيه ثمرة ثمرة ؟ قالوا : هو مجنون ، قال : فالذي يطرحة في بطنه
حتى يحشوه فهو أجن منه ، فإن هذا الكنيف يملأ من هذا الكنيف .

ومن كلام الفضيل : إذا أحب الله عبداً أكثر غمه ، وإذا أبغض عبداً وسع
عليه دنياه . وقال : لو أن الدنيا مجذافيرها عرضت عليّ على أن لا أحاسب
عليها لكنت أتقnderها كما يتقندر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقال :
ترك العمل لأجل الناس هو الرياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك^٤ . وقال :
إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي . وقال : لو كانت
لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام ، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد .
وقال : لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله
وصيام نهاره .

١ ر لي : جيماًناً . . . عرياناً .

٢ لي : هذه الغلطة .

٣ البصائر والذخائر ٤ : ١٨٨ .

٤ زاد في ن : والإخلاص أن يعافيك منها .

وقال أبو علي الرازي : صَحِبَتِ الْفَضِيلُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، مَا رَأَيْتَهُ ضَاحِكًا وَلَا مَتَبَسِمًا إِلَّا يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ عَلِيٌّ ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ أَمْرًا فَأَحْبَبْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ ؛ وَكَانَ وَلَدُهُ الْمَذْكُورُ شَابًا سَرِيحًا مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ . وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي جَمَلَةٍ مِنْ قَتْلَتِهِمْ مَحَبَّةَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُمْ مَذْكُورُونَ^١ فِي جِزْءِ سَمْعِنَاهُ قَدِيمًا وَلَا أَذْكَرَ الْآنَ مَنْ مَوْلَاهُ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِذَا مَاتَ الْفَضِيلُ ارْتَفَعَ الْحَزَنُ مِنَ الدُّنْيَا .

وَمُنَاقِبُ الْفَضِيلِ كَثِيرَةٌ . وَهَوَلَدُهُ بِأَبِيوَرْدٍ ، وَقِيلَ بِسَمَرَقَنْدٍ ، وَنَشَأَ بِأَبِيوَرْدٍ وَقَدِمَ الْكُوفَةَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَجَاوَرَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَالطَّالِقَانِي : نَسَبُهُ إِلَى طَالِقَانَ خِرَاسَانَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي تَرْجُمَةِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ .

[وَالْفُنْدِينِي : بَضْمُ الْفَاءِ وَسُكُونُ النُّونِ وَكَسْرُ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونُ الْيَاءِ الْمُنْتَهَا مِنْ تَحْتِهَا وَفِي آخِرِهَا نُونٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى فُنْدِينٍ ، وَهِيَ مِنْ قَرْيٍ مَرُورٍ^٢ .

وَأَبِيوَرْدٌ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُنْتَهَا مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا دَالٌ مَهْمَلَةٌ ، بَلِيدَةٌ بِخِرَاسَانَ .

وَسَمَرَقَنْدٌ : بِفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ النُّونِ وَبَعْدَهَا دَالٌ مَهْمَلَةٌ ، أَعْظَمُ مَدِينَةٍ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي كِتَابِ « الْمَعَارِفِ »^٣ فِي تَرْجُمَةِ شَمْرِ بْنِ أَفْرِيْقَشٍ أَحَدِ مَلُوكِ الْيَمَنِ : إِنَّهُ خَرَجَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَدَخَلَ أَرْضَ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ يَرِيدُ الصِّينَ فَأَخَذَ عَلَى فَارِسٍ وَسَجِسْتَانَ وَخِرَاسَانَ وَافْتَتَحَ الْمَدَائِنَ وَالْقَلَاعَ ، وَقَتَلَ وَسَبَى ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ الصَّفَدِ فَهَدَمَهَا

١ ر : جماعة مذكورون .

٢ انفردت به ر .

٣ المعارف : ٦٢٩ .

فسميت شمر كند أي: شمر أخربها، لأن « كند » بالمعجمي معناه بالعربي أخرب^١،
ثم عربها الناس فقالوا: سمرقند، ثم أعيدت عمارتها، فبقي عليها ذلك الاسم^٢.

٥٣٢

عضد الدولة

أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو، الملقب عَضُد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن
ابن بُؤَيِّه الديلمي - وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة عمه معز الدولة أحمد في حرف
الهمزة، فيطلب^٣ هناك -؛ [ولما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه
ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة،
ولم يكن قبل ذلك يلقب بعضد الدولة، فتسلمها بعد عمه، ثم تلقب بذلك]^٤.

١ س : خربها . . . خرب .

٢ قلت : عند هذا الموضع بخط مغاير ورد في النسخة ن هذا التعليق : « وليس الأمر كما زعمه ،
إنما أصل الكلام أن شمر اسم بحارية اسكندر ، وضمت فوصف لها الأطباء أرضاً ذات هواء طيب
وأشاروا إليه بظاهر صغد ، فأسكنها إياه ، فلما طابت بئى به مدينة ، وكند بالتركي هو المدينة
وكأنه يقول بلد شمر ، وعلى هذا يكون كند اسماً جامداً آخر وهو مضاف على القاعدة التي تقدم
بيانها ، وملاحظة هذا التعبير قال ابن خلكان فكأنه يقول بلد شمر ، وإلا فموجب ما قدمه من
البيان هو القطع بالمعنى المذكور ، ومن كلامه يتبين أن من زعم أن كند بالمعنى الثاني فارسي
لم يصب وكذا من فسره بالقرية كمال باشا أيضاً في رسالة التعريب ، سلمه الله . ٥١ . وجاء
في حاشية س : « ليس معنى كند خرب وإنما معناه قلع ومعنى خرب بالمعجمي : ثيران كرد » .

٥٣٢ - أخباره في تجارب الأمم وذيله وتكملة الهمذاني وتاريخ ابن الأثير (ج : ٨ : ٩) وانظر

الشيعة ٢ : ٢١٦ والمنتظم ٧ : ١١٣ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٤٢ والسلوك ١ / ١ : ٢١ ،

٢٨ وبغية الوعاة : ٣٧٤ وعبر الذهبي ٢ : ٣٦١ والشذرات ٣ : ٧٨ .

٣ ر : فليُنظر .

٤ انفردت به ر .

وقد تقدم أيضاً ذكر والده وعمه الأكبر عماد الدولة أبي الحسن علي وابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وهؤلاء كلهم - مع عظم شأنهم وجمالة أقدارهم - لم يبلغ أحد منهم ما بلغه عضد الدولة من سعة المملكة والاستيلاء على الملوك وممالكهم ، فإنه جمع بين مملكة المذكورين كلهم ، وقد ذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما كان له من الممالك ، وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة وغير ذلك ، ودانت له البلاد والعباد ودخل في طاعته كل صعب القياد ، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام ، وأول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من جملة ألقابه « تاج الملة » ولما صنف له أبو إسحاق الصابي كتاب « التاجي » في أخبار بني بويه أضافه إلى هذا اللقب ، وقد تقدم خبر هذا الكتاب في ترجمته .

وكان فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون ، وصنّف له الشيخ أبو علي الفارسي كتاب « الإيضاح » و « التكملة » في النحو - وقد سبق ذكره في ترجمته - وقصّده فحول الشعراء في عصره ، ومدحوه بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيب المتنبي ، وردّ عليه وهو بشيراز في جهادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفيه يقول من جملة قصيدته المشهورة الهائية^٢ :

وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسِرْتُ حتى رأيت مَولاها
ومَن منّا ياهُمُ براحتهُ يأمرها فيهمُ وينهاها
أبا شجاع بفارسٍ عضد الـ دولة فنتأخُسرو شهنشاهها
أسامياً لم تزده معرفة وإنما لذةً ذكرناها

وهذه القصيدة أول شيء أنشده ، ثم أنشده في هذا الشهر قصيدته النونية التي ذكر فيها شعبَ بَوّانٍ ، ومنها قوله^٣ :

يقول بشعب بَوّانٍ حصاني أعن هذا يُسار إلى الطعانِ

١ ر : العباد والبلاد .

٢ ديوان المتنبي : ٥٥٤ .

٣ ديوانه : ٥٥٨ .

أبوكم آدمٌ سنّ المعاصي وعَلَّمكم مفارقةَ الجنان
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان
فإن الناس والدنيا طريقٌ إلى مَنْ ما لهُ في الناس ثاني

ومدحه بعد ذلك بعمدة قصائد ، ثم أنشده قصيدته الكافية يودعه فيها
ويَعِدّه بالعود إلى حضرته ، وذلك صدر شعبان من السنة المذكورة ، وهي
آخر شعر المتنبي فإنه قتل في عَوْدِه من عنده كما سبق في ترجمته ، ومن جملة
هذه القصيدة^١ :

أرُوحُ وقد خَتَمْتُ على فؤادي بـجُـبـك أن يحلّ به سواكا
وقد حَمَلْتِي شِكرًا طويلاً ثقيلًا لا أطيعُ به حَرَاكا
أحاذرُ أن يشقّ على المطايا فلا تمشي بنا إلا سِواكا^٢
لمعل الله يجعله رحيلًا يُعين على الإقامة في ذَرَاكا
فلو أني استطمتُ خففتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
وكيف الصبرُ عنك وقد كفاني نذاك المستفيضُ وما كفاكا
وما أحسن قوله فيها :

ومَنْ أعتاض عنك إذا افترقنا وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا
وما أنا غيرَ سهمٍ في هواءٍ يعودُ ولم يجد فيه امتساكا

وقصده أيضاً أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي - الآتي ذكره إن شاء الله
تعالى - وكان عَيْنَ شعراء العراق ، وأنشده قصيدته البديعة التي منها :

إليك طوى عرضَ البسيطة جاعل قُصارى المطايا أن يلوح لها القَصْرُ
فكنتُ وعزَمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه^٣ كما اجتمع النسْرُ

٢ السواك : المشي المضطرب .

١ ديوانه : ٥٨٤ .

٣ المختار : أشياء .

وَبَشَّرْتُ أَمَالِي بِمَلِكٍ هُوَ الْوَرَى وَدَارُ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمَ هُوَ الدَّهْرُ
وعلى الحقيقة هذا الشعر هو السحر الحلال كما يقال ، وقد أخذ هذا المعنى
القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني - المقدم ذكره - وعمل :

يَا سَائِلِي عَنْهُ لَمَّا جِئْتُ أَمْدَحُهُ هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْعَارِي مِنَ الْعَارِ
كَمْ مِنْ شُنُوفٍ لِطَافٍ مِنْ مَحَاسِنِهِ عَلَّقْنَ مِنْهُ عَلَى آذَانِ سُمَّارِ
لَقَيْتُهُ فَرَأَيْتُ النَّاسَ فِي رَجُلٍ وَالدهْرَ فِي سَاعَةٍ وَالْأَرْضَ فِي دَارِ

ولكن أين الثريا من الثرى ؟ وهذا المعنى موجود في الشطر الأخير من
بيت المتنبي وهو :

هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيُكَ الْمُنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَّاتِقُ

ولكنه ما استوفاه ، فإنه ما تعرض إلى ذكر اليوم الذي جعله السلامي هو
الدهر ، فليس^٢ له طلاوة بيت السلامي .

رجعنا إلى ذكر عضد الدولة :

كتب إليه أبو منصور أفتكين^٣ التركي متولي دمشق كتاباً مضمونه أن الشام
قد صفا وصار في يدي ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتني بالأموال
والعدد حاربت القوم في مستقرهم ، فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات ،
وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهي « غَرَّكَ
عَزَّكَ فِصَارٌ قُصَارٌ ذَلِكَ ذَلِكَ ، فَاخْشَ فَاخْشَ فَاخْشَ فَعَلِكَ فَعَلِكَ بِهَذَا تَهْدَا »^٤

١ ديوان المتنبي : ٧٠ .

٢ ر : ومع هذا فليس .

٣ س ل ن بر : الفتكين ، وكلتا صورتين في أصول ابن الأثير .

٤ ر ل : تهدي بهذا .

ولقد أبدع فيها كلَّ الإبداع .

(149) وكان أفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بُوَيه فتغلب على دمشق وخرج على العزيز العبيدي صاحب مصر ، وقصد^١ بنفسه والتقى جيشاهما ، وجرت مقتلة عظيمة بينهما^٢ وانكسر أفتكين وهرب ، وقطع عليه الطريق دغفل بن الجراح البدوي وحمله إلى العزيز وفي عنقه جبل ، فأطلقه وأحسن إليه ، وأقام يسيراً ، ومات سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب .

وكانت لعضد الدولة أشعار ، فمن ذلك ما أورده له أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »^٣ وقال: اخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبياتاً ، وهي :

ليس شربُ الراح إلا في المطر وغناء من جوار في السَّحَرِ
غانياتٍ سالباتٍ للنهى ناعماتٍ في تضاعيفِ الوترِ
مبرزات الكأس من مَطْلِعِهَا ساقيات الراح من فاق البشرِ
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدرِ

فيحكى عنه أنه لما احتضر لم يكن لسانه ينطق إلا بتلاوة ﴿ ما أغنى عني ماله هلك عني سلطانيه ﴾ (الحاقة : ٢٨ - ٢٩) ويقال إنه ما عاش بعد هذه الأبيات إلا قليلاً ، وتوفي بعملة الصرع في يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد ، ودفن بدار الملك بها ، ثم نقل إلى الكوفة ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى .

والبيارستان العضدي ببغداد منسوب إليه ، وهو في الجانب الغربي ، وغرم عليه مالا عظيماً ، وليس في الدنيا مثل ترتيبه ، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين

١ س ل : فقصده .

٢ بينهما : سقطت من س ل ن لي .

٣ اليتيمة ٢ : ٢١٨ .

وثلاثمائة ، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه .
وهو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة^١ ، وبنى عليه
المشهد الذي هناك ، وغرم عليه شيئاً كثيراً ، وأوصى بدفنه فيه ، وللناس في
هذا القبر اختلاف كثير ، حتى قيل إنه قبر المعيرة بن شعبة الثقفي ، فإن علياً
رضي الله عنه لا يعرف قبره ، وأصح ما قيل فيه : إنه مدفون بقصر الامارة
بالكوفة^١ ، والله أعلم .

وَفَتَاخُسْرُو : بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة
وسين ساكنة وبعدها راء مضمومة ثم واو .

وَشَعْبُ بَوَّانٍ : بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء
موحدة ، ثم باء ثانية مفتوحة بعدها واو مشددة وبعد الألف نون ، وهو موضع
عند شيراز كثير الأشجار والمياه [وهو منسوب إلى بَوَّان بن إيران بن الأسود
ابن سام بن نوح عليه السلام]^٢ قال أبو بكر الخوارزمي : مستنزهات الدنيا
أربعة مواضع : غُوطة دمشق ونهر الابلية وشعب بَوَّان وصفد سمرقند ،
وأحسنها غوطة دمشق ، والله أعلم .

١ بالكوفة : سقطت من ر .

٢ انفردت به ر .



حَرْفُ الْقَافِ

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ونسبه معروف فلا حاجة إلى رَفْعِهِ؛ كان من سادات التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وقد تقدم ذكر ستة منهم، وكان من أفضل أهل زمانه، روى عن جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم، وروى عنه جماعة من كبار التابعين.

قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً نفضله على القاسم بن محمد. وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة. وقال محمد بن إسحاق: جاء رجل إلى القاسم بن محمد فقال: أنت أعلم أم سالم، فقال: ذاك مبارك سالم؛ قال ابن إسحاق: كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب، أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه، وكان القاسم أعلمهما. وكان القاسم بن محمد يقول في سجوده: اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان.

وقد تقدم في ترجمة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنها أنها كانت ابنتي خالة، وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس، وكذلك زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر، والقصة مستوفاة هناك. وتوفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وقيل سنة ثمان، وقيل اثنتي عشرة ومائة بقُدَيْد، فقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وإزارتي

٥٣٣ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ١٨٧ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ وحلية الأولياء ٢ : ١٨٣ وصفة الصفوة ٢ : ٤٩ ونكت الهميان : ٢٣٠ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٣٣ والشذرات ١ : ١٣٥؛ وهذه الترجمة في م تقع في ثلاثة أسطر، وهي شديدة الإيجاز في المختار أيضاً.
١ ر : ترجمة الإمام .

وردائي ، فقال ابنه : يا أبت ألا تزيد ثوبين^١ ، فقال : هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب ، والحلي أحوج إلى الجديد من الميت ، وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة ، رضي الله عنه .

وقُدَيْدٌ : بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو منزل بين مكة والمدينة .

٥٣٤

أبو عبيد القاسم بن سلام

أبو عبيد القاسم بن سلام ، بتشديد اللام ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة^٢ ، واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه ، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع .

وقال القاضي أحمد بن كامل : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه ، ربانياً متفناً في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل ، ولا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه^٣ .

١ س : ثوبين هناك .

٥٣٤ - ترجمته في الفهرست : ٧٠ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ وطبقات الزبيدي : ٢١٧ ومراتب النحويين : ٩٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٦ والتهذيب للأزهري ١ : ٢١ وإنباه الرواة ٣ : ١٢ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٥٤ وطبقات الحنابلة ١ : ٢٥٩ وتذكرة الحفاظ : ٤١٧ وعبر الذهبي ١ : ٣٩٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٣٧١ وطبقات السبكي ١ : ٢٧٠ وغاية النهاية ٢ : ١٧٠ وبقية الوعاة : ٣٧٦ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٤١ والشذرات ٢ : ٥٤ وانظر مقدمة كتاب الأجناس تحقيق امتياز علي عرشي (بمبي ١٩٣٨) .

٢ ر : متسماً .

٣ ر ل ي : أمره ودينه .

قال إبراهيم الحربي : كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يُحسِن كل شيء . وولي القضاء بمدينة طَرَسُوسَ ثمانى عشرة سنة ، وروى عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي والكسائي والفراء وجماعة كثيرة غيرهم ، وروى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن الكريم والحديث وغريبه ولفقه وله « الغريب المصنف » و « الأمثال » و « معاني الشعر » وغير ذلك من الكتب النافعة .

ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث . وانقطع إلى عبد الله بن طاهر مدة ، ولما وضع كتاب « الغريب » عرضه على عبد الله بن طاهر ، فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يُخَوَّجَ إلى طلب المعاش ، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب السمرى : سمعت أبا عبيد يقول : كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً منى بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئني فيقيم أربعة خمسة أشهر فيقول : قد أقيمت كثيراً .

وقال الهلال بن العلاء الرقي : مَنْ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم : بالشافعي تفقه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ولولا ذلك لكفر الناس ، وببيحيى بن مَعِين نَفَى الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسر غريب الحديث ولولا ذلك لاقتحم الناس الخطأ .

وقال أبو بكر ابن الأنباري : كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب ثلثه . وقال إسحاق بن راهويه : أبو عبيد أوسعنا علماً وأكثرنا أدباً وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا . وقال ثعلب : لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً .

وكان يخبض بالحناء ، أحمر الرأس واللحية ، وكان له وقار وهيبة . وقدم بغداد فسمع الناس منه كتبه . ثم حج وتوفي بمكة ، وقيل بالمدينة بعد الفراغ

من الحج ، سنة اثنتين او ثلاث وعشرين ومائتين ، وقال البخاري : سنة أربع وعشرين ، وزاد غيره : في المحرم ، وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : بلغني أنه عاش سبعمائة وستين سنة . وذكر الحافظ ابن الجوزي أن مولده سنة خمسين ومائة . وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب « التقرّيز »^١ : إن مولده سنة أربع وخمسين ومائة . وذكر أن أبا عبيد لما قضى حجه وعزم على الانصراف واكثرى إلى العراق ، رأى في الليلة التي عزم على الخروج^٢ في صبيحتها النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو جالس وعلى رأسه قوم يحبونه وناس يدخلون فيسلمون عليه ويصافحونه ، قال : فكلمنا دنوت لأدخل مُبِعْت ، فقلت لهم : لم لا تخلّثون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق ، فقلت لهم : إني لا أخرج إذاً ، فأخذوا عهدي ، ثم خلّثوا بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت وسلمت عليه وصافحني ، فأصبحت ففسخت الكراء وسكنت بمكة ، ولم يزل بها إلى الوفاة^٣ ، ودفن في دور^٤ جعفر ، وقيل إنه رأى المنام بالمدينة ومات بها بعد رحيل الناس عنها بثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى ، ومولده بهراة^٥ .

وطرَسوس : بفتح الطاء المهملة والراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها سين ثانية ، وهي مدينة بساحل الشام عند السيس والمصيصة بناها المهدي ابن المنصور أبي جعفر في سنة ثمان وستين ومائة ، على ما حكاه ابن الجزار في تاريخه .

ومن تصانيفه أيضاً « المقصور والمدود » و « القراءات » و « المذكر

١ ذكره ابن خبير في فهرسته : ٣٥١ باسم كتاب رسالة التقرّيز ، وقد روى الكتاب عن مؤلفه عبادة بن ماء السماء الشاعر الأندلسي ؛ وهذا النص الذي ذكره المؤلف موجود أيضاً في

طبقات الزبيدي : ٢١٩ .

٢ ر : على الانصراف والخروج .

٣ ن : إلى أن توفي ؛ المختار : إلى المات .

٤ لي : بدور .

٥ هنا تنتهي الترجمة في المختار .

والمؤنث ، وكتاب « النسب » وكتاب « الأحداث » و« أدب القاضي » و« عدد آي القرآن » و« الأيمان والندور » و« الحيض » وكتاب « الأموال » وغير ذلك ، رحمه الله تعالى .

٥٣٥

الحريري صاحب المقامات

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرّامي صاحب المقامات ؛ كان أحد أئمة عصره ، وورث الحظوة التامة في عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب : من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، ومن عرّفها حق معرفتها استدلت بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته ، وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طميرين عليه أهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة ، فسألته الجماعة : من أين الشيخ ؟ فقال : من سرّوج ، فاستخبروه عن كنيته فقال : أبو زيد ، فعملت أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبي زيد

٥٣٥ - ترجمته في المنتظم ٩ : ٢٤١ وانباء الرواة ٣ : ٢٣ ونزهة الألباء : ١٦٢ واللباب : (الحريري) ومراة الزمان : ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٦١ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٥ وعبر الذهبي : ٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٢٥ والشذرات ٤ : ٥٠٠ وخزانة الأدب ٣ : ١١٧ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٧٢ وبنية الوعاة : ٣٧٨ وشرح الشريشي ١ : ٣ ، وقد أوردت م جزءاً من هذه الترجمة ثم سقط سائرهما كما سقطت تراجم كثيرة بعدها لضياح أوراق من المخطوطة .

١ ر : وضعها .

٢ ن : فوضع المقامات وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ . . . الخ .

المذكور ، واشتهرت فبلغ خبرها الوزير^١ شرف الدين أبا نصر^٢ أنوشروان ابن خالد بن محمد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار علي والدي أن يضم إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة^٣ ، وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : « فأشار مَنْ إشارته حكم ، وطاعته غم ، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع ، هكذا وجدته في عدة قوارينغ ، ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمسين^٤ وستائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب بخطه أيضاً على ظهرها : إنه صنفاً للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي المز علي بن صدقة وزير المسترشد أيضاً ، ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف ، وتوفي الوزير المذكور في رجب سنة اثنين وعشرين وخمسمائة ، فهذا كان مستنده في نسبتها إلى أبي زيد السروجي .

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماه « إنباه الرواة على أنباه النحاة »^٥ أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سار ، وكان بصرياً نحويّاً لغويّاً ، صحب الحريري المذكور ، واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به ، وروى عنه القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المتدائي الواسطي « ملححة الأعراب » للحريري ، وذكر أنه سمعها منه عن الحريري وقال : قدم علينا واسط في سنة ثمان

١ ر ن : إلى الوزير .

٢ ن : أبي نصر ؛ وسقطت من ر .

٣ مقامة : سقطت من ر .

٤ ر : ست وسبعين .

٥ إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦ (ترجمة المطهر بن سار) قلت : وقد اضطرب اسم كتاب القفطي في بعض النسخ ، فهو في ر : إنباه الرواة على أبواب النحاة ؛ وفي لي : اثبات الرواة على اثبات النحاة .

٦ ل لي بر : بصيراً ، ن : تصيراً .

وثلاثين وخمسة ، فسمعتها^١ منه ، وتوجه منها مصعداً إلى بغداد فوصلها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بها ، رحمه الله تعالى [وكذا ذكره السمعاني في «الذيل» والعماد في «الخريدة» وقال : لقبه فخر الدين ، وتولى صدرية المشان ، ومات بها بعد سنة أربعين وخمسة^٢].

وأما تسمية الراوي لها بالحارث بن همام فإنما عني به نفسه ، هكذا وقفت عليه في بعض شروح المقامات ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم «كلم حارث وكلكم همام» فالحارث الكاسب ، والهمام الكثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام ، لأن كل واحد كاسب ومهم بأموره .

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير : فمنهم من طوّل ، ومنهم من اختصر^٣ .
ورأيت في بعض الجمايع أن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد وادعاها ، فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عيّننا ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر - المقدم ذكره - فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد ابن أفلح ، وقيل إن هذين البيتين لأبي محمد ابن أحمد المعروف بابن جكيننا الحريري البغدادي الشاعر المشهور^٤ :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتَفُ عُنُونَهُ مِنَ الْهَوَسِ
أَنْطَقَهُ اللهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيوانِ بِالْخَرَسِ

١ ر بر : فسمعنا منه ، وكذلك عند القفطي .

٢ انفردت به ر .

٣ ن : قصر .

٤ وقيل . . . المشهور : وقع هذا بعد البيتين في س .

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفَرَس ، وكان مولماً بنتف لحيته عند
 الفكرة ، وكان يسكن في مَشَان البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات
 أخر وسيّرهن^١ ، واعتذر من عيه وحصره في الديوان^٢ بما لحقه من المهابة .
 وللحريري تواليف حسان منها « درة الغواص في أوهام^٣ الخواص » ومنها
 « ملحّة الاعراب » المنظومة في النحو ، وله أيضاً شرحها ، وله ديوان رسائل
 وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات ، فمن ذلك قوله وهو معنى حسن :

قال العواذلُ ما هذا الغرام به أما ترى الشّعْرَ في خديه قد نَبَتَا
 فقلتُ والله لو أن المفنّدَ لي تأمل الرشد في عينيه ما ثبَتَا
 ومن أقام بأرضٍ وهي مُجْدِبَةٌ فكيف يرحل عنها والربيع أتى
 وذكر له العماد الكاتب في « الخريدة » :

كم ظباءٍ بجاجر فتنتُ بالمحاجرِ
 ونفوسٍ نفائسٍ خدرت بالخادرِ
 وتثنَّ خاطرٍ هاج وجرأً لخطاري
 وعذارٍ لأجله عاذلي عادَ عاذري
 وشجونٍ تضافرتُ عند كشفِ الضفائرِ

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً .
 ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر ، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ
 عنه شيئاً ، فلما رآه استزرى شكله^٣ ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس منه
 أن يبلي عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أول سارٍ غرّه قمرٌ ورائدٍ أعجبتَه^٤ خضرة الدمنِ

١ بر : بالديوان . ٢ ن : درة الغواص وإفهام .

٣ ل : بشكله . ٤ لي : خدعته .

فاختره لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيني فاسمع بي ولا تترني

فخجل الرجل منه وانصرف^٢.

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفي سنة ست عشرة ، وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة ، في سكة بني حرام [وخلف ولدين ، وقال أبو منصور الجواليقي : أجازني المقامات نجم الدين عبد الله وقاضي قضاة البصرة ضياء الإسلام عبيد الله عن أبيها منشئها]^٣.

ونسبته بالحرّامي إلى هذه السكة ، رحمه الله تعالى ، وهي بفتح الحاء المهملة والراء وبعدها ألف بعده ميم ، وبنو حرام : قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت إليهم .

والحريري : نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه .

والمشّان : بفتح الميم والشين المعجمة وبعده الألف نون ، بليدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخّم ، وكان أصل الحريري منها ، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوي اليسار .

(150) والوزير أبو شروان المذكور ، كان نبيلاً فاضلاً جليل القدر ، له تاريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور » ونقل منه العماد الأصبهاني في كتاب « نصره الفترة وعصره الفطرة » الذي ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلاً كثيراً ، وتوفي الوزير المذكور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(151) وأما ابن المندائي المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الواسطي ، المعروف بابن المندائي ، وقد أخذ عنه جماعة من الأعيان كالحافظ أبي بكر الحازمي^٥ وغيره ، وكانت

١ لي : شبه .

٢ ر بر : وانصرف عنه .

٣ انفردت به ر .

٤ انظر المنتظم ١٠ : ٧٧ والبداية والنهاية ١٢ : ١٩٢ ، والشذرات ٤ : ١٠١ .

٥ زاد في ر بر : المقدم ذكره .

ولادته في شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسة بواسط ، وتوفي بها في الثامن من شعبان سنة خمس وستائة ، رحمه الله تعالى .

والمُتَدَايِي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة .
والمُعَيْدِي : بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة مكسورة وياء مشددة ، وقد جاء في المثل « تسمع بالمعيدي لا أن تراه » وجاء أيضاً « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » وقال المفضل الضبي^٢ : أول من تكلم به المنذر بن ماء السماء ، قاله لشقة بن ضمرة التميمي الدارمي ، وكان قد سمع بذكره ، فلما رآه اقتحمته عينه ، فقال له هذا المثل وسار عنه ، فقال له شقة : أبيت اللعن ! إن الرجال ليسوا يجزُرُ يراد منها الأجسام ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فأعجب المنذر ما رأى من عقله وبيانه . وهذا المثل يضرب لمن له صيت وذكر ولا منظر له ؛ والمعيدي منسوب إلى معدّ ابن عدنان ، وقد نسبوه بعد أن صفروه وخففوا منه الدال .

٥٣٦

القاسم بن الشهرزوري

أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد قاضي الحافقين أبي بكر محمد والمرضى أبي محمد عبد الله وأبي منصور المظفر ، وهو جد بيت الشهرزوري قضاة الشام والموصل والجزيرة ، وكلهم إليه ينتسبون ؛ كان حاكماً بمدينة إربل مدة ومدينة سنجار مدة ، وكان من أولاده وحفدته علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك وتحكّموا وقضوا ونفقت أسواقهم ، خصوصاً حفيده القاضي كمال الدين محمد ومحيي الدين بن كمال الدين - وسيأتي

١ ر بر : لأن تسمع .

٢ أمثال الضبي : ٩ .

ذكرهما إن شاء الله تعالى - وإلى الآن من نسله جماعة من الأعيان والقضاة بالموصل . وقدم بغداد غير مرة ، وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الذيل » ثم ذكره في كتاب « الأنساب » في موضعين : أحدهما في نسبة الإربلي^١ ، وقال : كان منها - يعني إربل - جماعة من العلماء ، منهم أبو أحمد القاسم المذكور ، وقال : إنه شيباني ، والثاني في نسبة الشهرزوري^٢ ، ذكره وذكر ولده قاضي الخافقين المذكور ، وأثنى عليه ، وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل »^٣ وأورد له شعراً ، فمن ذلك قوله :

هتي دونها السها والزباني قد علت جهدها فما تتداني
فأنا مُتَعَبٌ مُعْنَى إلى أن تتفاني الأيام أو تتفاني

ورأيت في كتاب « الذيل » للسمعاني هذين البيتين منسوبين إلى ولده أبي بكر محمد المعروف بقاضي الخافقين^٤ ؛ والله أعلم لمن هما منها .
وتوفي القاسم المذكور سنة تسع وثمانين وأربعمائة بالموصل ، ودفن في التربة المعروفة به الآن المجاورة لمسجد جده أبي الحسن بن فرغان ، رحمه الله تعالى .
وأما ولده المرتضى عبد الله فهو والد القاضي كمال الدين - وقد تقدم ذكره في العبادلة^٥ ، وأوردت قصيدته اللامية المعروفة بالموصلية .

(152) وأما قاضي الخافقين^٦ فقد قال السمعاني : إنه اشتغل بالعلم على أبي إسحاق الشيرازي ، وولي القضاء بعدة بلاد ، ورحل إلى العراق وخراسان والجلال وسمع الحديث الكثير ، وسمع منه السمعاني ، وكانت ولادة قاضي الخافقين بإربل سنة ثلاث ، أو أربع وخمسين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى

١ الأنساب ١ : ١٥٢ .

٢ تاريخ إربل ، الورقة : ٩٣ .

٣ الباب : (الشهرزوري) .

٤ كذلك وردا أيضاً عند الصفدي منسوبين إلى قاضي الخافقين .

٥ انظر ج ٣ : ٤٩ .

٦ ترجمة قاضي الخافقين في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٢ والروافي ٤ : ٣٣٩ وطبقات السبكي

٤ : ٩٥ والمنتظم ١٠ : ١١٢ والشذرات ٤ : ١٢٣ واللباب : (الشهرزوري) .

الآخرة سنة ثمان وثلاثين وخمسة بئفءاء ، وءءفن فف باب أبرز؁ رءه الله ءعالف؁ وإنفا قفل له « قاضف الءافقفل » لكءرة البلاء الءف ولف ففها .

(153) وأما المظفر^٢ فإن السمعافف ذكره أفضاف فف « الءفل » فقالف: ولف بآربل؁ ونشأ بالموصل؁ وورء بئءاء وءفقه بها على الشفء أبل إسءاق الشفرافف؁ ورجع إلى الموصل؁ ثم ولف قضاة سئءار على كبر سنه وسكنها؁ وكان قد أضر . ثم قال : سألته عن مولده فقالف : ولفء فف ءمافف الآءرة - أو رءب - سنة سبع وءمسفل وأربعمائة بآربل؁ ولم فذكر وفاته .

والشهرزورف : بفتح الشفل المعءمة وسكون الهاء وضم الراء والزاف وسكون الواو وبعءها راء؁ هءه النسبة إلى شهرزور؁ وهف بلة كبفرة معءوءة من أعمال إربل؁ بناها زور بن الضءاك؁ وهف لفظة عءمفة معناها بالعربف بلة زور؁ وماء بها الإسكندر ذو القرنفل عئء عوءه من بلاد المشرق؁ وءكى لى بعض أهلها وقد سألته عن قبره فقالف : هناك قبر فعرف بقبر إسكندر؁ ولا فعرف أهلها من هو؁ وهف مءفنة قءفمة؁ وءكى الءطفب فف « ءارفء بئءاء » أن الإسكندر ءعل المءائف ءار إقامته؁ أعنف مءائف كسرف؁ ولم فزل بها إلى أن ءوفف هناك؁ وءمل ءابوئه إلى الإسكندرفة لأن أمه كانت مقفمة هناك؁ وءفن عئءها؁ والله أعلم .

الشيخ الشاطبي

أبو محمد القاسم بن فيثره بن أبي القاسم خلف بن أحمد ، الرُّعَيْنِيُّ الشَّاطِبِيُّ الضَّرِيرُ المَقْرِيُّ صاحب القصيدة التي سماها « حرز الأمانى ووجه التهاني » في القراءات، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم ، فقلَّ من يشتغل بالقراءات إلا ويُقدِّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها ؛ وقد روي عنه أنه كان يقول : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله عز وجل بها ، لأنني نظمتها لله تعالى مخلصاً في ذلك . ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت من حفظها أحاط علماً بكتاب « التمهيد » لابن عبد البر .

وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً ، ومحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزاً فيه ، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تُصَحِّحَ النسخ من حفظه ، ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها، وكان أوحداً في علم النحو واللغة ، عارفاً بعلم الرؤيا ، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل . [وقرأ القرآن الكريم بالروايات على أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي المقرئ وأبي الحسن علي بن محمد بن هذيل الأندلسي، وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجي وأبي الحسن ابن هذيل والحافظ أبي الحسن ابن النعمة وغيرهم] وانفع

٥٣٧ - ترجمته في التكملة (رقم : ١٩٧٣) والذيل والتكملة ٥ : ٥٤٨ وغاية النهاية ٢ : ٢٠
 (نقلا عن رحلة ابن رشيد) والديباج المذهب : ٢٢٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٩٣ ونكت
 الحميان : ٢٢٨ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٧ والشذرات ٤ : ٣٠١ وبنية الوعاة : ٣٧٩
 والنفع ٢ : ٢٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٧٣ .
 ١ انفردت به ر .

به خلق كثير ، وأدركت من أصحابه جمعاً كثيراً بالديار المصرية .
 وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه
 ضرورة ، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة ،
 وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه ، وإذا سئل عن حاله قال :
 العافية ، لا يزيد على ذلك . أنشدني بعض أصحابه قال : كان الشيخ كثيراً ما
 ينشد هذا اللغز ، وهو في نعش الموتى فقلت له : فهل هو له ؟ فقال : لا أعلم ،
 ثم إني وجدته بعد ذلك في ديوان الخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي
 - وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهو :

أتعرفُ شيئاً في السماء يطيرُ إذا سار صاح الناسُ حيث يسيرُ
 فتلقاه مراكباً وتلقاه راكباً وكل أمير يعتليه أسير
 يحض على التقوى ويكره قربه وتنفر منه النفسُ وهو نذير
 ولم يستر عن رغبة في زيارة ولكن على رغم المزور يزور

وكانت ولادته في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسة ، وخطب ببلده على فتاء
 سنه ، ودخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسة . وكان يقول عند دخوله إليها :
 إنه يحفظ وقرّ بعيرٍ من العلوم ، بحيث لو نزل عليه ورقة أخرى لما احتملها ،
 وكان نزيل القاضي الفاضل ، ورتبه بمدرسته بالقاهرة متصديراً لإقراء القرآن
 الكريم وقراءاته والنحو واللغة . وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر ، الثامن
 والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسة . ودفن يوم الاثنين في تربة
 القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى ، وزرت قبره مراراً ، رحمه الله تعالى ؛ وصلى
 عليه الخطيب أبو إسحاق العراقي - المقدم ذكره - خطيب جامع مصر .

وفيه : بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضمها ،
 وهو بلغة اللطيني من أعاجم الأندلس ومعناه بالعربي : الحديد .

والرُعَيْنِي : بضم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها
 نون ، هذه النسبة إلى ذي رُعَيْنٍ ، وهو أحد أقبال اليمن ، نُسب إليه
 خلق كثير .

والشاطبي : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مكسورة مهملة وبعدها باء
 موحدة ، هذه النسبة إلى شاطبة^١ ، وهي مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق
 الأندلس ، خرج منها جماعة من العلماء ، استولى عليها الفرنج في العشر الأخير
 من شهر رمضان ، سنة خمس وأربعين وستائة .
 وقيل إن اسم الشيخ المذكور أبو القاسم ، وكنيته اسمه ، لكن وجدت في
 إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم كما ذكرته هاهنا .

٥٣٨

أبو دلف العجلي

أبو دُلْف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ^٢ بن معاوية
 ابن خزاعي بن عبد العزى بن دُلْف بن جَسْم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم
 ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن
 جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، العجلي ، أحد قواد المأمون
 ثم المعتصم من بعده - وقد تقدم ذكره في ترجمة علي بن جبلة العكوك^٣ ،
 وبعض مديح العكوك فيه ، وتقدم أيضاً في ترجمة أبي مسلم الخراساني أنه كان
 تربية جده المذكور ، وتقدم ذكر حفيده الأمير أبي نصر علي بن مأكولا ،
 صاحب كتاب «الإكمال»^٣ - .

١ شاطبة (Sativa) : كانت تعد من عمل بلنسية ولها حصن منيع ، ويحترق بطاحها واد عليه
 بساتين جميلة (انظر العذري : ١٨ - ١٩) .

٥٣٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ والفهرست : ١١٦ ومروج الذهب ٤ : ٥ ، ٦٢
 ومعجم المرزباني : ٢١٦ والأغاني ٨ : ٢٤٦ ووسط اللآلي : ٣٣١ وتاريخ ابن الأثير (ج : ٦)
 واللباب : (العجلي) وعبر الذهبي ١ : ٣٩٤ والشذرات ٢ : ٥٧ ، وقد ورد النسب كاملاً
 في ر وحدها .

٢ س لي ن : بن شيخ بن عمير . ٣ انظر ج ٣ : ٣٥٠ ، ١٤٥ ، ٣٠٥ .

وكان أبو دلف المذكور كريماً سرياً جواداً ممدحاً شجاعاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، وله صنعة في الغناء ، وله من الكتب كتاب « البزاة والصيد » وكتاب « السلاح » وكتاب « النزاهة »^١ وكتاب « سياسة الملوك » وغير ذلك .
ولقد مدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح ، وكذلك بكر بن النطاح ، وفيه يقول :

يا طالباً للكيمياء وعلمه مَدَحُ ابنِ عيسى الكيمياءَ الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلا درهمٌ ومدحتُه لأناكَ ذاكَ الدرهمُ

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم ، فأغفله قليلاً ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في^٢ نهر الأبلّة ، فأنشده :

بك ابتمتُ في نهر الأبلّةِ قريةً عليها قُصَيْرٌ بالرّخامِ مَشِيدُ
إلى جنبها أختٌ لها يعرضونها وعندك مالٌ للبهاتِ عَتِيدُ

فقال له : كم ثمن هذه الأخت^٣ ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فدفعها له ثم قال له : تعلم أن نهر الأبلّة عظيم وفيه قرى كثيرة ، وكل أخت إلى جانبها أخرى ، وإن فتحت هذا الباب اتسع عليّ الخرق ، فاقنع بهذه ونصطلح عليها ، فدعا له وانصرف .

وقد ألم أبو بكر محمد بن هاشم ، أحد الخالدين ، بمعنى قول بكر بن النطاح المذكور في البيتين الأولين ، فقال :

وتيقنّ الشعراء أن رجاءهم في مأمن بك من وقوع اليأس
ما صحّ علم الكيمياء لغيرهم فيمن عرفنا من جميع الناس

١ س : النزاهة . ٢ بر : عند .

٣ ر : فقال : وكم ثمن أختها هذه .

٤ ر : جنبها .

تعطيهم الأموال في بَدْرٍ إذا حملوا الكلام إليك في قرطاس

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عملاً ، فظمن فارساً
فنفذت الطعنة إلى أن وصلت إلى فارس آخر وراه رديفه ، فنفذ فيه السنان
فقتلها ، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح المذكور :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلاً
لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميل إذا نظّم الفوارس ميلاً

وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن^٢ صالح مولى بني هاشم ، أسود مشوه
الخلق ، وكان فقيراً ، فقالت له امرأته : يا هذا ، إن الأدب أراه قد سقط
نجمه وطاش سهمه ، فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك ، وادخل مع الناس
في غزواتهم ، عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً ، فأنشد :

ما لي وما لك قد كلّفني شططاً حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلّتي رجلاً أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التلف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها بارز الكف
ظننت أن نزال القرن من خلقي^٣ أو أن قلبي في جنبتي أبي دلف

فبلغ خبره أبا دلف ، فوجه إليه ألف دينار . وكان أبو دلف لكثرة عطائه
قد ركبته الديون ، واشتهر ذلك عنه ، فدخل عليه بعضهم وأنشده :

أيا ربّ المنائح والعطايا ويا طلقّ الهيّا واليدين
لقد خبرت أن عليك ديناً فزد في رقم دينك واقض ديني^٤

١ ن لي بر : وكان أبو دلف قد شهد مصافاً .

٢ فنن : سقط من ن ؛ بر : أبو عبيد أحمد . . .

٣ تاريخ بغداد : أم هل حسبت سواد الليل شجمني .

٤ فدخل . . . ديني : سقط من ل .

فوصله وقضى دينه . ودخل عليه بعضُ الشعراء فأنشده :

الله أجزى من الأرزاق أكثرها على يدك تعلم يا أبا دلف
ما خط « لا » كتابه في صحيفته كما تخطط « لا » في سائر الصحف
بارى الرياح فأعطى وهي جارية حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

ومدائحه كثيرة . وله أيضاً أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها .

وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج وأتمها هو ، وكان بها أهله وعشيرته وأولاده ، وكان قد مدحه وهو بها بعضُ الشعراء ، فلم يحصل له منه ما في نفسه ، فانفصل عنه وهو يقول - وهذا الشاعر هو منصور بن باذان ، وقيل هو بكر بن النطاح والله أعلم - :

دعيني أجوب الأرض في فلتواتها فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم
وهذا مثل قول بعضهم ، ولا أدري أيها أخذ من الآخر :

فإن رجعت^١ إلى الإحسان فهو لكم عبد كما كان ، مطواع^٢ ومذعان
وإن أبيت^٣ فأرض الله واسعة لا الناس أتم ولا الدنيا خراسان

ثم وجدت هذين البيتين قد ذكرهما السمعاني في كتاب « الذيل » ، في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن علي البلخي ، فقال : أنشدني القاضي علي بن محمد البلخي بدورق متمثلاً للأمير أبي الحسن علي بن المنتجب ، ولعله سمع منه ، وأنشد البيتين^٣ .

وروي أن الأمير علي بن عيسى بن ماهان صنع مآدبة لما قدم أبو دلف من

١ لي : رحلت .

٢ س : إن تكرموني فإني غرس نعمتكم ، مهما حبيت نمطواع ، وذكر في الهامش الرواية التي أثبتت هنا .

٣ ثم وجدت . . . البيتين : سقط من س والمختار .

الكَرَجِ ودعاه إليها ، وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال ، فجاء بعض الشعراء ليدخل دار عليّ بن عيسى فمنعه البواب ، فتمرض الشاعر لأبي دلف وقد قصد دار علي بن عيسى ، وببده جزازة فناوله إياها ، فإذا فيها مكتوب :

قَلْ لَهُ إِنْ لَقَيْتَهُ مَتَّانٌ بِيلاً وَهَجْجٌ
جِئْتَ فِي أَلْفِ فَارِسٍ لِفِدَاءِ مِينِ الْكَرَجِ
مَا عَلَى النَّاسِ بَعْدَهَا فِي الدُّنْيَاتِ مِنْ حَرَجِ

فرجع أبو دلف ، وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل شيئاً من الطعام ، ورأيت في بعض الجماهير أن هذا الشاعر هو عباد بن الحرير ، وكانت المأدبة ببغداد .

ورأيت في بعض الجماهير أيضاً أن أبا دلف لما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه ، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام ، فقال حاجبه : مَنْ بالبواب من المحاويج ؟ فقال : عشرة من الأشراف ، وقد وصلوا من خراسان ، ولهم بالبواب عدة أيام لم يجدوا طريقاً ، فقعده على فراشه واستدعاهم ، فلما دخلوا رَحَّبَ بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم ، فقالوا : ضاقت بنا الأحوال ، وسمعنا بكرمك فقصدناك ، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق ، وأخرج منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار ، ودفع لكل واحد منهم كيسين ، ثم أعطى كل واحد مؤونة طريقه ، وقال لهم : لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم ، واصرفوا هذا في مصالح الطريق . ثم قال : ليكتب لي كل واحد منكم خطه : أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ليكتب : يا رسول الله إني وجدت إضافةً وسوء حال في بلدي وقصدتُ أبا دلف العجلي ، فأعطاني ألفي دينار كرامة لك ، وطلباً لمرضاتك ، ورجاء لشفاعتك ، فكتب كل واحد منهم ذلك ، وتسلم الأوراق . وأوصى من

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٣٢١ ؛ وهذا الخبر سقط من بر ل س لي .

يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كَفَنِهِ ، حتى يلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضها عليه .

ومع هذا فقد حكي أنه قال يوماً : من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زنا ، فقال له ولده : إني لست على مذهبك ، فقال له أبوه : لما وطئت أمك وعلقت بك ما كنت بعدُ قد استبرأتها ، فهذا من ذاك ، والله أعلم .

ومع هذا فقد حكي جماعة من أرباب التواريخ أن دُلفَ بن أبي دُلفَ قال : رأيت في المنام آتياً أتاني فقال لي : أجب الأمير ، فقامت معه ، فأدخلني داراً وحشةً وعرةً سوداء الحيطان مقلعة السقوف والأبواب وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا بأبي وهو عريان واضح رأسه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دلف ؟ قلت : دلف : فأنشأ يقول :

أبْلَغَنُ أَهْلَنَا وَلَا تُخَفِ عَنْهُمْ مَا لَقِينَا فِي الْبَرْزَخِ الْخَنَاقِ
قَدْ سَأَلْنَا عَنْ كُلِّ مَا قَدْ فَعَلْنَا فَارْحَمُوا وَخَشَيْتِي وَمَا قَدْ أَلَاقِي

ثم قال : فهمت ؟ قلت : نعم ، ثم أنشد^١ :

فَلَوْ كُنَّا إِذَا مَتْنَا تُرْكُنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مَتْنَا بُعُنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت .

وكانت وفاته سنة ست وعشرين ، وقيل خمس وعشرين ومائتين^٢ ببغداد ، رحمه الله تعالى .

ودُلفُ : بضم الدال المهملة وفتح اللام وبعدها فاء ، وهو اسم علم لا ينصرف ، لاجتماع العلمية والعدل ، فإنه معدول عن دالف .

١ ر : أهل .

٢ فأنشأ يقول . . . ثم أنشد : سقط من ن .

٣ وقيل . . . ومائتين : سقط من ن ر .

والمجلى : قد تقدم الكلام عليه .
 والأبْلَةُ : بضم الهمزة والباء الموحدة واللام المشددة المفتوحة وبعدها هاء ساكنة ، وهي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة ، وهي اليوم من البصرة ، وهي من جنان الدنيا ، وإحدى المستنزهات الأربع ، وقد سبق ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بُوَيه مع شعب بَوَّان وغيره .
 والكِرَج : بفتح الكاف والراء وبعدها جيم ، وهي مدينة بالجبل^١ ، بين^٢ أصبهان وهمدان .
 والجبل : إقليم كبير بين بلاد العراق وخراسان ، والعامّة تسميه عراق المعجم ، وفيه مدن كبار منها : همدان وأصبهان والري وزنجان ، وغير ذلك .

٥٣٩

شمس المعالي قابوس

الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي ، أمير جُرْجَان وبلاد الجبل وطبرستان .
 قال الثعالي في « اليتيمة »^٣ : أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله سبحانه له إلى عزة العلم بسطة القلم ، وإلى فصل الحكمة فصل الحكم . ثم قال : ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر قوله :

١ لي ن بر : بالجبال .

٢ ر س : من .

٥٣٩ - أعبارُه في صفحات متفرقة من ذيل تجارب الأمم وابن الأثير (ج ٨ ، ٩) وتاريخ ابن العربي ، وانظر المنتظم ٧ : ٢٦٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢١٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٣ ، وكتبته في بر : أبو الحسين ، ر : أبو الخير ؛ والترجمة شديدة الإيجاز في المختار .
 ٣ اليتيمة ٤ : ٥٩ .

قل للذي بصُرُوف الدهرِ عَيَّرَنَا هل حاربَ الدهرُ إلا من له خَطَرُ
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جيفٌ وتستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ومَسْنَا من تمادي بؤسه ضرر
ففي السماء نجومٌ ما لها عددٌ وليس يكسف إلا الشمس والقمر
وينسب إليه أيضاً :

خطراتُ ذكرك تستثيرُ مودتي فأحس منها في الفؤاد ديبيا
لا عضو لي إلا وفيه صباية فكان أعضائي خُلِقن قلوبا
وذكر له جملة من النثر أيضاً .

وكان خطه في نهاية الحسن . وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطه قال :
هذا خط قابوس ، أم جناح طاووس ، وينشد قول المتنبي :

في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقداء

وكان الأمير المذكور صاحب جرجان وتلك البلاد ، وكانت من قبَله لأبيه .
وكانت وفاة أبيه في المحرم سنة سبع وثلاثين وثلثمائة يجرجان ، ثم انتقلت مملكة
جرجان عنهم إلى غيرهم ، وشرح ذلك يطول . ومَلِكها قابوس المذكور في
شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وكانت المملكة قد انتقلت إلى أبيه من أخيه
مرداويج بن زيار بن وردانشاه الجيلي ، وكان ملكاً جليل القدر بعيد الهمة . وكان
عماد الدولة أبو الحسن علي بن بُويه - المقدم ذكره^٢ - من أحد أتباعه ومقدمي
أمرائه ، وبسببه ترقى إلى درجة الملك ، وشرح حديثه يطول ، وهو أول من
ملك من بني بويه ، وهو أكبر الإخوة - وقد سبق ذكر ذلك كله .
وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها ، غير أنه كان ، على ما خص به من

١ ديوانه : ١١٦ .

٢ انظر ج ٣ : ٣٩٩

المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرّ السياسة ، لا يُساغ كأسه ، ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه ، يقابل زلة القدم ، بإراقة الدم ، لا يذكر العفو عند الغضب ؛ فما زال على هذا الخلق حتى استوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب عنه ، فأجمع أعيان عسكره على خلكه ونزع الأيدي عن طاعته ، فوافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان إلى المسكرا ببعض القلاع ، فلم يشعر بهذا التدبير لذلك ولم يحسّ بهم إلا وقد قصدوه وأرادوا قبضه ، ونهبوا أمواله وخيله ، فحامي عنه مَنْ كان في صحبته من خواصه ، فرجعوا إلى جرجان وملكوها ، وبعثوا إلى ولده أبي منصور منوهر ، وهو بطبرستان ، يستحثونه على الوصول إليهم لعقد البيعة له ، فأسرع في الحضور ، فلما وصل إليهم أجمعوا على طاعته إن خلع أباه ، فلم يسه في تلك الحال إلا المداراة والإجابة خوفاً على خروج الملّك عن بيتهم .

ولما رأى الأمير قابوس صورة الحال توجّه إلى ناحية بسطام بمن معه من الخواص لينتظر ما يستقر عليه الأمر ، فلما سمع الخارجون عليه انخيازه إلى تلك الجهة حملوا ولده منوهر على قصده وإزعاجه من مكانه ، فسار معهم مضطراً ، فلما وصل إلى أبيه اجتمع به وتباكيا وتشاكيا ، وعرض الولد نفسه أن يكون حجاباً بينه وبين أعاديه ، ولو ذهبت نفسه فيه ، ورأى الوالد أن ذلك لا يجدي ، وأنه أحق بالملك من بعده ، وسلم خاتم المملكة إليه ، واستوصاه خيراً بنفسه ما دام في قيد الحياة ، واتفقا على أن يكون في بعض القلاع إلى أن يأتيه أجله ، فانتقل إلى تلك القلعة . وشرع الولد في الإحسان إلى الجيش ، وهم لا يطمنون خشية قيام الوالد ، ولم يزالوا حتى قتل ، وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بظاهر جرجان ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه لما حبس في القلعة مُنع من الغطاء والدثار ، وكان البرد شديداً فمات من ذلك .

والجيلي : بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، هذه النسبة إلى جيل ، وهو اسم رجل كان أخا ديلم ، وقد نسب إلى كل واحد منهما . وهذه النسبة غير نسبة الجيلي إلى الإقليم الذي وراء طبرستان ، فليعلم ذلك ، فقد يقع

فيه الالتباس ، فلماذا نبهت عليه . وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته .

٥٤٠

مجاهد الدين قايماز الزيني

أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، الملقب بمجاهد الدين الخادم ؛ كان عتيق زين الدين أبي سعيد علي بن بكتكين^١ والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، وهو من أهل سجستان^٢ ، أخذ منها صغيراً ، وكان أبيض اللون ، وكانت مخايل النجابة لائحة عليه ، فقدمه مُعْتَقُهُ وجعله أتابك أولاده ، وفوض إليه أمور إربل في خامس شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية ، وكان كثير الخير والصلاح ، بنى بإربل مدرسة وخانقاه وأكثر وقفها ، ثم انتقل إلى الموصل في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وسكن قلعتها وتولى أمور تدبيرها^٣ وراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه ما لا يبلغ سواه ، وفوض إليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود - المقدم ذكره - صاحب الموصل الحكم في سائر بلاده لما رآه من حسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله ، وكان نائبه وهو السلطان في الحقيقة ، وكان يحمل إليه أكثر أموال إربل ، وأثر بالموصل آثاراً جميلة ، منها أنه بنى بظاهرها جامعاً كبيراً ومدرسة وخانقاه ، والجميع متجاورة ، ووقف أملاكاً كثيرة على خبز

٥٤٠ - أخباره في ذيل الروضتين : ١٤ ومرآة الزمان : ٣٣٨ وأماكن متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج ١١ ، ١٢) والتاريخ الباهر ومفروج الكروب ٢ : ١٥٣ والنجوم الزاهرة

٦ : ١٤٤ .

١ س : بكتكين .

٢ ن ل : سنجار ؛ س : سيختان ؛ المختار : سيختان .

٣ ر : تدبير أمورها ، وما هنا مشبه لما في المختار وسائر النسخ .

الصدقات ، وأنشأ مكتباً للأيتام ، وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه ، ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلي ، ووجد الناس به رفقا كثيراً لعدم كفايتهم بالجسر الأصلي، وله شيء كثير من وجوه البر؛ ومدحه جماعة من الشعراء منهم حَيْصَ بَيْصَ وَسَيْطُ ابن التعاويذي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بقصيدته التي أولها^١ :

عليلُ الشوقِ فيك متى يصحُّ وسكرانٌ مجبُّك كيف يصحُّ
وبين القلب والسُّلوانِ حربٌ وبين الجفن والعَبَراتِ صلحٌ

وهي من قصائده المختارة ، وسيترها إليه من بغداد فأجازه جائزة سنوية ، وسيتر له^٢ معها بغلة ، فوصلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق، فكتب إليه^٣ :

مجاهدَ الدين دُمتَ ذخراً لكل ذي فاقةٍ وكنزاً
بعثتَ لي بغلةً ولكن قد مُسِختَ في الطريق عتازاً

ومدحه بهاء الدين أبو المعالي أسعد بن يحيى السنجاري - المقدم ذكره - بقصيدته المشهورة التي يتغنى بها ، ومن جملتها :

يا قلب تبّاً لك من صاحب كان البلا منك ومن ناظري
لله أيامي على رامّةٍ وطيب أوقاتي على حاجر
تكادُ بالشرعة في مرّها أولها يعثر بالآخر

[وعمل له أبو المعالي أسعد بن علي الحظيري - المقدم ذكره - كتاب « الإعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسم الأمير مجاهد الدين قايماز ، وحمله إليه لما كان بإربيل ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق إلى أهله بالخطيرة فقال :

١ ديوان سبط ابن التعاويذي : ١٠٢ .

٢ ن : وأرسل إليه .

٣ ديوان سبط ابن التعاويذي : ٢٣٦ .

٤ لم يرد في المختار بمد هذا من هذه الترجمة سوى ذكر الوفاة .

ألا من لَصَبٍ قَلِيلِ العَزَاءِ غَرِيبٍ يَجْنُ إلى المَنْزَلِ
يُنَادِي بِإِرْبَلِ أَحْبَابِهِ وَأَنْتِ الحَظِيرَةُ من إِرْبَلِ [

وكان يحب الأدب والشعر ، أنشدني بعض أصحابنا قال : كثيراً ما كان
ينشد أبياتاً من جملتها :

إذا أَدَمَتْ قَوَارِصُكُمْ فَوَادِي صَبْرَتُ عَلِيٍّ إِذَا كَمِ وَاَنْطَوِيَتْ
وَجِئْتُ إِلَيْكُمْ طَلَّقَ الحَيَا كَأَنْتِي مَا سَمِعْتُ وَمَا رَأَيْتُ

[وهذان البيتان من جملة أبيات لأسامة بن منقذ^١ - المقدم ذكره] وقد تقدم
في ترجمة العلم أبي علي الحسن بن سعيد الشافعي ذكر بيتين عملها فيه لما قبض عليه^٢
وبالجملة فأثاره مشهورة .

وكان مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجزري صاحب «جامع
الأصول» كاتباً بين يديه ومنشئاً عنه إلى الملوك ، وكان قد مات الأتابك سيف
الدين وتولى أخوه عز الدين مسعود ، فسعى أهل الفساد إليه في حقه ، وكثر
ذلك منهم فقبض عليه في سنة تسع وثمانين وخمسة ، ثم ظهر له فساد رأيه في
ذلك ، فأطلقه وأعادته إلى ما كان عليه .

واستمر على ذلك إلى أن توفي في منتصف شهر ربيع الأول ، وقيل في سادسه ،
وقال ابن المستوفي في «تاريخ إربل» : في صفر سنة خمس وتسعين وخمسة
بقلعة الموصل . وكان شروعه في عمارة جامع بالموصل في سنة اثنتين وسبعين
 وخمسة ، رحمه الله تعالى .

١ ديوان أسامة : ١١٥ .

٢ وقد تقدم . . . عليه : سقط من س ر ؛ وترجمة الشافعي ٢ : ١١٣ ولم يرد فيها البيتان المشار
إليهما ، ولا وردا في المسودة .

قتادة السدوسي

أبو الخطاب قَتَادَةُ بن دِعَامَةَ بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن سَدُوسٍ ، السَّدُوسِي البصري الأَكَمِي ؛ كان تابعياً وعالمًا كبيراً ، قال أبو عبيدة : ما^٢ كنا نَفْقِدُ في كل يوم رَاكِبًا من ناحية بني أمية يُنْبِخُ على باب قَتَادَةَ فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قَتَادَةُ أجمع الناس . وقال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى : ﴿ وما كنا له مُقْتَرِنِينَ ﴾ (الاسراء : ١٧) فلم يجبني ، فقلت : إني سمعت قَتَادَةَ يقول : مُطْبِقِينَ ، فسكت ، فقلت له : ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال : حَسْبُكَ قَتَادَةُ ، فلولا كلامه في القَدَرِ - وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا » - لما عدلتُ به أحداً من أهل دهره . وقال أبو عمرو : كان قَتَادَةُ من أنسب الناس ، كان قد أدرك دَعْنَفَلًا ، وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد؛ فدخل مسجد البصرة ، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم ، فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي ، فقال : إنما هؤلاء المعتزلة ، ثم قام عنهم ، فمذ يومئذ سموا « المعتزلة » .

وكانت ولادته سنة ستين للهجرة . وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط ،

٥٤١ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٢٩ والمعارف : ٤٦٢ والجرح والتعديل ٢ / ٣ : ١٣٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٥ ومعجم الأدباء ١٧ : ٩ ونكت الهميان : ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ : ١٢٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٣٨٥ وعبر الذهبى ١ : ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٥١ والشذرات ١ : ١٥٣ وانظر جمهرة ابن حزم : ٣١٨ .

١ ر : ابن عمرو بن دعامَةَ بن عمرو بن ربيعة . . . وسقط النسب بعد « دعامَةَ » الأولى في س .

٢ ما : سقطت من ر .

وقيل ثماني عشرة ، رضي الله عنه^١ .

والسُدُوسِي : بفتح السين المهملة وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها سين ثانية ، هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان ، وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء وغيرهم .

(154) ودَعْنَفَل : بفتح الدال المهملة وسكون العين المعجمة وفتح الفاء ثم لام ، هو ابن حَنْظَلَة السُدُوسِي النسابة ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ، وقدم على معاوية ، وكان أنسب العرب ، وقتلته الأزارقة [وقيل إنه غرق بدُجَيْل في وقعة دولاب ، وهو الأصح]^٢ .

٥٤٢

قتيبة بن مسلم

أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عَيْلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي لأنه كان أمير العراقيين ، وكل من كان يليها كانت خراسان مضافة إليه ، وأقام بها ثلاث عشرة سنة^٣ ، وكان من قَبَلْها على الري [وقولى خراسان بعد يزيد

١ بواسطة ... عنه : سقط من س .

٢ زيادة من ر .

٥٤٢ - أخباره في الكتب التاريخية التي تتناول الفتوحات زمن الوليد بن عبد الملك كالتطبري وابن الأثير وابن خلدون ، وانظر معجم المرزباني: ٢١٢ ونوادير المخطوطات ١ : ١٩٣ والمعارف : ٤٠٦ وخزانة الأدب ٣ : ٦٥٧ وصفحات متفرقة من البيان والتبيين وثمار القلوب والكامل للمبرد وعبر الذهبي ١ : ١١٤ والشذرات ١ : ١١١ .

ابن المهلب بن أبي صفرة وفي ترجمة يزيد شرح ذلك^١ وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى ، وقد كانوا كفروا . وكان شهماً مقداماً نجيباً ، وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وهو صاحب الحرون^٢ ، وكان الحرون من الفحول المشاهير يضرب به المثل . ثم فتح قتيبة فرغانة في سنة خمس وتسعين في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك [وقال أهل التاريخ : بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغثل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتنك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة ولا غيره ، حتى إنه فتح بلاد خوارزم وسمرقند في عام واحد ، ولما فتح هاتين المدينتين الجليلتين عادت الشغد وحملت الاتاوة . ودعا قتيبة لما تمت له هذه الأحوال نهار بن تَوْسِيعَة شاعر المهلب بن أبي صفرة وبنيه ، وقال له : أين قولك في المهلب لما مات :

ألا ذهبَ الغزْوُ المُقربُ للغنى ومات الندى والجودُ بعدَ المهلبِ

أفغزَوْهُ هذا يا نهار؟ قال : لا بل هذا حشرٌ . ثم قال نهار وأنا القائل :

ولا كان مُدُّ كُنَّا ولا كان قَبْلُنَا ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
أعم لأهل الترك قَتْلًا بسيفه وأكثرَ فينا مقسمًا بعد مقسم

ثم إنه لما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والقتل والسبي قال : بعثت قتيبة فتى غزّاء فما زدته باعاً إلا زادني ذراعاً^٣ .

فلما مات الوليد في سنة ست وتسعين وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شره ، فخاف منه قتيبة وخلع بيعة سليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف ، فلم يوافق على ذلك أكثر الناس ، وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس [بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك بن

١ انفردت به ر .

٢ انظر أنساب الخليل : ١١٧ - ١٢٧ .

٣ انفردت به ر وكذلك كل ما يرد بين معقنين في هذه الترجمة .

غداة واسم غداة أشرس [وكنية وكيع أبو المطرف الغُداني^١ عن رياسة بني تميم ، فحقد وكيع عليه وسعى في تأليب الجند سرّاً وتقاعد عن قتيبة متارصاً ، ثم خرج عليه وهو بفرغ غانسةً فقتله مع أحد عشر من أهله ، وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة ، وقيل سنة سبع وتسعين . ومولده سنة تسع وأربعين ، وتولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر ، هكذا قال السلامي في « تاريخ ولاية خراسان » وهو خلاف ما قيل أولاً [وقال الطبري : تولى خراسان سنة ست وثمانين] وفي قتله يقول جرير :

ندمت على قتل الأغر ابن مسلم وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
لقد كنتم من غزوه في غنيمة وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغمم
على أنه أفضى إلى حور جنة وتطبت بالبلوى عليكم جهم

[وقتل أبوه مسلم بن عمرو^٢ مع مصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسبعين للهجرة] .

(155) وقتيبة المذكور جد [أبي عمرو] سعيد بن سلم^٣ بن قتيبة بن مسلم ، وكان سعيد المذكور سيداً كبيراً ممدحاً ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعتز يرثيه^٤ :

كم يتم نِعَشْتَهُ بعد يتم وفقير أغنيتَهُ بعد عُدْمِ
كما عَضَّتِ النوائبُ نادى رضي الله عن سعيد بن سلم

وتولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين ، ومن أخباره أنه قال^٥ : لما كنت والياً بأرمينية

١ ل س ن لي بر : عزل وكيع بن أبي سود الغداني .

٢ انظر أخبار مسلم بن عمرو في المعارف : ٤٠٦ وأنساب الخليل : ١١٧ وما بعدها وأماكن متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج : ٤) والكامل ٣ : ٩ والأمال .

٣ وردت بعض أخبار سعيد في المعارف : ٤٠٧ والبيان والتبيين ٢ : ٤٠ ، ٢٥٤ ، وتاريخ ابن الأثير (ج : ٦) .
٤ الكامل ٣ : ٧ .

٥ انظر الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٢٠٠ .

أتاني أبو دهمان الغلابي^١ فقعده على بابي أياماً فلما وصل إليّ جلس قدامي بين الساطين ، وقال : والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يقيم أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطيء العطفة ، إنه والله^٢ ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني ، ولأن أكون مقلداً مقرباً أحب إلي من أن أكون مكثراً مبعداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبته ، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه ، إن هذا الأمر الذي صار في يديك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فتحجب إلى عباد الله بحسن البشر ولين^٣ الحجاب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله^٤ ، وهم شهداء الله على خلقه ، ورقبائوه على من اعوجّ عن سبيله ، والسلام .

ولما مات ولده عمرو بن سعيد المذكور رثاه أبو عمرو أشجع بن عمرو السكلمي الرقي نزيل البصرة الشاعر المشهور بقوله :

مضى ابن سعيد حين لم يبتق مشرق^١ ولا مغرب^٢ إلا له فيه مادح^٣
وما كنت أدري ما فواضل كفه^٤ على الناس حتى غيبتته^٥ الصفائح
وأصبح في لحد من الأرض ضيق^٦ وكانت به حياً تضيق^٧ الصحاح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغيض^٨ فحسبك مني ما تجين^٩ الجوانح
فما أنا من رزء^{١٠} وإن جل جازع^{١١} ولا بسرور بعد موتك فارح^{١٢}
كان لم يمّت^{١٣} حي^{١٤} سواك ولم يقم^{١٥} على أحد^{١٦} إلا عليك النوائح
لئن حسنت^{١٧} فيك المراني وذكرها^{١٨} لقد حسنت^{١٩} من قبل^{٢٠} فيك المدائح

وهذه المرثية من محاسن المراني ، وهي في كتاب « الحماسة »^٥ والبيت الأخير

١ س ن بر : العلابي ؛ وأخبار أبي دهمان في الأغاني ٢٢ : ٢٦٩ .

٢ ل : أما والله .

٣ ن : ويمين ؛ البيان : ولين الجانب .

٤ زاد في ر : ويفضهم موصول بيفضه ، وكذلك ثبت في البيان .

٥ الحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المرزوقي : ٨٥٦) .

منها مثل قول مُطِيع بن إياس في يحيى بن زياد من جملة أبيات :
يا خير من يَحْسُنُ البكاء له الـ يومَ ومن كان أمْسِرَ للصدح

وهذه الأبيات في « الحماسة »^١ في باب المرائي .
وأخباره كثيرة . وقد تقدم الكلام على الباهلي في ترجمة الأصمعي ، وأن هذه
النسبة إلى أي شيء هي ، وكانت العرب تستنكف من الانتساب إلى هذه القبيلة
حتى قال الشاعر :

وما يَنْفَعُ الأصلُ من هائمٍ إذا كانت النفسُ من باهلةٍ
وقال الآخر :

ولو قيلَ للكلبِ يا باهليَّ عَوَى الكلبُ من لؤمِ هذا النسبِ

وقيل لأبي عبيدة : يقال إن الأصمعي دعي في نسبه إلى باهلة ، فقال : هذا
ما يمكن ، فقيل : ولم ؟ فقال : لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها ،
فكيف يحيى من ليس منها وينتسب إليها ؟ ورأيت في بعض المجاميع أن الأشعث
ابن قيس الكندي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتسكافأ دماؤنا ؟ فقال :
« نعم » ، ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به . وقال قتبية بن مسلم المذكور
لهبيرة بن مسروح : أي رجل أنت لو كان أخوالك من غير سكلول ؟ فلو بادلت
بهم ، فقال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت من العرب وجئتني باهلة .
ويحكى أن أعرابياً لقي شخصاً في الطريق فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ،
فرثي له الأعرابي ، فقال ذلك الشخص : وأزيدك أني لست من صميمهم ،
ولكن من مواليهم ، فأقبل الأعرابي عليه يقبل يديه ورجليه ، فقال له :
ولم ذاك ؟ فقال : لأن الله تبارك وتعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا
ويعوضك الجنة في الآخرة . وقيل لبعضهم : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت

١ شرح المرزوقي : ٨٥٣ .

باهلي ؟ فقال : نعم ، بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي ، والأخبار في ذلك كثيرة ، رحمهم الله أجمعين .

وسئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع باهلة وغنيّ عند العرب ، فقال : لقد كان بينها غناء وشرف ، ولم يضعها إلا إشراف أخويها فزارة وذبيان عليها بالمآثر ، فدنوّا^١ بالإضافة إليهما [ذكر ذلك الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص »] وقد تقدم الكلام على قتيبة في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة^٢ .

٥٤٣

بهاء الدين قراقوش

أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي ، الملقب بهاء الدين ؛ كان خادماً صلاح الدين ، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين ، فأعتقه - وقد تقدم ذكره في ترجمة الفقيه عيسى الهكّاري^٣ . ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية ، وفوض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه ، وكان رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية ، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل ، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام ، وهي آثار دالة على علو الهمة ، وعمّر بالمقنس رباطاً ، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل .

١ قد تقرأ في المختار « فدقا » . ٢ انظر ج ٣ : ٤٣ .

٥٤٣ - ترجمته في مرآة الزمان : ٥٠٤ وذيل الروضتين : ١٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ والسلوك ١ / ١ : ١٥٨ والشذرات ٤ : ٣٣١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٩٨ ويجب ألا يخلط بينه وبين شرف الدين قراقوش التقوي المظفري الذي قام بمغامرات كثيرة في طرابلس الغرب وإفريقية .

٣ انظر ج ٣ : ٤٩٧ .

وله وقف كثير لا يعرف مَصْرَفُه ، وكان حسن المقاصد جميل النية . ولما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه ، ثم لما عادوا واستولوا عليها حَصَلَ أسيراً في أيديهم ، ويقال إنه افتك نفسه بعشرة آلاف دينار [وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في « سيرة صلاح الدين »^١ أنه انفك من الأسر في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ومثّل في الخدمة الشريفة السلطانية ، ففرح به فرحاً شديداً ، وكان له حقوق كثيرة على السلطان وعلى الإسلام والمسلمين ، واستأذن في المسير إلى دمشق ليحصل مال القطيعة ، فأذن له في ذلك ، وكان - على ما ذكر - ثلاثين ألفاً^٢ ، والناس ينسبون إليه أحكاماً عجيبة في ولايته ، حتى إن الأسعد بن مماتي - المقدم ذكره^٣ - له جزء لطيف سماه « الفاشوش في أحكام قراقوش » وفيه أشياء^٤ يبعد وقوع مثلها منه ، والظاهر أنها موضوعة ، فإن صلاح الدين كان معتمداً في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فَوَّضَهَا إليه .

وكانت وفاته في مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم^٥ بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق ، رحمه الله تعالى .

وقرأ قُرُوش : بفتح القاف والراء وبعد الألف قاف ثانية ثم واو وبعدها شين معجمة ، وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العُقَاب ، الطائر المعروف ، وبه سمي الإنسان ، والله أعلم^٦ .

١ سيرة صلاح الدين : ٢٣٩ .

٢ سيرة صلاح الدين : ثمانين ألفاً ؛ والمحصور بين معقنين من ر وحدها .

٣ انظر ج ١ : ٢١٠ .

٤ ر : وذكر أشياء .

٥ عند هذا الحد في س : قوبل معارضة بالكبرى ، وسقطت بقية النص حتى آخر الترجمة .

٦ قراقوش . . . أعلم : سقط من ل ن لي بر .

قطري بن الفجاءة

أبو نعامة قَطْرِي بن الفُجَاءة ، واسمه جمعونة ، بن مازن بن يزيد بن زياد ابن خنثر بن كابية^١ بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مُرّ ، المازني الخارجي ؛ خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير وكانت ولاية مصعب في سنة ست وستين للهجرة فبقي قَطْرِي عشرين سنة يقاتل ويُسَلِّم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسيّر إليه جيشاً بعد جيش وهو يستظهر عليهم .

وحكي عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجفَ وبيده عمود خشب ، فدعا إلى المبارزة ، فبرز إليه رجل ، فحسّر له قَطْرِي عن وجهه ، فلما رآه الرجل ولّى عنه ، فقال له قَطْرِي : إلى أين ؟ فقال : لا يستحي الإنسان أن يفر منك .

وقد ذكر أبو العباس المبرد في كتاب «الكامل»^٢ من أخبارهم ومحارباتهم قطعة كبيرة .

ولم يزل الحال بينهم كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلي ، فظهر عليه وقتله في سنة ثمان وسبعين للهجرة ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبحر^٣

٥٤٤ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير وأنساب الأشراف والأخبار الطوال : ٢٧٠ والكامل للمبرد ، وانظر سمط اللالي : ٥٩٠ والبيان والتبيين ١ : ٣٤١ والنجوم الزاهرة ١ : ١٩٧ وأمالى المرتضى ١ : ٦٣٦ وعبر الذهبي ١ : ٩٠ والشذرات ١ : ٨٦ ومجموعة شعر الحوارج : ٤١ - ٥٠ .

١ اضطربت أعلام هذا النسب في النسخ ، ففي س : كايبة ؛ ر : زيد مناة بن جبير بن كاتبه ، وسقط من ل ن لي ما بعد مازن حتى مازن الثانية . وانظر جمهرة ابن حزم : ٢١٢ .

٢ انظر الكامل ٣ : ١٦٣ وما بعدها .

٣ ن : الحر .

الدارمي ، وقيل إن قتله كان بطبرستان في سنة تسع وسبعين ، وقيل عثر به فرسه فاندقت فخذة فمات ، فأخذ رأسه فجيء به إلى الحجاج .
 قلت^١ : هكذا قال أهل التاريخ والله أعلم أنه أقام عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وتاريخ خروجه وقتله بخلاف ذلك فتأمله .
 ولا عقب لقطري ؛ وإنما قيل لأبيه « الفُجاءة » لأنه كان باليمن ، فقدم على أهله فجاءة ، فسمي به وبقي عليه ، وقَطَّرِي هو الذي عناه الحريري في المقامة السادسة بقوله^٢ : « فقلِّدوه في هذا الأمر الزعامة ، تقلِّدَ الخوارج أبا نعامة » وكان رجلاً شجاعاً مقداماً كثير الحروب والوقائع ، قوي النفس لا يهاب الموت ، وفي ذلك يقول مخاطباً لنفسه^٣ :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي
 فإنك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تطاعي
 فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمستطاع
 ولا ثوبُ الحياة؛ بثوب عزٍّ فيطوى عن أخي الخنَع السراع
 سبيلُ الموت غاية كل حيٍّ وداعيه لأهل الأرض داعي
 ومن لا يُعْتَبَطُ يسأم ويهْرَمُ وتُسْلهُ المنون إلى انقطاع
 وما للمرء خير في حياة إذا ما عدَّ من سقط المتاع

وهذه الأبيات مذكورة في « الحماسة » في الباب الأول ، وهي تشجع أجبين خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبيّة وشهامة عربية .
 وهو معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة .

١ قلت : سقطت من س ل ن لي .

٢ مقامات الحريري : ٦٠ - ٦١ .

٣ شعر الخوارج : ٤٢ - ٤٣ ، وتخریجها ص : ١٦٢ .

٤ هامش س : خ : البقاء .

روي أن الحجاج قال لأخيه : لأقتلنك ، فقال : لمَ ذلك ؟ قال : لخروج أخيك ، قال : فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي ، قال : هاتيه ، قال : فعمي ما هو أوكد منه ، قال : ما هو ؟ قال : كتاب الله عز وجل ، حيث يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (الأنعام : ١٦٤ ، والإسراء : ١٥ ، وفاطر : ١٨ ، والزمر : ٧) فعجب منه وخلّى سبيله .
وفي قَطْرِيّ قال حصين بن حفصة السعدي من أبيات^١ :

وأنت الذي لانستطيع فراقه^٢ حياتك لا نفع^٣ وموتك ضائر^٤

وقد ضبطت أسماء أجداده ضبطاً يفني عن التقييد ، ففيه تطويل ، فمن كتبه فليعتمد على هذا الضبط ففيه كفاية ، وكذلك الألفاظ التي في الأبيات مضبوطة^٢ .

وقد قيل : إن قولهم « قَطْرِيّ » ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان ، وهو اسم بلد كان منه أبو نَعَامَةَ المذكور ، فنُسب إليه ، وقيل إنه هو قصبة عمان ، والقصبة هي كرسي الكورة .

١ شمر الخوارج : ٤٠ .

٢ قلت : يشير المؤلف هنا إلى ما صنعه في نسخته ، وليس ذلك متيسراً ، ولم يرد مثل هذا الضبط في المختار .

حَرْفُ الْكَافِ

كافور الإخشيدي

أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي - وقد سبق شيء من خبره في ترجمة فاتك - ؛ وكان كافور^١ عبداً لبعض أهل مصر ، ثم اشتراه أبو بكر محمد ابن طفج الإخشيدي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة بمصر من محمود بن وهب بن عباس وترقى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه. وقال محمد وكيل الأستاذ كافور : خدمت الأستاذ^٢ والجراية التي يُطلقها ثلاث عشرة جراية في كل يوم ، ومات وقد بلغت على يدي ثلاثة عشر ألفاً في كل يوم .

ولما توفي الإخشيدي في التاريخ المذكور في ترجمته تولى مملكة مصر والشام ولده الأكبر وهو أبو القاسم أنوجور ، ومعناه بالعربي محمود ، بعقند الراضي له ، وقام كافور بتدبير دولته أحسن قيام إلى أن توفي أنوجور يوم السبت لثمان [وقيل لسبع]^٣ خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وحُمل إلى القدس ودفن عند أبيه . وكانت ولادته بدمشق يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة سنة تسع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي ، وملك الروم في أيامه حلبَ والمصيصة وطرسوس وذلك الصقع أجمع ، فاستمر كافور على نيابته وحسن إيالته ، إلى أن توفي علي المذكور في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وقيل بل توفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وخمسين ،

٥٤٥ - انظر أخباره في المغرب (قسم مصر) : ١٩٩ وصفحات متفرقة من تاريخ ابن الأثير

(ج : ٨) والولاية والقضاة : ٢٩٧ وابن خلدون : ٤ : ٣١٤ والنجوم الزاهرة : ٤ : ١ - ١٠

وديون المنتهي : ٤٣٦ - ٤٣٨ والكواكب السيارة : ١٩٩ .

١ ر بر : كافور المذكور . ٢ المختار : كافوراً .

٣ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلثمائة بمصر ،
رحمه الله تعالى .

ثم استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وأشير عليه بإقامة الدعوة لولد أبي
الحسن علي بن الإخشيد ، فاحتج بصفر سنة ، وركب بالمطارد ، وأظهر خلعا
جاءته من العراق وكتاباً بتكنيته ، وركب بالخلع [يوم الثلاثاء لعشر خلون من
صفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة] ^١ وكان وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات
- المقدم ذكره ^٢ - .

وكان كافور يرغب في أهل الخير ويعظمهم ، وكان أسود اللون شديد السواد
بصّاصاً ، واشتراه الإخشيد بثمانية عشر ديناراً على ما نُقِل ، وقد سبق في
ترجمة الشريف ابن طباطبأ شيء من خبره معه . وكان أبو الطيب المتنبي قد
فارق سيف الدولة بن حمدان - المقدم ذكره ^٣ - مُغاضباً له ، وقصد مصر
وامتدح كافوراً بأحسن المدائح ، فمن ذلك قوله في أول قصيدة أنشأها له في
جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلثمائة ، وقد وصف فيها الخيل ثم قال ^٤ :

قواصدُ كافورٍ تواركُ غيره ومَنْ قصد البحرَ استقلَّ السواقيا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخلصتُ بياضاً خلفها وماقيا

ولقد أحسن في هذا غاية الإحسان . وأنشده أيضاً في شوال سنة سبع
وأربعين قصيدته البائية التي يقول فيها ^٥ :

وأخلاقُ كافورٍ إذا شئتُ مدحه وإن لم أشأ تُعلي علي فأكتبُ
إذا تركَ الإنسانَ أهلاً وراءه ويممَّ كافوراً فما يتغربُ
ومن جملتها :

يُضحك في ذا العيد كلُّ حبيبه حِداثي وأبكي من أحبُّ وأندُبُ

٢ انظر ج ١ : ٣٤٦ .

٤ ديوان المتنبي : ٤٣٩ .

١ لم يرد في النسخ الخطية .

٣ انظر ج ٣ : ٤٠١ .

٥ ديوانه : ٤٦٥ .

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمَشْتَاقِ عَنَقَاءَ مُغْرَبٍ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمَسْكَ أَوْ هُمْ فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فِؤَادِي وَأَعْدَبُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤْوِي الْجَمِيلَ مَحَبُّهُ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْتَبِئُ الْعِزَّ طَيْبُ

[وحكي عن المتنبي أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلي
ويبش في وجهي ، إلى أن أنشدته^١ :

وَمَا صَارَ وَدَّ النَّاسَ خِيَابًا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ
وَصَرْتُ أَشْكَ فِيمَنْ أَصْطَفَيْهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنْبَامِ

قال : فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا ، فعمجت من فطنته وذكائه^٢ .
وآخر شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين ولم يلقه بعدها قصيدته
البائية وشابها بطرف من العتب ، ومنها^٣ :

أَرَى لِي بِقَرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحِجْبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابُ
أَقَلُّ سَلَامِي حَبِّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكَتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابُ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحَبِّ رَشُوءَةً ضَعِيفُ هَوَى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابُ
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وَأَعْلَمُ قَوْمًا خَالِفُونِي فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفَرْتُ وَخَابُوا
جَرَى الْخَلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاحِدٌ وَأَنْكَ لَيْتُ وَالْمَلُوكُ ذُنَابُ
وَأَنْكَ إِنْ قَوَيْتَ صَحْفَ قَارِيءٍ ذُنَابًا وَلَمْ يَخْطِئْ فَقَالَ ذُنَابُ
وَإِنْ مَدِيحَ النَّاسِ حَقَّ وَبَاطِلُ مَدْحِكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ
إِذَا نَلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَالْمَالُ هَيْنُ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تَرَابُ

٢ لم يرد إلا في المختار .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٦ .

٣ ديوانه : ٤٨١ .

وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً له كل يوم بلدةً وصحَاب
ولكنك الدنيا إلي حبيبةً فما عنك لي إلا إليك ذهاب

وأقام المتنبي بعد إنشاده هذه القصيدة بمصر سنة لا يلقى كافوراً غضباً عليه
لكنه يركب في خدمته خوفاً منه ولا يجتمع به ، واستعد للرحيل في الباطن ،
وجهر جميع ما يحتاج إليه ، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قبل مفارقتة
مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافوراً فيها ، وفي آخر هذه القصيدة :

من علّمَ الأسودَ المحصيَّ مكرمةً أقومهُ البيضُ أم أبأؤه الصيْدُ
[أم أذنهُ في يدِ النخاسِ داميةٌ أم قدْرُهُ وهو بالفلسين مردود]
وذاك أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميل فكيف الحِصيةُ السود

وله فيه أهاج كثيرة تضمنها ديوانه ، ثم فارقه بعد ذلك ، ورحل إلى عضد
الدولة بن بويه بشيراز - حسبما تضمنه ترجمته^٢ .

ورأيت في بعض المجاميع قال بعضهم : حضرت مجلس كافور الإخشيدي ،
فدخل رجل ودعا له وقال في دعائه : أدام الله أيام مَوْلانا ، بكسر الميم من
أيام ، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه ، فقام رجل من أوساط
الناس وأنشد مرتجلاً وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش
النَّجيري اللغوي الاخباري كاتب كافور^٣ ، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو
الفضل ابن عياش^٤ :

لا غَرَوَ أن لَحْنَ الداعي لسيدنا أو غَصَّ من دَهَشِ الريقِ أو بَهَرَ
فتلك هيبتهُ حالت جلالَتُها بين الأديب وبين القول بالحَصَر

١ ديوان المتنبي : ٤٨٧ .

٢ ورد هنا في ر عبارة : وأخبار كافور كثيرة ، وستأتي بعد النص التالي .

٣ ترد هذه الأبيات في ترجمة النجيري النحوي في معجم الأدباء ١ : ١٩٩ وانباء الرواة ١ :

١٧١ وفي البغية « جنس » موضع « حشيش » .

٤ في ياقوت وبغية الوعاة : الفضل بن عباس ؛ وأثبتنا ما في انباء الرواة ومطبوعة وستيفيلد .

فإن يكن خَفَضَ الأيامَ من غَلَطٍ في مَوْضِعِ النَّصْبِ لا عن قلة النظر
فقد تَفَاءَلَتْ في هذا لسيدنا والفألُ مأثورةٌ عن سيدِ البشر
بأن أيامه خَفَضَ بلا نَصْبٍ وأن أوقاته صَفَوْهُ بلا كَدَرٍ

وأخبار كافور كثيرة .

[ولما كثرت الزلازل بمصر في أيام كافور أنشده محمد بن عاصم قصيدة يقول

فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحاً

فأمر له بألف دينار ، وقيل إن عطائه ذلك حثّ المتني على المسير إلى مصر .
ودخل على كافور غلام فقال : ما اسمك ؟ قال : كافور ، فقال : نعم ما
كل من اسمه محمد نبي .

وله مع الشيخ عبد الله بن جابار الصوفي الزاهد شيخ البقاعي ، رحمهما الله
تعالى ، وكان من كبار المشايخ ، قصة عجيبة هي من غرر مناقبه ؛ ذكر المسيحي
في تاريخه قال : حدثني أبو الدابة كاتب أبي بكر القمي عن أبي الحسن البغدادي
قال : وردت إلى مصر مع والدي وأنا صبي دون البلوغ في أيام كافور ، وكان
أبو بكر المحلي يتولى نفقات مصالحه وخواص خدمه ، وقد نتجت بينه وبين
أبي مودة ، وكان يزوره ويصله ، قال : فجاءه ذات يوم فتذاكرا أخبار كافور
وطريقته وما هو عليه من الخشوع ، فقال أبو بكر لأبي وأنا أسمع : هذا الأستاذ
كافور له في كل عيد أضحية عادة ، وهي أن يسلم إليّ بغلاً محملاً ذهباً وورقاً
وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينها ، ويمضي معي صاحب
الشرطة ونقيب يعرف المنازل ، وأطوف من بعد العشاء الآخرة إلى آخر الليل
حتى أسلم ذلك إلي من جعل له وتتضمن اسمه الجريدة ، وأطوف منزل كل
إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول : الأستاذ أبو المسك كافور يهنيك بعيدك
ويقول لك : اصرف هذا في منفعتك ، فادفع إليه ما جعل له ؛ فلما كان في
هذا العيد جريت على العادة ورأيت زادني في الجريدة « الشيخ أبو عبد الله ابن
جابار مائة دينار » فأنفقت المال في أربابه ولم يبقَ إلا الصرة ، فجعلتها في كمي

وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة ، فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال : ما حاجتك ؟ قلت : الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام ، فقال : والي بلدنا ؟ قلت : نعم ، قال : حفظه الله ، الله يعلم انني أدعو له في الخلوات وأدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه وبيبه ، قلت : وقد أنفذ معي هذه الصرة وهو يسألك قبولها لتصرفها في مؤونة هذا العيد المبارك فقال : نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعة ، فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق والتلهف واستحييت من الله تعالى أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت ؛ قال : فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظري فلما رأيته قال : هيه يا أبا بكر ، فقلت له : أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف ، فقال : الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عياله ، ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال : نعم هو بذلك جدير ، لم يجز بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ، ثم قال لي : عد إليه واركب دابة من دواب النوبة فلست أشك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من التعب ، ثم امض إليه واطرق بابه فإذا نزل إليك فإنه سيقول : ألم تكن عندنا ؟ فلا ترد عليه جواباً ثم استفتح وأقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً من خلق الأرض والسماوات العلى. الرحمن على العرش استوى ، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينها وما تحت الثرى ﴾ (طه : ١-٦) يا ابن جابار ، يقول لك كافور : ومن كافور العبد الأسود ومن مولاه ومن الخلق ؟ أبقى لأحد مع الله تعالى ملكة أو شركة ؟ تلاشى الناس كلهم ؛ هاهنا تدري من معطيك وعلى من رددت أذت ما سألت ، هو أرسل إليك يا ابن جابار ، ما تفرق بين السبب والمسبب ! قال : فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلي وقال لي مثل لفظ كافور ، فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال كافور ، فبكى ابن جابار وقال : أين ما حملت ؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال : علمنا الأستاذ كيف التصوف ، قل له : أحسن الله جزاءك ؛ قال : فعدت إليه فأخبرته فسر بذلك ثم سجد لله تعالى شكراً وقال :

الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عباده ، ثم ركب حينئذ^١ .
ولم يزل مستقلاً بالأمر بعد أمور يطول شرحها إلى أن توفي يوم الثلاثاء لعشر^٢
بقيين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة بمصر ، وقيل إنه توفي يوم
الأربعاء ، وقيل توفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وقيل سنة سبع وخمسين [وهو
قول القضاعي في كتاب الخطط ، والله أعلم ، وكذا قال الفرغاني في تاريخه أيضاً ،
رحمه الله تعالى]^٣ والأول أصح ؛ ودفن بالقرافة الصغرى ، وقبته مشهورة
هناك^٤ ، ولم تَطُلْ مدته في الاستقلال على ما ظهر من تاريخ موت علي بن
الإخشيدي إلى هذا التاريخ .

وكانت بلاد الشام في مملكته أيضاً مع مصر ، وكان يُدعى له على المنابر بمكة
والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس
والمصيصة وغير ذلك ، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة على ما حكاه الفرغاني
في تاريخه ، والله أعلم .

[وكانت أيامه سديدة جميلة ، ووقع الخلفُ فيمن يُنصَّب للأمر بعده ، إلى
أن تقرر الأمر وتراضت الجماعة بولد أبي الحسن علي بن الإخشيدي ، وكانت ولاية
كافور سنتين وثلاثة أشهر إلا سبعة أيام ، وخطب لأبي الفوارس أحمد بن علي بن
الإخشيدي يوم الجمعة لسبع بقيين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ، وبقية^٥
خبرهم مذكورة في ترجمة جده محمد الإخشيدي]^٥ .

١ انفردت ر بما بين معقفين ، وفي النص بعض اضطراب .

٢ زيادة من ر .

٣ زاد في ر : ولما دفن كتب على قبره بالقرافة الصغرى بقية هناك مشهورة :

انظر إلى عبر الأيام ما صنعت أفنت أناساً بها كانوا وما فنيت

دنياهم ضحكت أيام دولتهم حتى إذا فنيت ناحت لهم وبكت

وانظر النجوم الزاهرة ٤ : ١٠ وفيه أن تابوته حمل إلى القدس فدفن به .

٤ هنا تنتهي الترجمة في ر .

٥ ما بين معقفين سقط من النسخ الخطية وأثبتناه من المطبوعة ؛ وفي هامش س حكاية ليست

من الأصل وهي : « قيل كان في دار كافور قهرمانة بغدادية ما تهدأ من البكاء على ابنة لها خلفها

ببغداد بنت سبع سنين فقال لها كافور : منذ كم غبت عنها ؟ فقالت : من ثمان سنين ، فأرسل =

كثير عزة

أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جُمَعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي، أحد عشاق العرب المشهورين به [وقال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»: هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عويمر بن مَخَلد بن سَيد بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مَليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وبقية

= كافور أمراً إلى صاحب له ببغداد وأمره بتحصيلها وإنفاذها، فحملت الصبية إلى مصر وقد صارت بنت ست عشرة سنة وحسنت؛ فلما صارت في دار كافور قال للجواري: أخرجنها علي في جوار يعرضن للبيع ولا تعلم القهرمانة، وتكون هي التي تخرجهن فجاءت إليه القهرمانة فقالت: يا مولاي، قد جاؤوا بالجواري فأعرضهن عليك؟ فقال: افعلي، فأخرجتهن وبنتها فيهن ولا تعلم، فلما عرضن قال كافور للقهرمانة: ما فيهن إلا هذه الصبية، وأراها مليحة، فأيش عندك؟ فقالت القهرمانة: نعم يا مولاي، هي والله مليحة حلوة، فقال لها: ويحك هي ابنتك، أرسلت إلى بغداد وتلطفت في أمرها حتى حملت إليك من بغداد، فقبلت الأرض بين يديه وبكت بكاء شديداً فكأنها القائل في بعض شعره:

هجم السرور علي حتى إنه من عظم ما قد سرفني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين في فرح وفي أحزان

ثم ضمت بنتها إليها واشتد بكاءهما وبكى كافور لبكائهما لما رأى من شوق كل واحدة

منها إلى الأخرى.

٥٤٦ - ترجمته في الأغاني ٩ : ٤٤ ، ١٢ : ١٧٠ ، ١٥ : ٢٢٤ والمؤتلف : ١٦٩ وطبقات ابن

سلام : ٤٥٧ والموشح : ١٤٣ والشعر والشعراء : ٤١٠ ووسط اللآلي : ٦١ ومعجم المرزباني :

٢٥٠ ومروج الذهب ٣ : ٤٠١ والعقد ٢ : ٨٨ وعيون الأخبار ٢ : ١٤٤ وشذرات الذهب

١ : ١٣١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٦ وشرح شواهد المغني : ٢٤ والخزانة ٢ : ٣٨١

وتزيين الأسواق ١ : ٤٣ .

١ جمهرة ابن حزم : جمجمة ؛ وفي النسب اختلاف عما هنا .

النسب معروفة ، وربيعة بن حارثة هو لُحَيٌّ ، وابنه عمرو بن لُحَيٍّ هو الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر قُصْبَةً^١ في النار ، وهو أول من سَيَّب السوائب وبتَحْرَ البَحِيرَةِ وغيرَ دين إبراهيم عليه السلام ، ودعا العربَ إلى عبادة الأصنام ، وهذا لحي وأخوه أفصى ابنا حارثة هما خُزاعة ، ومنها تفرقت ، وإنما قيل لهم خُزاعة لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن أيام سَيْل العَرَم وأقاموا بمكة ، وسار الآخرون إلى المدينة والشام وعمان .

وقال ابن الكلبي أيضاً قبل هذا بقليل : والأشيم وهو أبو جمعة بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رباح ، وهو جد كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة أبو أمه إليه يُنسَب^٢ .

وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب^٣ ابن غفار بن مليل بن ضمرة [بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقال السمعاني : جميل ابن وقاص بن حفص بن إياس ، والله أعلم]^٤ . وله معها حكايات ونوادير وأمور مشهورة ، وأكثر شعره فيها .

وكان يدخل على عبد الملك بن مروان وينشده ، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب ؛ حكى ابن قتيبة في « طبقات الشعراء »^٥ أن كثيراً دخل يوماً على عبد الملك فقال له عبد الملك : بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أحداً أعشقت منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو نشدتنى بحمك أخبرتك ، قال : نشدتك بحقي إلا ما أخبرتنى ، قال : نعم ، بينا أنا أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حباله ، فقلت له : ما أجلسك هاهنا ؟ قال : أهلكني وأهلي الجوع ، فنصبت حبالتي هذه لأصيد لهم شيئاً ولنفسي ما يكفيني ويعصمنا يومنا هذا ،

١ القصب : الأمعاء ٢ ورد بعضه في المختار فقط بإيجاز .

٣ لي ن ل س ر بر : حفص من بني حاجب ؛ وما أثبتناه موافق لما في جمهرة ابن حزم ومطبوعة وستنفيذ .

٤ ما بين معقنين في ر وحدها .

٥ الشعر والشعراء : ٤١٦ .

قلت : أرأيتَ إن أقمتُ معك فأصبتَ صيداً تجعل لي منه جزءاً ؟ قال : نعم ،
فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحباله ، فخرجنا نبتدر ، فبدرني إليها
فحلّتها وأطلقها ، فقلت له : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتني لها رقة لشبهها
بليلى ، وأنشأ يقول :

أيا شبهَ ليلي لا تُراعي فإنني لك اليوم من وَحْشِيَةٍ لصديقٍ
أقول وقد أطلّقتُها من وَاقِها فأنت لليلي ما حيتُ طليقُ

ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى محاربة مُصعب بن الزبير ناشدته زوجته
عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ، وأن يستنيب غيره في حربه
ولم تزل تلحُّ عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة ، فلما يئست أخذت في البكاء
حتى بكى من كان حولها من جواربها وحشمها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن
أبي جمعة - يعني كثيراً - كأنه رأى موقفنا هذا حين قال :

إذا ما أراد الغزو لم يَتَنَّ عَزْمَهُ حِصَانٌ عليها نظم درّ يَزِينُهَا
نَهْتَهُ فلما لم تر النهيَ عاقهُ بَكَتُ فبكى مما شجاها قَطينُهَا

ثم عزم عليها أن تُقصر فأقصرت وخرج لقصده .
ويقال إن عزة دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز ، وهي أخت عمر
ابن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك : فقالت لها : أرأيت قول كثير :

قضى كلُّ ذي دين فوفى غريمهُ وعزة ممطول مُعَنَّى غريمُهَا

ما كان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قبلة فحَرَجَتْ منها ، فقالت أم البنين :
أنجزها وعلي إثمها . [ثم ندمت أم البنين فاستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه
الكلمة أربعين رقبة]^١ .

١ ر : امرأته .

٢ بعد هذه الزيادة من ر جاء فيها : وكانت أم البنين عند هشام (كذا) ابن عبد الملك فهي ابنة
عبد العزيز بن مروان ، وقد سقط من هذه النسخة قوله فيما تقدم : وهي أخت . . . عبد الملك .

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة ، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئاً من العطر، فمطلته أياماً، وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها : فقالت له : حبا وكرامة ، ما أقرب الوفاء وأسرعهُ ، فأنشد متمثلاً :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت النسوة : أتدري مَنْ غريمك ؟ فقال : لا والله ، فقلن : هي والله عزة فقال : أشهدُ كن الله أنها في حل مما لي قبلها، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك ، فقال كثير : وأنا أشهد الله أنك حُرٌّ لوجهه ، ووهبه جميع ما في حانوت العطر ، فكان ذلك من عجائب الاتفاق .

ولكثير في مطالها^١ بالوعد شعرٌ كثير ، فمن ذلك قوله :

أقول لها عَزِيْزَ مَطَلَّتِ دِينِي وَشَرَّ الْغَانِيَاتِ ذُووِ الْمَطَالِ
فقالت وَيَحَ غَيْرِكَ كَيْفَ أَقْضِي غَرِيماً مَا ذَهَبْتُ لَهُ بِمَالٍ^٢

وله :

وقد زعمت أني تغيرتُ بعدها ومن ذا الذي ياعزَّ لا يتغيرُ
تغيرَ جسمي والخليقةُ كالذي عهدتِ ولم يُخبرْ بسرِّكِ مخبرُ

ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقرى بابل - وسأتي خبر ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكانوا يكثرون الإحسان إلى كثير ، فلما بلغه ذلك قال : ما أجلَّ الخطب ! ضحى بنو حرب^٣ بالدين يوم الطف وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، وأسبلت عيناه بالدموع .

١ ر : ولكثير المذكور في مطالها .

٢ بعد هذا الموضع وردت في ر زيادة وقد أثبتناها في ملحقات الجزء الأول على ترجمة جميل منقولة من ص (انظر ج ١ : ص ٤٨٠) .

٣ ر : بنو أبي سفيان .

وحدث^١ أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني »^٢ أن كثيراً خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مُطْرَفٌ ، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست ناراً في روثه ، فتأفف كثيراً في وجهها ، فقالت : من أنت ؟ قال : كثير عزة ، فقالت : ألسن القائل :

فما روضة زهراء طيبة الثرى يُمِجُّ الندى جثجائها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال لها كثير : نعم ، فقالت : لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها ، هلا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم تر ياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فناولها المطرف وقال : استري علي هذا .

[وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول : إن النصف الثاني من البيت الثاني من تنمة أوصاف الروضة أيضاً ، فكأنه قال : إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جثجائها وعرارها إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض ، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده]^٣ .

وكان كثيرٌ ينسب إلى الحمق ، ويروى أنه دخل يوماً على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله :

إذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازيء بالرمل عين^٥

١ ر : وقال . ٢ الأغاني ١٥ : ٢٢٥ .

٣ ما بين معقنين لم يرد إلا في المختار ، وقد أثبتناه كذلك للتنبيه إليه وإلا فإنه من أصل المؤلف ، ولا بد .

٤ الشعر والشعراء : ٤١٠ .

٥ الأرطى : نوع من الشجر ؛ أبرداه : ظله وفيته ، الجوازيء : التي جزأت بالرطب عن الماء ، العين : ذوات الأعين النجل ، يصف بقر وحش جزأت بالرطب عن الماء .

فقال يزيد : وما يضرني أن لا أعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف ؟
واستحمله وأمر بإخراجه .

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعوده في مرضه ، وأهله
يتمنون أن يضحك ، وكان يومئذ أمير مصر ، فلما وقف عليه قال : لولا أن
سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوتُ الله ربي أن يصرف ما بك إلي ، ولكني
أسأل الله تعالى لك العافية ولي في كنتفك النعمة ، فضحك عبد العزيز ،
وأنشد كثير :

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكّي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادي

ومما يستجاد من شعر كثير قصيدته التائية التي يقول من جملتها^١ :

وإني وتهايمي ببعزة بعد ما تسليت من وجدٍ بها وتسلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقبل اضمحلت

[وقال أبو علي القالي^٣ : أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة المعروف
بنفطويه لكثير :

ألا تلك عزة قد أقبلت تقلب للهجر طرفاً غضيباً
تقول مرضت فما عدتني وكيف يعود مريضٌ مريضاً
ومن شعره أيضاً :

١ قارن بما في الشعر والشعراء : ٤٢٢ .

٢ وردت هذه القصيدة التائية في مخطوطة منتهى الطلب وأمال القالي والخزاعة ٢ : ٣٧٩ - ٣٨١
وبعضها في شرح شواهد المعنى : ٢٧٥ وتزيين الأسواق ١ : ٤٩ والعيني ٢ : ٤٠٨ والحماسة
البصرية ، الورقة ١٥١ وصفوة الأدب ، الورقة : ٧٢ وشواهد الكشاف : ٥٥ والأغاني ٩ : ٢٩
وزهر الآداب : ٣٥٤ .

٣ الأمالي ١ : ٣٠ .

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزّة ركعاً وسجوداً^١

[وبلغ كثيراً أن عزة مريضة وانها تشتاقه فخرج يريدّها ، فلما صار ببعض الطريق لقيه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ، أين تريد ؟ قال : أريد عزة ، قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ، إلا اني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه ، قال : توفي مصر وقد ماتت عزة ، فانتهره كثيراً ثم مضى وعاد كثيراً إلى مصر فوافاها والناس منصرفون من جنازة عزة فقال :

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه ينتف أعلى ريشه ويطايره
>فقلت ولو أني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره <
فقال غراب لاغتراب وفرقة وبان فبين من حبيب تعاشره
فما أعيف النهدي لا درّ دره وازجره للطير لا عزّ ناصره^٢

وكان كثيراً بمصر وعزة بالمدينة ، فاشتاق إليها فسافر نحوها ، فلقبها في الطريق وهي متوجهة إلى مصر ، وجرى بينها كلام يطول شرحه ، ثم إنهما انفصلت عنه وقدمت إلى مصر ، وعاد كثيراً إلى مصر فوافاها والناس ينصرفون من جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته عنده ، ومكث ساعة ، ثم رحل وهو ينشد أبياتاً منها :

أقول ونضوي واقف عند قبرها عليك سلام الله والعين تسفح
وقد كنت أبكي من فراقك حية فأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح^٣

١ ما بين معقنين زيادة من ر لم ترد في المختار وكذلك لم ترد في المطبوعة .

٢ زيادة من ر لم ترد في المختار والمطبوعة ، وقد وقع قبلها : « قال الزبير بن بكار وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة فاشتاق إليها فسافر فلقبها في الطريق وهي متوجهة إلى مصر » وقد حذفناه لأنه سيأتي بعد هذا النص ؛ وانظر زهر الآداب : ٤٧٩ ؛ والمحاسن والمساوي : ٣٣١ والموشى : ١٣٤ وقد زدنا البيت الثاني لتمام المعنى .

٣ فأتى قبرها . . . وأنزح : لم يرد إلا في المختار . وانظر المحاسن والمساوي : ٣٣١ ومصارع العشاق ١ : ١٢٦ وتزيين الأسواق ١ : ٥١ وزهر الآداب : ٤٠٨ .

وأخبارهما كثيرة^١ .

وتوفي كثير عزة في سنة خمس ومائة، رحمه الله تعالى؛ وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن القاسم البياضي قال: مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتها جميعاً صلي عليها في موضع واحد بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس، وكان موتها بالمدينة^٢، وقد تقدم ذكر عكرمة والخلاف في تاريخ موته، فلينظر هناك في ترجمته^٣ .

وقد تقدم الكلام على الخزاعي .

وكثير: تصغير كثير وإنما صغرت لأنه كان حقيراً شديد القصر . وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطىء رأسك لئلا يؤذيك السقف، يمازحه بذلك؛ وكان يلقب « زب الذباب » لقصره، وقال بعضهم: رأيت كثيراً يطوف بالبيت، فمن أخبرني أن طوله كان أكثر من ثلاثة أشبار فقد كذب^٤ .

٥٤٧

مظفر الدين صاحب إربل

أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين^٥ بن محمد^٦، الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل .

١ ر : وأخبار كثير كثيرة .

٢ وكان . . . بالمدينة : سقط من س ل ن ر ؛ ونص ابن سعد كله ساقط من المختار .

٣ انظر ج ٣ : ٢٦٥ .

٤ وكان يلقب . . . فقد كذب : لم يرد إلا في المختار .

٥٤٧ - أخباره في أماكن متفرقة من مرآة الزمان : والباهر وسيرة صلاح الدين وذيل الروضتين :

١٦١ ، والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٢١ والشذرات ٥ : ١٣٨ .

٥ ل : بكتكين ؛ ر : سبكتكين . ٦ ابن محمد : سقطت من س ل ر والمختار .

(156) كان والده زين الدين علي المعروف بكجك صاحب إربل ، ورزق أولاداً كثيرة ، وكان قصيراً ، ولهذا قيل له « كجك » وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي صغير : أي صغير القدر ، وأصله من التركمان ، ومملك إربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي ، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى إربل ، والشرح يطول ، وعمّر طويلاً ، يقال إنه جاوز مائة سنة وعمي في آخر عمره ، وانقطع بإربل إلى أن توفي بها ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسة [وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » ١ : مات في ذي الحجة من السنة] ٢ ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد رحمة الله تعالى ، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة ، وله بالموصل أوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها .

[قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير الجَزَري في تاريخه الصغير الذي عمله لبني أتابك ملوك الموصل ٣ : إن زين الدين المذكور سار عن الموصل إلى إربل سنة ثلاث وستين وخمسة ، وسلّم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عَقر الحميدية وقلاع الهَكَارية جميعها وتكرت وشهرزور وغير ذلك ، وما ترك لنفسه سوى إربل ، وكان قد حج هو وأسد الدين شيركوه بن شاذي في سنة خمس وخمسين وخمسة] ٤ .

ولما توفي ولي موضعه ولده مظفر الدين المذكور وعمره أربع عشرة سنة ، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز - المذكور في حرف القاف - فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضراً أنه ليس أهلاً لذلك ، وشاور الديوان العزيز في أمره واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه إلى بغداد فلم يحصل له بها

١ سيرة صلاح الدين : ٣٩ .

٢ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية .

٣ الباهر : ١٣٥ .

٤ لم يرد في النسخ الخطية التي اعتمدناها .

مقصود، فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود - المقدم ذكره في حرف الغين - ، فاتصل بخدمته ، وأقطعه مدينة حران ، فانتقل إليها وأقام بها مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ، وحظيَ عنده ، وتمكن منه ، وزاده في الاقطاع الرها [في سنة ثمان وسبعين وخمسةائة ، وأخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني وأعطاه مظفر الدين مع حرّان ، وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاه ابن الزعفراني ، والشرح في ذلك يطول ، ثم أعطاه]^١ سُمَيْسَاط ، وزوجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، وكانت قبّله زوجة سعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب قصر معين الدين الذي بالقوّر ، وتوفي سعد الدين المذكور سنة إحدى وثمانين وخمسةائة . وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزيمة ، وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على ما تضمنته تواريخ العماد الأصبهاني وبهاء الدين بن شداد وغيرهما ، وشهرة ذلك تغني عن الإطالة فيه ، ولو لم يكن له إلا وقعة حطينَ لكفته ، فانه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة - المقدم ذكره - وانكسر العسكر بأسره ، ثم لما سمعوا بوقوفها تراجعوا حتى كانت النصرّة للمسلمين ، وفتح الله سبحانه عليهم . ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلًا عكا^٢ بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه ، وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين ، وهو يومئذ صاحب إربل ، فأقام قليلاً ثم مرض ، وتوفي في الثامن والعشرين^٣ من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسةائة بالناصرية - وهي قرية بالقرب من عكا يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام وُلد بها على الاختلاف الذي في ذلك - فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن حران والرها وسُمَيْسَاط ، ويعوّضه إربل ، فأجابته إلى ذلك وضم إليه شهرزور ، فتوجه إليها ودخل إربلَ في ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسةائة ، هذه خلاصة أمره .

١ لم يرد في النسخ وهو ملخص في المختار بإيجاز .

٢ ر : نازلا على عكا .

٣ ر : ثامن عشري .

وأما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات^١ غرائب لم يسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله ، لم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة ، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار ، وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار خلق كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف^٢ أو غير ذلك ، ومع الكسوة شيء من الذهب من الدينار والاثني والثلاثة وأقل وأكثر ، وكان قد بنى أربع خانقاهات للزمنى والعُمَيان وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم ، ويدخل إلى كل واحد في بيته ، ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة ، وينتقل إلى الآخر ، وهكذا حتى يدور على جميعهم ، وهو يُبسطهم ويمزج معهم ويحبر قلوبهم ، وبنى داراً للنساء الأرامل ، وداراً للصغار الأيتام^٣ ، وداراً للملاقيط رتب^٤ بهم جماعة من المراضع ، وكل مولود يُلْتَقَطُ يحمل إليه فيرُضِعُه ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم ، وكان يدخل إليها في كل وقت ويتفقده أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل إلى البيارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مَبِيَّتِه وكيفية حاله وما يشتهي وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرها ، وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول إليها ، ولهم الراتب الدار^٥ في الغداء والعشاء ، وإذا عزم الإنسان على السفر أعطوه نفقة على ما يليق بمثله ، وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية ، وكان كل وقت يأتيها بنفسه ، ويعمل السباط بها ويبيت بها ويعمل السماع ، فإذا طاب وخلق شيئاً من ثيابه ، سير للجماعة بكرة شيئاً من الانعام ، ولم يكن له

١ ر بر : فقد ... الخير .

٢ من هنا تبدأ النسخة : ت .

٣ ت : والأيتام ؛ المختار : للضعفاء الأيتام .

٤ س والمختار : ورتب .

لذة سوى السماع ، فإنه كان لا يتعاطى المنكر ، ولا يمكّن من إدخاله إلى البلد ، وبنى للصوفية خانقاهين^١ فيها خلق كثير من المقيمين والواردين ، ويجتمع في أيام المواسم فيها من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم ، ولها أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ، ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها ، وكان ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم الساعات في كثير من الأوقات . وكان يُسَيَّر في كل سنة دفعتين جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من الناس يفتك^٢ بها أمرى المسلمين من أيدي الكفار ، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئاً ، وإن لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك . وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحاج ، ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق ، ويسير صحبته أميناً معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على الماويج وأرباب الرواتب ، وله بمكة ، حرسها الله تعالى ، آثار جميلة وبعضها باق إلى الآن ، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف : وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمر بالجبل مصانع للماء ، فإن الحاج كانوا يتضررون من عدم الماء ، وبنى له تربة أيضاً هناك .

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به ، لكن نذكر طرفاً منه : وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده^٣ فيه ، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل - مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد المعجم وتلك النواحي - خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من الحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنصّب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر ، منها قبة له^٣ ، والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة ، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستحيلة ، وقعد في كل قبة جوق من المغاني وجوق

١ ر : خانقاهيتين ، ت : خانقاهتين ، بر : خانقين .

٢ ت بر : اعتماد .

٣ ت : عشرين قبة وأكبر قبة له .

من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباقي في كل قبة^١ حتى رتبوا فيها جوقاً ، وتبطل معاش الناس في تلك المدة ، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ؛ وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ، ويسمع غناءهم ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ، ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر ، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد ، وكان يعمل سنة^٢ في ثامن الشهر ، وسنة في الثاني عشر^٣ ، لأجل الاختلاف الذي فيه ، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ، ثم يشرعون في نحرها ، وينصبون القدور ويطبخون الألوان ؛ المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل الساعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو أربع - أشك في ذلك - من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه ، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية ، على يد كل شخص منهم بقجة ، وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر ، فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق^٤ عدده ، ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس ، وينصب كرسي للوعاظ ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي ، وشبابيك أخر للبرج أيضاً إلى الميدان ، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ، ويجتمع فيه الجنده ويعرضهم ذلك النهار ، وهو تارة ينظر

١ في كل قبة : زيادة من ت .

٢ ن : ثاني عشر .

٣ س : لا يتحقق .

٤ ت : للوعظ . ه ت : ويجمع الجنده .

إلى عرض الجند وثارة إلى الناس والوعاظ ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم ، فعند ذلك يقدم السباط في الميدان للصعاليك ، ويكون سباطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحصى ولا يوصف ، ويمد سباطاً ثانياً في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي ، وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً^٢ من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم بمن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ويخلع على كل واحد ثم يعود إلى مكانه ، فإذا تكامل ذلك كله ، حضروا السباط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره ، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها ، ثم يبيت تلك الليلة هناك ، ويعمل الساعات إلى بكرة ، هكذا يعمل في كل سنة ، وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول ، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة^٣ ، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربيل وعمله لكتاب « التنوير في مولد السراج المنير » لما رأى من اهتمام مظفر الدين به ، وأنه اعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة .

وكان رحمه الله متى أكل شيئاً استطابه لا يختص به ، بل إذا أكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض الجنادرية^٤ : احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة بمن هم عنده مشهورون بالصلاح ، وكذلك يعمل في الفاكهة والحلوى وغير ذلك من المطاعم .

وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة سالم البطانة شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداهما لا يعطيه شيئاً إلا تكلفاً ، وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم إلا إذا قصدوه فيما كان يضيّع قصدهم ولا يخيّب أمل من يطلب بصره ، وكان

١ ن : سباط ثان ؛ ت س لي ن : سباط ثاني .

٢ ت : كل واحد .

٣ قوله : لكن تذكر طرفاً منه . . . النفقة : سقط هذا النص الطويل من النسخة ر .

٤ ن : أجناده .

يميل إلى علم التاريخ ، وعلى خاطره منه شيء يذاكر به ، ولم يزل ، رحمه الله تعالى ، مؤيداً في مواقفه ومصافاته مع كثرتها ، لم ينقل أنه انكسر في مصافقاً^٢ ، ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب ، وفي شهرة معروفه غنية^٣ عن الإطالة وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكر بعضها ، ولو عملنا معها عملناه ، وشكر المنعم واجب ، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء ، فكلم له علينا من الأيادي ، ولأسلافه على أسلافنا من الإنعام ، والإنسان صنيعه الإحسان ، ومع الاعتراف يحميله فلم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة ، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان ، وربما حذف بعضه طلباً للإيجاز .

وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وتوفي وقت الظهر ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستائة بداره في البلد التي كانت لمملوكه شهاب الدين قراطايا ، فلما قبض عليه في سنة أربع عشرة وستائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات ، فمات بها ، ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها ، ثم حمل بوصية منه إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وكان قد أعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها ، وقد سبق ذكرها ، فلما توجه الراكب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيروه في الصحبة ، فاتفق أن يرجع الحاج تلك السنة من لينة^٤ ، ولم يصلوا إلى مكة ، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد ، رحمه الله تعالى وعوضه خيراً وتقبل مباركته وأحسن منقلبه .

(157) وأما زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب فإنها توفيت في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وغالب ظني أنها تجاوزت ثمانين سنة ، ودفنت في

١ ر : مؤيداً منصوراً .

٢ جاء في المختار بعد هذه اللفظة : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد : قد اختصرت هذه الترجمة مع المبالغة في الاختصار مع أن والذي قدس الله روحه قال فيها إنه ذكر أحواله ملخصة مختصرة وأنه لو فصلها لطال الشرح ، واعتذر عن طولها مع الاختصار بكثرة ما كان للمذكور عليه وعلى سلفه من الإحسان والحقوق . . . » .

٣ ر : تفني .

مدرستها الموقوفة على الخنابلة بسَفْح قاسيُون، وكانت وفاتها بدمشق، وأدركت من محارمها من الملوك من إخوتها وأولادهم أكثرَ من خمسين رجلاً غير محارمها من غير الملوك ولولا خوف الإطالة لذكرتهم مفصلاً ، فإن إربل كانت لزوجها المذكور ، والموصل لأولاد بنتها ، وخلاط وتلك الناحية لابن أخيها^١ الملك الأوحى نجم الدين أيوب ابن الملك العادل ، وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف ابن أخيها ، وبلاد الشام لأولاد إخوتها ، والديار المصرية والحجازية واليمن لإخوتها وأولادهم ، ومن تأمل ذلك عرف الجميع .

وكوكبُوري : بضم الكافين بينها واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء ، وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب أزرق .

وبُكْتِكِين : بضم^٢ الباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهو اسم تركي أيضاً .

ولِينَةُ : بكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة ، منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق ، وكان الركب في تلك السنة قد رجع منها لعدم الماء وقاسوا مشقة عظيمة .

١ ر : لابن أخيها .

٢ ر ت بر : بفتح

العتابي

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً خطيباً بليغاً مجيداً ، وهو من أهل قنسرين وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء ، وله رسائل مستحسنة ، وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزهاً وتمزقاً ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد ؛ مترسلاً بليغاً مطبوعاً متصرفاً في فنون من الشعر مقدم في الخطابة والرواية حسن العارضة والبديهة ؛ من شعراء الدولة العباسية ، وكان يقول بالاعتزال ، فاتصل بالرشيد وكثر عليه من أمره فأمر فيه بأمر غليظ فهرب إلى اليمن وكان مقيماً بها ، فاحتال يحيى بن خالد إلى أن حمل للرشيد من خطبه ورسائله فاستحسن الرشيد ذلك وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى : هو للعتابي ، ولو حضر حتى يسمع منه الأمين والمأمون هذا الكلام ويصنع لها خطباً لكان في ذلك صلاح ، فأمر بإحضاره ، فأخذ له يحيى الأمان واتصل الخبر بالعتابي فقال :

ما زلت في غمرات الموت منطرحاً قد غاب عني وجوه الأمر من حيلي

٥٤٨ - ترجمته وأخباره في تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ ، وطبقات ابن المعتز : ٢٦١ والأغاني ١٣ : ١٠٧ والشعر والشعراء : ٧٤٠ ومروج الذهب ٤ : ١٤ والفهرست : ١٨١ وكتاب بغداد ٦٩ ، ٨٧ - ٨٩ ومعجم المرزباني : ٣٥١ والوزراء والكتاب : ١٨١ والموشح : ٤٤٩ والبيان والتبيين ١ : ٥١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ واللباب ٢ : ١١٨ ؛ وذكر له الكتبي ترجمة في الفوات (رقم : ٣٥٩) مع أنه استدراك على المؤلف ، وقد انفردت النسخة بهذه الترجمة ، ولم ترد في المختار أو في المطبوعة ، ومعظم الترجمة يعتمد على ما جاء في تاريخ الخطيب ؛ قلت : وقد صرح المؤلف في ترجمته لأبي منصور العتابي (رقم : ٦٦٩ عند وستنفيلد ؛ ٦٣٠ في مطبوعة الشيخ عبد الحميد) أنه لم يترجم العتابي الشاعر قال : « وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب وإنما أخللت به لأنني لم أظفر له بوفاة ، ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته » . فهذه من الزيادات التي لا سند للنسخة (ر) في إيراداتها .

فلم تزل دائباً تسمى لتتقذني حتى استللتَ حياتي من يديّ أجلي

وكان العتابي منقطعاً إلى البرامكة ، ومنصور النمري راويته وتلميذه .
قال أبو دعامة الشاعر : كتب طوق بن مالك إلى العتابي يستزيه ويدعوه
إلى أن يصل القرابة بينه وبينه ، فرد عليه : إنّ قريبك من قرب منك خيره
وابن عمك من عمك نفعه وإنّ عشيرك من أحسن عشرتك وإن أحبّ
الناس إليك أجرام بالمنفعة عليك ، ولذلك أقول :

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أكبر الأنساب

قيل للعتابي : انك تلقى العامة ببشر وتقريب فقال : رفع ضغينة بأيسر
مؤنة واكتساب إخوان بأهون مبدول .

ولما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون أذن له فدخل وعنده إسحاق
الموصلي ، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلم فردّ عليه وأدناه وقرّبه حتى
قرب منه فقبل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، ثم أقبل عليه يسأله عن حاله
وهو يجيبه بلسان طلق ، فاستطرف المأمون ذلك منه فأقبل عليه بالمداعبة
بالمزح ، فظن الشيخ أنه استخفّ به فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل
الإبساس ، فاشتبه على المأمون قوله فنظر إلى إسحاق مبتسماً فأوماً إليه بعينه
وعزّه على معناه حتى فهمه ثم قال : يا غلام ، ألف دينار ، فأتي بذلك فوضعه
بين يدي العتابي وأخذوا في الحديث ، ثم غمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه ،
فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق بن إبراهيم ، فبقي العتابي
متمجباً ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه ؟
قال : نعم سلّه ، فقال إسحاق : يا شيخ ، من أنت وما اسمك ؟ قال : أنا من
الناس واسمي كُـلٌّ بـصَل ، فتبسّم العتابي ثم قال : أما النسب فمعروف وأما
الاسم فمفكر ، فقال له إسحاق : ما أقل انصافك ! أتتكر أن يكون اسمي
كُـلٌّ بـصَل واسمك كُـلٌّ ثوم ؟ وما كلثوم من الأسماء ؟ أو ليس البصل أطيب
من الثوم ؟ فقال له العتابي : لله درك ما أحجّك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن

أصله بما وصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موثرٌ عليك ونأمر له بمثله ، فقال له إسحاق : أما إذ أقررت بهذه فتوهمني تجدني ، فقال له : ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي تنهى إلينا خبره ، فقال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينها : أما إذا اتفقتما على المودة فانصرفا ، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده .

كتب المأمون في إشخاص العتابي فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم بلغني وفاتك فساءتني ثم بلغني وفادتك فسرتني ، فقال له العتابي : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتهم فضلاً وإنعاماً وقد خصصتني منها بما لا يتسع له أمنية ولا ينبسط لسواه أمل ، لأنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك ، قال : سلمي ، قال : يدك بالمطاء أطلق من لساني بالمسألة ، فوصله صلة سنية وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل .

قال الأصمعي : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى رجل :

ان الكريم ليخفي عنك عمرته حتى تراه غنياً وهو مجهودٌ
وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود
بُثّ النوال ولا ينعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود

قال : فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله .

قال مالك بن طوق للعتابي : يا أبا عمرو ، رأيتك كلمت فلاناً فأقلت كلامك ، قال : نعم كانت معي حيرة الداخل وفكرة صاحب الحاجة وذل المسألة وخوف الرد مع [شدة الطمع] .

وقيل للعتابي : قد فلع (؟) ابن مسلم الخلق ، قال : لعله أكل من شعره . ومثل ذلك اجتمع قوم من الشعراء على فالوذجة حارة فقال أحدهم يخاطب شخصاً منهم : كأنها مكانك من النار ، قال له : أصلحها ببيت من شعرك .

قيل : كان مروان بن السمط يرمى في شعره بالبرد ، وكانت له بغلة بالبصرة لا يفارق ركوبها فقال الجمتاز بهجوه ...

حرف اللام



الليث بن سعد

أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث؛ كان مولى قيس بن رفاعة ، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر القهني وأصله من أصبهان ، وكان ثقة سرياً سخياً ، قال الليث : كتبت من علم عمه ابن شهاب الزهري علماً كثيراً ، وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة ، فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته .

وقال الشافعي رضي الله عنه : الليث بن سعد أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به . وكان ابن وهب تقرأ عليه مسائل الليث ، فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء : أحسنَ والله الليثُ ، كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قطُّ أفقه من الليث .
وكان من الكرماء الأجواد ، ويقال إن دخله كان في كل سنة خمسة آلاف ديناراً ، وكان يفرقها في الصلوات وغيرها . وقال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال : صنُ بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى . ورأيت في بعض الجمايع أن الليث كان حنفي المذهب ، وأنه ولي القضاء بمصر ، وأن الإمام مالكا أهدى إليه صينية فيها تمر ، فأعادها مملوءة ذهباً ؛ وكان يتخذ لأصحابه الفالودج ، ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من أكل كثيراً أكثر من صاحبه .

٥٤٩ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٣ ومروج الذهب ٣ : ٣٤٩ وصفة الصفوة ٤ : ٢٨١ والجواهر المضية ١ : ٤١٦ وحلية الأولياء ٧ : ٣١٨ وتذكرة الحفاظ : ٢٢٥ وميزان الاعتدال ٣ : ٤٢٣ وعبر الذهبي ١ : ٢٦٦ والنجوم الزاهرة ، ٢ : ٨٢ وتهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٩ وصحح الأعمش ٣ : ٣٩٩ ، ٤٠٠ والشذرات ١ : ٢٨٥ .
١ هامش بر : في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر : ثمانين ألف دينار .

وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة ، وسمع من نافع مولى ابن عمر ، رضي الله عنها .

وكان الليث يقول ، قال لي بعض أهلي : ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة والذي أوقف سنة أربع وتسعين في شعبان . وتوفي يوم الخميس - وقيل الجمعة - منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى ، وقبره أحد المزارات ، رضي الله عنه . وقال السمعاني : ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائة ، والأول أصح . وقال غيره : ولد سنة ثلاث وتسعين ، والله أعلم بالصواب .

وقال بعض أصحابه : لما دَفَنَّا الليث بن سعد سمعنا صوتاً وهو يقول :

ذهبَ الليثُ فلا ليثَ لكم ومضى العلم قريباً وقبُرُ

قال فالتفتنا فلم نر أحداً .

ويقال : إنه من أهل قَلْقَشَنْدَةَ ، وهي بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية من الوجه البحري من القاهرة ، بينها وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ .

والفهمي : بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى فهم وهو بطن من قبس عَيْلانَ خرج منها جماعة كثيرة^١ .

١ كتب ابن المؤلف في المختار في نهاية ترجمة الليث : « آخر ما نقلته من المجلد الثاني من وفيات الأعيان ويتلوه ما نقلته من الجزء الثالث » (وأوله ترجمة مالك بن أنس) .

الليث بن سعد

أبو الحارث الليث ... سريراً سخياً .

ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين ، وسمع علماء المصريين والحجازيين وروى عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر وغيرهم ، وحدث عنه هشيم بن بشير وعبد الله بن المبارك وعبد الوهاب بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم ويحيى بن بكير وغيرهم . وقدم بغداد وحدث بها . قال الليث : كتبت من علم ابن شهاب الزهري علماً كثيراً وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته .

قال الخطيب صاحب « تاريخ بغداد » : ' خرج الليث إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة وخرج في شوال وشهد الأضحى ببغداد . وقال الشافعي ... أفقه من الليث .

قال أبو الحسن الخادم : كنت غلاماً لزبيدة وأتى يوماً بالليث بن سعد ، فكنت واقفاً على رأس زبيدة خلف الستارة فسأله هارون الرشيد فقال : حلقت أن لي جنتين ؟ فاستحلفه الليث ثلاثاً أنك تحاف الله فحلف له ، فقال له الليث : قال الله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (الرحمن : ٤٦) ؛ قال : فأقطعه قطائع كثيرة بمصر .

قال الليث بن سعد : قال لي أبو جعفر : تلي لي مصر ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك ، إني رجل من الموالي ، فقال : ما بك ضعف

٥٤٩ ب - قد رأينا أن نفرد هنا الترجمة التي وردت في ر لأنها تختلف عما في سائر النسخ ، وقد حذفنا المشترك بين الترجمتين وأبقينا ما يدل على مواضع النصوص المحذوفة ؛ وأكثر هذه الترجمة عن تاريخ الخطيب .

١ تاريخ بغداد ١٣ : ٤ .

معي ، ولكن ضعفت نيتك في العمل عن ذلك لي .
وحج الليث سنة ثلاث عشرة فسمع من ابن شهاب وغيره بمكة في هذه السنة .
وقال الليث : حججت سنة ثلاث عشرة وأنا ابن عشرين سنة .
وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه
البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة
- وما زال يذكر خصالاً جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشرة - لم أر مثله .
قال سعيد بن أبي أيوب : لو أن مالكا والليث اجتمعا لكان مالك عند
الليث أبكم ولباع الليث مالكا في من يزيد .
وقال ابن وهب : كل ما كان في كتب مالك « وأخبرني من أتق به » من
أهل العلم ، فهو الليث بن سعد ؛ وقال ابن وهب : لولا مالك والليث بن سعد
لضلّ الناس .

وقال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث
ابن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون
علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك .
وقال ابن وهب : كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار في كل
سنة ، فكتب إليه مالك : إن عليّ ديناً ، فبعث إليه بخمسة دنانير ؛ وكتب
إليه مالك : إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث إلي شيئاً من
عصفر ، فبعث إليه ثلاثين حملاً من عصفر فصبغ لابنته وباع منه بخمسة دنانير
وبقي عنده فضلة .

وقال قتيبة بن سعيد : كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة .
وقال : ما وجبت علي زكاة قط .
وقال محمد بن ربح : كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار
وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط .
قال منصور بن عمار : أتيت الليث بن سعد فأعطاني ألف دينار وجارية

تسوى ثلاثمائة دينار وقال صنّ بهذه الحكمة .

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابناً لي عليل واشتهى
عسلاً ، فقال : يا غلام ، اعطها مرطاً من عسل ، والمرط عشرون ومائة رطل ؛
وقال غيره : سألت المرأة منّا من عسل فأمر لها بزق فقال له كاتبه : إنما
سألت منّا فقال : إنها سألتني على قدرها فأعطيناها على قدر السعة .

وقال الحارث بن مسكين : اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها
فاستقالوه فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم بمخماتة ديناراً ، فقال له
الحارث ابنه في ذلك فقال : اللهم غفراً ، إنهم كانوا أملوا فيه أملاً فأحببت أن
أعوضهم من أملهم بهذا .

وقال شعيب بن الليث : خرجت مع أبي حاجباً فقدم المدينة فبعث إليه
مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار وردّه إليه .

قال أشهب بن عبد العزيز : كان لليث بن سعد كل يوم أربعة مجالس يجلس
فيها ، أما أولها فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوادثه ، وكان الليث يفشاه
السلطان فإن أنكر من القاضي أمراً أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين
فيأتيه العزل ؛ ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : [نجحوا] أصحاب
الخوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ؛ ويجلس للمسائل يفشاه الناس فيسألونه ؛
ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده ، كبرت حاجته أو صغرت ؛
قال : وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بمسل النحل وسمن البقر ، وفي الصيف
سويق اللوز بالسكر .

قال أبو رجاء قتيبة : قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية وكان معه
ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه .

وقال ابن بكير : سمعت الليث بن سعد كثيراً ما يقول : أنا أكبر من ابن
لهيعة ، والحمد لله الذي متعنا بعقلنا . وكان الليث أكبر من ابن لهيعة ولكن إذا
نظرت إليهما تقول ذا ابن وذا أب ، يعني ابن لهيعة الأب .

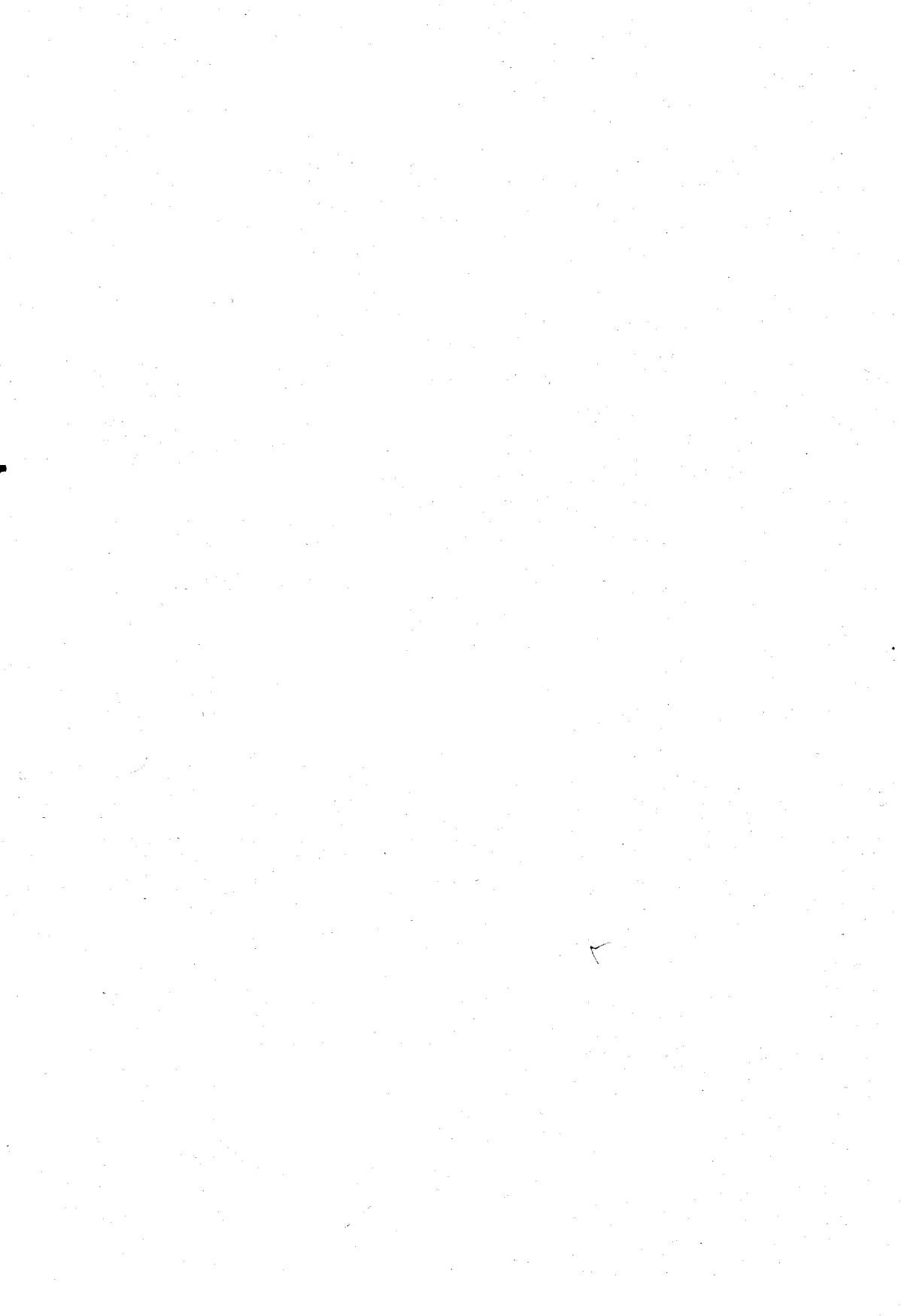
١ تاريخ بغداد : بخمسين ديناراً .

وقيل لليث بن سعد : ما صلاح بلدك يا أبا الحارث ؟ قال : جري نيلها
وعدل واليها ومن رأس العين يأتي الكدر .

وقال أبو محمد ابن أبي القاسم : قلت لليث : أمتع الله بك يا أبا الحارث ،
إننا نسمع منك الحديث ليس في كتبك ، قال : أو كل ما في صدري في كتبتي؟
لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب .

ورأيت في بعض الجمايع ... وقبره أحد المزارات رضي الله عنه .
قال محمد بن عبد الرحمن : كنت جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته
وأنا مع أبي ، فما رأيت جنازة أعظم منها ولا أكثر من أهلها ، ورأيت كلهم
عليهم الحزن والناس يعزي بعضهم بعضاً ويبكون ، فقلت لأبي : يا أبت ، كل
واحد من الناس صاحب الجنازة ، فقال لي : يا بني كان عالماً سعيداً كريماً حسن
الفعل كثير الأفضال ؛ يا بني لا ترى مثله أبداً .
ويقال إنه من أهل قلقشندة ... جماعة كثيرة .

حرف الميم



الإمام مالك

الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس [بن مالك] ^١ بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيان - بفين معجمة وياه تحتها نقطتان - ويقال عثمان - بعين مهملة وئاء مثلثة - ابن جثيل - يجيم وئاء مثلثة وياه ساكنة تحتها نقطتان - وقال ابن سعد : هو خثيل بجاء معجمة ، ابن عمرو بن ذي أصبح ^٢ الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام . أخذ القراءة عَرَضاً عن نافع بن أبي نعيم ، وسمع الزهري وناقماً مولى ابن عمر ، رضي الله عنها ، وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي - وقد تقدم ذكره ^٣ - ثم أفتى معه عند السلطان . وقال مالك : قلّ رجلٌ كنت أتعلم منه ومات ، حتى يجيئني ويستفتيني . وقال ابن وهب : سمعت منادياً ينادي بالمدينة : ألا لا يفقي الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب .

وكان مالك إذا أراد أن يحدث توضعاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث ، فقليل له في ذلك فقال : أحب أن

٥٥٠ - ترجمته في ترتيب المدارك ١ : ١٠٢ - ٢٥٤ وطبقات الشيرازي : ٦٧ وحلية الأولياء

٦ : ٣١٦ والانتقاء : ٩ وصفة الصفوة ٢ : ٩٩ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٥ والمعارف :

٤٩٨ والفهرست : ١٩٨ والديباج المذهب : ١٧ وعبر الذهب ١ : ٢٧٢ والشذرات ١ : ٢٨٩ ؛

وليس في الإمكان حصر الكتب التي ألفت في سيرته أو ترجمت له في هذا المجال .

١ زيادة لم ترد في النسخ الخطية .

٢ زاد في ر : واسمه الحارث ، وسيرد هذا في موضعه .

٣ انظر ج ٢ : ٢٨٨ .

٤ ن : فما مات .

أعظمَ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به إلا متمكناً على طهارة ؛ وكان يكره أن يحدث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً ويقول : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثّة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة .

وقال الشافعي ، قال لي محمد بن الحسن : أيها أعلم صاحبنا أم صاحبكم ؟ يعني أبا حنيفة ومالكاً ، رضي الله عنهما ، قال : قلت : على الإنصاف ؟ قال : نعم ، قال : قلت : ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله من أعلم بأقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فعلى أي شيء يقيس ؟^٣

وقال الواقدي : كان مالك يأتي المسجد ، ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويحلس في المسجد ويجتمع إليه أصحابه ، ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلي وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز فكان يأتي أصحابها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحداً يعزيه ولا يقضي له حقاً ، واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه ، وكان ربما قيل له في ذلك فيقول : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره .

١ بر : فأشددك . ٢ بر : فلم يبق شيء .

٣ ن : نقيس ؛ وفي هامش ل : الذي أجمع عليه سائر العلماء أن الإمام أبا حنيفة لم يماثله أحد من الأئمة وغيرهم في الفقه ، وهذا قول الإمام الشافعي ، وكان الإمام مالك رضي الله عنه إذا حضر مع أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة في مجلس (. . .) أبو يوسف وكلّمه دون (أبي حنيفة) رضي الله عنه . ٤ س : المجلس .

٥ هامش ل : وإنما كان تخلف عن المسجد لأنه سلس بوله فقال عند ذلك : لا يجوز أن أجلس في مسجد الرسول (ص) وأنا على غير طهارة ، فيكون ذلك استخفافاً ، كذا وجد في نسخة بخط المصنف .

وسُعي به إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنها وهو ابن عم أبي جعفر المنصور ، وقالوا له : إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، ففضب جعفر ودعا به وجردّه وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى اخلعت كتفه وارتكب منه أمراً عظيماً ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلياً به . وذكر ابن الجوزي في « شذور العقود » في سنة سبع وأربعين ومائة : وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان^٢ ، والله أعلم .

وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة ، وحُمل به ثلاث سنين . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، رضي الله عنه ، فعاش أربعاً وثمانين سنة ؛ وقال الواقدي : مات وله تسعون سنة [والله أعلم بالصواب]^٣ وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب على السنين : توفي مالك بن أنس الأصبحي لعشر مضي من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل إنه توفى سنة ثمان وسبعين ومائة ، وقيل إن مولده سنة تسعين للهجرة ، وقال السمعي في كتاب « الأنساب » في ترجمة الأصبحي^٤ : إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، والله أعلم بالصواب .

وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » قال : « حدث^٥ القعني قال^٦ : دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيتني يبكي ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما الذي يبكيك ؟ قال فقال لي : يا ابن قَعْنَب ، وما لي لا أبكي ؟ ومن أحق بالبكاء مني ؟ والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأي بسوط سوط ، وقد كانت لي

١ ن : تحلى .

٢ س بر ن والمختار : السلاطين .

٣ زيادة من لي بر س ن .

٤ الأنساب ١ : ٢٨١ .

٥ لي : حدثني .

٦ هو عبد الله بن مسلمة القعني ، وقد ترجم له ابن خلكان (رقم : ٣٢٦) ، وانظر الجذوة : ٣٢٥ .

السَّعة فيما قد سُبقت إليه ، ولتيني لم أفت بالرأي ، أو كما قال .
 وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبقيع
 [جوار إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم]^١ وكان شديد البياض إلى الشقرة ،
 طويلاً عظيم الهامة أصلع ، يلبس الثياب العَدَنِيَّة الجِاداً^٢ ، ويكره حلق
 الشارب ويعيبه ويراها من المثلثة ، ولا يغير شبيهه .
 ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج - وقد سبق ذكره^٣ - بقوله:

سقى جَدَثًا ضم البقيعُ لمالك من المزنِ مرَّعادُ السحائبِ مِبْرَاقُ
 إمامٌ موطاه الذي طبقت به أقاليم في الدنيا فِساحٌ وآفاق
 أقام به شرعَ النبي محمد له حذر من أن يُضام وإشفاق
 له سَنَدٌ عال صحيح وهَيِّبَةٌ فللكل منه حين يرويه إطراق
 وأصحابُ صدقٍ كلهم عَلمَ فسلَّ بهم إنهم إن أنت ساءلتَ حدائق
 ولو لم يكن إلا ابن إدريس وحده كفاه ألا إن السعادة أرزاق

والأصبحي : بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها
 حاء مهملة ، هذه النسبة إلى ذي أصبَحَ ، واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن
 زيد بن شداد بن زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ،
 وإليها تنسب السياط الأصبحية^٤ . وقال هشام بن الكلبي في « جمهرة النسب » :
 ذو أصبَح هو الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي
 ابن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد
 شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن
 حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه يقطن ، بن عابر بن شالخب

١ زيادة من ل س .

٢ ت : الجدد .

٣ انظر ١ : ٣٥٧ .

٤ إلى هنا تنتهي الترجمة في ت ر ن لي س بر ، وورد ما بعده في هامش ل .

ابن إرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والذي ذكرناه أولاً ذكره الحازمي في كتاب « العجالة »^١ والله أعلم بالصواب .

٥٥١

مالك بن دينار

أبو يحيى مالك بن دينار البصري ، وهو من موالي بني سامية بن لؤي القرشي ؛ كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، وروي عنه أنه قال : قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لحياه ومماته . وكان يوماً في مجلس وقد قصّ فيه قاصّ ، فبكى القوم ، ثم ما كان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها ، فقيل لمالك : كل ، فقال : إنما يأكل الرؤوس من بكى ، وأنا لم أبك ، فلم يأكل . وله مناقب عديدة وآثار شهيرة : فمن ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بشكروال الأندلسي - المقدم ذكره^٢ - في كتابه الذي سماه « كتاب المستغنين »^٣ بالله تعالى ، فإنه قال : بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاءه رجل فقال : يا أبا يحيى ، ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين وقد أصبحت في كرب شديد ، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال : ما يرى هؤلاء القوم إلا أننا أنبياء ، ثم قرأ ثم دعا فقال : اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاماً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم ، وجاء رسول إلى عند الرجل وقال : أدرك امرأتك ؛ فذهب الرجل

١ انظر العجالة : ١٧ .

٥٥١ - ترجمته في حلية الأولياء ٢ : ٣٥٧ وصفة الصفوة ٣ : ١٩٧ وتهذيب التهذيب ١٠ : ١٤ .

٢ انظر ج ٢ : ٢٤٠ . ٣ ل ن : المستغنين .

٤ ر : حامل . ٥ ر : إلى الرجل .

فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد ، على رقبته غلام جَعَدَ قَطَطَ ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ، ما قطعت سَرارُه^١ .
وكان من كبار السادات . وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة ، قبل الطاعون ببسير ، رحمه الله تعالى .

وقد أذكرني مالك بن دينار أبياتاً أنشدنيها^٢ لنفسه صاحبنا جمال الدين محمود ابن عبد عملها في بعض الملوك ، وقد حارب ملكاً آخر فانتصر الملك الذي عمل فيه الأبيات على عدوه ، وغنم أمواله وخزائنه وأسر رجاله وأبطاله ، فلما صار الجميع في قبضته فرَّقَ الأموال على الناس^٣ واعتقل الأجناد ، فمدحه ابن عبد المذكور بقصيدة أجاد فيها كل الإجادة ، ووصف هذه الواقعة ، واستعمل لفظة مالك بن دينار وحصل له فيها التورية العجيبة ، والموضع المقصود منها قوله :

أعتقت من أموالهم ما استعبدوا ومَلَكَتَ رِقَبَهُمْ وهمُ أحرارُ
حتى غَدَا من كان منهم مالِكاً متمنياً لو أنه دينارُ

وهذا في نهاية الحسن ، فلماذا ذكرتها^٤ .

١ ر : قطع سرره .

٢ ن : أنشدها .

٣ على الناس : سقطت من ر .

٤ زاد في المختار بعد هذا : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : الممدوح هو الملك الجواد بين أيوب ولي عهد الملك العادل ابن الكامل بدمشق ، والذي انكسر واستولى الجواد على أمواله ورجاله وأبطاله الملك الناصر داود بن المعظم صاحب الكرك ، وكانت الواقعة بظهر حمار من أعمال نابلس ، وكان الناصر يلقب بين الملوك بالفقيه . ولا ابن عبد المذكور في الواقعة المذكورة أيضاً :

يا فقيهاً أخطأ سبيل الرشاد . ليس يفني الجلال يوم الجلال

كيف ينجي ظهر الحمار هزيماً مسن جواد من فوق ظهر جواد

وقد أجاد في معنى هذين البيتين أيضاً فلماذا ذكرتها^٤ »

مجد الدين ابن الأثير الجزري

أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب بمجد الدين .
قال أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » في حقه : أشهر العلماء ذكراً ، وأكبر النبلاء قدراً ، وأحد الأفاضل المشار إليهم ، وفرد الأمائل المعتمد في الأمور عليهم ، أخذ النحو عن شيخه أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان - وقد سبق ذكره^١ - وسمع الحديث متأخراً ، ولم تتقدم روايته .

وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة ، منها : « جامع الأصول في أحاديث الرسول » جمع فيه بين الصحاح الستة ، وهو على وضع كتاب رُزَين ، إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه ، ومنها كتاب « النهاية في غريب الحديث » في خمس مجلدات ، وكتاب « الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف » في تفسير القرآن الكريم ، أخذه من تفسير الثعلبي والزنجشيري ، وله كتاب « المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار » وله كتاب لطيف في صنعة الكتابة ، وكتاب « البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان » وله ديوان رسائل ، وكتاب^٢ « الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي » وغير ذلك من التصانيف^٣ .

وكانت ولادته بجزيرة ابني عمر في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل [في سنة خمس وستين وخمسمائة ثم عاد إلى الجزيرة ثم عاد إلى الموصل وتنقل في الولايات بها]^٤ واتصل بخدمة الأمير مجاهد

٥٥٢ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٣ : ٢٥٧ وذكر المحقق في الحاشية مصادر أخرى .

١ انظر ج ٢ : ٣٨٢ .

٢ ر س : وله كتاب .

٣ ن : المصنفات .

٤ زيادة من ل وبعضه في المختار .

الدين قايماز بن عبد الله الخادم الزيني - المقدم ذكره في حرف القاف^١ - وكان نائب المملكة ، فكتب بين يديه منشئاً إلى أن قبض عليه - كما سبق ذكره - فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله وكتب له إلى أن توفي ، ثم اتصل بولده نور الدين أرسلان شاه - وقد سبق ذكره^٢ - فحظي عنده وتوفرت حرمة لديه وكتب له مدة .

ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً ، وأقام في داره يغشاه الأكارب والعلماء ، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل^٣ ، وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة ، فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يمينونه عليها في الاختيار^٤ والكتابة .
وله شعر يسير ، من ذلك ما أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زلّت به بقلته :

إن زلّت البقلة من تَحْتِهِ فَإِن في زلتها عذرا
حملها من علمه شاهقاً وَمِنْ نَدَى راحته بجرا

وهذا معنى مطروق وقد جاء في الشعر كثيراً .
وحكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أقعدَ جاءهم رجل مغربي ، والتزم أنه يداويه ويبرئه بما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً إلا بعد برئه ، فملنا^٥ إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعه ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء فقال لي : أعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نُجُحُ مُعَانَاتِهِ^٦ ؟ فقال : الأمر

٢ ج ١ : ١٩٣ .

١ انظر ما تقدم ص : ٨٢ .

٣ ل لي بر : في الموصل .

٤ ر : الاختيارات .

٥ س ل لي بر : قال فلنا .

٦ س ر والمختار : معافاته .

كما تقول ، ولكنني في راحة بما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم^١ : وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافي أذل نفسي بالسعي إليهم ، وها أنا اليوم قاعد في منزلي ، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق^٢ من العمر إلا القليل ، فدعني أعيش^٣ باقيه^٤ حراً سليماً من الذل وقد أخذت منه بأوفر حظ ، قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان .

وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل ، يوم الخميس^٥ سلخ ذي الحجة سنة ست وستائة ، ودفن برباطه بدرب دراج داخل البلدة^٦ ، رحمه الله تعالى . وقد سبق ذكر أخيه عز الدين علي^٧ ، وسيأتي ذكر أخيه ضياء الدين نصر الله ، إن شاء الله تعالى^٨ .

وجزيرة ابني عمر : مدينة فوق الموصل على دجلتها ، سميت جزيرة لأن دجلة محيطة بها ، قال الواقدي : بناها رجل من أهل بَرْقَعِيدَ يقال له عبد العزيز بن عمر .

١ ن : والالزام بإحضارهم .

٢ س : ولا يبقى .

٣ س لي بر : أعش .

٤ ن : الاثنين . ه بر : الموصل .

٦ انظر ج ٣ : ٣٤٨ .

٧ هنا تنتهي الترجمة في ن س لي ت بر ؛ والتعريف بجزيرة ابني عمر قد مر مفصلاً في الترجمة رقم :

٤٦٠ (ج ٣ : ٣٤٨) ؛ وترد في النسخ ما دأ بر « جزيرة ابن عمر » .

المبارك بن منقذ

أبو الميمون المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الملقب بسيف الدولة مجد الدين؛ كان من أمراء الدولة الصلاحية، وشاد الديوان بالديار المصرية، وهو من بيت كبير - وقد سبق ذكر جده سديد الدولة علي، وابن عمه أسامة بن مرشد^١.

ولما ستر السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه - المقدم ذكره^٢ - إلى بلاد اليمن وتملكها رتب ابن منقذ المذكور نائباً عنه في زبيد، ولما رجع شمس الدولة إلى الشام فارق ابن منقذ اليمن واستناب أخاه حطان باذن شمس الدولة، ووصل إلى دمشق، ثم رجع شمس الدولة إلى مصر وابن منقذ معه، وقيل لصلاح الدين عنه: إنه قتل جماعة من أهل اليمن وأخذ أموالهم، فلما مات شمس الدولة حبسه صلاح الدين، وأخذ منه ثمانين ألف دينار وعروضاً بعشرين ألف دينار، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسة مائة، ثم توجه سيف الإسلام طفتكين - المقدم ذكره - إلى اليمن فتحصن حطان في بعض القلاع، فاستنزه بالمهادنة والخذاع، وقبض عليه واستصفى أمواله، وسجنه في بعض القلاع، وكان آخر العهد به، ويقال إنه قتله، وقيل إنه أخذ منه سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً، والله أعلم^٣.

ولم يزل سيف الدولة المذكور مقدماً في الدولة كبير القدر نبيه الذكر رئيساً عالي الهمة، وكانت فيه فضيلة وكان يحب أربابها، ومدحه جماعة من مشاهير

٥٥٣ - في الروضتين ومرآة الزمان طرف من أخباره، وانظر النجوم الزاهرة ٦ : ٧٩ .

١ انظر ج ٣ : ٤٠٩ ، ج ١ : ١٩٥ .

٢ انظر ج ١ : ٣٠٦ .

٣ ولما سير السلطان . . . أعلم : لم يرد إلا في ل .

الشعراء ، ومن جملة مداحه القاضي الوجيه رضي الدين أبو الحسن علي بن أبي الحسن يحيى بن الحسن بن أحمد المعروف بابن الذرّوي^١ مدحه بقصيدته الذالية التي سارت مسير المثل ، وأولها :

لكّ الخير عرّج بي على ربهم فذني
وذا ، يا كلم الشوق ، وادٍ مقدس^٢
ربوع يفوح المسك من عرفها الشذي
لدى الحب فاخلع لئس يشيه محتذي
ومن جملتها^٣ :

وبي ظبي إنسٍ كمل الله حسنه
جلا تحت يا قوت اللّمي ثغر جوهر
ولي عدل^٤ أبدي التشاغل عنهم
يقولون من هذا الذي مت^٥ في الهوى
ورب^٦ أديب لم يجد في ارتحاله
أقول له إذ قام يرحل مصعباً
مبارك وقد العيس باب مبارك
ومن مديحها وفيه صناعة بديعة :

وألين عند السلم من بطن حيّة
وأخشن يوم الروع من ظهره قنفذ

وهي قصيدة نفيسة اقتصرت منها على هذه الأبيات حذراً من التطويل .
ولأبي الميمون المذكور شعر ، فمن ذلك قوله في البراغيث :

١ بر : بالذرّوي .

٢ ن لي : ومنها .

٣ ن ل لي : لا علموا .

٤ سقط البيت من ن .

٥ بر : مس .

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج في الحرم
إذا سفكت دماً منها فما سفكت يداي من دمها المسفوك غير دمي
أصطاد هذا فيبقى ذا فيلسفي فينقضي الليل في صيدي ولسهم^١

(158) هكذا رواها^٢ عنه عز الدين أبو القاسم عبد الله بن أبي علي الحسين
ابن أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة بن
عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي. ومولد ابن رواحة بساحل
صقلية سنة ستين وخمسمائة، ومات سنة ست وأربعين وستائة في جباب التركان ،
المنزلة التي بين حلب وحماة ، وهو راكب على الجمل ، فكانت ولادته في مركب ،
ومات على جمل^٣ .

وكانت ولادة سيف الدولة المذكور بقلعة شيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة .
وتوفي بالقاهرة ثامن شهر رمضان يوم الثلاثاء سنة تسع وثمانين وخمسمائة رحمه
الله تعالى .

والذروى : بفتح الذال المعجمة والراء وبعدها واو ، هذه النسبة إلى
ذروى وهي قرية بصعيد مصر .

١ سقط البيت من النسخ الخطية ، وجميع الأبيات الميمية لم ترد في ت ؛ وعند آخر هذه الأبيات

تنهي الترجمة في المختار .

٢ س ل ي بر : رواها .

٣ ومات سنة . . . جمل : سقط من ن س ل ي بر .

شرف الدين ابن المستوفي

أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمية بن غالب اللخمي ، الملقب بشرف الدين ، المعروف بابن المستوفي الإربلي ؛ كان رئيساً جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته وحمل إليه ما يلقى بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب فقد كانت سوقهم لديه نافقة . وكان جم الفضائل عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، كان إماماً فيه . وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها . وكان بارعاً في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم .

وجمع لإربل تاريخاً في أربع مجلدات ، وقد أحلت عليه في هذا الكتاب في مواضع عديدة ، وله كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » في عشرين مجلدات ، وكتاب « إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل » في مجلدين تكلم فيه على الأبيات التي استشهد بها الزمخشري في « المفصل » وله كتاب « سر الصنعة » وله كتاب سماه « أبا قماش » جمع فيه أدباً كثيراً ونوادير وغيرها .

وسمعت منه كثيراً ، وسمعت بقراءته على المشايخ الواردين على إربل شيئاً كثيراً فإنه كان يعتمد القراءة بنفسه ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، فمن شعره بيتان فضل فيها البياض على السمرة ، وهما :

لا تحْدَعَنَّكَ سُمْرَةٌ غَرَّارَةٌ ۲ ما الحسنُ إلا للبياضِ وجنسه

٥٥٤ - في مرآة الزمان : ٦٤٤ طرف من أخباره ، وانظر الحوادث الجامعة : ١٣٥ وبغية الوعاة

٣٨٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٥٥ والشذرات ٥ : ١٨٦ .

١ س ل بر : عشرة . ٢ ر : بمذاره .

فالرمحُ يقتل بعضه من غيره والسيفُ يقتل كلُّه من نفسه
وقد أخذ هذا المعنى من قول أبي الندى حسان بن نمير الكلي المعروف
بالعرقة الدمشقي الشاعر المشهور ، وهو^١ :

إن كنتَ بالأسمر الزيتي مُفْتَتِنًا فسَلْ عن الأبيضِ الفضيِّ بلبَّابِي
إن كان في الرمحِ شبرٌ قاتلٌ أبداً ففي المِهْنَدِ شبرٌ غير قتالِ

ولما نظم شرف الدين بيتيه هذين قال بعض الأدباء : لو قال إن بعض الرمح
الذي يقتل به هو من جنس السيف كان أتم في المعنى ، فعمل بعض المتأدبين
— ولا أعلم هل هو شرف الدين نفسه أم غيره — بيتين نَبَّهَ فيها على هذه
الزيادة ، وهما :

البيضُ أَقْتَلُ مَضْرِباً وبمهجتي منها الحسان
والسمرُ إن قتلت فمن بيضٍ يُصاغ لها السنان^٢

ومن أشعاره التي يتغنى بها قوله^٣ :

يا ليلة حتى الصباح سهرتها قابلت فيها بدرها بأخيه
سمح الزمان بها فكانت ليلة عَذَّبَ العتابُ بها لمجتذبه
أحيتها وأمتها عن حاسدٍ ما همهُ إلا الحديث يشيه
ومعانقي حلوا الشائل أهيف جُمِعَتْ ملاحه كل شيء فيه
يختال معتدلاً فإن عبث الصبا بقواميه متعرضاً يثنيه
نشوان تهجم بي عليه صبابتي^٤ ويردني ورعي فاستحييه

١ ترجمة العرقة وأشعاره في الخريدة (قسم الشام) ١ : ١٧٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٢ ولما نظم . . . السنان : سقط من جميع النسخ ما عدل .

٣ ن ر : ومن شعره الذي يفنى به (يتغنى) .

٤ ر : لعب .

٥ ز : صباية .

علقت يدي بعذاره وبجده هذا أقبله وذا أجنيه
لولم تخالط زفرتي أنفاسه كانت تم بنا إلى واشيه
حَسَدَ الصَّباحِ اللَّيلَ لما ضمنا غيظاً ففرق بيننا داعيه

وله :

رعى الله ليلات تَقَصَّتْ بقربكم قصاراً وحياتها الحيا وسقاها
فما قلت إليه بعدها لمسامرٍ من الناس إلا قال قلبي آها

وهذان البيتان يوجدان في أثناء قصيدة لصاحبنا الحسام الحاجري - المقدم
ذكره في حرف العين - لكن رأيت أكثر أصحابنا يقولون : إنها لشرف الدين
المذكور ، والله أعلم .

وكان قد خرج من مسجد يجواره ليلاً ليحيء إلى داره فوثب عليه شخص
وضربه بسكين قاصداً فؤاده ، فالتقى الضربة بعضده فجرحته جراحة متسعة
فأحضر في الحال المزين وخاطها ومَرَّخها وقمَّطها باللفائف ، فكتب إلى الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات ، وغالب
ظني أن ذلك كان في سنة ثماني عشرة وستائة ، وأذكر القصيدة^٢ وأنا يومئذ
صغير ، والأبيات :

يا أيها الملك الذي سَطَوَاتُهُ من فعلها يتعجبُ المريح
آيات جودك محمٌ تنزيلها لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو إليك وما بليت بمثلها شعاء ذكرُ حديثها تاريخ
هي ليلة فيها ولدت وشاهدي فيما ادعيت القمط والتمريح

وهذا معنى بديع جداً . وكان يقول : عملت في نومي بيتين وهما :

وبتنا جميعاً وبات الغيورُ يعضُّ يديه علينا حَتَّقُ

١ انظر ج ٣ : ٥٠١ .

٢ ت : القصة ؛ بر : القصيدة .

نود غراماً لَوَ أَنَا نُبَاعَ سَوَادِ الدَّجِيِّ بِسَوَادِ الحَدَقِ

وكان قد وصل إلى إربل بعض الشعراء وهو الشرف عبد الرحمن بن أبي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر في سنة ثمان وعشرين وستائة وشرف الدين يومئذ وزير ، فسير له مثلوماً على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعَار الموصلي صاحب التاريخ^١ - والمثلوم : عبارة عن دينار تُقْطَعُ منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا ، لأنهم يتعاملون بالقطع الصغار ، ويسمون القراضة ، ويتعاملون أيضاً بالثلوم ، وهو كثير الوجود بأيديهم في معاملاتهم - فجاء الكمال إلى ذلك الشاعر وقال له : الصاحبُ يقول لك : أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك ، فتوهم ذلك الشاعر أن يكون الكمال قد قرض القطعة^٢ من الدينار ، وأن شرف الدين ما سيره^٣ إلا كاملاً ، وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين ، فكتب إليه :

يا أيها المولى الوزير ومن به في الجود حقاً تُضْرَبُ الأمثال
أرسلت بدر التم عند كماله حسناً فوافى العبدَ وهو هلال
ما غاله النقصان إلا أنه بَلَغَ الكمال ، كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق ، وأجاز الشاعر وأحسن إليه .

وكنت خرجت من إربل في سنة ست وعشرين وستائة وشرف الدين مستوفي الديوان ، والاستيفاء في تلك البلاد منزلة عليّة ، وهو تلو الوزارة ، ثم بعد ذلك تولى الوزارة في سنة تسع وعشرين وستائة ، وشكرت سيرته فيها ، ولم

١ هو صاحب عقود الجمان الذي نشير إليه في التعليقات .

٢ ن لي : تلك القطعة .

٣ ن : أرسل .

٤ ن ر بر : هذا .

يزل عليها إلى أن مات مظفر الدين في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الكاف^١ رحمه الله تعالى ، وأخذ الإمام المستنصر إربل في منتصف شوال من السنة المذكورة فبطل شرف الدين وقعد في بيته ، والناس يلزمون خدمته على ما بلغني ، ومكث كذلك إلى أن أخذ التَّسَّرَ مدينة إربل في سابع عشرين شوال سنة^٢ أربع وثلاثين وستائة ، وجرى عليها وعلى أهلها ما قد اشتهر ، فكان شرف الدين في جملة من اعتصم بالقلعة وسلم منهم ، ولما انتزح التتر عن القلعة انتقل إلى الموصل وأقام بها في حرمة وافرة ، وله راتب يصل إليه ، وكان عنده من الكتب النفيسة شيء كثير . ولم يزل على ذلك حتى توفي بالموصل يوم الأحد لخمس خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين وستائة ، ودفن بالمقبرة السابلة خارج باب الحصاصة . ومولده في النصف من شوال سنة أربع وستين وخمسة بقلعة إربل . وهو من بيت كبير كان فيه جماعة^٣ من الرؤساء الأدباء . وتولى الاستيفاء بإربل والده وعمه صفى الدين أبو الحسن علي بن المبارك .

(159) وكان عمه المذكور فاضلاً وهو الذي نقل « نصيحة الملوك » تصنيف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من اللغة الفارسية إلى العربية ، فإن الغزالي لم يضعها إلا بالفارسية ، وقد ذكر ذلك شرف الدين في تاريخه ، وكنت أسمع ذلك أيضاً عنه أيام كنت في تلك البلاد ، وكان ذلك مشهوراً بين الناس .

(160) ولما مات شرف الدين رثاه صاحبنا الشمس أبو العز يوسف بن النفيس الإربلي المعروف بشيطان الشام ، ومولد شيطان الشام سنة^٤ ست وثمانين وخمسة بإربل ، وتوفي بالموصل سادس عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستائة ، ودفن بمقبرة باب الحصاصة ، وفيه يقول :

أبا البركات لو دَرَّتِ المنايا بأُنك فرد عَصرك لم تصبكا

١ انظر ما تقدم ص : ١١٣ .

٢ ت : في بعض شهور سنة ؛ وفي المختار : في سابع عشر شوال سنة . . . الخ .

٣ ت ر : بإربل .

٤ ر : ومولده سنة .

كفى الإسلام رزاً فقد شخص عليه بأعين الثقلين يُبكي^١

ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره وماجراياته وتفاصيل أحواله وما مدح به ، ولقد كان ، رحمه الله ، من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد مثله في فضائله ورياسته^٢ .
وقد سبق الكلام على اللّخمي فلا حاجة إلى إعادته .

٥٥٥

الوجيه ابن الدهان

أبو بكر المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد، الملقب بالوجيه، المعروف بابن الدهان ، النحوي الضرير الواسطي ؛ ولد ببغده ونشأ به ، وحفظ القرآن هناك وقرأ القراءات ، واشتغل بالعلم وسمع بها من أبي سعيد نصر بن محمد بن سالم الأديب وأبي الفرج العلاء بن علي المعروف بابن السوادي الشاعر - وقد تقدم ذكره^٣ - وغيرهما ، ثم قدم بغداد واستوطنها ، وكان يسكن بالظفرية^٤ ، وجالس أبا محمد ابن الخشاب النحوي وصحب أبا البركات ابن الأنباري - المقدم ذكرهما^٥ - ولازم أبا البركات ، وجُلُّ ما أخذ عنه ، وسمع الحديث من أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبلية ، ثم شَغَرَ منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وشرط

١ هنا تنتهي الترجمة في المختار .

٢ ورياسته : سقطت من ن .

٥٥٥ - ترجمته في مرآة الزمان ٢ : ٥٧٣ وانباه الرواة ٣ : ٣٥٤ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى .

٣ انظر ج ٣ : ٤٨١ .

٤ ر : بالظاهرية ؛ والظفرية : محلة بشرقي بغداد (ياقوت) .

٥ انظر ج ٣ : ٤٨١ .

الواقف أن^١ لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب، فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاه ، وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات بن زيد التكريتي^٢ :

ومن مبلِّغٍ عني الوجيهَ رسالةً وإن كان لا تُجدي إليه الرسائلُ
تَمَدَّهَبَتْ للنعمان بعد ابن حنبلٍ وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قولَ الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليلٍ أنت لا شك صائرٌ إلى مالك فافطنْ لما أنا قائل

واللوجيه المذكور تصنيف في النحو، وأقرأ القرآن الكريم كثيراً، وكان كثير الهذر، وفيه شره^٣ نفس وتوسع في القول، وكان كثير الدعاوى، وله شعر فمته^٤:

لستُ استقبِحُ اقتضاءك بالوءِ دِيءٍ وإن كنتَ سيدَ الكرماءِ
فإلَهُ السماءِ قد ضَمِنَ الرزقَ عليهِ ويقتضي بالدعاءِ

وكانت ولادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسة بواسط. وتوفي ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان سنة اثنتي عشرة وستائة ببغداد، ودفن من الغد بالورديّة^٥، رحمه الله تعالى^٦.

١ ل والمختار : أنه ؛ وسقطت من لي .

٢ هو محمد بن أحمد بن زيد التكريتي (ذيل الروضتين : ٣٦ وفيه الأبيات) .

٣ س ير : فمته قوله .

٤ س : للوعد ؛ لي : في الوعد ، وما هنا موافق لما في الانباه وسائر النسخ .

٥ الوردية : مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريبة من باب الظفرية (ياقوت) .

٦ تتفق هذه الترجمة مع ما ورد في انباه الرواة في سياقها العام .

القاضي مجلي صاحب « الذخائر »

أبو المعالي مجلي بن جُمَيْع بن نجا ، القرشي المخزومي الأرسوفي الأصل ، المصري الدار والوفاء ، الفقيه الشافعي ؛ كان من أعيان الفقهاء المشار إليهم في وقته ، وصنف في الفقه كتاب « الذخائر » وهو كتاب مبسوط جمع من المذهب شيئاً كثيراً ، وفيه نقل غريب ربما لا يوجد في غيره ، وهو من الكتب المعتبرة المرغوب فيها ، وتولى أبو المعالي المذكور القضاء بمصر في سنة سبع وأربعين وخمسة بتفويض من العادل أبي الحسن علي بن السلار - المقدم ذكره في حرف العين^٢ - فإنه كان صاحب الأمر في ذلك الزمان ، ثم صرف^٣ عن القضاء في أوائل سنة تسع وأربعين وخمسة ، قيل في العشر الأخير من شعبان من السنة^٤ . وتوفي في ذي القعدة سنة خمسين وخمسة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، رحمه الله تعالى .

والأرسوفي : بضم الهمزة وسكون الراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها فاء ، هذه النسبة إلى أرسوف ، وهي بليدة بالشام على ساحل البحر ، كان بها جماعة من العلماء والمرابطين ، وهي اليوم بيد الفرنج ، خذلهم الله تعالى^٥ .

٥٥٦ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٣٠٠ وحسن المحاضرة ١ : ١٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ١٤١ والشذرات ٤ : ١٥٧ وقد رآه ابن العربي في رحلته ببيت المقدس (انظر مجلة الأبحاث ، بيروت ١٩٦٨ ص ٥٩ - ٩١) ؛ وقد أسقط صاحب المختار ترجمة مجلي وبدأ بتعريف أرسوف ، وجاء بسياق التاريخ كما ثبت في ر أيضاً .

١ ن : جمع فيه .

٢ انظر ج ٣ : ٤١٦ .

٣ ر : وقيل انه صرف .

٤ ر : السنة المذكورة .

٥ إلى هنا تنهي الترجمة في ت ن لي س بر وما بعده زيادة من هامش ل وقد ثبت أكثره في ر =

(161) قلت : ثم انتزعها السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالح النجمي من أيديهم في ثاني عشرين رجب من شهور سنة ثلاث وستين وستائة بعد أن ملك قيسارية وخربها وعفى آثارها مع كثير من البلاد الساحلية التي تجاورها مثل يافا وغيرها ، فامتلكها وبقي بها بعد ذلك^١ .

والملك الظاهر المذكور هو أحد ممالك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب - وسيأتي ذكر والده في محله - وتولى المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي في سنة ثمان وخمسين وستائة ، وكان قتل المظفر وهو عائد من كسرة التتر المخذولين ، وهي الكسرة المشهورة على عين جالوت بالقرب من بيسان ، وقتل بمنزلة القصير من الرمل ، وتولى الظاهر بعده باتفاق الأمراء عليه وتوجهَ لليلته ووصل القلعة في اليوم الثاني لمسيره ودخلها ، وكنت يومئذ بالقاهرة .

وكان ملكاً عالي الهمة شديد البأس ، لم نَرَ في هذا الزمان ملكاً مثله في عزمه وهمة وسعاده ، وفتح من حصون الفرنج والإسماعيلية ما أعيا من تقدمه من ملوك الإسلام^٢ وذلك في مدة مملكته . وكسر التتر دفعات آخرها في أواخر سنة خمس^٣ وسبعين وستائة بحدود بلاد الروم ، ودخل الروم ووصل إلى قيسارية

= ووستنفيد أيضاً وأُخلت به المطبوعة المصرية ؛ وهذه الزيادة من عمل المؤلف ، وسوف يحيل عليها في تراجم لاحقة .

١ زاد هنا في المختار قوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : والذي فتح الملك الظاهر المذكور من البلاد من أيدي الفرنج ، خذلم الله تعالى ، غير أرسوف ويافا المذكورتين : قيسارية المجاورة لأرسوف ، والقرين الحصن المقارب لعكا ، وصفا والشقيف وحصن عكار وحصن الأكراد وحلبا وعرقا والقليعات وصافيتا وأنطاكية وقيصر أنطاكية ، وأغار على طرابلس فقطع أشجار بسايتها وخرّب قناتها ، وبذلك انقطع الماء عنها ، وأغار على عكا وشعث قراها وفتك بأبطالها وأسر جماعة من ملوك البحر فيها ومن فرسانها ، تمعده الله برحمته » .

٢ زاد هنا في المختار : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : « وفتح صهيون وبلاطنش وما جاورهما من الحصون واستقصى فتح حصون الإسماعيلية بالشام ، وفتح دنقلة كرسى بلاد النوبة وما جاورها من بلادهم ، وفتح بلاد السيس دفعتين ، وأسر ابن ملكها ثم من عليه من الديار المصرية ، قدس الله روحه » .

٣ ل : أربع .

وجلس على سرير الملك بها ثم عاد إلى دمشق وأقام بها إلى أوائل سنة ست وسبعين وستائة ، فتوفي بها في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم من سنة ست المذكورة بقصر الميدان ، ونقل ليومه إلى القلعة وكنم موته ، وقام مملوكه وعتيقه الأمير بدر الدين بيلبك المعروف بالخازندار بتدبير الأمور والعساكر وتوجه بهم إلى مصر ودخلها في شهر صفر من السنة ووطد قواعد السلطنة لولده السعيد ناصر الدين محمد بركة قان ، واستمرت المملكة .

ثم توفي بدر الدين الخازندار في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وفي أثناء هذه السنة أظهر موت الملك الظاهر ودفن بالتربة المجاورة للمدرسة التي أنشأها ولده الملك السعيد المذكور بدمشق المحروسة شمالي الجامع قبالة المدرسة العادلية الكبيرة .

(162) وأقام ولده الملك السعيد في المملكة إلى سنة ثمان وسبعين وستائة . وفي هذه السنة وصل إلى دمشق وزار قبر والده المذكور وأقام بدمشق مدة يسيرة . وجرت أسباب أوجبت تغير قلوب الأمراء ، وانفصل أكثر العساكر عنه¹ وفارقوه وتوجهوا طالبين الديار المصرية وتبعهم هو فيمن بقي من عسكره وفيمن عنده من ممالك أبيه وعسكر الشام ومعه من الأمراء الكبار شمس الدين سنقور الأشقر العلائي والأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير وغيرها ؛ ثم جرت أمور يطول شرحها ، خلاصتها انه شق جموعهم بنفسه ودخل قلعة مصر في العشر الأواخر من ربيع الأول من السنة ، ثم حاصروه بها وأنزلوه منها وأعطوه قلعة الكرك ، وهي قلعة حصينة بين الشام ومصر على فم البرية الحجازية ، فأقام بها إلى أن توفي في يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستائة ودفن بالكرك مدة ثم نُقل إلى دمشق المحروسة في شهر جمادى من سنة ثمانين وستائة ودفن على والده في التربة المجاورة للمدرسة المذكورة التي أنشأها . وهذه المدرسة على الفريقين أصحاب الإمام الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنها ، وافتتح بذكر الدرس فيها يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة سبع

١ زاد في رهننا : « في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر من السنة » وهو مخالف لما سيأتي .

وسبعين وستائة، وكنت حاضره يومئذ، وحضر نائب المملكة بدمشق يومذاك، وهو الأمير عز الدين ايدمر بن عبد الله الظاهري، وهي من مشاهير المدارس

١ زاد في المختار قوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وحضرت الدرس المذكور ، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين إسماعيل المعروف بالفارقي العالم الفاضل الأديب المنشئ المشهور ، وهو من أصحاب والدي وأهل وده ، وله فيه مدائح كثيرة منها ما كتبه إلى والدي عند قدومه من مصر في المحرم سنة سبع وسبعين وستائة حاكماً بدمشق والشام ، وذلك بعدما أقام بدمشق سبع سنين :

أنت في الشام مثل يوسف في مصر وعندي بين الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد الله سبع عام فيه يغاث الناس
وكان مولده على ما نقلته من خط والدي في سنة سبع وثمانين وخمسائة ، وكان هو يخفي تاريخ مولده بالكلية . وقرأت عليه مختصراً في علم البيان للرمازي ، وآخر في العلم المذكور للقيرواني ، وكان بيني وبينه صحبة واجتماعات كثيرة ، وكتب إلي يستدعيني إليه بهذين البيتين وقال : لا يمززا بثالث وهما :

ممكن أن يزورني أوجده الشام وعهدي به عهددي راعي
أو له شاغل فأسمى إليه مع ضعف القوى كسعي يراعي
وتوفي (.) المحرم سنة تسع وثمانين وستائة قتيلاً بالمدرسة المذكورة وهو مستمر على تدريسها ، وكان مجرداً من الأهل والزوجة ، خنته ابن سعد الدين أسعد المنشئ الفارقي ، وسعد الدين المذكور ابن اخت الشيخ رشيد الدين ، وذلك بسبب ذهب كثير اطلع عليه أنه في حاصله ، ودفن من يومه بسفح قاسيون رحمه ، الله تعالى .

وكان مدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي قاضي القضاة بالديار المصرية - كان - العالم المشهور ، وكان قد استغنى من الحكم بمصر واختار المقام بمصر ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ولي منه إجازة بجميع مصنفاة ومسموعات . تم لما توفي مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين ابن العديم الحلبي بدمشق بالجوسق المعروف بهم المطل على الوادي ، غربي زاوية الحريري في (.) ودفن بالتربة التي أنشأها تجاه الجوسق المذكور في القبلة على طريق المزة ، وكان قاضي القضاة لمذهبه بدمشق عند وفاته ، وحضرت جنازته ، وكان صاحبنا ، ولي منه إجازة كالأولى : وكان مولده (.) رحمه الله ، أضيف قضاء دمشق لمذهبه إلى سليمان المذكور فباشره إلى أن توفي (.) ودفن بتربته المعروفة بجبل الصالحيين بالقرب من رباط الناصر وحضرت جنازته ، وكان مولده (.) وهو من أهل حوران ، رحمه الله تعالى .

وكبارها يومئذ بدمشق المحروسة ، حماها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين .
[163] ولما نزل الملك السعيد من قلعة الجبل انتهى رأي أكابر الأمراء على أن يقيموا أخاه سيف الدين سلامش ، وكان صغيراً ، تقدير عمره دون عشر سنين ، وأن يُلقبوه بالملك العادل فوضوه مكانه في السلطنة ، وأن يكون أتابك العساكر ومتولي التدبير الأمير سيف الدين قلاون الصالحى المعروف بالألفى الكبير ، فجرى الأمر على ذلك ، واستمر هذا الحال كذلك إلى أواخر شهر رجب من السنة ، فاستقل الأمير سيف الدين قلاون المذكور بالسلطنة وركب بأبنتها في حادي عشرين رجب المذكور ، ولقب بالملك المنصور ، وخلفه الأمراء والناس ، ودخل أهل جميع الممالك في طاعته ، ولم يبق إلا الملك السعيد بالكرك . ثم ان الأمراء أرسلوا إلى الملك السعيد بالكرك أخوة سلامش المذكور وعامة أهل بيت الملك الظاهر ، فانقطعت مملكتهم من الديار المصرية وغيرها ، ولم يبق لهم إلا قلعة الكرك وما هو مضاف إليها ، والله متولي الأمور ، وبمشيئته يجري كل مقدور^١ .

[وكان سبب وفاة الملك السعيد أنه خرج إلى الصيد فتقنطر به الفرس ، فحمل إلى قلعة الكرك فبقي يوميات قلائل مريضاً ، ثم توفي في التاريخ المذكور]^٢ .

١ انفردت النسخة ل بما بين معقنين .

٢ زيادة من المختار .

أبو علي التنوخي

القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ابن تميم التنوخي - وقد سبق ذكر أبيه في حرف العين وإيراد شيء من أخباره وشعره^١ - وذكرهما الثعالبي في باب واحد وقدم ذكر الأب ، ثم قال في حق أبي علي المذكور : « هلال ذلك القمَر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله ، والفرع المسند لأصله ، والنائب عنه في حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته . وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر :

إذا ذُكر القضاة وهم شيوخٌ تخيرت الشبابَ علي الشيوخِ
ومَنْ لم يرضَ لم أصفعهُ إلا بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وذكر في أوائل هذا الكتاب أنه كان على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز في سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابني عمر^٢ ، وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه ، وكتاب « نشوار^٣ المحاضرة » وله كتاب « المستجاد من فَعَلات الأجواد » .

وسمع بالبصرة من أبي العباس الأثرم وأبي بكر الصولي والحسين بن محمد بن

٥٥٧ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٥ واليتمية ٢ : ٣٤٦ ومعجم الأدباء ١٧ : ٩٢ والجواهر

المضية ٢ : ١٥١ والمنتظم ٧ : ١٧٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٦٨

والشذرات ٣ : ١١٢ .

١ انظر ج ٣ : ٣٦٦ .

٢ وذكر ... عمر : سقط من س ن ل ي ت .

٣ ل ر : نشوان .

يحيى بن عثمان النسوي^١ وطبقتهم ، ونزل ببغداد وأقام بها ، وحدث إلى حين وفاته وكان سماعه صحيحاً ، وكان أديباً شاعراً أخبارياً ، وكان أول سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر وبابل وما والاها في سنة تسع وأربعين ، ثم ولاة الإمام المطيع لله القضاء بمسكر مكرم وإيدج ورامهرمز ، وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة في نواح مختلفة .

ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج يستسقي وكان في السماء سحب ، فلما دعا أصححت السماء ، فقال أبو علي التنوخي :

خرجنا لنستسقي بيؤمن دعائه وقد كاد هُدْبُ الغيم أن يلحف^٢ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما فما تم إلا والغمام قد انفضَّصا

ولبعضهم في المعنى وهو أبو الحسين سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي الأندلسي المالقي^٣ في هذا المعنى :

خرجوا ليستسقوا وقد نجمت غربية قَمِينٌ بها السحُ
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها رشح
كشِفَ السحابُ إجابةً لهم فكأنهم خرجوا ليستصحوا

ومن المنسوب إليه أعني القاضي التنوخي^٤ :

قل للمليحة في الخمار المذهبِ أفسدتِ نسكَ أخي التقي المترهبِ
نور الخمار ونور خدكِ تحته عَجَباً لوجهك كيف لم يتكَلَّبِ

١ ل س لي : النسوي ؛ ر : الفسولي ؛ بر : القسوي .

٢ المختار ؛ بر : يلحق .

٣ ل ر والمختار : المالكي ؛ وانظر ترجمة ابن الطراوة في المقتضب من التحفة : ١١ والمغرب

٢ : ٢٠٨ والتكملة لابن الأبار (رقم : ١٩٧٩) وبنية الوعاة : ٢٦٣ والنفع ٣ : ٣٨٤

وبنية الملتبس رقم : ٢٩٠ .

٤ أعني القاضي التنوخي : زيادة من ر ل ؛ وهي زيادة لازمة .

وجمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيها من مذهب
وإذا أتت عينٌ لتسرق نظرةً قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

وما أَلطف قوله « اذهبي لا تذهبي » . وقد أذكرتني هذه الأبيات في الخمار
المذهب حكايةً وقفت عليها منذ زمان بالموصل ، وهي أن بعض التجار قدم
مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حمل من الخُمُرِ السود ، فلم يجد لها
طالباً ، فكسدت عليه وضاق صدره ، فقيل له : ما ينفقُها لك إلا مسكين
الدارمي ، وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة ، فقصدَهُ
فوجده قد تزهد وانقطع في المسجد ، فأراه وقص عليه القصة ، فقال : وكيف
أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟ فقال له التاجر : أنا رجل
غريب ، وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد
وأعاد لباسه الأول وعمل هذين البيتين وشهرهما ومما :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا أردتِ بناسكٍ متعبد
قد كان شمراً للصلاة ثيابهُ حتى قعدت له بباب المسجد

فشاع بين الناس أن مسكيناً الدارمي قد رجع إلى ما كان عليه ، وأحبَّ
واحدة ذات خمار أسود ، فلم يبق بالمدينة ظريفة إلا وطلبت خماراً أسود ، فباع
التاجر الحمل الذي كان معه بأضعاف ثمنه ، لكثرة رغباتهم فيه ، فلما فرغ منه
عاد مسكين إلى تعبده وانقطاعه .

وكتب القاضي أبو علي التَّنُوخي المذكور إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان :

نلتَ في ذا الصَّيَّام ما تَشْتَهيه وكفَّاكَ الإله ما تَتَّقِيهِ
أنتَ في الناس مثلُ شُركٍ في الأشهر ، بَلْ مثلُ لَيْلَةِ القَدْرِ فِيهِ

١ زاد في ن بيتاً ثالثاً وهو :

ردي عليه ثيابه ووقاره لا تقتليه بحق آل محمد

ولذلك قال قبل الأبيات : وعمل هذه الأبيات الثلاثة وأشهرهم .

وله أشياء فائقة .

وكانت ولادته ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين
وثلاثمائة بالبصرة . وكانت وفاته ليلة الاثنين ، لخمس بقين من المحرم سنة أربع
وثمانين وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

(164) وأما ولده أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي فكان أديباً
فاضلاً له شعر لم أقف منه على شيء ، وكان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه
كثيراً ، وكان يروي الشعر الكثير ، وهم أهل بيت كلهم فضلاء أديباء ظرفاء ،
وكانت ولادة الولد المذكور في منتصف شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة بالبصرة ،
وتوفي في يوم الأحد مستهل المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ،
وكانت بينه وبين الخطيب أبي زكرياء التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء
المعري وذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »^١ وعداد شيوخه الذين روى عنهم ،
ثم قال : وكتبت عنه ، وذكر مولده ووفاته كما هو ها هنا ، لكنه قال : إن
وفاته كانت ليلة الاثنين ثاني المحرم ، ودفن يوم الاثنين في داره بدارب التل ،
وإنه صلى على جنازته ، وإن أول سماعه كان في شعبان سنة سبعين ، وكان قد
قبلت شهادته عند الحكام في حدائمه ، ولم يزل على ذلك مقبولاً إلى آخر عمره ،
وكان متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً في الحديث ، وتقلد قضاء نواح عدة ،
منها المدائن وأعمالها ودورنجان^٢ والبردان وقرميسين وغير ذلك .
وقد سبق الكلام على التنوخي .

والمحسن : بضم الميم وفتح الحاء المهمة وكسر السين المهمة المشددة ، وبعدها

نون .

وإليه كتب أبو العلاء المعري قصيدته التي أولها :

هاتِ الحديثَ عن الزوراءِ أو هيتا^٣

٢ ر وهامش ل : أذربيجان .

١ تاريخ بغداد ١٢ : ١١٥ .

٣ شروح السقط : ١٥٩٣ ، وعميز البيت : وموقد النار لا تكري بتكرينا ؛ وكان أبو القاسم
هذا قد حمل إلى أبي العلاء وهو ببغداد جزءاً من شعر تنوخ فخلفه المعري حين عاد إلى بلده عند =

الإمام الشافعي

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، القرشي المطلبي الشافعي ، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور ، وباقي النسب إلى عدنان معروف ؛ لقي جدّه شافع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع ، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر ، فأسير وقدسى نفسه ثم أسلم ، فقيل له : لم لم تسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرم المؤمنين مطمعا لهم في .

وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم ، واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر - حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين - ما لم يجتمع في غيره ، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي ؛ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي ؛ وقال عبد الله بن أحمد

= عبد السلام البصري خازن دار العلم ، ثم خشي أن يكون عبد السلام قد غفل عن رد الجزء إلى صاحبه فكتب إلى أبي القاسم هذه القصيدة .

٥٥٨ - تكاد مصادر ترجمته لا تحصر ، ولكن نشير منها إلى طبقات السبكي (ج ١) ؛ وطبقات الشيرازي : ٧١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٨١ وحلية الأولياء ٩ : ٦٣ وتاريخ بغداد ٢ : ٥٦ وطبقات الحنابلة ١ : ٢٨٠ والفهرست : ٢٠٩ والديباج : ٢٢٧ وترتيب المدارك ١ : ٣٨٢ وطبقات ابن هداية الله : ٢ وحسن المحاضرة ١ : ١٢١ وتذكرة الحفاظ : ٣٦١ وتهذيب التهذيب ٩ : ٢٥ وغاية النهاية ٢ : ٩٥ وصفة الصفوة ٢ : ١٤٠ ؛ وقد ألفت في سيرته كتب كثيرة .

ابن حنبل : قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، هل لهدين من خلف أو عنها من عِوَض ؟ وقال أحمد : ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له ؛ وقال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ، ثم استقبلته يوماً والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، تنهانا عنه وتمشي خلفه ؟ فقال : اسكت ، لو لزمت البغلة انتفعت . وحكى الخطيب في « تاريخ بغداد » عن ابن عبد الحكم قال : لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقضت بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظيئة ، فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان .

وقال الشافعي : قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت « الموطأ » فقال لي : أحضر من يقرأ لك ، فقلت : أنا قارىء ، فقرأت عليه الموطأ حفظاً ، فقال : إن يك أحد يفلح فهذا الغلام . وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال : سلوا هذا الغلام . وقال الحميدي : سمعت زنجي^٣ بن خالد - يعني مسلماً - يقول للشافعي : أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي ، وهو ابن خمس عشرة سنة . وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث ، فقال : إن هذا يفوت وذاك لا يفوت . وقال أبو حسان الزياتي : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي ، ولقد جاء يوماً فلقبه وقد ركب

١ ن : فوقع .

٢ منها : ثبتت في ن وحدها .

٣ ن ر والمختار : الزنجي .

٤ ن : آن والله .

٥ علق الخطيب (٢ : ٦٤) على ذلك بقوله : وليس ذلك بمستقيم لأن الحميدي كان يصغر عن إدراك الشافعي وله تلك السن ؛ والحميدي المذكور هو عبد الله بن الزبير الحميدي .

محمد بن الحسن^١ ، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ، ولم يأذن لأحد عليه .

والشافعي أوّل من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه ، وقال أبو ثور: من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين في حياته ، فلما مضى لسبيله لم يُعْتَضْ منه . وقال أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة . وكان الزعفراني يقول: كان أصحاب الحديث رُقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا . ومن دعائه : اللهم يا لطيفُ أسألك اللطفَ فيما جرت به المقادير ؛ وهو مشهور بين العلماء بالإجابة ، وأنه مجرب^٢ . فضائله أكثر من أن تعدد .

ومولده سنة خمسين ومائة ، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة^٣ ، وكانت ولادته بمدينة غزة ، وقيل بعسقلان ، وقيل باليمن ، والأوّل أصح ، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم ، وحديث رحلته إلى مالك بن أنس مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل سنة إحدى ومائتين . ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم ، رضي الله عنه .

قال الربيع بن سليمان المرادي : رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازته ؛ وقال : رأيت في المنام بعد وفاته فقلت : يا أبا عبد الله ، ما صنع الله بك ؟ فقال : أجلسني على كرسي من ذهب ، ونثر علي اللؤلؤ الرطب . وذكر الشيخ

١ ن : ولقد جاءه يوماً الشافعي فلقي محمد بن الحسن وقد ركب .

٢ ومن دعائه . . . مجرب : سقط من ن لي س بر .

٣ بهامش المختار : ولا يصح ، بل ولد في السنة التي توفي بها .

أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء » ما مثاله : وحكى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي قال : مات أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة^١ .

وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقہ والأصول^٢ واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عريضة وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه .

ولالإمام الشافعي أشعار كثيرة ، فمن ذلك ما نقلته من خط الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله تعالى :

إن الذي رُزِقَ اليَسَارَ ولم يُصَبْ حَمداً ولا أجراً لَتَغَيِّرُ مَوْفِقِ
الجد يُدْني كلَّ أمرٍ شاسعٍ والجد يفتح كل باب مغلقٍ
وإذا سمعت بأن مجدوداً حوى عوداً فأنمر في يديه فصدّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماءً ليشربه ففاض فحقّق^٣
لو كانَ بالحليلِ الغنى لوجدتني بنجومٍ^٤ أقطارِ السَّماءِ تَعَلَّقُني
لكنّ من رُزِقَ الحِجَابَ حُرْمَ الغنى ضِدَانِ مَفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقِ
ومنَ الدليلِ على القضاءِ وكونِهِ بؤسُ اللبیبِ وطيبُ عيشِ الأحقِ
ومن المنسوب إليه أيضاً :

ماذا يخبرُ ضيفُ بيتك أهلهُ إن سبيلَ كيف معادهُ ومعاجهُ

١ وذكر الشيخ . . . سنة : سقط من ن ل ي س ت بر والمختار ، وانظر طبقات الشيرازي : ٧٢ .

٢ ر : العلم والفقہ والحديث .

٣ هذا البيت مقدم على الذي قبله في ر مع تبادل في القافيتين .

٤ ل : بتخوم .

٥ لم ترد الأبيات في ر والمختار ؛ وعلق عليها بهامش س بقوله : حاش لله أن ينسب مثل هذا الشعر للإمام الشافعي أو إلى غيره من أئمة المسلمين ، وقد أنشده ابن السمعاني في المنذيل لشخص يعرف بكنية غريبة لا استحضرها الآن ، ورد على حضرة الصاحب ابن عباد فلم ير منه برأ فكتبه إليه فجاءه واعتذر إليه وبره .

أيقولُ جاوزتُ الفراتَ ولم أنلُ
ورقيتُ في درجِ العُلا فتضايقت
ولتُخبرنَ خصاصتي بتملّقي
عندي يواقيتُ القريضِ ودُرّه
تربي على روضِ الربا أزهاره
والشاعرُ المنطيقُ أسودُ سالخ
وعداوةُ الشعراءِ داءٌ معضلُ
ومن المنسوب إليه أيضاً :

رامَ نفعاً فصرَّ من غيرِ قصدٍ
ومن البرِّ ما يكونُ عقوقاً
ومن المنسوب إلى الشافعي :

كلما أدبني الدهرُ أراني نقصَ عقلي
وإذا ما ازدَدتُ علماً زادني علماً يجهلي

وهو القائل :

ولو لا الشعرُ بالعلماءِ يُزري
لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيدٍ
وقال الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة من قريش بمكة ، وكنت
أمازحها فأقول :

ومن البليّةِ أن تحبّ فلا يحبّك من تحبّه

فتقول هي :

ويصدُّ عنك بوجهٍ وتلج أنتِ فلا تغيبه^١

وأخبرني أحد المشايخ الأفاضل أنه عمل في مناقب الشافعي ثلاثة عشر تصنيفاً.

١ وقال الشافعي . . . تغبه : سقط من س ت .

ولما مات رثاه خلق كثير، وهذه المرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة ، وقد ذكرها الخطيب في « تاريخ بغداد » وأولها :

[بمفتيه للشيب طوالعُ
تصرفه طَوَّعَ العنان وربما
ومن لم يَزَعْنُهُ لبثه وحيأؤُهُ
هل النافر المدعوُّ للحظُّ راجعُ
أم الهمِكُ المغمومُ بالجمع عالمُ
وأن قصاراه على فرط ضنَّته
ويخمل ذكر المرء ذي المال بعده
ألم تر آثار ابن إدريس بعدهُ
معالمُ يَفْقَى الدهرُ وهي خوالدُ
مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرِّفُ
ظواهرُها حُكْمٌ ومُسْتَبْطَنَاتُهَا
لرأي ابن إدريس ابن عم محمد
إذا المَفْطِيعَاتُ المشكلات تشابهت
أبى الله إلا رَفَمَهُ وعُلُوهُ
توخى الهدى واستنقذته يد التقى
ولاذَ بآثار الرسولِ فحُكْمُهُ
وعوَّلَ في أحكامِهِ وقضائِهِ
[بطي. عن الرأي المخوف التباسه
وأنشاله منشييه من خير معدنٍ

زواجرُ عن ورد التصابي روادعُ
دعاه الصبَا فافتاده وهو طائع
فليس له من شيبِ فَوْدِيهِ وازع
أم النصحُ مقبولُ أم الوعظُ نافع
بأن الذي يُوعِي من المالِ ضائع
فراقُ الذي أضحى له وهو جامع
ولكنَّ جمعَ العلمِ للمرءِ رافعُ^١
دلائلُها في المشكلات لوامع
وتنخفُضُ الأعلامُ وهي فوارِع
مواردُ فيها للرشادِ شرائع
لِما حَكَمَ التفريقُ فيه جوامع
ضياءُ إذا ما أظلمَ الخطبُ ساطِع
سما منه نورٌ في دجَاهنَ لامع
وليسَ لما يُعْطِيهِ ذو العرشِ واضع
من الزيغِ إن الزيغَ للمرءِ صارع
لحُكْمِ رسولِ الله في الناسِ تابع
على ما قضى في الوحي والحق ناصع
إليه إذا لم يخشَ لبساً مسارع
خلائقَ هنَّ الباهراتُ البوارعُ^٢

١ ما بين معقنين زيادة من ر ؛ وفي النسخ « فمئها قوله » بدل « أولها » - كما في المختار - .
٢ بر لي ن ت ، والمختار : ومستنبطاتها . ٣ البيتان زيادة من ر ؛ وموضعهما في النسخ الأخرى « ومنها » .

تَسْرِبَلٌ بِالتَّقْوَى وَلِيَدًا وَنَاشِئًا وَخُصَّ بِلُبِّ الكَهْلِ مُذْ هُوَ يَافِعُ
وهذَّبَ حَقِي لَمْ تُشِيرْ بِفَضِيلَةٍ إِذَا التَّمَسَّتْ إِلَّا إِلَيْهِ الْأَصَابِعُ
فَمَنْ يَكُ عِلْمُ الشَّافِعِيِّ إِمَامَهُ فَمَرَّتَعُهُ فِي سَاحَةِ العِلْمِ وَاسِعُ
سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ جِسْمَهُ وَجَادَتْ عَلَيْهِ المَدَجِنَاتُ الهَوَامِعُ
لَقَدْ غَيَّبَتْ أَثْرَاؤُهُ جِسْمَ مَاجِدٍ جَلِيلٍ إِذَا التَّفَتَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ
لَئِنْ فَجَعَتْنَا الحَادِثَاتُ بِشَخْصِهِ لَهْنٌ لَمَّا حَكُنَ فِيهِ فَوَاجِعُ
فَاحْكَامُهُ فِينَا بِدَوْرٍ زَوَاهِرُ وَأَثَارُهُ فِينَا نَجْمٌ طَوَالِعُ

وقد يقول القائل : إن ابن دُرَيْدٍ لم يدرك الشافعي ، فكيف رثاه ؟ لكنه يجوز أن يكون رثاه بعد ذلك ، فما فيه بُعْدٌ ، فقد رأينا مثل هذا في حق غيره ، مثل الحسين ، رضي الله تعالى عنه ، وغيره .

٥٥٩

محمد بن الحنفية

أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، المعروف بابن الحنفية ؛ أمه الحنفية خَوْلَةٌ بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يَرْبُوع بن ثعلبة ابن الدول بن حنيفة بن لُجَيْم ، ويقال بل كانت من سبي اليمامة ، وصارت إلى علي رضي الله عنه ، وقيل بل كانت سنديّة سوداء ، وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم ، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصلحهم على أنفسهم . وذكر البغوي في كتاب « شرح السنة » في باب قتال مانعي الزكاة أن طائفة

٥٥٩ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٩١ وأنساب الأشراف ٥ : ٢١٤ - ٢٢٣ ، ٢٦٠ -
٢٧٣ وحلية الأولياء ٣ : ١٧٤ وطبقات الشيرازي ٦٢ : البدء والتاريخ ٥ : ٧٥ والمعارف :
٢١٦ وصفة الصفوة ٢ : ٤٢ .

ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وعادوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية ،
واتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم ، ورأى أبو بكر رضي الله عنه سي درارهم
ونسائهم ، وساعده على ذلك أكثر الصحابة ، واستولد علي رضي الله عنه جارية
من سي بني حنيفة فولدت له محمد بن علي الذي يدعى محمد بن الحنفية ، ثم لم
ينقرض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يُسبى .^٢

وأما كنيته بأبي القاسم فيقال إنها رخصة من رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، وإنه قال لعلي رضي الله عنه : سيولد لك بعدي غلام وقد تحلته اسمي
وكنيتي ولا تحمل لأحد من أمي بعده . ومن يسمي محمداً ويكنى أبا القاسم :
محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن سعد بن
أبي وقاص ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عوف ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ،
ومحمد بن حاطب بن أبي بكتعة ، ومحمد بن الأشعث بن قيس .

وكان محمد المذكور كثير العلم والورع ، وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي
في « طبقات الفقهاء »^٣ . وكان شديد القوة ، وله في ذلك أخبار عجيبة ، منها ما
حكاه المبرد في كتاب « الكامل »^٤ ، أن أباه علياً ، رضي الله عنه ، استطال درعاً
كانت له ، فقال : لينقص منها كذا وكذا حلقة ، فقبض محمد إحدى يديه على
ذيلها والأخرى على فضلها ، ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده أبوه . وكان
عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه إفكل ، وهو الرعدة ،
لأنه كان يحسده على قوته ، وكان ابن الزبير أيضاً شديد القوى .

ومن قوته أيضاً ما حكاه المبرد في كتابه أن ملك الروم في أيام معاوية
وجه إليه : إن الملوك قبلك كانت ترأسل الملوك منا ، ويجهد بعضهم أن

١ المختار : اجتمعوا .

٢ وذكر البغوي . . . لا يسبى : سقط من س ن لي ت بر .

٣ انظر طبقات الشيرازي : ٦٢ .

٤ الكامل ٣ : ٢٦٦ .

٥ الكامل : بإحدى . . . وبالأخرى ، وهو موافق لما في ن .

٦ الكامل ٢ : ١١٤ .

يُغْرِبُ عَلَى بَعْضٍ ، أَفْتَأْذَنُ فِي ذَلِكَ ؟ فَأَذِنَ لَهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَرَجَيْنِ أَحَدَهُمَا طَوِيلَ جَسِيمٍ ، وَالْآخَرَ أَيْدٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : أَمَا الطَّوِيلُ فَقَدْ أَصَبْنَا كَفْوَهُ ، وَهُوَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَمَا الْآخِرُ الْأَيْدِ فَقَدْ احْتَجْنَا إِلَى رَأْيِكَ فِيهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : هَاهُنَا رَجُلَانِ كِلَاهُمَا إِلَيْكَ بَغِيضٌ : مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنِيْفَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ الرَّجُلَانِ وَجَّهَهُ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ يَعْلَمُهُ ، فَدَخَلَ قَيْسٌ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ مَعَاوِيَةَ نَزَعَ سِرَاوِيلَهُ ، فَرَمَى بِهَا إِلَى الْعَلْجِ فَلْبَسَهَا فَبَلَّغَتْ ثُنْدُوتَهُ ٢ ، فَأَطْرَقَ مَغْلُوبًا ، فَقِيلَ إِنَّ قَيْسًا لَأَمُوهُ فِي ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ : لَمْ تَبْدَلْتَ هَذَا التَّبْدِيلَ بِحُضْرَةِ مَعَاوِيَةَ ؟ هَلَا وَجَّهْتَ إِلَيْهِ غَيْرَهَا ؟ فَقَالَ :

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمَا سِرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوَفُودُ شُهُودٌ
وَأَنْ لَا يَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ وَهَذِهِ سِرَاوِيلُ عَادِيٍّ نَمَّتَهُ ثَمُودٌ
وَأِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الْيَمَانِيِّينَ سِيدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا سِيدٌ وَمَسُودٌ
وَبَدَأَ جَمِيعَ الْخَلْقِ أَصْلِي وَمَنْصِبِي وَجَسْمٌ بِهِ أَعْلَوُ الرَّجَالِ مَدِيدٌ

ثُمَّ وَجَّهَ مَعَاوِيَةُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنِيْفَةِ فَحَضَرَ ، فَخَبِرَ بِمَا دَعَى لَهُ ، فَقَالَ : قُولُوا لَهُ إِنْ شَاءَ فَلْيَجْلِسْ وَلْيَعْطِنِي يَدَهُ حَتَّى أَقِيمَهُ أَوْ يَقْعِدَنِي ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكُنِ الْقَائِمَ وَأَنَا الْقَاعِدَ ، فَاخْتَارَ الرَّومِيُّ الْجُلُوسَ فَأَقَامَهُ مُحَمَّدٌ ، وَعَجَزَ الرَّومِيُّ عَنِ إِقْعَادِهِ ، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْقَاعِدَ ، فَجَذَبَهُ مُحَمَّدٌ فَأَقْعَدَهُ ، وَعَجَزَ الرَّومِيُّ عَنِ إِقَامَتِهِ ، فَانْصَرَفَا مَغْلُوبَيْنِ .

وَكَانَتْ رَايَةَ أَبِيهِ يَوْمَ صَفِينٍ ٣ بِيَدِهِ ، وَيَحْكِي أَنَّهُ تَوَقَّفَ أَوَّلَ يَوْمٍ فِي حَمَلِهَا لِكُونِهِ قِتَالُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَهِدَ مِثَالَهُ ٤ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَلْ عِنْدَكَ شَكٌّ فِي جَيْشِ مَقْدَمِهِ أَبُوكَ ؟ فَحَمَلَهَا . وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ : كَيْفَ كَانَ

١ س : مر من .

٢ الثندوة : ما اسود حول الحلمة .

٣ ر والمختار : يوم الجمل .

٤ ر ن ت بر : مثله .

أبوك يُفحِمك المهالك ويولجك المضائق دون أخويك الحسن والحسين ؟ فقال :
لأنها كانا عينيه ، وكنتُ يديه ، فكان يقبني عينيه بيديه .
ومن كلامه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدأً
حتى يجعل الله له فرجاً .

ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن
العباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما إلى البيعة ، فأبيا ذلك وقالوا : لا
نبايعك حتى تجتمع لك البلاد ، ويتفق الناس ، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم ،
وقال لهم^١ : لئن لم^٢ تبايعا أحرقتكما بالنار ، والشرح^٣ في ذلك يطول .

وكانت ولادته لسنتين بقتنا من خلافة عمر ، وتوفي رحمه الله في أول المحرم
سنة إحدى وثمانين للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وثمانين ، وقيل سنة اثنتين
أو ثلاث وسبعين بالمدينة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، وكان والي المدينة
يومئذ ، ودفن بالبقيع ، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات
هناك ، وقيل إنه مات ببلاد أيلة .

والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته وأنه مقيم بجبل رضوى ، وإلى هذا أشار
كثير عزة بقوله من جملة أبيات ، وكان كيساني الاعتقاد^٤ :

وسبّط^٥ لا يذوق الموت حتّى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيّب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل^٦ وماء

وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية ،
ويزعم أنه المهدي ، وقال الجوهري في كتاب « الصحاح »^٤ : كيسان لقب

١ كذا في جميع النسخ ما عدا بر ، بصيغة الجمع .

٢ س لي ل : والله إن لم .

٣ نسب البيتان لكثير في أكثر المصادر (عيون الأخبار ٢ : ١٤٤ والشعر والشعراء : ٤٢٣

والأغاني ٩ : ١٤ ومرج الذهب ٣ : ٨٧ وغيرها) وقال أبو الفرج في الأغاني ٧ : ٢٣٨

الأبيات للسيد الحميري وأضاف : وهذه الأبيات يعينها تروى لكثير .

٤ الصحاح ٢ : ٩٧٠ (كيس) .

المختار المذكور ، وقال غيره : كيسان مولى علي رضي الله عنه . والكيسانية يزعمون أنه مقيم برضوى في شعب منه ولم يمت ، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ، ولم يُوقَفْ لهم على خبر وهم أحياء يرزقون ، ويقولون إنه مقيم في هذا الجبل بين أسد ونمر ، وعنده عينان نَضَّاخَتان تجريان عسلاً وماء ، وإنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً^١ .

وكان محمد يخطب بالحناء والكتَم وكان يتختم في اليسار، وله أخبار مشهورة، رضي الله عنه ، وانتقلت إمامته إلى ولده أبي هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن علي والد السفاح والمنصور ، كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى^٢ .

ورَضَوَى : بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعده الواو ألف؛ قال ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير في سنة أربع وأربعين ومائة : رضوى جبل جيبنة ، وهو في عمل ينبع ، وقال غيره : بينها مسيرة يوم واحد ، وهو من المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البر لمن كان مُصْعِداً إلى مكة وهو على ليلتين من البحر ، والله أعلم . ومن رضوى تحمل حجارة المسن إلى سائر الأمصار ، قاله ابن حوقل في كتابه « المسالك والممالك »^٣ .

وذكر أبو اليقظان^٤ في كتاب « النسب » أن ابن الحنفية له ابن اسمه الهيثم^٥ وكان مؤخذاً عن مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يقدر أن يدخله ، والأخذ في اللغة : الأسير ، والأخذة - بضم الهمزة - رقية كالسحر ، فكانه كان مسحوراً .

١ وكان المختار . . . عدلاً : سقط من ن س لي ت بر .

٢ إلى هنا تنتهي الترجمة في ن س لي ت بر .

٣ صورة الأرض : ٤٠ ؛ وقد وقعت هذه العبارة « من رضوى . . . والمالك » في آخر الترجمة

في ر .

٤ قيل إن اسمه عامر بن حفص ولقبه سحيم ولذلك يقال في الرواية عنه : حدثنا أبو اليقظان وإذا

قيل سحيم بن حفص وعامر بن حفص وعامر بن أبي محمد وعامر بن الأسود وسحيم بن الأسود

وعبيد الله بن حفص وأبو إسحاق فكل ذلك يشير إليه (انظر الفهرست : ٩٤) .

٥ المختار : اسمه القاسم .

محمد الباقر

أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، الملقب بالباقر ؛ أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية ، وهو والد جعفر الصادق - وقد تقدم ذكره^١ .

كان الباقر عالماً سيداً كبيراً ، وإنما قيل له الباقر لأنه تَبَقَّرَ في العلم ، أي توسع ، والتبقر : التوسع ، وفيه يقول الشاعر :

يا باقر العلم لأهلِ التقى وخيرَ مَنْ لَبَّى على الأجبُلِ

ومولده يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة ، وكان عمره يوم قتل جده الحسين ، رضي الله عنه ، ثلاث سنين ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقيل ثمان عشرة بالحُمَيْمَةِ . ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم ، في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه .

وقد تقدم الكلام على الحميمة في ترجمة علي بن عبد الله بن العباس .

٥٦٠ - انظر الأئمة الإثنا عشر : ٨١ ومصادر ترجمته في الصفحة المقابلة .

١ انظر ج ١ : ٣٢٧ .

أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر المذكور قبله ، المعروف بالجواد ، أحد الأئمة الاثني عشر أيضاً . قدم إلى بغداد وافداً على المعتصم ، ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون ، فتوفي بها ، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحرم .

وكان يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقال لي وهو يوصيني : يا علي ، ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي ، عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، يا علي اغدُ باسم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها . وكان يقول : من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

وقال جعفر بن محمد بن مزيد : كنت ببغداد فقال لي محمد بن منسده بن مهران : هل لك أن أدخلك على محمد بن علي الرضا ؟ فقلت : نعم ، قال : فأدخلني عليه ، فسلمنا وجلسنا ، فقال له : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فاطمة رضي الله عنها أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، قال : ذلك خاص بالحسن والحسين رضي الله عنهما . وله حكايات وأخبار كثيرة .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، وقيل منتصفه ، سنة خمس وتسعين ومائة . وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين ، وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد ، ودفن عند جده موسى بن جعفر ، رضي الله عنهم أجمعين ، في مقابر قريش ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم .

٥٦١ - ترجمته في الأئمة الاثنا عشر : ١٠٣ ومصادر ترجمته مشبته على الصفحة المقابلة .

١ بر : مرثد ؛ ن : يزيد .

أبو القاسم المنتظر

أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ؛ ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ، المعروف بالحُجَّة ، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي ، وهو صاحب السَّرْدَابِ عندهم ، وأقاويلهم فيه كثيرة ، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بِسُرٍّ من رأى . كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه - وقد سبق ذكره - كان عمره خمس سنين ، واسم أمه حنظل ، وقيل نرجس ، والشيعة يقولون : إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه ، فلم يعد يخرج إليها ، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين ، وعمره يومئذ تسع سنين .

وذكر ابن الأزرق في « تاريخ ميسافارقين » أن الحجَّة المذكور ولد ناسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين ، وهو الأصح ، وأنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين ، وقيل خمس سنين ، وقيل إنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين وعمره سبع عشرة سنة ، والله أعلم أي ذلك كان ، رحمه الله تعالى .

٥٦٢ - انظر الأئمة الاثنا عشر : ١١٧ والصفحة المقابلة .

١ انظر ج ١ : ٩٤ .

الزهري

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرَةَ الزهري أحد الفقهاء والمحدثين ، والأعلام التابعين بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وروى عنه جماعة من الأئمة: منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري . وروى عن عمرو بن دينار أنه قال : أي شيء عند الزهري ؟ أنا لقيت ابن عمر ولم يلقه ، وأنا لقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم الزهري مكة فقال عمرو: احموني إليه ، وكان قد أقعد ، فحمل إليه ، فلم يأت إلى أصحابه إلا بعد ليل ، فقالوا له : كيف رأيت ؟ فقال : والله ما رأيت مثل هذا الفتي القرشي قط . وقيل لمكحول : مَنْ أعلم من رأيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من ؟ قال : ابن شهاب . وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه .

وحضر الزهري يوماً مجلس هشام بن عبد الملك وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذَكْوَان فقال له هشام : أي شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري: لا أدري ، فسأل أبا الزناد عنه فقال : في الحرم ، فقال هشام للزهري: يا أبا بكر ، هذا علم استفدته اليوم ، فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يستفاد منه العلم . وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن

٥٦٣ - ترجمته في المعارف : ٤٧٢ وحلية الأولياء ٣ : ٣٦٠ وطبقات الشيرازي : ٦٣ ومعجم المرزباني : ٣٤٥ وصفة الصفوة ٢ : ٧٧ وميزان الاعتدال ٤ : ٤٠ وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٤٥ وغاية النهاية ٢ : ٢٦٢ والشذرات ١ : ١٦٢ .

كل شيء من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوماً : والله لَهَذِهِ الكُتُبُ أشد علي من ثلاث ضرائر .

وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرًا ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقْتُلُنَّهُ أو ليقْتُلُنَّ دونه ؛ وروي أنه قيل للزهري : هل شهد جدك بدرًا ؟ فقال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب ، يعني أنه كان في صف المشركين . وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير ، ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك ، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه .

وتوفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، وقيل ثلاث وعشرين ، وقيل خمس وعشرين ومائة^١ ، وهو ابن اثنتين - وقيل ثلاث - وسبعين سنة ؛ وقيل مولده سنة إحدى وخمسين للهجرة ، والله أعلم ، ودفن في ضيعته أدامي - بفتح الهمزة والذال المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وياء مفتوحة أيضاً - وقيل : أدمي ، مثل الأول لكنها بغير ألف ، وهي خلف شَغْب وبدا ، وهما واديان - وقيل قريتان - بين الحجاز والشام في موضع هو آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين . وذكر في كتاب « التمهيد » أنه مات في بيته بنَعْف ، وهي قرية عند القرى المذكورة ، وماتت بها أيضاً أم حَزْرَةَ زوجة جرير ، فقال من أبيات :

نعم القرين وكنت عِلْقَ مَضْنَةِ وارى بنَعْفِ بِلِيَةِ الأحجارُ

وقبره على الطريق ليدعو له كل من يمر عليه ، رضي الله عنه .
والزهري : بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ، هذه النسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرة ، وهي قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلق كثير من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم^٢ .
وشَغْب : بفتح الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة وبعدها ياء موحدة .

١ س ن ت لي بر : وقيل خمس ومائة .

٢ هنا تنهي الترجمة في ت .

وبدا : بفتح الباء الموحدة والدادال المهملة وبعدها ألف ، وفيهما يقول
كثير عزة^١ :

وأنت التي حببتِ شغباً إلى بدا إلي وأوطاني بلادٌ سواهما
إذا ذرقتِ عياني أعتلُّ بالقذى وعزّةٌ لو يدري الطبيب قذاهما
وحلّتْ بهذا حلة ثم أصبحت بهذا ، فطاب الواديان كلاهما

وهذا الشعر يدل على أنها واديان ، لا قربتان والله أعلم .

٥٦٤

محمد بن أبي ليلى

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار - ويقال داود بن بلال بن أحيحة
ابن الجلاح الانصاري الكوفي - وقد سبق ذكر أبيه في حرف العين^٢ ؛ كان
محمد المذكور من أصحاب الرأي ، وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكماً ثلاثاً
وثلاثين سنة ، ولي لبني أمية ثم لبني العباس وكان فقيهاً مفتناً ، وقال : لا أعقل
من شأن أبي شيئا غير أني أعرف أنه كانت له امرأتان ، وكان له جبان أخضران ،
فينبذ^٣ عند هذه يوماً وعند هذه يوماً . وتفقه محمد بالشعبي ، وأخذ عنه سفيان
الثوري ، وقال الثوري : فقهائنا ابن أبي ليلى وابن شبرمة . وقال محمد المذكور :

١ وردت الأبيات في ياقوت ٣ : ٣٠٢ والمغانم المطابة : ٢٠٥ وحماة التبريزي ٣ : ١٤١
وشواهد المغني : ١٥٨ .

٥٦٤ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٥٨ والمعارف : ٤٩٤ وطبقات الشيرازي : ٨٤

والفهرست : ٢٠٢ والوافي ٣ : ٢٢١ وتذكرة الحفاظ : ١٧١ وميزان الاعتدال ٣ : ١١٣
وغاية النهاية ٢ : ١٦٥ وتهذيب التهذيب ٩ : ١٠٣ والشذرات ١ : ٢٢٤ .

٢ انظر ج ٣ : ١٢٦ . ٣ ل س ن : فيبيت .

دخلتُ على عطاء فجعل يسألني، فانكر بعضُ مَنْ عنده وكلّمه في ذلك فقال:
هو أعلم مني .

وكانت بينه وبين أبي حنيفة رضي الله عنه وَحْشَةٌ يسيرة ، وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة ؛ فيحكى أنه انصرف يوماً من مجلسه ، فسمع امرأة تقول لرجل : يا ابن الزائين ، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه ، وأمر بها فضربت حدين وهي قائمة . فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء : في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه ، وفي ضربه الحد في المسجد ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في المساجد ، وفي ضربه المرأة قائمة ، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات^١ ، وفي ضربه إياها حدين ، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد ، ولو وجب أيضاً حدان لا يُوالي بينهما ، بل يضرب أولاً ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأول^٢ ، وفي إقامة الحد عليها بغير طالب^٣ . فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى ، فسیر إلى والي الكوفة وقال : ها هنا شاب يقال له أبو حنيفة يُعارضني في أحكامي ويُفتي بخلاف حكمي ويشنع علي بالخطأ ، فأريد أن تزجره عن ذلك ، فبعث إليه الوالي ومنعه عن الفتيا ، فيقال إنه كان يوماً في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته ، فقالت له ابنته : إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم ، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق ؟ فقال لها : سلي أخاك حماداً فإن الأمير منعه من الفتيا . وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتنال إشارة رب الأمر ، فإن إجابته طاعة ، حتى إنه أطاعه في السر ، ولم يرد على ابنته جواباً ، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر .

١ س ن ل لي ت بر : قعوداً كاسين .

٢ لي : من الألم الأول .

٣ في هامش ن تعليق يستفاد منه أن المعارض على حكم ابن أبي ليلى هو امرأة مجنونة يقال لها أم عمران .

٤ ت بر : ويشنع .

وكانت ولادة محمد المذكور سنة أربع وسبعين للهجرة ؛ وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة ، وهو باق على القضاء ، فجعل أبو جعفر المنصور ابن أخيه مكانه ، رضي الله عنه .

٥٦٥

محمد بن سيرين

أبو بكر محمد بن سيرين البصري ؛ كان أبوه عبداً لأنس بن مالك ، رضي الله عنه ، -كاتبه على أربعين ألف درهم ، وقيل عشرين ألفاً ، وأدى المكاتبه . وكان من سبي ميّسان ، ويقال من سبي عين التمر . وكان أبوه سيرين من أهل جَرَجَرَايا ، وكنيته أبو عمرة^١ ، وكان يعمل قدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر يعمل بها ، فسباه خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعين غلاماً محتنين^٢ ، فأنكرهم ، فقالوا : إنا كنا أهل مملكة ، ففرقهم في الناس . وكانت أمه صفة مولاة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، طيبها ثلاث من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودَعَوْنَ لها ، وحضر إملأها ثمانية عشر بدرتياً فيهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون . وروى محمد المذكور عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وأنس بن مالك ، رضي الله عنهم ، وروى عنه قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السخيتاني وغيرهم من الأئمة ،

٥٦٥ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ١٩٣ وحلية الأولياء ٢ : ٢٦٣ والمعارف : ٤٤٢

وطبقات الشيرازي : ٨٨ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٣١ وصفة الصفوة ٣ : ١٦٤ والنوادي ٣ : ١٤٦

وتهذيب التهذيب ٩ : ٢١٤ والشذرات ١ : ١٣٨ .

١ لي ل س ن بر : أبو عمرو .

٢ كذا في ن ؛ ل س ؛ محثين ؛ لي بر ؛ محثين ؛ تاريخ بغداد ؛ محتفين ؛ المطبوعة المصرية :

مجنين ؛ وسقطت اللفظة من المختار .

وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة ، والمذكور بالورع في وقته .

وقدم المدائن على عبيدة السلماني وقال : صليت معه ، فلما قضى صلاته دعا بَعْدَاءَ ، فأتي بخبز ولبن وسمن فأكل وأكلنا معه ، ثم جلسنا حتى حضرت العصر ، ثم قام عبيدة فأذن وأقام ، ثم صلى بنا العصر ولم يتوضأ لا هو ولا أحد ممن أكل معنا فيما بين الصلاتين .

وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصري ثم تهاجرا في آخر الأمر ، فلما مات الحسن لم يشهد ابن سيرين جنازته . وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الرجل الأصم ، يعني ابن سيرين ، لأنه كان في أذنه صَمَمٌ . وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا . وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ؛ وتوفي تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة ، بعد الحسن البصري بمائة يوم ، رضي الله عنها .

وكان بزازاً ، وحُبِسَ بديْنِ كان عليه ، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة عربية^١ ولم يبق منهم غير عبد الله ، ولما مات كان عليه ثلاثون ألف درهم ديناً فقضاها ولده عبد الله ، فإما مات عبد الله حتى قوّم ماله بثلاثمائة ألف درهم . وكان محمد المذكور كاتب أنس بن مالك بفارس . وكان الأصمعي يقول : الحسن البصري سيد سَمَحٍ وإذا حدث الأصم بشيء - يعني ابن سيرين - فاشدد يديك ، وقتادة حاطب ليل . قال ابن عوف : لما مات أنس بن مالك أوصى أن يصلي عليه ابن سيرين ويفسله ، قال : وكان ابن سيرين محبوساً ، فأتوا الأمير - وهو رجل من بني أسد - فأذن له ، فخرج ففسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بالطائف ، ثم رجع فدخل كما هو إلى السجن ، ولم يذهب إلى أهله .

قلت : وذكر عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن الذي غَسَلَ أنس بن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصرة ، وكذلك قال أبو اليقظان^٢ .

١ زاد في المطبوعة المصرية : وإحدى عشرة بنتاً ؛ ولم ير ذلك في النسخ الخطية .

٢ قال ابن عوف . . . اليقظان : ورد في ر ، وبشيء يسير من الإيجاز في المختار .

ومَيْسَان : بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون ، وهي بُلَيْدَة بأسفل أرض البصرة .
وعين التمر : قد سبق الكلام عليها .

٥٦٦

ابن أبي ذئب

أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، واسمه هشام ، بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^١، القرشي العامري المدني؛ أحد الأئمة المشاهير ، وهو صاحب الإمام مالك رضي الله عنه وكانت بينها ألفة أكيدة ومودة صحيحة . ولما قدم مالك على أبي جعفر المنصور سأله : مَنْ بقي بالمدينة من المشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي ذئب وابن أبي سلمة وابن أبي سبرة . وكان أبوه قد أتى قيصر فسُمي به ، فحبسه حتى مات في حبسه . وتوفي أبو الحارث المذكور في سنة تسع وخمسين^٢ وقيل ثمان وخمسين ومائة بالكوفة ، رضي الله عنه ؛ ومولده في المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة ، وقيل سنة ثمانين ، وهي سنة سيل الجحاف .

والحِسل : ولد الضب ، وجمعه حُسُول .

ولؤي : مَنْ هَمَزَهُ قال هو تصغير لأبي ، وهو الثور ، ومن لم يهزه قال هو تصغير لؤي الرمل ؛ والفهر : الحجَر ، والله أعلم .

٥٦٦ - ترجمته في المعارف : ٤٨٥ وطبقات الشيرازي : ٦٧ والوفائي ٣ : ٢٢٣ وميزان الاعتدال

٣ : ٦٢٠ وتذكرة الحفاظ : ١٩١ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٠٣ والشذرات ١ : ٢٤٥ .

١ بن نصر . . . عدنان : سقط من كل النسخ ما عدا ر .

محمد بن الحسن الحنفي

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد ، الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ؛ أصله من قرية على باب دمشق في وسط القنوطية اسمها حَرَسْتَا، وقدم أبوه من الشام إلى العراق ، وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور ، ونشأ بالكوفة ، وطلب الحديث ، ولقي جماعة من أعلام الأئمة ، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين ، ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة .

وصنف الكتب الكثيرة النادرة، منها « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » وغيرهما . وله في مصنفاته المسائل المشككة خصوصاً المتعلقة بالعربية . ونشر علم أبي حنيفة ، وكان من أفصح الناس ، وكان إذا تكلم خيل لسامعه أن القرآن نزل بلغته . ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه بغداد كان بها ، وجرى بينها مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد . وقال الشافعي : ما رأيت أحداً يُسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه ، إلا محمد بن الحسن ؛ وقال أيضاً : حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير . وقال الربيع بن سليمان المرادي : كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتباً له لينسخها ، فتأخرت عنه :

قل لمن لم ترَ ع ين من رآه مثله
ومن كان من رأ ه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنوه أهله
لعله يَبْدُلُه لأهله لعلّه

٥٦٧ - ترجمته في الفهرست : ٢٠٣ وتاريخ بغداد ٢ : ١٧٢ وطبقات الشيرازي : ١٣٥ والمعارف :

٥٠٠ والجواهر المضية ٢ : ٤٢ ولسان الميزان ٥ : ١٢١ والشذرات ١ : ٣٢١ .

١ كذا في أكثر المصادر ؛ وفي هامش نسخة شهيد علي من طبقات الشيرازي : صوابه « قل للذي » .

فأنفذ إليه الكتب من وقته . ورأيت هذه الأبيات في ديوان منصور بن إسماعيل الفقيه المصري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وقد كتبها إلى أبي بكر بن قاسم . والذي ذكرناه أولاً حكاة الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »^١ . وروي عن الشافعي أنه قال: ما رأيت سمياً ذكياً إلا محمد ابن الحسن . وكان الرشيد قد ولاه قضاء الرقة ثم عزله عنها ، وقدم بغداد . وحكى محمد بن الحسن قال : أتوا^٢ أبا حنيفة في امرأة ماتت وفي جوفها ولد يتحرك ، فأمرهم فشقوا جوفها واستخرجوا الولد^٣ وكان غلاماً ، فعاش حتى طلب العلم وكان يتردد إلى مجلس محمد بن الحسن ، وسمي ابن أبي حنيفة . ولم يزل محمد بن الحسن ملازماً للرشيد حتى خرج إلى الري خَرَجته الأولى ، فخرج معه ، ومات بِرَبْوَيْهِ قرية من قرى الري في سنة تسع^٤ وثمانين ومائة . ومولده سنة خمس وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل اثنتين وثلاثين ومائة . وقال السمعاني : مات محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد بالري ، رحمها الله تعالى ، وقيل إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالري . ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفراء صاحب النحو واللغة . وقد تقدم الكلام على الشيباني .

وَحَرَسْتَا : بفتح الحاء المهملة والراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ألف مقصورة .

وَرَبْوَيْهِ^٥ : بفتح الراء وسكون النون وفتح الباء الموحدة والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة .

١ انظر ص : ١٣٦ والأبيات في ترتيب المدارك ١ : ٣٩٤ والجواهر المضية .

٢ ت ل ي س ن بر : آتي .

٣ ن : وأخرجوه ؛ لي : وأخرجوا الولد .

٤ س ن بر : سبع .

٥ هذا الضبط لم يرد إلا في ر .

محمد بن علي العباسي

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، وهو والد السفاح والمنصور الخليفين - وقد تقدم ذكر والده في حرف العين^١؛ قال ابن قتيبة^٢ : كان محمد المذكور من أجل الناس وأعظمهم قدراً ، وكان بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة ؛ وكان علي يخضب بالسواد ومحمد يخضب بالحمرة ، فيظن من لا يعرفها أن محمداً هو علي .

[قال يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي ، سمعت الحجاج يقول : بينا نحن عند عبد الملك بن مروان بدؤمة الجندل في منتزه له ومعه قائفٌ يحادثه ويسائله ، إذ أقبل علي بن عبد الله بن العباس ومحمد ابنه ، فلما رآه عبد الملك مقبلاً حرك شفتيه وهمس بهما وانتقع لونه وقطع حديثه ، قال الحجاج : فوثبت نحو علي لأرده ، فأشار إليّ عبد الملك أن كُفَّ عنه ، وجاء علي فسلم فأقعده إلى جانبه ، وجعل يس ثوبه ، وأشار إلى محمد أن اقعد ، وكلمه وسأله ، وكان عليّ حلو المhadثة ، وحضر الطعام فأتي بالطست ، ففسل يده وقال : أدن الطست من أبي محمد ، فقال : أنا صائم ، ثم وثب ، فأتبعه عبد الملك بصره حتى كاد يخفى عن عينيه ، ثم التفت إلى القائف فقال : أتعرف هذا ؟ فقال : لا ، ولكن أعرف من أمره واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : إن كان الفتى الذي معه ابنه فإنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض ولا يناوهم مناوٍ إلا قتلوه ، قال : فارتبّد لون عبد الملك ، ثم قال : زعم راهب

٥٦٨ - ترجمته في الوافي ٤ : ١٠٣ والشذرات ١ : ١٦٦ وله ذكر في تاريخ الطبري (حوادث ١٠٠، ١٢٠، ١٢٦) وابن خلدون ٣ : ١٧٢، وقد وضعنا ما انفردت به ر بين معقنين .

١ انظر ج ٣ : ٢٧٤ .

٢ المعارف : ١٢٤ .

إيليا - ورآه عندي - أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكاً ، وصفهم بصفاتهم] .
 وكان سبب انتقال الأمر إليه أن محمد بن الحنفية - وقد سبق ذكره - كانت
 الشيعة تعتقد إمامته بعد أخيه الحسين ، رضي الله عنه ، فلما توفي محمد بن الحنفية
 انتقل الأمر إلى ولده أبي هاشم - وقد سبق ذكره أيضاً في ترجمة أبيه^١ - وكان
 عظيم القدر ، وكانت الشيعة تتوالاه ، فحضرتة الوفاة بالشام في سنة ثمان وتسعين
 للهجرة ولا عقب له ، فأوصى إلى محمد بن علي المذكور وقاله له : أنت صاحب
 هذا الأمر ، وهو في ولدك ، ودفع إليه كتبه^٢ وصرف الشيعة نحوه . ولما حضرت
 محمداً المذكور الوفاة بالشام أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام ؛ فلما ظهر
 أبو مسلم الخراساني بخراسان دعا الناس إلى مبايعة إبراهيم بن محمد المذكور ،
 فلذلك قيل له « الإمام » . وكان نصر بن سيار نائب مروان بن محمد آخر ملوك
 بني أمية يومئذ بخراسان ، فكتب إلى مروان يعلمه بظهور أبي مسلم يدعوا لبني
 العباس ، فكتب مروان إلى نائبه بدمشق بأن يحضر إبراهيم من الحميمة موثقاً ،
 فأحضره وحمله إليه وحبسه مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بمدينة حران ،
 فتحقق أن مروان يقتله ، فأوصى^٣ إلى أخيه السفاح ، وهو أول من ولي الخلافة
 من أولاد العباس ، هذه خلاصة الأمر ، والشرح فيه تطويل^٤ وبقي إبراهيم في
 الحبس شهرين ، ومات ، وقيل قتل .

وكانت ولادة محمد المذكور سنة ستين للهجرة ، هكذا وجدته منقولاً ، وهو
 يخالف ما تقدم من أن بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة ، فقد تقدم في
 تاريخ أبيه أنه ولد في حياة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أو في ليلة قتل
 علي^٥ ، على الاختلاف فيه ، وكان قتل علي^٦ في رمضان سنة أربعين ، فكيف
 يمكن أن يكون بينها أربع عشرة سنة ؟ بل أقل ما يمكن أن يكون بينها
 عشرون سنة . [وذكر ابن حمدون في كتاب « التذكرة » أن محمداً المذكور مولده
 في سنة اثنتين وستين للهجرة] ؛ وتوفي محمد المذكور في سنة ست وعشرين ،

١ المختار : كما سبق في ترجمته .

٢ ل س ن ت لي : فلما حبسه مروان . . . وتحقق . . . أوصى .

٣ ل : يطول .

وقيل اثنتين وعشرين ومائة ، وفيها ولد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، وهو والد-هارون الرشيد، وقيل سنة خمس وعشرين ومائة بالشرأة ، [وقال الطبري في تاريخه : توفي محمد بن علي مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة] رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الشرأة في ترجمة أبيه^١ علي بن عبد الله .

وقال الطبري في تاريخه^٢ : في سنة ثمان وتسعين للهجرة قدم أبو هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك بن مروان فأكرمه ، وسار أبو هاشم يريد فلسطين ، فأنفذ سليمان مَنْ قعد له على الطريق بلبن مسموم ، فشرب منه أبو هاشم فأحس بالموت ، فعدل إلى الحُمَيْمة واجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية - قلت : وهو السفاح - وسلم إليه كتب الدعاء وأوقفه على ما يعمل بالحُمَيْمة ، هكذا قال الطبري ، ولم يذكر إبراهيم الإمام ، وجميع المؤرخين اتفقوا على إبراهيم ، إلا أنه مات له الأمر ، والله أعلم .

٥٦٩

البخاري

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يَزْدِيه [وقال ابن ماكولا : هو يزدزيه] الجعفي بالولاء ، البخاري الحافظ

١ إلى هنا تنهي الترجمة في جميع النسخ ما عدا ر .

٢ هذا النص نقل في المختار عند الحديث السابق عن أبي هاشم .

٥٦٩ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٤ - ٣٦ وطبقات السبكي ٢ : ٢ وطبقات الحنابلة ١ : ٢٧١ والوفاي ٣ : ٢٣٢ وتذكرة الحفاظ : ٥٥٥ وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٧ والشذرات ٢ : ١٣٤ .

الإمام في علم الحديث ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ ؛ رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان والجال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر ، وقدم بغداد ، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفردّه في علم الرواية والدراية ؛ وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » والخطيب في « تاريخ بغداد »^١ أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقبلوا متونها وأسانيدها وجعلوا متنَ هذا الإسناد لإسناد آخر ، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقون ذلك على البخاري ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين ، فلما اطمان المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ؛ فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ؛ فكان الفقهاء^٢ ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالمعجز والتقصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه ؛ فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ؛ فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ؛ ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخاري لا يزيد على قوله : لا أعرفه ؛ فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناده إلى متنه ، وفعل بالآخرين كذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها ، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل .

١ الجذوة : ١٢٨ وتاريخ بغداد ٢ : ٢٠ .

٢ الجذوة : العلماء ؛ المختار : الفقهاء .

وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح ؛ ونقل عنه محمد بن يوسف
القرنبري أنه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك
وصليت ركعتين . وعنه أنه قال : صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة ،
خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل .
وقال القرنبري : سمع صحيح البخاري تسعون ألف رجل ، فما بقي أحد يروي
عنه غيري . وروى عنه أبو عيسى الترمذي .

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ، وقيل لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب
« الإرشاد » : إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور .
وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم الفطر
بعد صلاة الظهر ، سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنتك ، رحمه الله تعالى .
وذكر ابن يونس في « تاريخ الغرباء » أنه قدم مصر وتوفي بها ، وهو غلط ،
والصواب ما ذكرناه هاهنا رحمه الله تعالى . وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي^٢
أمير خراسان قد أخرجه من بخارى إلى خرتنتك ، ثم حج خالد المذكور فوصل
إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتد الخليفة ، فمات في حبسه .

وكان شيخاً نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير . [وقد اختلف في اسم
جده ، فقيل إنه يزديه - بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال
المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة ، وقال أبو نصر بن ماكولا في كتاب
« الإكمال »^٣ : هو يزْدِزِيه - بدال وزاي وباء معجمة بواحدة - والله أعلم ، وقال
غيره : كان هذا الجد مجوسياً مات على دينه ، وأول من أسلم منهم المغيرة ،
ووجدته في موضع آخر عوض يزديه الأحنف ولعل يزديه كان أحنف الرجل ،
والله أعلم] .

١ المختار : عند .

٢ انظر قصة هذا الأمير مع البخاري في تاريخ بغداد ٢ : ٢٣ .

٣ الاكمال ١ : ٢٥٩ وفيه : بردزبه .

والبخاري : بضم الباء الموحدة وفتح الحاء المعجمة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى بخارا ، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام .

وخرتَنك : بفتح الحاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون النون وبعدها كاف ، وهي قرية من قرى سمرقند .
وقد سبق الكلام على الجعفي^١ ؛ ونسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان ، وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه .

٥٧٠

ابن جرير الطبري

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، الطَّبْرِي ، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب ؛ صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحداً ، وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني المعروف بابن طرارا على مذهبه - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

وكان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها ، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »^٢ في جملة المجتهدين ، ورأيت في بعض

١ انظر ج ١ : ١٢٣ .

٥٧٠ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ ومعجم الأدباء ١٨ : ٤٠ وتذكرة الحفاظ : ٧١٠

وميزان الاعتدال ٣ : ٤٩٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٣٥ ولسان الميزان ٥ : ١٠٠ وغاية

النهاية ٢ : ١٠٦ والشذرات ٢ : ٢٦٠ .

٢ طبقات الفقهاء : ٩٣ .

المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه ، وهي :

إذا أَعَسَرْتُ لم يَعْلَمَ شقيقِي وأستغني فيستغني صديقي
حياتي حافظٌ لي ماءٌ وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سَمَحْتُ ببذل وجهي لكنت إلى الغنى سَهْلَ الطريق

وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين ، بأمل طبرستان ؛ وتوفي يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الأحد في داره ، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى . ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سَفْحِ المقطم قبراً يُزار ، وعند رأسه حجر عليه مكتوب « هذا قبر ابن جرير الطبري » والناس يقولون : هذا صاحب التاريخ ، وليس بصحيح ، بل الصحيح أنه ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في « تاريخ مصر » المختص بالغرباء : إنه توفي ببغداد . وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن أخته - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ؛ وقد سبق الكلام على الطبري .

١ كتب بهامش ن التعليق التالي : هو الإمام البارع في أنواع العلوم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، له كتاب التاريخ المشهور وكتاب التفسير لم يصنف أحد مثله ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، قال الخطيب : سمعت علي بن عبد الله السمسار يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة . توفي في وقت المغرب ليلة اثنين ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة وكان مولده في آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين ؛ واجتمع عليه من لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى ، وصلي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً ، وزاره خلق كثير من أهل الدرس والأدب ورتاه ابن الأعرابي وابن دريد وغيرهما ؛ والطبري نسبتة إلى طبرستان ، وأما الطبراني فإن نسبتة إلى طبرية .

محمد بن عبد الحكم

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين [ابن لَيْث بن رافع]^١ المصري الفقيه الشافعي ؛ سمع من ابن وهب وأشب من أصحاب الإمام مالك ، فلما قدم الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، مصر صحبه وتفقه به ، وحل في المحنة إلى بغداد إلى القاضي أحمد بن أبي دُوَاد الإيادي - المقدم ذكره^٢ - فلم يُجِيب إلى ما طلب منه فرد إلى مصر ؛ وانتهت إليه الرياسة بمصر .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائة . وتوفي يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة ، وقيل منتصفه ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقبره فيما يذكر مع قبر أبيه وأخيه عبد الرحمن - وقد سبق ذكر ذلك^٣ - وهما إلى جانب الإمام الشافعي ؛ وقال ابن قانع : توفي سنة تسع وستين بمصر ، رحمه الله تعالى .

روى عنه أبو عبد الرحمن النَّسَائِي في سُنَّته . وقال المُرْزَبَانِي : كنا نأتي الشافعي نسمع منه ، فنجلس على باب داره ، ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصعد إليه ؛ ويُطِيل المكث ، وربما تغدَّى معه ثم نزل^٤ ، فيقرأ علينا الشافعي ، فإذا فرغ من قراءته قرب إلى محمد دابته فركبها ، وأتبعه الشافعي

٥٧١ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ٩٩ والوافي ٣ : ٣٣٨ والانتقاء : ١١٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦١١ والديباج المذهب : ٢٣٠ وطبقات السبكي ١ : ٢٢٣ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٤ والشذرات ٢ : ١٥٤ وطبقات الحسيبي : ٧ وطبقات العبادي : ٢٠ وعبر الذهب ٢ : ٣٨ .

١ زيادة من ر .

٢ انظر ج ١ : ٨١ .

٣ ج ٣ : ٣٥ (الترجمة رقم : ٣٢٣) .

٤ المختار : فيصعد به .

٥ ل س : ينزل .

بصره ، فإذا غاب شخصه قال : وددت لو أن لي ولداً مثله وعليّ ألف دينار لا أجد لها قضاء .

وحكي عن محمد المذكور أنه قال : كنت أترددُ إلى الشافعي ، فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبي ، وكان على مذهب الإمام مالك - وقد سبق ذكره في العبادلة - فقالوا : يا أبا محمد ، إن محمداً ينقطع إلى هذا الرجل ويتردد إليه فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه ، فجعل أبي يُلطفهم ويقول : هو حَدَثٌ ويحب النظر في اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك ، ويقول لي في السر : يا بني ، الزم هذا الرجل ، فإنك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسألة فقلت فيها : قال أشهب ، لقليل لك : مَنْ أشهب ؟ قال : فلزمت الشافعي ، وما زال كلام والدي في قلبي حتى خرجت إلى العراق فكلمني القاضي بحضرة جلسائه في مسألة فقلت فيها : « قال أشهب عن مالك » فقال : وَمَنْ أشهب ؟ وأقبل على جلسائه فقال لبعضهم كاللنكر : ما أعرف أشهب ولا أبلق . وأخباره كثيرة^٢ .

وذكره القُضاعي في كتاب « خطط مصر » قال : ومحمد هذا هو الذي أحضره أحمد بن طولون في الليل إلى حيث سقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب مائها والوضوء به ، فشرب منه وتوضأ ، فأعجب ذلك ابن طولون ، وصرفه لوقته ووجهه إليه بصيلة ، والناس يقولون : إنه المزني ، وليس بصحيح ، والله أعلم .

الترمذي

أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر ، الترمذي الفقيه الشافعي ؛ لم يكن للفقيه الشافعية في وقته رأس منه ولا أروع ولا أكثر ثقلاً ، وكان يسكن بغداد ، وحدث بها عن يحيى بن بكير المصري ويوسف بن عدي وكثير بن يحيى وغيرهم . وروى عنه أحمد بن كامل القاضي وعبد الباقي بن قانع وغيرهما . وكان ثقة من أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا . قال أبو الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص عمر بن شاهين : حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسأله سائل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا » فالنزول كيف يبقى فوقه علو؟ فقال أبو جعفر : النزول معقول والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وكان من التقلل في المطعم على حالة عظيمة فقراً وورعاً وصبراً على الفقر؛ أخبر محمد بن موسى بن حماد أنه أخبره أنه تَقَوَّتَ في سبعة عشر يوماً خمس حبات ، أو قال ثلاث حبات ، قال : قلت : كيف عملت؟ فقال : لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتاً ، فكنت آكل كل يوم واحدة . وذكر أبو إسحاق الزجاج النحوي أنه كان يُجْرَى عليه في كل شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً .

وكان يقول : تفقّهت على مذهب أبي حنيفة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة عام حججت فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قد تفقّهت بقول أبي حنيفة ، أفأخذ به؟ قال : لا ، فقلت : آخذ بقول مالك بن أنس؟ فقال :

٥٧٢ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٠٥ وتاريخ بغداد ١ : ٣٦٥ والرواق ٢ : ٧٠ وطبقات

السبكي ١ : ٢٨٨ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٣ والشذرات ٢ : ٢٢٠ وطبقات الحسبي ١٠ :

وطبقات العبادي : ٥٦ . ١ ر والمختار : بخمس . . . بثلاث .

خذ منه ما وافق سنتي ، قلت : فأخذ بقول الشافعي ؟ فقال : ما هو بقوله ، إلا أنه أخذ بسنتي وردَّ على من خالفها ، قال : فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر ، وكتبت كتب الشافعي . وقال الدارقطني : هو ثقة مأمون ناسك ، وكان يقول : كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة . وكانت ولادته في ذي الحجة سنة مائتين ، وقيل سنة عشر ومائتين . وتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين ، ولم يغير شَيْبَه ، وكان قد اختلط في آخر عمره اختلاطاً عظيماً ، رحمه الله تعالى .

وقال السمعاني في نسبة الترمذي^١ : هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بَلْخُ الذي يقال له جَيْحُون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة: بعضهم يقول بفتح التاء ثالث الحروف، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه قديماً كسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتوقُّون^٢ وأهل المعرفة^٣ بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنًى لما يدعيه ، هذا كله كلام السمعاني ، والله أعلم بالصواب . وسألت من رآها : هل هي في ناحية خوارزم أم في ناحية ما وراء النهر ؟ فقال : بل هي في حساب ما وراء النهر في ذلك الجانب .

١ الأتساب ٣ : ٤١ .

٢ الأتساب : المتوقون ؛ ر : المتقنون .

٣ ر : وأهل العلم والمعرفة .

ابن الحداد المصري

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني ، المعروف بابن الحداد ، الفقيه الشافعي المصري ؛ صاحب كتاب « الفروع » في المذهب وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة ، دَقَّتْ في مسائله غاية التدقيق ، واعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار: شرحه القفال المروزي شرحاً متوسطاً ليس بالكبير، وشرحه القاضي أبو الطيب الطبري في مجلد كبير ، وشرحه الشيخ أبو علي السنجي شرحاً تاماً مستوفى أطلال فيه ، وهو أحسن الشروح .

وكان ابن الحداد المذكور قد أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وقال صاحبنا عماد الدين بن باطيش في كتابه الذي وضعه على « المذهب » وفي طبقات الفقهاء : إنه من أعيان أصحاب إبراهيم المُرَني، وقد وهم فيه ، فإن ابن الحداد ولد في السنة التي توفي فيها المزني. وقال القضاعي في كتاب « خطط مصر » إنه ولد في اليوم الذي مات فيه المزني رحمه الله تعالى ، فكيف يمكن أن يكون من أصحابه ؟ وإنما نهت على ذلك لئلا يظن ظان أن هذا غلط ، وذلك الصواب ، ونسب إليه أيضاً الأبيات الذالية التي ذكرتها في ترجمة ظافر الحداد الإسكندري ، وقد سبق الكلام عليها في ترجمة ظافراً .

وكان ابن الحداد فقيهاً محققاً^٢ غَوَّاصاً على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس وكانت الملوك والرعايا تُكْرِمُه وتعظمه^٣ وتقصدُه في الفتاوى والحوادث ، وكان

٥٧٣ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ١١٤ وطبقات السبكي ٢ : ١١٢ والوافي ٢ : ٦٩ والنجوم الزاهرة ٣ : ٣٠٢ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٦ وطبقات الحسيني : ٢١ والشذرات ٢ : ٣١٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢٦٤ وطبقات العبادي : ٦٥ .

١ ج ٢ : ٥٤٠ .

٢ ت : متحققاً .

٣ ن : تعظمه وتكرمه .

يقال في زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجلاب ، ونظافة السباد ، والرد على ابن الحداد . وكانت ولادته لست بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين ومائتين ؛ وتوفي سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وقال السمعاني : سنة أربع وأربعين ، والله أعلم بالصواب . وحدث عن أبي عبد الرحمن النسائي وغيره رحمهم الله أجمعين ؛ وذكر القضاعي في كتاب « خطط مصر » أن ابن الحداد المذكور توفي عند مُنصرَفه من الحج ، سنة أربع وأربعين وثلثمائة بمِنية^١ حرب على باب مدينة مصر ، وقيل في موضع القاهرة .

وكان متصرفاً في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقهِ والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة وغير ذلك ، ولم يكن في زمانه مثله ، وكان محبباً إلى الخاص والعام ، وحضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور ابن الإخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد ، وله تسع وسبعون سنة وأربعة أشهر ويومان^٢ ، رحمه الله تعالى^٣ .

والحداد : بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال ثم دال بعد ألف ، وكان أحد أجداده يعمل الحديد ويبيعه فنسب إليه .

١ المختار : بمنشئة حرب .

٢ ر : يوم وفاته .

٣ وذكر القضاعي . . . تعالى : ورد في ن ر ، وبإيجاز يسير في المختار .

أبو بكر الصيرفي

أبو بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بالصيرفي ، الفقيه الشافعي البغدادي ؛ كان من جملة الفقهاء ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج ، واشتهر بالحدائق في النظر والقياس وعلوم الأصول ، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إلى مثله . حكى أبو بكر القفال في كتابه الذي صنفه في الأصول أن أبا بكر الصيرفي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي ، وهو أول من انتدب من أصحابنا للشروع في علم الشروط ، وصنف فيه كتاباً أحسن فيه كل الإحسان . وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والصيرفي : بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها فاء ، هذه النسبة مشهورة لمن يصرف الدنانير والدرهم ، وإنما قصدت بذكرها ضبطها وتقييدها ، فقد رأيت كثيراً من الناس ينطقون بكسر الصاد والراء .

٥٧٤ - ترجمته في الفهرست : ٢١٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٤٤٩ وطبقات الشيرازي : ١١١ والوفائي ٣ : ٣٤٦ وطبقات النسكي ٢ : ١٦٩ وطبقات العبادي : ٦٩ وعبر الذهبي ٢ : ٢٢١ والشذرات ٢ : ٣٢٥ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٥ وطبقات الحسيني : ١٨ ؛ وقد تأخرت هذه الترجمة في ر عن الترجمة التالية .

١ ر : هي مشهورة لمن ؛ ن : إلى من .

القفال الشاشي

أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل ، القفال الشاشي الفقيه الشافعي ؛ إمام عصره بلا مدافعة ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً ، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته ، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور ، وسار ذكره في البلاد ، وأخذ الفقه عن ابن سريج ، وله مصنفات كثيرة ، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في أصول الفقه ، وله شرح الرسالة ، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده ، وروى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو عبد الله ابن منده وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة . وهو والد القاسم صاحب كتاب « التقريب » الذي ينقل عنه في « النهاية » و « الوسيط » و « البسيط » . وقد ذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن ، لكنه قال : أبو القاسم ، وهو غلط ، وصوابه : القاسم . وقال العجلي في « شرح مشكلات الوجيز والوسيط » في الباب الثالث من كتاب التيمم : إن صاحب « التقريب » هو أبو بكر القفال ، وقيل إنه ابنه القاسم ، ثم قال : فلهذا يقال : صاحب « التقريب » على الإبهام . قلت : ورأيت في شوال سنة خمس وستين وستائة ، في خزانة الكتب بالمدرسة العادلية بدمشق المحروسة كتاب « التقريب » في ست مجلدات ، وهي من حساب عشر مجلدات ؛ وكتب عليه بأنه تصنيف أبي الحسن القاسم ابن أبي بكر القفال الشاشي ، وقد كاذت النسخة المذكورة للشيخ قطب الدين مسعود

٥٧٥ - ترجمته في الفهرست : ٢١٥ وطبقات الشيرازي : ١١٢ والوافي ٤ : ١١٢ واللباب : (الشاشي) وطبقات السبكي ٢ : ١٧٦ والشذرات ٣ : ٥١ وطبقات الحسيني : ٢٧ وطبقات العبادي : ٩٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣٣٨ .
١ الشيرازي : فقه .

النيسابوري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وعليها خطه بأنه وقفها ، وهذا «التقريب» غير «التقريب» الذي لسلم الرازي ، فإني رأيت خلقاً كثيراً من الفقهاء يعتقدونه هو ، فلماذا نبهت عليه ، و «التقريب» الذي لابن القفال قليل الوجود ، والذي لسلم موجود بأيدي الناس ، وهذا «التقريب» هو الذي تخرج به فقهاء خراسان .

وقد وقع الاختلاف في وفاة القفال المذكور ، فقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء»^٢ : توفي في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وقال الحاكم أبو عبد الله المعروف بابن البَيْع النيسابوري : إنه توفي بالشاش ، في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وقال : كتبت عنه وكتب عني ، ووافقه على هذا ابن السمعاني في كتاب «الأنساب» وزاد فقال : وكانت ولادته في سنة إحدى وتسعين ومائتين ؛ وقال أعني ابن السمعاني في كتاب «الذيل» : إنه توفي سنة ست وستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، وكذا قاله في كتاب «الأنساب» أيضاً في ترجمة الشاشي ، والقول الأول قاله^٣ في ترجمة القفال ، والله أعلم بالصواب . والشاشي : نسبة إلى الشاش - بشينين معجمتين بينها ألف - وهي مدينة وراء نهر سَيْحُون ، خرج منها جماعة من العلماء ، وهذا القفال غير القفال المروزي - وقد سبق ذكر ذلك في العبادلة^٤ - وهو متأخر عن هذا .

١ قلت ... وقفها : انفردت به ر .

٢ انظر ص : ١١٢ .

٣ ن : قاله أيضاً .

٤ انظر ج ٣ : ٤٦ .

أبو الحسن الماسرجسي

أبو الحسن محمد بن علي بن سهل بن مصلح ، الماسرجسي الفقيه الشافعي ؛ أحد أئمة الشافعيين بخراسان ، وأعرفهم بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل ، تَفَقَّه بخراسان والعراق والحجاز ، وصحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وخرج معه إلى مصر ولزمه إلى أن مات ثم رجع إلى بغداد ، وكان يَخْلُفُ علي بن أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها ، ثم انصرف إلى خراسان سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، ودرس بنيسابور وعنه أخذ فقهاؤها ، وعليه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري . وسمع من خاله المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي ، وسمع بمصر من أصحاب المزني ويونس بن عبد الأعلى الصدفي . وقال الحاكم أبو عبد الله ابن البَيْع: عقدت له مجلس الإملاء في دار السنة في رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ؛ وتوفي عشية الأربعاء ، ودفن في عشية الخميس سادس جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وعمره ست وسبعون سنة . وقال الشيخ أبو إسحاق في « الطبقات » ١ : سنة ثلاث وثمانين ، رحمه الله تعالى .

والماسرجسي : بفتح الميم وبعد الألف سين مفتوحة مهملة وراء ساكنة ثم جيم مكسورة بعدها سين ثانية ، هذه النسبة إلى ماسرجس ، وهو اسم لجد أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري ، كان نصرانياً فأسلم على يد عبد الله بن المبارك ، وأبو الحسن الفقيه المذكور ابن بنت أبي علي المذكور ، فنسب إليه ، ونسبة الكل إلى ماسرجس المذكور .

٥٧٦ - ترجمته في الوافي ٤ : ١١٥ واللباب (الماسرجسي) والشذرات ٣ : ١١٠ وحسن المحاضرة

١ : ١٢٦ وطبقات الحسيني : ٣٢ وطبقات العبادي : ١٠٠ وعبر الذهبي ٣ : ٢٦ .

١ طبقات الشيرازي : ١١٦ .

أبو عبد الله الختن

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأستراباذي، وقيل الجرجاني، المعروف بالختن، الفقيه الشافعي؛ كان فقيهاً فاضلاً ورعاً مشهوراً في عصره، وله وجوه حسنة في المذهب، وكان مقدماً في الأدب ومعاني القرآن والقراءات، ومن العلماء المبرزين في النظر والجدل. سمع أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي وأقرانه ببلده، وورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فأقام بها إلى آخر سنة تسع، ثم دخل أصبهان فسمع مسند أبي داود من عبد الله بن جعفر، ودخل العراق وكتب بعد الأربعين وأكثر، وكان كثير السماع والرحلة، وشرح كتاب «التلخيص» لأبي العباس ابن القاص؛ وتوفي بمرجان يوم عيد الأضحى سنة ست وثمانين وثلثمائة، وهو ابن خمس وسبعين سنة، رحمه الله تعالى.

وقد تقدم الكلام على الأستراباذي والجرجاني؛ والختن: بفتح الخاء المعجمة والتاء المثناة من فوقها وبعدها نون، وإنما قيل له ذلك لأنه كان ختن فقيه أبي بكر الإسماعيلي.

٥٧٧ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٢١ والوافي ٢ : ٣٣٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٤٣ والشذرات ٣ : ١٢٠ وطبقات الحسيني : ٣٣ وطبقات العبادي : ١١١ وعبر النهي ٣ : ٣٣ .

أبو سهل الصعلوكي

أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي المجلي المعروف بالصعلوكي ، الأصهباني أصلاً ومولداً النيسابوري داراً ، الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الأديب النحوي الشاعر العروضي الكاتب ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخه فقال : حبر زمانه ، وفقه أصحابه وأقرانه ، صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وتبحر في العلوم ، ثم خرج إلى العراق ودخل البصرة ودرس بها سنين ، إلى أن استدعي إلى أصهبان فاقام بها سنين ، فلما نعي إليه عمه أبو الطيب خرج مستخفياً فورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثائة ، وجلس لمأتم عمه ثلاثة أيام ، وكان الشيخ أبو بكر ابن إسحاق يحضر كل يوم فيقعد معه ، وكذلك كل رئيس وقاضٍ ومُفتٍ من الفريقين ؛ فلما فرغ من العزاء عقدوا له مجلس النظر ، ولم يبق موافق ولا مخالف إلا أقر بفضلته وتقدمه ، وحضره المشايخ مرة بعد أخرى يسألونه أن ينقل مَنْ خَلَّفهم وراءه بأصهبان ، فأجاب إلى ذلك ، ودرس وأفتى ، وعنه أخذ فقهاء نيسابور . وكان الصاحب ابن عباد يقول : أبو سهل الصعلوكي لا نرى مثله ولا يرى مثل نفسه . وسئل أبو الوليد عن أبي بكر القفال والصعلوكي فقال : ومن يقدر يكون مثل الصعلوكي ؟

وكانت ولادته سنة ست وتسعين ومائتين ، وسمع الحديث سنة خمس وثلثائة ، وحضر مجلس أبي علي الثقفى للثفقه سنة ثلاث عشرة . وتوفي في آخر سنة تسع وستين وثلثائة بنيسابور ، وحملت جنازته إلى ميدان الحسين ، فقدم السلطان

٥٧٨ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ١١٥ والروافي ٣ : ١٢٤ واليتمية ٤ : ١٩ ؛ وطبقات السبكي ٢ : ١٦١ والشذرات ٣ : ٦٩ وطبقات الحسيني ٢٩ وطبقات العبادي : ٩٩ وعبر الذهبى ٢ : ٣٥٢ . ن : المتفقه ؛ ت بر : الفقيه .

ولده أبا الطيب للصلاة عليه فصلی ، ودفن في المسجد الذي كان يدرس فيه ،
رحمه الله تعالى ؛ وقد تقدم ذكر ابنه^١ في حرف السين والكلام على الصعلوكي .

٥٧٩

أبو الطيب ابن سلمة

أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي البغدادي الفقيه الشافعي ؛ كان^٢ من كبار الفقهاء ومتقدميهم ، أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سريج ، وكان موصوفاً بفرط الذكاء ، ولهذا كان أبو العباس يُقبل عليه كل الإقبال ويميل إلى تعليمه غاية الميل ، وصنف كتباً عديدة ؛ وتوفي في المحرم سنة ثمان وثلاثمائة ، وهو غرض الشباب ، رحمه الله تعالى ، وله في المذهب وجوه حسنة .

وسلمة : بفتح السين المهملة واللام والميم .

(165) وأبوه أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي^٣ اللغوي صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن ، وكان كوفي المذهب مليح الخط ، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء ، واستدرك على الخليل في كتاب « العين » وخطأه ، وعمل في ذلك كتاباً ، وله من التصانيف كتاب « البارع في علم اللغة » وكتاب « الفاخر » وكتاب « العود والملاهي » وكتاب « جلاء الشبه » وكتاب « الطيف » وكتاب « ضياء القلوب في معاني القرآن » نيف

١ ل س ن : أبيه ؛ وانظر ج ٢ : ٤٣٥ .

٥٧٩ - ترجمته في الفهرست : ٢١٤ وطبقات الشيرازي : ١٠٩ وتاريخ بغداد ٣ : ٨٣ والشذرات

٢ : ٢٥٣ وطبقات العبادي : ٧٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٣٧ .

٢ كان : سقطت من ن ل لي والمختار .

٣ ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٣٠٥ وفي الحاشية مصادر أخرى .

وعشرون جزءاً ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « الزرع والنبات » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « ما يحتاج إليه الكاتب » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المدخل إلى علم النحو »^١ وروى عنه أبو بكر الصولي وزعم أنه سمع عنه في سنة تسعين ومائتين .

(166) وجدته سلمة بن عاصم^٢ صاحب الفراء وراويته ، وهم أهل بيت كلهم علماء نبله مشاهير ، رحمهم الله تعالى .

وكان المفضل المذكور متصلاً بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيلاً له^٣ : إن ابن الرومي الشاعر - المقدم ذكره^٤ - قد هجاه ، فشق ذلك على الوزير^٥ ، وحرّم ابن الرومي عطاياه ، فعمل ابن الرومي في المفضل أبياتاً وهي^٦ :

لو تَلَفَّتْ في كساء الكسائي وتَفَرَّيتِ فروة الفراءِ
وتخللت بالخليل وأضحى سيويه لديك رَهْنَ سبَاءِ
وتكونت من سواد أبي الأسود شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبي الله أن يَعُدَّكَ أهل العِلْمِ إلا من جملةِ الأغبياءِ

١ وكان كوفي . . . النحو : سقط من س ل ي بر والمختار .

٢ ترجمته في انباء الرواة ٢ : ٥٦ والمصادر الأخرى في الحاشية ؛ ولسلمة كتاب « معاني القرآن »

قال فيه ابن الأنباري : كتاب سلمة أجود الكتب .

٣ ر ن : فنقل إليه .

٤ ج ٣ : ٣٥٨ .

٥ ر : فشق عليه ذلك أي على الوزير .

٦ ديوان ابن الرومي ١ : ٨٧ .

أبو بكر النيسابوري

أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ؛ كان فقيهاً عالماً مُطَّلِعاً ، ذكره الشيخ أبو إسحاق في « طبقات الفقهاء »^١ وقال : صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحدٌ مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف ، ولا أعلم عن أخذ الفقه ؛ وتوفي بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة^٢ ، رحمه الله تعالى ؛ ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء « كتاب الاشراف » وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة ، وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها ، وله كتاب « المبسوط » أكبر من « الاشراف » ، وهو في اختلاف العلماء ونقل مذاهبهم أيضاً ، وله كتاب « الإجماع » وهو صغير .

٥٨٠ - ترجمته في الفهرست : ٢١٥ والوافي ١ : ٣٣٦ وتذكرة الحفاظ : ٧٨٢ وطبقات السبكي

٢ : ١٢٦ ولسان الميزان ٥ : ٥٧٠ وطبقات العبادي : ٦٧ .

١ طبقات الشيرازي : ١٠٨ .

٢ هذا هو تاريخ وفاته كما ذكره الشيرازي ، وقال السبكي ، قال شيخنا الذهبي : وهذا ليس بشيء

لأن محمد بن يحيى بن عمار لقيه سنة ست عشرة وثلاثمائة .

أبو زيد المروزي

أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، المروزي الفاشاني الفقيه الشافعي ؛ كان من الأئمة الأجلاء ، حسن النظر مشهوراً بالزهد حافظاً للمذهب ، وله فيه وجوه غريبة . أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وأخذ عنه أبو بكر القفال المروزي ، ودخل بغداد وحدث بها ، وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطني ومحمد بن أحمد بن القاسم الهاملي ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سبع سنين ، وحدث هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفيربزي ، قال الخطيب : وأبو زيد أجل من روى هذا الكتاب . وقال أبو بكر البزار : عادت الفقيه أبو زيد من نيسابور إلى مكة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه ، يعني خطيئة . وقال أحمد^٢ بن محمد الحاتمي الفقيه : سمعت أبا زيد المروزي يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة ، وكأنه يقول لجبريل عليه السلام : يا روح الله اصحبه إلى وطنه^٣ .

وكان في أول أمره فقيراً لا يقدر على شيء فكان يعبر الشتاء بلا جبة مع شدة البرد في تلك البلاد ، فإذا قيل له في ذلك يقول : بي علة تمنعني من لبس المحشو ، يعني به الفقر . وكان لا يشتهي أن يطلع أحداً على باطن حاله ، ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسنّ وتساقطت أسنانه فكان لا يتمكن

٥٨١ - ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٣١٤ وطبقات الشيرازي : ١١٥ والبصائر ١ : ٤٠٦ والمنظّم

١١٢ : ٧ والوفائي ٢ : ٧١ وطبقات السبكي ٢ : ١٠٨ والشذرات ٣ : ٧٦ وطبقات الحسيبي :

٣٠ وطبقات العبادي : ٩٣ وعبر النهبي ٢ : ٣٦٠ .

١ المختار : الحجاز ؛ لي : البزاز ، وانظر تبصير المنتبه ١ : ١٤٨ .

٢ ر ن : أبو الحسن أحمد .

٣ وقال أحمد . . . وطنه : سقط من س ل ت بر .

من المضح وبطلت منه حاسة الجماع فكان يقول^١ مخاطباً للنعمة : لا بارك الله
فيك ! أقبلت حين لا ناب ولا نصاب .
وقد أذكرتني هذه الحكاية أبياتاً لبعض الفضلاء وقد أثنى وصارت له
نعمة وهو في عَشْرَ الثمانين ، وهي :

ما كنتُ أرجوهُ إذ كنت ابنَ عشرينا مَلَكَته بعد أن جاوزتُ سَبْعِينا
تطيف بي من بني الأتراك أغزلة مثل الغُصُونِ على كُثبانِ يَبْرِينا
وخرَّدُ من بنات الروم رائحة يحكين بالحسن حُورَ الجنة العِينا
يفمزني بأساريع مُنعمَةٍ تكاد تنقض من أطرافها لِينا
يُردنَ إحياء ميتٍ لا حراك به فكيف يحين ميتاً صار مدفونا
قالوا أئينك طولَ الليل يُقلقنا فما الذي تشتكي ؟ قلت الثمانينا

وتوفي يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وسبعين^٢ وثلاثمائة بروج ، رحمه
الله تعالى؛ وقد تقدم الكلام على نسبة المروزي والفاشاني فلا حاجة إلى الإعادة.

٥٨٢

أبو بكر الأودني

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر بن ورقاء الأودني الفقيه الشافعي ،
إمام أصحاب الشافعي في عصره ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله بن البَيْع النيسابوري
في « تاريخ نيسابور » وقال : حج ثم انصرف وأقام بنيسابور عندنا مدة وكان

١ ل ي ت س : فيقول .

٢ ن : وتسمين .

٥٨٢ - ترجمته في الأنساب : ١ ، ٣٨٣ والوافي : ٣ ، ٣١٦ والشذرات : ٣ ، ١١٨ وطبقات الحسيني :

٣٢ ، وطبقات المبادي : ٩٢ وعبر الذهبي : ٣ ، ٣١ .

من أزهدهم الفقهاء وأبكامهم على تقصيره . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس
وثمانين وثلثمائة ببخارا ، ودفن بكلاباذ رحمه الله تعالى .

والأودني : بضم الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة وبعدها نون ، هذه
النسبة إلى أودنة ، وهي قرية من قرى بخارا ، هكذا قاله السمعاني ، والفقهاء
يخرفونه فيقولون « الأودي » وسمعت بعض مشايخنا في زمن الاشتغال بالعلم يقول :
هو « الأودني »^١ بفتح الهمزة والله أعلم . [ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي
الذي سماه « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » ما يدل على أنه بفتح الهمزة ، فإنه
جعله مع أردن ونظائره مما أوله بفتح الهمزة ، ثم قال : وأما أودن - بعد الهمزة
واو ساكنة ثم دال مهملة وآخره نون - فقرية من قرى بخارا ، وعادته في هذا
الكتاب أنه إذا ذكر مكاناً على مثل هذه الصورة ثم ذكر بعده مثله تركه على
حاله ، وإن اختلف في الحركة ذكر وجه المخالفة ، ولم يذكر هاهنا ضمة الهمزة ،
فدل على أنه مثل الأول]^٢ .

وله وجوه في المذهب ، وذكره صاحب « الوسيط »^٣ في مواضع عديدة .
وكلاباذ : بفتح الكاف وبعده اللام ألف باء موحدة مفتوحة وبعده الألف ذال
معجمة ، وهي محلة ببخارا .

(167) وإليها ينسب الحافظ المتقن أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين
ابن علي بن رستم الكلاباذي أحد أئمة الحديث وكان ثقة ، وتوفي لسبع بقين من
جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ومولده سنة ستين وأربعمائة^٤ رحمه
الله تعالى . قلت : هكذا ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في تاريخ وفياة
الكلاباذي ومولده وهو غلط ، فإنه آخر تاريخ المولد عن تاريخ الوفاة ، وكشفته

١ ر : الأودي .

٢ انفردت به ر .

٣ س : البسيط .

٤ في الباب : وكانت ولادته سنة ستين ، دون ذكر للفظ « وأربعمائة » وقال الذهبي (تذكرة
الحفاظ : ١٠٢٧) مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وثلثمائة عن خمس وسبعين سنة
(ولعل سبعين مصحفة عن تسعين) .

من جهات عديدة فلم أجد مَنْ ذكره ، فتركته على حاله ، والظاهر أن الأمر بالعكس ، والله أعلم .

٥٨٣

أبو بكر الفارسي

أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويّنه الفارسي الفقيه الشافعي ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله في « تاريخ نيسابور » وقال : أقام بنيسابور زماناً ، ثم خرج إلى بخارا ثم انصرف إلى نيسابور ، ورجع إلى بلاد فارس فولي القضاء بها ، ثم رجع إلى نيسابور وحدث بها . وتوفي في سنة اثنتين وستين وثلثائة بنيسابور ، رحمه الله تعالى . وله في المذهب وجوه بعيدة تفرد بها ، ولم نرها منقولة عن غيره ، ولم أعلم عن أخذ الفقه .

وشاهويّنه : بالشين المعجمة وبعد الألف هاء مفتوحة ثم واو مفتوحة ثم ياء مشناة من تحتها ساكنة ، وهو اسم عجمي مركب ، فالشاه الملك ، وأما ويه فقد قال الجوهري في كتاب « الصحاح » : سيويه ونحوه من الأسماء اسم بني مع صوت فجعلنا اسماً واحداً .
وأما فارس فإنها كورة عظيمة قصبتها شيراز ، وشهرتها تغني عن ضبطها .

٥٨٣ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٤٤ والوافي ٢ : ٤٤ وطبقات السبكي ٢ : ١١٢ (موضع ترجمة سقطت) والجواهر المضية ٢ : ١٨ .

١ آخر الترجمة في النسخ ما عدا ر ، واقتصر في المختار بعد هذا على تحديد « فارس » .

القضاعي

أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب « الشهاب » ؛ ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وقال: روى عنه أبو عبد الله الحميدي ، وتولى القضاء بمصر نيابة^١ من جهة المصريين ، وتوجه منهم رسولا إلى جهة الروم ، وله عدة تصانيف : منها كتاب « الشهاب » وكتاب « مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأخباره » وكتاب « الإنباء عن الأنبياء » و « تواريخ الخلفاء » وله كتاب « خطط مصر » .

وذكره الأمير أبو نصر ابن ماكولا في كتاب « الإكمال » وقال : كان مفننا في عدة علوم . وتوفي بمصر ليلة الخميس السادس عشر^٣ من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وصلى عليه يوم الجمعة بعد العصر في مصلى النجار . وقد تقدم ذكره في ترجمة الظاهر بن الحاكم العميدي^٤ صاحب مصر ، وأنه كان يعلم عن وزيره الأقطع الجرجاني .

وذكر السمعاني في كتاب « الذيل » في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت الحافظ صاحب « تاريخ بغداد » أنه حج سنة خمس وأربعين وأربعمائة

٥٨٤ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٦٢ والوافي ٣ : ١١٦ والشذرات ٣ : ٢٩٣ وحسن المحاضرة

١ : ١٦٩ والرسالة المستطرفة : ٧٦ .

١ نيابة : سقطت من س ت .

٢ ن : علي .

٣ ل لي س بر : السابع عشر .

٤ انظر ج ٣ : ٤٠٧ .

وحج تلك السنة أبو عبد الله القضاعي المذكور ، وسمع الخطيب منه ، رحمه الله تعالى .

والقضاعي : بضم القاف وفتح الضاد المعجمة وبعد الألف عين مهملة ، هذه النسبة إلى قُضاعة ، ويقال : هو ابن معد بن عدنان ، ويقال : هو من حمير ، وهو الأكثر والأصح ، واسمه عمرو بن مالك ، وينسب إليه قبائل كثيرة ، منها كلب وبلي وجهينة وعُدرة وغيرهم .

(168) والنجار صاحب المصلّى هو : عمران بن موسى النجار مولى غافق ، وقيل إن النجار المذكور هو أبو الطيب محمد بن جعفر البغدادي النجار ، ويُعرف بغنْدَر ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قبل دخول القائد جوهر مصر ، رحمه الله تعالى .

٥٨٥

المسعودي الفقيه

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسعود بن أحمد^٢ ، المسعودي الفقيه الشافعي ؛ إمام فاضل مبرز وورع من أهل مرو ، تفقه على أبي بكر القفال المروزي وشرح «مختصر» المزني وأحسن فيه ، وروى قليلاً من الحديث عن أستاذه القفال ، وحكى عنه الغزالي في كتاب «الوسيط» في الأيمان في الباب الثالث فيما يقع به الحنث مسألة لطيفة فقال : فرع - لو حلف لا يأكل بيضاً ، ثم انتهى إلى رجل فقال : والله لا أكلن ما في كلك ، فإذا هو بيض ، فقد سئل القفال عن

١ هنا تنتهي الترجمة في ت .

٥٨٥ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٧٢ وطبقات الحسيبي : ٤٦ (باسم : محمد بن عبد الملك) ؛

واقصر في المختار على ذكر المسألة الفقهية الواردة في الترجمة .

٢ اختلفت النسخ في اسمه ففي ل : أبو عبد الله ابن مسعود بن أحمد ؛ لي بر : محمد بن مسعود بن

أحمد ؛ ن : محمد بن أحمد المسعودي .

هذه المسألة وهو على الكرسي فلم يحضره الجواب ، فقال المسعودي تلميذه : يتخذ منه الناطف ويأكله ، فيكون قد أكل ما في كفه ولم يأكل البيض ، فاستحسن ذلك منه ، وهذه الحيلة من لطائف الحيل . وتوفي المسعودي المذكور سنة نيف وعشرين وأربعمائة بمرو ، رحمه الله تعالى ؛ ونسبته إلى جده مسعود .

٥٨٦

أبو عاصم العبادي

القاضي أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد ، العبادي الهروي الفقيه الشافعي ؛ تفقه بهراة على القاضي أبي منصور الأزدي ، وبنيسابور على القاضي أبي عمر البسطامي ، وصار إماماً متقناً دقيق النظر . تنقل في البلاد ولقي خلقاً كثيراً من المشايخ وأخذ عنهم ، وصنف كتباً نافعة : منها « أدب القضاء » و « المبسوط » و « الهادي إلى مذهب العلماء » وكتاب « الرد على السمعاني »^١ وله كتاب لطيف في طبقات الفقهاء^٢ ، وعنه أخذ أبو سعد الهروي صاحب كتاب « الأشراف » في أدب القضاء وغوامض الحكومات وسمع الحديث ورواه . وتوفي في شوال سنة ثمان وخسين وأربعمائة ؛ وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والعبادي : بفتح العين المهمة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهمة ، هذه النسبة إلى جده عبّاد المذكور . وقد تقدم الكلام على الهروي .

٥٨٦ - ترجمته في الوافي ٢ : ٨٢ والشذرات ٣ : ٣٠٦ وطبقات الحسيني : ٥٦ ولم ترد هذه الترجمة في المختار .

١ وكتاب الرد على السمعي : سقط من ر . ٢ هو الذي نشير إليه باسم طبقات العبادي .

الخضري

أبو عبد الله محمد بن أحمد الخضري المروزي الفقيه الشافعي ؛ إمام مرو ومقدم الفقهاء الشافعية ، صحب أبا بكر الفارسي ، وكان من أعيان تلامذة أبي بكر القفال الشاشي^١ ، وأقام بمرو ناشراً فقه الشافعي ، وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ وقلة النسيان، وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون عنه ، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه صحح دلالة الصبي على القبلة ، قال الخضري : معناه أن يدل على قبلة تُشاهد في الجامع ، فأما في موضع الاجتهاد فلا يقبل .

وذكر أبو الفتوح المعجلي في أول كتاب النكاح من كتاب « شرح مشكلات الوجيز والوسيط » أن الشيخ أبا عبد الله الخضري سئل عن قلامة ظفر المرأة: هل يجوز للرجل الأجنبي النظر إليها ، فأطرق الشيخ طويلاً ساكناً ، وكانت ابنة الشيخ أبي علي الشبوي تحته ، فقالت له : لم تتفكر وقد سمعت أبي يقول في جواب هذه المسألة : إن كانت من قلامة أظفار اليمين جاز النظر إليها وإن كانت من أظفار الرجلين لم يجز، وإنما كان ذلك لأن يدها ليست بعورة ، بخلاف ظهر القدم ، ففرح الخضري^٢ وقال : لو لم أستفد من اتصالي بأهل العلم إلا هذه المسألة لكانت كافية ؛ انتهى كلام المعجلي .

قلت أنا : هذا التفصيل بين اليمين والرجلين فيه نظر ، فإن أصحابنا قالوا: اليدان ليستا بعورة في الصلاة ، أما بالنسبة إلى نظر الأجنبي فيما نعرف بينهما فرقاً ، فليُنظر .

٥٨٧ - ترجمته في طبقات السبكي ٢ : ١٢٥ والوافي ٢ : ٧٢ والشذرات ٣ : ٨٢ (وفيات ٣٧٣

وقال : أو في التي قبلها) . وطبقات الحسيبي : ٣٦ وطبقات العبادي : ٩٦ .

١ ت ل س لي ن بر : المروزي . ٢ ر : الشيخ الخضري .

وكانت له معرفة بالحديث أيضاً وكان ثقة. وتوفي في عشر الثمانين والثلاثائة ،
رحمه الله تعالى .

والخِضْرِي : بكسر الخاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء ، هذه
النسبة إلى بعض أجداده ، واسمه الخضر ، هذا عند من يكسر الخاء ويسكن
الضاد من الخِضْر ، وهي إحدى اللغتين ، فأما من يقول الخَصْر - بفتح الخاء
وكسر الضاد - فقياسه أن يقال الخَصْرِي - بفتح الضاد - كما قالوا في النسبة
إلى نمرة نمري ، وهو باب مطرد لا يخرج عنه شيء .
والشَّبَّوِي : بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وضمها وسكون الواو ،
هذه النسبة إلى شَبَّوِيه ، وهو اسم بعض أجداد الشيخ أبي علي المذكور وكان
فقيهاً فاضلاً من أهل مرو ، رحمه الله تعالى .

٥٨٨

الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب بحجة الإسلام
زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي ؛ لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ،

١ ر : العلم .

٥٨٨ - ترجمته في طبقات البسكي ؛ : ١٠١ وتبيين كذب المفتري : ٢٩١ - ٣٠٦ واللباب (الغزالي)
والمنتظم ٩ : ١٦٨ و Histories (المنتخب الثاني : ٢٠) وطبقات الحسيبي : ٦٩ . وقد جمع
الأستاذ عبد الكريم العثمان بعض ما جاء في كتب المتقدمين عنه في كتاب سماه « سيرة الغزالي »
(دار الفكر - دمشق) ، وفي كتاب المنقذ من الضلال جانب من سيرته ، والدراسات المعاصرة
عنه كثيرة ، انظر مثلاً : الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا (دار المعارف - مصر)
والغزالي لكارادوفو ، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة ١٩٥٩) وكتاب مهرجان الغزالي في دمشق
١٩٦١ ومؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ١٩٦١) ، ومراجع أخرى تكاد تمز
على الحصر في مختلف اللغات .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني^١ ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي^٢ في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه ، وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدل والمناظرة في عدة مجالس ، فظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان .

ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد ، فجاءها وياشر إلقاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج [وناب عنه أخوه أحمد في التدريس]^٣ فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ، وانتقل منها إلى البيت المقدس ، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ، ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراکش ، - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب « الوسيط » و « البسيط » و « الوجيز » و « الخلاصة » في الفقه ، ومنها « إحياء علوم الدين » وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله في أصول الفقه « المستصفي » فرغ من تصنيفه في سادس المحرم

١ نسبة إلى الراذكان وهي بليدة بنواحي طوس ؛ وفي المختار : الزادكاني .

٢ ن : حتى توفي .

٤ ر ن : وأجلها .

٣ زيادة من ن بر .

سنة ثلاث وخمسة^١ ، وله « المنحول والمنتحل في علم الجدل » وله « تهافت الفلاسفة » و « محك النظر » و « معيار العلم » و « المقاصد » و « المضمون به على غير أهله » و « المقصد الأقصى^٢ في شرح أسماء الله الحسنى » و « مشكاة الأنوار » و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » و كتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والعمود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه . وروى له شعر ، فمن ذلك ما نسب إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في « الذيل » وهو قوله :

حَلَّتْ عَقَارِبُ صَدغِهِ فِي خَدِّهِ قَمراً فَجَلَّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ
وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحُلُّ بِبَرْجِهَا فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله أعلم . ونسب إليه العماد الأصمباني في « الخريدة »^٣ هذين البيتين ، وهما :

هَبْنِي صَبوتَ كَمَا تَرُونَ بِزَعْمِكُمْ وَحَظِيَّتَ مِنْهُ بَلْثَمَ خَدِّ أَزْهَرِ
إِنِّي اعْتَزَلْتُ فَلَا تَلُومُوا إِنَّهُ أَضْحَى يَقَابِلُنِي بِوَجْهِ أَشْعَرِ (ي)

ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما .

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة ، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران^٤ ، وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسة^٥ بالطابران .

٢ ن : الأسنى .

١ فرغ . . . وخمسة : سقط من النسخ جميعاً .

٣ ل ن بر : في كتاب الخريدة .

٤ بالطابران زيادة من ر والمختار .

٥ ل ن لي س ت بر : بطوس .

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي الشاعر المشهور - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - بأبيات فائية من جملتها :

مضى وأعظم مفقودٍ فجمتُ به مَنْ لا نظير له في الناسٍ يخلفه
وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة :

عجبتُ لصبري بعده وهو ميت وكنت امرأةً أبكي دماً وهو غائبُ
على أنها الأيام قد صرن كلها عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ

ودفن بظاهر الطابران ، وهي قصبه طوس ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي في ترجمة أخيه أحمد الزاهد الواعظ المذكور في حرف الهمزة^٣ ؛ والطَّابَّرانُ ، بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وراء مهملة وبعد الألف الثانية نون ، وهي إحدى بلدي طوس ، كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .

٥٨٩

المستظهري

أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارقي المولد ، المعروف بالمستظهري ، الملقب فخر الإسلام الفقيه الشافعي ؛ كان فقيه وقته ، تفقه أولاً بميافارقين على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني ، وعلى القاضي

١ انظر ج ١ : ٩٨ .

٥٨٩ - ترجمته في الوافي ٢ : ٨٣ والمنتظم ٩ : ١٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٥٧ وعبر الذهبي ٤ :

١٣ والشذرات ٤ : ١٦ وطبقات الحسيبي : ٧٢ .

٢ ن ر : ابن بنان ؛ وسقط من س .

أبي منصور الطوسي صاحب أبي محمد الجَوَينِي إلى أن عزل عن قضاء ميفارقين ، ثم رحل أبو بكر إلى بغداد ، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، وقرأ عليه وأعاد عنده ، وقرأ كتاب « الشامل » في الفقه على مصنفه أبي نصر ابن الصباغ ، رحمه الله تعالى ، ودخل نيسابور صحبة الشيخ أبي إسحاق ، وتكلم في مسألة بين يدي إمام الحرمين فأحسن فيها ، وعاد إلى بغداد . وذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في « سياق تاريخ نيسابور » وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق ، وانتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية . وصنف تصانيف حسنة ، من ذلك كتاب « حلية العلماء » في المذهب ، ذكر فيه مذهب الشافعي ، ثم ضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها ، وجمع من ذلك شيئاً كثيراً وسماه « المستظري » لأنه صنفه للإمام المستظهر بالله ، وصنف أيضاً في الخلاف . وتولى التدريس بالمدسة النظامية بمدينة بغداد ، سنة أربع وخمسة إلى حين وفاته ، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأبو نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » وأبو سعد المتولي صاحب « تنمة الإبانة » وأبو حامد الغزالي - وقد سبق ذكر ذلك في ترجمة كل واحد منهم - فلما انقضوا تولاها هو . وحكى لي بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس ، وضع منديله على عينيه وبكى كثيراً ، وهو جالس على السُدَّة التي جرت عادة المدرِّسين بالجلوس عليها وكان ينشد^١ :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مُسوِّدٍ ومِنَ العناءِ^٢ تفرُّدي بالسُّودِ

وجعل يردد هذا البيت ويبكي ، وهذا إنصاف منه واعتراف لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه ، وهذا البيت من جملة أبيات في « الحماسة »^٤ .

١ ر : في شعبان سنة .

٢ ر والمختار : وأنشد .

٣ ر والمختار : البلاء ؛ ن : الشقاء .

٤ شرح المرزوقي : ٨٠٧ والأبيات لرجل من خثعم ، وورد البيت عند ياقوت (البقيع) منسوباً لعمر بن النعمان البياضي .

ومدحه تلميذه أبو المجد حمدان بن كثير الباسي^١ بقصيدة يقول فيها :

يا كعبةَ الفضلِ أَفْتِنَا لَمْ لَمْ يَجِبْ شَرْعًا عَلَى قِصَادِكَ الإِحْرَامُ
ولما تَضَمَّخَ زَائِرِيكَ بِطِيبِ مَا تَلْقِيهِ وَهُوَ عَلَى الْحَجِيجِ حَرَامُ

وقد سبق في مرثية أبي العلاء المعري مثل هذا المعنى .
وكانت ولادته في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة بميفارقين . وتوفي في
يوم السبت خامس عشرين شوال سنة سبع وخمسمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة
باب أبرز^٢ ، مع شيخه أبي إسحاق في قبر واحد ، وقيل دفن إلى جانبه^٣ ،
رحمها الله تعالى .

٥٩٠

أبو نصر الأرخياني

أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرخياني الفقيه الشافعي؛
قدم من بلده إلى نيسابور واشتغل على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وبرع في
الفقه، وكان إماماً مفتناً ورعاً كثير العبادة . وسمع الحديث من أبي الحسن علي
ابن أحمد الواحدي صاحب التفاسير ، وروى عنه في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ (يوسف : ٩٤) أن ريح الصبا استأذنت ربهما عز وجل
أن تأتي بريح يوسف على نبينا وعليها أفضل الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير

١ ن : الباسي ؛ ر والمختار : الباسي ، وقد سقط هذا النص حتى آخر البيتين من النسخ ما عدا :

ن ر والمختار . ٢ كذا في المختار ، ر ، وفي النسخ الأخرى : باب شيراز .

٣ إلى جانبه : كذا في ن والمختار ؛ وفي سائر النسخ : بجانبه .

٥٩٠ - ترجمته في الوافي ٣ : ٣٤٨ والأنساب ١ : ١٦٨ والمنتظم ١٠ : ٤٠ وطبقات السبكي ٤ :

٧١ وطبقات الحسيني : ٧٨ ؛ والترجمة موجزة كثيراً في المختار .

بالقيص ، فأذن لها فآتته بذلك ، فلذلك يستروح^١ كل محزون بريح الصبا ، وهي من ناحية المشرق : إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها ، وهيجت الأشواق إلى الأوطان والأحباب ، وأنشد :

أيا جبَلتي نَعْمَانِ بالله خَلْيَا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا
فان الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتَ عَلَى نَفْسٍ مَهْمومٍ تَجَلَّتْ هومِهَا

وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ؛ وتوفي ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بنيسابور ، ودفن بظاهرها بموضع يقال له « الحيرة » على الطريق ، رحمه الله تعالى .

والفتاوى المستخرجة من كتاب « نهاية المطلب » المنسوبة إلى الأرخياني أشك فيها : هل هي له أم لأبي الفتح سهل بن علي الأرخياني - المقدم ذكره^٢ - فإني بعيد العهد بالوقوف عليها ، وذكرت في ترجمة أبي الفتح أنها له ، ثم حصل^٣ لي الشك ، والله أعلم .

وقد تقدم الكلام على نسبة الأرخياني في ترجمة أبي الفتح المذكور .
ثم إني ظفرت بالفتاوى المذكورة ، فوجدتها لأبي نصر المذكور ، لا لأبي الفتح .

١ ن ر : يتروح .

٢ انظر ج ٢ : ٤٣٤ والهاشية رقم : ٤ .

٣ ن : فصل .

محمد بن يحيى

أبو سعد محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري ، الملقب محيي الدين ،
 الفقيه الشافعي ؛ أستاذ المتأخرين وأوحدهم علماً وزهداً ، تفقه على حجة الإسلام
 أبي حامد الغزالي ، وأبي المظفر أحمد بن محمد الخوافي - المقدم ذكره - وبرع
 في الفقه وصنف فيه وفي الخلاف ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء بنيسابور ، ورحل
 إليه الناس من البلاد ، واستفاد منه خلق كثير صار أكثرهم سادة وأصحاب
 طرق في الخلاف ؛ وصنف كتاب « المحيط في شرح الوسيط » و « الانتصاف في
 مسائل الخلاف » وغير ذلك من الكتب .

ذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في « سياق تاريخ نيسابور » وأثنى عليه ،
 وقال : كان له حظ في التذكير ، واستمداد من سائر العلوم ، وكان يدرس
 بنظامية نيسابور ، ثم درس بمدينة هرة في المدرسة النظامية ؛ ومن جملة
 مسموعاته ما سمعه من الشيخ أبي حامد أحمد بن علي بن محمد بن عبدوس بقراءة
 الإمام أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم القشيري ، في سنة
 ست وتسعين وأربعمائة ، وحضر بعض فضلاء عصره درسه وسمع فوائده ،
 وحسن إلقائه ، فأنشده :

رفات الدين والإسلام يحيى بمحيي الدين مولانا ابن يحيى
 كأن الله ربَّ العرش يلقي عليه حين يلقي الدرس وحياً

ورأيت في بعض الجمايع بيتين منسوبين إليه ، ثم وجدت في ترجمة الشيخ
 شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسي الفقيه الشافعي تزيل مصر ،

٥٩١ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٧ والشذرات ٤ : ١٥١ وعبر النهبي ٤ : ١٣٣ .

١ انظر ج ١ : ٩٦ .

قال : وأنشدني الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري لنفسه^١ وهما :

وقالوا يصير الشعر في الماء حية إذا الشمس لاقته^٢ فماخلته صدقا
فلما ثوى صدغاه في ماء وجهه وقد لَسَمَا قلبي تيقنته حقا

وكانت ولادته سنة ست وسبعين وأربعمائة بطرَيْثيث . وتوفي شهيداً في شهر رمضان ، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، قتلته الغز لما استولوا على نيسابور في وقتهم مع السلطان سنجر السلجوقي - كما تقدم ذكره في ترجمته^٢ - أخذته ودَسَتْ في فيه التراب حتى مات . وحكى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أن ذلك كان في سنة ثلاث وخمسين ، والأول أصح . ولما مات رثاه جماعة من العلماء ، من جملتهم أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي ، قال فيه :

يا سافكاً دمَ عالم متبحر قد طار في أقصى الممالك صيته^٣
تالله قل لي يا ظلوم ولا تخف من كان محيي الدين كيف تميته^٤

رحمه الله تعالى .

(169) وتوفي شهاب الدين الطوسي المذكور ، في العشرين من ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة بمصر [ودفن بالقرافة ، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وكان مدرساً بمدرسة منازل العز بمصر ، وقدم إلى مصر من مكة سنة تسع وسبعين وخمسمائة ونزل خانقاه « سعيد السعداء » بالقاهرة]^٤ .
وطرَيْثيث : بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الشاء المثناة وسكون الياء المثناة الثانية وبعدها ثاء مثناة ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

١ ثم وجدت . . . لنفسه : سقط من النسخ ما عدا ر ، ووقع فيها بعد إيراد البيتين .

٢ انظر ج ٢ : ٤٢٨ .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في المختار .

٤ انفردت به ر .

البروي

أبو منصور محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله البروي الفقيه الشافعي ؛
 أجد الأئمة المشار إليهم بالتقدم في الفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ ، وكان
 حلوا العبارة ذا فصاحة وبراعة ، تفقه على الفقيه محمد بن يحيى المذكور قبله ،
 وكان من أكبر أصحابه ، وصنف في الخلاف تعليقة جيدة ، وهي مشهورة ، وله
 جدل مليح مشهور سماه « المقترح في المصطلح » وأكثر اشتغال الفقهاء به ، وقد
 شرحه الفقيه تقي الدين أبو الفتح مظفر بن عبد الله المصري المعروف بالمقترح^٢
 شرحاً مستوفى^٣ وعرف به ، واشتهر باسمه لكونه كان يحفظه فلا يقال له إلا
 التقي^٤ المقترح^٥ .

ودخل البروي بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة فصادف قبولاً وافراً من
 العام والخاص ، وتولى المدرسة البهائية قريباً من النظامية وكان يذكر بها كل يوم
 عدة دروس ، ويحضر عنده الحلق الكثير ، وله حلقة المناظرة يجامع القصر ،
 ويحضر عنده المدرسون والأعيان ، وكان يجلس للوعظ بالمدرسة النظامية ،
 ومدرسها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبد الله للشاشي ، وكان يظهر عليه من
 الحركات ما يدل على رغبته في تدريس النظامية ، وكان ينشد في أثناء مجلسه
 مشيراً إلى موضع التدريس أبيات المتنبي ، وهي أوائل قصيدة^٥ :

٥٩٢ - ترجمته في الوافي ١ : ٢٧٩ والمنتظم ١٠ : ٢٣٩ وطبقات السبكي ٤ : ١٨٢ وعبر الذهبي

٤ : ٢٠٠ والشذرات ٤ : ٢٢٤ ؛ وقد أهملت هذه الترجمة في المختار .

١ ن : حسن . ٢ ر : المعز ، وهو كذلك عند الصفدي .

٣ ر : مشعباً .

٤ ر : إلا شرح التقي المصري ، وهو موافق لما عندي الصفدي .

٥ ل ن : قصيدة ، وانظر ديوانه : ٥٥ .

بكيت يا ربُّعُ حتى كدت أبكيكاً وجدت بي وبدمي في مغانيكاً
فعم صباحاً لقد هيتجت لي شجناً واردد تحيتنا إنا محيوكاً
بأي حكم زمان صرت متخذاً ريم الفلا بدلاً من ريم أهليكاً

فكان الناس يفهمون منه ذلك ، وكان أهلاً له ، ووعد به فأدر كته المنية ؛
وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر ذي القعدة سنة سبع عشرة وخمسمائة
بطوس ؛ وتوفي يوم الخميس بين الصلاتين^١ سادس عشر رمضان سنة سبع وستين
وخمسمائة ببغداد ، وصلي عليه يوم الجمعة بجامع القصر الخليفة المستضيء بأمر الله
ودفن في ذلك النهار في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز ،
رحمها الله تعالى .

وذكر الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » أن أبا منصور البروي
المذكور قدم دمشق في سنة خمس وستين وخمسمائة ونزل في رباط السميساطي ،
وقرىء عليه شيء من أماليه .

والبروي : بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو^٢ ، لا أعلم هذه النسبة إلى
أي شيء هي ، ولا ذكرها السمعاني ، وغالب ظني أنها من نواحي طوس ؛
والله أعلم .

١ بين الصلاتين : سقط من س ت .

٢ في الشذرات : والبروي بفتح المعجمة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى برويه ، جد (لعلها : جده) .

أبو الحسن محمد بن المبارك ، وكنيته أبو البقاء ، ابن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الخلل ، الفقيه الشافعي البغدادي ؛ تفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري - المقدم ذكره - وبرع في العلم ، وكان يجلس في مسجده الذي بالرحبة شرقي بغداد لا يخرج عنه إلا بقدر الحاجة يفتي ويدرس ، وكان قد تفرد بالفتوى بالمسألة الشريحية ببغداد وصنف كتاباً سماه « توجيه التنبيه » على صورة الشرح لكنه مختصر ، وهو أول من شرح « التنبيه » ، لكن ليس فيه طائل ، وله كتاب في أصول الفقه . وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن أبي طلحة النعالي^١ وأبي عبد الله الحسين البصري^٢ وغيرهما . وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وغيره . وسمعت بعض الفقهاء ينقل عنه أنه كان يكتب خطأ جيداً منسوباً وأن الناس كانوا يمتثلون على أخذ خطه في الفتاوى من غير حاجة إليها بل لأجل الخط لا غير ، فكثرت عليه الفتاوى وضيقت عليه أوقاته ، ففهم ذلك منهم ، فصار يكسر القلم ويكتب جواب الفتوى به ، فأقصروا عنه . [وقيل إن صاحب الخط المليح هو أخوه ، والله أعلم]^٣ .

وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ببغداد ونقل إلى الكوفة ودفن بها ، رحمه الله تعالى .

(170) وكان أخوه أبو الحسين أحمد بن المبارك فقيهاً فاضلاً وشاعراً ماهراً،

٥٩٣ - ترجمته في الوافي ٤ : ٣٨١ والمنتظم ١٠ : ١٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٩٦ وعبر الذهبي

٤ : ١٥٠ والشذرات ٤ : ١٦٤ ، وقد اقتصر في المختار على ما ورد في هذه الترجمة عن أحمد

ابن المبارك أخي المترجم به .

١ ل ن : الثعالبي ، وهو خطأ .

٢ ر : السري ، وهو خطأ .

٣ انفردت به ر .

ذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع شعر ودوبيت ، فمن ذلك أبيات في بعض الوعاظ وهي :

ومن الشقاوة أنهم ركنوا إلى نزعَاتِ ذاك الأحمق التمتام
شيخ يُبهرجُ دينه بنفاقه ونفاقُهُ منهم على أقوام
وإذا رأى الكرسيَّ تاه بأنفه أي أن هذا موضعي ومقامي
ويدق صدرأ ما انطوى إلا على غل يواريه بكفِّ عظام
ويقول أيش أقول من حَصْرِي به لا لازدحام عبارة وكلام

[وله دوبيت :

هذا وهي وكَم كتمتُ الوها صوتاً لوداد مَنْ هوى النفس لها
يا آخرَ محنتي ويا أولها آياتُ غرامي فيك مَنْ أولها

وله أيضاً :

ساروا وأقامَ في فؤادي الكمدُ لم يلقَ كما لقيتُ منهم أحدُ
شوقٌ وجوى ونارُ وجدٍ تَقْدُ مالي جلد ، ضعفتُ ما لي جلدُ

وله أيضاً :

ما ضرَّ حداةَ عيسهم لو رفقوا لم يبقَ غداةَ بينهم لي رمقُ
قلبٌ قَلِقٌ وأدمعُ تستبقُ أوهى جلدي من الفراق الفرقُ] ١

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة؛ وتوفي سنة اثنتين - أو ثلاث -
 وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١ انفردت به ر .

محي الدين بن زكي الدين

أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد [أبي المعالي مجد الدين] ^١ بن يحيى [أبي الفضل زكي الدين] ^١ بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن [أمير المؤمنين] ^١ عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، القرشي ^٢ ، الملقب محيي الدين ، المعروف بابن زكي الدين ، الدمشقي الفقيه الشافعي ؛ كان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرها ، وله النظم المليح والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق في شهر ربيع الأول ، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور ، هكذا وجدته بخط القاضي الفاضل : وكذلك أبوه [زكي الدين] ^١ وجدته [مجد الدين] ، وجد أبيه زكي الدين أيضاً وهو أول من ولي من بيتهم ^١ وولده [زكي الدين أبو العباس الطاهر ومحيي الدين] ^١ كانوا قضاتها . وكانت له عند السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، المنزلة العالية ^٣ ، والمكانة المكيئة . ولما فتح السلطان المذكور مدينة حلب ، يوم السبت ثامن عشر صفر ، سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، أنشده القاضي محيي الدين المذكور قصيدة بائنة ، أجاد فيها كل الإجادة ، وكان من جلستها بيت هو متداول بين الناس ، وهو :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

٥٩٤ - ترجمته في الوافي ٤ : ١٦٩ وطبقات السبكي ٤ : ٨٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٥ والشذرات

٤ : ٣٣٧ ؛ وسقطت الترجمة من ت .

١ ما بين معقنين زيادات من ر والمختار ، ولم يرد في المطبوعة المصرية .

٢ ر : وبقية النسب معروف ؛ الأموي القرشي .

٣ ن : العليا ؛ ر : المكانة المكيئة والمنزلة العالية .

٤ قد مر هذا في ترجمة عماد الدين صاحب سنجار ج ٢ : ٣٣١ .

فكان كما قال ، فإن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسة ، وقيل لمحي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين ﴾ (الروم : ١ - ٣) . ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل^١ ، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به^٢ ، وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله ﴿ بضع سنين ﴾ .

ولما ملك السلطان صلاح الدين حلب ، فوَّض الحكم والقضاء بها [في ثالث عشر ربيع الآخر من السنة]^٣ إلى القاضي محيي الدين المذكور ، فاستناب بها زين الدين بنا أبا الفضل بن البانياسي^٤ .

ولما فتح السلطان القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين ، وجهر كل واحد منهم خطبة بليغة ، طمعاً في أن يكون هو الذي يعين لذلك ، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح ، فلما رقي المنبر استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ، ثم قال : ﴿ فقُطِع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (الأنعام : ٤٥) ثم قرأ أول سورة الأنعام ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (الأنعام : ١) ثم قرأ من سورة سبحان ﴿ وقل الحمد لله

١ ل لي س بر : بخط الأصل .

٢ بهامش المختار : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وقعت في القاهرة ودمشق على ثلاث نسخ من التفسير المذكور وهذا الفصل المشار إليه لكنه مكتوب على الجميع على الحاشية بعد خط الأصل . وأخبرني الشيخ تقي الدين محمد بن زين الدين الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية رحمه الله تعالى أنه رأى هذا الفصل المعين في نسختين على صورة ما ذكرناه والله أعلم . »

٣ انفردت ر بما بين معقفين .

٤ ل : بنا بن الفضل ؛ س لي : بنا بن الفضل ؛ ابن البانياسي : سقطت من النسخ ما عدا ر .

الذي لم يتخذ ولداً ﴿ الآية (الاسراء : ١١١) ثم قرأ أول الكهف ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴿ (الكهف : ١) الآيات الثلاث ، ثم قرأ من النمل ﴿ وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿ (النمل : ٥٩) الآية ، ثم قرأ من سورة سبأ ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات ﴿ (سبأ : ١) الآية ، ثم قرأ من سورة فاطر ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴿ (فاطر : ١) الآيات ، وكان قصده أن يذكر جميع تجميدات القرآن الكريم ؛ ثم شرع في الخطبة ، فقال : الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومُصَرِّف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بكبره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والأمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازة لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمداً من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره^٢ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض^٣ الشرك ، وراحض الإفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السماوات العلى إلى سدة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مززل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

١ ر : الكفر .

٢ ن : اجهاره .

٣ كذا في جميع النسخ ؛ وزاد في متن ر : قلت وصوابه : مدحض الشرك لأنه رباعي والثلاثي منه لازم فليس له مفعول .

أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، وإماطة الشرك عن طريقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فإنه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد^١ ، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن^٢ أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل به ينزل الأمر والنهي ، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد [الأقصى]^٣ الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم ، وروحه عيسى الذي كرّمه برسالاته وشرّفه بنبوّته ، ولم يرحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال تعالى : ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ (النساء : ١٧٢) كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ﴾ (المؤمنون : ٩١) ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ (المائدة : ١٧) إلى آخر الآيات من المائدة ، وهو أول القبليتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشَدُّ^٤ الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه ، فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصمكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجَار ، ولا يباريكم في شرفها مُبَار ، فطوبى لكم من

١ ن : بالتمجيد .

٢ ن : موطن . ثرى .

٣ زيادة من ر .

٤ ن : الذي لا تشد .

جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العُمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العلوية ، جدتم للإسلام أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الحيرية^١ ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبّل منكم ما تقرّبتم به إليه من مُهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء ، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبلجت^٢ بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرّب به عيناً الأنبياء والمرسلون ، فماذا^٣ عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان ، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله ، وأن تكون التهاني لأهل الخضراء ، أكثر من التهاني لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ، ونص عليه في محكم خطابه ، فقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (الإسراء : ١) أليس هو البيت الذي عظّمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ أليس هو البيت الذي أمسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع أن تغرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت الذي أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان ، وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل ، وقد فضلت على العالمين ، ووقفكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم^٤ الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم

١ ن : الحيرية .

٢ ن : وسلخت .

٣ ن : فماذا لله .

٤ ن : من قبلكم من الأمم .

وكانت شقي ، وأغناكم بما أمضته (كان) و (قد) عن (سوف) و (حق) ، فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده ، وشكر لكم الملائكة المنزلون ، على ما أهديتهم لهذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتمجيد ، وما أمطم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاجر الخبيث ؛ فالآن تستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عنكم ، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ، ومن اعتمص بعروتها نجح وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجوع القهقري ، والنكول عن العدا ، وخذوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقي من الفضة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم الطغيان ، فيخيّل لكم أن هذا النصر بسيفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، ويجلادكم في مواطن الجلاء ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، فاحذروا عباد الله - بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين - أن تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه ، فتكونوا كالتّي نقضت غزها من بعد قوّة أنكاثا ، وكالذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حَسْمِ الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادى الأيام يا للثارات الإسلامية والملة المحمدية ، الله أكبر ، فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله مَنْ كَفَرَ ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فاتتهزوها ، وفريسة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها ، وسيروا إليها

١ ن : الذي من تمسك به . . . بعروته .

٢ المختار : بالثارات .

سرايا عزماتكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخدول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أضحي قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (الأنفال : ٦٥) أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيدنا معانير المسلمين بنصر من عنده ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ (آل عمران : ١٦٠) إن أشرف مقال يقال في مقام ، وأنفذ سهام تترق عن قسي الكلام ، وأمضى قول تحمل به الأفهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلام ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، أعود بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الأعراف : ٢٩٤) وقرأ أول الحشر ، ثم قال : أمركم وإيائي بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه ، وأنهاكم وإيائي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه .

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر . ثم قال : اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك المانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب ، محيي دولة أمير المؤمنين ، اللهم عمِّ بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة الحمديّة عزمه ومضاهه ، اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشر في المشارق والمغرب دعوته ، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون ، وابتلي المؤمنين ، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملكه صياصي الكفر ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها

بن سبقتها ، اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سَعْيِهِ ، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونَهْيِهِ ، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء الممالك وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وأرغم به أنوف الفجّار ، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار ، وابثت سرايا جنوده في سبل الأقطار . اللهم ثبتت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين^١ ، واشدد عضده ببقائهم ، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتخلد على مر الشهور والأعوام ، فارزقه الملك الأبدي الذي لا يَنْقَدُ في دار اليقين ، وأجب دعاءه في قوله ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي ﴾ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿ (الأحقاف : ١٥) ﴾ ثم دعا بما جرت به العادة .

وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة بدمشق ؛ وتوفي في سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن من يومه بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

(171) وكان والده أبو الحسن علي الملقب زكي الدين على القضاء بدمشق . وكان كثير الخير والدين ، فاستعفى عن القضاء فأعفي ، فخرج إلى مكة حاجاً ، وعاد إلى بغداد في صفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة فأقام بها ، وكان عالي الطبقة في سماع الحديث ، سمع خلقاً كثيراً ، وحدث ببغداد مدة إقامته ، وسمع عليه الناس ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، وصلي عليه بجامع القصر ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم أجمعين^٢ .

(172) وأما ابن بَرَّجَانِ المذكور^٣ ، فهو : أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي ، كان عبداً صالحاً ، وله تفسير القرآن

١ ر : والسلاطين .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ن س ل لي بر .

٣ ترجمته في التكملة رقم : ١٧٩٧ .

العظيم ، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات ، وتوفي سنة
ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراکش ، رحمه الله تعالى .
وبرَّجان : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعده الألف نون.

٥٩٥

السديد الساماسي

السديد محمد بن هبة الله بن عبد الله الساماسي الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً في
عصره^١ ، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأتقن عدة فنون ، وهو الذي
شهر طريقة الشريف بالعراق ، قيل إنه كان يذكر طريقة الشريف و « الوسيط »
للغزالي و « المستصفى » من غير مراجعة كتاب . قصده الناس من البلاد ، واشتغلوا
عليه وانتفعوا به ، وخرجوا علماء مدرسين مصنفين ، ومن جملتهم الشيخان
الإمامان : عماد الدين محمد ، وكال الدين موسى ولدا يونس - وسيأتي ذكرهما
إن شاء الله تعالى - والشيخ شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر ،
وغيرهم من الأفاضل . وكان مسدداً في الفتيا ؛ وتوفي ببغداد في شعبان سنة
أربع وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والسَّلماسي : بفتح السين المهملة واللام والميم وبعده الألف سين ثانية ، هذه
النسبة إلى سَلَماس ، وهي مدينة من بلاد أذربيجان ، خرج منها جماعة مشاهير .

٥٩٥ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٥ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار . ومن هنا يبدأ الاعتماد

على نسخة منشستر ورمزها « من » .

١ ن : كان أمام عصره .

حفدة

أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي الأصل ، المعروف بحفدة ، الملقب عمدة الدين ، الفقيه الشافعي النيسابوري ؛ كان فقيهاً فاضلاً واعظاً فصيحاً أصولياً ، تفقه بمرور على أبي بكر محمد بن منصور السمعاني والد الحافظ المشهور ، ثم انتقل إلى مرو الروذ ، واشتغل على القاضي حسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوي صاحب « شرح السنة » و « التهذيب » - وقد سبق ذكره^١ - ثم انتقل إلى بخارا واشتغل بها على البرهان عبد العزيز ابن عمر بن مارة الحنفي ، ثم عاد إلى مرو وعقد له بها مجلس التذكير ، وأقام بها مدة ، ثم في فتنة الغز^٢ - وكانت فتنة الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، كما ذكرته في ترجمة الفقيه محمد بن يحيى - خرج^٣ إلى العراق ومنها إلى أذربيجان والجزيرة ومنها إلى الموصل ، واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ ، وسمعوا منه الحديث ، ومن أماليه :

مَثَلُ الشَّافِعِيِّ فِي الْعُلَمَاءِ مَثَلُ الشَّمْسِ فِي نَجُومِ السَّمَاءِ
قُلُّ لِمَنْ قَاسَهُ بِغَيْرِ نَظِيرٍ أَيْقَاسُ الضِّيَاءِ بِالظُّلْمَاءِ

وأنشد يوماً على الكرسي من جملة أبيات :

٥٩٦ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ٢٧٩ والوافي ٢ : ٢٠٢ وطبقات السبكي ٤ : ٦٥ وعبر الذهبي ٤ : ٢١٣ والشذرات ٤ : ٢٤٠ ؛ وهي موجزة كثيراً في المختار ، اقتصر على إيراد الأبيات الأربعة المذكورة في الترجمة .

١ انظر ج ٢ : ١٣٦ وفي من بر : المعروف بالفراوي .

٢ س ن ل لي من : مدة في فترة الغز ؛ ر : الأغر ؛ بر : ثم في فترة الغز خرج .

٣ س ن ل لي : ثم خرج ؛ من : وخرج .

تحية صَوْبِ المزن يقرؤها الرعد على منزل كانت تحلُّ به هندُ
نأت فأعرَّناها القلوبَ صَبَابَةً وعاريةُ العشاق ليس لها ردُّ

وكانت مجالسه في الوعظ من أحسن المجالس . وتوفي في شهر ربيع الآخر
سنة إحدى وسبعين وخمسة بمدينة تبريز ، وقيل إنه توفي في رجب سنة
ثلاث وسبعين ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

وحَقْدَةٌ : بفتح الحاء المهملة والفاء والذال المهملة ، ولا أعلم لم سمي بهذا
الاسم مع كثرة كسفي عنه .

وتَبْرِيْزُ : بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الباء الموحدة وكسر الراء
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي ، وهي من أكبر مدن أذربيجان .

٥٩٧

نجم الدين الخبوشاني

أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني ،
الملقب نجم الدين الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً كثير الورع ، تفقه على محمد
ابن يحيى - المقدم ذكره - وكان يستحضر كتابه « المحيط في شرح الوسيط »
على ما قيل ، حتى نقل عنه أنه عدم الكتاب فأملاه من خاطره ، وله كتاب
« تحقيق المحيط » وهو كبير ، رأيت في ستة عشر مجلداً . وقد تقدم ذكره في
في ترجمة العاضد عبد الله العبَّيْدِي صاحب مصر وما جرى له معه . ولما استقل

٥٩٧ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٠ وحسن المحاضرة ١ : ١٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ٢٦٢

والشذرات ٤ : ٢٨٨ (وفيات ٥٨٦) والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٥ ومرآة الزمان : ٤١٤ والبدر

السافر ، الورقة : ١٧٣ .

١ انظر ج ٣ : ١١١ .

السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بملك الديار المصرية قرّبه وأكرمه ، وكان يعتقد في علمه ودينه ، ويقال إنه أشار عليه بعمارة المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، فلما عمرها فوض تدريسها إليه ، وعمرها في سنة اثنتين وسبعين وخمسة ، وفي هذه السنة بنى البيمارستان في القصر بالقاهرة . ورأيت جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا .

وكانت ولادته في الثالث عشر^١ من رجب سنة عشر وخمسة ، باستوى خبوشان ؛ وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسة ، بالمدرسة المذكورة ، ودفن في قبة تحت رجلي الإمام الشافعي ، وبينها شباك ، رحمها الله تعالى .

والخبُوشاني : بضم الحاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى خبُوشان ، وهي بليدة بناحية نيسابور . وأستوى : بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها أو ضمها ، ناحية^٢ كثيرة القرى من أعمال نيسابور .

١ ل بر : في ثالث عشرين ؛ ن : في ثاني عشرين ؛ س : في ثالث عشر (وفي الهامش : عشرين) ؛

لي من : ثالث وعشرين .

٢ ن : ناحية كبيرة .

القاضي كمال الدين الشهرزوري

أبو الفضل^١ محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري الملقب
 كمال الدين الفقيه الشافعي - وقد سبق ذكر أبيه وجده في موضعها^٢ - تفقه
 كمال الدين ببغداد على أسعد الميهني ، وقد سبق ذكره ، وسمع الحديث من أبي
 البركات محمد بن محمد بن خيس الموصلي ، وتولى القضاء بالموصل وبني بها مدرسة
 للشافعية ، ورباطاً بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يتردد في الرسائل
 منها إلى بغداد عن عماد الدين زنكي الأتابك - المقدم ذكره^٣ - ولما قتل عماد
 الدين على قلعة جَنْبَر ، كما ذكرناه في ترجمته ، كان كمال الدين المذكور حاضراً
 في المعسكر هو وأخوه تاج الدين أبو طاهر يحيى والد القاضي ضياء الدين ، فلما
 رجع المعسكر إلى الموصل كانا في صحبته .

ولما تولى سيف الدين غازي ولد عماد الدين - وقد تقدم ذكره أيضاً - فوض
 الأمور كلها إلى القاضي كمال الدين [وأخيه]^٤ بالموصل وجميع مملكته ، ثم إنه
 قبض عليها في سنة اثنتين وأربعين واعتقلها بقلعة الموصل ، وأحضر نجم الدين
 أبا علي الحسن بن بهاء الدين أبي الحسن علي وهو ابن عم كمال الدين ، وكان قاضي

٥٩٨ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ٢٦٨ والحريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٣ ومرة الزمان ٨ : ٣٤٠
 وتاريخ ابن الديلمي : ٥٥ وأماكن متفرقة من الباهر ، وطبقات السبكي ٤ : ٧٤ والوافي ٣ : ٣٣١
 وعبر النهمي ٤ : ٢١٥ والشذرات ٤ : ٢٤٣ والبدر السافر ، الورقة : ١١٦ والزركشي ٣ : ٢٦٠ .

١ ن : الفضائل .

٢ انظر ج ٢ : ٣٢٧ ؛ وج ٤ : ٦٨ .

٣ انظر ج ٢ : ٣٢٧ .

٤ زيادة من ر .

٥ ن : قبض عليه . . . واعتقله .

الرحبة^١، وولاه القضاء بالموصل وديار ربيعة عوضاً عن كمال الدين. ثم إن الخليفة المقتفي سير رسولاً وشفع في كمال الدين وأخيه فأخرجوا من الاعتقال، وقعدا في بيوتها وعليها الترسيم، وحبس بالقلعة جلال الدين أبو أحمد ولد كمال الدين وضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن تاج الدين .

ولما مات سيف الدين غازي في التاريخ المذكور في ترجمته رفع الترسيم عنها، وحضرا إلى قطب الدين مودود بن زنكي - وقد تولى السلطنة بعد أخيه سيف الدين - وكان راكباً في ميدان الموصل، فلما قربا منه ترجلا وعليها ثياب العزاء بغير طرحات، فلما وصلا إليه ترجل لها أيضاً، وعزياه عن أخيه وهناك بالولاية، ثم ركبوا، ووقف كل واحد منها على جانبه، ثم عادا إلى بيوتها بغير ترسيم، وصارا يركبان في الخدمة .

ثم انتقل كمال الدين إلى خدمة نور الدين محمود صاحب الشام في سنة خمسين^٢ وخمسمائة، وأقام بدمشق مدة، ثم عزل زكي الدين عن الحكم، وتولاه كمال الدين في شهر صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، واستناب ولده وأولاد أخيه ببلاد الشام، وترقى إلى درجة الوزارة، وحكم في بلاد الشام الإسلامية في ذلك الوقت، واستناب ولده القاضي محيي الدين في الحكم بمدينة حلب، ولم يكن شيء من أمور الدولة يخرج عنه، حتى الولاية وشدة الديوان وغير ذلك، وذلك في أيام نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، وتوجه من جهته رسولاً إلى الديوان في أيام المقتفي، وسيره المقتفي رسولاً للإصلاح^٣ بين نور الدين المذكور وقلج ارسلان بن مسعود صاحب الروم . ولما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق أقره على ما كان عليه .

وكان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً ظريفاً فكه المجالسة، يتكلم في الخلاف والأصولين كلاماً حسناً، وكان شهماً جسوراً كثير الصدقة والمعروف، وقف أوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق، وكان عظيم الرياسة خبيراً بتدبير الملك،

١ ر : وكان قاضياً بالرحبة .

٢ ر : أربع وخمسين ؛ ل ي س من بر : خمس وخمسين .

٣ ن : للصلح .

لم يكن في بيته مثله ولا نال أحد منهم ما ناله من المناصب مع كثرة رؤساء بيته،
وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

وله نَظْمٌ جيد ، فمن ذلك ما انشدي له بعض أهل بيته وهو :

ولقد أتيتك والنجوم رَوَاصِدٌ^١ والفجرُ ومٌ في ضمير المشرقِ
وركبتُ مِ الأهوالِ كلَّ عَظيمةٍ شوقاً إليك لعلنا أن نلتقي

وقال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في « الخريدة » في ترجمة القاضي كمال الدين
المذكور : أنشدي لنفسه هذين البيتين في ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى
وسبعين، وقد تذكرت قول أبي يعلى ابن الهبّارية الشريف في معنى الصبح وإبطائه :

كم ليلة بيتٌ مطويًا على حُرَقِ أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني
والصبحُ قد مَطَّلَ الشرقَ العيون^٢ به كأنه حاجةٌ في كفٍّ مسكينِ

ثم قال : لو قال « تقضى لمسكين » لكان أحسن فإنها تطفئ [بقضائها] ثم
قال : وكلاهما أحسن وأجاد .

وقيل : إنه كتب إلى ولده محيي الدين وهو مجلب ، وذكر في « الخريدة »
أنها له :

عندي كتائبُ أشواقٍ أجهزُها إلى جنابك إلا أنها كتبُ
ولي أحاديثُ من نفسي أسرها إذا ذكرتك إلا أنها كذبُ
وقيل : إنه لما ضعف وكبر وقلت حركته^٣ كان ينشد في كل وقت :
يا رب لا تُحِينِي إلى زَمَنِ أكون فيه كلاً على أحدِ

١ ت : ولقد ذكرتك والعيون هواجع ؛ من بر : رواكد .

٢ الخريدة ٢ : ٣٢٦ .

٣ المختار : العبور .

٤ ن : نفس .

٥ ر والمختار : كبر وضعفت حركته .

خُذْ بيدي قبل أن أقول لمن ألقاهُ عند القيام : خذ بيدي

ولا أعلم هل هذان البيتان له أم لا ، ثم وجدت هذين البيتين من جملة أبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر الواسطي - وسيأتي ذكره وذكر البيتين إن شاء الله تعالى - .

وكانت ولادته سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، بالموصل . وتوفي يوم الخميس سادس المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بدمشق ، ودفن من الغد يجبل قاسيون رحمه الله تعالى ، وكان عمره حين توفي ثمانين سنة وأشهرأ ، وراثه ولده محي الدين محمد ، وأوصى بولاية ابن أخيه أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الملقب ضياء الدين ، فأنفذ السلطان وصيته ، وفوض القضاء بدمشق إلى ضياء الدين المذكور ، فأقام به مدة ، ثم عرف أن ميل السلطان إلى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون - المقدم ذكره - فسأله الإقالة فأقبل وتولى شرف الدين .

(173) وكان القاضي¹ ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن القاضي تاج الدين أبي طاهر يحيى بن عبد الله المذكور قد سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر السلفي ، وروى عن عمارة اليمني الفقيه شيئاً من شعره . وتولى القضاء بدمشق بعد عمه كمال الدين . ولما انفصل عن القضاء صار يتردد في الرسائل إلى بغداد ؛ ولما مات السلطان صلاح الدين سيّره ولده الملك الأفضل نور الدين علي صاحب دمشق رسولاً إلى بغداد بهدايا وتحف ، وصار له هناك منزلة ومكانة جيدة . ثم عاد إلى دمشق وتولى نظر الأوقاف بها ، ثم فارق دمشق وقدم الموصل وتولى القضاء بعد الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكانت ولاية ضياء الدين في صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ثم فارق بغداد باختياره على القضاء بحكمه ويتصرف كما كان ، في شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ، ولم يجر هذا لأحد غيره ، وعبر على الموصل ولم يدخلها ، وانتهى إلى مدينة حماة فولاه الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي

١ من هنا حتى آخر الترجمة انفردت به ن ؛ وانظر ترجمة ضياء الدين في الحريرة (قسم الشام)

الدين عمر ملكها يومئذ القضاء بها فأقام إلى أن مات ضياء الدين بها في نصف رجب سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ونقل إلى دمشق ودفن بها ، ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة بالموصل ، وقيل إن مولده في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ، والله أعلم ؛ وله شعر فمن ذلك :

فارقنكم ووصلتُ مصر فلم يقم أنس اللقاء بوحشة التوديع
وسررت عند قدومها لولا الذي لكم من الأشواق بين ضلوعي

(174) وأما والده تاج الدين أبو طاهر يحيى فقد ذكره القاضي عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » فقال : هو أخو كمال الدين ، وذكر [بعد] الثناء عليه ، أنه توفي بالموصل في سنة ست وخمسين وخمسمائة ، [قال] : وأنشدني ولده ضياء الدين أبياتاً له على وزن بيت مهيار وهو :

وعطل كؤوسك إلا الكبار تجد للصفار أناساً صفارا

فقال :

وسقّ الندامى عقيمة تضيء فتحسب في الليل نارا
تدور المسرة مع كأسها وتتبعه حيثما الكاس سارا
ولا عيب فيها سوى أنها متى عرست بحمي الغمّ سارا
ستلقى ليالي الهموم الطوال فبادر ليالي السرور القصارا

قلت : وقد سبق في ترجمة عماد الدين زنكي [ذكر] عمها القاضي بهاء الدين أبي الحسن علي بن القاسم والد نجم الدين الحسين قاضي الرحبة المذكور وتاريخ وفاته ، والله أعلم .

القاضي محي الدين ابن الشهرزوري

أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين^١ بن الشهرزوري المذكور قبله ، الملقب محيي الدين ؛ وقد تقدم من ذكر رياسة أبيه وما كان عليه من علو المرتبة ما لا حاجة إلى إعادته . وكان القاضي محيي الدين قد دخل بغداد للاشتغال بفتقه على الشيخ أبي منصور بن الرزاز وتميَّز ، ثم أصدع إلى الشام ، وولي^٢ قضاء دمشق نيابة عن والده ، ثم انتقل إلى حلب وحكم بها نيابة عن أبيه أيضاً في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسة ، وبه عزل ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم ، وقيل كان ذلك في شعبان سنة ست وخمسين ، والله أعلم^٣ . وبعد وفاة والده [تمكن عند الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين صاحب حلب غاية التمكن ، وفوض إليه تدبير مملكة حلب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ، واستمر على ذلك ، ثم وشى به أعداؤه وحساده إلى الصالح وجرت أسباب اقتضت أنه لزم بيته ، ورأى المصلحة في مفارقة حلب والرجوع] إلى بلد الموصل^٤ فانتقل إليها ، وتولى قضاءها ودرّس بمدرسة والده وبالمدرسة النظامية بالموصل ، وتمكن عند صاحب الموصل عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - واستولى على جميع الأمور ، وتوجه من جهته رسولا إلى بغداد مرارا . وذكر بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد قاضي حلب في كتاب « ملجأ

٥٩٩ - ترجمته في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٩ وطبقات السبكي ٤ : ٩٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٩

والشذرات ٤ : ٢٨٧ والزركشي ٣ : ٢٩٠ .

١ ت : كمال الدين محمد ؛ ل ل ي س : كمال الدين بن

٢ ر : وتولى .

٣ وقيل . . . أعلم : انفردت به ن ر .

٤ في النسخ ما عدا ر : وبعد وفاة والده انتقل إلى الموصل ، وما بين معقنين قبله انفردت به ر .

الحكام عند التباس الأحكام ، أنه كان في خدمة القاضي محيي الدين عند توجهه إلى بغداد في إحدى الرسائل ، وناهيك بمن يكون في خدمته مثل هذا الرجل - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وكان محيي الدين المذكور جواداً سرياً ، قيل إنه أنعم في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية^١ على الفقهاء والأدباء والشعراء والمحاييج، ويقال إنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريباً على دينارين فما دونها ، بل كان يوفيهما عنه [ويخلى سبيله]^٢ ويحكي عنه مكارم كثيرة ورياسة ضخمة ، وكان من النجباء عريقاً في النجابة تام الرياسة ، كريم الأخلاق رقيق الحاشية ، له في الأدب مشاركة حسنة وله أشعار جيدة ، فمن ذلك ما أنشدني له بعض الأصحاب في وصف جرادة^٣ ، وهو تشبيه غريب :

لها فخذاً بكر وساقانعاماً وقادمتا نَسْرٍ وجَوْجُو ضيفم
حبَّتْها أفاعي الرمل بطناً وأنعمت عليها جياذ الخيل بالرأس والقم

ورأيت له في بعض المجاميع هذين البيتين ، وهما في وصف نزول الثلج من^٤ الغيم :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من فقد الكرام
أقام يُمِيطُ هذا الشيب عنه وينثر ما أماط على الأنام

وكانت ولادته سنة عشر وخمسة تقيباً ، وقال العماد الكاتب في « الحريدة »^٥ : مولده سنة تسع عشرة ، والله أعلم ، وزاد في كتاب « السيل » في شعبان . وتوفي سحرة يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين

١ أميرية : سقطت من ن من ؛ بر : ميرية .

٢ زيادة من ر .

٣ ر : في الجرادة .

٤ ل لي س بر من : مع .

٥ الحريدة ٢ : ٣٣٠ .

وخمسمائة ، وقيل ثالث عشرية^١ ، هكذا ذكره العماد في « السيل » والأول ذكره ابن الديبشي^٢ ، وذلك بالموصل ، ودفن بداره بحملة القلعة ، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، رحمه الله تعالى . هكذا رأيت في بعض التواريخ ، وذكر ابن الديبشي في تاريخه أنه نقل إلى تربة عملت له ظاهر البلد ، والله أعلم ، ثم حققت^٣ ذلك فوجدته كما قال ابن الديبشي ، وتربته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات ، رحمه الله تعالى .
(175) وكان^٤ لكامل الدين ابن آخر يقال له عماد الدين أحمد توجه رسولا إلى بغداد عن نور الدين في سنة تسع وستين وخمسمائة ، ومدحه ابن التعاويذي بقصيدة يقول من جلتها^٥ :

وقالوا : رسول أعجزتنا صفاته فقلت : صدقتم هذه صفة الرسل

٦٠٠

فخر الدين الرازي

أبو عبد الله^٦ محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري

١ : ثالث عشر ذي القعدة ؛ من بر : ثالث عشرين .

٢ : ابن الأثير .

٣ : لي : إني حققت .

٤ : من هنا حتى آخر الترجمة انفردت به ران والمختار .

٥ : انظر ديوان سبط ابن التعاويذي : ٣٣٧ ، ومطلع القصيدة :

حلت حلول الغيث في البلد المحل وإن جل ما تولى يدك عن المثل

٦٠٠ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٣٣ وذيل الروضتين : ٦٨ ومختصر ابن العبري : ٢٤٠

والوافي ٤ : ٢٤٨ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٣ ولسان الميزان ٤ : ٢٤٦ وطبقات الحسبي :

٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٨ والشذرات ٥ : ٢١ .

٦ : والمختار : أبو الفضل .

الطبرستاني الأصل الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ،
 الفقيه الشافعي ؛ فريد عصره ونسيجُ وَحْدِهِ ، فاق أهل زمانه في علم الكلام
 والمعقولات وعلم الأوائل ، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن
 الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة ، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله ، وشرح
 سورة الفاتحة في مجلد؛ ومنها في علم الكلام « المطالب العالية » و « نهاية العقول »
 وكتاب « الأربعين » و « المحصل »^١ وكتاب « البيان والبرهان في الرد على أهل
 الزيغ والطغيان » وكتاب « المباحث المعادية في المطالب المعادية » و « كتاب
 تهذيب الدلائل وعيون المسائل » وكتاب « إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار »
 وكتاب « أجوبة المسائل التجارية » وكتاب « تحصيل الحق » وكتاب « الزبدة »
 و « المعالم » ، وغير ذلك؛ وفي أصول الفقه « المحصول » و « المعالم »؛ وفي الحكمة
 « الملخص » و « شرح الإشارات » لابن سينا و « شرح عيون الحكمة » وغير
 ذلك ؛ وفي الطلسمات « السر المكتوم »^٢ و « شرح أسماء الله الحسنى » ويقال :
 إن له شرح « المفصل » في النحو للزمخشري ، وشرح « الوجيز » في الفقه للغزالي ،
 وشرح « سقط الزند » للمعري ، وله مختصر في الإعجاز ، ومؤاخذات جيدة على
 النحاة ، وله طريقة في الخلاف ، وله في الطب شرح الكليات للقانون ، وصنف
 في علم الفراسة ، وله مصنف في مناقب الشافعي^٣ ، وكل كتبه ممتعة ، وانتشرت
 تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا
 كتب المتقدمين ، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه ، وأتى فيها بما لم
 يسبق إليه .

وكان له في الوعظ اليد البيضاء ، ويعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان
 يلحقه الوجدُ في حال الوعظ ويكثر البكاء ، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة
 أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة ، ورجع

١ - ومنها في علم الكلام . . . والمحصل : وقع في ر بعد قوله : « وكتاب الزبدة » .

٢ - كذا في جميع النسخ ؛ وفي المطبوعة المصرية « السر المكتوم » .

٣ - زاد في المختار : وغير ذلك من المصنفات .

بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة ، وكان
يلقب بهرة شيخ الإسلام .

وكان مبدأ اشتغاله على والده إلى أن مات ، ثم قصد الكمال السمناني واشتغل
عليه مدة ، ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي ، وهو أحد أصحاب محمد
ابن يحيى ، ولما طلب المجد الجيلي إلى مراغة ليدرس بها صحبه فخر الدين المذكور
إليها ، وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة ، ويقال إنه كان يحفظ
« الشامل » لإمام الحرمين في علم الكلام ، ثم قصد خوارزم وقد تهر في العلوم
فجربى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد ، فأخرج من البلد ،
فقصد ما وراء النهر ، فجربى له أيضاً هناك ما جرى له في خوارزم ، فعاد إلى
الري ، وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة ، وكان للطبيب ابنتان ، ولفخر
الدين ابنان ، فمرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين ،
ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع أمواله ، فمن ثم كانت له النعمة ،
ولازم الأسفار ، وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غزنة في جملة من المال ،
ثم مضى إليه لاستيفاء حقه منه فبالغ في إكرامه والإنعام [عليه] ^١ وحصل له
من جهته مال طائل ، وعاد إلى خراسان ، واتصل بالسلطان محمد بن تكش
المعروف بنخوارزم شاه ، وحظي عنده ، ونال أسنى المراتب ، ولم يبلغ أحد
منزلته عنده ، ومناقبه أكثر من أن تعد ، وفضائله لا تحصى ولا تحدد .

وكان له مع هذه العلوم شيء من النظم ، فمن ذلك قوله :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سمي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذنى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

١ زيادة من ر .

وكان العلماء يقصدونه من البلاد ، وتشد إليه الرحال من الأقطار ؛ وحكى شرف الدين بن عنين - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - أنه حضر درسه يوماً وهو يلقي الدروس في مدرسته بخوارزم ودرسه حافل بالأفاضل واليوم شاتٍ وقد سقط ثلج كثير وخوارزم بردها شديد إلى غاية ما يكون ، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح ، فلما وقعت رجع عنها الجارح خوفاً من الناس الحاضرين ، فلم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد ، فلما قام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورقاً لها وأخذها بيده ، فأنشد ابن عنين في الحال :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا	في كل مسغبة وثلج خاشفٍ
العاصمين إذا النفوس تطايرت	بين الصوارم والوشجِ الراعف
من نَبأ الورقاء أن حلكم	حرمٌ وأنك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حنقها	فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو أنها تحبى بال لانتنت	من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها	والموت يلعب من جناحي خاطف
قرم لواه القوت حتى ظله	بإزائه يجري بقلب واجف

ولابن عنين المذكور فيه قصيدة من جملتها :

ماتت به بدع تهادى عمرها	دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا به الإسلام أرفع هضبة	ورسا سواه في الحضيض الأسفل
غلط امرؤٌ بأبي علي قاسه	هيات قصرَ عن مداه أبو علي
لو أن رسطاليسَ يسمع لفظة	من لفظه لعرته هزة أفكَل
ولحار بطليموسُ لو لاقاه من	برهانه في كل شكلٍ مشكل
ولو أنَّهُمُ جُمعوا لديه تيقنوا	أن الفضيلة لم تكن للأول

وقال أبو عبد الله الحسين الواسطي : سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر عقيب كلام عاتب فيه أهل البلد :

المرء ما دام حيًّا يُسْتَهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقدُ

وذكر فخر الدين في كتابه الذي سماه « تحصيل الحق » أنه اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر ، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري ، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي ، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، وهو على الشيخ أبي الحسين الباهلي ، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وهو على أبي علي الجُبَّائي أولاً ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة .

وأما اشتغاله في المذهب فإنه اشتغل على والده، ووالده على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي ، وهو على القاضي حسين المروزي ، وهو على القفال المروزي ، وهو على أبي زيد المروزي ، وهو على أبي إسحاق المروزي ، وهو على أبي العباس بن سُرينج ، وهو على أبي القاسم الأنطاقي ، وهو على أبي إبراهيم المزني ، وهو على الإمام الشافعي ، رضي الله عنه .

وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ، وقيل ثلاث وأربعين وخمسة ، بالري . وتوفي يوم الاثنين ، وكان عيد الفطر ، سنة ست وستة بمدينة هَراة ، ودفن آخر النهار في الجبل المصائب لقرية مُزداخان ، رحمه الله تعالى ، ورأيت له وصية أملاه في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة .

ومُزداخان : بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة وبعد الألف الثانية نون ، وهي قرية بالقرب من هَراة . وقد تقدم الكلام على هَراة .

الشيخ عماد الدين بن يونس

أبو حامد محمد بن محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد، الملقب عماد الدين، الفقيه الشافعي؛ كان إمام وقته في المذهب والأصول والخلاف، وكان له صيت عظيم في زمانه، وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال^١، وتخرج عليه خلق كثير صاروا كلهم أئمة مدرسين يشار إليهم، وكان مبدأ اشتغاله على أبيه - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وذلك بالموصل، ثم توجه إلى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية على السيد محمد السلّماسي - وقد تقدم ذكره^٢ - وكان معيداً بها، والمدرس يومئذ الشرف يوسف بن بندار الدمشقي^٣، وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن محمد بن محمد الكشمييني لما قدمها، ومن أبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي، وعاد إلى الموصل ودرس بها في عدة مدارس، وصنف كتباً في المذهب: منها كتاب «المحيط في الجمع بين المذهب والوسيط» وشرح «الوجيز» للغزالي، وصنف جدلاً وعقيدة وتعليقه في الخلاف، لكنه لم يتمها، وكانت إليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية^٤ والبغشية^٥ والعلانية، وتقدم في دولة نور الدين أرسلان شاه

٦٠١ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٤٥ ومرآة الزمان : ٥٥٨ وذيل الروضتين : ٨٠ وعبر

الذهبي ٥ : ٢٨ والشذرات ٥ : ٣٤ والبدر السافر، الورقة : ١٨٦ .

١ لي : للاشتغال عليه ؛ وزاد بعد هذا الموضع في المختار «قلت، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وهو شيخ جدي بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، ورأيت عند والدي نسخة «الوسيط» للغزالي وعليها خطه أن جدي المذكور قرأها عليه قراءة اتقان ومعرفة .

٢ انظر الترجمة : ٥٩٥ .

٣ زاد في المختار : «قلت : أعني كاتبها موسى بن أحمد : وولي جدي المذكور الإعادة بالنظامية ببغداد بعد ذلك بمدة .»

٤ س : والزينية، وكذلك في الشذرات .

٥ ت ن س : والبغشية ؛ الشذرات : والبغشية .

صاحب الموصل تقدماً كثيراً ، وتوجه عنه رسولاً إلى بغداد غير مرة ، وإلى الملك العادل ، وناظر في ديوان الخلافة ، واستدل في مسألة شراء الكافر للعبد المسلم ، وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وتولى القضاء بالموصل يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ثم انفصل عنه بأبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الملقب ضياء الدين - المذكور في ترجمة عمه كمال الدين - في صفر سنة ثلاث وتسعين ، وولي ضياء الدين المذكور يوم الأربعاء سابع عشر صفر المذكور ، وانتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي بالموصل .

وكان شديد الورع والتقشف لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله ، ولا يمس القلم للكتابة إلا ويغسل^٢ يده ، وكان دمث الأخلاق لطيف الخلوّة ملاطفاً بحكايات وأشعار ، وكان كثير المباطنة لنور الدين صاحب الموصل ، يرجع إليه في الفتاوى ويشاوره في الأمور ، وله صنف العقيدة المذكورة ولم يزل معه حتى انتقل عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشافعي ، ولم يوجد في بيت أتابك مع كثرتهم شافعي سواه .

ولما توفي نور الدين في سنة سبع وستائة - كما تقدم - توجه إلى بغداد في الرسالة بسبب تقرير ولده الملك القاهر مسعود - وسيأتي ذكره في ترجمة جده مسعود إن شاء الله تعالى - فعاد وقد قضى الشغل ومعه الخلعة والتقليد، وتوفرت حرمة عند القاهر أكثر مما كانت عند أبيه ، وكان مكلل الأدوات ، غير أنه لم يرزق سعادة في تصانيفه ، فإنها ليست على قدر فضائله .

وكانت ولادته بقلعة إربل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، في بيت صغير منها ، ولما وصل إلى إربل في بعض رسائله دخل ذلك البيت وتمثل بالبيت المشهور ، وهو :

بلاد بها نِيِطَّتْ عليّ تَمائِي وأول أرض مس جلدي تراها

١ ت : وتولى القضاء بالموصل مدة يسيرة (وسقط تعيين اليوم والشهر) .

٢ ن : حتى يغسل .

وتوفي يوم الخميس ، تاسع عشر جمادى الآخرة ، سنة ثمان وستائة بالموصل ،
رحمه الله تعالى .

وكان الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، رحمه الله تعالى ، يقول :
رأيت الشيخ عماد الدين في المنام بعد موته ، فقلت له : أما مت ؟ فقال : بلى ،
ولكني محترم .

وقد ذكره ابن الدبيشي في كتاب « الذيل » وذكره أبو البركات ابن المستوفي
في « تاريخ إربل » - وسيأتي ذكر أخيه الشيخ كال الدين موسى إن شاء الله
تعالى - وهم أهل بيت خرج منهم جماعة من الأفاضل .

(176) وحفيده^١ تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم ابن الشيخ رضي الدين محمد
ابن الشيخ عماد الدين أبي حامد المذكور اختصر كتاب « الوجيز » للغزالي
اختصاراً حسناً سماه « التعجيز في اختصار الوجيز » واختصر كتاب « المحصول »
في أصول الفقه ، واختصر طريقة ركن الدين^٢ الطاوسي في الخلاف ، ومولده
بالموصل في سنة ثمان وتسعين وخمسة ، ولما استولى التتر على الموصل كان بها ،
ثم انتقل إلى بغداد فدخلها في شهر رمضان سنة سبعين وستائة ، وتوفي بها في
سنة إحدى وسبعين وستائة^٣ ، وكانت وفاته في جمادى الأولى تقديراً من السنة
المذكورة رحمه الله تعالى .

١ من هنا حتى آخر الترجمة انفردت به ر ن والمختار .

٢ ن : زكي الدين .

٣ قوله « وتوفي بها في سنة إحدى وسبعين وستائة » يبدو أنه مصحح لقول ابن المؤلف في المختار :
« سنة سبعين وستائة وكانت وفاته في جمادى الأولى من السنة تقديراً رحمه الله » ثم عقب على ذلك
بقوله : « قلت : ينظر تاريخ وفاته ، هكذا وجدته في النسخة التي نقلتها ، والصواب في سنة
إحدى وسبعين وستائة ، سمعته من لفظ والدي أحمد قدس الله روحه » .

المعين الجاجرمي

أبو حامد محمد بن إبراهيم بن أبي الفضل، السهلي الجاجرمي الفقيه الشافعي، الملقب معين الدين؛ كان إماماً فاضلاً متفنناً مبرزاً، سكن نيسابور ودرس بها، وصنف في الفقه كتاب «الكفاية» وهو في غاية الإيجاز مع اشتاله على أكثر المسائل التي تقع في الفتاوى، وهو في مجلد واحد، وله كتاب «إيضاح الوجيز» أحسن فيه، وهو في مجلدين، وله طريقة مشهورة في الخلاف والقواعد المشهورة منسوبة إليه، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به وبكتبه من بعده، خصوصاً القواعد، فإن الناس أكبوا على الاشتغال بها. وتوفي بكرة نهار الجمعة حادي عشر^٣ رجب سنة ثلاث عشرة وستائة بنيسابور، رحمه الله تعالى.

والجاجرمي: بفتح الجيمين بينها ألف وسكون الراء وبمدها ميم، هذه النسبة إلى جاجرّم، وهي بلدة بين نيسابور وجرجان، خرج منها جماعة من العلماء، ورأيت بمدينة دمشق خطه على كتاب شرح فيه الأحاديث المسطورة في «المهذب» والألفاظ المشككة، وقد سمعه عليه جماعة من الفقهاء بنيسابور في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثني عشرة وستائة.

٦٠٢ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ١٩ وعبّر الذهبي ٥ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٥٦ .

١ ر : متقناً .

٢ ن : يوم .

٣ ر : حادي عشرين .

٤ نهاية الترجمة في س ل ي ت .

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن محمد - وقيل أحمد - العميدي ، الفقيه الحنفي المذهب السمرقندي ، الملقب ركن الدين ؛ كان إماماً في فن الخلاف ، خصوصاً الجسّت^٢ ، وهو أول من أفرد ، بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين ، وكان اشتغاله فيه على الشيخ رضي الدين النيسابوري ، وهو أحد الأركان الأربعة ، فإنه كان من جملة المشتغلين على رضي الدين^٣ أربعة أشخاص تميزوا وتبحروا في هذا الفن ، وكل واحد منهم يُنعت بالركن ، وهم : ركن الدين الطاوسي - وقد سبق ذكره - والعميدي المذكور ، وركن الدين إمام زادا ، وقد شذ عن من هو الرابع ، وصنف العميدي في هذا الفن طريقة ، وهي مشهورة بأيدي الفقهاء ، وصنف « الإرشاد » واعتنى بشرحها جماعة من أرباب هذا الشأن : منهم القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة ابن جعفر بن عيسى الفقيه الشافعي الحنفي قاضي دمشق - كان - رحمه الله تعالى ، والقاضي أوحده الدين الدوني قاضي منبج ، ونجم الدين المرندي وبدر الدين المراغي [المعروف بالطويل]^٦ وغيرهم ، وصنف كتاب « النفائس » أيضاً ،

٦٠٣ - ترجمته في الجواهر المضية ٢ : ١٢٨ والوافي ١ : ٢٨٠ وعبر الذهبي ٥ : ٥٧ والشذرات

٥ : ٦٤ وتاج التراجم : ٥٨ .

١ ل : زكي ، حيثما وقعت .

٢ الجسّت : لفظه فارسية معناها البحث ، وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف ؛ وقد جاءت الجيم مضمومة في المختار .

٣ ن : فإنه كان من جملة . . . رضي الدين فإنه اشتغل عليه .

٤ ر : وتبحروا .

٥ كذا في جميع النسخ ، ولعل الضمير يعود إلى « طريقة » ، وفي الصفدي : بشرحه .

٦ زيادة من المختار ، وزاد بعدها قوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : رأيت =

واختصره شمس الدين الخوي المذكور، وسماه « عرائس النفائس » وصنف أشياء مستملحة على هذا الأسلوب . واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به من جملتهم : نظام الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبي الجهاد محمود بن أحمد بن عبد السيد ابن عثمان بن نصر بن عبد الملك البخاري التاجري^١ الحنفي المعروف بالحصيري صاحب الطريقة المشهورة وغيره .

وكان [العميدي] كريم الأخلاق كثير التواضع طيب المعاشرة . وتوفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ببخارا ، رحمه الله تعالى .

(177) وتوفي شمس الدين الخوي^٢ المذكور يوم السبت سابع شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، ومولده في شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(178) وتوفي أوحد^٣ الدين بجلب عقيب أخذ التتر لقلعة حلب ، وكان أخذ القلعة بعد أخذ البلد بتسعة وعشرين يوماً ، وأخذ البلد في عشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ومولد أوحد الدين سنة ست وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . والعميدي : بفتح العين المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، ولا أعرف هذه النسبة إلى ماذا ، ولا ذكرها السمعاني .

(179) ونظام الدين الحصيري^٤ قتلته التتر بمدينة نيسابور عند أول خروجهم

=بدر الدين المراغي المذكور بدمشق وهو عميد عند والدي قدس الله روحه بالمدرسة العادلية السيفية وكان مقيماً بها ، وتوفي بها في سنة اجتماعي به وهي سنة ستين وستمائة رحمه الله تعالى ، وعمري يومئذ عشر سنين ، فإن مولدي وقت طلوع الشمس من نهار السبت حادي عشر صفر سنة إحدى وخمسين وستمائة بالقاهرة بالديار المصرية بحارة الباطلية بخط الجامع الأزهر .

١ التاجري : غير معجمة في ل ن .

٢ ترجمة الخويي في ذيل الروضتين : ١٦٩ .

٣ تأخرت هذه الفقرة في ن فوقت في آخر الترجمة ، وسقطت من ت .

٤ في جميع النسخ : ابن الحصيري ؛ وانظر ترجمته في الجواهر المضية ١ : ١٢٤ (الحصيري) وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٩٨ وهو وهم ؛ وذكر في ترجمة محمود بن أحمد أنه توفي سنة ٦٣٦ ، وهو ما ذكره المؤلف في ترجمة الابن ، وانظر ترجمة محمود الحصيري (الابن) في ذيل الروضتين : ١٦٧ .

إلى البلاد ، وذلك في سنة ست عشرة وستائة ، رحمه الله تعالى .
(180) وكان ولده من أعيان العلماء ، اجتمعت به عدة دفعوع بدمشق ،
 وكان يدرس بالمدرسة النورية ولم يكن في عصره من يقاربه في مذهب الإمام
 أبي حنيفة ؛ وبلغني أنه كان ينكر على والده نظام الدين المذكور تضييع فكره
 وذهنه ، وكان من أشد الناس ذهناً وإدراكاً وهو عند ذلك شاب ، وكان ابنه
 يقول عنه لاقتصاره على المذهب فقط : أبي شيخ كودن ؛ ومولد الحصري
 ببخارا سنة ست وأربعين وخمسمائة في رجب ، وتوفي ليلة الأحد الثامن من
 صفر سنة ست وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج
 باب النصر ، وكان يقول : كان أبي يعرف بالتاجري ، وإنما ببخارا محلة يعمل
 فيها الحصر ، وكنا نحن بها .

٦٠٤

محمد بن داود الظاهري

أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري ؛ كان
 فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً ، وكان يناظر أبا العباس ابن سُرَيْج - وقد سبق خبره
 معه في ترجمته^٢ - ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جلس ولده أبو
 بكر المذكور في حلقة ، وكان على مذهب والده ، فاستصغروه ، فدسوا إليه
 رجلاً وقالوا له : سل عن حد السكر ، فأثاه الرجل فسأله عن السكر : ما
 هو ؟ ومتى يكون الإنسان سكران ؟ فقال : إذا عزبت عنه الهموم ، وباح

١ في الجواهر المضية (٢ : ١٥٥) ووالده يعرف بالتاجر .

٦٥٤ - ترجمته في الفهرست : ٢١٧ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي : ١٧٥ والوافي

٣ : ٥٨ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٨ والشذرات ٢ : ٢٢٦ .

٢ انظر ج ١ : ٦٦ .

بسرهِ المكتوم؛ فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه من العلم، وصنف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه « الزهرة » وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق .

واجتمع يوماً هو وأبو العباس ابن سُرَيْج في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء، فقال ابن سريج: أنت بقولك « مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتِهِ دَامَتْ حَسْرَاتِهِ » أَبْصَرُ مِنْكَ بِالْكَلامِ فِي الإيلاء، فقال له أبو بكر: لئن قلت ذلك فإني أقول:

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْحَاسِنِ مَقْلَتِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحْرَمًا
وَأَحْمَلُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصْمَ تَهْدِمًا
وَيَنْطِقُ طَرَفِي عَنِ مَتْرَجِ خَاطِرِي فَلَوْلَا اخْتِلاَسِي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَ
رَأَيْتُ الْهَوَى دَعَايَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَمَا إِنْ أَرَى حَبًّا صَاحِبِحًا مَسَلًا

فقال له ابن سريج: وبم تفتخر علي ولو شئت أنا لقلت:

وَمَسَاهِرٍ بِالْفَنَاجِ مِنْ لِحْظَاتِهِ قَدْ بَتَ أَمْنَعُهُ لَذِيذِ سِنَاتِهِ
ضَنَا بِحَسَنِ حَدِيثِهِ وَعَتَابِهِ وَأَكْرَرَ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودَهُ وَلى بِنِجَاتِهِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ

فقال أبو بكر: يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل أنه ولى بنجاته، فقال أبو العباس ابن سريج: يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك:

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْحَاسِنِ مَقْلَتِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحْرَمًا

فضحك الوزير وقال: لقد جمعنا ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً .
ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه:

لِكُلِّ امْرِئٍ ضَيْفٌ يَسِرُّ بِقَرْبِهِ وَمَا لِي سِوَى الْأَحْزَانِ وَالْهَمِّ مِنْ ضَيْفٍ
لَهُ مَقْلَةٌ تَرْمِي الْقُلُوبَ بِأَسْهَمٍ أَشَدَّ مِنَ الضَّرْبِ الْمَدَارِكِ بِالسِّيفِ

١ الوافي: أكرر .

يقولُ خليلي : كيف صبرك بعدنا ؟ فقلت : وهل صبر فاسأل عن كيف

وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور قال :
فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة ، فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته
أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها ، فنظرنا فإذا الرجل
علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعة^١ :

يا ابن داودَ يا فقيه العراق أفتننا في قوائل الأحداقِ
هل عليهن في الجروح قصاصٌ أم مباح لها دمُ العشاقِ
وإذا الجواب :

كيف يفتيكم قتيلاً صريعٌ بسهام الفراق والإشتياق
وقتيلاً التلاقِ أحسن حالاً عند داود من قتيلاً الفراقِ

وكان عالماً في الفقه ، وله تصانيف عديدة : منها كتاب « الوصول إلى معرفة
الأصول » وكتاب « الإنذار » وكتاب « الإعذار »^٢ وكتاب « الانتصار على محمد
ابن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضير » وغير ذلك .
وتوفي يوم الاثنين تاسع^٣ شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين وعمره اثنتان
وأربعون سنة ، وقيل كانت وفاته سنة ست وتسعين ، والأول أصح ، وفي يوم
وفاته توفي يوسف بن يعقوب القاضي ، رحمها الله تعالى .
ويحكى أنه لما بلغت وفاته^٤ ابن سريج كان يكتب شيئاً فألقى الكراسية
من يده وقال : مات من كنت أحت نفسي وأجهد لها على الاشتغال لمناظرته
ومقاومته .

١ الوافي ٣ : ٦٠ .

٢ ن : وكتاب الانذار والاعذار ؛ س : وكتاب الاعتذار .

٣ ت س : سابع .

٤ ر : بلغه الخبر بوفاة ؛ لي : بلغته وفاة ؛ وهذا خطأ لأن ابن داود توفي قبل ابن سريج .

الطرطوشي

أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد ، المعروف بابن أبي رندقة ؛ صحب أبا الوليد الباجي - المقدم ذكره^١ - بمدينة سرقسطة ، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه ، وأجاز له^٢ ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم - المقدم ذكره - بمدينة إشبيلية ، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ودخل بغداد والبصرة ، وتفقه على أبي بكر محمد ابن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي - وقد تقدم ذكره - وعلى أبي أحمد^٣ الجرجاني ، وسكن الشام مدة ودرس بها .

وكان إماماً عالمًا عاملاً زاهداً ورعاً دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير ، وكان يقول : إذا عرض لك أمران أمر دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى ، وكان كثيرا ما ينشد :

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطننا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

٦٠٥ - ترجمته في الصلة : ٥٤٥ والمغرب ٢ : ٢٤٢ وبنية الملتبس رقم ٢٩٥ والديباج المذهب :

٢٧٦ وحسن المحاضرة ١ : ١٩٢ وعبر الذهبي ٤ : ٤٨ والشذرات ٤ : ٦٢ ونفح الطيب

٢ : ٨٥ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٢ .

١ انظر ج ٢ : ٢٠٨ ..

٢ ر : وأجازه .

٣ ل ي س : أبي العباس .

ولما دخل على الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش - المقدم ذكره في حرف
الشيخ^١ - بسط متزراً كان معه^٢ وجلس عليه ، وكان إلى جانب الأفضل رجل
نصراني فوعظ الأفضل حتى بكى ، وأنشد :

يا ذا الذي طاعته قربة وحقه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

وأشار إلى النصراني ، فأقام الأفضل من موضعه . وكان الأفضل قد أنزل
الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد^٣ وكان يكرهه ، فلما طال مقامه
به ضجر وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح ، فجمع له فأكله ثلاثة
أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : رميته الساعة ، فلما كان من الغد
ركب الأفضل فقتل ، وولي بعده المأمون بن البطائحي ، فأكرم الشيخ إكراماً
كثيراً ، وصنف له كتاب « سراج الهدى » وهو حسن في بابه .
وله من التصانيف « سراج الملوك » وكتاب « بر الوالدين » وكتاب « الفتن »
وغير ذلك ، وله طريقة في الخلاف . ورأيت أشعاراً منسوبة إليه : فمن ذلك
وقد ذكرها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في الترجمة التي جمعها للطرطوشي
المذكور ، وهي :

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلًا وأنتَ بإنجازها مفرمٌ
فأرسل بأكمه خلافة به صممٌ أغطش أبكم
ودعْ عنك كل رسولٍ سوى رسولٍ يقال له الدرهم

وقد سبق في ترجمة أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي بيتان يشتملان على
أكثر ألفاظه هذه الأبيات ، وهما :

- ١ انظر ج ٣ : ٤٤٨ .
٢ ن : بقره .
٣ ن : بقره الرصد .
٤ ر ل ي ت : وله التصانيف (لي : الحسان ؛ ن : الحسنة) منها سراج الملوك وغيره .
٥ س : معنى ألفاظ .

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلًا وأنتَ بها كَليفٌ مفرمٌ
فأرسلِ حكيماً ولا توصِهْ وذاك الحَكيْمُ هو الدرهمُ

[وقال الطروشى المذكور : كنت ليلة نائماً في بيت المقدس ، فبينما أنا في جنح الليل إذ سمعت صوتاً حزيناً ينشد :

أخوفٌ ونومٌ ؟ إن ذا لعجيبٌ شكلكَ من قلبِ فانتَ كذوبٌ
أما وجلالِ الله لو كنتَ صادقاً لما كان للاغماضِ منك نصيبٌ

قال : فأيقظ النوام وأبكى الميون] ١ .

وكانت ولادة الطروشى المذكور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة تقريباً . وتوفي ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة بضر الإسكندرية ، وصلى عليه ولده محمد ، ودفن في مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر ، رحمه الله تعالى ؛ وذكر ابن بشكوال في كتاب « الصلة » أنه توفي في شعبان من السنة المذكورة .

[قلت : هكذا وجدت تاريخ وفاة هذا الشيخ في مواضع كثيرة ، ثم ظفرت بدمشق في أوائل سنة ثمانين وستائة بمشيخة جمعت لشيخنا القاضي بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد - المذكور في حرف الباء - ذكر فيها شيوخه الذين سمع عليهم ، ثم ذكر بعدهم الشيوخ الذين أجازوه ، فذكر في جملتهم الشيخ أبا بكر الطروشى المذكور ؛ ولا خلاف أن ابن شداد مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فكيف يميزه الطروشى ووفاته في سنة عشرين وخمسمائة ؟ فقد توفي قبل مولد ابن شداد بتسع عشرة سنة ، وكان يمكن أن يقال : ربما وقع الغلط من الذي جمع المشيخة ، لكن هذه النسخة التي رأيتها قرئت عليه ، وكتب خطه عليها بالسمع ، فما بقي الغلط منسوباً إلى جامع المشيخة ، بل يحتاج هذا إلى التحقيق من جهة أخرى ، وقد نهت عليه ليكشف عن ذلك من يقف عليه ، ولا ينسبني إلى الغلط في ذلك ، والله أعلم بالصواب] ٢ .

١ انفردت به .

٢ انفردت ر بما وضع بين معقنين .

والطرطوشي : بضم الطاءين المهملتين بينها راء ساكنة وبعدهما واو ساكنة ثم شين معجمة ، هذه النسبة إلى طرطوشة^١ ، وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالأندلس على ساحل البحر ، وهي في شرق الأندلس .
ورندقة : بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة والقاف ، وهي لفظة فرنجية ، سألت بعض الفرنج عنها فقال : معناها رد تعال^٢ . وقد تقدم الكلام على « وعة » في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، رحمه الله تعالى .

٦٠٦

أبو الهذيل العلاف

أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، المعروف بالعلاف المتكلم ؛ كان شيخ البصريين في الاعتزال ، ومن أكبر علمائهم ، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات ، وهو مولى عبد القيس^٣ .
وكان حسن الجدل قوي الحجج كثير الاستعمال للأدلة ، والإلزامات . حكي أنه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه ، فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الإنسان عندك

١ طرطوشة (Tortosa) .

٢ ن : زفقال .

٦٠٦ - ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ٣٦٦ ومواضع متفرقة من مقالات الإسلاميين والفرق بين الفرق ومختصره ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٧٨ والانتصار : ١٧٩ وطبقات المعتزلة : ٤٤ ونكت الهميان : ١٧٧ والشذرات ٢ : ٨٥ ولسان الميزان ٥ : ٤١٣ وروضات الجنات : ١٥٨ .

٣ وهو . . . القيس : وقعت بعد لفظة « الاعتزال » في ن .

٤ ن : للأدلة القاطعة .

كلزراع ، قال صالح : يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب « الشكوك » فقال له : كتاب « الشكوك » ما هو يا صالح ؟ قال : هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه قد كان ، فقال له أبو الهذيل : فشك أنت في موت ابنك ، وأعمل على أنه لم يميت ، وإن كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب « الشكوك » وإن كان لم يقرأه .

ولأبي الهذيل كتاب يعرف بـ « ميلاس » وكان ميلاس رجلاً مجوسياً فأسلم وكان سبب إسلامه أنه جمع بين أبي الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية ، فقطعهم أبو الهذيل ، فأسلم ميلاس عند ذلك .

وكان^١ قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام ، فسألهم عن حقيقة العشق ، فتكلم كل واحد بشيء ، وكان أبو الهذيل المذكور في جلستهم ، فقال : أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ويطلع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون متفطن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ولا يسلم له موعود ، تسرع إليه النواذب . وهو جرعة من نقيع الموت ونقعة من حياض الشكل ، غير أنه من أريحية تكون في الطبع وطلاوة توجد في السمائل ، وصاحبه جواد لا يصفى إلى داعية المنع ولا يصيح لنازع العذل . وكان المتكلمون ثلاثة عشر شخصاً ، وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم ، ولولا خوف الإطالة لذكرت كلام الجميع .

ورأيت في بعض المجاميع أن أعرابية وصفت العشق^٢ ، فقالت في صفته : خفي عن أن يرى وجل عن أن يخفى ، فهو كامن ككمن النار في الحجر : إن قدحته أورى وإن تركته توارى ، وإن لم يكن شعبة من الجنون فهو عصاره السحر .

وكانت ولادة أبي الهذيل سنة إحدى - وقيل أربع ، وقيل خمس - وثلاثين

١ ر بر من : وعرض لأبي الهذيل رجل وكان . . . الخ .

٢ ر س : موجود .

٣ س : العشق بكلام .

ومائة . وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى ؛ وقال الخطيب البغدادي توفي سنة ست وعشرين ، وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب » : إنه توفي سنة سبع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ، وكان قد كف بصره وخرف في آخر عمره ، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من الأصول ، لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين وحجاج المخالفين ، وضعف خاطره .

٦٠٧

أبو علي الجبائي

أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمُران بن أبان ، مولى عثمان ابن عفان ، رضي الله عنه ، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة ؛ كان إماماً في علم الكلام ، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة ، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ، وله معه مناظرة روتها العلماء ، فيقال إن أبا الحسن^٣ المذكور سأل أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمناً برأ تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقيماً، والثالث كان صغيراً، فإتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدرجات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة ، فقال الأشعري :

١ هنا تنتهي الترجمة في ت .

٦٠٧ - انظر في أخباره وترجمته صفحات متفرقة من مقالات الإسلاميين والفرق بين الفرق ومختصره ، المنتظم ٦ : ١٣٧ وطبقات السبكي ٢ : ٢٥٠ (مناظرة بينه وبين الأشعري) وطبقات المعتزلة :

٨٠ والأنساب ٣ : ١٨٦ وروضات الجنات : ١٦١ والشذرات ٢ : ٢٤١ .

٢ ن : دونها ؛ وقد تقرأ كذلك في المختار .

٣ زاد في س : الأشعري شيخ السنة .

إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ [فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون، فقال: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة^١ فانقطع الجبائي. وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وأن أفعاله غير معلة بشيء من الأغراض^٢.

ثم وجدت في تفسير القرآن العظيم تصنيف الشيخ فخر الدين الرازي في سورة الأنعام: أن الأشعري لما فارق مجلس الأستاذ^٣ الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينها، فاتفق يوماً أن الجبائي عقد مجلس التذكير، وحضر عنده عالم من الناس، فذهب الأشعري إلى ذلك المجلس، وجلس في بعض النواحي مختفياً عن الجبائي، وقال لبعض من حضره: من النساء: أنا أعلمك مسألة فاذكريها لهذا الشيخ، ثم علمها سؤالاً بعد سؤال، فلما انقطع الجبائي في الأخير رأى الأشعري، فعلم أن المسألة منه لا من المعجوز. ورأيت في كتاب «المسالك والممالك» لابن حوقل^٤ في فصل خوزستان أن جبتي مدينة ورستاق عريض مشتبك العماثر^٥ بالنخل وقصب السكر وغيرهما. قال: ومنها أبو علي الجبائي الشيخ الجليل إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره.

١ انفردت به س .

٢ ل س ت والمختار : الأعراض ؛ ن : معلة بالأعراض .

٣ ر : أستاذه .

٤ ر : حضر هناك . ٥ صورة الأرض : ٢٣١ .

٦ ابن حوقل : ولها رستاق . . . العمارة .

وكانت ولادة الجبائي في سنة خمس وثلاثين ومائتين . وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .
وقد سبق ذكر ولده أبي هاشم عبد السلام ، والكلام على الجبائي في ترجمته في حرف العين .

٦٠٨

أبو بكر الباقلاني

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور ؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيداً اعتقاده وناصرأ طريقته ، وسكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره^٢، وكان في علمه أوحَدَ زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب ، وسمع الحديث ؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ، وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة ، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ، ثم التفت إلى الحاضرين وقال : شهدوا عليّ أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهاروني : شهدوا عليّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال .
وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت ، ودفن يوم الأحد لسبع

١ انظر ج ٣ : ١٨٣ .

٦٠٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ وترتيب المدارك ٤ : ٥٨٥ وتبيين كذب المفتري : ٢١٧

والوافي ٣ : ١٧٧ والديباج المذهب : ٢٦٧ والمنتظم ٧ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ٨٦ والشذرات

٣ : ١٦٨ .

٢ وغيره : سقطت من س ل ي بر من ووقعت بعد لفظة « مذهبه » .

بقيين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه
ابنه الحسن ، ودفنه في داره بدرب الجوس ، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة
باب حرب .

ورثاه بعض شعراء عصره بقوله :

انظر إلى جبلٍ تمشي الرجالُ به وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلَفِ
وانظر إلى صارمِ الإسلامِ مُتَمَدِّدًا وانظر إلى دُرَّةِ الإسلامِ في الصدفِ

والباقلاني : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف
وبعد ما نون ، هذه النسبة إلى الباقلتي وبَيْعته ، وفيه لغتان : مَنْ شدد اللام
قصر الألف ومن خففها مد الألف فقال : باقلاء ، وهذه النسبة شاذة لأجل
زيادة النون فيها ، وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء : صنعاني ، وإلى بهراء :
بهرائي ، وقد أنكر الحريري في كتاب « درة الغواص »^١ هذه النسبة وقال :
من قصر الباقلتي قال في النسبة إليه : باقلتي ، ومن مد قال في النسب إليه^٢ :
باقلاوي وبقلائي ولا يقاس على صنعاء وبهراء ، لأن ذلك شاذ لا يُعاج إليه ،
والسمعاني ما أنكر النسبة الأولى^٣ ، والله أعلم بالصواب .

١ درة الغواص : ٨٤ .

٢ الدرّة : ومن مد الباقلاء جاز في النسب إليه .

٣ انظر الأنساب ٢ : ٥٢ .

أبو الحسين البصري

أبو الحسين محمد بن علي [بن] الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة ؛ وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن ، كان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة ، إمام وقته ، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه ، منها « المعتمد » وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ فخر الدين الرازي كتاب « المحصول » وله « تصفح الأدلة » في مجلدين ، و « غرر الأدلة » في مجلد كبير ، و « شرح الأصول الخمسة » وكتاب في الإمامة ، وغير ذلك في أصول الدين ، وانتفع الناس بكتبه .

وسكن بغداد وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في مقبرة الشونيزي ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري .

ولفظه « المتكلم » تطلق على مَنْ يعرف علم الكلام ، وهو أصول الدين ، وإنما قيل له « علم الكلام » لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله ، عز وجل : مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فتكلم الناس فيه ، فسمي هذا النوع من العلم كلاماً ، اختص به وإن كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام ، هكذا قاله السمعاني^٣ .

٦٠٩ - ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٠٠ والمنتظم ٨ : ١٢٦ وطبقات المعتزلة : ١١٨ ولسان

الميزان ٥ : ٢٩٨ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٧ والشذرات ٣ : ٢٥٩ .

١ زيادة من ل لي والمختار ، وكذلك هو في عبر الذهبي .

٢ س : تفسر ؛ لي ن : تنتشر ؛ ل : تسن .

٣ كتب بهامش ن التعليق التالي : قوله : لان أول خلاف وقع في الدين كان مسألة الكلام ، ليس كذلك ، بل كان قبلها الخلاف في مسألة العلم ، وقول من قال : الأمر أنف ، وكان هذا في زمن عبد الله بن عمر كما ثبت في الصحيح ، وقيل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع هذه المقالة وأنكرها كما ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم ، فأما مسألة الكلام فكان النزاع فيها بعد المائتين =

أبو بكر ابن فورك

الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي
الواعظ الأصبهاني ؛ أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه إلى الري فسعت
به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم ، ففعل وورد
نيسابور ، فبنى له بها مدرسة وداراً ، وأحيا الله تعالى به أنواعاً من العلوم ، ولما
استوطنها وظهرت بركاته على جماعة المتفقهة وبلغت مصنفاته في أصول الفقه
والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف ، دعي إلى مدينة غزنة
وجرت له بها مناظرات كثيرة .

ومن كلامه : شغل العيال نتيجه متابعة الشهوة بالحلال ، فما ظنك بقضية
شهوة الحرام ؟

وكان شديد الرد على أصحاب أبي عبد الله ابن كرام .

ثم عاد إلى نيسابور فسُمّ في الطريق فمات هناك ونقل إلى نيسابور ودفن
بالخيرة ، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده ، وكانت
وفاته سنة ست وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو القاسم القشيري في
« الرسالة »^١ سمعت أبا علي الدقاق يقول : دخلت على أبي بكر ابن فورك عائداً
فلما رأني دمعت عيناه ، فقلت له : إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك ، فقال لي :
تراني أخاف من الموت ، إنما أخاف مما وراء الموت .

= في خلافة المأمون . وإنما قيل لهم « أهل الكلام » لكثرة كلامهم واعتراض بعضهم على بعض ،
وقيل غير ذلك .

٦١٠ - ترجمته في الروافي ٢ : ٣٤٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٣٢ وطبقات السبكي ٣ : ٥٢ واللباب
(الفوركي) والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٠ وعبر الذهبي ٣ : ٩٥ والشذرات ٣ : ١٨١ .

١ الرسالة القشيرية : ٣١٠ .

وفُورَاك : بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف ، وهو اسم علم .
والحيرة : بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء
وبعدها هاء ساكنة ، وهي محلة كبيرة بنيسابور ينسب إليها جماعة من أهل العلم ،
وهي تلتبس بالحيرة التي بظاهر الكوفة .
وغَزَنَة : بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون وبعدها هاء
ساكنة ، وهي مدينة عظيمة في أوائل الهند من جهة خراسان .

٦١١

الشهرستاني

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم
على مذهب الأشعري ؛ كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً تفقه على أحد الخوافي
- المقدم ذكره^١ - وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما ، وبرع في الفقه ، وقرأ
الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرّد فيه ، وصف كتباً منها كتاب « نهاية
الإقدام في علم الكلام » وكتاب « الملل والنحل » [و « المناهج والبيئات » وكتاب
« المضارعة »]^٢ و « تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام » وكان كثير المحفوظ حسن
المحاورة يعظ الناس ، ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين ،
وظهر له قبول كثير عند العوام ، وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور
ومن غيره ، وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني ، وذكره في
كتاب « الذيل » .

٦١١ - ترجمته في الوافي ٣ : ٢٧٨ وطبقات السبكي ٤ : ٧٨ ولسان الميزان ٥ : ٢٦٣ ومعجم

البلدان : (شهرستان) وعبر الذهبي ٤ : ١٣٢ والشذرات ٤ : ١٤٩ .

١ انظر ج ١ : ٩٦ .

٢ زيادة من ر .

وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان ، هكذا وجدته بخطي في مسوداتي ، وما أدري من أين نقلته ، وقال ابن السمعاني في كتاب « الذيل » : سألته عن مولده فقال : في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ؛ وتوفي بها أيضاً في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وقيل سنة تسع وأربعين ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى .

وذكر في أول كتاب نهاية الإقدام المذكور بيتين وهما :

لقد طفتُ في تلك المعاهدِ كلها وسيّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سن نادمِ

ولم يذكر لمن هذان البيتان ، وقال غيره : هما لأبي بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وشهرستان : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها^١ وبعد الألف نون ، وهو اسم لثلاث مدن : الأولى : شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود^٢ خراسان وأول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي المشهورة ، ومنها أبو الفتح محمد المذكور ، وأخرجت خلقاً كثيراً من العلماء ، وبنها عبد الله بن طاهر أمير خراسان - المقدم ذكره - في خلافة المأمون .

الثانية : شهرستان قسبة ناحية سابور^٣ من أرض فارس ، كما ذكره ابن البناء البشاري^٤ .

الثالثة : مدينة جي بأصبهان يقال لها شهرستان ، بينها وبين اليهودية مدينة أصبهان اليوم نحو ميل ، بها أسواق ، وهي على نهر زرندورد وبها قبر الإمام الراشد بن المسترشد .

١ ر : المثناة الفوقية .

٢ ر : بلاد .

٣ ل لي س : بنيسابور .

٤ أحسن التقاسيم : ٢٨٧ .

وشهرستان لفظة عجيبة وهي مركبة ، فمعنى شهر مدينة ، ومعنى الاستان الناحية ، فكأنه قال : مدينة الناحية - ذكر ذلك كله أبو عبد الله ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً مختلف صقماً »^١ وفي بعضه زيادة على ما ذكره ياقوت .

وكان الشهرستاني المذكور يروي بالإسناد المتصل إلى النظام البلخي العالم المشهور ، واسمه إبراهيم بن سيار ، أنه كان يقول : لو كان للفراق صورة لارتاع لها القلوب ولهدت الجبال ، ولجمر الغضى أقل توهجاً من حمله ، ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب . وكان يروي للدريدي^٢ أيضاً باتصال الإسناد إليه قوله :

ودعته حين لا تودعه روجي ولكنها تسير معه
ثم افترقنا وفي القلوب لنا ضيق مكان وفي الدموع سعة
وكان يروي للدريدي^٢ أيضاً مسنداً إليه :

يا راحلين بمهجة في الحب متلفة شقية
الحب فيه بليّة وبليتي فوق البليّة

كل ذلك رواه الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب « الذيل » ثم قال في آخر الترجمة : وصل إليّ نعيه وأنا ببخارا ، رحمه الله تعالى .

١ المشترك : ٢٧٩ .

٢ س : الدريدي ؛ والصورة نفسها في النسخ الأخرى مع اضطراب في الاعجام .

محمد بن إسحاق

أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله ، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار^١ ، وقيل يسار بن كوثان^٢ ، المطلي بالولاء ، المدني ، صاحب المغازي والسير ؛ كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، سباه خالد بن الوليد من عين التمر ، وكان محمد المذكور ثبُتاً في الحديث عند أكثر العلماء ، وأما في المغازي والسير فلا تجمل إمامته فيها ، قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق . وذكره البخاري في تاريخه ؛ وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق . وقال سفيان بن عيينة : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه . وقال شعبة بن الحجاج : محمد بن إسحاق أمير المؤمنين ، يعني في الحديث .

ويحكى عن الزهري أنه خرج إلى قرية له فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم : أين أنتم من الغلام الأحول أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول ، يعني ابن إسحاق . وذكر الساجي أن أصحاب الزهري كانوا يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقة منهم بحفظه ؛ وحكي عن يحيى بن معين وأحمد بن

٦١٢ - أخباره وترجمته في طبقات ابن سلام : ٨ ، ١١ ، ٢٠٦ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٢١ وتاريخ بغداد ١ : ٢١٤ والمعارف : ٤٩١ والفهرست : ٩٢ ومعجم الأدباء : ١٨ : ٥ وتذكرة الحفاظ : ١٧٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٤٦٨ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٨ وعيون الأثر ١ : ١٠ - ١٧ وليوهان فك كتاب عنه (فرنكفورت ١٩٢٥) وانظر كتاب تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق ، نشر فيشر (ليدن ١٨٩٠) .

١ كذا في س وتاريخ بغداد ، ر : خيسار ، ن : حيوة ، تي : حنار ، ودون إعجام في ل بر من .
٢ س لي ن بر : كوثان ، ودون إعجام في ل ، وأثبتنا ما في ر وتاريخ بغداد .

حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه ، وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه ، وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم من أجل طعن مالك بن أنس فيه ، وإنما طعن مالك فيه لأنه بلغه عنه أنه قال : هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلمه ، فقال مالك : وما ابن إسحاق؟ إنما هو دجال من الدجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة؛ يشير - والله أعلم - إلى أن الدجال لا يدخل المدينة .

وكان محمد بن إسحاق قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وكان يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير ، وهي امرأة هشام بن عروة بن الزبير ، فبلغ ذلك هشاماً فأنكره وقال : أهو كان يدخل على امرأتي؟ وحكى الخطيب أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت في « تاريخ بغداد »^١ أن محمد بن إسحاق رأى أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدون ويقولون^٢ : هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يموت حتى يلقى الدجال . وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقيل سنة خمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين ، وقال خليفة بن خياط : سنة ثلاث وخمسين ، وقيل أربع وأربعين والله أعلم ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى . ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي ، وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد وأخيه الهادي ، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها ، وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي .

ومن كتبه أخذ عبد الملك بن هشام سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكره ، وكذلك كل من تكلم في هذا الباب فعليه اعتماده وإليه إسناده . والمطلبي : نسبة إلى المطلب بن عبد مناف المذكور أولاً . وقد تقدم الكلام^٣ على عين التمر في ترجمة أبي العتاهية .

١ تاريخ بغداد ١ : ٢١٧ .

٢ ر : ينشدون ويقولون . ن : ينشدون .

٣ ر : القول .

الترمذي

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير البوغوي الترمذي الحافظ المشهور ؛ أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . صنف كتاب « الجامع والعلل » تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل ، وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر وابن بشار وغيرهم . وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ ، وقال السمعاني : توفي بقرية بوغ في سنة خمس وسبعين ومائتين ، وذكره في كتاب « الأنساب » في نسبة البوغوي ، رحمه الله تعالى .

وبووغ : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة ، وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها . وقد تقدم الكلام على الترمذي ، والاختلاف في كسر التاء وضمها وفتحها في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد الفقيه الشافعي .

٦١٣ - ترجمته في الفهرست : ٢٣٣ والوافي ٤ : ٢٩٤ والأنساب ٣ : ٤٢ وتذكرة الحفاظ : ٦٣٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٧٨ وعبر الفهبي ٢ : ٦٤ ونكت الهيمان : ٢٦٤ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٨٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ٨ والشفرات ٢ : ١٧٤ وانظر بروكلمان ٣ : ١٩٠ (الترجمة العربية) .

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني الحافظ المشهور ، مصنف كتاب « السنن » في الحديث ؛ كان إماماً في الحديث عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به ، ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري لكتّاب الحديث ، وله « تفسير القرآن الكريم » وتاريخ مليح ، وكتابه في الحديث أحد الصحاح الستة .

وكانت ولادته سنة تسع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله^٢ وابنه عبد الله .

وماجة : بفتح الميم والجم وبينهما ألف وفي الآخر هاء ساكنة .

والرَبَعي : بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة ، وهي اسم لعدة قبائل لا أدري إلى أيها ينسب المذكور .

والقَزَويني : بفتح القاف وسكون الزاي وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى قزوين ، وهي من أشهر مدن عراق العجم ، خرج منها جماعة من العلماء [المعتبرين] .

٦١٤ - ترجمته في المنتظم ٥ : ٩٠ وتذكرة الحفاظ : ٦٣٦ وعبر الذهبي ٢ : ٥١ والشذرات

٢ : ١٦٤ وتهذيب التهذيب ٩ : ٥٣٠ وبروكلمان ٣ : ١٩٨ (الترجمة العربية) .

١ ن : يكتب .

٢ ر ير من : وأبو عبد الله .

الحاكم بن البيهقي النيسابوري

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهباني المعروف بالحاكم^٢ النيسابوري ، الحافظ المعروف بابن البيهقي ؛ إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها ، كان عالماً عارفاً واسع العلم ، تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي - وقد تقدم ذكره^٣ - ثم انتقل إلى العراق وقرأ على أبي علي ابن أبي هريرة الفقيه - وقد تقدم ذكره أيضاً^٤ - ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به ، وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة فإن معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل حتى روى عن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه . وصنف في علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء ، منها « الصحيحان » و « العلل » و « الأمالي » و « فوائد الشيوخ » و « أمالي العشيات » و « تراجم الشيوخ » . وأما ما تفرد بإخراجه فمعرفة علوم الحديث و « تاريخ علماء نيسابور » و « المدخل إلى علم الصحيح » و « المستدرك على الصحيحين » و « ما تفرد به كل^٥ من الإمامين » و « فضائل الإمام الشافعي » رضي الله عنه .

٦١٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٧٣ والوادي ٣ : ٣٢٠ والمنتظم ٧ : ٢٧٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٢٧ وطبقات السبكي ٣ : ٦٤ وتذكرة الحفاظ : ١٠٣٩ وعبر الذهبي ٣ : ٩١ وغاية النهاية ٢ : ١٨٤ والشذرات ٣ : ١٧٦ ولسان الميزان : ٢٣٢ .

١ ابن الحكم سقطت من ت ر ، ووقعت في ن بعد لفظة « بالحاكم » .

٢ المختار : بابن الحكم .

٣ انظر ما تقدم ص : ٢٠٤ .

٤ انظر ج ٢ : ٧٥ .

٥ ر بر : كل واحد .

وله إلى الحجاز والعراق رحلتان ، وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلثمائة ،
وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ وكتب عنهم أيضاً ، وباحث الدارقطني فرضيه ،
وتقلد القضاء بنيسابور في سنة تسع وخمسين وثلثمائة في أيام الدولة السامانية
وزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، وقلد بعد ذلك قضاء جرجان
فامتنع ، وكانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة بنيسابور
وتوفي بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة ، وقال الخليلي في كتاب
« الإرشاد » : توفي سنة ثلاث وأربعمائة^٢ .

وسمع الحديث في سنة ثلاثين ، وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين ،
وبالعراق سنة سبع وستين ، ولازمه الدارقطني ، وسمع منه أبو بكر القفال
الشاشي ، وأنظارهما .

وَحَمْدُويَه : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وسكون
الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

والبَيْع : بفتح الباء الموحدة وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها
عين مهملة .

وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء ، رحمه الله تعالى .

١ وقال الخليلي . . . أربعمائة : سقط من س ت والمختار .

الحميدي

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل ، الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الحافظ المشهور؛ أصله من قرطبة من ريبض الرصافة ، وهو من أهل جزيرة ميُورْقَاة ، روى عن أبي محمد علي بن حزم الظاهري - المقدم ذكره^١ - واختص به ، وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته ، وعن أبي عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » - وسنأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وعن غيرها من الأئمة .

ورحل إلى المشرق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فحج وسمع بمكة حرسها الله تعالى ، وبإفريقية وبالأندلس^٢ ومصر والشام والعراق ، واستوطن بغداد . وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع ، وكانت له نعمة حسنة في قراءة الحديث . وذكره الأمير أبو نصر علي بن مأكولا صاحب كتاب « الإكمال » - المقدم ذكره^٣ - فقال : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي ، وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ ، وقال : لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم . ولأبي عبد الله المذكور كتاب « الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم » وهو مشهور ، وأخذته الناس عنه ، وله أيضاً تاريخ علماء الأندلس سمي « جذوة المقتبس » في مجلد واحد ، وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه ، وقد طُلب

٦١٦ - ترجمته في مواطن متفرقة من فهرسة ابن خير ، والصلة : ٥٣٠ وبغية الملتبس رقم : ٢٥٧ والمنتظم ٩ : ٩٦ والروافي ٤ : ٣١٧ وتذكرة الحفاظ : ١٢١٨ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢٣ والشذرات ٣ : ٣٩٢ ونفح الطيب ٢ : ١١٢ والرسالة المستطرفة : ١٧٣ .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٥ .

٢ ر من بر : والأندلس ؛ وسقطت من ت .

٣ انظر ج ٣ : ٣٠٥ .

ذلك منه ببغداد . وكان يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها : كتاب « العلل » وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطني ، وكتاب « المؤتلف والمختلف » وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا ، وكتاب « وفيات الشيوخ » وليس فيه كتاب ، وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير : رتبه على حروف المعجم بعد أن رتبته^١ على السنين ، قال أبو بكر بن طرخان : فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات .
وقال ابن طرخان المذكور : أنشدنا أبو عبد الله الحميدي المذكور لنفسه :

لقاء الناس ليس يفيدُ شيئاً سوى الهديانِ من قيلِ وقالِ
فأقلل من لقاءِ الناسِ إلا لأخذِ العلمِ أو إصلاحِ حالِ

وكان قد أدرك بدمشق^٢ الخطيب أبا بكر الحافظ ، وروى عنه وعن غيره ، وروى الخطيب أيضاً عنه . وكانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة . وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد .

وقال السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة الميورقي : إنه توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، هكذا وجدته في المختصر الذي اختصره أبو الحسن علي بن الأثير الجزري - المقدم ذكره^٣ - وكشفت عنه عدة نسخ فوجدته على هذه الصورة ، لأنني توهمت الغلط في نسختي ، ولم أقدر على مراجعة الأصل الذي لابن السمعاني الذي هذا المختصر منه ، لأنه لا يوجد في هذه البلاد ، وبقي في نفسي شيء من التفاوت بين التاريخين ، فإنه كبير . ثم إنني كشفت كتاب « الذيل » للسمعاني فوجدت فيه أن الحميدي المذكور توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ودفن من الغد في مقبرة باب أبرز ، بالقرب من قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشامي الفقيه في جامع القصر ، ثم نقل بعد ذلك

١ ر من بر : ترتيبه .

٢ س ت : ببغداد .

٣ الباب ٣ : ٢٠٠ (الميرقي - دون واو -) .

في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب ، ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي ، رحمه الله تعالى . فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت^١ أن الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر : إما لأن النسخة التي اختصرها كانت غلطاً من الناسخ ، فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشفه من موضع آخر ، أو لأنه عبّر من سطر إلى سطر كما جرت عادة النساخ في بعض الأوقات ، والله أعلم أي ذلك كان .

والحميدي : بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى جده حُمَيْد المذکور ، وأخبرني بعض أرباب التاريخ أنه رأى في بعض التواريخ أن نسبه إلى حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وهو ليس بصحيح ، لأن أبا عبد الله المذکور أزدني النسب ، وعبد الرحمن قرشي زُهري ، فكيف يجتمعان ؟ .

ويَصِلُ : بفتح الياء المثناة من تحتها وكسر الصاد المهملة وبعدها لام . وقد تقدم الكلام على الأزدي ، وكذلك على مَيُورِقَةَ في ترجمة أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر^٢ ، وهي بفتح الميم وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الراء والقاف وبعدها هاء ساكنة ، وهي جزيرة في البحر الغربي قريبة من بر الاندلس .

١ لي : عرفت .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٢ قلت : ولم يرد في الترجمة المشار إليها كلام عن ميورقة .

المازري

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري الفقيه المالكي المحدث؛ أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه « كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم » وعليه بنى القاضي عياض كتاب « الإكمال » - وقد تقدم ذكره^١ - وهو تكملة لهذا الكتاب ، وله كتاب « إيضاح المحصول في برهان الأصول »^٢ ، وله في الأدب كتب متعددة ، وكان فاضلاً متقناً . وتوفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسة ، وقيل توفي يوم الاثنين ثاني الشهر المذكور بالمهدية ، وعمره ثلاث وثمانون سنة [ودفن بالمنستير]^٣ رحمه الله تعالى .

والمازري : بفتح الميم وبعدها ألف ثم زاي مفتوحة وقد تكسر أيضاً ثم راء ، هذه النسبة إلى مازر ، وهي بليدة بجزيرة صقلية .

٦١٧ - ترجمته في الوافي ٤ : ١٥١ والديباج المذهب : ٢٧٩ وعبر الذهبي ٤ : ١٠٠ والشذرات ٤ : ١١٤ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٥ وللأستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب عنه (ط . تونس ١٩٥٥) .

١ كتاب : سقطت من ن ت .

٢ انظر ج ٣ : ٤٨٣ .

٣ وله كتاب . . . الأصول : سقط من لي ل س ت بر من والمختار .

٤ زيادة من ر .

الحافظ أبو موسى الأصبهاني

أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد ابن أبي عيسى الأصبهاني المدني الحافظ المشهور ؛ كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة ، وله في الحديث وعلومه تواليف مفيدة وصنف كتاب « المغيث » في مجلد ، كمل به كتاب « الغربيين » للهروي ، واستدرك عليه ، وهو كتاب نافع ، وله كتاب « الزيادات » في جزء لطيف جعله ذيلًا على كتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه كتاب « الأنساب » وذكر من أمهله وما أقصر فيه .
ورحل عن أصفهان في طلب الحديث ثم رجع إليها وأقام بها . وكانت ولادته في ذي القعدة سنة إحدى وخمسة . وتوفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وخمسة ، وكانت وفاته ومولده بأصفهان ، رحمه الله تعالى .

والمَدِينِي : بفتح الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى مدينة أصفهان ، وقد ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » هذه النسبة إلى عدة مدن : أولاهن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية مرو ، والثالثة نيسابور ، والرابعة أصفهان ، والخامسة مدينة المبارك بقزوين ، والسادسة بخارا ، والسابعة سمرقند ، والثامنة نَسَف ، وذكر أن النسبة إلى هذه المدن كلها المدني ، وقال : أكثر ما ينسب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم « المدني » .

٦١٨ - ترجمته في الباب (المديني) وطبقات الشيبكي ٤ : ٩٠ وتذكرة الحفاظ : ١٣٣٤ وعبر
الذهبي ٤ : ٢٤٦ والشذرات ٤ : ٢٧٣ .

محمد بن طاهر المقدسي

أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الحافظ المعروف بابن القيسراني ؛ كان أحد الرحالين في طلب الحديث ، سمع بالحجاز والشام ومصر والثغور والجزيرة والعراق والجبال وفارس وخوزستان وخراسان . واستوطن همدان وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث ، وله في ذلك مصنفات^١ ومجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته .

وصنف تصانيف كثيرة : منها « أطراف الكتب الستة » وهي : صحيح البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، و « أطراف الغرائب » تصنيف الدارقطني ، وكتاب « الأنساب » في جزء لطيف ، وهو الذي ذيله الحافظ أبو موسى الأصبهاني المذكور قبله ، وغير ذلك من الكتب وكانت له معرفة بعلم التصوف وأنواعه متفنناً فيه وله فيه تصنيف أيضاً^٢ ، وله شعر حسن ، وكتب عنه غير واحد من الحفاظ : منهم أبو موسى المذكور . وكانت ولادته في السادس من شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، ببیت المقدس ، وأول سماعه سنة ستين وأربعمائة ، ودخل بغداد سنة سبع وستين وأربعمائة ثم رجع إلى بيت المقدس فأحرم من ثم إلى مكة ؛ وتوفي عند قدومه من الحج آخر حجاته ، يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ببغداد ، ودفن في المقبرة العتيقة بالجانب الغربي ، وقيل توفي يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور ، رحمه الله تعالى^٣ .

٦١٩ - ترجمته في المنتظم ٩ : ١٧٧ والوافي ٣ : ١٦٦ وتذكرة الحفاظ : ١٢٤٢ وميزان الاعتدال

٣ : ٥٨٧ وعبر الذهبي ٤ : ١٤ والشذرات ٤ : ١٨ .

١ ر : مصنفات ومحفوظات .

٢ وكانت له . . . أيضاً : لم يرد إلا في ن ر .

٣ بعد هذا ورد في ر الحديث عن قياسارية والنسبة إليها .

(181) وكان ولده أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر^١ من المشهورين بعلو الإسناد وكثرة السماع ، ولم يكن له معرفة بالعلم ، لكن كان والده قد أسمعه في صباه من جماعة منهم أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني بالري^٢ وأبو الفتح عبدوس بن عبد الله بهمدان وأبو عبد الله محمد بن عثمان الكاخي وأبو الحسن مكي ابن منصور السلا^٣ . وقدم به بغداد فسمع بها من أبي القاسم علي بن أحمد بن ريان^٤ وغيره . وسكن بعد وفاة أبيه بهمدان ، وكان يقدم بغداد للحج ، فحدث بها بأكثر سماعاته ، وسمع منه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة وغيره ، وكان مولده بالري في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة بهمدان ، رحمه الله تعالى .

والقيس^٥ راني : بفتح القاف والسين المهملة بينها ياء مثناة من تحتها ثم زاء مفتوحة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى قيسرية ، وهي بليدة بالشام على ساحل البحر ، وهي الآن بيد الفرنج ، خذلهم الله تعالى .

قلت^٦ : ثم استنقذها من أيديهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شهر سنة ثلاث وستين وستائة وخربها ، وهي الآن خراب .

١ راجع ترجمته في عبر الذهبية ٤ : ١٩٢ والشذرات ٤ : ٢١٧ .
٢ لي : بيان ؛ ن س : بنان ، وصورتها كذلك في « من » دون إجماع .
٣ تقدم ذكر ذلك في ترجمة مجلي بن جميع ؛ ولم يرد في أكثر النسخ .

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منسده المبدئي الحافظ المشهور ، صاحب كتاب « تاريخ أصبهان »^١ ؛ كان أحد الحفاظ الثقات ، وهم أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبيدين ، وإنما أم الحافظ أبي عبد الله المذكور واسمها برة بنت محمد كانت من بني عبد ياليل فنسب إلى أخواله ، ذكر ذلك الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتاب « زيادات الأنساب » - وقد تقدم ذكره - واستوفى رفع نسبها هناك فأضربت عن ذكره لطوله ، وكذلك ذكره الحازمي في كتاب « العجالة »^٢ لكنه لم يرفع في نسبها . وتوفي الحافظ أبو عبد الله المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة^٣ ، رحمه الله تعالى .

ومنسده : بفتح الميم والذال المهملة بينها نون ساكنة وفي الآخر هاء ساكنة أيضاً .

وسياتي ذكر حفيده يحيى بن عبد الوهاب إن شاء الله تعالى^٤ .

٦٢٠ - ترجمته في طبقات الحنابلة ١ : ٣٢٨ وتذكرة الحفاظ : ١٠٣١ وعبر الذهبي ٢ : ١٢٠ والشذرات ٢ : ٢٣٤ ؛ وهي شديدة الإيجاز في المختار .

١ في هامش س : وله من التصانيف كتاب « صفوة التصوف » في أحوال الصوفية وآدابها وكتاب « الحجية على تارك المحجة » وكتاب « معجم البلدان » وكتاب « المتفق والمفترق » في الأنساب وغير ذلك .

٢ العجالة : ٨٩ .

٣ في هامش س : في النسخة الكبرى منه (يعني من كتاب ابن خلكان) إحدى وثلاثمائة ، وفي نسخة بخط المصنف : سنة ست ، وتغير كما هو الآن .

٤ هذه الجملة لم ترد إلا في ن ر .

٦٢١

أبو عبد الله الفربري

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري راوية صحيح البخاري عنه ، رحل إليه الناس ، وسمعوا منه هذا الكتاب . وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ؛ وتوفي في ثالث شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى فربر : بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وفي آخرها راء ثانية ، وهي بلدة على طرف جينحون مما يلي بخارا ، وهو آخر من روى « الجامع الصحيح » عن البخاري .

٦٢٢

أبو عبد الله الفراوي

أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس ، الصاعدي الفراوي النيسابوري الملقب كمال الدين الفقيه المحدث ؛ كان يختلف إلى مجلس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني الفقيه الشافعي صاحب « نهاية المطلب » وعلق عنه الأصول ، ونشأ بين الصوفية ، وكان فقيهاً محدثاً مفنناً مناظراً واعظاً ، وكان

٦٢١ - انظر معجم البلدان والباب (فربر) وعبر الذهبي ٢ : ١٨٣ والشذرات ٢ : ٢٨٦ .

١ ر : روى الحديث عن البخاري .

٦٢٢ - ترجمته في معجم البلدان : (فراوة) والمنتظم ١٠ : ٦٥ والوافي ٤ : ٣٢٣ وعبر الذهبي

٤ : ٨٣ والشذرات ٤ : ٩٦ .

يحمل الطعام إلى المسافرين الواردين عليه ويخدمهم بنفسه مع كبر سنه ، وخرج حاجاً إلى مكة ، وعقد له مجلس الوعظ ببغداد وسائر البلاد التي توجه إليها ، وأظهر العلم بالخرميين ، وعاد إلى نيسابور وقعد للتدريس بالمدرسة الناصحية ، وقام بإمامة مسجد المطرز .

وسمع صحيح مسلم من عبد الفافر الفارسي - المقدم ذكره^١ - وصحيح البخاري من سعيد بن أبي سعيد، وسمع من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري وإمام الحرميين ، وتفرد برواية عدة كتب للحافظ البيهقي مثل « دلائل النبوة » و « الأسماء والصفات » و « البعث والنشور » و « الدعوات » الكبيرة والصغيرة ، وكان يقال في حقه : الفُراوي ، ألفُ راوي^٢ .

وكانت ولادته سنة إحدى ، وقيل اثنتين ، وأربعين وأربعمائة بنيسابور ، وسمع الحديث سنة سبع وأربعين^٣ . وتوفي ضحوة يوم الخميس الحادي ، وقيل الثاني ، والعشرين من شوال سنة ثلاثين وخمسمائة^٤ ، رحمه الله تعالى .

والفُراوي : بضم الفاء وفتح الراء وبعدها ألف ثم واو ، هذه النسبة إلى فُراوة ، وهي بليدة مما يلي خوارزم يقال لها رباط فُراوة ، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون ، وهو يومئذ أمير خراسان - وقد تقدم ذكره^٥ .

١ انظر ج ٣ : ٢٢٥ .

٢ ن : يعني ألف راوي .

٣ وسمع . . . وأربعين : سقطت من ر ت بر والمختار .

٤ ت : وتوفي في العاشر من شوال سنة اثنتين وخمسمائة .

٥ انظر ج ٣ : ٨٣ .

أبو بكر الآجري

أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي^١ المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثاً ، وهي مشهورة به ؛ وكان صالحاً عابداً ، وروى عن أبي مسلم الكنجي وأبي شعيب الحراني وأحمد بن يحيى الحلواني والمفضل بن محمد الجندي ، وخلق كثير من أقرانهم .

ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه الذي سماه « الفهرست »^٢ وصنف في الفقه والحديث كثيراً ، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه^٣ وقال : كان ثقة صدوقاً دينياً ، وله تصانيف كثيرة . حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها ، حتى توفي بها . وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب « حلية الأولياء » وغيره . وأخبرني بعض العلماء أنه لما دخل إلى مكة حرسها الله تعالى أعجبته ، فقال : اللهم ارزقني الإقامة بها سنة ، فسمع هاتفاً يقول له : بل ثلاثين سنة ، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ، ثم مات بها في المحرم سنة ستين وثلاثمائة ، قال الخطيب : قرأت ذلك على بلاطة قبره^٤ بمكة .

٦٢٣ - ترجمته في الأنساب ١ : ٦٩ والمنتظم ٧ : ٥٥ وصفة الصفوة ٢ : ٢٦٥ وتذكرة الحفاظ ٩٣٦ وعبر الذهبي ٢ : ٣١٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٥٠ والشذرات ٣ : ٣٥ والرسالة المستطرفة : ٤٢ والعقد الثمين ٢ : ٣ وصفحات متفرقة من فهرسة ابن خير ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من المختار .
١ في هامش س : لم يكن شافعيّاً بل كان حنبليّاً وتصنيفه يدل على ذلك ؛ وقد أدرجت هذه العبارة في متن النسخة لي بعد لفظة « المحدث » ؛ ويمثل ذلك قال صاحب العقد .

٢ الفهرست : ٢١٤ - ٢١٥ .

٣ تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٣ .

٤ ر : البلاطة التي على قبره .

والآجُرِّي : بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء ، هذه النسبة إلى الآجر ، ولا أعلم لأي معنى نسب إليه .
ورأيت حاشية على كتاب « الصلة » صورتها : الإمام أبو بكر الآجري نسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجر ، واستوطن مكة حرسها الله تعالى ، وتوفي بها أول يوم من المحرم سنة ستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

٦٢٤

الحافظ محمد بن ناصر السلامي

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي ، الحافظ الأديب المعروف بالسلامي ؛ كان حافظ بغداد في زمانه^٢ وكان له حظ وافر من الأدب ، وأخذ الأدب عن الخطيب أبي زكرياء التبريزي ، وخطه في غاية الصحة والإتقان ، وكان كثير البحث عن الفوائد وإثباتها ، روى عنه الأئمة فأكثرُوا ، وأخذ عنه علماء عصره منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي ، وأكثر روايته عنه ، وذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتبه^٣ .
وكانت ولادته ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

١ هذه الفقرة متقدمة على ما سبقها في النسخ ، وسقطت من ل ت .
٦٢٤ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ١٦٢ وتذكرة الحفاظ : ١٢٨٩ وعبر الذهبي ٤ : ١٤٠ والشذرات ٤ : ١٥٥ والرسالة المستطرفة : ١٦٠ واللباب والأنساب : (السلامي) ومراة الزمان : ٢٢٥ وذييل ابن رجب : ٢٢٥ .

٢ ن : وقته .
٣ قال السمعاني : إن ابن ناصر كان يجب أن يقع في الناس فرد عليه ابن الجوزي وقبح قوله ونسبه إلى التمسب على الحنابلة ؛ وقال السلفي : سمع ابن ناصر معنا كثيراً وهو شافعي أشعري ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ومات عليه .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسة بئفداد ، وأخرج من
 الفد ، وصلي عليه بالقرب من جامع السلطان ثلاث مرات ، وعبر به إلى جامع
 المنصور فصلي عليه ، ثم حمل إلى الحربية وصلي عليه ، ودفن بباب حرب تحت
 السدرة يجنب أبي منصور ابن الأنباري الواعظ ، رحمه الله تعالى .
 والسلامي : بفتح السين المهملة واللام ألف المخففة وبمدها ميم ، هذه النسبة
 إلى مدينة السلام بئداد ، قال ابن السمعاني : كذا كان يكتب لنفسه السلامي ،
 يعني الحافظ المذكور .

٦٢٥

الحازمي

أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم ،
 الحازمي الهمداني الملقب زين الدين ؛ أحد الحفاظ المتقنين ، وعباد الله الصالحين
 [حفظ القرآن الكريم ، وحضر بهمدان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي ،
 وسمع بها من أبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي^٢ وأبي زرعة طاهر بن محمد
 المقدسي وأبي العلاء الحسن بن أحمد الحافظ ، وجماعة كثيرة]^٣ وتفقه بئداد على
 الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وغيره ، وسمع الحديث بئداد من أبي الحسين
 عبد الحق وأبي نصر عبد الرحيم ابني عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وأبي الفتح

١ ابن : سقطت من لي س ل من بر .

٦٢٥ - ترجمته في الروضتين ٢ : ١٣٧ وتذكرة الحفاظ : ١٣٦٣ ومختصر ابن الديبهي : ١٤٤

وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٤ وطبقات السبكي ٤ : ١٨٩ والشذرات ٤ : ٢٨٢ والنجوم الزاهرة

٦ : ١٠٧ ؛ وفي نسبة إيجاز في ن ل ت ر ؛ وسقطت ترجمته من المختار .

٢ ن : الاربيلي ؛ وانظر ترجمة شهردار عند السبكي ٤ : ٢٣٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٤ .

٣ سقط من النسخ ما عدا ن ، وبعضه في ر .

عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وغيرهم^١ ، ثم عني بنفسه فارتحل في طلبه إلى عدة بلاد من العراق ثم إلى الشام والموصل وبلاد فارس وأصبهان وهمدان وكثير من بلاد أذربيجان ، وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد . وغلب عليه الحديث ، وبرع فيه . واشتهر به ، وصنف فيه وفي غيره كتباً مفيدة : منها « الناسخ والمنسوخ » في الحديث ، وكتاب « الفيصل » في مشتبه النسبة ، وكتاب « المجالة » في النسب وكتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط ، وكتاب « سلسلة الذهب » فيا روى الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي رضي الله عنها ، و « شروط الأئمة » وغير ذلك من الكتب النافعة .

واستوطن بغداد ، وسكن بالجانب الشرقي . ولم يزل مواظب الاشتغال ملازم الخير إلى أن اخترمته المنية وغصن شبابه نضير ، وذلك في ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، بمدينة بغداد . ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سمنون بن حمزة^٢ مقابل قبر الجنيد ، رضي الله عنه ، بعد أن صلى عليه خلق كثير برحمة جامع القصر . وحمل إلى الجانب الغربي ، فصلي عليه^٣ مرة أخرى ، وفرق كتبه على أصحاب الحديث . وكانت ولادته في سنة ثمان - أو تسع - وأربعين وخمسمائة ، بطريق همدان ، وحمل إليها ونشأ بها ، رحمه الله تعالى .

والحازمي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف زاي مكسورة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى جده حازم المذكور .

١ من أبي الحسين . . . وغيرهم : ثبت في ن ر فقط .

٢ ر : سمنون المحب .

٣ ر : عليه خلق .

الحافظ أبو بكر ابن العربي

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بابن العربي الماعفري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور ؛ ذكره ابن بَشْكُوَال في كتاب « الصلة »^١ فقال : « هو الحافظ المستبحر ، ختام علماء الأندلس وآخر أمتها وحافظها ، لقيته بمدينة إشبيلية ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وخمسة فأخبرني أنه رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ، ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها ، ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين ، ثم عاد إلى بغداد وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، ثم صدر عنهم ، ولقي بصر والإسكندرية^٢ جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم ، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق . وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها نافذاً في جميعها ، حريصاً على أدائها ونشرها ،

٦٢٦ - ترجمته في المغرب ١ : ٢٤٩ وبنية الملتبس (رقم : ١٧٩) والديباج المذهب : ٢٨١ والمرقبة العليا : ١٠٥ ونفع الطيب ٢ : ٢٥ وأزهار الرياض ٣ : ٢٦٢ ، ٨٦ - ٩٥ وجذوة الاقتباس : ١٦٠ ، والوافي ٣ : ٣٣٠ وتذكرة الحفاظ : ١٢٩٤ والشذرات ٤ : ١٤١ (وفيات ٥٤٦) وكذلك عبر الذهبي ٤ : ١٢٥ وانظر مقالتي عن رحلته (مجلة الأبحاث ١٩٦٣ ، ١٩٦٨) ، ومقدمة العواصم من القواصم .

١ الصلة : ٥٥٨ ، وفي النقل بعض إيجاز .

٢ ن : وأتى مصر والإسكندرية ولقي بها . . . الخ .

تأقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن
المعاشرة ولين الكَنَف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود.
واستقْضِي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه ، وكانت له
في الظالمين سَوْرَة مرهوبة ، ثم صرف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه .
وسألته عن مولده فقال : ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين
وأربعمائة . وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث
وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى « انتهى كلام ابن بشكوال .

قلت أنا : وهذا الحافظ له مصنفات : منها كتاب « عارضة الأحوزي في
شرح الترمذي » وغيره من الكتب ، وكانت ولادته بإشبيلية ، وقيل إن ولادته
كانت سنة تسع وستين ، وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من
فاس عند رجوعه من مراکش ، ونقل إلى فاس ، ودفن بمقبرة الجياني .

(182) وتوفي والده بمصر منصرفاً عن المشرق في السفارة التي كان ولده
المذكور في صحبته ، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، ومولده
سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة^١ ،
رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على المعافري والإشبيلي .

ومعنى « عارضة الاحوزي » فالعارضة : القدرة على الكلام ، يقال : « فلان
شديد العارضة » إذا كان ذا قدرة على الكلام ، والأحوزي : الخفيف في الشيء
لحذقه ، وقال الأصمعي : الأحوزي المشتمرُ في الامور القاهر لها الذي لا يشذ
عليه منها شيء ، وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال
المعجمة وفي آخره^٢ ياء مشددة .

١ لي : والكفاية .

٢ ن : آخرها .

النقاش المفسر

أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد [بن هارون بن جعفر بن سند] المخرىء ، المعروف بالنقاش ، الموصلي الاصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان عالماً بالقرآن والتفسير ، وصنف في التفسير كتاباً ، سماه « شفاء الصدور » وصنف غيره فمن ذلك « الإشارة » في غريب القرآن ، و « الموضح » في القرآن ومعانيه و « صد العقل »^٢ ، و « المناسك » ، و « فهم المناسك » ، و « أخبار القصاص » ، و « ذم الحسد » ، و « دلائل النبوة » ، و « الأبواب في القرآن » ، و « إرم ذات العماد » ، و « المعجم الأوسط » ، و « المعجم الأصغر » ، و « المعجم الكبير » في أسماء القراء وقراءاتهم ، وكتاب « السبعة بعلمها » الكبير ، وكتاب « السبعة الأوسط » ، وكتاب « السبعة الأصغر » .

وسافر الكثير شرقاً وغرباً ، وسمع بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجلال وخراسان وما وراء النهر . وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة ، وذكر النقاش عند طلحة بن محمد بن جعفر ، فقال : كان يكذب في الحديث ، والغالب عليه القصص ، وروى عن جماعة من العلماء ورووا عنه ، وقال البرقاني : كل حديث النقاش مناكير ، وليس في تفسيره حديث صحيح . وكانت ولادته سنة ست ، وقيل خمس ، وستين ومائتين . وتوفي يوم الثلاثاء ودفن يوم الأربعاء ، لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، رحمه

٦٢٧ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢٠١ والفهرست : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٤٦ والوافي ٢ : ٣٤٥ وتذكرة الحفاظ : ٩٠٨ وغاية النهاية ٢ : ١١٩ وطبقات السبكي ٢ : ١٤٨ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٢١ والرسالة المستطرفة : ٧٧ ؛ ولا تزيد هذه الترجمة في المختار عن أربعة أسطر .

١ زيادة من ر .

٢ كذا في ل ر ؛ وفي سائر الأصول : وضد ، وكذلك في ياقوت والفهرست .

الله تعالى ، ويقال توفي سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين وثلثمائة ، والله أعلم .
والنقاش : بفتح النون والقاف المشددة وبعد الألف شين معجمة ، هذه النسبة
إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرهما ، وكان أبو بكر المذكور في مبدأ أمره
يتعاطى هذه الصنعة فعرف بها .

٦٢٨

ابن شنبوذ المقرئ

أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ البغدادي ؛
كان من مشاهير القراء وأعيانهم ، وكان ديناً ، وفيه سلامة صدر وفيه حمق ،
وقيل إنه كان كثير اللحن قليل العلم ، وتفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها
في المحراب فأنكرت عليه ، وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد بن مقله الكاتب
المشهور ، وقيل له : إنه يغيّر حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما أنزل ،
فاستحضره في أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، واعتقله في
داره أياماً ، فلما كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور ، استحضر الوزير
المذكور القاضي أبا الحسين عمر بن محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن
مجاهد المقرئ وجماعة من أهل القرآن ، وأحضر ابن شنبوذ المذكور ، ونوظر
بحضرة الوزير ، فأغلظ في الخطاب للوزير والقاضي وأبي بكر ابن مجاهد ونسبهم
إلى قلة المعرفة وعيّرهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر ، واستصحب القاضي
أبا الحسين المذكور ، فأمر الوزير أبو علي بضربه ، فأقيم وضرب سبع درر ،
فدعا وهو يضرب على الوزير ابن مقله بأن يقطع الله يده ويشئت^٢ شمله ، فكان

٦٢٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٢٨٠ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٦٧ والوافي ٢ : ٣٧ وغاية النهاية

٢ : ٥٢ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٨ ، ٢٦٧ وعبر الذهبية ٢ : ٢١٣ والشذرات ٢ : ٣١١ .

١ ت لي ل : ويشئت .

الأمر كذلك - كما سيأتي في خبر ابن مقلة إن شاء الله تعالى - ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ بها ، فأنكر ما كان شنيعاً ، وقال فيما سواه : إنه قرأ به قوم ، فاستتابوه فتاب ، وقال إنه قد رجع عما كان يقرؤه ، وإنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس . فكتب عليه الوزير محضراً بما قاله ، وأمره أن يكتب خطه في آخره ، فكتب ما يدل على توبته ؛ ونسخة المحضر : « سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عما حكى عنه أنه يقرؤه ، وهو ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ تبت يدا أبي لهب وقد تب ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ كالصوف المنفوش ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ فاليوم نتجيك ببدنك ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة [صالحة] غصباً ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ ولتكن منكم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون^٢ الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ﴾ فاعترف به ، وكتب الشهود الحاضرون شهادتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته : يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : ما في هذه الرقعة^٣ صحيح ، وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر^٤ على نفسي بذلك ؛ وكتب بخطه : فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره ، فأمير المؤمنين في حل من دمي وسعة ، وذلك يوم الأحد

١ زيادة من س ل لي بر من .

٢ ر : ويستغيثون .

٣ ر : الورقة .

٤ ن : ومن حضر .

لسبع^١ خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه .
 وكنتم أبو أيوب السمسار الوزير أبا علي في أمره وسأله في إطلاقه ، وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة ، وسأله أن ينفذه في الليل سرّاً إلى المدائن ليقيم بها أياماً ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ، ولا يظهر بها أياماً ، فأجابته الوزير إلى ذلك ، وأنفذه إلى المدائن ؛ وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر^٢ سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد، وقيل إنه توفي في محبسه بدار السلطان، رحمه الله تعالى .

(183) وتوفي أبو بكر ابن مجاهد المذكور يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ودفن في تربة له بسوق العطش ، وكان مولده سنة خمس وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
 وشنبوذ : بفتح الشين المعجمة والنون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها ذال معجمة .

٦٢٩

ابن السمّاك

أبو العباس محمد بن صبيح المذكّر مولى بني عجل ، المعروف بابن السمّاك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم : مثل هشام بن

١ ر : لتسع .

٢ ت : وتوفي في صفر ؛ ن : ثالث صفر .

٦٢٩ - ترجمته في حلية الأولياء ٨ : ٢٠٣ وصفة الصفوة ٣ : ١٠٥ واللباب (السمّاك) وطبقات

المعزلة ٤٢ : الوافي ٣ : ١٥٨ وعبر الذهبي ١ : ٢٨٧ والشذرات ١ : ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٦٥ .

عروة والأعمش وغيرهما . وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره ؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها .
ومن كلامه : خَفَّ اللهُ كأنك لم تطعمه ، وارجُ اللهُ كأنك لم تعصه .
وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة ، فاستفق العلماء فلم يفتحه أحد بأنه من أهلها فقبل له عن ابن السماك المذكور ، فاستحضره وسأله ، فقال له : هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى ؟ فقال : نعم ، كان لبعض أزامي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب ، ثم إني ظفرت بها مرة ، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر ، فأشفقت من ذلك ، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى ، فقال له ابن السماك : أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة ، فقال هارون : ومن أين لك هذا ؟ فقال : من قوله تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (النازعات : ٤٠) فسر هارون بذلك .
ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له : إني أتيتك في حاجة ، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة ، ذليلان إن لم تقضها ، فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع ، واختر لي عز النجح على ذل الرد ؛ فقضى حاجته . ومن كلامه : من جرّعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرّعته الآخرة مرارتها بتجافيتها عنه . وتكلم يوماً وجاريتته تسمع كلامه ، فقال لها : كيف سمعت كلامي ؟ فقالت : هو حسن ، لولا أنك تردده ، فقال : أردده كي يفهمه من لم يفهمه ، فقالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه . وأخباره ومواعظه كثيرة .

وقوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .
والسّمّاك : بفتح السين المهملة والميم المشدّدة وبعد الألف كاف ، هذه النسبة إلى بيّع السمك وصيده .

١ وتكلم يوماً . . . فهمه : سقط من س ل لي بر من .

أبو طالب المكي

أبو طالب محمد بن علي بن عطية ، الحارثي الواعظ المكي صاحب كتاب « قوت القلوب » ؛ كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، ويتكلم في الجامع ، وله مصنفات في التوحيد ، ولم يكن من أهل مكة ، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها ، وكان يستعمل الرياضة كثيراً حتى قيل إنه هجر الطعام زماناً واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلدته من كثرة تناولها .

ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم ، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن ابن سالم فانتمى إلى مقالته ، وقدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه فتركوه وهجروه . وقال محمد بن طاهر المقدسي في كتاب « الأنساب » : إن أبا طالب المكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ خلط في كلامه ، وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضر من الخالق ، فبدّعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام بعد ذلك ؛ وله كتب في التوحيد . وتوفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة المالكية ، وقبره بالجانب الشرقي ، وهو مشهور هناك بزار ، رحمه الله تعالى .

والحارثي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى عدة قبائل منها الحارث ومنها الحارثة^٢ ولا أدري إلى أيها ينسب

٦٣٠ - ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ٨٩ ، والوفائي ٤ : ١١٦ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٥٥ ، وعبر الذهبي

٣ : ٣٣ ، والشذرات ٣ : ١٢٠ ، ولسان الميزان ٥ : ٣٠ .

١ ت م لي من بر : وتوفي في جمادى الآخرة ؛ ل : في شهر جمادى الآخرة ؛ ن : في سادس جمادى الآخرة .

٢ ت س : حارثة .

أبو طالب المذكور من هذه القبائل .
والمكي : نسبة إلى مكة ، حرسها الله تعالى .

٦٣١

ابن سمعون الواعظ

أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل الواعظ البغدادي ،
المعروف بابن سمعون ؛ كان وحيد دهره في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ
وحلاوة الإشارة ولطف العبارة . أدرك جماعة من جلة المشايخ وروى عنهم :
منهم الشيخ أبو بكر الشبلي ، رحمه الله تعالى وأنظاره . ومن كلامه ما رواه
الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد^١ - المقدم ذكره - قال : سمعت ابن سمعون
يوماً ، وهو على الكرسي في مجلس وعظه يقول : سبحان من أنطق باللحم ،
وبصر بالشعم ، وأسمع بالعظم ، إشارة إلى اللسان والعين والأذن ، وهذه من
لطائف الإشارات . ومن كلامه أيضاً : رأيت المعاصي نذالة ، فتركها مروءة
فاستحالت ديانة ؛ وله كل معنى لطيف .

وكان لأهل العراق فيه اعتقاد كثير ، ولهم به غرام شديد ، وإياه عنى
الحريري صاحب المقامات في المقامة الحادية والعشرين وهي الرازية بقوله في
أوائها : « رأيت بها ذات بكرة ، زمرة أثر زمرة ، وهم منتشرون انتشار
الجراد ، ومُسْتَنْثُونَ استنآن الجياد ، ومتواصفون واعظاً يقصدونه ، ويُحِلُّون
ابن سمعون دونه » ولم يأت بعده في الوعظ مثله^٢ .

٦٣١ - ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٢٧٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٠٠ والمنتظم ٧ : ١٩٨ وصفة
الصفوة ٢ : ٢٦٦ والشريشي ١ : ٣٢٢ وطبقات الحنابلة ٢ : ١٥٥ والوافي ٢ : ٥١ وعبر
الذهبي ٢ : ٣٦ والشذرات ٣ : ١٢٤ .

١ انظر ج ١ : ٢٢٨ .

٢ ر بر من : ولم يأت بعده في الوعظ مثله ، وسقطت « بعده » من ر .

وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وقيل بل توفي يوم الجمعة
منتصف ذي القعدة من السنة المذكورة ببغداد ، ودفن في داره بدرج العتابين ،
ثم نقل يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ودفن بباب
حرب ، وقيل إن أكفانه لم تكن بليت بعد ، رحمه الله تعالى .
وسَمَعُون : بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو
وبعدها نون ، قيل إن جده إسماعيل غيّر اسمه فقيل سمعون .
وعنيس : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعدها سين
مهملة ، وهو في الأصل اسم الأسد وبه سمي الرجل وهو فَتَعَلُّ من العبوس ،
والنون زائدة .

٦٣٢

الشيخ أبو عبد الله القرشي

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي العبد الزاهد الصالح
من أهل الجزيرة الخضراء^٢ ؛ كانت له كرامات ظاهرة ، ورأيت أهل مصر
يحكون عنه أشياء خارقة ، ورأيت جماعة ممن صحبه ، وكل منهم قد نما عليه
من بركه ، وذكروا عنه أنه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات
والمناصب العلية ، وأنها صحت كلها ، وكان من السادات الأكابر ، والطراز الأول ،
وهو مغربي ، وصحب بالمغرب أعلام الزهاد وانتفع بهم ، فلما وصل إلى مصر
انتفع به من صحبه أو شاهده . ثم سافر إلى الشام قاصداً زيارة البيت المقدس
فأقام به إلى أن مات في السادس من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ،

٦٣٢ - ترجمته في الوافي ٢ : ٧٨ وعبر الذهبي ٤ : ٣٠٩ والشذرات ٤ : ٣٤٢ ولم يرد في المختار

من هذه الترجمة لإقوله « سيروا إلى الله تعالى . . . الخ » .

١ ل لي : الزاهد العابد ؛ وسقطت لفظة « العبد » من ن ، ووقعت « الزاهد » قبلها في س .

٢ من أهل . . . الخضراء : سقطت من ت بر من .

وصلي عليه بالمسجد الأقصى ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، رحمه الله تعالى .
وقبره ظاهر يقصد للزيارة والتبرك به ٢ .

والجزيرة الخضراء في بر الأندلس : مدينة قبالة سبتة من بر العدو .
ومن جملة وصاياه لأصحابه : سيروا إلى الله تعالى عرجاً ومكاسير فإن انتظار
الصحة بطالة .

٦٣٣

ابن الأعرابي

أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة ؛
وهو من موالي بني هاشم ، فإنه مولى ٣ العباس بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، وكان أبوه زياد عبداً سندياً ، وقيل
إنه من موالي بني شيان ، وقيل غير ذلك ، والأول أصح ، وكان أحول ،
راوية لأشعار القبائل ناسباً ، وكان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ،
يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، وهو ربيب المفضل بن
محمد الضبي صاحب « المفضليات » كانت أمه تحتة . وأخذ الأدب عن أبي معاوية
الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
الذي ولاه المهدي القضاء ، والكسائي ، وأخذ عنه إبراهيم الحربي وأبو العباس

١ ن : وستين .

٢ نهاية الترجمة في س ل ي .

٦٣٣ - ترجمته في نور القبس : ٣٠٢ وإنباه الرواة ٣ : ١٢٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى ؛
وقد جاءت الترجمة موجزة في ت .

٣ ن : فإنه من موالي العباس .

ثعلب وابن السكيت وغيرهم . وناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من
نقطة اللغة ، وكان رأساً في كلام العرب ، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي
لا يحسنان شيئاً ، وكان يقول : جائزٌ في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد
والظاء ، فلا يخطيء من يجعل هذه في موضع هذه ، وينشد :

إلى الله أشكو من خليلٍ أودّه ثلاثَ خِلالٍ كلها لي غائضُ

بالضاد ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب .

وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم ؛ قال أبو العباس
ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي ، وكان يحضره زهاء مائة إنسان ، وكان
يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت
بيده كتاباً قط ، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، ولم ير أحد في
علم الشعر أغزر منه^١ . ورأى في مجلسه يوماً رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما :
من أين أنت ؟ فقال : من إسبيجاب ، وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال :
من الأندلس ، فمجب من ذلك وأنشد :

رفيقان شتى ألفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشَّتَى فيأتلِفانِ

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات وهي :

نزلنا على قيسيّةٍ يمينيّةٍ لها نَسَبٌ في الصالحين هجان
فقال وأرخت جانب الستر بيننا لأية أرضٍ أم من الرجال
فقلت لها : أما رفيقي فقومه تميمٌ ، وأما أسرتي فيماني
رفيقان شتى ألفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشَّتَى فيأتلِفانِ

ومن أماليه ما رواه أبو العباس ثعلب قال : أنشدنا ابن الأعرابي محمد بن
زياد المذكور :

١ وكان يسأل . . . أغزر منه : تأخر هذا النص في ر والمختار إلى ما بعد الأبيات النونية .

سقى الله حياً دون بطنان دارهم ، وبورك في مُردٍ هناك وشيب
وإني وإياهم على بُعدِ دارهم كخمرِ بءاء في الزجاج مشوب

ومن تصانيفه كتاب « النوادر » وهو كبير ، وكتاب « الأنواء » وكتاب
« صفة النخل » وكتاب « صفة الزرع » وكتاب « النبات » وكتاب « الحيل »
وكتاب « تاريخ القبائل » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « تفسير الأمثال »
وكتاب « الألفاظ » وكتاب « نسب الحيل » وكتاب « نوادر الزبيريين » وكتاب
« نوادر بني فقمس » وكتاب « الذباب » وغير ذلك ، وأخباره ونوادره وأماله
كثيرة .

وقال ثعلب : سمعت ابن الأعرابي يقول : ولدت في الليلة التي مات فيها
الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ، وذلك في رجب سنة خمسين ومائة على الصحيح .
وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان [وقال الطبري في تاريخه : توفي يوم
الأربعاء ثالث عشر الشهر المذكور] سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى ،
وقبل سنة ثلاثين ومائتين ، والأول أصح ، وصلى عليه القاضي أحمد بن أبي دواد
الإيادي - المقدم ذكره .

والأعرابي : بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الراء وبعد الألف باء
موحدة ، هذه النسبة إلى الأعراب ، قال أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني
المعروف بالعزيزي في كتابه الذي فسر فيه غريب القرآن الكريم : يقال رجل
أعجم وأعجمي أيضاً إذا كان في لسانه عجمة ، وإن كان من العرب ، ورجل
عجمي منسوب إلى المعجم وإن كان فصيحاً ، ورجل أعرابي إذا كان
بدوياً وإن لم يكن من العرب ، ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم
يكن بدوياً .

وإسبيجاب : بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الجيم وبعد الألف باء موحدة ، وهي مدينة
من أقصى بلاد الشرق ، وأظنها من إقليم الصين أو قريبة منه .

١ لم يرد إلا في ر .

وَبُطْنَان : بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وبين التونين ألف ، وهو جمع بطن ، وهو الغامض من الأرض^١ .

٦٣٤

الكلبي

أبو النضر محمد بن السائب بن بشر ، وقيل مبشر ، بن عمرو الكلبي [وقال محمد بن سعد : هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدون ابن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، ثم كشفت كتاب « النسب » لهشام بن الكلبي فساق نسبهم على هذه الصورة إلا أنه أسقط منه عبد الحارث فقط ، والباقي صحيح]^٢ الكوفي ، صاحب التفسير وعلم النسب ؛ كان إماماً في هذين العلمين . حكى ولده هشام عنه قال : دخلت على ضرار بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي بالكوفة ، وإذا عنده رجل كأنه جرد يتمرغ في الحر^٣ ، وهو الفرزدق الشاعر ، فغمزني ضرار وقال : سكته ممن أنت ، فسألته فقال : إن كنت نساباً فانسبني ، فإني من بني تميم ، فابتدأت أنسب تيمماً حتى بلغت إلى غالب ، وهو والد الفرزدق ، فقلت : وولد غالب

١ بطنان : اسم واد بين منبج وحلب ، ويضاف إلى مواضع فيقال : بطنان حبيب ، وبطنان قنسرين (ياقوت) .

٢٣٤ - ترجمته في الفهرست : ٩٥ والمعارف : ٥٣٥ والوافي ٣ : ٨٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٥٦ وعبر الذهبي ١ : ٢٠٦ وتهذيب التهذيب ٩ : ١٧٨ والشذرات ١ : ٢١٧ وبروكلمان ٣ : ٣٠ (الترجمة العربية) ؛ وتشارك نسخة قاضي زاده محمد ورمزها (ق) مع النسخ الأخرى ابتداء من هذه الترجمة .

٢ ما بين معقنين انفردت به ر .

٣ لي ن ق : الخز .

هَمَامًا - وهو اسم الفرزدق ، كما سيأتي في ترجمته في حرف الهاء إن شاء الله تعالى - فاستوى الفرزدق جالساً وقال : والله ما سماني به أبوي ولا ساعة من النهار ، فقلت : والله إني لأعرف اليوم الذي سماك فيه أبوك الفرزدق ، فقال : وأي يوم ؟ فقلت : بعثك في حاجة فخرجت تمشي وعليك مُسْتَقَّة^١ ، فقال : والله لكأنك فرزدق ، دهقان قرية قد سماها بالجبل ، فقال : صدقت والله ، ثم قال : أتروي شيئاً من شعري ؟ فقلت : لا ، ولكن أروي لجريز مائة قصيدة ، فقال : تروي^٢ لابن المراغة ولا تروي لي ؟ والله لأهجون كلباً سنة أو تروي لي كما رويت لجريز ، فجعلت أختلف إليه أقرأ عليه النقائض خوفاً منه ، وما لي في شيء منها حاجة .

قلت : المُسْتَقَّة ، بضم الميم وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وهي الفروة الطويلة الكم ، والجمع مساتق^٣ وفيها لغة أخرى بفتح التاء ، وروي عن عمر رضي الله عنه ، أنه كان يصلي وعليه مستقة [من سندس] ، وروي عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستقة من سندس فلبسها فكأنني أنظر إلى يديه قد بدتاً ، ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشي ، وقال النضر بن شميل : المستقة : الجبة الوسعة .

وكان الكلبي^٥ المذكور من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي يقول إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا . وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق ، وكانا يقولان : حدثنا أبو النضر حتى لا يعرف ؛ وشهد الكلبي المذكور دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ،

١ ق : مشقة ؛ وزاد في هذا الموضع تعريف اللفظة .

٢ ق : قال فتروي .

٣ قلت : المستقة . . . مساتق : وردت هذه العبارة في النسخ (ما عدا ر) في آخر الترجمة ، وسقط

من تلك النسخ سائر ما ورد بعد ذلك متصلاً بالتعليق على لفظة المستقة .

٤ زيادة من ر .

٥ ر : ابن الكلبي .

وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفين مع علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وقتل السائب مع مصعب بن الزبير^١ ، وفيه
يقول ابن ورقاء النخعي :

فمن مبلغ عني عبيداً بأنني علوتُ أخاهُ بالحسامِ المهندِ
فإن كنتَ تبغي العلمُ عنهُ فإنه مقيمٌ لدى الديرين غيرِ مؤسَدِ
وعداً علوتُ الرأسُ منه بصارمِ فأثكلتهُ سفيانُ بعد محمد

سفيان ومحمد ابنا السائب .

وذكر هشام بن الكلبي المذكور في كتاب « جمهرة النسب » أن جدهم عبد
العزى كان جميلاً شريفاً ، وقد وفد على بعض بني جَفْنَةَ بأفراس فقبلها وأعجبه
حديثه ، وكان يسامره ، فقتلت بنو كنانة ابناً له ، فقال لعبد العزى : اثنتي بهم
فقال : إنهم قوم أحرار ليس لي عليهم فضل ، وكتب إلى قومه ينذرهم ، فقال
في شعر له طويل :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سننارٍ وما كان ذا ذنبٍ

وسنار هو الذي بنى الخَوَرَنَقَ على باب الحيرة للنعمان الأكبر ابن امرئ
القيس ملك الحيرة فألقاه من أعلاه فقتله ، وقصته طويلة مشهورة فلا حاجة
إلى ذكرها .

وتوفي محمد الكلبي المذكور سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .
— وسيأتي ذكر ولده أبي المنذر هشام النسابة في حرف الهاء ، إن شاء الله تعالى .—
والكلبي : بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى
كلب بن وبرة ، وهي قبيلة كبيرة من قضاة ، يُنسب إليها خلق كثير .
والمُسْتَقَّةُ : لفظة فارسية معربة^٢ .

١ سقط ما بعد هذا من ق ما عدا ضبط « الكلبي » .

٢ وردت هذه العبارة في ر وحدها في هذا الموضع ومن حقها أن تجيء في تعريف « المستقة » فيما تقدم .

قطرب

أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زياد، المعروف بقطرب؛ أخذ الأدب عن سيويه وعن جماعة من العلماء البصريين، وكان حريصاً على الاشتغال والتعلم، وكان يبكر إلى سيويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل، فبقي عليه هذا اللقب، وقطرب: اسم دويبة لا تزال تدب ولا تقتر، وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها باء موحدة.

وكان من أئمة عصره؛ وله من التصانيف كتاب «معاني القرآن» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «القوافي» وكتاب «النوادر» وكتاب «الأزمنة» وكتاب «الفرق» وكتاب «الأصوات» وكتاب «الصفات» وكتاب «العلل» في النحو وكتاب «الأضداد» وكتاب «خلق الفرس» وكتاب «خلق الإنسان» وكتاب «غريب الحديث» وكتاب «الهمز»^١ و«فعل وأفعل» و«الرد على الملحدين في تشابه القرآن» وغير ذلك.

وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وكتابه وإن كان صغيراً لكن له فضيلة السبق، وبه اقتدى أبو محمد عبد الله بن السيد البَطَلِيَّوْسِي - المقدم ذكره -^٢ وكتابه كبير، ورأيت مثلثاً آخر لشخص آخر تبريزي، وليس هو الخطيب أبو^٣ زكريا التبريزي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بل غيره، ولا أستحضر

٦٣٥ - ترجمته في نور القبس: ١٧٤ وإنباه الرواة ٣: ٢١٩ وفي الحاشية ثبت بأهم المصادر؛

وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في المختار.

١ ن: الهمزة.

٢ ٣: ٩٦.

٣ كذا في جميع النسخ؛ وفي ق بر: وما هو الخطيب أبو زكريا، وهو صواب.

الآن اسمه ، وهو كبير أيضاً وما أقصر فيه ، وما نهج لهم الطريق إلا قطرب المذكور . وكان قطرب معلم أولاد أبي دُلْف العجلي - المقدم ذكره^١ - وروى له ابن المنجم في كتاب « البارع » بيتين وهما :

إن كنت لستَ معي فالذكر منك معي يراك قلبي وإن غيبت^٢ عن بصري
والعين^٣ تبصرُ من تهوى وتفقدُهُ وباطنُ القلب لا يخلُو من النَّظَرِ

هذان البيتان مشهوران ولا أعلم أنها له إلا من هذا الكتاب .
وتوفي سنة ست ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ ويقال إن اسمه محمد ، وقيل الحسن بن محمد ، والأول أصح ، والله أعلم بالصواب .
والمُسْتَنير : بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء .

٦٣٦

المبرد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان^٤ بن سعد ابن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله^٥ بن بلال بن

١ انظر ما تقدم : ٧٣ وعند هذا الحد تنتهي الترجمة في ق مع إضافة ذكر الوفاة والترجيح في الاسم .

٢ س ل بر من : إذا غيبت .

٣ لي : فالعين .

٦٣٦ - ترجمته في نور القبس : ٣٢٤ وعبر الذهبي ٢ : ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ٢٤١ وفي حاشية

الإنباه سرد لمصادر أخرى ؛ وقد ورد نسبه موجزاً في س ن ل ي ق .

٤ الجمهرة : سليم ؛ وعند المرزباني « سليمان » .

٥ عامر بن عبد الله : تكررت في ر .

عوف بن أسلم ، وهو ثُمالة ، بن أحجن^١ بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث ، وقال ابن الكلبي : عوف بن أسلم هو ثُمالة ، والأسد هو الأزدي ، السُمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي ؛ نزل بغداد ، وكان إماماً في النحو واللغة ، وله التواليف النافعة في الأدب : منها كتاب « الكامل » وكتاب « الروضة » و « المقتضب » وغير ذلك . أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني - وقد تقدم ذكرهما - وأخذ عنه نفظويه - وقد تقدم ذكره^٢ - وغيره من الأئمة .

وكان المبرد المذكور وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب « الفصيح » عالمن متعاصرين^٣ قد ختم بهما تاريخ الأدباء ، وفيها يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات ، وهو أبو بكر ابن أبي الأزهر^٤ :

أيا طالبَ العلم لا تَجْهَلَنَّ وعُذُّ المبرِّدِ أو ثعلبِ
تجدُّ عند هذين علمَ الوري فلا تكُ كالجملِ الأجرَبِ
علومُ الخلائقِ مقرونةٌ بهذين في الشرقِ والمغربِ

وكان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب والاستكثار منه ، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه ، وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلبي وكان صديقها ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب : لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر ، فمما أملاه أن المنصور أبا جعفر

١ ل ي ن س : أحجر ؛ وما هنا موافق لما في الجمهرة ونور القيس وغيرهما .

٢ انظر ج ١ : ٢٨٣ و ٢ : ٤٣٠ و ١ : ٤٧ على التوالي .

٣ في نور القيس : وكان ثعلب والمبرد علمين ختم تاريخ الأدباء بهما .

٤ نسبت هذه الأبيات في نور القيس لعبد الله بن الحسين بن سعد القطريلي صاحب التاريخ ؛ ولم يرد في ق اسم الشاعر .

ولى رجلاً على الإجراء على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج
لهن ، فدخل على هذا المتولي بعض المتخلفين ومعه ولده ، فقال له : إن رأيت
أصلحك الله أن تثبت اسمي مع القواعد ، فقال له المتولي : القواعد نساء فكيف
أثبتك فيهن ؟ فقال : ففي العميان ؟ فقال : أما هذا فنعم ، فإن الله تعالى
يقول ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (الحج :
٤٦) فقال : وتثبت ولدي في الأيتام ، فقال : وهذا أفعله أيضاً ، فإنه من
تكن أنت أباه فهو يتيماً ، فانصرف عنه وقد أثبتته في العميان وولده في الأيتام .
وطلب بعض الأكابر من المبرد معلماً لولده ، فبعث شخصاً وكتب معه :
قد بعثت به وأنا أتمثل فيه :

إذا زرتُ الملوكَ فإن حسي شفيحاً عندهم أن يخبروني

ومعنى هذا البيت مأخوذ من كلام أحمد بن يوسف كاتب المأمون وقد أهدى
إليه ثوب وشي في يوم نيروز : قد أهديت إلى أمير المؤمنين ثوب وشي يصف
نفسه ، والسلام .

[وحكى عنه أبو بكر ابن أبي الأزهر بشيء طريف في هذا قال : حدثني
محمد بن يزيد قال : قال لي المازني يا أبا العباس بلغني أنك تنصرف من مجلسنا
فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معنالك في ذلك ؟ قال : فقلت له : ان لهم
أعزك الله طرائف من الكلام وعجائب من الأقسام ، فقال : حدثني بأعجب ما
رأيتهم منهم ، فقلت : دخلت يوماً إلى مستقرهم مع ابن أبي خميسة ، وكان المتقلد
عليهم النفقة والمتقلد أحوالهم ، فرأيت مراتبهم على مقدار بليتهم ، فمررت على
شيخ منهم تلوح صلته وتبرق بالدهن جبهته ، وهو جالس على حصير نظيف
ووجهه إلى القبلة كأنه يريد الصلاة ، فجاوزته إلى غيره ، فناداني : سبحان الله ،
أين السلام ؟ من أولى به أنا أو أنت ؟ فاستحسننت منه وقلت : السلام عليكم ،
فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد عليك ، على أننا نصرّف سوء

١ وطلب بعض . . . السلام : سقط من النسخ ما عدا ر والمختار .

أدبك لأحسن جهاته من العذر ، لأنه كان يقال إن للقادِم دهشة ، اجلس أعزك الله عندنا ، وأوماً إلى موضع من حصيره ينفذه كأنه يوسعه لي ، فعزمت على الدنو ، فناداني ابن أبي خميسة : إياك إياك ، فأحجمت عن ذلك ووقفت ناحية أستجلب مخاطبته وأرصد الفائدة منه ؛ ثم قال لي وقد رأى معي محبرة : يا هذا أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما : أتجالس أصحاب الحديث الأغثاء أم الأدباء من أصحاب النحو والشعر ؟ قلت : الأدباء ، قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم أعرفه معرفة تامة ، قال : أفتعرف الذي يقول فيه :

وفتّى من مازنٍ ساد أهلَ البصره
أمُّهُ معروفَةٌ وأبوهُ نكِرَهُ

قلت : لا أعرفه ؛ قال : أفتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر ، معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو وجلس مجلس صاحبه وشاركه فيه يعرف بالبرد ؟ فقلت : أنا والله عين الحبير به ، قال : فهل أنشدك شيئاً من غثيئات أشعاره ؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر ، قال : يا سبحان الله ، أليس الذي يقول :

حبذا ماء العنابقِ بِدِ بريقِ الغانياتِ
بها ينبتُ لمحي ودمي أيّ نبات
أيها الطالبُ أشهى من لذيذِ الشهوات
كلُّ بقاءِ المزنِ تفاعِ حَ حدودِ الناعماتِ

قلت : قد سمعته ينشدها في مجلس الأَنس ، قال : يا سبحان الله أو يستحب أن ينشد مثل هذا حول الكعبة ؟ ما تسمع الناس يقولون في نسبه ؟ قلت : يقولون إنه من الأزدي ، أزد شنوءة ، ثم من ثمالة ، قال : قاتله الله ما أبعد غوره ! أتعرف قوله :

سألنا عن ثمالة كلِّ حيّ فقال القائلون ومن ثمالة
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

فقال لي المبرد جلّ قومي فقومي معشرٌ فيهم نذاله

فقلت : أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذل يقولها فيه ؛ قال : كذب من ادعاهما غيره ، هذا كلام رجل لا نسب له يريد أن يثبت بهذا الشعر نسباً له . قلت : أنت أعلم ، قال : يا هذا قد غلبت بخفة روحك على قلبي وتمكنت من إنصاتك من استحساني ، وقد أخرت ما كان يجب أن أقدمه ، الكنية أصلحك الله ، فقلت : أبو العباس ، قال : فالاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ؟ قلت : يزيد ، قال : قبّحك الله ، أحوجتني إلى الاعتذار إليك مما قدمت ذكره ؛ ثم وثب باسطاً كفه لمصافحتي ، فرأيت القيد في رجله قد شدّ إلى خشبة في الأرض ، فأمنت عند ذلك غائلته ، فقال لي : يا أبا العباس ، صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتبها لك في كلّ وقت أن تصادف مثلي على مثل هذه الحال الجميلة ، أنت المبرد أنت المبرد أنت المبرد ، وجعل يصفق وقد انقلبت عينه وتغيرت حليته ، فبادرت مسرعاً خوفاً من أن يبدر لي منه شيء [أو] بادرة ، وقبلت والله قوله فلم أعاود الدخول إلى محبس ولا غيره .

وقال أبو العباس المبرد : ما تنادر أحدٌ [عليّ] ما تنادر به سذاب الوراق ، فإني اجتزت يوماً به وهو قاعد بباب داره ، فقال لي : إلى أين ؟ ولاطفتني وعرض عليّ القرى ، فقلت له : ما عندك ؟ فقال : عندي أنت وعليه أنا ، يشير إلى اللحم المبرّد بالسذاب .

وذكر أن رجلاً عاد المبرد بالبصرة مع جماعة ، ففنت جارية من وراء ستارة :

وقالوا لها هذا حبيبك معرضٌ فقالت ألا إعراضه أيسر الخطب

فما هي إلا نظرة بتبسمٍ فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فطرب كلّ من حضر إلا المبرد ، فقال له صاحب المجلس : كنت أحق بالطرب ، فقالت الجارية : دعه يا مولاي ، فإنه سمعني أقول هذا حبيبك معرضٌ فظنني لحنت ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ ﴿ وهذا بعلي شيخ ﴾ (هود : ٧٢) قال : فطرب المبرد من قولها إلى أن شق ثوبه [١] .

١ ما بين معقنين زيادة من ق .

وكنت رأيت المبرد المذكور في المنام وجرى لي معه قصة عجيبة فأحببت ذكرها، وذلك أنني كنت بالإسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستائة وأقمت بها خمسة أشهر، وكان عندي كتاب «الكامل» للمبرد، وكتاب «العقد» لابن عبد ربه، وأنا أطلع فيها، فرأيت في «العقد» في فصل ترجمه بقوله «ما غلط فيه على الشعراء»^١ وذكر أبياتاً نسبوا أصحابها فيها إلى الغلط وهي صحيحة، وإنما وقع الغلط ممن استدرك عليهم لعدم اطلاعهم على حقيقة الأمر فيها، ومن جملة من ذكر المبرد فقال: ومثله قول محمد بن يزيد النحوي في كتاب «الروضة» وردّ على الحسن بن هانئ - يعني أبا نواس - في قوله:

وما لبكر بن وائل عصمٌ إلا بحمقائها وكاذبها

فزعم أنه أراد بحمقائها هَبْنَقَةَ القيسي، ولا يقال في الرجل حمقاء، وإنما أراد دُغَةَ العجلية، وعجل في بكر، وبها يضرب المثل في الحق، هذا كله كلام صاحب «العقد» وغرضه أن المبرد نسب أبا نواس إلى الغلط بكونه قال بـ «حمقائها» واعتقد أنه أراد هَبْنَقَةَ، وهبنقة رجل، والرجل لا يقال له حمقاء، بل يقال له أحق، وأبو نواس إنما أراد دُغَةَ وهي امرأة، فالغلط حينئذ من المبرد، لا من أبي نواس. فلما كان بعد ليال قلائل من وقوفي على هذه الفائدة رأيت في المنام كأنني بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد، وفيها كان اشتغالي بالعلم، وكأنا قد صلينا الظهر في الموضع الذي جرت العادة بالصلاة فيه جماعة، فلما فرغنا من الصلاة قمت لأخرج، فرأيت في أخريات الموضع شخصاً واقفاً يصلي، فقال لي بعض الحاضرين: هذا أبو العباس المبرد، فجئت إليه وقعدت إلى جانبه أنتظر فراغه، فلما فرغ سلمت عليه وقلت له: أنا في هذا الزمان أطلع في كتابك «الكامل» فقال لي: رأيت كتابي «الروضة»؟ فقلت: لا، وما كنت رأيت قبل ذلك، فقال: قم حتى أريك إياد، فقامت معه وصعد بي إلى بيته^٢، فدخلنا فيه ورأيت فيه كتباً

١ العقد ٥ : ٣٩٠ .

٢ ق : وصعدت إلى بيته .

كثيرة ، فقعده قدامها يفتش عليه وقعدت أنا ناحية عنه ، فأخرج منه مجلداً ودفعه إلى ففتحته وتركته في حجري ثم قلت له : قد أخذنا عليك فيه ، فقال : أي شيء أخذوا ؟ فقلت : أنك نسبت أبانا نواس إلى الغلط في البيت الفلاني ، وأنشدته إياه فقال : نعم ، غلط في هذا ، فقلت له : إنه لم يغلط ، بل هو على الصواب ، ونسبوك أنت إلى الغلط في تغليطه ، فقال : وكيف هذا ؟ فعرفته ما قاله صاحب « العقد » فعض على رأس سبابته ، وبقي ساهياً ينظر إليّ وهو في صورة خجلان ولم ينطق ، ثم استيقظت من منامي وهو على تلك الحال ، ولم أذكر هذا المنام إلا لغرابته .

وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وقيل ذي القعدة ، سنة ست وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد ، ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشترت له ، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ، رحمه الله تعالى . ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف - المقدم ذكره - أبياتاً سائرة ، وكان ابن الجواليقي كثيراً ما ينشدها ، وهي :

ذَهَبَ المبردُ وانقضتْ أيامُهُ وليَذْهَبَنَّ إثرَ المبردِ ثعلبُ
بيتُ من الآدابِ أصبحَ نصفه خرباً وباقى بيتها فسيخرب
فابكوا لما سلبَ الزمانُ ووطنوا للدهرِ أنفسمُ على ما يسلب
وتزوّدوا من ثعلبٍ ، فبكأسِ ما شربَ المبردُ عن قريبٍ يشرب
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسهُ إن كانتِ الأنفاسُ مما يكتب

وقريب من هذه الأبيات ما أنشده أبو عبد الله الحسين بن علي اللغوي البصري

١ ترجمة أبي بكر العلاف في المجلد ٢ : ١٠٧ ولكن المرزباني أورد الأبيات في نور القبس : ٣٣٣ ونسبها لمحمد بن علي بن يسار العلاف (اقرأ : العلاف) الضرير .

٢ نور القبس : نصفه .

النمري^١ لما مات أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي ، وكان بينها تنافس وهي :

مضى الأزدي^٢ والنمري^٣ يمضي وبعض الكل^٤ مقرون^٥ ببعض
أخي والمجنتي ثمرات ودي وإن لم يجزني قرصي وقرصي
وكانت بيننا أبدأ هنات^٦ توفر^٧ عرضه^٨ منها وعرضي
وما هانت رجال^٩ الأزدي^{١٠} عندي وإن لم تدن^{١١} أرضهم^{١٢} بأرضي^{١٣}

والثالثي : بضم الثاء المثناة وفتح الميم وبعد الألف لام ، هذه النسبة إلى ثمالة ،
واسمه عوف بن أسلم ، وهو بطن من الأزدي ، قال المبرد في كتاب « الاشتقاق » :
إنما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حرباً فني فيها أكثرهم ، فقال الناس : ما بقي منهم
إلا ثمالة ، والتمالة : البقية اليسيرة . وفي المبرد يقول بعض شعراء عصره وهجا
قبيلته بسببه ، وذكر أبو علي القالي في كتاب « الأمالي » أنها لعبد الصمد
ابن المعدل^{١٤} :

سألنا عن ثمالة كل^{١٥} حي^{١٦} فقال القائلون : ومن^{١٧} ثمالة؟

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

فقال لي المبرد خل^{١٨} عني فقومي معشر^{١٩} فيهم نذاله

ويقال : إن هذه الأبيات للمبرد ، وكان يشتهي أن يشتهر بهذه القبيلة ،
فصنع هذه الأبيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار .
وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

يا من تلبس^{٢٠} أثواباً يتيه^{٢١} بها تيه^{٢٢} الملوك^{٢٣} على بعض المساكين^{٢٤}

١ ذكره صاحب الفهرست : ٨٠ وترجم له صاحب نزهة الألباء : ٢٢٤ وقال إن أبا عبد الله الحسين
ابن علي البصري أخذ عنه وأنه صنف كتاباً في أسماء الذهب والفضة وكتاباً في مشكلات الحماسة
وأورد الأبيات في رثائه للأزدي ؛ وفي ق : أبو عبد الله محمد النمري .

٢ ق : وأرضي .

٣ الأمالي ١ : ١١٢ ؛ وفي ل س لي بر من : ابن المعدل (بالدال المهملة) وقال القاضي عياض
(المدارك ١ : ٤٧) كثير من يقوله بدال مهملة وصوابه بمعجمة .

ما غيرَ الجُلِّ أخلاقَ الحميرِ ولا نقشُ البراذعِ أخلاقَ البراذينِ^١

والمُبرِّدُ : بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة ، وهو لقب عُرف به ، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك ، فالذي ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » أنه قال : سئل المبرد : لم لقبت بهذا اللقب ؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة ، فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني^٢ ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزملة فارغاً ، فدخلت فيه وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفتن لغلاف المزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة : المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به . وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك .

وهَبَنْقَةٌ : بفتح الهاء والباء الموحدة والنون المشددة والقاف وبعدها هاء ساكنة ، وهو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي ، وقيل كنيته أبو نافع ، وبه يضرب المثل في الحق فيقال « أحق من هبنقة القيسي »^٣ لأنه كان قد شَرَدَ له بعير فقال : من جاء به فله بعيران ، فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان ، فنسب إلى الحق لهذا السبب ، وسارت به الأشعار ، فمن ذلك قول أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - في شبية بن الوليد العبسي عم دقاقة^٤ ، من جملة أبيات :

١ وكان كثيراً . . . البراذين : سقط من س ن ل ي ت ق بر من ؛ وسقط من ق قبله الأبيات في ثمالة لأنها وردت في النص الذي انفردت به ق قبلا .

٢ ق ر بر من والمختار : فطلبني .

٣ جمع الأمثال ١ : ١٤٦ وأورد أبيات اليزيدي (ص : ١٤٧) وكذلك في الأغاني ٢٠ : ١٩١ وفصل المقال : ٢٣٠ وحماسة البحرني : ١٥٨ ؛ وقد سقط ضبط « هبنقة » من ق .

٤ لي : دقاقة ؛ بر من : دقاقة ، وفي الأغاني : ذفاقة .

عِشْ بِجِدِّ وَلَا يَضْرُكَ نَوَكُ إِذَا عِشُّ مِنْ تَرَى بِالْجُدُودِ ٢
 رَبُّ ذِي إِرْبَةِ مَقِلٌ مِنَ الْمَا لِ وَذِي عُنْجِيَةِ مَجْدُودِ
 عِشْ بِجِدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيْدِ سَيِّءٌ أَوْ مِثْلَ شَيْبَةَ بْنِ الْوَلِيدِ

وسبب نظم اليزيدي هذه الأبيات أنه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي ، وكان شيبه بن الوليد حاضراً فتعصب للكسائي وتحامل على اليزيدي ، فهجاه في عدة مقاطيع هذا المقطوع من جملتها .

ودُعَّة : بضم الدال المهملة^٣ وفتح الغين المعجمة وبعدها هاء ساكنة ، واسمها مارية بنت مغنح ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وفتح النون وبعدها جيم ، وقيل مغنح بكسر الميم وسكون العين المهملة وباقيه مثل الأول ، وهو لقب ، واسمه ربيعة بن سعد بن عجل بن لجم - وهي التي يضرب بها المثل في الحق ، فيقال « أحق من دُعَّة »^٤ . وذكر ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » غير هذا ، فقال في نسب بني العنبر : فولد جندب بن العنبر عدياً وكعباً وعويجاً أمهم مارية بنت ربيعة بن سعد بن عجل ، ويقال بل هي دُعَّة بنت مغنح بن إباد ، فجعل مارية غير دُعَّة ، والله أعلم . وإنما نسبت إلى الحق لأنها ولدت فصاح المولود ، فقالت لامرأة : أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت المرأة : نعم ويسب أباه ، فسارت مثلاً . والأصل في الجعر أنه رَوْتُ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ السَّبَاعِ ، وقد يستعمل في غيرها بطريق التجوز ، ودُعَّة لجهلها لما ولدت ظنت أنه قد خرج منها المعتاد ، فلما استهل المولود عجبت من ذلك وسألت عنه ، فهذا كان سبب نسبتها إلى الحق . وكانت متزوجة في بني العنبر بن عمرو بن تميم ، فبنو العنبر يدعون لذلك بني الجعراء ؛ وهذا كله وإن كان خارجاً عن المقصود ، لكنها فوائد غريبة فأحببت ذكرها^٥ .

١ ق : فلن .

٢ ق : بحدود .

٣ سقط ضبط دعة من ق .

٤ جمع الأمثال ١ : ١٤٧ .

٥ لي : أحببت .

٦ ق : أن أذكرها .

ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمّام بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك ابن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق ؛ قال المسعودي في كتاب « مروج الذهب » في حقه^٢ : « وكان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر^٣ ، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يُجزل وطوراً يرق ، وشعره أكثر من أن نحصيه أو نأتي على أكثره أو يأتي عليه كتابنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة^٤ التي يمدح بها الشاه ابن ميكال وولده^٥ ، وهما عبد الله بن محمد بن ميكال وولده أبو العباس إسماعيل بن عبد الله ، ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور ، وأولها^٦ :

٦٣٧ - ترجمته في نور القبس : ٣٤٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٨٧ والمحمدون : ٢٠١ وانباء الرواة

٣ : ٩٢ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

١ لي : صاحب كتاب .

٢ مروج الذهب : ٤ : ٣٢٠ .

٣ ق : في زمانه بالشعر .

٤ ر ق ير من والمختار : قصيدته المقصورة .

٥ ق : وولديه .

٦ ليس هذا أولها ، بل مطلعها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

إمّا تَرَيَ رأسي حاكى لونهُ طرّةَ صبحٍ تحتَ أذيالِ الدجى
واشتمل المبيضُ في مُسوّدَةٍ مثلَ اشتعالِ النارِ في جَزَلِ الفِضَى

ثم قال المسعودي : وقد عارضه في هذه القصيدة المعروفة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم علي^١ بن محمد بن أبي الفهم الأنطاكي التنوخي ، وعدد جمعا ممن عارضها .

قلت أنا: وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين، وشرحوها وتكلموا على ألفاظها ، ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي ، وكان متأخراً توفي في حدود سنة سبعين وخمسةائة، وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب « الجامع » في اللغة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وشرحها غيرها أيضاً^٢ .

ولابن دريد من التصانيف المشهورة كتاب « الجهرة » وهو من الكتب المعتبرة في اللغة ، وله كتاب « الاشتقاق » وكتاب « السرج واللجام » وكتاب « الخيل » الكبير ، وكتاب « الخيل » الصغير ، وكتاب « الأنواء » وكتاب « المقتبس » وكتاب « الملاحن » وكتاب « زوار العرب »^٣ وكتاب « اللغات » وكتاب « السلاح » وكتاب « غريب القرآن » لم يكمله ، وكتاب « المجتبى » وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، وكذلك « الوشاح » صغير مفيد^٤ .
وله نظم رائع جداً^٥ ، وكان من تقدم من العلماء يقول : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء [فمن أول شعر قاله قوله :

١ ق : القاسم بن علي .

٢ قد نشرت المقصورة بشرح التبريزي .

٣ كذا ورد في الأصول ؛ وفي الفهرست : رواة العرب ؛ ولعله « أذواء العرب » .

٤ س لي والفهرست : المجتبى ، واللفظة غير معجمة في ن ل ت وبعض اعجام في بر من . وقد طبع باسم « المجتبى » في حيدرآباد الدكن (١٣٦٢) .

٥ بعض أسماء كتبه سقطت في ق .

٦ ق : جيد .

ثوبُ الشبابِ عليّ اليومِ بهجته وسوف تَنْزَعُهُ عني يدُ الكبرِ
أنا ابنِ عشرينِ ما زادت ولا نقصت إن ابنِ عشرينِ من شيبِ عليّ خطرُ [١]
ومن مליحِ شعره قوله ٢ :

غراء لو جلتِ الحدودِ شعاعها للشَّمْسِ عندِ طلوعها لم تُشرقِ
غُصْنٌ على دِعْصٍ تَأوَّدَ فوقه قمرٌ تَأَلَّقَ تحتِ ليلٍ مطبقِ
لو قيلَ للحُسْنِ احتكم لم يَعْدُها أو قيلَ خاطِبٌ غَيْرَها لم ينطقِ
وكأننا من فرعها في مغربِ وكأننا من وجهها في مشرقِ
تبدو فيهِتْفُ للعيونِ ضياؤها الوَيْلُ حلٌّ بقلَّةٍ لم تُطبِقِ

ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من شعره ٣ .
وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ
بها وتعلم فيها ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله
المعروف بابن أخي الأصمعي وأبي عثمان سعيد بن هارون الأشناداني صاحب
كتاب « المعاني » وغيرهم ، ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج ،
وقتلهم الرياشي - كما سبق في ترجمته - وسكن عمان وأقام بها اثنتي عشرة
سنة ، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زماناً ، ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب
ابني ميكال ، وكانا يومئذ على عمالة فارس ، وعمل لهما كتاب « الجمهرة » وقلداه
ديوان فارس ، وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد
توقيعه ، فأفاد معها أموالاً عظيمة ، وكان مُفِيداً مُبِيداً لا يمكسك درهما سخاء
وكرماً ، ومدحها بقصيدته المقصورة فوصله بعشرة آلاف درهم ، ثم انتقل من
فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثلثمائة بعد عزل ابني ميكال وانتقالها إلى

١ زيادة من ق .

٢ ديوانه : ٨٦ .

٣ بعد هذه العبارة اختلف ترتيب النص في ق عما هو عليه في النسخ الأخرى .

٤ س : السونج .

٥ انظر ما تقدم ٣ : ٢٧ .

خراسان. ولما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد بن الحواري في جواره وأفضل عليه ، وعرف الإمام المقتدر خبره ومكانه من العلم ، فأمر أن يُجسرى عليه خمسون ديناراً في كل شهر ، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته .

وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه ، وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيُسابق إلى إتمامها من حفظه ، وسئل عنه الدارقطني : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه ، وقيل إنه كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر له . وقال أبو منصور الأزهري اللغوي^١ : دخلت عليه فرأيت سكران ، فلم أعد إليه . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه ونستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى . وذكر أن سائلاً سأله شيئاً فلم يكن عنده غير دنٍ من نبيذ فوهبه له ، فأنكر عليه أحد غلمانه ، وقال تتصدق بالنبيذ ؟ فقال : لم يكن عندي شيء سواه ، ثم أهدي له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ ، فقال لغلامه : أخرجنا دنأ فجاءنا عشرة ، وينسب إليه من هذه الأمور شيء كثير .

وعرض له في رأس التسعين من عمره فالج سقى له الترياق فبريء منه وصح ورجع إلى أفضل أحواله ، ولم ينكر من نفسه شيئاً ورجع إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله ، فكان يحرك يديه حركة ضعيفة ، وبطل من محزمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتأم لدخوله وإن لم يصل إليه ، قال تلميذه أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي المعروف بالبغدادي - المقدم ذكره^٢ - : فكنت أقول في نفسي : إن الله عز وجل عاقبه بقوله في قصيدته المقصورة - المقدم ذكرها - حين ذكر الدهر :

مارست من لوهوتِ الأفلاك من جوانبِ الجو عليه ما شكا

وكان يصيح لذلك صياح من يمشي عليه أو يسل^٣ بالمسال ، والداخل بعيد منه ، وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن كامل العقل ، يرد فيما يسأل عنه رداً

١ مقدمة التهذيب ١ : ٣١ ، وما هنا منقول عن القفطي وفيه إيجاز .

٢ انظر ١ : ٢٢٦ .

٣ ت ن : يشك .

صحيحاً ؛ قال أبو علي : وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذه الحال فيردّ بأسرع من النفس بالصواب . وقال لي مرة وقد سألته عن بيت شعر : لأن طفنت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم ، قال أبو علي : ثم قال لي : يا بني ، وكذلك قال لي أبو حاتم وقد سألته عن شيء ، ثم قال لي أبو حاتم : وكذلك قال لي الأصمعي وقد سألته . وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني أن قال لي : يا بني حال الجريضُ دون القريض ، فكان هذا الكلام آخر ما سمعته منه . وكان قبل ذلك كثيراً ما يتمثل :

فواحزني أن لا حياة لذيذة ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ

وقال المرزباني^١ ، قال لي ابن دريد : سقطت من منزلي بفارس ، فانكسرت ترقوتي ، فسهرت ليلتي ، فلما كان آخر الليل غمضت^٢ عيني فرأيت رجلاً طويلاً أصفر الوجه كَوَسَجًا^٣ دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال : أنشدني أحسن ما قلت في الحمر ، فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً ، فقال : أنا أشعر منه ، فقلت : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو ناجية من أهل الشام ، وأنشدني^٤ :

وحمرَاء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبَي نرجس وشقائق
حكّت وجنةَ المعشوق صِرْفاً فاسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقلت له : أسأت ، فقال : ولم ؟ قلت : لأنك قلت « وحمرء » فقدمت الحمرّة ثم قلت « بين ثوبي نرجس وشقائق » فقدمت الصفرة ، فهلا قدمتها على الأخرى ، فقال : ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض ؟

وجاء في رواية أخرى أن الشيخ أبا علي الفارسي النحوي قال : أنشدني ابن دريد هذين البيتين لنفسه ، وقال : جاءني إبليس في المنام وقال : أغرت على أبي

١ انظر نور القبس : ٣٤٣ .

٢ المرزباني والقفطي : حملتي ؛ بر : أغمضت .

٣ الكوسج : الذي ليس على عارضيه شعر .

٤ ديوانه : ٨٦ .

نواس ؟ فقلت : نعم ، فقال : أجدتَ إلا أنك أسأت في شيء ، ثم ذكر بقية الكلام إلى آخره ، والله أعلم^١ .

وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم . وتوفي في ذلك اليوم أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجُبَّائي المتكلم المعتزلي - المقدم ذكره^٢ - فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام . ويقال إنه عاش ثلاثاً وتسعين سنة لا غير ، ورثاه جحظة البرمكي - المقدم ذكره^٣ - بقوله :

فقدت بابتِ دريدٍ كلَّ فائدةٍ لما غدا ثالثَ الأحجارِ والشَّرَبِ
وكنت أبكي لفقدِ الجودِ منفرداً فصرتُ أبكي لفقدِ الجودِ والأدبِ

الترب : بفتح الراء ، جمع تربة .

ودريدٌ : بضم الدال المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو تصغير أدرد ، والأدرد : الذي ليس فيه سن ، وهو تصغير ترخيم ، وإنما سمي هذا التصغير ترخيماً لحذف حرف الهمزة من أوله كما تقول في تصغير أسود : سويد ، وتصغير أزهر : زهير .

وعتاهية : بفتح العين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدهم الألف هاء مكسورة وياء مفتوحة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

وحنم : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميم ، والأصل في الحنم الجرة المدهونة الخضراء ، وبها سمي الرجل .
وحمامي : بفتح الحاء المهملة والميم الخفيفة وبعدهم الألف ميم مكسورة ثم ياء ، قال الأمير أبو نصر ابن ماكولا : هو أول من أسلم من آبائه . وبقية النسب

١ وجاء في رواية . . . أعلم : سقط من س ن ل ي ت ق بر من .

٢ ترجمة الجبائي في ٣ : ١٨٣ .

٣ ترجمة جحظة في ١ : ١٣٣ .

٤ توجز ق في ضبط هذه الكلمات .

معروف . وحمامي من جملة السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقصة مشهورة . وقد تقدم الكلام على الأزدي .

وقوله « حال الجريض دون القريض »^٢ هذا مثل مشهور وأول من نطق به عبيد بن الأبرص أحد شعراء الجاهلية لما لقي النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة في يوم بؤسه وعزم على قتله ، وكان ذلك عادته ، فأحس به عبيد فاستنشه شيئاً من شعره ، فقال له : « حال الجريض دون القريض » فسارت مثلاً ، والجريض : بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ضاد معجمة ، هو الغصة ، والقريض : الشعر ، فكأنه قال : حالت الغصة دون إنشاد الشعر ، وهذه القصة مشهورة ، فاقترعت منها على ذكر خلاصتها .

(184) وعبيد : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو شاعر مشهور ، وكان في الولادة من أقران عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦٣٨

أبو عمر المطرز الزاهد

أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بالمطرز ، الباوردي^٣ الزاهد غلام ثعلب - المقدم ذكره^٤ - ؛ أحد أئمة اللغة المشاهير الكثيرين ،

١ ر ل ن : والقضية .

٢ انظر فصل المقال : ٣٥٠ والميداني ١ : ١٢٠ والمسكري ١ : ٢٣٩ والفاخر : ١٩٠ .

٣٣٨ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٧١ (وفي الحاشية مصادر أخرى) وانظر عبر الذهبي ٢ : ٢٦٨ وفي الترجمة متابعة كثيرة لما أورده القفطي ؛ وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في ق .

٣ الباوردي : سقطت من س ل ل ي ت ق بر من .

٤ ترجمة ثعلب في ١ : ١٠٢ .

صحب أبا العباس ثعلباً زماناً فعرف به ونسب إليه وأكثر من الأخذ عنه ، واستدرك على كتابه «الفصيح» جزءاً لطيفاً سماه «فائت الفصيح» وشرحه أيضاً في جزء آخر . وله كتاب «اليواقيت»^١ وكتاب «شرح الفصيح» لثعلب^٢ ، وكتاب «الجرجاني» وكتاب «الموضح» وكتاب «الساعات» وكتاب «يوم وليلة» وكتاب «المستحسن» وكتاب «العشرات» وكتاب «الشورى» وكتاب «البيوع» وكتاب «تفسير أسماء الشعراء» وكتاب «القبائل» وكتاب «المكنون والمكتوم» وكتاب «التفاحة» وكتاب «المداخل»^٣ وكتاب «على المداخل» وكتاب «النوادر» وكتاب «فائت العين» وكتاب «فائت الجهرة» وكتاب «ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه أو صنفه» . وكان ينقل غريب اللغة وحوشها ، وأكثر ما نقل أبو محمد ابن السيد البَطَلَيْنِيُّ في كتاب «المثلث» عنه ، وحكى عنه غرائب . وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهم .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين . وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ، وقيل أربع وأربعين وثلثمائة ، ودفن يوم الاثنين ببغداد في الصفة التي تقابل معروفاً الكرخي ، رضي الله عنه ، وبينها عرض الطريق ، رحمه الله تعالى .

وكان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه من اكتساب الرزق والتحصيل له ، فلم يزل مُضَيِّقاً عليه . وكان لسعة روايته وغازاة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر نقل اللغة ويقولون : لو طار طائر لقال أبو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، ويذكر في معنى ذلك شيئاً . فأما روايته الحديث فإن المحدثين يصدقونه ويوثقونه ؛ وكان أكثر ما يلميه من التصانيف يلقيه بلسانه من غير صحيفة يراجعها ، حتى قيل إنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة من اللغة ، فلهذا الإكثار نسب إلى الكذب . وكان يسأل عن شيء قد تواطأت الجماعة على وضعه ،

١ راجع ما أورده القفطي عن مراحل تأليفه لهذا الكتاب ؛ وقد سقط من ق ذكر أسماء الكتب بعد هذا الموضع .
٢ ر : وكتاب الفصيح ، وكذلك هو في أصل القفطي .

٣ نشره الميمني بمجلة المجمع الدمشقي ١٩٢٩ .

فيجيب عنه ، ثم يُترك سنة ويسأل عنه فيجيب بذلك الجواب بعينه . ومما جرى له في ذلك أن جماعة قصدوه للأخذ عنه ، فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك إكثاره ، وأنه منسوب إلى الكذب بسبب ذلك ، فقال أحدهم : أنا أصحّفُ له اسم هذه القنطرة وأسأله عنها ، فانظروا ماذا يجيب ، فلما دخلوا عليه قال له : أيها الشيخ ما القِبْطَرَة ؟ عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ، فتضاحكت الجماعة سرّاً ، وتركوه شهراً^٢ ، ثم قرروا مع شخص سأله عن القبطرة بعينها فقال : أليس سئلت عن هذه المسألة منذ مدة كذا وكذا وأجبت عنها بكذا وكذا ؟ فمجبت الجماعة من فطنته وذكائه واستحضاره للمسألة والوقت وإن لم يتحققوا صحة ما ذكره .

وكان معز الدولة بن بويه قد قلد شرطة بغداد لغلام له اسمه خواجا ، فبلغ أبا عمر الخبر ، وكان يمي كتاب « اليواقيت » فلما جلس للإملاء قال : اكتبوا ياقوتة خواجا ، الخواج في أصل لغة العرب : الجوع ، ثم فرغ على هذا باباً وأملاه ، فاستعظم الناس ذلك من كذبه ، وتتبعوه في كتب اللغة . قال أبو علي الحاتمي الكاتب اللغوي : أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي « الخواج : الجوع » .

وكان أبو عمر المذكور يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فأملى يوماً على الغلام نحواً من مائة مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها بيتين من الشعر ، وحضر أبو بكر ابن دريد وأبو بكر ابن الأنباري وأبو بكر ابن مقسم عند القاضي أبي عمر ، فعرض عليهم تلك المسائل ، فما عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعر ، فقال لهم القاضي : ما تقولون فيها ؟ فقال ابن الأنباري : أنا مشغول بتصنيف «مشكل القرآن» ولست أقول شيئاً ، وقال ابن مقسم مثل ذلك ، واحتج باشتغاله بالقراءات ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ، ولا

١ كذا في س ل ي ؛ وفي ر ن من : القنطرة ، والباء أو النون غير معجمة في ل بر ؛ وفي المطبوعة المصرية « ما المرطنق » وكذلك في معجم ياقوت ؛ وهذا ليس تصحيحاً وإنما هو قلب ؛ وفي أصل القفطي « القنطرة » وغيره المحقق ليوافق ما في ياقوت .

٢ س ل ي ل بر : أشهراً .

أصل لها ولا شيء منها في اللغة ، وانصرفوا ، وبلغ أبا عمر ذلك ، فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ، ففتح القاضي خزائنه وأخرج له تلك الدواوين ، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة ويخرج لها شاهداً من بعض تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها ، ثم قال له : وهذان البيتان أنشدتهما ثعلب بحضرة القاضي ، وكتبها القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني ، فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر بلفظه به .

وقال رئيس الرؤساء^١ : وقد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب ، فوجدتها مدونة في كتب أهل اللغة ، وخاصة في « غريب المصنف » لأبي عبيد . وقال عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي أبو القاسم^٢ : لم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد ، وله كتاب « غريب الحديث » صنفه على مسند أحمد بن حنبل ، وكان يستحسنه جداً .

وقال أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي : اعتلت فتأخرت عن مجلس أبي عمر الزاهد ، قال : فسأل عني لما تراخت الأيام ، فقيل له إنه كان عليلاً ، فجاءني من الغد يعودني ، فاتفق أي كنت قد خرجت من دارني إلى الحمام ، فكتب بخطه على بابي باسفيداج :

وأعجبُ شيءٍ سمعنا بهِ عليلٌ يُعاد فلا يوجد

قال : والبيت له .

وكان مغالياً في حب معاوية وعنده جزء من فضائله ، وكان إذا ورد عليه من يروم الأخذ عنه ألزمه بقراءة ذلك الجزء . وكانت فضائله جمّة ومعلوماته غزيرة ، وفي هذا القدر كفاية .

والمطرز : بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المشددة وبعدها زاي ،

١ هو أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن مسلمة (تاريخ بغداد ١٢ : ٤٩١) .

٢ انظر ترجمته في الانباء ٢ : ٢١٣ .

هذه اللفظة تقال لمن يطرز الثياب ، وكانت صناعة أبي عمر المذكور التطريز
فنسب إليها ، وعرف بهذه الصناعة جماعة من العلماء .
وكشفت في كتاب « الأنساب » للسماعي في ترجمة المطرز عن أبي عمر المذكور
فلم يذكره ، لكنه ذكر أبا القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المطرز
البغدادي الشاعر ، ويحتمل أن يكون والد أبي عمر المذكور ، لأن اسمه موافق
اسم والده ، ويحتمل أن يكون غيره ، لكنني لا أعرفه ، وقال : هو مشهور
الشعر سائر ، فمن قوله :

ولما وقفنا بالصراة عشيّةً حيارى لتوديعٍ وردّ سلامٍ
وقفنا على رغم الحسود وكلنا يفضُّ عن الأشواق كلَّ ختامٍ
وسوغني عند الدواعِ عناقه فلما رأى وجدي به وغرامي
تَلَثَّم مرتاباً بفضلِ ردائه فقلتُ : هلالٌ بعدَ بدرٍ تمامٍ
وقبلته فوق اللثامِ فقال لي : هي الخمرُ ، إلا أنها بفِدامٍ

لكن السماعي وإن كان ما ذكره في هذه الترجمة فقد ذكره في ترجمة غلام
ثعلب ، وقال : هو غلام ثعلب ، كما ذكرته أولاً .

(185) قلت : ثم بعد هذا بسنين عديدة رأيت بدمشق المحروسة ديوان شعر
أبي القاسم عبد الواحد المعروف بالمطرز المذكور ، وهو بغدادي ، وأكثر شعره
جيد ، وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثائة . وتوفي ليلة الأحد مستهل
جمادى الآخرة سنة تسع وثلثين وأربعمائة ، فظهر بهذا أنه ليس والد أبي عمر
المذكور ، وإنما هو مطرز آخر .

والبوردي : بالباء الموحدة وبعد الألف والواو راء ثم دال مهملة ، وهي
بليدة بخراسان ، يقال لها باورد [وأباورد] ٢ وأبيورد ، ومنها أبو المظفر
الأبيوردي الشاعر - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

١ ق : ذكرناه أولاً ؛ وهنا تنتهي الترجمة في س ل ي ت بر من .

٢ زيادة من ر .

أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر [بن] ١ طلحة بن نوح بن أزهري ، الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها ، وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه . روى عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي عن أبي العباس ثعلب وغيره ، ودخل بغداد وأدرك بها أبا بكر ابن دريد ولم يرو عنه شيئاً ، وأخذ عن أبي عبد الله إبراهيم ابن عرفة الملقب نفظويه - المقدم ذكره ٢ - وعن أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وقيل إنه لم يأخذ عنه شيئاً .

وكان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة ؛ وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال: امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاجّ بالهسير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشؤوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون إلى أعداد المياه في محضرهم زمان المقيظ ، ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ، ويتكلمون بطباعهم ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في أسرم دهرأ طويلا ، وكنا نشتي بالدهناء ونرتبع بالصمّان ونقيظ بالسّتارين، واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي - يعني «التهذيب» - وستراها في مواضعها، وذكر في تضاعيف كلامه أنه أقام بالصمّان شتوتين [ومما رواه أن

٦٣٩ - ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ ونزهة الألباء : ٢٢١ واللباب (الأزهري) ومقدمة

تهذيب اللغة (من تأليفه) وطبقات السبكي ٢ : ١٠٦ والشذرات ٣ : ٧٢ وبنية الوعاة : ٨ .

١ زيادة من ر ق وهي ثابتة عند السبكي .

٢ ترجمة نفظويه في ١ : ٤٧ .

أعرابياً قال : اللهم من ظلمني مرة فاجزه ومن ظلمني مرتين فاجزني واجزه ،
ومن ظلمني ثلاث مرات فاجزني ولا تجزه^١ .

وكان أبو منصور المذكور جامعاً لشتات اللغة مطلعاً على أسرارها ودقائقها ،
وصنف في اللغة كتاب « التهذيب » وهو من الكتب المختارة يكون أكثر من
عشر مجلدات ، وله تصنيف في غريب^٢ الألفاظ التي تستعملها الفقهاء في مجلد
واحد ، وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ،
وكتاب « التفسير » . ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر ابن الأنباري ، ولم
ينقل أنه أخذ عنهما شيئاً . وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وتوفي
في سنة سبعين وثلثمائة في أواخرها ، وقيل سنة إحدى وسبعين بمدينة هراة ،
رحمه الله تعالى .

والأزهري : بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء ، هذه
النسبة إلى جده أزهري المذكور .

وقد تقدم الكلام على الهروي .

والقرامطة^٣ : نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له « قِرْمِط » -
بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة - ولهم مذهب مذموم ،
وكانوا قد ظهروا في سنة إحدى وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله ، وطالت
أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل ، واستولوا على بلاد كثيرة ، وأخبارهم
مستقصاة في التواريخ .

وكانت وقعة الهَبِير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وكان
مقدم القرامطة يوم ذلك أبا طاهر الجَنَابِي القرمطي ، ولما ظهر على الحُجَّاج
قتل بعضهم واسترق^٤ آخريين ، واستولى على جميع أموالهم ، وذلك في خلافة
المقتدر بن المعتضد ؛ وقيل كان أول ظهورهم في سنة ثمان وسبعين ومائتين ،

١ زيادة من ق .

٢ س : غرائب .

٣ قد أسهب المؤلف في الحديث عن القرامطة في ٢ : ١٤٧ وما بعدها .

٤ ن : وأسر .

وأولهم أبو سعيد الجَنْتَابِي كان بناحية البحرين وهجر ، وقتل في سنة إحدى وثلاثمائة ، قتله خادم له ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .
والجَنْتَابِي : بفتح الجيم والنون المشددة وبعد الألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى جَنْتَابَة ، وهي بلدة بالبحرين بالقرب من سيراغ على البحر .
والهَيْر : بفتح الهاء وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ساكنة ، وهو الموضع المطمئن من الأرض .

والدهناء : بفتح الدال المهملة وسكون الهاء وبعدها نون مفتوحة ثم ألف تمدد وتقصر ، وهي أرض واسعة في بادية العرب في ديار بني تميم ، وقيل هي سبعة أجبل من الرمل ، وقيل هي في بادية البصرة في ديار بني سعد .
والصَّمَان : بفتح الصاد المهملة والميم المشددة وبعد الألف نون ، وهو جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال ، وليس له ارتفاع ، يجاور الدهناء ، وقيل إنه قرب رمال عالج ، وبينه وبين البصرة تسعة أيام .

والستاران : تثنية ستار ، بكسر السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف راء ، وهما واديان في ديار بني سعد ، يقال لهما : سودة^٣ ، ويقال لأحدهما : الستار الأغبر ، وللآخر : الستار الجابري^٤ ، وفيهما عيون فوارة يسقى نخيلهما منها . وهذا كله وإن كان خارجاً عن المقصود ، لكنها ألفاظ غريبة فأحببت تفسيرها لئلا تشكل على من يطالع هذا المجموع .

١ وقيل . . . على البحر : سقط من س ل ي ت بر من .

٢ لي : يجاوز ؛ س : تجاوز .

٣ ياقوت : السودة ؛ وقال إنهما في ديار بني ربيعة .

٤ اللفظة غير معجمة في ل ن ت ق بر .

١ أبو عبد الله الزبيدي

أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد الزبيدي النحوي - وسيأتي ذكر جده أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي الزبيدي إن شاء الله تعالى - ؛ كان محمد المذكور إماماً في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب . ومما رواه أن أعرابياً هوي أعرابية فأهدى إليها ثلاثين شاة وزقاً من خمر مع عبد له أسود فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها وأكل منها وشرب بعض الزق ، فلما جاءها بالباقي عرفت أنه خانها في الهدية ، فلما عزم على الانصراف سألتها : هل لك من حاجة ؟ فأرادت إعلام سيده بما فعله العبد في الطريق فقالت له : اقرأ عليه السلام وقل له : إن الشهر كان عندنا محاقاً ، وإن سحيماً راعي غنمنا جاء مرثوماً ، فلم يعلم العبد ما أرادت بهذه الكناية ، فلما عاد إلى مولاه أخبره برسالتها ففطن لما أرادته ، فدعا له بالهراوة وقال : لتصدقنني وإلا ضربتك بهذه ضرباً مبرحاً ، فأخبره الخبر ، فعفا عنه ، وهذه من لطائف الكنايات وأحلى الإشارات .

[وروى أبو محمد ابن قتيبة في هذا المعنى عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : حدثني شيخ من بني العنبر قال : أسرت بنو شيبان رجلاً من العرب من بني العنبر ، فقال لهم : أرسل إلى أهلي ليفدونني فقالوا : ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا ، فجاءوه برسول فقال له : آيت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشكت ، قال له : أتعمل ؟ قال : نعم ، قال : فما هذا ؟ وأشار بيده ، فقال : هذا الليل ، فقال : أراك تعمل ، انطلق فقل لأهلي : عرثوا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء واسألوا حارثة عن أمري ؛ فأتاهم الرسول ، فأرسلوا إلى

٦٤٠ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٩٨ (وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى) ، وقد جاءت الترجمة موجزة في المختار ، اقتصر فيها على حكاية الأعرابي .

١ محمد المذكور : سقطت من س ت ق بر من .

حارثة فقصّ عليه الرسول القصة ، فلما خلا معهم قال : أما قوله : ان الشجر قد أورق فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا ، وقوله : ان النساء قد [أشكت أي] اتخذت الشكاء للغزو وهي أسقية ، وقوله : هذا الليل ، يريد يأتونكم مثل الليل ، أو في الليل ، وقوله : عروا جملي الأصهب ، يريد : ارتحلوا عن الصمان ، وقوله : اركبوا ناقتي [الحمراء] يريد : اركبوا الدهناء . فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم ، فلما أتاهم القوم لم يجدوا منهم أحداً .

وحكي عن ابن الأعرابي قال : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب ، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه ، فاشتطوا عليها في الفداء فأعطيا به عطية لم يرضوا بها ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم . ثم انصرفا ، فقال الأب للعم : لقد ألقيت إليه كلمة لأن كان فيه خير لينجون ، فما لبث أن نجا وطرد قطعة من إبلهم فذهب بها ، كأنه قال له : الزم الفرقدين على جبلي طيء فإنها طالعان عليه ولا يغيبان عنه^١ .

والمرثوم : بفتح الميم وسكون الراء وضم الثاء المثناة ، المكسور الأنف المملو^٢ بالدم ، والرثم : البياض في جحفة الفرس العليا ، وهو في الزق مستعمل على سبيل الاستعارة .

وله تصانيف ، فمن ذلك كتاب « الخيل » وكتاب « مناقب بني العباس » وكتاب « أخبار اليزيديين » وله مختصر في النحو . وكان قد استدعي في آخر عمره إلى تعليم أولاد المقتدر بالله فلزمهم مدة ، ولقيه بعض أصحابه بعد اتصاله بالخليفة فسأله أن يقرئه فقال : أنا في شغل عن ذلك^٣ . وتوفي أبو عبد الله المذكور ليلة الأحد أول الليل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشر وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى .

١ ما بين معقنين زيادة من ق وانظر السمط : ٢٦ وما بعدها .

٢ ر : المملو^٢ .

٣ في القفطي أنه قال له : تجاوزت الأحص وشيئاً أي أنا مشتغل عن ذلك . وقوله : المرثوم . . . ذلك : سقط من ق .

واليزيدي : نسبة إلى يزيد بن منصور^١ - وسيأتي الكلام على ذلك في ترجمة
جده أبي محمد يحيى بن المبارك ، إن شاء الله تعالى .

٦٤١

أبو بكر ابن السراج النحوي

أبو بكر محمد بن السريّ بن سهّل^٢ النحوي المعروف بابن السراج ؛ كان
أحد الأئمة المشاهير ، المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب ،
أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد - المقدم ذكره - وغيره ، وأخذ عنه جماعة
من الأعيان منهم : أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ، ونقل
عنه الجوهري في كتاب « الصحاح » في مواضع عديدة .

وله التصانيف المشهورة في النحو : منها كتاب « الأصول » وهو من أجود
الكتب المصنفة في هذا الشأن ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ،
وكتاب « جمل الأصول » وكتاب « الموجز » صغير ، وكتاب « الاشتقاق »
وكتاب « شرح كتاب سيبويه » وكتاب « احتجاج القراء » وكتاب « الشعر
والشعراء » وكتاب « الرياح والهواء والنار » وكتاب « الجمل » وكتاب
« المواصلات »^٣ .

وكان يلشغ في الرأء فيجعلها غيناً ، فأملئ يوماً كلاماً فيه لفظة بالرأء ، فكتبوها
عنه بالغين ، فقال : لا ، بالغاء ، لا ، بالغاء يريد بالرأء ، وجعل يكررها على
هذه الصورة^٤ .

١ ق : واليزيدي نسبة إلى يزيد وهم أشخاص عديدة ولا أعلم إلى أهم ينسب المذكور .

٦٤١ - ترجمته في نور القيس : ٣٤٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٦٥ والمحمدون : ٣٤٣ وانباء الرواة
٣ : ١٤٥ (ومصادر أخرى في حاشية الانباء) .

٢ ابن سهل : سقطت ل ن ل ي س ت بر من . ٣ لم يذكر من مؤلفاته في ق إلا كتاب الأصول .

٤ وكان يلشغ . . . الصورة : ثبت في ن ر والمختار .

ورأيت في بعض الجمايع أبياتاً منسوبة إليه ولا أتحقق صحتها ، وهي
سائرة بين الناس في جارية كان يهواها ، وهي :

مَيَّزْتُ بين جمالها وفعالها فإذا الملاحه بالخيانة لا تفي
حَلَفْتُ لنا أن لا تخون عهودنا فكأنما حَلَفْتُ لنا أن لا تفي
والله لا كَلَمْتُهَا ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت هذه الأبيات له ، ولها قصة عجيبة^١ ،
وهي أن أبا بكر المذكور كان يهوى جارية فجفت ، فاتفق وصول الإمام المكتفي
في تلك الأيام من الرقة ، فاجتمع الناس لرؤيته ، فلما رآه أبو بكر استحسنته ،
وأشده لأصحابه الأبيات المذكورة ، ثم إن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي
الكاتب أنشدها لأبي العباس ابن الفرات ، وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها أبو
العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير ، فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها فقال
لمن هي ، فقال : لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار ، فوصلت
إليه فقال ابن زنجي : ما أعجب هذه القصة ! يعمل أبو بكر ابن السراج أبياتاً
تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

وتوفي أبو بكر المذكور يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ست
عشرة وثلثائة ، رحمه الله تعالى .

والسراج : بفتح السين المهملة والراء المشددة وبعد الألف جيم ، هذه النسبة
إلى عمل السروج .

١ أورد القفطي هذه القصة بتفصيل في الانباه : ١٤٧ والمحمدون : ٣٤٤ ، وقد سقطت هذه
القصة من ق .

أبو بكر ابن الأنباري

أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة ابن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان علامة وقته في الآداب وأكثر الناس حفظاً لها ، وكان صدوقاً ثقة ديناً خبيراً من أهل السنة ، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل^١ والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العمامة وكتاب « الزاهر » . ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ وأثنى عليه وقال : بلغني أنه كتب عنه وأبوه حي^٣ ، وكان يبلي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى .

(186) وكان أبوه عالماً بالأدب موثقاً في الرواية صدوقاً أميناً سكن بغداد وروى عنه جماعة من العلماء ، وروى عنه ولده المذكور، وله تصانيف فمن ذلك كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « الأمثال » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المؤنث والمذكر » وكتاب « غريب الحديث » .

وقال أبو علي القالي : كان أبو بكر ابن الأنباري يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم ، وقيل له : قد أكثر الناس من محفوظاتك فكم تحفظ ؟ فقال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وقيل إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها .

وحكى أبو الحسن الدارقطني أنه حضر في مجلس إملائه يوم جمعة فصحف اسماً أورده في إسناد حديث إما كان حيان فقال حبان أو حبان فقال حيان ،

٦٤٢ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٢٠١ (وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) وانظر نور القيس :

٣٤٥ وعبر الذهبي ٢ : ٢١٤ ؛ وبشار في نسبه ورد بصورة « يسار » في ق .

١ ذكر القفطي أن كتاب « المشكل » في معاني القرآن وأنه لم يتمه ، بل بلغ فيه إلى سورة طه .

٢ تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ .

قال الدارقطني: فأعظمت أن يُحْمَل عن مثله في فضله وجلالته وهم، وهبّتْ أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملي فذكرت له وهمه وعرفته صواب القول فيه، وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه، فقال أبو بكر: عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنّا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال.

ومن جملة تصانيفه «غريب الحديث» قيل إنه خمسة وأربعون ألف ورقة، وكتاب «شرح الكافي» وهو نحو ألف ورقة، وكتاب «الهاءات» نحو ألف ورقة، وكتاب «الأضداد» وكتاب «الجاهليات» وهو سبعمائة ورقة، و«المذكر والمؤنث» ما عمل أحد أتمّ منه، و«رسالة المشكل»^١ رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم.

وكانت ولادته يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين. وتوفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين، وقيل سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

وتوفي أبوه القاسم سنة أربع وثلاثمائة ببغداد، وقيل في صفر سنة خمس وثلاثمائة، رحمه الله تعالى^٢.

وقد تقدم الكلام على الأنباري في ترجمة عبد الرحمن الأنباري النحوي^٣. وأملى أبو بكر المذكور في بعض أماليه لبعض العرب:

فها منعمٌ إذْ منعمٌ كلامها خيالاً يوافيني على النأي هاديا
سقى الله أطلالاً بأكتبة الحمى وإن كُنَّ قد أبدين للناسِ حاليا
منازلُ لو مرّتْ بهن جنازتي لقال الصّدّي يا صاحبي انزلا بيا

١ يبدو أن رسالة المشكل شيء آخر غير كتاب «المشكل» المتقدم ذكره، فقد ذكر القفطي الكتابين أيضاً.

٢ هنا تنتهي الترجمة في ق.

٣ انظر الترجمة رقم: ٣٦٩ (٣: ١٣٩).

وأملى أيضاً في مجلس آخر :

وبالعِصَّةِ البيضاءِ إن زرتَ أهلها مَهَا مَهَلات ما عليهنَّ سائِسُ
خرجنَ لِحَبِّ اللّهُوِ من غيرِ ريبَةٍ عَفائفٌ باغي اللّهُوِ منهنَّ آيسُ

٦٤٣

أبو العيناء

أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، الهاشمي بالولاء ،
الضريير ، مولى أبي جعفر المنصور ، المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر
والأدب ؛ أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة ، وبها طلب الحديث
وكسب الأدب ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي
 وغيرهم ، وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ،
 وفيه من اللّسنِ وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله
 أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الضريير .

وحضر يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما
 كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء - وكان قد بالغ في وصفهم وما
 كانوا عليه من البذل والإفضال - : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما
 هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين . فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب
 الوراقون عليك أيها الوزير؟ فسكت الوزير، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .

٦٤٣ - أخباره ونوادره منشورة في كثير من الكتب الادبية ، وانظر معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ ونكت

الهميان : ٢٦٥ وميزان الاعتدال ٤ : ١٣ وعبر الذهبي ٢ : ٦٩ ولسان الميزان ٥ : ٣٤٤

ومعجم المرزباني : ٤٠٢ وتاريخ بغداد ٣ : ١٧٠ والديارات : ٥٢ والوافي ٤ : ٣٤١ وطبقات

ابن المعتز : ٤١٥ والفهرست : ١٢٥ والمنتظم ٥ : ١٥٦ والشذرات ٢ : ١٨٠ .

١ ق ر ر من : وكتب .

وشكا إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال ، فقال له : أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر في أمرك ؟ قال : نعم ، قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومُعانة الدهر ، فأخفق سَعْيِي وخابت طلبتي ، فقال عبيد الله : أنت اخترته ، فقال : وما عليّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن سعد بن أبي سَرَحَ كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدأ ، واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكماً له فحكم عليه . وإنما قال « ذل الأسر » لأن إبراهيم المذكور كان قد أسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب السجن وهرب .

ودخل^٢ على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوماً فقال له : ما الذي أخرجك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سُرق حماري ، فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ، قال : فهلا أتيتنا على غيره ، قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلّة^٣ المُكاري ، ومنة العوّاري . وخاصم علويًا فقال له العلوي : تخاصمني وأنت تقول كل يوم : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، فقال : لكني أقول : الطيبين الطاهرين ، ولست منهم . ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ، فقال أبو العيناء : مرحباً بك أطلال الله بقاءك ، ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع . وصار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه ، فقيل هو مشغول بالصلاة ، فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانياً . ومر بباب عبد الله ابن منصور وهو مريض وقد صلح ، فقال لغلامه : كيف خبره ؟ فقال : كما تحب ، فقال : ما لي لا أسمع الصراخ عليه ؟ ودعا سائلاً ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا دعوتك رحمة فتركتني رحمة . ولقيه بعض أصحابه في

١ ق : مكة .

٢ لي : ودخل أبو العيناء .

٣ ل ن : دلة .

٤ لي : بلى ولكني .

السَّحَر، فجعل يتعجب من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تشركني في الفعل، وتفردي بالتعجب. وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهله وقراءة نقوش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة. وقيل له: إلى متى تمدح وتهجو؟ فقال: ما دام المحسن محسناً والمسيء مسيئاً، بل أعوذ بالله أن أكون كالعقرب التي تلسب النبي والذمي.

وذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» في باب الظلم قال أبو العيناء فقلت: قد تضافروا عليّ وصاروا يداً واحدة، فقال: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: ١٠) قلت: فإن لهم مكرراً، قال: ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ (فاطر: ٤٣) قلت: هم كثير، قال: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (البقرة: ٢٤٩).

وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات، فسمع ابن مكرم رجلاً يقول: من ذهب بصره قلت حيلته، فقال: ما أغفلك عن أبي العيناء! ذهب بصره فمظمت حيلته. وقد ألم أبو علي البصير إلى هذا المعنى يشير به إلى أبي العيناء، فقال:

قد كنت خفتُ يدَ الزما ن عليكَ أنْ ذهبَ البصرُ
لم أدر أنكَ بالعمى تغنى ويفتقر البشر

وسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في بعض دعائه: يا رب سائلك، فقال: يا ابن الفاعلة، ومن لست^١ سائله. وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به: كم عدد المكدين بالبصرة؟ فقال له: مثل عدد البغائين ببغداد.

ودخل على ابن ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبي الصقر أربى ابن ثوابة عليه فيه، فقال له: بلغني ما جرى بينك وبين أبي الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عزاً فيضعه، ولا مجدأ فينقصه، وبعد فإنّه عافَ لحك أن يأكله، وسهك^٢ دمك أن يسفكه، فقال ابن ثوابة: وما أنت

١ ر: ومن لست فاعله؛ ن: ومن الذي ليس، ق: ومن لست بسائله.

٢ لي: ونهك؛ ن ل ق بر: وسهل؛ س ت: وسفك؛ وسهك بمعنى كره رائحته.

والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم ، ولكن أشد من هذا من يستزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه ، فيقطع أنسابهم ويعظم أوزارهم ، فقال ابن ثوابه : ما تساب اثنان إلا غلب الأملها ، فقال أبو العيناء : وبها غلبت أبا الصقر بالأمس ، فأسكته .

ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه ، ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره ، فقال له : دع هذا عنك ونادمننا ، فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك ، وأنا أحتاج أن أخدم^١ ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض ، وقلبك علي غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، فأختار العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بلغنا عنك بذاء في لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص : ٤٤) وقال عز وجل ﴿ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثم ﴾ (القلم : ١١) وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثنِ صادقاً ولم أشم النكس اللثيم المذمما
ففيمَ عرفتُ الخير والشر باسمه وشقَّ لي الله المسامع والفصا

قال : فمن أين أنت ، قال : من البصرة ، قال : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج وحرها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم . ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله الأصهباني ليستأدي ما عليه من الأموال عاقبه قتل في مطالبته ، وذلك في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين ، وفي تلك الليلة بلغ المعتز بالله ابن المتوكل الخبر^٢ ، فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء ، فقال له : ما عندك من خبر نجاح

١ ق : وأنا أحتاج إلى من يخدمني .

٢ وذلك . . . الخبر : سقط من س بر من ل ي ت ؛ ق : الحكم .

ابن سلمة ؟ فقال أبو العيناء ﴿ فوكزه موسى ففضى عليه ﴾ (القصص : ١٥)
فبلغت كلمته موسى فلقبه في الطريق فتهدده ، فقال له أبو العيناء ﴿ أتريد أن
تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴾ (القصص : ١٩) .

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : ثقني بك تمنعني من
استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك ، ولست آمن ، مع استحكام
ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك ، اخترام الأجل ، فإن الآجال آفات الآمال ،
فسح الله في أجلك ، وبلغك منتهى أملك ، والسلام .
وأحواله ونوادره كثيرة^١ .

وروي عنه أنه قال : كنت يوماً جالساً^٢ عند أبي الحكم إذ أتاه رجل فقال
له : وعدتني وعداً فإن رأيت أن تنجزه ، فقال : ما أذكره ، فقال : إن لم
تذكره فلأن من تعده مثلي كثير ، وأنا لا أنساه ، لأن من أسأله مثلك قليل ،
فقال : أحسنت لله أبوك^٣ ، وقضى حاجته .

وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة بالأهواز— كما تقدم ، ونشأ بالبصرة
وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة . وكان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب
فأعياه في المخاطبة معه فدعا عليه بالعمى له ولولده ، فكل من عمي من ولد جد^٤
أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم ، هكذا قاله أبو سعيد الطلحي . وخرج
من البصرة وهو بصير وقدم سرّ من رأى فاعتلت عيناه فعمي وسكن بغداد مدة
وعاد إلى البصرة ، وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ، وقيل اثنتين
وثمانين ومائتين^٥ . وقال ابنه جعفر : توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى
الأولى ، ومولده سنة تسعين ومائة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى . ولقب بأبي

١ ورد هنا في رق والمختار ذكر تاريخ ولادة أبي العيناء .

٢ يوماً جالساً : سقط من س ل ن لي بر من والمختار ؛ وهذه القصة وردت آخر شيء في المختار ،
وفي بر : عند أبي الجهم .

٣ ن : لله درك .

٤ ق : سعد .

٥ س ل ن لي بر من : وقيل سنة ثمانين ومائتين ، وسقط ما بعد ذلك حتى قوله : تعالى .

العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري : كيف تصغر عينا ؟ فقال : عينا يا أبا العيناء ، فبقي عليه .
وعَيْنَاء : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة .
وخلاد : بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ألف .
وقد تقدم الكلام على اليامة والأهواز فأغنى عن الإعادة .

٦٤٤

الواقدي

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم ، وقيل مولى بني سهم بن أسلم ؛ كان إماماً عالماً له التصانيف في المغازي وغيرها ، وله كتاب « الردة » ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحاربة الصحابة رضي الله عنهم ، لطليحة بن خويلد الأزدي والأسود العنسي ومُسَيْلمة الكذاب ، وما أقصر فيه .
سمع من ابن أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم .
وروى عنه كاتبه محمد بن سعد - المذكور عقيبهِ - إن شاء الله تعالى - وجماعة من الأعيان ، وتولى القضاء بشرقي بغداد ، وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي .
وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه .

٦٤٤ - ترجمته في الفهرست : ٩٨ وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ وكتاب بغداد : ٣٩ وتاريخ بغداد ٣ : ٣ ونور القيس : ٣١١ ومعجم الأدياء ١٨ : ٢٧٧ وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣ وعيون الأثر : ١٧ والشذرات ٢ : ١٨ .
١ ق : بعده ؛ وفي المختار : الآتي ذكره .

وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته ، وكتب إليه مرة يشكو ضائقة لحيته وركبه بسببها دين ، وعيّن مقداره في قصته ، فوقع المأمون فيها بخطه : فيك خلطان سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت ، والحياء حملك أن ذكرت لنا بعض دينك ، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطه ، وأنت حدثني حين كنت على قضاء الرشيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال للزبير : يا زبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل الله سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قلل قلل عليه ، قال الواقدي : وكنت نسيت الحديث ، فكانت مذاكرته إياي أعجب إليّ من صلته .

وروى عنه بشر الحافي - المقدم ذكره^١ - رضي الله عنه ، حكاية واحدة ، وهي أنه سمعه يقول : ما يكتب للحمى ، يؤخذ [ثلاث]^٢ ورقات زيتون تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة منها « جهنم غرني » وعلى الأخرى « جهنم عطشى » وعلى الأخرى « جهنم مقرورة » ثم تجعل في خرقة وتشد على عضد المحموم الأيسر ، قال الواقدي المذكور جربته فوجدته نافعا ، هكذا نقل هذه الحكاية أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر الحافي .

وروى المسعودي في كتاب « مروج الذهب » أن الواقدي المذكور قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر ، فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ،

١ ترجمة بشر في ج ١ : ٢٧٤ .

٢ زيادة من ن .

فما استقر قراره حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من امرأتي ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه ، فقال لي: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه كيسي بخاتمي ، قال الواقدي : فتواسينا ألف درهم فيما بيننا^١ ، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ، ونمي الخبر إلى المأمون ، فدعاني وسألني^٢ ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا ألفا دينار وللرأة ألف دينار .

وقد ذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٣ هذه الحكاية وبينها وبين ما ذكرناه هاهنا اختلاف يسير .

وكانت ولادة الواقدي في أول سنة ثلاثين ومائة . وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربي ، كذا قاله ابن قتيبة . وقال السمعاني : كان قاضياً بالجانب الشرقي كما تقدم ، والله أعلم . وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران ، وقيل مات سنة تسع ، وقيل سنة ست ومائتين ، والأول أصح ، وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » في أول ترجمة الواقدي : إنه توفي في ذي القعدة ، وقال في آخر الترجمة : إنه مات في ذي الحجة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى [ورأيت بخطي في مسوداتي أن الواقدي مات وعمره ثمانين وسبعون سنة]^٤ .

١ ن : فقسنا الألف بيننا .

٢ ن : فسألني ؛ وسقطت من رق والمختار .

٣ تاريخ بغداد ٣ : ١٩ - ٢٠ .

٤ ق : قاضي بغداد .

٥ ر : ورأيت بخطي في مسوداتي أن الواقدي عاش ثمانياً وأربعين سنة ؛ وقد سقطت العبارة من النسخ الأخرى .

والواقدي : بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة ثم دال مهملة ، هذه النسبة إلى واقد وهو جده المذكور .
وقد تقدم الكلام على المدني .

وعسكر المهدي هي المحلة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد ، عمّرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسبت إليه ، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي ، والله أعلم .

٦٤٥

محمد بن سعد كاتب الواقدي

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ، الزهري البصري كاتب الواقدي ؛ كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء ، صحب الواقدي المذكور قبله زماناً وكتب له فعرف به ، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره ، وروى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي وغيرها وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته ، فأجاد فيه وأحسن ، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة^٢ ، وله طبقات أخرى صغرى ، وكان صدوقاً ثقة .

ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس : أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور ، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتّبة^٣ ، كتب

١ ق : بالجانب .

٦٤٥ - ترجمته في الفهرست : ٩٩ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ والوافي ٣ : ٨٨ وطبقات ابن سعد

٧ : ٣٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٤٢٥ وعبر الذهبي ١ : ٤٠٧ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٦٠

وغاية النهاية ١ : ١٤٢ والجرح والتعديل (رقم : ١٤٣٣) وتهذيب التهذيب ٩ : ١٨٢

والشذرات ٢ : ٦٩ والنجوم الزاهرة (وفيات : ٢٣٠) .

٢ رن : خمسة عشر مجلداً .

٣ ن : كثير كتب الحديث .

الحديث والفقہ وغيرهما . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب « تاريخ بغداد » في حقه^١ : ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته ، وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عميد الله بن العباس بن عبد المطلب .
وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة ، سنة ثلاثين ومائتين ببغداد .
ودفن في مقبرة باب الشام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ، رحمه الله تعالى .

٦٤٦

الدولابي

أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد ، الأنصاري بالولاء ، الوراق الرازي الدولابي ؛ كان عالماً بالحديث والأخبار والتواريخ ، سمع الأحاديث بالعراق والشام وروى عن محمد بن بشار وأحمد بن عبد الجبار الطاردي وخلق كثير ؛ وروى عنه الطبراني وأبو حاتم ابن حبان البستي . وله تصانيف مفيدة في التاريخ ومواليد العلماء ووفياتهم ، واعتمد عليه أرباب هذا الفن في النقل وأخبروا عنه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة . وبالجملة فقد كان من الأعلام في هذا الشأن ومن يرجع إليه ، وكان حسن التصنيف . وتوفي سنة عشرين وثلثمائة بالعرج ، رحمه الله تعالى .

وروي عنه أنه كان ينشد لعروة بن حزام العذري [حيث قال]^٢ :

١ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ .

٦٤٦ - ترجمته في المنتظم ٦ : ١٦٩ والوافي ٢ : ٣٦ وتذكرة الحفاظ ٥٩٧ : ٧٥٩ والأنساب ٥ :

٤١٣ ولسان الميزان ٥ : ٤١ والشذرات ٢ : ٢٦٠ ، ولم يورد في المختار من هذه

الترجمة إلا بيبي عروة بن حزام .

٢ زيادة من ر ق .

إذا رامَ قلبي هجرها حالَ دونه شفيعان من قلبي لها جَدَلانِ
إذا قال: لا، قال: بلى، ثم أصبحوا جميعاً على الرأي الذي يريان^١

والدولابي : بضم الدال المهملة وفتحها - قال السمعاني : والفتح أصح -
وسكون الواو وبعد اللام ألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى الدولاب ، وهي
قرية من أعمال الري ، وبالأهواز قرية يقال لها الدولاب ، وبها كانت الوقعة
المشهورة للأزارقة ، وبشرقي بغداد موضع آخر يقال له الدولاب ، ودولاب
الجار أيضاً موضع آخر ، والدولاب الذي يدار ويستعمل بضم الدال وفتحها .

والمرج : بفتح الميم المهملة وسكون الراء وبعدها جيم ، وهي عقبة بين
مكة والمدينة على جادة الحاج^٢ . والمرج أيضاً : قرية جامعة من نواحي الطائف
إليها ينسب المرّجي الشاعر ، وهو عبد الله [بن عمرو]^٣ بن عمر بن عثمان بن
عفان ، رضي الله عنه .

ولا أعلم هل توفي الدولابي في العرج الأولى أم الثانية ، وباليمين بلد آخر
يقال له سوق العرج^٤ ، والله أعلم .

١ وروي عنه . . . يريان : سقط من س ل ي ت بر من .

٢ هنا تنتهي الترجمة فيما عدان ر .

٣ بن عمرو : سقط من ن ر .

٤ ق : يقال له العرج .

المرزباني

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله ، الكاتب المرزباني الخراساني الأصل البغدادي المولد ، صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة ؛ كان راوية للأدب صاحب أخبار ، وتوالمفه كثيرة ، وكان ثقة في الحديث ومائلا إلى التشيع في المذهب ، حدث عن عبد الله بن محمد البغوي وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني في آخرين .

وهو أول من جمع ديوان يزيد^١ بن معاوية بن أبي سفيان الأموي واعتنى به ، وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث كراريس ، وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب إليه الذي ليس له ، وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات ، ولولا خوف التطويل لبينت ذلك . وشعر يزيد ، مع قلته ، في نهاية الحسن ، ومن أطيب شعره الأبيات العينية التي منها :

إذا رُمْتُ من ليلي على البعدِ نظرةً تَطْفِي^٢ جَوَى بين الحشا والأضالعِ
تقولُ نساءُ الحي تَطْمَعُ أن تَرى محاسنَ ليلي ؟ مُتْ بداءِ المطامعِ

٦٤٧ - ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٣٥ والنهرست : ١٣٢ ومعجم الادباء ١٨ : ٢٦٨ والرواني ٤ : ٢٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٧٢ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧ ولسان الميزان ٥ : ٢٣٦ والشذرات ٣ : ١١١ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٦٨ وقد اتبعنا في ترتيب هذه الترجمة نسخة المختار .

١ ق : ودون شعر يزيد بن معاوية .

٢ ر : لتظفي .

وكيف تَرى ليلي بعينٍ ترى بها
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى
أجلكِ يا ليلي عن العينِ إنما
[ومن لطيف شعره قوله :

ولي ولها إذا الكاسات دارتْ
مُعاتبَة ألدَّتْ من الأمانِي

ومن شعره :

وداعٍ دعاني والثريا كأنها
وناولني كأساً كأنَّ بنانه
إذا ما سما فيها المزاج حسبها
وقال اغتم من دهرنا غفلاته
وإني من لذاتِ دهرِي لقانعٌ
هما ما هما لم يبقَ شيءٌ سواهما
قلانس قد أعنقن خلف فنيقِ
مخلقة من نورها بخلوق
نجوم لالٍ في سماءٍ عقيق
فمعد نظام الدهر غير وثيق
بجلوِ حديثٍ أو بمرِّ عتيق
حديثِ صديقٍ أو عتيقِ رحيقِ^١

وكانت ولادة المرزباني المذكور^٢ في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل سنة ست وتسعين . وتوفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة أربع وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي ودفن في داره بشارع عمرو^٣ الرومي ببغداد في الجانب الشرقي .

وروى عن أبي القاسم البغدادي وأبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري، وروى عنه أبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهم.

١ زيادة من هامش المختار .

٢ ن : وكانت ولادته .

٣ س : عمر .

والمرزباني : بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى بعض أجداده ، وكان اسمه المرزبان ، وهذا الاسم لا يطلق عند المعجم إلا على الرجل المقدم العظيم القدر ، وتفسيره بالعربية حافظ الحدّ ، قاله ابن الجواليقي في كتابه « المرعب »^١ .

٦٤٨

أبو بكر الصولي

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ، المعروف بالصولي الشطرنجي ؛ كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن أبي داود السجستاني وأبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو الحسن الدارقطني الحافظ ، وأبو عبيد الله المرزباني المذكور قبله وغيرهما . ونادم الراضي ، وكان أولاً يعطه ثم نادى المقتدر ، ونادم قبله المكتفي .

وله التصانيف المشهورة منها كتاب « الوزراء » وكتاب « الورقة » وكتاب^٢ « أدب الكاتب » وكتاب « الأنواع » وكتاب « أخبار أبي تمام » وكتاب « أخبار القرامطة » وكتاب « الفرر » وكتاب « أخبار أبي عمرو بن العلاء » وكتاب « العبادة »^٣ وكتاب « أخبار ابن هرمة » وكتاب « أخبار السيد الحميري » وكتاب « أخبار إسحاق بن إبراهيم » ، وجمع أخبار جماعة من الشعراء ، ورتبه

١ المرعب : ٣١٧ ؛ ق : في كتابه المعروف .

٦٤٨ - ترجمته في الفهرست : ١٥٠ ، ١٥٦ وتاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٠٩

ونزهة الالباب : ١٨٨ ومعجم المرزباني : ٤٣١ واللباب : (الصولي) وغير الذهبي ٢ : ٢٤١

ولسان الميزان ٥ : ٤٢٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٩٦ والشذرات ٢ : ٣٣٩ .

٢ لا ترد كلمة « كتاب » في سرد مؤلفاته في النسخ ن ل لي س من بر بعد هذا الموضع .

٣ س ن ق : العبادة .

على حروف المعجم ، وكلهم من الشعراء المحدثين ، وغير ذلك .
وكان ينادم الخلفاء ، وكان أغلب فنونه أخبار الناس ، وله رواية واسعة
ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول ، وكان
أوحد وقته في لعب الشطرنج ، لم يكن في عصره مثله في معرفته . والناس إلى
الآن يضربون به المثل في ذلك فيقولون لمن يبالفون في حسن لعبه « فلان يلعب
الشطرنج^١ مثل الصولي^٢ » .

ورأيت خلقاً كثيراً يعتقدون أن الصولي المذكور هو الذي وضع الشطرنج ،
وهو غلط ، فإن الذي وضعه صيصه بن داهر الهندي ، واسم الملك الذي وضعه
له شهرام ، بكسر الشين المعجمة .

وكان أردشير ابن بابك أول ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ، ولذلك
قيل له النردشير لأنهم نسبوه إلى واضعه المذكور ، وجعله مثالاً للدنيا وأهلها^٣ ،
فرتب الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة ، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد
أيام كل شهر ، وجعل الفصوص مثل القدر وتقلبه بأهل الدنيا . وبالجملة فالكلام
في هذا يطول ويخرج عما نحن بصدده ؛ فافتخرت الفرس بوضع النرد وكان ملك
الهند يومئذ بلكهنت ، فوضع له صيصه المذكور الشطرنج ، فقضت حكاه
ذلك العصر بترجيحه على النرد لأمور يطول شرحها .

ويقال إن صيصه لما وضع الشطرنج وعرضه على الملك شهرام المذكور أعجبه
وفرح به كثيراً ، وأمر أن يكون في بيوت الديانة ، ورآه أفضل ما علم لأنه
آلة للحرب وعز للدين والدنيا وأساس لكل عدل ، وأظهر الشكر والسرور
على ما أنعم عليه في ملكه منه ، وقال لصيصه : اقترح علي ما تشتهي ، فقال
له : اقترحت أن تضع حبة قمح في البيت الأول ، ولا تزال تضعها حتى تنتهي
إلى آخرها ، فمها بلغ تعطيني ، فاستصغر الملك ذلك ، وأنكر عليه كونه

١ ق س : بالشطرنج ؛ ر : في الشطرنج .

٢ ن : فيقولون : فلان يلعب وهم يبالفون في ذلك في حسن لعبه

٣ بهامش ن هنا تعليق طويل حول تحريم الشطرنج والنردشير وتحليلهما ؛ وهو بخط غير خط
الأصل .

قابله بالنزر اليسير ، وكان قد أضمّر له شيئاً كثيراً ، فقال : ما أريد إلا هذا ، فرادّه^١ فيه وهو مصر عليه فأجابه إلى مطلوبه وتقدم له به ، فلما قيل لأرباب الديوان حسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفى بهذا ولا بما يقاربه ، فلما قيل للملك استنكر هذه المقالة ، وأحضر أرباب الديوان وسألهم فقالوا له : لو جمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا القدر ، فطالبهم بإقامة البرهان على ذلك ، ففقدوا وحسبوه ، فظهر له صدق ذلك^٢ ، فقال الملك لصصّه : أنت في اقتراحك ما اقترحت أعجب حالاً من وضعك الشطرنج .

وطريق هذا التضعيف أن يضع الحاسب في البيت الأول حبة وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربع حبات وفي الرابع ثماني حبات ، وهكذا إلى آخره ، كلما انتقل إلى بيت ضاعف ما قبله وأثبتته فيه . ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حسّاب الإسكندرية ، وذكر لي طريقاً تبين لي صحة ما ذكروه ، وأحضر لي ورقة بصورة ذلك ، وهو أنه ضاعف الأعداد إلى البيت السادس عشر فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفاً وسبعائة وثمانياً وستين حبة ، وقال : تجعل هذه الجملة مقدار قرح ، وقد اعتبرتها^٣ فكانت كذلك ، والعهدة عليه في هذا النقل ، ثم ضاعف القرح في البيت السابع عشر ، وهكذا حتى بلغ ويبة في البيت العشرين ثم انتقل إلى الويبات ، ومنها إلى الأردب ، ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في بيت الأربعين إلى مائة ألف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وسبعائة واثنين وستين إردباً وثلاثين ، فقال : تجعل هذه الجملة في شونة فإن الشونة لا يكون فيها أكثر من هذا ، ثم ضاعف الشون إلى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفاً وأربعاً وعشرين شونة ، فقال : تجعل هذه في مدينة ، فإن المدينة لا يكون فيها أكثر من هذه الشون ، وأي مدينة يكون فيها هذه الجملة من الشون ؟ ثم ضاعف المدن حتى انتهى في البيت^٤ الرابع والستين - وهو آخر

١ ن س ت والمختار : فراوده ؛ ل لي بر من : فراوده .

٢ ر : فظهر صحة ذلك له .

٣ ت لي من بر : عبرتها ؛ س : عبر بها .

٤ لي : في بيت .

أبيات رقعة الشطرنج - إلى ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربع وثمانين مدينة، وقال : تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد، فإن دور كرة الأرض معلوم بطريق الهندسة ، وهو ثمانية آلاف فرسخ ، بحيث لو وضعنا طرف حبل على أي موضع كان من الأرض وأدرنا الحبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقى الطرفان فإذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل ، وهي ثمانية آلاف فرسخ ، وهو قطعي لا شك فيه ، ولولا خوف التطويل والخروج عن المقصود لبينت ذلك - وسأذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة بني موسى^١ - وتعلم ما في الأرض من المعمور وهو مقدار ربع الكرة بطريق التقريب .

وقد انتشر الكلام وخرجنا عن المقصود ، لكنه ما خلا عن فائدة ، فإن هذه الطريقة غريبة ، فأحببت إثباتها ليقف عليها من يستنكر ما قالوه في تضعيف رقعة الشطرنج ويعلم أن ذلك حق ، وأن هذه الطريقة سهلة^٢ الاطلاع على حقيقة ما ذكروه .

ولنرجع إلى حديث الصولي :

حكى المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^٣ أن الإمام الراضي بالله أتى في بعض منتزهاته بستاناً مَوْنيقاً وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه : هل رأيتم منظراً أحسن من هذا ؟ فكل أثنى ، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا ، ومن كل ما تصفون . ثم قال المسعودي : وقد ذكر أن الصولي في بدء دخوله على الإمام المكتفي ، وقد كان ذكر له تخرجه في اللعب بالشطرنج ، وكان الماوردي اللاعب متقدماً

١ وهو ثمانية ... موسى : سقط من ر .

٢ ت : سهلت .

٣ مروج الذهب ٤ : ٣٢٤ .

عنده ، متمكناً من قلبه معجباً به للعبه ، فلما لعبا جميعاً بحضرة المكتفي حمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الحرمة في الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينها وجمع له الصولي متانتة وقصد قصده غلبه غلباً لا يكاد يرد عليه شيئاً ، وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي ، فعدل عن هواه ونصرة الماوردي ، وقال له : عاد ماء وردك بولاً .

وأخبار الصولي ونوادره كثيرة ، وماجراياته أكثر من أن تحصى . ومع فضائله والاتفاق على تفننه في العلوم وخلاعه وظرافته ما خلا من منتقص هجاءه هجواً لطيفاً ، وهو أبو سعيد العقيلي ، فإنه رأى له بيتاً مملوءاً كتباً قد صفها وجلودها مختلفة الألوان ، وكان يقول : هذه كلها سماعي ، وإذا احتاج إلى معاودة شيء منها قال : يا غلام هات الكتاب الفلاني ، فقال أبو سعيد المذكور هذه الأبيات :

إنما الصوليُّ شيخٌ أعلم الناس خِزَانَه
إن سألناهُ بعلمٍ طلباً منه إِيَانَه
قال يا غلمان هاتوا رزمة العلم فلانَه

وتوفي الصولي المذكور سنة خمس - وقيل ست - وثلاثين وثلثمائة بالبصرة مستتراً ، لأنه روى خبراً في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد لإضاقة لحقته . وقد سبق الكلام على الصولي في ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي ، وهو عم والد أبي بكر المذكور ، فليطلب هناك .

وصيَّته : بصادين مهملتين الأولى منها مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة .

وداهر : بدال مهملة وبعد الألف هاء مكسورة ثم راء .

وأرد شير : بفتح الهزمة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء ؛ هكذا قاله الحافظ

الدارقطني [وقال غير الدارقطني : هذا لفظ عجمي ، وتفسيره بالعربي دقيق وحليب ، فأرد : دقيق ، وشير : حليب ، وقيل دقيق وحلاوة ، وقيل إنه بالزاي لا بالراء ، والله أعلم] ^١ وهو الذي أباد ملوك الطوائف ، ومهد الملك لنفسه ، واستولى على الممالك ، وهو جد ملوك الفرس الذين آخروهم بزدجرد ، وكان انقراض ملكهم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ^٢ ، وأخبارهم مشهورة [وهؤلاء غير ملوك الفرس الأوائل الذين آخروهم دارا بن دارا الذي قتله الإسكندر ، ورتب في البلاد ملوك الطوائف وسماهم بذلك لأن كل ملك يحكم على طائفة مخصوصة ، بعد أن كانت الممالك لرجل واحد ، وكان أردشير من ملوك الطوائف ، ثم استقل بالجميع كالعادة الأولى ، وكانت مدة مملكة ملوك الطوائف أربعائة سنة ، ومدة مملكة ملوك الفرس الأواخر أربعائة سنة] ^١ .

وَيَزْدَجِرْدُ : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم وسكون الراء وفي الآخر دال مهملة .

وأما بَلْسَهَيْتُ ملك الهند فلا أتحقق ضبطه ، غير أنني وجدته مضبوطاً بخَط النَّاسِخِ ، وقد فتح الباء الموحدة وسكن اللام وفتح الهاء وسكن الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء مثناة من فوقها ، والله أعلم بصحة ذلك من سقمه .

١ ما بين معقنين انفردت به رق .

٢ ربر : للهجرة .

الحاتمي

أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي؛ أحد الأعلام المشاهير المطلعين المكثرين ، أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد غلام ثعلب - وقد تقدم ذكره^١ - وروى عنه أخباراً وأملها في مجالس الأدب ، وروى عن غيره أيضاً ، وأخذ عنه جماعة من النبلاء : منهم القاضي أبو القاسم التنوخي - المقدم ذكره^٢ - وغيره ، وله « الرسالة الحاتمية » التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ، ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه .

وحكى في أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال^٣ : لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير أبي محمد المهلب ، بالتخيم عليه والمقام لديه ، التحفَ رداء الكبر وأذال ذبول التيه ، ونأى يجانبه استكباراً وثنى عطفيه جبيرة وازوراراً ، فكان لا يلاقي أحداً إلا أعرض عنه تيهاً وزخرف القول عليه تمويهاً ، تخيل عجباً إليه أن الأدب مقصور عليه ، وأن الشعر بحر لم يرد نيم مائه غيره وروض لم يرد نواره سواه ، فهو يجني جنّاه ويقطف قطفه دون من تعاطاه ، وكل مُجْرٍ في الخلاء يُسْرُ ولكل نبأ مستقر ،

٦٤٩ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢١٤ واليتمية ٣ : ١٠٨ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٥٤ والمحمدون : ٢٣٠ والانباء ٣ : ١٠٣ والوافي ٢ : ٣٤٣ وانظر الامتاع ١ : ١٣٥ والشذرات ٣ : ١٢٩ وعبر الذهبي ٣ : ٤٠ وبغية الوعاة : ٣٥ واللباب والأنساب : (الحاتمي) والمنتظم (وفيات سنة ٣٨٨) ؛ وورد اسمه في ت ر : محمد بن الحسين ؛ وقد اكتفى المختار من هذه الترجمة بإيراد ثلاثة أبيات من الشعر .

١ انظر الترجمة رقم : ٦٣٨ .

٢ انظر ج ٣ : ٣٦٦ .

٣ انظر الرسالة الموضحة .

فغير جارياً على هذه الوتيرة مدة مديدة أجزرته رسنَ البغي فيها ، فظل يرح في تيهه حتى إذا تخيل أنه السابق الذي لا يجارى في مضار ولا يساوى عذاره بعمار ، وأنه رب الكلام ومقتض عذارى الألفاظ ، ومالك رق الفصاحة نثراً ونظماً وقريع دهره الذي لا يقارع فضلاً وعلماً ، وثقلت وطأته على كثير بما وسم نفسه بميسم الأدب ، وأنبط من مائه أعذب مشرب ، فطأطأ بعض رأسه وخفض بعض جناحه وطامن على التسليم له طرفه ، وساء معز الدولة أحمد بن بويه - المقدم ذكره^١ - وقد صورت حاله ، أن يرد حضرته وهي دار الخلافة ومستقر العز وبيضة الملك رجل صدرَ عن حضرة سيف الدولة بن حمدان - وقد تقدم ذكره أيضاً - وكان عدواً مبيناً لمعز الدولة ، فلا يلقي أحداً بمملكته يساويه في صناعته ، وهو ذو النفس الأبية والعزيمة الكسروية ، والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالأحرار صروفه ولا دارت عليهم دوائره^٢، وتخيل الوزير المهلي ، رجاً بالغيب ، أن أحداً لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفواً له ولا يضطلع بأعبائه فضلاً عن التعلق بشيء من معانيه ، وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه وتفخيم من يفخموه وتكرمة من يراعونه ويكرمونه ، وربما حالت بهم الحال وأوشكوا عن هذه الخليقة الانتقال ، وتلك صورة الوزير المهلي في عوده عن رأيه هذا فيه ، ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن الهجين الجذع من أبناء الأدب فضلاً عن العتيق القارح إلا الشعر ، ولعمري إن أفنانه كانت فيه رطبة ومجانيه عذبة ، فنهدت له متبعاً عواره ومقلماً أظفاره ومذيعاً أسراره ، وناشراً مطاويه ومنتقداً من نظمه ما تسمح فيه ، ومتحيين أن تجمعنا دار يشار إلى ربهـا فأجري أنا وهو في مضار يعرف به السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق ، وكنت إذ ذاك ذا سحاب مِدْرار وزند في كل فضيلة وار ، وطبع يناسب صفوة العقار إذا وشيت بالحباب ووشت بها سرائر الأكواب ، هذا وغدير الصبا صاف ورداؤه ضاف ، وديباجة العيش غضة وأرواحه معتلة وغمائه منهلة ، وللشبيبة شرة وللأقبال من الدهر غرة ، والحليل

١ انظر ج ١ : ١٧٤ .

٢ ر : دوائره وحتوفه .

تجري يوم^١ الرهان بإقبال أربابها لا بعروقتها ونصائها ، ولكل امرئ حظ من موأاة زمانه ، يُقضى في ظله أرب ويدرك مطلب ويتوسع مراد ومذهب ، حتى إذا عدت عن اجتماعنا عوادٍ من الأيام قصدت مستقره وتحتي بغلة سفواء تنظر عن عيني بازٍ وتتشوف بمثل قادمتي نسري ، وهي مركب رائع ، وكأني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب ، وبين يدي عدة من الغلمان الرثوقة^٢ بمالك وأحرار يتهاقتون تهاقت فريد الدر عن أسلاكه . ولم أورد هذا متبجحاً ولا متكثرأً بذكره ، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال ، ولم ترعه روعته ولا استعطفه زبرجه ، ولا زادته تلك الجملة الجميلة التي ملأت أتهمه طرفه وقلبه إلا عجباً بنفسه وإعراضاً عني بوجهه ، وكان قد أقام هناك سوقاً عند أغيمة لم ترضهم العشاء ولا عركتهم رحي النظراء ، ولا أنضوا أفكاراً في مدارسة الأدب ، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره وسهله ووعره ، وإنما غاية أحدهم مطالعة شعر أبي تمام وتماطي الكلام على نبذ من معانيه ، وعلى ما تملقت الرواة مما يجوز فيه ، فألفت هناك فتية تأخذ عنه شيئاً من شعره . فحين أودن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي ، نهض من مجلسه مسرعاً ووارى شخصه عني مستخفياً ، وأعجلته نازلاً عن البغلة وهو يراني لانتهائي بها إلى حيث أخذها طرفه ، ودخلت فأعظمت الجماعة قدرتي وأجلستني في مجلسه ، وإذا تحته أخلاق عباءة قد ألححت عليها الحوادثُ فهي رسوم دائرة وأسلاك متناثرة ، فلم يكن إلا ريثما جلست ، فنهضت^٣ ، فوفيته حق السلام غير مشاحٍ له في القيام ، لأنه إنما اعتمد بنهوضه عن الموضوع ألا ينهض إلي ، والفرض كان في لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر :

وفي الممشى إليك عليّ عارٌ ولكن الهوى منع القرارا

١ ت س : في يوم .

٢ ن : الروم .

٣ ن : وإذا به فنهضت ؛ ق : فأتانا فنهضت .

٤ ر : كان لي .

فتمثل بقول الآخر :

يَشْقَى رِجَالٌ وَيَشْقَى آخَرُونَ بِهِمْ وَيُسَعِدُ اللهُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامٍ
وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَقْرِ مِنْ فَضْلِ حَيْلِهِ لَكِنْ جُدُودٌ وَأَرْزَاقٌ بِأَقْسَامٍ
كَالصِّيدِ يَجْرُمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ يَرْمِي فِيحْرَزُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي

وإذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكنا في وغرة القيط وجرة
الصيف وفي يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه ، فجلست مستوفزاً وجلس
متحفظاً^٢ ، وأعرض عني لاهياً وأعرضت عنه ساهياً ، أؤنب نفسي في قصده
وأستخف رأياً في تكلف ملاقاته ، فغبر هنية ثانياً عطفه لا يعبرني طرفه ،
وأقبل على تلك الزعنفه التي بين يديه ، وكل يومي إليه ويوحى بلحظه ويشير
إلى مكاني بيديه^٣ ، ويوقظه من سننّه وجهله ، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وعتوّاً
واستكباراً ، ثم رأى أن يثني جانبه إليّ ويقبل بعض الإقبال عليّ ، فأقسمت
بالوفاء والكرم ، فإنها من محاسن القسم^٤ ، أنه لم يزد عليّ أن قال: أيش خبرك ،
فقلت : بخير أنا لولا ما جنيته عليّ نفسي من قصدك ووسمت به قدري من ميسم
الذل بزيارتك وجشمت رأبي من السمي إلى مثلك ، ممن لم تهذبته تجربة ولا أدبته
بصيرة . ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى قرارة الوادي وقلت له : أبني لي مم
تبهك وخيلاؤك وعجبك وكبرياؤك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من الذهاب
بنفسك والرمي بهمتك إلى حيث يقصر عنه باعك^٥ ولا تطول إليه ذراعك؟ هل
هاهنا نسب انتسبت إلى المجد به؟ أو شرف علقت بأذياله؟ أو سلطان تسلطت
بعزه أو علم تقع الإشارة إليك به؟ إنك لو قدرت نفسك بقدرها أو وزنتها
بميزانها ولم يذهب بك التيه مذهباً لما عدوت أن تكون شاعراً مكتسباً، فامتقع^٥

١ في النسخ ما عدا ر : وغرة .

٢ ر : محتفظاً .

٣ ر : بيده .

٤ ق : الشيم .

٥ ن ر : فانتقع .

لونه وغص بريقه ، وجعل يلين في الاعتذار ويرغب في الصفح والاعتذار ، ويكرر الأيمان أنه لم يثبتني ، ولا اعتمد التقصير بي ، فقلت : يا هذا إن قَصَدَكَ شريف في نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه خفضت منزلته ، فهل المجد تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله ، لكنك مددت الكبر سترأ على نقصك وضربته رواقاً حائلاً دون مباحثتك ، فعاود الاعتذار فقلت : لا عذر لك مع الاصرار . وأخذت الجماعة في الرغبة إليّ في مياسرته وقبول عذره ، واستعمال الأناة التي تستعملها الحزمة عند الحفيظة ، وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليفته ، وهو يؤكد القسم أنه لم يعرفني معرفة ينتهز معها^٢ الفرصة في قضاء حقي ، فأقول : ألم أستاذن^٣ عليك باسمي ونسيي ؟ أما كان في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني ؟ وهب أن ذلك كذلك ، ألم تر شارتي ؟ أما شممت عطر نشري ؟ ألم أتميز في نفسك عن غيري ؟ وهو في أثناء ما أخاطبه وقد ملأت سمعه تأنيباً وتفصيلاً يقول : خَفِّضْ عليك ، اكفف من غَرْبِكَ ، اردد من سَوْرَتِكَ^٤ ، استأنِ فإن الأناة من شيم مثلك ، فأصحب حينئذ جاني له ولانت عريكتي في يده ، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهيت إليها في معاقبته ، وذلك بعد أن رُضِّتَه رياضة الصعب من الإبل ، وأقبل عليّ معظماً وتوسّع في تقريظي مفخماً ، وأقسم أنه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي ويَعِدُّ نفسه بالاجتماع معي ويسوفها^٥ التعلق بأسباب مودتي . فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فقي من فتیان الطالبين الكوفيين ، فأذن له ، فإذا حَدَّثَ^٥ مرهف الأعطاف تميل به نشوة الصبا ، فتكلم فأعرب عن نفسه ، فإذا لفظ رخيم ولسان حلو وأخلاق فكهة وجواب حاضر وثرغ

١ ر : استعملها ؛ س : يستعملها الخدمة .

٢ ر : بها .

٣ رق بر من : يستأذن .

٤ ر : صوتك .

٥ ر : ويسومها ؛ بر : ويشوقها .

باسم ، في أناة الكهول ، ووقار المشايخ^١ ، فأعجبني ما شاهدته من شمائله
وملكني ما تبينته من فضله ، فجاراه أبياتاً .

ومن هاهنا كان افتتاح الكلام بينها في إظهار سرقاته ومعائب شعره ؛ وقد
طال الكلام لكنه لزم بعضه بعضاً فما أمكن قطعه . وهذه الرسالة تشتمل على
فوائد جمة ، فإن كان كما ذكر أنه أبان له جميعها في ذلك المجلس فما هذا إلا اطلاع
عظيم ، وقد سماها « الموضحة » وهي كبيرة تدخل في اثنتي عشرة كراسة
شهدت لصاحبها بالفضل الباهر ، مع سرعة الاستحضار وإقامة الشاهد . وله
كتاب « حلية المحاضرة » يدخل في مجلدين ، وفيه أدب كثير أيضاً .
وتوفي الحاتمي المذكور يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة
ثمان وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر الحاتمي^٢ أنه اعتل فتأخر عن مجلس شيخه أبي عمر الزاهد المذكور
في أول هذه الترجمة ، فسأل عنه ، فقيل له : إنه مريض ، فجاءه يعوده ،
فوجده قد خرج إلى الحمام ، فكتب على بابه بإسفيداج :

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ سَمِعْنَا بِهِ عَليُّ يُعَادُ فَلَا يُوجَدُ

والحاتمي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مكسورة وبعدها
ميم ، هذه النسبة إلى بعض أجداده اسمه حاتم .

١ ر : الشيخ .

٢ ر ق : الحاتمي المذكور ؛ قلت : وقد وردت هذه القصة في ترجمة أبي عمر المطرز ص : ٣٢٩
من هذا الجزء ؛ وفي هامش ل ما يفيد ذلك أيضاً .

ابن القوطية

أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القوطية ، الأندلسي الإشبيلي الأصل القرطبي المولد والدار ؛ سمع بإشبيلية من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر وغيرهم ، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن مغيث وغيرهم^١ . كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية ، وكان مع ذلك حافظاً للحديث والفقه والخبر والنادر^٢ ، وأروى الناس للأشعار وأدركهم للأثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطرباً بأخبار الأندلس ملكياً برواية سير أمرائها وأحوال فقهاها وشعرائها ، يميل ذلك عن ظهر قلب ، وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه ، ولم يكن بالضابط لروايته في الحديث والفقه ولا كانت له أصول يرجع إليها ، وكان ما يسمع^٣ عليه من ذلك إنما يحمل على المعنى لا على اللفظ ، وكان كثيراً ما يقرأ عليه ما لا رواية له به على جهة التصحيح ، وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه الشيوخ والكهول ؛ وكان قد لقي مشايخ عصره بالأندلس وأخذ عنهم وأكثر من النقل من فوائدهم .

وصنف الكتب المفيدة في اللغة ، منها كتاب « تصاريف الأفعال » وهو

٦٥٠ - ترجمته في انباء الرواة ٣ : ١٧٨ والجذوة : ٧١ وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ والديباج

المذهب : ٢٦٢ واليتيمة ٢ : ٧٤ وبقية الوعاة : ٨٤ ومعجم الادباء ١٨ : ٢٧٢ وعبر

الذهبي ٢ : ٣٤٥ والنفع ٣ : ٧٣ .

١ سمع . . . وغيرهم : سقط من س ن ل بر من والمختار .

٢ لي : والنوادير .

٣ ن : سمع .

الذي فتح هذا الباب فجاء من بعده ابن القَطَّاع وتبعه - كما سبق في ترجمته^١ -
وله كتاب « المقصور والممدود » جمع فيه ما لا يجد ولا يوصف ، ولقد أعجز من
يأتي^٢ بعده وفاق من تقدمه .

وكان أبو علي القالي لما دخل الأندلس اجتمع به ، وكان يباليغ في تعظيمه
حتى قال له الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن صاحب الأندلس يومئذ : من
أنبل من رأيتك ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد ابن القوطية ، وكان مع هذه
الفضائل من العباد النساك ، وكان جيد الشعر صحيح الألفاظ واضح المعاني حسن
المطالع والمقاطع ، إلا أنه ترك ذلك ورفضه .

حكى الأديب الشاعر أبو بكر يحيى بن هذيل التميمي^٣ أنه توجه يوماً إلى
ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، وهي من بقاع الأرض الطيبة المونقة ، فصادف
أبا بكر ابن القوطية المذكور صادراً عنها ، وكانت له أيضاً هناك ضيعة ، قال :
فلما رأي عرج علي واستبشر بلقائي ، فقلت له على البديهة مداعباً له :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمسُ والدنيا له فلكُ
قال : فتبسم وأجاب بسرعة :

من منزلٍ يعجب النساك خلوته وفيه سترٌ على الفتاك إن فتكوا

قال : فما تماكنت أن قبلت يده إذ كان شيعي ، ومجدته ودعوت له .
وتوفي أبو بكر المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع
وستين وثلثمائة بمدينة قرطبة ، ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قريش
رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي في رجب من السنة المذكورة ، والأول أصح .
والقوطية : بضم القاف وسكون الواو وكسر الطاء المهملة وتشديد الياء المثناة

١ الترجمة رقم : ٤٤٧ .

٢ ق : أتى .

٣ ترجمة ابن هذيل في الجندوة : ٣٥٨ وابن الفرضي ٢ : ١٩٣ ونكت الهيمان : ٣٠٧ وله شعر
في اليتيمة وكتاب التشبهات والمساك .

من تحتها^١ وبعدها هاء ساكنة ، هذه النسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام ، نسب إليه^٢ جده أبي بكر المذكور ، وقوط أبو السودان والهند والسند ، وهي أم إبراهيم بن عيسى بن مزاحم^٣ جد أبي بكر المذكور ، وهي ابنة وبة بن غيطشة^٤ ، وكان من ملوك الأندلس ، وعليه وعلى أخويه أرطباس قومس الأندلس وسيدة^٥ افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الأندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك^٦ متظلمة من عمها أرطباس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه ، وسافر معها إلى الأندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم إلى الأندلس وإنساله بها ، وجاءت القوطية بكتاب هشام إلى الخطاب الشعبي الكلبي^٧ ، وكان عامله على الأندلس ، بالوصاة عليها فكف عمها عنها وأنصفها مما كان لها قبله ورعى حرمتها وتمادت^٨ بها الحال وطالت حياتها إلى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتقضي حاجتها^٩ ، وغلب اسمها على

١ ر : ثم ياء مثناه من تحتها مشددة .

٢ ر : تنسب إليه ، س ن بر من : نسب إلى جدة .

٣ زاد في ر ق هنا : واسمها سارة بنت المنذر (ق : المنذر) بن غيطشة (ق : حنظلة) من ملوك القوط بالاندلس .

٤ تصحف الاسمان في النسخ كثيراً ؛ أما وبة (Oppa) فهو أخو غيطشة (Witiza) لا ابنه على الأرجح ، وفي أخبار مجموعة : ٨ أنه ابنه ؛ وأما أبناء غيطشة فهم وقله (Aquila) ويتصحف أحياناً إلى رملة Romulu وألمند (Olmundo) وأرطباس (Ardabas) .

٥ كذا وردت هذا اللفظة ؛ وفي ق : سنده ، وهي غير ممجمة في لي ؛ والأرجح أنها بسيرة (Sisiberto) الذي تمده بعض الروايات أحياناً لغيطة ؛ والقومس (Comes) رتبة لأرطباس وفي ن لي ل : أرطباس وقومس ، وزيادة الواو هنا خطأ .

٦ زاد في ر : وهو بالشام .

٧ كذا في س ن لي ل ت ، وسقطت لفظة الشعبي من س ت ر ق ، ووالي الأندلس في زمن هشام هو أبو الخطاب حسام الكلبي .

٨ وتمادت : هذه هي رواية ر ق ؛ وفي النسخ الأخرى : وعادت .

٩ ر : ويقضي حاجاتها .

ذريتها وعرفوا بها إلى اليوم . ذكر ذلك في كتاب « الاحتفال في أعلام الرجال »
مما انتخبه وألفه في أخبار الفقهاء والعلماء المتأخرين من أهل قرطبة الفقيه أبو عمر
أحمد بن محمد بن محمد بن عفيف التاريخي^١ بما بسطه ونمقه من ذلك الفقيه أبو بكر الحسن
ابن محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري القرطبي المعروف بالقُبُشِّي حامله
عنه^٢ ، قال أبو محمد الرشاطي^٣ في كتاب « الأنساب » : عين قُبُشِّي في الريض
الغربي من قرطبة ، ينسب بذلك أبو عبد الله محمد بن مفرج المعافري القُبُشِّي .
وتوفي ليلة الجمعة خامس شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة .
قلت : وهذا المذكور والد أبي بكر الحسن بن محمد المذكور قبله ، والله أعلم .

١ انظر الحدوة : ٣٧٥ ولعله هو المترجم أيضاً في رقم : ١٧٤ وهو من شيوخ أبي العباس
العذري ؛ وترجم له ابن بشكوال (الصلة : ٤٢) وقد اختصر ابن حيان كتابه وهذبه وعنه
ينقل ابن الأبار في التكملة والنباهي في المرقبة العليا .

٢ الصلة : قال ابن بشكوال : « وجمع كتاباً سماه بكتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في
أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء وقد نقلت منه في كتابي هذا ما نسبته إليه ، ونقلته من خطه »
وقد ابتداء بتأليفه سنة ٤١٧ هـ بمسيرة وأمه سنة ٤٢٠ هـ وتوفي بعد ٤٣٠ هـ وعن كتابه ينقل النباهي
في المرقبة العليا .

٣ وردت كنية الرشاطي « أبو بكر » في النسخ جميعاً ما عدا ق واسمه عبد الله بن علي ، انظر الصلة :
٢٨٥ ومعجم شيوخ الصديقي : ٢١٧ وكتابه في الأنساب يسمى : « اقتباس الأنوار والتماس
الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار » وقد جمع اسماعيل بن إبراهيم البليسي بين هذا
هذا الكتاب وزيادات ابن الأثير على أنساب السمعاني .

أبو بكر الزبيدي

أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي نزيل قرطبة ؛ كان واحداً عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخباراً أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر ، إلى علم السير والأخبار ، ولم يكن بالأندلس في فنه مثله في زمانه ، وله كتب تدل على وفور علمه منها « مختصر كتاب العين » وكتاب « طبقات النحويين واللغويين بالشرق والأندلس » من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله النحوي الرباعي^٣ ، وله كتاب الرد على ابن مسرة وأهل مقالته سماه « هتك ستور الملحدين » وكتاب « لحن العامة » وكتاب « الواضح » في العربية وهو مفيد جداً ، وكتاب « الأبنية في النحو » ليس لأحد مثله .

واختاره الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس لتأديب ولده ولي عهده هشام المؤيد بالله ، فكان الذي علمه الحساب والعربية ونفعه نفعاً كثيراً ، ونال أبو بكر الزبيدي منه دنيا عريضة ، وتولى قضاء إشبيلية وخطة الشرطة ، وحصل له نعمة

٦٥١ - ترجمته في الجذوة : ٤٣ وبغية الملتبس (رقم : ٨٠) وتاريخ ابن الفرضي ٩٢ : ٢ والمغرب ١ : ٢٥٠ واليتمية ٢ : ٧١ والانباء ٣ : ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٨٠ والوافي ٢ : ٣٥١ وبغية الوعاة : ٣٤ وصفحات متفرقة من فهرسة ابن خير والمقتبس (ط . بيروت) والمطمح : ٥٣ ونفع الطيب (راجع فهرسه في مادة « الزبيدي ») ؛ وهذه الترجمة اقتصر أكثرها على الشعر في المختار .

١ ق : أحفظ . ٢ ق : عقله وعلمه .

٣ ر لي : الرباعي ، وهو خطأ ؛ راجع ترجمة الرباعي في طبقات الزبيدي : ٣٣٥ وابن الفرضي ٢ : ٧١ والجذوة : ٩١ وبغية الملتبس رقم : ٣١٢ والقفطي ٣ : ٢٢٩ والوافي ٢ : ٣٧٢ وبغية الوعاة : ١١٣ .

٤ ق : وحصل له .

ضخمة لبسها بنوه من بعده زماناً . وكان يستعظم أدب المؤيد بالله أيام صباه ويصف رجاحته وحجاه ، ويزعم أنه لم يجالس قط من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في مثل سنه أذكى منه ولا أحضر يقظة وأطف حساً وأرزن حلاًماً، وذكر عنه حكايات عجيبة .

وكان الزبيدي المذكور شاعراً كثيراً الشعر ، فمن ذلك قوله في أبي مسلم ابن قهر :

أبا مُسْلِمٍ إِنَّ الفَقْ بِيَجَنَانِهِ وَمِقْوَلِهِ لَا بِالْمِرَاكِبِ وَاللَّبْسِ
وليس ثياب المرء تغني قلامة إذا كان مقصوراً على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وكان في صحبة الحكم المستنصر ، وترك جاريته بإشبيلية فاشتاق إليها ، فاستأذنه في العود إليها فلم يأذن له ، فكتب إليها :

ويحك يا سلم لا تراعي لا بدءً للبين من زماع
لا تحسبيني صبرت إلا كصبر ميّت على النزاع
ما خلق الله من عذاب أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق لولا المناجاة والنواعي
إن يفترق شملنا وشيكاً من بعد ما كان ذا اجتماع
فكلّ شمل إلى فراق وكلّ شعب إلى انصداع
وكلّ قرب إلى بعاد وكلّ وصل إلى انقطاع

وكان كثيراً ما ينشد :

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان
والأرض شيء كلها واحد والناس إخوان وجيران

وكان قد قيد الأدب واللغة على أبي علي البغدادي المعروف بالقبالي - المقدم ذكره - لما دخل الأندلس ، وسمع من قاسم بن أصبغ وسعيد بن فحلون وأحمد

وفاته
سنة
٥٧٩

ابن سعيد بن حزم . وأصله من جند حمص المدينة التي بالشام .
وتوفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة بإشبيلية ،
ودفن ذلك اليوم بعد صلاة الظهر ، وصلى عليه ابنه أحمد ، وعاش ثلاثاً وستين
سنة ، رحمه الله تعالى .

ومذحج : بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها جيم ،
وهو في الأصل اسم أكمة حمراء باليمن ، ولد عليها مالك بن أدد فسمي باسمها ،
ثم كثر ذلك في تسمية العرب حتى صاروا يسمون بها ويجعلونها علماً على المسمى ،
وقطعوا النظر عن تلك الأكمة .

والزيدي : بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى زُبَيْد ، واسمه منبه بن صعب بن سعد
العشيرة بن مذحج ، وهو الذي سمي بالأكمة المذكورة ، وزبيد قبيلة كبيرة
باليمن خرج منها خلق كثير من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم .

٦٥٢

القزاز

أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني ؛
كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التواليف ، فمن ذلك كتاب
« الجامع » في اللغة ، وهو من الكتب الكبار المختارة المشهورة .
وذكر أبو القاسم ابن الصيرفي الكاتب المصري أن أبا عبد الله القزاز المذكور

٦٥٢ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٨٤ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى ، وقد اقتصر صاحب
المختار على إيراد الأشعار المثبتة في هذه الترجمة .

١ ت : في التواريخ ؛ ر : في التأليف .

كان في خدمة العزيز ابن المعز العبّيدي صاحب مصر وصنف له كتباً . وقال غيره^١ : كان العزيز بن المعز العبّيدي صاحب مصر قد تقدم إليه أن يؤلف كتاباً يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وأن يقصد في تأليفه إلى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى ، وأن يجري ما ألفه من ذلك على حروف المعجم ؛ قال ابن الجزار : وما علمت أن نحوياً ألف شيئاً من النحو على هذا التأليف ، فسارع أبو عبد الله القزاز إلى ما أمره العزيز به ، وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على أقصد سبيل وأقرب مأخذ وأوضح طريق ، فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة ، ذكر ذلك كله الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه الكبير . وله كتاب « التعريض » ذكر فيه ما دار بين الناس من المعارض في كلامهم .

وقال أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « الأنموذج »^٢ : إن القزاز المذكور فَضَحَ المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين ، وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس محبوباً عند العامة ، قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا ، يملك لسانه ملكاً شديداً . وكان له شعر مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكحة ومخالطة من غير تحفّز ولا تحفل ، يبلغ بالرفق والدّعة على الرّحب والسعة أقصى ما يحاوله أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني ، علماً بتفاصيل الكلام وفواصل النظام ، فمن ذلك قوله :

أما ومحلّ حبك في فؤادي وقد مر مكانه فيه المكين
لو انبسطت لي الآمال حتى تُصَيِّر من عنانك في يميني
لصنتك في مكان سواد عيني وخطتُ عليك من حذر جفوني
فأبلغ منك غايات الأماني وآمن فيك آفات الظنون
فلي نفس تجرّع كل يوم عليك بهن كاسات المنون

١ وذكر... غيره : سقط من س ن ل ت بر من .

٢ احتفظ العمري في مسالك الابصار بقطعة من هذا الكتاب ، وترجمة القزاز تقع في ج ١١ : ٣٧٦ .

كما أن العمري ذكره في النحويين ٤ : ٣٩٩ .

إذا أمنت قلوب الناس خافت عليك خفي الحاظ العيون
فكيف وأنت دنيائي ولولا عقاب الله فيك لقلت ديني
ومن شعره أيضاً :

أضمرُوا لي ودأ ولا تظهروه يُهدِه منكم إلي الضميرُ
ما أبالي إذا بلغت رضاكم في هواكم لأي حال أصيرُ
وله أيضاً :

ألا من لركب فرق الدهر شملهم فمن مُنجد نائي المحل ومُتسِّم
كان الردي خاف الردي في اجتماعهم فقسَّمهم في الأرض كل مُقسَّم
وله أيضاً :

ولنا من أبي الربيع ربيعٌ ترتعِه هواملُ الآمالِ
أبدأ يذكر العِداتِ وينسى ما له عندنا من الإفضالِ
وله أيضاً :

أحين علمت أنك نورٌ عيني وأني لا أرى حق أراكا
جعلت مغيب شخصك عن عياني يغيب كل مخلوق سواكا

وذكر له مقاطيع كثيرة غير هذه ، ثم قال : وشعر أبي عبد الله - يعني القزاز المذكور - أحسن مما ذكرت ، لكنني لم أتمكن من روايته ، وقد شرطت في هذا الكتاب أن كل ما جئت به من الأشعار على غير جهة الاختيار . وكانت وفاته بالحضرة سنة اثنتي عشرة^١ وأربعمائة ، وقد قارب السبعين ، رحمه الله تعالى ؛ والمراد بالحضرة القيروان ، فإنها كانت دار المملكة يوم ذاك . والقزاز : بفتح القاف وزاين بينها ألف والأولى منها مشددة ، هذه النسبة إلى عمل القز وبيعه ، وقد اشتهر به جماعة .

١ ق : سنة احدى أو اثنتي عشرة .

المسبحي

الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز ، المعروف بالمُسَبَّحِي الكاتب ، الحرايبي الأصل المصري المولد ، صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات ؛ كانت فيه فضائل ولديه معارف ، ورزق حظوة في التصانيف ، وكان على زي الأجناد ، واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبدي صاحب مصر ونال منه سعادة ، وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وذكر فيه أيضاً : أنه تقلد القيس^١ والبهنسا من أعمال الصعيد ، ثم تولى ديوان الترتيب ، وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها^٢ تاريخه الكبير .

وجمع مقدار ثلاثين مصنفاً ، منها : التاريخ المذكور الذي قال في حقه « التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه ، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ، وذكر نيلها ، وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة ، وأشعار الشعراء وأخبار المغنين^٣ ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم »

٦٥٣ - ترجمته في الباب : (المسبحي) والواقي ٤ : ٧ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٤ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٧١ وعبر الذهبي ٣ : ١٣٩ والشذرات ٣ : ٢١٥ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٨ وتاج العروس : (سبخ) ؛ وقد اقتصر صاحب المختار من هذه الترجمة على إيراد مراثيته في والده ؛ وبهذه الترجمة تبدأ نسخة المجمع العلمي ببغداد ورمزها (مج) .

١ غير ممجمة في لي ل ت ر بر وانظر ابن دقماق ٥ : ٤ ؛ ن : الفشن ، وقد وردت عند ابن دقماق أيضاً ، وهي والقيس من القرى الاطفيحية ؛ ق : القيس ، وبالهامش : الفيوم .

٢ ت ل بر من لي مج : به .

٣ ل ن لي : المفتين ؛ ق : المفتين .

وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . ومن تصانيفه كتاب « التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره » وهو ألف ورقة ، وكتاب « الراح والارتياح » ألف وخمسمائة ورقة ، وكتاب « الفرق والشرق في ذكر من مات غرقاً وشرقاً » مائتا ورقة ، وكتاب « الطعام والإدام » ألف ورقة ، وكتاب « درك البقية في وصف الأديان والعبادات » ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة ، و « قصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم » ألف وخمسمائة ورقة ، وكتاب « المفاتيح والمناكحة في أصناف الجماع » ألف ومائتا ورقة ، وكتاب « الأمثلة للدول المقبلة » يتعلق بالنجوم والحساب خمسمائة ورقة ، وكتاب « القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم » ثلاثة آلاف ورقة ، وكتاب « جونة الماشطة » يتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع ، وهو مجموع مختلف غير مؤتلف ، ألف وخمسمائة ورقة ، وكتاب « الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه » ألفان وخمسمائة ورقة ، وكتاب « السؤال والجواب » ثلثمائة ورقة ، وكتاب « مختار الأغاني ومعانيها » وغير ذلك من الكتب .

وله شعر حسن ، فمن ذلك أبيات رثى بها أم ولده ، وهي :

ألا في سبيل الله قلب تقطعاً وفادحة لم تُبقي للعين مدمعا
أصبراً وقد حل الثرى من أوده فله هم ما أشدّ وأوجعا
فيا ليتني للموت قدمت قبلها وإلا فليت الموت أذهبنا معا

وكان المسيحي المذكور قد استزار أبا محمد عبيد الله بن أبي الجوع الأديب الوراق الكاتب المشهور ، فزاره ؛ فعمل المسيحي هذه الأبيات وأنشده إياها على البديهة :

حلت فأحلت قلبي السرورا وكاد لفرحته أن يطيرا
وأمر علمك سحب السماء ولولاك ما كان يوماً مطيرا
تضوّع نَشْرِكُ لِمَا وُردت وعاد الظلام ضياء منيرا

(187) وكان ابن أبي الجوع المذكور شاعراً أديباً حلواً مقبولاً له أشعار كثيرة في المراسلات والمعاتبات والأهاجي، وكان نَسَخه في غاية الجودة، وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار، وخطه موجود بأيدي الناس ومرغوب فيه، وكانت وفاة ابن أبي الجوع سنة خمس وتسعين وثلثمائة .

وكانت ولادة المسيحي المذكور يوم الأحد عاشر رجب سنة ست وستين وثلثمائة، كذا ذكره في تاريخه الكبير . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة .

(188) وتوفي والده ضحوة نهار الاثنين تاسع شعبان سنة أربعمائة، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وصلي عليه في جامع مصر ودفن في داره، رحمهم الله تعالى أجمعين . ولما توفي الوالد رثاه ولده المسيحي المذكور بهذه الأبيات :

خطبٌ يقل له البكاء وينطوي	عنه الغزاء ويظهر المكتومُ
خطبٌ يميت من الصدور قلوبها	أسفاً ويقعدُ تارةً ويقم
يا دهرُ قد أنشبتَ في مخالبا	بالأسودين لوقعنَّ كلُّومُ
يا دهرُ قد ألبستني حلل الأسي	مدحلٌ شخصٌ في التراب كريم
لو كنت تقبل فدية لفديت من	رضت عظامي فيه وهو رميم
يا من يلوم إذا رأي جازعاً	من طارق الحدان، فيم تلوم
بأبي فُجعتُ فأبي شكلك مثله	نكل الأبوة في الشباب أليم
قد كنت أجزع أن يلم به الردي	أو يعتريه من الزمان هموم

ورثاه جماعة من شعراء عصره؛ ذكرهم ولده في تاريخه وذكر مرثيهم .
والمسيحي : بضم الميم وفتح السين المهمة وكسر الباء الموحدة وفي آخره حاء

١ ق : كل يوم .

٢ مج : وكانت وفاته .

٣ ر : خطب ؛ مج : وأي نكل .

٤ ق ر : الشعراء في عصره .

مهمل^١ قال السمعاني في كتاب « الأنساب » : هذه النسبة إلى الجد ، وعرف بها المسيحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر ، يعني الأمير المذكور .

٦٥٤

ابن حمدون صاحب التذكرة

أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي ؛ كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر ، وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره ، وصنف كتاب « التذكرة » وهو من أحسن المجاميع ، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار ، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله ، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود ، وهو من الكتب الممتعة .

ذكره العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب « الخريدة » فقال : كان عارض العسكر المقتفوي ، ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي ، وهو كليف باقتناء الحمد وابتناء الحمد ، وفيه فضل ونبل وله على أهل الأدب ظل ، وألف كتاباً سماه « التذكرة » وجمع فيه الفث والسمن والمعرفة والنكرة ، فوقف الإمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلاً من التواريخ توهم في الدولة غضاضة^٢ ، ويعتقد للعرض بالقدح فيها عراضة ، فأخذ من دست منصبه وحبس ، ولم يزل في نَصَبه إلى أن رمس ، وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وأنشدني لنفسه لغزاً في مروحة الجيش :

١ ر : وفي آخرها الحاء المهمل .

٦٥٤ - ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ١ : ١٨٤ والفوات ٢ : ٣٧٧ والوافي ٢ : ٣٥٧ والمنتظم ١٠ : ٢٢١ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٤ والشذرات ٤ : ٢٠٦ .

ومرسلة معقودة دون قصدما
يرّ خفيفاً الرّيح وهي مقيمة
لها من سليمان النبي وراثة
إذا صدق النوء السماكي^٢ أمحلت
تحتها إحدى الطبائع انها
لذلك كانت كل روح صديقها
مقيدة تجري حبيس طليقها
وتسري وقد سدت عليها طريقها
وقد عزيت نحو التبيط عروقها
وتطر والجوزاء ذلك^٣ حريقها
وأورد له أيضاً :

وحاشا معاليك أن تستزد
ولكننا أستزيد الحظوظ
وحاشا نوالك أن يُقتضى
وإن أمرتني النهى بالرضا
وأورد له أيضاً :

يا خفيف الرأس والعقل معاً
تدّعي أنك مثلي طيب
وثقيل الروح أيضاً والبدن
طيب أنت ولكن بلبن

انتهى كلام العماد .

وقال غيره : إنه سمع الحديث كثيراً وروى عن الإمام المستنجد قول أبي
حفص الشطرنجي في جارية حواء :

حمدتُ إلهي إذ بليت بحبّتها
نظرت إليها والرقيبُ يخالني
على حَوَالٍ يغني عن النظر الشزر
نظرت إليه فاسترحت من العذر^٤

وهذا من المعاني النادرة العجيبة [والإمام في هذا قول مهيار الديلمي يصفُ ناقة :

١ لي : هفيف ؛ مج : حفيف .

٢ ل لي مج س ن ت ق بر من والمختار : الشمالي .

٣ لي : دان .

٤ حاول ناسخ أن يغير النص فكتب « أينا » ، « يخالها » وعلق على ذلك بقوله إنه لو كان
البيت كما هو مثبت هنا فالرقيب هو الأحوال لا هي .

هواها وراها والسرى من أمامها فهن صحبجات النواظر حُول^١]

وكانت ولادة ابن حمدون المذكور في رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ودفن يوم الاربعاء بمقابر قريش ببغداد ، وكان موته في الحبس .

(189) وأخوه أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدولة كان من العمال ، ومن يعتقد في أهل الخير والصلاح ويرغب في صحبتهم ، ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقابر قريش .

(190) وكان والدهما من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف^٢ والحساب ، وله تصنيف في معرفة^٣ الأعمال ، وعمّر طويلاً ، وتوفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وخمسمائة^٤ ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

٦٥٥

ابن قريعة

القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن قريعة البغدادي ؛ كان قاضي السنديّة وغيرها من أعمال بغداد ، ولاء أبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي ، وكان من إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع

١ ما بين معقنين زيادة من مج .

٢ س : الصرف .

٣ لي : تصريف .

٤ وتوفي.... وخمسمائة : سقط من س ت مج .

٦٥٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٣١٧ والوافي ٣ : ٢٢٧ والمنتظم ٧ : ٩١ وعبر الذهبي ٢ :

٣٤٥ والبداية والنهاية ١١ : ٢٩٢ .

ما يُسأل عنه في أفصح^١ لفظ وأملح سجع ، وكان مختصاً بحضرة الوزير أبي محمد المهلبى - المقدم ذكره^٢ - منقطعاً إليه ، وله مسائل وأجوبة مدونة في كتاب مشهور بأيدي الناس ، وكان رؤساء ذلك العصر وفضلاؤه يداعبونه ويكتبون إليه المسائل الغريبة المضحكة ، فيكتب الجواب من غير توقف ولا تلبث مطابقاً لما سألوه ، وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يضعون له من الأسئلة الهزلية على معان شتى من النوادر الطشّزية ليجيب عنها بتلك الأجوبة ، فمن ذلك ما كتب إليه العباس^٣ بن المعلى الكاتب : ما يقول القاضي ، وفقه الله تعالى ، في يهودي زنى بنصرانية فولدت ولدأ جسمه للبشر ووجهه للبقر ، وقد قبض عليها ، فما يرى القاضي فيها ؟ فكتب جوابه بديهاً : هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود ، بأنهم أشربوا حُبَّ العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم ، وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ، ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ، ويسجبا على الأرض ، وينادى عليها ظلمات بعضها فوق بعض ، والسلام . ولما قدم الصاحب بن عباد - المقدم ذكره^٤ - إلى بغداد حضر مجلس الوزير المهلبى المقدم ذكره أيضاً ، وكان في المجلس القاضي أبو بكر المذكور ، فرأى من ظرفه وسرعة أجوبته مع لطافتها ما عظم منه تعجبه ، وكتب الصاحب إلى أبي الفضل ابن العميد كتاباً يقول فيه : وكان في المجلس شيخ خفيف الروح يعرف بالقاضي ابن قريعة ، جاراني في مسائل خستتها تمنع من ذكرها ، إلا أني استظرفت من كلامه ، وقد سأله كهل^٥ يتطايب بحضرة الوزير أبي محمد عن حد القفا ، فقال : ما اشتمل عليه جُرْبَانُكَ ، ومازحك فيه إخوانك ، وأدبك فيه سلطانك ، وباسطك فيه غلمانك ، فهذه حدود أربعة^٦ .

١ لي : بأفصح .

٢ انظر ج ٢ : ١٢٤ .

٣ لي : أبو العباس .

٤ انظر ج ١ : ٢٢٨ .

٥ س ن : حسنهما يمنع .

٦ ق : رجل .

٧ وردت هذه القصة على النحو التالي في مج : « وأخبر محمد بن جعفر التميمي قال ، قال أبو »

قلت : وجُرْبَان الثوب : بضم الجيم والراء وتشديد الباء الموحدة وبعدها ألف ثم نون ، وهي الخرقعة العريضة التي فوق القب ، وهي التي تستر القفا ، والجربان لفظ فارسي معرب^١ .

وجميع مسائله على هذا الأسلوب ، ولولا خوف الإطالة لذكرت جملة منها ، وقد سرد أبو بكر^٢ محمد بن شرف القيرواني الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه « أبكار الأفكار » عدة مسائل وجواباتها من هذه المسائل .

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور يوم السبت لعشرين يقين من جمادى الآخرة ، سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد ، وعمره خمس وستون سنة ، رحمه الله تعالى .
وقرَيْعَة : بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جده ، كذا حكاه السمعاني .

والسُنْدِيَّة : بكسر السين المهملة وسكون النون وكسر الدال المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار ، وينسب إليها سندواني ليحصل الفرق بين هذه النسبة والنسبة إلى بلاد السند المجاورة لبلاد الهند .

=الحسن الزهراني لابن قريمة في مجلس المهلبي : ما حدود القفا ؟ فأجاب في الوقت : ما داعبك فيه اخوانك ، وشرطك فيه حجامك ، وأدبك فيه سلطانك ، واشتمل عليه جربانك ، فقال له : ما حد الصفع ؟ قال : الرفع والوضع والضر والنفع . قال هلال بن المحسن الكاتب توفي ابن قريمة في يوم السبت ... الخ .

١ قلت ... معرب : ثبت في ر ق والمختار .

٢ كذا وردت كنيته والمشهور أنه أبو عبد الله (الذخيرة ٤ - ١ : ١٣٣) .

الوهراني

أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين ، وقيل جمال الدين ؛ أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، وفنه الذي يمتّ به صناعة الإنشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل ، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه ، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولو لا طوله لذكرته ، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقسام بدمشق زماناً^٢ ، وتولى الخطابة بداريًا ، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة . وتوفي في سنة خمس وسبعين وخمسة بداريًا ، رحمه الله تعالى ، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني . نقلت من خط القاضي الفاضل : وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني^٣ .

والوهراني : بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى وهران ، وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان ، بينها وبين تلمسان

٦٥٦ - ترجمته في الوافي ٤ : ٣٨٦ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٥ والشذرات ٤ : ٢٥٢ وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة ر والمختار .

١ ن : الحلة .

٢ جاء بعده في مج ذكر الوفاة وتعريف موجز بالنسبة (الوهراني) وتنتهي الترجمة .

٣ نقلت ... بوفاة الوهراني : سقط من س ن ل لي ت مج بر من .

٤ س : بأرض ؛ ت ل لي ن بر : على أرض .

مسافة يومين ، وهي على ساحل البحر الشامي ، وذكر الرشاطي أنها أسست في سنة تسعين ومائتين على يدي محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدوس وجماعة^١ ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .
 وداريتاً : بالدال-المهمل^٢ وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة .

٦٥٧

فخر الدين ابن تيمية الحراني

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، المعروف بابن تيمية الحراني ، الملقب بفخر الدين الخطيب الواعظ الفقيه الحنبلي ؛ كان فاضلاً ، تفرد في بلده^٣ بالعلم ، وكان المشار إليه في الدين ، لقي جماعة من العلماء ، وأخذ عنهم العلوم ، وقدم بغداد وتفقّه بها على أبي الفتح ابن المني ، وسمع الحديث بها من شهدة بنت الإبري وابن المقرب وابن البطي وغيرهم^٤ ، وصنف في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، مختصراً أحسن فيه ، وله ديوان خطب مشهور وهو في غاية الجودة ، وله تفسير القرآن الكريم ، وله نظم حسن ، وكانت إليه الخطابة بجران ، ولأهله من بعده ، ولم يزل أمره جارياً على سداد وصلاح حال .

١ وذكر الرشاطي وجماعة : سقط من س ن ل ل ي ت مع بر من .

٢ لي : بفتح الدال ؛ وقد سقط ضبط داريا من ق ت مع .

٦٥٧ - ترجمته في طبقات الحنابلة ٢ : ١٥١ وذيل الروضتين : ١٤٦ والوافي ٣ : ٣٧ وعبر

الذهبي ٥ : ٩٢ والشذرات ٥ : ١٠٢ وتاريخ إربل : ٦٧ وعمود الجمان لابن الشاعر ٦ : ٥٣٦ .

٣ س ن لي : بلاده .

٤ ق ر مع : الفضلاء .

٥ وقدم بغداد ... وغيرهم : سقط من النسخ ما عدا ر .

ومولده في أواخر شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسة ، بمدينة حران^١ .
 وتوفي بها في حادي عشر صفر ، سنة إحدى وعشرين وستة ، رحمه الله تعالى .
 قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في حقه^٢ : كان ضئيلاً^٣ بجران ، متى نبغ
 فيها أحد لا يزال وراءه حتى يخرج منه ويبعده عنها ، ومات في خامس صفر
 من السنة المذكورة ، وهذا خلاف ما ذكرته أولاً ، قال : وسمعت في جامع
 حران يوم الجمعة بعد الصلاة ينشد :

أحبابنا قد نذرت مقلتي لا تلتقي بالنوم أو نلتقي
 رفقا بقلب مغرم واعطفوا على سقام الجسد المغرق
 كم تطلوني بليالي اللقا قد ذهب العمر ولم نلتق

وذكره أبو يوسف محاسن بن سلامة بن خليفة الحراني في « تاريخ حران »
 وأثنى عليه ، ثم قال : توفي يوم الخميس بعد العصر عاشر صفر سنة اثنتين
 وعشرين وستة .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال: ورد إربل حاجاً
 في سنة أربع وستة ، وذكر فضله ، وقال : كان يدرس التفسير في كل يوم ،
 وهو حسن القصص حلو الكلام مليح الشائل ، وله القبول التام عند الخاص
 والعام ، وكان أبوه أحد الأبدال والزهاد ، وتفقه بجران وببغداد ، وكان حاذقاً
 في المناظرات صنف مختصرات في الفقه ، وخطباً سلك فيها مسلك ابن نباتة ،
 وكان بارعاً في تفسير القرآن ، وجميع العلوم له فيها يد بيضاء ، وسمع من
 مشايخ الحديث ببغداد وأنشد له :

سلام عليكم مضى ما مضى فراقى لكم لم يكن عن رضا

١ ر ق : ومولده في حران في الثامن والعشرين من شعبان ، وتوفي بمدينة حران .

٢ لم يرد هذا النص في مرآة الزمان المطبوع .

٣ كذا في ر ق ؛ وفي ذيل الروضتين : خطيباً ، نقلنا عن سبط ابن الجوزي .

٤ قال أبو المظفر... وستة : انفردت به النسختان ر ق .

٥ ت ل لي : العام ؛ وذلك في تاريخ إربل .

سلاوا الليل عَنِّيَ مَدَّ غَبْمُ
أَحْبَابِ قَلْبِي وَحَقُّ الَّذِي
لئن عادَ عِيدُ اجْتِمَاعِي بِكُمْ
وَعُوفِيَتِ مِنْ كَارِثٍ^٢ أَمْرَضَا
لَأَلْتَقِينَ مَطَايَاكُمْ^٣ وَأَفْرَشَهُ فِي الْفِضَا
وَلَوْ كَانَ حَبْنَوْا عَلَيَّ جِبْهَتِي
فَأَحْيَا وَأَنْشُدُ مِنْ فَرَحَتِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَضَى مَا مَضَى^٤

ثم قال : سألته عن اسم تيمية ما معناه ، فقال : حجج أبي أو جدي ، أنا أشك
أيهما ، قال : وكانت امرأته حاملاً ، فلما كان بتيها رأى جُورِيَّة قد خرجت
من خباء ، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعت جارية ، فلما رفعوها
إليه قال : ياتيمية ، ياتيمية ، يعني أنها تشبه التي رآها بتيها ، فسمي بها^٥ ،
أو كلاماً هذا معناه .

وتيها : بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم
وبعدها همزة ممدودة ، وهي بليدة في بادية تبوك إذا خرج الإنسان من خيبر
إليها تكون على منتصف طريق الشام ، وتيمية منسوبة إلى هذه البليدة ،
وكان ينبغي أن تكون تياوية ، لأن النسبة إلى تيها تياوي ، لكنه هكذا قال
واشتهر كما قال .

١ ق : بالليل... غمضا ؛ المختار وتاريخ إربل : غمضا .

٢ ق : عارض .

٣ تاريخ إربل : بوجهي .

٤ علق ابن المؤلف بعد هذه الأبيات بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به :
وهو جد الشيخ تقي الدين أحمد الموجود الآن بدمشق ، ورأيت أبا التقي ولقبه شهاب الدين
واسمه (....) وكان يغشى مجلس والدي قدس الله روحه بدمشق كثيراً وتوفي بها » .

٥ ق مج : به .

أبو منصور العتّابي

أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج ، النحوي المعروف بالعتّابي ؛ كانت له معرفة بالنحو واللغة وفنون الأدب ، وله الخط المليح الصحيح الذي يتنافس فيه أهل العلم ، وقرأ الأدب على الشريف أبي السعادات هبة الله بن الشجري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وعلى أبي منصور موهوب بن الجواليقي وغيرهما وسمع الحديث من مشايخ وقته ، وكتب الكثير ، وكل كتاب يوجد بخطه فهو مرغوب فيه . وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتوفي ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والعتّابي : بفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى العتّابين ، وهي إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها ، وكان أبو منصور المذكور قد تركها وسكن في الجانب الشرقي .
وأما أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي الشاعر المشهور فهو منسوب إلى عتّاب بن سعد بن زهير بن جشم ، وكان شاعراً بليغاً مجيداً ، مدح هارون الرشيد وغيره ، وهو من أهل قنسرين المدينة القديمة التي بالشام مجاورة حلب ، وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب ، وإنما أخللت به لأنني لم أظفر له بوفاة ، ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته .

٦٥٨ - ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٨٨ (وذكرت في الحاشية مصادر أخرى) وقد سقطت الترجمة

من ت مع ومن المختار .

١ ر : الصحيح المليح .

المسعودي شارح المقامات

أبو سعيد - ويقال أبو عبد الله - محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد ابن مسعود بن أحمد بن الحسين بن محمد المسعودي ، الملقب تاج الدين ، الخراساني المروزي البندهي الفقيه الشافعي الصوفي ؛ كان أديباً فاضلاً اعتنى بالمقامات الحريرية فشرحها وأطال شرحها ، واستوعب فيه ما لم يستوعبه غيره ، رأيت في خمس مجلدات كبار لم يبلغ أحد من شراح هذا الكتاب إلى هذا القدر ولا إلى نصفه ، وهو كتاب مشهور كثير الوجود بأيدي الناس ، وكان مقيماً بدمشق^١ في الحانقاه^٢ السُمَيْسَاطِيَّة ، والناس يأخذون عنه بعد أن كان يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين - وقد تقدم ذكره^٣ - وحصل بطريقه كتباً كثيرة نفيسة غريبة ، وبها استعان على شرح المقامات .

وحكى أبو البركات الهاشمي الحلبي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين إلى حلب في سنة تسع^٤ وسبعين وخمسة نزل المسعودي المذكور إلى جامع حاب وقعد في خزانة كتبها الوقف واختار منها جملة أخذها لم يمنعها مانع ، ولقد رأيت وهو يحشوها في عدل^٥ ، ولقيت جماعة من أصحابه وسمعت منهم وأجازوني . ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين أن البندهي المذكور كانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسة . ونقل بعض الأفاضل من خط البندهي ما صورته :

٦٥٩ - ترجمته في الوافي ٣ : ٢٢٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٣ والشذرات ٤ : ٢٨٠ ولسان الميزان

٥ : ٢٥٦ ، وقد سقطت هذه الترجمة من ت م ج واقتصر منها في المختار على إيراد بعض الشعر .

١ زاد في رق : المحروسة .

٢ ق : بالخانقاه .

٣ انظر ج ٣ : ٤١٩ .

٤ ل ل ي س ن ق بر : سبع ؛ وما أثبتناه موافق لما في سيرة صلاح الدين : ٥٩ .

ولدت وقت المغرب من ليلة الثلاثاء غرة شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسة ، والظاهر أن هذا أصح ، لكونه منقولاً من خطه باليوم والشهر . وتوفي في ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول ، وقيل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وخمسة بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى ، ووقف كتبه على الخانقاه المذكورة ، وكان كثيراً ما ينشد :

قالت عهدتك تبكي دماً حذار التنائي
فلِمَ تعوّضتَ عنها بعد الدماء بقاء ؟
فقلت ما ذاك مني لسولة أو عزاء
لكن دموعي شابت من طول عمر بكائي

ومثله قول الآخر :

قالت سعادُ أتبكي بالدمع بعد الدماء
فقلت قد شاب دمعي من طولِ عمر بكائي^٢

ونسبته بالمسعودي إلى جده مسعود المذكور . وقد تقدم الكلام على المرورودي فلا حاجة إلى إعادته . والبندهي : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ، هذه النسبة إلى بنج ديه من أعمال مرورثوذ ، ومعناه بالعربي خمس قرى ، ويقال في النسبة إليها أيضاً : الفنجديهي والبنجديهي ، بالفاء والجيم أو بالباء الموحدة والجيم ، وخرج منها خلق كثير من العلماء وغيرهم . وقاسيون : بفتح القاف وبعدهم الألف سين مهملة مكسورة وياء مثناة من تحتها مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون ، وهو جبل مطل على دمشق من جهتها الشمالية فيه المنازل المليحة والمدارس والرُّبُط والبساتين ، وفيه نهر يزيد ،

١ ق : الأول أو الآخر .

٢ وكان كثيراً ... بكائي : سقط من س ن ل لي بر من .

ونهر ثوري في ذيله، وفيه جامع كبير بناه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل - المقدم ذكره في حرف الكاف^١ - رحمه الله تعالى ، وفيه يقول ابن عنين - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - في قصيدته اللامية التي مدح بها سيف الإسلام ابن أيوب صاحب اليمن - المذكور في حرف الطاء^٢ - فإنه تشوق إلى دمشق فيها ، وذكر مواضع من مستنزهاتها ، وقال في الجبل المذكور^٣ :

وفي كبدي من قاسيون حزازة تزول رواسيه وليس تزول
وهي من غر^٤؛ قصائده ولقد أبدع فيها ، رحمه الله .

٦٦٠

ابن نقطة

أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر بن عبد الله الحنبلي ، المعروف بابن نقطة ، الملقب معين الدين البغدادي المحدث ؛ كان من طلبة الحديث المشهورين به المكثرين من سماعه وكتابته والراجلين في تحصيله . دخل خراسان وبلاد الجبل والجزيرة والشام ومصر ، ولقي المشايخ وأخذ عنهم واستفاد منهم ، وكتب الكثير وعلق التعاليق النافعة ، وذيل على « الإكمال »

١ انظر الترجمة رقم : ٥٤٧ .

٢ انظر المجلد ٢ : ٥٢٣ .

٣ ديوان ابن عنين : ٧٠ .

٤ ر بر من : غرر .

٦٦٠ - ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ١٨٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٤١٢ ، وعبر الذهبي ٥ : ١١٧

والوافي ٣ : ٢٦٧ والشذرات ٥ : ١٣٢ والرسالة المستطرفة : ١١٧ وتاريخ إربل : ٢٣٤

واقصر صاحب المختار من هذه الترجمة على شعر ابن الشبل .

كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا - المقدم ذكره^١ - وما أقصر فيه وجاء في مجلدين. وله كتاب آخر لطيف في الأنساب مثل الذيل على كتابي محمد بن طاهر المقدسي وأبي موسى الأصبهاني الحافظين - المقدم ذكرهما - وكتاب «التقييد لمعرفة الرواة والسنن^٢ والمسانيد^٣» وكنت أسمع به في وقته ، ولم أجمع به . وذكره أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» وعده في جملة من وصل إليها وسمع الحديث بها ، وأثنى عليه وقال : أنشدني لأبي علي محمد بن الحسين بن أبي الشبل البغدادي ، وهو أحد شعراء العراق المجيدين المتأخرين ، وقد ذكره ابن الحظيري في كتاب «زينة الدهر» :

لا تظهِرَنَّ لعاذِلٍ أو عاذِرٍ حالَيْكَ في الضراءِ والسراءِ
فلمحة المتوجعين مرارةً في القلبِ مثلُ شماتةِ الأعداءِ

وتوفي ابن نقطة المذكور في الثاني والعشرين من صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ببغداد ، وهو في سن الكهولة ، وكنت يومئذ مقيماً بمدينة حلب للاشتغال فوصلنا خبر موته ، رحمه الله تعالى^٤ .

(191) وتوفي أبوه عبد الغني في رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ، ودفن في موضع مجاور لمسجده ، وكان مشهوراً بالثقل والإيثار .
ونقطة : بضم النون وسكون القاف^٥ وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة .
(192) وتوفي أبو علي ابن أبي الشبل المذكور سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ؛ ذكره العماد الأصبهاني في كتاب «الخريدة» .

١ ج ٣ : ٥١٦ .

٢ ر ل ي بر : رواة السنن ؛ وسقطت العبارة من ت مع .

٣ رق : والأسانيد .

٤ حاشية بهامش س : قلت : رأيت مكتوباً على أول المجلدة الثانية من تكملة ابن الأبار التي بخط ابن نقطة المذكور ما صورته : «توفي أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحافظ البغدادي في عاشر شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى» .

٥ إلى هنا تنتهي الترجمة في مع .

ابن الديثي

أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن أبي الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج ، المعروف بابن الدبّيشي ، الفقيه الشافعي المؤرخ الواسطي ؛ سمع الحديث كثيراً وعلق تعاليق مفيدة ، وكانت له محفوظات حسنة ، وكان يوردها ويستعملها في محاوراته ، وكان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين ، وصنف كتاباً جعله ذيلاً على تاريخ أبي سعد عبد الكريم ابن السمعي الحافظ - المقدم ذكره - المذيل على « تاريخ بغداد » للخطيب ، وذكر فيه ما لم يذكره السمعي ممن أغفله أو كان بعده ، وهو^٢ في ثلاث مجلدات وما أقصر فيه ، وصنف تاريخاً لواسط ، وصنف غير ذلك . ذكره ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد علينا في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستائة ، وهو شيخ حسن ، وقال : أنشد لنفسه :

خَبَّرْتُ بني الأيام طراً فلم أجد صديقاً صدوقاً مُسعداً في النوائِبِ
وأصفيتهم منّي الودادَ فقابلوا صفاءً ودادي بالقذى والشوائِبِ
وما اخترتُ منهم صاحباً وارتضيتُه فأحمدتُه في فعله والعواقِبِ

ولم يزل أبو عبد الله المذكور على اجتهاده وتعليقه إلى أن توفي . وكانت ولادته يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين

٦٦١ - ترجمته في الوافي ٣ : ١٠٢ وطبقات السبكي ٥ : ٢٦ وعبر الذهبي ٥ : ١٥٤ وغاية

النهاية ٢ : ٤٥٠ والشذرات ٥ : ٥٨١ والرسالة المستطرفة : ١٣١ وابن الشعار ٧ : ٦٤

ولم يأت من هذه الترجمة في المختار سوى الأبيات البائية ، وقد ورد النسب موجزاً في مج .

١ انظر ج ٣ : ٢٠٩ .

٢ ل ل ي ت مج : رأيته .

وخمسمائة بواسطة . وتوفي يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن بالوردية من القدي .
 والدُبَيْثِي : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى دُبَيْثِي ، وهي قرية بناوحي واسط ، وأصله من كنجة ، وقدم جدّه عليّ من ديبثى وسكن واسط وبها توالدوا^١ .
(193) وتوفي والده أبو المعالي سعيد ليلة عيد النحر سنة خمس وثمانين وخمسمائة بواسطة ، ومولده بها في السابع والعشرين من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

٦٦٢

ابن ظفر

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المنعوت بحجة الدين ؛ أحد الأدباء الفضلاء ، صاحب التصانيف الممتعة ، منها كتاب « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » صنفه لبعض القواد بصقلية ، سنة أربع وخمسين وخمسمائة ،

١ ر : من الغرب .

٢ هنا تنتهي الترجمة في النسخ ما عدا ر ق ؛ وانتهت عند لفظة « واسط » في ت مج ؛ وعند لفظة « كنجة » في س ن ل لي بر من .

٦٦٢ - ترجم له العماد في الحريرة (قسم الشام) ٣ : ٤٩ والصفيدي في الوافي ١ : ١٤١ (محمد بن محمد بن محمد) وانظر أيضاً العقد الثمين ٢ : ٣٤٤ (محمد بن أبي محمد بن ظفر ، وكناه أبا هاشم نقلا عن أبي الحسن القطيبي في ذيل تاريخه لبغداد، وذكر أنه توفي سنة ٥٦٧ ومولده سنة ٤٩٧ ؛ قال : وذكره القطب الحلبي في تاريخ مصر فقال محمد بن محمد بن ظفر . . الخ وأن وفاته في عشر السبعين وخمسمائة) ، وبغية الوعاة : ٥٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٤٨ ونقل أماري بعض هذه الترجمات في المكتبة الصقلية (٦٠٥ ، ٦٥٩ ، ٦٧١) وزاد عليها نقلا عن المقفى للمقريري (المكتبة : ٦٦٥) .

و « خَيْرَ الْبَشَرِ بِخَيْرِ الْبَشَرِ » ، وكتاب « النبوع »^١ في تفسير القرآن الكريم ، وهو كبير ، وكتاب « نجباء الأبناء » ، وكتاب « الحاشية على درة الغواص » للحريري صاحب المقامات ، و « شرح المقامات للحريري » وهما شرحان : كبير وصغير ، وغير ذلك من التوايف الظريفة المليحة^٢ . ورأيت في أول الشرح الذي له يذكر أنه أخبره بها الحافظ أبو الطاهر السلفي عن منشئها الحريري ، والناس يقولون : إن الحافظ السلفي رأى الحريري في جامع البصرة وحوله حلقة ، وهم يأخذون عنه المقامات ، فسأل عنه فقبل له : إن هذا قد وضع شيئاً من الأكاذيب وهو يئليه على الناس ، فتكئبه^٣ ولم يعرج عليه ، والله أعلم بالصواب .

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي - المقدم ذكره^٤ - أنه قال : أحلت علي ديوان حماة برزقي ، فسرت إليها لأجل ذلك ، فلما حلفتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر المذكور ، وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة ، فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها ، وكان حاله في اللغة قريباً ، فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة ، فقلت : الأول مسلم والثاني ممنوع ، وتفرقنا .

وكان ابن ظفر قصير القامة دميم الحلقة غير صبيح الوجه . ويروي لابن ظفر المذكور شعر ، فمن ذلك ما وجدته في بعض الجمايع منسوباً إليه وهو :

حملتك في قلبي فهل أنت عالمٌ بأنك محمولٌ وأنت مقيمٌ
ألا إن شخصاً في فؤادي محلته وأشتاقه ، شخصٌ عليّ كريمٌ

[وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض العرب :

سقى بلداً كانت سليمي تحلته من المزن ما تروى به وتشم

١ المكتبة الصقلية (٦٦٦) : ينبوع الحياة ، وبهامش مج بخط الناسخ نفسه : « من غير الأصل :

وينبوع الحياة في تفسير القرآن الحكيم ، ثماني مجلدات كبار . »

٢ راجع أسماء مؤلفاته في المصدر السابق ، نقلاً عن المقفى ؛ وقد ورد ذكرها موجزاً في ق مج .

٣ ر : فتركه .

٤ انظر ج ٢ : ٣٣٩ .

وإن لم أكن من ساكنيه فإنه يحلُّ به شخص عليّ كريم^١
وأورد له العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » عدة مقاطيع ، فمن ذلك
قوله^٢ :

على قدرِ فضلِ المرءِ تأتي خطوبه . ويُعرف عند الصبرِ في ما يصيبه^٣
ومن قلِّ فيما يتَّقيهِ اصطباره . فقد قلِّ فيما يرتجيهِ نصيبه

وكانت نشأته بمكة ، وتنقل في البلاد ، ومولده بصقلية ، وسكن آخر الوقت
بمدينة حماة وتوفي بها سنة خمس وستين وخمسة ، رحمه الله تعالى . ولم يزل
يكابد الفقر إلى أن مات ، حتى قيل إنه زوج ابنته في حماة بغير كفاء من الحاجة
والضرورة ، وإن الزوج رحل بها عن حماة وباعها في بعض البلاد .

وظفر : بفتح الظاء المعجمة والفاء وبعدها راء ، وهو المصدر من قولهم :
ظَفِرَ بالشيءِ يَظْفِرُ ظَفْرًا ، إذا فاز به .

وقد تقدم الكلام على صقلية فلا حاجة إلى إعادته .

١ ما بين معقنين لم يرد في النسخ الخطية ، وزدناه عن المطبوعة المصرية .

٢ الخريدة : ٥٢ ؛ وهذا الشعر لم يرد في ت مج .

٣ في النسخ : فيه نصيبه ، والتصويب عن الخريدة .

٤ لي : وأباعها .

العتبي

أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو^١ بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، المعروف بالعتبي^٢ ، الشاعر البصري المشهور ؛ كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً ، وكان يروي الأخبار وأيام العرب ، ومات له بنون ، فكان يرثيهم ، وروى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط بن مخنف، وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي وغيرهم ، وقدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أهلها ، وكان مستهتراً^٣ بالشراب ، ويقول الشعر في عتبة . وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وله من التصانيف كتاب « الخليل » وكتاب « أشعار الأعراب » و « أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن » وكتاب « الذبيح » وكتاب « الأخلاق » وغير ذلك .

وقال العتي المذكور : سمعت أعرابياً يقول لرجل : إن فلاناً وإن ضحك لك فإن عقاربه تسري إليك ، فإن لم تجعله عدواً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك^٤ .

٦٦٣ - ترجمته في الفهرست : ١٢١ ومعجم المرزباني : ٣٥٦ وطبقات ابن المعتز : ٣١٤ والوافي ٤ : ٣ وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ واللباب (العتبي) وعبر الذهبي ١ : ٤٠٣ وله شعر في عيون الأخبار ٣ : ٦٠ والتعازي والمراثي : ٦٤ .

١ س بر : عمر ، وانظر جمهرة ابن حزم : ١١٢ .

٢ ميج ق بر : مشتهراً .

٣ وقال العتبي . . . سريرتك : انفردت به ر ق ؛ والنص من قوله « ويقول الشعر . . . سريرتك »

سقط من ميج وجاء في موضعه : « وأكثر أخباره عن بني أمية ، فمن المنقول عنه قال : حضرت قينة مجلسنا ففتت فأجادت ، فقام إليها شيخ فيجلس بين يديها وقال : كل مملوك له حر وكل امرأة له طالق ، لو كانت الدنيا كلها صرراً في كمي لقطعتها لك ، فأما إذ لم يكن فجعل الله كل حسنة =

وذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ وابن المنجم في كتاب « البارع »
وروي له^٢ :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بَعَارِضِي فَأَعْرَضْنَ عَنِي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ
وَكَنَّ مَتَى أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي بِسَعِينٍ فَرَقَّتْ عَنَ الْكُؤَى بِالْمَاجِرِ
فَإِنْ عَطَفْتُ عَنِي أَعْنَةُ أَعِينِ نَظَرْنَ بِأَحْدَاقِ الْمَهَا وَالْجَاذِرِ
فَإِنِّي مِنْ قَوْمِ كَرِيمٍ ثَنَاؤُهُمْ لِأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُوسَ الْمَنَابِرِ
خِلَافٌ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي الشَّرْكَ قَادَةٌ بِهِمْ وَإِلَيْهِمْ فَخَرُ كُلِّ مَفَاخِرِ

وفي المجموع الذي بخطي أبيات للشريف الرضي، رحمه الله، في هذا المعنى^٣.
وأورد له أيضاً :

لَمَّا رَأَيْتَنِي سُلَيْمِي قَاصِرًا بَصْرِي عَنهَا وَفِي الطَّرْفِ عَنِ أَمْثَالِهَا زَوْرُ
قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا ، فَقَلَّتْ لَهَا إِنْ الشَّبَابَ جُنُونٌ بَرُّؤُهُ الْكِبَرُ

وهذا البيت من الأمثال السائرة . وذكر له المبرد في كتاب « الكامل »^٤
بيتين يرثي بهما بعض أولاده ، وهما :

أَضْحَتْ بَخْدِي لِلدَّمُوعِ رُسُومٌ أَسْفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُلُّومٌ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المشهورة . وشعره كثير جيد ، وهو من

= لي لك ، وكل سيئة لك علي؛ فقالت : جزاك الله خيراً فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا؛
فقام شيخ آخر فقعد بين يديها وقال : كل مملوك له حر ، وكل امرأة له طالق إن كان وهب لك
شيئاً أو حمل عنك شيئاً لأنه ما له حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فلا شيء تحمدينه؟ .

١ المعارف : ٥٣٨ .

٢ معجم المرزباني : ٣٥٧ . وفيه بيتان منها ، وكذلك ورد بيتان في مع .

٣ وفي المجموع . . . المعنى : مذكور في ن ل بر من وسقط من س ت ر ق مع .

٤ الكامل ٢ : ٤١ .

فحول الشعراء المحدثين . وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
 والعُتْبِيُّ : بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وبعدها باء
 موحدة ، هذه النسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان المذكور ، وقد نسب مثل
 هذه النسبة إلى عتبة بن غزوان الصحابي ، رضي الله عنه ، وغيره ويجوز أن
 تكون نسبته إلى عتبة التي كان يقول الشعر فيها ، والله أعلم .
 وروي عنه^٢ أنه كان يقول : الزرافة - بفتح الزاي وضمها - الحيوان
 المعروف وهي متولدة بين ثلاث حيوانات : الناقة الوحشية والبقرة الوحشية
 والضبعان ، وهو الذكر من الضباع ، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة
 والضبع ، فإذا كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتي بالزرافة ، وذلك في بلاد
 الحبشة ، ولذلك قيل لها الزرافة ، والزرافة في الأصل الجماعة ، قلما تولدت من
 جماعة قيل لها الزرافة ، والمعجم تسميها : « اشتر كاو بلنك » لان « الأشر » :
 الجمل و « الكاو » : البقرة ، و « البلنك » : الضبع .

٦٦٤

أبو بكر الخوارزمي الشاعر

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور، ويقال له « الطبرخزي »
 أيضاً لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان فرُكِّب له من الاسمين نسبة ،
 كذا ذكره السمعاني ، وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب

١ ويجوز . . . فيها : سقط من س ن ل لي مج بر من .

٢ من هنا حتى آخر الترجمة زيادة من رق والمختار ، وقارن بما في الحيوان ١ : ١٤٣ ، وقد سخر
 الجاحظ من يذهبون هذه المذاهب .

٦٦٤ - ترجمته في الباب : (الطبرخزي) وتاريخ ابن الأثير ٩ : ١٠١ ورسائل البديع : ٢٨ - ٨٤
 (مناظرته معه) وبغية الوعاة : ٥١ والوافي ٣ : ١٩١ وله ذكر في أخلاق الوزراء للتوحيدي
 وانظر الشذرات ٣ : ١٠٥ .

التاريخ - وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة ابن جرير -
وأبو بكر المذكور أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير ، كان إماماً في
اللغة والأنساب ، أقام بالشام مدة وسكن بناوحي حلب ، وكان مُشاراً إليه
في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب ابن عباد وهو بأرتجان ، فلما
وصل إلى بابه قال لأحد حجاجه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو
يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب ، قل له : قد
ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من
شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر: ارجع إليه
وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد
عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يريد أن يكون أباً^١ بكر الخوارزمي ،
فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرّفه وانبسط له .
وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر . وقد ذكره الثعالبي في
كتاب « البيتية »^٢ ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه ، فمن ذلك
قوله :

رأيتك إن أيسرت خيمنت عندنا مُقيماً وإن أعسرت زُرْتَ لَمَّا
فما أنت إلا البدرُ إن قلَّ ضَوْؤُه أغبَّ وإن زاد الضياء أقاما

[يشير إلى قول ابنة عبيد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة : ما رأيت ألام
من أصحابك ، إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك ، فقال : هذا من
كرمهم ، يأتوننا في حال القوة منّا عليهم ويعافوننا في حال الضعف منا عنهم ؛
وأنشدني عثمان بن سعيد بن تولوا لنفسه :

متواضع كالفضن يدنو مثنراً فإذا أذاك ما عليه ترفتما^٤

١ ق : يستأذن عليك .

٢ أن : سقطت من ر مج ؛ ق : هذا تراه يكون ؛ وفي ر مج والمختار : أبو ؛ بر : هذا يكون أباً .

٣ البيتية ٤ : ١٩٤ .

٤ زيادة انفردت بها مج .

ومن شعره أيضاً :

يا من يحاول صرف الراح يشربها ولا يفكّ لما يلقاه قرطاسا
الكاسُ والكيسُ لم يقض امتلاؤهما ففرغ الكيسَ حتى تملأ الكاسا
وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أبو بكر له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدومُ على الوفاءِ
مودّته إذا دامت لِحِلِّ فمَن وقت الصِّباحِ إلى المساءِ

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة
ثلاث وثمانين وثلثمائة . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أنه توفي سنة ثلاث
وتسعين ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى^٢ .

وكان قد فارق الصاحب ابن عباد غير راض فعمل فيه :

لا تحمدنَّ ابن عباد وإن هطّلتْ يَداه بالجوّد حتى أخجلَ الدَيّما
فإنها خَطرات من وساوسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لا بُخْلا ولا كَرَمًا
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشد :

أقولُ لركبٍ من خُرّاسانٍ قافلٍ أَماتَ خوارزميكم؟ قيل لي: نعمُ
فقلت: اكتبوا بالحصّ من فوق قبره ألا لعنَ الرحمنُ من كفرَ النعمُ

قلت : هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين إلى أبي بكر الخوارزمي المذكور
في الصاحب ابن عباد، ذكر ذلك جماعة من الأدباء في مجاميعهم وفي مذكراتهم .
(194) ثم نظرت في كتاب « معجم الشعراء »^٣ تأليف المرزباني، فوجدت

١ ل لي ت بر من : شبيب .

٢ هامش ن : وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، هكذا ذكره الثعالبي في « اليتيمة »
وغيره ؛ وقوله : وذكر شيخنا . . . تعالى : سقط من س ن لي ل بر من .

٣ معجم المرزباني : ٣١٦ .

في ترجمة أبي القاسم الأعمى، واسمه معاوية بن سفيان، وهو شاعر راوية بغداد في
أحد غلمان الكسائي، اتصل بالحسن بن سهل يؤدب أولاده، فعتب عليه في
شيء فقال يهجو:

لا تَحْمَدَنَّ حَسَنًا بِالْجُودِ إِنْ مَطَّرَتْ كَفَّاهُ غَزْرًا وَلَا تَذُمَّهُ إِنْ زَرِمَا
فَلَيْسَ يَمْنَعُ إِبْقَاءَ عَلَى نَسَبٍ وَلَا يَجُودُ لِفَضْلِ الْحَمْدِ مَفْتِنَا
لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بَجَلًا وَلَا كَرَمًا

والله أعلم بذلك^١. وقد تقدم الكلام على الخوارزمي.
والطبري خزي: بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الحاء
المعجمة وبعدها زاي، وقد سبق في أول الترجمة الكلام على سبب هذه النسبة.

٦٦٥

السلامي الشاعر

أبو الحسن محمد بن عبد الله^٢ بن محمد بن محمد بن يحيى بن خليس بن عبد الله
ابن يحيى بن عبد الله بن الحارث بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر^٣ بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن

١ قلت: هكذا... أعلم بذلك: سقط هذا النص من أكثر النسخ.

٦٦٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٢: ٣٣٥ والوافي ٣: ٣١٧ والمنتظم ٧: ٢٢٥ والامتناع ١: ١٣٤
والبداية والنهاية ١١: ٣٣٣؛ واكتفى صاحب المختار بإيراد الأشعار الواقعة في هذه الترجمة.

٢ ر ل ي ق بر وتاريخ بغداد: عبید الله؛ وفي تاريخ بغداد اختلاف في نسبه عما هو هنا، والنسب موجز
في كل من س ن ت مع.

٣ ن: عمرو.

نزار بن معد بن عدنان ، الخزومي السّلامي الشاعر المشهور ؛ هو من ولد الوليد ابن الوليد بن المغيرة الخزومي ، أخي خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .
قال الثعالبي في حقه^١ : هو من أشعر أهل العراق قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق ، وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القلوب ، ومضى النفوس . ومن خبره أنه قال الشعر وهو ابن عشر سنين^٢ ، وأول شيء قال^٣ في المكتب :

بدائع الحسن فيه مفترقه وأعين الناس فيه متفقه
سأه أُلحاظِهِ مَفْوَقَةٌ فكلّ مَنْ رام لَحَظَهُ رَشَقَهُ
قد كَتَبَ الحَسَنُ فَوْقَ وَجَنَّتِهِ ؛ هذا مِليحٌ وَحَقٌّ من خَلْقِهِ

[وركب في صباه سمارية في دجلة ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال :

وميدان تجبول به خيولٌ تقود الدارعين ولا تقادُ
ركبت به إلى اللذات طِرْفاً له جسمٌ وليس له فؤاد
جری فظننت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظرٌ ، وهو السواد]^٤

ونشأ ببغداد وخرج منها إلى الموصل وهو صبي يوم ذلك^٥ ، فوجد بها جماعة من مشايخ الشعراء ، منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين ، وأبو الفرج البيهقي - المقدم ذكره - وأبو الحسن التلمصري ، وغيرهم ، فلما رأوه عجبوا منه لبراعته مع حداثة سنه ، فاتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدي : أنا أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع فيها الشعراء وأحضر السلامي المذكور معهم ، فلما توسطوا

١ يتيمة الدهر ٢ : ٣٩٦ ؛ وهذه الترجمة في أكثرها نقل عن اليتيمة .

٢ ق من : ابن عشرين سنة .

٣ لي : قال وهو .

٤ اليتيمة : عارضه .

٥ زيادة انفردت بها مع .

٦ مع : وخرج من مدينة السلام وورد الموصل وهو صبي حين راهق .

للشراب أخذوا في التفتيش عن^١ بضاعته ، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرَد
ستر وجه الأرض ، فألقى الخالدي نارنجاً كان بين أيديهم على ذلك البرَد ، وقال :
يا أصحابنا ، هل لكم أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً :

لله در الخالديّ الأوحـد النـدب الخـطير
أهدى لماء المزن عذـد جوده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتـا بـ إليه عن حرّ الصـدور
بعثت إليه هديّة^٢ عن خاطري أيدي السرور
لا تمـذوه فإنه أهدى الحدودَ إلى الثغور

فلما رأوا ذلك منه أمسكوا عنه . وكانوا يصفونـه بالفضل ويعترفون له
بالإجادة والحدق ، إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال السلامي فيه :

سما التلعفريُّ إلى وصالي ونفسُ الكلبِ تكبر عن وصاله
ينافي خلقه خلقي وتأبى فعالي أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني وصنعتـه الحـسيسة في قـذاله
فإن أشعر فما هو من رجالي وإن يُصَفَّعَ فما أنا من رجاله^٣

وله فيه أهاج كثيرة .

ودخل السّلامي يوماً على أبي تغلب^٤ ، وأظنه الحمداني ، وبين يديه درع ،
فقال : صفها لي ، فارتجل :

يا ربّ سابغةٍ جبتني نعمة وكافأتها بالسوء غير مفنّد
أضحت تصونُ عن المنايا مهجتي وظللت أبلدها لكلّ مهنّد

١ مج : أخذوا في ملاحظاته والتفتيش عن قدر .

٢ اليتيمة : بعذره .

٣ سقط البيت من ن .

٤ ن ر ت ل لي : تغلب .

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في الخمرة المطبوخة ، وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته وهو^١ :

وقَتْنِي من نار الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس يحدُّ^٢
وقصد السَّلامي حاضرة الصحاب ابن عباد وهو بأصبهان ، فأنشده قصيدته
البائية التي من جملتها :

تبسطننا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وهذا البيت من محاسنه ، وفيه إشارة إلى قول أبي نؤاس الحسن بن هانئ^٣
من جملة أبيات في الزهد - وقد تقدم ذكرها في ترجمته^٤ - وهو قوله :

تعضّ ندامةً كفيك مما - تركت مخافة النار السرورا

وفيه إلمام أيضاً بقول المأمون : لو علم أرباب الجرائم تلذذي بالعفو لتقربوا
إليّ بالذنوب .

ولم يزل السَّلامي عند الصحاب بين خير مستفيض ، وجاء عريض ، ونعم
بيض ، إلى أن آثر قَصْدَ حاضرة عضد الدولة بن بُوَيه بشيراز ، فحمله الصحاب
إليها وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الكاتب ، وكان
أحد البلغاء ، ومن يجزي عند عضد الدولة مجرى الوزراء ، ونسخة الكتاب :
قد علم مولاي^٥ أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق أن حليته التي
يهدىها من صَوغ طبعه ، وحلله التي يؤديها من نسج فكره ، أقلُّ من ذلك ،
ومن خبرته بالامتحان فحمدته^٦ ، وفَرَرْتَه بالاختبار فاخترته ، أبو الحسن محمد
ابن عبد الله السَّلامي^٧ ، وله بديهة قوية ، توفي على الرويّة ، ومذهب^٨ في الإجابة

١ انظر ج ٣ : ٧٩ .

٢ ج ٢ : ٩٨ .

٣ زاد في مع : أطال الله بقاءه .

٤ ق ر ل مع : فأحمدته .

٥ زاد في مع : أيده الله .

يش السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله ، وخير له^١ إلى
 الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معهم بياض حاله ،
 فجهزت منه أمير الشعر في موكبه ، وحليت فرس البلاغة بركبه ، وكتابي هذا
 رائده إلى القطر ، بل مشرّعه إلى البحر ، فإن رأى مولاي أن يراعي كلامي
 في بابه ، ويجعل ذلك من ذرائع إيجابه ، فعل إن شاء الله تعالى .
 فلما ورد عليه تكفل به أبو القاسم وأفضل عليه وأوصله إلى عضد الدولة ،
 حتى أنشده قصيدته التي منها^٢ :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
 فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
 وبشرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ، ويوم هو الدهر

وقد تقدم ذلك في ترجمة عضد الدولة في حرف الفاء فليطلب هناك - .
 وقد أخذ القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني - المقدم ذكره^٣ - معنى البيت
 الأخير وسبكه في قوله :

يا سائلي عنه لما ظلت أمدحه هذا هو الرجل العاري من العار
 لو زرته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

وهذا البيت وإن كان في معنى ذلك البيت لكن ليس فيه رشاقتة ولا عليه
 طلاوته؛ وقد استعمل المتنبي أيضاً هذا المعنى المذكور لكنه لم يكمله فأتى ببعضه
 في النصف الأخير من هذا البيت وهو قوله :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق^٤

١ ن : وخيرته ؛ س ت : وخير له .

٢ لم يرد في رق ، إلا البيت الأول ، ثم أحالتها على ما ورد في ترجمة عضد الدولة .

٣ ج ١ : ١٥١ .

٤ وقد أخذ القاضي . . . الخلائق : ورد في جميع النسخ ما عدا ر ق ، وهو مكرر مع اختلاف يسير ،
 إذ ورد ما يشبهه في ترجمة عضد الدولة .

رجعنا إلى خبر السلمي مع عضد الدولة :

فاشتمل عليه يجناح القبول ، ودفع إليه مفتاح المأمول ، واختص بخدمته في مقامه وظعنه ، وتوفر من صلاته حظه ، وكان عضد الدولة يقول : إذا رأيت السلمي في مجلسي ظننت أن عطار قد نزل من الفلك إليّ ووقف بين يدي . ولما توفي عضد الدولة - في التاريخ المذكور في ترجمته - تراجع طبع السلمي ورقت حاله ، ثم ما زالت تماسك مرة وتنداعى أخرى حتى مات . وله في عضد الدولة كل قصيدة بديعة ، فمن ذلك قوله من جملة قصيدته :

نهبتهُ ندماني وقد	عبرت بنا الشعرى العبورُ
والبدرُ في أفق السما	ء كروضة فيها غدِير
هَبُّوا إلى شرب المدا	م فإئنا الدنيا غروراً
هَبُّوا فقد عبي الرقي	ب فنام وانتبه السرور
وأشار إبليس فقا	نا كلنا : نعم المشير
صرعى بمركة تعفّ	الوحش عنا والنسور
نوار رَوْضتنا خدو	دُ والغصونُ بها خُصُور
والعيش أستر ما يكو	ن إذا تهتكت الستور
طاف السقاة بها كما	أهدت لك الصيّد الصقور
عذراء يكتمها المزا	جُ كأنها فيه ضمير
وتظنُّنَّ تحْت حبايها	خدّاً تقبله ثغور
حتى سجّدا والإما	مُ أماننا بهم ^٣ وزير

وله فيه أيضاً من جملة أبيات :

يزور نائلك العافي وصارمك العاصي فتحويها أيدي وأعناقُ

١ البيتية : ٤١٦ .

٢ تأخر عن هذا الموضوع في البيتية ، وسقط من مج ل . ٣ مج والبيتية : مثنى .

في كل يوم لبيت الحمد منك غِنَى وثروة ، ولبيت المال إِملاقُ

وله فيه أيضاً :

تشبهه المدّاحُ في البأسِ والنّدَى بَمَنْ لو رآه كان أصغرَ خادِمِ
ففي جيشه خَمْسُونَ ألفاً كَعَنَتَرَ وأمضى ، وفي خَزَانِهِ ألفُ حاتمِ

ومن شعره أيضاً :

لَمَّا أُصِيبَ الخدُّ منك بعارضٍ أضحى بسلسلة العذار مقيّدا

ومن هاهنا أخذ ابن التلعفري قوله :

هب أن خدك قد أُصِيبَ بعارضٍ فعَلَامَ صدغك راح وهو مسلسلُ

وَأَنشَدني ابن التلعفري - وهو الشهاب محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني -

أبياته التي من جملتها هذا البيت .

وبالجملة فأكثر شعره نُحِبُّ وغرر^٢ . وكانت ولادته آخر نهار الجمعة لست

خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة في كَرْخِ بَغداد . وتوفي يوم الخميس

رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والسَّلَامي : نسبة إلى دار السلام بَغداد - وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة

محمد بن ناصر الحافظ^٣ .

١ ق : وفي جيرانه .

٢ وقمت هذه الجملة في ق قبل البيت الدالي ، وسقطت من ر .

٣ انظر هذا الجزء : ٢٩٤ .

ابن سكرة الشاعر

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد ، المعروف بابن سكرة الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور ، وهو من ولد علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي ؛ قال الثعالبي في ترجمته^١ : هو شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع ، فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد ، جار في ميدان المحون والسخف ما أراد ، وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بمثل ابن سكرة وابن حجاج لسخياً جداً ، وما شُبِّهَ إلا بجرير والفرزدق في عصرهما . ويقال إن ديوان ابن سكرة يُرَبِّي على خمسين ألف بيت^٢ ، فمن بديع تشبيهه ما قاله في غلام رآه وفي يده غصن وعليه زهر ، وهو :

غصنُ بانٍ بدا وفي اليد منه غصنٌ فيه لؤلؤ منظومٌ

٦٦٦ - ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٦٥ ؛ والمنتظم ٧ : ١٨٦ والوافي ٣ : ٣٠٨ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٠ والشذرات ٣ : ١١٧ .

١ البيتية ٣ : ٣ .

٢ زاد هنا في مج زيادة نستبعد أن تكون من عمل المؤلف ولهذا نثبتها في الحاشية لا في المتن وهي : « منها في قينة سوداء تسمى خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ؛ وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته وهي بنت عمه أنه لا يخلي بياض يوم من سواد شعر في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفقت زوجها من الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلتزم مصلاه لزوم الغريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وكان يقول ابن سكرة : ما رأيت هجاء بمستحث غير هذا ، فمن قوله فيها :

عجبت لخمرة البخراء أني أقامت مع مؤاجرها زمانا

وليس (لفعله) طول ولكن (بيبيك) به ويردغه لسانا

لحاه الله كيف يدس فيها لساناً ربما درس القرانا »

قلت : وانظر جانباً من هذا الخبر في الهفوات النادرة : ٣٧٧ - ٣٧٨ .

فتحيرتُ بين غصنين في ذا قمرٌ طالعٌ وفي ذا نجومٌ

ومن شعره :

قالوا : التحى وستسلو عنه قلت لهم : هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهرُ
هل التحى طرفه الساجي فأهجره ؟ أم هل تزحجَ عن أجفانه الحورُ ؟

وله في غلام أعرج :

قالوا بليتَ بأعرج فأجبتهم ألعيبُ يحدث في غصون البانِ
إني أحب حديثه وأريده للنوم لا للجري في الميدانِ

وله أيضاً :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفتح المعروف بابن أبي العصب - ويقال ابن العصب^٢ - الأشناني الملحي البغدادي الشاعر : كتب إلي ابن سكرة الهاشمي :

يا صديقاً أفادنيه زمان فيه ضنُّ بالأصدقاء وشحُّ
بين شخصي وبين شخصك بُعدٌ غير أن الخيال بالوصل سَمحُ

١ سقط هذان البيتان من مج وورد في موضعهما : « وله في غلام يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأني متى ما قلت من هو يشقوه

حبيب قد نفى عني رقادي فإن غمضت أيقظني أبوه

وحدث ابن أبي الجواز الواسطي قال : سمعت محمد بن سكرة الهاشمي يقول : دخلت حماماً
وخرجت وقد سرق مداسي فعدت إلى داري حافياً وأنا أقول :

إليك أذم حمام ابن موسى وإن فاق المنى طيباً وحرأ

تكاثرت اللصوص عليه حتى لتتخفي من يطوف به ويعرى

ولم أفقد به ثوباً ولكن دخلت محمداً وخرجت بشراً

يريد النبي عليه السلام وبشرأ الحاني » .

٢ ن : العصيب ؛ ت : العضب .

إنما أوجب التباعدَ منا أني سكرٌ وأنتك ملحٌ
فكتب إليه :

هل يقول الإخوان يوماً لحِلِّ
بيننا سكر فلا تفسدنه
شاب منه محض المودة قدحُ
أم يقولون : بيننا وبينك ملحٌ^١
وله يهجو بعض الرؤساء :

تهت علينا ولست فينا وليّ عهدٍ ولا خليفه
فتيه وزد ما عليّ جارٍ يُقْطع عني ولا وظيفه
ولا تقل ليس فيّ عيبٌ قد تقذف الحرة العفيفه
والشعر نارٌ بلا دخانٍ وللقوافي رقيّ لطيفه
كم من ثقل المحلّ سامٍ هوتَ به أحرف خفيفه
لو هُجِيَ المسك وهو أهل لكلّ مدحٍ لصار جيفه

وله أيضاً :

قيل : ما أعددت للبر د فقد جاء بشدة^٢
قلت : دراعة عُرِّي تحتها جبة رِعدَه

وله البيتان اللذان ذكرهما الحريري في المقامة الكرجية^٣ ، وهما :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

١ ورد بعد هذا في النسخ ن س ل لي بر من : ذكره العماد في الحريرة وقال : لقيته بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسائة ، وتوفي بعد ذلك بقليل ؛ والكلام بحسب موقعه ينصرف إلى ابن أبي العصب ، وهو واضح الخطأ ، ولهذا ورد في هامش ن تعليق بخط غير خط الأصل يقول فيه المعلق « لعل هذا سهو من قلم الناسخ إذ لو كان تاريخ وفاة الملحي ذلك ، كيف يمكن المطارحة بينه وبين ابن سكرة... » والترتيب كما أثبتناه عن نسخة ر يصحح هذا الوهم ، فإن كلام العماد ينصرف إلى أبي الشناء محمود لا إلى ابن سكرة .

٢ مقامات الحريري : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس ناعم وكسا
وقد نسج ابن التعاويذي - الآتي ذكره في المحدثين إن شاء الله تعالى - على
منواله ، فقال :

إذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة فما الرأي في التأخير عنه صواب^١
شواء وشمام^٢ وشهد^٣ وشادن وشمع وشاد مطرب^٤ وشراب
وقال أبو الثناء عمود بن نعمة بن أرسلان النحوي الشيزري^٥ :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هي إلا واحد غير مُفْتَرَى^٦
إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك ، وكل الصيد يوجد في القرا^٧
وله ، في الشباب أيضاً :

لقد بان الشباب وكان غصناً له ثمر وأوراق تظلك^٨
وكان البعض منك فإت فاعلم متى ما مات بعضك مات كلك

ومحاسن شعره كثيرة .

وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلثمائة
رحمه الله تعالى .

(195) وكانت ولادة ابن أبي العصب المذكور بعد سنة خمس وثمانين ومائتين ،
وسمع منه الحسن بن علي الجوهري هذه الأبيات سنة أربع وسبعين وثلثمائة .
وتوفي أبو الثناء عمود بن نعمة المذكور سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق^٩ ،

١ - ترجمته في الخريدة (قم الشام) ١ : ٥٧٥ - ٥٧٩ .

٢ الخريدة : وما هي إلا فرد كاف بلا مرا .

٣ قوله « وقد نسج . . . القرا » سقط من النسخ ما عدا ر ق والمختار .

٤ هنا يعود الضمير إلى ابن سكرة ؛ ولذلك قال في المختار : ولا ين سكرة المذكور في الشباب .

٥ ترجم له المؤلف ترجمة عارضة في ج ١ : ٥٢٥ ، ونقل عن العماد قوله إنه توفي بعد سنة خمس

وستين وخمسمائة .

وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب « الخريدة » أنه رآه بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وأنشده عدة مقاطيع له^١ .
وسكرة : بضم السين المهملة وتشديد الكاف وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ، وهي معروفة فلا حاجة إلى تفسيرها^٢ .

٦٦٧

الشريف الرضي الموسوي

الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر ؛ ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة » فقال في ترجمته^٣ : ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبداع أنشاء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين مَنْ مضى منهم ومن غبّر ، على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت إنه

١ وتوفي . . . له : سقط من س ل ي ل ت م ج بر من .

٢ عند هذا الموطن ينتهي الجزء الثاني من نسخة ولي الدين (ن) وقد جاء هناك « وكان الفراغ من نسخ هذا المجلد يوم الثلاثاء بعد العصر الخامس والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام سنة إحدى وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية على ساكنها (؟) أفضل الصلاة والسلام ؛ وعلقه لنفسه لينظر فيه أقل عبيد الله عملا وأكثرهم زللا المعترف بذنبه الراجي عفو ربه محمد بن يوسف ابن ناصر الدين محمد الميديمي المالكي البرساوي منشأ نزيل طرا غفر الله ولوالديه . . . الخ » قلت : وتستمر نسخة ن حتى آخر الكتاب .

٦٦٧ - انظر دراسة عنه للدكتور إحسان عباس (بيروت : ١٩٥٧) وفيها ذكر لمصادر ترجمته .

٣ اليتيمة ٣ : ١٣٦ .

أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أخبر به^١ شاهد عدل من شعره
 العالي القِدْح الممتنع عن القَدْح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة
 رصانة ويشتمل على معانٍ يقرب جناها ويبعد مداها . وكان أبوه يتولى قديماً^٢
 نقابة نقباء الطالبين ، ويحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم
 رُدَّت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة
 وأبوه حي .

ومن غرر شعره ما كتبه إلى الإمام القادر بالله أبي المباس أحمد بن المقتدر
 من جملة قصيدة^٣ :

عطفاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
 ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدأ ، كلانا في المعالي مُعْرِق
 إلا الخلافة ميزتك ، فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق

ومن جيد شعره قوله أيضاً^٤ :

رُمْتُ المعالي فامتنعن ولم يزل أبدأ يُمانعُ عاشقاً معشوق
 وصبرت حتى نلتهن ولم أقل ضجراً : دواء الفارك التطلتيق

وله من جملة أبيات^٥ :

يا صاحبي قفالي واقضيا وطراً وحدَّثاني عن نجدٍ بأخبار
 هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت خميلة الطلح ذات البان والغار
 أم هل أبيت ودار دون كاظمة داري ، وسُمّار ذاك الحي سُمّاري

١ ر ل لي ق : أخبرته ؛ اليتيمة : أجره ؛ مع : أجره من ذكره .

٢ لي : قديماً متولي .

٣ ديوانه ٢ : ٤٢ .

٤ ديوانه ٢ : ٥٠ ؛ ق مع بر : ومن جيد قوله أيضاً .

٥ ديوانه ١ : ٥١٧ ؛ وقد وردت الأبيات في ر بعد قوله « ديوان شعره . . . ذكره » وسقطت
 من النسخ الأخرى .

تَضُوعُ أرواحِ نجدٍ من ثيابهمُ عندَ القُدمِ لقربِ العهدِ بالدارِ

وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات ، وهو كثير الوجود فلا حاجة إلى الإكثار من ذكره .

وذكر أبو الفتح ابن جني النحوي - المقدم ذكره^١ - في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي المذكور أحضِرَ إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو ، وقعد معه يوماً في حلقة^٢ ، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا « رأيت عمر » فما علامة النصب في عمر ؟ فقال له الرضي : بُغِضَ علي ؛ فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره . وذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة . وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه في علم النحو واللغة ، وصنف كتاباً في « مجازات القرآن » فجاء نادراً في بابه . وقد عني يجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة ، وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبزي^٣ .

ولقد أخبرني بعض الفضلاء^٤ أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي المذكور بسر من رأى^٥ ، وهو لا يعرفها ، وقد أثنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ، وبقياً رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي المذكور^٦ :

١ ج ٣ : ٢٤٦ .

٢ ر : الحلقة .

٣ الخبزي : يفتح الحاء وإسكان الباء نسبة إلى خبر وهي قرية من قرى شيراز نسب إليها أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله المعلم (الأنساب واللباب : الخبزي) قلت : والنسخة التي جمعها الخبزي من ديوان الشريف لا تزال موجودة ، وقد اعتمدت عليها في دراستي لشعر الرضي .

٤ ن : جماعة الفضلاء .

٥ ل ل ي ت مج بر : ببغداد .

٦ ديوانه ١ : ١٨١ .

ولقد وقفتُ على ربوعهمُ وطلولها بيد البيلى نهبُ
فبكيتُ حق ضج من لَعَبِ نِضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفتت القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي ، فتمجبا^١ من حسن الاتفاق .

ولقد أذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري^٢ في كتاب « درة الغواص في أوهام الخواص »^٣ وهي على ما رواه أن عبيد بن شريفة الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة ، فقال له : حدثني بأعجب ما رأيت ، فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم ، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عينايا بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلب إنك من أسماء مغرورُ فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكيرُ
قد بُحْت بالحب ما تخفيه من أحد حتى جرت لك أطلاقاً محاضر
فلست تدري وما تدري أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدرِ الله خيراً وارضين به فبينما العسرُ إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبطُ إذا هو الرّمسُ تعفوه الأعاصير
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

قال ، فقال لي رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : لا ، قال : إن قائله هو الذي دفنناه الساعة ، وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست^٤

١ ل ن مج : فتمجينا ؛ ت : فبقي متمجبا ؛ ق : فمجينا .

٢ ر : ابن الحريري .

٣ درة الغواص : ٥٥ - ٥٦ .

٤ لي : وليس ؛ وكذلك في الدرّة .

تعرفه ، وهذا الذي خرج من قبره أمسُّ الناس رحماً به وأسرهم بموته ، فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً ، فمن الميت ؟ قال : هو عِثْرُ بن لبيد العذري . [ويقرب من هذا ما ذكره الأمير المسبجي في كتاب « الحمّة » الذي ألفه للظاهر بن الحاكم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال ، قال محمود المدرائي : كنت متوجهاً إلى الديوان ، فدخلنا الأبله فصعدت من السفينة لحاجة ، ووقفت على تل رماد عتيق وعنّي لي أن أنشدت قول الشاعر :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجباب

وكان شيخ من أهل الأبله جالساً على قرب من الموضع ، فقال لي : يا فتى ، تعرف حمام منجباب ؟ قلت : لا ، قال : فأنت واقف على مستوقده ؛ فمعجبت من الاتفاق في ذلك] ١ .

ومثل هاتين القضيتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب « شرح الحماسة » ٢ وذكره غيره أيضاً أن عمرو بن شاس الأسدي الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه ، وابنٌ من أمة سوداء يقال له عَرَّار ، فكانت تعيّر به أباه وتؤذيه ويؤذيها ، فأنكر عمرو عليها أذاها له وقال :

أرادت عَرَّاراً بالهوان ومن يُرِدْ عَرَّاراً لعمرى بالهوان لقد ظلم
وإن عَرَّاراً إن يكن غير واضح فإني أحبُّ الجون ذا المنكب العمَم

وهي عدة أبيات في الباب الأول من كتاب « الحماسة » - والجون : الأسود ، والعمم : التام - وكان عَرَّار أحد فصحاء العقلاء ، وتوجه من عند المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولاً في بعض فتوحه فلما مثل بين يدي الحجاج لم يعرفه وازدراه ، فلما استنطقه أبان وأعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد في كل ما سئل عنه ، فأنشد الحجاج متمثلاً :

١ زيادة انفردت بها مع ، وقد حذفت منها القصة التالية المتعلقة بعمرو بن شاس وابنه عرار ، وقصة عرار أشار إليها في المختار ولكنه لم يشر إلى هذه القصة المنقولة عن المسبجي .

٢ شرح التبريزي ١ : ١٤٩ ؛ وقد سقطت هذه القصة من س ل ل ي ت مع بر من .

أرادت عَرَاراً باهوان ومن يرد عَرَاراً لعمري باهوان لقد ظلم

فقال عرار : أنا - أيد الله الأمير - عرار ، فأعجب به وبذلك الاتفاق .
وشاس : المكان الغليظ .

(196) وعمرو المذكور من أسد بن خزيمة ، وهو مخضرم أدرك الإسلام
وهو شيخ كبير .

وعَرَار من قولهم « عارٌ الظلم » بتشديد الراء « يعار عراراً »^١ إذا صاح ؛
يقول : أرادت امرأتي إهانة عرار ، ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشيء
في غير محله ، وهو الظلم .

واجتهد عمرو بن شاس أن يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه ذلك فطلقها
فندم وقال في ذلك شعراً تركته لعدم الحاجة وخشية الإطالة .

رجعنا إلى ذكر الشريف :

قال الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ : سمعت أبسا عبد الله محمد بن عبد الله
الكاتب بحضرة أبي الحسين ابن محفوظ ، وكان أوحده الرؤساء ، يقول : سمعت
جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون : الرضي أشعر قریش ، فقال ابن محفوظ :
هذا صحيح ، وقد كان في قریش من يجيد القول ، إلا أن شعره قليل ، فأما
مجيد مكثر فليس إلا الرضي .

وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد ؛ وتوفي بكرة يوم الأحد^٣
سادس المحرم - وقيل صفر - سنة ست وأربعمائة ببغداد ، ودفن في داره بخط
مسجد الأنباريين بالكرخ ، وقد خربت الدار ودرس القبر . ومضى أخوه المرتضى
أبو القاسم إلى مشهد موسى بن جعفر لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه ،
وصلى عليه الوزير فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة ، رحمه الله تعالى .

١ هذا وجهه بكسر العين ، وعرار - اسم الرجل - بفتحها .

٢ تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ .

٣ ن ر ق : ودثر .

٤ ر : الحميس .

(197) وكانت ولادة والده الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين سنة سبع وثلاثمائة ، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربعمائة ، وقيل توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن في مقابر قريش بمشهد باب التبن ، وورثاه ولده الرضي ، وورثاه أيضاً أبو العلاء المعري بقصيدته التي أولها^١ :

أودى فليت الحادثات كفافِ مالِ المُسَيِّفِ وعنبرِ المُستافِ

وهي طويلة أجاد فيها كل الإجابة .

وقد تقدم ذكر أخيه الشريف المرتضى أبي القاسم علي^٢ .

وعبيد : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

وشرية : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

والجرهمي : بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى جرهم بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة باليمن .

وعشير : بكسر العين المهملة وسكون التاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهو في الأصل اسم للغبار ، وبه سمي الرجل .

ولبيد : اسم علم مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .

وقد تقدم الكلام على العذري ، والله أعلم .

١ شروح السقط : ١٢٦٤ .

٢ انظر ج ٣ : ٣١٣ .

ابن هانئ الأندلسي

أبو القاسم وأبو الحسن، محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور؛ قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قُبَيْصَة بن المهلب بن أبي صَفْرَةَ الأزدي ، وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم - وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح في ترجمة روح في حرف الراء - ؛ وكان أبوه هانئ من قرية من قرى المهديّة بأفريقية ، وكان شاعراً أديباً، فانتقل إلى الأندلس، فولد له بها محمد المذكور بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل ، وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فمهر فيه ، وكان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم، واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده، وكان كثير الانهاك في الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة ، ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه ، واتهم بمذهبه أيضاً ، فأشار الملك عليه بالغبية عن البلد مدة ينسى فيها خبره ، فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاماً .

وحديثه طويل ، وخلاصته أنه خرج إلى عُدُوَّة المغرب ولقي جوهرًا القائد مولى المنصور - وقد تقدم ذكره وما جرى له عند توجهه إلى مصر وفتحها للمعز^٢ - فامتدحه ، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي - وقد تقدم ذكر جعفر^٣ - وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب ، وكانا واليها ، فبالغا في إكرامه والإحسان إليه ، فنُسي خبره إلى المعز أبي تميم مَعَدَّ بن المنصور العبَّيدي

٦٦٨ - ترجمته في التكملة ١ : ٣٦٨ والمطمح : ٧٤ والمطرب : ١٩٢ والجذوة : ٨٩ وبنية الملتس

(رقم : ٣٠١) والنفح ٤ : ٤٠ (نقلا عن المطمح) والإحاطة ٢ : ٢١٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٩٢

وعبر الذهبي ٢ : ٣٢٨ والشذرات ٣ : ٤١ .

١ انظر ج ٢ : ٣٠٥ .

٢ انظر ج ١ : ٣٧٥ .

٣ انظر ج ١ : ٣٦٠ .

- وسيأتي ذكره^١ في هذا الحرف إن شاء الله تعالى - فطلبه منها ، فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه .

ثم توجه المعز إلى الديار المصرية - كما سيأتي في خبره - فشيعة ابن هانئ المذکور ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به ، فتجهز وتبعه ، فلما وصل إلى برقة أضافه شخص^٢ من أهلها ، فأقام عنده أياماً في مجلس الأنس ، فيقال إنهم عربدوا عليه فقتلوه ، وقيل خرج من تلك الدار وهو سكيران فنام في الطريق وأصبح ميتاً ولم يعرف سبب موته ، وقيل إنه وجد في سانية من سواني^٣ برقة مخنوقاً بتكة سراويله ، وكان ذلك في بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وعمره ست وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وأربعون ، رحمه الله تعالى ، هكذا قيده صاحب كتاب « أخبار القيروان » وأشار إلى أنه كان في صحبة المعز ، وهو مخالف لما ذكرته أولاً من تشييعه للمعز ورجوعه لأخذ عياله . ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال :

هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .
وله في المعز المذکور غرر المدايح ونُخب الشعر ، فمن ذلك قصيدته النونية التي أولها :

هل من أعقّةٍ عالِجٍ يَبْرينُ أم منها بقر الحُدوج العينُ
ولن ليالٍ ما ذمنا عهدَهَا مذ كنّ إلا أنهن شجُون
المشركاتُ كأنهن كواكب والناعماتُ كأنهن غصون
بيضٌ وما ضحك الصباحُ ، وإنها بالمسك من طرر الحسان لَجون
أدمى لها المرجانُ صفحة خدّه وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

١ ت ل لي مج : خبره ؛ ق : ذكره وخبره .

٢ لي : رجل .

٣ مج ل لي : شانية من سواني ؛ والسانية : الساقية ؛ والشانية : نوع من السفن .

٤ ديوانه : ١٧١ .

٥ ر والمختار : أدنى ؛ ق : أهدى .

أعدى الحمامَ تأوّهي من بعدها
بانوا سِراعاً للهوارج زَفْرَةً
فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم
ماذا على حُلل الشقيق لو أنها
فلأعطشنّ الروض بعمدهمُ ولا
أأعيرُ لحظ العين بهجة منظرٍ
لا الجوؤُ جو مُشرق ولو اكتسى
لا يبعدنّ إذ العَبيرُ له ثرى
أيام فيه العبقرى مُفَوِّف
والزاعبية شُرْع والمشرقي
والعهد من ظَمِياء إذ لا قومها
حزني لذاك الجوؤُ وهو أسنة
هل يدنّينسي منه أجردُ سابح
ومهندُ فيه الفِرندُ كأنه
عضب المضارب مقفر من أعينِ
قد كان رشحُ حديده أجلاً ، وما
وكأنما يلقي الضريبة دونه
ومنها في صفة الخيل :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها
عرفت بساعة سبقها ، لا أنها
وأجلُّ علم البرق فيها أنها
في الغيث شبه من نذاك كأنما

هضب ولا البيدُ الحزونُ حُزُون
علقت بها يوم الرهان عيون
مرت بجاحتيه وهي ظنون
مسحتْ على الأنواء منك يمين

وهذه القصيدة من قصائده الطنائة ، ولولا طولها لأوردتها كلها .

[وله أيضاً :

والله لولا أن يسفني الهوى ويقول بعض القائلين تصابي
لكسرت دملجها بضيق عناقه ورشفت من فيها البرود رضاباً^١

وفي هذا النموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته. وديوانه كبير، ولولا ما فيه من الغلو في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين، وليس في المغاربة^٢ من هو في طبقته : لا من متقدمهم ولا من متأخريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق ، وهو عندهم كالمتني عند المشاركة ، وكانا متعاصرين ، وإن كان في المتني مع أبي تمام من الاختلاف ما فيه .

وما زلت أتطلب تاريخ وفاة ابن هانئ المذكور من التواريخ والمطان التي يطلب منها فلا أجده، وسألت عنه خلقاً كثيراً من مشايخ هذا الشأن فلم أجده، حتى ظفرت به في كتاب لطيف لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني سماه «قراضة الذهب»^٣ فألفيته كما هو مذكور هاهنا ، ونقلت مدة عمره من موضع آخر رأيت بعض الأفاضل قد اعتنى بأحواله فجمعها وكتبها في أول ديوانه ، وذكر مدة العمر ، ولم يذكر تاريخ الوفاة لأنه ما عثر عليه .

ويقال إن أبا العلاء المعري كان إذا سمع شعر ابن هانئ يقول : ما أشبهه إلا برحى تطحن قروناً ، لأجل القعقة التي في ألفاظه ، ويزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ ، ولعمرى ما أنصفه في هذا المقال ، وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتني ، وبالجملة فما كان إلا من المحسنين في النظم ، والله أعلم .

١ زيادة من مج .

٢ ت ل لي بر : للمغاربة .

٣ طبع في سلسلة الرسائل النادرة (مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٩٢٦) .

٤ تعليق بهامش س : لقد صدق المعري وأخطأ القاضي ، ولم يكن له علم بالشعر . ولقد ذكر في هذا الباب في شعراء المغاربة جماعة لا يعد ابن هانئ في طبقته ولا يقاربه ، وحسبك بابت عمار هذا (انظر الترجمة التالية) .

ابن عمار الأندلسي

ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار ، المَهْرِي الأندلسي الشُّلبي الشاعر المشهور؛ هو وابن زيدون القرطبي - المذكور في حرف الهمزة^١ - فَرَسًا رهانٍ ، ورضيعا لبان ، في التصرف في فنون البيان ، وهما كانا شاعري ذلك الزمان . وكانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة إحسانه ، لا سيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله ابن عَبَّاد صاحب غرب الأندلس - الآتي ذكره في هذا الحرف إن شاء الله تعالى - وأنهضه جليساً وسميراً وقدمه وزيراً ومُشيراً ثم خلع عليه خاتم الملك ووجهه أميراً ، وكان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فتبعته الموابك والمضارب والنجائب والجنائب والكتائب والجنود ، وضربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود ، فملك مدينة تُدْمِير ، وأصبح راقياً منيراً وسريراً ، مع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير ، ثم وثب على مالك رِقته ومستوجب شكره ومستحقه ، فبادر إلى عقوقه وبخس حقه ، فتحيَّل المعتمد عليه وسدَّد سهام المكايد إليه ، حتى حصل في قبضته قنيصاً ، وأصبح لا يجد مَحِيصاً ، إلى أن قتله المعتمد في قصره ليلاً بيده ، وأمر من أنزله في مَلْحَدَه ، وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية .

وكانت ولادته في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وقصته مشهورة ، ولما

٦٦٩ - ترجمته في بغية الملتبس (رقم : ٢٢٧) والمغرب ١ : ٣٨٢ والذخيرة ٢ الورقة : ٧٤ والقلائد : ٨٣ والحلة السيرة ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩ ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفض ١ : ٦٥٢ (نقلا عن القلائد) والوفاي ٤ : ٢٢٩ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨٨ والشذرات ٣ : ٣٥٦ والدكتور صلاح خالص مؤلف عنه (ط. بغداد : ١٩٥٧).

١ انظر ج ١ : ١٣٩ .

قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي المرسي^١ بقوله
من جملة قصيدة :

عجباً له أبكيه ملء مدامعي وأقول لا شكّت^٢ بين القاتلِ

وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب « قلائد العقيان »^٣ : لقد رأيت عظمي
ساقى ابن عمار قد أخرجاً بعد سنين من حَفْرِ حَفْرِ بجانب القصر وأسودهما بهما
ملتفة ، ولبتتهما^٤ مُشْتَفَّة ، ما فغرت أفواههما ، ولا حل التواؤهما ، فرمق
الناس العبر ، وصدق المكذب الخبر .
يعني بالأسود القيود .

ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله :

أدرِ الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى والنجم قد صرّف العنان عن السرى
والصبحُ قد أهدى لنا كافوره^٥ لما استردّ الليلُ منا العنبرا

ومن مديحها ، وهي في المعتضد^٥ بن عباد :

ملك إذا ازدحم الملوك بموردٍ ونحاه لا يردُّون حتى يصدُّرا
أنسدى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سنّة الكرى
قدّاح زندِ المجد لا ينفكّ من نارِ الوغى إلا إلى نارِ القيرى

وهي طويلة وفائقة .

ومن جيد شعره أيضاً القصيدة الميمية ، وهي أيضاً في المعتضد بن عباد^٥ ،
وأولها :

١ ترجمته في القلائد : ٢٤٢ والذخيرة ٢ : ١٩٢ وصفحات متفرقة من نفح الطيب .

٢ س : القلائد ؛ وانظر هذا المصدر : ٨٣ .

٣ س : ولبلهما ؛ ر ن : ولييتهما ؛ ق : ولبيتها ؛ مج : ولبتتهما .

٤ لي بر والمختار : المعتمد ؛ وهو خطأ ، راجع القلائد : ٩٦ .

٥ انظر صلاح خالص : ٢٠٩ .

عليّ ، وإلا ما بكاء الغنائم وفيّ ، وإلا فيم نوحُ الغنائم .
ومنها أيضاً في وصف وطنه :

كساها الحيا بردَ الشباب ، فإنها
ذكرت بها عهدَ الصبا فكأنما
ليالي لا ألوي على رُشد لائم
أنال سهادي من عيونِ نواعس
وليل لنا بالسُدِّ بين معاطف
تمرُّ علينا ثم عنا كأنها
[بحيث اتخذنا الرِّوض جاراً تزورنا
وبتنا ولا واشٍ يحسّ كأنما
ومن مديحها :

ملوكٌ مُناخُ العز في عرصاتهم
همُ البيت ما غير الظُّبأ لبنائهم
إذا قصر الروعُ الخطأ نهضتُ بهم
وأيدٍ أبتُ من أن تؤوب ولم تفز
ندامى الوغى يُجرُّون بالموت كأسها
هناك القنا مجرورة من حفاظٍ
ومنها :

إذا ركبوا فانظره أولَ طاعن
وإن نزلوا فارصده آخرَ طاعم
وهي أيضاً طويلة وطنانة .

١ أيضاً : سقطت سن ت سن ن بر من ؛ من : في صفة .

٢ زيادة لم ترد في النسخ الخطية .

ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه
المعتضد في بيتين ، هما كانا من أكبر أسباب قتله ، وهما :

مما يقبِّح عندي ذكر أندلس سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كألهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ومحاسن ابن عمار كثيرة .

والمهري : بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء ، هذه النسبة إلى مهرة بن
حيثان بن إلحاف بن قضاة ، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها خلق كثير .
والشليبي : بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة ، هذه
النسبة إلى شلب ، وهي مدينة بالأندلس على ساحل البحر .

وتدوير : بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهي مدينة مرسية ، وكان المعتمد
ابن عباد قد سير إليها أبا بكر ابن عمار المذكور نائباً عنه ، فعصى بها ، ولم يزل
المعتمد يحتال عليه حتى وقع في قبضته ، وقتله بيده كما تقدم أولاً ، وشهرة هذه
الواقعة تغني عن الإطالة في تفصيلها .

وذكر عماد الدين الأصفهاني الكاتب في كتاب « الخريدة » في ترجمة ابن عمار
المذكور : وقتله المعتمد ، وكان أقوى الأسباب لقتله أنه هجاه بشعر ذكر فيه
أم بنيه المعروفة بالرميكية ، وهي أبيات منها :

تخيرتها من بنات الهجان رميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع لثم النجارين عما وخالا

قلت : وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد ، اشتراها من رميك بن حجاج ،
فنسبت إليه ، وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد فأقرط في الميل إليها
وغلبت عليه ، واسمها اعتماد ، فاختر لنفسه لقباً يناسب اسمها ، هو المعتمد ،
وتوفيت بأغمت قبل المعتمد بأيام ، ولم ترقأ له عبرة ولا فارقت حسرة حتى قضى

١ هنا تنتهي الترجمة في س ل ل ي ت بر من .

نحبه أسفاً وحزننا^١ ، وهي التي أغرت المعتمد على قتل ابن عمار ، لكونه هجاها ؛ وقيل إن هذا الشعر ليس لابن عمار^٢ ، وإنما نسبته^٣ إليه لكي توغر صدره المعتمد عليه ، والله أعلم .

٦٧٠

أبو بكر ابن الصائغ الأندلسي

أبو بكر محمد بن باجه التُّجِيبِي الأندلسي السَّرْقُسْطِي ، المعروف بابن الصائغ ، الفيلسوف الشاعر المشهور ؛ ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسي ، صاحب « قلائد العقيان » في كتابه^٥ ، ونسبه إلى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة والنحل العقيدة ، وقال في حقه في كتابه الذي سماه « مطمح الأنفس »^٦ ما مثاله : نظر في كتاب التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، ونبذ من وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون لنا إلى الله فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترم على الله اللطيف الخبير ، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى ﴿ إن

١ ق : ولم تقرأ لها ... فارقتها ... قضت نجبها .

٢ ق والمختار : ليس له .

٣ ر ق والمختار : نسب .

٤ ق : يوغر قلب .

٥٦٧ - ترجمته في المغرب ٢ : ١١٩ والنفع ٧ : ١٧ ، ٢٧ - ٣٠ وتاريخ الحكماء : ٤٠٦ ، وابن أبي

أصيعة ٢ : ٦٢ والشذرات ٤ : ١٠٣ .

٥ انظر القلائد : ٣٠٠ - ٣٠٦ .

٦ هذا النص موجود في قلائد العقيان ، وليس له وجود في المطمح المطبوع .

الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴿ (القصص : ٨٥) فهو يعتقد أن الزمان دَوْرٌ ، وأن الإنسان نبات أو نَوْرٌ ، حمامه تمامه ، واختطافه قطافه١ ، قد مُحي الإيمان من قلبه فما له فيه رسم ، ونسي الرحمن لسانه فما ير عليه له اسم . ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة ، والله أعلم بكنهه حاله ، وأورد له مقاطيع من الشعر ، فمن ذلك قوله :

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكَ تَيْقَنُوا بِأَنْكُمْ فِي رِبْعِ قَلْبِي سَكَانُ
 ودوموا على حفظ الوداد فطالما بلينا بأقوام إذا استؤمنوا خانوا
 سلوا الليل عني مذ تنامت دياركم هل اكتحلت بالقمض لي فيه أجفان
 وهل جردت أسياف برقي سماؤكم فكانت لها إلا جفوني أجفان

وكان قد أنشدني هذه الأبيات بعض^٢ أشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور ، ثم وجدتها بعد ذلك بعينها في ديوان أبي الفتيان محمد بن حيوس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فبقيت شاكاً فيما أنشدني ذلك الشيخ ، وقلت : لعله وهم في نسبتها إلى ابن الصائغ ، إلى أن وجدت في كتابه^٣ « مطمح الأنفس »^٤ أيضاً منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور ، والله تعالى أعلم لمن هي منها .

وله :

ضربوا القباب على أفاحة روضة خطر النسيم بها ففاح عيبرا
 وتركت قلبي سار بين حمولهم دامى الكلوم يسوق تلك العيبرا
 هلا سألت أسيرهم هل عندهم عان يفك ولو سألت غيورا

١ ق : اقتطافه .

٢ رت ل مج بر من : أحد .

٣ ر ل لي بر من : كتاب .

٤ ر بر من : المطمح .

٥ ق : وله أيضاً .

لا والذي جعل الغصونَ مَعاطفاً لهمُ وصاغ الأقبوانَ ثغورا
ما مرَّ بي ریحُ الصبا من بعدهم إلا شهقت له فعاد سعيراً
ولما حضرته الوفاة كان ينشد :

أقول لنفسي حين قابلها الردى فراغت فراراً منه يُسرى إلى يمنى
قفي تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدتِ الفرار إلى الأهنا

وتوفي في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وقيل سنة خمس
وعشرين وخمسمائة مسموماً في باذنجان بمدينة فاس ، رحمه الله تعالى .
وباجه : بالباء الموحدة وبعد الألف جيم مشددة ثم هاء ساكنة ، وهي الفضة
بلغة فرنج المغرب .

والتجيبى^٢ : بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء
المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ؛ هذه النسبة إلى تجيب ، وهي أم عدي
وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون ، نسب ولدها إليها ، وهي تجيب
بنت ثوبان بن سليم بن مذحج .

والسرقسطي : بفتح السين المهملة والراء وضمّ القاف وسكون السين المهملة
وبعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى سرقسطة ، وهي مدينة بالأندلس خرج منها
جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

١ سقط البيت من ت مج .

٢ سقط هذا التعريف من مج .

الرصافي الشاعر

أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الأندلسي الرصافي الشاعر المشهور ؛ له أشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة ، وشعره سائر في الآفاق ، ومن أشهر شعره أبياته التي نظمها في غلام صنعتته النسيج فأجاد فيها كل الإجابة^١ ، وهي :

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي لو لم تهمّ بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمري في الصباية لي لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
أحبته حبّي الثغر عاطره حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
غزّيلاً لم تزل في الغزل جائلة بنانه جولان الفكر في الغزل
جدلان يلعب بالهواك أنمله على السدى لعب الأيام بالدول^٢
جذباً بكفيه أو فحماً بأخصه تحبّط الظبي في أشراك محتبل

وله غير هذا المقطوع أشياء رائقة ، فمن ذلك قوله في غلام يبلّ عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس بباك :

عذيري من جدلان يبكي كآبةً وأضلعه مما يحاوله صيفرُ
يبلّ ماقي زهرتيه بريقه ويحكي البكا عمداً كما ابتسم الزهر

٦٧١ - ترجمته في المعجب : ٢٨٦ والتكملة ٢ : ٥٢٠ والمغرب ٢ : ٣٤٢ والمقتضب من التحفة : ٥٦ ورايات المبرزين : ٨٤ وجذوة الاقتباس : ١٦٤ وأدباء مالقة لابن عسكر ، الورقة : ١٨ وأماكن متفرقة من نفع الطيب ، والوافي ٤ : ٣٠٩ والشذرات ٤ : ٢٤١ ومقدمة ديوانه (ط . دار الثقافة ١٩٦١) .

١ فأجاد . . . الإجابة : سقط من ق ر بر مج .

٢ مج ر ت ل ق بر من : بالأمل .

ويومُ أن الدمعَ بَلَّ جفونَه وهل عُصرت يوماً من النرجسِ الحمرِ
وله أيضاً :

ومُهفِفِ كالغصنِ إلا أنه تتحيرَ الأبواب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكَلَّلَ خدُّه عرقاً ، فقلت : الوردُ رش بائه

وتوفي في شهر رمضان ، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقة ، رحمه
الله تعالى .

والرُّصافي : بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الألف فاء ، هذه النسبة إلى
الرُّصافة ، وهي بليدة صغيرة بالأندلس عند بلنسية ، وبالأندلس أيضاً بليدة
أخرى صغيرة اسمها الرصافة^٢ ، وهي عند قرطبة ، أنشأها عبد الرحمن بن معاوية
ابن هشام بن عبد الملك الأموي أول ملوك الأندلس من بني أمية ، ويعرف
بالداخل ، لأنه دخل إلى الأندلس من بلاد الشام خوفاً من أبي جعفر المنصور
العباسي ، وقصته مشهورة ، فلما دخلها ملكها ويبيع له بقرطبة يوم عيد
الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة ، وبنى هذه
الرصافة وسماها برصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان ، وهي بليدة
مشهورة بالشام ، كذا قاله ياقوت الحموي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - في
كتابه المسمى بـ « المشترك وضعاً المختلف صقماً » وذكر أن الرصافة اسم تسع
مواقع ، وعددها ، ولولا خوف التطويل لذكرتها ، غير أنه لم يذكر رصافة
بلنسية ، وهذه الرصافة تكون عشرة^٣ مواضع ، والله تعالى أعلم .

١ لي : الحمر .

٢ ل : رصافة .

٣ في النسخ الخطية جميعاً : عشر .

أبو بكر ابن زهر

أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي ؛ كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامهم .

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى « المطرب من أشعار أهل المغرب »^١ : وكان شيخنا أبو بكر - يعني ابن زُهر المذكور - بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب^٢ عذب معين ، كان يحفظ شعر ذي الرمة ، وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب ، وكثرة الأموال والنسب ، صحبته زماناً طويلاً ، واستفدت منه أدباً جليلاً .
وأنشد من شعره :

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالهم نومُ الصباح وغالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلمهم حتى سكرت ونالهم ما نالني
والحمر تعلم حين تأخذ ثارها أني أمكنتُ إناها فأمالني

ثم قال : سأله عن مولده فقال : ولدت سنة سبع وخمسةائة ، وبلغتني وفاته

٦٧٢ - ترجمته في المغرب ١ : ٢٦٦ وزاد المسافر : ٧١ والذيل والتكملة ٦ : ١٦٠ (نسخة باريس)
والتكملة : ٢٥٥ والمعجب : ١٤٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٧ والنفع ٢ : ٢٤٧ ومعجم الأدباء
١٨ : ٢٥٦ والوافي ٤ : ٣٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٨٨ والشذرات ٤ : ٣٢٠ وله موشحات
في دار الطراز .

١ المطرب : ٢٠٦ .

٢ ر بر مج من والمطرب : الطلب .

في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ؛ انتهى كلام ابن دحية .
قلت أنا : وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الأبيات بقول الرئيس أبي
غالب عبيد الله بن هبة الله بن الاصباغي وهو :

عَقَرْتَهُمْ مَشْمُولَةٌ لَوْ سَأَلْتُ شُرَّابَهَا مَا سَمَيْتُ بِعُقَّارِ
ذَكَرْتُ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ غَدَتُ صَرَعِي تَدَاسَ بِأَرْجْلِ الْعَصَّارِ
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى اتْتَشَوْا وَتَمَكَّنْتُ مِنْهُمْ ، وَصَاحْتُ فِيهِمْ بِالنَّارِ

ومن المنسوب إليه أيضاً في كتاب جالينوس الحكيم المسمى « حيلة البرء »
- وهو من أجل كتبهم وأكبرها - قوله :

حيلة البرء صنفت لعليل يترجى الحياة أو لعليلته
فإذا جاءت المنيّة قالت : حيلة البرء ليس في البرء حيلة^١

ومن شعر ابن زهر أيضاً يتشوق ولدأ له صغيراً :

ولي واحدٌ مثلُ فرخ القطا صغيرٌ تخلفَ قلبي لديه
نأتُ عنه داري فيا وحشتنا لذلك الشخيص وذاك الوجيه
تَشَوَّقَنِي وَتَشَوَّقَتَهُ فَبِكِّي عَلِيٍّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ
لقد تعب الشوق ما بيننا فمَنه إليّ ومني إليه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب :

إني نظرتُ إلى المرأة إذ جليتُ فأنكرتُ مقلتاي كلَّ ما رأتا
رأيتُ فيها شَيْئِخًا لست أعرفه وكنت أعده من قبل ذلك فتي
فقلتُ : أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحل عن هذا المكان متى ؟
فاستضحكت ثم قالت وهي ممجبة : إن الذي أنكرته مقلتك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

١ ومن المنسوب . . . حيلة : سقط من مع س ل ي ت والمختار .

والبيت الأخير من هذه الأبيات ينظر إلى قول الأخطل الشاعر المشهور^١ :

وإذا دعونكَ عمهنّ فإنّه نسبٌ يزيدكَ عندهن خبالاً
وإذا دعونكَ يا أخي فإنّه أدنى وأقربُ خلةٍ ووصالاً

وأوصى أنه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته للناس ، وهي :

تأمل بحقك يا واقفاً ولاحِظْ مكاناً دُفَعنا إليه
ترابُ الصريح على وجنتي كَأني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون وها أنا قد صرت رهنًا لديه

وهذه المقاطيع إنما أخذتها من أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زُهْر المذكور ، والله أعلم بصحتها ، والمهددة عليهم في نقلها .

وقال ابن دحية أيضاً في حقه^٢ : والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النبهاء فيه خولهُ وأتباعه ، الموشحات ، وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق ؛ وأورد له موشحاً حسناً .

(198) وقال في حق جده أبي العلاء زُهْر : إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، وتوفي ممتحناً من نغلة^٣ بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة .

(199) ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك^٤ : إنه رحل إلى المشرق ، وبه تطبّب زماناً طويلاً، وتولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان، ثم استوطن

١ انظر ديوان الأخطل : ٣ ؛ وسقط بيتا الأخطل من س ل ل ي ت م ج بر من .

٢ المطرب : ٢٠٤ .

٣ كذا في المطرب و ر ؛ وفي النسخ الأخرى : بملة .

٤ المصدر نفسه : ٢٠٣ .

مدينة دانيّة وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم^١
في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ، ومات بمدينة دانية .

(200) ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان: إنه كان عالماً بالرأي حافظاً
للأدب ، فقيهاً حاذقاً بالفتوى مقدماً في الشورى ، متفنناً في الفنون ، وسيماً
فاضلاً ، جمع الرواية والدراية ، وتوفي بطليبة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ،
وهو ابن ست وثمانين سنة ، حدث عنه جماعة من العلماء الأندلسيين^٢ ووصفوه
بالدين والفضل والجود والبذل ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الإيادي وعلى طليبة فلا حاجة إلى الإعادة .

وزُهر : بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء^٣ .

وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب « الخريدة » لأبي الطيب ابن البراز^٤ في
بعض بني زُهر وكنيته أبو زيد ، ولم يذكر اسمه ، قوله^٥ :

قل للوَبَا انت وابن زُهر جاوزتما الحد في النكايه

ترفقاً بالورى قليلاً فواحد منكما كفايه

(201) ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر أحمد بن محمد الأبييض^٦ ، وأنه
توفي سنة أربع وأربعين وخمسائة رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

١ ر : بالتقدمة .

٢ ر والمطرب : علماء الأندلس ؛ بر : من العلوم بالأندلس .

٣ هنا تنتهي الترجمة في س ل ل ي ت م ج .

٤ ق ن : البزار .

٥ أوردتها المقرئ في النسخ ٣ : ٤٣٤ . ونسبها لابن باجه ، وقد سقنا مع سائر النسخ من س ل ل ي ت م ج

من ووردا في زاد المسافر : ١١١ منسوبين للأبييض وقال : وينسب أيضاً لابن الصائغ (أي ابن باجه) .

٦ سماه في زاد المسافر : ١٠٨ أحمد بن محمد الأبييض وكنيته أبو بكر ، وفي المطرب : ٧٦ والمغرب

٢ : ١٢٧ والنسخ ٣ : ٤٨٩ أنه محمد بن أحمد الأنصاري المشهور بالأبييض ؛ وفي ق : محمد بن

محمد الأبييض .

ابن حيوس الشاعر

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي بن عثمان الغنوي الملقب مصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ؛ كان يدعى بالأمير لأن أباه كان من أمراء العرب ، وهو أحد الشعراء الشاميّين المحسنين ومن فحولهم المجيدين ، له ديوان شعر كبير . لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعاً إلى بني مرداس أصحاب حلب - ذكر الجوهري في الصحاح في فصل (ردس) « المرداس : حجر يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا ، وبه سمي الرجل » - وله فيهم القصائد الأنيقة . وقضيته مشهورة مع الأمير جلال الدولة وصمصامها أبي المظفر نصر بن محمود ابن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلّابي صاحب حلب ، فإنه كان قد مدح أباه محمود بن نصر فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيّوس المذكور بقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه ، وهي ٢ :

كفى الدينَ عزاً ما قضاها لك الدهر فمَن كان ذا نذرٍ فقد وجب النذرُ

ومنها :

ثمانية لم تفترق مذ جمعتهما فلا افترت ما ذبّ عن ناظر شفر

٦٧٣ - ترجمته في زبدة الحلب ٢ : ٤٠ والوادي ٣ : ١١٨ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٧٨ وعبر الذهبي

٣ : ٢٧٩ والشذرات ٣ : ٣٤٣ ومقدمة ديوانه (ط . دمشق ١٩٥١) .

١ ق : المنصور نصر .

٢ ديوانه ١ : ٢٤٢ .

يقينك والتقوى، وجودك والغنى، ولفظك والمعنى، وعزمك والنصر
يذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الأمر من بعده بقوله :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر
ومنها :

تباعدت عنكم حرفة لا زهادة وسرت إليكم حين مسني الضر
فلاقت ظل الأمن ما عنه حاجز يصد ، وباب العز ما دونه ستر
وطال مقامي في إسار جميلكم فدامت معاليكم ودام لي الأسر
وأنجز لي رب السموات وعده الـ كريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد ابن نصر لي بألف تصرمت فإني عليم أن سيخلفها نصر
لقد كنت مأموراً^٢ ترجى لمثلها فكيف وطوعا أمرك النبي والأمر
وما بي إلى الإلحاح والحرص؛ حاجة وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
واني بأمالي لديك مخيم وكم في الورى ثاو وآماله سقر
وعندك ما أبغي بقولي تصنعاً بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر: والله لو قال عوض قوله « سيخلفها نصر »:
سيضعفها نصر ، لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار في طبق فضة .
وكان قد اجتمع على باب الأمير نصر المذكور جماعة من الشعراء، وامتدحوه
وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصراني ،
وكانت له عادة بغشيان منزله ، وعقد مجلس الأئس عنده ، فجاءت الشعراء الذين

١ الديوان : من بعده .

٢ ن : مأمولا .

٣ الديوان : النفع والضر .

٤ الديوان : الأشطاط في السوم .

تأخرت جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم أبو الحسن ، أحمد بن محمد بن الدويدة
المعري الشاعر المعروف^٢ ، فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها ، وقيل
بل نظمها ابن الدويدة المذكور ، وسيروا الورقة إليه ، والأبيات المذكورة هي :

على بابك المحروس منا عصابة^١ مفاليس فانظر في أمور المفاليس
وقد قنعت^٢ منك الجماعة كلها بعشر الذي أعطيته لابن حيّوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار ، فقال : والله لو قالوا
« بمثل الذي أعطيته لابن حيّوس » لأعطيتهم مثله .

وذكر العماد^٣ في « الخريدة » أن هذه الأبيات لأبي سالم عبد الله بن أبي الحسن ،
أحمد بن محمد بن الدويدة وأنه كان يعرف باللقاق^٤ ، والله أعلم .

(202) وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء ، ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود
في سنة سبع وستين وأربعمائة ، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه
في ثاني شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة - وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن
مرداس في حرف الصاد^٥ - .

وقدم ابن حيّوس حلب في شوال سنة أربع وستين وأربعمائة ، وداره بها
هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن حيدر .
ومن محاسن شعر ابن حيّوس القصيدة اللامية التي مدح بها أبا الفضائل سابق

١ ق مج بر : أبو الحسين .

٢ قال العماد (الخريدة - قسم الشام ٢ : ٥٢) شعراء بني الدويدة فيهم كثرة ، قد أورد منهم البخارزي
في دمية القصر جماعة فمن جملتهم أحمد بن محمد بن الدويدة وله ثلاثة أبناء : هم علي ومحمد وعبد الله
الملقب باللقاق .

٣ ق : العماد الكاتب .

٤ ق : أبي الحسين .

٥ لي س : بالواف ؛ ل : بالعاغ ، بر : بالقاف ؛ وانظر الخريدة ٢ : ٥٤ .

٦ انظر ج ٢ : ٤٨٧ .

ابن محمود وهو أخو الأمير نصر المذكور ، ومن مديحها قوله^١ :

طالما قلت للمُساءل عنكم واعتمادي هداية الضلال
إن ترد علمَ حالهم عن يقين فالتقهم في مكارمٍ أو نزال
تلقَ بيض الأعراس سود مثار النقع خضر الأكناف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذي اتفق له ، وقد ألم فيه بقول أبي سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمي الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عبّاد - المقدم ذكره في حرف الهمزة^٢ - وهي من فاخر الشعر ، وذلك قوله :

من نفر العالين في السلم والوغى وأهل المعالي والعوالي وآله^٣
إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم وإن نازلوا احمر القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذي لا يشوبه شيء من الحشو .
وكان ابن حيّوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس ،
فبنى داراً بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره^٤ :

دارٌ بيناها وعشنا بها في نعمةٍ من آل مرداس
قومٌ نفوا بؤسي ولم يتركوا عليّ للأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا فليصنع الناس مع الناس

وقيل : إن هذه الأبيات للأمير الجليل أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار ، المعروف بابن أبي حصينة الحلبي ، وهو الصحيح .
ومن غرر قصائده السائرة قوله^٥ :

- ١ ديوانه ٢ : ٤٦٠ .
- ٢ انظر ج ١ : ٢٢٨ .
- ٣ مجرت لي : واللها .
- ٤ لم ترد في ديوان ابن حيوس .
- ٥ انظر ديوان ابن أبي حصينة ١ : ٣٦٠ .
- ٦ ديوان ابن حيوس ١ : ٣١٢ ، وسقطت الأبيات من مج ، وكذلك الأبيات الميمية بعدها .

هو ذاك ربع المالكية فاربع واستسقى للدمن الخوالي بالحمى
 فلقد فنين أمام دان هاجر لو يخبر الركيان عني حدثوا
 رُدِّي لنا زمن الكئيب فإنه لو كنتِ عالمةً بأدنى لوعتي
 بل لو قمتِ من الغرام بظهر أعنتِ إثر تعتب ، ووصلت غب تجنب ، وبذلت بعد تمنع
 ولو أنني أنصفت نفسي صنتها عن أن أكون كطالب لم ينجع
 ومنها :

إني دعوتُ ندى الكرام فلم يجب ومن العجائب ، والعجائب جمة ،
 وفلاشكرن ندى أجاب وما دعى شكر بطيء عن ندى متسرع
 ومن شعره أيضاً :

قفوا في القلى حيث انتهتم تدمأ أرى كل معوج المودة يصطفى
 فإن كنتم لم تعدلوا إذ حكتم حتى الناس من قبل القيسي لتفتنى
 وما ظلم الشيب الملم بلعتي ومحجوبة عزت وعز نظيرها
 أعنتُ فيها صبوة قط ما رעות سلي عنه تخبير عن يقين^٢ دموعه
 ولا تقتفوا من جار لما تحكمتا لديكم ويلقى حتفه من تقوما
 فلا تعدلوا عن مذهب قد تقوما وثقتف مناد القنا ليقوما
 وإن بزني حظي من الظلم واللمى وإن أشبهت في الحسن والعفة الدمى
 وأسأل عنها معلماً ما تكلموا ولا تسألني عن قلبه أين يمما

١ ديوانه ٢ : ٥٩٨ .

٢ ق : باليقين .

فقد كان لي عوناً على الصبر برهة وفارقني أيامَ فارقتم الحمى
فراقٌ قضى أن لا تأتني بعد أن مضى منجداً صبري وأوغلتُ منها
وفجعة بيني مثل صرعة مالك ويقبح بي أن لا أكون متمماً
خليلي إن لم تسعداني على الأسي فلا أنتما مني ولا أنا منكما
وحسنتما لي سلوة وتناسياً ولم تذكرنا كيف السبيلُ إليهما
سقى الله أيام الصبا كلَّ هاطل ملثت إذا ما الغيث أنجم أنجماً
وعيشاً سرقناه برغم رقيبنا وقد مل من طول السهاد فهو ما

وهي طويلة^٢.

وحكى الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » قال : أنشدنا أبو القاسم علي
ابن إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسة قال : أخذ الأمير أبو الفتيان
ابن حيّوس بيدي ونحن مجلب، وقال : ارو عني هذا البيت وهو في شرف الدولة
مسلم بن قريش :

أنت الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت في غاية المدح؛ وقد تقدم في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي
ذكر الأبيات النونية، وكونها منسوبة إليه، وهي موجودة في ديوان ابن حيوس
المذكور، والله أعلم بجليّة الحال فيها .

وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر - المقدم ذكره^٣ - قد
وصل إلى حلب في بعض شهور سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، وبها يومئذ
أبو الفتيان المذكور فكتب إليه ابن الخياط المذكور قوله :

لم يبق عندي ما يباع بدرهم وكفأك مني منظري عن مخبري

١ س ق : فلما، وعلق في س بأنها « فلا » في نسخة أخرى وهي كذلك في بر ر ل ل .

٢ زاد في ن : جداً .

٣ انظر ج ١ : ١٤٥ وفي هامش لي : هذه الحكاية تقدمت في ترجمة ابن الخياط .

٤ بعض شهور : زيادة من ر ق .

إلا بقية ماء وجه صنتها عن أن تباع وأين أين المشتري^١

فقال : لو قال^٢ « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن .

وكانت ولادة ابن حيّوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق ، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب . وهو شيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور ، وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته .

وحيّوس : بالحاء المهملة المفتوحة والياء المشددة المثناة من تحتها المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة .

وفي شعراء المغاربة ابن حيّوس مثل الأول ، ولكن بالياء الموحدة المخففة ، وإنما ذكرته لثلاث^٣ يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس . ورأيت خلقاً كثيراً يتوهمون^٤ أن المغربي يقال له ابن حيّوس أيضاً ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم .

٦٧٤

الأيوردي الشاعر

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن أبي العباس الإمام محمد بن إسحاق ، وهو أبو الفتيان بن أبي الحسن^٥ ابن

١ ن ر ق : وقد وجدتكم مشتري .

٢ ل : لو كان قال . ٣ ر ير من ميج : لأنه .

٤ ق ل ت ميج : يتوهم .

٦٧٤ - ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ٢٣٤ والوافي ٢ : ٩١ ومرآة الزمان : ٤٨ وطبقات السبكي

٤ : ٦٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٠٦ والشذرات ٤ : ١٨ واللباب : (المعاوي) .

٥ ر ل ي س : ابن الحسن .

[أبي] ١ مرفوعة بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن
عنبسة الأصغر بن عتبة ٢ بن الأشرف بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر
ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي معاوي
الأيبوري الشاعر المشهور ؛ كان من الأدباء المشاهير ، راوية نسبة شاعراً
ظريفاً ، قسم ديوان شعره إلى أقسام : منها العراقيات ومنها النجديات ومنها
الوجديات ، وغير ذلك ، وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب ، نقل عنه الحفاظ
الأثبات الثقات ٣ ، وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في
غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب ، وقال في حقه في ترجمة المعاوي :
إنه كان أوحد زمانه في علوم عديدة ، وقد أوردنا عنه في غير موضع من هذا
الكتاب أشياء ، وكان يكتب في نسبه المعاوي ، وألبق ما وصف به بيت
أبي العلاء المعري :

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

انتهى كلام المقدسي بعد أن ذكر له أبياتاً يفتخر بها لا حاجة بنا إليها .
وذكره أبو زكريا ابن منده في « تاريخ أصبهان » فقال : فخر الرؤساء أفضل
الدولة ، حسن الاعتقاد جميل الطريقة ، متصرف في فنون جمة من العلوم ، عارف
بأنساب العرب ، فصيح الكلام حاذق في تصنيف الكتب ، وافر العقل كامل
الفضل ، فريد دهره ووحيد عصره . وكان فيه تبه وكبر وعزة نفس ، وكان
إذا صلى يقول : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاريها .

وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة المعاوي ، وفي
كتاب « الذيل » وقال : كان ينسب إلى معاوية الأصغر المقدم ذكره في عمود
نسبه ، وأخبر عنه أنه كتب رقعة إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله وعلى رأسها

١ زيادة من ل ي س ت .

٢ كذا في أكثر النسخ ؛ وفي بر والباب : « عنبسة » .

٣ الثقات : سقطت من ر .

٤ ر : إلى ذكرها . ق : بذكرها .

« الخادم الماوي » ، فكره الخليفة النسبة إلى معاوية ، فحك^١ الميم من الماوي
ورد الرقعة إليه ، فصار « الماوي »^٢ .

ومن محاسن شعره قوله :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبةً أو رهبة عطاؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وكان إلينا في السرور ابتسامها فصار علينا في الهوم بكاؤها
وصرنا نلاقي النائبات بأوجهِ رفاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما ممنا أن نبوح بما جنت علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وقوله أيضاً^٣ :

تنكر لي دهري ولم يدر أنني أعزُّ وأحداث الزمان تهونُ
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبتَّ أريه الصبر كيف يكون
ومن شعره أيضاً :

وهيفاء لا أصغي إلى من يلومني عليها ويفرني بها أن أعيبها
أميلُ بإحدى مقلتي إذا بدت إليها ، وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ولم يدر أنني أخذت لمني من سليمي نصيبها

١ ر : فكشط ، مع : فحك الخليفة .

٢ علق ابن المؤلف هنا في المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها . ومسى بن أحمد لطف الله به : ومثل
هذا ما حكاه لي بعض أدباء بغداد أن رجلاً متشيعاً مر بباب مدرسة ببغداد وكان بيده قوس بندق
وكان حاذقاً بالرمي ، فرأى على ذلك الباب مكتوباً بالآجر حروفاً ثابتة ، مضمونها « معاوية خال
المؤمنين » فغاظه ذلك ، فرمى ببندقه أصاب بها وسط الشكل القائم من حرف اللام في « خال » فزال
موضع البندقة فبقي سفلى اللام يشبه النون وما هي من الشكل القائم كالنقطة عليه فقرأه « خان »
وهذا من لطيف الاتفاقات .

٣ ق : ومن شعره أيضاً .

وله في أبي النجيب عبد الرحمن بن عبد الجبار المراغي ، وكان من
أفراد زمانه فضلاً ، وكان يستعمل في شعره لزوم ما لا يلزم ، وكانت إقامته
بشعر حيرة^١ :

شعر المراغي^٢ وحوشيم^٣ كعقله أسلمه^٤ أسقمه^٥
يلزم ما ليس له لازماً لكنه يترك ما يلزمه^٦

وله أيضاً :

أميم إن لم تسمحي بزيارة بخلا فجوذي بالخيال الطارق
والله لا تمحو الوشاة ولا النوى سمة^٧ حبك^٨ في ضمير العاشق

قلت : ومن معنى البيت الأول أخذ سبط ابن التعاويذي - الآتي ذكره -
قوله من جملة قصيدة :

إن كنت ليلى بالسلام بخيلة^٩ فمري الخيال يمر بي فيسلم^{١٠}
وعيدي بوصلك^{١١} في المنام لعلها ترجو لقاءك^{١٢} مقلتي فتهوم^{١٣}

ومن نجدياته :

نزلنا بنعمان الأراك وللندی سقيط^{١٤} به ابتلت^{١٥} علينا المطارف^{١٦}
فبت^{١٧} أعاني الوجد والركب^{١٨} نوم^{١٩} وقد أخذت مني السرى والتنائف^{٢٠}
وأذكر خوداً إن دعاني إلى^{٢١} النوى هواها أجابته الدموع الذوارف^{٢٢}
لها في مغاني ذلك الشعب منزل^{٢٣} لئن أنكرته العين فالقلب عارف^{٢٤}
وقفت^{٢٥} به والدمع أكثره دم^{٢٦} كأني من جفني بنعمان راعف^{٢٧}

[وله وقد أخرج من الحلة المزبدية مكرهاً ، وكان سنياً :

١ ق ر ير : بحيرة ؛ س : جندة ، ولعل الصواب « جنزة » .

٢ ر والمختار : علي .

أبابل ما واديكِ بالرقد مغمم لدينا ولا ناديكِ بالوفد أهل'
لئن ضقتِ عنا فالبلادُ فسيحة وحسبكِ عاراً أنني عنكِ راحل
لئن كنتِ بالسحر الحرام مدلةً فعندي من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تعير الأعين النجل سحرها فكلُّ مكانٍ خيمت فيه بابل^١

ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات في صفة^٢ الحمرة :

ولها من ذاتها طرب فلهذا يرقص الحبيبُ

وله من جملة قصيدة :

فسد الزمان فكل من صاحبه راج يناقق أو مُداجٍ خاشي^٣
وإذا اختبرتهمُ ظفرتَ بباطنٍ متجهّمٍ وبظاهرٍ هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام الطائي من جملة قصيدة أجاد فيها كل
الإجادة^٤ :

إن شئت أن يسودَ ظنك كله فأجِلُهُ في هذا السواد الأعظمِ
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطنٍ متجهّمِ

وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل .

وله تصانيف كثيرة مفيدة : منها « تاريخ أبيورد ونسا » وكتاب « المختلف
والمؤتلف » و « طبقات كل فن » و « ما اختلف واثتلف^٥ في أنساب العرب »

١ زيادة انفردت بها معج ، وقد سقط ما قبلها ابتداء من قوله « وله في أبي النجيب » حتى آخر الأبيات
الفائية .

٢ س لي ن : وصف .

٣ ت لي ل معج : حاشي .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٥٠ ؛ كل الإجادة : سقطت من ق س ت ل معج بر من .

٥ وطبقات . . . واثتلف : سقطت من ر ن ق .

وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها^١. وكان حسن السيرة جميل الأثر، له معاملة صحيحة .

وكانت وفاة الأبيوردي المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بأصبهان مسموماً ، وصلي عليه في الجامع العتيق بها ، رحمه الله تعالى .

والأبيوردي : بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى أبيورد ، ويقال لها أبأورد وبأورد ، وهي بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم^٢، وذكر السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة الكوفني - بضم الكاف وسكون الواو وفتح الفاء^٣ وبعدها نون - هذه النسبة إلى كوفن ، وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر، وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء ، منهم الأديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفني المعروف بالأديب الأبيوردي ، والله أعلم .

١ بهامش ن ، بخط غير خط الأصل : « وقفت على مؤلف له سماه بزاد الرفاق واستصحبه بحمد الله سبحانه وهو من الكتب الممتعة ويشتمل من نوادر الظرف والآداب على ما يروق العيون ويعجب الاسماع ؛ حرره الفقير عارف » .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ت مج .

٣ ق : الكوفني . . . وفتح القاف ؛ وانظر الباب : (الكوفني) ؛ وقد كتبت اللفظة كوقن - بالقاف - في المختار .

ابن أبي الصقر الواسطي

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر، المعروف بابن أبي الصقر الواسطي؛ كان فقيهاً شافعي المذهب، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحمه الله تعالى، ولكنه غلب عليه الأدب والشعر واشتهر به، ورأيت له بدمشق ديوان شعر في الخزانة الأشرفية التي في الجامع المشهور في تربته شمال الكلاسة التي هي زيادة في الجامع الكبير، والديوان مجلد واحد، وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية، وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية، وله في الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مراث، وكان كاملاً في البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر. وذكره أبو المعالي الحظيري - المقدم ذكره^٢ - في كتاب «زينة الدهر» وأورد له عدة مقاطيع، فمن ذلك قوله:

كلُّ رزقي ترجوه من مخلوقٍ يعتريه ضربٌ من التَّعْوِيقِ
وأنا قائلٌ واستغفرُ اللهَ مقالَ الجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعلِ إبليس شيئاً غير ترك السجود للمخلوق

وذكر له أيضاً^٣:

وحرمة الود ما لي عنكم عوض لأنني ليس لي في غيركم غرض^٤

٦٧٥ - ترجمته في معجم الأدباء ١٨ : ٢٥٧ والمنتظم ٩ : ١٤٥ والوافي ٤ : ١٤٢ والبيدر السافر،

الورقة : ١٣٢ وطبقات السبكي ٣ : ٨٠ .

١ ورأيت له . . . واحد : سقط النص من لي ل ت بر من .

٢ انظر ج ٢ : ٣٦٦ .

٣ زاد في لي : قوله ؛ وفي ق بر : وهي سائرة ؛ وقد سقطت الأبيات من مج .

٤ ت وهامش س : وليس لي في سواكم بعدكم غرض .

أشواقكم وبودّي لو يواصلني
لکم خیال ولكن لست أغتمض
وقد شرطتُ على قوم صحبتهمُ
بأن قلبي لكم من دونهم، ورضوا^١
ومن حديثي بكم قالوا به مرضُ
فقلت لا زال عني ذلك المرض

وكان قد طَعَنَ في السن وضعف عن المشي فصار يتوكأ على عصا ، فقال
في ذلك :

كل أمري^٢ إذا تفكرت فيه وتأملته رأيتَ ظريفا
كنت أمشي على اثنتين قويا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

قلت : ولي أبيات أشير فيها إلى مثل هذا المعنى وهي :

يا سائلي عن حالتي خذ شرحها ملخصا
قد صرتُ بعد قوة تفضُّ أفلاذ الحصى
أمشي على ثلاثة أجودُ ما فيها العصا^٣

ولابن أبي الصقر^٤ أيضاً في اعتذاره عن ترك القيام لأصدقائه^٥ :

علة سُمِّيتُ ثمانين عاما منعتني للأصدقاء القياما
فإذا عَمَّرُوا تمهد عذري عندهم بالذي ذكرت وقاما

وله في كبره أيضاً :

ولما إلى عشر تسمين صرتُ وما لي إليها أبُّ قبلُ صارا
تبيقتُ أنيَ مستبدلٌ بداري داراً وبالجار جارا

١ ر : فرضوا .

٢ ل ن بر : أمر .

٣ قلت . . . العصا : سقط من س لي ل ت مج بر من .

٤ كذا في ر ق ؛ وفي النسخ الأخرى : وله .

٥ ر : لبعض أصدقائه .

فتبت إلى الله مما مضى ولن يُدْخِلَ الله من تاب ناراً
وله أيضاً وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر، فتغامز عليه
الحاضرون كيف مات الصغير وبقي هذا الشيخ في هذا السن ، فقال :
إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك : هذا المصير
وله أيضاً في ذلك :

ابن أبي الصقر افتكرو وقال في حال الكبر
والله لولا بَوْلَةٌ تحرقني وقت السحر
لما ذكرت أن لي ما بين فخذي ذكر

وله كل مقطوع مليح^٢ .
وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة . وتوفي
يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بواسطة ، رحمه
الله تعالى .

١ وله أيضاً . . . المصير : سقط من س ل ي ت مج ، وقبله سقطت من مج الأبيات الرائية المطلقة .

٢ ق : مقطوع حسن .

ابن الهبارية

الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله ابن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي المعروف بابن الهبّارية ، الملقب بنظام الدين البغدادي الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً مجيداً حسن المقاصد ، لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال^٢ : من شعراء نظام الملك ، غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف ، وسبك في قالب ابن حجاج وسلك أسلوبه وفاقه في الخلاعة ، والنظيف من شعره في غاية الحسن ؛ انتهى كلام العماد . وكان ملازماً لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق وزير السلطان ألب أرسلان وولده ملك شاه - وقد تقدم ذكره في حرف الحاء^٣ - وله عليه الإنعام التام والإدراك المستمر ، وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست شحنة ومناقسة ، كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء ، فقال أبو الغنائم لابن الهبارية : إن هجوت نظام الملك فلك عندي كذا ، وأجزل له الوعد فقال : كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي شيئاً إلا من نعمته ؟ فقال : لا بد من هذا ، فعمل^٤ :

٦٧٦ - ترجمته في الباب : (الهباري) والوافي ١ : ١٣٠ ومرآة الزمان : ٥٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢١٠ ولسان الميزان ٥ : ٣٦٧ والشذرات ٤ : ٢٤ وقد أوجزت النسخ ل ل ي ت في نسبه :

١ ل ي : نظام الملك .

٢ الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٧٠ .

٣ انظر ج ٢ : ١٢٨ .

٤ ق : فقال :

لا غرو إن ملك ابن إسحاق وساعده القدر
وصفت له الدنيا وخد ص أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالذولاب ليس يدور إلا بالبقر

فبلغت الأبيات نظام الملك ، فقال : هو يشير إلى المثل السائر على ألسن الناس ، وهو قولهم « أهل طوس بقر » وكان نظام الملك من طوس ، وأغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في إفضاله عليه ، فكانت هذه معدودة من مكارم أخلاق نظام الملك وسعة حلمه . وكان مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة لما يعطونه من بذاءة لسانه ، فلما اشتد عليه الحال منهم كتب إلى نظام الملك :

لذ بنظام الحضرتين الرضى إذا بنو الدهر تحاشوك
واجل به عن ناظريك القذى إذا لثام القوم أعشوك
واصبر على وحشة غلمانه لا بد للورد من الشوك

وذكر العماد الأصبهاني في « الحريدة » أنه أنفذ هذه الأبيات مع ولده إلى نقيب النقباء علي بن طراد الزيني ، ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن .
ومن شعره أيضاً :

وجهي يرق عن السؤا ل وحالي منه أرق
دقت معاني الفضل في وحرفتي منها أدق

ومن معانيه الغريبة قوله في الرد على من يقول إن السفر به يبلغ الوطر :
قالوا أقت وما رزقت وإنما بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهم ما كل سير نافعاً الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سفرة نفعت ، وأخرى مثلها ضرت ، ويكتسب الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه إذا حرم السعادة يحق
وله أيضاً :

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها
وإذا البياذق في الدُسُوتِ تفرزنت
ما في البرية كلها إنسانُ
فالرأي أن يتبيندق الفرُزان
وله على سبيل الخلاعة والمجون :

يقول أبو سعيد إذ رآني
على يد أي شيخ تبت قل لي
عفيفاً منذ عام ما شربتُ
فقلت على يد الإفلاس تبت

وله في المعنى أيضاً :

رأيت في النوم عرسي وهي مسكة
معوّج الشكل مسودٌ به نقط
أذني ، وفي كفها شيء من الأدم
لكن أسفله في هيئة القدم
[تظلل ترقمني كما ترنخني
حتى تنبته محمّر القذال ، ولو
طال المنام^٢ على الشيخ الأديب عمي

وله أيضاً :

المجلس التاجي^١ ، دام جماله
والمبد فيه حَمَامَةٌ ، تغريدُها
وجلاله وكاله ، بستانُ
فيه المديح وطوقُها الإحسان

[وله :

وعندي شوق دائم وصبابة^٣
إلى رجل لو أن بعض ذكائه
ومن أنا ذا حتى أقول له عندي
على كل مولود تكلم في المهد
فلولا نداءه خفت نار ذكائه
عليه ولكن الندى مانع الوقد^٢

وله أيضاً :

١ زيادة من المختار .

٢ ر : الرقاد .

٣ زيادة من مج ، سقط كثير مما قبلها .

دعوه ما شاء فعل سيان صد أو وصل
فكم رأينا قبلها أسود من ذا ونصل

ومحاسنه كثيرة .

وله كتاب « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وقد سبق في ترجمة البارع الدباس في حرف الحاء ذكر الأبيات الدالية وجوابها وما دار بينها ، وسيأتي في ترجمة الوزير فخر الدولة محمد بن جبير واقعة لطيفة جرت له مع السابق الشاعر المعري ، إن شاء الله تعالى .

وديون شعره كبير يدخل في أربع مجلدات^٢ ، ومن غرائب نظمته كتاب « الصادح والباغم » نظمته على أسلوب « كليلة ودمنة » وهو أراجيز ، وعدد بيوته ألفا بيت ، نظمها في عشر سنين ، ولقد أجاد فيه كل الإجادة ، وسير الكتاب على يد ولده إلى الأمير أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي صاحب الحلة - المقدم ذكره في حرف الصاد^٣ - وختمه بهذه الأبيات ، وهي :

هذا كتاب حَسَنٌ تَحَارَ فِيهِ الْفَطْنُ
أَنْفَقْتُ فِيهِ مَدَّةَ عَشْرِ سِنِينَ عِدَّةً
مَنْذُ سَمِعْتُ بِاسْمِكَ وَضَعْتَهُ بِرِسْمِكَ
بِیُوتِهِ أَلْفَانٌ جَمِيعَهَا مَعَانِي
لَوْ ظَلَّ كُلُّ شَاعِرٍ وَنَاطَمٍ وَنَاثِرٍ
كَعَمْرِ نُوْحِ التَّالِدِ فِي نِظْمِ بَيْتٍ وَاحِدٍ
مِنْ مِثْلِهِ لَمَا قَدَّرَ مَا كُلُّ مَنْ قَالَ شِعْرَ
أَنْفَذْتَهُ مَعَ وَلَدِي^٥ بَلْ مَهْجَتِي وَكَبْدِي

١ انظر ج ٢ : ١٨١ .

٢ المختار : في ثلاث أربع مجلدات .

٣ انظر ج ٢ : ٤٩٠ .

٤ لم يرد منها في ت إلا بيتان ، واكتفى في المختار بإيراد المطلع .

٥ ل لي بر : وولدي .

وأنت عند ظني أهلٌ لكل مَنْ
وقد طوى إليكاً توكلاً عليكاً
مشقة شديده وشقّةً بعيده
ولو تركت جيت سعيًا وما ونيت
إن الفخار والعلا إرثك من دون الورى

فأجزل صلته وأسنى جائزته^١ .

وتوفي ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة أربع وخمسة ، هكذا قال العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » بعد أن أقام مدة بأصبهان وخرج إلى كرممان وأقام^٢ بها إلى آخر عمره ، وقال ابن السمعاني : توفي بعد سنة تسعين وأربعمائة . والهبارية : بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى هبّار ، وهو جد أبي يعلى المذكور لأمه .

وكرمان : بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الألف نون ، وهي ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار ، وخرج منها خلق من الأعيان ، وهي متصلة بأطراف أعمال خراسان^٣ ، ومن جانبها الآخر البحر ، والله أعلم .

١ ق : فأجزل جائزته وأسنى صلته .

٢ ر بر : فأقام .

٣ ق مج بر ر : بأطراف خراسان .

الخالدي المعروف بابن القيسراني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد الخزومي ، الخالدي الحلبي الملقب شرف المعالي عدّة الدين ، المعروف بابن القيسراني ، هكذا أملى عليّ نسبه بمض حفته ، الشاعر المشهور ؛ من الشعراء المجيدين والأدباء المتفنين^١ ، قرأ الأدب على توفيق بن محمد وأبي عبد الله ابن الحياط الشاعر - المقدم ذكره^٢ - وكان فاضلاً في الأدب وعلم الهيئة ، سمع بحلب من الخطيب أبي طاهر هاشم بن أحمد الحلبي وغيره ، وسمع منه الحافظان أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد ابن السمعي^٣ ، وذكراه في كتابيهما ، وكذلك أبو المعالي الحظيري ، وذكره في كتاب « الملح »^٤ أيضاً .

وكان هو وابن منير - المذكور في حرف الهمزة^٥ - شاعري الشام في ذلك العصر ، وجرت بينهما وقائع وماجرايات وملح ونوادر ، وكان ابن منير ينسب إلى التحامل على الصحابة ، رضي الله عنهم ، ويميل إلى التشيع ، فكتب إليه ابن القيسراني المذكور وقد بلغه أنه هجاه :

ابن منير هجوت مني حبراً أفاد الورى صوابه

٦٧٧ - ترجمته في الروضتين ١ : ٩١ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٩٦ - ١٦٠ ومرآة الزمان : ٢١٣ وذيل ابن الفلاني : ٣٢٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٣٣ والشذرات ٤ : ١٥٠ .

١ ر ل لي مج ير من : المتعينين .

٢ انظر ج ١ : ١٤٥ .

٣ ق : وأبو سفيان السمعي .

٤ ق : الملح والنوادر . ٥ ج ١ : ١٥٦ .

ولم تضيّق بذاك صدري فإن لي أسوة الصحابه
ومن محاسن شعره قوله :

كم ليلة بت من كاسي وريقته نشوان أمزج سلسالاً بسلسال
وبات لا تحتمي عني مرآشفه كأنما ثغره ثغره بلا والي

وظفرت بديوانه وجميعه بخطه وأنا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه أشياء
فمن ذلك قوله في مدح خطيب :

شُرح المنبر صدراً لتلقيك رحيباً
أترى ضمّ خطيباً منك أم ضمّخ طيباً

وهذا الجناس في غاية الحسن ؛ ثم وجدت هذين البيتين لأبي القاسم ابن زيد
ابن أبي الفتح أحمد بن عبيد بن فضل الموازيني الحلبي المعروف أبوه بالماهر ، وأن
ابن القيسراني المذكور أنشدهما للخطيب ابن هاشم لما تولى خطابة حلب فنسبها
إليه^٢ ، ورأيت الأول على هذه الصورة ، وهو :

قد زها المنبرُ عجباً إذ ترقيت خطيباً

وله في الغزل :

بالسفع من لبنان لي قمر منازل القلوب
حملت تحيته الشما لُفردّها عني الجنوب
فرّد الصفات غريبها والحسن في الدنيا غريب
لم أنس ليلة قال لي لما رأى جسدي يذوب^٣
بالله قل لي من أعلّك لك يافتي؟ قلت: الطيب

١ ق : فضال .

٢ ما تقدم يفيد أن المؤلف نقل البيتين من ديوان ابن القيسراني وهو يقول إن الديوان كله بخطه
وهذا يستوقف النظر .

٣ سقط البيت سهواً من ق .

وله أيضاً ١ :

وقالوا لاح عارضه وما ولت ولايته
فقلت عذار من أهوى أمارته إمارته

ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة ٢ :

هذا الذي سلب العشاق نومهمُ أما ترى عينه ملأى من الوسنِ
وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي في مدح سيف الدولة بن حمدان :
نهبت من الأعمار ما لو حويتهُ لهنت الدنيا بأنك خالد ٣
وكان كثير الإعجاب بقوله من جملة قصيدة :

وأهوى الذي أهوى له البدرُ ساجداً أَلستَ ترى في وجهه أثر التربِ
وحضر مرة في سماع وكان المغني حسن الغناء ، فلما طربت الجماعة وتواجدت
عمل ٤ :

والله لو أنصف العشاق أنفسهم فدوك منها بما عزوا وما صانوا
ما أنت حين تغني في مجالسهم إلا نسيم الصبا والقوم أغصانُ
وأنشدني صاحبنا الفخر إسحاق بن المختص الإربلي لنفسه دوبيت ، وأخبرني
أنه كان في سماع وفيه جماعة من أرباب القلوب ، فلما طابت الجماعة ٥ كان هناك
فرش منضودة على كراسي فتساقطت ، قال : فعملت في الحال :

داعي النغمات حلقة الشوق طرّقُ وَهنا فأجابتهُ شُجونٌ وحرّقُ

١ سقط البيتان التاليان من مج .

٢ رائقة : سقطت من ق .

٣ وهذا البيت . . . خالد : سقط من س ل ي ت ق مج بر من .

٤ ق : عمل فقال .

٥ الجماعة : سقطت من ل ي ت ق مج بر من .

لو أسمعَ صخرةً حُرَّتْ طرباً من نعمته فكيف قطن وخرقُ

وكانت ولادة ابن القيسراني المذكور سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعكا. وتوفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسائة بمدينة دمشق ، ودفن بمقبرة باب الفراديس ، رحمه الله تعالى .

والخالدي : بفتح الخاء المعجمة وبعد الألف لام ثم دال مهملة ، هذه النسبة إلى خالد بن الوليد الخزومي ، رضي الله عنه ؛ هكذا يزعم أهل بيته ، وأكثر المؤرخين وعلماء الأنساب يقولون : إن خالداً رضي الله عنه ، لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان ، والله أعلم .

والقيسَراني : بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى قيسارية ، وهي بليدة بالشام على ساحل البحر .

٦٧٨

الكيزاني

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت بن إبراهيم بن فرح^١ ، الكناني المقرئ الأديب الشافعي الحامي^٢ المصري المعروف بابن الكيزاني، الشاعر المشهور^٣ ؛ كان زاهداً ورعاً ، وبمصر طائفة ينسبون إليه ويعتقدون مقالته ، وله ديوان شعر أكثره في الزهد ، ولم أقف عليه ، وسمعت له بيتاً واحداً أعجبني ، وهو :

٦٧٨ - ترجمته في اللباب : (الكيزاني) والوافي ١ : ٣٤٧ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٨ والنجوم

الزاهرة ٥ : ٣٦٧ ، ٣٧٦ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦١ .

١ س ن بر : فرج .

٢ ق : الحامي ؛ بر : الحامي .

٣ ر ن : المعروف .

وإذا لاق بالحب غرام فكذا الوصل بالحبيب يليق

[ويروى له :

ياضى جسمي تحمك أو فدع ليس في السلوان عن ليلي طمع
عنفوني والهوى يغلبني وأطالوا العتب لو كان نفع
سألوني هل يوافي طيفها إنما يعلم هذا من هجع]

وفي شعره أشياء حسنة^٢ . وتوفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول ،
وقيل بل توفي في المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمصر ، ودفن بالقرب من
قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، بالقرافة الصغرى ، ثم نقل إلى سفح المقطم
بقرب الحوض المعروف بأبم مودود ، وقبره مشهور هناك يزار ، وزرته مراراً ،
رحمه الله تعالى .

والكيزاني : بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعد
الالف نون ، هذه النسبة إلى عمل الكيزان وبمعناها^٣ ، وكان بعض أجداده يصنع
ذلك ، والله أعلم .

١ زيادة انفردت بها مج .

٢ نقل الصفدي في الفيتح المسجم (٢ : ٧٨) هذين البيتين :

يا من يسود شعره بخضابسه لعماه من أهل الشيبية يحصل
ها فاخضب بسواد حظي مرة ولك الأمان بأنه لا ينصل

ثم قال : ووجدتهما بخط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في بعض مسوداته لابن الكيزاني المصري .

٣ وبمعناها : سقطت من ن ر ق .

الأبله الشاعر

أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد ، المعروف بالأبله البغدادي ، الشاعر المشهور أحد المتأخرين المجيدين ، جمع في شعره بين الصناعة والرقه ، وله ديوان شعر بأيدي الناس كثير الوجود .

وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة »^١ فقال : هو شاب ظريف يتزيتا بزبي الجند ، رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ^٢ ، أرق من النسيم السحري وأحسن من الوشي التستري ، وكل ما ينظمه ، ولو أنه يسير ، يسير ، والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء ، فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوّم على عذب المشرب . ثم قال : أنشدني لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسة ب بغداد :

زار من أحيا بزورته والدجى في لون طرّته
قمر يثني معانقه^٣ بانة في طي بردته
بت أستجلي المدام على غيرة الواشي وغرّته
يالها من زورة قصرت فأماتت طول جفوته
آه من خصر له وعلى رشفة من برد ريقته
ياله في الحسن من صنم كلنا من جاهليته^٤

٦٧٩ - ترجمته في مرآة الزمان : ٣٧٩ والوافي ٢ : ٢٤٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٩٥ وعبر الذهبي

٤ : ٢٣٨ والشذرات ٤ : ٢٦٦ .

١ ن : في الخريدة .

٢ س : الألفاظ .

٣ ق ر ير : قمر يثني معانقه .

٤ سقطت هذه الأبيات من س ت مع .

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانها

ومن رقيق شعره قوله في غزل قصيدة :

دعني أكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني
آليت لا أدع الملام يعرني من بعد ما أخذ الغرام عناني
أولا تروض العاذلات وقد أرى روضات حسن في حدود حسان
ولدي يلتمس السلو، ولم أزل حي الصبابة ميت السلوان
يا برق إن تجف العقيق فطالما أغنته عنك سحائب الأجفان
هيات أن أنسى رباك ووقفه فيها أُغيرُ بها على القييران
ومهفهِ ساجي اللحاظ حفظته فأضاعني وأطعته فعصاني
يُضمي قلوبَ العاشقين بقلّةٍ طرف السنان وطرفها سيان
خنتِ الدلال: بشعره وبشغره يوم الوداع أضلني وهَداني
ما قام معتدلاً ههز قوامه إلا وبانت خجلة في البان
يا أهلَ نعمانِ إلى وجناتكم تعزى الشقائق لا إلى نعمان
ما يفعل المران من يد قَلْب في القلب فعل مرارة الهجران

وهي قصيدة طويلة ومدىحها جيد، وجميع شعره على هذا الأسلوب والنسق^٥
ومخالصه من الغزل إلى المدح في نهاية^٦ الحسن، وقل من يلحقه فيها، فمن
ذلك قوله من قصيدة أولها :

١ مج : قوله من قصيدة .

٢ ت بر : أولى بروض ؛ ل : بروض .

٣ ر ن ق : إن تجز .

٤ ق : في فعله ومرارة .

٥ ت ل مج بر من : على هذا النسق .

٦ ق : غاية .

جنيتُ جنيّ الوردِ من ذلك الحدّ وعانقتُ غصن البان من ذلك القدّ
فلما انتهى إلى مخلصها قال :

لئن وقرت يوماً بسمعي ملامة لهند فلا عفتُ الملامة في هند
ولا وجدت عيني سيلاً إلى البكا ولا بتّ في أسر الصباية والوجد
وبحت بما ألقى ورحت مقابلاً سماحة مجد الدين بالكفر والجحد
وقوله من قصيدة أخرى :

فلا وجد سوى وجدي بليلى ولا مجد كمجد ابن الدوامي
وقوله في أخرى :

فأقسم أني أفى الصباية واحد وأن كال الدين في الجود واحد
إلى غير ذلك .

وكانت وفاته ، على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه ، في جمادى الآخرة سنة
تسع وسبعين ، وقال غيره : سنة ثمانين وخمسة مائة ببغداد ، ودفن في باب أبرز
محاذي التاجية ، رحمه الله تعالى .

والأبله : معروف فلا حاجة إلى ضبطه ، وإنما قيل له أبله لأنه كان فيه
طرف بله ، وقيل لأنه كان في غاية الذكاء ، وهو من أسماء الأضداد ، كما قيل
للأسود : كافور .

وكان له ميل إلى بعض أبناء البغاددة ، فمهر على باب داره فوجد خلوة ،
فكتب على الباب ، قال العماد الكاتب : وأنشدنيها :

دارك يا بدر الدجى جنة بغيرها نفسي ما تلهو
وقد روي في خبر أنه أكثر أهل الجنة البله

ولابن التعاويذي المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه ، فأضربت عن ذكره
مع أنها أبيات جيدة ، والله أعلم .

١ هنا قنتهي نسخة كوبريللي (ل) وقد جاء في آخرها : « آخر الجزء الثاني والله الحمد والمنة ويتلوه =

ابن التعاويذي الشاعر

أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي ، الشاعر المشهور؛ كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين ، فسماه ولده المذكور عبيد الله ، وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي^٢ ، وإنما نسب إلى جده المذكور لأنه كفّله صغيراً ، ونشأ في حجره فنسب إليه .

وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته ، لم يكن فيه مثله ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعدوبتها ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ، ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل فإن ذلك يختلف بميل الطباع ، والله القائل :

وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكان كاتباً بديوان المقاطعات ببغداد، وعمي في آخر عمره سنة تسع وسبعين، وله في عمّاه أشعار كثيرة يرثي بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه، وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى ، وعمل له خطبة طريفة ، ورتبه أربعة فصول ،

في الثالث أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي إن شاء الله تعالى ، وكتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه الراجي عفوه ومغفرته أحمد بن محمد بن حمدان الحراني الحنبلي ، عامله الله بلطفه ، وكان الفراغ منه يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والرحمة .

٦٨٠ - ترجمته في الروضتين ٢ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٣٥ ونكت الهميان : ٢٥٩ والوافي

: ١١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٥ والشذرات ٤ : ٢٨١ .

١ س : محمد بن محمد بن عبيد الله ، وهو خطأ كما يتضح مما يلي .

٢ زاد في رن : الملقب جمال الدين ؛ وجاء في المختار « وكان يلقب بجمال الدين » بعد لفظة «صغيراً» .

وكل ما جده بعد ذلك سماه « الزيادات » فلهذا يوجد ديوانه في بعض النسخ خالياً من الزيادات ، وفي بعضها مكملاً بالزيادات ، ولما عمي كان باسمه راتب في الديوان ، فالتمس أن ينقل باسم أولاده ، فلما نقل كتب إلى الإمام الناصر لدين الله هذه الأبيات يسأله أن يحدد له راتباً مدة حياته ، وهي^١ :

خليفة الله أنت بالدين والدين يا وأمر الإسلام مضطلع
 أنت لما سنه الأئمة أء لام الهدى مُقْتَفٍ ومُتَبِع
 قد عدم العدم في زمانك والـ جور معاً والخلاف والبدع
 فالناس في الشرع والسياسة والإحسان والعدل كلهم شَرَع
 يا ملكاً يردع الحوادث والأيام عن ظلمها فترتدع
 ومن له أنعم مكررة لنا مصيف منها ومرتبـع
 أرضي قد أجذبت وليس لمن أجذب يوماً سواك مُسْتَجَع
 ولي عيال لا درّ درّهم قد أكلوا دهرهم وما شبعوا^٢
 إذا رأوني ذا ثروة جلسوا حولي ومالوا إلي واجتمعوا
 وطالما قَطَّعوا حبالِي إء راضاً إذا لم تكن معي قطع
 يشون حولي شتّى كأنهم عقارب كلما سعوا لسعوا
 فمنهم الطفل والمراهق والرضيـع يحبو والكهل واليَفَع
 لا قارج منهم أوّمل أن ينالني خيره ولا جَدَع
 لهم حلوق تُفَضِي إلى معد تحمل في الاكل فوق ما تسمع
 من كل رحب المعاء أجوفُنا ريّ الحشا لا يمسه الشبع
 لا يحسن المضع فهو ينزل^٣ في فيه بلا كلفة ويبتلع

١ ديوانه : ٢٧٢ .

٢ بعده في الديوان :

لو وسموني وسم العبيد وبسا عوني بسوق الأعراب ما قنعوا
 ٣ الديوان : يطرح ؛ المختار : يترك .

ولي حديث يلهمي ويمجّب من
نقلت رسمي جهلاً إلى ولد
نظرت في نفعهم وما أنا في اج
وقلت هذا بمدّي يكون لكم
واختلسوه مني فما تركوا
فبئس والله ما صنعت فأض
فإن أردتم أمراً يزول به ال
فاستأنفوا لي رسماً أعود على
وإن زعمتم أني أتيت بها
حاشا لرسمي الكريم ينسخ من
فوقتموا لي بما سألت فقد
ولا تطيلوا معي فلست ولو
وحلفوني أن لا تعود يدي

يوسع لي خلقه فيستمع
لست بهم ما حيث أنتفع
تلاب نفع الاولاد مبتدع
فما أطاعوا أمري ولا سمعوا
عيني عليه ولا يدي تقع
مررت بنفسي وبئس ما صنعوا
خصام من بيننا ويرتفع
ضنك معاشي به فيتسع
خديعة فالكريم ينخدع
نسخ دواوينكم فينقطع
أطمعت نفسي واستحك الطمع
دفعتموني بالراح أندفع
ترفع في نقله ولا تضع

فما أطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التي لو مرت بالجماد
لاستألته وعطفته ، فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب ، فكان يصله بصلة من
الحشكار الرديء ، فكتب إلى فخر الدين صاحب الخزن أبياتاً يشكو من ذلك
أولها^٢ :

مولاي فخر الدين أنت إلى الندى عَجَلٌ وغيرك محجم متباطي
ومنها :

حاشاك ترضى أن تكون جرايتي كجراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها ما بين طسّوج إلى قيراط

١ ن : فاستحکم .

٢ ديوانه : ٤٨٧ .

أخنت علي الحادثات وأفرطت فيها الرداءة أيما إفراط
 قد كدرت حسبي المضيء، وغيرت طبعي السليم ، وعفنت أخلاطي
 فتول تدبيرى فقد أنهيت ما أشكوه من مرضي إلى بقراط

وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن إبراهيم التميمي وزير الإمام المستنجد بالله المعروف بابن البلدي^١ ، وقد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم ، فعمل سبط ابن التعاويذي المذكور في ذلك قوله^٢ :

يا قاصداً بغداد حد^٣ عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب
 إن كنت طالب حاجة فارجع فقد سدت على الراجي بها الأبواب
 ليست ، وما بعد الزمان ، كعهدنا أيام يعمر ربّعها الطلاب
 ويحلها الرؤساء من ساداتها والجلة الأدياء والكتاب
 والدهر في أولى حدائته ولا أيام فيها نضرة وشباب
 والفضل في سوق الكرام يباع بالغا لي من الأثمان ، والآداب
 بادت وأهلها معاً ، فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب
 وارتمت الأجدات أحياء تها ل جنادل من فوقهم وتراب
 فهم خلود في محابسهم يصب عليهم بعد العذاب عذاب
 لا يرتجى منها إياهم ، وهل يرجى لسكان القبور إياب
 والناس قد قامت قيامتهم ، فلا أنساب بينهم ولا أسباب
 والمرء يسلمه أبوه وعرسه ويخونه القرباء والأحباب
 لا شافعاً تغني شفاعته ، ولا جان له مما جناه متاب

١ ت لي بزمن : أبو جعفر ابن البلدي ؛ مع س : أبو جعفر ابن البكري ، وسقط سائر النسب من هذه النسخ .

٢ ذلك : سقطت من ت س ؛ وفي ن : في ذلك شعراً . وانظر ديوانه : ٤٧ .

٣ ق ر مع بز من والديوان : جز .

شهدوا معادهم فعاد مصدقاً مَنْ كان قبلُ بيعته يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبت على الوري وسلاسل ومقامع وعذاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به في الحشر إلا راحم وهاب

وله في الوزير المذكور :

يارب أشكو إليك ضراً أنت على كَشْفه قديرُ
أليس صِرنا إلى زمان فيه أبو جعفرٍ وزير

وذكر محب الدين المعروف بابن النجار في « تاريخ بغداد » أن الإمام المستنجد بالله توفي يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسة وتولى بعده ولده المستضيء بأمر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثاء ثاني اليوم المذكور ، فخرج أستاذ الدار عضد الدين^٢ أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السبي^٣ فقال له: إن الخليفة قد تقدم أن يستوفى القصاص من هذا، وأشار إلى الوزير، فأخذ وسُحِبَ وقطع أنفه ويده ورجله ، ثم ضربت رقبته ، وجمع في ترس وألقي في دجلة ، وكان هذا الوزير قد قطع أنف أم ابن السبي^٣ المذكور ويد أخيه ورجله في أيام ولايته ، فاقصص منه في هذا اليوم ، نعوذ بالله من سوء العاقبة^٤ .
وكتب سبط ابن التعاويذي إلى عضد الدين^٢ أبي الفرج محمد بن المظفر ، وهو من أبناء مواليه يطلب منه شعيراً لفرسه ، وهو الذي فعل بالوزير ابن البلدي^٥ تلك الفعلة المذكورة قبل هذا^٦ :

مولاي يا من له أيادي ليس إلى عَدِّها سبيلُ

١ سقط البيت من س ل ي ت مج وجاء آخرأ في ر .

٢ ر : : عضد الدولة ، وورد كلاهما في ق .

٣ ق : ابن السبي .

٤ وذكر . . . العاقبة : سقط من س ل ي ت بر من .

٥ ق : ابن البكري . ٦ ديوانه : ٣٥٧ .

ومن إذا قلتِ العطايا فجووده وافر جزيل
 إليه إن جارت الليالي نأوي، وفي ظله نقيـل
 إن كميّتي العتيق سنّاً له حديث معي يطول^١
 كان شرّائي له فضولاً فاعجب لما يجلب الفضول
 ظننته حاملاً لرحلي فخاب ظني به الجميل
 ولم أخلّ للشقاء أني لثقل أعبائه حمول
 فإن أكن عالياً عليه فهو على كاهلي ثقيـل
 أرجل^٢ كالبوم ليس فيه خير كثير ولا قليل
 ليس له مخبر حميد ولا له منظر جميل
 وهو حرون^٣ وفيه بطء ولا جواد ولا ذلول
 لا كفـل معجب لرائٍ إذا رآه ولا تليل
 مقصر إن مشى، ولكن إن حضر الاكل مستطيل
 يمجبه التبن والشعير الـ مفسول والقتّ والقصيل
 إذا رأى عكرشاً رأيت اللعاب من شدقه يسيل
 وليس فيه من المعاني شيء سوى أنه أكول
 فهب له اليوم ما تسنى وهبه من بعض ما تنيل
 ولا تقل إن ذا قليل فالجل في عينه جليل

وإنما أوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستملحة . وأما قصائده
 المشتمة على النسب والمدح فإنها في غاية الحسن ، وصنف كتاباً سماه « الحجة
 والحجاب » يدخل في مقدار خمس عشرة كراسة ، وأطال الكلام فيه ، وهو
 قليل الوجود .

وذكر العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن ابن التعاويذي المذكور كان

٢ ر ق والديوان : أرحل .

١ ر ق ير من والديوان : طويل .

صاحبه لما كان بالعراق، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يطلب منه فروة، وذكر الرسالة، وهي « وقد كلف مكارمه وإن لم يكن للجود عليها كلفه، وأتحفه بما وجهه إليه من أمله وهو لعمر الله تحفه، أهدى فروة دمشقية، سرية نقيه، يلين لمسها، ويزين لبسها، ودباغتها نظيفة، وخطايتها لطيفة، طويلة كطولها، سابعة كأنعمه حالية كذكره، جميلة كفعله، واسعة كصدره، نقيه كمرضه، رفيعة كقدره، موشية كمنظمه ونثره، ظاهرها كظاهره، وباطنها كباطنه، يتجمل بها اللابس، وتتحلّى بها المجالس، وهي لخادمه سربال، وله - حرس الله مجده - جمال، يشكره عليها من لم يلبسها، وينفي عليه بها من لم يتدرعها، تذهب خيلة وبرها، ويبقى حميد أثرها، ويخلق إهابها وجلدها، ويتجدد شكرها وحدها، وقد نظم أبياتاً ركب في نظمها الفرر، وأهدى بها التمر إلى هجر، إلا أنه قد عرض الطيب على عطاره، ووضع الثوب في يد بزازه، وأحلّ الثناء في محله، وجمع بين الفضل وأهله، وهي في حسنه وخفارة كرمه » ثم ذكر القصيدة التي أولها:

بأبي من ذبت في الح باب له شوقاً وصَبَّوهُ

وهي موجودة في ديوانه . وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروي أيضاً، وهما طويلتان .

وذكر العماد قبل ذكر الرسالة والقصيدة في حقه: هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومرورة وأبوة وفتوة، جمعني وإياه صدق العقيدة في عقد الصداقة، وقد كملت فيه أسباب الظرف والالطف واللباقة؛ ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها، وهذه الرسالة لم أر مثلها في بابها، سوى ما سيأتي في ترجمة بهاء الدين ابن شداد - في حرف الياء إن شاء الله تعالى - فإن ابن خروف المغربي كتب إليه رسالة بديعة يستجديه فروة قرظ^٢ .

وكانت ولادة ابن التعاويذي المذكور في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة . وتوفي في ثاني شوال سنة أربع، وقيل ثلاث

١ ديوانه : ٤٥٣ . ٢ ت : قرص، لي بر من : قرض؛ ن : قرط، وسقطت العبارة من مج .

وثمانين وخمسة ببيفداد، ودفن في باب أبرز، رحمه الله تعالى . وقال ابن النجار في تاريخه : مولده يوم الجمعة ، وتوفي يوم السبت ثامن عشر شوال .
والتعاويذي : بفتح التاء المثناة من فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد الألف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة ، هذه النسبة إلى كتبه التعاويذ وهي الحروز .

(203) واشتهر بها أبو محمد المبارك بن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد ، المقدم ذكره في أول هذه الترجمة ، وكان صالحاً . ذكره ابن السمعاني في كتاب « الذليل »^١ وكتاب « الأنساب » وقال : لعل أباه كان يرتقي ويكتب التعاويذ ، وسمع منه ابن السمعاني المذكور ، وقال : سألته عن مولده ، فقال : ولدت في سنة ست وتسعين وأربعمائة بالكرك . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسة ، ودفن بمقبرة الشونيزي ، رحمه الله تعالى . وقال السمعاني : أنشدني أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله :

اجعل همومك واحداً وتخلّ عن كلّ المهموم
فعاك أن تحظى بما يغنيك عن كل العلوم

ثم قال ، قال لي ابن التعاويذي : ما قلت من الشعر غير هذين البيتين .
ونشتكين : بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون ، وهو اسم أعجمي تسمى به المماليك ، وقد تقدم في أول الترجمة أنه كان من مماليك أحد بني المُظفّر رئيس الرؤساء^٢ ، وله فيهم مدائح بديعة ، وأفرد مدائحهم في فصل من الفصول الأربعة المرتبة في ديوانه لكونهم مواليه ، وكانوا يحسنون إليه ، والله أعلم^٣ .

١ ق : المذيل .

٢ مج ر بر من : ابن رئيس الرؤساء .

٣ إلى هنا تنتهي نسخة لا له لي (لي) وفي آخرها أنها نجرت في أواخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة ؛ وهذه النسخة تمثل الجزء الثاني ، والمفروض أن يليه الثالث وأوله ترجمة أبي الفناثم محمد بن علي ابن فارس . . . المعروف بابن المعلم الواسطي .

محتويات الكتاب

حرف الغين

- ٣ ٥٢٠ غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، سيف الدين صاحب
الموصل
- ٤ ٥٢١ غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق
سنقر ، سيف الدين صاحب الموصل
- ٦ ٥٢٢ غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبو الفتح
وأبو منصور الملك الظاهر غياث الدين
- ١١ ٥٢٣ غيلان بن عقبة بن بهيش ، أبو الحارث المعروف بزدي الرمة
الشاعر المشهور

حرف الفاء

- ٢١ ٥٢٤ فاتك الكبير المعروف بالمجنون ، أبو شجاع
- ٢٣ ٥٢٥ الفتح بن محمد بن عبید الله بن خاقان ، أبو نصر الإشبيلي صاحب
قلائد العقيان
- ٢٤ ٥٢٦ فتیان بن علي بن فتیان بن شمال ، الشهاب الحريمي المعروف
بالشاغوري
- ٢٧ ٥٢٧ الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، أبو العباس البرمكي
- ٣٧ ٥٢٨ الفضل بن الربيع بن يونس ، أبو العباس
- ٤١ ٥٢٩ الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس
- ٤٥ ٥٣٠ الفضل بن مروان بن ماسرخس ، أبو العباس وزير المعتصم

- ٤٧ ٥٣١ الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، أبو علي الزاهد
المشهور
- ٥٠ ٥٣٢ فناخسرو بن ركن الدولة أبي الحسن علي بن بويه ، أبو شجاع
عضد الدولة البويهبي

حرف القاف

- ٥٩ ٥٣٣ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد
- ٦٠ ٥٣٤ القاسم بن سلام ، أبو عبيد
- ٦٣ ٥٣٥ القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أبو محمد الحريري البصري
صاحب المقامات
- ٦٨ ٥٣٦ القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزروي ، أبو أحمد
- ٧١ ٥٣٧ القاسم بن فيره بن أبي القاسم خلف بن أحمد ، أبو محمد الرعيبي
الشاطبي الضرير المقرئ
- ٧٣ ٥٣٨ القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، أبو دلف العجلي
- ٧٩ ٥٣٩ قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار ، الأمير أبو الحسن
شمس المعالي الجيلي
- ٨٢ ٥٤٠ قايماز بن عبد الله الزيني ، أبو منصور مجاهد الدين الخادم
- ٨٥ ٥٤١ قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو السدوسي ، أبو الخطاب
البصري الأكمه
- ٨٦ ٥٤٢ قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين ، أبو حفص الباهلي
- ٩١ ٥٤٣ قراقوش بن عبد الله الأسدي ، أبو سعيد الملقب بهاء الدين
- ٩٣ ٥٤٤ قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد ، أبو نعامه المازني الخارجي

حرف الكاف

- ٩٩ ٥٤٥ كافور بن عبد الله الإخشيدي ، أبو المسك
- ١٠٦ ٥٤٦ كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر الخزاعي .
أبو صخر المعروف بكثير عزة

- ٥٤٧ كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ، أبو سعيد
 ١١٣ الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل
 ١٢٢ كلثوم بن عمرو العتّابي ، أبو عمرو الشاعر المشهور

حرف اللام

- ٥٤٩ الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث
 ١٢٧
 ٥٤٩ ب الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث
 ١٢٩

حرف الميم

- ٥٥٠ ✓ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ، الإمام أبو عبد الله
 ١٣٥ الأصبحي المدني
 ٥٥١ مالك بن دينار ، أبو يحيى البصري
 ١٣٩
 ٥٥٢ المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو
 ١٤١ السعادات مجد الدين ابن الأثير الجزري
 ٥٥٣ المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ ، أبو
 ١٤٤ الميمون سيف الدولة مجد الدين
 ٥٥٤ المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك ، أبو البركات شرف
 ١٤٧ الدين ابن المستوفي الإربلي
 ٥٥٥ المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد ، أبو بكر
 ١٥٢ ابن الدهان النحوي الواسطي الضرير
 ٥٥٦ مجلي بن جميع بن نجا ، أبو المعالي القرشي المخزومي الفقيه
 ١٥٤ الشافعي
 ٥٥٧ ✓ المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ، القاضي أبو علي التنوخي
 ١٥٩ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ، الإمام أبو عبد الله
 ١٦٣ الشافعي
 ٥٥٩ محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية
 ١٦٩

- ٥٦٠ محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،
 ١٧٤ أبو جعفر الملقب بالباقر
- ٥٦١ محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد
 ١٧٥ الباقر ، أبو جعفر المعروف بالجواد
- ٥٦٢ محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد ، أبو
 ١٧٦ القاسم المنتظر
- ٥٦٣ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، أبو بكر
 ١٧٧ الزهري
- ٥٦٤ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي
 ١٧٩
- ٥٦٥ محمد بن سيرين البصري ، أبو بكر
 ١٨١
- ٥٦٦ محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ، أبو الحارث
 ١٨٣ المعروف بابن أبي ذئب القرشي العامري المدني
- ٥٦٧ محمد بن الحسن بن فرقد ، أبو عبد الله الشيباني الفقيه الحنفي
 ١٨٤
- ٥٦٨ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو عبد
 ١٨٦ الله الهاشمي
- ٥٦٩ محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم ، الإمام أبو عبد الله
 ١٨٨ البخاري
- ٥٧٠ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، أبو جعفر الطبري
 ١٩١
- ٥٧١ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ، أبو عبد الله المصري
 ١٩٣ الفقيه الشافعي
- ٥٧٢ محمد بن أحمد بن نصر ، أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي
 ١٩٥
- ٥٧٣ محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ابن الخلداد الفقيه
 ١٩٧ الشافعي المصري
- ٥٧٤ محمد بن عبد الله ، أبو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي
 ١٩٩
- ٥٧٥ محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي ، أبو بكر الفقيه
 ٢٠٠ الشافعي

- ٢٠٢ ٥٧٦ محمد بن علي بن سهل بن مصلح ، أبو الحسن الماسرجسي الفقيه الشافعي
- ٢٠٣ ٥٧٧ محمد بن الحسن بن إبراهيم الأستراباذي ، أبو عبد الله المعروف بالحنن الفقيه الشافعي
- ٢٠٤ ٥٧٨ محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان ، أبو سهل الصعلوكي الفقيه الشافعي
- ٢٠٥ ٥٧٩ محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي ، أبو الطيب الفقيه الشافعي
- ٢٠٧ ٥٨٠ محمد بن إبراهيم بن المنذر ، أبو بكر النيسابوري
- ٢٠٨ ٥٨١ محمد بن أحمد بن عبد الله ، أبو زيد المروزي الفاشاني الفقيه الشافعي
- ٢٠٩ ٥٨٢ محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر ، أبو بكر الأودني الفقيه الشافعي
- ٢١١ ٥٨٣ محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه ، أبو بكر الفارسي الفقيه الشافعي
- ٢١٢ ٥٨٤ محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ، أبو عبد الله القضاعي صاحب الشهاب
- ٢١٣ ٥٨٥ محمد بن عبد الله بن مسعود بن أحمد ، أبو عبد الله المسعودي الفقيه الشافعي
- ٢١٤ ٥٨٦ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، القاضي أبو عاصم العبادي الفقيه الشافعي
- ٢١٥ ٥٨٧ محمد بن أحمد الحضري المروزي ، أبو عبد الله الفقيه الشافعي
- ٢١٦ ٥٨٨ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، الإمام أبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي
- ٢١٩ ٥٨٩ محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ، أبو بكر المستظهري الملقب فخر الإسلام الفقيه الشافعي

- ٢٢١ ٥٩٠ محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ، أبو نصر الأرخياني الفقيه الشافعي
- ٢٢٣ ٥٩١ محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري ، أبو سعد محيي الدين الفقيه الشافعي
- ٢٢٥ ٥٩٢ محمد بن محمد بن محمد بن سعد ، أبو منصور البروي الفقيه الشافعي
- ٢٢٧ ٥٩٣ محمد بن المبارك أبي البقاء بن محمد ، أبو الحسن ابن الحل الفقيه الشافعي البغدادي
- ٢٢٩ ٥٩٤ محمد بن علي أبي الحسن بن محمد أبي المعالي مجد الدين ، أبو المعالي محيي الدين المعروف بابن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي
- ٢٣٧ ٥٩٥ محمد بن هبة الله بن عبد الله السديد السلماسي الفقيه الشافعي
- ٢٣٨ ٥٩٦ محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين ، أبو منصور عمدة الدين المعروف بمحفدة الفقيه الشافعي النيسابوري
- ٢٣٩ ٥٩٧ محمد بن الموفق بن سعيد بن علي ، أبو البركات نجم الدين الحبوشاني الفقيه الشافعي
- ٢٤١ ٥٩٨ محمد بن عبد الله أبي محمد بن أحمد بن القاسم ، القاضي أبو الفضل كمال الدين الشهرزوري الفقيه الشافعي
- ٢٤٦ ٥٩٩ محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري ، القاضي أبو حامد الملقب محيي الدين
- ٢٤٨ ٦٠٠ محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي
- ٢٥٣ ٦٠١ محمد بن يونس بن محمد بن منعة ، الشيخ أبو حامد عماد الدين الفقيه الشافعي
- ٢٥٦ ٦٠٢ محمد بن إبراهيم بن أبي الفضل ، أبو حامد معين الدين السهلي الحاجرمي الفقيه الشافعي

	محمد بن محمد بن محمد ، أبو حامد ركن الدين العميدي الفقيه	٦٠٣
٢٥٧	الحنفي السمرقندي	
٢٥٩	محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري ، أبو بكر	٦٠٤
	محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان ، أبو بكر	٦٠٥
٢٦٢	الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة الفقيه المالكي	
	محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، أبو الهذيل	٦٠٦
٢٦٥	الغلاف المتكلم	
٢٦٧	محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، أبو علي الجبائي المعتزلي	٦٠٧
	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، القاضي أبو بكر الباقلائي	٦٠٨ ✓
٢٦٩	البصري المتكلم	
٢٧١	محمد بن علي بن الطيب ، أبو الحسين البصري المتكلم المعتزلي	٦٠٩
٢٧٢	محمد بن الحسن ، الأستاذ أبو بكر ابن فورك	٦١٠
	محمد بن عبد الكريم أبي القاسم بن أحمد أبي بكر ، أبو الفتح	٦١١
٢٧٣	الشهرستاني المتكلم الأشعري	
	محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر وقيل أبو عبد الله صاحب	٦١٢
٢٧٦	الغازي والسير	
	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى ، أبو عيسى الترمذي	٦١٣
٢٧٨	الحافظ	
٢٧٩	محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني ، أبو عبد الله الحافظ	٦١٤
	محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ، أبو عبد الله الحاكم بن	٦١٥
٢٨٠	البيع النيسابوري الحافظ	
	محمد بن فتوح أبي نصر بن عبد الله بن حميد ، أبو عبد الله	٦١٦
٢٨٢	الحميدي الأندلسي الحافظ	
	محمد بن علي بن عمر بن محمد ، أبو عبد الله المازري الفقيه	٦١٧
٢٨٥	المالكي المحدث	
	محمد بن عمر أبي بكر بن أحمد أبي عيسى ، أبو موسى	٦١٨
٢٨٦	الأصبهاني الحافظ	

- ٢٨٧ ٦١٩ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، أبو الفضل المقدسي الحافظ
المعروف بابن القيسراني
- ٢٨٩ ٦٢٠ محمد بن يحيى بن منده ، أبو عبد الله العبدي الحافظ
- ٢٩٠ ٦٢١ محمد بن يوسف بن مطر بن صالح ، أبو عبد الله القربري
- ٢٩٠ ٦٢٢ محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله كمال الدين
الفرأوي الفقيه المحدث
- ٢٩٢ ٦٢٣ محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر الآجري الفقيه الشافعي
المحدث
- ٢٩٣ ٦٢٤ محمد بن ناصر بن محمد بن علي ، أبو الفضل البغدادي الحافظ
المعروف بالسلامي
- ٢٩٤ ٦٢٥ محمد بن موسى أبي عثمان بن عثمان بن موسى ، أبو بكر
زين الدين الحازمي الهمداني
- ٢٩٦ ٦٢٦ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، أبو بكر المعافري
الأندلسي الحافظ المعروف بابن العربي
- ٢٩٨ ٦٢٧ محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ، أبو بكر المقرئ المفسر
المعروف بالنقاش
- ٢٩٩ ٦٢٨ محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت ، أبو الحسن ابن شنبوذ
المقرئ البغدادي
- ٣٠١ ٦٢٩ محمد بن صبيح ، أبو العباس القاص الكوفي المعروف بابن
السماك الزاهد المشهور
- ٣٠٣ ٦٣٠ محمد بن علي بن عطية ، أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب
- ٣٠٤ ٦٣١ محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنيس ، أبو الحسين الواعظ
البغدادي المعروف بابن سمعون
- ٣٠٥ ٦٣٢ محمد بن أحمد بن إبراهيم ، الشيخ أبو عبد الله القرشي العبد
الزاهد
- ٣٠٦ ٦٣٣ محمد بن زياد ، أبو عبد الله الكوفي المعروف بابن الأعرابي
- ٣٠٩ ٦٣٤ محمد بن السائب بن بشر (مبشر) الكلبي ، أبو النضر

٣١٢	محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي النحوي اللغوي البصري	٦٣٥
	المعروف بقطرب	
٣١٣	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير ، أبو العباس الثمالي	٦٣٦
	المعروف بالمبرد	
٣٢٣	محمد بن الحسن بن دريد ، أبو بكر اللغوي البصري	٦٣٧
	محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر المطرز الزاهد	٦٣٨
٣٢٩	غلام ثعلب	
	محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور الأزهرى الهروي	٦٣٩
٣٣٤	اللغوي	
٣٣٧	محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد ، أبو عبد الله اليزيدي	٦٤٠
٣٣٩	محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر ابن السراج النحوي	٦٤١
	محمد بن القاسم أبي محمد بن محمد بن بشار ، أبو بكر ابن	٦٤٢
٣٤١	الأنباري النحوي	
	محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر ، أبو عبد الله الضرير المعروف	٦٤٣
٣٤٣	بأبي العيناء	
٣٤٨	محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله الواقدي المدني	٦٤٤
	محمد بن سعد بن منيع الزهرى البصري ، أبو عبد الله كاتب	٦٤٥
٣٥١	الواقدي	
	محمد بن أحمد بن حماد بن سعد ، أبو بشر الوراق الرازي	٦٤٦
٣٥٢	الدولابي	
٣٥٤	محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبيد الله الكاتب المرزباني	٦٤٧
	محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس ، أبو بكر الكاتب المعروف	٦٤٨
٣٥٦	بالصولي الشطرنجي	
	محمد بن الحسن بن المظفر ، أبو علي الكاتب اللغوي المعروف	٦٤٩
٣٦٢	بالحاتمي	
	محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم ، أبو بكر الأندلسي	٦٥٠
٣٦٨	المعروف بابن القوطية	

- ٦٥١ محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج ، أبو بكر الزبيدي
٣٧٢ الأندلسي
- ٦٥٢ محمد بن جعفر ، أبو عبد الله النحوي المعروف بالقزاز القيرواني
٣٧٤
- ٦٥٣ محمد بن عبيد الله أبي القاسم بن أحمد ، الأمير المختار عز الملك
٣٧٧ المعروف بالمسبحي الكاتب
- ٦٥٤ محمد بن الحسن أبي سعد بن محمد بن علي ، أبو المعالي كافي
٣٨٠ الكفاة بهاء الدين ابن حمدون صاحب التذكرة
- ٦٥٥ محمد بن عبد الرحمن ، القاضي أبو بكر ابن قريعة البغدادي
٣٨٢
- ٦٥٦ محمد بن محرز بن محمد ، أبو عبد الله ركن الدين (وقيل جمال
٣٨٥ الدين) الوهراني
- ٦٥٧ محمد بن الخضر أبي القاسم بن محمد بن الخضر أبو عبد الله
٣٨٦ فخر الدين بن تيمية الحراني الحنبلي
- ٦٥٨ محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج ، أبو منصور النحوي
٣٨٩ المعروف بالعتابي
- ٦٥٩ محمد بن عبد الرحمن أبي السعادات بن محمد بن مسعود ، أبو
٣٩٠ سعيد (ويقال أبو عبد الله) تاج الدين المسعودي شارح
المقامات
- ٦٦٠ محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر معين الدين
٣٩٢ ابن نقطة البغدادي المحدث
- ٦٦١ محمد بن سعيد أبي المعالي بن يحيى أبي طالب ، أبو عبد الله
٣٩٤ المعروف بابن الدببئي الفقيه الشافعي
- ٦٦٢ محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر ، أبو عبد الله حجة الدين
٣٩٥ الصقلي
- ٦٦٣ محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية ، أبو عبد الرحمن
٣٩٨ الأموي المعروف بالعتبي الشاعر المشهور

- ٤٠٠ ٦٦٤ محمد بن العباس ، أبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور
- ٤٠٣ ٦٦٥ محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد ، أبو الحسن السلامي الشاعر
- ٦٦٦ محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو الحسن المعروف بابن سكرة
- ٤١٠ الشاعر المشهور
- ٦٦٧ محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن
- ٤١٤ محمد ، أبو الحسن الشريف الرضي المعروف بالموسوي
- ٦٦٨ محمد بن هانيء الأندلسي الشاعر المشهور ، أبو القاسم وأبو
- ٤٢١ الحسن
- ٦٦٩ محمد بن عمار المهري الأندلسي ، أبو بكر ذو الوزارتين الشاعر
- ٤٢٥ المشهور
- ٦٧٠ محمد بن باجه ، أبو بكر ابن الصايغ الأندلسي الفيلسوف الشاعر
- ٤٢٩ المشهور
- ٦٧١ محمد بن غالب ، أبو عبد الله الرفاء الأندلسي الرصافي الشاعر
- ٤٣٢ المشهور
- ٦٧٢ محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك أبي مروان ، أبو بكر
- ٤٣٤ ابن زهر الأندلسي الحفيد
- ٦٧٣ محمد بن سلطان بن محمد ، أبو الفتيان مصطفى الدولة ابن حيوس
- ٤٣٨ الشاعر المشهور
- ٦٧٤ محمد بن أحمد أبي العباس بن محمد بن أحمد أبي العباس ، أبو
- ٤٤٤ المظفر الأبيوردي الشاعر المشهور
- ٦٧٥ محمد بن علي بن الحسن بن عمر ، أبو الحسن المعروف بابن
- ٤٥٠ أبي الصقر الواسطي
- ٦٧٦ محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، الشريف أبو يعلى نظام الدين
- ٤٥٣ المعروف بابن الهبارية الشاعر المشهور
- ٦٧٧ محمد بن نصر بن صغير بن داغر ، أبو عبد الله شرف المعالي عدة
- ٤٥٨ الدين الخالدي المعروف بابن القيسراني الشاعر المشهور

- ٦٧٨ محمد بن إبراهيم بن ثابت بن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف
٤٦١ بابن الكيزاني الشاعر المشهور
- ٦٧٩ محمد بن بختيار بن عبد الله المولد ، أبو عبد الله المعروف بالأبله
٤٦٣ الشاعر المشهور
- ٦٨٠ محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، أبو الفتح الكاتب المعروف بابن
٤٦٦ التعاويذي الشاعر المشهور

فهرست التراجم العارضة

٩	الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ابن الملك الظاهر	145
١٠	الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك العزيز	146
	الملك الصالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين	147
١٠	تاب	
١٠	الشرف راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلبي	148
٥٤	أفتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه	149
	الوزير شرف الدين أبو نصر انوشروان ابن خالد بن محمد	150
٦٧	الفاشاني	
	ابن المندائي (أبو الفتح محمد بن أبي العباس أحمد بن بختيار	151
٦٧	الواسطي)	
	قاضي الخاقين (أبو بكر محمد بن أبي أحمد القاسم ابن المظفر	152
٦٩	ابن الشهرزوري)	
٧٠	المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري	153
٨٦	دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة	154
٨٨	سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم	155
	زين الدين علي بن بكتكين المعروف بكجك ، والد الملك المعظم	156
١١٤	كوكبوري	
١٢٠	ربيعة خاتون بنت أيوب	157
	ابن رواحة (أبو القاسم عز الدين عبد الله بن أبي علي الحسين	158
١٤٦	ابن رواحة الأنصاري الحموي)	

١٥١	أبو الحسن صفى الدين علي بن المبارك ، عم ابن المستوفي الإربلي	159
١٥١	شيطان الشام (شمس الدين أبو العز يوسف بن النفيس الإربلي)	160
١٥٥	الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي	161
١٥٦	الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس	162
١٥٨	سيف الدين قلاون الصالحي المعروف بالألفي الكبير	163
١٦٢	أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي	164
٢٠٥	أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي اللغوي	165
٢٠٦	سلمة بن عاصم صاحب الفراء وراويته	166
٢١٠	أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن الكلاباذي الإمام المحدث	167
	النجار صاحب المصلى (وهو عمران بن موسى النجار ، وقيل	168
٢١٣	إنه الطيب محمد بن جعفر البغدادي النجار ويعرف بغندر)	
	شهاب الدين الطوسي (أبو الفتح محمد بن محمود ابن محمد الفقيه	169
٢٢٤	الشافعي)	
٢٢٧	أبو الحسين أحمد بن المبارك ، أخو ابن الخلل الفقيه الشافعي	١70
	أبو الحسن علي بن محمد الملقب زكي الدين ، والد ابن الزكي	171
٢٣٦	الدمشقي	
	ابن بركان (أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد	172
٢٣٦	اللخمي)	
	القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن القاضي تاج الدين أبي	173
٢٢٤	طاهر يحيى بن عبد الله	
٢٤٥	القاضي تاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد الله	174
٢٤٨	عماد الدين أحمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري	175
	تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم ابن الشيخ رضي الدين محمد	176
٢٥٥	ابن الشيخ عماد الدين أبي حامد ابن يونس	

	شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة الخويبي	177
٢٥٨	قاضي دمشق	
٢٥٨	أوحد الدين الدوني قاضي منبج	178
	نظام الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود بن	179
٢٥٨	أحمد البخاري التاجري الحنفي المعروف بالحصيري	
	الشيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود ابن أحمد التاجري ،	180
٢٥٩	والد نظام الدين الحصيري	
٢٨٨	أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، ولد الحافظ ابن القيسراني	181
٢٩٧	عبد الله بن محمد بن عبد الله ، والد ابن العربي الأندلسي	182
٣٠١	أبو بكر ابن مجاهد	183
٣٢٩	عبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي	184
٣٣٣	أبو القاسم عبد الواحد المعروف بالمطرز الشاعر البغدادي	185
٣٤١	أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري	186
٣٧٩	أبو محمد عبيد الله ابن أبي الجوع الأديب الوراق الكاتب	187
٣٧٩	أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل ، والد المختار المسيحي	188
٣٨٢	أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدولة ، أخو ابن حمدون	189
٣٨٢	أبو سعد الحسن بن محمد بن علي ، والد ابن حمدون	190
٤٩٣	عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، والد ابن نقطة	191
٣٩٣	أبو علي محمد بن الحسين بن أبي الشبل البغدادي	192
	أبو المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن أبي طالب علي ، والد	193
٣٩٥	ابن الديبشي	
٤٠٢	أبو القاسم معاوية بن سفيان الأعمى الشاعر الراوية	194
٤١٣	ابن أبي العصب (أبو الحسن علي بن محمد بن الفتاح)	195
٤١٩	عمرو بن شاس الأسدي الشاعر	196

٤٢٠	الطاهر ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى ، والد الشريف الرضي	197
٤٣٦	أبو العلاء زهر ، جد أبي بكر الحفيد	198
٤٣٦	عبد الملك بن أبي بكر محمد أبي زهر الأيادي ، جد والد ابن زهر الحفيد	199
٤٣٧	محمد بن مروان بن زهر الأيادي ، جد جد ابن زهر الحفيد	200
٤٣٧	أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الشاعر	201
٤٤٠	نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي	202
٤٧٣	أبو محمد المبارك بن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد	203

وَفِيَّاتِ الْإِيمَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلِيَاءِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِيفَةَ
(٦٠٨ - ٨٦٨)

حققه

الدكتور احسان عباس

المجلد الخامس

دار صادر
بيروت

1977 1977

وفيات الأعيان

٥

ابن المعلم الشاعر

أبو الغنّام محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ، المعروف بابن المعلم الواسطي الهُرثي ، الملقب بنجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع ، يكاد شعره يذوب من رفته ، وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونسبهُ بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال في نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره ، وأكثر القول في الغزل والمدح وفنون المقاصد ، وكان سهل الألفاظ صحيح المعاني يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصباية والغرام ، فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا إليه وحفظوه^٢ وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون .

سمعت جماعة من مشايخ البطائح يقولون : ما سبب لطافة شعر ابن المعلم إلا أنه كان إذا نظم قصيدة حفظها الفقراء^٣ المنتسبون إلى الشيخ أحمد بن الرقاعي - المقدم ذكره في حرف الهمزة^٤ - وغنوا بها في سماعاتهم وطابوا عليها، فعادت عليه بركة أنفاسهم، ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقاداً لا شك^٥ عندهم فيه ، وبالجملة

٦٨١ - ترجمته في مرآة الزمان : ٤٥١ ، وذيل الروضتين : ٩ ، والوافي : ٤ : ١٦٥ وعبر الذهبي

٤ : ٢٧٩ والشذرات : ٤ : ٣١٠ والنجوم الزاهرة : ٦ : ١٠٢ .

١ بر : شاع .

٢ ر بر : وتحفظوه .

٣ ر والمختار : الشعراء .

٤ انظر ج ١ : ١٧١ .

٥ ير من : اعتقاد من لا شك .

فشمه يشبه النوح ، ولا يسمعه مَنْ عنده أدنى هوى إلا فتنه^١ وهاج غرامه .
 وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذي المذكور قبله تنافس ، وهجاه
 ابن التعاويذي بأبيات جنينة أجاد فيها ولا حاجة إلى ذكرها^٢ .
 ولابن المعلم قصيدة طويلة أولها :

ردوا عليّ شواردَ الأظعان ما الدار إن لم تَغْنِ من أوطاني

منها :

ولكم بذاك الجزع من متمنع هزأت معاطفه بغصن البان
 أبدى تلونه بأولِ موعدي فَمَنْ الوفي لنا بوعد ثاني
 فمتى اللقاء ودونه من قومه أبناء معركة وأسد طعان
 نقلوا الرماح وما أظنُّ أكفهم خلقت لغير ذوابل المران
 وتقلدوا بيض السيوف فيما ترى في الحي غير مهتدي وسنان
 ولئن صدت فمن مراقبة العدا ما الصدء عن ملل ولا سلوان
 يا ساكني نعمان أين زماننا بطويلع يا ساكني نعمان
 وله من أخرى^٣ :

كم قلت إياك العقيق فإنه ضريت جآذره بصيد أسوده
 وأردت صيدَ مَهَا الحجاز فلم يسا عدك القضاء فرُحنتَ بعض صيوده
 وله من أخرى :

أجيراننا إن الدموع التي جرت رخاصاً على أيدي النوى لَغَوَالِي
 أقيموا على الوادي ولو عمر ساعة كَلَوْتُ إزاراً أو كعل عقال

١ ر ق مج بر : افتنته ، وأثبتنا ما في بر والمختار .

٢ ديوان ابن التعاويذي : ٧٥ .

٣ سقط البيتان من برت س ، وقد أوردهما المؤلف من قبل في ترجمة التهامي ٣ : ٣٨٠ ونسيهما
 هناك للتهامي ، وهما ثابتان في ترجمة ابن المعلم في « المختار » أيضاً .

فكم ثم لي من وقفة لو شربتها بنفسي لم أغبن فكيف بمالي
[وله من أخرى :

كيف يخفي سر الهوى المستهام هي حزوى وما الخيام الخيام
ولئن كانت الخيام وما لنا س بها الناس ، فالغرام الغرام^١
وله من أخرى :

قسماً بما ضمت عليه شفاهم من قرقف في لؤلؤ مكنون
إن شارف الحادي المذيب لأقضى نحي ومن لي أن تبر يميني
لو لم يكن آتار ليلي والهوى بتلاعه ما رحت كالمجنون

وكان سبب عمل هذه القصيدة أن ابن المعلم المذكور والأبلة وابن التعاويذي المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صرد^٢ - المقدم ذكره في حرف العين^٣ - التي أولها^٤ :

أكذا يجازى ود كل قرين أم هذه شم الأطباء العين

وهي من نخب القصائد [وسأذكرها في ترجمة عميد الملك محمد ان شاء الله تعالى]^٤
أعجبتهم ، فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذي من
وزنها قصيدة أبدع فيها ، وأرسلها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، رحمه الله
تعالى ، وهو بالشام يمدحه بها ، وأولها :

إن كان دينك في الصبابة ديني فقِفِ المطي برمليتي يبرين

وعمل الأبلة قصيدة أخرى ، وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذي .

١ زيادة من مج .

٢ انظر ج ٣ : ٣٨٥ .

٣ ديوان صرد : ٥٣ .

٤ زيادة من ر ق .

وحكي عن ابن المعلم المذكور أنه قال : كنت ببغداد ، فاجتزت يوماً بالموضع الذي يجلس فيه أبو الفرج ابن الجوزي للوعظ ، فرأيت الخلق مزدحمين ، فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال : هذا ابن الجوزي الواعظ جالس ، ولم أكن علمت يجلسه ، فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهداً على بعض إشاراته : ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول :

يزدادُ في مسمي تَكَرُّارُ ذَكَرْكُمْ طيباً ، ويحسنُ في عيني تَكَرُّرُهُ
فمجتبت من اتفاق حضوري واستشهاده بهذا البيت من شعري ، ولم يعلم

بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين .

وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة .

ولابن المعلم في أثناء قصيدة أيضاً :

يوهي قُوَى جَلَدِي مَنْ لا أبوح به ويستبيح دمي من لا أسميه
قسا فما في لساني ما يعاتبه ضعفاً ، بلى في فؤادي ما يقاسيه

وفي يوم وقعة الجمل على البصرة ، قبل مباشرة الحرب ، أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس ، رضي الله عنها ، إلى طلحة والزبير رضي الله عنها برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ، ثم قال له : لا تلقين طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً أنفه يركب الصمب ، ويقول : هو الذلول ، ولكن التي الزبير ، فإنه ألين عريكة منه ، وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتنني بالحجاز ، وأنكرتني بالعراق ، فما عدا بما بدا ؟ وعلي ، رضي الله عنه ، أول من نطق بهذه الكلمة ، فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال :

منعوه بالجزع السلام وأعرضوا بالفؤور عنه ، فما عدا بما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة .

ورسالة عليّ نقلتها من كتاب « نهج البلاغة » ١ .

١ وفي يوم وقعة ... البلاغة : لم يرد في بر من س ت ج .

ولا حاجة إلى الإطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس .

وكانت ولادته في ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة . وتوفي رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهَرُث ، رحمه الله تعالى .
والهَرُثُ : بضم الهاء وسكون الراء وبعدها ثاء مثلثة ، وهي قرية من أعمال نهر جعفر ، بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ ، وكانت وطنه ومسكنه إلى أن توفي بها ، رحمه الله تعالى .

٦٨٢

البحراني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، الملقب موفق الدين الإربلي أصلاً ومنشأ البحراني مولداً الشاعر المشهور ؛ كان إماماً مقدماً في علم العربية ، مفنناً في أنواع الشعر ، ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظراً في اختياره . واشتغل بشيء من علوم الأوائل ، وحل كتاب إقليدس^٢ ، وبدأ ينظم الشعر وهو صبي صغير بالبحرين جرياً على عادة العرب قبل أن ينظر في الأدب .

وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب « تاريخ إربل » - المقدم ذكره^٣ - وعليه اشتغل بعلوم الشعر وبه تخرج ، وقد ذكره في تاريخه وعدد فضائله ، وقال : كان شيخنا أبو الحرم مكي الماكسيني ، النحوي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى -

٦٨٢ - لم ترد ترجمته في القطعة التي بقيت من تاريخ ابن المستوفي .

١ ر ن من : متفنناً .

٢ س ت بر من : أوقليس .

٣ ج ٤ : ١٤٧ .

٤ ت س ميح بر من : الماكساني .

يراجعه في كثير من المسائل المشككة في النحو وكان يرجع إليه في أجوبة ما
يورد عليه . وكان قد رحل إلى شَهْرزُورَ وأقام بها مدة ، ثم رحل إلى دمشق
ومدح السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، بقصيدة طويلة ، وله ديوان شعر
جيد ورسائل حسنة ، وكان في الشعر في طبقة معاصريه بمن تقدم ذكرهم .
ومن شعره قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب
إربل - وقد تقدم ذكره في ترجمة أخيه مظفر الدين في حرف الكاف ١ - :

رُبُّ دَارٍ بِالْفَضَا طَالَ بِلَاهَا	عَكَفَ الرِّكْبَ عَلَيْهَا فَبَاهَا
دَرَسَتْ إِلَّا بَقَايَا أُسْطَر	سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ عَاهَا
كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَانْقَضَى	فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِي وَسَقَاهَا
وَقَفَّتْ فِيهَا الْفَوَادِي وَقَفَّةً	أَلْصَقَتْ حَرًّا ثَرَاهَا بِحِشَاهَا
وَبَكَتْ أَطْلَاهَا نَائِبَةً	عَنْ جَفُونِي ، أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا
قَلَّ لِحَيَاتِي مَوَاقِيَهُمْ	كَلِمًا أَحْكَمْتُهَا رَثَّتْ قَوَاهَا
كَنتُ مَشْغُوفًا بِكُمْ إِذْ كُنْتُ	شَجْرًا لَا يَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا
لَا تَبِيْتُ اللَّيْلَ إِلَّا حَوْلَهَا	حَرَسَ تَرَشِحَ الْمَوْتِ ظُبَاهَا
وَإِذَا مُدَّتْ إِلَى أَغْصَانِهَا	كَفَّ جَانٍ قَطَعْتَ دُونَ جَنَاهَا
فَتَرَخِي الْأَمْرَ حَتَّى أَصْبَحْتَ	هَمَلًا يَطْمَعُ فِيهَا مِنْ رَأَاهَا
تَخْصِبُ الْأَرْضَ فَلَا أَقْرَبَهَا	رَائِدًا إِلَّا إِذَا عَزَّ حَاهَا
لَا يَرَانِي اللَّهُ أَرَعَى رَوْضَةً	سَهْلَةَ الْأَكْنَانِ مِنْ شَاءِ رِعَاهَا
وَإِذَا مَا طَمَعٌ أَغْرَى بِكُمْ	عَرَضَ الْيَأْسَ لِنَفْسِي فَتَنَاهَا
فَصَبَابَاتُ الْهَوَى أَوْلَاهَا	طَمَعُ النَّفْسِ وَهَذَا مَنْتَاهَا
لَا تَنْظُرُوا لِي إِلَيْكُمْ رَجْعَةً	كَشَفَ التَّجْرِبُ عَنْ عَيْنِي عَمَاهَا

١ ج ٤ : ١١٣ .

٢ المختار وبعض النسخ: الفواني ؛ ووقع البيت ثالثاً في ت س مع .

٣ بهامش س : يراها ، وكذلك في ق بر .

إن زَيْنَ الدين أولاني بدأ لم تدع لي رغبة فيما سواها

وهي طويلة أجاد في مدحها^١ .

وكان أبوه من أهل إربل وصنعتة التجارة، وكان يتردد من إربل إلى البحرين وقيم بها مدة لتحصيل الآلىء من المفاصات أسوة التجار ، فاتفق أن ولد له هناك الموفق أبو عبد الله المذكور ، ثم انتقل إلى إربل فنسب إلى البحرين لهذا السبب^٢ .

وله معنى مليح في غلام اسمه السهم وقد التحى :

قالوا التحى السهمُ قلت حصنٌ حشاك فالآن لا يطيشُ
فالسهم لا ينفذ الرمايا إلا إذا كان فيه ريش

وتوفي ليلة الأحد ثالث شهر ربيع الآخر^٣ سنة خمس وثمانين وخمسة مائة بإربل، ودفن بمقبرة أهله قبلي البست، رحمه الله تعالى. قال المطرزي في كتاب «المغرب»: البست كلمة فارسية وهو مفتاح الماء في فم النهر^٤ .

والبَحْراني: بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى البحرين المقدم ذكرها ، وهي بليدة بالقرب من هَجَر ، قال الأزهرى : وإنما سميت البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها ، وهو راكد زُعاق . وحدث أبو عبيد عن أبي محمد اليزيدي قال: سألتني المهدي وسأل الكسائي عن النسبة إلى البحرين وعن الحصنين ، لم قالوا : حصني ، وبحراني ؟ فقال الكسائي : كرهوا أن يقولوا

١ ن : أجاد فيها ؛ بر من : فيها وفي منسها .

٢ زاد في مجس ت : وتردد إلى البلاد ورحل في آخر عمره إلى الموصل ، وتوفي بها ليلة الأحد... الخ ، وقد سقط البيتان التاليان من النسخ المذكورة ومن بر من .

٣ ت : الأول .

٤ قال المطرزي ... النهر : زيادة من ن ر ق ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٧ .

حصناني لاجتماع التونسيين ، قال : وقلت أنا : كرهوا أن يقولوا بحري فقتلته
النسبة إلى البحر .

والبست : بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من
فوقها ، واد عريض في وسط إربل تجري فيه مياه السيول في الشتاء والربيع
وفيه شيء كثير من الحجارة الصغار ، والله أعلم .

٦٨٣

أبو شجاع الفرضي

أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب ، المعروف بابن الدهان ، الملقب بفخر الدين ،
البغدادي الفرضي الحاسب الأديب ؛ هو من أهل بغداد ، وانتقل إلى الموصل
وصحب جمال الدين الأصبهاني الوزير بها ، ثم تحول إلى خدمة السلطان صلاح
الدين فولاه ديوان ميسافارقين ، فلم يمض له بها حال مع واليها ، فدخل إلى
دمشق فأجري له بها رزق لم يكن كافياً وكان يزجي به الوقت ، ثم ارتحل إلى
مصر في سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم عاد منها إلى دمشق وجعلها دار إقامة .
وله أوضاع الجداول في الفرائض وغيرها ، وصف « غريب الحديث » في
سنة عشر مجلداً لطافاً ، ورمز فيه حروفاً يستدل بها على أماكن الكلمات
المطلوبة منه ، وكان قلمه أبلغ من لسانه ، وجمع تاريخاً وغير ذلك .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وعده في زمرة الوافدين
عليها ، وقال في حقه : عالم فاضل متفنن^٢ ، وله شعر جيد ، وذكر الأبيات التي

٦٨٣ - ترجمته في ذيل الروضتين : ٩ والوافي : ٤ : ١٦٤ والنجوم الزاهرة : ٦ : ١٣٦ ، ١٣٩
وعبر الذهبية : ٤ : ٢٧٤ والشذرات : ٤ : ٣٠٤ وبغية الوعاة : ٧٦ . واقتصر من هذه الترجمة
في المختار على ثلاثة أبيات من شعره .

١ ن : فرحل .

٢ بر من : متفنن .

مدح بها الشيخ تاج الدين أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وقد ذكرتها في
ترجمة الكندي^١ .

وذكره أيضاً العماد الكاتب في «الخريدة»^٢ وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع
أحسن فيها ، فمن ذلك قوله في ابن الدهان المعروف بالناصح أبي محمد سعيد بن
المبارك النحوي - وقد سبق ذكره^٣ - وكان مخلاً بأحدى عينيه :

لا يبعد الدهان إن ابنه أدهنُ منه بطريقين
في عجب البحر فحدث به بفردِ عَيْنٍ وبوجهين

ومنه ما كتبه إلى بعض الرؤساء وقد عوفي من مرضه :

نَدَرَ الناسُ يومَ برنك صوماً غير أنني نذرتُ وحدىَ فطرا
عالمًا أن يومَ برنكٍ عيدٌ لا أرى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك أناشيد حسان . وكانت له اليد الطولى في النجوم وحلّ
الأزياج . وتوفي في صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفية ، وكان سبب موته
أنه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ، ولما وصل إلى الحلة عثر جملة هناك
فأصاب وجهه بعض خشب الحمل فمات لوقته . وكان شيخاً دميم الحلقمة مسنون
الوجه مسترسل اللحية خفيفها ، أبيض تعلوه صفرة ، رحمه الله تعالى . وقيل
إنه كان يلقب برهان الدين ، والله أعلم أي ذلك كان .
وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة إلى إعادته .

١ انظر ما تقدم ٢ : ٣٤١ .

٢ الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣١٢ .

٣ ج ٢ : ٣٨٢ .

٤ ير من : من عجب الدهر .

ابن عنين الشاعر

أبو المحاسن محمد بن نصر^١ بن الحسين بن عُنَيْن الأنصاري ، الملقب شرف الدين ، الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور ؛ كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفتن فيه ، وكان غزير المادة من الأدب مطلماً على معظم أشعار العرب ، وبلغني أنه كان يستحضر نقل^٢ كتاب «الجمهرة» لابن دريد في اللغة ، وكان مولماً بالهجاء وتكلم أعراض الناس ، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقاً من رؤساء دمشق^٣ سماها «مقراض الأعراض» . وكان السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس ، فلما خرج منها عمل^٤ :

فعلامَ أبعدتمْ أخا ثقة لم يجرمْ ذنباً ولا سرقا؟
انفوا المؤذّنَ من بلادكم^٥ إن كان يُنفَى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة^٦ وأذربيجان وخراسان وغزنة

٦٨٤ - انظر مقدمة ديوانه ، فيها إشارات إلى أهم مصادر ترجمته ، وراجع البدر السافر ، الورقة :

١٧٠ .

١ ن ق : محمد بن نصر الله .

٢ نقل : سقطت من ق بر من .

٣ بر من : مصر .

٤ زاد في المختار : عمل هذين البيتين وأنفذهما إلى بعض أصحابه بها وهما ، وانظر ديوانه : ٩٤ .

٥ بر من : يقترف .

٦ ر : دياركم .

٧ ت س مع : والشرق ، وبهامش س : خ : والجزيرة ؛ وسقطت اللفظة من المختار .

وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الإسلام
 طفتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى - المذكور في
 حرف الطاء - وأقام بها مدة ، ثم رجع الى الحجاز والديار المصرية ، وعاد إلى
 دمشق ، وكان يتردد منها إلى البلاد ويعود إليها . ولقد رأته بمدينة إربل في
 سنة ثلاث وعشرين وستائة ولم آخذ عنه شيئاً ، وكان قد وصل إليها رسولاً عن
 الملك العظيم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وأقام بها قليلاً ،
 ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين ، والثاني منها
 لأبي العلاء المعري استعمله مضمناً فكان أحق به ، وهما^٢ :

سأحت كُتِبَكَ في القطيعة عالماً أن الصحيفة لم تجد من حامل
 « وَعَدَّرْتُ طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل »^٣

لله دره فما أحسن ما وقع له هذا التضمين . وقد كرر هذا المعنى في مواضع
 من شعره : فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة^٤ :

ألا يا نسيم الريح من قتل راهط وروض الحمى ، كيف اهتديت إلى الهند
 وقوله من أبيات وهو في عدن اليمن :

أحبابنا لا أسأل الطيف زورة وهيات ، أين الديليات من عدن ؟
 الديليات و قتل راهط والحمى : أسماء مواضع من ضواحي دمشق ، والبيت
 الذي للمعري قبله^٥ :

وسألتكم بين العقيق إلى الحمى فعمجت من بُعد المدى المتطاوَل

١ - ٢ : ٥٢٣ .

٢ ديوانه : ٨٦ .

٣ علق صاحب المختار بعد هذا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : كونه
 لم ينبه على أنه مضمن عيب عند أهل الأدب ، والله أعلم » .

٤ ديوانه : ٧٣ .

٥ شروح السقط : ٧٣٤ .

والمعري أخذ هذا المعنى من دِغْبَل بن علي الخَزَاعِي الشاعر - المقدم ذكره^١ - فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، فطلبه ، فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن [بأسوان]^٢ في آخر بلادها ، وقال في ذلك^٣ :

وإن امرأً أضحت مطارح سَهْمه بأسوانَ لم يترك من الحزم معلما
حلكتُ مَحَلًّا يحسرُ الطرفُ دونه ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضاً .
ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائباً في السفارة التي نفي فيها ، فسار متوجهاً إلى دمشق ، وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة ، ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف^٥ ، وأولها^٦ :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو ساعوني بالكرى

ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهاها ومستزهاها^٧ ، ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيراً إلى النفي منها :

فأرقتُها لا عن رِضا ، وهَجَرْتُها لا عن قِلِّي ، ورحلتُ لا متخيراً
أسمى لرزقي في البلاد مشتتٍ ومن العجائب أن يكون مُقْتَرًّا
وأصون وجهَ مدائحي متقنماً وأكفُّ ذيل مطامعي مسترا

١ ج ٢ : ٢٦٦ .

٢ زيادة من المختار .

٣ ديوان دغبل : ١٣٩ .

٤ وقد كرر ... بعضاً : سقط من بر ت س من .

٥ من ر ق بر : الاستعطاف .

٦ ديوانه : ٣ .

٧ بر : وموضع مستزهاها .

ومنها يشكو الغربية وما قاساه فيها :

أشكو إليك نوى تمادى عُمْرُها حتى حَسَبْتُ اليومَ منها أشهراً
لا عيشتي تصفو ، ولا رَسَمُ الهوى يعمو ، ولا جَفَنِي يصفحه الكرى
أضحى عن الأحوى المَرِيحِ مَحَلًّا^١ وأبيت عن ورد النمرِ مُنْفَرًا
ومن العجائب أن يُقِيلَ ظِلْمًا^٢ كل الورى ، ونبتت وحدي بالعرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندى هي خير من قصيدة أبي بكر ابن
عمار الأندلسي التي أولها - وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها
في ترجمته - :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى

فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق ، فلما دخلها قال^٣ :

هجوت الأكلب في جِلْقٍ ورُعتُ الوضیع بسبِّ الرفیع
وأخرجت منها ولكنني رجعتُ على رغم أنف الجميع

وكان له في عمل الألفاظ وحلها اليد الطولى ، فمتى كتب إليه بشيء منها حله
في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال ؛ نظماً . ولم يكن له غرض في جمع
شعره ، فلذلك لم يدونه ، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس ، وقد جمع له بعض
أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عَشْرَ ما له من النظم ، ومع هذا ففيه أشياء
ليست له .

وكان من أظرف الناس وأخفهم روحاً وأحسنهم مجوناً ، وله بيت عجيب
من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه إلى جهة الشرق ، وهو^٤ :

١ ق ن : محولا ، ر : محلا .

٢ ق : يقيل بظلكم .

٣ ديوانه : ٩٤ .

٤ ر : أحسن ما يكون .

٥ ر : وهو قوله ، انظر ديوانه : ٢٩ .

أَشَقُّ قَلْبَ الشَّرْقِ حَتَّى كَأَنِّي أَفْتَشُّ فِي سَوْدَائِهِ عَنِ سَنَا الْفَجْرِ

وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة .

وكنت قد رأيته في المنام في بعض شهور سنة تسع وأربعين وستائة ، وأنا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة ، وفي يده ورقة حمراء ، وهي عريضة ، وفيها مقدار خمسة عشر بيتاً تقريباً ، وهو يقول : عملت هذه الأبيات في الملك المظفر صاحب حمّاء ، وكان الملك المظفر في ذلك الوقت ميتاً أيضاً ، وكان في المجلس جماعة حاضرون ، فقرأ علينا الأبيات ، فأعجبني منها بيت فرددته في النوم ، واستيقظت من المنام وقد علق بخاطري ، وهو :

وَالْبَيْتُ لَا يَحْسُنُ إِِنْ شَادَهُ إِلَّا إِذَا أَحْسَنَ مَنْ شَادَهُ

وهذا البيت غير موجود في شعره .

وقد تقدم ذكره في ترجمة الإمام فخر الدين الرازي وأبياته الفائية وكذلك في ترجمة سيف الإسلام .

وكان وافر الحرمة عند الملوك ، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم ، وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف وأقام في بيته ، ولم يباشر بعدها خدمة . وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسة ، وتوفي عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستائة بدمشق أيضاً ، ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة ، وهي - بكسر الميم وتشديد الزاي - قرية على باب دمشق ، رحمه الله تعالى .

قال ابن الدبشي : سمعته يقول : إن أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ، ونحن من الأنصار ؛ قلت : هكذا نقلته أولاً ، ثم إنني زرت قبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق ، فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبراً كبيراً فقيل لي : هذا قبر ابن عَنَيْن ، فوقففت وترحمت عليه .

١ ق : يصلح .

وعُنَيْن : بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، والله أعلم .

٦٨٥

القائم ابن المهدي

أبو القاسم محمد ، ويدعى نزار ، ابن المهدي أبي محمد عبيد الله القائم بالمغرب ، كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم - وقد تقدم ذكر والده المهدي في حرف العين وذكر ولده المنصور إسماعيل في حرف الهمزة^١ - وكان أبوه المهدي قد بايع له بولاية العهد في حياته بإفريقية وما معها ، وكانت الكتب تكتب باسمه ، والمظلة تحمل على رأسه ، ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جُدِّدت له البيعة . وكان جهزه أبوه إلى مصر ليأخذها مرتين : المرة الأولى في الثامن عشر من ذي الحجة سنة إحدى وثلثمائة ، فوصل إلى الإسكندرية وملكها^٢ والفيوم ، وصار في يده أكثر خراج مصر ، وضيق على أهلها ، والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلثمائة في عسكر عظيم ، فخرج عامل الإمام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ، ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم ووردت الأخبار بذلك إلى بغداد ، فجهز المقتدر مؤنساً الخادم إلى محاربتة بالرجال والأموال ، فجدَّ في السير ، فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد ، فتلاقيا ، وجرت^٣ بين العسكرين

٦٨٥ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٨) والبيان المغرب (ج : ١) وأعمال الأعلام ٣ : ٥٣

والدرة الماضية : ١١٠ واتعاظ الحنفا ورسالة افتتاح الدعوة وعيون الأخبار للداعي إسماعيل

وغير ذلك ؛ وسقطت هذه الترجمة من المختار .

١ أنظر ج ٣ : ١١٧ ، ج ١ : ٢٣٤ .

٢ ر : وتملكها ؛ ق : فملكها .

٣ ن ر ق : وجرى .

حروب لا توصف ، ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والحيل ، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم^١ ، وكان وصوله إلى المهديّة يوم الثلاثاء الثالث من رجب من السنة المذكورة ، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد^٢ الخارجي - وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الأسر في ترجمة المنصور - والشرح في ذلك يطول .

وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية - المذكورة في ترجمة والده المهدي - في المحرم سنة ثمانين ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سبع وسبعين ومائتين ، واستصحبه والده معه عند توجهه إلى بلاد المغرب ؛ وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوّال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى بالمهديّة وأبو يزيد الخارجي محاصر له ، فقام بالأمر ولده المنصور إسماعيل ، وكنتم خبر موته خوفاً من الخارجي أن يطلع عليه فيقطع فيه ، وكان بالقرب منه على مدينة سوسة ، فأبقى الأمور على حالها وأكثر من العطايا والصلوات ولم يتسم بالخليفة ، وكانت كتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين ، والله أعلم .

١ بدله في مج : فلقه بالفيوم فهزمه وقتل عسكره وقيل ان عدد القتلى كان خمسين ألفاً ، والأرض التي كانت الوقعة فيها تعرف إلى الآن بأرض الحسين ، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم .

٢ بر من : كنداد ؛ ر : كيدار ؛ ن : كندار .

المعتمد بن عباد ملك الأندلس وأبوه وجدته

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عبّاد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاق بن نعيم ، اللخمي ، من ولد النعمان ابن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة ؛ كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس وفيه وفي أبيه المعتضد يقول بعض الشعراء^٢ :

من بني المنذرين وهُوَ انتساب زاد في فخره بنو عبّاد
فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الأولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيماً وابنه عطاقاً أول من دخل إليها من بلاد المشرق ، وهما من أهل العريش ، المدينة القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الرمل من جهة الشام ، وأقاما بها مستوطنين بقرية بقرب يومين^٣ من إقليم طشانه^٤ من أرض إشبيلية .

٦٨٦ - ترجمته في الذخيرة (القسم الثالث) : ١٤٠ والمعجب : ١٥٨ والقلائد : ٤٠ والحلة السيرا ، ٢ : ٥٢ وأعمال الأعلام : ١٥٧ والبيان المغرب ٣ : ٢٥٧ والوافي ٣ : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٨٦ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢١ ونفح الطيب (صفحات متفرقة) وقد جمع دوزي كثيراً مما ورد في المصادر في مجموع سماه « تاريخ بني عبّاد Historia Abbadidorum » (ليدن : ١٨٤٦) .

١ ن ر ق : أحد .

٢ نسب ابن الأبار هذين البيتين لابن الببانة (الحلة ٢ : ٣٥) .

٣ يرجح دوزي أن هناك قرية تسمى Toriomina وأن اسمها الكامل بالعربية طور يومين ؛ وفي بعض النسخ : تومين ، وفي مع غير معجمة .

٤ طشانة Tocina لا تزال معروفة بمنطقة اشبيلية .

(204) وامتد لعطاف عمود النسب في الولد إلى الظافر محمد بن إسماعيل القاضي ، فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم باشيلية إلى أن ولي القضاء بها فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم ، فرمقته القلوب ، وكان يحيى بن علي بن حمثود الحسني المنعوت^١ بالمعتلي صاحب قرطبة ، وكان مذموم السيرة ، فتوجه إلى إشبيلية محاصراً لها ، فلما نزل عليها اجتمع رؤساء إشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمداً المذكور وقالوا له : أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس ؟ فقم بنا نخرج إليه ونملكك ونجعل الأمر إليك ، ففعل ، ووثبوا على يحيى ، فركب إليهم وهو سكران فقتل .

وتم له الأمر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد. وقصته مشهورة مع الذي زعم أنه هشام بن الحكم آخر ملوك بني أمية بالأندلس الذي كان المنصور ابن أبي عامر قد استولى عليه وحجبه عن الناس ، وكان يصدر الأمور عن إشارته ، ولا يمكنه من التصرف ، وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر ، فإنه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة ، وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة ، ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد : إن هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح ، فأرسل إليه من أحضره ، وفوض الأمر إليه ، وجعل نفسه كالوزير بين يديه ، وفي هذه الواقعة يقول الحافظ أبو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب « نطق العروس » : أخلوقه لم يقع في الدهر مثلها فإنه ظهر رجل يقال له خلف الحضري^٢ بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام ابن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى أنه هشام ، فبويع وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى ، وسفك الدماء وتصادمت الجيوش في أمره ، وأقام المدعي أنه هشام نيفاً وعشرين سنة ، والقاضي محمد بن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه ، والأمر إليه ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي المدعو هشاماً ، فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده. وكان من أهل العلم والأدب والمعرفة التامة بتدبير الدول ، ولم يزل ملكاً مستقلاً إلى ان توفي ليلة الأحد لليسة بقيت من جمادى

١ ن ر ق : المعروف .

٢ ق ر ن : الحضري .

الأولى سنة ثلاث و ثلاثين وأربعمائة؛ وقيل إنه عاش إلى قريب الحسين وأربعمائة ودفن بقصر إشبيلية ، واختلفوا أيضاً في مبدأ استيلائه : فقيل سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وهو الذي ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » ، وقيل أربع وعشرين ، والله أعلم بالصواب في ذلك كله .

(205) ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عبيد ، قال أبو الحسن علي بن بسّام صاحب كتاب « الذخيرة » في حقه : ثم أفضى الأمر إلى عبيد سنة ثلاث و ثلاثين ، وتسمى أولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد ، قطب رَحَى الفتنه ، ومنتهى غاية المحنة ، من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم منه قريب ولا بعيد ، جبار أبرم الأمر وهو متناقض ، وأسدُ فرسِ الطلا وهو رابض ، متهور تحاماه الدهاة ، وجبان لا تأمنه الكُباة ، متمسّف اهتدى ، ومُنْبِتّ قطع فما أبقى ، ثار والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده ، وكان قد أوتي أيضاً من جمال الصورة وتام الخلقه وفخامة الهيئة وسبّاطة البنان وثقوب الدهن وحضور الخاطر وصدق الحس ، ما فاق على نظرائه ، ونظر مع ذلك في الأدب قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأزكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ولا إمعان في غمارها ولا إكثار من مُطالعتها ولا منافسة في اقتناء صحائفها ، أعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة في معان أمدته فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الإرادة ، واكتنّبها الأدباء للبراعة ، جمع هذه الحلال الظاهرة إلى جود كفّ بارى السحاب بها . وأخبار المعتضد في جميع أفعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة . وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وخلط في جنوسهن ، فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ، ففشا نسله لتوسعه في النكاح وقوته عليه ، فذكر أنه كان له من الولد نحو العشرين ذكوراً ، ومن الإناث مثلهم . وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

شربنا وجفن الليل يغسل كحلّه بهاء صباحٍ والنسيمُ رقيقُ
مُعْتَقَةٌ كالتبر أما نجارها فضخّم وأما جسّمها فدقيقُ

— وقد تقدم في ترجمة أبي بكر محمد بن عمار الأندلسي ذكر شيء من قصيدته
التي مدح المعتضد المذكور بها : إحداهما رائية والأخرى ميمية^١ .
ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات :

سَمَيْدَعٌ يَهَبُ الْآلَافَ مَبْتَدَأً وَيَسْتَقِلُّ عَطَايَاهُ وَيَعْتَذِرُ
لَهُ يَدٌ كُلُّ جِبَارٍ يُقْبَلُهَا لَوْلَا نَدَاهَا لَقَلْنَا إِنَّهَا الْحَجَرُ

ولم يزل في عز سلطانه واغتنام مساره ، حتى أصابته علة الذبحة ، فلم تطل
مدتها ، ولما أحس بتداني حيامه استدعى مغنياً يغنيه ليجعل ما يبدأ به فالأ
فأول ما غنى :

نَطْوِي اللَّيَالِيَ عِلْمًا أَنْ سَتَطْوِينَا فَشَعَشَعِيهَا بِهَاءِ الْمِزْنِ وَاسْقِينَا

فتطير من ذلك ولم يمش بعده سوى خمسة أيام [وقيل إنه ما غنى منها إلا
بخمسة أبيات]^٢ وتوفي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة ،
ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية ، رحمه الله تعالى .

وقام بالملكة بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد .

قال أبو الحسن علي بن القطاع السعدي — المقدم ذكره^٣ — في كتاب « ملح
الملح » في حق المعتمد المذكور : أندى^٤ ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ،
وأعظمهم ثماداً ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك كانت حضرتة ملكى الرجال ، وموسم
الشعراء ، وقبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من
ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل
عليه حاشيتنا جنابه .

١ انظر ٤ : ٤٢٦ - ٤٢٧ .

٢ لم يرد في النسخ الخطية .

٣ ج ٣ : ٣٢٢ .

٤ انظر النسخ ٤ : ٣٧٢ .

٥ ر ن : هو أسح .

وقال ابن بسام في « الذخيرة » : وللمعتمد بن عبّاد شعر كما انشق الكيام عن الزهر، لو صدر^١ مثله عن جمل الشعر صناعة واتخذة بضاعة، لكان رائعاً معجباً ونادراً مستغرباً ، فمن ذلك قوله^٢ :

أكثرت هجرتك غير أنك ربما عطفتك أحياناً عليّ أمورُ
فكأنما زمنُ التّهاجر بيننا ليلٌ وساعاتُ الوصالِ بدورُ

وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من جملة أبيات :

أسفرَ ضوءُ الصبح عن وجهه فقام خالُ الخدِّ فيه بلال
كأنما الخالُ على خدّه ساعةٌ هجرٍ في زمان الوصال

وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية ، فخرج معهم يشيعن^٣ فسايروهم من أول الليل إلى الصبح ، فودعهم ورجع وأنشد أبياتاً من جلتها^٤ :

ساربتهم والليل غفُلٌ ثوبه حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثمّ مودعاً وتسلمتُ مني يد الإصباح تلك الأنجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن . وله في وداعهن أيضاً^٥ :

ولما وقفنا للوداع غُدِيَّةٌ وقد خَفَقَتْ في ساحة القصر راياتُ
بكينا دماً حتى كأن عيوننا بيجرني الدموعِ الحمرِ منها جراحاتُ
وهذا ينظر إلى قول القائل :

بكي دماً حتى لقد قال قائلٌ أهذا الفقى من جفن عينيه يُرْعَفُ

١ بر من : صار .

٢ ديوانه : ١٣ .

٣ ن : ليشيعن ؛ المختار : يودعهن .

٤ هذه القطعة في ديوانه : ٢٦ والمسالك ١٠ : ٣٩٧ .

٥ ديوانه : ٤ .

وقد سبق في شعر الأبيوردي نظيره .
ومن شعره أيضاً :

لولا عيون من الواشين ترمقني وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لا أكافكم يجفوتكم مشياً على الوجه أو سعيماً على الراس

وكتب إلى نداماه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم إلى
الاعتناق عنده^٢ :

حسد القصر فيكم الزهراء ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعت بها شمساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساءً

وهذا من بديع المعاني العجيبة .

والزهراء : بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة، وهي
من عجائب أبنية الدنيا ، أنشأها أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الملقب الناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس ، بالقرب من قرطبة ، في أول سنة
خمس وعشرين وثلثمائة ، ومسافة ما بينها أربعة أميال وثلثا ميل ، وطول
الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمئة ذراع ، وعرضها من القبلة إلى
الجنوب ألف وخمسمئة ذراع ، وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية
وثلثمائة سارية ، وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب^٣ . وكان الناصر
يقسم جباية البلاد أثلاثاً ، فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة
الزهراء ، وكانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف دينار وأربعمائة ألف
وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف
دينار ، وهي من أهول ما بناه الإنس وأجله خطراً وأعظمه شأناً ، ذكر ذلك
كله ابن بشكّو^٤ - المقدم ذكره في حرف الحاء^٤ - في « تاريخ الأندلس » .

١ ديوانه : ٥٨ والمسالك ١٠ : ٣٩٧ .

٢ ديوانه : ٤٩ .

٣ كذا في جميع النسخ .

٤ ج ٢ : ٢٤٠ .

وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلا إلى بني عباد بطبعه ، إذ كان المعتمد الذي جذب بضبعه ، وله فيه المدائح الأنيقة ، فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الأربعة وهم : الرشيد عبيد الله ، والراضي يزيد والمأمون والمؤمن ، ومن جملتها قوله ، ولقد أجاد فيه كل الإجابة وأبدع فيه ٢ :

يَغِيثُكَ فِي مَحَلِّ ، يُغِيثُكَ فِي رَدَى يَرُوعُكَ فِي دَرَعٍ ، يَرُوقُكَ فِي بَرْدِ
جَمَالٍ وَإِجْمَالٍ وَسَبَقَ وَصَوْلَةَ كَشَمْسِ الضُّحَى كَالْمِزْنِ كَالْبَرْقِ كَالرَّعْدِ
بِهَجْتِهِ شَادَ الْعَلَامَ زَادَهَا بِنَاءً بِأَبْنَاءِ جِحَاجِحَةٍ لَدَى
بِأَرْبَعَةٍ مِثْلِ الطَّبَاعِ تَرَكِبُوا لِتَعْدِيلِ جِسْمِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْعِدَى

ومع هذه المكارم والإحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن ، وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي ٣ :

تَعَزَّزْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَمَعْرُوفٍ أَهْلِهَا إِذَا عَدِمَ الْمَعْرُوفُ فِي آلِ عِبَادِ
حَلَّتْ بِهِمْ ضَيْفًا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بَغَيْرِ قَرَى ثُمَّ ارْتَحَلْتُ بِلَا زَادِ

وكان الأذفونش فردلند ملك الإفرنج بالأندلس قد قوي أمره في ذلك الوقت ، وكانت ملوك الطوائف من المسلمين هنالك يصلحونه ، ويؤدون إليه ضريبة ، ثم إنه أخذ طليطلة في يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد حصار شديد ، وكانت للقادر بالله بن ذي النون ، وفي أخذها يقول أبو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي ، يعرف بابن العسال الطليطي ، وهو مذكور في « الصلة » لابن بشكوال ٤ :

١ ن : والمأمول والمؤمل ؛ ق ر : والمأمون والمؤمل .

٢ كل الإجابة وأبدع فيه : سقط من ت س بر من .

٣ النسخ ٤ : ٢٢٦ ؛ وفي ن : جعفر بن محمد بن إبراهيم .

٤ الصلة : ٢٧٦ (وتوفي سنة ٤٨٧) ؛ س بر : غزلون ؛ ق : غزنون ؛ المختار : غرنون ، ن : غرنون ، دون اعجام ؛ وفي س : العسال . وقد وردت هذه الأبيات في عدة مصادر أندلسية ، انظر النسخ ٤ : ٣٥٢ .

حثوا رَواحلكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منشوراً من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سَفَط

وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلاداً . وكان يؤدي
الضريبة للأذفونش، فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعاً في أخذ بلاده،
وأرسل إليه يتهدده ويقول له : تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل^١،
فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه ، فبلغ الخبر للأذفونش وهو متوجه
لحصار قرطبة فرجع إلى طليطلة لأخذ آلات الحصار .

فلما سمع مشايخ الإسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا : هذه مدن الإسلام
قد تغلب عليها الفرنج ، وملوكنا مشتغلون بمقاتلة بعضهم بعضاً ، وإن استمرت
الحال ملك الفرنج جميع البلاد ، وجاءوا إلى القاضي عبيد الله بن محمد بن آدم^٢
وفأوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه ، فقال كل واحد منهم شيئاً ،
وآخر ما اجتمع^٣ رأيهم عليه أن يكتبوا إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك
المشكين؛ صاحب مراکش يستنجدونه - وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء
الله تعالى . فاجتمع القاضي بالمعتمد وأخبره بما جرى ، فوافقهم على أنه مصلحة
وقال له تضي إليه بنفسك ، فامتنع فألزمه بذلك ، فقال : أستخير الله سبحانه ،
وخرج من عنده ، وكتب للوقت كتاباً إلى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال ،
وسيره مع بعض عبيده إليه ، فلما وصله خرج مسرعاً إلى مدينة سَبْتَة ، وخرج
القاضي ومعه جماعة إلى سبتة للقائه وإعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره

١ مج : وتكون ملك السهل .

٢ فيما عدان ق : عبد الله ، وانظر الصلة : ٢٩٣ ؛ وكنيته أبو بكر ، كان قاضي الجماعة بقرطبة
استقضاه المعتمد سنة ٤٦٨ وكان قد نظر قبل ذلك في أحكام المظالم وشورور في الأحكام وتوفي
سنة ٤٨٦ ؛ قلت : وفي مج فوق لفظة آدم : (خ : ابراهيم) .

٣ بر ن من : أجمع ؛ ت : أجمعوا .

٤ ر : المسلمين .

إلى الجزيرة الخضراء ، وهي مدينة في بر الأندلس ، وأقام بسبته ، وهي في بر
مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء ، وسيّر إلى مراكش يستدعي من تخلف بها من
جيشه ، فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور ، وعبر آخرهم وهو في عشرة آلاف
مقاتل ، واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضاً عساكره ، وتسامع المسلمون بذلك ،
فخرجوا من كل البلاد طلباً للجهاد ، وبلغ الأذفونش الخبر وهو بطليطة ، فخرج
في أربعين ألف فارس غير ما انضم إليه ، وكتب الأذفونش إلى الأمير يوسف
كتاباً يتهدده ، وأطال الكتاب ، فكتب يوسف الجواب في ظهره : « الذي
يكون ستراه » ورده إليه . فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال : هذا رجل
عازم .

ثم سار الجيشان والتقى في مكان يقال له الزلاقة من بلد بَطْلَيْوسَ وتصافا ،
وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى
نفر يسير ، وذلك يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان المعظم سنة تسع
وسبعين وأربعمائة ، كذا قال بعضهم ، والصحيح أن هذه الواقعة كانت في
منتصف رجب من السنة المذكورة ، وهذا العام يؤرخ به في بلاد الأندلس كلها
فيقال عام الزلاقة ، وهذه الواقعة من أشهر الوقائع . وثبت المعتمد في ذلك
اليوم ثباتاً عظيماً ، وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه ، وشهد له بالشجاعة ،
وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ، ورجع الأمير يوسف إلى بلاده والمعتمد إلى
بلاده .

ثم إن الأمير يوسف عاد إلى الأندلس في العام الثاني وخرج إليه المعتمد ،
وحاصراً بعض حصون الفرنج^٣ ، فلم يقدر عليه ، فرحلا عنه وعبر يوسف على
غرناطة ، فخرج إليه صاحبها عبد الله بن بُلْكَيْنِ ثم دخل البلد ليخرج إليه
التقادم ، فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه

١ ق : فتصافا فانتصر .

٢ ق : الواقعة .

٣ هو حصن لبيط .

٤ ق : ودخل إلى .

من الأموال والذخائر ما لا يحصى ولا يحصى . ثم رجع إلى مراکش وقد أعجبه حسن بلاد الأندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الأموال التي لا توجد في مراکش ، فإنها بلاد بربر وأجلاف العربان^١ ، وجعل خواص الأمير يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس ويحسنون له أخذها ، ويفرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده ، فلما انتهى إلى سبّنة جهز إليه العساكر وقدم عليها سير^٢ بن أبي بكر الأندلسي ، فوصل إلى إشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة ، وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وتراميه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله ، والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سياحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الأسوار . فلما كان يوم الأحد العشرين من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الأمير يوسف البلد وشنوا فيه الغارات ، ولم يتركوا لأحد شيئاً ، وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم ، وقبض على المعتمد وأهله ، وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك ، أحدهما : المأمون ، وكان ينوب عن والده في قرطبة فحصره بها إلى أن أخذوه وقتلوه ، والثاني الراضي ، كان أيضاً نائباً عن أبيه في رُنْدَة^٣ ، وهي من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضي ، ولأبيها المعتمد فيها مرات كثيرة^٤ .

وبعد ذلك جرى بإشبيلية على المعتمد ما ذكرناه . ولما أخذ المعتمد قيده من ساعته ، وجعل مع أهله في سفينة ، قال ابن خاقان في « قلائد العقيان » في هذا الموضع^٥ : ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت ، وضمّتهم^٦ كأنهم أموات ، بعدما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم الغصن ، والناس قد حشروا

١ المختار : وأحلاف العربان .

٢ ن ر والمختار : سير .

٣ بر س ن ت ق من : روندة ؛ ر : رنوذة ، مج : رويله .

٤ س ت بر من : مرات عديدة ، وسقطت « عديدة » من ر .

٥ قلائد العقيان : ٢٣ .

٦ القلائد : وضمّتهم جوانحها .

بضفتي الوادي ، سيكون بدموع الغوادي^١ ، فساروا والنوح يحدوم ، والبوح
باللوعة لا يعدوم ، وفي ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف
بان اللبانة :

تبكي السماء بدمع رائح غادي على البهاليل من أبناء عباد
ومن جملتها :

يا ضيف أقفر بيتُ المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
وهي قصيدة طويلة لا حاجة إلى ذكرها . وفي هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد
عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر المشهور - المقدم ذكره^٢ :

ولما رحلتم بالندی فی أكفکم وقلقل رَضوى منكم وثبيرُ
رفعت لساني بالقيامه قد دنت فهذي الجبال الراسيات تسير

وهي أبيات كثيرة ، وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في أبي العباس
أحمد بن محمد بن الفرات الوزير وقد مات^٣ :

قد استوى الناس ومات الكمالُ وصاحُ صرف الدهر أين الرجالُ
هذا أبو العباس في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبالُ

وقيل إنه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ،
والله أعلم بالصواب ، ثم وجدت القول الثاني هو الصحيح ، والله أعلم .
وتألم المعتمد يوماً من قيده وضيقه وثقله فأنشده^٤ :

١ القلائد : كالغوادي .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٢ وديوانه : ٢٦٨ .

٣ ورد هذا من قبل في ترجمة ابن حمديس ٣ : ٢١٤ وذكر هناك أن ابن المعتز رثي الوزير أبا القاسم
عبيد الله بن سليمان بن وهب .

٤ ن ق : وقال .

٥ ديوان المعتمد : ٩٤ .

تبدلت من ظل عزّ البنودِ بذل الحديد وثقل القيودِ
وكان حديدي سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهما بعض بساقسيّ عض الأسود

ثم إنهم حملوا إلى الأمير يوسف براكش ، فأمر بإرسال المعتمد إلى مدينة
أغمت ، واعتقله بها ولم يخرج منها إلى المات ، قال ابن خاقان^١ : ولما أُجلي^٢
عن بلاده ، وأعري من طارفه وتلاده ، وحمل في السفين ، وأحل في العُدوة
محل الدفين ، تندبه منابره وأعواده ، ولا يدنو منه زوّاره ولا عوّاده ، بقي
أسفاً تتصعد زفراته ، وتطرّد اطراد المذانب عبراته ، ولا يخلو بمؤانس ، ولا يرى
إلا عربناً^٣ بدلاً من تلك المكانس ، ولما لم يجد سلواً ولم يؤمل دنواً ، ولم ير وجه
مسرةً مجلواً ، تذكر منازل فشاقتة ، وتصور بهجتها فراقته ، وتخيل استيحاش
أوطانه ، وإجهاش قصره إلى قُطانه ، وإظلام جوه من أقماره ، وخلوه من
حراسه وسماره . وفي اعتقاله يقول أبو بكر الداني المذكور قصيدته المشهورة
التي أولها :

لكلّ شيءٍ من الأشياء ميقاتٌ وللمنى من منايهنّ غاياتٌ
والدهر في صبغة الحرباء منغمسٌ ألوانٌ حالاته فيها استحالاتٌ
ونحن من لُعب الشطرنج في يده وربما قُمرت بالبيدقِ الشاة

قلت : هذا غلط ، فإن الشاه بالهاء الملك بالعجمي ، وإذا كان كذلك فلا
تسلم له القافية ، لأنها على حرف التاء ، ثم قال :

انفضّ يديك من الدنيا وساكنها فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضي : قد كتمت سريرة العالم العلوي أغمت

١ القلائد : ٢٣ .

٢ القلائد : نقل ؛ ر : أخلي .

٣ في النسخ : غريباً ، والتصويب عن القلائد .

٤ ت : الوجوه .

وهي طويلة تقارب خمسين بيتاً .

وله أيضاً في حبسه قصيدة عملها بأغمت ، سنة ست وثمانين وأربعمائة :

تَنَشَّقُ رِيَّاحِينَ السَّلَامِ فَإِنَّمَا أَفْضُ بِهَا مِسْكَاً عَلَيْكَ مُخْتَمًا
وَقُلُّ لِي مَجَازاً إِنْ عَدِمْتَ حَقِيقَةً لَمَلِكٍ فِي نَعْمَى وَقَدْ كُنْتَ مُنْعَمَا
أَفْكَرُ فِي عَصْرِ مَضَى لَكَ مُشْرِقًا فِيرْجِعْ ضَوْءَ الصَّبْحِ عِنْدِي مُظْلَمَا
وَأَعْجَبُ مِنْ أَفْتَى الْجُرَّةِ إِذْ رَأَى كَسُوفِكَ شِمْسًا كَيْفَ أَطْلَعَ أَنْجَمَا
لَنْ عَظَمْتَ فِيكَ الرَّزِيَّةَ إِنَّمَا وَجَدْنَاكَ مِنْهَا فِي الْمَزِيَّةِ أَعْظَمَا
قَنَاةٌ سَعَتْ لِلطَّعْنِ حَتَّى تَقْصِدَتْ وَسَيْفٌ أَطَالَ الضَّرْبَ حَتَّى تَثَلَمَا
ومنها :

بكى آل عباد ولا كمحمد وأبنائه صوبُ الغمامة إذ همى
حبيبٌ إلى قلبي ، حبيبٌ لقوله عسى ظلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا بهم محمد السرى فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعيانا العز حول حماهم فقد أجذب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي محلهم مناسج سدَى الغيث فيها وألحما
قصورٌ خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تشي حول واقعة الدمى
يجيب بها الهام الصدى ولطالما أجاب القيان الطائر المترنما
كان لم يكن فيها أنيس ولا التقى بها الوفد جمعاً والخميس عرمرما

ومنها ٢ :

حكيت وقد فارقت مملكتك مالكا ومن ولهي أحكي عليك متما
مصابٌ هوى بالنيرات من العلا ولم يبتق في أرض المكارم معلما
تضيّق عليّ الأرض حتى كأنما خلقت وإياها سواراً ومعصما

١ ر ن ق : الرزية .

٢ ومنها : زيادة من ن ر ق ير .

ندبتك حتى لم يخل لي الأسى
 وإني على رسمي مقيم فإن أمت
 بكاك الحيا والريح شقت جيوبيها
 ومزق ثوب البرق واكتست الضحى
 وحرار ابنك الإصباح وجدأ فما اهتدى
 وما حل بدر التّم بعدك دارة
 قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر
 وكان قد انفكت عنه القيود فأشار إلى ذلك بقوله منها :

قُودك ذابت فانطلقت لقد غدّت
 عجت لأن لان الحديد وقد قسوا
 سينجيك من نجى من الجب يوسف
 ويؤويك من آوى المسيح بن مريم

وله في البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقاطيع^١ وقصائد مطولات
 يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه في صورة^٢ تأليف وهية تصنيف سماه « نظم
 السلوك في وعظ الملوك ». ووفد على المعتمد وهو بأغمت وفادة وفاء ، لا
 وفادة استجداء ، وحكي أنه لما عزم على الانفصال عنه بعث إليه المعتمد
 عشرين ديناراً وشقة بغدادية ، وكتب معها :

إليك النزر من كف الأسير فإن تقبل يكن عين الشكور
 تقبل ما يذوب له حياء وإن عذرت أحوال^٣ الفقير

وهي عدة أبيات ، قال أبو بكر المذكور : فرددتها إليه ، لعلمي بحاله وأنه
 لم يترك عنده شيئاً ، وكتبت إليه جوابها ، وهو :

١ ق بر ر ن : مقطوعات .

٢ صورة : سقطت من ق بر من .

٣ بر من ق مج : حالات .

سَقَطْتَ مِنَ الْوَفَاءِ عَلَى خَبِيرٍ فَذَرَّنِي وَالَّذِي لَكَ فِي ضَمِيرِي
 تَرَكْتُ هَوَاكَ وَهُوَ شَقِيقُ نَفْسِي^١ لِأَنَّ شَقَّتْ بَرُودِي عَنْ غَدُورِ
 وَلَا كُنْتُ الطَّلِيقَ مِنَ الرِّزَابِ لِأَنَّ أَصْبَحْتُ أَجْحَفُ بِالْأَسِيرِ
 جَدِيمَةٌ أَنْتَ وَالزَّبَاءُ خَانَتْ^٢ وَمَا أَنَا مِنْ يُقْصَرُ عَنْ قَصِيرِ
 أَسِيرٌ وَلَا أَسِيرٌ إِلَى اغْتِنَامِ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ
 أَنَا أَدْرِي بِفَضْلِكَ مِنْكَ ، إِنِّي لِبَسْتِ الظِّلَّ مِنْهُ فِي الْحُرُورِ

ومنها أيضاً قوله :

تَصَرَّفُ فِي النَّدَى خَيْلٌ^٣ الْمَعَالِي فَتَسْمَحُ مِنْ قَلِيلٍ بِالكَثِيرِ^٤
 وَأَعْجَبُ مِنْكَ أَنْكَ فِي ظِلَامِ وَتَرْفَعُ لِلْعَفَاةِ مَنَارَ نُورِ
 رُوَيْدُكَ سَوْفَ تَوْسَعُنِي سُرُوراً إِذَا عَادَ ارْتِقَاؤُكَ لِلسَّرِيرِ
 وَسَوْفَ تُحَلِّثُنِي رَتَبَ الْمَعَالِي غَدَاةَ تَحُلُّ فِي تِلْكَ الْقُصُورِ
 تَزِيدُ عَلَيَّ ابْنَ مِرْوَانَ عَطَاءً بِهَا وَأَزِيدُكُمْ عَلَيَّ جَرِيرِ
 تَأْتِبُ أَنْ تَعُودَ إِلَى طُلُوعِ فَلَيْسَ الْحَسْفُ مُلْتَزِمَ الْبَدُورِ

ودخل عليه يوماً بناته للسجن، وكان يوم عيد، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، حتى إن إحداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فراهن في أطهار رتة وحالة سيئة، فصدعن قلبه وأنشده:

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُوراً فَسَاءَ كَالْعِيدِ فِي أَغْمَاتِ مَاسُورَا
 نَرَى بِنَاتِكَ فِي الْأَطْهَارِ جَائِعَةً يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ لَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيرَا

١ ن ر : قلبي .

٢ ق : يوماً .

٣ ن : حيل ، مج : جيد .

٤ ق : بالقليل وبالكثر .

٥ ديوانه : ١٠٠ والقلائد : ٢٥ .

برَزَنَ نحوك للتَّسليم خاشعةٌ أبصارهُنَّ حسيّاتٍ مكاسيرا
بطانٍ في الطين والأقدام حافيةٌ كأنها لم تَطأ مسكاً وكافورا
ومنها أيضاً :

لا خدّ إلا ويشكوا الجذب ظاهره وليس إلا مع الأنفاسِ ممطورا
قد كان دهركَ إن تأمره ممثلاً فردك الدهرُ منهيّاً ومأمورا
من بات بعدك في ملكٍ يسرُّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا

ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه
عض الأسود ، والتوت عليه التواء الأسود السود ، وهو لا يطيق أعمال قدم ،
ولا يُريق دمعاً إلا بمتزجاً بدم ، بعد ما عهد نفسه فوق منبر وسرير ، وفي وسط
جنة وحرير ، تخفق عليه الألوية ، وتشرق منه الأندية ، فلما رآه بكى وعمل^٢ :

قيدي أما تعلمني مسلماً أبيت أن تشفق أو ترجما
دمي شرابٌ لك ، واللحمُ قد أكلته ، لا تهشم الأعظما
يبصرني فيك أبو هاشمٍ فينثني والقلبُ قد هشما
ارحم طفيلاً طائشاً لبثه لم يخش أن يأتيك مسترحما
وأرحم أخياتٍ له مثله جرعتهن السم والعلقما
منهن من يفهم شيئاً فقد خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما يفتح إلا لرضاعٍ فما

وكان قد اجتمع عنده جماعة من الشعراء^٣ وألحوا عليه في السؤال ، وهو على
تلك الحال ، فأنشد :

سألوا اليسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحق منهم فاعجب

١ بر ر ق من : تشكى .

٢ ديوانه : ١١٢ .

٣ بر من : السؤال .

لولا الحياء وعزة الخيمة طي الحشا لحكام في المطلب

وأشعار المعتمد وأشعار الناس فيه كثيرة ، وقد جاوزنا الحد في تطويل ترجمته ، وسببه أن قضيته غريبة لم يعهد مثلها ، ودخل فيها حديث أبيه وجده فطالت .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجة من بلاد الأندلس ، وملك بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك ، وخلع في التاريخ المقدم ذكره . وتوفي في السجن بأغمت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل في ذي الحجة ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ؛ ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظم سلطانه وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء . واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدايح ، ويجزل لهم المناسح ، فرثوه بقصائد مطولات ، وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه ، فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به ، رثاه بقصيدة طويلة أجاد فيها ، وأولها^٢ :

ملك الملوك ، أسمع فأنادي أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما نقلت عن القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلت قبرك موضع الإنشاد

ولما فرغ من إنشادها قبل الثرى ، ومرغ جسمه وعقر خده ، فأبكى كل من حضر .

ويحكى^٣ أن رجلاً رأى في منامه إثر الكائنة عليه كأن رجلاً صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد :

رب ركب قد أناخوا عيسهم في ذرى مجدهم حين بسق

١ ق بر من : قصته .

٢ انظر القلائد : ٣١ .

٣ ق : ويروى .

سكت الدهرُ زماناً عنهمُ ثم أبكاهم دماً حين نطق

ورأى أبو بكر الداني حفيد المعتمد وهو غلام وسمي قد اتخذ الصياغة صناعة
وكان يلقب في أيام دولتهم « فخر الدولة » وهو من الألقاب السلطانية عندهم ،
فنظر إليه وهو ينفخ الفحيم بقصبة الصائغ ، فقال من جملة قصيدة :

شكاتنا فيك يا فخر العلاء عظمتُ والرزءُ يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة ضاقت عليك وكم طوقتتنا نعماً
وعاد طوقك في دكان قارعةٍ من بعدما كنت في قصر حتى إراماً
صرقتَ في آلة الصواغ أنملةً لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلم
يدٌ عهدتكَ للتقيل تبسطها فتستقلُّ الثريا أن تكون فما
يا صائغاً كانت العليا تُصاغُ له حلياً وكان عليه الحلي منتظماً
للنفخ في الصور هولٌ ما حكاه سوى أني رأيتك فيه تنفخ الفحماً
وددت إذ نظرت عيني عليك به لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط من شرفٍ ولا تحيف من أخلاقك الكرماً
لُح في العلا كوكباً إن لم تلح قمراً وقم بها ربوة إن لم تقم علماً
والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت ولو وفقى لك دمع العين لانسجماً
أبكي حديثك حتى الدهر حين غدا يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً

ولا حاجة إلى الزيادة على ما أودعناه^١ هذه الترجمة .

واللُّورقي : بضم اللام وسكون الواو والراء وبعدها قاف ، هذه النسبة
إلى لورقة ، وهي مدينة بالأندلس ، وهذا الشاعر ذكره في « الخريدة » وقال :
عاش بعد الخمائة^٢ طويلاً ، وأورد كثيراً من شعره .

وأغيات : بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعده الألف تاء مثناة

١ بر : أوردناه في .

٢ ق : المائة .

من فوقها ، وهي بليدة وراء مراكش ، بينها مسافة يوم ، وخرج منها جماعة مشاهير .

(206) وأما أبو بكر ابن اللبّانة المذكور فما رأيت تاريخ وفاته في شيء من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك ، لكن رأيت في كتاب الحماسة التي صنفها أبو الحجاج يوسف اليباسي المذكور بعد هذا أن ابن اللبّانة قدم ميّورقة في آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات أولها :

ملك يروعك في حلى ريعانه راقث برونقه صفات زمانه

وكنت أظن أنه مات قبل المعتمد ، لأنني ما رأيت له فيه مرثية ، إلى أن رأيت ما قاله اليباسي ، والله تعالى أعلم .

٦٨٧

المعتصم ابن صمادح الأندلسي

أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح ، المنعوت بالمعتصم ، التجيبي ، صاحب المريّة وبجاية والصمادحية من بلاد الأندلس .
(207) كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب مدينة وشقة وأعمالها ، وذلك في أيام المؤيد هشام بن الحكم الأموي - المذكور في ترجمة المعتمد بن عباد -

١ هنا تنتهي الترجمة في بر من وينتهي الجزء الثاني من النسخة س ، والثالث مفقود ، ولهذا تتوقف الإشارة إلى س حتى بداية الجزء الرابع ، وكنا اعتمدنا في عناوين التراجم على هذه النسخة بعد توقف المسودة ، ولما كان الجزء الثالث مفقوداً وكذلك القيم الموازي له من المسودة ، فان صيغة العناوين ستصبح تقديرية بالاستئناس إلى مختلف النسخ .

٦٨٧ - ترجمته في الذخيرة ٢/١ : ٢٣٦ والقلائد : ٤٧ والمغرب ٢ : ١٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٦٧ ، ١٧٣ والمطرب : ٣٤ - ٣٨ والوافي ٥ : ٤٥ والمعجب : ١٩٦ والحلة السيرة ٢ : ٧٨ - ٨٨ وأعمال الأعلام : ١٩٠ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٦ .

فحاربه ابن عمه منذر بن يحيى التنجيبي ، فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله ، وترك له مدينة و سُنْقة ، وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقه ، وكان صاحب رأي ودهاء ولسان وعارضة لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الحلال في ذلك العصر .

(208) وكان ولده معن والد المعتصم مصاهراً لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بِلَنْسِيَّة ، فلما قتل زهير مولى أبيه - وكان صاحب المريّة - وثب عبد العزيز على المريّة فملكها لكونها كانت لمولاهم ، فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري المكنى أبا الجيش صاحب دانية ، فخرج قاصداً بلاد عبد العزيز وهو بالمريّة مشتغل في تركة زهير ، فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المريّة مبادراً لاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صادق والد المعتصم فخانه في الأمانة وغدر به ، وطرده عن الإمارة ، فلم يبق في ملوك الطوائف بالأندلس أحد إلا ذمه على هذه الفعلة ، إلا أنه تم له الأمر واستتب .

فلما مات انتقل الملك إلى ولده المعتصم وتسمى بأسماء الخلفاء ، وكان رحب الفناء ، جزل العطاء ، حليماً عن الدماء ، طافت به الآمال ، واتسع في مدحه المقال ، وأعملت إلى حضرته الرجال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء كأبي عبد الله ابن الحداد وغيره ، وله أشعار حسنة ، فمن ذلك ما كتبه إلى أبي بكر ابن عمار الأندلسي - المقدم ذكره - يعاتبه :

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تُرِنِي الأيام خلاً تُسرِنِي بَواديه إلا ساءني في العواقب
ولا صرت أرجوه لدفع ملة من الدهر إلا كان إحدى التوائب

فكتب إليه ابن عمار جوابها ، وهي أبيات كثيرة فلا حاجة إلى ذكرها .
ومن شعره أيضاً :

يا من يجسمي لبعده سقم ما منه غير الدنو يبريني

بين جفوني والنوم معترك تصغر عنه حروب صيفين
إن كان صرف الزمان أبعدني عنك فطيف الخيال يدنيني

ومن هنا أنشد بهاء الدين زهير بن محمد - الكاتب المقدم ذكره^١ - قوله من
جملة قصيدة :

بين جفوني والكرى مذ غبت عني معترك

وله غير ذلك مقاطيع كثيرة .
ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف
بالحداد القيسي^٢ من أهل المريّة في مديحه قصائد بديعة ، فمن ذلك قصيدته
التي أولها :

لعلك بالوادي المقدس شاطيء فكالنبر الهندي ما أنا واطيء
وإني من ريتك واجد ريجهم فرّوح الهوى بين الجوانح ناشيء
ولي في الشرى من نارهم ومناهم حداة هداة والنجوم طوافيء
لذلك ما حنّت ركابي وحممت عرابي وأوحى سيرها المتباطيء
فهل حاجها ما حاجني ولعلها إلى الوجد من نيران قلبي لواجيء^٣
رويداً فذا وادي لبيني وإنه لورّد لباناتي وإني لظاميء
ويا حبذا من آل لبني موطن ويا حبذا في أرض لبني مواطيء
ميادين تيامي ومسرح خاطري فللشوق غايات بها ومباديء
ولا تحسبوا غيداً حوتها مقاصر فتلك قلوب ضمّنتها جآجيء

١ انظر ج ٢ : ٣٣٢ ، وديوان البها زهير : ١٣٠ .

٢ ترجمة ابن الحداد في الذخيرة ٢/١ : ٢٠١ والمطمح : ٨٠ والاحاطة ٢ : ٢٥٠ والفوات

٢ : ٣٤١ والمحمّدون : ٩٩ والمغرب ٢ : ١٤٣ والمسالك ١١ : ٤٠٠ والروافي ٢ : ٨٦
وصفحات متفرقة في نفع الطيب ، وقصيدته الحمزية في الذخيرة .

٣ ق ن ر : نواجيء .

وفي الكِلَّة الزرقاء مكلوء عزة^١ تَحْفُ به زرق العوالي الكواليء
مَحاملة السلوان مبعثُ حسنه فكل إلى دين الصبابة صابيء
ومنها أيضاً :

تمنى مدى قُرطيه عُفْرُ تَوَالع وتَهوى ضيا عَيْنِه عينُ جوازيء
وفي ملمب الصدغين أبيض ناصع تخلَّه للحسن أحمر قانيء
أفاتكة الألاحظ ناسكة الهوى ورعت ولكن لحظ عينك^٢ خاطيء
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم دموع هَوَامٍ والجروح مآقيء
وكيف أعاني كلّم طرفك في الحشا وليس لتمزيق المهند راقيء
ومن أين أرجو برء نفسي من الجوى وما كل ذي سقم من السقم باريء

ويخرج من هذا إلى المدح ، وهذه القصيدة طنانة طويلة .
وقصده أيضاً من شعراء الأندلس أبو القاسم الأسعد بن بليطة^٣ ، وهو
من فحول شعرائهم ، ومدحه بقصيدته الطائفة التي أولها :

برامة ريم زارني بعدما شَطًا تقنَّصته في الحلم بالشط فاشتطا
رعى من أناس في الحشا ثم الهوى جنياً ولم يرع العرارَ ولا الخمطًا
ومنها :

وقد ذاب كحل الليل في دمع فجره إلى أن تبدى الصبح كاللثة الشمطا
كان الدجى جيش من الزنج نافر وقد أرسل الإصباح في إثره القبطا
ومنها في صفة الديك :

١ ق ر مج : غرة .

٢ مج : عينك .

٣ ترجمة الأسعد بن بليطة في الذخيرة ٢/١ : ٢٩٠ والمطح ٨٣ وبقية الملتبس : ٢٢٨ والمطرب :

١٢٦ والمغرب ٢ : ١٧ .

كَانَ أَنْوَ شِرْوَانَ أَعْلَاهُ تَاجَهُ
سَبَى حِلَّةَ الطَّائِسِ حَسَنُ لِبَاسِهِ
وَنَاطَتَ عَلَيْهِ كَفُّ مَارِيَةِ الْقُرْطَا
وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى سَبَى الْمَشِيَةَ الْبَطَا
وَمِنْهَا أَيْضًا :

تَوَهَّمُ عَطْفَ الصَّدْعِ نَوْنًا بَجْدَهَا
غَلَامِيَّةٌ جَاءَتْ وَقَدْ جَعَلَ الدَّجَى
غَدَتِ تَنْقَعُ الْمَسَاكِ فِي بَرْدِ ثَغْرِهَا
فَقَلَّتْ أَحَاجِيهَا بَمَا فِي جَفُونِهَا
مَحِيرَةٌ^٢ الْأَلْحَاطُ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
أَرَى صَفْرَةَ الْمَسَاكِ فِي حَمْرَةٍ^٣ اللَّمَى
عَسَى قَنْزِحٌ قَبْلَتَهُ فَاخَالَهُ
وَمِنْهَا فِي الْمَدْحِ قَوْلُهُ^٤ :

كَأَنَّ أَبَا يَحْيَى بِنَ مَعْنِ أَجَادَهَا
تَأَلَّفَ مِنْ دَرٍ وَشَدْرٍ نَجَّارَهُ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ تَحْتِ لَوَائِهِ
رَفِيعَ عَمَادِ النَّارِ فِي اللَّيْلِ لِلسَّرَى
فَعَلَّمَهَا مِنْ كَفِّهِ الْوَكْفَ وَالْبَسَطَا
فَجَاءَتْ بِهِ الْعَلِيَا عَلَى جِيدِهَا سَمَطَا
فَلَيْسَ يَحِطُّ الْمَجْدُ إِلَّا إِذَا حَطَا
فَمَا يَخْبِطُ الْعَسْوَاءَ طَارِقُهُ خَبِطَا
وَمِنْهَا أَيْضًا :

أَقُولُ لِرُكْبٍ يَمْمُوا مَسْقَطِ النَّدَى
أَفِي الْمَجْدِ تَبْنِي لِابْنِ مَعْنٍ مَنَاقِضَا
وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ مَقْدَارُ تَسْمِينِ بَيْتَا ، أَحْسَنُ فِيهَا نَاطِمُهَا مَعَ وَعُورَةٌ

١ ر ير من : يساجله الطائوس .

٢ ق ر ميج : مختره ؛ ن : مختره .

٣ الذخيرة : حوة ؛ وهو أدق .

٤ ق : ومنها أيضاً في الملح .

مسلك حرف روها .

وكان المعتمد المذكور قد اختص بمؤانسة الأمير يوسف بن تاشفين عند عبوره إلى جزيرة الأندلس حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد بن عباد المذكور قبله وأقبل عليه أكثر من بقية ملوك الطوائف ، فلما تغيرت نية الأمير يوسف على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه في ذلك المعتمد ، ووافق على الخروج عن طاعته وعدم الانقياد لأمره ، فلما قصد الأمير يوسف بلاد الأندلس عزم على خلعها وقبضها .

قال ابن بسام في « الذخيرة »^١ : وكان بين المعتمد وبين الله سريرة ، أسلفت له عند الحمام يداً مشكورة ، فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به إلا أيام يسيرة ، في سلطانه وبلده ، وبين أهله وولده . حدثني من لا أورد خبره عن أروى بعض مسانٍ حظايا أبيه قالت : إني لعنده وهو يوصي بشانه ، وقد غلب على أكثر يده ولسانه ، ومعسكر أمير المسلمين^٢ - تعني يوسف بن تاشفين - يومئذ بحيث نعد حياتهم ونسمع اختلاط أصواتهم إذ سمع وجبة من وجباتهم ، فقال : لا إله إلا الله ، نغصص علينا كل شيء حتى الموت ! قالت أروى : فدمعت عيني ، فلا أنسى طرفاً إلي يرفعه ، وإنشاده لي بصوت لا أكاد أسمعه :

ترفتق بدمعك لا تفضنه فين يديك بكاءً طويل

انتهى كلام ابن بسام .

وقال محمد بن أيوب الأنصاري في كتابه الذي صنفه للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى في سنة ثمان وستين وخمسمائة في ترجمة المعتمد بن صباح المذكور ، بعد أن ذكر طرفاً من أخباره ، وشيئاً من أشعاره ، وحكى صورة حصاره ، وقوله في مرضه نفص علينا كل شيء حتى الموت : ومات - يعني المعتمد - في أثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية ، رحمه الله تعالى ، ودفن في تربة له عند باب الخوخة .

١. الذخيرة ٢/١ : ٢٤٠ .

٢. قربر : المؤمنين ؛ وهو غير دقيق ، لأن يوسف لم يتخذ لقب خليفة .

وَصُمَاح : بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الألف دال مكسورة ثم حاء مهملة ، وهو الشديد .
 وبِلَيْطَة : والد أبي القاسم الأسعد الشاعر المذكور ، بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ، ولا أعرف معناه ، وهو بلغة أعاجم الأندلس .
 والتجيبى : قد تقدم الكلام عليه .
 وبِحَايَة : بفتح الباء الموحدة والجيم^١ وبعد الألف ياء^٢ ثم هاء ساكنة ، وهي مدينة بالأندلس .
 والمرية قد تقدم الكلام عليها ؛ والصُمَاحية منسوبة إلى صُمَاح المذكور .
 ووشقة : بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة ، بلدة بالأندلس أيضاً ، والله أعلم .

٦٨٨

المهدي ابن تومرت

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المنعوت بالمهدي الهرجي ، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب - وقد تقدم في ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره^٣ - وكان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ؛ وجدت على

١ ق ر ن ير من : وتشديد الجيم .

٢ ق ر ير من : نون .

٦٨٨ - ترجمته في المعجب : ٢٤٥ وطبقات السبكي ٤ : ٧١ وابن خلدون ٦ : ٢٢٥ والخلل الموشية : ٨٤ وجذوة الاقتباس : ١٢٨ والوافي ٣ : ٣٢٣ وعبر الذهبي ٤ : ٥٧ والشذرات ٤ : ٧٠ والاستقصا ٢ : ٧٨ وراجع تاريخ البيذق وابن القطان وروض القرطاس وكل المصادر التاريخية المتعلقة بنشأة دولة الموحدين .

٣ انظر ج ٣ : ٢٢٧ .

ظهر كتاب النسب للشيخ العابد^١ بخط بعض أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنهقلته كما وجدته وهو : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنها ، والله أعلم .

وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ونشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبابه طالباً للعلم ، فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والكنيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مُدَيِّدَةً وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين .

وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشاً مخلولفاً كثير الإطراق ، ساماً في وجوه الناس ، مقبلاً على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة . وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العربي والمغربي ، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره . وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للأذى من الناس بسببه ، وناله بمكة ، شرفها الله تعالى ، شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها إلى مصر وبالغ في الإنكار ، فزادوا في أذاه ، وطرده الدولة ، وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون ؛ فخرج من مصر إلى الإسكندرية ، وركب البحر متوجهاً إلى بلاده . وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة ، وألزمهم بإقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهديّة إحدى مدن إفريقية ، وكان ملكها يومئذ الأمير يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي ، وذلك في سنة خمس وخمسة .

هكذا وجدته في «تاريخ القيروان» ، وقد تقدم في ترجمة الأمير تميم والدي يحيى المذكور أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز في أيام ولايته بإفريقية عند عودته من

١ في بعض النسخ : في كتاب النسب الشريف العابد وأثبتنا ما في ن ؛ وقد سقط هذا النسب من بر من .

٢ ر ق ن : قرى .

المشرق ، وكنت وجدته كذا أيضاً والله أعلم بالصواب ، ولم يرحل إلى المشرق مرتين حتى يحمل^١ ذلك على دفعتين ، فان كان عوده في سنة خمس كما ذكرناه فهو في ولاية الأمير يحيى ، لأن أباه الأمير تيمناً توفي سنة إحدى وخمسة كما تقدم في ترجمته ، وإنما نبهت عليه لثلاثتهم الواقف عليه أنه فاتني ذلك ، وهو متناقض . ورأيت في تاريخ القاضي الأكرم ابن القفطي وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته : في هذه السنة - وكان آخر^٢ سنة إحدى عشرة وخمسة - خرج محمد بن تومرت من مصر في زي الفقهاء بعد الطلب^٣ بها وبغيرها ووصل^٤ إلى بجاية ، والله أعلم بالصواب ؛ ولما وصل إلى المهديّة نزل في مسجد معلق ، وهو على الطريق ، وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من آله الملاهي أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسرها ، فتسامع به الناس في البلد ، فجمعوا إليه ، وقرأوا عليه كتباً من أصول الدين^٥ ، وبلغ خبره الأمير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء ، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء ، فقال له : أصلحك الله لرعيّتك ، ولم يبق بعد ذلك بالمهديّة إلا أياماً يسيرة ، ثم انتقل إلى بجاية ، وأقام بها مدة وهو على حاله في الإنكار ، فأخرج منها إلى بعض قرأها واسمها ملالة ، فوجد بها^٦ عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره .

ورأيت في كتاب « المغرب^٨ عن سيرة ملوك المغرب » أن محمد بن تومرت كان

١ مج : تحمل ؛ ر : تحمل .

٢ ق ن ر : في .

٣ ر ق ن : الطلبة .

٤ ووصل : سقطت من ق ر ن .

٥ مج : فتسامع به أهل البلد .

٦ مج : فقصدوه يقرءون عليه أنواع العلوم وكان إذا مر به المنكر غيره وأزاله فلما كثرت ذلك منه

أحضره الأمير يحيى مع جماعة .. الخ .

٧ مج : ورحل عن المهديّة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة ، وسار إلى بجاية ففعل بها

مثل ذلك فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالية ، فلقبه بها عبد المؤمن ... الخ .

٨ يتردد اسم هذا الكتاب في النسخ بين المغرب والمغرب .

قد اطلع من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله صلى عليه وسلم ، يدعو إلى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل) ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه (ع ب د م و م ن) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ، فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر ، وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر بموضع إلا سأل عنه ، ولا يرى أحداً إلا أخذ اسمه وتفقد حليته ، وكانت حلية عبد المؤمن معه ، فبينما هو في الطريق رأى شاباً قد بلغ أشده^١ على الصفة التي معه . فقال له محمد وقد تجاوزه : ما اسمك يا شاب ؟ فقال : عبد المؤمن ، فرجع إليه وقال له : الله أكبر ، أنت بنيتي ، فنظر في حليته فوافقت ما عنده ، فقال له : بمن أنت ، فقال : من كومية ، قال : أين مقصدك ؟ فقال : الشرق ، فقال : ما تبغي ؟ قال : أطلب علماً وشرفاً ، قال : وجدت علماً وشرفاً وذكرأ ، اصحبنى تنله فوافقه على ذلك ، فألقى محمد إليه أمره وأودعه سره .

وكان محمد قد صحب رجلاً يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام ، فوافقه على ذلك أتم موافقة^٢ ، وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقهاً ، وكان جميلاً فصيحاً في لغة العرب وأهل المغرب ، فتحدثاً يوماً في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب ، فقال محمد لعبد الله : أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس ، لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه ، فنصدق فيما نقوله ، ففعل عبد الله ذلك .

ثم إن محمداً استدنى أشخاصاً من أهل الغرب أجداداً في القوي الجسانية أغماراً ، وكان أميل إلى الأغمار من أولي الفطن والاستبصار ، فاجتمع له منهم

١ زاد في ق : وبلغ أربعين سنة .

٢ ق : فوافقه على ذلك وكانت موافقته أتم موافقة .

سته سوى عبد الله الونشريسي ، ثم إنه رحل إلى أقصى المغرب ، واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك ، وتوجهوا جميعاً إلى مراکش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين - وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتم بن صمادح - وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلاً متواضعاً ، وكان بحضرتة رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي ، وكان عالماً صالحاً ، فشرع محمد في الإنكار على جاري عادته ، حتى أنكر على ابنة الملك ، وله في ذلك قصة يطول شرحها . وبلغ الملك خبره وأنه يتحدث^٢ في تفسير الدولة ، فتحدث مالك بن وهيب في أمره ، وقال : نخاف من فتح باب يعصر علينا سده ، والرأي أن يحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد ، فأجاب الملك إلى ذلك ، وكان محمد وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد ، فطلبهم ، فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : سلوا هذا الرجل ما يبغى منا ، فانتدب له قاضي المريّة واسمه محمد بن أسود^٣ فقال : ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه ؟ فقال له محمد : أما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال ، وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار

١ لعلها القضية التي وردت في مج إذ جاء النص فيها كالآتي : « وتوجهوا جميعاً إلى مراکش دار ملكة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتم بن صمادح فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه ، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثرتابعه وحسنت ظنون الناس فيه ، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الحواربي الحسان كثير وهن مسفرات ، وكانت هذه عادة الملتئمين ، تسفر نساؤهم وجوههن وتلتئم الرجال ، فأنكر على النساء وأمرهن بستر وجوههن وصرف هو وأصحابه دوابهن ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين فأحضره وأحضر الفقهاء لينظروه فأخذ يعظه ويذكره ويخوفه فيبكي أمير المسلمين ، وأمر أن ينظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة إيمانه في الذي فعله ، وكان عند أمير المسلمين مالك ابن وهيب وكان كثير الاجترار على الملك ... الخ .

٢ ن ر ق بر من : يتحدث .

٣ المختار : محمد بن سواد .

صحة هذا القول عنه ، ليعلم بتعميره عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون له وتضرونه^١ به ، مع علمك أن الحجة عليه متوجهة ، فهل بلغك يا قاضي أن الخفرة تباع جهاراً ، وتشي الخنازير بين المسلمين ، وتؤخذ أموال اليتامى ؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً .

فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه ، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم ، فقال مالك بن وهيب ، وكان كثير الاجترار على الملك : أيها الملك ، إن عندي لنصيحة إن قبلتها حمدت عاقبتها ، وإن تركتها لم تأمن غائلتها ، فقال الملك : ما هي ؟ قال : إني خائف عليك من هذا الرجل ، وأرى أنك تمتقله وأصحابه ، وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكتفي شره ، وإن لم تفعل ذلك لتتفقن عليه^٢ خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك . فوافقه الملك على ذلك ، فقال له وزيره : يبيع منك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء إليه في مجلس واحد ، وأن يظهر منك الخوف منه مع عظم ملكك ، وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه ، فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه ، وسأله الدعاء .

وحكى صاحب كتاب « المغرب في أخبار أهل المغرب » أنه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاه وجهه إلى أن فارقه ، فقيل له : نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك ، فقال : أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت^٣ ؛ انتهى كلامه .

فلما خرج محمد وأصحابه من عند الملك قال لهم : لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب ، فبما نأمن من أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه ، وإن لنا بمدينة أغمات أخاً في الله ، فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً ، واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم ، وهو من فقهاء

١ ق بر من : وتطرونه .

٢ مج بر من والمختار : لتتفقن عليك .

٣ ت مج بر من : ما استطعت حتى أغيره .

المصامدة ، فخرجوا إليه ونزلوا عليه ، وأخبره محمد خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك ، فقال عبد الحق : هذا الموضوع لا يحميكم ، وإن أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تين مل ، وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل ، فانقطعوا فيه برهة ريثما ينسى ذكركم ، فلما سمع محمد بهذا الاسم تجرداً له ذكر اسم الموضوع الذي رآه في كتاب الجفر ، فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلوا أنهم طلاب العلم ، فقاموا إليهم وأكرمهم وتلقوهم بالترحاب وأزولهم في أكرم منازلهم ، وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له : إنهم سافروا ، فسرهم ذلك وقال : تخلصنا من الإثم بحبسهم . ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد إليهم ، وكان قد سار فيهم ذكره ، فجاءوه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته ، وكان كل من أتاه استداناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك ، فإن أجابه أضافه إلى خواصه ، وإن خالفه أعرض عنه . وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة^٢ ، وكان ذوو العقل والعلم والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم^٣ من سطوة الملك ، فكان لا يتم له مع ذلك حال . وطالت المدة وخاف محمد من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل ، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى تسليمه إليه والتخلي عنه ، فشرع في أعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه ، فرأى بعض أولاد القوم شُقرأ زرقاً ، وألوان آبائهم السمرة والكحل ، فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه ، فالزمهم بالإجابة فقالوا : نحن من رعية الملك وله علينا خراج ، وفي كل سنة تصعد ممالكنا إلينا ينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء ، فتأتي الأولاد على هذه الصفة ، وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا ، فقال محمد : والله إن الموت خير من هذه الحياة ، وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح والحربة ؟ فقالوا : بالرغم لا بالرضا ، فقال : أرايتم لو أن ناصرأ نصركم على

١ ق و المختار : تحدد .

٢ وكان يستميل ... الغرة : سقط من ررق والمختار ؟ بر من : الفرارة .

٣ ت مج بر من : ويخيفونهم .

أعدائكم ما كنتم تصنعون ؟ قالوا : كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت ، قالوا : من هو ؟ قال : ضيفكم - يعني نفسه - فقالوا : السمع والطاعة ، وكانوا يغالون في تعظيمه ؛ فأخذ عليهم اليهود والمواثيق واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فإذا جاءوكم فأجروهم على عاداتهم واخلثوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور ، فإذا سكروا فأذنوني بهم ، فلما حضرا المالك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد ، وكان ليلاً ، فأعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم بأسرهم ، فلم يمض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم ، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له ، فسمع التكبير عليهم والوقع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلاص من الجبل ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى ، فقدم على قوات محمد من يده ، وعلم أن الحزم كان مع مالك ابن وهيب فيما أشار به ؛ فجهز من وقته خيلاً بمقدار ما يسع وادي تين مل فإنه ضيق المسلك ، وعلم محمد أنه لا بد من عسكر يخرج إليهم ، فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده^٢ ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما وصلت الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر ، وكان ذلك من أول النهار إلى آخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر إلى الملك وأعلموه بما تم لهم ، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ، فأعرض عنهم .

وتحقق محمد ذلك منه ، وصفت له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال له : هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بك قلوب من لا يدخل في الطاعة ، ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال المعجزة واللكنة في تلك المدة : إني رأيت البارحة في منامي وقد نزل بي ملكان من السماء وشقاً فؤادي وغسلاه وحشياه علماً وحكمة وقرآناً، فلما أصبح فعل ذلك، وهو فصل يطول شرحه ، فانقاد له كل صعب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرآن

١ المختار ، ر ن : حضروا .

٢ ن : ومراصدة من يحضر .

في النوم ، فقال له محمد فعجل لنا البشري في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء ؟ فقال له : أما أنت فانك المهدي القائم بأمر الله ، ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ؛ ثم قال : اعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد ، وأبقى من أطاعه ، وشرح ذلك يطول ، وكان غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالف لمحمد ، فلما قتل من قتل علم محمد أن في الباقيين من له أهل وأقارب قتلوا وأنهم لا تطيب قلوبهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك^١ مراكش إليهم ، واعتنام أموالهم ، فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم ، وبالجملة فإن تفصيل هذه الواقعة يطول شرحه ولسنا بصدد ذلك .

وخلاصة الأمر أن محمداً لم يزل حتى جهز جيشاً عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وفيهم عبد المؤمن والونشريسي وأصحابه كلهم ، وأقام هو بالجبل ، فنزل القوم لحصار مراكش ، وأقاموا عليها شهراً ، ثم كسروا كسرة شنيعة ، وهرب من سلم من القتل ، وكان فيمن سلم عبد المؤمن ، وقتل الونشريسي ، وبلغ محمداً الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه إليه ، فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم ، وأن العاقبة حميدة فلا يضحجروا وليعاودوا القتال ، وان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب سجال ، وإنكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون ، وأنتم في مبدأ أمرٍ وهم في آخره ، ومثل هذه الوصايا وأشباهاها ، وهي وصية طويلة .

ثم إنه توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة أربع^٢ وعشرين وخمسة ، ودفن في الجبل ، وقبره هناك مشهور يزار ، وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة ؛ وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وأول ظهوره ودعائه إلى هذا الأمر سنة أربع عشرة وخمسة .

وكان رجلاً ربعةً قضيماً أسمر عظيم الهامة حديد النظر ، وقال صاحب كتاب « المغرب في أخبار أهل المغرب » في حقه :

١ المختار : وبشرهم بالقتال وأن ملك صاحب .

٢ ق : خمس .

آثاره تُنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

قدم في الثرى وهمة في الثريا ، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحياء ،
أغفل المرابطون حله وربطه ، حتى دب ديب الفلق في الغسق ، وترك في
الدنيا دويًا ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لما كان لعزمه فيها بمسلم ، وكان
قوته من غزل أخت له رغيًا في كل يوم بقليل سمن او زيت ، ولم ينتقل عن
هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم إلى كثرة
ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال : من كان يتبعني للدنيا فما له
عندي إلا ما رأى ، ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى . وكان على خول
زيه وبسط وجهه مهيباً منيع الحجاب ، إلا عند مظلمة ، وله رجل مختص
بخدمته والإذن عليه ، وكان له شعر فمن ذلك قوله :

أخذت بأعضادم إذ ناوا وخلفك القوم إذ ودعوا
فم أنت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيراً ما ينشد :

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد
وكان أيضاً يتمثل بقول المتنبي :

إذا غامرت في شرف مرؤم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضاً :

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس ، روى رحمه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بأثم

وبقوله أيضاً :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغامُ

ولم يفتح شيئاً من البلاد ، وإنما قرر القواعد ومهداها ، ورتب الأحوال ووطدها ، وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته .
والهَرغِي : يفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة ، هذه النسبة إلى هَرغَة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، يقال إنها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وتُومَرَت : بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضاً ، وهو اسم بربري .
والونشريسِي : بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى ونشريس ، وهي بليدة^١ بإفريقية من أعمال مجاية بين باجة وقسطنطينة المغرب .
وقين مل : بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ثم ميم مفتوحة ولا م مشددة^٢ .
وقد تقدم الكلام على الجفر في ترجمة عبد المؤمن فليكشف من هناك ؛ والله أعلم .

١ ونشريس : جبل يقع في الجزائر .

٢ تكتب في المصادر المغربية تين ملل ، وهو أصح .

أبو بكر الاخشيدي

أبو بكر محمد بن أبي محمد طُفُج - وتفسيره عبد الرحمن - ابن جُفَّ بن يَلْتِكِين بن فُوران بن فُوريّ ابن خاقان ، الفرغاني الأصل ، صاحب سرير الذهب المنعوت بالإخشيدي ، صاحب مصر والشام والحجاز ؛ أصله من أولاد ملوك فرغانة^٢ .

(209) وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلبوا إليه من فرغانة جماعة كثيرة ، فوصفوا له جُفَّ وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم ، فلما وصلوا إليه بالغ في إكرامهم وأقطعهم قطائع بسُر من رأى ، وقطائع جُفَّ إلى الآن معروفة هناك ولم يزل مقيماً بها ، وجاءته الأولاد ، وتوفي جُفَّ ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل ، وكانت ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

٦٨٩ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (صفحات متفرقة من ج : ٨) والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٤٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٥١ والكندي : ٢٨١ ، ٢٨٦ ، والوافي ٣ : ١٧١ وعبر الذهبي ٢ : ٢٣٩ والشذرات ٢ : ٢٢٧ .

١ مج : قوران بن قوري .

٢ وردت هذه الترجمة في مج ت موجزة كثيراً مختلفة في سياقتها كالأتي : أصله من أولاد ملوك فرغانة وكان أبوه طنج ينوب عن خمارويه أحمد بن طولون المقدم ذكره في ولاية دمشق والشام ، وكان ولده محمد المذكور حازماً شديداً التيقظ في حروبه حسن التدبير مكرماً للأجناد شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره ، حسن السيرة في الرعية ، فلما رأى الإمام القاهر بالله نجابته وشهامته ولاه مصر في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ولقبه بالإخشيدي لكونه من أولاد ملوك فرغانة وهذا اللقب وضع لكل من ملك تلك الجهة كما لقبوا ملك الترك... الخ ؛ فلما مات الراضي وتولى ولده المتقي ضم إليه الشام والحجاز فاتسعت مملكته وعظم شأنه ، وهو أستاذ كافر وفاتك... الخ وهو عم أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج صاحب الرملة الذي مدحه المتنبزي (ثم قصيدة المتنبزي وذكر الولادة والوفاة وضبط بعض الأسماء) .

(210) فخرج أولاده إلى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معاش ، فاتصل طُفُجُ بن جُفِّ بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو إذ ذاك مقيم بديار مصر ، فاستخدمه على ديار مصر ، ثم انحاز طُفُجُ إلى جملة أصحاب إسحاق بن كنداج ، فلم يزل معه إلى أن مات أحمد بن طولون ، وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون - المقدم ذكره^٢ - وبين إسحاق بن كنداج ، ونظر أبو الجيش إلى طُفُجُ بن جُفِّ في جملة أصحاب إسحاق فأعجب به وأخذه من إسحاق وقدمه على جميع من معه ، وقلده دمشق وطبرية ، ولم يزل معه إلى أن قتل أبو الجيش - في تاريخه المقدم ذكره - فرجع طُفُجُ إلى الخليفة المكتفي بالله ، فخلع عليه وعرف له ذلك ، وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن ، فسام طُفُجُ أن يجري في التذلل له مجرى غيره ، فكبرت نفس طُفُجُ عن ذلك ، فأغرى به المكتفي ، فقبض عليه وحبسَه وابنه أبا بكر محمد بن طُفُجُ المذكور ، فتوفي طُفُجُ في السجن .

وبقي ولده أبو بكر بعده محبوساً مدة ، ثم أطلق وخلع عليه ، ولم يزل يرصد العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى أخذ بثأر أبيه هو وأخوه عبيد الله في الوقت الذي قتله فيه الحسين بن حمدان . ثم خرج أبو بكر وأخوه عبيد الله في سنة ست وتسعين ومائتين ، وهرب عبيد الله إلى ابن أبي الساج ، وهرب أبو بكر إلى الشام ، وأقام متغرباً في البادية سنة ، ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري ، فكان أكبر أركانَه .

ومما كبر به اسمه سرِيَّتُهُ إلى النقيب على الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم ، وذلك سنة ست^٣ وثلاثمائة ، وهو يومئذ يتقلد عمَّان وجبال الشراة من قبل تكين المذكور ، وظفره بهم ، وجميء الحاجّ وقد فرغ من أمرهم بأسر من أسره وقتل من قتله وشرد الباقيين . وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امرأة تعرف بمجوز ، فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت

١ ق بر من : فنجع .

٢ ج ٢ : ٢٢١ .

٣ ق : ثمان .

منه ، فأنفذ إليه خلعاً وزيادةً في رزقه .

ولم يزل أبو بكر في صحبة تكين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك ولا حاجة بنا إلى التطويل بذكره ، وسار إلى الرملة فوردت كتب المقتدر إليه بولاية الرملة ، فأقام بها إلى سنة ثمان عشرة ، فوردت كتب المقتدر إليه بولاية دمشق فسار إليها ، ولم يزل بها إلى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ودعي له بها مدة اثنتين وثلثين يوماً ولم يدخلها ، ثم ولي أبو العباس أحمد بن كَيْفَلَخَّغ الوالية الثانية من قبل القاهر أيضاً لتسع خلون من شوال سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ثم أعيد إليها أبو بكر محمد بن الإخشيد من جهة الخليفة الراضي بالله بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر عن الخلافة ، وضم إليه البلاد الشامية والجزرية والحرمين وغير ذلك ، ودخل مصر يوم الأربعاء لسبع^١ بقين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل إنه لم يزل على مصر فقط إلى أن توفي الراضي بالله في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وتولى أخوه المقتفي لأمر الله فضم إليه الشام والحجاز وغير ذلك ، والله أعلم .

ثم إن الراضي لقبه بالإخشيد في شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة وإنما لقبه بذلك لأنه لقب ملوك فرغانة ، وهو من أولادهم - كما سبق ذكره في أول هذه الترجمة - وتفسيره بالعربي ملك الملوك ، وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا اللقب ، كما لقبوا كل من ملك بلاد فارس كسرى^٢ ، وملك الترك خاقان ، وملك الروم قيصر ، وملك الشام هرقل ، وملك اليمن تبع ، وملك الحبشة النجاشي ، وغير ذلك . وقيصر كلمة فرنجية تفسيرها بالعربية شق^٣ عنه وسببه أن أمه ماتت في المخاض فشق بطنها وأخرج ، فسمي قيصر ، وكان يفتخر بذلك على غيره من الملوك ، لأنه لم يخرج من الرحم ، واسمه أغسطس ، وهو أول ملوك الروم ، وقد قيل إنه في السنة الثالثة والأربعين من ملكه ولد المسيح

١ ق : لتسع .

٢ ق : كل من ملك بلاد بهذا اللقب - يعني فارس - كسرى .

عيسى عليه السلام وقيل في السنة السابعة عشرة من ملكه ، فسموا ملوك الروم باسمه ، والله أعلم^١ .

ودعي له إخشيد على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم عليه ؛ وكان ملكاً حازماً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته ، حسن التدبير ، مكرماً للجنود شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره ؛ وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه « عيون السير » ان جيشه كان يحتوي على أربعمائة ألف رجل ، وأنه كان جباناً ، وكان له ثمانية آلاف مملوك يجرسه في كل ليلة ألفان منهم ، ويوكل بجانب خيمته الخدم إذا سافر ، ثم لا يثق حق يمضي إلى خيم الفراشين فينام فيها .

ولم يزل على مملكته وسعاده إلى أن توفي في الساعة الرابعة من يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بدمشق ، وحمل تابوته إلى بيت المقدس فدفن به ؛ وقال أبو الحسين الرازي : توفي في سنة خمس وثلاثين ، والله أعلم ؛ وكادت ولادته يوم الاثنين منتصف شهر رجب من سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد ، بشارع باب الكوفة ، رحمه الله تعالى .

وهو أستاذ كافور الإخشيدي وفاتك المهنون - وقد تقدم ذكر كل واحد منها في ترجمة مستقلة في هذا الكتاب^٢ .

ثم قام كافور المذكور بتربية ابني مخدومه أحسن قيام ، وهما أبو القاسم أنوجور وأبو الحسن علي ، كما تقدم شرحه في ترجمة كافور فأغنى عن إعادته هاهنا ، فقد ذكرت هناك تاريخ مولد كل واحد منها ، ومدة ولايته وتاريخ وفاته ، على سبيل الاختصار ، واستوفيت حديث كافور وما كان منه إلى حين وفاته ، وأن الجند أقاموا بعده أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد المذكور ، وأحلت بقية الكلام في ذلك على ذكره في هذه الترجمة ؛ وكان عمر أبي الفوارس أحمد يوم ذاك إحدى عشرة سنة .

١ زاد هنا في المختار : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكذلك يرمك اسم لكل من يلي النهار الذي كان يبلغ وهو بيت النار الذي كان ألهة المجوس » .

٢ انظر ج ٤ : ٢١ ، ٩٤ .

(211) وجملوا خليفته في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج
ابن جف ، وهو ابن عم أبيه ، وكان صاحب الرملة من بلاد الشام ، وهو الذي
مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها :

أنا لآثمٍ إن كنتُ وقتَ اللوائِمِ علمتُ بما بي بين تلك المعالمِ
وقال في مخلصها :

إذا صلّتُ لم أترك مَصالا لفاتكِ وإن قلتُ لم أترك مقالا لعالمِ
وإلا فخانتي القوافي وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائمِ
وما أحسن قوله فيها :

أرى دون ما بين القرات وبرقة ضراباً يمشي الخيل فوق المهاجمِ
وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيّاتِ قبل المعاصمِ
حمته على الأعداء من كل جانبِ سيوفُ بني طنج بن جف القواقمِ
همُ المحسنون الكر في حومة الوغي وأحسنُ منه كرههم في المكارمِ
وهم يُحسنون العفوعن كل مُذنبِ ويَحتملون الغرم عن كل غارمِ
حييئون إلا أنهم في نزالهم أقل حياء من شفار الصوارمِ
ولولا احتقارُ الأسد شبهتها بهم ولكنها معدودة في البهائمِ
ومنها :

كريم نفضت الناس لما بلغته كأنهم ما جفّ من زاد قادمِ
وكاد سروري لا يفي بندا متي على تركه في عمري المتقادمِ

وهي قصيدة طويلة من غرر القصائد .

ولما تقرر الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله ابنة عمه الإخشيد ،
ودعوا له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن علي وهو بالشام ، واستمر الحال

على ذلك إلى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة ، ودخل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد جوهر المغربي
- المقدم ذكره^١ - وانقرضت الدولة الإخشيدية ، وكانت مدتها أربعاً وثلاثين
سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً .

وكان قد قدم ابن عبيد الله من الشام منهزماً من القرامطة لما استولوا على
الشام ودخل على ابنة عمه التي تزوجها وحكم وتصرف ، وقبض على الوزير جعفر
ابن الفرات وصادره وعذبه ، ثم سار إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . ولما سير القائد جوهر المغربي جعفر بن فلاح إلى
الشام ، وملك البلاد حسبما شرحته في ترجمته ، أسر جعفر بن فلاح أبا محمد ابن
عبيد الله ، وسيره إلى مصر مع جماعة من أمراء الشام إلى القائد جوهر ، ودخلوا
مصر في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، وكان ابن عبيد الله قد أساء إلى أهل
مصر في مدة ولايته عليهم فلما وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفاً مشهورين مقدار
سبع^٢ ساعات ، والناس ينظرون إليهم ، وشميت بهم من في نفسه منهم شيء ،
ثم أنزلوا في مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين . وفي السابع عشر من
جمادى الأولى أرسل القائد جوهر ولده جعفرأ إلى مولاه المعز ، ومعه هدايا
عظيمة تجل عن الوصف ، وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام ، وفيهم
ابن عبيد الله ، وحملوا في مركب بالنيل ، وجوهر واقف ينظر إليهم ، فانقلب
المركب ، فصاح ابن عبيد الله على القائد^٣ جوهر : يا أبا الحسن ، أتريد أن
تفرقنا ؟ فاعتذر إليه وأظهر التوجع له ، ثم نقلوا إلى مركب آخر ، وكانوا
مقيدين ، فلم أقف لهم بعدها على خير ، والله أعلم .

ثم وجدت بعدها في تاريخ العتقي أن الحسن المذكور توفي ليلة الجمعة لعشر
بقيين من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز نزار بن المعز
المذكور في القصر بالقاهرة .

١ ج ١ : ٣٧٥ .

٢ ر ق بر من : خمس .

٣ ر ق بر من : للقائد .

وذكر الفرغاني في تاريخه أن ولادة الحسن المذكور في سنة اثنتي عشرة
وثلاثمائة ، وأنه توفي في التاريخ المذكور ، وأن أبا الفوارس أحمد بن علي المذكور
توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ،
والله أعلم .

والإخشيد : بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة
وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم دال مهملة - وقد تقدم الكلام على تفسير
هذه الكلمة .

وطنج : بضم الطاء المهملة وسكون الفين المعجمة وبعدها جيم .
وجُفَّ : بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة .

ويَلْتَكِينُ : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون اللام وكسر التاء المثناة
من فوقها وبعدها كاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون .
وفُورَان بضم الفاء ، وفوري بضم الفاء .

(212) وأما تكين المذكور فإنه ولي مصر ثلاث مرات ، وتوفي بها في المرة
الثالثة يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى
وعشرين وثلاثمائة وتولاها بعده أبو بكر الإخشيد كما تقدم ذكره .

(213) وأما أحمد بن كَيْغَلَخ فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ
دمشق » في ترجمة مستقلة^٣ وذكر ولايته مصر وقال : وجرت بينه وبين محمد بن
تكين الخاصة حروب إلى أن خلاص الأمر له ، ثم قدم محمد بن طُنْج أميراً على
مصر من قبل الراضي فسلم إليه مصر ، وكان أحمد أديباً شاعراً ، ومن شعره :

لا يكن للكاس في كفك نك يوم الغيث لبثُ
أوما تعلم أن ال غيث ساق مستحث

ومن شعره أيضاً :

١ قر ن بر من : ثم ذال معجمة .

٢ مج : وقوران وقوري بالفت في الكيف عنهما فلم أجد من يحقق ضبطهما .

٣ تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٤٠ .

واعطشا إلى فم يمج خمرأ من برد
إن قسم الناس فحس بي بك من كل أحد

(214) ثم قال : ومات أخوه إبراهيم بن كيغلغ في مستهل ذي القعدة سنة
ثلاث وثلثمائة .

(215) وابنه إسحاق بن إبراهيم هو الذي كان بطرابلس ، وعاقبها أبا
الطيب المتنبي لما قدمها من الرملة يريد أنطاكية ليمدحه فلم يفعل ، وهجاه
بقصيدته التي أولها^١ :

لهوى القلوب سريرة لا تعلم عرضاً نظرتُ وخلتُ أني أسلمُ

ثم راح من عنده فبلغه موته مجبلة فقال^٢ :

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم هذا الدواء الذي يشفي من الحقـ

وهذه القصيدة والتي قبلها موجودتان في ديوانه ، فلذلك تركنا ذكرهما ،

وله فيه أيضاً غير ذلك من الهجاء ، تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين .

٦٩٠

طغرلبك

أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب ركن الدين طغرلبك
أول ملوك السلجوقية ؛ كان هؤلاء القوم قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما

١ ديوان المتنبي : ٢١٧ .

٢ ديوان المتنبي : ٢٢١ .

٦٩٠ - أخباره في تاريخ ابن الأثير وأخبار الدولة السلجوقية ونصرة الفترة والنجوم الزاهرة وانظر

المنتظم ٨ : ٢٣٣ والوافي ٥ : ٢٥ وعبر الذهبي ٣ : ٢٣٥ والشذرات ٣ : ٢٩٤ .

وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخاً ، وهم أتراك^١ ،
وكانوا عدداً يجيل عن الحصر والإحصاء ، وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان ،
وإذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال فلا يصل إليهم
أحد ، فلما عبر السلطان محمود بن سبكتكين إلى ما وراء النهر - وكان سلطان
خراسان وغزنة وتلك النواحي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وجد
زعيم بني سلجوق قوي الشوكة كثير العدة ، يتصرف في أمره على الخاتلة
والمراوغة وينتقل من أرض إلى غيرها ويغير في أثناء ذلك على تلك البلاد ،
فاستاله وجذبه ، ولم يزل يخدعه حتى أقدمه إليه ، فأمسكه وحمله إلى بعض
القلاع واعتقله^٢ ، وخرج في أعمال الخيلة في تدبير أمر أصحابه ، واستشار
أعيان دولته في شأنهم ، فمنهم من أشار بإغراقهم في نهر جيحون ، وأشار
آخرون بقطع إبهام كل رجل منهم ليتعذر عليهم الرمي والعمل بالسلاح ،
واختلفت الآراء في ذلك ، وآخر ما وقع الاتفاق عليه أن يعبر بهم جيحون
إلى أرض خراسان ويفرقهم في النواحي ، ويضع عليهم الخراج ، ففعل ذلك ،
فدخلوا في الطاعة واستقاموا ، وأقاموا على تلك الحالة مدة ، فطمع فيهم
العمال وظالموهم وامتدت إليهم أيدي الناس وتهضموا جانبهم وأخذوا من أموالهم
ومواشيهم ، فانفصل منهم ألفا بيت ، ومضوا إلى بلاد كرمان ، وملكها
يومئذ الأمير أبو الفوارس ابن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، فأقبل عليهم
وخلع على وجوههم ، وعزم على استخدامهم فلم يستموا عشرة أيام حتى مات
أبو الفوارس ، وخافوا من الدائم ، وهم أهل ذلك الإقليم ، فبادروا إلى قصد
أصبهان ونزلوا بظاهرها ، وصاحبها علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه ، فرغب
في استخدامهم ، فكتب إليه السلطان محمود يأمره بالإيقاع بهم ونهبهم ، فتواقفوا

١ وهم أتراك : سقطت من أكثر النسخ .

٢ اختلف النص هنا في مج ، إذ جاء فيه : « فر على أحياء هذه القبيلة وخركاواتها فاستكثر حاشيتها
ولاستعظم ماشيتها وتخوف مغرتها وخشي مضرتها ، فاستدعى مقدمها واستماله ولم يزل يخدعه
حتى أقدمه عليه وأمسكه وحمله .

٣ واعتقله : سقطت من ق ر ن بر من .

وقتل من الطائفتين جماعة ، وقصد الباقون أذربيجان وانحاز الذين بخراسان إلى جبل قريب من خوارزم ، فجرد السلطان محمود جيشاً وأرسله في طلبهم ، فقتبهم في تلك المفاوز مقدار سنتين ، ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل في أثرهم حتى شردهم وشتتهم .

ثم توفي محمود عقيب ذلك - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - وقام بالأمر بعده ولده مسعود ، فاحتاج إلى الاستظهار بالجيوش ، فكتب إلى الطائفة التي بأذربيجان لتتوجه إليه ، فجاءه منهم ألف فارس ، فاستخدمهم ومضى بهم إلى خراسان ، فسألوه في أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود ، فراسلهم وشرط عليهم لزوم الطاعة ، فأجابوه إلى ذلك وأمنهم ، وحضروا إليه ورتبهم على ما كان والده قد رتبهم أولاً ، ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه ، فخلت لهم البلاد وعادوا إلى الفساد ، وبالجملة فإن الشرح في هذا يطول .

وجرى هذا كله والسلطان طغرل بك المذكور وأخوه داود ليسا معهم ، بل كانا في موضعهم من نواحي ما وراء النهر ، وجرت بينها وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابها ، ودعت حاجتها إلى اللحاق بأصحابها الذين بخراسان فكتبوا مسعوداً وسألوه الأمان والاستخدام ، فحبس الرسل وجرد جيوشاً لمواقعة من بخراسان منهم ، فكانت مقتلة عظيمة ، ثم إنهم اعتذروا إلى مسعود وبدلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها ، فطيب قلوبهم وأفرج عن الرسل الواصلين من جهة ما وراء النهر وسألوه أن يفرج عن زعيمهم الذي اعتقله أبوه محمود في أول الأمر ، فأجابهم إلى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة ، وحمل إلى بلخ مقيداً فاستأذن مسعوداً في مراسلة ابني أخيه طغرل بك وداود - المقدم ذكرهما - فأذن له ، فراسلها . وحاصل الأمر أنها وصلا إلى خراسان ومعها أيضاً جيش كبير ، فاجتمع الجميع ، وجرت لهم مع ولاة خراسان ونواب مسعود في البلاد أسباب يطول شرحها .

وخلاصة الأمر أنهم استظهروا عليهم وظفروا بهم ، وأول شيء ملكوه من البلاد طوس ، وقيل الري ، وكان تملكهم في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم

بعد ذلك بقليل ملكوا نيسابور ، إحدى قواعد خراسان ، في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وكان السلطان طغرليك المذكور كبيرهم ، وإليه الأمر والنهي في السلطنة ، وأخذ أخوه داود المذكور مدينة بلخ ، وهو والد ألب أرسلان - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد ، وانحاز مسعود إلى غزنة وتلك النواحي ، وكانوا يخطبون له في أول الأمر ، وعظم شأنهم إلى أن راسلهم الإمام القائم بأمر الله ، وكان الرسول الذي أرسله إليهم القاضي أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، مصنف « الحاوي » في الفقه - وقد تقدم ذكره - ثم ملك بغداد والعراق ، في سادس عشر شهر رمضان المعظم ، سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وأوصاهم بتقوى الله تعالى والعدل في الرعية والرفق بهم وبث الإحسان إلى الناس .

وكان طغرليك حليماً كريماً محافظاً على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة ، وكان يصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقات ويبني المساجد ، ويقول : أستحي من الله سبحانه وتعالى أن أبنّي لي داراً ولا أبنّي إلى جانبها مسجداً . ومن محاسنه المسطورة أنه سير الشريف ناصر بن إسماعيل رسولاً إلى ملكة الروم ، وكانت إذ ذاك امرأة كافرة ، فاستأذنها الشريف في الصلاة بجامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة ، فأذنت له في ذلك ، فصلّى وخطب للإمام القائم ، وكان رسول المستنصر الصبيدي صاحب مصر حاضراً فأنكر ذلك ، وكان من أكبر الأسباب في فساد الحال بين المصريين والروم .

ولما تمهدت له البلاد وملك العراق وبغداد ، سير إلى الإمام القائم وخطب ابنته ، فشق على القائم ذلك واستعفى منه ، وترددت الرسل بينها ، ذكر ذلك في « الشذور » سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، فلم يجد من ذلك بدأ فزوجه بها ، وعقد العقد بظاهر مدينة تبريز ، ثم توجه إلى بغداد في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ولما دخلها سير طلب الزفاف وحل مائة ألف دينار برسم حمل القماش ونقله ، فزفت إليه ليلة الاثنين خامس عشر صفر بدار الملكة ، وجلست على سرير ملبس بالذهب ، ودخل إليها السلطان فقبل الأرض بين يديها ولم يكشف

البرقع عن وجهها في ذلك الوقت ، وقدم لها تحفاً يقصر الوصف عن ضبطها ،
وقبل الأرض وخدم وانصرف وظهر عليه سرور عظيم^١ .

وبالجملة فأخبار الدولة السلجوقية كثيرة ، وقد اعتنى بها جماعة من المؤرخين
وألفوا فيها تأليف اشتملت على تفاصيل أمرهم ، وما قصدت من الإتيان بهذه
النبذة إلا التنبيه على مبدإ حالهم ، ليكشف جلية ذلك من يروم الوقوف عليه .
وتوفي طغرل بك المذكور يوم الجمعة ثامن شهر رمضان المعظم سنة خمس وخمسين
وأربعمائة بالري ، وعمره سبعون سنة ، ونقل إلى مرو ودفن عند قبر أخيه
داود - وسيأتي ذكره في ترجمة ولده ألب أرسلان ، إن شاء الله تعالى - وقال
ابن الهمداني في تاريخه : إنه دفن بالري في تربة هناك^٢ ، وكذا قال السمعي في
« الذيل »^٣ ، في ترجمة السلطان سنجر المقدم ذكره .

وحكى وزيره محمد بن منصور الكندري - الآتي ذكره^٤ - عنه أنه قال :
رأيت وأنا بخرسان في المنام كأنني رفعت إلى السماء ، وأنا في ضباب لا أبصر معه
شيئاً غير أني أشم رائحة طيبة ، وإذا ببنادٍ ينادي : أنت قريب من الباري
جلت قدرته ، فاسأل حاجتك لتقضى ، فقلت في نفسي : أسأل طول العمر ،
فقيل لك سبعون سنة ، فقلت : يا رب لا تكفيني ، فقيل لك سبعون سنة ،
فقلت : لا تكفيني ، فقيل لك سبعون سنة ، ذكر هذا شيخنا ابن الأثير
في تاريخه^٥ .

ولما حضرته الوفاة قال : إنما مثلي مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف ، فتظن
أنها تذبج فتضطرب ، حتى إذا أطلقت تفرح ، ثم تشد للذبج فتظن أنه لجز
الصوف فتسكن فتذبج ، وهذا المرض الذي أنا فيه هو شد القوائم للذبج ، فمات
منه ، رحمه الله تعالى ؛ ولم تقم بنت الإمام القائم في صحبته إلا مقدار ستة أشهر .

١ جاءت هذه الفقرة بإيجاز شديد في مع ت ؛ ر ن من بر : السرور .

٢ ق : تربة والده هناك .

٣ ق ن ر : المذيل .

٤ في النسخ : المقدم ذكره .

٥ ابن الأثير ١٠ : ٢٦ .

ولم يخلف ولدأ ذكراً ، فانتقل ملكه إلى ابن أخيه ألب أرسلان حسبما شرح في ترجمته . وماتت زوجته ابنة القائم في سنة ست وتسعين وأربعمائة ، في سادس المحرم .

وطُغْرُنبَك : بضم الطاء المهملة وسكون الفين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف ، وهو اسم علم تركي مركب من طغرل وهو اسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم ، وبه سمي الرجل ، وبك معناه الأمير .

وسَلْجُوق : بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف .

ودُقَاق : بضم الدال المهملة وبين القافين ألف ساكنة .

وجِيحُون : بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون ، وهو النهر العظيم الفاصل ما بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وتلك البلاد ، فكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر ، والمراد بالنهر هو النهر المذكور ، وهو أحد أنهار الجنة الذي جاء ذكره في الحديث أنه يخرج منها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فالظاهران : النيل والفرات ، والباطنان : سيحون وجيحون .

وسِيحُون : بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون ، وهو وراء جيحون فيما يلي بلاد الترك ، وبينها مسافة خمسة وعشرين يوماً ، وهذان النهران مع عظمها وسعة عرضها يجمدان في زمن الشتاء ، وتمبر القوافل عليها بدوابهما وأثقالهما ويقيان كذلك مقدار ثلاثة أشهر .

وهذا كله وإن كان خارجاً عن مقصودنا لكنه متعلق بما نحن فيه ، فانتشر الكلام ، وما يخلو من فائدة يقف عليها من كان يتوقها من بعدت بلاده ولا يعرف صورة الحال .

ألب أرسلان

أبو شجاع محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دُقَاق ، الملقب عضد الدولة ألب أرسلان ، وهو ابن أخي السلطان طُغْرُلْبِك - المقدم ذكره - وقد تقدم في ترجمة طُغْرُلْبِك طرف من أخبار والده داود المذكور . ولما مات السلطان طغرلبك - في التاريخ المذكور في ترجمته - نص على تولية الأمر لسليمان بن داود أخي ألب أرسلان المذكور ، ولم ينص عليه إلا لأن أمه كانت عنده فتبع هواها في ولدها ، فقام سليمان بالأمر وثار عليه أخوه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلش ، وجرت بينهم خطوب فلم يتم لسليمان الأمر ، وكانت النصرة لأخيه ألب أرسلان .

فاستولى على الممالك ، وعظمت مملكته ورهبت سطوته ، وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طُغْرُلْبِك مع سعة ملك عمه ، وقصد بلاد الشام فانتهى إلى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما ، فقال ألب أرسلان : لا بد له من دوس بساطي ، فخرج إليه محمود ليلاً ومعه أمه ، فتلقاها بالجبل وخلع عليها وأعادها إلى البلد ورحل عنها .

وقال الأماموني في تاريخه : قيل إنه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان ، فانه أول من عبرها من ملوك الترك . ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك ، وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون ، فمد على جيحون - النهر المقدم ذكره - جسراً وأقام العسكر

٦٩١ - ترجمته في المصادر التاريخية المذكورة في الترجمة السابقة ، وانظر الوافي ٢ : ٣٠٨ والمنظم

٨ : ٢٧٩ والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٨ والشذرات ٣ : ٣١٨ .

١ كذا هو في المختار وقربر من ، وسقط النص من مج ت .

يعبر عليه شهراً ، وعبر هو بنفسه أيضاً ، ومد السماط في بليدة يقال لها « فرير »
ولتلك البليدة حصن على شاطئ جيجون ، في السادس من شهر ربيع الأول ،
سنة خمس وستين وأربعمائة ، فأحضر إليه أصحابه مستحفظ الحصن ، ويقال
له يوسف الخوارزمي ، وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن ، فحمل إليه
مقيداً ، فلما قرب منه أمر أن تضرب^٢ أربعة أوتاد لتشد أطرافه الأربعة إليها
ويعذبه ثم يقتله ، فقال يوسف المذكور : ومثلي يفعل به هذه المثلة ؟ فغضب
ألب أرسلان وأخذ قوسه وجعل فيها سهماً ، وأمر بحمل قيده ورماه فأخطأه
وكان مُدلاً برميته ، وكان جالساً على سريره ، فنزل عنه فعمز ووقع على وجهه ،
فبادره يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته ، فوثب عليه
فراش أرمني فضربه في رأسه بمرزبة فقتله ، فانتقل ألب أرسلان إلى خيمة أخرى
مجروحاً ، فأحضر وزيره نظام الملك أبا علي الحسن - المذكور في حرف الحاء^٣ -
وأوصى به إليه ، وجعل ولده ملك شاه ولي عهده - وسيأتي ذكره إن شاء
الله تعالى .

ثم توفي يوم السبت عاشر الشهر المذكور ، وكانت ولادته سنة أربع وعشرين
وأربعمائة ، وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهرًا ، ونقل إلى مرو ودفن عند
قبر أبيه داود وعمه طغرل بك ، ولم يدخل بغداد ولا رآها ، مع أنها كانت
داخلة في ملكه ، وهو الذي بنى على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً ، وبنى ببغداد
مدرسة أفتق عليها أموالاً عظيمة ؛ وذكر في كتاب « زبدة التواريخ » أنه
جرح يوم السبت ، سلخ شهر ربيع الأول سنة خمس وستين ، وعاش بعد
الجراحة ثلاثة أيام ، والله أعلم .

وقد تقدم ذكر أبيه ، وأنه كان صاحب بلكخ ، وتوفي بها في رجب سنة
إحدى وخمسين ، وقيل سنة خمسين وأربعمائة ، ونقل إلى مرو ودفن بها ، وقيل
إنه توفي بمرو ، والله أعلم بالصواب ، وقيل توفي في صفر سنة اثنتين وخمسين

١. ت مج : مستحفظ قلعة يقال له .

٢. إلى هنا تنتهي النسخة ت وقد سقطت منها أوراق كثيرة .

٣. ج ٢ : ١٢٨ .

وأربعائة ، ودفن بمدرسة مرو ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم ذكر ولده تتش في حرف التاء .

وألب أرسلان : بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة ، وبقيّة الاسم معروفة فلا حاجة إلى تفسيرها ، وهو اسم تركي معناه شجاع أسد ، فألب شجاع ، وأرسلان أسد .

(216) وأما شهاب الدولة قتلش بن إسرائيل بن سلجوق ، فإنه والد سليمان ابن قتلش جد الملوك أصحاب الروم إلى الآن ، وكان له حصون وقلاع من جملتها كردكوه وغيرها من عراق العجم ، وعصى على ابن أخيه ألب أرسلان المذكور وحاربه بالقرب من الري ، فلما انجلى الأمر وجد قتلش ميتاً لا يدري كيف كان موته ، وذلك في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعائة ، قيل إنه مات من الخوف ، فشق ذلك على ألب أرسلان ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٦٩٢

محمد بن ملكشاه السلجوقي

أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان المذكور قبله ، الملقب غياث الدين ، وقد تقدم في ترجمة جده تمة نسبة فلا حاجة إلى الإعادة .

ولما توفي والده ملكشاه اقتسم مملكته أولاده الثلاثة ، وهم بركياروق وسنجر - وقد تقدم ذكرهما - ومحمد المذكور ، ولم يكن لمحمد وسنجر ، وهما من أم واحدة ، مع وجود بركياروق حديث ، لأنه كان السلطان المشار إليه ، وهما كالأتباع له ، ثم اختلف محمد وبركياروق ، فدخل محمد المذكور وأخوه سنجر إلى بغداد ، وخلع عليها الإمام المستظهر بالله ، وكان محمد قد التمس من

٦٩٢ - انظر المصادر التاريخية السابقة وراجع المنتظم ٩ : ١٩٦ والنجوم ٥ : ٢١٤ وعبر الذهبي

٤ : ٢٣ والشذرات ٤ : ٣٠ ، ولم يقف صاحب المختار عند هذه الترجمة .

أمير المؤمنين أن يجلس له ولأخيه سنجر ، فأجيب إلى ذلك ، وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب المناصب وأتباعهم وجلس أمير المؤمنين على سُدَّتِهِ ، ووقف سيف الدولة صدقة بن مزيد صاحب الحلة عن يمين السدة ، وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسه العمامة وبين يديه القضيبي ، وأفيض على محمد الخلع السبع التي جرت عادة السلاطين بها ، وألبس الطوق والتاج والسوارين ، وعقد له الخليفة اللواء بيده وقلده سيفين ، وأعطاه خمسة أفراس براكبها ، وخلع على أخيه سنجر خلعة أمثاله ، وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد كجاري عادتهم في ذلك الزمان وتركوا الخطبة لبركياروق لسبب اقتضى ذلك ، ولا حاجة إلى شرحه لطوله ، قال محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه : وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وقال صاحب تاريخ السلجوقية : أقيمت الخطبة ببغداد للسلطان محمد في سابع عشر ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ووافقه على ذلك غيره ؛ ثم قال الهمداني : وكان من الاتفاق العجيب أن خطيب جامع القصر ببغداد لما بلغ إلى الدعاء للسلطان بركياروق ، وأراد أن يذكره ، سبق لسانه للسلطان محمد ودعا له ، فأتى أصحاب بركياروق وشنعوا بما جرى في الديوان العزيز ، فعزل الخطيب لهذا السبب ورتبوا ولده موضعه ، فلم تتأخر خطبة السلطان محمد عن هذه الواقعة إلا أياماً قلائل ، وكان ذلك فالاً للسلطان محمد ، وأما بركياروق فإنه كان مريضاً والمخدر إلى واسط ، ثم قوي أمره واستظهر ، وجرى بينه وبين أخيه محمد مضاف على الري ، وانكسر محمد ، وبالجملة فإن شرح ذلك يطول .

وكان السلطان محمد المذكور رجل الملوك السلجوقية وفحلهم ، وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة ، والمعدلة الشاملة ، والسهل للفقراء والأيتام ، والحرب للطائفة الملحذة والنظر في أمور الرعية .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وذكر أنه وصل إليها في تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ورحل عنها متوجهاً إلى الموصل في ثاني عشر الشهر المذكور ، ثم قال : ووجدت في كتاب ذكره الإمام أبو حامد الغزالي في مخاطبته السلطان محمد بن ملكشاه : اعلم يا سلطان

العالم أن بني آدم طائفتان : طائفة غفلاء نظروا إلى مُشاهد حال الدنيا ، وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ، ولم يتفكروا في النفس الأخير ، وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم ، لينظروا إلى ماذا يكون مصيرهم ، وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم ، وما الذي ينزل من الدنيا في قبورهم ، وما الذي يتركون لأعاديهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله .

ثم إن السلطان محمداً استقل بالممالك بعد موت أخيه بركياروق - في التاريخ المذكور في ترجمته - ولم يبق له منازع وصفت له الدنيا ، وأقام على ذلك مدة ، ثم مرض زماناً طويلاً ، وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسة مائة بمدينة أصفهان ، وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وهو مدفون بأصفهان في مدرسة عظيمة ، وهي موقوفة على الطائفة الحنفية ، وليس بأصفهان مدرسة مثلها . ولما أيس من نفسه أحضر ولده محمداً - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقبله وبكى كل واحد منها ، وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس ، فقال لوالده : إنه يوم غير مبارك ، يعني من طريق النجوم ، فقال : صدقت ، ولكن على أبيك ، وأما عليك فمبارك بالسلطنة . فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين ، ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر وأصناف الأموال والدواب وغير ذلك مما يطول شرحه ، رحمه الله تعالى ؛ وسيأتي ذكر والده في هذا الحرف ، إن شاء الله تعالى .

(217) وتزوج الإمام المقتفي لأمر الله فاطمة ابنة السلطان محمد المذكور ، وكان الوكيل في قبول النكاح الوزير شرف الدين أبا القاسم علي ابن طراد الزينبي ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وخمسة مائة ، وحضر أخوها مسعود العقد ، ونقلت فاطمة ابنة السلطان المذكورة إلى دار الخلافة للزفاف سنة أربع وثلاثين ، ويقال إنها كانت تقرأ وتكتب ، ولها التدبير الصائب ، وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون ، وتوفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع

١ ق : حياته .

٢ ق : ودخلت .

الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسة ، ودفنت بالرصافة ، رحمها الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

٦٩٣

الملك العادل ابن أيوب

أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، الملقب بالملك العادل سيف الدين ، أخو السلطان صلاح الدين ، رحمها الله تعالى - وقد تقدم ذكر والده في حرف الهمزة ، وسيأتي ذكر أخيه صلاح الدين في حرف الياء إن شاء الله تعالى ؛ وكان الملك العادل قد وصل إلى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه - المقدم ذكره - وكان يقول : لما عزمنا على المسير إلى مصر احتجت إلى حرمدان ، فطلبت من والدي فأعطاني وقال : يا أبا بكر إذا ملككم مصر أعطني ملته ذهباً ، فلما جاء إلى مصر قال : يا أبا بكر أين الحرمدان ؟ فرحت وملأته من الدراهم السود وجعلت أعلاها شيئاً من الذهب وأحضرتة إليه ، فلما رآه اعتقده ذهباً ، فقلبه فظهرت الفضة السوداء ، فقال : يا أبا بكر ، تعلمت من زغل المصريين .

ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه في حال غيبته في الشام ويستدعي منه الأموال للإنفاق في الجند وغيرهم ، ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن المحمول تأخرت مدة ، فتقدم السلطان إلى العماد الأصبهاني أن يكتب إلى أخيه الملك العادل يستحثه على إقضاها حتى قال : يسر لنا الحمل من مالنا أو من ماله ؛ فلما وصل الكتاب إليه ووقف على هذا الفصل شق عليه ،

٦٩٣ - أخباره في تاريخ ابن الأثير ومفرج الكروب والسلوك وابن اياس ١ : ٧٥ ومرآة الزمان :

٥٩٤ وذيل الروضتين : ١١١ والشذرات ٥ : ٦٥ والوافي ٢ : ٢٣٥ والنجوم ٦ : ١٦٠

وعبر الذهبي ٥ : ٥٨ .

١ - ج ١ : ٢٥٥ ، ٢٦٠ .

وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك ، فكتب القاضي الفاضل جوابه ، وفي جملته : « وأما ما ذكره المولى من قوله يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله ، فتلك لفظة ما المقصود بها من المالك النجعة ، وإنما المقصود بها من الكتائب السجعة ، وكَم من لفظة فظة ، وكلمة فيها غلظة ، جبرت عي الأقلام ، وسدّت خلل الكلام ، وعلى المملوك الضمان في هذه النكته ، وقد فات لسان القلم منها أي سكتة ، وكان المملوك حاضراً وقد خرجت قوارع الاستحاث ، وصرصر البازي وقوة نفس العماد قوة نفس البغاث ، والسلام » .

ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسةائة - كما تقدم في ترجمة عماد الدين زكي - أعطاهما لولده الملك الظاهر غازي - المقدم ذكره - ثم أخذها منه وأعطاهما للملك العادل ، فانتقل إليها وقصد قلعها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي ابن السلطان - المقدم ذكره - لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين ، وخرج منها في سنة اثنتين وثمانين وخمسةائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك ، وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته ؛ وقضاه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك الظاهر ، فلا حاجة إلى الإطالة بشرحها ؛ وآخر الأمر أنه استقل بمملكة الديار المصرية ، وكان دخوله القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسةائة ، واستقرت له القواعد .

وقال أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزري ما مثاله : وجدت بخطه « خطب للملك العادل أبي بكر ابن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسةائة ، وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسةائة . وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ، ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستائة ، وسير إليها

١ انظر ج ٢ : ٣٢٧ .

٢ ن ر ق بر من : وصعد .

ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطيس ابن الملك الكامل - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - .
وكان ولده الملك الأوحده نجم الدين أيوب ينوب عنه في ميسافارقين وتلك النواحي، فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية واتسعت مملكته ، وذلك في سنة أربع وستائة .

ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده ، فأعطى الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية ، والملك الأشرف البلاد الشرقية ، والأوحده في المواضع التي ذكرناها .

وكان ملكاً عظيماً ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب ، حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل ، حازماً في الأمور صالحاً محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، متبعاً لأرباب السنة مائلاً إلى العلماء ، حتى صنف له فخر الدين الرازي كتاب « تأسيس التقديس » وذكر اسمه في خطبته وسيره إليه من بلاد خراسان وبالجملة فإنه كان رجلاً مسعوداً ، ومن سعاده أنه خلف أولاداً لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلوهمتهم ، ودانت لهم العباد وملكوا خياراً البلاد ، ولما مدح ابن عنين - المقدم ذكره^٢ - الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها في ترجمته جاء منها في مديح أولاده المذكورين قوله^٣ :

وله البنونَ بكلِّ أرضٍ منهمُ ملكٌ يقود إلى الأعادي عسكرا
من كلِّ وضاح الجبين تحاله بدرأ ، وإن شهد الوغى ففضنفرأ

١ ق : خير .

٢ انظر ما تقدم ج ٥ : ١٤ .

٣ ديوان ابن عنين : ٧ ؛ وعلق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : أخبرني والدي قدس الله روحه أن ابن عنين لما كان ينشد هذه القصيدة بين يدي الملك العادل ووصل إلى هذا البيت « وله البنون... » قال له ولده الملك المعظم : يا خوند ، قصد بقوله « يقود » القيادة ، وذلك في حالة المجون ، فقال له الملك العادل : ما ترى في ما يقوله يا ابن عنين ، فأنكر ثم أقسم عليه فقال : هذا أردت ، فضحكوا من ذلك » .

متقدمٌ حتى إذا النقعُ انجلى بالبيض عن سي الحرِيمِ تأخرا
 قوم زكوا أصلاً وطابوا محتداً وتدفقوا جوداً وراقوا منظرا
 وتعافُ خيلهم الورودُ بمنهلٍ ما لم يكن بدم الوقائع أجرا
 يعيشو إلى نار الوغى شغفاً بها ويحل أن يعيشو إلى نار القرى

وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة ، لكن ذكرت هذه لكونها جامعة
 لجميعهم ، ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه :

العادل الملك الذي أسماؤه في كل ناحية تشرف منبراً
 وبكل أرض جنة من عدله الص ما في أسال نداه فيها كوثرأ
 عدل بيت الذئب منه على الطوى غرثان وهو يرى الغزال الأعفرا
 ما في أبي بكر لمعتقد الهدى شك يريبُ بأنه خير الورى
 سيف صقال المجد أخلص منته وأبان طيبُ الأصل منه الجوهرأ
 ما مدحه بالمستعار له ولا آيات سؤده حديث يفترأ
 بين الملوك الغابرين وبينه في الفضل ما بين الثريا والثرى
 نسخت خلائقه الحميدة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
 ملك إذا خفت حلوم ذوي النهى في الروع زاد رصانةً وتوقراً
 ثبت الجنان تراع من وثباته ووثباته يوم الوغى أسدُ الشرى
 لفظٌ يكاد يقول عما في غد بديهة أغنته أن يتفكرا
 حلم تخف له الحلوم وراءه رأي وعزم يحقر الإسكندرا
 يعفو عن الذنب العظيم تكرمأ ويصد عن قول الخنا متكبرا
 لا تسمعن حديث ملك غيره يرؤى ، فكل الصيد في جوف الفراء

وبالجملة فإنها من القصائد المختارة .

ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم ، وينتقل إليهم من مملكة إلى

أخرى . وكان في الغالب يصيف بالشام لأجل الفواكه^١ والثلج والمياه الباردة ، ويشقي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد ، وعاش في أرغد عيش ، وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد ، حتى يقال إنه يأكل وحده خروفاً لطيفاً مشوياً ، وكان له في النكاح نصيب وافر ، وحاصل الأمر^٢ أنه كان ممتعاً في دنياه .

وكانت ولادته بدمشق في المحرم سنة أربعين ، وقيل ثمان وثلاثين وخمسة . وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسمائة بعالمين ، ونقل إلى دمشق ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ، ثم نقل إلى مدرسته المعروفة به ودفن في التربة التي بها^٣ ، وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك ، رحمه الله تعالى .

وعالمين : بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضاً وياه مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون ، وهي قرية بظاهر دمشق من الجيدور وكان ذلك عند وصول الفرنج إلى ساحل الشام ، وقصدوا أولاً لقاء الملك العادل ، فتوجه قدامهم إلى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب للقائهم ، فلما وصل إلى الموضع المذكور توفي به ، فحينئذ أعرض جميع الفرنج عن دمشق^٤ ، وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط المشهورة في ذلك التاريخ ، وتاريخها مضبوط في ترجمة يحيى بن منصور المعروف بابن جراح في حرف الياء .

وأطسيس : بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية ، وهي كلمة تركية معناها بالعربية ما له اسم ، ويقال : إنما سمي بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد هذا المسعود المذكور قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك : في بلادنا إذا كان الإنسان لا يعيش له ولد سماه أطسيس ، فسماه أطسيس^٥ ، والناس يقولون

١ ر : الفاكهة . ٢ ر ق : وحاصل ذلك .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في مج .

٤ ق ر : دمشق والشام .

٥ ق : بذلك ؛ المختار : ذلك .

أقسيس بالقاف ، وصوابه^١ بالطاء ، كذا قالوا والله أعلم .
ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب محرراً ، وهو أن عماد الدين زنكي نزل من
قلعتها يوم الخميس الثاني والعشرين من صفر ، وصعد صلاح الدين إليها يوم الاثنين
السادس^٢ والعشرين من صفر المذكور ، والله أعلم .

٦٩٤

الملك الكامل الايوبي

أبو المعالي محمد ، ابن الملك العادل المذكور ، الملقب بالملك الكامل ناصر الدين ،
قد سبق في ترجمة والده طرف من خبره ؛ ولما وصل الفرنج إلى دمياط - كما
تقدم ذكره - كان الملك الكامل في مبدأ استقلاله بالسلطنة ، وكان عنده جماعة
كثيرة من أكابر الأمراء ، وفيهم عماد الدين أحمد بن المشطوب - المذكور في
حرف الهمزة - فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل
وانضموا إليه ، وظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على أنهم عازمون على
تقويض السلطنة إليه وخلع الملك الكامل ، واشتهر ذلك بين الناس ؛ وكان الملك
الكامل يداريهم لكونه في قبالة العدو ، ولا يمكنه المقافزة والمنافرة ، وطول
نفسه معهم ، ولم يزل على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق
- المذكور في حرف العين^٣ - يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة
وسمئة ، فأطلعه الملك الكامل في الباطن على صورة الحال ، وأن رأس هذه

١ ق : والصواب .

٢ ق ر : السابع .

٦٩٤ - اخباره في تاريخ ابن الأثير ومفرج الكروب والسلوك (ج ١) وابن اياس والوافي ١ : ١٩٣
وابن شمار ج ٧ الورقة : ٢٤٠ والحوادث الجامعة : ١٠٧ و امرأة الزمان : ٧٠٥ وذيل
الروضتين : ١٦٦ و عبر الذهبي ٥ : ١٤٤ والشذرات ٥ : ١٧٢ .

٣ انظر ج ٣ : ٤٩٤ .

الطائفة^١ ابن المشطوب ، فجاءه يوماً على غفلة إلى خيمته واستدعاه ، فخرج إليه فقال له : أريد أن أتحدث معك سرّاً في خلوة ، فركب فرسه وسار معه وهو جريدة وقد جرد^٢ المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق إليهم ، وقال لهم : اتبعونا ، ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء إلى شيء حتى أبعدا عن الخيم ، ثم قال له : يا عماد الدين ، هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا ، ثم أعطاه شيئاً من النفقة ، وقال لأولئك المجردين : تسلموه حتى تخرجه من الرمل ، فلم يسهه إلا امتثال الأمر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال .

ثم عاد المعظم إلى أخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ، ثم جهز أخاه الملك الفائز إلى الموصل لإحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق ، فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لإخراجه من البلاد ، فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لهما ، ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرهاً لا طوعاً ، وجرى في قضية دمياط ما هو مشهور ، فلا حاجة إلى الإطالة بذكره ؛ ولما ملك الفرنج دمياط وصارت في قبضتهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ، ونزلوا في رأس الجزيرة التي دمياط في برها ، وكان المسلمون قبالتهم في القرية المعروفة بالمنصورة ، والبحر حائل بينهم ، وهو بحر أشوم ، ونصر الله تعالى بنيه وجميل لطفه المسلمين عليهم ، كما هو مشهور ، ورحل الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة سابع شهر رجب سنة ثمان عشرة وستائة ، وتم الصلح بينهم وبين المسلمين في حادي عشر الشهر المذكور ، ورحل الفرنج عن البلاد في شعبان من السنة المذكورة ، وكانت مدة إقامتهم في بلاد الإسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهراً وسبعة عشر يوماً ، وكفى الله شرهم والمحمد الله على ذلك ، وقد فصلت ذلك في ترجمة يحيى بن جراح فيكشف هناك .

فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للأمراء الذين كانوا متحاملين عليه فنفاهم عن البلاد ، وبدد شملهم وشردهم ، ودخل إلى القاهرة

١ المختار : القضية .

٢ هامش ن : أعلم .

وشرع في عمارة البلاد واستخراج الأموال من جهاتها ، وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محباً للعلماء متمسكاً بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشراً لأرباب الفضائل حازماً في أموره ، لا يضع الشيء إلا في موضعه من غير إسراف ولا إقتار؛ وكانت تبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ، ويشاركهم في مباحثاتهم ، ويسألهم عن المواضع المشككة من كل فن، وهو معهم كواحد منهم ، وكان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيراً ، وهما :

ما كنت من قبل ملك قلبي تصدُّ عن مدنف حزين
وإنما قد طمعت لما حللت في موضع حصين

وبنى بالقاهرة دار حديث ورتب لها وقفاً جيداً ، وكان قد بنى على ضريح الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، قبة عظيمة ، ودفن أمه عنده ، وأجرى إليها من ماء النيل ، ومدده بعيد ، وغرم على ذلك جملة عظيمة .
ولما مات أخوه الملك المعظم صاحب الشام - في التاريخ المذكور في ترجمته - وقام ولده الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه ، خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصداً أخذ دمشق منه ، وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى - الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى - فاجتمعا على أخذ دمشق - بعد فصول جرت يطول شرحها - وملك دمشق في أول شعبان سنة ست وعشرين وستائة ، وكان يوم الاثنين ، فلما ملكها دفعها إلى أخيه الملك الأشرف ، وأخذ عوضها من بلاد الشرق حوران والرها وسروج والرقه ورأس عين ، وتوجه إليها بنفسه في تاسع شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة .

واجتزت بجران في شوال سنة ست وعشرين وستائة ، والملك الكامل مقيم بها بعساكر الديار المصرية ، وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك يحاصر خِلاط ، وكانت لأخيه الملك الأشرف ، ثم رجع إلى الديار المصرية .

ثم تجهز في جيش عظيم وقصد آمد في سنة تسع وعشرين وستائة ، فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود بن الملك الصالح

١ المختار : ثم تجهز من الديار المصرية .

أبي الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود ابن نور الدولة سقمان - ويقال سكيان - بن أرتق ، وقد تقدم ذكر جدهم أرتق ؛ أخبرني بعض أهل آمد بمن عنده معرفة أن آمد انبرم أمرها وتسليمها إلى الملك الكامل في تاسع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ، ودخلها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب في العشرين من الشهر المذكور ، ودخلها الملك الكامل في مستهل المحرم سنة ثلاثين وستائة .

ولما مات الملك الأشرف - في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته - جعل ولي عهده أخاه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل ، فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق ، بعد مصالحة جرت بينها ، وذلك في التاسع من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستائة ، وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد . ولما ملك البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب ، واستخلف ولده الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية .

وقد تقدم في ترجمة الملك العادل أنه سير الملك المسعود إلى اليمن ، وكان أكبر أولاد الملك الكامل ، وملك الملك المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة إلى اليمن . وكان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجهاً إلى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة إحدى عشرة وستائة ، ودخل مكة شرفها الله تعالى في الثالث من ذي القعدة من السنة ، وخطب له بها وحج ، ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتي عشرة ثم ملك مكة شرفها الله تعالى في ربيع الآخر من سنة عشرين وستائة ، أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني ، واتسعت المملكة للملك الكامل . ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال : صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ، ومصر وصعيدها ، والجزيرة ووليدها ، سلطان القبلتين ، ورب العلامتين ، خادم الحرمين الشريفين ، أبو

١ المختار : وأبقى عليه .

المعالي محمد الملك الكامل ناصر الدين خليل أمير المؤمنين ؛ وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود .

ولقد رأيتَه بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذه إياها من يد علاء الدين كيقباز بن كيخسرو بن قلعج أرسلان بن مسعود ابن قلعج أرسلان بن سليمان بن قتلش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم ، وهي وقعة مشهورة يطول شرحها ، وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكاً منهم أخوه الملك الأشرف . ولم يزل في علو شأنه وعظم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذ دمشق ولم يركب ، وكان ينشد في مرضه كثيراً :

يا خليلي خبراني بصدق كيف طعم الكرى فإني عليل

ولم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الأربعاء بعد العصر ، ودفن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستائة ، وكنت بدمشق يومئذ ، وحضرت الصبحة يوم السبت في جامع دمشق لأنهم أخفوا موته إلى وقت صلاة الجمعة ، فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر ، وكنت حاضراً في ذلك الموضع ، فضج الناس ضجة واحدة ، وكانوا قد أحسوا بذلك ، لكنهم لم يتحققوه إلا ذلك اليوم .

وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق ، عن الملك العادل بن الملك الكامل صاحب مصر ، باتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق .

ثم بنى له تربة مجاورة للجامع ، ولها شبك إلى الجامع ، ونقل إليها ؛ وكانت ولادته في سنة ست وسبعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول ؛ كذا وجدته بخط من يعتني بالتاريخ ، والله أعلم .

(218) وتوفي ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله تعالى في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستائة ، ومولده في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكان

بمكة رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق بن بدر بن جناح ، من أكراد بلد إربل ، وكان من كبار الصالحين ، فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى أنه إذا مات لا يجهز بشيء من ماله ، بل يسلم إلى الشيخ صديق يجهزه من عنده بما يراه ، فلما مات تولى الشيخ صديق أمره ، وكفنه في إزار كان أحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة ، وجهزه تجهيز الفقراء على حسب قدرته ، وكان أوصى أنه لا يبنى على قبره شيء ، بل يدفن في جانب المعلى جبانة مكة ، شرفها الله تعالى ، ويكتب على قبره « هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب »^٢ ففعل به ذلك. ثم إن عتيقه الصارم قايماز المسعودي الذي تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة ، ولما بلغ الملك الكامل ما فعله الشيخ صديق كتب إليه وشكره فقال : ما فعلت ما أستحق به الشكر ، فإن هذا رجل فقير سألتني القيام بأمره فساعدته بما يجب على كل أحد القيام به من مواراة الميت ، فقيل له : تكتب جواب الملك الكامل ؟ فقال : ليس لي إليه حاجة ، وكان قد سأله أن يسأله حوائجه كلها ، فما رد عليه الجواب ؛ أخبرني بذلك كله من كان حاضراً ويعرف ما يقول ، والله أعلم .

(219) وأما ولده الملك العادل فإنه أقام في المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة ، فقبض عليه أمراء دولته بظاهر بلبليس ، وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان الصالح قد صالح الملك الجواد على أن أعطاه دمشق ، وعضه عنها سنجار وعانة ، وقدم الصالح دمشق متمكناً لها في مستهل جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستائة . ثم إن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بعلبك اتفق مع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالاً ، وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصداً الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل ، فلما استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة في سنة سبع وثلاثين وستائة ، يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر ، فهجما دمشق

١ ق : رحمة ربه .

٢ انظر المقدم الثمين ٧ : ٤٩٢ ، ٤ : ١٦٨ .

بمساكرها وأخذها ، وهي قضية مشهورة ، فلما أخذت دمشق رجع العسكر الذي كان مع الصالح نجم الدين إليها ليدرك كل واحد منهم أهله وبنيه ، وتركوا الملك الصالح بنابلس وحيداً في فقر قليل من غلمانته وأتباعه^١ ، فجاءه الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك ، وقبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة ، وأرسله إلى الكرك واعتقله بها ، ثم إنه أفرج عنه في ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، وشرح ذلك يطول . واجتمع هو والملك الناصر على نابلس ، فلما قبض الملك العادل في التاريخ المذكور وطلب الأمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب جاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ، ودخلا القاهرة في الساعة الثانية من يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة ، وكنت إذ ذاك^٢ بالقاهرة^٣ ، وأدخل أخوه الملك العادل في محفة وحوله جماعة كثيرة من الأجناد يحفظونه ، وحمله من خارج البلد إلى القلعة واعتقله بها عند دخوله في داخل الدور السلطانية ، وبسط العدل في الرعية وأحسن إلى الناس وأخرج الصدقات ورسم ما تهدم من المساجد ، وسيرته طويلة .

ثم إنه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وأبقى عليه بعلبك ، ومضى بعد ذلك إلى الشام في سنة [أربع وأربعين ودخلها في تاسع عشر ذي القعدة من السنة ، ثم توجه إليها]^٤ ست وأربعين بعد أن كان عاد إلى مصر ، ودخل دمشق في أوائل شعبان من السنة ، وسير العساكر لحصار حمص ، وقد كان الملك الناصر صاحب حلب أخذها من صاحبها الأشرف ابن صاحب حمص ، ثم رجع في أوائل سنة سبع وأربعين وهو مريض .

وقصد الفرنج دمياط وهو مقيم بأشموم ينتظر وصولهم ، وكان وصولهم إليها

١ وأتباعه : سقطت من ق والمختار .

٢ ق بر من : يومئذ ؛ ر : يوم ذلك .

٣ ق بر من : بالقاهرة مقيماً .

٤ زيادة من ق ، وفي المختار : ثم خرج إلى الشام مرتين .

يوم الجمعة العشرين من صفر سنة سبع وأربعين وستائة ، وملكوا بر الجزيرة يوم السبت ، وملكوا دمياط يوم الأحد ثلاثة أيام متوالية لأن العسكر وجميع أهلها تركوها وهربوا منها .

وانتقل الملك الصالح من أشموم إلى المنصورة ، ونزل بها وهو في غاية من المرض ، وأقام بها على تلك الحال إلى أن توفي هناك ليلة الاثنين نصف شعبان من السنة المذكورة ، وحمل إلى القلعة الجديدة التي في الجزيرة ، وترك بها في مسجد هناك ، وأخفي موته مقدار ثلاثة أشهر ، والخطبة باسمه ، إلى أن وصل ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا على البرية إلى المنصورة ، فعند ذلك أظهروا موته ، وخطب لولده المذكور ، ثم بعد ذلك بني له بالقاهرة إلى جنب مدارسه تربة ، ونقل إليها في رجب سنة ثمان وأربعين وستائة . وكانت ولادته في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستائة ، هكذا وجد بخط ابنه مكتوباً ، ورأيت في مكان آخر أنه ولد في ليلة الخميس الخامس من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وفي مكان آخر أنه ولد في الرابع من المحرم سنة أربع وستائة ، والله تعالى أعلم ؛ وأمه جارية مولدة سمراء اسمها ورد المنى ، رحمه الله تعالى .

وكانت ولادة الملك العادل في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستائة ، بالمنصورة ووالده في قبالة العدو على دمياط ، وتوفي في الاعتقال يوم الاثنين ثاني عشر شوال سنة خمس وأربعين وستائة بقلعة القاهرة ، ودفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر ، رحمه الله تعالى .

هذه الفصول ذكرت خلاصتها ، ولو فصلتها لطال الشرح ، والمقصود الاختصار وطلب الإيجاز مع أني كنت حاضراً أكثر وقائعها .

(220) وكان للملك العادل المذكور ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيماً بالقلعة ، فلما وصل ابن عمه الملك المعظم توران شاه إلى المنصورة سير من هناك ، ونقله إلى قلعة الشوبك . فلما جرت الكائنة على المعظم أحضر متسلم قلعة الكرك

١ وقعت هذه الحملة في آخر الترجمة في المختار .

الملك المغيث من الشوبك وسلم إليه الكرك والشوبك وتلك النواحي ، وهو الآن ملكها ، ولم يزل مالكا لها إلى سنة إحدى وستين وستائة ، فنزل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس^١ المذكور في ترجمة القاضي مجلي صاحب كتاب «الذخائر» بالغور ، وراسله وبذل له من تسليم البلد بذولا كثيرة وحلف له ، ويقال إنه وري في في اليمين ولم يستقض فيها . فنزل إليه إلى منزله بالطور من^٢ الغور ، فقبض عليه ساعة وصوله وجهزه إلى قلعة الجبل بمصر واعتقله بها .

(221) وكان للمغيث ولد ينعت بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن ، فأمره الملك الظاهر ، ولم يزل في خدمته أميراً إلى أن فتح أنطاكية في شهر رمضان سنة ست وستين وستائة ، وتوجه من الشام بعد ذلك إلى مصر ، فلما دخل إليها قبض عليه واعتقله ، وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة .

وهذه قلعة الكرك هي المذكورة في ترجمة القاضي مجلي أيضاً ، وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يباليغ في تحصين القلعة المذكورة ، ويملؤها بالذخائر والأموال ، ولما جرى لولده السعيد ما ذكرنا في ترجمة القاضي مجلي وتوجه إلى الكرك نفعته تلك الذخائر ووجدها عوناً له على زمانه .

(222) ولما توفي الملك السعيد ابن الملك الظاهر في الكرك - كما ذكرناه في الترجمة المذكورة - ملكها بعد أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك الظاهر^٣ باتفاق بمن كان بها من مماليك أبيه ومن أمرائه ، وهو الآن ممتلكها مقيم بها ، ثم نزل منها بالأمان بعد حصاره فيها في مدة الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري كان نائب المملكة ، وتقدم العساكر ، ونزل معه أخوه الملك العادل سلامش بعد أخيه السعيد ، وتوجه إلى الديار المصرية إلى خدمة السلطان الملك

١ المختار : صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية .

٢ بالطور من : سقطت من ر والمختار .

٣ علق ابن المؤلف بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ولم يزل خضر المذكور بها إلى سنة خمس وثمانين فتسلمها منه نواب الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المعروف بالألفي وبدل منها على مصالحة جرت بينهما وانتقل إلى الديار المصرية ملازماً للخدمة » وجاء بعد ذلك قوله وهو من الأصل : « وتوفي المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم سنة ثمان وأربعين وستائة » .

المنصور سيف الدين قلاون الصالحى المذكور في ترجمة القاضي مجلى في أوائل هذا الحرف ، فأحسن السلطان إليهما ، وجعل الملك خضراً وأخاه سلامش أميرين ، وأقطعهما الإقطاعات الجيدة ، وأسكنها بقلعة الجبل المنصور ، واستمر الأمر على ذلك ، وهما مختلطان به في جملة أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الأشرف صلاح الدين خليل .

[ولم يزل الأمر كذلك إلى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة ، فجرى من الأمر ما اقتضى الحال معه القبض على الأميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل المنصورة وأما الملك الصالح بن الملك المنصور المذكور ، فإنه كان ولي عهد أبيه ، وكان حازماً شديد الرأي . وتوفي في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة ، ثم إن والده جعل ولاية العهد إلى ولده الملك الأشرف المذكور ، وقلده الملك في شهر شوال سنة سبع وثمانين المذكورة . وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم .

وتوفي الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التين . وكان قد خرج على نية الغزاة إلى عكا ، فعرض له مرض ، فقضى به نحبه وعادت العساكر إلى مستقرها .

واستقلّ ولده السلطان الملك الأشرف بالمملكة يجمع المعافل والبلاد ، ولم ير في الملوك أكثر سعادة منه ، ولا أعلى همة ولا أكرم نفساً ولا أكثر وفاء لمن خدمه ولا ذبه . وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وكان نازلتها بنفسه وعساكره ، وفتحها قهراً بالسيف ، واستولى القتل والأسر والنهب على أهلها ، وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك ، ثم إن الملك الأشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه وجمع عساكره وتوجه إلى عكا ، فنازلها في يوم ، وكان خروجه من مصر في يوم ، واجتمع على عكا جميع الناس : الجنود والمتطوعة وغيرهم وسائر البلاد ، ويسّر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة ، في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من المسلمين ، إلا أن الشهر كان الأولى ، وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وأن

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين أخرج أهلها منها وقتلهم جميعاً بالسيف ، وكذلك الفرنج عملوا بالذي كان فيها من المسلمين لما ملكوها في أيام صلاح الدين ، فانظروا إلى هذا الاتفاق العجيب في أمور كثيرة . لما أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين وقتل المسلمون بها ثم قتل الكافرون بها ، وأخذت من المسلمين ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، ثم ملكها المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، فسبحان مقلد الأمور .

ثم انحلت عزائم الفرنج عن أخذ عكا ، فهرب من كان ببيروت وعثليث وهما حصنان عظيمان لا تتطرق الأوهام إليهما ، وملكهما المسلمون بحول الله وقوته من غير منازع . وملكوا أيضاً صيدا وبيروت وحيفا فلم يبق للفرنج على الساحل الشامي قلعة ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة إلا وملك المسلمون ذلك جميعه والحمد لله وحده [١] . وتوفي المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان وأربعين وستائة رحمه الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

ب ٦٩٤

الملك الكامل الايوبي

أبو المعالي محمد بن أبي بكر الملقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية . خطب له اخوته وأهل بيته في بلادهم وضربوا السكة باسمه ؛ وكان محبوباً إلى الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب . ولما نزل الفرنج على دمياط في صفر سنة خمس عشرة اتفق لما يريد الله تعالى وفاة والده العادل ، وجرت أمور مع ذلك أوجبت خروج السلطان ومن معه من الخيم ليلاً إلى أشموم - حسبما هو مشروح في ترجمة عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور في حرف الهمزة -

١ من الواضح ان هذا ليس من عمل المؤلف ، لأنه توفي قبل هذه الأحداث .

٦٩٤ ب - هذه الترجمة تنفرد بها مع وهي تختلف عن الترجمة السابقة ، فلذلك أثبتناها في هذا الموضع .

وكان [الفرنج] قد ساروا عن دمياط في الفارس والراجل ، وقصدوا الملك الكامل فزلوا مقابله ، وبينها بحر أشموم وهم يرمون بمناجيقهم وجروحهم إلى عساكر المسلمين ، وتيقنوا وكل الناس أنهم يملكون الديار المصرية ، فوصل الأشرف وتلقاه أخواه الكامل والمعظم ، واستبشروا به وكافة المسلمين وتوقعوا النصره على الأعداء الكافرين ، ووقع الاتفاق أن يبعثوا في بحر المحلة أسطولاً يدخل إلى بحر دمياط ليمنع الميرة عن الفرنج ، وأمر السلطان بنصب الجسور وعبر عليها المسلمون إلى جزيرة شرمساح التي الفرنج غيمون عليها ، وكسروا النيل عليها ؛ وكان النيل في زيادته ، فركب الماء أكثر تلك الأرض ، ولم يبق للفرنج جهة يسلكونها ، غير جهة واحدة ضيقة ان أرادوا العود إلى دمياط ، وعبرت العساكر وملكوا الطريق ، ولم يبق لهم خلاص ، وأيقنوا بالهلكة ، فراسلوا السلطان الملك الكامل يبذلون له النزول عن دمياط على أن يؤمنهم ، فأجابهم إلى ذلك ، وشرط عليهم إطلاق من في أيديهم من أسرى المسلمين ، وأخذ منهم رهائن ملوكهم على تسليم البلد ، وتقرر بينهم صلح مدة ثمان سنين ، وتسلم السلطان دمياط يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، فكانت مدة ملك الفرنج لها سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً؛ وكان يوماً مشهوداً؛ ومن العجيب أن المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين إليها لامتنعوا من تسليم دمياط ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . فلما دخلها المسلمون لم يجدوا فيها من أهلها إلا آحاداً، فبعضهم سار عنها باختياره، وبعضهم مات . وكان الفرنج قد حصنوها تحصيناً عظيماً بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل إليها ؛ وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق إلى نصابه وردّه إلى أربابه ، فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الإسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو ، وكفاهم شره .

منقبة للملك الكامل جرت في هذه التوبة : لما وقع الحصار على مدينة دمياط اتفق أن علقاً منهم ، لعنه الله ، قد ألهج لسانه بسب النبي صلى الله عليه وسلم ، معلناً به على خنادقهم ، ومنكياً لمن يليهم من حرس الإسلام ورجالهم ، وكان أمره قد استفحل ، وداء اشتهاه بهذه العظيمة قد أعضل ، وقد جعل هذا

الأمر ديدن جهاده ، وذهب عنه أن الله تعالى ينتقم لنفسه من عتو هذا اللعين وعناده . فلما كانت الوقعة المشهورة في شعبان من سنة ست عشرة التي أسر فيها أعلاج الكفر وكنودهم ، وأفاء الله على أهل دينه عدوهم وعديدهم ، واستولى منهم على ما يناهز ألفي فارس ، عرف هذا العليج في جملة من اشتمل عليه الاستيلاء منهم حصراً وعدداً ، وعوجل بمقوبة كفره الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدداً ؛ فلما صعد في وثاقه ، وخرست شقاشق شقاقه ، أشعر السلطان الملك الكامل بموضعه ، فتنوعت المشورات بصورة قتل هذا الكافر ، واللحاق بروحه إلى الجحيم التي هي مأوى الفاجر ، فصمم الملك الكامل على إرسال هذا العليج مع من يوصله إلى والي المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وإشعاره بأمره ، وأن يباشر بذلك المهل الشريف تطهير الأرض من كفره . فلما وصل أقيم بين يدي الضريح المطهر ، ونوجي ذلك المهل الأطهر ، وذلك في عيد الفطر من السنة المذكورة ، وقيل : يا رسول الله : هذا عدو الله وعدوك ، والمصرح في ملة كفره بسبك وسب صاحبك ، قد أرسله محمد سلطان مصر ليقتل بين يديك ، ويشكر الله لما وفقه من مجاهدة الشرك الذين كفروا بما أنزل إليك ، ورام أن يجعله عبدة لمن انتهك حرمتك واجترأ عليك ، فتهادته أيدي المنايا ضرباً بالسيوف ، وفرح المؤمنون بنصر الله لدينه على طوائف الشرك وان رغمت منها الأنوف ، والمحمد لله رب العالمين .

لا جرم أنه بعد وفاته أثيب على هذا المقصد السديد ، والتوفيق الذي ما على النعمة به من مزيد : ان الانبرور ملك صقلية وغيرها من بلاد الفرنج - وهو اليوم أكبر ملوكهم خطراً وكانت بينه وبين الملك الكامل صداقة ومهاداة يألفه بها إلى أن تأكدت له محبته وصار ذبُّه عن بلاده من طوائف الكفر ديدنه وعادته - كان عنده من الأسرى المأخوذين من مدينة مبرقة من الغرب عند استيلائه عليها جماعة ، فأحضرهم الانبرور بين يديه ، وقال لهم : يا حجاج ، قد أعتقكم عن الملك الكامل ؛ وسيرهم مع قصاد تقودهم إلى عكا وأمرهم بحمل قبودهم عند قبره ، وإطلاق سبيلهم .

وكانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء آخر النهار ، ودفن يوم الخميس في الساعة الثانية منه ، وذلك لتسع بقين من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستائة بالكلاسة رحمه الله تعالى .

ولما توفي كان ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب بالبلاد الشرقية ، وهي التي كانت بيده في حياة والده ، وكان ولده الملك العادل سيف الدين أبو بكر بالديار المصرية ؛ ولما بلغ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وفاة السلطان ، قصد سنجار مريداً حصارها ، وبها الملك الصالح نجم الدين ، فنازلها وزحف إليها ، فأرسل عليهم الخوارزمية ، فأوقعوا بهم واستولوا على جميع ما معهم من الأثقال ، ثم جرت مراسلات آخرها أنهم انقادوا لأمره ودخلوا في طاعته ؛ وكانت هذه الواقعة من الوقائع العجيبة .

ولما كان مستهل جمادى الآخرة وصل الملك الصالح المذكور إلى دمشق ودخلها في الساعة الخامسة من النهار ، وقد تقدم في ترجمة بهاء الدين زهير المذكور طرف من حديثه وملكه للديار المصرية ، حسبما شرحناه ثم .

٦٩٥

محمد بن عبد الله بن طاهر

أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ؛ كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً ، وهو أمير ابن أمير ابن أمير ، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل ، وكان مألفاً لأهل العلم والأدب ؛ وقد أسند حديثاً عن أبي الصلت .
قال أحمد بن يزيد المهلبى : كانت لأبي حنيفة بن محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب إليه :

ألا مبلغٌ عنى الأمير محمدأ مقالاً له فضلٌ على القول واسعٌ

٦٩٥ - انفردت مع هذه الترجمة .

لنا حاجة إن أمكنتك قضيتها وإن هي لم تمكن فعذرک واسع
فأنت وإن كنت الجواد بعينه فلست بمعطي الناس ما الله مانع
فإن يور زندق الطاهري فبالحرى وإلا فقد تنبو السيوف القواطع

وقيل : كان الحسن بن وهب عند محمد بن عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة
وبرقت ومطرت ، فقال كل من حضر فيها شيئاً ، فقال الحسن :

هطلتنا السماء هطلا دراکا عارض المرزمان فيها السماکا
قلت للبرق إذ توقد فيها یا زناد السماء من أوراکا
أحبیب نأيته فجفاکا فهو العارض الذي استبکاکا
أم تشبهت بالأمير أبي العبد ساس في جوده ، فلست هناکا

قال إبراهيم بن عرفة : في سنة ثلاث وخمسين ومائتين لإحدى عشرة ليلة
خلت من ذي القعدة انكسف القمر في أول الليل حتى ذهب أكثره فلما انتصف
الليل مات محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان به خراج في حلقه واشتد حتى
عولج بالفتائل ؛ وفي وفاته يقول أخوه عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

هدت ركن الخلافة الموطود زال عنها السرادق الممدود
كسف البدر والأمير جميعاً وانجلي البدر والأمير عميد

ودفن في مقابر قریش رحمه الله تعالى .

الوزير ابن الزيات

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، المعروف بابن الزيات ، وزير المعتصم ؛ كان جده أبان رجلاً من أهل جبَّيل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، فسَمَت بِمحمد المذكور همتة - على ما يأتي ذكره فيه - وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر ، أديباً فاضلاً بليغاً عالماً بالنحو واللغة .

ذكر ميمون بن هرون الكاتب أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان: ابعثوا إلى هذا الفقيه الكاتب، يعني محمد بن عبد الملك المذكور ، فاسألوه واعرفوا جوابه ، فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه .

وقد ذكره دَعْبِيل بن علي الخزاعي المقدم ذكره في كتاب «طبقات الشعراء» وذكره أبو عبد الله هرون بن المنجم - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - في كتاب «البارع» وأورد له من شعره عدة مقاطيع .

وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم ، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه ، وكان في الكتاب ذكر الكلأ ، فقال له المعتصم : ما الكلأ ؟ فقال : لا أعلم ، وكان قليل المعرفة بالأدب ، فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي !؟ وكان المعتصم ضعيف الكتابة ، ثم قال : أبصروا من الباب من الكتاب ، فوجدوا

٦٩٦ - أخباره في تاريخ الطبري والمسعودي وابن الأثير وتاريخ بغداد ٢ : ٣٤٢ ومعجم المرزباني : ٣٦٥ والخزانة ١ : ٢١٥ والأغانى ٢٢ : ٤٦٣ والفهرست : ١٢٢ والرواقى ٤ : ٣٢ وعبر الذهبي ١ : ١٤٠ والشذرات ٢ : ٧٨ .

محمد بن عبد الملك المذكور ، فأدخلوه إليه فقال له : ما الكلاً ؟ فقال الكلاً العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلاً ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكاه وبسط يده .

وقد ذكرنا ما كان بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي في ترجمته . وحكى أبو عبد الله البيارستاني أن أبا حفص الكرمانى كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد بن عبد الملك الزياد المذكور : أما بعد ، فانك من إذا غرس سقى ، وإذا أسس بنى ليستم بناء أسه ويحتني ثمرة غرسه ، وبنائك في وُدِّي قد وهى وشارف الدروس ، وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست وسقني ما غرست ، فقال البيارستاني : فحدثت بذلك أبا عبد الرحمن العطوي ، فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، ثم وجدت الأبيات^١ في ديوان أبي نواس ، صنعة الأصهباني ، وهي :

إن البرامكة الكرام تعلموا فعل الجميل وعلوه الناسا
كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا لا يهدمون لما بنوه أساسا
وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طولَ البقاء لباسا
فعلام تسقيني - وأنت سقيتني كأس المودة - من جفائك كاسا
آنتني متفضلاً ، أفلا ترى أن القطيعة توخش الإيناسا ؟

وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى أيضاً .
ولابن الزياد المذكور أشعار رائقة ، فمن ذلك قوله^٢ :

سماعاً يا عباد الله مني وكفوا عن ملاحظة الملاح

١ ن : وان كان يبساً .

٢ ن ر ق من ير : هذه الأبيات الثلاثة .

٣ هذه القطعة غير موجودة في ديوانه .

فإن الحب آخره المنايا وأوله يهيج بالمزاج
وقالوا دع مراقبة الثريا ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى أفرق بين ليلى والصباح

وله على ما نقلته من خط بعض الأفاضل^١ :

ظالم ما علمته معتد لا عدته
مُطْمَع في الوصال ممتنع حين رمته
قال إذ أفصح البكا بما قد كتته
لو بكى طول عمره بدم ما رحته
ربم طويت فيه وغىظ كظمته
وحياة ستمتها والهوى ما ستمته

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ أن ابن الزيات المذكور كان يمشق جارية
من جواري القيان ، فبيعت من رجل من أهل خراسان ، فأخرجها ، قال :
قذهل عقل ابن الزيات حتى غشي عليه ، ثم إنه أنشأ يقول^٣ :

يا طول ساعات ليل العاشق الدنفِ وطول رعيته للنجم في السدفِ
ماذا تواري ثيابي من أخي حرق كأنما الجسم منه دقة الألف
ما قال يا أسفا يعقوب من كمد إلا لطول الذي لاقى من الأسف
من سره أن يرى ميّت الهوى دفقا فليستدل على الزيات وليقف

ومن شعره ما ذكره في كتاب « البارع » يرثي جاريته ، وقد خلفت له ابن
ثمان سنين ، وكان يبكي عليها فيتألم بسببه وهو^٤ :

١ ديوانه : ٨٠ .

٢ تاريخ بغداد ٢ : ٣٤٣ .

٣ لم أجدتها في ديوانه .

٤ ديوانه : ٦٧ .

ألا من رأى الطفل المفارق أمه
رأى كل أم وابنها غير أمه
وبات وحيداً في الفراش تجيبه
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسمه
ولا يأتسي بالناس في الحدّان
بُعَيْدَ الكرى عيناه تنسكبان
يبيطان تحت الليل ينتجيان
بلا بلُ قلب دائم الخفقان
جليد ، فمن للصبر ابن ثمان ؟

وله ديوان رسائل جيد .

ومدحه البحري بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطه وبلاغته ، وقال
في آخرها :

وأرى الخلق مجمعين على فض
عرف العالمون فضلك بالمدح
ملك من بين سيد ومَسُودِ
م وقال الجمال بالتقليد

ولأبي تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره ، ولإبراهيم بن العباس الصولي
المقدم ذكره فيه مقاطيع يعبث به فيها ، فمن ذلك قوله :

أخ كنت آوي منه عند اذكاره
سعت نوبُ الأيام بيني وبينه
وإني وإعدادي لدهري محمداً
كلمتس إطفاءه نار نافخ
إلى ظل آباء من العز شامخ
فأقلعن منه عن ظلوم وصارخ
ومن ذلك قوله أيضاً :

دعوتك عن بلوى ألت ضرورة
وإني إذا أدعوك عند ملة
فأوقدت عن طمن علي سعيها
كداعية عند القبور نصيرها
وله أيضاً فيه :-

أبا جعفر خَفَّ نَسْبُةُ بعد دولة
وقصّر قليلاً عن مدى غلوائكا

١ ديوان البحري : ٦٣٨ .

٢ الطرائف الأدبية : ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٥٨ ، ١٦٥ .

فإن يك هذا اليوم يوماً حوته فإن رجائي في غدٍ كرجائك
وله فيه أيضاً :

قلت لها حين أكثرت عدائي : ويحك ! أزلت بنا المروءات
قالت : فأين السراة ؟ قلت لها : لا تسألني عنهم فقد ماتوا
قالت : ولم ذلك ؟ قلت لها : هذا وزير الإمام زيات
وله أيضاً فيه :

لئن صدرت بي زورة عن محمد بمنع لقد فارقته ومعني قدري
أليست يداً عندي لمثل محمد صيانتته عن مثل معروفه شكري
وله فيه أيضاً :

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الإراء منك خلائقاً من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر
وله فيه أيضاً :

من يشترني مني إخاء محمد أم من يريد إخاءه مَجَانًا
أم من يخلص من إخاء محمد وله مناه كائنًا من كانا

وله أشياء غير ذلك ، وما زالت الأشراف تهجى وتمدح .
وفيه يقول بعضهم ، ولا أذكره الآن ، ثم ظفرت به بعد ذلك ، وهو القاضي
أحمد بن أبي ذواد الإيادي - المقدم ذكره - وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه
بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما :

أحسن من تسعين بيتاً سدى جمعك معناه من في بيت
ما أحوجَ الملك إلى مطررة تفسل عنه وضرَ الزيت

ونسب صاحب «العقد»^١ هذين البيتين إلى علي بن الجهم ، والأول حكاة في «الأغاني» والله تعالى أعلم ؛ [فأجابه ابن الزيات عن بيته بقوله ، معرضاً بأن بعض أجداد القاضي كان يبيع القار :

يا أيها الطامع في هجونا نفسك قد عرضت للموت
الزيت لا يزري بأحسابنا أحسابنا معروفة البيت
قيرتم الملك فلم نثقه حتى غسلنا القار بالزيت]^٢

ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق هارون أنشد ابن الزيات المذكور^٣ :

قد قلت إذ غَيَّبُوكَ وانصرفوا في خير قبر لخير مدفون
لن يجبرَ الله أُمَّةً فقدت مثلك إلا بمثل هارون

وأقره الواثق على ما كان عليه في أيام المعتصم ، بعد أن كان متسخطاً عليه في أيام أبيه وحلف يميناً مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه ، فلما ولي أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة ، فكتبوا فلم يرض ما كتبوه ، فكتب ابن الزيات نسخة رضيها ، وأمر بتحرير المكاتبات عليها ، فكفر عن يمينه وقال : عن المال والفدية عن اليمين عوض ، وليس عن الملك وابن الزيات عوض . فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء كثير ، فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوماً ، فقبض عليه واستصفى أمواله ، وكان سبب قبضه عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق ، وأشار القاضي أحمد ابن أبي دواد المذكور بتولية المتوكل ، وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه ، وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فينتجهم ويفلظ عليه في الكلام ، وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستر أمواله فيفوته ، فاستوزره ليطمئن ، وجعل القاضي أحمد يفره ويجد لذلك عنده موقعا ،

١ العقد ٣ : ١٩٤ .

٢ زيادة من ر ، وانظر ديوانه : ١٢ .

٣ ديوانه : ٧٦ .

فلما قبض عليه ومات في التنور - كما سيأتي ذكره - لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضاً ، وقال للقاضي أحمد : أطمعتني في باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً .

وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المهددة إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسال^١ ، في أيام وزارته ، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال ، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة^٢ تدخل المسامير في جسمه ، فيجدون لذلك أشد الألم ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة ، وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني ، فيقول له : الرحمة خور في الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور ، وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال : يا أمير المؤمنين ارحمني ، فقال له : الرحمة خور في الطبيعة ، كما كان يقول^٣ للناس ، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتها إليه فكتب^٤ :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تترك العين في النوم -
لا تجزعن^٥ ، رويداً إنها دول دنيا تنقل من قوم إلى قوم -

وسيرها إلى المتوكل ، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد ، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه ، فجاؤوا إليه فوجدوه ميتاً ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً ، وكان القبض عليه لثمان مضي من صفر من السنة المذكورة .

ولما مات وجد في التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه -

١ ق : حرارة النار والعقوبة .

٢ ر : كنت تقول .

٣ ديوانه : ٦٦ .

رحم الله رحباً دل عيني عليه
سهرت عيني وثامت عين من هنتُ لديه

وقال أحمد الأحول : لما قبض علي ابن الزيات تلطفتُ إلى أن وصلت إليه
فرايته في حديد ثقيل ، فقلت له : يمز علي ما أرى ، فقال :

سل ديار الحي من غيرَها وعفاها ومحا منظرها
وهي الدنيا إذا ما أقبلت صيرت معروفها مُنكرَها
إنما الدنيا كظل مائلٍ نحمد الله كذا قدرها

ولما جعل في التنور قال له خادمه : يا سيدي ، قد صرت إلى ما صرت
إليه وليس لك حامد ، فقال : وما نفع البرامكة صنعهم ؟ فقال : ذكرك لهم
هذه الساعة ، فقال : صدقت ، رحمه الله تعالى .

ب ٦٩٦

الوزير ابن الزيات

... كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً ، وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم :
المعتصم والواثق والمتوكل ، وكان سبب وزارته ما حكى الصولي عن سعيد بن
سلم قال : ورد كتاب من الجبل على المعتصم بوصف خصب السنة وكثرة الكلأ
فقال لأحمد بن عمار : ما الكلأ ؟ فلم يعرفه ، فدعا ابن عبد الملك وسأله عنه
فقال : ما رطب من النبات فهو كلأ ، وإذا جف فهو حشيش ، ويسمى أول
ما ينبت الرطب والبقل ، فقال لأحمد : انت انظر في الأمور والدواوين
والأعمال ، وهذا يعرض عليّ ، فعرض عليه أياماً ثم استوزره ؛ وكان محمد

٦٩٦ ب - انفردت بها النسخة مع علي هذا النحو .

المذكور قبل ذلك يلي أمور المطبخ والفرش .

وكان الواثق لما ولي أمر أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ، ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد ، فكان ابن أبي دواد يستعجل صلاة الضحى إذا أحس بقدمه أنفة من القيام له في دار السلطان ، وامتنالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلى الضحى لما استقاد عداوتي وأراه ينسك بعدها ويصوم
لا تأمننّ عداوة مسمومة تركك تقعد نارةً وتقوم

وقد سبق شيء من خبره معه في ترجمته .

ومن شعر محمد المذكور في جاريته أم ابنه عمر ، وقد ماتت :

يقول لي الخلان لو زرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فأجهل فقدها ولم أبلغ السن التي معها الصبر

وشعره كله نخب ، ونقتصر منه على هذا القدر ففيه كفاية .

وكان أبوه زياتاً إلا أنه كان كثير المال ؛ وكان محمد المذكور شديد القسوة صعب العريكة لا يرق لأحد ولا يرحمه ، وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة . ووقع يوماً على رقعة رجل توصل إليه بقرب الجوار منه : الجوار للحيطان ، والتعطف للنسوان .

فلما أراد المتوكل قتله أحضره وأحضر تنور خشب فيه مسامير من حديد أطرافها إلى داخل التنور تمنع من يكون فيه من الحركة ، كان محمد اتخذها ليعذب فيه من يطالبه - وهو أول من عمل ذلك وعذب فيه ابن أسباط المصري - وقال : أجرينا فيك حكك في الناس ، فأجلس فيه ، فمات بعد ثلاث وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ وقيل انه كتب في التنور بفحمة :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه
رحم الله رحيماً دلّ عيني عليه

ودفن ولم يعمق قبره فنبتته الكلاب وأكلته ، رحمه الله تعالى .

وكان الجاحظ منقطعاً إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه ، فغاب وكان يقول :
كدت أكون [.....] . وحكى ابن أبي العيناء قال : كنت عند ابن أبي دواد
بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً وكان في أسبابه وناحيته ، وعند ابن
أبي دواد محمد بن منصور ، وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان ، فقال ابن
أبي دواد للجاحظ : ما تأويل هذه الآية ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾ (هود : ١٠٢) فقال : تلاوتها تأويلها
أعز الله القاضي ، فقال : جيئوا بجداد ، فقال : أعز الله القاضي ، ليفك عني
أو ليزيدني ؟ فقال : بل ليفك عنك ، فجيء بالجداد وغمزه بعض أهل المجلس
أن يمنف بساق الجاحظ ويطيل أسرته قليلاً ، ففعل ، فلطمه الجاحظ وقال :
اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة ، فان الفرر على
ساقى وليس يجذع ولا ساجة ، فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه ، وقال
ابن أبي دواد لمحمد بن منصور : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه .

٦٩٧

أبو الفضل ابن العميد

أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ، المعروف بابن
العميد ، والعميد لقب والده ، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه
مجرى التعظيم ، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل .
وأما ولده أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه

٦٩٧ - ترجمته في البيهقي ٣ : ١٥٨ ومعه التنصيص ٢ : ١١٥ وتراجع أخباره في تجارب الأمم
لمسكويه وأخلاق الوزراء والامتناع ١ : ٦٦ والشذرات ٣ : ٣١ وترجمته في مج مختلفة
عما ورد هنا ، وتكاد لا تلتقي في كثير من الأمور مع ما ورد في النسخ الأخرى وستثبت أهم
ما ورد فيها في الحواشي .

١ ن ر ق بر من : نعت .

الديلمي والد عضد الدولة - وقد تقدم ذكرهما^١ - وقولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي ابن القمي ، وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة^٢ ، وكان متوسماً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه ، وكان يسمى الجاحظ الثاني ، وكان كامل الرياسة جليل المقدار ، من بعض أتباعه صاحبُ ابن عَبَّاد - المقدم ذكره - ولأجل صحبته قيل له صاحب ، وكان له في الرسائل اليد البيضاء .

قال الثعالبي في كتاب « اليثيمة » : كان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ، وقد تقدم ذكر عبد الحميد .

وكان صاحب ابن عَبَّاد قد سافر إلى بغداد ، فلما رجع إليه قال له : كيف وجدتِها ؟ فقال : بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له «الأستاذ» وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه .

وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ، ومدحوه بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيب المتني ، ورد عليه وهو بأرجان ، ومدحه بقصائد إحداها التي أولها^٣ :

باد هواك صبرت أو لم تصبرا وبُكائك إن لم يجر دمعك أو جرى
ومنها عند مخلصها :

أرجانَ أيتها الجيادُ فإنه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا
لو كنت أفعل ما اشتبهت فعاله ما شق كوكبك المعجاج الأكدرا
أمي أبا الفضل المبرِّ ، ألبني لأيمَنَ أجلَ بحر جوهرا

١ انظر ج ٢ : ١١٨ .

٢ جاء في مع أن ركن الدولة كان واهي السياسة « قطع على بغال له خرجت إلى العلف ، فأخذ منها ستة بغال ، فقال : كم كان الحرامية ؟ فقيل : سبعة فقال : الآن يختلفون لأن البغال لا تتقسم على عددهم : فقامت سياسة ابن العميد لضبط الأمر وسد خلل ضعف صاحبه ، وله في ذلك أخبار مشهورة » .

٣ ديوان المتني : ٥٣٧ .

أفتى برؤيته الأنام وحاش لي من أكون مُقَصِّرا أو مُقَصِّرا
ومنها :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني من ينحر البِدْرَ النضار لمن قرى
وسمعت بطلميوس دارس كتبه متملكا متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا
نُسِقُوا لنا نسق الحساب مقدا وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

وهي من القصائد المختارة . وقال ابن الهمداني في كتاب « عيون السير » :
أعطاه ثلاثة آلاف دينار .

وقد استعمل أرجان بتخفيف الراء ، وهي مشددة على ما ذكره الجوهري
في كتاب « الصحاح » والحازمي في كتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » وابن
الجواليقي في كتاب « المغرب » . وقد سبق ذكره هذه القصيدة في ترجمة أبي
الفضل جعفر بن الفرات ، وأن المتنبي نظمها فيه وهو بصر ، فلما لم يرضه لم
ينشده إياها ، فلما توجه إلى بلاد فارس صرفها لابن العميد .

وكان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي - المقدم ذكره - قد ورد
عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها :

بَرَحُ اشْتِياقِ وادكارٍ وهيب أنفاس حرارٍ
ومدامع عبراتها ترفض عن نوم مطارٍ
لله قلبي ما يجنُّ من الهموم وما يوارى
لقد انقضى سكر الشبا ب وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصفا ر وما سلوت عن الصغار
سقياً لتغليسي إلى باب الرُصافة وابتكارى

أيام أخطر في الصبا نشوان مسحوب الإزار
حَجَّيْ إِلَى حُجْرَ الصَّرَاةِ وفي حدائقها اعتماري
ومواطن اللذات أو طائي ودار اللهو داري

ومنها :

لم يبق لي عيش يلد سوى معاقره العقار
حسي بألحان قمر ت بين ألحان القماري
وإذا استهل ابن العميد تضاءلت دِيمُ القطار
خرق صفت أخلاقه صفو السبيك من النضار
فكأنما رُفدت مواهبه بأمواج البحار
وكان نَشَرَ حديثه نشر الخزامى والعرار
وكاننا تفة رق راحتاه في نثار
كلف بحفظ السر تحسب صدره ليل السرار

ومنها :

إن الكبار من الأمور ت تنال بالهمم الكبار
وإلى أبي الفضل اتبعت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه ، فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة ، فلم يزد
ابن العميد على الإهمال مع رقة حاله التي ورد عليها إلى بابيه ، فتوسل إلى أن
دخل عليه يوم المجلس وهو حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان ، فوقف
بين يديه وأشار إليه بيده ، وقال : أيها الرئيس ، إني لزمته لزوم الظل ،
وذلت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك ، والله ما يجي من
الحرمان ، ولكن شماتة الأعداء ، قوم نصحوني فاغششتهم ، وصدقوني فاتهمتهم ،
فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم؟ ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر
بعد نظم إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم ؟ فإن كان للنجاح علامة فأين هي وما

هي ؟ إن الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك ، وإن الذين هجوا
كانوا مثلك ، فزاحم بمنكبك أعظمهم سناماً وأتورهم شعاعاً ، وأشرفهم بقاعاً ،
فحار ابن العميد وشده ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال :
هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الاستزادة ، وعن الإطالة مني في المعذرة ،
وإذا توأهنا ما دفعنا إليه استأنفنا ما تتحامد عليه ، فقال ابن نباتة : أيها
الرئيس ، هذه نفثة صدر دؤري^١ منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ،
والغني إذا مظل لئيم ، فاستشاط ابن العميد ، وقال : والله ما استوجبت هذا
العتب من أحد من خلق الله تعالى ، ولقد نافت العميد من دون ذا حتى دفعنا
إلى قري عاثم ولجاج قائم ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ، ولا صنيعتي فأغضي
عليك ، وإن بعض ما أقررت في مسامعي ينقض مرة الحليم ويبدد شمل الصبر ،
هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ولا
كلفتك تقريضي ؛ فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ،
ولا استدعيتني برسول ، ولا سألتني مدحك ، ولا كلفتني تقريضك ، ولكن
جلست في صدر ديوانك بأيهتك وقلت : لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ، ولا
ينازعني خلق في أحكام السياسة ، فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء
والحضرة ، والقيم بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان
المقال ، فثار ابن العميد مفضباً وأسرع في صحن داره إلى أن دخل حجرته ،
وتقوض المجلس وماج الناس ، وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار ماراً يقول :
والله إن سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الأدب إذا كان
بائعه مهيناً له ، ومشتريه مما كسأ فيه . فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب إليه
حلمه التمس منه الغد ليعتذر إليه ويزيل آثار ما كان منه ، فكأتما غاص في سمع
الأرض وبصرها ، فكانت حسرة في قلب ابن العميد إلى أن مات .

ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلى غير ابن نباتة ،
وكشفت ديوان ابن نباتة فلم أر هذه القصيدة فيه ، والله أعلم بالصواب ، ثم

وجدت في كتاب «الوزيرين»^١ تأليف أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسين المعروف بابن أبي الثياب البغدادي اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر آخر من أهل الكرخ يعرف بمويه والله أعلم .

وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب مكيماً عند مخدومه ركن الدولة ابن بويه ، وله الرتبة العلية لديه ، وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الإكرام ، فعاتبه مراراً فلم يفد ، فكتب إليه :

مالكٌ موفور فما باله أكسبك التيه على المعدم
ولم إذا جئت نهضنا وإن جئنا تطاولت ولم تتنم ؟
وإن خرجنا لم تقل مثل ما نقول قدّم طرّفه قدم
إن كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكافأت أحوالنا كلها فصل على الإنصاف أو فاصرم

وللصاحب ابن عباد فيه مدائح كثيرة ، وكان ابن العميد قد قدم مرة إلى أصبهان والصاحب فيها فكتب إليه :

قالوا ربيعك قد قدم قلت البشارة إن سلم
أهو الربيع أخو الشتا أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذي بنواله أمن المقل من المدم
قلت الرئيس ابن العميد إذا ، فقالوا لي نعم

وكان ابن العميد كثير الإعجاب بقول بعضهم :

١ انظر أخلاق الوزيرين : ٤٢٧ ، ٥٣٣ وفي الرواية اختلاف عما أورده ابن خلكان .

وجاءت إلى ستر على الباب بيننا مُجاف^١ وقد قامت عليه الولائد^٢
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها بوحى تؤديه إليه القوائد
إذا سمعت مني لطيفاً تنفست له نفساً تنقد منه القلائد

ولابن العميد شعر ، وما أعجبني الذي وقفت عليه منه حتى أثبتته^٣ ، سوى
ما ذكره ابن الصابي في كتاب « الوزراء » ، وهو قوله :

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني تحبُّ رؤيتها
فقلت للبيض إذ تروعا بالله إلا رحمت وحدتها
فقل " لبث السوداء في وطن تكون فيه البيضاء ضربتها

وذكر له الأمير أبو الفضل الميكالي في كتاب « المنتخل » :

آخ الرجال من الأبا عد والأقارب لا تقارب
إن الأقارب كالمقا رب بل أضر من المقارب

وتوفي ابن العميد المذكور في صفر ، وقيل في المحرم بالري ، وقيل ببغداد ،
سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى^٤ .

وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في كتاب « الوزراء »
أنه توفي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، [وكذا قال جده إبراهيم الصابي في
كتاب « التاجي » ، والله أعلم]^٤ .

[وكان أبو الفضل ابن العميد يعتاده القولنج قارة والنقرس أخرى ، تسلمه

١ ر المختار ؛ بر من : يخاف .

٢ كذا قال هنا ، وفي معج : وله شعر حسن فمنه قوله في غلام قام على رأسه يظله من الشمس :

كانت تظلني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
فأقول يا عجبا ومن عجب شمس تظلني من الشمس

٣ زاد في معج : وكان عمره قد زاد على ستين سنة يسيراً ، وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة ؛
وقال في معج : إنه توفي بهمدان .

٤ زيادة من ر .

هذه إلى هذه ، وقال لسائل سأله : أيها أصعب عليك وأشق ؟ قال : إذا عارضني النقرس فكأنني بين فكي سبع يمضغني ، وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ، ويقال : إنه رأى أكاراً في بستان يأكل خبزاً ببصل ولبن وقد أمعن منه ، فقال : وددت لو كنت كهذا الأكار آكل ما أشتهي ؛ قلت : وهذه شيمة الدنيا ، قل أن تصفو من الشوائب [١] .

ورأيت في بعض الجماهير أن الصحابي بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هناك أحداً بعد أن كان الدهليز يَغصُّ من زحام الناس [٢] ، فأنشد :

أيها الربع لمْ علاك اكتئاب أين ذلك الحجاب والحجابُ
أين من كان يفرغ الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب
قلْ بلا رقة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب

ثم رأيت في كتاب « اليميني » للعتبي هذه الأبيات ، وقد نسبها إلى أبي العباس الضبي ، ثم قال : ويقال إنها لأبي بكر الخوارزمي ، وقد اجتاز بباب الصحابي ابن عباد ، ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لأنه مات قبل الصحابي كما تقدم ذكره .

ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال : رأيت بالري دار قوم لم يبق منها إلا رسم بابها ، وعليه مكتوب :

اعجب لصف الزمان^٣ معتبرا فهذه الدار من عجائبها
عهدي بها بالملوك زاهية قد سطع النور في جوانبها
تبدلت وحشة ساكنها ما أوحش الدار بعد صاحبها

(223) ولما مات رقب مخدمه ركن الدولة ولده ذا الكفایتین أبا الفتح

١ سقط من النسخ وهو ثابت في المطبوعة المصرية .

٢ ق : الزحام بالناس .

٣ ق : الأزمان .

علياً مكانه في دست الوزارة ، وكان جليلاً نبيلاً سرياً ذا فضائل وفواضل ، وهو الذي كتب إليه المتنبي الأبيات الخمسة الدالية الموجودة في ديوانه في أثناء مدائح والده ، ولا حاجة إلى ذكرها .

وذكره الثعالبي في « اليتيمة » في ترجمة والده ، وقال : كتب إلى صديق له يستهديه خمرأ مستوراً عن والده « قد اغتتمت الليلة - أطال الله بقاءك يا سيدي - رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا هذا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام » وذكر له مقاطيع من الشعر . ولم يزل أبو الفتح المذكور في وزارة ركن الدولة إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الحاء ، وقام بالأمر ولده مؤيد الدولة فاستوزره أيضاً ، وأقام على ذلك مدة مديدة ، وكانت بينه وبين صاحب ابن عباد منافسة ، ويقال : إنه أغرى قلب مؤيد الدولة عليه ، فظهر له منه التنكر والإعراض ، وقبض عليه في بعض شهور سنة ست وستين وثلثائة ، وله في اعتقاله أبيات شرح فيها حاله . وقال الثعالبي : اجتاح ماله وقطع في العقوبة أنفه وجز لحيته - وقال غيره : وقطع يديه - فلما أيس من نفسه وعلم أنه لا مخلص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوي عليه يده ، فتق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن^٢ ، وألقاها في النار ، فلما علم أنها احترقت قال للموكل به : افعل ما أمرت به . فوالله لا يصل إلى صاحبك من أموالنا درهم واحد ، فما زال يعرضه على أنواع^٣ العذاب حتى تلف ، وكان القبض عليه يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثائة ، وكانت ولادته سنة سبع وثلثائة .

[ولما انصرف أهل خراسان في سنة خمس وخمسين وثلثائة أيام الغزاة من الري بعد الحادثة التي جرت هناك - وهي واقعة مشهورة ودفع الله شرها -

١ ترجمة أبي الفتح في اليتيمة ٣ : ١٨٥ ومعجم الأدباء ١٤ : ١٩١ ونكت الهميان : ٢١٥
وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٥٢ وراجع أخلاق الوزيرين للتوحيدي .

٢ ر ق بر من : والدفاتر .

٣ أنواع : سقطت من ر ق والمختار .

شرح الرئيس أبو الفضل ابن العميد في بناء حائط عظيم حول دار مخدومه ركن الدولة ، فقال له عارض الجيش : هذا كما يقال : الشد بعد الضراط ، فقال ابن العميد : هذا أيضاً جيد ، لثلاث تنقلت أخرى ، فاستحسن منه هذا الجواب [١] . وفيه يقول بعض أصحابه :

آل العميد وآل بَرْمَكْ مالكم قلّ المينُ لكم وذلّ الناصرُ
كان الزمانُ يجبكم فبداله إن الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب ابن عباد - وقد تقدم ذكره في ترجمته فينظر هناك في حرف الهمزة ٢ .

وكان أبو الفتح المذكور قبل أن يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين :

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخلوها لقوم بعدنا

[ومن المنسوب إلى أبي الفتح ابن العميد :

يقول لي الواشون : كيف تحبها ؟ فقلت لهم : بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم فقلت : هوى لم يهوه قط أمثالي
وكم من شفيق قال : مالك واجما ؟ فقلت : ترى ما بي وتسال عن حالي]^٣

(224) وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي^٤ قد وضع كتاباً سماه « مثالب الوزيرين » ضمنه معايب أبي الفضل ابن العميد المذكور والصاحب

١ لم يرد هذا في النسخ الخطية ، وهو قلق في موضعه .

٢ انظر ج ١ : ٢٢٨ .

٣ لم يرد في النسخ الخطية .

٤ البغدادي : سقطت من قر بر من والمختار ، وفي ترجمة التوحيدي يراجع معجم الأدباء ١٥ : ٥ .

وميزان الاعتدال ٢ : ٣٥٥ وشد الازار : ٥٣ وطبقات السبكي ٤ : ٢ ولسان الميزان ٦ : ٣٦٩ .

وبغية الوعاة : ٣٤٨ وروضات الجنات : ٧١٤ وعنه كتبت دراسات متعددة في السنوات الأخيرة .

ابن عباد ، وتحامل عليها وعدد نقائصها ، وسلبها ما اشتهر عنها من الفضائل والإفضال ، وبالغ في التعصب عليها وما انصفها ، وهذا الكتاب من الكتب المحدودة ، ما ملكه أحد إلا وتعكست أحواله ، ولقد جربت ذلك وجربه غيري على ما أخبرني مَنْ أثق به . وكان أبو حيان المذكور فاضلاً مصنفاً له من الكتب المشهورة « الإمتاع والمؤانسة » في مجلدين ، وكتاب « البصائر والذخائر » ، وكتاب « الصديق والصدّاق » في مجلد واحد ، وكتاب « المقابسات »^١ في مجلد أيضاً ، وكتاب « مثالب الوزيرين » في مجلد واحد أيضاً ، وغير ذلك ، وكان موجوداً في السنة الأربعمئة ، ذكر ذلك في كتاب « الصديق والصدّاق » .
 والتوحيدى : بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، ولم أر أحداً ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة ، لا السمعاني ولا غيره ، لكن يقال إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق ، وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله :

يتشفن من فمي رشفات هُنَّ فيه أحلى من التوحيد

والله أعلم بالصواب .

٦٩٨

ابن مقلة

أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور؛ كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويحيى خراجها ، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره

١ ن ق بر من : المقايسات .

٦٩٨ - أخباره في ثمار القلوب ٢١٠ - ٢١٢ ورسالة في الكتابة للتوحيدى والوافية ١ : ١٦٨

والمنتظم ٦ : ٣٠٩ و ٨ من ابن الأثير والشذرات ٢ : ٣١٠ وعبر الذهبى ٢ : ٢١١ والفخرى :

٢٤٣ وتحفة أولي الألباب : ٤٣ وما بعدها ؛ ولم ترد هذه الترجمة في مج .

الإمام المقتدر بالله ، وخلق عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثلثائة ، وقبض عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وثلثائة ، ثم نفاه إلى بلاد فارس بعد أن صادره ، ثم استوزره الإمام القاهر بالله ، فأرسل إليه إلى فارس رسولا يجيء به ، ورتب له نائباً عنه ، فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الخميس عيد الأضحى من سنة عشرين وثلثائة ، وخلق عليه ، ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاودة علي بن بليق على الفتك به ، وبلغ ابن مقلة الخبر ، فاستتر في أول شعبان من سنة إحدى وعشرين وثلثائة .

ولما ولي الراضى بالله ، لست خلون من جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثائة ، استوزره أيضاً لتسع خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وكان المظفر بن ياقوت مستحوذاً على أمور الراضى ، وكان بينه وبين أبي علي الوزير وحشة ، فقرر ابن ياقوت المذكور مع الغلمان الحجرية أنه إذا جاء الوزير أبو علي قبضوا عليه ، وأن الخليفة لا يخالفهم في ذلك ، وربما سره هذا الأمر ، فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور ، فقبضوا عليه وأرسلوا إلى الراضى يعرفونه صورة الحال ، وعددوا له ذنوباً وأسباباً تقضي ذلك ، فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه ، وذلك في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثلثائة ، واتفق رأيهم على تفويض الوزارة إلى عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ، فقلده الراضى الوزارة ، وسلم إليه أبا علي بن مقلة ، فضربه بالمقارع وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير ، وأخذ خطه بألف ألف دينار ، ثم خلص وجلس بطالاً في داره .

ثم إن أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة ، وخرج عن طاعتها فأنفذ إليه الراضى واستماله ، وفوض إليه تدبير المملكة وجعله أمير الأمراء ورد إليه تدبير أعمال الحجاج والضياح في جميع النواحي ، وأمر أن ينحطب له على جميع

١ الخميس عيد : سقطت من ن ر ق ؛ وهذا النص كله موجز في بر من .

٢ المختار : وفوض .

المنابر ، فقوي أمره وعظم شأنه وتصرف على حسب اختياره ؛ واحتاط على أملاك ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين ، فحضر إليه ابن مقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما في معنى الإفراج عن أملاكه ، فلم يحصل منها إلا على المواعيد ، فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة ، وكتب إلى الراضي يشير عليه بإمساكه والقبض عليه ، وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاثمائة ألف ألف دينار ، وكانت مكاتبتة على يد علي بن هارون المنجم النديم - المقدم ذكره - فأطمعه الراضي بالإجابة إلى ما سأل ، وترددت الرسائل بينها في ذلك ، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن ينحدر إليه سرأ ويقم عنده إلى أن يتم التدبير ، فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة ، واختار هذا الطالع لأن القمر يكون تحت الشماع ، وهو يصلح للأموار المستورة ، فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكثه من الوصول إليه ، واعتقله في حجرة ، ووجه الراضي من غدٍ إلى ابن رائق ، وأخبره بما جرى ، وأنه احتال على ابن مقلة حتى حصله في أسرهِ وترددت بينها المكاتبات في ذلك .

فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال ، وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا ، وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التي كتب بها تلك المطالعة ، فلما انتهى كلامها في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد إلى محبسه ، ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الأطباء بملازمتهم للمداواة ، فلأزموه حتى برىء ، وكان ذلك نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقرئ عليه بقطع اليد - وقد تقدم ذكر سبب ذلك في ترجمته - وذلك من عجيب الاتفاق .

وقال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب ، وكان يدخل عليه لمعالجته : كنت إذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسين ، فأعرفه استتاره وسلامته ، فتطيب نفسه ، ثم ينوح على يده ويبكي ويقول : خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين ، تقطع كما تقطع

أيدي اللصوص ؟ فأسليه وأقول له : هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع ،
فينشدني ويقول :

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فإن البعض^١ من بعض قريب^٢

ثم عاد وراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب
الوزارة وقال : إن قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة ، وكان يشد القلم على ساعده
ويكتب به .

ولما قدم^٣ بجنكم التركي من بغداد ، وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر
بقطع لسانه أيضاً فقطع ، وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرَبٌ ، ولم يكن
له من يخدمه ، فكان يستقي الماء لنفسه من البئر ، فيجذب بيده اليسرى جذبة
ويضمه الأخرى . وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره إليه وورثاء
يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول ، فمن ذلك قوله :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني
بعث ديني لهم بدنيائي حتى حرموني دنياهم بمد ديني
ولقد حطت ما استطعت يجهدى حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فييني
ومن المنسوب إلى ابن مقلة أيضاً :

لست ذا ذلة إذا عضني الدف ولا شاحاً إذا واتني
أنا نار في مرتقى نفس الحاد سد ماء جارٍ مع الإخوان
وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزل للوزراء^٣ حيض لحاه الله من أمر بغيض

١ بر من : فبعض الشيء .

٢ بر : قرب .

٣ بر : للاخوان ؛ قر : للأحرار .

ولكن الوزير أبا علي من اللائي يشن من المحيض
ومن شعره أيضاً ما قاله الثعالي في « يتيمة الدهر » :

وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة في شامخ من عزه المترفع
قالت لي النفس العروف بقدرها ما كان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي في موضعه يوم الأحد عاشر شوال ،
سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودفن في مكانه ، ثم نبش بعد زمان وسلم إلى أهله .
وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر ، لتسع بقين من شوال سنة اثنتين
وسبعين ومائتين ، ببغداد ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ابن البواب الكاتب ، وأنه أول من
نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة هو أو أخوه ، على
الخلافاً المذكور في ترجمة ابن البواب ، وأن ابن البواب تبع طريقته ونقح
أسلوبه .

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة ، فمن ذلك قوله : إذا أحببت تهالكت ،
وإذا أبغضت أهلكت ، وإذا رضيت آثرت ، وإذا غضبت أثرت . ومن كلامه
أيضاً : يعجبني من يقول الشعر تأديباً لا تكسباً ، ويتعاطى الفناء تطريباً لا
تطلباً . وله كل معنى مليح في النظم والنثر . وكان ابن الرومي الشاعر - المتقدم
ذكره - يمدحه فمن معانيه المقولة فيه قوله :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقابُ ودانتُ خوفه الأممُ
فالموتُ ، والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت أن السيوف لها مذ أرهفت خدَم
وكل صاحب سيف دائماً أبداً ما يزال يتبع ما يجري به القلم

(225) وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة كاتباً أديباً بارعاً ،
والصحيح أنه صاحب الخط المليح ، ومولده يوم الأربعاء طلوع الفجر ، سلخ
شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان

وثلاثين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

(226) وأما ابن رائق ، فإن الحافظ ابن عساكر ذكر في « تاريخ دمشق » أنه قدمها في ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وذكر أن الإمام المقتفي بالله ولاء أمر دمشق ، وأخرج منها بدر بن عبد الله الإخشيد ، ثم توجه إلى مصر ، وتواقع هو وصاحبها محمد بن طُفُج الإخشيد - المقدم ذكره - فهزمه الإخشيد فرجع إلى دمشق ، ثم توجه إلى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وقيل إن بني حمدان قتلوه بالموصل^٢ ، قتله ناصر الدولة الحسن - المقدم ذكره .

٦٩٩

ابن بقية

الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي ، الملقب نصير الدولة ، وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه - المقدم ذكره^٣ - كان من جلة الرؤساء ، وأكابر الوزراء ، وأعيان الكرماء . وقد تقدم في ترجمة عز الدولة طرف من خبره في قضية الشمع ، وأن الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة في الشمع كم كان ، فقال : كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف من^٤ في كل شهر ، فإذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة إليه ، فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه ؟ وكان من أهل أوانا من أعمال بغداد ، وكان في أول أمره قد توصل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ، ثم تنقل إلى غيرها من الخدم .

١ ق : فقهره .

٢ ق : صلبوه وقتلوه .

٦٩٩ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٨) وتجارب الأمم (ج : ٢) وراجع الامتاع والمؤانسة (ج : ١) والشذرات ٣ : ٦٣ ؛ وبعد سطرين من بداية هذه الترجمة وقع في النسخة مع خرم ضاعت به أوراق حتى أول ترجمة منصور بن إسماعيل الفقيه .

٣ انظر ج ١ : ٢٧٦ .

ولما مات معز الدولة وأفضى الأمر إلى عز الدولة حسنت حاله عنده ، ورعى خدمته لأبيه ، وكان فيه توصل وسعة صدر ، وتقدم إلى أن استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

ثم إنه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه ؛ وحاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة ، فالتقى على الأهواز وكُسِر عز الدولة ، فنسب ذلك إلى رأيه ومشورته ، وفي ذلك يقول أبو غسان الطبيب بالبصرة :

أقام على الأهواز خمسين ليلة يدبر أمر الملك حتى تَدَمَّرَا
فدبر أمراً كان أوله عَمَى وأوسطه بلوى وآخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وستين وثلاثمائة بمدينة واسط، وسمل عينيه ولزم بيته. وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة ابن بويه عنه أمور يسوءه سماعها، منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي تشبيهاً له برجل أشقر أزرق أمش يسمى أبا بكر كان يبيع الغدد برسم السنابير ببغداد ، وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقريباً إلى قلب مخدومه عز الدولة لما كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة، فلما قتل عز الدولة - كما وصفناه في ترجمته - ومملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بويه المذكور وألقاه تحت أرجل الفيلة ، فلما قتل صلبه بحضرة البيارستان العضدي ببغداد ، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وقال ابن الهمداني في كتاب « عيون السير » : لما استوزر عز الدولة بمختيار ابن بويه ابن بويه المذكور ، بعد أن كان يتولى أمر المطبخ ، قال الناس : من الغضارة إلى الوزارة ، وستر كرمه عيوبه ، وخلع في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة ، قال أبو إسحاق الصايي : رأيت وهو يشرب في بعض الليالي ، وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين ، فزادت على مائتي خلعة ، فقالت له مغنيته^٢ :

١ بر : العنزي ؛ وقد حولت « سنابير » إلى « بساتين » لتوافق هذه اللفظة ، في بعض الأصول .

٢ ر ق : مغنية .

يا سيدي الوزير في هذه الثياب زنابير ما تدعها تثبت على جسمك ، فضحك
وأمر لها بحجة حلي . وهو أول وزير لقب بلقبين ، فإن الإمام المطيع لقبه
بالناصح ، ولقبه ولده الطائع بنصير الدولة .

ولما جرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه
وسمّله وحمله إلى عضد الدولة مسمولاً ، فشره عضد الدولة وعلى رأسه
برنس ، ثم أمر بطرحه للفيلة فقتلته ، ثم صلبه عند داره بباب الطاق ، وعمره
نيف وخمسون سنة . ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري
أحد العدول ببغداد بقوله :

علو في الحياة وفي الممات لحن أنت إحدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا وفود نَدَاكَ أيام الصَّلَات
كَأَنَّكَ قائمٌ فيهم خطيباً وكلهمُ قيامٌ للصَّلَاة
مددت يديك نحوهم احتفاءً كدهما إلهيم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجوقبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمتك في النفوس تبیت تُرعى بحفاظ وحراس ثقات
وتُشْمَلُ عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبلُ زيدٌ علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأسر تباعد عنك تعبير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيلُ نارِ النَّائبات
وكنت تجير من صَرَفِ الليالي فعاد مطالباً لك بالثَّرات
وصيرَ دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً ، فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات

١ ر ق والمختار : كمدكها .

غليل باطن^١ لك في فوادي يخفف بالدموع الجاريات
 ولو أني قدرت على قيام لفرضك والحقوق الواجبات
 ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
 ولكنني أصبر عنك نفسي مخافة أن أعد من الجناة
 وما لك تربة فأقول تسمى لأنك نضب هطل الهاطلات
 عليك تحية الرحمن تترى برحات غوايد رائحات

ولم يزل^١ ابن بقية مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة - في التاريخ المذكور في
 ترجمته في حرف الفاء^٢ - فأنزل عن الحشبة ، ودفن في موضعه ، فقال فيه أبو
 الحسن ابن الأنباري صاحب المراثية المذكورة :

لم يُلْحِقُوا بك عاراً إذ صلبت بلى باءوا بإثمك ثم استرجعوا ندما
 وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤدد علما
 فاسترجعوك وواروا منك طودَ علا بدفنه دفنوا الأفضال والكرما
 لأن بليتَ فلا يبلى نذاك ولا يُنسى ، وم هالك ينسى إذا عدما
 تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما ما زال مالك بين الناس منقسما

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : لما صنع أبو الحسن المراثية
 التائية كتبها ورمها في شوارع بغداد ، فتداولتها الأدباء^٣ ، إلى أن وصل الخبر
 إلى عضد الدولة ، فلما أنشدت بين يديه تمنى أن يكون هو المصلوب دونه ،
 فقال : عليّ بهذا الرجل ، فطلب سنة كاملة ، واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد
 وهو بالري فكتب له الأمان ، فلما سمع أبو الحسن ابن الأنباري بذكر الأمان
 قصد حضرته فقال له : أنت القائل هذه الأبيات ؟ قال : نعم ، قال : أنشدنيها
 من فيك ، فلما أنشد :

١ ق : قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ولم يزل ... الخ .

٢ انظر ج ٤ : ٥٤ .

٣ ق : فتداولها الناس والأدباء .

ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات

قام إليه الصاحب وعانقه وقبل فاه ، وأنفذه إلى عضد الدولة ، فلما مثل بين يديه قال له : ما الذي حملك على مرثية عدوي ؟ فقال : حقوق سلفت وأياد مضت ، فجاش الحزن في قلبي فرثيت ، فقال : هل يحضرك شيء في الشموع ، والشموع تزهر بين يديه ، فأنشأ يقول :

كأن الشموع وقد أظهرت من النار في كل رأس سنانا
أصابعُ أعدائك الخائفين تضرعُ تطلب منك الأمانا

فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرساً وبدرة ؛ انتهى كلام الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

(227) قلت : قوله في الأبيات :

ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضية

زيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكان قد ظهر في أيام هشام بن عبد الملك في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي وإلى العراقيين يومئذ جيشاً مقدمه العباس المري ، فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات ، وصلب بكناسة الكوفة^١ ، ونقل رأسه إلى البلاد . وقال ابن قانع : كان ذلك في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة في صفر أيضاً ، بالكوفة ، ولزيد من العمر اثنان وأربعون سنة يومئذ . وقال ابن الكلبي في كتاب « جهرة النسب » : إن زيد بن علي رضي الله عنها أصابه سهم في جبهته فاحتمله أصحابه ، وكان ذلك عند المساء ، ثم دعوا الحجام فانترع النشاب^٢ وسالت نفسه ، رضي الله عنه . وذكر أبو عمرو الكندي في كتاب « أمراء مصر » أن أبا الحكم ابن أبي الأبيض العبسي^٣ قدم إلى مصر برأس زيد

١ ق ر : وصلب بالكوفة . ٢ ق والمختار : السهم .

٣ كذا في ق ر والكندي : ٨١ وورد في ن والخطط : القيسي .

ابن علي خطيباً يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين ومائة ، واجتمع إليه الناس في المسجد ، وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون يقال : إن رأسه مدفون به ، والله أعلم بالصواب .

(228) وقتل ولده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة ، وقصته مشهورة بالجوزجان ، قتله سالم بن أحوز المازني ، وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية^١ . وهذه القصيدة اتفق العلماء على أنه لم يعمل في بابها مثلها . وقد ذكر أبو تمام أيضاً حال المصلوبين في قصيدته التي مدح بها المعتصم لما صلب الأفشين خيذر ابن كلوس مقدم قواده وبابك ومازيار في سنة ست وعشرين ومائتين ، وقصتهم مشهورة ، فمنها قوله^٢ :

ولقد شفى الأحشاء من بُرَحائها إذ صار بابك جار مازيَارِ
ثانيه في كبد السماء ولم يكن كائنين ثان إذ هما في الغار
وكانما انتَبَذَا لكِيا يطويا عن ناطس خيراً من الأخبار
سود اللباس كأنما نَسَجَتْ لهم أيدي السموم مدارعاً من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار
وقبل هذا في وصف الأفشين خاصة :

رمقوا أعالي جذعه فكأنما رمقوا الهلالَ عشيّة الإفطار

وهي من القصائد الطنانة . والأفشين مشهور فلا حاجة إلى ضبطه ، وهو بكسر الهمزة وفتحها ، واسمه خيذر - بفتح الحاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء - وإنما قيدته لأنه يتصحف على كثير من الناس بجيدر ، بالحاء المهملة .

١ ق : وقتل أيضاً جهم بن صفوان صاحب (بياض) .

٢ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠٧ .

(229) ومن شعر أبي الحسن الأنباري المذكور في الباقي الأخضر قوله^١ :

فصوص زمرّد في غلف در بأقماح حكّت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثيابا لها لوتان من بيض وخضّر

وقد ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ ، وقال : إنه من المقلين في الشعر ،
رحمه الله تعالى .

٧٠٠

الوزير فخر الملك

أبو غالب محمد بن علي بن خلف ، الملقب فخر الملك ، وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فنّاخُسرو . وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد - المقدم ذكرهما - وكان أصله من واسط ، وأبوه صيرفياً ، وكان واسع النعمة فسيح مجال المهمة جم الفضائل والإفضال جزيل العطايا والنوال ، قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه ، وقَرَّضوه بنخب المدائح ، منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر - المقدم ذكره - له فيه قصائد مختارة ، منها قصيدته النونية التي من جملتها يقول :

لكل فقى قرين حين يسمو وفخر الملك ليس له قرين
أنخّ يجنابه واحكم عليه بما أملته فأنا الضمين

١ ورد البيتان في حلبة الكميت : ٢٣٥ منسوبين للصنوبري وانظر ديوانه ٤٨٠ .

٢ تاريخ بغداد ٣ : ٣٥ .

٧٠٠ - أخباره في المنتظم ٧ : ٢٨٦ والوافي ٤ : ١١٨ ومواضع متفرقة من ابن الاثير (ج : ٩)

وعبر الذهبي ٣ : ٩٧ والشذرات ٣ : ١٨٥ .

أخبرني بعض علماء الأدب أن بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيدة ، فأجازه إجازة لم يرضها ، فجاء الشاعر إلى ابن نباتة ، وقال له : أنت غررتي^١ ، وأنا ما مدحتك إلا ثقة بضمانك ، فتعطيني ما يليق بمثل قصيدي ، فأعطاه من عنده شيئاً رضي به ، فبلغ ذلك فخر الملك ، فسير لابن نباتة جملة مستكثرة لهذا السبب .

ويقرب من معنى هذين البيتين في شدة الوثوق بالطاء قول المتنبي :

وثقنا بأن تُعطي فلو لم تجد لنا لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

ويحكى في هذا المعنى أيضاً أن بعض الشعراء مدح بعض الأكابر بقصيدة ، فلما أصبح كتب إليه :

لم أعالجك بالرقاع إلى أن عاجلتني رقع أهل الديون
علموا أنني بمدحك أمدت ملياً فأصبحوا يرفعوني^٢

ومن جملة مداحه المهيأر بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وفيه يقول قصيدته الرائية التي منها^٣ :

أرى كبدي وقد بردت قليلاً أمات أم عاش السرور
أم الأيام خافتني لأنني بفخر الملك منها أستجير

ومدائحه كثيرة ، ولأجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي ، كتاب « الفخري » في الجبر والمقابلة ، وكتاب « الكافي » في الحساب . ورأيت في بعض الجمايع أن رجلاً شيخاً رفع إلى فخر الملك المذكور قصة

١ ر والمختار : غريتي .

٢ ن : يقتضوني .

٣ ديوان مهيأر ١ : ٣٥٨ .

٤ الكرجي : كذا في ر والمختار ، والمشهور أنه الكرجي ، (كما في بعض النسخ) ، وانظر فصلاً عن جهوده في الرياضيات في كتاب تراث العرب العلمي لقدري طوقان ص : ٢٤٩ .

سعى فيها بهلاك شخص ، فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب في ظهرها :
 « السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، فإن كنت أجريتها مجرى النصح ،
 فخرانك فيها أكثر من الريح ، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور ،
 ولولا أنك في خفارة من شبك لقابلناك بما يشبه مقالك ، ونردع به أمثالك ،
 فاكم هذا العيب ، واتق من يعلم الغيب ، والسلام . »
 وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب « تمة يتيمة الدهر » للأشرف بن فخر
 الملك قوله :

مرّ بي الموكبُ لكنني لم أر فيه قمر الموكبِ
 قل لأمير الجيش يا سيدي ما لأمير الحسن لم يركب

ومعاسن فخر الملك كثيرة ، ولم يزل في عزه وجاهه وحرمة إلى أن تقم
 عليه مخدمه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك ، فحبسه ثم قتله
 بسفح جبل قريب من الأهواز ، يوم السبت ، وقيل يوم الثلاثاء ، لثلاث يقين
 من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعمائة ، ودفن هناك ، ولم يستقص في دفنه
 فنبتت الكلاب قبره وأكلته ، ثم أعيد دفن رتمه ، فشفع فيه بعض أصحابه
 فنقلت عظامه إلى مشهد هناك فدفنت فيه في سنة ثمان وأربعمائة .

[وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسي في « أخبار الوزراء » : وكان الوزير
 فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريماً ، وذلك أن بعض خواصه
 قتل رجلاً ظلماً ، فتصدت له زوجة المقتول تستغيث ، فلم يلتفت إليها ، فلقبته
 ليلة في مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة ، فقالت له : يا فخر الملك ، القصص
 التي أرفعها إليك ولا تلتفت إليها صرت أرفعها إلى الله ، وأنا منتظرة خروج
 التوقيع من جهته ، فلما قبض عليه قال : لا شك أن توقيعها خرج ، واستدعي
 إلى مضرب سلطان الدولة ، ثم قبض عليه وعدل به إلى خرگاه ، وقد أحبط
 على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه ، وقتل في التاريخ المذكور أعلاه ،
 وأخذ من ماله سبائة ألف دينار وبنف وثلاثون ألف دينار ، وقيل إنه وجد

له ألف ألف ومائتا ألف دينار من مطبعة .

ورثاه الشريف الرضي بأبيات ما اخترت منها شيئاً حتى أثبتته هاهنا [١]
فسبحان اللطيف الخبير ، الفعال لما يريد . ومولده بواسط يوم الخميس الثاني
والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وقد استوفى هلال
ابن الصابي أخباره في تاريخه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠١

أبو نصر ابن جهير

أبو نصر محمد بن محمد بن جهير، الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلية الثعلبي؛
كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير، خرج من الموصل لأمر يطول شرحه، وصار
ناظر الديوان بجلب، ثم صرف عنه وانتقل إلى آمد، وأقام بها مدة بطالاً، ثم
توصل إلى أن وزيراً للأمير^٢ نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب
ميسافارقين وديار بكر - وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة نصر الدولة - وكان
نافذ الكلمة مطاع الأمر، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة في التاريخ
المذكور في ترجمته، وقام بالأمر ولده نظام الدين، فأقبل عليه وزاد في إكرامه
فرتب أمور دولته وأجراها على الأوضاع التي كانت في أيام أبيه .

ثم خطر له التوجه إلى بغداد، فعمل على ذلك، وكان ي كاتب الإمام القائم
بأمر الله، ولم يزل يتوصل ويبدل الأموال حتى خرج إليه نقيب النقباء ابن طراد
الزيني، فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه، ويم إلى بغداد، وأرسل

١ انفردت ق بما بين معقنين .

٧٠١ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) وابن خلدون ٤ : ٣٢٠ وتاريخ الدولة السلجوقية :
٦٢ والمنتظم ٩ : ٥٤ والفخرى : ٢٦٠ والروافي ١ : ١٢٢ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٤ والشذرات

٣ : ٣٦٩ .

٢ ر : استوزره الأمير .

ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه ، فلما بلغها تولى وزارة القائم بدلاً من أبي الغنائم ابن دارست^١ في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، ودام فيها إلى أن توفي القائم ، وتولى ولد ولده المقتدي بأمر الله فأقره على الوزارة مدة سنين ، ثم عزله عنها يوم عرفة الأمير أبو الغنائم ابن دارست ، بإشارة الوزير نظام الملك ، وكان ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها ، فلما عزل والده خرج هو إلى نظام الملك أبي الحسن وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي - المقدم ذكره - واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد إلى بغداد ، وتولى الوزارة مكان أبيه .

وخرج أبوه فخر الدولة في سنة ست وسبعين إلى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه إياه ، فعقد له على ديار بكر ، وسار معه الأمير أرتق بن أكسب صاحب حلوان - المقدم ذكره - في جماعة من التركان والأكراد والأمراء ، فلما وصلوا إلى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد بعد حصار شديد ، ثم فتح أبوه فخر الدولة مِيتَافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان أخذها من ناصر الدولة أبي المظفر منصور بن نظام الدين ، واستولى على أموال بني مروان وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة . ومن عجيب الاتفاق أن منجماً حضر إلى ابن مروان نصر الدولة ، وحكم له بأشياء ، ثم قال له : ويخرج على دولتك رجل قد أحسنت إليه ، فيأخذ الملك من أولادك ، فأفكر ساعة ثم رفع رأسه إلى فخر الدولة وقال : إن كان هذا القول صحيحاً فهو الشيخ هذا ، ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده ، فكان الأمر كما قال ، فإنه وصل إلى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرنا ، والشرح في ذلك يطول .

وكان رئيساً جليلاً ، خرج من بيتهم جماعة من الوزراء والرؤساء ، ومدحهم أعيان الشعراء ، فمنهم أبو منصور علي بن الحسن^٢ المعروف بصرد^٣ ، أنفذ إلى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة قصيدة ، وهي من مشاهير القصائد ، وأولها^٤ :

١ بدلاً ... دارست : سقطت من ن ر . ٢ ر ق : الحسين .

٣ الديوان : ٥٦ وانفذها إليه سنة ٤٥٥ وفيها يعرض بابن دارست .

لحاجة قلب ما يُفتق غرورها
وقفنا صفوفاً في الديار كأنها
يقول خليلي والظباء سوانح :
لئن شأبت أجيادها وعيونها
فيا عجباً منها يصدُّ أنيسها
وما ذاك إلا أن غزلانَ عامرٍ
ألم يكفها ما قد جنته شمسها
نكصنا على الأعقاب خوف إناثها
ووالله ما أدري غداة نظرنا
فإن كن من نبلٍ فأين حفيها ؟
أيا صاحبي استأذنا لي خمرها
هباما تجافت عن خليل يروعها
وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة
فلا تحسبا قلبي طليقاً فإنما
يعز على الهيم الخوامس وردها
أراك الهى قل لي بأي وسيلة
ومن مديحها :

أعدت إلى جسم الوزارة روحه
أقامت زماناً عند غيرك طامثاً
من الحق أن يُحسبى بها مستحقها
إذا ملك الحسنة من ليس كفؤها
وما كان يُرجى بعثها ونشورها
وهذا الزمان قرؤها وطهورها
ويُنزَعها مردودة مستعيرها
أشار عليها بالطلاق مشيرها

وأُنشده أيضاً لما عاد إلى الوزارة في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد
العزل ، وكان المقتدي بالله قد أعاده إلى الوزارة بعد العزل وقبل الخروج إلى

السلطان ملكشاه ، فعمل فيه صدرر هذه القصيدة^١ :

قد رجع الحق إلى نصايه ، وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته يد ثم أعادته إلى قرابه
هزته حتى أبصرته صارماً رونقه يغنيه عن ضرابه
أكرم بها وزارة ما سلمت ما استودعت إلا إلى أربابه
مشوقة إليك منذ فارقتها شوق أخي الشيب إلى شبابه
مثلك محسود ولكن معجزٌ أن يدرك البارق في سحابه
حاولها قوم ومن هذا الذي يخرج ليثاً خادراً من غابه
يُدْمي أبو الأشبال من زاحمه في خيسه بظفره ونابه
وهل سمعتَ أو رأيتَ لابساً ما خلع الأرقم من إهابه

ومنها :

تيقنوا لما رأوها صَعْبَةٌ^٢ أن ليس للجو سوى عقابه
إن الهلال يرتجى طلوعه بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا يُؤيسُ من طلوعها وإن طواها الليل في جنبابه
ما أطيب الأوطان إلا أنها للمرء أحلى أثر اغترابه
كم عودةٍ دلت على دوامها والخلد للإنسان في مآبه
لو قرب الدرُّ على جالبه ما لَجَّجَ الغائص في طلابه
ولو أقام لازماً أصدافه لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مَرَّجانه إلا وراء الهول من عبابه

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر .

وقد سبق في ترجمة سابور بن أردشير ثلاثة أبيات كتبها إليه أبو إسحاق

١ ديوانه : ٦٣ .

٢ ق ر والمختار : صنعة ؛ بر : ضيمة .

الصابي لما عاد إلى الوزارة بعد العزل ، ولم يعمل في هذا الباب مثلها .
ومن مدحه أيضاً القائد أبو الرضا الفضل بن منصور الشريف الفارقي ، وفيه
عمل الأبيات الحاثية المشهورة ، وهي :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم ولست أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي ذاك أمورٌ طويلةُ الشرح
وأنتم تمدحون بالحسن والـ ظرفاً وجوهاً في غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل قد طبعت نفسه على الشح
من أجل ذا تحرمون كدكم لأنكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى أحداً يمر فيه الرجاء بالنجح
فإن شككتم فيما أقول لكم فكذبوني بواحد سمح
سوى الوزير الذي رياسته تمرك أذن الزمان بالملح

وكانت ولادة فخر الدولة المذكور في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل ؛
وتوفي بها في شهر رجب ، وقيل في المحرم ، سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن
في تل توبة ، وهو تل في قبالة الموصل يفصل بينها عرض الشط ، رحمه الله تعالى .
وكان قد عاد إلى ديار ربيعة متولياً من جهة ملكشاه أيضاً في سنة اثنتين
وثمانين وأربعمائة ، فأول ما ملك نصيبين في شهر رمضان من هذه السنة ، ثم
ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع ، وخطب له على
منابرها نيابة عن الموصل إلى أن توفي .

(230) وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمداني
في تاريخه فقال : انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأي ، وخدم ثلاثة
من الخلفاء ووزر لاثنتين منهم ، وكان عليه رسوم كثيرة وصلات حمة ، وكان نظام
الملك يصفه دائماً بأوصاف عظيمة ، ويشاهده بعين الكافي الشهم ، ويأخذ رأيه
في أهم الأمور ويقدمه على الكفاة والصدور ، ولم يكن يعاب بأشد من الكبير

١ ق : بالظرف والحسن .

٢ ق : المناير .

الزائد ، فإن كلماته كانت محفوظة مع ضنه بها ، ومن كلمه بكلمة قامت عنده
مقام بلوغ الأمل ، فمن جملة ذلك ما قاله لولد الشيخ الإمام أبي نصر ابن الصباغ :
اشتغل وتأدب ، وإلا كنت صباغاً بغير أب ، انتهى كلام ابن الهمداني .
وكان نظام الملك الوزير قد زوجه زبيدة ابنته ، وكان قد عزل عن الوزارة
ثم أعيد إليها بسبب المصاهرة ، وفي ذلك يقول الشريف أبو يعلى ابن الهبّارية
- المقدم ذكره - :

قل للوزير ولا تُفزعك هيئته وإن تعاضم واستولى لمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

ووجدت بخط أسامة بن منقذ - المقدم ذكره - أن السابق بن أبي مهزول
الشاعر المعري قال : دخلت العراق واجتمعت بابن الهبّارية ، فقال لي في بعض
الأيام : امض بنا لنخدم الوزير ابن جبير ، وكان قد عزل ثم استوزر ، قال
السابق : فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير ، فدفع إليه رقعة صغيرة ،
فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر ، وخرجنا من مجلسه فقلت : ما كان
في الرقعة ؟ فقال : خير ، الساعة تضرب رقبتك ورقبتك ، فأشفقت وقلقت ،
وقلت : أنا رجل غريب صحبتك هذه الأيام ، وسعيت في هلاكي ، فقال : كان
ما كان . فقصدنا باب الدار لنخرج فردّنا البواب ، فقال : أمرت بمنعكما ، فقال
السابق : أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير ، وإنما القصد هذا ،
فقال البواب : لا تطول فما إلى خروجك من سبيل ، فأيقنت بالهلاك ، فلما
خفّ الناس من الدار خرج إليه غلام معه قرطاس فيه خمسون ديناراً وقال :
قد شكرنا فاشكر ، فانصرفنا ، ودفع لي عشرة دنانير منها ، فقلت : ما كان
في الرقعة ؟ فأنشدني البيتين المذكورين ، فأليت أن لا أصحبه بعدها .
ولعميد الدولة شعر ذكره في « الحريدة » لكنه غير مرضي ، وذكره ابن
السمعاني في كتاب « الذيل » ؛ ومدحه خلق كثير من شعراء عصره ، وفيه يقول
صدر المذكور قصيدته العينية المشهورة التي أولها :

قد بان عذرك والخليط مودّع وهوى النفوس مع الهوادج يرفعُ
لك حيناً سمتِ الركائب لفتة أترى البدور بكل واد تطلع
في الطاعنين من الحمى ظبي له ال أحشاء مرعى والمآقي مكرع
ممنوعُ أطراف الجمال رقيبهِ حذراً عليه من العيون البرقع
عهد الجبائل صائداتٍ شبهه فارتاع فهو لكل جبل يقطع
لم يدر حامي سربه أي إذا حرم الكلام له لساني الأصبع
وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت بتحيةٍ منه فعيني تسمع
وهذه القصيدة طويلة ، وهي من غرر الشعر ، وقوله فيها :

عهد الجبائل صائداتٍ شبهه فارتاع فهو لكل جبل يقطع
نظير قول ابن الحمارة الأندلسي :

عن النوم سل عيناً به طال عهدها وكان قليلاً في ليلٍ قلائلِ
إذا ظن وكراً مقلتي طائرُ الكرى رأى هُدبها فارتاع خوف الجبائل

ولا أدري أيهما أخذ من الآخر ، لأنني لم أقف على تاريخ وفاة ابن الحمارة حتى
أعرف عصره^١ . ويجوز أن يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير
أن يأخذ أحدهما من الآخر .

وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحُبس وقيّد في شهر رمضان المعظم
سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وتوفي في شوال من السنة ، وإليه كتب أبو الكرم
ابن العلاف الشاعر قوله :

ولولا مدائحنا لم تبين^٢ فعالُ المسيء من المحسن
فهبك احتجبت عن الناظرين فهلا احتجبت عن الألسن

١ المشهور بهذا الاسم أبو عامر ابن الحمارة تلميذ ابن باجة الأندلسي في الغناء والموسيقى (انظر
ترجمته في بقية المتنس : ٥١٧ والنوثر ٢ : ١٢٠ وصفحات متفرقة من نفع الطيب) .
٢ ق ر والمختار : تكن .

(231) وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور في شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها في سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وتوفي سنة ثلاث وتسعين في حصن مقابل لتل بها^١ .

(232) ولصدر أيضاً في زعيم الرؤساء أبي القاسم ابن فخر الدولة قصيدته القافية التي أولها^٢ :

صَبَّحَهَا الدَّمْعَ وَمَسَاهَا الأَرَقَ هل بين هذين بقاء للحدق^٣

وهي بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة إلى التطويل في الإتيان بها ؛ وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم ابن فخر الدولة وزارة الإمام المستظهر بالله ، في شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ، ولقبه نظام ، وقيل قوام ، الدين .
وجهير : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها راء ، وقال السمعاني : بضم الجيم ، وهو غلط ، يقال رجل جهير بَيْنَ الجِهارة ، أي ذو منظر ، ويقال أيضاً جهير الصوت بمعنى جهوري الصوت ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٢

ظهر الدين الروذراوري

أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد^٣ بن عبد الله بن إبراهيم ، الملقب بظهر الدين ، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد ؛ قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب ، وولي الوزارة للإمام المقتدي بأمر الله بعد عزل عميد

١ كذا وهو مفاير لما سبق . ٢ ديوانه : ١١٠ .

٧٠٢ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) والفخري : ٢١٤ والوفاي ٣ : ٣ والمنتظم ٩ : ٩٠ .

والخرينة (قسم العراق) ١ : ٧٧ وطبقات السبكي ٣ : ٥٧ .

٣ بن محمد : سقطت من ر ق .

الدولة أبي منصور ابن جَهِير المذكور قبله في ترجمة أبيه فخر الدولة ، وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعيد عيد الدولة ابن جَهِير . ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد :

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

وخرج بعد عزله ماشياً يوم الجمعة من داره إلى الجامع ، وانتالت عليه العامة تصافحه وتدعوه له ، وكان ذلك سبباً لإلزامه بالعود في داره ، ثم خرج إلى رُوذراور وهي موطنه قديماً ، فأقام هناك مدة ، ثم خرج إلى الحج في الموسم^٢ سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وخرجت العرب على الركب الذي هو فيه بقرب الريزة ، فلم يسلم من الرفقة سواه ، وجاور بعد الحج بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى أن توفي في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ودفن بالبقيع عند القبة التي فيها قبر إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قال العماد الكاتب في « الحريدة » في حقه : وكان عصره أحسن العصور ، وزمانه أنصر^٣ الأزمان ، ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ، صعباً شديداً في أمور الشرع ، سهلاً في أمور الدنيا ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم قال : ذكره ابن الهمداني في « الذيل »^٤ فقال : كانت أيامه أوفى الأيام سعادة للدولتين ، وأعظمها بركة على الرعية ، وأعما أمناً وأشملها رخصاً وأكملها صحة ، لم يغادها^٥ بؤس ولم تشبها مخافة ، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة

١ ق : سيلا .

٢ ق : موسم .

٣ ر : أفضل ؛ بر من : أحسن .

٤ ق ر : المذيل .

٥ ق ر ن بر من : يغادها .

والاحترام ، ما أعادت سالف الأيام ، وكان أحسن الناس خطأً ولفظاً .
 وذكره الحافظ ابن السمعاني في « الذيل » فقال : كان يرجع إلى فضل كامل
 وعقل وافر ورزانة ورأي صائب ، وكان له شعر رقيق مطبوع ، أدركته
 حرفة الأدب ، وصُرف عن الوزارة وكلف لزوم البيت ، فانتقل من بغداد إلى
 جوار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
 إلى حين وفاته ، وزرت قبره غير مرة عند قبر إبراهيم ابن نينا ، صلى الله عليه
 وسلم ، بالقيح ؛ ثم قال السمعاني بعد ذلك : سمعت من أتق به يقول إن الوزير
 أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل إلى مسجد النبي
 صلى الله عليه وسلم ، فوقف عند الحظيرة وبكى وقال : يا رسول الله ، قال
 الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر
 لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ (النساء : ٦٤) ولقد جئتكم معترفاً
 بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى ورجع وتوفي من يومه .
 وله شعر حسن مجموع في ديوان ، فمن ذلك قوله :

لأعذب العينَ غيرَ مفكّرٍ فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
 ولأهجرن من الرقاد لذيدته حتى يمود على الجفون محرّما
 هي أوقمتني في حبال فتنةٍ لو لم تكن نظرت لكنت مسلّما
 سفكت دمي فلاسفن دموعها وهي التي بدأت فكانت أظلما
 وإلى هذا المعنى ينظر قول بعضهم :

يا عين ما ظلم الفؤادُ ولا تعدى في الصنيع
 جرعته مرّ الهوى فمحا سوادك بالدموع^٢

وله أيضاً :

وإني لأبدي في هواك تجلداً وفي القلب مني لوعة وغليل^١

١ بر من : فمن شعره .

٢ وإل هذا ... بالدموع : ثبت في النسخ الخطية ولم يرد في المطبوعة المصرية .

فلا تحسي أني سلوت فربما تُتري صحة بالمرء وهو عليل^١
وله أيضاً^٢ :

أيذهب جلُّ المرينبي وبينكم بغير لقاء ؟ إن ذا لشديد^٣
فإن يسمع الدهر الخؤون بوصلكم على فاقتي إني إذأ لسعيد^٤

وعمل ذيلًا على كتاب « تجارب الأمم » ، تأليف أبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه ، وهو التاريخ المشهور بأيدي الناس .

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه : وظهر منه من التلبس في الدين
وإظهاره وإعزاز أهله والرافة بهم والأخذ على أيدي الظلمة ما أذكر به عدل
العادلين ؛ وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيئاً من القرآن العظيم ويقرأ في
المصحف ما تيسر . وكان يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه وضياعه
واقطاعه ويتصدق سراً . وعرضت عليه رقعة فيها : إن الدار الفلانية بدرب
القيار ، فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع ، فاستدعى صاحباً له
وقال له : مرّواكسهم وأشبعهم ، وخلق أثوابه وحلف : لا لبستها ولا دفنت
حتى تعود إلي وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم . ولم يزل يُرعد إلى أن جاء
صاحبه وأخبره بذلك ؛ وكانت له مبار كثيرة .

والرؤذراوري^٥ : بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء
والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى ، هذه النسبة إلى رؤذراور ، وهي
بلدة^٦ بنواحي همدان ، والله تعالى أعلم .

١ لم يرد إلا في بر من .

٢ بر من : ومن شعره أيضاً .

٣ ق ن بر من : بلدة .

عميد الملك الكندري

أبو نصر محمد بن منصور بن محمد ، الملقب عميد الملك الكندري ؛ كان من رجال الدهر جوداً وسخاء وكتابة وشهامة ، واستوزره السلطان طغرل بك السلجوقي - المقدم ذكره - ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ، ولم يكن لأحد من أصحابه معه كلام ، وهو أول وزير كان لهذه الدولة ، ولم تكن له منقبة إلا صحبة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني الفقيه الشافعي صاحب « نهاية المطلب » على ما ذكره السمعاني في ترجمة أبي المعالي في كتاب « الذيل » فإنه قال - بعد الإطناب في وصف إمام الحرمين وذكر تنقله في البلاد - ثم قال : وخرج إلى بغداد وصحب العميد الكندري أبا نصر مدة يطوف معه ويلتقي في حضرته بالأكابر من العلماء وينظروهم ، وتحنك بهم حتى تهذب في النظر ، وشاع ذكره^١ .

وذكره شيخنا ابن الأثير في تاريخه^٢ في سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال : إن الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقعة في الشافعي ، رضي الله عنه ، حتى بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان ، فأذن في ذلك ، فلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية ، فأنف من ذلك أئمة خراسان ، منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين الجويني وغيرهما ، ففارقوا خراسان ، وأقام إمام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى أربع سنين يدرس ويفتي ، فلهذا قيل له إمام الحرمين فلما جاءت الدولة

٧٠٣ - أخطأه في تاريخ ابن الأثير (ج : ٩ ، ١٠) وأخبار الدولة السلجوقية واللباب : (الكندري)

وعبر الذهبي ٣ : ٢٤٠ والشذرات ٣ : ٣٠١ .

١ زاد في ن : قلت : وهذا خلاف ما ذكره شيخنا .. الخ فانه قال .

٢ انظر تاريخ ابن الأثير ١٠ : ٣٣ .

النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم ؛ وقيل إنه تاب عن
 الوقعة في الشافعي ، فإن صح فقد أفلح .
 وكان عميد الملك ممدحاً مقصداً للشعراء ، مدحه جماعة من أكابر شعراء
 عصره ، منهم أبو الحسن علي بن الحسن البخارزي - المقدم ذكره - والرئيس
 أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل ، الكاتب المعروف بصردر - المقدم
 ذكره أيضاً - وفيه يقول قصيدته التونية ، وهي^١ :

أَكْذَا يُجَازِي وَدَ كُلِّ قَرِينِ أُمْ هَذِهِ شَيْمٌ الظَّبَائِ الْعَيْنِ
 قُصُوعًا عَلِيٌّ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى إِنَّ التَّاسِي رَوْحٌ كُلِّ حَزِينِ
 وَلَئِنْ كُنْتُمْ مَشْفِقِينَ لَقَدْ دَرَى بِمِصَارِعِ الْعَذْرَى وَالْمَجْنُونِ
 فَوْقَ الرِّكَابِ وَلَا أَطِيلُ مِشْبَهَا بَلْ ثَمَّ شَهْوَةٌ أَنْفُسٍ وَعَيْونِ
 هُزَّتْ قَدُودُهُمْ وَقَالَتْ لِلصَّبَا هَزُؤًا أَعْنَدَ الْبَانِ مِثْلَ غِصُونِ
 وَوَرَاءَ ذِيكَ الْمَقْبَلِ مُورِدٌ حِصْبَاؤُهُ مِنْ لَوْلُؤِ مَكْنُونِ
 إِمَّا بِيوتِ النَّحْلِ بَيْنَ شِفَاهِهِمْ مَنْظُومَةٌ^٢ أَوْ حَانَةُ الزَّرْجُونِ
 تَرْمِي بِمِينِكَ الْفِجَاجَ مَقْلَبًا ذَاتِ الشَّجَالِ بِهَا وَذَاتِ يَمِينِ
 لَوْ كُنْتَ زَرْقَاءَ الْيَامَةِ مَا رَأَتْ مِنْ بَارِقِ حَيَاتٍ عَلَى جِيرونِ
 شَكْوَاكَ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ وَإِنَّمَا أَرَقِي بَلِيلَ ذَوَائِبِ وَقَرُونِ
 وَمَعْنَفٍ^٣ فِي الْوَجْدِ قَلْتُ لَهُ اتُّدِّ فَالِدَمْعِ دَمْعِي وَالْحَنِينِ حَنِينِ
 مَا نَافِعِي إِذْ كَانَ لَيْسَ بِنَافِعِي جَاهِ الصَّبَا وَشَفَاعَةِ الْعَشْرِينِ
 لَا تَطْرُقُنْ خَجَلًا لِلْوَمَةِ لِأَنْتُمْ مَا أَنْتِ أَوْلَى حَازِمٍ مُفْتُونِ
 أَسْوَهِمْ ، وَهُمْ الْأَجَانِبُ ، طَاعَةٌ وَهَوَايَ بَيْنَ جِوَانِحِي يَعْضِينِ

١ ديوانه : ٥٣ .

٢ ق بر من : منضودة .

٣ ق ر بر من والمختار : ومعنفي .

٤ بر : حاذر .

ديني على ظبياتهم ما يُقتضى
 وخشيتُ من قلبي الفرارَ إليهمُ
 كلُّ النكالِ أطيقُ إلا ذلةً
 يا عين مثل قَدَاكِ رؤيةُ معشرٍ
 لم يشبهوا الإنسانَ إلا أنهم
 نجسُ العيونِ فإن رأتهم مقلتي
 أنا إن همُ حسبوا الذخائرَ دونهم
 لا يشمتُ الحسادَ أن مطامعي
 ما يستديرُ البدرُ إلا بعدما
 هذا الطريقُ للحبِّ زاجرُ ناقتي
 فإذا عميدُ الملكِ حَلَّى ربعه
 ملكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جواده
 بأغرِّ ما أبصرتُ نورَ جبينه
 تجلوا النواظرُ في نواحي دسه
 عمت فضائله البرية فالتقى
 قالوا وقد شنوا عليه غارة
 لو كان في الزمنِ القديمِ تظامت
 أما خزائنُ ماله فبباحة
 ما الرزقُ محتاجاً بعرضه إلى
 أقسمتُ أن ألقى المكارمَ عالماً
 ساسَ الأمورِ فليس يخلي رغبة
 كالسيفِ روتقِ أثره في مَتْنِه
 شهدتُ علاه أنْ عنصرُ ذاته

١ سقط البيت من ن ر ق .

وكان إنشاده إياه هذه القصيدة عند وصول عميد الملك إلى العراق ، وهو في دَسْتِ وزارته وعلو منصبه ، وهذه القصيدة من الشعر الفائق المختار وقد أثبتتها بكاملها ما خلا ثلاثة أبيات فإنها لم تعجبني فأهملتها ، وقد وازن هذه القصيدة جماعة من الشعراء منهم ابن التعاويذي - المقدم ذكره - وازنه بقصيدته التي أولها :

إن كان دينك في الصبابة ديني فقِفِ المطي برمَلَتَيَّ يَبْرِينِ

وهي من القصائد النادرة ، وأرسلها من العراق إلى الشام ممتدحاً بها السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ولولا خوف الإطالة لأثبتها ، ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين يوسف بن أيوب فتطلب هناك ؛ ووازنه أيضاً ابن المعلم - المقدم ذكره - بقصيدته التي أولها :

ما وقفة الحادي على يَبْرِينِ وهو الخليُّ من الأطباء العينِ

وهي أيضاً قصيدة جيدة ، وقد ذكرت بعضها في ترجمته ، وقد وازنها الأبله أيضاً ، وبالجملة فما قاربها إلا ابن التعاويذي ، وقد خرجنا عن المقصود ، ولكن انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه .

ولم يزل عميد الملك في دولة طُغْرُلبِكِ عظيم الجاه والحرمة ، إلى أن توفي طغرلبك - في التاريخ المذكور في ترجمته - وقام في المملكة ابن أخيه ألب أرسلان - المقدم ذكره - فأقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ، ثم إنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته ، فأرجف أعداؤه أنه خطبها لنفسه ، وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر ، فخاف تغير قلب مخدومه عليه ، فعمد إلى حليته فحلقتها وإلى مذاكيره فجبها ، فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان ، وقيل إن السلطان خصاه ، فلما فعل ذلك عمل أبو الحسن علي بن الحسن الباخَرَزِي المذكور في ترجمته قوله :

قالوا محاً السلطان عنه بَعْدَكُمْ سمةَ الفحولِ وكان قَرَمًا صائِلاً

١ إياه : سقطت من رق .

قلتُ اسكتوا فالآن زاد فُحولةٌ لما اغتدى من أنثيه عاطلا
فالفحلُ يأنف أن يُسمى بعضهُ أنثى ، لذلك جدّه مستاصلا

وهذا من المعاني الغربية البديعة .

ثم إن ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة
لسبب يطول شرحه ، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن
إسحاق الطوسي المقدم ذكره . وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان ،
ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره ، فكان في حجرة تلك الدار عياله ،
وكانت له بنت واحدة لا غير ، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفته
وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين ، وأعطى الذي همّ بقتله
مائة دينار نيسابورية وقال : حقي عليك أن تكفني في هذا الثوب الذي
غسلته بماء زمزم ، وقال لجلاده : قل للوزير نظام الملك : بشئ ما فعلت ،
علّمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن حفر مهواة وقع فيها ،
ومن سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ؛ ورضي
بقضاء الله المحتوم .

وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره
يومئذ نيف وأربعون سنة ، فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطباً
للسلطان ألب أرسلان :

وعمك أدناه وأعلى محله وبوأه من ملكه كنفاً رجا
قضى كل مولى منكما حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبى

ومن المعجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم ، وأريق دمه بمرو الروذ ، ودفن
جسده بقريته كندر ، وججمته ودماغه بنيسابور ، وحشيت سواته بالتبن
ونقلت إلى كيرمان ، وكان نظام الملك هناك ، ودفنت ثمّ ، وفي ذلك عبرة لمن
اعتبر ، بعد أن كان رئيس عصره ، رحمه الله تعالى .

والكُندُري : بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء ،
هذه النسبة إلى كندر ، وهي قرية من قرى طرُيْث - بضم الطاء المهملة وفتح

الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر التاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضاً وبعدها تاء مثلثة - وهي كورة من نواحي نيسابور ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٤

الوزير الجواد جمال الدين

أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور ، الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني ، وزير صاحب الموصل ؛ كان جده أبو منصور فهّاداً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فتأدب ولده وسَمَتَ همتة ، فاشتهر أمره وخدم في مناصب عليّة وصاهر الأكابر ، فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ، ثم ترتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فظهرت كفايته وحدث طريقته ، فلما تولى أتابك زنكي بن آق سنقر - المقدم ذكره - الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه إليها ، فولاه نصيبين ، فظهرت كفايته ، وأضاف إليه الرحبة ، فأبان عن كفاية وعفة ، وكان من خواصه وأكبر ندمائه ، فجعله مشرف مملكته كلها وحكمه تحكيمياً لا مزيد عليه . وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبا سعيد بهرام بن الخضر الكفرتوتيّ ، استوزره أتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وتوفي خامس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وهو على وزارته ، وتولى الوزارة بعده أبو الرضى ابن صدقة ، وجمال الدين المذكور على وظائفه .

وكان جمال الدين دمث الأخلاق ، حسن المحاضرة مقبول المفاكحة ، فحفظ على أتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه ومحاورته ، وجعله من ندمائه ،

٧٠٤ - تراجع أخباره في الباهر المنتظم ١٠ : ٢٠٩ والشذرات ٤ : ١٨٥ .

[وعول عليه في آخر مدته في أشرف ديوانه]^١ وزاد ماله ، ولم يظهر منه في أيام أتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بوجود ، فلما قتل على قلعة جعبر - كما تقدم في ترجمته - أراد بعض المسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله ، فتمرضوا له ورموا خيمته بالنشاب ، فجماعه من الأمراء ، وتوجه بالعسكر إلى الموصل ، فرتبه سيف الدين غازي بن أتابك زنكي - المقدم ذكره - في وزارته ، وفوض الأمور وتدبير أحوال الدولة إليه وإلى زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربل - وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ولده في حرف الكاف - فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ، ولم يزل يعطي ويبذل الأموال ويبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد ، وصار ذلك كالعلم عليه ، حتى لا يقال له إلا « جمال الدين الجواد » . ومدحه جماعة من الشعراء ، من جملتهم محمد بن نصر بن صغير القيسراني الشاعر - المقدم ذكره - فإنه قصده بقصيدته المشهورة التي أولها :

سقى الله بالزوراء من جانب الغربي مَهًا وردت عين الحياة من القلبِ

وهي من القصائد الطنانة .

وأثر آثاراً جميلة ، وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد ، وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه ، وبنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان خرب من مسجده ، وكان يحمل في كل سنة إلى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الأموال والكسوات للفقراء والمتقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة ، وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير ، ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق له شيء ، وكان إقطاعه عَشْرَ مُعْتَلِّ البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية ، فأخبر بعض وكلائه أنه دخل عليه يوماً فناوله ببقباره ، وقال له : بع هذا واصرف ثمنه إلى الحاويج ، فقال له الوكيل : إنه لم يبق عندك سوى هذا البقبار والذي على رأسك ، وإذا بعث

١ لم يرد في ر ن ق ، وورد في بر من .

هذا ربما تحتاج إلى تغيير البقيار فلا تجد ما تلبسه ، فقال له : إن هذا الوقت صعب كما ترى ، وربما لا أجد وقتاً أصنع فيه الخير كهذا الوقت ، وأما البقيار فاني أجد عوضه كثيراً ، فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه ؛ وله من هذه النواذر أشياء كثيرة .

وأقام على هذه الحال إلى أن توفي بخدومه غازي - في التاريخ المذكور في ترجمته - وقام بالأمر من بعده أخوه قطب الدين مودود - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - فاستولى عليه مدة ، ثم إنه استكثر إقطاعه وثقل عليه أمره ، فقبض عليه في شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسة . وفي أخبار زين الدين صاحب إربل طرف من خبر قبضه وحبسه في قلعة الموصل . ولم يزل مسجوناً^٢ بها إلى أن توفي في العشر الأخير من شهر رمضان المعظم ، وقيل شعبان ، سنة تسع وخمسين وخمسة ، وصلي عليه ، وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الضعفاء^٣ والأراامل والأيتام حول جنازته ، ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ، ثم نقل إلى مكة - حرسها الله تعالى - وطيف به حول الكعبة ، وكان بعد أن صدعوا به ليلة الوقفة إلى جبل عرفات ، وكلوا يطوفون به كل يوم مراراً مدة مقامهم بمكة ، شرفها الله تعالى ، وكان يوم دخوله مكة يوماً مشهوداً من اجتماع الخلق والبكاء عليه ، ويقال إنه لم يهدأ^٤ عندهم مثل ذلك اليوم ، وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويصعد مأثره ، إذا وصلوا به إلى المزارات والمواضع المعظمة ، فلما انتهوا به إلى الكعبة وقف وأنشد :

يا كعبة الإسلام هذا الذي جاءك يسمى كعبة الجود
قصدت في العام وهذا الذي لم يخجل يوماً غير مقصود

ثم حل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن بها بالبقيع بعد أن أدخل

١ ق : إلى أن تغير .

٢ بر : عبوساً .

٣ بر : من ضجيج الناس من الضعفاء .

٤ بر : أنهم لم يهدوا .

المدينة ، وطيف به حول حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مراراً ، وأنشد
الشخص الذي كان مرتباً معه ، فقال :

سرى نفضه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمرُّ على الوادي فتشني رماله عليه وبالنادي فتبكي أرامله

قلت : وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن
منقذ الشيزري - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - ؛ رحمه الله تعالى .

(233) وكان ولده أبو الحسن علي الملقب جلال الدين ، من الأدباء الفضلاء
البلغاء الكرماء، رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه، وجمعه مجد الدين أبو السعادات
المبارك المعروف بابن الأثير الجزري صاحب « جامع الأصول » - وقد تقدم
ذكره^١ - وسماه كتاب « الجواهر والآلي من الإملاء المولوي الوزيري الجلاي » .
وكان مجد الدين المذكور في أول أمره كاتباً بين يديه ، يملئ رسائله وإنشاءه عليه ،
وهو كاتب يده ، وقد أشار مجد الدين إلى ذلك في أول هذا الكتاب ، وبالغ
في وصف جلال الدين المذكور وتقريضه ، وفضله على كل من تقدم من الفصحاء ،
وذكر أنه كان بينه وبين حَيْصَ بَيْصَ - الشاعر المقدم ذكره^٢ - مكاتبات ،
ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض رسائله .

وفي جملة ما ذكره أن حيص بيص كتب إليه على يد رجل عليه دين رسالة
مختصرة ، فأنيت بها لقصرها ، وهي « الكرم غامر والذكر سائر ، والعون
على الخطوب أكرم ناصر ، وإغاثة الملهوف من أعظم الذخائر ، والسلام »^٣ .
وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ،
- وقد تقدم ذكره أيضاً في حرف الفين - .

وتوفي جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، بمدينة دُنَيْسِرَ

١ انظر ج ٤ : ١٤١ .

٢ انظر ج ٢ : ٣٦٢ .

٣ لم ترد هذه الرسالة في ق .

٤ انظر ج ٤ : ٤ .

وحمل إلى الموصل ثم نقل إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بها في تربة والده ، رحمه الله تعالى .

ودُنِّيَسَّرَ : بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء ، وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين ، تطرقها التجار من جميع الجهات ، وهي بجمع الطرقات ، ولهذا قيل لها : دنيسر ، وهي لفظ مركب عجمي ، وأصله دنياسر ، ومعناه رأس الدنيا ، وعادة المعجم في الأسماء المضافة أن يؤخروا المضاف عن المضاف إليه ، وسر بالعجمي رأس .

والكفَرَتُونِي الوزير المذكور : بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها تاء مثناة ، هذه النسبة إلى كفروتا وهي قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا ، والله أعلم بالصواب .

٧٠٥

العماد الاصفهاني الكاتب

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي الفرج محمد بن نقيس^١ الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز - وقد تقدم ذكر عمه العزيز في حرف الهمزة^٢ - . المعروف بأله^٣ ، الملقب عماد الدين ، الكاتب الأصبهاني .

كان العماد المذكور فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً ،

٧٠٥ - أخباره في مرآة الزمان والكمال لابن الأثير (ج : ١٢) والروضتين ١ : ١٤٤ والوافي

١ : ١٣٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ١١ وطبقات السبكي ٤ : ٩٧ وعبر التهبي ٤ : ٢٩٩

والشذرات ٤ : ٣٣٢ وفي الخريدة والبرق الشامي أخبار كثيرة عن شتونه وأشعاره .

١ ر : نصير . ٢ انظر ج ١ : ١٨٨ .

وأقن الخلاف وفنون الأدب ، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه . وكان قد نشأ بأصبهان وقدم بغداد في حداثة ، وتفق على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز مدرس النظامية ، وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن جبرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن علي بن الأشقر ، وغيرهم ، وأقام بها مدة .

ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد ، فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، ولم يزل ماشي الحال مدة حياته ، فلما توفي - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - تشتت شمل أتباعه والمنتسبين إليه ونال المكروه بعضهم ، وأقام المهاد مدة في عيش منكدر وجفن مسهد ، ثم انتقل إلى مدينة دمشق ، فوصلها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسة ، وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن أتابك زنكي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وحاكمها ومتولي أمورها وتدبير دولتها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد ابن الشهرزوري - المقدم ذكره^١ - فتمرف به وحضر مجالسه ، وذكر لديه مسألة في الخلاف ، وعرفه الأمير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمها الله تعالى ، وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فأحسن إليه وأكرمه وميزه عند الأعيان والأمائل ، وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ، ومدحه في ذلك الوقت بدمشق المحروسة ، وذكر المهاد ذلك في كتابه « البرق الشامي » وأورد القصيدة التي مدحه بها يومئذ .

ثم إن القاضي كمال الدين نوه بذكره عند السلطان نور الدين ، وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الإنشاء . قال المهاد : فبقيت متحيراً في الدخول فيما ليس من شأني ولا وظيفتي ، ولا تقدمت لي به درية . ولقد كانت مواد هذه الصناعة عتيقة عنده ، لكنه لم يكن قد مارسها فجب عنها في الابتداء ، فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب ؛ وكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية أيضاً ، وحصل بينه وبين صلاح الدين في تلك المدة مودة أكيدة وامتزاج تام^٢ ،

٢ تام : سقطت من ق ن بر من .

١ انظر ج ٤ : ٢٤١ .

وعلت منزلته عند نور الدين ، وصار صاحب سره ، وسيره إلى دار السلام بغداد رسولاً في أيام الإمام المستنجد ، ولما عاد فوض إليه تدريس المدرسة المعروفة به في دمشق ، أعني العماد ، وذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وخمسة ، ثم رقبه في اشراف الديوان في سنة ثمان وستين ، ولم يزل مستقيم الحال رخي البال ، إلى أن توفي نور الدين - في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وقام ولده الملك الصالح إسماعيل مقامه وكان صغيراً فاستولى عليه جماعة كلوا بكرهون العماد فضايقوه وأخافوه إلى أن ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصداً بغداد فوصل إلى الموصل ومرض بها مرضاً شديداً .

ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لأخذ دمشق ، فانتفى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود إلى الشام وخرج من الموصل رابع جمادى الأولى سنة سبعين وخمسة ، وسلك طريق البرية ، فوصل إلى دمشق في ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ، ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حصص في شعبان من السنة ، فحضر بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ، ثم لزم الباب ينزل لتزول السلطان ويرحل لرحيله^١ ، فاستمر على عطلته مديدة ، وهو يفتش مجالس السلطان وينشده في كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته واستكبه واعتمد عليه وقرب^٢ منه ، فصار من جملة الصدور المعدودين والأمانتل المشهورين ، يضاهاى الوزراء ويحري في مضاهم . وكان القاضي الفاضل في أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية ، والعماد ملازم^٣ الباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم .

وصنف التصانيف النافعة ، من ذلك : كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » جعله ذيبلا على « زينة الدهر » تأليف أبي المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري ، والحظيري جعل كتابه ذيبلا على « دمية القصر وعصرة أهل العصر » للباخرزي ، والباخرزي جعل كتابه ذيبلا على « يتيمة الدهر » للثعالبي ، وقد

١ ق ر : يرحل لرحيل السلطان وينزل لتزوله .

٢ ق : وقربه .

تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين ، والثعالبي جعل كتابه ذيلاً على كتاب « البارع »
لهارون بن علي المنجم - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وقد ذكر العماد في
خريدته^١ الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ،
وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ، ولم يترك أحداً^٢
إلا النادر الحامل ، وأحسن في هذا الكتاب ، وهو في عشر مجلدات .

وصنف كتاب « البرق الشامي » في سبع مجلدات ، وهو مجموع تاريخ ،
وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق إلى الشام ، وما جرى له في
خدمة السلطان نور الدين محمود ، وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين ،
وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام ، وهو من الكتب الممتعة ، وإنما سماه « البرق
الشامي » لأنه شبه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها .
وصنف كتاب « الفتح القدسي^٣ في الفتح القدسي » في مجلدين ، يتضمن كيفية
فتح البيت المقدس ، وصنف كتاب « السيل على الذيل » جعله ذيلاً على « الذيل »
لابن السمعاني المقدم ذكره الذي ذيل به « تاريخ بغداد » تأليف الخطيب
البغدادي الحافظ ، هكذا كنت قد سمعت ثم إنني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على
كتابه « خريدة القصر » المذكور ، وصنف كتاب « نصره الفترة وعصرة الفطرة
في أخبار الدولة السلجوقية » وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربع مجلدات ،
ونفسه في قصائده طويل ، وله ديوان صغير جميعه دوبيت .

وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما
يحكى عنه أنه لقيه يوماً وهو راكب على فرس ، فقال له : سر فلا كبا بك
الفرس ، فقال له الفاضل : دام علا العماد ، وهذا مما يقرأ مقلوباً وصحيحاً سواء .
واجتماعاً يوماً في موكب السلطان ، وقد انتشر من القبار لكثرة الفرسان ما سد
القضاء ، فتمعبنا من ذلك ، فأنشد العماد في الحال :

أما القبار فإنه مما أثارته السنايك
والجو منه مظلم لكن أثار به السنايك

١ قر ن : الخريدة .

٢ أحداً : سقطت من ر ق .

٣ ر ن : القسي .

يا دهر لي عبد الرحيم م فلست أخشى مسّ نابك

وقد اتفق له الجنس في الأبيات الثلاثة ، وهو في غاية الحسن .
وكان القاضي الفاضل قد حج من مصر في سنة أربع وسبعين وخمسة وركب
البحر في طريقه ، فكتب إليه العماد : طوبى للحجّير والحجّون من ذي الحجر
والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى ، ولندي الكعبة من كعبة الندى ، والهدايا
المشترات من مشعر الهدى ، وللمقام الكريم من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار
القفر للحطيم ، ومتى رؤي هرم في الحرم ، وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب
البحر البحر ، وسلك البر البر ؟ لقد عاد قس إلى عكاظه ، وعاد قيس لحفاظه ،
ويا عجباً لكعبة يقصدها كعبة الفضل والإفضال ، ولقبة يستقبلها قبله القبول
والإقبال ، والسلام .

لقد أبدع في هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة ، لكن الظاهر أنه غلط
في قوله قيس لحفاظه ، فإن المشهور أنس الحفاظ ، وهم أربعة أخوة لكل واحد
منهم لقب ، ولولا خوف الإطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرت قصتهم .
ولما توفي الوزير عون الدين بن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه
وكان العماد في جملة من اعتقل ، لأنه كان ينوب عنه في واسط تلك المدة ،
فكتب من الحبس إلى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء ، وكان
حينئذ أستاذ الدار المستنجدية ، وذلك في شعبان سنة ستين وخمسة من قصيدة :

قل للامام : علام حبس وليكم أولوا جميلكم جميل ولانه
أوليس إذ حبس التمام وليه خلى أبوك سبيله بدعائه

فأمر بإطلاقه ، وهذا معنى مليح غريب ، وفيه إشارة إلى قضية العباس بن
عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإن
الفيث قد انقطع في زمن خلافته وأعلنت الأرض ، فخرج للاستسقاء ومعه

١ هم المعروفون بالكلمة من بني عبس أبناء فاطمة بنت الخرشب الأنمارية : الربيع الكامل وقيس
الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس ؛ وأخطأ المؤلف في تليقه .

العباس والناس ، فلما وقف للدعاء قال : اللهم إنا كنا إذا قحطنا تولنا إليك
بنينا ففسقنا ، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا ، فسقوا . وأما الوليُّ
فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي ، وسمي ولياً لأنه يلي الوسمي ، والوسمي :
مطر الربيع الأول ، وسمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، وهو منسوب
إلى الوسم ، وقد جمعها المتنبى في بيت واحد وهو :

أمنعمة بالعودة الظبية التي بغير ولي كان نائلها الوسمي

يعني أنه لم تكن لزيارتها الأولى ثانية .

ولم يزل العباد الكاتب على مكاتته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح
الدين ، رحمه الله تعالى ، فاختلفت أحواله وتطلت أوصاله ، ولم يجد في وجهه
باباً مفتوحاً ، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف ، وقد ساق في أوائل
« البرق الشامي » طرفاً من ذلك . وتقدم في ترجمة ابن التعاويذي ما دار
بينها في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابها .

وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة ، وقيل في شعبان ، سنة
تسع عشرة وخمسة بأصبهان . وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم
سنة سبع وتسعين وخمسة بدمشق ، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر ،
رحمه الله تعالى .

أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه في مدة مرضه أنه كان إذا دخل
عليه أحدٌ يعودُه أنشده :

أنا ضيف بربكم أين أين المضيف ؟

أنكرتني معارفي مات من كنت أعرف

وألته : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وهو اسم عجمي معناه
بالعربي العقاب ، وهو الطائر المعروف ، وقد قيل إن العقاب لا يوجد فيه ذكر
بل جميعه أنثى ، وإن الذي يسافده طائر آخر من غير جنسه ، وقيل إن
الثعلب يسافده ، وهذا من العجائب .

ولابن عتير الشاعر المقدم ذكره في هجو شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه معروفة وله ب مجبول'

وهذه إشارة إلى ما نحن فيه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٦

الفارابي الفيلسوف

أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرها من العلوم ؛ وهو أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ، والرئيس أبو علي ابن سينا - المقدم ذكره - بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه . وكان رجلاً تركيا ولد في بلده ونشأ بها - وسيأتي الكلام عليها في آخر الترجمة إن شاء الله تعالى - ثم خرج من بلده وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل إلى بغداد ، وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي ، فشرع في اللسان العربي فتعلمه وأتقنه غاية الإتقان ، ثم اشتغل بعلوم الحكمة .

(234) ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور، وهو شيخ كبير، وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ، ويحتمع في حلقة كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق ، وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويعلي على تلامذته شرحه، فكتب عنه في شرحه سبعون^٢

٧٠٦ - ترجمته في الفهرست : ٢٦٣ وتاريخ الحكماء : ٢٧٧ وطبقات صاعد : ٥٣ وعبر الذهبي

٢ : ٢٥١ وتاريخ ابن العربي : ١٧٠ والوافي ١ : ١٠٦ قال ورأيت ابن خلكان قد قال :

محمد بن طرخان ؛ قلت : وهو ثابت في النسخ ق ر ن والمختار : محمد بن محمد، وانظر عيون

الانبياء ٢ : ١٣٦ .

١ ر ن بر من : وكان يعلم الناس .

٢ بر : سبعين .

سفرأ ، ولم يكن في ذلك الوقت أحد مثله في فنه ، وكان حسن العبارة في توافيه لطيف الإشارة ، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل ، حتى قال بعض علماء هذا الفن : ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر يعني المذكور ، وكان أبو نصر يحضر حلقة في غمار تلامذته .

فأقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل إلى مدينة حَرَآن وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني ، فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً ، ثم إنه قفل راجعاً إلى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة ، وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها ، ويقال إنه وجد « كتاب النفس » لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي : إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة . ونقل عنه أنه كان يقول : قرأت « السماع الطبيعي » لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة ، وأرى أنني محتاج إلى معاودة قراءته . ويروى عنه أنه سئل : من أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطاطاليس؟ فقال : لو أدركته لكنت أكبر تلامذته .

وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي في كتاب « طبقات الحكماء » فقال : الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة ، أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر ، فبذ جميع أهل الإسلام وأربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها ، وجميع ما يحتاج إليه منها ، في كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة ، منبهاً على ما أعيا الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم ، وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة ، وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصرّف صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهائية الفاضلة ، ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يُسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ، انتهى كلام ابن صاعد ؛ وذكر بعد ذلك

١ الوافي : حيلان ؛ بر : حلان ؛ قر : خيلان .

شيئا من تواليفه ومقاصده فيها .

ولم يزل أبو نصر يبغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه ، وألف بها معظم كتبه ، ثم سافر منها إلى دمشق ، ولم يقم بها ، ثم توجه إلى مصر ، وقد ذكر أبو نصر في كتابه الموسوم بـ «السياسة المدنية» أنه ابتداء بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر ، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها ، وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان ، فأحسن إليه .

ورأيت في بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه بجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزى الأتراك ، وكان ذلك زيه دائماً ، فوقف ، فقال له سيف الدولة : أقعد ، فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه ، وكان على رأس سيف الدولة ممالك ، وله معهم لسان خاص يسارهم به قتل أن يعرفه أحد ، فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشيخ قد أساء الأدب ، وإني مسأله عن أشياء إن لم يوف بها فاخرقوا به ، فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الأمير ، اصبر فإن الأمور بعواقبها ، فمجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً ، فمظم عنده . ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله ، فصرههم سيف الدولة وخلا به ، فقال له : هل لك في أن تأكل ؟ فقال : لا ، فقال : فهل تشرب ؟ فقال : لا ، فقال : فهل تسمع ؟ فقال : نعم ، فأمر سيف الدولة بإحضار القيان ، فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملامي ، فلم يحرك أحد منهم آله إلا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت ، فقال له سيف الدولة : وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال : نعم ، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك منها كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس ، ثم فكها وغير

١ أيها الأمير : سقط من ن ر والمختار .

تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياماً وخرج .
ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه ، وهو أول من ركبها هذا التركيب .
وكان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس ، وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون
غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ، ويؤلف هناك كتبه ، وينتابه المشتغلون
عليه . وكان أكثر تصنيفه في الرقاع ، ولم يصنف في الكراريس إلا القليل ،
فلذلك جاءت أكثر تصنيفه فصولاً وتعاليق ، ويوجد بعضها ناقصاً مبتوراً . وكان
أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن ، وأجرى عليه سيف
الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته .
ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق ، وصلى عليه
سيف الدولة في أربعة من خواصه ، وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق
خارج باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

وتوفي متى بن يونس ببغداد في خلافة الرازي ، هكذا حكاه ابن صاعد
القرطبي في « طبقات الأطباء »^١ .

وظفرت في مجموع أبيات منسوبة إلى الفارابي ، ولا أعلم صحتها ، وهي :

أخي خلّ حَيَّزَ ذي باطل وكن للحقائق في حَيَزِ
فما الدار دار مقام لنا وما المرء في الأرض بالمعجز
ينافس هدا لهذا على أقلّ من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقمن على نقطة وقع مستوفز
يحيط السموات أولى بنا فماذا التنافس في مركز

(235) ورأيت هذه الأبيات في « الخريدة » منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد
الملك الفارقي البغدادي الدار . وقال العماد مؤلف « الخريدة » : إنه اجتمع به يوم
الجمعة ثامن عشر شهر رجب ، سنة إحدى وستين وخمسة ، وتوفي بسنيات
بعد ذلك .

١ ق : لا يجالس أحداً من الناس .

٢ ق : الحكماء ، وانظر ص : ١٥٤ .

وطرخان : بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون .
وأوزلغ : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي واللام وبعدها غين
معجمة ، وهما من أسماء الترك .

والفارابي : بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الألف الثانية باء موحدة ،
هذه النسبة إلى فاراب ، وتسمى في هذا الزمان أطرار - بضم الهمزة وسكون
الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة - وقد غلب عليها هذا الاسم ، وهي مدينة
فوق الشاش ، قريبة من مدينة بلاساغون ، وجميع أهلها على مذهب الإمام
الشافعي ، رضي الله عنه ، وهي قاعدة من قواعد مدن الترك ، ويقال لها
فاراب الداخلة ، ولهم فاراب الخارجة ، وهي في أطراف بلاد فارس .

وبلاساغون : بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة وبعد الألف غين
معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون ، وهي بلدة في ثغور الترك وراء نهر سيحون
- المقدم ذكره - بالقرب من كاشغر .

وكاشغر : بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة
مفتوحة وفي آخرها راء ، وهي من المدن العظام في تخوم الصين ؛ والله تعالى
أعلم بالصواب .

٧٠٧

ابن زكريا الرازي

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور؛ ذكر ابن جلجل في « تاريخ
الأطباء » أنه دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي . ومن

٧٠٧- ترجمته في طبقات ابن جلجل : ٧٧ وطبقات صاعد : ٣٣ والفهرست : ٢٩٩ وابن
أبي أصيبعة ٢ : ٣٤٣ (ط . بيروت) ونكت الهميان : ٢٤٩ وتاريخ الحكماء : ٢٧١ والوافي
٣ : ٧٦ وتاريخ ابن العربي : ١٥٨ وعبر الذهبى ٢ : ١٥٠ والشذرات ٢ : ٢٦٣ وابتداء
من هذه الترجمة تشترك نسخة لاله لي (رقم ٢١١٣) ورمزها (لي) مع سائر النسخ .

أخباره أنه كان في شببته يضرب بالعود ويغني ، فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف^١ ، فززع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ من معرفة غوازمها الغاية ، واعتقد الصحيح منها وعكّل السقيم ، وألف في الطب كتباً كثيرة .

وقال غيره : كان إمام وقته في علم الطب والمشار إليه في ذلك العصر ، وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً فيها عارفاً بأوضاعها وقوانينها ، تشد إليه الرحال في أخذها عنه ، وصنف فيها الكتب النافعة ، فمن ذلك كتاب « الحاروي » وهو من الكتب الكبار ، يدخل في مقدار ثلاثين مجلداً ، وهو عمدة الأطباء في النقل منه والرجوع إليه عند الاختلاف . ومنها كتاب « الجامع » ، وهو أيضاً من الكتب الكبار النافعة . وكتاب « الأعصاب »^٢ وهو أيضاً كبير ، وله أيضاً كتاب « المنصوري » المختصر المشهور ، وهو - على صغر حجمه - من الكتب المختارة ، جمع فيه بين العمل والعلم ويحتاج إليه كل أحد ، وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه ، وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج إليها .

ومن كلامه : مها قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومها قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ؛ ومن كلامه : إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلة ؛ ومن كلامه : عالج في أول العلة بما لا تسقط به القوة .

[وذكر القاضي التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » في باب من اشتد بلاؤه بمرض فعافاه الله بأيسر سبب وأقاله : أن غلاماً من بغداد قدم الري وكان ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحدق ، صاحب الكتب المصنفة ، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد ،

١ ر : يطرب .

٢ لي : الاتصاب ؛ ر : الأقطار ؛ ن : الاعصار ؛ بر من : الاعضاء .

فأخذ الرازي مجسه ، ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتداء ذلك به ، فلم يبق له دليل على سلق ولا قرحة ، ولم يعرف العلة ، واستنظر الرجل لينظر في الأمر ، فقامت على العليل القيامة وقال : هذا أياس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهه بالعلمة ، فزاد ما به من الألم ، فولد الفكر للرازي أن عاد إليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه ، فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج ، فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذكاء أن علقه كانت في الماء وقد حصلت في معدته وأن ذلك الدم من فعلها وقال له : إذا كان في غد جثتك فعاجتك ولم أنصرف حتى تبرأ ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك لما أمرهم ، فقال : نعم ؛ فانصرف الرازي فجمع ملء مركنين كبيرين من طحلب فأحضرها في غدٍ معه فأراه إياها وقال له : ابلع ، فقال : لا أستطيع ، فقال للغلمان : خذوه فأنيموه ، ففعلوا به ذلك ، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويسأله ببلعه ويهدده بأن يضرب ، إلى أن أبلعه كارهاً أحد المركنين بأسره ، والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء ، إلى أن قال العليل : الساعة أقذف ، فزاد الرازي في ما يكبسه في حلقه ، فذرعه القيء فقذف ، فتأمل الرازي قذفه فإذا فيه علقه ، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب ونهض العليل معافى [١] .

ولم يزل رئيس هذا الشأن ، وكان اشتغاله به على كبر ، يقال إنه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من العمر ، وطال عمره فعمي في آخر مدته ، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن ربن الطبري صاحب التصانيف المشهورة ، منها « فردوس الحكمة » وغيره . وكان مسيحياً ثم أسلم . وقد تقدم الكلام على الرازي .

وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان ، وكانوا أحسن الملوك سيرة ، ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين ، لا ينعت إلا به ،

١ زيادة انفردت بها لي ، وقد وردت عند وستفيلد .

وصار كالعالم لهم ، وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم ، ومملك من بينهم جماعة ، ولم تنقرض دولتهم إلا بدولة السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وستين وستة أشهر وعشرة أيام .

(236) وكانت وفاة أبي صالح منصور المذكور في شوال سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان قد صنف له الرازي المذكور الكتاب المذكور في حال صغره ، ليشتغل به .

ثم رأيت نسخة كتاب « المنصوري » ، وعلى ظهره : أن المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام كوس^٢ صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ، والله أعلم بالصواب . وحكى ابن جلجل - المقدم ذكره - في تاريخه أيضاً : أن الرازي المذكور صنف لمنصور المذكور كتاباً في إثبات صناعة الكيمياء ، وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب ، فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار وقال له : أريد أن تخرج هذا الذي ذكرت في هذا الكتاب إلى الفعل ، فقال له الرازي : إن ذلك مما يتمون له المون ، ويحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحة ، وإلى إحكام صنعة ذلك كله ، وكل ذلك كلفة ، فقال له منصور : كل ما احتجت إليه من الآلات ، ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملاً حتى تخرج عما ضمنته كتابك إلى العمل . فلما حقق عليه كبح عن مباشرة ذلك وعجز عن عمله . فقال له منصور : ما اعتقدت أن حكيماً يرضى بتحليل الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة ، يشغل بها قلوب الناس ويتمبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة . ثم قال له : قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار ، ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب ، فحمل السوط على رأسه ، ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسير به إلى بغداد ، فكان ذلك الضرب سبب نزول المساء إلى عينيه ، ولم يسمح بقدها وقال : قد رأيت الدنيا .

١ ق بر من : بكتاب . ٢ كذا هو في أكثر النسخ ؛ وسقطت الفقرة من لي .

(237) وكانت وفاة والده أبي محمد نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثائة .

(238) وكانت وفاة جده أبي الحسن نصر بن إسماعيل في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثائة .

(239) وكانت وفاة جد أبيه أبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد في صفر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت منه ، سنة خمس وتسعين ومائتين ببخاري ؛ ومولده سنة أربع وثلثين ومائتين بقرغانة ، وكان يكتب الحديث ويكرم العلماء .
(240) وكانت وفاة أحمد بن أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بقرغانة ، رحمهم الله تعالى .

وسامان : بفتح السين المهملة والميم وبينهما ألف وبعد الألف الثانية نون - وهذا وإن كان خارجاً عن المقصود ، لكن مساق الكلام جره ، وفيه فائدة لا يستغنى عنها ، والله أعلم بالصواب .

٧٠٨

ابن شاكر

أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر ؛ أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حَيْلُ بني موسى ، وهم مشهورون بها ، واسم أخويه أحمد والحسن ، وكانت لهم هم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل ، وأتعبوا أنفسهم في شأنها ، وأنفذوا إلى بلاد الروم مَنْ أخرجها لهم ، وأحضروا النقلة من الأصقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السخي ، فأظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ، وهو

١ ق : سياق .

٧٠٨ - ترجمته في طبقات صاعد : ٥٥ والفهرست : ٢٧١ وأخبار الحكماء : ٣١٥ .

الأقل . ولهم في الحبل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها ، وهو مجلد واحد .

وما اختصوا به في ملة الإسلام وأخرجوه من القوة إلى الفعل - وإن كان أرباب الأرصاد المتقدمون على الإسلام قد فعلوه ، لكنه لم يقل إن أحداً من أهل هذه الملة تصدى له وفعله ، إلا هم - وهو أن المأمون كان مغرئاً معلوماً بالأوائل وتحقيقتها ، ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل ، كل ثلاثة أميال فرسخ ، فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ ، بحيث لو وضع طرف جبل على أي نقطة كانت من الأرض ، وأدنا الجبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض ، والتقى طرفا الجبل ، فإذا مسحنا ذلك الجبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل .

فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك ، فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا : نعم ، هذا قطعي . فقال : أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا ، فسألوا عن الأراضي المتساوية في أي البلاد هي ؟ فقبل لهم : صحراء سنجان في غاية الاستواء ، وكذلك وطاة الكوفة ، فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون إلى أقوالهم ، ويركن إلى معرفتهم بهذه الصناعة ، وخرجوا إلى سنجان ، وجاءوا إلى الصحراء المذكورة ، فوقفوا في موضع منها وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات ، وضربوا في ذلك الموضع وتبدأ وربطوا فيه جبلاً طويلاً ، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف إلى اليمين واليسار حسب الإمكان . فلما فرغ الجبل نصبوا في الأرض وتبدأ آخر وربطوا فيه جبلاً طويلاً ، ومشوا إلى جهة الشمال أيضاً كفعلهم الأول ؛ ولم يزل ذلك دأبهم ، حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور ، فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأول درجة ، فمسحوا ذلك القدر الذي قدره من الأرض بالجبل ، فبلغ ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل ، فعلوا أن كل درجة من درج الفلك ، يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلاثان .

١ ملة : سقطت من ق .

٢ لي : الموضع الذي أخذوا .

ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول وشدوا فيه حبلاً ، وتوجهوا إلى جهة الجنوب ، ومشوا على الاستقامة ، وعملوا كما عملوا في جهة الشمال : من نصب الأوتاد وشد الحبال ، حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ، ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة ، فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك ، وهذا إذا وقف عليه من له يد في علم الهيئة ظهر له حقيقته . ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة ، لأن الفلك مقسوم باثني عشر برجاً ، وكل برج ثلاثون درجة ، فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة ، فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلاً وثلثين - أي التي هي حصة كل درجة - فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل ، وهي ثمانية آلاف فرسخ ، وهذا محقق لا شك فيه .

فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا ، وكان موافقاً لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الأوتار ، طلب تحقيق ذلك في موضع آخر ، فسيرهم إلى أرض الكوفة وفعّلوا كما فعلوا في سنجار ، فتوافق الحسابان ، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك ، وهذا الفصل هو الذي أشرت إليه في ترجمة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي وقلت : لولا التطويل لبينت ذلك^١ . وكانت لبني موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ، ولولا الإطالة لذكرت شيئاً منها .

وتوفي محمد المذكور في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ والله أعلم بالصواب .

البتاني الحاسب

أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرّاني الأصل البتّاني الحاسب ، المنجم المشهور صاحب الزيج ، الصابي ؛ له الأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة . وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين ، إلى سنة ست وثلاثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين . وكان أوحد عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه . وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، عند رجوعه من بغداد ، بموضع يقال له قصر الحَضْر . ولم أعلم أنه أسلم ، لكن اسمه يدل على إسلامه .

وله من التصانيف « الزيج » وهو نسختان : أولى وثانية ، والثانية أجود وكتاب « معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك » ورسالة في « مقدار الاتصالات » ، وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ، ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات ، وشرح أربع مقالات بطليموس^١ ، وغير ذلك .

والبتاني : بفتح الباء الموحدة ، وقال أبو محمد هبة الله بن الأکفاني^٢ بكسرها ، وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى بتّان ، وهي ناحية من أعمال حران .

والحَضْر : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء ، وهي مدينة قديمة ، بالقرب من تكريت ، بين دجلة والفرات في البرية ، وكان صاحبها الساطرون ، فحاصره أردشير بن بابك أول ملوك الفرس ، وأخذ البلد وقتله ، وفي ذلك يقول أبو دواد الإيادي ، واسمه حارثة بن حجاج ،

٧٠٩ - ترجمته في الفهرست : ٢٧٩ وتاريخ الحكماء : ٢٨٠ وطبقات صاعد : ٣١ والشذرات

٢٧٦ : ٢ .

١ ن : بطليموس . ٢ ذكره المؤلف ١ : ٢٦٩ وكانت وفاته سنة ٥٢٣ .

وقيل حنظلة بن شرقي^١ :

وأرى الموت قد تدلى من الحَصِّ^٢ بر على رب أهله الساطرون
صرعته الأيام^٣ من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون
وذكره أيضاً عدي بن زيد العبادي في قوله^٤ :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج سلة تُجنى إليه والخابورُ

وجاء ذكره في الشعر كثيراً ، وقيل إن الذي حصره سابور ذو الأكتاف
وهو الذي ذكره ابن هشام في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والأول أصح .

والساطرون : بفتح السين المهملة وبعد الألف طاء مهملة مكسورة ثم راء
مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سرياني ، ومعناه الملك ، واسمه
ضيزن - بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها
نون - بن معاوية .

وضيزن : اسم صنم كان في الجاهلية وبه سمي الرجل ، وهو قضاعي ،
وكان من ملوك الطوائف ، وإذا اجتمعوا لحرب غيرهم تقدم عليهم ،
لمعظمتهم عندهم .

فأقام أردشير على حصاره أربع سنين وهو لا يقدر عليه ، وكان للساطرون
ابنة يقال لها نضيرة - بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من
تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة - وفيها يقول الشاعر :

أفقر الحضر من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار

وكانت في غاية الجمال ، وكانت عادتهم إذا حاضت المرأة أتزلوها إلى الريض ،

١ ديوان أبي دواد : ٣٤٧ .

٢ ق : صدعته المنون .

٣ ديوان عدي : ٨٨ .

٤ ق ر : لفظه .

فحاضت نضيرة فانزلت إلى ريبض الحَضْر ، فأشرفت ذات يوم فأبصرت أردشير وكان من أجل الرجال فهويته ، فأرسلت إليه أن يتزوجها وتفتح له الحصن ، واشترطت عليه ، والتزم لها ما طلبت ، ثم اختلفوا في السبب الذي دلته عليه حتى فتح الحصن ، والذي قاله الطبري أنها دلته على طِلْسَم كان في الحصن ، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء ونخضب رجلاها بمبيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن ، فيقع الطِلْسَم فيفتح الحصن ، ففعل أردشير ذلك واستباح الحصن وخربه وأباد أهله [وقتل الساطرون أباهما]^٢ وسار بنضيرة وتزوجها ، فيبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تمللم لا تنام^٣ ، فدعا بالشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها أردشير : أهذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمني المنخ والزبد وشهد أبكار النحل ، ويسقيني الخمر الصافي ، قال : فكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت إليّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذب فوس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها . والحضر إلى الآن آثاره باقية ، وفيه بقايا عمائر ، لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت ؛ وقد طال الكلام فيه ، وإنما هي حكاية غريبة فأحببت إثباتها .

١ ق : فتتزل على طلسم الحصن .

٢ لم ترد إلا في المختار .

٣ ورد النص في لي مغايراً لسائر النسخ إذ جاء هناك : « فجعلت تمللم ولا يأخذها النوم ، فقال لها سابور : أي شيء خبرك لا تنامين ؟ قالت : ما نمت على فراش أخشن من هذا الفراش ، وبعد فأنا أحس بشيء يؤذيني ، فأمر سابور بالفراش فأبدل ، فلم تنم أيضاً حتى أصبحت وهي تشتكي جنبها ، فنظر إليه فاذا ورقة آس قد لصقت ببعض عكنها وقد أدمتها ، فعجب سابور من ذلك وقال : أهذا الذي أسهرك ؟ .. الخ » ؛ وكذلك أورده وستيفيلد .

٤ لي : ثم أمر بها فشدت ذوائبها إلى فرسين جامعين ، ثم أرسلها فقطعها ؛ والدليل على ذلك أن في البرية مواضع قريبة من الثرثار : موضع يعرف بالوروك وآخر يقال له الكتف وآخر يعرف بالأعضاء ، وهي أماكن وجدت أعضاؤها فيها فسمي المكان بالمعضو الذي وجد فيه ؛ وهذا هو ما أثبتته وستيفيلد أيضاً في هذه الترجمة .

ورأيت في تاريخ آخر أنه دخل بغداد وخرج منها وتوفي في الطريق بقصر
الحضر في التاريخ المذكور، قال ياقوت الحموي في كتابه «المشارك»: قصر الحضر
بقرب سامرا من أبنية المعتصم، والله تعالى أعلم.

٧١٠

أبو الوفاء المهندس

أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس البُوزْجاني الحاسب
المشهور؛ أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق
بها، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس، تغمده الله برحمته
وهو القيم بهذا الفن، يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعته،
ويحتج بما يقوله. وكان عنده من تواليفه عدة كتب. وله في استخراج الأوتار
تصنيف جيد نافع.

وكانت ولادته يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين
وثلاثمائة، بمدينة بُوْزْجان. وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة^٢، رحمه الله تعالى.
وبُوْزْجان: بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاي وفتح الجيم وبعد
الألف نون، وهي بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور.
وكان قد قدم العراق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.
وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة في كتاب «الفهرست»

١ ورأيت ... أعلم : لم يرد في لي .

٧١٠- ترجمته في الفهرست : ٢٨٣ وأخبار الحكماء : ٢٨٧ والوافي ١ : ٢٠٩ وابن الأثير
(وفيات : ٢٨٧) وراجع الامتاع والمؤانسة فقد كتبه أبو حيان له ؛ ولم يقف صاحب المختار
عند هذه الترجمة .

٢ موضع التاريخ بياض في لي ؛ وفي تاريخ الحكماء أنه توفي سنة ٣٨٨ .

تأليف أبي الفرج ابن النديم ، ولم يذكر تاريخ وفاته . فكتبت هذه الترجمة ، وذكرت تاريخ الولادة ، فأخليت بياضاً لأجل تاريخ الوفاة لعلي أظفر به ، فإن قصدي في هذا التاريخ إنما هو ذكر الوفاة كما ذكرته في أول الكتاب . ثم إني وجدت تاريخ الوفاة في تاريخ شيخنا ابن الأثير قد ذكرها في هذه السنة المذكورة فألحقها . وكان بين شروعي في هذا التاريخ وظفري بالوفاة أكثر من عشرين سنة ، والله تعالى أعلم .

٧١١

الزمخشري صاحب الكشاف

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة . وعلم البيان ؛ كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد إليه الرحال في فنونه . أخذ النحو عن أبي مضر منصور^١ ، وصنف التصانيف البديعة : منها « الكشاف » في تفسير القرآن العزيز ، لم يصنف قبله مثله [و « المحاجاة بالمسائل النحوية » و « المفرد والمركب » في العربية]^٢ و « الفائق » في تفسير الحديث ، و « أساس البلاغة » في اللغة ، و « ربيع الأبرار وقصص الأخبار » و « متشابه أسامي الرواة » و « النصائح الكبار » و « النصائح الصغار » و « ضالة الناشد والرائض »^٣ في علم الفرائض .

٧١١ - ترجمته في طبقات المعزلة : ٢٠ ولسان الميزان ٦ : ٤ والجواهر المضية ٢ : ١٦٠ والبدرد السافر ، الورقة : ١٩٣ وعبر النهي ٤ : ١٠٦ وانباء الرواة ٣ : ٢٦٥ وفي الحاشية ثبت كبير بالمصادر الأخرى .

١ لي : أبي منصور مضر ؛ وسقطت مضر من ير من والمختار .

٢ لم يرد في النسخ ، وورد عند مستفيلد والمطبوعة المصرية .

٣ ن : وضالة الناشد وكتاب الرائف ...

و «المفصل» في النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير ، و «الأمودج» في النحو ، و «المفرد والمؤلف» في النحو ، و «رؤوس المسائل» في الفقه ، و «شرح أبيات كتاب سيويه» و «المستقصى» في أمثال العرب ، و «صميم العربية» و «سواثر الأمثال» و «ديوان التمثيل» و «شقائق النعمان في حقائق النعمان» و «شافي المي من كلام الشافعي» رضي الله عنه ، و «القسطاس» في العروض ، و «معجم الحدود» و «المنهاج» في الأصول ، و «مقدمة الآداب»^١ و «ديوان الرسائل» و «ديوان الشعر» و «الرسالة الناصحة» والأمال في كل فن، وغير ذلك ؛ وكان شروعه في تأليف «المفصل» في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وكان قد سافر إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، وجاور بها زماناً ، فصار يقال له «جار الله» لذلك ، وكان هذا الاسم علماً عليه . وسمعت من بعض المشايخ أن إحدى رجليه كانت ساقطة ، وأنه كان يمشي في جاون خشب ، وكان سبب سقوطها أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله ، وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة ، والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط ، خصوصاً خوارزم ، فإنها في غاية البرد ، ولقد شاهدت خلقاً كثيراً ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب ، فلا يستعبده من لم يمده .

ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين^٢ أن الزنجشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله ، فقال : دعاء الوالدة ، وذلك أني في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله ، وأفلت من يدي ، فأدركته وقد دخل في خرق ، فجذبتة فانقطعت رجله في الخيط ، فتألمت

١ ق : والمستصفي ، وقه طبع الكتاب باسم «المستقصى» .

٢ ن بر من : الادب .

٣ انظر انباه الرواة ٣ : ٢٦٨ .

والذي لذلك وقالت : قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله ؛ فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم ، فسقطت عن الدابة فانكسرت الرجل^١ وعملت عليّ عملاً أوجب قطعها ؛ والله أعلم بالصحة .

وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به ، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب . وأول ما صنف كتاب «الكشاف» كتب استفتاح الخطبة « الحمد لله الذي خلق القرآن » فيقال إنه قيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه ، فغيره بقوله « الحمد لله الذي جعل القرآن » وجعل عندهم بمعنى خلق ، والبحث في ذلك يطول ، ورأيت في كثير من النسخ « الحمد لله الذي أنزل القرآن » وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف .

وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره، رحمه الله تعالى، قد كتب إليه من الإسكندرية^٢ ، وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى ، يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته ، فرد جوابه بما لا يشفي الغليل ، فلما كان في العام الثاني كتب إليه أيضاً مع الحُجَّاج استجازه أخرى اقترح فيها مقصوده ، ثم قال في آخرها : ولا يحوج ، أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه في السنة الماضية فلم يجبه بما يشفي الغليل ، وله في ذلك الأجر الجزيل .
✕ فكتب إليه الزمخشري جوابه ، ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب ، لكن تقتصر على بعض الجواب وهو « ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل الشها مع مصابيح السماء ، والجتهام الصفر من الرهام مع الغواصي الغامرة للقيعان والآكام ، والشكيت الخلف مع خيل السباق ، والبنغاث مع الطير العتاق ، وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية ، والثاني الرواية^٣ ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مُزجاة ، ظلي

١ ق : رجلي .

٢ انظر هذه المكاتبات في أزهار الرياض ٣ : ٢٨٣ .

٣ ق : للدراية ... للرواية .

فيه أقلص من ظل حصاة ، أما الرواية فحديثه الميلاد ، قرينة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ، وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها ، وبرض لا يبيل شفاها ، ثم كتب بعد هذا : لا يفرنكم قول فلان في ولا قول فلان ، وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر ، وأوردها كلها ، ولا حاجة إلى الاتيان بها ها هنا ، فلما فرغ من إيرادها كتب « فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه ، وجهل بالباطن المشوه ، ولعل الذي غرم مني ما رأوا من حسن منصح للمسلمين وبلغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع الطامع عنهم ، وإفادة المبار والصنائع عليهم ، وعزة النفس والرّب بها عن الإسفاف للدنيات ، والإقبال على خويصتي ، والإعراض عما لا يعنيني ، فجالت في عيونهم ، وغلطوا في ونسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا دبير ، وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري ، رحمه الله تعالى ، في أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بقوله « وليتكم ولست بخيركم » : إن المؤمن ليسضم نفسه ، وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرائتي ومن لقيت وأخذت عنه ، وما بلغ علمي وقصارى فضلي ، وأطلعتني طلع أمري ، وأفضيت إليه بخبيّة سري ، وألقت إليه عَجْرِي وبُجْرِي ، وأعلمته نجمي وشجري . وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زَمَخْشَر ، وسمعت أبي ، رحمه الله تعالى ، يقول : اجتازها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له : زَمَخْشَر والردّاد ، فقال لا خير في شر وردّ ، ولم يُلْتم بها ؛ ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربعمائة ، والله الحمد ، والمصلى عليه محمد وآله وأصحابه ، هذا آخر الإجازة ، وقد أطال الكلام فيها ، ولم يصرح له بمقصوده فيها ، وما أعلم هل أجازته بعد ذلك أم لا .

وبيني وبينه في الرواية شخص واحد ، فإنه أجاز زينب بنت الشعري ، ولي منها إجازة كما تقدم في ترجمتها في حرف الزاي .

ومن شعره السائر قوله ، وقد ذكره السمعي في « الذيل »^١ قال : أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي إملاء بسمرقند ، قال : أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري

لنفسه بخوارزم ، وذكر الأبيات وهي :

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطَرٍ وما تطلّبين النجل من أعين البقرِ
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهمُ والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة إلى جنب حوض فيه للماء مُنحدَر
فقلت له : جثني بورد وإنما أردت به ورد الحدود وما شعر
فقال : انتظري رجح طرفٍ أجيء به فقلت له : هيات مالي منتظر
فقال : ولا ورد سوى الحد حاضر فقلت له : إني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر منصوراً المذكور أولاً :

وقائلة : ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سَمطين سَمطين ؟
فقلت : هو الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقطَ من عيني
وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الأراجاني - المقدم ذكره - ولا أعلم أيهما أخذ

من الآخر لأنها كانا متعاصرين ، وهو :

لم يُبكني إلا حديث فراقكم لما أسر به إلى مؤدعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم في مسمعي أجريته من مدمعي

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ؛ ومن المنسوب إلى القاضي
الفاضل في هذا المعنى :

لا تزدي نظرةً ثانية كفت الأولى ووفت ثمني
لك في قلبي حديث مودع لاجدت الحب ما أودعني
خذه من جفني عقوداً إنه بعض ما أودعته في أذني

وبما أنشده لغيره في كتابه «الكشاف» عند تفسير قول الله تعالى في سورة
البقرة ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (البقرة : ٢٦).

١ ق ر لي : فراقهم .

فإنه قال : أنشدت لبعضهم :

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمنخ في تلك العظام النحل
اغفرْ لعبيدِ تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول

وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الأبيات بمدينة حلب وقال : إن
الزنجشري المذكور أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات ، ثم أنشدني
ذلك الفاضل الرئيس بيتين وذكر أن صاحبها أوصى أن يكتب على قبره وهما :

إلهي قد أصبحتُ ضيفك في الثرى وللضيف حق عند كل كريم
فهب لي ذنوبي في قرابي فإنها عظيم ولا يُقرى بغير عظيم

وأخبرني بعض الأصحاب أنه رأى يجزيرة سواكن تربة ملكها عزيز الدولة
ريحان وعلى قبره مكتوب :

يا أيها الناس كان لي أمل قَصْرِي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه قبل موته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى ما نقلت ينتقل

وكانت ولادة الزنجشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة
سبع وستين وأربعمائة بزنجش . وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ،
يحرُجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة ، رحمه الله تعالى ؛ ورثاه بعضهم
بأبيات ، ومن جملتها :

فأرض مكة تدرى الدمع مقلتها حزناً لفرقة جار الله محمود

وزَمَخْشَر : بفتح الزاي والميم وسكون الحاء المعجمة وفتح الشين المعجمة

١ ينتهي هنا الجزء الأول من المختار ، وقد سقطت منه تراجم ، ثم يبدأ الجزء الثاني بترجمة « أبو
ميم معد » .

وبعدها راء ، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم .
 وجرجانية : بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينها وبعد الألف
 نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة ، وهي
 قصبة خوارزم .
 قال ياقوت الحموي في كتاب «البلدان» : يقال لها بلغتهم كركانج ، وقد عربت
 فقليل لها الجرجانية ، وهي على شاطئ جيحون ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧١٢

القاضي الأصبهاني

أبو طالب محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي الرجا التميمي
 الأصبهاني ، المعروف بالقاضي ، صاحب الطريقة في الخلاف ، تفقه على الشهيد
 محمد بن يحيى - المقدم ذكره - وبرع في الخلاف ، وصنف فيه التعليقة التي
 شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه ، وجمع فيها بين الفقه والتحقيق ،
 وكان عمدة المدرسين في إلقاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فإنما كان لقصور فهمه
 عن إدراك دقائقها ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وصاروا علماء
 مشاهير . وكان له في الوعظ اليد الطولى ، وكان متفنناً في العلوم خطيباً ، خطب
 ودرس بأصبهان مدة ؛ وتوفي في شوال سنة خمس وثمانين وخمسة ، رحمه
 الله تعالى .

٧١٢ - ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٣٠٤ والشذرات ٤ : ٢٨٤ .

محمود بن سبكتكين

أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبُكْتِكِين ، الملقب أولاً سيف الدولة ، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه «عين الدولة وأمين الملة» واشتهر به .

(241) وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المذكورين في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب ، وكان وروده في صحبة أبي إسحاق ابن البتكين ، وهو حاجبه وعليه مدار أموره ، فعرفه أركان تلك الدولة بالشهامة والصرامة ، وتوسموا فيه الارتفاع إلى اليفاع . ولما خرج أبو إسحاق المذكور إلى غزنة والياً عليها وساداً مسداً أبيه انصرف الأمير سبكتكين بانصرافه على جملة^٢ في زعامة رجاله ومراعاة ما وراء بابه ، فلم يلبث أبو إسحاق بعد موافاتها أن قضى نحبه ، ولم يبق من ذوي قرابته مَنْ يصلح لمكانته واحتاج الناس إلى من يتولى أمورهم ، فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ، ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الأمير سبكتكين ، فبايعوه على ذلك ، وانقادوا لحكمه .

فلما تمكن واستحكم شرع في الغزاة والإغارة على أطراف الهند ، فافتتح قلاعاً كثيرة منها ، وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته ، وعمرت أرض خزائنه^٣ ، وأشفقت النفوس من هيئته . وكان من جملة فتوحاته ناحية بُسْت ، وكان من

٧١٣ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٩) وابن خلدون ٤ : ٣٦٣ والجواهر المضية ٢ : ١٥٧
والبداية والنهاية ٢ : ٢٧ والمنتظم ٨ : ٥٢ وعبر الذهبي ٣ : ١٤٥ والشذرات ٣ : ٢٢٠ .

١ ق : أحد الملوك السلطانية السامانية .

٢ لي لي ن : حملته . ٣ لي : خزائنه .

جملة ما استفاده^١ من صفاياها أبو الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المقدم ذكره ، فإنه كان كاتباً لملك الناحية المذكورة ، واسمه بابي نور^٢ ، فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه في أموره ، وأسر إليه بأحواله ، وشرح ذلك يطول .

وآخر الأمر أن الأمير سبكتكين كان قد وصل إلى مدينة بلخ من طوس فمرض بها ، واشتاق إلى غزنة فخرج إليها في تلك الحال ، فمات في الطريق قبل وصوله ، وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ونقل تابوته إلى غزنة ، ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم كاتبه أبو الفتح البستي المذكور بقوله :

قلت إذ مات ناصر الدين والدو لة حياها ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق : هكذا هكذا تكون القيامة !

واجتاز بعض الأفاضل بداره بعد موته وقد تشعنت ، فأنشد :

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقاً قديماً وما تدري
عهدتك مذ شهر جديداً ولم أخل صرف الردى تبلي مغانيك في شهر

وكان الأمير المذكور قد جعل ولي عهده من بعده ولده إسماعيل ، واستخلفه على الأعمال ، وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله ، وجمع وجوه حجابيه وقواده على طاعته ومتابعته ، وجلس على سرير السلطنة ، وتحكم واعتبر بيوت الأموال ، وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيماً بمدينة بلخ وإسماعيل بغزنة ، فلما بلغه نعي أبيه كتب إلى أخيه إسماعيل ولاطفه في القول وقال له : إن أبي لم يستخلفك دوني إلا لكونك كنت عنده وأنا كنت بعيداً عنه ، ولو أوقف الأمر على حضوري لفاتت مقاصده^٣ ، ومن المصلحة أن نتقاسم الأموال بالميراث وتكون أنت مكانك بغزنة وأنا بخراسان ، وندبر الأمور ونتفق على المصالح كيلا يطعم فينا عدو ، ومتى ما ظهر للناس اختلافنا قلت حرمتنا^٤ ، فأبى إسماعيل من

١ ن : استفاده .

٢ لي ن : بابي نور ، ق : بابي النور ، وعند دي سلان : بابي توز .

٣ لي : مصالح ومقاصد .

٤ ق ن لي : كي لا يطعم فينا متى ما ظهر للناس اختلافنا .

موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة، فطمع فيه الجند وتشفبوا عليه وطالبوه بالأموال فاستنفد في مرضاتهم الخزائن .

ثم خرج محمود إلى هراة وجدد مكاتبة أخيه ، وهو لا يزداد إلا اعتياصاً ، فدعا محمود عمه بغراجق إلى موافقته فأجاب به ؛ وكان أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين أميراً بناحية بُسْت ، فنهض إليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه ، فلما قوي جأشه بعمه وأخيه قصد أخاه إسماعيل بغزنة وهما معه، فنازلها في جيش عظيم وجم غفير وحاصرها ، واشتد القتال عليها ففتحها ، وانحاز إسماعيل إلى قلعته متحصناً بها ، ثم تطف في طلب الأمان من أخيه محمود فأجاب به إلى سؤاله ، ونزل في حكم أمانه وتسلم منه مفاتيح الخزائن ، ورتب في غزنة النواب والأكفاء وانحدر إلى بلخ .

وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه إسماعيل في مجلس الأانس بعد ظفره به ، فسأله عما كان في نفسه أنه يعتمد في حقه لو ظفر به ، فحملته سلامة صدره ونسوة السكر على أن قال : كان في عزمي أن أسيرك إلى بعض القلاع مؤسماً عليك فيما تقترحه من دار وغلان وجوار ورزق على قدر الكفاية^٢ ، فعامله يحنس ما كان قد نواه له ، وسيره إلى بعض الحصون وأوصى عليه الوالي أن يمكنه من جميع ما يشتهي .

ولما انتظم الأمر للسلطان محمود ، كان في بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان ، فجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب^٣ انتصر فيها عليهم ، وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية^٤ منها ، وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، واستتب له الملك ، وسير له الإمام القادر بالله خلمة السلطنة ، ولقبه بالألقاب المذكورة في أول ترجمته ، وقبوا سرير المملكة ، وقام بين يديه أمراء خراسان سباطين مقيمين برسم الخدمة ، وملتزمين

١ ر : إياه .

٢ ق : على قدر الكفاية دار .

٣ ر : حروب عظيمة .

٤ ق : السلطانية السامانية .

حكم الهيبة ، وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس ، وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع والصلوات ونفائس الأمتعة ما لم يسمع بمثله . واتسعت الأمور عن آخرها في كنف إيلاته ، واستوسقت الأعمال في ضمن كفاله ، وفرض على نفسه في كل عام غزوَ الهند . ثم إنه ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، بدخول قوادها وولاية أمرها في طاعته من غير قتال .

ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ، ولم تتل^١ به قط سورة ولا آية ، فَرَحَصَ عنها أدناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع ، وتفصيل حاله يطول شرحه . ولما فتح بلاد الهند كتب إلى الديوان العزيز ببغداد كتاباً يذكر فيه ما فتحه الله تعالى على يديه من بلاد الهند ، وأنه كسر الصنم^٢ المعروف بسومنات . وذكر في كتابه أن هذا الصنم عند الهنود يُحبي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأنه إذا شاء أبرأ من جميع العلل ، وربما كان يتفق لشقوتهم إبلال غليل يقصده فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتاناً ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالاً وركباناً ، ومن لم يصادف منهم انتعاشاً احتج بالذنب وقال : إنه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الإجابة ، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ ، فينشئها فيمن يشاء ، وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته ، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد ، ويأتونه من كل فج عميق ، ويتحفونه بكل مال نفيس . ولم يبق في بلاد الهند والهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا تقرب إلى هذا الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع^٣ ، وامتألت خزائنه من أصناف الأموال ، وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه ، وثلاثمائة رجل يخلقون رؤوس حبيجه ولحاهم عند الورود

١ ر : ولم تقر به ؛ ن : ولم تقل به قط صورة ولاية .

٢ ق : الصنم الكبير .

٣ ق : البلاد والبقاع .

عليه ، وثلاثائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ، ويجرى من مال الأوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم .

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الضم مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها ، فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير ، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى ؛ فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصناً منيعاً ، وقتحوها في ثلاثة أيام ، ودخلوا بيت الضم وحوله من الأصنام الذهب المرصع بأصناف الجواهر عدة كثيرة^١ محيطة بعرشه ، يزعمون أنها الملائكة ، وأحرق المسلمون الضم المذكور فوجدوا في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة ، فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا : كل حلقة عبادة ألف سنة ، وكانوا يقولون بقدوم العالم يزعمون أن هذا الضم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة ، وكلما عبده ألف سنة علقوا في أذنه حلقة ، وبالجملة فإن شرح ذلك يطول .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن بعض الملوك بقلاع الهند أهدي له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمرى ، من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيننا هذا الطائر وجرى منها ماء وتجسّر ، فإذا حك^٢ ووضع على الجراحات الواسعة لها ، ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة . وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي الفاضل المعروف في كتاب سماه « اليميني » وهو مشهور ، وذكر في أوله أن السلطان المذكور ملك الشرق يجنيه ، والصدر من العالم ويديه ، لانتظام الإقليم الرابع بما يليه من الثالث والخامس في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولايتها^٣ العريضة في قبضة ملكه ، ومصير أمرائها وذوي الألقاب الملوكية من عظماؤها تحت حمايته وجبايته ، واستدراهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته ، وإذعان ملوك الأرض لعزته ، وارتياحهم بفائض^٤ هيئته ، واحتراسهم - على تقاذف الديار

١ ق : عدد كثير .

٢ ق : حل ، ر : خط .

٣ ن : وولاياتها ؛ لي : وولايتها .

٤ ق : من فائض .

وتحاجز الأنجاد والأغوار - من فاجيء ركضته ، واستخفاء الهند تحت جيوبها عند ذكره ، واقشعرارهم لمهب الرياح من أرضه ، وقد كان مذ لَقَظَه المهد وجفاه الرضاع ، وانحلت عن لسانه عقدة الكلام ، واستغنى عن الإشارة بالإفهام ، مشغول اللسان بالذكر والقرآن ، مشغوف النفس بالسيف والسنان ، ممدود الهمة إلى معالي الأمور ، معقود الأمنية بسياسة الجمهور ، لعبه مع الأتراب جد ، وجده مستكده ، يألم لما لا يعلم حتى يقتله خُبراً ، ويحزن لما يحزن حتى يدمته قسراً وقهراً .

وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني - المقدم ذكره - في كتابه الذي الذي سماه « مغيب الخلق في اختيار الأحق » أن السلطان محموداً المذكور كان على مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، وكان مولعاً بعلم الحديث ، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه ، وهو يسمع ، وكان يستفسر الأحاديث ، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي رضي الله عنه ، فوقع في خلده³ حكمة ، فجمع الفقهاء من الفريقين في مَرَوْ ، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر ، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وعلى مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، لينظر فيه السلطان ، ويتفكر ويختار ما هو أحسنها ، فصلى القفال المروزي - وقد تقدم ذكره - بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسقرة واستقبال القبلة ، وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتام ، وقال : هذه صلاة لا يجوز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه ، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه ، فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطخ ربه بالنجاسة ، وتوضأ بنبيد التمر ، وكان في صميم الصيف في المفازة ، واجتمع عليه الذباب والبعوض ، وكان وضوءه منكساً منعكساً ، ثم استقبل القبلة ، وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء ، وكبر بالفارسية دو بركك سبز ، ثم نقر

١ لي : جنودها ؛ ن ق : جيوبها .

٢ لي : يقلبه ؛ ق : يقبله .

٣ لي : جلده .

نقرتين كنفقات الديك من غير فصل ومن غير ركوع ، وتشهد ، وضرط في آخره ، من غير نية السلام ، وقال : أيها السلطان ، هذه صلاة أبي حنيفة^١ ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك ، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين ، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة ، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة ، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ^٢ المذهبين جميعاً ، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاها القفال ، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة ، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه ؛ انتهى كلام إمام الحرمين .

وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة ، وسيرته من أحسن السير ، ومولده ليلة عاشوراء سنة إحدى وستين وثلثمائة . وتوفي في شهر ربيع الآخر ، وقيل حادي عشر صفر ، سنة إحدى ، وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بقرنة ، رحمه الله تعالى .

(242) وقام بالأمر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه ، واجتمعت عليه الكلمة ، وغرمهم بإنفاق الأموال فيهم ، وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائباً ، فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد ، فراسله ، ومال الناس إليه لقوة نفسه وتام^٣ هيئته ، وزعم أن الإمام القادر بالله قلده خراسان ، ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سواراً ، فقوي أمره لذلك . وكان محمد هذا سيء التدبير منهمكاً في ملاذه ، فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ، ففعلوا ذلك ، وقبضوا على محمد وحملوه إلى قلعة ووكلوا به .

(243) واستقر الملك للأمير مسعود ، وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها . وله في ترجمة المعتمد بن عباد حكاية في المنام ، فلتنظر هناك^٤ . وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة ، واستولى على المملكة بنو سلجوق ، وقد تقدم في

١ في حاشية ق تعليق بغير خط الأصل في الدفاع عن مذهب أبي حنيفة .

٢ ن : فقرأ .

٣ ن ر ق : في تمام .

٤ لم يرد شيء من ذلك في ترجمة المعتمد .

ترجمة السلطان طغرل بك السلجوقي طرف من الخبر ، وكيفية ما اعتمده السلطان محمود في حقهم ، وكيف تغلبوا على الأمر .
 وَسُبُكْتِكَيْنِ : بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها نون .
 وتفسير « دو بركك سبز » ورقتان خضراوان ، وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ مدهامتان ﴾ (الرحمن : ٦٤) والله تعالى أعلم .

٧١٤

مغيث الدين السلجوقي

أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، الملقب مغيث الدين ، أحد الملوك السلجوقية المشاهير ، وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر جده وغيره منهم إن شاء الله تعالى ، وتقدم طرف من خبره في ترجمة العزيز أبي نصر أحمد بن حامد الأصبهاني عم العماد الكاتب .
 قولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده ، وخطب له بها بمدينة بغداد على جاري عادة الملوك السلجوقية ، يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، في خلافة المستظهر بالله ، وهو يومئذ في سن الحلم ، وكان متوقداً ذكاه ، قوي المعرفة بالعربية ، حافظاً للأشعار والأمثال ، عارفاً بالتواريخ والسير ، شديد الميل إلى أهل العلم والخير ، وكان حينئذ بينص الشاعر المقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها :

ألقِ الحداثَجَ ترعِ الضمرُ القودُ طال السرى وتشكتِ وَخَدَاكَ البيدُ

٧١٤ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) وتاريخ الدولة السلجوقية وابن خلدون ٥ : ٤٥
 والسلوك ١ : ٣٤ والباهر : ٤٢ والمنتظم ١٠ : ٢٤ وعبر الذهبى ٤ : ٦٦ والشذرات ٤ : ٧٦ .

يا ساري الليل لا جَدْبُ ولا فرق فالنبتُ أَعْيَدُ والسلطان محمودُ
قَيْلُ تَأَلَّفَتِ الأضدادُ خيفته فال مورد الضنك فيه الشاء والسيد

وهي طويلة ومن غرر القصائد ، وأجازه عليها جائزة سنوية .
وقد كان تزوج بنتي عمه السلطان سنجر - المقدم ذكره - حسباً شرحناه في
ترجمة العزيز الأصهباني ، واحدة بعد الأخرى ، وكانت السلطنة في أواخر
أيامه قد ضعفت وقلت أموالها ، حتى عجزوا عن إقامة وظيفة الفقاعي ،
فدفعوا له يوماً بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها في حاجته ، وكان
في آخر مدته قد دخل بغداد ، ثم خرج منها ، فمرض في الطريق واشتد به
المرض ، وتوفي يوم الخميس خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسة ،
رحمه الله تعالى .

وذكر ابن الأزرقي الفارقي في تاريخه أنه مات خامس عشر شوال سنة أربع
وعشرين بباب أصبهان ، ودفن بها . وولي السلطنة أخوه طغرل بك ، ومات
سنة سبع وعشرين ، وتولى أخوه مسعود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

(244) وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذي حاصر بغداد ومعه زين
الدين أبو الحسن علي بن بلكين صاحب إربل في سنة اثنتين وخمسين وخمسة ،
وقال شيخنا ابن الأثير في سنة ثلاث وخمسين وخمسة - قال ذلك في تاريخه
الصغير المعروف بالأتابكي - : ومات محمد شاه المذكور في ذي الحجة سنة أربع
وخمسين وخمسة ، وتاريخ وفاة زين الدين المذكور المذكور في ترجمة ولده مظفر
الدين صاحب إربل في حرف الكاف ؛ ومات محمد شاه بباب همدان ، ومولده
في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسة .

الملك العادل نور الدين

أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، الملقب الملك العادل نور الدين ، قد تقدم ذكر أبيه في حرف الزاي .

ولما حاصر أبوه قلعة جمبر - حسباً تقدم ذكره في ترجمته - كان ولده نور الدين المذكور في خدمته ، فلما قتل أبوه سار نور الدين وفي خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب اليفيساني وعساكر الشام إلى مدينة حلب ، فملكها في ذلك التاريخ . وملك أخوه سيف الدين غازي - المذكور في حرف الغين - مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحي .

ثم إنه نزل على دمشق محاصراً لها وصاحبها يومئذ مجير الدين أبو سعيد أبق ابن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طفتكين ، وهو أتابك الملك دقاق بن تئش - المقدم ذكره في ترجمة تئش في حرف التاء - وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسة ، وملكها يوم الأحد تاسع الشهر المذكور ، وعوض مجير الدين أبق عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها بالس ، فانتقل إليها وأقام بها مدة ثم قصد بغداد في أيام الإمام المقتفى . وكان أتابكه معين الدين أنر بن عبد الله عتيق جد أبيه ظهير الدين طفتكين الأتابك - المقدم ذكره في ترجمة تئش السلجوقي ، وقد سبق ذكر ظهير الدين طفتكين الأتابك هناك أيضاً .

ثم استولى نور الدين محمود على بقية بلاد الشام من حماة^٢ وبعلبك ، وهو

٧١٥ - أخباره في الباهر والكمال (ج : ١١) وابن خلدون ٥ : ٢٥٣ وابن الوردي ٢ : ٨٣

ومرآة الزمان : ٣٠٥ ومفرج الكرب (ج : ١) والنجوم الزاهرة ٦ : ٧١ والمنظم ١٠ :

٢٤٨ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٨ والشذرات ٤ : ٢٢٨ ولابن قاضي شهبة مؤلف في سيرته باسم

« الكواكب الدرية في السيرة النورية » ، تحقيق الدكتور محمود زايد (بيروت ١٩٧١) .

١ زاد في لي بر من : وخماه وحمص ومنبج وحران . ٢ لي : حمص وحماة .

الذي بنى سورها ، ومنبج وما بين ذلك ، وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش وهسنا^١ وتلك الأطراف ، وكان فتحه لمرعش في ذي القعدة من سنة ثمان وستين وخمسة ولبهسنا في ذي الحجة من السنة^٢ ، وافتتح أيضاً من بلاد الفرنج حارم ، وكان فتحها في أواخر شهر رمضان سنة تسع وخمسة ، وفتح أعزاز وبانياس وغير ذلك ما تزيد عدته على خمسين حصناً . ثم سير الأمير أسد الدين شيركوه - المقدم ذكره - إلى مصر ثلاث دفعات ، وملكها السلطان صلاح الدين في الدفعة الثالثة^٣ نيابة عنه ، وضرب باسمه السكة والخطبة ، وهي قضية مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة في شرحها ، وسيأتي ذلك في ترجمة صلاح الدين إن شاء الله تعالى .

وكان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً ، مستمسكاً^٤ بالشرعية مائلاً إلى أهل الخير ، مجاهداً في سبيل الله تعالى ، كثير الصدقات ، بنى المدارس يجمع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحمّة وحص وبعلمبك ومنبج والرحبة ، وقد تقدم ذلك في ترجمة الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون ، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري ورتب له ما يكفيه ، وبجاية الجامع الذي على نهر العاصي ، وجامع الرها وجامع منبج ، وبيارستان دمشق ، ودار الحديث بها أيضاً ، وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف .

وكان بينه وبين أبي الحسن سنان بن سليمان^٥ بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الفرقة الباطنية بالشام ، وإليه تنسب الطائفة السنانية ، مكاتبات ومحاورات بسبب المجاورة ، فكتب إليه نور الدين في بعض الأزمنة كتاباً يتهده فيه ويتوعده^٦ لسبب اقتضى ذلك ، فشق على سنان فكتب

١ ق : وهسنا ، لي : وهسنا .

٢ زاد هنا في ق : واعزاز وبانياس في ذي الحجة من السنة المذكورة ؛ وسيأتي هذا بمد قليل .

٣ ق : الأولى والثالثة .

٤ ق : في ذكرها وشرحها .

٥ ق ر بر من : متمسكا .

٦ ق ر لي بر من : سلمان .

٧ لي ر ن : ويتواعده .

جوابه أبياتاً ورسالة ، وهما :

يا ذا الذي بقراع السيف هَدَدَنَا^١ لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحَمَام إلى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسدُّ فم الأفعى بأصبه يكفيه ما قد تلاقى منه إصبه

وقفنا على تفاصيله^٢ وجمله ، وعلنا ما هددنا به من قوله وعمله ، فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل ، وبموضة تُعدُّ في التائيل ، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون ، فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين ، أو للحق تدحضون ، وللباطل تصرون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وأما ما صدر من قولك في قطع راسي ، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي ، فلك أماني كاذبة ، وخيالات غير صائبة ، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض ، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض ، كم بين قوي وضعيف ، ودني وشريف ؟ وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات ، وعدلنا عن البواطن والمعقولات ، فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « ما أؤدي نبي ما أوديت » ولقد علمت ما جرى على عترته ، وأهل بيته وشيعته ، والحال ما حال ، والأمر ما زال ، والله الحمد في الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون ، ومغصوبون لا غاصبون ، وإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، ولقد علمت ظاهر حالنا ، وكيفية رجالنا ، وما يتمنونه من القوت ، ويتقربون به إلى حياض الموت ، ﴿ قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ (الجمعة ٦ - ٧) وفي أمثال العامة السائرة : أو للبط تهددون بالشط ؟ فهَيَّء للبلايا جلباباً ، وتدرع للرزايا أثواباً ، فلأظهرن عليك منك ، ولأقتنتهم^٣ فيك عنك ، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن

١ لي : هددني .

٢ ق لي : تفصيله .

٣ وردت هذه اللفظة بصور مختلفة في النسخ : ن : ولا يقيتهم ؛ ر : ولا نصبهم ؛ لي : ولا يفنيهم ؛ بر من : ولا يقيتهم .

أنفه بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز .

وهذه الرسالة نقلت من خط القاضي الفاضل على هذه الصورة ، ورأيت في نسخة زيادة على هذا ، وهي : فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد ، ومن حالك على اقتصاد ، وأقرأ أول النحل وآخر صاد ؛ والصحيح أنه كتبها إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، والله أعلم ؛ ورأيت في بعض النسخ زيادة بيت في أول الأبيات الثلاثة ، وهو :

يا للرجال لأمرٍ هالٍ مفظعه^١ ما مر قطُّ على سمعي توقعه

وكتب سنان المذكور مرة أخرى إليه ، وقد جرت بينها وحشة :

بنا نلتَ هذا الملك حتى تأثلتُ بيوتكَ فيها واشمخراً عمودها
فأصبحتَ ترمينا بنبل بنا استوى مفارسها منا ، وفينا حديدنا

وبالجملة فإن محاسن نور الدين كثيرة ؛ وكانت ولادته يوم الأحد عند طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسة ؛ وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسة ، بقلعة دمشق ، بعلة الخوانيق ، وأشار عليه الأطباء بالفصد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع . ودفن في بيت بالقلعة كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضاً ، ثم نقل إلى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين ، وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إن الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصح ، رحمه الله تعالى .

[وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الكبير الذي سماه « الكامل » في سنة ثمان وخمسين وخمسة^٢ أن نور الدين المذكور نزل في البقيعة تحت حصن الاكراد في السنة المذكورة محاصراً لحصن الاكراد ، وعازماً على قصد طرابلس وهو في جميع عساكره ، فاجتمع من الفرنج خلق كثير وكبسوم في النهار والمسلمون في غفلة عنهم ، فلم يتمكنوا

١ قر لي بر من : مقطعه .

٢ الكامل ١١ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

من الاستعداد لهم وهربوا منهم ، ونجا نور الدين بنفسه وهي وقعة مشهورة معروفة ، ونزل على بحيرة قدس بالقرب من حمص ، وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ ، فسير إلى حلب وبقية البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة وأنفقها ليقوي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثار ، فقال له بعض أصحابه : إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات كثيرة على الفقهاء والصوفية والقراء ، ولو استعنت بها في هذا الوقت لكان أصلح ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : إني لا أرجو النصر إلا بأولئك ، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، كيف أقطع صلوات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تحطىء ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا بسهام قد تصيب وتحطىء ؟ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهم ؟^١ .

وكان اسم اللون طويل القامة حسن الصورة ، ليس بوجهه شعر سوى ذقنه .
(245) وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل وعمره يوم مات أبوه إحدى عشرة سنة ، فقام بالأمر من بعده ، وانتقل من دمشق إلى حلب ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسة ، وخرج السلطان صلاح الدين من مصر ، وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ، ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ، ولم يزل الصالح بها إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسة ، وذكروا أنه لم يبلغ عشرين سنة ، والله أعلم . وكان مبدءاً مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة ، وحدث له قولنج في مستهل جمادى الأولى ، وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس ، وتأسفوا عليه لأنه كان محسناً محمود السيرة ، ودفن في المقام الذي في القلعة ، ثم نقل إلى رباطه المعروف به تحت القلعة ، وهو مشهور هناك ، رحمه الله تعالى .

(246) وتوفي مجير الدين أبق^٢ المذكور في سنة أربع وستين وخمسة ببغداد ،

١ لم ترد في النسخ ، وإنما اثبتتها وستنفيها .

٢ راجع أخبار مجير الدين في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

ودفن في داره ، كذا وجدته في بعض المسودات التي بخطي ، والله أعلم ، ومولده يوم الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببعلبك ، والله تعالى أعلم .

٧١٦

مروان بن أبي حفصة

أبو السمت - وقيل أبو الهندام - مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة يزيد ، الشاعر المشهور ؛ كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، فأعتقه يوم الدار ، لأنه أبلى يومئذ ، فجعل عتقه جزاءه ، وقيل إن أبا حفصة كان يهودياً طيبياً أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقيل على يد مروان بن الحكم ، ويزعم أهل المدينة أنه كان من موالي السموأل بن عدياء اليهودي المشهور بالوفاء صاحب القصة المشهورة مع امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور ، وأن أبا حفصة سي من إصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان رضي الله عنه ، ووهبه لمروان بن الحكم .

ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة ، وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين ، ومروان المذكور من الشعراء المجيدين ، والفحول المقدمين . [حكى ابن سيف عن أبي خليفة عن ابن سلام قال : لما أنشد مروان بن أبي حفصة المهدي قصيدته التي يقول فيها :

إليك قسمنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله

٧١٦ - ترجمته في الفهرست : ١٦٠ والأغانى ١٠ : ٧٤ ومعجم المرزباني : ٣٩٦ والشعر والشعراء : ٦٤٩ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢ وصفحات من أمالي المرتضى ، والفلاحة : ٨٠ والموشح : ٢٥١ وطبقات ابن المعتز : ٤٢ ومطالع البدور ١ : ٧٣ والشذرات ١ : ٣٠١ .
١ وستيفيلك : ابن يوسف .

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا لديك ولكن أهنا العيش عاجله

فقال له المهدي ، قف بحيث أنت ، كم قصيدتك هذه من بيت ؟ قال : سبعون بيتاً ، قال : فلك سبعون ألفاً ، لا تتم إنشادك حتى يحضر المال ، فأحضر المال ، فأنشد القصيدة وقبضه وانصرف [١] .

ذكره أبو العباس بن المعتز في كتاب « طبقات الشعراء » فقال في حقه ٢ : وأجود ما قاله مروان قصيدته الفراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه ، يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني ، ويقال إنه أخذ منه عليها مالا كثيراً لا يقدر قدره ، ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره ، فما ناله ضربة واحدة ثلاثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد ؛ انتهى كلام ابن المعتز .

والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتاً ولولا خوف الإطالة لذكرتها ، ولكن نأتي ببعض مديحها وهو في أثنائها ٣ :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لهم في بطن خفانٍ أشبلٌ
همُ ينعون الجارَ حتى كأنما لجارهمُ بين السماكين منزل
تجنب « لا » في القول حتى كأنه حرام عليه قول « لا » حين يسأل
تشابه يوماه علينا فأشكلا فلا نحن ندرى أي يوميه أفضل
أيوم نداءه القمر أم يوم يؤسه وما منها إلا أغرٌ مُحجَّل
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا ، وإن دعوا أجابوا ، وإن أعطوا أصابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجلوا
ثلاث بأمثال الجبال جباهمُ وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

١ زيادة من لي بر ، وردت عند وستفيلد .

٢ طبقات الشعراء : ٥١ وفيه اختلاف عما أورده المؤلف .

٣ انظر المصدر السابق : ٤٣ .

٤ لي : جباههم ؛ بر : جباهم .

هذا لعمرى هو السحر الحلال المنقح لفظاً ومعنى ، وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم ، وله في مدائح معن المذكور ومراثيه كل معنى بديع ، وسيأتي شيء من ذلك في أخبار معن إن شاء الله تعالى .

وحكى ابن المعتز أيضاً عن شراحيل بن معن بن زائدة أنه قال : عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي ، وهو في قبة ، وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج ، قال شراحيل : فإني لأسير تحت القبة إذ عرض له رجل من بني أسد في شارة حسنة ، فأنشده شعراً ، فقال له يحيى بن خالد في بيت منها : ألم أنك عن مثل هذا البيت أيها الرجل ؟ ثم قال : يا أخا بني أسد ، إذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول ، وأنشده الأبيات اللامية المقدم ذكرها ، فقال له القاضي أبو يوسف ، وقد أعجبت الأبيات جداً : من قائل هذه الأبيات يا أبا الفضل ؟ فقال يحيى : يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى الذي تحت القبة ، قال شراحيل : فرممتني أبو يوسف بعينه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي : من أنت يا فتى حياك الله تعالى وقربك قلت : أنا شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني ، قال شراحيل : فوالله ما أتت علي ساعة قط كانت أقر لعيني من تلك الساعة ارتياحاً وسروراً .
ويحكى أن ولداً لمروان بن أبي حفصة المذكور دخل على شراحيل المذكور فأنشده :

يا أكرم الناس من عجم ومن عرب
أعطى أبوك أبي مالاً فعاش به
يا أكرم الناس من عجم ومن عرب
فأعطني مثل ما أعطى أبوك أبي
ما حل قط أبي أرضاً أبوك بها
إلا وأعطاه قنطاراً من الذهب

فأعطاه شراحيل قنطاراً من الذهب .

ومما يقارب هذه الحكاية ما يروى عن أبي مليكة جرّول بن أوس المعروف بالحطّيب الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لبذاءة

١ لم ترد هذه القصة في الطبقات .

لسانه وكثرة هجوه الناس ، كتب إليه من الاعتقال :

ماذا تقول لأفراخ بندي مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مُظلمة فارحم عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألفت إليك مقاليد النهي البشر
ما آثروك بها إذا قدموك لها لكن لأنفسهم قد كانت الأثر

فأطلقه ، وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس ، فقال له : يا أمير المؤمنين
اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلانة لأقصده به ، فقد منعني التكبب بشعري
وكان علقمة مقيماً بحوران ، وهو من الأجواد المشهورين - قال ابن الكلبي في
كتاب « جهرة النسب » : هو علقمة بن عُلانة بن عوف بن ربيعة ، ويقال له
الأحوص لصغر عينيه ، ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن
معاوية بن بكر بن هوازن - وكان عمر ، رضي الله عنه استعمله على حوران ،
فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك ، فقبل له : يا أمير المؤمنين وما عليك من
ذلك ؟ علقمة ليس من عمالك^٢ فتخشى من ذلك أن تأثم ، وإنما هو رجل من
المسلمين تشفع بك إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب ، فصادف
علقمة قدماء والناس منصرفون من قبره ، وابنه حاضر ، فوقف عليه
ثم أنشد^٣ :

لمعري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى علقته الجبائل
فإن تحني لا أملل حياتي، وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليل قلائل

فقال له ابنه : كم ظننت أن علقمة كان يعطيك لو وجدته حياً ؟ فقال : مائة
ثاقبة يتبعها مائة من أولادها ، فأعطاه ابنه إياها .

١ ق : اذ كنت موثلاً .

٢ قد مر قبل قليل أن عمر هو الذي استعمله على حوران .

٣ ديوان الحطيئة : ٢١٦ .

والبيتان الأخيران من هذه الثلاثة وجدتها في ديوان النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية بن جابر ، من جملة قصيدة يرثي بها النعمان بن أبي شمر الغساني .
وأخبار ابن أبي حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة ، فلا حاجة إلى الإطناب بذكرها ، وكانت ولادته سنة خمس ومائة . وتوفي سنة إحدى وثمانين ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ، ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي ، رحمه الله تعالى .

(247) وحفيده مروان الأصغر^١ ، وهو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب ابن مروان الأكبر المذكور ، وكان من شعراء عصره المشاهير المقدمين ، وذكر المبرد في كتاب « الكامل »^٢ طرفاً من أخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ثم قال : ويروى أن عبد الرحمن المذكور لدغته زنبور فجاء أباه يبكي ، فقال له : ما بك ؟ قال : لسفني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة ، فقال أبوه : قلت الشعر والله ؟ ثم قال بعد ذلك : وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان ، فإنهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر ، وهم : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فإنهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر يتوارثونه كبراً عن كبر^٣ ، ويحیی ابن أبي حفصة كنيته أبو جميل ، وأمه تحيا بنت ميمون ، يقال إنها من ولد النابغة الجعدي ، وإن الشعر أتى إلى أبي حفصة بذلك السبب ، وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه أرنبة أنفه ، وهو دليل على الفصاحة والبلاغة ، والله تعالى أعلم .

١ ترجمة مروان الأصغر في معجم المرزباني: ٢٢١ وطبقات ابن المعتز: ٣٩٢ وتاريخ بغداد

١٣ : ١٥٣ والأغاني ١٢ : ٧١ ، ٢٣ : ٩٦ .

٢ الكامل للمبرد ١ : ٢٦٣ .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في لي بر من .

مسلم صاحب الصحيح

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح؛ أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر، وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم، وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها، وآخر قدومه إليها في سنة تسع وخمسين ومائتين، وروى عنه الترمذي وكان من الثقات.

وقال محمد الماسرجسي، سمعت مسلم بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة. وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث. وقال الخطيب البغدادي: كان مسلم يناضل عن البخاري، حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه.

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف إليه، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ، ونادى عليه، ومنع الناس من الاختلاف إليه، حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك الهنة، قطعه أكثر الناس غير مسلم، فإنه لم يتخلف عن زيارته، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه، فلما كان يوم مجلس محمد ابن يحيى قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته، وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه، وجمع

٧١٧ - ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٥٨٨ وتاريخ بغداد ١٣: ١٠٠ وطبقات الخنابلة ١: ٣٣٧

والفهرست: ٢٣١ والمنظوم ٥: ٣٢٠ وتهذيب التهذيب ١٠: ١٢٦ والبدایة والنهاية ١١: ٣٣

وعبر الذهبي ٢: ٢٣ والشذرات ٢: ١٤٤.

كل ما كان كتب منه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى ، فاستحكت بذلك الوحشة وتحلف عنه وعن زيارته .

وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الأحد ودفن بنصرأباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس ، وقيل لست ، بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ، وعمره خمس وخمسون سنة .

هكذا وجدته في بعض الكتب ، ولم أر أحداً من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره ، وأجمعوا أنه ولد بعد المائتين . وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده ، وغالب ظني أنه قال : سنة اثنتين ومائتين ، ثم كشفت ما قاله ابن الصلاح فإذا هو في سنة ست ومائتين ، نقل ذلك من كتاب « علماء الأمصار » تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري الحافظ ، ووقفت على الكتاب الذي نقل منه ، وملكت النسخة التي نقل منها أيضاً ، وكانت ملكه ، وبيعت في تركته ووصلت إلي وملكتها ، وصورة ما قاله بأن مسلم بن الحجاج توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، فتكون ولادته في سنة ست ومائتين ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على القشيري صاحب الرسالة^٢ فأغنى عن الإعادة .

(248) وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله ابن خالد ابن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري ، وكان أحد الحفاظ الأعيان ، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه القزويني ، وكان ثقة مأموناً . وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شعث عليه محمد بن يحيى في مسألة خلق اللفظ ، وكان قد سمع منه ، فلم يمكنه ترك الرواية عنه ، وروى عنه في الصوم والطب والجناز والمعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعاً ، ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي ، بل يقول : حدثنا محمد ، ولا يزيد عليه ، ويقول محمد بن عبد الله ،

١ لي : ولم أر من الحفاظ من يضبط .

٢ زاد في بر : في ترجمة أبي القاسم التستري .

فينسبه إلى جده وينسبه أيضاً إلى جد أبيه ، وتوفي محمد المذكور سنة اثنتين ،
وقيل سبع ، وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

٧١٨

مسعود الطريثي

أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الطريثي الفقيه
الشافعي ، الملقب قطب الدين ؛ تفقه بنيسابور ومرواً على أئمتها ، وسمع الحديث
من غير واحد ، ورأى الأستاذ أبا نصر القشيري ، ودرّس بالمدرسة النظامية
بنيسابور نيابة عن الجويني . وكان قد قرأ القرآن الكريم والأدب على
والده ، وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فأحسن ، وقدم دمشق
سنة أربعين وخمسة ، ووعظ بها وحصل له قبول ، ودرّس بالمدرسة المجاهدية
ثم بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي ؛
وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

ثم خرج إلى حلب وقولى التدريس مدة في المدرستين اللتين بناهما له نور الدين
محمود وأسد الدين شيركوه ، ثم مضى إلى همدان وقولى التدريس بها ، ثم رجع
إلى دمشق ودرّس بالزاوية الغربية وحدث ، وتفرد برياسة أصحاب الشافعي
رضي الله عنه .

وكان عالماً صالحاً ، صنف كتاب « الهادي » في الفقه ، وهو مختصر نافع لم
يأت فيه إلا بالقول الذي عليه الفتوى ، وجمع للسultan صلاح الدين عقيدة تجمع
جميع ما يحتاج إليه في أمور دينه ، وحفظها أولاده الصغار حتى تترسخ في

٧١٨- ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٣٠٩ و امرأة الزمان : ٣٧٢ وعبر الذهبى ٤ : ٢٣٥

والشذرات ٤ : ٢٦٣ .

١ لي بر من : صالحاً ورعاً .

أذهانهم من الصغر ، قال بهاء الدين ابن شداد في «سيرة السلطان»^١ : ورأيتهم
 - يعني السلطان - وهو يأخذها عليهم ، وهم يقرؤونها بين يديه من حفظهم .
 وكان متواضعاً قليل التصنع ، مطرحاً للتكليف ؛ وكانت ولادته سنة
 خمس وخمسة ، في الثالث عشر من شهر رجب الفرد^٢ ؛ وتوفي في آخر يوم من
 شهر رمضان المعظم ، سنة ثمان وسبعين وخمسة بدمشق ، وصلي عليه يوم
 العيد ، وكان نهار^٣ الجمعة ، ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي
 دمشق ، وزرت قبره غير مرة ، رحمه الله تعالى .
 وكان والده من طُرَيْثَيْثَ ، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة عميد الملك
 الكندري فلا حاجة إلى إعادته ، وهي من نواحي نيسابور^٤ .
 وقال بعض أصحابه : أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم :
 يقولون إنَّ الحبَّ كالنار في الحشا ألا كذبوا فالنارُ تذكو ونحمدُ
 وما هي إلا جَدْوَةٌ مَسَّ عودها نَدَى فهي لا تحبو ولا تتوقدُ
 والله تعالى أعلم بالصواب .

٧١٩

الشريف البياضي الشاعر

الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق
 البياضي ، الشاعر المشهور ؛ هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ، ورأيت

١ انظر سيرة صلاح الدين : ٧ وفيها : وهم يقرءونها من حفظهم بين يديه .

٢ ق : من ربيع الآخر أو رجب .

٣ ق : يوم . ؛ انتهت الترجمة هنا في ير من لي .

٧١٩ - ترجمته في تاريخ ابن الأثير ١٠ : ٨٨ ، ٨٩ ودمية القصر : ٨٧ والشذرات ٣ : ٣٣١

وله شعر في تاريخ الدولة السلجوقية : ٦٩ .

في أول ديوانه أنه أبو جعفر مسعود بن الحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز
ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب بن هاشم ، القرشي الهاشمي ، والله أعلم بالصواب .
وهو من الشعراء الجيدين في المتأخرين ، وديوان شعره صغير ، وهو في غاية
الرقّة ، وليس فيه من المدائح إلا اليسير ، فمن أحسن شعره قصيدته القافية
التي أولها :

إن غاضَ دَمْعُكَ وَالرَّكَبُ تُسَاقُ مع ما بقلبك فهو منك نِفَاقُ
لا تحبسن ماء الجفون فإنه لك يا لذيغٍ هوامٌ تَرياقُ
واحدَرِ مصاحبة العذول فإنه مُغْرِيٌّ ، وظاهرُ عذله إِشْفَاقُ
لا يبعدنَ زمنٌ مضت أيامه وعلى متون غصونها أوراقُ
أيام نرجسنا العيون ووردنا الـ غَضُّ الحُدودِ ، وخرنا الأرياقُ
ولنا بزوراء العراق مواسم كانت تقامُ لطيبها أسواقُ
فلئن بكت عيني دماً شوقاً إلى ذاك الزمان فمثلهُ يشْتاقُ
ومنها :

أين الأغيلة الألى لولامُ ما كان طعمُ هوى الملاح يُذاقُ
وكانما أرماعهم بأكفهمُ أجسامهمُ ونصولها الأحداقُ
شنتوا الإغارة في القلوب بأعينِ لا يرتجى لأسيرها إطلاقُ
واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الـ أسراءَ حتى درت الآماقُ
ونعى الحديثُ بأنهم نذروا دمي أو لي دمٌ يوم الفراقِ يراقُ
وله ، وهو مما يفنى به :

كيف يذوي عشب أشوا في ولي طرفٌ مطيرُ
إن يكن في العشق حُرٌّ فأنا العبد الأسيرُ

١ لي ير من : المديح ؛ ر : مدائح . ٢ ير من : عض الحدود .

أو على الحسن زكاة فأنا ذاك الفقير

[وله وكتبها على مروحة :

وارحماني أن حلت بمجلس ان لحنوا فيه يكون كسادى]١
وله أيضاً :

يا ليلة بات فيها البدر معتنقي إلى الصباح بلا خوفٍ ولا حذرٍ
كلامه الدر يغني عن كواكبها ووجهه عِوضٌ فيها عن القمر
فبينما أنا أرعي في محاسنه سمعي وطرفي إذ أنذرت بالسحر
ولم يكن عيبها إلا تقاصرها وأي عيب لها أشنى من القصر
وددت لو أنها طالت عليّ ولو أمددتها بسواد القلب والبصر
والبيت الأخير منها ينظر إلى قول أبي العلاء بن سليمان المعري ، وهو ٢ :
يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

وشعره كله على هذا الأسلوب ، وقد تقدم له بيتان في ترجمة صرّ دُرّ
الشاعر . وتوفي البياضي المذكور يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان
وستين وأربعمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب أبرز . وإنما قيل له البياضي لأن
أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين ، وكانوا قد
لبسوا سواداً ، ما عداه ، فإنه كان قد لبس بياضاً فقال الخليفة : من ذلك
البياضي ؟ فثبت الاسم عليه واشتهر به .

وذكر ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » أن صاحب هذه الواقعة هو محمد
ابن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ،
رضي الله عنهم أجمعين ، وهو الذي يقال له البياضي . ورأيت بخط أسامة بن
متقذ - المقدم ذكره - أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله ، والله
تعالى أعلم .

١ زيادة من : لي بر من ، ثابتة عند وستيفيلد .

٢ شروح السقط : ١١٩ .

غياث الدين السلجوقي

أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، الملقب
غياث الدين ، أحد ملوك السلجوقية المشاهير وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود
وجاعة من أهل بيته .

كان مسعود المذكور قد سلمه والده في سنة خمس وخمسة إلى الأمير مودود
ابن التوتكين وجعله صاحب الموصل ليربيه ، فلما قتل مودود في سنة سبع
وخمسة وتولى الأمير آق سنقر البرسقي - المذكور في حرف الهزمة - مكانه
سلمه والده إليه أيضاً ، ثم أرسله من بعده إلى جوش بك^٢ أتابك الموصل أيضاً .
فلما توفي والده وتولى موضعه ولده محمود - المقدم ذكره - أخذ جوش بك
يحسن لمسعود المذكور الخروج على أخيه محمود وأطمعه في السلطنة ، ولم يزل
على ذلك حتى جمع العساكر واستكثر منها ، وقصد أخاه ، والتقىا بالقرب من
همدان في ربيع الأول سنة أربع عشرة^٣ وخمسة ، وكان النصر لمحمود ، وقتل
في هذه الواقعة الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي - وقد سبق شيء من خبره في
حرف الحاء .

ثم تنقلت الأحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان
وعشرين وخمسة ، ودخل بغداد ، واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد

٧٢٠ - أخباره في تاريخ الدولة السلجوقية وابن الأثير (ج ١٠ ، ١١) وابن خلدون ٥ : ٤٥

والسلوك ١ : ٣٤ ، والباهر (صفحات مختلفة) ومرآة الزمان : ٢١٤ ، والمنظم ١٠ : ١٥١

وعبر النهبي ٤ : ١٢٧ ، والشذرات ٤ : ١٤٥ .

١ لي : الملوك .

٢ لي : حوس بك ؛ بر : خوش بك ؛ ر : جيوش بك .

٣ لي : ثلاث عشرة .

القاشاني الذي كان وزير المسترشد ، وقد تقدم ذكره في ترجمة الحريري صاحب المقامات ؛ وكان سلطاناً عادلاً لين الجانب كبير النفس ، فرق مملكته على أصحابه ، ولم يكن له من السلطنة غير الاسم ، [وكان حسن الأخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس ، فمن ذلك أن أتاك زككي صاحب الموصل أرسل إليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة ، فوصل إليه وأقام معه في العسكر ، فوقف يوماً على خيمة الوزير حتى قارب أذان المغرب فعاد إلى خيمته وأذن المغرب وهو في الطريق ، فرأى إنساناً فقيهاً في خيمة ، فنزل إليه فصلت معه ، فسأله كمال الدين من أين هو ؟ فقال : أنا قاضي مدينة كذا ، فقال له كمال الدين : القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وهو أنا وأنت ، وقاضٍ في الجنة وهو من لا يعرف أبواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم . فلما كان من الغد أرسل السلطان وأحضر كمال الدين ، فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال : القضاة ثلاثة ، فقال كمال الدين : نعم يا مولانا ، فقال : والله صدقت ، ما أسعد من لا يرانا ولا يزاه ، ثم أمر به فقصيت حاجته وأعادته من يومه . ومن ذلك أنه اجتاز يوماً في بعض أطراف بغداد فسمع امرأة تقول لأخرى : تعالي انظري إلى السلطان ، فوقف وقال : نفق حتى تجيء هذه الست تنظر إلينا .

وله مناقب كثيرة [وكان مع لين جانبه ما ناوأه أحد وظفر به ، وقتل من الأمراء الأكابر خلقاً كثيراً ، ومن جملة من قتل الخليفان المسترشد بالله والراشد لأنه كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل استقلاله في السلطنة ، فلما استقل استطال نوابه على العراق ، وعارضوا الخليفة في أملاكه ، فقويت الوحشة بينها ، وتجهز المسترشد وخرج لمحاربتهم ، وكان السلطان مسعود بهمدان ، فجمع جيشاً عظيماً وخرج للقائه ، وتصافوا بالقرب من همدان فكسر عسكر الخليفة ، وأسر هو وأرباب دولته ، وأخذ السلطان مسعود مأسوراً وطاف به بلاد أذربيجان ، وقتل على باب المراغة ، حسبما شرحناه في ترجمة ديبس بن صدقة ، وهو الذي خلع الراشد وأقام المقتفي كما هو مشهور .

١ ما بين معقنين انفردت به لي بر من ، وهو وارد عند وستفيلد .

ثم أقبل مسعود على الاشتغال بالذات والانعكاف على مواصلة وجوه
الراحات ، متكلاً على السعادة تعمل له ما يؤثره ، إلى أن حدث له القيه وعله
القَتِيَان ، واستمر به ذلك إلى أن توفي في حادي عشر جمادى الآخرة ، سنة
سبع وأربعين وخمسة ، وقيل يوم الأربعاء ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور
بهمذان [ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم تقم له بعده راية يعتد بها ولا
يلتفت إليها :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما^١

ودفن في مدرسة بناها! جمال الدين إقبال الخادم .
وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه : رأيت السلطان المذكور ببغداد ، في
السنة المذكورة ، وسار إلى همذان ومات بباب همذان ، وحمل إلى أصبهان رحمه
الله تعالى ، وقد تقدم شيء من خبره في ترجمة ديبس بن صدقة صاحب الحِلَّة .
ومولده يوم الجمعة ، لثلاث خلون من ذي القعدة ، سنة اثنتين وخمسة .
ولما ولي السلطنة جرت بينه وبين عمه سنجر - المقدم ذكره - منازعة ، ثم
خطب له بعد عمه المذكور ببغداد ، يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر
سنة سبع وعشرين وخمسة ، والله أعلم .

١ زيادة من لي ، وردت عند وستنفيلد .

٢ لي : مدرسته التي بناها .

عز الدين مسعود صاحب الموصل

أبو الفتح وأبو المظفر ، مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ابن آق سنقر ، أتابك صاحب الموصل ، الملقب عز الدين - قد تقدم خبر جده وجد أبيه ، وخبر ولده نور الدين أرسلان شاه وغيرهم من أهل بيته ، وسيأتي ذكر أبيه في هذا الحرف إن شاء الله تعالى - ولما توفي والده قام بالملك ولده سيف الدين غازي - المقدم ذكره - لأنه كان أكبر الإخوة ، وكان قد خلف هذين الولدين ، وعماد الدين زنكي صاحب سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكي .

وكان عز الدين المذكور مقدم الجيوش في أيام أخيه غازي ؛ ولما خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود - المقدم ذكره - وأخذ دمشق وتقدم إلى حلب وحاصرها ، خاف غازي منه ، وعلم أنه قد استفحل أمره وعظم شأنه ، واستشعر أنه متى استحوز على الشام تعدى الأمر إليه ، فجهز جيشاً عظيماً وقدم عليه أخاه عز الدين مسعوداً المذكور ، وسار يريد لقاء السلطان ، وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان خروجه رحل عن حلب ، وذلك في مستهل رجب الفرد سنة سبعين وخمسة ، وسار إلى حمص وأخذ قلعته . وكان قد أخذ البلد في جمادى الأولى من السنة المذكورة بعد خروجه من دمشق قاصداً حلب ، ووصل عز الدين مسعود إلى حلب لينجد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين ، صاحب حلب .

هذا كان في الصورة الظاهرة ، وفي الباطن كانت غرضهم ما ذكرناه من

٧٢١ - أخباره في الباهر : ١٨١ - ١٨٩ والكمال (ج ١١ ، ١٢) والنجوم الزاهرة ٦ : ١٣٦

وعبر الذهبي ٥ : ٢٦٩ والشذرات ٤ : ٢٩٧ .

خوفهم على بلادهم ، فانضم إلى عز الدين مسعود عسكر حلب وخرج في جمع كثير .

ولما عرف السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة ، وراسلهم وراسلوه ، واجتهد في أن يصالحوه فلم يفعلوا ، ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض الأكبر والمقصود الأوفر ، والقضاء يجر إلى أمور لا يشعرون بها ، فقام المصاف بين العسكرين ، وقضى الله تعالى أن انكسر جيش عز الدين وأسر السلطان جماعة من أمرائه ثم أطلقهم ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة . ثم سار السلطان عقيب الكسرة إلى حلب ونزل عليها ، وهي الدفعة الثانية ، فصالحه الملك الصالح إسماعيل على أخذ المعرة وكفرطاب وبارين ثم رحل عنها . وشرح ذلك يطول ، وتتمه هذه القضية المذكورة في ترجمة أخيه سيف الدين غازي .

ولما توفي أخوه سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته ، استقل عز الدين المذكور بالملك من بعده ، ولم يزل إلى أن حضرت الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الوفاة - في التاريخ المذكور في ترجمة أبيه نور الدين - فأوصى بمملكة حلب وما معها لابن عمه عز الدين مسعود المذكور ، واستحلف له الأمراء والأجناد ، فلما توفي وبلغ الخبر عز الدين مسعوداً ، بادر متوجهاً إليها خوفاً من صلاح الدين أن يسبقه فيأخذها ، وكان وصوله إليها في العشرين من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسة ، وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن والحواصل ، وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة ، وأقام بها إلى سادس عشر شوال .

ثم علم أنه لا يمكنه حفظ الشام والموصل ، وخاف من جانب صلاح الدين ، وألح عليه الأمراء في طلب الزيادات ، وتبسطوا عليه في المطالب^١ ، وضاق عنهم عطفه . وكان المستولي على أمره مجاهد الدين قايمار الزيني - المقدم ذكره في حرف القاف - فرحل عن حلب وخلف بها مظفر الدين ولده ، ومظفر

١ لي : الطلب .

الدين بن زين الدين صاحب إربل - المذكور في حرف الكاف ؛ ولما وصل إلى الرقة لقيه بها أخوه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ، فقرر معه مقايضة حلب بسنجار وتحالفا على ذلك ، وسير عماد الدين من يتسلم حلب ، وسير عز الدين من يتسلم سنجار .

وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، صعد عماد الدين إلى قلعة حلب ، وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن عمه الملك الصالح ، وبين صلاح الدين ، على يد قليج أرسلان صاحب الروم ، وصعد السلطان صلاح الدين إلى الديار المصرية ، واستناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب ، فلما بلغه خبر وفاة الملك الصالح وهذه الأمور المتجددة عاد إلى الشام . وكان وصوله إلى دمشق في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين ، وبلغه بها أن رسول عز الدين مسعود وصل إلى الفرنج يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده ، فعلم أنه قد غدر به ونكث اليمين ، فغزم على قصد حلب والموصل وأخذ في التأهب للحرب ، فبلغ عماد الدين صاحب حلب ذلك ، فسير إلى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعي منه العساكر .

فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب ، في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وأقام عليها ثلاثة أيام . ثم رحل في الحادي والعشرين من الشهر ، ثم جاءه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، وكان يوم ذلك في خدمة صاحب الموصل ، وهو صاحب حران ، وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزيني - المذكور في حرف القاف - فالتجأ إلى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر إليه ، وقوَّى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهّل أمرها عليه ، فعبّر السلطان صلاح الدين الفرات ، وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ، ثم أشعن على بلاد الخابور وأقطعها ، وتوجه إلى الموصل ، ونزل عليها يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ليحاصرها ، فأقام أياماً ، وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة ، وأن طريق أخذه أخذ قلاعه

وبلاده وإضعاف أهله على طول الزمان ، فرحل عنها ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان من السنة ، وأخذها في ثاني شهر رمضان المعظم ، وأعطاهما لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر - المقدم ذكره - وشرح ذلك يطول .

وخلاصة الأمر أنه رجع إلى الشام فكان وصوله إلى حرّان في أول ذي القعدة ثم عاد إلى منازل الموصل ، وكان وصوله إليها في أول شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ، ونزلت إليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بني أتابك وابنه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود - وقد سبق ذكره في حرف الهمة - وطلبت منه المصالحة ، فردّها خائبة ظناً منه أن عز الدين أرسلها عجزاً عن حفظ الموصل ، واعتذر بأعذار ندم عليها بعد ذلك ، وبذل أهل الموصل نفوسهم في القتال لكونه رد النساء والولد بالخيبة ، فأقام عليها إلى أن أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن سكيان القطبي صاحب خلاط ، وقيام مملوكه بكتمر بالأمر من بعده ، وطمع فيه من جاوره من الملوك وعزموا على قصده ، فسير إلى السلطان وأطعمه في خلاط ، وقرر معه تسليمها إليه وأن يعوضه عنها ما يرضيه . وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

فرحل السلطان [صلاح الدين] عن الموصل لهذا السبب في العشرين من الشهر المذكور وتوجّه نحو خلاط ، وفي مقدمته مظفر الدين صاحب إربل وهو يوم ذلك صاحب حران ، وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين ، فنزلوا بالطوانة ، البلدة التي هي بالقرب من خلاط ، وسير الرسل إلى بكتمر لتقرير القاعدة ، فوصلت الرسل إليه وشمس الدين بهلوان بن الذكر صاحب أذربيجان وعراق العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها ، فبعث إليه بكتمر يعرفه أنه إن لم يرجع عنه وإلا سلم البلاد إلى السلطان [صلاح الدين] فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه ، وسير بكتمر إلى السلطان [صلاح الدين] يعتذر عما قاله من تسليم خلاط ، وكان السلطان قد نزل على ميفارقين يحاصرها ، فقاتلها قتالاً شديداً ، ثم أخذها عن صلح بالخديجة في التاسع والعشرين من

١ ر : الدكن ، ن بر من : الذكر ؛ ق لي : الذكر ؛ ولعل الصواب « الذكر » .

جمادى الأولى من السنة المذكورة، وكان صاحبها قطب الدين ايلغازي بن ابي بن كرماس^١ بن غازي^٢ بن أرتق، فمات وتركها لولده حسام الدين بولق أرسلان، وهو طفل صغير، فطمع في أخذها من واليها فأخذها .

ولما أيسر السلطان من خلط عاد إلى الموصل، وهي الدفعة الثالثة، ونزل بعيداً عنها بموضع يقال له كفر زمار، فأقام به مدة، وكان الحر شديداً، فمرض السلطان مرضاً شديداً أشفى على الموت، فرحل طالباً حران في مستهل شوال من السنة. ولما علم عز الدين مسعود المذكور بمرض السلطان وأنه رقيق القلب، انتهز الفرصة وسير القاضي بهاء الدين بن شداد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الياء - ومعه بهاء الدين الريب، فوصلا إلى حران في الرسالة والتماس الصلح، فأجاب إلى ذلك، وحلف يوم عرفة من السنة وقد تماثل للصحة، ولم يتغير عن تلك اليمين إلى أن مات رحمه الله تعالى، ثم رحل إلى الشام .

وأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعة الإسها . وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية، فدفن بهذه المدرسة في تربة هي بداخلها، رحمه الله تعالى؛ ورأيت المدرسة والتربة، وهي من أحسن المدارس والترب، ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في قبالتها، وبينهما ساحة كبيرة .

ولما مات خلف ولده نور الدين المذكور - وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة - ولما مات نور الدين - في التاريخ المذكور في ترجمته - خلف ولدين أحدهما الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود، والآخر الملك المنصور عماد الدين زكي ولما حضرته الوفاة قسم البلاد بينها، فأعطى الملك القاهر - وهو الأكبر - الموصل وأعمالها، وأعطى عماد الدين الشوش^٣ والمقر وتلك النواحي .

١ ق : كرماس ؛ ر : كرقاس ؛ ن : تمر تاش ؛ وسقط النص من بر من .

٢ ن : ايلغازي .

٣ ق ر : التوش ؛ ن : السوس .

(249) فأما الملك القاهر فكانت ولادته في سنة تسعين وخمسة بالموصل ، وتوفي بها فجأة ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستائة ، وكان قد بنى مدرسة أيضاً فدفن بها .

(250) وأما عماد الدين فإنه أخذ بعد موت أخيه الملك القاهر قلعة العمادية ، ثم أخذت منه ، وهي من أحسن القلاع يجبل الهكارية من أعمال الموصل ، وكذلك عدة قلاع مما يجاورها ، وانتقل إلى إربل ، وكان زوج ابنة مظفر الدين صاحب إربل ، فأقام بها زماناً ، وكنا في جواره ، وكان من أحسن الناس صورة ، ثم قبض عليه مظفر الدين لأمر يطول شرحه ، وصيره إلى سنجار إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فأفرج عنه الملك الأشرف ، وعاد إلى إربل ، وقايسه مظفر الدين عن العقرب بشهرزور وأعمالها ، فانتقل إليها وأقام بها إلى أن توفي في حدود سنة ثلاثين وستائة ، وخلف ولداً أقام بعده قليلاً ثم مات ، رحمه الله تعالى .

ولما مات عز الدين مسعود بن أرسلان شاه خلف ولدين نور الدين أرسلان شاه ، وكان سمي علياً في حياة جده أرسلان شاه ، فلما مات جده نور الدين سموه باسمه ، وناصر الدين محمد .

(251) فتولى بعده نور الدين المذكور ، وكان تقدير عمره عشر سنين ، وبقي بعد أبيه قليلاً وتوفي في بقية السنة .

(252) وتولى أخوه ناصر الدين محمود ، والمدبر لأمر المملكة بدر الدين لؤلؤ الذي ملك الموصل فيما بعد .

(253) وتوفي بهلوان بن الذكر المذكور ، في سلخ ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

(254) وتوفي والده شمس الدين الذكر الأبليك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسة ، بنقجوان ، ودفن بها رحمه الله تعالى ، وكان أتابك السلطان أرسلان شاه بن طغرل بك بن محمد بن ملكشاه بن محمد السلجوقي .

وبعد الذكر بمقدار شهر توفي أرسلان شاه المذكور بهمدان ودفن بها رحمه الله تعالى .

(255) وقتل قزل ين الذكر المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وثمانين وخمسة ، وكان ملكاً كبيراً ، وهو ابن الذكر المذكور ، رحمهم الله تعالى أجمعين . والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٢٢

مطرف الصنعاني

أبو أيوب مطرف بن مازن ، الكناني بالولاء ، وقيل القيسي بالولاء ، اليامي الصنعاني ؛ ولي القضاء بصنعاء اليمن ، وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة ، وروى عنه الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وخلق كثير .

واختلفوا في روايته : فنقل عن يحيى بن معين أنه سئل عنه فقال : كذاب . وقال النسائي : مطرف بن مازن ليس بثقة . وقال السعدي : مطرف بن مازن الصنعاني يتثبت في حديثه حتى يُبلى ما عنده . وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي : مطرف بن مازن الكناني قاضي اليمن يروي عن معمر وابن جريج ، روى عنه الشافعي وأهل العراق ، وكان يحدث بما لم يسمع ، ويروي ما لم يكتب عن لم يره ، ولا تجوز الرواية عنه إلا عند الخواص للاعتبار فقط . وقال حاجب ابن سليمان : كان مطرف بن مازن قاضي صنعاء وكان رجلاً صالحاً ، وذكر عنه حكاية في إراره قسم من أقسم على أمر شنيع يفعل به . وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني أحاديث من رواية مطرف بن مازن وقال : لمطرف غير

٧٢٢ - ترجمته في ميزان الاعتدال ٤ : ١٢٥ .

١ . يريد عبد الله بن محمود السعدي محدث مرو ، توفي سنة ٣٠٢ .

ما ذكرت أفراد يتفرد بها عن يروها عنه ، ولم أرفها يرويه شيئاً منكراً .
وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : أخبرنا أبو سعيد قال ، حدثنا أبو
العباس قال ، أخبرنا الربيع قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : وقد كان من
حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي حسن ، وقال : وأخبرني
مطرف بن مازن بإسناد لا أحفظه أن ابن الزبير أمر بأن يحلف على المصحف
قال الشافعي ، رضي الله عنه : ورأيت مطرفاً بصنعاء اليمن يحلف على المصحف ،
وقال غيره ، قال الشافعي رضي الله عنه : ورأيت ابن مازن - وهو قاضي
صنعاء - يغلظ باليمين بالمصحف .

وتوفي مطرف المذكور بالبرقة ، وقيل بمنبج ، وكانت وفاته في أواخر
خلافة هارون الرشيد ، وتوفي هارون الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من
جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس ، وكانت ولايته يوم الجمعة
لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، رحمه الله تعالى .
وهذا مطرف ليس من المشاهير الذين أحتاج إلى ذكرهم ، والذي حملني على
ذكره أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، ذكره في كتاب
« المهذب » في باب اليمين في الدعاوى في فصل التغليظ ، فقال : « وإن حلف
بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعي رضي الله عنه عن مطرف
أن ابن الزبير كان يحلف على المصحف ، قال : ورأيت مطرفاً بصنعاء
يستحلف على المصحف ، قال الشافعي رضي الله عنه : وهو حقيق » انتهى كلام
صاحب « المهذب » . ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد ،
حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن أبي البركات هبة الله بن
أبي الرضى بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي في كتابه الذي وضعه على « المهذب »
في أسماء رجاله والكلام على غريبه فقال : « مطرف بن عبد الله بن الشخير »
ثم قال « وتوفي سنة ٢٠٠ سبع وثمانين » يعني للهجرة ، فيا لله العجب ! شخص يموت
في هذا التاريخ كيف يمكن أن يراه الشافعي رضي الله عنه ؟ ومولد الشافعي

١ ق : متناً .

٢ ق : بعد سنة .

سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث وستين سنة ، وما أدري كيف وقع هذا اللفظ ؟ فلو أنه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن أن يقال : ظن أنه أدركه الشافعي .

ولما انتهت في هذه الترجمة إلى هذا الموضع رأيت في تاريخ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع الذي جعله مرتباً على السنين أن مطرف بن مازن توفي سنة إحدى وتسعين ومائة ، وهذا يوافق ما قاله الأول من أنه توفي في أواخر خلافة هارون الرشيد . والذي أفادني هذه الترجمة على الصورة الحكية في الأول هو الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري ، نفع الله به .
ومُطَرَّف : بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المكسورة وبعدها فاء .
والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه وتقييده .

(256) وأما مطرف الذي ذكره عماد الدين فهو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان ، الحرشي ، كان فقيهاً ، وكان لوالده عبد الله صعبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم ، فذكروا أنه وقع بينه وبين رجل منازعة ، فرفع يديه ، وكان ذلك في مسجد البصرة ، وقال : اللهم إني أسألك أن لا يقوم من مجلسه حتى تكفيني إياه ، فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صُرع الرجل فمات ، وأخذ مطرف وقدموه إلى القاضي ، فقال القاضي : لم يقتله ، وإنما دعا عليه فأجاب الله دعوته ، فكان بعد ذلك تُسَمَّى دعوته ، ومات في سنة سبع وثمانين للهجرة [وقيل غير ذلك]^٢ وقال ابن قانع : سنة خمس وتسعين ، والله تعالى أعلم بالصواب .

١ ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ١٤١ وتذكرة الحفاظ : ٦٤ ورجال ابن حبان : ٨٨ .

٢ زيادة من ق .

الواعظ المروزي

أبو منصور المظفر بن أبي الحسين أزدشير بن أبي منصور العبّادي ، الواعظ المروزي الملقب قطب الدين ، المعروف بالأمير ؛ كان من أهل مرو ، وله اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة ، ومارس هذا الفن من صغره إلى كبره ، ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل في ذلك ، وصار عين ذلك العصر ، وشهد له الكل بالفضل وحياسة قصب السبق .

وقدم بغداد فأقام بها قريباً من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ، ولقي من الخلق قبولاً تاماً ، وحظي عند الإمام المقتفي لأمر الله ، ثم خرج منها رسولاً إلى جبهة السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي - المقدم ذكره - فوصل إلى خراسان ، ثم عاد إلى بغداد ، وخرج منها إلى خوزستان في رسالة فمات بعسكر مكرم في سلخ ربيع الآخر يوم الخميس ، وقيل الاثنين ، سنة سبع وأربعين وخمسائة ، وحمل تابوته إلى بغداد ، ودفن بها في الشونيزية في حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح ، رضي الله عنه .

وهولده في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير بنيسابور من أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي عبد الله إسماعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسي وغيرهما ، وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني ، وقال عنه : كان صحيح السماع ، ولم يكن موثقاً به في دينه ، رأيت منه أشياء ، وطالعت بخطه رسالة جمعها في إباحة شرب الخمر ، سأل الله تعالى وعفا عنه .

وكان والده أبو الحسين يعرف بالأمير أيضاً ، وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفي سنة نيف وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والعبّادي : بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى سنج عبّاد ، وهي قرية من قرى مرو .

وسنج : بكسر السين المهملة وسكون النون وبمدها جيم ؛ وبأعمال مرو أيضاً قرية كبيرة يقال لها سنج ، منها الفقيه أبو علي السنجي - وقد تقدم ذكره في حرف الحاء - وتكلمنا على سنج هناك ، فلا يظن ظان أنها موضع واحد ، بل هما قريتان ، وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن .
وأما أردشير فقد تقدم الكلام على ضبطه في ترجمة الوزير سابور ، فلا حاجة إلى إعادته ، والله تعالى أعلم .

٧٢٤

موقف الدين العيلاني المصري

أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامي^١ بن أحمد بن تاهض بن عبد الرزاق العيلاني ، الحنبلي المذهب الملقب بموقف الدين ، الشاعر المشهور المصري ؛ كان أديباً عريضاً شاعراً مجيداً ، صنف في العروض مختصراً جيداً دل على حذقه فيه ، وله ديوان شعر رائق^٢ ، وكان ضريباً ، فمن شعره :

قالوا عشقت وأنت أعمى ظيباً كحيل الطرف ألى
وحلاه ما عاينتها فنقول قد شغفتك هنا
وخياله بك في المنا م فما أطاف ولا ألتا
من أين أرسل للفؤاد د، وأنت لم تنظره ، سها
[ومتى رأيت جماله حتى كسالك هواه سقا

٧٢٤ - ترجمته في حاشية إنباه الرواة ٣ : ٣٣٠ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى .

١ ق : سامي .

٢ زاد في ن : في غاية الرقة .

والعين داعية الهوى وبه تتم إذا تمني^١
وبأي جارحة وصلت لوصفه نثراً ونظماً
فأجبت إني مُوسَوِي^٢ العشق إنصتاً وفيها
أهوى بجارحة السماء ع، ولا أرى ذات المسمى

ولقد أذكرتني هذه الأبيات أبياتاً لرجل ضرير أيضاً، والشيء بالشيء يذكر،
وهي هذه :

وغادة قالت لأثرها يا قوم ما أعجب هذا الضرير
أيمشق الإنسان ما لا يرى فقلت والدمع بعيني غزير :
إن لم تكن عيني رأيت شخصها فإنها قد مثلت في الضمير

ومثل هذا أيضاً قول المهذب عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلية
الأديب الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة مدح بها السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب، والبيت المقصود قوله :

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم سمعت بها، والأذن كالعين تمشق

وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد الشاعر المقدم ذكره :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تمشق قبل العين أحياناً^٣

وكان الوزير صفى الدين أبو محمد عبد الله بن علي، عرف بابن شكر، قد
عاد من الشام إلى مصر، فخرج أصحابه للقائه إلى الحشبي المنزلة المجاورة للعباسة،
فكتب مظفر المذكور إليه هذه الأبيات، يعتذر من تأخره عن الخروج
إليه وهي :

قالوا إلى الحشبي سرنا على عجل تلقى الوزير جميعاً من ذوي الرتب^٣

١ زيادة من ر : ثابتة عند وستفيلد .

٢ ولقد أذكرتني ... أحياناً : لم ترد هذه الفقرة في لي بر من .

٣ ق : التسب .

ولم تسر أيها الأعمى ، فقلت لهم : لم أخش من تصب ألقى ولا نصب
وإنما النار في قلبي لوحشته فخفت أجمع بين النار والحشب

وهذا المعنى مطروق لكنه استعمله حسناً .

وأخبرني أحد أصحابه أن شخصاً قال له : رأيت في بعض توأليف أبي العلاء
المعري ما صورته : أصلحك الله وأبقاك ، لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم
إلى منزلنا الخالي ، لكي نحدث عهداً بك يا زين الأخلاء ، فما مثلك من غير
عهداً أو غفل ؛ وسأله : من أي الأبحر هذا ؟ وهل هو بيت واحد أم أكثر ؟
فإن كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أم هي مختلفة الروي ؟ قال : فأفكر
فيه ، ثم أجابه يجواب حسن ، فلما قال لي الخبر ذلك قلت له : اصبر علي حتى
أنظر فيه ولا تقل ما قاله ، ثم أفكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز ، وهو
المجزوء منه ، وتشتمل هذه الكلمات على أربع أبيات على روي اللام ، وهي
على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ، ومن لا يكون له معرفة بهذا الفن
فإنه ينكرها ، لأجل قطع الموصول منها ، ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة
ذلك ، وهي :

أصلحك الله وأب قاك لقد كان من ال
واجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا ال
خالي لكي نحدث عهداً بك يا زين الأخل
لاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل

وهذا إنما يذكره أهل هذا الشأن للمعاية ، لا لأنه من الأشعار المستعملة ،
فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال : هكذا قاله مظفر الأعمى .
وقال الشيخ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المحدث
المصري ، رحمه الله تعالى ، أخبرني الأديب موفق الدين مظفر الضمير الشاعر
المصري أنه دخل على القاضي السعيد بن سناء الملك - قلت : وسيأتي ذكره إن

١ ق ل ي ر : أكرمك .

شاء الله تعالى ، واسمه هبة الله - قال : فقال لي : يا أديب ، قد صنعت نصف بيت ، ولي أيام أفكر فيه ، ولا يأتي لي تمامه ، فقلت : وما هو ؟ فأنشدني :

بياض عذاري من سواد عذاره

قال مظفر : فقلت : قد حصل تمامه وأنشدت :

كما جُلُّ ناري فيه من جلتاره

فاستحسنه ، وجعل يعمل عليه ، فقلت في نفسي : أقوم وإلا يعمل المقطوع من كيسي^١ .

وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ، لكن الكلام يسوق بعضه بعضاً .
[وكتب مظفر المذكور لتقي الدين ، ومدحه جماعة هو منهم ، فخلع على الجميع ولم يخلع عليه :

العبد مملوك مولانا وخادمه مظفر الشاعر الأعمى حليف ضنى
يقبل الأرض إجلالاً للملكه رقاً ، وينهي إليه بعد كل هنا
أن القميص جميع الناس قد بصروا به وما منهم يعقوب غير أنا
وله يوم رمي الشواني :

يا أيها الملك المسرور آمله هذي شوانيك ترمى يوم سراء
كأنما هي عقبان بها ظمأ طارت من البحر وانقضت على الماء
وله في يوم لعبها :

مولاي هذه الشواني في ملاعبها مثل الشواهين بين السهل والجبل
تسقي مجاذيفها ماءً وتتفضه نفث العقاب جناحها من البلل
وله يصف فانوس الجامع العتيق بمصر :

أرى علماً للناس في الصوم ينصب على جامع ابن العاص أعلاه كوكب

١ وقال الشيخ... كيسي : سقط من لي بر من .

وما هو في الظلماء إلا كأنه على رمح زنجيٍّ سنان مذهب
ومن عجب ان الثريا سماؤها مع الليل تلهي كل من يتربص
قطوراً تحييه بياقة نرجس وطوراً يجيها بكاس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزاة بفانوس نارٍ نحوها يتطلب
ولم أر صياداً على البعد قبله إذا قربت منه الغزاة يهرب

وشعره كثير [١].

وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع
وأربعين وخمسمائة بمصر . وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث
وعشرين وستائة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .
والعيلاني : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف
نون ، هذه النسبة إلى قيس عيلان ، وقيل قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن
عدنان ، فمن قال إنه قيس عيلان فقد اختلفوا في عيلان ماذا ؟ فمتهم من قال :
هو اسم فرس كان له فأضيف إليه ، وقيل اسم كلب كان له ، وقيل اسم رجل
كان قد حضنه صغيراً ، وإنما أضيف إلى عيلان لأنه كان في عصره شخص يقال
له قيس كبة - بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة - وهو اسم فرس كانت له
أيضاً ، فكان كل واحد منهما يضاف إلى ما له ليشتمز عن الآخر ، والله أعلم ،
وقد قيل إن قيس عيلان اسمه الناس - بالنون - وهو أخو إلياس - بالياء - جد
النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم بالصواب .

١ زيادة من لي ر ير من ، واردة عند وستيفلد .

الهرّا النحوي

أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرّا النحوي الكوفي، من موالى محمد بن كعب القرظي؛ قرأ عليه الكسائي وروى الحديث عنه، وحكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة، وصنف في النحو كثيراً، ولم يظهر له شيء من التصانيف، وكان يتشيع، وله شعر كسعر النحاة.

وكان في عصره مشهوراً بالعمر الطويل، وكان له أولاد وأولاد أولاد، فمات الكل وهو باق. وحكى بعض كتابه قال: صحبت معاذ بن مسلم زماناً، فسأله رجل ذات يوم: كم سنك؟ فقال: ثلاث وستون، قال: ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله: كم سنك؟ فقال ثلاث وستون، فقلت: أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة، وكلما سألك أحد: كم سنك؟ تقول: ثلاث وستون، فقال: لو كنت معي إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا. وقال عثمان بن أبي شيبة: رأيت معاذ بن مسلم الهرّا، وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر، وفيه يقول أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور:

إن معاذ بن مسلم رجل — ليس ليقات عمره أمدٌ
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جُدُد
قل لمعاذ إذا مررت به — قد ضج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم — تسحب ذيل الحياة يا لبُد
قد أصبحت دار آدم خريت — وأنت فيها كأنك الوتد

٧٢٥ — ترجمته في نور القبس: ٢٧٦ وعبر الذهبي ١: ٢٩٨ وانباء الرواة ٣: ٢٨٨ (وانظر مصادر أخرى في الحاشية).

١ وردت في بعض المصادر المشار إليها، وانظر الحيوان ٧: ٥١.

تسأل غربانها إذا نعبت كيف يكون الصداق والرمد
مصححاً كالظلم ترفل في بُرْدِك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي القرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا لأن غايتك الموت وإن شد ركنك الجلد

قوله « تسحب ذيل الحياة يا لبد » فهذا لبد آخر لسور لقمان بن عاد ،
وكان لقمان قد سيره قومه - وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز -
إلى الحرم يستقي لها ، فلما هلكت عاد خيّر لقمان بين أن يعيش عمر سبع
بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر ، كلما هلك نسر خلف بعده نسر ، فاختار
النسور ، فكان يأخذ الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة ،
وهكذا ، حتى هلك منها ستة ، وبقي السابع فسمي لبدأ ، فلما كبر وعجز عن
الطيران كان يقول له لقمان : انهض لبد ، فلما هلك لبد مات لقمان ، وقد ذكرت
العرب لبدأ في أشعارها كثيراً ، فمن ذلك قول النابغة الذبياني :
أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

رجعنا إلى حديث معاذ :

لما مات بنوه وحفدته قال :

ما يرتجي في العيش من قد طوى من عمره الذاهب تسعينا
أفنى بنيه وبنينهم فقد جرّعه الدهر الأمرينا
لا بد أن يشرب من حوضهم وإن تراخى عمره حيننا

وكان معاذ المذكور صديقاً للكيت بن زيد الشاعر المشهور ؛ قال محمد بن
سهل راوية الكيت : صار الطرماح الشاعر إلى خالد بن عبد الله القسري أمير

١ قوله تسحب ... حديث معاذ : سقط من ر لي بر من .

العراقيين وهو بواسط فامتدحه ، فأمر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه حلّي وشي لا قيمة لهما ، فبلغ ذلك الكميّ ، فعزم على قصده ، فقال له معاذ الهرا : لا تفعل فلست كالطرماح ، فإنه ابن عمه ، وبينكما بون : أنت مضري وخالد يمني متعصب على مضر ، وأنت شيعي وهو أموي ، وأنت عراقي وهو شامي ، فلم يقبل إشارته ، وأبى إلا قصد خالد ، فقصدته ، فقالت اليبانية لخالد : قد جاء الكميّ وقد هجانا بقصيدة نونية فخر فيها علينا ، فحبسه خالد وقال : في حبسه صلاح لأنه يهجو الناس ويتأكلهم ، فبلغ ذلك معاذاً فغمه فقال :

نصحتك والنصيحة إن تعدت هوى المنصوح عزّ لها القبول
فخالفت الذي لك فيه رشد فغالت دون ما أملت غول
فماد خلاف ما تهوى خلافاً له عرض من البسوى طويل
فبلغ الكميّ قوله ، فكتب إليه :

أراك كمهدي الماء للبحر حاملاً إلى الرمل من يبرين متّجراً رملاً

ثم كتب تحته : قد جرى عليّ القضاء فما الحيلة الآن ؟ فأشار عليه أن يمتل في الهرب ، وقال له : إن خالداً قاتلك لا محالة ، فاحتال بامرأته ، وكانت تأتيه بالطعام وترجع ، فلبس ثيابها وخرج كأنه هي ، فلحق بمسلة بن عبد الملك فاستجار به وقال :

خرجت خروج القيد قرح ابن مقبل إليك على تلك الهزاهز والأزلي
عليّ ثياب الغانيات وتحتها عزيمة رأى أشبهت سلة النصل

فكان ذلك سبب نجاته من خالد .

وسأل شخص معاذاً عن مولده فقال : ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبد الملك ؛ وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة إحدى ومائة ، وتوفي في شعبان سنة خمس ومائة ،

١ أي لا يمكن تقدير قيمتهما .

فهذه المدة هي أيامه ؛ وأما أبوه عبد الملك فإنه تولى بعد أبيه مروان في شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين للهجرة ومات سنة ست وثمانين ، فهذه مدته . وتوفي معاذ سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكبت فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهو الأصح ، رحمه الله تعالى .

وكان يكنى أبا مسلم ، فولد له ولد سماه علياً فصار يكنى به .
والهرا : بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة ؛ وإنما قيل له ذلك لأنه كان يبيع الثياب الهروية فنسب إليها .

(257) وأما أبو السري الشاعر صاحب الأبيات الدالية المذكورة فإنه نشأ بسجستان ، وادعى رضاع الجن وأنه صار إليهم ، ووضع كتاباً ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد ولي العهد فقربه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أم الأمين ، وبلغ معهم ، وأفاد منهم ، وله أشعار حسنة وضعها على الجن والشياطين والسعالي ، وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجباً ، وإن كنت ما رأيت لقد وضعت أدباً ، وأخباره كلها غريبة عجيبة ، والله أعلم بالصواب .

٧٢٦

ابن طرارا الجريري

القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني ؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً ، عالماً بكل فن ، ولي القضاء ببغداد ، بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضي ، وروى عن جماعة من الأئمة ، منهم أبو القاسم البغوي وأبو بكر بن أبي داود ويحيى بن

٧٢٦ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ٩٣ وعبر الذهبي ٣ : ٤٧ وانباه الرواة ٣ : ٢٩٦ (وراجع الحاشية) .

صاعد وأبو سعيد العدوي وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمي وغيرهم . وأخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره . وروى عنه جماعة من الأئمة أيضاً ، منهم أبو القاسم الأزهرى والقاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وأحمد بن علي التوزي وأحمد بن عمر بن روح .

وذكر أحمد بن عمر بن روح أن أبا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء ، وكان هناك جماعة من أهل العلم والأدب ، فقالوا له : في أي نوع من العلوم تتذاكر ؟ فقال أبو الفرج لذلك الرئيس : خزانتك قد جمعت أنواع العلوم ، وأصناف الأدب ، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها ، تأمره أن يفتح بابها ، ويضرب بيده إلى أي كتاب رأى منها ، فيحمله ثم يفتحه ، وينظر في أي العلوم هو ، فننتذاكره ونتجارى فيه . قال ابن روح : وهذا يدل على أن أبا الفرج كان له أنسة بسائر العلوم . وكان أبو محمد عبد الباقي يقول : إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها ، وقال : لو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس^٢ لوجب أن يدفع إلى أبي الفرج المعافى .

وكان ثقة مأموناً في روايته ، وله شعر حسن ، فمن ذلك ما رواه عنه القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي ، وهو :

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري علي من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عنه بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء » وأثنى عليه ثم قال : وأنشدني قاضي بلدنا أبو علي الداودي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسه :

أقتبس الضياء من الضباب وألتمس الشراب من السراب

١ . لي : أراد .

٢ . ر : الخلق .

أريد من الزمان النذل بدلاً وأرياً من جنى سلك وصاب
أرجي أن ألاقى لاشتياق خيار الناس في زمن الكلاب
ومن شعره أيضاً :

مالك العالمين ضامن رزقي فلماذا أملك الخلق رقي
قد قضى لي بما عليّ وما لي خالقي جل ذكره قبل خلقي
صاحبي البذل والندى في يساري ورفيقي في عُسرتي حسن رفق
وكما لا يردُّ عجزِي رزقي فكذا لا يجر رزقيَ حدقي

وذكر أنه عملها في معنى قول علي بن الجهم^١ :

لعمرك ما كل التمثل ضائر ولا كلُّ شغلٍ فيه للمرء منفعه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتم راحة الدّعاه

ومن غريب ما اتفق له ما حكاه أبو عبد الله الحميدي ، صاحب «الجمع بين الصحيحين» - المقدم ذكره - قال : قرأت بخط أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني : حججت سنة ، وكنت بمنى أيام التشريق ، فسمعت منادياً ينادي : يا أبا الفرج ، فقلت : لعله يريدني ، ثم قلت : في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج ، ولعله ينادي غيري ، فلم أجبه ، فلما رأى أنه لا يجيبه أحد نادى : يا أبا الفرج المعافى ، فهمت أن أجيبه ثم قلت : قد يتفق أن يكون آخر اسمه المعافى ، ويكنى أبا الفرج ، فلم أجبه ، فرجع فنادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت : لم يبق شك في مناداته إياي إذ ذكر اسمي وكنيتي واسم أبي وبلدي الذي أنسب إليه ، فقلت : ها أنا ذا فما تريد ؟ قال : لملك من نهروان الشرق ، فقلت : نعم ، فقال : نحن نريد نهروان الغرب ، فمعبجت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب وما أنتسب

١ لم تورّد لي ير من إلا بيتاً واحداً وبعده إحالة على بيتين آخرين ؛ وانظر ديوان ابن الجهم : ١٩٤ حيث لم يرد في التكملة إلا بيتان .

إليه ، وعلمت أن بالمغرب موضعاً يسمى النهروان ، غير النهروان الذي بالعراق .
ولأبي الفرج المذكور عدة تصانيف ممتعة في الأدب وغيره [وكتاب
« الجليس الأنيس » تصنيفه أيضاً]^١ .

وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث ، وقيل
خمس ، وثلاثمائة ؛ وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة ، سنة تسعين
وثلاثمائة بالنهروان ، رحمه الله تعالى .

وطرارا : بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف راء ثانية مفتوحة ثم ألف
مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلاً من الألف ، فيقول : طرارة ، والله أعلم .
والجريري : يفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها
راء هذه النسبة إلى الإمام محمد بن جرير الطبري - المقدم ذكره - وإنما نسب
إليه لأنه كان على مذهبه مقلداً له ، وقد تقدم في ترجمته أنه كان مجتهداً صاحب
مذهب مستقل ، وكان له أتباع ، وأخذ بمذهبه جماعة منهم أبو الفرج المذكور .
وقد سبق الكلام على النهرواني^٢ فأغنى عن الإعادة ، والله تعالى أعلم .

٧٢٧

المعز العبيدي

أبو تميم معد ، الملقب المعز لدين الله ، بن المنصور بن القائم بن المهدي
عبيد الله . قد تقدم ذكر والده وجده وجد أبيه وطرف من أخبارهم ؛ وكان

١ انفردت به لي بر من .

٢ ن : النهروان .

٧٢٧ - أخباره في المنتظم ٧ : ٨٢ وأعمال الاعلام ٣ : ٥٥ والبيان المغرب ١ : ٢٢١ والدرة
المضية : ١١٩ والمخطط ١ : ٣٥١ واناظر الحنفا : ٩٣ وابن خلدون ٤ : ٤٦ وابن الأثير
(ج : ٨) والنجوم الزاهرة ٤ : ٦٩ وعبر الذهبي ٢ : ٣٣٩ والشذرات ٣ : ٥٢ ، وابتداء
من هذه الترجمة تشترك مخطوطة آيا صوفيا رقم : ٣٥٣٣ مع سائر المخطوطات (ورمزها ص) ؛
وترجمة المعز يبدأ الجزء الثاني من المختار الذي صنعه ابن المؤلف .

المعز المذكور قد بويغ بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته^١ في التاريخ المذكور في ترجمته ، ودبر الأمور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها إلى يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فجلس يومئذ على سرير ملكه ، ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة ، وسلموا عليه بالخلافة ، وتسمى بالمعز ، ولم يظهر على أبيه حزناً .

ثم خرج إلى بلاد إفريقية يطوف فيها ، ليمهد قواعدها ويقرر أسبائها ، فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا في طاعته ، وعقد لغلمانه وأتباعه على الأعمال ، واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته ، وضم إلى كل واحد منهم جمعا كبيرا من الجند وأرباب السلاح .

ثم جهز أبا الحسن جوهر^٢ القائد - المذكور في حرف الجيم - ومعه جيش كثيف ، ليفتح ما استعصى عليه من بلاد^٣ المغرب ، فسار إلى فاس ، ثم منها إلى سجلماسة ففتحها ، ثم توجه إلى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء^٤ ، وأرسله إلى المعز ، ثم رجع إلى المعز ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس أسيرين في قفصَي حديد ، والشرح في ذلك يطول . وخلاصة الأمر : أنه ما رجع القائد جوهر إلى مولاه المعز إلا وقد وطد له البلاد ، وحكم على أهل الزينج والعناد من باب إفريقية إلى البحر المحيط في جهة الغرب ، وفي جهة الشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر ، ولم يبق بلد من هذه البلاد إلا أقيمت فيه دعوته وخطب له في جمعه^٥ وجماعته ، إلا مدينة سبتة فإنها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس .

ولما وصل الخبر إلى المعز المذكور بموت كافور الإخشيدي صاحب مصر - حسبما شرحناه في ترجمته من هذا الكتاب - تقدم المعز إلى القائد جوهر المذكور

١ ص : وفاة أبيه .

٢ في أكثر النسخ « جوهر » دون تنوين .

٣ ن : ديار .

٤ ر : قتل من الماء .

٥ ق ن ص بر من : جميعه : جمعته ؛ ر : جميع جمعته .

ليتم تجهز للخروج إلى مصر ، فخرج أولاً إلى جهة المغرب لإصلاح أموره ، وكان معه جيش عظيم ، وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم إلى مصر ، وجبى القطن التي كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار .

وخرج المعز بنفسه في الشتاء إلى المهديّة ، فأخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد إلى قصره .

ولما عاد جوهر بالرجال والأموال ، وكان قدومه على المعز يوم الأحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، أمره المعز بالخروج إلى مصر ، فخرج ومعه أنواع القبائل - وقد ذكرت في ترجمة جوهر تاريخ خروجه وتاريخ وصوله إلى مصر فأغنى عن الإعادة [مفصلاً ما هنا] ١ - وأنفق المعز في المسكر المسير صحبته أموالاً كثيرة ، حتى أعطى من ألف دينار إلى عشرين ديناراً ، وغمر الناس بالعطاء ، وتصرفوا في القيروان وصبرة في شراء جميع حوائجهم ٢ ، ورجلوا ومعه ألف ٣ حمل من المال والسلاح ، ومن الخيل والعدد ما لا يوصف ، وكان بمصر في تلك السنة غلاء عظيم ووباء ، حتى مات في مصر وأعمالها في تلك المدة ستمائة ألف إنسان على ما قيل .

ولما كان منتصف شهر رمضان العظيم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره إليها ، ثم وصلته التجبُّ بعد ذلك تخبر بصورة الفتح ، وكانت كتب جوهر ترد إلى المعز باستدعائه إلى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ، ثم سير ٤ إليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز وإقامة الدعوة له بهذه المواضع ، فسر المعز بذلك سروراً عظيماً . ولما تقررت قواعده بالديار المصرية استخلف على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي - المذكور في حرف الباء - وخرج المعز متوجهاً بأموال جليّة المقدار ورجال عظيمة الأخطار . وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم

١ زيادة من المختار .

٢ لي : ما يحتاجون .

٣ لي : الف الف .

٤ المختار : كتب .

ذلك يوم الاثنين ، لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلثمائة ، وانتقل إلى سردانية ، وأقام بها ليجتمع رجاله وأتباعه ومن يستصحبه معه . وفي هذه المنزلة عقد العهد لبلكين في التاريخ المذكور في ترجمته ، ورحل عنها يوم الخميس خامس صفر سنة اثنتين وستين وثلثمائة . ولم يزل في طريقه يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياماً ويحدث السير في بعضها ، وكان اجتيازه على برقة ، ودخل الإسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة المذكورة وركب فيها^١ ودخل الحمام ، وقدم عليه بها قاضي مصر - وهو أبو طاهر محمد ابن أحمد - وأعيان أهل البلاد ، وسلموا عليه ، وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا مال ، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ، ويعمل بما أمر به جده صلى الله عليه وسلم ، ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين ، وخلع على القاضي وبعض الجماعة وحملهم ، وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها في أواخر شعبان .

ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم على ميناء ساحل مصر بالجيزة^٢ ، فخرج إليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الأرض بين يديه ، وبالجيزة أيضاً اجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات - المذكور في حرف الجيم - وأقام المعز هناك ثلاثة أيام ، وأخذ العسكر في التعدي بأثقالهم إلى ساحل مصر . ولما كان يوم الثلاثاء خمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة ، عبر المعز النيل ودخل القاهرة ، ولم يدخل مصر ، وكانت قد زينت له ، ووطنوا أنه يدخلها ، وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر أولاً ، ولما دخل القاهرة ودخل القصر ودخل مجلساً منه خيراً ساجداً لله تعالى ، ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه .

وهذا المعز هو الذي تنسب إليه القاهرة ، فيقال القاهرة المعزية ، لأنه الذي بناها القائد جوهر له .

١ ن : وركب فيها يوم السبت .

٢ المختار : ونزل على الجيزة تجاه مصر على الساحل .

وفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرأ عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في سائر أمورها . وقد ذكرنا في ترجمة الشريف عبد الله بن طَبَّاطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول إلى القصر . وكان المعز عاقلاً حازماً سرياً أديباً حسن النظر في النجامة ، وينسب إليه من الشعر قوله :

الله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المعاجر
أَمْضَى وَأَقْضَى فِي النَفْسِ مِثْلُ مَنْ خَافَ فِي الْخَنَاجِرِ
وَلَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنَكُمْ تَعَبَ الْمُهَاجِرِ فِي الْهَوَاجِرِ

وينسب إليه أيضاً :

أطلع الحسن من جبينك شمساً فوق ورد في وجنتيك أطلاً
وكان الجمال خاف على الورود جفافاً فمد بالشعر ظلاً

وهو معنى غريب بديع .

وقد مضى ذكر ولده تميم وشيء من شعره ، وسيأتي ذكر ولده العزيز نزار في حرف النون إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة . وتوفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل الثالث عشر ، وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة ، رحمه الله تعالى . ومَعَدَّ : بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة ، والله تعالى أعلم .

المستنصر العبيدي

أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله المذكور قبله ، وقد تقدم بقية النسب ؛ بوع بالأمر بعد موت والده الظاهر ، وذلك يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره :

منها قضية أبي الحارث أرسلان البساميري - المقدم ذكره في حرف الهمة - فإنه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الإمام القائم ، وخطب للمستنصر المذكور ، وذلك في سنة خمسين وأربعمائة ، ودعا له على منابرها مدة سنة .

ومنها أنه ثار في أيامه علي بن محمد الصليحي - المقدم ذكره - وملك بلاد اليمن كما شرحنا ، ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة ، وهو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في شرحه .

ومنها أنه أقام في الأمر ستين سنة ، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس .

ومنها أنه ولي الأمر وهو ابن سبع سنين .

ومنها أن دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي - المقدم ذكره - إلى أيام المعز المذكور قبله ، ولما توجه المعز إلى مصر واستخلف بلكين بن زيري حسبما شرحناه ، كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عاداتها لهذا البيت ، إلى أن قطعها المعز بن باديس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - في أيام

٧٢٨ - أخباره في تاريخ ابن خلدون ٤ : ٦٢ والخطط ١ : ٣٥٥ والدررة المضية : ٣٤٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ١ - ٢٣ وعبر الذهبي ٣ : ٣١٨ والشذرات ٣ : ٣٨٢ ، وسقطت هذه الترجمة من بر .

المستنصر المذكور ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وقال في « تاريخ القيروان »^١ : إن ذلك كان في سنة خمس وثلاثين ، والله تعالى أعلم بالصواب . وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين ، وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد ، والشرح في ذلك يطول .

ومنها أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام ، وأقام سبع سنين ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ، حتى قيل إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً ، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده ، وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع ، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته ، وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع ، وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ، ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر - حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه - وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت ، وشرح ذلك يطول .

وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة^٢ ، وتوفي ليلة الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قلت : وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير ، أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم - بضم الحاء وتشديد الميم - ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة ؟ وهذا المكان بين مكة والمدينة ، وفيه غدير ماء ، ويقال إنه غيضة هناك ، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من

١ ر : التاريخ القيرواني .

٢ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : قد ذكر أنه ولي الأمر وهو ابن سبع سنين وأنه بويغ في سنة أربع وعشرين فكيف يستقيم أن يكون مولده سنة عشرين ، والله أعلم » .

مكة ، شرفها الله تعالى ، عام حجة الوداع ، ووصل إلى هذا المكان وأخى
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : علي مني كهارون من موسى ، اللهم
وآل من وآله وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ،
وللسبعة به تعلق كبير^١ .

وقال الحازمي : هو وادي بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده
خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة
وشدة الحر^٢ .

وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقيين كل واحد في موضعه
إن شاء الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

٧٢٩

معروف الكرخي

أبو محفوظ معروف بن فيروز ، وقيل الفيروزان ، وقيل علي ، الكرخي
الصالح المشهور ، وهو من موالي علي بن موسى الرضا - وقد تقدم ذكره .
وكان أبواه نصرانيين ، فأسلماه إلى مؤديهم وهو صبي ، فكان المؤدب يقول
له : قل ثالث ثلاثة ، فيقول معروف : بل هو الواحد ، فضربه المعلم على ذلك
ضرباً مبرحاً فهرب منه . وكان أبواه يقولان : ليته يرجع إلينا على أي دين
شاء فنوافقه عليه ، ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ، ورجع إلى أبويه

١ ص ق : كثير .

٢ قلت وهذه الليلة... الحر : سقط من لي ن .

٧٢٩ - ترجمته في طبقات السلمي : ٨٣ وصفة الصفوة ٢ : ١٧٩ وطبقات الحنابلة ١ : ٣٨١

وتاريخ بغداد ١٣ : ١٩٩ وحلية الاولياء ٨ : ٣٦٠ والرسالة القشيرية ١ : ٦٠ وعبر الذهبي

١ : ٣٣٥ (وفيات سنة ٢٠٠) وشذرات الذهب ١ : ٣٣٥ .

فقد الباب ، فقيل له : من بالباب ؟ فقال : معروف ، فقيل له : على أي دين؟
فقال : على الإسلام ، فأسلم أبواه .

وكان مشهوراً بإجابة الدعوة ، وأهل بغداد يستسقون بقبيره ويقولون :
قبر معروف ترياق مجرب . وكان سري السَّقَطِيّ المقدم ذكره تلميذه ، وقال له
 يوماً : إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم عليه بي . وقال سري السقطي :
 رأيت معروفاً الكرخي في النوم^١ كأنه تحت العرش ، والباري جلّت قدرته
 يقول لللائكة : من هذا ؟ وهم يقولون : أنت أعلم يا ربنا منا ، فقال : هذا
 معروف الكرخي سكر من حيي فلا يفتق إلا بقلاني .

وقال معروف : قال لي بعض أصحاب داود الطائي : إياك أن تترك العمل ،
 فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك ، فقلت : وما ذلك العمل ؟ قال :
 دوام الطاعة لمولاك^٢ ، وحرمة المسلمين ، والنصيحة لهم .

وقال محمد بن الحسين ، سمعت أبي يقول : رأيت معروفاً الكرخي في النوم
 بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بزهديك
 وورعك ؟ فقال : لا ، بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبي
 للفقراء . وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال : كنت ماراً بالكوفة
 فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس ، فقال في خلال كلامه :
 مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِكَلِمَةٍ أَعْرَضَ عَنْهُ اللَّهُ جَمَلَةً ، وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ
 أَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْخَلْقَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً
 فَاللَّهُ تَعَالَى يَرْحَمُهُ وَقَتاً مَا ، فَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي قَلْبِي وَأَقْبَلْتُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَرَكْتُ
 جَمِيعَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خِدْمَةَ مَوْلَايَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا ، وَذَكَرْتُ هَذَا
 الْكَلَامَ لِمَوْلَايَ فَقَالَ : يَكْفِيكَ هَذَا مَوْعِظَةٌ إِنْ اتَّعَمْتَ .

وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين .

وقيل لمعروف في مرض موته : أَوْصِ ، فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصي ،
 فاني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً ؛ ومروءة معروف بسقاء وهو

١ ن : رأيت يوماً في المنام معروفاً الكرخي .

٢ لي : دوام طاعة مولاك ؛ ر : دوام على طاعة مولاك .

يقول : رحم الله من يشرب ، فتقدم وشرب ، وكان صائماً ، فقيل له : ألم تك صائماً ؟ قال : بلى ، ولكن رجوت دعاءه .

وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد ؛ وتوفي سنة مائتين ، وقيل إحدى ومائتين ، وقيل أربع ومائتين ببغداد ، وقبره مشهور بها يزار ، رحمه الله تعالى .

والكرخي : بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى الكرخ ، وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه ، وأشهرها كرخ ببغداد ، والصحيح أن معروفاً الكرخي منه ، وقيل إنه من كرخ جدان - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الألف نون - وهي بليدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهرزور ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٣٠

المعز بن باديس الصنهاجي

المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، وقد سبق تمام نسبه عند ذكر ولده الأمير تميم ، وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة ، وسير له تشرiffاً وسجلاً يتضمن اللقب المذكور ، وذلك في ذي الحجة سنة سبع وأربعمائة . وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة ، محباً لأهل العلم كثير العطاء ، وكان واسطة عقد بيته - وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه - ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء ، وكانت حضرته محط بني الآمال . وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله

٧٣٠ - أخباره في تاريخ ابن خلدون ٦ : ١٥٨ وابن الاثير (ج : ١٠) والبيان المغرب ١ : ٢٦٧ وأعمال الأعلام ٣ : ٧٢ ورحلة التجاني : ١٣ - ١٦ وعبر الذهبية ٣ : ٢٣٣ والشذرات

عنه بإفريقية أظهر المذاهب ، فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك
بمذهب الإمام مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، وحسّم مادة الخلاف في المذاهب
واستمر الحال في ذلك إلى الآن .

وقد تقدم في خبر المستنصر بالله العبيدي أن المعز المذكور قطع خطبته
وخلع طاعته ، فلما فعل ذلك خطب للإمام القاسم بأمر الله خليفة بغداد ،
فكتب إليه المستنصر يتهدده ويقول له : هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة
والولاء ، في كلام طويل ، فأجابه المعز : إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب
قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ، ولو أخروهم
لتقدموا بأسيا فهم ؛ واستمر على قطع الخطبة ، ولم يخطب بعد ذلك بإفريقية
لأحد من المصريين إلى اليوم .

وأخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة ، فلا حاجة إلى الإطالة ، وله شعر
قليل لم أقف منه على شيء .

وكان المعز يوماً جالساً في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء ، وبين يديه أترجة
ذات أصابع ، فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئاً ، فعمل أبو علي الحسن بن رشيق
القيرواني الشاعر المقدم ذكره :

أترجة سبّطة الأطراف ناعمة تلقى العميون بحسن غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس

فاستحسن ذلك منه وفضّله على من حضر من الجماعة الأدباء .
وكانت ولادته بالنصورية ، ويقال لها صبرة ، من أعمال إفريقية ، يوم
الخميس لخمس مضي من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وملك بعد أبيه
باديس في التاريخ المذكور في ترجمته ، ويومع بالمهدية من أعمال إفريقية أيضاً
يوم السبت لثلاث مضي من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة . وتوفي رابع شعبان
سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان ، من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ،
ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته ، ورثاه أبو علي الحسن بن

رشيق - المقدم ذكره - بأبيات على روي الكاف^١ ، أضربت عن ذكرها^٢
خوف الإطالة .

وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز ، مع أني كشفت عنه كشفاً تاماً من
الكتب وأفواء العلماء وأهل المغرب ، فلم يذكر أحد سوى المعز ، ولا تعرف
كنيته أيضاً ، والظاهر أن هذا اسمه ، فإن أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب
حتى يقال هذا لقب ، فأثبتته على قدر ما وجدته ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٣١

أبو عبيدة معمر بن المثنى

أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى ، التَّيْمِيّ بالولاء ، تَمِيم قريش ، البصري النحوي
العلامة ؛ قال الجاحظ في حقه : لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم
بجميع العلوم منه . وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٣ : كان الغريب أغلب
عليه وأخبار العرب وأيامها ، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده
حتى يكسره ، وكان يخطيء إذا قرأ القرآن الكريم نظراً ، وكان يبغض العرب ،
وألف في مثالبها كتباً ، وكان يرى رأي الخوارج .

وقال غيره : إن هارون الرشيد أقدمه من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين
ومائة ، وقرأ عليه بها أشياء من كتبه ، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة
وغيره ، وروى عنه علي بن المغيرة الأثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام - المقدم

١ انظر ديوان ابن رشيق : ١٣٧ ، ومطلع الأبيات الكافية :

لكل حي وان طال المدى هلك لا عز مملكة يبقى ولا ملك

٢ ق : عنها وعن ذكرها .

٧٣١ - ترجمته في نور القيس : ١٠٩ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٩ وانباء الرواة ٣ : ٢٧٦ (والحاشية) .

٣ المعارف : ٥٤٣ .

٤ لي ص : شيئاً .

ذكره - وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم ، وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم .

وقال أبو عبيدة : أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه ، فقدمت عليه ، وكنت أخبر عن تجربته ، فأذن لي ، فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفي صدره فرُش عالية لا يرتقى عليها إلا بكرسي وهو جالس على الفرش ، فسلمت عليه بالوزارة ، فردّ وضحك إليّ واستداني حتى جلست معه على فرشه ، ثم سألتني وبسطني وتلطف بي وقال : أنشدني ، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية ، فقال لي : قد عرفت أكثر هذه وأريد من ملح الشعر ، فأنشدته ، فطرب وضحك وزاد نشاطاً ، ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة ، فأجلسه إلى جانبي ، وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فقال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ، ثم التفت إليّ وقال لي : كنت إليك مشتاقاً ، وقد سئلت عن مسألة ، أتأذن لي أن أعرفك إياها ؟ قلت : هات ، فقال : قال الله تعالى ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رَمَوْسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الصفات: ٦٥) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله ، وهذا لم يعرف ، قال : فقلت : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أبقتني والمشرقيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأيابِ أعوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وأزمنت منذ ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه ، ولما يحتاج إليه من علمه ، ولما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته « الجاز » وسألت عن الرجل فقيل لي : هو من كتاب الوزير وجلسائه .

وقال أبو عثمان المازني^١ ، سمعت أبا عبيدة يقول : أدخلت على هارون الرشيد

١ سقطت هذه الفقرة من لي ربر من ، وذلك لأنها تكررت ، إذ ورد ما يشبهها في ترجمة

الأصمعي ٣ : ١٧٢ .

فقال لي : يا معمر ، بلغني أن عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل أحب أن أسمعها منك ، فقال الأصمعي : وما تصنع بالكتب ؟ يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو عضو منه ونسميه ونذكر ما فيه ، فقال الرشيد : يا غلام ، فرس ، فأحضر فرس^١ فقام الأصمعي فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول : هذا كذا ، قال فيه الشاعر كذا ، حتى انقضى قوله ، فقال لي الرشيد : ما تقول فيما قال ؟ فقلت : أصاب في بعض وأخطأ في بعض ، والذي أصاب فيه منّي تعلمه ، والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به .

وبلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه كتاب «المجاز» ، فقال : يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه ؛ فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو ، فركب جماره في ذلك اليوم ومر بمجلقته ، فتزل عن حماره وسلم عليه ، وجلس عنده وحادثه ثم قال له : أبا سعيد ، ما تقول في الخبز ، أي شيء هو ؟ فقال : هو الذي نخبزه وتأكله ، فقال أبو عبيدة : فقد فسرت كتاب الله تعالى برأيك ، فإن الله تعالى قال ﴿ وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً ﴾ (يوسف : ٢٦) . فقال الأصمعي : هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيي ، فقال أبو عبيدة : والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا ، وقام فركب حماره وانصرف .

وزعم الباهلي صاحب كتاب «المعاني» أن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر ، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر ، لأن الأصمعي كان حسن الإنشاد والزخرفة لرديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبح ، وإن الفائدة عنده مع ذلك قليلة ، وإن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ، ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر .

وقال المبرد : كان أبو زيد الأنصاري أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو ، وكانا بعده يتقاربان ، وكان أبو عبيدة أكمل القوم ، وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته ، وقال : كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء

١ ق : يا غلام أحضر فرساً فأحضر فرساً . الخ .

الصحيح . وحُمِلَ أبو عبيدة والأصمعي إلى هارون الرشيد للمجالسة ، فاختار الأصمعي لأنه كان أصلح للنادمة .

وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويصفه ويشنأ الأصمعي ويهجره ، فقيل له : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص ، قيل له : فما تقول في خلف الأحمر ؟ فقال : جمع علوم الناس وفهما ، قيل : فما تقول في أبي عبيدة ؟ فقال : ذاك أديم طوي على علم^١ .

وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي يخاطب الفضل بن الربيع ، يدح أبا عبيدة ويدم الأصمعي^٢ :

عليك أبا عبيدة فاصطنعه فإن العلم عند أبي عبيده
وقدمه وآثره عليه ودع عنه القرَيد بن القرَيد

وكان أبو عبيدة إذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنه ، وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتماداً منه لذلك ، ويقول : النحو محدود .

ولم يزل يصنف حتى مات ؛ وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف : فمنها كتاب «عجاز القرآن الكريم» وكتاب «غريب القرآن» وكتاب «معاني القرآن» وكتاب «غريب الحديث» وكتاب «الديباج» وكتاب «التاج» وكتاب «الحدود» وكتاب «خراسان» وكتاب «خوارج البحرين واليامة» وكتاب «الموالي» وكتاب «البلد» وكتاب «الضيفان» وكتاب «مرج^٣ راهط» وكتاب «المنافرات» وكتاب «القبائل» وكتاب «خبر البراض» وكتاب «القرائن» وكتاب «البازي» وكتاب «الحمام» وكتاب «الحيات» وكتاب «العقارب» وكتاب «النواكح» ؛ وكتاب

١ مر شبيه بهذا من قبل ، انظر ٢ : ١٠٠ وما ثبت هناك زيادة من نسختي ص ر ، فلمله وقع هناك تحشية من أحد المطلقين .

٢ لي بر من : يدح أبي عبيدة وذم الأصمعي .

٣ ق لي ص : شرح .

٤ ن : المناكح .

« النواشر »^١ وكتاب « حُضْر الخيل » وكتاب « الأعيان » وكتاب « بيان باهلة »
وكتاب « أيادي الأزدي » وكتاب « الخيل » وكتاب « الإبل » وكتاب « الإنسان »
وكتاب « الزرع » وكتاب « الرجل » وكتاب « الدلو » وكتاب « البكرة »
وكتاب « السرج » وكتاب « اللجام » وكتاب « الفرس » وكتاب « السيف »
وكتاب « الشوارد » وكتاب « الاحتلام » وكتاب « مقاتل الفرسان » وكتاب
« مقاتل الأثراف » وكتاب « الشمر والشعراء » وكتاب « فعل وأفعال » وكتاب
« المثالب » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « الفرق » وكتاب « الخف »
وكتاب « مكة والحرم » وكتاب « الجمل وصفين » وكتاب « بيوتات العرب »
وكتاب « اللغات » وكتاب « الفارات » وكتاب « المعاتبات » وكتاب « الملاومات »
وكتاب « الأضداد » وكتاب « مآثر العرب » وكتاب « مآثر غطفان » وكتاب
« أدعية العرب » وكتاب « مقتل عثمان رضي الله عنه » وكتاب « أسماء الخيل »
وكتاب « العَقَقَة » وكتاب « قضاة البصرة » وكتاب « فتوح الأهواز » وكتاب
« فتوح أرمينية » وكتاب « لصوص العرب » وكتاب « أخبار الحجاج » وكتاب
« قصة الكعبة » وكتاب « الحُمس من قريش » وكتاب « فضائل الفرس »^٢ وكتاب
« ما تلحن فيه العامة » وكتاب « السواد وفتح » وكتاب « من شكر من العمال
وحد »^٤ وكتاب « الجمع والتثنية » و[كتاب « المجلة » الأولى والثانية ، وكتاب
« البيضة »]^٥ وكتاب « الأوس والخزرج » وكتاب « محمد وإبراهيم ابني عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين » وكتاب
« الأيام » الصغير ، خمسة وسبعون يوماً ، وكتاب « الأيام » الكبير ، ألف ومائتا
يوم ، وكتاب « أيام بني مازن وأخبارهم » وغير ذلك من الكتب النافعة ، ولولا
خوف الإطالة لذكرت^٦ جميعها .

١ ق : النواشير .

٢ ن ص ق : فضالة .

٣ ق لي ر ن بر من : العرش .

٤ بر : من شكى من العمال وحمل .

٥ زيادة من ق .

٦ ن : لذكرتها ؛ ص : لذكرت لك .

[ولما جمع كتاب المثالب ، قال له رجل مطعون النسب : بلغني أنك عبت العرب جميعها ، فقال : وما يضرك ؟ أنت من ذلك بريء ، يعني أنه ليس منهم] ١ .
وقال أبو عبيدة : لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لي : مَنْ أشعر الناس ؟
فقلت : الراعي ، قال : وكيف فضلته على غيره ؟ فقلت : لأنه ورد على سعيد
ابن عبد الرحمن الأموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه ، فقال يصف
حاله معه :

وأفضاءً تحنُّ إلى سعيد طروقاً ثم عجلن ابتكارا
حدن مناخه وأصبن منه عطاء لم يكن عِدَّةً ضمّارا

فقال الفضل : ما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ، ثم غدا إلى هارون الرشيد
فأخرج لي صلة ، وأمر لي بشيء من ماله وصرفني .

وكان أبو عبيدة من موالي بني عبيد الله بن معمر التيمي ، وقال له بعض
الأجلاء : تقع في الناس فمن أبوك ؟ فقال : أخبرني أبي عن أبيه أنه كان يهودياً
من أهل باجرّوان ، ففضى الرجل وتركه .

وكان أبو عبيدة جبّاهاً ، لم يكن بالبصرة أحد إلا وهو يداجيه ويتقيه على
عرضه ؛ وخرج إلى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالي ، فلما قدم
عليه قال لفلان : احتزوا من أبي عبيدة ، فإن كلامه كله دق ، ثم حضر
الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقّة ، فقال له موسى : قد أصاب ثوبك
مرق ، وأنا أعطيك عوضه عشر^٢ ثياب ، فقال أبو عبيدة : لا عليك ، فإن
مرقمك لا يؤذي ، أي ما فيه دهن ، ففطن لها موسى وسكت .

وكان الأصمعي إذا أراد دخول المسجد قال : انظروا لا يكون فيه ذلك ،
يعني أبا عبيدة ، خوفاً من لسانه ، فلما مات لم يحضر جنازته أحد ، لأنه لم يكن
يسلم من لسانه شريف ولا غيره .

وكان وسخاً ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل إلى مذهب الخوارج ،

١ ورد في ن ص ، وتأخر في ر إلى ما بعد حكاية موسى بن عبد الرحمن الهلالي .

٢ لي ر ن والمختار : عشرة .

قال أبو حاتم السجستاني : كان أبو عبيدة يكرمني على أنني من خوارج سجستان .
وقال الثوري : دخلت المسجد على أبي عبيدة وهو ينكت الأرض جالساً وحده
فقال لي : من القائل :

أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تُخمدني أو تستريحي

فقلت له : قَطْرِيُّ بن الفُجاءة ، فقال : فَضَّ اللهُ فاك ! هلا قلت : هو
لأمير المؤمنين أبي نَعامة ، ثم قال لي : اجلس ، واكتم علي ما سمعت مني ،
قال : فما ذكرته حتى مات .

قلت أنا : وهذه الحكاية فيها نظر ، لأن البيت من جملة أبيات لعمر بن
الإطنابة الخزرجي الأنصاري ، والإطنابة أمه ، واسم أبيه زيد مائة ، لا يكاد
يخالف فيه أحد من أهل الأدب ، فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور .
وذكر المبرد في كتاب « الكامل » أن معاوية بن أبي سفيان الأموي قال :
اجملوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم ، فإن فيه مآثر أسلافكم ، ومواضع
إرشادكم ، فلقد رأيتني يوم الهرب وقد عزمت على الفرار فما ردني إلا قول ابن
الإطنابة الأنصاري :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيع
وإجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صريح

رجعنا إلى حديث أبي عبيدة :

وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الفلمان ؛
قال الأصمعي : دخلت أنا وأبو عبيدة يوماً المسجد ، فإذا على الاسطوانة التي

يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة أذرع :

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

فقال لي : يا أصمعي ، امحُ هذا ، فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال : أثقلتني وقطعت ظهري ، فقلت له : قد بقيت الطاء ، فقال : هي شر حروف هذا البيت ؛ وقيل إنه لما ركب ظهره وأثقله قال له : عجل ، فقال : قد بقي لوط ، فقال : من هذا نَقِر . وكان الذي كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانئ المقدم ذكره .

وقيل إنه وجدت رقاع في مجلس أبي عبيدة هذا البيت فيها ، وبعده :

فأنت عندي بلا شك بقيتهم منذُ احتلمت وقد جاوزت سبعينا^١

وقال الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » في باب الأسماء والكنى والألقاب : سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل ، فما عرفه ، فقال كيسان : أنا أعرف الناس به ، هو : خداش ، أو خراش أو رياش أو شيء آخر ، فقال أبو عبيدة : ما أحسن ما عرفته ! فقال : إي والله ، وهو قرشي أيضاً ، قال : فما يدريك ؟ قال : أما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب ؟ وأخبار أبي عبيدة كثيرة ؛ وكانت ولادته في رجب سنة عشر ومائة ، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري ، رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكره ، وقيل في سنة إحدى عشرة ومائة ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ثمان ، وقيل تسع ، والأول أصح ؛ والذي يدل عليه أن الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سأله عن مولده فقال : قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة المخزومي وقد قيل له : متى ولدت ؟ فقال : في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأبي خير رفع وأي شر وضع ؟ وإني ولدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصري وجوابي

١ بر من : تسمينا .

٢ النص المنقول عن الزمخشري لم يرد في : لي بر من ، وهو في المختار .

جواب عمر بن أبي ربيعة . وقد تقدم في ترجمة ابن أبي ربيعة هذا الجواب منسوباً إلى الحسن البصري رضي الله عنه ، فليُنظر هناك ؛ وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة إحدى عشرة ، وقيل سنة عشر ، وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى . وكان سبب موته أن محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني أطعمه موزاً فمات منه ، ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه موزاً ، فقال له : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قتلت أبا عبيدة بالموز ، وتريد أن تقتلني به ؟ لقد استحلقت قتل العلماء ! . وأبو عبيدة : بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ، بخلاف القاسم بن سلام المقدم ذكره فإنه أبو عبيد ، بغير هاء .

ومعمر : بفتح الميم بينها عين مهملة وفي آخره الراء .
والثني : بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها .

وبأجرّوان التي والده منها : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الألف نون ، وهو اسم لقرية من بلاد البليخ من أعمال الرقة ، واسم لمدينة بنواحي أرمينية من أعمال شروان عندها - فيما قيل - عين الحياة التي وجدها الحضير عليه السلام ، وغالب ظني أن أبا عبيدة من هذه المدينة . وقيل إن بأجرّوان اسم للقرية التي استطعم أهلها موسى والحضر عليها السلام .

والنوشجاني : بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى نوشجان ، وهي بلدة من بلاد فارس ، والله تعالى أعلم بالصواب .

معن بن زائدة

أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصئلب - بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة^١ - واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، الشيباني ، وبقية النسب معروف ؛ وقال ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » : هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر^٢ بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^٣ . كان جواداً شجاعاً جزل العطاء كثير المعرف ممدحاً مقصوداً ؛ [حكى الأصمعي قال : وفد أعرابي على معن بن زائدة فمدحه وطال مقامه على بابه ولم يحصل له جائزة ، فعزم على الرحيل ، فخرج معن راكباً فقام إليه وأمسك بزمام دابته وقال :

وما في يديك الخير يا معنُ كله وفي الناس معروف وعنك مذاهبُ
ستدري بنات العم ما قد أتيته إذا فتشت عند الإياب الحقايب

فأمر معن بإحضار خمس نوق من كرام إبله وأوقرم^٤ له ميرة وبراً

٧٣٢ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥ ومعجم المرزباني : ٣٢٤ وتاريخ ابن الاثير (ج : ٥)

وأما المرتضى ١ : ٢٢٢ وخزانة الأدب ١ : ١٨٢ وأسماء المتتالين (نواذر المخطوطات

٢ : ١٩٥) ورغبة الأمل ٨ : ١٦٨ وعبر الذهبي ١ : ٢١٧ والشذرات ١ : ٢٣١ .

١ هذا الضبط لم يرد في ق لي ص بر من ؛ وفي النسخين الأخيرتين : بن شريك بن قيس .

٢ ص : تبر .

٣ الرواية عن ابن الكلبي لم ترد في : لي بر من .

٤ كذا في النسخ .

وثياباً وقال : انصرف يا ابن أخي في حفظ الله إلى بنات عمك ، فلئن فتش
الحقائب ليجدن فيها ما يسرهن ، فقال له : صدقت ، وبيت الله [١] . وقد سبق
في ترجمة مروان بن أبي حفصة الشاعر طرف من أخباره ، وكان مروان خصيصاً
به وأكثر مدائح فيه .

وكان معن في أيام بني أمية متنقلاً في الولايات ، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن
هيرة الفزاري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس وجرى بين
أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو
مشهور - وسيأتي في ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة إن شاء الله تعالى -
أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسناً ، فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور^٢
فاستتر عنه مدة ، وجرى له مدة استتاره غرائب .

فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور قال : أخبرني
معن بن زائدة ، وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ، أن المنصور جد في طلي وجعل
لمن يحملني إليه مالاً ، قال : فاضطرت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس
حتى لوحت وجهي ، وخفقت عارضي ولبست جبة صوف ، وركبت جملاً
وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها ، قال : فلما خرجت من باب حرب ،
وهو أحد أبواب بغداد ، تبعتني أسود متقلد بسيف ، حتى إذا غبت عن الحرس
قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض على يدي ، فقلت له : ما بك ؟ فقال :
أنت طلبت أمير المؤمنين ؟ فقلت : ومن أنا حتى أطلب^٣ ؟ فقال : أنت معن
ابن زائدة ، فقلت له : يا هذا اتق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال :
دع هذا ، فوالله إني لأعرفُ بك منك ، فلما رأيت منه الجد قلت له : هذا
جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي ، فخذوه ولا تكن
سبياً في سفك دمي ، قال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر فيه ساعة وقال :
صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ،

١ زيادة من لي بر من ، أوردها أيضاً واستنفيده .

٢ لي بر من : أبي جعفر المنصور .

٣ ر : ومن أنا حتى أكون طلبت أمير المؤمنين .

فقلت^١ : قل^٢ ، قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت وقلت : أظن أتي قد فعلت هذا ، قال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير ، وقد وهبتك لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور^٣ بين الناس ، ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتحقره^٤ بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفاً ، فقلت : يا هذا ، قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون^٥ علي مما فعلت ، فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذبني في مقالتي هذا ، والله لا أخذته ولا أخذ لمعروف ثمناً أبداً ، ومضى لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلت لمن يجيء به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكان الأرض ابتلعت .

ولم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه ، وجرت مقتلة^٦ بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية ، وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غرس^٧ النعمة بن الصابي في كتاب « الهفوات » ما مثاله^٧ : لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالأبصار ، وذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة ، وكان معن متوارياً بالقرب منهم ، فخرج متنكراً معتماً ملثماً ، وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالاً أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم ، فلما أفرج عن المنصور

١ ر : فقلت له .

٢ بر : نعم قل .

٣ ق : المأثور عنك .

٤ هذه : سقطت من بر من والمختار .

٥ ر ص لي : ولتحقر .

٦ بر من : مقتلة عظيمة .

٧ لم ترد هذه الحكاية في كتاب الهفوات المطبوع .

قال له : من أنت ويحك ؟ فكشف لثامه فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين
معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه وكساه وزينته ، وصار من خواصه ،
ثم دخل عليه بعد ذلك في بعض الأيام فلما نظر إليه قال : هيه يا معن ، تعطي
مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال : كلا يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة :

مازلت يوم الهاشمية مُعَلِّناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهنّدٍ وسان

فقال : أحسنت يا معن .

وقال له يوماً : يا معن ، ما أكثر وقوع الناس في قومك ؟ فقال : يا أمير
المؤمنين :

إن العرانيين تلقاها محسدة ولا ترى للناس حسادا

ودخل عليه يوماً وقد أسن فقال له : كبرت يا معن ، فقال : في طاعتك
يا أمير المؤمنين ، فقال : وإنك لجلد ، فقال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ،
فقال : وفيك بقية ، فقال : هي لك يا أمير المؤمنين .
وعرّض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة ، فقال :
ويح هذا ، ما ترك لربه شيئاً .

وأشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التي ذكرت بعضها في
ترجمة مروان ، وهي طويلة تزيد على خمسين بيتاً ، ولولا خوف الإطالة لذكرتها ،
وله فيه من قصيدة :

قد آمن الله من خوف ومن عَدَمٍ من كان معنٌ له جاراً من الزمنِ
معن بن زائدة الموفى بدمته والمشتري المجد بالعالي من الثمن
برى العطايا التي تبقى محامدُها غنماً إذا عدها المعطي من الغبن

بنى لشييان مجداً لا زوال له حتى تزول ذرى الأركان من حَضَن

حَضَن : بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون، اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة ، بينه وبين تهامة مرحلة ، يقال في المثل : أنجد من رأى حَضَنًا ، وله ذكر كثير في الأشعار والأخبار .

ودخل على ممن بعض الفصحاء يوماً فقال له : إني لو أردت أن استشفع إليك ببعض مَنْ يثقل عليك لوجدت ذلك سهلاً ، ولكنني استشفعت إليك بقدرك ، واستغنيت بفضلك ، فإن رأيت ان تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل ، وإني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهي عن ردك .

ولمن أشعار جيدة وأكثرها في الشجاعة ، وقد ذكره أبو عبد الله ابن المنجم في كتاب « البارع » وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله في خطاب ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وقد رآه يتبختر بين السماطين ، وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهمُ وصبرت عند الموت يا خطَّابُ
نجماك خوَّارُ العنان كأنه تحت المجاج إذا استحثَّ عقاب
وتركتَ صحبك والرماح تنوشهمُ وكذاك مَنْ قعدتْ به الأحساب

وقال أبو عثمان المازني النحوي : حدثني صاحب شرطة ممن قال : بينما أنا على رأس ممن إذا هو براكب يوضع ، فقال ممن : ما أحسب الرجل يريد غيري ، ثم قال لحاجبه : لا تحجبه ، قال : فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد :

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيقُ العيال إذ كثروا
ألح دهر رمى بكلِّكله فأرسلوني إليك وانتظروا

قال ، فقال ممن وأخذته الأريحية : لا جرم والله لأعجلنَّ أوبتكَ ، ثم قال :

١ وله فيه . . . والأخبار : سقط من : لي بر من .

يا غلام ، ناقتي الفلانية وألف دينار ، فادفعها إليه ، فدفعها إليه وهو لا يعرفه ،
هكذا روى هذا الخطيب في تاريخه^١ .

وأخبار معن ومحاسنه كثيرة .

وكان قد ولي سجستان في أواخر أمره ، وانتقل إليها ، وله فيها آثار
وماجرايات ، وقصده الشعراء بها ، فلما كانت سنة إحدى وخمسين ، وقيل اثنتين
وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين ومائة ، كان في داره صناع يعملون له شغلا ، فاندس^٢
بينهم قوم من الخوارج ، فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ، ثم تتبعهم ابن أخيه
يزيد بن مزيد بن زائدة - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقتلهم بأسرهم ،
وكان قتله بمدينة بُسْت . ولما قتل معن رثاه الشعراء بأحسن المرثي ، فمن ذلك
قول مروان بن أبي حفصة شاعره المذكور ، وهي قصيدة من أفخر الشعر
وأحسنه ، وأولها :

مضى لسبيله معن ، وأبقى	مكارم لن تبيدَ ولن تُنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن	من الإظلام مُلبسةٌ جلالا
هو الجبل الذي كانت تزار	تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقده معن	وقد يروي بها الأسل النهالا ^٢
وأظلمت العراق وأورثتها	مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه	لركن العز حين وهى فهالا ^٣
وكادت من تهامة كل أرض	ومن نجد تزول غداة زالا
فإن يعلّ البلاد له خشوع ^٤	فقد كانت تطول به اختيالا
أصاب الموت يوم أصاب معن ^٤	من الأحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن	إلى أن زار حفرتة عيالا

١ سقطت رواية المازني من النسخ لي بر من .

٢ ق ن والمختار : النبالا .

٣ لي ق : ومالا .

٤ ص والمختار : يمر .

ولم يك طالب للعرف يتنوي
 مضى من كان يحمل كل ثقل
 وما عمد الوفود لمثل معن
 ولا بلغت أكف ذوي العطايا
 وما كانت تجف له حياض
 لأبيض لا يعد المال حق
 فليت الشامتين به فدوه
 ولم يك كنزه ذهباً ، ولكن
 ومارنة من الخطي سمرأ
 وذخراً من عماد باقيات

ومنها ٢ :

مضى لسيله من كنت ترجو
 فلست بمالك عبرات عين
 وفي الأحشاء منك غليل حزن
 وقائلة رأت جسمي ولوني
 أرى مروان عاد كذي تحول
 رأت رجلاً براه الحزن حتى
 فقلت لها : الذي أنكرت مني
 وأيام المنون لها صروف

ومنها ٣ :

- ١ سقط البيت من أكثر النسخ .
 ٢ ن : ومن القصيدة .
 ٣ في أكثر النسخ : وغالا .
 ٤ ن : ومن قصيدته .

كأن الليل واصل بعد معن لياليَ قد قرُنَ به فطالا
 فلهف أبي عليك إذا العطايا جعلن مُنَى كواذب واعتلالا
 ولهف أبي عليك إذا اليتامى غدوا شعثاً كان بهم سلالا
 ولهف أبي عليك إذا القوافي لمتدح بها ذهبت ضلالا
 ولهف أبي عليك لكل هيجا لها تلقي حواملها السخالا
 أقمنا باليهامة إذ يشنا مقاماً لا نريد له زيالا
 وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا
 وما شهد الوقائع منك أمضى وأكرم مقدماً وأشد بالا
 سيدكرك الخليفة غير قال إذا هو في الأمور بلا الرجالا
 ولا ينسى وقائعك اللواتي على أعدائه جعلت وبالا
 ومعتركاً شهدت به حفاظاً وقد كرهت فوارسه النزالا
 حباك أخو أمية بالمرائي مع المدح الذي قد كان قالا
 أقام وكان نحوك كل عام يطيل بواسطة الرحل اعتقالا
 وألقى رحله أسفاً وآلى يميناً لا يشد له جبالا

وهذه المراثية من أحسن المراثي . وقال عبد الله بن المعتز في كتاب «طبقات الشعراء» ٢ : دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر البرمكي فقال له : ويحك ، أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة ، فقال : بل أنشدك مديحي فيك ، فقال جعفر : أنشدني مرثيتك في معن ، فأنشأ يقول :

وكان الناس كلهم لمعن إلى أن زار حفرتة عبالا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ، فلما فرغ قال له جعفر : هل أتابك على هذه المراثية أحد من ولده وأهله شيئاً ؟ قال :

١ ق : غدوا غرثي وقد را حوائثكالي ؛ لي ر : غدوا سغياً .

٢ طبقات ابن المعتز : ٤٥ .

لا ، قال جعفر : فلو كان معن حياً ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال :
 أصلح الله الوزير ، أربعائة دينار ، قال جعفر : فانا نظن أنه كان لا يرضى لك
 بذلك ، قد أمرنا لك عن معن ، رحمه الله تعالى ، بالضعف مما ظننت ، وزدناك
 نحن مثل ذلك ، فاقبض من الخازن ألفاً وستائة دينار قبل أن تنصرف إلى
 رحلك ، فقال مروان يذكر جعفرأ وما سمح به عن معن :

نفحت مكافئاً عن قبر معن لنا مما تجود به سجالا
 فمجلت العطية يا ابن يحيى لناديه ولم ترد المطالا
 فكافأ عن صدى معن جواداً بأجودِ راحة بذل النوالا
 بنى لك خالد وأبوك يحيى بناء في المكارم لن ينالا
 كأن البرمكي بكل مال تجود به يدها يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف .

وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » عن محمد البيذق النديم أنه
 دخل على هارون الرشيد ، فقال له : أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن
 ابن زائدة ، فأنشده بعض هذه القصيدة ، فبكى الرشيد ، قال : وكان بين
 يديه سكرجة فملاها من دموعه .

ويقال : إن مروان بعد هذه القصيدة المرثية^١ لم ينتفع بشعره ، فإنه كان
 إذا مدح خليفة أو من دونه قال له : أنت قلت في مرثيتك :

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئاً ، ولا يسمع قصيدته .

حدث الفضل بن الربيع قال^٢ : رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على
 المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ،
 فأنشده مديحاً ، فقال له : من أنت ؟ فقال : شاعرك مروان بن أبي حفصة ،

١ القصيدة : سقطت من : لي ر بر من ؛ المرثية : سقطت من المختار .

٢ الأغاني ١٠ : ٩١ .

فقال له المهدي : ألسـت القائل :

وقلنا أين نرحل بعد معن

وأنشده البيت المذكور ، وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال ؟! لا شيء لك عندنا ، جروا برجله ، قال : فجروا برجله حتى أخرجوه ، فلما كان في العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء ، وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة ، قال : فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها :

طرتك زائرة فحي خيالها [بيضاء تخلط بالحياء دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

فأنصت له حتى بلغ إلى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها]^١

وقد تقدم ذكر بعضها في ترجمة مروان ، قال : فأنصت له المهدي ، ولم يزل يزحف كلما سمع شيئاً فشيئاً منها ، حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال له : كم بيت هي ؟ فقال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وهذا يخالف ما ذكرناه في ترجمته ، لكنه يختلف باختلاف الروايات ، ويقال إنها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس . قال الفضل بن الربيع فلم تلبث الأيام أن^٣ افضت الخلافة إلى هارون الرشيد ، ولقد رأيت مروان مائلاً مع الشعراء بين يديه ، وقد أنشده شعراً ، فقال له : من أنت ؟ فقال : شاعرك مروان بن أبي حفصة ، فقال له : ألسـت القائل في معن كذا ، وأنشده البيت ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه فإنه لا شيء له عندنا ، ثم تلتطف حتى دخل عليه بعد ذلك ، فأنشده فأحسن جائزته^٢ .

١ ما بين معقفين انفردت ر بإيراده ؛ وهو متابع لما في الأغاني .

٢ ق : فلم تلبث الأيام والليالي حتى .

٣ حدث الفضل ... جائزته : سقط كله من : لي بر من ، والمختار .

ومن المراني النادرة أيضاً أبيات الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي في معنى ابن زائدة أيضاً ، وهي من أبيات « الحماسة »^١ :

ألمّا على معنى وقولا لقبه سقتك الغواذي مريباً ثم مريباً
فيا قبرَ معنى كيف وارىتَ جوده^٢ وقد كان منه البر والبحر مُتسرعا
ويا قبرَ معنى أنت أولُ حفرةٍ من الأرض خُطتْ للمكارم مضجعا
بلى قد وَسِعَتِ الجودَ ، والجودُ ميت ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
قتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معنى مضى الجودُ وانقضى وأصبح عرنينُ المكارم أجدعا

وقد سبق لمن في ترجمة صاحب بن عباد نادرة مستظرفة^٢ فلا حاجة إلى إعادتها هنا ، ولولا خوف الإطالة لأتيت من محاسنه بكل نادرة بديعة .

(258) والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن شريك ، وإنما قيل له الحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقري حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ، ومعنى حفزه أي دفعه من خلفه ، واسم الحوفزان الحارث بن شريك ، وقيل إن الذي حفزه بسطام بن قيس الشيباني ، والأول أصح ، والله تعالى أعلم بالصواب .

١. انظر شرح المروزقي : الحماسية رقم : ٣١٩ .

٢. انظر ج ١ : ٢٢٩ .

مقاتل صاحب التفسير

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي ، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها ، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز ، وله التفسير المشهور .

وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح - المقدم ذكره - وأبي إسحاق السبيعي - وقد تقدم ذكره أيضاً - والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم . وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي^١ وعبد الرزاق بن همام الصنعاني - المقدم ذكره - وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد ، وغيرهم . وكان من العلماء الأجلاء ، حكى عن الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، أنه قال : الناس كلهم عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير ابن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام .

وروي أن أبا جعفر المنصور كان جالساً ، فسقط عليه الذباب فطيره ، فعاد إليه وألح عليه ، وجعل يقع على وجهه ، وأكثر من السقوط عليه مراراً حتى أضجره ، فقال المنصور : انظروا من الباب ، فقيل له : مقاتل بن سليمان ، فقال : عليّ به ، فأذن له ، فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب ؟ قال : نعم لينذ الله عز وجلّ به الجبابرة ، فسكت المنصور .

وقال إبراهيم الحريي : قعد مقاتل بن سليمان فقال : سلوني عما دون العرش ، فقال له رجل : آدم صلى الله عليه وسلم حين حج من حلق رأسه ؟ فقال له : ليس هذا من علمكم ، ولكن الله تعالى أراد أن يبتليني لما أعجبتني نفسي . وقال

٧٣٣- ترجمته في الجرح والتعديل ١/٤ : ٣٤٤ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٦٠ وتهذيب التهذيب

١٠ : ٢٧٩ وميزان الاعتدال ٤ : ١٧٣ والشذرات ١ : ٢٢٧ .

١ الحمصي : سقطت من : بر من لي .

سفيان بن عيينة ، قال مقاتل بن سليمان يوماً : سلوني عما دون العرش ، فقال له إنسان : يا أبا الحسن ، أرأيت الذرة والنملة معاها في مقدمها أو في مؤخرها ؟ قال : فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له ، قال سفيان : فظننت أنها عقوبة عوقب بها .

وقد اختلف العلماء في أمره ، فمنهم من وثقه في الرواية ، ومنهم من نسبه إلى الكذب . قال بقیة بن الوليد : كنت كثيراً أسمع شعبة بن الحجاج وهو يسأل عن مقاتل ، فما سمعته قط ذكره إلا بخير . وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال : رحمه الله ، لقد ذكر لنا عنه عبادة . وروي عن عبد الله بن المبارك أيضاً أنه ترك حديثه . وسئل إبراهيم الحربي عن مقاتل : هل سمع من الضحاک ابن مزاحم شيئاً ؟ فقال : لا ، مات الضحاک قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين . وقال مقاتل : أغلق علي وعلى الضحاک باب أربع سنين ؛ قال إبراهيم : وأراد بقوله « باب » يعني باب المدينة ، وذلك في المقابر . وقال إبراهيم أيضاً : ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيئاً ولم يلقه .

وقال أحمد بن سيار : مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ ، وتحول إلى مرو ، وخرج إلى العراق ، وهو متروك الحديث مهجور القول ، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحمل الرواية عنه . وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : مقاتل بن سليمان كان دجالاً جسوراً . وقال أبو عبد الرحمن النسائي : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : ابن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، ومحمد بن سعيد - ويعرف بالصلوب - بالشام .

وذكر وكيع يوماً مقاتل بن سليمان فقال : كان كذاباً . وقال أبو بكر الأجرى : سألت أبا داود سليمان بن الأشعث عن مقاتل بن سليمان ، فقال : تركوا حديثه . وقال عمرو بن علي الفلاس : مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث . وقال البخاري : مقاتل بن سليمان سكتوا عنه . وقال في موضع آخر : لا شيء ألبتة . وقال يحيى بن معين : مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء . وقال أحمد بن حنبل : مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه

شيئاً . وقال أبو حاتم الرازي : هو متروك الحديث . وقال زكريا بن يحيى الساجي : مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا : كان كذاباً متروك الحديث . وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي : مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبهاً يشبه الرب بالملحوقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث .
وبالجملة فإن الكلام في حقه كثير ، وقد خرجنا عن المقصود ، لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه .
وتوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على الأزدي والمروزي فأغنى عن الإعادة .

٧٣٤

شبل الدولة

أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي ، الملقب بشبل الدولة؛ كان من أولاد أمراء العرب ، فوقع بينه وبين إخوته وحشة أوجبت رحيله عنهم ، ففارقهم ووصل إلى بغداد ثم خرج إلى خراسان وانتهى إلى غزنة ، وعاد إلى خراسان ، واختص بالوزير نظام الملك وصاهره ، ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور بيتين ، تقدم ذكرهما في ترجمته .

ثم عاد إلى بغداد وأقام بها مدة ، وعزم على قصد كرمان مسترفداً وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء ، وكان من الأجواد المشاهير ، فكتب إلى الإمام المستظهر بالله قصة يلتبس فيها الإنعام عليه بكتاب إلى الوزير المذكور ، مضمونه الإحسان إليه ، فوقع المستظهر على رأس قصته : « يا أبا الهيجاء ، أبعدت النجعة ، أسرع الله بك الرجعة ، وفي ابن العلاء مقنع ، وطريقه في الخير

٧٣٤ - انظر النجوم الزاهرة ٥ : ٢٠٤ ؛ ولم يرد من هذه الترجمة في المختار إلا بعض أبيات الغزي .

مَهَيَّع ، وما يسديه إليك تستحلي ثمرة شكره ، وتستعذب مياه بره ، والسلام ،
فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الأسطر ، واستغنى عن الكتاب .

وتوجه إلى كرمان ، فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن في الدخول
فأذن له ، فدخل عليه وعرض على رأيه القصة ، فلما رآها قام وخرج عن دسسته
إجلالاً لها وتمظيماً لكتابها ، وأطلق لأبي الهيجاء ألف دينار في ساعته ثم عاد
إلى دسسته ، فعرفه أبو الهيجاء أن معه قصيدة يدحها بها ، فاستنشده إياها فأنشده :

دع العيس تذرع عرض الفلا إلى ابن العلاء ، وإلا فلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ، ولما أكل إنشاده
القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى ، وخلع عليه ، وقاد إليه جواداً بركبه ،
وقال له : دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع ، وقد دعا لك بسرعة الرجوع ،
وجهره بجميع ما يحتاج إليه .

فرجع إلى بغداد وأقام بها قليلاً ، ثم سافر إلى ما وراء النهر وعاد إلى
خراسان ونزل إلى مدينة هرة ، وهوي بها امرأة وأكثر من التشبيب فيها ، ثم
رحل إلى مرو واستوطنها ؛ ومرض في آخر عمره وتسودن ، وحمل إلى
البيارستان ، وتوفي به في حدود سنة خمس وخمسة ، رحمه الله تعالى .

وكان من جملة الأدباء الظرفاء ، وله النظم البديع الرائق ، وبينه وبين العلامة
أبي القاسم الزمخشري - المقدم ذكره - مكاتبات ومداعبات ، وكتب إليه
قبل الاجتماع به :

هذا أديب كامل مثل الدراري درره

زمخشري فاضل أنجبه زمخشره

كالبخر إن لم أره فقد أتاني خبره

فكتب إليه الزمخشري :

شعره أمطر شعري شرفاً فاعتلى منه ثياب الحسد

١ ق ن ر : ثياب الحسد .

كيف لا يستأسد النبت إذا بات مسقيًا بنوء الأسد

وله كل مقطوع لطيف ، رحمه الله تعالى .
والوزير المذكور هو الذي تقدم ذكره في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم الغزي ،
الشاعر المشهور ، فإنه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت
منها في ترجمة الغزي بيتين هما من الشعر العجيب ، وضمنها المعنى الغريب .
وأول هذه القصيدة :

ورود ركايا الدمع يكفي الركائباً وشم تراب الربع يشفي الترائباً
إذا شمت من برق العميق عقيقه فلا تنتجع دون الجفون^٢ السحابياً
ومنها عند الخروج إلى المديح :

وعيس لها برهان عيسى بن مريم إذا قتل الفج العميق المطالباً
يُرقصهن الآلُ إما طوافياً تراهن في آذيه أو رواسياً
سوانح^٣ كالبنيان تحسب أنفي مسحت المطايا إذ مسحت السباسيا
تنسمن من كزمان عرفاً عرفنه فهن يُلعبن النشاط لواعباً
يرين وراء الخافقين من المنى مشارق لم يؤبته لها ومغارباً
إلى ماجد لم يقبل المجد وارثاً ولكن سعى حتى حوى المجد كاسباً
تبسم نعر الدهر منه بصاحب إذا جد لم يصحب سوى العزم صاحباً
ومنها :

تصيخ له الأسماع ما دام قائلاً وتعنو له الأبصار ما دام كاتباً
ولم أر ليشاً خادراً قبل مكرم ينافس في العليا ويعطي الرغائباً
ولو لم يكن ليشاً مع الجود لم يكن إذا صال بالأقلام صارت مخالِباً

١ يتلاعب الزمخشري على لفظة « أسد » اسم البرج ، والمدوح هو « شبل » الدولة .

٢ لي : البروق ؛ ق ن : الخفوق .

٣ كذا في النسخ ، ولعلها « شوامخ » .

ومنها :

إذا زان قوماً بالمناقب واصف ذكرنا له فضلاً يزين المناقبا
له الشمم الشم التي لو تجسمت لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا
ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا
تناول أولها وما مدّ ساعداً وأحرز أخراها وما قام واثبا

وهي من غرر القصائد ، وفي هذا الأتمودج منها دلالة على الباقي .

٧٣٥

المقلد العقيلي

أبو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن بُرَيْد - بالتصغير - ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة^١ بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، العقيلي ، الملقب حسام الدولة ، صاحب الموصل .

كان أخوه أبو الدواد^٢ محمد بن المسيب أول من تغلب على الموصل وملكها من أهل هذا البيت ، وذلك في سنة ثمانين وثلثمائة . وتزوج بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي ابنته . فلما مات أبو الدواد في سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده ، وكان أعور . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن ذلك في سنة ست وثمانين ، وأن أبا الدواد لما توفي طمع

٧٣٥ - أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٩) والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٣ وعبر الذهبي ٣ : ٥١

والشذرات ٣ : ١٣٨ .

١ ص : جوية ؛ وفي ق غير معجمة ؛ لي : حوثة ؛ بر : حوثة .

٢ ق : الدواد ؛ ص : الزواد .

المقلد في الملك ، فلم يساعده بنو عقيل ، و قدموا أخاه علياً لكبر سنه ، ثم توصل بالخديفة حتى ملك ، وأطال القول في ذلك فأختصرته ، وهذا حاصله .
 وقال غير ابن الأثير : إنه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير ، فغلب على سقي الفرات واتسعت مملكته . ولقبه الإمام القادر بالله وكناه ، وأنفذ إليه باللواء والخلع فلبسها بالأنبار . واستخدم من الديلم والأتراك ثلاثة آلاف رجل وأطاعته خفاجة ، وكان فيه فضل ومحبة لأهل الأدب ، وينظم الشعر .
 حكى أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال : كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار ونصيبين ، فنزلنا ، ثم استدعاني بعد الزوال ، وقد نزل بقصر هناك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي ، وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة ، فدخلت عليه فوجدته قائماً يتأمل كتابة على الحائط ، فقرأتها فإذا هي :

يا قصر عباس بن عم رو كيف فارقك ابن عمرك
 قد كنت تفتال الدهو ر فكيف غالك ريب دهرك
 واهما لعزك بل لجو دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحتها مكتوب « وكتب علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة » - قلت : وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبّي ، وقد تقدم ذكره - قال الراوي : وكان تحت ذلك مكتوب :

يا قصر ضعضعك الزما ن وحط من علياء فخرك
 ومحا محاسن أسطر شرفت بهن متون جُدرك
 واهما لكاتبها الكريب سم وقدره الموفى بقدرك

وتحت الأبيات مكتوب « وكتب الفضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة » - قلت : وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ابن أخي سيف الدولة ، وقد سبق ذكر

والده أيضاً في حرف الحاء - وتحت ذلك مكتوب :

يا قصر ما فعل الألى ضربت قبايهم بعقرك
أخنى الزمان عليهم وطواهم بطويل نَشرك
واهاً لقاصر عمر من يَحْتال فيك وطول عمرك

وتحت مكتوب « وكتب المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين
وثلاثمائة » - قلت : وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة - وتحت
ذلك مكتوب :

يا قصر ما صنع الكرا م الساكنون قديم عصرك
عاصرتهم فبذتهم وشأوتهم طراً بصبرك
ولقد أثار تفجعي يا ابن المسيب رقم سطرِكَ
وعلمت أني لاحق بك دائب في قَفو أثرك

وتحت مكتوب « وكتب قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى
وأربعمائة » قال الراوي : فمعبت من ذلك ، وقلت لقرواش : الساعة كتبت
هذا ؟ فقال : نعم ، وقد همت بهدم القصر فإنه مشوم قد دفن الجماعة ،
فدعوت له بالسلامة وانصرفت ، ورحلت بعد ثلاثة أيام ، ولم يهدم القصر .

(259) وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة
ورأس عين بالقرب من حصن مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي ، وكان
يتولى اليمامة والبحرين ، وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم ، فقاتلوه
وكسروه وأسروه ، ثم أطلقوه فرجع إلى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد
لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين . وقال أبو
عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه الصغير : مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة
خمسین وثلاثمائة ، ومن المعجائب أنه توجه إليهم في عشرة آلاف ، فقتل الجميع
وسلم وحده ، وعمرو بن الليث الصفار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان

وهو في خمسين ألفاً ، فأخذوه ونجا الباقون^١ .

وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش سبعون سنة ؛ وقد سبق نظير هذه الحكاية في ترجمة عبد الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان ، فليُنظر هناك .

وبينا المقلد المذكور في مجلس أنسه وهو بالأنبار إذ وثب عليه غلام تركي فقتله ، وذلك في صفر سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، ويقال : إنه مدفون على الفرات بمكان يقال له شيفياً^٢ بين الأنبار وهيت ، وحكي أن هذا التركي سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج : إذا جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقف عنده وقل له عني : لولا صاحبك لزلتلك ؛ ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء .

(260) وكان ولده معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائباً عنه ، ثم تقلد الأمر من بعده وكان له عمان ينازعانه في الأمر : أحدهما أبو الحسن ابن المسيب ، والآخر أبو مرج^٣ مصعب بن المسيب ، فتوفي أبو الحسن سنة اثنتين وتسعين ، وتوفي أبو مرج سنة سبع وتسعين ، فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منها ، وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات ، وخطب في بلاده للحاكم صاحب مصر - وسيأتي ذكره^٤ - في سنة إحدى وأربعمائة ، ثم رجع عن ذلك ، ووصلت الفز إلى الموصل ونهبوا دار قرواش ، وأخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار ، فاستنجد بنور الدولة أبي الأغر دبيس بن صدقة - المقدم ذكره^٥ - فأجده واجتمعوا على محاربة الفز فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم . ومدحه أبو علي ابن الشبل البغدادي الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها هذه الواقعة ، فمنها قوله :

١ وهذا العباس ... الباقون : سقط من : لي بر من .

٢ ر ن ق ص : شيفياً .

٣ ن : مرج ؛ وفي المطبوعة المصرية ودي سلان : مرج .

٤ ن : المقدم ذكره ، وهو خطأ .

٥ ج ٢ : ٢٦٣ .

نزّهت أرضك عن قبوراً جسومهم فقَدَت قبورهم بطونَ الأنسر
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا من هذه الدنيا بكل مظفر
فضوا رتاج السدّ عن بأجوجه ولقوا بياسك سطوة الإسكندر

وكان قرواش المذكور [يلقب بمجد الدين ، وهو ابن أخت الأمير أبي الهيجاء
الهدباني صاحب إربل ، وكان ^٢ أديباً شاعراً ظريفاً ، وله أشعار سائرة ، فمن
ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخري في أول كتاب « دمية القصر » ^٣
وهو قوله :

لله در النائبات فإنها صدأ اللثام وصيقلُ الأحرار
ما كنت إلا زُبرة فطبعني سيفاً وأطلق صرفهن غراري
وأورد له أيضاً :

من كان يحمّدُ أو يذمُّ مورثاً للخال من آبائه وجدوده
فأنا امرؤٌ لله أشكر وحده شكراً كثيراً جالباً لمزيدة
لي أشقر ملء العنان مغاور يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند غضب إذا جرّدته خلت البروق تموج في تجريده
ومتقف لدن السنان كأنما أم المنايا رُكبت في عوده
وبذا حوّيتُ المالَ إلا أني سلطت جود يدي على تبديده

ما أحسن هذا الشعر وأمتنه !

ومن المنسوب إليه أيضاً :

وألفة للطيب ليست تغبه منعمة الأطراف ليّنة اللبس

١ لي بر من : قبول .

٢ زيادة من ر ، وردت عند وستنفيلد .

٣ دمية القصر : ١٣ - ١٤ .

إذا ما دخان الند من جيبها علا على وجهها أبصرت غيا على شمس
(261) وذكر الباخري المذکور في « دمية القصر » أيضاً لأبي جوثة^١ ابن
عم الأمير قرواش المذکور :

قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمساً وخت وجوهم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذا الصريخ دعاهم للممة بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زناد الحرب أخذ نارها قدحوا بأطراف الأسنه نارا

(262) ومن جملة شعراء « دمية القصر » أيضاً الطاهر الجزري^٢ ، وقد مدح
قرواشاً المذکور بقوله ، وهو في نهاية الحسن في باب الاستطراد :

وليل كوجه البرقيدي^٣ ظلمة^٤ وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت^٥ ونومي فيه نوم مشرد^٦ كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق^٧ فيه مضاء^٨ كأنه أبو جابر في طيشه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا الأسلوب في فقيهين كانا
بدمشق ينز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس^٩ :

البغل^{١٠} والجاموس في جدليهما قد أصبعا عظة^{١١} لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحنا هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصباح كأننا لقنا جدال المرتضى بن عساكر

١ بر من : حوثة ؛ ق لي : حوثة ؛ ر : جوشنة .

٢ دمية القصر : ٥٠ .

٣ ن : انزعاج .

٤ ديوان ابن عنين : ٢٠٥ .

لفظ طويل تحت معنى قاصر كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان ما لهما وحقك ثالث إلا رقاعة مدلويه الشاعر

ولقد حكى لي بعض الأصحاب أنه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزري
واستحسن بناءه^٢ عليها ، فحلف أنه ما كان سمعها ، والله أعلم .

(263) ومدلويه المذكور : لقب كان ينز به الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن
محمد بن بدر بن الحسن بن المقرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسي ، وكان
مقيماً بدمشق ، ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو . وتوفي في منتصف صفر
سنة تسع عشرة وستائة بدمشق المحروسة ، ودفن بباب الصغير ، رحمه
الله تعالى .

وذكر في كتاب « الدمية » أيضاً للطاهر الجزري المذكور أبياتاً لطيفة
أحببت ذكرها ، وهي :

انظر إلى حظ ابن شبل في الهوى إذا يزال لكل قلب شائقا
شغل النساء عن الرجال ، وطالما شغل الرجال عن النساء مراهقا
عشقوه أمرد والتحي فعمشقه الله أكبر ليس يعدم عاشقا

ثم وجدت في كتاب « الخريدة » في ترجمة أبي نصر ابن النحاس الحلبي
البيتين الأخيرين من هذه الأبيات الثلاثة وقال : أورده أبو الصلت في « الحديقة »^٣
له ، يعني لابن النحاس ، والله أعلم .

رجعنا إلى حديث الأمير قرواش :

وكان كريماً وهابياً نهاباً جارياً على سنن العرب ، نقل أنه جمع بين أختين
في النكاح^٤ ، فلامته العرب على ذلك فقال : خبروني ما الذي نستعمله مما

١ ص ق : مدكويه .

٢ لي بر من : ثناء .

٣ ص ق ن : الخريدة ، وهو سهو .

٤ ن : نكاح .

تبيحه الشريعة ؟ وكان يقول : ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم ، فأما الحاضرة فما يعبا الله بهم . ودامت إمارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد - وكان خارج البلد - فقبض بركة عليه في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وقيده وحبسه في الجراحية إحدى قلاع الموصل ، وتولى مكانه .

(264) ولقب بركة بزعم الدولة وأقام في الإمارة سنتين ، وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين .

(265) فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد - وكان بدران المذكور صاحب نصيبين ، وتوفي في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة - فأول ما فعل قريش أنه قتل عمه قرواشا المذكور في محبسه في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ودفن بتلّ توبة شرقي الموصل ، وكان فصيحاً شاعراً كريماً شجاعاً .

وقرواش : بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الألف شين معجمة ، وهو فعوال من القرش ، وهو في اللغة الكسب والجمع ، وبه سميت قريش أيضاً لأنها كانت تعاني التجارة .

واجتمع قريش مع أرسلان البساسيري - المقدم ذكره - على نهب دار الخلافة ، ثم إن الإمام القائم بأمر الله جرى على سجيته في الحلم ، وكتب إلى السلطان طغرلبيك - المقدم ذكره في الحمد - ليرضى عنه ، وورد الخبر بعد ذلك بموته - أعني قريش بن بدران - في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة في أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة .

(266) وولي بعده إمارة بني عقيل ولدّه أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة ، وكان قد طمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبيك السلجوقي - المقدم ذكره - ثم رجع عن ذلك ، واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الآتوة من بلاد الروم ، وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها ،

١ ن لي بر من : وكانا .

٢ ج ١ : ١٩٢ .

فبلغه أن حرّان عصى عليه أهلها فرحل إليهم وحاربوه ، ففتحتها وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة ، واتسعت له المملكة ، ولم يكن من أهل بيته من ملك مثله ، وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها ، وكانت الطرقات آمنة في بلاده .

ومن جملة ما نقل عنه أن ابن حيّوس الشاعر - المقدم ذكره - مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار ، فحمل ذلك على خزائنه فرده وقال : لا يتحدث عني أحد أنني أعطيت شاعراً مالا ثم شرهت فيه وأخذته ، وأنه دخل خزائني مال جمع من أوساخ الناس . وكان يصرف الجزية في جميع بلاده إلى الطالبين^١ ولا يأخذ منها شيئاً ، وهو الذي عمر سور الموصل ، وكان ابتداء عمارته يوم الأحد ثالث شوال سنة أربع وسبعين ، وفرغ من عمارته في ستة أشهر ؛ واخباره كثيرة .

وجرى بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم مصاف ، قتل فيه على باب أنطاكية في خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، يوم الجمعة ، وعمره خمس وأربعون سنة وشهور ، هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه « المعارف المتأخرة » ؛ وذكر أيضاً ابن الصابي في تاريخه أن مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، والله أعلم ؛ وذكر المأموني في تاريخه أنه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه في الحمام ، وذكر له واقعة في ذلك ، وذلك في سنة أربع وسبعين ، والله أعلم بالصواب .

(267) ورتب السلطان ملكشاه السلجوقي - المقدم ذكره - ولده أبا عبد الله محمداً في الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور ، وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب أرسلان ، وكان والده مسلم بن قريش اعتقل أخاه أبا سالم إبراهيم ابن قريش بقلعة سنجان مدة أربع عشرة سنة ، فلما هلك مسلم وتقرر أمر ولده محمد في الإمارة اجتمع أهله على إبراهيم المذكور فأخرجوه وقدموه عليهم ، ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمداً المذكور ، فلما مات ملكشاه أطلق^٢ ،

١ ر ن بر من : الطالبين . ٢ ن : اطلقوه ؛ ق ر لي بر من : اطلقا .

وجمع إبراهيم العرب وحارب^١ تاج الدولة تَنْشُ السلجوقي - المذكور في حرف التاء - بمكان يعرف بالمصنع وقتله تاج الدولة تَنْشُ صبرا في سنة ست وثمانين وأربعمائة .

(268) ومن أمراء بني عقيل أيضاً أبو الحارث مهارش بن المجلي بن عليب ابن قيان^٢ بن شعيب^٣ بن المقلد الأكبر بن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور في أول هذه الترجمة ؛ ومهارش المذكور هو صاحب الحديث ، وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري لما خرج من بغداد ، وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه ، وأقام عنده سنة ، وهي واقعة مشهورة فلا حاجة إلى شرحها . وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات^٤ ، ملازم الجمع والجماعات ، وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعمره ثمانون سنة ، رحمه الله أجمعين .

٧٣٦

مخلص الدولة ابن منقذ

أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، الملقب بمخلص الدولة ، والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن علي صاحب قلعة شَيْزَر - المقدم ذكره - ؛ كان رجلاً نبيل القدر سائر الذكر ، رُزِقَ السعادة في بنيه وحَفَدته ، وقد تقدم في ترجمة ولده المذكور طرف من بدء أمرهم ، وكيف ملك القلعة المذكورة . وكان والده مقلد المذكور في جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من

١ ن ق : وداور .

٢ ن : عكيث ؛ بر من : عكيث ؛ ق ص : عليث ، ر : عكيث ؛ ص : قيان ؛ ن : قنان ؛ ر : قنان ؛ وفي لي دون اصحاب إلا الباء ؛ بر من : قيار .

٣ لي ن ر : شعب ؛ ق : أشعب .

٤ ن : والصلوات .

قلعة شينزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم ، وكانوا يترددون إلى حلب وحماة وتلك النواحي ، ولهم بها الأدر النفيسة والأملاك المثمينة ، وذلك كله قبل أن ملكوا قلعة شينزر ، وكان ملوك الشام يكرمونهم ويبجلون أقدارهم ، وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم ، وكان فيهم جماعة أعيان رواساء كرماء علماء ، وقد سبق ذكر أسامة بن منقذ^٢ ، وهو من أحفاده .

ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته ، إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب ، وحل إلى كفرطاب ؛ ورأيت في ديوان ابن سنان الحفاجي الشاعر عقيب أشعار له في المذكور^٤ ، يقول ما صورته : وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، والله أعلم بالصواب ، رحمه الله تعالى . ورتاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين^٥ بهذه القصيدة ، وهي من فائق الشعر ، وأنشدها لولده أبي الحسن علي المذكور ، وسأذكرها كلها إن شاء الله تعالى ، وإن كانت طويلة ، لكنها غريبة قليلة الوجود بأيدي الناس ، وما رأيت أحداً قط يحفظ منها إلا أبياتاً يسيرة فأحببت ذكرها لذلك ، وهي هذه :

الأكلُ حيٌّ مُقصداتِ مَقَاتِلِهِ	وَأَجَلُ مَا يُخَشَى مِنَ الدَّهْرِ عَاجِلُهُ
وَهَلْ يَفْرَحُ النَّاجِي السَّلِيمُ وَهَذِهِ	خَيُْولُ الرَّدَى قُدَّامَهُ وَحِبَائِلُهُ
لَعَمْرُ الْفَقِي إِنْ السَّلَامَةُ سَلَّمَ	إِلَى الْحَيْنِ وَالْمَفْرُورُ بِالْعَيْشِ آمَلُهُ
فَتَسْلُبُ أَثْوَابَ الْحَيَاةِ مُعَارُهَا	وَيَقْضِي غَرِيمَ الدِّينِ مَا هُوَ مَاطِلُهُ
مَضَى قَيْصَرٌ لَمْ تَغْنِ عَنْهُ قُصُورُهُ	وَجَدَّالٌ كَسَرَى مَا حَمَمَتْهُ مَجَادِلُهُ

١ ر : الأذور ، وهما بمعنى واحد .

٢ لي بر من : تملكوا .

٣ ر لي بر من : أسامة بن مرشد .

٤ عقيب . . . المذكور : سقطت من : ر لي بر من .

٥ لي : ابن أبي حصينة ؛ ن : ابن أبي حفص .

٦ ق : حبال الردي تقتاده .

وما صد هلكاً عن سليمان ملكه
ولم يبق إلا من يروح ويفتدي
وما نفس الإنسان إلا خِزامة
فهل غال بدءاً مخلص الدولة الردى
ولكنه حوض الحمام ، ففارط
لقد دفن الأقبامُ أروع لم تكن
سقى جدثاً هالت عليه ترابه
ففيه سحابٌ يرفع المحلَ هدبه
كان ابن نصر سائراً في سريره
يمرُّ على الوادي فتثني رماله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما
أناعيه إن النفوس منوطةٌ
بفيك الثرى لم تدر من حل بالثرى
هو السيد المهتز للتم بدره
أفاض عيون الناس حتى كأنما
فيا عين سحبي لا تشحي بسائل
مق يسألوه المال تَنَدَّ بنانه
وكم عاد عنه بالخسار مقنع
له الغلبُ القاضي على كل باسل
محاسنه في روضةٍ طلبها الندى
فيا عمره أنى قصرت ولم تطل
جرت تحته العلياء ملء فروعها

ولا مَنَعَتْ منه أباه سرايله
على سَفَرِينأى عن الأهل قافله
بأيدي المنايا والليالي مراحلها
وهل تنزوي عن سواه غوائلها
إليه ، وتالٍ مسرعاتٌ رواحلها
بمدفونةٍ طول الزمان فضائلها
أكفهم طلُ الغمام ووابله
وبجرُ ندىٍ يستغرقُ البرَّ ساحله
حي^١ من الوسميِّ أقشع هاطله
عليه ، وبالنادي فتبكي أرامله
سرى جوده فوق الركاب ونائله
بقولك فانظر ما الذي أنت قائله
جهلت وقد يستصغرُ الأمر جاهله
وللجود عطفاه وللطعن عامله
عيونهم مما تفيض أنامله
على ماجد لم يعرف الشح سائله
وإن يسألوه الضمَّ تَبَدُّ عوامله
وكم نال منه قانع ما يحاوله
يخالده أو كلَّ خصم يبادلها
ولكنه في المجد مات مساجله
منازله بل كفه بل حمائله
إلى غاية طال على من يطاوله

كما يستسر البدر تمت منازلها^١
 فينزله أو عادياً فينزلها
 إذا هي لم تقتله فالصفح قاتله
 وعادته أن يقذف الدم كاهله
 أدى^٢ صارم لو أن ظهره كاهله
 جرت ببيان المشكلات شواكله
 على ما يضل الناس عنه دلائله
 ضحاه بها موصولة وأصائله
 فقد روت العافين أمس مناهله
 صوافنه موقورة^٣ ومناصله
 إذا شامه^٤، أو كالذبالة ذابله
 وظلت على غير الصيام صواهله
 يصاب به حافي الأنام وناعله
 إذا لج فيها ليس يوجد عاذله
 بني منقذ روض الندى وخائله
 فإنكم^٥ أوزاره ومعاقله
 مصاحب صبر عن حبيب يزايله
 أخو يقظت وافر العزم كامله
 فطالعه هذا وذلك آفله

فما مات حتى نال أقصى مراده
 فتي طالما يعتاده الجيش عافياً
 صفوح^٦ عن الجاني وصفحة سيفه
 وأدمى عسيب الطرف بعدك هلبه
 فيا طرفه ما كان عجرك حاملاً
 لقد كثر الملبوس بعد مروع
 إذا ظن لا يخطي كأن ظنونه
 فلا رحلت عنه نوازل رحمة
 وروى ثراه منهل العفو في غد
 قضى الله أن يرزا الأمير وهذه
 وكل فتي كالبرق إبريق غمده^٤
 فليت ظباه صلت اليوم خلفه
 بني منقذ صبراً فإن مصابكم
 لقد جل حتى كل واجد لوعة
 إذا صوحت أيدي الرجال فأنتم^٥
 وإن فر من وزر الزمان مفرح^٥
 وصاحب علي، الصبر عنه فما غوى
 وما نام حتى قام منك وراءه
 كأنكما نوءان في فلك العلا

١ ق ن والمختار : أقصى منازلها .

٢ ص ن : أدى ؛ لي : أرى صارماً .

٣ ص : صوافيه ؛ ق لي ن : موقورة .

٤ ق : عهده .

٥ ر بر من ن : سامه .

٦ ق : العقل .

وما كَفَلْتُكَ الأمر إلا لعلمهم قيامك بالأمر الذي أنت كافلة
سميت إلى نيل المكارم سعيه ولو كنت لا تسعى كفتك فواضله
ولم تر أن ترقى بما كان فاعلاً أجل إنما المرفوع بالفعل فاعله
لعمرك إني في الذي عنك كله شريك عنان ناصح الود ناخله
وكيف خلو القلب من ذلك الهوى وقد خلّدت بين الشغاف دواخله

نجزت القصيدة بتمامها وكاملها . وقد تقدم في ترجمة الصالح طلائع بن رزّيك وزير مصر مرثية رثاه بها الفقيه عمارة اليميني ، وهي على وزن هذه المرثية ورويتها ، ولم أذكر منها هناك سوى أبيات قلائل لكثرة وجود ديوان عمارة بأيدي الناس ، وهذه لا تكاد توجد بكاملها ، فلهذا أتممتها هاهنا ، وقد تقدم منها ذكر بيتين في ترجمة الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد المعروف بالجواد الأصهباني وزير الموصل .

(269) وتوفي أخوه أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، ورثاه الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر بقوله ، وهو من شعره القديم زمن الصبا :

غربت خلائقك الحسان غريبةً ورمى الزمان دنوها ببعاد
ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت فيض الدموع حرارة الأكباد

والخفاجي المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضاً بقصيدة طويلة رائية ، ومدحه بأخرى حائية أجاد فيها وتركها لطولها ، والله تعالى أعلم بالصواب .

مكي بن أبي طالب

أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حمّوش بن محمد بن مختار القَيْسِي المَقْرِيء ؛ أصله من القيروان ، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة ، وهو من أهل التبصر في علوم القرآن والعربية ، [كان] حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل ، كثير التوايف في علم القرآن محسناً لذلك ، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها . ولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل ، لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وقال أبو عمرو المَقْرِيء الداني : إنه ولد سنة أربع وخمسين ، ونشأ بالقيروان وترعرع ، وسافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، واختلف بها إلى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ، ثم رجع إلى القيروان ، وكان إكاله لاستظهار القرآن بعد كاله وفراغه من الحساب وغيره من الآداب ، وذلك في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، ثم عاد إلى مصر ثانية بعد استكمال القراءات بالقيروان وذلك في سنة سبع وسبعين ، فحجج في تلك السنة حجة الإسلام ، ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المَقْرِيء نزيل مصر بمصر في أول سنة ثمان وسبعين ، فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ، ورجع إلى القيروان وقد بقي عليه بعض القراءات . ثم عاد إلى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين ، فاستكمل ما بقي له ، ثم عاد إلى القيروان في سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرئ إلى سنة سبع وثمانين ، ثم خرج إلى مكة وأقام بها إلى آخر سنة تسعين ، وحجج أربع حجج متوالية ، ثم رجع من مكة في سنة إحدى وتسعين ، فوصل إلى مصر ، ثم رحل منها إلى القيروان في سنة اثنتين وتسعين ، ثم ارتحل إلى الأندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وجلس للقراء يجامع قرطبة ،

٧٣٧ - ترجمته في عبر الذهبية ٣ : ١٨٧ وانباء الرواة ٣ : ٣١٣ (وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن ، وعظم اسمه في البلدة وجلّ فيها قدره ، ونزل عند دخوله قرطبة في مسجد النخيلة^١ الذي بالزقاقين^٢ عند باب المطارين ، فأقرأ به ، ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع الزاهرة ، وأقرأ فيه حتى انصرفت دولة آل عامر ، فنقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة ، وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها إلى أن قلده أبو الحسن ابن جهور^٣ الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد الله ، وكان ضعيفاً عليها على أدبه وفهمه ، وأقام في الخطابة إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

وكان خيراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بإجابة الدعاء ، وله في ذلك أخبار ، فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطبري المقي^٤ قال : كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة ، وكان له على الشيخ أبي محمد المذكور تسلط ، وكان يدنو منه إذا خطب فيغمزه ويحصي عليه سقطاته ، وكان الشيخ كثيراً ما يتلعم ويتوقف ، فعضّر ذلك الرجل في بعض الجمع ، وجعل يحد النظر إلى الشيخ ويغمزه ، فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا : أمنوا على دعائي ، ثم رفع يديه وقال : اللهم اكفنيه ، اللهم اكفنيه ، فأمنا ، قال : فاقعد ذلك الرجل ، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم .

وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها : « الهداية إلى بلوغ النهاية » في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه ، وهو سبعون جزءاً ، و « منتخب الحجة » لأبي علي الفارسي ، ثلاثون جزءاً ، وكتاب « التبصرة في القراءات » في خمسة أجزاء ، وهو من أشهر تواليفه^٥ ، و « الموجز في القراءات » جزءان ، وكتاب

١ الانبياء : النخيلية .

٢ كذا في ن ر ص ق ؛ لي : بالزفانين ؛ وستنفيلد : بالزقاقين ؛ القفطي : بالرواقين .

٣ كذا في جميع النسخ ، والقفطي . وفي وستنفيلد : ابن جوهر : قلت والصواب : أبو الخزم ابن جهور كما ذكره الجزري في طبقات القراء نقلاً عن الصلة .

٤ هو محمد بن أحمد بن مطرف الكتاني القرطبي المقي^٥ (٣٨٧ - ٤٥٤) عرف بالطبري لكونه

كان يؤم في جامع طرفة (غاية النهاية ٢ : ٨٩) .

٥ اللهم اكفنيه : كررت ثلاث مرات في ر ن .

٦ ق ن : وهو من أحسن تواليفه وأشهرها .

« المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره » عشرة أجزاء ، وكتاب « الرعاية لتجويد القراءة » أربعة أجزاء ، وكتاب « اختصار أحكام القرآن » أربعة أجزاء ، وكتاب « الكشوف عن وجوه القراءات وعللها » عشرون جزءاً ، وكتاب « الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه » ثلاثة أجزاء ، وكتاب « الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه » جزء ، وكتاب « الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب » أربعة أجزاء ، وكتاب « التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه » جزءان ، وكتاب « الانتصاف ، فيما رده على أبي بكر الأدفوي وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإبانة » ثلاثة أجزاء ، وكتاب « الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المدّ لورش » ثلاثة أجزاء ، وكتاب « الإبانة عن معاني القراءة » جزء ، وكتاب « الوقف على كلا وبلى في القرآن » جزءان ، وكتاب « الاختلاف في عدد الأعشار » جزء ، وكتاب « الإدغام الكبير في الخارج » جزء ، وكتاب « بيان الصفائر والكبائر » جزء ، وكتاب « الاختلاف في الذبيح من هو » جزء ، وكتاب « دخول حروف الجر بعضها مكان بعض » جزء ، وكتاب « تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم » جزء ، وكتاب « الياءات المشددة في القرآن والكلام » جزء ، وكتاب « اختلاف العلماء في النفس والروح » جزء ، وكتاب « إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الإمام مالك ، والحجة في ذلك » جزء ، وكتاب « مشكل غريب القرآن » ثلاثة أجزاء ، وكتاب « بيان العمل في الحج أول الإحرام إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم » جزء ، وكتاب « فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً » جزء ، وكتاب « التذكرة لاختلاف القراء » جزء ، وكتاب « تسمية الأحزاب » [جزء ١] ، وكتاب « منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع » جزءان ، وكتاب « الحروف المدغمة » جزءان ، وكتاب « شرح التمام والوقف » أربعة أجزاء ، وكتاب « مشكل المعاني والتفسير » خمسة عشر جزءاً ، وكتاب « هجاء المصاحف » جزءان ، وكتاب « الرياض » مجموع خمسة أجزاء ، وكتاب « المنتقى في الأخبار » أربعة أجزاء ، وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم

١ زيادة من ن بر من ؛ وفي القفطي « قصة الأحزاب » .

القرآن تصانيف كثيرة ، ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها .
وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر^١ ، ودفن يوم الأحد ضحوة الليلتين خلتما
من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ، ودفن بالرَّبُّض ، وصلى عليه
ولده أبو طالب محمد ، رحمه الله تعالى .
وحوش : بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها
شين معجمة .

وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة ، فأغنى عن الإعادة .
(270) وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرئ المصري^٢ المذكور في هذه
الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة » فقال : كان على دينه وفضله وعلمه
بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفننا في سائر علوم الأدب ، أنشدت له قصيدة
منها قوله :

عليك باقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يُسأم دائما ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي : ولد أبو الطيب المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة ،
وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى سنة تسع وثلثمائة ، رحمه
الله تعالى .

١ ن من بر : عند طلوع ؛ ق : قبل طلوع الفجر .

٢ انظر اليتيمة ٢ : ١٢٩ (الطبعة الشامية) وطبقات القراء لابن الجزري ١ : ٤٧٠ .

مكي الماكسيني النحوي

أبو الحرم^١ مكي بن ريبان بن شبة بن صالح ، الماكسيني المولد الموصلبي الدار ،
المقرئ النحوي الضرب ، الملقب صائن الدين^٢ ؛ كان والده يصنع الأنطاع بماكسين ،
ومات فقيراً لم يخلف شيئاً ، وترك ولده أبا الحرم المذكور وأمه وبناتاً ، فلم تقدر
أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر ، وتضجرت منه ففارقها ، وخرج من بلده
وقصد الموصل ، واشتغل بها بعلم القرآن والأدب ، ثم رحل إلى بغداد واجتمع
بأئمة الأدب ، وقرأ على أبي محمد ابن الحشاش وابن العصار وابن الأنباري وأبي
محمد سعيد بن الدهان - وقد تقدم ذكرهم - ثم عاد إلى الموصل وتصدر بها
للإفادة ، وأخذ الناس عنه ، وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به
خلق كثير .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : هو جامع فنون
الأدب ، وحجة كلام العرب ، المجمع على دينه وعقله ، والمتفق على علمه وفضله ؛
رحل إلى بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث ، وكان واسع الرواية ،
قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز^٣ وجميع ضروب الأدب ، ثم قال :
وأنشدني من شعره ، وكان قد اشتغل عليه بالموصل ، أعني ابن المستوفي المذكور :

سئمت من الحياة فلم أردھا تسألني وتشجيني بريقي
عدوي لا يقصر في أذاني ويفعل مثل ذلك بي صديقي

٧٣٨ - ترجمته في البدر السافر ، الورقة : ٢٠٠ وانباء الرواة ٣ : ٣٢٠ (وبقية المصادر الهامة

مذكورة في الحاشية) .

١ لي : الخزم .

٢ ق : ضياء الدين .

٣ زاد في لي : ومعانيه واعرابه متقناً في سائر علوم الأدب ، أنشدت له قصيدة منها ... الخ .

وقد أضحت لي الحدباء داراً وأهل مودتي بِلِوَى العقيق

والحدباء : كنية الموصل .

ومن شعره أيضاً :

إذا احتاج النوالُ إلى شفيحٍ فلا تقبله تضحٍ قريرِ عينٍ
إذا عيف النوالُ لفردٍ مَنْ إذا عيف النوالُ لفردٍ مَنْ

وله أيضاً :

على البابِ عبدٌ يسألُ الإذنَ طالباً به أدباً لا أنْ نِعماك تحجبُ
فإن كان إذنٌ فهو كالخيرٍ داخلٌ عليك وإلا فهو كالشرِّ يذهبُ

وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

على البابِ عبدٌ من عبيدك واقفٌ بنِعماك مغمورٌ بشكرك معترفٌ
أيدخلُ كالإقبالِ لا زلتَ مقبلاً مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرفُ

ثم قال ابن المستوفي : وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين ، وكان أبدأً يتعصب لأبي العلاء المعري ، ويطرب إذا قرئ عليه شعره ، للجامع بينها من من العمى والأدب ، فسلك مسلكه في النظم ؛ انتهى كلام ابن المستوفي .

قلت : وحكى لي بعض من أخذ عنه أنه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيبك تصغير مكبي ، فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه إلى وطنه ، فعاد إليه ، فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه ، فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلاً من أهل بلدهم ، وبات تلك الليلة ، فلما كان سحر خرج إلى الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لأخرى : ما تدرين مَنْ جاء ؟ فقالت : لا ، فقالت : مكيبك ابن فلانة ، فقال : والله لا قعدت في بلد أدعى فيه مكيبك وسافر من غير تربُّث بعد أن كان قد نوى الإقامة بها مدة وعاد إلى الموصل ، ثم

١ - ومن شعره . . . ينصرف : سقط من : لي بر من .

خرج إلى الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس ، فانتهى إليه وقضى منه وطره .

ورجع إلى الموصل من حلب . وكان دخوله إلى الموصل في شهر رمضان ، وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث وستائة بالموصل ، وخلف ولداً صغيراً . ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي ، رحمهم الله تعالى ؛ ويقال إنه مات مسموماً من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه -المقدم ذكره في حرف الهمزة- لسبب اقتضى ذلك ، والله أعلم .

وريتان : بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون .

وشبة : بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وبعد هاء ساكنة .

والماكسيني : بفتح الميم وبعد الألف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضاً ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى ماكسين ، وهي بلدة من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور ، وهي على صغرها تشابه المدن في حسن بنائها ومنازلها .

٧٣٩

مكحول الشامي

أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي ، من سبي كابل [ذكره ابن ماكولا في كتاب « الإكمال » في ترجمة شاذل فقال في نسبه: وهو مكحول بن أبي

٧٣٩- ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٣ ، والمعارف : ٤٥٢ ، وطبقات الشيرازي : ٧٥ وحلية الأولياء ٥ : ١٧٧ والجرح والتعديل ١/٤ : ٤٠٧ ، وتذكرة الحفاظ : ١٠٧ وميزان الاعتدال ٤ : ١٧٧ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٢٨٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ١١٩ والشذرات ١ : ١٤٦ .

مسلم - واسمه شهاب - ابن شاذل بن سند بن سروان بن بزذك بن يغوب ابن كسرى^١ .

قال ابن عائشة : كان مولى لامرأة من قيس ، وكان سندياً لا يفصح ؛ وقال الواقدي : كان مولى لامرأة من هذيل ، وقيل هو مولى سعيد بن العاص ، وقيل مولى لبني ليث .

قال الخطيب^٢ : كان جده شاذل من أهل هراة ، فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ، ثم هلك عنها وهي حامل ، فانصرفت إلى أهلها ، فولدت شهاب^٣ فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد له مكحول ، فلما ترعرع سبي ، ثم وقع إلى سعيد ابن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته .

وكان معلم الأوزاعي - المقدم ذكره في حرف الهمزة - وسعيد بن عبد العزيز ، قال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام . ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا ، وكان لا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، هذا رأي والرأي يخطئ ، ويصيب . وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأبا هند الداري وغيرهم ، وكان مقامه بدمشق .

وكان في لسانه عجمة ظاهرة ، ويبدل بعض الحروف بغيره ، قال نوح بن قيس : سأله بعض الأمراء عن القدر ، فقال : أساهر أنا ؟ يريد أساحر أنا . وكان يقول بالقدر ورجع عنه ، وقال معقل بن عبد الأعلى القرشي : سمعته يقول لرجل : ما فعلت تلك الهاجة ؟ يريد الحاجة ؛ وهذه العجمة تغلب على أهل السند .

١ زيادة من ر ، وانظر الاكمال ٥ : ١ وعنه أثبتنا صور الأسماء إذ أنها في ر : مروان بن

بردك بن يعقوب .. الخ .

٢ لم يرد النقل عن الخطيب في : لي ير من .

٣ ق ص : شهران .

٤ في المختار : الرازي .

(271) يحكى عن أبي عطاء السندي الشاعر^١ المشهور ، واسمه مرزوق ، وهو من موالي أسد بن خزيمه ، أنه كان في لسانه هذه العجمة ، فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر - المقدم ذكرهما^٢ - وحماد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني ، في بعض الليالي ليتذاكروا فقالوا : ما بقي شيء إلا وقد تهاً لنا في مجلسنا هذا ، فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ليحضر عندنا ويكمل به المجلس ، فارسلوا إليه ، فقال حماد بن الزبرقان : أيكم يحتمل لأبي عطاء حتى يقول : جرادة وزج وشيطان ؟ وإنما اختار له هذه الألفاظ لأنه كان يُبدل من الجيم زايًا ومن الشين سينًا ، فقال حماد الراوية : أنا أحتال في ذلك ، فلم يلبثوا أن جاءهم أبو عطاء فقال لهم : هياكم الله ، يريد حياكم الله ، فقالوا له : مرهبا مرهبا ، يريدون مرحباً مرحباً على لفته ، فقالوا له : ألا تتعشى ؟ فقال : قد تعسيت ، فهل عندكم نبيذ نشرب ؟ فقالوا : نعم ، فأتوا له بنبيذ فشرب حتى استرخى^٣ فقال له حماد الراوية : يا أبا عطاء ، كيف معرفتك باللغز ؟ فقال : حسن ، يريد حسن ، فقال له ملغزاً في جرادة :

فما صفراء تُكنى أم عوفٍ كان رجيلتيها منجلان

فقال : زرادة ، فقال : صدقت ، ثم قال ملغزاً في زُجٍّ :

فما اسم حديده في الرمح ترسى دوين الصدر ليست بالسنان

فقال أبو عطاء : زُرٌّ ، فقال حماد : أصبت ، ثم قال ملغزاً في مسجد يجوار بني شيطان ، وهو بالبصرة :

أتعرف مسجداً لبني تم فويق الميل دون بني أبان

١ ترجمة أبي عطاء السندي في معجم المرزباني: ٥٦ ، والشعر والشعراء: ٦٥٢ والأغاني ١٧: ٢٤٥ .
والخزانة ٤: ١٦٧ والمعني ١: ٥٦٠ والسمط: ٦٠٢ والقصة المروية هنا متابعة للشعر والشعراء .

٢ انظر ج ٢ : ٢٠٦ ، ٢١٠ .

٣ الشعر والشعراء : حتى استرخت ؛ أي أعصاب عنقه .

فقال : هو في بني سيطان ، فقال : أحسنت ، ثم تنادى وتفاكها إلى سحرة في أرغد عيش .

وهذا أبو عطاء من الشعراء المجيدين ، وكان عبداً أخرب ، والأخرب : المشقوق الأذن ، وله في كتاب «الحماسة» مقاطيع نادرة ، ولولا خشية التطويل والخروج عن المقصود لذكرت جملة من شعره ونوادره .

وتوفي مكحول المذكور ستة ثماني عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل ست عشرة ، وقيل اثنتي عشرة ، وقيل أربع عشرة ومائة ، رضي الله عنه . وكابُل : بفتح الكاف وبعد الألف باء موحدة مضمومة ثم لام ، وهي ناحية معروفة ببلاد السند .

٧٤٠

ملكشاه السلجوقي

أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، الملقب جلال الدولة - وقد تقدم ذكر أبيه وجماعة من أهل بيته . ولما توفي أبوه - في التاريخ المذكور في ترجمته - كان ملكشاه المذكور في صحبته ، ولم يصحبه قبلها في سفر غير هذه المرة ، فولي الأمر من بعده بوصية والده وتحليف الأمراء والأجناد على طاعته ، ووصى وزيره نظام الملك أبا علي الحسن - المقدم ذكره في حرف الحاء^٢ - على تفرقة البلاد بين أولاده ، ويكون مرجعهم إلى ملكشاه المذكور ، ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعاً إلى

١ - انظر مثلاً شرح التبريزي للحماسة ٢ : ١٥١ .

٧٤٠ - انظر المنتظم ٩ : ٦٩ وتاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) والنجوم الزاهرة ٥ : ١٣٤ وعبر

الذهبي ٣ : ٣٠٩ والشذرات ٣ : ٣٧٦ وأخبار الدولة السلجوقية : ٥٥ .

٢ ج ٢ : ١٢٨ .

البلاد ، وقد شرحت الواقعة في ترجمة والده فلا حاجة إلى الإعادة .
فلما وصل إلى البلاد وجد بعض أعمامه وهو قاروت بك^١ صاحب كرمان قد
خرج عليه ، فعاجله وتصافا بالقرب من همدان ، فنصره الله عليه وانهزم عمه ،
فتبعه بعض جند ملكشاه فأسروه وحملوه إلى ملكشاه ، فبذل التوبة ورضي
بالاعتقال وأن لا يقتل ، فلم يجبه ملكشاه إلى ذلك ، فأنفذ له خريطة مملوءة من
كتب أمرائه ، وأنهم حملوه على الخروج عن طاعته وحَسَنُوا له ذلك ، فدعا
السلطان بالوزير نظام الملك فأعطاه الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها ، فلم يفتحها ،
وكان هناك كلون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب ، فسكنت قلوب
العساكر وأمنوا ، ووطنوا أنفسهم على الخدمة ، بعد أن كانوا قد خافوا من
الخريطة لأن أكثرهم كان قد كاتبه ، وكان ذلك سبب ثبات قدم ملكشاه في
السلطنة ، وكانت هذه معدودة في جميل آراء نظام الملك .

ثم إن ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه ، واستقرت القواعد للسلطان
وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة ، وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام
بعد الخلفاء المتقدمين فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة
وباب الأبواب والروم وديار بكر والجزيرة والشام وخطب له على جميع منابر
الإسلام سوى بلاد المغرب ، فإنه ملك من كاشغر - وهي مدينة في أقصى بلاد
الترك - إلى بيت المقدس طولاً ، ومن القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند
عرضاً ، وكان قد قدر للملكه ملك الدنيا .

وكان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل ، وكان
منصوراً في الحروب ، ومغرمًا بالمعائر ، فحفر كثيراً من الأنهار ، وعمر على
كثير من البلدان الأسوار ، وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر ، وهو الذي عمر
جامع السلطان ببغداد ابتداءً بعمارته في المحرم من سنة خمس وثمانين وأربعمائة ،
وزاد في دار السلطنة بها ، وصنع بطريق مكة مصانع ، وغرم عليها أموالاً
كثيرة خارجة عن الحصر ، وأبطل المكوس والخفارات في جميع البلاد .
وكان لهجاً بالصيد ، حتى قيل إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة

١ أخبار الدولة السلجوقية : قاورد .

آلاف ، فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد أن نسي كثيراً منه ، وقال : إنني خائف من الله سبحانه وتعالى لإزهاق الأرواح لغير مأكلة ، وصار بعد ذلك كلما قتل صيداً تصدق بدينار .

وخرج من الكوفة لتوديع الحاج ، فجاوز العذيب وشيعهم بالقرب من الواقعة وصاد في طريقه وحشاً كثيراً فبنى هناك منارة من حوافر الحجر الوحشية وقرون الطباء التي صادها في ذلك الطريق ، والمنارة باقية إلى الآن وتعرف بمنارة القرون ، وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة .

وكانت السبل في أيامه ساكنة والخواف آمنة ، تسير القوافل من ما وراء النهر إلى أقصى الشام وليس معها خفير ، ويسافر الواحد والاثنتان من غير خوف ولا رهَب .

وحكى محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أن السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب أخيه تكش فاجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا رضي الله عنها بطوس ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه وأطالا الدعاء ، ثم قال لنظام الملك : بأي شيء دعوت ؟ قال : دعوت الله تعالى أن ينصرك ويظفرك بأخيك ، فقال : أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت : اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية .

ثم قال الهمداني أيضاً عقيباً هذا : وحكي أن واعظاً دخل عليه ووعظه ، فكان من جملة ما حكى له أن بعض الأكاسرة اجتاز منفرداً عن عسكره على باب بستان ، فتقدم إلى الباب^٢ وطلب ماء يشربه ، فأخرجت له صبية إناء فيه ماء السكر والثلج ، فشربه واستطابه ، فقال لها : هذا كيف يعمل ؟ فقالت : إن قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا ، فيخرج منه هذا الماء ، فقال : أرجعي وأحضري شيئاً آخر ، وكانت الصبية غير عارفة به ، ففعلت ، فقال في نفسه : الصواب أن أعوضهم عن هذا المكان وأصطفيه لنفسي ، فما كان بأسرع من خروجها باكية ، وقالت : إن نية سلطاننا قد تغيرت ، فقال : ومن أين علمت ذلك ؟ قالت : كنت آخذ من هذا ما أريد من غير تعسف ، والآن

١ ق ن : بعد .

٢ فتقدم إلى الباب : سقطت من ر والمختار ؛ وفي بر : إلى البستان .

فقد اجتهدت في عصر القصب فلم يسمح ببعض ما كان يأتي ، فعمل صدقها ، فرجع عن تلك النية ، ثم قال لها : ارجعي الآن فإنك تبلفين الغرض ، وعقد على نفسه أن لا يفعل ما نواه ، فخرجت الصبية ومعها ما شاءت من ماء السكر وهي مستبشرة . فقال السلطان للواعظ : فلم لا تذكر للرعية أن كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور : ناولني عنقوداً من الحصرم ، فقال له : ما يمكنني ذلك ، فإن السلطان لم يأخذ حقه ولا تجوز لي خيانتته ، فمجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها ، ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه .

وحكى الهمداني أيضاً أن سوادياً لقيه وهو يبكي ، فسأله السلطان عن سبب بكائه ، فقال : ابتعت بطيخاً بدرهميات لا أملك غيرها ، فلقيني ثلاثة أغلّة أتراك فأخذوه مني ، ومالي حيلة سواه ، فقال : أمسك ، واستدعي فراشاً ، وكان ذلك عند باكورة البطيخ ، وقال له : إن نفسي قد تاقّت إلى البطيخ ، فطف في المسكر وانظر من عنده شيء فأحضره ، فعاد ومعه بطيخ ، فقال : عند من رأيته ؟ قال : عند الأمير فلان ، فأحضره وقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ فقال : جاء به الغلمان ، فقال : أريدكم الساعة ، فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم ، فهرّبهم وعاد فقال : لم أجدهم ، فالتفت إلى السوادى وقال : هذا مملوكي وقد وهبته لك حين لم يحضر القوم الذين أخذوا متاعك ، والله لئن خليت لأضرب عنقك ، فأخذه السوادى بيده ، وأخرجه من بين يدي السلطان فاشترى الأمير نفسه بثلاثمائة دينار ، وعاد السوادى وقال : يا سلطان ، قد بعث المملوك بثلاثمائة دينار ، فقال : أو قد رضيت ؟ قال : نعم ، قال : امض مصاحباً . وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته ، فكان إذا دخل أصهبان أو بغداد أو أي بلد من البلاد كان ، دخل مع عدد لا يحصى لكثرتة فيرخص السعر وتنتحط أثمان الأشياء عما كانت عليه قبله ، ويكتسب المتعيشون مع عسكره الكسب الكثير .

وحكى الهمداني أيضاً أنه أحضرت إليه مغنية وهو بالري ، فأعجب بها

١ انظر أخبار الدولة السلجوقية : ٧٣ .

٢ ر : مصاحباً بالسلامة .

واستطاب غناءها ، فهم بها فقالت : يا سلطان ، إني أغار على هذا الوجه الجميل أن يعذب بالنار ، وإنّ الحلال أيسر ، وبينه وبين الحرام^١ كلمة ، فقال : صدقت ، واستدعى القاضي فتزوجها منه وابتنى بها ، وتوفي عنها .

[وقال صاحب « الدول المنقطعة » : ومن جملة ما سعى تاج الملك^٢ في نظام الملك الوزير أن قال للسلطان : إنه ينفق في كل سنة على أرباب المدارس والرباطات ثلاثمائة ألف دينار ، ولو جيش بها جيشاً لبلغ باب القسطنطينية ، فاستحضر النظام واستفسره عن الحال ، فقال : يا سلطان العالم اني أنا رجل شيخ ، ولو نودي عليّ لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير ، وأنت حدث لو نودي عليك لما زادت قيمتك على ثلاثين ديناراً ، وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحداً من خلقه ، أفلا نموضه عن ذلك في حملة دينه وحقطة كتابه ثلاثمائة ألف دينار ؟ ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال ، مع أن أقوام وأرمام لا تبلغ رميته ميلاً ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه ، وأنا أجيئ لك بهذا المال جيشاً تصل من الدعاء ساهمه إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله تعالى ، فبكى السلطان وقال : يا أبت استكثر من الجيش ، والأموال مبدولة لك ، والدنيا بين يديك^٣ .

وعيون محاسنه أكثر من أن تحصى .

وحكى الهمداني أيضاً أن نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا بالسلطان والعسكر نهر جيحون على العامل بأنطاكية ، وذلك لسعة المملكة ، وكان مبلغ أجرة المعابر أحد عشر ألف دينار .

وتزوج الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ابنة السلطان ، وكان السفير في الخطبة الشيخ أبا إسحاق الشيرازي صاحب « المهذب » و « التنبيه » رحمه الله تعالى ، وأنفذه الخليفة إلى نيسابور لهذا السبب ، فإن السلطان كان هناك ، فلما وصل إليه أدى الرسالة ونجز الشغل . قال الهمداني أيضاً : وعاد الشيخ أبو إسحاق إلى بغداد في أقل من أربعة أشهر ، وناظر إمام الحرمين هناك ، فلما

١ لي : وبينك وبين الحلال .

٢ هو تاج الملك أبو الغنائم صاحب خزانة السلطان والناظر في أمر دوره وفي وزارة أولاده .

٣ زيادة انفردت بها النسخة ر ، وانظر أخبار الدولة السلجوقية : ٦٧ .

أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين للوداع ، وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق ، وظهر له في خراسان منزلة عظيمة ، وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بقلته فيتبركون به .

وكان زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة في سنة ثمانين وأربعمائة ، وفي صبيحة دخولها عليه أحضر الخليفة المقتدي عسكر السلطان على سباط صنعه لهم كان فيه أربعون ألف متاً سكرأ ، وفي بقية هذه السنة في ذي القعدة منها رزق الخليفة ولداً من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرأ ، وزينت بغداد لأجله .

وكان السلطان قد دخل إلى بغداد دفعتين ، وهي من جملة بلاده التي تحتوي عليها مملكته ، وليس للخليفة فيها سوى الاسم ، فلما عاد إليها الدفعة الثالثة دخلها في أوائل شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وخرج من فورهِ إلى ناحية دجيل لأجل الصيد ، فاصطاد وحشاً وأكل من لحمه ، فابتدأت به العلة ، واقتصد ، فلم يكثر من إخراج الدم ، فعاد إلى بغداد مريضاً ، ولم يصل إليه أحد من خاصته ، فلما دخلها توفي ثاني يوم دخوله ، وهو السادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وكانت ولادته في التاسع من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، وقيل انه سم في خلال تحلل به ، وحمل تابوته إلى أصبهان ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية ، ولم يشهد أحد جنازته ببغداد ولا صلي عليه في الصورة الظاهرة ولا جلسوا للغزاء ، ولا حذف عليه ذنب فرس كعادة أمثاله ، بل كأنه اختلس من العالم^٢ .

ومن عجيب الاتفاق أنه لما دخل بغداد في هذه المرة ، وكان للخليفة المقتدي ولدان أحدهما الإمام المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر ولادته ، وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بالله بولاية العهد من بعده لأنه كان الأكبر ، فألزم السلطان الخليفة أن يخلمه ويجعل ابن بنته جعفرأ ولي العهد ، ويسلم بغداد إليه ، ويخرج الخليفة إلى البصرة ، فشق ذلك

١ ق : بركة . ٢ وكانت ولادته . العالم : اتبعنا في ترتيب النص هنا ما جاء في

المختار ، وفيه بعض اختلاف عن النسخ الأخرى في الترتيب العام .

على الخليفة ، وبالغ في استئزال السلطان عن هذا الرأي ، فلم يفعل ، فسأل المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله ، فقيل إن الخليفة في تلك الأيام جعل يصوم ويطوي وإذا أفطر جلس على الزماد للإفطار ، وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان ، فمرض السلطان في تلك الأيام ومات ، وكفي الخليفة أمره ، وتزوج ابنه الإمام المستظهر بالله ابنة السلطان خاتون العصمة^١ في سنة اثنتين وخمسةائة . وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك ، وهم بركياروق وسنجر ومحمد ، كل واحد له ترجمة في حرفه ، رحمه الله تعالى أجمعين .

وكاشفَر : بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وبعدها راء ، وقد ذكرت أن هي فلا حاجة إلى الإعادة ، وهي قسبة بلاد تركستان .

والواقصة : بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة وبعدها صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة ، وهي منزل معروف بطريق مكة يقال لها واقصة الجرون . والباقي معروف فلا حاجة إلى تفسيره ، والله أعلم بالصواب .

٧٤١

منصور الفقيه

أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضريع ؛ أصله من رأس عين ، البلدة المشهورة بالجزيرة ، وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعي ، رضي الله عنه وعن أصحاب أصحابه . وله مصنفات في المذهب مليحة منها

١ ق ن : العظمة .

٧٤١ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ١٨٥ ونكت الهميان : ٢٩٧ والمغرب (قسم مصر) ١ :

٢٦٢ والمنتمم ٦ : ١٥٢ وطبقات السبكي ١ : ٣١٧ وحسن المحاضرة ١ : ١٦٨ والشذرات

٢ : ٢٤٩ ، وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في : مع بر من ، على تفاوت بينها .

« الواجب » و « المستعمل » و « المسافر » و « الهداية » وغير ذلك من الكتب ،
وله شعر جيد سائر ، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ،
في « طبقات الفقهاء »^١ وأنشد له :

عاب التفقه قومٌ لا عقولَ لهم وما عليه إذا عابوه من ضررٍ
ما ضر شمسَ الضحى والشمسُ طالعةٌ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرٍ

ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة^٢ :

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيتهُ والذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصغرِ
ومن شعره أيضاً :

لي حيلةٌ فيمن ينمُّ وليس في الكذاب حيلةٌ
من كان يخلقُ ما يقو لُ فحيلتي فيه قليلة
وله أيضاً :

الكلبُ أحسنُ عشرةً وهو النهاية في الحسامه
من يناعزُ في الرياسة قبل أوقات الرياسة

وحكي أنه أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط ، فرقي سطح داره ونادى
بأعلى صوته في الليل :

الغياثُ الغياثُ يا أحرار نحن خلعانكم وأنتم بحارُ
إنما تحسن المواسة في الشدة لا حين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه ، فأصبح على بابه مائة حمل برية .
وحكاياته وأخباره مشهورة ؛ وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة بصر ،

١ طبقات الشيرازي : ١٠٧ .

٢ شروح السقط : ١٦٢ .

وقال الشيخ أبو إسحاق في « الطبقات » : إنه مات قبل العشرين والثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكره القاضي أبو عبد الله القضاعي في كتاب « خطط مصر » فقال : أصله من رأس عين وسكن الرملة ، وقدم إلى مصر وسكنها ، وتوفي سنة ست وثلاثمائة ، وكان فقيهاً جليلاً القدر ، متصرفاً في كل علم ، شاعراً مجيداً ، لم يكن في زمانه مثله بمصر .

وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي ، حتى كان منها ما كان بسبب المسألة ، وكان لأبي عبيد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجالاً من أهل العلم ويخلو به ، خلا عشية الجمعة فإنه كان يخلو بنفسه فيها ، فكان من المشايخ عشية يخلو فيها بمنصور ، وعشية يخلو فيها بأبي جعفر الطحاوي ، وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزي ، وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان ، وعشية يخلو فيها بالسجستاني ، وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء ، وربما حدث ، فجرى بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثاً ، ووجوب نفقتها ، فقال أبو عبيد : زعم قوم أن لا نفقة لها في الثلاث ، وأن نفقتها في الطلاق غير الثلاث ، فأنكر ذلك منصور ، وقال : قائل هذا ليس من أهل القبلة . ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوي ، فحكاه أبو جعفر لأبي عبيد فأنكره ، وبلغ ذلك منصوراً فقال : أنا أكذبه ، واجتمع الناس عند القاضي وتواعدوا لحضور ذلك ، فلما حضروا لم يتكلم أحد ، فابتدأ أبو عبيد وقال : ما أريد أحداً يدخل عليّ ، ما أريد منصوراً ولا نصاراً ولا منتصراً ، قوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله ، فقال له منصور : قد علم الله أنك قلت كذا وكذا ، فقال أبو عبيد : كذبت ، فقال له منصور : قد علم الله الكاذب ، ونهض فلم يأخذ أحد بيده غير أبي بكر ابن الحداد فإنه أخذ بيده وخرج معه حتى ركب ، وزاد الأمر فيما بينها ، وتعصب الأمير ذكاً وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور ، وتعصب للقاضي جماعة ، وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزي بكلام سمعه منه يقال إن منصوراً حكاه عن النظام ، فقال القاضي : إن شهد عليه آخر مثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه ، فخاف

على نفسه ومات في جمادى الأولى من السنة المذكورة . وخاف أبو عبيد أن يصلي عليه لأجل الجند الذين تعصبوا لمنصور ، فتأخر عن جنازته لهذا السبب ، وحضرها الأمير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج ، وأوعب الناس ولم يتخلف كبير أحد ، وذكر لأبي عبيد أن منصوراً قال عند موته :

قضيت نَحْيِي فسر قوم حمقى بهم غفلة ونومُ
كان يومي عليّ حتم وليس للشامتين يوم
تموت قبلي ولو بيوم ونحن يوم النشور قوم
فأطرق أبو عبيد ساعة ثم قال :

فقد فرحنا وقد شمتنا وليس للشامتين لوم

والله أعلم بالصواب .

٧٤٢

الحاكم العبيدي

أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي صاحب مصر - وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من أحفاده ، وسيأتي ذكر أبيه في حرف النون إن شاء الله تعالى - وكلهم كانوا يتسمون بالخلفاء . وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته ، وذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثائة ، ثم استقل بالأمر يوم وفاة والده - على ما سيأتي في تاريخه إن شاء الله تعالى ؛ وكان جواداً بالمال سفاكاً للدماء ، قتل عدداً كثيراً من أمائل

٧٤٢ - أخباره في الخطط ١ : ٣٥٤ ، ٢ : ٢٨٥ والنجوم ٤ : ١٧٦ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٥٦ والاشارة إلى من نال الوزارة : ٣١ وتاريخ ابن الأثير (ج : ٩) والدرة المضية : ٢٥٦ وعبر الذهبي ٣ : ١٠٤ والشذرات ٣ : ١٩٢ .

أهل دولته وغيرهم صبراً .

وكانت سيرته من أعجب السير ، يخترع كل وقت أحكاماً يحمل الناس على العمل بها ، منها أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بكتب سب الصحابة^١ رضوان الله عليهم في حيطان المساجد والقياسر والشوارع ، وكتب إلى سائر عمال الديار^٢ المصرية يأمرهم بالسب ، ثم أمر بقطع ذلك ونهى عنه وعن فعله في سنة سبع وتسعين ، ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهره ؛ ومنها أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل ؛ ومنها أنه نهى عن بيع الفُقَّاع والملوخيا وكبب الترمس المتخذة لها والجرجير والسمكة التي لا قشر لها ، وأمر بالتشديد في ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه ، فظهر على جماعة أنهم باعوا أشياء منه ، فضربوا بالسياط وطيف بهم ، ثم ضربت أعناقهم ، ومنها أنه في سنة اثنتين وأربعمائة نهى عن بيع الزبيب^٣ قليله وكثيره على اختلاف أنواعه ، ونهى التجار عن حمله إلى مصر ، ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرق جميعها ، ويقال إن مقدار النفقة التي غرموها على إحراقه كانت خمسمائة دينار^٤ ، وفي هذه السنة منع من بيع العنب وأتخذ اليهود إلى الجيزة حتى قطعوا كثيراً من كرومها^٥ ورموها في الأرض وداسوها بالبقر ، وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة ، وحملت إلى شاطئ النيل وكسرت وقلبت في بحر النيل ؛ وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا الحيابرة بلبس العمام السود ، وأن يعمل النصارى في أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعاً ووزنه خمسة أرطال . وأن تحمل اليهود في أعناقهم قرامي

١ زاد في ر : أبي بكر وعمر وعثمان .

٢ ر : العمال بالديار ؛ ق والمختار : سائر أعمال .

٣ ق والمختار : الرطب .

٤ مج : وذكر أن ثمنها كان ألفي قطعة وثمانمائة قطعة وأحرق جميعها بظاهر الحمراء على شاطئ

النيل ، وذكر أن مقدار النفقة دينار .

٥ ن : قطعوا كروماً كثيرة .

الحشب على وزن صلبان النصارى ، ولا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة ، وأن تكون ركبهم من الحشب ، ولا يستخدموا أحداً من المسلمين ، ولا يركبوا حماراً لمكار مسلم ولا سفينة نوتها مسلم ، وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمام الصلبان ، وفي أعناق اليهود الجلاجل ليميزوا عن المسلمين ، ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين^١ وحط على حمامات النصارى الصلبان ، وعلى حمامات اليهود القرامي ، وذلك في سنة^٢ ثمان وأربعمائة . وفيها أمر يهدم الكنيسة المعروفة بقماعة وجميع الكنائس بالديار المصرية ، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الارباع والأحباس لمجاعة من المسلمين ، وتتابع إسلام جماعة من النصارى ؛ وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن الدعاء له والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات^٣ ، وأن يجعل عوض ذلك « السلام على أمير المؤمنين »^٤ . وفي سنة أربع وأربعمائة أمر أن لا ينجم أحد ولا يتكلم في صناعة النجوم ، وأن ينفى المنجمون من البلاد^٥ ، فحضر جميعهم إلى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر - كان - وعقد عليهم توبة^٦ ، وأعفوا من النفي وكذلك أصحاب الفناء . وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً ، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء ، وحميت صورهن من الحمامات^٧ ، ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج إلى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره ، وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر . وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمائة تنصّر جماعة ممن كان أسلم من النصارى ، وأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم وردّ ما كان أخذ من أحباسها ، وبالجملة فهذه نبذة

١ زاد في مج : ونهوا عن الاجتماع مع المسلمين في الحمامات .

٢ مج : وكان أفرادهم الحمامات في سنة . . . الخ .

٣ زاد في مج : والمخاطبات .

٤ زاد في مج : ونهى أن يقبل التراب له وتشدد في ذلك .

٥ مج : وأن ينفى جميع المعروفين بهذه الصناعة .

٦ مج : وعقد أيضاً التوبة مع جماعة كانوا مشهورين بصناعة الفناء .

٧ زاد في مج : ومنع من بيع اللعاب .

من أحواله ، وإن كان شرحها يطول .

وكان أبو الحسن علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيغ المشهور المعروف بالحامي ، وهو زيغ كبير مبسوط .

ونقلت من خط الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، رحمه الله تعالى ، أن الحاكم المذكور كان جالساً في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته ، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (النساء : ٦٥) والقارىء في أثناء ذلك يشير إلى الحاكم ، فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلاً صالحاً ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾ (الحج : ٧٣) فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ، ولم يطلق للآخر شيئاً ؛ ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال له : أنت تعرف خلق الحاكم ، وكثرة استحالاته ، وما نأمن أن يحقد عليك ، وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ، ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه ، فتجهز ابن المشجر للحج ، وركب في البحر ففرق ، فرآه صاحبه في النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : ما أقصر الرئبان معنا أرمى بنا على باب الجنة ، رحمه الله تعالى ؛ وذلك ببركة جميل نيته^١ وحسن قصده .

[ومن أخباره المستطرفة التي تدخل في أبواب الفرج بعد الشدة ما حدث به بعض الرؤساء أن ولي الدولة ابن خيران استحضره الحاكم ذات يوم وقال له : يا ولي الدولة ، إني أريد أن أزوج مملوكي فلاناً على جاريتي فلانة بعد عتقها وكذلك آخر لأخرى فخذ هاتين الشقتين واخطب فيها خطبتين حسنتين وانسق الصداق والمهر بعد ذلك على ما تقتضيه صناعة الوراق ، وبكر إلينا من الفجر

١ ق : أنهى القارىء .

٢ ق ن : ببركة نيته .

ولا تتأخر . فقبل ذلك من الحاكم بالسمع والطاعة وانصرف ، ووصل إلى داره بصر وأسهر نفسه واستنتج قريحته وجود فكرته وعمل ما أشار له في الكتابين ولم يزل في السهر إلى وقت السحر ، فاستحى الرسل فقام ليتوضأ ويتبأ إليه فعثرت رجله في الحبرة فطرطش الكتابين ، فلطم وجهه ووقع مغشياً عليه وانقبض أهله ، وعلم أنه مقتول ، فوصى أهله الوصيّة التامة وركب وأخذ الكتابين في مكه مطويين ، ولم يزل إلى أن دخل من باب القاهرة ووصل إلى القصر مغلساً ، والرسل والحجاب منتظرون قدومه ، وحين وصل أذن له في الدخول ، فوجد الحاكم في الإيوان الكبير جالساً على سرير ، وبين يديه طشطان وعليهما قوارتان^١ ، فلما رأى الحاكم قبل الأرض ووقف صامتاً فقال له : يا ولي الدولة اكشف هذين الطشطين، فكشف عنها فإذا في كل منها رأس رجل ورأس امرأة ، فقال : هؤلاء اطلعنا منهم على قضية منحوسة وفساد لا ينبغي الصبر عليه ففعلنا بهم ما فعلنا ، وتلك الثوبان خدما فصلها لأهلك ، امض لشانك ، فخرج من بين يديه مغشياً عليه ، فأقام في الديوان إلى أن سكنت نفسه وهدأ روعه ، وكتب إلى أهله رقعة يأمرهم فيها بالسكون والسكوت إلى أن يجتمع بهم^٢ .

والحاكم المذكور هو الادي بنى الجامع الكبير بالقاهرة ، بعد أن كان قد شرع فيه والده العزيز بالله - كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - وأكمله وأبده ، وبني جامع راشدة بظاهر مصر ، وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد عبد الغني بن سعيد ، والمصحح لمحرا به أبا الحسن علي بن يونس المنجم ، وقد تقدم ذكرهما ، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها ، وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامان ما له قيمة طائلة . وكان يفعل الشيء وينقضه .

[وخرج عليه في سنة خمس وتسعين وثلثمائة أبو ركوة الوليد بن هشام العماني

١ انفردت مع هذه القصة ، وقد أبقيناها على حالها مع ما فيها مما لا يتفق والصحة اللغوية .

٢ التاء غير معجمة في النسخة .

الأندلسي ، وكان خروجه في نواحي برقة ، ومال إليه خلق عظيم ، وسير إليه الحاكم المذكور جيشاً كبيراً وانتصر عليهم وملك ، ثم تكاثروا عليه وأمسكوه ، ويقال إنه قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفاً ، وكان قبضهم إياه في سنة سبع وتسعين ، وحمل إلى الحاكم فشهده وقلته ، يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة ، وحديثه مستوفى في تاريخ ابن الصابي^١ .

وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

وكان يحب الانفراد والركوب على بهيمة وحده ، فاتفق أنه خرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة^٢ إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر ، وطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعي ، ثم توجه إلى شرقي حلوان ومعه ركبان ، فأعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ، ثم أعاد الركابي الآخر ، وذكر هذا الركابي أنه خلفه عند القبر والمقبرة ، وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دوابّ الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، ثم خرج يوم الأحد ثاني ذي القعدة مظفّر صاحب المظلة وخطي الصقلي ونسيم متولي الستر وابن بشتكين^٣ التركي صاحب الرمح وجماعة من الأولياء الكتابيين والأتراك^٤ ، فبلغوا دير القصير والموضع المعروف بسلوان^٥ ، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل فبينما هم كذلك إذ أبصروا حمارة الأشهب الذي كان راكباً عليه المدعو بالقمر ، وهو على قرنة الجبل^٦ ، وقد ضربت يدها بسيف فآثر فيها ، وعليه سرجه ولجامه ، فقتبموا الأثر فإذا أثر الحمار في الأرض وأثر راجل خلفه وراجل

١ ما بين معقنين ورد في ص ن ر ق وعند ستيفيلد ، ولم يرد في المختار ولي مع والمطبوعة المصرية .

٢ ر : من شهر شوال المبارك من شهور السنة .

٣ ق ن : نشتكين .

٤ زاد في معج : ومعهم ماضي القري .

٥ معج : بمسلان ، وغير واضحة في المختار ؛ وفي دي سلان : بجلوان .

٦ معج : فبصروا بالحمار الذي كان راكبه على قرنة الجبل .. ففتبع الأثر فإذا أثر الحمار .

قدامه ، فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التي في شرقي حلوان ، فنزل إليها بعض الرجال فوجد فيها ثيابه ، وهي سبع جباب^١ ، ووجدت مزررة لم تحل أزرارها ، وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت إلى القصر^٢ بالقاهرة ، ولم يشك في قتله ، مع أن جماعة من المغالين في حبهم السخيفي العقول يظنون حياته ، وأنه لا بد أن سيظهر ، ويخلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية^٣ ، ويقال إن أخته دَسَّت عليه من يقتله لأمر يطول شرحه ، والله أعلم .
وابن المُشَجَّر : بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء .
وحلوان : بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الواو وبعده الألف نون ، وهي قرية مليحة كثيرة النزه فوق مصر بمقدار خمسة أميال ، كان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي لما كان والياً بمصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته ، وبها توفي ، وبها وُلد ولده عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه .

١ مج : سبع جيبا .

٢ مج : فأخذها ماضي وجاء بها إلى القصر .

٣ لا بد أن نشير هنا إلى أن قتل الحاكم قد اتخذ في حينه صورة قضية واقعية يتعقب فاعلوها ، إذ يذكر المسبحي في تاريخه (الجزء ٤٠ : ١٤٨) أن ثائراً في الصعيد أخذ فقرّر « فأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله عليه السلام في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد فمنهم من مضى إلى برقة ومنهم من مضى إلى العراق ، وأنه أظهر (لمقرره) قطعة من جلد رأسه عليه السلام وقطعة من القوطة التي كانت عليه ، فقال له حيدرة (المقرّر) ولم تقتله ؟ فقال : غرت لله وللإسلام ، فقال كيف قتلته ، فأخرج سكيناً فضرب بها فؤاد نفسه فقتل نفسه وقال : هكذا قتلتك .. الخ ، وانظر الخطط

٢٨٩ : ٢ .

٤ هنا تنتهي النسخة مج .

الأمير بأحكام الله

أبو علي المنصور الملقب بالأمير بأحكام الله بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم العبيدي المذكور قبله ، وقد تقدم بقية نسبه ، وسبق ذكر والده في الأحدين في حرف الهمزة .

وبويع الأمر بالولاية يوم مات أبوه - في التاريخ المذكور في ترجمته - وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش - المذكور في حرف الشين - وكان وزير والده ، وقد ذكرنا في ترجمته طرفاً من أخبار الأمير المذكور ، ولما اشتد الأمر وفتن لنفسه قتل الأفضل - حسباً تقدم شرحه - واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي^١ ، فاستولى هذا الوزير عليه ، وقبح سمعته وأساء السيرة ، ولما كثرت ذلك منه قبض عليه الأمير أيضاً ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسة واستصفى جميع أمواله ، ثم قتله في رجب سنة إحدى وعشرين ، وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته ، أحدهم يقال له المؤمن ، وكان متكبراً متجبراً خارجاً عن طوره ، وله أخبار مشهورة .

[ثم ظهر في مدة القبض على المأمون المصادرات على يد الراهب المسمى أبا شجاع بن قسا^٢ ، فلم يبق أحد إلا وتاله بمكروه من ضرب ونهب مال ، وكان هذا الراهب الملعون في ابتداء حاله يخدم ولي الدولة أبا البركات بن يحيى بن أبي الليث ثم اتصل بالأمير وبذل له في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار ، فأطلق يده فيهم ، وتسلسل الحال إلى أن عم البلاد جميع رؤساء مصر وقضاتها وكتباها .

٧٤٣ - أخباره في النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٠ وابن الأثير (ج : ١٠) والخطط ٢ : ٢٩٠ والدرة

المضية : ٤٦١ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٦٨ وعبر الذهبي ٤ : ٦٢ والثدرات ٤ : ٧٣ .

١ ترجمته في الإشارة : ٦٢ والدرة : ٤٨٨ . ٢ كذا ، وعند المقرئزي : ابن أبي نجاح .

وشهوها وسوقتها إلى أن صادر رجلاً حثالاً فأخذ عشرين ديناراً ثمن جمل باعه لم يكن يملك سواه ، وارتفع عنده إلى أن كان يستعمل بتنس ودمياط ملابس مخصوصة من الصوف الأبيض معلة بالذهب ، فكان يلبسها ويلبس فوقها الدماقس والديباج ، وكان يتطيب من المسك بعمدة من المثاقيل كل يوم ، وكان يشم رائحة طيبه من مكان بعيد ، وكان يركب الحجر بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، ويدخل إلى دهليز القاعة المعروفة بلباس الخطباء بالجامع العتيق بمصر ، فيجلس هناك ويستدعي الناس للمصادرة ، وأقام كذلك مدة إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين ، على يد المقداد الوالي بمصر ثم صلب عند الجسر . ذكر أنه لما قبض على دار الراهب وجد فيها مكان فيه ثمانمائة طراحة جدد لم تستعمل قدّرت إلى السقف ، هذا نوع واحد قليل الاستعمال فكيف ما عداه من الديباج وأنواع المتاع الفاخر^١ .

وكان الأمر سيء الرأي^٢ جائر السيرة مستهتراً متظاهراً باللهو واللعب ، وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة ، وكان أخذهم لها بالسيف^٣ ، ونهبوا ما فيها ، وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ، وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار عليها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحده عدده ولا يحصى ، وعوقب من بقي من أهلها ، واستصفيت أموالهم ، ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الأمر فيها ، وفي هذه السنة ملكوا عرقة وكان نزولهم عليها أول شعبان من السنة المذكورة ، وفيها ملكوا بانياس ، وفيها تسلموا جبيل بالأمان ، وتسلموا قلعة تبينين يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وكان الوالي بها من جهة الأتابك ظهير الدين طفتكين - المذكور في حرف التاء

١ ما بين معقنين زيادة من ر .

٢ ر : سيء الخلق والرأي .

٣ هنا مكرر .

في ترجمة تئس بن ألب أرسلان - وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها . ولما ملكوا صور ضربوا السكة باسم الأمر المذكور مدة ثلاث سنين ، ثم قطعوا ذلك ، وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسة بالسيف ، وأخذوا صيدا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسة . (273) وفي أيام الأمر أيضاً سنة أربع وخمسة ، وقيل سنة إحدى عشرة ، والله أعلم ، قصد بردويل الافرنجي الديار المصرية ليأخذها ، وانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها [وأبواب البلد وقتل بها رجلاً مقعداً وابنته ، فذبحها على صدره]^٢ ورحل عنها وهو مريض ، فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش ، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك ، فهي ترجم إلى اليوم ، ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة^٣ . وسبخة بردويل التي في وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور ، والحجارة الملقاة هناك ، والناس يقولون : هذا قبر بردويل وإنما هو هذه الحشوة ، وكان بردويل صاحب البيت المقدس وعكا ويافا وعدة بلاد من ساحل الشام ، وهو الذي أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين .

وفي هذه السنة أيضاً خرج المهدي محمد بن تومرت - المقدم ذكره - من مصر وصاحبها الأمر المذكور إلى بلاد المغرب في زي الفقهاء ، وجرى له هناك ما سبق شرحه في ترجمته .

وكانت ولادة الأمر يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم وقيل ثاني المحرم سنة تسعين وأربعمائة بالقاهرة ، وتولى وعمره خمس سنين . ولما انقضت أيامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة ونزل إلى مصر وعدى على الجسر إلى الجزيرة ، التي قبالة مصر ، فكان له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها إلى فرن هناك ، فلما مر بهم وثبوا

١ ر ن : الأولى .

٢ زيادة من ر .

٣ ر : بقمامة بيت المقدس ؛ ق : بقمامة جهنم .

٤ ر ص لي : الحيزة .

عليه فلعبوا عليه بأسيا فيهم ، وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته ، فحمل في النيل في زورق ولم يمت ، وأدخل القاهرة وهو حي ، وجيء به إلى القصر من ليلته فمات ولم يعقب ، وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة المقدم ذكره .

وانتقل الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد - المقدم ذكره - رحمه الله تعالى ؛ وكان قبيح السيرة ظلم للناس وأخذ أموالهم وسفك دماءهم ، وارتكب المظورات ، واستحسن القبائح المحظورات ، فابتهج الناس بقتله ، وكان ربيعة شديد الأذمة جاحظ العينين ، حسن الخط والمعرفة والعقل .

وأما المأمون ابن البطائحي الوزير المذكور فهو الذي بنى الجامع الأحمر بالقاهرة سنة خمس عشرة وخمسة ، وكان الأفضل ابن أمير الجيوش قد شرع في عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة حبش في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ولم يكمله ، فأتمه المأمون بعده في مدة وزارته ، والله أعلم بالصواب .

٧٤٤

قطب الدين مودود

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، المعروف بالأعرج صاحب الموصل - وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام ، وذكر أولاده الثلاثة وهم : سيف الدين غازي الذي تولى السلطنة بعده ، وعز الدين مسعود ، وعماد الدين زنكي صاحب سنجار ، واستوعبت في

١ هنا تنتهي الترجمة في : ير من ، وبعد سطر تنتهي في : لي .

٢ زاد في ق : واستقبح الحسن .

٧٤٤ - أخباره في الباهر : ٩٤ وما بعدها وابن الوردى : ٢ : ٧٨ ومفرج الكروب (ج : ١)

وتاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٥٥ ومرآة الزمان : ٢٨٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٨٣ وغير

الذهبي ٤ : ١٩١ والشذرات ٤ : ٢١٦ ، ولم يتوقف صاحب المختار عند هذه الترجمة .

ترجمة غازي ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين المذكور وأنه قصد الموصل ثم قرر أمر غازي المذكور فيها ، ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم .
وفي تلك السفارة بنى نور الدين الجامع النوري داخل الموصل ، وهو مشهور هناك يُقام فيه الجمعة ، وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » عند ذكره لوصول نور الدين إلى الموصل أنه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة ، وقد أشاعوا عنها ما ينفر القلوب منها ، وقالوا : ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره ، ولم يتم على مراده أمره ، فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدين عمر الملا - وكان من كبار الصالحين - بابتياح الخربة وبنائها جامعاً ؛ وأنفق فيها أموالاً جزيلة ، ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل .
وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر - المقدم ذكره أيضاً - وكان حسن السيرة ، عادلاً في حكمه . وفي دولته عظم شأن جمال الدين محمد الوزير الأصبهاني المعروف بالجواد - المقدم ذكره - وهو الذي قبض عليه حسبما سبق شرحه ، وكان مدبر دولته وصاحب رأيه الأمير زين الدين علي كجك والد مظفر الدين صاحب إربل ، وكان نعم المدير والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة - وقد تقدم أيضاً ذكره في ترجمة ولده مظفر الدين في حرف الكاف .
ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته وبقاؤه كلته إلى أن توفي في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، وقيل في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة .

وذكر أسامة بن منقذ في كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد أن قطب الدين المذكور توفي سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وليس بصحيح ، فإن أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور ، ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب الدين . وكانت وفاته بالموصل ، ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل ، وخلف عدة أولاد ، وأكثرهم ملك البلاد . وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته ، رحمهم الله تعالى .

مؤرج السدوسي

أبو فيند مؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن نور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدؤوس بن شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، السدؤوسي النحوي البصري ؛ أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما ، وكان يقول : قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية ، وإنما كانت معرفتي قريجة ، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة .

ودخل الأخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب ، فقال له محمد : من أين جئت ؟ فقال الأخفش : من عند القاضي يحيى بن أكثم ، قال : فما جرى عنده ؟ قال : سألتني عن الثقة المأمون المقدم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو ؟ ومن الذي كان يوثق بعلمه ؟ فقلت : النضر بن شميل وسيبويه ومؤرج السدوسي . وكان الغالب على مؤرج المذكور اللغة والشعر ، وله عدة تصانيف : منها كتاب « الأنواء » وهو كتاب حسن ، وكتاب « غريب القرآن » وكتاب « جواهر القبائل » وكتاب « المعاني » وغير ذلك ، واختصر نسب قريش في مجلد لطيف سماه « حذف نسب قريش »^١ .

وكان قد رحل مع المأمون من العراق إلى خراسان ، وسكن مدينة مرو ، وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها ، وكان له شعر ، فمن ذلك ما أنشده هارون بن علي بن يحيى المنجم في كتابه المسمى بـ « البارع » ، وهو :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعَ لَهْ وَبِالْمَصَائِبِ مِنْ أَهْلِي وَجِيرَانِي

٧٤٥ - ترجمته في نور القيس : ١٠٤ والمؤتلف والمختلف : ٥٤ وانباء الرواة ٣ : ٢٢٧ وتاريخ

بغداد ١٣ : ٢٥٨ (وفي حاشية الانباء مصادر أخرى) .

١ نشر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (القاهرة ١٩٦٠)؛ وقوله : واختصر ...

قريش : سقط من : بر من لي .

لم يترك الدهر لي علقاً أضنُّ به إلا اصطفاه بنأيٍ أو بهجران
ثم قال ابن المنجم المذكور : وهذان البيتان من أملح ما قيل في معناها ،
ومثلها في معناها لبعض المحدثين :

وفارقت حتى ما أراع من النوى وإن غاب جيران عليّ كرامُ
فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي وعيني على هجر الصديق تنام
ومن هاهنا أخذ ابنُ التعاويذي - المقدم ذكره - قوله :

وما أنا لا قلبي يُراع لفانت فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرحُ
وهذا البيت من جملة قصيدة يذكر فيها توجهه لذهاب بصره ، فمنها قوله
مشيراً إلى زوجته^٢ :

وباكيةٍ لم تشكُّ فقدأ ولا رمى يجيرتها الأدنينَ نأيٍ مطوحُ
رمتها يدُ الأيام في ليثِ غايبها بفادحِ خطبِ والحوادثُ تفدح
رأت جلالاً لا الصبرُ يجملُ بالفق على مثله يوماً ، ولا الحزنُ يقبح
فلا غرواً أن تبكي الدماء لكاسب لها كان يسمي في البلاد ويكدح
عزيزٌ عليها أن ترانيَ جائئاً وما لي في الأرض البسيطة مسرح
وأن لا أقودَ العيس تنفخ في البرى وجردَ المذاكي في الأعنة ترح
أظلُّ حبيساً في قرارة منزل رهينَ أسى أمسي عليه وأصبح
مقامي منه مظلم الجو قاتم ومسعايَ ضنك وهو صححان^٣ أفيح
أقاد به قود الجنبية مُسْمِحاً وما كنت لولا غدره الدهر أسمع
كأني مَيّتٌ لا ضريح لجنبه وما كل ميت لا أباك يضرح

١ المختار : فقد الحبيب .

٢ ديوان ابن التعاويذي : ٧٩ .

٣ لي ن بر من : ضحيان .

وما أنا لاقلي يراع لفانت
فله نصل فُلّ مني غراره
وسقياً لأيام ركبت بها الهوى
وماضي صبا قَضَيْت منه لبانتي
لياليّ ني عند الغواني مكانة
وليلي بها أضعاف ما بي من الهوى
فيأسى ، ولا يلهيه حظ فيفرح
وعود شباب عاد وهو مُصَوِّح
جموحاً ومثلي في هوى الفيد يجمع
خِلاصاً وعين الدهر زرقاء تلمح
فألحظها ترنو إليّ وتطمح
أعرّض بالشكوى لها فتصرح

وهي طويلة طنانة يمدح بها الإمام الناصر لدين الله خليفة بغداد .
وقال المرزباني : وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدي ما مثله : أهدى أبو
فَيْدٍ مؤرّجٌ السدوسي إلى جدي محمد بن أبي محمد كساء ، فقال جدي فيه يمدحه :

سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرّجٌ
أغرّ سَدُوسِيّ نماه إلى العلي
أتينا أبا فيدٍ نؤملُ سَيْبِهِ
فأصدرنا بالريّ والبذلِ واللهي
كساني ولم أستكسه متبرعاً
كسانيه فضفاضاً إذا ما لبسته
كساء جمال إن أردت جمالة
تري حُبُكاً فيه كأن اطرادها
سأشكر ما عشت السدوسيّ بره
وأمنحه حسنَ الثناء مع الودّ
أبٌ كان صبّاً بالمكارم والمجد
ونقدحُ زنداً غير كابٍ ولا صلد
وما زال محمودَ المصادر والورد
وذلك أهني ما يكونُ من الرغد
تروحتُ مختالاً وجرتُ عن القصد
وثوب شتاء إن خشيت من البرد
فرند حديثُ صَقَله سُلٌّ من غمد
وأوصي بشكرٍ للسدوسيّ من بعدي

وأخبار مؤرّج كثيرة .

وقال ابن النديم : وجدت بخط عبد الله بن المعتز: مؤرّج بن عمرو السدوسي
كان من أصحاب الخليل بن أحمد ، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة ، في اليوم
الذي توفي فيه أبو نواس ، وهذا إنما يستقيم على قول من ذهب إلى أن أبا نواس

توفي سنة خمس وتسعين ومائة ، وقد سبق الخلاف فيه .
 ورأيت في كتاب « الأنوار » في أوله ما مثاله ، قال أبو علي إسماعيل بن
 يحيى بن المبارك اليزيدي : قرأنا هذا الكتاب على المؤرج يجرجان ثم قدمنا مع
 المأمون العراق ، سنة أربع ومائتين ، فخرج المؤرج إلى البصرة ثم مات بها
 رحمه الله تعالى . وهذا خلاف للأول ، والله أعلم بالصواب . وأما مؤرج فلا
 خلاف أنه مات في هذه السنة . وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ وغيره .
 وفيد : بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو
 في الأصل ورد الزعفران ، وقيل هو الزعفران بعينه .
 ومؤرج : بضم الميم وفتح الواو المهموزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم ،
 وهو اسم فاعل من قولهم « أرجت بين القوم » إذا أغريت بينهم .
 وقد تقدم الكلام على السدوسي في ترجمة قتادة في حرف القاف^٢ .
 وقيل : إن اسمه مرثد ، ومؤرج لقب له ، ومرثد : بفتح الميم والثاء المثناة
 وراء ساكنة وفي الآخر دال مهملة ، قال الجوهري في كتاب « الصحاح »^٣ :
 يقال رثدت المتاع : نضدته ووضعت بعضه على بعض أو إلى جنب [بعض] ،
 ثم قال بعد ذلك : تركت بني فلان مرثدين ما تحملوا بعد ، أي ناضدين متاعهم ،
 قال ابن السكيت : ومنه اشتق مرثد ، وهو اسم رجل ، والمرثد اسم من
 أسماء الأسد^٤ . وكان مؤرج يقول : اسمي وكنيتي غريبان ، اسمي مؤرج ، والعرب
 تقول « أرجت بين القوم » و « أرشت »^٥ وأنا أبو فيد ، والفيد : ورد الزعفران^٦ ،
 ويقال : فاد الرجل يفيد فيداً ، إذا مات ، والله أعلم بالصواب .

١ المعارف : ٥٤٣ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في : لي بر من .

٣ الصحاح ١ : ٤٦٩ .

٤ هنا ينتهي النقل عن الصحاح .

٥ زاد في ق : إذا حرشت .

٦ ق : الورد من الزعفران .

أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، أحد الأئمة الاثني عشر ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال الخطيب في « تاريخ بغداد »^١ : « كان موسى يدعى العبد الصالح ، من عبادته واجتهاده . روي أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في أول الليل ، وسمع وهو يقول في سجوده : عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ، فجعل يردد ما حتى أصبح . وكان سخياً كريماً ، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار ، وكان يَصُرُّ الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ، ثم يقسمها بالمدينة . وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه ، فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول^٢ : يا محمد ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم ﴾ (محمد : ٢٢) قال الربيع : فأرسل إليّ ليلاً ، فراعني ذلك ، فحجته فإذا هو يقرأ هذه الآية ، وكان أحسن الناس صوتاً ، وقال : عليّ بموسى بن جعفر ، فحجته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال : يا أبا الحسن ، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ عليّ كذا ، فتؤمنني أن تخرج علي أو علي أحد من أولادي ، فقال : والله

٧٤٦ - ترجمته في « الأئمة الاثنا عشر » : ٨٧ وعلى الصفحة المقابلة ثبت بمصادر أخرى يضاف إليها صفة الصفوة ٢ : ١٠٣ وميزان الاعتدال ٤ : ٢٠١ ومنهاج السنة ٢ : ١١٥ ، ١٢٤ وعبر الذهبي ١ : ٢٨٧ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١١٥ و فرق الشيعة (صفحات متفرقة) .

١ - تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧ .
٢ - تاريخ بغداد ١٣ : ٣٠ - ٣١ .

لا فعلت ذلك ولا هو من شأني ، قال : صدقت ، أعطه ثلاثة آلاف دينار ،
ورده إلى أهله إلى المدينة ، قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا
وهو في الطريق خوف العواتق .

وأقام بالمدينة إلى أيام هارون الرشيد ، فقدم هارون منصرفاً من عمرة شهر
رمضان سنة تسع وسبعين ومائة ، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى
أن توفي في محبسه^١ . وذكر أيضاً أن هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم زائراً وحوله قريش ورؤساء القبائل ، ومعه موسى بن جعفر ، فقال :
السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم ، افتخاراً على من حوله ، فقال موسى :
السلام عليك يا أبت ، فتغير وجه هارون الرشيد وقال : هذا هو الفخر يا أبا
الحسن حقاً ؛ انتهى كلام الخطيب .

وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^٢
في أخبار هارون الرشيد : « إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون
الرشيد وشرطته ، فقال : أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جاءني فيه قط ، فانتزعني
من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك ، فلما صرت إلى الدار سبقني
الخدام فعرف الرشيد خبري ، فأذن لي في الدخول عليه فدخلت فوجدته قاعداً
على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة ، فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ، ثم
قال : يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا والله يا أمير
المؤمنين ، قال : إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة
فقال : إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحررتك بهذه الحربة ، فاذهب
فخل عنه ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثاً ، قال :
نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل
له : إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب ، وإن أحببت المضي إلى المدينة
فالإذن في ذلك لك ، قال : ففضيت إلى الحبس لأخرجه ، فلما رأني موسى

١ ورد في النسخ : لي بر من هنا ، انتهى كلام الخطيب ؛ وسقط الكلام بعده حتى بدء النقل عن
المسعودي .

٢ مروج الذهب ٣ : ٢٥٦ .

وثب إلي قائماً وظن أنني قد أمرت فيه بمكروه ، فقلت : لا تخف ، فقد أمرني بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم ، وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا ، فلك كل ما تحب ، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق لك ، وأعطيته ثلاثين ألف درهم ، وخليت سبيله وقلت له : لقد رأيت من أمرك عجباً ، قال : فإني أخبرك ، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا موسى ، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس ، فقلت : بأبي وأمي ما أقول ؟ قال : قل يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناة ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً ، فرج عني ؛ فكان ما ترى .

وله أخبار ونوادير كثيرة . وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة ، وقال الخطيب : سنة ثمان وعشرين بالمدينة ؛ وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقيل سنة ست وثمانين ببغداد ، وقيل إنه توفي مسموماً . وقال الخطيب : توفي في الحبس ودفن في مقابر الشونيزيين خارج القبة ، وقبره هناك مشهور بزار ، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحصى ، وهو في الجانب الغربي ، وقد سبق ذكر أبيه وأجداده وجماعة من أحفاده ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، وكان الموكل به مدة حبسه السندي بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور .

كمال الدين ابن يونس

أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد ، الملقب كمال الدين ، الفقيه الشافعي ؛ تفقه بالموصل على والده ، ثم توجه إلى بغداد سنة إحدى وسبعين وخمسة ، وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السيد السامسي - المقدم ذكره - وكان المدرسَ بها يومئذ الشيخ رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني ، فقرأ الخلاف والأصول وبحث الأدب على الكمال أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري - المقدم ذكره - فتميز ومهر ، وكان قد قرأ أولاً على الشيخ أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهو بالموصل ثم أصدع إلى الموصل وعكف على الاشتغال ، ودرس بعد وفاة والده - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - في موضعه بالمسجد المعروف بالأمير زين الدين صاحب إربل ، وهذا المسجد رأيتُه وهو على وضع المدرسة ، ويعرف الآن بالمدرسة الكمالية لأنه نسب إلى كمال الدين المذكور لطول إقامته به .

ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء ، وتبحر في جمع الفنون ، وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ، وتفرد بعلم الرياضة ، ولقد رأيتُه بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستائة ، وترددت إليه دفعات عديدة لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الأكيدة ، ولم يتفق لي الأخذ عنه لعدم الإقامة وسرعة الحركة إلى الشام ، وكان الفقهاء يقولون : إنه يدري أربعة

٧٤٧ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ١٥٨ والحوادث الجامعة : ١٤٩ وذيل الروضتين : ١٧٢

والفلاحة والمفلوكون : ٨٤ والبداية والنهاية ١٣ : ١٥٨ وعبر الذهبي ٥ : ١٦٢ والشذرات

٥ : ٢٠٦ .

١ ق ن : دفيجات .

وعشرين فنّاً دراية متقنة ، فمن ذلك المذهب وكان فيه أوحـد الزمان ، وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ، ويحل لهم مسائل « الجامع الكبير »^١ أحسن حل مع ما هي عليه من الإشكال المشهور ؛ وكان يتقن فني الخلاف العراقي والبخاري ، وأصول الفقه وأصول الدين . ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي إلى الموصل وكان بها إذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه ، وكذلك « الإرشاد » للعميدي لما وقف عليها حلها في ليلة واحدة وأقرأها على ما قالوه .

وكان يدري فن الحكمة : المنطق والطبيعي والإلهي ، وكذلك الطب ، ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات^٢ والمجسطي -المجسطي لفظه يونانية معناها بالعربي الترتيب، ذكر ذلك الـوكري^٣ في كتابه - وأنواع الحساب : المفتوح^٤، منه الجبر والمقابلة والأرثماتيقي وطريق الخطأين^٥ ، والموسيقى والمساحة ، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها ، وبالجملة فلقد كان كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل فن بالجميع

واستخرج في علم الأوفاق طرقاً لم يهتد إليها أحد ؛ وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً مستوفى ، حتى إنه كان يقرئ كتاب سيبويه و« الإيضاح » و« التكملة » لأبي علي الفارسي ، و« المفصل » للزنجشيري ، وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يدٌ جيدة ؛ وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم ، والأشعار والمحاضرات ، شيئاً كثيراً . وكان أهل الذمة يقرءون عليه التوراة والإنجيل ، ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون

١ الجامع الكبير من تأليف أبي الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي (- ٣٤٠) في الفقه الحنفي .

٢ ر : والميسوطات .

٣ ر : الكوكري .

٤ ن : الفتوح .

٥ ق : بطريق الخطأين .

أنهم لا يحدون من بوضوحها لهم مثله . وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه . وبالجملة فإن مجموع ما كان يعمله من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه .

ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري ، صاحب التعليقة في الخلاف والزيغ والتصانيف المشهورة ، من الموصل إلى إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وقبلها في خمس وعشرين وستمائة ، ونزل بدار الحديث ، وكنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف ، فبينما أنا يوماً عنده إذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد ، وكان فاضلاً ، فتجارياً في الحديث زماناً ، وجرى ذكر الشيخ كمال الدين في أثناء الحديث ، فقال له الأثير : لما حجج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك ؟ فقال : نعم ، فقال : كيف كان إقبال الديوان العزيز عليه ؟ فقال ذلك الفقيه : ما أنصفوه على قدر استحقاقه ، فقال الأثير : ما هذا إلا عجب ، والله ما دخل إلى بغداد مثل الشيخ ، فاستعظمت منه هذا الكلام ، وقلت له : يا سيدنا كيف تقول كذا ؟ فقال : يا ولدي ما دخل إلى بغداد مثل أبي حامد الغزالي ، والله ما بينه وبين الشيخ نسبة .

وكان الأثير - على جلالته قدره في العلوم - يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه يقرأ عليه ، والناس يوم ذاك يشتغلون في تصانيف الأثير . ولقد شاهدت هذا بعيني ، وهو يقرأ عليه كتاب « المحسني »^٢ .

ولقد حكى لي بعض الفقهاء أنه سأل الشيخ كمال الدين عن الأثير ومنزلته في العلوم فقال : ما أعلم ، فقال : وكيف هذا يا مولانا . وهو في خدمتك منذ سنين عديدة ، ويشتغل عليك ؟ فقال : لأني مهاجراً قلت له تلقاه بالقبول وقال : نعم يا مولانا ، فما جاذبني في مبحث قط حق أعلم حقيقة فضله ، ولا شك أنه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأديباً ، وكان معيداً عنده في المدرسة البدرية ، وكان يقول : ما تركت بلادتي وقصدت الموصل إلا للاشتغال على الشيخ .

١ بر من : هذا .

٢ ر : المجريطي .

٣ بر من : كلما .

وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح - المقدم ذكره^١ - يبالي في الثناء على فضائله وتعظيم شأنه وتوحيده في العلوم ؛ فذكره يوماً وشرع في وصفه على عادته ، فقال له بعض الحاضرين : يا سيدنا ، على من اشتغل ؟ ومن كان شيخه ؟ فقال : هذا الرجل خلقه الله تعالى عالماً إماماً في فنونه ، لا يقال على من اشتغل ولا من شيخه ، فإنه أكبر من هذا .

وحكى لي بعض الفقهاء بالموصل أن ابن الصلاح المذكور سأله أن يقرأ عليه شيئاً من المنطق سرّاً ، فأجابته إلى ذلك ، وتردد إليه مدة فلم يفتح عليه فيه بشيء فقال له : يا فقيه ، المصلحة عندي أن تترك الاشتغال بهذا الفن ، فقال له : ولم ذلك يا مولانا ؟ فقال : لأن الناس يعتقدون فيك الخير ، وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد ، فكأنك تفسد عقائدهم فيك ولا يحصل لك من هذا الفن شيء ؛ فقبل إشارته وترك قراءته^٢ .

ومن يقف على هذه الترجمة فلا^٣ ينسبني إلى المغالاة في حق الشيخ . ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان عليه الشيخ ، عرف أنني ما أعرته وصفاً ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل .

ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفي - المقدم ذكره^٤ - في « تاريخ إربل » فقال : هو عالم مقدم ، ضرب في كل علم ، وهو في علم الأوائل : كالمهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار إليه ، حل أقليدس^٥ والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر بن محمد بن المظفر الطوسي الفارابي ، يعني صاحب الاضطراب الخطي المعروف بالمعصا .

ثم قال ابن المستوفي : وردت عليه مسائل من بغداد في مشكلات هذا العلم ، فعلها واستصغرها ، ونبه على براهينها ، بعد أن احتقرها ، وهو في الفقه والعلوم

١ انظر ج ٣ : ٢٤٣ .

٢ وكان شيخنا ... قراءته : سقط من بعض النسخ ومن المطبوعة المصرية .

٣ ر لي : قد .

٤ ج ٤ : ١٤٧ .

٥ لي : أوقليدس .

الإسلامية نَسِجُ وُحْدِهِ ، ودرس في عدة مدارس بالموصل ، وتخرج عليه خلق كثير في كل فن .

ثم قال : أنشدنا لنفسه ، وأنفذها إلى صاحب الموصل يشفع عنده :

لئن شَرَّفْتَ أرضٌ بِمالكِ رِقها فمملكة الدنيا بكم تتشرف^١
بقيتَ بقاء الدهر أمركَ نافذ وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما تمكن في أمصار فرعون يوسف

قلت أنا : ولقد أنشدني هذه الأبيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب ، وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وبها رجل فاضل في علوم الرياضة ، فأشكل عليه مواضع في مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة وإقليدس ، فكتب جميعها في دَرَجٍ وسيرها إلى الموصل ، ثم بعد أشهر عاد جوابه ، وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يمجز الإنسان عن وصفه ، ثم كتب في آخر الجواب : فليهد العذر في التقصير في الأجوبة ، فإن القريحة جامدة ، والفتنة خامدة ، قد استولى عليها كثرة النسيان ، وشغلتها حوادث الزمان ، وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه ، بحيث صرنا كأننا ما عرفناه ؛ وقال لي صاحب المسائل المذكورة : ما سمعت مثل هذا الكلام إلا للأوائل المتقين^٢ لهذه العلوم ، ما هذا من كلام أبناء هذا الزمان .

وحكى لي الشيخ الفقيه الرياضي علم الدين قيصر بن أبي القاسم عبد الغني بن مسافر الحنفي المصري المعروف بتعاسيف ، وكان إماماً في علوم الرياضة ، قال^٣ : لما أتقنت علوم الرياضة بالديار المصرية ودمشق ، تأقت نفسي إلى الاجتماع بالشيخ كمال الدين لما كنت أسمع من تفرده بهذه العلوم ، فسافرت إلى الموصل قصد الاجتماع به ، فلما حضرت في خدمته وجدته على حلية الحكماء المتقدمين ، وكنت

١ علق على هامش ن بخط مختلف : « ولقد كتبت هذه الأبيات في مكتوب إلى أمير الأمراء بالقاهرة

حضرة سنان باشا وأصاب فخرها (؟) وذلك في سنة ست وسبعين وتسعمائة » .

٢ ق : المتقدمين المتقين .

٣ بعض هذا النص ورد في الطالع السعيد نقلاً عن المؤلف .

قد طالعت أخبارهم ، فسلمت عليه وعرفته قصدي له للقراءة عليه ، فقال لي :
 في أي العلوم تريد تشرع ؟ فقلت : في الموسيقى ، فقال : مصلحة هو ، فلي
 زمان ما قرأه أحد عليّ ، فأنا أوثر مذاكرته ، وتجديد العهد به ، فشرعت فيه
 ثم في غيره حتى شققت عليه أكثر من أربعين كتاباً في مقدار ستة أشهر ،
 وكنت عارفاً بهذا الفن ، لكن كان غرضي الانتساب في القراءة إليه ، وكان
 إذا لم أعرف المسألة أوضحها لي ، وما كنت أجد من يقوم مقامه في ذلك^١ .

وقد أطلت الشرح في نشر علومه ، ولعمري لقد اختصرت .

ولما توفي أخوه الشيخ عماد الدين محمد - المقدم ذكره - تولى الشيخ المدرسة
 العلائية موضع أخيه ، ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاهما . ثم تولى المدرسة
 البدرية في ذي الحجة سنة عشرين وستائة . وكان مواظباً على إلقاء الدروس
 والإفادة . وحضر في بعض الأيام دروسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالس ،
 وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماجوج^٢ بن يوسف الصنهاجي اللترني
 النحوي البجائي حاضراً ، فأنشد على البديهة قوله :

كأل كأل الدين للعلم والعلى فبهيات ساع في مساعيك يطمعُ
 إذا اجتمع النظائر في كل موطن فغاية كل أن تقول ويسمعوا
 فلا تحسبوم من غناء^٣ تطيلسوا ولكن حياء واعترافاً تقنعوا
 وللعماد المذكور فيه أيضاً :

تجر الموصل الأذيال فخرأ على كل المنازل والرسوم
 بدجلة والكمال ، هما شفاء لهم أو لذي فهم سقيم
 فذا بجر تدفق وهو عذب وذا بجر ولكن من علوم

وكان الشيخ - ساعه الله تعالى - يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبية

١ وحكى لي الشيخ ... في ذلك : سقط هذا النص من : لي بر من والمطبوعة المصرية .

٢ ر : ماخوخ ، وكذلك أثبتته دي سلان ، وسقط من بقية النسخ .

٣ بر من لي : عناد .

عليه ، وكانت تعذبه غفلة في بعض الأحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم ، فعمل فيه العباد المذكور :

أجدك أن قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقعة شعري أو كدين ابن يونس

وقد خرجنا عن المقصود إلى ما لا حاجة بنا إليه .
وكانت ولادته يوم الخميس ، خامس صفر سنة إحدى وخمسين وخمسة ،
بالموصل . وتوفي بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وستائة ، ودفن في تربتهم
المعروفة بهم عند تربة عنازا ، خارج باب العراق .
وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد في حرف الهمزة ، وأخيه عماد الدين
في حرف الميم ، وسيأتي ذكر والده في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، رحمه
الله أجمعين .

ولما كنت أتردد إلى خدمته بالموصل أوقع الله في نفسي أنه إن رزقت ولدًا
ذكرًا سميته باسمه ، ثم سافرت في بقية السنة المذكورة إلى الشام وأقمت به عشر
سنين ، ثم سافرت إلى الديار المصرية في سنة ثلاث وثلاثين وستائة وتقلبت
الأحوال ثم حصل التأهل ، فرزقني الله ولدي الأكبر في بكرة يوم السبت حادي
عشر صفر سنة إحدى وخمسين وستائة بالقاهرة المحروسة فسميته موسى^٢ ،
وعجبت من موافقته للشيخ في الولادة ، في الشهر والسنة ، فكان بين مولدهما
سنة . وذكرت ذلك للشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المحدث فعجب من هذا
الاتفاق ، وجعل يكرر التعجب ويقول : والله إن هذا لشيء غريب^٣ .

(274) وتوفي الشيخ رضي الدين القزويني^٤ مدرس المدرسة النظامية ، المذكور

١ ر : عنان .

٢ قلت : هو الذي انتقى من كتاب أبيه ما أسماه « المختار من وفيات الأعيان » وزوده بتعليقات
قيمة (انظر مقدمة الجزء الرابع) .

٣ ولما كنت غريب : سقط من : لي بر من والمطبوعة المصرية .

٤ ترجمة رضي الدين في الشذرات ٤ : ٣٠٠ و امرأة الزمان : ٤٤٣ .

في أول هذه الترجمة ، في الثالث والعشرين من المحرم سنة تسعين وخمسة .
وكانت ولادته في شهر رمضان سنة اثني عشرة وخمسة بقزوين ، وموته
بها أيضاً .

ولولا خوف الإطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال الدين ما يستغرق الوصف .
وقد تقدم الكلام على الصنهاجي .

وأما اللّزني : فهو بفتح اللام وسكون الزاي وبعدها نون ، هذه النسبة
إلى لزنّة ، وهي قبيلة من البربر تسكن بالقرب من بجاية من عمل إفريقية .
(275) وتوفي علم الدين تعاسيف المذكور يوم الأحد ثالث عشر رجب من
سنة تسع وأربعين وستائة بدمشق ، ودفن خارج باب شرقي ، ثم نقل إلى باب
الصغير . ومولده في سنة أربع وسبعين وخمسة بأصفون^٢ ، من شرقي صعيد
مصر ، رحمه الله تعالى .

٧٤٨

موسى بن نصير

أبو عبد الرحمن موسى بن نصير ، اللّخمي بالولاء ، صاحب فتح الأندلس ؛
كان من التابعين ، رضي الله عنهم ، وروى عن تميم الداري ، رضي الله عنه ،

١ ترجمة قيصربن عبد الغني المعروف بتماسيف في الطالع السعيد : ٤٦٩ (الطبعة الثانية) ،
وكان فقيهاً حنفي المذهب ، اشتغل بالرياضيات بالديار المصرية والشامية ، ثم أقام بحماة ،
وتولى تدريس المدرسة النورية ، وقد كان هو الذي أجاب عن أسئلة الانبرور صاحب صقلية ؛
وانظر أيضاً مختصر أبي الفدا ٣ : ١٨٦ وتاريخ ابن الوردي : ٢ : ١٨٨ والسلوك ١ : ٣٨٢
وحسن المحاضرة ١ : ٢٥٦ .

٢ عند الأدفوي : أسفون ، بالسين لا بالصاد .

٧٤٨- أخباره في كتب التاريخ العامة كالطبري وابن الأثير والامامة والسياسة وابن خلدون . الخ
وانظر جذوة المقتبس : ٣١٧ وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٤ وأخبار مجموعة : ٣ وبغية
الملتص : ٤٤٢ والبيان المغرب ١ : ٤٦ وتاريخ ابن عبد الحكم : ٢٠٣ والحلة السراء : ٢ :
٣٣٢ ونفح الطيب (ج : ١) وتاريخ دمشق لابن عساكر .

وكان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى ، لم يهزم له جيش قط .
(276) وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان ، ومنزلته عنده مكينة . ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لم يخرج معه ، فقال له معاوية : ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافني عليها ؟ فقال : لم يمكني أن أشكرك بكفر مَنْ هو أولى بشكري ، فقال : ومن هو ؟ قال : الله عز وجل ، فقال : وكيف لا أم لك ؟ قال : وكيف لا أعلمك هذا ، فأعرض وأمص^١ ، قال : فأطرق معاوية ملياً ، ثم قال : أستغفر الله ، ورضي عنه .

وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان والياً على مصر وإفريقية ، فبعث إليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له : أرسل موسى بن نصير إلى إفريقية ، وذلك في سنة تسع وثمانين للهجرة .
وقال الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » : إن موسى ابن نصير تولى إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين ، فأرسله إليها ، فلما قدمها ومعه جماعة من الجند ، بلغه أن بأطراف البلاد جماعة خارجين عن الطاعة ، فوجه ولده عبد الله ، فأناه بمائة ألف رأس من السبايا ، ثم وجه ولده مروان إلى جهة أخرى فأناه بمائة ألف رأس .

قال الليث بن سعد : فبلغ الخمس ستين ألف رأس ، وقال أبو شبيب^٢ الصديقي : لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير . ووجد أكثر مدن إفريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها ، وكانت البلاد^٣ في قحط شديد ، فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين ، وخرج بهم إلى الصحراء ، ومعه سائر الحيوانات ، وفرق بينها وبين أولادها ، فوقع البكاء والصراخ والضجيج ، وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ، ثم صلى وخطب بالناس ، ولم يذكر الوليد بن عبد الملك ، فقيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا مقام لا يدعى فيه لغير

١ في أكثر النسخ : فأغض وأمص .

٢ ن : شيب .

٣ لي : وكان الناس .

الله عز وجل ، فسقوا حتى رَوُوا .

ثم خرج موسى غازياً ، وتتبع البربر وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وسبى سبياً عظيماً ، وسار حتى انتهى إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد . فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبدلوا له الطاعة فقبل منهم ، وولى عليهم والياً ، واستعمل على طنجة وأعمالها مولاة طارق بن زياد البربري ، ويقال إنه من الصّدف ، وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر بالأسلحة والعدد الكاملة ، وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم ، وترك موسى عندهم خلقاً يسيراً من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الإسلام ، ورجع إلى إفريقية ، ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم .

فلما استقرت له القواعد كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الأندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب إلا قدر يسير ، فامتلأ طارق أمره ، وركب البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس ، وصعد إلى جبل يعرف اليوم بجبل طارق لأنه نسب إليه لما حصل عليه ، وكان صعوده إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة في اثني عشر ألف فارس من البربر خلا اثني عشر رجلاً .

وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب وقت التعديّة ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم يمشون على الماء ، حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، ذكر ذلك ابن بشكوال - المقدم ذكره في حرف الحاء - في « تاريخ الأندلس » .

وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الأندلس ملك يقال له لذريق^٢ . ولما احتل^٣ طارق بالجبل المذكور كتب إلى موسى بن نصير : إني فعلت ما أمرتني به ، وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول . فلما وصل كتابه إلى موسى ندم على تأخره ،

١ زاد في ر : في من معه .

٢ ق : الذريق ؛ صف : أزريق ؛ لي : لذريس .

٣ لي بر من : صار ، ق ص : أحفل .

وعلم أنه إن فتح نسب الفتح إليه دونه ، فأخذ في جمع العساكر ، وولى على القيروان ولده عبد الله ، وتبعه فلم يدركه إلا بعد الفتح . وكان لذريق المذكور قد قصد عدوآ له ، واستخلف في المملكة شخصاً يقال له تدمير ، وإلى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالأندلس - وهي مرسية وما والاها ، وهي خمسة مواضع تسمى بهذا الاسم ، واستولى الفرنج على مرسية سنة اثنتين وخمسين وستائة^١ - فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق الملك إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الأرض ، فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ، ومعه العجّل^٢ يحمل الأموال والمتاع ، وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مكحلة بالدر والياقوت والزبرجد .

فلما بلغ طارقاً دنوه قام في أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حث المسلمين على الجهاد ورجبهم في الشهادة ، ثم قال : أيها الناس ، أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم ؟ فليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم يبيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ، ولا أقوات^٣ لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهبت ربحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية^٤ ، فقد ألفت به إليكم مدينته المحصنة ، وإن انتهز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت . وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة^٥ ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ فيها بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً ، استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا

١ وهي مرسية وستمائة : سقط من : لي بر من .

٢ ق ن ص : أثواب .

٣ ر ن ق لي : هذه الطاغية .

٤ ق : بنجاة ؛ ن : بمنجاة .

بأنفسكم عن نفسي ، فيما حظكم فيه أوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الراقلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عرباناً^١ ، ورضيكم للملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستياحكم بمجادة الأبطال والفرسان ، ليكون حظهم معكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، ويكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم ، والله تعالى وليّ إنجازكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وأنني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاعة قومه لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم^٢ أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون .

فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في قتال^٣ لذريق وأصحابه وما وعدم من النيل الجزيل ، انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا : قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه ، فاحضر إليه فأنا معك وبين يديك . فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لذريق ، وكان قد نزل بمتسع من الأرض ، فلما ترامى الجمعان نزل طارق وأصحابه ، فباتوا ليلتهم في حرس إلى الصبح .

فلما أصبح الفريقان تلبسوا^٤ وعبئوا كتائبهم^٥ وحمل لذريق على سريره ، وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله ، وهو مقبل^٦ في غاية من^٧ البنود والأعلام

١ ق ص بر من : عرباناً ؛ لي : غزيانا .

٢ ق : كفيتهم .

٣ ص : على قتال ؛ بر من : من قتال .

٤ لي : تلبسوا ؛ النصح : تكتبوا .

٥ ن : كتائبهم ؛ بر : مواكبيهم .

٦ ص : متحمل . ٧ ق : على غاية من ؛ من : سقطت من لي .

وبين يديه المقاتلة والسلاح ، وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد ، ومن فوق رؤوسهم العمام البيض وبأيديهم القسي العربية ، وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح ، فلما نظر إليهم لذريق قال : أما والله إن هذه الصور التي رأينا ببيت الحكمة ببلدنا ، فداخله منهم رُعب .

وتتكلم هاهنا على بيت الحكمة ما هو ، ثم نتكلم على حديث هذه الواقعة :

وأصل خبر بيت الحكمة أن اليونان - وهم الطائفة المشهورة بالحكمة - كانوا يسكنون ببلاد المشرق قبل عهد الإسكندر ، فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد ، وزاحت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك ، انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس ، لكونها طرفاً في آخر العمارة ، ولم يكن لها ذكر يوم ذاك ، ولا ملكها أحد من الملوك المتبيرة ، ولا كانت عامرة ، وكان أول من عمر فيها واختطها أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام ، فسميت باسمه ، ولما عمرت الأرض بعد الطوفان كان صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال جناحاه ، وما بينها بطنه ، والمغرب ذنبه ، فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر .

قلت^٢ : وجرى في مجلس الحافظ أبي طاهر السلفي نادرة تصلح أن نذكرها هاهنا وهي أن أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الجمش البليسي كان في مجلسه ، وعبد العزيز الشريشي يقرأ حديث عمرو بن العاص : خلقت الدنيا على صورة طير ... الحديث المذكور ؛ فقال الشريشي لأبي إسحاق يمازحه : اسمع يا أبا إسحاق ، وشره ما في الطير ذنبه ، فقال أبو إسحاق : هيات ما عرفت أنت ما كان ذلك الطائر المشبه ؟ كان طاووساً ، وما فيه أحسن من ذنبه .

وكانت اليونان لا ترى فناء الأمم بالحروب لما ترى فيه من الإضرار والاشتغال

١ ر بر من : ثم نكمل حديث .

٢ هذه القصة لم ترد في النسخ : لي بر من والمطبوعة المصرية ودي سلان .

عن العلوم التي كان أمرها عندهم من أهم الأمور ، فذلك انحازوا من بين يدي
 الفرس إلى الأندلس . فلما صاروا إليها أقبلوا على عمارتها ، فشقوا الأنهار وبنوا
 المعامل ، وغرَسوا الجنات والكروم ، وشيدوا الأمصار ، وملئوها حراثاً
 ونسلاً وبنيناً ، فعظمت وطابت حتى قال قائمهم لما رأى بهجتها : إن الطائر
 الذي صورت العماره على شكله ، وكان المغرب ذنبه ، كان طاوساً معظم جماله
 في ذنبه . فاغتبطوا بها أتم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة^٢
 طليطلة لأنها وسط البلاد ، وكان أهم الأمور عندهم تحصينها عن يتصل به
 خبرها من الأمم ، فنظروا فإذا ليس ثم من يحسددهم على أرغد العيش إلا
 أرباب الشظف والشقاء ، وهم يوم ذلك طائفتان : العرب والبربر^٣ ،
 فخافوهم على جزيرتهم المعمورة ، فعزموا أن يتخذوا لدفع هذين الجنسين من
 الناس طليطلاً ، فرصدوا لذلك أرصاداً .

ولما كان البربر بالقرب منهم ، وليس بينهم سوى تعدي البحر ، ويرد عليهم
 منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الأوضاع ، ازدادوا منهم نفوراً ،
 وكثر تحذيرهم من مخالطتهم في نسب أو مجاورة ، حتى انبث ذلك في طبائعهم ،
 وصار بغضهم مركباً في غرائزهم ، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس لهم
 وبغضهم ، أبغضوهم وحسدوهم ، فلا تجد أندلسياً إلا مبغضاً بربرياً ولا بربرياً
 إلا مبغضاً أندلسياً ، إلا أن البربر أحوج إلى أهل الأندلس من أهل الأندلس
 إلى البربر ، لكثرة وجود الأشياء بالأندلس وعدمها ببلاد البربر .

وكان بنواحي غرب جزيرة الأندلس ملك يوناني يجزيرة يقال لها قادس ،
 وكانت له ابنة في غاية الجمال ، فتسامع بها ملوك الأندلس ، وكانت جزيرة
 الأندلس كثيرة الملوك ، لكل بلدة أو بلدتين ملك تناصفاً منهم في ذلك ،
 فخطبها كل واحد منهم ، وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم وإسقاطه

١ ق : وعرشوا .

٢ مدينة : سقطت من ص ن ق .

٣ ق : البربر والعرب .

٤ وقع هنا خرم في النسخة (لي) ضاعت به عدة أوراق ؛ وفي ص ر بر من : كل منهم .

٥ ص : أن يسخط ؛ ن ق : اسخطاً .

الباقيين ، فتحير في أمره ، وأحضر ابنته المذكورة ، وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم وإناثهم^١ - ولذلك قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض : على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين وألسنة العرب - فلما حضرت بين يديه قال لها : يا بنية ، إني قد أصبحت في حيرة من أمري ، قالت : وما حيرك ؟ قال : قد خطبك جميع ملوك الأندلس ، ومتى أرضيت واحداً أسخطت الباقيين ، فقالت : اجعل الأمر إلي تخلص من اللوم ، قال : وما تصنعين ؟ قالت : أقترح لنفسي أمراً من فعله كنت زوجته ، ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال : وما الذي تقترحين ؟ قالت : أقترح أن يكون ملكاً حكيماً ، قال : نعم ما اخترته^٢ لنفسك ، وكتب في أجوبة الملوك الخطاب : إني جعلت الأمر إليها فاختارت من الأزواج الملك الحكيم . فلما وقفوا على الأجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيماً .

وكان في الملوك رجلان حكيان ، فكتب كل واحد منهما إليه : أنا الرجل الحكيم . فلما وقف على كتابيها قال : يا بنية بقي الأمر على إشكالي ، وهذان ملكان حكيان ، أيهما أرضيته أسخطت الآخر ، قالت : سأقترح على كل واحد منهما أمراً يأتي به ، فأيهما سبق إلى الفراغ مما التمسته تزوجت به ، قال : وما الذي تقترحين عليهما ؟ قالت : إننا ساكنون بهذه الجزيرة ، ونحن محتاجون إلى رحى تدور بها ، وإني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البر ، ومقترحة على الآخر أن يتخذ طليماً يحصن^٣ به جزيرة الأندلس من البربر ، فاستظرف أبوها اقتراحها ، وكتب إلى الملكين بما قالته ابنته ، فأجابا إلى ذلك ، وتقاسما على ما اختارا ، وشرع كل واحد في عمل ما ندب^٤ إليه من ذلك .

فأما صاحب الرchy فإنه عمد إلى خرز عظام اتخذها من الحجارة ، ونضد

١ ن ق : ذكرهم وإناثهم .

٢ ر : اقترحتيه .

٣ ر : تحصن ؛ ق ؛ لتحصين .

٤ ندب : سقطت من : ق ص ن ؛ النفع : أسند .

بعضها في بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبّنة ، وسدّ الفروج التي بين الحجارة بما اقتضته حكمته ، وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة ، وآثارها باقية إلى اليوم في الزقاق الذي بين سبّنة والجزيرة الخضراء ، وأكثر أهل الأندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الإسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبّنة إلى الجزيرة ، والله أعلم أي القولين أصح . فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم ، جلب إليها الماء العذب من موضع عالٍ في الجبل بالبر الكبير ، وسلطه في ساقية محكمة البناء ، وبني بجزيرة الأندلس رحى على هذه الساقية .

وأما صاحب الطلسم فإنه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله ، غير أنه أعمل أمره وأحكمه ، وابتنى بنياناً مربعاً من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت ، فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صورّ من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربري له لحية ، وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم في رأسه لجمودتها، متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى ، بالطف^١ تصوير وأحكمه ، في رجليه نعل ، وهو قائم في رأس البناء على مستدق^٢ بمقدار رجليه فقط ، وهو شاهق في الهواء طوله نيف عن ستين ذراعاً أو سبعين ، وهو محدد الأعلى إلى أن ينتهي إلى ما سفته قدر الذراع ، وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضاً عليه مشيراً إلى البحر كأنه يقول : لا عبور . وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم ير قط ساكناً ولا كانت تجري فيه قط سفينة بربري^٣ حتى سقط المفتاح من يده . وكان الملكان العاملان للرحى والطلسم يتسابقان إلى التمام من عملها إذ كان بالسبق يستحق التزويج ، وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل عمل الطلسم ، وكان يود عمل الطلسم حتى

١ ن ق بر من : بأرطب .

٢ ص : مسترق ؛ ر : مستند .

٣ ق ص : بربري .

يحظى بالمرأة والرحى والطلسم ، فلما علم اليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وأدار الرحى ، واشتهر ذلك واتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه ، وكان الطلسم مذهباً ، فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتاً ، وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم .

وكان مَنْ تقدم مِنْ ملوك اليونان يخشى على جزيرة الأندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره ، فاتفقوا وعملوا الطلسمات^١ في أوقات اختاروا أرسادها ، وأودعوا تلك الطلسمات تابوتاً من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة ، وركبوا على ذلك البيت باباً وأقفلوه ، وتقدموا إلى كل مَنْ ملك منهم بعد صاحبه أن يلقي على ذلك الباب قفلاً ، تأكيداً لحفظ ذلك البيت ، فاستمر أمرهم على ذلك .

ولما كان^٢ وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس ، وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة ، وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم ، فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته : قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلاً شيء ، وأريد أن أفتحه لأنظر ما فيه ، فإنه لم يعمل عبثاً ، فقالوا : أيها الملك ، صدقت لم يعمل عبثاً ولا أقفل سدى ، بل المصلحة أن تلقي عليه قفلاً كما فعل مَنْ تقدمك من الملوك ، وكانوا آباءك وأجدادك ولم يملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم ، فقال : إن نفسي تنازعني إلى فتحه ، ولا بد لي منه ، فقالوا : إن كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره ، ولا تحدث علينا بفتحه حدثاً لا نعرف عاقبته ، فأصر على ذلك ، وكان رجلاً مهيباً فلم يقدروا على مراجعته ، وأمر بفتح الأقفال ، وكان على كل قفل مفتاحه معلقاً ، فلما فتح الباب لم ير في البيت شيئاً إلا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكحلة بالجواهر ، وعليها مكتوب^٣ :

١ ن ص ق بر من : طلسمات .

٢ ر : حان . ٣ ن ق : مكتوب عليها .

هذه مائدة سليمان بن داود عليها السلام ، ورأى في البيت ذلك التابوت ، وعليه قفل ومفتاحه معلق ، ففتحه فلم يجد فيه سوى رَق ، وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب ، وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ، ومن تحتهم الخيل العربية ، وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدون بالسيوف^١ المحلاة ، معتقلون بالرماح^٢ ، فأمر بنشر ذلك الرَق ، فإذا فيه : متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقلدان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت إلى جزيرة الأندلس ، وذهب ملك اليونان من أيديهم ، ودرست حكمتهم ، فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره ؛ فلما سمع لذريق ما في الرق ندم على ما فعل ، وتحقق انقراض دولتهم ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى سمع أن جيشاً وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الأندلس ؛ انتهى الكلام على بيت الحكمة .

ونعود الآن إلى تمة حديث لذريق وجيش طارق بن زياد :

فلما رأى طارق لذريق قال لأصحابه : هذا طاغية القوم ، فحمل وحمل أصحابه معه ، ففرقت المقاتلة من بين يدي لذريق ، فخلص إليه طارق ، وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريرته ، فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين ، ولم تقف هزيمة اليونان على موضع ، بل كانوا يسلمون بلدأ بلدأ ومقلداً مقلداً .

فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولاً عبر الجزيرة بمن معه ، ولحق بمولاه طارق ، فقال له : يا طارق ، إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك جزيرة الأندلس ، فاستبجه هنيئاً مريئاً ، فقال طارق : أيها الأمير ، والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسي ، يعني البحر الشمالي الذي تحت بنات نعش ، فلم يزل طارق

١ ن ص : متقلدو السيوف ؛ بر من : متقلدون السيوف .

٢ ر ص ن : معتقلو الرماح ؛ بر من : معتقلون الرماح .

يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية ، وهي على ساحل البحر المحيط ، ثم رجع .

قال الحميدي في « جذوة المقتبس » : إن موسى بن نصير نقم على طارق إذ غزا بغير إذنه ، وسجنه وهمّ بقتله ، ثم ورد عليه كتاب الوليد بإطلاقه فأطلقه ، وخرج معه إلى الشام . وكان خروج موسى من الأندلس وافداً على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه وتعالى على يديه وما معه من الأموال في سنة أربع وتسعين للهجرة ، وكان معه مائدة سليمان بن داود عليها السلام التي وجدت في طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين ، فقال : كانت مصنوعة من الذهب والفضة ، وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكانت عظيمة بحيث إنها حملت على بغل قوي فما سار قليلاً حتى تفسخت قوائمه ، وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان ، وكلها مكللة بالجواهر ، واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق .

ويقال إن الوليد كان قد نقم عليه أمراً ، فلما وصل إليه وهو بدمشق أقامه في الشمس يوماً كاملاً في يوم صائف حتى خر مغشياً عليه . وقد أطلنا هذه الترجمة كثيراً لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه ، مع أني تركت الأكثر وأتيت بالمقصود .

وقال الليث بن سعد : إن موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى الوليد ابن عبد الملك ، إنها ليست الفتوح ولكنها الجنة .

ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه ، وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة - وقيل سنة تسع وتسعين - حج معه موسى بن نصير ، ومات في الطريق بوادي القرى ، وقيل بمر الظهران ، على اختلاف فيه . وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة تسع عشرة للهجرة ، رحمه الله تعالى .

الملك الأشرف موسى الأيوبي

أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، الملقب بالملك الأشرف مظفر الدين ؛ أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها ، سيره إليها والده من الديار المصرية في سنة ثمان وتسعين وخمسة ، ثم أضيفت إليه حران . وكان محبوباً إلى الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب من يومه ، لقي نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل - المذكور في حرف الهزمة - وكان يوم ذلك من الملوك المشاهير الكبار ، وتواقعا في مصاف فكسره ، وذلك في سنة ستائة يوم السبت تاسع عشر شوال بموضع يقال له بين النهرين من أعمال الموصل وهي وقعة مشهورة فلا حاجة إلى تفصيلها ؛ ولما توفي أخوه الملك الأوحى نجم الدين أيوب صاحب خلط وميفارقين وتلك النواحي ، أخذ الملك الأشرف مملكته مضافة إلى ملكه ، وتوفي الملك الأوحى في شهر ربيع الأول سنة تسع وستائة وكانت وفاته ببلاز كرد من أعمال خلط ودفن بها ، وكان الملك الأوحى قد ملك خلط في سنة أربع وستائة .

فاتسعت حينئذ مملكته وبسط العدل على الناس وأحسن إليهم إحساناً لم يمهده من كان قبله ، وعظم وقعه في قلوب الناس ، وبعد صيته ، وكان قد ملك نصيبين الشرق في سنة سب وستائة ، وأخذ سنجان سنة سبع عشرة في رابع جمادى الأولى ، ورأيت في موضع آخر أنه أخذها في مستهل صفر من السنة ، والله أعلم ، وكذلك الحابور ، وملك معظم بلاد الجزيرة ، وكان يتنقل

٧٤٩ - أخباره في مفرج الكروب (ج : ٣) وذيل الروضتين : ١٦٥ والسلوك ١ : ٢٥٦ والحوادث

الجامعة : ١٠٥ ومرآة الزمان : ٧١١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٠٠ وعبر الذهبي ٥ : ١٤٦

والشذرات ٥ : ١٧٥ والزرکشي ٣ ، الورقة : ٢٣٦ ؛ وقد انفردت النسخ من ن ر ق

بزيادات في عدة مواضع من هذه الترجمة لم ترد في المطبوعة المصرية .

١ ن : فإنه أخذها وملك....

فيها ، وأكثر إقامته بالرقعة لكونها على الفرات .

ولما مات ابن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب - في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الغين - عزم عز الدين كيكافوس بن غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب الروم على قصد حلب فسير أرباب الأمر بحلب إلى الملك الأشرف وسأله الوصول إليهم لحفظ البلد ، فأجابهم إلى سؤالهم وتوجه إليهم وأقام بالباروقية بظاهر حلب مدة ثلاث سنين ، وجرت له مع صاحب الروم وابن عمه الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سُمَيْسَاط وقائع مشهورة لا حاجة إلى الإطالة في شرحها .

ولما أخذت الفرنج دمياط في سنة ست عشرة وستائة - حسبما شرحناه في ترجمة الملك الكامل - توجهت جماعة من ملوك الشام إلى الديار المصرية ، لإنجاد الملك الكامل ، وتأخر عنه الملك الأشرف لمناقرة كانت بينها ، فجاءه أخوه الملك المعظم - المقدم ذكره في حرف العين - بنفسه ، وأرضاه ، ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه ، فصادف عقيب وصوله إليها بأشهر - كما ذكرناه في ترجمة الكامل محمد - انتصار المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم ، وكانوا يرون ذلك بسبب يُمنِ غرته . وكان وصوله إليها في المحرم سنة ثمانين عشرة وستائة ، واستناب أخاه الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل في خلاط ، فعصى عليه ، فقصدته في عساكره وأخذها منه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وستائة .

ولما مات الملك المعظم - في التاريخ المذكور في ترجمته - قام بالأمر من بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود ، فقصدته عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه ، فاستنجد بعمه الملك الأشرف ، وكان يومئذ ببلاد الشرق ، فوصل إليه ، واجتمع به في دمشق ، ثم خرج منها متوجهاً إلى أخيه الملك الكامل ، واجتمع به وجرى الاتفاق بينها على أخذ دمشق من الملك الناصر وتسليمها إلى الملك الأشرف ، ويبقى للملك الناصر الكرك والشوبك وناپلس وبيسان وتلك النواحي ، وينزل الملك الأشرف عن حران والرها وسروج والرقعة ورأس عين ، ويسلمها إلى الملك الكامل ، فاستتب الحال على ذلك .

وتسلم الملك الكامل دمشق لاستقبال شعبان من السنة بنوابه ، ورحل الناصر إلى بلاده التي بقيت عليه يوم الجمعة ثاني عشر شعبان ، ثم دخل الملك الكامل إلى دمشق في سادس عشر الشهر المذكور وعاد وخرج إلى مكانه الذي كان فيه ، ثم دخل هو والأشرف إلى القلعة في ثامن عشر شعبان ثم سلمها إلى أخيه الملك الأشرف على ما تقرر بينها ، في أواخر شعبان من سنة ست وعشرين وستائة ، وانتقل الملك الكامل إلى بلاده التي تسلمها بالشرق ، ليكشف أحوالها ويرتب أمورها ، واجتزت في التاريخ المذكور بحرّان وهو بها .

وانتقل الأشرف إلى دمشق واتخذها دار إقامة وأعرض عن بقية البلاد ، ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خِلاط وحاصرها وضايقها أشد مضايقة ، وأخذها في جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين من نواب الملك الأشرف ، وهو مقيم بدمشق ، ولم يمكنه في ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لأعدار كانت له . ثم عقيب ذلك دخل إلى بلاد الروم باتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقيباذ أخي عز الدين كيكاوس المذكور ، وتعاقداً على قصد خوارزم شاه ، وضرب المصاف معه ، فإن صاحب الروم أيضاً كان يخاف على بلاده منه لكونه مجاوره ، فتوجها نحوه في جيش عظيم من جهة الشام والشرق في خدمة الملك الأشرف ، وعسكر صاحب الروم ، والتقوا بين خِلاط وأرزنكان ، بموضع يقال له : يا للرحمان^٢ في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستائة ، وانكسر خوارزم شاه ، وهي واقعة مشهورة ، وعادت خِلاط إلى الملك الأشرف وقد خربت .

ثم رجع إلى الشام وتوجه إلى الديار المصرية ، وأقام عند أخيه الملك الكامل مدة ، ثم خرج في خدمته قاصدين آمد ، ونزلوا عليها وفتحوها في مدة يسيرة وذلك في سنة تسع وعشرين وستائة ، وأضافها الملك الكامل إلى ممالكه ببلاد الشرق ، ورتب فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب - المذكور في ترجمة

١ ر ير من : وتظافرا ؛ (والصواب : وتضافرا أو وتظاهرا) .

٢ ر : يا سي جمان ؛ دي-سلان : بني جمان ، وأشار إلى اضطراب النسخ في الاسم ، وسقط الاسم من نسختي بر من .

والده - وفي خدمته الطواشي شمس الدين صواب الخادم العادلي ، ثم عاد كل واحد إلى بلاده .

ثم كانت واقعة ببلاد الروم والدريندات في أواخر سنة إحدى وثلاثين وستائة وهي مشهورة ، ورجع الكامل والأشرف ومن معها من الملوك بغير حصول مقصود ، ولما رجعا خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق فأخذها وأخربها ، ثم عاد الكامل والأشرف وأتباعها ومن معها من الملوك إلى بلاد الشرق ، واستنقذوها من نواب صاحب الروم . ثم رجعوا إلى دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وكنت يومئذ بدمشق ، وفي تلك الوقعة رأيت الكامل والأشرف ، وكانا يركبان معاً ويلعبان بالكرة في الميدان الأخضر الكبير كل يوم ، وكان شهر رمضان ، فكانا يقصدان بذلك تعبير النهار لأجل الصوم ؛ ولقد كنت أرى من تأدب كل واحد منها مع الآخر شيئاً كثيراً ، ثم وقعت بينها وحشة ، وخرج الأشرف عن طاعة الكامل ، ووافقته الملوك بأسرها ، وتعاهد هو وصاحب الروم وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص وأصحاب الشرق ، على الخروج على الملك الكامل ، ولم يبق مع الملك الكامل سوى ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك ، فإنه توجه إلى خدمته بالديار المصرية ، فلما تحالفوا وتحزبوا وانفقوا وعزموا على الخروج على الملك الكامل ، مرض الملك الأشرف مرضاً شديداً ، وتوفي يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن بقلعتها ثم نقل إلى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي من جامع دمشق . وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسة بالديار المصرية بالقاهرة ، وقيل بقلعة الكرك ، رحمه الله تعالى . وقد ذكرت في ترجمة أخيه الملك المعظم عيسى ما ذكره سبط ابن الجوزي في مولدهما ؛ وتوفي أخوه شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين في رجب سنة خمس وأربعين وستائة بميفارقين .

هذه خلاصة أحواله ؛ وكان سلطاناً كريماً حليماً واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء ، لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع اتساع مملكته ، ولا تزال

عليه الديون للتجار وغيرهم . ولقد رأى يوماً في دواة كاتبه وشاعره الكمال أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن النبيه المصري قلماً واحداً ، فأنكر عليه ذلك ، فأنشده في الحال دوبيت :

قال الملك الأشرف قولاً رشداً أقلامك يا كمال قلت عددا
جاوبت لعظم كتّاب ما تطلقه تحفى فتقطّ في تقي أبدا

ويقال إنه طرب ليلة في مجلس أنسه على بعض الملاهي ، فقال لصاحب الملهى : تمن علي ، فقال : تمتد مدينة خِلاط ، فأعطاها له ، وكان نائبه بها الأمين حسام الدين المعروف بالحاجب علي بن حماد الموصلي ، فتوجه ذلك الشخص إليه ليتسلمها منه ، فعوضه الحاجب عنها جملة كثيرة من المال وصالحه عنها ، وكان له في ذلك غرائب .

وكان يميل إلى أهل الخير والصلاح ويحسن الاعتقاد فيهم ، وبنى بدمشق دار حديث ، فوض تدريسها إلى الشيخ تقي الدين عثمان المعروف بابن الصلاح ، المقدم ذكره .

وكان بالعقبة ظاهر دمشق خان يعرف بابن الزنجاري ، قد جمع أنواع أسباب الملاذ ، ويحري فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف ، فقيل له عنه : إن مثل هذا لا يليق أن يكون في بلاد المسلمين ، فهدمه وعمره جامعاً غرم عليه جملة مستكثرة ، وسماه الناس « جامع التوبة » كأنه تاب إلى الله تعالى وأتاب بما كان فيه . وجرت في خطابته نكتة لطيفة ، أحببت ذكرها ، وهي : أنه كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد ، إمام يعرف بالجمال السبتي ، أعرفه شيخاً حسناً ، ويقال كان في صباه يلعب بشيء من الملاهي ، وهي التي تسمى الجفانة ، ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح ، حتى صار معدوداً في الأخيار ، فلما احتاج الجامع المذكور إلى خطيب ذكر للملك الأشرف جماعة ، وشكر الجمال المذكور ، فتولى خطابته ، فلما توفى تولى موضعه العماد الواسطي الواعظ ، وكان يتهم باستعمال الشراب ، وكان صاحب دمشق يومئذ الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل بن أيوب ، فكتب إليه الجمال عبد

الرحيم المعروف بابن زويتينة الرحبي أبياتا ، وهي :

يا مليكاً أوضح الحق لدينا وأبانه
جامع التوبة قد قلدي منه أمانه
قال قل للملك الصالح أعلى الله شأنه
يا عماد الدين يا من حمد الناس زمانه
كم إلى كم أنا في ضر وبؤس وإهانته ؟
لي خطيب واسطي* يعشق الشرب ديانته
والذي قد كان من قبل يغني يجفانته
فكما نحن فما زلنا وما نبرح حانته
رُدِّيْ لِلنَّمَطِ الْأَوَّلِ واستبق ضمانته

وهذه الأبيات في بابها في غاية الظرف ، وكان ابن الزويتينة المذكور قد

١ كتب في النسخة ق في ورقة صغيرة ملحقة ما يلي : « ثم لم يزل الجامع المذكور على ذلك الحال إلى أن تولى مولانا السلطان الملك المؤيد شيخ نصره الله تعالى ، والجامع المذكور كأنه يقول بلسان الحال : ألا هل من مبلغ قصتي إلى المقام الشريف لعله ينظر في أمري ، ثم كتبت قصته وأرسل بها من الشام المحروس إلى القاهرة المحروسة وفيها ما صورته :

يا مليكاً هو فعل	أطلق الله عنانه
جامع التوبة كم ذا	يشتكي فينا هو انه
ان صلاح الدين ولي	فبكم نرجو الاعانه
قال بالله اذكروني	فزمانى في زمانه
واشرحوا حالي لشيخ	عظم الرحمن شأنه
فهو سلطان سعيد	وله عندي مكانه
يرى لي بخطيب	وإمام ذي صيانه
مثلما عمر غيري	ليتي كنت الخزانه
فارحموني يا لقومني	ضاع في الناس الامانه
في قوم قد أقاموا	للمعاصي طبلخاناه
نقضوا التوبة مني	واستباحوا للخيانه

وصل إلى الديار المصرية في رسالة من عند صاحب حمص ، وأنشدني هذه الأبيات
 وحكى السبب الحامل عليها ، وذلك في بعض شهور سنة سبع وأربعين وستائة .
 ومدح الملك الأشرف أعيان شعراء عصره ، وخلصوا مدائحهم في
 دواوينهم ففهمهم :

شرف الدين محمد بن عُنَيْن - وقد سبق ذكره .

والبهاء أسعد السنجاري - وقد سبق ذكره أيضاً .

والشرف راجح الحلي وقد ذكرته في ترجمة الملك الظاهر .

(277) والكمال ابن النبي المذكور وكانت وفاته سنة تسع عشرة وستائة ،
 بمدينة نصيبين الشرق ، وعمره تقديراً مقدار ستين سنة^١ ، كذا أخبرني صهره
 بالقاهرة .

(278) والمهذب^٢ محمد بن أبي الحسين^٣ بن يمن بن علي بن أحمد بن محمد بن عثمان
 ابن عبد الحميد الأنصاري ، المعروف بابن الأردخل الموصلية الشاعر المشهور ،
 ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل ، وتوفي في شهر رمضان ، سنة ثمان
 وعشرين وستائة بميفارقين ، رحمه الله تعالى .
 وغير هؤلاء خلق كثير ، والله أعلم بالصواب .

= يشتموا أو ييلعوا أو
 مع فلان أو فلانة
 فانتفروا ذقن خطيبي
 نتف كس بلبانه
 واصفغوا ظهر إمامي
 بالبراطيش المهانه
 فعل هذا وهذا
 لعنة الله كمانه

تمت ١٥ بيتاً .

١ هنا تنتهي الترجمة في ر .

٢ ص : صهره بالقاهرة أبو المهذب... الخ .

٣ ص ق : الحسن .

موسى بن عبد الملك الأصبهاني

أبو عمران^١ موسى بن عبد الملك [بن هشام]^٢ الأصبهاني صاحب ديوان الخراج ؛ كان من جلة الرؤساء ، وفضلاء الكتاب وأعيانهم ، تنقل في الخدم في أيام جماعة من الخلفاء . وكان إليه ديوان^٣ السواد وغيره في أيام المتوكل ، وكان مترسلاً ، وله ديوان رسائل . وقد سبق طرف من خبره مع أبي العيْناء في ترجمته ، وما دار بينها من المحاوراة في قضية نجاح بن سلمة^٤ . وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله :

لما وردنا القادسية حيث مُجْتَمَعُ الرفاقِ
وشممت من أرض الحجا ز نسيم أنفاسِ العراقِ
أيقنت لي ولمن أحبُّ يجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق لي إلا تجشُّمُ هذه السبع الطباق
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

[يروى : لما وردنا الثعلبية ، وكتاتهما من منازل الحاج على طريق العراق ، والثعلبية منسوبة إلى ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، قاله ابن الكلبي في « جمهرة النسب »]^٥ .

١ ر : أبو عمران والحسين .

٢ زيادة من ر .

٣ ر : اليه النهاية في ديوان .

٤ انظر ج ٤ : ٣٤٦ .

٥ زيادة من ر وهامش ن .

ولهذه الأبيات حكاية مستطرفة أحببت ذكرها ها هنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدي ، في كتاب « جذوة المقتبس »^١ ، وغيره من أرباب تواريخ المغاربة ، وهي أن أبا علي الحسن بن الأشكري^٢ المصري قال : كنت رجلاً من جلاس الأمير تميم بن أبي تميم ، ومن يخف عليه جداً - وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور في حرف التاء - قال : فأرسلني إلى بغداد ، فابتعت له جارية رائقة فائقة الغناء ، فلما وصلت إليه دعا جلساءه ، قال : وكنت فيهم ، ثم مدت الستارة ، وأمرها بالغناء فغنت :

وبدأ له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرا متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً إليه وصدّه^٣ سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

وهذه الأبيات ذكرها صاحب « الأغاني »^٤ للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسيني ، قال ابن الأشكري : فأحسنت الجارية ما شئت ، فطرب الأمير تميم ومن حضر ، ثم غنت :

سَيْسَلِيكَ عَمَافَاتِ دَوْلَةِ مَفْضِيلٍ أَوَائِلِهِ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرِهِ
ثَنَى اللَّهِ عَطْفِيهِ وَأَلَّفَ شَخْصَهُ عَلَى الْبِرِّ مَذْشَدَتْ عَلَيْهِ مَا أَرَزَهُ
قال : فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً ، قال : ثم غنت :

أَسْتُودِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادِ لِي قَمَرًا بِالكَرْنِخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ

وهذا البيت لمحمد بن زريق الكاتب البغدادي ، من جملة قصيدة طويلة .

١ جذوة المقتبس : ٦٦ - ٦٨ وانظر المطرب : ٦٢ .

٢ ر : الاسكبري ، حيثما ورد .

٣ ر : ورده ، وكذلك في الأغاني .

٤ الأغاني ١٦ : ٢٨٣ .

قال الراوي : فاشتد طرب الأمير تميم وأفرط جداً ، ثم قال لها : تمنني ما شئت ، فقالت ، أتمنى عافية الأمير وسلامته ، فقال : والله لا بد أن تتمني ، فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى ؟ قال ، نعم ، فقالت : أتمنى أن أغني بهذه النوبة ببغداد ، قال : فانتقع لون الأمير تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس ، وقام وقمنا .

قال ابن الأشكري : فلقيني بعض خدمه وقال لي : ارجع فالأمير يدعوك ، فوجدته جالساً ينتظرنى ، فسلمت وقمت بين يديه ، فقال لي : ويحك ، رأيت ما امتحنا به ؟ فقلت : نعم أيها الأمير ، فقال : لا بد من الوفاء لها ، ولا أتق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحملها إلى بغداد ، فإذا غنت هناك فاصرفها ، فقلت : سمعاً وطاعة .

قال : ثم قمت فتأهبت ، وأمرها بالتأهب ، وأصحابها جارية سوداء له تعادها وتخدمها ، وأمر بناقة ومحمل ، فأدخلت فيه ، وجعلتها معي ، وصرت إلى مكة مع القافلة وقضينا حَجَّتْنَا ، ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا ، فلما وردنا القادسية أتتني السوداء ، وقالت لي : تقول لك سيدتي : أين نحن ؟ فقلت لها : نزول بالقادسية ، فانصرفت إليها وأخبرتَها ، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالفناء ، وغنت الأبيات المذكورة ، قال : فتصايح الناس من أقطار القافلة : أعيدي بالله أعيدي قال : فما سمع لها كلمة . قال : ثم نزلنا الياسرية ، وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساطين متصلة ، ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد . فلما كان وقت الصباح وإذا بالسوداء قد أتتني مدعورة ، فقلت : مالك ؟ قالت : إن سيدتي ليست بحاضرة ، فقلت : ويلك ، وأين هي ؟ قالت : والله ما أدري ، قال : فلم أحس لها أثراً بعد ذلك ، ودخلت بغداد وقضيت حوائجي منها ، وانصرفت إلى الأمير تميم فأخبرته خبرها ، فعظّم ذلك عليه واغتم له غمّاً شديداً ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكرها لها واجماً عليها .

والقادسية : بفتح القاف وبعد الألف دال مهملة مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة ، وهي قرية فوق الكوفة ،

وعندها كانت الوقعة المشهورة في زمن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .
والياسرية : بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة مكسورة
وراء مكسورة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد
ذكرنا أين هي ، فلا حاجة إلى الإعادة .

وحكى إسحاق بن إبراهيم أخو زيد بن إبراهيم أنه كان يتقلد بلاد السّيروان
نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور ، فاجتاز به إبراهيم بن العباس الصولي ،
- الشاعر المقدم ذكره - وهو يريد خراسان ، والمأمون يوم ذاك بها ، وقد بايع
بالمهد علي بن موسى الرضا ، وهي قضية مشهورة ، وقد امتدحه إبراهيم المذكور
بقصيدة ذكر فيها آل علي ، وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم . قال إسحاق بن
إبراهيم المذكور : فاستحسن القصيدة وسألت إبراهيم بن العباس أن ينسخها
ففعل ، ووهبته ألف درهم وحملته على دابة ، وتوجه إلى خراسان . ثم تراخت
الأيام إلى زمن المتوكل ، فتولى إبراهيم المذكور موضع موسى بن عبد الملك
المذكور ، وكان يجب أن يكشف أسباب موسى ، فعزلي وأمر أن تعمل مؤامرة^١ ،
فعملت وحضرتُ للمناظرة عنها ، فجعلتُ أحتج بما لا يُدْفَع فلا يقبله ،
ونحتمُ إلى الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم ، ويُسمِعني في خلال ذلك غليظ
الكلام ، إلى أن أوجب الكتاب اليمين على باب من الأبواب فحلقت ، فقال :
ليست بين السلطان عندك مينا لأنك رافضي ، فقلت له : تأذن لي في الدنو منك؟
فأذن لي ، فقلت له : ليس لي مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر ، وهذا المتوكل إن
كُتبت إليه بما أسمع منكم لم آمنه على نفسي ، وقد احتملت كل ما جرى سوى
الرفض . والرافضي مَنْ زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس ، وأن
ولده أحق من ولد العباس بالخلافة . قال : ومن هو ذاك؟ قلت : أنت ،
وخطُّك عندي به . فأخبرته بالشعر الذي عمله في المأمون وذكر فيه علي بن
موسى ، فوالله ما هو إلا أن قلت له ذلك حتى سَقَطَ في يده ، ثم قال لي :

١ قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم : ٣٨ « المؤامرة عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام
الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ، وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع
ما يحتاج إليه من استثمار واستدعاء توقيع » .

أحضر الدفتر الذي بخطي ، فقلت له : هيهات ، لا والله أو توثقَ لي بما أسكن إليه أنك لا تطالني بشيء مما جرى على يدي ، وتحرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب ، فحلف لي على ذلك بما سكنت إليه وخرق العمل المعمول ، فأحضرت له الدفتر فوضعه في خفّته ، وانصرفت وقد زالت عني المطالبة . ولموسى المذكور أخبار كثيرة أضربت عن ذكرها طلباً للاختصار . وتوفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والسّيرَوانُ : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء والواو وبعد الألف نون ، وهي كورة ماسبذان من أعمال الجبل .
وماسبذان : بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة والجميع مفتوح وبعد الألف نون ، وهي قرية كان يسكنها المهدي بن المنصور أبي جعفر ، والد هارون الرشيد ، وبها توفي ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة الشاعر - المقدم ذكره :

وأكرم قبر بعد قبر محمد نبي الهدى قبرٌ بماسبذان
عجبت لأيند هالت الترب فوقه ضحى كيف لم ترجع بغير بنان

والسيروان : اسم لأربعة مواضع هذا أحدها .
وبلاد الجبل عبارة عن عراق المعجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان ، وبلاد المشهورة : أصبهان وهمدان والري وزنجان .

أبو منصور الجواليقي

أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الحضر ، الجواليقي البغدادي الأديب اللغوي ؛ كان إماماً في فنون الأدب ، وهو من مفاخر بغداد قرأ الأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي - الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - ولازمه وتلمذ له حتى برع في فنه .

وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط ، صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه ، مثل « شرح أدب الكاتب » و « العرب » ولم يعمل في جنسه أكبر منه و تمة « درة الغواص » تأليف الحريري صاحب المقامات سماه « التكملة فيما يلحن فيه العامة » إلى غير ذلك ، وكان يختار في بعض مسائل النحو مذاهب غريبة . وكان في اللغة أمثل منه في النحو ، وخطه مرغوب فيه ، يتنافس الناس في تحصيله والمغلاة فيه^١ .

وكان إماماً للإمام المقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس ، وألف له كتاباً لطيفاً في علم العروض ، وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - واقعة عنده ، وهي أنه لما حضر إليه للصلاة به ودخل عليه أول دخلة فما زاده على أن قال : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى ، فقال ابن التلميذ ، وكان حاضراً قائماً بين يدي المقتفي ، وله إيدال الخدمة والصحبة : ما هكذا يسلم^٢ على أمير المؤمنين

٧٥١ - ترجمته في ذيل ابن رجب ١ : ٢٠٤ وعبر النهجي ٤ : ١١٠ وانباه الرواة ٣ : ٣٣٥ (وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

١ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : رأيت بخزانة كتب والذي قدس الله روحه ، ملكاً له ، عشرة كتب بخط المذكور منها الكامل للمبرد في جزء واحد ومنها الحماسة والخطب النباتية وغير ذلك » .

٢ المختار : ما هكذا السلام .

يا شيخ ؟ فلم يلتفت ابن الجواليقي إليه ، وقال للمقتفي : يا أمير المؤمنين ، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى له خبراً في صورة السلام ثم قال : يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لأن الله تعالى ختم على قلوبهم ، ولن يفك ختم الله إلا بالإيمان ، فقال له : صدقت وأحسنتم فيما فعلتم ، وكأنما ألجم ابن التلميذ بمجرد مع فضله وغازاة أدبه .

وسمع ابن الجواليقي من شيوخ زمانه وأكثر ، أخذ الناس عنه علماً جماً ، وينسب إليه من الشعر شيء قليل ، فمن ذلك ما رأيت منسوباً إليه في بعض المجاميع ولم أتحققه له ، وهو :

ورد الورى سلسالَ جودك فارتووا ووقفتُ خلف الورد وقفة حاتم
حيران أطلب غفلة من وارد والورد لا يزداد غير تراحم

ثم وجدت هذين البيتين لابن الحشاش من جملة أبيات .
وحكى ولده أبو محمد إسماعيل ، وكان أنجب أولاده ، قال : كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر ، والناس يقرؤون عليه ، فوقف عليه شابٌ وقال : يا سيدي ، قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما ، وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما ، فقال : قل ، فأنشده :

وَصَلِّ الحبيبَ جِنانُ الخلد أسكنها وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة إن لم يزرني ، وبالجزء إن زارا

قال إسماعيل : فلما سمعها والذي قال : يا بني ، هذا شيء من معرفة علم النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب ، فانصرف الشاب من غير حصول فائدة ، واستحيا والذي من أن يُسأل عن شيء ليس عنده منه علم ، وقام ، وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقاته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر ، فنظر في ذلك وحصل معرفته ، ثم جلس .

ومعنى البيت المستول عنه أن الشمس إذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول ، لأنه يكون آخر فصل الحريف ، وإذا كانت في آخر الجزء

كان الليل في غاية القصر ، لأنه آخر فصل الربيع ، فكأنه يقول : إذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول ، وإن زارني كان الليل عندي في غاية القصر ، والله أعلم .

ولبعض شعراء عصره فيه وفي المغربي مفسر المنامات^١ ، وذكرها في « الخريدة » لحيص بيص ، هكذا وجدتها في « مختصر الخريدة » للحافظ :

كلُّ الذنوب ببلدي مغفورة^٢ إلا اللذين تعاطها أن يُغفَرا
كونُ الجواليقي^٣ فيها ملقياً أدباً ، وكون المغربي مُعَبِّراً
فأسير لكانته يُمِلُّ^٤ فصاحة وغفول يقظته يعبر عن كرى

ونواده كثيرة .

وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة . وتوفي يوم الأحد منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى ، بعد أن صلى عليه قاضي القضاة الزيني بجامع القصر .

والجواليقي : نسبة إلى عمل الجوالق وبيعها ، وهي نسبة شاذة لأن المجموع لا ينسب إليها ، بل ينسب إلى آحادها إلا ما جاء شاذاً مسموعاً في كلمات محفوظة مثل قولهم : رجل أنصاري ، في النسبة إلى الأنصار ، والجوالق في جمع جوالق شاذ لأن الباء لم تكن موجودة في مفرده ، والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتح الجيم ، وهو باب مطرد ، قالوا : رجل حلالح ، إذا كان وقوراً ، وجمعه حلالح ، وشجر عُدامل ، إذا كان قديماً ، وجمعه عُدامل ، ورجل عُراعر ، وهو السيد ، وجمعه عُراعر ، ورجل علاكد ، إذا كان شديداً ، وجمعه علاكد ، وله نظائر كثيرة . وهو اسم أعجمي معرب ، والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة عربية ألبتة^٥ .

١ ن ق : المفسر للمقامات ؛ وهو خطأ يدل عليه البيت الثاني .

٢ ن ص ق : يمد .

٣ علق ابن المؤلف هنا بقوله : قلت يعني موسى بن أحمد ، وكذلك الجيم والكاف نحو كيلجه ، والله أعلم .

رضي الدين النيسابوري

أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الأصل النيسابوري الدار المحدث الملقب رضي الدين ؛ كان أعلى المتأخرين إسناداً ، لقي جماعة من الأعيان وأخذ عنهم ، وسمع « صحيح مسلم » من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي - المقدم ذكره - وهو آخر من بقي من أصحابه ، وسمع « صحيح البخاري » من أبي بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه ابن أحمد الشاذياخي ، وسمع « الموطأ » رواية أبي مصعب إلا ما استثنى منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسندي^٢ ، وسمع « تفسير القرآن الكريم » تصنيف أبي إسحاق الثعلبي من أبي العباس محمد الطوسي المعروف بعباسة ، وسمع أيضاً من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار ابن محمد الخواري وأم الخير فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن زعبل^٣ ، وحدث بالكثير ، ورحل إليه من الأقطار ، ولنا منه إجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستائة ، وإنما ذكرته لشهرته وتفردته في آخر عصره ؛ وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ظناً . وتوفي ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة بنيسابور ، ودُفن من الغد ، رحمه الله تعالى .

ثم بعد إثبات هذه الترجمة على هذه الصورة بسنتين رأيت بخط الشيخ المؤيد

٧٥٢ - انظر عبر الذهبية ٥ : ٧١ والشذرات ٥ : ٧٨ وزاد في ن ق في نسه بعد علي : ابن الحسن

ابن محمد بن أبي صالح ، وسيرد هذا في آخر الترجمة .

١ ن ص : عمرو .

٢ ن ق : بالسدي ، وعند دي سلان : بالسدي .

٣ ق : رغبل ؛ ن : زغيل ؛ وانظر الضبط في تبصير المنتبه : ٦٠٧ .

المذكور في إجازة ، وقد رفع نسبه فقال : كتبه المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن
ابن محمد بن أبي صالح الطوسي .

٧٥٣

الألوسي

أبو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد^١ الألوسي ، الشاعر المشهور ؛ كان
من أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ، ومدح جماعة من رؤساء العراق ،
وله ديوان شعر ، وكان منقطعاً إلى الوزير عَوْن الدين يحيى بن هبيرة ، وله فيه
مدائح جيدة .

ذكره محب الدين ابن النجار في « تاريخ بغداد » فقال : هو عطاق بن محمد
ابن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ، ولد بألوس ، قرية بقرب الحديثة ،
ونشأ بدجيل ودخل بغداد ، وصار جاووشاً^٢ في أيام المسترشد بالله ، وهجاه
ابن الفضل الشاعر بأبيات ؛ ثم إن المؤيد نظم الشعر فأكثر منه حتى عرف به
ومدح وهجا ، وكان قد لجأ إلى خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه - وقد
تقدم ذكره^٣ - قال : وتفسح في ذكر الإمام المقتفي وأصحابه بما لا ينبغي ،
فقبض عليه وسجن .

وذكره العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » فقال : ترفع قدره وأثرى حاله ،
ونفق شعره ، وكان له قبول حسن ، واقتنى أملاكاً وعقاراً وكثر رياشه ،
وحسن معاشه ، ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه ، وبقي في حبس
الإمام المقتفي أكثر من عشر سنين إلى أن خرج في أول خلافة الإمام المستنجد

٧٥٣ - انظر اللياب (. الألوسي) .

١ ق ص ر : أحمد .

٢ ر : جاويشاً .

٣ انظر ج ٥ : ٢٠٠ .

سنة خمس وخمسين وخمسة ، ولقيته حينئذ وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة^١
التي كان فيها محبوساً . وكان زيه زي الأجناد ، وسافر إلى الموصل ، وله شعر
حسن غزل وأسلوب مطرب بنظم معجب ، وقد يقع له من المعاني المتكررة
ما ينذر ، فمن ذلك قوله في صفة القلم :

ومثقف يُعني ويُفني دائماً في طَوْرَي الميعاد والإيعاد
قلم يقلُّ الجيشَ وهو عرمرمٌ والبيض ما سلت من الأغعاد
وهبت له الآجامُ حين نشأ بها كرمَ السيول وهيبة الآساد

قلت أنا : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره ، والله أعلم بالصواب .
ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى . ول بعضهم في القلم أيضاً وهو في
هذا المعنى :

وأرقشَ مرهوب الشبابة مهفف يشتتْ شملَ الخطب وهو جميعُ
تدينُ له الآفاق شرقاً ومغرباً وتعنو له أفلاكها وتطيع
جى الملك مفطوماً كما كان يحتمي به الأسدُ في الآجام وهو رضيع
ول بعضهم أيضاً في هذا المعنى :

له قلمٌ كقضاء الإله بالسعد طوراً وبالنحس ماضي
فما فارق الأسد في حالتيه ييساً وذا ورقات غضاض
ففي كف ليث الوغى في الندى وفي وجه ليث الشرى في الغياض

ومعنى البيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم في وصف طنبور :

وطنبورٍ مليح الشكل يحكي بنغمته الفصيحة عندليباً
روى لما ذوى نغماً فصاحاً حواها في تقلبه قضيباً
كذا منَ عاشر العلماء طفلاً يكون إذا نشأ شيخاً أديباً

١ هنا ينتهي الحرم الذي أشرنا إليه سابقاً في النسخة لي .

وهذا معنى مطروق أكثرث الشعراء استعماله ، فمن ذلك قول بعضهم وهو
أبو محمد عبد الله بن قاضي ميلة :

جاءت بعودٍ يُناغيها ويسعدُها انظر بدائع ما يأتي به الشجرُ
غنت عليه ضروبُ الطير ساجعةً حيناً فلما ذوى غتّى به البشرُ
فلا يزال عليه الدهرُ مصطخبُ يهيجه الأعجمان : الطير والوتر
ولبعضهم في المعنى أيضاً :

وعود له نوعان من لذة المنى فبورك جانٍ يحتنيه وغارسُ
تغنت عليه وهو رطبٌ طيورها وغنت عليه قينةٌ وهو يابسُ
ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصده لذكرت عدة مقاطيع في
هذا المعنى .

ولبهاء الدين زهير المقدم ذكره من قصيدة يمدح بها اقسيس بن الملك الكامل :
وتهتز أعوادُ المنابر باسمه فهل ذكّرت أيامها وهي أغصانُ

(279) ثم قال العماد في بقية الترجمة : وكان ولده محمد ذكياً ، له شعر حسن ،
هاجر إلى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين ، وكان يومئذ بصرخد ،
فمرض فأنفذه إلى دمشق ، فمات في الطريق بقرية يقال لها رشيدة^١ ؛ انتهى
كلام العماد .

ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له ، رحمه الله تعالى :

فيا برّدها من نفحة حاجرية على حرّ صدرٍ ليس تحبو سمائه
ويا حسنه طيفاً وشى نور وجهه بطيفي فغطاني من الشعر فاحه
يحول وشاحاه على غصن بانةٍ سقاها الحيا فاخضر^٢ واهتز ناعمه

١ سقط البيتان من لي .

٢ لي : رسدة .

فلما رمى في شملنا الصبحُ بالنوى ولم يبقَ منها غير معنى الأزمه
وقفت بحزوى وهي منها معالم قواءٍ وجسمي قد تعفتُ معالمه
وقوف بنايٍ في يميني ولم أقف وقوفٍ شحيح ضاع في الترب خاتمه
ولم يُبق لي رسماً يجسمي صدودها فيشجى بدمعي كلما انهل طاسمه
ولا مقلة أبقت فتغرم نظرة بثانية والمتلفُ الشيء غارمه
فله وجدي في الركاب كأنه دموعي وقد حنت بليل روازمه
وقد مد من كف الثريا هلالها فقبلته حتى تهاوت مناظمه

وهي قصيدة طويلة أجاد فيها ، وقد وازن بها قصيدة المتنبي في سيف الدولة
ابن حمدان التي أولها :

وفأوكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وقد استعمل في قصيدته أنصاف أبيات من قصيدة المتنبي على وجه التضمين
وأكثر شعره جيد .

وله أيضاً من جملة أبيات قالها وهو محبوس :

رحلوا فأفانيت الدموع تشوقاً^١ من بَعْدِهِم وعجبت إذ أنا باقي
وعلمت أن العود يقطر ماؤه عند الوقود لفرقة الأوراق
وأبيت مأسوراً وفرحة ذكركم عندي تعادل فرحة الإطلاق
لا تنكر البلوى سواد مفارقي فالحرق يحكم صنعة الحراق

وكانت^٢ ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بالوس ، ونشأ بها . وتوفي يوم
الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل ،
وكان خروجه من بغداد سنة ست وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

١ ق ص : نبالي .

٢ كتب في المختار فوقها : تحرقاً ، وفي ر : تحرقاً .

٣ زاد قبل هذه اللفظة في ر : وكان أكثر شعره جيداً .

ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة أحببت ذكرها ، وهو ما أخبرني به بعض مشايخ العراق الفضلاء أن المستنجد رأى في منامه في حياة والده المقتفي كأن ملكاً نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات ، فلما استيقظ طلب معبر الرؤيا ، فقص عليه ما رآه ، فقال له : تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمائة ، فكان الأمر كذلك ، وكان ذلك قبل وفاة والده بـ ١٠٠ سنة . والألوسي : بضم الهمة واللام وبعدها واو ساكنة ثم سين مهملة ، هذه النسبة إلى أوس ، وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات ، هكذا ذكره عز الدين بن الأثير - المقدم ذكره - فيما استدركه على الحافظ ابن السمعاني ، لأنه قال : أوس موضع بالشام في الساحل عند طرسوس ، وهو بغدادى الدار والمنشأ - لأنه دخل بغداد في صباه - وقيدها ابن النجار « الآسي » ومدّ الهمة وضم اللام ، والله أعلم .

٧٥٤

المهلب بن أبي صفرة

أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة - كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى - واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزدي ، ويقال الأسد بالسين الساكنة ، ابن عمران بن عمرو مزريقياً ابن عامر ماء السماء بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي ، الأردني العتكي البصري ؛ قال الواقدي : كان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله صلى

١ الباب ١ : ٦٦ .

٧٥٤ - أخباره في كتب التاريخ التي تتحدث عن عصر بني أمية أو عن حروب الخوارج ، كالطبري

والمسعودي وابن الأثير وكامل المبرد... الخ وانظر المعارف : ٣٩٩ والاصابة ٦ : ٢١٦ وشرح

العيون : ١٠٣ والمعبر : ٢١٦ والجرح والتعديل ١/٤ : ٣٦٩ وعبر الذهبية ١ : ٩٥

والشذرات ١ : ٩٠ .

الله عليه وسلم ، ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة ، فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل المخزومي رضي الله عنه ، فقاتلهم فهزمهم وأثنخ فيهم القتل ، وتحصن فلثمهم في حصن لهم وحصرهم المسلمون ، ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان ، فقتل مائة من رؤسائهم^١ ، وسبى ذراريهم ، وبعثهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ ، فأعتقهم أبو بكر رضي الله عنه وقال : اذهبوا حيث شئتم ، فتفرقوا ، فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة .

وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » : هذا الحديث باطل ، أخطأ فيه الواقدي لأن أبا صفرة لم يكن في هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط ، وإنما وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، فأمره أن يخضب فخضب ، وكيف يكون غلاماً في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر ولده قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين^٢ . وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة أو أكثر .

وكان المهلب المذكور من أشجع الناس ، وحمي البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز استقصى أبو العباس المبرد في كتابه « الكامل » أكثرها ، فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ، ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفاً منها .

وكان سيداً جليلاً نبيلاً ، روي أنه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي ، وهو يومئذ بمكة ، فخلا به عبد الله يشاوره ، فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال : من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا سيد أهل العراق ، قال : فهو المهلب بن أبي صفرة ، قال : نعم ، فقال المهلب : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا سيد قریش ، فقال : فهو عبد الله بن صفوان ، قال : نعم .

١ ر : فقتل أشرافهم ؛ بر من : مائة من أشرافهم .

٢ في بعض النسخ : بسنتين .

قال ابن قتيبة في « المعارف »^١: ولم يكن يعاب بشيء إلا بالكذب وفيه قيل: راح يكذب، ثم قال ابن قتيبة بعد هذا: وأنا أقول: كان المهلب أتقى الناس لله عز وجل، وأشرف وأنبل من أن يكذب، ولكنه كان محرباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة، وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيورثي بها عن غيرها، يرهب بها الخوارج، وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون: راح يكذب، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حرباً ورى بغيرها.

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل »^٢ في شرح أبيات رمي فيها المهلب بالكذب، ما صورته: وقوله « الكذاب » لأن المهلب كان فقيهاً، وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله « كل كذب يكتب كذباً إلا ثلاثة: الكذب في الصلح بين الرجلين، وكذب الرجل لامرأته بعد ما، وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد ». وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به أمر المسلمين ويضعف به من أمر الخوارج، وكان حي من الأزدي يقال لهم الندب إذا رأوا المهلب رائحاً قالوا: قد راح المهلب يكذب، وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفسق كل الفسق لو كنت تصدق ما تقول

وذكر المبرد في كتاب « الكامل »^٣ في أواخره في فصل قتال الخوارج وما جرى بين المهلب والأزارقة: وكانت ركبُ الناس قديماً من الخشب، فكان الرجل يضربُ بركابه فينقطع، فإذا أراد الضرب والطعن لم يكن له معين أو معتمد، فأمر المهلب فضربت الركبُ من الحديد، فهو أول من أمر بطبعها. وأخبار المهلب كثيرة.

وتقلبت به الأحوال، وآخر ما ولي خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي -المقدم ذكره- فإنه كان أمير المراقين، وضم إليه عبد الملك بن مروان خراسان وسجستان، فاستعمل على خراسان المهلب المذكور، وعلى سجستان

١ المعارف : ٣٩٩ .

٢ الكامل ٣ : ٣١٨ .

٣ الكامل ٣ : ٣٧٨ .

عبيد الله بن أبي بكرة ، فورد المهلب خراسان والياً عليها سنة تسع وسبعين للهجرة .

وكان قد أصيب بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^١ ، فإنه كان معه في تلك الغزوة ، وفي تلك الغزوة تلك قلعت عين سعيد أيضاً ، وفيها قلعت أيضاً عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم والجود ، وفي ذلك يقول المهلب :

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي وفيها بحمد الله عن تلك ما يُنسي
إذا جاء أمر الله أعياء خيولنا^٢ ولا بد أن تعمى العيون لدى الرس

وقيل إن المهلب قلعت عينه على الطالقان . ولم يزل المهلب والياً بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك ، ولما حضره أجله عهد إلى ولده يزيد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وأوصاه بقضايا وأسباب ، ومن جملة ما قال له : يا بني ، استعقل الحاجب ، واستظرف الكاتب ، فإن حاجب الرجل وجهه وكتبه لسانه ؛ ثم توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة ، بقرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان ، رحمه الله تعالى .

وله كلمات لطيفة وإشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل ، فمن ذلك قوله : الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غداً إذا مت ؛ وقد قيل إن هذا الكلام لولده يزيد ، والله أعلم .
وكان المهلب يقول لبنيه : يا بني ، أحسن ثيابكم ما كان على غيركم ، وقد أشار إلى هذا أبو تمام الطائي فيما كتبه إلى من يطلب منه كسوة^٣ :

فأنت العليم الطَّبُّ أيُّ وصيةٍ بها كان أوصى في الثياب المهلبُ

١ رضي الله عنه : سقطت من جميع النسخ ، ما عدا المختار .

٢ ق : أعياء خيولنا ؛ ر : تعمى خيولنا .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٢٨٦ .

وقد ذكر الطبري في تاريخه أنه توفي سنة اثنتين وثمانين ، والله أعلم ، والكلام على وفاته مذكور في ترجمة ابنه يزيد ، فليُنظر هناك فإنه مستوفى .
ولما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت ، ثم قال :
أترونكم كاسريها مُجمّعة ؟ قالوا لا ، قال : أفترونكم كاسريها مفرقة ؟ قالوا :
نعم ، قال : هكذا الجماعة ، ثم مات^١ .

ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا ، وفي ذلك يقول نهار بن توسعة الشاعر المشهور :

ألا ذهب الغزوُ المقربُ للغنى ومات الندى والجود بعد المهلبِ
أقاما بمرّو الروذ لا يبْرَحانها وقد قعدا من كل شرقٍ ومغرب

وخلف المهلبُ عدة أولاد نجباء كرماء أجواداً أجداداً ، وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ويقال : إنه وقع إلى الأرض من صُلب المهلب ثلثائة ولد - وقد تقدم في حرف الراء ذكر حفيديه روح ويزيد ابني حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وسيأتي ذكر يزيد في حرف الياء إن شاء الله تعالى .

(280) ومن سراة أولاده أبو فراس المغيرة ، وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج ، وله معهم وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجده وشهامته وصرامته ، وتوجه صحبة أبيه إلى خراسان واستنابه عنه بمرور الشاهجان ، وتوفي بها في حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين في شهر رجب ، ورثاه أبو أمامة زياد الأعجم ، وهو زياد بن سليمان ، ويقال ابن جابر ، وهو ابن عبد القيس الشاعر المشهور ، بقصيدته الحائية السائرة التي أولها :

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا للباكرين وللمجدِّ الرائح :
إن الساحة والمروءة ضمنا قبرا بمرّو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقري به كؤم الهجان وكل طرفٍ سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخوا دمٍ وذبابح
واظهر بيزته وعقد لوائه واهتف بدعوة مُصلّين شرامح^٢

١ بعد هذا في ر ل : بقرية يقال لها زاغول ، ثم أورد ما تقدم من كلمات له

٢ الشرحي : الطويل القوي .

آب الجنود معاقباً أو قافلاً
 وأرى المكارم يوم زيل بنعشه
 رجفت لمصرعه البلادُ وأصبحت
 الآن لما كنت أكرم من مشى
 وتكاملت فيك المروءة كلها
 وكفى بنا حزناً ببیت حله
 فعفت مناره وحط سوجه
 وإذا يناع على امرئ فلتعلمن
 تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا
 مات المغيرة بعد طول تعرض
 وإذا الأمور على الرجال تشابهت
 قتل السحيل بمبرم ذي مرة
 وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت
 كان الربيع لهم إذا انتجعوا الندى
 كان المهلب بالمغيرة كالذي
 فأصاب جمه ما استقى فسقى له
 أيام لو يحتلّ وسط مفازة
 إن المهلب لن يزال لها فقى
 بالمقربات لواحقاً آطاهها
 متلبباً ثمفو الكتائب حوله
 ملك أغر متوجّ يسمو له
 رفاع ألوية الحروب إلى العدا

١ ق ن بر من : وتوزعت .

٢ ق ص ن : فقد .

وهذه القصيدة من غرر القصائد ونُحِبُّهَا ، ولولا خوف الإطالة لأثبتها كلها وهي طويلة تزيد على خمسين بيتاً ، وقد ذكرها أبو علي القالي - المقدم ذكره في حرف الهمزة^١ - في كتابه الذي جعله ذبلاً على أماليه^٢ ، وتكلم علي بعض أبياتها ، وقال : إنها قد تنسب إلى الصلتان العبدي الشاعر المشهور ، ولكن الأصح أنها لزياد الأعجم . والبيت الثاني منها تستشهد به النحاة في كتبهم على جواز تذكير المؤنث إذا لم يكن له فرج حقيقي ، وهو أشهر بيت في هذه القصيدة لكثرة استعمالهم له ، وقد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال^٣ :

احملاني إن لم يكن لكما عَقَفَ رُحْمٌ إلى جَنْبِ قَبْرِهِ فاعصِراني
وانضَحَا من دمي عليه فقد كان دمي من نداءه لو تعلمان

(281) وصاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي الحسيني نقيب مشهد باب التبن ببغداد ، وهما من جملة قصيدة يرثي بها النقيب الطاهر والد عبيد الله ، ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » وقال أيضاً : إن الشريف أبا محمد المذكور توفي سنة سبع وثلاثين وخمسة مائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

ثم بعد وقوفي على ما ذكره العماد في « الخريدة » وجدت هذين البيتين في كتاب « معجم الشعراء » تأليف المرزباني لأحمد بن محمد الحنمعي ، وكنيته أبو عبد الله ، ويقال أبو العباس ، ويقال إنه الحسن ، وكان يتشيع ويهاجي البحتري . وكان المغيرة بن المهلب المذكور قد مزق قباء ديباجاً كان على زياد الأعجم فقال زياد في ذلك :

لعمرك ما الديباج مزقت وخذَه ولكنما مزقتَ عرض المهلب

١ انظر ج ١ : ٢٢٦ .

٢ ذيل الأمالي : ٨ - ١١ .

٣ انظر ترجمة خالد الكاتب ج ٢ : ٢٣٦ حيث ورد البيتان ؛ والترجمة المذكورة مما انفردت به النسختان ص ر ، وبين ما قاله المؤلف هنا وما ثبت هناك ما قد يشير إلى أن المؤلف لا علاقة له بترجمة خالد الكاتب .

فبلغ ذلك المهلب فأرضاه واستعطفه .
وذكر أبو الحسين علي بن أحمد السّلامي في كتاب « تاريخ ولاية خراسان »
أن رجلاً سمع من زياد الأعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعا المهلب فجاء إلى
المهلب فأنشدته إياها ، فأعطاه مائة ألف درهم ، ثم أتاه زياد الأعجم فأنشدته
إياها ، فقال له : قد أنشدنيها رجل قبلك ، فقال : إنما سمعها مني ، فأعطاه
مائة ألف درهم .

وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء
« الحماسة » وهو الأخنس الطائي يمدح المهلب^١ :

نزلتُ على آل المهلب شاتياً بعيداً عن الأوطان في الزمنِ الحِلِ
فما زال بي معرُوفهم وافتقادُهم وبرُّهمُ حتى حسبتُهمُ أهلي

والوزير أبو محمد المهلبى - المقدم ذكره في حرف الحاء^٢ - من نسله أيضاً ، رحمهم
الله أجمعين .

وفي أوائل هذه الترجمة أسماء تحتاج إلى الضبط والكلام عليها .
فأما العتيك والأزد فقد تقدم الكلام عليها .

وأما مُزَيِّقِيَاء فهو بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها
وكسر القاف وفتح الياء الثانية وبمدها همزة ممدودة ، وهو لقب عمرو
المذكور وكان من ملوك اليمن ، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين
منسوجتين بالذهب ، فإذا أمسى مزقها وخلعها ، وكان يكره أن يعود فيها ،
ويأنف أن يلبسها أحد غيره ، وهو الذي انتقل من اليمن إلى الشام لقصة يطول
شرحها ، والأنصار من ولده ، وهم الأوس والخزرج ، وحكى أبو عمر ابن عبد
البر صاحب كتاب « الاستيعاب » في كتابه الذي سماه « القصد الأمم في أنساب
العرب والمعجم »^٣ وهو كتاب لطيف الحجم أن الأكراد من نسل عمرو مزريقياء

١ شرح الحماسة للمرزوقي ، رقم : ٢٧٦ .

٢ انظر ج ٢ : ١٢٤ .

٣ القصد والأمم : ٣١ .

المذكور ، وأنهم وقعوا إلى أرض المعجم فتناسلوا بها وكثر ولداهم ، فسموا الكرد ، وقال بعض الشعراء في ذلك وهو يعضد ما قاله أبو عمر ابن عبد البر :

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

وأما أبوه عامر فإنما لقب بماء السماء لوجوده وكثرة نفعه ، فشبه بالغيث .
وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك الحيرة ، فإن أباه امرؤ القيس ابن عمرو بن عدي ، وماء السماء أمه ، وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط ، وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها .

وأما دبا بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة ، وهو اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الأزد إليه لما نزلوه ، وكان الأزد عند تفرقهم - حسبما ذكرناه في أول هذه الترجمة - أضيفت كل طائفة إلى شيء يميزها عن غيرها ، فقيل أزد دبا ، وأزد سنوءة ، وأزد عمان ، وأزد السراة ، ومرجع الكل إلى الأزد المذكور ، فلا يظن ظان أن الأزد مختلف باختلاف المضافين إليه ، وقد قال الشاعر - وهو النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن مالك ابن حزن بن الحارث بن كعب بن الحارث الحارثي - :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدان
فأما التي صحت فأزد سنوءة وأما التي شلت فأزد عمان

ولما هزم المهلب قطري بن الفجاءة - المقدم ذكره^٢ - بعث إلى مالك بن بشير فقال : إني موفدك إلى الحجاج فسير فإنما هو رجل مثلك ، وبعث إليه بجائزة فردها وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقات ، وتوجه فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : ملك وبشارة ، ثم قال : كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أمل وأمن ما خاف ، قال : فكيف هو يجنده ؟

١ ترجمة النجاشي في الإصابة ٦ : ٢٦٣ والخزانة ٤ : ٣٦٨ والسمط : ٨٩٠ والشعر والشعراء :

. ٢٤٦

٢ انظر ج ٤ : ٩٣ .

قال : والد رؤوف ، قال : كيف رضاهم عنه ؟ قال : وسهمهم بالفضل وأقنمهم بالعدل ، قال : كيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم مجذنا فنقطع فيهم ويلقوننا مجذم فيطمعون فينا ، قال : فما حال قَطْرِي بن الفُجاءة ؟ قال : كادنا بمثل ما كدناه به ، قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه ؟ قال : فأخبرني عن ولد المهلب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنوه وحماة السرح حتى يردوه ، قال : أيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم ، قال : لتقولن ، قال : هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها ، قال : أقسمت عليك هل رَوَيْتَ في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله أحداً على غَيْبِهِ . فقال الحجاج جلسائه : هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع ، قلت : كان حق هذا الفصل أن يكون متقدماً ، لكنه كذا وقع ، والله تعالى أعلم بصوابه وصحته .

٧٥٥

مهيار الديلمي

أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور ؛ كان مجوسياً فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي - المقدم ذكره - وهو شيخه ، وعليه تخرج في نظم الشعر ، وقد وازن كثيراً من قصائده . وذكر شيخنا ابن الأثير الجزري في تاريخه أنه أسلم في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، فقال له أبو القاسم ابن برهان: يا مهيار قد انتقلت بأسلوبك في النار من زاوية إلى زاوية ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال : كنت مجوسياً فصرت تسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعرك .

٧٥٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦ والمنظوم ٧ : ٩٤ ودمية القصر : ٧٦ والبداية والنهاية

١٢ : ٤١ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٧ والشذرات ٣ : ٢٤٢ .

١ تاريخ ابن الأثير ٩ : ٤٥٦ .

وكان شاعراً جَزَلَ القول ، مقدماً على أهل وقته ، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات ، وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده .
 ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في « تاريخ بغداد » وأثنى عليه وقال :
 كنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات ، يعني ببغداد ، ويُقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لي أسمع منه شيئاً .
 وذكره أبو الحسن الباخريزي - المقدم ذكره - في كتاب « دمية القصر » فقال في حقه : هو شاعر ، له في مناسك الفضل مشاعر ، وكاتب ، تجلى تحت كل كلمة من كلماته كاعب ، وما في قصيدة من قصائده بيت ، يتحكم عليه لو ولت ، وهي مصبوبة في قوالب القلوب ، ويمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ؛ ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وأبيات من جملة قصائده .
 وذكره أبو الحسن علي بن بسّام في كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وبالغ في الثناء عليه وذكر شيئاً من شعره . ومن نظمه المشهور قصيدته التي أولها :

سقى دارها بالرقمَتَيْنِ وحيّاهَا ملّثٌ يُحيلُ الترابَ في الدارِ أمواها
 ومنها :

وكيف بوصل الجبل من أمّ مالك وبين بلادنا زرودٌ وحبّلاها
 يراها بعينِ الشوق قلبي على النوى فيحظي ، ولكن منّ لعيني برؤياها
 فله ما أصفى وأكدرَ حبها وأبعدها مني الغداة وأدناها
 إذا استوحشت عيني أنستُ بأن أرى نظائرَ تصبيني إليها وأشباها
 وأعتنقُ الغصن الرطيب لِقَدّها وأرشف ثمر الكأس أحسبه فاهها
 ويوم الكئيب استشرفت لي ظبيةٌ مولهة قد ضل بالقاع خشفها
 يُدلّه خوفُ الشكل حبة قلبها فتزداد حسناً مقلتها وليّتها
 فما ارتاب طرفي فيك يا أم مالك على صحة التشبيه أنك إياها

فإن لم تكوفي خدما وجبينها
 ألوامه في حب دار عزيزة^١
 دعوه ونجداً إنها شأن قلبه
 وهبكم منعم أن يراها بعينه
 وليل بذات الأثل قصر طوله
 تحطت إلي الهول مشياً على الهوى
 وقد كاد أسداف الدجى أن تضلها
 وله من أبيات^٢ :

إن التي علقت قلبك حبها
 عقدت ضمان وفائها من خصرها
 راحت بقلب منك غير علوق
 فوهى ، كلا العقدين غير وثيق
 ومن سائر شعره أيضاً قوله رحمه الله تعالى^٣ :

بكر العارض تحدوه النعامي
 فسقاك الري يا دار أماما
 [وتمت فيك أنفاس الصبا
 يتناجين بأنفاس الخزامى]^٤
 ومنها :

ويجرعاه الحمى قلبي فعج
 وترجل فتحدث عجباً
 بالحمى واقراً على قلبي السلاما
 أن قلباً سار عن جسم أقاما
 قلب لجيران الغضى آها على
 طيب عيش بالغضى لو كان داما
 نصلُ العام ولا ننسأكم
 وقصارى الوجد أن نسلخ عاما
 حملوا ريح الصبا نشركم
 قبل أن تحمل شيحاً وثاما

١ الديوان : غريبة .

٢ ديوانه ٢ : ٢٩٧ .

٣ ديوانه ٣ : ٣٢٧ .

٤ زيادة من المختار .

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى إن أذنتم لجفوني أن تناما
وهي قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها على هذا القدر طلباً للاختصار .
ومن رقيق شعره قصيدته التي منها^١ :

أرقت فهل لهاجة بسلعٍ على الأرقين أفئدة ترقئ
نشدتك بالمودة يا ابن ودي فإنك بي من ابن أبي أحق
أسلٍ بالجزع دمعلك إن عيني إذا استبررتها^٢ دمعا تعق
وإن شق البكاء على المعافى فلم أسألك إلا ما يشق

وله في القناعة^٣ ، وقد أحسن^٤ [فيها كل الاحسان]^٥ :

يلحى على البخل الشحيح بماله أفلا تكون بماء وجهك أبجلا
أكرم يديك عن السؤال فإنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم إليّ فضل قناعتي وأبيت مشتملا بها متزمتلا
وأري العدو على الحفاصة شارة^٦ تصف الغنى فيخالني متمولا
وإذا امرؤ أفنى الليالي حسرة وأمانيا أفنيتها^٧ توكتلا

ومن بديع مدائحه^٨ قوله من جملة قصيدة :

وإذا رأوك تفرقت أرواحهم فكأنما عرفتك قبل الأعين
وإذا أردت بأن تفل كتيبة لاقيتها فتم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب^٩ :

١ ديوانه ٢ : ٣٥٧ .

٢ ق : استبريتها ؛ لي : استنزرتها ؛ ص : استبرزتها ، ن : استبرزتها .

٣ ديوانه ٤ : ٣٢ .

٤ زيادة من ق ، وانظر الديوان ٣ : ١٣٨ .

٥ ن ر : مديعه .

٦ ديوانه ٣ : ٣٤٦ .

إذا صور الإشفاق لي كيف أنتم^١ وكيف إذا ما عن^٢ ذكرى صرتم^٣
تنفست عن عتب^٤، فؤادي مفتح^٥ به^٦، ولساني للحفاظ يحجم
وفي في^٧ ماء من بقايا وداكم^٨ كثيراً به من ماء وجهي أرقتم^٩
أضم^{١٠} في ضمنا عليه وبينه وبين انسكاب^{١١} ريثما أتكم^{١٢}

وديوانه مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في إيراد محاسنه .

ويعجبني كثيراً قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو^١ :

بنا أنتم^٢ من ظاعنين وخلفوا^٣ قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم^٤

وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

وفي تلك السنة توفي الرئيس أبو علي ابن سينا الحكيم المشهور - حسبما تقدم

ذكره في ترجمته^١ - رحمه الله تعالى؛ ورأيت في بعض التواريخ أنه توفي سنة ست

وعشرين^٢ ، والأول أصح ، والله أعلم .

وذكر الباخريزي المذكور في كتابه « الدمية » أيضاً ولده الحسين بن مهيبار ،

ونسب إليه القصيدة الحائية التي من جملتها :

يا نسيم الريح من كاظمة شد^١ ما هجت البكا والبرحا

وهي قصيدة طويلة ، وهي من مشاهير قصائد مهيبار ، ولا أعلم من أين

وقع له هذا الغلط .

ومهيبار : بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد

الألف راء .

ومرزوويه : بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء مثناة

من تحتها ثم هاء ساكنة ، وهما اسمان فارسيان لا أعرف معنهما .

١ ديوانه ٣ : ٣٤٤ وهو من القصيدة السابقة .

٢ انظر ج ٢ : ١٥٧ .

حَرْفُ النُّونِ



نافع مولى ابن عمر

أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم ؛ كان دليلاً ، وأصابه مولاة عبد الله بن عمر في غزاته ، وهو من كبار الصالحين^١ التابعين ، سمع مولاة وأبا سعيد الخدري ، وروى عنه الزهري وأبوب السخيتاني ومالك بن أنس ، رضي الله عنهم . وهو من المشهورين بالحديث ، ومن^٢ الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، ومعظم حديث ابن عمر عليه دار . وقال مالك : كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمع من أحد ؛ وأهل الحديث يقولون : رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، في كتاب «المهذب» في باب الوليمة والنثر عن نافع قال : كنت أسير مع عبد الله بن عمر ، رضي الله عنها ، فسمع زمارة راع ، فوضع إصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق ، فلم يزل يقول : يا نافع أسمع ؟ حتى قلت : لا ، فأخرج إصبعيه عن أذنيه ثم رجع إلى الطريق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع . وفي هذا الأثر إشكال تسأل^٣ عنه الفقهاء ، وهو أن ابن عمر كيف سد أذنيه

٧٥٩- ترجمته في تذكرة الحفاظ : ٩٩ وعبر الذهبي ١ : ١٤٧ ومرآة الجنان ١ : ٢٥١ والمعارف :

٤٦٠ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤١٢ والشذرات ١ : ١٥٤ ، وأكثر المصادر لم ترد في نسبه عن

ذكر اسمه ولكنه ورد في النسخ ر ن بر من : نافع بن عبد الله .

١ الصالحين : سقطت من ر بر من .

٢ ن : وهو من .

٣ ق ن : يسأل .

عن استماع صوت الزمارة ، ولم يأمر مولاه نافعاً بفعل ذلك بل مكنه منه ، وكان يسأله كل وقت : هل انقطع الصوت أم لا ؟ وقد أجابوا عن الإشكال بأن نافعاً حينئذ كان صبياً ، فلم يكن مكلفاً حتى يمنعه من الاستماع ، ويرد على هذا الجواب سؤال آخر ، وهو أن الصحيح أن إخبار الصبي غير مقبول ، فكيف ركن ابن عمر إلى إخباره في انقطاع الصوت ؟ وهذا الأثر يعضد حجة من قال : إن رواية الصبي مقبولة ، وفي ذلك خلاف مشهور ، وليس هذا موضع الكلام عليه .

وأخبار نافع كثيرة ؛ وتوفي سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين ومائة ، رضي الله عنه .

٧٥٧

نافع المقرئ

أبو رُوَيْمٍ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نَعِيمٍ ، مولى جَعَوْنَةَ بن شعُوب الشَّجَمِي ، المقرئ المدني أحد القراء السبعة ؛ كان إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره ، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وكان محتسباً فيه دُعَايَةً ، وكان أسود شديد السواد ، قال ابن أبي أويس ، قال لي مالك رضي الله عنه : قرأت على نافع ، وقال الأصمعي ، قال لي نافع : أصلي من أصبهان ، هكذا قاله الحافظ أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » وكان قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له راويان : وَرَشٌ ، وقنبل ، وقد سبق ذكرهما في حرف العين ٢ . وتوفي

٧٥٧ - ترجمته في المعارف : ٥٨٢ وميزان الاعتدال ٤ : ٢٤٢ وعبر الذهبى ١ : ٢٥٧ وغاية النهاية ٢ : ٣٣٠ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٠٧ ومرآة الجنان ١ : ٣٦٨ والشذرات ١ : ٢٧٠ .

١ ق : زوج النبي ؛ ر : زوجة النبي .

٢ ذكر قنبل في حرف العين ٣ : ٤٢ .

نافع المذكور سنة تسع وخمسين ، وقيل غير ذلك ، بالمدينة ، والأول أصح .
وقيل إن كنيته أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الله ، وقيل أبو عبد الرحمن ، وقيل
أبو نعيم ، والله أعلم بالصواب .

وجَعَوْنَة : بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو والنون وبعدها هاء
ساكنة ، وهو في الأصل اسم الرجل القصير ، ثم سمي به الرجل وإن لم يكن
قصيراً وجعل علماً عليه ، وكان جَعَوْنَة حليف حمزة بن عبد المطلب ، وقيل
حليف العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنها ، وقيل حليف بني هاشم .
وشَعُوب : بفتح الشين المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها
باء موحدة ، وهو في الأصل اسم المنية .

والشَّجَمِي : بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة ، هذه
النسبة إلى بني شَجَع ، وهم من بني عامر بن ليث ، ولم يتعرض السمعاني إلى
ذكر هذه النسبة^١ .

٧٥٨

المطرزي

أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي
النحوي^٢ الأديب الخوارزمي ؛ كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع
الأدب ، قرأ ببلده على أبيه وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب
خوارزم وغيرها ، وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعد التاجر

١ يزداد في ن عند آخر كل ترجمة « والله أعلم » أو « والله أعلم بالصواب » وإذا انفردت بذلك
فاننا لا نثبته .

٧٥٨ - ترجمته في مرآة الجنان ٤ : ٢٠ وانباء الرواة ٣ : ٣٣٩ وفي الحاشية ذكر لعدة مصادر أخرى .

٢ ر : النحوى الحنفي .

وغيره وكان تام المعرفة بفنه ، رأساً في الاعتزال داعياً إليه ، ينتحل مذهب الإمام أبي حنيفة ، رضي الله عنه في الفروع ، فصيحاً ، وكان في الفقه فاضلاً وله عدة تصانيف نافعة منها : « شرح المقامات » للحريري ، وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود ، وله كتاب « المغرب » ، تكلم فيه على الألفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب ، وهو للحنفية بمثابة كتاب الأزهرى للشافعية ، وما أقصر فيه ، فإنه أتى جامعاً للمقاصد ، وله « المغرب في شرح المغرب » وهو كبير وقليل الوجود ، وله « الاقناع » في اللغة و « مختصر الاقناع » و « مختصر إصلاح المنطق » و « المصباح » في النحو و « المقدمة » المشهورة في النحو أيضاً ، وله غير ذلك ، وانتفع الناس به وبكتبه .

ودخل بغداد حاجاً سنة إحدى وستائة وكان معتزلي الاعتقاد ، وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء ، وأخذ أهل الأدب عنه . وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت . وله شعر ، فمن ذلك - وفيه صناعة :

وزَندُ ندى فواضلهِ وَرِيٌّ وِرَندُ رُباً فضائلِهِ نَضِيرُ
وَدِر جلاله أبدأ ثَمِين وِدِر نواله أبدأ غَزِيرُ

وله أيضاً :

وإني لأستحي من المجد أن أرى حليفَ غوانٍ أو أليفِ أغاني
وله أيضاً :

تَعامى زماني عن حقوقي وإنه قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا
فإن تنكروا فضلي فإن رِغاهُ كفى لذوي الأسماع منكم مناديا

وله أشعار كثيرة يستعمل فيها التجانيس .

وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم ، وهو كما يقال خليفة الزمخشري ، فإنه توفي في تلك السنة بتلك البلدة كما سبق في ترجمته .

١ ق ر ص : المغرب .

وتوفي المطرزي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستائة
 بخوارزم أيضاً ، رحمه الله تعالى ، ورتي بأكثر من ثلثائة قصيدة عربية وفارسية .
 والمطرزي : بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها
 زاي ، هذه النسبة إلى من يطرز الثياب ويرقمها ، ولا أعلم هل كان يتعاطى
 ذلك بنفسه ، أم كان في آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له ، والله أعلم .
 (282) [وتوفي شيخه الموفق بن أحمد الخطيب المذكور في حادي عشر
 صفر الحثير سنة ثمان وستين وخمسمائة بخوارزم ، رحمه الله تعالى] ١ .

٧٥٩

نزار العبيدي

أبو المنصور نزار ، الملقب العزيز بالله ، ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي
 العبيدي ، صاحب مصر وبلاد المغرب ؛ قد تقدم ذكر والده وأجداده وولده
 وأحفاده . ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر^٢ ربيع الآخر سنة خمس وستين
 وثلثائة واستقل بالأمر بعد^٣ وفاة أبيه ، وكان يوم الجمعة حادي عشر الشهر
 المذكور - وفيه الخلاف المذكور في ترجمته - وسرت وفاة أبيه وسلم عليه بالخلافة .
 وكان كريماً شجاعاً حسن العفو عند المقدرة ، وقصته مع أفتكين^٤ التركي غلام
 معز الدولة مشهورة ، وعفا عنه لما ظفر به ، وكان قد غرم في محاربتة مالاً
 جزيلاً ، ولم يؤاخذ به بما صدر منه ، - وقد سبق في ترجمة عضد الدولة بن بويه

١ انفردت به ق ص ن .

٧٥٩ - ترجمته وأخباره في تاريخ ابن الأثير (ج ٨ ، ٩) والمنظوم ٧ : ١٩٠ وابن خلدون ٤ : ٥١

وخطط المقرزي ١ : ٣٥٤ والدرة الماضية : ١٧٤ ومرآة الجنان ٢ : ٤٣٠ وعبر النهمي ٣ :

٣٤ والشذرات ٣ : ١٢١ وبلغة الظرفاء : ٧١ .

٢ ق ص ن : رابع عشر .

٣ ر ص ن : يوم .

٤ ن ص ق : الفتكين .

المقدم ذكره في حرف الفاء طرف من خبره فلا حاجة إلى إعادته^١ - وهي قضية تدل على حلمه^٢ وحسن عفوهِ .

وذكر الأمير المختار المعروف بالمسبحي أنه الذي اختط أساس الجامع بالقاهرة مما يلي باب الفتوح ، وحفر وبني ، وبدى بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة في شهر رمضان . ثم قال المسبحي أيضاً : وفي أيامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله في شرق ولا غرب ، وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس . وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريباً من الناس لا يؤثر سفك الدماء ، بصيراً بالخليل والجراح من الطير ، محباً للصيد مغرماً به وبصيد السباع^٣ ويعرف الجواهر والبز ، وكان أديباً فاضلاً . ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »^٤ ، وأورد له شعراً قاله في بعض الأعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المآتم ، وهو :

نحن بنو المصطفى ذوو محن يَجْرَعُهَا فِي الْحَيَاةِ كَاطِمِنَا
عَجِيبَةٌ فِي الْأَنَامِ مَحْنَتُنَا أَوْلْنَا مُبْتَلَىٰ وَخَاتَمَانَا
يَفْرَحُ هَذَا الْوَرَىٰ بَعِيدُهُمْ طَرَأَ وَأَعْبَادُنَا مَا تَمْنَا

ثم قال بعد فصل طويل : وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الروائي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتاباً يسبه فيه ويهجوهُ ، فكتب إليه « أما بعد ، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام » فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب .

وذكر أبو الحسن الروحي في كتاب « تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء »^٥ أن هذه

١ ص : الإعادة . ٢ ق : جميله .

٣ ن : الضباع ؛ ق : الضباع والسباع .

٤ اليتيمة ١ : ٣٠٩ .

٥ ر : وآخرننا ، وأثبت الروايين في ق ؛ وفي اليتيمة « وآخرننا » .

٦ المطبوع من هذا الكتاب يحمل اسم « بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء » والقصة فيه

ص : ٣٥ .

الواقعة كانت بين الحِمّ المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وهو المرواني صاحب الأندلس وبين العزيز المذكور ، وأن المستنصر كتب إلى العزيز يسبه ويهجوه ، فكتب إليه العزيز هذه الكلمات^١ والله أعلم بالصواب .
وقد تقدم في ترجمة جده المهدي^٢ عُبِّد الله طرف من أخبار نسبهم والظعن فيه ، وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه ، وقد تقدم في ترجمة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز في أمر النسب وما أجاب به المعز ، وصار هذا كالمستفيض بين الناس . وفي مبادي ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها مكتوب :

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدّعي صادقاً فاذا ذكر أباً بعد الأب الرابع^٣
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع
أو لا دع الأنساب مستورة^٤ وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع

وإنما قال : « فانسب لنا نفسك كالطائع » لأن هذه القضية جرت في خلافة الطامع لله خليفة بغداد .

وصعد العزيز يوماً آخر المنبر ، فرأى ورقة فيها مكتوب :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحقارة

١ لخص هذه الحكاية في المختار بقوله « وقيل إن هذه القضية بالعكس وأن العزيز نزاراً المجيب وأن المرواني الكاتب المبتدئ » وعلق معلق في الهامش بقوله : « لا ينبغي أن تكون بالعكس إذ لا خلاف في أمر الخلفاء الأمويين بالأندلس ولم يقدم أحد في نسبهم بخلاف الفاطميين إذ نسبهم مطعون فيه جداً » .

٢ المختار : في ترجمة أبيه المعز .

٣ ق ن ر : السابع .

٤ المختار : القصة .

٥ ق : وصعد المنبر يوماً آخر أعني العزيز .

إن كنت أعطيت علمَ غيبٍ فقل لنا كاتب البطاقه

وإنما كتب هذا لأنهم كانوا يدعون علم المغيبات ، وأخبارهم في ذلك مشهورة .
ولأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي - المقدم ذكره^١ - قصيدة رائية يمدح
بها العزيز المذكور ، وهي من أجود مدائحه فيه .

وزادت مملكته على مملكة أبيه ، وفتحت له حصص وحماة وشيَزرَ وحلب ،
وخطب له أبو الدواد محمد بن المسيب وهو أخو المقلد بن المسيب العقيلي ، صاحب
الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وضرب اسمه على
السكة والبنود ، وخطب له باليمن ، ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه إلى أن
خرج إلى بلبيس متوجهاً إلى الشام ، فابتدأت به العلة في العشر الأخير من رجب
سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يزل مرضه يزيد وينقص ، حتى ركب يوم الأحد
مخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس ، وخرج
منها إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح برجوان - المقدم ذكره - وكان صاحب
خزائنه بالقصر ، فأقام عنده ، وأصبح يوم الاثنين ، فاشتد به الوجع يومه ذلك
وصبيحة نهار الثلاثاء ، وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن
النعمان وأبا محمد الحسن^٢ بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة ، وهو أول من
تلقب^٣ من المغاربة ، وكان شيخ كتامة وسيدها ، وخاطبها بما خاطبها به في أمر
ولده الملقب الحاكم - المقدم ذكره - ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضاً بذلك ،
ولم يزل العزيز المذكور في الحمام والأمر يشتد به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار ،
وهو الثلاثاء الثامن^٤ والعشرون من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة ، فتوفي
في مسلخ الحمام ، هكذا قال المسيحي .

وقال صاحب « تاريخ القيروان » : إن الطيب وصف له دواء يشربه في

١ انظر ج ١ : ١٣١ .

٢ ق ن : وأبا الحسن محمد .

٣ ق : لقب .

٤ ص : الثالث .

حوض الحمام ، وغلظا فيه ، فشربه فمات من ساعته ، ولم ينكم موته ساعة واحدة ، وترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي المنصور - المقدم ذكره - وبلغ الخبر أهل القاهرة ، فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقي الحاكم ، فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة ، يحملها زيدان^٢ الصقلي - المذكور في ترجمة بَرَجَوَان - فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ، ووالده العزيز بين يديه في عمارة ، وقد خرجت قدماه^٣ منها ، وأدخلت العمارة القصر ، وقولوا غسله القاضي محمد بن النعمان ، ودفن عند أبيه المعز في حجرة من القصر ، وكان دفنه عند العشاء الآخرة ، وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر ، والأحوال مستقيمة ، وقد نودي في البلد : أن لا مؤونة ولا كلفة ، وقد أمنكم الله تعالى على أموالكم وأرواحكم ، فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل ماله ودمه .

وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بالمهدية من أرض إفريقية [وقال الفرغاني في تاريخه الصغير : كان مولد العزيز بالله يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم من السنة المذكورة] . وقال المختار المسبحي صاحب التاريخ المشهور : قال لي الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز : يا مختار ، استدعاني والذي قبل موته ، وهو عاري الجسم ، وعليه الخرق والضاد ، فاستدثاني وقبلني وضممني إليه وقال : واغمي عليك يا حبيب قلبي ، ودمعت عيناه . ثم قال : امض يا سيدي والمب فأنا في عافية ، قال : فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه ، قال : فبادر إلي بَرَجَوَان وأنا على^٤ جُمُيزة كانت في الدار فقال : انزل ويحك ، الله الله فينا وفيك ، قال : فنزلت ، فوضع العمامة بالجواهر على رأسي ، وقبل لي الأرض وقال : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى

١ ق : فغلظ .

٢ في أكثر النسخ : زيدان ، وقد ضبطه المؤلف بالراء المهملة في ترجمة بَرَجَوَان ١ : ٢٧١ .

٣ ر : رجلاه .

٤ زيادة من ن ص ق .

٥ ر بر من : في أعلى .

وبركاته ، قال : وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة ، فقبل جميعهم لي
الأرض ، وسلموا علي بالخلافة .
وأخباره كثيرة ، والاختصار أولى ، رحمه الله تعالى .

٧٦٠

نصر الخبز أرزي

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر^١ بن مأمون البصري، المعروف بالخبز أرزي^٢ الشاعر المشهور ؛ كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الأرز بمريد البصرة في دكان ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد^٣ المعروف بابن لنكك ، البصري الشاعر المشهور - مع علو قدره عندهم - ينتاب دكانه لسمع شعره ، واعتنى به ، وجمع له ديواناً ، وكان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد وأقام بها دهرأ طويلاً .

وذكره الخطيب في تاريخه وقال : قرأ عليه ديوانه ، وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريري ، وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم^٤ النوشري ، وعد جماعة رروا عنه .

وذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة » وأورد له مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولتي تمشي إلى عبد

٧٦٠ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩٦ والمنتظم ٦ : ٣٢٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١٨ واليتيمة

٢ : ٣٦٦ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٦ ومرآة الجنان ٢ : ٢٧٥ والشذرات ٢ : ٢٧٦ .

١ ابن نصر : سقطت من ر والمختار .

٢ بر : بابن الخبز أرزي .

٣ زاد في ص : ابن جعفر .

٤ ق ص : حاكم .

أتى زائراً من غير وعد وقال لي : أجلك عن تعليق قلبك بالوجد^١
فما زال نجم الوصل بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعد
فظوراً على تقبيل نرجس ناظر وطوراً على تعريض^٢ تفاحة الحد
وأورد له أيضاً :

ألم يكفني ما نالني من هواكم^٣ إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك^٤
شمتكم^٥ بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار بي طنز^٦ مالك
وذكر له أيضاً :

كم أناس وقوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حضار^٧
عرضوا ثم أعرضوا ، واستألوا ثم مالوا ، وجاوروا ثم جاروا
لا تلمهم على التجني فلو لم يتجنوا لم يحسن الإعتذار
ومن شعره أيضاً :

وكان الصديق يزور الصديق لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق لبث^٨ الهموم وشكوى الزمان

ومن شعره أيضاً :

كم أقامي لديك قالاً وقبلاً وعِدات^٩ تترى ومطلاً طويلاً
جمعة^{١٠} تنقضي وشهر يولي وأمانيك بكرة وأصيلاً
إن يفتني منك الجميل من الفه بل تعاطيت^{١١} عنك صبراً جميلاً

١ في أكثر النسخ : بالوعد .

٢ ق ن ص والمختار : تقبيل ، وفوق الكلمة في المختار « تعريض » .

٣ ق بر من : بل طنز .

٤ يختلف ترتيب المقطعات التالية في ق ن عن النسخ الأخرى ؛ وسقط مضمها من : بر من .

٥ المختار : وعذاباً .

والهوى يستزيد حالاً فحالا وكذا ينسلي قليلاً قليلاً
ويك لا تأمنن صروف الليالي إنها تترك الميزر ذليلاً
فكأنني بحسن وجهك قد صاحت به اللحية الرحيل الرحيل
فتبدلت حين بدلت بالنور ر ظلاماً ، وساء ذلك بديلاً
فكأن لم تكن قضيياً رطيباً وكان لم تكن كثيباً مهيباً
عندما يشمت الذي لم تصله ويكون الذي وصلت خليلاً
وله أيضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيها هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورود في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النومري : أنشدنا أبو القاسم نصر
ابن أحمد الخبزأرزي لنفسه :

بات الحبيب منادمي والسكر يصنغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا صبغ الخمار بعقلته
وهبت له عيني الكرى وتموضت نظراً إليه
شكراً لإحسان الزمان كما يساعدي عليه

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٤ ما مثاله : حكى أبو محمد عبد الله بن
محمد الأكفاني البصري ، قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر

١ ر : هلال السماء .

٢ ر : ظننت .

٣ كذا في ص ر ق وهي غير معجمة في المختار .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩٨ - ٢٩٩ .

وأبي الحسين ابن لنكك^١ وأبي عبد الله المفعج وأبي الحسن^٢ السباك ، في بطلالة عيد ، وأنا يومئذ صبي أصحبه ، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي ، وهو جالس يخبز على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالميد ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السنف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخلهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان ، فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين ابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ، وكانت ثيابه يومئذ^٣ جُدداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فمشينا في سكة بني سمرة ، حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المنى ، فجلس أبو الحسين ابن لنكك ، وقال : يا أصحابنا إن نصرأ لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، واستدعى دواة وكتب :

لنصر في فؤادي قَـرْطُ حَبِّـ أُنِيفَ بِهِ عَلَى كُلِّ الصَّحَابِ
 أَتَيْنَاهُ فَبَخَّرَنَا بِخُوراً مِّنَ السَّنْفِ الْمَدخَنِ لِثِيَابِ
 فَقَمْتُ مَبَادِرًا وَظَنَنْتُ نَصْرًا أَرَادَ بِذَلِكَ طَرْدِي أَوْ ذَهَابِي
 فَقَالَ : مَتَى أَرَاكَ أبا حَسِينٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا اتَّسَخْتُ ثِيَابِي

وأنفذ الأبيات إلى نصر ، فأملى جوابها ، فقرأناه فإذا هو قد أجاب :

منحتُ أبا الحسين صميم ودي فداعبني بالفاظ عذابِ
 أتى وثيابه كفتير شيبِ فعدن له كرىنعان الشبابِ
 ظننت جلوسه عندي لمرس فجدت له بتمسيك الثيابِ
 فقلت : متى أراك أبا حسين؟ فجاوبني : إذا اتسخت ثيابي
 فإن كان الترفه فيه خير فلم يكني الوصي أبا تراب

١ المختار : كنكل ، وتصحفت الكلمة حيث وقعت في المخطوطات ، وأثبتنا الصورة المشهورة للاسم حسب الضبط الذي انفردت به بعض النسخ في آخر الترجمة .
 ٢ ر ص ق : الحسين ؛ ق : السبال ؛ وفي تاريخ بغداد : السباك .
 ٣ ق : في غاية . ٤ ن : التفزز ؛ وفي ق ر صورة للكلمة مشابهة .

وحكى أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب « الهدايا والتحف »^١ أن الخبزأرزي أهدى إلى ابن يزداد والي البصرة فصاً وكتب معه :

أهديت ما لو أن أضعافه مُطْرَحٌ عندك ما بانا
كمثل بلقيسَ التي لم يبينْ إهداؤها عند سليمان
هذا امتحانٌ لك إن ترضه بانَ لنا أنك ترضانا

والشيء بالشيء يذكر - وجدت في هذا الكتاب نادرة طريفة فأحببت ذكرها ، وهي^٢ : كان بأصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان ، وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بأمر عمرو . فلإفراط حبه إياها وصبايته بها^٣ وهبها عدةً من ضياعه ، وكتب عليه بذلك كتباً ، وحمل الكتب إليها على بغل ، فشاع الخبر بذلك ، وتحدث الناس به واستعظموه ؛ وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن يحمله وقلة عقله أن سماكاً أهدى إلى أم عمرو جلوداً بيضاً لا كتابة فيها ، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويحلُّ موقعا عند من تهدي إليه ، فابتاع جلوداً كثيرة ، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك ، وأنفذها إلى التي يحب ، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه ، وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبداً ، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة ، ففعل ، وكانت الأبيات :

لا عاد طوعك من عصاك وحُرمت من وصلِ مُناكأ
فلقد فضحتَ العاشقِ من بقبج ما فعلت يداك

١ انظر الهدايا والتحف : ٢٢ - ٢٣ ؛ وفي ر : الهديات والتحف .

٢ المصدر السابق : ١٧٦ - ١٧٧ .

٣ ر : فلما أفرط حبه فيها وكثرت صبايته بها .

٤ ق : وعلمت ... رضاك .

أرأيت من يُهْدِي الجلو د إلى عشيقته سواكا
وأظن أنك رُمْتَ أن تحكي بفعلك ذا سماكا
ذاك الذي أهدى الضيا ع لأم عمرو والصكاكا
فبعثت منتنةً كآذ لك قد مسحت بهن فاك
من لي بقربك يا رقيب ع ، ولست أهوى أن أراك
لكن لملي أن أقط ع ما بعثت على قفاكا

ونقلت من هذا الكتاب أيضاً أن اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن
أذربيجان يريد أخرى ، وتحتة مهر له رائع ، وكانت السنة مجدبة ، فضمه
الطريق وغلاماً حدثاً على حمار له ، قال : فحادثته فرأيته أديباً راوية للشعر ،
خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة ، فسرنا بقية يومنا ، فأمسينا إلى
خان على ظهر الطريق ، فطلبت من صاحبه شيئاً نأكله ، فامتنع^٢ أن يكون
عنده شيء ، فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين ، فأخذت واحداً ودفعت إلى
ذلك الغلام الآخر ، وكان غمّي على المهر أن يبیت بغير علف أعظم من غمي على
نفسي ، فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال : ما أقدر منه على حبة
واحدة ، فقلت : فاطلب لي ، وجعلت له جميلة على ذلك ، فمضى وجاءني بعد
طويل وقال : قد وجدت مكثوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصها
عن مائة درهم ، فقلت : ما بعد بين الطلاق كلام ، فدفعت إليه خمسين درهماً ،
فجاءني بمكوك ، فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتي ، وحماره واقف بغير
علف ، فأطرق ملياً ثم قال : تسمع ، أيدك الله ، أحياناً حضرت الساعة ؟
فقلت : هاتها ، فأنشد :

يا سيدي شعري نفاية شعركا فلذاك نظمي ما يقوم بنثركا
وقد انبسطت إليك في إنشاد ما هو في الحقيقة قَطْرَةٌ من بحركا

١ الهدايا والتحف : ٩٤ .

٢ المختار : فأبى ؛ ص : فأنكر .

آنستي وسررتني وبررتني وجعلت أمري من مقدّم أمركا
وأريد أذكر حاجة إن تقضها أك عبد مدحك ما حبيت وشكركا
أنا في ضيافتك العشية ها هنا فاجعل حماري في ضيافة مهركا

فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره ، وابتعت المكوك الآخر
بخمسين درهماً ، ودفمته إليه .

وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود .

وأخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة . وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة ،
رحمه الله تعالى ، وتاريخ وفاته فيه نظر ، لأن الخطيب ذكر في تاريخه أن أحمد
ابن منصور النوشري المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة [لكن نقلت
تاريخ وفاته على هذه الصورة من تاريخ ابن الأزرقي الفارقي ، والله أعلم] .

والخبز أرازي : بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي وبعدها
همزة ثم راه ثم زاي ؛ وفتح الهمزة وضما وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز
يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة ، وفيها ست لغات : الواحدة بضم الهمزة
والراء وتشديد الزاي ، والأخرى بفتح الهمزة والباقي مثل الأولى ، والثالثة
أرز : بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي ، والرابعة مثل الثالثة لكن
الراء مضمومة ، والخامسة رز ، بضم الراء وتشديد الزاي ، والسادسة رز ،
بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي ؛ وإنما نسب نصر المذكور هذه النسبة
لأنه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره في أول هذه الترجمة .

ابن لنكك : بفتح اللام وسكون النون وكافين متوالين ، وهو لفظ أعجمي ،
معناه بالعربي أعيرج ، تصغير أعرج ، لأن كلمة لنك معناها أعرج ، وعادة
العجم إذا صفروا اسماً ألحقوا في آخره كافاً .

ومرّيد البصرة : بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وبعدها
دال مهملة ، وهو اسم موضع بالبصرة مشهور ، وهو في الأصل اسم لكل مكان
تحبس فيه الإبل وغيرها ، ثم صار علماً على الموضع المذكور .

١ زيادة من ق ن ر ص ؛ وهنا تنتهي الترجمة في ق ص .

أبو المرفف النميري

أبو المرفف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد^١ بن أثال بن ورد^٢ بن عطاق بن بشر بن جندل بن عبَّيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل ابن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، النميري ، الضرير الشاعر المشهور ؛ قدم بغداد في صباه ، وسكنها إلى حين وفاته ، وحفظ القرآن المجيد ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم . وقرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي ، وقال الشعر ، ومدح الخلفاء والوزراء والأكابر ، وحدث ، وكان زاهداً ورعاً ، حسن المقاصد في الشعر ، له ديوان شعر .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وذكر شيئاً^٣ من شعره ، وأورد نسبة على هذه الصورة وقال : هو الذي أملاه علي .
وعبَّيد الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر المشهور ، صاحب الديوان الشعر ، وكان بينه وبين جرير مهاجاة^٤ .

٧٦١ - ترجمته في الروضتين ٢ : ٢١١ ومرآة الزمان : ٤٢١ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٢٢ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٥٣ ومرآة الجنان ٣ : ٤٣٨ ونكت الهميان : ٣٠٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٨ والشذرات ٤ : ٢٩٥ وقد جاء نسبه مختصراً في ق .

١ ق : حمدان .

٢ ن : ورز ، ق بر من : وزر ؛ ص : وزرين .

٣ ص ق : أشياء .

٤ وهبيد ... مهاجاة : سقط من ق .

وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدرى وعمره أربع عشرة سنة ،
وذكر له العماد في « الخريدة » هذا المقطوع من شعره ، وهو :

ترى يتألفُ الشملُ الصديقُ وآمنُ من زماني ما يروعُ
وتأنسُ بعد وحشتنا بنجدِ منازلنا القديمةُ والربوعُ
ذكرتُ بأيمن العلينِ عصراً مضى والشملُ ملتئمٌ جميعُ
فلم أملكُ لدمني ردَّ غَرْبِ وعند الشوق تعصيكِ الدموعُ
ينازعني إلى خنساءِ قلبي ودون لقاءها بلدُ شَسُوعُ
وأخوفُ ما أخاف على فؤادي إذا ما أنجد البرقُ اللموعُ
لقد حُمِلتُ من طول التنائي عن الأحباب ما لا أستطيعُ

وشعره فيه رقة وجزالة ، وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين
ابن هُبَيْرَة - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وله فيه مدائح . وكانت ولادته
يوم الثلاثاء بعد العصر ، ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرقعة .
وتوفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين
وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .^١

والنميري : بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ،
هذه النسبة إلى نَمَيْر بن عامر المذكور في عمود النسب في أول الترجمة ،
والباقى معروف .

١ هنا تنتهي الترجمة في ق .

أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس ،
 اللخمي الأزهري الإسكندري ، الملقب القاضي الأعز ، الشاعر المشهور ؛
 كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً [ولم يكن له لحية بل كان سناطاً ، وقيل فيه
 أشعار بسبب ذلك فأضربت عن ذكرها لفحشها]^١ . صحب الشيخ الحافظ أبا
 طاهر أحمد بن محمد السلفي - المقدم ذكره - وانتفع بصحبته ، وله فيه غرر
 المدائح ، وقد تضمنها ديوانه ، وكان الحافظ المذكور كثيراً ما يثني عليه
 ويتقاضاه بمدحهم^٢ ، وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم - المقدم ذكره - بقصيدة
 موسومة أحسن فيها كل الإحسان ، وأولها^٣ :

ما ضر ذلك الرِّيمَ أن لا يَريمَ لو كانت يرثي لسليم سليم
 وما على مَنْ وصله جَنَّةٌ ألا أرى من صده في جحيم
 أعندما همتُ به روضةً أعلُّ جسمي لأكونَ النسيم
 رقيمٌ خد نام عن ساهرٍ ما أجدر النوم بأهل الرقيم
 وكيف لا يصرم ظيٌّ وقد سمعت في النسبة ظي الصريم
 وعاذلٍ دامَ ودامَ الدجى يهيمه نادمتها في يهيم

٧٦٢ - ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١ : ١٤٥ والروضتين ١ : ٢٠٥ ومجمع الأدباء ١٩ :

٢٣٦ ومرآة الجنان ٣ : ٣٨٢ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٢ والبداية والنهاية ٢ : ٢٦٩ والشذرات

٤ : ٢٢٤ والبدر السافر ، الورقة : ٢١١ .

١ زيادة من ص ن ق .

٢ ق ر : بمدحه .

٣ ديوانه : ٩٦ .

٤ ق : عاد وعاد .

يفيظني وهو على رسله والمرء في غيظ سواه حلیم
 قلت له لما عدا طوزة والقلب مني في العذاب الألم
 اعذر فؤادي إنه شاعر من حبه في كل واد يسم
 يا رب خرفم كاسها لم أقتنع من شربها بالشميم
 أتبت رشفاً قبلاً عندها وقلت هذا زمزم والحطم
 فافتتر إماماً عن أقاحي الرُّبَا يضحك أو درّ العقود النظم
 أو كان قد قبل مستحسناً ما قبل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والأسفار ، وفي ذلك يقول ١ :

والناس كثرة ولكن لا يقدر لي إلا مرافقة الملاح والحادي

وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن ، وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبي
 الندى بلال بن جرير الحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد بن
 الداعي سبأ بن أبي السعود بن^٢ زريع بن العباس الياامي ، صاحب بلاد اليمن ،
 فأحسن إليه وأجزل صلته ، وفارقه وقد أثرى من جهته ، فركب البحر ،
 فانكسر المركب به ، وغرق جميع ما كان معه بجريدة الناموس بالقرب من دهلك ،
 وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسة ، فعاد إليه
 وهو عريان ، فلما دخل عليه أنشده قصيدته التي أولها^٣ :

صدرنا وقد نادى السباح بنا ردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ، ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت
 لكفاه ، ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه ، وأولها^٤ :

١ ديوانه : ٣١ .

٢ بن : سقطت من : بر ر من .

٣ ديوانه : ٣٠ .

٤ ديوانه : ٣٨ .

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

ومنها :

يا راوياً عن ياسرٍ خبراً ولم يعرفه خُبراً
أقرأ بفترة وجهه صحف المنى إن كنت تقرا
والثم بنان يمينه وقل السلام عليك بحرا
وغلظت في تشبيهه بالبحر ، فاللهم غفراً
أوليس نلتُ بدا غِنَى جَمّاً ونلتُ بذلك فقرا
وعهدت هذا لم يزل مدأ ، وذاك يعود جزراً

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات - المقدم ذكره في حرف الهمزة - في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته ، وهي « الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه » ، والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضاً مأخوذ من قول صرّ دُرّ الشاعر - المقدم ذكره في حرف العين - وهو :

قلقل ركابك في الفلا ودع الغواني للخدور
فمحالفو أوطانهم أمثالُ سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت درر البحور إلى النحور

وله في جارية سوداء ، وهو معنى غريب :

رب سوداء وهي بيضاء معنى نافس المسك عندها الكافور
مثل حبّ العيون يحسبه النا من سواداً ، وإنما هو نور

١ ديوان صر در : ٢١٠ .

٢ بر : نافر .

ومحاسن ابن قلاص نادرة^١ . وكانت ولادته بشفر الإسكندرية يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسة . وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسة بعيذاب ، رحمه الله تعالى .

ودخل صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين ، وكان وصوله إلى اليمن سنة خمس وستين ، وكان بصقلية بعض القواد ، يقال له القائد أبو القاسم ابن الحجر فاتصل به وأحسن إليه ، وصنف له كتاباً سماه « الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم » وأجاد فيه ، ولما فارق صقلية راجعاً إلى الديار المصرية ، وكان في زمن الشتاء ، ردت الرياح إلى صقلية ، فكتب إلى أبي القاسم المذكور^٢ :

منع الشتاء من الوصول مع الرسول إلى ديارى
فأعادني وعلى اختيارى ري جاء من غير اختياري^٣
ولربما وقع الحميا وكان من غرض المكاري

وقلاص : بقافين ، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة ، وهو جمع قلاص بضم القاف وهو معروف .
واللخمي : تقدم الكلام عليه وكذلك الأزهري .

وعيذاب : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الألف باء موحدة ، وهي بليدة على شاطئ بحر جدة ، يعدي منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز^٤ ، على طريق قوص ، في ليلة واحدة ، في أغلب الأوقات ، فيصل إلى جدة ، ومنها إلى مكة - حرسها الله تعالى - مسافة

١ ص بر من : كثيرة ؛ ر : ونوادره كثيرة .

٢ انظر دراسة عن ابن قلاص في صقلية في كتاب « العرب في صقلية » ٢٨٧ - ٢٩٥ وقد نقل العماد في الحريرة كثيراً عن كتابه الزهر الباسم (مخطوطة نور عثمانية رقم ٣٧٧٤) .

٣ سقط البيت والذي يليه من ص ن ق .

٤ ص : تعدي منها المراكب إلى الحجاز ؛ ق : يعني يعدي المركب منها إلى الحجاز أعني الركب المصري إذا توجه إلى الحجاز .

يوم ، ويجدة قبر أم البشر حواء ، رضي الله عنها ، على ما يقال ، وقبرها هناك
ظاهر يزار .
وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه - المقدم ذكره - عند
دخوله اليمن .

٧٦٣

ضياء الدين ابن الأثير

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب ضياء الدين ؛ كان مولده يجزيرة
ابن أبي عمّر ، ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل [في رجب سنة تسع
وسبعين وخمسة] ^٢ وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً
من الأحاديث النبوية وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً
من الأشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه « الوشي المرقوم » ما مثاله :
« وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثه ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت
بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن أوس ، يعني أبا تمام ، وأبي عبادة
البحري ، وشعر أبي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت
أكرر عليها بالدرس مدة سنين ، حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الإدمان
لي خلقاً وطبعاً » وإنما ذكر هذا الفصل في معرض أن المنشئ ينبغي أن يحمل

٧٦٣ - ترجمته في ذيل الروضتين : ١٦٩ والحوادث الجامعة : ١٣٦ والبدر السافر ، الورقة : ٢٠٥
ومرآة الجنان : ٤ : ٩٧ وعبر الذهبي : ٥ : ١٥٦ والشذرات : ٥ : ١٨٧ وروضات الجنات : ٦٥٨
وللككتور زغلول سلام دراسة عنه (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) وفيه اشارة إلى مصادر اخرى .
١ - هذا هو الوجه الذي اختاره المؤلف دائماً في المسودة ، ولكن النسخ ما عدا بر ظلت تكتبه « ابن
عمر » وكذلك ورد في المختار .

٢ - زيادة من ر ص ق .

دأبه في الترسّل حلّ المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة .
ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ، تقدمه الله برحمته ، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة ، ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده ، فخيره صلاح الدين بين الإقامة^١ في خدمته ، والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقياً عليه ، فاختر ولده ، فمضى إليه ، وكان يومئذ شاباً ، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على - المقدم ذكره - رحمه الله تعالى ، وحسنت حاله عنده .

ولما توفي السلطان صلاح الدين ، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق ، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس إليه ، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ، ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد - حسباً شرحناه في ترجمته - وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها ، وهو باقتله ، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً في صندوق مقفل عليه ، ثم صار إليه^٢ ، وصحبه إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور - وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل فأغنى عن الإعادة .

ولما قصد الملك العادل الديار المصرية ، وأخذها من ابن أخيه - كما ذكرناه هناك - وتعرض الملك الأفضل البلاد الشرقية ، وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته ، لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها

١ ر : المقام ؛ ق : بين خدمته والاقامة عنده .

٢ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت اعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : سمعت والذي رحمه الله تعالى يحكي أن الملك العادل لما تسلّم قلعة دمشق من ابن أخيه الأفضل تطلب ضياء الدين كثيراً فلم يظفر به ، فلما حصل الشروع في نقل متاع الأفضل وماله من القلعة قال العادل : ما آمن أن يكون المذكور في بعض الصناديق مستخفياً ، فخرج بنفسه وجلس بدركاه القلعة على صندوق من متاع الأفضل وأمر أن يفتح بين يديه كل صندوق يريدون إخراجه ففعل ذلك ، واتفق جلوسه على الصندوق الذي فيه المذكور فلما تكامل نقلهم الصناديق قام العادل مغضباً لكونه ما ظفر به وغفل عن الصندوق الذي كان جالساً عليه وهذا من غريب الاتفاق . »

مستتراً ، وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حاله ، وهي موجودة في ديوان رسائله ، وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ، ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وسبعمائة ، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب - المقدم ذكره - فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره ، وخرج مغضباً وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله ، فورد إربل فلم يستقم حاله ، فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته واستقر ، وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه - المقدم ذكره في حرف الهمزة - وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري ، وذلك في سنة ثمان مائة وعشرة وسبعمائة .

ولقد ترددتُ إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات ، وهو مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لأخذ عنه شيئاً ، ولما كان بينه وبين الوالد ، رحمه الله تعالى ، من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت إلى الشام وأقيمت به مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة ، وسيأتي تاريخه في أواخر الترجمة إن شاء الله تعالى .

ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبذه ، كتابه الذي سماه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، فوصل إلى بغداد منه نسخة ، فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني ، وقصدى لمؤاخذته والرد عليه ، وعننته^٢ في ذلك ، وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالي أحمد ، ويدعى القاسم أيضاً ، فكتب إلى أخيه المذكور قوله :

١ ص ر : بها .

٢ ق : وعنفته ؛ ر : وعنته .

المثل السائر يا سيدي صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر تصير فيه المثل السائرا

(283) وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمداين يوم السبت مستهل ذي
الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة . وتوفي في بغداد سنة خمس وخمسين وستائة .
(284) وتوفي أخوه موفق الدين المذكور ببغداد ، في سنة ست وخمسين
وستائة ، بعد أن أخذها التتر بقليل . وكانا فقيهين أديبين فاضلين ، لها أشعار
مليحة . ومولد موفق المذكور في جمادى الآخرة ، وقيل في شهر ربيع الأول ،
سنة تسعين وخمسمائة بالمداين .

وله كتاب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وهو مع وجازته في غاية الحسن
والإفادة ، وله كتاب « المعاني المحترعة في صناعة الإنشاء » ، وهو أيضاً نهاية
في بابيه ، وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحري وديك الجن والمني ، وهو
في مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد ، وقال أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ
إربل » : نقلت من خطه ، في آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله :

تمتع به علقاً نفيساً فإنه اخ تيار بصير بالأمر حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج إليه قوم

وله أيضاً ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد . ومن
جملة رسائله ، ما كتبه إلى مخدومه وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد :
« وينهي أنه سار عن الخدمة ، وقد ضرب الدجُنُ فيه مضاربه ، وأسبل عليه
ذوائبه ، وجمل كل قرارة حفيراً ، وكل رَبْوَة غديراً ، وخط كل أرض خطأ ،
وغادر كل جانب شطاً ، كأنه يوازي يدَ مولانا في شيمة كرمها ، والتثاث
صوبَ ديمها ، والملوك يستغفر الله من هذا التمثيل ، العاري عن فائدة التحصيل ،
وفرق بين ما يملأ الوادي بمائه ، ومن يملأ النادي بنعمائه ، وليس ما ينبت زهراً
يذبه المصيف ، أو تمرأ يأكله الخريف ، كمن ينبت ثروة تغوث الأعطاف ،
ويأكل المرتبوع والمصطاف ، ثم استمر على مسير يقاسي الأرض ووحلها ، والسماء
ووبلها ، ولقد جاد حتى أضجر ، وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق ، وما خاف

المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ، ولم يزل من مواقع قطره في حرب ،
ومن شدة برده في كرب ، والسلام .

ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام ، المعروف بالحاجري
الإربلي - المقدم ذكره - هذا المعنى ، وهو قوله « ومن شدة برده في كرب »
أعجبه ونظم أبياتا ، ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى ، وهو :

ويلاه من برد رُضابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريق^١

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق^٢ إلى الوقوف على بقية الأبيات ،
وهي قليلة فلا بأس بذكرها ، وهي^٣ :

بين لوي الجزع ووادي العقيق من لا إلى السلوان عنه طريق^٤
جانٍ جنى النحلة من ريقه حلو الثشي والثنايا رشيق
لو لم تكن وجنته جنة^٥ ما أنبتت ذاك العذار الأنيق
ويلاه من برد رُضابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريق
واعجبا يفعل بي في الهوى ما تفعل الأعداء وهو الصديق
روحي فدى الظي الذي قدّه^٦ يفعل فعل السمهي^٧ الدقيق

وقد سبق في ترجمة النقيس القُطْرُسي - في حرف الهمزة^٢ - بيت من جملة
أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى ، وهو قوله :

أحرقت يا ثغر الحيد ب حشاي لما ذقتُ بردك

وأصل هذا المعنى لابن التعاويذي - المقدم ذكره - في بيت من جملة قصيدته
النونية المشهورة ، وهو :

يذكي الجوى بارد من ثغره شيم^٨ ويوقظ الوجد طرف منه وسان^٩

١ ر : تشوف ؛ ق ن : تشوق .

٢ ق : وهي مذكورة فنذكرها الآن .

٣ انظر ج ١ : ١٦٤ .

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة ، وهي : « ودولته هي الضاحكة ، وإن كان نسبها إلى العباس ، فهي خير دولة أخرجت للزمن ، كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ، ولم يجعل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلاً بأنها لا تهزم ، وأنها لا تزال محبوبة من أبنكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم ، وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها ، وهو مما لم تحطه الأقلام في صحفها ، ولا أجالته الخواطر في أفكارها . ولعمري ما أنصف ضياء الدين في دعواه الاختراع لهذا المعنى ، وقد سبقه إليه ابن التعاويذي في قصيدته السينية ، التي مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس في دَسْتِ الخلافة ، وهو يوم الأحد مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسة ، وأول القصيدة :

طافَ يَسْعَى بها على الجلاس كفضيب الأراكِ الميَّاسِ

ومنها عند المخلص ، وهو المقصود بالذكر هاهنا :

يا نهارَ المشيب من لي وهيها ت بلبيل الشيبية الديماس
 حالَ بيني وبين لَهوي وأطرا بي دهرٌ أحال صبغة راسي
 ورأى الغانياتُ شبي فأعرضُ نَ وقلن السوادُ خير لباس
 كيف لا يفضل السوادُ وقد أضحى شعاراً على بني العباس

ولا شك أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى ، لكن ابن التعاويذي هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل ، فسهل على ضياء الدين سلوكه .

وله من جملة رسائله في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وهو معنى غريب : « وهذا^٢ لمبتدأ ضعفي خبّر ، ولقوس ظهري وتر ، وإن كان إلقاؤها دليلاً على الإقامة فإن حملها دليل على السفر » . وله في وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرية بهزيمة الكفار وهو : « فسلبوا وعاضتهم الدماء

١ ديوانه : ٢٣٦ .

٢ ق ص ن : وهذه .

عن اللباس ، فهم في صورة عار وزيم زي كاس ، وما أسرع ما خيَّطَ لهم لباسُ المحمر ، غير أنه لم يُجَبَّ عليهم ولم يزر ، وما لبسوه حتى لبس الإسلام شعار النصر ، الباقي على الدهر ، وهو شعار نسجه السنان الحارق ، لا الصنع الحاذق ، ولم يغب عن لابسه إلا ريثاً غابت البيض في الطُّلى والهام ، وألف الطعن بين ألف الخط واللام .

وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحثري :

سلبوا وأشرفتِ الدماء عليهمُ محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهي طويلة ، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع غريب ، لم أقف لغيره على أسلوبه ، وهو قوله : « وعذبُ رضابه فضاهى جَنَى النحل ، واحمر صفيحه فعلت أنه قد قَتَلَ المحل » . وهذا المعنى نهاية في الحسن ، ثم إني وجدت هذا المعنى لبعض العرب ، وقد أخذ ضياء الدين منه ، وهو قوله :

لله قلب ما يزال يَرُوعُهُ برق الغمامة منجداً أو مغفورا
ما احمرُّ في الليل البهيم صفيحه متجرداً إلا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله إلى هذا المعنى ، ومثله قول عبد الله ابن المعتز المقدم ذكره في غلام أرمذ :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم : من كثرة القتل مَسَّها الوَصَبُ
حُمَرَتِها من دماء من قتلت والدمُّ في النَّصَلِ شاهد عَجَبٌ

١ ق : يجيب... يزرر .

٢ ص : الصانع .

٣ علق ابن المؤلف عند هذا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن احمد لطف الله به : لما أعيد والذي رحمه الله تعالى إلى قضاء دمشق والشام في أول سنة سبع وسبعين وستمائة ورد عليه كتاب السلطان الملك السعيد ابن الملك الظاهر يخبره بوفاء النيل ، وهو أول كتاب ورد عليه وكان من إنشاء تاج الدين أحمد بن الأثير الحلبي رحمه الله وفيه بعد الألقاب المعتادة: لا زالت أيامه =

وله كل معنى مليح في الترسل ، وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله ،
فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها ، وكان بينها مكاتبات ومجاوبات ، ولم يكن له في
النظم شيء حسن ، وسأذكر منه أنموذجاً وهو :

ثلاثة تعطي الفرح كأس وكوب وقدح
ما ذُبِحَ الزق لها إلا وللهم ذَبَحْ

وكان كثيراً ما ينشد :

قلب كفاء من الصبابة أنه لبى دعاء الطاعنين وما دُعِي
ومن الظنون الفاسدات توهي بعد اليقين بقاءه في أضلعي

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقير عمارة اليمني - المقدم ذكره .
ومحاسنه كثيرة ، وقد طال الشرح .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» وبالغ في الثناء عليه وقال :
ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستائة ، وكانت ولادته
بجزيرة ابني عُمَر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخسين وخمسةائة ؛
وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستائة ، ببغداد ، وقد توجه إليها
رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلي عليه من الغد بمجامع القصر ودفن بمقابر
قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر ، رضى الله عنها .
قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في «تاريخ بغداد» : توفي يوم
الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو أخير ، لأنه
صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم .

= مستفتحة بالهناء وسعادة الآناء واشادة الثناء إذ كان أمل غيره من دهره اشادة البناء ؛ نوضح لعلكم
الكريم أننا سطرناها والنيل المبارك بحمد الله قد وفى ، وعفى من آمال القائظة ما عفى ، ومرعى البلاد
خصيب ، والري قد قتل المحل وكفه من دمه خضيب ، والديار المصرية قد تجمع بها اشادات المحاب
وغنيت بمواقع نيلها عن تحمل منة السحاب ؛ وقوله في الدعاء : « واشادة الثناء إذ كان أمله من
غيره اشادة البناء » فيه معنى قصده يحتاج إلى إيضاح وهو : أن الحاكم المباشر قبل الوالد كان
يكثُر في مجالسه القول : عمرت في الأوقات كذا وبنيت للأيتام كذا ، والله أعلم ؛ ٥١ .

وقد تقدم ذكر أخويه : مجد الدين أبي السعادات المبارك ، وأبي الحسن علي
الملقب عز الدين ، وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم
تصانيف نافعة ، رحمهم الله تعالى^١ .

(285) وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن ، وصنف
عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً جمعه للملك الأشرف
ابن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل
أبيه ، ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتوفي بكرة
نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمئة ، واسمه محمد ، ولقبه
الشرف ، رحمه الله تعالى .

٧٦٤

النضر بن شميل

أبو الحسن النضر بن شميل بن خَرَشَةَ بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن
زهير السَّكْب ، الشاعر ، ابن عروة بن حلّيمة^٢ بن حُجْر بن خَزَاعِيّ بن مازن
ابن مالك بن عمرو بن تميم ، التميمي المازني النحوي البصري ؛ كان عالماً بفنون
من العلم صدوقاً ثقة ، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية
الحديث ، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ؛ ذكره أبو عبيدة في كتاب
« مثالب أهل البصرة »^٣ فقال : ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري

١ وقد تقدم... تعال: تأخرت هذه الفقرة في ر حتى آخر الترجمة، وبها تنتهي الترجمة في: بر من.

٧٦٤ - ترجمته في نور القبس : ٩٩ - ١٠٤ ومعجم الادباء ١٩ : ١٣٨ وجمهرة ابن حزم : ٢١١

وتذكرة الحفاظ : ٣١٤ وعبر النهي ١ : ٣٤٢ و«مرآة الجناب» ٢ : ٨ و«انباه الرواة» ٣ : ٣٤٨

ومصادر أخرى في الحاشية ؛ وقد جاءت هذه الترجمة شديدة الإيجاز في المختار .

٢ ق ص : حكيمة ؛ وفي التاج (سكب) : حلمة ؛ وفي شرح البكري على الأمالي : ٤٤١

جلهمة مع أنه في أصلي الكتاب «حليمة» .

٣ ق : مثالب العرب من أهل البصرة .

بالبصرة فخرج يريد خراسان ، فشيعة من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري^١ ، فلما صار بالمريد جلس فقال : يا أهل البصرة ، يعز عليّ فراقكم ، ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتم ، قال : فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك ، فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالاً عظيماً ، وكانت إقامته بمرو . وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد^٢ .

وسمع من هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وحُميد الطويل وعبد الله ابن عَوْن وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين ، وروى عنه يحيى بن معين وعلي ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره ، ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زماناً وسمع منه أهلها .

وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيماً بمرو حكايات ونوادير ، لأنه كان يجالسهم ، فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب « درة الفواص في أوهام الخواص » في قوله^٣ : ويقولون هو سداد من عَوَز ، فيلحنون في فتح السين^٤ ، والصواب أن يقال بالكسر : وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم ، وساق خبره ، وذكر إسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الأهوازي قال : حدثني النضر بن شميل قال : كنت أدخل على المأمون في سمره ، فدخلت ذات ليلة وعليّ ثوب مرقوع ، فقال : يا نضر ، ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ ضعيف وحرّ مرّو شديد ، فأتهرد بهذه الخلقان ، قال : لا ، ولكنك قشف ، ثم أجرينا الحديث ، فأجرى هو ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنها

١ ر : يتكلف ؛ بر من : فلم يكن فيهم من يتكلف .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

٣ درة النواص : ١٠٥ - ١٠٧ .

٤ ق ص ن : في السين بفتحها .

٥ الدرّة : قميص .

قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » فأورده بفتح السين ، قال : فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً^٢ ، وقال : يا نصر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ها هنا لحن قال : أو تلحنني ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد ، بالفتح ، القصد في الدين والسبيل ، والسداد ، بالكسر ، البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ، هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتسى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تفر

فقال المأمون : قبح الله من لا أدب له ، وأطرق ملياً ثم قال : ما مالك يا نصر ؟ قلت : أريضة لي بمرور أتصابها وأتمزها^٣ ، قال : أفلا تفيدك مالا معها ؟ قلت : إني إلى ذلك لاحتاج ، قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب . ثم قال : كيف تقول إذا أمرت أن يترب ؟ قلت : أتربه ، قال : فهو ماذا ، قلت : مترب ، قال : فمن الطين ؟ قلت : طينه ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مطين ، قال : هذه أحسن من الأولى ، ثم قال : يا غلام ، أتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء وقال لخدمته : تبلغ معه إلى الفضل بن سهل ؛ قال : فلما قرأ الفضل الكتاب ، قال : يا نصر ، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم ، فما كان السبب فيه ؟ فأخبرته ولم أكذبه ، فقال : لحن أمير المؤمنين ؟ فقلت : كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، وقد تثنى ألفاظ

١ ن ر : فيه .

٢ ر : فجلس .

٣ ق : وأتمورها ؛ ص : وأتموزها .

٤ بر من : القرطاس .

الفقهاء ورواة الآثار . ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني .

والبيت الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي العرجي الشاعر المشهور ، وهو من جملة أبيات له ، وهي هذه الأبيات ١ :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغري
وصبر عند مُعْتَرَكِ المنايا وقد شرعت أسنئتها لنخري
أجرر في الجوامع كل يوم في الله مظمتي وقسري
كأنني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبي في آل عمرو
عسى الملك الجيب لمن دعاه سينجيني فيعلم كيف شكري
فأجزى بالكرامة أهل وُدِّي وأجزى بالضغائن أهل وتري

[والعرجي : بفتح العين وسكون الراء وفي آخرها جيم ، هذه النسبة إلى العرج ، وهو موضع بمكة سمي به ؛ وقال ابن الأثير في كتاب «تهذيب النسب» : العرج بين مكة والمدينة ، وليس بمكة ، والله أعلم .
وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : لما حبس المنصور عبد الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فبلغ ذلك المنصور فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا عندنا أبر من نفسه . قال إسحاق ، وقال الأصمعي : مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغري

١ ديوان العرجي : ٣٤ .

٢ الديوان : وغلوني لمعترك المنايا ؛ ق : فصبراً ؛ ر : وصبري .

٣ الجوامع : جمع جامعة وهي القيد .

فقلت: أما سداد الكنيف فأنت مليّ به، وأما الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه، وكنت حديث السنّ وأردت العبث به، فأعرض عني ملياً، ثم أقبل عليّ متمثلاً يقول:

وأكرمُ نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فقال لي: والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه، فقلت: وما هو؟ قال: الحاجة إليك وإلى أمثالك [١].

وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبّبُ بأمه جيّداً، وهي من بني الحارث بن كعب، ولم يكن ذلك لمحبهته إياها، بل ليفضح ولدها المذكور، وأقام في حبسه تسع سنين، ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسياط وشهره بالأسواق، فعمل هذه الأبيات في السجن [٢].

[قال إسحاق: وكان الوليد بن يزيد مضطغناً على محمد بن هشام أشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام، ثم دعا بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، فقال: وأي قرابة بيني وبينك، هل أنت إلا من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عبد الملك، قال: فلم تحفظه؛ قال: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب قريش بالسياط إلا في حد، قال: ففي حدّ أضربك وقود، [أنت ممن سنّ] ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما راعيت حق جده ولا نسبته إلى هشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثاره، اضرب يا غلام، فضرهها ضرباً مبرحاً وأثقل بالحدديد ووجهها إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمر باستقصائها وتمذيبيها حتى يتلفا،

١ زيادة انفردت بها ر، وانظر الأغاني ١: ٣٩٠.

٢ وكان سبب... السجن: هذه الفقرة وقعت في ر بعد الزيارة التالية، ولكننا قدمناها ليطرد السياق؛

وواضح من إيراد الزيادتين معاً أنهما نقل مباشر عن الأغاني.

وكتب إليه : احتبسها مع ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، إن عاش أحد منها ؛ فعذيبها عذاباً شديداً وأخذ منها مالا عظيماً ، حتى لم يبق فيها موضع للضرب ، وكان محمد بن هشام مطروحاً فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجدبوه بها ، ولما اشتد الحال بها تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوق عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معها في يوم واحد .
 قال إسحاق : غنيت الرشيد يوماً في عرض الغناء :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر

فقال لي : ما كان سبب العرجي حتى قال الشعر؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى آخره إلى أن مات فرأيته يتغير كلما مر به شيء ، فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام ، فجعل وجهه يسفر وغضبه يسكن ، فلما انقضى الحديث قال : يا إسحاق والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من بني مخزوم إلا قتلته بالمرجي [١] .

وقد خرجنا عن المقصود ، ونرجع الآن إلى تمة أخبار النضر بن شميل . فمن ذلك ما حكاه الحريري في «درة الغواص»^٢ أيضاً في أوائل الكتاب في قوله : ويقولون للمريض^٣ : مسح الله ما بك ، بالسين ، والصواب فيه مَصَح ، بالصاد ، فقال : ويحكى أن النضر بن شَمِيل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه ، فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح : مسح الله ما بك ، فقال : لا تقل مسح بالسين ولكن قل مَصَح بالصاد ، أي أذهب وفرقه ، أما سمعت قول الأعمى :

وإذا ما الحرف فيها أزيدت أقل الإزباد فيها ومصح

فقال له الرجل : إن السين قد تبدل من الصاد ، كما يقال الصراط والسراط ،

١ زيادة انفردت بها ر ، وانظر الأغاني ١ : ٣٩١ - ٣٩٢ .

٢ درة الغواص : ١٤ - ١٥ .

٣ للمريض : سقطت من : ق ن ر .

وسقر وصقر ، فقال له النضر : فإذا أنت أبو صالح ؛ ويُسببه هذه النادرة ما حكى أيضاً : أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات : أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع ، فقال له الوزير : أتقرأ ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ (الرعد : ٢٣) أم من سلح ؟ فخيّل الرجل وانقطع ؛ انتهى كلام الحريري .

قلت أنا : والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال الصاد من السين : أن كل كلمة كان فيها سين ، وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة - وهي الطاء والخاء والغين والقاف - فيجوز إبدال السين بالصاد ، فنقول في « السراط » الصراط ، وفي « سخر لكم » صخر ، وفي « مسغبة » مصغبة ، وفي « سيقل » صيقل ، وقس على هذا كله . ولم أر في شيء من كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافاً ، سوى الجوهري في كتاب « الصحاح » في لفظة صدغ^١ ، فإنه قال : وربما قالوا السدغ بالسين ، قال قطرب محمد بن المستنير : إن قوماً من بني تميم يقال لهم بَلَعَنَبْر يقبلون السين صاداً عند أربعة أحرف ، عند الطاء والقاف والغين والخاء ، إذا كن بعد السين ، ولا يبالي أثنائية كانت أم ثالثة أم رابعة ، بعد أن تكون بعدها ، يقولون : سراط وصراط ، وبسطة وبصطة ، وسيقل وصيقل ، وسرقت وصرقت ، ومسغبة ومصغبة ، ومسدغة ومصدغة ، وسخر لكم وصخر لكم ، والسخب والصخب ؛ انتهى كلامه في هذا الفصل .
وأخبار النضر كثيرة ، والاختصار أولى .

وله تصانيف كثيرة ، فمن ذلك^١ : كتاب في الأجناس على مثال « الغريب » وسماء : « كتاب الصفات » . قال علي بن الكوفي : الجزء الأول منه يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب . والجزء الثالث يحتوي على الإبل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والحكأة والآبار والحياض والأرشيّة والدلاء وصفة الخمر^٢ . والجزء الخامس

١ الصحاح ٤ : ١٣٢٣ .

٢ انظر انباه الرواة ٣ : ٣٥٢ .

٣ ص ن : الحمر .

يحتوي على الزرع والكرم والعنب^١ وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار. وله كتاب « السلاح » ، وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « الأنواء » وكتاب « المعاني » وكتاب « غريب الحديث » وكتاب « المصادر » وكتاب « المدخل إلى كتاب العين للخليل بن أحمد » ، وغير ذلك من التصانيف .
وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع ومائتين ، وقيل في أولها ، وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان ، وبها ولد ، ونشأ بالبصرة فلذلك نسب إليها ، رحمه الله تعالى .

والتضمر : بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء .
وشمیل : بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام .

وخرشة : بفتح الحاء المعجمة والراء والشين المعجمة .
وكلثثوم : بضم الكاف والهاء المثلثة وبينهما لام ساكنة .
وعبدة : بفتح العين والذال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة .
والسكب : بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة ، وإنما قيل له « سكب » لقوله^٢ :

برق يضيء خلال البيت أسكوب

وحليمة : بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها .
وقال ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » في ترجمة السكب : هو زهير بن عروة ابن جلهمة ، والله أعلم بالصواب .
وجلهمة : بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة ، وهو في الأصل : اسم لجنب الوادي ، يقال له : جلهمة ، وجلهمة : بفتح الجيم والهاء بغير ميم ، وبه سمي الرجل .

وحجبر : بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء .

١ والعنب : سقطت من ق : وفي الانباه : والغيث .

٢ انظر التاج (سكب) والسمط : ٤٤١ .

وخزاعي : بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مكسورة
ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب .
والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

٧٦٥

الإمام أبو حنيفة

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي ، مولى تيم الله
ابن ثعلبة ، وهو من رهط حمزة الزيات ؛ كان خزازاً يبيع الخبز ، وجدّه
زوطى من أهل كابل ، وقيل من أهل بابل ، وقيل من أهل الأنبار ، وقيل
من أهل نسا ، وقيل من أهل ترمذ ، وهو الذي مَسَّه الرق فأعتق ، وولد
ثابت على الإسلام .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن
ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من أبناء فارس من الأحرار ، والله ما وقع
علينا رق قط . ولد جدي سنة ثمانين ، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب ،
رضي الله عنه ، وهو صقير ، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ، ونحن نرجو أن
يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلينا ، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو
الذي أهدى لعلينا بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الفالودج في يوم المهرجان النيروز^٢ ،

٧٦٥ - مصادر ترجمته أكثر من أن يحاط بها ولكننا نشير إلى تذكرة الحفاظ : ١٦٨ وتاريخ بغداد

١٣ : ٣٢٣ والجواهر المضية ١ : ٢٦ - ٣٢ ومراة الجنان ١ : ٣٠٩ وعبر الذهبي ١ : ٢١٤

والشذرات ١ : ٢٢٧ والبداية والنهاية ١٠ : ١٠٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢ وانظر بروكلمان

(الترجمة العربية) ٣ : ٢٣٦ - ٢٤٥ وبهذه الترجمة تبدأ (ع) .

١ ر : جدي ثابت .

٢ ق ن ع ص : مهرجان النيروز ؛ قلت والمهرجان غير النيروز ، وسبب الاضطراب في النسخ وجود

الروايتين في تاريخ بغداد .

فقال : مَهْرَجُونَا كل يوم ، هكذا قال الخطيب في تاريخه ، والله تعالى أعلم .

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم وهم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه^٢ ، وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٣ أنه رأى أنس بن مالك ، رضي الله عنه . وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر وناهما مولى عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، وهشام بن عروة وسماك بن حرب ؛ وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم .

وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى ، ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن^٤ ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل [فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، وقال : إني لن أصلح إلى قضاء] فقال الربيع بن يونس الحاجب : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدرُ مني على كفارة أيماني ، وأبى أن يلي ، فأمر به إلى الحبس في الوقت ، والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبب أياماً ليكفر بذلك عن يمينه ، ولم يصح هذا من جهة النقل . وقال الربيع : رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء ، وهو يقول : اتق الله ، ولا ترعي^٥

١ زاد في ع[وهامش ص : نيرزونا ، وفي بر من : مهرجونا أي نيرزونا ، وفي تاريخ بغداد - في إحدى الروايتين : نورزونا .

٢ ر ص : إلا وأخذ عنه .

٣ ١٣ : ٣٢٤ .

٤ زيادة من المطبوعة المصرية لم ترد في المخطوطات المعتمدة ، وهي واردة في تاريخ بغداد : ٣٢٨ .

٥ هكذا في تاريخ بغداد والنسخ .

أمانتك إلا من يخاف الله ، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك، ثم تهددتنى أن تفرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون إلى مَنْ يكرمهم^٢ لك ، ولا أصلح لذلك ، فقال له : كذبت أنت تصلح ، فقال له : قد حكمت لي على نفسك ، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب ؟

وحكى الخطيب أيضاً في بعض الروايات^٣ : أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ، ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ، أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به ، فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى ، فقال له : إن لم تفعل ضربتك بالسياط ، قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ، ففعد في القضاء يومين فلم يأته أحد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفّار ومعه آخر ، فقال الصفار : لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صُفر^٤ ، فقال أبو حنيفة : اتق الله وانظر فيما يقول الصفّار ، قال : ليس له عليّ شيء ، فقال أبو حنيفة للصفار : ما تقول ؟ فقال : استحلّفه لي ، فقال أبو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو ، فجعل يقول ، فلما رآه أبو حنيفة معتمداً على أن يقول قطع عليه وضرب بيده إلى كفه ، فحلّ صرة وأخرج درهين ثقيلين وقال للصفار : هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك ، فنظر الصفار إليها وقال : نعم ، فأخذ الدرهمين ، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات . وكان^٥ يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزاري أمير العراقيين أراد أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط ، كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلّى سبيله . وكان أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة ، وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن .

١ ن ر ص : أبي .

٢ ق : إلى أن يكرموا .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٩ .

٤ تور صفر : وعاء نحاس .

٥ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٧ .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : مررت مع أبي بالكُناسة فبكي ، فقلت له : يا أبت ما يبكيك ؟ فقال : يا بني ، في هذا الموضع ضرب ابن هُبيرة أبي عشرة أيام ، في كل يوم عشرة أسواط ، على أن يلي القضاء ، فلم يفعل .

والكُناسة ، بضم الكاف ، موضع بالكوفة .

[قال الفضل بن غانم : كان أبو يوسف مريضاً شديداً المرض فعاده أبو حنيفة مراراً ، فصار إلى آخر مرة ، فرآه ثقيلًا فاسترجع ثم قال : لقد كنت أوْملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير . ثم رزق العافية وخرج من الغد فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلساً في الفقه ، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلساً وأنه يلقي كلامك فيه ، فدعا رجلاً كان له عنده قدر فقال : سر إلى مجلس يعقوب فقل له : ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب ، فقال له القصار : ما لك عندي شيء وأنكره ، ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصوراً ، أله أجره ؟ فإن قال لك : له أجره فقل له أخطأت ، وإن قال : لا أجره له فقل : أخطأت ؛ فسار إليه وسأله ، فقال أبو يوسف : له أجره ، فقال : أخطأت ، فنظر ساعة ثم قال : لا أجره له ، فقال له : أخطأت ، فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال : ما جاء بك إلا مسألة القصار ، قال : أجل ، قال : سبحان الله ، من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره ، لا يحسن أن يجيب في مسألة من الاجارات ؟ فقال : يا أبا حنيفة ، علمني ، فقال : إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجره لأنه قصر لصاحبه ؛ ثم قال : من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه]^١ .

وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس ، شديد الكرم حسن المواساة لإخوانه ، وكان ربعة من الرجال ، وقيل كان طووالاً تعلوه سمرة ، أحسن

١ زيادة من ر ، ويبدو أنها مقحمة ، لأن سياق الترجمة حتى هذا الحد كان تلخيصاً مرتباً عن تاريخ

بغداد ، وهذه الحكاية تجيء في ص : ٣٤٩ من تاريخ الخطيب .

الناس منطقاً وأحلام نعمة .

وذكر الخطيب في تاريخه^١ أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه يندبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث مَنْ سأل ابن سيرين ، فقال ابن سيرين : صاحب هذه الرؤيا يثور^٢ علماً ، لم يسبقه إليه أحد قبله .

قال الشافعي^٣ ، رضي الله عنه ، قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقم بحجته .

وروى حرمة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال^٤ : الناس عيال على هؤلاء الخمسة ، من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير ابن أبي سلمى ، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان ، هكذا نقله الخطيب في تاريخه .

وقال يحيى بن معين : القراءة عندي قراءة حمزة ، والفقه فقه أبي حنيفة ، على هذا أدركت الناس . وقال جعفر بن ربيع : أقمت على أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتاً منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دويماً وجهارة في الكلام .

وكان إماماً في القياس ؛ قال علي بن عاصم^٥ : دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره ، فقال للحجام : تتبّع مواضع البياض ، فقال الحجام : لا تزدد ، فقال : ولم ؟ قال : لأنه يكثر ، قال : فتبّع مواضع السواد لعله يكثر ، وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال : لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام .

١ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣٥ .

٢ ق : يثير .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣٧ - ٣٣٨ .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٤٦ .

٥ تاريخ بغداد ١٣ : ٧٤٧ .

وقال عبد الله بن رجاء^١ : كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف ، يعمل
نهاره أجمع ، حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله ، وقد حمل لهما فطبخه أو
سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب ، حتى إذا دب الشراب فيه غرَّد بصوت ،
وهو يقول :

أضاعوني وأي فقى أضاعوا ليوم كريمة وسداد فخر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع
جلبته كل ليلة ، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل
عنه ، فقيل : أخذه العَسَسُ منذ ليلال وهو محبوس ، فصلى أبو حنيفة صلاة
الفجر من غدي ، وركب بقلته ، واستأذن على الأمير ، فقال الأمير : ائذنوا له
وأقبلوا به راكباً ولا تَدَعُوهُ ينزل حتى يطأ البساط ببقلته^٢ ، ففعل ، ولم يزل
الأمير يوسع له في مجلسه ، وقال : ما حاجتك ؟ فقال : لي جار إسكاف أخذه
العسس منذ ليلال ، يأمر الأمير بتخليته ، فقال : نعم ، وكل من أخذ في تلك
الليلة إلى يومنا هذا ، فأمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي
وراءه ، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال : يا فتى أضعناك ؟ فقال : لا ،
بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق ، وقاب
الرجل ولم يَعدْ إلى ما كان عليه .

وقال ابن المبارك^٣ : رأيت أبا حنيفة في طريق مكة ، وشوي لهم فصيل
سمين ، فاشتروا أن يأكلوه بخل^٤ فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل ، فتحيروا ،
فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبَسَطَ عليها السفرة ، وسكب
الخل على ذلك الموضع ، فأكلوا الشواء بالخل ، فقالوا : تحسن كل شيء ، فقال :
عليكم بالشكر ، فإن هذا شيء أهتمته لكم فضلاً من الله عليكم .

١ انظر القصة في تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٢ والأغاني ١ : ٣٨٩ .

٢ ببقلته : سقطت من ع ر والمختار وتاريخ بغداد .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٥ .

٤ ع : الأرض .

[وحكى الحسن بن زياد قال : دفن رجل مالا في موضع ، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه ، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة : ما هذا فقه فأحتال لك ، ولكن اذهب فصل الليلة ، ففعل الرجل ، ولم يقم إلا أقل من ربيع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره ، فقال له : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك ، فهلا أتمت ليلتك شكراً لله عز وجل .

وقال ابن شبرمة : كنت شديد الازراء على أبي حنيفة ، فحضر الموسم وكنت حاجباً يومئذ ، فاجتمع إليه قوم يسألونه ، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا ، فجاءه رجل فقال : يا أبا حنيفة : قصدتك أسألك عن أمر أهمني وأزعجني قال : وما هو ؟ قال : لي ولد وليس لي غيره ، فإن زوجته طلق ، وإن سرّيته أعتق ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟ قال له : نعم اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه ثم زوجها منه ، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك وإن أعتق أعتق ما لا يملك ، وإن ولدت ثبت نسبه لك ، فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير]^١ .

وقال ابن المبارك أيضاً : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يفتاب عدواً له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسלט على حسناته ما يذهبها^٢ .

وقال أبو يوسف^٣ : دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ، فقال الربيع صاحب المنصور ، وكان يُعادي أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدّك ، كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين ، فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جنّتك بئنة ، قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك

١ زيادة انفردت بها .

٢ وقال ابن المبارك . . . يذهبها : سقط من ع .

٣ تاريخ بغداد : ٣٦٥ .

ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ، فضحك المنصور وقال : يا ربيع ، لا تتعرض لأبي حنيفة ، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمي ، قال : لا ، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي .

وكان أبو العباس^١ الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، فدخل أبو حنيفة على المنصور ، وكثر الناس ، فقال الطوسي : اليوم أقتل أبا حنيفة ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو ، أيسعه أن يضرب عنقه ؟ فقال : يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل ؟ فقال : بالحق ، قال : أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ؛ ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه : إن هذا أراد أن يوثقني^٢ فربطته .

وقال يزيد بن الكمي^٣ : كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة ﴿ إذا زلزلت ﴾ وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس ، فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي ، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه ، وهو يقول : يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً ، أجبر النعمان عبدك من النار ، وبما يقرب منها من سوء ، وأدخله في سعة رحمتك ، قال : فأذنت^٤ وإذا القنديل يزهر وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل ، قلت : قد أذنت لصلاة الغداة ، فقال : اكرم علي ما رأيت ، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل .

١ المصدر السابق نفسه .

٢ ن ص : يوثقي .

٣ تاريخ بغداد : ٣٥٧ .

٤ ع ر ن ق : الحسن .

٥ ر : فدنوت .

وقال أسد بن عمرو^١ : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة ، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يُسمَع بكأؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه^٢ : لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل ، فلما غسله قال : رحمك الله وغفر لك ! لم تظفر منذ ثلاثين سنة ، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة ، وقد أتعت مَنْ بعدك ، وفَضَحْتَ القراء .

ومناقبه وفضائله كثيرة ، وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئاً كثيراً ، ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق في تركه والإضراب عنه ، فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه ، ولا في ورَعه وتحفظه^٣ ، ولم يكن يُعاب بشيء سوى قلة العربية ، فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي - المقدم ذكره - سأله عن القتل بالمثل: هل يوجب القود أم لا ؟ فقال: لا، كما هو قاعدة مذهبه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقال له أبو عمرو : ولو قتله بججر المنجنيق ، فقال : ولو قتله بأبا قُبَيْس ، يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى . وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول : إن الكلمات الست المعربة بالحروف - وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال - أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف ، وأنشدوا في ذلك :

إن أباه وأبا أباه قد بلغنا في المجد غاياتها

وهي لغة الكوفيين ، وأبو حنيفة من أهل الكوفة ، فهي لغته ، والله أعلم . وهذا وإن كان خروجاً عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعبئه ببعض فانتشر . وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة^٤ ، وقيل سنة إحدى وستين ،

٣ تاريخ بغداد : ٣٥٤ .

٢ المصدر نفسه .

٣ ص ن : ولا في تحفظه .

٤ زاد في ر : وقيل سنة سبعين .

والأول أصح . وتوفي في رجب ، وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة ، وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة ، وقيل سنة احدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين ، والأول أصح ؛ وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلى القضاء فلم يفعل ، هذا هو الصحيح ، وقيل إنه لم يمِت في السجن ، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنها ، ودفن بمقبرة الخيزران ، وقبره هناك مشهور يزار .

وزُوْطَى : بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة ، وهو اسم نبطي .

وكابُل : بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الألف وبعدها لام ، وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم .
وأما بابل والأنبار فهما معروفان فلا حاجة إلى الكلام عليهما .

(286) وبني شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي بمملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة ، وبني عنده مدرسة كبيرة للحنفية ، ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها ، فبينما هم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر - المقدم ذكره - وأنشده :

ألم تر أن العلم كان مُبَدِّداً فجمعه هذا المغيَّبُ في اللحدِ
كذلك كانت هذه الأرض مَيِّتَةً فأنشراها فعلُ العميد أبي سعدِ

فأجازه أبو سعد جائزة سنية .

ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو ، وله عدة رُبُط وخانات في المفاوز ، وكان كثير الخير وعمل المعروف ، وانقطع في آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته ، وكانوا يراجعونه في الأمور ، وتوفي في المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة بأصبهان ، رحمة الله تعالى .

وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وقد تقدم في ترجمة

١ ر : أبو سعيد ، وقد وقع كذلك أحياناً في ق ؛ والشعر يضبطه « أبو سعد » انظر البيتين التاليين .

ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهداً على قبر الإمام أبي حنيفة ، وكذلك وجدته في بعض التواريخ ، وقد غاب عني الآن من أين نقلته ، ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور ، والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور ، وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فتسببت العمارة إليه بهذه الطريق ، ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان ، وأبو سعد كان مستوفياً في أيامه ، ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه ، وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين ، والله أعلم .

٧٦٦

القاضي النعمان

أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون^١ ، أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم ، ذكره الأمير المختار المسبّحي في تاريخه فقال : كان من أهل العلم والفقه والدين والنبيل على ما لا مزيد عليه ، وله عدة تصانيف : منها كتاب «اختلاف أصول المذاهب» وغيره، انتهى كلام المسبّحي في هذا الموضوع. وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ، وصنف كتاب «ابتداء

٧٦٦ - ترجمته وأخباره في اتعاظ الحنفا : ١٤٩ ولسان الميزان ٦ : ١٦٧ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٠٦ والكندي ٢٨٦ ومرآة الجنان ٢ : ٣٧٩ والشذرات ٣ : ٤٧ وروضات الجنات : ٧٢٧ ومقدمة كتاب «الهمة في آداب أتباع الأئمة» وكتاب «دعائم الإسلام» وبروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٣٤١ - ٣٤٢ و Ivanov : A Guide to Ismaili Literature وقد أوجز صاحب المختار فيما اختاره من هذه الترجمة كثيراً .

١ ق ر ن : حيوان .

٢ اختلاف : سقطت من ق ن .

الدعوة للعُبَيْدِينَ^١ وكتاب «الأخبار» في الفقه ، وكتاب «الاقتصار»^٢ في الفقه أيضاً .

وقال ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر» في ترجمة أبي الحسن علي بن النعمان المذكور، ما مثاله : وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل، من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالماً بوجوده الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس ، مع عقل وإنصاف^٣ ، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً، وله ردود على المخالفين: له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سُرَيْج ، وكتاب «اختلاف الفقهاء» ينتصر فيه لأهل البيت رضي الله عنهم ، وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة .

وكان أبو حنيفة المذكور ملازماً صحبة المعز أبي تميم معد بن منصور - المقدم ذكره - ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية كان معه ، ولم تطل مدته ، ومات في مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر . وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في «سيرة القائد جوهر» أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة^٤، وصلى عليه المعز، وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال : قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي ، ولما وصل إلى مصر وجد جوهرراً قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلي البغدادي فأقره ، انتهى كلام ابن زولاق .

(287) وكان والده أبو عبد الله محمد قد عُمِّر ، ويحكي أخباراً كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين ، وتوفي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ، ودفن في باب سلم ، وهو أحد أبواب القيروان ، وكان عمره مائة وأربع سنين .

١. بخشر باسم «رسالة افتتاح الدعوة» تحقيق الآنسة وداد القاضي (دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠) .

٢ ع : الانتصار .

٣ ر : مع العقل والإنصاف .

٤ وذكر أحمد . . . السنة : سقط من ع .

(288) وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سروات ، فمنهم أبو الحسن علي بن النعمان ، أشرك المعز المذكور بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في الحكم ، ولم يزالا مشتركين فيه إلى أن توفي المعز ، وقام بالأمر ولده العزيز نزار - وقد تقدم ذكره أيضاً - فرد إلى القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب ، وهما على الاشتراك في الحكم ، واستمرا على ذلك إلى أن لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعي إلا محمولاً ، فركب العزيز المذكور إلى الجزيرة التي بين مصر والجزيرة في مستهل صفر سنة ست وستين وثلثائة ، فحمل أبو طاهر إليه ، فلقبه والشهود معه عند باب الصناعة ، فرآه نحيلاً ، وسأله استخلاف ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف ، فحكى عن العزيز أنه قال : ما بقي إلا أن تقددوه . ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان المذكور القضاء مستقلاً فركب إلى جامع القاهرة ، وقرىء سجله ، ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر وقرىء سجله ، وكان القارىء أخاه أبا عبد الله محمد ابن النعمان ، وكان في سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة ، والموازن والمكايل ، ثم انصرف إلى داره في جمع عظيم ، ولم يتأخر عنه أحد ، وأقام القاضي أبو طاهر المذكور منقطعاً في بيته عليلاً ، وأصحاب الحديث يترددون إليه ويسمعون عليه ، إلى أن توفي سلخ ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثائة ، وسنه ثمان وثمانون سنة ، ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوماً ، وأذن له العزيز أيضاً أن ينظر في الأحكام في هذه المدة ، فلم يكن فيه فضل ، وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضاً مدة ثم انتقل إلى مصر .

ثم إن القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمداً ، وفوض إليه الحكم بدمياط وتينيس والفرما والجفار ، فخرج إليها واستخلف بها ثم عاد ، ثم سافر العزيز إلى الشام في سنة سبع وستين ، وسافر معه القاضي أبو الحسن المذكور ، وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس .

١ انظر ترجمته في رفع الاصر : ٤٠٧ .

وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفضناً في عدة فنون، منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس، وكان شاعراً مجيداً في الطبقة العليا، ومن شعره ما رواه له أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر»^١ وهو قوله:

ولي صديقٌ ما مسني عدم مذ وقعتْ عينُه على عدمي
أغنى وأقنى وما يكلفني تقييلَ كف له ولا قدَم
قام بأمرِي لما قعدتُ به ونمت عن حاجتي ولم ينم

وأورد له الثعالبي أيضاً في المعنى^٢:

صديقٌ لي له أدب صداقةٌ مثله نَسَبُ
رعى لي فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يجب
فلو نَقِدَتْ خلائقه لبُهِرَجَ عندهما الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخريزي -المقدم ذكره- في كتاب «دمية القصر»^٣ وأوردما أيضاً أبو محمد ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر» في ترجمة أبي الحسن المذكور، أبياتاً أحسن فيها كل الإحسان، وهي:

رب خَوَدٍ عرفت في عرفات سَلَبَتْنِي بِمُحْسِنِهَا حَسَنَاتِي
حَرَمَتٌ حِينَ أَحْرَمَتْ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحَتْ حَمَائِي بِاللِحْظَاتِ
وَأَفَاضَتْ مَعَ الْحَبِيبِ فِفَاضَتُ مِنْ جُفُونِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ
وَلَقَدْ أَضْرَمَتْ عَلَى الْقَلْبِ جَمْرًا مَحْرَقًا إِذْ مَشَتْ إِلَى الْجَمْرَاتِ
لَمْ أُنَلْ مِنْ مَنِي مَنِي النَّفْسِ حَقًّا خِفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

١ اليتيمة ١ : ٤٠٠ .

٢ المصدر السابق : ٤٠١ .

٣ لم ترد في المطبوعة .

٤ بر ص : لكن .

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمراً على أحكامه ، وافر الحرمة عند العزيز ، حتى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر في الأحكام ، فقام من وقته ومضى إلى داره ، وأقام عليلاً أربعة عشر يوماً ، وتوفي في يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وأخرج تابوته من القند إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة ، فوضع التابوت بالمسجد المعروف بالبئر والجيزة ، وسار العزيز إليه من مَخِيْمِهِ حتى صلى عليه في المسجد ، وردت الجنازة إلى داره بالحراء فدفن فيها .

والحراء : محلة بمصر ، وهي ثلاث حراوات ، وإنما قيل لها الحراء لنزول الروم بها .

وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمد - المذكور في هذه الترجمة - وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا ، فقال له : إن القضاء لك من بعد أخيك ، ولا تخرجه عن هذا البيت .

وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام . وكانت ولادته بالمغرب ، في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى . (289) وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوماً لأن أبا عبد الله كان مريضاً ، ثم خف عنه المرض فركب في وقته إلى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ، ثم عاد من عنده إلى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفاً ، فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة ، فسار إلى داره ، ونزل ولده وجماعة من أهل بيته إلى الجامع العتيق بمصر ، وقرئ سجده بعد صلاة الجمعة ، وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته .

وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالإسكندرية بأمر العزيز ، وخلع عليه العزيز .

وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي

الحسن جوهر - المقدم ذكره في حرف الجيم - وكان العقيد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه ، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار ، والكتاب ثوباً مصمتاً .
 وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة ، وأن يُجْلِسَ مع الصائغ أحد ثقاته ، فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمداً ، فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز ، فقال له : من أجلست معه ؟ فقال : ولدي محمداً ، فقال : هو قاضي مصر ، فكان كما قال ، لأن المعز كانت تحبته نفسه أبدأ بأخذ مصر ، فلماذا تلفظ بهذا الكلام ، ووافقته السعادة مع المقادير .
 وقال القاضي محمد المذكور : كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز : هذا قاضيك . وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام مفنناً في علوم كثيرة حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس ، وله شعر ، فمن ذلك قوله :

أيا مُشْبَهَ البدرِ بدرِ السماءِ لسبعٍ وخمسٍ مضتْ واثنتينِ
 ويا كاملَ الحسنِ في نعتِه شغلتْ فؤادي وأسهرت عيني
 فهل لي من مطمَعٍ أرتجيه وإلا انصرفتْ بخفسي حنين
 ويشمتُ بي شامتٌ في هواك ويفصح لي ظلت صفر اليدين
 فإما مننت وإما قتلت فأنت القديرُ على الحالتين

وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي :

تمادلتِ القضاةُ علا فأما أبو عبد الإله فلا عديلُ
 وحيدٌ في فضائله غريبٌ خطيرٌ في مفاخره جليل
 تألق بهجةً ومضى اعتزاماً كما يتألقُ السيفُ الصقيل
 فيقضي والساددُ له حليفٌ ويعطي والنعيمُ له رَسيل
 لو اختبرتُ قضاياه لقالوا يؤيده عليها جبرئيل
 إذا رقي المنابرَ فهو قسٌّ وإن حضر المشاهد فالخليل

فكتب إليه القاضي محمد المذكور :

قرأنا من قريضك ما يروقُ بدائعَ حاكها طبعُ رقيقُ
 كان سطورها روضُ أنيقُ تَضَوَّعَ بينها مسكُ فتيق
 إذا ما أنشدت أَرَجَّت وطابت منازلها بها حتى الطريق
 وإنا نائقون إليك فاعلمُ وأنت إلى زيارتنا تتوق
 فواصلنا بها في كلِّ يومٍ فأنت بكلِّ مكرمةٍ حقيق

وقال ابن زولاق في « أخبار قضاة مصر » : ولم نشاهد بصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه^١ لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقاً ، لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهبة .

وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الأحكام بالقاهرة ومصر على الدوام ، بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير ، فصار يسمع البيئات ويحكم ويسجل ، وكان يخلفه أولاً ولد أخيه ، وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان ، فصرفه لشرخلون من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ، واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة .

وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه إلى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ، ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم - المقدم ذكره - فأقر القاضي محمداً على أشغاله ، وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده .

ولما حصلت له المنزلة والمكنة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج ، فكان أكثر أوقاته عليلاً ، والأستاذ أبو الفتوح برجوان - المقدم ذكره - على جلالته وعظم شأنه يعودده كل وقت ، ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة ، وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ثم انصرف إلى قصره .

١ ق ر : ما شهدناه .

وكانت ولادته يوم الأحد ثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلاثمائة بالمغرب .
وهب الحاكم داره لبعض أصحابه ، فنقل القاضي محمد المذكور إلى داره التي
بمصر يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من هذه السنة ، ثم نقل عشية
الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور إلى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة ،
رحمهم الله تعالى .

(290) ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض
أكثر من شهر ، ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن
النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه
واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز - وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة -
وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين
وثلاثمائة ، واستمر في الحكم إلى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع
وتسعين ، فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد - المقدم ذكره - ثم
ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الأحد سادس المحرم سنة خمس
وتسعين في حجرته ، وأحرقت جثته ، وذلك بأمر الحاكم ، لقصة يطول شرحها .
(291) واستقل أبو القاسم^٣ في الأحكام ، وضم إليه الحاكم النظر في المظالم ،
ولم يجتمعا قبله لأحد من أهله ، وعلت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر
يوم عيد الفطر بعد قائد القواد ، وكذلك في عيد النحر ، وتصلب في الأحكام ،
وتشدد على من عانده^٤ من رؤساء الدولة ، ورسم على جماعة ممن وجب عليه حق
فامتنع من الخروج منه . ولم يزل قاضياً في جميع ما فوضه إليه الحاكم ، إلى أن
صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .
وفوض القضاء إلى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفسارقي ، وأخرجه
عن أهل بيت النعمان .

١ انظر ترجمة الحسين بن علي في رفع الاصر : ٢٠٧ .

٢ راجع أسباب مقتله في رفع الاصر : ٢١١ .

٣ انظر ترجمة عبد العزيز في رفع الاصر : ٣٥٩ .

٤ ق ع : عازه .

ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي إسماعيل أخي القائد فضل بن صالح ، فقتلوهم ضرباً بالسيوف في ساعة واحدة ، لأمر يطول شرحه ، وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة ، رحمهم الله تعالى ؛ وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

(292) وأما القاضي أبو طاهر المذكور ، فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله ابن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه : إنه كان كثير الرواية حسن المجالسة ، شيخ مع الشيوخ ، كهل مع الكهول ، شاب مع الشباب . وتوفي ليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة ، رحمهم الله تعالى .

٧٦٧

السيدة نفيسة

السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقيل بل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور ، وإنه كان والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ، وأقام بالولاية مدة خمس سنين ، ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد ، فلم يزل محبوساً حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ، ولم يزل معه .

فلما حج المهدي كان في جلته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك ، وذلك

٧٦٧ - ترجمتها في الفوات ٢ : ٦٠٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٥ و امرأة الجنان ٢ : ٤٣ وعبر النهبي ١ : ٣٥٥ والشذرات ٢ : ٢١ وخطط مبارك ٥ : ١٣٥ وحسن المحاضرة ١ : ٢١٨ .

في سنة ثمان وستين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه علي بن المهدي . - والحاجر على خمسة أميال من المدينة - وقيل إنه توفي ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران ، والصحيح أنه مات بالحاجر ، هكذا قاله الخطيب في تاريخه ، والله أعلم .

وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ، وروى أن الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر إليها ، وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم ، وهو إلى الآن باق كما كان . ولما توفي الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها ، وكانت [مقيمة] ^١ في موضع مشهدها اليوم ، ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين . ولما ماتت عزم زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك ، فسأله المصريون بقاءها عندهم ، فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد ، وهذا الموضع كان يعرف يومذاك بدرب السباع ، فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد ، وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده ، وهو مجرب ، رضي الله عنها ^٢ .

١ زيادة من المختار .

٢ هنا ينتهي الجزء الثالث من النسخة ن ويليه الرابع .

تذييل

استمرّ الاعتماد في هذا الجزء على المخطوطات التي ذكرت في مقدمة الجزء الرابع ولكننا زدنا عليها مخطوطتين وهما :

(١) مخطوطة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٣) وقد رمزت لها بالحرف (ص) على أن يتذكر القارئ أنها ليست هي (ص) المذكورة في الجزءين الأول والثاني ، كما أنها ليست من أسرتها ، وإنما الشركة بينهما انماؤهما إلى مكتبة واحدة وحسب ؛ وتبدأ (ص) بترجمة أبي تميم معدّ (رقم ٧٢٧ ، الصفحة : ٢٢٤ من هذا الجزء) وتقع في ١٩٣ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢١ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ، وخطها نسخي واضح لا بأس بالضبط فيه ، وميزتها الكبرى أنها تمثل الدور الأول من عمل المؤلف ، وتنتهي بتلك الخاتمة التي يعلن فيها أنه توقف عن عمله دون أن يتمّ حرف الياء وأن لديه مسودات أخرى أعدّها لكتاب مطوّل يكون في أكثر من عشرة أسفار ، وهذا يعني أن آخر ترجمة فيها هي ترجمة يحيى بن خالد البرمكي ، والنسخة ليست مؤرخة وعلى الورقة الأولى أنها الجزء الرابع من الوفيات ، وقد كتب عليها تملك واحد « تملكه الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن عمر الصفدي الحنفي عفا الله عنه بالشراء الشرعي من القاضي بهاء الدين بن أبي سالم الحموي » .

(٢) مخطوطة نور عثمانية (رقم : ٣٠٧٦) ورمزها (ع) وتبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (رقم : ٧٦٥ ، الصفحة : ٤٥٥

من هذا الجزء) وهي في ٣٠٨ ورقات ، في كل صفحة من صفحاتها ٢٥ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ؛ والخط أيضاً نسخي واضح ، ونسبة الضبط حسنة ؛ وهي تحوي تراجم الكتاب حتى آخره حسب الشكل الأخير الذي وضعه فيه مؤلفه ، وقد نسخت سنة ٧٢٥ على يد علي بن جمعة بن أبي الحسن بن حسان ، ثم بخط مختلف أنها قوبلت بالنسخة التي في الخزنة العالية المولوية السلطانية الملكية المؤيدية في أوقات آخرها العشرين (؟) من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بحسب الطاقة .

محتويات الكتاب

تمة حرف الميم

- ٥ ٦٨١ محمد بن علي بن فارس بن علي ، أبو الغنائم ابن المعلم الواسطي
الشاعر
- ٩ ٦٨٢ محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، أبو عبد الله موفق الدين
البحراني الشاعر
- ١٢ ٦٨٣ محمد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع فخر الدين ابن الدهان
القرضي
- ١٤ ٦٨٤ محمد بن نصر بن الحسين بن عنين ، أبو المحاسن شرف الدين
الأنصاري الشاعر
- ١٩ ٦٨٥ محمد (نزار) ، أبو القاسم القائم ابن المهدي عبيد الله
- ٢١ ٦٨٦ محمد بن المعتضد بالله عباد بن الظافر ، أبو القاسم المعتمد على
الله ملك الأندلس
- ٣٩ ٦٨٧ محمد بن معن بن محمد بن أحمد ، أبو يحيى المعتصم بن صمادح
الأندلسي
- ٤٥ ٦٨٨ محمد بن عبد الله بن تومرت ، أبو عبد الله المنعوت بالمهدي
الهرغي
- ٥٦ ٦٨٩ محمد بن أبي محمد طغج بن جف بن يلتكين أبو بكر الأخشيد
- ٦٣ ٦٩٠ محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، أبو طالب ركن الدين
طغرليك

- ٦٩١ محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو شجاع
٦٩ عضد الدولة ألب أرسلان
- ٦٩٢ محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، أبو شجاع غياث الدين
٧١ السلجوقي
- ٦٩٣ محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، أبو بكر الملك
٧٤ العادل سيف الدين
- ٦٩٤ محمد ابن الملك العادل الأيوبي ، أبو المعالي الملك الكامل ناصر
٧٩ الدين
- ٦٩٤ب محمد بن أبي بكر ، أبو المعالي الملك الكامل ناصر الدين
٨٩
- ٦٩٥ محمد بن عبد الله بن طاهر ، أبو العباس الخزاعي
٩٢
- ٦٩٦ محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، أبو جعفر ابن الزيات
٩٤ الوزير
- ٦٩٦ب الوزير أبو جعفر ابن الزيات
١٠١
- ٦٩٧ محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ، أبو الفضل ابن
١٠٣ العميد
- ٦٩٨ محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، أبو علي الكاتب
١١٣
- ٦٩٩ محمد بن محمد بن بقية بن علي ، أبو الطاهر الوزير
١١٨
- ٧٠٠ محمد بن علي بن خلف ، أبو غالب فخر الملك الوزير
١٢٤
- ٧٠١ محمد بن محمد بن جهير ، أبو نصر فخر الدولة مؤيد الدين
١٢٧ الموصلبي الوزير
- ٧٠٢ محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، أبو شجاع ظهير الدين
١٣٤ الروذراوري
- ٧٠٣ محمد بن منصور بن محمد ، أبو نصر عميد الملك الكندري
١٣٨
- ٧٠٤ محمد بن علي بن أبي منصور ، أبو جعفر جمال الدين الجواد
١٤٣ الأصبهاني الوزير

- ٧٠٥ محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجا
١٤٧ حامد ، أبو عبد الله عماد الدين الكاتب الأصبهاني
٧٠٦ محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ ، أبو نصر الفارابي
١٥٣ محمد بن زكريا الرازي ، أبو بكر الطيب المشهور
٧٠٧ محمد بن موسى بن شاكر ، أبو عبد الله
١٦١ محمد بن جابر بن سنان ، أبو عبد الله البتاني الحاسب
٧٠٩ محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل ، أبو الوفاء البوزجاني المهندس
١٦٦ محمد بن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشري
٧١١ محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله ، أبو طالب القاضي
٧١٢ الأصبهاني
١٧٤ محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين ، أبو القاسم
٧١٣ يعين الدولة وأمين الملة
١٧٥ محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان ، أبو القاسم مغيث
٧١٤ الدين السلجوقي
١٨٢ محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، أبو القاسم الملك
٧١٥ العادل نور الدين
١٨٤ مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى ، أبو السمط وقيل أبو
٧١٦ الهندام ، الشاعر المشهور
١٨٩ مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ، أبو الحسين النيسابوري
٧١٧ صاحب الصحيح
١٩٤ مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر ، أبو المعالي قطب الدين
٧١٨ الطريثي
١٩٦ مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن ، الشريف أبو
٧١٩ جعفر البياضي الشاعر
١٩٧

- ٧٢٠ مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، أبو الفتح غياث
٢٠٠ الدين السلجوقي
- ٧٢١ مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق
٢٠٣ سنقر ، أبو الفتح وأبو المظفر عز الدين صاحب الموصل
- ٧٢٢ مطرف بن مازن ، أبو أيوب الصنعائي
٢٠٩
- ٧٢٣ المظفر بن أبي الحسين ازدشير بن أبي منصور العبادي ، أبو
٢١٢ منصور قطب الدين الواعظ المروزي
- ٧٢٤ مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي ، أبو العز موقق الدين
٢١٣ العيلاني المصري
- ٧٢٥ معاذ بن مسلم ، أبو مسلم الهراّ النحوي الكوفي
٢١٨
- ٧٢٦ المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد ، القاضي أبو الفرج
٢٢١ النهرواني المعروف بابن طرارا الجزيري
- ٧٢٧ معدّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، أبو تميم المعز
٢٢٤ لدين الله العبيدي
- ٧٢٨ معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز ، أبو تميم
٢٢٩ المستنصر بالله العبيدي
- ٧٢٩ معروف بن فيروز (وقيل الفيروزان ، وقيل علي) ، أبو
٢٣١ محفوظ الكرخي الصالح المشهور
- ٧٣٠ المعزّ بن باديس بن المنصور بن بلكين الحميري الصنهاجي
٢٣٣
- ٧٣١ معمر بن المنثى ، أبو عبيدة البصري النحوي
٢٣٥
- ٧٣٢ معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة ، أبو الوليد الشيباني
٢٤٤
- ٧٣٣ مقاتل بن سليمان بن بشير ، أبو الحسن صاحب التفسير
٢٥٥
- ٧٣٤ مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي ، أبو الهيجاء
٢٥٧ شبل الدولة

٢٦٠	مقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد ، أبو حسان حسام الدولة العقيلي	٧٣٥
٢٦٩	مقلد بن نصر بن منقذ أبو المتوج مخلص الدولة الكناني	٧٣٦
٢٧٤	مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد ، أبو محمد المقرئ	٧٣٧
٢٧٨	مكي بن ريان بن شبة بن صالح ، أبو الحرم الماكسيبي النحوي	٧٣٨
٢٨٠	مكحول بن عبد الله ، أبو عبد الله الشامي	٧٣٩
٢٨٣	ملكشاه بن ألب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل ، أبو الفتح جلال الدولة السلجوقي	٧٤٠
٢٨٩	منصور بن إسماعيل بن عمر ، أبو الحسن التميمي المصري الفقيه	٧٤١
٢٩٢	المنصور بن العزيز بن المعز بن المنصور ، أبو علي الحاكم بأمر الله العبيدي	٧٤٢
٢٩٩	المنصور بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر ، أبو علي الأمر بأحكام الله العبيدي	٧٤٣
٣٠٢	مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، قطب الدين الأعرج	٧٤٤
٣٠٤	مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور ، أبو فيد السدوسي النحوي	٧٤٥
٣٠٨	موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، أبو الحسن	٧٤٦
٣١١	موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة ، أبو الفتح كمال الدين	٧٤٧
٣١٨	موسى بن نصير ، أبو عبد الرحمن	٧٤٨
٣٣٠	موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، أبو الفتح الملك الأشرف مظفر الدين	٧٤٩
٣٣٧	موسى بن عبد الملك بن هشام ، أبو عمران الأصبهاني	٧٥٠
٣٤٢	موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجواليقي	٧٥١

- ٧٥٢ المؤيد بن محمد بن علي ، أبو الحسن رضي الدين النيسابوري ٣٤٥
 ٧٥٣ المؤيد بن محمد بن علي بن محمد ، أبو سعيد الألويسي الشاعر ٣٤٦
 ٧٥٤ المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح ، أبو سعيد ٣٥٠
 ٧٥٥ مهيار بن مرزويه ، أبو الحسن الديلمي ٣٥٩

حرف النون

- ٧٥٦ نافع مولى عبد الله بن عمر ، أبو عبد الله ٣٦٧
 ٧٥٧ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رويم أحد القراء السبعة ٣٦٨
 ٧٥٨ ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي ، أبو الفتح المطرزي ٣٦٩
 ٧٥٩ نزار بن المعز بن المنصور بن القائم ، أبو المنصور العزيز بالله
 العبيدي ٣٧١
 ٧٦٠ نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون ، أبو القاسم الحنيز أرزي ٣٧٦
 ٧٦١ نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن ، أبو المرهف التميمي ٣٨٣
 ٧٦٢ نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي ، أبو الفتوح ابن قلاقس ٣٨٥
 ٧٦٣ نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد ، أبو الفتح ضياء الدين ابن
 الأثير الجزري ٣٨٩
 ٧٦٤ النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد ، أبو الحسن التميمي النحوي
 البصري ٣٩٧
 ٧٦٥ النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه ، الإمام أبو حنيفة ٤٠٥
 ٧٦٦ النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور ، أبو حنيفة القاضي
 النعمان ٤١٥
 ٧٦٧ نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٢٣

فهرست التراجم العارضة

- 204 الظافر محمد بن إسماعيل القاضي (جد المعتمد ملك الأندلس) ٢٢
- 205 المعتضد بالله أبو عمرو عباد بن الظافر (والد المعتمد ملك الأندلس) ٢٣
- 206 أبو بكر ابن اللبانة ٣٩
- 207 محمد بن أحمد بن صمادح (جد المعتصم الأندلسي) ٣٩
- 208 معن بن محمد (والد المعتصم بن صمادح الأندلسي) ٤٠
- 209 جفّ بن يلتكين (جد أبي بكر الأخشيد) ٥٦
- 210 طغج بن جف (والد أبي بكر الأخشيد) ٥٧
- 211 أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف ٦٠
- 212 تكين (أبو منصور الخزري) ٦٢
- 213 أحمد بن كيغلف ٦٢
- 214 إبراهيم بن كيغلف ٦٣
- 215 إسحاق بن إبراهيم بن كيغلف ٦٣
- 216 شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق ٧١
- 217 فاطمة ابنة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ٧٣
- 218 الملك المسعود (ابن الملك الكامل الأيوبي) ٨٣
- 219 الملك العادل سيف الدين أبو بكر (ابن الملك الكامل الأيوبي) ٨٤
- 220 الملك المغيث (ابن الملك العادل الأيوبي) ٨٦

٨٧	(الملك) العزيز فخر الدين عثمان (ابن الملك المغيث الأيوبي)	221
٨٧	الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك الظاهر	222
١١٠	ذو الكفایتین أبو الفتح ابن العمید	223
١١٢	أبو حیان علي بن محمد التوحیدی	224
١١٧	أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة	225
١١٨	ابن رائق	226
	أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي	227
١٢٢	طالب	
١٢٣	یحیی بن زید	228
١٢٤	أبو الحسن الأنباري	229
	عمید الدولة شرف الدين أبو منصور محمد (ولد ابن جهیر	230
١٣١	(الوزير)	
١٣٤	بنت نظام الملك	231
١٣٤	رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن فخر الدولة (ابن جهیر)	232
١٤٦	أبو الحسن علي جلال الدين (ولد الجواد الأصفهاني)	233
١٥٣	أبو بشر متي بن يونس	234
١٥٦	محمد بن عبد الملك الفارقي	235
١٦٠	أبو صالح منصور بن نوح الساماني	236
١٦١	أبو محمد نوح بن نصر الساماني	237
١٦١	أبو الحسن نصر بن إسماعيل الساماني	238
١٦١	أبو إبراهيم اسماعيل بن أحمد الساماني	239
١٦١	أحمد بن أسد بن سامان	240

١٧٥	سبكتكين أبو منصور	241
١٨١	محمد بن محمود بن سبكتكين	242
١٨١	الأمير مسعود أبو سعيد بن محمود بن سبكتكين	243
١٨٣	محمد شاه بن محمود بن محمد بن مغيث الدين السلجوقي	244
١٨٨	الملك الصالح عماد الدين إسماعيل (ولد الملك العادل نور الدين)	245
١٨٨	مجير الدين ابق	246
	مروان الأصغر (أبو السمط مروان ابن أبي الجنوب ابن مروان الأكبر الشاعر)	247
١٩٣		
١٩٥	أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلي التيسابوري	248
٢٠٨	الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود	249
٢٠٨	الملك المنصور عماد الدين زنكي	250
٢٠٨	نور الدين ارسلان شاه (ولد عز الدين مسعود)	251
٢٠٨	ناصر الدين محمود (ولد عز الدين مسعود)	252
٢٠٨	بهلوان بن الذكر	253
٢٠٨	شمس الدين الذكر الأتابك	254
٢٠٩	قزل بن الذكر	255
٢١١	أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشيخير الحرشي	256
٢٢١	أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر	257
٢٥٤	الخوفزان بن شريك الشيباني	258
٢٦٢	العباس بن عمرو الغنوي	259
٢٦٣	معتمد الدولة أبو المنيع قرواش الأمير	260
٢٦٥	أبو جوثة (عم الأمير قرواش)	261

٢٦٥	الطاهر الجزري (من شعراء الدمية)	262
	مدلويه (الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الشاعر المعروف	263
٢٦٦	بابن النابلسي)	
٢٦٧	زعيم الدولة بركة بن المقلد	264
٢٦٧	أبو المعالي قریش بن أبي الفضل بدران بن المقلد	265
٢٦٧	شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قریش	266
٢٦٨	أبو عبد الله محمد بن شرف الدولة مسلم بن قریش	267
٢٦٩	أبو الحارث مهارش بن المجلي بن عليب العقيلي	268
٢٧٣	أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ	269
٢٧٧	أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرئ المصري	270
٢٨٢	أبو عطاء مرزوق السندي الشاعر	271
٢٩٩	أبو شجاع الراهب	272
٣٠١	بردويل الأفرنجي	273
٣١٧	الشيخ رضي الدين القزويني	274
٣١٨	علم الدين تعاسيف (قيصر بن عبد الغني)	275
٣١٩	نصير (والد موسى بن نصير)	276
٣٣٦	الكمال ابن النبيه	277
	المهذب محمد بن أبي الحسين بن يمن المعروف بابن الأردنخل	278
٣٣٦	الموصلي الشاعر	
٣٤٨	محمد بن المؤيد الألويسي الشاعر	279
٣٥٤	أبو فراس المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة	280

١ سقط الرقم 272 من موضعه .

٣٥٦	الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي العلوي الحسيني النقيب	281
٣٧١	الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخطيب	282
٣٩٢	عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني	283
٣٩٢	موفق الدين أبو المعالي أحمد (أخو عز الدين ابن أبي الحديد)	284
٣٩٧	الشرف محمد بن ضياء الدين ابن الأثير	285
٤١٤	شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي	286
٤١٦	أبو عبد الله محمد (والد القاضي النعمان)	287
٤١٧	أبو الحسن علي بن النعمان (ولد القاضي النعمان)	288
٤١٩	أبو عبد الله محمد (ولد القاضي النعمان)	289
٤٢٢	أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان	290
٤٢٢	أبو القاسم عبد العزيز بن محمد	291
٤٢٣	القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي	292

Ibn Khallikān

WAFAYĀT EL - A'YĀN

(Biographies of Illustrious Men)

Edited by

Ihsān Abbās, Ph. D.

Vol V

Dar SADER, publishers

P. O. B. 10

BEIRUT, Lebanon

وَفِي ابْنِ إِحْيَانَ

وَأَبْنَاءِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ الدِّينِ إِحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلِيفَةَ كَانَ
(٦٠٨ - ٥٦٨)

حَقَّقَهُ

الدكتور إحسان عباس

المجلد السادس

دار صادر
بيروت

وفيات الأعيان

٦

حرف الواو

واصل بن عطاء

أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ، المعروف بالغزّال ، مولى بني ضبة ، وقيل مولى بني مخزوم ؛ كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره ، وكان يُلغ بالراء فيجعلها غيناً ؛ قال أبو العباس المبرد في حقه في كتاب «الكامل»^٢ : كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألغ قببح اللثغة في الراء ، فكان يخلص كلامه من الراء ولا يُفطنُ لذلك ، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففي ذلك^٣ يقول الشاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق ؛ الضبي يمدحه بإطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة تردُّدها في الكلام ، حتى كأنها ليست فيه :

عليم بإبدال الحروف وقامعٌ لكل خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُهُ

وقال آخر^٥ :

٧٦٨- ترجمته وأخباره في أمالي المرتضى ١ : ١٦٣ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٤٣ والانتصار : ٢٠٦ والبيان ١ : ٣٢ والفرق بين الفرق : ١١٧ ومختصر الفرق : ٩٧ والقوات ٢ : ٦٤٢ ومراة الجنان ١ : ٢٧٤ والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٣ ولسان الميزان ٦ : ٢١٤ ومقاتل الطالبين : ٢٩٣ وطبقات المعتزلة : ٢٨ وشذرات الذهب ١ : ١٨٢ وروضات الجنات : ٧٣٨ . وقد وقعت تراجم حرف الواو بعد تراجم حرف الهاء في النسخة بر ، وهكذا وردت عند دي سلان .

١ ر : علم .

٢ الكامل ٣ : ١٩٣ .

٣ ق ص : على ذلك .

٤ ن ق : طروق ؛ بر : الطروق .

٥ ن : الآخر .

ويجعل البرَّ قَمَحًا في تصرفه وخالف الرء حتى احتال للشعَرِ
ولم يُطقْ مَطْرًا، والقول يعجله ، فعاذَ بالغَيْثِ إشفاقًا من المطرِ

وممَّا يحكى عنه ، وقد ذكر^١ بشار بن برد ، فقال : أما لهذا الأعمى
المكتني^٢ بأبي معاذ مَنْ يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت
إليه من يَبْعَج بطنه على مضجعه ، ثم لا يكون إلا سدوسياً أو عقيلياً ، فقال : هذا
الأعمى ، ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير ، وقال : من أخلاق الغالية ، ولم
يقل المغيرة ولا المنصورية ، وقال : لبعثت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : على
مضجعه ، ولم يقل على مرقدته ولا على فراشه ، وقال : بيعج ، ولم يقل ييقر ،
وذكر بني عقيل لأن بشاراً كان يتوالى إليهم ، وذكر بني سدوس لأنه كان
نازلاً فيهم .

وذكر السمعاني في كتاب « الأنساب »^٣ في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء
كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله عنه ، فلما ظهر الاختلاف وقالت
الحوارج بتكفير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر ،
فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن
ولا كافر ، منزلة بين منزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس
إليه عمرو بن عبّيد ، فقبل لهما ولأتباعهما : معتزلون - وقد أحلّت في ترجمة
عمرو بن عبّيد على هذا الموضع في تبين الاعتزال ولأي معنى سمو بهذا الاسم ،
وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي أنه الذي سماهم بذلك - .

وكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في إسقاطه حرف الرء من
كلامه ، واستعمل الشعراء ذلك في شعرهم كثيراً ، فمنه قول أبي محمد الخازن
من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عبّاد
- المقدم ذكره - وهو :

١ ن ص ع ق بر من : وذكر ، وكذلك في المبرد .

٢ بر من : المكتني .

٣ انظر اللباب ٣ : ١٥٦ .

نعم تجنّب لا يوم العطاء كما تجنّب ابنُ عطاء لفظة الراء
وقال آخر في محبوب له ألثغ :

أعد لثغة لو أن واصلِ حاضرٌ ليسمعها ما أسقطَ الراء واصلُ
وقال آخر :

أجعلت واصلِي الراء لم تنطقُ به وقطعتني حتى كأنك واصل
لله دره ما أحسن قوله : « وقطعتني حتى كأنك واصل » .
وقال آخر .

فلا تجعَلتني مثل همزة واصل فيلحقني حذف ولا راء واصل

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الكندي الأندلسي القرطبي الرمادي الشاعر
المشهور ، إلا أنه لم يتعرض إلى ذكر واصل ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة :

لا الراء تطمَعُ في الوصال ولا أنا الهجرُ يجمعنا فنحنُ سواء
فإذا خلوت كتبها في راحتي وقعدتُ منتحباً أنا والراء

وهذا الباب متسع ، فلا حاجة إلى الإطالة فيه ، ويكفي منه هذا النموذج .
وقد عمل الشعراء في اللثغة التي هي إبدال الثاء من السين شعراً كثيراً ،
فمن ذلك ما يُعزى لأبي نواس ، ولم أجدها في ديوانه ، والله أعلم ، إلا أن
تكون في رواية علي بن حمزة الأصبهاني ، فإنها أكثر^٢ الروايات ، ولم أكشف
هذه الأبيات منها ، وهي أبيات حلوة ظريفة :

وشادن ساءلتُ عن اسمه فقالَ لي إثمِي مردأُ
بياتَ يعاطني سُخاميّةً وقال لي : قد هجعَ الناث
أما ترى حُثنَ أكاليلنا زينها النثرين والآث

١ ع ق بر من : إلى أبي .

٢ ع ن ص من بر : أكبر .

فعدت من لثغته ألثغا فقلت : أين الطاث والكاث

ولو شرعت في ذكر ما قيل على هذا النمط لطال الشرح . ولم أجد في لثغة
الراء إلا قليلاً ، فمن ذلك قول بعضهم :

أما وبياض الثغر ممّن أحبه ونقطة خالِ الخدّ في عطفة الصدغِ
لقد فتنّني لثغةٌ موصليةٌ رمّني في تيارِ بحرِ هوى اللثغِ
ومستعجم الألفاظ عقربُ صدغه مسلطةٌ دون الأنام على لدغي
يكادُ أصمُّ الصمِّ عندَ حديثه إلى اللثغة الغنّاء من لفظه يُصغي
يقول وقد قبّلتُ واضحَ ثغره وكان الذي أهوى ونلت الذي أبغي
وقد نفضت كأس الحميا وأظهرت على خده من لونها أحسن الصبغِ
تغمّقُ فغشّفُ الخمغ من كغم غيقي يزيدك عند الشغب سُكُغاً على أسكغِ

ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع في البيت الأخير راءات كثيرة وأبدلها بالعين ؛
وللخبز أرزي الشاعر المقدم ذكره في غلام يلثغ بالراء أيضاً لكنه لم يستعمل اللثغة
إلا في آخر البيت الأخير من الأربعة أبيات ٢ :

وشادن بالكرخ ذي لثغة وإنّما شرطي في اللثغ
ما أشبه الزنبور في خصره حتى حكى العقرب في الصدغ
في فمه درياقُ لدغٍ إذا أحرق قلبي شدة اللدغ
إن قلت في ضمي له أين هو تفديك روجي قال لا أدغي

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء .
وكان طويل العنق جداً بحيث كان يعاب به ، وفيه يقول بشار بن برد الشاعر
المشهور المقدم ذكره ٣ :

١ ن ق : إل .

٢ بر من : لكنه لم يستعمل اللثغة إلا في البيت الأخير وهو قوله .

٣ الكامل ٣ : ١٩٢ .

ماذا مُنيت بغزّالٍ له عُنُقٌ كعُنُقِ الدوّ إن وُلّتي وإن مثلاً
عُنُقِ الزرافةِ ، ما بالي وبالكمُ تكفّرون رجالاً كفرُوا رجالاً ؟

وكانت بينهما منافسات وأحقاد ، وقد تقدم كلام واصل في حق بشار .
وقال المبرد في كتاب « الكامل »^١ : لم يكن واصل بن عطاء غزّالاً ، ولكنه
كان يلقب بذلك لأنّه كان يلزم^٢ الغزّالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل
صدقته لهن ؛ ثم قال : وكان طويل العنق ، ويروى عن عمرو بن عبيد أنّه نظر
إليه من قبل أن يكلمه فقال : لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه العنق .

وله من التصانيف كتاب « أصناف المرجئة » وكتاب في « التوبة » ، وكتاب
« المنزلة بين المنزلتين » وكتاب خطبته التي أخرج منها الراء ، وكتاب « معاني
القرآن » وكتاب « الخطب في التوحيد والعدل » وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو
ابن عبيد وكتاب « السبيل إلى معرفة الحق » وكتاب في « الدعوة » وكتاب « طبقات
أهل العلم والجهل » وغير ذلك .

وأخباره كثيرة . وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله
عليه وسلّم ؛ وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة ، رحمه الله تعالى .

١ المصدر السابق .

٢ ع بر من : يلزم ، وكذلك في الكامل .

وثيمة ابن الفرات

أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء ، الفارسي الفسوي ؛ كان قد خرج من بلده إلى البصرة ثم سافر إلى مصر ، وارتحل منها إلى الأندلس تاجراً ، وكان يتجر في الوشي .

وصنف كتاباً في أخبار الردة^١ ، وذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، والسرايا التي سيرها إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين في ذلك ومن عاد منهم إلى الإسلام ، وقاتل مانعي الزكاة ، وما جرى لخالد بن الوليد المخزومي ، رضي الله عنه مع مالك بن نويرة اليربوعي أخي مَتَمِّم بن نويرة الشاعر المشهور صاحب المراثي المشهورة في أخيه مالك ، وصورة قتله ، وما قاله متمم من الشعر في ذلك وما قاله غيره ، وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة ، وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد الواقدي أنه صنف في الردة كتاباً أيضاً أجاد فيه ، ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب .

وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد ابن الفَرَضِي صاحب « تاريخ الأندلس »^٢ في كتابه ، وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس »^٣ وأبو سعيد ابن يونس في تاريخ مصر ، وأبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة الوشاء^٤ فقال : كان يتجر في الوشي ، وهو نوع من الثياب المعمولة

٧٦٩ - ترجمته في الفوات ٢ : ٦٢٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٤٧ ومرآة الجنان ٢ : ١١٨ والشذرات

٢ : ٨٩ .

١ ينقل ابن حجر في الإصابة نقولاً كثيرة عن كتاب وثيمة هذا .

٢ تاريخ ابن الفاضي ٢ : ١٦٥ .

٣ الجذوة : ٣٤١ .

٤ انظر الباب ٣ : ٢٧٤ .

من الإبريسم ، فعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور .
ثم إن وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون
من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

(293) وقال أبو سعيد ابن يونس المصري في تاريخه : كان لوثيمة ولد يقال
له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة^١ ، حدث عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وعن
أبيه وثيمة وغيرهما ، وصنف تاريخاً على السنين وحدث به ، ومولده بمصر ،
وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين .
ووثيمة : بفتح الواو وكسر التاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح
الميم وبعدها هاء ساكنة ؛ والوثيمة في الأصل الجماعة من الحشيش والطعام ،
والوثيمة الصخرة ، وبها سمي الرجل ، والله أعلم بالصواب ، والوثيمة أيضاً
الحجر الذي يقدح النار . تقول العرب في أيمانها : والذي أخرج العَدْقَ من
الجريمة ، والنار من الوثيمة : العدق - بفتح العين المهملة - النخلة ، والجريمة
النواة .

وأما الفارسي والفسوي فقد تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي علي
الفارسي النحوي وأرسلان البساسيري فأغنى عن الإعادة .
وإذ ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من أخبارهما ،
فإنها مستملحة .

(294) كان مالك بن نويرة المذكور رجلاً سَرِيّاً نبيلاً يردف الملوك ،
وللردافة موضعان أحدهما : أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من
مواضع الأنس ، والموضع الثاني أنبل ، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس
الحكم فينظر بين الناس بعده . وهو الذي يضرب به المثل فيقال :
مرعى ولا كالسعدان ، وماء ولا كصداء ، وفقى ولا كمالك . وكان
فارساً شاعراً^٢ مطاعاً في قومه ، وكان فيه خيلاء وتقدم ، وكان ذالمة كبيرة ،
وكان يقال له الجحْفُول ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم

١ انظر بروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٤٥ .

٢ ق ص : فارساً شجاعاً شاعراً .

من العرب فأسلم ، فولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقة قومه . ولما ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة كان مالك المذكور من جملتهم ، ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها ، فكلمه خالد في معناها ، فقال مالك : إنني آتي بالصلاة دون الزكاة ، فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون أخرى ، فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك ، قال خالد : وما تراه لك صاحباً ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ، ثم تجاوزاً^١ في الكلام طويلاً فقال له خالد : إنني قاتلك ، قال : أو بذلك أمرك صاحبك ؟ قال : وهذه بعد تلك ؟ والله لأقتلنك . وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه حاضرين فكلما خالداً في أمره ، فكره كلامهما ، فقال مالك : يا خالد ، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم بيننا ، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا ، فقال خالد : لا أقالني الله إن أقتلك ، وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه ، فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد : هذه التي قتلتني ، وكانت في غاية الجمال ، فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام ، فقال مالك أنا على الإسلام ، فقال خالد : يا ضرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه وجعل رأسه أنفية لقدر ، وكان من أكثر الناس شعراً — كما تقدم ذكره — فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام ، وما خلصت النار إلى شواه من كثرة شعره .

قال ابن الكلبي في جمهرة النسب : قتل مالك يوم البطاح ، وجاء^٢ أخوه متمم فكان يرثيه .

وقبض خالد امرأته ، فقيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها ، وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته ؛ فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهما يحضران النكاح فأبيا ، وقال له ابن عمر رضي الله عنه :

١ ن : تجادلا .

٢ ن : ونجا .

تكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه وتذكر له أمرها فأبى وتزوجها ، فقال في ذلك أبو زهير السعدي :

ألا قل لحيّ أوطئوا بالسنايك تطاول هذا الليل من بعد مالك
 قضى خالد بغياً عليه لعرسه وكان له فيها هوًى قبل ذلك
 فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
 وأصبح ذا أهل ، وأصبح مالك إلى غير شيء هالكاً في الهوالك
 فمن لليتسامى والأرامل بعده ومن للرجال المعدمين الصعالك
 أصيبت تميم غثها وسمينها بفارسها المرجو تحت الحوارك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه : إن خالداً قد زنى فارجمه ، قال : ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ ، قال : فإنه قتل مسلماً فاقتله به ، قال : ما كنت لأقتله به ، إنه تأول فأخطأ ، قال : فاعزله ، قال : ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم أبداً ، هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما ، والعهدة عليهما .

(295) وكان أخوه متمم بن نويرة ، وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور^٢ ، كثير الانقطاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك ، وكان أعور دميماً ، فلما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما فرغ من صلاته واستند في^٣ محرابه قام متمم فوقف بجذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد :

نعم القليلُ إذا الرياحُ تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الأزورِ
 أدعوته بالله ثم غدرته لو هوُ دعاك بذمة لم يغدر

وأوماً إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : والله ما دعوته ولا غدرته :

١ ق : وكنيته نهشل ؛ المختار : متمم بن نويرة نهشل الشاعر . . . الخ .

٢ ن : المذكور .

٣ ع : وانفتل في ؛ ن : وأسند في ؛ وانظر التعازي : ٦ .

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلواً شمائله عفيف المتزر

ثم بكى وانخط على سية قوسه ، فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء ، فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : لوددت أنك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك ، فقال : يا أبا حفص ، والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته ، فقال عمر رضي الله عنه : ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيتي . وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيداً يوم اليمامة ، وكان عمر رضي الله عنه يقول : إنني لأهش^١ للصبا لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد ، ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك . ويروى أن متمماً رثي زيداً فلم يُجد ، فقال له عمر رضي الله عنه : لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً ، فقال : إنّه والله ليحركني^٢ لمالك ما لا يحركني لزيد .

وقال له عمر رضي الله عنه يوماً : إنك لجزل فأين كان أخوك منك ، فقال : كان والله أخي في الليلة ذات الأزيز والصرّاد يركب الجمل الثفال ، ويجنب الفرس الجرور ، وفي يده الرمح الثقيل ، وعليه الشملة الفلوت ، وهو بين المزادتين ، حتى يصبح وهو متبسم .

والأزيز : بفتح الهمزة وزاءين الأولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها ، صوت الرعد .

والصرّاد ، بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة ، غيم^٣ رقيق لا ماء فيه .

والثفال : بفتح التاء المثناة والفاء ، وهو الجمل البطيء في سيره لا يكاد يمشي من ثقله .

والجرور : بفتح الجيم على وزن فعول ، الفرس الذي يمنع القيادة .
والشملة الفلوت : التي لا تكاد تثبت على لابسها .

١ ن ص ق : أهش .

٢ ر ن ع بر من ص : يحركني .

والمزادة : الراوية ، وهي معروفة .

وقال له عمر رضي الله عنه يوماً : خبرنا عن أخيك ، قال : يا أمير المؤمنين ، لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب ، فأخبر أخي ، فأقبل ، فلما طلع على الحاضر ما كان أحد قاعداً إلا قام على رجله ، وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت ، فما نزل عن جملة حتى لقوه بي برمتي فحلني هو ، فقال عمر رضي الله عنه : إن هذا لهو الشرف .

والرمة : بضم الراء المهملة ، الحبل البالي ، ومنه قولهم « دفع إليه الشيء برمته » أصله : أن رجلاً دفع إلى رجل بغيراً بحبل في عنقه ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته .

وقال متمم أيضاً لعمر رضي الله عنه : أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب ، فجاءه الصريخ ، فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى ، حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون ، فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا ، فأدركهم أخي ، فاستسلموا جميعاً حتى كتفهم ، وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين ، فقال عمر رضي الله عنه : قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ، ولم نعلم كل ما تذكره^٢ .
وله فيه المرثي النادرة ، فمن ذلك أبياته الكافية ، وهي في كتاب « الحماسة »^٣ في باب المرثي :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيت لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ؟
فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك
وله فيه قصيدته العينية^٤ ، وهي طويلة بديعة ، ومن جملتها قوله^٥ :

١ بر : الحاضرين .

٢ ق : تذكر له ؛ ع : يذكر .

٣ شرح المرزوقي ، الحماسة : ٢٦٥ .

٤ ص : وله القصيدة العينية .

٥ المفضلية رقم : ٦٧ .

وكنا كندمانتيّ جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بنخير في الحياة ، وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعنا
فلما تفرقنا كأنني ومالكا طول اجتماع لم نبت ليلة معا

(296) وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب إلى الوقوف على شيء من أخبار
جذيمة المذكور ونديميه - وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة
من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة - وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن
فهم بن دؤس بن الأزد الأزدي ، صاحب الحيرة وما والاها ، وهو الأبرش
والوضّاح ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان أبرص ، فكانت العرب تهابه أن تنسبه
إلى البرص فعرفته بأحد هذين الوصفين . وهو من ملوك الطوائف ، وكان بعد
عيسى عليه السلام بثلاثين سنة ، وكان من تيهه لا ينادم إلا الفرقدن .

وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث
ابن مالك اللخمي ، ويقال له عمم لأنه أول من اعتم ، ابن نمارة بن لحم ، وبقية
النسب معروف ، واسم الأخت المذكورة رقاش ؛ وكان جذيمة شديد المحبة
له ، فاستهوته الجن ، وأقام زماناً يتطلبه فلم يجده ، فأقبل رجلان من بني القين
يقال لأحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارح [بن مالك بن كعب بن القين ،
واسمه النعمان ، بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاة ، وسمي القين بعبد كان له فحضنه فاشتهر به]^١
فصادفا عمرآ في البرية وهو أشعث الرأس طويل الأظفار سيء الحال ، فعرفاه
وحملاه إلى خاله جذيمة بعد أن لما شعته وأصلحا حاله ، فقال لهما جذيمة من فرط
سروره به : احتكما علي ، فقالا : منادمتك ما بقيت وبقينا ، فقال : ذلك لكما ،
فهما نديماه اللذان يضرب بهما المثل ، ويقال : إنهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا
عليه حديثاً حدثاه به ، وإياهما عنى أبو خراش الهذلي بقوله في مرثية أخيه عروة^٢ :

تقول أراهُ بعد عروة لاهياً وذلك رزه لو علمتِ جليلُ

١ زيادة من ر .

٢ ديوان الهذليين : ١١٨٩ ولم يرد منها إلا البيت الثالث في : ع بر من .

فلا تحسبي أنني تناسيت عهدك ولكن صبري يا أميم جميل
لم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ندبما صفاء : مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم ، وإن كان فيه طول ، وإنما قصدت الإيجاز .
وذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلاً على أماليه^١ أن متمماً المذكور
قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان به معجباً ، فقال : يا متمم ،
ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولداً ، فإنكم أهل بيت قد
درجتم ؟ فتزوج امرأة من أهل المدينة ، فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها ،
فطلقها ثم قال :

أقول لهند حين لم أرض عقلها : أهذا دلال العشق ، أم أنت فارك ؟
أم الصرم تهوين^٢ فكل مفارق^٣ علي يسير^٤ بعد ما بان مالك

فقال له عمر رضي الله عنه : ما تنفك تذكر مالكا على كل حال ، فلم
يمض على هذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر رضي الله عنه ، ومتمم بالمدينة ، فرثي
عمر رضي الله عنه^٣ . وبالجملة فإنه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه
بكى على ميتة ما بكى متمم على أخيه مالك .

حكى الواقدي في كتاب « الردة » أن عمر رضي الله عنه قال لمتمم : ما
بلغ من حزنك على أخيك ؟ فقال له : لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح ،
ولا رأيت ناراً رفعت بليل إلا ظننت نفسي ستخرج ، أذكر بها نار أخي ، كان
يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريباً منه ، فمتى يرى النار
يأوي إلى الرحل ، وهو بالضيف يأتي مجتهداً أسراً من القوم يقدم عليهم القادم
لهم من السفر البعيد ، فقال عمر رضي الله عنه : أكرم به .

وحكى الواقدي أيضاً أنه قال له : ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء ؟
قال : كانت عيني هذه قد ذهبت ، وأشار إليها ، فبكت بالصحيحة وأكثرت

١ ذيل الأمالي : ١٧٨ .

٢ ذيل الأمالي : ما تهوى .

٣ أورد القالي من رثائه لعمر ثلاثة أبيات .

البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع ، فقال عمر رضي الله عنه :
إن هذا لحزن شديد ، ما يحزن هكذا أحد على هالكه .
وقد ضربت الشعراء الأمثال بمالك وأخيه متمم في أشعارهم ، فمن ذلك قول
ابن حيّوس الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة :

وفجعة بين مثل صرعة مالك ويقبحُ بي أن لا أكون متمما

ومنه قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي
يرثي بها المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين - حسبما
شرحناه في ترجمة المعتمد - وهو قوله :

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا ومن ولّهي أحكي عليك متمما

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم ، وأظنه ابن منير - المذكور في حرف الهمزة -
وهو أيضاً من جملة أبيات ، ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف
ابن الحسين بن محمد ، عرف بابن المجاور الدمشقي :

أيا مالكي في القلب منك نويرة وإنسانُ عيني في هواك متمم

ومنه قول أبي الغنائم ابن المعلم الشاعر - المقدم ذكره - من جملة أبيات
يصف فيها منزلاً ويدعو له بالسقيا ، فقال :

سقاها الحيا قبلي وجئت متمما فلو مالك فيه دُعيتُ متمما

ومنه قول القاضي السعيد ابن سناء الملك :

بكيت بكلتا مقلتي كأنني أتمم ما قد فات عين متمم

وهذا باب يطول شرحه ، وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصده .
ومتمم : بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها ميمان الأولى
منهما مشددة مكسورة .

وصدّا في قولهم « ماء ولا كصدّا » فيه ثلاث لغات : صدّا : بضم الصاد

المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة ، وصداء مثل الأول لكن الصاد مفتوحة والألف ممدودة ، فمن ضم قصر ومن فتح مد ، واللغة الثالثة صدءاء : بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين والصاد مفتوحة ، وهي بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب نير ، والله أعلم .

٧٧٠

البحري

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بخر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة ، وهو طيء ، بن أدد ابن زيد بن كهلان بن سبل بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الطائي البحري الشاعر المشهور ؛ ولد بمسبج ، وقيل بيزرد فنة^١ وهي قرية من قراها ، ونشأ وتخرج بها ، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله ، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء ، وأقام ببغداد دهرأ طويلاً ثم عاد إلى الشام ، وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها ، وكان يتغزل بها^٢ ، وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم .

٧٧٠ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٨ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٤٦ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٣٤ والشريشي ١ : ٣٦ والمنظم ٦ : ١١ ومرآة الجنان ٢ : ٢٠٢ والأغاني ٢١ : ٢٩ والموشح : ٣٣٠ والنجوم الزاهرة ٣ : ٩٩ وعبر الذهبي ٢ : ٧٣ والشذرات ٢ : ١٨٦ وأخبار البحري للصولي (ط . دمشق ١٩٥٨) وقد أخذت مخطوطة ق ابتداء من هذه الترجمة تعتمد التلخيص والإيجاز على غير ما كان عليه الحال في التراجم السابقة ؛ وأول الترجمة متابع لما في تاريخ الخطيب .

١ ص ن : مجرد فنة ، وضبطت كذلك في ختام الترجمة في هاتين النسختين .

٢ ق ن : وتغزل بها ؛ بر من : وتغزل فيها .

قال صالح بن الأصغ التنوخي المنبجي^١ : رأيت البحري هاهنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق، يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب، وأوماً إلى جنبتي المسجد، يمدح أصحاب البصل والبادنجان، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه، ثم كان منه ما كان، وعلوة التي شبب بها في كثير من أشعاره هي بنت زريقة الحلبية، وزريقة أمها^٢.

وحكى أبو بكر الصولي في كتابه الذي وضعه في «أخبار أبي تمام الطائي»^٣ أن البحري كان يقول : أول أمرى في الشعر ونباهتي فيه أتى صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقي شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل عليّ وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال لي : أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرة النعمان^٤، وشهد لي بالخذق وشفع لي إليهم وقال لي : امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته.

وقال أبو عبادة المذكور^٥ : أول ما رأيت أبا تمام، وما كنت رأيت قبلها، أتت دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف، فامتدحته بقصيدتي التي أولها :

أفاق صبّ من هوّى فأفبقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

فأنشدته إياها، فلما أتممتها سرّ بها. وقال لي : أحسن الله إليك يا فتى. فقال له رجل في المجلس : هذا أعزك الله. شعري علقه هذا الفتى. فسبقتني به إليك، فتغير أبو سعيد وقال لي : يا فتى، قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا. ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت : هذا شعري أعزك

١ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٤٧.

٢ ق : ثم شبب بعلوة بنت زريقة الحلبية؛ وسقط هذا من: بر من.

٣ أخبار أبي تمام : ٦٦ وأخبار البحري : ٥٥ - ٥٦.

٤ أورد الصولي نص الكتاب وهو : « يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي وهو على بذاته شاعر فأكرموه ». (أخبار أبي تمام : ٦٦).

٥ أخبار أبي تمام : ١٠٥ - ١٠٦ وأخبار البحري : ٦٣.

الله ، فقال الرجل : سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ، ثم ابتداءً فأنشد من القصيدة
 أحياناً ، فقال لي أبو سعيد : نحن نبلغك ما تريد ، ولا تحمل نفسك على هذا ،
 فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول ، ونويت أن أسأل عن الرجل مَنْ هو ،
 فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي : جنيت عليك فاحتمل ، أتدري من
 هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا ابن عمك ، حبيب بن أوس الطائي أبو تمام ،
 فقم إليه ، فقمتم إليه فعانقته . ثم أقبل عليّ بقرظي ويصف شعري وقال :
 إنما مَزَحْتُ معك ؛ فلزمته بعد ذلك وكثر عجبني من سرعة حفظه .

وروى الصولي أيضاً في كتابه المذكور أن أبا تمام راسل أم البحرني في
 التزوج بها ، فأجابته وقالت له : اجمع الناس للإملاك ، فقال : الله أجل من
 أن يذكر بيننا ، ولكن نتصافح ونتسافح^١ .
 وقيل للبحرني^٢ : أيما أشعر أنت أم أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي
 ورديثي خير من رديته .

وكان يقال لشعر البحرني : سلاسل الذهب ، وهو في الطبقة العليا .
 ويقال إنه قيل لأبي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر ، أبو تمام أم البحرني
 أم المتنبي ؟ فقال : حكيمان ، والشاعر البحرني . ولعمري ما أنصفه ابن الرومي
 في قوله :

والفتى البحرني يسرق ما قال ل ابن أوس في المدح والتشبيب
 كل بيت له يُجوّد معنا ه فمعناه لابن أوس حبيب

وقال البحرني^٣ : أنشدت أبا تمام شيئاً من شعري ، فأنشدني بيت أوس
 ابن حَجَرٍ^٤ :

إذا مقرر من ذرّاً حدّ نابه تخمّطَ فينا نابٌ آخر مقررٍ

١ أخبار البحرني : ١٤٤ وأخبار أبي تمام : ٣٤٦ وفيه : نتصافح ونتسافح .

٢ أخبار أبي تمام : ٦٧ .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٤٧ - ٤٤٨ ٤ ديوانه : ١٢٢ .

وقال : نعت إليّ نفسي ، فقلت : أعينك بالله من هذا ، فقال : إن عمري ليس يطول وقد نشأ لطيءً مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شيبه ، وهو من رهطه ، وهو يتكلم فقال : يا بني ، نعى نفسي إليّ إحسانك في كلامك ، لأننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله ، قال : فمات أبو تمام بعد سنة من هذا .

وقال البحرّي^١ : أنشدت أبا تمام شعراً لي في بعض بني حميد وصلت به إلى مال له خطر^٢ ، فقال لي : أحسنت ، أنت أمير الشعر بعدي ، فكان قوله هذا أحب إلي من جميع ما حويته .

وقال ميمون بن هارون : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ ، وحاله متماسكة ، فسألته ، فقال : كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء ، فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول^٣ البحرّي في المتوكل :
ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لمشي إليك المنبرُ

فرجعت إلى داري وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحرّي فقال : هاته ، فأنشدته :

ولو أن بُردَ المصطفى إذ لبسته يظن لظن البردُ أنك صاحبه
وقال - وقد أعطيته ولبسته - : نعم ، هذه أعطاه ومناكبه

فقال : ارجع إلى منزلك ، وافعل ما أمرك به ، فرجعت ، فبعث إلي سبعة آلاف دينار ، وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدي ، ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمت حياً .

وللمتنبي في هذا المعنى :

لو تعقلُ الشجر التي قابلتها مدت مُحَيِّيةً إليك الأغصنا

١ المصدر نفسه .

٢ ق : مال جزيل .

٣ قول : سقطت من ق ن .

وسبقهما أبو تمام بقوله :

لو سعت بقعة لإعظام نُعْمى لسعى نحوها المكان الحديدُ

والبيت الذي للبحري من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان، يمدح بها أبا الفضل جعفرأ المتوكل على الله ، ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر ، وأولها^١ :

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهرُ وألام من كمد عليك وأعذرُ

والأبيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي^٢ :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تفتُرُ
فانعم بيوم الفطر عيناً إنّه	يومٌ أغرّ من الزمان مشهَرُ
أظهرت عزّ الملك فيه يجحفل	لَسَجِبِ يُحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غدّتُ	عدداً يسيرُ بها العديدُ الأكثرُ
فالحيلُ تصهلُ ، والفوارس تدعي	والبيضُ تلمعُ ، والأسنة تزهرُ
والأرضُ خاشعةٌ تميدُ بثقلها	والجوُّ معتكِرُ الجوانبِ أغبرُ
والشمسُ طالعةٌ توقّدُ في الضحى	طوراً ويطفئها العجاجُ الأكدُرُ
حتى طلعتَ بضوء وجهك فانجلى	ذاك الدجى وانجاب ذاك العِشِيرُ
فافتنّ فيك الناظرون فإصبعُ	يومى إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها	من أنعم الله التي لا تكفُرُ
ذكروا بطلعتك النبيّ فهلّوا	لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلّى لابساً	نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشيةً خاشعٍ متواضعٍ	لله لا يزُهي ولا يتكبر
فلوأن مشتاقاً تكلف غير ما	في وسعه لمشي إليك المنبرُ

١ ديوان البحري : ١٠٧٠ .

٢ ن : وهي طويلة ستة عشر بيتاً وأولها .

أيدت من فصل الخطاب بحكمة تنبي عن الحق المبين وتُخبرُ
ووقفت في برد النبي مذكراً بالله تنذرُ تارةً وتبشرُ

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه ، وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة ، والسهل الممتنع ، فله دره ! ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه ، وأحسن سبكه وألطف مقاصده ، وليس فيه من الحشو شيء ، بل جميعه نُحِب .

وديوانه موجود وشعره سائر ، فلا حاجة إلى الإكثار منه هاهنا ، لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف : فمن ذلك أنه كان له غلام اسمه نسيم فباعه ، فاشتراه أبو الفضل الحسن بن وهب الكاتب - وقد سبق ذكر أخيه سليمان في حرف السين - ثم إن البحري ندم على بيعه وتبعته نفسه ، فكان يعمل فيه الشعر ويذكر أنه خلع وأن بيعه لم يكن من مراده ، فمن ذلك قوله^١ :

أنسيمُ هل للدهر وعدٌ صادقُ فيما يؤمله المحبُّ الوامقُ
ما لي فقدتك في المنام ولم تنزلْ عونَ المشوق إذا جفاه الشائق
أمنعتَ أنت من الزيارة رقيةً منهم فهل مُنِعَ الخيالُ الطارق
اليومَ جازَ بي الهوى مقداره في أهله وعلمت أنتي عاشقُ
فليهيء الحسن بن وهب أنه يلقي أحبته ونحن نفارق

وله فيه أشعار كثيرة .

ومن أخباره^٢ أنه كان يجلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار ، فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله ، فقصده البحري من العراق ، فلما وصل إلى حلب قيل له : إنّه قد قعد في بيته لديون ركبته ، فاعتم البحري لذلك غماً شديداً وبعث المدحة إليه مع بعض مواليه ، فلما وصلته ووقف عليها بكى ، ودعا بغلام له وقال له : بع داري ، فقال له : أتبيع دارك وتبقي على رؤوس الناس ؟ فقال : لا بد من بيعها ، فباعها

١ ديوانه : ١٥١٣ .

٢ أخبار البحري : ١٢٤ والديوان : ١٦٦٦ .

بثلثمائة دينار ، فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار ، وأنفذها إلى البحرى ، وكتب إليه معها رقعة فيها هذه الأبيات :

لو يكون الحباء حسبَ الذي أذت لدينا به محلّ وأهلُ
لحييت اللجينَ والدرّ واليا قوت حثّواً وكان ذاك يقلُّ
والأديبُ الأريبُ يسمَحُ بالعذ ر إذا قصّر الصديق المقلُّ

فلما وصلت الرقعة إلى البحرى ردّ الدنانير ، وكتب إليه :

بأبي أنت والله للبرّ أهلُ والمساعي بعدُ وسَعَيْكَ قِبَلُ
والنوال القليل يكثُر إن شاء مُرَجِّيكَ والكثير يقلُّ
غير أنّي رددت برك إذ كان رباً منك ، والربا لا يحلّ
وإذا ما جزيت شعراً بشعر قُضِيَ الحقُّ . والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير إليه حلّ الصرة ، وضم إليها خمسين ديناراً أخرى ، وحلف أنّه لا يردّها عليه ، وسيرها ، فلما وصلت إلى البحرى أنشأ يقول :

شكرتكَ إنَّ الشكر للعبد نعمةٌ ومَن يشكر المعروفَ فالله زائدُهُ
لكل زمانٍ واحدٌ يقتدى به وهذا زمانٌ أنت لا شك واحدُهُ

وكان البحرى كثيراً ما ينشد لشاعر أنسي اسمه ، ويعجبه قوله :

حمامَ الأراك ألا فاخبرينا لمن تندبين ومن تُعولينا
فقد شُقتِ بالنوحِ منا القلوبِ وأبكِتِ بالندبِ منا العيونَا
تعالِي نَقِمُ مَأْتَمًا للهمومِ ونعولُ إخواننا الظاعنينا
ونسعدكن - وتسعدننا فإن الحزينَ يُواسي الحزينَا

ثمّ إني وجدت هذه الأبيات لنبهان الفقعسي من العرب . وكان البحرى قد اجتاز بالموصل ، وقيل برأس عين ، ومرض بها مرضاً

شديداً ، وكان الطبيب يختلف إليه ويداويه ، فوصف له يوماً مزورة^١ ، ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه ، فقال للغلام : اصنع هذه المزورة ، وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضراً ، وقد جاء يعوده ، فقال ذاك الرئيس : هذا الغلام ما يحسن طبخها ، وعندي طباخ من صفته وصفته ، وبالغ في حسن صنعته ، فترك الغلام عملها اعتماداً على ذلك الرئيس وقعد البحري ينتظرها ، واشتغل الرئيس عنها ونسي أمرها ، فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها إليه ، كتب إلى الرئيس :

وجدتُ وعدك زوراً في مزورة حلفت مجتهداً إحكام طاهيها
فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا علت كف ملق كفه فيها
فاحبس رسولك عني أن يجيء بها فقد حبستُ رسولي عن تقاضيها

وأخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة . ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه أيضاً علي بن حمزة الأصبهاني ، ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام .

وللبحري أيضاً كتاب « حماسة » على مثال « حماسة أبي تمام » وله كتاب « معاني الشعر » . وكانت ولادته سنة ست ، وقيل خمس ومائتين . وتوفي سنة أربع وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ، وقيل ثلاث وثمانين ومائتين ، والأول أصح ، والله أعلم . وقال ابن الجوزي في كتاب « أعمار الأعيان » : توفي البحري وهو ابن ثمانين سنة ، والله أعلم بالصواب ، وكان موته بمنبج ، وقيل بحلب ، والأول أصح .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ : إنّه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة ، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر ، ففعل .

١ المزورة : نوع من الحساء يصنع للمريض .

٢ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٤٧ .

وأهل الأدب كثيراً ما يسألون عن قول أبي العلاء المعري^١ :

وقال الوليدُ : النبعُ ليس بمشمر وأخطأ ، سربُ الوحش من ثمر النبعِ

فيقولون : مَنْ هو الوليد المذكور ؟ وأين قال النبع ليس بمشمر ؟ ولقد سألتني عنه جماعة كثيرة ، والمراد بالوليد هو البحري المذكور ، وله قصيدة طويلة يقول فيها^٢ :

وعيرتني سِجالُ العُدْمِ جاهلةً والنبعُ عُريان ما في فرعه ثمرٌ

وهذا البيت هو المشار إليه في بيت المعري ، وإنّما ذكرت هذا لأنّه فائدة

تستفاد .

وعبيد الله وأخوه أبو عبادة ، ابنا يحيى بن الوليد البحري ، اللذان مدحهما المتنبي في قصائده ، هما حفيدا البحري الشاعر المذكور ، وكانا رئيسين في زمانهما . والبحري : بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى بحر ، وهو أحد أجداده ، كما تقدم ذكره في عمود نسبه .

وزرْدَفَنَة^٣ : بفتح الازاي وسكون الراء وفتح الدال المهملة ، وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية من قرى منبج ، بالقرب منها . ومنبج : بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم ، وهي بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام ، وسماها منبج ، فعربت فقبل منبج ، ولكونها وطن البحري كان يذكرها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح ، وهو أبو جعفر محمد ابن حميد بن عبد الحميد الطوسي^٤ :

١ من قصيدة له في وداع بغداد مطلعها :

نبي من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب إلى صدع

(انظر شروح السقط : ١٣٤٨) ؛ يقول : زعم البحري أن النبع غير مشمر وقد أخطأ ،

لأن القسي تعمل من النبع ويصطاد بها الحيوان ، فذلك هو ثمره .

٢ ديوان البحري : ٩٥٤ .

٣ ص ن : وجرْدَفَنَة ، بفتح الجيم وسكون الراء ... الخ . ٤ ديوان البحري : ٤٠٥ .

لا أنسينَ زماً لديك مُهدباً وظلالَ عيش كان عندك سجع
في نعمة أوطنتها وأقت في أفيائها فكأنتي في منبج

وكان البحري مقيماً بالعراق في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان ، وله
الحرمة التامة ، فلما قتلا ، كما هو مشهور في أمرهما ، رجع إلى منبج ، وكان
يحتاج للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه ، ويخاطبه بالأمير لحاجته إليه ،
ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك ، فقال قصيدة منها ^١ :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مرملٍ وبين صبيغٍ بالدماء مضرَج
أطلب أنصاراً على الدهر بعدما ثوى منهما في الترابِ أوسي وخزرجي
أولئك ساداتي الذين بفضلهم حلبت أفويق الربيع المثجج
مضوا أمماً قصداً وخلفتُ بعدهم أنخاطبُ بالتأمير والي منبج

وذكر المسعودي في « مروج الذهب » ^٢ أن هارون الرشيد اجتاز ببلاد منبج
ومعه عبد الملك بن صالح وكان أفصح ولد العباس في عصره ، فنظر إلى قصر مشيد
ويستان معتمر بالأشجار كثير الثمار ، فقال : لمن هذا ؟ فقال : هو لك ولي بك
يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف بناء هذا القصر ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق
منازل الناس . قال : فكيف مدينتك ؟ قال : عذبة الماء باردة الهواء ، صلبة
الموطأ قليلة الأدوية ، قال : فكيف ليلها ؟ قال : سحر كله ، انتهى كلام
المسعودي .

(297) وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن
علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه . وكانت منبج إقطاعاً
له وكان مقيماً بها . وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة بالبرقة ، رحمه الله تعالى . وله
بلاغة وفصاحة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة .

وذكر ياقوت الحموي في كتابه « المشترك » ^٣ : باب السقيا خمسة مواضع ،

١ ديوانه : ٤١٨ .

٢ مروج الذهب : ٣ : ٤٠٥ .

٣ المشترك : ٢٥٠ .

ثم قال في آخر هذا الباب : والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين ، وهي وقف على ولد البحري الشاعر ، وقد ذكرها أبو فراس ابن حمدان في شعره .

٧٧١

الوليد بن طريف الشاري

الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو [بن فدوكس ابن عمرو] بن مالك الشيباني - هكذا ذكره أبو سعد السعدي في كتاب « الأنساب » في موضعين أحدهما في ترجمة الأرقام^١ ، والآخر في ترجمة السيعاني ، بكسر السين المهملة - الشاري ، أحد الشجعان الطغاة الأبطال ؛ كان رأس الخوارج وكان مقيماً بنصيبين والخابور وتلك النواحي ، وخرج في خلافة هارون الرشيد وبغى ، وحشد جموعاً كثيرة ، فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني - وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - فجعل يخاتله ويمكره ، وكانت البرامكة منحرفة^١ عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا : إنه يراعيه لأجل الرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعده ويتنظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال : لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ،

٧٧١ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير (ج : ٦) والنجوم الزاهرة ٢ : ٩٥ واليعقوبي ومروج الذهب والعيون والحداثق : ٢٩٦ ومرآة الجنان ١ : ٣٧٠ والسمط : ٩١٣ ومعاهد التنصيص ٣ : ١٦١ وعبر الذهبي ١ : ٢٧٢ والشذرات ١ : ٢٨٨ ؛ والزيادة في نسبة من النسختين ص ن ولم يرفع النسب : في برمن ، وقال ابن حزم في الجمهرة : الوليد بن طريف بن عامر الخارجي وهو من بني صيفي بن حبيبي بن عمرو بن بكر بن حبيبي بن عمرو بن غم بن تغلب .
١ كذا قال ، مع أن ابن الأثير يستدرك على السعدي في هذه المادة « الأرقمي » ويقول إنه فاته النسبة إلى الأرقام .

٢ ن : منحرفين .

وأمر المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقي الوليد فظهر عليه فقتله ، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول^١ خميس في شهر رمضان ، وهي واقعة^٢ مشهورة تضمنتها التواريخ .

وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة^٣ وقيل فاطمة^٤ ، تجيد الشعر وتسلق سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر ، فرثت الفارعة أباها الوليد بقصيدة أجادت فيها ، وهي قليلة الوجود ، ولم أجد في مجاميع كتب الأدب إلا بعضها ، حتى إن أبا علي القالي لم يذكر منها في أماليه سوى أربعة أبيات ، فاتفق أنني ظفرت بها كاملة فأثبتها لغرابتها مع حسنها ، وهي هذه^٥ :

بتلّ نهاكي ^٥ رسمٌ قبرٍ كأنه	على جبلٍ فوق الجبالِ منيفٍ
تضمّنَ مجدّاً عدُمُلياً وسؤددا	وهمةً مقدام ورأيَ حصيف
فيا شجرَ الخابور مالك مورقاً	كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحبُّ الزادَ إلا من التقى	ولا المالَ إلا من قنّاً وسيوف
ولا الذخرَ إلا كل جرّداء صلدم	معاودةً للكرّ بين صفوف ^٦
كأنك لم تشهدْ هناك ولم تقم	مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لوردٍ كريهة	من السرّرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب ، والحرب لاقح	وسمّرُ القنا ينكزنها ^٧ بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى	فإن مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناكَ فقدانَ الشباب وليتنا	فدينناك من فتينانا بألوف

١ أول : سقطت من ن ع . ٢ ن ع : وقعة .

٣ سماها ابن حزم في الجمهرة « ليلي » وكذلك ورد اسمها في حماسة البحرني .

٤ هي أكثر أبياتاً مما جاء به المؤلف ، في حماسة البحرني : ٢٧٦ وانظر حماسة ابن الشجري : ٨٩ .

٥ ن ص : نياق ؛ ق : نياق ؛ حماسة البحرني : نياقا .

٦ ع : وكل رقيق الشفرتين حليف ؛ حماسة البحرني : وأجرد عالي المنسجين غروف .

٧ ن ص ع ق : ينهزها .

وما زال حتى أزهق الموتُ نفسه
ألا يا لقومي للحمامِ وللبلى
ألا يا لقومي للنوائبِ والردى
وللبدر من بين الكواكبِ إذ هوى
وليث كل الليثِ إذ يحملونه
ألا قاتل الله الحشى حيث^٣ أضمرتُ
فإن يكُ أرداه يزيدُ بن مزيد
عليه سلامُ الله وقفاً فإنتي
شَجَّيْ لعدوٍّ أو لجا^١ لضعيف
وللأرضِ هَمَّتْ بعده برجوف
ودهرٍ ملحٍ بالكرامِ عنيف
وللشمسِ لما أزمعت بكسوف^٢
إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيف
فتى كان للمعروف غيرَ عيوف
فربَّ زُحوف لنها بزحوف
أرى الموتَ وقاعاً بكلِّ شريف

ولها فيه مراتٍ كثيرة ، فمن ذلك قولها فيه أيضاً :

ذكرتُ الوليدَ وأيامه
فأقبلتُ أطلبه في السماء
أضاعك قومك فليطلبوا
لوآن السيوفَ التي حدها
نَبَّتْ عنك إذ جعلت هيبَةً
وكان الوليد يوم المصاف ينشد :

أنا الوليدُ بن طريف الشاري قَسَوْرَةٌ لا يُصْطَلَى بناري
جوركُمُ أخرجني من داري

ويقال إنه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ، ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج فضرب

١ لجا : تخفيف لجا ، أي ملجا .

٢ سقط البيت من : ص ن ق .

٣ ص : كيف .

بالرمح فرسها وقال : اغربي غرب الله عينك^١ فقد فضحت العشيرة ،
فاستحيت وانصرفت .

وطريف : بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها فاء .

وتل نهاكى - أظنه في بلد نصيين - وهو موضع الواقعة المذكورة .
والخابور : نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا ، يصب في
الفرات ، وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه الكبار في عمارة بلادها وأسواقها وكثرة
خيراتها ، وهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .

والشاري : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف راء وهو واحد الشراة ، وهم
الحوارج ، وإنما سموا بذلك لقولهم : إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها
بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة .

(297) والخنساء : اسمها تماضر ، بضم التاء المثناة من فوقها وفتح الميم وبعد
الألف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء ، وهي ابنة عمرو بن الشريد السلمي .
والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة ، ولذلك قيل لها الخنساء ،
لأنها كانت على هذه الصفة^٢ ، وأخبارها مع أخيها مشهورة في مراثيها وغيرها ،
- وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر في ترجمة أبي أحمد العسكري في حرف
الحاء - وقد اختلف في موضع قبره ، فقيل إنّه مدفون عند عسيب ، وهو جبل
مشهور ببلاد الروم ، وإن القبر الذي هناك ينسب إلى امرئ القيس بن حُجر
الكندي الشاعر المشهور ليس لامرئ القيس ، وإنما هو لصخر المذكور ، وقيل
إن كل واحد من امرئ القيس وصخر مدفون هناك ، وقال الحافظ أبو بكر
الحازمي المقدم ذكره في كتاب « ما اتفق لفظه واقترب مسماه » : إن عسيباً جبل
حجازي ، ودفن عنده صخر أخو الخنساء ، فعلى هذا يكون عسيب اسماً لجبلين :
أحدهما بالروم وهو الأشهر ، والآخر بالحجاز ، وكان من لوازم ياقوت الحموي
أن يذكره في كتابه الذي وضعه في البلاد المشتركة الأسماء ، ولم أجد ذكره فيه ،
والله أعلم .

٢ هنا تنتهي الترجمة موجزة في ق .

١ ع ص ق بر من : عليك .

وهب بن منبه

أبو عبد الله وهب بن منبه^١ اليماني ، صاحب الأخبار والقصص ؛ وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء، صلوات الله عليهم وسلامه، وسير الملوك ، وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٢ أنه كان يقول : قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً . ورأيت له تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم ، في مجلد واحد ، وهو من الكتب المفيدة . وكان له إخوة منهم : همام بن منبه^٣ ، كان أكبر من وهب ، وروى عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وهو معدود من جملة الأبناء .

ومعنى قولهم : « فلان من الأبناء » أن أبا مرة سيف بن ذي يزن الحميري صاحب اليمن ، لما استولت الحبشة على ملكه ، توجه إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم ، وقصته في ذلك مشهورة وخبره طويل ؛ وخلاصة الأمر أنه سير معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس ، جعل مقدمهم وهرز ، هكذا قاله ابن قتيبة^٤ . وقال محمد بن إسحاق : لم يسير معه

٧٧٢ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٥٩ وطبقات ابن سعد ٥ : ٣٩٥ (ط : ليدن) وحلية الأولياء ٤ : ٢٣ وتهذيب التهذيب ١١ : ١٦٦ ومرآة الجنان ١ : ٢٤٨ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٢ وتذكرة الحفاظ ١٠٠ : ١٠٠ وأقواله منشورة في كتب التفسير ككتاب الطبري وكتب الأدب كميون الأخبار والمعارف وغير ذلك ؛ وانظر بروكلمان (الترجمة العربية) ١ : ٢٥١ - ٢٥٢ ، وكتابه التيجان طبع في الهند (١٣٤٧ هـ) .

١ زاد في ن : بن كامل بن سلخ بن ذي كبار .

٢ المعارف : ٤٥٩ .

٣ ذكر ابن قتيبة أيضاً مقل بن منبه وعمر بن منبه .

٤ المعارف : ٦٣٨ .

سوى ثمانمائة فارس ، فغرق منهم في البحر مائتان ، وسلم ستمائة . قال أبو القاسم السهيلي : والقول الأول أشبه بالصواب ، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس . فلما وصل الجيش إلى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة ، فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم من البلاد ، وملك سيف ابن ذي يزن ووهرز ، وأقاموا أربع سنين ، وكان سيف بن ذي يزن قد اتخذ من أولئك الحبشة خدماً ، فخلوا به يوماً وهو في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا في رؤوس الجبال ، وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعاً ، وانتشر الأمر باليمن ، ولم يملكوا عليهم أحداً ، غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا كملوك الطوائف ، حتى أتى الله بالإسلام . ويقال إنها بقيت في أيدي الفرس ونواب كسرى فيها ، وبُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وباليمن من قواد أبرويز عاملان ، أحدهما : فيروز الديلمي ، والآخر داذويه ، وأسلما ، وهما اللذان دخلا على الأسود العنسي مع قيس بن المكشوح لما ادعى الأسود النبوة باليمن وقتلوه ، والقصة في ذلك مشهورة ، فلا حاجة إلى ذكرها . والمقصود من هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ، ورزقوا الأولاد ، فصار أولادهم وأولاد أولادهم يُدعون الأبناء ، لأنهم من أبناء أولئك الفرس . وكان طاوس العالم - المقدم ذكره - منهم أيضاً ، وقد أومأت إلى ذلك في ترجمته ، ولم أشرحه كما فعلت ها هنا . وأخبار وهب شهيرة فلا حاجة إلى ذكر شيء منها ، ويكفي في هذا الموضع ذكر هذه الفائدة . وتوفي وهب المذكور في المحرم سنة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن ، وعمره تسعون سنة ، رضي الله عنه . وقد تقدم الكلام على صنعاء في ترجمة عبد الرزاق الصنعاني . وفي هذه الترجمة أسماء أعجمية ، لو قيدها لطال الشرح ^٢ ، وهي مشهورة فتركتها لذلك .

١ ق : سبعون .

٢ ن : شرحها .

أبو البخري

أبو البخري وهب بن وهب بن وهب^١ بن كثير بن عبد الله بن زَمَعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، القرشي الأسدي المدني ؛ حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عُرْوَةَ بن الزبير وجعفر ابن محمد الصادق وغيرهم ، وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وأبو القاسم ابن سعيد بن المسيب وغيرهما . وكان متروك الحديث مشهوراً بوضعه ، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد ، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد - وقد تقدم الكلام على هذا الموضع في ترجمة الواقدي في حرف الميم - ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء ، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي .

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ في ترجمة القاضي أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم الحنفي أنه كان قاضي القضاة في بغداد ، فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البخري وهب بن وهب القرشي .

وكان فقيهاً أخبارياً ناسباً جواداً سرياً سخياً يحب المديح ويشب عليه العطاء الجزيل ، وكان إذا أعطى قليلاً أو كثيراً أتبعه عذراً إلى صاحبه ، وكان يتهلل عند طلب الحاجة إليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذي قُضِيَتْ حاجته ، وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر - المقدم ذكره - قد تزوج بأمه بالمدينة ، وله

٧٧٣ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٦٠ ونسب قريش : ٢٢٢

ولسان الميزان ٦ : ٢٣١ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٣ ومرآة الجنان ١ : ٤٦٣ وعبر الذهبي

١ : ٣٣٤ والشذرات ١ : ٣٦٠ وهذه الترجمة موجزة في ق تشبه أن تكون تلخيصاً .

١ ابن وهب : تكررت مرتين فقط في : ن ق بر من .

٢ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٤٣ .

عنه روايات وأسانيد ، واسم أمه عبدة بنت علي بن يزيد بن بركة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت عقيل بن أبي طالب .
وقد ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد » وبالغ في تقييده والثناء عليه ، وقال :
دخل عليه شاعر فأنشده :

إذا افتر وهبٌ خلته برقَ عارض تبغى في الأرضين أسعدَه السَّكْبُ
ومأ ضرٌّ وهباً ذمٌ من خالف الملا كما لا يضر البدرَ ينبحه الكَلْبُ
لكل أناسٍ من أبيهم ذخيرةٌ وذُخْرُ بني فهير عقيدُ الندى وهبُ

قال : فاستهل أبو البخترى ضاحكاً وسر سروراً شديداً ، ثم دعا عوناً له فأسر إليه شيئاً ، فاتاه بصرة فيها خمسمائة دينار ، فدفعها إليه .
وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني »^٢ في ترجمة أبي دُلْفَ العجلي ، قال : أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : كنا عند أبي العباس المررد يوماً وعنده فتى من ولد أبي البخترى وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه ، وفتى من ولد أبي دُلْفَ العجلي شبيه به في الجمال ، فقال المررد لابن أبي البخترى : أعرف بجدك قصة طريقة^٣ من الكرم حسنة لم يسبق إليها ، فقال : وما هي ؟ قال : دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيداً غير الذي كانوا يشربون منه^٤ ، فقال فيهم :

نبيذان في مجلس واحد لإيثارٍ مثرٍ على مُقْتَرِ
فلو كان فعلك ذا في الطعام لزمتم قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأوا الكرام صنعت صنيع أبي البخترى
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقلّ عن المكر

١ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٥١ .

٢ الأغاني ٨ : ٢٥٣ .

٣ ر : لطيفة ؛ الأغاني : طريقة .

٤ ر ن : يشربونه .

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلاثمائة دينار ، قال ابن عمار :
 فقلت له : قد فعل جدُّ هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا ، قال :
 وما فعل ؟ قلت : بلغه أن رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترض
 في الجند ، فقال :

إليك عني فقد كلّفني شَطَطاً حَمَلَ السلاح وقول الدارعين قِيفِ
 أمن رجال المنايا خِلْتِنِي رَجُلًا أَمْسِي وَأَصْبِحُ مشتاقاً إلى التَّلْفِ
 تمشي المنايا إلى غَيْرِي فأكرهها فكيف أمشي إليها بارز الكِيفِ
 حسبت أن نزال القرن من خلقي أو أن قلبي في جنبي أبي دُلفِ

فأحضره أبو دلف ثم قال : كم أملت امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال :
 مائة دينار ، قال : وكم أملت أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة ، قال : فذلك
 على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه ، قال :
 فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل ، وانكسر ابنُ أبي البختري انكساراً شديداً ،
 انتهى كلام صاحب الأغاني في هذا الفصل ؛ وقد سبق في ترجمة أبي دلف القاسم
 ابن عيسى العجلي ذكر هذه الأبيات وقائلها وصورة الحال^١ ، وبينها وبين
 هذه الرواية اختلاف يسير .

(298) وأما الأبيات الأولى التي في أبي البخترى ، فهي لأبي عبد الرحمن محمد بن
 عبد الرحمن بن عطية العطوي الشاعر المشهور^٢ ، ونسبته — بالعطوي — إلى جده
 عطية المذكور ، وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن
 كنانة ، وكان معتزلاً ، وله ديوان شعر .

وروى الخطيب أيضاً في تاريخه^٣ أن أبا البخترى ، قال : لأنّ أكون في قوم
 أعلم مني أحب إلي من أكون في قوم أنا أعلم منهم لأنني إن كنت أعلمهم لم أستفد
 وإن كنت مع من هم أعلم مني استفدت .

وروى أيضاً في تاريخه^٤ أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر

٢ معجم المرزباني : ٣٧٧ .

١ انظر ج ٤ : ٧٥ .

٤ المصدر نفسه .

٣ ص : ٤٥٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة ، فقال أبو البخري : حدثني جعفر بن محمد ، يعني جعفر الصادق ، عن أبيه قال : نزل جبريلُ على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباءَ وَمِنْطَقَةَ مَخْنَجْرًا^١ بِمَخْنَجْرٍ ، فقال المعافى التميمي^٢ :

وَيَلُّ وَعَوَّلُ لِأَبِي الْبَخْرِيِّ إِذَا تَوَافَى النَّاسُ لِلْمَحْشِرِ
 مِنْ قَوْلِهِ الزُّورَ وَإِعْلَانَهُ بِالْكَذِبِ فِي النَّاسِ عَلَى جَعْفَرٍ
 وَاللَّهِ مَا جَالَسَهُ سَاعَةً لِلْفَقْهِ فِي بَدْوٍ وَلَا مُحَضَّرٍ
 وَلَا رَأَى النَّاسُ فِي دَهْرِهِ يَمُرُّ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ وَهَبٍ لَقَدْ أَعْلَنَ بِالزُّورِ وَالْمَنْكَرِ
 يَزْعَمُ أَنَّ الْمَصْطَفَى أَحْمَدًا أَتَاهُ جَبْرِيلُ التَّقِيُّ الْبَرِي
 عَلَيْهِ خَفَ وَقَبَا أَسْوَدُ مَخْنَجْرًا فِي الْحَقْوِ بِالْمَخْنَجْرِ

وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن معين وقف على حلقاته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق ، فقال له : كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأخذني الشرط ، فقلت لهم : هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ، قال فقالوا لي : هذا والله قاضٍ كذاب ، وأفرجوا عني .

وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف»^٣ : وكان أبو البخري ضعيفاً في الحديث ؛ وقال الخطيب في تاريخه^٤ : قال إبراهيم الحربي : قيل لأحمد بن حنبل تعلم أحداً روى «لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح» ؟ فقال : ما روى هذا إلا ذلك الكذاب أبو البخري .

وله من التصانيف كتاب «الروايات»^٥ . كتاب «طسم وجديس» . كتاب

١ ن : محتجراً .

٢ تاريخ بغداد : التميمي .

٣ المعارف : ٥١٦ .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٥٥ .

٥ ص ع ر : الروايات .

« صفة النبي صلى الله عليه وسلم ». كتاب « فضائل الأنصار ». كتاب « الفضائل الكبير » ويحتوي على جميع الفضائل . كتاب « نسب ولد إسماعيل عليه السلام » ويحتوي على قطعة من الأحاديث والقصص . وأخباره ومحاسنه كثيرة ؛ وتوفي سنة مائتين للهجرة ببغداد ، في خلافة المأمون ، رحمه الله تعالى . وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف » في موضعين ، عقد له أولاً ترجمة وتكلم على حاله ، ثم ذكره في ثلاثة أسماء في نسق^١ : أبو البخترى وهب بن وهب بن وهب ، وعد معه في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي الطالبين حسن بن حسن ابن حسن ، وفي غسان الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر ، هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة ، وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد ، وقد سبق ذكره في المحمدين .

وأبو البخترى : بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء ، وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء ، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبخترى وهو الشاعر المقدم ذكره .

وزمعة : بفتح الزاي والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة، وهي في الأصل اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف ، وبها سمي الرجل . وقد تقدم الكلام على الأسدي والمدني^٢ .

قلت : وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي إلحاقها بها ، وهي أن أبا البخترى المذكور قال : كنت أدخل على هارون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه ، فكنت أدمن النظر إليه عند دخولي وخروجي ، فقال له بعض ندمائته : ما أرى أبا البخترى إلا يحب رؤوس الحملان ، ففطن له الرشيد ، فلما دخلت عليه قال : أراك تدمن النظر إلى أبي القاسم^٣ ، تريد أن تجعل انقطاعك إليه^٤ ، قلت : أعينك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في ، وأما إدماني

١ المعارف : ٥٩٠ .

٢ هنا تنتهي الترجمة في : ع بر من .

٣ كذا في المختار أيضاً وسماه أولاً « القاسم » ولعل الصواب في الموطن الثاني « ابني القاسم » .

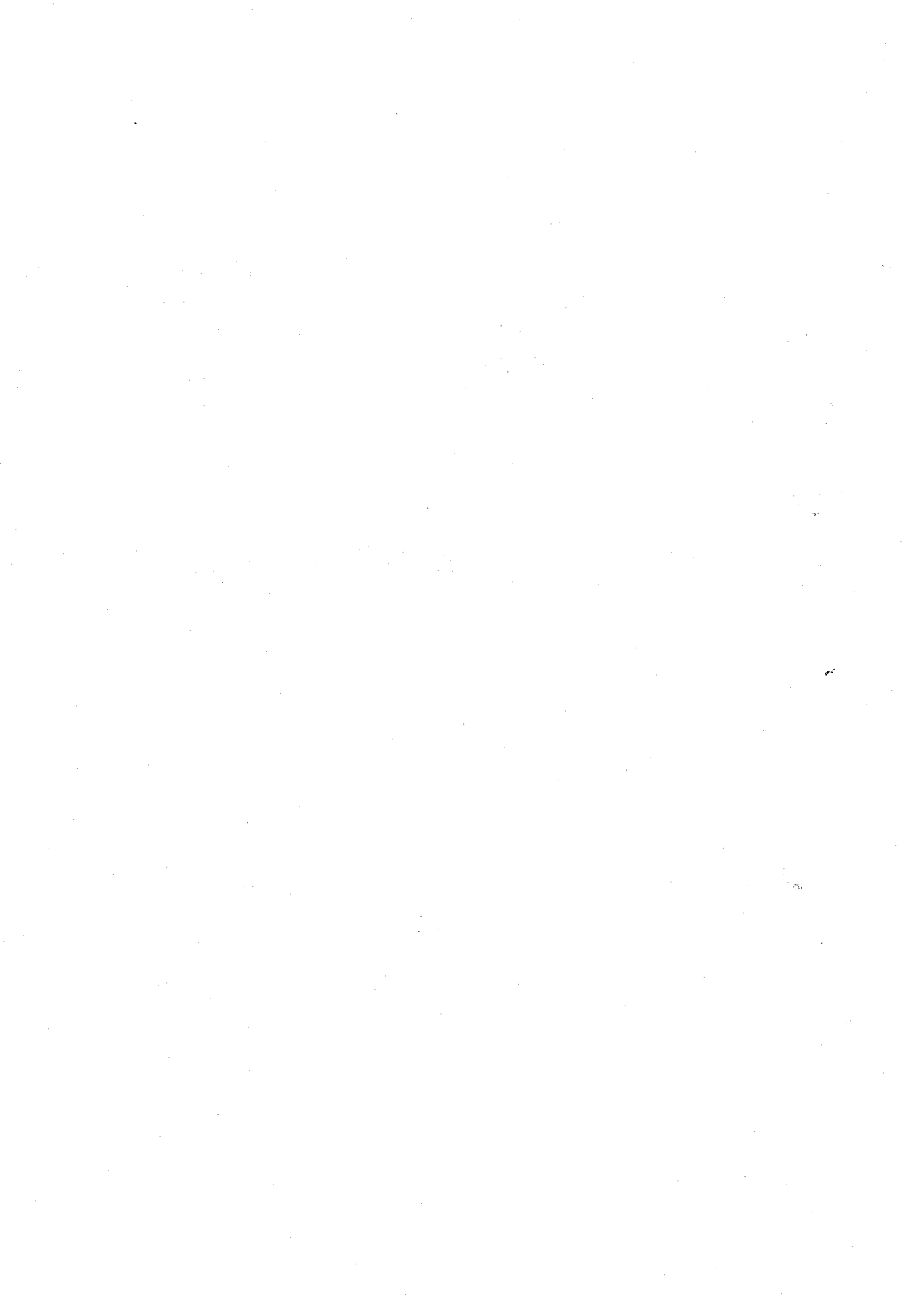
٤ ن ص ر : انقطاعه اليك .

النظر إليه فلأن جعفرأ الصادق رضي الله تعالى عنه روى بإسناده عن آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^١ « ثلاث يزدن في قوة النظر^٢ : النظر إلى الحضرة ، وإلى الماء الجاري ، وإلى الوجه الحسن ، نقلتها من خط القاضي كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

١ ر : أخبر عن النبي (ص) أنه قال .. الخ .

٢ ص ن ر : البصر .

حرف الهاء



ابن الشجري

الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني ، المعروف بابن الشجري البغدادي ، كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل ، متضلعاً من الآداب ، صنف فيها عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب « الأمالي » ، وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة ، أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون^١ الأدب ، وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنع له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الحشاش - المقدم ذكره - والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه ورداً عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد ، فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه ، وجمعه كتاباً سماه « الانتصار » وهو على صغر حجمه مفيد جداً ، وسمعه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه « الحماسة » ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح^٢ أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف وله « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وشرح « اللمع » لابن جني ، وشرح « التصريف الملوكي » .

٧٧٤ - ترجمته في عبر الذهبية ٤ : ١١٦ والبدر السافر ، الورقة : ٢١٩ وانباه الرواة ٣ : ٣٥٦
وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى ، وهذه الترجمة موجزة في ق ، ولكن على طريقة مختلفة عن
الايجاز المعتمد في المختار .

١ بر : وفنون .

٢ ص : مليح غريب .

وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم^١ ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن^٢ المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد بن القاسم الصيرفي ، وأبي علي محمد بن سعيد بن نيهان^٣ الكاتب وغيرهما .

وذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب «الذيل» ، وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث ، وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ، ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي - المقدم ذكره - في كتابه الذي سماه «مناقب الأدياء»^٤ أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري - المقدم ذكره - لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري ومضينا معه إليه ، فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي :

واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغره الخبر الخبر

ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مُسألة الركبان تخبرنا^٥ عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وهذا البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح^٦ ، وهما منسوبان

١ بر : والتفهيم .

٢ ع ن : الحسين .

٣ ر ن : بيان ؛ وسقطت من : بر من .

٤ طبقات الأدياء : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٥ المختار : أصدق .

٦ ع بر من : تخبرني .

٧ انظر ج ١ : ٢٦١ .

إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي - وقد تقدم ذكره أيضاً - وينسبان إلى غيره أيضاً ، والله أعلم .

قال ابن الأنباري ، فقال العلامة الزمخشري : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له : « يا زيد ، ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيتَه دون ما وصف لي ، غيرك » . قال ابن الأنباري ، فخرجنا من عنده ونحن نعجب ، كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل عجمي ؟^١ .

وهذا الكلام ، وإن لم يكن عين كلام ابن الأنباري ، فهو في معناه ، لأنني لم أنقله من الكتاب ، بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري ، وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنباري فيجد بين الكلامين اختلافاً فيظن أنني تسامحت في النقل .

وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر ، وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير ، وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إني لك ناصح
ياسدرة الوادي الذي إن ضلّه الـ	ساري هداة نشره المتفاح
هل عائد قبل الممات لمغرم	عيش تقصّي في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعا مُصنّي الصباة طامح
شطّ المزار به وبوى منزلاً	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جانح
وإذا العيون تساهمته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشافنا	فيه مراتع للمها ومسارح

١ نص كلامه : فتمجب الحاضرون من كلامهما ، لأن الخبر كان أليق بالشريف والشعر أليق بالزمخشري .

ظلنا به نبكي فكم من مضمير
 مَرَّتِ الشُّونَ رَسومُها فكَأَنَّمَا
 يا صاحبي تَأَمَّلَا حَيْثُمَا
 أَدُمِّي بَدْتُ لَعيوننا أَم رِبربُ
 أم هذه مُقَلِّ الصَّوارِ رَنَّتْ لَنَا
 لم يبق جارحةٌ وقد واجهننا
 كيف ارتجاعُ القلبِ من أَسْرِ الهوى
 لو بلَّه من ماء ضارجٍ شَرِبَةٌ
 وجداً أذاع هواه دمعٌ سافح
 تلك العِراضُ المَقفِراتُ نواضح
 وسقى دياركما المَلِثُ الرائح
 أم خَرَدٌ أَكفاهن رواجح
 خَلَلِ البِراقِعِ أَم قنا وصفائح
 إلّا وهن لها بهن جوارح
 ومن الشقاوة أن يُراضَ القارح
 ما أَثَرَتْ لِلوَجِدِ فيه لواقح

ومن هاهنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة، ولم يكن المقصود
 إلا إثبات شيء من نظمه ليستدل به على طريقته فيه ^٢ .
 ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهودُ
 وحتى متى تُفني شؤونك بالبكا
 وإنني وإن جفت ^٣ قناتي كبرة
 وفيه إشارة إلى أبيات لبید بن ربيعة العامري ^٤ :
 وهل مكذبٌ قول الوشاة جحودُ
 وقد حد حداً للبكاء لبید
 لذو مرة في النائبات جليد

تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما
 فقوما فنوحا بالذي تعلمانه
 وقولا : هو المرء الذي لا صديقه
 وهل أنا إلا من ربيعة أو مضرُ
 ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
 أضاع ، ولا خان العهود ولا غدر

١ بر : لقد رنت .

٢ ن ص ر : على المراد من طريقته فيه .

٣ ق : خفت ؛ ع بر من : حنت .

٤ ديوان لبید : ٢١٣ ؛ وفي ع بر من : فتذكر بعدها إن شاء الله تعالى ؛ ولم يورد الأبيات .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله^١ :

ظعنوا فكان بكائي حولاً بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم ليبد

وقال الشريف^٢ أبو السعادات المذكور : أنشدني أبو إسماعيل الحسين
الطغرائي - قلت : قد تقدم ذكره - لنفسه^٣ :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً للمالكة مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فتركها جميعاً
هما سبيان^٤ من ملك ونسك^٥ بينلان الفتى الشرف الرفيعاً
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش^٦ بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد
ابن جكيننا البغدادي الحريني الشاعر المشهور - وهو المذكور في ترجمة أبي محمد
القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات - تنافس^٦ جرت^٦ العادة بمثله بين أهل
الفضائل ، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

يا سيدي والذي يعيذك من نظم قريض يصدأ به الفكرُ
مالك من جدك النبيّ سوى أنك ما ينبغي لك الشعر

وشعره وماجراياته كثيرة ، والاختصار أولى .

١ ديوان أبي تمام ١ : ٣٩٢ .

٢ هذا النص حتى آخر الأبيات سقط من : ع بر من .

٣ ديوان الطغرائي : ٦٧ .

٤ ص ر : سبان ، وكذلك في الديوان .

٥ ن ص ر : يحي .

٦ ص ر : كما جرت .

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة . وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ودفن من الغد في داره بالكرخ من بغداد ، رحمه الله تعالى .

والشجري : بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء ، هذه النسبة إلى شجرة ، وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وشجرة أيضاً اسم رجل ، وقد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل نسبته إلى القرية ، أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ، والله أعلم .
وقد تقدم الكلام على الكرخ في ترجمة معروف الكرخي ، رضي الله عنه ، فأغنى عن إعادته .

٧٧٥

البديع الاسطرلابي

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف ، وقيل أحمد ، المنعوت بالبديع الأسطرلابي الشاعر المشهور ، أحد الأدباء الفضلاء ؛ كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية ، متقناً لهذه الصناعة ، وحصل له من جهة عملها مال جزيل في خلافة الإمام المسترشد ، ولما مات لم يخلفه في شغله مثله . وقد ذكره أبو المعالي الحظيري في كتابه الذي سماه « زينة الدهر » وذكره العماد الأصبهاني في كتاب

١ ر : رحمه الله تعالى .

٧٧٥ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٧٣ والفوات ٢ : ومراة الجنان ٣ : ٢٦١ وابن العبري : ٣٦٣ ومراة الزمان : ١٨٤ وأخبار الحكماء : ٢٢٢ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٥ ، ولا تزيد هذه الترجمة عن تسعة سطور في ق .

« الخريدة » ، وكل منهما أنثى عليه ، وأورد عدة مقاطيع من شعره ، فمن ذلك قوله :

أهْدي لمجْلِسِه الكَريم ، وإنَّمَا أهْدي لهُ ما حَزتُ من نَعَمائِه
كالبَحْرِ يَمْطُرُه السحابُ وما لهُ فَضْلٌ عليه لأنَّه من مائِه

وهذان البيتان من أسير^١ شعره ، وقد قيل لإنهما لغيره .
وله أيضاً :

أذاقني حُمْرَةَ المنايا لما اكتسى خُضْرَةَ العذارِ
وقد تَبَدَّى السوادُ فيه وكارتي بَعْدُ في العيارِ

هكذا وجدت هذين البيتين في « زينة الدهر » تأليف أبي المعالي الحظيري منسويين إلى البديع المذكور ، ورأيت في موضع آخر أنهما لأبي محمد ابن جكينا المذكور في ترجمة الشريف أبي السعادات ابن الشجري - والله أعلم . وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة فإنهم يقولون : « كارتي في العيار » بمعنى أنه ناشب معه لم يتخلص^٢ منه ، والكاراة عندهم في الدقيق بمثابة الحملة في ديار مصر . ومن شعره :

قال قومٌ عشِقْتَه أمرَدَ الخ ل د وقد قيل : إنَّه نكريشُ
قُلْتُ فرخُ الطاوسِ أحسنُ ما كا ن إذا ما علا عليه الريشُ

قوله « نكريش » لفظة عجمية ، والأصل فيها نيك ريش ، معناها لحية جيدة ، وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم أنهم يقدمون ويؤخرون في ألفاظهم المركبة ، فنيك : جيد ، وريش : لحية .

وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ ، فلهذا اقتصر له على هذه النبذة مع كثرة شعره ، وكان قد جمعه

١ ر : أشهر .

٢ ع ن : يتخلص .

ودوّته ، واختار ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة وأحد وأربعين باباً ، وجعل كل باب في فن من فنون شعره ، وقفاه وسماه « درة التاج من شعر ابن حجاج » وكان ظريفاً في جميع حركاته ؛ وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسائة ، بعلة الفالنج ، ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد ، رحمه الله تعالى .

والأسطرلابي^١ : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة ، هذه النسبة إلى الأسطرلاب ، وهو الآلة المعروفة ، قال كوشيار^٢ بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب « الزيج » في رسالته التي وضعها في علم الأسطرلاب : إن الأسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس ، وسمعت بعض المشايخ يقول : إن لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال : أسطر الشمس ، إشارة إلى الخطوط التي فيه ؛ وقيل إن أوّل مَنْ وضعه بطليموس صاحب المجسطي ، وكان سبب وضعه له أنه كان معه كرة فلكية وهو راكب ، فسقطت منه ، فداستها دابته فحسفتها^٣ ، فبقيت على هيئة الأسطرلاب ، وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون أن هذه الصورة لا ترسم إلا في جسم كروي على هيئة الأفلاك ، فلما رآه بطليموس على تلك الصورة علم أنه يرسم في السطح ويكون نصف دائرة ويحصل منه ما يحصل من الكرة ، فوضع الأسطرلاب ، ولم يسبق إليه ، وما اهتدى أحد من المتقدمين إلى أن هذا القدر يتأتى في الخط . ولم يزل الأمر مستمراً على استعمال الكرة والأسطرلاب إلى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي - المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين ابن يونس رحمهما الله تعالى ، وهو شيخه في فن الرياضة^٤ - أن يضع المقبوض من الكرة والأسطرلاب في خط فوضعه وسمّاه « العصا » وعمل له رسالة بديعة . وكان قد أخطأ في بعض هذا الوضع ، فأصلحه الشيخ كمال الدين المذكور ،

١ ص : والاصطرلابي .

٢ ع : كوشيار . وكوشيار (٤٤٢ - ٤٩٤) انظر كشف الظنون تحت مادة « زيج كوشيار » .

٣ ر : فسحفتها .

٤ ترجمة كمال الدين ابن يونس ج ٥ : ٣١١ وذكر شرف الدين الطوسي ص : ٣١٤ من الجزء المذكور .

وهذبه ، والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود ، ولم يكن أحد من القدماء يعرفه . فصارت الهيئة توجد في الكرة التي هي جسم لأنها تشتمل على الطول والعرض والعمق ، وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق ، وتوجد في الخط الذي هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ، ولم يبق سوى النقطة ، ولا يتصور أن يعمل فيها شيء لأنها ليست جسماً ولا سطحاً ، ولا خطاً ، بل هي طرف الخط ، كما أن الخط طرف السطح ، والسطح طرف الجسم ، والنقطة لا تتجزأ ، فلا يتصور أن يرسم فيها شيء ، وهذا وإن كان خروجاً عما نحن بصدهه لكنه أيضاً فائدة ، والاطلاع عليه أولى من إهماله ، وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم^١ .

٧٧٦

ابن القطان البغدادي

أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم^٢ ، المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادي ؛ قد سبق شيء من شعره وطرف من خبره في ترجمة حيص بيص في حرف السين ، وفي ترجمة ابن السوادى في أواخر حرف العين^٣ . وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ ، وسمع

١ علق بعضهم في هامش المختار بخط مختلف عن خط الأصل عند هذا الموضع بقوله : تأمل ما في هذا الكلام من الخطأ والخبط وسبب ذلك تكلم المصنف وغير المصنف فيما لا علم له به ، فيستغرب كلامه من لا يعرف ذلك العلم ويستعظمه ، ولم يعلم ما تحته من التخليط . الخ .

٧٧٦ - انظر أخبار الدولة السلجوقية : ١٢٠ ولسان الميزان ٦ : ١٨٩ ومرآة الزمان : ١٨٧ ومرآة

الجنان ٣ : ٣١٥ والمنتظم ١٠ : ٢٠٧ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٣ - ٢٩٠ .

٢ ص ر ن : ابن غانم المتوحي .

٣ انظر ٢ : ٣٦٣ ، ٣ : ٤٨١ .

عليه ، وكان غاية في الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والمداعبات^١ ، مغرّى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم ، وله في ذلك نواذر ووقائع وحكايات ظريفة ، وله ديوان شعر . وقد ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب « الذيل » فقال : شاعر مجود^٢ ، مليح الشعر رقيق الطبع ، إلا أن الغالب عليه الهجاء ، وهو ممن يتقى لسانه ، ثلاث^٣ ، ثم قال : كتبت عنه حديثين لا غير ، وعلقت عنه مقطعات من شعره .

(299) وذكر الحافظ السلفي أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز ، وقال : إن بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال : سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب . وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي : مات يوم الأربعاء ، ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، بمقبرة معروف الكرخي ، رضي الله عنه .

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة »^٣ أبا القاسم المذكور فقال : وكان مجمعا على ظرفه ولطفه ، وله ديوان شعر أكثره جيد ، وعبث فيه بجماعة من الأعيان وتكسبهم ، ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره ؛ وأخبرني بعض المشايخ أنه رآه وقال : كنت يومئذ صبياً فلم آخذ عنه شيئاً لكنني رأيت قاعداً على طرف دكان عطار ببغداد ، والناس يقولون : هذا ابن الفضل الهجاء . وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن^٤ الباقلائي وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون الأمين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخي^٥ وغيرهم .

وله مع حيصص بيصص ماجرايات ، فمن ذلك أن الحيصص بيصص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي ، فنبح عليه جرو كلب

١ ص ن ر : والمداعبة .

٢ من بر ر : مجيد .

٣ ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٢٧٠ والنص المشار اليه غير موجود في الخريدة على هذا النحو .

٤ ص ن : الحسين .

٥ ع : النعالي الكرخي .

وكان متقلداً سيفاً ، فوكزه بعقب السيف فمات ، فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور ، فنظم أبياتاً وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناً له ، فقُدّم إليه ليقْتاد منه فألقى السيف من يده وأنشدهما ، والبيتان المذكوران يوجدان في الباب الأول من كتاب « الحماسة » ، ثم إن ابن الفضل المذكور عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرٌ ورتب معها من طردها وأولادها إلى باب دار الوزير كالمستغيثة ، فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فإذا فيها :

يا أهل بغداد إن الحيصَ بَيَّصَ أتى بفعلة أكسبته الخزي في البلد
هو الجبان^٢ الذي أبدى تشاجعه على جُرِّيِّ ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به ولم يكن ببوآء عنه في القود
فأنشدت جمعة^٣ من بعدما احتسبت دم الأيلق عند الواحد الصمد
« أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابني ولم تُرد^٤ »
« كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي »

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم :

قوم إذا ما جنى جانبيهم^٥ أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قوداً

[وهو من جملة أبيات في الكراس الذي أوله لقي بشار ، وينظر في الحماسة]^٥
وهذا التضمين في غاية^٦ الحسن ، ولم أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء

١ ن : جراء ؛ بر من : جر و .

٢ ص : الجري .

٣ ق ن والمختار : فأنشدت أمه ، وهذا لا يستدعي ضبط لفظه « جمعة » كما في سائر النسخ ، في آخر الترجمة .

٤ الحماسية رقم : ٤٦ في شرح المرزوقي .

٥ ما بين معقنين سقط من ع ق والمختار ؛ ويبدو أنه من تحويلات المؤلف في المسودة على كراريس كانت لديه ؛ وفي ر : الذي أوله كفى اشارة ؛ وفي ص : لقي اشارة تنظر في الحارة ؛ والبيت من الحماسية رقم ٦٦ في شرح المرزوقي .

٦ بر : نهاية .

التضمين في أشعارهم ، إلا ما أنشدني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الحيمي - المذكور في ترجمة الشيخ تاج الدين الكندي في حرف الزاي^١ - لنفسه وأخبرني أنه كان بدمشق وقد رسم السلطان بخلق لحية شخص له وجهة بين الناس ، فحلق نصفها ، وحصلت فيه شفاة ، فعفا عنه في الباقي ، فعمل فيه ولم يصرح باسمه ، بل رمزه وستره ، وهو :

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم أر النصف مخلوقاً فعدت له مهتئاً بالذي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمع يحنقه بيتين ما نظما ميناً ولا كذبا
إذا أتتكَ لَحَلَّتْ الذقن طائفة «فاخلع ثيابك منها مُمَعِناً هربا»
« وإن أتوك وقالوا : إنها نصف فإنَّ أَطِيبَ نصفها الذي ذهباً »

والبيتان الأخيران منها في كتاب « الحماسة »^٢ أيضاً في باب مذمة النساء ، لكن الأول منهما فيه تغيير ، فإن بيت الحماسة :

لا تَتَكِحَنَّ عَجُوزاً إن أتيت بها واخْلَعْ ثِيَابَكَ منها مُمَعِناً هربا

وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السَّمَاط عند الوزير في شهر رمضان ، فأخذ ابن الفضل قِطَاة مشوية ، وقدمها إلى الحيص بيص ، فقال الحيص بيص للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذيني ، فقال الوزير : كيف ذلك ؟ قال : لأنه يشير إلى قول الشاعر :

تَمِيمٌ بَطْرُقَ اللُّؤْمَ أَهْدَى مِنِ القِطَاةِ وَكَوْ سَلَكَتْ سَبِيلَ المَكَارِمِ ضَلَّتْ

وكان الحيص تميمياً - كما تقدم في ترجمته - وهذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر^٣ ، وهو من جملة أبيات ، وبعد هذا البيت :

١ انظر ج ٢ : ٣٤٠ .

٢ الحماسة رقم : ٨٧٠ في شرح المرزوقي .

٣ ديوان الطرماح : ٥٩ .

أرى الليل يجلوه النهار ، ولا أرى
ولو أن برغوئاً على ظهر قملة^١ يكرُّ على صقيّ تميم لولتِ

ودخل ابن الفضل المذكور يوماً على الوزير المذكور الزينبي ، وعنده الحيص
فقال : قد عملت بيتين ولا يمكن أن يعمل لهما ثالث ، لأنني قد استوفيت المعنى
فيهما ، فقال له الوزير : هاتهما ، فأنشده :

زار الخيالُ نَحِيلاً مِثْلَ مُرْسَلِهِ فَمَا شَفَانِي مِنْهُ الضَّمُّ وَالقَبْلُ
مَا زَارَنِي قَطُّ إِلَّا كِي يُوَافِقُنِي عَلَى الرَّقَادِ فَيَنْفِيهِ وَيَرْتَمِلُ

فالتفت الوزير إلى الحيص وقال له : ما تقول في دعواه ؟ فقال : إن أعادهما
سمع الوزير لهما ثالثاً ، فقال له الوزير : أعدهما ، فأعادهما ، فوقف الحيص
بيص لحظة ثم أنشد :

وَمَا دَرَى أَنْ نَوْمِي حَيْلَةً نُصِبَتْ لَطِيفِهِ حِينَ أَعْيَا الْيَقْظَةَ الْحَيْلُ
فَاسْتَحْسَنَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ مِنْهُ .

وسمعت لبعض المعاصرين^٢ ، ولم أتحقق أنها له حتى أعينه ، وقد أخذ هذا
المعنى ونظمه وأحسن فيه ، وهو :

يَا ضَرَّةَ الْقَمَرِينَ مَنْ لِمَتِيمٍ أُرْدَيْتَهُ وَأَحْلَلْتِ ذَاكَ عَلَى الْقَضَا
وَحَيَاةَ حُبِّكَ لَمْ يَنْنَمْ عَنْ سَلْوَةٍ بَلْ كَانَ ذَلِكَ لِلْخِيَالِ تَعْرِضَا
لَا تَأْسَفِي إِنْ زَارَ طَيْفُكَ فِي الْكُرَى مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ شَخْصِكَ مُعْرِضَا

ثم وجدت هذه الأبيات لأبي العلاء بن أبي الندى المعروف^٣ .
ولما هجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بالقصيدة الكافية - المقدم ذكرها

١ ق ص ر : فارة .

٢ ع : العيارين .

٣ ن : الشاعر المعروف .

في ترجمة ابن السوادي^١ - ، ولولا طولها لذكرتها ، سير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفه وحبه ، فلما طال حبسه كتب إلى مجد الدين ابن الصاحب أستاذ الدار الخليفية :

إليك أظلم مجد الدين أشكو بلاء حلّ لست له مطيقا
وقوماً بلغوا عني مُحالاً إلى قاضي القضاة التدب سيقا
فأحضرني بباب الحكم خصمٌ غليظٌ جرّني كما وزيقا
وأخفق نعله بالصفع رأسي إلى أن أوجس القلب الخفوقا
على الخصم الأداء وقد صفعنا إلى أن ما تهدينا الطريقا
فيا مولاي هبْ ذا الإفك حقا أيحسُّ بعد ما استوفى الحقوقا
ولما خرج من الحبس أنشد :

عند الذي طرفَ بي أنه قد غض من قدري وآذاني
فالحبس ما غير لي خاطراً والصفع ما لين آذاني

وقد سبق في ترجمة الحيص أبياته الميمية في هجوه ، وجواب الحيص عنها .
ولما ولي الزيني المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس
محتفل بأعيان الرؤساء ، وقد اجتمعوا للهناء ، فوقف بين يديه ودعا له وأظهر
الفرح والسرور^٢ ورقص ، فقال الوزير لبعض من يفضي إليه بسره : قبح الله
هذا الشيخ ، فإنه يشير برقصه إلى ما تقول العامة في أمثالها « ارقص للقرود في
زمانه » . وقد نظم هذا المعنى في أبيات وكتبها إلى بعض الرؤساء ، وهي :

يا كمال الدين الذي هو شخصٌ مشخّصٌ
والرئيس الذي به ذنبٌ دهري يمحّص
خذ حديثي فإنه نبأ سوف يرخص

١ انظر ج ٣ : ٤٨٢ .

٢ ع ن ر بر من : السرور والفرح .

كلما قلت قد تَبَغَّضَ دَدَ قومي تَحْمَصَصُوا
ليس إلا ستر يشا ل وبابٌ مجصَّص
وغواشٍ على الرعو سِ عليها المقرنص
والرواشين والمنسا ظر والخيل ترقص
وأنا القرد كل يو م لكلب أبصيص^١
كلّ من صفق الزما ن له قمت أرقص
محنٌ لا يفيدُ ذا النو نِ منها التبرصص^٢
فمتى أسمع النداء ء وقد جا مخلص

ومثل هذا قول بعضهم^٣ :

إذا رأيتَ امرءاً وضيعاً قد رفع الدهرُ من مكانه^٤
فكنْ له سامعاً مطيعاً معظماً من عظيم شأنه
فقد سمعنا بأن كسرى قد قال يوماً لترجمانه
إذا زمانُ السباع ولتى فارقص^٥ للقرد في زمانه

وحكي أنه دخل مرّة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة لم يكن من أهلها ، فسلم عليه ودعا له وهنأه بالولاية ، وأظهر انفرح والسرور ، ثم خرج ، فقال بعض الحاضرين : هذا يشير إلى قول الناس في أمثالهم : « ارقص للقرد في زمانه » .

وله القصيدة الرائية المشهورة التي جمع فيها خلقاً من الأكابر ونبز كل واحد منهم بشيء ، وفيها يقول^٥ :

- ١ ق ص : أحفص ؛ ن : أحنيص ؛ بر : لقرد أبصيص .
٢ التبرصص : لعله سلوك طريق برصيصاً أحد عباد بني اسرائيل .
٣ سقط الشعر من ع وكذلك بر من ، الحكاية التي بعده .
٤ ن ق : أرقص .
٥ أورد ابن أبي أصيبعة عدداً من أبياتها .

تكريرتُ تُعجزنا ونحنُ بجهلنا نمضي لنأخذ ترمداً من سننجرٍ
ومنها البيت السائر ، وهو :

نسب إلى العباس ليس شبيهه في الضعف غير الباقلاء الأخضرِ
وأنشدني له بعض أصحابنا المتأدبين قوله :

سعى إحسانه بيبي وبين الدهر بالصلح
أياد ملأت بيبي على بيت من المدح

ودخل يوماً على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب
إلى البخل ، وكان في شهر رمضان والحر شديد ، فقال له الوزير : أين كنت ؟
فقال : في مطبخ سيدي النقيب ، فقال له : ويحك ! أيش عملت في شهر رمضان
في المطبخ ؟ فقال : وحيات مولانا كسرت الحر ، فتبسم الوزير وضحك الحاضرون
وخجل النقيب . وهذا الكلام على اصطلاح أهل تلك البلاد ، فإنهم يقولون :
كسرت الحرّ في الموضع الفلاني ، إذا اختار موضعاً بارداً يقيّل فيه ^١ .
وقصد دار بعض الأكابر في بعض الأيام فلم يؤذن له في الدخول ، فعزّ عليه
فأخرجوا من الدار طعاماً وأطعموه كلاب الصيد وهو يبصره ، فقال : مولانا
يعمل بقول الناس : لعن الله شجرة لا تظل أهلها .

وقعد يوماً مع زوجته يأكل طعاماً ، فقال لها : اكشفي رأسك ، ففعلت ،
وقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص : ١) فقالت له : ما الخبر ؟ فقال :
إن المرأة إذا كشفت رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام ، وإذا قرىء ﴿ قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هربت الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .

وأخباره ^٢ كثيرة ؛ وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقال السمعي :
سألته عن مولده فقال : ولدت ضاحي نهار يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة
ثمان وسبعين . وتوفي يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين

١ زاد في المختار : قصد أنه لبخله لا يطبخ شيئاً فيه ، فهو بارد لذلك .

٢ المختار : وأخباره ونوادره ، وهنا تنتهي الترجمة في المختار .

وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة معروف الكرخي ، رحمه الله تعالى ، وقال
السمعاني : توفي يوم عيد الفطر ، والله أعلم .
ولولا إيثار الاختصار لذكرت من أحواله ومضحكاته شيئاً كثيراً ، فإنه
كان آية في هذا الباب .

وقوله في الأبيات الدالية « ولم يكن ببوّاء عنه في القود » فالبوّاء — بفتح
الباء الموحدة وبعدها الواو والهمزة ممدودة — ومعناها السواء ، يقال : دم فلان
بوّاء لدم فلان ، إذا كان مكافئاً له .

وجعدة المذكورة في هذه الأبيات أيضاً — بفتح الجيم والذال المهملة وبينهما
عين مهملة ساكنة وفي الأخير هاء ساكنة — وهو اسم من أسماء الكلبة ، هكذا
سمعتة ولم أره في شيء من كتب اللغة ، بل الذي قاله أرباب اللغة إن « أبا جعدة »
كنية الذئب ، و « جعدة » اسم النعجة ، كني الذئب بها لمحبتة إياها ، والله أعلم .
[والمتوثي : بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها
ثاء مثناة ، هذه النسبة إلى متوث ، وهي بلدة بين قُرُقوب وكورة الأهواز]^١ .

٧٧٧

ابن سناء الملك

القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن
المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي ، الشاعر المشهور ،
المصري صاحب الديوان الشعر البديع والنظم الرائق ، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء ،
وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظاً من الدنيا ، أخذ الحديث عن
الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى ،

١ زيادة من ص ن ر . لأنه ورد ذكر : ابن غانم المتوثي ، في نسبه .

٧٧٧ — ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٦٥ والخريدة (قسم مصر) ١ : ٦٤ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩
والشذرات ٥ : ٣٥ والبدر السافر ، الورقة : ٢١٧ وعقود الجمان ٩ : ٢٠٩ .

واختصر كتاب « الحيوان » للجاحظ ، وسمى المختصر « روح الحيوان » وهي تسمية لطيفة [وله كتاب مصايد الشوارد]^١ ، وله ديوان جميعه موشحات سماه « دار الطراز »^٢ وجمع شيئاً من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل وفيه كل معنى ملىح^٣ .

واففق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين ، وكان لهم مجالس يجري بينهم فيها مفاكحات ومحاورات يروق سماعها . ودخل في ذلك الوقت إلى مصر شرف الدين ابن عُنَيْن - المقدم ذكره في المحمدين - فاحتفلوا به وعملوا له دعوات ، وكانوا يجتمعون على أرغد عيش ، وكانوا يقولون : هذا شاعر الشام ، وجرت لهم محافل سطرت عنهم ، ولولا خشية التطويل لذكرت بعضها . ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ، وهما^٤ :

ولو أبصرَ النَّظَامَ جَوْهَرَ ثَغْرِهَا لما شك فيه أنه الجوهر الفردُ
ومن قال إن الخيزرانة قدَّها فقولوا له إياك أن يسمع القدُّ
ومن شعره ايضاً^٥ :

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذرُ حُسْنُكَ ممَّا كثروا أكثرُ
يا باسمًا أبدى لنا ثغره عقداً ولكن كله جوهر
قال ليّ اللّاحي : أما تسمع^٦ فقلت : يا لّاحي أما تبصر
وله يتغزل بجارية عمياء^٧ :

١ زيادة من ر .

٢ ليس هذا القول بديق، لأن دار الطراز يحتوي مقدمة في الموشحات ، ونماذج من موشحات الأندلسيين وبعض موشحات ابن سناء الملك .

٣ ر : بديع ملىح ؛ والكتاب المشار إليه هو « فصوص الفصول » ومنه نسخة بباريس رقم : ٣٣٣٣ .

٤ ديوانه : ٢٢٥ - ٢٢٦ . ٥ ديوانه : ٣٤٤ .

٦ ن ق والمختار : أما تستمع ؛ بر من : ألا تستمع ، وما أثبتناه ورد في الديوان .

٧ ديوانه : ٤٨٤ - ٤٨٥ .

شمس بغير الشعر لم تحتجب
مُغمّدة المرهف لكنها
وفي سوى العينين لم تكسف
تجرح بالحنف^١ بلا مرهف
ومقلتي يعقوب في يوسف
رأيت منها الخلد في جوذر

وله في غلام ضرب ثم حبس^٢ :

بنفسي من لم يضربوه لريبة
ولم يودِعوه السجن إلاّ مخافة
وقالوا له شاركت في الحسن يوسف
ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن
من العين أن تعدو على ذلك الحسن
فشاركه أيضاً في الدخول إلى السجن

[وله في غلام جميل الصورة حفر حومة التلاق فأصابه حجر فانكسرت
أسنانه فقال^٣ :

نثر الدهر عقد ثغر حبيبي
كل سن كالأقحوانة كانت
فدموعي عليه تحكي انتشاره
فغدت بالدماء كالجملناره
كان في حومة التلاق وما كا
فأنته الأحجار شوقاً وزارته
كيف ينسى الفؤاد ثغر حبيب
حسدني عليه تلك الحجارة [

وله من جملة أبيات^٤ :

وما كان تركي حبه عن ملالة
أراد شريكاً في الذي كان بيننا
ولكن لأمر يوجب القول بالترك
وإيمان قلبي قد نهاني عن الشرك

١ الديوان : تقتل بالعمد .

٢ ديوانه ٧٨٣ .

٣ ديوانه : ٣٦١ ، وهذه زيادة من ر .

٤ ديوانه : ٥٢٨ .

٥ ر : لا يميل إل .

وله أيضاً^١ :

يا عاطل الجيد إلا من محاسنه عطلتُ فيك الحشا إلا من الحزنِ
في سلك جسمي دُرُّ الدمع منتظم فهل لجيدك في عقد بلا ثمن
لا تخش مني فإتي كالنسيم ضئي وما النسيم بمخشيٍّ على الغصنِ

وهذا البيت مأخوذ من قول ابن قلاقس - وقد تقدم ذكره في ترجمته -

وهو :

أعندما همت به روضة أعلَّ جسمي لأكون النسيم

ومن ثره في وصف النيل في سنة كان ناقصاً ، ولم يوف الزيادة التي جرت بها العادة ، يقال إنّه كتبه من جملة رسالة إلى القاضي الفاضل ، وهو : « وأما أمر الماء فإنّه نصبت مشارعه ، وتقطعت أصابعه ، وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء ، وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء » وهذا من أحسن ما يوصف به نقصان النيل .

وكان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب^٢ ، فبلغ القاضي السعيد المذكور عنه أنّه هجاه ، فأحضره إليه وأدبه وشمته ، وكتب^٣ إليه نشو الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعريّ الأصل ، المصري الدار والوفاة ، المعروف بابن المنجم ، الشاعر المعروف :

قل للسعيد أدام الله نعمته صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صَفَعْتَهُ إذ غدا يهجوك منتقما فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه^٤
هجو بهجو ، وهذا الصفع فيه ربأً والشرع ما يقتضيه ، بل يحرمه

١ ديوانه : ٨٥٥ .

٢ ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٤٣ وانظر الحاشية .

٣ ص : فكتب .

٤ ر : من بعد هذا اذن قد ظلت تشتمه ؛ ير من : وأنت من بعد هذا .

فإن تقل ما لهجو عنده ألم^١ فالصنع^٢ والله أيضاً ليس يؤلمه

ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين
- المقدم ذكره في حرف التاء - بقصيدته التي أولها^١ :

تقنعت^٢ لكن^٣ بالحبيب المعمم^٤ وفارقت لكن كل عيش مذمم

تعصب عليه جماعة من شعراء مصر ، وعابوا هذا الاستفتاح وهجوه^٢ ،
فكتب إليه ابن الذروي^٣ الشاعر المذكور في ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ :

قل للسعيد مقال من هو معجب منه بكل بديعة^٤ ما أعجبا
لقصيدك الفضل المبين ، وإنما شعراؤنا جهلوا به المستغربا
عابوا التقع بالحبيب ولو رأى الطائي ما قد حكته لتعصبا

ونوادر القاضي السعيد كثيرة . وتوفي في العشر الأول من شهر رمضان ،
سنة ثمان وستمائة بالقاهرة ، وذكر صاحبنا الكمال ابن الشعار في « عقود الجمان »
أنه توفي يوم الأربعاء ، رابع الشهر المذكور ، رحمه الله تعالى .

وذكره العماد الكاتب ، في كتاب « الخريدة » ، فقال^٤ : كنت عند
القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدهمية ، ثامن عشر ذي القعدة ، سنة سبعين
يعني وخمسماية ، فأطلعني على قصيدة له كتبها إليه من مصر ، وذكر أن سنه
لم يبلغ إلى عشرين سنة ، فأعجبت بنظمه ، ثم ذكر القصيدة العينية ، التي أولها :

فراق^١ قضى اللهم والقلب بالجمع^٢ وهجر^٣ تولى صلح عيني مع الدمع^٤ .

وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسماية ، وقيل

١ ديوانه : ٦٩٦ .

٢ ر بر من والمختار : وهجوه .

٣ هو الوجيه أبو الحسن علي بن يحيى (الخريدة - قسم مصر - ١ : ١٨٧ والهاشية) .

٤ الخريدة ١ : ٦٤ - ٦٥ .

إنه ولد سنة ثمان وأربعين ، والله أعلم .

ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة : ثم وصل - يعني القاضي السعيد المذكور - إلى الشام . في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة في الخدمة الفاضلية . فوجدته في الذكاء آية . قد أحرز في صناعة النظم والنثر غاية . تلقى عراة العربية له باليمين راية . وقد ألخفه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولاً . وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولاً . وأنا أرجو أن ترقى في الصناعة رتبته ، وتغزر عند تمادي أيامه في العلم نغبته ، وتصفو من الصبا منقبتة ، وتروى بماء الدربة رويته ، وتستكثر^١ فوائده ، وتؤثر قلائده^٢ .

(300) وتوفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة . ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن أنه توفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين ، ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، والله أعلم .

(301) وأما أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد، الشاعر المصري المذكور في هذه الترجمة ، فإن عماد الدين الأصبهاني ذكره في كتاب « الخريدة » وقال : عدت إلى مصر في سنة ست وتسعين^٣ وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته ، رحمه الله تعالى .

١ ص : وستكثر .

٢ هنا تنتهي الترجمة في : ع بر من .

٣ ص ر : ست وسبعين .

هبة الله البوصيري

أبو القاسم وأبو الكرم ، هبة الله بن علي بن مسعود^١ بن ثابت بن هاشم بن غالب بن ثابت ، الأنصاري الخزرجي ، المُنسْتِيرِي الأَصْل ، المصري المولد والدار ، المعروف بالبوصيري ؛ كان أديباً كاتباً له سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الأصاغر بالأكابر في علو الإسناد ، ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله ، وسمع بقراءة الحافظ أبي الطاهر السلفي وإبراهيم بن حاتم الأسدي علي أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني إمام الجامع العتيق بمصر ، رحمهم الله تعالى أجمعين - والبوصيري المذكور آخر من روى في الدنيا كلها عن أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المذكور - وأبي الحسين علي بن الحسين ابن عمر الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيد النحوي سماعاً . وروى أيضاً عن أبي الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي ، وهو آخر من روى عنه سماعاً في الأرض كلها . وسمع عليه الناس وأكثروا ، ورحلوا إليه من البلاد . وكان جده مسعود^٢ قدم من المُنسْتِيرِي إلى بوسير ، فأقام بها إلى أن عرف فضله في دولة المصريين ، فطلب إلى مصر ، وكتب في ديوان الإنشاء وولد له علي والد أبي القاسم المذكور بمصر ، واستقروا بها وشهروا .

وكان أبو القاسم يسمى «سيد الأهل» أيضاً ، لكن هبة الله أشهر ؛ وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر ، وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذي القعدة سنة خمسمائة . وتوفي في الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ،

٧٧٨ - انظر حسن المحاضرة ١ : ١٥٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٨٢ ومرآة الجنان ٣ : ٤٠٩

والمشترك : (بوسير) وعبر الذهبي ٤ : ٣٠٦ والشذرات ٤ : ٣٣٨ ؛ ولا تزيد هذه الترجمة في ق عن أربعة أسطر .

١ ق ن ص : سعود .

٢ ق ن ص : سعود ؛ ع : سعيد ؛ وسقطت اللفظة من : بر من .

ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ؛ وقال ياقوت الحموي في كتاب البلدان المشتركة الأسماء^١ : إنه مات في شوال رحمه الله تعالى .

والخزرجي^٢ : بفتح الحاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الراء^٣ وبعدها جيم ، هذه النسبة إلى الخزرج ، وهو أخو الأوس - بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة - وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء ، وتمايم النسب معروف ، وهما ابنا قَيْلَة - بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة - ومن ذريتهما أنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

والمُنَسْتِير : بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهي بلدة بإفريقية ، بناها هرثمة بن أعين الهاشمي في سنة ثمانين ومائة . وكان هارون الرشيد قد ولّاه إفريقية ، وقدم إليها^٤ يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة ، وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع في ترجمة الأمير تميم بن المعز بن باديس .

وبوصير : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وتعرف ببوصير قوريدس ، ويقال قوريدس ، وهي بلدة بأعمال البهنسا من صعيد مصر ، وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير^٥ الفيوم ، وبالجزيرة أيضاً بلدة يقال لها بوصير^٥ السدر . وبكورة السمبودية أيضاً بلدة يقال لها بوصير ، فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد ، والكل بالديار المصرية .

والمُنَسْتِير معبد بين المهديّة وسوسة يأوي إليه الصالحون المنقطعون للعبادة ،

١ انظر المشترك : ٧٠ وفيه أنه مات في ثاني صفر .

٢ بر : والخزرجي قد تقدم الكلام عليه .

٣ ر : وبعدها راء مفتوحة .

٤ ر ع : عليها .

٥ ن : أبو صير .

وفيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ، ذكره ياقوت في كتابه ، والله أعلم .

٧٧٩

أمين الدولة ابن التلميذ

أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي ، المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب ، الملقب أمين الدولة البغدادي ؛ ذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » فقال : سلطان الحكماء ، وبالبحر في الثناء عليه وقال : هو مقصد العالم في علم الطب ، بقراط عصره وجالينوس زمانه ، حُتم به هذا العلم ، ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب ، عمر طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً ، ورأيته وهو شيخ بهي المنظر ، حسن الرواء ، عذب المجتلي والمجتلي ، لطيف الروح ظريف الشخص ، بعيد الهم عالي الهمة ، ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي ، شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم ، وله في النظم كلمات رائقة ، وحلاوة جنية ، وغزارة بهية ، ومن شعره في الميزان لغزاً :

ما واحدٌ مختلفُ الأسماء يعدلُ في الأرضِ وفي السماء
يحكم بالقسطِ بلا رياء أعمى يُري الإرشادَ كلَّ راء
أخرسٌ لا من علةٍ وداء يفنى عن التصريح بالإيماء
يجيبُ إن ناداه ذو امستراء بالرفعِ والخفضِ عن النداء
يفصحُ إن علَّق في الهواء

٧٧٩ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٧٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٧٢ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٥٩
وفيه قسط وافر من شعره ، وتاريخ الحكماء : ٣٤٠ .

فقوله «مختلف الأسماء» يعني ميزان الشمس ، وهو الاسطرلاب ، وسائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله «يحكم في الأرض وفي السماء» ، وميزان الكلام النحو ، وميزان الشعر العروض ، وميزان المعاني المنطق ، وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ؛ ثم ذكر بعد ذلك جملة من مقاطيع شعره تأتي بذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب^١ ما مثاله : وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه ، وهو ابن بنته ، فنسب إليه وعرف به .

وذكر في كتاب «أنموذج الأعيان من شعراء الزمان ، فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان^٢» أن ابن التلميذ المذكور كان متفتناً في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين ، وطالت خدمته للخلفاء والملوك ، وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك ، اجتمعت به مراراً في آخر عمره ، وكنت أعجب في^٣ أمره ، كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه ، وغزارة عقله وعلمه ، والله يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يريد بحكمه . وكان إذا ترسل استطال وسطا ، وإذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطا ؛ وأورد شيئاً من شعره أيضاً .

وذكره أبو المعالي الحظيري - المقدم ذكره في حرف السين^٤ - في كتابه «زينة الدهر» وأورد له مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

يا من رماني عن قوس فرقته بسهم هَجَرٍ على تلافيه
ارض لمن غابَ عنك غيبته فذاك ذنبٌ عقابُهُ فيه

وذكر العماد في «الخريدة» البيت الثاني منسوباً إلى أبي محمد ابن جكينا البغدادي ، وضم إليه بعده :

لو لم ينله من العقاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه

١ ترجمة معتمد الملك في أخبار الحكماء : ٣٦٤ .

٢ ص ر : والعيان .

٣ ص : من . ٤ ج ٢ : ٣٦٦ .

وذكر له الحظيري أيضاً :

عابت إذ لم يزر خيالك وال نومٌ بشوقي إليك مسلوب
فزارني منعماً وعاتبني كما يقال المنام مقلوب

ومما ذكر له العمادي « الحريدة » قال : وأنشدني أبو المعالي هبة الله بن
الحسن بن محمد بن المطلب قال : أنشدني أبو الحسن ابن التلميذ لنفسه :

كانت بلهنية الشيبية سكرةً فصحوت واستأنفت سيرة مجمل
وقعدت أرتقب الفناء كراكبٍ عرف المحل فبات دون المنزل

والثاني منهما ذكره ابن المنجم في كتاب « البارع » لمسلم بن الوليد الأنصاري^١.
وذكر أن أبا محمد ابن جكين المذکور مرض فقصده ليعالجه فعالجه ، فلما عوفي
أعطاه دراهم ، فعمل فيه :

لما تيممته وبني مرض إلى التداوي والبرء محتاجُ
آسى وواسى فعدت أشكره فِعِلَّ امرئٍ للهموم فراج
فقلت إذ برّني وأبرأني هذا طيب عليه زرباج^٢

وعمل فيه أيضاً في المعنى :

جاد واستنقذ المريض وقد كا دضني أن يلف ساقاً بساقِ
والذي يدفع المنون عن النف س جدير بقسمة الأرزاق

وقصد مرة أن يعبر إليه دجلة ليداويه ، فكتب إليه :

١ زاد في ن ص : وقد استعمله ابن التلميذ ها هنا تضييماً ، ر : وقد استعمله ها هنا ابن التلميذ
مضماً .

٢ هكذا وردت اللفظة في المختار والنسخ ن ص ق ع ؛ بالباء الموحدة ، وفي بعض أصول دي سلان
زرباج أو ذرباج . وقدر أن تكون صورة من تريباق ؛ ولعلها من الفارسية « زورباز » أي قوة
الساعد .

إن امرأ القيس الذي هام بذات المحمل
كان شفاه عبّرة وعبرة تصلح لي

وكان ابن جكيننا المذكور قد عمي في آخر عمره ، وجرت بينهما منافرة
في أمر واشتهى مصالحته^١ ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تصالح بشا ر بن برد فاطرح عليه أباه

فسير إليه ما طلب واسترضاه ؛ وكانت له معه وقائع كثيرة ، وإنما كتب
إليه هذا البيت لأن بشار بن برد كان أعمى - كما تقدم ذكره في ترجمته - فلما
عمي شبه نفسه به ، وكان مطلوبه برداً .

ومعنى قوله « فاطرح عليه أباه » لأن عادة أهل بغداد إذا أراد الإنسان أن
يصالح من خاصمه ، والخصم ممتنع ، يقال له : اطرح عليه فلاناً ، بمعنى ادخل
عليه به ، ليشفع له ، وقد حصلت له التورية في هذا البيت .

ومن الشعر المنسوب إليه وهو مشهور قوله ، ثم وجدتهما للناصح ابن الدهان
النحوي الموصلّي :

تَعَسَّ القياس فللغرام قضية^٢ ليست على نهج الحجى تنقادُ
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عَرَضٌ وتفتى دونه الأجساد

وقوله أيضاً ، وذكر العماد في « الخريدة » أن هذين البيتين لأبي علي المهندس
المصرى ، وهما :

تقسم قلبي في حبة معشري بكلّ فتى منهم هواي منوطُ
كأن فؤادي مركزٌ وهمُ له محيطٌ وأهوائي إليه خطوط
وقوله أيضاً :

جوده كالطيب فينا يداوي سوء أحوالنا بحسن الصنيع

١ ر : أن يصلح .

فهو كالموميا إذا انكسر العظْمُ ، ومثل الترياق للملسوع

ثم وجدت هذين البيتين في ديوان ابن حجاج الشاعر .
وقوله في ولده سعيد :

حي سعيداً جوهرٌ ثابتٌ وحبّه لي عرضٌ زائلٌ
به جهاتي الستُ مشغولةٌ وهو إلى غيري بها مائلٌ

وكان أبو القاسم علي بن أفلق الشاعر - المقدم ذكره^١ - قد نقه من المرض وهو يعالجه ، فكتب إليه يشكو جوعه ، وقد نهاه عن استعمال الغذاء إلا بأمره ، والذي كتبه^٢ :

أنا جوعان فأنقذني من هذي المجاعة
فرّجني في الكسرة الخبز ولو كانت قطاعه
لا تقل لي ساعة تصبر ، مالي صبر ساعة
فخوأي اليوم لا يقبل في الخبز شفاعه

فوقف ابن التلميذ على هذه الأبيات وكتب إليه جوابها :

هكذا أضيافٌ مثلي يتشاكونَ المجاعه
غير أني لست أعطيك مضرّاً بشفاعه
فتعلل بسويقتي فهو خير من قطاعه
بجياتي قل كما نرسمه سمعاً وطاعه

فلما وصلت الأبيات إلى ابن أفلق كتب^٣ :

إن مرسومك عندي قد توخيتُ استماعه

١ انظر ج ٣ : ٣٨٩ (الترجمة : ٤٧٦) .

٢ انظر بمض هذه المحاوره الشعرية في ابن أبي أصيبعة .

٣ ن : كتب جوابه ؛ ر : جوابها ؛ بر من ص : الجواب .

غير أني لم أقل من نيتي سمعاً وطاعه
ودفعتُ الجوعَ والد ه فلم أسطعُ دفاعه
فاكفني كلفته الآ ن وأربحني صداعه

فكتب إليه ابن التلميذ :

أنا في الشعر ضعيفُ الط جـ منزورُ البضاعه
ولك الخاطرُ قد أو تيَ طبعاً وصناعه
ومتى لم تُكفَ شراً ال جوع لم أكفَ صداعه
فعلى اسم الله قدّمُ أخذه من بعد ساعه

(302) وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين أوحده الزمان أبي البركات هبة الله ابن علي بن ملكان^٢ الحكيم المشهور صاحب كتاب «المعتبر»^٣ في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ، ولهما في ذلك أمور ومجالس مشهورة ، وكان يهودياً ثم أسلم في آخر عمره ، وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوعها ، فبالغت في نهشه ، فبرىء من الجذام وعمي ، وقصته في ذلك مشهورة ، فعمل فيه ابن التلميذ المذكور :

لنا صديق يهودي حماقتُهُ إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيهُ والكلب أعلى منه منزلةً كأنه بعدُ لم يخرج من التيه

١ ق ر : وارحني من .

٢ ترجمة أوحده الزمان في تاريخ الحكماء : ٣٤٣ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٥٩ وفي كليهما « ابن ملكا » - دون نون - وكذلك في هذا الموضوع من النسخ ص ع والمختار ، إلا أن المؤلف حين ضبطه في آخر الترجمة ذكر فيه النون ، وكذلك ورد الضبط في ع ص اللتين سقطت النون فيهما في هذا الموضوع .

٣ يعد هذا الكتاب من أجل كتب أوحده الزمان ، قال القفطي « أخلاه من النوع الرياضي وأتى فيه بالمنطق والطبيعي والإلهي فجاءت عبارته فصيحة ومقاصده في ذلك الطريق صحيحة وهو أحسن كتاب صنف في هذا الشأن في هذا الزمان » .

وكان ابن التلميذ كثير التواضع ، وأوحد الزمان متكبراً ، فعمل فيهما البديع
الأسطراباني المقدم ذكره^١ :

أبو الحسن الطيب ومُتَّفِيهِ أبو البركات في طَرَفِي نَقِيضِ
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة ، فمن ذلك كتاب «أقرباذين»
وهو نافع في بابه ، وبه عمل أطباء هذا الزمان ، وله كناش وحواش على كليات
ابن سينا ، وغير ذلك .

(303) وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد^٢ صاحب التصانيف
المشهورة . منها كتاب «التلخيص» و «المغني» في الطب وهو جزء واحد ، وكتاب
«الإقناع» وهو أربعة أجزاء ، وقد انتقدوا عليه هذه التسمية وقالوا : كان
ينبغي أن يكون الأمر بالعكس . لأن المغني هو الذي يغني عن غيره ، فكان
الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم ، والإقناع هو الذي تقع القناعة به ، فالمختصر أولى
بهذا الاسم . وله كل شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب .

وكان حسن السمّت كثير الوقار^٣ . حتى قيل إنّه لم يسمع منه بدار الخلافة
مدة ترداده إليها شيء من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي الخليفة ،
وذلك أنّه كان له راتب بدار القوارير ببغداد ، فقطع ولم يعلم به الخليفة ، فاتفق
أنّه كان عنده يوماً . فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة ومشقة من
الكبر ، فقال له المقتفي : كبرت يا حكيم ، فقال : نعم يا مولانا ، وتكسرت
قواريري . وهذا في اصطلاح أهل بغداد أن الإنسان إذا كبر يقال «تكسرت
قواريره» فلما قال الحكيم هذه اللفظة ، قال الخليفة : هذا الحكيم لم أسمع منه

١ انظر تاريخ الحكماء : ٣٤٦ .

٢ كذا في النسخ ؛ وترجم له ابن أبي أصيبعة باسم أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين ، وقد
توفي سنة ٤٩٥ ، وقصة تسميته للمغني والإقناع مذكورة في ابن أبي أصيبعة .

٣ هنا عاد الحديث إلى ابن التلميذ (انظر أخبار الحكماء : ٣٤١) والجملة السابقة «وله كل شيء
مليح من تصنيف في طب أو أدب» لا يدرى إلى من تنصرف من الرجلين ، فان المؤلف هنا وصل
الكلام دون فصل موضح .

هزلاً منذ خدمنا ، فاكشفوا قضيتته ، فكشفوها فوجدوا راتبه بدار القوارير قد انقطع ،
فطالبوا الخليفة بذلك^١ ، فتقدم بردها عليه ، وكان الذي قد قطعه الوزير عَوْنُ
الدين بن هُبيرة ، وزاده إقطاعاً آخر^٢ ، وأخباره كثيرة^٣ .

وتوفي في صفر سنة ستين وخمسمائة ببغداد ، وقد ناهز المائة من عمره ،
وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه : مات ابن التلميذ في عيد النصرى . وكان
قد جمع من سائر العلوم ما لم يجتمع في غيره ، ولم يبق ببغداد من الجانيين من لم
يحضر البيعة وشهد جنازته .

وليس في هذه الترجمة ما يحتاج إلى التقييد سوى مَلْكَانِ جَدِّ أوحد
الزمان — وهو بفتح الميم والكاف وبينهما لام ساكنة وبعد الألف نون .

وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي ما دار بينهما بحضرة الإمام المقتفي^٤ .
قلت : وبعد فراغي من ترجمة أمين الدولة ابن التلميذ المذكور وقفت على
كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ،
وجعله سيرة لنفسه ، وجميعه بخطه ، وذكر في أوائله ابن التلميذ ، ووصفه بالعلم
في صناعة الطب وإصابته ، ثم قال : ومنها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا
يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها ،
وصب عليها الماء المبرد صباً متتابعاً كثيراً ، ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفيء قد

١ ر : فطالبوا الخليفة بردها .

٢ علق ابن المؤلف في المختار عند هذا الموضع بإيراد حكاية مشابهة ، وهي حكاية أحد الخلفاء ،
وكيف زار المدينة وسأل عن فتى يعرفه بجمالها وأحوالها وما فيها من مياه ومنازل وقبائل .. الخ
وأن الخليفة وعده عطاء وكان الفتى معسراً ، ثم نسي الأمر ، فلما وقف الفتى على أحد البيوت
قال للخليفة ، يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص « يا بيت عاتكة الذي
تعزل » ، فاستغرب الخليفة ذلك لأن الفتى لم يكن يبده القول حتى يسأله ، فسرد الخليفة
القصيدة في نفسه فوقفت عند قول الشاعر فيها :

وأراك تصدق ما تقول وبعضهم مذاق الكلام يقول ما لا يفعل

ففظن لوعده ؛ وأما لخصنا الحكاية لأنها مبتورة في المختار بسبب ضياع أوراق في هذا الموضع .

٣ ر : وأخباره ونوادره كثيرة .

٤ هنا تنتهي الترجمة في : ع بر من .

بُخِرَ بالعود والند ، ودفتت^١ بأصناف الفراء ساعة ، فعطست وتحركت وقعدت
وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها .

ومنها : أنه أتى مرةً بمريض^٢ يعرق دماً في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه
قدر خمسين نفساً ، فلم يعرفوا المرض ، فأمره بأكل خبز شعير مع باذنجان
مشوي ، ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرئ ، وسأله أصحابه عن العلة ، فقال : إن
دمه قد رق ومسامه قد انفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .
ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية ، فإذا مرض فقيه نقله
إليه وقام في مرضه عليه ، فإذا أبل^٣ وهب له دينارين وصرفه .

(304) وذكر شيخنا موفق الدين قبل هذا أن ولد أمين الدولة المذكور كان
شيخه وانتفع به ، وكان شيخاً قد ناهز ثمانين سنة ، ولديه تجربة فاضلة وغوص على
أسرار الطبيعة ، يرى الأمراض كأنها من وراء زجاج ، لا يعتره فيها ولا في
مداواتها شك ، وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ، ولم أر من
يستحق اسم الطب غيره . وكان يقول : ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس ما لا
تحسده عليه العامة ، ولا تحقره فيه الخاصة ، وكذا كان لباسه الأبيض الرفيع .
ثم قال : وختق في دهليز داره الثلث الأول من الليل ، وكان قد أسلم قبل
موته ، وفي نفسي عليه^٣ حسرات ، رحمه الله تعالى ؛ نقلته ملخصاً .

١ ر ن : ودثرت .

٢ ص ر ن : ودخل إليه رجل مترف .

٣ ن ص ر : منه .

هارون ابن المنجم

أبو عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المنجم البغدادي الأديب الفاضل ؛ - وقد تقدم ذكر ولده علي في حرف العين^١ - وكان هارون المذكور حافظاً راوية للأشعار ، حسن المناذمة لطيف المجالسة .

صنف كتاب « البارع » في أخبار الشعراء المولدين ، وجمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي ، وختمه بمحمد بن عبد الملك ابن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه ، وقال في أوله : إنني لما عملت كتابي في أخبار الشعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم ، وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغت معرفتي وانتهى إليه علمي ، والعلماء تقول : دل على عاقل^٢ اختياره ، وقالوا : اختيار الرجل من وفور عقله ، وقال بعضهم : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله ، واختياره قطعة من علمه . وطول الكلام في هذا ، وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن ، وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر ، وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة ، فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكروهم ، فإنه يخلص أشعارهم وأثبت منها زبدتها وترك زبدها ؛ وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الأصبهاني وقلت : إن كتاب « الخريدة » وكتاب الحظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه ، وهو الأصل الذي نسجوا على متواله . وله كتاب « النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر

٧٨٠ - ترجمته في الفهرست : ١٤٤ ومعجم المرزباني : ٤٨٥ ومعجم الأدياء ١٩ : ٢٦٢ ومرة الختان ٢ : ٤١ وحامسة ابن الشجري : ٢٤٢ ، وزاد في نسه في ص ر : واسم أبي منصور أبان جشمس .

١ انظر ج ٣ : ٣٧٥ . ٢ ر : كل عاقل .

والكلام الحسن « ولم أظفر له بشيء من الشعر حتى أورده . وذكر هو في كتابه « البارع » المذكور أباه أبا الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور ، وسرد له مقاطيع - وقد ذكرته في ترجمة مفردة في حرف العين فليُنظر هناك^١ - ثم أردفه بذكر أخيه يحيى بن علي بن يحيى ، وعدّ له جملة مقاطيع أوردها ، ولا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا الموضوع ، بل نذكرها في ترجمته ، إن شاء الله تعالى .
وتوفي أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وهو حدث السن ، رحمه الله تعالى ، وسيأتي ذكر أخيه يحيى بن علي في حرف الياء إن شاء الله تعالى .
وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين ، وكان مجوسياً .

(305) وكان ابنه يحيى متصلاً بذوي الرياستين الفضل بن سهل - المقدم ذكره - وكان الفضل يعمل برأيه في أحكام النجوم ، فلما حدثت الكائنة على الفضل - حسبما ذكرناها في ترجمته - صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه ، فاجتباه واختص به ، ورغبه في الإسلام فأسلم على يده ، فصار بذلك مولاه .

وهم أهل بيت منهم^٢ جماعة من الفضلاء والأدباء والشعراء ، وجالسوا الخلفاء ونادموهم ، وقد عقد لهم الثعالبي في كتاب « اليتيمة »^٣ باباً مستقلاً ، وذكر فيه جماعة منهم ، رحمهم الله تعالى .
وتوفي يحيى المذكور بحلب عند خروج المأمون إلى طرسوس ، ودفن بها في مقابر قريش ، فقبره هناك مكتوب عليه اسمه^٤ .

١ انظر ج ٣ : ٣٧٣ .

٢ ع ر ن : فيهم .

٣ انظر اليتيمة ٣ : ٣٩٢ - ٣٩٥ .

٤ اسمه : سقطت من ر بر من ص ع ؛ ن : فقبره هناك مشهور ، والله أعلم بالصواب .

هشام بن عروة

أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، - قد تقدم ذكر أبيه في حرف العين^١ - ؛ وكان هشام أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين في الحديث ، المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين ، وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة ، رضي الله عنهم .

وسمع عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر ، رضي الله عنهما ، ورأى جابر ابن عبد الله الأنصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعد ، وقيل إنه رأى ابن عمر ولم يسمع منه ، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري ومالك ابن أنس وأيوب السخيتاني وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر^٢ والليث ابن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم . وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة ، وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد الذهلي : ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهري وقنادة والأعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة . وقدم بغداد على المنصور ، وتوفي بها سنة ست وأربعين ومائة ، وقيل سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة سبع ، رضي الله عنه ، وصلى عليه المنصور ، ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي ، وقيل

٧٨١ - ترجمته في نسب قريش : ٢٤٨ وتاريخ بغداد : ١٤ : ٤٧ ومراة الجنان ١ : ٣٠٢
وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٨ ورجال ابن حبان : ٨٠ وتذكرة الحفاظ : ١٤٤ وعبر الذهبي
١ : ٢٠٦ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٠١ .

١ انظر ج ٣ : ٢٥٥ .

٢ بن عبد الله : سقطت من ن ع ؛ بن عمر : سقطت من ص ؛ بر : وعبد الله بن عمر .

بل قبره بالجانب الغربي خارج السوق نحو باب قطربل وراء الخندق على^١ مقابر باب حرب ، وهو ظاهر هناك معروف ، وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عروة ، ومن قال إنّه بالجانب الشرقي قال : إن القبر الذي بالجانب الغربي هو قبر هشام بن عروة المروزي^٢ صاحب عبد الله بن المبارك . والله أعلم .
وله عقب بالمدينة وبالْبصرة^٣ .

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٤ أن المنصور قال له يوماً : يا أبا المنذر ، تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الحلائف وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراع ، فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا : اعرفوا لهذا الشيخ حقه ، فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي ، فقال : لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين . فلما خرج هشام قيل له : يذكرك أمير المؤمنين ما تمتُّ به إليه فتقول لا أذكره ! فقال : لم أكن أذكر ذلك ، ولم يعودني الله في الصدق إلا خيراً .

وروي عنه^٥ أنه دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، اقض عني ديني ، قال : وكم دينك ؟ قال : مائة ألف ، قال : وأنت في فقهلك وفضلك تأخذ ديناً مائة ألف ليس عندك قضاؤها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين شبّ فتیان من فتیاننا ، فأحببت أن أبوئهم ، وخشيت أن يتشرّ علي من أمرهم ما أكره ، فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمتُ عنهم ثقة بالله وبأمر المؤمنين ، قال : فردد عليه مائة ألف !! استعظماً لها ، ثم قال : قد أمرنا لك بعشرة آلاف^٦ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس ، فإنّي سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطي وللمعطى » قال : فإنّي طيب النفس بها ، وأهوى إلى يد المنصور

١ ع ن ص بز من : أعلى .

٢ ن : المزني المروزي .

٣ انظر صفحات متفرقة من كتاب نسب جمهرة قريش .

٤ تاريخ بغداد ١٤ : ٣٩ .

٥ المصدر السابق .

٦ ق والمختار : ينشر .

٧ ص : بعشرة ألف درهم ، المختار : بعشرة ألف .

يريد أن يقبلها فمنعه وقال : يا ابن عروة ، إننا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك .
وأخباره كثيرة ، رضي الله عنه .

٧٨٢

هشام ابن الكلبي

أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ، الكلبي النسابة الكوفي ؛ - قد تقدم ذكر أبيه في المحمدين وما جرى له مع الفرزدق الشاعر - وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه العباس ، وخليفة بن خياط ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، ومحمد بن أبي السري البغدادي ، وأبو الأشعث أحمد بن المقدم وغيرهم . وكان من أعلم الناس بعلم الأنساب ، وله كتاب «الجمهرة» في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن ، وكان من الحفاظ المشاهير .

ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» عنه أنه دخل بغداد وحدث بها ، وأنه قال : حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد ، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن ، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام ، ونظرت يوماً في المرأة فقبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة .

وله من التصانيف شيء كثير ، فمن ذلك كتاب «حلف عبد المطلب وخزاعة» وكتاب «حلف الفضول» وكتاب «حلف تميم وكنب» وكتاب

٧٨٢ - ترجمته في الفهرست : ٩٥ وتاريخ بغداد ١٤ : ٤٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٨٧ ولسان

الميزان ٦ : ١٩٦ وعبر الذهبى ١ : ٧٤٦ ومرآة الجنان ٢ : ٢٩ وتاريخ ابن خلدون ٢ :

٢٦٢ ونزهة الألباء : ٥٩ ونور القبس : ٢٩١ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٠٤ .

١ أبي : سقطت من المختار .

« المنافرات » وكتاب « بيوتات قريش » وكتاب « فضائل قيس عيلان » وكتاب « الموءودات »^١ وكتاب « بيوتات ربيعة » وكتاب « الكنى » وكتاب « شرف قُصَيِّ وولده في الجاهلية والإسلام » وكتاب « ألقاب قريش » وكتاب « ألقاب اليمن » وكتاب « المثالب » وكتاب « النوافل »^٢ وكتاب « ادعاء زياد معاوية » وكتاب « أخبار زياد بن أبيه » وكتاب « صنائع قريش » وكتاب « المشاجرات » وكتاب « المعاتبات »^٣ وكتاب « ملوك الطوائف » وكتاب « ملوك كندة » وكتاب « افراق ولد نزار » وكتاب « تفريق^٤ الأزدي » وكتاب « طَسَمٌ وجديس » و تصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفاً ، وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الأنساب ، ولم يصنف في باب مثله ، و كتابه الذي سماه « المنزل » في النسب أيضاً ، وهو أكبر من الجمهرة ، وكتاب « الموجز » في النسب ، وكتاب « الفريد » صنفه للمأمون في الأنساب ، و كتابه « الملوكي » صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضاً .

وكان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم ، فمن روايته أنه قال : اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان ، فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد بن أبيه ، فتكلم معاوية ، ثم حرك عمراً على الكلام ، فقال في بعض كلامه : أنا الذي أقول في يوم صفين^٥ :

إذا تخازرت وما بي من خَزَرٍ ثم كسرتُ العين من غير عَوَرٍ
ألفيتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حُمِلْتُ من خير وشر
كالحية الصماء في أصل الشجر

١ ص : الموءودات .

٢ وكتاب النوافل : سقط من ص ن ؛ ع : النواقل .

٣ ص : المعاتبات .

٤ الفهرست : تفرق .

٥ ص ن : و كتابه .

٦ انظر الرجز وتخريجه في فصل المقال : ١١٧ .

أما والله ما أنا بالواني ولا الفاني ، وإني أنا الحية الصماء التي لا يسلم سليمها ،
ولا ينام كليهما ، وإني أنا المرء إن همزت كسرت ، وإن كويت أنضجت ،
فمن شاء فليشاور ، ومن شاء فليؤامر ، مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهريز
ما عاينت أو لو ولوا ما وليت لضاق عليهم المخرج ، ولتفاقم بهم المنهج ،
إذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام
العشائر ، فهناك والله شخصت الأبصار ، وارتفع الشرار ، وتقلصت الحصى
إلى مواضع الكلى ، وقارعت الأمهات عن ثكلها ، وزهلت عن حملها ، واحمرت
الحدق ، واغبر الأفق ، وألجم العرق ، وسال العلق ، وثار القتام ، وصبر الكرام ،
وخام اللثام ، وذهب الكلام ، وأزبدت الأشداق ، وكثر العناق ، وقامت الحرب
على ساق ، وحضر الفراق ، وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء من
نبلها وتقصف من رماحها ، فلا يسمع يومئذ إلا النغمغم من الرجال ، والتحمحم من
الخيال ، ووقع السيوف على الهام كأنه دق غاسل بحشبتة على منصبه ، ندأب ذلك
يوماً حتى ظعن الليل بغسقه ، وأقبل الصبح بفلقه ، ثم لم يبق من القتال إلا الهريز
والزئير ، لعلمت أني أحسن بلاء ، وأعظم غناء ، وأصبر على اللأواء منكم ،
وإني وإياكم كما قال الشاعر :

وأعضي على أشياء لو شئت قلتها ولو قلتها لم أبق للصلح موضعاً
وإن كان عودي من نضار فإني لأكرمه من أن أخطر خروعا

والمأثور عنه كثير .

وتوفي سنة أربع ومائتين ، وقيل سنة ست ، والأول أصح ، والله أعلم
بالصواب ، رحمه الله تعالى .

هشام صاحب الكسائي

أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير ، النحوي الكوفي ، صاحب أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ؛ أخذ عنه كثيراً من النحو ، وله فيه مقالة تُعزى إليه ، وله فيه تصانيف عديدة ، فمن ذلك كتاب «الحدود» وهو صغير ، وكتاب «المختصر» وكتاب «القياس» وغير ذلك .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلف المأمون يوماً ، فلحن في بعض كلامه ، فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد ، فخرج من عنده ، وجاء إلى هشام المذكور فتعلم عليه النحو .

قال أبو مالك الكندي : توفي هشام بن معاوية الضرير النحوي سنة تسع ومائتين ، رحمه الله تعالى .

٧٨٣ - ترجمته في إنباء الرواة ٣ : ٣٦٤ وانظر الحاشية ، ونور القبس : ٣٠٢ وأهمل صاحب المختار هذه الترجمة .

أبو فراس همام - وقال ابن قتيبة في « طبقات الشعراء » : هميم بالتصغير^١
 ابن غالب ، وكنيته أبو الأخطل ، ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن
 سفيان بن مجاشع بن دارم ، واسمه بحر ، بن مالك ، واسمه عوف سمي بذلك
 لجوده ، ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، التميمي ، المعروف
 بالفرزدق ، الشاعر المشهور صاحب جرير .

(306) كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم ، وأمه ليلي بنت حابس أخت
 الأقرع بن حابس . ولأبيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة ، فمن ذلك أنه أصاب
 أهل الكوفة مجاعةً وهو بها فخرج أكثر الناس إلى البوادي . فكان هو رئيس
 قومه ، وكان سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه ، واجتمعوا بمكان يقال له صوّار
 في أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة - وهو بفتح الصاد
 المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء - فعقرَ غالب لأهله ناقةً وصنع^٢
 منها طعاماً ، وأهدى إلى قوم من بني تميم لهم جلالة جفاناً من ثريد ، ووجه إلى
 سحيم جفنة ، فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال : أنا مفتقر إلى طعام غالب ؟
 إذا نحر هو ناقة نحرنا أنا أخرى ، فوقعت المنافرة بينهما ، وعقر^٣ سحيم لأهله
 ناقة ، فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين ، فعقر سحيم لأهله^٤ ناقتين .

٧٨٤ - ترجمته في الشعر والشعراء : ٣٨١ والأغاني (الساسي) ٨ : ١٨٠ ، ١٩ : ٢ : والموشح :
 ٩٩ وطبقات ابن سلام : ٧٥ والشريشي ١ : ١٤٢ والخزاعة ١ : ١٠٥ وشرح شواهد المغني :
 ٤ وأمالى المرتضى ١ : ٤٣ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٩٧ ومراة الجنان ١ : ٢٣٤ وعبر الذهبي
 ١ : ٢٣٦ والشذرات ١ : ١٤١ ومعاهد التنصيص ١ : ٤٥ وراجع بروكلمان (الترجمة
 العربية) ١ : ٢٠٩ - ٢١٤ .

١ لم يرد هذا في الشعر والشعراء المطبوع وإنما جاء اسمه « همام » .

٢ ر : فصنع .

٣ ير : ونحر . ٤ لأهله : سقطت من ص .

فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثاً ، فعقر سحيم ثلاثاً ، فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة ، فلم يكن عند سحيم هذا القدر ، فلم يعقر شيئاً وأسرّها^١ في نفسه . فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر ، هلا نحرت مثل ما نحر ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؟ فاعتذر بأن إبله كانت غائبة ، وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس : شأنكم والأكل ، وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فاستفتي في حل الأكل منها ف قضى بحرمتها وقال : هذه ذبحت لغير مأكلة ، ولم يكن المقصود منها إلاّ المفخرة والمباهاة ، فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم ، وهي قصة مشهورة^٢ ، وعمل فيها الشعراء أشعاراً كثيرة . فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق ، وهو بيت^٣ تستشهد به النحاة في كتبهم ، وهو من جملة قصيدة :

تعدّونَ عقرَ النبيّ أفضلَ مجدكم بني ضوطرَى لولا الكميّ المقنعا
ومن ذلك قول المحلّ ، أخي بني قطن بن نهشل^٤ :
وقد سرني أن لا تعدّ مجاشع من المجد إلاّ عقرَ نابٍ بصوآر

وكان غالب المذكور أعور .

(307) وسحيم المذكور ، هو ابن وثيل بن عمرو بن جوين بن وهيب^٥ بن حميري الشاعر الذي يقول^٦ :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

١ المختار : فأسرها .

٢ انظر النقاظ : ٤١٤ والأمالى ٣ : ٥٢ والخزاة ١ : ٤٦١ ومعجم البلدان : (صوآر) .

٣ المختار : وهذا البيت .

٤ ر بر من : المجن بن نهشل أخي بني قطن ؛ وهو المحل بن كعب النهشلي (انظر معجم المرزباني :

٤٥٠ والنقاظ : ٩٤٢ ، ٩٥٥ ، ٩٥٧) .

٥ المختار : وهب ؛ وفي هامش الأصمعيات : أهيب .

٦ مطلع الأصمعية الأولى ، الاصمعيات : ٣ .

وهذا البيت من جملة أبيات ، وله ديوان شعر صغير . والوثيل الرشاء الضعيف ، وقيل الليف .

وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه ، فما جاءه أحد واستجار به إلا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه . فمن ذلك ما حكاه المبرد في كتاب « الكامل »^١ أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى تميم بن زيد القيني بلاد السند دخل البصرة ، فجعل يخرج من أهلها من شاء ، فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت : إني استجرت بقبر أبيك ، وأت منه بمُحْصِيَّاتٍ ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إن تميم ابن زيد خرج بابن لي معه ، ولا قرّة لعيني ولا كاسب عليّ غيره ، فقال لها : وما اسم ابنك ؟ فقالت : خنيس ، فكتب إلى تميم مع بعض من شخص :

تميمَ بن زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي بظهورٍ فلا يعيا عليّ جوابُها
وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة لعبرةٍ أمّ ما يسوغُ شرابُها
أنتني فعاذتْ يا تميمُ بغالب وبالخفرةِ السافي عليها ترابُها
وقد علم الأوقامُ أنك ماجدٌ وليث إذا ما الحربُ شبَّ شهابُها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم فلم يعرف أحنيس أم حبيش . ثم قال : انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا ، فأصيب ستة ما بين خنيس وحبيش ، فوجه بهم إليه .

وحضر يوماً^٢ الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور ، عند سليمان بن عبد الملك الأموي وهو يومئذ خليفة ، فقال سليمان للفرزدق : أنشدني شيئاً ، وإنما أراد سليمان أن ينشده مدحاً له ، فأنشده في مدح أبيه :

وركب كأنّ الريح تطلبُ عندهم لها ترةٌ من جذبها بالعصائبِ
سرواً يحبّطون الريحَ وهي تلفهمُ إلى شعبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائبِ
إذا آنسوا ناراً يقولونَ إنها^٣ وقد خصرتْ أيديهمُ نارُ غالبِ

١ الكامل ٢ : ٨٦ - ٨٨ .

٢ الكامل ١ : ١٨٣ .

٣ ر من ير : ليتها ، وكذلك في الكامل .

فأعرض سليمان عنه كالغضب ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا
أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها ، قال : هات ، فأنشده :

أقولُ لركبِ صادقينَ لقيتهمُ قفا ذاتِ أوْشالٍ ومولاك قاربُ^١
قفوا خبروني عن سليمانَ إنني^٢ لمعروفه من أهل ودان طالبُ
فعاجوا فأثنتوا بالذي أنتَ أهلهُ ولو سكتوا أثنت عليك الحقايبُ

فقال سليمان للفرزدق : كيف تراه ؟ فقال : هو أشعر أهل جلده ، ثم
قام وهو يقول :

وخير الشعر أشرفه رجالاً وشر الشعر ما قال العسدُ

(308) وكان نصيب عبداً أسود لرجل من أهل وادي القرى ، فكتب على
نفسه ومدح عبد العزيز بن مروان ، فاشترى ولاءه ، وكنيته أبو الحجاج ،
وقيل أبو محجن .

وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة .

(309) وأما جده صعصعة بن ناجية فإنه كان عظيم القدر في الجاهلية ،
واشترى ثلاثين موعودة ، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري ، وفي ذلك يقول
الفرزدق يفتخر به :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق ، وقد ذكره في كتاب « الاستيعاب »^٣
في جملة الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين^٤ .

وقد اختلف العلماء أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجريير والمفاضلة بينهما ،
والأكثر على أن جريراً أشعر منه ، وكان بينهما من المهاجة والمعادة ما هو

١ قارب : وارد إلى الماء .

٢ ص ر ن بر من : إنه .

٣ الاستيعاب : ٧١٨ .

٤ ص رق : رضي الله عنهم .

مشهور ، وقد جمع لهما كتاب يسمى « النقااض » وهو من الكتب المشهورة .
وكان جرير قد هجاه بقصيدته الرائية ، التي من جملتها :

وكنت إذا حللت بدار قوم ظعنت بخزية وتركت عارا

فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له معها قضية يطول شرحها . وخلاصة الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت قد أضافته وأحسنت إليه فامتنعت عليه ، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، وهو يومئذ والي المدينة ، فأمر بإخراجه من المدينة ، فلما أخرج وأركبوه ناقته ليسفروه^١ قال : قاتل الله ابن المراغة - يعني جريراً - كأنه شاهد هذا الحال ، حيث قال : وكنت إذا حللت بدار قوم . . . وأنشد البيت المذكور .
وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال له : قد أجزنا شهادتك ، ثم قال لأصحاب القضية : زيدونا في الشهود ، فقبل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضي : إنه لم يُجز شهادتك ، فقال : وما يمنعه من ذلك ، وقد قذفت ألف مُحَصَّنة^٢ ؟

ومن شعره المشهور قوله ، وهو مقيم بالمدينة :

هما دلتاني من ثمانينَ قامة كما انقضَّ بازٍ أقمُ الریشِ كاسرُهُ
فلما استوت رجلايَ في الأرضِ قالتا أحَيِّ فيرجى أم قتيلٌ نحاذره
فقلت : ارفعا الأسبابَ لا يشعروا بنا وأقبلتُ في أعجاز ليلِ أبادره
أحاذر بوابينِ قد وُكلا بنا وأسودَ من ساجٍ تصرُّ مسامره

فلما بلغت جريراً الأبيات عملَ من جملة قصيدة طويلة^٣ :

لقد ولدتُ أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءت بوزوازٍ قصيرِ القوادِمِ

١ ص : ليسفره ؛ بر من ن : ليسفوه .

٢ وشهد الفرزدق ... محصنة : سقط من : ع بر من .

٣ النقااض : ٣٩٥ ؛ وهذه القصيدة حسبما جاء في النقااض جواب على قصيدة للفرزدق مطلعها :

نحن بزوراء المدينة ناقي حنين عجول تبتغي البو راتم

يوصلُ حَبَلِيه إِذَا جن ليلُهُ ليرْفِي إِلى جاراتِهِ بِالسَّلَامِ
تدليتَ تزني منْ ثَمَانينَ قامة وقصرتَ عن باعِ العِلا والمكارمِ
هو الرجسُ يا أهلَ المدينة فاحذروا مداخَلَ رجسِ بالخبيثاتِ عالمِ
لقد كان إخراجُ الفرزدقِ عنكمُ طهوراً لما بين المصلّي وواقمِ

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها :

وإن حراماً أن أسب مقاعساً^١ يَا بَائِي الشَّمِّ الكرامِ الخضارمِ
ولكنَّ نَصفاً لو سببتُ وسبتي بنو عبد شمس من مناف وهاشمِ
أولئك أمثالي فجئتني بمثلهم وأعبدُ أن أهجو كلياً بدارمِ

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولاً ، اجتمعوا وجاءوا إلى مروان بن الحكم الأموي ، وكان يومئذ والي المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الأموي ، فقالوا له : ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوجب على نفسه الحد ، فقال مروان : لست أحدهُ أنا ، ولكن أكتب إلى من يحده ، ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

توعدني وأجلني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمودُ

ثم كتب مروان إلى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه ، وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه عنه سفيراً وقال : إني قلت شعراً فاسمعه ، ثم أنشده^٣ :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتُك فاجلسِ

١ ر : مقاصماً ؛ ق ن ص والمختار : مقاعصاً ؛ ومقاعس : هو الحارث بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

٢ أعبد : آنف .

٣ انظر معجم البلدان : (المجلس) وديوان الفرزدق ١ : ٣٨٤ .

وَدَعِ المدينة إنها مرهوبة^١ واقصد لمكة أو لبيت المقدس
وإذا اجتيت من الأمور عظيمة^٢ فخذن^٣ لنفسك بالزمام^٤ الأكيس

— قوله « فاجلس » أي اقصد الجلّساء ، وهي نجد ، وسميت بذلك
لارتفاعها ، لأن الجلوس في اللغة هو الارتفاع — ؛ ولما وقف الفرزدق على الأبيات
فطن لما أراد مروان ، فرمى الصحيفة وقال :

يا مرو^١ إن مطيبي محبوسة ترجو الحباء وربها لم يأس
وحبّوتني بصحيفة مختومة يخشى علي بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يافرزدق لاتكن نكدًا كمثل^٢ صحيفة المتلمس

وإذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب أن يعلم
قصتها^٣ :

(310) ومن خبرها أن المتلمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله
ابن زيد بن دوقن^٤ بن حرب بن وهب بن جُلّي^٥ بن أحسن بن ضبيعة الأضجم
ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وإتّما لقب بالمتلمس لقوله من جملة
قصيدة :

فهذا أوان العرض حيّ ذبابه زناييره والأزرق المتلمس^٦

— وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها
وبعدها سين مهملة — كان قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة ، وهجاه
أيضاً^٦ طرفه بن العبد البكري الشاعر المشهور ، وهو ابن أخت المتلمس المذكور ، فاتصل

١ ن ر : مروان .

٢ ع بر من : نكداء مثل ؛ ر : نكراء مثل .

٣ انظر ترجمة المتلمس وخبر الصحيفة في الأغاني ٢٣ : ٥٢٤ وما بعدها .

٤ ع : دوقن .

٥ ن ر ع بر من : حلي .

٦ أيضاً : سقطت من : ص ن .

هجوها^١ بعمر بن هند المذكور ، فلم يُظهر لهما شيئاً من التغيير ، ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل واحد منهما كتاباً إلى عامله بالحيرة^٢ ، وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه ، وأوهمهما أنه قد كتب لهما بصلة ، فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمس لطرفة : كل واحد منا قد هجا الملك ، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى الحيرة ، فهلم ندفع كتبنا إلى من يقرؤها ، فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة^٣ ، وإن كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا ؛ فقال طرفة بن العبد : ما كنت لأفتح كتاب الملك ، فقال المتلمس : والله لأفتح كتابي ولأعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده ، فنظر المتلمس فإذا غلام قد خرج من الحيرة ، فقال له : أتقرأ يا غلام^٤ ؟ فقال : نعم ، فقال : هلم فاقراء هذا الكتاب . فلما نظر إليه الغلام قال : ثكلت المتلمس أمه ، فقال لطرفة : افتح كتابك فما فيه إلا مثل ما في كتابي ، فقال : إن كان اجترأ عليك فلم يكن لي جترىء عليّ ويوغر صدور قومي بقتلي . فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر إلى الشام ، ودخل طرفة الحيرة فقتل ، وقصته في ذلك مشهورة ، فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله ؛ وإلى هذا أشار الحريري في المقامة العاشرة بقوله : « ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس » . وللأبله الشاعر ، - المقدم ذكره في المحمدين - قصيدة يقول فيها :

يقرا المتيم من صحيفة خده في الهجر مثل صحيفة المتلمس

رجعنا إلى تمة خبر الفرزدق :

ثم ° خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الأموي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ؛ فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد منهم

١ ر : خير هجوها . ٢ كذا ورد ، ولعل صوابه « بهجر » .

٣ ر : المدينة .

٤ يا غلام : سقطت من ر .

٥ ع ن : ثم إنه .

بمائة دينار وراحلة ، وتوجه إلى البصرة . وقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت
فإنك عرضت عرضك لشاعر مضر ، فوجه وراءه رسولاً ومعه مائة دينار وراحلة ،
خوفاً من هجائه .

ومن أخبار الفرزدق أنه حكى أنه نزل في بعض أسفاره في بادية وأوقد
ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشده^١ :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهيناً فأتاني
فلما أتى قلتُ ادنُ دونك إنني وإيّاك في زادي لمشركان
فبتُ أقدُ الزادَ بيني وبينه على ضوء نارٍ مرةً ودخانٍ
وقلتُ له لما تكشراً ضاحكاً وقائم سيفي في يدي بمكان
تَعَشَّ ، فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ، ياذئب ، يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدرَ كنتما أخيينِ كانا أرضعاً بلبان
ولو غيرنا نبهتَ تلتمسُ القرى رماك بسهم أو شبة سنان

وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الأموي قصيدة ميمية ، فلما انتهى منها
إلى قوله^٢ :

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى شمام
فبتن بجانبي مصرعاتٍ وبتُ أفصُ أغلاق الختام
كأن مفالق الرمان فيه وجمر غصاً قعدن عليه حام

فقال له سليمان : قد أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ، ولا بد من إقامة الحد
عليك ، فقال الفرزدق : ومن أين أوجب علي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بقول
الله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ﴾ (النور: ٢)

١ ديوانه ٢ : ٣٢٩ .

٢ ر : تبسم .

٣ الشعر والشعراء : ٣٨٩ .

فقال الفرزدق : إن كتاب الله يدرؤه عني بقوله تعالى : ﴿ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٤) فأنا قلت ما لم أفعل ، فتبسم سليمان ، وقال : أولى لك . وتُنسبُ إليه مكرمة يرجى له بها الجنة ، وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه ، فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم - وقد تقدم ذكره - وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجأ ، فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم ، فقال رجل من أهل الشام : مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه الهية ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدقُ حاضراً فقال : أنا أعرفه ، فقال الشامي : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهمُ	هذا التقىُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأتهُ قريشُ قال قائلها :	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمي إلى ذروة العز التي قصرت	عن نيلها عربُ الإسلام والعجمُ
يكادُ يمسكهُ عرفانَ راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
في كفه خيزرانٌ ريحهُ عبقٌ	من كف أروع في عرنيته شممُ
يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فما يكلمُ إلا حين يتبسمُ

١ نسب الأُمدي أحياناً منها في المؤلف : ١٢٢ للحزين الكناني ؛ وقال ابن قتيبة - وأورد منها بيتين - إنها في مدح بعض بني أمية (الشعر والشعراء : ١٢) وذكر أبو الفرج (الأغاني : ١٥ : ٢٥٧) أنهما للحزين بن سليمان الديلي وقال : والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين عليه السلام وأولها « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته » فالقصيدة صحيحة النسبة إلى الفرزدق في رأي أبي الفرج إلا أن البيتين السادس والسابع ليسا منها ؛ وإيراد القصة على أن القصيدة جاءت عفواً الخاطر ، أو كأن الفرزدق كان متوقفاً ذلك السؤال ، فيه قدر من السذاجة .

كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلمُ
 طابت عناصره^١ والحيم^٢ والشيم
 يجده أنبياء الله قد خُتموا
 جرى بذاك له في لوحه القلم
 العربُ تعرفُ من أنكرت والعجم
 تستوكفان ولا يعرفهما عدم
 يزينه اثنان حسنُ الخلق والشيم
 حلوا الشمائل تحلو عنده^٣ نَعَم
 لولا التشهد كانت لاءه نَعَم^٤
 رحبُ الفناء أريب حين يعترم
 عنها الغياية والإملاق^٥ والعدم
 كفر وقربهم^٦ منجى ومعتصم
 أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
 ولا يُدانِيهم قوم^٧ وإن كرموا
 والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
 سيان ذلك إن أثروا وإن عدِموا
 في كل بدء ومختم^٨ به الكلم
 خيم^٩ كريم وأيد بالندى هُضم^{١٠}
 لأولية^{١١} هذا أو له^{١٢} نعم
 والدين^{١٣} من بيت هذا ناله الأمم

ينشق^١ نور الهدى عن نور غرته
 مشتقة^٢ من رسول الله نبعته
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
 الله شرفه قدماً وعظمه
 فليس قولك^٣ من هذا بضائره
 كلتا يديه غياث^٤ عم^٥ نفعهما
 سهل^٦ الخليقة لا تخشى بوادره^٧
 حَمَال^٨ أنقال أقوام إذا فدحوا^٩
 ما قال لا قط إلا في تشهده
 لا يخلف الوعد مأمون نقيته
 عم^{١٠} البرية بالإحسان فانقضت
 من معشر حبهام دين وبغضهم^{١١}
 إن عد أهل^{١٢} التقى كانوا أئمتهم
 لا يستطيع^{١٣} جواد^{١٤} بعد غايتهم^{١٥}
 هم^{١٦} الغيوث إذا ما أزمة أزمته^{١٧}
 لا ينقص العسر بسطا من أكفهم^{١٨}
 مقدم^{١٩} بعد ذكر الله ذكرهم^{٢٠}
 يأبى لهم أن يحل^{٢١} الذم ساحتهم
 أي^{٢٢} الخلائق^{٢٣} ليست في رقابهم^{٢٤}
 من^{٢٥} يعرف^{٢٦} الله يعرف^{٢٧} أولية^{٢٨} ذا

١ في جميع النسخ : قدحوا .
 ٢ سقط البيت من ق ع ر بر من والمختار ، ووقع بخط مختلف في هامش ن ، وفيها : لولا التشهد
 لم ينطق بتلك فم .
 ٣ ر والمختار : الخليقة .

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق ، وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم ، فردها وقال : مدحته لله تعالى لا للطاء ، فقال : إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده^٢ ، فقبلها .

وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره : صعد الوليد بن عبد الملك المنبر ، فسمع صوت ناقوس فقال : ما هذا ؟ قيل البيعة ، فأمر بهدمها ، وتولى بعض ذلك بيده ، فتتابع الناس يهدمون^٣ ، فكتب إليه الأخرم^٤ ملك الروم : إن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك ، فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطأوا ، فقال : من يجيبه ؟ فقال الفرزدق : تكتب إليه : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غم القوم ، وكنتا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلماً - الآية ﴾ (الأنبياء : ٧٨) .
وأخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى .

وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوماً ، وقيل بثمانين يوماً ، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » : إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة . وقال السكري : إن الفرزدق لقي علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وتوفي سنة عشر ، وقيل اثني عشرة ، وقيل أربع عشرة ومائة .
وقال ابن قتيبة في « طبقات الشعراء »^٥ : إن الفرزدق أصابته الدبيلة ، فقدم به البصرة ، وأتى الطيب فسقاه قاراً أبيض ، فجعل يقول : أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا ، ومات وقد قارب المائة ، والله أعلم . وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق ، فأغنى عن الإعادة ، رحمهما الله تعالى .
وذكر المبرد في كتاب « الكامل »^٦ قال : التقى الحسن البصري والفرزدق

١ ص : فأنفذ .

٢ ير : لا نسترده .

٣ ر : يهدمونها .

٤ الأخرم : هو جستنيان الثاني ، الذي ملك حتى سنة ٧١١ ، وكان معاصراً للوليد .

٥ الشعر والشعراء : ٣٨٥ .

٦ الكامل ١ : ١١٩ .

في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ يقولون : اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، قال الحسن : كلا ، لستُ بخيرهم ، ولستُ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مذ ستون سنة . فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رؤي في المنام فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل : بأي شيء ؟ فقال بالكلمة التي نازعتها الحسن .

وهما م : بفتح الهاء وتشديد الميم الأولى .

وناجية : بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها .

وعقال : بكسر العين المهملة وفتح القاف .

ومحمد بن سفيان : هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية ، وذكرهم ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ . وقال السهيلي في كتاب « الروض الأنف »^٢ : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم ، إلا ثلاثة طمع أبأؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فورق في كتاب « الفصول » وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جدّ الفرزدق الشاعر ، والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح ، وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمّه ، والآخر محمد بن حمران من ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً ، فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وأما مجاشع : فهو بضم الميم وفتح الجيم وبعده الألف شين معجمة مكسورة ثم عين مهملة .

١ المعارف : ٥٥٦ ؛ وانظر ابن رسته : ٢٠١ .

٢ الروض الأنف : ٢ : ١٥٠ (تحقيق عبد الرحمن الوكيل) .

ودارم : بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة وبعدها ميم . وبقية النسب معروف .

والفرزدق : بفتح الفاء والراء وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعدها قاف ، وهو لقب عليه . واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيه به ، فقال في « أدب الكاتب »^١ : الفرزدق : قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، وإنما لقب به لأنه كان جهّم الوجه ، وقال في كتاب « طبقات الشعراء »^٢ : إنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره ، شبه بالفتية التي تشربها النساء ، وهي الفرزدقة . والقول الأول أصح ، لأنه كان أصابه جدري في وجهه ثم برأ منه ، فبقي وجهه جهماً متغضناً ؛ ويروى أن رجلاً قال له : يا أبا فراس ، كأن وجهك أحرأح مجموعة ، فقال له : تأمل ، هل ترى فيها حرّاً أمك . والأحرأح - بجاءين مهملتين - جمع حرح ، وهو الفرج ، فحذفت في المفرد حاؤه الثانية ، فبقي حرّاً ، ومتى جمع عادت الحاء الثانية ، فقالوا : أحرأح لأن الجموع ترد^٣ الأشياء إلى أصولها . وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمّه ، وهي النوار - بفتح النون - ابنة أعين ابن ضبيعة بن عقال المجاشعي ، وجدها ضبيعة هو الذي عقر الحمل الذي كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل ، رضي الله عنها ؛ وكان قد خطبها - يعني النوار - رجل من قريش ، فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها ، فقال : إن بالشام من هو أقرب مني إليك ، وما أنا آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك عليّ ، فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إليّ ، ففعلت ، فخرج بالشهود ، وقال لهم : قد أشهدتكم أنها جعلت أمرها لي ، وأنا أشهدكم أنني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الخدق ، ففضبت من ذلك واستعدت عليه ، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير ، وأمر الحجاز والعراق يومئذ إليه ، وخرج الفرزدق أيضاً ؛ فأما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن زبان^٤

١ أدب الكاتب : ٨٠ .

٢ الشعر والشعراء : ٣٨٢ .

٣ ص : لأن الجمع يردّ .

٤ زيان : بالياء المثناة من تحتها في النسخ ؛ والصواب بالباء الموحدة ، وكذلك هو في الموضع التالي في النسخة ص .

الفرزاري ، امرأة عبد الله بن الزبير فرقتها وأسألها الشفاعة لها . وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وهو ابن خولة المذكورة ، ومدحه فوعده الشفاعة ، فتكلمت خولة في النوار وتكلم حمزة في الفرزدق ، فأنجحت خولة ، وأمر عبد الله بن الزبير أن لا يقربها ، حتى يصيرا إلى البصرة ، فيحتكما إلى عامله عليها ، فخرجا ، وقال الفرزدق في ذلك :

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم وشُفِّعت بنتُ منظور بن زبانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيك متزراً^٢ مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

ثم إن الفرزدق اتفق معها ، وبقي زماناً لا يولد له ولد ، ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد وهم : لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة وكلهم من النوار ، وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء . وقال ابن خالويه : ومن أولاد الفرزدق : كلطة وجلطة ، والله أعلم .

ثم إن الفرزدق طلق النوار لأمر يطول شرحه ، فندم على ذلك . وله فيها أشعار ، فمنها قوله :

ندمتُ ندامةَ الكسعي لما غدتُ مني مُطلقة نوارُ
وكانتُ جنتي فخرجتُ منها كآدمَ حينَ أخرجهُ الضرار

وله في ذلك أخبار ونوادير يطول شرحها ، وليس هذا موضع استيفائه^٣ . ومات للفرزدق ابن صغير ، فصلي عليه ، ثم التفت إلى الناس فقال :

وما نحنُ إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وترحلوا

فمات بعد ذلك بأيام قلائل^٤ .

١ ن : فيحتكما .

٢ ع : مؤزراً ؛ ر : مكتسباً .

٣ ص ن ر من بر : وليس هذا موضعه .

٤ ن : قليلة ، وسقطت اللفظة من : بر من .

هلال ابن المحسن الصابئ

أبو الحسن^١ هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم ابن زهرون بن حيّون، الصابئ الحراي الكاتب؛ هو حفيد أبي إسحاق الصابئ صاحب الرسائل المشهورة - وقد سبق ذكر جده في حرف الهمزة - ؛ سمع هلال المذكور أبا علي الفارسي النحوي - المقدم ذكره - وعلي بن عيسى الرماني - المقدم ذكره أيضاً - وأبا بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز^٢ وغيرهم . وذكره الخطيب في « تاريخ بغداد » وقال : كتبنا عنه وكان صدوقاً، وكان أبوه المحسن صابئياً^٣ على دين جده إبراهيم ، فأسلم هلال المذكور في آخر عمره^٤، وسمع من العلماء في حال كفره ، لأنه كان يطلب الأدب . ورأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسماه كتاب « الأمثال والأعيان ومتدى العواطف والإحسان » وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا .

(311) وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمّة وتآليف نافعة ، منها التاريخ الكبير المشهور ، ومنها الكتاب الذي سمّاه « الهفوات النادرة من المغفلين^٥ المملحوظين ، والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين » جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب ، فمما نقلته منه^٦ أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه - وهو عم السفاح

٧٨٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٧٦ والمنتظم ٨ : ١٧٦ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٩٤ .

١ ص : أبو الحسين ، وكذلك في تاريخ بغداد . ٢ تاريخ بغداد : الخراز .

٣ في بعض النسخ : وكان أبو الحسن صابئياً ، ليتفق ذلك مع قوله « جده » ، وعند دي سلان : « أبيه » وهو لم يرد في النسخ المعتمدة .

٤ بر من : بأخرة .

٥ كذا في النسخ ، ولعل الصواب « المعقلين » كما قال محقق الكتاب (المقدمة : ٣١) .

٦ الهفوات النادرة : ٣٧١ .

وأبي جعفر المنصور - أنفذ إلى ابن أخيه السفاح في أول ولايتهم مشيخةً من أهل الشام يطرفه بعقولهم واعتقادهم ، وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم .

ونقلت منه أيضاً حكاية وإن كانت سخيفة لكنها ظريفة ، ولا بد في المجاميع من الإحماض ، ومزج الهزل بالجد ، والحكاية المذكورة هي^١ : أن أبا سعيد ماهك ابن بندار المجوسي الرازي كان من كبار كتاب الديلم المشهور تجلفهم^٢ ، الشائعة فيه أخبارهم ، وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم ، فأراد الوزير أبو محمد المهلبى أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له ، وقد أراد الخروج من عنده : يا أبا سعيد ، لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شيء أريده معك ، فقال : السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير ، ونهض من بين يديه ، فقال الوزير : هذا رجل مجنون ، وربما طال بي الشغل وضاق صدره فانصرف ، فتقدموا إلى البواب أن لا يدعه يخرج من الباب ، فجلس ماهك طويلاً ، وأراد دخول الخلاء ، فقام يطلب ذلك فرأى الأخلية مقلّعة ، وكان قد تقدم الوزير بذلك ، وقال : كانت دار أبي جعفر الصيمري منتنة الرائحة لأجل خلاء كان بها لعامة الناس . فوجدناه ماهك الخلاء الخاص غير مقلّع ، وعليه ستر مسبل ، فرفع الستر ليدخل ، فجاء الفراش فمنعه ودفعه^٣ ، فقال : يا هذا أليس هذا خلاء ؟ فقال : بلى ، فقال : أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني ؟ قال : هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير ، قال : فبقية الأخلية مقلّعة ، فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البواب فأخزى في ثيابي ؟ فقال الفراش : استأذن في دخول الخلاء^٤ ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الأخلية فتقضي حاجتك ، فاشتد به الأمر ، فكتب إلى الوزير رقعة وقال فيها : قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس

١ المصدر السابق : ٣٢٢ .

٢ هذه القراءة غير قاطعة لأن النسخ أوردت اللفظة غير كاملة الإعجام .

٣ ر : فدفعه ومنعه .

٤ ع ن بر من : خلاء .

ولا يحسن ذكره ، والفراش يقول لا تدخل ، والبواب يقول لا تخرج^١ ، وقد تحير العبد في البين ، والأمر في الشدة ، فإن رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بأن يعمل ما يحتاج إليه في خلته فعل إن شاء الله تعالى ، والسلام . ودفع الرقعة إلى بعض الحجاب ، فأوصلها إلى الوزير ، فلم يعلم ما أراد بالرقعة ، فاستعلم ما الصورة فعرف^٢ بها ، فضحك واستلقى على ظهره^٣ ، ووقع على ظهر الرقعة : يخرى أبو سعيد أعزه الله بحيث يختار ، إن شاء الله تعالى . فجاءه الحجاب بها فأخذه ودفعه إلى الفراش ، وقال : هذا ما طلبت ، وهو توقيع سيدنا الوزير ، فقال الفراش : التوقيعات يقرؤها أبو العلاء ابن أبرونا كاتب ديوان الدار ، وأنا لا أحسن أن أكتب ولا أقرأ ، فصاح مالهك في الدار : هات من يقرأ^٤ في الدار صك الخرا !! فضحك فراش آخر وأخذ بيده ، وحمله إلى بعض الحجر حتى قضى حاجته .

ونقلت من هذا الكتاب أيضاً^٥ : أن أرطاة بن سهية دخل على عبد الملك ابن مروان ، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام ، فرآه عبد الملك شيخاً كبيراً ، فاستنشه ما قاله في طول عمره فأنشده :

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم أنها ستكرُّ حتى توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه لأنه كان يكنى أبا الوليد ، وعلم أرطاة بسهوه وزلته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني أكنى بأبي الوليد ، وصدقه الحاضرون ، فسري عن عبد الملك قليلاً .

١ ع : لا تدخل .

٢ ع ص ن : فمرفه .

٣ واستلقى على ظهره : سقط من : بر من ر ع ن .

٤ ع ن بر من : يعمل .

٥ الهفوات النادرة : ٣٩ .

ونقلت منه أيضاً^١ أن أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموقف قرأ على الموقف كتاباً فلم يفهم معناه ، وقرأه الموقف ففهمه ، فقال فيه عيسى بن القاشي^٢ :

أرى الدهرَ يمنعُ من جانبه ويهدي الحظوظ إلى عائبه
وكم طالبٍ سيباً مجلبساً فأعيا عناه^٣ على طالبه
ومن عجب الدهر أن الأمير ر أصبح أكتبَ من كاتبه

والموقف المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل ، وهو والد المعتضد الخليفة العباسي .

ونقلت منه^٤ أيضاً أن أعرابياً شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال الأعرابي : فصاح به صائح من خلفه : يا خليفة رسول الله ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلفي : دعاه باسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ؛ فالتفت إليه ، فإذا هو رجل من بني لهب - بكسر اللام - وهم من بني النصر^٥ ابن الأزد ، وهم أزجر قوم ، وقد أشار كثير عزة إلى ذلك في قوله :

سألت أخوا لهبٍ ليزجر زجره^٦ وقد صار زجرُ العالمين إلى لهب

قال الأعرابي : فلما وقفنا لرمي الجمار^٦ إذا حصاة^٦ قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته ، فقال قائل : أشعر والله أمير المؤمنين ، والله لا يقف هذا الموقف بعدها ، فالتفت إليه فإذا هو اللهي بعينه ، فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول^٧ .

١ المصدر السابق : ٢٧٧ .

٢ المختار : القاشاني .

٣ ق ر : عياه ، ولعل الصواب « عياه » .

٤ الهفوات النادرة : ٣٦١ .

٥ ع والمختار : نصر .

٦ ر : للرمي .

٧ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : زاد المبرد في كتابه المسمى بالكامل في هذه الحكاية أن اللهي لما قال : أشعر والله ، قال له الأعرابي السامع له ولم ذلك ؟ قال : العرب تقول إذا ماتت الدابة نفق وإذا مات الكافر هلك وإذا مات المسلم مات وإذا مات الملك أشعر ، من إشعار البدن المهديّة للكعبة والذبح إجلالاً لهم وإعظماً عن ذكر الموت ، والله أعلم . »

وهذه الحكاية في كتاب «الكامل»^١ أيضاً .

وقوله «دعاه باسم ميت» إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقال له «خليفة رسول الله» فلما توفي وتولى عمر رضي الله عنه قيل له : «خليفة خليفة رسول الله» فقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : هذا أمر يطول شرحه ، فإن كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، فهو أول من دعي بهذا الاسم ، وكان لفظ الخليفة مختصاً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فلهذا قال «دعاه باسم ميت» .

وذكر عمر بن شبة -المقدم ذكره^٢- في «أخبار البصرة» عن الشعبي أن أول من دعا لعمر رضي الله عنه على المنبر أبو موسى الأشعري بالبصرة ، وهو أول من كتب «لعبد الله أمير المؤمنين» ، فقال عمر : إنني لعبد الله ، وإنني لعمر ، وإنني لأمر المؤمنين .

وقال عوانة : أول من سمّاه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي ، وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة . وقال غيره : جلس عمر يوماً فقال : والله ما ندري كيف نقول : أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا خليفة أبي بكر ، فأنا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن جاء بعدي يقال له : خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل اسم ؟ قالوا : الأمير ، قال : كلكم أمير ، قال المغيرة : نحن المؤمنون ، وأنت أميرنا ، فأنت أمير المؤمنين ، قال : فأنا أمير المؤمنين ، والله أعلم ، وقد خرجنا عن المقصود .

وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وتوفي ليلة الخميس^٣ سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

١ الكامل : ١ : ١٤٥ .

٢ انظر ج ٣ : ٤٤٠ .

٣ ر : الجمعة .

الهيثم بن عدي

أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر ابن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بختر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة ، وهو طيء ، الطائي الثعلي البحتري الكوفي ؛ كان راوية أخبارياً ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير ، وكان أبوه نازلاً بواسط ، وكان خيراً . وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم ، فأورد معانيهم وأظهرها وكانت مستورة فكره لذلك ، ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء ، فحبس لذلك عدة سنين ، ويقال إنه نقل عنه زوراً ، ولبسوا عليه ما لم يقله ، وكان قد صاهر قوماً فلم يرضوه ، فأذاعوا ذلك عنه ، وحرفوا الكلام . وكان يرى رأي الخوارج .

وله من الكتب المصنفة كتاب « المثالب »^١ وكتاب « المعمرين » وكتاب « بيوتات العرب » وكتاب « بيوتات قريش » وكتاب « هبوط آدم عليه السلام » و « افتراق العرب ونزولها منازلها » وكتاب « نزول العرب بخراسان^٢ والسواد » وكتاب « نسب طي » وكتاب « مديح^٣ أهل الشام » وكتاب « تاريخ العجم وبني أمية » وكتاب « من تزوج من الموالي في العرب » وكتاب « الوفود » وكتاب

٧٨٦ - ترجمته في البيان ١ : ٣٤٧ ، ٣٦١ والفهرست : ٩٩ وتاريخ بغداد ١٤ : ٥٠ ونور القبس : ٢٩٣ وإنباه الرواة ٣ : ٣٦٥ ولسان الميزان ٥ : ٢٠٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٣٠٤ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٢٤ وانظر بروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٣٤ ويتفق نسبه المذكور هنا مع ما ذكره ابن الكلبي حتى « أسيد » وبعده : ابن ترعل بن خثيم (بتقديم الثاء) (مختصر الجهمرة ٢ : ٢٦٤) . وابتداء من هذه الترجمة ينتهي الإيجاز في النسخة ق .

١ كتاب المثالب : سقط من ص ، ووردت أسماء الكتب في ع دون واو عطف .

٢ ن ص : خراسان . ٣ ص ر : مستفتح .

« حطط الكوفة » وكتاب « ولاة الكوفة » وكتاب « تاريخ الأشراف الكبير » وكتاب « تاريخ الأشراف الصغير » وكتاب « طبقات الفقهاء والمحدثين » وكتاب « كنى الأشراف » وكتاب « خواتيم الخلفاء » وكتاب « قضاة الكوفة والبصرة » وكتاب « المواسم » وكتاب « الخوارج » وكتاب « النوادر » وكتاب « التاريخ على السنين » وكتاب « أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ووفاته » وكتاب « أخبار الفرس » وكتاب « عمال الشرط لأمراء العراق » وغير ذلك من التصانيف .

واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم . قال الهيثم ، قال لي المهدي : ويحك يا هيثم ، إن الناس يخبرون عن الأعراب شحاً ولؤماً وكرماً وسماحاً ، وقد اختلفوا في ذلك ، فما عندك ؟ فقلت : على الخير سقطت ، خرجت من عند أهلي أريد ديار فرائد^٢ لي ، ومعني ناقة أركبها ، إذ نددت فذهبت ، فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها ، ونظرت فإذا خيمة أعرابي فأتيتها ، فقالت ربة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف ، فقالت : وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراء لواسعة ، ثم قامت إلى بر فطحتته ، ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ، ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن ، فسلم ثم قال : من الرجل ؟ فقلت : ضيف ، فقال : مرحباً حياك الله ، فدخل الخباء وملاً قعباً من لبن ، ثم أتاني به وقال : اشرب ، فشربت شراباً هنيئاً ، فقال : ما أراك أكلت شيئاً ، وما أراها أطعمتك ، فقلت : لا والله ، فدخل إليها مغضباً وقال : ويلك أكلت وتركت ضيفك ، فقالت : وما أصنع به ؟ أطعمه طعامي ؟ وجارها في الكلام حتى شجها ، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقي فحرقها فقلت : ما صنعت عافاك الله ؟ فقال : لا والله ما بييت ضيفي جائعاً ، ثم جمع حطباً وأجج ناراً ، وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول : كلي لا أطعمك الله ، حتى إذا أصبح تركني ومضى ، فقعدت مغموماً ، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه ، فقال : هذا مكان ناقتك ، ثم زودني من ذلك اللحم

١ ص ر ق : رهط .

٢ ر : قرائب .

وممّا حضره ، وخرجت من عنده ، فضمني الليل إلى خباء ، فسلمت ، فردت صاحبة الخباء السلام وقالت : من الرجل ؟ فقلت : ضيف ، فقالت : مرحبا بك حياك الله وعافاك ، فنزلت ، ثم عمدت إلى بر فطحتته وعجنته ، ثم خبزته خبزة روتها بالزبد واللبن ، ثم وضعت بين يدي فقالت : كل واعذر ، فلم ألبث أن أقبل أعرابي كرية الوجه ، فسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من الرجل ؟ قلت : ضيف ، قال : وما يصنع الضيف عندنا ، ثم دخل إلى أهله ، فقال : أين طعامي ؟ فقالت : أطعمته الضيف ، فقال : أنطعمين الضيف طعامي ، فتجاريا الكلام^١ ، فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها ، فجعلت أضحك ، فخرج إليّ فقال : ما يضحكك ؟ قلت : خير ، فقال : والله لتخبرني ، فأخبرته بقضية^٢ المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله ، فأقبل علي وقال : إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل ، وتلك التي عنده أختي . فبت ليلتي متعجباً وانصرفت .

ويقرب من هذه الحكاية ما روي أن رجلاً من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية ، فجاءه سائل فرده خائباً ، وكان الرجل مترفاً فوقع بينه وبين امرأته فرقة ، وذهب ماله ، وتزوجت امرأته ، فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته : ناوليه الدجاجة ، فناولته ، ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول ، فأخبرته بالقصة ، فقال الزوج الثاني : أنا والله ذلك المسكين الأول الذي خيبتني ، فحوّل الله نعمته وأهله إليّ لقلّة شكره^٣ .

وحكى الهيثم أيضاً قال : صار سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة إلى موسى الهادي بن المهدي ، وكان عمرو قد وهبه لسعيد ابن العاص الأموي ، فتوارثه ولده ، إلى أن مات المهدي واشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء ، فجرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ، ودعا بمِكتل فيه بدرة ، وقال : قولوا في هذا السيف ، فبدر ابن يامين البصري وأنشد :

١ ص ن : بالكلام .

٢ ص ر : بقصة .

٣ هذه القصة لم ترد في : ع ير من .

حاز صمصامةَ الزبيدي من يدي
 سيف عمرو وكان فيما سمعنا
 أخضر اللون بين حدّيه بردٌ
 أوقدت فوقه الصواعق ناراً
 فإذا ما سللته بهرَ الشم
 ما يبالي من انتضاهُ لضربٍ
 يستطير الأبصارَ كالقبس المُشَدِّ
 وكأنَ الفرندَ والجوهرَ الجا
 نعم مخراق ذي الحفيظة في الهدي
 ن جميع الأنامِ موسى الأمينُ
 خيرَ ما أعمدتُ عليه الجفون
 من ذُبّاح تين فيه المنون
 ثم شابت فيه الزعاف القيون
 سَ ضياء فلم تكذ تستبين
 أشمالٌ سطتْ به أم يمّين
 عل ما تستقر فيه العيون
 ري في صفحته ماء معين
 جاء يعصى به ونعم القرين

فقال الهادي : أصبت والله ما في نفسي ، واستخفه السرور ، فأمر له بالمكتل
 والسيف ، فلما خرج من عنده قال للشعراء : إنتما حرّمتم من أجلي ، فشأنكم
 والمكتل ، ففي السيف غنائي ، فاشترى منه السيف بمال جزيل ، وقال المسعودي
 في كتاب « مروج الذهب »^١ : اشتراه الهادي منه بخمسين ألفاً ، ولم يذكر من
 هذه الأبيات إلا بعضها .

والذباح : بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف حاء مهملة ،
 وهو نبت قتال لسميته ، وقد جاء كثيراً في الشعر .

ويعصى - بفتح الصاد - يقال : عصي بكسر الصاد يعصّي إذا ضرب
 بالسيف ، وهو خلاف عصّى يعصّي إذا ارتكب الذنب .

وحكى المسعودي في « مروج الذهب »^٢ في ولاية هشام بن عبد الملك أن
 الهيثم بن عدي المذكور روى عن عمر^٣ بن هانيء الطائي قال : خرجت مع عبد الله
 ابن علي ، وهو عم السفّاح والمنصور ، فانتبهنا إلى قبر هشام بن عبد الملك ،
 فاستخرجناه صحيحاً ما فقد منه إلا خرمة أنفه ، فضربه عبد الله ثمانين سوطاً ،

١ مروج الذهب ٣ : ٣٤٥ .

٢ مروج الذهب ٣ : ٢١٩ .

٣ ق : عمرو .

ثم أحرقه ، واستخرجنا^١ سليمان بن عبد الملك من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئاً إلا صلبه وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية ، وكانت قبورهم بقنسرين . ثم انتهينا إلى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلاً ولا كثيراً ، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه إلا عظماً واحداً ، ووجدنا مع لحده خطأ أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ، ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان ، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم^٢ .

(312) وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل أن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - وقد سبق ذكره في ترجمة الوزير محمد بن بقية - خرج على هشام بن عبد الملك وسمت نفسه إلى طلب الخلافة ، وتبعه خلق من الأشراف والقرآء ، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة ، فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلاً :

ذل الحياة وعزّ الممات وكلا أراه طعاماً ويلاً
فإن كان لا بدّ من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وحال المساء بين الفريقين ، فانصرف زيد مُثخناً بالجراح ، وقد أصابه سهم في جبهته ، فطلبوا من ينزع النصل ، فأتي بحجام من بعض القرى ، فاستكتموه أمره فاستخرج النصل ، فمات من ساعته ، فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره^٣ التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك ، وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع ، فلما أصبح مضى إلى يوسف منتصباً له ، فدلّه على موضع قبره ، فاستخرجه يوسف وبعث رأسه إلى هشام ، فكتب إليه هشام : أن اصلبه عرياناً ،

١ ق : ثم استخرجنا .

٢ عند هذا الموضع تعليق على هامش المختار بخط مخالف فيه تنديد بفعل الأمويين والعباسيين بل سب للعرب جميعاً .

٣ ر : فوق قبره .

فصلبه يوسف كذلك، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وبني تحت خشبته عموداً ، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وتذريته في الرياح ، وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين ، وقيل اثنتين وعشرين ومائة . وذكر أبو بكر ابن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيداً أقام مصلوباً خمس سنين عرباناً فلم ير أحد له عورة سترأ من الله سبحانه وتعالى له ، وقال بعضهم : إن العنكبوت نسج على عورته^١ ، وذلك بالكناسة بالكوفة . فلما كان في أيام الوليد ابن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بنجراسان ، وهي واقعة مشهورة ، كتب الوليد إلى عامله بالكوفة : أن أحرق زيداً بخشبته ، ففعل ذلك ، وأذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات ، والله تعالى أعلم أي ذلك كان . فهذا الذي حمل عبد الله بن علي على ما فعله ببني أمية ، انتصاراً لبني عمته وانتقاماً لهم بنظير ما فعل بهم . وقال الهيثم أيضاً : استعملت على صدقات بني فزارة ، فجاءني رجل منهم فقال : أريك عجباً ؟ فقلت : بلى ، فانطلق إلى جبل شاهق فإذا فيه صدع ، فقال لي : ادخل ، فقلت : إنما يدخل الدليل ، قال : فدخل فاتبعته ، ودخل معنا أناس ، فكان ربما ضاق الجبل واتسع ، فإذا نحن بضوء ، فدنوننا منه ، وإذا خرق ذاهب في الأرض ، وإذا عكاكيز في الجبل ، فجذبناها فإذا هي سهام عاد ، وإذا كتاب منثور في الجبل مقدار لإصبعين أو أكثر ، وإذا هو كتاب بالعربية ، وهو :

ألا هل إلى أبيات سفح بذي اللوى لوى الرمل فاصدقن النفوس معادُ
بلاد لنا كانت وكنا نجبها إذ الناس ناس ، والبلاد بلاد

وروي أن أبا نواس الحسن بن هانئ الحكيم الشاعر - المقدم ذكره^٢ - حضر

١ وقال بعضهم . . . عورته : سقط من أكثر النسخ .

٢ انظر ج ٢ : ٩٥ .

مجلس الهيثم بن عدي في حديثه ، والهيثم لا يعرفه ، فلم يستدنه ولا قرب مجلسه ، فقام مغضباً ، فسأل الهيثم عنه ، فخبر باسمه ، فقال : إنا لله ! هذه والله بلية لم أجنها على نفسي ، قوموا بنا إليه لنعتمر ، فصاروا إليه ، ودق الباب عليه وتسمى له ، فقال : ادخل ، فدخل فإذا هو قاعد يصفي نبيذاً له ، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله ، فقال : المذرة إلى الله تعالى وإليك ، والله ما عرفتك وما الذنب إلا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضي حَقك ونبليح الواجب من برك ، فأظهر له قبول العذر ، فقال الهيثم : أستعهدك من قول يسبق منك في ، فقال : ما قد مضى فلا حيلة فيه ، ولك الأمان فيما استأنف ، فقال : وما الذي مضى جعلت فداك ؟ قال : بيت مرّ وأنا فيما ترى [يعني من الغضب]^١ قال : فنشديني ، فدافعه ، فألحَّ عليه فأنشده :

يا هيثم بن عدي لست للعربِ ولست من طييء إلا على شغبِ
إذا نسبت عدياً في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسبِ

فقام من عنده ؛ ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي :

للهيثم بن عدي في تلونه في كل يوم له رجل على خشب
فما يزال أخا حل ومرتحل إلى الموالي وأحياناً إلى العرب
له لسان يزجيه بجوهره كأنه لم يزل يُغدى^١ على قتب
كأنني بك فوق الجسر منتصباً على جواد قريب منك في الحسب
حتى نراك وقد درعته قمصاً من الصديد مكان الليف والكرب
لله أنت فما قربى بهم^٢ بها إلا اجتلبت لها الأنساب من كذب

فعاد الهيثم إلى أبي نواس ، وقال له : يا سبحان الله ! أليس قد أمتنتني وجعلت لي عهداً أن لا تهجوني ! فقال : إنهم يقولون ما لا يفعلون .

١ لم يرد في النسخ الخطية .

٢ ع ن : يغدي ؛ ص ر : يعدي .

وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح .

وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة . وتوفي غرة المحرم سنة ست ، وقيل سبع ومائتين ، وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف»^١ : سنة تسع ومائتين ، والله تعالى أعلم بالصواب ، رحمه الله تعالى . وله عقب ببغداد . وقال السمعاني في كتاب «الأنساب»^٢ في ترجمة البحري : إنّه توفي سنة تسع^٣ ومائتين بضم الصلح ، وله ثلاث وتسعون سنة ، وزاد غيره أن وفاته كانت عند الحسن بن سهل ، وقد تقدم في ترجمة بوران أن زواجها بالمأمون كان في هذا التاريخ بهذا الموضع ، والظاهر أنه كان في جملة من حضر فتوفي هناك .

وقد تقدم الكلام على الطائي والبحري .

والثعلبي : بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها لام ، هذه النسبة إلى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء - وقد تقدم تمة هذه النسبة في ترجمة البحري في حرف الواو فلتنظر هناك - وتنسب إلى ثعل المذكور عدة بطون : منها بجنح وسلامان وغيرهما .

(313) ومن هذه القبيلة عمرو بن المسيح الثعلبي^٤ الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفود العرب ، فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة ، وكان أرمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس حندج^٥ بن حجر الكندي الشاعر المشهور^٦ :

رب رامٍ من بني ثعلٍ مخرج كفيه من ستره

١ المعارف : ٥٣٩ .

٢ الأنساب : ٢ : ١٠٣ .

٣ الأنساب : سبع .

٤ عمرو بن المسيح : ذكره أبو حاتم في المعمرين : ٨٦ وابن حجر في الإصابة ٥ : ١٦ وابن عبد البر في الاستيعاب : ١٢٠١ وابن دريد في الاشتقاق : ٣٨٨ ، وفي ق ع والمختار : المسيح .

٥ ص ع ر : جندج .

٦ ديوان امرئ القيس : ١٢٣ .

وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب «طبقات الشعراء»^١ على
قرب زمن امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان
قبله بمقدار أربعين سنة . هذا خلاصة ما قاله ، والله أعلم^٢ .

١ طبقات الشعراء : ٦٦ - ٦٧ .

٢ جاء في نسخة ق : تم حرف الهاء وبتمامه تم الجزء الثالث من كتاب وفيات الأعيان .

حرفُ الياءِ

ياروق التركماني

ياروق بن أرسلان التركماني ؛ كان مقدماً جليل القدر في قومه ، وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان ، وكان عظيم الحلقة هائل المنظر ، سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية ، وبني على شاطئ قُويق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنيةً كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية ، وهي شبه القرية ، وسكنها هو ومن معه ، وهي إلى اليوم معمورة مسكونة أهله يتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع ويتنزهون هناك في الحضرة وعلى قُويق وهو موضع كثير الانشراح والأنس .

وتوفي ياروق المذكور في المحرم سنة أربع وستين وخمسائة ، رحمه الله تعالى — هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في «سيرة السلطان^٢ صلاح الدين» رحمهما الله تعالى .

وياروق : بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفي الآخر قاف .

وقُويق : بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف ، وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارهم كثيراً ، خصوصاً أبا عبادة البحراني^٣ فإنه كرر

٧٨٧ - سقطت «بن» في نسبه من المختار ونسخة ق .

١ ر : يترددون .

٢ ن : السلطان الملك الناصر ؛ وانظر السيرة : ٣٩ .

٣ أكثر الصنوبري أيضاً من ذكر قويق في شعره ، انظر ديوانه (دار الثقافة ١٩٧٠) .

ذكره في عدة قصائد ، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة ^١ :

يا برق أسفر عن قويق فطرَّتِيْ حلب فأعلى القصر من بطِّيَّاسِ
عن منبتِ الوردِ المعصر صبغهُ في كلِّ ناحيةٍ ومجرى ^٢ الآسِ
أرضٌ إذا استوحشتُ ثم أتيتها حشدت عليَّ فأكثرتُ إيناسي ^٣

وبطِّيَّاس : بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة ، وهي قرية كانت بظاهر حلب ودرت ، ولم يبق لها اليوم أثر . وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ^٤ بن عبد المطلب ، رضي الله عنهم ، قد بنى بها قصراً وسكنه هو وبنوه ، وهو بين النَّيْرَبِ والصالحية ، وهما قريتان في شرقي حلب ، وكان القصر على الراجية المشرقة على النَّيْرَبِ ، ولم يبق منه في هذا الزمان سوى آثار دارسة ، هكذا وجدته مضبوطاً بخط بعض الفضلاء من أهل حلب ، والله أعلم ^٥ .

١ ديوان البحترى : ١١٣٤ من قصيدة في مدح عبد الملك بن صالح الهاشمي .

٢ الديوان : ومجى .

٣ ص ق ر : حشدت على ما كثرت .

٤ ق ر : العباس .

٥ انفردت النسخة (بر) بإيراد الترجمة التالية ، وأخلت بها سائر النسخ ، ومن الواضح أنها إضافة متأخرة لأنها منقولة عن تاريخ الإسلام للذهبي ووفاة المترجم بعد وفاة المؤلف ابن خلكان ، ولهذا لم نضمها في المتن ولم نفردها برقم ، وهذه هي :

« ياقوت المستعصي الخطاط المشهور : يكاد يوجد خطه الآن بأيدي الناس مع الغزاة ، وهو من يضرب به المثل في حسن الخط ، ويقال كان إذا وقف عليه الفقير وسأله ، كتب له حرفاً واحداً ودفعه إليه فيبيعه بما يريد ، وهو غير ياقوت الملكي المذكور هنا ، وغير ياقوت الحموي ، ترجمه في تاريخ الإسلام وقال : كان رومي الجنس نشأ بدار الخلافة وأحب الكتابة والأدب ، فلما أخذت بغداد سلم وحصل خطوطاً لابن البواب وغيره ، وكان يعرفها بخزانة الخلفاء ، فجود عليها وقويت يده ، وكتب أسلوباً غريباً في غاية القوة ، وصار إماماً يقتدى به ، وكان رئيساً وافر الحرمة كثير التجميل والحشمة ، كتب عليه أولاد الأكابر ، وله شعر جيد فمنه :

صدقتم في الوشاة وقد مضى في حبكم عمري وفي تكذيبها =

ياقوت الموصلبي

أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلبي الكاتب ، الملقب أمين الدين ، المعروف بالملكي ، نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر ؛ نزل الموصل ، وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي ، وقرأ عليه من تصانيفه جملة ، وكان ملازمه ، وقرأ عليه ديوان المتنبي والمقامات الحريرية وغير ذلك .

وكتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق وكان في نهاية الحسن ، ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله ، مع فضل غزير ونباهة تامة ، وكان مُعْرَى بنقل « الصحاح » للجوهري ، فكتب منها نسخاً كثيرة ، كل نسخة في مجلد واحد ، رأيت منها عدة نسخ ، وكل نسخة تباع بمائة دينار ، وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وكانت له سمعة كبيرة

= وزعمت أني مللت حديثكم من ذا يمل من الحياة وطيبها
وله أيضاً :

تجدد الشمس شوقي كلما طلعت إلى محياك يا سمي ويا بصري
وأسهر الليل ذا أنس بوحشته إذ طيب ذكرك في ظلماته سمري
وكل يوم مضى لي لا أراك به فلست محتسباً بآقيه من عمري
ليلي نهار إذا ما درت في خلدي لأن ذكرك نور القلب والبصر

ذكره الذهبي في حوادث سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وترجمه في الوفيات من تلك السنة ، وقال : توفي الشيخ أبو الدر جمال الدين ياقوت المذكور ببغداد ، هذه السنة (انظر الحوادث الجامعة : ٥٠٠ والنجوم الزاهرة ٨ : ١٨٧ والشذرات ٥ : ٤٤٣ وابن كثير ١٤ : ٦ والسلامي : ٢٣٣) .

٧٨٨ - ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٣١٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٣ .

١ ع : ورأيت .

في زمانه ، وقصده الناس من البلاد ، وسير إليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه ، بل على السماع به ، وهي قصيدة جيدة في بابها ، ووصف حسن خطه فأبلغ^١ ، وهي :

أين غزلانُ عالجُ والمصلَى	من ظباء سكنَ نهرَ المعلَى
أبتلك الكثبانُ أغصانُ بانٍ	وبدورٌ من أفقها ^٢ تتجلى
أم لتلك الغزلانِ حسنُ وجوهٍ	لو تراءت للحرزِ أصبح سهلا
أين حوِّذانها من الرجسِ الغ	ضٌ إذا ناجزٌ ^٣ النسيم استقلا
أين ذاك العرَّار من صبغة الور	د إذا جاده الغمام وطلاءُ
أبجرعائها كواكبُ نارن	حج دنا في غصونه فتدلى
أقريب ^٤ لماء دجلة كفوٌ	كذب القاسطون حاشا وكلا
ألدار السلام في الأرض شبه	معجز أن ترى لبغداد مثلا
كل يوم تبدي وجوهاً خلاف ال	أمس حسناً كأنما هي حبل
وصبايا يصبو الخليم إليها	ن إذا ما خطر ^٥ شكلاً ودلا
يعتصبن العصائب الناصريا	ت فيحللن منك عقداً وحلا
ليس يرقبن فيك إلا ولا يد	رفن شيئاً غير «الصحاح» وإلا
مرربع ^٦ للقلوب فيه ربيع	متوال إذا الربيع تولى
بلدة تستفاد فيها المعالي	والمعاني علماً وجداً وهزلا
لم يفتها من الكمال سوى يا	قوت لو أنها به تتحلى

١ ن : فأبدع ؛ ر : فقال .

٢ ن : أهلها .

٣ ع ص ق : ناجر ؛ ن : فاخر .

٤ ق ن ص : وهلا .

٥ النقيب : اسم ماء .

٦ ق ن : خطون .

٧ ر : فيه للقلوب .

من لها أن يضوع نشرُ أمين الد
لورجت أن يزورها لابن بري الصا
ولئن وافت الرواة برياً
بحرُ جودٍ له الأكارمُ تتلو
جامعُ شاردِ العلوم ولولا
ذو يراعٍ تخافُ صولته^٢ الأس
وإذا افتَرَّ ثغرهُ عن سوادِ
يقظُ في حراسةِ الملك لا يه
إنما يبعثُ البلاغةَ أرسا
فيعيد الجبارَ ممتلئاً خو
وتراه طوراً يجيلُ يديه
مثل وشي الرياض أو كنظيم ال
فاتئد يا مریدَ مثلِ أمين الدين مهلاً^٣ أتعبتَ نفسك مهلاً
سيدي يا أخوا السماح وظئر ال
أنت بدر والكاتب ابن هلال
إن يكن أولاً فإنك بالتف
يا أمين الدين الذي جمع ال
أنا من قاده الثناء إلى حب
وإذا أسجلَ الثناء بقاضٍ
فارضَ بكرراً ما راض قط أبوها

ين فيها وحسبها ذاك فضلا
متُ فيها يقول : أهلاً وسهلاً
ه إليها فإن رؤياه^١ أحلى
وجوادٌ عنه المكارم تتلى
ه لكانت أمُ الفضائل ثكلى
دُ وتعنو له الكتاب ذلا
في بياضٍ فالبيض والسمر حجلي^٣
ملُ سهماً ولا يجرّدُ نصلاً
لا إذا كانت الصحائف رسلاً
فأ لما قد أملٌ فيها وأمل
بقداحِ العلوم فصلاً فصلاً
درٌ يزهي خطأً ولفظاً ونقلاً
الدين مهلاً أتعبتَ نفسك مهلاً
مجد وابن العلي ورب المعلّى
كأبيه لا خيرَ فيمن تولى
ضيلِ أولى ، لقد سبقت وصلّى
ه به للسماح والفضل شمالاً
ك حتى يظل لا يتسلى
صار فيه أخو الشهادة عدلاً
فكره بابتة ليخطبَ بعلاً

١ ص : رياه .

٢ ص : يخاف ريقته .

٣ ص ق : تجلى .

٤ بر من ن : أو مثل نظم الدر .

لا يفرح إلا بيويد عنها ولا أجداً ولكن رأك للمدح أهلاً
 ودعاه إليك داعي وداد جاء يبغي من حسن رأيك وصلاً
 وإذا ما تعذر القرب فالقرب ب كفيل به ورأيك أعلى
 فابق واسلم ما جرد الأفق جيشاً^١ من ظلام وجرد الصبح نصلاً

وتوفي أمين الدين المذكور بالموصل سنة ثمان مائة وستة وستين ، وقد أسن
 وتغير خطه من الكبير ، رحمه الله تعالى .

٧٨٩

ياقوت الرومي أبو الدر

أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، الملقب مهذب الدين ، الشاعر المشهور ،
 مولى أبي منصور الحلبي^٢ التاجر ، اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب ، واستعمل
 قريحته في النظم فأجاد فيه ، ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن ، وكان مقيماً
 بالمدرسة النظامية ببغداد ، وعده ابن الديلمي في كتاب «الذيل»^٣ في جملة من
 اسمه عبد الرحمن ، وذكر أنه نشأ ببغداد ، وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيئاً من
 الأدب وكتب خطأ حسناً وقال الشعر وأكثر النظم منه في الغزل والتصانيب وذكر
 المحبة ، وراق شعره وتحفظه الناس ، وأورد له مقطوعاً من الشعر وذكر أنه
 أنشده إياه ، وهو :

١ ن ر : جر في الأفق جيش .

٧٨٩ - ترجمته في معجم الأديباء ١٩ : ٣١١ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٣ ومرآة الجنان ٤ : ٤٩

وعقود الجنان ج ٩ ، الورقة : ٣٤٧ والبدر السافر ٢ ، الورقة ٢٢١ .

٢ ص : الحلبي ؛ ع : الحلبي ، وفي الهامش : الحلبي .

٣ تاريخ ابن الديلمي ج ٢ ، الورقة : ٣٦ (مخطوطة جامعة كيمبردج) .

خليلي لا والله ما جنّ غاسق^١ وأظلم إلا حنّ أو جنّ عاشق^٢

[وبقية في المجموع الصغير]^١ وأشعاره سائرة يتغنى بها ، وهي رقيقة لطيفة

فمن ذلك قوله :

إن غاض دمعك والأحبابُ قد بانوا
وكيف تأنسُ أو تنسى خيالهمُ
لا أوحش الله من قومٍ نأوا فنأى
ساروا فسار فؤادي إثر ظعنهمُ
لا افتقرَ ثغرُ الثرى من بعد بعدهمُ
أجرى دموعي وأذكى النارَ في كبدي
طوفان^٢ نوحِ ثوى في مقلتي وفي
لو كابد الصخر ما كابدتُ من كمدٍ
وذاب يذبلُ من وجدي ورضّ على
يا من تملك رقي حسنٌ بهجته
كن كيف شئتَ فمالي عنك من بدلٍ

ومن شعره أيضاً :

ألا مبلغٌ وجدي بها وغرامي
نسيم الصبا بلغ تحيةً مُشتم
وصيفٌ بعضَ أشواقٍ إليه لعله
أيا رحبةَ الزوراء لي فيك شادن^١
بديعُ جمالٍ بان صبري لبينه
ومهد إلى دار السلام سلامي
إلى مُعزّق لم يرع عهدَ ذمامي
يرقُّ لذلي في الهوى وهيامي
نقى بُعدُهُ من مقلتي منامي
وعرضني إعراضهُ لحمامي

١ سقط من : ق ص ن ع بر من ؛ ولعله من بعض التحويلات في المسودة .

٢ ن ص ر بر من : فناء .

يصدُّ إذا ما صد عن عيني الكرى
حياتي وموتي في يديه وجنتي
ففي بعده عني وفاتي ، وقربه
ومن وجتته نار وجددي ، وخصره
فكن عاذري يا عاذلي فدلاله
دليلٌ على وجددي به وغرامي^١

ورأيت كثيراً من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق يحفظون له قصيدة أولها :

جسدي لبعذك يا مثيرَ بلا بلي
يا من إذا ما لام فيه لوائمي
أجيزَ قتلي في «الوجيز» لقاتلي
أم في «المهذب» أن يعذب عاشق
أم طرفك الفتاك قد أفتاك في
تلف النفوس بسحر طرف بابلي
ذنف بجبك ما أبل ، بلي بلي
أوضحت عذري بالعدار السائل
أم حل في «التهديب» أم في «الشامل»
ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
تلف النفوس بسحر طرف بابلي

وهي أكثر من هذا ، لكن هذا القدر هو الذي أستحضره في هذا الوقت منها .

وأُنشدني له بعض الأدباء بمدينة حلب أبياتاً ، منها قوله :

ألست من الولدان أحلى شمائلًا فكيف سكنت القلب وهو جهنم

ثم قال : وقد انتقدوا عليه في^٢ بغداد في هذا البيت ، فأفكرت فيه ثم قلت له : لعل الانتقاد من جهة أنه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من الولدان أنه لا يكون في جهنم ، فإنه قد يكون أحلى شمائل منهم ، وليس الممتنع إلا أن يكون الولدان في جهنم ، فقال : نعم هذا هو الذي أخذ عليه .

وأخبرني بعض الأفاضل بمدينة إربل في ستة وخمسين وستمئة ، قال : كنت ببغداد في سنة عشرين وستمئة بالمدرسة النظامية ، فقعدت يوماً

١ ر : وهيامي .

٢ ص : أهل .

على بابها إلى جانب أبي الدر المذكور ونحن نتذاكر الأدب ، إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا ، فجلس قريباً منا ، فقال لي أبو الدر : أتعرف هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا مملوك الحيص بيص ، الذي يقول^١ فيه :

تَشْرِبْشْ^٥ أو تَقْمَصْ^٥ أو تَقْبِيْ
فَلَنْ تَزْدَادَ عِنْدِي قَطُّ حَبَا
تَمَلِّكْ بَعْضُ حَبِّكَ كُلَّ قَلْبِيْ
فَإِنْ تَرَدَّ الزِّيَادَةُ هَاتِ قَلْبَا

قال : فجعلت أنظر إليه ، وأفكر فيما كان عليه ، وما آل حاله إليه ، ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص فلم أجدهما فيه ، والله أعلم . ولأبي الدر المذكور ديوان شعر سمعت أنه صغير ولم أقف عليه ، بل على مقاطيع كثيرة منه ، وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ، ويكفي منه هذا القدر - وقد تقدم في حرف الخاء في ترجمة الشيخ الحضرمي بن عقيل الإربلي له ثلاثة أبيات دالية^٢ - ثم إنني ملكت من ديوانه^٣ نسختين في سنة سبع وستين وستمائة بدمشق المحروسة ، وهو صغير الحجم يدخل في عشر كراريس^٤ .

ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أن أبا الدر المذكور وجد ميتاً بمنزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقال الناس : إنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام ، رحمه الله تعالى . وقال ابن النجار في « تاريخ بغداد » وجد أبو الدر في داره ميتاً ، يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى من السنة ، وكان قد أخرج من النظامية فسكن في دار بدر بن دينار الصغير ، ولم يعلم متى مات ، وأظنه ناطح^٥ الستين ، والله أعلم .

١ ر : قال .

٢ انظر ج ٢ : ٢٣٨ .

٣ ق ع : بديوانه .

٤ ر : عشرين كرأساً .

٥ ن : قارب .

والرومي : يضم الرء وسكون الواو وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى بلاد الروم ، وهو إقليم مشهور متسع كثير البلاد .
وهاهنا نكتة غريبة يحتاج إليها ويكثر السؤال عنها ، وهي : أن أهل الروم يقال لهم « بنو الأصفر » ، واستعملته الشعراء في أشعارهم ، فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تبعت ذلك كثيراً فلم أجد ما يشفي الغليل^١ ، حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه « الليف » ولم يكتب عليه اسم مؤلفه ، فنقلت منه ما صورته :
عن العباس عن أبيه قال : انخرم ملوك الروم في الزمان الأول^٢ ، فبقيت منه امرأة ، فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر ، فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم ، فجلسوا مجلساً لذلك ، وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم ، فأبى العبد منه ، فأشرف عليهم فقالوا : انظروا في أي شيء وقعتم ؟ فزوجوه تلك المرأة ، فولدت غلاماً فسموه « الأصفر » ، فخاصمهم المولى ، فقال الغلام : صدق أنا عبده فأرضوه ، فأعطوه حتى رضي ، فبسبب ذلك قيل للروم بنو الأصفر ، لصفرة لون الولد ، لكونه مولداً بين الحبشي والمرأة البيضاء ، والله أعلم .

١ ن بر من والمختار : أحداً شفى فيه الغليل ؛ ص ر ع ق : من أشفى فيه الغليل .

٢ المختار : الزمن الأول ؛ ر : الزمان المتقدم .

ياقوت الحموي

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار ، الملقب شهاب الدين ؛ أُسِرَ من بلاده صغيراً ، وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر ابن أبي نصر إبراهيم^١ الحموي ، وجعله في الكتاب ليتفنع به في ضبط تجارته ، وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً سوى التجارة ، وكان ساكناً ببغداد ، وتزوج بها وأولد^٢ عدة أولاد ، ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئاً من النحو واللغة^٣ ، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره فكان يتردد إلى كيش^٤ وعُمان وتلك النواحي ويعود إلى الشام . ثم جرت بينه وبين مولاه نَبْوَةٌ أوجبت عتقه فأبعده عنه ، وذلك في سنة ست وتسعين وخمسائة ، فاشتغل بالنسخ بالأجرة ، وحصلت له بالمطالعة فوائد . ثم إن مولاه بعد مدينة^٥ ألوى عليه وأعطاه شيئاً وسفره إلى كيش^٤ ، ولما عاد كان مولاه قد مات ، فحصل شيئاً مما كان في يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به ، وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله ، وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً .

وكان متعصباً على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ؛ وكان قد طالع

- ٧٩٠- ترجمته في مرآة الجنان ٤ : ٥٩ وعبر الذهبي ٥ : ١٠٦ وتاريخ إربل ، الورقة : ٣١٢
وقد ترجم له الذهبي أيضاً في تاريخ الإسلام والمنذري في وفيات النقلة والصفدي في الوافي ؛
والمستشرقين بمحوت كثيرة عنه ، انظر مقدمة الجزء الخامس من معجم البلدان (طبعة وستنيلد)
وتاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي ١ : ٣٣٥ وقد تحدث عنه الدكتور صلاح المنجد في أعلام
التاريخ والجغرافيا عند العرب ١ : ٦١ وما بعدها ، وانظر تكملة بروكلمان ١ : ٨٨٠ .
١ ق : ابن إبراهيم ؛ وسقطت « إبراهيم » من المختار ؛ بر من : يعرف بعسكر الحموي .
٢ ر : وولد له .
٣ ر : ومن اللغة .
٤ كيش : جزيرة في الخليج العربي .
٥ ق ع بر من : مدة مدينة .

شيئاً من كتب الخوارج ، فاشتبك^١ في ذهنه منه طرف قوي ، وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد في بعض أسواقها ، وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه ، وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره علياً ، رضي الله عنه ، بما لا يسوغ ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه ، فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً بعد أن بلغت القضية إلى وادي البلد ، فطلبه فلم يقدر عليه ، ووصل إلى حلب خائفاً يترقب ، وخرج عنها في العشر الأول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وتوصل إلى الموصل . ثم انتقل إلى إربل وسلك منها إلى خراسان وتحامى دخول بغداد ، لأن المناظر له بدمشق كان بغدادياً ، وخشي أن ينقل قوله فيقتل . فلما انتهى إلى خراسان أقام بها يتجر في بلادها ، واستوطن مدينة مروّ مدة ، وخرج عنها إلى نسا ومضى إلى خوارزم ، وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر ، وذلك في سنة ست عشرة وستمائة ، فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه ، وقاسى في طريقه من المضايقة^٢ والتعب ما كان يكمل عن شرحه إذا ذكره ، ووصل إلى الموصل وقد تقطعت به الأسباب ، وأعوذه ذنئ المآكل وخشنُ الثياب ، وأقام بالموصل مدة مديدة^٣ ، ثم انتقل إلى سنجار وارتحل منها إلى حلب ، وأقام بظاها في الخان ، إلى أن مات في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ونقلت من « تاريخ إربل » الذي عني بجمعه أبو البركات ابن المستوفي - المقدم ذكره - أن ياقوتاً المذكور قدم إربل في رجب سنة سبع عشرة وستمائة ، وكان مقيماً بخوارزم ، وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه .

وكان قد تتبع التواريخ ، وصنف كتاباً سماه « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » يدخل في أربعة جلود^٤ كبار ، ذكر في أوله قال^٥ : « وجمعت في هذا

١ ق : فتشكل ؛ ع : فاستبد .

٢ ع بر من : الضائقة .

٤ ق ن ر بر من : أربع مجلدات .

٥ انظر معجم الأدباء ١ : ٤٨ .

الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين ، والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين. والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً أو جمع فيه تأليفاً ، مع إثارة الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات ، وتبيين المواليذ والأوقات ، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم ، والإخبار بأنسابهم وشيء من أشعارهم^١ ، في تردادي إلى البلاد ومخالطتي للعباد ، وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله ، مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة ، إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع ، وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم ، والمرجوع في صحة النقل إليهم .

ثم ذكر أنه جمع كتاباً في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء . ومن تصانيفه أيضاً كتاب « معجم البلدان » وكتاب « معجم الشعراء » وكتاب « معجم الأدباء »^٢ وكتاب « المشترك وضعاً المختلف صقلاً » وهو من الكتب النافعة ، وكتاب « المبدأ والمآل » في التاريخ ، وكتاب « الدول » و « مجموع كلام أبي علي الفارسي » و « عنوان كتاب الأغاني » ، و « المقتضب في النسب » يذكر فيه أنساب العرب ، وكتاب « أخبار المتنبي » .

وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف .

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الواحد الشيباني القفطي ، وزير صاحب حلب كان رحمه الله تعالى ، في كتابه^٣ الذي سماه « إنباه الرواة على أنباه النحاة » أن ياقوتاً المذكور كتب إليه رسالة من الموصل عند وصوله إليها هارباً من التتر ، يصف فيها حاله وما جرى له معهم ، وهي بعد البسمة والحمدلة : « كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة ، حين

١ أسقط المؤلف هنا بعض العبارات .

٢ هذا يوهم أنه كتاب آخر غير « ارشاد الألباء » الذي نقل المؤلف جانباً من مقدمته ، أعلاه .

٣ ر : الكتاب .

وصوله من خوارزم طريد التتر ، أبادهم الله تعالى ؛ إلى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني ، ثم التيمي تيم بني شيان بن ثعلبة بن عكابة ، أسنخ الله عليه ظله ، وأعلى في درج السيادة محله ، وهو يومئذ وزير صاحب^١ حلب والعواصم ، شرحاً لأحوال خراسان وأحواله ، وإيماء إلى بدء أمره بعد ما فارقه ومآله ، وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف إعظاماً وتهيباً ، وفراراً من قصورها عن طوله وتجنباً ، إلى أن وقف عليها جماعة من منتحلي النظم^٢ والنثر ، فوجدهم مسارعين إلى كتبها ، متهافتين على نقلها ؛ وما يشك أن محاسن مالك الرق حلتها ، وفي أعلى درج الإحسان أحلتها ، فشجعه ذلك على عرضها على مولاه ، وللآراء علوها في تصفحها ، والصفح عن زللها ، فليس كل من لمس درهماً صيرفياً ، ولا كل من اقتنى درهماً جوهرياً . وها هي ذه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أدام الله على العلم وأهليه ، والإسلام وبنيه ، ما سوغهم وحباهم ، ومنحهم وأعطاهم ، من سبوغ ظل المولى الوزير ، أعز الله أنصاره ، وضاعف مجده واقتداره ، ونصر ألويته وأعلامه ، وأجرى بإجراء الأرزاق في الآفاق أعلامه ، وأطال بقاه ، ورفع إلى عليين علاه ، في نعمة لا يبلى جديدها ، ولا يحصى عددها ولا عديدها ، ولا ينتهي إلى غاية مديدها ، ولا يُفصل حددها ولا حديدها ، ولا يقلل وادها ولا وديدها ، وأدام دولته للدنيا والدين يلم^٣ شعثه ، ويهزم كثرته ، ويرفع مناره ، ويحسن بحسن أثره آثاره ، ويفتق نوره وأزهاره ، وينير نواره ، ويضاعف أنواره ، وأسنخ^٤ ظله للعلوم وأهليها ، والآداب ومنتحليها ، والفضائل وحاملها ، يشيد بمشيد فضله بنيانها ، ويرصع بناصع مجده تيجانها ، ويروض بيانع علائق زمانها ، ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية^٥ شأنها ، ويمكن في أعلى درج الاستحقاق إمكانها ومكانها ،

١ صاحب : سقطت من ص ؛ بر : لصاحب .

٢ بر من : صناعة النظم .

٣ ع ق بر من : يرم .

٤ ر : ويسنخ .

٥ بين البرية : سقطت من ر .

ويرفع^١ بنفاذ الأمر قدره للدول الإسلامية والقواعد الدينية ، يسوس قواعدها ، ويعز مساعدها ، ويبين معاندها ، ويعضد بحسن الإيالة معاضدها ، وينهج^٢ بجميل المقاصد مقاصدها ، حتى تعود بحسن تديره غرة^٣ في جبهة الزمان ، وسنة يقتدي بها من طبع على العدل والإحسان ، يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجليدان ، وما أشرفت من الشرق شمس ، وارتاحت إلى مناجاة حضرته الباهرة نفس .

« وبعد ، فالمملوك ينهي إلى المقر العالي المولوي ، والمحل الأكرم العلي - أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السؤل ، واضحة الغرر بادية الحجول - ما هو مكثف بالأريحية المولوية عن تبيانه ، مستغن بما منحتها من صفاء الآراء عن إمضاء^٣ قلمه لإيضاحه وبيانه ، قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين ، وإن من أمتي لمكلمين ، وهو شرح ما يعتقد من الولاء ، ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء ، قد كفته تلك الألمية ، عن إظهار المشتبه بالملق مما تجته الطوية ، لأن دلائل غلو المملوك في دين ولائه في الآفاق واضحة ، وطبعة سكة^٤ إخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة ، وإيمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق حتى أصبح بها بناء المكارم متين ، وتلاوته لأحاديث المجد القريبة الأسانيد بالمشاهدة لديه مبين ، ودعاء أهل الآفاق إلى المغلاة في الإيمان بإمامة فضله الذي تلقاه باليمين ، وتصديقه بلمة سؤدده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم متبده بعرق الجبين ، حتى لقد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع إليها السبيل ، ويقتصر بقصدها على ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل ، فإن لكل منهم حظاً يستمده ، ونصيلاً يستعد به ويعتده ، فللعظماء الشرف الضخم من معينه ، وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه ، وللفقراء توقيع الأمان من نواب الدهر وغض جفونه ،

١ ع ق ن بر من : ورفع .

٢ ن بر من : وينهج .

٣ ع ق : إنضاء .

٤ ص ن ر ع ق : وطبعه في سكة .

وفرضوا من مناسكه للجبهة^١ الشريفة السلام والتبجيل ، وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل ، وقد شهد الله تعالى للمملوك أنه في سفره وحضره ، وسره وعلنه^٢ وخبره ونخبه ، شعاره^٣ تعطير^٤ مجالس الفضلاء ، ومحافل العلماء بفوائد حضرته ، والفضائل المستفادة من فضلته ، افتخاراً بذلك بين الأنام ، وتطريزاً لما يأتي به في أثناء الكلام :

إذا أنا شَرَفْتُ الْوَرَى بِقِصَائِدِي عَلَى طَمَعٍ شَرَفْتُ شِعْرِي بِذِكْرِهِ

﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لَا تَمَنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات : ١٧) لا حرمانا الله معاشر أوليائه مواد فضائله المتتالية ، ولا أخلاقنا كافة عبوده من أياديه المتوالية ، اللهم رب الأرض المدحجية ، والسموات العلية ، والبحار المسجرة ، والرياح المسخرة^٣ ، اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلغنا في معاليه ، ما نؤمله ونرتجيه ، بمحمد النبي وصحبه وذويه .

وقد كان المملوك لما فارق الجناح الشريف ، وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف ، أراد استعتاب الدهر الكالغ ، واستدراخ خليف الزمن الغشوم الجامح ، اغتراراً بأن في الحركة بركة ، والاغتراب داعية الاكتساب ، والمقام على الإقتار ذل واسقام^٤ ، وحلس البيت ، في المحافل سُكِّيت :

وقفتُ وقوفَ الشكِّ ثم استمرَّ بي يقيني بأن الموتَ خيرٌ من الفقرِ
فودَّعتُ من أهلي وبالقلب^٥ ما به وسرتُ عن الأوطان في طلب اليسر
وباكية للبينِ قلتُ لها اصبري فللموتِ خير من حياة على عسر^٦

١ للجبهة : سقطت من ص .

٢ ص ر : وعلنه وسره .

٣ بر : والبحار المسخرة والرياح المبشرة .

٤ في أكثر النسخ : وانتقام .

٥ ق ن : وفي القلب .

٦ ر : العسر .

سَأَكْسِبُ مَالاً أَوْ أَمُوتَ بِلِدَةٍ يَقلُ بِهَا فَيُضِنُّ الدَّموعَ عَلى قَبري
فَامتطى غَارب الأملِ إلى الغَربة ، وركبَ مركبَ التَطوافِ مع كلِّ صَحبَةٍ ،
قَاطِعاً الأَغوَارَ والأَنجادَ ، حَتى بَلَغَ السدَّ أو كَادَ ، فلم يُصَحِّبْ لَهُ دَهره الحَرونَ ،
ولا رَقَ لَهُ زَمانه المَفتونَ :

إنَّ اللِيايَـةَ والأَيامَ لو سَئلتُ عَن عَيبِ أَنفِـسِها لم تَـكتمُ الحَـبِرا
فَكَأنتَ في جَـفنِ الدَهرِ قَـدى ، أو في حَلقِـه شَـجاءَ ، يَدافعُه نيلَ الأَمَـنيةِ ، حَتى أُسَلِمه
إلى رَـبقةِ المَـنيةِ :

لا يَـستقرُّ بأَرْضٍ أو يَـسيرُ إلى أُخـرى بِشَـخْصٍ ١ قَـريبِ عَـزمِـه نائِـي
يوماً بِجَـزوى وِيوماً بِالعَـقيقِ وِيوماً بِالعَـذِيبِ وِيوماً بِالخَـليصِـاءِ
وَتارَةً يَـنتحى نَـجداً وآوَنَةً شَـعبِ الحَـزونِ وِحيناً قَـصرَ تِـماءِ

وهِياتَ مع حَـرِفةِ الأَدبِ ، بِلوِغِ وطَرِ أو إدراكِ أَرَبِ ، ومع عَـبوسِ الحَـظِ ،
ابتِسامِ الدَهرِ الفَـظِ . ولم أزلُ معَ الزَمانِ في تَـفَـنيدِ عَـتابِ ، حَتى رَـضيتَ مِن
الغَـنِـمَةِ بالإِـيابِ ، والمَـملوكِ معَ ذلكَ يَدافعُ الأَـيامَ وِيزجِـيها ، وِيعَللُ المَـعِيشَةَ
وِيرجِـيها ، مَـتَـنَعاً ٢ بِالقَـنَـاعَةِ والعَـفَافِ ، مَـشَـتَـملاً بِالنَـزاهَةِ والكِـفَافِ ، غَـيرَ رَاضِ
بِذلكَ السَـمَلِ ، وَلَـكِن مَـكرهَ أَـخاكِ ٣ لا بَطَلَ ، مَـتَـسَـلياً بِإِـخوانِ قَد ارْتَضَى
خَـلائِقَـهم ، وَأَمِنَ بوَاقِـعِهم ، عاشَـرَهم بِالأَـلِطافِ ، ورَضِيَ مِنهم بِالـكِـفَافِ ،
لا خَـيرَهم يَـرتَـجى ، ولا شَـرَهم يَـتَـقَى :

إنَّ كانَ لا بَدَ مِن أَهلِ وَمِنَ وِطَنِ فَـحِـثَ آمَنَ مِن أَلقى وِياَمَـنِـي
قَد زَمَ نَـفِـسَه أَن يَـستَـعَـمِلَ طَـرَفاً طَـماحاً ، وَأَن يَـركبَ طَـرَفاً جَـماحاً ٤ ، وَأَن

١ ر ص : لِشَخْصٍ .

٢ ع : مَـتَـلَـفَافاً ؛ ق : مَـتَـلَـفَافاً .

٣ ن : أَـخوكِ .

٤ ق ع ص : سَـحاـحاً .

يلحفَ بيض طمع جناحا ، وأن يستقدح زنداً واريأاً أو شحاحا :

وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقاتل ما عشتُ يوماً أسار الجند أم رحل الأمير

وكان المقام بمرور الشاهجان ، المفسر عندهم بنفس السلطان ، فوجد بها من كتب العلوم والآداب ، وصحائف أولى الأفهام والألباب ، ما شغله عن الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفي وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية نفسه المفقودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وقابلها بمقام لا مزمع عنها ولا محيص^١ ، فجعل يرتع في حدائقها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها ، ويسرح طرفه في طرفها ، ويتلذذ بمسوطها ونتفها ، واعتقد المقام بذلك الجناب ، إلى أن يجاور التراب :

إذا ما الدهرُ بيّتي بجيشٍ طليعته اغتنامٌ واغترابٌ
شنتُ عليه من جهتي كميناً أميراه الذبالة والكتاب
وبت أنصّ من شيم الليالي عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو همومي مستريحاً كما جلتى همومهم الشراب

إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب ، والويل المبير والتهاب ، وكانت لعمر الله بلاداً مونة الأرجاء ، رائقة الأنحاء ، ذات رياض أريضة ، وأهوية صحيحة مريضة ، قد تغنت أطيارها ، فتمايلت طرباً أشجارها ، وبكت أنهارها ، فتضاحكت أزهارها ، وطاب رَوْح نسيمها ، فصح مزاج إقليمها ، ولعهدي بتلك الرياض الأنيقة ، والأشجار المتهدلة الوريقة ، وقد ساقت إليها أرواح الجنائب ، زقاقَ خمر السحائب ، فسقت مروجها مدامَ الطل ، فنشأ على أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحل^٢ ، فلما رويت من تلك^٢ الصهباء أشجاره ، رنحها من النسيم خماره ، فتدانت ولا تداني المحيين ، وتعانقت ولا عناق

١ ن ق ع ص بر من : لا يزمع عنها معه محيص .

٢ تلك : سقطت من ص ن .

العاشقين ، يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل^١ ، فشابه شفقي غادتين دننا للتقبيل ، وربما اشبهه على التحريير بائتلاف الحمر^٢ ، وقد انتابه رشاش القطر ، ويريه^٣ بهاراً يبهر ناضره ، فيرتاح إليه ناظره ، كأنه صنوج من العسجد ، أو دنانير من الإبريز تنقد^٤ ، ويتخلل ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عض خد عاشق ، فلهـ درها من نزهة رامت ولون وامق ، وجملة أمرها أنها كانت أتمودج الجنة بلا مين ، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين ، قد اشتملت عليها المكارم ، وارجحت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم ، فكم فيها من حبر راق حبره ، ومن إمام توّجت حياة الإسلام سيره ، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة ، فما من متين^٥ علم وقويم رأي إلا ومن شرقيهم مطلع ، ولا من مغربة فضل إلا وعندهم مغربه وإليهم منزعه ، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم ، ولا إعراق^٦ في طيب أعراق إلا اجتليته من معانيهم ، أطفاهم رجال ، وشبابهم أبطال ، ومشايخهم أبدال ، شواهد مناقبهم باهرة ، ودلائل مجدهم ظاهرة ، ومن العجب العجائب^٧ أن سلطانهم المالك ، هان عليه ترك تلك الممالك ، وقال لنفسه الهوى لك ، وإلا فأنت في الهوالك ، وأجفل لإجفال الرال ، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً بل رجال ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنّاتٍ وَعَيْونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْيَبُوا ﴾ (الدخان : ٢٦) لكنه عز وجل لم يورثها قوماً آخرين ، تنزيهاً لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين ، بل ابتلاهم فوجدتهم شاكرين ، وبلاهم فألفاهم صابرين ، فألحقهم بالشهداء الأبرار ، ورفعهم إلى درجات

١ ر : العليل .

٢ ع ق : بائتلاف الحمر .

٣ ق ع ن : ويريك .

٤ ع ن ق ص : تبرق .

٥ ن بر من : ميين .

٦ ن ر : إغراق .

٧ ن : ومن العجائب .

المصطفين الأخيار ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٦) فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد ، وتحكم في تلك الأبشار أولو الزينج والعناد^١ ، فأصبحت تلك القصور ، كالمحوّ من السطور ، وأمست^٢ تلك الأوطان ، مأوى الأصدقاء والغربان ، تتجاوب في نواحيها البوم ، وتتناوح في أرجائها^٣ الريح السموم ، ويستوحش فيها الأنيس ، ويرثي لمصابها إبليس :
كأن لم يكن فيها أوانس كالدُمى وأقيالُ ملك في بسالتهم أسدُ
فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر ، وتهدم العمر ، وتفت في العضد ، وتوهي الجلد ، وتضاعف الكمد ، وتشيب الوليد ، وتنخب لب الجليد ، وتسود القلب ، وتذهل اللب ، فحينئذ تهقر المملوك على عقبه^٤ ناكساً ، ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيساً ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب عازب ، وحلم غائب ، وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار ، وابتلاء واصطبار ، وتمحيص الأوزار ، وإشراف غير مرّة على البوار والتبار ، لأنّه مرّ بين سيوف مسلولة ، وعساكر مفلولة ، ونظام عقود محلولة ، ودماء مسكوبة مطلولة ، وكان شعاره كلما علا قنبا ، أو قطع سببا ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (الكهف : ٦٢) فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد ، وأولانا نعماً تفوت الحصر والعد . وجملة الأمر أنّه لولا فسحة في الأجل ، لعز أن يقال سلم البائس أو وصل ، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون ، وألحق بألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار

١ ن : والأفك والعناد .

٢ ق ع ن بر من : وآصت .

٣ ع بر من : أرجائها .

٤ ن ق : عقبه .

أو يزيدون ، وخلف خلفه جل ذخيرته ، ومستمد معيسته :

تنكر لي دهري ولم يدر أنني أعزُّ وأحداثُ الزمان تهونُ
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

وبعد ، فليس للملوك ما يسلي به خاطره ، ويعزي به قلبه وناظره ، إلا
التعلل بإزاحة العلل ، إذا هو بالحضرة الشريفة مثَّل^١ :

فاسلم ودم وتملَّ العيش في دعة ففي بقائك ما يسلي عن السلف
فأنت للمجد روحٌ والورى جسد وأنت درٌّ فلا تأسى على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم ، يعالج لما حَزَبَه من هذا الأمر المقعد المقيم ،
يزجي وقته ، ويمارس حرفته ، ويخته يكاد يقول له باللسان القويم ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ
لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف : ٩٥) يذيب نفسه في تحصيل أغراض ،
هي لعمر الله أغراض ، من صحف يكتبها ، وأوراق يستصحبها ، نَصَبَهُ فيها
طويل ، واستمتاعه بها قليل ، ثم الرحيل ، وقد عزم بعد قضاء نهمته ، وبلوغ
بعض وطر قرونته ، أن يستمد التوفيق ، ويركب سنن الطريق ، عساه أن
يبلغ أمثيه ، من المثول بالحضرة ، وإتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ، ويلقى
عصا الترحال بفنائها الفسيح ، ويقوم تحت ظل كنفها إلى أن يصادفه^٢ الأجل
المريح ، وينظم نفسه في سلك مماليكها بحضرتها ، كما يتسمي إليها في غيبتها ،
إن مدت السعادة بضبعه ، وسمح له^٣ الدهر بعد الخفض برفعه ، فقد ضعفت
قواه عن درك الآمال ، وعجز عن معاركة الزمان والنزال ، إذ ضمت البسيطة
إخوانه ، وحجب الحديدان أقرانه ، ونزل المشيب بعذاره ، وضعفت منه
أوطاره ، وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه ، وأكب نهار الحلم
على ليل الجهل فوقه ، وتبدلت محاسنه عند أحبابه مساوي وخصصه ، واستعاض

١ ر : مثل وقال .

٢ ر : يصادف .

٣ ع : لين .

من حلة الشباب القشيب ، خلق الكبير والمشيب :

وشباب بان مني وانقضى قبل أن أقضيَ منه أربي
ما أرجي بعده إلا الفنا ضيق الشيب عليّ مطلي

ولقد نذب المملوك أيام الشباب بهذه الأبيات ، وما أقل غناء الباكي على
من عد في الرفات :

تنكر لي مذ شبت دهري وأصبحت معارفه عندي من النكرات
إذا ذكرتها النفس حنت صبايةً وجادت شؤونُ العين بالعبّرات
إلى أن أتى دهرٌ يحسن ما مضى ويوسعي تذكّاره حشرات
فكيف ولما يبق من كأس مشربي سوى جرّع في قعره كدرات
وكلُّ إناء صفوه في ابتدائه وفي القعر مزجا حماةٍ وقداة

والمملوك يتيقن أنه لا ينفق هذا الهذر الذي مضى ، إلا النظر إليه بعين الرضا ،
ولرأي المولى الوزير الصاحب ، كهف الورى في المشارق^١ والمغرب ، فيما
يلاحظه منه بعادة مجده ، مزيد مناقب ومراتب ، والسلام .

ولقد طالّت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ، ولم يمكن قطعها .
وقال صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي في كتاب « عقود الجمان »^٢ :
أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي صاحب
« تاريخ بغداد » قال : أنشدني ياقوت المذكور لنفسه في غلام تركي قد رمدت
عينه وعليها وقاية سوداء :

ومولّد للترك تحسب وجهه بدرأ يضيء سناه بالإشراق
أرخی على عينيه فضل وقاية ليردّ فتنتها عن العشاق

١ ع ق بر من : بالمشارق .

٢ ترجمة ياقوت في الجزء التاسع من عقود الجمان ، الورقة : ٣٣٧ ؛ وقد سقط النقل عن ابن الشعار
من : بر من .

تالله لو أن السوايف دونها نفذت فهل لوقايةٍ من واق

وكانت ولادة ياقوت المذكور في سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ،
ببلاد الروم ، هكذا قاله . وتوفي يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست
وعشرين وستمائة ، في الخان بظاهر مدينة حلب ، حسبما قدمنا ذكره في أول
الترجمة ، رحمه الله تعالى .

وكان قد وقف كتبه على مسجد الزبيدي الذي بدرب دينار ببغداد ، وسلمها
إلى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ الكبير ، فحملها
إلى هناك . ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمي نفسه « يعقوب » .
وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته ، وذلك عقيب
موته ، والناس يشنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ، ولم يقدر لي الاجتماع به .

٧٩١

الحافظ ابن معين

أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري
البغدادي ، الحافظ المشهور ، كان إماماً عالماً حافظاً متقناً ، قيل إنّه من قرية
نحو الأنبار تسمى نَقْيَاي^١ . وكان أبوه كاتباً لعبد الله بن مالك ، وقيل إنّه كان
على خراج الري فمات ، فخلف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين
ألف درهم ، فأنتق جميع المال على الحديث حتى لم يبق له نعل^٢ يلبسه .
وسئل يحيى المذكور : كم كتبت من الحديث ؟ فقال : كتبت بيدي

٧٩١ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ١٧٧ وتذكرة الحفاظ : ٢٩٤ وتهذيب التهذيب ١١ : ٢٨٠
وطبقات الخنابلة : ٢٦٨ وعبر الذهبي ١ : ٤١٥ وميزان الاعتدال ٤ : ٤١٠ ومرآة الختان
٢ : ١٠٨ والشذرات ٢ : ٧٩ وقد وردت هذه الترجمة في ع متأخرة عن موضعها .
١ في الأصول : نقيا ، ولكن الضبط يثبت فيها الباء في آخر الترجمة .

هذه ستمائة ألف حديث ، وقال راوي هذا الخبر ، وهو أحمد بن عقبة :
وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف . وخلف
من الكتب مائة قمطر وثلاثين قمطراً وأربعة حباب شراية مملوءة كتباً ، وهو
صاحب الجرح والتعديل . وروى عنه الحديث كبار الأئمة منهم : أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو داود
السجستاني وغيرهم من الحفاظ ؛ وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل ، رضي
الله عنه ، من الصحبة والألفة والاشترار في الاشتغال بعلوم الحديث ما هو
مشهور^١ ، ولا حاجة إلى الإطالة فيه ، وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من
أقرانه .

وقال علي بن المديني : انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير وقتادة ،
وعلم الكوفة إلى أبي إسحاق والأعمش ، وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب
وعمر بن دينار ، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة
وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبي عوانة ، ومن أهل الكوفة إلى سفیان الثوري
وسفيان بن عيينة ، ومن أهل الحجاز إلى مالك بن أنس ، ومن أهل الشام إلى
الأوزاعي ، وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق وهشيم ويحيى بن سعيد
وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علماً ، وابن مهدي
ويحيى بن آدم ، وصار علم هؤلاء جميعاً إلى يحيى بن معين^٢ .

وقال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو
بحديث . وكان يقول : صاحبنا رجل^٣ خلقه الله لهذا الشأن ، يظهر كذب
الكذابين ، يعني يحيى بن معين .

وقال ابن الرومي : ما سمعت أحداً قط يقول الحق في المشايخ ، غير يحيى
ابن معين ، وغيره كان يتحامل بالقول .

١ علق بهامش المختار عند هذا الموضع : « ثم هجره لما ظهر له أنه أرضى القائلين بخلق القرآن ، ثم
اعتذر إليه . . . الخ » وهو بخط غير خط المؤلف .

٢ تزجم المؤلف لأكثر هؤلاء ، وهم من مشاهير أهل الحديث ، فتطلب تراجمهم في مظانها .

٣ رجل : سقطت من ص ن .

وقال يحيى : ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته عليه وأحبت أن أبين أمره ، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ، ولكن أبن له خطاه^١ فيما بيني وبينه ، فإن قبل ذلك وإلا تركته .
 وكان يقول : كتبنا عن الكذابين ، وسجّرنا به التنور ، وأخرجنا به خبزاً نضيجاً ؛ وكان ينشد :

المالُ يذهب حِلُّهُ وحرامه طراً وتبقى في غد آثامه
 ليس التقيُّ بمتقٍ لإلهه حتى يطيبَ شرابه وطعامه
 ويطيبَ ما يحوي وتكسب كفه ويكون في حسن الحديث كلامه
 نطق النبي لنا به عن ربّه فعلى النبي صلّاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وقد سبق في ترجمة الشافعي خبره معه ، وما جرى بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل في ذلك ، وسمع أيضاً من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة .
 وكان يحج فيذهب إلى مكة على المدينة ويرجع إلى المدينة ، فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ، ورجع على المدينة فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه ، فباتوا فرأى في النوم هاتفاً يهتف به : يا أبا زكريا ، أترغب عن جواري ؟ فلما أصبح قال لرفقائه : امضوا فإنّي راجع إلى المدينة ، فمضوا ورجع ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم مات فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، هكذا قاله الخطيب في « تاريخ بغداد » وهو غلط قطعاً ، لما تقدم ذكره ، وهو أنّه خرج إلى مكة للحج^٢ ، ثم رجع إلى المدينة ومات بها ، ومن يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذي القعدة من تلك السنة ؟ فلو ذكر أنّه توفي في ذي الحجة لأمكن . وكان يحتمل أن يكون هذا غلطاً من الناسخ ، لكنني وجدته في

١ وما استقبلت . . . خطاه : سقط من المختار وع ق .

٢ للحج : سقطت من ق ع .

نسختين على هذه الصورة ، فيبعد أن يكون من الناسخ ، والله أعلم . ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح أنه مات قبل أن يحج ، وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة .

ثم نظرت في كتاب «الإرشاد» في معرفة علماء الحديث» - تأليف أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل الخليلي الحافظ - أن يحيى ابن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة ، فعلى هذا يكون قد حج ؛ وذكر الخطيب أيضاً أن مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ، ثم قال بعد ذكر وفاته : إنه بلغ سبعاً وسبعين سنة إلا عشرة أيام ، وهذا أيضاً لا يصح من جهة الحساب فتأمله . ورأيت في بعض التواريخ أنه عاش خمساً وسبعين سنة ، والله أعلم بالصواب ، وصلى عليه والي المدينة ، ثم صلي عليه مراراً ودفن بالبقيع ، وكان بين يدي جنازته رجل ينادي : هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورثاه بعض المحدثين فقال :

ذهب العليم بعيب كل محدثٍ وبكلٍ مختلفٍ من الإسنادِ
وبكلٍ وهم في الحديث ومشكلٍ يعيا به علماء كل بلاد

رضي الله عنه .

ومعين : بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

وبسْطام : بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعده الألف ميم ؛ والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

ورأيت في بعض التواريخ أنه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام مولى الجعيد بن عبد الرحمن الغطفاني المري أمير خراسان من قبل هشام ابن عبد الملك الأموي ، والأول أشهر وأصح ، أعني النسب .
والمري : بضم الميم وتشديد الراء ، هذه النسبة إلى مرة غطفان ، وهو مرة

١ ص ر ن ق ع : الإشارة .

ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة ، وفي العرب عدة قبائل تنسب إليها يقال لكل واحدة منها مرة وأما نقيباي^١ فقال ابن السمعاني في كتاب « الأنساب » إنها بفتح النون وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان وبعد الألف ياء ثانية ، وهي من قرى الأنبار منها يحيى بن معين النقيابي ، قال الخطيب : ويقال إن فرعون كان من أهل هذه القرية ، والله أعلم .

٧٩٢

يحيى بن يحيى الليثي

أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن سِلاس - وقيل وسلاسن - ابن شمّال بن منغايا الليثي ؛ أصله من البربر من قبيلة يقال لها مَصْمُودة ، تولى بني ليث فنسب إليهم ، وجده كثير يكنى أبا عيسى ، وهو الداخِل إلى الأندلس ، وسكن قرطبة ، وسمع بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون^٢ القرطبي « موطأ » مالك بن أنس رضي الله عنه ، وسمع من يحيى ابن مضر القيسي الأندلسي . ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك بن أنس « الموطأ » غير أبواب في كتاب الاعتكاف ، شك في

١ ع ق : نقيبا .

٧٩٢ - ترجمته في تاريخ ابن الفرضي : ٤٤ والجذوة : ٣٥٩ والمغرب ١ : ١٦٣ والديباج المذهب : ٣٥٠ ونفع الطيب ٢ : ٩ (وانظر ١ : ٣٣٩ والحاشية) وعبر الذهبي ١ : ٤١٩ وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٠٠ ومرآة الجنان ٢ : ١١٣ والانتقاء : ٥٨ وترتيب المدارك ١ : ٥٣٤ وطبقات الشيرازي : ١٥٢ .

٢ هو بالشين في أكثر المصادر مثل النفع ٢ : ٤٥ وقضاة الحشني : ١٤ والمرقبة العليا : ١٢ وابن الفرضي ١ : ١٨٢ والجذوة : ٢٠٣ ، لكنه ورد بالسين في معظم الأصول الخطية من كتاب ابن خلكان .

سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد ؛ وسمع بمكة من سفيان بن عيينة ،
 وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ، وتفقه
 بالمدينين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له ،
 وكان مالك يسميه عاقل الأندلس ، وسبب ذلك فيما يروى^١ أنه كان في مجلس
 مالك مع جماعة من أصحابه ، فقال قائل قد حضر الفيل ، فخرج أصحاب مالك
 كلهم لينظروا إليه ، ولم يخرج يحيى ، فقال له مالك : ما لك لا تخرج فتراه
 لأنه لا يكون بالأندلس ؟ فقال : إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من
 هديك وعلمك ، ولم أجيء لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك وسمّاه عاقل
 أهل^٢ الأندلس .

ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة بها ، وبه انتشر مذهب
 مالك في تلك البلاد ، وتفقه به جماعة لا يحصون عدداً وروى عنه خلق كثير ،
 وأشهر روايات «الموطأ» وأحسنها رواية يحيى المذكور . وكان مع إمامته ودينه
 معظماً عند الأمراء مكيناً ، عفيفاً عن الولايات متنزهاً ، جلت رتبته عن القضاء ،
 فكان أعلى قدراً من القضاة عند ولاة الأمر هناك لزهده في القضاء وامتناعه منه .
 قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي – المقدم ذكره^٣ – :
 مذهبنا انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ، فإنه
 لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة – وسيأتي ذكره إن
 شاء الله تعالى – كانت القضاة من قبيله ، فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى
 المشرق إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه والمنتسبين إليه وإلى مذهبه ، ومذهب مالك
 ابن أنس عندنا في بلاد الأندلس ، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان
 مقبول القول في القضاة ، فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته
 واختياره ، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع إلى

١ ع ق بر من : روي .

٢ أهل : سقطت من ر .

٣ انظر ج ٣ : ٣٢٥ وقد نقل صاحب النفع هذا النص ، كما نقل كثيراً من هذه الترجمة عن ابن
 خلكان .

الدنيا ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به ، على أن يجيبى بن يجيبى لم يل قضاء قط ولا أجاب إليه ، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم وداعياً إلى قبول رأيه لديهم .

وحكى أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال: كتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي المعروف بالربضي صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه ، فأتوا^١ إلى القصر ، وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حباً شديداً ، فعبث بها ، ولم يملك نفسه أن وقع عليها ، ثم ندم ندماً شديداً ، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته ، فقال يجيبى بن يجيبى : يكفر^٢ ذلك بصوم شهرين متتابعين ، فلما بدر يجيبى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى : ما لك لم تفته بمذهب مالك ، فعنده أنه مخير بين العتق والطعام والصيام ؟ فقال : لو فتحنا له^٣ هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور^٤ لثلاثا يعود .

ولما انفصل يجيبى عن مالك ليعود إلى بلاده ووصل إلى مصر ، رأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه عن مالك ، فنشط للرجوع^٥ إلى مالك ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه ، فرحل رحلة ثانية ، فألقى مالكا عليلاً ، فأقام عنده إلى أن مات وحضر جنازته ، فعاد إلى ابن القاسم ، وسمع منه سماعه من مالك ، ذكر ذلك أبو الوليد ابن الفرّضي في تاريخه ؛ وذكر أيضاً فيه ما مثاله : وانصرف يجيبى بن يجيبى إلى الأندلس ، فكان إمام وقته ، وواحد بلاده ، وكان رجلاً عاقلاً^٦ . قال محمد بن عمر بن لبابة^٦ : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يجيبى بن يجيبى ؛

١ ن بر من : فأتوه .

٢ ن : تكفر .

٣ ر : فتحت .

٤ ن : على الأصعب .

٥ ن : على الرجوع .

٦ بر من ر والمختار : لبانة .

وكان يحيى ممن اتهم ببعض الأمر في الهيج^١ ، فخرج إلى طليطلة ، ثم استأمن ، فكتب له الأمير الحكم أماناً ، وانصرف إلى قرطبة . وكان أحمد بن خالد يقول : لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس ، منذ دخلها الإسلام ، من الحظوةِ وعظم القدر وجمالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى .

وقال ابن بشكوال في تاريخه : كان يحيى بن يحيى مُجاب الدعوة ، وكان قد أخذ في نفسه وهيبته ومقعده هيئة مالك .

وحكي عنه أنه قال : أخذت ركاب الليث بن سعد ، فأراد غلامه أن يمنعي فقال : دعه ، ثم قال لي الليث : خدمك أهل العلم ، فلم تنزل بي الأيام حتى رأيت ذلك . ثم قال : وتوفي يحيى بن يحيى في رجب سنة أربع وثلثين ومائتين ، وقبره بمقبرة ابن عياش^٢ يستسقى به ، وهذه المقبرة بظاهر قرطبة . وزاد أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » أن وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور ، وقال أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه : إنه توفي سنة ثلاث وثلثين ، وقيل سنة أربع وثلثين في رجب ، والله أعلم بالصواب .

وأما وسّلاس : فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الأولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف ، ويزاد فيه نون فيقال وسلاسن ، ومعناه بالبربرية : يسمعهم . وشمّال : بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الألف لام . ومنغايا : بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الألف ياء معجمة باثنتين من تحتها وبعدها ألف مقصورة ومعناه عندهم : قاتل^٣ هذا ، والله أعلم .

وقد تقدم الكلام على الليثي والبربري ومصمودة ، والله أعلم .

١ يعني حادثة الربض التي ثار فيها أهل قرطبة على الحكم بن هشام سنة ١٩٨ .

٢ كذا في ع ق ن ، ولم تعجم في المختار ، وفي بر : ابن عباس .

٣ ن : قابل ؛ بر : قابل .

يحيى بن أكرم

أبو محمد يحيى بن أكرم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مُشنج ، التميمي الأسيدي المروزي ، من ولد أكرم بن صيفي التميمي حكيم العرب ؛ كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام ، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي ، رضي الله عنه .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد »^١ : كان يحيى بن أكرم سليماً من البدعة ، يتحلل مذهب أهل السنة ، سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما - وقد مر ذكره في ترجمة سفيان وما دار بينهما^٢ - وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره .

وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه^٣ : يحيى بن أكرم أحد أعلام الدنيا ومن قد اشتهر أمره وعرف خبره ، ولم يستتر عن الكبير والصغير^٤ من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك ، واسع العلم بالفقه كثير الأدب حسن العارضة قائم بكل معضلة ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً . وكان المأمون ممن برع في العلوم ، فعرف من حال يحيى بن أكرم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه ،

٧٩٣- ترجمته في أخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ وطبقات الخنابلة ١ : ١٤٠ والجواهر المضية ٢ : ٢١٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢١٧ ، ٣٠٨ وعبر الذهبي ١ : ٤٣٩ ومرآة الجنان ٢ : ١٣٥ وميزان الاعتدال ٤ : ٣٦١ وصفحات متفرقة من تاريخ الطبري وابن الأثير (ج ٦ ، ٧) والعيون والحدائق وثمار القلوب ، والشذرات ٢ : ١٠١ .

١ تاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ .

٢ انظر ج ٢ : ٣٩٢ .

٣ تاريخ بغداد ١٤ : ١٩٧ .

٤ ق ع ن : الصغير والكبير .

حتى قلده قضاء القضاة وتدير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكرم ؛ ولا نعلم أحداً^١ غلب على سلطانه في زمانه ، إلا يحيى بن أكرم ، وأحمد بن أبي دواد .

وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكرم وابن أبي دواد^٢ : أيهما أنبل ؟ فقال : كان أحمد يَجِدُ مع جاريتيه وابنته ، ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه . [وكان يحيى سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة ، بخلاف أحمد بن أبي دواد ، وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة ، وكان يحيى يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال إنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه]^٣ .

وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن الأشنهي^٤ ، الملقب زين الدين ، في كتاب « الفرائض » في آخر المسائل الملقبات وهي الرابعة عشرة المعروفة بالمأمونية ، وهي : أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين وخلفت من في المسألة ، سميت^٥ مأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلاً على القضاء فوصف له يحيى بن أكرم فاستحضره ، فلما حضر دخل عليه ، وكان دميم الخلق ، فاستحقره المأمون لذلك ، فعلم ذلك يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، سكتني إن كان القصد علمي لا خلقتي ، فسأله عن هذه المسألة فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة ، فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة ، فقلده القضاء .

وهذه المسألة إن كان الميت الأول رجلاً تصح المسألتان من أربعة وخمسين ، وإن كانت امرأة لم يرث الجدة في المسألة الثانية شيئاً لأنه أبو أم ، فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهماً .

١ المختار : ولم يعلم أحد .

٢ يتابع النقل عن تاريخ بغداد : ١٩٨ .

٣ انفردت به ربر ، وهو متابع لما في تاريخ الخطيب ، وقد تكرر بعضه .

٤ ترجمة الأشنهي في طبقات الشافعية ٤ : ٢٥٥ .

٥ المختار : وقال سميت .

وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد»^١ أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وستة عشر سنة ونحوها ، فاستصغره أهل البصرة ، فقالوا : كم سن القاضي ؟ فعلم أنه قد استصغر ، فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل اليمن ، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة ، فجعل جوابه احتجاجاً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله إحدى وعشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون ، وكان إسلامه يوم فتح مكة ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحبك وأكون معك ، فقال : أو ما ترضى أن أستعملك على آل الله تعالى ؟ فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال^٢ : وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهداً ، فتقدم إليه أحد الأمناء فقال : أيها القاضي ، قد وقفت الأمور وتريثت الأحوال ، فقال : وما السبب ؟ قال : في ترك القاضي قبول الشهود ، فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهداً .

وقال غير الخطيب : كانت ولاية القاضي يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين . وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة أن يحيى المذكور ولي البصرة بعد إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة^٣ ؛ وذكر عمر بن شبة في كتاب «أخبار البصرة» أن يحيى عزل عن قضاء البصرة في سنة عشرين ومائتين ، وتولى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وحدث محمد بن منصور قال^٤ : كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة ، فقال يحيى بن أكثم لي ولأبي العيناء : بكرا غداً إليه ، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولاً ، وإلا فاسكتا

١ انظر ص : ١٩٩ .

٢ يريد الخطيب ، انظر المصدر السابق .

٣ انظر ج ٢ : ٢٠٥ .

٤ تاريخ بغداد : ١٩٩ .

إلى أن أدخل ، قال : فدخلنا عليه ^١ وهو يَسْتَاك ويقول وهو مغتاظ : مُتَعَتَان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ؛ ومن أنت يا جُعَل ^٢ حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ؟! فأوماً أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال : رجل يقول في عمر بن الخطاب ^٣ ما يقول نكلمه نحن ؟ فأمسكنا ، فجاء يحيى بن أكرم فجلس وجلسنا ، فقال المأمون ليحيى : مالي أراك متغيراً ؟ فقال : هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام ، قال : وما حدث فيه ؟ قال : النداء بتحليل الزنا ، قال : الزنا ؟ قال : نعم ، المتعة زنا ، قال : ومن أين قلت هذا ؟ قال : من كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون : ١-٧) يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين ؟ قال : لا ، قال : فهي الزوجة التي عند الله ترث ، وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها ؟ قال : لا ، قال فقد صار متجاوز هذين من العادين ؛ وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها ، فالتفت إلينا المأمون فقال : أمحفوظ هذا من حديث الزهري ، فقلنا : نعم يا أمير المؤمنين ، رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه ، فقال : أستغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بها ^٤ . قال أبو إسحاق إسماعيل ابن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه المالكي

١ المختار ، ن : إليه ، وكذلك عند الخطيب .

٢ تاريخ بغداد : أحول .

٣ زاد في المختار : رضي الله عنه ، ولم ترد عند الخطيب .

٤ تاريخ بغداد : عن الله ، وسقط من ر .

٥ ن : بادروا . . . فبادروا ؛ ق ع : فبادروا . . . فبادروا .

البصري ، وقد ذكر يحيى بن أكرم ، فعظم أمره وقال : كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله ، وذكر هذا اليوم .

وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب ، فتركها الناس لطولها ، وله كتب في الأصول ، وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب «التنبيه» وبينه ؛ وبين داود بن علي مناظرات كثيرة .

ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال ^١ : أصلح الله القاضي كم أكل ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع ، فقال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك ، قال : فكم أبكي ؟ قال : لا تملّ من البكاء من خشية الله تعالى ، قال : فكم أخفي عملي ؟ قال : ما استطعت ، قال : فكم أظهر منه ؟ قال : مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس ، قال الرجل : سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن .

وكان يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالأمر ؛ رأيت في بعض المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكرم من بعض المستراحات ، فوقف ، فقال له المأمون : اصعد ، فصعد وجلس على طرف السرير معه ، فقال أحمد : يا أمير المؤمنين إن القاضي يحيى صديقي ، وممن أثق به في جميع أموري ، وقد تغير عمّا عهدته منه ، فقال المأمون : يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم ، وما يعدلكما عندي أحد ، فما هذه الوحشة بينكما ؟ فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين والله إنّه ليعلم أنّي له على أكثر ممّا وصف ^٢ ، ولكنّه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له ^٣ يوماً فأقدح فيه عندك ، فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني ، وإنّه والله لو بلغ نهاية مساعتي ما ذكرته بسوء عندك أبداً ، فقال المأمون : أكذلك هو يا أحمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أستعين بالله عليكما ، فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما .

١ تاريخ بغداد : ٢٠٠ .

٢ ع ص ق : يصف .

٣ ر : اعتزله .

ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة إليه الشائعة عنه ، والله أعلم بحاله فيها ؛ وذكر الخطيب في تاريخه ^١ أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به ، فقال : سبحان الله ، سبحان الله ، من يقول هذا ؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً . وذكر عنه ^٢ أيضاً أنه كان يحسد حسداً شديداً ، وكان مفتناً ^٣ ، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث ، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو ، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ، ليقطعه ويخجله ، فدخل إليه رجل من أهل نجراسان ذكي حافظ ، فناظره ، فراه مفتناً ^٤ ، فقال له : نظرت في الحديث ؟ قال : نعم ، قال : ما تحفظ من الأصول ؟ قال : أحفظ عن شريك عن أبي إسحاق عن الحارث أن علياً رضي الله عنه رجم لوطياً ، فأمسك ولم يكلمه .

ثم قال الخطيب أيضاً ^١ : ودخل على يحيى بن أكرم ابنا مسعدة ، وكانا على نهاية الجمال ، فلما رآهما يمشيان في الصحن أنشأ يقول :

يا زائرنا من الحيام حيا كما الله بالسلام
لم تأتاني وبني نهوض^٢ إلى حلال ولا حرام
يخزني أن وقفتما بي وليس عندي سوى الكلام

ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا . ويقال إنه عزل عن الحكم بسبب هذه الأبيات .

ورأيت في بعض المجاميع أن يحيى بن أكرم مازح الحسن بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب ، وهو يومئذ صبي ، فلاعبه ثم جمشه ، فغضب الحسن ، فأنشد يحيى :

أيا قمراً جمشته فتغضبا وأصبح لي من تيهه متجنباً

١ تاريخ بغداد : ١٩٨ .

٢ تاريخ بغداد : ١٩٥ .

٣ تاريخ بغداد : مفتناً .

٤ المصدر نفسه .

إذا كنت للتجميش والعضّ كارهاً فكُنْ أبداً يا سيدي متنقبا
ولا تظْهرِ الأصداغَ للناسِ فتنةً وتجعلَ منها فوقَ خديك عقربا
فتقتلَ مسكيناً وتفتنَ ناسكا وتتركَ قاضي المسلمين معذبا

وقال أحمد بن يونس الضبي : كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى
ابن أكرم القاضي ، وكان غلاماً جميلاً متناهي الجمال ، فقرص القاضي خدّه ،
فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده ، فقال له يحيى : خذ القلم واكتب
ما أملي عليك ، ثم أملى الأبيات المذكورة ، والله أعلم .

وقال إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار^٢ : سمعت أبا العيناء في مجلس
أبي العباس المبرد يقول : كنت في مجلس أبي عاصم النبيل ، وكان أبو بكر ابن
يحيى بن أكرم حاضراً ، فنازع غلاماً فارتفع الصوت ، فقال أبو عاصم : مهيم ؟
فقالوا : هذا أبو بكر بن يحيى بن أكرم ينازع غلاماً ، فقال إن يسرق فقد
سرق أب له من قبل ، هكذا ذكره الخطيب في تاريخه .
وذكر الخطيب أيضاً^٣ في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي
يقول ؟ :

قاضي يري الحدّ في الزناء ولا يرى على من يلوط من باسٍ

قال : أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل ؟ قال : لا ، قال : يقوله الفاجرُ
أحمد بن أبي نعيم الذي يقول :

لا أحسبُ الجور ينقضي وعلى الـ أمةٍ والـ من آلِ عباس

قال : فأفحم المأمون خجلاً ، وقال : ينبغي أن ينفي أحمد بن أبي نعيم إلى
السند ؛ وهذان البيتان من جملة أبيات أولها :

١ ر : ولا ترسل .

٢ تاريخ بغداد : ١٩٧ .

٣ المصدر السابق : ١٩٦ .

أنظني الدهرُ بعد إخراس
يا بُؤسَ الدهر لا يزال كما
لا أفلحتُ أمةٌ وحقّ لها
ترضى بيحيى يكونُ سائسها
قاضي يرى الحد في الزناء ولا
يحكم للأمردِ الغرير على
فالحمد لله كيف قد ذهب الـ
أميرنا يرتشي وحاكنا
لو صلح الدين فاستقام لقد
لا أحسبُ الجورَ ينقضي وعلى الـ

لنائبات أطلن وسواسي
يرفع ناساً يحطُّ من ناس
بطولِ نكسٍ وطول إتعاس
وليس يحيى لها بسواس
يرى على من يلوطُ من باس
مثل جرير^١ ومثل عباس
عدلٌ وقل الوفاء في الناس
يلوط والرأسُ شرٌّ ما راس
قام على الناس كل مقياس
أمةٍ والـ من آل عباس

وظني أنها أكثر من هذا ، ولكن الخطيب لم يذكر إلا هذا القدر .
ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري - المقدم ذكره - أن القاضي
يحيى بن أكرم قال لرجل يأنس به ويمارحه : ما تسمع الناس يقولون في ؟ قال :
ما أسمع إلا خيراً ، قال : ما أسألك^٢ لتزكيني ، قال : أسمعهم يرمون القاضي
بالأبنة ، قال : فضحك وقال : اللهم غفراً ! المشهور عنا^٣ غير هذا .
وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»^٤ ليحيى المذكور وقائع
في هذا الباب ، وأن المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه ، فأخلى له
مجلساً واستدعاه ، وأوصى مملوكاً خزرياً يقف عندهما وحده ، فإذا خرج المأمون
يقف المملوك ولا ينصرف ، وكان المملوك في غاية الحسن ، فلما اجتمعا بالمجلس
وتحدثا قام المأمون كأنه يقضي حاجة فوقف المملوك ، فتجسس المأمون عليهما ،

١ بهامش المختار بخط مختلف : صوابه مثل علي .

٢ ن والمختار : لم أسألك .

٣ ص ع ق : هنا .

٤ هذه الحكاية المنقولة عن ابن الأنباري لم ترد في : بر من .

٥ الأغاني ٢٠ : ٢٢٤ .

وكان قد قرر معه أن يعث بيحيى علماً منه أن يحيى لا يتجاسر عليه خوفاً من المأمون ، فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول : لولا أنتم لكننا مؤمنين ، فدخل المأمون وهو ينشد :

وكننا نرجي أن نرى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوطُ
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وهذان البيتان لأبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب^١ ، وراشد له فيه مقاطيع كثيرة .

وذكر المسعودي في « مروج الذهب »^٢ في ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى في هذا الباب أضربنا عن ذكرها .

ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو وإجابة يحيى بيت آخر من القصيدة ما يروى أن معاوية بن أبي سفيان الأموي^٣ لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل اليأس منه ، دخل عليه بعض أولاد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يعوده ، ولا أستحضر الآن من هو ، فوجده قد استند جالساً يتجلد له لثلا يشتهي به ، فضعف عن القعود فاضطجع وأنشد :

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريب الدهر لا أتضععُ

فقام العلوي من عنده وهو ينشد :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

فعجب الحاضرون من جوابه .

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه^٤ ، وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد ، أصابهم الطاعون .

١ نسبهما في الأغاني لإبراهيم بن أبي محمد الزبيدي ، وهما عند المسعودي لراشد بن إسحاق .

٢ مروج الذهب ٤ : ٢١ وما بعدها .

٣ زاد في المختار : رضي الله عنه ، وهذا لم يجر من المؤلف عند ذكر معاوية .

٤ ديوان الهذليين ١ : ٤ .

وكانوا هاجروا معه إلى مصر ، وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر ، وقيل في طريق إفريقية مع عبد الله بن الزبير .

ثم وجدت في كتاب « فلك المعاني » لابن الهبّارية في الباب التاسع من الكتاب المذكور أن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما دخل على معاوية في علته فقال : أسندوني ، ثم تمثل بيت أبي ذؤيب ، وأنشد البيت المذكور ، فسلم الحسين ثم أنشد البيت الثاني ، والله أعلم . وذكرها أبو بكر ابن داود الظاهري في كتاب « الزهرة » منسوبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، والله أعلم .

قلت : ولم يذكر ابن الهبّارية ولا الظاهري أنه كان في علة الموت ، ولا يمكن ذلك ، لأن الحسن توفي قبل معاوية ، والحسين لم يحضر وفاة معاوية ، لأنه كان بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق .

ثم وجدت في أول كتاب « التعازي »^١ تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة . جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والظاهر أن ابن الهبّارية منه نقلها .

ومثل ذلك أيضاً ما يحكى أن عقيل بن أبي طالب هاجر أخاه علياً رضي الله عنه والتحق بمعاوية ، فبالغ معاوية في بره ، وزاد في إكرامه^٢ إرغاماً لعلي رضي الله عنه ، فلما قتل علي^٣ واستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل ، فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه ، فبينما هو يوماً في مجلس حفل بأهل الشام إذ قال معاوية : أتعرفون أبالهب الذي نزل في حقه قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (المسد : ١) من هو ؟ فقال أهل الشام : لا ، فقال معاوية : هو عم هذا ، وأشار إلى عقيل ، فقال عقيل في الحال : أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها ﴿ وامرأته حمالة الحطّاب في جيدها حَبْلٌ من مَسَدٍ ﴾ (المسد : ٤) من هي ؟ فقالوا : لا ،

١ التعازي ، الورقة : ٢

٢ ر والمختار : في إكرامه وزاد في بره .

٣ ع ق والمختار : واستقر ، وعلق أحدهم بخط مخالفت على هامش المختار : « إنما هي استقل باللام والمؤلف تغلب عليه عاميته رحمه الله وعفا عنه » .

قال : هي عمه هذا ، وأشار إلى معاوية ، وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى ، وهي المشار إليها في هذه السورة ، فكان ذلك من الأجوبة المسكنة^١ .

ويقرب من هذا أيضاً أن بعض الملوك حاصر بعض البلاد ، وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد ، فكتب الملك المحاصر إلى صاحب البلد كتاباً يشير إليه بأنه يسلم البلد إليه ولا يقاتله ، وذكر ما جاء به من الرجال والأموال والآلات ، ومن جملة الكتاب قوله تعالى ﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (النمل : ١٨) فلما وصل الكتاب إلى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال : من يجاوب عن هذا ؟ فقال بعض الكتاب : تكتب إليه : ﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾ (النمل : ١٩) فاستحسن الحاضرون جوابه .

ومثل هذا أيضاً ما حكاه ابن رشيق القيرواني في كتاب « الأنموذج »^٢ وهو أن عبد الله بن إبراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب المهدي الأصل القيرواني البلد الشاعر المشهور ، كان مغرباً بالسياحة وطلب الكيمياء والأحجار ، وكان محروماً مقترأً عليه متلاًفاً إذا أفاد شيئاً ، فخرج مرة يريد جزيرة صقلية ، فأسره الروم في البحر ، وأقام مدة طويلة إلى أن هادن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وبعث إليه بالأسرى ، فكان عبد الله المذكور فيمن بعث ، فامتدح عبد الله المذكور ثقة

١ علق صاحب المختار في هذا الموضع بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ومثل هذا ما روي أن الوليد بن عبد الملك استعمل أخاه مسلمة بن عبد الملك على مصر فتوجه إليها ثم عزله عنها بعد حول ، فلما رجع إلى دمشق خرج الوليد في موكبته لتلقيه فرأى رحل مسلمة وقد تقدمه على ألف بعير ، ولم يكن كذلك عند توجهه إلى مصر ، فقال الوليد لبعض خواصه وأشار إلى الجمال (أيها العير إنكم لسارقون) فلما التقي بمسلمة بلغ مسلمة ما قاله الوليد فالتفت إليه وقال (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) والله أعلم » .

٢ ق ع : النموذج ؛ وانظر مسالك الأبصار ١١ الورقة ٣٤٧ وما بعدها .

الدولة بقصيدة شكره فيها على صنعه ، ورجا صلته ، فلم يصله بشيء أرضاه ، وكانت فيه رغبة ، فتكلم وطلب طلباً شديداً ، وهو مستخف عند بعض من يعرف من أهل صناعته ، وطالت المدة ، فخرج سكران يشترى نقلاً^١ ، فما شعر إلا وقد أخذ^٢ ، وحمله صاحب الشرطة حتى أدخله على ثقة الدولة ، فقال له : ما الذي بلغني يا بائس ؟ قال : المحال أيد الله سيدنا الأمير ، قال : ومن هو الذي يقول في شعره :

فالحر ممتحن بأولاد الزنا

قال : هو الذي يقول :

وعداوة الشعراء بشس المقتنى

فتنمر ساعة ثم أمر له بمائة رباعي^٣ وأخرجه من المدينة كراهية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد أن عفا عنه ، فخرج منها .
وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبي في قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار ، وأولها^٤ :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلننا

وهي من مشاهير قصائده ، وأول العجز الأول :

وأنه المشير عليك في بضلة فالحرُّ ممتحن بأولاد الزنا

وأول العجز الثاني :

ومكايدُ السفهاء واقعة بهم وعداوةُ الشعراء بشس المُقتنى

١ ع ن بر من : بقلا .

٢ ن ر ص : كتف .

٣ الرباعي : وحدة تساوي ربع دينار ، وأحياناً كانت تزيد على ذلك ، وفي بر : بمائة دينار .

٤ ديوان المتنبي : ١٣٨ .

وإذ قد ذكرنا ثقة الدولة^١ المذكور فنذكر قصيدة أبي محمد عبد الله بن محمد^٢ التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة^٣ التي مدحه بها في عيد النحر، وهي قصيدة بديعة لا توجد بكاملها في أيدي الناس، ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب، ولم يكن عندي منها سوى البعض، ولا سمعت أحداً يروي منها إلا ذلك القدر، فأحببت إثباتها لحسنها وغرابتها وهي هذه:

يذيل الهوى دَمْعِي وقلبي المَعْتَفُ	وتَجَنِّي جفوني الوجدَ وهو المكلّفُ
ولمّا لي دعوني إلى ما شنفته	وفارقت مغناه الأغنُ المشنّفُ
وأحور ساجي الطرف أما وشاحه	فصفرُ وأما وَقَفَه فموقّفُ
يطيب أجاج الماء من نحو أرضه	يجيي ويندى ريحه وهو حرجف
وأيأسني من وصله أن دونه	متالفَ تسري الريحُ فيها فتلف
وغيران يجفو النومَ كي لا يرى لنا	إذا نام شملاً في الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا	وغفلته عما مضى يتأسف
وجون بمزن الرعد يستنُّ ودَقَه	يرى برقه كالحية الصل تطرف
كأنّي إذا ما لاح والرعدُ معولٌ	وجفنُ السحاب الجون بالماء يذرف
سليمٌ وصوتُ الرعدِ راقٍ وودقه	كنفثُ الرُقى من سوء ما أتكلف
ذكرتُ به ربا وما كنت ناسياً	فأذكر لكن لوعةً تتضعف
ولما التقينا محرمين وسيرنا	بليّكَ ربّاً والركائبُ تعسف
نظرتُ إليها والمطيُّ كأنما	غواربها منها معاطسُ رُعْفُ
فقلتُ أما منكنّ من يعرفُ القى	فقد رابني من طول ما يتشوف
أراه إذا سرنا يسيرُ حذاءنا	ونوقفُ أخفافَ المطيِّ فيوقف

١ انظر نبذة عنه في كتابنا « العرب في صقلية » : ٤٦ وفيه تحويل إلى المصادر .

٢ بر : أبي عبد الله محمد بن محمد .

٣ ميلة : مدينة بالجزائر إلى الشمال الغربي من قسنطينة (البكري : ٦٤ والا سبصار : ١٦٦) .

٤ ر : ترعف .

فقلتُ لربيها أبلغاها بأنني
وقولا لها يا أمَّ عمرو أليس ذا
تفاءلتُ في أن تبذلي طارفَ الوفا
وفي عرفاتٍ ما يخبر أنني
وأما دماء الهدى فهي هُدَى لنا
وتقبيل ركن البيت لإقبال دولة
فأوصلتْنا ما قلتُهُ فتبسمتُ
بعيشي ألم أخبركما أنه فتى
فلا تأمنا ما اسطعتما كيدَ نطقه
إذا كنت ترجو في منى الفوزَ بالمنى
وقد أندر الإحرامُ أن وصلنا
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبرٌ
وحاذر نصارى ليلة النَّفَرِ إنَّه
فلم أرَ مثلينا خليلي مودةً
أما إنَّه لولا أغن مهففٌ
لراجعَ مشتاقٌ ونام مسهدٌ
وعاذلةٌ في بذل ما ملكت يدي
تقول إذا أفنيت مالك كلَّه
أغر قضاعي يكادُ نواله
إذا نحن أخلفنا مخايلَ ديمة
سعى وسعى الأملاك في طلب العلا

بها مستهام قالتا نتلطف
منى والمنى في خيفه ليس يخلف
بأن عنَّ لي منك البنانُ المطرفُ
بعارفةٍ من عطفِ قلبك أسعف
يدوم ورأيٌ في الهوى يتألف
لنا وزمان بالمودة يعطف
وقالت أحاديثُ العيافة زخرف
على لفظه بُردُ الكلامِ المقوفُ
وقولا ستدري أيننا اليوم أعيف
ففي الخيف من إعراضنا تتخوف
حرامٌ وأنا عن مزارك نصدف
بأن النوى بي عن ديارك تقذف
سريعٌ قفل منَّ بالعيافة أعرف
لكلِّ لسانٍ ذو غرارين مرهفٌ
وأشنف براق وأحور أوظف
وأيقن مرتابٌ وأقصر مدنفٌ
لراجٍ رجاني دون صحبي تعنف
وأحوجتُ من يعطيكه؟ قلت: يوسف
لكثرة ما يدعو إلى الشكر يجحف
وجدنا حيا معروفيه ليس يخلف
فهاز وأكدوا إذ أخف وأقظفوا

١ ق ع : الأغن المهفف .

٢ ق ن ع : وحوجت .

بكفيه ما يرجى وما يتخوف
 وستر على من راقب الله مغدق
 ويصعبه سيفان : عزم ومرهف
 على حكمه صرف الردى يتصرف
 ويفري به ما ليس يفري المثقف
 ويحمي حمى الإسلام والليل أغضف
 وإيعاده في ذمة الحلم موقف
 صناديدهم والبيض بالهام تقذف
 كأن الروابي منه بالنبل تدلف
 أراقم في طام من الآل تزحف
 ويبدو الضحى من نقه وهو أكلف
 ففعل الطبا في هامهم لا يكيف
 يسائل عنهم بالعوالي فيلحف
 وبلوا من الآلام أنشأت تقرف
 وهاديه من عشون لحيه أكثف
 صريعاً تراه حبراً وهو أسقف
 رضاه وقد أبلت ما الله يعرف
 فرادى وفي الأديان حتى تحنفوا
 يراش لأكباد الأعادي ويرصف
 يروق ومن أوصافك الغر يوصف
 على عطفه وشي العراق المشقف
 وقد كان ذا طرف للقياك يطرف

ويقظان شاب البطش باللين والتقى
 حسام على من ناصب الدين مُصلّت
 يسايره جيشان : رأي وفيلق
 مطل على من شاءه فكأتما
 يرى رأيه ما لا ترى عين غيره
 رعى الله من ترعى حمى الدين عينه
 ومن وعده في مسرح الحمد مطلق
 ومن يضرب الأعداء هبراً فيثني
 رماههم بمجرٍ ضعضع الأرض رزه
 كأن الردينيات في رونق الضحى
 يعود الدجى من بيضه وهو أبيض
 ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم
 لهم كل عام منك جاءوك فيلق
 إذا ما طووا كشحاً على قرح عامهم
 فكم من أغم الوجه غاؤ تركته
 هوى المقضب الماضي بمهواه فانشى
 لعمرى لقد عادت في الله طالباً
 أطالبهم في الأهل حتى تركتهم
 فيا ثقة الملك الذي الملك سهمه
 هنيئاً لك العيد الذي منك حسنه
 بدا معلم الأرجاء يزهى كأتما
 أتى بعد حول زائراً عن تشوق^٢

١ ع ص والمختار : ترجف .

٢ ع ق : تشوف .

فطوّفته عزراً وشففته به فلاح لنا وهو المحلّي المشنّف
وقابله بالسعد نجلك جعفرٌ فيا لك من عيد بملكين تتحف
فلا زلت تُستجدي فتولي، وترتجي فتكفي، وتستدعي لخطب فتكشف
نجزت القصيدة .

(314) وكان ثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة^١ ،
وكان أديباً شاعراً ، وله الأبيات السائرة في غلامين ، على أحدهما ثوب ديباج
أحمر ، وعلى الآخر ثوب ديباج أسود ، وهي :

أرى بدرين قد طلعا على غصنين في نسقٍ
وفي ثوبين قد صبغا صباغَ الخد والحدق
فهذا الشمسُ في شفق وهذا البدر في غسق

وكان عمله لهذه الأبيات في سنة سبع وعشرين وخمسائة .
ولما توجه المأمون إلى مصر ، وذلك في سنة سبع عشرة ومائتين ، دخلها
لعشر خلون من المحرم ، وخرج منها سلخ صفر من السنة^٢ ، كان معه القاضي
يحيى بن أكرم ، فولاه قضاء مصر ، وحكم بها ثلاثة أيام ، ثم خرج مع المأمون ،
وعده ابن زولاق في جملة قضاة مصر لذلك .
وروي عن يحيى بن أكرم أنه قال : اختصم إليّ في الرصافة الجدل الخامس
يطلب ميراث ابن ابن ابن ابنه .

وكان عبد الصمد بن أبي مروة^٣ بن المعذل بن غيلان بن المحارب^٤ بن البحري

١ انظر العرب في صقلية : ٤٧ ، وهو من شعراء الدرة الخطيرة ، وقد تعرض لذكره العماد في الخريدة
وصاحب المغرب وصاحب المنتخل ، وكلهم يعتمد على الدرة الخطيرة .

٢ علق صاحب المختار : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد : وفي هذا التاريخ فتح باباً في الهرم
الواحد من الثلاثة الذين بأرض الجزيرة من مصر » .

٣ بر : ابن أبي عمرو .

٤ ع ق : النجار ؛ الأغاني والنفوات : المختار .

العبدى البصرى الشاعر المشهور^١، يلزم الترداد إلى القاضي يحيى المذكور ويغشى مجلسه، وكان بعض الأحيان لا يقدر على الوصول إليه إلا بعد مشقة ومذلة يقاسيها، فانقطع عنه، فلامته زوجته في ذلك مِراراً، فأنشدها :

تُكَلِّفْنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِكَرْمَا
تَقُولُ سَلِّ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ فَقُلْتُ سَلِّهِ رَبِّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَا

ولم تنزل الأحوال تختلف عليه وتتقلب به إلى أيام المتوكل على الله^٢، فلما عزل القاضي محمد بن القاضي أحمد بن أبي دُوَادٍ عن القضاء، فوض الولاية إلى القاضي يحيى وخلع عليه خمس خلع، ثم عزله في سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله، وولى في رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس الهاشمي. فجاء كاتبه إلى القاضي يحيى فقال له : سلم الديوان، فأبى، فقال : شاهدان عدلان على أمير المؤمنين أنه أمرني بذلك، فأخذ منه الديوان قهراً، وغضب عليه المتوكل فأمر بقبض أملاكه وألزم منزله، ثم حج وحمل أخته معه وعزم على أن يجاور، فلما اتصل به رجوع المتوكل له بدا له في المجاورة، ورجع يريد العراق، فلما وصل إلى الربذة توفي بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وقيل غرة سنة ثلاث وأربعين، ودفن هناك، رحمه الله تعالى، وعمره ثلاث وثمانون سنة.

وأَكْثَمُ : بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة وبعدها ميم، وهو العظيم البطن، والشبعان أيضاً، يقال بالتاء المثناة، والتاء المثناة من فوقها، ومعناها واحد، ذكره في كتاب «المحكم»^٣.

وحكى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال : كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي، وكان يودني وأوده، فمات يحيى، فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول : ما فعل الله بك؟ فرأيت ليلة في المنام فقلت : ما فعل الله بك؟

١ ترجمة عبد الصمد في الأغاني ١٣ : ٢٢٨ والفوات ١ : ٥٧٥ وفي نسبه اختلاف عما ورد هنا .

٢ انظر تاريخ بغداد : ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٠٢ .

٣ ق ص ع : المحتكم .

قال : غفر لي إلاّ أنه وبخني ثم قال لي : يا يحيى خلطت عليّ في الدنيا ، فقلت : يا رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إنك قلت « إنّي لأستحي أن أعذب ذا شيبة بالنار » فقال : قد عفوت عنك يا يحيى ، وصدق نبيي ، إلاّ أنّك خلطت عليّ في دار الدنيا ، هكذا ذكره أبو القاسم القشيري في « الرسالة »^١ .

وقَطَّنَ : بفتح القاف والطاء المهملة وبعدها نون .
وسَمَعانَ : بفتح السين المهملة .

ومُشَنِّجٌ : كشفت عنه كثيراً من الكتب وأرباب^٢ هذه الصناعة فلم أقف منه على حقيقة ، ثم وجدت في نسخة من « تاريخ بغداد » للخطيب وهي صحيحة مسموعة ، وقد قيد هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة^٣ وفتح النون المشددة وفي آخره جيم ، هذا أقصى ما قدرت عليه ، والله أعلم بالصواب . ثم وجدته في « المختلف والمؤتلف » لعبد الغني بن سعيد كما قيل هاهنا .
الأُسَيْدِي : بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى أسيد ، وهو بطن من تميم يقال له أسيد بن عمرو بن تميم .

وقد تقدم الكلام على التميمي والمروزي .

والرَبْدَاةُ : بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية من قرى المدينة على طريق الحاج ينزلونها عند عبورهم عليها ، وهي التي نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفاري رضي الله عنهما إليها ، وأقام بها حتى

١ الرسالة القشيرية : ٣٢٧ ؛ وفي المختار في هذا الموضوع : « قلت : ولوالدي قدس الله روحه بيتان نظمهما في معنى الحديث المذكور في هذا المتنام وأوصى أن يكتبها على قبره ، وهما :

يا رب إن العبد يخفي ذنبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعتي شيبه »

٢ ر : كتب أرباب .

٣ وفتح الشين المعجمة : لم يرد في : ق ن ع .

مات ، وقبره ظاهر هناك يزار .
 وميِّلَة : بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ، وهي بليدة من أعمال إفريقية .
(315) وتوفي جعفر بن عبد الواحد القاضي المذكور ، ويكنى أبا عبد الله ، سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقيل سنة ثمان وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، بطرسوس رحمه الله تعالى .

٧٩٤

يحيى بن معاذ الواعظ

أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ ، أحد رجال الطريقة ، ذكره أبو القاسم القشيري في « الرسالة »^١ وعدّه من جملة المشايخ وقال في حقه : « نسيحٌ وحده في وقته ، له لسان في الرجاء خصوصاً وكلام في المعرفة ؛ خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ، ورجع إلى نيسابور ومات بها » .
 ومن كلامه : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ؟ تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك .

وكان يقول : الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة ، والوحدة جليس الصديقين ، والقوت أشد من الموت ، لأن القوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق . والزهد ثلاثة أشياء : القلة ، والخلوة ، والجوع . ومن خان الله في السر هتك ستره^٢ في العلانية .

٧٩٤ - ترجمته في طبقات السلمي : ١٠٧ وطبقات الشعراني ١ : ٩٤ وحلية الأولياء ١ : ٥١ وصفة

الصفوة ٤ : ٧١ وعبر الذهبي ٢ : ١٧ وشذرات الذهب ٢ : ١٣٨ .

١ الرسالة القشيرية : ٩١ حيث ترجم له ، وله ذكر كثير في صفحات متفرقة من الرسالة .

٢ ع ن ق : سره .

وسمع إسحاق بن سليمان الرازي ومكي بن إبراهيم البلخي وعلي بن محمد الطنافسي ، وروى عنه الغرباء من أهل الري وهمذان وخراسان أحاديث مسندة قليلة .

وذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »^١ فقال : « قدم بغداد واجتمع إليه بها مشايخ الصوفية والنسك ، ونصبوا له منصة وأعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون ، فتكلم الجنيد فقال له يحيى : اسكت يا خروف ، ما لك والكلام إذا تكلم الناس » .

وكان له إشارات وعبارات حسنة ، فمن كلامه^٢ : الكلام الحسن حسن ، وأحسن من الكلام معناه ، وأحسن من معناه استعماله ، وأحسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا من يُعمل له .

ومن كلامه : حقيقة المحبة أن لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء . وكان يقول : من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ، ومع المريدين ذهباً ، ومع العارفين المقربين دراً وياقوتاً ، فليس من حكماء الله المريدين^٣ . وكان يقول : أحسن شيء كلام صحيح ، من لسان فصيح ، في وجه صبيح ، كلام دقيق ، يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل رقيق . وكان يقول : إلهي كيف أنساك وليس لي رب سواك؟ إلهي لا أقول لا أعود ، لأنني أعرف من نفسي نقض العهود ، ولكني أقول لا أعود لا أعود^٤ ، لعلي أموت قبل أن أعود .

ومن دعائه : اللهم إن كان ذنبي قد أخافني ، فإن حسن ظني بك قد أجارني ، اللهم سترت علي في الدنيا ذنوباً أنا إلى سترها في القيامة^٥ أحوج ، وقد أحسنت بي إذ لم تظهرها لعصابة من المسلمين ، فلا تفضحني في ذلك اليوم على رؤوس العالمين ، يا أرحم الراحمين .

١ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٢ تاريخ بغداد : ٢٠٩ .

٣ ص والمختار : المؤيديين .

٤ لا أعود : مكررة في ق فقط ، وكذلك هي في تاريخ الخطيب .

٥ ر : الآخرة .

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي^١ : أيد الله الأستاذ ، ما تقول فينا أهل البيت ؟ قال : ما أقول في طين عجن بماء الوحي ، وغرس^٢ بماء الرسالة ، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى ؟ فحشا العلوي فاه بالدر ، ثم زاره من الغد ، فقال يحيى بن معاذ : إن زرتنا فبفضلك وإن زرتناك فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزوراً^٣ .

ومن كلامه : ما بعد طريق إلى صديق ، ولا استوحش في طريق من سلك فيه إلى حبيب . ومن كلامه : مسكين ابن آدم ، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة .

وقال : ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهاه اشتهاه الجائع إلى الطعام لارتداف الآفات واستيحاشه من الأهل والإخوان ، ووقوعه فيما يتحير فيه صريح عقله . وقال : من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يتصل إلى الجليل من العطاء . وقال : ليكون حظ المؤمن منك ثلاث خصال : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تسره فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه . وقال : عمل كالسراب ، وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد الرمل والتراب ، ثم تطمع في الكواعب الأتراب ، هيهات ! أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت أملك ، ما أجلك لو بادرت أجلك ، ما أقواك لو خالفت هواك^٤ .

وله في هذا الباب كل كلام مليح .

وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور ، رحمه الله تعالى ؛ وقال

١ تاريخ بغداد : ٢١١ .

٢ ق ص والمختار : وغرس غرس .

٣ علق في المختار هنا : قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وقد نظم هذا المعنى :

إن زارني فبفضله أو زرتـه فلفضله ، فالفضل في الحالين له »

وبخط مخالف قبل البيت : وقيل إنهما للشافعي في أحمد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت : الفضائل ما تعدت منزله

٤ زاد هنا في ر ق ن ع : وسئل عن حقيقة المحبة . . . الخ ، وقد تقدم .

محمد بن عبد الله : قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي : مات حكيم الزمان يحيى^١ بن معاذ الرازي ، رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين لست عشرة ليلة^٢ خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين .

٧٩٥

يحيى بن منده

أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن منده بن بطه بن استندار بن جهار بنحت ابن فيرزان^٣ - واسم منده إبراهيم ، ومنده لقب ، وقيل إن اسم الفيروزان استندار^٤ ، والله أعلم ، العبيدي^٥ ؛ كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين - وقد سبق ذكر جده أبي عبد الله محمد في حرف الميم^٦ . وهو أبوزكريا بن أبي عمرو بن أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي يعقوب من أهل أصبهان ، وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث . وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ، ثقة حافظاً فاضلاً مكثرأ صدوقاً ،

١ ن : يعني يحيى .

٢ ليلة : سقطت من ق ع ، وهي كذلك ساقطة في تاريخ الخطيب .

٣ ٧٩٥ - ترجمته في تذكرة الحفاظ : ١٢٥٠ وذيل ابن رجب : ١ : ١٢٧ ومرآة الجنان ٣ : ٢٠٢

وغير الذهبي ٤ : ٢٥ والشذرات ٤ : ٣٢ و Histories (المختصر الثاني) : ١٤٣ واليدر

السافر ، الورقة : ٢٢٩ .

٤ اضطربت أسماء الأعلام الأعجمية في النسخ ؛ ن : استيدار ؛ ص ق ع : استيدار .

٥ ع ص : اسفندار ؛ ن ق : اسفندار .

٦ ق ص ع : العبيدي ؛ ن : العبيدي .

٧ انظر ج ٤ : ٢٨٩ .

كثير التصانيف ، حسن السيرة بعيد التكلف ، أوجد بيته في عصره . خرج
التخارج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الأصهبانيين .
وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد^١ الضبي وأبا طاهر محمد بن أحمد
ابن محمد بن عبد الرحيم^٢ الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلوويه
الأصبهاني وأباه أبا عمرو وعمته أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن
وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القضاعي^٣ وأبا عبد الله محمد
ابن علي بن محمد الجصاص وأبا بكر محمد بن علي بن الحسين الجوزداني^٤ وأبا
طاهر أحمد بن محمود الثقفي ، ورحل إلى نيسابور وسمع بها أبا بكر أحمد بن
منصور بن خلف المقرئ وأبا بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، وبهمذان أبا
بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي ، وبالبرصة أبا القاسم إبراهيم بن
محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعداني وجماعة كثيرة سواهم ،
وصنف « تاريخ أصبهان » وغيره من الجموع . ودخل بغداد حاجاً وحدث بها ،
وأملى بجامع المنصور ، وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر
وعبد القادر بن أبي صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن
أحمد بن الخشاب النحوي ، في خلق كثير لشهرته وبيته ، وروى عنه أبو
البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن أبي
تراب الزيكوني^٥ الخياط البغدادي وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار بن الصباغ
وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة .

وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الدليل » وقال : كتب لي الإجازة
بجميع مسموعاته ، ثم قال : سألت عنه أبا القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ ،
فأثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ، ثم قال : سمعت أبا بكر محمد

١ ص ن ق : ريده .

٢ ق ع : عبد الرحمن .

٣ ق ن ص ع : القصاص ؛ بر : القصاصي .

٤ لا تتفق النسخ على صورة هذه اللفظة ، وقد أثبتنا ما في الباب .

٥ ر : الزنكوي ؛ ق ص ن ع : الزنكوني : وأثبت أقرب الصور إليها في الباب .

ابن أبي نصر بن محمد الفتواني^١ الحافظ يقول : بيت ابن مندّه بدىء بيحيى
وختم بيحيى ، يزيد في معرفة الحديث والعلم^٢ والفضل .

وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي - المقدم
ذكره - في « مساق^٣ تاريخ نيسابور » فقال : أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب
ابن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا ، سافر وأدرك
المشايخ وسمع منهم ، وصنف على الصحيحين ، وكان يروي بإسناده المتصل
إلى بعض العلماء أنه قال : كثرة الضحك أماراة الحمق ، والعجلة من ضعف
العقل ، وضعف العقل من قلة الرأي ، وقلة الرأي من سوء الأدب ، وسوء
الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له ،
والنمائم تورث الضغائن . وكان يروي بالإسناد المتصل إلى الأصمعي أنه قال :
دخلت في البادية إلى مسجد ، فقام الإمام يصلي فقرأ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾
(نوح : ١) وأرتج عليه ، فجعل يرددّها ويقول ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾
فقال أعرابي من ورائه ، وهو قائم يصلي : يا هذا ، إن لم يذهب نوح فأرسل غيره .
وكان يحيى المذكور كثيراً ما ينشد لبعضهم :

عجبتُ لمبتاعِ الضلالةِ بالهدى وللمشتري دنياه بالدينِ أعجبُ
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أخيب^٤

وكانت ولادته في غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين
وأربعمئة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان ، ومولده
بها أيضاً ، رحمه الله تعالى ؛ ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله .
وقال ابن نقطة في كتابه « إكمال الإكمال » توفي يوم السبت ثاني عشر
ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب

١ في أكثر النسخ : الكفتواني ، وأثبت ما في ن .

٢ ن : والحفظ والعلم .

٣ ن : سياق ، وكذلك ورد من قبل في عدة مواضع .

٤ في النسخ جميعاً : أعجب ، وهو تكرار دون فرق في المعنى ، فأبقينا ما في المطبوعة المصرية .

سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وتوفي في جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى .
وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد^١ ، رحمه الله تعالى .

٧٩٦

ابن سعدون القرطبي

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي ، الملقب سابق الدين^٢ ؛ أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك .

خرج من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم ديار مصر ، فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى ابن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم . ودخل بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط . وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيويه ، وقرأ الحديث على أبي بكر^٣ محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم ابن الحصين وأبي العز ابن كادش وغيرهم .

وكان ديناً ورعاً عليه وقار وهيبة وسكينة ، وكان ثقة صدوقاً ثباتاً نبيلاً

١ قلت : لم يرد شيء من ذلك ، ولهذا لم نستطع أن نضبطها لاضطراب النسخ في إيرادها .
٧٩٦ - ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ١٤ وغاية النهاية ٢ : ٣٧٢ والمغرب ١ : ١٣٥ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٠ ومرآة الجنان ٣ : ٣٨٠ ، ٣٨٣ وبغية الوعاة : ٤١٢ ونفح الطيب ٢ : ١١٦ وهو ينقل عن ابن خلكان .

٢ النفع : بضياء الدين ؛ ن : ضياء الدين ؛ بر من : صائن الدين . ٣ ق ع : ابن أبي بكر .

قليل الكلام كثير الخير مفيداً ، أقام بدمشق مدة ، واستوطن الموصل ورحل عنها إلى أصبهان ، ثم عاد إلى الموصل ، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر ؛ وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب «الذيل» وقال : إنّه اجتمع به بدمشق^١ ، وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي ، وانتخب عليه أجزاء ، وسأله عن مولده ، فقال : ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الأندلس ؛ ورأيت في بعض الكتب أن مولده سنة سبع وثمانين ، والأول أصح .

وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برويته^٢ وقراءته عليه - وسيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى - وقال : كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه . وكنا نرى رجلاً يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف ، فيأخذه الشيخ من يده ، ولا نعلم ما هو ، ويتركه ذلك الرجل ويذهب ، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مسمومة ، كانت برسم الشيخ في كل يوم يتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها ، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده . وذكر في كتابه الذي سماه «دلائل الأحكام» أنّه لازم القراءة عليه إحدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيراً ما ينشد مسنداً إلى أبي الخير الكاتب الواسطي رواهما بالإسناد المتصل إليه أنهما له^٣ :

جرى قلم القضاء بما يكونُ فسيانِ التحركُ والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويرزق في غشاوته الجنين

وقال : أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه :

لي حيلةٌ فيمن ينمُّ وليس في الكذاب حيله

١ ص ر بر من : في دمشق .

٢ ر : بروايته .

٣ أنهما له : سقط من : ن ر بر من .

من كان يخلق ما يقو ل فحياتي فيه قليله

وتوفي الشيخ أبو بكر المذكور بالموصل^١ في يوم عيد الفطر من سنة سبع وستين وخمسائة ، رحمه الله تعالى .

٧٩٧

يحيى بن يعمر النحوي

أبو سليمان ، وقيل أبو سعيد ، يحيى بن يعمر العَدَوَانِي الوَشَقِي النحوي البصري ؛ كان تابعياً ، لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، رضي الله عنهم ، ولقي غيرهما ، وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي وإسحاق بن سويد العدوي . وهو أحد قراء البصرة ، وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة ، وانتقل إلى خراسان ، وتولى القضاء بمرو ، وكان عالماً بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي - المقدم ذكره^٢ - يقال إن أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبواباً ثم نظر فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه ، فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر المذكور إذ كان عداؤه في بني ليث لأنه حليف لهم . وكان شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص^٣ لذي فضل من غيرهم .

١ بالموصل : سقطت من ر .

٧٩٧ - ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٤٢ وغاية النهاية ٢ : ٣١٨ ومرآة الجنان ١ : ٢٧١ وتهذيب

التهذيب ١١ : ٣٠٥ وأخبار النحويين البصريين : ٢٢ وطبقات الزبيدي : ٢٢ ونور القبس :

٢١ وبنية الوعاة : ٤١٧ والنجوم الزاهرة ١ : ٢١٧ والجهشيري : ٤١ - ٤٢ .

٢ ج ٢ : ٥٣٥ .

٣ ن ص ق : تنقص .

حكى عاصم بن أبي النجود المقرئ - المقدم ذكره^١ - أن الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه أن يحيى بن يعمر يقول : إن الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحيى يومئذ بخراسان ، فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم والي خراسان - وقد تقدم ذكره أيضاً^٢ - أن ابعث إليّ يحيى بن يعمر ، فبعث به إليه ، فقام بين يديه ، فقال : أنت الذي تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لألقين الأكثر منك شعراً أو لتخرجن من ذلك ، قال : فهو أماني إن خرجت ؟ قال : نعم ، قال : فإن الله جل ثناؤه يقول : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلِلاً هَدِيداً وَنُوحاً هَدِيداً مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴾ الآية (الأنعام : ٨٥) قال : وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه ، فقال له الحجاج : ما أراك إلا قد خرجت ، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط ؛ وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة ، فله دره ، ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط ! قال عاصم : ثم إن الحجاج قال له : أين ولدت ؟ فقال : بالبصرة ، قال : أين نشأت ؟ قال : بخراسان ، قال : فهذه العربية أنى هي لك ؟ قال : رزق ، قال : خبرني عني هل ألحن ؟ فسكت ، فقال : أقسمت عليك ، فقال : أما إذ سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع ، فقال : ذلك والله اللحن السيء ؛ قال : ثم كتب إلى قتيبة : إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام .

وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال : قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعي ألحن ؟ قال : في حرف واحد ، قال : في أي ؟ قال : في القرآن ، قال : ذلك أشنع ، ثم قال له : ما هو ؟ قال تقول ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ - إلى قوله : أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ﴾ (التوبة : ٢٤) فتقرؤها بالرفع ،

١ - ج ٣ : ٩ .

٢ - ج ٤ : ٨٦ .

قال ابن سلام : كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به ، فقال الحجاج : لا جرم لا تسمع لي لحناً ، قال يونس : فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » : في سنة أربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيى بن يعمر لأنه قال له : هل ألحن ؟ فقال : تلحن لحناً خفياً ، فقال : أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك ، فخرج .

وحكى أبو عمرو نصر بن علي عن نوح بن قيس قال : حدثنا عثمان بن محصن قال : خطب أمير بالبصرة^١ فقال : اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هورات عليه ، فلم يدروا ما قال الأمير ، فسألوا يحيى بن يعمر فقال : الهورات الضياع ، يقول : من اتقى الله فليس عليه ضياع ، قال القرزاي في كتاب « الجامع » الهورات المهالك ، واحداها هورة ، قال الراوي : فحدثت بهذا الحديث الأصمعي فقال : هذا شيء لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك ، ثم قال : إن كلام العرب^٢ لواسع ، لم أسمع بذا قط .

وحكى الأصمعي قال : حدثنا أبي قال : كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو بخراسان إلى الحجاج بن يوسف كتاباً يقول فيه : إننا لقينا العدو فاضطررناهم إلى عرعرة الجبل ، ونحن بالحضيض ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب ولهذا الكلام ؟ فقبل له : إن ابن يعمر عنده ، فقال : فذاك إذاً .
وكان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل :

أبي الأقبامُ إلا بُغضُ قومي قديماً أبغضُ الناسُ السميناً

وقال خالد الحذاء : كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر ، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طيبة فيه غير متكلف ؛ وأخباره ونوادره كثيرة ؛ وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة ، رحمه الله تعالى .
ويَعْمَرُ : بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عين مهملة وفي الأخير

١ ص ع : أمير البصرة .

٢ ق ن ص ع ير من : إن الغريب .

راء ، وقيل بضم الميم ، والأول أصح وأشهر ، ويعمر - بفتح الميم - مضارع قولهم عمّر الرجل ، بفتح العين وكسر الميم ، إذا عاش زمناً طويلاً ، وإنما سمّي بذلك تفاؤلاً بطول العمر ، كما سمّي يحيى بذلك أيضاً .
والعدّواني : بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال مهملة ساكنة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى عدّوان ، واسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان وإنما قيل له « عدّوان » لأنه عدّا على أخيه فهم فقتله .
والوشقي : بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها قاف ، هذه النسبة إلى وشقة بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدّوان المذكور .

٧٩٨

أبو زكريا الفراء

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي ، المعروف بالفراء ، الديلمي الكوفي مولى بني أسد ، وقيل مولى بني منقر ؛ كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ؛ حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال : لولا الفراء لما كانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب .

وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي ، وهو والأحمر - المقدم ذكره - من

٧٩٨ - ترجمته في نور القيس : ٣٠١ ومراتب النحويين : ٨٦ وطبقات الزبيدي : ١٤٣ وتاريخ بغداد : ١٤ : ١٤٩ ومعجم الأدباء : ٢٠ : ٩ ونزهة الألباء : ٦٥ وعبر الذهبي : ١ : ٣٥٤ والشذرات : ٢ : ١٩ وبغية الوعاة : ٤١١ ومرآة الجنان : ٢ : ٣٨ وغاية النهاية : ٢ : ٣٧١ وتهذيب التهذيب : ١١ : ٢١٢ وللدكتور أحمد مكّي الأنصاري كتاب بعنوان « أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة » (القاهرة : ١٩٦٤) ، ومن هذه الترجمة تعود النسخة « س » إلى الاشتراك مع النسخ الأخرى .

أشهر أصحابه وأخصهم به .

ولما عزم الفراء على الاتصال بالمأمون ، كان يتردد إلى الباب^١ ، فبينما هو ذات يوم على الباب إذ جاء أبو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي ، وكان خصيصاً بالمأمون ، قال ثمامة : فرأيت أمة أديب ، فجلست إليه ، ففاتشته عن اللغة فوجدته بجرأً وفاتشته عن^٢ النحو فشاهدته^٣ نسيجاً وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهراً ، وبالطب^٤ خبيراً ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً ، فقلت له : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء ، فقال : أنا هو ، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون ، فأمر بإحضاره لوقته ، وكان سبب اتصاله به .

وقال قَطْرُبُ : دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي : إنه قد لحن يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد للفراء : أتلحن ؟ فقال الفراء : يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب^٥ ، وطباع أهل الحضرة اللحن ، فإذا تحفظت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحن ، فاستحسن الرشيد قوله .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : إن الفراء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو^٦ وما سمع من العربية ، وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار ، ووكل به جوارى وخداماً يقمن بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شيء ، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلوات ، وصير له الوراقين ، وألزمه الأمانة والمنفقين ، فكان يملي والوراقون يكتبون ، حتى صنف « الحدود » في سنتين^٧ وأمر المأمون بكتبه^٨ في الخزائن ، فبعد أن

١ بر من : وكان قد ورد بغداد في أيام المأمون فبقي يتردد على بابه مدة لا يصل إليه فبينما هو . . . الخ

٢ ر : فناقشته في . . . وناقشته في د .

٣ س بر : فشاهدته . . . س : وبالنجوم . . . وبالطلب .

٥ إن . . . الأعراب : سقطت من ق ص ع .

٦ ر : أمور النحو وأصوله .

٧ ق ن ص س : في سنتين ، وكذلك هو في تاريخ بغداد .

٨ ر : أن يكتبه .

فرغ من ذلك خرج إلى الناس ، وابتدأ بكتاب « المعاني » قال الراوي : وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب « المعاني » ؛ فلم نضبظهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً ، فلم يزل يمليه حتى أمته . ولما فرغ من كتاب « المعاني » خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا : لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم ، فشكا الناس إلى القراء ، فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك ، فقالوا : إنما صحبتناك لنتفع بك ، وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به فقال : قاربوهم تنتفعوا وتنفعوا ، فأبوا عليه فقال : سأريكم ، وقال للناس : إنني ممل كتاب معانٍ أتم شرحاً وأبسط قولاً من الذي أمليت ، فجلس يمل ، فأملى^٢ الحمد في مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا : نحن نبلغ الناس ما يحبون ، فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم .

وكان سبب إملائه كتاب « المعاني » أن أحد أصحابه ، وهو عمر^٣ بن بكير ، كان يصحب الحسن بن سهل - المقدم ذكره - فكتب إلى القراء إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب ، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت ، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن ، وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج إليهم ، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء ، فقال له : اقرأ ، فقرأ فاتحة الكتاب ، ففسرها ، حتى مرّ في القرآن كلّه على ذلك ، يقرأ الرجل والقراء يفسره . وكتابه هذا نحو ألف ورقة ، وهو كتاب لم يعمل مثله ، ولا يمكن أحداً أن يزيد عليه .

وكان المأمون قد وكل القراء يُلَقِّن^٥ ابنه النحو ، فلما كان يوماً أراد القراء

١ ن ر س : وينتفعوا ، وكذلك في تاريخ بغداد .

٢ ق ن ع س : يمل فأمل ، وهي رواية الخطيب .

٣ ع بر من : عمرو .

٤ ن ع : أحد .

٥ بر : بتلقين .

أن ينهض إلى بعض حوائجه ، فابتدرا إلى نَعْلِ الفراء يقدمانه له ، فتنازعا أيهما يقدمه ، فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً فقدماهما ، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر ، فرفع ذلك الخبر إليه ، فوجه إلى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال : من أعز الناس ؟ قال : ما أعرف أعز من أمير المؤمنين ، قال : بلى مَنْ إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد أن يقدم له فرداً ، قال : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكرس نفوسهما عن شريعة حرساً عليها ، وقد روي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ركابيهما ، حين خرجا من عنده ، فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الخدين ركابيهما وأنت أسن منهما ؟ فقال له : اسكت يا جاهل ، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل ، فقال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً وألزمتك ذنباً ، وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما وبيّن عن جوهرهما ، ولقد ظهرت لي مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث : عن تواضعه لسלטانه ووالده ومعلمه العلم ، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما .

وقال الخطيب أيضاً^٢ : كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء ، وكان الفراء يوماً جالساً عنده ، فقال الفراء : قلّ رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهل عليه ، فقال له محمد : يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية ، فنسألك عن باب من الفقه ؟ فقال : هات على بركة الله تعالى ، قال : ما تقول في رجل صلى فسجده سجدين للسهو فسها فيهما . ففكّر الفراء ساعة ثم قال : لا شيء عليه ، فقال له محمد : ولم ؟ قال : لأن التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنّما السجدتان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام ، فقال محمد : ما ظننت آدمياً يلد مثلك .

١ ع ق س بر من : مما .

٢ تاريخ بغداد ١٤ : ١٥٢ .

وقد سبقت هذه الحكاية في ترجمة الكسائي ونهبت عليها ثم بما ذكرته
ها هنا .

وكان الفراء لا^١ يميل إلى الاعتزال ؛ وحكى سلمة بن عاصم عن الفراء قال :
كنت أنا وبشر المريسي - المقدم ذكره - في بيت واحد عشرين سنة ، ما
تعلم مني شيئاً ولا تعلمت منه شيئاً ؛ وهال الجاحظ : دخلت بغداد حين قدمها
المأمون في سنة أربع ومائتين ، وكان الفراء يحبني ، وأشتهي أن يتعلم شيئاً من
علم الكلام ، فلم يكن له فيه طبع .

وقال أبو العباس ثعلب : كان الفراء يجلس للناس في مسجده إلى جانب
منزله ، وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة .

وقال سلمة بن عاصم : إنني لأعجب من الفراء كيف كان يعظم الكسائي
وهو أعلم بالنحو منه .

وقال الفراء : أموت وفي نفسي شيء^٢ من «حتى» ، لأنها تخفض وترفع
وتنصب .

ولم يتقل من شعره غير هذه الأبيات ، وقد رواها أبو حنيفة الدينوري عن
أبي بكر الطوال وهي :

يا أميراً على جريبٍ من الأَرِ ضِ له تسعةٌ من الحِجَابِ
جالساً في الخرابِ يحجب فيه ما سمعنا بحاجب في خراب
لن تراني لك العيون بيبابٍ ليس مثلي يُطيقُ ردَّ الحِجَابِ^٣

ثم وجدت هذه الأبيات لابن^٤ موسى المكفوف ، والله أعلم بالصواب .
ومولد الفراء بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها ، وكان
شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته ، وكان يجمع طول السنة ، فإذا كان في

١ سقطت « لا » من بعض النسخ .

٢ شيء : سقطت من أكثر النسخ .

٣ ص ق ر : الجواب .

٤ ن : لأبي ، وسقط التعليق كله من س .

آخرها خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً في أهله يفرق^١ عليهم ما جمعه ويبرهم .

وله من التصانيف الكتابان المقدم ذكرهما ، وهما « الحدود » و « المعاني » وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر ، وكتاب « البهي » وهو صغير الحجم ووقفت عليه بعد أن كتبت هذه الترجمة ، ورأيت فيه أكثر الألفاظ التي استعملها أبو العباس ثعلب في كتاب « الفصيح » وهو في حجم « الفصيح » غير أنه غيرته ورتبه على صورة أخرى ، وعلى الحقيقة ليس لثعلب في « الفصيح » سوى الترتيب وزيادة يسيرة ، وفي كتاب « البهي » أيضاً ألفاظ ليست في الفصيح قليلة ، وليس في الكتابين اختلاف إلا في شيء قليل لا غير^٢ . وله كتاب « اللغات » وكتاب « المصادر في القرآن » وكتاب « الجمع والتثنية في القرآن » وكتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « المفاخر »^٣ وكتاب « آلة الكاتب » وكتاب « النوادر » وكتاب « الواو » وغير ذلك من الكتب .

وقال سلمة بن عاصم : أملى الفراء كتبه كلها حفظاً ، لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين : كتاب « ملازم » وكتاب « يافع ويفعة » ، قال أبو بكر الأنباري : ومقدار الكتابين خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة .

وقد مدحه محمد بن الجهم بقصيدة على روي الواو الموصولة بالهاء المكسورة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة .
وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة ، وعمره ثلاث وستون سنة ، رحمه الله تعالى .

والفراء : بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة ، وإنّما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها ، لأنّه كان يقرئ الكلام ، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب « الأنساب »^٤ ، وعزاه إلى كتاب « الألقاب »^٥ .

١ ع : و فرق ؛ ص : ف فرق .

٢ وهو صغير . . . لا غير : سقط من : س بر من .

٣ س ق ع : الفاخر .

٤ س : الذيل .

٥ ق ع : الألباب .

وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتابه أن زياداً والد الفراء كان أقطع ، لأنه حضر وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في تلك الحرب ، وهذا عندي فيه نظر لأن الفراء عاش ثلاثاً وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة ، وحرب الحسين كانت سنة إحدى وستين للهجرة ، فين حرب الحسين وولادة الفراء أربع وثمانون سنة ، فكم قد عاش أبوه ؟ فإن كان الأقطع جدّه فيمكن ، والله أعلم .

ومنظور : بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وسكون الواو وبعدها راء .

وقد تقدم الكلام على الديلمي وبني أسد .

وأما بنو مَنقَر : فهو بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء ، وهو منقر بن عبيد بن مقاعس ، واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها خلقٌ كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ، ومنها خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه ، وصفوان وشيبه ابنا عبد الله بن عمرو بن الأهم المنقري ، وهما - أعني خالداً وشيبياً - المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة ، وخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين السفاح ، ولشبيب مع المنصور والمهدي وغيرهما - وقد تقدم ذكر خالد وشيبه^١ في ترجمة البحرني في حرف الواو .

١ لم يشر المؤلف هنا إلى أنه ترجم لشبيب ، وهذا يرجح أن ترجمة شبيب (ج ٣ : ٤٥٨) التي انفردت بها النسخة ص ليست من عمل المؤلف .

أبو محمد اليزيدي

أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، المعروف باليزيدي ، المقرئ النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء المقرئ البصري ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده ؛ سكن بغداد وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما . وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمرو الدوري وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل^١ وأبو شعيب السوسي^٢ وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلاد سليمان بن خلاد وغيرهم ، وخالف أبا عمرو في حروف يسيرة^٣ من القراءة اختارها لنفسه .

وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي ، وإليه كان ينتسب ، ثم اتصل بهارون الرشيد فجعل ولده المأمون في حجره فكان يؤدبه .

وكان ثقة ، وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو ، وكان صدوقاً ، وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد ، وشعره مدون ، وصنف كتاب « نواذر » في اللغة على مثال كتاب « نواذر » الأصمعي الذي صنفه بلعفر البرمكي ، وفي مثل عدد ورقه ، وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو

٧٩٩ - ترجمته في نور القبس : ٨٠ - ٨٧ والورقة ٢٧ وطبقات ابن المعتز : ٢٧٣ والأغاني ٢١ : ٩٢ وتاريخ بغداد ١٤ : ١٤٦ ومعجم المرزباني : ٤٨٧ وشرح المرزوقي للحماسة : ١٥٤٩ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٣ ونزهة الألباء : ٥٣ وعبر الذهبي ١ : ٣٣٨ والشذرات ٢ : ٤ وغاية النهاية ٢ : ٣٧٥ ومرآة الجنان ٢ : ٣ وبغية الوعاة : ٤١٤ والخزانة ٤ : ٤٢٦ .

١ ترجمة الطيب في غاية النهاية ١ : ٣٤٣ .

٢ اسمه صالح بن زياد (غاية النهاية ١ : ٣٣٣) .

٣ ص ن ع ق : كثيرة .

والخليل بن أحمد ، ومن كان معاصرها .

وحكي عن أبي حمدون الطيب بن إسماعيل قال : شهدت ابن أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريباً من ألف جلد ، عن أبي عمرو بن العلاء خاصة ، ويكون ذلك عشرة آلاف ورقة ، لأن تقدير الجلد عشر ورقات ، وأخذ عن الخليل من اللغة أمراً عظيماً ، وكتب عنه العروض في ابتداء وضعه له ، إلا أن اعتماده على أبي عمرو لسعة علم أبي عمرو باللغة ٢ .

وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان بجزء دار أبي عمرو بن العلاء ، وكان أبو عمرو يذنيه ويميل إليه لذكائه ، وكان أبو محمد المذكور صحيح الرواية ، وله من التصانيف كتاب « النواذر » - المقدم ذكره - وكتاب « المقصور » والممدود » ومختصر في النحو ، وكتاب « النقط والشكل » .

وقال ابن المنادي ٣ : أكثر من ٤ السؤال عن أبي محمد اليزيدي ومحلّه من الصدق ومنزلته من الثقة ، لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث ، فقالوا : هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه في شيء ، غير ما يتوهم عليه من الميل إلى المعتزلة ٥ ، وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به ، وما ذلك إلا عن معرفة منه به ، وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ويقرئان الناس ، وكان الكسائي يؤدب الأمين وهو يؤدب المأمون ، فأما الأمين فإن أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة ، وأما المأمون فإن أباه أمر أبا محمد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو . وقال الأثرم : دخل اليزيدي يوماً على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة ، فأوسع له وأجلسه معه ، فقال له اليزيدي : أحسبني ضيقت عليك ، فقال الخليل : ما ضاق موضع على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع متباغضين .

١ ع ق : شيئاً .

٢ ع : لسعة علمه باللغة .

٣ بر : ابن المبارك ؛ وابن المنادي هو أحمد بن جعفر (غاية النهاية ١ : ٤٤) .

٤ من : سقطت من : ق ر ع .

٥ ن : الاعتزال .

وسأل المأمون اليزيدي عن شيء فقال : لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ، فقال : لله درك ! ما وضعت الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا ، ووصله وحمله .

وقال اليزيدي : دخلت على المأمون يوماً والدنيا غضة ، وعنده نَعْمٌ^١ تغنيه ، وكانت من أجمل أهل دهرها^١ ، فأنشدت :

وزعمتِ أنِّي ظالمٌ فهَجرتني ورَمَيْتِ في قلبي بسهمٍ نافذٍ
فنعم هجرتكِ فاغفري وتجاوزي هذا مقامُ المستجير العائد
هذا مقام فتى أضرب به الهوى قرح الجفون بحسن وجهك لا تئد^٢
ولقد أخذتم من فؤادي أنسه لا شلَّ ربي كَفَّ ذاك الآخذ^٣

فاستعادها المأمون الصوت ثلاث مرات ، ثم قال : يا يزيدي ، أياكون شيء أحسن مما نحن فيه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما هو ؟ قلت : الشكر لمن خولك هذا الإنعام العظيم الجليل ، فقال : أحسنت وصدقت ، ووصلني وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها ، فكأنني أنظر إلى البدر وقد أخرجت والمال يفرق .

وشكا اليزيدي إلى المأمون حاجة أصابته وديناً لحقه ، فقال : ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه^٤ بلغت به ما تريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأمر قد ضاق علي ، وإن غرمائي^٥ قد أرهقوني ، فاحتل لي ، فأفكر المأمون ، واستقر الأمر على أن يحضر اليزيدي إلى الباب إذا جلس المأمون في مجلس الأتس وعنده ندماءه ، ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو إخراج بعض الندماء إليه ، فلما جلس المأمون حضر اليزيدي إلى الباب ودفع للخادم رقعة مختومة فأدخلها إلى

١ المختار : وكانت من أجمل النساء .

٢ سقط الشطر الثاني من س .

٣ جاء أول الأبيات في ر .

٤ ق ن ع س بر من : أعطيناك .

٥ ق ع : الغرماء .

المأمون ففضها فإذا فيها مكتوب^١ :

يا خيرَ إخوانٍ وأصحابِ هذا الطُّفيليُّ على البابِ
فصبروني واحداً منكم^٢ أو أخرجوا لي بعض أصحابي

فقرأها المأمون على من حضر وقال : ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال ، فأرسل إليه المأمون يقول له : دخولك في مثل هذا الوقت متعذر ، فاختر لنفسك مَنْ أحببت أن تنادمه ، فلما وقف على الرسالة قال : ما أرى لنفسي اختياراً سوى عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع الاختيار عليك فصر إليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فأكون شريك الطفيلي ؟ فقال : ما يمكنني^٣ رد أبي محمد عن أمره ، فإن أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتدِ^٤ نفسك منه ، فقال : على عشرة آلاف درهم ، فقال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك ، فلم يزل يزيد عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول : لا أرضى له بذلك ، حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له المأمون : فعجلها له ، فكتب له بها إلى وكيله ووجه رسولاً ، وأرسل إليه المأمون وهو يقول : قبضُ هذا المبلغ في مثل هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله ، فقبل ذلك منه ؛ وكان ظريفاً في جميع أحواله .

وحكى أبو أحمد ابن جعفر البلخي في كتابه^٤ أن اليزيدي المذكور سأل الكسائي عن قول الشاعر :

ما رأينا خرباً نقّ ر عنه البيضَ صقّرُ
لا يكون العيّرُ مهراً لا يكون ، المهرُ مهراً

— الحرب : بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها الباء الموحدة ، الذكر من

١ زاد في ن : بما تحرر الأمر عليه .

٢ ر : ما يمكن ، وكذلك في نور القبس .

٣ ر : فافكك ، ن ص بر من : فافتك .

٤ انظر القصة في مجالس لأدباء : ٢٥٥ والتصحيح والتحرير : ١٢٤ وغيرهما من المصادر التي مر ذكرها .

الحبارى ، والعرير : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهو الذكر من حمر الوحش^١ - فقال الكسائي : يجب أن يكون « مهر » منصوباً على أنه خبر كان ، ففي البيت على هذا التقدير إقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب لأن الكلام قد تم عند قوله « لا يكون » الثانية وهي مؤكدة للأولى ، ثم استأنف الكلام ، فقال « المهر مهر » ، وضرب بقلنسوته الأرض ، وقال : أنا أبو محمد ، فقال له بجيى بن خالد البرمكي : أتكتني بحضرة أمير المؤمنين ؟ والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك ، فقال اليزيدي : إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ .

قلت أنا : قول الكسائي في البيت إقواء ليس بجيد ، فإن اصطلاح أرباب علم القوافي أن الإقواء يختص باختلاف الإعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بأن يكون أحد البيتين مرفوعاً والآخر مجروراً ، فأمّا إذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فإن ذلك يسمى إصرافاً لا إقواء ، وإلى هذا أشار أبو العلاء المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضي والمرضى - المقدم ذكرهما - وهو في صفة نعيب الغراب :

بُنيت على الإبطاء سالمةً من الـ إقواء والإكفاء والإصراف

وهذا البيت متعلق بما قبله ولا يظهر معناه إلا بذكر ما تقدم ، ولا حاجة بنا إلى ذكره هاهنا بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير^٢ . وقد قيل إن الإصراف من جملة أنواع الإقواء ، فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي . وهذا الفصل وإن كان دخيلاً لكنه ما خلا من فائدة .

وغالب شعر اليزيدي جيد ، وقد ذكره هارون بن المنجم - المقدم ذكره -

١ سقط شرح اللفظتين من س .

٢ يذكر أبو العلاء أن الغراب رثى الشريف العلوي بقصيدة مبنية على الإبطاء لأنها « غاق غاق » مكررة

ولكنها سالمة من عيوب الإقواء والإكفاء والإصراف ، وقيل البيت :

عقرت ركائبك ابن دأية غادياً أي امرئ نطق وأي قواف

بُنيت على الإبطاء (البيت)

في كتاب « البارع » وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله يهجو الأصمعي الباهلي المقدم ذكره :

أَيْنَ لي دَعِيَّ بَنِي أَصَمَعٍ متى كُنْتَ في الأَسْرَةِ الفاضِلَهْ ؟
ومنْ أَنْتَ ؟ هل أَنْتَ إِلا امرؤُ إِذا صَحَّ أَصْلُكَ من باهِلَهْ

ثم قال ابن المنجم : وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين في الهجاء .
قلت أنا : وهذا مأخوذ من قول حماد عجرد في بشار بن برد يهجو :
نسبت إلى بُرْدٍ وَأَنْتَ لغيره وهَبْ أَنْ بُرْدًا نَاكَ أَمَّكَ ، من بُرْدُ ؟
وله في الهجاء أيضاً :

استَبَقِ ود أَبِي المقامِ تل حين تدنو من طعامِهْ
سَيَّان كسر رَغيفه أو كسر عَظْمٍ من عظامه
ويصوم كرهاً ضَيْفُهُ لم ينو أجراً في صيامه

وقد سبق في ترجمة أبي العباس المبرد مقطوع من شعره في شبية بن الوليد .
وكان له أخبار ونوادير ، فمن ذلك ما رواه أنه أخذَ رجلٌ ادعى النبوة
فأتى به إلى المهدي فقال له : أنت نبي ؟ فقال : نعم ، فقال : ولإي من بعثت ؟
فقال : وهل تركتموني أذهب إلى أحد ؟ ساعة بعثت وضعتموني في الحبس ؛
فضحك المهدي واستتابه .

وكان لليزيدي خمسة بنين وكلّهم علماء أدباء شعراء رواة لأخبار
الناس ، وهم : أبو عبد الله محمد وإبراهيم وأبو القاسم إسماعيل وأبو عبد الرحمن
عبد الله^١ وأبو يعقوب إسحاق ، وكلهم ألف في اللغة والعربية .

(316) وكان محمد^٢ أسنهم وأشعرهم ، وهو القائل فيما رواه دِعبِل بن علي
الخرزاعي - المقدم ذكره - من جملة أبيات :

أتظن والذِي تهوى مُقيمٌ لعمرِكَ إن ذا خطرٍ عَظيمٌ

٢ تاريخ بغداد ٣ : ٤١٢ ، والأغاني ٢٠ : ٢٠٥ .

١ س ر ص : عبيد الله .

إذا ما كنت للحدثان عوناً عليّ مع الزمان فمن ألومُ
شقيتُ به فما أنا عنه سألٍ ولا هو إذ شقيت به رحيمُ

وهو القائل :

يا بعيدَ الدارِ موصو لاً بقلبي ولساني
ربما باعدك الدهرُ فأدنتك الأماني

وله أشعار كثيرة جيدة ، وكان يؤدب المأمون مع أبيه ، وثقل سمعه في آخر عمره [فانقطع ، فاستحضره المأمون فقال : لم أرك منذ أيام فقال : وجدت في سمعي ثقلاً وأنا أكره أن أتعبك استفهاماً إذا سمعت عن غير فهم ، فقال : أنت الآن أطيب ما تكون ، فما شئت أن نسمعك أسمعناك ، وما احتشمتك فيه أسرناه عنك ، فأنت غائب شاهد]^١ وكان قد خرج مع المأمون إلى خراسان وأقام بخدمته في مدينة مرو ، ثم بقي إلى أيام المعتصم وخرج معه إلى مصر فتوفي بها ، رحمه الله تعالى .

وأما والده أبو محمد المذكور فإنه توفي سنة اثنتين ومائتين ، رحمه الله تعالى ، بخراسان ، والظاهر أنه كان بمرو فإنه كان قد خرج في صحبة المأمون من بغداد ، وكانت إقامة المأمون بمرو ، ثم وجدت في « طبقات القراء » لأبي عمرو الداني أنه توفي في التاريخ المذكور بمرو ، ثم قال بعد ذلك ، وقال ابن المنادي : وقيل إنه بلغ من السن دون المائة بأعوام يسيرة ، ومات بالبصرة ودفن بها ، والأول أصح ، والله أعلم .

وقد تقدم في حرف الميم ذكر حفيده أبي عبد الله محمد بن العباس بن أبي محمد اليزيدي المذكور ، وشرح طرف من أخباره وفضله وتاريخ وفاته^٢ .
والعدوي : بفتح العين والبدال المهملتين والواو ، هذه النسبة إلى عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة ، ولم يكن أبو محمد المذكور منهم ، وإنما كان من

٢ ج ٤ : ٣٣٧ .

١ انفردت به ر .

مواليهم ، كان جده المغيرة مولى لامرأة من بني عدي فنسب إليهم . وقد سبق في أول هذه الترجمة ذكر سبب نسبته إلى يزيد ومن هو يزيد فأغنى عن الإعادة . وفي ذريته جماعة كثيرة أفاضل مشاهير أصحاب تصانيف . وأشعاره رائقة مشهورة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت شيئاً منها .

(317) واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذي وضعه إبراهيم بن أبي محمد المذكور في اللغة وسمّاه كتاب « ما اتفق لفظه وافترق معناه » جمع فيه كل الألفاظ المشتركة في الاسم المختلفة في المسمى ، ورأيت في أربع مجلدات ، وهو من الكتب النفيسة ، يدل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه ، وله غير ذلك تواليف حسنة نافعة ، وكذلك بقية اليزيديين صنفوا كتباً مشهورة مشكورة^١ .

(318) وكان يزيد الحميري خال المهدي مقدماً في دولة بني العباس ، ولي للمنصور البصرة واليمن ، ومات في سنة خمس وستين ومائة بالبصرة ، وفيه قال بشار بن برد الشاعر - المقدم ذكره^٢ - :

أبا خالدٍ قد كنت سباحَ غمرةٍ صغيراً فلما شبتَ خيمتَ بالشاطي
وكنت جواداً سابقاً ثم لم تنزل تأخرُ حتى جئتَ تخطو مع الخاطي
فأنت بما تزدادُ من طولِ رفعةٍ وتنقصُ من مجدٍ كذلك بإفراط
كسُورِ عبدِ اللهِ بيعَ بدرهمٍ صغيراً ، فلما شبَّ بيعَ بقيراط

قلت : لقد كشفت عن سنور عبد الله المظان ، وسألت أهل المعرفة بهذا الشأن ، فما عرفت الخبر عن ذلك ، ولا عثرت له على أثر ، والله أعلم ، ثم ظفرت بقول الفرزدق ، وهو :

رأيت الناس يزددون يوماً ويوماً في الجميل وأنت تنقصُ

١ إلى هنا تنتهي الترجمة في س .

٢ انظر شعر بشار ، جمع العلوي : ١٤٩ ؛ وقال الجاحظ وروى البيت الأخير مع بيت قبله مختلف في روايته (الحيوان ٧ : ٣١٥ - ٣١٦) ، وقد يضاف هذا الشعر إلى بشار وهو باطل ؛ وقد حمل الجاحظ بشدة على هذه الأبيات وزعم أن صاحبها لو غير مع الشعراء المشهورين ألف سنة لما قال بيتاً مرضياً ، والشعر عنده منسوب لمن اسمه « العمي » . وانظر ثمار القلوب : ٤١١ .

كثُلِ الهِرِّ في صغري يغالى به حتى إذا ما شب يرخص

ومن هاهنا أخذ بشار قوله ، وليس المراد هراً بعينه ، بل كل هراً تكون قيمته في صغره ، وينقص منها في كبره ، والله أعلم .

٨٠٠

الخطيب التبريزي اللغوي

أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ؛ أحد أئمة اللغة ، كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب . وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم ابن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال السيارى^١ البغدادي وأبي القاسم عبيد الله بن علي^٢ ، وغيرهم . وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب «تاريخ بغداد» ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي ، وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له . وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب «الذيل» وكتاب «الأنساب»^٣ ،

٨٠٠ - ترجمته في المنتظم ٩ : ١٦١ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٢٥ ودمية القصر : ٦٨ ومرآة الجنان

٣ : ١٧٢ ونزهة الألباء ٢٥٤ وعبر الذهبي ٤ : ٥ والشذرات ٤ : ٥ وبغية الوعاة : ٤١٣

والبدر السافر ، الورقة : ٢٣٠ .

١ بر ر : السادي ؛ س : السباري . ص ن ق : الساري .

٢ زاد في ص ن ر : بن عبيد الرقي ؛ س ق : بن عبيد الله الرقي .

٣ الأنساب ٣ : ١٦ .

وعدّد فضائله ، ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرئ يقول : أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمروزي الطريقة ، وذكر عنه أشياء ثم قال : وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون ، فسكت وكأنه ما أنكر ما قال ، ثم قال : ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله .

وصنف في الأدب كتاباً مفيدة ، منها « شرح الحماسة » وكتاب « شرح ديوان المتنبي » وكتاب « شرح سقط الزند » وهو ديوان أبي العلاء المعري^١ ، و « شرح المعلقات السبع » و « شرح المفضليات »^٢ وله « تهذيب غريب الحديث » و « تهذيب لإصلاح المنطق » ، وله في النحو مقدمة حسنة ، والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب « الكافي في علم العروض والقوافي » وكتاب في إعراب القرآن سماه « الملخص » رأته في أربع مجلدات ، وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة : أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التوليف ، وقد سبق في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ذكره وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشق ، فليُنظر هناك^٣ ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد^٣ .

وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري أنه حصل له نسخة من كتاب « التهذيب » في اللغة ، تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات لطاف ، وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة ، فدُلَّ على المعري ، فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً ، فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل ، وهي ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة ، وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب

١ زاد في ر : وشرح اللمع لابن جني وشرح المقصورة لابن دريد .

٢ انظر ج ١ : ٩٢ - ٩٣ ولم يرد في تلك الترجمة شيء مما يشير إليه المؤلف ، وقد عدت إلى المسودة فلم أجد للتبريزي فيها ذكراً في ترجمة الخطيب .

٣ ودرس . . . ببغداد : سقط من : ص ن ق ع .

« أخبار النحاة » الذي ألفه القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير بمدينة حلب ، كان ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بصحة ذلك .

وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عتفوان شبابه ، فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي - المقدم ذكره^١ - شيئاً من اللغة ، ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى الممات ، وكان يروي عن أبي الحسن محمد بن المظفر ابن نحرير^٢ البغدادي جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب « الذيل » في ترجمة الخطيب ، وهي من أشهر أشعاره :

خليلي ما أحلى صبوحى بدجلة^٣ وأطيب منه بالصّراة^٤ غبوقي
شربت على المائين من ماء كرمة^٥ فكانا كدرّ ذائب وعقيق
على قَمَرِي أفقٍ وأرض تقابلا^٦ فمن شائق حلوى الهوى ومَشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التّمّ : تعرف ذا الفتى؟ فقال : نعم ، هذا أخي وشقيقي

وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه ، والبيت الأخير منها يستمد^٤ من معنى قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الأندلسي في مدح المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية - المقدم ذكره^٥ - من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاه البحرَ عنه فقال لي : شقيقيَ إلا أنّه الساكنُ العذبُ

ما كفاه أنّه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه ، فقال « الساكن العذب » والبحر مضطرب ملح^٦ ، وهذا من خالص المدح وأبدعه ، وأول هذه القصيدة :

١ انظر ج ٢ : ٥١٥ .

٢ بر : محيريز .

٣ بر : في الصباح .

٤ بر من : مستمد .

٥ انظر ج ٥ : ٣٩ .

٦ كذا في ن والمختار ، وفي سائر النسخ : ملح .

بكتُ عند توديعي فما علم الركبُ أذاك سقيطُ الطلِّ أم لؤلؤ رطبُ
وتابعها سربُ ، وإني لمخطيء نجومُ الدياجي لا يقال لها سربُ

وهي قصيدة طويلة ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرتها كلها ، ولكن يكفي منها هذا الأتمودج .

وكان الخطيب أيضاً يروي عن ابن نحرير المذكور من شعره قوله :

يا نساء الحيِّ من مضرٍ إن سلمى ضرةُ القمرِ
إن سلمى لا فجعنتُ بها أسلمت طرفي إلى السهرِ
فهي إن صدتُ وإن وصلتُ مهجتي منها على خطرِ
وبياضُ الشعر أسكنها من سواد القلبِ والبصرِ

وللخطيب المذكور شعر فمن ذلك قوله ١ :

فمن يسأمُ من الأسفارِ يوماً فإني قد سئمتُ من المقامِ
أقمنا بالعراقِ على رجالٍ لثامٍ يتمون إلى لثامِ

وقال الخطيب المذكور : كتب إليَّ العميدُ الفياض :

قل ليحيى بن عليِّ والأقاويلُ فنونُ
غيرَ أني لستُ من يكُ ذب فيها ويخونُ
أنت عين الفضل إن مُدَّ يدٌ إلى الفضل عيونُ
أنت من عزَّ به الفضلُ لُ وقد كاد يهونُ
فُقتَ من كان وأتعب تَ لعمرى من يكونُ
قد مضى فيك قرانُ ومضت فيه ٢ قرونُ
وإذا قيس بك الك لُ فصَحَّوْ ودُجونُ

١ ص : ومن شعر الخطيب المذكور قوله .

٢ ق ع : ومضت فيك .

وإذا فُتِّشَ عنهمُ
 قد سمعنا ورأينا
 ووزنا بك من كا
 أين شيبان وأزد
 إنك الأصل ومنّ دو
 إنك البحر وأعيان
 ليس كالسيف وإن حدّ
 ليس كالفضة^٢ المعلى
 ليس كالجد وإن آ
 ليس في الحسن سواءً
 ليس كالأبكار في اللط
 قلت للحساد كونوا
 سبق الزائد بالفض
 دمت ما خالف في الخ
 وتلقاك المني ما
 إن ودّي لك عمّا
 ليس لي فيه ظهورٌ
 بل لقلبي فيك صبّ
 غلّق الرهنُ وقد تغلّ
 ومن الناس أمين

فالأحاديثُ شجون
 فسهولٌ وحزون
 ن فقييل وقيون
 كل ما زال^١ ظنون
 نك في العلم غصون
 ن ذوي الفضل عيون
 ي في الحكم الجفون
 ليس كالبيت الحجون
 نس هزلٌ ومجون
 أبدأً بيضٌ وجون
 ف وإن راقتك عون
 كيف شتم أن تكونوا
 ل^٣ فعزوا أو فهونوا
 د حراكٌ وسكون
 قرّ بالطير الوكون
 يهمُّ الود متصون
 تتنافى أو بطون^٤
 بالمصافاة يكون
 ق في الحب رهون
 في هواه وخؤون

١ في النسخ : ذاك .

٢ في بعض النسخ : كالقدح .

٣ ق ع س بر من : بالحصل .

٤ ق ع س : وبطون .

وقال ابن الجواليقي : قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى العميد الفياض المذكور هذه الأبيات ^١ :

قل للعميد أخي العلا الفياضِ - أنا قطرةٌ من بحرك الفياضِ -
شرفتي ورفعَ ذكرى بالذي - ألبستيه من الثنا الفضااضِ -
ألبستني حلل القريض تفضلاً - فرفلكتُ منها في علا ورياضِ -
إنِّي أتيتك بالحصى عن لؤلؤ - أبرزته من خاطر مرتاضِ -
وبخاطري عن مثل ذلك توقفٌ - ما إن يكادُ يجودُ بالأبعاضِ -
أيعارضُ البحرَ الغمامَ جدول - أم درة تنقاسُ ^٢ بالرضراضِ -
يا فارسَ النظم المرصع جوهرأ - والنثر يكشف غمة الأمراضِ -
يرمي به الغرض البعيدَ وقد غدا - فكري يقصرُ عن مدى الأغراضِ -
لا تلزمتني من ثنائك موجبأ - حقأ فلستُ لحقه بالقاضي -
فلقد عجزتُ عن القريضِ وربما - أعرضتُ عنه أيما إعراضِ -
أنعمُ عليَّ بسطِ عذري إنني - أقررتُ عند نذاك بالإنفاضِ ^٣

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ؛ وتوفي فجأة يوم الثلاثاء
لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة
باب أبرز ، رحمه الله تعالى .

وبسطام : بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة
وبعد الألف ميم .

وقد تقدم الكلام على الشيباني ^٤ والتبريزي فأغنى عن الإعادة .

١ هذه الأبيات : سقطت من ق ن ص ع ر ؛ ووقع موضعها في ر : أقول ، وفي ن : في رد جواب له .

٢ ن : دره ينقاس .

٣ الإنفاض : الإعدام والإفلاس .

٤ الشيباني : سقطت من ق ع .

٨٠١

الزواوي

أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ، الملقب زين الدين ،
النحوي الحنفي ؛ كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة ، وسكن دمشق زماناً
طويلاً ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وصنّف تصانيف مفيدة [منها
الألفية في النحو ومنها « الفصول » في النحو أيضاً]^١ ثم إن الملك الكامل أرغبه
في الانتقال إلى مصر فسافر إليها ، وتصدّر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب ،
وقرر له على ذلك جازٍ . ولم يزل إلى أن توفي سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين
وستمائة^٢ ، بالقاهرة ، ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه ، وقبره هناك ظاهر ، ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة ،
رحمه الله تعالى .

والزواوي : بفتح الزاي وبين الواوين ألف ، هذه النسبة إلى زواوة ،
وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية ذات بطون وأفخاذ ، والله أعلم .

٨٠١ - ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥ والجواهر المضية ٢ : ٢١٤ ومرآة الجنان ٤ : ٦٦
والبداية والنهاية ٣ : ١٢٩ وذيل الروضتين : ١٦٠ وعقود الجنان لابن شمار ١٠ ، الورقة
٨٦ وعبر الذهبي ٥ : ١١٢ والشذرات ٥ : ١٢٩ وبغية الوعاة : ٤١٦ .
١ زيادة من المختار . ٢ ابن شمار : سنة ٦٢٩ .

يحيى بن المنجم النديم

أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بالمنجم واسمه أبان حسيس بن وريد^١ بن كاد^٢ بن مهابنداد^٣ حسيس بن فروخ داد بن أساد^٤ ابن مهرحسيس بن يزدجرد ؛ كان في أول أمره نديم الموفق أبي أحمد طلحة ابن المتوكل على الله ، والموفق المذكور هو والد المعتضد بالله ، ولم يل الموفق الخلافة بل كان نائباً عن أخيه المعتمد على الله ، ولم يزل في محاربة القرامطة ، وأمره في ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها .

ثم إن يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفي بالله ابن المعتضد ، وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه ، وكان متكلماً معتزلي الاعتقاد وله في ذلك كتب كثيرة ، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي ، وصنف كتباً كثيرة ، فمن ذلك كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، ابتداءً فيه ببشار بن برد ، وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ، ولم يتمه ، وتممه ولده أبو الحسن أحمد بن يحيى ، وعزم على أن يضيف إلى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي البصير .

(318) وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلماً فقيهاً على مذهب أبي جعفر

٨٠٢ - ترجمته في معجم المرزباني : ٤٩٣ (وانظر أيضاً ٤٢٣ ، ٤٢٤ . ٥٠٠) والفهرست : ١٤٣ ومعجم الأدباء : ٢٠ : ٢٨ وتاريخ بغداد : ١٤ : ٢٣٠ ونزهة الالباء : ١٦٢ ومراة الجنان : ٢ : ٢٣٧ .

١ ص : دريد ؛ بر : رويد .

٢ ن : مكاد .

٣ ر : مهاجنده ؛ بر : مهابندار حسيس .

٤ س ق ن : استاد ؛ ع : استداد .

الطبري ، وله كتب صنفها منها كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس ، وكتاب « الإجماع في الفقه » على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب « المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه » وكتاب « الأوقات » وغير ذلك .

وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادير ، فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^١ عن يحيى المذكور أنه قال : كنت يوماً بين يدي المعتضد وهو مغضب ، فأقبل بدر مولاه ، وكان شديد الغرام به ، فلما رآه من بعيد ضحكك وقال : يا يحيى ، من الذي يقول من الشعراء :

في وجهه شافعٌ يمحو إساءته من القلوبِ وجيهٌ حيثما شفعا

فقلت : يقوله الحكم بن عمرو الشاري ، فقال : لله دره ! أنشدني هذا الشعر ، فأنشدته :

ويُلي على مَنْ أطار النومَ فامتعا وزاد قَلْبِي على أوجاعه وجعا
كأنّما الشمس من أعطافه لمعت حسناً أو البدرُ من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الذنوبُ ومعدورٌ بما صنعا^٢
في وجهه شافعٌ يمحو إساءته من القلوبِ وجيهٌ حيثما شفعا

وذكر أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه « المصايد والمطارد »^٣ في الفصل الذي ذكر فيه صيد الأسد بالنشاب ، ما مثاله : حدث أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم النديم نديم المكتفي بالله قال : وجد عليّ أمير المؤمنين المكتفي بالله منصرفه^٤ من الرقة لركوبي الماء منها إلى المرحلة الأولى قبل أن يركبه هو ، وذلك أن أبا العباس أحمد بن عبد الصمد حملني على ذلك ،

١ انظر المروج ٤ : ٢٧٩ .

٢ ق ع : متى طمعا ؛ س بر من : متى صنعا .

٣ المصايد : ١٧٤ .

٤ ر : منصرفنا ؛ ع : عند منصرفه .

وسألني أن أكون معه في سفينة ، ففعلت ، ولم أظن أن المكتفي ينكر ذلك ، ولا يحتمل تأخيري عنه وإخلاالي به ، فلما صرنا إلى الدالية أمر بأن أورد منها إلى قرقيسيا وأقيم بها حتى أصيد سبعاً وأحدره إليه ، فردني وردّ معي عدة من المغنين^١ كانوا قد ركبوا الماء ، فكتبت إليه بأبيات فلم تعطفه ، فرجعت إلى الرحبة ، وأقمت عند أبي محمد عبد الله بن الحسين بن سعد القطريلي في قَصْفٍ وشرب وصَبُوحٍ وغبوق ، وهو على^٢ غاية السرور بمقامي عنده ، وكان معنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتبت من الرحبة كتاباً إلى الوزير أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وأنفذت فيه شعراً أسأله أن يقرأه على المكتفي ، وهو :

نَفْسَ الدهر أن نسر وأن يس	عدنا ، بالأحبة الاجتماعُ
فرماني وإخوةً لي بِسَهْمٍ	نفر ^٣ النفس فهي منه شِعاع
فرددنا إلى وراءٍ ومرّ الـ	ناسُ قُدماً فاشتدتِ الأوجاع
لو سمعنا بمثل ما نالنا أف	زعنا منه في سوانا السماع
كلّفونا صيدَ السباع وإنّا	لبخيرٍ إن لم تصدنا السباع
إن عَصَيْنَا فواجبٌ ، أي قومٍ	كلّفوا فوق طوقهم فأطاعوا ؛
كل شيءٍ يجوزُ تكليفه الإذ	سان إلا ما كان لا يُسْتَطاع
لم تزلْ تمزحُ الملوكُ ولكنْ	مع ذلك المزاح جُودٌ وساع
وتواني الوزيرُ عنا فضِعْنَا	في سبيل الإله حقٌّ مُضاع
قد مددنا الأيدي إليه وأضحَتْ	عائذات بفضلِه الأطماع
شافعٌ لا يخاف رداً إذا ما	رُدَّ عمّا تريده الشُّفَاع
عبّثاتُ الملوكِ يتبعها الآن	سُ وأثمارها عطايا تباع

١ ص : المغنين ، س : المغنين .

٢ رص : في .

٣ س : نقر .

٤ ر : جهدهم .

أولنا يا وليّ دولته خيراً رأّ لديه فالحيرُ النفاع

وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخرائطي في الخرائط ، فلم يضعه^١
القاسم من يده حتى دخل على المكتفي ، فقرأه عليه وأنشده الأبيات ، فاستحسنها
وقال : يكتب الساعة بتخيلة سيّله وحمله إلينا ، فلم يكن أسرع من أن وافاني
الرسول ، فوافيت وأنشدت المكتفي ببغداد :

عاد ليّلي القصيرُ في كرخ بغداد دَ بقرقيسيا عليّ طويلاً
أجميلاً أن تتركوني وتمضو ن رهيناً بها غريباً ذليلاً ؟
مفرداً بالعقاب مشترك الذن ب فصبراً حسبي برّبي وكبلاً^٢
إن قضى الله لي رجوعاً إلى بغد دَادَ لا هالكاً بغمي قتيلاً
وأراني الخليفةَ المكتفي بالله وابنَ الخلائفِ المأمولا
كالذي قد عهدتُ لا معروضاً عن ي ولا واجداً ولا مستحيلاً
كل شيء أسامهُ هينَ عند لدي إذا الرأي منه كان جميلاً

فاستحسنها ورق لشكواي بها حتى تبيّنت ذلك في وجهه وكلامه .
وأخبار يحيى ومحاسنه كثيرة . وكانت ولادته سنة إحدى وأربعين ومائتين ؛
وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلثمائة رحمه
الله تعالى .

وقد تقدم ذكر والده علي وأخيه هارون وابن أخيه علي ، ولم أرفع في نسبهم
إلا في هذه الترجمة لأنّي لم أظفر بالنسب على هذه الصورة إلا لما وصلت إلى
هذا الموضع فنقلته كما وجدته من كتاب « الفهرست » لأبي الفرج محمد بن
إسحاق النديم ، ولم أضبط شيئاً من أسماء أجداده ، لأنّي لم أتحقّق فيها
شيئاً فنقلتها كما وجدتها .

١ ص : يدعه .

٢ ر : كفيلاً .

أبو بكر ابن بقي الشاعر

أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة ؛ قال الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي في كتاب « مطمح الأنفس »^١ في حق أبي بكر المذكور : إنه كان نبيل النثر والنظام ، كثير الارتباط في سلوكه والانتظام ، أحرز خصالاً ، وطرز محاسنه بكراً وأصلاً ، وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد أمد ، وبنى من المعارف على أثبت عمَد ، إلا أن الأيام حرمته ، وقطعت حبل رعايته وصرمته ، ولم تتم له وطراً ، ولم تسجم عليه من الخطوة مطراً ، ولا نولته^٢ من الحرمة^٣ نصيباً ، ولا أنزلته مرعى خصيباً ، فصار راكب سهوات ، وقاطع فلوات ، لا يستقر يوماً ، ولا يستحسن يوماً^٤ ، مع توهم لا يظفره بأمان ، وتقلب ذهن كواهي الجمان ، إلا أن يحيى بن علي بن القاسم^٥ نزعه عن ذلك الطيش ، وأقطعه جانباً من العيش ، وأرقاه إلى سمائه ، وسقاه صوب نعمائه ، وقيأه^٥ ظلاله ، وبوأه أثر النعمة يَجوسُ خلاله ، فصرف فيه أقواله ، وشرف بقوافيه نواله ، وأفرده منها بأنفس در ، وقلد لبتة منها بقصائد غر .

وذكر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي المذكور في حقه أيضاً في كتاب

٨٠٣ - ترجمته في الذخيرة (القسم الثاني) ٢٤٤ والقلائد : ٢٧٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١ والتكملة ،

رقم : ٢٠٤٢ ومسالك الأبصار ١١ ، الورقة : ٢٨٠ والمغرب ٢ : ١٩ وأزهار الرياض ٢ :

٢٠٨ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح .

١ لم ترد ترجمته في المطمح المطبوع ؛ والمعروف أن المطمح منه كبير وأوسط وصغير .

٢ ق ن س ص ع بر من : سولته .

٣ ص ر : الحرفة .

٤ ر : نوما .

٥ هو من بني عشرة زعماء مدينة سلا في عصر المرابطين .

«قلائد العقيان» : هو رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض ، أقام شرائعه ، وأظهر روائعه ، وصار عصيه طائعه ، إذا نظم أزرى بنظم العقود ، وأتى بأحسن من رَقْم البرود ، ضفا عليه حرمانه ، وما صفا له زمانه ، انتهى كلام الفتح .

وقد أثبت لأبي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر ، ولم أر الفتح ذكره في واحد من كتابيه المذكورين مع أنه من أحسن شعره وأشهره ، وهو :

بأبي غزال^١ غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطبي^٢ بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوى فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في خيمة^٣ ومن النجوم الزهر تحت سُرّادق
عاطيته والليل^٤ يسحبُ ذيلَه صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم^٥ الكمي^٦ لسيفه وذؤاباته حمائل في عاتقي
حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخرَ عمره قد شاب في لم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفاً : أعزُّ علي بأن أراك مفارقي

وقد ذكر بعض هذه الأبيات الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه «المطرب من أشعار أهل المغرب»^٢ .

ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن القاسم المذكور في هذه الترجمة ، وهي طويلة ، ومن مديحها قوله :

نوران ليسا يحجبان عن الورى كرم^١ الطباع ولا جمال^٢ المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع^٣ كتمان^٤ نور^٥ علائه المشهور

١ س بر : بلجة .

٢ المطرب : ١٩٨ .

في كلِّ أفقٍ من جميلِ ثنائِهِ
 رُدُّ في شمائلهِ ورِدُّ في جودهِ
 ندبٌ عليه من الوقارِ سكينَةٌ
 مثل الحسامِ إذا انطوى في غمدهِ
 أربى على الغيثِ المثلثُ لأنَّه
 أزرى على البحرِ الخضمُّ لأنَّه
 أقبلتُ مرتاداً لجودك إنَّه
 ورأيتُ وجه النجحِ عندك أيضاً
 يجري إليك بنا سفينٌ أتلع
 وبناتِ أعوجٍ قد برمن بصحبي

وأورد له صاحب «قلائد العقيان» مقطوعاً وهو ٢ :

يا أقتلَ الناسَ ألحاظاً وأطيبهم
 في صحنِ خدك وهو الشمس طالعة
 إيمانُ حبك في قلبي يحدِّده
 إن كنتَ تجهلُ أنِّي عبدٌ مملكةٍ
 لو اطلعتَ على قلبي وجدتَ به

ريقاً متى كان فيك الصَّابُ والعسلُ
 ورد يزيديك فيه الراحُ والحجلُ
 من خدك الكُتبُ أو من لحظك الرسلُ
 مرني بما شئتَ آتبه وأمتثلُ
 من فعل عينيك جرحاً ليس يندملُ

وذكره العماد الكاتب في «الخريدة» وأورد له عدة مقاطيع ، ثم أعاد ذكره في آخر الكتاب وأورد له :

ومشمولةٍ في الكأسِ تحسبُ أنها سماء عقيقٍ رصَّعت بالكواكبِ

١ المختار : الأقر .

٢ القلائد : ٢٨١ .

٣ المختار : الأسل .

بنت كعبة اللذات في حرَم الصبا فحجَّ إليها اللهُوا من كل جانب^٢
ومحاسنه في الشعر كثيرة . وتوفي سنة أربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .
وبَقِيَّ : بفتح الباء الموحدة وكسر القاف وتشديد الياء .

٨٠٤

الخطيب الحصكفي

أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد ، الملقب معين الدين ، المعروف
بالخطيب الحصكفي ؛ صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ، ولد بطَنْزَة
ونشأ بحصن كيفا ، وقدم بغداد فاشتغل بالأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي
- المقدم ذكره - وأتقنه حتى مهر فيه ، وقرأ الفقه على مذهب الإمام الشافعي ،
رضي الله عنه ، وأجاد فيه ، ثم رحل عن بغداد راجعاً إلى بلاده ونزل مِيَّافارقين
واستوطنها^٣ ، وتولى بها الخطابة ، وكان إليه أمر الفتوى بها ، واشتغل عليه
الناس وانتفعوا بصحبته .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » فقال في حقه^٤ : « كان
علامة الزمان في علمه ، ومعريَّ العصر في نثره ونظمه ، له الترصيع البديع
والتجنيس النفيس ، والتطبيق والتحقيق ، واللفظ الجزل الرقيق ، والمعنى السهل

١ ق : الناس .

٢ ثم أعاد . . . جانب : سقط من : س بر من .

٨٠٤ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ١٨٣ واللباب (الحصكفي ، الطبري) والبدرد السافر ، الورقة :

٢٢٢ ومعجم الأدباء ٢٠ : ١٨ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ٤٧١ وطبقات السبكي ٤ : ٣٢٢

والشذرات ٤ : ١٦٩ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٢٨ .

٣ المختار : واستوطن ميافارقين .

٤ الخريدة ٢ : ٤٧٢ .

العميق ، والتقسيم المستقيم ، والفضل السائر المقيم » . ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه : « وكنت أحب لقاءه ، وأحدث نفسي عند وصولي إلى الموصل به ، وأنا شغف بالاستفادة ، كلف بمجالسة الفضلاء للاستزادة ، فعاق دون لقاءه بعد الشقة ، وضعفي عن تحمل المشقة » ثم ذكر له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

وخليعٍ بتُّ أعدله ويرى عذلي من العيبِ
 قلتُ : إن الخمرَ مَخْبِثَةٌ قال : حاشاها من الخبث
 قلت : فالأرفأُ تتبعها قال : طيبُ العيش في الرفث
 قلت : منها القيء ، قال : أجلُّ شرفت عن مخرج الحدث
 وسأجفوها ، فقلت : متى ؟ قال : عند الكونِ في الحدث

قلت أنا : ولقد أخذ الخطيب المذكور قوله :

شرفت عن مخرج الحدث

من قول بعضهم ولا أعرفه ، لكنها أبيات سائرة ، وهي :

ولائم لأمي في الخمر ، قلت له : إنني سأشربها حياً وفي جدثي
 فأستقي^١ قهوة^٢ حمراء صافية^٣ صرفاً حراماً فإنني غير مكترث
 فإن يكن حلوها بالطبيخ فقي حشاي نار^٤ تبقّيها على الثلث
 قالوا : فلم تتقايها ؟ فقلت لهم : إنني أنزهاها عن مخرج الحدث

ثم قال العماد الأصبهاني : وأنشدني له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات كالخمسة السيارات^٢ مستحسنات مطبوعات مصنوعات ، وهي :

أشكو إلى الله من نارين : واحدة في وجنتيه وأخرى منه في كبدي

١ س بر من : قم فاسقي .

٢ ق ص ع : السائرات ؛ ر : السيارة .

ومن سقامين : سقم قد أحل دمي
ومن نمومين : دمعي حين أذكره
ومن ضعيفين : صبري حين أذكره^١
مهفهف رقّ حتى قلتُ من عَجَبٍ

من الجفون وسقم حل في جسدي
يذيع سري ، وواش منه بالرّصد
ووده^٢ ويراه الناس طوع يدي
أخصره خنصري أم جِلْدُه جَلْدِي

ومن مليح شعره أبيات في هجو مغنّ وهي :

ومسمع غناؤه	يبدلُ بالفقر الغنى
شهدتهُ في عصبه	رضيتهم لي قرّنا
أبصرته فلم تحبّ	فراستي لما دنا
وقلتُ من ذا وجهه	كيف يكونُ محسنا
ورمتُ أن أروحَ لا	ظنُّ به ممتحنا
فقلتُ من بينهمُ	هاتِ أخي غن لنا
ويومَ سلعٍ لم يكن	يومي بسلعٍ هيّنا
فانشال منه حاجبُ	وحاجبُ منه انحنى
وامتلاً المجلسُ من	فيه نسيماً منتنا
أوقع إذ وقع في الأذ	فسِ أسباب العنا
وقال لما قال من	يسمع في ظل الفنا
وما اكتفى باللحن وال	تخليطٍ حتى لحنا
هذا وكم تكشخن ال	وغدُ وكم تقرننا ^٣
يوهمُ زمرأ ^٤ أنه	قطعه ودندنا

١ المختار : أبصره .

٢ بر : ووصله .

٣ المختار : تقودنا .

٤ ن المختار : رمزاً .

وصاح صوتاً نافرأً يخرجُ عن حد البنا
 وما درى محضره ماذا على القوم جنى
 فذا يسدّ أنفه وذا يسدّ الأذنا
 ومنهمُ جماعةٌ تسترُّ عنه الأعينا
 فاغتظتُ حتى كدتُ من غيظٍ أبث الشجنا
 وقلتُ يا قومُ أسمعوا إما المغني أو أنا
 أقسمتُ لأجلسُ أو يخرجَ هذا من هنا
 جروا برجل الكلبِ إن السقمَ هذا والضنا
 قالوا لقد رحمتنا وذدتَ عنا المحنا
 فحزت في إخراجهِ راحة نفسي والثنا^١
 وحين ولّى شخصه قرأتُ فيهم معلنا
 الحمد لله الذي أذهبَ عنا الحزنا

ولم أسمع ، مع كثرة ما قيل في هذا الباب مثل هذا المقطوع في هذا المعنى .
 وللخطيب المذكور أيضاً في هذا المعنى ^٢ :

ومُسْمِعٍ قوله بالكره مسموعٌ مُحَجَّبٌ عن بيوت الناس ممنوعٌ
 غنى فبرقَ عينيه وحركَ الحـ ييه فقلنا الفتى لا شكَّ مصروع
 وقطع الشعر حتى ودَّ أكثرنا أن اللسان الذي في فيه مقطوع
 لم يأتِ دعوةَ أقوامٍ بأمرهمُ ولا مضى قطُّ إلا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع لغز في نعش
 وهو معنى مليح ، وأكثر شعره على هذا الأسلوب في اللطافة وجودة المقاصد ،

١ بر : راحة قلبي والمنى .

٢ زاد في ن : أربعة أبيات ملاح .

وكان يتشيع^١ . وهو في شعره ظاهر .
وكان^٢ بمدينة آمد شابان بينهما مودة أكيدة ومعاشرة كثيرة ، فركب أحدهما
ظاهر البلد وطرده فرسه فتقنطر فمات ، وقعد الآخر يستعمل الشراب ، فشرق
فمات في ذلك النهار ، فعمل فيهما بعض الأدباء :

تقاسما العيشَ صفواً والردى كدرأً وما عهدنا المنايا قط تُقْتَسَمُ
وحافظا الودَّ حتى في حماميهما وقلما في المنايا تُحْفَظُ الدَّممُ

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال : هذا الشاعر قصر إذ لم يذكر
سبب موتهما ، وقد قلت فيهما :

بنفسي أُخَيَّانِ مِنْ آمِدٍ أَصِيَا يَوْمَ مَشُومِ عَبُوسِ
دهى ذا كميْتٍ من الصافناتِ وهذا كميْتٌ من الخندريسِ

قلت : ولو قال :

دهى ذا كميْتٍ من الصافناتِ وهذا كميْتٌ من الصافياتِ

لكان أحسن لأجل المجانسة ، وكان يجعلُ البيتُ الأول :

بنفسي أُخَيَّانِ مِنْ آمِدٍ أَصِيَا يَوْمَ شَدِيدِ الْأَذَاةِ

أو ما يناسب هذا ، ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب «الجنان» تأليف
القاضي الرشيد ابن الزبير - المقدم ذكره في حرف الهمزة^٣ - وقد نسبهما إلى
الفقيه أبي علي الحسن بن أحمد المعلم المعري ، ، لكن هكذا وجدت الحكاية بخط

١ زاد في المطبوعة المصرية هنا : قلت : وهذا من الزيادات التي أدخلها الكتاب الداخلون في عموم
الحديث من مجوس هذه الأمة والله أعلم ؛ ولم يرد في النسخ الخطية ، وواضح أنه رد من أحد
المعلقين على ما جاء في النص .

٢ هذه القصة لم ترد في س بر من .

٣ انظر ج ١ : ١٦٠ .

بعض المتأديين^١ ، والله أعلم .

وللخطيب المذكور الخطب المليحة والرسائل المنتقاة . ولم يزل على رياسته وجلالته وإفادته إلى أن توفي سنة إحدى ، وقيل ثلاث ، وخمسين وخمسمائة . وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والحَصْكَفِي : بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء ، هذه النسبة إلى حصن كيفا ، وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابني عمر وميافارقين ، وكان القياس أن ينسبوا إليه الحِصْنِي ، وقد نسبوا إليه أيضاً كذلك ، لكن إذا نسبوا إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسماً واحداً ونسبوا إليه كما فعلوا هاهنا ، وكذلك نسبوا إلى رأس عين « رَسَعِي » وإلى عبد الله وعبد شمس وعبد الدار : عبدلي وعبشمي وعبدري ، وكذلك كل ما هو نظيره .

وأما طَنْزَة : بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي في آخرها هاء ساكنة ، فهي بلدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العُمرية ، خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ، ونسبوا إليها^٢ .

(319) قال عماد الدين الأصبهاني الكاتب في كتاب « الخريدة »^٣ : منها إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الطنزي ، وهو القائل :

وإني لمشتاق إلى أرض طَنْزَة وإن خانني بعد التفرق إخواني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق أجفاني

ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا : كان الشاعر حياً في شهر رمضان^٤ سنة ثمان وستين وخمسمائة .

١ ن ص : المقارنين ؛ ع : المقاربين .

٢ هنا تنتهي الترجمة في س .

٣ الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٤٦٩ وياقوت (طنزة) .

٤ زاد في ن : المعظم قدره .

يحيى بن تميم الصنهاجي

أبو طاهر^١ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري الصنهاجي صاحب إفريقية وما والاها - قد تقدم ذكر والده ورفعت نسبه هناك ، وتقدم ذكر جماعة من أجداده في هذا الكتاب - .

وكانت ولاية الأمير يحيى المذكور بالمهدية خلافة عن أبيه تميم يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة والطلع الدرجة السابعة من الجندی ، ثم استقل بالأمر يوم وفاة والده ، وقد سبق ذلك في ترجمته . وكان عمر الأمير يحيى يوم الاستقلال ثلاثاً وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً ، وركب على العادة ، وأهل دولته محتفون به ، ورجع إلى قصره فغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجنود بخلع سنية ، وكانوا قد غيروا لباسهم لموت أبيه ، ووهب للأجناد والعبيد أموالاً كثيرة ، ووعدهم مواعيد سارة .

ورأيت في كتاب «الجمع والبيان في أخبار القيروان» الذي ألفه ولد أخيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس ، أن الأمير تميماً قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور ، وكان في دار الإمارة مع خاصته وجلسائه ، فمضى يحيى ومن معه إليه ، فوجدوا تميماً في بيت المال ، فأمرهم بالجلوس ثم قال لأحدهم : قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا^٢ ، فقام وأتى به ، فإذا هو كتاب ملحمته ، فقال له :

٨٠٥ - أخباره في الكتب التاريخية مثل ابن الأثير وأعمال الأعلام (ج : ٣) وابن أبي دینار وابن خلدون ٦ : ١٦٠ والبيان المغرب ١ : ٣٠٤ ومرآة الجنان ٣ : ١٩٨ وفي المكتبة الصقلية نقول من هذه الكتب وغيرها تتصل بأخباره .

١ ع ر بر من : أبو زكريا ؛ وفي أعمال الأعلام أن كنيته أبو علي .

٢ زاد في ر : فأت به .

عداً من أوله كذا وكذا ورقة ، واقرأ الصفحة التي تنتهي إليها ، فقرأها^١ وإذا فيها « الملك المغدور ، وهو الطويل القامة الذي على وركه الأيمن خال وفي جنبه الأيسر شامة » فقال الأمير تميم : أطبق الكتاب وارده إلى موضعه ، ففعل ، ثم قال تميم : أما العلامتان فقد رأيتهما ، وبقيت عليّ الثالثة ، قم أنت يا شريف وأنت يا فلان حتى تحقّقا عندي خبر العلامة الثالثة ، فقاموا وقام يحيى معهم إلى موضع مستور عن تميم ، فكشف لهم عن جسمه ، فأوا شامة على جنبه الأيسر هلالية الشكل ، فأتوا تميمًا فعرفوه ، فقال : لم أعطه أنا شيئاً ، الله تعالى الذي أعطاه ، ثم قال : إني أخبركم بحديث عجيب ، وذلك أنه عرض عليّ النحاس والدته ، فاستحسنتها ومالت نفسي إليها فاشتريتها ، وسلمتها إلى خدام القصر ، وأمرت النحاس أن يرجع إلى قبض الثمن ، ثم دبّرت في مال طيب حلال أخرج ثمنها منه ، فبينما أنا مفكر في ذلك إذ سمعت السائل^٢ يصيح ويرفع صوته في الإذن على مطالعتي ، فأخرجت رأسي من الطاق وقلت له : ما شأنك ؟ فقال : كنت الساعة أحضر في قصر المهدي إذ وجدت صندوقاً عليه قفل ، فتركته على حاله وجئت مطالعاً بأمره ، فأنفذت معه من أثق به ، فإذا فيه أثواب مذهبات الأعلام قد أفناها الدهر ، فأمرت بسبك أعلامها ، فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية ، فتعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ، ثم أمر لهم بدنانير وكساء وانصرفوا . قال عبد العزيز المذكور : وقد أدركت هذا الكتاب المشار إليه عند السلطان الحسن ، رحمه الله تعالى ، يعني الحسن بن علي بن يحيى المذكور ، وحكى عن الكتاب أموراً وقضايا ذكر أنها ستكون ، وكانت كما ذكر .

رجعنا إلى حديث يحيى :

ولما جلس في الملك قام بالأمر وعدل في الرعية وفتح قلاعاً لم يتمكن أبوه من فتحها ، قال عبد العزيز المذكور في تاريخه : وفي أيامه - يعني يحيى^٣ -

١ فقرأها : سقطت من ن ق ع س .

٢ ق ع س بر : البنامكي .

٣ ق ع س بر من : يعني أيام يحيى .

وصل إلى المهديّة من طرابلس المهدي محمد بن تومرت - المقدم ذكره - قادماً من الحج ، فنزل بمسجد قبليّ مسجد السبت ، فاجتمع إليه جماعة من أهل المهديّة وقرأوا عليه كتباً في علم أصول الدين ، وشرع في تغيير المنكر ، ورفع أمره إلى يحيى فأحضره وجماعة من الفقهاء ، فرأى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم ، فسأله الدعاء فقال له : أصلحك الله لرعيّتك ، ونفع بها ذريّتك ، وأقام مدة يسيرة بالمهديّة ثم انتقل إلى المنستير فأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى بجاية - وقد تقدم في ترجمة والده الأمير تميم أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد في أيامه ، والله تعالى أعلم أي ذلك كان .

ثم قال عبد العزيز : وفي سنة سبع وخمسمائة أتى إلى المهديّة قوم غرباء ، فقصدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها أنهم من أهل الصناعة الكبيرة من الواصلين إلى نهايتها ، فأذن لهم بالدخول عليه ، فلما مشّكوا بين يديه طالبهم بأن يظهرُوا له من الصناعة ما يقف عليه فقالوا : نحن نزيل من القصدير التدخين والصرير حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة ، لمولانا من السروج والقصب والبند والأواني قناطير من الفضة يجعل عوضاً منها ما يريدُه ويستعمل جميع ذلك في مهماته ، وسألوه أن يكون ذلك في خلوة ، فأجابهم وأحضرهم للعمل ، ولم يكن عند الأمير يحيى سوى الشريف أبي الحسن علي والقائد إبراهيم قائد الأعنة . وكانوا هم ثلاثة ، وكانت بينهم أمارة ، فأمكنتهم الفرصة ، فقال أحدهم : دارت البوتقة ، فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحداً بسكاكينهم ، فأما الذي قصد الأمير يحيى فقال : أنا سراج ، وكان يحيى جالساً على مصطبة ، فضربه فجاءت على أم رأسه ، فقطعت طاقات في العمامة ، ولم تؤثر في رأسه ، واسترخت يده بالسكين على صدره فخدشته ، وضربه يحيى برجله ، فألقاه على ظهره ، فسمع الخدم الجلبة ففتحوا باب القصر من عندهم ، فدخل يحيى وأغلق الباب دونهم ، وأما الشريف فلم يزل به الذي قصده حتى قتله ، وأما القائد إبراهيم فإنه شهر سيفه ، ولم يزل يقاتل الثلاثة ، وكسر الجند الباب الذي كان بينهم ، ودخلوا فقتلوهم ، وكان زيهم زي أهل الأندلس ، فقتل في البلد جماعة ممن

يلبس ذلك الزي ، وخرج^١ الأمير يحيى في الحال ومشي في البلد وسكن الفتنة .
 وكان يحيى عادلاً في دولته ضابطاً لأموار رعيته عارفاً بخرجه ودخله ، مدبراً
 في جميع ذلك على ما يوجهه النظر العقلي ويقتضيه الرأي الحكيم ؛ ونعته في الملاحم
 « الملك المغدور » وتحقق له هذا النعت بهذه الواقعة التي ذكرناها . وكان كثير
 المطالعة لكتب الأخبار والسير عارفاً بها ، رحيماً للضعفاء شقيقاً على الفقراء ،
 يطعمهم في الشدائد فيرفق بهم ، ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه ، وساس
 العرب في بلاده فهابوه وانكفت أطماعهم ، وكان له نظر حسن في صناعة النجوم
 والأحكام ، وكان حسن الوجه على حاجبه شامة ، أشهل العينين مائلاً في قده إلى
 الطول دقيق الساقين ، وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه ، وخلدوا
 مديحه في دواوينهم ، ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي
 الصلت الشاعر - المتقدم ذكره - أقام تحت كنفه بعد أن جاب الأرض ، وتقاذفت
 به البلدان ، وله صنّف الرسالة المشهورة التي وصف فيها مصر وعجائبها وشعراءها
 وغير ذلك^٢ ، وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن ، وله أيضاً مدائح في ولده
 أبي الحسن علي وولد ولده الحسن بن علي ، ومن جملة قوله من مديحه قصيدة :

وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغى	فالمجد أجمع بين البأس والحد
كدأب يحيى الذي أحييت مواهبه	ميت الرجاء بإيجاز المواعيد
معطي الصوارم والهيف النواعم وال	جرّد الصلاديم والبرز الجلاعيد ^٣
أشم أشوس مضروب سراقده	على أشم بفرع النجم معقود
إذا بدا بسرير الملك محتبياً	رأيت يوسف في محراب داوود
من أسرة تخذوا الماذي لبسهم	واستوطنوا صهوات الضمير القود
محسدون على أن لا نظير لهم	وهل رأيت عظيماً غير محسود

١ ع : فخرج .

٢ هي المسماة بالرسالة المصرية وقد نشرت بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات

رقم : ١ .

٣ الجلاعد - بضم الجيم - الحمل الشديد .

وإن تكن جمعتمكم أسرة^١ كرمتم
أقول للراكب المزجي مطيته
لا تترك الماء عيداً^٢ في مشارعه
هذي مواردٌ يحيى غيرُ ناضية
حكّم سيوفك فيما أنت طالبه^٣
فليس في كلِّ عود نفحة العود
يطوي بها الأرض من بيد إلى بيد
وتطلب الريّ من صمّ الجلاميد
وذا الطريقُ إليها غير مسدود
فللسيوفِ قضاءٌ غير مردود
وله فيه غير ذلك .

ولما كان يوم الأربعاء^٢ ، وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة ، توفي يحيى فجأة ، وذلك أن منجمه قال يوماً له : إن في تسيير مولدك في هذا النهار عليك عكساً فلا تركب ، فامتنع من الركوب ، وخرج أولاده ورجال دولته إلى المصلى ، فلما انقضت الصلاة حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام ، وقرأ القراء القرآن وأنشد الشعراء ، وانصرفوا إلى الإيوان فأكل الناس ، وقام يحيى إلى مجلس الطعام ، فلما وصل إلى باب المجلس أشار إلى جارية من حظاياها فاتكأ عليها ، فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتاً . وكان ولده علي نائبه على سفاقس ، وهي بلدة من أعمال إفريقية ، [وللشعراء فيها شعر فمن ذلك قول بعضهم وهو علي بن حبيب يصف بحرهما في مده وجزره :

سقياً لأرض سفاقس ذات المصانع والمصلى
بلد يكاد يقول حيه ن وروده أهلاً وسهلاً
وكأن ماء البئر حيه ن تراه ينضب ثم يملا
صبّ يريد زيارة فإذا رأى الرقباء ولي^٣

فأحضر وعقدت له الولاية ، ودفن يحيى في القصر على ما جرت به العادة ، ثم نقل بعد سنة إلى قصر السيدة بالمنستير - وهي بلدة بأفريقية أيضاً - وخلف ثلاثين ولداً ذكوراً .

١ ق بر : عنياً .

٢ ر : الاثني .

٣ زيادة من ر .

(320) وأما علي المذكور القائم مقام أبيه يحيى فإن مولده بمدينة المهديّة صبيحة يوم الأحد لخمس عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وكان أبوه قد ولاه سفاقس ، فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبه عن أبيه إليه يأمره بالوصول إليه مسرعاً ، فوصله الكتاب ليلاً ، فخرج لوقته ومعه طائفة من أمراء العرب ، وجدّ في السير فوصل الظهر من يوم الخميس الثاني من يوم العيد ، ودخل القصر ، ولم يقدم شيئاً على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه ، وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذي الحجة جلس للناس ، فدخلوا عليه وسلموا بالإمارة ، ثم ركب في جيوشه وجموعه ثم عاد إلى قصره .

وفي أيامه توجه أخوه أبو الفتوح ابن يحيى إلى الديار المصرية ومعه زوجته بلارة^١ بنت القاسم وولده العباس صغير على الثدي ، فوصل إلى الإسكندرية فأنزل وأكرم بأمر الأمر صاحب مصر يومئذ ، فأقام بها مدة سيرة وتوفي ، فتزوجت بعده زوجته بلارة بالعدل بن السلار واسمه علي - المقدم ذكره في هذا الكتاب في حرف العين^٢ - وشبّ العباس وقدمه الحافظ صاحب مصر ، وولي الوزارة بعد العادل المذكور .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه في حوادث سنة اثنتين وخمسمائة حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى يحيى في معنى الكيمياء ، فقال^٣ : كان محبّهم في هذه السنة ، وأنهم لما وثبوا على يحيى وجرى ما ذكرته قبل هذا صادف ذلك مجيء أبي الفتوح المذكور وأصحابه إلى القصر وعليهم السلاح ، فمنعوا من الدخول ، وثبت عند يحيى أن ذلك كان باتفاق بينهم ، فأخرج أبو الفتوح وزوجته وهي ابنة عمه إلى قصر زياد ، ووكل بهما إلى أن مات يحيى ومملك ابنه علي فسيرهما في البحر إلى الديار المصرية ، فوصلا إلى الإسكندرية . انتهى كلامه .

ولم تزل أمور علي بن يحيى جارية على السداد ، إلى أن توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ودفن في القصر

١ س : بلادة .

٢ انظر ج ٣ : ٤١٦ .

٣ تاريخ ابن الأثير ١٠ : ٤٧٢ ، ولم ترد هذه الفقرة في س بر من .

بعد أن فوض الأمر من بعده إلى ولده أبي يحيى الحسن بن علي بن يحيى .
(321) ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة ،
فكان عمره يوم ولايته اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر ، ولما كان ثاني يوم وفاة
أبيه خرج للناس فسلموا عليه وهنئوه بما صار إليه ، ثم ركب والجيوش محففة به .
وجرت في أيامه وقائع وأمور يطول شرحها ، فمن ذلك أن رجلاً الفرنجي
صاحب صقلية أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرم
سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقتل أهلها وسبي الحرير والأطفال وأخذ
الأموال ، ثم شرع في عمارتها وتحصينها بالرجال والعدد ، ثم أخذ المهديّة يوم
الاثنين ثاني عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وذلك أن الحسن بن علي
لما علم عجزه عن مقاومته خرج من المهديّة هارباً ، وقد استصحب ما خف عليه
حملة من النفائس ، وخرج أهل البلد أيضاً هارين ، إلا من أقعده العجز عن
الهرب ، فدخل إليه الفرنج وملكوه ، وصادفوا فيه من الأموال والذخائر ما لا يعد
ولا يحصى .

وكان عدة من ملك من أهل بيتهم ، وأولهم زييري - المقدم ذكره في حرف
الزاي^٢ - إلى هذا الحسن بن علي تسعة ملوك ، ومدة ولايتهم مائتا سنة وثمان
سنين ، وانقرضت دولة بني باديس .

ثم إن الحسن بن علي توجه نحو المعلقة - وهي قلعة حصينة بإفريقية تجاور
تونس ، وكان صاحبها أبا محفوظ^٣ محرز بن زياد أحد أمراء العرب ، فأقام عنده
قليلاً ثم ظهر له منه الضجر والسامة ، فعزم على قصد الديار المصرية ليكون عند
الحافظ العبيدي صاحبها يومئذ ، فمني خبره إلى نائب رجار بالمهدية ، فجعل عليه
العيون وعمل عشرين شينياً ليمسكه في البحر ، فبلغ الحسن ذلك ، فرجع عن هذا
الرأي ، ثم قصد أن يتوجه إلى جهة عبد المؤمن بن علي بمراكش ، وأنفذ ثلاثة
من أولاده إلى صاحب بجاية ، وهي آخر أعمال إفريقية ، ليستأذنه في الوصول
إليه ، وبعد ذلك يتوجه إلى عبد المؤمن ، فأضمر له الغدر وخاف من اجتماعه

١ ورد هذا الاسم في أكثر النسخ : رجاز ، حتى في المختار ، وهو : Roger .

٢ انظر ج ٢ : ٣٤٣ . ٣ أبا محفوظ : سقط من : ص ن ق ع .

بعبد المؤمن أن يتفقا على ما فيه ضرره ، فكتب إليه كتاباً على يد أولاده يقول له : لا حاجة لك في الرواح إلى عبد المؤمن ، ونحن نفعل معك ونصنع ، وأجزل له من المواعيد الحسنة ، فتوجه إليه ، فلما قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به إلى الجزائر ، وهي بلدة فوق بجاية من جهة الغرب ، وأنزلوه بها في مكان لا يليق بمثله ، ورتبوا له من الإقامة ما لا يصلح لبعض أتباعه ، ومنعوه من التصرف ، وكان وصوله إلى الجزائر في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة .
ثم إن عبد المؤمن فتح بجاية في سنة سبع وأربعين وهرب صاحبها إلى القسطنطينية^١ .

(322) ثم إن رجار صاحب صقلية هلك في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

(323) ولما هلك رجار ملك بعده ابنه غنيم^٢ بن رجار ، وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله بن قلاص الشاعر - المقدم ذكره - ومدحه وأجازه ، وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة^٣ .

(324) ولما هلك غنيم ملكت ابنته ، وهي أم الأنبرور ملك ألمانية في زماننا ، ثم هلكت أم الأنبرور وخلفتها صغيراً فملك واستمر ملكه ، وكان عاقلاً فاضلاً ، وبينه وبين الملك الكامل صاحب مصر مراسلات وغيرها^٤ .

١ كذا في أكثر النسخ ؛ ع بر من : القسطنطينية .

٢ ن : عليم ؛ وصواب الاسم « غليلم » تمريب « Guliemo » وقد يكتب غليالم .

٣ انظر فصلاً في كتابنا « العرب في صقلية » عن ابن قلاص والفترة التي أقامها هناك .

٤ علق هنا صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وهو الذي استعاد البيت المقدس من الملك الكامل المذكور في () وستمائة والقصة مشهورة ، ولما وصل الخبر بذلك إلى دمشق أشد الشيخ شمس الدين المظفر سبط ابن الجوزي الواعظ المقدم ذكره على منبر وعظه بالجامع بدمشق :

إن يكن بالشام قل نصيري ثم هدمت واستمر هلوكي

فلقد أصبح الغداة خرابي سبة العار في جباه الملوك

وقوله : ولما هلك رجار . . . وغيرها : سقط من النسخ س بر من .

ثم إن عبد المؤمن وصل إلى المهديّة وملكها بعد جهد جهيد ، وكان دخوله إليها بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فولى بها نائباً ، وكان الحسن بن علي قد وصل صحبته ، فرتبته مع النائب لتدبير أمورها لكونه عارفاً بأحوالها وأقطعه بها ضيعتين وأعطاه دوراً سكنها هو وأولاده وأتباعه . ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن علي المذكور .

(325) ثم قتل محرز بن زياد المذكور في وقعة سطيف يوم الخميس في العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وهذا الحسن بن علي هو الذي صنف له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت كتاب « الحديقة » .

٨٠٦

يحيى بن خالد البرمكي

أبو الفضل^١ يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد - وقد تقدم ذكر ولديه جعفر والفضل كل واحد منهما في باب - ؛ وكان جدهم برمك من مجوس بلخ ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توّقد فيه النيران ، واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدائنه ، وكان برمك عظيم المقدار عندهم ، ولم أعلم هل أسلم أم لا .

(326) وساد ابنه خالد وتقدم في الدولة العباسية ، وتولى الوزارة لأبي

٨٠٦ - أخباره في كتب التاريخ التي تتحدث عن نكبة البرامكة كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب والأغاني ، وكتب الأدب العامة كالعقد ، وانظر معجم الأدياء ٢٠ : ٥ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠٤ وتاريخ بغداد ١٤ : ١٢٨ ومعجم المرزباني : ٤٨٨ ومرآة الجنان ١ : ٤٢٤ وعبر الذهبي ١ : ٣٠٦ وصفحات متفرقة من الوزراء والكتاب للجيشياري وشرح البسامة : ٢٢٢ .

١ ق ن ص س : أبو علي ، وموضعه بياض في ر .

العباس السفاح بعد أبي سلمة حفص الخلال - المقدم ذكره - وقد ذكرته في ترجمة جعفر وذكرت هناك تاريخ وفاته ، وقال أبو الحسن المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^١ : لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله ، لا يحيى في رأيه ووفور عقله ، ولا الفضل ابن يحيى في جوده ونزاهته ، ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه ، ولا محمد بن يحيى في سرّوه وبعد همته ، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه . ولما بعث أبو مسلم الخراساني قحطبة بن شبيب الطائي لمحاربة يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري عامل مروان بن محمد^٢ على العراقيين ، وكان خالد بن برمك في جملة من كان معه ، فنزلوا في طريقهم بقرية ، فبينما هم على سطح بعض دورها يتغدون إذ نظروا إلى الصحراء وقد أقبلت منها أقاطيع الوحش من الطباء وغيرها ، حتى كادت تخلط العسكر ، فقال خالد لقحطبة : أيها الأمير ، ناد في الناس ومرهم أن يسرجوا ويلجموا قبل أن تهجم عليهم الخيل ، فقام قحطبة مذعوراً ، فلم ير شيئاً يروعه ، فقال : يا خالد ما هذا الرأي ؟ فقال : قد نهد^٣ إليك العدو ، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت ؟ إن وراءها لجمعاً كثيفاً ، فما ركبوا حتى رأوا الغبار ، ولولا خالد لهلكوا^٤ .

١ مروج الذهب ٣ : ٣٧٧ .

٢ زاد في المختار : آخر ملوك بني أمية .

٣ قع والمختار : نهز ؛ س : نهد عليك .

٤ علق صاحب المختار بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ومثل هذه الحكاية ما يحكى عن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الأصغر صاحب حمص أنه كان نائماً في الصيف بسطح دار بقلعة حمص ليلاً ، فأمر بضرب بوق الفزع نصف الليل وركب للوقت وهو شاكبي السلاح ، واجتمع إليه العسكر وجميع أصحابه ، وسار بهم إلى طريق حصن الأكراد ، فوافى سرية كبيرة من الفرنج وقد عدوا المخاضة التي بين حمص وحصن الأكراد وهم عازمون على الغارة على بلاد حمص ، فأوقع بهم واستأصل شأفتهم قتلاً وأسراً واستولى على ما معهم وعاد من ليلته ، فسئل كيف علم بذلك فقال : كنت قد استيقظت من منامي واستلقيت على ظهري مفكراً ، فسقط على وجهي قطرات عديدة من الماء ، فقلت في نفسي : هذا زمن الصيف ولا مطر فيه والسماء صاحبة ، ولا شك في أن سرية من الفرنج من حصن الأكراد قد قصدوا الغارة علينا ، ولما عبروا المخاضة نفر ما بها من الطيور وطاروا في ضوء القمر ، وإن هذه النقطة من رشاش أجنحتها ، فكان حديثاً صحيحاً ، والله أعلم » .

وأما يحيى فإنه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال ، وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور قد ضم إليه ولده هارون الرشيد ، وجعله في حجره ، فلما استخلف هارون عرف له حقه ، وقال له : يا أبت ، أنت أجلسني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك الأمر ، ودفع له خاتمه ، وفي ذلك يقول الموصلي ، وأظنه إبراهيم النديم أو ابنه إسحاق :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمةً فلما ولي هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكان يعظمه ، وإذا ذكره قال « أبي » وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه ، إلى أن نكب البرامكة فغضب عليه ، وخلده في الحبس إلى أن مات فيه ، وقتل ابنه جعفرًا - حسبما تقدم شرحه في ترجمته .

وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ؛ ومن كلامه : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الهدية والكتاب والرسول . وكان يقول لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول : الدنيا دول والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وبمن بعدنا عبرة .

وقال الفضل بن مروان - المقدم ذكره - : سمعت يحيى بن خالد يقول : من لم أحسن إليه فأنا مخير فيه ، ومن أحسنت إليه فأنا مرتين به .

وقال القاضي يحيى بن أكثم ، سمعت المأمون يقول : لم يكن كيعحي بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجلود والشجاعة ، ولقد صدق القائل حيث يقول :

أولادُ يحيى أربعٌ كأربعِ الطبايعِ
فهمٌ إذا اختبرتهم طبايعُ الصنائعِ

قال القاضي : فقلت له يا أمير المؤمنين ، أمّا الكفاية والبلاغة والسماحة

فنعرفها فيهم ، ففي من الشجاعة ؟ فقال : في موسى بن يحيى ، وقد رأيت أن أوليه نغر السند .

وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي - المقدم ذكره^١ - : حدثني أبي قال : أتيت يحيى بن خالد بن برمك فشكوت إليه ضيقة فقال : ويحك ، ما أصنع بك ؟ ليس عندنا في هذا الوقت شيء ، ولكن هاهنا أمر أدلك عليه فكن فيه رجلاً ، قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئاً ، وقد أتيت ذلك عليه ، فألح علي ، وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة ثلاثة آلاف دينار ، فهو ذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني فإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف تكون ، قال : فوالله ما شعرت إلا بالرجل وافاني فساومني بالجارية ، فقلت له : لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار ، فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها ، فبعتها وقبضت العشرين ألفاً ، ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لي : كيف صنعت في بيعك الجارية ؟ فأخبرته وقلت : والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها ، فقال : إنك لحسيس فخذ جاريتك بارك الله لك فيها ، وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا ، فإذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار ، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك ، فجاءني الرجل فاستمت عليه خمسين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار ، فضعف قلبي عن ردها ولم أصدق بها ، فأوجبتها ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لي : بكم بعت الجارية ؟ فأخبرته ، فقال : ويحك ! ألم تؤدبك الأولى عن الثانية ، قال : فقلت : والله ضعفت عن رد شيء لم أطمع فيه ، قال فقال : هذه جاريتك فخذها إليك ، قال : فقلت : جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ، ثم أملكها ، أشهدك أنها حرة ، وأنتي قد تزوجتها . هكذا رأيت هذه الحكاية ، ثم نظرت في كتاب « أخبار الوزراء » تأليف الجهشياري فقال : إن يحيى قال لإبراهيم الموصلي : لا تقبل أقل من مائة ألف دينار ، وأنته باعها بخمسين ألف دينار ، وقال له في المرة الثانية

١ انظر ج ١ : ٢٠٢ .

لا تقبل أقلّ من خمسين ألف دينار فباعها بثلاثين ألف ديناراً .
 وقال الأصمعي^٢ : دخلت على يحيى يوماً فقال : يا أصمعي ، هل لك
 زوجة ؟ فقلت : لا ، فقال : فجارية ؟ فقلت : لكم منة ، فأمر بإخراج
 جارية غاية في الحسن والجمال والظرف ، فقال لها قد وهبتك لهذا ، وقال :
 يا أصمعي ، خذها فشكرته ودعوت له ، فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت :
 يا سيدي ، تدفني إلى هذا ، فما ترى من سماجته وقبحه ؟ فقال لي : هل لك
 أن أعوضك عنها ألفي دينار ؟ قلت : ما أكره ذلك ، ودخلت الجارية إلى داره
 فقال لي : أنكرت على هذه الجارية أمراً فأردت أن أعاقبها بك ثم رحمتها ،
 فقلت له : هلا أعلمتني حتى كنت لحقت بالباب على صورتي الأصلية من غير
 أن أسرح لحيتي وأصلح عمتي وأطيب وأتجمل ، فضحك ، وأمر لي بألف
 دينار أخرى .

وحكى إسحاق النديم أيضاً قال : كانت صلوات يحيى بن خالد إذا ركب
 لمن تعرض له مائتي درهم ، فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده :

يا سميّ الحصور^٣ يحيى أتيتُ لك من فضل ربنا جنتان
 كل من مرّ في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
 مائتا درهم مثلي قليل هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى : صدقت ، وأمر بحمله إلى داره ، فلما رجع من دار الخلافة
 سأله عن حاله ، فذكر أنه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث : إما أن يؤدي
 المهر وهو أربعة آلاف ، وإما أن يطلق ، وإما أن يقيم جارياً للمرأة يكفيها
 إلى أن يتهاى له نقلها ، فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر ، وبأربعة آلاف لثمن
 منزل ، وبأربعة آلاف لما يحتاج إليه المنزل ، وبأربعة آلاف للبنية ، وبأربعة
 آلاف يستظهر بها ، فأخذ عشرين ألفاً وانصرف .

١ هكذا رأيت . . . بثلاثين ألف دينار : لم يرد في س بز من .

٢ لم ترد هذه القصة في س .

٣ ق ص ع : المحصور ؛ ويحيى المشار إليه هو يحيى بن زكريا ، والحصور : الذي لم يتزوج .

وقال محمد بن منذر الشاعر : حج هارون الرشيد ومعه ابنه الأمين محمد والمأمون عبد الله ، وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر ، فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد ، فأعطى الناس عطاءهم ، ثم جلس الأمين ومعه الفضل فأعطاهم العطاء ، ثم جلس المأمون ومعه جعفر بن يحيى فأعطاهم عطاياهم ، وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الأعطية الثلاثة ، ولم يروا مثل ذلك قط ، فقلت في ذلك :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك
لهم رحلة في كل عام إلى العدى
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى
فما خلقت إلا لجود أكفهم
إذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه
ترى الناس إجلالاً له وكأنهم
فيا طيب أخبارٍ ويا حسنَ منظرٍ
وأخرى إلى البيت العتيق المطهر
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
بمكة ما حجوا ثلاثة أقر
وأقدامهم إلا لأعواد منبر
فناهيك من راعٍ له ومدبر
غرائيق ماء تحت باز مصرصر^١

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »^٢ ، في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي أنه قال : كنت حنطاً^٣ بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أضراب بها ، فتلفت الدراهم ، فشخصت إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد ، فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وسألتهم أن يوصلوني إليه ، فقالوا : إذا قدم الطعام إليه لم يحجب عنه أحد ، ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت ، فلما حضر طعامه أدخلوني فأجلسوني معه على المائدة ، فسألني : من أنت ؟ وما قصتك ؟ فأخبرته ، فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لأقبل رأسه ، فاشمأز من ذلك ، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار ، فقال : الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على أمرك

١ هذا البيت والذي قبله زيادة من : ر ن ، وسقطت القصة كلها من س بر من .

٢ تاريخ بغداد ٣ : ٤ .

٣ في بعض النسخ : خياطاً ؛ والحنط : هو بائع الخنطة ، وهذا مناسب للمضاربة .

وعد إلينا في اليوم الثاني ، فأخذته وانصرفت ، وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة ، فأنشأ يسألني كما سألتني في اليوم الأول ، فلما رفع الطعام ذنبت منه لأقبل رأسه فاشمأز مني ، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار ، فقال لي : الوزير يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : استعن بهذا على أمرك وعدُّ إلينا في غد ، فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثالث كما أمر ، فأعطيت مثل الذي أعطيت في اليوم الأول والثاني ، فلما كان في اليوم الرابع أعطيت الكيس كما أعطيت قبل ذلك ، وتركتني بعد ذلك أقبل رأسه ، وقال : إنتما منعتك ذلك لأنّه لم يكن وصل إليك من معروفي ما يوجب هذا ، فالآن قد لحقتك بعض النفع مني ، يا غلام أعطه الدار الفلانية ، يا غلام افرش له الفرش الفلاني ، يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ، ثم قال لي : الزمني وكن في داري ، فقلت : أعز الله الوزير ، لو أذنت لي بالشخص^١ إلى المدينة لأقضي الناس أموالهم ثم أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بي ، قال : قد فعلت ، وأمر بتجهيزي ، فشخصت إلى المدينة ، فقضيت ديني ثم رجعت إليه فلم أزل في ناحيته^٢ .
 ودخل عليه يوماً أبو قابوس الحميري فأنشده :

رأيت يحيى أتم^٣ الله نعمته^٤ عليه يأتي الذي لم يأته أحد^٥
 ينسى الذي كان من معرفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد^٦

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال .
 قلت : قد حلّ هذا البيت الثاني شرف الدولة مسلم بن قريش ، وقد قال له رجل : لا تنس أيها الأمير حاجتي ، فقال : إذا قضيتها أنسيته^٧ .

١ ر : بالتهوض والشخوص .

٢ قال صاحب المختار عند هذا الموضع : وذكر والدي أحمد قدس الله روحه من مكارم يحيى وكرمه
 حكايات عديدة أضربت عن ذكرها طلباً للإيجاز .

٣ ر ن : أدام .

٤ زاد في ر : وهذا من الأجوبة الدالة على شرف القدر .

ولمسلم بن الوليد الأنصاري في يحيى بن خالد^١ :

أجدك هل تدرين إن ربَّ ليلة كأن دجاها من قرونك يُنشرُ
مُصبرٌ لها حتى تجلت بغرةٍ كغرة يحيى حين يذكر جعفرُ

وكان يحيى يقول : إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تبقى ، وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى ؛ وقال : ذكر النعمة من المنعم تكدير ، ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير ؛ وقال : النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح ؛ وقال : إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة .

وقال الحسن بن سهل - المقدم ذكره - : من غيرته الولاية لإخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه ، أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك .

[ولما عزم جعفر على بناء قصره شاور أباه يحيى بن خالد فيه فقال : هو قميصك إن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه ؛ وأتاه وهو يبني داره فإذا الصناع يببضون حيطانها فقال : إنك تعطي الذهب بالفضة ، فقال جعفر : ليس كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم ، مخالطتها لدور السفل والسوقة]^٢ .

وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته ، فعزم على ختان ولده ، فاحتفل له الناس على طبقاتهم ، وهاداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم ، وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاعت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره ، فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين ، فجعل في أحدهما ملحاً وفي الآخر أشناناً مكفراً ، وكتب معهما رقعة نسختها : لو تمت الإرادة لأسعفت بالعادة ، ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين إلى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك ، لكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة ، وخفت أن تطوى صحائف البر

١ ديوان مسلم : ٣١٦ .

٢ زيادة من ر .

وليس لي فيها ذكر ، فأنفذت المبتدأ بيمينه وبركته والمختم بطييه ونظافته ، صابراً على ألم التقصير ، ومتجرعاً غصص الاقتصار على اليسير ، فأما ما لم أجد إليه السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عز وجل ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ (التوبة : ٩١) والسلام . فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها ، حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها ، وأمر أن يملأ الكيسان مالاً ويردا عليه ، فكان ذلك أربعة آلاف دينار .

وقال رجل ليحيى : والله لأنت أحلم من الأحنف بن قيس ، فقال له : لا تقرب إليّ من أعطاني فوق حقي .

ونادى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه ، فقال : سمعت يحيى بن خالد يقول : يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه .

وكان يحيى يساير الرشيد يوماً فوقف له رجل فقال : يا أمير المؤمنين عطبت دابتي ، فقال الرشيد : يعطى خمسمائة درهم ، فغمزه يحيى ، فلما نزلوا قال له الرشيد : يا أبت أومات إليّ بشيء ولم أعرفه ، فقال : مثلك لا يجري هذا القدر على لسانه ، إنما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف ، عشرة آلاف ألف ، فقال : إذا سئلت مثل هذا كيف أقول ؟ ، فقال : تقول : يشتري له دابة .

وبالجملة فإن أخبارهم كثيرة ، ولا يحتمل هذا المختصر الإطالة أكثر من هذا .

ولما قتل هارون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي - كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب - نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل - كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب - وكان حبسهما في الرافقة ، وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة ، وهي البلد المشهور الآن على شاطئ الفرات ، ويقال هما الرقتان ، تلياً لأحد الاسمين على الآخر ، كما قيل العمران والقمران وغير ذلك .

وحكى الجهشيارى في كتاب « أخبار الوزراء »^١ أن يحيى بن خالد اشتهى في وقت من الأوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة ، فلم يطلق له اتخاذها إلا بمشقة ، فلما فرغ منها سقطت القدر من يد المتخذ لها فانكسرت ، فأنشد يحيى أبياتاً يخاطب بها الدنيا ، ومضمونها اليأس وقطع الأطماع^٢ .

ولم يزل يحيى في حبس الرافقة^٣ إلى أن مات في الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة ، وهو ابن سبعين سنة ، وقيل أربع وسبعين^٤ ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن في شاطيء الفرات في ربيع هرثمة ، ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه : قد تقدم الحصم ، والمدعي عليه في الأثر ، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يحتاج إلى بينة . فحملت الرقعة إلى الرشيد ، فلم يزل يبكي يومه كله وبقي أياماً يتبين الأسى في وجهه ، رحمهما الله تعالى^٥ . وكان يحيى يجري على سفیان الثوري ، رضي الله عنه ، في كل شهر ألف درهم ، وكان سفیان يقول في سجوده : اللهم إن يحيى كفاني أمر دنيائي ، فاكفه أمر آخرته ، فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم فقال له : ما صنع الله بك ؟ قال : غفر لي بدعاء سفیان ، وقيل إن صاحب هذه القضية هو سفیان ابن عيينة لا سفیان الثوري ، والله تعالى أعلم .

قال الجهشيارى^٦ : ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة وتحسر على ما فرط منه في أمرهم ، وخاطب جماعة من إخوانه بأنه لو وثق منهم بصفاء النية منهم لأعادهم إلى حالهم . وكان الرشيد كثيراً ما يقول : حملونا على نصحائنا وكفائنا ، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم ، فلما صرنا إلى ما أرادوا لم يغنوا عنا ، وأنشد :

١ أخبار الوزراء : ٢٤٥ ، ولم يرد هذا النص في س بر من .

٢ مظلها :

قطعت منك حبال الآمال وأرحت من حل ومن ترحال

٣ المختار : في الحبس بالرافقة .

٤ ن : وستين .

٥ هنا تنتهي الترجمة في س بر من .

٦ الوزراء والكتاب : ٢٥٨ .

أقلّوا علينا لا أبا لأبيكم^١ من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

قلت : هذا البيت للحطيئة الشاعر ، وبعده :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا^١

قلت : وذكر الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » ما مثاله : إنّه وجد

تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب :

وحقّ الله إن الظلم لوم وإن الظلم مرتعه وخيم^٢
إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم^٢

١ جاء في المختار عند هذا الموضع : هذا آخر ما نقلته من الجزء الرابع من كتاب « وفيات الأعيان »

ويتلوه ما أنقله من الجزء الخامس ، إن شاء الله ، وأوله ترجمة عون الدين بن هبيرة .

٢ هنا تنتهي النسختان : ص ن : وفي آخرهما الخاتمة التي تمثل آخر ما خطه المؤلف قبل أن يعين

قاضياً في الشام ويتوقف عن التأليف ، وهذه الخاتمة قد ثبتت في ر ، رغم استمرار التراجم فيها إلى نهاية

الكتاب ، وقد طبعها وستفيلد ، في نهاية الترجمة ، ونصها : « قلت : وقد أتيت في هذا المختصر

بالقدر الممكن مع ضيق الأوقات ، وتركت في هذا الباب الذي هو حرف الياء تراجم كثيرة كان

عزمي أن أذكرها فما اتسع الوقت لإثباتها ، فأخرتها مع مسودات آخر كثيرة أعدتها لكتاب آخر

مطول ، أجمعه على هذا الأسلوب - إن فسح الله في الأجل ووفق للعمل - يكون محتويّاً على فوائد

جمة يحتاج إليها من يعنى بهذا الفن ويستغني من يطالعه عن مراجعة كتب كثيرة ، فإني انتقيت

هذه المسودات من أمهات التواريخ وأخبار الناس المتقدمين والمتأخرين ، وفيما يغلب على ظني لم

أترك شيئاً من الكتب التي في أيدي الناس المشهورة والحاملة ، المبسوطة والوجيزة ، إلا اخترت منه ما

يدخل في هذا الكتاب ، وفي عزمي بعونه عز وجل ومشيتته أن يكون أكثر من عشرة أسفار ، والله

عز وجل المسؤول في الإعانة عليه والإرشاد إليه ، بحوله وقوته ، إن شاء الله تعالى ، والله عز وجل

أعلم بالصواب وإليه المرجع المآب ، وكان آخر تحرير هذا المجلد في سنة تسع وخمسين وستمائة .

الوزير ابن هبيرة

أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد^١ بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو^٢ بن هبيرة بن علوان بن الحَوْفزان - وهو الحارث - بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام ابن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، الشيباني ، الملقب عون الدين ؛ هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الدبئي في تاريخه وابن القادسي في كتاب «الوزراء» وغيرهما ، وإنما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته ، وذكره الشعراء في مدائحهم .

وهو من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني أوقر ، بالقاف ، من أعمال دجيل ، وهي دور عرمانيا^٣ ، بالعين المهملة والياء المثناة من تحت ، وتعرف الآن بدور^٤ الوزير نسبة إليه ، وكان والده من أجنادها^٥ .

٨٠٧ - ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ١ : ٩٦ وتاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٢١ والمنتظم ١٠ :- ٢١٤ وذيل ابن رجب ١ : ٢٥١ وتاريخ ابن خلدون ٣ : ٥٢٤ والروضتين ١ : ١٤١ ومطالع البدور ٢ : ١١٤ ومفرج الكروب ١ : ١٤٧ ومرآة الزمان : ٢٥٥ ومرآة الجنان ٣ : ٣٤٤ والفخري : ٢٧٦ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٥١ وعبر الذهبي ٤ : ١٧٢ والشذرات ٤ : ١٩١ ووقعت هذه الترجمة في ع بعد ترجمة ياقوت الحموي ؛ وابتداء من هذه الترجمة تعود مسودة المؤلف إلا أن ورقات من أولها قد فقدت وأعاد بمض النساخ كتابتها. وسوف يكون اعتمادنا كبيراً عليها حيث يبدأ خط المؤلف نفسه .

١ ع ق ر س : سعيد .

٢ ق ر : عمر .

٣ المختار : دوز عرمانيا .

٤ ر : بدار .

٥ ع ق س : آحادها .

ودخل بغداد في صباه ، واشتغل بالعلم ، وجالس الفقهاء والأدباء ، وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وسمع الحديث ، وحصل من كل فن طرفاً ، وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراءات والروايات ، وقرأ النحو ، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، ولازم الكتابة ، وحفظ ألفاظ البلغاء وتعلم صناعة الإنشاء ، وكانت قراءته الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي ، وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء ، وصحب الشيخ أبا عبد الله محمد ابن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي الواعظ ، وسمع الحديث النبوي من أبي عثمان إسماعيل بن محمد بن قيلة الأصبهاني ومن أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين الكاتب ومن بعدهما ، وحدث عن الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين^١ وعن غيره ، وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي .

وأول ولايته الإشراف بالأقرحة الغربية ، ثم نقل إلى الإشراف على الإقامات المخزنية ، ثم قلد الإشراف بالمخزن ، ولم يطل في ذلك مكثه حتى قلد في سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزمام ، ثم ترقى إلى الوزارة ، وكان سبب توليته الوزارة ما حكاه الذي جمع سيرته أنه قال : من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله إلى الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي - وكان مسعود أحد الخدم الحصيان الحبشيين الكبار من أمراء دولته - من سوء أدبه في الحضرة وخروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدي أصحابه ، وكان وزير الخليفة إذ ذاك قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة ابن علي بن صدقة قد كتب عن الخليفة إلى السلطان مسعود عدة كتب يعتمد الإنكار على مسعود البلالي على ما صدر منه ، فلم يرجع بجواب ، فلما قلد عون الدين ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفة في مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع إليه : قد كان الوزير كتب في ذلك عدة كتب فلم يجيبوه ، فراجع عون الدين في ذلك سؤاله إلى أن أجيب ، فكتب من إنشائه رسالة ، وهي طويلة فأضربت عن ذكرها ، وحاصل الأمر فيها أنه دعا له ، وأذكره ما كان أسلافه

١ زاد في المختار : العباسي .

يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتأدب معهم والذب عنهم ممن يفتنهم ، وشكا من مسعود البلالي ، وأنه كاتب في ذلك عدة دفعات وما جاءه جواب ، وأطال القول في ذلك ، وكان هذا في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة في شهر ربيع الآخر ، فما مضى على هذا إلا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والذم لمسعود البلالي والإنكار لما اعتمده ، فاستبشر المقتفي بإشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ، ولم يزل عنده مَكِيناً حتى استوزره .

قال مصنف السيرة : وكان أيضاً من جملة أسباب وزارته أنه في سنة ثلاث وأربعين وصل إلى بغداد الأمير ابن ألقش ' المسعودي صاحب اللحف ، وهو صقع بالعراق ، وبلد كرك السطاني ، وقصداها في جموع كثيرة ، وصدر منهم فتن عظيمة تضمنتها التواريخ ، فشرع الوزير قوام الدين بن صدقة في تدبير الحال ، فأخفق مسعاه ، فحينئذ استأذن عون الدين الخليفة في أمرهم فأذن له في ذلك ، فخاطب هؤلاء الخارجين على الخليفة ، وأحسن التدبير في ذلك حتى كف شرهم ، ثم قوي عليهم حتى نهبت العامة أموالهم ، وجرت المقادير بهذه الأحوال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة ، فإنه عند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة المقتفي عون الدين بمطالعة على يد أميرين من أمراء الدولة فتبين بقراءته لها التبشير في أسرته ، فركب إلى دار الخليفة في جماعته ، وتسامع الناس بوزارته ، ولما وصل إلى باب الحجر استدعي فدخل وقد جلس له المقتفي بميمنة التاج ، فقبل الأرض وسلم ، وتحدثا ساعة بما لم يحط به غيرهما علماً ، ثم خرج وقد جهزوا له التشريف على عادة الوزراء ، فلبسه ، ثم استدعي ثانياً فقبل الأرض ، ودعا بدعاء أعجب الخليفة ، ثم أنشده :

سأشكر عمراً ما تراخت مني أيادي لم تمنن وإن هي جلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت بمرأى منه حتى تجلت

قلت : وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي - المقدم ذكره - وهي

١ كذا في س ؛ وفي ق ع ؛ ابن البقسق ؛ بر : أبو البقس .

ثلاثة أبيات ، والثاني منهما بعد الأول :

فنى غيرٌ محجوبِ الغنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النعلُ زلتِ

ولما أنشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثاني منهما فإن الشاعر

قال :

فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فما رأى أنه يخاطب الخليفة بهذه العبارة فغيره تأدباً .

ثم إن عون الدين خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرة محجل ، وعليه من الحلى ما جرت به عادتهم مع الوزراء ، والشرح في ذلك يطول فاختصرته ، وخرج بين يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمراء الحضرة وجميع خدام الخلافة وسائر حجاب الديوان ، والطبول تضرب أمامه ، والمسند وراءه محمول على عادتهم في ذلك ، حتى دخل الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدست ، وقام لقراءة عهده الشيخ سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنباري ، ولولا خوف الإطالة لذكرت العهد فإنه بديع في بابه ، لكن قصدي الاقتصار فأعرضت عن ذكره ، وهو مشهور في أيدي الناس ؛ فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وأنشد الشعراء ، وتولى الوزارة يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وكان لقبه جلال الدين ، فلما ولي الوزارة لقبوه عون الدين .

وكان عالماً فاضلاً ذا رأي صائب وسريرة صالحة ، وظهر منه في أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحصن مناصحته ، فشكر له ذلك ولحظه بعين الرعاية وتوفرت له أسباب السعادة ، وكان مكرماً لأهل العلم يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ، ويقراً عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره .

وصنف كتباً ، فمن ذلك كتاب « الإفصاح عن شرح معاني الصحاح » وهو يشتمل على تسعة عشر كتاباً ، شرح الجمع بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبوية ، وكتاب « المقتصد » بكسر الصاد المهملة ، وشرحه أبو

محمد ابن الحشاش النحوي المشهور في أربع^١ مجلدات شرحاً مستوفى ، واختصر كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، وله كتاب « العبادات في الفقه على مذهب الإمام أحمد » وأرجوزة في المقصور والممدود ، وأرجوزة في علم الخط ، وغير ذلك .

وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الصغير الأتابكي^٢ في فصل حصار الملك محمد وزين الدين بغداد ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، أن المقتفي لأمر الله جد في حفظ بغداد ، وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الأمر المقام الذي يعجز عنه غيره قال : وأمر المقتفي فنودي ببغداد : من جرح وقت القتال^٣ فله خمسة دنانير ، فكان كل من جرح يوصل ذلك إليه ، فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحاً فقال الوزير : هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً ، فعاد إلى القتال ف ضرب في جوفه فخرجت أمعاؤه ، فعاد إلى الوزير فقال : يا مولانا الوزير يرضيك هذا؟! فضحك منه وأمر له بصلة ، وأحضر له من يعالجه ؛ انتهى كلام ابن الأثير .

قلت : وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وزين الدين هو أبو الحسن علي بن بكتكين المعروف بكجك والد مظفر الدين صاحب إربل .

وقال غير ابن الأثير : إن الملك اسمه محمد شاه وإن هذه القضية كانت في سنة اثنتين وخمسين ، والله أعلم ؛ ذكر ذلك ابن الجوزي في كتاب « شذور العنود » وهو أخبر ، لأنها بلده وهو بها ، وقد ذكرت محمد شاه في ترجمة أبيه . وتوفي الإمام المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الأحد ثاني^٤ ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وبويع ولده المستنجد بالله أبو

١ س : أربعة .

٢ انظر الباهر : ١١٣ .

٣ وقت القتال : سقطت من ق ر والباهر .

٤ المختار : ثاني عشر ؛ رس بر من : ثاني شهر .

المظفر يوسف ، فدخل عليه وبايعه وأقره على وزارته وأكرمه ، وكان خائفاً
منه أن يعزله فلم يعزله^١ ولم يتعرض له ، ولم يزل مستمراً في وزارته إلى حين
وفاته .

ومدحه جماعة من أمثال شعراء عصره : منهم أبو الفوارس سعد بن محمد
المعروف بابن صيفي الملقب حيص بيص - المقدم ذكره^٢ - وله فيه مدائح
منتخبة ، فمن ذلك قوله :

يهز حديثُ الجود ساكنَ عطفه كما هز شربَ الحميَّ صهباءَ قرقفُ
ويرسو إذا طاشت حُباً القوم واغدت صعاب الذرا من زعزع الخطب ترجف
صَروم الدنيايا هاجرٌ كلَّ سبّةٍ ولكنه بالمجد صبَّ مكلفُ
يضيق بأدنى العار ذرعاً وصدرةً بأهوال ما يدني من الحمد نقنفُ
إذا قيل عونُ الدين يحيى تألق الـ غمامٌ وماس السمهريُّ المثقفُ

وكانت عوائدهم في بغداد في شهر رمضان أن الأعيان يحضرون سملط الخليفة
عند الوزير ، وهم يسمون السملط «الطبق» وكان حيص بيص في جملة من
يحضر الطبق ، وكانت نفسه أبية وهمة عربية ، وإذا أحضروا الطبق تحطّاه
وقعد فوقه من أرباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل ، فيجد في نفسه لذلك
مشقة عظيمة فكتب إلى الوزير عون الدين يستعفيه من الحضور^٣ :

يا باذلَ المالِ في عُدْمٍ وفي سَعَةٍ ومطعمَ الزادِ في صُبْحٍ وفي غسقِ
وحاشَرَ الناسِ أغنتهم فواضله إلى مزيدٍ من النعماء مندققِ
في كلِّ بيتِ خِوانٍ من مكارمه يميزهم وهو يدعوهمُ إلى الطبقِ
فاض النوالُ فلولا خوفِ منعمةٍ من بأسِ عدلكِ نادى الناسُ بالغرقِ
وكل أرضٍ بها صوبٌ وساكبةٌ حتى الوغى من نجيع الخليلِ والعرقِ

١ فلم يعزله : سقطت من ر ق ع س بر من : وورد بعدها : فلم يعرض له .

٢ انظر ج ٢ : ٣٦٢ .

٣ انظر الخريدة (قسم العراق) ١ : ٢٨٤ .

صُنْ مِنْكِبِي عَنْ زَحَامٍ إِنْ غَضِبْتُ لَهُ تَمَكَّنَ الطَّعْنُ مِنْ عَرْضِيْ وَمَنْ خَلَقِي
 وَإِنْ رَضَيْتُ بِهِ فَالذَّلُ مَنَّقَصَةٌ فَكَمْ تَكَلَّفْتَهُ حَمَلًا فَلَمْ أَطُقْ
 أَنَا الْمَرِيضُ بِأَحْدَاثِ وَسُورَتِهَا وَليْسَ غَيْرِ لِإِبَائِي حَافِظَ رَمَقِي
 وَهَبَهُ لِي كَعَطَايَاكَ الَّتِي كَثُرَتْ فَالْجُودُ بِالْعَزِّ فَوْقَ الْجُودِ بِالْوَرَقِ
 إِنْ أَصْفَرَارَ مَجْنَى الشَّمْسِ مِنْ حَزْنِ عَلَيَّ عِلَاهَا لِمَرْمَاهَا إِلَى الْأَفْقِ
 وَإِنْ تَوَهَّمُ قَوْمٌ أَنَّهُ حُمُقٌ فَرُبَّمَا اشْتَبَهَ التَّوْقِيرُ بِالْحَمَقِ

وأهدي إلى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان ، وفي مجلسه
 جماعة منهم حيص بيص ، فقال الوزير : يحسن أن يقال في هذه الدواة شيء
 من الشعر ، فقال بعض الحاضرين ، وكان ضريراً ، ولم أقف على اسمه :

أَيْنَ لِدَاوَدَ الْحَدِيدُ كِرَامَةٌ يَقْدَرُهُ فِي السَّرْدِ كَيْفَ يَرِيدُ
 وَلَانَ لَكَ الْبَلُورُ وَهِيَ حَجَارَةٌ وَمَعَطْفُهُ صَعْبُ الْمَرَامِ شَدِيدُ

فقال حيص بيص : إنَّما وصفت صانع الدواة ولم تصفها ، فقال الوزير :
 مِنْ عَيْرٍ غَيْرٍ ٢ ، فقال الحيص بيص :

صِيغَتْ دَوَاتِكَ مِنْ يَوْمِيكَ فَاشْتَبَهَا عَلَيَّ الْأَنَامُ بِلُورٍ وَمَرْجَانِ
 فَيَوْمٌ سَلَمْتُ مَبِيضَ بَفِيضِ نَدَى وَيَوْمٌ حَرَبْتُ قَانَ بِالْدَمِ الْقَانِي

ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب « الجنان » تأليف القاضي الرشيد أحمد
 ابن الزبير الغساني - المذكور في أوائل هذا الكتاب ٣ - ونسبهما إلى القاضي
 الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر ، وذكر أنه دخل على الأفضل شاهان
 شاه أمير الجيوش بمصر - وقد تقدم ذكره أيضاً ٤ - فرأى بين يديه دواة من

١ الخريدة : من عقلي ، وكذلك هو في ق ع بر من .

٢ بر من والمختار : من غير غير ؛ من : من غير غير .

٣ انظر ج ١ : ١٦٠ .

٤ انظر ج ٢ : ٤٤٨ .

عاج محلاة بمرجان ، فقال بديهاً :

ألسين لداود الحديد كرامة يقدره في السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة على أنه صعب المرام شديد^١

ومدحه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبله الشاعر - المقدم ذكره -
بقصائد عديدة : منها وهي أحسنها فلهذا ذكرتها :

ولع النسيم وبانة^٢ الجرعا وصفاك إلا الحلي والودعا
يا دمية ضاقت خلاخلها عنها وضقت بجبها ذرعا
قد كنت ذا دمعٍ وذا جلدٍ فبقيت لا جلدأ ولا دمعا
صيرت جسمي للضنى سكنا وسكنت بعد تباله الجزعا
يا من رأى أدماء سائحة^٣ قلبي لها لا المنحني مرعى
لائتُ بمثل الغصن^٣ مثرها وجلتُ بعود أراكة طلعا
وإذا تراجعك الكلام فلا تعدد لأيام الصبا رجعى
ولقد سعت بالكأس تُصبحني^٤ سكرى اللواظ وعثة المسعى
في مستنير الزهر ما صنعت أبرادة عَدَن^٤ ولا صنعا
باكرتُ مفترعاً ثراه وما ركب الحمام لبانة فرعا
سكتتُ عليه البارقاتُ ظباً لبس الغديرُ لخوفها درعا
يا عاذلي إن شئت تُسمعني عدلاً فشق لصخرة سمعا
طبعاً جبلتُ على الغرام كما جبل الوزير على الندى طبعاً

١ كذلك ذكر العماد في الحريرة ١ : ٣٢٦ (قسم العراق) ، وقد سقط هذا النص كله من النسخ

٢ س : بر من .

٣ س : بيانة .

٤ س من برق : الدعص .

٤ س : تصحبي .

وخرج بعد هذا إلى المديح فأضربت عنه ، ولولا خوف الإطالة لذكرته .
ومدحه أبو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاويذي - المقدم ذكره - بقصيدة
واحدة وهي ^١ :

سقاها الحيا من أربُعٍ وطلولِ
ضمنتُ لها أجفانَ عينٍ قريحةٍ
لئن حال رسمُ الدارِ عما عهدتهُ
خليليَّ قد هاج الغرامُ وشاقني
ووكَّلَ طرفي بالسهاد تنظُّري
إذا قلت قد أنحلتِ جسمي صبايةً
وإن قلتُ دمعي بالأسي فيك شاهدي
فلا تعذلاني إن بكيتُ صبايةً
فأبرحُ ما يُعنى به الصب في الهوى
ودون الكتيب الفردِ بيضٌ عقالٌ
غداة التقتُ ألحاظها وقلوبنا
ألا حبذا وادي الأراك وقد وشتُ
وفي أبرديه كلما اعتلتِ الصبا
دعوتُ سلواً فيك غيرَ مساعدي ^٢
تعرفت أسبابَ الهوى وحملته
فلم أحظَّ في حبِّ الغواني بطائلٍ
ومنها :

إلى كم تمنيني الليالي بماجدي
رزينٍ وقارٍ الحلم غير عَجول

١ ديوان ابن التعاويذي : ٣٤٤ .

٢ في بعض النسخ : بالأبرقين .

٣ ق ع والمختار : غير مساعد .

أهز اختيلاً في هواه معاطفي وأسحبُ تيهاً في ثراه ذيولي
لقد طال عهدي بالنوال وإتني لصبُّ إلى تقبيل كف مُنيل
وإن ندى يحيى الوزير لكافلُ بها لي ، وعونُ الدين خير كفيل
وكان عون الدين كثيراً ما ينشد :

ما ناصحتك خبايا الودِّ من أحد ما لم ينلك بمكروهٍ من العَدَلِ
مودتي لك تأبى أن تسامحي بأن أراك على شيءٍ من الزللِ

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سماه «مرآة الزمان» ورأيتَه بدمشق في أربعين مجلداً وجميعه بخطه - وكان أبوه قزغلي مملوك عون الدين ابن هبيرة المذكور ، وزَوَّجَه^١ بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور ، فأولدها شمس الدين فولأوه له - أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون أن عون الدين قال : كان سبب ولايتي المخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت أياماً ، فأشار عليّ بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه ، فأسأل الله تعالى عنده ، فإن الدعاء عنده مستجاب ، قال : فأتيت قبر معروف فضليت عنده ودعوت ، ثم خرجت لأقصد البلد ، يعني بغداد ، فاجتزت بقَطْفُتًا^٢ - قلت : وهي محلة من محال بغداد - قال : فرأيت مسجداً مهجوراً فدخلت لأصلي فيه ركعتين ، وإذا بمريض ملقى على بارية ، فقعدت عند رأسه وقلت : ما تشتهي ؟ فقال : سفرجلة ، قال : فخرجت إلى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سفرجلتين وتفاحة وأتيته بذلك ، فأكل من السفرجلة ، ثم قال : أغلق باب المسجد ، فأغلقتَه ، فتنحى عن البارية وقال : احضر هاهنا ، فحضرت وإذا بكوز ، فقال : خذ هذا فأنت أحق به ، فقلت : أما لك وارث ؟ فقال : لا ، وإنما كان لي أخ وعهدي به بعيد وبلغني أنه مات ، ونحن من الرصافة ،

١ س : زوجته .

٢ انظر التعريف بها في ياقوت .

قال : وبينما هو يحدثني إذ قضى نجه ، فغسلته وكفنته ودفنته ، ثم أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت إلى دجلة لأعبرها ، وإذا بملاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة ، فقال : معي معي ، فنزلت معه ، وإذا به من أكثر الناس شبيهاً بذلك الرجل ، فقلت : من أين أنت ؟ فقال : من الرصافة ، ولي بنات ، وأنا صعلوك ، قلت : فما لك أحد ؟ قال : لا ، كان لي أخ ولي عنه زمان ما أدري ما فعل الله به ، قال : فقلت : ابسط حجرك ، فبسطه فصبيت المال فيه ، فهبت ، فحدثته الحديث ، فسألني أن آخذ نصفه فقلت : لا والله ولا حبة ، ثم صعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها لإشراف المخزن ، ثم تدرجت إلى الوزارة .

وقال جدي الشيخ أبو الفرج في كتاب « المنتظم »^١ : وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لأسبابها ، وكان صحيحاً يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى من سنة ستين وخمسمائة ، فنام ليلة الأحد في عافية ، فلما كان في وقت السحر قاء ، فأحضر طبيباً^٢ كان يخدمه فسقاها شيئاً ، فيقال إنه سمه فمات ، وسقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سماً فكان يقول : سقيت كما سقيت ، ومات الطبيب .

وقال في « المنتظم » أيضاً : وكنت ليلة مات الوزير نائماً على سطح مع أصحابي ، فرأيت في المنام كأنني في دار الوزير وهو جالس ، فدخل رجل بيده حربة قصيرة^٣ فضربه بها بين أنثيه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط ، فالتفت فإذا بجاتم من ذهب ملقى ، فأخذه وقلت : لمن أعطيه ؟ أنتظر خادماً يخرج فأعطيه إياه ، وانتبهت وحدثت أصحابي بالرؤيا ، فلم أستم الحديث حتى جاء رجل فقال : مات الوزير ، فقال بعض الحاضرين : هذا محال ، أنا فارقه أمس العصر وهو في كل عافية ، وجاء آخر وضح الحديث ، وقال لي ولده : لا بد أن تغسله ، فأخذت في غسله ورفعت يده لأغسل مغابته - قلت :

١ المنتظم ١٠ : ٢١٦ .

٢ ق ع س بر من : فحضر طبيب ، وكذلك في المنتظم .

٣ قصيرة : سقطت من : ع ق س بر من ، والمنتظم .

المغابن : مطاوي البدن مثل الإبط وغيره ، واحدها مغبن ، بفتح الميم وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة - قال : فسقط الخاتم من يده ، فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام ، قال : ورأيت في وقت غسله آثاراً في وجهه وجسده تدل على أنه مسموم ، فلما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد^١ ، ولم يتخلف عن جنازته أحد ، وصلي عليه في جامع القصر^٢ ، وحمل إلى باب البصرة ، فدفن في مدرسته التي أنشأها ، وقد دثرت الآن ، وراثه جماعة من الشعراء ؛ انتهى كلام أبي الفرج ابن الجوزي .

وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور : إن سبب موته كان بلغماً ثار بمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد ، فسقي مسهلاً فقصر عن استفرغه ، فدخل إلى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الأولى راكباً متحاملاً إلى المقصورة لصلاة الجمعة فصلى بها وعاد إلى داره ، فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم ، فوقع مغشياً عليه ، فصرخ الجوارى فأفاق فسكتهن ، وبلغ الخبر ولده عز الدين أبا عبد الله محمداً ، وكان ينوب عنه في الوزارة ، فبادر إليه ، فلما دخل عليه قال له : قد بث^٣ أستاذ الدار عضد الدين^٤ أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة ليستعلم^٥ ما هذا الصياح ، فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وأنشد :

وكم شامتٍ بي عند موتي جهالةً بظلمٍ يسيل السيفَ بعد وفاتي
ولو علم المسكين ما ذا يناله من الضرِّ بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروباً فاستفرغ به ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعداً فسجد فأبطأ عن القعود من السجود فحركوه فإذا هو ميت ، فطولع به الإمام المستنجد فأمر بدفنه .

١ ق ع س بر من : الأسواق ببغداد .

٢ ق ع : جامع المنصور .

٣ ر : بعث .

٤ المختار : عضد الدولة

٥ س بر من : لتستعلم .

وخلف ولدين : أحدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر^١ .

وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في « تاريخ الوزراء »^٢ أنه ولد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه ، رحمه الله تعالى . قال بعضهم : رأيت في المنام بعد موته ، فسألته عن حاله ، فقال :

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا بعد ما حال حالنا وحُجبتنا
فوجدنا مضاعفاً ما كسبنا ووجدنا ممحصاً ما اكتسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابن المظفر أستاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذي - المذكور قبل هذا - وهو من موالي بني المظفر فإن أباه كان مملوكاً لبعض بني المظفر ، واسمه نشكين فسماه ابنه عبد الله ، فأراد سبط ابن التعاويذي أن يتقرب إلى عضد الدين لعلمه ما بينه وبين الوزير ، فأنشد مرتجلاً :

قال لي ، والوزير قدمات ، قومٌ قمٌ لنبكي أبا المظفر يحيى
قلتُ أهونٌ عندي بذلك رزاً ومصاباً وابنُ المظفر يحيى
وقال آخر ، ولا أذكر اسمه الآن ، لكنه من الشعراء المشاهير :

أيا ربِّ مثلُ الماجدِ ابن هبيرة يموتُ ويحيا مثل يحيى بن جعفر
يموت يحيى كلُّ فضلٍ وسؤدد ويحيا يحيى كلُّ جهلٍ ومنكر

والمقصود أن محاسنه كانت كثيرة ، وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها .

ورأيت في كتاب « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » تأليف أبي الخطاب ابن دحية غلطة أحببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها

١ ق ع س : أبو البدر ظفر .

٢ س ير : تاريخ الوزارة .

أحد فيظنه مصيباً فيما ذكره ، وهو أنه قال في خلافة المقتفي لأمر الله ما مثاله :
وسعد بوزيره أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة من ولد الأمير الكبير
أبي حفص عمر بن هبيرة ، وقد ذكر المؤرخون فضائل جده ، التي حازها عون
الدين من بعده ، ثم ذكر مكرومة جرت لعمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين
في دولة بني أمية ، وظن ابن دحية المذكور أن الوزير المذكور من ذرية ذلك
المتقدم ، وعجبت منه من ذلك ، فإن الوزير شيباني النسب - كما شرحناه في
أول الترجمة - وذاك فزاري النسب - كما يأتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر
ابن هبيرة إن شاء الله تعالى - وأين شيبان من فزارة ؟ ولا شك أنه ما أوقعه في
هذا الأمر إلا ما رآه في نسب الوزير ، فقد جاء فيه عمر بن هبيرة ، فتوهم أن
هذا هو ذلك ، وليس الأمر كما توهمه ، ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظاً
ومطلعاً على أمور الناس ، وهذا الأمر واضح لكن الخطأ موكل بالإنسان .

(327) قلت : وأكثر من جرى ذكره في هذه الترجمة قد تقدم ذكره
في هذا التاريخ ، وأفردت لكل واحد منهم بترجمة مستقلة ، سوى الشيخ
الزيدي ، فإنه كان كبير القدر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وما انتفع
الوزير إلا بصحبته ، وما ذكرته في هذا التاريخ ، فينبغي التنبيه عليه ، إذ مثله
لا يهمل ، وكان دخوله بغداد في سنة تسع وخمسمائة ، وتوفي في شهر ربيع
الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو عبد الله
الله ابن النجار في « تاريخ بغداد » : كان مولده بزويد في ليلة الأربعاء الثاني
والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة ، وتوفي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع
الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة جامع المنصور ببغداد ،
رحمه الله تعالى .

وقول الآخذ :

أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر!

(328) فالمراد به أبو الفضل يحيى بن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن المعمر
ابن جعفر الملقب زعيم الدين ، تولى النظر بالمخزن في جمادى الآخرة سنة اثنتين
وأربعين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين ، ففيها ناب في الوزارة بعد عزل

أبي الفرج ابن المظفر ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي ، وكان مشكوراً محمود الطريقة محباً لأهل العلم ، وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الأخير التاسع والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفي ليلة العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ، ودفن من الغد في الحربية بقربة له ، رحمه الله تعالى ^١ .

٨٠٨

ابن زبادة

أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي ^٢ ابن زبادة الشيباني ، الكاتب المنشيء الواسطي الأصل ، البغدادي المولد والدار والوفاة ، الملقب قوام الدين ، وقيل عميد الدين ؛ كان من الأعيان الأمثال والصدور الأفاضل ، انتهت إليه المعرفة بأمر الكتابة والإنشاء والحساب مع مشاركته في الفقه وعلم الكلام والأصول وغير ذلك ، وله النظم الجيد . جالس أبا منصور ابن الجواليقي وقرأ عليه وعلى من بعده ، وسمع الحديث من جماعة ، وخدم الديوان من صباه إلى أن توفي عدة خدمات ، وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة حلو التصريح لطيف الإشارة ، وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب التسجيع ، وله رسائل بليغة ^٣ وشعر رائق ، وفضله أشهر من أن يذكر .

١ كتب في ع في إثر ذلك : آخر هذه الترجمة والحمد لله وحده ؛ قلت وبعدها بحسب ترتيب ع تحييء ترجمة ابن الجراح .

٨٠٨ - ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ١٦ ومرآة الجنان ٣ : ٤٧٧ وعبر الذهبي ٤ : ٢٨٤ والشذرات

٤ : ٣١٨ والبداية والنهاية ١٣ : ١٧ .

٢ ابن فرغلي : سقطت من س ق ع والمختار .

٣ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : ومن رسائله =

وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى أن طلب من واسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ورتب حاجباً بباب التوبي ، وقلد النظر في المظالم ، ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، ثم أعيد إليه في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، فلما قتل أستاذ الدار - وهو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب ، وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ، ثم عزل في سنة خمس وثمانين ، وعاد إلى واسط فأقام بها إلى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين ، وقلد ديوان الإنشاء في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان ، ثم رد إليه النظر في ديوان المقاطعات ، فكان على ذلك إلى حين وفاته . وكان حسن السيرة محمود الطريقة متديناً ، حدث بشيء يسير وكتب الناس عنه كثيراً من نظمه ونثره ، فمن ذلك قوله :

باضطراب الزمان ترتفع^١ الأندال^١ فيه حتى يعمّ البلاء
وكذا الماء ساكناً^٢ فإذا حرك^٢ ثارت من قعره الأفضاء

وله أيضاً :

إني لأعظم ما تلقوني جلدا إذا توسطت هول الحوادث النكد
كذلك الشمس لا تزداد قوتها إلا إذا حصلت في زبرة الأسد

وكتب إلى الإمام المستنجد يهنيه بالعيد :

يا ماجداً جل قدراً أن نهنيته^١ لنا الهناء بظل^١ منك ممدود^١

= الفائقة ما كتبه عن الإمام الناصر إلى السلطان صلاح الدين ينكر عليه أموراً منها كونه تسمى بالملك الناصر وشارك الخليفة في هذا الاسم ، وقفت عليها وعلى جواب القاضي الفاضل عنها ، وبينهما بون كبير ، فما لحق الفاضل فيها غباره ، والله أعلم .

١ س : يرتفع .

٢ س : ساجياً .

الدهر أنت ويوم العيد منك وما في العرف أنا نُهِنِّي الدهر^١ بالعيد
وله أيضاً :

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم^٢ تمل المراد ولو سموت إلى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما
وله أيضاً :

لا تغبطن^٣ وزيراً للملوك وإن أناله الدهر^٤ منهم فوق همته
واعلم^٥ بأن له يوماً تمور^٦ به ال أرض^٧ الوقور^٨ كما مارت لهيبته
هرون وهو أخو موسى الشقيق^٩ له لولا الوزارة^{١٠} لم يأخذ بلحيته

وله كل معنى مليح ، وله ديوان رسائل وقفت عليه في بلادنا ، ولم يحضرني شيء منه كي أثبتته هاهنا .

وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الديبشي في تاريخه : أنشدنا أبو طالب يحيى ابن سعيد بن هبة الله ، يعني ابن زبادة المذكور ، من حفظه ، قال : أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد الأرجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة لنفسه - قلت : وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد الأرجاني المقدم ذكره^٢ - قوله :

ومقسومة العينين من دهش^١ النوى
تجيب^٢ بإحدى مقلتيها تحيبي
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت
فلما بكت عيني غداة وداعهم^٣
بدت في حياها خيالات^٤ أدمعي
وقد راعها بالعيس رجع^٥ حذاء
وأخرى تراعي أعين^٦ الرقباء
لهم دمعها واستعصمت بجيأ
وقد روعتني فرقة^٧ القرناء
فغاروا وظنوا أن بكت لبكائي

١ ق بر : العيد .

٢ ج ١ : ١٥١ .

وكتب إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر - المقدم ذكره^١ - وقد عزل عن نظر واسط :

ولأنت إن لم يبلى الغيثُ الشرى تروي الورى بسماحك الهتان
لم يعزلوك عن البلاد لحالة تدعو إلى النقصان والشنان
بل مذ رأوا آثارَ جودك زاحراً حفظوا بلادهم من الطوفان

قلت : وحكى لي الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن سويد التاجر التكريتي قال : كان الشيخ محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ المشهور قد توجه رسولاً من بغداد إلى الملك العادل بن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سلطان^٢ مصر في ذلك الوقت ، وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوساً في قلعة الكرك يومئذ - وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل في هذا التاريخ - قال الوجيه : فلما عاد محيي الدين راجعاً إلى بغداد وقدم دمشق ، كنت بها ، فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان ابن نبهان الإربلي ، وكان رئيس التجار في عصره ، وجلسنا نتحدث معه فقال : قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل ، قال : فقال له الأصيل : يا مولانا ، هذا بأمر الديوان العزيز ؟ فقال محيي الدين : وهل هذا يحتاج^٣ إلى إذن ؟ هذا اقتضته المصلحة ، ولكن أنت تاريخ يا أصيل ، فقال : يعني مولانا أنتي قد كبرت وما أدري ما أقول ، وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات ، قال : هات ، فقال : كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كل شهر حمل واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوماً واحداً عن العادة ، فتعذر في بعض الأشهر كمال الحمل ، فضاق صدره لذلك وذكره

١ انظر ج ٥ : ٥٥ .

٢ المختار : صاحب .

٣ ع : محتاج .

لنوابه ، فقالوا له : يا مولانا هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ، ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة ، فاستدعاه وقال له : لم لا تؤدي كما يؤدي الناس ؟ فقال : أنا معي خط الإمام المستنجد بالمساحة ، قال : هل معك خط مولانا الإمام الناصر ؟ قال : لا ، قال : قم واحمل ما يجب عليك ، قال : ما ألتفت إلى أحد ولا أحمل شيئاً . ونهض من المجلس ، فقال النواب لابن رئيس الرؤساء : أنت صاحب الوساتين وناظر النظر ، وما على يدك يد ، ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ؟ ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيئاً ، وحملوه عليه حتى ركب بنفسه وأجناده ، وكان ابن زبادة يسكن قبالة واسط ، وقدموا إلى ابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه ، وإذا بزبذب قد قدم من بغداد ، فقال : ما قدم هذا إلا في مهم ، ننظر ما هو ثم نعود إلى ما نحن بسببه ، فلما دنا من الزبذب فإذا فيه خدم من خدام الخليفة ، فصاحوا به : الأرض الأرض ، فقبل الأرض وناولوه مطالعة ، وفيها : قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة ، فتحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك ، وتمشي راجلاً إليه وتلبسه الخلعة وتجهزه إلينا وزيراً ، فحمل الخلعة على رأسه والدواة على صدره ومشى إليه راجلاً ، فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء :

إذا المرء حيٌّ فهو يرجي ويتقي وما يعلمُ الإنسانُ ما في المغيبِ

وأخذ يعتذر إليه ، فقال له ابن زبادة : لا تريب عليكم اليوم ، وركب في الزبذب إلى بغداد ، وما علموا أن أحداً أرسلت إليه الوزارة غيره ، فلما وصل إلى بغداد كان أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط قال : هذا ما يصلح لهذا المنصب ، ثم قال الأصيل : ولا يأمن مولانا أن يخرج الملك الصالح ويملك ويعود إليه رسولاً ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه ، فأنشده محيي الدين قوله :

وحتى يؤوب القارطان كلاهما وينشر في الموتى كليبٌ لوائلِ

فما كان إلا مديدة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان . قلت : وكنت بمصر ومحيي الدين بها رسول إلى الملك

العادل ، وقبض العادل ، وجاء الصالح فخرج محيي الدين التقاه ، وشاهدت ذلك .

هكذا ذكر لي الوجيه هذه الحكاية ، وفيها غلط إمّا من الوجيه أو من الأصيل ، فإن ابن زبادة ما ولي الوزارة ولا تولى إلا ما ذكرته في أوائل ترجمته ، فإن كان هذا صحيحاً فيكون ذلك لما طلب للإنشاء كما شرحت ، والله أعلم بالصواب .

قال ابن الديبّي المذكور : سألت أبا طالب ابن زبادة عن مولده فقال : ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلي عليه بجامع القصر ، ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر رضي الله عنهما ، يعني ببغداد .

وزبادة : بفتح الزاي ، هو القطعة من الزباد الذي يتطيب النسوان به ، والله أعلم .

٨٠٩

يحيى بن نزار المنبجي

أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي ؛ ذكره الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب «الذيل على تاريخ الخطيب» المختص ببغداد ، فقال : له شعر مطبوع غير متكلف ، وكتب لي أبياتاً من شعره ، وسمعت منه ، وسألته عن مولده فقال : ولدت في المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج . وأورد له مقاطع أنشده إياها ، فمن ذلك قوله :

٨٠٩ - ترجمته في الحريرة (قسم الشام) ٢ : ٢٣٤ ومرآة الزمان : ٢٣٣ . والمنظم ١٠ : ١٩١
ومعجم الأدباء ٢٠ : ٣٦ .

وأغيدَ غُضِّ زادَ حَظُّ عذاره لعاشقه في همّه والبلابلِ
 تموجُ بحارُ الحسنِ في وجنّاته فتقذفُ منهاً عنبراً في السواحلِ
 وتُجري بجنّيه الشبيبةُ ماءها فتنبت ريحاناً جنوبَ الجداولِ

قلت : وقد خطر لي على هذا مأخذ وهو أنه جعل في البيت الثاني بحار الحسن تموج في وجناته ، فكيف يقول في البيت الثالث « وتجري بجنّيه الشبيبة ماءها » وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة إلى بحار الحسن ؟ وما كفى هذا حتى جعلها جداول ، والجداول الأنهار ، وأين الأنهار من البحار ، ؟ ثم إنّه في البيت الثاني قد شبه العذار بالعنبر ، فكيف يجعله في البيت الثالث ريحاناً ؟ وأين العنبر من الريحان ؟ وإن كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا به العذار ، ولكن في مقطوع واحد من الشعر ما لم عادة يجمعون بينهما . وكنت قد سمعت في زمن الاشتغال بالأدب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما ، وهما :

يا عاذلي في حبّ ذي عارضٍ ما البلد المخصبُ كالماحلِ
 يموجُ بحرُ الحسنِ في خده فيقذفُ العنبرَ في الساحلِ

فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب « السيل والذيل » تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، وقد جاءه ذيلاً على كتابه « خريدة القصر » ، فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجي المذكور ، وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نور الدين محمود ابن زنكي رحمه الله تعالى ، وفي جملة الأبيات البيت الثاني من هذين البيتين ، فعلمت أن الذي نظم ذلك المعنى في البيت الثاني من الثلاثة هو الذي نظم هذين البيتين في هذه الأبيات التي ذكرها في كتاب « السيل » . ثم بعد ذلك بقليل جاءني صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليعموري^١

١ ترجمة الحافظ اليعموري في الزركشي ٣ الورقة : ٣٦٥ والبدر السافر ، الورقة ٢٣٧ ؛ سمي اليعموري لأنه صحب الأمير ابن يغمور ولازمه ، كان فاضلاً أديباً جمع مجاميع كثيرة مفيدة وعمل تاريخاً ، ولد بدمشق سنة ستمائة تقريباً وتوفي بالمحلة سنة ٦٧٣ .

فتذاكرنا وجرى ذكر البيتين وقال : إنهما لعماد الدين أبي المناقب حسام ابن عزى بن يونس المحلي نزيل دمشق ، وذكر أنه سمعها منه وادعاها لنفسه ، فقلت له : البيت الذي فيه المعنى ليس له ، بل هو ليحيى بن نزار المنبجي ويكون العماد المحلي قد نظم البيت الأول وجعله توطئة للثاني ، واستعمله على وجه التضمين كما جرت العادة في مثله ، لكنه كان ينبغي أن ينبه على أنه تضمين كي لا يعتقد من يقف عليهما أنهما له ، فإن البيت الأول ليس في جملة أبيات يحيى المنبجي التي مدح بها نور الدين رحمه الله تعالى . ثم من بعد ذلك خطرت لي مؤاخذة على العماد المحلي فإنه قال في بيته الذي جعله توطئة للثاني :

ما البلد المخصب كالماحل

والخصب والمحل إنما يكون بسبب النبات وعدمه ، والبيت الثاني الذي هو التضمين شبه العذار بالعنبر ، وأين النبات من العنبر ؟ فالتوطئة بين البيتين ليست بملائمة ، وهذه المؤاخذة مثل المؤاخذة المتقدمة على الأبيات الثلاثة .
وكنت وقفت على بيتين للعماد المحلي المذكور أيضاً أشدنيهما عنه جماعة وهما :

قيل لي من هويتَ قد عبث الشعر رُ بخديه قلت ما ذاك عارُهُ
جمرةُ الخدِّ أحرقت عنبرَ الخال ل فمَن ذلك الدخان عِذارُهُ

وسنح لي عليهما مؤاخذة مثل المؤاخذة المذكورة ، وهي أنه لما قيل له إن الشعر عبث بخديه ما أنكر ذلك بل قال « ما ذاك عاره » ، فقد وافق على أنه شعر ، غاية ما في الباب أنه قال هذا الشعر ما هو عاره ، فكيف يقول بعد هذا « جمرة الخد أحرقت عنبر الخال » إلى آخره ، فجعل العذار دخان العنبر ، وأين دخان العنبر من الشعر ؟ بل كان ينبغي أن يقول لهم : هذا ما هو شعر ، بل هو دخان العنبر حتى يتم له المعنى .

وقد نظم صاحبنا ورفيقنا في الاشتغال بحلب عون الدين أبو الربيع سليمان ابن بهاء الدين عبد المجيد ابن العجمي الحلبي بيتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما :

١ ترجمته في الفوات ١ : ٣٥٨ وفي البيتان؛ ولد سنة ست وستمائة وتوفي سنة ست وخمسين =

لهيب الخد حين بدا لعيني هوى قلبي عليه كالقراشِ
فأحرقه فصار عليه خالاً^١ وها أثر الدخانِ على الحواشي

وقد أحسن في هذا المعنى وخلص من تلك المؤاخذة ، لكن وقع في مؤاخذة
أخرى ، وهي أنه جعل العذار دخان احتراق قلبه ، والعماد جعله دخان عنبر
الحال ، وبين الدخانين بون كبير ، فهذا طيب الرائحة وذاك كريبه الرائحة .
وقد سبق في ترجمة عبد الله بن صارة الشنبريني^١ بيتان أبدع فيهما ، وهما :

ومهفهف رقت حواشي حسنه فقلوبنا وجدأ عليه رقاقُ
لم يكسُ سالفه العذارُ وإنما نفضت عليه صباغها الأحداقُ

والأصل في هذا الباب^٢ كله قول أبي إسحاق إبراهيم الصابي الكاتب في
غلامه الأسود واسمه يمن — وقد سبق ذكر الأبيات في ترجمته من هذا الكتاب^٣ ،
والمقصود منها هاهنا قوله في أولها :

لك وجه كأن يمناي خطه ه بلفظ تمه آمالي
فيه معنى من الدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي

وبيتا عون الدين فيهما إلام بقول أبي الحسين أحمد بن منير الطرابلسي
— المقدم ذكره — :

لا تخالوا الخالَ يعلو خدهُ قطرةً من دم جفني نطفتُ
ذاك من نار فؤادي جذوةً فيه ساختُ وانطفت ثم طفت

قلت : وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام ، لكن ما خلا من فائدة .

= وسمائة بدمشق ، وكان متأهلاً للوزارة كامل الرياضة لطيف الشائل ؛ وانظر عقود الجمان لابن

الشارح ج ٣ ، الورقة : ١١١ والزركشي : ٢ ، الورقة : ١٢٧ .

١ انظر ج ٣ : ٩٤ .

٢ المختار : المعنى .

٣ ج ١ : ٥٣ .

وقال أبو سعد السمعاني أيضاً : أنشدني يحيى بن نزار المنبجي لنفسه :

لو صدّد عني دلالاً أو معاتبَةً
لكنّت أرجو تلافيه وأعتذرُ
لكن ملالاً فلا أرجو تعطفهُ
جبرُ الزجاجِ عسيرٌ حين ينكسر

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة .

وقال أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد^١ في تاريخه المرتب على السنين ما مثاله : سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة مات يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ، ودفن بالوردية ، قيل إنّه وجد في أذنه ثقلاً ، فاستدعى إنساناً من الطرقية ، فامتص أذنه فخرج شيء من مخه ، فكان سبب موته ، رحمه الله تعالى .

وقال السمعاني : هو أخو أبي الغنائم التاجر المعروف ، وذكر أبا الغنائم ووصفه وأثنى عليه في ترجمة مستقلة في كتاب « الذيل » أيضاً ، رحمه الله تعالى .
(329) وأمّا العماد المحلي^٢ فإنه كان أديباً لطيفاً على ما يحكى عنه من النوادر وله نظم مليح في المقطعات دون القصائد ، وكان يحفظ المقامات وشرحها ، وتوفي ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وستمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، وعرف بابن الجمال^٣ ، وولد في سنة ستين وخمسمائة تقديراً بقوص ، ونشأ بالمحلة ، فنسب إليها .

ثم وجدت في مسوداتي بخطي بيتاً منسوباً إلى الوجيه أبي الحسن علي بن يحيى بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الذروي الأديب الشاعر وهو :

عذاره دّخان ندّ خاله وريقه من ماء ورد خده

ثم وجدت منسوباً إلى ابن سناء الملك - المقدم ذكره - والصحيح أنها لأسعد

١ بغدادي مؤرخ أديب توفي سنة ٥٧٣ هـ ، وقد ابتداء تاريخه بعام ٥٢٧ ؛ انظر ترجمته في المنتظم ١٠ : ٢٧٦ وشذرات الذهب ٤ : ٢٤٥ ولسان الميزان ٣ : ١٨٤ وتاريخ ابن الأثير ١١ : ٤٤٩ .

٢ انظر ذيل الروضتين : ١٦٠ قال : وله ترجمة حسنة في معجم القوصي .

٣ س : بابن الجمال .

ابن مماتي - المقدم ذكره أيضاً - :

سمراء قد أزرت بكل أسمرٍ بلونها ولينها وقدّها^١
أنفاسها دخانٌ ندّ خالها وريقها من ماء وردٍ خدّها
لو كتب البدرُ إلى خدمتها ملطفاً ترجمه بعبدّها

ورأيت للمهذب أبي نصر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخضر الحلبي المعروف
بابن البرهان الحاسب المنجم الطبري^٢ :

ومهفهفٍ راقٍ نضارةً وجهه فالعينُ تنظر منه أحسنَ منظرٍ
أصلى بنار الخدِّ عبر خاله فبدا العذار دخان ذلك العنبر

فعلمت أن العماد المحلى إنمّا أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء ، والله سبحانه
وتعالى أعلم .

٨١٠

تاج الدين ابن الجراح

أبو الحسين يحيى بن أبي علي منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن
داود بن الجراح المصري ، وهذه الزيادة في نسبه وجدتها بخط بعض الأدباء ولا
أتحققها ، والأول أصح^٣ ، الكاتب المنعوت^٤ تاج الدين ؛ كتب في ديوان

١ سقط البيت من س .

٢ أبو نصر الحلبي الحاسب يعرف بالسطيل ، وكان والده يعرف بالبرهان المنجم الطبري ، ولد المهذب
بجلب سنة ٥٨٠هـ وكان فاضلاً أديباً له تواليف مفيدة ، وصنف زيجاً ومقدمة في الحساب ، وشعره
في مجلدين ، استوطن صرخد وتوفي بها سنة ٦٥٥ (الوافي ١ : ١٧٨) .

٣ - ٨١٠ - ترجم له ابن الشعار في عقود الجمال : ١٠ الورقة : ٩٨ ونسبه كما ورد هنا : ولا أدري ما

الزيادة التي يعينها المؤلف . ٣ من بر من : صحيح . ٤ بر من : الملقب .

الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة ، وكتب الكثير ، وكان خطه في غاية الجودة ، وكان فاضلاً أديباً متقناً ، له فطرة حسنة وشعر فائق ورسائل أنيقة ، سمع الحديث بثغر الإسكندرية المحروسة على الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي الثناء حماد بن هبة الله الحراني ، وحدث وسمع الناس عليه .

وله لغز في الدمج الذي تلبسه النساء ، وهو بديع في بابه فأحببت ذكره ، وهو نثر : ما شيء قلبه حجر ، ووجهه قمر ، إن نبذته صبر ، واعتزل البشر ، وإن أجمعته رضي بالنوى ، وانطوى على الخوى ، وإن أشبعته قبل قدمك ، وصحب خدمك ، وإن غلفت ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن يباع ، وإن أظهرته جمل المتاع ، وأحسن الإمتاع ، وإن شددت ثانيه ، وحذفت منه القافية ، كدر الحياة ، وأوجب التخفيف في الصلاة ، وأحدث في وقت العصر الضجر ، ووقت الفجر الحذر ، وجمع بين حسن العقبى وقبح الأثر ، هذا وإن فصلته دعا لك ، وأبقى ما إن ركبته هالك ، وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، وأحسن بعون المساكين مالك ، والسلام .

قلت : وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله ، فيعسر عليه تفسيره ، فيحتاج إلى الإيضاح ، فأقول :

أما قوله « ما شيء قلبه حجر » فمراده قلب حروف دمج ، فإننا إذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها « جلمد » وهو الحجر ، وقوله « ووجهه قمر » يريد أنه مستدير كالقمر ، وقوله « إن نبذته صبر واعتزل البشر » فالبشر جمع بشرة ، فالإنسان إذا ألقى الدمج عنه صبر واعتزل بشرته إذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه . وقوله « وإن أجمعته رضي بالنوى » فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر ، وعادتهم في بلاد العراق أن يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر ، وقصد هاهنا هذه التورية ، فإن الدمج إذ أخرج من العضد أو من الساق فقد جاع ، لأنه يكون فارغ الجوف ، ويرضى بالنوى الذي هو البعد عن عضو صاحبه ، ويقولون : فلان يرضى بالنوى ، إذا كان فقيراً لا يجد ما يتبلغ به ، فهو يجتزىء بمص النوى ، وهذا يفعله أهل

١ في : زيادة من س والمختار .

الحجاز والبلاد المجدية كثيراً ، لقلّة الأوقات عندهم ، فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى في هذين المعنيين ، وهذه هي التورية ، وقوله « وانطوى على الخوى » فالخوى هو الخلو ، وإذا كان فارغ الخوف فهو خاوي ، وقوله « وإن أشبعته قبل قدمك » مراده بالإشباع هنا : لبس الدمليج ، فإن صاحبه إذا لبسه فقد ملأ جوفه ، ويكون فوق القدم فكأنه يقبله . وقوله « وصحب خدمك » فيه تورية أيضاً فإن الخدم جمع خادم ، وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فإنه لا يقال فاعل وجمعه فعَلْ إلا في ألفاظ مسموعة مثل خادم وخدم ، وغائب وغيب ، وحارس وحرس ، وجامد وجمد ، وغير ذلك ، فهو موقوف على السماع ، وخدم جمع خدمة أيضاً ، وهو سير يشد في رسغ البعير تشد إليه سريحة النعل وبه سمي الخللخال خَدَمَةٌ لأنه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خِدام أيضاً . وقوله « وإن غلفته ضاع » هذا فيه تورية أيضاً ، فإن التغليف أن يجعل للشيء غلافاً ، والتغليف استعمال الطيب أيضاً . وقوله « ضاع » فيه تورية أيضاً ، فإنه يقال : ضاع الشيء من الضياع ، وضاع الطيب إذا عبت رائحته . وقوله « وإن أدخلته السوق أبي أن يباع » فالسوق جمع ساق ، وفيه التورية أيضاً لأن السوق موضع البيع والشراء ، والسوق كما ذكرناه . وقوله « أبي أن يباع » لأن العادة أنه لا يباع إلا إذا أخرج من العضو الذي هو فيه ، ولا يباع قبل إخراجة ، فكأنه قبل الإخراج أبي البيع ، وقوله « وإن أظهرته جمل المتاع ، وأحسن الإمتاع » فهذا ظاهر لا حاجة له إلى تفسير . وقوله « وإن شددت ثانيه » وهو الميم ، و « حذفت منه القافية » وهي الجيم ، فيبقى الدمليج ، وهو يكدر الحياة بألمه ، ويوجب التخفيف في الصلاة للألم أيضاً . وقوله « وأحدث في وقت العصر الضجر » فالعصر فيه التورية أيضاً ، لأنه اسم للصلاة ، وهو مصدر لفعل عَصَرَ ، وكذلك الفجر ، لأنه اسم للصبح وهو مصدر لفعل فَجَرَ ، فالإنسان في وقت عصر الدمليج يحصل له الضجر والقلق وإذا فجره وخلص منه حصل له الخدر والراحة . وقوله « وجمع بين حسن العقبي وقبح الأثر » فقصد المقابلة بين الحسن والقبح ، ولا شك أن عقبي انفجار الدمليج حسنة ، وإن كان الأثر الذي يبقى في المكان قبيحاً . وقوله

« وإن فصلته دعا لك » معناه أنك إذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدمليج من النصف الآخر ، فالنصف الأول منه « دُمٌ » وهو دعاء للإنسان بالدوام . وقوله « وأبقى ما إن ركبته هالك » فالباقي منه « ليج » واللج هو ليج البحر ، وإن كان النصف من الدمليج مخففاً ، ولج البحر مشدداً ، لكنهم يغتفرون مثل هذا في الألفاظ والتصاحيف والأحاجي ، ولا يباليون به ، ولا شك أن ركوب البحر أمر هائل ، فلهذا قال « هالك وربما بلغك آمالك » لأنه يوصل الإنسان إلى الموضع الذي يقصده . وقوله « وكثر مالك » معناه إذا ركبه الإنسان للتجارة ، وقوله « وأحسن بعون المساكين مالك » ، فعون المساكين هو السفينة ، كما قال الله تعالى ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ (الكهف : ٧٩) فهي عون لهم على حاجتهم وسد خللتهم ، ومآل الشيء عاقبة أمره ، والله تعالى أعلم . قلت : وفي اللغز ثمانى لغات ، لُغَزَ بضم اللام وسكون الغين ، ولُغَزَ بضمهما ، ولُغَزَ بضم اللام وفتح الغين ، ولُغَزَ بفتح اللام وسكون الغين ، ولُغَزَ بفتحهما ، وألغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضم الغين ، ولُغِيزِي بضم اللام وتشديد الغين مع القصر ، ولُغِيزَاء مثل الأول إلا أن الغين مخففة ومفتوحة والألف ممدودة ، والله أعلم .

وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت إليه كي لا يبقى فيه التباس على سامعه . ورأيت في مجموع بخط بعض الفضلاء بيتين منسويين إليه ، وهما هذان :

أمدٌ كفي إلى البيضاء أقلعها من لحيتي فتفديها بسوداء
هذي يدي وهي مني لا تطاوعني على مرادي فما ظني بأعدائي

وكانت ولادة المذكور في ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وتوفي في خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط ، والعدو المخذول محاصرها ، رحمه الله تعالى .

وجراح : بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الألف حاء مهملة . ثم إن العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور ، والله أعلم .

ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي الغوثي^١ المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة ، ونزل البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة من السنة ، وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين^٢ من شعبان سنة ست عشرة وستمائة ، واستعبدت منهم يوم الأربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ، ومدة نزولهم عليها إلى أن انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء وإحاطتهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء ، وقد جاء في الخبر أن الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء .

ولفظه دمياط سريانية ، وأصلها بالذال المعجمة ، ويقولونه^٣ ذمط ، وتفسيره القدرة الربانية ، وكأنه إشارة إلى مجمع البحرين العذب والملح ، والله تعالى أعلم .

٨١١

جمال الدين ابن مطروح

أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح ، الملقب جمال الدين ؛ من أهل صعيد مصر ، ونشأ هناك وأقام بقوص مدة ، وتنقلت به الأحوال في الخدم والولايات ، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان

١ الغوثي : سقطت من ق . ٢ ابن شمار : الخامس والعشرين .

٣ س : ويقولون .

٨١١ - ترجمته في البدر السافر ، الورقة ٢٣٢ وابن شمار : ١٠ الورقة : ٨ وذيل الروضتين :

١٨٧ ومرآة الزمان : ٧٨٨ ومرآة الجنان : ٤ : ١١٩ والنجوم الزاهرة : ٧ : ٢٧ وحسن المحاضرة

١ : ١٤٣ والشذرات : ٥ : ٢٤٧ .

الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب وكان إذ ذاك نائباً عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية ، ولما اتسعت مملكة الكامل بالبلاد المصرية بل بالبلاد الشرقية ، فصار له أميد وحصن كيفا وحران والرها والرقه ورأس عين وسروج وما انضم إلى ذلك ، سير إليها ولده الملك الصالح المذكور نائباً عنه ، وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة ، فكان ابن مطروح المذكور في خدمته . ولم يزل ينتقل في تلك البلاد إلى أن وصل الملك الصالح إلى مصر مالكاها ، وكان دخوله القاهرة يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك إلى الديار المصرية في أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة ، فرتبه السلطان ناظراً في الخزانة ، ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده إلى أن ملك الملك الصالح دمشق في الدفعة الثانية ، وكان ذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ثم إن السلطان بعد ذلك رتب لدمشق نواباً ، فكان ابن مطروح في صورة وزير لها ، ومضى إليها وحسنت حالته وارتفعت منزلته .

ثم إن الملك الصالح توجه إلى دمشق فوصلها في شعبان سنة ست وأربعين ، وجهز عسكرياً إلى حمص لاستنفاذها من يدي نواب الملك الناصر أبي المظفر يوسف الملقب صلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، فإنه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه عنوة ، وكان متمياً إلى الملك الصالح ، فخرج من مصر لاسترداد حمص له ، فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق^٢ ، وسيره مع العسكر المتوجه إلى حمص ، وأقام الملك الصالح بدمشق إلى أن ينكشف له ما يكون من أمر حمص ، فبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد الديار المصرية ، فسير إلى عسكره المحاصرين بحمص وأمرهم أن يتركوا ذلك المقصد ويعودوا لحفظ الديار المصرية ، فعاد بالعسكر وابن مطروح في الخدمة ، والملك

١ ق : نائباً .

٢ ر : . ولاية دمشق .

الصالح متغير عليه متنكر له لأمر نقمها عليه ؛ وطرق الفرنج البلاد في أوائل سنة سبع وأربعين ، وملكوا دمياط يوم الأحد الثاني والعشرين من صفر من السنة ، وخيم الملك الصالح بعسكره على المنصورة ، وابن مطروح مواظب على الخدمة مع الإعراض عنه ، ولما مات الملك الصالح ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة وصل ابن مطروح إلى مصر وأقام بها في داره إلى أن مات . هذه جملة حاله على الإجمال .

وكانت أدواته جميلة وخلاله حميدة ، جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق الرضية ، وكان بيني وبينه مودة أكيدة ومكاتبات في الغيبة ، ومجالس في الحضرة تجري فيها مذاكرات أدبية لطيفة ، وله ديوان شعر أنشدني أكثره ، فمن ذلك قوله في أول قصيدة طويلة^١ :

هي رامةٌ فخذوا يمينَ الوادي	وذروا السيوفَ تقرأ في الأغمادِ
وحذارٍ من لحظاتٍ أعينَ عينها	فلكم صرعنَ بها من الآسادِ
من كان منكم واثقاً بفؤاده	فهناك ما أنا واثقٌ بفؤادي
يا صاحبي ولي بجرعاء الحمى	قلبٌ أسيرٌ ما له من فادي
سلبته مني يوم بانوا مقلّةٌ	مكحولةٌ أجفانها بسوادِ
وبحيّ من أنا في هواه ميت	عيّنٌ على العشاقِ بالمرصادِ
وأغنّ مسكياً اللّمي معسوله	لولا الرقيبُ بلغتُ منه مرادي
كيف السبيلُ إلى وصالٍ مُحجّبِ	ما بين بيضِ ظباً وسمرِ صِعادِ
في بيتِ شعري نازل من شعره	فالحسن منه عاكفٌ في بادي
حرسوا مهفهفَ قده بمثقف	فتشابه الميأسُ بالميادِ
قالت لنا ألف العذار بحدّه :	في ميم مبسمه شفاء الصادي

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار .

١ ر : لطيفة طويلة ، وانظر ابن الشمار ١٠ : ٣٢ .

ومن ذلك قوله :

علَّقته من آلٍ يعربَ لحظهُ أمضى وأفتك من سيوفِ عُرْبِهِ
أسكنته في المنحى من أضلعي شوقاً لبارقِ ثغره وعدَّيهِ
يا عائبي ذاك الفتورَ بطرفه خلوه لي أنا قد رضيت بعيبه
لَدُنَّ وما مرَّ النسيمُ بعطفه أرح وما نفع العبيرَ بجيبه

وكان في بعض أسفاره قد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض فقال :

يا ربَّ إن عجز الطيبِ فداوني بلطيفِ صنعك واشفني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُسبت وإن من شيم الكرام البرِّ بالأضياف

ووجدت بعد موته رقعة فيها مكتوب هذان البيتان^١ .

وأخبرني أنه جرى بينه وبين أبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر

— المقدم ذكره^٢ — منازعة في بيت هو من جملة قصيدته التي أولها :

من لي بغصنٍ باللحاظِ ممنطقٍ حلو الشمائل واللمى والمنطقِ
مثرى الروادف مملق من خصره أسمعت في الدنيا بثمر مملق

والبيت الذي قد وقع فيه النزاع قوله :

وأقول يا أختَ الغزال ملاحهً فتقول لا عاش الغزالُ ولا بقي

فزع ابن شمس الخلافة أن هذا البيت له من جملة قصيدة هي في ديوانه ،
وعمل كل واحد منهما محضراً شهد فيه جماعة بأن البيت له ، وحلف لي ابن
مطروح أن البيت له ، وكان محترزاً في أقواله ، ولم تعرف منه الدعوى بما ليس
له ، والله المطلع على السرائر .

وأنشدني له بعض أصحابنا قال : أنشدني لنفسه :

١ ووجدت . . . البيتان : سقط من ق ع ؛ وسقط من س مع البيتين قبله .

٢ انظر ج ١ : ٣٦٢ .

يا من لبستُ عليه أثوابَ الضنى صُفراً موشعةً بحمر الأدمع
أدركُ بقيةَ مهجة لو لم تذب أسفاً عليك نفيها عن أضلعي^١

وكان في مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفه قد حدث في عينيه ألم انتهى به إلى مقارنة العمى ، وكنت أجمع به في كل وقت ، فتأخرت عنه مديدة لعذر أوجب ذلك ، وكنت في ذلك الوقت أنوب في الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن ابن علي الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضي سنجار ، فكتب إلي ابن مطروح يقول :

يا من إذا استوحش طرفي له لم يخل قلبي منه من أنسِ
والطرف والقلب ، على ما هما عليه ، مأوى البدر والشمس
وله من جملة قصيدة طويلة^٢ :

ملك الملاح ترى العيوان عليه دائرة يَطَقُ
ونحيم بين الضلوع وفي الفؤاد له سَبَقُ

والبيت الأول مأخوذ من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصارُ فيه كأن عليه من حدقٍ نطاقا

واليطق : بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة وبعدها قاف ، وهو عبارة عن جماعة من الجنديين كل ليلة حول خيمة الملك محيطين به يحرسونه إذا كان مسافراً ، وهو لفظ تركي .

والسبق : بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبعدها قاف ، وهي خيمة الملك إذا كان مسافراً ، فإنه تقدم له خيمة إلى المنزلة التي يتوجه إليها ، حتى إذا جاءها كانت مجهزة له ينزل فيها ، ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التي

١ وأنشدني له . . . أضلعي : لم يرد في س .

٢ هذا وما بعده سقط من س أيضاً حتى قوله «ومجرى السوابق» ؛ وانظر ابن الشعار : ١١ .

كان بها [في تلك المنزلة التي رحل منها]^١ .

وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي وأحسن فيهما ، وهما :

إذا ما سقاني ريقه وهو باسم «تذكرت ما بين العذيب وبارق»

ويذكرني من قده ومدامعي «مجر عوالينا ومجرى السوابق»

وهذا المعنى للمتنبي في أول قصيدة بديعة طويلة ، وهي :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

وكانت بينه وبين بهاء الدين زهير - المقدم ذكره في حرف الزاي - صعبة قديمة من زمن الصبا ، وإقامتهما ببلاد الصعيد ، حتى كانا كالأخوين ، وليس بينهما فرق في أمور الدنيا ، ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودة ، وبينهما مكاتبات بالأشعار فيما يجري لهما ، فأخبرني بهاء الدين زهير أن جمال الدين ابن مطروح كتب إليه بعض الأيام يطلب منه درج ورق ، وكان قد ضاق به الوقت ، وأظنهما كانا ببلاد الشرق معاً^٢ :

أفلسْتُ يا سيدي من الورقِ فجدُّ بدرج كعرضك اليقِّقِ

وإن أتى بالمداد مقترناً فمرحباً بالحدود والحدقِ

قال بهاء الدين زهير : وقد فتح الرءاء من «الورق» وكسرهما تنبيهاً على حاله ،

فكتبت إليه :

مولاي سيرت ما رسمت به وهو يسيرُ المداد والورقِ

وعز عندي تسيير ذلك وقد شبهته بالحدود والحدق^٣

١ سقط من ر ع ق .

٢ قد مر هذا في ترجمة البهازهير ١ : ٣٣٦ - ٣٣٧ وهو مما انفردت به رد ولم يرد في المسودة وها هو المؤلف يورده هنا .

٣ علق صاحب المختار بعد هذا بقوله : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : لو اقتصر ابن مطروح في بيته الثاني منهما على التشبيه بالحدق فقط لكان كافياً محصلاً للمقصود ؛ وقد أم هذا المعنى الجمال ابن عبد الشاعر - المقدم ذكره - في بيتين كتبهما إلى والدي ، قدس الله روحه ،

وقد سبق في ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح إلى بهاء الدين
وذكرت السبب في نظم ذينك البيتين على ما حكاه لي بهاء الدين ، ثم بعد ذلك
وصل إلى الديار المصرية من الموصل بعض الأدباء وجرى حديث ما ذكره لي
بهاء الدين زهير وأنه أنشدني بيت ابن الحلوي وهو قوله :

تجيزها وتجز المادحين بها فقل لنا أزهير أنت أم هرم

فقال ذلك الأديب : هذه القصيدة أنشدنيها ناظمها ابن الحلوي ونحن
بالموصل ، وأروي عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فإنه أنشدني :

تجيدها ثم تجدو من أتاك بها فقل لنا أزهير أنت أم هرم

فما أدري : هل ابن الحلوي أنشدها أولاً كما رواه بهاء الدين زهير ثم
غير البيت كما رواه هذا الأديب أم حصل الغلط لأحدهما ؟ والله تعالى أعلم ،
مع أن كل واحد من الطرفين حسن .

وقصة زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر الجاهلي المشهور معلومة فلا حاجة
إلى شرحها والخروج عما نحن بصدده ، فإنه كان يمدح هرم بن سنان المري أحد
أمرء العرب في الجاهلية ، وكان هرم كثير العطاء له ، حتى آلى على نفسه أنه
لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه غرة من ماله فرساً أو بعيراً أو عبداً أو أمة ، فأجحف
ذلك بهرم ، فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول : عِمُوا صباحاً خلا
هرماً ، وخيركم تركت .

= وهما بالديار المصرية ، وهما :

إذا ما اشتقت يوماً أن أراكم وحال البعد بينكم وبينني
بمئت لكم سواداً في بياض لأنظركم بشيء مثل عيني

والله أعلم .

١ ق بر من : المادحيك .

ونعود إلى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح :

بلغني أنه كتب قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعة في قضاء شغل بعض أصحابه ، أرسلها إلى بعض الرؤساء ، فكتب ذلك الرئيس في جوابه « هذا الأمر فيه عليّ مشقة » فكتب جوابه ثانياً « لولا المشقة » فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده ، وهو قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجودُ يفقر والإقدام قتال

وهذا من لطيف الإشارات .

وأنشدني الأديب الفاضل جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم ابن يحيى بن محمد بن علي المعروف بالجزار المصري قصيدة بديعة مدح بها جمال الدين ابن مطروح المذكور ، وهي بديعة طويلة فاقتضرت منما علي ذكر غزلها ، وهو هذا :

هو ذا الربعُ ولي نفسٌ مشوقه^١ فاحبسِ الركبَ عسى أفضي حقوقه
فقبیحٌ بي في شرع الهوى بعد ذاك البر أن أرضى عقوقه
لست أنسى فيه ليلاتٍ مضت معَ من أهوى وساعاتٍ أتيقه
ولئن أضحي مجازاً بعدهم فغرامي فيه ما زال حقيقه
يا صديقي والكريمُ الحر في مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه
ضعُ يداً منك على قلبي عسى أن تُهدّي بين جنبيّ خفوقه
فاض دمعِي مذ رأيتُ ربعَ الهوى وَلَكَمَّ فاض وقد شام بروقه
نقد اللؤلؤ من أدمعه فغدا ينثرُ في التراب عقيقه
قفْ معي واستوقفِ الركبَ فإن لم يقفْ فاتركه يمضي وطريقه

١ راجع ترجمة الجزار في المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٩٦ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٧ والشذرات ٥ : ٣٦٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٥ والفوات ٢ : ٦٣٠ والبدر السافر ، الورقة : ٢٢٥ والزركني ٣ الورقة : ٣٦٥ ؛ وفي المسالك قطعة كبيرة من شعره ، وكانت وفاته سنة ٦٧٩ .

فهي أرضٌ قلما يلحقها أمل والركب لم أعدم لحوقه
طلما استجليت في أرجائها من يتيه البدر إذ يدعى شقيقه
يفضح الوردَ احمراراً خده وتودُّ الحمر لو تشبه ريقه
فه الحسن خليق لم يزل والمعالي بابت مطروح خليقه

وكانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة
بأسيوط ، وتوفي ليلة الأربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة بمصر ،
ودفن بسفح الجبل المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، وأوصى أن يكتب عند
رأسه دوبيت نظمه في مرضه ، وهو :

أصبحتُ بيقعِرِ حفرةٍ مرثَها لا أملكُ من دُنْيائي إلا كفنا
يا من وسعت عبادةً رحمة من بعض عبادك المسيئين أنا
ومما ذكر أنه وجد في رقعة مكتوبة تحت رأسه بعد موته :

أتجزع مِ الموتِ هذا الجزعُ ورحمةُ ربك فيها الطمعُ
ولو بذنوبِ الوري جئتُه فرحمته كلُّ شيءٍ تسع
رحمه الله تعالى .

(330) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين يوسف^٢ المذكور يوم السبت رابع
عشر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة ، ودفن في تربته المجاورة لمدرسته
بالقرافة الصغرى . وأخبرني مراراً عديدة أنه ولد في شهر ربيع الأول سنة ثمان
وخمسمائة في جبال إربل ، وهو زراري النسب ، رحمه الله تعالى^٣ .

وأسيوط : بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الياء المثناة من تحتها
وبعدها واو ساكنة ثم طاء مهملة ، وهي بليدة بالصعيد الأعلى من ديار مصر
ومنهم من يسقط الهمزة ويضم السين فيقول : سيوط ، والله تعالى أعلم .

١ س من بر : للموت .

٢ انظر شذرات الذهب ٥ : ٣١٣ وعبر الذهبي ٥ : ٢٧٤ ، وفي كليهما (زراري) .

٣ هنا تنتهي الترجمة في ع .

ابن جزلة صاحب المنهاج

أبو علي يحيى بن عيسى بن جَزَلَة الطيب ، صاحب كتاب « المنهاج » الذي رتبته على الحروف ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية وغير ذلك شيئاً كثيراً ؛ كان نصرانياً ثم أسلم وصنف رسالة في الرد على النصارى وبيان عوار مذاهبهم ، ومدح فيها الإسلام وأقام الحجة على أنه الدين الحق ، وذكر فيها ما قرأه في التوراة والإنجيل من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه نبي مبعوث وأن اليهود والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهره ، ثم ذكر فيها معائب اليهود والنصارى . وهي رسالة حسنة أجاد فيها وقرئت عليه في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وكان سبب إسلامه أنه كان يقرأ على أبي علي ابن الوليد المعتزلي ويلزمه ، فلم يزل يدعو إلى الإسلام ويذكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى ، وحسن إسلامه ، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد ابن هبة الله بن الحسن ، وبه انتفع في الطب ، وكان له نظر في علم الأدب ، وكتب الخط الجيد .

وصنف للإمام المقتدي بأمر الله كثيراً من الكتب ، فمن ذلك كتاب « تقويم الأبدان » وكتاب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » وكتاب « الإشارة في تلخيص العبارة » ورسالة في مدح الطب وموافقته للشرع والرد على من طعن عليه ، ورسالة كتبها إلى إلبا القس لما أسلم ، وغير ذلك من التصانيف . وهو من المشاهير في علم الطب وعمله ، وذكره أبو المظفر يوسف سبط أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سماه « مرآة الزمان » فقال : إنه لما أسلم استخلفه أبو الحسن القاضي ببغداد^١ في كتب السجلات ، وكان يطيب

٨١٢ - ترجمته في المنتظم ٩ : ١١٩ وابن الأثير ١٠ : ٣٠٢ وتاريخ الحكماء : ٣٦٥ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٥٥ وابن العربي ٣٣٩ .

١ في تاريخ الحكماء أن الذي استخدمه في كتابة السجلات هو القاضي أبو عبد الله الدامغاني .

أهل محلته ومعارفه بغير أجره ، ويحمل إليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ،
ويتفقد الفقراء ويحسن إليهم . ووقف كتبه قبل وفاته ، وجعلها في مشهد
أبي حنيفة رضي الله عنه ، ذكر هذا كله في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ،
وعادته أن يذكر الإنسان ، ويشرح أحواله في سنة وفاته ، فإن كتابه مرتب
على السنين .

وذكر صاحب كتاب « البستان الجامع لتواريخ الزمان » أن ابن جزلة
مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، وزاد أبو الحسن الهمداني : في أواخر شعبان ،
نقله عنه ابن النجار في « تاريخ بغداد » ، وذكر غيره أن إسلامه كان في سنة
ست وستين وأربعمائة ، زاد ابن النجار في تاريخه : يوم الثلاثاء حادي عشر
جمادى الآخرة ، رحمه الله تعالى .
وجزلة : بفتح الجيم وسكون الزاي وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ،
والله تعالى أعلم .

٨١٣

السهروردي المقتول

أبو الفتوح يحيى بن حبّش بن أميرك ، الملقب شهاب الدين ، السهروردي
الحكيم المقتول بجلب ؛ وقيل اسمه أحمد ، وقيل كنيته اسمه ، وهو أبو
الفتوح ، وذكر أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة الخزرجي الحكيم في كتاب
« طبقات الأطباء » أن اسم السهروردي المذكور عمر ، ولم يذكر اسم أبيه ،
والصحيح الذي ذكرته أولاً ، فلهذا بنيت الترجمة عليه ، فأني وجدته بخط
جماعة من أهل المعرفة بهذا الفن وأخبرني به جماعة أخرى لا أشك في معرفتهم ،

٨١٣ - ترجمته في مرآة الجنان ٣ : ٤٣٤ ، ولسان الميزان ٣ : ١٥٦ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٣١٤ ، وابن

أبي أصيبعة ٢ : ١٦٧ ، والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٤ ، وعبر الذهبى ٤ : ٢٦٣ .

١ هنالك بياض في موضع اسم الأب في المطبوعة .

فقوي عندي ذلك ، فترجمت عليه . والله أعلم .

كان المذكور من علماء عصره ، قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجلي بمدينة المراغة من أعمال أذربيجان ، إلى أن برع فيهما وهذا مجد الدين الجلي هو شيخ فخر الدين الرازي^١ ، وعليه تخرج وبصحبه انتفع ، وكان إماماً في فنونه .

وقال في « طبقات الأطباء » : كان السهروردي المذكور أوحده أهل زمانه في^٢ العلوم الحكمية ، جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء فصيح العبارة ، وكان علمه أكثر من عقله ، ثم ذكر أنه قتل في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة ، والصحيح ما سنذكره في أواخر هذه الترجمة إن شاء الله تعالى ، وعمره نحو ست وثلاثين سنة ، ثم قال : ويقال إنه كان يعرف علم السيمياء .

وحكى بعض فقهاء العجم : أنه كان في صحبته ، وقد خرجوا من دمشق ، قال : فلما وصلنا إلى القابون ، القرية التي على باب دمشق في طريق من يتوجه إلى حلب ، لقينا قطيع غنم مع تركماني ، فقلنا للشيخ : يا مولانا نريد من هذه الغنم رأساً نأكله ، فقال : معي عشرة دراهم ، خذوها واشتروا بها رأس غنم ، وكان هناك تركماني فاشترينا منه رأساً بها ، ومشينا قليلاً فالحقنا رفيق له وقال : ردوا هذا الرأس ، خذوا أصغر منه ، فإن هذا ما عرف ببيعكم ، يساوي هذا الرأس أكثر من ذلك ، وتقاولنا نحن وإياه ، فلما عرف الشيخ ذلك قال لنا : خذوا الرأس وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه ، فتقدمنا نحن ، وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه ، فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا ، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت إليه ، فلما لم يكلمه لحقه بغیظ وجذب يده اليسرى ، وقال : أين تروح وتخليني ؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلت من عند كتفه وبقيت في يد التركماني ودمها يجري ، فبهت التركماني وتحير في أمره ، فرمى اليد وخاف ، فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا ، وبقي التركماني راجعاً وهو يلتفت

١ المختار : فخر الدين ابن الخطيب الرازي .

٢ طبقات الأطباء : أوحده في .

إليه حتى غاب عنه ، ولما وصل الشيخ إلينا رأينا في يده اليمنى مندبلاً لا غير .
قلت : ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة ، والله أعلم بصحتها .
وله تصانيف ، فمن ذلك كتاب «التنقيحات»^١ في أصول الفقه ، وكتاب
« التلويحات » وكتاب « الهياكل » وكتاب « حكمة الإشراق » ، وله الرسالة
المعروفة « بالغربة الغربية » على مثال « رسالة الطير » لأبي علي ابن سينا ، ورسالة
« حي بن يقظان » لابن سينا أيضاً ، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس
وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء .

ومن كلامه : الفكر في صورة قدسية ، يتلطف بها طالب الأريحية ، ونواحي
القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون ، وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج
ملكوت السموات ، فوحد الله وأنت بتعظيمه^٢ ملآن ، واذكره وأنت من ملابس
الأكوان عريان ، ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الأركان ، فأبى
النظام أن يكون غير ما كان :

فخفيتُ حتى قلتُ لستُ بظاهرٍ وظهرتُ من سعْيِ على الأكوانِ
[آخر]^٣ :

لو علمنا أننا ما نلتقي لقضينا من سليمي وطرا

اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف .

وتنسب إليه أشعار : فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات ابن سينا
العينية ، وهي المذكورة في ترجمته في حروف الحاء ، واسمه الحسين^٤ ، فقال هذا
الحكيم :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوقا

١ بر : التحقيقات .

٢ بر : بتوحيده .

٣ زيادة من : س ر بر من .

٤ انظر ج ٢ : ١٦٠ .

وتلفتت نحو الديار فشاقتها
وقفت تسائله فرد جوابها
فكأتما^١ برق تألق بالحمى

ومن شعره المشهور :

أبدأُ تحن إليكم الأرواحُ
وقلوبُ أهل وداكم تشناقكم
وارحمة^٣ للعاشقين تكلفوا
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم
وإذا همُ كتموا تحدث عنهم
وبدت شواهدُ للستقام عليهمُ
خفض الجناح لكم وليس عليكم
فإلى لقاءكم نفسه مرتاحة
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا
صافاهمُ فصفوا له فقلوبهم
وتمتعوا فالوقتُ طاب بقربكم
يا صاحٍ ليس على المحبِّ ملامة^٤
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
سمحوا بأنفسهمُ وما بخلوا بها

١ ر : فكأتما .

٢ هامش س : خ : وإلى جلال جمالكم ترتاح .

٣ بر : وارحمتا .

٤ ر س : السحاح .

٥ هذا البيت أول ما بقي من خط المؤلف في نسخة المسودة ، وقد كتب فيه « راق الشباب » وفوقها « لعله الشراب » ، وكذلك فعل في س .

ودعاهمُ داعي الحقائق دعوة
ركبوا على سنن الوفا فدموعهم
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
لا يطربون بغير ذكر حبيبهم
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم
أنفاهمُ عنهمُ وقد كشفت لهم
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
قم يا نديمُ إلى المدام فهاتها
من كرمٍ إكرامٍ بدينِ ديانة
فغدوا بها مستأنسين وراحوا
بمجرٌ وشدةُ شوقهم ملاح
حتى دُعوا وأتاهم المفتاح
أبدأً فكلُّ زمانهم أفراح
فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
حجبُ البقا فتلاشت الأرواح
إن التشبهَ بالكرام فلاح
في كاسها قد دارت الأقداح
لا خمرة قد داسها الفلاح

وله في النظم والغرر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها . وكان شافعي المذهب ، ويلقب بالمويد بالملكوت ، وكان يتهم بالتحلل العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين ، واشتهر ذلك عنه ، فلما وصل إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه ، وكان أشد الجماعة عليه الشيخين : زين الدين ومجد الدين ابني جهنبل .

وقال الشيخ سيف الدين الآمدي - المقدم ذكره في حرف العين^١ - :
اجتمعت بالسهروردي في حلب ، فقال لي : لا بد أن أملك الأرض ، فقلت له :
من أين لك هذا ؟ قال : رأيت في المنام كأنني شربت ماء البحر ، فقلت : لعل
هذا يكون اشتها العلم وما يناسب هذا ، فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ،
ورأيته كثير العلم قليل العقل ، ويقال : إنّه لما تحقق القتل كان كثيراً ما ينشد :

أرى قديمي أراقَ دمي وهان دمي فيها ندمي

والأول مأخوذ من قول أبي الفتح علي بن محمد البستي - المقدم ذكره^٢ - :

إلى حتفي مشى قديمي أرى قديمي أراق دمي

١ - ج ٣ : ٢٩٣ .

٢ - ج ٣ : ٣٧٦ .

فلم أنفك من ندم وليس بنافعي ندمي

وكان ذلك في دولة الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله ، فحبسه ثم خنقه بإشارة والده السلطان صلاح الدين ، وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب ، وعمره ثمان وثلاثون سنة . وذكره القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في أوائل سيرة صلاح الدين^١ ، وقد ذكر حسن عقيدته^٢ فقال : كان كثير التعظيم لشعائر الدين ، وأطال الكلام في ذلك ، ثم قال : ولقد أمر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له « السهوردي » قيل عنه : إنه معاند^٣ للشرائع ، وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره ، وعرف السلطان به فأمر بقتله ، فقتله وصلبه أياماً .

ونقل سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد المذكور أنه قال : لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخرج الشهاب السهوردي ميتاً من الحبس بحلب فتفرق عنه أصحابه .

قلت : وأقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين في أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه : فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ، ويقولون : ظهر لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك ، وأكثر الناس على أنه كان ملحداً لا يعتقد شيئاً ، نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، وأن يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد ، وهذا الذي ذكرته في تاريخ قتله هو الصحيح ، وهو خلاف ما نقلته في أول هذه الترجمة ، وقد قيل إن ذلك كان في سنة ثمان وثمانين ، وليس بشيء أيضاً .

وحبش : بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وبالشين المعجمة .
وأميرك : بفتح الهمزة وبعدها ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة

١ سيرة صلاح الدين : ١٠ . ٢ أي حسن عقيدة السلطان .

٣ ق : كان معانداً ، وكذلك في سيرة ابن شداد .

وبعدها راء مفتوحة ثم كاف ، وهو اسم أعجمي معناه أمير تصغير أمير ،
وهم يلحقون الكاف في آخر الاسم للتصغير .
وقد تقدم الكلام على سَهْرُورَد في ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر
السهروردي فليطلب منه ، إن شاء الله تعالى .

٨١٤

يزيد بن القعقاع القارىء

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة
المخزومي عتاقة ، ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني ؛ أخذ القراءة عرضاً
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وعن مولاة عبد الله بن عياش بن أبي
ربيعة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ، ومروان بن الحكم ، ويقال قرأ على زيد بن ثابت رضي
الله عنه ، وروى القراءة عنه عرضاً نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وسليمان
ابن مسلم بن جمّاز وعيسى بن وردان الخذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ،
وله قراءة .

قال أبو عبد الرحمن النسائي : يزيد بن القعقاع ثقة ، وكان يقرئ الناس
بالمدينة قبل وقعة الحرة . وقال محمد بن القاسم المالكي : أبو جعفر يزيد بن
القعقاع مولى أم سلمة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
ويقال إنه جندب بن فيروز مولى عبد الله بن عياش المخزومي ، وكان من أفضل
الناس . وقال سليمان بن مسلم : أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان
يقرئ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة ، وكانت الحرة على

٨١٤ - ترجمته في المعارف : ٥٢٨ ورجال ابن حبان : ٧٦ وابن الأثير ٥ : ٣٩٤ وتهذيب التهذيب

١٢ : ٥٨ وميزان الاعتدال ٤ : ٥١١ وغاية النهاية ٢ : ٣٨٢ والشذرات ١ : ١٧٦ .

رأس ثلاث وستين سنة من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأخبرني أنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش ، وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل يوم ما يقرأ وأخذت عنه قراءته ، وأخبرني أنه أتني به إلى أم سلمة رضي الله عنها وهو صغير ، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة ، قال سليمان المذكور : وسألته متى أقرأت القرآن ؟ فقال : أقرأت أو قرأت ؟ فقلت : لا بل أقرأت ، فقال : هيهات ، قبل الحرة في زمان يزيد بن معاوية ، وكانت الحرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وخمسين سنة .

وقال نافع بن أبي نعيم : لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاريء بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن .

وقال سليمان بن مسلم : أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول : أتري هذا ؟ كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة فيقرأ عليّ ثم كفرني ، وهو يضحك . قال سليمان ، وقالت أم ولد أبي جعفر : إن ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده صار غرة بين عينيه . وقال سليمان : رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له : أبا جعفر ؟ قال : نعم اقرىء إخواني عني السلام ، وأخبرهم أن الله تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين ، واقرىء أبا حازم السلام وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكيس الكيس ، فإن الله عز وجل وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات .

وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى : كان أبو جعفر القاريء رجلاً صالحاً يفتي^١ الناس بالمدينة .

وقال خليفة بن خياط^٢ : مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع سنة اثنتين وثلاثين ومائة بالمدينة ، وقال غيره : مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال أبو علي الأهوازي في أول كتاب «الإقناع» في القراءات ، قال ابن جمتاز : ولم يزل أبو جعفر إمام الناس في القراءة إلى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة ،

١ الجزري : يقرىء . ٢ تاريخ خليفة : ٦١٤ .

وقيل إنّه توفي في سنة ثلاثين ومائة ، والله أعلم .
قلت : وقد تكرر ذكر الحرة في هذه الترجمة في مواضع ، وقد يتشوف إلى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به .

والحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود ، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة ، والحِرار كثيرة ، والمراد بهذه الحرة حرة واقم ، بالقاف المكسورة ، وهي بالقرب من المدينة في جهتها الشرقية - كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة ولايته قد سير إلى المدينة جيشاً مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها ، وخرج أهلها إلى هذه الحرة ، فكانت الوقعة بها ، وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ ، حتى قيل إنّه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ، ممن ليس لهم أزواج ، بسبب ما جرى فيها من الفجور .

ثم إن مسلم بن عقبة المري لما قتل أهل المدينة وتوجه إلى مكة ، نزل به الموت بموضع يقال له : ثنية هَرَشَى ، فدعا حصين بن نمير السكوني وقال له : يا بردعة الحمار ، إن أمير المؤمنين عهد إليّ إن نزل بي الموت أن أوليك ، وأكره خلافه عند الموت . ثم إنّه أوصى إليه بأمر يعتمدها ثم قال : لئن دخلت النار بعد قتلي أهل الحرة لآتي إذا لشقي .

وأما واقم فإنه اسم أطم من أطام المدينة . والأطم : بضم الهمزة والطاء المهملة ، شبيه بالقصر ، وكان مبنياً عند هذه الحرة فأضيفت الحرة إليه ، فقيل حرة واقم ، والله أعلم .

يزيد بن رومان

أبو روح يزيد بن رومان القاريء مولى آل الزبير بن العوام المدني ؛ أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ، وروى القراءة عنه عرضاً نافع ابن أبي نعيم . قال يحيى بن معين : يزيد بن رومان ثقة . وقال وهب بن جرير : حدثنا أبي قال : رأيت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعقدان الآي في الصلاة . وقال يزيد بن رومان : كنت أصلي إلى جنب نافع بن جبير بن مطعم ، فيغمزني فأفتح عليه ونحن نصلي . وروى يزيد أنه كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث وعشرين ركعة في شهر رمضان . وتوفي يزيد في سنة ثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى^١ .

ورومان : بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم ألف ونون .

٨١٥ - ترجمته في غاية النهاية ٢ : ٣٨١ وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٢٥ .

١ هنا تنتهي الترجمة في ق .

يزيد بن المهلب

أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي - قد تقدم ذكر أبيه في حرف الميم^١ ورفعتُ نسبه وتكلمت عليه فأغنى عن الإعادة هاهنا - ؛ ذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٢ وجماعة من المؤرخين : أنه لما مات أبوه - في التاريخ المذكور في ترجمته - كان قد استخلف ولده يزيد مكانه ، ويزيد ابن ثلاثين سنة يومئذ^٣ ، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي ، وولّى مكانه في خراسان قُتَيْبَةَ بن مسلم الباهلي - قلت : وقد تقدم ذكره في حرف القاف^٤ - وصار يزيد في يد الحجاج - قلت : وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب - وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه لا يترتب مكانه ، فكان يقصده بالمكروه في كل وقت كي لا يثب عليه ، وكان الحجاج في كل وقت يسأل المنجمين ومن يعاني هذه الصناعة عمّن يكون مكانه ، فيقولون : رجل اسمه يزيد ، فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد المذكور ، والحجاج يومئذ أمير العراقيين ، وكذا وقع ، فإنه لما مات الحجاج ولي يزيد مكانه ، هذا قول المؤرخين .

نعود إلى تتمة ما ذكره في « المعارف » - قال : فعذبه الحجاج ، وهرب يزيد من حبسه إلى الشام يريد سليمان بن عبد الملك ، فأتاه فشفع له إلى أخيه

٨١٦ - ترجمته وأخباره في المصادر التاريخية التي تتحدث عن العصر الأموي كالطبري وابن الأثير والمسعودي واليعقوبي وابن خلدون والعيون والحدائق ، وفي الكتب الأدبية العامة كالكمال والعقد . . . الخ . وسنشير إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في مواضعها ، حيث يتيسر ذلك .

١ انظر ج ٥ : ٣٥٠ .

٢ المعارف : ٤٠٠ .

٣ زاد في المطبوعة المصرية : فمكث نحواً من ست سنين من يومئذ ؛ ولم يرد في المسودة والنسخ الأخرى .

٤ انظر ج ٤ : ٨٦ .

الوليد بن عبد الملك ، فأمنه وكف عنه ، ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت إليه الخلافة ، فافتتح جرجان ودهستان وأقبل يريد العراق ، فتلقاه موت سليمان ابن عبد الملك ، فصار إلى البصرة ، فأخذه عدي بن أرطاة ، فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فحبسه عمر ، فهرب من حبسه وأتى البصرة ، ومات عمر ، فخالف يزيد [وخلع يزيد]^١ بن عبد الملك ، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله .

وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير : يزيد بن المهلب ولي إمرة البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم نزع عمر بن عبد العزيز وولى عدي بن أرطاة ، وقدم به على عمر مسخوطاً عليه ؛ حكى عن أنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبيه المهلب ، وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأبو عيينة ابن المهلب وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم . وقال الأصمعي : إن الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب ، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم ، فإن أداها وإلا عذبه إلى الليل ، قال : فجمع يوماً مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه ، فدخل عليه الأخطل الشاعر فقال^٢ :

أبا خالد بادت خراسانُ بعدكم وصاح ذوو الحاجاتِ أين يزيدُ
فلا مطيرَ المروانِ بعدك مطرةً ولا اخضرَ بالمروينِ بعدك عود
فما لسريرِ الملكِ بعدك بهجةً ولا لجوادِ بعدَ جودك جود

— قوله في البيت الثاني « فلا مطر المروان ، ولا اخضر بالمروين » هما تثنية مرو ، إحداهما مرو الشاهجان ، وهي العظمى ، والأخرى مرو الروذ ، وهي الصغرى ، وكلتاها مدينتان مشهورتان بخراسان ، وقد تكرر ذكرهما في هذا الكتاب — قال : فأعطاه مائة الألف ، فبلغ ذلك الحجاج ، فدعا به وقال : يا مروزي ، أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة ؟ قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده .

٢ وردت في ديوان الفرزدق ١ : ١٣٧ .

١ زيادة من ربر .

قلت : هكذا ذكر ابن عساكر ، والمشهور أن صاحب هذه الواقعة والأبيات هو الفرزدق ؛ ثم إنني رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم ، والله أعلم بالصواب .

وذكر الحافظ أيضاً أن يزيد لما هرب من الحجاج قاصداً سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ بالرملة ، فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب ، فقال لغلامه : استقنا هؤلاء لبناً ، فأناه بلبن فشربه ، فقال : أعطهم ألف درهم ، فقال الغلام : إن هؤلاء لا يعرفونك ، قال : لكني أعرف نفسي ، أعطهم ألف درهم ، فأعطاهم .

وقال الحافظ أيضاً : حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقاً ، فجاء فحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحير ودُهِش ، وقال : هذا الألف أمضي إلى أمي فلانة أشرىها ، فقال : أعطوه ألفاً آخر ، فقال : امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك ، فقال : أعطوه ألفين آخرين .

وقال المدائني : وكان سعيد بن عمرو بن العاص مؤاخياً ليزيد بن المهلب ، فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع الناس من الدخول إليه ، فأناه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لي على يزيد خمسون ألف درهم ، وقد حلت بيني وبينه ، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه ، فأذن له ، فدخل عليه ، فسر به يزيد وقال : كيف دخلت إليّ ؟ فأخبره سعيد ، فقال : والله لا تخرج إلا وهي معك ، فامتنع سعيد ، فحلف يزيد ليقبضنها ، فوجه إلى منزله ، حتى حُمِلَ إلى سعيد خمسون ألف درهم .

وزاد ابن عساكر فقال : وفي ذلك قال بعضهم :

فلم أرَ محبوباً من الناس ماجداً جبا زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازته بخمسين ألفاً عجلت لسعيد

[وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب « الجليس والأنيس » عن عبد الله الكوفي قال : أغرم سليمان بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن غزاة

١ كذا في المسودة ؛ وفي أكثر النسخ : استقنا .

في البحر ألف ألف درهم ، فمشى إلى يزيد بن المهلب ، وقد ولي العراق ، عثمان بن حيان المرّي والقعقاع بن خالد العبسي والهديل بن زفر بن الحارث الكلابي وغيرهم من قيس ، فلما انتهوا إلى باب سرادق يزيد أذن لهم الحاجب في دخولهم وأعلمهم أنه يغسل رأسه ، فلما فرغ خرج في مستقة^١ فألقى نفسه على فراشه ثم قال : ما أَلَّفَ بينكم ؟ فقال عثمان : هذا ابن هبيرة شيخنا وسيدنا ، كان الوليد حمل معه مالاً حيث وجهه إلى البحر فأعطاه جنده فخرج عليه من غرمة ألف ألف درهم ، فقلنا يزيد سيد أهل اليمن ووزير لسليمان وصاحب العراق ومن قد يحمل أمثالها عنم ليس بأمثالنا ، ووالله لو وسعتها أموال قيس لاحتملناها . ثم تكلم القعقاع فقال : [يا] ابن المهلب ، هذا خير ساقه الله إليك وليس أحد أولى به منك ، فافعل به كبعض فعلاتك الأولى ، فلن يصدق عن قضاء هذا الحق ضيق ، ولا تبخل وقد أتيناك مع ابن هبيرة فيما حمل ، فهب لنا أموالنا واستر في العرب عورتنا ؛ ثم تكلم الهديل بن زفر فقال : يا ابن المهلب ، إنني لو وجدت من المشى إليك بدأ لما مشيت إليك ، لأن أموالك بالعراق ، وإنما أتينا خائفاً ثم أقمت فينا ضيفاً ، ثم تخرج من عندنا محروساً ، وإيم الله لئن تركناك بالشام لأتيناك بالعراق ، وما هاهنا أقرب في الخطوة وأوجب للذمام ؛ ثم تكلم ابن خيشمة فقال : إنني لأقول^٢ لك يا ابن المهلب ما قال هؤلاء ، أخبرني إن أنت عجزت عن احتمال ما على ابن هبيرة فعلى من المعول ؟ لا والله ما عند قيس له مكيال ، ولا في أموالهم متسع ، ولا عند الخليفة له فرج ؛ ثم تكلم ابن هبيرة فقال : أما أنا فقد قضيت حاجتي ، رددت أم أنجحت ، لأنه ليس لي أمامك متقدم ولا خلفك متأخر ، وهذه حاجة كانت في نفسي فقضيتها . فضحك يزيد بن المهلب وقال : إن التعذر أخو البخل ، ولا اعتذار فاحتكموا ، فقال القعقاع : نصف المال ، فقال يزيد : قد فعلت ، يا غلام : غداءك^٣ ، قال : فجيء بالطعام

١ المستقة : فروة طويلة الكم ؛ وهذه القراءة تقديرية فإن اللفظة غير واضحة في النسخ الثلاث والأقرب إليها في بر : سبية ، وفي من : مسنية .

٢ بر : لا أقول .

٣ بر : أرنا يا غلام غداءك .

فأبقينا أكثر مما أفرغنا^١ ، فلما فرغنا أمر بتطييننا وأجاد الكسوة لنا ، قال : ثم
خرجنا حتى إذا مررنا ، قال ابن هبيرة : فأخبروني عما بقي ، من يحمله بعد
ابن المهلب ، لقد صغّر الله أقداركم وأخطاركم ، والله ما يدري يزيد ما بين
النصف والتمام ، وما هما عنده إلا سواء ، ارجعوا إليه فكلّموه في الباقي ،
قال : وقد كان يزيد ظن بهم أن سيرجعون^٢ إليه في التمام ، فقال للحاجب : إذا
عادوا فأدخلهم ؛ فلما عادوا أدخلهم ، فقال لهم يزيد ؛ إن ندمتم ألقناكم وان
استقلتم زدناكم ، فقال له ابن هبيرة : يا ابن المهلب ، إن البعير إذا أوقر أنقلته
أذناه ، وأنا بما بقي مثقل ، فقال : قد حملتها عنك ، ثم ركب إلى سليمان فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنك إنما رشحتني لتبلغ بي ، وإنّي لا أضيق عن شيء اتسع
له مالك ، وما في أيدينا فواضلك يصطنع بها الناس وتبني بها المكارم ، ولولا
مكانك قلقتنا بالصغير ؛ ثم قال له إنّه أتاني ابن هبيرة بوجوه أصحابه ، فقال له
سليمان : أمسك ، اياك في مال الله عنده ، خب صب ، جموع منوع ، جزوع
هلوع ، هيه ، فصنعت ماذا ؟ قال : حملتها عنه ، قال : احملها إذن
إلى بيت مال المسلمين ، قال : والله ما حملتها خدعة وأنا حاملها بالغداة ، ثم
حملها ، فلما أخبر سليمان بذلك دعا يزيد ، فلما رآه ضحك وقال : ذكت بك
ناري ، ووريت بك زنادي ، غرمها علي وحمدها لك ، قد وفّت لي يميني ،
فأرجع المال إليك ، ففعل^٣ .

وقال يزيد يوماً : والله للحياة أحب من الموت ، ولثناء حسن أحب إلي من
الحياة ، ولو أنّي أعطيت ما لم يُعطه أحد لأحببت أن يكون لي أذن أسمع
غداً ما يقال فيّ إذا أنا مت كريماً ؛ وقد سبق ذكر هذا الكلام في ترجمة أبيه
المهلب وأنّه من كلامه ، لا من كلام ابنه يزيد ، والله أعلم .
وقال أبو الحسن المدائني : باع وكيل ليزيد بن المهلب بطيخاً جاءه من متعلّ
بعض أملاكه بأربعين ألف درهم ، فبلغ ذلك يزيد فقال له : تركتنا بقالين ،

١ بر : وأنكرنا منه أكثر مما عرفنا .

٢ بر : ظن أنهم سيرجعون .

٣ زيادة من : ر من بر دون سائر النسخ .

أما كان في عجائز الأزد من تقسمه فيهن^١ ؟
ومدحه عمر بن لجأ بشعر يقول فيه :

آلُ المهلب قوم إن نسبتهمُ
كم حاسدٍ لهمُ يعيا بفضلهمُ
إن العرائن تلقاها محسدةً
لوقيل للمجد حدٍ عنهم وخلقهمُ
كانوا الأكارم آباء وأجدادا
وما دنا من مساعيهم ولا كادا
ولا ترى للثام الناس حسادا
بما احتكمت من الدنيا لما حادا
إن المكارم أرواحٌ يكون لها
آلُ المهلب دون الناس أجسادا

وقال الأصمعي : قدم على يزيد بن المهلب قوم^٢ من قضاة ، فقال رجل
منهم :

والله ما ندري إذا ما فاتنا
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجدُ
فاصبرْ لعادتك التي عودتنا
أولا فأرشدنا إلى مَنْ نذهبُ
طَلَبٌ لديك من الذي نتطلبُ
أحدًا سواك إلى المكارم يُنسبُ

فأمر له بألف دينار ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشده :

ما لي أرى أبوابهم مهجورةً
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى
إنني رأيتك للمكارم عاشقاً
والمكرماتُ قليلةُ العشاق
وكأنّ بابك مجمعُ الأسواق
بيديك فانتجعوا من الآفاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب ،
كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة ، والله أعلم ؛ وكان لهم في
الشجاعة أيضاً مواقف مشهورة .

وحكى ابن الجوزي في كتاب « الأذكياء » أن يزيد بن المهلب وقعت

١ زاد بعده في المطبوعة المصرية : وغضب غضباً شديداً ، ولم يرد في المسودة والنسخ ع بر من ، أما
س فإن رواية المدائني كلها سقطت منها .

عليه حياة فلم يدفعها عن نفسه ، فقال له أبوه : ضيقت العقل من حيث حفظت الشجاعة .

ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي على الحجاج ، وقصته مشهورة ، أتى تستر فاجتمع إليه جماعة ، فذكروا يوماً آل المهلب ووقعوا فيهم ، فقال عبد الرحمن لحريش بن هلال القُرَيْبِي ، وكان في القوم : ما لك يا أبا قدامة لا تتكلم ؟ فقال : والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه في الرخاء ولا أذل لها في الشدة منهم .

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب ، فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم ، فقال : أنس الله الإسلام بتلاحقكم ، أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم لأسباط ملحمة .

ومات ابن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقيل له : أتقدمه وأنت أسن منه والميت ابنك ؟ فقال : إن أخي قد شرفه الناس وشاع فيهم له الصيت ، ورمته العرب بأبصارها ، فكرهت أن أضع منه ما رفعه الله تعالى .

ونظر مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ إلى يزيد بن المهلب وهو يمشي وعليه حلة يسحبها ، فقال له : ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله ؟ فقال يزيد : أما تعرفني ؟ فقال : بلى ، أولك نطفة منذرة ، وآخرك جيفة قدرة ، وأنت بين ذلك حامل عذرة ، قلت : وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن محمد البسامي الخوارزمي فقال :

عجبتُ من مُعجِبِ بصورته وكان من قبلُ نطفةً مَدْرَةَ
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصيرُ في الأرض جيفةً قَدْرَةَ
وهو على عجه ونخوته ما بين ثوبيه^١ يحمل العذرة

(331) وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة أبي خداش مخلد بن يزيد بن المهلب أن مخلداً أحد الأسخياء المدوحين ، وقد على

١ ٥ بر من : جنبيه .

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في أمر أبيه يزيد ، وقد حبسه عمر ، وكان أبوه قد ولاه جرجان ، فاجتاز في طريقه بالكوفة ، فأناه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده :

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحباً يجب المرحبُ
ولا لا تكلنا^١ إلى معشرٍ متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرةٍ لهم خضع الشرقُ والمغرب
وفي أدبٍ فيهم ما^٢ نشأت فنعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سنينك ما بلغ السيدُ الأشيب
فهمك فيها جسامُ الأمورِ همُّ لداتك أن يلعبوا
وجدت فقلت ألا سائلٌ فيسأل أو رعب يرغب
فمنك العطيةُ للسائلينَ وممن يبابك أن يطلبوا

فقال له : هات حاجتك ، فقضاها ، وقيل أمر له بمائة ألف درهم .
وقدم على مخلد رجل كان قد زاره قبل ذلك فأجاره وقضى حقه ، فلما عاد إليه قال له مخلد : ألم تكن أتيتنا فأجزناك ؟ قال : بلى ، قال : فماذا ردك ؟ قال :
قول الكميت فيك :

[سألناه الجزيل فما تلكا وأعطى فوق منيتنا وزادا^٣
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا
مراراً ما أعودُ إليه إلا تبسم ضاحكاً وثني الوسادا

فأضعف له ما كان أعطاه .

وقال قبيصة بن عمر المهلبي : كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان وأخذ صول ، وهو رئيس من رؤسائهم - قلت : كان صاحب جرجان ،

١ ق بز من والمختار : ولا تكلنا - بتشديد النون - .

٢ بر : قد .

٣ زيادة من س .

وهو جد إبراهيم بن العباس الصولي وأبي بكر محمد بن يحيى الصولي الأديبين
الشاعرين المشهورين - قال : فأصاب يزيد أموالاً كثيرة وعروضاً كثيرة ،
فكتب إلى سليمان بن عبد الملك : إنني قد فتحت طبرستان وجرجان ، ولم يفتحهما
أحد من الأكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيري ، وإنني باعث إليك بقطران
عليها الأموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي . فلما مات سليمان
وأفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعده ، أخذته عمر بهذه العدة
لسليمان فحبسه ، فقدم ابنه مخلد على عمر - قال قبيصة المهلبي : وهب مخلد من
لدى خروج من مرو الشاهجان إلى أن ورد دمشق ألف ألف درهم - فلما أراد
مخلد الدخول على عمر لبس ثياباً مستنكرة وقلنسوة لاطية ، فقال له عمر : لقد
شممت ، فقال له : إذا شممت شمركم وإذا أسبلتم أسبلنا ؛ ثم قال له : ما بالك
قد وسع الناس عفوك حبست هذا الشيخ ، فإن تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه
وإلا فيمينه ، أو فصالحه على ضياعه ، فقال يزيد : أما اليمين فلا تتحدث العرب
أن يزيد بن المهلب صبر عليها ، ولكن ضياعي فيها وفاء لما يطلب .

ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة ، فقال عمر : لو أراد الله بهذا
الشيخ خيراً لأبقى له هذا القتي . ويقال إن مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات ،
وصلى عليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ثم قال : اليوم مات قتي العرب ،
وأنشد متمثلاً :

على مثل عمرو تذهب النفسُ حسرةً وتضحى وجوه القوم مغبرةً سودا

ورثاه حمزة بن بيض الحنفي - المقدم ذكره - بأبيات منها :

وَعَطَلَتِ الْأَسْرَةَ مِنْكَ إِلَّا سِرِيرِكَ يَوْمَ تَحْجُبُ بِالثِّيَابِ
وَأَخَّرَ عَهْدَنَا بِكَ يَوْمَ يَحْيَى عَلَيْكَ بَدَابِقِ سَهْلِ التَّرَابِ

وقال الفرزدق يرثيه ١ :

وما حملت أيديهم من جنازةٍ ولا ألبست أثوابها مثل مَخْلَدِ

١ المختار : وقال الفرزدق الشاعر يرثيه أيضاً ؛ وانظر ديوانه ١ : ١٦٣ .

أبوك الذي تُستهزم الخيلُ باسمه وإن كان فيها قيد شهر مطرد
وقد علموا إذ شد حقويه أنه هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد

قلت : وهذا يدل على أن مخلد بن يزيد مات في حدود سنة مائة للهجرة لأن عمر بن عبد العزيز ولي الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة ، وقد مات عنده وصلى عليه ، ويدل على أن موت مخلد كان بدابق ما تقدم من مرثية حمزة بن بيض ؛ ودابق : قرية من أعمال حلب من جانبها الشمالي ، وإليها ينسب المرج الذي يقال له « مرج دابق » وبه كانت وفاة سليمان بن عبد الملك ، وقبره هناك مشهور .

ونعود إلى ذكر يزيد :

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير^١ : إن المغيرة بن المهلب كان نائباً عن أبيه بمرو وعمله كله ، ومات في رجب سنة اثنتين وثمانين - كما ذكرناه في ترجمة المهلب - فأتمى الخبر يزيد ، وعلم^٢ أهل المعسكر ولم يعلموا المهلب ، وأحب يزيد أن يعلمه من^٣ النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ، فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه ، فلامه بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهه إلى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته ، وكتب الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة ، وكان سيدياً .

(332) قلت : وكان للمغيرة ابن اسمه بشر ذكره أبو تمام الطائي في كتاب

« الحماسة »^٤ في الباب الأول ، وأورد من شعره قوله في يزيد :

جفاني يزيدُ والمغيرةُ قد جفا وأمسى يزيدُ لي قد ازورَّ جانبهُ

١ تاريخ الطبري (حوادث سنة : ٨٢) ٢ : ١٠٧٧ (الطبعة الأوروبية) .

٢ الطبري : وعلمه .

٣ الطبري : فأمر ؛ وفي بر من : أن يبلغه من .

٤ انظر شرح المرزوقي ، الحماسية : ٧٣ .

وكلهمُ قد نال شيبعاً لبطنه وشيع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه
 فيا عمٌ مهلاً واتخذني لنوبة تنوبُ فإن الدهرَ جمٌ نوائبه
 أنا السيفُ إلا أن للسيفِ نوبةٌ ومثلي لا تنبو عليك مضاربه
 على أيّ بابٍ أبغي الإذنَ بعد ما حجبتُ عن الباب الذي أنا حاجبه

رجعنا إلى تمة كلام الطبري :

وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيماً بكش وراء النهر لحرب أهلها ، فسار
 يزيد في ستين فارساً ، فلقبهم خمسمائة من الترك في المفازة ، وحاصل الأمر
 أنه جرى بينهم قتال شديد ، ورمي يزيد في ساقه . ثم إن المهلب صالح أهل
 كش على فدية وانصرف عنهم متوجهاً إلى مرو ، فلما وصل إلى زاغول ، قرية
 من أعمال مرو الروذ ، أصابته الشوصة ، فدعا ولده حبيباً ومن حضر من ولده ،
 ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أفترونكم كاسريها مجتمعة ؟ فقالوا : لا ، قال :
 أفترونكم كاسريها مفترقة ^١ ؟ قالوا : نعم ، قال : هكذا الجماعة ، ثم أوصاهم
 وصية طويلة لا حاجة إلى ذكرها ^٢ ، ثم قال في آخرها : وقد استخلفت يزيد ،
 وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تحالفوا يزيد ، فقال له
 ولده المفضل : لو لم تقدمه لقدمناه ، ومات المهلب - حسبما شرحناه في ترجمته -
 وأوصى إلى حبيب ، فصلى عليه حبيب ثم سار إلى مرو ، فكتب يزيد إلى عبد
 الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه ، فأقره الحجاج ، ثم إنّه عزله في سنة خمس
 وثمانين واستعمل أخاه المفضل .

وكان سبب ذلك ^٣ أن الحجاج وفد على عبد الملك فمر في منصرفه بدير
 فنزله ، فقيل له : إن بهذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً فدعا به وقال :
 يا شيخ ، هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ فقال : نعم ، نجد ما مضى

١ قرر س : متفرقة .

٢ الوصية في الطبري ٢ : ١٠٨٢ .

٣ انظر الطبري ٢ : ١١٣٨ .

من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن ، قال : أفمسمي أم موصوفاً ؟ قال : كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال : نجده في زماننا الذي نحن فيه أنه ملك أقرع ، من يقم لسبيله يصرع ، قال : ثم من ؟ قال : رجل يقال له الوليد^١ ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس - قلت : وهو سليمان بن عبد الملك - قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدي ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ؟ قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غدرة ، لا أعرف غير هذا .

قال : فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، وارتحل فسار سبعا وهو وجل^٢ من قول الشيخ ، وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ، فكتب إليه : قد علمت الذي تغزوا ، وأنتك تريد أن تعلم رأيي فيك . ثم إن الحجاج أجمع على عزل يزيد فلم يجد لذلك سبباً ، حتى قدم الخيار بن سبرة ، وكان من فرسان المهلب ، وكان مع يزيد ، فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ؟ فقال : حسن الطاعة لين السيرة ، قال : كذبت ، اصدقني عنه ، فقال : الله أجل وأعظم ، قد أسرج ولم يلجم ، قال : صدقت ، واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك .

ثم كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، وخلاصة الأمر أنه كرر القول مع عبد الملك في ذلك إلى أن كتب إليه عبد الملك : قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسم لي رجلاً يصلح لخراسان ، فسمى له مجاعة بن سعد^٢ السعدي ، فكتب إليه عبد الملك : إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعد السعدي ، فانظر لي رجلاً حازماً ماضياً لأمرك ، فسمى قتيبة بن مسلم الباهلي ، فكتب إليه ولته ، فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته : من ترون الحجاج يولي خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف ، قال :

١ بر : رجل اسمه الوليد .

٢ في متن الطبري : مجاعة بن سعد ، وفي شرح العيون : ابن مسعر .

كلا والله ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدده ، فإذا قدمت عليه ولي غيره ، وأخلق بقتيبة بن مسلم .

قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب إليه أن استخلف أخاك المفضل وأقبل^١ ، فاستشار يزيد حصين بن المنذر ، فقال له : أقم واعتل فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإن أقمت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد ، فقال : إننا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، وأخذ في الجهاز فأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى أخيه المفضل : إنني قد ولتكم خراسان ، فجعل المفضل يستحث يزيد ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقرك بعدي ، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدني ، قال يزيد : أنا لا أحسدك ولكن ستعلم . وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي ، وقيل فيروز بن حصين . وقال حصين بن منذر ليزيد المذكور :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً
فما أنا بالباكي عليك صباية وما أنا بالداعي لترجع سالمًا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين : كيف قلت ليزيد ؟ قال قلت :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فنفسك ول اللوم إن كنت لاثماً
فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته^٢ فإنك تلقى أمره متفاقماً

قال : فماذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير .

وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام السلولي :

أقتيبَ قد قلنا غداةً أتيتنا بَدَلٌ لَعَمْرُكَ من يزيد أعورُ
إن المهلبَ لم يكنْ كأبيكم هيهات شأنكم أدقُّ وأحقرُ

١ في متن الطبري : حصين .

شтан من بالصنج أدرك والذي بالسيف شمر والحروب تسعر
حولانُ باهلة الألى في ملكهم مات الندى فيهم وعاش المنكر

قوله « بدل أعور » هذا مثل يضرب للمذموم يتولى بعد الرجل المحمود ؟
يقال بدل أعور ، وخلف أعور ؛ وقوله « من بالصنج أدرك » يقال : إن
قتية كان يضرب بالصنج في بدء أمره ؛ وقوله « حولان باهلة » جمع أحول ،
وكان قتيبة أحول ، وهذا الجمع مثل قولهم : أسود وسودان ، وأحمر وحمران
وغير ذلك .

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لعبد الله بن همام ، وإنما لنهار بن
توسعة الشكري ، والله أعلم .

ثم ذكر الطبري في سنة تسعين^١ أن الحجاج خرج إلى الأكراد الذين غلبوا
على عامة أرض فارس ، فخرج يزيد معه وأخويه المفضل وعبد الملك ، وجعل
عليهم في العسكر كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريباً منه^٢ ، وجعل عليهم
حرساً من أهل الشام ، وأغرهم ستة آلاف ألف ، وأخذ يعذبهم ، وكان يزيد
يصبر صبراً حسناً ، وكان الحجاج يغيظه ذلك ، فقيل له إنه رمي بنشابة فثبت
أصلها في ساقه ، فهو لا يمسه شيء إلا صاح ، فإن حرّكت أذني شيء سمعت
صوته ، فأمر أن يعذب به ويرهق ساقه ، فلما فعل به ذلك صاح ، وأخته هند
عند الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها .

ثم إنه كفّ عنهم وأقبل يستأديهم ، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في
المخلص من مكانهم ، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمره أن
يضمّر لهم الخيل ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلي بها
كي لا تشتري ، فتكون لنا عُدّةً إن نحن قدرنا أن ننجو من هاهنا ، ففعل ذلك
مروان بن المهلب ، وحبيب بالبصرة يعذب أيضاً ، فأمر يزيد بالحرس فصنع
لهم طعام كثير فأكلوا ، وأمر لهم بشراب فسقوا ، وكانوا متشاغلين به ، ولبس

١ تاريخ الطبري ٢ : ١٢٠٨ .

٢ بر : قريباً من حجرته .

يزيد ثياب طباحه ، ووضع^١ على لحينه لحية بيضاء وخرج ، فرآه بعض الحرس فقال : كأن هذه مشية يزيد ، فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً فرأى بياض اللحية فانصرف عنه ، وقال : هذا شيخ . وخرج المفضل على أثره ولم يفظن له ، فجاؤوا إلى سفينة^٢ وقد هيئوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخاً ، فلما انتهوا إلى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب ، فإنه لاحق ، فقال المفضل ، وكان عبد الملك أخاه لأمه : لا والله لا أبرح حتى يجيء عبد الملك ولو رجعت إلى السجن ، فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا في السفينة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا .

ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم ، فرفع ذلك إلى الحجاج ، ففرغ لذلك الحجاج وذهب وهمه أنهم ذهبوا قبيل خراسان ، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يخذره قدامهم ويأمره أن يستعد لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا ، وبعث إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم ، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان . ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث - قلت : ابن الأشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وقصته مشهورة مذكورة في التواريخ - قال الطبري^٣ : ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل ، وقد هيئت لهم ، فخرجوا عليهم ومعهم دليل ، فأخذ بهم على السماوة ، وأتى الحجاج بعد يومين فقبل له إنما أخذ الرجل طريق الشام ، وهذه الخيل حسرتى في الطريق ، وقد أتى من رآهم متوجهين في البر ، فبعث إلى الوليد يعلمه بذلك ، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ، وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك ، وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقال : إن يزيد وإخوته عندي ، وقد أتوا هرباً من الحجاج متعوذين بك ، فقال : آتني بهم فهم آمنون لا يوصل

١ بر : وجعل .

٢ الطبري : سفنهم ؛ وهي بصيغة الجمع في بقية النص .

٣ متابع لنص الطبري : ١٢١١ .

إليهم أبدأ وأنا حي ، فجاء بهم حتى دخلوا عليه ، فكانوا في مكان آمن .
وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك : إن آل المهلب خانوا مال الله ،
وهربوا مني ولحقوا بسليمان ، فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان أخيه هون
عليه بعض ما كان في نفسه ، وطار غضباً للمال الذي ذهبوا به ، وكتب سليمان
إلى أخيه الوليد : إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنتته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف
ألف ، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف ، فأدى ثلاثة آلاف ألف ، وبقيت
ثلاثة آلاف ألف ، فهي عليّ ، فكتب إليه : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ ،
فكتب إليه : لئن أنا بعثت به لأجيتن معه ، فأشددك الله أن لا تفضخني ولا
أن تخفري ، فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتني به لا أؤمنه ، فقال يزيد :
ابعثني إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، ولا أن
يتشام بي لكما الناس ، ابعث إليه بي وأرسل معي ابنك ، واكتب إليه
بالطف ما قدرت عليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكان الوليد أمره أن يبعث
به إليه في وثاق ، فبعثه إليه وقال لابنه : إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت
ويزيد في سلسلة على الوليد ، ففعل ذلك حتى انتهيا إلى الوليد فدخلا عليه ، فلما
رأى الوليد ابن أخيه مع يزيد في سلسلة قال : والله لقد بَلَغْنَا من سليمان . ثم
إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين ، نفسي فداؤك ،
لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في
جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذلل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك ، وقرأ
الكتاب : « لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك ، أما بعد يا أمير
المؤمنين فوالله إني لأظنُّ لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزله
وأجرته ، فإنك لا تذلل جاري ولا تخفر جوارِي ، بل إني لم أُجِرْ إلا سامعاً مطيعاً
حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وبعد فقد بعثت به إليك ،
فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لدمتي والإبلاغ في مساعتي ، فقد قدرت
إن أنت فعلت ذلك ، وأنا أعيدك بالله من اجترار قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك
يدي وصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يفرق

١ ر : احتراز ، وأثبتنا ما في المسودة .

الموت بيني وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين ، أدام الله سروره أن لا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ولحقي مؤدّ وعن مساعتي نازع ، فليفعل ؛ والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله تعالى فيها بأسر مني برضاك وسرورك ، ولرضاك ممّا ألتمس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصلاتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو علي « ، فلما قرأ كتابه قال : لقد شققنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلائنا ، أهل البيت ، في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب ما إنّ المنّة فيه عظيمة ، فقال له : اجلس ، فجلس فأمنه وكف عنه ، ورجع إلى سليمان ، وجمعى لإخوته في المال الذي عليه ، وكتب إلى الحجاج : إنّي لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فاكفف عنهم ، والله عن الكتاب إليّ فيهم ، فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم . وكان أبو عيينة عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب ، وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر في أرغد عيش وأنعم بال لا تأتي سليمان هدية إلا أرسل نصفها إليه ١ .

وقال بعض جلساء يزيد له : لم لا تتخذ لك داراً ؟ فقال : وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام ؟ فقال له : وأين هي ؟ قال : إن كنت متولياً فدار الإمارة ، وإن كنت معزولاً فالسجن .

ومن كلام يزيد : ما يسرني أن أكفى أمور دنياي كلها ولي الدنيا بخدافيرها ، فقيل له : ولم ذلك ؟ فقال : لأنّي أكره عادة العجز .

ثم إن الحجاج مات في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة ٢ ، وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان من السنة ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ،

١ هنا يتوقف النقل مؤقتاً عن الطبري .

٢ انظر الطبري ٢ : ١٢٦٨ .

وقيل أربع وخمسون . ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين : البصرة والكوفة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد ، وكذلك فعل بكل من استخلف الحجاج ، وقيل بل الوليد هو الذي ولاهما ، وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة .
 ثم توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة ، بدير مُرّان - قلت : وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق - ودفن في مقابر باب الصغير ظاهر دمشق ، وبويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد .

وفي هذه السنة^١ أعني سنة ست وتسعين ، عزل سليمان بن عبد الملك يزيد ابن أبي مسلم عن العراق ، وأمر عليه يزيد بن المهلب ، وقال خليفة بن خياط^٢ : جمع ليزيد المصران ، يعني الكوفة والبصرة ، سنة سبع وتسعين ، والله أعلم . وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يعذب آل أبي عقيل - قلت : هم رهط الحجاج - قال : ويبسط عليهم العذاب ، فأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم ، وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب .

وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ، ويجعل ولي عهده ولده عبد العزيز [بن الوليد] وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان الذي تولى بعد يزيد بن المهلب - كما سبق ذكره قبل هذا - فلما ولي سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم ، وتوهم أن يعزله ويولي خراسان يزيد ابن المهلب ، فكتب إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة ويعزّيه عن الوليد ، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه وعظم قدره عند ملوك العجم وهيئته في صدورهم ، ويذم المهلب وآل المهلب ، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه

١ المصدر السابق : ١٢٨٢ .

٢ تاريخ خليفة : ٤٢٧ وفيه سنة ست وتسعين .

٣ صورة الكلمة في المسودة « يقذل » وفي بعض النسخ « يقتل » .

خلعه ، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له : ادفع إليه هذا الكتاب ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب ، وإن قرأ الأول فاحتبس ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين ، قال : فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الكتاب الآخر ، فقرأه ثم رماه إلى يزيد ، فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه ، فتمعر^١ لونه ، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره ، وفي الكتاب الثاني ثناء على يزيد ، وفي الكتاب الثالث : لئن لم تقرئي على ما كنت عليه وتؤمني لأخلعنك خلع النعل ، ولأملأها عليك خيلاً ورجلاً .

ثم إن سليمان^٢ أمر برسول قتيبة أن ينزل بدار الضيافة ، فلما أمسى دعا به سليمان وأعطاه صرة فيها دنانير وقال : هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسير^٣ وهذا رسول معك بعهدك . فخرج الباهلي ومعه رسول سليمان ، فلما كان بجلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة ، فرجع رسول سليمان ودفع العهد إلى رسول قتيبة ، فوصل به إليه ، فاستشار إخوته فقالوا : لا يثق بك سليمان بعد هذا .

ثم إن قتيبة قتل - كما ذكرته في ترجمته في حرف القاف مع الاختصار لأن الشرح في ذلك يطول .

ثم إن يزيد بن المهلب نظر في نفسه لما تولى العراق فقال^٤ : إن العراق قد أخربها الحجاج ، وأنا اليوم رحا^٤ أهل العراق ، ومتى قدمتها وأخذت الناس

١ رس من بر : فتغير ؛ وأثبتنا ما في المسودة .

٢ متابع للنقل عن الطبري : ١٢٨٥ .

٣ المصدر السابق : ١٣٠٦ .

٤ كذا في المسودة : بالحاء المهملة ، وتحته رسم المؤلف صورة الحاء ، وفي رس بر من والطبري :

رجاء ، وفي ق ع : رجل .

بالخراج وعذبتهم عليه صرتُ مثلَ الحجاجِ أُدخلُ على الناسِ الحربَ وأُعيد عليهم تلكَ الشجون^١ التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني . فأتى يزيدُ سليمانَ فقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم . فقال : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق ، وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسطاً ، ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ، فلم يخرج صالح حتى قرب يزيد من المدينة ، ثم خرج إليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام ، فلقى يزيد وسائره ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار ، فنزل يزيد ، ومضى صالح حتى أتى منزله ، وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً ، واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتب ثمنها علي ؛ واشترى متاعاً كثيراً وصك صكاً إلى صالح لباعته منه ، فلم ينفذه^٢ ، فرجعوا إلى يزيد فغضب وقال : هذا عملي بنفسي ، فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصكاك ؟ إن الخراج لا يقوم لها ، ولقد أنفذت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يُرضي أمير المؤمنين ، وتؤخذ به ، فقال له يزيد : يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة ، وضاحكه فقال : إني أجيزه فلا تكثرن علي ، قال : لا .

ولما ولّى سليمانُ يزيدَ العراقَ لم يولّه خراسان ، فقال سليمان لعبد الملك ابن المهلب : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان ؟ قال : يجديني أمير المؤمنين حيث يُحبّ ، ثم أعرض سليمان عن ذلك ، وكتب عبد الملك إلى رجال من خاصته بخراسان : إن أمير المؤمنين عرض عليّ ولاية خراسان ، فبلغ الخبر إلى أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق ، وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن ، فليس يصل معه إلى شيء ، فدعا يزيد عبد الله بن الأهم فقال : إني أريدك لأمر قد أهمني ، وقد أحببتُ أن تكفينيه ، قال : مرني بما أحببت ، قال : أنا فيما

١ كذا في المسودة ؛ وفي ر ع س بر من والطبري : السجون .

٢ ر : فلم ينفذها .

ترى من الضيق وقد أضجرتني ذلك ، وخراسان شاعرة ، وقد بلغني أن أمير المؤمنين
 ذكرها لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم سرّخي إلى أمير
 المؤمنين فإنّي أرجو أن آتيك بعهدة عليها ، قال : فآتم ما أخبرتك به ، وكتب
 إلى سليمان كتابين : أحدهما يذكر له فيه أمر العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهمم ،
 وذكر له علمه بها ، ووجه ابن الأهمم وحمله على البريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً ،
 وسار سبعمائة بكتاب يزيد على سليمان ، فدخل عليه وهو يتغدى ، فجلس
 ناحية فأتي بدجاجتين فأكلهما ، ثم قال له سليمان : لك مجلس بعد هذا تعود
 إليه ، ثم دعا به بعد ثلاثة ، فقال له سليمان : إن يزيد بن المهلب كتب إلي يذكر
 علمك بالعراق وخراسان ويثني عليك ، فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم
 الناس بها ، بها ولدت ، وبها نشأت ، قال : ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك
 يشاوره في أمرها ، فأشرف علي برجل أوليه خراسان ، قال : أمير المؤمنين أعلم
 بمن يريد يولي ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأيي فيه هل يصلح أم لا ؟ فسمى
 سليمان رجلاً من قریش ، فقال : ليس من رجال خراسان ، فسمى عبد الملك
 ابن المهلب ، فقال : لا ، حتى عدد رجالاً ، فكان في آخر من ذكر وكيع
 ابن أبي سؤد ، فقال : يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدم وليس
 بصاحبها ، ومع هذا إنّه لم يقدر ثلاثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة ، قال :
 صدقت ويحك ! فمن لها ؟ قال : رجل أعلمه لم تسمه ، قال : فمن هو ؟ قال :
 لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجبرني منه إن علم ،
 قال : نعم ، سمّه لي ، قال : يزيد بن المهلب ، قال : ذلك بالعراق والمقام بها
 أحب إليه من المقام بخراسان ، قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن تُكرهه
 فيستخلف على العراق رجلاً ويسير ، قال : أصبت الرأي ، فكتب عهد يزيد
 ابن المهلب على خراسان ، وكتب إليه إن ابن الأهمم كما ذكرت من عقله ودينه
 وفضله ورأيه ، ودفع الكتاب وعهد يزيد إليه ، فسار سبعمائة على يزيد فقال
 له : ما وراءك ؟ فأعطاه الكتاب فقال : ويحك ! أعنّك خبر ، فأعطاه العهد ، فأمر
 يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلداً فقدمه إلى خراسان فسار من يومه .
 ثم سار يزيد إلى خراسان فأقام بها ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم غزا جرجان

وطبرستان ودهستان وفتحها ، وذلك في سنة ثمان وتسعين . وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف رجل ، فحلف يزيد يمينا مغلظة أنه ليقتلهم حتى تطحن الرحي بدمائهم ، فأكثر من قتلهم ، وكانت الدماء لا تجري حتى صبَّ عليها الماء فجرت فطحنت ، وأكل مما طحنت بدمائهم .

ثم مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل لعشر ليال مضين من صفر ، والله أعلم بالصواب ، بدابق ، قرية من شمالي حلب . وعهد إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فعزل عمر في هذه السنة يزيد بن المهلب عن العراق^١ ، وجعل مكانه عدي بن أرطاة الفزاري ، فأخذ يزيد وأوثقه ، وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : إنني لأظنه مرائياً . ولما وصل يزيد سأله عمر عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان فقال : كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال عمر : ما أجد في أمرك إلا حبسك ، فاتق الله وأدِّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ، فردّه إلى محبسه .

وذكر البلاذري في كتاب «فتوح البلدان»^٢ في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان ، أن يزيد بن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار إلى خراسان فتلقته الهدايا ، ثم ولى ابنه مخلداً خراسان ، وانصرف إلى سليمان ، فكتب إليه إن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب في يد عمر بن عبد العزيز ، فأخذ يزيد به وحبسه ، والله أعلم .

وبعث^٣ عمر إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرّحه إلى خراسان ، ثم قدم

١ انظر الطبري ٢ : ١٣٥٠ .

٢ فتوح البلدان : ٤١٤ .

٣ عاد إلى النقل عن الطبري : ١٣٥٠ .

مُخَلد بن يزيد على عمر ، وجرى بينهما ما سبق ذكره ، فلما خرج مُخَلد بن يزيد قال عمر : هذا عندي خير من أبيه ، فلم يلبث مُخَلد إلا قليلاً حتى مات . ولما أبى يزيد أن يؤدي المال إلى عمر ألبسه جبة صوف وحمله على جمل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك - قلت : وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يجسسون بها من تقموا عليه - . قال : فلما أُخرج يزيد مرواً به على الناس ، فجعل يزيد يقول : مالي عشيرة ؟ يُدْهَبُ بي إلى دهلك ؟ إنَّما يُدْهَبُ إلى دهلك بالفاسق المريب ، سبحان الله ، أما لي عشيرة ؟ فدخل على عمر سلامة ابن نعيم الخولاني ، وقال يا أمير المؤمنين ، اردد يزيد إلى محبسه ، فإنني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه ، فإنني رأيت قومه قد غضبوا له ، فردّه إلى محبسه ، ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر .

وقيل^١ إن عدي بن أرطاة سلمه إلى وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ليوصله إلى عين التمر حتى يحمل إلى عمر ، فعرض لوكيع ناس من الأزدي لينتزعوه منه ، فوثب وكيع وانضى سيفه وقطع قلنسَ السفينة ، وأخذ سيف يزيد بن المهلب ، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقا عنه ، فناداهم يزيد وأعلمهم بيمين وكيع ، فتفرقوا ، ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر ، وحمله الجند إلى عمر فحبسه .
ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق ، فراه مقيداً فأنشده :

أصبح في قيدك السماحةُ والـ جودُ وحمل الديات والحسبُ
لا بَطِرٌ إن ترادفتُ نِعمٌ وصابرٌ في البلاء محتسبُ

فقال له يزيد : ويحك ماذا صنعت ؟ أسأت إلي ، قال : ولم ذاك ؟ قال : تمدحني وأنا على هذه الحالة ؟ فقال له الفرزدق : رأيتك رخيصاً فأحبيت أن أسلف فيك بضاعتي ، فرمى يزيد إليه بخاتمه وقال : شراؤه ألف دينار ، وهو ربحك إلى أن يأتيك رأس المال .
واستمر في حبسه^٢ إلى أن مرض عمر في سنة إحدى ومائة ، فخاف

٢ الطبري : محبسه .

١ الطبري ٢ : ١٣٥٢ .

يزيد بن المهلب بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، وكان يزيد بن المهلب لما ولي العراق قد عذب آل أبي عقيل - وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره - وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك ، وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني أمية ، وهي بنت أخي الحجاج ، وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً^١ ، فكان يحشى ذلك ، فأخذ يعمل في المهرب^٢ ، فبعث إلى مواليه فأعدوا له إبلاً ، وكان مرض عمر في دير سمعان ، فلما اشتد مرض عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان الذي فيه إبله ، وقد واعدهم إليه ، فاحتمل وخرج ، فلما جاز كتب إلى عمر : إنني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك ، فقال عمر : اللهم إن كان يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره واردد كيدَهُ في نحره .

ومضى يزيد بن المهلب ؛ وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب : إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر - قلت : وجدت في مسودة تاريخ القاضي كمال الدين ابن العديم الحلبي ، أن عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب وهربا منها ، والله أعلم .

(333) ثم توفي عمر بن عبد العزيز^٣ يوم الجمعة ، وقيل الأربعاء ، لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، رحمه الله تعالى ، بدير سمعان ، وقيل إنّه مات لعشر بقين من رجب من السنة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه مات بختناصرة^٤ . وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، وكان يقال له « أشجُّ بني أمية » ، وذلك أن دابة من

١ ر : طائفاً .

٢ فأخذ . . . المهرب : لم ترد في الطبري .

٣ متابع للطبري : ١٣٦٢ .

٤ ورد في ر بر من هنا تعريف بختناصرة ، وذلك سيرد في الترجمة التالية ، ولم يرد في هذا الموضع في المسودة وسائر النسخ ، وكان المؤلف قد كتب التعريف في مسودته هنا ثم أُضرب عن ذلك .

دواب أبيه كانت شجته . قال نافع مولى ابن عمر : كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري مَنْ هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ، قال سالم الأفتس : إن عمر بن عبد العزيز رحمته دابة وهو غلام بدمشق ، فأتى أمه أم عاصم بنت هاشم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فضمته إليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول : ضيعت ابني ، ولم تضم إليه خادماً ولا حاضناً يحفظه من مثل هذا ، فقال لها : اسكتي يا أم عاصم ، فطوبى لك إن كان أشج بني أمية .

وقال حماد بن زيد : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بعجوز تبيع لبناً معها في سوق اللبن ، فقال لها : يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبي اللبن بالماء ، فقالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مر بها بعد ذلك ، فقال لها : يا عجوز ، ألم أتقدم إليك أن لا تشوبي اللبن بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلت ، فقالت ابنة لها من داخل الحياء : أغشاً وكذباً جمعت على نفسك ؟ فسمعها عمر رضي الله عنه فهمم بمعاينة العجوز ، فتركها لكلام ابنتها ، ثم التفت إلى بنيه فقال : أيكم يتزوج هذه ، فعمل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها ؟ فقال عاصم بن عمر : أنا أتزوجها ، فزوجها إياه ، فولدت له أم عاصم ، فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز . ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل : ليست حفصة من نساء أم عاصم .

[و ذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله ، سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في كتاب « جوهرة الزمان في تذكرة السلطان » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما أبي يعس بالمدينة إذ سمع امرأة وهي تقول لابنتها : يا بنية ، قومي فشوبي اللبن بالماء ، فقالت : يا أمه أما سمعت منادي أمير المؤمنين أنه نادى : أن لا يشاب اللبن بالماء ؟ فقالت : وأين أنت من مناديه الساعة ؟ فقالت : إذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه ؟ - وفي رواية أخرى ، قالت : والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا ، قال : فبكى عمر رضي الله عنه . فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل : هل لها زوج ؟ فقالت : ليس لها زوج ، فقال : يا عبد الله ، تزوج هذه ، فلو كانت

بي حاجة إلى النساء لتزوجتها ، فقلت : أنا في غنى عنها ، فقال : يا عاصم تزوجها ، فتزوجها ، فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز ^١ .
ولما مات عمر بن عبد العزيز ، رضي الله تعالى عنه ، ولي مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان .

ثم إن يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن أرطاة الفزاري فحبسه ، وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه ، فجاءته إحدى حَظاياها وقبلت الأرض بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فأنشدها :

رُويَدك حتى تنظري عَمَّ تنجلي عَمَاية هذا العارضِ المتألقِ

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قُطَيْبَة الأَسدي .
قلت : ولا حاجة إلى تفصيل الحال فيه فإن شرحه يطول ، وهذه خلاصته ؛
ثم إن يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس ابن الوليد بن عبد الملك ، ومعهما الجيش ، وخرج يزيد بن المهلب للقائهم ، واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد وعنده الرجال والأموال والأسرى ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العَقْرَ - قلت : هي عَقْرَ بابل ، وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء ، الموضع الذي قتل فيه الحسين ، رضي الله عنه ؛ والعَقْرُ : بفتح العين المهملة وسكون القاف وبعدها راء ، وهو في الأصل اسم القِصر ؛ والمواضع المسماة بالعَقْرَ أربعة : أحدها هذا ولا حاجة إلى ذكر الباقي ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وَضَعاً » - .

قال الطبري ^٢ : ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا ، ثم اقتتل القوم ، فشدّ أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم ، ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم ، وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه

١ انفردت به ر بر من ، ولم يرد في المسودة .

٢ الطبري ٢ : ١٣٩٥ .

عبد الملك ، فلما انكشف جاء إلى أخيه يزيد ، وكان الناس يبائعون يزيد بن المهلب ، وكانت مبايعته على كتاب الله وستة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ، ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحرص الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى أخيه يزيد .

وكان الحسن البصري^١ ، رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب ، فقال يوماً في مجلسه : يا عجباً لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين غير برهة من دهره ، يهتك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب له فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل من قتلوا ، حتى إذا منعه لماظة كان يتلمظها قال : أنا لله غضبان فاغضبوا ، ونصب قصباً عليها خرق ، وتبعه رجراجة رعا ع هباء ما لهم أفئدة وقال : أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز ، ألا وإن من سنة عمر أن توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث وضعه عمر ؛ فقال له رجل : أتعذر أهل الشام يا أبا سعيد؟ يعني بني أمية ، فقال : أنا أعذرهم ؟ لا أعذرهم الله ! والله لقد حدث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم إنني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة » ، فدخلها أهل الشام ثلاثاً لا يعلق لها باب إلا أحرق بما فيه ، حتى إن الأقباط والأنباط ليدخلون على نساء قريش فيتزعون خمرهن من رؤوسهن وخالخلهن من أرجلهن ، سيوفهم على عواتقهم ، وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم ، أنا أقتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الأمر ؟ والله لوددت أن الأرض أخذتهما خسفاً جميعاً .

فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأتى الحسن ، هو وبعض بني عمه إلى حلقتة في المسجد متنكرين ، فسلموا عليه ثم خلوا به ، فاشرب الناس ينظرون إليهم ، فلاحاه يزيد ، فدخل في ملاحتهما ابن عم يزيد ، فقال له الحسن : وما أنت وذاك يا ابن اللخناء ؟ فاخترط سيفه ليضربه به ، فقال يزيد : ما تصنع ؟ قال : أقتله ، فقال له يزيد : اغمد سيفك ، فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا . قلت : ويزيد بن المهلب المذكور ، هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته

١ المصدر السابق : ١٣٩٢ مع بعض اختلاف .

المعروفة بالدريدية بقوله :

وقد سما قبلي يزيدُ طالباً شأوا العلافما وهي ولا وني

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قصته .
وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة^١ أمر مسلمة أن تحرق السفن فأحرقت ، والتقى الجمعان وشبت الحرب ، فلما رأى الناسُ الدخان وقيل لهم : أحرق الجسر ، انهزموا ، فقيل ليزيد : قد انهزم الناس ، فقال : مم انهزموا ؟ فقيل له : أحرق الجسر فلم يلبث أحد ، فقال : قبحهم الله ، بقى دُخْنٌ عليه فطار . وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وجاءه منْ أخبره أن أخاه حبيباً قد قتل فقال : لا خير في العيش بعد حبيب ، قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها إلا بغضاً ، امضوا قُدُماً ، قال أصحابه : فعلمنا أن الرجل قد استقتل . وأخذ من يكره القتال ينكص ، وأخذوا يتسألون^٢ ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلما مر بجبل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ، فجاء أبو روبة المرجيء وقال : ذهب الناس ، فهل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها حصن تنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقاً ؟ فقال له : قبح الله رأيك ، ألي تقول ذا ؟ الموت أيسر علي من ذلك ، فقال له : فإنني أتخوف عليك ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ؟ فقال له : فأنا أباؤها أجبال حديد كانت أو جبال نار ؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد فتلاً معنا .

وأقبل على مسلمة لا يريد غيره ، حتى إذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه ، فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب ، وقتل معه أخوه محمد وجماعة من أصحابه ، وقال القحل - بفتح القاف وسكون الحاء

١ متابع للطبري ٢ : ١٤٠٢ وما بعدها .

٢ كذا في المسودة ؛ وفي النسخ : يتسللون .

المهملة وآخره لام - ابن عياش الكلبي ، لما نظر إلى يزيد : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، لأقتلنه أو ليقتلنني ، إن دونه ناساً ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه ، حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحن نحمل معك ، فحملوا بأجمعهم ، فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن الفحل بن عياش بآخر رمق ، فأوماً إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ، وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا . وفي أثناء الواقعة نظر الحواري بن زياد إلى بردون عائر فقال : الله أكبر ، هذا بردون الفاسق ابن المهلب ، قد قتله الله إن شاء الله ، فطلبوه ، فأتي مسلمة برأسه ، فلم يُعرف الرأس ، فقال حسان النبطي : مهما ظننتم فلا تظنوا أن الرجل هرب ، ولقد قتل ، فقال مسلمة : وما علامة ذلك ؟ فقال : إنني سمعته أيام ابن الأشعث يقول : قبح الله ابن الأشعث ، هبوه غلب على أمره أكان يغلب على الموت ؟ ألا مات كريماً ؟

(334) قلت : ذكر الأمير أبو نصر ابن مأكولا في باب «الفحل والقحل والعجل» ما مثاله : وأما القحل فمثل الفحل إلا أن أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن عثمير بن شراحيل بن عزيز^١ ، قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ، ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله . فلما أتي به إلى مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقيل له : مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ، ففعل به ذلك فعرفه ، فبعث به إلى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وقال خليفة بن خياط^٢ : ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولاً يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة ، والله أعلم بالصواب .

ولما جاءت هزيمة يزيد واسط^٣ أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا في يديه فضربوا أعناقهم ، منهم عدي بن أرطأة ، ثم خرج

١ س : عزين .

٢ تاريخ خليفة : ٤٧١ .

٣ ر : واسطاً ؛ ولم يذورها المؤلف في المسودة .

وقد قال له القوم^١ : ويحك ، إنّا لا نراك تقتلنا الا أن أباك قد قتل ، ثم أقبل حتى أتى البصرة معه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان ، فأعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز . وأراد معاوية بن يزيد أن يتأمر على آل المهلب ، فاجتمعوا وأمروا عليهم المفضل بن المهلب ، وقالوا : المفضل أكبرنا سنّاً ، وإنّما أنت غلام حدّث^٢ السن كبعض فتیان أهلك ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب وطلب الفلول ، فأدركوهم في عقبة بفارس ، فاشتد قتالهم ، فقتل المفضل وجماعة من خواصه ، ثم قتل آل المهلب من عند^٣ آخرهم ، إلا أبا عيينة وعثمان بن المفضل فإنهما نَجَوَا ولحقا بخاقان ورُتَبِيل ، وبعث مسلمة برؤوسهم إلى أخيه يزيد وهو على حلب ، فلما نصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضل ، والله لكأنّه جالس معي يحدثني .

وقال غير الطبري : لما حُمِلَ رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه ، فقال له : مه إن يزيد طلب جسيماً ، وركب عظيماً ، ومات كريماً .

ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة .
ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قُطْنَةَ بمراثٍ كثيرة حسنة ، منها قوله :

كلُّ القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابعوك وساروا
حتى إذا اشتجر القنا وتركتهم رهْنَ الأسنّة أسلموك وطاروا

١ الطبري ٢ : ١٤٠٩ .

٢ ر والطبري : حديث .

٣ كذا في المسودة ؛ وفي النسخ : عن آخرهم .

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك ، ورب قتلٍ عار

(335) قلت : وهذا ثابت قطنة من شعراء خراسان وفرسانهم ، وذهبت عينه فكان يحشوها قطنة فسمي ثابت قطنة ؛ وقد كان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان فلما علا المنبر أرتج عليه ، فلم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال :

فإن لا أقم^١ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدَّ الوغي لخطيب^٢

فقالوا : لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ، ذكره ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء »^١ . وقال ابن الكلبي في « جمهرة النسب » : هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب بن كزمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن يمام بن الأسد بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء] وفيه يقول صاحب الفيل الحنفي ، وكانا يتهاجيان :

أبا العلاء لقد لاقيت مُعضلةً يوم العرّوبة من كرب وتخنيقِ
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به كما هوى زلق^٢ من شاهق النيق
لما رمتك عيونُ الناس ضاحيةً أنشأت تجرّض^٣ لما قمت بالريق^٤]

وقال غير الطبري : إن الذي قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي .

وقال الكلبي : نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر^٣ ؛ وقال محمد بن واسع لما جاء نعي يزيد : أشتهي باكية عُمانية تندب لي قتلى آل المهلب ؛ وقال عباد بن عباد : مكثنا نيفاً وعشرين سنة بعد قتلى آل المهلب لا تولد فينا جارية ولا يموت منا غلام .

وقال خليفة بن خياط ، سنة اثنتين ومائة : فيها قتل يزيد بن المهلب يوم

١ الشعر والشعراء : ٥٢٦ وانظر في ترجمته أيضاً كتاب الأغاني ١٤ : ٢٤٧ والخزانة ٤ : ١٨٤ .

٢ انفردت به : ر بر من .

٣ مر مثل هذا في ترجمة كثير عزة ٤ : ١٠٩ .

الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى ، فلقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان .
وروي أن مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب ، فرآه في ثوب مصبوغ فقال له : أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه :

قوم إذا حاربوا شددوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهارٍ

فقال مسلمة : ذاك ونحن نحارب أكفأنا من قريش ، فأمّا إن نعق ناعق فلا ولا كرامة .

قلت : وهذا البيت للأخطل التغلبي النصراني الشاعر المشهور^١ .

٨١٧

يزيد بن أبي مسلم الثقفي مولاهم

أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي ، مولاهم ؛ كان مولى الحجاج ابن يوسف الثقفي وكاتبه ، وكان فيه كفاية ونهضة ، قدمه الحجاج بسبيهما - وقد تقدم في ترجمة يزيد بن المهلب أن الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الحجاج بالعراق - فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيئاً . وقيل إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج ، وقال الوليد يوماً : مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً .
ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه

١ ديوان الأخطل : ١٢٠ .

٨١٧ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن خلدون ، وانظر البيان المغرب ١ : ٤٨ وتاريخ الرقيق : ٩٩ وابن أبي دینار : ٣٩ .

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المذكور قبله ، وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة ، وكان رجلاً قصيراً دميماً قبيح الوجه عظيم البطن تحقره العين ، فلما نظر إليه سليمان قال : أنت يزيد بن أبي مسلم ؟ قال : نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال : لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنك رأيتني والأمور مدبرة عني ، ولو رأيتني والأمور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت ولا استجلت ما احتقرت ، فقال سليمان : قاتله الله ، فما أسدَّ عقله وأعصَبَ لسانه ! ثم قال سليمان : يا يزيد ، أترى صاحبك الحجاج يهوي بعدُ في نار جهنم أم قد استقر في قعرها ؟ فقال يزيد : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين ، فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم ، وبذل مهجته لكم ، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد ، فاجعله حيث أحببت . وفي رواية أخرى : إنّه يحشر غداً بين أبيك وأخيك ، فضعهما حيث شئت ، قال سليمان : قاتله الله ، فما أوفاه لصاحبه ! إذا اصطنعت الرجالُ فلتصطنع مثل هذا ، فقال رجل من جلساء سليمان : يا أمير المؤمنين ، اقتل يزيد ولا تستبقه ، فقال يزيد : من هذا ؟ فقالوا : فلان بن فلان ، قال يزيد : والله لقد بلغني أن أمّه ما كان شعرها يوازي^١ أذنيها ، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته . ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة ديناراً ولا درهماً ، فهم باستكتابته ، فقال له عمر بن عبد العزيز : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحيي^٢ ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه ، فقال : يا أبا حفص ، إنّي كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة ، فقال عمر : أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه ، فقال سليمان : من هذا ؟ فقال : إبليس ، ما مسّ ديناراً ولا درهماً بيده وقد أهلك هذا الخلق . فتركه سليمان .

وحدث جُوَيْرِيَّة بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش^٣ من جيوش المسلمين ، فكتب إلى عامل الجيش أن يرده وقال : إنّي

١ في ق ر ع س : يوازي ، وما أثبتناه موافق للسودة وبر ؛ وفي بر : ما كان لها شعر يوازي .. الخ .

٢ س : لا تحيي ؛ ع : لأن .

٣ ع : خرج في جيش .

لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم .

ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في « تاريخ دمشق » في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال : في سنة إحدى ومائة أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية ، ونزع إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، فسار أحسن سيرة ، وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد .

وقال الطبري في تاريخه الكبير : وكان سبب ذلك أنه كان فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق ، ممن ردهم إلى قرارهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم على ذلك توامروا ، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إننا لم نخلع أيدينا عن الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك ، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية ، وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة .

قال الواضح بن خيشمة : أمرني عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بإخراج قوم من السجن ، وفيهم يزيد بن أبي مسلم ، فأخرجتهم وتركته فحقد علي ، وإنني بإفريقية إذ قيل قدم يزيد والياً ، فهربت منه ، وعلم بمكاني وأمر بطلبي ، فظفر بي وحملت إليه ، فلما رأني قال : طالما سألت الله تعالى أن يمكنني منك ، فقلت : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك ، فقال : ما أعاذك الله ، والله لأقتلنك والله لأقتلنك ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته . ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما ، وأمر بالواضح فأقيم على النطع وكثف ، وقام وراءه رجل بالسيف ، وأقيمت الصلاة فخرج يزيد إليها ، فلما سجد أخذته السيوف . ودخل إلى الواضح من قطع كتافه وأطلقه ، وأعيد إلى الولاية محمد بن يزيد مولى الأنصار ، والله أعلم .

١ فاجمع . . . قتله : سقط من ع .

قلت : كان الوضاح حاجب عمر بن عبد العزيز ، فلما مرض أمر الوضاح بإخراج المحابيس ، فأخرجهم سوى يزيد المذكور ، فلما مات عمر هرب الوضاح إلى إفريقية خوفاً من يزيد ، وجرى ما جرى ، وكان مرض عمر بخصاصة^١ .
هكذا قاله الطبري : محمد بن يزيد ، وابن عساكر قال : إسماعيل بن عبيد الله ، والله أعلم بالصواب ؛ وقوله « وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة » فالجامعة : الغلُّ ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق ؛ وقوله « وكان رجلاً قصيراً دميماً » الدميم : بالدال المهملة ، القبيح المنظر ، ومنه قول عمر رضي الله عنه « لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن » وأما الدميم بالدال المعجمة فإنه المذموم ، وكذا قول ابن الرومي الشاعر المشهور :

كضرائرِ الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم

— بالدال المهملة أيضاً — وإنما قيدته بالضبط لأنه يتصحف على الناس كثيراً^٢ .
وخصاصة : بضم الخاء المعجمة ثم نون وبعد الألف صاد مهملة مكسورة ثم راء بعدها هاء ، وهي بلدة قديمة من أعمال الأحص من ولاية حلب من جهتها القبلية بشرق ، بالقرب من قنسرين ، كان عمر بن عبد العزيز أميراً بها من جهة عبد الملك بن مروان ثم من جهة سليمان بن عبد الملك ، وهي التي عنها المتنبي بقوله :

أحب حمصاً إلى خصاصة وكل نفس تحبُّ محياها

وذكرها عدي بن الرقاع العاملي الشاعر المشهور في قصيدته الدالية المشهورة فقال :

وإذا الربيع تابعت أنواؤه فسقى خصاصة الأحص وجادها

١ قلت . . . بخصاصة : لم يرد في س ر ، وهو ثابت في المسودة ؛ وقد أورد في ع ضبط خصاصة في هذا الموضع .

٢ نهاية الترجمة في س ر .

يزيد بن عمر بن هبيرة

أبو خالد يزيد بن أبي المثني عمر بن هبيرة بن مُعَيَّة بن سُكَيْن بن خَدِيج ابن بَغِيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة ؛ ونسب فزارة معروف فلا حاجة إلى الإطالة بذكره .

قال ابن دريد : معية تصغير مِعَى ، وهو الواحد من أمعاء البطن ، وقد ردوا على ابن دريد هذا القول فقالوا : بل صوابه أنه تصغير معاوية .
وسكَيْن : بضم السين المهملة وفتح الكاف ؛ وخديج : بفتح الخاء المعجمة ؛ وبغِيض : بفتح الباء الموحدة ؛ والباقي معلوم لا حاجة إلى ضبطه .
ذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه الكبير أن أصله من الشام ، وأنه ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق .

مولده سنة سبع وثمانين . وذكره ابن عياش في تسمية من ولي العراق وجمع له المصران ، وهما البصرة والكوفة . وكذلك ذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ في تسمية من ولي العراقين ، وعدّ الولاة الذين جمع لهم العراقان فكان أولهم زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان ، وآخرهم يزيد بن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ؛ ثم قال : ولم يجمع العراقان لأحد بعد هؤلاء ، وذكره أيضاً قبل هذا في ترجمة أبيه عمر ، فقال^٢ : وكان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسطة شهوراً ثم آمنه ، وافتتح البلد صلحاً ، وركب إليه يزيد في أهل بيته ، وكان أبو جعفر يقول : لا يعز مُلْك هذا فيه ، ثم قتله .

٨١٨ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن خلدون وخليفة بن خياط والمسعودي واليعقوبي وينقل المؤلف من ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ، وانظر العيون والحدايق : ٢٠٨ وما بعدها .

١ المعارف : ٥٧١ .

٢ المعارف : ٤٠٩ .

وقال خليفة بن خياط^١: وفي سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على العراق ، وذلك قبل قتل الضحاك - يعني ابن قيس الشيباني الخارجي - فسار حتى نزل هيت .

وكان سخياً جسيماً طويلاً خطيباً أكولاً شجاعاً وكان فيه حسد ؛ وذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه في سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال^٢ : وفي هذه السنة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب مَنْ بها من الخوارج ، ثم ذكر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة^٣ خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بني العباس لما أظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحي ، وكان أبو مسلم الخراساني - المقدم ذكره في حرف العين^٤ - أعظم الأعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور ، وقد سبق في ترجمة أبي مسلم طرف من هذا الحديث ، ولا حاجة إلى التطويل فيه . وكان خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة ، وجرت وقائع يطول شرحها ، وحاصل الأمر أن قحطبة خاض الفرات عند الفتوحة القرية المشهورة بالعراق ، ليقا تل ابن هبيرة ، وكان في قبالته ، فغرق قحطبة في عشية الأربعاء عند غروب الشمس لثمان خلون من المحرم من هذه السنة ، وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه في مقدمة الجيش ، وهي واقعة مشهورة طويلة وليس هذا موضع ذكرها . وكان معن بن زائدة الشيباني - المقدم ذكره^٥ - من أتباع يزيد بن هبيرة المذكور ومن أكبر أعوانه في الحروب وغيرها ، فيقال إنّه في تلك الليلة ضرب قحطبة ابن شبيب بالسيف على رأسه ، وقيل على عاتقه ، فوقع في الماء ، فأخرجوه حياً فقال : إن مت فادفنونني في الماء لثلاثا يقف أحد على خبري وقيل في غرقه غير ذلك ، والله أعلم .

١ تاريخ خليفة : ٥٧٨ .

٢ تاريخ الطبري ٢ : ١٩٤١ .

٣ الأصح في السنة التي قبلها ، وانظر في مهلك قحطبة ص ١٣ من القسم الثالث من تاريخ الطبري .

٤ انظر ج ٣ : ١٤٥ .

٥ انظر ج ٥ : ٢٤٤ .

عدنا إلى حديث ابن هبيرة :

وكان من خبره أن جيوش خراسان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من بعد استظهرت عليه فهزمت عسكره ، ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن فيها ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة ، بضم الحاء المهملة ، القرية التي كانت مسكن بني العباس في أطراف الشام من أرض البلقاء إلى الكوفة، وبها جماعة من أشياعهم ونوابهم ومن قام معهم بإقامة دولتهم وإزالة دولة بني أمية التي أميرها إذ ذاك مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموي المعروف بالجعدي والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم ، فلما وصلوا إلى الكوفة بويج أبو العباس السفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ؛ وقيل إن المبايعة كانت في شهر ربيع الأول ، والأول أصح .

وظهر أمر بني العباس وقويت شوكتهم ، وأدبرت دولة بني مروان ، فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة ، فجاء المنصور إلى المعسكر الذي مقدمه الحسن بن قحطبة ، وهو مقابل يزيد بن هبيرة^٢ بواسط ، فنزل فيه .

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير^٢ : وجرت السفراء بين أبي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة ، حتى جعل له أماناً وكتب به كتاباً ، فمكث يشاور فيه العلماء أربعين ليلة حتى رضي ابن هبيرة ، ثم أخذه إلى أبي جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس السفاح فأمر بإمضائه له ، وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه . وكان أبو العباس السفاح لا يقطع أمراً دون أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة ، وكان لأبي مسلم عين على السفاح يكتب إليه بأخباره كلها ،

١ س : يزيد بن عمر بن هبيرة .

٢ تاريخ الطبري ٣ : ٦٦ .

فكتب أبو مسلم إلى السفاح : إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لا يصلح^١ طريق^٢ فيه ابن هبيرة . ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلثمائة من البُخارية ، فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب فقال : مرحباً بأبا خالد ، انزل راشداً ، وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا له بالقواد فدخلوا ، ثم قال له الحاجب : ادخل أبا خالد ، فقال : أنا ومن معي ؟ فقال : إنما استأذنت لك وحدك ، فقام فدخل ، ووضعت له وسادة وحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ، ثم مكث يقيم عنه^٣ يوماً ويأتيه يوماً في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ، فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر : أيها الأمير ، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء ، فقال أبو جعفر للحاجب : قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته ، فقال له الحاجب ذلك ، فتغير وجهه ، وجاء في حاشيته نحواً من ثلاثين ، فقال له الحاجب : كأنك تأتي متأهباً^٤ فقال : إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا ، فقال : ما أردنا بك استخفافاً ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظراً لك ، فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة . وقال محمد بن كثير : كلم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر فقال : يا هياه^٤ ، أو يا أيها المرء ، ثم رجع فقال : أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث فسبني لساني بما لم أرد . وألح أبو العباس السفاح على أبي جعفر يأمره بقتله ، وهو يراجع ، فكتب إليه : والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرج من حجرتك ثم يقتله ، فأزمع على قتله ، فبعث أبو جعفر من ختم بيوت المال ، ثم بعث إلى وجوه من مع ابن هبيرة فحضرُوا ، وخرج الحاجب من عند أبي جعفر وطلب ابن الحوثة ومحمد بن نُبَّاتة وهما من الأعيان ، فقاما فدخلوا ، وقد أجلس أبو جعفر ثلاثة من خواصه في مائة من جماعته في حجرة ، فنزعت

١ الطبري : يصلح .

٢ س : يقيم عنده .

٣ الطبري : مباحياً .

٤ كذا في المسودة ، وصوابه : يا هناء كما في س ع ق والطبري .

سيرفهما وكتفا ، ثم أدخلوا بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك ، وبعدهم جماعة أخرى فعل بهم كذلك ، فقال موسى بن عقيل . أعطيتمونا عهد الله ثم خستم به إنا لنرجو أن يدرككم الله ، وجعل ابن نباتة يضرط في لحية نفسه ، فقال له [ابن] الحوثره : إن هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقال : كأنني كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا وأخذت خواتيمهم . وانطلق حازم والهيثم بن شعبة والأغلب ابن سالم في نحو من مائة ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة : إننا نريد هذا المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : انطلق فدلمهم عليه ، فأقاموا عند كل بيت نفرأ ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكتبه عمرو بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبنو له صغير في حجره ، فجعل ينكر نظرهم ، فقال : أقسم بالله إن في وجوه القوم لشرأ ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه في وجوههم فقال : وراءكم ، فضربه الهيثم بن شعبة على جبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتل ، وقتل مواليه ، ونحى الصبي من حجره وقال : دونكم هذا الصبي ، وخر ساجداً ، فقتل وهو ساجد ، ومضوا برؤوسهم إلى أبي جعفر فنأدى بالأمان للناس . وقال أبو عطاء السندي ، واسمه مرزوق ، وقيل أفلح ، مولى بني أسد يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عيناً لم تجدْ يومَ واسطِ عليك بجاري دمعها لجمودُ
 عشيةَ قام النائحاتُ وشققت جيوبُ بأيدي مآتم وخذود
 فإن تمس مهجورَ الفناء فربما أقام به بعدَ الوفود وفود
 وإنك لم تبعُدْ على متعهدٍ بلى كلُّ من تحت التراب بعيد

قلت : وهذه المرثية ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب « الحماسة »^٣ في باب المرثي .

قلت : إلى هنا انتهى ما نقلته من تاريخ الطبري مقتضباً فإنني جمعته من

١ سقطت من المسودة في هذا الموضع ، مع أنها وردت من قبل .

٢ الطبري ٣ : ٧٠ .

٣ شرح المرزوقي ، الحماسية رقم : ٢٦٦ .

عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة .

وأما غير الطبري فإنه قال : لما قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فأنزله فيه ، وأقاموا يقتتلون أياماً ، وثبت معن بن زائدة مع ابن هبيرة ، وطال الحصار عليهم ، وكان أبو جعفر المنصور يقول : ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء ، وبلغ ابن هبيرة ذلك ، فأرسل إليه : أنت القائل كذا؟ ابرز إلي لترى ، فأرسل إليه المنصور : ما أجد لك ولي مثلاً إلا كأسد لقي خنزيراً ، فقال له الخنزير : بارزني ، فقال الأسد : ما أنت لي بكفو فإن بارزتك فنالني منك سوء كان عاراً ، وإن قتلتك قتلت خنزيراً ، فلم أحصل على حمد ، ولا في قتلك فخر ، فقال له الخنزير : لئن لم تبارزني لأعرفن السباع أنك جبت عني ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر من تلطيخ برائتي بدمك . ثم إن المنصور كاتب القواد ، وفهم ابن هبيرة فطلب الصلح ، فأجابه المنصور ، وكتبوا كتاب الصلح والأمان ، وبعثه المنصور إلى أخيه السفاح فأمضاه ، وكتب فيه : فإن غدر ابن هبيرة أو نكث فلا عهد له ولا أمان ، وكان من رأي المنصور الوفاء له .

وقال أبو الحسن المدائني : لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج إلى المنصور وبينه وبينه ستر ، فقال ابن هبيرة : أيها الأمير إن دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها ، تصل محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ، وما زلنا منتظرين لدعوتكم ، قال : فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال في نفسه : عجباً لمن يأمرني بقتل مثل هذا . وصار ابن هبيرة يخرج إلى المنصور في آخر أمره في ثلاثة من أصحابه يتغدى ويتعشى عنده وكان يثني له وساده .

فيقال إنه كان يكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويدعو إليهم وإلى خلع السفاح ، وجاءه كتاب أبي مسلم يحثه على قتل ابن هبيرة ، فكتب السفاح إلى المنصور يأمره بقتله ، فقال : لا أفعل وله في عتقي بيعة وأيمان فلا أضيعها بقول أبي مسلم ، فكتب السفاح : ما أقتله بقول أبي مسلم بل بنكته وغدره ودسيسه إلى آل أبي طالب ، وقد أبيع لنا

دمه ، فلم يجبه المنصور وقال : هذا فساد الملك ، فكتب إليه السفاح : لست مني ولست منك إن لم تقتله ، فقال المنصور للحسن بن قحطبة : اقتله أنت ، فامتنع ، فقال خازم بن خزيمه^١ : أنا أقتله ، فدخل عليه في جماعة من قواد خراسان ، وهو في القصر وعنده ابنه داود وكتابه ومواليه ، وعليه قميص مصري وملاءة موردة ، وعنده الحجام وهو يريد أن يحجمه ، فلما رأهم سجد ، فقتلوه وقتلوا ابنه وكتابه ومن كان معه ، وحملوا رأسه إلى المنصور . وكان معن بن زائدة غائباً عند السفاح فسلم . وبعث المنصور برأسه إلى السفاح ، وكان ذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

قال الهيثم بن عدي : لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة : ما كان أكبر رأس صاحبكم ، فقال له الرجل : أمانكم له كان أكبر .

وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي ، في كتاب « شرح الحماسة »^٢ في باب المراثي ، عند ذكره أبيات أبي عطاء السندي الدالية - المقدم ذكرها - التي رثي بها يزيد المذكور ، فقال : وكان المنصور قد حلف له وأكد الأيمان ، فلما قتله وحمل رأسه إليه قال المنصور للحرسى : أترى طينة رأسه ما أعظمها ! فقال الحرسى : طينة أيمانه أعظم من طينة رأسه .

وهدم المنصور قصر واسط .

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير : كان ابن هبيرة إذا أصبح أتى بعُس - قلت : العس ، بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة مشددة ، هو القدح الكبير - قال : وفيه لبن قد حُلب على عسل وأحياناً سكر فيشربه ، فإذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلي ، ثم يدخل ، فيحركه اللبن فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدي وألواناً من اللحم - والناهض ، بالنون وبعد الهاء المكسورة ضاد معجمة ، وهو الفرخ من الحمام - قال : ثم يخرج فينظر في أمور الناس إلى نصف النهار ،

١ ر س ع ق بر من : خازم بن خزيمه .

٢ شرح التبريزي ٢ : ١٥١ .

ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه وأعيان الناس ، ويدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلاً على صدره ، ويعظم اللقمة ويتابع ، فإذا فرغ من الغداء تفرق من كان عنده ، ودخل إلى نسائه ، حتى يخرج إلى صلاة الظهر ، ثم ينظر بعد الظهر في أمور الناس ، فإذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس ، فإذا أخذ الناس مجالسهم أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الأشربة - قلت : والعيساس ، بكسر العين ، جمع عُسّ ، وقد تقدم الكلام عليه - ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع ، فيأكل معه الوجوه إلى المغرب ، ثم يتفرقون للصلاة ، ثم تأتيه سماره فيحضرون مجلساً يجلسون فيه حتى يدعوهم فيسامروه حتى يذهب عامة الليل . وكان يُسألُ في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبحوا قضيت ، وكان رزقه ستمائة ألف درهم ، فكان يُقسَّمُ كل شهر في أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات ، فقال عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي الفقيه الكوفي وكان من سماره :

إذا نحن أعتمنا ومال بنا الكرى أتانا بإحدى الراحتين عياض

وعياض بوابه ، وإحدى الراحتين : الدخول أو الانصراف ، ولم يكن له منديل ، فكان إذا دعا بالمنديل قام الناس .

وقال شيخ من قریش : أذن يزيد بن عمر بن هبيرة في يوم صائف شديد الحر للناس ، فدُخل عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب ، فجعلوا ينظرون إليه ويعجبون منه ، ففطن لهم ، فتمثل بقول إبراهيم بن هرمة ^٢ :

قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خَلَقَ وجيبُ قميصه مرقوعُ

[وحكي أن شريك بن عبد الله النميري سايره يوماً فبدرت دابة شريك فقال له يزيد : غض من لحامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة أصلح الله الأمير ، فقال

١ ر والمختار : فدخلوا .

٢ زاد في المختار : الشاعر المشهور .

له يزيد : ذهبت حيث أردت ؛ قول يزيد « غض من لجامها » يشير إلى قول جرير :

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
فعرض له شريك بقول ابن دارة :

لا تأمننّ فزارياً خلوت به على قفلوصك وَاكتبها بأسيارٍ

وكان بنو فزارة في العرب يرمون بإتيان الإبل [١] .
وأخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة .

وقال خليفة بن خياط ^٢ : قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى .
وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه : توفي الحسن بن قحطبة في سنة إحدى وثمانين ومائة .

٨١٩

يزيد بن حاتم المهلي

أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي . قد سبق ذكر بقية نسبه في ترجمة جده المهلب بن أبي صفرة ، وقد ذكرت أخاه روح ابن حاتم في حرف الراء ^٣ ، وعم أبيه يزيد بن المهلب ، ومن ولده الوزير أبو

١ زيادة من ق والمختار لم ترد في المسودة وسائر النسخ .

٢ تاريخ خليفة : ٦٠٩ .

٨١٩ - أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير والرقيق وابن خلدون وأعمال الأعلام والنجوم الزاهرة ٢ : ١ والبيان المغرب ١ : ٧٨ والخزانة ٣ : ٥١ ومراة الجنان ١ : ٣٦١ ، ٣٩٦ والكندي ١١١ وابن أبي دینار : ٤٦ .

٣ ج ٢ : ٣٠٥ .

محمد الحسن بن محمد المهلبى - المقدم ذكره^١ -؛ وهم أهل بيت كبير ، اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان الأجداد النجباء .

ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حميد ابن قحطبة عن ولاية مصر ، فولأها نوفل بن الفرات ، ثم عزله وولى يزيد بن حاتم ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، ثم إن المنصور عزله عن مصر في سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد بن سعيد ؛ وقال أبو سعيد ابن يونس في تاريخه : ولي يزيد بن حاتم مصر في سنة أربع وأربعين ومائة ، وزاد غيره : في منتصف ذي القعدة .

ثم إن المنصور خرج إلى الشام وزيارة بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومن هناك سير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر ابن حفص ، وجهز معه خمسين ألف مقاتل ، واستقر يزيد المذكور والياً بإفريقية من يومئذ ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج في سنة خمس وخمسين ، ودخل مدينة القيروان في هذا التاريخ .

وكان جواداً سريعاً مقصوداً ممدحاً ، قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم . وكان أبو أسامة ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي^٢ ، وقيل إنّه من موالي سليم^٣ ، قد قصد يزيد بن أسيد ، بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، ابن زافر ابن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو يومئذ وال على أرمينية ، وكان قد وليها زماناً طويلاً لأبي جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدي ، وكان يزيد المذكور من أشرف قيس وشجعانهم ، ومن ذوي الآراء الصائبة ، ومدحه ربيعة المذكور بشعر أجاد فيه ، فقصر في حقه ، ومدح يزيد بن حاتم المذكور ، فبالغ في الإحسان إليه ، فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد ، وكان

١ ج ٢ : ١٢٤ .

٢ ترجمة ربيعة في الأغاني ١٦ : ١٨٩ وطبقات ابن المعتز : ١٥٧ ونكت الهميان : ١٥١ .

٣ المختار : موالي آل سليم .

في لسان يزيد بن أسيد متممة ، فعرض بذكرها في هذه الأبيات ، فقال :

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مَشْنَوِيَةٍ يمينَ امرئِ آلِ بها غيرِ آثمِ
لشْتَانِ ما بينَ اليزيديينَ في الندى يزيدِ سَلِيمٍ والأغرَّ ابنَ حاتمِ
يزيدُ سليمُ سالمُ المالِ ، والفتى أخو الأزديِّ للأموالِ غيرُ مسلمِ
فهمُ الفتى الأزديُّ إتلافُ ماله وهمُ الفتى القيسيُّ جَمْعُ الدراهمِ
فلا يحسبِ التتمامُ أتى هجوته ولكنني فَضَلْتُ أهلَ المكارمِ
فيا أيها الساعي الذي ليس مدركاً بمَسْعَاتِهِ سَعْيَ البحورِ الخضارمِ
سعتَ ولم تدركْ نوالَ ابنِ حاتمِ لفكٌ أسيرٌ واحتمالِ العظامِ
كفأكِ بناءَ المكرماتِ ابنِ حاتمِ ونمتَ وما الأزديُّ عنها بنائمِ
فيا ابنَ أسيدٍ لا تسامِ ابنَ حاتمِ فتقرعَ إن ساميته سنَّ نادمِ
هو البحرُ إن كلفتَ نفسك خَوْضَهُ تهالكتَ في آذيهِ المتلاطمِ
تمنيتَ مجدداً في سليمٍ سفاهةً أمانِيَّ خالٍ أو أمانِيَّ حالمِ
ألا إنما آلُ المهلبِ غرَّةٌ وفي الحربِ قاداتٌ لكم بالخزائمِ
هم الأنفُ في الخرطومِ والناسِ بعدهم مناسمُ ، والخرطومُ فوقِ المناسمِ
قضيتُ لكم آلَ المهلبِ بالعلا وتفضيلُكم حقٌّ على كلِّ حالمِ
لكم شيمٌ ليست لخلقٍ سواكمُ سماحٌ وصدقُ البأسِ عند الملاحمِ
مُهينونَ للأموالِ فيما ينوبكم مناعيشُ دقاعونَ عن كلِّ جارمِ

قال دعبل بن علي الخزاعي - المقدم ذكره ^١ - : قلت لمروان بن أبي حفصة الشاعر - وقد تقدم ذكره أيضاً ^٢ - : يا أبا السَّمط ، من أشعركم جماعةَ المحدثين ؟ قال : أسيرنا بيتاً ، قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

لشْتَانِ ما بينَ اليزيديينَ في الندى يزيدِ سَلِيمٍ والأغرَّ ابنَ حاتمِ

١ انظر ٢ : ٢٦٦ ؛ وفي ر : دعبل الخزاعي بن علي الشاعر .

٢ ج ٥ : ١٨٩ .

وكنت قد ذكرت بعض هذه الأبيات في ترجمة أخيه روح بن حاتم^١ ،
ثم إنني ظفرت بها أكمل من تلك فأحببت أن أفرد له ترجمة وأذكر ما جرى له ،
لأن مثله لا يصلح لأن يكون ضميمته في ترجمة أخيه .
وكان ربيعة بن ثابت الرقي قد قصده قبل هذه المرة ، فلم ير منه من الإحسان
ما كان يرجوه ، فنظم أبياتاً من جملتها :

أراني ولا كفرانَ لله راجعاً بخفّي حنينٍ من نوالِ ابنِ حاتمٍ

ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبي المذكور على بلاد إفريقية وليزید
السلمي المذكور على ديار مصر خرجاً معاً ، فكان يزيد المهلبي يقوم بكفاية
الجيشين فقال ربيعة الرقي المذكور :

يزيدَ الخيرِ ، إن يزيدَ قومي سميتك لا يجود كما تجودُ
تقودُ كتيبةً ويقودُ أخرى فتَرزُقُ مَنْ تقودُ ومن يقودُ

قلت : وهذا يدل على أن ربيعة المذكور مولى بني سليم لقوله : « يزيد
قومي » ، والله أعلم .

وقدم أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر ، فجلس في مجلسه ، ودعا
بغلامه فسارّه ، فقام أشعب فقبل يده ، فقال له يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : إنني
رأيتك تسارّ غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء ، فضحك منه وقال : ما
فعلت هذا ولكنني أفعل ، ووصله وأحسن إليه .

وقال الطرطوشي في كتاب « سراج الملوك »^٢ قال سحنون بن سعيد : كان
يزيد بن حاتم حكيماً يقول : والله ما هبت شيئاً قط هبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم
أنه لا ناصر له إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، الله بيني وبينك .
وذكر أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » أن المشهّر التميمي الشاعر
وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية فأنشده :

١ انظر ٢ : ٣٠٦ ، وكنا أفردنا يزيد هنالك برقم من أرقام التراجم العارضة ، ولكن ها هو
المؤلف قد عاد عن خطته وأفرد له هذه الترجمة أصالة . ٢ سراج الملوك : ٢٥٨ .

إليك قَصَرْنَا النصفَ من صلواتنا مسيرةَ شهرٍ ثم شهرٍ نواصلُهُ
فلا نحن نخشى أن يخيبَ رجاؤنا لديك ، ولكن أهناً البرَّ عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده وكان معه خمسون ألف مرتزق ، فقال :
من أحب أن يسرني فليضع لزازيري هذا من عطائه درهمين ، فاجتمع له مائة
ألف درهم ، وضم يزيد إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه .
قلت : ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان بن أبي حفصة ، والله أعلم .
وقد ذكره الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في « تاريخ دمشق »
فقال بعد ذكر أحواله وولاياته : إن يزيد بن حاتم قال لجلسائه : استنقوا لي
ثلاثة أبيات ، فقال صفوان بن صفوان من بني الحارث بن الخزرج : أفيك ؟
فقال : فيمن شئتم ، فكأنها كانت في كفه :

لم أدري ما الجودُ إلا ما سمعتُ به حتى لقيتُ يزيداً عصمةَ الناسِ
لقيتُ أجودَ من يمشي على قدمٍ مفضلاً برداءِ الجودِ والباسِ
لو نبيلٍ بالجودِ مجدٌ اُكنتُ صاحبه وكنتُ أولى به :

ثم كفت ، فقال : أتمم ، من آل عباس ، فقلت : لا يصلح ، فقال : لا يسمعن
هذا منك أحد .

وقال يموت بن المزرع : قال لي الأصمعي^٢ يوماً ، وقد جئته مسلماً إلى
أن ذكر الشعراء المحسنين المداحين^٣ من المولدين ، فقال لي : يا أبا عثمان ،
ابن المولى من المحسنين المداحين^٣ ، ولقد أسهرني في ليلتي هذه حسنُ مديحه
يزيد بن حاتم حيث يقول :

وإذا تُباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا تُخيلُ من سحابك لامعٌ سبقت مَخيلته يدَ المستمطر

١ في ق والسودة : لو نبيل بالمجد جود ؛ ولعله سهو .

٢ هذا مستبعد لبعده ما بين وفاة الأصمعي (حوالي ٢١٠) ووفاته يموت (٣٠٤) .

٣ ر : من المداحين .

وإذا صنعتَ صنيعَةً أتممتها بيدين ليس نداهما بمكدر
وإذا الفوارسُ عدَدَتْ أبطالُها عدَدُوك في أبطالهم بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير مصر^١ :

يا واحدَ العربِ الذي أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلك آخراً ما كان في الدنيا فقيرُ

فدعا يزيد بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ قال : فيه من العين والورق ما يبلغه عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخي ، المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن في ملكي غيرها لما ادخرتها عنك ؛ وهذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد بن مسلم ، وعرف بابن المولى^٢ .

وروى الأصمعي أيضاً أن يزيد لما كان بأفريقية جاءه البشير يخبره أنه ولد له مولود بالبصرة ، فقال : قد سميتَه المغيرة ، وكان عنده المشهر التميمي فقال : بارك الله لك أيها الأمير فيه وبارك له في بنيه كما بارك لجدته في أبيه .

ولم يزل يزيد والياً بأفريقية إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ، ودفن بباب سلم ، واستخلف على إفريقية ولده داود بن يزيد فعزله هارون الرشيد في سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وولاها عمه روح بن حاتم — المقدم ذكره — .

١ وهو أمير مصر : سقطت من س ؛ وفي ع : ولما قدم عليه أمير مصر ابن المولى . . . الخ ، وهذا مضطرب .

٢ هو محمد بن عبد الله بن مسلم ، شاعر أنصاري عفيف ، عاش في عهد الدولة الأموية وأسن وأدرك الدولة العباسية (انظر معجم المرزباني : ٣٤٢ والأغاني ٣ : ٢٨٠ والمرزوقي : ١٧٦١) .

يزيد بن مزيد الشيباني

أبو خالد وأبو الزبير ، يزيد بن مزَيْد بن زائدة ، وهو ابن أخي مَعْن ابن زائدة الشيباني - المقدم ذكره - ، وقد استوفيت ذكر نسبه هناك فلا حاجة إلى إعادته هاهنا .

كان يزيد المذكور من الأمراء المشهورين والشجعان المعروفين ؛ كان والياً بأرمينية فعزله عنها هارون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولاه إياها وضم إليها أذربيجان في سنة ثلاث وثمانين .

وقد سبق طرف من خبره في ترجمة الوليد بن طريف الشيباني الخارجي فإنه الذي تولى محاربتة وقتله : ذكر أرباب التاريخ أن الوليد بن طريف الشيباني لما خرج على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة ، وهي فيما بين الفرات وشط الموصل ، وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة ، وكثر جمعه من الشراة حتى انتشروا في تلك البلاد ، ونهض إليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه ، وصاروا إلى ديار مضر ، فحصرهوا عبد الملك بن صالح بن علي العباسي بالركة ، فاستشار هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي فيمن يوجهه لحرب الوليد بن طريف ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : وجه موسى بن حازم التميمي ، فإن فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام ، فوجهه إليه الرشيد في جيش كثيف ، فلاقاه الوليد في أصحابه فهزمه الوليد وقتله ، فلما بلغ الرشيد ذلك وجهه إليه مَعْمَر بن عيسى العبدي ، فكانت بينهما عدة وقائع بناحية دارا من ديار ربيعة ، فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور العظيم ، قال الرشيد : ليس لها إلا الأعرابي يزيد بن مزيد الشيباني ، فقال بكر بن النطاح الشاعر :

٨٢٠ - ألف عبد الجبار الجومرد في سيرته وأخباره كتاباً ، وفيه ذكر للمصادر الهامة .

١ ترجمة بكر بن النطاح في الأغاني ١٩ : ٣٥ وطبقات ابن المعتز ٢١٧ : ٧ : ٩٠ .

لا تبعنَّ إلى ربيعةَ غيرَها إن الحديدَ بغيره لا يفلحُ

فوجه الرشيد إليه يزيد المذكور في عسكر ضخمة وأمره بمناجزة . فقصده يزيد وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه ، وكان الوليد ذا مكر ودهاء . ثم كانت بينهما حربٌ صعبة ، وبلغ الرشيد مما طلة يزيد بن يزيد له ، فوجه إليه خيلاً بعد خيل ، ثم بعث إليه من يُعَنِّقُهُ ، فسار يزيد في طلبه ، ثم نزل يصلي الصبح ، فلم يستم صلواته حتى طلع الوليد عليه في عسكره . واصطفت الخيلان وتزاحف الناس ؛ فلما شبت الحرب ناداه يزيد : يا وليد ، ما حاجتك إلى التستر بالرجال ؟ ابرز إليّ ، قال : نعم والله ، فبرز الوليد وبرز إليه يزيد . ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد ، فتطاردا ساعة ، وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه ، حتى مضت ساعات من النهار ، فأمكنك يزيد فيه الفرصة ف ضرب رجله فسقط ، وصاح^١ بخيله فسقطوا عليه واحتزوا رأسه .

ذكر أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن القَرَاب^٢ الهروي في تاريخه أن الوليد بن طريف قتله يزيد بن يزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت : وهذه الجزيرة هي الجزيرة الفراتية ، والحديثة بالقرب من عانة ، وتعرف بحديثة النورة ، وهي على فراسخ من الأنبار ، وهي غير حديثة الموصل . ووجه يزيد برأس الوليد إلى الرشيد ، وبكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد ، وفي ذلك يقول أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الشاعر المشهور ، وكان منقطعاً إلى يزيد ومختصاً به^٣ :

سَلَّ الخليفة سيفاً من بني مطرٍ يمضي فيخترقُ الأجسامَ والهاما
لولا يزيدُ ومقدارُ له سببٌ عاش الوليدُ مع العامين أعواما
أكرمُ به وبآباءٍ له سلفوا أبقوا من المجد أياماً وأياما

١ ع : فصاح .

٢ ق ع ر : الفرات ، وأثبتنا ما في المسودة ؛ وسقط النص من س ؛ وكتابه المشار إليه هو « تاريخ وفيات العلماء » (انظر الأعلام للزركلي ١ : ٢٨٥) .

٣ ديوان مسلم : ٦٣ .

ولما انصرف يزيد إلى باب الرشيد قدمه ورفع مرتبته وقال له : يا يزيد ،
ما أكثر أمراء المؤمنين^١ في قومك ؟ قال : نعم ، إلا أن منا برهم الجذوع ، يعني
الجدوع التي يصلبون عليها إذا قتلوا .

وكان قتل الوليد في سنة تسع وسبعين ومائة - كما سبق ذكره في ترجمته -
ورثته أخته بتلك الأبيات الفائية المذكورة هناك ، وقالت أخته الفارعة فيه
أيضاً :

يا بني وائلٍ لقد فجعتكم^٢ من يزيدٍ سيوفه بالوليدِ
لو سيوفُ سوى سيوفِ يزيدٍ قاتلته لاقَتْ خلافَ السعودِ
وائلٌ بعضها يُقتلُ بعضاً لا يفلُ الحديدَ غيرُ الحديدِ

وقد روي أن هارون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد إلى حرب الوليد بن
طريف أعطاه ذا الفقار^٢ سيف النبي^٣ صلى الله عليه وسلم ، وقال له : خذه
يا يزيد فإنك ستُنصّر به ، فأخذه ومضى ، وكان من هزيمة الوليد وقلته ما قد
شرحناه . وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد الأنصاري من جملة قصيدة يمدح
بها يزيد بن مزيد المذكور :

أذكرت سيفَ رسولِ الله سنته وبأسَ أولِ مَنْ صلى ومن صاما

يعني بأس علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان هو الضارب به .

وقد ذكر هشام بن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » شيئاً يتعلق بذي
الفقار ، وهي فائدة يحسن ذكرها هاهنا ، فإنه قال في نسب قريش : منبّه
ونبّه ابنا الحجاج بن عامر بن حُدَيْفَةَ بن سعد بن سَهْمِ القرشي ، كانا
سيدي بني سهم في الجاهلية قتلا يوم بدر كافرين ، وكانا من المطعنين ، والعاص
ابن نبيه قتل مع أبيه . وكان له ذو الفقار ، قتله علي بن أبي طالب رضي الله

١ ر : المسلمين .

٢ وضع في المسودة كسرة وفتحة فوق الفاء وكتب فوقها : « معاً » .

٣ المختار : رسول الله .

عنه يوم بدر وأخذه منه ؛ وقال غير [ابن] الكلبي : إن ذا الفقار أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه .

والفقار : بفتح الفاء ، جمع فقارة الظهر ، يقال في جمعها فقار ، وفقارات ، ويقال ذو الفقار ، بكسر الفاء أيضاً ، والفقار : جمع فقرة ، بكسر الفاء وسكون القاف ، ولم يأت مثله في الجموع إلا قولهم إبرة وإبار .

رجعنا إلى حديث ذي الفقار :

وكان سبب وصوله إلى هارون الرشيد فيما ذكره أبو جعفر الطبري^١ بإسناد متصل إلى عمر^٢ بن المتوكل [عن أمه] وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، قالت : كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم قتل في محاربتة لجيش أبي جعفر المنصور العباسي ، والواقعة مشهورة ، فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار إلى رجل من التجار كان معه ، وكان له عليه أربعمائة دينار ، وقال له : خذ هذا السيف فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذه منك وأعطاك حقه ، فكان السيف عند ذلك التاجر حتى ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه اليمن والمدينة ، فأخبر عنه ، فدعا بالرجل فأخذ منه السيف وأعطاه أربعمائة دينار ، فلم يزل عنده حتى قام المهدي ابن المنصور ، واتصل خبره به فأخذه ، ثم صار إلى موسى الهادي ثم إلى أخيه هارون الرشيد . وقال الأصمعي : رأيت الرشيد بطوس متقلداً سيفاً ، فقال : يا أصمعي ، ألا أريك ذا الفقار ؟ قلت : بلى جعلني الله فداك ، فقال : استل^٣ سيفي هذا ، فاستلته ، فرأيت فيه ثمانى عشرة فقارة .

١ تاريخ الطبري ١٠ : ٢٤٧ .

٢ الطبري : عمرو ، وفي بعض أصوله : عمر .

٣ ر : سل .

قلت : خرجنا عن المقصود ، فلنرجع إلى تنمة حديث يزيد بن مزيد :
 ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في « تاريخ بغداد »
 أن يزيد المذكور دخل على الرشيد ، فقال له الرشيد : يا يزيد ، من الذي يقول
 فيك :

لا يُعْبِقُ الطيبَ كَفَيْهِ وَمَقْرَقَهُ ولا يمسحُ عينيه من الكُحْلِ
 قد عَوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهن يتبعنه في كلِّ مرَّحَلِ

فقال : لا أدري يا أمير المؤمنين ، قال : أفيقال فيك مثل هذا الشعر ولا
 تعرف قائله ؟ فانصرف خجلاً ، فقال لحاجبه من بالباب من الشعراء ؟ فقال :
 مسلم بن الوليد الأنصاري ، قال : ومنذ كم هو مقيم بالباب ؟ قال : منذ
 زمان طويل منعه من الوصول إليك لما عرفته من إضاقتك ، قال : أدخله^٢
 فأدخله ، فأنشده هذه القصيدة حتى ختمها ، فقال للوكيل ، بع ضيعتي الفلانية
 وأعطه نصف ثمنها واحتبس نصفاً لنفقتنا ، فباعها بمائة ألف درهم ، فأعطى
 مسلماً خمسين ألفاً . ورفع الخبر إلى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر ،
 فأعلمه الحديث ، فقال : قد أمرت لك بمائتي ألف درهم لتسترجع الضيعة
 بمائة ألف درهم وتزيد الشاعر خمسين ألفاً وتحبس خمسين ألفاً لنفسك .
 قال أبو بكر ابن الأنباري ، قال أبي : سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من
 قول النابغة الذبياني حيث يقول^٣ :

إذا ما غزوا بال جيش حلقَ فوقهم عصائبُ طير تهتدي بعصائبِ
 يصاحبهم حتى يُغرِنَ مُغارهم من الضاريات بالدماء الدواربِ
 جوانحَ قد أيقنَ أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أولُ غالبِ
 لهنَّ عليهم عادةٌ قد عرفنها إذا عرِضَ الخطيُّ فوق الكواثِبِ

١ تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٤ .

٢ المختار : فأدخله .

٣ ديوان النابغة : ٥٧ وما بعدها .

الكواكب : بالثناء المثلثة وبعدها الباء الموحدة ، جمع كائبة ، وهي ما يقرب
من منسج الفرس أمام قرَبوس السرج .

قلت : وأول قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري ^١ :

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَقَصَّرْتُ هَمَمَ الْعُدَالِ عَنِ عَذَلِي
ومن مديحها ^٢ :

حاط الخلافة سيفٌ من بني مطر أقام قائمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ
كم صائلٍ في ذُرَا علياء مملكةٍ لولا يزيدُ بني شيانَ لم يَصُلْ
نابُ الإمام الذي يفتُرُ عنه إذا ما افترت الحربُ عن أنيابها العُصْلُ
يفتُرُ عند افترار الحربِ ميسماً إذا تغيَّرَ وجهُ الفارسِ البطلِ
ينال بالرفقِ ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهلِ
لا يرحلُ الناسُ إلا عند حجرتِه كالبيتِ يَضْحِي إليه مُلتقى السُّبُلِ
يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثينَ به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ
يغدو فتغدو المنايا في أسنتِه شوارعاً تتحدَّى الناسَ بالأجلِ
إذا طغتُ فنته عن عِبِّ طاعتهِ عباً لها الموتَ بين البيضِ والأسلِ
تراه في الأمنِ في درعٍ مضاعفةٍ لا يأمنُ الدهرُ أن يُدعى على عجلِ

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » ^٣ في ترجمة مسلم بن
الوليد الأنصاري ، قال يزيد بن مزيد : أرسل إليَّ الرشيد يوماً في وقت لا يرسل
فيه إلى مثلي ، فأتيته لابساً سلاحي مستعداً لأمرٍ ، إن أرادته ، فلما رأني ضحك
إلي وقال : من الذي يقول فيك :

١ ديوان مسلم : (القصيدة الأولى) .

٢ ومن مديحها : سقطت من س ع ق ؛ ر : ومن مدائحها .

٣ الأغاني ١٨ : ٣١٨ .

٤ ر : لأمره .

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لله من هاشم في أرضه جبّل^١ وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سواء لك من سيد قوم يُمدح
بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ،
هو مسلم بن الوليد ، فانصرفت ودعوت به ووصلته وولّيته .

قلت : وهذان البيتان من جملة القصيدة التي ذكرت منها الأبيات التي قبلها .
وقد روي أن عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده ، فعاتبته امرأته
في ذلك وقالت له : كم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ، ولو قدمتهم لتقدموا
ولو رفعتهم لارتفعوا ، فقال لها : إن يزيد قريب مني وله عليّ حق الولد إذ
كنت عمه ، وبعد فإن بنيّ ألوط بقلمي وأدنى من نفسي ، ولكني لا أجد عندهم
من الغناء ما عنده ، ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيد لصار قريباً أو عدو
لصار حبيباً ، وسأريك في هذه الليلة ما تسطين به عذري ، يا غلام اذهب
فادعُ جساساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على جميع أولاده ،
فلم يلبثوا أن جاءوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية ، وذلك بعد هدأة من
الليل ، فسلموا وجلسوا ، ثم قال معن : يا غلام ادع يزيد ، فلم يلبث أن دخل
عجلاً وعليه سلاحه ، فوضع رمحاً بباب المجلس ثم دخل ، فقال له معن : ما هذه
الهيئة يا أبا الزبير ؟ فقال : جاءني رسول الأمير فسبق وهمي إلى أنه يريدني لمهم ،
فلبست سلاحي وقلت : إن كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج ، وإن كان على
غير ذلك فنزع هذه الآلة عني من أيسر شيء ، فقال معن : انصرفوا في حفظ
الله ، فلما خرجوا قالت زوجته : قد تبين لي عذرك ، فأنشد متمثلاً :

نفسُ عصامٍ سَوَدَّتْ عَصاماً وعلمته الكرَّ والأقداما
وصيَّرتُهُ ملكاً هماما

وإلى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله :

تراه في الأمن في درع مضاعفة^١

١ أكمل البيت في ر .

وقد روي أن مسلم بن الوليد لما انتهى في إنشاد هذه القصيدة إلى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد المدوح : هلا قلت كما قال أعشى بكر بن وائل في مديح قيس بن معدى كرب :

وإذا تجيء كتيبة مملومة شهباء تجتنب الكمأة نزالها
كنت المقدم غير لا بس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطالها

فقال مسلم : قولي أحسن من قوله ، لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم^١ .

الخرق : بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف ، وهو الاسم من عدم معرفة العمل .

قلت : وقيس الذي مدحه الأعشى هو والد الأشعث بن قيس الكندي أحد الصحابة رضوان الله عليهم .

قلت : وقد تقدم الكلام على قوله :

قد عود الطير عادات وثقن بها

وأنه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة البائية التي تقدم ذكرها ، وقد وافقه في أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس ، قال عمر الوراق : سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها^٢ :

أيها المنتاب من عُفْره لست من ليلى ولا سمره

لا أذودُ الطيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المرَّ من ثمره

فحسدته عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مجَّ القنا علقاً وتراءى الموت في صوره

راح في ثنِّيِّ مفاضته أسدٌ يدمى شبا ظفره

١ تروى حكاية مشابهة جرت بين كثير وعبد الملك بن مروان .

٢ ديوان أبي نواس : ٦٦ .

تتأى الطيرُ غدوته ثقةً بالشَّبَعِ من جزّره

قلت له : ما تركت للنابغة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غزوا بالجيش حلقَ فوقهم عصابُ طيرٍ تهتدي بعصابِ

فقال : اسكت ، فلئن أحسنَ الاختراعَ لما أسأتُ الاتباع .

وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن أوس الطائي فقال ^١ :

وقد ظللت عِقبانُ أعلامه ضحىً بعقبانِ طيرٍ في الدماءِ نواهلِ
أقامتُ على الرايات حتى كأنها من الجيشِ إلا أنها لم تقاتلِ

وقال المتنبي أيضاً ^٢ :

يطمَعُ الطيرُ فيهم طولُ أكلهمُ حتى تكادَ على أحيائهم تقعُ

وللمتنبي أيضاً في صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى ^٣ :

وذي لَحَبٍ لا ذو الجناحِ أمامه بناجٍ ولا الوحشُ المثارُ بسالمِ
تمرُّ عليه الشمسُ وهي ضعيفةٌ تطلعه من بين ريشِ القشاعمِ
إذا ضوءها لاقى من الطيرِ فرجةً تدورُ فوق البَيْضِ مثلَ الدراهمِ

ولما كان يزيد والياً على اليمن قصده أبو الشمقمق مروان بن محمد - مولى مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية - الشاعر المشهور الكوفي، وكنيته أبو محمد ، وكان مشهوراً بأبي الشمقمق، وهو في حال رثة ، وكان راجلاً ، فمدحه وشرح حاله بقوله ^٤ :

رحل المطيَّ إليك طلابُ الندى ورحلتُ نحوك ناقةً نعليةً

١ ديوان أبي تمام ٣ : ٨٢ .

٢ ديوانه : ٣٠٣ .

٣ ديوانه : ١٩٧ .

٤ تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٦ .

إذا لم تكن لي يا يزيد مطية
تخدي أمام العملات وتغلي
من كل طاوية الصوى مزورة
فجعلتها لي في السفار مطيه
في السير ترك خلفها المهريه
قطعا لكل تنوفة دويه
ومنها :

تنتاب أكرم وائل في بيتها
أعني يزيداً سيف آل محمد
يوماه يوم للمواهب والحداء
ولقد أتيتك وانثاقاً بك عالماً
حسباً وقبة مجدها مبنيه
فراج كل شديدة مخشيه
خضيل ويوم دم وخطف منه
أن لست تسمع مدحة بنسيه

فقال : صدقت يا شقمقي ولست أقبل مدحة بنسيه ، أعطوه ألف دينار .
ومدحه أبو الفضل منصور بن سلمة النمري الشاعر المشهور بقصيدة طويلة
بائية أحسن فيها كل الإحسان منها قوله :

لو لم يكن لبني شيان من حسب
سوى يزيد لقاتوا الناس بالحسب
ما أعرف الناس أن الجود مدقة
للذم لكنه يأتي على النشب

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »^٢ أن يزيد بن مزيد المذكور
نظر إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ،
فقال له : إنك من لحيتك في مؤنة ، فقال : أجل ولذلك أقول :

لها درهم للدهن في كل ليلة^٣ وآخر للحناء يتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد لصوت في حافاتها الجلمان

قلت ، الجلمان : بفتح الجيم واللام ، تشية جلم ، وهو المقص .

١ ترجمته في طبقات ابن المعتز : ٢٤٢ والشعر والشعراء : ٧٣٦ والأغاني ١٣ : ١٤٠ وتاريخ

بغداد ١٣ : ٦٥ .

٢ الكامل ٢ : ١٢٨٠ .

٣ الكامل : في كل جمعة .

وقال له هارون الرشيد يوماً : يا يزيد ، إنني قد أعددتك لأمر كبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، وبدلاً مبسوطة لطاعتك^١ ، وسيفاً مشحوداً على عدوك ، فإذا شئت فقل . وذكر المسعودي في كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر »^٢ أن هذه المقالة دارت بين هارون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ، ثم قال بعد هذا : وقيل إن هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد .

قلت أنا : وهذا لا يمكن أن يكون بين الرشيد ومعن أصلاً ، لأن معنًا قتل في خلافة أبي جعفر المنصور - حسبما تقدم ذكره في ترجمته - على الاختلاف في السنة ، وهو بعد الخمسين ومائة ، فكيف يمكن أن يقول له الرشيد ذلك والرشيد ولي الخلافة في سنة سبعين ومائة ؟

وذكر ابن أبي عون^٣ في كتاب « الأجوبة المسكنة » أن الرشيد قال ليزيد المذكور في لعب الصوألحة : كن مع عيسى بن جعفر ، فأبى يزيد فغضب الرشيد وقال : تأنف أن تكون معه ؟ فقال : قد حلفت لأمر المؤمنين أن لا أكون عليه في جد ولا هزل .

ورأيت في بعض المجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال : كنت مع يزيد بن مزيد ، فإذا صائح في الليل : يا يزيد بن مزيد ، فقال يزيد : عليّ بهذا الصائح ، فلما جيء به قال له : ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم ؟ فقال : نفقت دابتي ونفقت نفقتي ، وسمعت قول الشاعر فتيمنت به ، فقال : وما قال الشاعر ؟ فأنشد :

إذا قيل من للمجد والحدود والندى فنادِ بصوتٍ يا يزيدُ بنَ مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له وقال له : أتعرف يزيد بن مزيد ؟ قال : لا والله ، قال : أنا هو ، وأمر له بفرسٍ أبلقٍ ° كان معجباً به وبمائة دينار .

٢ المروج ٣ : ٣٦٠ .

٤ أن : سقطت من المسودة .

١ المختار : بطاعتك .

٣ في المسودة : ابن عون .

٥ أبلق : سقطت من المختار .

وقد أطلنا القول في هذه الترجمة ، لكن الكلام شجون يتعلق بعضه ببعض ،
 ومحاسن يزيد كثيرة ؛ وتوفي في سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو محمد عبد الله
 ابن أيوب التيمي الشاعر المشهور ، وقيل بل هذه المرثية لأبي الوليد مسلم بن الوليد
 الأنصاري الشاعر المذكور ، والصحيح أنها للتيمي المذكور ، وهي :

أحقاً أنه أودى يزيدُ تبينَ أيها الناعي المُشيدُ
 أتدري من نعتٍ وكيف فاهت به شفتاك ؟ كان بها الصعيد
 أحامي المجدِ والإسلامِ أودى فما للأرض ويحك لا تמיד
 تأملُ هل ترى الإسلامَ مالت دعائمه وهل شاب الوليد
 وهل شيمتَ سيوفُ بني نزار وهل وُضِعَتْ عن الخيل اللبود
 وهل تسقي البلادَ ثِقَالَ مزن بدرتها وهل يخضرُّ عود
 أمّا هُدَّتْ لمصرعه نزارُ بلي ، وتقوَّضَ المجدُ المُشيد
 وحل ضريحهُ إذ حلَّ فيه طريفُ المجدِ والحسبُ التليد
 أما والله ما تنفكَّ عيني عليكَ بدمعها أبدأ تجود
 وإن تجمدَ دموعُ لثيم قوم فليس لدمع ذي حسب جمود
 أبعد يزيدَ تخزن البواكي دموعاً أو يضانُ لها حدود
 لتبلك قبةُ الإسلامِ لما وهت أطناها وهي العمود
 ويبكي شاعر لم يبقِ دهرُ له نشباً وقد كسد القصيد
 فإن يهلكَ يزيدُ فكلُّ حيٍّ فريسٌ للمنية أو طريد
 لقد عزى ربيعةَ أن يوماً عليها مثلُ يومك لا يعود

قلت : وهذا البيت الأخير قد استعمله الشعراء كثيراً ، فمن ذلك قول مطيع
 ابن إلياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي من جملة أبيات :

فاذهب بمن شئتَ إذ ذهبَ به ما بعد يحيى في الرزءِ من ألمِ

وقول أبي نواس يرثي الأمين^١ :

وكنت عليه أحذرُ الموتُ وحده فلم يبقَ لي شيءٌ عليه أحذرُ

وقول إبراهيم بن العباس الصولي يرثي ابنه :

أنت السوادُ لمقلّة تبكي عليك وناظرُ
من شاء بعدك فليمتَّ فعليك كنتُ أحذرُ

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»^٢ في ترجمة مسلم بن الوليد بإسناد متصل إلى أحمد بن أبي سعد^٣ قال : أهديتُ إلى يزيد بن يزيد جارية وهو يأكل ، فلما رفع يده من الطعام وطثها فلم يُنزلَ عنها إلا ميتاً ، وهو برْدَعَةٌ ، فدفن في مقابر بردعة ، وكان مسلم بن الوليد معه في جملة أصحابه فقال يرثيه :

قبرُ بردعةٍ استسرَّ ضريحُه خطراً تقاصرُ دونه الأخطارُ
أبقى الزمانُ على ربيعةٍ بعده حزناً لعمرُ الله ليس يعار
سلكت بك العرَبُ السبيلَ إلى العلا حتى إذا سبق الردى بك حاروا
نَفَضَتْ بك الأحلاسُ آمالُ الغنى واسترجعتُ زوارها الأمصار
فاذهبُ كما ذهب غواذي مزنةٍ أثنى عليها السهل والأوعار

قد قيل إن هذا البيت الأخير أبلغ شيء قيل في المرثي ، وهذه الأبيات في كتاب «الحماسة»^٤ في باب المرثي .

وبرْدَعَةٌ : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها دال مهملة ثم عين مهملة ، وهي مدينة من أقصى بلاد أذربيجان . قلت : هكذا رأيت في التواريخ ،

١ زاد في المختار : ابن هارون الرشيد .

٢ الأغاني ١٨ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٣ ع ق : سعيد .

٤ زاد في المختار : لأبي تمام الطائي ؛ وانظر شرح المرزوقي : ٣٢٤ .

وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من إقليم إرّان ، والله أعلم ؛ ويقال بردعة أيضاً ، بالذال المعجمة ، وكذلك بردعة الدابة يقال بالذال والذال^١ .
وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمي ،
وقيل بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي ، وإن أول الأبيات :

قبر بجلّوان استسرّ ضريحه

لأن الذي قيلت فيه مات بجلّوان ، بضم الجاء المهملة ، وهي آخر مدينة بأرض السواد من أعمال العراق ، والله أعلم بالصواب في ذلك كله .
وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب «معجم الشعراء» أن أبا البكّهاء^٢
عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيباني هو القائل :

نعم الفتى فجعت به إخوانه يوم البقيع حوادث الأيام
سهل الفناء إذا حلت ببابه طلق اليدين مؤدّب الخدام
وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهما ذوو الأرحام

وذكر أبو تمام الطائي هذه الأبيات في كتاب «الحماسة» في باب المراثي
لمحمد بن بشير الخارجي ، وقيل ابن يسير بالسين المهملة وهو فعيل من اليسر ،
وبشير^٣ من البشارة ، وهو من خارجة عدوان ، قبيلة ، وليس من الخوارج ،
والله أعلم بالصواب في ذلك كله .

ورثاه منصور النمري ، وهي في كتاب «الحماسة»^٤ بقوله :

أبا خالد ، ما كان أدهى مصيبةً أصابت معدّ آ يوم أصبحت ثاويًا
لعمري لئن سرّ الأعادي فأظهروا شماتاً لقد مروا بربعك خالياً
فإن يك أفتته الليالي وأوشكت فإن له ذكراً سيفني اللياليا

١ المختار : بالذال المهملة والذال المعجمة .

٢ المختار : البكاء ؛ ق : البكهاء ؛ وانظر معجم المرزباني : ٧٥ وشرح المرزوقي ص : ٨٠٨ .

٣ ر والمختار : وبشر .

٤ شرح المرزوقي رقم : ٣٣٧ وهي منسوبة لشبيب بن عوانة .

وكان ليزيد^١ ولدان نجيبان جليلان سيدان :

(336) أحدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح أبي تمام الطائي ، وله فيه أحسن المدائح ، وقد تضمنها ديوانه ، فلا حاجة إلى ذكر شيء منها لشهرة ديوانه .

(337) والآخر محمد بن يزيد ، كان موصوفاً بالكرم وأنه لا يرد طالباً ، فإن لم يحضره مال لم يقل لا ، بل يعد ثم يعجل العدة ، ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد^٢ بقوله ، ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في كتاب « البارع »^٣ :

عشقَ المكارمَ فهو مشتغل بها والمكرماتُ قليلةُ العشاقِ
وأقام سوقاً للثناء ولم تكنْ سوقُ الثناء تُعدُّ في الأسواقِ
بثَّ الصنائعَ في البلاد فأصبحتْ تجي إليه محامدُ الآفاقِ

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون ، فوصل إليها وفي صحبته أبو الشمقمق الشاعر الذي ذكرته في هذه الترجمة ، فلما دخل خالد إلى الموصل نشب اللواء الذي لخالد في سقف باب المدينة فاندق ، فتطير خالد من ذلك ، فأنشده أبو الشمقمق ارتجالاً^٤ :

ما كان مندقُ اللواء لربيةً تحشى ولا سوءٌ يكونُ معجلاً
لكنَّ هذا الرمحَ أضعفَ منته صغرُ الولايةِ فاستقلَّ الموصلًا

فبلغ الخليفة ما جرى ، فكتب إلى خالد بن يزيد : قد زدنا في ولايتك ديار ربيعة كلها لكونِ رمحك استقلَّ الموصل ، ففرح بذلك وأجزل جائزة أبي الشمقمق .

ولما انتقض أمر أرمينية في أيام الواثق جهز إليها خالد بن يزيد المذكور في

١ المختار : ليزيد المذكور ، رحمه الله تعالى .

٢ المختار : سعد .

٣ قلت : انظر ما تقدم ص ٢٨٣ .

٤ انظر شعراء عباسيون : ١٤٧ .

جيش عظيم فاعتل في الطريق ومات في سنة ثلاثين ومائتين ، ودفن بمدينة ديبيل
أرمينية ، رحمهم الله أجمعين .

٨٢١

يزيد ابن مفرغ الحميري

أبو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشرة بن الحارث
ابن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسروق بن زيد
ابن يحصب الحميري - وبقية النسب من يحصب معروفة فلا حاجة إلى ذكرها -
هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » غير أنه لم
يذكر كنية يزيد، بل ذكرها صاحب « الأغاني » ، وأكثر العلماء يقولون :
هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويستقون زياداً .

(338) وقال صاحب « الأغاني » : إنَّما لقب جده مفرغاً لأنَّه راهن على سقاء
من لبن يشربه كله ، فشربه حتى فرغ فسمي مفرغاً . وذكر في ترجمة حفيده
السيد الحميري في كتاب « الأغاني »^١ أيضاً أن ابن عائشة قال : مفرغ هو ربيعة ،
ومفرغ لقبه ، ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ ، والله أعلم . وقال الفضل
ابن عبد الرحمن النوفلي : كان مفرغ المذكور حداداً باليمن ، فعمل لامرأة
قفلاً وشرط عليها عند فراغه منه أن تبيته بلبن كرش^٢ ، ففعلت ، فشرب منه
ووضعه ، فقالت له : ردّ علي الكرش ، فقال : ما عندي شيء أفرغه فيه ،
قالت : لا بد منه ، ففرغه في جوفه فقالت : إنَّك لمفرغ ، فعرف به ، وهو

٨٢١ - ترجمته في الشعر والشعراء : ٢٧٦ وابن سلام : ٥٥٤ والأغاني ١٨ : ١٨٠ والإكليل
٢ : ٢٦٦ وأمالي الزجاجي : ٢٢٩ والخزانة ٢ : ٢١٠ ، ٥١٤ وتاريخ الطبري ٧ : ١٩١
وقد جمع شعره الدكتور داود سلوم (بغداد : ١٩٦٨) .

١ ترجمة السيد الحميري في الأغاني ٧ : ٢٢٤ .

٢ ر : بكرش لبن .

من حمير فيما يزعم أهله . وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغاً كان شعاباً بتبالة .

قلت ، تبالة : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفي آخرها هاء ، وهي بلدة على طريق اليمن للخارج من مكة ، وهذا المكان كثير الحصب ، له ذكر في الأخبار والأمثال والأشعار ، وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولم يكن رآها قبل ذلك . فخرج إليها ، فلما قرب منها سأل عنها ، فقيل له إنها وراء تلك الأكمة ، فقال : لا خير في ولاية سترها أكمة ، ورجع عنها محتقراً لها وتركها . فضربت العرب بها المثل وقالت للشيء الحقير : أهون من تبالة على الحجاج .

قال الراوي : فادعى يزيد أنه من حمير ، وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي ، وقيل إنه كان عبداً للضحاك بن عبد عوف الهلالي ، فأنعم عليه .

وكان يزيد شاعراً غزلاً محسناً .

(339) والسيد الحميري الشاعر المشهور من ولده ، وهو إسماعيل بن محمد بن بكار بن يزيد المذكور ، كذا ذكره ابن مذكولا في كتاب «الإكمال» ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم ، وهو من كبار الشيعة . وله في ذلك أخبار وأشعار مشهورة . ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الأموي ، وكان قد أحسن مروان إليه :

وأقمتُ سوقَ الثناء ولم تكنْ سوقَ الثناء تقامُ في الأسواقِ
فكأنما جعل الإلهُ إليكمُ قبضَ النفوسِ وقسمةَ الأرزاقِ

والبيت الأول من هذين البيتين تقدم ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني منسوباً إلى أحمد بن أبي فن يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات^١ ، والله أعلم بالصواب في ذلك .
ولما ولي^٢ سعيد بن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، خراسان عرض على

١ انظر ص : ٣٤١ . ٢ انظر الأغاني : ١٨٣ وما بعدها .

يزيد بن مفرغ أن يصحبه فأبى ذلك ، وصحب عباد بن زياد بن أبيه ، فقال له سعيد : أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت صحبة عباد فاحفظ ما أوصيك به : إن عباداً رجل لثيم فإياك والذالة عليه وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته فإنه ملول ، ولا تفاخره وإن فاخره فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله . ثم دعا سعيد بمال فدفعه له وقال له : استعن به على سفرك فإن صح لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندي ممهد فائتني . ثم سار سعيد إلى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد ، فلما بلغ عبيد الله بن زياد أمير العراقيين صحبة يزيد أخاه عباداً شق عليه ، فلما سار عباد شيعه أخوه عبيد الله وشيعه الناس وجعلوا يودعونهم ، فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له : إنك سألت عباداً أن يُصحبك فأجابك ، وقد شق علي ، فقال له : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يُقنع بعضهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً ولا يعذر في موضع العذر ، وإن عباداً يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت وتكسونا شراً وعاراً ، فقال له : لست كما ظن الأمير ، وإن لمعرفه عندي لشكراً كثيراً ، وإن عندي إن أغفل أمري عذراً ممهداً ، فقال : لا ، ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه أن لا تعجل عليه حتى تكتب إلي ، قال : نعم ، قال : امض إذأ على الطائر الميمون . قال : فقدم عباد خراسان ، وقيل سجستان ، فاشتغل بحروبه وخراجه ، فاستبطأ ابن مفرغ ولم يكتب لأخيه عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه .

وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق ، فسار ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فيها فنفشتها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لحم كان إلى جنبه :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمي إلى عباد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا تجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي ، وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي

١ ر : أوصيتك .

منه ، فإنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواضع .
وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال : إنني لأجد ريح الموت من عباد ، ثم دخل
عليه فقال : أيها الأمير ، إنني قد كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك
رأيه في وجميل أثره علي ، وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل ، وأريد أن
تأذن لي بالرجوع فلا حاجة لي في صحبتك ، فقال له : أما اختيارك إياي فقد
اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ
حجتي فيك ، وطلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الإذن
قادرٌ بعد أن أقضي حَقك .

وبلغ عباداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه ، فدس إلى قوم كان لهم
عليه دين أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وأضرَّ به ، ثم بعث إليه بغني الأراكة
وبرداً ، وكانت الأراكة قَيْسَنَةَ لابن مفرغ ، وبرد غلامه ، رباهما وكان شديد
الضن بهما ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيع المرء نفسه وولده ؟ فأخذهما
عباد منه ، وقيل إنه باعهما عليه ، فاشترهما رجل من أهل خراسان . فلما
دخلا منزله قال له برد ، وكان داهية أديباً^١ : أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم
اشتريتك وهذه الجارية ، قال : لا والله ، ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة
أبداً ما حييت ، فجزع الرجل وقال له : كيف ذاك ويملك ؟ قال : نحن ليزيد
ابن مفرغ ، ووالله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو عباداً
وهو أمير خراسان ، وأخوه عبيد الله أمير العراقيين ، وعمه الخليفة معاوية بن
أبي سفيان ، في أن استبطأه ، ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية
وهي نفسة التي بين جنبيه ؟ ووالله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأمَ على نفسه وأهله
مما أدخلته منزلك ، فقال : أشهدك أنك وإياها له ، فإن شتتما أن تمضيا إليه
فامضيا ، وعلى أنتي أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد ، وإن شتتما أن تكونا
له عندي فافعلا ، قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس
بما فعله ، فكتب إليه يشكر فعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرِّج الله عنه .
وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا ، يعني ابن مفرغ ، يبالي بالمقام في الحبس ،

١ كذا في المسودة ، ولعل الأنسب : « أريباً » .

فبع فرسه وسلاحه وأثائه واقسم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وبقيت عليه بقية
حبسه بها ، فقال ابن مفرغ في بيعهما :

شَرَيْتُ بَرْدًا وَلَوْ مُلْكْتُ صَفْقَتَهُ لَمَا تَطَلَبْتُ فِي بَيْعٍ لَهُ رَشْدًا
لَوْلَا الدَّعْيُ وَلَوْلَا مَا تَعْرَضَ لِي مِنْ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتَهُ أَبَدًا
يَا بَرْدُ مَا مَسَّنَا دَهْرٌ أَضْرَّ بِنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا وَلَا بَعْنَا لَهُ وَلَدًا

معنى شريت : بعت ، وهو من الأضداد يقع على الشراء والبيع . والآيات
أكثر من هذا فتركت الباقي .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه
شراً ، فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ما سببه : رجل أدبه أميره ليقوم
من أوده ويكف من غربه ، وهذا لعمرى خيرٌ من جرّ الأمير ذيلته على مداهنة
صاحبه . فلما بلغ ذلك عباداً رقّ له وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى
البصرة ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدينتها هارباً ويهجو زياداً وولده ،
فمن ذلك قوله في ترك سعيده بن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، واتباعه
عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه :

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامِهِ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ بِرَامِهِ
فَالرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَضْحَكُ فِي الْغَمَامِهِ
لَهْفِي عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامِهِ
تُرْكِي سَعِيدًا ذَا النَّدَى وَالْبَيْتُ تَرْفَعُهُ الدَّعَامِهِ
لَيْشًا إِذَا شَهِدَ الْوَعْيُ تَرَكَ الْهَوَى وَمَضَى أَمَامِهِ
فَتَحَّتْ سَمَرٌ قَنْدٌ لَهُ وَبَنَى بَعْرَصَتَهَا خِيَامِهِ
وَتَبَعْتُ عَبْدَ بَنِي عَلَا جِ ، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامِهِ
جَاءَتْ بِهِ حَبِشِيَّةٌ سَكَاءَ تَحْسِبُهَا نَعَامِهِ
مِنْ نَسْوَةٍ سَوْدِ الْوَجْوِ ه تَرَى عَلَيْهِنَ الدَّمَامِهِ
وَشَرَيْتُ بَرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بَرْدٍ كُنْتُ هَامِهِ

هامة إذا تدعو صدّي بين المشقر واليمامة
فالهولُ يركبه الفتي حدّار المخازي والسامة
والعبدُ يقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه

قلت ، قوله : وتبع عبد بني علاج ، بنو علاج بطن من ثقيف - وسيأتي ذكره عند ذكر الحارث بن كلدة في هذه الترجمة إن شاء الله تعالى - قاله أبو بكر ابن دريد في كتاب « الاشتقاق »^٢ وأنشد عليه :

آل أبي بكرة استفيقوا هل تُعدّلُ الشمس بالسراج
إن ولاء النبيّ أعلى من دعوةٍ في بني علاج

وهذا القول له سبب يذكر عند ذكر أبي بكرة نفيح بن الحارث في هذه الترجمة ، إن شاء الله تعالى .

وقوله في البيت الآخر : سكاء تحسبها نعامة ، يقال أذن سكاء ، إذا كانت صغيرة ، والسكاء أيضاً التي لا أذن لها ، والعرب تقول : كل سكاء تبيض ، وكل شرفاء تلد ، والشرفاء : التي لها أذن طويلة ، والسكاء ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف ؛ والشرفاء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها فاء ، والضابط عندهم فيه أن كل حيوان له أذن ظاهرة فإنه يلد ، وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فإنه يبيض .

قال الراوي : ثم إن ابن مفرغ لجح في هجاء بني زياد . حتى تغني أهل البصرة في أشعاره . فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام ، واختلف الرواة فيمن رده إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : رده معاوية بن أبي سفيان ، وقال بعضهم : بل رده يزيد بن معاوية ، والصحيح أنه يزيد لأن عبداً إنتما ولي سجستان في أيام يزيد .

١ ر : أو هامة ، وهامش المسودة : خ ويروى : هامة تدعو . وهي ما ورد في برمن؟ وفي ع : هامة إذ ، وفي الأغاني : أو بومة .

٢ الاشتقاق : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

قلت : ثم ذكر صاحب « الأغاني » عقيب هذا الفصل ^١ أن سعيد بن عثمان ابن عفان ، رضي الله عنه ، دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له : علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك دوني ؟ فوالله لأبني خير من أبيه وأمي خير من أمته وأنا خير منه ، وقد وليناك وما نلت ما نلت ، فقال له معاوية : أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت ، لعمر الله إن عثمان لخير مني ، وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلمها وينجب ولدها ، وأما قولك إنك خير من يزيد ، فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك ، وأما قولك : إنكم وليتموني فما عزلتوني ، فما وليتموني وإنا ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فأقررتموني ، وما كنت بشئ الوالي لكم ، لقد قمت بئاركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم ، وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم ؛ فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان .

رجعنا إلى حديث ابن مفرغ :

قال الراوي ^٢ : ولم يزل يتنقل في قرى الشام ويهجو بني زياد ، وأشعاره تنقل إلى البصرة . فكتب عبيد الله بن زياد أمير العراق إلى معاوية - وقيل إلى يزيد وهو الأصح - يقول : إن ابن مفرغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدى إلى أبي سفيان فقتله بالزنا وسب ولده ، وهرب من سجستان وطلبته حتى لفظته الأرض ، وهرب من الشام يتمضغ لحومنا ويهتك أعراضنا ، وقد بعث إليك بما قد هجانا به لتنتصف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم ، فأمر يزيد بطلبه ، فجعل يتنقل في البلاد حتى لفظته الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس - قلت : وهو الذي يضرب به المثل في الحلم ، وقد سبق ذكره واسمه الضحاك ^٣ - قال : فاستجار

١ الأغاني : ١٨٧ .

٣ انظر ج ٢ : ٤٩٩ .

٢ النقل مستمر عن الأغاني : ١٨٨ .

به ، فقال له الأحنف : إنني لا أجير على ابن سُمية فأغرك ، وإنما يجير الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا . ثم إنته مشى على غيره فلم يجره أحد ، فأجاره المنذر بن الجارود العبدي ، وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك وأدلَّ بموضعه منه ، وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة ، فقبل له : أجاره المنذر بن الجارود ، فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بآبن مفرغ ، فلم يشعر ابن الجارود إلا بآبن مفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام ابن الجارود إلى عبيد الله فكلمه فيه ، فقال : أذكرك الله أيها الأمير أن تُخفر جوارِي فإنني قد أجرته ، فقال عبيد الله : يا منذرُ ، اللهَ ، ليمدحن أباك ويمدحنك وقد هجانِي وهجا أبي ثم تجيره علي ! لاها الله ، لا يكون ذلك أبداً ولا أغفرها له ، فغضب المنذر ، فقال له : لعلك تدلي بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأبيتها^١ بتطبيق البتة ؛ فخرج المنذر من عنده .

وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له : بشس ما صحبت به عبادةً ، فقال : بل بشس ما صحبتني عبادةً ، اخترته على سعيد بن عثمان وأنفقت على صحبتته جميع ما أملكه ، وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش ، فعدل عن ظني كله ، ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب ، فكننت كمن شام برقاً خلباً في سحاب جهام فأراق مائه طمعاً فيه فمات عطشاً ، وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجري في ما يندم عليه ، وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما شئت . فأمر بحبسه وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله ، فكتب إليه يزيد : إياك وقتله ، ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه ، فإن له عشيرة هي جندي وبطاتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقود منك ، فاحذر ذلك واعلم أنه الجلد منهم ومني وأنتك مرتين بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ . فورد الكتاب على عبيد الله ، فأمر بآبن مفرغ فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم ، وقيل الترييد^١ فأسهل بطنه فطيف به وهو على

٢ الترييد : راسب زئبقي أصفر .

١ ز : لأبتها ، وفي الأغاني : لاينها .

تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون ، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيد الله : لا نأمن أن يموت ، فأمر به أن يغسل ، ففعلوا ، فلما اغتسل قال :

يغسلُ الماءُ ما فعلتَ وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله إلى الحبس ، وقيل لعبيد الله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ فقال : لأنه سلح علينا ، فأحببت أن تسلح الخنزيرةُ عليه . وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة :

إذا أودى معاوية بنُ حربٍ فبشّرْ شعْبَ قَعْبِكَ بانصداعِ
فأشهدُ أن أمك لم تباشِرْ أبَا سفيانِ واضعةَ القناعِ
ولكن كان أمراً فيه لبسٌ على وجلٍ شديدٍ وارتباعِ
وقال أيضاً :

ألا أبلغ معاوية بنَ صخرٍ مغلغلة عن الرجل اليماني
أنغضب أن يقالَ أبوك عَفٌّ وترضى أن يقالَ أبوك زاني
فأشهدُ أن رِحْمَكَ من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سمية غيرُ دان

قلت ، قوله : فأشهد أن رحمك من زياد ، البيت الثالث ، أخذه من قول أبي الوليد ، وقيل أبي عبد الرحمن ، حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، في بيت من جملة أبيات وهي قوله ٢ :

لعمرك إن إلكَ من قريشٍ كإلِّ السَّقْبِ من رألِ النعامِ

الإل : بكسر الهمزة وتشديد اللام ، وهو الرحم ، والسقب : بفتح السين

١ بهامش المسودة : خ : امر .

٢ ديوان حسان : ٢١٦ .

المهملة وسكون القاف وبعدها باء موحدة ، وهو الذكر من ولد الناقة ، والرأل :
بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخره لام ، وهو ولد النعام .

(340) وهذه الأبيات قالها حسان في أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
ابن هاشم ، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أخاه من الرضاعة ،
أرضعتها حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية ، وكان من أكثر الناس شَبَهًا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له فيه هجاء ، وكان حسان يجابو عنده ، فمن
ذلك هذه الأبيات الميمية - المقدم ذكرها - ، ومنها قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلةً فقد برح الخفاء
هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
فإن أبي ووالدهُ وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

وقوله : فشركما لخيركما الفداء ، فيه كلام لأهل العلم لأجل شر وخير
لأنهما من أداة التفضيل ، وتقتضي المشاركة .

وإنما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك .
قلت : والجماعة الذين كانوا يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أهله خمسة : أبو سفيان المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي
طالب وقُثم بن العباس بن عبد المطلب والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم
ابن المطلب بن عبد مناف ، وهو جد الإمام الشافعي ، رضي الله عنهم أجمعين .
ثم إن أبا سفيان أسلم عام الفتح ، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة ،
وحسن إسلامه ، وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحنين .
ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم حتى رجع إليهم المسلمون وكانت النصره لهم وكسبوا من
الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق . ثم من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
فأطلقهم ، والشرح في ذلك يطول وليس هذا موضعه . وكان أبو سفيان

المذكور يومئذ ممسكاً لحام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفارقها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لآتي لأرجو أن يكون فيه خلف من حمزة بن عبد المطلب ، وشهد له بالجنة فقال : أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة ، أو سيد فتيان أهل الجنة ، والله أعلم . وأكثر العلماء يقولون : اسمه كنيته ليس له اسم سواها ، وقيل إن اسمه المغيرة ، وقيل المغيرة أخوه ، وهو أبو سفيان لا غير . ويقال إنّه ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه لما تقدم من هجائه .

رجعنا إلى حديث ابن مفرغ :

وهو من شعراء الحماسة ، وهو القائل ^١ :

ألا طرقتنا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ عَلَيْكَ سَلامٌ هَلْ لَمَّا فَاتَ مَطْلَبُ
قيل أراد بالليل الشباب .

وقالت تجنبنا ولا تقربنا فكيف وأنتم حاجتي أتجنبُ
يقولون : هل بعد الثلاثين ملعبٌ فقلتُ : وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جلَّ خطبُ الشيب إن كان كلِّما بدتُ شيبةٌ يعرى من اللهو مركب
وذكر المظفري ^٢ الأندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الأبيات :

فلو أن لحمي إذ وهى لعبتُ به كرامٌ ملوكٌ أو أسودٌ وأذوب
لهونٌ من وجدي وسلّى مصيبي ولكنما أودى بلحمي أكلب

١ لم يرد منها في س بر من إلا البيتان الأولان وبقيتها مزيدة في هامش المسودة بخط المؤلف في تاريخ متأخر ، وانظر ديوانه : ٤٤ .

٢ ق : المظفر ، والمظفري بخط المؤلف ، والمظفر أصوب ، وهو محمد بن عبد الله ، أحد بني الألفس حكام بطليوس في عهد ملوك الطوائف بالأندلس ، وله تأليف كبير اسمه « المظفري » قيل انه في نحو خمسين مجلداً .

(341) ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وفاة معاوية ابن أبي سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه، فكان في تلك المدة يتمثل كثيراً بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات^١ :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي غَلَسِ الصَّبْحِ مَغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ^٢ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ عَلَى الْمَخَافَةِ ضِيمًا وَالْمَنَايَا يَرِصْدَنِي أَنْ أَحِيدًا

فعلم مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ أَنَّهُ سَيَنَازِعُ^٣ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ فِي الْأَمْرِ . فخرج الحسين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد ، فلما قرب منها سير إليه جيشاً مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه^٤ فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف ، وجرى ما جرى .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى الحسين رضي الله عنه : إنني لأظن في رأسك نزوة ، ولا بد لك من إظهارها ، وددت لو أدركتها فأغترتها لك^٥ . وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال : لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغداني : ما تقول في وفي الحسين يوم القيامة ؟ قال : يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ، ويشفع لك أبوك وجدك ، فاعرف من هاهنا ما تريد .

نقلت من كتاب تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ الذي سماه «مرآة الزمان» ورأيت بخطه في أربعين مجلداً بدمشق، وقد رتبته على السنين فقال ، في السنة التاسعة والخمسين للهجرة ، بعد أن قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني

١ ديوانه : ٧٢ . ٢ ق ع والمختار : دعوت .

٣ المختار : يينازع .

٤ المختار : عن أبيه ؛ ولم يرد الدعاء في س بر من .

٥ هنا تعليق لابن المؤلف سقط لضياح أوراق .

زياد ، فقال في آخر الحديث : ومات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين يعني للهجرة ، والله أعلم .

وقال أبو اليقظان في كتاب « النسب » : مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجرود .

قلت ، وجرود^١ : بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من أعمال دمشق من جهة حمص ، ويكون في أرضها من حمير الوحش شيء كثير يجاوز الحصر ، ولما وصل بعض عسكر الديار المصرية إلى الشام في أثناء سنة ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام إلى أنطاكية ، وكنت يومئذ بدمشق ، أقاموا عليها قليلاً ، ثم عادوا فدخلوا دمشق في سلخ شعبان من السنة ، وأخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح أن تذكر هاهنا لغرابتها ، وهي أنهم نزلوا على جرود المذكورة ، واصطادوا من الحمر الوحشية شيئاً كثيراً على ما قالوا ، فذبح واحد من الجماعة حماراً وطبخ لحمه الطبخ المعتاد ، فلم ينضج ولا قارب النضج ، فزاد في الحطب والإيقاد فلم يؤثر فيه شيئاً ، ومكث يوماً كاملاً يفعل ذلك وهو لا يفيد ، فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسمماً فقراه ، فإذا هو « بهرام جور » فلما وصلوا إلى دمشق أحضروا تلك الأذن عندي ، فوجدت الوسم ظاهراً ، وقد رق شعر الأذن إلى أن بقي كالهباء^٢ وبقي موضع الوسم أسود ، وهو بالقلم الكوفي .

(342) وهذا بهرام جور من ملوك الفرس ، وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ، وكان من عاداته أنه إذا كثر عليه ما يسطاده وسمه وأطلقه ، والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه ، والله يعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش . وعلى الجملة فإن حمار الوحش من الحيوانات المعمرة ، وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو أكثر .

وهذه جرود في أرضها جبل المدخن المشهور ، وقد ذكره أبو نواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الحصيب بمصر فقال^٣ :

١ سقط هذا الضبط من س ، وكذلك قصة حمار الوحش وبهرام جور .

٢ ر : مثل الهباء . ٣ ديوان أبي نواس : ١٠٠ .

ووافينَ إشرافاً كئناسَ تدمرٍ وهنَّ إل رُعنِ المدخنِ صُور

والمدخن : بضم الميم وبالذال المهملّة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون ، وسمي المدخن لأنّه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب .
ثم بعد هذا وجدت في كتاب « مفاتيح العلوم »^١ تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور بن بهرام بن سابور الجنود بن سابور ذي الأكتاف ، سمي بهرام جور لأنّه كان مولعاً بصيد العيّر ، وهو الحمار الوحشي والأهلي أيضاً ، انتهى كلامه ؛ ثم إنني حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت إلى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشرة سنة ، فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور إلى أن ذبح في سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة وأكثر ، والله أعلم^٢ .

قلت : وقد تكرر في هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسميّة وأبي سفيان ومعاوية ، وهذه الأشعار التي قالها يزيد بن مفرغ فيهم ، ومن لا يعرف هذه الأسباب قد يتشوف إلى الاطلاع عليها ، فنورد منها شيئاً مختصراً ، فأقول :
(343) إن أبا الجبر^٣ الملك الذي ذكره أبو بكر ابن دريد في المقصورة المشهورة في البيت الذي يقوله فيها ، وهو^٤ :

وَخَامَرَتْ نَفْسُ أَبِي الْجَبْرِ الْجَوَى حَتَّى حَوَاهُ الْحَتْفُ فِيمَنْ قَدَّ حَوَى

كان أحد ملوك اليمن واسمه كنيته ، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شَرَحْبِيل الكندي ، وقيل أبو الجبر بن عمرو ، وتغلب عليه قومه فخرج إلى بلاد فارس يستجيش كسرى عليهم فبعث معه جيشاً من الأساورة ، فلما صاروا إلى كاظمة ونظروا إلى وحشة بلاد العرب وقلة خيرها قالوا : إلى أين نمضي مع هذا ؟

١ مفاتيح العلوم : ٦٥ .

٢ ثم بعد هذا وجدت . . . أعلم : سقط من ر س .

٣ أبا الخير في س . . .

٤ انظر شرح التبريزي للمقصورة .

فعمدوا إلى سم فدفعوه إلى طباخه ، ووعدوه بالإحسان إليه إن ألقى ذلك السم في طعام الملك ففعل ذلك ، فما استقر الطعام في جوفه حتى اشتد وجعه ، فلما علم الأساورة ذلك دخلوا عليه فقالوا له : إنك قد بلغت إلى هذه الحالة ، فكتب لنا إلى الملك كسرى أنك قد أذنت لنا في الرجوع ، فكتب لهم بذلك .

ثم إن أبا الجبر خف ما به ، فخرج إلى الطائف ، البليدة التي بالقرب من مكة ، وكان بها الحارث بن ككدة طبيب العرب الثقفي ، فعالجه فأبرأه ، فأعطاه سمية - بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وفي آخره هاء - وعبيداً - بضم العين المهملة تصغير عبد - وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر في جملة ما أعطاه ، ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن ، فانقضت عليه العلة فمات في الطريق .

(344) ثم إن الحارث بن ككدة الثقفي زوج عبيداً المذكور سمية المذكورة فولدت سمية زياداً على فراش عبيد ، وكان يقال له زياد بن عبيد ، وزيايد بن سمية ، وزيايد ابن أبيه ، وزيايد ابن أمه ، وذلك قبل أن يستلحقه معاوية - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - وولدت سمية أيضاً أبا بكره نفيح بن الحارث بن ككدة المذكور ، ويقال نفيح بن مسروح ، وهو الصحابي المشهور بكنيته رضي الله عنه ، وولدت أيضاً شبل بن معبد ونافع بن الحارث ، وهؤلاء الإخوة الأربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا - وسيأتي خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد إن شاء الله تعالى - ؛ وكان أبو سفيان صخر بن حرب الأموي والد معاوية بن أبي سفيان يتهم في الجاهلية بالترداد إلى سمية المذكورة ، فولدت سمية زياداً في تلك المدة ، لكنها ولدت على فراش زوجها عبيد . ثم إن زياداً كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة ، وهو أحد الخطباء المشهورين في العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه على البصرة ، فاستكتب زياد ابن أبيه . ثم إن زياداً قدم على عمر رضي الله عنه من عند أبي موسى ، فأعجب به عمر رضي الله عنه ، فأمر له بألف درهم ، ثم تذكرها بعدما مضى فقال : لقد ضاع ألف أخذها زياد ، فلما

قدم عليه بعد ذلك قال له : ما فعل أهلك يا زياد ؟ قال : اشتريت بها عبداً فأعقته ، يعني أباه ، قال : ما ضاع أهلك يا زياد ، هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى في عزلك عن كتابته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن لم يكن ذلك عن سخطة ، قال : ليس عن سخطة ، قال : فلم تأمره بذلك ؟ قال : كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك .

واستكتب أبو موسى بعد زياد أبا الحصين ابن أبي الحرّ العنبري ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه كتاباً فلحن في حرف منه ، فكتب إليه أن قنع كتابك سوطاً .

وكان عمر رضي الله عنه إذا وفد إليه من البصرة رجل أحبّ أن يكون زياداً ليشفيه من الخبر . وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في إصلاح فساد وقع باليمن ، فرجع من وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها ، فقال عمرو ابن العاص : أما والله لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : والله إنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ومن هو يا أبا سفيان ؟ قال : أنا ، قال : مهلاً أبا سفيان ، فقال أبو سفيان :

أما والله لولا خوف شخصٍ يراني يا عليّ من الأعداء
لأظهر سرّه صخر بن حربٍ ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملي ثقيفاً وتركبي فيهم ثمر الفؤاد

فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه وجه زياداً إلى فارس ، فضبط البلاد وحمى وجبي وأصلح الفساد ، فكتبه معاوية يروم إفساده على علي ، رضي الله عنه ، فلم يفعل ووجه بكتابه إلى عليّ وفيه شعر تركته ، فكتب إليه علي : إنما وليتك ما وليتك وأنت أهلٌ لذلك عندي ، ولن تدرك ما تريده ممّا أنت فيه إلا بالصبر واليقين ، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا تستحقّ بها نسباً ولا ميراثاً ، وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره ، والسلام . فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد لي أبو الحسن

وَرَبَّ الكعبة ، فذلك الذي جرَّاً زياداً ومعاوية على ما صنعنا^١ .
 فلما قتل علي رضي الله عنه وتولى ولده الحسن رضي الله عنه ، ثم فوّض
 الأمر إلى معاوية كما هو مشهور ، أراد معاوية استمالة زياد إليه وقصد تأليف
 قلبه ليكون معه كما كان مع علي ، رضي الله عنه ، فتعلق بذلك القول الذي صدر
 من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص ، فاستلحق زياداً في سنة أربع وأربعين
 للهجرة ، فصار يقال له زياد بن أبي سفيان . فلما بلغ أخاه أبا بكره أن معاوية
 استلحقه وأنّه رضي ذلك حلف يميناً أن لا يكلمه أبداً ، وقال : هذا زنتي أمه
 وانتفى من أبيه ، والله ما علمتُ سُمِّيَةَ رأت أبا سفيان قط ، ويله ما يصنع بأمر
 حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلّم ، أيريد أن يراها ، فإن
 حجبته فضحته وإن رآها فيا لها مصيبة ، يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حرمةً عظيمة . وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة ، فأراد الدخول على
 أم حبيبة لأنها أخته على زعمه وزعم معاوية ، ثم ذكر قول أخيه أبي بكره ،
 فانصرف عن ذلك . وقيل إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها ،
 وقيل إنّه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكره ، وقال : جزى الله أبا بكره
 خيراً ، فما يدع النصيحة على حال^٢ . وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه

١ ر : فعلا .

٢ علق هنا صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : نقلت من
 خط والدي رضي الله عنه ما صورته : وفد على معاوية بن أبي سفيان وفد من بني مخزوم وفيهم
 رجل أعمى معروف بين العرب ، فوقفوا ببابه ينتظرون الإذن لهم في الدخول عليه ، فجاء زياد
 ابن أبيه يوماً ليدخل إلى معاوية فسلم فارتج له الباب ، فقال أعمى بني مخزوم : من الرجل ؟
 فقيل له زياد بن أبي سفيان ، فقال : كذب والله ، إن أبا سفيان كان صديقي وأغشاه في كل
 وقت وأنا أعرف الناس به وببنيه وحاشاه من الزنا ، فمضى زياد إلى معاوية فقال له صد عني
 أعمى بني مخزوم فقال معاوية ولم ذلك ؟ قال : طعن في نسبي منك وأفسد في عقائد أهل الشام ،
 فقال له معاوية : أعجزت عن قطع لسانه ، فانصرف إلى منزله ، وأرسل إلى أعمى بني مخزوم
 بألف دينار ، فلما كان من الغد جاء ليدخل على معاوية فسلم على من بالباب ، وفيهم وفد بني
 مخزوم والأعمى فارتج له الباب ، فقال الأعمى : من المسلم ؟ فقيل زياد ، فبكى الأعمى ، فقيل
 له مم بكائك ؟ فقال : قد علمت ما كان بيني وبين أبي سفيان رحمه الله من المودة والألفة وكنيت
 أعرف منه بحة في حلقة وقد سمعتها من نعمة ولده زياد ، فذكرت عهده فبكيت . انتهى ما
 نقلته والله أعلم . »

وحمل معه هدايا جلييلة ، من جملتها عقد نفيس ، فأعجب به معاوية ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ، دوخت لك العراق ، وجيبت لك برها وبحرها وحملت إليك لبها وسرّها ، وكان يزيدُ بن معاوية جالساً فقال له : أما إنك إذ فعلت ذلك فإننا نقلناك من ثقيف إلى قريش ، ومن عبّيدٍ إلى أبي سفيان ، ومن القلم إلى المنابر ، فقال له معاويةُ : حسبك ، ورّيتُ بك زنادي .

وقال أبو الحسن المدائني : أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن إسحاق قال : اشترى زياد أباه عبّيداً ، فقدم زياد على عمر رضي الله عنه ، فقال له : ما صنعت بأول شيء أخذت من عطائك ؟ قال : اشتريتُ به أبي ، قال : فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه ، وهذا ينافي استلحاق معاوية إياه ، والله أعلم .

ولما ادعى معاوية زياداً دخل عليه بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموي ، فقال : يا معاوية ، لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلةً وذلةً ، فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال : أخرج عنا هذا الخليع ، فقال مروان : والله إنّه لخليعٌ ما يطاق ، قال معاوية : والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنّه يطاق ، ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد ؟ ثم قال لمروان : أسمعنيه ، فقال :

ألا أبلغ معاويةَ بن صخر لقد ضاقتُ بما تأتي البدانِ
أتغضبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ وترضى أن يقالَ أبوكَ زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الأبيات منسوبةً إلى يزيد بن مفرغ ، وفيها خلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد الرحمن بن الحكم ، فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول على تلك الصورة ، ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصورة .

ولما استلحق معاوية زياداً وقرّبه وأحسن إليه وولاه ، صار من أكبر الأعوان على بني علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، حتى قيل إنّه لما كان أمير العراقين طلب رجلاً من أصحاب الحسن بن علي رضي الله عنهما يعرف بابن سرح وكان في الأمان الذي كتب لأصحاب الحسن رضي الله عنه لما نزل

عن الخلافة لمعاوية ، فكتب الحسنُ إلى زياد : من الحسن إلى زياد ، أما بعد ، فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا من الأمان ، وقد ذكر لي ابنُ سرح أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير ، والسلام . فلما أتاه الكتابُ وقد بدأ فيه بنفسه ، ولم ينسبه إلى أبي سفيان غضب وكتب إليه : من زياد ابن أبي سفيان إلى الحسن ، أما بعد ، فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وإيم الله لأطلبه ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن أحب الناس إليّ لحماً أن آكله للحم أنت منه . فلما قرأه الحسن رضي الله عنه بعث به إلى معاوية ، فلما قرأه غضب وكتب إلى زياد : من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد ، أما بعد ، فإن الحسن بن عليّ بعث إليّ كتابك إليه ، جواب كتابه كان إليك في ابن سرح ، فأكثرُ التعجب منه ، وقد علمت أن لك رأيين : رأيٌ من أبي سفيان ، ورأيٌ من سمية ، فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم وحزم ، وأما رأيك من سُميّة فكما يكون رأي مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسن تسميه وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت أولى بذلك منه ، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عنك فإن ذلك لن يضعك ، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى مَنْ هو أولى به منك ، فإذا أتاك كتابي فخلّ ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه ، فقد كتبت إلى الحسن يخبره : إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده ، وإنه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان . وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولا تنسبه إلى أبيه ، فإن الحسن ويحك ممن لا يرمى به الرجّوان ، أفاستصغرت أباه ، وهو عليّ ابن أبي طالب ؟ أم إلى أمّه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذلك أفخر له إن كنت عقلت ، والسلام . قوله : لا يرمى به الرجّوان ، بفتح الراء الجيم ، وهو لفظ مثنى ، ومعناه المهالك .

قلت : وقد رُوِيَتْ هذا الحكاية على صورة أخرى وهي ٢ : كان سعيد

١ ر : فالآن حين فخرت له لو .

٢ كان المؤلف قد زاد هذه الرواية في ورقة منفصلة وكتب عندها « تكتب هذه الورقة بعد الملحق

في الحاشية » ولكن النسخة س لم توردها .

ابن سرح مولى كرز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فلما قدم زياد ابن أبيه الكوفة والياً عليها أخافه وطلبه ، فأتى المدينة فنزل على الحسين بن علي ، رضي الله عنه ، فقال له الحسين : ما السبب الذي أشخصك وأزعجك ؟ فذكر له قضيته وصنيع زياد به ، فكتب إليه الحسين : أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، فهدمت داره وأخذت ماله وعياله ، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله ، فإنني قد أجرته فشفعني فيه ، فكتب إليه زياد : من زياد بن أبي سفيان إلى الحسين بن فاطمة ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب حاجة ، وأنا سلطان وأنت سوقة ، وكتابك إلي في فاسق لا يؤويه إلا فاسق مثله ، وشر من ذلك توليه أباك ، وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضي بذلك ، وإيم الله لا تسبني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك ، فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه ، فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك ، وإن قتلته لم أقتله إلا بجه أباك .

فلما قرأ الحسين ، رضي الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ، ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه ، وكتب الحسين إلى زياد : من الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

فلما قرأ معاوية كتاب الحسين ، رضي الله عنه ، ضاقت به الشام ، وكتب إلى زياد : أما بعد ، فإن الحسين بن علي بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح ، فأكرت التعجب منه ، وعلمت أن لك رأيين : أحدهما من أبي سفيان وآخر من سمية ، فأما الذي من أبي سفيان فحلّم وحزم ، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسين تشتم أباه وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسين ، ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه ، وإن كان الحسين بدأ بنفسه ارتفاعاً عنك فإن ذلك لم يضعك ، وأما تشفيعه فيما شفّع إليك فيه فحفظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، فإذا قدم عليك كتابي هذا فحل ما في يدك لسعيد بن سرح ، وابن له

داره ولا تُعذِرْ له واردد عليه ماله ، فقد كتبت إلى الحسين أن يُخْبِرَ صاحبه بذلك ، فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده ، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان ، وأمّا كتابك إلى الحسين باسمه واسم أمه ، لا تنسبه إلى أبيه فإن الحسين ، ويملك ، ممن لا يرمى به الرجوان^١ ، ألى أمه وكلته لا أم لك ؟ فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلك أفخر له إن كنت تعقل ، والسلام .

وقال عبيد الله بن زياد : ما هجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ^٢ :

فَكَرُّ فَنِي ذَاكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ هَلْ نِلْتَ مَكْرُمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ حُمِيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمْتُ أَنْ أَبْنَاهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَمَاهِيرِ

وقال قتادة ، قال زياد لبنيه وقد احتضر : ليت أباكم كان راعياً في أديانها وأقصاها ولم يقع بالذي وقع به .

قلت : فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار في زياد وبنيه ويقول لهم أديعاء ، حتى قال في زياد وأبي بكره ونافع أولاد سمية^٣ :

إِنْ زِيَادًا وَنَافِعًا وَأَبَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
هُمْ رِجَالٌ ثَلَاثَةٌ خَلَقُوا فِي رَحْمِ أَنْثَى وَكَلَّتْهُمُ لَأَبِ
ذَا قُرَشِيٌّ كَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْلَى ، وَهَذَا بِيَزَعَمِهِ عَرَبِي

(345) وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضاح فأقول ، قال أهل العلم بالأخبار :

إن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيررة ابن عوف بن قسي ، وهو ثقيف — هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب «الجمهرة» — وهو طبيب العرب المشهور ، ومات في أول الإسلام ، وليس يصح إسلامه ؛ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص

١ بعده في المختار : أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه . . . الخ .

٢ ديوان ابن مفرغ : ٨٥ .

٣ قد سها جامع الديوان عن إدراج هذه الأبيات فيه ، وانظر الشعر والشعراء : ٢٨٠ .

أن يأتي الحارث يستوصفه في مرض نزل به ، فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله . وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفة قلوبهم ، وهو معدود في جملة الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم ؛ ويقال إن الحارث بن كلدة كان رجلاً عقيماً لا يولد له ، وإنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه .

(346) ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف ، قال : أيما عبد تدلى إليّ فهو حر ، فنزل أبو بكر رضي الله عنه من الحصن في بكرة . - قلت : وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء ، وهي التي تكون على البئر ، وفيها الجبل يستقى به ، والناس يسمونها بكرة ، بفتح الكاف ، وهو غلط ، إلا أن صاحب كتاب « مختصر العين » حكاهما بالفتح أيضاً ، وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره . - قال : فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكره لذلك ، وكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأراد أخوه نافع أن يدي نفسه في البكرة أيضاً ، فقال له الحارث بن كلدة : أنت ابني فأقم ، فأقام ونسب إلى الحارث ، وكان أبو بكره قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحارث أيضاً . فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليه . ولما هلك الحارث بن كلدة لم يقبض أبو بكره من ميراثه شيئاً تورعاً ، هذا عند من يقول : إن الحارث أسلم ، وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين .
فلهذا قال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة البائية ، لأن زياداً ادعى أنه قرشي باستلحاق معاوية له ، وأبو بكره اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونافع كان يقول إنه ابن الحارث بن كلدة الثقفي ، وأمهم واحدة ، وهي سمية المذكورة . وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكره - كما تقدم ذكره - وعلاج جد الحارث بن كلدة كما ذكرته .

١. علق هنا صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به ، وهذا عند من يقول إنه مات متأخراً في خلافة عمر ، ولا يصح على رواية من يقول إنه مات في أول الإسلام ، فإن غزوة الطائف كانت متأخرة في أواخر مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم » .

هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة . قلت : إلا أن قول ابن مفرغ في البيت الثاني « وكلهم لأب » ، ليس بجيد ، فإن زياداً ما نسبته أحد إلى الحارث ابن كلدة ، بل هو ولد عبيد ، لأنه ولد على فراشه . وأمّا أبو بكرة ونافع فقد نسبوا إلى الحارث ، فكيف يقول : « وكلهم لأب » فتأمله .

وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه « الفهرست »^١ : أن أول من ألف كتاباً في المثالب زياد ابن أبيه ، فإنه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده ، وقال لهم : استظفروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم .

وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة ، وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار ، وكان أبو بكرة المذكور يلقاه فيقول : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : في حاجة ، فيقول : إن الأمير يزار ولا يزور .

قالوا : وكان يذهب إلى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو ، وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي . وقال ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » : هي أم جميل بنت الأقم بن محجن بن أبي عمرو بن شُعَيْبَةَ^٢ ابن الهزَم ، وعدادهم في الأنصار . وزاد غير ابن الكلبي فقال : الهزم بن رُوَيْبَةَ ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، والله أعلم .

قال الراوي : فبينما أبو بكرة في غرفة مع إخوته ، وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد ، والجميع أولاد سمية المذكورة فهم إخوة لأم ، وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة ، فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ، ونظر القوم فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع ، فقال أبو بكرة : هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا ، فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا ، قال : وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر ،

١ الفهرست : ٨٩ .

٢ ع ق س : شعبة ، وأثبتنا ما في المسودة .

ومضى أبو بكره فقال : لا والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت ، فقال الناس : دعوه فليصل فإنه الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فكتبوا إليه ، فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود ، فلما قدموا عليه جلس عمر رضي الله عنه ، فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكره فقال له : رأيتك بين فخذيهما ؟ قال : نعم والله لكأنتي أنظر إلى تشريم جدريّ بفخذيهما ، فقال له المغيرة : لقد ألطفت في النظر ، فقال أبو بكره : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ، فقال عمر رضي الله عنه : لا والله حتى تشهد لقد رأيتك يلج فيها ولوج المروءة في المكحلة ، فقال : نعم أشهد على ذلك ، فقال : فاذهب عنك مغيرة ذهب ربّعتك ، ثم دعا نافعاً فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكره ، قال : لا ، حتى تشهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة ، قال : نعم حتى بلغ قُدْذَه - قلت ، القذذ : بالقف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم - قال الراوي : فقال له عمر رضي الله عنه : اذهب مغيرة ذهب نصفك ، ثم دعا الثالث فقال له : على ما تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبي ، فقال له عمر رضي الله عنه : اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك . ثم كتب إلى زياد ، وكان غائباً فقدم ، فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار ، فلما رآه مقبلاً قال : إنني أرى رجلاً لا يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين . ثم إن عمر رضي الله عنه رفع رأسه إليه فقال : ما عندك يا سلح الحباري ؟ فقبل إن المغيرة قام إلى زياد فقال : لا محجاً لعطر بعد عروس^١ - قلت : وهذا مثل للعرب لا حاجة إلى الكلام عليه ، فقد طالت هذه الترجمة كثيراً - . قال الراوي : فقال له المغيرة : يا زياد ، اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة ، فإن الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حققوا دمي ، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ممّا رأيت ، فلا يحملنك سوء منظر رأيتك على أن تتجاوز إلى ما لم تر ، فوالله لو كنت بين بطني ووطنها ما رأيت أن يسلك ذكري فيها ، قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال : يا أمير

١ انظر في هذا المثل فصل المقال : ٤٢٦ (ط . بيروت) .

٢ س ق ع والمختار : أين ؛ ر : أن سلك .

المؤمنين ، أما إن أحق ما حقّ القوم فليس عندي ، ولكن رأيت مجلساً وسمعت نفساً حثيثاً وانتهزاً ورأيت مستبطنها ، فقال عمر رضي الله عنه : رأيت يدخل كالميل في المكحلة ؟ فقال : لا ، وقيل قال زياد : رأيت رافعاً رجلها فرأيت خصيه تردد إلى بين فخذها ورأيت حفزاً شديداً وسمعت نفساً عالياً ، فقال عمر رضي الله عنه : رأيت يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ؟ فقال : لا ، فقال عمر رضي الله عنه : الله أكبر قم إليهم فاضربهم ، فقام إلى أبي بكره فضربه ثمانين وضرب الباقيين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ الحد عن المغيرة . فقال أبو بكره بعد أن ضرب : أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا ، فهمّ عمر رضي الله عنه أن يضربه حداً ثانياً ، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن ضربته فارجم صاحبك ، فتركه . واستتاب عمر أبا بكره فقال : إنّما تستيني لتقبل شهادتي ، فقال : أجل ، فقال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا . فلما ضربوا الحد قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أحزاكم ، فقال عمر رضي الله عنه : بل أحزى الله مكاناً رأوك فيه .

وذكر عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن أبا بكره لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره ، فكان يقال ما ذاك إلا من ضرب شديد . وحكى عبد الرحمن بن أبي بكره أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش ، فلما مات أبو بكره كان قد أوصى أن لا يصلي عليه زياد وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما ، وبلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة . وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره .

ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموسم ، والمغيرة هناك فقال له عمر : أتعرف هذه المرأة يا مغيرة ؟ قال : نعم هذه أم كلثوم بنت علي ، فقال له عمر : أتتجاهل علي ؟ والله ما أظن أبا بكره كذب عليك ، وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء .

قلت : ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب « المهذب » : وشهد على المغيرة ثلاثة : أبو بكره ونافع وشبل بن معبد ،

١ زاد في المختار هنا قولاً سيجيء من بعد ، عل طريقته في جمع الأشباه في موضع واحد .

وقال زياد : رأيت استأ تنبو ونفساً يعلو ورجلين كأنهما أذنا حمار ، ولا أدري ما وراء ذلك ، فجلد عمر الثلاثة ولم يحدّ المغيرة .

قلت : وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه إن ضربته فارجم صاحبك ، فقال أبو نصر ابن الصباغ - المقدم ذكره^١ - وهو صاحب كتاب « الشامل » في المذهب : يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد ، وإن كان هو الأول فقد جلده عليه ، والله أعلم . وذكر عمر بن شبة في « أخبار البصرة » أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين ، فقال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فأبى أن يجيز شهادته^٢ .

قلت : وقد طالت هذه الترجمة ، وسببه أنها اشتملت على عدة وقائع ، فدعت الحاجة إلى الكلام على كل واحدة منها فانتشر القول لأجل ذلك ، وما خلا عن فوائده .

٨٢٢

يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور

أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سَمْرَةَ بن سلمة الخير بن قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، المعروف بابن الطثرية ، الشاعر المشهور ؛ هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني ، وإتّما قيل لجدّه « سلمة الخير » لأنّه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر ، قال : وقد قيل إنّ يزيد بن المنتشر بن

١ انظر ج ٣ : ٢١٧ .

٢ وذكر عمر . . . شهادته : سقط من ر س .

٨٢٢ - ترجمته في ابن سلام : ٥٨٦ والشعر والشعراء : ٣٤٠ والأغاني ٨ : ١٥٧ والسمط :

١٠٣ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٩٩ وشرح التبريزي ٣ : ٤٦ وأسماء المتتالين : ٢٤٧ .

سلمة . وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير .
وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير .

ذكر أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور ، وكان الطوسي قد اعتنى به وجمعه ، فقال : كان ابن الطثرية شاعراً مطبوعاً عاقلاً فصيحاً كامل الأدب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه ، وكان سخياً شجاعاً له أصل ومحل في قومه من قشير ، وكان من شعراء بني أمية مقدماً عندهم .

وقال غير الطوسي : كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقاً ، سُمِّيَ بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون إنه إذا جلس بين النساء ودقهن — يقال استودقت المرأة وودقت إذا مالت إلى الفحل لأجل الجماع — والأصل في هذه اللفظة أن تكون لذوات الحافر ، ثم نقلت إلى بني آدم ، وهي بالدال المهملة والقاف ، والمودق : هو الذي يجعل النساء يملن عليه — وكان يزيد كثيراً ما يجلس عند النساء ويتحدث معهن ، ويقال إنه كان عنيناً لا يأتي النساء . وليس له عقب ، وهو من أعيان الشعراء ، ذكره أبو تمام الطائي في كتاب « الحماسة »^١ في عدة مواضع ، فمن ذلك قوله في باب النسب :

عُقَيْلِيَّةُ أَمَا مَلَأْتُ إِزَارَهَا فِدِعْصٌ وَأَمَا خَصَرَهَا فَبْتِيلُ
تَقَيِّظُ أَكْنَافَ الْحَمَى وَيُظْلِمُهَا بِنِعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَكَ مَقِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلٌّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
فِيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حَبَّهُ لَمْ يُطْعَمْ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
أَمَا مِنْ مَقَامِ أَشْتَكِي غَرِبَةَ النَّوَى وَخَوْفِ الْعَدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
فَدَيْتِكَ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشَقِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلُ
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ فَحَمَلُ دَمِي يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلُ

١ انظر شرح المرزوقي ، رقم : ٥٤١ ، وقد ألحقت القصيدة التالية بديوان ابن الدمينية : ١٨٦
وانظر تحريجها والقول في نسبتها ص ٢٥٦ .

وكنت إذا ما جئتُ جئتُ بعلّة فأفنيّتُ علاقي فكيف أقول
فما كلّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلّ يومٍ لي إليك رسول^١

وكان أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » قد جمع شعر يزيد
ابن الطّرية أيضاً في ديوان ، وأورد له قوله^٢ .

ألا بآبي مَنْ قد برى الجسمَ حبهُ ومن هو موموق^٣ إلى حبيبُ
ومن هو لا يزدادُ إلا تشوقاً وليس يُرى إلاّ عليه رقيب
ولآتي وإن أحموا عليّ كلامها وحالتُ أعاديّ دوننا وحروب
لمنّ عليّ ليلي ثناءً يزيناها قوافٍ بأفواه الرجال تطيب
ألبيّ احذري نقض القوي لا يزلُ لنا على النأي والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لداء شغبةً كما أنا للواشي ألدُّ شغوب
فإن خفتِ ألا تحكمي ميرةً الهوى فردي فؤادي والمزار قريب

وأورد له أيضاً^٤ :

بنفسي من لو مرّ بردُ بنانه على كبدي كانت شفاءً أناملهُ
ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وأما أبو الحسن الطوسي فإنه أورد له :

ولآتي لأستحيي من الله أن أرى رديفاً لوصل أو عليّ رديفُ
وأن أردّ الماء الموطأ حنيّةً وأتبع وصلاً منك وهو ضعيفُ

قلت : ورأيت في موضع آخر بعد البيت الأول :

١ في هامش س : في الحماسة ليس مرتباً هكذا ؛ بعده في الحماسة :
صحائف عندي للعتاب طويها ستشر يوماً والعتاب يطول

٢ الأغاني ٨ : ١٧٩ .

٣ ق والمختار : موقوف .

٤ الأغاني ٨ : ١٦٤ .

وإِنِّيَ لَلْمَاءِ الْمَخَالِطَةَ الْقَذَى
وَأُورِدُ لَهُ الطُّوسِيَّ أَيْضاً :

أَلَا رَبَّ رَاجَ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا
يَجُولُ لَهَا هَذَا وَتَقْضَى لغيره
وَأُورِدُ لَهُ أَيْضاً مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ :

بِرَغْمِي أَطِيلُ الصَّدَّ عَنْهَا إِذَا نَأَتْ
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
وَأُورِدُ لَهُ أَيْضاً آيَاتاً مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَقَوْلَا إِذَا عَدَّتْ ذُنُوبًا كَثِيرَةً
هَيِّنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ
فَلَمَّا أَبَتْ لَا تَقْبَلُ الْعَذْرَ وَارْتَمَى
تَعَزَيْتُ عَنْهَا بِالسَّلْوِ وَلَمْ أَكُنْ
وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ تَبَغَى لِدَائِهِ
عَلَيْنَا تَجَنَّاهَا ذَرِي مَا تَغَيَّبَا
وَإِمَّا مَسِيئًا تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا
بِهَا كَذِبُ الْوَاشِينَ شَأْوًا مَغْرَبًا
لِمَنْ ضَنَّ عَنِّي بِالْمُودَةِ أَقْرَبَا
طَبِيبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطْبِيبًا

وَأُورِدُ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِي فِي كِتَابِ «مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ» وَهِيَ فِي
«الْحِمَاسَةِ» أَيْضاً ، وَقَدْ رُوِيَتْ أَيْضاً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدِّمِينَةِ الْحُثْعَمِيِّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^١ :

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عَذْرَ الْبَرِيءِ وَلَمْ تَزَلْ
بِبَعْضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَجِيبُ
بِهِ رِعْدَةٌ حَتَّى يُقَالَ مَرِيبٌ
وَأُورِدُ لَهُ الْمَرْزُبَانِي فِي «الْمَعْجَمِ» أَيْضاً :

حَنَنْتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

١ ر والمختار : شرقاً ومغرباً .

٢ الحماسية رقم : ٥٣٠ ولم ترد في معجم المرزباني المطبوع ، وانظر ديوان ابن الدمينية : ١١٣ (البيتين رقم ٨٧ ، ٨٨) .

[فما حسن^١ أن تأتي الأمر طائعا
 قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى
 ولما رأيت البشر أعرض دوننا
 بكت عيني اليمنى فلما زجرتها
 تلفت نحو الحي حتى وجدني
 وأذكر أيام الحمى ثم أنثني
 وليست عشيات الحمى برواجع
 وتجزع أن داعي الصباية أسمعا
 وقل لنجد عندنا أن يودعا
 وجالت بنات الشوق يحنن نزعاً
 عن الجهل بعد الحلم أسبلتنا معاً
 وجمعت من الإصغاء لينا وأخذعا
 على كبدي من خشية أن تقطعا
 عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا^١]

قلت : وهي أبيات في غاية الرقة واللطافة ، وذكرها أبو تمام الطائي في كتاب
 « الحماسة »^٢ في أول باب النسيب وقال إنها للصمة بن عبد الله القشيري ، والله
 أعلم بالصواب في ذلك .

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر - صاحب كتاب « الاستيعاب » في
 أخبار الصحابة رضي الله عنهم ، وقد تقدم ذكره - في كتاب « بهجة المجالس » ،
 ما مثاله : للصمة بن عبد الله القشيري :

أما وجلال الله لو تذكريني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
 فقالت بلى والله ذكراً لوأنه يُصَبُّ على الصخر الأصم تصدعا
 ثم قال بعد ذلك : وأكثرهم ينسبون إليه في هذا الشعر :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا

وذكر الأبيات بكمالها كما ذكرها في « الحماسة » وبعد الفراغ منها قال :
 ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح وإلى المجنون أيضاً ، والأكثر أنها للصمة ،
 والله أعلم .

١ لم ترد هذه الأبيات في المسودة ونسخة س ق ع ولكنها ثابتة في المختار ؛ وقد سقطت هي وما
 بعدها من ر حتى لفظة « معا » .

٢ الحماسية رقم : ٤٥٤ ونسبها للصمة بن عبد الله .

قلت : فقد وقع الاختلاف في أن هذه الأبيات العينية هل هي ليزيد بن
الطثرية أم للصمة بن عبد الله القشيري أم لقيس بن ذريح أم للمجنون ، والله
أعلم .

قلت : وذكره المرزباني أيضاً في كتاب « المونق » فقال : أنشدني أبو
الخنْبَش لابن الطثرية :

وحتتْ قَلوصي بعد هذا صبايةً فيا روعةً ما راع قلبي حينها
فقلت لها صبراً فكلُّ قرينة مفارقها ، لا بد يوماً ، قرينها
وأورد له أيضاً :

كيف العزاء وأنت أومتُّ مَنْ مشى والنفسُ معولةٌ ودارك نائيه
بيديك قتلي إن أردتِ منيتي وشفاء نفسي إن أردتِ شفائيه
ولقد عرفتِ فما أويتِ لمدنفٍ ما النفسُ عنك وإن نأيت بساليه
وأورد له أيضاً :

إذا نحن جئنا لم تجمَلْ بزينة حذارِ الأعادي وهي بادٍ جمالها
ولا نبتديها بالسلام ولم نقلُ لهم من توقّي شرهم : كيف حالها
وأورد له أشياء كثيرة غير هذا فنقتصر على هذا القدر .

وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب
الأشراف » بعد ما ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي
الحكمي ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة : فكان في أثناء ذلك وقعة
قتل فيها المندلث ابن لإدريس الحنفي ، وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية
يقال لها الفلج - بفتح الفاء واللام وفي آخره الجيم - وأظنها من قرى اليمامة .
ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي صنفه في أسماء المواضع أن فلج
بفتح الفاء واللام وآخره جيم قرية عظيمة لبني جعدة بها منهو يقال لها فلج الأفلاج

ر : وذكر .

من ناحية اليمامة ، وقال غيره : فلج بينها وبين هَجَرَ التي هي قصبة البحرين ستة أيام وبينها وبين مكة تسعة أيام ، والله أعلم^١ .
وذكر أبو إسحاق الزجاج في كتاب « معاني القرآن الكريم » في سورة الفرقان أن الرس قرية باليمامة يقال لها فلج ، فتكون هي هذه القرية على ما قال ، وأما الذي جاء في قول الشاعر^٢ :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

فإنه بفتح الفاء وسكون اللام ، وهو واد بين البصرة وحمى ضرية ، وضريّة قرية على القرب من مكة شرفها الله تعالى . وأما فلجة الذي جاء في شعر بعض العرب :

ألا حبذا أعلام فلجة بالضحى وخيم روابي جلّهتينا المنصب
يقولون ملح ماء قلجة آجن أجل هو مملوح إلى القلب طيب

فهذا الاسم يقع على موضعين ، أحدهما منزل بين مكة والبصرة ، والثاني موضع بالعقيق ، وكانت به الواقعة في السنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد الأموي المذكور .

رجعنا إلى ما كنا فيه :

وكان قتل الوليد في جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها من سنة ست وعشرين ومائة بالبخراء - بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المعجمة وبعد الراء ألف ممدودة^٣ - . وذكر أبو الحسن الطوسي المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية ، فلما قتل المنذر وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية ، وكانت عليه جبة خز فتشبت في عُسرة - قلت :

١ انظر المشترك : ٣٣٤ في باب « فلج » . ٢ أورده البكري وياتوت (فلج) ونسباه للأشهب .

٣ زاد في هامش المسودة بعدها : « وهي » ثم طس النص .

وهي بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء مفتوحة ثم هاء ، وهي شجرة لها صمغ من شجر العضاة — قال : فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه .

قلت : وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور ، فيكون قتل يزيد ابن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية أن بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس ، والأول أصح .
ولما قتل ابن الطثرية رثاه القحيف بن حمير بن سليم الندى بن عبد الله العُقيلي بقوله :

ألا تبكي سراة بني قشيرٍ على صنديدها وعلى فتاتها
أبا المكشوح بعدك من يحامي ومن يُزجي المطيَّ على وجَّاهَا

ورثي القحيف أيضاً الوليد بن يزيد .
ورثاه أخوه ثور بن سلمة بقوله :

أرى الأئـلَ من بطنِ العقيقِ مجاوري مقيماً وقد غالت يزيد غوائله

وهي من الشعر المختار . وذكر أبو تمام الطائي في « الحماسة »^١ أن هذه الأبيات لأخته زينب بنت الطثرية وقيل إنها لأمه ، والله أعلم .

وذكر الطوسي المذكور أن هذه الواقعة كانت بالعقيق ، وقال ياقوت الحموي في كتاب « المشترك وضعاً »^٢ : إن العقيق عشرة مواضع ، قال الأصمعي : الأعقة الأودية التي تشقها السيول ، ثم عد المواضع فقال : الثالث « عقيق عارض » بأرض اليمامة ، وهو واد واسع مما يلي العرمة تندفق فيه شعاب العارض ، وفيه عيون وقرى ، ثم قال : والعقيق من قرى اليمامة لبني عُقَيْل ، وهو عقيق نمره^٣ في طريق اليمن من اليمامة .

١ الحماسة رقم : ٣٦٧ .

٢ المشترك : ٣١٤ وفيه أن الأعقة أحد عشر موضعاً .

٣ معجم البلدان : تمر ، والاسم ند طمس في حاشية المسودة .

قلت : فيحتمل أن يكون المراد بقوله « بطن العقيق » في هذا البيت العقيق الأول ، ويحتمل العقيق الثاني ، والله أعلم .

وإنما كني ابن الطرية بأبي المكشوح لأنه كان على كشحه كني نار ، والكشع - بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبعدها الحاء المهملة - وهي الخاصرة .
والطرية : بفتح الطاء المهملة وسكون التاء المثناة وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء التأنيث ، وهي أمه ، ينسب يزيد المذكور إليها ، وهي من بني طثر بن عنز بن وائل ^١ ، والطثر : الخصب وكثرة اللبن يقال إن أمه ولدت في عام هذا وصفه ، وقيل بل ولدت في عام هذا شأنه ، ويقال إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن ، فسميت الطرية ، وطرة اللبن زبدته ، والله أعلم .

قلت : وهذا الكلام في النفس منه شيء ، فإنهم قالوا : إن أمه من بني طثر ابن عنز بن وائل ، فعلى هذا تكون أمه منسوبة إلى هذه القبيلة ، فلا معنى حينئذ لقولهم : إن أمه ولدت في عام هذا وصفه ، أو ولد هو في عام هذا شأنه ، أو كانت أمه تخرج الزبد من اللبن ، فتأمله ، إلا أن يكون عندهم فيه خلاف : هل هو منسوب إلى القبيلة أم إلى هذا المعنى الثاني ، والله أعلم بالصواب في ذلك ^٢ .
ويروى لزينب بنت الطرية أخت يزيد المذكور شيء كثير من الشعر ، فمن ذلك قولها في المديح :

أشمُّ إذا ما جئت للعرف طالباً حباك بما تحنو عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

وينسب هذان البيتان إلى زياد الأعجم أيضاً ، والبيت الثاني منهما يوجد في ديوان أبي تمام الطائي أيضاً في قصيدته التي أولها ^٣ :

أجل أيها الربيعُ الذي خفَّ آهله لقد أدركتُ فيكَ النوى ما تحاوله
والله أعلم بالصواب .

١ كذا ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء .

٢ هنا تنهي الترجمة في ر س ق ع .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ٢١ والبيت المشار إليه هو رقم : ٣٧ فيها .

الماجشون

أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمة دينار ، وقيل ميمون ، الملقب بالماجشون القرشي التيمي ، من موالي آل المنكدر من أهل المدينة ؛ سمع ابن عمر رضي الله عنهما ، وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ؛ روى عنه ابنه : يوسف وعبد العزيز ، وابن أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة . وقال يعقوب بن شيبة : الماجشون يعقوب بن أبي سلمة مولى آل الهدير^١ . وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به ، فلما استخلف عمر رضي الله عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر : إننا تركناك حيث تركنا لبس الخبز ، فانصرف عنه .

وذكره محمد بن سعد في كتاب « الطبقات » . وقال يعقوب بن شيبة ، قال مصعب : وكان الماجشون يعين ربيعة الرأي على أبي الزناد ، لأن أبا الزناد كان معادياً لربيعة الرأي ، فكان أبو الزناد يقول : مثلي ومثل الماجشون مثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم ، فاجتمعوا له وخرجوا في طلبه ، فهرب منهم فانقطعوا عنه ، إلا صاحب فخار ، فإنه ألح في طلبه ، فوقف له الذئب فقال : هؤلاء أعدرهم ، فأنت ما لي ولك ؟ ما كسرت لك فخارة قط ، والماجشون ما كسرت له كبراً ولا برَبْطاً قط^٢ .

وقال ابن الماجشون : عرج بروح الماجشون ، فوضعناه على سرير الغسل

٨٢٣ - ترجمته في طبقات الشيرازي : ٦٧ وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٨٨ ورجال ابن حبان : ٨٠ وانظر ترجمة ابنه يوسف في طبقات ابن سعد ٥ : ٤١٥ (ويبدو أن ترجمة يعقوب في الطبقات مما ضاع من الكتاب) وتاريخ الإسلام للذهبي ٥ : ١٩ والتاج (مجم = الماجشون) واللباب (الماجشون) .

١ آل الهدير هم أيضاً آل المنكدر .

٢ يشير إلى أن الماجشون كان يعلم الغناء ويتخذ القيان .

وقلنا للناس : نروح به ، فدخل غاسل^١ إليه يغسله ، فرأى عرقاً يتحرك في أسفل قدمه فأقبل علينا وقال : أرى عرقاً يتحرك ولا أرى أن أعجل عليه ، فاعتلنا على الناس بالأمر الذي رأيناه ، وفي الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله ، فاعتذرنا إلى الناس ، فمكث ثلاثاً على حاله ، ثم إنّه استوى جالساً فقال : أتوني بسويق ، فأتي به فشربه ، فقلنا له : خبرنا ما رأيت ، قال : نعم عُرُج بروحي ، فصعد بي الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ، ثم هكذا في السموات حتى انتهى بي إلى السماء السابعة ، فقيل له : من معك ؟ قال : الماجشون ، فقيل له : لم يأن له بعد ، بقي من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهراً وكذا يوماً وكذا كذا ساعة ، ثم هبط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه ، فقلت للملك الذي معي : مَنْ هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، قلت : إنّه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّه عمل بالحق في زمن الجور، وإنهما عملا بالحق في زمن الحق؛ ذكر هذا يعقوب بن شيبة في ترجمة الماجشون . وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق أن يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة^١ ، رحمه الله تعالى ؛ هذا كله نقلته من تاريخ الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر الذي جعله تاريخاً لدمشق .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف » في ترجمة محمد بن المنكدر^٢ أن الماجشون من مواليه ، واسمه يعقوب ، وكان فقيهاً ؛ ثم قال بعد ذلك : وكان للماجشون أخ يقال له عبد الله بن أبي سلمة .

(347) وابنه عبد العزيز بن عبد الله يكنى أبا عبد الله ، توفي ببغداد وصلى عليه المهدي ، ودفنه في مقابر قریش ، وذلك في سنة أربع وستين ومائة — قلت : وقد تقدم في هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن

١ هذه هي سنة وفاة ابنه عبد العزيز كما سيرد بعد أسطر ، وتمقب ابن حجر الحافظ ابن عساكر في هذا فقال : كذا قال وهو خطأ لم ينبه عليه أبو القاسم والصواب إن شاء الله تعالى في سنة أربع وعشرين ومائة .

٢ المعارف : ٤٦١ - ٤٦٢ .

عبد الله ، وذكرت ما قاله العلماء في معنى الماجشون ، فأغنى عن الإعادة هاهنا والله أعلم .

قوله ما كسرت له كبراً ولا برَبطاً ، الكبر : بفتح الكاف والباء الموحدة ، وبعدها راء ، وهو طبل ذو وجه واحد ، والبربط : بفتح الباءين الموحدين بينهما راء ساكنة ، وفي آخره طاء مهملة ، وهو نوع من العود الذي للغناء ، وأصله بر ، وهو الصدر بالفارسي ، وبط الطائر المعروف ، فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمي به ، واسمه بالعربي العود . والمزهر أيضاً : بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء ، وبالعجمي البربط كما ذكرناه .

٨٢٤

القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة

القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حَبْثَةَ الأنصاري - وسعد بن حَبْثَةَ أحد الصحابة رضي الله عنهم ، وهو مشهور في الأنصار بأمه ، وهي حَبْثَةُ بنت مالك من بني عمرو بن عوف - .
وأما أبو سعد ابن حَبْثَةَ : فهو عوف بن بَحِير بن معاوية بن سَلْمَى بن بجيلة ، حليف بني عمرو بن عوف الأنصاري ، هكذا ساق نسب سعد بن حَبْثَةَ في « الاستيعاب »^١ ، وأما الخطيب أبو بكر البغدادي فإنه قال في تاريخه^٢ : هو سعد بن بُجَيْر بن معاوية بن قحافة بن بُلَيْل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي

٨٢٤ - ترجمته في الفهرست : ٢٠٣ وأخبار القضاة ٣ : ٢٥٤ وطبقات الشيرازي : ١٣٤
والجواهر المضية ٢ : ٢٢٠ ومرآة الجنان ١ : ٣٨٢ والبداية والنهاية ١٠ : ١٨٠ والنجوم
الزاهرة ٢ : ١٠٧ وتذكرة الحفاظ : ٢٩٢ والشذرات ١ : ٢٩٨ وعبر الذهبية ١ : ٢٨٤
وبروكلمان ٣ : ٢٤٥ (الترجمة العربية) .

١ الاستيعاب : ٥٨٤ .

٢ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

أسامة بن سحمة بن سعد بن عبد الله بن قُداد^١ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث^٢ بن بجيلة .

كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة ، وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه ، كان فقيهاً عالماً حافظاً ، سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وتلك الطبقة . وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في مواضع كثيرة . روى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين في آخرين .

وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء : المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد ، وكان الرشيد يكرمه ويحله ، وكان عنده حظياً مكيناً ، وهو أول من دعي بقاضي القضاة ، ويقال إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان ، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً ، لا يتميز أحد عن أحد بلباسه . ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل .

وذكر أبو عمر ابن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » في كتابه الذي سماه كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء »^٣ أن أبا يوسف المذكور كان حافظاً وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين حديثاً ، ثم يقوم فيمليها على الناس ، وكان كثير الحديث . وقال محمد بن جرير الطبري : وتحمى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام ، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء .

وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد »^٤ أن أبا يوسف قال :

١ تاريخ بغداد : قدار .

٢ تاريخ بغداد : الموذ .

٣ الانتقاء : ١٧٢ .

٤ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٤٤ .

كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقْبِل رثّ الحال ، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة ، فانصرفت معه ، فقال : يا بني ، لا تمدّ رجلك مع أبي حنيفة ، فإن أبا حنيفة خبزه مشوي ، وأنت تحتاج إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ، فتفقدي أبو حنيفة وسأل عني ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي ، فجلست ، فلما انصرف الناس دَفَع إليّ صرّة وقال : استمتع بها ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، فقال لي : الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني ، فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة سيرة دفع إليّ مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدني ، وما أعلمته بـخَلَّة قط ولا أخبرته بنفاد شيء ، وكأنّه كان يخبر بنفادها ، حتى استغنيت وتمولت .

ثم قال الخطيب^١ : وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلاً صغيراً ، وأن أمّه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ؛ ثم روى الخطيب أيضاً بإسناد متصل إلى علي بن الجعد قال : أخبرني أبو يوسف القاضي قال : توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمّي ، فأسلمتني إلى قصار أخدمه ، فكنت أدع القصار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع ، فكانت أمّي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب [بي] إلى القصار ، وكان أبو حنيفة يُعنى بي ، لما يرى من حضوري وحرصني على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة : ما لهذا الصبي فساد غيرك ، هذا صبي يتيم لا شيء له وإنّما أطعمه من مغزلي ، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه ، فقال لها أبو حنيفة : مرّي يارَ عَناء ، ها هو ذا يتعلم أكل الفالودج بدهن الفستق ، فانصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك . ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ، ورفعني حتى تقلدت القضاء ، وكنت أجالس الرشيد وأكل معه على مائدته ، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالودجة ، فقال لي : يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها ، فقلت : وما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه فالودجة بدهن الفستق ،

١ المصدر نفسه .

فضحكت ، فقال لي : مم ضحكك^١ ! فقلت : خيراً ، أبقى الله أمير المؤمنين ، قال : لتخبرني ، وألح عليّ ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ، فعجب من ذلك وقال : لعمرى إن العلم لينفع دنيا وديناً ، وترحم على أبي حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله مالا يراه بعين رأسه .

وحكى عليّ بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جده قال : كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنّه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى فحث بعض القواد في يمين ، فطلب فقيهاً يستفتيه ، فجيء بأبي يوسف ، فأفتاه أنّه لم يحث ، فوهب له دنائير وأخذ له داراً بالقرب منه . ودخل القائد يوماً على الرشيد فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمه فقال : شيء من أمر الدين قد حزني فاطلب فقيهاً كي أستفتيه ، فجاءه بأبي يوسف . قال أبو يوسف : فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً عليه أثر الملك ، وهو في حجرة محبوس ، فأومأ إليّ بأصبعه مستغيثاً فلم أفهم منه إرادته ، وأدخلت إلى الرشيد ، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده ؟ قلت : لا ، فحين . قلتها سجد الرشيد ، فوقع لي أنّه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إليّ بالاستغاثة هو الزاني . ثم قال الرشيد : من أين قلت هذا ؟ قلت : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ادروا الحدود بالشبهات » وهذه شبهة يسقط الحدّ معها ، قال : وأي شبهة مع المعاينة ؟ قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون بالعلم ، وليس لأحد أخذ حقّه بعلمه ، فسجد مرة أخرى ، وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار ، فما خرجت حتى جاءني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته ، وصار ذلك أصلاً للنعمة ، ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء .

قلت : وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنّه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء ، والله أعلم بالصواب .

١ تاريخ بغداد : مم ضحكت .

وقال طلحة بن محمد بن جعفر : أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل ، وهو صاحب أبي حنيفة ، وأفقه أهل عصره ، ولم يتقدمه أحد في زمانه ، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر ، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وأملى المسائل ونشرها ، وبثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض .

وقال عمار بن أبي مالك : ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف ، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ، ولكنه هو نشر قولهما وبثّ علمهما .

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة^١ : مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه ، فعاده أبو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال : إن يمّت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها ، وأوماً إلى الأرض .

وقال أبو يوسف : سألتني الأعمش عن مسألة ، فأجبتة فيها فقال لي : من أين لك هذا ؟ فقلت : من حديثك^٢ الذي حدثتناه أنت ، ثم ذكرت له الحديث ، فقال لي : يا يعقوب ، إنني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن .

وقال هلال بن يحيى : كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ، وكان أقل علومه الفقه ، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف^٣ .

وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب « الجليس والأنيس » عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : مضى أبو يوسف القاضي ليسمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره ، وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أياماً ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف ، من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال له أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملا أيما

١ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٤٦ .

٢ تاريخ بغداد : لحديثك .

٣ ولم يكن . . . يوسف : لم ترد هذه الجملة ضمن ما قاله هلال بن يحيى في تاريخ الخطيب .

كان أولاً وقعة بدر أو أحد؟ فإتلك لا تدري أيهما كان قبل الآخر، فأمسك عنه .
 وذكر في الكتاب المذكور أيضاً عن عليّ بن الجعد أن القاضي أبا يوسف
 كتب يوماً كتاباً ، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه ، ففطن له أبو يوسف ،
 فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له : هل وقفت على شيء من خطأ؟ فقال :
 لا والله ولا حرف واحد ، فقال له أبو يوسف : جزيت خيراً حيث كفيتمنا مؤونة
 قراءته ، ثم أنشد :

كأنته من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب

وقال حماد بن أبي حنيفة^١ : رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن
 يساره زُفَر ، وهما يتجادلان في مسألة ، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده
 زفر ، ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف ، إلى وقت الظهر ، فلما أذن
 المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زُفَر ، وقال : لا تطمع في رياسة
 ببلدة فيها أبو يوسف ، وقضى لأبي يوسف على زفر ، ولم يكن بعد أبي يوسف
 في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر .

وقال طاهر بن أحمد الزبيري^٢ : كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل
 الصمت ، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم ، فقال : بلى ، متى يفطر الصائم؟
 فقال : إذا غابت الشمس ، فقال : فإن لم تغب إلى نصف الليل ، فضحك أبو
 يوسف وقال : أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ، ثم تمثل :

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلماً
 وفي الصمت سترٌ للغبي وإتماً صحيفة لبّ المرء أن يتكلماً

ومن كلام أبي يوسف^٣ : صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة . وكان
 يقول : رؤوس النعم ثلاثة : فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ،

١ تاريخ بغداد : ٢٤٧ .

٢ المصدر السابق : ٢٤٨ .

٣ متابع للنقل عن المصدر السابق .

والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها .

وقال علي بن الجعد : سمعت أبا يوسف يقول : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض كنت على غرر . وكان أبو يوسف^١ راكباً وغلّامه يعدو وراءه ، فقال له رجل : أتستحل أن تُعَدِّيَ غلامك وراءك ؟ لم لا تركبه ؟ فقال له : أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكارياً ؟ قال : نعم ، قال أبو يوسف : فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكارياً .

وقال يحيى بن عبد الصمد^٢ : خوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف في بستانه^٣ ، وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك ، فقال الهادي للقاضي أبي يوسف : ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه ؟ فقال : خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق ، فقال له الهادي : وترى ذلك ؟ قال : فقد كان ابن أبي ليلى يراه ، فقال : اردد البستان عليه ؛ وإتّما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف^٤ .

وقال بشر بن الوليد الكندي ، قال لي القاضي أبو يوسف^٥ : بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً ، فأخذت علي إزارتي وخرجت ، فإذا هرثمة بن أعين ، فسلمت عليه ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقلت : يا أبا حاتم ، لي بك حرمة ، وهذا وقت كما ترى ، ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور ، فإن أمكنتك أن تدفع بذلك إلى غد فعله أن يحدث له رأي ، فقال : ما لي إلى ذلك سبيل ، قلت : كيف كان السبب ؟

١ تاريخ بغداد : ٢٤٩ .

٢ المصدر نفسه .

٣ ر والمختار : بستان .

٤ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به ؛ وهذا يقوي نقل من روى أنه تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء منهم الهادي ، كما تقدم ذكره ، والله أعلم » .

٥ تاريخ بغداد : ٢٥٠ .

قال : خرج إلي مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين ، فقلت : تأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط؟ فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأنِي وإن رزق الله العافية فلن يضرنِي ، فأذن لي ، فدخلت فلبست ثياباً جدداً ، وتطييت بما أمكن من الطيب ، ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشيد فإذا مسرور واقف ، فقال له هرثمة : قد جئت به ، فقلت لمسرور : يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي ، وهذا وقت ضيق ، فتدري لم طلبني أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، فقلت : فمن عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر ، قلت : ومن ؟ قال : ما عندهما ثالث ، ثم قال لي : مر ، فإذا صرت في الصحن فإنه في الرواق ، وهو ذاك جالس فحرّك رجلك بالأرض ، فإنه سيسألك فقل : أنا . قال أبو يوسف : فجئت ففعلت ذلك فقال : من هذا ، فقلت : يعقوب ، فقال : ادخل ، فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فسلمت فرد السلام علي وقال : أظننا روّعناك ؟ فقلت : إي والله وكذلك من خلفي ، فقال : اجلس ، فجلست حتى سكن روّعي ، ثم التفت إليّ وقال : يا يعقوب ، تدري لم دعوتك ؟ قلت : لا ، قال : دعوتك لأشهدك على هذا ان عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع ، وسألته أن يبيعها فأبى ، والله لئن لم يفعل لأقتلنه ، قال أبو يوسف : فالتفتُ إلى عيسى فقلت له : وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة ؟ قال فقال لي : عجلت علي في القول قبل أن تعرف ما عندي ، قلت : وما في هذا من الجواب ؟ قال : إن عليّ يميناً بالطلاق والعناق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها ، فالتفت إليّ الرشيد فقال : هل له في ذلك من مخرج^٢ ؟ قلت نعم ، قال : وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ويبيعك نصفها ، فيكون لم يهب ولم يبيع ، فقال عيسى : ويجوز ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فأشهدك أنني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار ، فقال له الرشيد : قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ، ثم طلب منه الجارية^٣ ، فأتي بالجارية وبالمال ، فقال : خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، فقال الرشيد : يا يعقوب

١ ر : وإن يكن رزق . ٢ المختار : فرج .

٣ فقال له الرشيد . . . الجارية ، سقط من المسودة .

بقيت واحدة ، فقلت : وما هي ؟ فقال : هي مملوكة ولا بد أن تستبرأ ، والله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إنني أظن أن نفسي ستخرج ، فقلت : يا أمير المؤمنين تعتقها وتزوجها ، فإن الحرة لا تستبرأ ، قال : فإنني قد أعتقتها فمن يزوجنيها ؟ فقلت : أنا ، فدعا بمسرور وحسين ، فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته إياها على عشرين ألف دينار ، ودعا بالمال فدفعه إليها ، ثم قال لي : يا يعقوب انصرف ، ورفع رأسه إلى مسرور فقال : يا مسرور ، فقال : لبيك ، فقال : احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين نخلاً ثياباً ، فحمل ذلك معي . قال بشر بن الوليد : فالتفت إليّ أبو يوسف وقال : هل رأيت بأساً فيما فعلت ؟ فقلت : لا ، فقال : خذ حقلك منها ، قلت : وما حقي ؟ فقال : العشر ، قال بشر : فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم ، فإذا بعجوز قد دخلت فقالت : يا أبا يوسف إن بنتك تقرئك السلام وتقول لك : والله ما وصل إلي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته ، وقد حملت إليك النصف منه وخلفت الباقي لما أحتاج إليه ، فقال : رديه فوالله لا قبلتها ؛ أخرجتها من الرق وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا ! قال بشر : فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها ، وأمر لي منها بألف دينار .

وقال أبو عبد الله اليوسفي^١ : إن أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف : ما ترى في كذا ، وأحب الأشياء إليّ أن يكون الحق فيه كذا ، فأفتاها بما أحببت ، فبعثت إليه بحق فضة فيه حقائق فضة مطبقات ، في كل واحد لون من الطيب ، وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير ، فقال له جليس له ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ، فقال أبو يوسف : ذلك حين كانت الهدايا اللبن والتمر .

وقال يحيى بن معين^٢ : كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم ، فوافته هدية أم جعفر احتوت على نخوت ديبقي ومُصمّتٍ وشرب وطيب وتمائيل ند وغير ذلك ، فذاكرني رجل بحديث

١ تاريخ بغداد : ٢٥٢ .

٢ المصدر نفسه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها ، فسمعه أبو يوسف فقال : أبي تعرض ؟ ذلك إنما قاله النبي صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الأقط والتمر والزبيب ، ولم تكن الهدايا ما ترون ، يا غلام أشيل إلى الخزائن .

ونقلت من كتاب اسمه « الليف » ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال : كان عبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر قاضياً على المبارك - قلت : وهي بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعده الألف راء مفتوحة وبعدها كاف ، وهي بليدة بين بغداد وواسط على شاطئ دجلة - قال : فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحرقاة ، فقال عبد الرحمن القاضي لأهل المبارك : أثنوا عليّ عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف ، فأبوا عليه ذلك ، فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلساناً أسود ، وجاء إلى الشريعة ، فلما أقبلت الحرقاة رفع صوته وقال : يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضينا ، قاضي صدق ، ثم مضى إلى شريعة أخرى فقال مثل مقالته الأولى ، فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال : يا يعقوب هذا شرٌّ قاض في الأرض . قاض في موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد ! فقال له أبو يوسف : وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثني على نفسه ، قال : فضحك هارون وقال : هذا أظرف الناس ، هذا لا يعزل أبداً ، وكان الرشيد إذا ذكره يقول : هذا لا يعزل أبداً . وقيل لأبي يوسف : أتولي مثل هذا القضاء ؟ فقال : إنه أقام ببابي مدة وشكاً إليّ الحاجة فوليته .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، صاحب كتاب « الفصيح » : أخبرني بعض أصحابنا قال ؛ قال الرشيد لأبي يوسف : بلغني أنك تقول : إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره ، فتبسم الرشيد وقال : صدقت .

وقال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول :

اللهم إنك تعلم أنني لم أجُرُّ في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمداً ،
ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل
ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممن يعرف
أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه .

قلت : وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد رؤيَ يمسح على خفيه ، فقيل له :
تمسح ؟ قال : نعم ، قد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن جعل عمر
بينه وبين الله فقد استوثق ، ذكر هذا ابن قتيبة في كتاب « المعارف » في ترجمة
علي رضي الله عنه ^١ .

وأخبار أبي يوسف كثيرة ، وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه .
وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظاً عن عبد الله بن المبارك
وكيع بن الجراح ويزيد بن هارون ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسن
الدارقطني وغيرهم ، ينبو السمع عنها ، فتركت ذكرها ، والله أعلم بحاله .
وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة . وتوفي يوم
الخميس أول وقت الظهر لحمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين
ومائة ببغداد . وقيل إنّه توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة ، والأول أصح . وولي
القضاء سنة ست وستين ومائة ، ومات وهو على القضاء ، رحمه الله تعالى .

(348) وأما ولده يوسف ^٢ ، فإنّه كان قد نظر في الرأي وفقّه وسمع
الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما . وولي
القضاء بالخانبة الغربي من بغداد في حياة أبيه ، وصلى بالناس الجمعة في مدينة
المنصور بأمر هارون الرشيد ، ولم يزل على القضاء إلى أن مات في رجب سنة
اثنتين وتسعين ومائة ببغداد .

وذكر الخطيب البغدادي أن أبا يوسف القاضي لما مات ولّى الرشيد مكانه

١ قلت وهذا الكلام . . . عنه : سقط من رس وهو ثابت في المسودة والمختار ونسختي ق ع .

٢ انظر ترجمة يوسف في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٦ .

أبا البخترى وهب بن وهب القرشي؛ قلت : وقد تقدم ذكره في حرف الواو^١ .
وكان أبو يعقوب الحريمي الشاعر المشهور صديقاً لأبي يوسف ولابنه يوسف ،
فلما توفي أبو يوسف سمع الحريمي رجلاً يقول : اليوم مات الفقه ، فأنشد
الحريمي^٢ :

يا ناعيَ الفقهِ إلى أهلهِ أن ماتَ يعقوبُ ولا يدري
لم يمتِ الفقهُ ولكنهُ حوّلَ من صدرِ إلى صدرِ
ألقاه يعقوبُ إلى يوسفٍ فزال من طيبٍ إلى طهرِ
فهو مقيمٌ فإذا ما ثوى حلَّ وحلَّ الفقه في قبرِ

رحمهما الله تعالى .

وخنيس : بضم الحاء المعجمة ، تصغير أخنس ، وهو الذي تأخر أنفه
عن وجهه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، فالرجل أخنس والمرأة خنساء ، وهذا
التصغير يسمى تصغير ترخيم ، وحقيقته أن تحذف منه الحروف الزوائد ، ويصغر
الباقى . كما قالوا : أزهر وزهير ، وأسود وسويد ، وأحمد وحמיד ، وغير
ذلك .

وحبته : بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من
فوقها ثم هاء ساكنة ، وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة مواضع من كتب
اللغة وغيرها فلم أجده .

وبحير : بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجميم
المفتوحة ، والأول أصح ؛ والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه .

(349) وسعد بن حبة من جملة من استصغر يوم أحد هو والبراء بن
عازب وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم ، فردهم النبي صلى الله عليه وسلم ،
ورآه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالاً شديداً مع حداثة

١ انظر هذا الجزء ص : ٣٧ .

٢ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٧ .

سنه ، فدعاه وقال له : من أنت ؟ فقال : سعد بن حبة ، فقال : أسعد الله جدك ، ومسح على رأسه ، رضي الله عنه .
 وخنيس هو صاحب جِهارسُوجِ خُنيس بالكوفة ، وهو لفظ عجمي تفسيره بالعربي أربع طرق ، لأن هذا المكان رحبة مربعة تفترق إلى أربع جهات ، والله تعالى أعلم .

٨٢٥

يعقوب الحضرمي

أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بالولاء ، البصري المقرئ المشهور ، وهو أحد القراء العشرة ، وهو المقرئ الثامن ، وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه ، وهو من أهل بيت العلم بالقراءات والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقهاء ، وكان من أقرئ القراء ، وأخذ عنه عامة حروف القرآن مسنداً وغير مسند من قراءة الحرَميين والعراقيين وأهل الشام وغيرهم ، وأخذ هو القراءة عَرَضاً عن سلام بن سليمان الطويل ومهدي بن ميمون وأبي الأشهب العطاردي وغيرهم . وروى عن حمزة حروفاً ، وسمع الحروف من أبي الحسن الكسائي ، وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة . وأما إسناده في القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قرأ على سلام المذكور ، وقرأ سلام على عاصم بن أبي النجود ، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقرأ علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى القراءة عن

٨٢٥ - ترجمته في غاية النهاية ٢ : ٣٨٦ وطبقات الزبيدي : ٥١ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٥٢ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٧٩ وبنية الوعاة : ٤١٨ ونور القيس : ١٧٨ وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٠٤ وعبر الذهبي ١ : ٣٤٨ والشذرات ٢ : ١٤ وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٨٢ .

يعقوب المذكور عرضاً جماعة : منهم رَوْح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل وأبو حاتم السجستاني وغيرهم ، وسمع منه الزعفراني ، واقتدى به في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو بن العلاء . فهم أو أكثرهم على مذهبه ، وكان طاهر بن عبد المنعم بن غلبون إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب . وقال أبو الحسين ابن المنادي : قرأ يعقوب على أبي عمرو ، وغلط في ذلك ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال : صدوق ؛ وسئل أبو حاتم الرازي عنه فقال : صدوق . وقال أبو حاتم السجستاني : كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن الكريم وتعليقه ومذاهبه ومذاهب النحو في القرآن الكريم .

وله كتاب سماه « الجامع » جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ، ونسب كل حرف إلى مَنْ قرأ به . وبالجملة فإنه كان إمام أهل البصرة في عصره في القراءات ، وكان يأخذ أصحابه بعدد آي القرآن العزيز ، فإذا أخطأ أحدهم في العدد أقامه .

وتوفي يعقوب المذكور في ذي الحجة ، وقيل في جمادى الأولى ، سنة خمس ومائتين ، وهو الأصح . وعاش هو وأبوه إسحاق وجدّه زيد ، كل واحد منهم ثمانياً وثمانين سنة رحمهم الله أجمعين .

(350) وأما جدّ أبيه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي^١ فإنه كان من الأئمة الأعلام المشار إليه في علومهم .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الأقرن ثم عنيسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي . وقد جاء في رواية أخرى أن عنيسة قبل ميمون ، والله أعلم بالصواب . وكان في زمان عبد الله بن أبي إسحاق عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، ومات عبد الله قبلهما .

١ ترجمة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي في انباه الرواة ٢ : ١٠٤ وفي الحاشية ذكر لعدد وافر من مصادر ترجمته .

وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب «المقتبس في أخبار النحويين» أن
المبرد قال : أجمعت العلماء باللغة أن أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي
وأنته لقن ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم أخذ النحو عن أبي
الأسود عنبسة بن معّدان المهري^١ ، وأخذه عنه ميمون الأقرن ، وأخذه عنه
عبد الله الحضرمي ، وأخذه عنه عيسى بن عمر ، وأخذه عنه الخليل بن أحمد ،
وأخذه عنه سيبويه ، وأخذه عنه الأخفش .

وكان بلال بن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قد جمع
بين عبد الله وأبي عمرو بن العلاء ، وبلال يومئذ متولي البصرة ، قال أبو عمرو :
فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه .
وكان عبد الله كثيراً ما يأخذ على الفرزدق الغلط في شعره ، فقال الفرزدق :
والله لأهجونهُ بيت يسير بين أهل الأدب ويمثلون به ، فعمل :
فلو كان عبدُ الله مولى هجوته^٢ ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا^٢

وإنّما قال الفرزدق ذلك لأن عبد الله مولى الحضرميين ، وهم حلفاء بني
عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى ، ولهم على ذلك شواهد ،
ولولا خوف الإطالة لذكرت طرفاً من ذلك ، لكن ليس هذا موضع ذكره .

١ في نور القبس : ٢٣ أنه ادعى إلى مهرة بن حيدان ؛ وفي المختار : المهري .

٢ المختار : المواليا .

أبو عوانة الحافظ

أبو عَوَانة يَعقوب بن إِسحاق بن إِبراهيم بن يزيد النيسابوري ثم الإسفرايني ، الحافظ ، صاحب المسند الصحيح المخرَج على كتاب مسلم بن الحجاج ؛ كان أبو عَوَانة أحد الحفاظ الجوالين والمحدثين المكثرين ، طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن وأصبهان والري وفارس .

قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في «تاريخ دمشق» : : سمع أبو عَوَانة بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد وإسماعيل بن محمد بن قيراط وشعيب بن شعيب بن إِسحاق وغيرهم ؛ وبمصر يونس بن عبد الأعلى وابن أخي ابن وهب والمزني والربيع ، ومحمداً وسعداً ابني عبد الحكم ، وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفراني وعمر بن شبة وغيرهم ؛ وبخراسان محمد ابن يحيى الذهلي ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجاء السندي وغيرهم ؛ وبالجزيرة عليّ بن حرب وغيره . روى عنه أبو بكر الإسماعيلي وأحمد بن علي الرازي وأبو علي الحسين بن علي وأبو أحمد ابن علي وسليمان الطبراني ومحمد بن يعقوب ابن إسماعيل الحُفَاط وأبو الوليد الفقيه وابنه أبو مصعب محمد بن أبي عوانة .

وحج خمس مرات . وقال : كنت بالمصيصة ، فكتب إليّ أخي محمد بن إِسحاق ، فكان في كتابه :

فإن نحنُ التقينا قبلَ مَوْتِ شفيْنَا النفسَ من مَضَضِ العتابِ
وإن سبقتُ بنا أيدي المنايا فكم من عاتبٍ تحت الترابِ

وقال أبو عبد الله الحاكم : أبو عوانة من علماء الحديث وأئمتهم ، ومن

٨٢٦ - ترجمته في تذكرة الحفاظ : ٧٧٩ ومرآة الجنان ٢ : ٢٦٩ وطبقات السبكي ٢ : ٣٢١

وعبر الذهبي ٢ : ١٦٥ والشذرات ٢ : ٢٧٤ .

الرحالة في أقطار الأرض لطلب الحديث . توفي سنة ست عشرة وثلثمائة .

وقال حمزه بن يوسف السهمي : روى بجران سنة اثنتين وتسعين ومائتين .
قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله
محمد بن محمد بن عمر ابن الصفار الإسفرائيني قال : قبر أبي عوانة بإسفرايين^١
مزار العالم ، ومتبرك الخلق ، ويجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك
ابن الحسن الأزهري الإسفرائيني في مشهد واحد داخل المدينة ، على يسار الداخل
من باب نيسابور من إسفرايين^١ ، وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي
إسحاق الإسفرائيني على يمين الداخل من باب نيسابور ، ويجنب قبره قبر الأستاذ أبي
منصور البغدادي الإمام الفقيه المتكلم صاحبه ، صاحب بالجنب حياً وميتاً ،
المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين . سمعت جدي الإمام عمر ابن الصفار ،
رحمه الله تعالى ، ونظر إلى القبور حول قبر الإمام الأستاذ أبي إسحاق ، وأشار
إلى المشهد وخارج المشهد وقال : قد قيل هاهنا من الأئمة والفقهاء على مذهب
الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، أربعون إماماً ، كل واحد منهم لو
تصرف في المذهب وأفتى برأيه واجتهاده - يعني على مذهب الشافعي - لكان
حقيقاً بذلك ، والعوام يتقربون إلى مشهد الأستاذ أبي إسحاق أكثر مما يتقربون
إلى أبي عوانة ، وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدث أبي عوانة لبعده
العهد بوفاته ، وقرب العهد بوفاة الأستاذ أبي إسحاق ، وأبو عوانة هو الذي
أظهر لهم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بإسفرايين^١ بعد ما رجع عن مصر
وأخذ العلم عن أبي إبراهيم المزني رحمه الله تعالى ؛ وكان جدي إذا وصل إلى
مشهد الأستاذ رأته لا يدخله احتراماً ، بل كان يقبل عتبة المشهد وهي مرتفعة
بدرجات ، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم
عظيم الهيبة ، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيماً له وإجلالاً^١
وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك ، رحمهم الله تعالى أجمعين .
وعوانة : بفتح العين المهملة وبعد الألف نون .
وقد تقدم الكلام على النيسابوري والإسفرائيني فلا حاجة إلى الإعادة .

١ أثبت اليامين في هذا الموضوع في المسودة .

ابن السكيت

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، المعروف بابن السكيت ، صاحب كتاب «إصلاح المنطق» وغيره ؛ ذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» فقال: حكى عن أبي عمرو إسحاق بن مِرَار الشيباني ومحمد بن مُهَنَّأ ومحمد بن صُبْحُح ابن السماك الواعظ ؛ حكى عنه أحمد بن فرح المقرئ ومحمد بن عجلان الأخباري وأبو عكرمة الضبي وأبو سعيد السكري وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم . وكان يؤدب أولاد المتوكل . وقال ، قال محمد ابن السماك : مَنْ عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم ورأس المداراة ترك المماراة . وروى ابن السكيت أيضاً عن الأصمعي وأبي عبيدة والفرّاء وجماعة غيرهم .

وكتبه جيدة صحيحة منها : «إصلاح المنطق» وكتاب «الألفاظ» وكتاب في «معاني الشعر» وكتاب «القلب والإبدال» ولم يكن له نفاذ في علم النحو ، وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب مَنْ يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال أحمد بن عبيد^٢ : شاورني ابن السكيت في منادمة المتوكل فنهيته ، فحمل قولني على الحسد ، وأجاب إلى ما دُعي إليه من المنادمة ، فبينما هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد ، فقال المتوكل : يا يعقوب أيما أحب إليك ،

٨٢٧ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٣ والفهرست : ٧٢ ونزهة الألبا : ١٢٢ ومراتب النحويين : ٩٥ وطبقات الزبيدي : ٢٢١ وبنية الوعاة : ٤١٨ ونور القيس : ٣١٩ وقد نشرت عنه دراسة لمحبي الدين توفيق إبراهيم (بغداد : ١٩٦٩) .

١ قد أثبتناه في ترجمته «محمد بن صبيح» اعتماداً على النسخ والمصادر المختلفة ، وهو هنا بخط المؤلف «صبح» إلا أن صورة الياء مرسومة دون إعجام ؛ ولذلك اضطربت فيه النسخ بين صبح وصبيح .

٢ انظر الزبيدي : ٢٢١ .

ابناني هذان أم الحسن والحسين ؟ فغضب ابن السكيت من ابنه وذكر من الحسن والحسين رضي الله عنهما ما هما أهله ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، فحمل إلى داره ، فمات بعد غد ذلك اليوم ، وكان ذلك في سنة أربع وأربعين ومائتين . وقال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان نهي يعقوب عن اتصاله بالمتوكل :

نبيتك يا يعقوب عن قرب شادن إذا ماسطأ أربى على كل ضيغم^١
فدق واحس ما استحسبته لا أقول إذ عثرت : لعمرا ، بل : لليدين وللقيم

وحكي أن الفراء سأل السكيت عن نسبه فقال : خوزي أصلحك الله من دَوْرَق - قلت : بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف ، وهي بليدة من أعمال خوزستان ، قال : من كور الأهواز - قلت : والأهواز من خوزستان أيضاً - قال : فبقي الفراء أربعين يوماً في بيته لا يظهر لأحد من أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : سبحان الله ، أستحي أن أرى السكيت ، لأنني سألته عن نسبه فصدقني ، وفيه بعض القبح .

قال أبو الحسن الطوسي : كنا في مجلس أبي الحسن علي اللحياني ، وكان عازماً على أن يملي نوادره ضعف ما أملى ، فقال يوماً : تقول العرب « مثقل استعان بذقنه » فقام إليه ابن السكيت وهو حدث فقال : يا أبا الحسن إنما هو « مثقل استعان بدقيه » يريدون الحمل إذا نهض بحمله استعان بجنبه ، فقطع الإملاء . فلما كان المجلس الثاني أملى فقال : تقول العرب « وهو جاري مكاشري » فقام له ابن السكيت فقال : أعزك الله وما معنى مكاشري ؟ إنما هو « هو مكاشري ، كسر بيتي إلى كسر بيته » ، قال : فقطع اللحياني الإملاء فما أملى بعد ذلك شيئاً .

وقال أبو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق .

وقال أحمد بن محمد بن أبي شداد : شكوت إلى ابن السكيت ضائقة فقال : هل قلت شيئاً ؟ قلت : لا ، قال : فأقول أنا ، ثم أنشدني :

١ بهامش المسودة : خ : أم قشعم ؛ وكذلك كتب في س وفي طبقات الزبيدي .

نفسى ترومُ أموراً لستُ مدرِكها ما دمتُ أحمز ما يأتي به القدرُ
ليس ارتحالكَ في كسب الغنى سفراً لكن مقامك في ضرّ هو السفر

وقال ابن السكيت : كتب رجل إلى صديق له : قد عرضت لي قبلك حاجة ، فإن نجحت فالقاني منها حظي والباقي حظك ، وإن تعذرت فالخير مظلون بك ، والعذر مُقدّم لك^١ ، والسلام .
ونقل من خطه ما مثاله : عرض سلّمانُ بن ربيعة الباهلي الخليل ، فمرّ عمرو بن معدي كرب الزبيدي على فرس له ، فقال سلمان : هو هجين ، فقال عمرو : هجين ، فقال عمرو : بل هو عتيق ، فقال سلمان : هو هجين ، فقال عمرو : هو عتيق ، فأمر سلمان فعطّش ، ثم دعا بطست فيه ماء ، ودعا بخيل عتاق فشربت ، وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب ، وهذا صنيع الهجين ، فقال له سلمان : أترى^١ ؟ فقال عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين ، فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب إلى عمرو : قد بلغني ما قلت لأميرك ، وبلغني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة ، وعندني سيف أسميه مصمماً ، وإيم الله لئن وضعتُه على هامتك لا أقلع حتى أبلغَ به رهابتك ، فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ، والسلام .

الرهابة : على وزن السحابة ، عَظُم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان ، والله أعلم .

وقال أبو عثمان المازني^٢ : اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فقال محمد بن عبد الملك : سل أبا يوسف عن مسألة ، فكرهت ذلك وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة أن أوحشه لأنّه كان لي صديقاً ، فألح علي محمد بن عبد الملك وقال : لم لا تسأله ؟ فاجتهدت في اختيار مسألة سهلة لأقارب يعقوب ، فقلت له : ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ ۚ

١ المختار : مههد لك .

٢ المختار : أما ترى .

٣ طبقات الزبيدي : ٢٢٢ .

مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ ﴿ (يوسف : ٦٣) فقال لي : نفعل ، قلت : ينبغي أن يكون ماضيه كتل ، فقال : لا ، ليس هذا وزنه وإنما هو نفتعل ، فقلت له : نفتعل كم حرف هو ؟ قال : خمسة أحرف ، قلت : فنكتل كم حرفاً هو ؟ قال : أربعة أحرف ، فقلت : أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف ؟ فانقطع وخجل وسكت ، فقال محمد بن عبد الملك : فإنما تأخذ كل شهر ألفي درهم على أنك لا تحسن وزن نكتل ؟ ! قال : فلما خرجنا قال لي يعقوب : يا أبا عثمان هل تدري ما صنعت ؟ فقلت له : والله لقد قاربتك جهدي ، وما لي في هذا ذنب .

قلت : وذكر أبو الحسن ابن سيده هذه الحكاية في أول خطبة كتابه « المحكم في اللغة » لكنه قال : إن ذلك كان بين يدي المتوكل ، والله أعلم .

وقال غير ابن عساكر : كان يعقوب بن السكيت يؤدّب مع أبيه بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة ، حتى احتاج إلى الكسب ، فجعل يتعلم النحو . وحكى عن أبيه أنه كان قد حج فطاف بالبيت وسعى وسأل الله تعالى أن يعلم ابنه النحو فتعلم النحو واللغة ، وجعل يختلف إلى قوم من أهل القنطرة فأجروا له كل دفعة عشرة دراهم وأكثر حتى اختلف إلى بشر وهارون ابني هارون ، أخوين كانا يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، فما زال يختلف إليهما وإلى أولادهما دهرأ ، فاحتاج ابن طاهر إلى رجل يعلم أولاده ، وجعل ولده في حجر إبراهيم بن إسحاق المصعبي ، فرتب يعقوب وجعل له رزقاً خمسمائة درهم ، ثم جعلها ألف درهم .

وقال أبو العباس ثعلب : كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم ، وكان أبوه رجلاً صالحاً ، وكان من أصحاب أبي الحسن الكسائي حسن المعرفة بالعربية . وكان سبب^٢ قعود يعقوب للناس وقصدهم إياه أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجرده فقلت : ادفعه لي لأنسخه فقال : يا أبا العباس ، حلفت بالطلاق

١ من عادة المؤلف أن يحيل على التراجم ، وقد وردت ترجمة محمد بن عبد الله بن طاهر في النسخة

مج (انظر ج ٥ : ٩٢) ولم يشر إليها ، أتراها من الزيادات الموضوععة عليه ؟

٢ قارن بما عند الزبيدي : ٢٢٣

أنه لا يخرج من يدي ، ولكنه بين يديك فانسخه ، واحضر يوم الخميس ، فلما وصلت إليه عُرِفَ بي ، فحضر بحضوري^١ قوم ، ثم انتشر ذلك فحضر الناس . وقال ثعلب أيضاً : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت ، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله ، فلما جلس عنده قال له : بأي شيء يجب الأمير أن نبدأ - يريد من العلوم - فقال المعتز : بالانصراف ، قال يعقوب : فأقوم ، قال المعتز : فأنا أخف نهوضاً منك ، وقام فاستعجل فعثر بسرأويله فسقط ، والتفت إلى يعقوب خجلاً وقد احمرَّ وجهه ، فأنشد يعقوب :

يصابُ الفتى من عثرة بلسانه وليس يصابُ المرءُ من عثرة الرجلِ
فعرثته في القول تُذهبُ رأسه وعرثته بالرجل تَبْرأُ في^٢ مهلِ

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فأخبره بما جرى ، فأمر له بخمسين ألف درهم وقال : قد بلغني البيتان . وكان يعقوب يقول : أنا أعلم من أبي بالنحو ، وأبي أعلم مني بالشعر واللغة . وقال الحسين بن عبد المجيب الموصلي : سمعت ابن السكيت يقول في مجلس أبي بكر بن أبي شيبة :

ومن الناس من يحبُّك حباً ظاهرَ الحبِّ ليس بالتقصير
فإذا ما سألتَهُ عَشْرَ فلسِ ألحقَ الحبَّ باللطيف الخبير

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تتقُّ النفسُ به ، فمن ذلك قوله :

إذا اشتملتُ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطننتِ المكارهُ واستقرت وأرستُ في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرِّ وجهاً ولا أغنى بجيلته الأريبُ

١ ر : لحضوري .

٢ ق : تبرأ على .

أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمنّ به اللطيف المستجيب
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فموصولٌ بها فرَجٌ قريب

وكان العلماء يقولون : «إصلاح المنطق» كتاب بلا خطبة ، و«أدب الكاتب» تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب ، لأنه طول الخطبة وأودعها فوائد . وقال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل «إصلاح المنطق» ، ولا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، ولا نعرف في حجمه مثله في بابهِ ، وقد عني به جماعة ، فاختصره الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي - المقدم ذكره^١ - وهذبه الخطيب أبو زكريا التبريزي ، وتكلم على الأبيات المودعة فيه ابن السيرافي ، وهو كتاب مفيد . ولابن السكيت من التصانيف أيضاً كتاب «الزبرج» وكتاب «الألفاظ» وكتاب «الأمثال» وكتاب «المقصود والممدود» وكتاب «المذكر والمؤنث» وكتاب «الأجناس» وهو كبير ، وكتاب «الفرق» وكتاب «السرّج واللجام» وكتاب «فعلّ وأفعل» وكتاب «الحشرات» وكتاب «الأصوات» وكتاب «الأضداد» وكتاب «الشجر والنبات» (وكتاب «الوحوش» وكتاب «الإبل» وكتاب «النوادر» وكتاب «معاني الشعر الكبير» وكتاب «معاني الشعر الصغير» وكتاب «سركات الشعراء»^٢ وما اتفقوا عليه » وغير ذلك من الكتب ، ومع شهرته لا حاجة إلى الإطالة في ذكر فضله .

وقد روي في قتله غير ما ذكرته أولاً ، فقليل إن المتوكل كان كثير التحامل على علي بن أبي طالب وابه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين - وقد تقدم في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام أبيات تدل على هذا أيضاً^٣ - وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم والتوالي لهم ، فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت : والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير

١ انظر ج ٢ : ١٧٢ .

٢ في ق والمسودة : سركات الشعر .

٣ انظر ج ٣ : ٣٦٥ .

منك ومن ابنك ، فقال المتوكل : سلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك به فمات ، وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل سنة ست وأربعين ، وقيل سنة ثلاث وأربعين ، والله أعلم بالصواب . وبلغ عمره ثمانياً وخمسين سنة ، ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال : هذه ديةٌ والدك ، رحمه الله تعالى .

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس النحوي : كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت مُزاحاً ثم صار جدّاً ؛ وقيل إن المتوكل أمره أن يشتم رجلاً من قریش وأن ينال منه فلم يفعل ، فأمر القرشي أن ينال منه ، فأجابه ابن السكيت ، فقال له المتوكل : أمرتك فلم تفعل ، فلما شتمك فعلت ، وأمر به فضرب وحمل من عنده وقيداً صريعاً ، والله أعلم أي ذلك كان . - وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن عبد العزيز وأيهما أفضل ١ - .

والسكيت : بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم تاء مثناة من فوقها ، وعرف بذلك لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت . وكل ما كان على وزن فعيل أو فعليل فإنه مكسور الأول .
وقوله : خوزي بضم ، الخاء المعجمة وبعده الواو زاي ، هذه النسبة إلى خوزستان ، وهو إقليم بين البصرة وبلاد فارس .

يعقوب الصفار

أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي ؛ قد أكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد ، وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع ، وقد اخترت من ذلك ما أودعته في هذه الأوراق فأقول :

قال أبو عبد الله بن محمد الأزهر الأخباري : حدثني علي بن محمد . وكان عالماً بأمور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربه ، وأول أمره أنه وأخاه عمراً كانا صفارين في حدائتهما . وكانا يظهران الزهد . وأن رجلاً من أهل سجستان كان مشهوراً بالبطوع^١ في قتال الخوارج ، يقال له صالح بن النصر الكتاني المطوعي^٢ من أهل بست . فصحباة وحظيا به . فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشُّرأة أخا يعقوب المذكور . وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة . ثم هلك صالح فتولى مكانه درهم بن الحسين^٣ من المطوعة أيضاً ، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح . ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به . فحمل إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان ، ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد ، حتى غلظ أمر يعقوب . وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير في

٨٢٨ - هذه الترجمة لم ترد في القسم الموجود من المسودة ولم ترد في النسخ س بر من . ووردت في ر بعد ترجمة يعقوب بن داود ، وهي كاملة في ق ع . ومنها في المختار مقتطفات ؛ وأخبار يعقوب الصفار في الكتب التاريخية أمثال الطبري وابن الأثير والمسعودي وابن خلدون والنجوم الزاهرة ٣ : ٤٠ . ومراة الجنان ٢ : ١٨٠ وصورة الأرض : ٣٥٣ .

١ زاد في ع : والزهد .

٢ ع : المطوعي ، وكذلك ترد « المتطوعة » أيضاً في النسخ ، وأحياناً « المطوعة » في ر .

٣ وردت « الحسن » في ابن الأثير والنسخة ر ومواضع من ق ع .

تاريخه^١ في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور، فقال : في هذه السنة تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث ، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أمير خراسان ، واستنقذها منه ، ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من المطوعة فغلب عليها ، وكان غير ضابط لأمر عسكريه ، وكان يعقوب بن الليث قائد عسكريه ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث ، وملكوه أمرهم ، لما رأوا من تديره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم ، فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه ، واعتزل عنه ، فاستبدت يعقوب بالأمر وضبط البلاد وقويت شوكته ، وقصدته العساكر من كل ناحية، فصار من أمره ما سنذكره .

رجعنا إلى تمام ما ذكره علي بن محمد بن أحمد^٢ :

قال : فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة ، وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى أفنأهم وأخرب ضياعهم ، وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحداً كان قبله . ثم اشتدت شوكته وزادت صولته^٣ ، فغلب على سجستان وهرة وبوشنج وما والاها . وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل ، ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري ، فحرضه أهل سجستان على قتالهم ، وأعلموه أنهم أضرّ من الشراة الخوارج وأوجب محاربة ، فغزا الترك فقتل رتبيل ملكهم . وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل ، ويسمى كل ملك لهم رتبيل ، وانصرف يعقوب إلى سجستان . وقد حمل رؤوسهم مع رؤوس ألوف منهم ، فرهبته الملوك الذين حوله ، منهم ملك المولتان وملك

١ ابن الأثير ٧ : ٦٤ .

٢ ابن أحمد : سقطت من ق .

٣ ع ق : ثم اشتدت صولته .

الرخيخ وملك الطبيين وملك زابلستان ، وملك السند ومكران وغيرهم ، وأذعنوا له . وكان قصده هـرارة وبوشنج في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وأمير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، وعامله عليها محمد بن أوس الأنباري ، فخرج لمحاربتة في تعبئة وبأس شديد وزى جميل ، فحاربه وأحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب ، فحال بينه وبين دخول المدينة ، وهي بوشنج ، وانحاز ابن أوس منهزماً ، فليل إنّه لم يقاتله أحد أحسن موافقته^٢ كما أحسنها ابن أوس ، ودخل يعقوب بوشنج وهرة ، وصارت المدينتان في يده ، وظفر بجماعة من الطاهرية ، وهم المنسوبون إلى طاهر بن الحسين الخزاعي ، فحملهم إلى سجستان ، حتى وجه المعتز بالله الخليفة إليه المعروف بابن بلعم ، وهو رجل من الشيعة ، برسالة وكتاب ، فأطلقهم .

قال ابن الأزره الأخباري المذكور : حدثني محمد بن عبد الله بن مهران ، قال : حدثني ابن بلعم المذكور قال : صرت إليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله إلى زرنج - قلت : وهي بفتح الزاي والراء وسكون النون وبعدها جيم ، وهي كرسي بلاد سجستان - قال ابن بلعم : فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت^٣ ولم أسلم عليه ، وجلست بين يديه من غير أمره ، ودفعت الكتاب إليه فلما أخذه قلت له : قبّل كتاب أمير المؤمنين فلم يقبله ، وفضه ، فتراجعت القهقري إلى باب مجلسه الذي كان فيه ثم قلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ، فأعجبه ذلك ، وأحسن مشوّاي ووصلني ، وأطلق الطاهرية^٤ .

وقال ابن بلعم المذكور أيضاً : دخلت على يعقوب الصفار يوماً فقال لي : ينبغي أن يجيئنا رجل من ناحية فارس مستأمن ، ومعه ثلاثة أنفس أو أربعة ، بل هو تمام الخمسة ، قال : فأنكرت هذا منه ، وأمسك ، فما علمت إلا وحاجبه قد دخل فسلم ، وقال : أيها الأمير ، بالباب رجل مستأمن ومعه أربعة أنفس ،

١ ع ق : وملوك .

٢ رق : موافقته .

٣ المختار : فدخلت عليه .

٤ المختار : وأطلق الذين جئت بسبهم .

فقال : أدخله ، فدخل وسلم وقال : أيها الأمير ، معي أربعة أنفس ، فأذن لهم فدخلوا عليه ، فالتفتُ إلى الحاجب وقلت : قد أخذتم في المخاريق ، فحلف لي أيماناً مغلظة أنهم جاؤوا بغتة ما علم بهم أحد من الناس ، وسألت يعقوب بعد ذلك ، وقلت له : أيها الأمير ، لقد رأيت منك عجباً في أمر المستأمنة فكيف علمت بهم ؟ فقال : أخبرك أنني فكرت في أمر فارس ، ورأيت غراباً واقفاً بإزاء طريقها^١ واختلجت إحدى أصابع رجلي ، ثم تبع بعضها بعضاً ، فعلمت أنه عضو غير شريف ، وأنه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة ، أو رسل ليسوا بأجلة ، فكانوا هؤلاء .

وقال عليّ بن الحكم : سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التي على وجهه ، وهي منكورة على قصبة أنفه ووجنته ، فذكر أن ذلك أصابه في بعض وقائع الشراة ، وأنه طعن رجلاً منهم ، فرجع عليه فضربه هذه الضربة ، فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط ، قال : فمكثت عشرين يوماً في فمي أنبوبة قصب ، وفمي مفتوح لثلاث يتقرح رأسي ، وكان يصب في حلقي الشيء بعد الشيء من الغذاء . قال حاجبه : وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعي أصحابه للحرب ويقاثل .

وأرسل يعقوب إلى المعتز بالله هدية سنوية ، من جملتها مسجد فضة مخلع يصلي فيه خمسة عشر إنساناً ، وسأل أن يعطى بلاد فارس ، ويقرر عليه خمسة عشر ألف ألف درهم ، على أن يتولى إخراج عليّ بن الحسين بن قريش ، وكان على فارس ، ثم شخص يعقوب من سجستان في أثر كتابه إلى المعتز ، يريد كرمان ، ثم نزل بسم - قلت : وهي بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة ، وهي الحد الفاصل بين سجستان وكرمان - قال : وكان بكرمان العباس بن الحسين بن قريش ، أخو علي بن الحسين المذكور ، ومعه أحمد بن الليث الكردي ، فخرجا عن كرمان يريدان شيراز ، وقدّم يعقوب أخاه علي بن الليث إلى السيرجان - قلت : وهي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعده الألف نون ، وهي مدينة كرمان - قال : وضم إليه جماعة ،

١ المختار : الطريق التي لها .

فأقام هو على بسم ، فرد أحمد بن الليث الكردي إليه من الطريق في جمع كثير من الأكراد وغيرهم ، فصاروا إلى درآبجِرْدَ - قلت : وهي بفتح الدال المهملة ثم راء وألف وبعدها باء موحدة ثم جيم مكسورة ثم راء وبعدها دال مهملة ، وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع : الأول : كورة عظيمة مشهورة بفارس ، قصبتها درآبجِرْدَ ؛ والثاني : قرية بفارس أيضاً من أعمال اصطخر فيها معدن الزئبق ، فيحتمل أن يكون مصيرهم إلى الأولى أو إلى الثانية ؛ وأما الثالثة : فهو موضع بنيسابور ، ولا يحتمل مصيرهم إليه . لأنه بخراسان فلا تعلق له بفارس .

قال الراوي : فظفر أحمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب يطلبون العلف ، فقتل بعضهم^١ وهرب منهم جماعة، ووجه أحمد بن الليث برؤوس^٢ من قتل من أصحاب يعقوب إلى فارس ، فنصب علي بن الحسين رؤوسهم ، فبلغ الخبر يعقوب ، فدخل كرمان ، فندب علي بن الحسين لمحاربتة طوق بن المغلس في خمسة آلاف من الأكراد ، سوى من تقدم مع أحمد بن الليث الكردي ، وسار طوق حتى نزل على مدينة إياس من عمل كرمان ، فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه أنه أخطأ إذ دخل عملاً ليس إليه ، فرد عليه طوق : أنت بعمل الصُّفْرُ أعلم منك بعمل الحروب ، فعظم ذلك على يعقوب . وكان في عسكر طوق ثلثمائة رجل من الأبناء . فوافى يعقوب مدينة إياس فأوقع بطوق وقتل أصحابه وهزم من بقي منهم ، وصبر الأبناء الثلثمائة حتى أشجوا يعقوب فأعطاهم الأمان ، فلم يقبلوا^٣ حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل يعقوب في هذه الواقعة ألفي رجل وأسر ألفاً ، وأسر طوق بن المغلس وقيده ب قيد خفيف ، ووسع عليه في مطعمه وغيره ، واستخرج منه الأموال ، ورحل يعقوب عن إياس ودخل عمل فارس ، فخذق علي بن الحسين على نفسه بشيراز ، وذلك

١ ق ع ر : فقتلهم .

٢ ق ع : رؤوس .

٣ ع : يفعلوا .

في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين .

وكتب علي بن الحسين إلى يعقوب يعلمه أن طوق بن المغلس فعل ما فعل من غير أمره ، وأنه لم يأمره بمحاربتة وقال له : إن كنت تطلب كرمان فقد خلقتها وراءك ، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف . فرد عليه يعقوب : إن كتاباً من السلطان معه لا يتهياً أن يوصله حتى يدخل البلد وإنه إن أخلى له البلد فقد ودع^١ وأزاح علقته ، وإلا فالسيف بيننا والموعد مرج سنكان ، وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ ، وكتب صاحب البريد ووجوه البلد إلى يعقوب يعلمونه أنه ما ينبغي له ، مع ما وهب له الله تعالى من التطوع والديانة وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان ، التسرع إلى سفك الدماء ، لأن علي بن الحسين لن يسلم البلد إلا بكتاب الخليفة ، واعتد أهل شيراز للحصار ، وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة أنفس من أصحاب يعقوب ، فحبسهم علي بن الحسين . وقد كان طوق وقت خروجه إلى يعقوب اشترى داراً بشيراز بسبعين ألف درهم ، وقدر للنفقة عليها مالاً ، فكتب طوق إلى ابنه : لا تقطع البناء عن الدار ، فإن الأمير يعقوب قد أكرمني وأحسن إلي ، وسأل في إطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب ، وكان يعقوب سأله ذلك ليطلقه إذا وافوا إليه ، فقال علي بن الحسين : اكتبوا إلى يعقوب ليصلب طوق بن المغلس ، وإن أقل عبد من عبيده أكبر عنده منه ، وسأل يعقوب طوق بن المغلس عن أمور علي بن الحسين ، فضعف أمره عنده ، فتقرب طوق إلى يعقوب بمال عنده بشيراز ، وأنه يكتب إلى أهله في حمله إليه ليقوى به على حربه ، فأمره يعقوب أن يفعل ذلك ، فكتب إلى ابنه فوق الكتاب في يد علي بن الحسين ، فأخذ المال وغيره من دار طوق ، وحمله إلى داره ، وزحف يعقوب ، واحتشد علي بن الحسين .

قال أحمد بن الحكم ، قال لي يعقوب : أخبرني عن علي بن الحسين أسلم

١ ع ق : ورع .

هو ؟ قلت : نعم ، قال : أفرأيت مسلماً يوجه بالأكراد الكفار إلى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم ويأخذون أموالهم ؟ ألم تعلم أن أحمد ابن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة إنسان على دم واحد ، وافترض الأكراد مائتي بكر من أهل البيوتات ، وحملوا معهم نحو ألفي امرأة إلى بلادهم ؟ أفرأيت مسلماً يرضى بهذا ؟ قال ، قلت : فعل أحمد هذا من غير أمره . ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته : قل لعلي بن الحسين : إن معي قوماً أحراراً جئت بهم وليس^١ يتأتى لي ردهم إلا بما يحبون ، فوجه إلي بما يرضيهم ووجه لي في نفسي ما يشبه مثلي من البر ، فإذا فعلت فأنا أخوك وعونك على من حاربك وأدفع لك كرمان تأكلها ، وأنصرف إلى عملي . وارتحل يعقوب ، فنزل قرية يقال لها خوزاستان^٢ ، ووافى أحمد بن الحكم إلى علي بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة ، وعلى يده كتاب يعقوب .

قال ابن الحكم : فلم يفهم علي بن الحسين شيئاً مما جئت^٣ به من الدهش ، وحاصل الكتاب بعد الدعاء له : فهمت كتابك ، وذكرك ورودي هذا البلد العظيم خطـرُه بغير^٤ إذن أمير المؤمنين ، فإنني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ، ولا ممن يمكنه ذلك ، وقد أسقطت عنك مؤونة الاهتمام في هذا الباب ، فإن البلد لأمرير المؤمنين ، ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه ، وفي طاعة الله وطاعته ، وقد استمعت من رسولك ، ورجعت إليه في جواب ما عملته وأدائه ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحاً ، فإن استعملته ففيه السلامة إن شاء الله تعالى ، وإن أبيت فإن قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ، ونحن نعتصم بالله من الهلكة ، ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ، ونرغب إليه في السلامة ديناً ودنياً بلطفه ، مدّ الله في عمرك ؛ وكتب يوم الاثنين ، ليلة خلت من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمسين ومائتين .

١ ع : ولن .

٢ ع : حور أستان .

٣ ع ق : جثته .

٤ ر : بدون .

ثم تراحف الفريقان ، وقد اجتمع في عسكر علي بن الحسين خمسة عشر ألف إنسان ، ووجه أحمد بن الليث الطلائع ، وذلك في غداة الأربعاء خلون من الشهر المذكور . ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ، ثم التقى الجيشان ، فحملوا حملة ، وفي الثانية أزالوا أصحاب علي بن الحسين عن مواضعهم ، وصدقت المجالدة ، فانهزموا ومروا على وجههم لا يلوي أحد على أحد ، وعلي بن الحسين يتبع أصحابه ويصيح فيهم : أن ارجعوا وقفوا ، يناشدهم^٢ الله تعالى ، فلم يلتفتوا إليه ، وبقي في عدة من أصحابه ، فوافت المنهزمة أبواب شيراز مع العصر يوم الخميس للمذكور ، وكانت الواقعة بعد الظهر ، فضاقت عليهم الأبواب ، فمروا على وجوههم في نواحي شيراز ، وبلغت هزيمتهم الأهواز ، وكانت القتلى معهم منهم مقدار خمسة آلاف . وأصاب علي بن الحسين ثلاث ضربات ، واعتورته أسياف أصحاب يعقوب ، وسقط عن دابته فأرادوا قتله ، فأعلمهم أنه علي بن الحسين ، فأخذوا عمامته ووضعوها في وسطه ، وقادوه إلى يعقوب ، وطلب الذي أسره الثواب من يعقوب ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يأخذها ، فقال : إنما جئتني بكلب أسرته ، مالك عندي غيرها ، فانصرف الرجل . وقنع يعقوب عالياً عشرة أسواط بيده ، وأخذ حاجبه بلحيته فنتف أكثرها ، وأمر يعقوب أن يقيد بقيد فيه عشرون رطلاً ، وصيره مع طوق بن المغلس في الخيمة ، وكان قد أنفذ إلى ابن المغلس وقيدته أيضاً ؛ وصار يعقوب من فوره إلى شيراز ، وتفرق أصحاب علي بن الحسين في النواحي . ثم دخل يعقوب إلى شيراز والطبول تضرب بين يديه ، وظن أهل شيراز يؤذيهم ويستحل دماءهم وأموالهم بحريهم . فلم ينطق^٣ أحد لأنه كان وعد أصحابه إن هو ظفر أن يطلقهم وينهب شيراز ، وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ، ورجع يعقوب من ليلته إلى عسكره بعد أن طاف شيراز ، فلما أصبح نادى بالأمان ليخرجوا إلى الأسواق ، فخرج الناس ، ونادى في كتاب

١ ع : ووافت . . . يعقوب التقي .

٢ ع : ويناشدهم .

٣ ع : يطلق ؛ وسقطت «أحد» من ر .

علي بن الحسين : أن برئت الذمة ممن آواهم ، وحضرت الجمعة فأمر الخطيب فدعا للإمام المعتز بالله ولم يدع لنفسه ، فقبل له في ذلك فقال : الأمير لم يقدم بعد ، وقال : إنما مقامي عندكم عشرة أيام ، ثم أرجع إلى عمل سجستان ؛ وبعث أخاه إلى منزل علي بن الحسين فأحضر الفرش والأثاث ، وفتش على الأموال فلم يقف عليها ، فأحضر علياً فتهدهده^١ وتوعده ، فذكر أنه يدهم على المال ، فحمل إلى منزله فاستخرج أربعمائة بدره ، وقيل إنه أخذ منه ألف بدره ، وعوض يعقوب أصحابه من نهب^٢ شيراز كل رجل ثلاثمائة درهم .

ثم عذب يعقوب علياً بأنواع^٣ العذاب ، وعصره أنثيه وشد الجوزتين على صدغيه ، فقال علي : قد أخذت ما أخذت ، أخذت مني فرشي^٤ وقيمته أربعون ألف دينار ، وألح عليه بالعذاب وأعلمه أنه لا يقنعه^٥ منه دون ثلاثين ألف ألف دينار ، وخطط ووسوس من شدة العذاب وقيده بأربعين رطلاً ، فدهم على موضع في داره ، فاستخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم ، وجوهراً كثيراً ، ثم ألح عليه بالعذاب وسلمه إلى الحسن بن درهم فضربه وعذبه وشمته ، وعذب طوق بن المغلس أيضاً ، وحبسهما في بيت واحد . وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من السنة إلى بلاده ، وحمل علي بن الحسين وطوق بن المغلس معه ، فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب ، وقنعهما بمقانع ، ونادى عليهما وحبسهما ، ومضى إلى سجستان .

وخلع الخليفة المعتز بالله ثلاث خلون من رجب من هذه السنة وتولى الخلافة الإمام المهدي بالله في ذلك اليوم وخلع المهدي بالله مع صلاة الظهر من يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وبويع المعتمد على الله . ولم يكن ليعقوب الصفار في خلافة المهدي كبير أمر ، بل كان

١ ر : فهدهده .

٢ ع : من بيت مال .

٣ ع ق : أنواع .

٤ ع ق : فرسي .

٥ ع ق : ينفعه .

يغزو ويحارب من يليه من الملوك بسجستان وأعمالها ، ويتطرف كور خراسان وما قرب من قوهستان ونواحي هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان . ثم عاد يعقوب إلى بلاد فارس وجي غلاتها ورجع بثلاثين ألف ألف درهم ، وصار إلى سجستان ، وأقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب والحراج ، ويكاتب الخليفة ، ويحمل بعض ما يجبي من الأموال ، فكان مقدار ما يحمل في السنة خمسة آلاف ألف درهم من الحراج ببلاد فارس ، وكان مقيماً بها غلبة عليها ، ولو أمكن الخليفة صرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره .

ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة من سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ، ثم خرج منها ودخل نيسابور في ذي القعدة من سنة تسع وخمسين ومائتين ، واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعي أمير خراسان وجميع الطاهرية ، ثم خرج عنها في المحرم من سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيداً ، ونيف وستون من أهله . وتوجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوي أمير طبرستان وجرجان، ولما بلغ الحسن بن زيد أن يعقوب يقصده أخذ من أموال الحراج ثلاثة عشر ألف ألف درهم بقايا وسلفاً ، وتخلص من جرجان إلى طبرستان ، ودخل يعقوب جرجان ، ووجه من أصحابه من أخذ سارية طبرستان ، وكان يجرجان يعاقب على دوابه كل يوم ألف فقيز شعيراً ؛ ثم خرج يعقوب إلى طبرستان وخرج إليه الحسن بن زيد في خلق كثير ، وأعلم يعقوب أصحابه أنه يقتل من انهزم منهم ، وتقدم بنفسه للحرب . فتبعه خمسمائة من عبيده ، فحمل على الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم ، وكان الحسن بن زيد قد أعد في كل قرية في طريقه^١ لانهزامة بردوناً وبغلاً لأنه كان رجلاً ثقيلاً كثير اللحم . وتلاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد في خمسة آلاف خيل^٢ جريدة ، وأخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالاً أكثرها عين ، وظفر بجماعة من آل أبي طالب فأساء إليهم وأسرههم ، وكانت الواقعة يوم الاثنين لأربع بقين من رجب سنة ستين ومائتين .

١ في طريقه : سقطت من ق ر .

٢ ع : من الخيل .

ثم تقدم يعقوب فدخل آمل - قلت : وهي بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام ، وهي كرسي بلاد طبرستان - قال : وهرب الحسن بن زيد إلى مدينة يقال لها سالوس ، فلم يجد من أهلها ما كان يعرفه منهم ، فتنحى عنهم ، ثم خرج يعقوب. من آمل فطلب الحسن بن زيد ، فرحل مرحلة واحدة ، وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قد دخل مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم في ألفي تركي ، فانزعج يعقوب لذلك ، وقصر من الإيغال في طلب الحسن بن زيد ، فرجع وكتب إلى أمير الري في ذي الحجة من سنة ستين يأمره أن يخرج من الري ، ويعلمه أن أمير المؤمنين قد ولاه إياه ، فبلغ ذلك الخليفة فأذكره وعاقب غلمانه الذين كانوا يبغداد بالحبس وأخذ الأموال .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان ، فخرج في المحرم يريد جرجان ، فلحقه الحسن بن زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع إليه من الديللم وأهل الجبال وطبرستان فشعث من يعقوب وقتل من لحق من أصحابه ، فانهزم يعقوب إلى جرجان ، فجاءت بها زلزلة عظيمة قتلت من أصحابه ألفي إنسان ورجعت طبرستان إلى الحسن بن زيد ، وهي آمل وسارية وما يتصل بهما ، وأقام يعقوب بجرجان يعسف أهلها بالخراج ، ويأخذ أموال الناس ، ودامت الزلزلة ثلاثة أيام ، وأتى جماعة من أهل جرجان إلى بغداد فستلوا عن يعقوب الصفار ، فذكروه بالجبروت والعسف ، فعزم الخليفة على النهوض إليه واستعد لذلك ، ولما رجع الصفار إلى جوار^١ الري ورجع الحاج عن الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولي^٢ العراق بأن يجمع الحاج من أهل خراسان وطبرستان وجرجان والري ويقرأ عليهم كتاباً منه إليه ، فجمع الحاج القادمين من أقاصي البلاد ، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع في الصفار ، وعمل ثلاثين نسخة ، ودفع إلى أهل كل كورة نسخة لتذيع الأخبار بهذه النسخ في الآفاق . ونمي الخبر إلى يعقوب الصفار بما كان من حبس غلمانه ، وما كان من جمع الحاج في دار عبيد الله ، وما دفع

١ ق : خواری .

٢ ر : يتولى .

إليه من النسخ ، وانكشف له رأي الخليفة في قصده ، فرجع إلى نيسابور ،
ولم يرجع لأنه لم يجد عدة تصلح للقاء الخليفة ، ولما دخل إلى نيسابور أساء إلى
أهلها بأخذ الأموال ورجع يريد جهة سجستان في جمادى الأولى من سنة
إحدى وستين ومائتين .

ولما رجع إلى سجستان خرجت كتب الخليفة إلى أصحاب الممالك
بخراسان وذوي الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحية ، فوردت الكتب
وأصحاب الصفار متفرقون في كور خراسان . ثم إن الصفار وصل إلى عسكر
مكرم من أعمال خوزستان وكاتب الخليفة ، وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس
وما كان مضموماً إلى آل طاهر بن الحسين الخزاعي من الكور وشرطي بغداد
وسر من رأى ، وأن يعقد له على طبرستان وجرجان والري وأذربيجان وقزوين ،
وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند ، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب
التي نسخت في دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ
عليهم أولاً من ذكره ، ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ، ففعل ذلك الموفق
بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله ، وهو أخو الخليفة المعتمد على الله والد
المعتضد بالله الخليفة القائم بعد عمه المعتمد على الله ، وكان الموفق مستولياً على
الأمر كلها وليس للمعتمد معه سوى اسم الخلافة لا غير ، وأجابه إلى ما
طلب ، وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار ، وأجيب إلى الولاية التي
طلبها ، واضطربت الموالي بسر من رأى من إجابة الخليفة إلى ما طلبه الصفار ،
وتحركوا . ثم إن الصفار لم يلتفت إلى ما أجيب إليه من ذلك ، ودخل السوس
وهي أيضاً مدينة من أعمال خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ، ولما دخلها
عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر إليه في دجلة ، ثم تقدم
الصفار وتقدم إليه عسكر الخليفة ، وقد كانت الموالي ارتابت وأهتت الأمير
الموفق ، وتوهمت أن إقبال الصفار بسبب ما أنفذ إليه من الكتب ، وإلا فأبي
عجيب أعجب من خارج قصد من زرنج كرسي سجستان ، وهي الحد الفاصل
بين السند والترك وخراسان ، والوصول إلى بلاد العراق لمحاربة الخليفة ، وهو
في جيوشه وعدده وتقادم مملكته في شرق الأرض وغربها ، والصفار منفرد

بجيشه^١ ليس معه من يعضده ولا يشاركه في هذا الأمر؟! ولما بلغ الخليفة ذلك دعا ببرد النبي صلى الله عليه وسلم وقضيه ، وأخذ القوس ليكون أول من رمى ، ولعن الصفار ، فطابت أنفوس الموالي .

ولما كان صبيحة الأحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار في التبعية إلى موضع يقال له اصطربند^٢ ، وهي قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الأوسط ، وجمع أصحابه ليحمل بهم ، وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك ، وأقبل وعليه دراعة ديباج سوداء ، ولما تواقف الصفان خرج من الموالي خشتج القائد فقام بين الصفيين وقال لأصحاب الصفار : يا أهل خراسان وسجستان ، ما عرفناكم إلا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الإنكار^٣ ، وإن دينكم لا يتم إلا باتباع الإمام^٤ ، وما نشك أن هذا الملعون قد موّه عليكم ، وقال لكم : إن السلطان قد كتب إليه بالحضور ، وهذا السلطان قد خرج لمحاربتة ، فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الإسلام فلينفرد عنه إذ كان شاقاً للعصا محارباً للسلطان ، فلم يجيبوه عن كلامه ، وكان هذا خشتج شجاعاً مقداماً .

ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان من أسر الصفار - وقد تقدم ذكر أسره وحمله مقيداً - قال له خشتج : يا آل طاهر ، اشترىتمونا بأموالكم وأهدىتمونا إلى ولد العباس ، فاستخلفونا وملكونا الضياع والأموال ، حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة الإسلام ، فلم نخرج من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والي خراسان مع مولانا أمير المؤمنين ، وخلصناك بعد الأسر والقيد الثقيل من مدينة إلى مدينة على بغل إكاف ورددناك من العراق إلى خراسان ، فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من خلاصك ، وأولانا هذا الفعل الجميل فيك .

١ ر : متفرد في جيشه .

٢ ع : اصطربيد ؛ ق : اصطربند .

٣ ر : الأذكار .

٤ ع : بطاعة السلطان .

رجعنا إلى تمة خبر الصفار :

قال الراوي : وحزر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل ، وكانت دوابهم في غاية الفراهة ، وقيل إن جمعهم كان يزيد على عشرة آلاف إنسان ، ووضع الخليفة العطاء في الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل ، واستعدوا للحرب وجدوا فيها وشمروا ، وقيل ما هو إلا أن تنصروا أو تنهزموا فلا ترجع دولتكم إليكم ، ووقف الخليفة المعتمد بنفسه وإلى جانب ركابه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني - وقد تقدم ذكر جده يزيد بن مزيد - ووقف معه جماعة اكتنفوا الخليفة من أهل البأس والنجدة ، وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب ، وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه وقال : أنا الغلام الهاشمي ، وحمل على أصحاب الصفار ، وقتل بين الطائفتين خلق كثير ، فلما رأى الصفار تلك الحال ولى راجعاً تاركاً أمواله وخزائنه وذخائره ، ومرّ على وجهه فلم تتبعه العساكر ، وما أفلت من أصحابه رجل إلا بسهم أصابه ، وأدركهم الليل فتساقطوا في الأنهار لازدحامهم وثقل الجراح بهم ، قال أبوالساج داود ابن دوست الذي تنسب إليه الأجناد الساجية ببغداد للصفار لما انهزم : ما رأيت معك شيئاً من تدبير الحروب ، وكيف كنت تغلب الناس ، فإنك جعلت ثقلك وأموالك وأسراك أمامك وقصدت بلداً على قلة المعرفة منك به وبمغايصه وأنهاره بغير دليل ، وقاتلت يوم الأحد والرياح عليك ، وسرت من السوس إلى واسط في أربعين يوماً ، وأحوال العساكر مختلفة ، فلما توافقت عددهم ، وجاءتهم أموالهم واستحکم أمرهم عليك أقبلت من واسط إلى دير العاقول في يومين ، وتأخرت عند إمكان الفرصة وأقبلت تعدو في موضع التثبيت ، فقال الصفار : لم أعلم أنني أحارب ولم أشك في الظفر ، وتوهمت أن الرسل ترد علي ، فبدروا الأمر فأتيت بما قدرت عليه .

قلت : هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الأزهري مع الاختصار .

ونقلت من تاريخ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي ^١ طاهر الذي جعله ذيلاً على تاريخ أبيه في « أخبار بغداد » وقد أطال القول فيه فاخصرته وحذفت ما تكرر منه ، فقال : كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لحمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكانت ولاية درهم بن نصر (كذا) ^٢ ثلاث سنين بعد إخراج صالح بن النصر ، وهو رجل من بني كنانة ، من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ولم يزل يعقوب الصفار مقيماً بسجستان يحارب الشراة والأترار ويظهر أنه متطوعي ، حتى كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، فخرج إلى هراة ثم قصد بوشنج وحاصرها وأخذها عنوة ، وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ، ولم يزل على ذلك إلى أيام المعتمد على الله ، ثم دخل بلخ وخرج منها ، ثم وصل إلى رامهرمز وهو يظهر الطاعة للخليفة المعتمد ، وذلك في المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ، ثم أرسل رسله إلى المعتمد فدخلوا بغداد لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ثم صار إلى واسط ، وأقام بها نائباً عنه ثم صار إلى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ، ثم صار إلى اصطربند فنزل بها ، ولما اتصل خبره بالمعتمد وأنه يقصد بغداد جمع أصحابه من الأطراف ، وخرج من سر من رأى قاصداً لمحاربتة ، ودخل بغداد يوم الأحد لحمس بقين من ذي الحجة من السنة .

قال أبو الفرج كاتب القاضي أبي عمر : لما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تنزل كتبه تسير إليه من الطريق يؤمر بالانصراف ، ويحذر سوء عاقبة فعله ، وأن أمير المؤمنين قد نهض إليه في العدد والعدد ، وكتب الصفار واردةً بأنّي قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشرفني وينبه على موقعي منه ، ثم عبى الخليفة جيشه للقتال على القرية المذكورة ، وأرسلوا الماء على طريق الصفار ، فكان سبب هزيمته ، فإنهم أخذوا عليه الطريق وهو لا يدري ، واصطف الفريقان ، ولم

١ أبي : سقطت من ق .

٢ وردت « كذا » في الأصل ، لأن اسمه من قبل ورد « درهم بن الحسن » .

يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار ، فغم الناس من أثقاله غنيمة عظيمة ، وتوهموا أن ذلك حيلة منه ومكر ، ولولا ذلك لاتبعوه . ولقد حدثني من حضر ذلك أن رشق الجند الموالي كان في ذلك الوقت عشرين ألف سهم . وانصرف الخليفة مسروراً بما فتح الله عليه .

وكان ممن تخلص من أسره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراسان وجاء إلى الخليفة وهو في قيده ، ففك الخليفة عنه القيد ، وخلع عليه خلعة سلطانية . وذكر المعتمد ذلك النهار أنه رأى تلك الليلة في المنام كأن إنساناً كتب على صدره ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح : ١) وقص الرؤيا على خواصه ، وقال لهم : قد وثقت بنصر الله تعالى .

وقبل الواقعة وردت كتب الصفار إلى الخليفة وفيها خضوع وتضرع . ويجبر بأنه لم يجيء إلا لخدمة أمير المؤمنين ، والتشرف بالمثل بين يديه ، والنظر إليه ، وأن يموت تحت ركابه ، فقال المعتمد : نحن في مخاريق الصفار بعد ، أعلموه أنه ما له عندي إلا السيف . وأمر الخليفة بالكتاب إلى أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، يجبره بالفتح وخلص ابن أخيه محمد بن طاهر . فكتب إليه وهو يومئذ يتولى الشرطة ببغداد نيابة عن ابن أخيه المذكور ، فإنه كان يتولى خراسان وشرطي بغداد وسر من رأى وفي الكتاب فصول طويلة ، وحاصله أنه عدّد ذنوب الصفار ، وما قابله به الخليفة من الإحسان والإنعام . وأنه قلده خراسان والبلاد التي تقدم ذكرها قبل هذا ، وأنه رفع مرتبته وأمر بتكنيته في كتبه وأقطع الضياع السنية ، ولم يَبْقَ شيء مما يقدر فيه استصلاحه إلا فعله . فما زاده ذلك إلا البغي والطغيان ، والتمس أشياء إن رد عنها قصد أبواب أمير المؤمنين لإثارة الفتنة وابتغاء الغلبة . فلم ير أمير المؤمنين إجابته إلى ما التمس ، وتابع الكتب بالرجوع إلى أعماله الجليلة التي ولاه إياها . وحذره التعرض لزوال النعم التي أنعم الله عليه بها ، فقد خالفه وعصاه وخرج عن طاعته . وعرفه أنه إن أقام على المصير إلى الباب فقد عصاه وخرج عن طاعته ، ثم وجه إليه في ذلك مرة بعد أخرى مع جماعة

١ ر : تضرع وخضوع .

من القضاة والفقهاء والقواد ، وقدر بتوجههم إليه أنه يرجع إلى ما هو ألزم به وأوجب عليه ، فأقام على سبيل واحد في البغي والعناد والعصيان ، ولم ينه الإرشاد ، ولم يزل استحواذ الشيطان عليه يقوده إلى الحين ويصده عن سبيل النجاة إلى مهاوي الهلكة ، فلما تبين أمير المؤمنين ذلك منه رأى أن يقضي عليه في أمر مثله ، فنهض متوكلاً على الله تعالى معتمداً على كفايته لدفع الملعون عما يحاوله ، وهو يغذّ السير إلى المصرع الذي سبق به قضاء الله تعالى فيه ، حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر أعلاماً على بعضها الصليان ، واستنجد أهل الشرك على أهل الإيمان ، وبارز الله بسريرته ليسلمه بجريرته ، وفارق شرائع الإسلام وأحكامه ، نقضاً للعهود ونكثاً وخفراً للذمة وإعلاناً للمشاقة ، فقدم أمير المؤمنين أخاه الموفق بالله أحمد ولي عهد المسلمين ومعه جماعة من موالي أمير المؤمنين الذين أخلصوا لله طاعتهم وثبت في المحاماة عن دولته بصائرهم ، وأتبعهم أمير المؤمنين الرغبة إلى الله تعالى في تأييدهم ونصرهم على عدوهم ، ولعنه أمير المؤمنين في الأوقات والمواقف التي علم الله صدق نيته فيها ، وألحقه وبالها ، ووقف أمير المؤمنين يتأمل ما يكون من أخيه ومواليه وأوليائه ، ويواصل الإمداد والجيش إليهم ، وكان الموفق بالله في قلب العسكر ، وظهر الملعون عدو الله في أشياخ ضلّته قد ادرع العصيان ، وتسربل البغي واعتمد على وفور حشده وكثرة أتباعه ، فلما تراءى الجمعان شهر عدو الله وأشياخ ضلّته السلاح ، وأسرعوا إلى موالي أمير المؤمنين وأوليائه ، وشرعت في الملعون وضلاله سيوف الحق باترة ورماحه طاعنة وسهامه نافذة ، حتى أثنخ الملعون بالجرّاح ، ورأى أتباع ضلّته ما حل به ، فبادروا بالويل والثبور ، وأكب عليهم موالي أمير المؤمنين وأوليائه ، يقتلون فيهم ويأسرون منهم ، وعجل الله إلى النار من جماعته من لا يُحصى عدده ، ولم يزل الأمر كذلك حتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين سالماً من أيديهم ، وحسروا عن مستقرهم ، فولّى الباقون منهزمين مفلولين ، لا يلوون على شيء ، وأسلم الله تعالى الملعون ، وهم وما كانوا حووه وملكوه في سالف الأيام التي أملى الله تعالى لهم فيها أقطار الأرض من الأموال والأمتعة والأثاث والإبل

والدواب والبغال والحمير ، فأفاده الله على الموالي وسائر الأولياء وملكهم إياه ، وصاروا به إلى رحالهم .

وعلى الحملة فإن هذا الكاتب أطال القول في ذلك فاختصرته ، ثم كتب في آخره : وكتبه عبيد الله بن يحيى يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين .

ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا : ومضى الصفار منهزماً إلى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى ، وتؤخذ أسلحتهم وأسلابهم ، ولم تتبعه الموالي مخافة رجعته ولاشتغالهم بالكسب^١ والنهب ، فأمسكوا عنه ، ورجع الخليفة إلى معسكره ، ثم رجع الصفار إلى السوس وجبى الأموال ، ثم قصد تستر وحاصرها وأخذها ورتب فيها نائباً ، وكثر جمعه ، ثم رحل إلى فارس في شوال ، وكان الخليفة قد رجع إلى المدائن وأقام بها يومين ، ثم رحل إلى بغداد ومنها إلى سر من رأى ، ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان .

ثم ذكر المؤرخ بعد هذا : وورد^٢ الخبر على الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، والذي أصيب في بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار . ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ، ووافى أحمد بن أبي الأصبح يوم الخميس لسبع بقين من شوال ، وقد كان الخليفة أنفذه ليصلح أمر يعقوب ، فانصرف من عند يعقوب ، فلما قرب من واسط اتصل به وفاة يعقوب ، وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والري وقم وأصبهان ، وصيرت إليه الشرطتان ببغداد وسر من رأى ، على أن يوليها من أحب ، وعلى أن يوجه ثلثي ما يجبي من خراج البلاد التي يتولاها من جميع الأعمال .

وتولى أخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ، ووردت كتب عمرو إلى الموفق أخي الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة ، وأن يتولى ما كان أخوه يتولاه ، فأجيب إلى سؤاله ، وولاه في ذي القعدة من السنة .

١ بالكسب ، سقطت من ع .

٢ ع : ورود .

قلت : سياقة هذا التاريخ يدل على أن يعقوب الصفار توفي في بقية سنة اثنتين وستين ومائتين ، لأنه حكى الواقعة في هذه السنة ، وأن يعقوب انهزم . ثم قال عقيب هذا : وورد الخبر بوفاة يعقوب في شوال ، ولم يذكر السنة ، فيدل على موته في تلك السنة . والذي أعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا ، فإن أبا الحسين السلامي ذكر في كتاب « تاريخ أخبار ولاية خراسان » ، في أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار فقال : كان سبب وفاة يعقوب بن الليث أنه أصابه القولنج ، فأشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه ، فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال من سنة خمس وستين ومائتين .

قال أبو الوفاء الفارسي : رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة ، وقد كتبوا عليها :

ملكتَ خراسانا وأكنافَ فارس وما كنت من ملكِ العراقِ بآيسِ
سلامٌ على الدنيا وطيبٌ نسيمها إذا لم يكنْ يعقوبٌ فيها يجالسُ

ورأيت بخطي في جملة^١ مسوداتي : أن يعقوب بن الليث الصفار توفي سنة خمس وستين ومائتين بالأهواز ، وحمل تابوته إلى جنديسابور فدفن بها ، وكتب على قبره : هذا قبر يعقوب المسكين ، وكتب بعده :

أحسنتَ ظنكَ بالأيامِ إذ حسنتَ ولم تخفِ سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتكَ الليالي فاغررتُ بها وعند صفوِ الليالي يحدثُ الكدرُ

ورأيت بخطي أيضاً في موضع آخر أنه توفي بجنديسابور ودفن بميدانه ، والله أعلم ، وهو قاصد العراق في التاريخ المذكور . وكانت وفاته بعلة القولنج ، وأخبره طبيبه أن لا دواء له إلا الحقنة ، فامتنع منها واختار الموت عليها ، وكانت مدة علته بالقولنج والفؤاق ستة عشر يوماً . ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي أربع عشرة سنة وشهوراً .

١ جملة : سقطت من ع .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه في سنة خمس وستين ومائتين أنه مات فيها يعقوب بن الليث في تاسع عشر شوال من السنة ، وذكر حديث القولنج وامتناعه من الحفنة ، وأنه مات بجنديسابور من كور الأهواز - قلت : وهي من أعمال خوزستان بين العراق وبلاد فارس - وقال شيخنا أيضاً : وكان الخليفة المعتمد قد أنفذ إليه رسولاً يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس ، فوصل الرسول إليه ويعقوب مريض ، فجلس له ، وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من خبز الخشكار ومعه بصل . وأحضر الرسول ، فأدى الرسالة وقال له : قل للخليفة إنّي عليل ، فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف حتى آخذ بثأري أو تكسرنى وتفقرني ، فأعود إلى هذا الخبز والبصل ، وعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات .

وقال ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » إن جنديسابور مدينة حصينة واسعة الخير ، وبها نخل وزروع كثيرة ومياه ، وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالمير الكثيرة .

وكان الحسن بن زيد العلوي يسمى يعقوب « السندان » لثباته ، وكان قل أن يرى متبسماً ، وكان عاقلاً حازماً ، وكان يقول : كل من عاشرته أربعين يوماً ولا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة .

(351) ولما تولى عمرو أحسن في التدبير والسياسة غاية الإحسان ، حتى يقال ما أدرك في حسن السياسة للجنود والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث . وذكر السلامي في كتاب « أخبار خراسان » شيئاً كثيراً من كفايته ونهضته ، وقيامه بقواعد الولاية ، فركته طلباً للاختصار . وذكر أنه كان ينفق في الجند في كل ثلاثة أشهر مرة ، ويحضر بنفسه على ذلك ، وأن عارض الجيش يقعد والأموال بين يديه ، والجند بأسرهم حاضرون وينادي المنادي أولاً باسم عمرو بن الليث ، فتقدم دابته إلى العارض بجميع آلة الفارس ، فيفتقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم عمرو ، فتحمل إليه في صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ويقول : الحمد لله الذي وفقني لطاعة أمير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ، ثم يضعها في خفه ، فتكون لمن ينزع خفه ، ثم يدعى بعد ذلك

بأصحاب الرسوم على مراتبهم ، فيستعرضون بالآتهم التامة وبدوابهم الفره ،
ويطالبون بجميع ما يحتاج إليه الفارس والراجل من صغير آلة وكبيرها ، فمن
أخلّ بإحضار شيء منها حرموه رزقه ، فاعترض يوماً فارساً كانت دابته في
غاية الهزال ، فقال له عمرو : يا هذا تأخذ مالنا تنفقه على امرأتك فتسمنها ،
وتهزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد الأرزاق ؟ امض فليس لك عندي شيء ،
فقال له الجندي : جعلت لك الفداء ، لو اعترضت امرأتى لاستسمنت دابتي ،
فضحك عمرو وأمر بإعطائه وقال : استبدل بدابتك .

قلت : ذكر القاضي كمال الدين ، المعروف بابن العديم الحلبي رحمه الله
تعالى ، في « تاريخ حلب » حكاية يليق أن أذكرها هاهنا ، لأنها مثل هذه
الحكاية ، وهي :

كان كسرى أنوشروان بن قباد قد ولى رجلاً من الكتاب نبياً ، معروفاً
بالعقل والكفاية ، يقال له بابك بن النهروان ، ديوان الجند ، فقال لكسرى :
أيها الملك ، إنك قد قلدتني أمراً من صلاحه أن تحتل لي بعض الغلظة في الأمور
وهي عرض الجنود في كل أربعة أشهر ، وأخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة
المؤدين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم
في ذلك وتقصيرهم ، فإن ذلك ذريعة إلى إجراء السياسة مجاريها ، فقال كسرى :
ما المحاب بما سأل بأحظى من المجيب ، لا شراكهما في فضله ، وانفراد المجيب
بعد بالراحة ، حقق مقالتك ، فأمر فبنيت له في موضع العرض مصطبة ، وبسط
له عليها الفرش الفاخرة ، ثم جلس ونادى مناديه : لا يبقين أحد من المقاتلة
إلا حضر للعرض ، فاجتمعوا ولم ير كسرى ، فأمرهم فانصرفوا ، وفعل
ذلك في اليوم الثاني ، ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا ، فنادى في اليوم
الثالث : أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ، ولا من أكرم بالثاج والسرير ،
فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة ، وبلغ كسرى ذلك ، فتسلح بسلاحه
ثم ركب فاعترض على بابك ، وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافاً ودرعاً
وجوشناً وبيضة ومغفراً وساعدين وساقين ورمحاً وترساً وجرزاً تلزمه منطقة
وطبرزينا وعموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابة ، ووترين

ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره ظهرياً ، فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ، خلا الوترين اللذين يستظهر بهما ، فلم يجز بابك على اسمه ، فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره ، واعترض على بابك ، فأجاز على اسمه ، وقال : لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم ، وكان أكثر ماله من الرزق أربعة آلاف درهم ، ففضل كسرى بدرهم واحد .

فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال : أيها الملك ، لا تلمني على ما كان من إغلاظي ، فما أردت به إلا الدربة للمعدلة والإنصاف ، وحسم مادة المحاباة . قال كسرى : ما أغلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا وصلاح ملكنا إلا احتملنا له غلظته ، كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه ، لما يرجوه من منفعته .

رجعنا إلى تمة أخبار عمرو بن الليث الصفار :

قال السلمي أيضاً : كان رافع بن هرثمة تبعاً لأبي ثور ، وكان أبو ثور أحد قواد محمد بن طاهر الخزاعي ، فلما وافى يعقوب الصفار نيسابور كان أبو ثور من جملة من مايل يعقوب على محمد بن طاهر ، فلما انصرف يعقوب إلى سجستان صاحبه أبو ثور ، ومعه رافع بن هرثمة ، وكان رجلاً طويل اللحية كرية الوجه قليل الطلاقة ، فدخل يوماً إلى يعقوب ، فلما خرج من عنده قال يعقوب : إنني لا أميل إلى هذا الرجل فليلحق بحيث شاء ، فباع رافع جميع آلاته ثم انصرف إلى منزله بيامين ، وهي من قرى كنج رستاق . وأقام هناك إلى أن استقدمه أحمد بن عبد الله الحجستاني - وخجستان : من جبل هراة ، من قرى بادغيس - ؛ وكان الحجستاني من أتباع يعقوب الصفار ، ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة إحدى وستين ومائتين ، وكان يظهر الميل إلى الطاهرية مستملاً بذلك قلوب أهل نيسابور إليه ، حتى إنّه كان يكتب في كتبه : أحمد بن عبد الله الطاهري .

ثم كتب الحجستاني إلى رافع بن هرثمة ، وهو في بلده ، يستقدمه ، فقدم عليه ، فجعله صاحب جيشه . وللحجستاني حروب ومواقف مشهورة ، وليس الغرض ذكر شيء منها ها هنا . ثم إن غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه ، وقد سكر ونام ، وذلك في ليلة الأربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين . وكان رافع بن هرثمة غائباً ، فقدم بعد ذلك على جيش الحجستاني ، فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراة ، وقيل بنيسابور .

ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان ، وجعلها لأبي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وهو مقيم ببغداد ، فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ، ما خلا أعمال ما وراء النهر فإن الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن أسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر .

ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان ، وكاننا للحسن ابن زيد العلوي^١ ، وتوفي سنة سبعين ومائتين ، واستولى عليهما أخوه محمد ابن زيد ، فجاءه رافع في سنة أربع وسبعين ، ففارقها محمد بن زيد إلى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ، ثم فارقها ليلاً في نحر يسير إلى بلاد الديلم . واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين .

ثم توفي الخليفة المعتمد على الله في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المذكور ، وولى المعتضد أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد الساماني^١ ما وراء النهر بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد المذكور - قلت : وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة ، سنة تسع وسبعين بسمرقند - قال : وعزل رافع بن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث ، وبقي رافع بالري ، ثم إنه هادن الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث ، فلما تم له ذلك خرج إلى نيسابور ، فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين ، وهزمه عمرو وتبعه إلى

١ العلوي : سقطت من ر .

٢ ر والمختار : السلماي .

أبيورد ، وقصد رافع أن يخرج منها إلى هراة أو مرو ، فعلم عمرو أن مقصده سرخس ، فقصدها عمرو ليأخذ عليه الطريق ، فعلم رافع ذلك ، فخرج من أبيورد ومعه دليل ، فأخذ به على جبال طوس حتى أورده باب نيسابور فدخلها ، فعاد عمرو إليها ، وحاصره بها فانهزم رافع وأصحابه ووصل إلى نواحي خوارزم على الجمازات ، وحمل ما كان معه من آلة ومال في شردمة قليلة ، وذلك يوم السبت لحمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، فوجه إليه أمير خوارزم نائباً يقوم بخدمته وما يحتاج إليه إلى أن يصل خوارزم ، فوجده النائب في خف من أصحابه ، فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين ، وحز رأسه ، وحمله إلى عمرو بن الليث وهو نيسابور ، فأنفذ عمرو رأسه إلى المعتضد بالله ، ولم يكن رافع ابن هرثمة ، وإنما هرثمة زوج أمه ، فانتسب رافع إليه لأنه أشهر ، ورافع ابن تومرد^١ .

وقال ابن جرير الطبري في تاريخه في سنة ثلاث وثمانين^٢ : وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة ، وقدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع إلى بغداد يوم الخميس لأربع خلون من المحرم سنة أربع وثمانين ومائتين على المعتضد ، فأمر بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربي بقية النهار إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان ، قال السلامي : وصفت خراسان إلى شط جيحون لعمرو بن الليث . قلت : وقد مدح البحري الشاعر المشهور رافع بن هرثمة ، وكناه أبا يوسف في مديحه ، وأرسلها إليه ، فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق .

قال السلامي : ولما وجه عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المعتضد سأل أن يولوه عمل ما وراء النهر مثل ما كان يرسم عبد الله بن طاهر ، فوعده بذلك ثم أرسل إليه المعتضد هدايا فوصلته وهو في نيسابور ، فأبى أن يقبلها دون الوفاء بما وعدوه من تولية أعمال ما وراء النهر ، فكتب الرسول إلى المكتفي بالله بن المعتضد ، وكان بالري وعنده جماعة من خواص أبيه ، بما سأله عمرو ، فأنفذوا إليه العهد بها ، فحمل إليه العهد والهدايا التي سيرها له المعتضد بالله

٢ تاريخ الطبري ٣ : ٢١٥٩ - ٢١٦٠ .

١ ق : نومرد .

وامتنع من أخذها ، وكان في الهدايا سبع دسوت^١ خلع ، فوضعت بين يديه ، وأفاض عليه الرسول الخلع واحدة بعد أخرى ، وكلما لبس خلعة صلى ركعتين ، ثم وضع العهد قدامه ، فقال : ما هذا ؟ قال : الذي سألته ، فقال عمرو : ما أصنع به ؟ فإن إسماعيل ابن أحمد لا يسلم إلي ذلك إلا بمائة ألف سيف ، فقال : أنت سألته فشمّر الآن لتتولى العمل في ناحيته ، فأخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ، ثم أنفذ عمرو إلى الرسول ومن معه سبعمائة ألف درهم وصرفهم ، ثم جهز عمرو جيشاً إلى إسماعيل بن أحمد ، فعبر إسماعيل إليهم نهر جيحون وقتلهم ، فقتل بعضهم وهزم الباقين ، وعمرو بن الليث الصفار في نيسابور ، وكانت الواقعة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين ومائتين ، وعاد إسماعيل إلى بخارا ، وهي من أعمال ما وراء النهر .

قال السلامي : انتدب عمرو بن الليث لمحاربة إسماعيل ، محمد بن بشر ، فلما عبر إسماعيل جيحون دخل موسى السجزي على محمد بن بشر وهو يخلق رأسه فقال له : هل استأذنت إسماعيل في حلق رأسك ؟ يعني أن رأسه لإسماعيل لأنه انتصب لمحاربتة ، فقال له محمد : اغرب غني لعنك الله ، ثم تحاربوا من الغد ، فانكشف أصحاب بشر وقبضوا عليه وحز رأسه في جملة سائر الرؤوس وحملوها إلى إسماعيل ، وأدخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤوس عن رأس ابن بشر ، فأعلم بعضهم إسماعيل بما قال موسى السجزي لابن بشر ، فتعجب مما جرى فقال به .

وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين ما مثاله : وفي يوم الأربعاء لحمس بقين من جمادى الأولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان أنه كانت بين إسماعيل بن أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة ، فأسر عمرأ واستباح عسكره . وكان من خبر عمرو وإسماعيل^٢ أن عمرأ سأل السلطان أن يوليه ما وراء النهر فولاه ذلك ، ووجه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع واللواء على ما وراء النهر ، لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل : إنك قد وليت

١ دسوت : سقطت من ر .

٢ ع : إسماعيل بن أحمد وعمرو .

دنيا عريضة ، وأنا في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر ، فاقنع بما في يدك ، واطركني مقيماً بهذا الثغر ، فأبى إجابته إلى ذلك ، وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال عمرو : لو أشاء أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت . فلما ينس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من التناء والدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي ، وجاء عمرو بن الليث فنزل بلخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحي ، فصار كالمحاصر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجة فيما ذكر ، فأبى إسماعيل عليه ذلك ، ولم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو ، فولى هارباً ، ومر بأجمة في طريقه قيل له إنها أقرب ، فقال لعامة من معه : امضوا في الطريق الواضح ، ومضى في نفر يسير ، فدخل الأجمة ، ووحلت به دابته فوقعت ، ولم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى من معه ولم يلوا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً ، فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح إسماعيل وذم عمرأ ، وقال : يقلد أبو إبراهيم إسماعيل كل ما في يد عمرو ، ويوجه إليه بالخلع .

ثم ذكر الطبري أيضاً في سنة ثمان وثمانين ما مثاله^١ : وفي أول جمادى الأولى يوم الخميس أدخل عمرو بن الليث بغداد ، وذكر لي أن إسماعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده أسيراً^٢ وبين توجيهه إلى أمير المؤمنين ، فاختر توجيهه إلى أمير المؤمنين ، فوجهه .

وقال السلامي في « أخبار خراسان » : ثم خرج عمرو إلى بلخ فلاقاه بها إسماعيل فهزمه وقبض عليه ، وذلك يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائتين ، وأنفذه مقيداً إلى سمرقند - قلت : وهي من بلاد ما وراء النهر أيضاً ، وهذا النهر هو جيحون - قال : وضم إليه أخاه أبا يوسف ليخدمه ، إلى أن ورد عليه من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بعهد خراسان واللواء والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين ، وقدم معه إنسان^٣ ليتولى حمل عمرو بن

١ الطبري ٣ : ٢٢٠٣ .

٢ ع ر ق : أميرأ .

٣ ر : اسناس ؛ ق : استاسن .

الليث إلى بغداد فسلمه إسماعيل إليه ، فحمله .

وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه : إن عمرو بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من أصحابه . وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقبل ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث إلى إسماعيل بن أحمد ، ومعه قائد من قواده في خلق كثير ، فأصبح عمرو في يوم الوقعة وقد عرف الخبر ، ثم كثر هرب أصحابه إلى إسماعيل ، فضعف قلب عمرو وهرب ، واشتغل إسماعيل بالعسكر ، وبعث في طلب عمرو جيشاً ، فوجدوه واقفاً على فرس ، فقبضوا عليه ، وسيره إسماعيل إلى المعتضد ، وأخبره بما جرى ، وأنه سيره إلى سمرقند ، حتى يرد عليه أمر أمير المؤمنين ، فاشتد سرور الخليفة بذلك ، وقلد الخليفة إسماعيل ما كان مقلده عمرو مضافاً إلى عمله . وتوجه عبد الله بن الفتح إلى إسماعيل في طلب عمرو ، فلما وصل إلى إسماعيل وجه إليه ، فأحضر عمرأ ، فقيده وأرسله وإلى جانبه رجل من أصحاب إسماعيل بيده سيف مشهور ، وقيل لعمرو : إن تحرك في أمرك أحد رمينا رأسك إليهم ، فلم يتحرك أحد ، ووصلوا إلى النهروان يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ، وحل قيد عمرو ، فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الأولى ركب الجند للقائه وعمرو في القبة قد أرخى جلالها^٢ عليه ، فلما بلغ باب السلامة أنزل عمرو من القبة ، وألبس دُرّاءة ديباج وبرنس السخط ، وحمل على جمل له سنامان ، يقال له إذا كان ضخماً على هذه الصورة «الفالج» ، في غاية الارتفاع ، وكان عمرو قد أهدها فيما أهدى للخليفة ، وقد ألبس الجمل الديباج وحلي بدوائب وأرسان مفضضة ، وأدخل بغداد فاشتقها في الشارع الأعظم إلى دار الخليفة بقصر الحسيني ، وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع دهاء منه ، فرقت له العامة ، وأمسكت عن الدعاء عليه ، ثم أدخل على الخليفة وقد جلس له واحتفل به ، فوقف بين يديه ساعة ، وبينهما قدر خمسين ذراعاً ، وقال له : هذا ببيغيك يا عمرو ، ثم أخرج من

١ ر : هرب أكثر .

٢ ر : جلالها .

بين يديه إلى حجرة قد أعدت له ، وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من العرب من بلد سجستان ، فلما توفي يعقوب تزوجها أخوه عمرو ، ثم توفيت ولم تحلف وكدا ، وكان لها ألف وسبعمائة جارية .

قال بعضهم : كنت عند أبي عليّ الحسين بن محمد بن الفهم المحدث ، فدخل رجل من أصحاب الحديث فقال له : يا أبا علي ، رأيت عمرو بن الصفار أمس على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمرو منذ ثلاث سنين للخليفة فأنشد أبو علي :

وحسبك بالصفار نبلاً وعزة يروح ويغدو في الجيوش أميراً
جباهم بأجمالٍ ولم يدْرِ أنه على جملٍ منها يُقادُ أسيراً
وعمل في ذلك علي بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر - المقدم ذكره :

أيها المغتر بالدن يا أما أبصرت عمرا
أركب الفالج بعدا ملك والعزة قسرا
وعليه برنس للسخ ط إذلالاً وقهرا
رافعاً كفيه يدعو الله إسراراً وجهرا
أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفرا

قال الطبري^١ : وتوفي المعتضد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد علي ، وكان غائباً في الرقة عند موت أبيه ، فقدم بغداد ، وأمر يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه احتضرها لأهل الجرائم . ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسيني ، وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالإيحاء والإشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه : أي اذبحوا^٢ الأعور ،

١ تاريخ الطبري ١٣ : ٢٢٠٧ - ٢٢٠٨ .

٢ ع : اقتل ، الطبري : أراد ذبح .

وكان عمرو أعور فلم يفعل صافي الحرمي ذلك ، وهو الذي أمره المعتضد بقتله ، وإنما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته ، وكره قتل عمرو . ولما دخل المكتفي بغداد سأل ، فيما قيل ، القاسم بن عبيد الله عن عمرو : أحي هو ؟ فقال : نعم ، فسر بحياته وقال : أريد أن أحسن إليه . وكان عمرو يهدي إلى المكتفي ويبره برأ كثيراً أيام مقامه بالري في حياة أبيه المعتضد ، فذكر أن القاسم كره سؤاله عنه ، ودس إليه من قتله . وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريباً .

قلت : وإنما قيل ليعقوب : الصفار ، لأنه كان يعمل الصفر ، وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعدها راء . وكان أخوه عمرو يكري الحمير .

حكى شيخ من الصفارين قال : كان يعقوب وهو غلام في دكانه يتعلم عمل الصفر ، ولم أزل أتأمل بين عينيه وهو صغير ما آل أمره إليه ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : ما تأملته قط من حيث لا يعلم بتأملي إياه إلا وجدته مطرقاً إطراق ذي همة وفكر وروية ، فكان من أمره ما كان .

وقال علي بن المرزبان الأصفهاني الكاتب : سألت بعض أصحاب بني الصفار عن عمرو بن الليث أخي يعقوب بن الليث الصفار وصناعته ، وعمر يومئذ محبوس بمدينة السلام ، فسكت عني ، فلما توفي عمرو قال لي : كنت سألتني عن عمرو وصناعته ، ولم يكن من الحزم إخبارك وهو يرجي ويحشى ، فاعلم الآن أنه لم يزل مكارياً إلى أن عظم شأن أخيه يعقوب وتمكن من خراسان ، فلحق به وترك إكراء الحمير .

قلت : ذكر جماعة من أرباب التواريخ في كتبهم أن أبا أحمد عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر^١ بن الحسين الخزاعي - المقدم ذكره في هذا الكتاب - كان يقول : عجائب الدنيا ثلاث : جيش العباس بن عمرو الغنوي يؤسر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه ، وكانوا عشرة آلاف . وجيش عمرو بن الليث يؤسر عمرو وحده ويموت في السجن ويسلم جميع جيشه وكانوا

١ ع : أبا أحمد عبد الله بن طاهر ؛ ق : عبيد الله بن طاهر .

خمسين ألفاً ، وأنا أترك في بيتي بطالاً ويتولى ابني أبو العباس الجسرين ببغداد .
(352) قلت : وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوي^١ أن القرامطة لما
اشتد أمرهم وانتشروا في البلاد وبالغوا في الفتنك أرسل إليهم المعتضد بالله في سنة
سبع وثمانين ومائتين جيشاً مقدمه العباس المذكور ، فأسره أبو سعيد القرمطي
رئيس القرامطة في الوقعة ، وأسر جميع من معه من الجيش . وفي اليوم الثاني من
الوقعة أحضر أبو سعيد القرمطي الأسرى فقتلهم بأسرهم وأحرقهم ، وأطلق
العباس ، فجاء إلى المعتضد وحده ، وكان ذلك في آخر شعبان من السنة ، وكانت
الوقعة بين البصرة والبحرين . وهي قصة طويلة مشهورة ، وهذا خلاصتها إذ
ليس هذا موضع التطويل في شرحها - وسيأتي ذكرها مع الاستقصاء في التاريخ
الكبير إن شاء الله تعالى .

قلت : والبيتان المذكوران قبل هذا ، وأنها مكتوبان على قبر يعقوب
الصفار ، وآخر البيت الأول منهما :

وما كنت من ملك العراق بآيس

هذا نصف بيت من جملة أبيات ترنم بها معاوية بن أبي سفيان الأموي لما تغلب
على الشام ، وجاءه جرير بن عبد الله البجلي برسالة من علي بن أبي طالب ،
رضي الله عنه ، وكان علي إذ ذاك مقيماً بالكوفة ، فلما أدى جرير الرسالة إلى
معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير في مكان قريب منه ، وجعل
يرنم بهذه الأبيات تلك الليلة لسمع جرير ، فيعيد ذلك على علي رضي الله عنه ،
والأبيات المشار إليها هي :

تطاول ليلى واعتراضي وساوسي	لآتٍ أتى بالثرهات البسابسِ
أتاني جريرٌ والحوادثُ جمةٌ	بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكايدهِ والسيفُ ^٢ بيني وبينه	ولست لأثوابِ الدنيِّ بلبس
إنِ الشامُ أعطتْ طاعةً يمنيةً	تواصَّفاً أشياخها في المجالس

٢ ر : والبيض .

١ انظر الطبري ٣ : ٢١٩٦ .

فإن يفعلوا أصدماً علياً بجبهة تفتّ عليه كلّ رطبٍ ويآبس
وإنني لأرجو خير ما نال نائلٌ وما أنا من ملك العراق بآيس

قلت : «الترهات» بضم التاء المثناة من فوقها وتشديد الراء وبعد الهاء والألف تاء ثانية . والبسباس : بفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وبعد الألف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية ، وهي الباطل . وأصل الترهات : الطرق الصغار غير الجادة تشعب عنها ، الواحدة : ترهة فارسي معرب ، ثم استعير في الباطل ، فقيل : الترهات البسباس ، والجبهة : الخيل ، والجبهة : الجماعة من الناس أيضاً ، فكأنه قال : أصدره بالخيول والرجال ، والباقي معروف لا حاجة إلى تفسيره .
(353) ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن أن عمرو بن الليث لما أسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ، ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكري في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد ، وبعث بهما إلى مدينة السلام .

(354) ثم ولي بعده الليث بن علي بن الليث ، وهو ابن أخي يعقوب وعمرو بن الليث المذكورين ، كان تغلب على بلاد سجستان في سنة ست وتسعين ومائتين ، وجرى بين سبك السبكري وطاهر بن محمد المذكور ما جرى ، واستقرت البلاد بيد السبكري ، فاستخلف الليث المذكور على سجستان أخاه المعدل بن الليث ، وسار إلى بلاد فارس ، فهرب السبكري منه يطلب من الخليفة النجدة ، فجرد المقتدر بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست وتسعين ، وقدم عليها مؤنساً المظفر وبدراً الكبير والحسين بن حمدان ، والتقوا مع الليث بن علي ، فانهزم جيشه وأسر هو وأخوه محمد وابنه إسماعيل ، وعاد مؤنس إلى بغداد ومعه الأسرى في المحرم سنة سبع وتسعين ، وشهر الليث بن علي على الفيل ، وولي المعدل ابن علي بن الليث على سجستان ، فسار إليه أحمد بن إسماعيل الساماني في خلق كثير من الفارس والراجل ، فأخذ منه البلاد . ثم ملك سبك السبكري الصفار مدة ، ثم حمل معه محمد بن علي بن الليث إلى بغداد ، وانقضى أمر الصفارية ، والله أعلم .

محتويات الكتاب

حرف الواو :

- ٧ ٧٦٨ واصل بن عطاء ، أبو حذيفة المعتزلي المعروف بالغزال
- ١٢ ٧٦٩ وثيمة بن موسى بن القرات ، أبو يزيد الوشاء الفارسي
- ٧٧٠ الوليد بن عبيد بن يحيى ، أبو عبادة البخري الطائي الشاعر
المشهور
- ٢١ ٧٧١ الوليد بن طريف بن الصلت ، الشيباني الشاري
- ٣١ ٧٧٢ وهب بن منبه ، أبو عبد الله اليماني
- ٣٥ ٧٧٣ وهب بن وهب بن وهب ، أبو البخري الأسدي المدني
- ٣٧

حرف الهاء :

- ٤٥ ٧٧٤ هبة الله بن علي بن محمد ، أبو السعادات ابن الشجري
- ٥٠ ٧٧٥ هبة الله بن الحسين بن يوسف ، أبو القاسم البديع الأسطربلابي
- ٧٧٦ هبة الله بن الفضل بن القطان ، أبو القاسم ابن القطان البغدادي
الشاعر المشهور
- ٥٣ ٧٧٧ هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك ، أبو
القاسم القاضي السعيد الشاعر المشهور
- ٦١ ٧٧٨ هبة الله بن علي بن مسعود ، أبو القاسم وأبو الكرم البوصيري
- ٦٧ ٧٧٩ هبة الله ابن أبي الغنائم صاعد ، أبو الحسن أمين الدولة ابن التلميذ
الطبيب
- ٦٩

٧٨	هارون بن علي بن يحيى ، أبو عبد الله المنجم البغدادي	٧٨٠
٨٠	هشام بن عروة بن الزبير ، أبو المنذر	٧٨١
	هشام ابن أبي النضر محمد بن السائب ، أبو المنذر ابن الكلبي	٧٨٢
٨٢	النسابة	
	هشام بن معاوية ، أبو عبد الله النحوي الضرير صاحب	٧٨٣
٨٥	الكسائي	
	هشام بن غالب بن صعصعة ، أبو فراس الفرزدق الشاعر	٧٨٤
٨٦	المشهور	
	هلال بن المحسن بن إبراهيم ، أبو الحسن الصائبيء الحرائي	٧٨٥
١٠١	الكاتب	
	الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن ، أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي	٧٨٦
١٠٦	الراوية الأخباري	

حرف الياء :

١١٧	ياروق بن أرسلان التركماني	٧٨٧
	ياقوت بن عبد الله الملكي ، أبو الدرّ أمين الدين الموصلبي	٧٨٨
١١٩	الكاتب	
١٢٢	ياقوت بن عبد الله ، أبو الدر مهذب الدين الشاعر	٧٨٩
١٢٧	ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله شهاب الدين الرومي الحموي	٧٩٠
١٣٩	يحيى بن معين بن عون ، أبو زكريا البغدادي الحافظ المشهور	٧٩١
١٤٣	يحيى بن يحيى بن كثير ، أبو محمد الليثي المصمودي	٧٩٢
١٤٧	يحيى بن أكثم بن محمد ، أبو محمد التميمي القاضي	٧٩٣
١٦٥	يحيى بن معاذ ، أبو زكريا الرازي الواعظ	٧٩٤
١٦٨	يحيى بن عبد الوهاب بن محمد ابن منده ، أبو زكريا الحافظ	٧٩٥
١٧١	يحيى بن سعدون بن تمام ، أبو بكر الأزدي القرطبي المقرئ	٧٩٦

١٧٣	يحيى بن يعمر ، أبو سليمان أو أبو سعيد العدواني النحوي	٧٩٧
١٧٦	يحيى بن زياد بن عبد الله ، أبو زكريا القراء الأسلمي النحوي	٧٩٨
	يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد اليزيدي المقرئ النحوي	٧٩٩
١٨٣	اللغوي	
١٩١	يحيى بن علي بن محمد ، أبو زكريا الشيباني التبريزي الخطيب	٨٠٠
	يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور ، أبو الحسين الزواوي	٨٠١
١٩٧	النحوي	
١٩٨	يحيى بن علي بن يحيى ابن المنجم ، أبو أحمد النديم	٨٠٢
	يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي ، أبو بكر الأندلسي	٨٠٣
٢٠٢	الشاعر الوشاح	
	يحيى بن سلامة بن الحسين ، أبو الفضل معين الدين الحصكفي	٨٠٤
٢٠٥	الخطيب الشاعر	
	يحيى بن تميم بن المعز ، أبو طاهر الحميري الصنهاجي صاحب	٨٠٥
٢١١	إفريقية	
٢١٩	يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل وزير هارون الرشيد	٨٠٦
	يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر عون الدين	٨٠٧
٢٣٠	الوزير	
	يحيى بن سعيد بن هبة الله ابن زبادة ، أبو طالب الشيباني الكاتب	٨٠٨
٢٤٤	البغدادي	
٢٤٩	يحيى بن نزار بن سعيد ، أبو الفضل المنجي الشاعر	٨٠٩
٢٥٤	يحيى بن منصور بن الجراح ، أبو الحسين تاج الدين الكاتب	٨١٠
٢٥٨	يحيى بن عيسى بن إبراهيم ابن مطروح ، أبو الحسن جمال الدين	٨١١
٢٦٧	يحيى بن عيسى بن جزلة ، أبو علي الطيب	٨١٢
٢٦٨	يحيى بن حبش بن أميرك . أبو الفتوح السهروردي الحكيم	٨١٣

٢٧٤	يزيد بن القعقاع ، أبو جعفر القارىء المدني مولى ابن عياش	٨١٤
٢٧٧	يزيد بن رومان ، أبو روح القارىء مولى آل الزبير	٨١٥
٢٧٨	يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو خالد الأزدي	٨١٦
٣٠٩	يزيد بن أبي مسلم دينار ، أبو العلاء الثقفي مولاهم	٨١٧
٣١٣	يزيد بن عمر بن هبيرة ، أبو خالد الفزاري	٨١٨
٣٢١	يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، أبو خالد المهلبي الأزدي	٨١٩
٣٢٧	يزيد بن مزيد بن زائدة ، أبو خالد وأبو الزبير الشيباني	٨٢٠
٣٤٢	يزيد بن زياد بن ربيعة ، أبو عثمان ابن مفرغ الحميري	٨٢١
	يزيد بن سلمة بن سمرة ، أبو المكشوح ابن الطرية الشاعر	٨٢٢
٣٦٧	المشهور	
٣٧٦	يعقوب بن أبي سلمة ، أبو يوسف الماجشون	٨٢٣
	يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، أبو يوسف القاضي صاحب أبي	٨٢٤
٣٧٨	حنيفة	
	يعقوب بن إسحاق بن يزيد ، أبو محمد الحضرمي البصري	٨٢٥
٣٩٠	المقرئ	
٣٩٣	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو عوانة الإسفرايني الحافظ	٨٢٦
٣٩٥	يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ابن السكيت	٨٢٧
٤٠٢	يعقوب بن الليث ، أبو يوسف الصفار الخارجي	٨٢٨

فهرست التراجم العارضة

١٣	أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن الفرات	293
١٣	مالك بن نويرة	294
١٥	متمم بن نويرة	295
١٨	جذيمة الأبرش	296
٣٠	عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس	297
٣٤	الخنساء ، تماضر ابنة عمرو بن الشريد السلمي	297
٣٩	العطوي ، محمد بن عبد الرحمن بن عطية الشاعر	298
٥٤	الفضل بن عبد العزيز والد ابن القطان الشاعر	299
٦٦	جعفر بن المعتمد والد هبة الله ابن سناء الملك	300
٦٦	هبة الله بن وزير بن مقلد ، أبو المكارم	301
٧٤	هبة الله بن علي بن ملكان ، أوحده الزمان الحكيم	302
٧٥	هبة الله بن سعيد ، أبو الحسن الطيب	303
٧٧	ولد أمين الدولة ابن التلميذ	304
٧٩	يحيى بن هارون بن علي ابن المنجم	305
٨٦	غالب بن صعصعة التميمي ، والد الفرزدق	306
٨٧	سحيم بن وثيل الرياحي الشاعر	307
٨٩	نصيب الشاعر	308
٨٩	صعصعة بن ناجية ، جد الفرزدق	309
٩٢	المثلثس ، جرير بن عبد المسيح الضبيعي	310

١ تكرر الرقم خطأ .

١٠١	غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن	311
١١٠	زيد بن علي زين العابدين بن الحسين	312
١١٣	عمرو بن المسبح الثعلي	313
١٦٢	تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة حاكم صقلية	314
١٦٥	جعفر بن عبد الواحد القاضي	315
١٨٩	محمد بن أبي محمد اليزيدي	316
١٩٠	إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي	317
١٩٠	يزيد الحميري خال الخليفة المهدي	318
١٩٨	أبو الحسن أحمد بن يحيى بن المنجم	318
٢١٠	إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الطنزي	319
٢١٦	علي بن يحيى الصنهاجي صاحب إفريقية	320
٢١٧	يحيى بن علي بن يحيى الصنهاجي صاحب إفريقية	321
٢١٨	رجار النورماني صاحب صقلية	322
٢١٨	غنيم (غليلم) بن رجار	323
٢١٨	الأنبرور (فردريك الثاني) صاحب صقلية	324
٢١٩	محرز بن زياد	325
٢١٩	خالد بن برمك البرمكي	326
٢٤٣	أبو عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي الواعظ	327
٢٤٣	يحيى بن عبد الله بن محمد ، أبو الفضل زعيم الدين	328
٢٥٣	عماد الدين أبو المناقب حسام بن عرى المحلي	329
٢٦٦	بدر الدين يوسف الزرزاري قاضي القضاة	330
٢٨٤	أبو خدّاش مخلد بن يزيد بن المهلب	331

١ تكرّر الرقم هنا خطأ .

٢٨٧	بشر بن المغيرة بن المهلب	332
٣٠١	عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي	333
٣٠٦	القحل بن عياش بن حسان ، قاتل يزيد بن المهلب	334
٣٠٨	ثابت بن كعب بن جابر المعروف بثابت قطنة الشاعر	335
٣٤١	خالد بن يزيد بن مزيد	336
٣٤١	محمد بن يزيد بن مزيد	337
٣٤٢	مفرغ ، جد يزيد بن زياد بن مفرغ	338
٣٤٣	السيد الحميري ، لإسماعيل بن محمد بن بكار	339
٣٥١	أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب	340
٣٥٣	الحسين بن علي بن أبي طالب	341
٣٥٤	بهرام جور بن بهرام بن سابور الجنود	342
٣٥٥	أبو الجبر يزيد بن شرحبيل الكندي	343
٣٥٦	زياد بن أبي سفیان	344
٣٦٢	الحارث بن كلدة الثقفي	345
٣٦٣	أبو بكرة	346
٣٧٧	عبد العزيز بن عبد الله ابن الماجشون	347
٣٨٨	يوسف بن أبي يوسف القاضي	348
٣٨٩	سعد بن حبة الأنصاري	349
٣٩١	عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي	350
٤٢١	عمرو بن الليث الصفار	351
٤٣١	العباس بن عمرو الغنوي	352
٤٣٢	طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث	353
٤٣٢	الليث بن علي بن الليث	354

حَرْفُ الْيَاءِ

(تمة)

المنصور الموحدى

أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي ، القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب - قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن ، وسيأتي ذكر أبيه يوسف إن شاء الله تعالى - .

كان صافي السمرة جداً ، إلى الطول ما هو ، جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن ، مجرباً للأمر ، ولي وزارة أبيه ، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاية وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور^١ . ولما مات أبوه - في التاريخ الآتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في

٨٢٩ - أخباره في الملل الموشية : ١٢١ وروض القرطاس : ١٦٠ وأصال الأعلام : ٢٦٩ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ - ٢١١ والاستقصا ٢ : ١٥٨ وتاريخ اللواتين : ١٠ والمحب : ٢٣٦ وجنوة الاقتباس : ٣٤٨ والأنيس المطرب : ١٥٣ ونفع الطيب (انظر فهرته : المنصور يعقوب بن يوسف) وابن الأثير (انظر فهرته أيضاً) .

١ قارن بما في المحب : ٣٣٦ .

٢ قوله : كان صافي الأمور : لم يرد في ربر س من والترميم في المسودة ، وهو وارد في موضعين متفاوتين في المختار .

أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقرين^١ كما أقامها في سائر الناس أجمعين ، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات .

ولما مات أبوه كان معه في الصحبة^٢ ، فباشر تدبير المملكة من هناك ، وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس ، فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها وبمهد مصالحها في مدة شهرين . وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكته ، فأجاب قوم وامتنع آخرون . ثم عاد إلى مراکش التي هي كرسي ملكهم^٣ ، فخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية الملقب من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين^٤ وملك بجاية وما حولها ، فجهز إليه الأمير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولاً في البحر ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسائة ، فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراکش .

وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الأندلس ، فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها ، وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين ومعه جماعة من العرب ، ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة ، وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح ، فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراکش . فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثاً فظيماً ، فأنهى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش ، فتجهز لقصدهم في جحافل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب ، واحتفل وجاز إلى الأندلس ، وذلك في سنة

١ بر من : وعترته والأقرين ؛ س : وعشيرته والأقرين

٢ توفي أبوه بالأندلس على مراحل من مدينة شتيرين .

٣ س : مملكتهم .

٤ زاد في ر : وخمسائة .

إحدى وتسعين وخمسمائة ، فعلم الفرنج به ، فجمعوا خلقاً كثيراً من أقاصي بلادهم وأدانها ، وأقبلوا نحوه .

قلت : ورأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءاً بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ^٢ كان بها ، وكان قد سافر إلى مراکش وأقام بها مدة ، وكتب فصولاً تتعلق بتلك الدواة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره^٣ ها هنا ، فقال^٤ : لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس ، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة ، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة ، عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاة الأطراف وقواد الجيوش بالحضور ، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها ، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه أطباؤه ، فتوقف الحال عن^٥ تدبير ذلك الجيش ، فحمل الأمير يعقوب إلى مراکش ، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف ، وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس ، واقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقاً وغرباً ، واشتغلوا بالدفاع والممانعة ، فكثرت طمع الأذفونش في البلاد ، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد ، ويطلب بعض الحصون

١ ر : أقصى بلادهم وأدانها .

٢ كان مفتتاً في العلوم عارفاً بالأصلين والفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، عاد من رحلته إلى الشام سنة ٦٠٠ وكانت وفاته سنة ٦٤٢ (انظر مرآة الزمان : ٧٤٨ وذييل أبي شامة : ١٧٤ والشفرات ٥ : ٢١٤ والنفع ٣ : ٩٩) .

٣ ع ر س : ذكرها .

٤ انظر المصادر السابقة في وصف معركة الأرك (Alarcos)

٥ س بر : على .

المتاخمة له من بلاد الأندلس ، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف
 بابن الفخار ، وهي : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلى الله
 على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح ، أما بعد فإنه لا يخفى
 على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل^٢ لازب ، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني
 أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل
 والتواكل وإهمال الرعية ، وإخلادهم إلى الراحة^٣ ، وأنا أسومهم بحكم
 القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال ، ولا عنر لك في التخلف
 عن نصرهم إذا أمكتك^٤ يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض
 عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم
 ضعفاً ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا
 تملكون امتناعاً ، وقد حكى لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على
 ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ،
 فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ، ثم قيل لي إنك
 لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعله لا يسوغ لك التقحم معها ، وها أنا أقول
 لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك ، على أن تفي بالعهود والمواثيق
 والاستكثار من الرهان ، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني
 والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملي إليك ، وأقاتلك في أعز الأماكن
 لديك ، فإن كانت^٥ لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت
 بين يديك ، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك ، واستحقيت^٦ إمارة

١ ع : سيدنا ؛ س بر : سيدنا السيد .

٢ المختار : وعقل .

٣ زاد في ر : والأريحية .

٤ ر : أمكتكم .

٥ ر : كانت الدائرة .

٦ كذا في النسخ جميعاً .

المتين والحكم على البرين ، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة ، لا رب غيره ولا خير إلا خيره ، إن شاء الله تعالى .

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه :
﴿ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ (النمل : ٣٧) الجواب ما ترى لا ما تسمع :

ولا كُتِبَ إلا المشرفة عنده ولا رسلُ إلا الخميس العرممُ

قلت : وهذا البيت للمنتبي .

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار ، وضرب السراذقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر ، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة فعب فيه إلى الأندلس ، وسار إلى أن دخل بلاد الفرنج ، وقد أعتدوا واحتشدوا وتأهبوا ، فكسرهم كسرة شنيعة ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، انتهى ما نقلته من الجزء المذكور .

قلت : ثم وجدت في كتاب « تذكير العاقل وتنبية الغافل » تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي^١ هذه المكاتبة وجوابها ، قد كتبها الأذفونش بن فردلند إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى - وجواب يوسف على هذه الصورة أيضاً ، والله أعلم .

قلت : وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على أنه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري ، فإن كان كذلك فما يمكن أن تكون هذه الرسالة إلى يعقوب ابن يوسف ، لأن ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير ، والله أعلم .

١ س : التيفاشي ، وهو تصحيف .

ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما
نشرحه إن شاء الله تعالى : وهو أن الفرنج جمعوا جمعاً عظيماً وقصدوه ،
وبلغ الأمير يعقوب خبراً مسيرهم وكثرة جموعهم ، فما هاله ذلك ، وجدّ
في السير نحوهم حتى التقوا في شمال قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج
الحديد^١ ، وفيه نهر يشقه ، فعبر إلى منزلة الفرنج وصافهم ، وذلك يوم
الخميس التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسائة ، واقتفى في ذلك
طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يضافون يوم الخميس ، ومعظم حركاتهم^٢
في صفر ، ووقع القتال وبرزت الأبطال وصبرت الرجال ، فأمر الأمير
يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يتحملوا ففعلوا ، وانهمز الفرنج
وعمل فيهم السيف فاستأصلهم قتلاً ، وما نجا ملكهم إلا في نفر يسير ، ولولا
دخول الليل لم يبق منهم أحد ، وغنم المسلمون أموالهم ، حتى قيل إن الذي
حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع ، وأما الدواب على اختلاف
أنواعها فلم يُحصَر لها عدد ، ولم يسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها .

ومن عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركاً محارباً إن ظفروا به ولو كان
ملكاً عظيماً ، بل تضرب رقابهم كثراً أو قتلوا ، فلما أصبح جيش المسلمين
اتبعهم فألفوهم قد أخذوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب ، فملكها الأمير
يعقوب وجعل فيها والياً وجيشاً . ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه
الدخول إلى بلاد الفرنج في ذلك الوقت ، فعاد إلى مدينة طليطلة وحاصرها
وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على بلادها ، وأخذ من
أعمالها حصوناً كثيرة وقتل رجالها وسبي حريمها وخرّب مبانيها^٣ وهدم
أسوارها ، وترك الفرنج في أسوأ حال ، ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة .

١ ساء المراكشي « فحصر الحديد » .

٢ من هنا يبدأ النص بخط المؤلف .

٣ ر : مغانيها .

ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين ، فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة^١ وفعل فيها كفعله المتقدم ، فلم يبق للفرنج قدرة على لقاءه وضاق عليهم الأرض بما رحبت ، فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح ، فأجابهم إلى ذلك لما اتصل به من أخبار علي بن إسحاق الميورقي - المقدم ذكره في هذه الترجمة - فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرب أكثر بلادها ، وتوجه نحو الغرب ، وسوّلت له نفسه التزول على بجاية لما علمه من اشتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين . فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الأندلس جميعاً على ما اختاره لمدة خمس سنين ، ثم عاد إلى مراکش في أواخر سنة ثلاث وتسعين . ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر للتوجه إلى بلاد إفريقية ، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا له : يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس ، فمننا من له خمس سنين ومننا من له ثلاث سنين وغير ذلك ، فنتعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين ، فأجابهم إلى سؤلهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المنتزهات المعدة له ، وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة ، سماها « رباط الفتح » على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحسينه ، وبنائها على البحر المحيط الذي هناك ، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البرّ القبلي ، وطاف تلك البلاد وتتره فيها ثم رجع إلى مراکش .

قلت : وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره ، فمن الناس من يقول : إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق^٢ وهو مستخف لا يعرف ، ومات خاملاً ، ومنهم من يقول : إنه لما رجع

١ ر : مرة أخرى ثالثة .

٢ المختار : الشرق .

إلى مراكش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى، وقيل في شهر ربيع
الآخر في سابع عشره، وقيل في غرة صفر، سنة خمس وتسعين وخمسمائة
بمراكش، وقيل إنه مات بمدينة سلا، والله أعلم. وكانت ولادته على
ما ذكر هو ليلة الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين
وخمسمائة، رحمه الله تعالى، ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته.

قلت: ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمئة
أن بالقرب من المجدل، البلدة التي من أعمال البقاع العزيري، قرية يقال لها
حمارة، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب،
وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف، وهذا القبر
بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب، والله أعلم^١.

وكان ملكاً جواداً عادلاً متمسكاً بالشرع المطهر، يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس،
ويلبس الصوف^٢، ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق. وأوصى أن
يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به.

وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها ها هنا وهي: أن الأمير الشيخ أبا
محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر والد الأمير أبي زكريا يحيى
ابن عبد الواحد صاحب إفريقية كان قد تزوج أخت الأمير يعقوب المذكور
وأقامت عنده، ثم جرت^٣ بينهما منافرة فجاءت إلى بيت أخيها الأمير
يعقوب، فسير الأمير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه، فشكا الأمير عبد
الواحد ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش، وهو القاضي أبو عبد الله محمد
ابن علي بن مروان، فاجتمع القاضي المذكور بالأمير يعقوب وقال له:

١ قلت... أعلم: سقط من رس بر من، وهو هامش المسودة، وثابت في المختار وع ق.

٢ هنا سقط في المسودة، وقد أكمل النص بخط مخالف...

٣ ع: حتى جرت.

إن الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله ، فسكت الأمير يعقوب ، ومضى على ذلك أيام ، ثم إن الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الأمير يعقوب بمراكش ، وقال له : أنت قاضي المسلمين ، وقد طلبت أهلي فما جاعوني ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا أمير المؤمنين ، الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية ، فسكت الأمير يعقوب ، ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء إلى خدمة الأمير يعقوب فقال له : يا قاضي المسلمين ، قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة : أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا مولانا إن الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله ، فاما أن تسير إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء ، فسكت الأمير يعقوب ، وقيل إنه قال له : يا أبا عبد الله ما هذا إلا جِد كبير . ثم استدعى خادماً وقال له في السر : تحمل أهل الشيخ عبد الواحد إليه ، فحملت إليه في ذلك النهار ، ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئاً يكرهه ، وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانتقاد لأوامره ، وهذه حسنة تُعدّ له وللقاضي أيضاً ، فإنه بالغ في إقامة منار العدل .

وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور يشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس ، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم ، وأمر برفض فروع الفقه ، وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين ، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس . ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطريق : مثل أبي الخطاب ابن دحية وأخيه أبي عمر ومحمي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم .

١ علق بعضهم في هامش المختار تهكماً من المؤلف زاعماً أن الحكاية لا تدل على شيء وليست ذات مغزى .

وكان يعاقب على ترك الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها ،
فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيراً بليغاً .

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع
أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل
في ولايته ، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس . وكان محسناً محباً للعلماء مقرباً
للأدباء مصغياً إلى المدح مثيباً عليه ، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام
الجرأوي^١ كتابه الذي سماه « صفوة الأدب وديوان العرب » في مختار
الشعر ، وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان .

وإلى الأمير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية .

وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
— الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — رسولاً^٢ من بني منقذ في سنة سبع وثمانين
وخمسمائة ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية
وساحل الشام ، ولم يخاطبه بأمر المؤمنين^٣ بل خاطبه بأمر المسلمين ، فعز
ذلك عليه ، ولم يجبه إلى ما طلبه منه .

(355) والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن
نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد — وقد سبق في ترجمة عمه أسامة بن
منقذ تنمة نسبه — هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في
كتاب « الوفيات » وقال: توفي في سنة ستمائة بالقاهرة ، ومولده في شيزر
سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وله نظم ونثر .

١ انظر ترجمة الجراوي في التكملة : ١٢٨ والفصول الياضة : ٩٨ .

٢ هنا يعود خط المؤلف في المسودة ؛ وانظر رسائل صلاح الدين اليه في مفرج الكروب

٣ : ٤٩٦ وما بعدها ؛ وراجع النسخ ١ : ٤٤٤ والروضتين ٢ : ١٧٠ .

رجعنا إلى حديث يعقوب .

(356) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر الأندلسي المرسي^١ . ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب ، فمن ذلك قوله :

أتراه يتركُ الغسزلا	وعليه شبّ واكتهسلا
كليفٌ بالغيد ما عقلتُ	نفسهُ السلوانَ مذ عقلا
غير راضٍ عن سجية مَنْ	ذاق طعمَ الحبِّ ثم سلا
أيها اللوامُ ويحككمُ	إن لي عن لومكم شغُلا
ثقلتُ عن لومكم أذنُ	لم يجد فيها الهوى ثقلا
تسمعُ النجوى وإن خفيتُ	وهي ليست تسمع العذلا
نظرتُ عيني لشِقْوَتِها	نظراتٍ وافقتُ أجلا
غادةٌ لما مثلتُ لها	تركتني في الهوى مثلا
هي بزنتي الشباب فقد	صار في أجفانها كَحَلَا
أبطل الحقَّ الذي بيدي	سِحْرُ عينيها وما بطلا
عرضتُ دلا ^٢ فإذا فطنتُ	بولوعي أعرضتُ خجلا
وبدا لي أنها وجلت	من هنات تبعث الوجلا
حسبتُ أني سأحرقها	إذ رأيتُ رأسي قد اشتعلا
يا سِراةَ الحسيّ مثلكمُ	يتلافى الحادثُ الجَلَلَا
قد نزلنا في جواركمُ	فشكرنا ذلك النُّزلا
ثم واجهنا ظباءكمُ	فلقينا الهول والوهلا ^٣

١ توفي ابن مجبر سنة ٥٨٨ هـ ، راجع ترجمته في زاد المسافر : ٩ وبغية الملتبس رقم ٩٣ والنفع ٤ : ٢٣٧ وله شعر في النفع وشرح مقصورة حازم والبيان المغرب (ج ٣ ط . تطوان) والحلل الموشية .

٢ بر : فمذ ؛ م : وإذ ٣ ر من بر : والوجلا .

أضمتم أمنن جيرتكم
وأردتم غصب أنفسهم
ليتنا خضنا السيوف ولم
عارضتنا منكم فئة
ثعلبيات جفونهم
أشرعوا الأعطاف ناعمة
واستفزتنا عيونهم
ورمتنا بالسهام فلم
نصروا بالحسن فانتهبوا
عطلتني الغيد من جلدي
حملت نفسي على فتن
ثم قالت سوف تركها
قلت أما وهي قد علقت
ما عدا تأميلها ملكاً
أودع الإحسان صفحته
فإذا ما الجود حركه

ثم ما آمنم السبلا
فبيشم بينها المقلا
نلق تلك الأعين الزجاجلا
أحدث في عهدنا دخلا
وهم لم يعرفوا ثعلا
حين أشرعنا القنا الذبلا
فخلعنا البيض والأسلا
نر إلا الحلي والحللا
كل قلب بالهوى جدلا
وأنا حليتها الغزلا
سئمتها صبراً فما احتملا
سلباً للحب أو نفعلا
بأمر المؤمنين فلا
من رآه أدرك الأملا
ماء بشر يتقع الغللا
فاض من يمناه فأنهلا

قلت : وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات ، فنقتصر منها على هذا المقدار .

وكانت وفاة هذا الشاعر في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

ودخل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الشاعر على الأمير يعقوب فأنشده :

١ انظر النفع ٤ : ٣٨٠ و عقود الجمان لابن الشعرا : ١ : ٣٧ والنقل فيه عن شيخ الشيوخ ابن =

أزال حجابَه غي وعيني تراه من المهابة في حجابِ
وقرّبي تفضله ولكن بعدتُ مهابةً عند اقترابي

وكانم : بكسم النون ، جنس من السودان وهم بنو عم تكرر ، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم ، وإنما كانم اسم بلدة بناوحي غانة ، وهي دار ملك السودان الذين يجنوب الغرب ، فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة ، وتكرر اسم للأرض التي هم فيها ، وسمي جنسهم باسم أرضهم ، والجميع من بني كوش بن حام بن نوح عليه السلام ، والله أعلم^١ .

(357) ولما حضرت الوفاة الأمير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ، ونهض إلى إفريقية فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهديّة من نوابه ، وقد كان استولى عليها في مدة اشتغال الأمير يعقوب بالأعداء ، ثم تحرك محمد بن يعقوب إلى جزيرة الأندلس ، فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة . وتوفى محمد سنة ست عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان]^٢ ومولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة . والمغاربة يقولون : إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم . ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم ، فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلاً ، فعندما رآوه جعلوه غرضاً لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة ، أنا الخليفة ، فما تحققوه حتى هلك ، والله أعلم بصحة ذلك .

(358) ثم ولي بعده ولده أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الأمير يعقوب ، وتلقب

= حمويه . وقد ترجم ابن الأبار (التكملة : ١٧٧) لكانمي اسمه ابراهيم بن محمد وكان شاعراً فلا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره .

١ ودخل الأديب ... أعلم : سقط من بر من رس وهو ثابت في المختار وهامش المسودة .

٢ لم يرد في النسخ الخطية .

المستنصر بالله ، ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ، ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً منه ولا أبلغ في المخاطبة ، إلا أنه كان مشغولاً براحته ، فلم يبرح عن حضرته ، فضعفت الدولة في أيامه. ومات في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة ، ولم يخلف ولداً .

(359) فاتفق أرباب الدولة على تولية أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور عقله ، فلم يحسن التدبير ، ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته . ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالأندلس أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب المذكور ، فامتنع بمرسية ، ورأى أنه أحق بالأمر من عبد الواحد ، وخرج إلى ما في جهته من بلاد الأندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعدل ، فلما خنق عبد الواحد بمراكش ، ثارت الفرنج بالأندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا ، وانهمز أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش ، وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء إدريس بن الأمير يعقوب ، وقاسى عبد الله شدائد في طريقه إلى مراكش من العربان ، فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش .

(360) وتفاوضوا فيمن يقدمونه ، فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب ، وهو إذ ذاك كما يقتل وجهه غير لم يجرب الأمور ، فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى ورد الخبر من الأندلس أن أبا العلاء إدريس بن الأمير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الأندلس ، ثم آل أمره إلى أن حصره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى ، حتى ضجر منه أهل مراكش وتشاءوا به وأخرجوه عنهم ، فهرب إلى جبل درن ، ثم راسل في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود إليها ويقتل من بها من أعوان أبي العلاء إدريس ، فحضر إليها وقتل المذكورين .

(361) وجاء أبو العلاء من الأندلس ، وقد خرج عليه بها الأمير محمد بن يوسف

ابن هود الجذامي ، ودعا إلى بني العباس فمال إليه الناس ورجعوا عن أبي العلاء إدريس ، فانتهى إلى مراکش ، ويحيى بها ، فتواقعوا وانهمز يحيى من أبي العلاء إلى الجبل ، واستولى أبو العلاء على مراکش .

وجمع يحيى رجالاً وقصد أبا العلاء بمراكش فهزمه أبو العلاء مراراً وأضعف جماعته ، فأجأته الضرورة إلى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان ، وكان لغلام منهم عنده ثار بأبيه ، فرصده يوماً وهو راكب فطعنه فقتله ، واستبد أبو العلاء بالأمر وتلقب بالمأمون . وكان شجاعاً حازماً صارماً فتاكاً . ثم إن أبا العلاء مات في الغزو حتف أنفه ، ولم أتحقق تاريخ وفاته . ثم أخبرني بعض أهل بلادهم أنه توفي سنة ثلاثين وستمائة ، والله أعلم .

(362) وأخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأمنه ، وهو أبو محمد عبد الواحد ابن أبي العلاء إدريس ، وتلقب بالرشيد ، وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الأكبر واستبد بالأمر . وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت - المقدم ذكره - من الخطبة يوم الجمعة ، فأعاد ولده الرشيد المذكور ، واستمال به قلوب جماعته وتجب إليهم . وكان إلى سنة إحدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الأقصى وبعض الأندلس ، ولم أعلم ما وراء ذلك حتى أذكره¹ .

وبعد تسطير هذه الترجمة كتب لي بعض أهل مراکش ممن عنده فضيلة ومعرفة ، وكان قريب عهد ببلاده ، فأخبرني أن الرشيد المذكور توفي غريباً في صهريج بستان له بحضرة مراکش في سنة أربعين وستمائة ، وكم حاجبه أمره مدة فجهل لذلك شهر وفاته .

(363) وولي بعده أخوه لأبيه المعتضد ويعرف بالسعيد ، وهو أبو الحسن علي ابن إدريس . ثم خرج إلى ناحية تلمسان ، وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان

١ هنا تنتهي الترجمة في النسخة س ، سوى ضبط كلمة « الأذفونش » .

مسافة يوم واحد ، وقتل هناك على ظهر فرسه في صفر سنة ست وأربعين
وستمائة .

(364) وولي بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف في شهر
ربيع الآخر من السنة . وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين
وستمائة دخل الواثق أبو العلا إدريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن
المعروف بأبي دبوس ، مراکش ، وهرب المرتضى إلى آزمور ، وهي من
نواحي مراکش ، فقبض عليه عامله بها وبعث إلى الواثق بذلك ، فأمره
الواثق بقتله ، فقتله في العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين
وستمائة بموضع يقال له كتامة ، بعده عن مراکش ثلاثة أيام .

(365) وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني
مَرين ملوك تلمسان ، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن ، وكان قتل الواثق
في المحرم سنة ثمان وستين ، بموضع بينه وبين مراکش مسيرة ثلاثة أيام
في جهتها الشمالية . واستولى بنو مَرين على ملكهم ، وملكهم الآن أبو يوسف
يعقوب بن عبد الحق بن حمامة ، والله تعالى أعلم .

(366) وأما علي بن إسحاق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة ، وكان
أبوه أبو إبراهيم إسحاق بن حمّو ، بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة
ثم واو ، ابن علي ، ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة
ويابسة ، وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي ، فتوفي في سنة ثمانين
 وخمسمائة ، وخلف أربعة بنين ، وهم : أبو عبد الله محمد ، توجه بعد
موت أبيه إلى الموحدين بالأندلس فأعطوه مدينة دانية وأحسنوا إليه غاية
الإحسان ، وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى ، خرجا إلى بلاد إفريقية وفعلا
الأفاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث في البلاد ، فمات
علي ، ولا أعلم تاريخ وفاته ، لكنه كان حياً في سنة إحدى وتسعين .

واستمر يحيى على حاله فطالت مدته ، وذكره الحافظ زكي الدين عبد
العظيم المنري في كتاب « الوفيات » فقال : خرج من ميسورقة في شعبان

سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة ، وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . وتوفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان ، وكان خروجه على بني عبد المؤمن .

(387) وبقي أصغر الإخوة ، وهو أبو محمد عبد الله ملك ميورقة إلى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، فجهز إليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور أسطولاً نزل بساحل ميورقة ، فبرز إليهم ، وكان شجاعاً كريماً ، فعثر به فرسه فسقط إلى الأرض فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى مراکش ، وعلقوا جثته على السور ، وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم إلى أن تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة ، وفعلوا فيها العظام من القتل والأسر ، وغير ذلك . والأذفونش : بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة ، وهو اسم لأكبر ملوك الفرنج ، وهو صاحب طليطلة .

٨٣٠

يعقوب بن داود

أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمرا بن طهيمان ، السلمي بالولاء ، مولى أبي صالح عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان ؛ كان يعقوب

٨٣٠—أخباره في الطبري والجيشياري وابن خلدون وابن الأثير وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢
والبداية والنهاية ١٠ : ١٤٧ و امرأة الجنان ١ : ٤١٧ ومعجم المرزباني : ٤٩٥ ونكت
الهيمنان : ٣٠٩ .

١ فوق لفظة عمر في المسودة : عثمان ؛ وقد جعلت في النسخ : بن عمر بن عثمان ... الخ .

المذكور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة وتواحيها وقتلًا في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقصتهما مشهورة في التواريخ ، وليس هذا موضع ذكرها .

وكان أبوه داود بن طهمان وإخوته كتاباً لنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني أمية ، ولما مات داود نشأ ولداه علي ويعقوب المذكور أهل أدب وفضل واقتنان في صنوف العلوم . ولما ظهر المنصور على إبراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل في سنة ست وأربعين ومائة .

قلت : ولعله الأصح ، لأن إبراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه ، إلا أن يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل إبراهيم ، وذلك في أول خروجه ، والله أعلم .

وكان يعقوب سَمْنَحاً جواداً كثير البر والصدقة واصطناع المعروف ، وذكره دَعْبَل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء ، وكان مقصوداً مُمَدَّحاً ، مدحه أعيان شعراء عصره ، مثل أبي الشيص الخزاعي وسَلَم الخاسر وأبي حنَّس ، وغيرهم .

ولما مات المنصور وقام بالأمر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب إليه حتى أدناه ، واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه ، حتى خرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود ، فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر :

قل للإمام الذي جاءت خلافته تُهْدَى إليه بحق غير مردودِ
نعم القرن على التقوى أعينت به أخوك في الله يعقوب بن داودِ

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه ، وفي سنة إحدى وستين تقدم إليه بتوجيه الأمانة إلى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك ، فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بانفاذه ، وكان^١ وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري الطبراني صاحب مربعة عبيد الله ببغداد ، وكان جده يسار مولى عبد الله بن عضاه الأشعري ، فلم يزل الربيع بن يونس - المقدم ذكره في حرف الراء^٢ - يسعى به إلى المهدي وصحح على ابنه الزندقة قتلته المهدي ، وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول له : لا تثق به بعد قتلك ابنه ، ويذكر كفاية يعقوب ابن داود ، حتى عزله عن الوزارة وأفرده في ديوان الرسائل ، واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين .

ثم إن المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين ، ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور ، وكان أبو عبيد الله يصل إلى المهدي على عادته رعاية منه لخدمته ، فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي^٣ من جملة أبيات :

قل للوزير أبي عبيد الله هل من باقيه
يعقوب يلعب بالأمور وأنت تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليك كذاك شوم الناصيه
وأخذت حتفك جاهداً يمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها ، وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسعمائة ألف درهم وستين ألف درهم ، وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاعتقاد في الإنفاق وحفظ الأموال ، فلما عزل

١ هنا ضاعت ورقة فيها خط المؤلف ، وكمل النقص بخط حديث .

٢ ج ٢ : ٢٩٤ .

٣ ترجمته في الأغاني ١٤ : ١٦٦ والأبيات في ص : ١٦٩ .

وولي يعقوب زين له هواه ، فأنفق الأموال وأكب على اللذات والشرب
وسماع الغناء ، واشتغل يعقوب بالتدبير ، ففي ذلك يقول بشار بن برد
الشاعر المشهور - المقدم ذكره في حرف الباء^١ - :

بني أمية هبوا طال نومكمُ إن الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق^٢ والعود

وكان أبو حارثة النهدي يتقلد خزن بيوت الأموال ، فلما خلت من
المال دخل إلى المهدي ومعه المفاتيح وقال له : إذا كنت قد أنفقت جميع
الأموال فما معنى هذه المفاتيح معي ؟ مر من يقبضها مني ، فقال له المهدي :
دعها معك فإن الأموال تأتيك . ثم سير في استحثاث الأموال فوردت عليه
في مدة يسيرة ، وقصّر في التفقات قليلاً فتوفرت الأموال ، وتشاغل أبو
حارثة في قبض ما ورد عليه وتصحيحه ، فلم يدخل إلى المهدي ثلاثة أيام ،
فقال المهدي : ما فعل هذا الأعرابي الأحمق ؟ فخير بالسبب في تأخره ،
فدعا به وقال له : ما أخرجك عنا ؟ فقال : ورود الأموال ، فقال : يا أحمق
توهمت أن الأموال لا تأتينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحادث لو حدث
واحتيج إلى المال ولم يصلح إلا به لم ينتظر حتى يوجه في حمل الأموال .

وروي أن المهدي حج في بعض السنين فمر بميلٍ وعليه كتابة ، فوقف
وقراه فإذا هو :

لله درك يا مهدي من رجلٍ لولا اتخاذك يعقوب بن داودِ

فقال لمن معه : اكتب تحته على رغم أنف الكاتب لهذا وتعساً لجلده ا
فلما انصرف وقف على الميل فقلنا : لم يقف عليه إلا شيء قد علق بقلبه
من ذلك الشعر ، فكان كذلك لأنه أوقع بيعقوب بعد قليل .

١ أنظر ج ١ : ٢٧١

٢ المختار : الدف ؛ بر من : الدن .

وكرّرت الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالا فيه وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوي ، وعرفه بعض خدومه أنه سمعه يقول : بنى هذا الرجل مستنزهاً أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين ، وكان المهدي قد بنى عيسى ياد ، وأراد المهدي أمراً فقال له يعقوب : هذا يا أمير المؤمنين من السرف ، فقال له : وبيك ، وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ؟ وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه ، وسأل المهدي الإقالة وهو يمتنع .

ثم إن المهدي^٢ أراد أن يمتحنه^٣ في ميله إلى العلوية ، فدعا به يوماً وهو في مجلس فرّسه موردة وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الأوراد ، فقال له : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : على غاية الحسن ، فمتع الله أمير المؤمنين به ، فقال له : جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليم سرورك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فدعا له ، فقال له المهدي : ولي إليك حاجة ، فقام يعقوب قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا للموجدة وأنا أستعيز بالله من سخطك ، فقال : أحب أن تضمن لي قضاءها ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له : والله ، فقال : والله ، ثلاثاً ، فقال له : ضع يدك على رأسي واحلف به ، ففعل ذلك ، فلما استوثق منه قال له : هذا فلان بن فلان ، رجل من العلوية ، أحب أن تكفيني مؤونته ، وتريجني منه فخذة إليك . فحوله إليه وحول إليه الجارية وما كان في المجلس والمال ، فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل إليها ، ووجه فأحضر العلوي فوجده ليبياً فهماً فقال له : ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمي ،

١ ر : فيه سرف .

٢ انظر المهشاري : ١٦٠ .

٣ هنا تعود النسخة بخط المؤلف .

وأنا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له يعقوب : يا هذا أفيك خير ؟ فقال : إن فعلت خيراً معي شكرت ودعوت لك ، فقال له : خذ هذا المال وخذ أي طريق شئت ، فقال : طريق كذا وكذا آمن لي ، فقال له امض مصاحباً . وسمعت الجارية الكلام كله ، فوجهت مع بعض خدمها به وقالت : قل له : هذا فعل الذي آثرته على نفسك بي ، وهذا جزاؤك منه ؛ فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره ، فلما رآه قال : ما حال الرجل ؟ قال : قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال : فضع يدك على رأسي ، فوضع يده على رأسه وحلف له به ، فقال : يا غلام أخرج إلينا مَنْ في هذا البيت ، ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه ، فبقي يعقوب متحيراً وامتنع الكلام عليه فما درى ما يقول ، فقال له المهدي : لقد حل دمك ، ولو آثرت لإراقته لأرقته ، ولكن احبسوه في المطبق ، فحبسوه ، وأمر بأن يطوى عنه خبره وعن كل أحد . فأقام فيه سنتين وشهوراً في أيام المهدي وجميع أيام الهادي موسى بن المهدي وخمس سنين وشهوراً من أيام هارون الرشيد ، ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره وشفع فيه فأمر باخراجه ، فأخرج وقد ذهب بصره ، فأحسن إليه الرشيد ، وردَّ ماله ، وخيَّرهُ المقام حيث يريد ، فاختار مكة ، فأذن له في ذلك ، فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة .

ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من إخوانه فأخبر بموتهم فقال :

لكل أناسٍ مقبرٌ بنفسائهم فهم يتقصون والقبورُ تزيدُ
همُ جيرةُ الأحياءِ أما محلهم فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيدُ

قلت : هذان البيتان في باب المراثي في كتاب « الحماسة »^١ .

١ شرح الرزوقي رقم : ٢٩٧ ، وانظر الجهشيارى : ١٦٢ .

قلت : هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه « تاريخ الوزراء » وذكر غيره أن يعقوب بن داود مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة ، والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الله بن يعقوب بن داود : أخبرني أبي أن المهدي حبسه في بئر وبني عليها قبة ، قال : فمكثتُ فيها خمس عشرة سنة ، وكان يدلتي لي فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلوات ، فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آتٍ في منامي فقال^١ :

حنا على يوسف ربّ فأخرجه من قعر جبّ وبيتٍ حوله غمّم^٢

قال : فحمدت الله تعالى وقلت : أتاني الفرج ، ثم مكثت حولاً لا أرى شيئاً ، فلما كان رأس الحول الثاني أتاني ذلك الآتي فأنشدني :

عسى فرجٌ يأتي بسه الله إنسه له كلّ يوم في خليقته أمرٌ

قال : ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً ، ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول

فقال :

عسى الكربُ الذي أمستَ فيه يكون وراءهُ فرجٌ قريبٌ

فيأمنُ خائفٌ ويفسكُ عانٍ ويأتي أهله النائي الغريب

فلما أصبحت نوديت ، فظننت أني أوذن بالصلاة ، فدلي لي جبل أسود وقيل لي : اشدّدْ به وسطك ، ففعلت وأخرجت ، فلما قابلت الضوء عشي بصري ، فانطلقوا بي ، فأدخلت على الرشيد فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، المهدي ، فقال الرشيد : لست به ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الهادي ، فقال : لست به فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله

١ ينقطع هنا خط المؤلف ، ويستكمل النص بخط آخر ، وانظر تاريخ بغداد : ٢٦٤ .

٢ رس بر : عم

وبركاته، فقال: الرشيد، فقلت: الرشيد^١، فقال: يا يعقوب بن داود، إنه والله ما شفع^٢ فيك إلي أحد، غير أني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به فأخرجتك، وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير يلاعبه.

(368) ولما حبس المهدي يعقوب رتب في الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبي صالح^٣، وكان من غلمان عبد الله بن المقفع، وكان شديد الكبر، وكان أبوه نصرانياً، وفيه يقول الشاعر:

يا حابسي عن حاجتي ظالماً أحوجك الله إلى الفيض
ذاك السدي يأتيك معروفه كأنما يمشي على البيض

وطهمان: بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعده الألف نون.

(369) وكانت ولادة أبي عبيد الله معاوية الأشعري في سنة مائة، وتوفي سنة سبعين ومائة، وقيل في سنة تسع وستين، وقيل مات في الوقت الذي مات فيه موسى الهادي، وكانت وفاته ببغداد، ودفن في مقابر قريش. وتوفي الفيض في سنة ثلاث وسبعين ومائة.

وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس — وقد سبق ذكره في ترجمة بشار ابن برد الشاعر^٤ — وذكر أن يعقوب بن داود أعان على قتله.

(370) ولما مات يعقوب رثاه أبوحنش الهلالي، وقيل النميري، واسمه حضير ابن قيس البصري وعاش مائة سنة، بأبيات هي في كتاب «الحماسة» أولها:
يعقوب لا تبعد وجنبت الردى فليكين زمانك الرطب الثرى

١ س: فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: الرشيد... الخ.

٢ ر: تشفع.

٣ انظر الجهشيارى: ١٦٤. ٤ انظر ج: ١: ٢٧٣.

٥ الحماسة رقم: ٣٢٥ والجهشيارى: ١٦٣ وسماه «حصين بن قيس».

يعقوب بن كلّس

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس ،
وزير العزيز نزار بن المعز العبدي صاحب مصر - المقدم ذكرهما - ،
كان يعقوب أولاً يهودياً يزعم أنه من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن
عمران ، عليهما السلام ، وقيل إنه كان يزعم أنه من ولد السموأل بن
عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلىق ، وهو المشهور بالوفاء ،
وقصته مع امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور مشهورة مستفيضة بين العلماء
في الوفاء له في ودائعه .

وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب القز ، وتعلم
الكتابة والحساب ، وسافر به أبوه من بغداد إلى الشام ، وأنفذه إلى مصر سنة
إحدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع إلى بعض خواص الاستاذ كافور الإخشيدي
- المقدم ذكره^٢ - فجعله كافور على عمارة داره ، ثم صار ملازماً لباب
داره ، قرأ أي كافور من تجارته وشهامته وصيافته ونزاهته وحسن إدراكه
ما تفق عليه ، فاستحضره وأجلسه في ديوانه الخاص ، وكان يقف بين يديه
ويخدم ويستوفي الأعمال والحسابات^٣ ، وينخل يده في كل شيء ، ثم

٨٣٩ - ترجمته في ابن الصيرفي : ١٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦ وابن ميسر : ٤٥ ، ٥٦

ومرآة الجنان ٢ : ٢٥٠ وابن الأثير (ج : ٩) والمواعظ والاعتبار ٢ : ٥ - ٨ وابن

القلاني : ٣٢ واتماظ الحنفا (صفحات متفرقة) والدرة المضية (في مواطن مختلفة) .

١ انه كان يزعم : سقطت من ع .

٢ - ج : ٤ : ٩٩ .

٣ ع : والحسابات .

لم تنزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والأشراف يقومون له ويكرمونه ، ولم تتطوع نفسه إلى اكتساب مال ، وأرسل له كافور شيئاً فرده عليه وأخذ منه القوت خاصة . وتقدم كافور إلى سائر الدواوين أن لا يمضي دينار ولا درهم إلا بتوقيعه ، فوقع في كل شيء . وكان ير ويصل من اليسير الذي أخذه ، هذا كله وهو على دينه . ثم إنه أسلم يوم الإثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ، ورتب لنفسه رجلاً من أهل العلم شيخاً عارفاً بالقرآن المجيد والنحو حافظاً لكتاب السيراني ، فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرأ عليه ، ولم تنزل حاله تزيد وتنمي مع كافور إلى أن توفي كافور في التاريخ المذكور في ترجمته .

وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات - المقدم ذكره في حرف الجيم^١ - وزير كافور يحسده ويعاديه ، فلما مات كافور قبض ابنُ الفرات على جميع الكتاب وأصحاب الدواوين ، وقبض على يعقوب بن كلس في جملتهم ، فلم يزل يتوصل ويبدل الأموال حتى أفرج عنه ، فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه ومن غيره مالاً وتجمل به وسار مستخفياً قاصداً بلاد المغرب فلقى القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيدي - المقدم ذكره^٢ - في الطريق ، وهو متوجه بالعساكر والخزائن إلى الديار المصرية ليملكها ، فرجع في الصحبة ، وقيل إنه استمر على قصده وانتهى إلى إفريقية وتعلق بخدمة المعز العبيدي - المقدم ذكره^٣ - ثم رجع إلى الديار المصرية ، ولم يزل يترقى إلى أن ولي الوزارة للعزيز نزار بن المعز معداً ، وعظمت منزلته عنده وأقبلت عليه الدنيا ، واثال الناس عليه ولازموا بابه ، ومهّد قواعد الدولة وساس أمورها أحسن سياسة ، ولم يبق لأحد معه كلام . وكان في أيام المعز

١ انظر ج ١ : ٣٤٦ .

٢ ج ١ : ٣٧٥ .

٣ ج ٥ : ٢٢٤ .

يتصرف في الخدم الديوانية ، ثم انتقل إلى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

وقال ابن زولاق في تاريخه ، بعد ذكر المعز وتاريخ وفاته ، ما مثاله : «ومن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كِلَس، وهو أول من وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية ، وكان من جملة كتاب كافور ، فلما وصل المعز أحسن في خدمته وبالغ في طاعته إلى أن استوزره »؛ هذا آخر كلام ابن زولاق .

وقال غيره : كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ، ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس ، وتحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث ، فاذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح .

وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقهِ والأدب ، حتى الطب ، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطنونها . وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب «الأسجاع» . ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذه في داره؛ وأقام في داره مطابخ لنفسه وبلجساته، ومطابخ لغلمانهِ وحاشيته وأتباعه ، وكان ينصب كل يوم خِوَاناً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه ومن يستدعيه ، وينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية . وصنع في داره مِضْأة للظهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء . وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام ، وتعرض عليه رفاع الناس في الحوائج والظلمات . وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قواداً يركبون بالموالك والعبيد ، ولا يخاطب واحد منهم إلا بالقائد ، وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب إليه منية القائد فضل ، وهي بليدة بالأعمال الجيزية من الديار المصرية .

ثم إن الوزير المذكور شرع في تحصين داره ودور غلماناه بالمشروب والحرس والسلاح والعدد ، وعمرت ناحيته بالأسواق وأصناف ما يباع من الأمتعة ومن المطعوم والمشروب والملبوس . ويقال إن داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية ، وإن الحارة المعروفة بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه ، لأنهم كانوا يسكنونها .

وكان الوزير أبو الفضل ابن الفرات - المقدم ذكره - يغدو إليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما حبسه لمواكلته فيأكل معه بعد أن جرى عليه منه ما سبق ذكره .

وكانت هيئته عظيمة وجوده وافراً ، وأكثر الشعراء من مدائحهم . ولقد نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعة الشاعر - المقدم ذكره^٢ - فوجدت أكثر مديحه في الوزير المذكور ، والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدح بها الوزير المذكور . ورأيت في تاريخ الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبحي - المقدم ذكره^٣ - فصلاً طويلاً يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ، ومعظم ما ذكرته ها هنا نقلته منه .

وصنف الوزير المذكور كتاباً في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز ، وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلاثمائة مجلساً حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس ، وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن الفرات المذكور ، وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب .

وسمعت من جماعة من المصريين يقولون : إن الوزير المذكور كانت

١ عودة إلى غلط المؤلف .

٢ ج ١ : ١٣١ . ج ٣ : ٤ : ٣٧٧ .

له طيور فائقة أصيلة مختارة تسبق كل طائر يسابقها ، وكان لمخدومه العزيز طيور أيضاً سابقة فاخرة ، فسابقه العزيز يوماً ببعض الطيور فسبق طائر الوزير ، فعز ذلك على العزيز ، ووجد أعداؤه سيلاً إلى الطعن فيه ، فقالوا للعزيز : إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه إلا أدناه ، حتى الحمام ، وقصدوا بذلك الإغراء به حسداً منهم لعله يتغير عليه ، فاتصل ذلك بالوزير فكتب إلى العزيز :

قل لأمير المؤمنين الذي له العلا والنسب الثاقب
طائرِكَ السابِقُ لكنّه جاء وفي خدمته حاجِبُ

فأعجبه ذلك منه وسرّي عنه ما كان وجده عليه ، هكذا ذكره القاضي الرشيد ابن الزبير - المقدم ذكره^١ - في كتاب «الحنان» وذكر غيره أن هذين البيتين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصري ، - وقد سبق ذكره في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشاعر^٢ - وإنما لم أفرده بترجمة لأنّي لم أظفر بتاريخ وفاته ، وقد التزمت في هذا الكتاب أني لا أذكر إلا من وقفتُ على تاريخ وفاته .

وذكر أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه «الإشارة إلى من نال الوزارة» ذكر فيه وزراء المصريين إلى عصره ، وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال : «كان كاتباً يهودياً صائناً لنفسه محافظاً على دينه ، جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه ، واتصل بخدمة كافور الإخشيدي فحمد خدمته ، وردّ إليه زمام ديوانه بمصر والشام فضبطه له على حسب إرادته . وكان سبب حظوته عنده أن يهودياً قال

١ المواعظ والاعتبار : ٧ .

٢ انظر ج ٢ : ٢٢٩ .

٣ انظر ج ٣ : ١٤٩ .

له : إن في دار ابن البلدي^١ بالرملة ثلاثين ألف دينار مدفونة ، وقد توفي ، فكتب يعقوب إلى كافور رقعة يقول فيها : إن في دار ابن البلدي بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع أعرفه وأنا أخرجُ أحملها ، فأجابه إلى ذلك ، وأنفذ معه البغال لحملها ، وورد الخبر بموت بُكَيْر بن هرواز^٢ التاجر ، فجعل إليه النظر في تركته . واتفق موت يهودي بالقرامة^٣ ومعه أحمال كتان ، فأخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار ، فكتب إلى كافور بذلك ، ف تبرك به وكتب إليه بحملها ، فباع الكتان وحمل الجميع وسار إلى الرملة ، فحفر الدار التي لابن البلدي^١ وأخرج المال ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فكتب إلى كافور : عرفتُ الأستاذَ أنها عشرون ألف دينار ووجدت ثلاثين ألف دينار ، فازداد محله من قلبه ، وتصوره بالثقة ، ونظر في تركة ابن هرواز^٢ واستقصى وحمل منها مالا كثيرا ، فأرسل إليه كافور صلة كثيرة ، فأخذ منها ألف درهم ورد الباقي وقال : هذه كفايتي ، فزاد أمره عنده ، حتى إنه كان يشاوره في أكثر أموره .

وقال عبد الله أخو مسلم العلوي : رأيت يعقوب قائما يسارَ كافورا ، فلما مضى قال لي : أي وزير بين جنبيه ؟! » .

وسار إلى المغرب وخدم المعز ، وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة ، ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطبه أحد إلا بها ، ولا يكاتب إلا بذلك . ثم اعتقله في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة في القصر ، فأقام معتقلا شهورا ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين وورده إلى ما كان عليه .

ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين وثلثمائة ، وهي السنة التي توفي فيها ، ونسختها :

احذَرُوا مِن حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ وَتَوَقَّوْا طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ

١ س : ابن البكري ؛ وما في المتن ثابت في المسودة وابن الصيرفي .

٢ س : هزوان ؛ ع بر : هروان ؛ وأثبتنا ما في المسودة .

قد أمتّم من الزمان ونتمسّم ربّ خوفٍ مكمّنٍ في أمّان
فلما قرأها قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، واجتهد أن يعرف
كاتبها فلم يقدر على ذلك .

ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب إليه العزيز عائداً وقال
له : وددت أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفدى فأفديك بولدي ، فهل من
حاجة توصي بها يا يعقوب ؟ فبكى وقبل يده وقال : أما فيما يخصني فأنت
أرعى لحقي من أن أسترعيك إياه ، وأرأف علي من أخلفه من أن أوصيك به ،
ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك : سألِم الروم ما سألوك ، واقنع من
الحمداية بالدعوة والسكة ، ولا تُبشّق على مفرج بن دغفل بن جرّاح إن
عرضت لك فيه فرصة . ومات ، فأمر العزيز أن يدفن في داره ، وهي المعروفة
بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر ، في قبة كان بناها ، وصلى عليه
وألحده بيده في قبره ، وانصرف حزينا لفقده ، وأمر بغلق الدواوين أياماً بعده .

وكان إقطاعه من العزيز في كل سنة مائة ألف دينار ، ووجد له من العبيد
والممالك أربعة آلاف غلام ، ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار ، وبزّ
من كل صنف بخمسمائة ألف دينار . وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار
فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال : « كان يهودياً من
أهل بغداد خبيثاً ذا مكر ، وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء . وكان في
قديم أمره خرج إلى الشام فنزل الرملة ، وصار بها وكيلاً ، فكسر أموال
التجار وهرب إلى مصر ، فتاجر كافوراً الإخشيدي ، فرأى منه فطنةً وسياسة
ومعرفة بأمر الضياع فقال : لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فطمع
في الوزارة ، فأسلم يوم جمعة في جامع مصر ، فلما عرف الوزير أبو الفضل
جعفر بن الفرات أمره قصده فهرب إلى المغرب ، واتصل بيهود كانوا مع
الملقب بالمعز ، وخرج معه إلى مصر ، فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده
الملقب بالعزيز استوزر ابن كيلس في سنة خمس وستين وثلثمائة ، فلم

يزل مدبر أمره إلى أن هلك في ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة .

وقال غيره : ابتداء المرض بالوزير المذكور يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلثمائة ، وأخذته سكتة ، ثم تزايد به المرض واشتد ، وانطلق لسانه ، ثم توفي ليلة الأحد على صباح الاثنين لحمس نخلون من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وكفن في خمسين ثوباً ، واجتمع الناس كلهم من القصر إلى داره . وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر ، وركب بغلته بغير مظلة ، وكانت عادته أنه لا يركب إلا بها ، وصلى عليه وبكى ، وحضر مواراته .

ويقال إنه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار ، وذكر من سمع العزيز وهو يقول : واطول أسفي عليك يا وزير ، وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديداً ، وإنما كان بكأوه على نفسه لأنه عاش بعده سنة واحدة . وغدا الشعراء إلى قبره ، ويقال إنه رثاه مائة شاعر ، وأخذت قصائدهم وأجيزوا .

وقيل إنه مات على دينه ، وكان يظهر الإسلام ، والصحيح أنه أسلم وحسن إسلامه . وقال يوماً - وقد ذكر اليهود في مجلسه - كلاماً يسوء اليهود سماعه ، ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم ، وأنهم على غير شيء ، وأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يتجحدونه . وكانت ولادته في سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ببغداد ، عند باب القز ، رحمه الله تعالى .

وكَيْس : بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة .
والسَمَوَال بن عادياء : بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام .

وعادياء : بعين مهملة وبعده الألف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة .

وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته .
(371) وأما القائد فضل فإنه كان رجلاً نبيلاً كريماً ممدحاً وإليه تنسب

« مُنية القائد فضل » البلدة التي في أعمال الجيزة التي قبالة مصر، وفيه يقول أبو القاسم عبيد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور :

إنما الفضلُ غُسرَةٌ في وجوهِ المدائحِ
أريحي رياحه عبقات الروائح
كعبتُ الجسود كفتهُ بينَ غادٍ ورائح
إنما تصلحُ الأمورُ برأي ابنِ صالح

وكان مكيناً في دولة الحاكم المذكور ، ثم نقم عليه وحسه وضربت عنقه في محبسه يوم السبت عشيةً لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، ولم يظهر منه جزع ، ولف في حصر ، وأخرج من الحجرة التي كان محبوساً بها ، رحمه الله تعالى .

(372) وأما أبو القاسم الشاعر المذكور، فإن الحاكم قتله مع جماعة من الأعيان في يوم الأحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وأحرقهم بالنار . وكان قتل الجميع في حجرة واحدة ، والله أعلم .

٨٣٢

يعقوب بن صابر المنجنيقي

أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن علي بن الحسين بن علي بن حوثره ، الحرّاني الأصل البغدادي المولد والدار المنجنيقي ، الملقب بنجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدُّبَيْثِي في تاريخه الذي جعله ذيلًا لتاريخ الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن

٨٣٢— ترجمته في ابن شمار ١٠ : ١٤٤ والحوادث الجامعة : ٨ - ١١ والبدية والنهاية ١٣ : ١٢٥ والشذرات ٥ : ١٢٠ وأضاف الأستاذ الزركلي في الأعلام أن له ترجمة في التكملة في وفيات النقلة للمنذري ، وانظر البدر السافر الورقة : ٢٣٧ والزركشي ٣ : ٣٦٤ .

السمعاني الذي ذيله على « تاريخ بغداد » تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي - وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ - فقال ابن الديبشي : « كان يعقوب المذكور متقدماً على أهل صناعته ، يعني في صنعة المنجنيق وما يتعلق به ، وكان فيه فضل ويقول الشعر ، سمع شيئاً من الحديث من أبي المظفر ابن السمرقندي وأبي منصور ابن الشطرنجي ، علقت عنه شيئاً من شعره ، أنشدني أبو يوسف يعقوب بن صابر لنفسه ^١ :
 قبلتُ وجنته فألفتَ جيسه خجلاً ومال بعطفه المياس
 فأنهل من خديسه فوق عذاره عرقٌ يحاكي الطلّ فوق الآس
 فكأنني استقطرتُ وردَ خدوده بتصاعدِ الزفرات من أنفاسي
 سألته عن مولده فقال : في ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة . »

وقال غير ابن الديبشي ^٢ : « كان ابن صابر المنجنيقي جندياً في ابتداء أمره مقدماً على المنجنيين بمدينة السلام ببغداد ، ولم يزل مُغرَى بأدب السيف والقلم وصناعة السلاح والرياضة ، واشتهر بذلك ، ولم يلحقه أحد من أبناء زمانه في درايته وفهمه لذلك ، وصنف فيه كتاباً سماه « عمدة السالك » في سياسة الممالك » ولم يتممه وهو مليح في معناه ، يتضمن أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور ، وبناء المعقل وأحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على القلاع والحصار^٣ والرياضة الميدانية والحيل الحربية ، وفنون العلاج بالسلاح وعمل أداة الحرب والكفاح ، وصنوف الخيل وصفتها ، وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبواباً ، كل باب منه يشتمل على فصول . »

« وكان شيخاً هشاً مليحاً لطيفاً فكهاً طيب المحاورة ، شريف النفس متواضعاً ، فيه تودد وبشر وسكون ، وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو

١ الأبيات في ابن الشعار ١٠ : ١٤٨

٢ لم يصرح المؤلف هنا بالمصدر ، والنص متفق مع ما جاء عند ابن الشعار ١٠ : ١٤٤ .

٣ ابن الشعار : عمدة المالك .

٤ ابن الشعار : والمصابرة والحصار والمعقل والأمصار .

معان مبتكرة ، يقصد الشعر ويعمل المقاطيع ، وجمع من شعره كتاباً مختصراً سماه «مغاني المعاني» ومدح الخلفاء ، وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت^١ .

قلت : وكانت أخباره في حياته متواصلة إلينا وأشعاره تنقلها الرواة عنه ، ويحكون وقائعه وماجراياته وما ينظم في ذلك من الأشعار الرائقة والمعاني البديعة ، ولم تتفق لي رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار ، لأنه كان ببغداد ونحن بمدينة إربل ، وهما متجاورتان ، لكن لكثرة اطلاعي على أخباره وما يتفق له من النظم المنقول عنه في وقته كأني كنت معاشره ، وما زلت مشعوراً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه . واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه ، منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمرجم الموصل ، فإنه أنشدني له شيئاً كثيراً ، فمن ذلك قوله^٢ :

كلفتُ بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدتُ إلى نظم القريض لشقوتي فلم أخلُ في الحالين من قصد حائط

وأنشدني عنه أيضاً ، وذكر أنه لم يسبق إليه^٣ :

لا تكنْ واثقاً بمن كظم الغيـسـظ اغتـيـالاً وَحَفَّ غرارَ الغرور
فالظبَا المرهفاتُ أقتلُ ما كا نت إذا غاض ماؤها في الصدور

وأنشدني له أيضاً في جارية سوداء كان يهواها ، وهي حبشية :

وجارية من بنات الحبوش بذات جنون صحاحِ مرضٍ
تعشقتها للتصابي فشبَّتْ غراماً ولم أك بالشيب راضٍ
وكنت أعيرها بالسواد فصارت تعبيرني بالبياض

١ هنا ينتهي النقل مؤقتاً عن ابن الشعار .

٢ ابن الشعار ١٠ : ١٤٩ ورواية البيت الأول :

كلفت بعلم المنجنيق فلم أزل أحت ركابي بين ناه وشاحط

٣ ابن الشعار ١٠ : ١٤٩

٤ ابن الشعار : أطلع . ه كذا في المسودة والمختار .

وأنشدني عنه أيضاً :

وجارية عبرت للطواف وعبرتها حذراً تدمعُ
فقلتُ ادخلي البيتَ لا تجزعي ففيه الأمان لمن يجزع
سيداً أنته لبتني شيبه فقالت : ومن شيبه أفرع
وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد ، وقد لبس تباناً^١
أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم^٢ ،
فقال في ذلك :

يا للرجال شكائني من شكوة أضحت تُعانق من أحب وأعشقُ
جمعت هوى كهواي إلا أنها تطفو ويثقلني الغرام فأغرق
ويغيرني التبان عند عناقه أردافه فهو العدو الأزرق
وقال صاحبنا الكمال ابن الشاعر الموصلي صاحب كتاب «عقود الجمان»^٣ :
وأنشدني ابن صابر لنفسه هذه الأبيات ، لكنه روى البيت الثاني منها على صورة
أخرى فقال :

حملت هوى كهواي فمهي بوصله تطفو ويبيكني الغرام فأغرقُ
وهذا من المعاني النادرة ، فإن العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة
قالت : هو عدو أزرق ، وقد جاء هذا في كلامهم وأشعارهم كثيراً ، واستعمله
الحريري في المقامة الرابعة عشرة^٤ فقال : « فمذ اغبر العيش الأخضر ، وازور
المحبوب الأصفر ، اسودّ يومي الأبيض ، وابيض فودي الأسود ، حتى
رثي لي العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر » . ورأيت في بعض الرسائل ،
ولا أتحمق الآن صاحبها : « قد أوردنا ظبا الحديد الأخضر ، في ماء الوريد

١ المختار : تباناً ، وأثبتنا ما جاء في المسودة .

٢ المختار : السباحة .

٣ ابن الشاعر ١٠ : ١٤٦ .

٤ كتبها في المسودة « تطفو » .

٥ كذا في المسودة ، وهي الثالثة عشرة في المطبوعة ، انظر المقامات ص : ١٢٥

الأحمر ، من عدو الله الأرزق ، من بني الأصفر ، وهو باب متسع فلا حاجة إلى الإطالة في ذكر شواهدة .

وأنشدني عنه أيضاً في جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم^١ :

مولاي يا شيخَ الرباط الذي أبان عن فضلٍ وعلياءِ
إليك أشكو جَورَ صوفية باتوا ضيوني وأودائي^٢
أيتهم بالزاد مستأثراً وبتُ تشكو الجوعَ أحشائي
مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء
وهم إلى الآن ضيوني فجدهم لهم بخبزٍ وبحلواء
أو لا فخذهم واكفنيهم فما يحسنُ في مثلهم رأئي
وأنشدني عنه في الصوفية أيضاً^٣ :

قد لبس الصوفَ لترك الصفا مشايخ العصر لشرب العصيرِ
الرقصُ والشاهد من شأنهم شرَّ طويل تحت ذيل قصيرِ

وأنشدني عنه أيضاً ، وهو من المعاني المستطرفة :

قالوا نراه يسألَ شعرَ عذاره وسباله مستهتراً بزواله
فتسلَّ عنه وخذُ حبيباً غيره فأجبتهم لا زلتُ عبدَ وصاله
هل يحسنُ السلوان عن حيبٍ يرى أن لا يفارقي بتنفٍ سباله

وأنشدني له غير ابن عدلان وقال : لما كبر ابن صابر وضعفت
حركته صار إذا مشى يتوكأ على عصا ، فقال في ذلك :

١ من هذه القطعة بيتان في البدر السافر .

٢ روايته في البدر السافر :

أشكو إلى عدك صوفية قد أضرمو بالنار أحشائي

٣ ابن شمار ١٠ : ١٥٠

أَلْقَيْتُ عَنْ يَدِي الْعَصَا زَمَنَ الشَّيْبَةِ لِلنَّزُولِ
وَحَمَلْتَهَا لَمَّا دَعَا دَاعِيَ الْمَشِيبِ إِلَى الرَّحِيلِ

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران ، وكان كثير الأراجيف .
فمنع من ذلك ، فقعده على الطريق ينجم ، فقال فيه ابن صابر :

إِن ابْنَ بَشْرَانَ وَلَسْتُ أَلْسُومُهُ^١ مِنْ خَيْفَةِ السُّلْطَانِ صَارَ مِنْجَمًا
طَبِيعَ الْمَشُومِ عَلَى الْفُضُولِ فَلَمْ يَطُقْ فِي الْأَرْضِ إِرْجَافًا فَأَرْجَفَ فِي السَّمَاءِ

قلت^٢ : وأنشدني الأديبُ شهابُ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن
سالم المعروف بابن التَّلْعَفَرِيِّ لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان
وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة ، وهو من شعراء العصر المجيدين :

يَاشِيبُ كَيْفَ وَمَا انْقَضَى زَمَنُ الصَّبَا عَاجَلَتْ مَنِي اللَّمَّةَ السُّودَاءَ
لَا تَعْجَلْنَ فَوَالَّذِي جَعَلَ الدَّجَى مِنْ لَيْلِ طُرَّتِي الْبُهْمِ ضِيَاءَ
لَوْ أَنَّهَا يَوْمَ الْحِسَابِ صَحِيفَتِي مَا سَرَّ قَلْبِي كَوْنُهَا بِيضَاءَ

فقلت له : قد أغرت على بيت نجم الدين ابن صابر ، حتى إنك قد
أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي ، وهو قوله :

لَوْ أَنَّ لِحْيَةَ مِنْ يَشِيبُ صَحِيفَةٌ لِمَعَادِهِ مَا اخْتَارَهَا بِيضَاءَ

فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله للأبيات المذكورة ، والله
أعلم بذلك . وهذا البيت لابن صابر من جملة أبيات وهي :

قَالُوا بِيَاضُ الشَّيْبِ نَوْرٌ سَاطِعٌ يَكْسُو الْوُجُوهَ مَهَابَةً وَضِيَاءَ
حَتَّى سَرَّتْ وَخَطَاتِهِ فِي مَفْرَقِي فَوَدِدْتُ أَنْ لَا أَفْقِدَ الظُّلْمَاءَ
وَعَدَلْتُ أَسْتَبْقِي الشَّبَابَ تَعْلَلًا بِخَضَائِبِهَا فَصَبَغْتُهَا سُودَاءَ
لَوْ أَنَّ لِحْيَةَ مِنْ يَشِيبُ صَحِيفَةٌ لِمَعَادِهِ مَا اخْتَارَهَا بِيضَاءَ

٢ انظر الفيث ٢ : ١٠٤ .

١ المختار وهامش المسودة : على علاقته

وأخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد :
 ما جئتُ أسألكِ المواهبَ مادحاً إني لما أوليتني لشكورُ
 لكن أتيتُ عن المعالي مُخبراً لك أن سعيك عندها مشكور
 ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره ، وقد أجاد في كل ما نظمه ،
 ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ، ولا يعرف
 قائلهما على الحقيقة^١ ، وهما :

أَلْقَيْتَ فِي لَطْفِي فَإِنْ أَحْرَقْتَنِي فَتَيْقَنُ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ
 جَمْعُ النَّسَجِ كُلِّ مَنْ حَاكَ لَكِنْ لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْعَنْكَبُوتِ
 فعمل ابن صابر جوابهما :

أيها المدعي الفخارِ دعِ الفخسرَ لذي الكبرياءِ والجبروتِ
 نسجُ داود لم يفد ليلة الغارِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ
 وبقاءُ السَّمندِ في لبِ النارِ رِ مزيلٌ فضيلةُ الياقوتِ
 وكذلك النعام يلتقمُ^٢ الجمرَ وما الجمرُ للنعام بقوتِ

قلت : وعلى البيتين الأولين نظم جماعة من الشعراء المعاصرين لنا أبياتاً ،
 فمن ذلك قول الكمال أبي محمد القاسم بن القاسم بن عمرو بن منصور الواسطي
 نزيل حلب صاحب « شرح المقامات »^٤ :

حق دود القز يبي فوقه ثم يموتُ
 بعد ما سدّي وقد صا ر يسدّي العنكبوتُ

وقول المهذب أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن بن يمين الأنصاري المعروف
 بابن الأردنخل الموصلِي نزيل ميسافارقين :

١ اوردهما ابن الشمار ١٠ : ١٥٢ ثم قال : ذكروا انهما للقاضي الفاضل .
 ٢ ابن الشمار : شمل ٣ ابن الشمار : يتلغ .
 ٤ ترجمته في الانباه ٣ : ٣١ وانظر الحاشية .

أقولُ وقد قالوا نراك مُقَطَّباً إذا ما ادعى دينَ الهوى غيرُ أهله
يحق لدود القزّ يقتلُ نفسه إذا جاء بيتُ العنكبوتِ بمثله

وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

إذا شوركتَ في أمر بدون فلا يلحقك عارٌ أو نفورٌ
ففي الحيوان يشترك اضطراراً أرسطاليسُ والكلبُ العقورُ

وقول الآخر :

وللزُّنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحةٌ وخفِّقُ
ولكنْ بين ما يصطاد بازٍ وما يصطاده الزنبور فرقُ

قلت : وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السرقة ، بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء ؛ قال الجوهري في كتاب « الصحاح » هي دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دُقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس ، ثم تدخل فيه وتموت ، يقال في المثل : هو أصنع من سرقة ، وذكر لي بعض الفضلاء أن السرقة هي الأرضة ، والله أعلم .
ومما ينبغي أن يلحق بالآيات المقدم ذكرها قول بعضهم :

إن أعوزَ الحاذق فاستبدلوا مكانه أخرقَ لم يحذق
فلاعبُ الشطرنج من دأبه وَضَعُ حصاةٍ موضعَ البيدقِ

والأصل في هذا كله قول المتنبي :

وشر ما قنصته راحتي قنصُ شهبُ البزاة سواء فيه والرخمُ

ويقرب منه قول أبي العلاء المعري أيضاً :

وهل يتدخر الضرغامُ قوتاً ليومِهِ إذا ادّخر النملُ الطعامَ لعامِهِ^١

قلت : وفي هذه الآيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح ، فليس

١ قلت وعلى البيتين ... لعامه : لم يرد في س .

كل من يقف عليها يفهم معناها : أما البيت الأول وما ذكره من أمر الياقوت فإن الياقوت من خاصيته أن النار لا تؤثر فيه ، وإلى هذا أشار الحريري في المقامة السابعة والأربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات^١ :

وظلما أصلي الياقوتُ جمرَ غصاً ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ

وقال آخر في غلام له اسمه ياقوت :

ياقوتُ ياقوتُ قلبي المستهام به من المروءة أن لا يمنع القوتُ
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه وكيف يخشى لهيبَ النار ياقوتُ

وقد جاء هذا كثيراً في الشعر ، لكن الاختصار أولى .

وأما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني : « نَسَجُ داود لم يفد ليلة الغار » إلى آخره ، فهذا إشارة إلى مهاجرة النبي ﷺ ، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنهما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما فدخلتا غار ثور ، بالباء المثناة - وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكة - ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار ، فلما وصل المشركون إليه ورأوا أثر العنكبوت على الباب قالوا : ليس ها هنا أحد ؛ فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال ؛ لأن المشركين بادروا إليهما ليلحقوهما ، فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما ، وهي من جملة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله في البيت الثالث : « وبقاء السمند في لب النار » إلى آخره : السمند ، بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ، ويقال « السمندل » أيضاً بزيادة اللام ، ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ، ويعمل من ريشه مناديل وتحمل إلى هذه البلاد ، فإذا اتسخت المنديل طرحت في النار فتأكل النار الوسخ الذي عليها ، ولا تحترق المنديل ولا تؤثر النار فيها ، ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة ، وهي في طول الحزام وعرضه ، فجعلوها على النار فما عملت فيه ، فغمسوا أحد جوانبه في الزيت

١ مقامات الحريري : ١٤٤

ثم تركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً يشتعل ثم اطفأوه وهو على حاله ما تغير فيه شيء^١ ، ويقولون إنه يجلب من بلاد الهند ، وإن هذا الطائر يكون هناك ، وفيه نكتة ينبغي أن تذكر ها هنا ، وهي أن طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زماناً طويلاً والنار لا تعلق فيه ، فقال بعض الحاضرين : هذا ما تعمل فيه النار ، ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ، ففعلوا ذلك فاشتعل ؛ فظهر من هذا أن النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه في شيء من الأدهان .

ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة أنه قدم للملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل ، عرض ذراع في طول ذراعين ، فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يتقد الزيت وترجع بيضاء كما كانت ، والله أعلم .

ومثله السرفوت : دُوَيْدَة تعشش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ، ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرة الدائمة ، فسبحان خالق كل شيء - وهي بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مشاة من فوقها .

وأما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وأنه يلتقم الجمر ، فهذا شيء شاهدناه كثيراً ، وهو معروف بين الناس وليس بغريب . وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ، لكن الكلام اتصل ببعضه ببعض فانتشر .

وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر من سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد^٢ ، ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة ، بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر ، رضي الله عنهما .

١ علق هنا صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ورأيت أنا أيضاً منه قطعة من منشفة قد كانت نسجت منه وجربتها على النار فكانت على ما شرح ، والله أعلم »

٢ ذكر في البدر السافر نقلاً عن ابن سعيد أنه توفي سنة ٦٢٣ .

وأخبرني الشهاب ابن التلعفري المذكور أن مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وتوفي في عاشر شوال سنة خمس وسبعين وستمائة بمدينة حماة ، وأنشد قبيل موته لنفسه وهو آخر شعره :

إذا ما بات من ترب فراشي وبت مجاورَ الربّ الكريم
فهنوني أصيْحَابِي وقولوا لك البشرى قدمت على رحيم

وحَوَثْرَة : بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح التاء المثناة وبعدها راء ثم هاء ، وهي في الأصل اسم لحشفة الذكر ، وبها سمي الإنسان . قال ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » : سمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرَة لأنه حج فمر بامرأة معها قعب لها ، فاستامها فأكرت فقال : والله لو أدخلت حوثرتي فيه ، يعني كمرته ، للآثه ، فسمي حوثرَة .

والمنجيقي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف ، هذه النسبة إلى المنجنيق ، وهو معروف . وإذ قد جرى ذكره ينبغي الكلام عليه ففيه أشياء غريبة : منها : انه من جملة الآلات المنقولة المستعملة ، والقاعدة في هذا الباب : أن تكون ميمه مكسورة ، إلا ما شذ عن ذلك في ألفاظ قليلة مثل مُنْخَلٌ ومُدْهَنٌ ومُسْعَطٌ ، وغير ذلك ، مع أن ابن الجواليقي في كتاب « العرب » احكى فيه أربع لغات : فتح الميم ، وكسرها على القاعدة ، ومنجوق بالواو بدل الياء ، ومنجليق باللام عوض النون الثانية ، وحكى في الميم والنون الأولى ثلاثة أقوال ، قيل إنهما أصليتان ، وقيل زائدتان ، وقيل الميم أصلية والنون زائدة ، والله أعلم . وهو اسم أعجمي ، فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية ، مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهوq والقبيج وغير ذلك ، وهذا باب مطرد ، وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية

مثل الصهريج والحص والصحاح والحصل وغير ذلك^١، وهو أيضاً باب مطرد .
 وإذا جمعناه حذفنا إحدى النونين ، فإن حذفنا النون الأولى قلنا : مجاتي ،
 وإن حذفنا النون الثانية قلنا مناجيتي . وقال الجوهري في كتاب « الصحاح »
 الأصل في المنجنيق : من جي نيك تفسيره بالعربي : ما أجودني ؛ قلت :
 فتفسير « من » أنا ، وتفسير « جي » أيش ، وتفسير « نيك » جيد ، أي
 أنا أيش جيد . قال الجوهري : ثم عرب فقبل منجنيق .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٢ وأبو هلال العسكري في كتاب
 « الأوائل » أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب وبلد الحيرة
 في ذلك الزمان . وقال الواحدي في تفسيره « الوسيط » في سورة الأنبياء :
 إن المشركين لما عزموا على إحراق إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأضرموا
 النار ، لم يدروا كيف يلقونه فيها ، فجاءهم إبليس لعنه الله تعالى ، فدلهم على
 المنجنيق ، وهو أول منجنيق وضع ، فوضعه فيه ثم رموه ، والله أعلم .
 وهذا الفصل كله وإن كان خارجاً عن المقصود لكنه ما يخلو عن
 فائدة ، فلذلك بسط القول فيه .

٨٣٣

موفق الدين ابن يعيش

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي بن
 المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان القاضي بن بشر بن حيان

١ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكذلك
 الجيم والكاف لا يجتمعان في كلمة عربية كالكليجة والكماج وغير ذلك ، والله أعلم » .

٢ المعارف : ٥٥٤ .

٨٣٣ - ترجمته في ابن السمار ١٠ : ٢١٥ والشذرات ٥ : ٢٢٨ وابن الوردي ٢ : ١٧٦

وبغية الوعاة : ٤١٩ .

الأسدي ، الموصلية الأصل ، الحلبي المولد والمنشأ ، الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ ؛ قرأ النحو على أبي السخاء فتیان الحلبي ، وأبي العباس المغربي النيروزي^١ وسمع الحديث على أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل ، وعلى أبي محمد عبد الله بن عمّار بن سويدة التكريتي ، وبجلب من أبي الفرج يحيى بن محمود^٢ الثقفى والقاضي أبي الحسن أحمد بن محمد بن الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني ، وبدمشق على تاج الدين^٣ الكندي ، وغيرهم ، وحدث بجلب وكان فاضلاً ماهراً في النحو والتصريف .

رحل من حلب في صدر عمره قاصداً بغداد ليذكر أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الأنباري - المقدم ذكره^٤ - وتلك الطبقة بالعراق وبلاد الجزيرة ، فلما وصل إلى الموصل بلغه خبر وفاته ، وقد ذكرت تاريخ موته في ترجمته ، فأقام بالموصل مدينة وسمع الحديث بها ، ثم رجع إلى حلب . ولما عزم على التصدر للاقراء سافر إلى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبي اليمّن زيد بن الحسن الكندي الإمام المشهور - وقد تقدم ذكره في حرف الزاي^٥ - وسأله عن مواضع مشكلة في العربية ، وعن إعراب ما ذكره أبو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية ، وهو قوله في أواخرها «حتى إذا لألأ الأفقَ ذنبُ السرحان ، وآن انبلاج الفجر وحنان» فاستبهم جواب هذا المكان على الكندي : هل الأفق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان ، أو الأفق مرفوع وذنب السرحان منصوب ، أو على العكس ؟ وقال له : قد علمتُ قصدك ، وأنتك أردت إعلامي بمكانتك من هذا العلم ، وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ، ووصف تقدمه في الفن^٦ الأدبي .

قلت : وهذه المسألة يجوز فيها الأمور الأربعة ، والمختار منها نصب

١ س : التبريزي ؛ ابن شمار : البيزوزي .

٢ س : محمد .

٣ زاد في المختار : أبي اليمّن زيد بن الحسن .

٤ انظر ج ٣ : ١٣٩

٥ انظر ج ٢ : ٣٣٩ ٦ المختار : في هذا الفن .

الأفق ورفع ذنب السرحان ، وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن - للمقدم ذكره - المعروف بالبندهي في كتاب «شرح المقاطعات» ولولا خوف الإطالة لبينت ذلك .

ولما وصلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف ، وكان دخولي إليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة ، وهي إذ ذاك أم البلاد مشحونة^٢ بالعلماء والمشتغلين ، وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب ، لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليه ، وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به ، وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه في وقت الإقراء وابتدأت بكتاب «اللمع» لابن جني ، فقرأت عليه معظمها مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ، وما أتممتها إلا على غيره لعذر اقتضى ذلك .

وكان حسن التفهم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدئ والمنتهي ، وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون ، مع سكينه ووقار ؛ ولقد حضرت يوماً حلقة ، وبعض الفقهاء يقرأ عليه «اللمع» لابن جني ، فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء :

أيا ظبيةَ الوعاء بين جلاجلٍ وبين النقا آنتِ أم أمّ سالمٍ

فقال له الشيخ : إن هذا الشاعر لشدة وله في المحبة وعظم وجدده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابقتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمهّما ، اشتبه عليه الحال ، فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية ، فقال : آنتِ أم أمّ سالم ؛ وأطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه بأحسن عبارة ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكلية ، حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله ، فلما فرغ الشيخ من شرحه قال له الفقيه : يا مولانا أيش في المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فقال له الشيخ قول منبسط : تشبهها في

١ انظر ج ٤ : ٣٩٠ ٢ بر : عشوة .

ذنبها وقرونها ، فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، وما عدت رأيته
حضر مجلسه .

قلت : وجلجل ، بفتح الجيم وضمها ، اسم مكان ، والثانية جيم أيضاً .
وكنا يوماً نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية ، فجاءه رجل من الأجناد وبيده
مسطور بدين ، وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية ، فقال
له : يا مولانا اشهد عليّ في هذا المسطور ، فأخذ الشيخ من يده وقرأ أوله :
أقرت فاطمة ، فقال له الشيخ : أنت فاطمة ؟ فقال له الجندي : لا يا مولانا ،
الساعة تحضر ، وخرج إلى باب المدرسة ، فأحضرها وهو يتبسم من
كلام الشيخ .

ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي^١ أن شخصاً دخل
عليه وعنده امرأة ، فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال له : هذه .

وكنا يوماً نقرأ عليه في داره ، فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام
ماء فأحضره له ، فلما شرب قال : ما هذا إلا ماء بارد ، فقال له الشيخ :
لو كان خبزاً جاراً كان أحب إليك .

وكنا يوماً عنده بالمدرسة الرواحية ، فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة
جيدة ، فقال له الحاضرون : أيش هذا يا شيخ وأين وقت العصر ؟ فقال
الشيخ موقف الدين : دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل .

وكان يوماً عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب - الآتي
ذكره ان شاء الله تعالى - فجرى ذكر زرقاء اليمامة ، وأنها كانت ترى
الشيء من المسافة البعيدة ، حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام ، فجعل الحاضرون
يقولون ما علموه من ذلك ، فقال الشيخ موقف الدين : أنا أرى الشيء من
مسافة شهرين ، فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيئاً ، فقال
له القاضي : كيف هذا يا موقف الدين ؟ فقال : لأنني أرى الهلال ، فقال

١ انظر ج ٣ : ١٥ .

له : كان قلت^١ مسافة كذا كذا سنة ، قال : لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضي، وكان قصدي الإبهام عليهم. وله نوادر كثيرة يطول ذكرها. وكنت يوماً عنده وقد قدم من الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الأدب ، فحضر حلقتة وبحث في دروسه بحث رجل فاضل ، وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصل مع جماعة من أدبائها وقال : كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزري - قلت : وقد سبق ذكره^٢ - قال فتناورنا وتناشدنا ، فأنشدته قول بعض المغاربة قلت : هذه الأبيات ذكر أبو إسحاق الحصري أنها لبعض مشايخ القيروان ، رواها عنه ولم يعينه^٣ ، وهي :

ومُعَدَّرِينَ كَأَنَّ نَبْتَ خَدُودِهِمْ أَقْلَامَ مَسْكَ تَسْتَمِدُّ خَلْقُوقَنَا
قَرَّبْنَا الْبِنْفَسِجَ بِالشَّقِيقِ وَنَضَّدُوا نَحْتِ الزَّبْرَجِدِ لَوْلُوًّا وَعَقِيقَا
فَهْمُ الَّذِينَ إِذَا الحَلِيَّ رَأَهُمْ وَجَدَ الهَوَى بِهِمْ إِلَيْهِ طَرِيقَا

قلت : ونصف البيت الثاني مثل قول ابن الذروري المصري في أبياته التي سبق ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله :

جلا تحت ياقوت اللمى نغمر لؤلؤ^٤ رطيبا، وأبدى شارباً من زُمُرْدِ

ومن المنسوب إلى أبي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي - المقدم ذكره في حرف الحاء^٥ - :

جوهرية الأوصاف يقصر عنه كل فهم وكل ذهن دقيق

١ بر : كنت تقول ٢ انظر ج ٥ : ٣٨٩ .

٣ ثبت في المطبوعة المصرية بمد هذا : « قلت : وغالب ظني أنه أبو الحسن علي بن عبد الغني المصري ، (ر والسودة : المقدم ذكره) والأبيات التي أنشدها (والسودة : هي ، ثم وجدت أن الحصري المذكور أنشدها) ولم يذكر أنها له رأيتها في بعض المجاميع منسوبة إلى أبي الحجاج الشاعر المشهور » (ر والسودة : والله أعلم) وقد رمج المؤلف عليه في مسودته ، ووضع بدله ما أثبتناه في المتن . وقد مر بيانها في زيادات نسختي ص د في الجزء الأول الصفحة : ٣٩٤ ، وهو ما يدل على أن تلك الزيادة دخيلة .

٤ خ بهامش السودة : عقد لؤلؤ نضيد . ٥ انظر ج ٣ : ١٠٤ .

شاربٌ من زمرذٍ وثنايبا لوئوُ فوقهما فسمٌ من عقيق
وذكرت بهذه الأبيات بيتين كنت أحفظهما ، ويحسن ذكرهما بعد هذا
وهما :

لما وقفنا للوداع وصار ما كنا نظن من الزوى تحميها
نثروا على ورقِ الشقائق لؤلؤاً ونثرتُ من فوقِ البهّارِ عقيقا
وكذاك بيت الوأواءِ الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ فسقتُ ورداً وعضتُ على العنابِ بالبرد
وكذا قول محمد بن سعيد العامري الدمشقي^١ ، وقيل إنها لابن كسيغَلَخ :

لما اعتنقنا للسوداع وأعربتُ عبراتنا عنا بدمعٍ ناطقِ
فرّقن بين معاجرٍ ومعاجرٍ وجمعن بين بنفسجٍ وشقائق
وأنا الفداءُ لظبيةٍ أحداقنا موصولةٌ من وجهها بمحداقِ
وينسب^٢ إلى أبي الفتح الحسن بن أبي حصينة الحلبي - الشاعر المشهور
من هذا أيضاً^٣ :

ولما وقفنا للسوداع وقلبها وقلبي يفيضان الصبايةَ والوجدأ
بكتُ لؤلؤاً رطباً وفاضتُ مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا
وأشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الإربلي - المقدم
ذكره^٤ - لنفسه :

ولما التقينا ومن الزمان رأى دمعَ عيني دماً في المآقي

١ ترجم له المرزباني في المعجم : ٤١٤ والقفطي في المصنوع : ٣٤٩ وفيهما الأبيات التي
أوردتها ابن خلكان .

٢ من هنا حتى قوله « قلت وقد قيل في هذا الباب ... الخ » لم يرد في س بر .

٣ ديوانه ١ : ٢٢٧ .

٤ انظر ج ٣ : ٥٠١ .

فقال وعهدي به لو لوأً
فقلت حبيبي لا تعجبني
فتلك أوائل دمع السوداع
وهذي أواخر دمع الفراق

وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوباً إلى أبي علي الحسن ابن رشيق - المقدم ذكره^٢ - ثم كشف ديوانه ، فلم أجد هذه الأبيات فيه ، والله أعلم وهي :

وقد كنت لا آتي إليك مخاتلاً
ولكن رأيت المدح فيك فريضة
فقلت بما لم يخف عنك مكانه
فلا تتخالجك الظنون فإنها
فلو غيرك الموسوم عندي بريئة
فوالله ما طولت بالقول فيكم
ولكنني أكرمت نفسي فلم تهن
فباينت لا أن العداوة باينت

لديك ولا أنني عليك تصنعنا
علي إذا كان المديح تطوعا
من القول حتى ضاق مما توسعا
مأم و اترك في للصلح موضعا
لأعطيت فيه مدعي القول ما ادعى
لساناً ولا عرضت للذم مسعاً
وأجللتها من أن تذلل وتخضعنا
وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

قلت : وقد قيل في هذا الباب^٣ شيء كثير ولا حاجة إلى الإطالة .

وشرح الشيخ موفق الدين كتاب «المفصل» لأبي القاسم الزمخشري شرحاً مستوفياً ، وليس في جملة الشروح مثله ، وشرح «تصريف الملوكي» لابن جني شرحاً مليحاً ، وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها ، حتى إن الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته .

وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

١ ثابت همامش المسودة ولكن أرجح أنه ليس بخط المؤلف ، وهو ثابت في المختار أيضاً .

٢ انظر ج ٢ : ٨٥ .

٣ يعني باب البكاء وتشبيه الدموع بالؤلؤ والعقيق ، وهو يدل على أن النص السابق قد باعد هذا

التعليق عن موضعه .

بجلب ؛ وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين^١ من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب إلى إبراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، ورحمه الله تعالى .

٨٣٤

يموت بن المزرع

أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى^٢ بن موسى بن سيّار بن حكيم^٣ بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحارث بن الدليل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، العبدي البصري .

قلت : وجدت في كتاب « جمهرة النسب » تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور ، وقد ساق نسبه على هذه الصورة ، وفي الحاشية مكتوب ما مثاله : من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع ابن يموت ، وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى أحقه بحكيم بن جبلة المذكور ، والعهددة عليه في ذلك . ورأيت بخطي في مسوداتي : يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيّار بن المزرع^٤ بن الحارث بن ثعلبة بن

١ ابن شمار : ثالث وعشرين جمادى الأولى .

٨٣٤- ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٥٨ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٥٧ وطبقات الزبيدي : ٢٣٥

والنجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ وعبر الذهبي ٢ : ١٢٨ والشذرات ٢ : ٢٤٣ ومعجم المرزباني :

٥٥٥ وبقيّة الوعاة : ٤٢٠ ومروج الذهب ٤ : ١٩٦ ونزهة الألباء : ١٦٣ .

٢ فوقها في المسودة : خ : المزرع ؛ وفي تاريخ بغداد : عبدوس ، وفي نسبه اختلاف كثير عما ورد هنا .

٣ فوق الحاء « معاً » في المسودة أي أنها تفتح وتضم .

٤ كذا في المسودة بتقديم الراء المهملة هنا وهو مخالف للضبط في آخر الترجمة .

عمرو بن ضمرة بن دلماث بن وديعة بن بكر بن وديعة بن لكيز بن أفضى المذكور ، والله أعلم بالصواب في ذلك .

وكان يموت قد سمي نفسه محمداً ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ، ثم ذكره في حرف الياء وقال : هو يموت وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ ، وقد تقدم ذكره^١ .

قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة إحدى وثلاثمائة وهو شيخ كبير ، وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، ومحمد بن يحيى الأزدي وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي وغيرهم ، روى عنه أبو بكر الخرائطي وأبو الميمون ابن راشد ، وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي ، وأبو بكر ابن مجاهد المقرئ وأبو بكر ابن الأتباري وغيرهم .

وكان أديباً أخبارياً ، وله ملح ونوادر ، وكان لا يعود مريضاً خوفاً أن يتطير من اسمه، وكان يقول : بليت بالاسم الذي سماني أبي به ، فاني إذا عدت مريضاً فاستأذنت عليه ، فقيل من هذا ؟ قلت : أنا ابن المزرع^٢ ، وأسقطت اسمي .

وملحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله :

أنت نجما والذي يكـره أن نجما يموتُ
أنت صنو النفس بل أنت لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيتٌ لا خلت منك البيوت

فمن أخباره أنه قال ، أخبرني أبو الفضل الرياشي قال ، سمعت الأصمعي يقول : كان سخط هارون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، في سنة ثمان وثمانين ومائة ،

١ انظر ج ٣ : ٤٧٠

٢ في المختار هنا : المزرع ، بتقديم الراء المهملة .

ولقد كنت عند الرشيد وقد أتى بعبد الملك يرفل في قيوده ، فلما نظر الرشيد إليه قال له : هيه يا عبد الملك ، كأني والله أنظر إلى شوبوبها قد همع ، وإلى عارضها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ، ورووس بلا غلاصم ، مهلا مهلا بني هاشم ، فبي والله سهل لكم الوعر ووصفا لكم الكدر ، وألقت إليكم الأمور أثناء أزميتها ، فخذوا حذاركم مني قبل حلول داهية خببوط باليد والرجل ، فقال له عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأما ، فقال : بل توأما ، فقال : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، وراقبه في رعاياك التي اسرعاك ، فقد سهلت والله لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرجته بلسان وبيان وجدل
لو يقوم الفيل أو قباله زلّ عن مثل مقامي وزحل

قال : فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك بلغني أنك حقود ، فقال له : أصلح الله الوزير ، إن يكن الحق هو بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي .

قال الأصمعي : فالتفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي حررها ، فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ، ثم أمر به فرد إلى محبسه .
قال الأصمعي : ثم التفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي والله لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مراراً ، ويعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله .

قلت : وعبد الله بن صالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحرني الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته^٢ .

وروى يموت بن المزرع^٣ أيضاً أن أحمد بن محمد بن عبّيد الله أبا الحسن

١ هو لييد بن ربيعة ، انظر ديوانه : ١٩٣ - ١٩٤ .

٢ انظر ج ٦ : ٣٠ ٣ المختار : المزرع .

الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيساني ، كان إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم أطلقه ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجميل ، فاستأذنه في النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، ثم أنشده^٦ :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تُنتَجَعُ الولايةُ
وقلنا أكرم الثقلين طرا ومن كَفَّاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزهِ عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي عيالي ، إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاةُ هي الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ فقال :
من قول أبي تمام الطائي :

هن الحمام فإن كسرت عيافةً من حائهن فإنهن حيمامُ
فاستحسن ذلك وأحسن صيلته .

(373) وكان أحمد بن المدبر^٣ يتولى الخراج بمصر ، فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمس وستين ومائتين ، ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين ، وقيل بل قتله ابن طولون ، والله أعلم ، والمدبر : بكسر الباء الموحدة المشددة .

وحدث ابن المزرع أيضاً عن خاله أبي عثمان الجاحظ أنه قال : طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالوراق ، وكانت تسمى نَشْوَى وكان شديد الغرام بها ، وبذل في ثمنها سبعة آلاف

٦ المختار : المجيدون .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٠٦ - ٣٠٧ وللجميل أيضاً ترجمة في المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٧٠ وهذا هو الجمل الأكبر ، وهناك الأصغر ، وللجميل الأكبر أشعار في كتاب الكندي ومعجم الأديب ١٠ : ١٢١ ؛ ووردت الحكاية في ٢ : ١٩ من زيادات در. ٣ أخباره في الخطط ١ : ٣١٤ والمغرب (قسم مصر) : ١٢٣ وصفحات أخرى .

دينار ، فامتنع محمود من بيعها لأنه كان يهواها أيضاً ، فلما مات محمود اشترت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار ، فلما دخلت عليه قال لها : كيف رأيت ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة ، قالت : أجل ، إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث ، فإن سبعين ديناراً لكثيرة في ثمني فضلاً عن سبعمائة ، فنجعل المعتصم من كلامها .

وقال ابن المزرع : حدثني من رأى قبراً بالشام عليه مكتوب : لا يغترن أحد بالدنيا فاني ابن من كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء ، وبجذائه قبر عليه مكتوب : كذب الماص بظر أمه ، لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام ، إنما هو ابن حدّاد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر ، قال : فما رأيت قبلها قبرين يتشامان ، والله أعلم .

ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر ، ولسنا نقصد الإطالة بل الإيجاز حسب الإمكان إلا أن ينتشر الكلام .

(374) وكان له ولد، يدعى أبا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع^٢، وكان شاعراً مجيداً ، ذكره المسعودي في كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» فقال في حقه^٣ : هو من شعراء هذا الزمان ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وفيه يقول أبوه مخاطباً له :

مهلهلٌ قد حلبتُ شطورَ دهري	وكافحتي بها الزمن العنوتُ
وحاربتُ الرجال بكلّ رينعٍ	فأذعن لي الحثالة والرتوت
فأوجعُ ما أجنّ عليه قلبي	كريمٌ غتته زمن غتوت
كفى حزنساً بضبعة ذي قديمٍ	وأبناء العبيد لها البخوت

١ المختار : بشهواته .

٢ ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٣ وله شعر في الديارات ، وانظر مقدمة رسالته في سرقات أبي نواس (القاهرة - دار الفكر العربي) .

٣ مروج الذهب ٤ : ١٩٧ .

وقد أسهرتُ عيني بعد غُمُضٍ
وفي لطف المهيمن لي عزاء
فجُبُّ في الأرضِ وابغ بها علوماً
وإن بخل العليمُ عليك يوماً
وقلُ بالعلم كان أبي جواداً
يقرُّ لك الأباعدُ والأداني
مخافةً أن تضيعَ إذا فنيست
بمثلك إن فنيتُ وإن بقيت
ولا تقطعكْ جائحة سبوتُ
فذلّ له وديدك السكوتُ
يقال ومن أبوك فقل يموت
بعلمٍ ليس يحده البهوتُ

وكان يموت قد قدم مصر مراراً ، وآخر قدومه إليها في سنة ثلاث
وثلاثمائة ، وخرج في سنة أربع وثلاثمائة . قال أبو سعيد ابن يونس الصديقي
المصري في تاريخه المختص بالغرباء : مات يموت بن المزرع سنة أربع
وثلاثمائة بدمشق ؛ وقال أبو سليمان بن زبّر في تاريخه : إنه مات في سنة
ثلاث وثلاثمائة بطبرية الشام ، والله أعلم .

وأما ولده مهلهل فإن الخطيب ذكره في « تاريخ بغداد » وقال : هو
شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره ، وسكن بغداد وسُمع منه ، وكتب عنه
شعره أبو بعضة^١ إبراهيم بن محمد المعروف بتوزون . ثم قال الخطيب :
أخبرني التنوخي قال ، قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الأخباري :
حضرت في سنة ست وعشرين وثلاثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبي عبد الله
ابن عمر البازيار ، وإلى جانبي عن يسرتي أبو نضلة مهلهل بن يموت بن
المزرع^٢ ، وعن يميني أبو القاسم بن أبي الحسن البغدادي ، فغنت تحفة من
وراء الستارة بهذه الأبيات :

بني شُغِّلْ به عن الشُغْلِ عنه بهواه وإن تشاغلَ عني
ظن بي جفوةً فأعرضَ عني وبدا منه ما تخوف مني
سره أن أكونَ فيه حزيناً فسروري إذا تضاعف حزني

فقال لي أبو نضلة : هذا الشعر لي ، فسمعه أبو القاسم ، وكان ينحرف

١ س : أبو بعضه .

٢ وضع في السودة كسرة تحت الشدة على الراء في هذا الموضع .

عن أبي نضلة فقال : قل له : إن كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتاً ، فقلت له ذلك على وجه جميل فقال :

هو في الحسن فتنةٌ قد أصارت
ومن المنسوب إلى مهلهل أيضاً :

جلتْ محاسنه عن كل تشبيه
انظر إلى حسنه واستغن عن صفي
الرجس الغض والورد الحسي له
دعا بالحاظته قلبي إلى عطسي
مثل الفراشة تأتي إذ ترى لمبا
وجل عن واصف في الناس يحكيه
سبحان خالقه ، سبحان باريه
والأفحوان النضير الضر في فيه
فجاءه مسرعاً طوعاً يلبيه
إلى السراج فتلقني نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعراً غير هذا فأضربت عن ذكره .

والمزج : يضم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة ، هكذا قاله لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنري ، رحمه الله تعالى .

(375) وأما حكيم بن جبلة المذكور في عمود هذا النسب فإنه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ، ويقال أيضاً بضم الحاء وفتح الكاف ، ويقال جبلة وجبيل ، وكان من أعوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما بويج علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما ، فعزم علي رضي الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن ، فخرجت مولاة لعلي فسمعتهما يقولان : ما بايعناه إلا بألستنا وما بايعناه بقلوبنا ، فأخبرت مولاهما بذلك ، فقال : أبعدهما الله تعالى ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وبعث إلى البصرة عثمان بن حنيفة الأنصاري ، وإلى اليمن

ع ر : قال .

عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فاستعمل ابن حنيفة
حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة .

ثم إن طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عاتشة رضي الله تعالى عنها ، فاتفقوا
وقصدوا البصرة ، وفيها ابن حنيف المذكور ، فأتى حكيم بن جبلة إلى ابن
حنيف ، وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة ، فأبى وقال : ما أدري ما
رأي أمير المؤمنين في ذلك ، فدخلوها وتلقاهم الناس ، فوقفوا في مرید
البصرة وتكلموا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي رضي الله
تعالى عنه ، فرد عليهم رجل من عبد القيس ، فنالوا منه واتفقوا لحيته ،
وترامى الناس بالحجارة واضطربوا ، فجاء حكيم بن جبلة إلى ابن حنيف
ودعاه إلى قتالهم فأبى . ثم أتى عبد الله بن الزبير إلى مدينة الرزق ليرزق
أصحابه من الطعام الذي فيها ، وغدا حكيم بن جبلة في سبعمائة من عبد القيس
فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من أصحابه .

وروي أن ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الأزد : لأعلمنّ بقومك
اليوم عملاً يكونون به حديثاً للناس ، فقالت له : أظن قومي سيضربونك
اليوم ضربة تكون حديثاً للناس ، فلقبه رجل يقال له سحيم فضرب عنقه ،
فبقي معلقاً بجلدة ، فاستدار رأسه ، فبقي مقبلاً بوجهه على دبره ، وكان
ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه إليهم ، ثم قدم عليهم وتقابل
الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة
عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة
الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور ، وكان أول قدومهم ،
وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بأيام في هذا الشهر أيضاً ، وقتل بين الفريقين
مقدار عشرة آلاف ، وقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما في ذلك اليوم ،
لكنه بغير قتال ، ولولا خوف الإطالة لشرحته .

وقال المأموني في تاريخه : وقيل إن أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم
الخميس قبل أن تغرب الشمس ، وفيه كان القتال ، وذلك أن نسرأ مر بما

حول المدينة ومعه شيء معلق، فتأمله الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه: عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد . ثم إن كل مَنْ بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد علموا بالوقعة مما نقلت النسور إليهم من الأيدي والأقدام . قلت : وذكر كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد »^١ أن العقاب ألفت كف عبد الرحمن بمكة ، وكذلك ذكره في كتاب « المهذب » في الفقه في باب الصلاة على الميت ، وذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان في كتابيهما أن العُقَاب ألفتها باليمامة ، والله أعلم بالصواب .

٨٣٥

أبو يعقوب البويطي

أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي ، صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة^٢ ، اختص به في حياته ، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته ، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي - المقدم ذكره^٣ - ومن الإمام الشافعي ، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي^٤ وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم . وكان قد حمل في أيام الوائت بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن

١ المصايد والمطارد : ٩٨ .

٢٨٣٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ والفهرست : ٢٩٨ وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٧

وطبقات السبكي ١ : ٢٧٥ وعبر الذهبي ١ : ٤١١ والشذرات ٢ : ٧١ وحسن المحاضرة

١ : ١٢٣ وطبقات العبادي ٧ : ٧ والاسنوي ١ : ٢٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣١ والحسيبي :

٤ ومعجم البلدان (بويط) وابن قاضي شهبة : ٤٥ .

٢ ج ٢ : ٣٦ .

٣ هو محمد بن اسماعيل الترمذي المحدث الحافظ الثقة (انظر تذكرة الحفاظ : ٦٠٤) .

الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك ، فحبس ببغداد ، ولم يزل في السجن والقيد حتى مات . وكان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً .

قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي على بغل ، في عنقه غل وفي رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول : إنما خلق الله سبحانه الخلق بيكُنْ ، فإذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقاً خلق مخلوقاً ، فوالله لأموئن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ، ولئن أخذت عليه لأصدقته - يعني الوائي .

وقال أبو عمر ابن عبد البر الحافظ في كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء » : إن ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسنه ويعاديه ، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد ، ولم يُخرج من أصحاب الشافعي غيره ، وحمل إلى بغداد وحبس ، فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن ، وقال : هو كلام الله غير مخلوق ، وحبس ومات في السجن .

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء » ٢ : كان أبو يعقوب البُويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجنان : أين تريد ؟ فيقول : أجيّب داعي الله ، فيقول : ارجع عافاك الله ، فيقول أبو يعقوب : اللهم إنك تعلم أنني قد أجيبت داعيك فمنعوني .

وقال أبو الوليد ابن أبي الجارود^٣ : كان البُويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي .

وقال الربيع : كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى ، وما

١ الانتقاء : ١٠٩ .

٢ طبقات الفقهاء : ٩٨ .

٣ تاريخ بغداد : ٣٠٠ .

رأيت أحداً أنزعَ بحجةٍ من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي . وقال الربيع أيضاً : كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي ، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له : سل أبا يعقوب ، فإذا أجابه أخبره فيقول : هو كما قال . وقال أيضاً : ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول : هذا لساني .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه^١ : لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي ، فقال البويطي : أنا أحق به منك ، وقال ابن عبد الحكم : أنا أحق بمجلسه منك ، فجاء أبو بكر الحميدي ، وكان في في تلك الأيام بمصر ، فقال ، قال الشافعي : ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه ، فقال له ابن عبد الحكم : كذبت ، فقال الحميدي : كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك ، وغضب ابن عبد الحكم ، فترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق ، وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه ، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه .

وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم^٢ : رأيت أبي في المنام فقال لي : يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه .

وقال الربيع بن سليمان^٣ : كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي ، فنظر إلينا فقال لي : أنت تموت في الحديث ، وقال للمزني : هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله ، وقال للبويطي : أنت تموت في الحديد ، قال الربيع : فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيتُه مقيداً إلى أنصاف ساقين مغلولةً يده إلى عنقه .

وقال الربيع أيضاً : كتب إلي أبو يعقوب من السجن : إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي ، فاذا قرأت كتابي

١ تاريخ بغداد : ٣٠١ .

٢ متابع للنقل عن تاريخ بغداد ؛ وانظر ترجمة الأصم في تذكرة الحفاظ للذهبي : ٨٦٠ .

٣ ورد في ج ٢ : ٢٩١ .

هذا فأحسن خُلُقك مع أهل حلقك ، واستوص بالغرباء خاصة خيراً ،
فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تُكْرِمَ النفسَ التي لا تَهينها
وأخباره كثيرة ؛ وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى
وثلاثين ومائتين ، في القيد والسجن ببغداد ، وقيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين ،
والأول أصح ، رحمه الله تعالى ؛ وقال ابن القُرَّاب في تاريخه : توفي يوم
الثلاثاء في رجب ، والله أعلم .

والبويطي ، بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى بُويَظ ، وهي قرية من أعمال الصعيد
الأدنى من ديار مصر .

ويوسف : فيه ستّ لغات ، ضمّ السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم
السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض الواو ، فالمجموع ستّ لغات ،
والياء أوله مضمومة في اللغات الست ، وسيأتي نظيره في يونس .

ابو القاسم ابن كجّ القاضي

أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كجّ الكجّي الدينوري ؛ كان أحد أئمة الشافعية ، صاحب أبا الحسين ابن القطان ، وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الداركي ، وجمع بين رياسة العلم والدنيا ، وارتحل الناس إليه من الآفاق للاشتغال عليه بالديتور رغبة في علمه وجودة نظره ، وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وصنف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء .

قال أبو سعد ابن السمعاني : لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الإسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله ، فقال له : يا أستاذ ، الاسم لأبي حامد والعلم لك ، فقال : ذلك رفعته بغداد وحطني الدينور . وتولى القضاء ببلده ، وكانت له نعمة كثيرة . وقتله العيسارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وكجّ : بكاف مفتوحة وجيم مشددة . وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الإعادة ، والكجّي : نسبة إلى جده المذكور .

٨٣٦- ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٩ ومرآة الجنان ٣ : ١٢ وعبر الذهبي ٣ : ٩٢ والشذرات ٣ : ١٧٧ وطبقات الشيرازي ١١٨-١١٩ والانساب واللباب (الكجّي) وطبقات العبادي ١٠٧ والبداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ والاسنوي ٢ : ٣٤٠ والحسيبي ٤٢ . وابن قاضي شهبة : ٩٠

ابن عبد البر

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ؛
 إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، روى بقرطبة عن أبي القاسم
 خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وأبي محمد ابن
 عبد المؤمن وأبي عمر الباجي وأبي عمر الظلمنكي وأبي الوليد ابن الفرضي
 وغيرهم . وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكّي وعبد الغني بن
 سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد ابن النحاس المصري وغيرهم .

قال القاضي أبو علي ابن سكرة^١ : سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي
 يقول : لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث ؛ وقال
 الباجي أيضاً : أبو عمر أحفظ أهل المغرب .

وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الأندلسي الجياني - المقدم
 ذكره^٢ - : ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة ، بها طلب الفقه ولزم
 أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الإشبيلي وكتب بين يديه ، ولزم
 أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ، ودأب في

٨٣٧- ترجمته في الصلة : ٦٤٠ وبنية المتمس رقم : ١٤٤٢ . والنفرة : ٣٤٤ والمغرب

٢ : ٤٠٧ والمطبع : ٦١ والديباج المذهب ٣٥٧ وترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ وتذكرة

الحفاظ : ١١٢٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٥٥ والشذرات ٣ : ٣١٤ .

١ هو أبو علي الحسين بن محمد الصدي ، انظر ترجمته في النسخ ٢ : ٩٠ وفي الحاشية ذكر
 لمراجع أخرى .

٢ ج ٢ : ١٨٠ .

طلب العلم وافقن فيه ، وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس . وألف في « الموطأ » كتاباً مفيدة . منها كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله ، وهو سبعون جزءاً ؛ قال أبو محمد ابن حزم : لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه ؟ ثم صنع كتاب « الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار » شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه . وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتاباً جليلاً مفيداً سماه « الاستيعاب » وله كتاب « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » وكتاب « الدرر في اختصار المغازي والسير »^١ وكتاب « العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم » وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم^٢ ، وغير ذلك من تواليه . وكان موفقاً في التأليف معاناً عليه ، ونفع الله به . وكان ، مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث ، له بسطة كبيرة في علم النسب .

وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مدة^٣ ، ثم تحول إلى شرق الأندلس وسكن دانية من بلادها ، وبكُنسية وشاطبة ، في أوقات مختلفة . وتولى قضاء الأشبونة وشنرين في أيام ملكها المظفر بن الأقطس ؛ وصنف كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس »^٤ في ثلاثة أسفار ، جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة :

من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقاً مدلى فأعجبه وقال : لمن هذا ؟ فقيل : لأبي جهل ، فشق ذلك عليه وقال : ما لأبي جهل والجنة ؟ والله لا يدخلها أبداً ، فإنها لا تدخلها

١ طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور شوقي ضيف (القاهرة : ١٩٦٦) .

٢ مطبوع باسم « القصد والأمم في التعريف باصول أنساب العرب والمعجم » ومعه كتيب آخر هو « الانباه على قبائل الرواة » (القاهرة : ١٣٥٠) .

٣ صدر من هذا الكتاب جزء واحد بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الحولي (القاهرة ١٩٦٢) .

إلا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وقام إليه ،
وتأول ذلك العذوقَ عكرمة ابنه .

ومنه أيضاً أنه قيل لجعفر بن محمد ، يعني الصادق : كم تتأخر الرويا ؟
قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلباً أبقع بلغ في دمه ، فكان شمّر
ابن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وكان أبرص ، فكان
تأخير الرويا بعد خمسين سنة .

ومن ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبي
بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ، رأيت كأنني أنا وأنت نرق
درجة ، فسبقتك بمرقاتين ونصف ، فقال : يا رسول الله ، يقبضك الله
تعالى إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك ستين ونصفا .

ومن ذلك أن بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :
رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ، ومع كل واحد منهما فريق من النجوم ،
قال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال : مع الآية المحوّة ، لا
عملت لي عملاً أبداً ، فعزله ، وقتل مع معاوية بن أبي سفيان بصفين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجّري ،
فقال لها أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إن صدقت رؤياك دفن في
بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض ، فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم في
بيتها قال لها أبو بكر : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها .

ومنه أيضاً أن أعرابياً - وقيل هو الخطيئة الشاعر - أراد سفراً ، فقال
لامرأته :

عُدّي السنين لغيتي وتصبّري وذري الشهور فإنهن قصارُ
فأجابته :

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحمّ بناتك إنهنّ صغارُ
فأقام وترك سفره .

وقال المهيم بن عدي قال لي صالح بن حيّان : مَنْ أَفْقَهُ الشَّعْرَاءُ ؟
فقلت : اختلف في ذلك ، فقال : أَفْقَهُ الشَّعْرَاءُ وَضَاحُ الْيَمَنِ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوَلِيْسِي تَبَسَّمْتُ وَقَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فَعْلٍ مَاحْرَمٌ
فَمَا نَوَلْتُ حَتَّى تَضْرَعْتُ عِنْدَهَا وَأَعْلَمْتُهَا مَا أَرَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّسَمِ

ومنه أيضاً : قيل لأسلم بن زرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس^١ غضب
عليك الأمير عبيد الله بن زياد ، فقال : لأن يغضب علي وأنا حي خير من
أن يرضى عني وأنا ميت .

ومنه أيضاً : سبّ أعرابي أعرابياً فسكت ، فقيل له لم سكت عنه ؟ فقال :
ليس لي علم بمسأويه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ثالبسني عمرو وثالبته - قد أثم المثلوبُ والثالبُ
قلتُ له خيراً وقال الخنا كلّ علي صاحبه كاذب

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم
من الخير أوشك أن يقول فيك ما لا يعلم من الشر .

ومنه أيضاً : ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :
كان والله أفضل من أن يتخدع ، وأعقل من أن يتخدع .

ومنه أيضاً : روي أنه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض أتاه
جبريل عليه السلام فقال : يا آدم إن الله عز وجل قد أحضرك ثلاث خصال
لتختار منهن واحدة وتتخلي عن ثنتين ، قال : وما هن ؟ قال : الحياء والدين
والعقل ، قال آدم : إني قد اخترت للعقل ، فقال جبريل للحياء والدين :
ارتفعاً فقد اختار العقل ، قالاً : لا ، لا نرتفع ، قال : ولم ؟ أعصيتما ؟ قالاً :
لا ولكن أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان .

١ يعني مرداس بن أدية شيخ الحوارج .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد من أبيات ١ :

المساء في دار عثمان له ثمنٌ
عثمانُ يعلم أن الحمدَ ذو ثمنٍ
والناسُ أكيس من أن يحمداً أحداً
والخبزُ فيها له شأن من الشأن
لكنه يشتهي حمداً بمجان
حتى يروا عنده آثار إحسان

ومن كتاب « بهجة المجالس » أيضاً قال الرياشي : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان ، فرآه رجلٌ واحد منهم ، ولم يزل يومئذ إليه حتى رآه معه غيره وعابنوه ، فلما كان هلال الفطر جاز الجمار صاحب النوادر إلى ذلك الرجل ، فدقّ عليه الباب فقال : قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(376) قلت : وهذا الجمار هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو ابن أخت سَلَم الخاسر ؛ قال السمعاني في حقه : كان خبيث اللسان حسن النادرة ، وكان أكبر من أبي نواس ، وقيل في نسبه غير ذلك ، والجماز لقبه ، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي . فمن نوادره أنه قال : أصبحت في يوم مطير ، فقالت لي امرأتي : أي شيء يطيب في هذا اليوم ؟ فقلت لها : الطلاق ، فسكتت عني . ودخل عليه يوماً بعض إخوانه وقد طبخ وغرّف الطعام ، فقال الداخِل : سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق ! فقال الجمار : الحرمان والله أعجب منه ، امرأته طالت إن ذقتّه . وقال له السَّرَوِي الشاعر : ولدت امرأتي البارحة ولداً كأنه دينار منقوش ، فقال له الجمار : لا عين أمه . وللجماز شعر أيضاً ذكره في كتاب « الورقة » ، فمن ذلك ما كتبه إلى صاحب له ، وكان يلزم الجامع ثم انقطع عنه :

هجرت المسجدَ الجامعَ والهجرُ له ريبه

١ ورد منها في النسخ (٣ : ٥٨٠) بيتان نسبهما إلى الأمير القاسم الأموي يقولهما في أخيه عثمان ، وكذلك قال ابن حيان في المقتبس : ٢٠١ (تحقيق مكّي) وقال ابن الأيثار : وهو غلط لا خفاء به وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس .

فلا نافلة تأتي ولا تشهد مكتوبه
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبه
فان زدت من الغيب زدت من الغيبه

ومنه أيضاً : قال أردشير : احذروا صوالة الكريم إذا جاع ، والثلثم
إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً ، والثناء أصبر أجساماً .

قلت : هذا كله نقلته من « بهجة المجالس » وفيه كفاية فلا حاجة
إلى الإطالة .

وتوفي الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع
الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، بمدينة شاطبة من شرق الأندلس . وقال
صاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافري ، وهو الذي صلى عليه : سمعت
أبا عمر ابن عبد البر يقول : ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب نحس بقين
من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى ؛ وقد تقدم
في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان
حافظ الشرق ، وابن عبد البر حافظ الغرب ، وماتا في سنة واحدة ، وهما
إمامان في هذا الفن .

والنمري : بفتح النون والميم وبعدها راء ، هذه النسبة إلى النمري بن قاسط ،
بفتح النون وكسر الميم ، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة ، وهي قبيلة كبيرة
مشهورة . وقد تقدم الكلام على القرطبي وشاطبة ، فأغنى عن الإعادة .

وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر
توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة ومولده سنة ثلاثين وثلثمائة ،
رحمه الله تعالى .

(377) وكان والده أبو محمد عبد الله بن يوسف^١ من أهل الأدب البارع

١ ترجمة أبي محمد ابن عبد البر الكاتب في الذخيرة (القسم الثالث : ٣٩) .

والبلاغة ، وله رسائل وشعر ، فمن شعره قوله :

لا تكثرنّ تأملا واحبس عليك عنان طرْفِكْ
فلربما أرسلته فرماك في ميدان حتفك
قيل إنه مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

٨٣٨

ابو محمد يوسف بن الحسن السيرافي

أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ،
النحوي اللغوي الأخباري ، الفاضل ابن الفاضل ، قد تقدم ذكر أبيه الحسن
في حرف الحاء ؛ كان أبو محمد المذكور عالماً بالنحو ، وتصدر في مجلس
أبيه بعد موته في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه على ما كان عليه ، وقد
كان يفيد الطلبة في حياة أبيه ، وأكمل كتاب أبيه الذي سماه « الإقناع »
وهو كتاب جليل نافع في بابه ، فإن أباه كان قد شرح كتاب سيبويه - كما
تقدم في ترجمته - وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر
لغيره ممن يعاني هذا الشأن ، وصنف بعد ذلك « الإقناع » فكانه ثمرة استفادته
حال البحث والتصنيف ، ومات قبل إتمامه فكماله ولده يوسف المذكور^٢ ،
وإذا تأمله المنصف لم يجد بين اللفظين والقصدتين تفاوتاً كثيراً . ثم صنف
يوسف المذكور عدة كتب في شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة ،
مثل « شرح أبيات كتاب سيبويه » وهو الغاية في بابه وبسطه ، و « شرح

٨٣٨- ترجمته في الجواهر المضية ٣ : ٢٢٦ ومرآة الجنان ٢ : ٤٢٩ وبنية الوعاة : ٤٢١

ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ .

١ انظر ج ٢ : ٧٨ .

٢ قال العمري : والبنغاديون يحكون أن أبا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمقنع
أو الإقناع الى باب التصغير ، ثم توفي وآتمه بعده ولده أبو محمد (رسالة الغفران : ٤٦٦) .

أبيات إصلاح المنطق « وأجاد فيه ، و « شرح أبيات المجاز لأبي عبيدة وأبيات معاني الزجاج » و « شرح أبيات غريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام ، إلى غير ذلك . وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة روية ومرة دراية ، وقرأ عليه كتاب « البارع » للمفضل بن سلمة ، وهو كتاب كبير في عدة مجلدات هذب به كتاب « العين » في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد - المقدم ذكره - وأضاف إليه من اللغة طرفاً صالحاً .

ونُقِلَ من ظهر نسخة بكتاب « إصلاح المنطق » ، قال أبو العلاء المعري : حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً ، قال : كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، فمضى بيت حميد بن ثور^٢ :

ومطويةُ الأقربِ ، أما نهارها فسببتُ ، وأما ليلها فذميلُ

فقال أبو سعيد « ومطوية » أصلحه بالخفض ، ثم التفت إلينا فقال : هذه او رُبِّ ، فقلت : أطل الله بقاء القاضي ، إن قبله ما يدل على الرفع ، فقال : وما هو ؟ فقلت :

أتاك بيَ الله الذي أنزل الهدى ونورَ وإسلامَ عليكَ دليلُ
ومطويةُ الأقربِ ...

فعاد وأصلحه ، وكان ابنه أبو محمد حاضراً فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه ، وكان سماناً ، فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية ، فعمل « شرح إصلاح المنطق » . قال أبو العلاء : وحدثني مَنْ رآه وبين يديه أربعمائة ديوان ، وهو يعمل هذا الكتاب .

ولم يزل أمره على سداد واشتغال وإفادة إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث

١ انظر ج ٢ : ٢٤٤ .

٢ ديوان حميد : ١١٦ .

بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ، ودفن من الغد ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، ذكر ذلك هلال بن المحسن ابن الصابي الكاتب في تاريخه . وقال غيره : مولده في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وتوفي يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وكان ديناً صالحاً ورعاً متقشفاً ، وكان بينه وبين أبي طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي - المقدم ذكره^١ - مباحث ومناظرات منقولة بين الناس ، وليس هذا موضع ذكرها .

وقد تقدم الكلام في ترجمة أبيه على السيرافي فلا حاجة إلى إعادته ها هنا . وقال ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك »^٢ : سيراف فرضة عظيمة لفارس ، وهي مدينة جليلة ، وأبنيتها ساج متصل إلى جبل يطل على البحر ، وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع ، وهي من أغنى بلاد فارس ، بالقرب من جنابة ونجيرم ، والله أعلم . ومن سيراف ينتهي الإنسان على ساحل البحر إلى حصن ابن عمارة ، وهو حصن منيع على نحر البحر ، وليس بجميع فارس حصن أمتع منه . ويقال إن صاحبه هو الذي قال الله تعالى في حقه ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ (الكهف : ٧٩) .

وقال غير ابن حوقل : كان اسم هذا الملك الجُلُنْدَى ، بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف ، وإليه أشار بعضهم يخاطب بعض الظلمة :

كان الجُلُنْدَى ظالماً وأنت منه أظلمُ

وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

١ ج ١ : ١٠١ .

٢ صورة الأرض : ٢٤٨ وفي النقل اختلاف .

يوسف النجيري

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرَزَادِ النَّجِيرِيِّ ،
الغوي البصري نزيل مصر ؛ هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الأدباء
ما منهم إلا من هو ماهر في اللغة كامل الأدوات متقن لها . روى أبو يعقوب
المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد الساجي وطبقته ، وروى عنه
أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره .

وكان يوسف أمثل أهل بيته ، وله خط ليس بالجميل في الصورة ، وهو
في غاية الصحة ، وكذلك خطوط جماعته قريبة منه ، ولأهل مصر رغبة
وتنافس كثير في خطه ، حتى بلغت نسخة من «ديوان جرير» بخطه عشرة
دنانير ، وأكثر ما تروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب
في الديار المصرية من طريقه ، فإنه كان راوية لها عارفاً بها . وكان أهل بيته
يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب .

وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي المصري
قد أخذ اللغة من أصحاب أبي يعقوب المذكور ، وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ
عنه شيئاً لأنه رآه وهو صبي . قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال
المصري كاتب الإنشاء - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - قال لي ابن بركات :

٨٣٩- ترجمته في بغية الوعاة : ٤٢٥ والأنساب واللباب (النجيري) ، وعبر الذهبي ٢ : ٣٥٨
والشذرات ٣ : ٧٥ (وفي المصدرين الأخيرين أدرج في وفيات ٣٧٠ وهو بعيد عما
أنبته المؤلف) .

١ انباه الرواة ٣ : ٧٨ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٥٦ ومعجم الأدباء ١٨ : ٣٩ والرواق
٢ : ٢٤٧ والمحملون : ١٦٧ .

رأيت أبا يعقوب وهو ماش في طريق القرافة ، وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية. مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه في مشيته . وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر ، فان الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكره في كتاب « الوفيات » الذي جمعه فقال : توفي أبو يعقوب بن خرزاذ النجيري يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . وقال غيره : ولد أبو يعقوب يوسف النجيري يوم عرفة من سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وابن بركات المذكور^١ ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها في سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوي مصر ، هكذا قاله الموفق ابن الخلال المذكور ، فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب ، وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيري في السنة الثالثة من عمره^٢ ، لكن لعله رأى ولده ، والله أعلم .

وقال القاضي الفاضل : ليس في شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين ، وعملهما في مسافر العطار :

يا عنقَ الإبريسق من فضةٍ ويا قوامَ الغُصنِ الرطّبِ
هَبَّكَ تجافيتَ فأقصيتني تقدّرُ أن تخرجَ من قلبي ؟

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي - المقدم ذكره في حرف الطاء^٣ - وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب « الجنان » وأثنى عليه .

وخرزاذ : بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعده الألف ذال معجمة . قلت : هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم ، وهو لفظ أعجمي ، وتفسير زاذ بالعربي ابن ، وأما خُرَّ بتشديد الراء فليس له معنى ،

١ انظر الانباه ٣ : ٧٩ .
٢ قال القفطي نقلا عن ابن الخلال: وأدرك ابن خرزاذ ورآه وهو صبي فلم يهتد للأخذ عنه لصبوته .

٣ ج ٢ : ٥١٥ .

إلا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك ، فيكون أصله خار بالألف وهو الشوك فيكون خارزاد معناه ابن الشوك ، وَخَرَشَيْذُ أيضاً الشمس ، فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا « شيد » فيحتمل ، وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالأسماء العجمية ، والله أعلم بالصواب .

ثم وجدت في كتاب « البلدان »^١ تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها أرض أردشير خره ثم قال : ومعنى أردشير خره ولد أردشير بها . قلت : وأردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خُرَزَاد: بها ولد ، كما هو عادتهم في التقديم والتأخير ، وتقدير الكلام ولد بها أي بالناحية أو غير ذلك ، والله أعلم .

والنجيرمي : بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي آخرها ميم ، هذه النسبة إلى نجيرم ، ويقال نجارم ، قال أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » هي محلة بالبصرة ؛ وقال غيره : هي قرية في برّ البصرة في طريق فارس عند سيراف ، والله أعلم بالصواب . وكذا هي في كتب « المسالك والممالك » وهي على بحر فارس ، وظاهر الحال أن جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذا المحلة ، فسميت باسم بلدهم ، والله أعلم .

١ فتوح البلدان : ٤٧٦ وفي المطبوعة : ومعنى اردشير خره بهاء أردشير .

يوسف بن وهرة الهمداني

يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة ، أبو يعقوب الهمداني الفقيه العالم الزاهد الجليل^١ الرباني صاحب المقامات والكرامات ؛ قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربعمائة ، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي -المقدم ذكره^٢- وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب والخلاف ، وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين محمد بن علي ابن المهدي بالله وأبي الغنّام عبد الصمد بن علي بن المأمون ، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وطبقتهم ، وسمع بأصبهان وسمرقند ، وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه ، واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علماً من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله تعالى .

وقدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها ، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيماً من الناس ، قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح : حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمداني في النظامية ، وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسألة ، فقال له الإمام يوسف : اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام ؛ قال أبو الفضل :

٨٤٠ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ٩٤ ومرآة الزمان : ١٨٠ ومرآة الجنان ٣ : ٢٦٤ وعبر
الذهبي ٤ : ٩٧ والشذرات ٣ : ١١٠ وطبقات الشعراني ١ : ١٥٩ والأنساب والباب
(البوزنجردي) والبدر السافر ، الورقة : ٢٣٩ والاسنوي ٢ : ٥٣١ .
١ الجليل : سقطت من : س ق ع ر .
٢ ج ١ : ٢٩ .

فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة ، فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له : يقع لي أن أترك دين الإسلام وأدخل في دينكم ، فقبله النصراني ، وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم ، وتنصر ومات على النصرانية .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في « تاريخ بغداد » في ترجمة يوسف الهمداني المذكور : سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرئ يقول : كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم مجوداً في تلاوته ، حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقىً على دكة مريضاً ، ويده خَلَقٌ مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه ، قال فسألته : هل القرآن باق على حفظك ؟ فقال : ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ (الحجر : ٢) والباقي أنسيته ، نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نعمته ، ونسأله الثبات على دين الإسلام ، آمين آمين .

قال أبو سعد ابن السمعي^١ : يوسف بن أيوب الهمداني من أهل بُوَزْجِرْدَ ، قرية من قرى همدان مما يلي الري ، الإمام الورع التقي المنتسك العامل بعلمه والقائم بحقه ، صاحب الأحوال والمقامات الجليلة ، وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين ، واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربطِ مثلهم ، وكان من صغره إلى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة ، خرج من قرينته إلى بغداد ، وقصد الإمام أبا إسحاق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه ببغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر ، وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه ، لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه . ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه ، واشتغل بما هو الأهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق إليها وإرشاد الأصحاب

١ بينه وبين ما ورد في الأنساب بعض اختلاف .

إلى الطريق المستقيم ، نزل مرو وسكنها ، وخرج إلى هراة وأقام بها مدة ، ثم سئل الرجوع إلى مرو في آخر عمره فأجاب ورجع إليها ، وخرج إلى هراة ثانياً ، وعزم على الرجوع إلى مرو في آخر عمره وخرج منها متوجهاً إلى مرو ، فأدرسته منيته بيايين بين هراة وبغشور في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ، ثم نقل بعد ذلك إلى مرو ؛ وكان مولده تقديراً لا تحقيقاً في سنة أربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجر ، رحمه الله تعالى .

قلت : هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضباً ، وفيه ألفاظ تحتاج إلى إيضاح .

أما وهرة : فهو بفتح الواو والهاء والراء وفي آخره هاء ثانية ، وهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي .

والقسطنطينية^١ : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة ، وهي أعظم مدائن الروم ، بناها قسطنطين ملك الروم ، وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، فنسبت المدينة إليه .

وأما بوزنجر : فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من قرى همدان على مرحلة منها مما يلي ساوة ، كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب «الأنساب»^٢ وأما مرو فقد تقدم الكلام عليها .

وأما باميين : بالباء الموحدة وبعدهم الألف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون ، فهي بلدة بخراسان كما ذكرها .

١ ورد ضبطها ج ٢ : ٦٤

٢ انظر الأنساب ٢ : ٢٥٦ .

وهرة قد تقدم الكلام عليها وأنها إحدى كرامتي خراسان فإنها أربعة :
نيسابور وهرة ومرو وبلخ .

وبفشور : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة
وبعد الواو الساكنة راء ، وهي بليدة بخراسان أيضاً بين مرو وهرة ، وقد
تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي أنه منسوب إليها .

٨٤١

الاعلم الشتمري

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ، المعروف بالأعلم
من أهل شتَمَرِيَّة الغرب ؛ رحل إلى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة
وأقام بها مدة ، وأخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الإفريقي
وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب .

وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، حافظاً لجميعها ، كثير العناية
بها حسن الضبط لها مشهوراً بمعرفتها وإتقانها ، أخذ الناس عنه كثيراً ، وكانت
الرحلة في وقته إليه ؛ وقد أخذ عنه أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني
الجيازي - المقدم ذكره^١ - وغيره .

وكُفَّ بصره في آخر عمره ؛ وشرح كتاب « الجمل » في النحو لأبي القاسم
الزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد ، وساعد شيخه ابن الإفريقي
المذكور على شرح ديوان المتنبي ، وغالب ظني أنه شرح « الحماسة » فقد

٨٤١ - ترجمته في الصلة : ٦٤٣ ومجمع الأدباء ٢٠ : ٦٠ وبنية الوعاة ٤٢٢ وفهرست ابن

خير ، ونكت الهيمان : ٣١٣ ومرآة الجنان ٣ : ١٥٩ .

١ ج ٢ : ١٨٠ .

كان عندي شرح الحماسة للشتري في خمس مجلدات، وقد غاب عني الآن من كان مصنفه ، وأظنه هو ، والله أعلم ، وقد أجاد فيه .

وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية من جزيرة الأندلس ، وكانت ولادته في سنة عشر وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي خطيب جامعها ، قال : مات أبي أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوال سنة ست وسبعين وأربعمائة ، فسرت إلى الشيخ الأستاذ أبي الحجاج الأعمى ، فأعلمته بوفاته فانها كانا كالأخوين محبة ووداداً ، فلما أعلمته انتحب وبكى كثيراً واسترجع ثم قال : لا أعيش بعده إلا شهراً ، فكان كذلك .

ورأيت بخط الرجل الصالح العالم محمد بن خير المقرئ الأندلسي ، رحمه الله تعالى ، أن أبا الحجاج المذكور إنما قيل له « الأعمى » لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً فاحشاً . قلت : ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعمى ، والفعل الماضي منه علم بكسر اللام يعلم بفتحها علماً بفتحها أيضاً ، والمرأة علماء إذا كانت كذلك ، فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له أفلمح ، بالفاء والحاء المهملة ، والفعل منه كما تقدم في الأعمى يقال : فليح بكسر اللام يفلح فلحاً بفتحها فيهما ، وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعيامات كلها أن تكون عين الفعل الماضي مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرّس يخرّس خرّساً ، وبرّص يبرّص برّصاً ، وعمي يعمي عمى ، وكذلك جميعه ، واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص وأعمى ، وكذلك أعلم وأفلمح .

(378) وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضي الله عنه أعلم ، فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع نثيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، قال صلى الله عليه وسلم : دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده ، وكان سهيل من الخطباء الفصحاء

البلغاء ، وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه . والمقام الذي وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو أنه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف ، فقام سهيل خطيباً وسكّن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو المقام المحمود . وقول عمر رضي الله عنه : « دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » فلنما قال ذلك لأنه إذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام إلا بمشقة وكلفة ، فهذا الذي قصده عمر رضي الله عنه .

وكان عترة بن شداد العبسي الفارس المشهور أفلح ، فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به ، وإنما ذهبوا به إلى تأنيث الشفة ، والله أعلم .

وشتمرية^١ : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، وهي مدينة بالأندلس في غربها .

والحديبية : بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفي آخرها هاء ساكنة ، وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ، ويروى بتشديد الياء الأخيرة أيضاً .

١ شتمرية الغرب (Santa Maria de Algarve) تسمى اليوم فارو (Faro) وتقع في المنطقة الجنوبية من البرتغال .

بهاء الدين عرف بابن شداد

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي ، قاضي حلب ، المعروف بابن شداد ، الملقب بهاء الدين ، الفقيه الشافعي ؛ توفي أبوه وهو صغير السن ، فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه ، وكان يكنى أولاً أبا العزّ ، ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته .

ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وحفظ بها القرآن الكريم في صغره ، ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي - المقدم ذكره -^١ إلى الموصل فلأزمه وقرأ عليه بالطرق السبع ، وأتقن عليه فن القراءات . قال أبو المحاسن المذكور في بعض تواليفه : أول من أخذت عنه شيخي الحافظ صائغ الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي ، رحمه الله تعالى ، فاني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة ، فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات ، وقراءة القرآن العظيم ، ورواية الحديث وشروحه ، والتفسير ، حتى كتبت لي خطه ، شهد لي بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت ، وعندني خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين ، وفهرست ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه . وما يشتمل عليه فهرست البخاري ومسلم من عدة طرق ، وغالب كتب

٨٤٢ - ترجمته في غاية النهاية ٢ : ٣٩٥ وذيل الروضتين : ١٦٣ وابن الوردي ٢ : ١٦٠
ومرآة الجنان ٤ : ٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٣٢ والشذرات ٥ : ١٥٨ والبدر السافر ،
الورقة ٢٤١ والزرکشي ٣ : ٣٧٧ وابن اشعار ١٠ : ٣٤٩ والاسنوي ٢ : ١١٥
والأنس الجليل ٢ : ٤٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ١٥١ وابن قاضي شهبة : ١٧٩ .

١ انظر ج ٦ : ١٧١

الحديث ، وغالب كتب الأدب وغيره ، وآخر روايتي عنه « شرح الغريب »
لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قرأته عليه في مجالس ، آخرها في العشر الأخير
من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة - قلت : وهي السنة التي مات فيها
الشيخ القرطبي ، حسبما ذكرته في ترجمته .

(379) ثم قال : ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف
بابن الشيرجي ، سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي ، وأجازني أن أروي عنه
جميع ما رواه علي اختلاف أنواع الروايات ، وكتب لي خطه بذلك في
فهرست سماعي مؤرخاً بخامس جمادى الأولى سنة ست وستين وخمسمائة ،
وكان مشهوراً بعلمي الحديث والفقه ، ولي قضاء البصرة ودرس بالأتابكية
القديمة ، يعني بالموصل .

(380) ومنهم الشيخ مجتهد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن
عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل ، وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من
الآفاق ، وعاش نيافاً وتسعين سنة - قلت : وكانت ولادة أبي الفضل ابن
الطوسي الخطيب المذكور في منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد
بباب المراتب ، وتوفي ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان
وسبعين وخمسمائة بالموصل ، ودفن بمقبرة باب الميدان ، رحمه الله تعالى .

رجعنا إلى تمة كلام أبي المحاسن ابن شداد :

وسمعت عليه - يعني علي الخطيب المذكور - كثيراً من مسموعاته ،
وأجاز لي جميع ما رواه في السادس والعشرين من رجب ، سنة ثمان وخمسين
وخمسمائة .

ومنهم القاضي فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري ،
سمعت عليه مسند الشافعي رضي الله عنه ، ومسند أبي عوانة ، ومسند أبي
يعلى الموصلية ، وسنن أبي داود ، وكتب لي خطه بذلك ، وهو في فهرستي ،

١ ترجمة ابن الشيرجي في الاسنوي ٢ : ١١٠ والسبكي ٤ : ٢٣٤ .

وسمعت عليه «الجامع» لأبي عيسى الترمذي، وأجاز لي رواية ما رواه، وكتب لي خطه بذلك في شوال سنة سبع وستين وخمسائة .

(381) ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري الصنهاجي ، أجاز لي جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه ، وفي فهرستي خطه بذلك مؤرخاً بشهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسائة ، وفهرسته عندي بذلك - قلت : توفي أبو محمد عبد الله الأشيري المذكور في شوال سنة إحدى وستين وخمسائة بالشام ، ودفن ببلدك رحمه الله تعالى ظاهر باب حمص شمالي البلد .

ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن علي الجبائي^١ ، قرأت عليه «صحيح مسلم» من أوله إلى آخره بالموصل ، و«الوسيط» للواحد ، وأجاز لي رواية ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسائة .

فهذه أسماء من حضر في خاطري ، وقد سمعت من جماعة لم يحضروني روايتهم عند جمع هذا الكتاب ، كشهدة الكاتبة في بغداد وأبي المغيث في الحربية ، والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عني طرقهم ، فلم أذكرهم ، إذ كان في هؤلاء غنية ؛ هذا آخر ما ذكره عن نفسه .

وقال غيره : إنه قرأ الفقه على أبي البركات عبد الله ابن الشيرجي المذكور فقيه الموصل ، وكان عالماً زاهداً متقشفاً ، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وخمسائة بالموصل ودفن بظاهرها .

ثم اشتغل بالخلاف على الضياء ابن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري . ثم باحث في الخلاف متفني أصحابه ، كالفخر النوقاني والبروي والعماد النوقاني والسيف الخوارزي والعماد الميانجي .

ثم انحدر إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها

١ ترجمة الجبائي في التكملة : ٥٠٠ والنفع ٢ : ٥٨ .

معيداً بعد وصوله إليها بقليل ، وأقام معيداً نحو أربع سنين ، والمدرس بها يوم ذلك أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي . وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور التدريس بالنظامية في شهر ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسمائة ، وعزل عنها في سابع شهر رجب سنة تسع وستين ، وتولاها بعده رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني في التاريخ المذكور ، وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الإعادة . وكان رفيقه في الإعادة السيد محمد السلماسي - وقد تقدم ذكره^١ - ثم أصدق إلى الموصل في سنة تسع وستين فترتب مدرساً في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري - المقدم ذكره^٢ - ولازم الاشتغال ، وانتفع به جماعة .

وله كتاب في الأفضية سماه « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام » ذكر في أوائله أنه حج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار البيت المقدس والتحليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم . ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب ، فذكر أنه سمع بوصوله فاستدعاه إليه ، فظن أنه يسأله عن كيفية قتل الأمير شمس الدين ابن المقدم^٣ ، فإنه كان أمير الحاج في تلك السنة من جهة صلاح الدين ، وقتل على جبل عرفات لأمر يطول شرحه ، وليس هذا موضع ذكره . فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالإكرام التام ، وما زاد على السؤال عن الطريق ، ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل ، وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه ، فأخرج له جزءاً جمع فيه أذكار البخاري ، وأنه قرأه عليه بنفسه ، فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الأصفهاني وقال له : السلطان

١ - ج ٤ : ٢٣٧ .

٢ - ج ٤ : ٢٤١ .

٣ هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، اختلف مع طاش تكين أمير الحاج العراقي عام ٥٨٣ حول الافاضة من عرفات قبله ، فلم يستجب ابن المقدم له فهجم العراقيون على الحاج الشاميين وقتكوا فيهم ، وجرح ابن المقدم وهو يكف الناس عن القتال (انظر ابن الأثير ١١ : ٥٥٩ - ٥٦١) .

يقول لك : إذا عدت من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا إليك مُهِم ، فأجابه بالسمع والطاعة . فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه ، وجمع له في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين ، يحتوي على مقدار ثلاثين كراسة ، فخرج إليه واجتمع به على بقية حصن الأكراد ، وقدم له الكتاب الذي جمعه ، وقال : إنه كان عزم على الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل إذا وصل إليها .

ثم إنه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم ولاء قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف .

ولما كنت متولي الحكم بدمشق المحروسة جاعني في بعض شهور سنة ست وستين وستمائة إسجالاً قد ثبت مضمونه عند القاضي أبي المحاسن المذكور ، وهو يومئذ قاضي العسكر الصلاحي ، وقد انقطع ثبوته بموت شهوده ، فتعذر إثباته عندي لذلك ، وتأملته إلى آخره ، لأنني استغريته ، فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيراً وحصل الانتفاع بصحته .

عدنا إلى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور - فقال : إنه كان قد حضر إلى خدمة صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل والقاضي محيي الدين ابن الشهرزوري لما وصلا إليه في رسالة ، واتفق في تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقي المدرس - كان - بمصر في مدرسة منازل العز وخطيب مصر ، وأن صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل ، وأنه حضر عند السلطان دفعة ثانية في رسالة من الموصل وهو على حران ، وكان صلاح الدين مريضاً يومئذ .

وذكر أنه لما توفي صلاح الدين كان حاضراً ، وتوجه إلى حلب لجمع كلمة الإخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض ، وأن الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب إلى أخيه الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين صاحب دمشق ، يطلبه منه ، فأجابه إلى ذلك ، فأرسله الظاهر إلى مصر لاستحلاف أخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح

الدين ، وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك ، فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي بحلب قد مات ، فعرض عليه فأجاب ، هكذا ذكره في كتابه « ملجأ الحكّام » .

وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه « زبدة الحلب في تاريخ حلب » ما مثاله : وفي سنة إحدى وتسعين ، يعني وخمسمائة ، اتصل القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر ، وقدم إليه إلى حلب وولاه قضاءها ووقفها ، وعزل عن قضاها زين الدين أبا البيان نبا ابن البانياسي ، نائب محيي الدين ابن الزكي ، وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة والمشاورة ، انتهى كلامه .

قلت : وهذا القاضي نبا هو ابن الفضل بن سليمان الحميري ، يعرف بيتهم بدمشق ببيت البانياسي ، وكان السلطان صلاح الدين قد ولي القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي - المقدم ذكره - القضاء بحلب فاستتاب فيها زين الدين نبا ابن البانياسي المذكور ، واستمر بها إلى التاريخ المذكور .

وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا نفر يسير ، فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة . وكان الملك الظاهر قد قرر له إقطاعاً جيداً يحصل منه جملة مستكثرة ، ولم يكن له خرّج كثير ، فانه لم يولد له ولا كان له أقارب ، فتوفر له شيء كثير ، فعمّر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي ، رحمه الله تعالى ، الشافعية . ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدها ، وهو الموضوع المعد للإلقاء الدروس ، وذلك في سنة إحدى وستمائة . ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي ، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ، ولها بابان : باب إلى المدرسة

وباب إلى دار الحديث ، وشباكان إلى الجهتين ، وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر .

ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدتها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة ، وكثر الجمع بها .

وكان بين والدي ، رحمه الله تعالى ، وبين القاضي أبي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل ، فبحث إليه ، وكان أخي قد سبقني بمدة قليلة ، وكتب سلطان بلدنا الملك العظيم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ، رحمه الله تعالى - المقدم ذكره في حرف الكاف^١ - كتاباً بليغاً في حقنا يقول فيه: أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين ، وأنها ولدا أخي وولدا أخي ، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية ، وأطال القول في ذلك ، فتفضل القاضي أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والإكرام وأحسن حسب الإمكان وعمل ما يليق بمثله ، وأنزلنا في مدرسته ورتب لنا أعلى الوظائف ، وألحقنا بالكبار ، مع الشيبة في السن والابتداء في الاشتغال - وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي إلى حلب فأغنى عن الإعادة^٢ - ولم نزل عنده إلى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ، ولم يكن بمدرسته في ذلك الزمان درس عام ، لأنه كان المدرس بنفسه ، وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس وإلقائها ، فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الإعادة ، والجماعة يشتغلون عليهم . وكنت أنا وأخي نقرأ على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني ، لأنه كان من بلدنا ، ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس - المقدم ذكره^٣ - فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقد نيف على ثمانين سنة ، فترددت إلى الشيخ نجم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الحجاز الموصلية الفقيه

١ ج ٤ : ١١٣ . ٢ انظر هذا الجزء : ٥٢

٣ ج ٤ : ٢٥٣ .

الإمام ، وهو إذ ذاك مدرس المدرسة السيفية ، فقرأت عليه من أول كتاب «الوجيز» للغزالي إلى الإقرار .

وعلى الحملة فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب اتصال الكلام .

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الأمور وعقدها ، لم يكن لأحد معه في الدولة كلام ، وكان سلطانها الملك العزيز أبا المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين ، وهو صغير السن ، تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل ، وهو أتابكته ومقولي تدبير الدولة بإشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الأمور .

وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة مخصوصاً بصاحبه مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سباطه ، وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به ، وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها ، لأن الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف ، لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة ، وكانت النزلات تعتربه في دماغه فلا يفارق تلك القبة ، وفي الشتاء يكون عنده منقلاً كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ، ومع هذا كله فلا يزال مزكوماً وعليه الفرجية البرطاسي^١ والثياب الكثيرة ، وتحت الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الحماثل الثخينة ، بحيث إننا كنا نجد عنده الحرّ والكرب ، وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف . وكان لا يخرج للصلاة الجمعة إلا في شدة القيظ ، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ، ولقد كنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما . وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه ، وكان يعجبه ذلك . وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة ، والأدب غالب عليه ، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

إن السلامة من ليلى وجارتها أن لا تمر على حال بتاديبها

١ نسبة إلى برطاس شمالي بحر قزوين .

وكان يتمثل أيضاً كثيراً بقول صردر الشاعر - المقدم ذكره في حرف العين^١ - وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو :

وعهودهم بالرمل قد نُقِضَتْ وكذلك ما يُبْنَى على الرملِ
فأنشده في بعض الأيام ، فقال له بعض أصحابنا الحاضرين : يا مولانا قد
استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالاً ملبحاً ، فقال : ابن المعلم هو أبو
الغنائم ؟ فقال : نعم ، فقال : صاحبنا كان ، كيف قال ؟ فأنشده :

نقضوا العهودَ ، وحقّ ما يُبْنَى على رملِ اللوى بيدِ الهوى أن يُنْقَضَا
فقال : ما أقصر ، ولقد تلطّف في قوله « بيدِ الهوى » ، فقال له : يا مولانا
وقد استعمله في قصيدة أخرى ، فقال : هات ، فأنشده :

ولم يُبْنَ على الرملِ فكيف انتقضَ العهدُ

فاستحسنه . وكان كثيراً ما ينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف
بِـيَحْيَى بَيْض - المقدم ذكره^٢ - وكان يقول إنه سمعها منه وروىها عنه ،
وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص ، فأغنى عن الإعادة ، وأولها :

لا تَصْغَ من عظيمِ قدرٍ وإن كنتَ مُشاراً إليه بالتعظيمِ
وكان يقول : أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ، ونحن نزول على قلعة صفد :

قلتُ للترلةِ لما أن ألتُ بلهاتي
بجساتي خلّ حلقي فهو دهليزُ حياتي

قلت : هذان البيتان منسوبان إلى ابن الهبّارية - المقدم ذكره^٣ -
والله أعلم^٤ .

١ ج ٣ : ٣٨٥ ، وانظر ديوان صردر : ١٥٥ .

٢ ج ٢ : ٣٦٢ .

٣ ج ٤ : ٤٥٣ .

٤ وكان يقول أنشدني ... أعلم : سقط من س .

وكان كلما نظر إلى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام
والتعود والصلاة وسائر الحركات ، ينشد :

من يتمنّ العمر فليدّرِع صبراً على فقد أجبائه
ومن يُعمّر يسر في نفسه ما يتمناه لأعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ،
قاضي السلامة المقدم ذكره في هذا الكتاب^١ ، والله أعلم ؛ ذكر ذلك صاحبنا
الكمال ابن الشعار الموصلي في كتابه « عقود الجمان » في ترجمة الظهير المذكور^٢ .
وهذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري^٣ :

تدعو بطول العمر أفسواها لمن تنساهى القلب في ودّه
يسرّ إن مدّ بقاء له وكلّ ما يُكره في مسده

والأصل في هذا قول لبيد بن ربيعة العامري^٤ :

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فالأنها الإصباح والإساء
ودعوتُ ربي بالسلامة جاهداً ليُصِحّتي فاذا السلامة داء^٥

ودخل عليه يوماً رجل من أهل الغرب يقال له أبو الحجاج يوسف ،
وكان قريب العهد ببلاده ، ورد حلب في تلك الأيام ، وكان فاضلاً في الأدب
والحكمة ، فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده :

لو يعلمُ الناسُ ما في أن تعيش لهم بكوا لأنك من ثوب الصبا عاري
ولو أطاقوا انتقاصاً من حياتهم لما فدّوك بشيء غير أعمار

١ ج ١ : ٣٧ .

٢ انظر ابن الشعار ١ : ٢٨ .

٣ شروح السقط : ١٠٠٨ .

٤ هو من المنسوب له ، انظر ديوانه : ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ وفي المختار : قول الآخر .

٥ ثم وجدت ... داء : سقط من س .

فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له .

وقال لي بعض أصحابنا: سمعته يوماً وهو يحكي للجماعة الحاضرين عنده ، قال : لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حبّ البلاذُر^١ ، لأجل سرعة الحفظ والفهم ، فاجتمعوا ببعض الأطباء ، وسألوه عن مقدار ما يستعمل الإنسان منه وكيف يستعمله ثم اشترؤا القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في موضع خارج عن المدرسة ، فحصل لهم الجنون ، وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم ، وبعد أيام جاء إلى المدرسة واحد منهم ، وكان طويلاً ، وهو عريان ليس عليه شيء يستر عورته ، وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة ، وقد ألقاها وراءه فوصلت إلى كعبه ، وهو ساكت عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعيثر ، فقام إليه مَنْ كان حاضراً من الفقهاء وسألوه عن الحال ، فقال لهم : كنا قد اجتمعنا وشربنا حبّ البلاذر ، فأما أصحابي فإنهم جنوا وما سلم منهم إلا أنا وحدي ، وصار يظهر العقل العظيم والسكون ، وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ، ويعتقد أنه سالم مما أصاب أصحابه ، وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت إليهم .

وأخبرني جماعة مما كانوا عنده قبل وصولنا إليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المعروف ، فكتب إليه رسالة ، وفي أولها أبيات يستجديه فروة قرظ ، وهي :

بهاء الدينِ والدنيا	ونورِ المجدِ والحسبِ
طلبتُ مخافةَ الأنوا	من نِعْماك جِلْدَ أبي
وفضلكِ عالمٌ أني	خروفٌ بارعٌ الأدبِ
حلبتُ الدهرَ أشطره	وفي حَلَبِ صفا حلبي

١ المختار : شرب .

٢ اسمه العلمي : *Semecarpus anacardium* .

« ذو الحسب الباهر ، والنسب الزاهر ، يسحب ذبول سِيراء السراء ،
ويحب النّحاة من أجل الفراء ، ويمن على الحروف النيبه ، يجلد أبيه ، قانيء
الصباغ ، قريب عهد بالدباغ ، ما ضل طالبُ قرظله ولا ضاع ، بل ذاع
ثناء صانعه وضاع ، أثيثَ خمائل الصوف ، يهزأ من الرياح بكل هوجاء
عصوف ، إذا طهّر إهابه ، يخافه البرد ويهابه ، ما في الثياب له ضرب ،
إذا نزل الجليد والضرب ، ولا في اللباس له نظير ، إذا عري من ورقه
الغصن النضير ، لا كطيلسان ابن حرب ، ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ،
كأنه من جلد حمل الحرباء ، الذي يراعي البدر والنجم ، لا من جلد السمخلة
الحرباء التي ترعى الشجر والنجم ، قرّجيّ النوع ، أرّجيّ الضوع ، ليكون
تارة لحافاً وتارة برداً ، وهو في الخالين يحمي حرأ ويميت برداً ، لا زال
مهديه سعيداً ، ينجز للأولياء وعداً وللأعداء وعيداً ، إن شاء الله تعالى ،
والسلام .. »

قلت : وقد ذكرت في ترجمة أبي الفتح محمد سبط ابن التعاويذي رسالة
كتبها إلى عماد الدين الكاتب الأصفهاني - المقدم ذكره^٢ - يطلب منه فروة
قرظ^٣ أيضاً ، وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها .

وفي هذه الرسالة كلام يحتاج إلى إيضاح ، وهو قوله « لا كطيلسان
ابن حرب » وهو مثل مشهور بين الأدباء ، فإذا كان الشيء بالياً شبهوه
بطيلسان ابن حرب ، ولذلك سبب لا بد من ذكره ، وهو أن أحمد بن حرب
ابن أخي يزيد المهلبي أعطى أبا علي إسماعيل بن إبراهيم بن حمّد وبيته
البصري الحمدوي^٤ ، الشاعر الأديب ، طيلساناً خليعاً ، فعمل فيه الحمدوي
مقاطع عديدة ظريفة سارت عنه وتناقلتها الرواة ، فمن ذلك قوله من أبيات^٥ :

١ انظر ج ٤ : ٤٧٢ .

٢ ترجمة العماد في ج ٥ : ١٤٧ . ٣ س : قرظ .

٤ له ترجمة في الجزء التاسع من الوافي وطبقات ابن المعتز : ٣٧١ والأغاني ١٢ : ٦١ (ط . دار
الكتب) .

٥ أكبر هذه القطع وردت عند الصفيدي ، وبعضها في طبقات ابن المعتز .

يا ابن حرب كسوتي طيلساناً
طالَ تردّاده إلى الرفو حتى
وقوله أيضاً من أبيات :

لقد حالف الرفاء حتى كأنه
وقوله أيضاً :

يا ابن حرب كسوتي طيلسانا
فإذا ما رفوته قال سبّحا
وقوله أيضاً :

يا ابن حربٍ أطلت وِثري برفسوى
فهو في الرفو آل فرعون في العرّ
وله فيه أيضاً :

رأيتنا طيلسانك يا ابن حرب
إذا الرفاءُ أصلح منه بعضاً
يسلم صاحبٍ فيقصدُ شبراً
أجبلُ الطرفِ في طرفيه طولاً
فلمستُ أشك أن قد كان دهرأ
وقد غنيتُ إذ أبصرتُ منه
«قفي قبل التفرق يا ضباعا

وقال فيه أيضاً ، وكتبها إلى بعض الرؤساء :

دعني أبكي كسوتي إذ ودّعت
يا ابن الحسين أما ترى درّاعتي

ملّ من صحبة الزمان فصداً
لو بعثناه وحنده لتهدي

يحاولُ منه أن يعلمه الرفوا

أحلته الأزمان فهو سقيمُ
نك محبي العظام وهي رميم

طيلساناً قد كنتُ عنه غنيا
ض على النارِ بكرةٍ وعشيا

يزيدُ المرءَ ذا الضعة اتضاعا
تداعى بعضه الباقي انصداعا
به وأقدّ في ردّي ذراعاً
وعرضاً ما أرى إلا رقاعاً
لنوحٍ في سفينة شراعاً
بقاياه على كفي تداعى
ولا يكُ موقفُ منك الوداعا

فلأزمننّ على البكا إذ أزمعتُ
سملاً تردّت بالبلى وتدرّعت

فيها من التمزيق ما لو أنه
تحكي تخرق طيلساني إنها
لا فرج الرحمن عنه إنه
فلتحمد الله الجبال فأنها
وله فيه أيضاً :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا
مات رفاؤه ومات بنوه
وقال فيه أيضاً :

طيلسان لو كان لفظاً إذن ما
فهو كالطور إذ تجلي له
كسم رفوناه إذ تمزق حتى
وله فيه أيضاً :

يا ابن حرب إني أرى في زوايا
طيلسان رفوته ورفوت الرفو منه وقد رقت رقاعه
فأطاع البلي فصار خليعاً
فاذا سائل رآني فيه
وله فيه أيضاً :

قل لابن حرب طيلسا
هو طيلسان لم يزل
فإذا العيون لحظته
يودي إذا لم أرفه
كالكلب إن تحمل عليه الدهر أو تركه يلهث

ويقال إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ، في كل مقطوعة معنى بديع .

وكان الأصل الذي حمل الحمدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع ، أنه وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي ، بضم الحاء المهملة ، في طيلسانه ، وكان قد أخلق حتى يبلى ، فقال فيه :

يا طيلسانَ أبي حمران قد برمت منك الحياةُ فما تلتذُّ بالعُمرِ
في كلِّ يومين رفاءَ يجمده هيهاتِ ينفعُ تجديدٌ مع الكبيرِ
إذا ارتداهُ لعيدٍ أو لجمعة تنكب الناسَ لا يبلى من النظرِ

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام ، بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة ، أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة :

رقّ فلو بُزّتْ سراييله علّقتهُ الجوّ من اللطفِ
يجرحه الناسُ بأحظهم ويشتكى الإيماءَ بالكفّ

وأنشدني بعض الأدباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في هذا المعنى لبعض الشعراء :

توهمها طرفي فأصبح خدّها وفيه مكان الوهم من نظري أثرُ
وصافحها قلبي فأدمى بنانها فمن لمس قلبي في أناملها عقرُ

وأنشدني الشيخ أيدمر الصوفي المسمّى إبراهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى :

كلّفتُ صبّاً العراقَ لما خَطَرْتُ أن تحمّلَ لي نجيحةً ما قدرت
قالتْ لي خيفتي على وجته إن جزتُ بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الأدباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثائه ثيابه ، ما يقرب من هذا المعنى ، وهو قوله :

ولي ثيابٌ رثاءٌ لستُ أغسلها أخافُ أعصرها تجري مسع الماء

وقد قيل في هذا المعنى شيء كثير ، والاختصار أولى والله أعلم .

وأما قوله : ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ، فيريد قول النحاة :
ضرب زيدا عمراً ، فإنهم أبدأ يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره ، فكأنهم
يمزقون جلده بكثرة الضرب .

عدنا إلى ما كنا عليه :

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور يسلك طريق البغادة في ترتيبهم
وأوضاعهم وحتى إنه كان يلبس ملبوسهم ، والرؤساء الذين يترددون إليه
كانوا ينزلون عن دوابهم على قدر أقدارهم ، لكل واحد منهم مكان معين
لا يتعداه .

ثم إنه تجهز إلى الديار المصرية لإحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل
للملك العزيز صاحب حلب ، وكان قد عقد نكاحه عليها ، فسافر في أول
سنة تسع وعشرين أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وعاد وقد جاء بها
في شهر رمضان من السنة . ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه
ورفعوا عنه الحجر ، ونزل الأتابك طغرل من القلعة إلى داره تحت القلعة ،
واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشره ويجالسونه ،
فاشتغل بهم ، ولم ير القاضي أبو المحاسن وجهاً يرتضيه ، فلزم داره إلى
حين وفاته ، وهو باق على الحكم وإقطاعه جارٍ عليه ، غاية ما في الباب
أنه لم يبق له حديث في الدولة ، ولا كانوا يراجعونه في الأمور ، فصار يفتح
بابه لإسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين ، وظهر عليه الخرف بحيث
إنه صار إذا جاءه الإنسان لا يعرفه ، وإذا عاد قام يسأل عنه ولا يعرفه ،
واستمر على هذه الحال مُدْبِلَةً ، ثم مرض أياماً قلائل وتوفي يوم الأربعاء
رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى ، بحلب ، ودفن
في التربة المقدم ذكرها ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك .

وصنف كتاب « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام » يتعلق بالأفضية
في مجلدين ، وكتاب « دلائل الأحكام » تكلم فيه على الأحاديث المستنبط

منها الأحكام ، في مجلدين ، وكتاب « الموجز الباهر » في الفقه ، وغير ذلك ، وكتاب « سيرة صلاح الدين ابن أيوب » ، رحمه الله تعالى .

وجعل داره خانقاه للصوفية ، لأنه لم يكن له وارث ، ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة ، يقرأون عند قبره . وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين للذين للقرية سبعة قراء ، وكان غرضه أن يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة ، فكان كل واحد من القراء الأربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة . وفارقت حلب متوجهاً إلى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، والأمور جارية على هذه الأوضاع ، ثم بعد ذلك تغيرت تلك الأمور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني .

(382) وتوفي الشيخ نجم الدين ابن الحجاز المذكور في السابع من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن ظاهرها خارج باب أربعين ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى . وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل .

(383) وتوفي الأتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين الحادية عشرة من محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب أربعين ، وكان خادماً أرمني الجنس أبيض ، حسن السيرة محمود الطريقة ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى .

(384) وتوفي أبو الحسن ابن خروف^١ الأديب المذكور بحلب في سنة أربع وستمائة متردياً في جُيب^٢ .

١ أبو الحسن ابن خروف شاعر قرطبي روى عن مشيخة بلده ثم رحل وحج وجاور بالقدس ثم قفل من رحلته الأولى إلى الأندلس ثم عاد إلى المشرق فاستوطن حلب وتوفي فيها (راجع ترجمته في صلة الصلة ١١٤ والتكملة رقم : ١٨٩٤ وزاد المسافر (رقم : ٦) والذيل والتكملة هـ : ٣٩٦ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وهو غير ابن خروف النحوي ؛ وقال ابن عبد الملك إنه توفي في نحو العشرين وستمائة ؛ وانظر الفصول الياضعة : ١٣٩

٢ عند نهاية هذه الترجمة انتهى ما اختاره ابن المؤلف وهو ببعلبك ، يوم الاثنين السابع صفر سنة ٧٠٢ وما بعده نقله بدمشق .

يوسف بن عمر الثقفي

أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي - وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فإنه ابن ابن عم الحجاج ، يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل ؛ قال خليفة بن خياط : ولى هشامُ بن عبد الملك يوسفَ بن عمر اليمن ، فقدمها لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة ، فلم يزل والياً بها حتى كتب إليه هشام في سنة عشرين ومائة بولايته على العراق ، فاستخلف على اليمن ابنه الصلتُ ابن يوسف .

وقال البخاري : كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة إحدى وعشرين ومائة إلى سنة أربع وعشرين . وقال غيره : لما أراد هشام بن عبد الملك صرفَ خالد بن عبد الله القسري عن العراق ، كان قد جاءه رسول يوسف ابن عمر الثقفي من اليمن ، فدعا هشام بالرسول وقال له : إن صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره ، وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسوأطاً ، وقال له : امض إلى صاحبك ، فعل الله به وصنع ، ودعا بسالم اليمامي مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك ، وكان على ديوان الرسائل وقال له : اكتب إلى يوسف ابن عمر ، بشيء أمره به ، واعرض الكتاب علي ، فمضى سالم ليكتب ما أمره به ، وخلا هشام بنفسه ، وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر

٨٤٣ - أخباره في المصادر التاريخية المتصلة بخلافة هشام بن عبد الملك ، مثل الطبري والمسعودي (المروج والتنبية والاشراف) والأخبار الطوال للدينوري والعيون والحدائق وأنساب الأشراف للبلاذري ... الخ .

وفيه : « سر إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بك أحد ، واشتفني من ابن النصرانية ، يعني خالداً ، ومن عماله » وأمسك الكتاب بيده ، وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه وعرضه عليه ، فغافله وجعل الكتاب الصغير في طيته ، وختمه ودفعه إلى سالم وقال له : ادفعه إلى رسول يوسف ، ففعل ذلك ، وانفصل الرسول . فلما وصل إلى يوسف قال له : ما وراءك ؟ قال : الشر ، أمير المؤمنين ساخط عليك ، وقد أمر بتخريق ثيابي وضربي ، ولم يكتب جواب كتبك ، وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ، ففرض الكتاب وقرأه ، فلما بلغ إلى آخره وقف على الكتاب الصغير ، فاستخلف ابنه الصلت وسار إلى العراق .

وقد كان يخلف سالماً الكاتب على ديوان الرسائل بشير بن أبي طلحة من أهل الأردن ، وكان فطناً ، فلما وقف على ما كان من هشام قال : هذه حيلة ، وقد ولي يوسف بن عمر العراق ، فكتب إلى عياض عامل أجمة سالم ، وكان واداً له : إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني ، فإذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى ، وأعلم طارقاً بذلك ، وكان عامل خالد بن عبد الله القسري على الكوفة وما يليها . ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب إلى عياض : إن القوم قد بدا لهم في البعثة إليك بالثوب اليماني ، فعرف عياض أيضاً طارقاً بذلك ، فقال طارق : الخبر في الكتاب الأول ، ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر أمره ، وركب من ساعته إلى خالد فخبره الخبر ، فقال له : فما ترى ؟ قال : أرى أن تركب من ساعتك هذه إلى أمير المؤمنين ، فإنه إذا رآك استحيا منك وزال شيء إن كان في نفسه عليك ، فلم يقبل ذلك ، فقال له : فتأذن لي أن أصير إلى حضرته وأضمن له مال جميع هذه السنة ؟ قال : وما مبلغ ذلك ؟ قال : مائة ألف ألف درهم ، وآتيك بمهدهك قال : ومن أين هذه الأموال ؟ والله ما أملك عشرة آلاف درهم ، فقال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم - وكان سعيد يتقلد سقي الفرات - والزينبي وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم ونفرك الباقي على باقي العمال ، فقال له : إني إذا للثيم أن أسوغ قوماً شيئاً ثم أرجع عليهم

به ، فقال له : إنما نفيك ونقي أنفسنا ببعض أموالنا ، وتبقى النعمة عليك
وعلينا بك ونستأنف طلب الدنيا ، خيرٌ من أن نطالب بالأموال ، وقد حصلت
عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فتقتل وتذهب أنفسنا ،
وتحصل الأموال لهم يأكلونها ، فأبى خالد ذلك عليه ، فودعه وقال : هذا
آخر العهد بك . ووافقهم يوسف بن عمر ، فمات طارق في العذاب ، ولقي
خالد وجميع عماله كل شر ، ومات منهم في العذاب بشراً كثير ، وكان
ما استخرج يوسف من خالد وأسبابه تسعين ألف ألف درهم .

قلت : وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته^١ ،
فتطلب منه ، وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النهوي ذكر يوسف
ابن عمر المذكور ، وما جرى له معه في الوديعة^٢ .

وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب «أنساب الأشراف
وأخبارهم» : إن هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله
القسري أمير العراق لأمر نقلت عنه ، فحقد عليه ، منها : كثرة أمواله
وأملاكه ؛ ومنها : أنه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه ، وغير
ذلك من الأسباب ، فعزم على عزله وأخفى ذلك . وكان يوسف بن عمر الثقفي
عامله على اليمن ، فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه
إلى الكوفة ، وكتب مع الكتاب بعهدته على العراق ، فخرج يوسف حتى صار
إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً ، فعرّس قريباً منها ، وقد ختن طارق خليفة
خالد القسري على الخراج ولده ، فأهدي إليه ألف عتيق وألف وصيف
وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق فقال
له : إني رأيت قوماً أنكروهم وزعموا أنهم سفّار . وصار يوسف بن عمر
إلى دور بني ثقيف ، فأمر بعض الثقفيين ، فجمع له من قدر عليه من مضر ، ففعل ،
فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال : حتى يأتي الإمام ،

١ انظر ج ٢ : ٢٢٦ .

٢ انظر ج ٣ : ٤٨٨ .

فانتهره ، فأقام ، وتقدم يوسف فصلى ، وقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ (الواقعة : ١) ﴿ سأل سائل ﴾ (المعارج : ١) ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإنّ القدر لتغلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً ، فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف ، وقيل له لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني . وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال : أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة ، ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم ؟ فارجعوا إليه ، فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال ، فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم ، فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعت لم أمنعكم ، قالوا : فلإنا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف [ألف] ، ولا بمثلها ومثلها ، فذكر ثلاثين ألف ألف ، ويقال مائة ألف ألف .

وقال أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف بن عمر : أتانا كتاب هشام ، فقراه يوسف ، فكتمنا ما فيه وقال : أريد العمرة ، فخرج وأنا معه ، واستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فما كلم أحداً منا بكلمة واحدة حتى انتهى إلى العديب فأناخ وقال : يا أشرس أين دليلك ؟ فقلت : هوذا ، فسأله عن الطريق ، فقال : هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق ، فقلت : والله ما هي بأيام عمرة ، فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، ثم استلقى على ظهره ورفع إحدى رجله على الأخرى وقال :

فما لبثتنا العيس أن قدزت بنا نوى غربة والعهد غير قديم
ثم قال : يا أشرس : ابغني إنساناً أسأله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، فقلت : ما فعل خالد ؟ قال : في الحمة ، اشتكى فخرج إليها ، فقال : سله عن طارق ، فقال : ختن بنه فهو يطعم الناس بالحيرة ، وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة ،

قال : خل عن الرجل. ثم ركب فأناخ بالرحبة ، ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره ، فمكثنا ليلاً طويلاً ، ثم جاء المؤذنون وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد ، فأذنوا ثم سلموا ، وخرج زياد فأقيمت الصلاة ، فذهب زياد ليقدم فقال يوسف ، يا أشرس زحّه ، فقلت : يا زياد تأخر ، الأمير ، فتأخر زياد وتقدم يوسف ، وكان حسن القرامه فصيحاً ، فقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ ﴿ و ﴿ سال سائل بعداب واقع ﴾ فصلى الفجر ، وتقدم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ودعا للخليفة وقال : ما اسم أميركم ؟ فأخبر ، فدعا له بالصلاح ، فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ، ولم يبرح يوسف حتى بعث إلى خالد وإلى أبان بن الوليد بفارس ، وإلى بلال بن أبي بردة بالبصرة ، وإلى عبد الله بن أبي بردة بسجستان ، وأمر هشام أن تعزل عمال خالد جميعهم ، إلا الحكم بن عوانة ، وكان على السند ، فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله فاكهراً .

ولما أتى خالد قبيل له : الأمير يوسف ، قال : دعوني من أميركم ، أحي هو أمير المؤمنين ؟ قبيل نعم ، فقال : لا بأس علي . فلما قدم بخالد على يوسف حبسه ، وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أعطي الله عهداً لئن شأكت خالداً شوكة لأضربن عنقك ، فخل سبيله بشقله وعباله ، فأنى الشام فلم يزل مقيماً به يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقيل إن يوسف استأذن هشاماً في بسط العذاب على خالد فلم يأذن له ، حتى ألح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار إليه وإلى عماله منه ، فأذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به ، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط عليه العذاب ، فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال : يا ابن الكاهن ، يعني شقاً أحد أجداد خالد وهو الكاهن المشهور - قلت : كما تقدم في ترجمة خالد - قال فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيرني بشرفي ، لكنك ابن السبأ ، إنما كان أبوك يسياً الخمر - قلت : معناه يبيع الخمر - قال : ثم رد خالداً إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام

بأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القرية ، وهي من أرض الرصافة ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ، لا يأذن له هشام في القدوم عليه .

قال الهيثم بن عدي : وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف إلى هشام : إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ، حتى كانت همة أحدهم قوت يومه ، فلما ولي خالد العراق قواهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا باذن خالد ، وما مقامه بالقرية إلا لأنها مدرجة الطريق ، فهو يسأل عن أخباره ، فقال هشام للرسول : كذبت وكذب صاحبك ، ومهما أهتمنا به خالداً فانا لا ننتهمه في طاعته ، وأمر بالرسول فوجئت عنقه ، وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة ، فعذب ، فضمن ثلاثمائة ألف درهم ، وأخذ منه كفلاء ، فأخضروهم وهرب إلى الشام ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له درجاً فعرف ، ويقال بل شوى له غلامه درجاً فأحرقه ، فضربه فسعى به ، فأتي به يوسف بن عمر ، فأمر به فأقيم في الشمس فقال : أدنوني من أمير المؤمنين فله علي ما طلب ، فأني ورده إلى يوسف فعذبه حتى قتله ، وقال أخوه عبد الله بن أبي بردة للسجان : ارفع اسمي في الموتى فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً ، فغمته السجان حتى مات ، ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى ، والمقتول في العذاب عبد الله ، والله أعلم بذلك . وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا دهاؤه ، سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى

١ زاد في المختار : ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى .

ويعطيه مالا ، فقال يوسف : اعرض الموتى علي ، ففمه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

وقال المدائني : ولي يوسف بن عمر صالح بن كوزيز ولاية ، فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها ، وبلال بن أبي بردة يومئذ محبوب ، فقال له بلال : إن علي العذاب سلماً ، ويلقب رتبيل ، فأياك أن تقول له رتبيل ، فإنه يكره ذلك ، وجعل بلال يردد عليه القول في ذلك ، فعذبه سالم ، فبني اسمه وكنيته وجعل يقول له : يا رتبيل اتق الله ، يا رتبيل اتق الله ، وكرر عليه القول في ذلك من ألم العذاب ، وهو يقول اقتل ، من غيظه عليه ، فلما خلى عنه قال له بلال : ألم أنك عن رتبيل ؟ فقال : وهل أوقعتني في رتبيل غيرك !! أنا ما كنت أعرف رتبيل لولا أنت ، وما تدع شرك في سراء ولا ضراء .

وقال المدائني أيضاً : كان علي شُرطَ يوسف بن عمر العباس بن سعد المري ، وكان كاتبه قحدم بن سليمان بن ذكوان وزیاد بن عبد الرحمن مولى ثقيف ، وعلى حرسه وحجابه جندب ، وفيه يقول الشاعر :

أنا أميرٌ شديد النكال
لحاجبٍ حاجبه حاجبٌ

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في «تاريخ دمشق» : بلغني أن يوسف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسف الثقفي ليعذب ، ويطلب منه المال ، فقال : أخرجوني لأسأل ، فدفع إلى الحارث بن مالك الجهضمي يطوف به ، وكان مغفلاً ، فأنتهى به إلى دار لها بابان ، فقال يوسف : دعني أدخل هذه الدار فإن فيها عمة لي أسأله ، فأذن له ، فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب ، وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك . وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصرامة والشدة في الأمور وأخذ الناس بالمشاق ، ولم يزل على ذلك إلى حين عزله .

وذكر عمر بن شبة النميري في كتاب «أخبار البصرة» أن يوسف بن عمر وزن درهماً فنقص حبة ، فكتب إلى دور الضرب بالعراق فضرب

أهلها ، فأحصي في تلك الحبة مائة ألف سوط ضربها الناس . وكان يوسف مذموماً في عمله أخرق سيء السيرة ، وكان جواداً ، فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان ، أقصاها وأدناها سواء ، يأكل منها الشامي والعراقي ، وعلى كل خوان قرنية عليها السكر ، فنقد السكر من قرنية ، فتكلم أهلها ، فضرب الحجاز ثلثمائة سوط والناس يأكلون ، فكان الحجاز يتخذ الخرائط فيها السكر ، فكلما نقد زادوا .

وروى الحكم بن عوانة الكلبي عن أبيه قال : لم يؤيد الملك بمثل كلب ، ولم تُعمل المنابر بمثل قريش ، ولم تطلب التترات بمثل تميم ، ولم تُرْعَ الرعايا بمثل ثقيف ، ولم تسد الثغور بمثل قيس ، ولم تُهَجَّ الفتن بمثل ربيعة ، ولم يُجسبَ الحراج بمثل اليمن .

وقال الأصمعي : قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملاً : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، فقال له : فما من آكل منذ خلقتُ وإلى الساعة ؟ والله لو سألتُ الشيطانَ درهماً واحداً ما أعطانيه .

وكان يوسف بن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثي ، وبقي إلى آخر أيام بني أمية ، وقضاياه ووقائعه مع أبي مسلم الخراساني مشهورة في مواضعها ، وفيه وفي يوسف يقول سوار بن الأشعر :

أضحتُ خراسانُ بعد الخوفِ آمنةً . من ظلم كل غشوم الحكم جبارٍ
لما أتى يوسفاً أخبأ ما لقيتُ . اختارَ نصرأها ، نصرَ بن سيار

وقال سماك بن حرب : بعث إليّ يوسف بن عمر وهو أمير العراق ، أنّ عاملاً لي كتب إليّ : إني قد زرعت لك كل خقّ وُلِق ، فما هما ؟ فقلت : إن الخقّ : ما اطمأن من الأرض ، واللّق : ما ارتفع منها ، انتهى كلامه ؛ قلت : وذكر الجوهري في كتاب « الصحاح » : أن الخق غامضة في إذا جف وتقلع ، واللّق : الشق المستطيل ، وقيل : الخق حفرة غامضة في الأرض ، والخق : بضم الحاء المعجمة وتشديد القاف ، واللّق : بضم اللام وتشديد القاف ، والله أعلم .

وكان يوسف بن عمر من أعظم الناس لحية ، وأصغرهم قامة ، كانت لحيته تجوز سرته .

وكان يُضرب به المثل في التّيبه والحمق ، ذكر ذلك حمزة الأصبهاني في كتاب « الأمثال » ، فقال : قولهم « أتبه من أحقق ثقيف » هو يوسف ابن عمر ، كان أتبه وأحقق عربي أمر ونهى في دولة الإسلام ، فمن حمقه أن حجماً أراد أن يحجمه فارتعدت يده ، فقال لحاجبه : قل لهذا البائس ، لا تخف ، وما رضي أن يقول له بنفسه . وكان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه ، فإن قال : يحتاج إلى زيادة ثوب آخر ، أكرمه وحبّاه ، وإن فضل شيء أهانه وأقصاه ، لأنه يكون قد نبه على قصره ودمايته .

واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك ، فلما توفي في يوم الاربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين وبها قبره ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة ، وقيل أربعاً وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين سنة ، والله أعلم ، وكنيته أبو الوليد ، تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فأقر يوسف ابن عمر على ولايته بالعراق . وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وكان قد عزم على عزل يوسف ابن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي .

وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف ، فالحجاج عمها ، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر : إنك قد كنت كتبت إليّ تذكر أن خالد بن عبد الله القسريّ أخرب العراق ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه ، فاشخص إلينا وصدق ظننا بك فيما تحمله إلينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بينا وبينك من القرابة ، فانك خالناً وأحق الناس بالتوفير علينا ، وقد علمت ما زدنا لأهل الشام في العطاء ، وما وصلنا أهل بيتنا به بلخوة هشام إياهم ، حتى أضر ذلك ببيوت الأموال؛

فخرج يوسف بن عمر بنفسه إلى الوليد بن يزيد وحمل من الأموال والامتعة والآنية ما لم يُحْمَل من العراق مثله، فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوبون، فلقبه حسان النبطي ليلاً وأخبره أن الوليد قد عزم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، وأنه لا بد له من إصلاح أمر وزرائه ، فقال يوسف : ليس عندي شيء ، فقال له حسان : عندي خمسمائة ألف درهم فإن شئت فهي لك ، وإن شئت فارددها إذا تبسرت ، فقال له يوسف : أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد، ففرقها على قدر علمك فيهم، ففعل ، فقدم يوسف والقوم يعظمونه ، وقرر يوسف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري أن يشترى خالد بن عبد الله القسري بأربعين ألف ألف درهم ، فقال الوليد ليوسف ، ارجع إلى عمك ، فقال أبان له : ادفع إليّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، فقال الوليد : ومن يضمن عنك هذا المال ؟ فقال : يوسف ، فقال ليوسف : أتضمن عنه ؟ فقال يوسف : ادفعه إلي فأنا أستاذيه خمسين ألف ألف درهم ، فدفعه إليه ، فحمله في حمل بغير وطاء ، وقدم به إلى العراق فقتله ، كما شرحته في ترجمته .

ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الأمر ، ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون ابن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي ، فقال له عبد العزيز : لو كان معي جند لقبلت ، فتركه وولاه منصور بن جمهور . وأما أبو مخنف فإنه قال : قتل الوليد بن يزيد بالبخرَاء في التاريخ المذكور ، ويبيع يزيد بن الوليد بدمشق ، وسار منصور بن جمهور من البخرَاء في اليوم الذي قتل فيه الوليد إلى العراق ، وهو سابع سبعة ، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب ، وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب ، فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق، وولى العمال بالعراق، وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقيت منه .

ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى إلى البلقاء فاستخفى بها ، وكان أهله مقيمين فيها ، فلبس زي النساء وجلس بينهن ،

وبلغ يزيد بن الوليد خبره فأرسل إليه من يحضره ، فوصلوا إليه فوجدوه بعد أن فتنوا عليه كثيراً جالساً على تلك الهيئة بين نسائه وبناته ، فجاء به في وثاق ، فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وكان يزيد ابن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما في الخضراء ، وهي دار بدمشق مشهورة قبليّ جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم . ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاهما عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد إلى أن مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه : هل مات في أول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة ، وجعل ولي عهده أخاه إبراهيم بن الوليد ، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . واستمر يوسف بن عمر في سجنه مدة ولاية إبراهيم بن الوليد ، فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بأهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الأمر وخلع إبراهيم بن الوليد وتولى مكانه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك ، وكانت ولاية إبراهيم أربعة أشهر ، وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل كانت ولايته سبعين يوماً لا غير ، وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع إبراهيم بن الوليد .

فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر إبراهيم ، وهرب عسكر إبراهيم ودخلوا دمشق ، ومروان وراءهم ، خافت جماعة إبراهيم أن يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ويجعل لهما الأمر فلا يستبقيا أحداً من أعان على قتل أبيهما ، فأجمع رأيهم على قتلها ، فأرسلوا يزيد بن خالد القسري ليتولى ذلك ، فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه ، وهو أبو الأسد ، في جماعة من أصحابه ، فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه ، لكونه قتل خالد ابن عبد الله القسري والد يزيد المذكور — كما شرحناه في ترجمة خالد — وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة ، وهو ابن نيف وستين سنة . ولما قتل أخذوا رأسه عن جسده وشدوا في رجله حبلاً ، فجعل الصبيان يجرونه

في شوارع دمشق ، فتمر المرأة به فترى جسداً صغيراً فتقول : في أي شيء
قتل هذا الصبي المسكين ؟ لما ترى من صغر جثته .

قال بعضهم : رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر
بدمشق ، ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري قاتله وفي مذاكيره حبل
وهو يجر في ذلك الموضع . وقد قيل إنه قتل في العشر الوسط من ذي الحجة
سنة ست وعشرين ومائة ، والله أعلم .

٨٤٤

يوسف بن تاشفين

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين وملك الملتمين ،
وهو الذي اختط مدينة مراکش - وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد
والمعتصم محمد بن صُمّادح^١ الملكين ببلاد الأندلس طرّف من أخباره وما
جرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما ، واستأسر ابن عباد وحبسه في أغمات ،
وقد استوفيت الكلام عليه هناك ، ونهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه أن
هذا الملك هو ذلك ، وأنه عظيم الشأن كبير السلطان .

ذكر أرباب التواريخ شيئاً من أحواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته
في كتاب «المغرب عن سيرة ملك المغرب» ، لأنه أوعب في حديثه
من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره ، غير أنه قال في أول النسخة التي

٨٤٤- أخباره في الحلل الموشية والبيان المغرب (ج : ٤) وروض القرطاس وأعمال الأعلام
والروض المطار (الزلاقة) وتاريخ ابن خلعون وابن الأثير والمعجب للمراكشي والأنيس
المطرب ومذكرات الأمير عبد الله والاستقصا وجذوة الاقتباس ... الخ .

١ انظر ج ٥ : ٢١ ، ٣٩ .

٢ ص : في أنه .

نقلت منها هذا الفصل: إنه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وفرغ منها في غرة ذي القعدة من السنة بالموصل، وهو في مجلد واحد لطيف، فاخترت منه مقتضباً ما مثاله:

كان بر المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زَنَاتَة - برابر - فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان المثلثون يقدمهم أبو بكر ابن عمر منهم، وكان رجلاً ساذجاً خير الطباع موثقاً لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية، وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا المثلثين، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط. فلما حصلت البلاد لأبي بكر ابن عمر المذكور سمع أن عجوزاً في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت: ضيعنا أبو بكر ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، فحملة ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلاً من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية.

وكان يوسف هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً، اختط بالمغرب مدينة مراکش، وكان موضعها مكنماً للصمص، وكان ملكاً لعجوز مَصْمُودِيَة تمدته منها؛ فلما تمهدت له البلاد تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس، وكانت مُحَصَّنَة بالبحر، فأنشأ شواني ومراكب وأراد العبور إليها، فلما علم ملوك الأندلس بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا إلامه بجزيرتهم، إلا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعتة وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين: الفرنج من شماليهم والمثلثون من جنوبيهم. وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم، إلا أن ملوك الأندلس كانت تُرهبُ الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين، وكان له اسم كبير لنقله دولة زَنَاتَة وملك الغرب إليه في أسرع وقت. وكان قد ظهر لأبطال المثلثين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلبي، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المتنديين لقتالهم.

وكان ملوك الأندلس يفيثون إلى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على

ملكهم مهما عبر إليهم وعابن بلادهم ، فلما رأوا عزيمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم إلى بعض ، وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في أمره ، وكان مفرغهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكابته ، وقد تحققوا أنه يقصدهم ، يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتاباً هو : « أما بعد ، فانك إن أعرضت عنا نُسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز ، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا ، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ، فانك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام » .

فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا - وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يُجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية - فقال له : أيها الملك ، هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظموك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ، ويلتمسون منك ألا تجعلهم في منزلة الأعداء ، فانهم مسلمون ، وهم من ذوي البيوتات ؛ فلا تغيّر بهم ، وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار ، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم إعراضك عن أطاعك من أهل المغرب ؛ فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه : فما ترى أنت ؟ فقال : أيها الملك ، اعلم أن تاج الملك وبهجهته وشاهده الذي لا يردّ بابه خليف بما حصل في يده من الملك أن يعفو إذا استعفى وأن يهب إذا استوهب ، وكلما وهب جزيلاً كان أعظم لقدره ، فاذا عظم قدره تأصل ملكه ، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ، وإذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم ، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرفته ؛ واعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكاماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد . فلما ألقى الكاتب هذا الكلام إلى يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم أنه صحيح ، فقال للكاتب : أجب القوم ، واكتب بما يجب في ذلك ، واقرأ

عليّ كتابك ، فكتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحية من سالمكم ، وسلم إليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم ، وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا إخواننا باصلاح إخوانكم ، والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام .

فلما فرغ من كتابه قرأه علي يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به يوسف بن تاشفين درّاقاً لمطية مما لا يكون إلا في بلاده . - قلت : اللطية ، بفتح اللام . وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، هذه النسبة إلى لمطة ، وهي بلدة عند السوس الأقصى ، بينها وبين سجلماسة عشرون يوماً ، قاله ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » وهي معدن الدرق اللطية ، ولا يوجد مثلها في الدنيا على ما يقال ، والله أعلم - قال : وأنفذ ذلك إليهم . فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا بولايته ملك المغرب ، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج ، وأزمعوا لأن رأوا من ملك الفرنج ما يريهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج ، فتحصل ليوسف بن تاشفين برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له ، وكفاه الحرب لهم .

وإن الأذفونش بن فرّذكند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتح بلاد الأندلس ويشتط على ملوكهم بطلب البلاد منهم ، وخصوصاً المعتمد بن عباد ، فإنه كان مقصوداً فيه - وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ أخذه طليطلة والأبيات التي قيلت في ذلك - فنظر المعتمد في أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فيما يلي بلاده ، فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور ، على ما فيه من الخطر ، وعلم أن مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار ، وأن الفرنج والمثلثين ضدان له ، إلا أنه قال : إن دهيئا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر المثلثين ، ولأن يرعى أولادنا جمالهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج ، ولم يزل هذا الرأي نصب عينيه مهما اضطرت إليه .

وان الأذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس في جمع كبير من الفرنج ، فخافه ملوك الأندلس على البلاد ، وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعقل ، فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يقول له : إن كنت مؤثراً للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد ، فأسرع في العبور إليه ، ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك ؛ وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة ، فشرع في عبور عساكره ، فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد ، وكانوا قد وعدوا من أنفسهم بالمساعدة ، أعدوا أيضاً للخروج ، فلما رأى الأذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى . ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورجلاً من الفريقين ، كل أناس قد التفوا على ملكهم . فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تدعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأي مصيب ، كان يجذب بها معسكره ، وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها . فلما تكاملت العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش ، وكان نازلاً بمكان أفسح من الأرض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس - قال اليباسي : بين المكانين أربعة فراسخ ؛ وقال أيضاً : إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الحرب أو الجزية ، ومن فصول كتابه : وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك ، وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزناه إليك ، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (غافر : ٥٠) . فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بجر غيظه وزاد في طغيانه وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه .

ثم إن ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة ، فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها ، فاختر المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولاً ، وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه ، يميل عليهم بعساكره ، وتتألف معه عساكر الأندلس ، فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحروا القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، فلاحق ببلده على أسوأ حال ، فغمم المسلمون من أسلحته وخيله وأثائه ما ملأ أيديهم خيراً .

قلت : وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وقيل في شهر رمضان في العشر الأواخر من السنة ، والله أعلم . وقال البيهقي : كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

فحكى أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم ، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم ، فلما حصلت عفا عنها يوسف بن تاشفين وآثر بها ملوك الأندلس ، وعرفهم أن مقصوده إنما كان الغزو لا النهب ، فلما رأت ملوك الأندلس إيثار يوسف ابن تاشفين لهم بالمغانم استكرموه وأحبوه وشكروا له .

ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده ، وكان عند قصده ملاقات الأذفونش تحرى المسير بالعراء من غير أن يمر بمدينة أورستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش وهناك اجتمع بعساكر الأندلس ؛ وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البيهقي في كتاب « تذكير العاقل وتنبه الغافل » أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء ، وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الأذنى فغدر الأذفونش ومكر ، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة ، فبادر ابن عباد للركوب ، وانبت الخبر في العساكر فماجت بأهلها ، ووقع البهت ورجفت الأرض ، وصارت الناس

فوضى على غير تعبية ولا أهبة ، ودهمتهم خيلُ العدو ، فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها ، وتركت الأرض حصيداً خلفها ، وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه ؛ وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم ، وظنوا أنها هية لا ترقع ونازلة لا تدفع ، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين وأحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل ، فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق ، وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها ، فصدموا أمير المسلمين فأفرج لهم عنها ، ثم كر فأخرجهم منها ، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشّمه السودان فرجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللط وسيوف الهند ومزاريق الزآن ، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها ، وتلاحق الأذفونش بأسود نفذت مزاريقه بالقذف ، فأهوى ليضربه بالسيف ، فلصق به الأسود وقبض على أعتته وانتضى خنجراً كان متطقاً به ، فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه ، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم ، فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه ، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلتهم ، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم ، والسيوفُ تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة لجأوا إليها واعتصموا بها ، وأحدقت بهم الخيل ؛ فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة ، وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم ، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة ، وأمر ابن عباد بضم رعوس قتلى الروم ، فنشر منها أمامه كالتل العظيم ، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتاباً وأطار به الحَمَام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر .

وقد روي أيضاً أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده ، فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى ، وذكر فيه أن جماعة أفتوه

يجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أهل المرية لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله ابن الفراء أن يكتب جوابه ، وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي ، فكتب إليه : أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك ، وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ، ولا ممن لا يشك في عدله ، فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فإلله سائلهم عن تقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم ، وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ، ولا في بيت مال المسلمين ، وحيثئذ تستوجب ذلك ، والسلام .

ولما قضى أمير المسلمين من هذه الواقعة ما قضى ، أمر عساكره بالمقام وأن تشن الغارات على بلاد الفرنج ، وأمر عليهم سير ابن أبي بكر ، وطلب الرجوع في طريقه ، فتكرم له المعتمد بن عباد ، فخرج به إلى بلاده وسأله أن ينزل عنده ، فأجابه يوسف إلى ذلك . فلما انتهى إلى إشبيلية مدينة المعتمد ، وكانت من أجمل المدن منظراً ونظراً إلى موضوعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه ، في غريبه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون ، وهذا الموضع هو المسمى شرف إشبيلية ، وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الأصناف ، وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتمد في غاية الحسن والبهاء ، وفيها أنواع ما يحتاج إليه من المطاعم والمشروبات والملبوس والمفروش وغير ذلك ، فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها ، وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له ، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له يبنهونه على تأمل تلك الحال وما هي عليه من النعمة والإتراف ،

ويُغْرُونَهُ بِاتِّخَاذِ مِثْلِهَا لِنَفْسِهِ وَيَقُولُونَ لَهُ: إِنَّ فَائِدَةَ الْمَلِكِ قَطْعَ الْعَيْشِ فِيهِ بِالْتَّعْنَمِ وَاللَّذَّةِ كَمَا هُوَ الْمُعْتَمِدُ وَأَصْحَابُهُ ؛ وَكَانَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ مَقْتَصِدًا فِي أُمُورِهِ غَيْرَ مُتَطَاوِلٍ وَلَا مَبْدِرٍ مُتَنَوِّقٍ فِي صُنُوفِ الْمَلَاذِ بِالْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ صَدْرُ عَمْرِهِ فِي بِلَادِهِ فِي شَطَفِ الْعَيْشِ ، فَأَنْكَرَ عَلَى مُغْرِيهِ بِذَلِكَ الْإِسْرَافِ وَقَالَ : الَّذِي يَلُوحُ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ، يَعْنِي الْمُعْتَمِدَ ، أَنَّهُ مُضَيِّعٌ لِمَا فِي يَدِهِ مِنَ الْمَلِكِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَالَ الَّتِي تَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَرْبَابٌ لَا يُمْكِنُ أَخْذُ هَذَا الْقَدْرِ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْعَدْلِ أَبَدًا ، فَأَخَذَهُ بِالظُّلْمِ وَأَخْرَجَهُ فِي هَذِهِ التَّرَهَاتِ ، وَهَذَا مِنْ أَفْحَشِ الْإِسْتِهْتَارِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي هَذَا الْحَدِّ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيمَا لَا يَعْدُو الْإِجْوَفِينَ مَتَى يَسْتَجِدُّ هِمَّةً فِي حِفْظِ بِلَادِهِ وَضَبْطِهَا وَحِفْظِ رِعْيَتِهِ وَالتَّوْفُرِ عَلَى مَصَالِحِهَا !!؟

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته : هل تختلف فتتقص عما هي عليه في بعض الأوقات ؟ فقبل له : بل كل زمانه على هذا ، قال : أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظاً من ذلك ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف ترون رضاهم عنه ؟ قالوا : لا رضا لهم عنه ، فأطرق يوسف وسكت . فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياماً . وفي بعض تلك الأيام استأذن رجل على المعتمد ، فدخل وهو ذو هيئة رثة ، وكان من أهل البصائر ، فلما دخل عليه قال له : أصلحك الله أيها الملك ، إن من أوجب الواجبات شكر النعمة ، وإن من شكر النعمة إهداء النصائح ، وإني رجل من رعيتك ، حالي في دولتك إلى الاختلال أقرب منها إلى الاعتدال . لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجهه الملك على رعيته ، فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك ، وقد رأيت رأياً فإن آثرت الإصغاء إليه قلته ؛ قال له المعتمد : قل له ، قال : رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعت على ملكك رجل مستأسد على الملوك ، قد حطمت بير العدو زناثة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على أحد منهم ، ولا يؤمن أن يطمع إلى الطماعية في ملكك ، بل في ملك جزيرة الأندلس كلها بما قد عاينته من بلهنية

عيشك ، وإنه لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس ، وإن له من الولد والأقارب ممن يوثر مسراتهم من يودّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب ، وقد أودى الأذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه ، فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن ، وبعد أن فات الأمر في الأذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم ، قال له المعتمد : وما هو الحزم اليوم ؟ قال : ان تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك ، وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ، ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بغزاة له ، ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الإيمان ألا يضر في نفسه عوداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه ، وتأخذ منه على ذلك رهائن ، فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء ، نفسه أعز عليه من جميع ما تلمس منه ، فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح إلا له ، وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الأذفونش ، وتقيم في موضعك على خير حال ، ويرتفع ذكرك عند ملوك الأندلس وأهل الجزيرة ، ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق لك إلى سعادة وحزم ، وتهايك الملوك ، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في محاوره من عاملته هذه المعاملة ، واعلم أنه قد تهبأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الأمم وتجري بحار الدم دون حصول مثله .

فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة . وكان للمعتمد ندماء قد أنهكوا معه في اللذات ، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح : ما كان المعتمد على الله ، وهو إمام أهل المكرمات ، ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف ، فقال له الرجل : إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور إذا ضاق به ، قال ذلك التديم : لضم مع وفاء خير من حزم مع جفاء . ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه ، فشكر له المعتمد ووصله بصلة ، وانصرف . واتصل هذا الخير بيوسف بن تاشفين فأصبح غادياً ، فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ،

ثم رحل فعبّر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة - قلت : وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدي الناس فيه من أحد البرين إلى الآخر ، أعني بر الأندلس وبر العدو ، وقد تقدم الكلام على هذا المكان .

قال : ولما عبر يوسف إلى بر العدو أقام عسكره بجزيرة الأندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الأذفونش فتوغل في بلاده . ولما رجع الأذفونش إلى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ، ولم يسمع إلا نياح الثكالى عليهم ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغماً ، ولم يخلف إلا بنتا جعل الأمر إليها ، فتحصنت بمدينة طليطلة .

وأما عسكر ابن تاشفين فانهم في غارتهم هذه كسبوا من المغانم ما لا يحد ولا يوصف وأنفثوا ذلك إلى بر العدو ، واستأذن أميرهم سير ابن أبي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الأندلس وأعلمه أنه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالاً يغنون فيها ، وأنه لا يستقيم لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه ، وتخطى ملوك الأندلس من الأرياف برغد العيش ، فكتب إليه ابن تاشفين يأمره باخراج ملوك الأندلس من بلادهم وإلحاقهم بالعدو ، فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرج ، وليبدأ منهم بمجاوري الثغور ، ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ، ثم يولي تلك البلاد أمراء عسكره وأكابرهم . فابتدأ سير ابن أبي بكر بملوك بني هود من ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روضة - قلت : هي بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء ، قلعة منيعة من عاصمات الذرا ، ماؤها ينبوع في أعلاها ، وكان بها من الأقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الأزمان - فلم يقدر عليها فرحل عنها ، ثم جند أجناداً على صور الفرنج وأمرهم أن يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ، ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ، ففعلوا ذلك ، فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل في طلبهم ، فخرج سير ابن أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة . ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ، فسلموا إليه ولحقوا بالعدو . ثم نازل بني صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة ،

إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا أنجاد من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم ، فلما علم المعتصم بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه ، فمات من ليلته فاشتغل أهله به ، فسلموا المدينة . ثم نازلوا المتوكل عمر بن الأفطس ببَطْلَيْس ، وكان رجلاً شجاعاً عظيم القدر كبير البيت - وكان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من فحول العلماء ، وكان ملكاً له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب إليه وهو « المظفري » في علم التاريخ ، [وكانت] مدينته ببَطْلَيْس من أجمل البلاد - لم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له ، فقتلوا صبراً ، وحمل أولاده الأصاغر إلى مراکش ، وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا إلى بر العدو إلا ما كان من المعتمد بن عباد ، فإن سير ابن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة ، كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد ، فارسم في أمره بما تراه ، فأمره بقصده وأن يعرض عليه التحول إلى بر العدو بأهله وماله ، فإن فعل فيها ونعمت ، وإن أبي فنازلهُ ، فلما عرض عليه سير ابن أبي بكر ذلك لم يعطه جواباً ، فنازله وحاصره أشهراً ثم دخل عليه البلد قهراً واستخرجه من قصره قسراً ، فحمل إلى العدو مقيداً ، فأنزل بأغمات وأقام بها إلى أن مات ، ولم يعتقل من ملوك الأندلس غيره . وتسلم سير ابن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها ، فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف ، وكان رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عدلاً متقاداً للحق والعلماء ، نجى إليه الأموال من البلاد ، لم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه - قلت : قد تقدم في ترجمة أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي صاحب «قلائد العيان» أنه جمع الكتاب المذكور باسم إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ،

وأن الذي أشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور .
ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم ،
وسياتي شرح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى . وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة
أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراکش ، قال صاحب هذا الكتاب
الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب : إن مراکش مدينة عظيمة
بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراکش - معناه : امش
مسرعاً بلغة المصامدة - كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون
فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة ، فعرف الموضع بها . وقال غير مؤلف
هذا الكتاب : بنى ابن تاشفين مدينة مراکش في سنة خمس وستين وأربعمائة ،
قاله أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه « التبراس » في خلافة القائم
بأمر الله ، قال : وكانت مزرعة لأهل نفيس^٢ ، فاشتراها منهم بماله الذي خرج
به من الصحراء - ونفيس^٢ : بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من
تحتها ، جبل مُطل على مراکش ، قلت : وهي بنواحي أغمات في المغرب الأقصى - .
وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك ، وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه
من لُمثونة سمت همته إلى بناء هذه المدينة ، وكان في موضعها قرية صغيرة
في غابة من الشجر ، وبها قوم من البربر ، فاخططها يوسف وبنى بها القصور
والمساكن الأنيقة ، وهي في مرج فسيح ، وحولها جبال على فراسخ منها ،
وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها .

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس ، وكانت
إذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام ، وضيق على أهلها ثم أخذها فأقر
العامة بها ، ونفى البربر والجنود ، بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم ، فعند
ذلك قوي شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه ، مع ما صار بيده
من بلاد جزيرة الأندلس كما شرحناه . وكان حازماً سائساً للأمر ضابطاً

١ انظر الاستبصار في الحديث عن مراکش ص: ٢٠٨ والهامية .

٢ راجع المصدر السابق .

لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم ، وبلغني أن الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي ، تغمده الله تعالى برحمته ، لما سمع ما هو عليه من الأوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم عزم على التوجه إليه ، فوصل إلى الإسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه ، فوصله خبر وفاته ، فرجع عن ذلك العزم ، وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب ، وقد ذهب عني في هذا الوقت أين وجدته .

وكان يوسف معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت ، وكان يخطب لبني العباس ، وهو أول من تسمى بأمر المسلمين ، ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسماية ، وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة ، رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله : سنة خمسماية فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة خيراً عادلاً ، يميل إلى أهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن آرائهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمنى الآخر عملاً يعمل فيه لأمر المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته ، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنى زوجته : يا جاهل ، ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ؟ ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له : ما أكلت في هذه الأيام ؟ قال : طعاماً واحداً ، فقالت له : كل النساء شيء واحد ، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته .

(385) وأما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسماية ، ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وسبعين وأربعمائة ،

وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي ،
فيكشف عنه .

ولما خرج عبد المؤمن بن علي - المقدم ذكره^١ - قاصداً جهة البلاد المغربية
ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ، كان مسيره على طريق الجبال فساروا
علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون في قبالة عبد المؤمن ، ومعه جيش فساروا
في السهل وأقاموا على هذا مدة ، فتوفي علي بن يوسف في أثناءها في التاريخ
المذكور ، فقدم أصحابه ولده إسحاق بن علي وجعلوه نائب أخيه تاشفين على
مراكش ، وكان صبيّاً ، وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال ، وفيها غمارة
وتالدة والمصامدة ، وهم أمم لا تحصى ، فخاف تاشفين بن علي واستشعر
القهر ، وتيقن أن دولتهم ستزول ، فأتى مدينة وهران ، وهي على البحر ،
وقصد أن يجعلها مقره ، فإن غلب عن^٢ الأمر ركب منها في البحر إلى بر
الأندلس يقيم بها كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام
وبقية البلاد ، وفي ظاهر وهران رُبوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها
رباط يأوي إليه المتعبدون . وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة
تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في
جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن يجتمع في تاجرة - وهي
وطنه كما ذكرته في ترجمته - واتفق أنه أرسل منسراً إلى وهران فوصلوها
في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، ومقدمهم الشيخ أبو حفص
عمر بن يحيى صاحب المهدي ، فكمنوا عشية ، وأعلموا بانفراد تاشفين
في ذلك الرباط ، فقصدوه وأحاطوا به ، وأحرقوا بابه ، فأيقن الذين فيه
بالهلاك ، فخرج تاشفين راكباً فرسه ، وشد الركض عليه ليثب الفرس النار
وينجو ، فترامى الفرس نازياً لروعته ، ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف
هنالك إلى جهة البحر على حجارة في وعر ، فتكسر تاشفين وهلك في الوقت ،
وقتل الخواص الذين كانوا معه ، وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم
بما جرى في الليل .

١ انظر ج ٣ : ٢٢٧ . ٢ هكذا في المسودة .

وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن ، فوصل إلى وهران ، وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ، ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل. ثم توجه إلى فاس فحاصرها ، وأخذها في سنة أربعين وخمسمائة ، ثم قصد مراکش في سنة إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهراً وفيها إسحاق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائباً عن أخيه تاشفين ، فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد ، وأخرج إليه إسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج ، وكان من الشجعان وخواص دولتهم ، وكانا مكتوفين ، وإسحاق دون البلوغ ، فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن إسحاق لصغر سنه فلم يوافقته خواصه ، وكان لا يخالفهم ، فحلى بينهم وبينهما فقتلوهما ، ثم نزل عبد المؤمن في القصر ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وانقرضت دولة بني تاشفين .

قلت : وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس في العام الثاني من وقعة الزلاقة ، وذكرت ها هنا ما يدل على أنه ما عاد إليها ، وإنما نوابه هم الذين أخذوا بلاد الأندلس له ، فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب أن هذا متناقض ، والعذر في هذا أنني وجدته في ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة ، والله أعلم بالصواب .

ثم رأيت في كتاب « تذكير العاقل » تأليف أبي الحجاج يوسف البياسي أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية ، فخرج ابن عباد إلى لقائه ومعه الضيافة والإقامة ، ثم خرج من إشبيلية بقضه وقضيه قاصداً بطليوس ، وجرت الواقعة المذكورة ، ثم عاد ابن تاشفين إلى بلاده ، وان ابن عباد جاز البحر ومضى إليه في سنة إحدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من بلاد العدو ، فأكرمه ابن تاشفين وأجابه إلى إنجاده ، ثم عاد ابن عباد إلى بلاده واستعد للعدو ، ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة إحدى وثمانين ، ثم خرج الأذفونش في جيش كثيف ، وكان ملوك الأندلس قد اجتمعوا عند

ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه ، وأومه خواصه أن ملوك الأندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الأذفونش فأصغى إلى كلامهم وعمل في نفسه قولهم ، فأخذ في الحركة إلى البرية ، وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائداً إلى بلاده ، وقد وغر صدره على ملوك الأندلس ، وتبين لهم تغيره عليهم وخافوه ، فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الأقوات ، وراسل بعضهم الأذفونش ليكون عوناً له خوفاً من ابن تاشفين ، فأجابه الأذفونش بالإعانة والمساعدة ، وكان قد سير له هدايا وأطافاً كثيرة فقبلها منه ، وحلف له على جميع ما التمس منه ، واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظاً .

ثم إن ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد ، فوصلها في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقد سبقه إليها ابن عباد ، فخرج إليه بالضيافة وجرى معه على عادته . ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن جبوس وحبسه ، فطمع ابن عباد في غرناطة وأن ابن تاشفين يعطيه إياها ، فعرض له بذلك ، فأعرض عنه ابن تاشفين، وخاف ابن عباد منه ، وعمل على الخروج عنه فقال له : إنه جاءته كتب من إشبيلية ، وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه في العود إليها ، فأذن له فعاد . ثم رجع ابن تاشفين إلى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين ، وأقام ببلاده إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين ، ثم عزم على العبور إلى الأندلس لمنازلة ابن عباد ، وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ، ووصل ابن تاشفين إلى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضابقوا بلاد ابن عباد ، فاستصرخ بالأذفونش فلم يلتفت إليه ، وكان ما ذكرته ، والله أعلم .

وفي هذه الترجمة ذكر الملتزمين فيحتاج إلى الكلام عليه ، والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ، ويسكنون الصحارى الجنوبية ويتقلون من ماء إلى ماء كالعرب ، وبيوتهم من الشعر والوبر ، وأول من جمعهم وحرصهم على القتال وأطمعهم في تملك

البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه ، وقتل في حرب جرت مع برغواطية ، وقام مقامه أبو بكر ابن عمر الصنهاجي الصحراوي - المقدم ذكره - ومات في حرب السودان ، وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه ، وهو الذي سمي أصحابه المرابطين ، وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، فلذلك سموهم الملتئمين ، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلم لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم ، فكثرت ذلك حتى صار يفعله عامتهم . وقيل كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملتئمين في زي النساء ، فإذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم ، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو .

وقال شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله :
وقيل إن سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم . فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو وأكثروا وكان من قبل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً .

ومما قيل في اللثام :

قوم لهم درك العلا في حمير وإن اتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا لإحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر ابن عمر الصنهاجي ،
وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وكان أبو بكر ابن
عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها ، وقاتل أهلها أشد
قتال وأخذها ، ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان .

٨٤٥

يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب

أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي
صاحب المغرب - وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن في حرف العين ، وذكر
ولده يعقوب قبل هذا ؛ ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع
محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك ، وكان ولي العهد قبله أخوه
محمد بن عبد المؤمن ، ونقش على الدنانير اسمه ، وكان ذلك باستخلاف
أبيه وتحليفه الجند له ، فظهر منه اشتغال بالراحة وانهمك في البطالة فخلعه
يوسف ، وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاء جزيرة الأندلس .

وكان يوسف المذكور فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه وقرن به وبأخوته
أكل رجال الحرب والمعارف ، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان ،
وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء . وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر

١ هامش المختار : خ وإذا دعوا لمتونة .

٨٤٥ - أخباره في الحلل الموشية والمن بالإمامة وروض القوطاس ونظم الجمان والمعجب وأعمال
الأعلام وتاريخ ابن خلدون والأنيس المطرب والاستقصا والبيان المغرب (ج : ٣ ط
تطوان) ... الخ .

من ميله إلى الأدب وبقية العلوم ، وكان جماعاً مناعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته ، وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر ، وله في غيخته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك ، والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه .

فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه ، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالحي دولته وتفقد أحوالها ، وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين ، فنزل بإشبيلية .

(386) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وما انضاف إليها، وحمل على قلبه فمرض مرضاً شديداً ومات، وقيل إن أمه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته ، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه ، فعملت عليه فقتلته بالسم . وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة بإشبيلية ، ومولده في سنة ثمان عشرة وخمسمائة في قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها بَنَشْكُلَه ، وهي من الحصون المنيعة . ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده ، وقيل لإخوته ، إلى الأمير يوسف ابن عبد المؤمن وهو بإشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم، وقيل لأخيهم ، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده في أعز مكان .

ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج ، وكانوا قد استولوا عليها ، فانتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة ، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم . ثم إنه حاصرها ، فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره ، فرجع عنها وعاد إلى مراکش .

وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة ، ثم دخل جزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثير ، وقصد غربي بلادها

فحاصر مدينة شننرين شهراً فأصابه مرض فمات منه في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وخمسمائة ، وحمل في تابوت إلى إشبيلية ، رحمه الله تعالى ، وكان قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف - المقدم ذكره - .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن يوسف مات من غير وصية بالملك لأحد من أولاده ، فاتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده يعقوب ، فملكوه في الوقت الذي مات فيه أبوه ، لتلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من بلاد العدو .

وكان خلج أخيه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن في شعبان سنة ثمان وخمسين ، واستبد يوسف حينئذ بالأمر ، واجتمع أكابر أصحابهم على خلعه وتولية الأمير يوسف ، وقد روي له شعر لكنه ليس بالجميل ، فلم أذكر منه شيئاً .

وأما محمد بن سعد ابن مردنيش المذكور فيروى له :

وَحَقَّهَا إِنهَا جَفُونَ تَسْلَى مِنْ لِحْظِهَا الْمُنُونُ
لَا صَبْرَ عَنْهَا وَلَا عَلَيْهَا الْمَوْتُ مِنْ دُونِهَا يَهْوُونَ
لَأَرْكَبَنَّ الْهَوَى إِلَيْهَا يَكُونُ فِي ذَاكَ مَا يَكُونُ

(387) قلت: ثم وجدت هذه الأبيات في كتاب «الملح» لابن القطاع وقد نسبها إلى أبي جعفر أحمد بن صمادح النبي ، والله أعلم . وقال البيهقي في «حماسته»: هو أبو جعفر أحمد بن الحسين بن خلف بن النبي اليعمرى الأبدى ، والله أعلم ، إلا أنه لم يذكر هذه الأبيات ، ثم أورد البيهقي لأبي جعفر المذكور:

صَدَنِي عَنِ حَلَاوَةِ الشَّيْعِ اجْتَنَابِي مَرَارَةَ التَّوَدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنَسٌ ذَا بُوْحِشَةَ هَذَا فَرَأَيْتَ الصَّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ

١ انظر ترجمة أبي جعفر النبي في القلائد : ٢٩٨ والمطبخ : ٩١ والمغرب ٢ : ٢٥٧ والخريدة (قسم المغرب والاندلس) ٢: ٦٠٦ وله أشعار في مواطن متفرقة من فنجح الطيب .

وله في صفة قنديل :

وقنديل كأن الضوء فيه محاسن من أحب وقد تجلتي
أشار إلى الدجى بلسان أفعى فشمّر ذيله فرقاً وولّى

ولما مات أبو يعقوب المذكور رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر - الشاعر
المقدم ذكره في ترجمة يعقوب بن يوسف هذا - بقصيدة طويلة أجاد فيها ،
وأولها :

جلّ الأسي فأسيل^١ دم الأجفان ما ذي الشوون لغير هذا الشان

ومردنيش : بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر النون
وسكون الباء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة الفرنج اسم العذرة .

وبُنْشُكُلُه : بضم الباء الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة وضم
الكاف وفتح اللام ، وبعدها هاء ؛ والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه .

والبنّي في نسب الشاعر المذكور : بكسر الباء الواحدة وتشديد النون .

والأبدي : بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعدها دال مهملة ، هذه
النسبة إلى بلدة بالأندلس من كورة جيان ، بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها
ابنه محمد^١ .

قلت : ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب هذه الترجمة
وجدت مجموعاً بخط العماد بن جبريل^٢ أخي العلم المصري ناظر بيت المال
بالديار المصرية - وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي إسحاق العراقي الفقيه المذكور
في أوائل هذا الكتاب^٣ - وفيه فوائده من أخبار المغاربة وغيرهم ، فنقلت منه
ما يضاف إلى هذه الترجمة ، وهو :

١ هنا ينتهي ما أثبت في المسودة ، ولكن ورود بعض ما جاء بعده في المختار يؤكد أن
المؤلف قد زاده في ما استدركه من بعد ؛ وقد ورد في ع ق .

٢ ع : جبرين .

٣ انظر ج ١ : ٣٤ ، وفيه ابن أخي العلم .

أن عبد المؤمن كان في حياته قد عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد ، وبإيعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد ، فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام . واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع ، وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً ، وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، وكان الذي سعى في خلعه أخويه يوسف وعمر ابني عبد المؤمن . ولما تم خلعه دار الأمر بين الأخوين المذكورين ، وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوي الرأي، وتأخر عنهما أبو حفص عمر ، وسلم الأمر إلى أخيه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة .

وكان أبيض تغلوه حمرة، شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين ، إلى الطول ما هو ، في صوته جهارة ، رقيق حواشي اللسان حلو الألفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والإسلام ، صرف عنايته إلى ذلك ، ولقي فضلاء إشبيلية أيام ولايته لها ، ويقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري . وكان شديد الملوكة بعيد الهمّة سخياً جواداً استغنى الناس في أيامه، وكان يحفظ القرآن العظيم مع جملة من الفقه ، ثم طمّح إلى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئاً كثيراً .

(388) وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن الطفيل^٢، كان متحققاً لجميع أجزاء الحكمة ، قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة^٣ وغيره. ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة ، وكان

١ هذا النص ملخص عن المعجب للمراكشي ، انظر ص : ٣٠٩ .

٢ هو صاحب «حي بن يقظان» ، له ترجمة في المغرب ٢ : ٨٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٧٨ والمقتضب من تحفة القادم : ٧٢ والبير السافر ، الورقة : ١٢٨ والمعجب : ٣١١ - ٣١٥ وقد كتبت عنه بحوث ودراسات متعددة .

٣ مرت ترجمته ، انظر ج ٤ : ٤٢٩ .

حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفتناً .

ولم يزل يجمع إليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي .

ولما استوثق ليوسف الأمر وملك بلاد مردنيش من الأندلس خرج من إشبيلية قاصداً بلاد الأذفونش من الأندلس أيضاً فنزل على مدينة له تسمى وبدة^١ فأقام محاصراً لها شهوراً إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا، فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم ، فامتنع من ذلك ، فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لفظ عظيم وأصوات هائلة ، وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى ، فجاءهم مطر عظيم ملاً ما كان عندهم من الصهاريج ، فارتووا وتقوّوا على المسلمين ، فانصرف عنهم إلى إشبيلية بعد أن هادتهم مدة سبع سنين .

وكان يرتفع إليه في كل سنة من خراج إشبيلية وقرماتة وخمسين بغلاً ، خارجاً عما يرتفع إليه من خراج بقية البلاد في بر العدو وفي بر الأندلس .

وفي سنة تسع وسبعين^٢ تجهز للغزو في جيش عظيم وعبر إلى جزيرة الأندلس ونزل إشبيلية كعادتهم في إصلاح شأنهم ، ثم رحل إلى شنرين ، وهي بليدة في غرب الأندلس ، وهي في غاية المنعة والحصانة ، فحاصرها وضيق عليها ، فلم يقدر عليها ، وهجم الشتاء ، وخاف المسلمون من البرد وزيادة مدّ النهر فلا يقدرّون على العبور وتنقطع عنهم المادّة ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى إشبيلية ، فاذا طاب الزمان عاد إليها ، فقبل ذلك منهم وقال: نحن راحلون غداً إن شاء الله تعالى ، ولم ينتشر هذا الحديث لأنه قاله في مجلس الخاصة ، فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب

١ ر و المختار : ربة .

٢ قارن بما في المعجب : ٣٣٠ وما بعدها ؛ وأورد صاحب البيان المغرب الخبر عن هذه المعركة مفصلاً (ص ١٢٨ - ١٣٨) .

المالقي^١ ، وكان من أهل العلم والفضل ، فلما رآه الناس قد قوض خبائه قوضوا أيضاً ثقة به ، لمكانه من الدولة ومعرفته بأسرارها ، فعبر تلك الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلباً لجيد المنازل ، ولم يبق إلا من كان بقرب خبائه الأمير يوسف بن عبد المؤمن ، ولا علم له بذلك ، فلما رأى الروم عبور العسكر وبلغهم من جواسيسهم ما عزم عليه الأمير يوسف وأصحابه خرجوا متهزين الفرصة وحملوا حتى انتهوا إلى جهة الأمير يوسف ، فقتل على بابه خلق كثير من أعيان الجند ، وخلصوا إلى الأمير يوسف فطعنوه تحت سرتة طعنة كانت سبب منيته ، وتداركهم الناس ، فانهزم الروم ، وجعل الأمير يوسف في محفة ، وعبر به النهر ، ولم يسر به سوى ليلتين ومات في الثالثة ، فلما وصلوا به إلى إشبيلية صبروه وصيروه في تابوت وحملوه إلى تين مل ، ودفن هناك عند أبيه عبد المؤمن والمهدي محمد بن تومرت .

وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان قبل موته بأشهر ينشد هذا البيت ويردده في أوقات كثيرة :

طوى الحديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتني ذوات الأعين النجلى

وقام بعده بالأمر ولده أبو يوسف يعقوب ، بويع في حياة أبيه ، وقيل إن أشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه ، والله أعلم .

(389) وكان الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورابي^٢ - وكورابا

قبيلة من البربر منازلهم بضواحي مدينة فاس ، وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جرأوة : بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافاً فيقال لها كراوة ، والنسبة إليها جراوي وكراوي - وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة ، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن ، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب ،

١ شرح المراكشي في المعجب : ٣٣٣ ما حل بأبي الحسن المالقي هذا ، فقد هرب خوفاً من الخليفة الموحد ، ولجأ إلى ابن الرقيق ، ثم دس كتاباً إلى الموحدين يدلهم فيه على عورات الروم ، فكشف أمره ، وعوقب بالموت حرقاً ، ولكن صاحب البيان المغرب (٣ : ١٣٧) عده ممن استشهد في المعركة .

٢ قد مر التعريف به ، انظر ما تقدم من : ١٢ .

وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع « الحماسة » لأبي تمام الطائي ،
وسماه « صفوة الأدب وديوان العرب » وهو كثير الوجود بأيدي الناس ،
وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق . والمقصود من ذكر هذا
الأديب أنه كانت له نواذر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الأدب ، فمن
ذلك أنه حضر يوماً إلى باب دار الأمير يوسف المذكور ، وهناك الطبيب سعيد
الغماري - وغمارة ، بضم الغين المعجمة ، قبيلة من البربر أيضاً - فقال الأمير
يوسف لبعض خدمه : انظر مَنْ بالباب من الأصحاب ، فخرج الخادم
إلى الباب ثم عاد إليه فقال : أحمد الكوراي وسعيد الغماري ، فقال الأمير
يوسف : من عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطيب من غمارة ، فبلغ ذلك
الكوراي ، فقال ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾ (يس : ٧٨) أعجبُ
منهما والله خليفةٌ من كومية ، فيقال إن الأمير يوسف لما بلغه ذلك قال :
أعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه .

ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الأمير يوسف المذكور ، وهو
بديع غريب :

إن الإمام هو الطبيبُ وقد شفى عللَ البريةَ ظاهراً ودخيلاً
حملَ البسيطةَ وهي تحملُ شخصه كالروحِ توجدُ حاملاً محمولاً

ومن شعره أيضاً في ذم أهل فاس ، وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة
ومراكش :

مشى التَّوْمُ في الدنيا طريداً مشرداً يجوب بلاد الله شرقاً ومغرباً
فلما أتى فاساً تلقاه أهلها وقالوا له : أهلاً وسهلاً ومرحباً

وله كل شعر مليح . وكان شيخاً مسناً جاوز ثمانين سنة ، وتوفي في آخر
أيام الأمير يعقوب ابن الأمير يوسف - وقد ذكرت وفاة الأمير يعقوب في
ترجمته فيكشف منها - وله مديح في الأمير عبد المؤمن بن علي وأولاده إلى
آخر زمنه ، رحمه الله تعالى .

وأما شترين : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، فهي مدينة في غرب الأندلس ؛ وذكر ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » أن شترين على البحر المحيط ، وبها يقع العنبر ، ولا يعلم ببلد الروم والمحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشيء وقع بالشام . ويقع بشترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر ، فيقع بها وبرة في لين الخبز ولون الذهب ، فيجمع منه ما يغزل وينسج ثياباً ، ويتلون الثوب ألواناً ، وتحجر عليه ملوك بني أمية بالأندلس ، فلا يتقل ولا يشتري ، فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه ، والله أعلم .

قلت : وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك ، وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها ، ثم قال : لكنها أرفع وأنعم من نسج العنكبوت ، فتعالى الله ما أجل قدرته وأطف حكمته وأحسن صنعته ، وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ، والله در أبي نواس حيث قال :

وفي كل شيء له آيةٌ تدلّ على أنه واحدٌ

السلطان صلاح الدين

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمينية ؛ قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه أخيه الملك العادل أبي بكر محمد ، وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته ؛ وصلاح الدين كان واسطة العقد ، وشهرته أكبر من أن تحتاج إلى التنبيه عليه .

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دُوَيْن ، بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج ، وأنهم أكرَاد رَوَادِيَّة ، بفتح الراء والواو وبعء الألف دال مهملة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء - والروادية : بطن من الهذبانية - بفتح الهاء والذال المعجمة وبعء الألف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول ، وهو من أهل دُوَيْن : إن على باب دُوَيْن قرية يقال لها أجدَانَقَان ، بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعء الألف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعء الألف الثانية نون أخرى ، وجميع أهلها أكراد رَوَادِيَّة ، ومولد أيوب والد صلاح الدين

٨٤٦ - من المتعذر حصر المصادر الأصلية عنه وعن أخباره ، ويكفي أن نذكر تاريخ ابن الأثير وسيرة ابن شداد والروضتين ومفرج الكروب والفتح القسي والبرق الشامي ومضمار الحقائق ورسائل القاضي الفاضل ومرآة الزمان والسلوك ... الخ ، هذا عدا عما كتب عنه في اللغات الأجنبية ، والدراسات التي تناولته (تخصيصاً أو تعميماً للحروب التي سميت باسم الحروب الصليبية) .

بها ، وشاذي أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ، ومن هناك نزلوا تكريت ، ومات شاذي بها ، وعلى قبره قبة داخل البلد .

ولقد تبعت نسبتهم كثيراً فلم أجد أحداً ذكر بعد شاذي أبا آخر، حتى إنني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب ، فلم أر فيها سوى شيركوه بن شاذي ، وأيوب بن شاذي ، لا غير؛ وقال لي بعض كبراء بيتهم : هو شاذي بن مروان ، وقد ذكرت ذلك في ترجمة أيوب وشيركوه ؛ ورأيت مُدرجاً رتبة الحسن بن غريب بن عمران الحرشي^١ يتضمن أن أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي بن عترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحُصَيْن بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث صاحب الحمالة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشْبَة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان^٢ بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ثم رفع بعد هذا في النسب حتى انتهى إلى آدم عليه السلام . ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز يقال إنه ممدوح المنتبي ، ويعرف بالخراساني ، وفيه يقول من جملة قصيدته^٣ :

شَرَقَ الجَوْءُ بِالغَبَارِ إِذَا سَا رَ عَلِيّ بن أحمد القمقامُ

وأما حارثة بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحمالة، فهو الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان ، وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن

١ المختار : الحرشي ، وقد ضبط المؤلف الاسم برسم صورة الحاء تحت الحرف ، كما جرى به الضبط .

٢ بضم الدال أو كسرهما ، وكتب فوقه «مأ» في المسودة .

٣ ديوان المنتبي : ١٠٥ .

٤ كذا كتبه المؤلف هنا ، وقيل أسطر كتبه « الحارث » ، والمشهور أن اسمه الحارث .

ستان ، وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد منها قوله^١ :

على مكثريهم حقّ من يعترهمُ وعند المُقلّين السّاحة والبَدَلُ
وهل ينبتُ الخطيّ إلا وشيجهُ وتُغرّسُ إلا في منابتها النّخلُ

هذا آخر ما ذكره في المدرج ، وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم ، وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة ، والله أعلم ؛ انتهى ما نقلته من المدرج .

ورأيت في « تاريخ حلب » الذي جمعه القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي بعد أن ذكر الاختلاف في نسبهم فقال : وقد كان المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نسباً في بني أمية وادعى الخلافة . وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين عرف بابن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك وقال : ليس لهذا أصل أصلاً .

قلت : ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري صاحب التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنّفه للدولة الأتابكية ملوك الموصل ، في فصل يتعلق بأسد الدين شيركوه ، ومسيره إلى الديار المصرية فقال^٢ : كان أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب ، وهو الأكبر ، ابنا شاذي من بلد دُوين ، وأصلهما من الأكراد الروادية قد قدما العراق ، وخرجا مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شحنة بالعراق .

(390) قلت : وهذا مجاهد الدين كان خادماً رومياً أبيض اللون تولى شحنة بالعراق من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلاجوقي - المقدم

١ ديوان زهير : ١١٤ - ١١٥ .

٢ علق ابن المؤلف هنا بأن هذا ورد أيضاً في ترجمة نجم الدين أيوب ، قلت : انظر ج ١ :

٢٥٥ وما بعدها ؛ وانظر الباهر : ١١٩ .

ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته - وكان صاحب همة في عمل المصالح
الخليلة وعماراة البلاد ، واسع الصدر والصبر في البدول والإنفاقات والمطاوله
والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض ، وكانت تكريت إقطاعاً له ، وكان خادماً
السلطان محمد والد مسعود المذكور ، وبنى في بغداد رباطاً وقف عليه وقفاً
جيداً ، ومات يوم الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة أربعين وخمسمائة .
وبهروز : بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو
وبعدهما زاي ، وهو لفظ عجمي ، معناه يوم جيد ، على التقديم والتأخير على
عادة كلام العجم .

قال شيخنا ابن الأثير : فرأى مجاهد الدين في نجم الدين أيوب عقلاً
ورأياً حسناً وحسن سيرة ، فجعله دُزدار تكريت إذ هي له - قلت :
دزدار ، بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف
راء ، وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة ، وهو الوالي ، ودزه^١ بالعجمي
القلعة ، ودار : الحافظ - فسار إليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه ، فلما انهزم
أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا - قلت : وهي وقعة مشهورة
خلاصتها أن مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، المقدم ذكره ، وعماد
الدين زنكي صاحب الموصل قصداً حصار بغداد في أيام الإمام المسترشد ،
فأرسل إلى قراجا الساقى واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان ، يستنجد
به ، فأتاه وكبس عسكرهما وانهزما بين يديه وانكسرا . وذكر في تاريخ
الدولة السلجوقية أنها كانت في شهر ربيع الآخر يوم الخميس ثاني عشر الشهر
المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على تكريت . وقال أسامة بن منقذ
المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه :
إنه حضر هذه الوقعة مع زنكي في التاريخ المذكور ، ذكر ذلك في موضعين
أحدهما في ترجمة إربل ، والثاني في ترجمة تكريت -

رجعنا إلى ما كنا فيه :

فوصل زنكي إلى تكريت ، فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن ، فعبّر دجلة هناك وتبعه أصحابه ، فأحسن نجم الدين إليهم وسيرهم ، وبلغ ذلك بهروز ، فسير إليه وأنكر عليه وقال له : كيف ظفرت بعدونا فأحسنست إليه وأطلقته !! ثم إن أسد الدين قتل إنساناً بتكرت لكلام جرى بينهما ، فأرسل مجاهد الدين إليهما فأخرجهما من تكريت ، فقصدنا عماد الدين زنكي - قلت : وكان إذ ذاك صاحب الموصل - قال : فأحسن عماد الدين إليهما وعرف لهما خدمتهما ، وأقطعهما إقطاعاً حسناً وصاروا من جملة جنده . فلما فتح عماد الدين زنكي بعلبك جعل نجم الدين دزدارها ، فلما قتل زنكي - قلت : وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته - قال : فحصره عسكر دمشق - قلت : وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين أبق بن محمد بن بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين ، وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق ، وأخذها منه - قال شيخنا ابن الأثير : فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وقد قام بالملك بعد والده يُنهي إليه الحال ، ويطلب منه عسكراً ليرحل صاحب دمشق عنه ، وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه^١ ، وهو مشغول باصلاح ملوك الأطراف المجاورين له ، فلم يتفرغ له ، وضاق الأمر على من في بعلبك من الحصار ، فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهراً أرسل في تسليم القلعة ، وطلب إقطاعاً ذكره ، فأجيب إلى ذلك ، وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ، ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الإقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الأمراء ، واتصل أخوه أسد الدين شريكوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي .

قلت : هو نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب^٢ ، وكان يخدمه في أيام والده ، فقربه نور الدين وأقطعه ، وكان يرى منه في الحروب آثاراً

١ المختار : ملكته .

٢ زاد في المختار : يومئذ .

يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته ، فصارت له حمص والرحبة وغيرهما ،
وجعله مقدم عسكريه .

قلت : ثم خرج شيخنا ابن الأثير بعد هذا إلى حديث سفر أسد الدين
إلى الديار المصرية ، وما تجدد لهم هناك ، وليس هذا موضع هذا الفصل ،
بل تم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير
إلى آخره إن شاء الله تعالى ، ويندرج فيه حديث الملكة وما صار حالهم إليه ،
وإن كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم ، لكن
ما استوفيته هناك اعتماداً على استيفائه ها هنا إن شاء الله تعالى .

قلت : اتفق أرباب التواريخ أن صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين
وخمسائة بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها ، والظاهر أنهم ما أقاموا بها
بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة ، لأنه قد سبق القول أن نجم الدين
وأسد الدين لما خرجا من تكريت، كما شرحناه، وصلا إلى عماد الدين زنكي
فأكرمهما وأقبل عليهما ، ثم إن عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم
تحصل له ، فرجع إلى بعلبك فحصرها أشهراً ، وملكها في رابع عشر صفر
سنة أربع وثلاثين وخمسائة، كما ذكره أسامة بن منقذ - المقدم ذكره - في كتابه
الذي ذكر فيه البلاد وملوكها . وذكر أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن
القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ أبي الحسين هلال
ابن الصابي^٢ : أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي
الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم ذكر في مستهل سنة أربع وثلاثين
أنه ورد الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث
منها ، والله أعلم . وإذا كان كذلك فيكون قد خرجوا من تكريت في بقية
سنة اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين ، أو في سنة ثلاث وثلاثين ؛
لأنهما أقاما عند عماد الدين بالموصل ، ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك
وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب ، وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين ،

١ المختار : اتصال بجمدة عماد الدين .

٢ ذيل تاريخ دمشق : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

كما شرحته ، فيتعين أن يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقديراً ، والله أعلم - قلت : ثم أخبرني بعض أهل بيتهم ، وقد سألته : هل تعرف متى خرجوا من تكريت ؟ فقال : سمعت جماعة من أهلنا يقولون : لأنهم أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين ، فتشاعروا به وتطيروا منه ، فقال بعضهم : لعل فيه الحيرة وما تعلمون ، فكان كما قال ، والله أعلم .

ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع . ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته ، وكذلك ولده صلاح الدين ، وكانت مخايل السعادة عليه لألحثة ، والنجابة تقدمه من حالة إلى حالة ، ونور الدين يرى له ويؤثره ، ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد ، حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه إلى الديار المصرية ، كما سشرحه إن شاء الله تعالى .

وجدت في بعض تواريخ المصريين أن شاور - المقدم ذكره^١ - هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبي الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار المللق فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة كعادتهم في ذلك ، وقتل ولده الأكبر طي بن شاور ، فتوجه شاور إلى الشام مستغيثاً بالملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة ، فوجه نور الدين معه الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه ، وهو كاره للسفر معهم . وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش غرضان : أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرحاً ، والثاني أنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال ، فقصده الكشف عن حقيقة ذلك ،

١ انظر ج ٢ : ٤٣٩ .

وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته ، فانتدبه لذلك ، وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره ، وشاور معهم ، فخرجوا من دمشق في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الأمر في رجب من السنة .

وقال شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد - المقدم ذكره - في كتابه الذي وسمه بـ «سيرة صلاح الدين»^١ : إنهم دخلوا مصر في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، والقول الأول أصح ؛ لأن الحافظ أبا طاهر السلفي ذكر في «معجم السقمر» أن الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وزاد غيره فقال : يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ، واحتر رأسه وطيف به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل ، وعمرت عليه قبة - قلت : والقبة إلى الآن باقية في موضعها تحت الكباش^٢ المستجد بناؤه ، ورأيت فيها جماعة من الفقراء الجوالقية مقيمين . وقد قيل إن الضرغام إنما قتل في رجب من سنة تسع وخمسين . وقد اتفقوا على أن الضرغام إنما قُتل عند قدوم أسد الدين شيركوه وشاور إلى مصر ، فما يمكن أن يكون دخولهم مصر في سنة ثمان وخمسين ؛ لأن الضرغام لا خلاف في قتله في سنة تسع وخمسين ، وأنه كان في أول وصولهم ، والحافظ السلفي أخبر بذلك لأنه كان مقيماً في البلاد أول وصولهم ، وهو أضيف لهذه الأمور من غيره ، لأن هذا فنه ، وهو من أقعد الناس به .

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا

١ سيرة صلاح الدين : ٣٦ .
٢ ذكر المقرئ (المخطوط : ١٣٣) أن مناظر الكباش بين بركة الفيل وبركة قارون أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في أعوام بضع وأربعين وستمائة ، وظلت بعه من المنازل المملوكية حتى حرب الكباش بعد سنة ٧٦٨ وظل خراباً لا ساكن فيه حتى سنة ٧٧٥ ثم بنى فيه الناس دوراً لهم .

الضرغام ، وحصل لشاور مقصوده وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره ، غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرننج عليه ، وحصلوه في بلبس . وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها ، وأنها مملكة بغير رجال ، تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال ، فطمع فيها ، وعاد إلى الشام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين ، وقال شيخنا ابن شداد : في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ، بناء على ما قرره أولاً أن دخولهم البلاد كان في سنة ثمان وخمسين . وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكراً في تدبير عودته إلى مصر ، محدثاً نفسه بالملك لها ، مقررأ قواعده ذلك مع نور الدين ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وبلغ شاور حديثه وطمعه في البلاد فخاف عليها ، وعلم أن أسد الدين لا بد له من قصدتها ، فكاتب الفرننج وقرر معهم أنهم يجيئون إلى البلاد ويمكنهم منها تمكيناً كلياً ليعينوه على استئصال أعدائه .

وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبه شاور للفرننج وما تقرر بينهم ، فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد ، فتهجهز أسد الدين ، وأنفذ معه نور الدين العساكر ، وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين . وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقارناً لوصول الفرننج إليها . واتفق شاور والمصريون بأسرهم والفرننج على أسد الدين ، وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة ، وانفصل الفرننج عن البلاد ، وانفصل أسد الدين أيضاً راجعاً إلى الشام .

وكان سبب عود الفرننج أن نور الدين جرد العساكر إلى بلادهم ، وأخذ المنيطرة منهم في رجب من هذه السنة ، وعلم الفرننج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا إليها . وكان سبب عود أسد الدين إلى الشام ضعف عسكره بسبب موافقة الفرننج والمصريين^١ وما عانوه من الشدائد ، وعابنوه من الأهوال ، وما

١ المختار : بسبب الحروب التي جرت .

عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر . وعاد إلى الشام في بقية السنة ، وقد انضاف إلى قوة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بأنهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها ، فأقام بالشام على مَصْض وقلبه قلق ، والقضاء يقوده إلى شيء قُدْر لغيره وهو لا يشعر بذلك ، وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة إلى الشام ، وقيل إنه عاد في ثامن عشر شوال من السنة ، والله أعلم^١.

ورأيت في بعض المسودات التي بخطي ، ولا أعلم من أين نقلته ، أن أسد الدين لما طمع في الديار المصرية توجه إليها في سنة اثنتين وستين ، وسلك طريق وادي الغزلان ، وخرج عند إطفيح ، فكانت فيها وقعة البابين عند الأشمونيين ، وتوجه صلاح الدين إلى الإسكندرية فاحتفى بها ، وحاصره شاور في جمادى الآخرة من السنة ، ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بليس ، وتم الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا له صلاح الدين ، فساروا إلى الشام .

ثم إن أسد الدين عاد إلى مصر مرة ثالثة ، قال شيخنا ابن شداد^٢: «وكان سبب ذلك أن الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم ، وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعاً في البلاد ، فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون أن سارعا إلى قصد البلاد ، أما نور الدين فبالمال والرجال ، ولم يمكنه المسير بنفسه خوفاً على البلاد من الفرنج ، ولأنه كان قد حدث له نظر إلى جانب الموصل بسبب وفاة علي بن بكتكين» - قلت : هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبوري - قال : «فإنه توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسائة ، وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين أتابك ما عدا إربل فانها كانت له من أتابك زنكي ، وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله وزجاله . ولقد

١ - وأقام أسد الدين ... أعلم : أكثره منقول عن سيرة صلاح الدين : ٣٧ - ٣٨ .

٢ - سيرة صلاح الدين : ٣٨ - ٤٠ .

قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه : كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة : ٢١٦) .

« وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج إلى مصر على تلك القاعدة سير إلى أسد الدين يستصرخه ويستنجده ، فخرج مسرعاً ، وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكسين ، وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان ، وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة ، فلم يوصل إليهم شيئاً ، وعلقت محاليل أسد الدين في البلاد ، وعلم أنه متى وجد الفرنج رخصة أخذوا البلاد ، وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى ، وملاً كما فقد كانوا على البدعة المشهورة ، وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور ، فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه . وكان الأمراء الواصلون مع أسد الدين يترددون إلى خدمة شاور ، وهو يخرج في الأحيان إلى أسد الدين يجتمع به ، وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ، ولم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة إلا السلطان بنفسه ، وذلك أنه لما سار إليهم تلقاه ركباً ، وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه ، وأمر العسكر بأن قصدوا أصحابه ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور إلى خيمة مفردة . وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عادتهم في وزرائهم ، فحز رأسه وأرسل إليهم ، وسيروا إلى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودام أمراً وناهماً ، والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى مباشر الأمور مقرر لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته ، إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . فمات أسد الدين » - قلت : وقد تقدم حديث أسد الدين

١ في السيرة : وأمر العسكر أن خذوا أصحابه .

وصورة موته ، فلا حاجة إلى شرحها ها هنا ، وكذلك وفاة شاور ، وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» ولكنني أثبت منه بالمقصود وحذفت الباقي .

ورأيت بخطي في جملة مسوداتي أن أسد الدين دخل القاهرة يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة ، وخرج إليه العاضد عبد الله العبيدي آخر ملوك مصر - المقدم ذكره^١ - وتلقاه ، وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان ، وجلس إلى جانب العاضد وخلع عليه ، وأظهر له شاور ودأ كثيراً ، فطلب منه أسد الدين مالاً يتفقه في عسكره ، فدافعه ، فأرسل إليه أن اجتهد تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة ، فإذا خرجت فكن على حذر منهم ، فلم يكثر شاور بكلامه ، وعزم أن يعمل دعوة يستدعي إليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم ، فأحس أسد الدين بذلك ، فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النوري وغيرهما على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه . وخرج شاور إلى أسد الدين ، وكانت خيامهم على شاطئ النيل بالمقس ، فلم يجده في جهته^٢ ، وكان قد راح إلى زيارة تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة ، فقال شاور : نمضي إليه ، فالتقوه فساروا جميعاً ، فاكتنفه صلاح الدين وجورديك وأنزلاه عن فرسه وكتفوه ، فهرب أصحابه ، فأخذوه أسيراً ، ولم يمكنهم قتله بغير إذن نور الدين ، وجعلوه في خيمة ورسوموا عليه جماعة ، فأرسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه ، وسيروا رأسه على رمح إلى العاضد ، وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقيل إن أسد الدين لم يحضر ذلك ، بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر ، فسلم بعضهم على بعض وساروا ، ثم فعلا به هذه الفعلة ، والله أعلم .

ثم إن العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور ، وكان في الخيم

١ انظر ج ٣ : ١٠٩ . ٢ ربما قرئت في المسودة «خيمته» .

فدخل القاهرة ، فرأى جمعاً كبيراً من من العامة فخافهم فقال لهم : إن مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور ، فتفرقوا ومضوا لنهبها ، ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلغ الوزارة ، ولقيه الملك المنصور أمير الجيوش . ثم إنه مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق ، وقيل إنه سم في حنك الوزارة لما خلغ عليه . وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام . وقيل إن أسد الدين دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، والله أعلم .

قلت : قد تقدم في ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شيء من هذه الأمور التي ذكرتها ها هنا ، وإنما أعدت الكلام فيها لأني استوقيتها ها هنا أكثر من هناك ، وأيضاً فإن المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره إلى آخره ، فأحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي لا ينقطع الكلام فيبقى أبرد ، فأقول :

ذكر المؤرخون^١ أن أسد الدين لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الأوضاع ، وبذل الأموال وملك قلوب الرجال ، وهانت عنده الدنيا فملكها ، وشكر نعمة الله تعالى عليه ، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمص بقميص الجد والاجتهاد ، وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه إلى الله تعالى ، إلى أن مات .

قال شيخنا ابن شداد^٢ : «سمعت يقول رحمه الله تعالى : - لما يسر لي الله الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي . ومن حين استتب له الأمر ما زال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك وبلادهما

١ انظر سيرة صلاح الدين : ٤٠ .

٢ المصدر السابق : ٤١ .

وغشي الناس من سحائب الإفضال والإنعام ما لم يورخ عن غير تلك الأيام ، وهذا كله وهو وزير متابع القوم ، لكنه يقول بمذهب أهل السنة ، غارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين ، والناس يهرعون إليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب ، وهو لا يخيب قاصداً ولا يعدم وافداً إلى سنة خمس وستين وخمسمائة .

«ولما عرف نور الدين استقرار أمر السلطان بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين وذلك في رجب سنة أربع وستين .»

«ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الأمر بالديار المصرية، علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم ، لما حدث له من القوة والملك ؛ واجتمع الفرنج والروم جميعاً وقصدوا الديار المصرية ، فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون إليه من العُدَد . ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم ، فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها ، وكان مملوكاً لنور الدين يقال له خَطْلُخ العلم دار ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين . ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم ، فنزل على الكرك محاصراً لها في شعبان من السنة المذكورة ، فقصدته فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ، ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن الداية ، وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين ، فاشتغل قلبه لأنه كان صاحب أمره ، وعاد يطلب الشام، فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخرجت كثيراً من البلاد ، وكانت في ثاني عشر شوال منها ، فسار يطلب حلب ، فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل - قلت : وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودوداً - قال : وبلغه الخبر وهو بتل باشر ، فسار من ليلته طالباً بلاد الموصل .»

«ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجميع

الآلات إليها ، ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم ، وبالغ في العطايا والهبات ، وكان وزيراً متحكماً لا يرد أمره في شيء . ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتلهم عليها ، وهو رحمه الله يشن عليهم الغارات من خارج ، والعسكر يقاتلهم من داخل ، ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره ، فرحلوا عنها خائبين ، فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم ، وقتل من رجالهم خلق كثير ، واستقرت قواعد صلاح الدين ، وسير طلب والده نجم الدين أيوب ليم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام ، فوصل والده إليه في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين - قلت : هكذا ذكر ابن شداد تاريخ وصوله إلى مصر ، والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته^١ - وسلك معه من الأدب ما جرت به عادته ، وألبسه الأمر كله ، فأبى أن يلبسه وقال : يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفء له ، ولا ينبغي أن يُغيّر موضع السعادة ، فحكّمه في الخزائن كلها ، ولم يزل وزيراً حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره^٢ - قلت : أكثر ما ذكرته في هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » ، وفيه زوائد من غيرها .

والذي ذكره شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير المذكور قبل هذا في تاريخه الأتابكي^٣ أن كيفية ولاية صلاح الدين « أن جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة ، يعني بعد موت أسد الدين ، منهم الأمير عين الدولة الأيوبي ، وقطب الدين خسرو بن تكليل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني الذي كان صاحب إربل - قلت : هو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة - ومنهم سيف الدين علي بن أحمد الهكاري ، وجده كان صاحب القلاع الهكارية - قلت : هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب ، وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٤ -

١ ذكر في ترجمته أنه دخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسمائة (١ : ٢٥٧) .

٢ التاريخ الباهر : ١٤١ وما بعدها .

٣ ترجمة عماد الدين ابن المشطوب في ج ١ : ١٨٠ .

قال : ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي ، وهو خال صلاح الدين ، وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه ، وقد جمع ليغالب عليها ، فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين ، وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الأمر بعد عمه ، وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين ، فإنه ظن أنه إذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفاً يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة ، وأنه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم إليه ، فاذا صار معه البعض أخرج الباقين ، وتعود البلاد إليه ، وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين ، والقصة مشهورة ، أردت عمراً وأراد الله خراجة— قلت : هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتي الكلام عليه بعد القراع من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى .

عدنا إلى تمام الكلام الأول :

«فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه وأخذ كارهاً ، إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة : الجبة والعمامة وغيرهما ، ولقب الملك الناصر وعاد إلى دار أسد الدين فأقام بها ، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه ، وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه» — قلت : وقد سبق ذكره في ترجمة مفردة^١ — قال ابن الأثير : «فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال له : إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك ، وقد استقام الأمر له ، فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ، ولا يصل إليك ، ولم يزل به حتى أحضره أيضاً عنده وحلفه له ، ثم عدل إلى

١ النقل مستمر عن التاريخ الآتابكي : ١٤٢ .

٢ انظر ج ٣ : ٤٩٧ .

قطب الدين وقال له : إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ، ولم يبق غيرك وغير
الياروقي ، وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد
فلا يخرج الأمر عنه إلى الأتراك ، ووعده وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح
الدين أيضاً ، وعذل إلى عين الدولة الياروقي ، وكان أكبر الجماعة وأكثرهم
جمعاً ، فلم تنفمه رُقاؤه ولا نفذ فيه سحره ، وقال : أنا لا أخدم يوسف أبداً ،
وعاد إلى نور الدين ومعه غيره ، فأنكر عليهم فراقه ، وقد فات الأمر ليقضي
الله أمراً كان مفعولاً .

« وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه ، وهو نائب عن الملك العادل
نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ، ولا يتصرفون إلا عن أمره ،
وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالأمير الإصفهسلاراً ، ويكتب علامته
في الكتب تعظماً أن يكتب اسمه ، وكان لا يفرد في كتاب ، بل يكتب :
الأمير الإصفهسلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا
وكذا . واستمال صلاح الدين قلوب الناس ، وبذل الأموال مما كان أسد الدين
قد جمعه ، وطلب من العاضد شيئاً يخرج به فلم يمكنه منعه ، فمال الناس إليه
وأحبوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ، وضعف أمر
العاضد ، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه .

[قال ابن الأثير في تاريخه الكبير^١ : « قد اعتبرت التواريخ ، ورأيت كثيراً
من التواريخ الإسلامية فرأيت كثيراً ممن يتدعى الملك تنتقل الدولة عن صلبه
إلى بعض أهله وأقاربه ، منهم في أول الإسلام معاوية بن أبي سفيان أول من
ملك من أهل بيته ، فانتقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمه ، ثم
من بعده السفاح أول من ملك من بني العباس انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه
المنصور ، ثم السامانية أول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه
إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه ، ثم يعقوب بن الليث الصفار وهو أول

١ الإصفهسلار (أو الإصفهسلار) : مقدم السكر .

٢ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٤٤ .

من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه ، ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته ، ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه معز الدولة وركن الدولة ، ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرل بك ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود ، ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب ، ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا ، والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به ، فلهذا يحرم الله أعقابه ، ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له .

نعود إلى ذكر صلاح الدين^١ .

« وأرسل^٢ صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته فلم يجبه إلى ذلك ، وقال : أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد » .

« ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر ، فسير نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين ، منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب » — قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٣ — قال : « وهو أكبر من صلاح الدين ، فلما أراد أن يسير قال له نور الدين : إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد ، فلا تسر فانك تفسد البلاد ، وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه صاحب مصر وقائم مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني ، فسر إليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده ، فقال : أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك إن شاء الله تعالى ، فكان معه كما قال » .

ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا بأوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية وإقامة الدولة العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمسائة فقال^٤ :

١ لم يرد في المسودة .

٢ عاد إلى متابعة النقل عن التاريخ الأتابكي : ١٤٢ .

٣ انظر ج ١ : ٣٠٦ .

٤ الباهر : ١٥٦ .

« قطعت خطبة العاضد صاحب مصر ، وخطب فيها للإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، وكان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له ، وضعف أمر العاضد ، ولم يبق من العساكر المصرية أحد ، كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية ، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر ، وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى دولة المصريين ، فلم يصغ نور الدين إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاماً لا فسحة له فيه ، واتفق أن العاضد مرض ؛ وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة ، فاستشار أمراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية ، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ، ومنهم من خاف ذلك ، إلا أنه لا يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين . وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمير العالم ، وقد رأيناه بالموصل كثيراً ، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال : أنا أبتدىء بها ، فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ، ودعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك ، فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ، ففعلوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عتزان ، وكتب بذلك إلى سائر ديار مصرية . وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك ، وقالوا : إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن ننغص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله^٢ ، فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم . ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء ، واستولى على قصره وجميع ما فيه ، وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه^٣ — قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة أيضاً^٣ — قال : « وجعله كأستاذ دار العاضد ، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ، ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكّل بحفظهم ، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم

١ كذا في المسودة ؛ وفي المختار والباهر : «الديار» .

٢ المختار : عمره .

٣ انظر ج ٤ : ٩١ .

في إيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم ، وأخرج من كان من العبيد والإماء ، فأعتق البعض ووهب البعض وباع البعض ، وأخلى القصر من أهله وسكانه ، فسبحان من لا يزول ملكه ، ولا يغيره ممر الأيام وتعاقب الدهور . ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعي صلاح الدين ، فظن أن ذلك خديعة فلم يمض إليه ، فلما توفي علم صدقه ، فندم على تخلفه عنه .

« وكان ابتداء الدولة العبيدية بإفريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأول من ظهر منهم المهدي أبو محمد عبيد الله وبنو المهدي وملك إفريقية كلها » - قلت : هكذا ذكر شيخنا ابن الأثير تاريخ استيلاء المهدي عبيد الله على إفريقية ، والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته فيكشف منه^١ - ثم إنه قال : « ولما مات المهدي عبيد الله قام بالأمر بعده ولده القائم أبو القاسم محمد » ثم ذكرهم واحداً واحداً حتى انتهى إلى العاضد المذكور فقال : « وانقرضت دولتهم ، فكانت مدة دولتهم مائتي سنة وستاً وستين سنة ، وكان مقامهم بمصر مائتي سنة وثمانين سنة ، وملك منهم أربعة عشر وهم : المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزیز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والأمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد آخرهم » - قلت : وقد ذكرت كل واحد من هؤلاء بترجمة مستقلة في هذا الكتاب فمن اختار الوقوف على أحوالهم فليطلبه في اسمه ، ولا حاجة إلى ذكره ها هنا - قال شيخنا ابن الأثير : « وقد أتينا على ذكر ما أجملناه مستقصى في التاريخ الكبير » يعني كتابه الذي سماه « الكامل » وهو مشهور ، ومن أنفع الكتب في بابه .

قال^٢ : « ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله وأمرائه ، وباع منه كثيراً ، وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك ، قد جمع على طول السنين وعمر الدهور ، فمنه القضيبي الزمرذ ، طوله نحو قبضة ونصف ، والجبل

١ ذكر في ترجمته (٣ : ١١٩) أنه دعي له سنة سبع وتسعين ومائتين .

٢ الباهر : ١٥٧ .

الياقوت وغيرهما ، ومن الكتب المتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد .

« ولما خطب للمستضيء بأمر الله بمصر أرسل نور الدين إليه يعرفه ذلك ، فحل عنده أعظم محل ، وسيّر إليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي إكراماً له ، لأن عماد الدين كان كبير المحل في الدولة العباسية ، وكذلك أيضاً سيّر خلعاً لصلاح الدين ، إلا أنها أقل من خلع نور الدين ، وسيّرت الأعلام السود لتنصب على المناير ، وكانت هذه أول أهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها ؛ انتهى ما قاله شيخنا ابن الأثير .

قلت : ولما وصل الخبر إلى الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن ابن الإمام المستنجد ، وهو والد الإمام الناصر لدين الله ، بما تجدد من أمر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه ، بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة ، نظم أبو الفتح محمد سبط ابن التعاويذي - المقدم ذكره^١ - قصيدة طنانة مدح بها الإمام المستضيء ، وذكر هذا الفتوح المتجدد له ، وفتوح بلاد اليمن أيضاً ، وهلاك الخارجي بها الذي سمي نفسه المهدي وذلك في سنة إحدى وسبعين وخمسائة ، وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاب المصريين شيئاً كثيراً ، وأولها^٢ :

قل للسحاب إذا مرّته يدُ الجنائبِ فارجَحَن°
عُجْ باللوى فاسمَحْ بدمسَعك للمعاهدِ والدمن
يا منزلَ الأَنسِ الجميَعِ وملعبَ الحَيِّ الأَعن
سكنتُ بك الأَرامُ من بعد الأَجة والسكن
أين استقلتُ بالحبيبِ ركا به ومتى ظَعَن°
شوقي إلى زمن الحمي سقي الغواذي من زمن

١ انظر ج ٤ : ٤٦٦ .

٢ لم ترد في ديوان التعاويذي المطبوع .

شوقُ المغربِ شَرَدَتْهُ يَدُ البعادِ عن الوطن
ولقد عهدتكَ والزمنا نُبشملنا بك ما فطَنُ
وشاركَ ما اغبرتَ مسا رحهُ وماؤك ما أجن
وظباؤك الأترابُ لي وطرُّ، وتربك لي وطن
لام العذولُ وما درى وجددي وبلبالي بمن
وجددي بمن فضح القضييبَ وأخجل الرشا الأغن
ما ضرَّ مَنْ هو فتنسي لو كان يرحمُ من فن
دمعي طليقٌ في محبته وقلبي مرتهن
يا محنتي أودى الصدو دُبعاشق بك ممتحن
غادرته وقفاً على السعيراتِ بعدك والحزن
كلفَ الفوادِ معذباً بين الإقامة والظعن
عظفاً على قريحِ الحفو نبعيد عهدٍ بالوسن
لا تبخلي فالبخلُ يذُ هبُ بهجة الوجه الحسن
ولربَّ ليلٍ بتَ فيه صريعَ باطية ودن
أختالُ من مرحٍ وأسحبُ فضل ذبلي والرُدُن
معَ مخطفٍ لدن القوا م إذا انثنى رخص اليدن
لكنني كفرتُ لیسلة زرته عني وعن
بمدائحي للمستضي ء أبي محمد الحسن
المستقرُّ من الخلا فة في الشواحق والقنن
ومنها :

يا جارياً في العدلِ من سنن النبي على سنن
يا جامعاً خلقتُ النبو ة والخلافة في قرن

دانت لهيتك المما لك والمعقل والمدن
 بالمشرفيات الصوا رم والمتقفة اللدن
 وأتتك أسلابُ الملو ك من الصعيد إلى عدن
 سلبُ الدعى بأرض مصصرٍ والمضلل في اليمن
 مما اقتناه ذو رُعَين في القديم وذو يَزَنُ
 وشفيت منهم بالطبا تلك الضغائن والاحسن
 لم تغن عنهم حين رُعَتَهُمُ الحِصونُ ولا الجُننُ
 أمست سباياهم تقا دُ أذلة قود البُدُنُ
 غادرت عُرُضُ بلادهم غرَّضَ النوائب والمحن
 في كل يوم من جيو شك غارة فيها تُشَنُ
 وأعدت سرّ الأوليا ء المؤمنين بها علن
 ورحضت ما أبقته آ ثار الخوارجُ من دَرَنُ
 فكان دعوتهم على تلك المنابر لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية . ومدحه أيضاً بقصيدة
 أخرى أشار فيها إلى هذا المعنى ، وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى
 غزها فأحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة ، وهو^٢ :

أهلا بطلعة زائري فصح الدجى بضيائها
 سمح الزمانُ بوصلها فدنّت على عدواؤها^٣
 باتت تعاطيني المسدا م وكنت من أكفائها
 فسكرتُ من الحاظها وغنيتُ عن صهبائها
 بيضاء قتلي دأبها في نأيها وثوابها

١ ر : وملكها ورحضت ما أبقى الخوارج . . .

٢ انظر ديوان التماويني : ٤٧١ .

٣ بهامش المسودة بخط المؤلف : العدواء : البعد ، والعدواء أيضاً الاشغال المانعة .

فاذا دنت يصفونها وإذا نأت يجهها
 لا تلتقي أبداً موا عدتها بيوم وفاتها
 الشمس من ضراتها والبدر من رقباتها
 والصبح فوق لثامها والليل تحت رداها
 مضرية تنمي إذا انستبت إلى حمراها
 باتت وأطراف الرما ح تجول حول خباها
 فالمت دون فراقها والموت دون لقاها
 ولقد مرت بربعها بعد النوى وفناها
 والعين في الأطلال سا كنة على أطلالها
 فوقفت أنشد في مطا لها بدور سماها
 وبكى حتى كدت أعطف بانتي جرعائها
 يا موحش العين التي أنست بطول بكائها
 غادرت بين جوانحي نفساً تموت بدائها
 تشاق عيني أن ترا ك وأنت في سودائها
 فاذا بخلت بنظرة سمحت بجممة ماها
 فكأنها كف الخليفة أسبلت بعطائها

وبعد هذا شرع في المديح وأبدع فيها جميعها . وسأذكر بعد هذا عند
 أواخر هذه الترجمة شيئاً من مدائحه في صلاح الدين إن شاء الله تعالى ، فقد
 كان يسير قصائده إليه من بغداد فتصل أولاً إلى القاضي الفاضل ، ومعها
 مديح للفاضل ، وهو الذي يعرض قصائده على صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .

ثم ذكر شيخنا ابن الأثير بعد هذا فصلاً يتضمن حصول الوحشة بين
 نور الدين وصلاح الدين باطناً فقال^١ : « وفي سنة سبع وستين أيضاً حدث

١ ابن الأثير ١١ : ٣٧١ - ٣٧٣ والباهر : ١٥٨ والنقل عن الثاني ، والنص في رأقررب
 إلى « الكامل » .

ما أوجب نقرّة نور الدين عن صلاح الدين ، وكان الحادثُ أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين بأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع هو أيضاً عساكره ويسير إليه ، ويحتجعا هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم ؛ فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم ، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر . وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز ، وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو ، فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك ، فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه ، فأرسل كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد [المصرية لأمر بلغته عن بعض شيعة العلويين ، وأنهم عازمون على الوثوب بها]^١ وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين عذره . وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين . فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده ، وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها ، فبلغ الخبر إلى صلاح الدين ، فجمع أهله ، وفيهم والده نجم الدين أيوب ونخاله شهاب الدين الحارمي ، ومعهم سائر الأمراء ، وأعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه ، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقام تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين - قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٢ - قال : وقال : إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد، ووافقه غيره من أهله ، فشمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه ، وكان ذا رأي ومكر وعقل ، وقال لتقي الدين : اقم ، وسبه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ، أتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ؟ فقال : لا ، فقال : والله لو رأيت أنا وهذا خالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنّا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا أن نضرب عنقك

١ لم يرد في المسودة .

٢ ج ٣ : ٤٥٦

بالسيف لفلعلنا ، فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا ؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ، ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له وقد أقامك فيها ، وإن أراد عزلك فأى حاجة له إلى المجيء ؟ يأمر بك كتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد ، وقال للجماعة كلهم : قوموا عنا ، ونحن ممالك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد ، ففرقوا على هذا . وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر .

« ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له : أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك ، فاذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد جعلك أهم الأمور إليه ، وأولاه بالقصد ، ولو قصدك لم تر معك أحداً من هذا العسكر وكانوا أسلموك إليه ، وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي ، وتكتب أنت إليه وترسل في المعنى ، وتقول : أى حاجة إلى قصدي ؟ يجي نجاب يأخذني بجبل يضعه في عتقي ، فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده ، والأيام تندرج ، والله في كل وقت في شان [والله لو أراد نور الدين قصبه من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل]^١ ففعل صلاح الدين ما أشار به والده . فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده ، وكان الأمر كما قال نجم الدين أيوب . وتوفي نور الدين ولم يقصده ، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها » ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

وقال شيخنا ابن شداد في « السيرة »^٢ : « لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان ، وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسائة ، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك ، وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها ، فأراد

١ لم يرد في المسودة والمختار والتاريخ الباهر .

٢ السيرة : ٤٥ .

توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها في هذه السنة ، وجرى بينه وبين الفرنج وقعات ، وعاد ولم يظفر منها بشيء ، ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله إليه» - قلت : وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته - قال^١ : « ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده ، وكان بلغه أن باليمن إنساناً استولى عليها وملك حصونها ، يسمى عبد النبي بن مهدي ، فسير أخاه توران شاه ، فقتله وأخذ البلاد منه » - وقد بسط القول في ذلك في ترجمته - ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين حسبما شرحته في ترجمته فلا حاجة إلى الإعادة .

وبلغ صلاح الدين أن إنساناً يقال له « الكنز » جمع بأسوان خلقاً عظيماً من السودان ، وزعم أنه يعيد الدولة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودهم ، فانضافوا إلى الكنز المذكور ، فجهز صلاح الدين إليه جيشاً كثيفاً وجعل مقدمه أخاه الملك العادل ، وساروا فالتقوا وكسروهم ، وذلك في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة ، واستقرت له قواعد الملك .

وكان^٢ نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل - المذكور في ترجمة أبيه - وكان بدمشق عند وفاة أبيه ، وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وشاذبخت ، وكان ابن الداية قد حدث نفسه بأمور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب ، فوصل إلى ظاهرها في المحرم من سنة سبعين ، ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن ابن الداية فقبض على سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل أبو الفضل ابن الحشاش لفتنة جرت بحلب ، وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم ، لأنهم تولوا تدبير ذلك .

ثم^٣ إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي

١ السيرة : ٤٦ .

٢ السيرة : ٤٩ .

٣ السيرة : ٥٠ .

لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك ، واختلفت الأحوال بالشام ، وكاتب
شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين ، فتجهزاً من مصر في جيش كثيف ،
وترك بها من يحفظها ، وقصد دمشق مظهراً أنه يتولى مصالح الملك الصالح ،
فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة
وتسلم قلعتها ، وكان أول دخوله دار أبيه - قلت : وهي الدار المعروفة
بالشريف العقيقي ، وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقي -
قال : واجتمع الناس إليه وفرحوا به ، وأنفق في ذلك اليوم مالاً جليلاً^٢
وأظهر السرور بالدمشقيين ، وصعد القلعة ، وسار إلى حلب فنازل حمص
وأخذ مدينتها في جمادى الأولى من السنة ولم يشغل بقلعتها ، وتوجه إلى
حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى من السنة ، وهي الواقعة الأولى .

ثم إن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي
صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم أن الرجل قد استفحل أمره وعظم
شأنه ، وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى
الأمر إليه ، فأنفذ عسكرياً وافرأ وجيشاً عظيماً وقدم عليه أخاه عز الدين
مسعود بن قطب الدين مودود ، وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد ،
فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائداً
إلى حماة ، ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ، ووصل عز الدين مسعود إلى
حلب وأخذ معه عسكري ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب
يومئذ ، وخرجوا في جمع عظيم ، فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار
حتى وافاهم على قرون حماة ، وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما
صالحوه ، ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم ، والقضاء
يجر إلى أمورٍ وهم بها لا يشعرون ، فتلاقوا ففضى الله تعالى أن انكسروا بين
يديه ، وأسر جماعة منهم فمنّ عليهم ، وذلك في تاسع شهر رمضان من

١ المختار : فخرج .

٢ المختار : جزيلاً .

السنة عند قرون حماة . ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب ، وهي
الدفعة الثانية ، فصالحوه على أخذ المعرة وكفرطاب وبارين ، ولما جرت هذه
الوقعة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ،
وعزم على أخذها منه ، لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين ، وكان قد قارب
أخذها ، فلما بلغه الخبر وأن عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين
الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه ، فراسله وصالحه . ثم سار من وقته إلى نصيبين
واهتم بجمع العساكر والإنفاق فيها ، وسار إلى البيرة وعبر الفرات ، وخيم
على الجانب الشامي ، وراسل ابن عمه الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى
تستقر له قاعدة يصل عليها ، ثم إنه وصل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى
لقائه ، وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ، ثم نزل وسار إلى تل
السلطان - قلت : وهي منزلة بين حماة وحلب - قال : ومعه جمع كبير ،
وأرسل صلاح الدين إلى مصر طلب عسكرها ، فوصل إليه ، وسار به حتى
نزل على قرون حماة^١ ، ثم تصافوا بكرة نهار الخميس العاشر من شوال
سنة إحدى وسبعين ، وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر
الدين بن زين الدين - قلت : هو صاحب إربل المقدم ذكره^٢ - قال : فإنه
كان على ميمنة سيف الدين ، فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم ، وأسر
منهم جمعاً من كبار الأمراء فمن عليهم وأطلقهم ، وعاد سيف الدين إلى
حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد إلى بلاده . ومنع صلاح
الدين من تتبع القوم ، ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم ، فانهم تركوا
أثقالهم وانهمزوا ، ففرق صلاح الدين الاصطبلات ، ووهب الخزائن وأعطى
خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاہ - قلت : هو ابن شاهان شاه
ابن أيوب ، وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاہ صاحب بعلبك
وهو والد الملك الأجدد بهرام شاه ، صاحب بعلبك - .

قال : وسار إلى منبج فتسلمها ، ثم سار إلى قلعة عزاز يحاصرها ، وذلك

١ في متن المسودة : على تل السلطان ، وفي الحاشية : على قرون حماة .

٢ انظر ج ٤ : ١١٣

في رابع ذي القعدة من سنة إحدى وسبعين ، وعليها وثب جماعة من الإسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وظفره بهم ، وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ، ثم سار فنزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور ، وأقام عليها مدة ثم رحل عنها ، وكانوا قد أخرجوا له ابنة صغيرة لنور الدين سأله عزاز فوهبها لها ، ثم عاد صلاح الدين إلى مصر ليتفقد أحوالها ، وكان مسيره إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين ، وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق . ثم تأهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة ، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم - قلت : وذلك لأمر يطول شرحه - قال : فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب بأوون إليه ، فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق ، وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهناً عظيماً جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة .

وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره ، وقبض على كشتكين صاحب دولته ، وطلب منه تسليم حارم إليه فلم يفعل ، فقتله ، فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعاً فيها ، وذلك في جمادى الآخرة من السنة ، فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها إلى الملك الصالح في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة ، فرحل الفرنج عنها .

وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعته وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ، ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود إليه ، واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن ، فعزم على قصد بلاد ابن لاون - قلت : وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل - قال : لينصر قليج أرسلان عليه ، فتوجه إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان في الصلح أنه متى استدعاه حضر إليه ، ودخل بلد ابن لاون ، وأخذ في طريقه حصناً وأخبره ، ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم . ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب إلى

ذلك ، وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسائة ، ودخل في الصلح قليج أرسلان والمتواصلة وعاد بعد تمام الصلح إلى دمشق ثم منها إلى مصر .

ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده ، وكان قد استحلف أمراء حلب وأجنادها لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل - قلت : وقد تقدم ذكره ، وهو ابن قطب الدين مودود^١ - فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور - قال : فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وأنه أوصى له بجلب بادر إلى التوجه إليها خوفاً أن يسبقه صلاح الدين في أخذها ، فكان أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين - قلت : هو صاحب إربل ، وكان إذ ذاك صاحب حران ، وهو مضاف إلى المواصلة لأن تلك البلاد كانت لهم - قال : فوصلها مظفر الدين في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين ، وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد إلى القلعة فاستولى على ما فيها من الخواصل ، وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة .

قلت : ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أموراً ذكرتها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكي وترجمة تاج الملوك بوري أخي صلاح الدين ، فلا حاجة إلى إعادتها هنا ، فمن أراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم^١ .

قلت : وحاصل الأمر أن عز الدين مسعوداً قايبض أخاه عماد الدين زنكي

١ انظر ج ٥ : ٢٠٣

٢ انظر ج ٥ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٠ ، ١٠٢٩٠ .

صاحب سنجار عن حلب بسنجار ، وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره ، فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب ، وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسائة . وقال ابن شداد : نزل عليها في سادس عشر المحرم ، والله أعلم . فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طمان بن غازي بن يلبي بن تنجول من جبل سلور بحلب في السر بما يفعله ، فأشار عليه بأن يطلب منه بلاداً وينزل له عن حلب ، بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال ، فقال له عماد الدين : وهذا كان في نفسي . ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير القاعدة في ذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ، ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ، ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من السنة . وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاه لابن أخيه تقي الدين عمر ، فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاه عماد الدين ، وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسائة ، وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر — المقدم ذكره في ترجمة مستقلة — وكان صبياً ، وولى القلعة سيف الدين يازكوج الأسدي وجعله يرتب مصالح ولده .

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق في التاريخ المذكور ؛ قال ابن شداد : وتوجه من دمشق لقصده محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة ، وسيّر إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك ، فسار إليه بجمع كثير وجيش عظيم ، واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة ، فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا خلقاً كثيراً ، وجاءوا إلى الكرك ليكونوا في

١ انظر ج ٤ : ٦ وهو غازي الملقب أيضاً غياث الدين .

قبالة عسكر المسلمين ، فخاف صلاح الدين على الديار المصرية ، فسير إليها ابن أخيه تقي الدين عمر . ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة ، واستصحب أخاه الملك العادل معه ، ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطاه حلب ، ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة . وكان الملك الظاهر أحب أولاده إليه لما فيه من الخلال الحميدة ، ولم يأخذ منه حلب إلا لمصلحة رآها في ذلك الوقت ، وقيل إن العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد ، والله أعلم .

ثم إن صلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصر وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح ؛ قيل كان سبب ذلك أن الأمير علم الدين سليمان بن جندب قال لصلاح الدين - وكان بينهما مؤانسة قبل أن يملك البلاد ، وقد سايره يوماً ، وكان من أمراء حلب ، والملك العادل لا ينصفه ويقدم عليه غيره ، وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل إلى حران وأشفى على الهلاك ، فلما عوفي رجع إلى الشام ، واجتمعا في المسير ، قال له وكان صلاح الدين ، قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد - : بأي رأي كنت تظن أن وصيتك تُمضى ، كأنك كنت خارجاً إلى الصيد وتعود فلا يخالفونك ؟ أما تستحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة ؟ قال : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك ، قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عشاً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك ، وجعلت أولادك على الأرض : هذه حلب ، وهي أم البلاد ، بيد أخيك ، وحماة بيد ابن أخيك تقي الدين ، وحمص بيد ابن أسد الدين ، وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرج متى شاء ، وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد ، فقال له : صدقت ، واكتم هذا الأمر ، ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاهما ابنه الملك الظاهر ، وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها

١ المختار : بيد ابن عمك .

وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده ، فكان ما كان .

قلت : وقد تقدم في ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بتزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرار ، ولم يقدر عليها . قال شيخنا ابن الأثير في تاريخه^١ : إنه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء ، وعزم على المقام وإقطاع جميع بلاد الموصل ، وكان نزوله في شعبان من سنة إحدى وثمانين وخمسائة ، فأقام شعبان وشهر رمضان ، وترددت الرسل بينه وبين صاحبها ، فبينما هو كذلك مرض صلاح الدين فعاد إلى حران ، ولحقته الرسل بالإجابة إلى ما طلب ، وتم الصلح على أن يسلم إليه صاحب الموصل شهرزور وأعمالها وولاية القرايبي^٢ وما وراء الزاب من الأعمال ، وأن يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة ، فلما حلف أرسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها . وطال المرض على صلاح الدين بجران ، واشتد به ، حتى أيسوا منه ، فحلف الناس لأولاده ، وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان ، وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ ، وجعل لكل واحد شيئاً من البلاد ، وجعل الملك العادل وصياً على الجميع . ثم إنه عوفي وعاد إلى دمشق في المحرم من سنة اثنتين وثمانين ؛ ولما كان مريضاً بجران ، كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه [شيركوه]^٣ وله من الإقطاع حمص والرحبة ، فسار من عنده إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من الأحداث ووعدهم وأعظاهم ملاً ، ولما وصل إلى حمص راسل جماعة من أهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق إليه إذا مات صلاح الدين ، فعوفي ، ولم يمض قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة ، فإنه شرب

١ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٥١٧ .

٢ هي بالباء الموحدة بخط المؤلف ، وكذلك في تاريخ ابن الأثير ، وقرأها دي سلان قرايبي بالياء المشناة ، وقال أنها مرجبي في ولاية كركور على الشاطيء الشرقي من دجلة واعتمد في قراءتها على نسخة أبي الفدا من تاريخه .

٣ زيادة من المختار .

الخمير فأكثر منه فأصبح ميتاً ، وقيل إن صلاح الدين وضع^١ عليه إنساناً فحضر عنده ، ونادمه وسقاه سمّاً ، فلما أصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص ، وكان يقال له الناصح بن العميد ، فسألوا عنه ، فقالوا إنه سار من ليلته ، وكان هذا مما قوى الظن ، والله أعلم . فلما توفي أعطى إقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة ، وخلف من الأموال والدواب والأثاث شيئاً كثيراً ، فحضر صلاح الدين إلى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ، ولم يترك إلا ما لا خير فيه . ثم قال شيخنا بعد هذا كله : وبلغني أن شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له : إلى أين بلغت في القرآن ؟ فقال له : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا ﴾ (النساء : ١٠) فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه ، والله أعلم بصحة ذلك .

قال ابن شداد^٢ : ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق عقيب مرضه وإبلاله سير طلب أخاه الملك العادل ، فخرج من حلب جريدة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين ، ومضى إلى دمشق فأقام في خدمة السلطان صلاح الدين ، وجرت بينهما أحاديث ومراجعات وقواعد تتقرر إلى جمادى الآخرة من السنة ، فاستقر الأمر على عود الملك العادل إلى مصر ، وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر إليها فدخل قلعتها يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ؛ وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر أنه دخل حلب مالكاً لها في مثل يوم وفاته ، وعينت هناك التاريخ واسم اليوم ، هكذا وجدته ، وما أدري من أين نقلته .

وسلم السلطان ولده الملك العزيز إلى العادل وجعله أتاكبه ، قال ابن شداد^٣ قال لي الملك العادل : لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة

١ المختار : دس .

٢ السيرة : ٧٢ .

٣ السيرة : ٧٢ - ٧٣ .

الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما ، وقلت للملك العزيز : اعلم يا مولاي أن السلطان أمرني أن أسير في خدمتك إلى مصر ، وأنا أعلم أن المقدمين كثير ، وما يخلو أن يقال عني ما لا يجوز ، ويخوفوك مني ، فإن كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لي حتى لا أجيء ، فقال : كيف يتهيأ لي أن أسمع منهم أو أرجع إلى رأيهم ؟ ثم التفت إلى الملك الظاهر وقلت له : أنا أعرف أن أخاك ربما سمع في أقوال المقدمين ، وأنا فما لي إلا أنت ، وقد قنعت منك بمنيج متى ضاق صدري من جانبه ، فقال : مبارك ، وذكر لي كل خير .

وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون^٢ ابنة أخيه الملك العادل ، ودخل بها يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة .

ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين ، قال^٣ : وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة ، وكان كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر ، فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية ، وكانت تجوز العدو والحصار ، على تعبئة حسنة وهيئة جميلة ، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية ، فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له ، إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور ، فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم ، وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فلما رأهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية ، وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو ، ونازل طبرية وهجمها وأخذها في ساعة واحدة ، وانتهب الناس ما بها وأخذوا في القتل والسبي والحريق ، وبقيت القلعة محتمة بمن فيها .

١ المختار : ويخوفوك .

٢ انظر ذيل المرأة ١ : ٧٥ .

٣ السيرة : ٧٥ .

ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها ، فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها ولحق بالعسكر ، فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها ، وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وحال الليل بين العسكرين قياماً^٢ على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ، فركب العسكران وتصادما ، والتحم القتال واشتد الأمر ، وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا ، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، وقد أيقنوا بالويل والثبور ، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ، ولم تزل الحرب تضطرم ، والفارس مع قرنه يصطدم ، ولم يبق إلا الظفر ، ووقع الوبال على من كفر ، فحال بينهم الليل بظلامه ، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت ، فطلب كل من الفريقين مقامه ، وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو ، وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد ، فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة رجل واحد ، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين ، ولما أحس القومص^٣ بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فنجا منهم وكفى الله شره ، وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام ، وانهمزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد ، واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين ، وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفاً من القتل ، لما مر بهم ، فأسر

١ السيرة : ٧٦ .

٢ السيرة : فتبايتا .

٣ القومص Comes هو ريموند صاحب طرابلس (Raimond)

مقدموهم وقتل الباقون، وكان ممن سلم^١ من مقدميهم الملك جفري، وأخوه^٢، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وابن المنفري^٣ وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جبيل، ومقدم الاستبار، قال ابن شداد^٤ : ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطتهم بطُنْب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان .

ثم إن القومص الذي هرب في أول الأمر وصل إلى طرابلس، فأصابه ذات الجنب فهلك منها، وأما مقدما الاستبار والديوية فإن السلطان قتلها وقتل من بقي من صنفهما حياً، وأما البرنس أرناط فإن السلطان كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله، وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم، فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ السلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه .

ولما فتح الله تعالى عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد، وعرضت عليه الأسارى، وسار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم منهم، وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين، ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليه . واستحضر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط، وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها، وكان على أشد حال من العطش، ثم ناوها البرنس؛ وقال السلطان للرجمان: قل للملك أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته . وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن، فقصد السلطان بقوله ذلك، ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم، فمضوا بهم إليه فأكلوا شيئاً، ثم عادوا بهم، ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم،

١ يعني سلم وأسر، كما جاء في سيرة ابن شداد .

٢ كان حقه أن يقول : الملك (جاي) وجفري أخوه (جفري = Geoffri de Lusignan) وقد نبه دي سلان إلى ذلك، ولكن المؤلف هنا يتابع ابن شداد .

٣ البرنس أرناط هو Prince Renaud de Chatillon وابن المنفري Humphrey of Thoron .

٤ السيرة : ٧٧ .

وأقعد الملك في دهليز الخيمة ، واستحضر البرنس أرناط وأوقفه بين يديه . وقال له : ها أنا أنتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ، فسلّ النيمجاه فضربه بها فحل كتفه وتم قتله من حضر ، وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة . فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في أنه يلحقه به ، فاستحضره وطيب قلبه وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ، وأما هذا فإنه تجاوز الحد وتجراً على الأنبياء صلوات الله عليهم . وبات الناس في تلك الليلة على أم سرور ، ترتفع أصواتهم بحمد الله وشكره وتهليله وتكبيره ، حتى طلع الفجر . ثم نزل السلطان على طبرية يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها إلى يوم الثلاثاء .

ثم رحل طالباً عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعاء سلخ شهر ربيع الآخر ، وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها ، واستنقل من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس ، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار ، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعه ، فأخذوا نابلس وحيفاً وقيسارية وصفورية والناصره ، وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم . ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأسارها ، سار يطلب تبين ، فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى ، وهي قلعة منيعه ، فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها ، وكان فيها أبطال معدودون وفي دينهم متشددون ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونصره الله سبحانه عليهم ، فتسلمها منهم يوم الأحد ثامن عشره عنوة ، وأسر من بقي فيها بعد القتل . ثم رحل عنها إلى صيدا فنزل عليها ، وتسلمها في غد يوم نزوله عليها ، وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى ، وأقام عليها ريثما قرر قواعدها . وسار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق ، وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور

وتسلم أصحابه جبيل ، وهو على بيروت .

ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ، ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها . ثم رأى أن العسكر قد تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه ، وكانوا قد ضرموا من القتال وملازمة الحرب والنزال ، وكان قد اجتمع في صور من بقي في الساحل من الفرنج ، فرأى أن قصده عسقلان أولى لأنها أيسر من صور ، فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة ، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم ، وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً ، وتسلمها في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال . وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة ، فانهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسائة ، هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في « السيرة » ، وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعا المختلف صقعا » أنهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة .

قال ابن شداد : لما تسلم عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمّر عن ساق الجهد والاجتهاد في قصد القدس المبارك ، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل ، فسار نحوه معتمداً على الله تعالى مفوضاً أمره إليه ، متتهزاً الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم « من فتح له باب خير فليتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه » ، وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسائة ، وكان نزوله بالجانب الغربي ، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الحياتة والرجال ، وحزّر أهل الخيرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفاً خارجاً عن النساء والصبيان ، ثم انتقل

لمصلحة رأها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب
 المناجيق ، وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ الثقب في السور مما يلي
 وادي جهنم . ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا ملغح له عنهم ،
 وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتد
 روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر وعلى حصونهم من
 التخريب والهدم ، وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه ، فاستكانوا
 وأخذوا إلى طلب الأمان ، واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين ، وكان
 تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليته كانت ليلة المعراج
 المنصوص عليها في القرآن الكريم . فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ،
 كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله
 عليه وسلم ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى . وكان فتحه عظيماً
 شهده من أهل العلم خلق ، ومن أرباب الحرق والزهد عالم ، وذلك أن الناس
 لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس ، قصده
 العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف أحد منهم ، وارتفعت الأصوات
 بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب
 الخطيب - قلت : وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي
 المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك اليوم ، فيكشف منه .
 ورأيت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسسية أن الخطبة أقيمت يوم
 الجمعة رابع شعبان ، والله أعلم .

[وإذ قد ذكرنا فتوح القدس ، وقد تقدم ذكر الخطبة التي خطب يوم
 الجمعة بها ، يليق أن نذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل إلى الإمام
 الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الإمام المستضيء بأمر الله ، تتضمن
 الفتوح فإنها بديعة بليغة في بابها ، ولم أذكرها بكاملها بل اخترت منها أحسنها ،
 وتركت الباقي لأنها طويلة ، وهي :

أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ، ولا زال مظفر الجذ بكل
جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات
المحامد ، مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقداً ، وارد الجود والسحاب على
الأرض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلتقي إلا بشكر واحد ،
ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي إلا بنبل غوي وريش راشد ، لا زالت
غيوث فضله إلى الأولياء أنواء إلى المراتع وأنواراً إلى المساجد ، ويغوث رعبه
إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيلاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة ، تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التبشير
لصبح هذه العزيمة ، والعنوان لكتاب وصف النعمة ، فإنها بحر للأقلام فيه
سبح طويل ، ولطف لحمل الشكر فيه عبء ثقيل ، وبشرى للخواطر في
شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب ، والله تعالى في إعادة
شكره رضا ، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه : هذا مضي . ولقد صارت
أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها ، وقد استتبت عقائد أهله على أبين بصائرهما ،
وتقلص ظل رجاء الكافر المسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط
وقع المشروط ، وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضاً فقد
بذلت الأنفس في ثمنه ، وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، وأهل ربه وكان
قد عيف حين عفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، وأدبجت
السيوف إلى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين ،
واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها جنان الجنين ، واسترد المسلمون
تراثاً كان عنهم أبقاً ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفاً على
النأي طارقاً ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ،
وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء
غسلهم ، ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه ، وهنا كفوها الحجر
الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه .

١ المختار : ورشد ، ع : في ريش .

وكان الخادم لا يسمى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ، ولا يناجز من يستظلمه في حربته^١ ، ولا يعاتب بأطراف القنا من يتعادي في عتبه ، إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا ، وكانت الألسن ربما سلقته فأنضح قلبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيراً خاطر ، ومن رام صفقة رابحة جاسراً ، ومن سما لأن يجتلي غمرة غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم فيعضها ، ويضعف في أيديها مهز القوائم فيفضها ، هذا إلى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد^٢ ، ولا يرمى به حقه في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد الذي يطوّقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وخلفاء كانوا في مثل هذا اليوم يسألون ، لا جرم أنهم أوثروا سرهم وسريرهم خلقهم الأطهر ، ونجلهم الأكبر ، وبقيتهم الشريفة ، وطلبتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غضوا لما نظر ، بل وصلهم الأجر لما كان^٣ به موصولا ، وشاطروه العمل لما كان عنه متقولا ، ومنه مقبولاً ، وخلص إليهم إلى المضاجع فاطمأنت به^٤ جنوبها ، وإلى الصحائف ما عبت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميراً ، والنهار به بصيراً ، والشرق يهتدي بأنواره ، بل إن بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره^٥ ، فإنه نور لا تكنه أغساق^٦ السدف ، وذكر لا توازيه أوراق الصحف .

وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا ، وطارت

١ س : ولا يحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمة ... الخ .

٢ س : خاسر .

٣ ق والمختار : لا يقضى به فرض الجهاد .

٤ س : بل وصلهم بما كان ...

٥ المختار : بها .

٦ المختار : أنوار .

فرقهُ قرقاً ، وقل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكر عدداً وحصى ، وكلت حملاته وكان قدراً يضرب فيه العنان بالعنان^١ ، وعقوبة من الله ليس لصاحب يديها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تزيق نطف الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمى أو راعفة بالمنون ، وأصبحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث ، والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث ، وبيوت الكفر مهدومة ، ونيوبُ الشرك مهتومة ، وطوائفه المحامية ، مجمعة على تسليم القلاع الحامية ، وشجاعانه المتوافية ، مدعنة لبذل القطائع الوافية ، لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة ، ولا في نار الأئفة^٢ لهم نصرة ، قد خربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركة ، وأنجده بملائكته ، فكسروهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يتعش بعدها بمشيئة الله كفر ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من قتلت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار ، وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم^٣ بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فليلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين ، وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم إلى أجل فاختلسه ، وفغرت تلك القوس فاما فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة واقترسه ، فكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان الضلال صارخاً وكان الإسلام

١ س : وكانت قدراً يصرف فيه العنان .

٢ ق والمختار : الأكفة ؛ س : الأئف .

٣ وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم : هذه هي قراءة ر ، وقد جاءت مضطربة في سائر النسخ ؛

وربما قرئت « وعن أنصاف » .

مولوداً ، وكانت ضلوع الكفار لتلذذ جهنم وقوداً . وأسر الملك ويديه أوثق وثاقه ، وآكد وصله بالدين وعلاقته ، وهو صليب الصليوت ، وقائد أهل الجبروت ، ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهماهم يبسط لهم باعه ، وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه ، لا جرم أنهم يتهافت على ناره فراشهم ، ويجتمع في ظل ضلاله خشاشهم ، ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ، ويرونه ميثاقاً يبنون عليه أشد عهد وأوثقه ، ويعدون سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه ، وفي هذا اليوم أسرت سراهم ، ودُهيت دهاهم ، ولم يفلت منهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال ، وملياً يوم الخذلان بالاحتياي ، فنجوا ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ، ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده ، وأهلكه لموعده ، فكان لعنتهم فذلك^٢ ، وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغاً ، البيضاء صنغاً ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، الغالبة هي وعزائم أوليائها ، المستضاء بأنوارها إذا فتح عينها النشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر ، فافتتح بلاد كذا وكذا ، وهذه كلها أمصار ومدن ، وقد تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفدن ، كل هذه ذوات معاقل ومعاقر ، وبحار وجزائر ، وجوامع ومنابر ، وجموع وعساكر ، يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ، ويحصدها منها كفرأ ويزرع إيماناً ، ويحيط من جوامعها صلباً ويرفع أذاناً ، ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ، ويؤوى أهل القرآن بعد أهل الصليبان للقتال عن دين الله مقاعد ، ويقر عينه وعيون أهل الإسلام أن يعلق النصر منه ومن عسكره بجارٍ ومجورٍ ، وأن يظفر بكل سور ، ما كان يخاف زلزاله ولا زياله إلى يوم النفخ في الصور .

ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليه كل طريد منهم وشريد ، واعتصم

١ س : اللوثة .

٢ س : فكان من عندهم لذلك .

بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها من الله مانعهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعهم ، فلما نزلها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت وتألقت على الموت فنزلت بعرضته ، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته ، فزاول البلد من كل جانب ، فاذا أودية عميقة ، ولحج وعر غريقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ، فعدل إلى جهة أخرى كان للطالع عليها معرج ، وللخيل فيها متولج^١، فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها ، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ، ويزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها [وبرز إليها ثم بارزها]^٢ ، وحاجزها ثم ناجزها ، وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها فاذا هم لا يبصرون على عبودية الحد عن عنق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجدة ، فعرفهم الخادم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجنقات^٣ التي تتولى عقوبات^٤ الحصون عصيها وحبالها ، وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نضالها ، فصافحت السور فإذا سهمها في ثنایا شرفاتها سواك ، وقدم النصر نسرأ من المنجنق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء ، فشح مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ، ورفع منار عجاجها^٥ ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ، وأمكن النقاب ، أن يسفر للحرب النقاب ، وأن يعيد الحجر إلى سيرته الأولى من التراب ، فتقدم إلى الصخر فمضع سرده بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطافة أعمله ، وأسمع الصخرة الشريفة أنيه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقتله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلن تبرح الأرض ، وفتح من السور باباً سد من نجاتهم أبواباً ،

١ متولج : هذه قراءة ر ع س ، وفي ق والمختار : متوج .

٢ زيادة من س ر .

٣ خ بها مش المختار : المجانيق .

٤ ر : عقوبة .

٥ س : ورفع المرادع ما بين العنق إلى المرفق منار عجاجها .

وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر : يا ليتني كنت ترابا ، فحينئذ يشس الكفار من أصحاب الدور ، كما يشس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور ، وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان اسائلاً أن يُوخذ البلد بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكة ، وطرح جنبه على التراب وكان جنباً لا يعطاه طارق ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليها أملٌ طامع ، وقال : ها هنا أسارى مسلمون يتجاوزون الألوف ، وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هُجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدىء بهم فجعلوا ، وثني بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك ، فلا يقتل خصم إلا بعد أن يتصف ، ولا يفل سيف من يد إلا بعد أن تقطع أو يتقصف ، فأشار الأمراء بأخذ الميسور ، من البلد المأسور ، فإنه لو أخذ حرباً فلا بد أن يتحمم الرجال الأجداد ، ويقال كفوا عنها في آخر أمر قد نيل من أوله المراد ، وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، وأثقل الحركات ، فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون ، وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان ، لا جرم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق وأسخطهم ، فأنهم ، خذلهم الله ، حموها بالأسل والصفاح ، وبنوها بالعمد والصفاح ، وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية فيها بكل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ، ولا ينطرد لألأوه ، قد لطف الحديد في تجزيه ، وتفنن في توشيعه ، إلى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نعيم عتيد ، فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق ، وعمدأ كالأشجار لها من التنييت أوراق .

وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود ، وأقام له من الأئمة من

١ يعني هنا : Baléan d'Ibelin

٢ س : طرف أمل .

٣ س : وتبذل نفوسها .

بوفيه ورده المورد ، وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات
يتفطرن للسجود لا للوجوم ، والكواكب منها تتثر للطرب لا للرجوم ،
ورفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة ، وطهرت قبور
الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدا ،
وجهرت الألسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها ، وجهر باسم أمير
المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر بمن بر ،
وخفق علماه في حفافيه ، فلو طار سروراً لطار يجناحيه .

وكتاب الخادم وهو مجد^١ في استفتاح بقية الثغور ، واستشراح ما ضاق
بتمادي الحرب من الصدور ، فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها ، وأيام
الشقاء قد مردت^٢ مواردها ، والبلاد المأخوذة المشار إليها قد جاست العساكر
خلالها ، ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها ، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد ،
وتجم^٣ ولا تستنفد ، ينفق عليها ولا ينفق منها ، وتجهز الأساطيل لبحرها ،
وتقام المرابط بساحلها ، ويدأب في عمارة أسوارها ومرمات معاقلها ، وكل
مشقة بالإضافة إلى نعمة الفتح محتمة ، وأطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة
ولا معتزلة ، فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع ، ولن يكفوا^٤
أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع ، وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من
غير الألسنة تشخص ، ولا بما سوى المشافهة تتخلص ، فلذلك نفذ الخادم
لساناً شارحاً ، ومبشراً صادقاً^٥ ، يطالع بالخبر على سياقته ، ويعرض جيش
المسرة من طليعته إلى ساقته ، وهو فلان ، والله الموفق .

هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان في عزمي اختصارها والاختصار على
محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي : عسى أن يقف عليها من يوثر
الوقوف على جميعها فأكلتها ورجعت عن الرأي الأول ، وهي قليلة الوجود

١ س : استفتت ؛ ع : وأيام الشتاء .

٢ س ق ع : يفكوا .

٣ س : صالحاً .

في أيدي الناس ، وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان .

وقد عمل عماد الدين الأصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس أيضاً فلم أر التطويل بكتابتها فتركها ، وجمع كتاباً سماه «الفتح القسي في الفتح القلبي» وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة . ورأيت منذ زمان رسالة مليحة أنشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى - المقدم ذكره في حرف النون - تتضمن فتح القدس أيضاً ، وكل واحد من أرباب صناعة الإنشاء كان يريد يمتحن خاطره بما يعمل في ذلك ، والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن ، وإذا شرع في شيء من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاربه ولا يباريه ، فلهذا أثبت رسالته ورفضت غيرها خوفاً الإطالة .

وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور ، هذا الفتح ، فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر فليوف- الله أقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت ، يمدحه ويهنيه بالفتح .

وإذ قد نجز المطلوب من هذا الأمر فلنرجع إلى تمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في «السيرة الصلاحية» قال^١: ونكس الصليب^٢ الذي كان على قبة الصخرة ، وكان شكلاً عظيماً ، ونصر الله الإسلام على يده نصراً عزيزاً .

١ انظر ج ٥ : ٢٨٩ .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة ، وهو ثابت في المختار والنسخ ق ع ر س ، وقد تأخر في ر عن هذا الموضع ، وورد بعد الآيات التي مطلعها «الله أكبر جاء القوس بارحاً» .

٣ السيرة : وحط الصليب (ص : ٨٢) .

قلت : وقد تقدم في ترجمة أرتق طرف من أخبار القدس وأن الأفضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان ولبل غازي ، ثم إن الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقيل في ثاني شعبان ، وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ؛ ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الدين في التاريخ المذكور .

نعود إلى كلام ابن شداد^١ : وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين ديناراً ، وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية ، عن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً ، فمن أحضر قطيعته نجاً بنفسه ، وإلا أخذ أسيراً ، وأفرج عمن كان بالقدس من أسارى المسلمين ، وكانوا خلقاً عظيماً ، وأقام به يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ، ويجبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه ، وتقدم بايصال من قام بقطيعته إلى مأمته ، وهي مدينة صور ، ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جُبي له شيء ، وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألفاً ، وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة .

ولما فتح القدس حسن عنده قصد صور ، وعلم أنه إن أخر أمرها ربما عسر عليه ، فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ، ثم رحل عنها متوجهاً إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة ، فنزل قريباً منها ، وسيّر لإحضار آلات القتال ، ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور ، وقاتلها وضابقتها قتالاً عظيماً ، واستدعى أصطول^٢ مصر ، فكان يقاتلها في البر والبحر . ثم سيّر من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة .

ثم خرج أصطول صور في الليل ، فكبس أصطول المسلمين ، وأخذوا

١ السيرة : ٨٢ .

٢ اصطول : يكتبها المؤلف بالصاد .

المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين ، وقتلوا خلقاً كثيراً من رجال المسلمين ، وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور ، وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره ، وكان الشتاء قد هجم وتراكت الأمطار ، وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار ، فجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتسريح الرجال ويجمعوا للقتال ، فرحل عنها . وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر ، وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة ، وتفرقت العساكر ، وأعطى كل طائفة منها دُستوراً ، وسار كل قوم إلى بلادهم ، وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة ، ولم يبق معه من العسكر إلا القليل ، وكان حصناً حصيناً وفيه الرجال والأقوات ، فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد ، فراجع إلى دمشق ودخلها في سادس عشر شهر ربيع الأول من السنة . قال ابن شداد^١ : ولما كان على كوكب وصلت إلى خدمته ، ثم فارقه ومضيت لزيارة القدس والخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، ودخلت دمشق يوم دخول السلطان إليها - قلت : وقد ذكرت هذا في ترجمته .

قال : وأقام بدمشق خمسة أيام ، ثم بلغه أن الفرنج قصدوا جبيل وَاغتالوها ، فخرج مسرعاً ، وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل ، فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا^٢ عن ذلك .

وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه ، فسار نحو حصن الأكراد .

١ . السيرة : ٨٥ .

٢ . ورد في س ق والمسودة : « كف » .

قال ابن شداد في السيرة^١ : إنه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين ، وجميع ما ذكرته فهو بروايتي عن أئق به ، ومن ها هنا ما أسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أئق إليه خبراً يقارب العيان.

قال : لما كان يوم الجمعة رابع^٢ جمادى الأولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبئة حسنة ورتب الأطلاب ، وسارت الميمنة أولاً ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط ، والميسرة في الأخير ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين ، فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى ، فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان جبلة ، فاستهان بأمرها وعزم على قتالها ، فسير من رد الميمنة وأمرها بالتزول على جانب البحر ، والميسرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعه ، والساكر محذقة بها من البحر إلى البحر ، وهي مدينة راقية على البحر ولها برجان كالقلعتين ، فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتها ، فما استم نصب الخيام حتى صعد مسلمون سورها ، وأخذوها بالسيف ، وغم المسلمون جميع من بها وما بها ، وأحرق البلد ، وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى ، وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين ، فما زال يحاربه حتى أخربه ، واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه ، فجاءه في عسكر عظيم .

ثم سار يريد جبلة ، وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى ، وما استم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد ، وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم ، وقوتلت القلعة قتالاً شديداً ، ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة ، وأقام عليها إلى الثالث والعشرين منه .

ثم سار عنها إلى اللاذقية ، وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى ، وهو بلد مليح خفيف على القلب ، غير مسور ، وله ميناء مشهور ، وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد . واشتد القتال إلى

١ السيرة : ٨٧ .

٢ السيرة : رابع عشر .

آخر النهار ، فأخذ البلد دون القلعتين ، وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار ، وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والتقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعاً وعرضه أربعة أذرع ، فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لأذوا بطلب الأمان ، وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر ، والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسأهم وأموالهم ، ما خلا الغلال والدخائر والسلاح وآلات الحرب ، فأجابهم إلى ذلك ، ورفع العلم الإسلامي عليها يوم السبت ، وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر .

فرحل عنها إلى صهيون ، فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال ، فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة . ثم تقدموا إلى القلعة ، وصدقوا القتال ، فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان ، فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران ، الذكر والأنثى سواء . وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدا قلاع منها ببلاطنُس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون .

ثم رحل عنها وأتى بكلمس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها ، وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة ، وقاتلوا قتالاً شديداً إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ، ثم يسر الله فتحها عنوة ، فقتل أكثر من بها وأسر الباقون ، وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ، ولها قلعة تسمى الشُغْر ، وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها يجسر وليس عليها طريق ، فسلط المناجيق عليها من جميع الجوانب ، ورأوا أنهم لا ناصر لهم فطلبوا الأمان ، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ، ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا ، وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر .

ثم سار إلى بُرُزَيْه ، وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها

المثل في بلاد الفرنج تحيط بها أودية من جميع جوانبها ، وعلوها خمسمائة
ونيف وسبعون ذراعاً ، وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من
الشهر ، ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه .

ثم سار إلى دَرَبَسَاك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب ، وهي قلعة
منيفة ، وقاتلها قتالاً شديداً ، ورفق العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني
والعشرين من رجب ، وأعطاه الأمير علم الدين سليمان بن جندَر ، وسار
عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر .

ونزل على بَغْرَاس ، وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية ، وقاتلها
مقاتلة شديدة ، وصعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان . وراسله أهل
أنطاكية في طلب الصلح ، فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار ، وكان
الصلح معهم لا غير ، على أن يطلقوا كل أسير عندهم ، والصلح إلى سبعة أشهر ،
فإن جاءهم من ينصرهم ، وإلا سلموا البلد .

ثم رحل السلطان ، فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به ،
فأجابته إلى ذلك ، فوصل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام ،
وولده يقوم بالضيافة حق القيام .

وسار من حلب ، فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعده إلى قلعة
حماة وصنع له طعاماً ، وأحضر له سماعاً من جنس ما تعمل الصوفية ،
وبات فيها ليلة واحدة ، وأعطاه جبلة واللادقية .

وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة .
ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ، ولم يزل القتال
حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال .

وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك ، سلمها نواب صاحبها ،
وخلصوه بذلك ، لأنه كان في الأسر من نوبة حطين .

١ المختار : الأودية .

قلت : هكذا ذكره ، وهذا لا ينتظم مع ما قبله ، فقد تقدم قبل هذا أن البرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ، ثم قتله السلطان بيده ، فيكشف عن ذلك في مكان آخر ليحقق .

[قال] : ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقاتلها مقاتلة شديدة ، والأمطار متواترة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة ، والعدو متسلط بعلو مكانه ، فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم إليه ، وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة^١ .

ثم نزل إلى الغور ، وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا ، وسار مع أخيه الملك العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لأنه كان متوجهاً إلى مصر ، ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد .

وتوجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها ، وأخذها من أخيه العادل ، وعوضه عنها الكرك .

ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ، ثم دخل عكا فأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح أمورها ، ورتب بها الأمير بهاء الدين قراقوش^٢ والياً وأمره بعمارة سورها .

وسار إلى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السنة .

ثم خرج إلى شقيف أرنون ، وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف ، في سابع عشر شهر ربيع الأول ، وأقام أياماً يباشر قتاله كل يوم ، والعساكر تتواصل إليه ، فلما تحقق صاحب الشقيف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته ، فأذن له

١ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكتب القاضي الفاضل بطاقة إلى بعض الجهات يبشر فيها بفتح كوكب هذه ، فمن جملتها ... » وقد وردت القطعة في ترجمة القاضي الفاضل ٣ : ١٥٩ .

٢ زاد في المختار : الحصي .

في دخوله إليه وأكرمه واحترمه ، وكان من أكبر الفرنج وعقلائهم ، وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والأحاديث ، وكان حسن التأتي لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته ، وأنه يسلم إليه المكان من غير تعب ، واشترط أن يعطى موضعاً يسكنه بدمشق فإنه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج ، وإقطاعاً يقوم به وبأهله ، وشروطاً غير ذلك ، فأجابه إلى ذلك .

وفي أثناء شهر ربيع الأول وصله الخبر بتسليم الشوبك ، وكان السلطان قد أقام عليه جمعاً يحاصرونه مدة سنة كاملة إلى أن نفذ زاد من كان فيه ، فسلموه بالأمان .

ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة ، فرسم عليه .

ثم بلغه أن الفرنج قصدوا عكا ، ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين . وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة .

وأتى عكا ، ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها ، وسيّر استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته . وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، ثم تكاثرت الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ، ومنعوا من يدخل إليها ويخرج ، وذلك يوم الخميس سلخ رجب ، فضاق صدر السلطان لذلك ، ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة ، وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ، ففعلوا ذلك ، وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ، ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ، ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام ، وتأخر الناس إلى تل العياضية ، وهو مشرف على عكا . وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان - المقدم ذكره في هذه الترجمة - وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وكان من الشجعان .

ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها ،
وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها ، إذ ليس الغرض سوى المقاصد
لاغير ، وإنما ذكرت فتوحات هذه الحصون لأن الحاجة قد تدعو إلى الوقوف
على تواريخها ، مع أنني لم أذكر إلا ما يكثر التطلع إلى الوقوف عليه وأضربت
عن الباقي .

قال ابن شداد ١ : سمعت السلطان ينشد وقد قيل له : إن الوخم قد
عظم بمرج عكا وإن الموت قد فشا في الطائفتين :

اقتلاني ومالكاً واقتلا مالكا معي

يريد بذلك أنه قد رضي أن يتلف إذا أتلف الله أعداءه .

قلت : وهذا البيت له سبب يحتاج إلى شرح ، وذلك أن مالك بن الحارث
المعروف بالأشتر النخعي ، كان من الشجعان والأبطال المشهورين ، وهو
من خواص أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تماسك في يوم وقعة
الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وكان أيضاً من الأبطال ،
وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم
أجمعين ، وكانوا يحاربون علياً رضي الله عنه ، فلما تماسكا صار كل واحد
منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره ، وفعلا ذلك مراراً ،
وابن الزبير ينشد :

اقتلاني ومالكاً واقتلا مالكا معي

يريد الأشتر النخعي ، هذه خلاصة القول في ذلك وإن كانت القصة
طويلة ، وهي في التواريخ مبسطة .

وقال عبد الله بن الزبير : لاقيت الأشتر النخعي يوم الجمل ، فما ضربته
ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعاً ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال :

والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم .

وقيل أيضاً إن الأشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل ، فقالت له : يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أخي يوم الوقعة ، فأشدها :

أعائش ، لولا أنني كنت طاويماً ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه بأخر صوتٍ اقتلونني ومالكا
فنجّاه مني أكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زجر بن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام ، فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر ، فقال لي : أتدري من ضربني هذه الضربة ؟ قلت : لا ، قال : ابن عمك الأشتر النخعي .

رجعنا إلى ما كنا عليه :

قال ابن شداد : ثم إن الفرنج جاءهم الأمداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الإسلامية بعكا ، وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري ، والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي ، وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ البلد . فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ، ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه ، وأنهم قد تيقنوا الهلاك ، ومتى أخذوا البلد عنوةً ضربت رقابهم ، وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار ، وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم

١ السيرة : ١٧٠ .

وصليب الصليبوت ، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين ، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وذرائعهم ونسأهم ، وضمنوا للمركيس - لأنه كان الواسطة في هذا الأمر - أربعة آلاف دينار . ولما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيماً وعظم عليه هذا الأمر ، وجمع أهل الرأي من أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع ، واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله ، وعزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه ، وهو يتردد في هذا ، فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد ، وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة ، وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة ، وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ، ووقع فيهم الصباح والعويل والبكاء والنحيب .

ثم ذكر ابن شداد بعد هذا أن الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها ، وساروا على الساحل ، والسلطان وعساكره في قبالتهم ، إلى أن وصلوا إلى أرْسُوف ، فكان بينهما قتال عظيم ، ونال المسلمين منه وهن شديد ، ثم ساروا على تلك الهيئة تنمة عشر منازل من مسيرهم من عكا ، فأتى السلطان الرملة ، وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات ، فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم بقاؤها ؟ فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ، ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفاً من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ، ويأخذ بها القدس وتنقطع بها طريق مصر . وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ، ورأوا أن حفظ القدس أولى ، فتعين خرابها من عدة جهات ، وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فسار إليها سحرة الأربعاء ثامن عشر الشهر . قال ابن شداد^٢ : وتحدث معي في معنى خرابها بعد أن تحدث

١ السيرة : ١٧٥ .

٢ السيرة : ١٨٦ .

مع ولده الملك الأفضل في أمرها أيضاً ثم قال : لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهدم منها حجراً ، ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك ؟ قال : ولما اتفق الرأي على إخراجها أوقع الله تعالى في نفسه ذلك ، وأن المصلحة فيه ، لعجز المسلمين عن حفظها . وشرع في إخراجها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة ، وقسم السور على الناس ، وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجاً معيناً يخربونه ، ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء ، وكان بلداً خفيفاً على القلب محكم الأسوار عظيم البناء ، مرغوباً في سكنه ، فلحق الناس على خرابه حزن عظيم ، وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم ، وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد ، وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد ، واختبئوا بالبلد ، وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا ، فذهب قوم منهم إلى مصر وقوم إلى الشام ، وجرت عليهم أمور عظيمة ، واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من إخراجها ، ويات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها . وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية ، فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون ، وكتب إليه يأذن له في ذلك ، وفوض الأمر إلى رأيه ، وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصرٌّ على الخراب ، واستعمل الناس عليه ، وحثهم على العجلة فيه ، وأباحهم ما في الهُري الذي كان مدخراً للميرة خوفاً من هجوم الفرنج والعجز عن نقله . وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته ، وكان سورها عظيماً ، ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى سلب شعبان من السنة ، وأصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ، ولقد رأيتُه يحمل الخشب بنفسه لأجل الاحراق .

١ المختار : الميرة مدخراً .

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى لُدّ ، وأشرف عليها وأمر باخرابها وإخراب قلعة الرملة ، ففعل ذلك ، وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر السلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه ، ودار السلطان حول النظرون ، وهي قلعة منيعة ، فأمر باخرابها ، وشرع الناس في ذلك .

ثم ذكر ابن شداد^٢ بعد هذا أن الانكثار ، وهو من أكابر ملوك الفرنج ، سیر رسوله إلى الملك العادل يطلب الاجتماع به ، فأجابه إلى ذلك واجتماع يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحدثا معظم ذلك النهار ، وانفصلا عن مودة أكيدة . والتمس الانكثار من العادل أن يسأل السلطان أن يجتمع به ، فذكر العادل ذلك للسلطان ، فاستشار أكابر دولته في ذلك ، ووقع الاتفاق على أنه إذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ، ثم وصل رسول الانكثار ، وقال : إن الملك يقول : إني أحب صداقتك ومودتك ، وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الساحلية لأخيك ، فأريد أن تكون حكماً بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد أن يكون لنا عُلقة بالقدس ، وأطال الحديث في ذلك ، فأجابه السلطان بوعده جميل ، وأذن له في العود في الحال وتأثر لذلك تأثراً عظيماً .

قال ابن شداد : وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان : متى صالحناهم لم تؤمن غائلتهم ، ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر ، وتقوى الفرنج ، والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت ، هذا كان رأيه وإنما غلب على الصلح .

قال ابن شداد : ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح ، وأطال القول في ذلك فتركته إذ لا حاجة إليه . وجرت بعد ذلك وقعات أضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها ، وحاصل الأمر أنه تم الصلح بينهم ، وكانت الأيمان يوم

١ السيرة : ليتمكن الناس من انفاذ دوابهم إلى العلوقة .

٢ السيرة : ١٩٣ .

الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادي بانتظام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة ، فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور ، وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاته وإيثاره ، ولكنه رأى المصلحة في الصلح لسأمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة ، وكان مصلحة في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعد الصلح ، فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر .

ثم أعطى للعساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستوراً فساروا عنه ، وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة . وتردد المسلمون إلى بلادهم ، وجاءوا هم إلى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد ، وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس .

وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحوالها ، وأخوه الملك العادل إلى الكرك ، وابنه الملك الظاهر إلى حلب ، وابنه الأفضل إلى دمشق . وأقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستوراً ، ويتأهب للمسير إلى الديار المصرية ، وانقطع شوقه عن الحج ، ولم يزل كذلك إلى أن صح عنه مسير مركب الانتكارت متوجهاً إلى بلاده في مستهل شوال ، فعند ذلك قوي عزمه أن يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ، ويدخل دمشق ويقوم بها أياماً قلائل ، ويعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية .

قال شيخنا ابن شداد : وأمرني بالمقام في القدس إلى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به ، وتكميل المدرسة التي أنشأها فيه . وسار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . ولما فرغ من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة

١ السيرة : ٢٣٩ .

٢ المختار : تفقد .

الأربعاء سادس عشر شوال ، وفيها أولاده : الملك الأفضل ، والملك
الظاهر ، والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر ، وأولاده
الصغار . وكان يجب البلد ويوثر الإقامة فيه على سائر البلاد . وجلس للناس
في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه ، وحضروا عندهم وبلوا شوقهم منه ،
وأنشده الشعراء ، ولم يتخلف أحد عنه من الخاص والعام ، وأقام ينشر جناح
عدله ويهطل سحاب إنعامه وفضله ، ويكشف مظالم الرعايا . فلما كان يوم
الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر ، لأنه لما
وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتلمى بالنظر إليه ثانياً ، وكان
نفسه كانت قد أحست بدنو أجله ، فودعه في تلك الدفعة مراراً متعددة .
ولما عمل الملك الأفضل الدعوة أظهر فيها من المهمم العالية ما يليق بهمته ،
وكانه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل إلى بلده ، وحضر الدعوة
المذكورة أرباب الدنيا والآخرة ، وسأل السلطان الحضور فحضر جبراً لقلبه ،
وكان يوماً مشهوداً على ما بلغني .

ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد إصلاحه فيه ، سار
قاصداً إلى البلاد الفراتية ، فوصل إلى دمشق في يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة
وخرج السلطان إلى لقائه ، وأقام يتصيد حوالي غابغ إلى الكسوة حتى لقيه ،
وسارا جميعاً يتصيدان . وكان دخولهما إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي
عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين ، وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه
وأولاده ، ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الصبا ، وكانه وجد راحة
مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ، وكان ذلك كالوداع
لأولاده ومراتع نزهه ، ونسي عزمه إلى مصر ، وعرضت له أمور أخر وعزمات
غير ما تقدم .

قال ابن شداد^٢ : ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته ، وكان شتاء
شديداً ووحلاً عظيماً ، فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين

١ كتب فوقها في المسودة : القعدة ؛ وهو لا يتفق مع ما تقدم .

٢ السيرة : ٢٤١ .

من المحرم سنة تسع وثمانين ، وكان الوصول إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة . وركب السلطان للمتنقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر ، وكان ذلك آخر ركوبه .

ولما كان ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً ، وما تنصف الليل حتى غشيتة حمى صفراوية ، وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره ، وأصبح يوم السبت منكسلاً عليه أثر الحمى ، ولم يظهر ذلك للناس ، لكن حضرتُ عنده أنا والقاضي الفاضل ، ودخل ولده الملك الأفضل وطال جلوسنا عنده ، وأخذ يشكو قلقه في الليل ، وطاب له الحديث إلى قريب الظهر ، ثم انصرفنا وقلوبنا عنده ، فقدم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الأفضل ، ولم تكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف ، ودخلت إلى الإيوان القبلي وقد مد السماط ، وابنه الملك الأفضل قد جلس في موضعه ، فانصرفت ، وما كانت لي قوة في الجلوس استيحاشاً له ، وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاقولاً بجلوس ولده في موضعه . ثم أخذ المرض يتزايد من حيثئذ ونحن نلازم التردد طرفي النهار ، وندخل إليه أنا والقاضي الفاضل في النهار مراراً ، وكان مرضه في رأسه ، وكان من أمارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفيراً وحضراً ، ورأى الأطباء فصدده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه ، وكان يغلب عليه اليبس ، ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى إلى غاية الضعف . واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ، ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه . ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد ، وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق ، وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا تمكن حكايته . ولما كان العاشر من مرضه حُقنَ دفتين ، وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ، ثم اشتد مرضه وأيس منه الأطباء ، ثم شرع الملك الأفضل في تخليف الناس .

ثم إنه توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر

سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وكان يوم موته يوماً لم يُصَبَّ الإسلام والمسلمون
بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وغشي القلعة والملك والدنيا
وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون
فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من
التجوز والترخص ، إلى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو
قبل الفداء لفدي بالأنفس .

ثم جلس ولده الملك الأفضل للجزاء ، وغسله الدولي .

(391) قلت : الدولي المذكور^١ ، هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد
ابن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبي الأرقمي الدولي الشافعي ، خطيب
جامع دمشق . توفي في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
وسئل عن مولده فقال : في ستة سبع وخمسمائة ، ثم ذكر غير هذا ، والله
أعلم ، ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير .

قال : وأخرج بعد صلاة الظهر ، رحمه الله ، في تابوت مسجي
بثوب فوط ، فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ
الناس في البكاء والعيول ، وصلوا عليه أرسالا ، ثم أعيد إلى الدار التي في
البيستان ، وهي التي كان ممرضا بها ، ودفن في الصفة الغربية منها ، وكان
نزوله في حفرة قريباً من صلاة العصر .

ثم أطال ابن شداد القول في ذلك فحذفته خوفاً من الملاة ، وأنشد في
آخر « السيرة »^٢ بيت أبي تمام الطائي ، وهو :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

١ ترجمة الدولي في معجم البلدان (دولج) والذيل على الروضتين : ٣١ وعبر النهي : ٤

٢٠٣ والبيدانية والنهاية ١٣ : ٢٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٨١ والاسنوي ١ : ٥١٣ وشذرات

الذهب : ٤ : ٣٣٦ وابن قاضي شهبة : ١٥١ .

٢ السيرة : ٢٤٧ .

رحمه الله تعالى وقدس روحه ، فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها .
وذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسائة
ما مثاله ^١ : وفي خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر ، فنزل البركة
قاصداً الشام ، وخرج أعيان الدولة لوداعه ، وأنشده الشعراء أبياتاً في الوداع ،
فسمع قائلاً يقول في ظاهر الخيمة :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
فطلب القائل فلم يوجد ، فوجم السلطان وتطير الحاضرون ، فكان كما
قال ، فإنه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ، ولم يعد بعدها إلى مصر .

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات في « الحماسة » في باب النسب ^٢ .

وذكر شيخنا عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير هذه القضية على
صورة أخرى ، فقال ^٣ : ومن عجيب ما يحكى من التطير أنه لما برز عن
القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر ، وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب
الآداب ، فمن بين مودع له وسائر معه ، وكل واحد منهم يقول شيئاً في
الوداع والفراق ، وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده ، فأخرج رأسه من بين
الحاضرين ، وأنشد هذا البيت ، فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه
وتنكد المجلس على الحاضرين ، فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة .

وذكر ابن شداد أيضاً في أوائل « السيرة » أنه مات ولم يخلف في خزانته
من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية ، وجرماً واحداً ذهباً
صورياً ، ولم يخلف ملكاً : لاداراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة .

وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب
حلب بطاقة مضمونها ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب :

١ مرآة الزمان : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٢ الحماسة رقم : ٤٦٦ (شرح المرزوقي) .

٣ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٤٧٨ .

(٢١) ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحج : ١) كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه ، وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة ، وقد زلزل المسلمون زلزلاً شديداً ، وقد حفرت الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أباك ومخدومي وداعاً لا تلاقي بعده ، وقد قبّلت وجهه عني وعنك ، وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة ، راضياً عن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبالباب من الجنود المجنّدة والأسلحة المعدة ما لم يدفع البلاء ، ولا مُلْكٌ يرد القضاء ، وتدمع العين ويخشع القلب ، ولا تقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا عليك لمحزونون يا يوسف . وأما الوصايا فما تحتاج إليها ، والآراء فقد شغلني المصاب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدتم إلا شخصه الكريم ، وإن كان غيره فالمصائب المستقبلية أهونها موته وهو الهول العظيم ، والسلام .

قلت : لله دره ، فلقد أبدع في هذه الرسالة الوجيزة ، مع ما تضمنته من المقاصد السديدة ، في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الإنسان عن نفسه .

قلت : وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين ، وهم الأفضل والظاهر والعزیز في ترجمة مستقلة ، وعينت تاريخ مولده وموته ، سوى الملك الظاهر المشهور بالمشمر ، فإني لم أذكر له ترجمة مستقلة ، وقد ذكرته ها هنا فيحتاج إلى ذكر شيء من أحواله ، فأقول :

(392) لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام ، وأبو العباس الخضر ، وإنما قيل له المشمر لأن أباه ، رحمه الله تعالى ، لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال : وأنا مشمر ، فغلب عليه هذا اللقب . وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسائة ، في خامس شعبان ، وهو شقيق الملك الأفضل ، وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وستمائة بجران ، عند ابن عمه الملك الأشرف ابن الملك العادل ، ولم يكن الأشرف يومئذ ملكاً وإنما كان مجتازاً بها عند دخوله بلاد الروم لأجل الخوارزمية .

قال غير ابن شداد : ثم إن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، بقي مدفوناً بقلعة دمشق إلى أن بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ، ولها بابان أحدهما إلى الكلاسة والآخر في زقاق غير نافذ ، وهو مجاور المدرسة العزيزية - قلت : ولقد دخلت إلى هذه القبة من الباب الذي في الكلاسة ، وقرأت عنده وترحمت عليه ، وأحضر لي القيم ومتولي القبة بقجة فيها ملبوس بدنه وكان في جملة قباء أصفر قصير ورأس كيه بأسود فبركت به - قال : ثم نقل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القبة في يوم عاشوراء ، وكان الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان . ثم إن ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان - المقدم ذكره^١ - لما أخذ دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية^٢ ، ووقف عليها وقفاً جيداً . وللقبة المذكورة شبك إلى هذه المدرسة ، وهي من أعيان مدارس دمشق .

وزرت قبره في أول جمعة من شهر رمضان سنة ثمانين وستمائة فقرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله : اللهم فارض عن تلك الروح ، وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح ؛ وذكر قيم المكان أن هذا من كلام القاضي الفاضل .

قلت : ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس ، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه - وقد تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني - وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وجعل عليها وقفاً كبيراً ، وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ، ووقف عليها وقفاً طائلاً ، وجعل دار عباس المذكور في ترجمة الظاهر العبيدي والعاقل ابن السلار مدرسة للحنفية ، وعليها وقف جيد أيضاً ،

١ انظر ج ٣ : ٢٥١ .

٢ انظر عن هذه المدرسة كتاب الدارس ١ : ٢٨٢ .

والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وفقاً على الشافعية ووقفها جيد أيضاً ،
وبني بالقاهرة داخل القصر مارستانا ، وله وقف جيد ، وله بالقدس مدرسة
أيضاً ، وقفها كثير ، وخانقاه بها أيضاً ، وله بمصر مدرسة للمالكية .

ولقد فكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت : إنه سعيد في الدنيا
والآخرة ، فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكبيرة
وغيرها ، ورتب هذه الأوقاف العظيمة ، وليس فيها شيء منسوباً إليه في
الظاهر ، فإن المدرسة التي في القرافة ما يسميها الناس إلا بالشافعي ، والمجاورة
للمشهد لا يقولون إلا المشهد ، والخانقاه لا يقولون إلا خانقاه سعيد السعداء ،
والمدرسة الحنفية لا يقولون أيضاً إلا مدرسة السيوفية ، والتي بمصر لا يقولون
إلا مدرسة زين التجار ، والتي بمصر مدرسة المالكية ، وهذه صدقة السر على
الحقيقة . والعجب أن له بدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال
لها الصلاحية فهي منسوبة إليه وليس لها وقف . وله بها مدرسة للمالكية أيضاً
ولا تعرف به ، وهذه النعم من أظاف الله تعالى به .

وكان ، مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة ، كثير التواضع واللطف
قريباً من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداواة ، وكان يحب العلماء
وأهل الخير ويقربهم ويمحس إليهم ، وكان يميل إلى الفضائل ، ويستحسن
الأشعار الجيدة ، ويرددها في مجالسه ، حتى قيل إنه كان كثيراً ما ينشد قول
أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري ، وقيل
إنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري ، كان أميراً بالمرية من بلاد
الأندلس ، وكان جده خيران من سبي المنصور بن أبي عامر فنسب إليه ،
والله أعلم ، وهي هذه :

وزارني طيفُ مَنْ أهوى على حدَرٍ من الوشاةِ وداعي الصبحِ قد هتفا
فكدت أوقظُ مَنْ حو لي به فرحاً وكاد يهتكُ سترَ الحبِ بي شعفا
ثم انتبهتُ وأمالي تخيل لي نيلَ المنى فاستحالت غبطني أسفا
وقيل إنه كان أيضاً يعجبه قول نشؤ الملك أبي الحسن علي بن مفرج

المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة ، وهو في خضاب الشيب ، ولقد أحسن فيه :

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لقبحه وأقبحُ منه حين يظهرُ ناصلُهُ
ولكنه مات الشبابُ فسودت^١ على الرسم من حزن عليه منازلُه
قالوا : فكان إذا قال ولكنه مات الشباب يمكك كريمته وينظر إليها
ويقول : أي والله مات الشباب .

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن السلطان صلاح الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين :

أيها الغائبون عنا وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
لإني منذ فقدتكم لأراكم بعيون الضمير عندي عيانا

وأما القصيدتان اللتان ذكرت أن سبط ابن التعاويذي أنفذهما إليه من بغداد ، فإن إحداهما وازن بها قصيدة صَرَدُرٌّ - المقدم ذكره - وقد ذكرت منها أبياتاً في ترجمة الوزير الكُنْدُرِي ، وأولها :

أكذا يجازي ود كل قرين

وقصيدة سبط ابن التعاويذي أولها^٢ :

إن كان دينك في الصبابة ديسي	فقف المطي برملتني يبريس
والم تَرَى لو شارفت بي هَضْبَهُ	أيدي المطي لثمته بجفوني
وانشُدْ فوادي في الطباء معرضاً	فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام ، وإنما	غالطت عنها بالطباء العين
لولا العدا لم أكن عن الحاظها	وقدودها يجازيء وغصون

١ بهامش المسودة ، خ : فسخت .

٢ ديوانه : ٤٢٠ .

لله ما اشتملت عليه قباهم
 من كل تأهية على أترابها
 خوذ ترى قمر السماء إذا بدت
 غادين ما لمعت بروق نغورهم
 إن تنكروا نفس الصبا فلأنها
 وإذا الركائب في الجبال تلفتت
 يا سلم إن ضاعت عهددي عندكم
 أو عدت مغبوناً فما أنا في الهوى
 رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق العبرات في أسر الغرام رهين
 ما لي ووصل الغانيات أرومه
 وعلام أشكو والدماء مطاحة
 هيهات ما للبيض في ود امرئ
 ومن البلية أن تكون مطالبتي
 ليت الضنين على المحب بوصله
 وأما القصيدة الثانية فهي ١ :

حتام أرضي في هواك وتغضب
 ما كان لي لسولا ملالك زلة
 خذ في أفانين الصدود فإن لي
 أنظني أضمرت بعدك سلوة
 لي فيك نار جوانح ما تنظني
 أنسيت أياماً لنا وليالياً
 أيام لا الواشي بعد ضلالة
 وإلى متى تجني علي وتعتب
 لما مللت زعمت أني مذنب
 قلباً على العلات لا يتقلب
 هيهات عطفك من سلوي أقرب
 حرقاً وماء مدامع ما تنضب
 للهو فيها والبطالة ملعب
 ولهي عليك ولا العذول يوثب

١ ديوانه : ٢٢ . ٢ يضم التاء الثانية وكسرهما ، وفوقها «مأ» في المسودة .

قد كنتَ تنصفي المودةَ راكباً
 واليومَ أقنعُ أن يمراً بمضجعي
 ما خلتُ أن جديداً أيام الصبا
 حتى انجلي ليلُ الغوايسة واهتدى
 وتنافر البيضُ الحسانُ فأعرضت
 قالت وريعتُ من بياضٍ مفارقي
 إن تنمي سقمي فخصرك ناحلٌ

في الحبّ من أخطاره ما أركب
 في النوم طيفُ خيالك المتأوب
 يبلى ولا ثوبَ الشيبية يسلب
 ساري الدجى وانجاب ذاك الغيب
 عني سعادٌ وأنكرتني زينب
 ونحول جسمي : بان منك الأطيب
 أو تنكري شيبي ففرك أشنب

قلت : لله دره ، فلقد أجاد في هذا المعنى كل الإجادة ، غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر ، وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده ، فإنها لما غيرته بالسقم قابلها بنحول الحصر ، فقال لها : إن كنت نحيلاً فخصرك أيضاً نحيل ، فلما أنكرت شبيه قابلها بأن ثغرها أشنب ، فكأنه قال لها : بياض شبيبي في مقابلة ثغرك الأشنب ، وليس الأمر كما ظن ، فإن الشنب في اللغة ليس البياض ، وإنما هو حدة الأسنان ، ويقال : بردها وعدنوبتها ، والصحيح أنه حدثها ، وهو دليل على الحدائثة ، لأن الأسنان في أول طلوعها تكون حادة ، فإذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها . وهذا المعنى ينظر إلى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو^١ :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
 بين فلول من قراع الكتاب
 وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك^٢.
 ومثله أيضاً ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب - المقدم ذكره -
 لنفسه من جملة أبيات ، وهو قوله^٣ :

ما فيه من عيب سوى فتور عينيّسه فقط

١ ديوان النابغة : ٦٠ .

٢ انظر ج ٣ : ٢٥٧ .

٣ ديوان البها زهير : ١٩٠ وترجمته ٢ : ٣٢٢ .

رجع :

يا طالباً بعد المشيب غضارة
أترومُ بعد الأربعين تعدّها
ومن السفاه وقد شاك طيلابهُ
لولا الهوى العذري يا دار الهوى
كلا ولا استجديتُ أخلافَ الحيا
وندى صلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد ؛ فمنهم العلم الشاتاني ،
واسمه الحسن - وقد تقدم ذكره^٢ - مدحه بقصيدته الرائية التي أولها :

أرى النصرَ مقروناً برايتك الصفرأ فسرّ وأملك الدنيا فأنت بها أحرى

ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن
الشحنة الموصلبي الشاعر المشهور^٣ بقصيدته التي أولها :

سلامُ مشوقٍ قد براه التشوقُ على جيرةِ الحميّ الذين تفرقوا

وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً ، وفيها البيتان السائران ، أحدهما :

وإني امرؤٌ أحببتكم لمكارمٍ سمعتُ بها ، والأذن كالعين تعشق

وقد أخذه من قول بشار بن برد - المقدم ذكره - وهو :

يا قوم أذني لبعضِ الحميّ عاشقةٌ والأذن تعشقُ قبلَ العين أحياناً

والبيت الثاني من قصيدة ابن الشحنة قوله :

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً بأبناءِ أيوبٍ فأنت الموفّقُ

[ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق :

١. جامش المسودة : الذي جمع دمية وهي الصورة من العاج ونحوه .

٢ ج ٢ : ١١٣ ، وانظر الروضتين ١/٢١٦ : ٦٩٦ .

٣ البدر السافر : ٤٧ وتوفي سنة ٦٠٦ .

الله أكبر ، جاء القوس باريها
فكم لمصر على الأمصار من شرف
فباين يعقوب هزت جيدها طربا
قل للملوك تخلى عن ممالكها
ورام أسهم دين الله راميتها
باليوسفين فهل أرض تدانيتها
وباين أيوب هزت عطفها تيتها
فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيتها
فلما أنشدها إياه أعطاه ألف دينار [١] .

ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سناء الملك وابن
الساعاتي والبحراني الإربلي ، وابن دهن الحصى الموصل^٢ ، ومحمد بن إسماعيل
ابن حمدان الحيزاني وغير هؤلاء ، وقد ذكرت أكثر هذه الجماعة في هذا
التاريخ . وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي :

وقد أطال ثنائي طولاً لابسه إن الثناء على التنبال تنبالٌ
التنبال : الرجل القصير ، وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون
ساكنة وباء موحدة وبعده الألف لام .

قلت : قد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر إرسال العاضد إلى صلاح الدين
وطلبه إياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور ، وهو « أردت عمراً
وأراد الله خارجة » وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ، ولا المراد
منه ، فأحييت أن أشرحه كيلا يحتاج مَنْ يقف عليه إلى كشفه من مكان
آخر ، فأقول :

(393) عمرو المذكور^٣ هو عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن
سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لوئي القرشي السهمي ،

١ لم يرد في المسودة والمختار .
٢ ابن دهن الحصى : الحسن بن هبة الله بن دهن الحصى الموصل ، كان بالموصل يمدح صاحبها ،
فلما حاصرها صلاح الدين مدحه بقصيدة ، فتغير عليه صاحب الموصل ، فهرب ولحق بصلاح
الدين وكانت وفاته سنة ٦٠٣ (انظر الفصون اليانعة : ٨١ - ٨٢) .
٣ له ترجمة في كتب الصحابة ، وأخباره في كتب التاريخ العامة .

كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد ، أحد الصحابة رضي الله عنهم ، أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ، ومكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من هذه السنة ، وقيل بل أسلم بين الحديبية وخيبر ، والأول أصح ، وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومي وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين ، فلما دخلوا عليه ونظر إليهم قال لهم : قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وقال الواقدي : قدم عمرو بن العاصي مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ملك الحبشة ، وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد ، فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة ، وقيل إنه لم يأت من أرض الحبشة إلا معتقداً الإسلام ، وذلك أن النجاشي قال له : يا عمرو ، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك ؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً ، قال : أتتحقق ذلك ؟ قال : اي والله ، فأطعني ، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية إلى الشام يدعو أحوال أبيه إلى الإسلام ، فبلغ السلاسل من بلاد قضاة ، وهو ماء بأرض جذام ، وبذلك سميت تلك الغزوة « ذات السلاسل » وكان معه ثلثمائة رجل ، فخاف عمرو ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فأمدته بجيش مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، فلما قدموا على عمرو بن العاصي قال : أنا أميركم وإنما أنتم مددي ، فقال أبو عبيدة : بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معي ، فأبى عمرو ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي إذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا ، فان خالفتني أطعتك ، قال عمرو : فاني أخالفك ، فسلم إليه أبو عبيدة ، وصلى خلفه في الجيش كله ، وكانوا خمسمائة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي على عمان ، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة اثنتي عشرة بعث أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي ويزيد

ابن أبي سفيان الأموي ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، إلى الشام ، وسار إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق ، وأول شيء فتحوا من الشام بصرى صلحاً . وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ، واستخلف عمر رضي الله عنه فولى أبا عبيدة على الجيش ، وفتح الله تعالى عليه الشام ، فولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وهي كورة قصبتها الرملة . ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ، ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان ، ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان ، وكتب إليه عمر رضي الله عنه بعهدته على ما كان عليه أخوه يزيد ، وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عمّواس ، في سنة ثماني عشرة للهجرة .

وعمّواس : بفتح العين المهملة والميم وفي آخرها سين مهملة ، وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة ، وكان الطاعون بها في العام المذكور . وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق ، والله أعلم ، وذلك بعد فتح قيسارية .

وكان عمر رضي الله عنه قد ولي عمرو بن العاصي بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن ، وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء ، وولى سعيد بن عامر بن حذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية ، وكتب إلى عمرو فسار إلى مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة ، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر رضي الله عنه ، فأقره عثمان رضي الله عنه عليها أربع سنين أو نحوها ، ثم عزله وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان أخا عثمان رضي الله عنه من الرضاة ، فاعتزل عمرو بن العاصي في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً .

فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه ، وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن ، وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر بوليه مصر ، وكتب إليه في بعض أيام طلبه :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنسل^١ به منك دنيا فانظرن^٢ كيف تصنع^٣
فان تعطني مصرأ فأربح^٤ بصفقة^٥ أخذت بها شيخأ يضر^٦ وينفع

ثم ولاه معاوية مصر، فلم يزل بها أميرأ إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة
ثلاث وأربعين للهجرة ، وقيل سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ،
وقيل سنة إحدى وخمسين ، والأول أصح ، وعمره تسعون سنة . ودفن
بسفح المقطم ، وصلى عليه ابنه عبد الله . ولما رجع صلى بالناس العيد . ثم
عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاصي ، وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان ،
فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد .

وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية ، وكان من
الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي . وكان عمر رضي الله عنه إذا استضعف
رجلاً في رأيه قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد ، يريد خالق
الأضداد .

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »^١ أن عمرو بن العاصي لما
حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال له : يا أبا عبد الله ،
كنت أسمعك كثيراً ما تقول : وددت لو رأيت رجلاً عاقلاً حضرته الوفاة
حتى أسأله عما يجد ، فكيف تجد ؟ فقال : أجد كأن السماء مطبقة على الأرض
وكأنني بينهما ، وكأنما أتنفس من خربت إبرة ، ثم قال : اللهم خذ مني حتى
ترضى . فدخل عليه ولده عبد الله فقال له : يا ولدي ، خذ ذلك الصندوق
قال : لا حاجة لي به ، فقال : إنه مملوء مالا ، فقال : لا حاجة لي به ،
فقال : ليته مملوء بعرأ ، ثم رفع يديه وقال : اللهم إنك أمرت فعصينا ،
ونهيته فارتكبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا قويء فأنتصر ، ولكن لا إله إلا
أنت ، ثم فاظ .

قلت : يقال فاظ وفاض ، بالطاء والضاد ، أي مات ، قال الشاعر :

١ الكامل ١ : ٢٦٧ .

لا يدفنون منهم من فاظا

(394) وأما خارجة المذكور في هذا المثل فإنه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، شهد فتح مصر واختط بمصر، وكان أمير ربيع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاصي في فتح مصر، وكان على شرط مصر في إمرة عمرو ابن العاصي لمعاوية بن أبي سفيان الأموي. قتله خارجي بمصر سنة أربعين للهجرة، وهو يحسب أنه عمرو بن العاصي، هكذا قاله ابن يونس في «تاريخ مصر».

وذكره في كتاب «الاستيعاب»^١ لابن عبد البر، وساق نسبه على هذه الصورة. ثم قال: يقال إنه كان يعد بألف فارس؛ ذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاصي كتب إلى عمر رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس، فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي، وشهد خارجة فتح مصر. وقيل إنه كان قاضياً لعمرو بن العاصي بها، وقيل إنه كان على شرطة عمرو، ولم يزل بها إلى أن قتل، قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا لقتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي، فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمراً، وذلك أنه كان استخلفه عمرو بن العاصي على صلاة الصبح ذلك اليوم، فلما قتله أخذ وأدخل على عمرو فقال: من هذا الذي أدخلتموني عليه، فقالوا: عمرو بن العاصي، فقال: ومن قتلت؟ فقالوا: خارجة، فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة. وقد قيل إن الخارجي الذي قتله لما أدخل على عمرو، قال له عمرو: أردت عمراً وأراد الله خارجة، والله أعلم من قال ذلك منهما. والذي قتل خارجة هذا رجل من بني العنبر بن عمرو بن تميم، يقال له داذويه، وقيل إنه مولى لبني العنبر. وقد قيل إن خارجة الذي قتله الخارجي بمصر،

١ الاستيعاب: ٤١٨.

على أنه عمرو بن العاصي ، رجل يسمى خارجة من بني سهم رهط عمرو بن العاصي ، وليس بشيء ؛ انتهى ما قاله صاحب « الاستيعاب » .

وقال غيره : إن عمرو بن العاصي أصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة . وكان خارجة يعشي الناس ، فضربه الخارجي ، وكان عمرو يقول : ما نفعني بطي قط إلا تلك الليلة .

قلت : فهذا أصل المثل في قولهم « أردت عمراً وأراد الله خارجة » . وإلى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس ملوك بطليوس وأولها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

بقوله :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجةٍ فَدَتَ علياً بمن شاءت من البشرِ
وهي من غرر القصائد جمعت تاريخاً كثيراً ، وشرحها الأديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بُدْرُون الحضرمي الشليبي ، شرحاً مستوفياً .

وهذا البيت يحتاج إلى شرح أيضاً وهو من تنمة الكلام على المثل المذكور لكنني أذكره مختصراً فإنه طويل :

ذكر أهل علم التاريخ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل - وقد ذكرت طرفاً من هذه الوقعة في ترجمة يموت بن المزرع ، ساقها الكلام هناك فذكرت المقصود منه - ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاصي ، على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه فتوجه إليهم من العراق ، وجاءوه من الشام ، والتقوا على صفين ، وهو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرحبة ، وهي واقعة مشهورة ، وكانت في سنة سبع وثلاثين من الهجرة . ولما غلب

أهل الشام طلبوا من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم ، فأجابهم إليه بعد معاودات كثيرة ، فخرج على عليّ جماعة من أصحابه ، وقالوا : حكمت في دين الله ، ولا حكم إلا لله ، ورحلوا إلى النهروان ، فمضى إليهم وقاتلهم واستأصلهم إلا اليسير منهم ، وهي أيضاً واقعة مشهورة بقتال الخوارج . ولما طال الأمر في ذلك اجتمعوا وقالوا : إن علياً ومعاوية وعمرو بن العاصي قد أفسدوا أمر هذه الأمة ، فلوقتلناهم لعاد الأمر إلى حقه ، فقال عبد الرحمن ابن ملجّم المرادي : أنا أقتل علياً ، قالوا : فكيف لك بذلك ؟ قال : أغتاله ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي : أنا أقتل معاوية ، ويعرف هذا الصريمي بالبُرّك ، وقال داؤديه ، وقيل زاؤويه - وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على خارجة بن حذافة - : أنا أقتل عمراً ، وأجمعوا آراءهم على أن يكون ذلك في ليلة واحدة ، فدخل ابن ملجّم الكوفة ، وعليّ رضي الله عنه بها ، فاشتري سيفاً بألف درهم وسقاه السم حتى لفظه ، فلما خرج عليّ لصلاة الصبح ، كان ابن ملجّم قد كمن له فضربه على رأسه وقال : الحكم لله يا علي ، لا لك ، وقيل إنه ضربه وهو في صلاة الصبح ، وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة ، وقيل غير هذا التاريخ .

وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته ، وهو في الصلاة ، ويقال إنه قطع عرق النسل ، فما أحبل بعدها .

وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة ، وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار ، والله أعلم .

الموفق بن الخلال الكاتب

أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ، الملقب بالموفق ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العبيدي - المقدم ذكره^١ - وممن بعده ؛ قال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب «الحريدة» في حقه^٢: «هو ناظر مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسيل يكتب كما يشاء ، عاش كثيراً وعطل في آخر عمره وأضر ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفي بعد ملك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين ، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئاً منها بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وذكره ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري ثم الموصلي - المقدم ذكره^٣ - في الفصل الأول من كتابه الذي سماه «الوشى المرقوم في حل المنظوم» فقال : حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، رحمه الله تعالى ، بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسائة ، وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غصاً طويلاً ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس

٨٤٧ - ترجمته في الحريدة (قسم مصر) ١ : ٢٣٥ ونكت الهيبان : ٣١٤ ووراة الجنان

٣ : ٣٧٩ والشذرات ٤ : ٢١٩ وحسن المحاضرة ١٥ : ٣٢٤ .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٥

٢ الحريدة ١ : ٢٣٥ .

٣ انظر ج ٥ : ٣٨٩

مكانا وبيانا ، ويقم لسلطانه بقلمه سلطانا ، وكان^١ من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتب ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع^٢ قال : فأرسلني والذي ، وكان إذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان ، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ ، وهو أحد خلفائها ، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتب ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال له « ابن الخلال » ؛ فلما حضرت الديوان ومثلتُ بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتني ، رَحَّبَ بي وسهل ، ثم قال لي : ما الذي أعددتَ لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أنني أحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « الحماسة » فقال^٣ : في هذا بکلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه ، أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة ، فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

قلت : وبعد أن نقلت ما قاله ضياء الدين ابن الأثير على هذه الصورة ، اجتمع بي مَنْ له عناية بالأدب خصوصاً هذا الفن ، وهو من أعرف الناس بأحوال القاضي الفاضل ، وقال لي : هذا الذي ذكره ابن الأثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل ، فان القاضي الفاضل لم يدخل إلى الديار المصرية إلا في أيام الظافر ابن الحافظ ، وكان وصوله إليها مع أبيه في أمر يختص بهم . ثم إنني وجدت في بعض تعاليقي بخطي ، وما أدري من أين نقلته ، أن القاضي الأشرف والد القاضي الفاضل كان من أهل عسقلان ، وكان ينوب في الحكم والنظر بمدينة بيسان ، فدخل إلى مصر في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من أجل كُندٍ كبير كان عندهم

١ س : فكان

٢ زاد في المطبوعة المصرية هنا : أشياء من علم الأدب ؛ ولا وجود لهذه العبارة في المسودة وسائر المخطوطات .

٣ س : فقال لي إن ...

٤ س : النظر والحكم .

٥ كذا هو في المسودة والنسخة ق ؛ وفي س ع : كيد ، وسقط التعليق كله من ر . ووردت =

له قيمة كثيرة ، فداجى الوالي في حقه وأطلقه ، فاستدعي الوالي إلى مصر لذلك وطولب بمال طائل ، فاحتفى ببعض أمراء الدولة ، وجعلوا الأقاويل في حق القاضي الأشرف ، فاستدعي وصور إلى أن لم يبق له شيء ، ولم يكن معه من الأولاد سوى القاضي الفاضل ، فحمل على قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ودفن بسفح المقطم . ثم توجه القاضي الفاضل إلى ثغر الإسكندرية ، وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره ، فعرفه بوالده ، فعرفه بالسمعة واستكتبه ، وأخذ الفرنج عسقلان فحضر إخوته إليه . وكانت مكاتبات ابن حديد ترد إلى مصر بخطه ، وهي في غاية البلاغة ، فحسده كتاب الإنشاء بها^١ على فضله وخافوا من تقدمه عليهم ، فسعوا إلى الظافر به فقالوا : إنه قصر في المكاتبة ، وكان صاحب ديوان الإنشاء القاضي الأثير ابن بنان ، فيحكى أنه دخل على الظافر فقال له : تكتب إلى ابن حديد بقطع يد كاتبه ، فتعصب له ابن بنان وقال : يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير ، وإنما حسده هؤلاء الكتاب فسعوا به ليؤذيه مولانا ، قال له الظافر : فتكتب إلى ابن حديد ليرسله إلينا ويكتب لنا .

قال ابن بنان : وكنت بعد ذلك في مجلس الظافر ، فرأيت القاضي الفاضل وقد حضر وهو قائم بين يديه ، ثم استخدمه ، والله أعلم .

وقال العماد في « الحريدة » ؛ أنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ قال ، أنشدني الموفق بن الحلال لنفسه من قصيدة :

عذبت ليسال بالعديب حوالي وخلفت مواقف بالوصال خوالي^٢

= اللفظة غير معجمة في : من ؛ ولم أعرف معنى الكلمة بالضبط ، ولكن دي سلان وضع في ترجمتها كلمة estate ؛ والمعروف أن كلمة « كند » تعريب للفظ « كونت » وهي لقب لبعض أمراء الفرنجة ؛ وقوله « أطلقه » ربما عني أن ذلك الكند كان أسيراً عندهم .
١ س : كتاب انشائها .

٢ الحريدة ١ : ٢٣٥ ؛ وهذا البيت جاء ثانياً في س .

ومضت لذاذات تفضى ذكرها
وجلت موردة الحدود فأوثقت
قالوا سراة بني هلال أصلها
تصبي الخلي وتستهيم السالي
في الصبوة الخالي بحسن الحال
صدقوا كذاك البدر فرع هلال

قال العماد في «الخريدة» أيضاً^١ : ونقلت من كتاب «جنان الجنان
ورياض الأذهان» - قلت : وهو تأليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره^٢ -
من شعر ابن الحلال قوله :

وأغتن سيف لحاظه يقري الحسام بحده
فضح الصوارم واللدان بقده ويقده
عجب السورى لما حييت وقد منيت^٣ ببعده
وبقاء جسمي ناحلاً يصلى بوقدة صده
كبقاء عنبر خاله في نار صفحة خده

وقوله^٤ :

أما اللسان فقد أخفى وقد كما
أصبم^٥ بسهام اللحظ مهجته
قد صار بالسقم من تعذيبكم علماً
فما على صامت أبدي لصدكم
وأورد له في الشعة :

وصحيفة بيضاء تطلع في الدجى
صبأ وتشفي الناظرين بدائها

١ المصدر نفسه .

٢ انظر ج ١ : ١٦٠ .

٣ المختار : بليت .

٤ الخريدة ١ : ٢٣٦ .

٥ المصدر نفسه .

شابت ذوائبها أوانَ شبابها واسودت مفرقها أوانَ فئتها
كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر العماد في «الخريدة» أيضاً في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد
العزيز بن الحسين بن الجباب أحياناً كتبها ابن الجباب المذكور إلى الرشيد
ابن الزبير في نكبة جرت للموفق بن الخلال المذكور، وقال العماد : كان
خاله - ولم يذكر أيهما خال الآخر - وكان ابن الجباب قد حصل له بسبب
نكبة ابن الخلال صداع ، والأبيات المشار إليها :

تَسْمَعُ مَقَالِي يَا ابْنَ الزَّبِيرِ فَأَنْتَ خَلِيقٌ بِأَنْ تَسْمَعَهُ
بَلِينَا بِنْدِي نَسْبِ شَابِكِ قَلِيلِ الْجَدَى فِي زَمَانِ الدَّعَى
إِذَا نَالَه الْخَيْرُ لَمْ تَرَجُّهُ وَإِنْ صَفَعُوهُ صَفَعْنَا مَعَهُ

وهذا من قول حصين بن خصفة السعدي الخارجي يخاطب قطري بن
الفجاءة رئيس الخوارج - المقدم ذكره^٢ - :

وأنت الذي لا نستطيعُ فراقه حياتك لا نفعٌ وموتك ضائرٌ

ثم إنني كشفت عن قول العماد : كان خاله ، ولم يبينه ، فوجدت ابن الخلال
المذكور خال ابن الجباب المذكور . وذكر العماد أيضاً في كتاب «السيل
والذيل» الذي جعله ذيلاً على كتاب «الخريدة» ابن الخلال أيضاً ، وأورد له :

وغزال نارٌ وجتته أذكت النيران في كبدي
وله طرفٌ لسواظه نصرت شوقي على جلدي
قدفت عيني سوائفه فتواتر منه بالسزد

١ ورد هذا الاسم في الخريدة (١ : ١٨٩) ابن الجباب - بالخاء المهملة - وكذلك هو في
بعض نسخ الوفيات . والشكل الذي أثبتته هنا بخط المؤلف ، أي بالجيم والباء المشددة .

٢ الخريدة ١ : ١٩١ .

٣ انظر ج ٤ : ٩٣ .

٤ وهذا من قول ... ضائر : لم يرد في س ؛ وانظر شعر الخوارج : ٤٠ .

والبيت الأخير مأخوذ من قول أبي محمد الحسن بن جكينا^١ البغدادي
الشاعر المشهور :

طرفك يرمي قلبي بأسهمه فما لخديك تلبس الزردا
وقد روي لغيره أيضاً ، والله أعلم .

ثم وجدت في كتاب « خريدة القصر » تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني
لعبد السلام بن الحكير^٢ المعروف بابن الصواف الواسطي :

لو كان أمري إليّ أو بيدي أعددتُ لي قبل بينك العُدَدَا
طرفك يرمي قلبي بأسهمه فما لخديك تلبسُ الزردا
ريقته الشهد والدليلُ على ذلك نَمَلٌ بخسده صعدا

وذكر أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المصري في كتاب « بدائع البدائه »^٣
أن أبا القاسم ابن هاني^٤ الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور ، وبلغه هجوه
فأضمر له حقداً ، واتفق بعض المواسم التي جرت عادة ملوك مصر بالحضور
فيه لاستماع المدائح ، فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ملك مصر إذ ذاك ،
فأنشده الشعراء ، وانتهت النوبة إلى ابن هاني المذكور ، فأنشد وأجاد فيما
قاله ، فقال الحافظ للموفق المذكور : كيف تسمع ؟ فأثنى عليه واستجاد شعره
وبالغ في وصفه ، ثم قال له : ولو لم يكن له ما يمت به إلا انتسابه إلى أبي القاسم
ابن هانيء شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها ، لولا بيت أظهره
منه الضجر عند دخوله هذه البلاد ، فقال له الحافظ : ما هو ؟ فتحرّج من إنشاده ،
فأثنى الحافظ إلا أن ينشده ، وفي أثناء ذلك صنع بيتاً ، وهو :

١ ثابت بالجيم بخط المؤلف ، وقد ضبطه الزبيدي في التاج : ٩ : ١٨٣ بالحاء المهملة .

٢ س : الحكر .

٣ بدائع البدائه : ٣٨٩ - ٤٩٠ .

٤ ترجم العماد في الخريدة ١ : ٢٤٨ (قسم مصر) لمحمد بن هانيء ولكنه جعل كنيته « أبا
عبد الله » وهو أندلسي الأصل ، سكن مصر وتوفي في آخر أيام الصالح بن رزيق قبل
سنة ستين (وخمسائة) .

تبعاً لمصرٍ فقد صارت خلافتها عظماً تنقل من كلبٍ إلى كلبٍ
 فعظم ذلك على الحافظ ، وقطع صلته وكاد يفرط في عقوبته ، والله أعلم .
 ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن
 الحركة ، فانقطع في بيته . ويقال إن القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحبة
 والتعليم ، فكان يحري عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات في الثالث والعشرين من
 جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسائة ، رحمه الله تعالى .

٨٤٨

الرمادي الشاعر

أبو عمرو يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي ، الشاعر المشهور؛
 ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » فقال :
 أظن أحد آباءه كان من أهل رمادة ، موضع بالمغرب ؛ شاعر قرطبي كثير
 الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلكه في فنون من
 المنظوم مسالك تنفق عند الكل ، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته
 يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي
 ويوسف بن هرون، وكانا متعاصرين ، واستدللت على ذلك بمدحه أبا علي

٨٤٨ - ترجمته في بغية الملتبس رقم : ١٤٥١ والصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطمح :
 ٦٩ والمغرب ١ : ٣٩٢ ومسالك الأبصار ١١ : ١٧٥ واليتمية ٢ : ١٢ ، ١٠٠
 والمقتبس : ٧٤ ، ٧٥ ومعجم الأدياء ٢٠ : ٦٢ وله أشعار في البديع في وصف الربيع
 الحميري وفي التشبيهات من أشعار أهل الأندلس والنفح وشرح الشريشي على المقامات، وفي
 كتابي « تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة » : ١٥٥ - ١٦٩ (الطبعة الأولى)
 دراسة عنه ،

١ الجلوة : ٣٤٦ .

إسماعيل بن القاسم القالي عند دخوله الأندلس بالقصيدة التي أولها :
 من حاكمٍ بيني وبين عدولي الشجورُ شجوي والعويلُ عويلي
 وكان وصول أبي علي القالي إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة - قلت :
 وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته^١ - ثم ذكر له الحميدي وقائع وعدة مقاطيع من
 الشعر ، وأنه ألف كتاباً في الطير ، وسجن مدة .

قلت : وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »^٢ الأبيات
 التي مدح بها يوسف بن هرون أبا علي القالي ، وأورد له بعد البيت المذكور
 قوله :

في أي جارحةٍ أصونُ معدني سلمتُ من التعذيبِ والتنكيلِ
 إن قلتُ في بصري فشمّ مدامعي أو قلتُ في كبدي فثم غليسي
 وثلاث شيباتٍ نزلنَ بمفرقي فعلمتُ أن نزولهن رحيلي
 طلعتُ ثلاثاً في نزول ثلاثةٍ واشٍ ووجهٌ مراقبٍ وثقيلِ
 فعزلني عن صبوتي فلئن ذللتُ لقد سمعتَ بذلة المعزولِ

قلت : ثم خرج بعد هذا إلى المدح ، وكان قد وصف الصيد والروض
 فقال :

روضٌ تعاهده السحابُ كأنه متعاهدٌ من عهد إسماعيلِ
 قسهُ إلى الأعرابِ تعلمُ أنه أولى من الأعرابِ بالترفضيلِ
 حازت قبائلهم لغاتٍ فرقت فيهم ، وحاز لغاتٍ كل قبيلِ
 فالشرقُ حالٌ بعده فكأنما نزل الخرابُ بربعه المأهولِ
 وكأنه شمسٌ بدت في غربنا وتغيبتُ عن شرقهم^٣ بأفولِ

١ انظر ج ١ : ٢٢٧ .

٢ يتيمة ٢ : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ س : شرقها .

يا سيدي هذا ثنائي لم أقل زوراً ولا عرضتُ بالتنويل
من كان يأملُ نائلاً فأنا امرؤٌ لم أرجُ غيرَ القربِ في تأميلي
وله في غلام ألثغ من جملة أبيات :

لا الرء تطمع في الوصال ولا أنا الهجرُ يجمعنا فنحن سواءُ
فاذا خلوتُ كتبته في راحتي وبكيتُ منتحباً أنا والرء
وله فيه أيضاً :

أعدتُ لثغتي في الرء لو أن واصلاً تسمعها ما أسقطتَ الرءَ واصلاً

قلت : وهذا واصل هو واصل بن عطاء - المقدم ذكره في حرف الواو
وقد ذكرت هناك هذا الشاعر وشيئاً من شعره^٢ .

قلت : وذكره ابن بشكوال في كتاب «الصلة» ، فقال : «يوسف بن
هرون الرمادي الشاعر من أهل قرطبة ، يكنى أبا عمر ، كان شاعر أهل
الأندلس المشهور المقدم على الشعراء ، روى عن أبي علي البغدادي - يعني
القالي - كتاب «النوادر» من تأليفه ، وقد أخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر
قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تواليفه . قال ابن حيان : وتوفي
سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة ، فقيراً معدماً ، ودفن بمقبرة كَلَع .
انتهى كلامه .

قلت : يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الأندلس ، وهو موسم للنصارى ،
كالميلاد وغيره ، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران ، فيه ولد يحيى بن
زكريا عليهما السلام - والعنصرة : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح
الصاد المهملة والرء وفي آخرها هاء - وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس
على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان

١ س : من .
٢ انظر ج ٦ : ٩٠٧ .

يوشع ابن أخته ، إلى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية ، فخشى أن يحول الليل بينه وبينهم ، فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ ، فحبسها بدعائه ، وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيراً ، فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة^١ :

فردت علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ بشمسٍ لهم من جانبِ الخدرِ تطلعُ
نصاً ضوءها صبغَ الدجنةَ وانطوى ليهجتها ثوبُ السماءِ المجزعُ
فوالله ما أدري أحلامُ نسائمٍ ألمت بنا أم كان في الركبِ يوشعُ

وقال أبو العلاء المعري من جملة قصيدة طويلة أيضاً^٢ :

ويوشع ردّ بوحاً بعض يوم وأنت متى سفرت رددت بوحاً
وبوح : بالباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة ، اسم من أسماء الشمس ، وكذلك « يوح » بالياء المثناة من تحتها .

وأريحا : بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة ، بلدة بين القدس والشريعة من أرض الشام ، وهي قريبة من مدائن لوط عليه السلام .

والرمادي : بفتح الراء والميم وبعد الألف دال مهملة وبعدها ياء النسب ، هذه النسبة إلى الرمادة ، قال ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً المختلف صقعا^١ » في باب الرمادة : الرمادة عشرة مواضع ، وعدها

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٣٢٠ .

٢ شروح السقط : ٢٧٨ ؛ وقال التبريزي : وهذه الكلمة صحف فيها ابن الأنباري فقال « بوح » بالياء ، فرد عليه أبو عمر الزاهد وقال : هي يوح ، بالياء ، فأبى أن يقبل منه ، وبقيت الرواية عنه بوح ، والصحيح بنقطتين .

٣ المشترك : ٢٠٩ ؛ قلت : وربما لم يكن هذا سوى وهم : فالرمادة التي في المغرب إلى الشرق من عقبة السلطان ببرقة . وإنما الرمادي ترجمة لكنيته أبو جنيش ؛ وجنيش بالاسبانية تعني الرماد .

فقال : الثالث رمادة المغرب ، ينسب إليها يوسف بن هارون الكندي
الرمادي الشاعر القرطبي .

وكتّـع : بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة ، وهي مقبرة قرطبة
والله أعلم .

وذكر ابن سعيد^١ في كتاب « المغرب في أشعار أهل المغرب » أن الرمادي
المذكور اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف^٢
علّم أدباء الأندلس ، وهو القائل :

لا تلمني على الوقوف بدار أهلها صيروا السقام ضجيجي
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً^٣ ثم سدوا علي باب الرجوع

ثم قال : وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست أو خمس وثمانين
وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين ، رحمه الله تعالى .

١ أضاف المؤلف هذا النص في هامش المسودة ، وخطه يدل على أنه متأخر في التاريخ ، ولم
يعودنا المؤلف النقل عن ابن سعيد المغربي ، مع أنه معاصره ؛ ومن الغريب أن من أوردت
هذا النص أيضاً .

٢ ولد يحيى بن هذيل سنة ٣٠٥ وتلمذ على علماء قرطبة ثم غلب عليه الشعر ، وطال عمره
وكف بصره وتوفي سنة ٣٨٩ حسب قول ابن الفرضي ، وهو أدق في هذا من ابن سعيد
الذي نقل عنه المؤلف (انظر الجلوة : ٣٥٨ وبنية المتلمس رقم : ١٩٤٥ وابن الفرضي
٢ : ١٩٢ ونكت الهميان : ٣٠٧ ومجمع الأدباء ٢٠ : ٣٩) ولابن هذيل شعر في البيعة
ومسالك الأبصار وعنوان المرقصات والتشبيات من أشعار أهل الأندلس .

يوسف بن درة ، الشاعر المعروف بابن الدرّي ، الموصلي الأصل ؛ كان شاباً ذكياً ، ذكره أبو شعاع محمد بن علي بن الدهان في تاريخه وقال : إنه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زعْب ، وقد ذكره عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « خريدة القصر » وذكره أبو المعالي سعد بن علي الحظيري - المقدم ذكره - في كتاب « زينة الدهر » ومن مشهور شعره قوله في رجل أُرْجِلَ وقد أحسن فيه ^٢ :

مُدَوَّرُ الكعبِ فاتخذهُ^١ لتلّ غَرْسٍ وثلّ عرشِ
لو نَظَرَت^٣ عينه الثريا أخرجها في بنات نعش^٤

وله غير هذا أشياء حسنة .

قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في مختصر كتاب الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله

٨٤٩- ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣٢٦ - ٣٢٩ وفيه ابن الدر .

١ انظر ج ٢ : ٣٦٦

٢ الخريدة ٢ : ٣٢٧ .

٣ الخريدة : رمقت .

٤ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : ومثل هذا المعنى قول بعض الأدباء المصريين في الصلاح ابن بهاء الدين زهير الكاتب المقدم ذكره ، وكان أرجل ، من جملة أبيات :

قد صح أنك كمب لأنك ابن زهير »

في الأنساب ، ما مثاله^١ : قلت : الزعبي : بكسر الزاي وسكون العين المهملة
 وآخره باء موحدة ، نسبة إلى زِعْب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن
 بهثة بن سليم ، بطن مشهور من سليم ، وهذه زعب هي التي أخذت الحجاج
 سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، فهلك منهم خلق كثير قتلاً وجوعاً وعطشاً ،
 ثم إن الله تعالى رمى زِعْباً بالقلة والذلة بعده إلى الآن .

وَدْرَة : بضم الدال المهملة ، والدّرى : بفتحها وتشديد الراء وبعدها
 ألف مقصورة .

٨٥٠

أبو المحاسن الشوّاء

أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم
 المعروف بالشوّاء ، الملقب شهاب الدين ، الكوفي الأصل الحلبي المولداً
 والمنشأ والوفاة ؛ كان أديباً فاضلاً متقناً لعلم العروض والقوافي شاعراً ، يقع
 له في النظم معان بديعة في البيتين والثلاثة ، وله ديوان شعر كبير يدخل في
 أربع مجلدات ، وكان زيه علي زي الحلبيين الأوائل في اللباس والعمامة المشفوقة .
 وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن
 سعد الله بن سعيد بن سعد بن مقلّد المعروف بابن الجبراني الحلبي النحوي

١ الباب ١ : ٥٠٢

٨٥٠- ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ٢٣٧ قال : قصد الملك الناصر صلاح الدين مادحاً وبعده
 ولده الملك الظاهر غازي ثم الملك العزيز ولده ، ولم يكن ممن يرتزق بشعره على عادة الشعراء
 إلا يقوله تولماً ، وكانت نفسه ترفعه عن الاستجداء به والاستماعة ، وديوان شعره يحتوي
 على عشرين ألف بيت ؛ وانظر ابن العديم ٩ : ١٨٨ ، وإنباء الأمراء : ١٣٣ ومرآة
 الجنان ٤ : ٨٩ .

٢ س : الحلبي الدار .

اللغوي الفاضل ، وأكثر ما أخذ الأدب عنه وبصحبه انتفع ، وعاشر التاج
أبا الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش الحلبي^١ الشاعر المشهور زماناً ،
وتخرج عليه في عمل الشعر .

وكان بيني وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة وموانسة كثيرة ، ولنا
اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب ، وأنشدني كثيراً من شعره ،
وما زال صاحبي منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة إلى حين وفاته ،
وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدّره
بجامع حلب ، وكان يكثر التمشي في الجامع أيضاً على جاري عادتهم في ذلك
كما يعملون^٢ في جامع دمشق ، ولم يكن بيننا إذ ذاك معرفة . وكان حسن
المحاوره مليح الإيراد مع السكون والتأني وجميل التأني ، وأول شيء أنشدني
من شعره قوله :

هاتيك يا صاحِ رباً لعلع ناشدتك الله فعرّج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا فقد غدّت أهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفاً على الساكنِ أو عطفاً على الموضع

١ النقاش الحلبي : هو مسعود بن أبي الفضل بن أبي الحسين بن كامل بن أبي الفتح بن
أبي غانم بن أبي المجد بن أبي النار علي ، يعرف بابن فطيس ، لقبه سبط ابن الجوزي
سنة ٦٠٣ وأنشده مقطعات من شعره وكتبها له وأخبره أن مولده سنة ٥٤٠ ، وكان من
مداح الملك الأحمجد صاحب بعلبك ، قال سبط ابن الجوزي : وعهدي بالنقاش في سنة ٦٠٨
في الحياة ، وقدم دمشق في سنة ٦٠٩ وأنشد الجماعة قطعاً من قصائده وأفادهم من فرائد قوائمه ،
إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد ، وظاهره كالجليد والجماد ، ومن رآه نسه إلى البلاهة
وعدم الذكاء والفقاهة ، فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مثل الجمان (مرآة الزمان : ٥٣٠ -
٥٣١) وقد ترجم له الزركشي أيضاً في عقد الجمان (الورقة ٣٢٩ ب) وأثنى على شعره
وقال إنه وقف على ديوانه وهو في مجلدين ، قال : وكان من أكابر الشيعة ، ثم صار حنبلياً ،
وكان ينقش سكك الدراهم وغيرها ، أخذ الأدب عن التاج الكندي ومدح الملك المعظم
وطلب منه العماد الكاتب شيئاً من شعره ليضمه تصنيفه المسمى بذيّل الخريدة وسيل الخريدة
فاختار له ألف بيت من شعره ؛ توفي بحلب في شوال سنة ٦١٢ (باختصار) .

٢ س : يفعلون .

وأشدني لنفسه أيضاً :

ومهفهف عنيّ الزمان بخده فكساه ثوبيّ ليله ونهاره
لا مهدتْ عذري محاسنُ وجهه إن غضّ عندني منه غضّ عذاره
وأشدته يوماً في أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبي المحاسن
محمد المعروف بابن عنين الدمشقي - المقدم ذكره^١ - في صدر جهان المعروف
بابن مازه البخاري وقيل السرخسي^٢ :

مالُ ابن مازة دونه لعفاته خرطُ القتادةِ أو منال الفرقدِ
مالُ لزومُ الجمعِ يمنعُ صرفهُ في راحةٍ مثلِ المنادى المفردِ

فقال : هذا ليس بجيد ، فقلت له : ولم ذلك ؟ فقال : ليس من شرط
المنادى المفرد أن يكون مضموماً ، ولا بد ، فقد يكون المنادى مفرداً ولا
يكون مضموماً بأن يكون نكرة غير معين كما تقول : يا رجلاً ، ولكن أنا
أعمل في هذا شيئاً . ثم إننا اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال : قد عملت في
ذلك المعنى شيئاً فاسمعه ، ثم أنشد :

لنا خليل له خلال تُعربُ عن أصله الأخصّ
أضحتْ له مثلَ حيثُ كفّ وددت لو أنها كأمس

فقلت له : وهذا أيضاً فيه كلام ، فقال : وما هو ؟ فقلت : حيث فيها
لغات ، فمن العرب من يبينها على الضم ، ومنهم من يبينها على الفتح ، ومنهم
من يبينها على الكسر ، وفيها لغات آخر غير هذه ، وأما أمس فمنهم من
يبينها على الكسر ، ومنهم من يقول : إنها اسم معرب لكنه لا ينصرف ،
وأشددوا على هذه اللغة :

لقد رأيت عجباً مذ أمسا عجائزاً مثل السعالي خمسا

١ انظر ج ٥ : ١٤ .

٢ ديوانه : ٢٢١ ، وابن مازة هو محمد بن احمد بن عبد العزيز البخاري (ابن الاثير ،

حوادث ٦٠٣) .

هذا إذا كانت^١ معرفة ، فأما إذا كانت نكرة فإنها معربة قولاً واحداً ، فسكت .

وكان كثيراً ما يستعمل العربية في شعره ، فمن ذلك قوله ، ولا أدري هل أنشدني أم لا ، فانه أنشدني شيئاً كثيراً من شعره وما ضيبت كل ما أنشدني ، وكذلك كل شيء أذكره بعد هذا لا أتحقق الحال في سماعي منه ، فأورده مهملًا فمته :

وكتنا خمسَ عشرة في التثامِ على رِغمِ الحسودِ بغير آفَه
فقد أصبحتُ تنوياً وأضحى حبيبي لا تفارقه الإضافه

وله أيضاً في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر :

أرسل صدغاً ولوى قاتلي صدغاً فأعيا بهما واصفه
فخلتُ ذا في خدّه حيةً تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذا ألفٌ ليست لوصولٍ ، وذا واوٌ ولكن ليستِ العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب - المقدم ذكره^٢ - رحمه الله تعالى ، لنفسه من جملة أبيات وهو :

عسى عطفةٌ بالوصلِ يا واو صدغه عليّ فإني أعرف الواو تعطفُ

ولأبي المحاسن الشواء أيضاً قوله :

ناديتُ وهو الشمسُ في شهرة والجسمُ للخفيسة كالفية
يا زاهياً أعرف من مضمير صل واهياً أنكر من شيء

وله في المديح^٣ :

١ س : كانت أمس .

٢ انظر ج ٢ : ٣٣٢ .

٣ ابن شمار ١٠ : ٢٧٥ .

ففي فاق الورى كرمأ وبأسأ عزيزُ الجارِ مخضراً الجنابِ
ترى في السلم منه غيثَ جودِ وفي يوم الكريهة ليثَ غابِ
إذا ما سلَّ صارمه لحربِ أراك البرقَ في كف السحابِ
وله أيضاً في شخص لا يكتم السر:

لي صديقٌ غدا وإن كان لا ينطقُ إلا بغيبةٍ أو محالِ
أشبهُ الناس بالصدى إن تحدّثه حديثاً أعاده في الحالِ
وله أيضاً ٢ :

قالوا حبيبك قد تضرّعَ نشره حتى غدا منه الفضاءُ معطرا
فأجبتهم والحالُ يعلو خدّه أو ما ترون النارَ تحرقُ عنبرا

قلت : وقد تقدم في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي^٣ عدة مقاطيع من شعر
العماد المحلي وغيره وفيها إلام بهذا المعنى . ولأبي المحاسن أيضاً :

هواك يا من له اختيالُ ما لي على مثله اختيالُ
قسمةُ أفعاله لحيني ثلاثةٌ ما لها انتقالُ
وعدك مستقبل، وصبري ماضٍ، وشوقي إليك حال

وله أيضاً :

فديتُ بنفسي رأسَ عينٍ ومن فيها وبيضَ السواقي حول زرق سواقيها
إذا راقني منها جوارى عيونها أراق دمي منها عيونُ جوارياها
وله أيضاً :

إن كان قد حجبه عني غيرةٌ منهم عليه فقد قنعتُ بذكره

١ ابن شمار ١٠ : ٢٦٢ .

٢ ابن شمار ١٠ : ٢٥٠ .

٣ انظر ج ٦ : ٢٤٩ .

كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه
عنا فأغنى نشره عن نشره
وله في غلام قد ختن :

هنأت من أهواه عند ختانه
يفديك من ألم أتمّ بك امرؤ
أمعدي كيف استطعت على الأذى
لو لم تكن هذي الطهارة سنة
لفتكت جهدي بالميزن إذ غدا
قد سنّها من قبل إبراهيم
فجرحاً وقلبي قد عراه وجوم
يخشى عليك إذا ثناك نسيم
جلداً ، وأجزع ما يكون البريم ؟
في كفته موسى وأنت كلیم

ومعظم شعره على هذا الأسلوب ، وقد أوردت منه أنموذجاً فيه كفاية .
وكان من المغالين في التشيع .

وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلا بمحاسن الشواء ، والصواب فيه
هو الذي ذكرته ها هنا ، وأن اسمه يوسف ، وكنيته أبو المحاسن . وبعد هذا
رأيت في كتاب « عقود الجمان » الذي وضعه صاحبنا الكمال ابن الشعار
الموصلی ، وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف ، وكنيته أبو المحاسن ،
وكان صاحبه وأخذ عنه كثيراً من شعره ، وهو من أخبر الناس بحاله وأعلم
ذلك في وقته^٢ .

وكان مولده تقديراً في سنة اثنتين وستين وخمسائة ، فإنه كان لا يحقق
مولده . وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة ،
بحلب ، ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكية غربي البلد ، ولم أحضر الصلاة
عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت ، رحمه الله تعالى ، فلقد كان نعم الصاحب .

١ هامش س : خ للناس .

٢ وبعد هذا ... في وقته : لم يرد في س .

(395) وأما شيخه ابن الجبراني المذكور^١: فهو طائي بحري، وكان من قرية من أعمال عزاز، يقال لها جبرين قورسطايا، نسب إليها، هكذا أخبر عن نفسه، وكان متضلعا من علم الأدب، خصوصا اللغة فإنها كانت غالبية عليه، وكان متبحرا فيها، وكان له تصدر في جامع حلب في المقصورة الشرقية على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب يوم الجمعة. ولقد كنت يوماً قاعداً في هذه المقصورة، عند الدرايزن الذي إلى جهة الصحن، وإذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه، وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور، وجلس إلى المحراب الصغير الذي في هذه المقصورة، وهو موضع تصدره، فجعلت بالي من كلامه، وأنا في ذلك الوقت مشغل بالأدب، فسمعت يتكلم في قاعدة الأفعال الثلاثية التي أولها واو، وهي على فعل، بكسر العين، مثل وجل وغيره، وأن مضارعه فيه أربع لغات: يَوَجَل، وَيَسْجَل، وَيَاجَل، وَيِيَجَل، إلا ما شذ من الأفعال الثمانية التي هي: ورم، وورث، وورع، ووري، وومق، ووثق، ووفق، وولي، فإن مضارعه أيضاً بالكسر كماضيها، وشذ من ذلك قولهم: وَسِيعَ يَسَع، ووطيء يطاء، وإنما انفتح هذان الفعلان في المضارع لأجل حرفي الحلق، وأطال الكلام في ذلك بما لم أقدر على حفظه في ذلك الوقت، ولم أسمع منه غير هذا الفصل.

وكان مولده يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة، وتوفي يوم الاثنين سابع^٢ رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب، ودفن في سفح جبل جَوْشَن، رحمه الله تعالى.

١ ترجمة ابن الجبراني في بنية الوعاة: ١٧٢ وابن شمار ١: ٢٨١ وقال ابن شمار: كان رجلاً فاضلاً مقرئاً مجوداً عارفاً بعلوم القرآن العزيز واللغة والنحو معرفة جيدة، وذكره القفطي في كتاب النحاة من تصنيفه (قلت: لم يرد له ذكر في الإنباه المطبوع) وكان شديد الكلب للدنيا يدخل في دنيا الأمور ويعامل المعاملات المخالفة للشرية، ويحتمل من ضيق العيش والمأكل والمشرب والملبس ما لا يوجد من مثله، إلى أن حصل له جملة من الدنيا ما انتفع بها، وخلفها لولده، وكان بخيلاً بما عنده فما استفاد منه أحد، ولا صار له تلميذ معروف، وكان إذا لوحح في السؤال تضجر وتشيط لضيق عطنه.

٢ ابن شمار: سابع عشر.

البياسي صاحب الحماسة

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي ، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين ؛ كان أديباً بارعاً فاضلاً ، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر ، وراوياً لوقائعها وحروبها وأيامها ، بلغني أنه كان يحفظ كتاب « الحماسة » تأليف أبي تمام الطائي ، والأشعار الستة ، وديوان أبي تمام المذكور ، وديوان أبي الطيب المتنبي ، و « سقط الزند » ديوان أبي العلاء المعري ، إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهلية والإسلام.

وتنقل في بلاد الأندلس وطاف بأكثرها . ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس ، جمع للأمير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر ، صاحب إفريقية ، رحمهم الله أجمعين ، كتاباً سماه « الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام »^١ ابتداء فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية — وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا ، واستوفيت القصة في الترجمتين^٢ — ورأيت هذا الكتاب وطالعت ، وهو في مجلدين ، أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن .

٨٥١ - ترجمته في اختصار القدح : ٩٤ والنضح ٣ : ٣١٦ ، ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٧٣

وبنية الوعاة : ٣٢٤ ومراة الجنان ٤ : ١٢٩ .

١ بقيت من هذا الكتاب قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية .

٢ انظر ج ٦ : ٣١ ، ٣٢٧ .

ورأيت له أيضاً كتاب « الحماسة » في مجلدين ، وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه ، كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة ، وقال في آخر الكتاب : وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس ، حرسها الله تعالى ، في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ؛ ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله : أما بعد فإني قد كنت في أوان حدائتي وزمان شيبتي ، ذا ولوع بالأدب ومحبة في كلام العرب ، ولم أزل متتبِعاً لمعانيه ، ومفتشاً عن قواعده ومبانيه ، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ، ولا يصلح الناظر في هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها ، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب : جاهليها ونحضرمها وإسلاميها ومولدها ، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ، ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة . ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها ، وديوان يؤلفها ، مؤذناً بذهاياها وموئداً إلى فسادها ، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها ، تحت أبواب تقيد نأفرها وتضم نادرها ، ونظرت في ذلك ، فلم أجد أقرب تبويب ، ولا أحسن ترتيب ، مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب « الحماسة » وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه ، لتقدمه في هذه الصناعة ، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة ، فاتبعته في ذلك مذهبه ونزعت منزعه ، وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه^١ ونقحت ذلك ، واخترته على قدر استطاعتي ، وبلوغ جهدي وطاقتي .

قلت : وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا إلى ذكره . ونقلت منه شيئاً ، فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي : قال أبو علي القالي البغدادي ، أنشدنا أبو بكر ابن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم السجستاني^٢ :

ألا في سبيلِ اللهِ ماذا تضمّنتُ بطونُ الثرى واستودعَ البلدُ الفقرُ

١ إلى هنا ينتهي ما هو مقيد بخط المؤلف ، رحمه الله ، وكل ما يجيء من بعد حتى نهاية الكتاب فإنه ليس بخطه ، وقيمته في ذلك قيمة سائر النسخ التي اعتمدها في التحقيق .

٢ الأمالي ٢ : ١١٥ .

يدور إذا الدنيا دجت أشرفت بهم وإن أجديت يوماً فأيديهم القطر
 فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخرٌ وموتهم ذكر
 حياتهم كانت لأعدائهم عمى وموتهم للفاخرين بهم فخر
 أقاموا بظهر الأرض فاحضرت عودها
 وصاروا بطن الأرض فاستوحش الطهر^١

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الأحنف^٢ - المقدم ذكره^٣ - :

تحمل عظيم الذنب من نجه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
 فانك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنتك راغم

وقول الوأواء دمشقي ، هكذا قال ، وغالب ظني أنها لأبي فراس ابن
 حمدان ، والله أعلم^٤ :

بالله ريكما عوجا على سكي وعاتباه لعل العتب يعطفه
 وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تلتفه
 فإن تبسم قولا في ملاطفة ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
 وإن بدا لكما من سيدي غضب^٥ فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون^٥ :

تعلقت ليلي وهي بكر^٦ صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
 صغيرين فرعى البهيم^٦ يا ليت أننا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهيم

البهيم : الصغار من أولاد الضأن ، الواحدة بهيمة ، بفتح الباء الموحدة

١ سقط البيت من س .

٢ ديوانه : ٢٤٣ .

٣ انظر ج ٣ : ٢٠ .

٤ انظر ديوان الوأواء : ١٤٦ .

٥ ديوان المجنون : ٢٣٨ .

٦ س : غر .

وسكون الهاء . وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال^١ من الفاعل والمفعول به معاً بلفظ واحد ، فان « صغيرين » انتصب على الحال من البناء في قوله « تعلقت » وهي فاعلة ، ومن ليلي ، وهي مفعولة ، ومثله قول عنرة العبي^٢ :

متى ما تلقني فردين ترَجُفُ روائفُ ألبتيك وتستطارا

نصب « فردين » على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في « تلقني » ، ذكره ابن الأباري في كتاب « أسرار العربية » في باب الحال^٣.

وقال الوأواء دمشقي أيضاً، ذكره في حماسته البياسي المذكور أيضاً^٤:

وزائرٍ راع كلَّ الناس منظرُهُ أحلى من الأمن عند الخائفِ الوجلِ
ألقى على الليل لَيْسلاً من ذوائبه فهابه الصبح أن يبدو من الحجلِ
أراد بالقتل هجري فاستجرتُ به فاستلَّ بالوصلِ روحي من يدي أجلي
فصرتُ فيه أميرَ العاشقين فقد صارت ولايةُ أهل العشق من قبلي

وقال علي بن عطية البنسي ابن الزقاق^٥ :

ومرتجة الأعطاف أما قوامها فلدنٌ وأما ردفها فَرَدَّاحٌ
ألمتُ فباتَ الليل من قصرِها يطيرُ وما غير السرور جناح
وبتَ وقد زارتُ بأنعمِ ليلةٍ تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائلٌ وفي خصرها من ساعديَّ وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن النبي اليعمري - قلت :

١ س : الفعل ؛ وهو خطأ .

٢ ديوان عنرة : ٧٥ .

٣ انظر أسرار العربية : ١٩٠ - ١٩١ .

٤ ديوان الوأواء : ١٨٠ .

٥ ديوان ابن الزقاق : ١٢٩ .

هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب^١ - وكان قد أخرجه صاحب ميورقة ، وسيره في البحر ، فساروا يومهم ، فهبت عليهم الريح فردتهم فقال :

أحببتنا الأولى عتبوا علينا فأقصونا وقد أزيف الوداعُ
لقد كنتم لنا جدلاً وأنساً فهل في العيش بعدكم انتفاع ؟
أقولُ وقد صدرنا بعدَ يومٍ أشوقُ بالسفينةِ أم نزاع
إذا طارت بنا حامت عليكم كأنّ قلوبنا فيها شرع

وقال الواثق بالله وله فيه غناء :

ما كنت أعرف ما في البين من حزنٍ حتى تنادوا بأنّ قد جيء بالسفنِ
قامت تودعني والدمعُ يغلبها فجمجت بعضاً ما قالت ولم تبين
مالت عليّ تفديتي وترشفي كما يميلُ نسيمُ الريحِ بالغصنِ
فأعرضت ثم قالت وهي باكية : يا ليت معرفتي إياك لم تكن

وأورد في باب القرى والأضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي^٢ :

عجياً لمن طلب المحاسن مدّ وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله للمجد لم يبسط يديه
لم لا أحبّ الضيف أو أرتاحُ من طرب إليه
والضيفُ يأكل رزقه عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال حين كف بصره^٣ :

١ انظر ما تقدم من : ١٣٢ .
٢ المختار : ابن الحجاج الميورقي ؛ وانظر الأبيات في النسخ ٣ : ٥٩٦ والمغرب ٣ : ٢٨٠ .
والقلائد : ١٤٢ .
٣ نكت الحميان : ٧١ .

إن يأخذ الله من عيني نورهما
 قلبي ذكي وذهني غير ذي دَخَلٍ
 وفي فمي صارم كالسيف مطرور
 ففي لساني وقلبي منهما نورُ
 وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لأبي العالية أحمد بن مالك
 الشامي^١:

أذم بغدادَ والمقام بها
 ما عند أملاكها لمرتبب
 خلوا سبيل العلى لغيرهم
 يحتاجُ راجي النجاح عندهم
 كنوزُ قارونَ أن تكون له
 وعمرُ نوحٍ وصبرُ أيوبِ
 من بعد ما خيرةٍ وتجريبِ
 رُفد ولا فرجةٌ لمكروبِ
 ونازعوا في الفسوق والحبوبِ
 إلى ثلاثٍ من بعد تقريبِ

وأُشيد أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأبي العتاف الكوفي صالح بن
 عبد الرحمن بن نشيط :

يا ابن الوليدِ ابنُ لنا
 مالي أراك مسيباً
 إن البيانَ له حدودُ
 أين السلاسلُ والقيودُ
 أغللاً الحديدَ بأرضكم
 أم ليس يَضِيطُكَ الحديدُ

قلت : إلى هنا نقلت من كتاب « الحماسة » المذكور ، وفيه كفاية ،
 إذ كان الغرض إيراد شيء من أخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته
 في الشعر .

وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث
 وسبعين وخمسائة . وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين
 وستمائة ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

والبياسي : بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها ، هذه النسبة

١ وردت الأبيات في معجم البلدان ١ : ٦٩١ دون نسبة وجاء بعدها ص ٦٩٢ أبيات أخرى
 لأبي العالية في ذم بغداد .

إلى بياسة^١ ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان ، هكذا
قاله ياقوت الحموي في كتابه «المشترك وضعا»^٢ .

٨٥٢

يونس بن حبيب

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي ؛ قال أبو عبيد الله المرزباني
في كتابه «المقتبس في أخبار النحويين»^٣ : هو مولى ضبة ، وقيل هو مولى
بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل مولى بلال بن هرمي من بني
ضبيعة بن بجالة ، وهو من أهل جبل ، ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين
وثمانين ومائة ، وكان يقول : أذكر موت الحجاج ، وقيل مولده سنة ثمانين
وإنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وستين ، وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة .
وقال غير المرزباني : أخذ يونس الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد
ابن سلمة ، وكان النحو أغلب عليه ، وسمع من العرب ، وروى سيبويه عنه
كثيراً ، وسمع منه الكسائي والقراء ، وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد
بها ، وكان من الطبقة الخامسة في الأدب ، وكانت حلقتة بالبصرة ينتابها الأدباء
وفصحاء العرب وأهل البادية .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : اختلفت إلى يونس أربعين سنة

١ بياسة Baeza : تقع على مسافة عشرين ميلا من جيان وتطل على النهر الكبير .

٢ المشترك : ٧٣ .

٨٥٢ = ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٦٤ والفهرست : ٤٢ وصفحات متفرقة من المزهر
وطبقات الزبيدي : ٤٨ ومراتب النحويين : ٢١ والبيان والتبيين ١ : ٧٧ ومرآة الجنان
١ : ٣٨٨ وبغية الوعاة : ٤٢٦ ونزهة الألباء : ٣١ والمعارف : ٥٤١ وتهذيب
التهذيب ٥ : ٣٤٦ .

٣ انظر نور القبس : ٤٨ - ٥٥ .

أملأ كل يوم ألواحى من حفظه . وقال أبو زيد الأنصاري النحوي :
جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر
عشرين سنة . وقال يونس ، قال لي روبة بن العجاج : حتام تسألني عن هذه
البواطل ، وأزخرها لك ؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟

وليونس من الكتب التي صنفها كتاب « معاني القرآن الكريم » وكتاب
« اللغات » وكتاب « الأمثال » وكتاب « النواهد » الصغير . وقال إسحاق بن
إبراهيم الموصلي : عاش يونس مائة سنة وستين ، وقيل عاش ثمانياً وتسعين
سنة ، وقيل ثمانياً وثمانين سنة ، لم يتزوج ولم يتسر ، ولم تكن له همة إلا طلب
العلم ومحادثة الرجال .

وقال يونس : لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت أن أقول إلا مثل قول
عدي بن زيد العبادي :

أيها الشامت المعير بالدهسر أنت المبرأ الموفور

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات سائرة بين الأدباء فيها مواظ وعبر ،
وبعد هذا البيت :

أم لديك العهد القديم من الأيام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون أخلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك السروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجلة تجبي إليه والخابور
شاده مرمراً وجله كنسناً فللطير في ذراه وكور
لم يبهه صرف الزمان فباد السمك عنه فباه مهجور
وتفكر رب الخورنق إذا أشرف يوماً وللهدى تفكير

سره^١ ملكه وكثرة ما يملك^٢ والبحر^٣ معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبطة^٤ حيّ إلى الممات^٥ يصير
ثم بعد الفلاح والملك^٦ والأمة وارثهم^٧ هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق^٨ جفّ فألوت^٩ به الصبا والدبور

قلت : وهذه الأبيات تحتاج إلى تفسير طويل^١ ، ولو شرعت فيه لطلال
الكلام وخرجنا عن المقصود ، فان أكثرها يتعلق بالتاريخ ، وفيها شيء يتعلق
بالأدب ، فاقصرت على الإتيان بالغرض^٢ وتركت الباقي خوفاً من الإطالة ،
فلعل الشرح يدخل في أربع خمس كراريس ، وليس هذا موضعه .

وروى محمد بن سلام الجهمي عن يونس أنه قال : ما بكت العرب
على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه ، فاتبع هذا الكلام
منصور النمري^٣ فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هارون الرشيد بيتاً وهو^٤ :

ما كنت أوفي شبابي كُنْهَ غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع^٥

وقال يونس : تقول العرب : فرقة الأحباب سقم الألباب ، وأنشد :

شيثان لو بكتِ الدماءَ عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشارَ من حقيهما شرحُ الشباب وفرقةُ الأحباب

وقال يونس : لم يقل لبيد في الإسلام سوى بيت واحد وهو :

-
- ١ س : غره .
٢ طويل : سقطت من س .
٣ س : الأبيات بالعرض .
٤ هو أبو الفضل منصور بن سلمة بن الزبيرقان من رأس العين ، وهو من فحولة المحدثين
(انظر طبقات ابن المعتز : ٢٤٢ وتاريخ بغداد : ١٣ : ٦٥ والأغاني : ١٣ : ١٤٠) وقد
مر ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد : ٦ : ٣٤٠ .
٥ ورد البيت في طبقات ابن المعتز : ٢٤٥ ، وهو من قصيدة مطلمها :
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

الحمد لله إذ لم يأتيني أجلي حتى لبستُ من الإسلام سربالاً

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قدم جعفر بن سليمان العباسي من عند المهدي الخليفة ، فبعث إلى يونس بن حبيب فقال له : أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت^٢ :

والشيبُ ينهضُ في السواد كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهاراً

فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل الليل الذي تعرف ، والنهار النهار الذي تعرف ، فقال : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى ، فقال أبو عبيدة : القول في البيت ما قاله يونس ، والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وقال يونس : كان جبلة بن عبد الرحمن^٣ يخرج إلى طباخه الرقاع يستدعي بها الطعام ، وفيها الألفاظ الغريبة الحوشية ، فلا يدري الطباخ ما فيها ، حتى يمضي بها إلى ابن أبي إسحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الألفاظ ، فإذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه ، فقال له يوماً : ويحك ، إنني أصوم معك ، فقال له الطباخ : سهل كلامك حتى يسهل طعامك ، فيقول : يا ابن اللخناء أفأدع عربيتي لعيك ؟

وكان يونس من أهل جبَل ، وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط ، وكان لا يؤثر أن ينسب إليها ، فلقبه رجل من بني أبي عمير فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبَل أنتصرف أم لا ؟ فشمته يونس . فالتفت العميري فلم ير أحداً يشهده عليه ، حتى إذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميري فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبَل ، أنتصرف أم لا ؟ فقال له يونس : الجواب ما قلته لك أمس .

١ راجع مقدمة ديوان ليبي ، ففيها مناقشة تدحض هذا القول .

٢ البيت للفرزدق ، ديوانه ١ : ٣٧٢

٣ ورد عند الطبري (٢ : ١٤٥٨) اسم جبلة بن عبد الرحمن مولى باهلة وأنه ولي كرمان (حوادث سنة ١٠٤) .

وجبل : بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ، كذا قاله الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ .

وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور^٢ ، ومن شعره قوله :
كم جيتُ نحوك مهتمهاً لو لم يعنُ شوقي عليه لما قلت أجوبهُ
وركبتُ أخطاراً إليك مخوفةً ولحبذا خطرٌ إليك ركوبه

قال السمعاني : وتوفي أبو الخطاب المذكور في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وكان بيته وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، وكتب إليه أبو العلاء قصيدته التي أولها :

غير مجد في ملي واعتقادي

قلت : وهذا غلط منه ، بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي منبج ، كان ، وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي^٣ .

وحبيب : اسم أمه ولهذا لا يصرّفونه ، فإنه لا يعرف له أب ، ويقال إنه ولد ملاءنة ، ويقال إنه اسم أبيه فينصرف ، والله أعلم ، وكذلك محمد ابن حبيب النسابة أيضاً .

ودخل يونس المسجد يوماً وهو يتهدّأ بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه في مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، فقال :

١ الأنساب ٣ : ١٩٥ .

٢ هو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي (ياقوت : جبل) ؛ وقد أورد ياقوت ما ذكره ابن السمعاني حول إرسال قصيدة أهبي العلاء له ، وهو ما استدركه المؤلف والصحيح أن الجبلي ملح أبا العلاء فأجابه أبو العلاء بقصيدة مظلما : (شروح السقط : ١٥٣) أشفقت من عبه البقاء وعابه وملكت من أري الزمان وصابه

وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٣ : ١١١ وابن الأثير ٩ : ٥٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٤٤ .
٣ وهذه جبل ... الحلبي : لم يرد في س ؛ قلت : وانظر بنية الطلب ٤ : ٢٦٣ وقد توفي الفقيه قبل الأربعمائة .

هو الذي ترى ، لا بلغته ، فأخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه .
 وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى : مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس
 لا يدخله شيء إلا بصسر ، فإذا دخله لم يخرج منه ، يعني أنه لا ينسى شيئاً .
 وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في أول الترجمة ، وقيل إنه توفي سنة
 ثلاث وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ، وقال عبد الباقي بن قانع : سنة أربع
 وثمانين ومائة ، والله أعلم . وقيل إنه عاش ثمانياً وتسعين سنة ، رحمه
 الله تعالى .

٨٥٣

يونس بن عبد الأعلى الصديقي

أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان ،
 الصديقي المصري الفقيه الشافعي ؛ أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه ،
 والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له ، وكان كثير الورع متين الدين ،
 وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم ، لم يشاركه في زمانه في هذا
 أحد - وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد
 ابن يونس^١ ، وهو المنجم المشهور ، صاحب الزيج ، وكل واحد منهما إمام
 في فنه - .

٨٥٣ - ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ : ٤٤٠ وغاية النهاية ٢ : ٤٠٦ وطبقات السبكي
 ١ : ٢٧٩ والانتقاء : ١١١ ومرآة الجنان ٢ : ١٧٦ وطبقات الشيرازي : ٩٩ وطبقات
 المبادي : ١٨ وابن قاضي شهبة : ٤٦ والاسنوي ١ : ٣٣ والمبر ٢ : ٢٩ والحسيبي : ٧
 والشذرات ٢ : ١٤٩ والباب (الصديقي) .
 ١ انظر ج ٣ : ١٣٧ .

وأخذ يونس القراءة عرضاً عن ورش وسقلاب بن شببة ومعلي بن دحية^٢،
عن نافع وعن علي بن أبي كيسة^٣ عن سليم^٤ عن حمزة بن حبيب الزيات. وسمع
سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري. وروى القراءة عنه مواس بن
سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن إسحاق بن خزيمة^٥ ومحمد
ابن جرير الطبري وغيرهم. وكان محدثاً جليلاً.

وذكره أبو عبد الله القضاعي في كتاب «خطط مصر»، فقال: كان
من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء، يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه
قال: ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى. وصحب الشافعي
وأخذ عنه الحديث والفقهاء، وحدث بهما عنه جماعة، وله حُبُس في ديوان
الحكم وعقب، وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه،
وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين، وكان أحد الشهود بمصر، أقام شاهداً
ستين سنة. وذكر غير القضاعي أن يونس بن عبد الأعلى روى عنه الإمام
مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله ابن ماجه
 وغيرهم.

وقال أبو الحسن ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر»: إن القاضي
بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه إليها من بغداد لقي في طريقه محمد
ابن الليث، قاضي مصر كان قبله، بالخفار خارجاً من مصر إلى العراق
مصرفاً، فقال له بكار: أنا رجل غريب، وأنت قد عرفت البلد فدلني
على من أشاوره وأسكن إليه، فقال له: عليك برجلين: أحدهما عاقل وهو

١ في س: ابن أبي شينة، ق ع: ابن شينة؛ ر: سنية؛ وفي غاية النهاية (١: ٣٠٨)
سقلاب بن شببة أبو سعيد المصري، مات سنة ١٩١.

٢ معل بن دحية بن قيس أبو دحية المصري (غاية النهاية ٢: ٣٠٤).

٣ علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن الكوفي نزيل مصر، توفي سنة ٢٠٢ (غاية النهاية ١: ٥٨٤).

٤ هو سليم بن عيسى بن سليم الكوفي (غاية النهاية ١: ٣١٨).

٥ مواس بن سهل أبو القاسم المعافري المصري (غاية النهاية ٢: ٣١٦) ومحمد بن الربيع
الجزيري (٢: ١٤٠) وأسامة بن أحمد بن عبد الرحمن التجيبي (١: ١٥٥) ومحمد بن
إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢: ٩٧).

يونس بن عبد الأعلى ، فاني سعت في دمه فقدر عليّ فحقن دمي ، والآخر أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد . فقال له بكار : صف لي الرجلين فقال له : أما يونس فرجل طوال أبيض ، ووصفه ووصف موسى . فلما دخل بكار مصر ودخل الناس إليه دخل شيخ فيه صفة يونس ، فرفعه بكار وأقبل يحدثه ، ويقول : يا أبا موسى في كل حديثه ، فبينما بكار كذلك إذ قيل له : قد جاء يونس ، فأقبل على الرجل وقال له : يا هذا من أنت ؟ وما سكوتك كذا لو أفشيت إليك سرأ لي ! ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه ، وأناه موسى بن عبد الرحمن فاخصص بهما وأخذ رأيهما .

وقيل إن موسى المذكور اخصص به القاضي بكار ، وكان يتبرك به لزهده ، فقال له يوماً : يا أبا هارون من أين المعيشة ؟ قال : من وقف وقفه أبي ، فقال له بكار : أيكفيك ؟ قال : قد تكفيت به ، وقد سألتني القاضي فأريد أن أسأله ، قال : سل ، قال : هل ركب القاضي ديناً بالبصرة حتى تولى بسببه القضاء ؟ قال : لا ، قال : فهل رزق ولدأ أحوجه إلى ذلك ، قال : لا ، ما نكحت قط ، قال : فهل لك عيال كثيرة ؟ قال : لا ، قال : فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك ؟ قال : لا ، قال : فضربت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة ، لله عليّ لادخلتُ عليك أبدأ . فقال : يا أبا هارون أقلني ، قال : أنت بدأت بالمسألة ، ولو سكت لسكت . ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها .

وقال يونس : رأيت في المنام قائلاً يقول لي : إن اسم الله الأكبر « لا إله إلا الله » .

ونقلت من كتاب « المنتظم في أخبار من سكن المقطم » قال في ترجمة يونس المذكور : ومن حكاياته التي حكاها عن غيره ، أن رجلاً جاء إلى نحاس ، فقال له : أسلفني ألف دينار إلى أجل ، فقال له النحاس : من يضمن المبلغ ؟ قال : الله تعالى ، فأعطاه ألف دينار ، فسافر بها الرجل

يتجراً ، فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه ، فحبسه عدم الريح ، فعمل تابوتاً وجعل فيه ألف دينار ، وأغلقه وسمره وألقاه في البحر ، فقال : اللهم هذا الذي ضمنت لي ، فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال ، فرأى سواداً في البحر فقال : ابتوني بهذا ، فأني بالتابوت ففتحه ، فاذا فيه ألف دينار .

ثم إن الرجل جمع ألفاً بعد ذلك ، وطابت الريح ، فجاء إلى النحاس وسلم عليه ، فقال له النحاس : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب الألف ، هذه ألفك ، فقال النحاس : لا أقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها ، فأخبره بالذي صنع ، وأن الريح لم تطب ، فقال له النحاس : قد أدى الله عز وجل عنك الألف ووصلت .

وله أخبار كثيرة ، وروايات ماثورة . وكان يونس يزوي للشافعي رضي الله عنه :

ما حكَ جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت جميعَ أمرك
وإذا قصدتَ حاجةً فاقصدْ لِعِرفِ بقدرِكَ

وقال يونس : قال لي الشافعي رضي الله عنه : يا يونس ، دخلت بغداد ؟ قلت : لا ، قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

وقال يونس : سمعت من الشافعي كلمة لا تسمع إلا من مثله ، وهي « رضي الناس غاية لا تدرك ، فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه » .

وقال علي بن قديد : كان يونس بن عبد الأعلى يحفظ الحديث ويقوم به . وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي فقال : هو ثقة ؛ وقال غيره : ولد يونس في ذي الحجة سنة سبعين ومائة ، وتوفي يوم الثلاثاء ليومين

١ س : ليتجر .
٢ س : فاذا هو بألف .

بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين ، وهي السنة التي مات فيها المزني رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بمصر ، ودفن بمقابر الصدف ، وقبره مشهور بالقرافة .

(396) وأما أبوه عبد الأعلى فإنه يكنى أبا سلمة، وكان رجلا صالحاً، ومن كلامه : من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه ، وقال ولده يونس : والأمر عندي كما قال . وتوفي عبد الأعلى المذكور في المحرم سنة إحدى ومائتين ، ومولده سنة إحدى وعشرين ومائة .

(397) وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس، والد أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد صاحب « تاريخ مصر » ، فإن ابنه أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر في تاريخه أنه ولد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلاثمائة ، وقال : هو عديد للصدف ، وليس من أنفس الصدف ، ولا من مواليهم .

والصدفي : بفتح الصاد والذال المهملتين وبعدهما فاء ، هذه النسبة إلى الصدف ، بكسر الدال ، وذكر السهيلي أنه بكسر الدال وفتحها ، وإنما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كي لا يوالوا بين كسرتين قبل ياعين كما قالوا في النسبة إلى النمر نمري وغير ذلك . واختلفوا في اسم الصدف فقيل : هو مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس ، هكذا قاله القضاعي في كتاب « الخطط » وزاد السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ على هذا النسب ، فقال : الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع ابن حمير بن سبأ ، وقال الدارقطني : واسم الصدف شهال^٢ بن دعمي بن زياد بن حضرموت ، وقال الحازمي في كتاب « العجالة في النسب »^٣ : هو

١ الباب ٢ : ٥١ .

٢ س ر : سهال .

٣ العجالة : ٨٠ .

عمرو بن مالك والله أعلم . وقال القضاعي : دعوتهم مع كندة ، وإنما سمي الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم ، فأجمعوا على ردمه ، فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف . وقيل إنما سمي الصدف لأنه كان رجلاً شجاعاً لا يدعن لأحد من العرب ، فبعث إليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه ، فعدا على الرسول فقتله وخرج هارباً ، فبعث الملك إليه رجلاً في خيل عظيمة ، فكان كلما جاء حياً من أحياء العرب سأل عن الصدف ، فيقولون : صدف عنا ، وما رأينا له وجهاً ، فسمي الصدف من يومئذ ، ثم لحق بكندة فترل فيهم ، قال أرباب علم النسب : أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب ، والله أعلم .

قلت : قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة .

٨٥٤

رضي الدين الإربلي

أبو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائد بن كعب بن قيس ، الملقب رضي الدين الإربلي ، والد الشيخين عماد الدين أبي حامد محمد ، وكمال الدين أبي الفتح موسى - وقد تقدم ذكرهما - قلت : هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ، ولم أعلم من أين له هذه الزيادة ، والذي أعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه ، والله أعلم .

كان الشيخ يونس المذكور من أهل إربل ومولده بها ، وقدم الموصل

٨٥٤ - ترجم له الاسنوي ٢ : ٥٦٩ وابن قاضي شهبة : ١٤٨ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار .

١ انظر ج ٤ : ٢٥٣ ، ٥ : ٣١١ .

فتفقه بها على تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي الجهني - المقدم ذكره^١ - وسمع عليه كثيراً من كتبه ومسموعاته ، ثم انحدر إلى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ، ثم أصدع إلى الموصل وتديراً وصادف بها قبولاً تاماً عند المتولي بها الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك العظيم مظفر الدين صاحب إربل - المقدم ذكره في حرف الكاف^٢ - وفوض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره إليه ، فكان يدرس ويفي وينظر ، وتقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ، ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة إلى أن توفي بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة . وسمعت بعض خواصهم يقول : توفي سنة خمس وسبعين . وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول : بل توفي سنة ست وسبعين ، وهو أعلم بذلك . ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور ، رحمه الله تعالى ، وكان عمره ثمانياً وستين سنة .

وقد تقدم ذكر حفيده أيضاً شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور^٣ ، رحمهم الله تعالى . وعلى الجملة فإنه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء ، وانفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم ، وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها ، رحمهم الله تعالى أجمعين^٤ .

وله شعر ، فمن ذلك قوله :

لها زَوْرَةٌ في كلِّ عامٍ وتارةٌ
على خلقِ الدنيا تجودُ وتمنعُ
وصالٌ وصدلٌ لا شيءٌ سوى أنها
وله غير ذلك ، والله أعلم .

١ ج ٢ : ١٣٩ .

٢ ج ٤ : ١١٣ .

٣ ج ١ : ١٠٨ .

٤ هنا تنتهي الترجمة في س .

يونس المخارقي

يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي ، شيخ الفقهاء اليوسية ، وهم منسوبون إليه ومعروفون به ؛ كان رجلاً صالحاً وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا : لم يكن له شيخ ، بل كان مجنوباً ، وهم يسمون من لا شيخ له بالمجنوب ، يريدون بذلك أنه جُذِبَ إلى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات .

أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد، كان قد رآه وهو صغير ، وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه ، فقال : كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ، فترلنا في الطريق على عين بوار ، وهي التي يجلب منها الملح البواري ، وهي بين سنجار وعانة ، قال : وكانت الطريق مخوفة ، فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلت له : كيف قدرت تنام ؟ فقال لي : والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتذكر القُفْل . فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس .

قال : وعزمت مرة على دخول نصيبين ، وكنت عند الشيخ يونس في قريته ، فقال : إذا دخلت البلد فاشتر لأم مساعد كفنأ ، قال : وكانت في عافية ، وهي أم ولده ، فقلت له : وما بها حتى نشتر لها كفنأ ؟ فقال : ما يضر ، فذكر أنه لما عاد وجدها قد ماتت . وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات .

٨٥٥ - انظر ترجمته في مرآة الجنان ٤ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٨٧ والدارس ٢ : ٢١٣ ، ولم ترد هذه الترجمة في النسخة س ؛ وذكر في ر أن هذه الترجمة توجد في بعض النسخ في آخر الكتاب وربما عني أنها قد وضعت هناك بعد الخاتمة ، وقد وردت في المختار وهذا يدل على أنها من عمل المؤلف . وذكر المقرئ في الخطط ٢ : ٤٣٥ أن الشيخ يونس توفي سنة ٧١٩ ، ولعله سبق قلم ، إذ لا يمكن أن يكون من يترجم لم ابن خلكان ، وقد علق الشيخ نصر الموريني بحاشية الطبعة البولاية بأن ما جاء في المقرئ خطأ محض .

وأشدد له مواليا ، وهو :

أنا حميت الحمى وانا سكنتو فيه وأنا رميت الخلائق في بحار التيه
من كان يبغى العطا مني أنا أعطيه أنا فتي ما أداني من به تشبيه

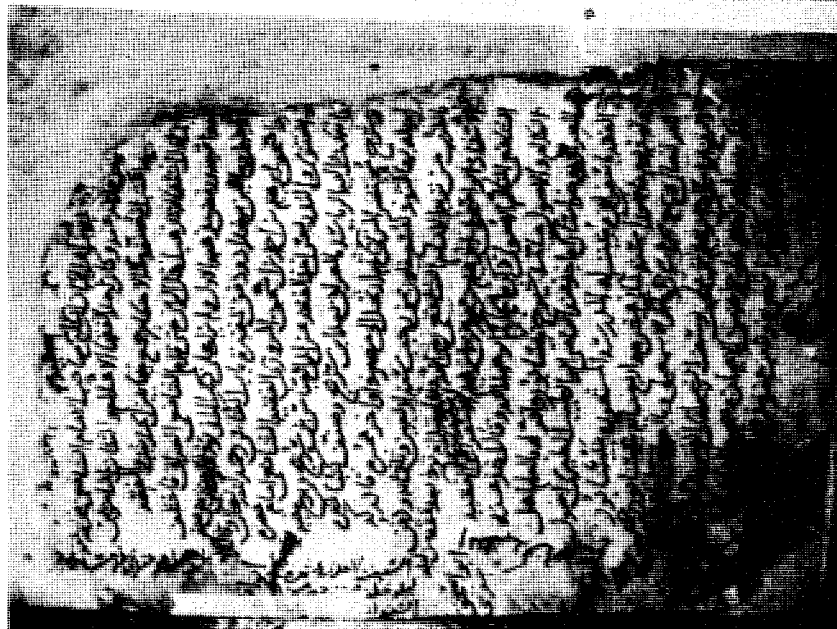
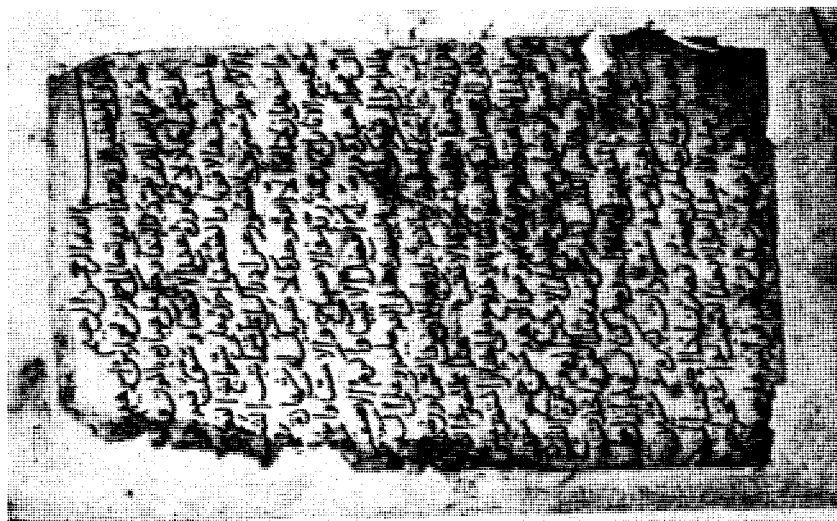
وذكر لي الشيخ محمد المذكور أن الشيخ يونس توفي سنة تسع عشرة
وستمائة في قريته، وهي القُنَيْبَة من أعمال دارا، وهي بضم القاف وفتح النون
وتشديد الياء المثناة من تحتها ، تصغير قناة ، وقبره مشهور بها يزار ، وكان
قد ناهز تسعين سنة من عمره ، رحمه الله تعالى .

قال المصنف ما مثاله : نَجَزَ الكتاب الذي سميته « وفيات الأعيان ،
وأبناء أبناء الزمان » بحمد الله ومنه ، وذلك في يوم الاثنين العشرين من جمادى
الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة .

يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان
مؤلف هذا الكتاب : إنني كنت قد شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور
في أوله على الصورة التي شرحتها هناك ، مع استغراق الأوقات في فصل
القضايا الشرعية والأحكام الدينية بالقاهرة المحروسة ، فلما انتهيت فيه إلى
آخر ترجمة يحيى بن خالد ابن برمك حصلت لي حركة إلى الشام المحروس
في خدمة الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي المفاخري المؤيدي
المنصوري الغياثي المنعمي المحسني الملكي الظاهري ، ركن الدنيا والدين ،
سلطان الإسلام والمسلمين ، أبي الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، خلد الله
سلطانه ، وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه ، وكان الخروج
من القاهرة المحروسة يوم الأحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ،
ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة ، وقلدني
الأحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ،
فراكت الأشغال ، وكثرت الموانع الصارفة عن إتمام هذا الكتاب ،
فاقتصرت على ما كنت قد أثبتته من ذلك ، وختمت الكتاب ، واعتذرت
في آخره بهذه الشواغل عن إكماله وقلت : إن قدر الله تعالى مهلة في
الأجل وتسهيلا في العمل ، أستأنف كتاباً يكون جامعاً لجميع ما تدعو
الحاجة إليه في هذا الباب .

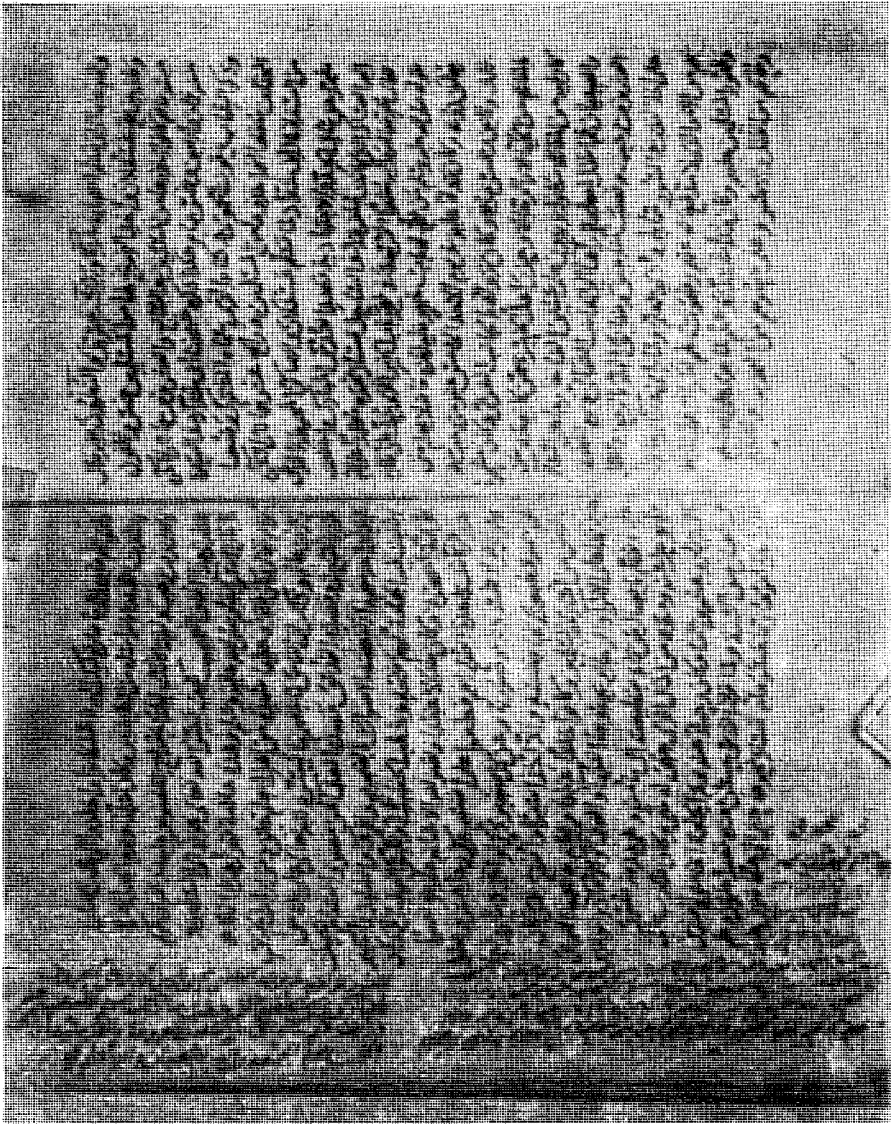
ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، فاني دخلتها في التاريخ المذكور ، وخرجت منها بكرة نهار الخميس ثامن ذي القعدة من سنة تسع وستين وستمائة . فلما وصلت إلى القاهرة صادفت بها كتباً كنت أوتر الوقوف عليها ، وما كنت أتفرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجاج ساباط بعد أن كنت أشغل من ذات النحيين^١ ، كما يقال في هذين المثليين ، طالعت تلك الكتب ، وأخذت منها حاجتي ثم تصديت لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة ، وأنا على عزم الشروع في الكتاب الذي وعدت به إن قدر الله تعالى ذلك ، والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية إليه ، فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ، ورأى فيه شيئاً من الخلل ، فلا يعجل بالمؤاخذه فيه ، فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي ، مع أنه كما يقال : أبي الله أن يصح إلا كتابه ، لكن هذا جهد المقل ، وبذل الاستطاعة ، وما يكلف الإنسان إلا ما تصل قدرته إليه ، وفوق كل ذي علم عليم ؛ وقد تقدم في أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول في هذا الأمر والحامل عليه ، فأغنى عن إعادته ها هنا ، والله يستر عيوبنا بستر كرمه الضافي ، ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع اغضائه النمير الصافي ، إن شاء الله تعالى .

١ مجمع الأمثال : ٢ : ٢٢ ، ١ : ٢٥٥ ، ومن قصة الحجام أنه كان ملازماً لساباط المدائن ، وكان يحجم الجند الذاهبين إلى الغزو نسيئة إلى حين رجوعهم ، ويظل فارغاً دون عمل أثناء غيابهم ، أما ذات النحيين فلها قصة أخرى تراجع في الأمثال .



الورقة ٧ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني

(رقم : 25735 Add.)



الورقة ١٣١ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : 2070)

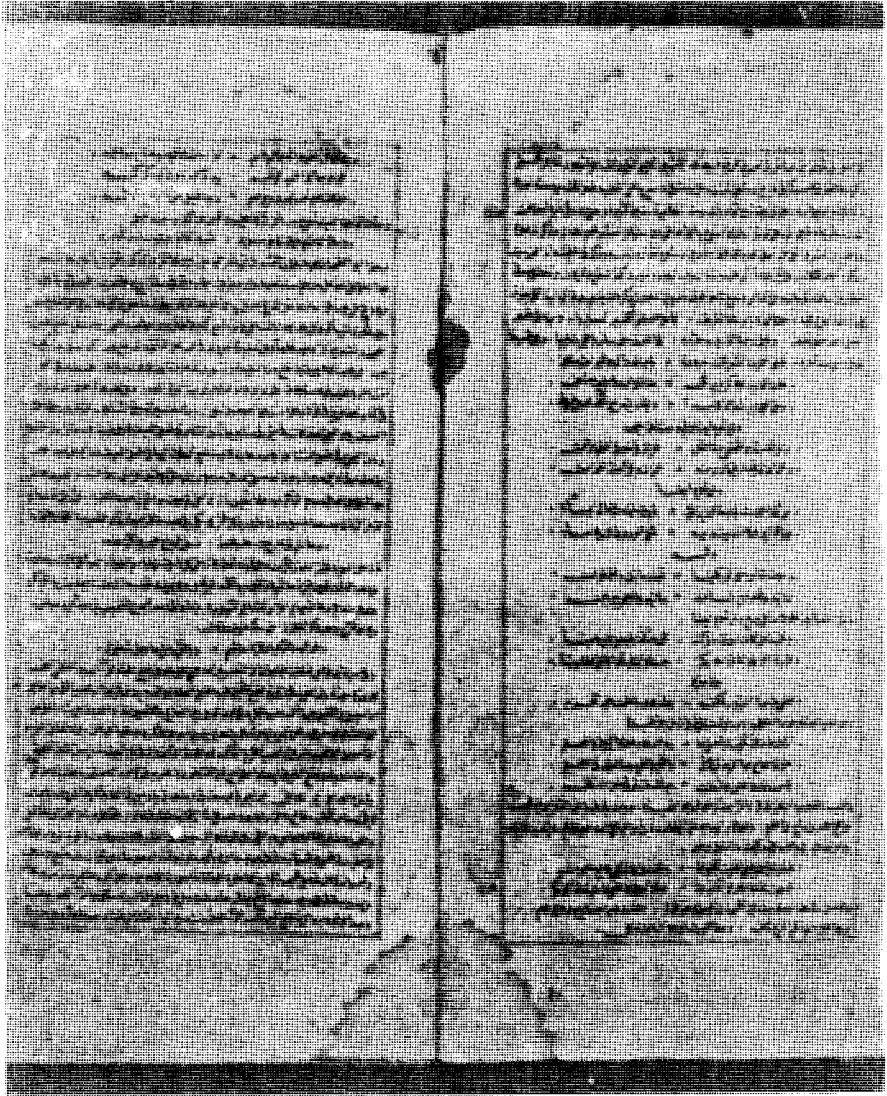
Handwritten Arabic text in a cursive script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page area.

Handwritten Arabic text in a cursive script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page area.

الورقة ٢٩٩ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : Add. 25735)



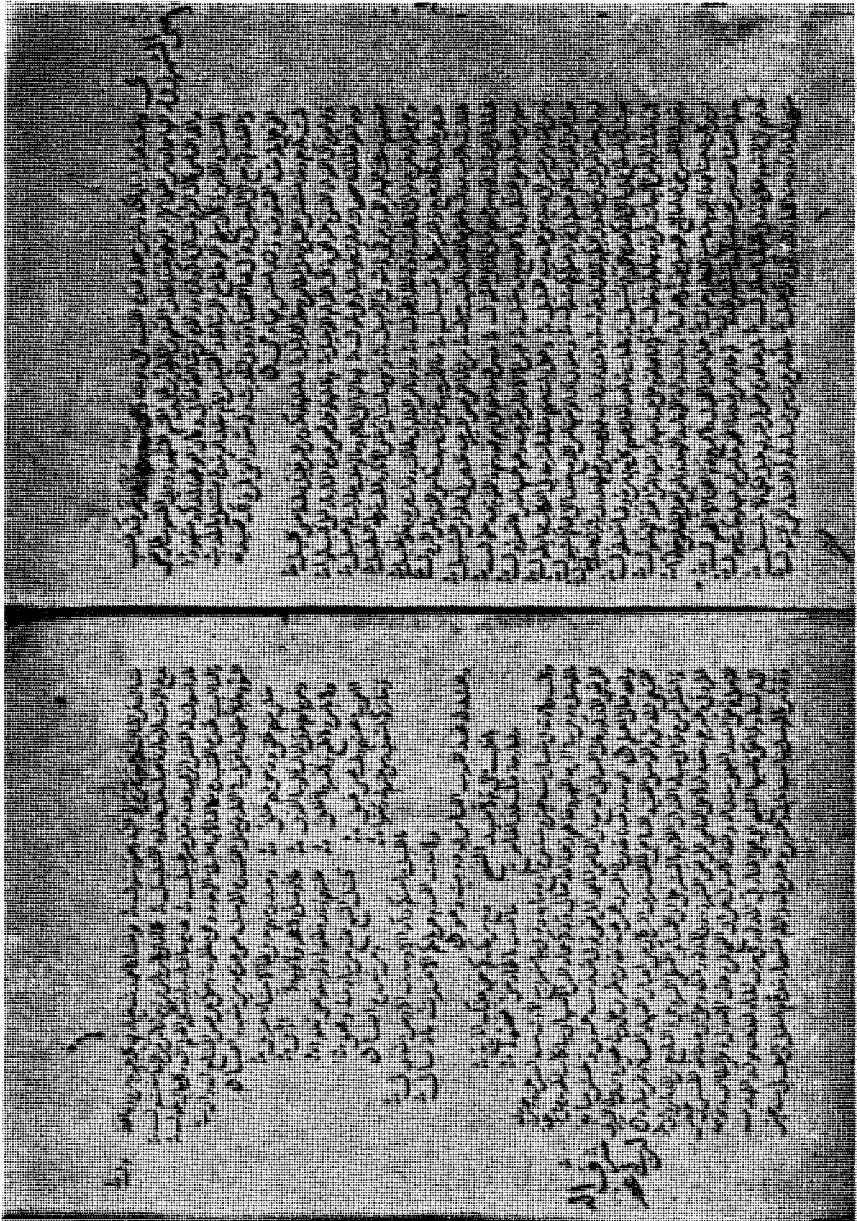
الورقة الأولى من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٣٨٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٢٢٠ من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٣٥٣٢

ومن تباين ستم اذ احدى من الحبور وتم طبع صلب
 ون توش جمع من اذ كره بلع سري وواش منه بالوصف
 ون حعين سري من ذكره ورواه الناس على يد
 منهم زين صفي قلت من غير حضره سري طلاء جلدي
 ون بلع سري ايات من هوش
 ون جازوه بدل النور للفقير
 شهد لهم في حصة رصينهم في ما
 اصبره فلم يح في اسن في اذ نا
 وفان من اوجه كبري في حنا
 وروان ارج اللطيف محنا
 فلتن من بينهم هان اعي من نا
 وروم لم ابر في بلع حينا
 فاشال منه حاجه بطا حنا
 واصلت المجلس في بيتنا سنا
 او من ادع في الفيل سنا الفنا
 وقال لما قال في سري على الفنا
 وما التني بالحن في الكلب صي كفا
 هذا وكم كلف الورد ثم سونا
 لعم رمز الله وطفه ودفن نا
 وصلاح صونا باثر بروج صرا لبا
 وما دري مختصه ما اذ علم النجم

فدايسة الله ودايسة الادونا
 وتم طاعة عزمه الا عسنا
 فاختلطت من في خط ابن النجا
 فقلن بلع سموا اما الفنا اوانا
 اقتسنا الاصل ارجع هذا من هنا
 حمر ارجع هذا ان الكند هذا
 فاقوا الفرضنا ووزعنا الحما
 فحزن في ارجع ارضي الشنا
 حزن في حصة فزان من حنا
 الجندسة الاولى مسعنا الكونا
 ولما سمع مع كبره ما فلي في هذا الباب فتل هذا النطق في هذا اللز
 ولخطب الذكر في هذا المعنى ايضا
 ومع قوله بالكرة سمع في حزن الناس في حنج
 عن تيز في حنجه وحرر حنجه فقلنا الفنا الاطرا حنج
 ووط الشرح في اذ نا ان السان الذي في حنج
 لم اذ دعوه ارجع باجمع والاصغ فظ الادوم مصنوع
 وبعده سس له في اوجه التبع الشاطلي في حزن الفنا حنج
 في نفس وهو من بلع واكثر شوه على هذا الاسلوب والالطام
 وهو في الفنا صدقنا في حنج وهو في حنجه طاهر وكان يديه
 انه شابان بينهما موده اكبره ومعاشره كبره ترك احد جانبا
 البدر ودر نوره فتنطرنات وفضل الفنا يربتهما الفنا الشرا يربتن

نموذج من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٢٥٢٣

متروان
الفتيان

وهو منه بغير بيان **٥** وهو القاسم الفتيان وكان في موسم من موسم الغنم وهو الذي أخذ
 به الجيبي بعد وكان الغنم يريد بكاد الغنم انه قد ربه البيا
 حيد المان وانقوبت اللان هناك وكان الغنم كمد واحد
 له الغنم هياك اغنيه وانقل الادوم وكذلك كان في ايام كثير
 اللان فان غلب عليه كثيرا وكان يضيق اجعل وكان يليل الغنم
 باهل حش الرعقة غنمه الحقا ولم يدان بمائل وكان القاصد
 والجار اليها حدوا في الامام الطيب كالديوان اذ اصطلح كسر
 وكان من بطن كذا القفا انسال الماس وتعت اليه ضمير الغنم
 نوالي في جيلها وتره ما كثر **٥**
 فوصف اهل ابره وان في شعر سنك كان الفتيان الفتيان الفتيان
 لفة تلال حشا الجياهم اذ يغز الأفا والمخس والعش بال
 ناكلت نيا حكت في التاريخ بالاشدوي كالودي الايام من شلال
 اراه الصبر المله الذي قد رد وهو وهو الفتيان عبي الربكي **٥**
 والصلح بين الريح والفتيان من صلح وشلحون والفتية تلوي بلاد
 بين يديق الكاتبة فامسا الى باب الي عبدا انه الكوفي للامم طلال
 حبيته من سواد وانقل الى كارهه ولكن في حفته شبه الورا
 من الضلال ايموخ اليه اوه وكنت اليه **٥**
 انا اناها انكما معرنا ملا من الغنم كالمترسان **٥**

سبح سالي عانتني على ما ابني لك لا تاتوا لغنمنا **٥**
 الشكري وعني لي نجاهة كم كمال فكان لانا فاشق في نجاه
 في هذا القروي هذا القروي على هذا الضيق راينا القوي انقوا
 فادفت اوهما القوم الامارات اشدها وانشد اليه ونسا طامنه
 وقد عمن ظهر هذا في نجهه كمد الكان ثم حور ولاحو وليع بعد
 الكان سومان الاموي الا حصر برع ما من مستسا الزبير
 تلطم هناك ثم ان العنيم غير على الفتيان يروان وصو غلبوني
 سفا اعدي وعضر ورواين والاشط غلبه **٥** على الهفي
 طاشي سلطوني عليه خدمه ذلك حله من الخلاء وتوفي سنة خمس
 وثمان وعشرون لارون سنة رحله قال **٥** في كتاب التبريت
 فاشي لكنا وسمع من عه والله اعلم الامور **٥**
 اد على الفتيان من يرضون من شمس النبي الطالقي الامم الاعد اعيا حشر
 الشهور اهدوا الى الارضه كان في اراسه طلال صلح اللان بين
 ابره وسر خين وكان كمد فونه له عشق خار به ضيا عبرتي
 القوان الياسخ الما بلوا اربان اللان لسنا ان شخ طوبه لذكوله
 قال **٥** قلب عدان فرجع واداه اللان حور به فانها
 ونه قال منهم برحل **٥** فاعلم بعينهم حتى ضمها ان يصيلا
 على الطريق تلطم علينا فان الفتيان اشهر وكان من كل القادات
 حوت حنين من جيبه قال فلما حور والشد على غلظته وجل
 الفتيان ابره انشده انا منه وكارهه **٥** لي باسهم ابره

الفتيان
سبح

هذا البيت
من نسخة
الشيخ

المركب
الذي
هو
الذي
هو

المركب
الذي
هو
الذي
هو

وليف طاسات القمار لا يتم . فمن يصدقها وقتها
وقد نزلت الي في الجنوب طلالا . على الردي والرايا
بعضه قوس الصحاب با صبر . واخرج من تحت
كاد اليه اقبلت والابل . بصنعوا العيق
وهذه من التنبهايات التي كانت في زمانه
وكما كانت رقة من نيات الملك في حاله
الخطا بالقرضا منه . على امره وعثر على
التي من صلته الجوزها بها . وعلى
وهالفت . وانعتي في اليونان
وراث العبد ونعت في رقه . على
شميت ان يكون حمله . والذي
رذمهم كليون بنو فخر . وذلك
وذلك هذه الايات بصيا في
لهم في نسخها الصا .

كسرت الطائر التبر .
وقفا في عواقبها
وصاد في مطبعتها . ولولده بالخر
مكتوب في ايل في المذبح . ومن
فيكون يملكه قاله كسرت الطائر
الاصدي . واما في نسخة في
فالناس كسرت الطائر
منع القنيه المروي في ذي
بني على الارب والذرية منه .

انهم في الولد بعد موتهم . حتى
والعرب في سيرة قريش . فمن
والنفس في الشعر الذي هو
اليت الا . فربما في
صدوا في شعورهم . على
وسكن في الطبقة في الطبقة
في الطبقة في الطبقة .
انها . وهذا .
على شعور الابد . وهو
وعزك العرف . انتم في
قوله . سب الورد .
ويكون من ذريته . انتم في
المشورين . وفي كرمها .
واقام . وانها .
على وقت ثيابها .
كذلكها .
رما انما .
هذا .
انتا .
هو .
نفسها .
كانت .

الورقة ٢ من نسخة ولي الدين (ن) ، رقم : ٢٤٦٠

كانت كذلك **قال** يا ايها الذين آمنوا
 يا ايها الذين آمنوا ان الله قد اخبركم ان
 ما فعلوا من قبلهم انهم كانوا على شفا
 اذ لم يزلوا يفترون عليه حتى اذا جازوا
 اذ لم يزلوا يفترون عليه حتى اذا جازوا
 اذ لم يزلوا يفترون عليه حتى اذا جازوا
 اذ لم يزلوا يفترون عليه حتى اذا جازوا

وذكره له سبحانه **التي** من عندهم
 من عندهم **التي** من عندهم
 من عندهم **التي** من عندهم
 من عندهم **التي** من عندهم
 من عندهم **التي** من عندهم
 من عندهم **التي** من عندهم

وبعث من اقام الناصر في طرابلس . وامن من خطبة يد بمخاريبه .
 من مخرج صليبي . وبعث من استسوان من خطبه .
 الى ان يوجهه الى اسبانيا . اذ اتم من حمران صلبيه .
 من مخرج من اهل النصارى . اهل نواحي القصب . بمارويه .
 فممن يرون في كبريت كبريت . نار وروا فيها سواد يد .
 . انما العلم صلا و صلح . بلعب اذ اتم من مواضعه .
 . والا حكمه من اللحن فانه . ولا اوجه من الصنوع غنايه .
 . واستد اقلنا اربع حريمه . وشرب ما يقع فيها من الهديه .
 . في اهلها من الفرس . لغرض ان يسيح في سائده .
 . حذرك من اهل مصر علاه . على حمران الوصفي شاره .
 . ففقدت في يوم عيسى . لم يرض مع ما يقال ارحبه .
 . فلما اهل بقية ادى في كبريت . اخذت في كبريت جاحيه .
 . وارى النصارى في كبريت . فلما كان في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . من النصارى في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . من النصارى في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . ليا اهل في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . فلما اهل بقية ادى في كبريت . اخذت في كبريت جاحيه .
 . وارى النصارى في كبريت . فلما كان في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . من النصارى في كبريت . وان النصارى في كبريت .

. وبعث من اقام الناصر في طرابلس . وامن من خطبة يد بمخاريبه .
 . من مخرج صليبي . وبعث من استسوان من خطبه .
 . الى ان يوجهه الى اسبانيا . اذ اتم من حمران صلبيه .
 . من مخرج من اهل النصارى . اهل نواحي القصب . بمارويه .
 . فممن يرون في كبريت كبريت . نار وروا فيها سواد يد .
 . انما العلم صلا و صلح . بلعب اذ اتم من مواضعه .
 . والا حكمه من اللحن فانه . ولا اوجه من الصنوع غنايه .
 . واستد اقلنا اربع حريمه . وشرب ما يقع فيها من الهديه .
 . في اهلها من الفرس . لغرض ان يسيح في سائده .
 . حذرك من اهل مصر علاه . على حمران الوصفي شاره .
 . ففقدت في يوم عيسى . لم يرض مع ما يقال ارحبه .
 . فلما اهل بقية ادى في كبريت . اخذت في كبريت جاحيه .
 . وارى النصارى في كبريت . فلما كان في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . من النصارى في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . ليا اهل في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . فلما اهل بقية ادى في كبريت . اخذت في كبريت جاحيه .
 . وارى النصارى في كبريت . فلما كان في كبريت .
 . ففقدت في كبريت . وان النصارى في كبريت .
 . من النصارى في كبريت . وان النصارى في كبريت .

الورقة ١٠٤ من نسخة كوبر بيلي (ل) ، رقم : ١١٩٢

اصله نبتا الحكمة ان النوران مصورا فلما نبتا التهورا
 الحكمة كما انما يتكلمون ببلاد التور على عهد السكون
 ظهرت العرش واستولت على البلاد وما تمت اليقوت ان ما
 بان باليونان من المالك استقل اليقوت ان ما جرت بين الاذن
 كونهما طرقتا على العداوة والبرك فلما ذكر في كتابه
 ولا ملكا اسير المالك العونية ولا ملكا ظهر سلطان
 من ملك فيها كملكها انما من غلب في خروج عليه السلام
 فتمت باسنة ولا عذرت الاورش بعد الطولان هانت
 صوروا المصورينها عذمت على شكرا طاروا راسا لغير
 والكثوب والفتها لاجتماع ونا بينها بعنه ما العود
 دنته دكا ابوابه روك الحرف التفتبه الى المخرج
 التقاربه قلده وجعلت عليه لها لظا الى المخرج
 الساني يادون يسير النك صفا صفا وهي ان بالحق
 اوهيم بركه لظا المصورين بان جليل لليدي صكان
 ليع جلدنو وعدا العبد بر الترتيب بعد اخرج كبر
 عز التمام طلفه الدنيا على صور طاروا عذرت المصور
 لظا استخرت ما راحة لاي حق استخرت المصور
 انهي وشتر ما في الظا بر ذنبه فلما التراب المص
 هيات ما عرفت ان ما صكان ذلك التراب المص
 كان بلا ونا ونا في ايام احسن في يومه وكي ان
 اليونان لا ترى فتاة ايام كزوب لا يسمون الا لظا لظا
 من العلم اني كان اسرها عند المصور لظا لظا
 لظا لظا من بين فيها العدا لظا لظا لظا لظا لظا

على عمارتي فكتبت الاما او صوا لظا لظا لظا لظا
 والكرم وعش والاسلام والاولا لظا لظا لظا لظا
 فليفتد ونا قلده فليفتد ونا قلده فليفتد ونا قلده
 الساني انما هي عرفت الحكمة على شكرا ونا ان العرف
 ونبه صكان طاروا ما شكرا لظا لظا لظا لظا لظا
 لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 لا نا وستظا البلاد وكي ان اصغر الاورش عند
 عن جرت ووجرت فاق من الايام لظا لظا لظا لظا لظا
 عرفت ما حرك على زكوا العيش الا ارباب الشك والظن
 وضربهم ذال لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 على جرتهم المصوره في لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 المصير من الايام لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 كان الساني بالعدرب منهم وليس بينهم شكرا لظا لظا
 التي وروى عليهم لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 من الايام لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 فظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 ونا وجعلت لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 اصل الايام لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 عرفت انما لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 القام الساني لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 كذا ووجرت لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا
 وكي ان ساني لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا لظا

الورقة ٢٢٦ من نسخة قاضي زاده (ق) ، رقم : ٢٧١

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
التامرين

الحمد لله الذي خلقنا من لا شيء وخلقنا من نور
وخلقنا من نور وخلقنا من نور وخلقنا من نور
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
التامرين

الحمد لله الذي خلقنا من لا شيء وخلقنا من نور
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
التامرين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
التامرين

نموذج ثانٍ من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر) ، رقم : ٢٢

Handwritten Arabic text in two columns, appearing to be a manuscript page with a central horizontal separator. The text is dense and written in a cursive style.

نموذج ثالث من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر) ، رقم : ٢٢



الورقة ٥١٦ من نسخة مكتبة جون رايلنلز بمنشستر (من) ، رقم : ٢٩٧ [٦٢٣]

المنظر وقدره لا يملك الامور ان يعطوا وانفسل
 منها لما يملكها الملك الا شرفه وان قدره فيه وكل
 ما يشاء يريد ما جودته وكما تدركه به نفس هو الا بهن
 مانع شتان شذوذ مع او بعض وحسن ما به روي في
 عشية فدار الاصل العشري من شهر ومع الاول سنة
 بالجزء من سنة ولا نفس انوار في كل الف سنة
 انشاء ما من الكثرة في غير الجرم وسداد الا في قوما
 على ان دمشق وحمصه فقال فيهم فيهم العيين

في كل سنة
 انما هو في الدنيا
 انما هو في الدنيا
 انما هو في الدنيا

١٣٠
 عريضه وتلك بعد ان تمت عشرتيا غير ما وهو من
 علمت فداره الايات في الملك المنظر ما جودته
 وكان الملك المنظر ذلك الوقت ايضا وكان
 في الجلس جوده جاضر ان فصار جليلنا الايات ما جبين
 منها بينه زودته في الدور ما استيعقت مثل المنار
 وقد علمت غنا الحيرت بعون
 ما يقبض لا يقبض انشاء الا اذا اجتمعت في حاد
 رقتا ابيت فغيره في شعوره وقد تدركه
 فزودت في الجواهر الا في طاعة الطوبى وكل ما في
 زودت شيفا الا في حاد ما في الجودته
 الملك وركب انواره في نفس في زودته الملك

الورقة ٧٣ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مج)

في كتابها من غير ان يفتي بغيره وقد اورد في
 السور علة في ذلك وهو كما قلنا في ذلك القول
 فذلك انضامها لا فلك انتم فتشاهد شرح من
 يدركه فحسنا عليه فاما في الاطراف الى ان
 ليست كوهلا وروحه وكسب الى الله وتعيد بان
 فيها لا يسكور والسكور في الارض جمع بغير
 الاكثر فذلك الاصح في الجمع الكبر والجمع
 واسمها نظما في ظهورها واسبابها في
 وتغيرها في الكلام في الجمع من الالاف
 الفصحى والسورة والجملة الساكنة ما في الالف

هذا الله وكن يشهدا في سورة وكن في الالف
 الف مود الله الحنيف الى الله والعشرة من
 ربع الالف منه خمس وسبعون منها في
 بحيثها الاقله والاربع على خمسة عشر في
 ان خرج ليلته الالف السابع والعشرون من
 شوال منه احدى عشرة وربع مائة الى الظاهر
 عشر وعطاف ليلته كلها او جمع فذكر في
 الفاعلى ثم توجه الى شرفه في الالف
 وكان بيان ما اذا حلها مع تسعة من العربية
 السورين ثم اعاد الالف الاخر وذكر في

الورقة ١٤٨ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مج)

ملحقات

١ - مزيد بيان في تخریج التراجم الأصلية

- ٢ - أبو ثور صاحب الشافعي : الفهرست : ٢٩٧ ، الانتقاء : ١٠٧ طبقات الشيرازي : ٧٥ ، تهذيب التهذيب ١ : ١١٨ ، طبقات العبادي : ٢٢ ، العبر ١ : ٤٣١ ، الشذرات ٢ : ٩٣ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٠١ ، الاسنوي ١ : ٢٥ ، ابن قاضي شهبة : ٤١ .
- ٣ - أبو اسحاق المروزي : الفهرست : ٢١٢ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ ، طبقات العبادي : ٦٨ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٥ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ .
- ٤ - أبو اسحاق الاسفرايني : تبیین كذب المفتری : ٢٤٣ ، طبقات الشيرازي : ١٠٦ ، طبقات العبادي : ١٠٤ ، الاسنوي ١ : ٥٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٤ ، الشذرات ٣ : ٢٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٧٨ .
- ٥ - أبو اسحاق الشيرازي : مختصر ذیل السمعي ، الورقة : ١٢٥ ، اللباب (الفيروزابادي) تبیین كذب المفتری : ٢٧٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، المنتظم (ج ٨ ، ٩) ، الكامل لابن الأثير (ج : ١٠) ، عبر الذهبي ٣ : ٢٨٣ ، الشذرات ٣ : ٣٤٩ ، الاسنوي ٢ : ٨٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١١٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٥ ، وانظر مقدمتي على طبقات الفقهاء (ط . بيروت ١٩٧٠) .
- ٦ - ابراهيم بن أدهم : القوات ١ : ٤ (ووفاته سنة ١٦١) .
- ٧ - أبو اسحاق العراقي الخطيب : تكملة اكمال الاكمال : ٢٩٦ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٩١ ، تكملة المنذري ٢ : ٢١٧ ، الاسنوي ٢ : ٢٢١ ، السلوك ١ : ١٥٣ ، حسن المحاضرة ١ : ٤٠٧ (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) .
- ٨ - أبو اسحاق ابن عسكر الموصلی : الاسنوي ٢ : ٦١ ، وابن الشعار ١ : ٢٢ وقد ذكر أن السلامة قرية من قرى الموصل شرقها ، وتبعد عنها بخمسة فراسخ وأورد له الأبيات التائية (٢٤) والأبيات « الاقل لمكي قول النصوصح » والبيتين

- « أقول له صلني » (٢٥) .
- ١٧ - ابن خفاجة الأندلسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٢٥ .
- ١٨ - ابراهيم الغزي : مختصر ذيل السمعاني ، الورقة : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٣٠ .
- ٢٠ - أحمد بن حنبل : ابن قاضي شهبة : ٤١ .
- ٢١ - أبو العباس ابن سريج : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، طبقات العبادي : ٧٢ ، الاسنوي ٢ : ٢٠ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٩٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، ابن قاضي شهبة : ٥١ .
- ٢٢ - أبو العباس ابن القاص : طبقات الشيرازي : ١١١ ، طبقات العبادي : ٧٣ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٧ ، الشذرات ٢ : ٣٣٥ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٥٧ ، ابن العديم ٢ : ١٨ ورجح أن تكون وفاته سنة ٣٣٦ لأنه وجد بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قاضي المعرة في مواضع متعددة من مصنفاته قوله : حدثنا أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري املاءً بطرسوس في المسجد الجامع سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .
- ٢٣ - أبو حامد المروزي : الفهرست : ٢١٤ ، الوافي ٧ : ١٠ ، طبقات الشيرازي : ١١٤ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٧ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ٦٧ ، الحسيني : ٢٧ .
- ٢٤ - أبو الحسين ابن القطان : طبقات الشيرازي : ١١٣ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٨ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٦٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧١ .
- ٢٦ - أبو حامد الاسفرايني : طبقات الشيرازي : ١٠٣ ، طبقات العبادي : ١٠٧ المنتظم ٧ : ٢٧٧ ، الاسنوي ١ : ٥٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥ ، ابن قاضي شهبة : ٧٩ ، الحسيني : ٤٢ .
- ٢٧ - أبو الحسن المحاملي : ابن قاضي شهبة : ٨٠ .
- ٢٨ - أبو بكر البيهقي : الأنساب واللباب (البيهقي) ، تبين كذب المقرئ : ٢٦٥ المنتظم ٨ : ٢٤٢ ، عبر الذهبى ٣ : ٢٤٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٩٨ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٧٧ ، الشذرات ٣ : ٢٠٤ ، الاسنوي ١ : ١٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٨١ ، الحسيني : ٥٥ ، الرسالة المستطرفة : ٣٣ .
- ٢٩ - النسائي أبو عبد الرحمن : طبقات العبادي : ٥١ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ٥٠ ، غاية النهاية ١ : ٦١ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٨ ، حسن المحاضرة ١ : ١٩٧ ، ابن العديم ١ : ١٠٣ وسمّاه :

- أحمد بن شعيب بن عليّ .
- ٣١ - أبو اسحاق الثعلبي المفسر : الاسنوي ١ : ٣٢٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٠
ابن قاضي شهبة : ٩١ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .
- ٣٣ - أبو نعم الأصفهاني : المنتظم ٨ : ١٠٠ ، تبين كذب المقرئ : ٢٤٦ ، الاسنوي
٢ : ٤٧٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٥ ، ابن قاضي شهبة : ٩١ ، النجوم الزاهرة
٥ : ٣٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ .
- ٣٤ - الخطيب البغدادي : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة ٦٣ - ٦٥ ، تبين كذب
المقرئ : ٢٦٨ ، الاسنوي ١ : ٢٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٦ ؛ ولأستاذ يوسف
العش كتاب عنه بعنوان « الخطيب البغدادي ، مؤرخ بغداد ومحدثها » (دمشق
١٩٤٥) .
- ٣٦ - أبو عبيد الهروي : معجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٨ ،
الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٣ .
- ٣٧ - الخوافي ، أحمد بن محمد : تبين كذب المقرئ : ٢٨٨ ، الاسنوي ١ : ٤٨٠ ،
البداية والنهاية ١٢ : ١٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١١٤ .
- ٣٨ - أبو الفتوح أحمد الغزالي : الاسنوي ٢ : ٢٤٥ ، لسان الميزان ١ : ٢٩٣ ، البداية
والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٤ ، وله
ترجمة مفصلة في تاريخ اربل ، وتقع في أول القطعة المتبقية من هذا التاريخ .
- ٣٩ - ابن برهان الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، الاسنوي ١ : ٢٠٧ ، ابن
قاضي شهبة : ١٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ ، الحسيني : ٧٤ ، وقد ذكر السبكي
في ترجمته أن وفاته كانت سنة ٥١٨ ، وأن مولده في شوال سنة ٤٧٩ .
- ٤٤ - الحافظ السلفي : الاسنوي ٢ : ٥٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤١ ، مختصر ذيل ابن
السمعاني ، الورقة : ٩٩ ، وانظر مقدمتي علي كتاب « أخبار وتراجم أندلسية »
(بيروت ١٩٦٣) .
- ٤٥ - شرف الدين أحمد بن منعة : ابن قاضي شهبة : ١٦٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٠ .
- ٤٧ - أبو العلاء المعري : ابن العديم ١ : ١٩٥ ، وقد أورد رواية السلفي التي ذكرت
على الصفحة نفسها (١ : ١٩٨) .
- ٤٨ - أبو عامر ابن شهيد : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٣٥ .
- ٥٠ - أبو الطيب المتنبي : ابن العديم ١ : ٢٦ وهي من أجود الترجمات التي قرأتها
للمتنبي ، ومما جاء فيها (الورقة ٢٦) : وكان نزوله بجلب في محلتنا المعروفة

بآدر بني كسرى ، قال لي والدي : وكانت داره داراً هي الآن خانكاه سعد الدين كشتكين ، ملاصقة لداري . وورد أيضاً فيها (الورقة : ٢٧) قال الربيعي ، قال لي المتنبّي : كنت أحب البطالة وصحبة البادية ، وكان يذم أهل الكوفة لأنهم يضيقون على أنفسهم في كل شيء ، حتى في الأسماء ، فيتداعون بالألقاب ، ولما لقت بالمتنبّي نقل ذلك عليّ زماناً ثم ألقته . وفي الورقة : ٧٣ وذكر ابن الصابي في كتاب الوزراء أن ابن العميد كان يجلس المتنبّي في دسسته ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة لابن دريد ، لأن المتنبّي كان يحفظها عن ظهر قلب . قلت : وهي ترجمة نفيسة جداً ، وعلى ضوءها يمكن أن يعاد النظر في ما كتب عن المتنبّي .

٥١ - أبو العباس النامي : ابن العديم ٢ : ٣٤ ، ومما جاء هنالك : كان بكيء الخاطر شديد القول ، إذا أراد أن يعمل شعراً خلا خلوة طويلة أياماً وليالي ، فان نظقت في داره جارية أو غلام كاد أن يقتله وانقطع خاطره ، وإذا أراد أن يعمل قصيدة جمع جميع ما للعرب والمحدثين من الشعر على وزن تلك القصيدة ، وجعله حواليه ، ونظر فيه ، حتى يقدح به خاطره ويتحلب (ويحتلب) معانيه ؛ اهـ . ثم أورد نواذر تتصل بهذه الحالة لديه .

٥٤ - أبو الرقعمق : ابن العديم ٢ : ٥١ .

٥٦ - ابن دراج القسطلي : مرآة الجنان ٣ : ٣٨ .

٥٩ - أبو نصر المنازي : ابن العديم ٢ : ١٥٤ ، وقد أورد ابن العديم رواية اجتماعه بالمعري ١ : ٢٠٩ وناقشها وناقش ما كان على مثاله ، واستبعد أن تصدر عن المعري .

٦٠ - ابن الخياط الدمشقي : ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٠ .

٦١ - أبو الفضل الميداني : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٣ .

٦٢ - ابن الخازن الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٢ .

٦٣ - ناصح الدين الأرجاني : ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ ، الاسنوي ١ : ١١٠ ،

المنتظم ١٠ : ١٣٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٢٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨١ .

٦٤ - ابن منير الطرابلسي : ابن العديم ٢ : ٧٥ .

٦٥ - القاضي الرشيد ابن الزبير : الاسنوي ١ : ١١٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٦٧ ، النجوم

الزاهرة ٥ : ٣٧٣ ، بغية الوعاة : ١٤٦ .

٦٦ - أبو العباس أحمد القطرسي : ابن العديم ١ : ٢٣٤ ، ابن الشعار ١ : ١٥٠ ، وأورد

نصّ العماد في الحريدة : « النفيس بن القطرسي شاب مصري فقيه في المدرسة

- المالكية بمصر ، له خاطر حسن ، ودراية ولسن ، ويد في علوم الأوائل قوية ، وروية من منابع الأدب ومشارعه روية . وقد أورد ابن الشعار وابن العديم بيتيه « يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه » وبيتيه « يسر بالعيد أقوام لهم سعة » .
- ٦٧ - أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد : التاج (سبت) نقلاً عن خط ابن خلكان ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٢٨٣ .
- ٦٩ - ابن الخطيئة اللخمي : إنباه الرواة ١ : ٣٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ١٩٢ .
- ٧٠ - الشيخ أحمد الرفاعي : الاسنوي ١ : ٥٨٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣١٢ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٩٢ ، ابن قاضي شهبة ١ : ١٤١ .
- ٧١ - أحمد بن طولون : ابن العديم ١ : ١٧١ .
- ٧٣ - أبو نصر ابن مروان الكردي : امرأة الجنان ٣ : ٧٤ .
- ٧٥ - عماد الدين ابن المشطوب : ذيل امرأة الزمان ٢ : ٢٢٤ ، امرأة الجنان ٣ : ٤٣ .
- ٧٦ - صلاح الدين الأربلي : ابن الشعار ١ : ١٧٣ ، خدم جندياً للملك المعظم ، وحاجباً بين يديه ثم أبعدته مخدومه وصار إلى الأمير شهاب الدين قراطايا ، ورحل في صحبته عن اربل إلى الديار الشامية سنة ٦٠٤ ؛ وابن العديم ١ : ١٦٦ كان صائفاً باربل ، واتصل بخدمة الملك المغيـث بن الملك العادل حين كان باربل ، وكان يغني له ، وخدمه وصار حاجباً له ، ووصل معه إلى مصر ، فلما توفي اتصل بالملك الكامل فنفق عليه وتقدم عنده .
- ٨١ - أرسلان البساسيري : ابن العديم ٢ : ١٩٦ .
- ٨٢ - نور الدين صاحب الموصل : ابن العديم ٢ : ١٩٦ ، امرأة الجنان ٤ : ١٣ .
- ٨٤ - أسامة بن منقذ : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٥٢ ، تكملة المنثري ١ : ١٥٨ ، ابن العديم ٢ : ٢٠٥ ، امرأة الجنان ٤ : ١٤ ، الدارس ١ : ٣٨٤ .
- ٨٥ - اسحاق بن راهويه : ابن العديم ٢ : ٢٢٠ .
- ٨٧ - اسحاق النديم الموصلي : ابن العديم ٢ : ٢٣٨ .
- ٨٩ - أسعد الميهني : معجم البلدان (ميهنة) ، عبر الذهبي ٤ : ٧١ ، الاسنوي ٢ : ٤٢٤ ابن قاضي شهبة : ١٣٠ .
- ٩١ - الأسعد ابن ممتي : ابن العديم ٣ : ٢٨ ، امرأة الجنان ٤ : ١٣ ، ابن الشعار ١ : ٤٩ وقال فيه : أصله من نصارى أسيوط ، بليد بصعيد مصر ، وهو من أهل بيت عريق في الكتابة يتوارثونه ، وكان جده أبو المليح ممتي كاتباً لبدر الجمالي ، وهو كالمستولي على الديار المصرية ، ليس على يده يد . وترجم له الصفدي في الوافي

ج ٩ (رقم ٣٦٨٤) وذكر من تصانيفه : تلقين اليقين في الفقه ، وكتاب سرّ الشعر ، وكتاب علم النثر ، وكتاب الشيء بالشيء يذكر ، وعرضه على القاضي فسماه «سلاسل الذهب» وذكر له مؤلفات أخرى .

٩٢ - البهاء السنجاري : السبكي ٥ : ٥٠ ، الاسنوي ٢ : ٦٦ ، الوافي (ج ٩) نقلاً عن ابن خلكان . وابن الشعار ١ : ٥٠٧ قال : وكتبته أبو المعالي ، تفقه ببغداد على أبي القاسم ابن فضلان والمجير أبي القاسم البغداديين ، وبالموصل على القاضي تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهني ثم على الشيخ القاضي أبي سعد ابن أبي عصرون ، والقاضي أبي الرضى سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصل ، وولي القضاء بدنيسر سنين ، وبغيرها من البلاد ، اشتهر شعره وغنى به المغنون ، كان شيخاً ظريفاً مفاكهاً متنادراً ، استوزره صاحب حماة وميزه على نظرائه ، وكان ينفذه إلى البلاد رسولاً . ذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل ، إذ قدم اربل عدة مرات آخرها سنة ٦٠٤ . قلت : وأبياته التي أولها «وهواك ما خطر السلو بباله» وردت في ابن الشعار : ٥٠٩ وكذلك قوله (ص : ٢١٦) «بنفسى حبيب جار» ، وأكثر مقطعاته وردت في الصفدي أيضاً . ذكر ابن الشعار أن وفاته كانت سنة أربع وعشرين وستمائة (وهذا يخالف ما ذكره المؤلف ص : ٢١٧) .

٩٣ - أبو ابراهيم المزني : طبقات الشيرازي : ٧٩ ، طبقات العبادي : ٩ ، الفهرست : ٢٩٨ ، اللباب (المزني) ، الاسنوي ١ : ٣٤ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٣٩ ، الشذرات ٢ : ١٤٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٨٥ ، ابن قاضي شهبة : ٤٢ ، الحسيني : ٥ .

٩٤ - أبو العتاهية : ابن العديم ٣ : ١٤٥ .

٩٦ - الصاحب ابن عباد : انباء الأمراء : ٣٢ .

٩٩ - الظاهر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩٥ .

١٠٢ - قسم الدولة آق سنقر : ابن العديم ٣ : ٢٦٨ .

١٠٣ - آق سنقر البرسقي : ابن العديم ٣ : ٢٧٥ .

١٠٤ - أبو الصلت الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ٢٥٣ .

١٠٧ - نجم الدين أيوب : الدارس ٢ : ١٧٤ .

١٢٦ - تميم بن المعز : مرآة الجنان ٣ : ١٦٩ .

١٢٨ - ثابت بن قرّة : المنتخب من صوان الحكمة : ١٤٠ .

١٣٢ - جعفر البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ ، وبعض حكايات عنه : ٤٦ .

- ١٣٥ - أبو محمد ابن السراج : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٦٦ ، المنتظم
٩ : ١٥١ ، عبر الذهبي ٣ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ١٦٢
النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤ .
- ١٤٤ - الجنيد الصوفي : الرسالة القشيرية ١ : ١٠٥ ، المنتظم ٦ : ١٠٥ ، الاسنوي
١ : ٣٣٤ ، البداية والنهاية ١١ : ١١٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١١٠ ، النجوم الزاهرة
٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شعبة : ٤٧ ، الحسيني : ١٠ .
- ١٤٩ - الحجاج بن يوسف : ابن العديم ٤ : ٣ - ٤٣ .
- ١٥٢ - الحارث المحاسبي : الرسالة القشيرية ١ : ٧٢ ، الباب (القشيري) ، طبقات
العبادي : ٢٧ ، عبر الذهبي ١ : ٤٤٠ ، الاسنوي ١ : ٢٦ ، البداية والنهاية
١٠ : ٧٣ ، الشذرات ٢ : ١٠٢ ، وللاستاذ يوسف فان إس دراسة عنه بالألمانية
(يون : ١٩٦١) .
- ١٥٤ - حرملة بن يحيى التجيبي : طبقات العبادي : ١٧ ، الانتقاء : ١٠٩ ، الاسنوي
١ : ٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ١٤٣ ، تذكرة الحفاظ : ٤٨٦ ، ابن قاضي شعبة :
٤٣ ، الحسيني : ٥ .
- ١٥٧ - أبو علي الزعفراني : طبقات الحنابلة ١ : ١٣٨ ، طبقات العبادي : ٢٣ ، الباب
(الزعفراني) ، مرآة الجنان ٢ : ١٧١ ، الشذرات ٢ : ١٤٠ ، النجوم الزاهرة
٣ : ٢٣ ، ابن قاضي شعبة : ٤٣ ، الحسيني : ٧ .
- ١٥٨ - أبو سعيد الاصطخري : تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٨ ، طبقات العبادي : ٦٦ ،
اللباب (الاصطخري) ، البداية والنهاية ١١ : ١٩٣ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٩٠ ،
ابن قاضي شعبة : ٥٧ .
- ١٥٩ - أبو علي ابن أبي هريرة : طبقات العبادي : ٧٧ ، الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، عبر الذهبي
٢ : ٢٦٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٠٤ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ ، النجوم
الزاهرة ٢ : ٢٦٧ ، ابن قاضي شعبة : ٦٤ ، الحسيني : ٢١ .
- ١٦٠ - أبو علي الطبري : طبقات العبادي : ٨٤ ، المنتظم ٧ : ٥ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٨٦ .
الاسنوي ٢ : ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢٨ .
- ١٦١ - أبو علي الفارقي : الاسنوي ٢ : ٢٥٦ .
- ١٦٢ - السيرافي : ابن العديم ٤ : ٢٦٦ .
- ١٦٣ - أبو علي الفارسي : ابن العديم ٤ : ١٤٥ .
- ١٦٥ - ابن رشيق القيرواني : مرآة الجنان ٣ : ٧٨ .
- ١٦٨ - الحسن بن صافي ملك النحاة : ابن العديم ٤ : ٢٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٤٩٦ ،

- ابن قاضي شهبة : ١٤٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٦ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٠٤ ،
الشذرات ٤ : ٢٢٧ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ .
- ١٧١ - ابن وكيع التنيسي : ابن العديم ٤ : ٢٨٣ قال : بعضهم سماه الحسن بن محمد بن
وكيع ، وبعضهم سماه علي بن الحسن بن وكيع وكناه أبا الحسن ، ووقع إليّ
نسخة من شعره صحيحة ابتداءً في أول الديوان : قال قال أبو محمد الحسن بن
علي بن أحمد بن وكيع ، وختمه بقوله : آخر شعر أبي محمد الحسن بن علي بن
وكيع ، قدم حلب ومدح بها سيف الدولة ... الخ . وفي تاريخ وفاته قال :
قرأت في تاريخ مختار الملك المسيحي في حوادث ٣٩٣ ، وفيه - يعني شهر ربيع
الأول - توفي أبو محمد ابن وكيع يوم الثلاثاء لسبع بقين منه ، قلت : وهو مخالف
لما أورده ابن خلكان .
- ١٧٣ - أبو الجوائز الواسطي : الفوات ١ : ٢٥٣ وقد وردت فيه الترجمة وكأنها ملخصة
عن وفيات الأعيان .
- ١٧٤ - العلم الشاتاني : ابن العديم ٤ : ٢٠٠ ، الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٦١ ، تلخيص
مجمع الآداب ١ : ٥٧٥ ، الاسنوي ٢ : ١١١ .
- ١٧٦ - ركن الدولة ابن بويه : مرآة الجنان ٣ : ٩٣ .
- ١٧٧ - الحسن بن سهل : ابن العديم ٤ : ٢٢٢ ، انباء الأمراء : ٣٠ .
- ١٧٨ - الوزير المهلي : انباء الأمراء : ٣٢ .
- ١٧٩ - نظام الملك : ابن العديم ٤ : ٢٨٦ ، ابن ماکولا : (بزرك) ، مختصر ذيل
تاريخ بغداد ، الورقة : ١٨٨ ، مرآة الجنان ٣ : ١٣٥ ؛ وقد أورد ابن العديم
البيتين « بعد الثمانين ليس قوة » نقلاً عن زينة الدهر للحظيري ، وأورد أيضاً
البيتين في رثائه (٤ : ٣٠١) .
- ١٨١ - الكرابيسي صاحب الشافعي : الانتقاء : ١٠٦ ، طبقات العبادي : ٢٣ ، الاسنوي
١ : ٢٩ ، عبر الذهبي ١ : ٤٥٠ ، الشذرات ٢ : ٣٥٠ ، ابن قاضي شهبة :
٤٣ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٩ ، الحسيني ٦ .
- ١٨٢ - ابن خيران : طبقات العبادي : ٦٧ ، الاسنوي ١ : ٤٦٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١٨٤
النجوم الزاهرة ٣ : ٣٣٥ ، ابن قاضي شهبة : ٥٢ الحسيني : ١٥ .
- ١٨٣ - القاضي حسين المرورودي : طبقات العبادي : ١١٢ ، الاسنوي ١ : ٤٠٧ ،
ابن قاضي شهبة : ١٠٧ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٤٩ ، الشذرات ٣ : ٣١٠ ، مرآة
الجنان ٣ : ٨٥ ، الحسيني : ٥٧ .

- ١٨٤ - أبو علي السنجي : معجم البلدان (سنج) (الباب (السنجي) ، الاسنوي ٢ : ٢٠ .
- ١٨٥ - الفراء البغوي : تذكرة الحفاظ : ١٢٥٧ ، الاسنوي ١ : ٢٠٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ ، الشذرات ٤ : ٤٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، طبقات المفسرين : ١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٢٣ ، الحسيني : ٧٤ .
- ١٨٦ - أبو عبد الله الحلبي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، المنتظم ٧ : ٢٦٤ ، الاسنوي ١ : ٤٠٤ ، تذكرة الحفاظ : ١٠٣٠ ، عبر الذهبي ٣ : ٨٤ ، الشذرات ٣ : ١٦٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٤٩ ، ابن قاضي شهبة : ٨١ ، الحسيني : ٤٠ .
- ١٨٧ - الوئي الحاسب : المنتظم ٨ : ١٩٧ ، معجم البلدان (ون) ، الاسنوي ٢ : ٥٤٣ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ .
- ١٩٠ - ابن سينا : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ، انباء الأمراء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٧ .
- ١٩٣ - الوزير المغربي : مرآة الجنان ٣ : ٣٢ ، ابن العديم ٥ : ١٤ - ٣٠ ، وقد ذكر ابن العديم رسالة له تبين أن الاوارحي خال أبيه ، وأورد كذلك نص ما قاله أبوه فيه (ولد سلمه الله ... الخ) .
- ١٩٤ - ابن خالويه : غاية النهاية ١ : ٢٣٧ ، الاسنوي ١ : ٤٧٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٩ .
- ١٩٥ - أبو علي الجياني : مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .
- ١٩٦ - البارغ الدباس : ابن العديم ٥ : ١٦١ وقد ورد فيه المنقول عن زينة الدهر (في ص ١٨٣) وتاريخ القصيدة ٤٧٣ ، وهي طويلة بأكثر مما ورد في الوفيات .
- ١٩٧ - الطغراني : ابن العديم ٥ : ١١١ ، انباء الأمراء : ٣٤ .
- ٢٠٣ - الحكم بن عبدل : معجم الأدباء ١٠ : ٢٢٨ .
- ٢٠٧ - أبو سليمان الخطابي : طبقات العبادي : ٩٤ ، الاسنوي ١ : ٤٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ٧٤ (تحت اسم : أحمد) ، البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٩ .
- ٢٠٩ - حنين بن اسحاق : ابن العديم ٥ : ٣١٨ .
- ٢١٢ - خالد بن يزيد بن معاوية : ابن العديم ٦ : ١١١ .
- ٢١٣ - خالد بن عبد الله القسري : ابن العديم ٦ : ٣٤ ، وقد أورد الحكاية المثبتة عن الأصمعي (ص : ٢٢٧) ، ووردت فيه الأبيات اللامية (ص ٢٣٠) .
- ٢١٤ - خالد المهالي : الفوات ١ : ٢٩٦ .

- ٢١٥ - خالد التميمي : ابن العديم ٦ : ١٢١ .
- ٢١٦ - الخضر بن عقيل الاربلي : الاسوي ١ : ١١٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ،
الشذرات ٥ : ٨٦ .
- ٢٢١ - خمارويه بن طولون : ابن العديم ٧ : ١١ (والترجمة ناقصة من أولها) .
- ٢٢٣ - داود الظاهري : ابن قاضي شهبة : ٤٧ .
- ٢٢٤ - الملك الزاهر : ابن العديم ٦ : ٣٠١ .
- ٢٢٦ - ديبس بن صدقة : ابن العديم ٦ : ٣٠٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٥٦ ، وقد أورد
ابن العديم النص المنقول عن ابن المستوفي (ص ٢٦٤) نقلاً عن وشاح الدمية
(انظر ٦ : ٣١٤) .
- ٢٢٧ - دعبل الخراعي : ابن العديم ٦ : ٣١٨ .
- ٢٣٠ - ذو القرنين ابن حمدان : مرآة الجنان ٣ : ٥١ .
- ٢٣٣ - الربيع بن سليمان المرادي : طبقات العبادي : ١٢ ، الاسوي ١ : ٣٩ ،
ابن قاضي شهبة : ٤٤ ، عبر الذهبي ٢ : ٤٥ ، الشذرات ٢ : ١٥٩ ، النجوم
الزاهرة ٣ : ٢٨ ، الحسيني : ٦ .
- ٢٣٤ - الربيع بن سليمان الجيزي : طبقات العبادي : ١٦ ، اللباب (الجيزي) ،
الاسوي ١ : ٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ٤٢ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ ، الشذرات
٢ : ١٠٩ ، الحسيني : ٦ .
- ٢٣٥ - الربيع بن يونس : ابن العديم ٧ : ٤٨ وقال : كان يونس بن محمد شارياً شاطراً
بالمدينة ، فعلق أمة لقوم بالمدينة غلبها على نفسها فجاءت بالربيع ؛ وأورد القصة
التي أولها « قال له يوماً يا ربيع : سل حاجتك » (ص ٢٩٤) والقصة التي أولها
« وكان أبو جعفر إذا أراد بانسان خيراً ... » الخ (ص ٢٩٥) .
- ٢٣٧ - رجاء بن حيوة : ابن العديم ٧ : ٦٠ .
- ٢٣٩ - روح بن حاتم : ابن العديم ٧ : ١٢٧ .
- ٢٤٠ - الزبير بن بكار : ابن العديم ٧ : ١٤٣ .
- ٢٤١ - أبو عبد الله الزبيري : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٧١ ،
الاسوي ١ : ٦٠٦ ، غاية النهاية ١ : ٢٩٢ .
- ٢٤٥ - عماد الدين زنكي : ابن العديم ٧ : ٢٠٦ ، الدارس ١ : ٦١٦ .
- ٢٤٦ - عماد الدين صاحب سنجار : ابن العديم ٧ : ٢١٦ .
- ٢٤٧ - بهاء الدين زهير : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٨٧ - ١٩٧ ، مرآة الجنان ٤ : ١٣٨ ،

- ابن العديم ٨ : ١٢ وفي نسبه «المكي» ، غير أن «العتكي» ثابتة بخط المؤلف ابن خلكان ، وسياق النص يدل على أنه عاش فترة في مكة ؛ وأورد ابن العديم قصة المراسلة بينه وبين ابن مطروح (ص : ٣٣٦) .
- ٢٤٩ - التاج الكندي : ابن العديم ٨ : ٩٢ ، الدارس ١ : ٤٨٣ .
- ٢٥١ - زينب بنت الشعري : مرآة الجنان ٤ : ٣١ .
- ٢٥٢ - سالم بن عبد الله بن عمر : ابن العديم ٨ : ١٦٧ .
- ٢٥٦ - سري السقطي : ابن العديم ٨ : ٢٣٢ .
- ٢٥٧ - السري الرفاء : الفهرست : ١٦٩ ، ابن العديم ٨ : ٢٢٧ وأورد ابن العديم بيتيه «وكانت الأبرة فيما مضى ...» .
- ٢٥٨ - حيص بيص : الاسنوي ١ : ٤٤٣ ، عبر الذهبي ٤ : ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٨٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٠١ ، ابن العديم ٨ : ٢٧١ وأورد أبياته : لا تضع من عظيم قدر ... ، وأبياته : ملكنا فكان العفو ...
- ٢٥٩ - أبو المعالي الحظيري : ابن العديم ٨ : ٢٦٤ ، وقال : قرأ الأدب على ابن الشجري والحواليقي وأبي محمد ابن الخشاب ، وصحب العبادي الواعظ وكتب عنه شيئاً من محاسن كلامه في الوعظ ، واختار منها ما استحسنته وسمّاه «النور البادي من كلام العبادي» وصحب الشيخ محمد الفارقي الزاهد وجمع محاسن كلامه وسمّاه «الكلم الفارقية في الكلم الالهية» ؛ تفقه على مذهب أبي حنيفة ثم انه خرج من بغداد على قدم الزهد والانقطاع والسياسة ، فقدم حلب والعوام واجتمع بأبي نصر ابن القيسراني وسمع منه ببالس شيئاً من شعره ، وله ديوان شعر لطيف النظم صغير الحجم ، وله كتاب «حاطب ليل» ضمنه فوائد ونوادر . ثم قصّ ابن العديم كيف زار أبا المعالي الحظيري مجاهد الدين قايماز لما حج وأودع عنده ذهباً ثمن كتب فسرقه ابن امرأته ، ثم استرده منه وقد نقص ١٥ ديناراً ؛ وحكى كيف وقف قايماز على باب دكانه ببغداد يسأل عنه ، فلما دلّ عليه قال : «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وكان الشيخ الحظيري قصيراً طويلاً اللحية على أذانه شعر ، ونزل إليه قايماز وتحدث معه فعظم في عينه ، ولما عاد من الحج سأله أن يذكر له شيئاً من الألغاز فصنف له كتاب الألغاز ؛ وكان دكانه مجمعاً لأهل العلم .
- ٢٦٥ - ابن الدهان النحوي : الاسنوي ١ : ٥٣٧ .
- ٢٦٩ - سليم الرازي : تبين كذب المفترى : ٢٦٢ ، عبر الذهبي ٣ : ٢١٣ ، الاسنوي

- ١ : ٥٦٢ ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٦٤ .
- ٢٧٥ - أبو الوليد الباجي : القوات ١ : ٣٥٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٠٨ .
- ٢٨٣ - أبو الفتح الأريغاني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ١١٥ .
- ٢٨٤ - أبو الطيب الصعلوكي : تبين كذب المفتري : ٢١١ ، الاسنوي ٢ : ١٢٦ ، طبقات العبادي : ١٠٣ ، ابن قاضي شهبة : ٨٣ ، عبر الذهبي ٣ : ٨٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٤٧ .
- ٢٨٦ - الأفضل ابن أمير الجيوش : مرآة الجنان ٣ : ٢١١ .
- ٢٩٥ - شقيق البلخي : القوات ١ : ٣٨٥ وذكر أن وفاته سنة ١٩٤ .
- ٣٠٥ - الأحنف بن قيس : ابن العديم ٢ : ١٦٧ .
- ٣٠٧ - أبو الطيب الطبري : طبقات العبادي : ١١٤ ، المنتظم ٨ : ١٩٨ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٨ ، الاسنوي ٢ : ١٥٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٦٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٧٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٧٠ .
- ٣٠٨ - ابن بابشاذ النحوي : مرآة الجنان ٣ : ٩٨ .
- ٣١٠ - سيف الإسلام طغتكين : تكلمة المنذري ٢ : ٩٧ .
- ٣١٣ - أبو الأسود الدؤلي : ابن العديم ٩ : ٨ .
- ٣٣١ - الففال المروزي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٨٣ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٥ .
- ٣٣٢ - أبو محمد الجويني : طبقات العبادي : ١١٢ ، تبين كذب المفتري : ١٤٣ ، دمية القصر : ١٩٦ ، المنتظم ٨ : ١٣٠ ، الاسنوي ١ : ٣٣٨ ، ابن قاضي شهبة : ٩٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٥٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٨ ، الحسيني : ٤٨ .
- ٣٣٥ - ابن أبي عسرون : تكلمة المنذري ١ : ٢٠٠ ، الاسنوي ٢ : ١٩٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، الدارس ١ : ٣٩٩ .
- ٣٣٦ - ابن أسعد الموصلبي : الاسنوي ٢ : ٤٤٠ ، مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .
- ٣٣٧ - ابن شأس : مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .
- ٣٤٦ - ابن صارة الشنبريني : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٥٦ .
- ٣٤٧ - ابن السيد البطليوسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ .
- ٣٤٩ - الشيخ أبو البقاء العكبري : مرآة الجنان ٤ : ٣٢ .

- ٣٥٣ - ابن بري : السبكي ٤ : ٢٣٣ ، تكملة المنذري ١ : ٧٣ ، الاسنوي ١ : ٢٦٧ ،
الدارس ١ : ١٨٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٩ (وانظر حاشية انباه الرواة) .
- ٣٦٤ - أبو القاسم الفوراني : الاسنوي ٢ : ٢٥٥ ، الباب (الفوراني) ، ابن قاضي
شهبة : ١٠٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٤ .
- ٣٦٥ - أبو سعد المتولي : الاسنوي ١ : ٣٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٩ ، مرآة الجنان
٣ : ١٢٢ ، الحسيني : ٦٢ .
- ٣٦٦ - فخر الدين ابن عساكر : ابن قاضي شهبة : ١٦١ .
- ٣٧٠ - أبو الفرج ابن الجوزي : تكملة المنذري ٢ : ٢٩١ .
- ٣٧٤ - القاضي الفاضل : تكملة المنذري ٢ : ٢٠٩ ، ذيل الروضتين : ١٧ ، الجامع
المختصر : ٢٨ ، الاسنوي ٢ : ٢٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، الدارس
١ : ٨٩ .
- ٣٧٨ - إمام الحرمين الجويني : دمية القصر : ١٩٦ ، العقد الثمين ٥ : ٥٠٧ ، الاسنوي
١ : ٤٠٩ ، الأنساب واللباب (الجويني) ، ابن قاضي شهبة : ١١٢ ، النجوم
الزاهرة ٥ : ١٢١ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢٣ ،
الحسيني : ٦١ .
- ٣٨١ - أبو منصور الثعالبي : مرآة الجنان ٣ : ٥٣ .
- ٣٨٥ - أبو القاسم الداركي : الاسنوي ١ : ٥٠٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٩ ، البداية
والنهاية ١١ : ٣٠٤ .
- ٣٩٠ - أبو المحاسن الروباني : الاسنوي ١ : ٥٦٥ ، المنتظم ٩ : ١٦٠ ، ابن قاضي
شهبة : ١٢٤ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٧٠ ، مرآة
الجنان ٣ : ١٧١ .
- ٣٩٢ - أبو منصور البغدادي : الاسنوي ١ : ١٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٩٤ ، البداية
والنهاية ١٢ : ٤٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ ، الحسيني : ٤٧ .
- ٣٩٣ - أبو النجيب السهروردي : ابن قاضي شهبة : ١٤٣ .
- ٣٩٤ - أبو القاسم القشيري : الاسنوي ٢ : ٣١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١١١ ، البداية
والنهاية ١٢ : ١٠٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٩١ .
- ٣٩٥ - ابن السمعاني : المنتظم ١٠ : ٢٢٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ، الاسنوي ٢ : ٥٥ .
- ٣٩٩ - ابن الصباغ : الاسنوي ٢ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١١٠ ، البداية والنهاية
١٢ : ١٢٦ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢١ .

- ٤٠٠ - القاضي عبد الوهاب المالكي : مرآة الجنان ٣ : ٤١ .
- ٤٠١ - الحافظ عبد الغني : مرآة الجنان ٣ : ٢٢ .
- ٤٠٢ - عبد الغافر الفارسي : الاسنوي ٢ : ٢٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٣٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٥٩ .
- ٤٠٣ - أبو الوقت السجزي : مرآة الجنان ٣ : ٣٠٤ .
- ٤٠٤ - ابن كليب الحرّاني : تكملة المنذري ٢ : ٢٠٣ .
- ٤٠٦ - عبد المحسن الصوري : مرآة الجنان ٣ : ٣٤ .
- ٤٠٩ - أبو القاسم الأماطي : الاسنوي ١ : ٤٤ ، ابن قاضي شهبة : ٤٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢١٥ ، الحسيني : ٨ .
- ٤١٠ - أبو عمرو الهذباني : رفع الاصر ٢ : ٣٦٧ ، السبكي ٥ : ١٤٣ ، الاسنوي ١ : ١٢٧ ، البداية والنهاية ١٣ : ١١٠ ، حسن المحاضرة ١ : ٤٠٨ ، مرآة الجنان ٤ : ٣ .
- ٤١١ - أبو عمرو ابن الصلاح : تاريخ السلامي : ١٣٠ ، الاسنوي ٢ : ١٣٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٨٧ ، المدارس ١ : ١٩ ، مرآة الجنان ٤ : ١٠٩ ، الحسيني : ٨٤ .
- ٤١٢ - أبو عمرو ابن الحاجب : البداية والنهاية ١٣ : ١٧٦ ، مرآة الجنان ٤ : ١١٤ .
- ٤١٤ - الملك العزيز عماد الدين بن صلاح الدين : تكملة المنذري ٢ : ١٥٠ ، المدارس ١ : ٣٨٧ .
- ٤١٥ - عدي الهكاري : تاريخ اربل : ٨٧ .
- ٤١٧ - ركن الدين الطاووسي : الاسنوي ٢ : ١٧٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٢ .
- ٤١٨ - أبو المعالي عزيزي الجيلي : مرآة الجنان ٣ : ١٥٧ .
- ٤٢٧ - أبو الحسن ابن المرزبان : الاسنوي ٢ : ٣٧٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٩ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٨٩ ، الحسيني : ٢٨ .
- ٤٢٨ - أبو الحسن الماوردي : معجم الأدباء ١٥ : ٥٢ ، الاسنوي ٢ : ٣٨٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٢ ، لسان الميزان ٤ : ٢٦٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ٨٠ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٦٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٧٢ .
- ٤٢٩ - أبو الحسن الأشعري : الاسنوي ١ : ٧٢ ، ابن قاضي شهبة : ٥٩ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٩ .
- ٤٣٠ - الكيا المراسي : الاسنوي ٢ : ٥٢٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٥ ، مرآة الجنان ٣ : ١٧٣ .

- ٤٣١ - علي بن الانجب المقدسي الحافظ : ابن شمار ٣ : ٤٨٩ وقال : سمع بالحجاز وديار مصر والشام وتغرب وكتب الكثير ، وخرج القوائد الصحاح ، وكان من الحفاظ الأثبات الثقات الأمناء الفضلاء ؛ وأورد من شعره «أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل ، والبيتين «ولمياء تحيي من تحيي بريقها ...» .
- ٤٣٢ - سيف الدين الأمدي : ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧٤ ، أخبار الحكماء للقفطي : ٢٤٠ الاسنوي ١ : ١٣٧ ، مرآة الزمان : ٦٩١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٣ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٤٠ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٣ ، الدارس ١ : ٣٩٣ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٤١ .
- ٤٣٤ - أبو الحسن الدارقطني : الاسنوي ١ : ٥٠٨ ، البداية والنهاية ١١ : ٣١٧ .
- ٤٣٨ - أبو الحسن الواحدي : الاسنوي ٢ : ٥٣٨ ، ابن قاضي شهبة : ١١٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٩٦ .
- ٤٣٩ - ابن ماكولا : مرآة الجنان ٣ : ١٤٣ .
- ٤٤١ - الحافظ ابن عساكر : الاسنوي ٢ : ٢١٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٤ ، الدارس ١ : ١٠٠ .
- ٤٤٤ - أبو الحسين الحلبي : الاسنوي ١ : ٤٧٩ ، ابن قاضي شهبة : ١١٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٥٥ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٦٤ ، حسن المحاضرة ١ : ٤٠٤ .
- ٤٤٨ - ابن حزم الظاهري : مرآة الجنان ٣ : ٧٩ .
- ٤٤٩ - أبو الحسن ابن سيده : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٠٩ .
- ٤٥١ - أبو الحسن ابن خروف النحوي : مرآة الجنان ٤ : ٢١ .
- ٤٥٤ - أبو الحسن ابن العصار : تاريخ ابن الدبئي ، الورقة : ١٤٣ .
- ٤٥٥ - أبو الحسن شميم الحلبي : تاريخ ابن الدبئي ، الورقة : ١٣٧ والغصون اليانعة : ٥ وذكر أنه وقف على ترجمته في تاريخ بغداد لابن الساعي وتاريخ حلب لابن العديم ؛ وترجم له ابن الشعار ٤ : ٤٢٧ وقال : كان من جملة محفوظاته «إصلاح المنطق» يهذه هذا من خاطره ، ومن مؤلفاته : كتاب بدائه الفكر في بدائع النظم والنثر ، وكتاب أنيس الجليس في محاسن التجنيس من إنشائه وشعره ، وكتاب النكت المنجمات في شرح المقامات ، وكتاب التغميض في التحميض ، وكتاب الاغراب في بطلان الاعراب ، وكتاب ربحانة الهم في اشتقاق المدح والذم ، وكتاب معاياة العقل ومعاناة النقل ، وكتاب أري المشتار في القريرض المختار ، وكتاب مباح المنى في إيضاح الكنى ، إلى غير ذلك من التواليف .

٤٥٦ - أبو الحسن علي بن محمد السخاوي : الاسنوي ٢ : ٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٨٨ ، مرآة الجنان ٤ : ١١٠ وابن الشعار ٥ : ١٩ وقال في ترجمته : قرأ في بلده على أبي اسحاق ابراهيم بن جبارة السخاوي ، وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وسمع على أبي اليمن كتاب سيبويه والايضاح واللمع وديوان المتنبي وشرحه وقرأ عليه أكثر مسموعاته ، وجج سنة ٥٩٨ ، ومن مصنفاته فتح الوحيد في شرح القصيد ، وهي قصيدة الشاطبي ، والوسيلة إلى كشف العقيلة شرح قصيدة الشاطبي في رسم المصحف ، وكتاب المفضل في شرح المفضل ، وكتاب جمال القراء وكمال الاقراء ، وكتاب تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي ، وكتاب تحفة الناسك في معرفة المناسك ، وكتاب سفر السعادة وسفر الافادة ، وكتاب ذات الحلل ومهارة الكلل فيما اتفق لفظه واختلف معناه .

٤٥٧ - ابن البواب الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٤٢ .

٤٥٩ - علي الهروي السائح : مرآة الجنان ٤ : ٢٢ ، وتاريخ اربل : ١٢٨ وأورد كل ما كتب على مقبرته التي أنشأها لنفسه : وابن الشعار ٥ : ٣٦ وقال في ترجمته : كان والده من أهل هراة خراطاً ، ويعرف بابن الخراط ، ومن مصنفاته : العجائب والآثار ، قال : ورأيت له خطباً من إنشائه وكلاماً مثوراً وشعراً ، وكانت ولادته سنة ٥٤٢ ، وقبره ظاهر المدينة قبليها على الجادة الآخذة إلى دمشق بئر نسبت إلى ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان صوفياً له معرفة بالسيما والتخييلات ، وكانت له مجلب وجاهة ومترلة عند صاحبها الملك الظاهر غياث الدين ؛ ثم أورد له مقطعات شعرية .

٤٦٠ - عز الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٣ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٠ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٣٩ ، تاريخ ابن الديبني ، الورقة : ١٥٩ .

٤٧٠ - أبو الفتح البستي : الاسنوي ١ : ٢٢١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٨ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٠٦ .

٤٧١ - أبو الحسن التهامي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩ .

٤٧٥ - أبو الحسن الباخري : معجم الأدباء ١٣ : ٣٣ ، الاسنوي ١ : ٢٣٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٩٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٩٩ .

٤٧٨ - ابن الساعاني : الغصون اليانعة : ١١٨ وقال ان له ترجمة في تاريخ حلب وفي تاج المعاجم ، وقال : لم ينشأ بدمشق في زمانه أبرع منه صورة ، وبرع في صباه

- خطاً وشعراً ولعباً بالشطرنج والورد وفي الفروسية ، ومن المشهور أنه قرأ في أول أمره على البديع الاضطرابي بآمد؛ وترجم له ابن الشعار (٤: ٢٩٢) وسماه علي بن محمد بن رسم ، وذكر أنه ولد سنة ٥٤٤ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ .
- ٤٧٩ - أبو الفضائل الأمدي : الاسنوي ٢ : ٥٤٩ .
- ٤٨٤ - علي بن محمد الصليحي : مرآة الجنان ٣ : ١٠٣ .
- ٤٨٥ - العادل ابن السلار : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٨ .
- ٤٨٦ - الملك الأفضل ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٥٢ ، وابن الشعار ٤ : ٤٧٦ وأورد له شعراً كثيراً ، وذكر أن وفاته كانت في الخامس والعشرين من صفر سنة ٦٢٢ .
- ٤٨٩ - عمارة اليميني : الاسنوي ٢ : ٥٦٥ .
- ٤٩٥ - ابن البزري : الاسنوي ١ : ٢٥٧ .
- ٤٩٦ - شهاب الدين السهروردي : تاريخ ابن الدبئي ، الورقة : ١١٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٩ ، تاريخ اربل : ١٧٤ وقال في كنيته : أبو نصر وقيل أبو عبدالله وقيل أبو حفص ، وله كتاب حلية الناسك ، وترجم له ابن الشعار ٥ : ٣١٢ وقال : قدم بغداد شاباً بعد وفاة أبي الوقت السجزي فسمع بها من جماعة منهم أبو المظفر ابن الشبلي وأبو الفتح ابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي ، تولى ببغداد عدة ربط للصوفية ، وأنفذ للديوان العزيز رسولاً إلى عدة جهات ، ومن مؤلفاته بغية البيان في تفسير القرآن ، وكتاب رشف النصائح الايمانية وكشف الفضايح اليونانية (منه نسخة بمكتبة برلين : 2078 Spr. 769) صنفه رداً على أصحاب البدع والحكماء والمنجمين ؛ قلت : وأورد ابن الشعار وابن المستوفي أبياته التي أولها «تصرمت وحشة الليالي ...» .
- ٤٩٧ - أبو الخطاب ابن دحية : تاريخ ابن الدبئي ، الورقة : ١٠٩ ، ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٢١ ، مرآة الجنان ٤ : ٨٤ ، ابن الشعار ٥ : ٣١٥ وفي نسبة ملال بن أحمد ابن بدر ؛ وتحدث عن كتابة التنوير فقال : وهذا كتاب التنوير كنت أحد من سمعه على الملك المعظم مظفر الدين نور الله ضريحه في جمادى الآخرة سنة ٦٢٥ برباط الصوفية المعروف برباط المناظرة قريباً من القلعة المنصورة ؛ وأورد قصيدته «لولا الوشاة وهم ...» التي وجدها ابن خلكان في ديوان ابن ممتي ، وذكر ابن الشعار أن ابن دحية ولد باغمات ونشأ بسبته وولي القضاء ببر الأندلس بمدينة دانية ؛ قال (٥ : ٣٢١) وأخبرني أبو الروح الحميري الأندلسي قال :

هذا ابن دحية ليس بصحيح النسب وأصله يهودي وكان يلقب باللوة، وأبوه حسن كان يلقب بالزعبطور ، وهو المشوة الخلق العظيم الحلقة بلغة الأندلس المقطع السرموزا وتكون ثيابه مقطعة وسخة ، ابن علي ويلقب بالقنوط لفراغه وقلة عقله يريد القصبه الفارغة ، ابن يوسف و لقبه الجميل تصغير الحمل بلغة العامة .

- ٤٩٨ - أبو علي الشلوبيني : مرآة الجنان ٤ : ١١٣ .
٤٩٩ - ابن طبرزد : تاريخ اربل : ١٣٧ ، تاريخ ابن الديبلي ، الورقة : ١١٦ .
٥٠٠ - ابن الفارض : مرآة الجنان ٤ : ٧٥ .
٥٠١ - تقي الدين صاحب حماة : تكملة المنذري ١ : ٢٩٢ ، الدارس ١ : ٢١٦ .
٥١١ - القاضي عياض : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٥٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٢ .

٥١٣ - أبو موسى الجزولي : مرآة الجنان ٤ : ١٩ ، ابن الشعار ٥ : ٤٦٠ وقال : قرأ على أبي المنصور ظافر بن الحسين الملكي المصري كتاباً في أصول الدين فنال عندهم حظوة وقبلوه وحسن موقعه عندهم . وقامى مدة اقامته بمصر ضراً من الفقر والفاقة ، ولم يدخل مدرسة ، وكان يخرج إلى الضياع فيحصل ما يقوم بنفقته وهو غاية من القلة وضيق المعيشة ، ولما عاد إلى المغرب وصل إلى المربة ونال حظوة عند بني عبد المؤمن ، وتمشت أحواله واكتسب رزقاً ، وندبه الأمير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن لكشف أحوال القضاة والولادة على البلاد ثقة بعدائه وأمانته ، فتوفي في تلك السفارة في دولة الأمير محمد بن يعقوب قبل السنة العاشرة والستمائة . ثم قال ابن الشعار : وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستمائة بهسكورة من بلد مراکش .

٥١٥ - الملك المعظم شرف الدين عيسى : الدارس ١ : ٥٧٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٧ ، ابن الشعار ٥ : ٤٧٢ وقال في ترجمته : حدثته نفسه بتملك البلاد فعات في بعضها وسلط عليها العرب ققطعوا الطرق وأخافوا السبيل ، وذهب بسببه الأموال والأنفس فتقلدها في عنقه ولقي الله تعالى بها ، وامتدت يده في الظلم والمصادرات وظلم جماعة ووصل جوره وظلمه إلى خلق كثير ؛ وقال في شعره : ونظم شعراً كثيراً ودون شعره ومعظمه في الافتخار ووصف نفسه بالفروسية والاقدام والحروب والوغي .

٥١٦ - عيسى بن محمد الهكاري : تكملة المنذري ١ : ٢١٣ .

٥٢٠ - غازي بن زنكي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٣ .

- ٥٢٢ - غازي ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٢٧ ، الدارس ١ : ٤٣٢ ، ابن الشعار
٥ : ٤٩٨ قال : وكان موته بأمراض اجتمعت عليه ، ذوسنطاريا وحمى باطنة
وحمى نوبة وعسر بول ، ثم نقل إلى المدرسة التي أنشأها مولاه ملول أبو سعيد
الطاهري تحت القلعة المنصورة ، وقال أيضاً إن والده أعطاه مملكة حلب سنة
٥٨١ في جمادى الآخرة (وهو مختلف عما قاله ابن خلكان) .
- ٥٢٥ - الفتح بن خاقان : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان
٣ : ٢٦٤ .
- ٥٢٦ - فتیان الشاغوري : ابن الشعار ٥ : ٥٣٣ قال : أخذ العلم بالعربية والنحو عن
أبي نزار الحسن بن صافي البغدادي الملقب بملك النحاة ، وبعده على أبي اليمن
الكندي ، وكان عارفاً بعلم اللغة والاعراب لبيباً عاقلاً أديباً كاملاً ذا سم
حسن وديانة ، وكان معلم الصبيان بدمشق فترك التعليم وقعد لاقراء النحو والآداب
والعربية ، واستفاد منه خلق كثير ، واشتهر شعره وشاع في الأقطار واستملحا
أولو العلم واستجاده ؛ وأورد أبياته « قد أجمد الخمر كانون بكل قدح » ومعه
بيت رابع . ونقل عن ابن النجار قوله : سألت فتیان بن علي الأسدي عن ولادته
فقال : ولدت في سنة أربع وثلاثين وخمسائة (راجع الوفيات ص ٢٦ س ٤) .
- ٥٢٧ - الفضل بن يحيى البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .
- ٥٣٤ - أبو عبيد القاسم بن سلام : ابن قاضي شهبة : ٤٤ .
- ٥٣٥ - القاسم بن علي الحريري : الاسنوي ١ : ٤٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٥ ،
البداية والنهاية ١٢ : ١٩١ مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ خزائن الأدب ٣ : ٣٨ ،
روضات الجنات : ٥٢٧ .
- ٥٣٦ - القاسم بن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥٠ ، وأورد
العماد في الخريدة (٢ : ٣٢٢) قسم الشام البيتين « همي دونها السها والزباني »
ونسبهما إلى ولده محمد بن القاسم .
- ٥٣٧ - ابن فيره الشاطبي : ذيل الروضتين : ٧ ، تكملة المنذري ١ : ٣٨٣ ، الاسنوي
٢ : ١١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ .
- ٥٣٩ - قابوس بن وشمكير : مرآة الجنان ٣ : ١٠ .
- ٥٤٠ - قايماز بن عبد الله الزيني : تكملة المنذري ٢ : ١٥٨ .
- ٥٤٣ - بهاء الدين قراقوش : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٠ .
- ٥٥٢ - مجد الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٣ ، انباء

الأمرء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٤ : ١١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٧ وقال في ترجمته :
تولى الخزانة لسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ثم ولاه ديوان الجزيرة
وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فتاب في الديوان عن الوزير جلال الدين الاصفهاني
ثم اتصل بمجاهد الدين قايمار . ولما عمل لنور الدين أرسلان شاه صار واحداً دولته
حقيقة بحيث أن السلطان نور الدين كان يقصد منزله في مهام نفسه ، ولا يرد
ولا يصدر إلا عن رأيه ويشاوره في الأمور ؛ ومن مؤلفاته الفروق في الأبنية ،
وكتاب المرصع في الأذواء والذوات والآباء والأمهات (مطبوع) وكتاب المختار
في مناقب الأخيار ، وكتاب منال الطالب في شرح الراغب (لدي مصورة منه) ؛
وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبي الحسن وسماه الجواهر الآل من إنشاء
المولى الجلال ، وله رسائل عني يجمعها اسماعيل بن علي الكاتب الحظري وترجمها
بالدر المنثور . وذكر ابن الشعار أن ولادته كانت في إحدى الجماديين (مخالفاً
لقول ابن خلكان) وأورد بيتيه « ان زلت البغلة من تحته » .

٥٥٣ - المبارك بن منقذ : تكملة المنذري ١ : ٣٥٠ وأبياته الميمية (ص ١٤٦) وردت
في تاريخ اربل : ٢٠٧ .

٥٥٤ - ابن المستوفي : مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، ابن الشعار ٧ : ٣٤ وقد أظن في الثناء
عليه وقال : لما ملك العسكر المستنصري مدينة اربل عنوة واستقر بها وذلك بعد
وفاة مالكة مظفر الدين كوكبوري وتولى إمارتها الأمير أبو المكارم باتكين بن
عبد الله المستنصري ندب الصاحب أبا البركات إلى خدمته وعرض عليه الوزارة
وأن يكون نائبه في الأشغال الديوانية وحكمه في الأمر والنهي وألقى إليه مقاليد
الأمر واعتمد عليه وقرر له جارياً سنياً يصل إليه في رأس كل شهر ، فاستغنى
من ذلك وامتنع امتناعاً شديداً واحتج بأنه شيخ كبير ... ولما سلم من التتر وخرج
من اربل سمع به لؤلؤ بن عبد الله البدري فانتدب إليه جمالاً وأبعالاً تحمل متاعه
الذي كان تخلف معه ، فدخل الموصل ، فاستقبله الأمير المذكور بالاكرام
الوافر والتبجيل والحرمة التامة ، وأنزله في دار هيئت له برسمه ؛ ومن مؤلفاته
كتاب في صناعة البديع . كتاب الممتع الزمن . كتاب الخليل . كتاب جامع
الأوراق . كتاب قناعة الناظر وكفاية المحاضر فيه ملح الاشعار ومختارها . كتاب
مشارك الأنوار ومطالع العذار ؛ أما كتابه في تاريخ اربل فقد سماه « نباهة البلد
الخامل ومن ورد عليه من الأمائل » .

٥٥٥ - الوجيه ابن الدهان : الاسنوي ١ : ٥٣٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٤ .

- ٥٥٦ - مجلي بن جميع : الاسنوي ١ : ٥١١ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٧ ، البداية والنهاية
١٢ : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٧ ، وكتابه « الذخائر » أورده الاسنوي بالدال
المهملة ، وكتب ترجمته تحت ذلك الحرف .
- ٥٥٨ - محمد بن ادريس الشافعي : الاسنوي ١ : ١١ والقصيدة المنسوبة لابن دريد في
مدحه (ص ١٦٨) منها في الاسنوي (١ : ٥١٧) أبيات ، وانظر ديوان
ابن دريد : ٧٧ .
- ٥٦٩ - محمد بن اسماعيل البخاري : ابن قاضي شهبة : ٤٩ .
- ٥٧٠ - ابن جرير الطبري : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .
- ٥٧١ - محمد بن عبد الحكم : تذكرة الحفاظ : ٥٤٦ ، غاية النهاية ٢ : ١٧٩ ، الديباج
المذهب : ٢٣١ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٢٦٠ ، الاسنوي ١ : ٣٦ .
- ٥٧٢ - أبو جعفر الترمذي : الاسنوي ١ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٤٩ .
- ٥٧٣ - ابن الحداد المصري : تذكرة الحفاظ : ٨٩٩ ، الاسنوي ١ : ٣٩٨ ، ابن قاضي
شهبة : ٦٥ .
- ٥٧٥ - القفال الشاشي : تبين كذب المفترى : ١٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم
الزاهرة ٤ : ١١١ ، الاسنوي ٢ : ٧٩ ، وانظر الاسنوي ١ : ٣٠٤ في الحديث
عن كتاب التقريب وأهميته .
- ٥٧٦ - أبو الحسن الماسرجسي : الاسنوي ٢ : ٣٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ٧٧ .
- ٥٧٧ - أبو عبد الله الختن : الاسنوي ١ : ٤٦٥ ، ابن قاضي شهبة : ٧٦ .
- ٥٧٨ - أبو سهل الصعلوكي : الانساب (الصعلوكي) ، الاسنوي ٢ : ١٢٤ ، ابن
قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٦ .
- ٥٧٩ - أبو الطيب ابن سلمة : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .
- ٥٨٠ - أبو بكر النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٦١ .
- ٥٨١ - أبو زيد المروزي : تبين كذب المفترى : ١٨٩ ، العقد الثمين ١ : ٢٩٧ ،
الاسنوي ٢ : ٢٣٤ .
- ٥٨٢ - أبو بكر الأودني : تبين كذب المفترى : ١٢٩ ، الاسنوي ١ : ٥٤ ، وقد
جاء في نسبه بصير (بدل نصر) ونصّ على أنه بالباء الموحدة . وضبط الأودني
بفتح الهمزة ، كما نقله ابن الصلاح عن الاكمال لابن ماكولا ، وعن خط ابن
السمعاني في الأنساب .

- ٥٨٤ - أبو عبد الله القضاعي : عبر الذهبي ٣ : ٢٣٣ ، الاسنوي ١ : ٣١ ، ٢ : ٣١٢
مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .
- ٥٨٥ - أبو عبد الله المسعودي : الوافي ٣ : ٣٢١ ، الاسنوي ٢ : ٣٨٥ ، ابن قاضي
شبهة : ١٥٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٠ .
- ٥٨٦ - أبو عاصم العبادي : الاسنوي ٢ : ١٩٠ ، ابن قاضي شبهة : ١٠٣ ، اللباب
(العبادي) ، مرآة الجنان ٣ : ٨٢ ، السبكي ٣ : ٤٢ .
- ٥٨٧ - أبو عبد الله الخضري : الاسنوي ١ : ٤٦٩ .
- ٥٨٨ - أبو حامد الغزالي : مرآة الجنان ٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شبهة : ١٢٧ .
- ٥٨٩ - أبو بكر المستظهري : الاسنوي ٢ : ٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٩٤ .
- ٥٩٠ - أبو نصر الارغواني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، الشذرات ٤ : ٨٩ ، وقد وهم الاسنوي
فنسب البيتين (على ص ٢٢٢) له ، وهما من قديم الشعر وينسبان للمجنون .
- ٥٩١ - محمد بن يحيى النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٥٥٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٠ ،
الحسيبي : ٧٧ .
- ٥٩٢ - أبو منصور البروي : مختصر ابن الدبيني ، ١ : ١١٦ ، مرآة الزمان : ٢٩٢
البداية والنهاية ١٢ : ٢٦٩ ، الاسنوي ١ : ٢٦٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٢ وقال
سبط ابن الجوزي : نصر مذهب الاشعري وبالغ في ذم الحنابلة ، وقال : لو
كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية ، وكان شاباً مليح الصورة حسن العبارة فصيحاً ،
فيقال إن الحنابلة دسوا عليه من سمه .
- ٥٩٣ - أبو الحسن ابن الحلّ : الاسنوي ١ : ٤٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٢ ، البداية
والنهاية ١٢ : ٢٣٧ ، البلد السافر ، الورقة : ١٤٩ .
- ٥٩٤ - محيي الدين بن زكي الدين : تكملة المنذري ٢ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٩ ،
الدارس ١ : ٢١٩ .
- ٥٩٥ - السيد السلماسي : الاسنوي ٢ : ٥٦ ، ابن قاضي شبهة : ١٤٦ .
- ٥٩٦ - عمدة الدين حفدة : الاسنوي ١ : ٤٤١ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٩ .
- ٥٩٧ - نجم الدين الجبوشاني : تكملة المنذري ١ : ٢٩٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩٣ ، ابن
قاضي شبهة : ١٥٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٣٣ .
- ٥٩٨ - كمال الدين الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، ابن قاضي شبهة : ١٤٥ .
- ٥٩٩ - محيي الدين الشهرزوري : تكملة المنذري ١ : ٢٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠١ ،
ابن قاضي شبهة : ١٥٦ .

٦٠٠ - فخر الدين الرازي : ابن قاضي شهبة : ١٦٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٧ ، ابن الشعار ٦ : ١٠٧ قال : كان جده الحسين خطيب الري ، وجده الحسن ولد بمكة ، وكان تاجراً ثرياً سكن الكعبة الحرام أربعين سنة ؛ كنيته أبو الفضل قرأ العلوم الأولية على مجد الدين الجلي في أذربيجان ؛ أقام في الباميان سنين كثيرة عند صاحبها بهاء الدين سام بن محمد بن الحسين بن سام وكسب من جهته أموالاً كثيرة ؛ وأورد ابن الشعار ثبوتاً بمؤلفاته . وترجم له في البدر السافر ، الورقة : ١٤٠ وقال : صنف ما يزيد على مائتي مصنف ، وكان زيادة على خمسين مملوكاً يقفون على رأسه بمناطق الذهب والفضة وعليهم ثياب الوشي ، واختص بعلاء الدين خوارزمشاه صاحب خوارزم وخراسان ، وكان يجلس إلى جانبه ، ثم انفصل عنه واجتمع بشهاب الدين سام صاحب غزنة وأقام عنده ، وجرت عليه محنة عندما هجم الحشيشية على السلطان فخلصه الله تعالى ، فانصرف إلى مدينة هراة فلزم بها التدريس والعبادة . وقد أورد في البدر السافر الأبيات (نهاية إقدام العقول عقال) ، وحكايته مع ابن عنين .

٦٠١ - عماد الدين ابن يونس : الاسنوي ٢ : ٥٦٩ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٧ ، مرآة الجنان ٤ : ١٦ ، البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ .

٦٠٢ - معين الدين الجاجرمي : الوافي ٢ : ٨ ، الاسنوي ١ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٧ .

٦٠٥ - أبو بكر الطرطوشي ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢١١ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ .

٦٠٨ - أبو بكر الباقلافي : مرآة الجنان ٣ : ٦ .

٦١٠ - أبو بكر ابن فورك : انباه الرواة ٢ : ١١٠ ، الاسنوي ٢ : ٢٦٦ ، ابن قاضي شهبة : ٨٦ ، مرآة الجنان ٤ : ١٧ .

٦١١ - أبو الفتح الشهرستاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٩ ، لسان الميزان ٥ : ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٠٣ ، وقد ورد البيتان «يا راحلين بمهجة» (ص : ٢٧٥) في الاسنوي ونسبهما للشهرستاني نفسه .

٦١٥ - الحاكم النيسابوري : الاسنوي ١ : ٤٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ٨٧ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٨ ، الحسيني : ٤١ .

- ٦١٦ - أبو عبد الله الحميدي : البدر السافر ، الورقة : ١٤٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤٩ ، مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ٢٩ .
- ٦١٧ - أبو عبد الله المازري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٧ .
- ٦١٨ - أبو موسى الاصبهاني : البدر السافر ، الورقة : ١٤٤ قال : قرأ القراءات وتفقه على مذهب الشافعي على أبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي ، وقرأ النحو واللغة حتى تمهر فيها ، وله التصانيف المفيدة منها أسماء الصحابة ، والأمال الكبير ، وكتاب اللطائف ، وعوالي التابعين ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، وكان متواضعاً يقرئ كل من أراد ، والمديني نسبة إلى المدينة العتيقة بشهرستان المتصلة باصبهان ، وهي مدينة جي .
- ٦١٩ - محمد بن طاهر المقدسي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٥ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٨ قال : كان متقناً حادّ القريحة ، روى عنه الكبار والأئمة الحفاظ ، وله نظم جيد منه برواية السلفي :

أشارت إليّ بعنّابة مخضبة من دم الأفتده
وقالت على العهد يا سيدي فقلت إلى الحشر يا سيده

ووثقه غير واحد ، وقال ابن منده : ابن طاهر أحد الحفاظ ، حسن الاعتقاد جميل الطريقة صدوق عالم بالصحيح والسقيم ، وقال السلفي : سمعته يقول ، كتبت صحيح البخاري ومسلم وأبي داود سبع مرات بالوراقة ، وسنن ابن ماجه عشر مرات . وكان يمشي على الدوام في اليوم والليلة عشرين فرسخاً . وقال عنه بعضهم : كان صوفياً ملامتياً . وقال ابن ناصر : صنف ابن طاهر كتاباً في جواز النظر إلى المرد . وقال ابن عساكر : جمع الحفاظ ابن طاهر أطراف الكتب وأخطأ في مواضع خطأ فاحشاً .

- ٦٢٢ - أبو عبد الله الفراوي : تبين كذب المفتري : ٣٢٢ ، الاسنوي ٢ : ٢٧٦ ، السبكي ٤ : ٩٢ ، مرآة الزمان : ١٦٠ .
- ٦٢٣ - أبو بكر الآجري : طبقات أبي يعلى : ٣٣٢ ، الاسنوي ١ : ٧٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧٣ .

٦٢٤ - محمد بن ناصر السلامي : البدر السافر ، الورقة : ١٦٩ قال : كان والده من أولاد الأتراك ، فتوفي وابنه هذا صغير فتكفله جده وشغله بالقرآن ، وأسمعه الحديث والفقهاء على مذهب الشافعي ، ثم صحب الخطيب التبريزي وقرأ عليه الأدب وشرحه لديوان المتنبي ، وكان كثير الحفظ متقناً نحوياً لغوياً

- أصوله في غاية الصحة والافتقان ، بصيراً بهذا الشأن، ثقة نبيلاً حسن الطريقة متديناً متعقفاً ، وقال المنذري : توفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة .
- ٦٢٥ - أبو بكر الحازمي : تاريخ اربل : ٩٦ ، الروضتين ٢ : ١٣٧ ، تكملة المنذري ١ : ١٤٥ ، الاسنوي ١ : ٤١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٢٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٣٢ ، الحسيني : ٨٠ .
- ٦٢٦ - أبو بكر ابن العربي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٩ .
- ٦٢٧ - أبو بكر النقاش : المنتظم ٧ : ١٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٣ ، لسان الميزان ٥ : ١٣٢ ، طبقات المفسرين : ٢٩ .
- ٦٣٧ - ابن دريد : الاسنوي ١ : ٥١٦ ، ابن قاضي شهبة : ٦٠ .
- ٦٣٩ - أبو منصور الأزهري : اللباب (الأزهري) ، عبر الذهبي ٢ : ٣٥٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩ ، الحسيني : ٣٠ .
- ٦٥١ - أبو بكر الزبيدي : المحمدون : ٢٠٧ .
- ٦٥٣ - الأمير المختار المسبحي : مرآة الجنان ٣ : ٣٦ .
- ٦٥٩ - المسعودي البندهي : معجم الأدباء ١٨ : ٢١٠ ، معجم البلدان (بنج ديه) ، تكملة المنذري ١ : ١٣٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٢٨ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٦٢٨ ، بغية الوعاة : ٦٦ ، الاسنوي ١ : ٤٣١ ، ٢ : ٤٥٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١١١ وقال في ترجمته : وذكره المنذري في تاريخ مصر وقال : قدم مصر قديماً ، ثم قدمها ثانياً رسولاً وحدث بها وكتب عنه الحافظ السلفي أناشيد ، وكان واسع الرواية كثير الدراية ؛ وقال المنذري : نقلت من خط المسعودي ولدت ... الخ (وهو ما أورده ابن خلكان ص ٣٩٠ - ٣٩١) ، وقال ابن النجار : توفي ليلة السبت سابع عشرين الشهر ... وكان من الفضلاء في كل فن من الفقه والحديث والأدب ؛ وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها « قالت عهدتك تبكي ... » .
- ٦٦٠ - ابن نقطة : مرآة الجنان ٤ : ٦٨ .
- ٦٦١ - ابن الدببشي : تاريخ اربل : ١٧٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٥ ، الاسنوي ١ : ٥٤١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٧ وقال ابن المستوفي في ترجمته : سمع عليه الحديث باربل وسمع من مشايخها ولم يكن قديم الرواية ، وفي ذكر بلده قال : وكانت تدعى ذو بيتا فعربت ، وكتبها في البدر السافر ديبتا - بالتاء المثناة - وكذلك وردت نسبتها

«الديبتي» . وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها «خبرت بني الأيام
طراً ...» (ص ٣٩٤) .

- ٦٦٧ - الشريف الرضي : مرآة الجنان ٤ : ١٨ .
٦٦٩ - ابن عمار الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ١٢٠ .
٦٧٠ - ابن ماجه : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٨٣ .
٦٧٢ - أبو بكر ابن زهر : مرآة الجنان ٣ : ٢٤٥ .
٦٧٣ - ابن حيوس : المحمدون : ٣٦٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١٠١ .
٦٧٤ - أبو المظفر الابيوردي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٦ .
٦٧٥ - ابن أبي الصقر الواسطي : الاسنوي ٢ : ١٤٠ .
٦٧٦ - ابن الهبارية : مرآة الجنان ٣ : ١٩٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١٥٦ وقال في
ترجمته : والهبارية أم أحد آباه من ولد هبار بن الأسود بن المطلب . كان فاضلاً
أديباً بارعاً شاعراً بليغاً عارفاً بالأنساب ونقد الشعر ، سمع الحديث من مالك
ابن أحمد البانياسي وغيره ، ونشأ ببغداد وقرأ بها الأدب ، واعتذر عن مجونه
في ديباجة ديوانه فقال : ان الهمم قد قصرت ، وصار الناس لا يجيزون إلا على
رديء الشعر وسخيفه فسلكت ذلك فصار لي طبعاً . بالغ حتى هجا أباه وأمه ،
وأكابر الدولة ، فأطيح دمه فاختمى ورحل إلى اصبهان فاشتهر بها ومشى حاله ،
ثم عاد له طبعه فهجا الوزير نظام الملك فأهدر دمه ، فاختمى ، وشفع فيه أبو بكر
ابن ثابت الجحدري ، ورحل إلى كرمان . وله من الكتب : كتاب المجدي
صنفه لمجد الملك القمي ، وكتاب ردّ فيه على أبي محمد الغندجاني ، وكتاب سماه
زجر النابح انتصر فيه لأبي العلاء المعري على من ردّ عليه مواضع في سقط الزند ،
وكتاب ذكر الذكر وفضل الشعر ، وكتاب مجازين العقلاء ، وله أرجوزة ذمّ
فيها الخواص والمدارس . وأورد له صاحب البدر السافر بيتيه «خذ جملة البلوى...»
(ص ٤٥٥) وأورد قول العماد في وفاته ، ثم ذكر تاريخاً آخر لوفاته هو سنة ٥٠٩
٦٧٧ - ابن القيسراني : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٧١ .
٦٧٨ - محمد بن ابراهيم الكيزاني : المحمدون : ١١١ ، البدر السافر ، الورقة : ٦٨
وفي نسبه «فرج» - بالجميم المنقوطة - وقال : قرأ القراءات على أبي الخير وسمع
من أبي الحسن الفراء الموصلي وأبي الحسن علي بن ابراهيم البغدادي وأبي طاهر
محمد بن محمد ، وروى عنه كثيرون ، وكان ينسب إلى بدعة ويقول بقدم الأعمال
وبشيء من التنجيم .

٦٧٩ - الابله الشاعر : البدر السافر ، الورقة : ٨٣ وقال في ترجمته : من شعراء الديوان ببغداد ، وله حكايات في التغفل أوردها ابن النجار الحافظ ، منها أن أمه أعطته شيئاً وقالت له اجعله في الشمس واجلس عنده ، ولا تتركه تأكله العصفير ، فتركه ونزل ، وقال : تركته في موضع عال ورفعت السلم فما يصل إليه العصفور فلهذا قيل له الابله ؛ وقيل كان غاية في الذكاء فقيل أبله ، من أسماء الأضداد ؛ سئل عن مولده فقال : سنة عشرين وخمسمائة ، وأورد له البيت «لا يعرف الشوق إلا من يكابده» (ص ٤٦٤) والبيتين «دارك يا بدر اللحي جنة» (ص ٤٦٥) .

٦٨٠ - سبط ابن التعاويذي : تكملة المنذري ١ : ١٨٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٥ .

٦٨١ - ابن المعلم الشاعر : تكملة ابن المنذري ٢ : ٤٠ ؛ قلت : وديوانه مخطوط ، بمكتبة جامعة استانبول رقم : ٩٥٠ وهو في ٨٠ ورقة ، وبادار الكتب المصرية نسخة أخرى برقم ٩٦٠٣ أدب .

٦٨٣ - أبو شجاع الفرضي : البدر السافر ، الورقة : ١٣٢ ، انباه الرواة ٣ : ١٩١ الاسنوي ١ : ٥٣٨ ، تكملة المنذري ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ ، وذكر القفطي رحلته إلى مصر ثم قال : ودخل الناس إليه للأخذ ، وكنت فيمن دخل عليه فرأيت شيخاً دميم الخلق مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها ، أبيض تعلوه صفرة ... ولم ترتفع له بمصر درجة ، فانه حضر إليه جماعة من أهل العلوم التي يدعيها وحاضروه فيها فقصر فلم ينفق وهجره الناس ، فخرج من مصر بغير طائل ، وعاد إلى دمشق .

٦٨٤ - ابن عنين الشاعر : مرآة الجنان ٤ : ٧١ ، الحوادث الجامعة : ٥١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٠٠ ونسبه فيه محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب ابن عنين الأنصاري ، وقد ذكر أن ابن عنين رتب ديوانه ، فابتدأ بمدائح الملوك ومن يليهم من الوزراء وغيرهم ، ثم أتى بالمرائي ثم بالأهاجي ثم ما نظمته من الوقائع التي اتفقت له ، ثم بما سنع له من الألغاز المعجزة والأجوبة عنها ، ثم ختم الديوان بما ورد في شعره من الأبيات التحوية ؛ قلت : وهذا مخالف لقول ابن خلكان (ص : ١٧) ولم يكن له غرض في جمع شعره فلذلك لم يدونه .

٦٨٦ - المعتمد بن عباد : لمرآة الجنان ٣ : ١٤٧ .

٦٨٨ - ابن تومرت : مرآة الجنان ٣ : ٢٣٢ .

٦٩٠ - ركن الدين طغرل بك السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٧٦ .

٦٩٢ - محمد بن ملكشاه : مرآة الجنان ٣ : ٢٠٠ .

- ٦٩٣ - الملك العادل ابن أيوب : الدارس ١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٢٦٢ .
- ٦٩٤ - الملك الكامل الأيوبي : مرآة الجنان ٤ : ٩٠ ، الدارس ٢ : ٢٧٧ .
- ٦٩٧ - أبو الفضل ابن العميد : المنتخب من صوان الحكمة ، الورقة : ١٥٧ .
- ٦٩٨ - ابن مقلة : إنباء الأمراء : ٣١ .
- ٦٩٩ - ابن بقية : إنباء الأمراء : ٣١ .
- ٧٠٠ - فخر الملك الوزير : مرآة الجنان ٣ : ٢٠ .
- ٧٠٥ - العماد الأصفهاني : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٦ ، الاسنوي ٢ : ٣٥٤ ، البدر السافر الورقة : ١٥٥ ، ابن قاضي شعبة : ١٥٥ ، الدارس ١ : ٤٠٨ .
- ٧٠٦ - أبو نصر الفارابي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٣٠ .
- ٧٠٧ - أبو بكر الرازي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢١ .
- ٧٠٩ - أبو عبد الله البتاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢٩ .
- ٧١٠ - أبو الوفاء المهندس : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٨٤ .
- ٧١١ - أبو القاسم الزمخشري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٩ .
- ٧١٢ - أبو طالب محمود بن علي الأصبهاني : الاسنوي ٢ : ٧٥ ، ابن قاضي شعبة : ١٥٨ مرآة الجنان ٣ : ٤٣١ .
- ٧١٥ - نور الدين ابن عماد الدين زنكي : الدارس ١ : ٣٣١ ، ٦٠٧ .
- ٧١٨ - مسعود بن محمد الطريثي : الاسنوي ٢ : ٤٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤١٣ ، الدارس ١ : ٨٣ .
- ٧٢٠ - غياث الدين مسعود السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٥ .
- ٧٢٤ - مظفر بن ابراهيم العيلاني : مرآة الجنان ٤ : ٥٤ .
- ٧٢٨ - المستنصر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ١٤٥ .
- ٧٣٠ - المعز بن باديس : مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .
- ٧٣٨ - أبو الحرم مكى الماكسيني : مرآة الجنان ٤ : ٤ ، الغصون اليانعة : ٨٣ وذكر أنه وقف على ترجمته في تاريخ اربل وتاريخ ابن الساعي ، وأبياته التي أولها « سئمت من الحياة » وردت في البدر السافر ، كما أن بيتيه « إذا احتاج النوال إلى شفيح » وردا في البدر السافر والغصون اليانعة وكذلك بيتاه « على الباب عبد يسأل الاذن طالباً » وتاريخ وفاته الذي أورده المؤلف هو ما ذكره المنذري ، وقال ابن سعيد : توفي سنة اثنتين وستمائة .
- ٧٤٠ - ملكشاه السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ١٣٩ .

- ٧٤٠ - منصور بن اسماعيل الفقيه : طبقات العبادي : ٦٤ ، طبقات الشيرازي : ٨٨ ،
الاسنوي ١ : ٢٩٩ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ ، الحسيني : ١٢ .
- ٧٤٧ - كمال الدين ابن يونس : ابن أبي أصيبعة ١ : ٣٠٦ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٠ ،
مرآة الجنان ٤ : ١٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٩ .
- ٧٤٩ - الملك الأشرف موسى : الدارس ٢ : ٢٩٢ .
- ٧٥٣ - المؤيد الألوسي : الفوات ٢ : ٧٦ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ ، الشفريات
٤ : ١٨٥ ، الخريدة (قسم العراق) ٢ : ١٧٢ .
- ٧٥٥ - مهيار الديلمي : مرآة الجنان ٤ : ٤٧ .
- ٧٦١ - أبو المرفف النميري : تكملة المنذري ١ : ٣٠٩ .
- ٧٦٣ - ضياء الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٣ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٥ ، بغية
الوعاة : ٤٠٤ ، ابن الشعار ٩ : ٥١ وقال في ترجمته : أخذ معرفة الحساب
على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري ،
وجالس الشيخ أبا الحرم مكّي بن زيان النحوي المقرئ الماكسي بالموصل ، أقام
في الموصل مدة في خدمة قايمآز الزيني وربما كان يكتب له الانشاء ، ثم اتصل
بعد ذلك بصلاح الدين ، ولما اتصل ببدر الدين لؤلؤ كان مدة مقامه بالموصل
مشتغلاً بالتصنيف وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقبسون من فوائده ،
إلا أنه كان كثير الحماقة متناقض الأحوال متهوراً في أمره سفيه اللسان جهاهاً
لمن يخاطبه ، ولو كان ملكاً أو سلطاناً ، ممقوتاً إلى الناس شرس الأخلاق سريع
الغضب متكبراً في نفسه ذا عجب عظيم وصلف زائد ، وكان بطيء القريحة
جامد الخاطر ، بل انه كان جيد الروية صحيح الفكرة ، إذا رام كتابة كتاب
أغلق باب داره ، وأدام الفكر ويكتب ويحرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زماناً
طويلاً .
- ٧٧٤ - ابن الشجري : الفوات ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٥ .
- ٧٧٧ - ابن سناء الملك : مرآة الجنان ٤ : ١٧ .
- ٧٧٨ - هبة الله البوصيري : تكملة المنذري ٢ : ٣٢٦ .
- ٧٧٩ - أمين الدولة ابن التلميذ : تاريخ الحكماء للبيهقي : ١٤٤ .
- ٧٨٩ - ياقوت الرومي أبو الدر : ترجم له ابن الشعار ٣ : ٣٧٠ تحت اسم « عبد الرحمن بن
عبد الله ابن أبي المحاسن ، قال : وكان تالياً للقرآن مشغوفاً بمذهب الامامية
والتعصب لهم ، كثير الميل إلى أهل البيت صلوات الله عليهم . وذكر أنه مولى

منصور (لا أبي منصور) الجيلي ، وأورد القصيدة التي منها البيت « خليلي لا والله ما جن غاسق ... » وبعده في ابن الشاعر :

أحب سواد الليل حباً لشادن يواصلني ليلاً وصباحاً يفارق
إذا سمت قلبي الصبر زاد تشوقاً فقلبي مشوق واصطباري شائق
بروحي من روحي تساق إذا حدا مطاياها حادي البين أو ساق سائق

وهي في ثمانية أبيات . وأورد له قصيدته التي مطلعها « ان غاض دمك والأحباب قد بانوا ... » وكذلك أبياته التي أولها « جسدي لبعذك يا مثير بلابلي » وهي هناك طويلة .

٧٩٠ - ياقوت الحموي : ابن الشاعر ٩ : ٣٣٧ وقال : ضنين بما يجمع وربما سئل عما يعرفه فلا يجيب ، شاهدته بالموصل وهو كهل أشقر أحمر اللون أزرق العينين وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام ، وذكر من مؤلفاته : ضرورات الشعر . مختصر تاريخ بغداد . كتاب الابنية . وأبياته الواردة ص ١٣٨ وأولها « ومولد للترك تحسب وجهه » وردت عند ابن الشاعر (٩ : ٣٤٢) .

- ٧٩٣ - يحيى بن أكثم : جمهرة الاسلام ، الورقة : ٤٠ .
٨٠٣ - ابن بقي القرطبي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٠ .
٨٠٤ - الخطيب الحصكفي : الاسنوي ١ : ٤٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٨ .
٨٠٦ - يحيى بن خالد البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .
٨٠٧ - عون الدين ابن هبيرة : انباء الأمراء : ٣٣ ، وورد في ابن الشاعر ١ : ٢١٧ في نسب أحمد بن ظفر بن محمد بن هبيرة اسم « سعيد » بدلاً من سعد ، وعمر بدلاً من عمرو ، ومرة بن ذهل ، وسقط « همام » .
٨١١ - ابن مطروح : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٩٧ .
٨١٣ - أبو الفتوح السهروردي : الاسنوي ٢ : ٤٤٢ .
٨٢٦ - أبو عوانة الحافظ : الاسنوي ٢ : ٢٠٣ .
٨٣٢ - يعقوب المنجنقي : انباء الأمراء : ١١٨ .
٧٣٣ - ابن يعيش : مرآة الجنان ٤ : ١٠٦ .
٨٤٤ - يوسف بن تاشفين : مرآة الجنان ٣ : ١٦٣ .

٢ - مزيد بيان في تخريج التراجم العارضة والتعريف ببعض الاعلام

3 - رضي الدين الجيلي الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٤١ ، الاسنوي ١ : ٣٧٦ ؛
وكتابه في الفقه اسمه الإكمال .

ج: ١ ص: ١٨٩ س: ١ : أبو محمد الحسن بن جكيتنا : مختصر ذيل تاريخ بغداد، الورقة :
٩٢ ، الفوات ١ : ٢٢٨ ، مختصر ابن الدبئي : ٢٧٥ ، مرآة الزمان ٥٤٢ ، الخريدة
(قسم العراق) ٢ : ٢٣٠ ، الشذرات ٤ : ٨٨ ، واسمه في هذا الموضع من
المسودة مطموس ، ولكنه ورد بالجم بخط المؤلف (ج ٧ : ٢٢٤) وفي بعض
المصادر بالحاء المهملة ، وضبطه صاحب التاج (٩ : ١٨٣) بالحاء المهملة المكسورة
والكاف المكسورة المشددة .

7 - جلدك التقوي : الفوات ١ : ٢٠٩ ، الشذرات ٥ : ١٢٧ وراجع الجزء الأول
من السلوك للمقريزي .

ج: ١ ، ص : ١٩٧ ، س : ٢ : نشو الدولة أبو الحسن ابن المنجم : البدر السافر ، الورقة :
٢٠٥ ، وسمّاه نشو الدولة ابن علي ، ونقل ما أورده ابن خلكان في تسميته ،
ثم أورد أبياته التي أولها «أقول وقد عاينت دار ابن صورة ...» .

ج: ١ ص: ٢٠٣ س: ١٦ : ابن باطيش : ذيل مرآة الزمان ١ : ٥٤ ، ابن قاضي شعبة :
١٨٢ ، ابن العديم ٣ : ١٩٨ .

II - عبد الرحمن بن السنينيرة : الفوات ١ : ٥٥١ ، ابن الشعار ٣ : ٤٦٧ ، وقال :
شاهدته بمدينة الموصل سنة ٦٢٢ وهو شيخ كبير ، وسألته عن ولادته فذكر
أنه ولد بواسطة سنة ٥٤٧ أو ٥٤٩ ، وبلغني أنه توفي بواسطة سنة ٦٢٦ . وكان
ينتجع الناس باشعاره ويطوف البلاد ، وكان من عوام الشعراء ، قليل الآلة
في صناعة القريض ، ذا بضاعة في الأدب مزجاة ، إلا أن له طبعاً يعينه في إنشاء
الشعر لا غير . سأله ابن الشعار : هل يروي شعراً لابن المعلم وللأبله ، فقال :
أنا أسحب ذيلي عليهما فضلاً ، وذكر أنه لم ير أعسر منه أخلاقاً ، ولا أجفى
في إنشاد الأشعار . أقام في إربل مدة وقصد صدرها ابن المستوفي .

ج: ٢، ص: ١٠٦، س: ٩ - ١٠ شهاب الدين ابن الخيمي : القوات ٢ : ٤٨٣ ،
البدل السافر ، الورقة : ١٢٩ .

ج: ٢ ، ص: ١٧٤، س: ١٥ حسّان بن المقرج الطائي : ابن العديم ٤ : ١٢٩ .

29 - زيادة الله بن الأغب : ابن العديم ٨ : ١٢٦ .

31 - عز الدين ابن عقيل الاربلي : مرآة الجنان ٤ : ٤٥ .

32 - شرف الدين محمد بن نصر الاربلي : ابن الشعار ٦ : ٢٨٦ ؛ قال : من بيت مشهور
بفقه وعلم ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، قرأ الأصولين والخلاف وتميّز في
ذلك ؛ درّس الفقه باربل في المدرسة العقلية نيابةً عن والده ، ثم خرج عن إربل
ونزل آمد ودرّس بها الفقه مستقلاً ، ثم سافر عنها إلى عدة بلاد وشخص إلى
مصر ممتحناً ، ثم عاد وهو على حاله ، يقصد الملوك بالشعر ، ويتردد إلى الموصل ؛
وشغل نفسه بقول الشعر من صباه ، واستقر بدمشق بخدمة الملك الأشرف ،
وترك ما كان عليه من الاشتغال بالفقه وتربياً بزّي الجند .

44 - يحيى بن سعيد : ابن الشعار ٩ : ٤٣٨ ، وقال : ولد قبل وفاة أبيه بثمانية أيام
بالموصل ، ونشأ ، وأحبّ الاشتغال بالعلم والأدب ، ولم يزل راغباً في تحصيله ،
ماتلاً إليه بكلّيته ، وصحب أبا الكرم مكّي بن زيّان ، تلميذ والده ، ولازمه
إلى أن توفي ، ودرس عليه أدباً كثيراً حتى تميّز وبرع ، ونسخ بخطه كتباً
أدبية كثيرة ، وكان فقيراً مملقاً ، اتصل بالأتابك عز الدين أبي الفتح مسعود بن
أرسلان شاه ، فولّاه التقدم في الرباط ، وصار شيخ الشيوخ به ، وحظي لديه ،
واكتسب منه رزقاً صالحاً . وولّاه بدر الدين لؤلؤ خازناً بخزّانة كتب المدرسة
المدرسة انشأها على دجلة ، وألّف عدّة مجاميع باسم الملك القاهر عز الدين مسعود
ابن أرسلان شاه تحتوي على أشعار رقيقة غزلية . ومن كتبه « نتائج القرائح » .

53 - علرا بنت شاهنشاه بن أيوب : الدارس ١ : ٣٧٣ .

56 - أحمد بن الفرج ، والد شهدة : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ٧٨ .

73 - زين الدين ابن نجا الواعظ : تكملة المنذري ٢ : ٤١٧ ، الدارس ٢ : ٦٧ .

97 - القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل : ابن العديم ١ : ١٦٤ ، وأورد الأبيات
القافية المذكورة في ترجمته .

IOI - محمد بن المنصور السمعاني : الاسنوي ٢ : ٣١ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٣ ، الشلرات
٤ : ٢٩ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٠٠ .

IO2 - المنصور بن محمد السمعاني : الباب (السمعاني) ، الاسنوي ٢ : ٢٩ ، عبر

- الذهبي ٣ : ٣٣٦ ، ابن قاضي شعبة : ١١٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٥٣ ،
مرآة الجنان ٣ : ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٦٠ .
- ١٠٨ - الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ١٣٤ ، السبكي
٥ : ٦٥ .
- ١١٠ - ست الشام بنت أيوب : الدارس ١ : ٢٧٧ .
- ١١٥ - بهاء الدين ابن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر : عبر الذهبي ٤ : ٣١٤ ، البداية
والنهاية ١٣ : ٣٨ ، الدارس ١ : ١٠١ ، السبكي ٥ : ١٤٨ .
- ١١٦ - هبة الدين ابن عساكر : الاسنوي ٢ : ٢١٥ ، عبر الذهبي ٤ : ١٨٤ ، الدارس
١ : ٤١٦ ، السبكي ٤ : ٣٢٠ .
- ١٤١ - الملك الناصر صلاح الدين داود : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٢٦ .
- ١٤٤ - باتكين الرومي : الحوادث الجامعة : ١٨٠ .
- ١٤٥ - غياث الدين مظفر بن غازي : الحوادث الجامعة : ٩٦ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٤٣٠ .
- ١٤٨ - راجع بن اسماعيل الحلبي : ابن العديم ٧ : ٢ .
- ج : ٤ ، ص : ٢٥ ، س : ٨ المجد الاسعدي : ابن العديم ٨ : ٢٥٩ ، وفيه الأبيات
السينية وهي :

رأيت بجمامكم سنة	يظل لها كل طلق عبوسا
هواء تجمد منه الرؤوس	وماء يذيب الكلى والنفوسا
وسقف يدر كفيض الغمام	وأرض تمنع عنها الجلوسا
وطين تفسرغر منه الخلوق	وعشواء تمنح روحاً خسيسا
وقد كان في العرف سمط الجداء	فلم صرتم تسمطون التيوسا

- ١٥٢ - قاضي الخافقين : الاسنوي ٢ : ٩٨ .
- ١٥٧ - ربيعة خاتون بنت أيوب : الدارس ٢ : ٨٠ .
- ١٥٨ - عز الدين ابن رواحة الأنصاري : تاريخ اربل : ١٩٦ ، وقال : نزل باربل
بلدرب المنارة في زاوية الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الكريدي ، وأكرمه
الفقيه أبو سعيد كوكبوري ؛ دخل ثغر الاسكندرية وهو صبي مع والده ،
ثم أورد له مقطعات . ابن الشعار ٣ : ٣١٦ وقال : قدم اربل سنة ٦٢٥ مجتدياً
نوال سلطانها مظفر الدين ؛ وكان عسر الأخلاق ، ضيق العطن ، شرساً في
الاملاء ، تافه النفس ، لم يجب أن يسمع عليه أحد إلا بعوض وفائدة تصل إليه ؛
وانظر القوات ١ : ٢٧٥ .

ج ٤ ، ص : ١٥٠ ، س : ٢-٣ الشرف البوازيجي : ابن الشعار ٣ : ٤٩٦ ، قال :
رأيته باربل سنة ٦٣٠ ، شاباً طويلاً أشقر ، ذا هوج وطيش ، كثير الدعاوى
في فن النظم والنثر ؛ ثم أورد له قصيدة في مدح ابن المستوفي .

I60 - أبو العزّ الأربلي شيطان الشام : ابن الشعار ١٠ : ٥٢٥ ، قال : ولد باربل وكان
بها منشأه ، وما برح خامل الذكر نازل القدر ، يعبث تارةً بالأبيات ، يسلك
فيها مسلك ابن الحجاج في السخف والهزل ، وتارةً بالزكالكش العامية ، وتارةً
بغير هذين النوعين ، حتى صارت له ملكة قوية في بديه الشعر ومرتبته ... كان
شيعياً مغالياً ، أسمر اللون ، يترياً بزّي الأكراد ، رحل إلى البلاد وامتنح الملوك
ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها ؛ وأورد له عدة مقطعات ومختارات .

I64 - علي بن المحسن التنوخي : القوات ٢ : ١٣٨ .

I72 - ابن برّجان : القوات ١ : ٥٦٩ .

I76 - تاج الدين أبو القاسم ابن منعة : عبر الذهبي ٥ : ٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٤ ،
الحوادث الجامعة : ٣٧٤ ، السبكي ٥ : ٧٢ ، الشدرات ٥ : ٣٣٢ ، مرآة الجنان
٤ : ١٧١ ، البداية والنهاية ٣ : ٢٦٥ .

I77 - شمس الدين الخويّمي : ابن العديم ١ : ٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٨ ، ابن الشعار
١ : ٢٩٧ ، القوات ٢ : ٣٦٨ ، وترجم في البدر السافر ، الورقة : ٧٦ ، لابنه
الشهاب محمد .

I91 - عبد الغني ابن نقطة : تكلمة المنذري ١ : ٩٧ .

I92 - أبو علي ابن أبي الشبل : المنتظم ٨ : ٣٢٨ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٧ ، الوافي
٣ : ١١ (محمد بن الحسين) ، القوات ٢ : ٣٩٣ ، معجم الأدباء ١٠ : ٢٣
تكلمة المنذري ١ : ٧١ ، المحمدون : ٢٦٨ ، البدر السافر ، الورقة : ٩١ باسم
« ابن الشبل » ، وقال : ذكره ابن النجار ، ومولده سنة ٤٠١ ، وهو من أهل
الحريم الطاهري ، وله ديوان شعر ورسائل ، وعلّق شيئاً من رسائله الحافظ
أبو بكر ابن الخطيب .

205 - المعتضد بن عباد : القوات ١ : ٤٢٤ .

ج : ٥ ص : ٤١ س : ٧ : ابن الحداد القيسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٧٧
والمحمدون : ٩٩ .

ج : ٥ ص : ٤٢ س : ١١ : الاسعد بن بليطة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٦٦ ، ٦٧٦ .

218 - الملك السعود بن الملك الكامل : مرآة الجنان ٤ : ٩٣ ، الحوادث الجامعة : ١٢ .

- 224 - أبو حيان التوحيدى : الاسنوي ١ : ٣٠١ ، ابن قاضي شهبة : ٨٤ .
- 227 - زيد بن علي : القوات ١ : ٣٣٣ ، وترجم لابنه ؛ ابن العديم ٨ : ١٠٨ ، وقد أخذ رقماً ثانياً هو (312) من الجزء السادس : ١١٠ .
- 260 - معتمد الدولة قرواش : القوات ٢ : ٢٦٤ .
- 262 - الطاهر الجزري : ابن العديم ٨ : ٢٢١ وهو «الظاهر» عنده - بالطاء - وكذلك هو بضبط ابن ماكولا (٥: ٢٤٠) وبالطاء المهملة في تنمة اليتيمة (١: ٤٦)؛ واسمه سداد بن ابراهيم بن محمد أبو النجيب ، وقيل أبو السداد الجزري ، وقيل في اسمه شداد - بالشين المعجمة - (وكذلك ضبطه السلفي) ، من أهل جزيرة ابني عمر ، كان شاعراً مطبوعاً حلو الألفاظ سهلها لطيف المعاني ، ومدح سيف الدولة الحمداني وعضد الدولة البويهبي ، وأبياته «انظر إلى حظ ابن شبل ..» (ص ٢٦٦) وردت في ابن العديم ٨ : ٢٢٣ وقال : قيل انها للوزير أبي نصر ابن النحاس الحلبي ، والصحيح أنها للظاهر .
- 263 - مدلوليه الشاعر : ابن الشعار ٣: ٣٧٧ وقال : كثير الشعر نبيه الذكر ، ذو نظم مستجاد أحسن في إنشائه وأجاد ، يجمع السهولة والمتانة والعذوبة والرصانة ، امتدح الملوك من بني أيوب ملوك الشام ، وأكرموه لفضل أدبه غاية الاكرام ، ثم غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة . تأدب على أبي اليمن الكندي وقرأ عليه كثيراً من مسموعاته ، واشتغل في صباه على فتيان الشاغوري ، ورحل إلى بغداد ، وقرأ المقامات الحريرية على أبي الفضل منو جهر البغدادي الكاتب ، واتصل بأخرة بالملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، ولم ينزل منقطعاً إليه إلى أن توفي ، يوم الجمعة العشر الأول من ذي الحجة سنة ٦١٩ عن ست وستين سنة ، وكان مشغولاً بالبحر إلى حين مماته ، وكان نزقاً مرّ المذاق شرس الأخلاق جافي الطباع ، وديوان شعره يدخل في مجلدين .
- 270 - عبد المنعم بن غلبون : عبر الذهبي ٣ : ٤٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٠٠ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٤٢ ، حسن المحاضرة ١ : ٢٨٠ .
- ج: ٥ ص: ٣٣٥ س: ١ ابن الزويتينة الرحي : القوات ١ : ٥٦٦ .
- 277 - ابن النبيه : ابن الشعار ٤ : ٣٠٦ وقال : علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن المصري الربيعي ، كان يتولى بمصر ديوان الخراج والحساب ومدح الملوك من بني أيوب ووزراء تلك الدولة وأكابرها ، ثم اتصل آخراً بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أيوب فانتنظم في سلك شعراء دولته ، وسكن نصيبين ومات بها سنة ٦١٩ ، فقال الملك الأشرف : مات رب القريض . وانظر النجوم

- الزاهرة ٦ : ٢٤٣ والشذرات ٥ : ٨٥ والقوات ٢ : ١٤٣ وحسن المحاضرة
١ : ٥٦٦ ومقدمة ديوانه تحقيق عمر محمد الأسعد (دار الفكر ، بيروت ١٩٦٩).
- 278 - ابن الأردنخل : القوات ٢ : ٣٨٠ ، وتوجد من ديوانه نسخة بدار الكتب المصرية
رقم ٥٢١ أدب ، وأخرى بأحمد الثالث رقم ٢٢٨٨ .
- 283 - عز الدين ابن أبي الحديد : القوات ١ : ٥١٩ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٢ ، ابن
الشار ٤ : ٢١٣ وقال : عبد الحميد بن أبي الحديد كاتب فاضل أديب ذو فضل
غزير وأدب وافر وذكاء باهر ، خدم في عدة أعمال سواداً وحضرة ، آخرها
كتابة ديوان الزمام . تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري ثم على أبي الخير مصدق
ابن شبيب الواسطي ، واشتغل بفقهِ الإمام الشافعي وقرأ علم الأصول ، وكان
أبوه يتقلد قضاء المدائن ، وله كتاب العقبري الحسان في علم الكلام والمنطق
والطبيعي والأصول والتاريخ والشعر ؛ وراجع صفحات متفرقة من الحوادث
الجامعة .
- 284 - موفق الدين ابن أبي الحديد : القوات ١ : ١٠ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ١٠٤ .
ج: ٦ ص: ٨ س: ٢٠ أبو محمد الخازن: هو عبد الله بن أحمد الخازن، أصبهاني، كان من
خواص الصاحب بن عباد ، وكان على خزنة كتبه في ريعان شبابه ، هرب من
حضرتة مدة ثم عاد إليه (اليتيمة ٣ : ٣٢٥ - ٣٣٩) .
- ج: ٦ ص: ٢٠ س: ١١ - ١٢ ابن المجاور الدمشقي: سمع الحديث بلمشق من الحافظ
ابن عساكر والملك العادل محمود بن زنكي والوزير ابن المظفر ، وكان أديباً فاضلاً
شاعراً نحويّاً ، نشأ تلاء للقرآن مواظباً على إقرائه ، ثم صار يقرئ النحو والأدب
واشتهر بتعليم أولاد الكبراء إلى أن وصف لصلاح الدين فألزمه إقراء ابنه العزيز ،
فلما صارت السلطنة للعزيز استوزره ، ولد سنة ٥٤٩ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٠
وقال ابن سعيد سنة ٦٠١ . ترجم له في البدر السافر ، الورقة : ٢٤٠ والغصون
اليانعة : ١٩ وأشار إلى أن له ترجمة في تاريخ حلب لابن العديم وفي تاج المعاجم
للشهاب القوصي ، وكذلك ذكره المنذري .
- ج: ٦ ص: ٥٢ س: ٧ كوشيار بن ليان: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي: ٩١ وفيه أنه
ابن ليان أو ابن ليان أي الأسد - بلغة الجليل ، وزيجه اسمه الجامع .
- 302 - أوحده الزمان ابن ملكان : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٥٢ وكتابه «المعتبر»
مطبوع ببحيرلر آباد الدكن .
- 307 - سحيم بن وثيل الرياحي : القوات ١ : ٣٣٨ ، وطبقات ابن سلام : ٤٨٩ والا صابة

- ٣ : ١٦٤ ، والخزاة ١ : ١٢٣ .
- 308 - نصيب الشاعر : طبقات ابن سلام : ٥٤٤ ، الأغاني ١ : ٣٠٥ معجم الأدباء
١٩ : ٢٢٨ ، العيني ١ : ٥٣٧ ، السمط : ٢٩١ الموشح : ٢٩٨ ، الشعر والشعراء :
٣٢٢ .
- 314 - تاج الدولة بن ثقة الدولة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٢٧ .
- 326 - خالد بن برمك : ابن العديم ٥ : ٣٣٦ .
- ج: ٦ ص: ٢٤٧ س: ٦ الوجيه ابن سويد التكريتي : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٨٧ وقال :
لم يبلغ أحد من أمثاله من الحرمة وفضا الكلمة ما بلغ بحيث كان النجاين (كذا)
ترد عليه من بغداد إلى دمشق في مهمات تتعلق بالخلافة ، وكانت متاجرهم لا يتعرض
لها متعرض وكتبه عند سائر ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل نافذة ،
توفي سنة ٦٧٠ والقصة التي أوردها ابن خلكان وردت في ذيل المرأة ١ : ٣٣٧ .
- ج: ٦ ص: ٢٥١ س: ٢٢ - ٢٣ عون الدين ابن العجمي : ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ .
- 329 - العماد المحلي : ابن العديم ٤ : ١٢٢ وقال أبو المناقب الشافعي المصري : رجل فاضل
أديب كيس دمث الأخلاق كثير المروءة مطبوع النادرة خفيف الروح جيد الشعر
حسن المحاضرة ، وكان له وجهة بدمشق ، وسيره الملك العادل إلى الملك الظاهر
غازي بجلب ، واجتمعت به في مجلس شيخنا قاضي القضاة أبي المحاسن يوسف
ابن تميم بمدينة حلب .
- ج: ٦ ص: ٢٥٤ س: ٥ : أبو نصر الحاسب : ذيل مرآة الزمان ١ : ٧٩ .
- 330 - بدر الدين السنجاري : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٣٢ .
- ج: ٦ ص: ٢٧٤ س: ١٤ : زين الدين ابن جهيل : هو عبد الملك بن نصر بن عبد الله بن جهيل
فقيه فاضل درس بجلب بالمدرسة النورية وتوفي بجلب سنة ٥٩٠ (السبكي ٤ :
٢٦٢ والاسنوي ١ : ٣٧١) ؛ وأخوه مجد الدين طاهر كان اماماً زاهداً فاضلاً
في الفقه والحساب والفرائض ، درس أيضاً بالنورية وبالصلاحية في القدس
وتوفي سنة ٥٩٦ (عبر الذهبي ٤ : ٢٩٢ والاسنوي ١ : ٣٧١ والدارس ١ :
٢٣٠) .
- 378 - محمد ابن عبد البر : بغية الملتمس : ٣٤١ ، الصلة : ٢٧٠ ، المغرب ٢ : ٤٠٢ ،
القلائد : ١٨٠ ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٤٧٨ .
- ج: ٧ ص: ٧٥ س: ١٤ ابن هلال السعيدني : البدر السافر ، الورقة : ٨٥ .

٣ - زيادات من النسخ وتعليقات وتخرجات لبعض النصوص

ج ١

- ص ٢٥ ما بين معقنين على هذه الصفحة لم يرد في المسودة والنسخ س ر بر ، ومثل ذلك يقال فيما جاء على الصفحات التالية : ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ٢١٣ ، ١٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ ، ٣٨٠ .
- ٣٠ الترجمة رقم (٦) لم ترد في النسخ س ر بر والمسودة ، ووردت في ص .
- ٤٢ بعد قوله : وأخباره ومجالسه مشهورة (السطر : ١٨) وردت في النسخة ر زيادة أثبتناها نقلاً عن (ص) في هذا الجزء ، الصفحة : ٤٤٤ .
- ٩٢ في هامش بر عند ترجمة الخطيب البغدادي تعليق منقول عن طبقات السبكي (٣ : ١٤ - ١٥) حول منام رآه أبو القاسم مكّي المقدسي ورأى فيه جمعاً يستمعون تاريخ الخطيب وفيهم رجل لا يعرفه فلما سئل عنه أنبأ أنه النبي (ص) ، وفي الختام بيتان من الشعر للخطيب ؛ ومن الواضح أنها زيادة متأخرة ، قلت : وانظر تبين كذب المقرئ : ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- ٩٧ بهامش بر عند ترجمة أحمد الغزالي تعليقه هذا نصّها : « سئل في مجلس وعظه عن قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً والخليل عليه السلام يقول : «أرني كيف تحيي الموتى» الآية ، فقال : اليقين يتصور عليه الجحود ، والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود ، قال تعالى « واستيقنتها أنفسهم » . وكان يدخل البلاد والقرى والضياع ويعظ لأهل البوادي تقريباً لله تعالى ؛ وحكى يوماً في بعض وعظه أن بعض العشاق كان مشغولاً بحسن الصورة ، وكان ذلك موافقاً له ، فاتفق أنه جاءه في يوم بكرة وقال له : انظر إلى وجهي فأنا اليوم أحسن من كل يوم ، فقال : وكيف ذلك ، قال : نظرت في المرآة فرأيت وجهي فاستحسنته فأردت أن تنظر إليه ، فقال : بعد أن نظرت إلى

وجهك ، مثلي لا يصلح أن (ينظره) . وحكى يوماً على رأس منبره عن أخيه حجة الإسلام أمراً غريباً فقال: سمعت أخي يقول ان الميت من حين يوضع على النعش يوقف في أربعين موقفاً يسأله ربه عز وجل. ومن شعره:

إذا صحبت الملوك فالبس من التوقي أعزّ ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى وأخرج إذا ما خرجت أخرس

١١٢ بعد السطر ٩ زاد أبياتاً لابن عبد ربه في النسخة ر أولها : يا لولؤاً يسبي العقول
أنيقاً ، وقد وردت في زيادات ص (الصفحة : ٤٤٩) كما أثبتت في هامش
النسخة س .

١٢٥ س ٧ : وما جراياته : علّق بهامش س : « قوله وما جراياته لفظة عامية هكذا
رأيته بخط أبي حيان » .

١٢٩ بعد البيتين (السطر ١٧) جاء بهامش س ، وله (أي ابن طباطبا) :

تأمل نحو لي والهلال إذا بسدا لليلته في أفقه أينما أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة نمواً وجسمي بالضنا دائماً يفنى

١٤٠ بعد السطر ١٩ جاءت زيادة في ر هذا نصها : ومن شعره :

يا قمرأ أطلعه المغرب قد ضاق بي في حيك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جنته صدقت ، فاصفح ايها المذنب
وان أغرب ما مرّ بي أن عذابني فيك مستعذب

(وقد وردت هذه الأبيات في هامش س، وانظر ص ٤٥٧ من هذا الجزء)
وبعد ذلك في النسخة ر : ومن جيد شعره : ما للمدام تديرها عينك (الأبيات
الثلاثة الواردة على الصفحة المذكورة) ثم جاء في ر بعد ذلك: وله في ولادة
وأبي عامر ابن عبدوس وكان يلقب بالفار :

قالوا أبو عامر أضحى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار
عيرتمونا به إذ صار يخلفننا في من نحب وما في ذلك من عار
أكل شهى أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للفار

ومن شعره :

قل للأمير وقد قطعت بمدحه عمري وكان السجن منه ثوابي
لا تخش لأثمّي بما أمضيته من ذلك في ولا توقّ عتابي

- لم تخط في أمري الصواب موقفاً هذا جزاء الشاعر الكذاب
- ١٤٢ العبارة الموجودة بين معقفين [وله أبيات ثابتة ... الخ] ثابتة بهامش المسودة ، ولكنها لم ترد في النسخ ر س بر .
- ١٤٧ بعد السطر ١٠ وردت في ر الزيادة الآتية :
وله أيضاً من قصيدة :
- فعدراً إن عجزت لطول همي عن الاسهاب والنفس الطويل
فان وجى الجياد إذا تمادى بها شغل الجياد عن الصهيل
- ١٥٣ زاد في ر بعد البيت « تأمل تحت ذاك الصدغ خلاً ... » :
ورب قطيعة جلبت وصالاً وكم في الحب من نكت خفايا
- ١٥٥ السطر ٨ وما بعده : نسب مكرم أخو مطرف ... الخ : أكثر هذا النسب مطموس في المسودة وقد راجعته على جداول كاسكل فلم أجد أكثر الأسماء ، غير أن « حاوة » في النسب تقرأ « جاوة » أو جآوة ، وبخط المؤلف بقي من النسب لفظة « الجأوي » - بهذه الصورة - ونقطة الجيم واضحة . أما « عيلان » فانها في جداول كاسكل « غيلان » بالغين المعجمة ، وليس في أولاد غيلان من اسمه « الخرزق » عنده ، ولعله لقب ، ولم يورده صاحب التاج أو صاحب الاشتقاق . أما قول المؤلف : وليس في نسبه باهلة ، فان باهلة هو مالك بن أعصر .
- ١٥٨ س ٨ وردت قصة ابن منير وابن القيسراني في الغيث للصفدي ٢ : ١٣٢ منقولة عن ابن خلكان .
- ١٥٨ بعد السطر ١٥ زاد في ر على البيتين :
- مقصر الصدغ مملود ذوائبه بي منه وجدان ممدود ومقصور
فيه محاسن شتى قد فتننت بها وكل مفتتن بالحسن معذور
مهفهف في هواه ما استجرت به إلا وجدت غرامي وهو منصور
- ١٦٣ الأبيات التي أولها « ثروة المكرمات بعدك فقر » وقعت بعد الأبيات الفائية الواقعة على الصفحة السابقة ، وذلك في النسختين : س بر .
- ١٦٧ الأبيات « وذى هيئة يزهو ... » أوردها ابن العديم (٩ : ٢٣٧) ونسبها لابن المثلث ولد الوزير عز الدين المثلث وزير الملك الأفضل ، وأوردها ابن الشاعر

(١ : ١٥٢) للقطرسي .

- ١٧٢ الأبيات « إذا جن لي لي هام قلبي ... » وردت في تاريخ لإربيل : ١٨٢ .
- ١٧٣ ضبط المؤلف بالشكل بعض الأسماء في نسب معز الدولة ابن بويه وهي كما يلي :
شِيرَزِيلُ الأصغر بن شِيرَكْدَه بن شِيرَزِيلُ الأكبر بن شِيرَان شاه بن شِيرَقْتَه
ابن شَسْتَان بن سَسَنَ فَرُو بن شَرُوَزِيلُ بن سَسَنَآذ ...
- ١٨٤ عند ابن الشعار في نسب صلاح الدين الأربلي : ابن محمد بن مروان بن جابر ،
وبخط ابن العديم : ابن محمد بن بزوان .
- ١٨٧ الترجمة رقم ٧٧ « ابن عبد الحميد الجرجاني » : وردت هذه الترجمة في
النسخ ر س ص ونسخة برلين (رقم Peterm 66٥) وقد أدرجنا اعتماداً
على ورودها عند وستفيلد ، ولم تكن لدينا حيثئذ مسودة المؤلف ، فلما حصلنا
عليها وجدنا أن المؤلف قد رمج على الترجمة بكاملها ، وكتب في الحاشية :
هذه الترجمة غلط وليس المذكور ولد الخصيب ممدوح أبي نواس ، وكنت
رأيت في بعض المجاميع أنه ابن الخصيب المذكور ، ثم ظهر لي بعد ذلك أنه
ليس الأمر كذلك ، ولم أظفر بالصواب إلا بعد أن كتبت هذا التاريخ بسنين
عديدة فرحم الله امرءاً وقف على الصواب وكان عنده نسخة ، فأصلحها
وذلك أن [الإنسان لا يعصمه من الخطأ والزلل [سوى] الله .
- قلت : فاسقاط هذه الترجمة ضروري ، ولكن النسخ التي أثبتتها نقلت عن
أصل من أصول ابن خلكان قبل أن يكتشف ذلك الخطأ ، وعلى هذا ينبغي
حذف ما ينتمي إليها وهو الزيادة الثانية الواردة على الصفحة ٤٦٥ منقولة عن ص .
- ١٨٨ رغم حذف المؤلف للترجمة السابقة ، فان ضبطه للفظه أقرطش ينبغي أن
يذكر هنا وهو : بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة
من تحتها وكسر الطاء المهملة وبعدها شين مثلثة .
- ١٩٠ الترجمة ٧٩ لم ترد في المسودة والنسختين بر س ووردت في ر قبل ترجمة
العزير الاصبهاني ، وليست هي من شرط المؤلف لأنه لم يرد فيها تاريخ الوفاة .
- ١٩١ السطر ١٩ بهامش المسودة : وتفسير أكسك : الناقص والله أعلم .
- ١٩٧ بعد السطر ١٥ وردت في ر هذه الزيادة : ذكر الحظيري في كتاب « زينة
الدهر في محاسن أهل العصر » لأبي الفرج ابن التلميذ في دار جديدة بناها سيف
الدولة ابن صدقة وقعت فيها نار يوم الفراغ منها :
- يا بانياً دار العلى مليتها لتريدها شرفاً على كيوان

علمت بأنك إنما شيدتها للمجد والأفضال والاحسان
قففت عوائدك الكرام فسابقت تستقبل الاضياف بالنيران

وانظر هامش ج ٢ : ٤٩٠ .

٢٠٤ بعد السطر ٥ وردت في زيادات تشترك فيها مع ما نقل عن د ص (انظر
الصفحة ٤١٠ ، ٤١١) ولكن أضافت ر إلى تلك الزيادات ما يلي : ومما يجري
هذا المجرى ما أخبر به ابن أحمد الجلودي يرفعه إلى الحسين بن فهم عن عمه ،
قال ، انتهى صديق لي فزوجاً أطبخه له ، فأكلت بنت لنا لحمه ، إلا لحم الصدر ،
ونحن لا نعلم ، فكنبت إليه :

طبخنا لك فزوجاً فطاف الأهل بالقدر
ولم تقدر على المنع لقبح المنع في الذكر
فآثرناك بالصدر لأن الصدر للصدر

وهذا باب متسع .

اختلف اسحاق النديم وابراهيم الموصلي في صوت فقال اسحاق : إلى من
نتحاكم والناس ما عدانا بهائم ...

٢١٠ بعد السطر ١٥ زيادة في ر ، هذا نصّها :
وله أيضاً :

مررت بدار الملك والنيل آخذ بأطرافها والموج يوسعها ضربا
فكان لنا ذلك القتال مسرة أباحت حمى اللذات نهبها نهبها
شرقت بغرب الدمع فيها تذكراً لمن حسنه قد طبق الشرق والغربا
وناديت من شوقي إليه ولهفتي عليه وقد أودى بي البين يا ربا

ومن شعره :

وكم ليلة بات الهلال سوارها فخيّل لي أن الثريا لها قرط
وللحسن بل لله بدر دجنة يحرر واو العطف في خده الخط
إذا بعته قلبي بشرط وصاله يصح له بيعي وينفسخ الشرط

٢١٥ البيت : فكناه عين كماله في نفسه وكفى كمال الدين عين كماله
هذا هو بيت التلخيص وحقه أن يجيء آخر الأبيات ، كما ورد في النسخة س
وعند ابن الشعار ، ولكنه ورد حيث أثبتناه ، في النسختين ر بر ، وهو ثابت

بهاشم المسودة إلى جانب البيت الواقع قبله ، وذلك هو سبب الاختلاف في موضعه في النسخ .

٢١٦ قوله « وذكره عماد الدين الاصبهاني ... العجائب » : قد رمّج المؤلف في المسودة على هذا النصّ ، وهو ثابت في ر ، والبيتان بهامش س .
٢٢٣ بعد السطر ١٠ جاءت هذه الزيادة في ر : ومن شعره :

وقد يهلك الإنسان من باب أنسه وينجو باذن الله من حيث يحذر

٢٢٤ بعد السطر ١٠ وردت هذه الزيادة في ر : ومن شعر أبي العتاهية :

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها فانما الدنيا لهم معبر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نظفة وجيفة آخره ، يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ، ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يصدر

٢٣٦ بهامش بر (عند ترجمة اسماعيل الملقب بالمنصور العبيدي) ترجمة لاسماعيل ابن حماد بن أبي حنيفة . ومن الواضح أنها ليست من صنع المؤلف ، فقد ترجم له ترجمة عارضة عند ذكر أبيه (ج ٢ : ٢٠٥) وهذا ما جاء في هامش النسخة (بر) :

اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان الإمام بلا مدافعة ، ذو الفضائل الشريفة والحصال المنيفة ، تفقه على أبيه حماد والحسن بن زياد ولم يدرك جده ، وله « الرد على القدرية » ورسالته إلى البستي . ذكر الخطيب باسناده إلى العباس ابن ميمون ، سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري يقول : ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم من اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، فقيل : يا أبا عبد الله ولا الحسن بن أبي الحسن قال : لا والله ولا الحسن ؛ قال قال أبو العيّن محمد بن القاسم ، قال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ما ورد عليّ مثل امرأة تقدّمت إليّ فقالت : أيها القاضي : ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم ، فلما علمت رددت ، قال ، فقلت : ومتى رددت ؟ قالت : وقت علمت ، قلت : ومتى علمت ؟ قالت : وقت رددت ، قال : فما رأيت مثلها ؛ قال أبو العيّن : دسّ الأنصاري انساناً يسأل اسماعيل لما ولي

قضاء البصرة ، فقال : أبقى الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه
 فقال : أبقى الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه اسماعيل وقال :
 قل للذي دسك إن القضاة لا تنفي ، ذكره الذهبي . قال الخصاص في « أدب
 القاضي » قال الحلواني : اسماعيل بن حماد نافلة أبي حنيفة ، وكان يختلف
 إلى أبي يوسف يتفق عليه ثم صار يزاحمه ، ومات شاباً سنة اثني عشرة
 ومائتين ، ولو عاش حتى صار شيخاً لكان له نبأ عظيم بين الناس ، رحمه
 الله تعالى .

٢٤٩ بعد السطر ١٥ وردت هذه الزيادة في ر : وروي عن اباس أنه قال : ما غلبي
 أحد قط سوى رجل واحد ، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ،
 فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني ، وذكر حدوده ، هو لفلان
 ملك ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال لي : منذ كم يحكم سيدنا
 القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا ؛ فقال ، كم عدد خشب سقفه ؟
 فقلت له : الحق معك ، وأجزت شهادته .

٢٥٥ الترجمة رقم ١٠٧ : هذه الترجمة بكاملها في المسودة والنسخين ر بر وهي
 فيما يظهره خط المؤلف ملحقة من بعد (إذ اختلفت قطة القلم) ويبدو أن
 الصورة الثانية من هذه الترجمة (١٠٧ ب) هي التي وضعت أولاً ثم رأى
 المؤلف تغييرها ، وقد وردت كذلك في س مع اختلافات يسيرة .

٢٧٢ السطر ٦ بعد قوله « من الشعراء المجيدين فيه » نجيء في ر الزيادة التي أثبتت
 في الملحقات على هذا الجزء رقم ٣١ .

٢٧٩ الترجمة رقم ١١٦ : هذه الترجمة هي الثابتة في المسودة وهي كذلك في
 ر س أما الصورة الثانية (١١٦ ب) فإنها من زيادات د عند وستنفيلد .

٢٩٦ السطر : ٥ « ودفن في مسجد بمحكر الفهادين » كان قد كتب في المسودة أولاً :
 ودفن في خانقاه الطواويس ، ثم رمج عليه ووضع بدله كما أثبت ، ولكن جاء
 في النسخة س : « ودفن في مسجد بمحكر الفهادين بظاهر دمشق التي على نهر
 بردى ، خانقاه الطواويس » .

٢٩٧ السطر ١٤ - ١٥ عند الحديث عن أرمناز ؛ جاء في هامش س : الأصح أنها
 من أعمال أنطاكية ، ومن قال دمشق أخطأ .

٣٠٤ هكذا ضبط المؤلف نسب تميم : ابن منقوش بن زناك بن زير الأصغر بن
 وأشققال بن وزعتى ابن سري بن وتلكي ...

- ٣٠٥ البيتان « وخمر قد شربت على وجوه » وقعا متقدمين على البيتين السابقين في المسودة و س ر ومتأخرين عن البيتين التاليين في بر .
- ٣٢٨ الترجمة رقم ١٣٢ هكذا ثبتت هذه الترجمة في ر بر وأوردها كذلك وستفيلد أما الصورة الثانية (١٣٢ ب) فهي من زيادات د عند وستفيلد ، وقد جاءت الترجمة في المسودة و س موجزة نسبياً ، وفيها نصوص من الصورتين معاً .
- ٣٥٠ الترجمة رقم ١٣٤ لم ترد في النسخ ر س بر والمسودة ، ولكنها ثابتة عند وستفيلد ونسخة آيا صوفيا (ص) .
- ٣٦٠ بعد السطر ٨ زاد في ر : أخذه من قول البحرى :
- ثلاثة تشرق الدنيا بيهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
- ٣٦٨ بعد السطر ١٧ زيادة في ر وقد أثبتناها نقلاً عن نسخة ص ٤٨١ ابتداءً من قوله : « وحدث الزبير بن بكار ... مشمراً » أما سائر الزيادة عن ص فلم يرد في ر .
- ٣٧٣ السطر ١٢ « وحضر الجنيد قوماً يتواجدون ... صنع الله » لم يرد في ر س بر والمسودة ، ولم يوضع بين معقنين .
- ٣٨٦ الزيادة رقم ٢ ثابتة في ر ، وكذلك الزيادة رقم ٣ (٣٨٩) والزيادة رقم ٨ ؛ أما الزيادة : ٩ فقد وردت من الأبيات الثمانية البيتان الرابع والخامس وجاء بعدهما البيت الذي أوله « تسمى بأسماء الشهور » ، ووردت الفقرة الأولى من الزيادة ١٠ بهامش س وجاء هنالك أنها منقولة من النسخة الثالثة ؛ وفي الزيادة ١٢ وردت أبيات أبي العلاء الكافية بهامش س ، ووردت الزيادتان ٢٤ ، ٢٥ في ر مع تقدم الثانية على الأولى .
- ٤١٦ السطر ٥ : وقال الصاحب بن عباد ... فأخجلني : ورد هذا النص في ر .
- ٤١٦ السطر ١٢ : ودخل أبو بكر الخوارزمي ... وقربه : ورد هذا النص بهامش س .
- ٤١٦ السطر ١٨ : وضع الصاحب لأصحابه دعوة ... من الناس : « : إذا كان سيد الدولة ابن الأنباري (المتوفى سنة ٥٥٨ كما في خريدة العراق ١ : ١٤١) قال هذين البيتين فليس المعنى بذلك الصاحب بن عباد ، وهذا وهم ربما تورط فيه أحد من أضاف هذه المادة إلى النسخة د ونستبعد تورط المؤلف فيه لدقته ، وقد نبه إلى هذا الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر . والبيتان الواردان هنا المذكوران في الخريدة في ترجمة السيد ١ : ١٤٣ .
- ٤٢٠ الزيادة رقم ٣١ وردت في ر مع اختلاف في الترتيب ، وكذلك الزيادة ٣٣

- (ص ٤٢٩) وردت في ر .
- ٤٣٠ بعد السطر ١٩ وردت هذه الزيادة في ر : وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً
 قيل جاء جرير إلى باب سكينمة بنت الحسين رضي الله عنه يستأذن عليها ، فلم
 تأذن له وخرجت له جارية لها فقالت له : تقول سيدتي ، أنت القائل :
- طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام
- قال ، فقلت : نعم ، قالت : فهلا أخذت بيدها ورحبت بها وأدنيت مجلسها
 وقلت لها ما يقال لملها ، أنت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه ألفي درهم
 وارجع إلى أهلك .
- ٤٣٤ الزيادة رقم ٣٤ ، ورد جانب من وصية جعفر الصادق في هذه الزيادة على
 هامش النسخة س .
- ٤٥١ أبيات ابن فارس على هذه الصفحة وردت في ترجمته ، فابناتها هنا من قبيل
 السهو ، وحقها أن تحذف .
- ٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالمتنبي على هذه الصفحة أصيلة في المسودة .
- ٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالنامي الشاعر حتى قوله « في عارضي » وردت في ر .
- ٤٥٨ البيتان « فرشت خلدي للعشاق » وردا في هامش س .
- ٤٥٨ الزيادة المتعلقة بناصح الدين الأرجاني وردت في ر ما عدا البيتين « أنتم فرازين
 هذا الدست » .
- ٤٦١ الزيادة المتعلقة بأسامة بن منقذ وردت جميعها في ر ، وآخر بيتين فيها وردا
 في هامش س .
- ٤٦٥ الزيادة المتعلقة بالصاحب ، والأخرى المتعلقة بالمنصور العبيدي وردتا في ر .
- ٤٦٦ البيتان « تجري الأمور على قدر القضاء » وردا بهامش س .
- ٤٦٧ الزيادة المتعلقة ببشار بن برد وردت في ر .
- ٤٦٩ الزيادة المتعلقة بتقية الصورية وردت في ر .
- ٤٧٠ الزيادة المتعلقة بتميم بن المعز وردت في ر .

ج ٢

٣٥ الأبيات الباقية المنسوبة إلى عبد الملك ذكرها ابن العديم في ترجمة الحجاج
 (٤ : ٣ - ٤٣) ورواية البيت الثاني :

وتعشى الذي يخشاه مثلك هارباً إلى الله منه ضيع الدرّ حالبه

ورواية البيت السادس :

ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد تقم فاعلمن يوما عليك نوادبه
٣٦ وهذه أبيات الحجاج برواية ابن العديم :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي أذاك فيومي لا تواري كواكبه
وما لامرئ يعصي الخليفة جنة تقيه من الأمر الذي هو راهبه
أسلم من سألت من ذي قرابة ومن لم تسأله فاني محاربه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة ققامت عليه في الصباح نوادبه
إذا أنا لم أذن الشفيق لنصححه وأقص الذي تسري إليّ عقاربه
وأعطي المواسي في البلاء عطية تردّ الذي ضاقت عليه مذاهبه
فمن يتقي يومي ويسرعى مودتي ويخشى غدي والدهر جم عجائبه

وبعد ذلك البيتان الأخيران .

- ٣٧ وردت القصة المنقولة عن أبي الفرج المعافى في ابن العديم ٤ : ١٠ .
٧٨ اسكن إلى سكن تسرّ به : الشعر لبشار ، انظر ديوانه : ٦٦ (جمع العلوي) .
٩٥ الترجمة رقم ١٧٠ : بهامش بر طرف من المساجلات بين أبي نواس وعنان
وشيء من شعر ابن الأبار الخولاني منقولاً عن الذخيرة لابن بسام ، وهو
نصّ كثير الاحماض ، ليس من أصل المؤلف .
١٠١ الزيادة الأولى على هذه الصفحة بين معقنين لم ترد في بر .
١٠٣ الزيادة المستمرة حتى هذه الصفحة لم ترد في بر ، وكذلك هي أكثر الزيادات
الواردة في النسخ الأخرى ، وسنكتفي بهذين المثالين في الإشارة إلى ذلك .
وكذلك سقطت من بر التراجم التي انفردت بها ر أو ص .
١٨١ - ١٨٢ أبيات ابن الدباس وردت ابن الهبارية في جمهرة الاسلام ، الورقة : ١٣١
أثبتت النسخة بر جميع لامية العجم للطبراني .
٢١٤ بهامش بر بيتان للخطابي منقولان عن طبقات السبكي ، واذن فأنهما من الزيادات
المتأخرة .

٢٤٨ بعد ترجمة الخليل أوردت النسخة بر على الهامش هذه الترجمة : أبو سعيد
الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل بن موسى بن عبد الله السجزي القاضي
الحنفي ، قال الحاكم أبو عبد الله : شيخ أهل الرأي في عصره في الفقه ، له
كتاب الدعوات والآداب والمواظ ، توفي بسمرقند في جمادى الآخرة []
سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، له رحلة واسعة جمع فيها بين بلاد فارس وخراسان

والعراق والحجاز والشام وبلاد الجزيرة ، روى عن أبي القاسم البغوي وابن خزيمة في خلق ، وله ترجمة واسعة في التواريخ وكتب الأنساب ، ومن شعره :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوة
وفي ترك ما لم يغني عن عقيدتي
واجعل درسي من قراءة عاصم
واجعل في النحو الكسائي قدوة
وان عدت للحج المبارك مرة
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي
وسفيان في نقل الأحاديث سيدا
سأتبع يعقوب العلا ومحمدا
وحمزة بالتحقيق درسا مؤكدا
ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا
جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدا
فمن شاء فليبرز ويلق موحدًا

ومن شعره أيضاً :

رضيت من الدنيا بقوت يقيمي
ولست أروم القوت إلا لأنه
ولا أبتغي من بعده أبداً فضلاً
يعين على علم أرد به جهلاً

رحمه الله تعالى. قلت : وهذه الترجمة هي رقم ٥٩٥ في الجواهر المضية ١ : ٢٣٤.

٢٨٦ السطر ٢٢ انظر البيتين في عوارف المعارف : ١٧١ .

٣٢٦ بهامش بر حكاية عن حبس أبي دلامة مع الدجاج وأبياته التي أولها هي :

أمير المؤمنين فدتك نفسي
علام حبستي وخرقت ساجي

وبعدها تمجيء حكاية خروج المهدي للصيد في الهامش أيضاً .

٣٤١ الأبيات « يا زيد زادك ربي من مواهبه ... » وردت في البدر السافر ، الورقة

١٣٣ في ترجمة أبي شجاع ابن الدهان .

٣٨٦ بهامش بر عند ترجمة سفيان الثوري هذه الزيادة ؛ : قال عبد الرزاق : بعث

أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال : ان رأيت سفيان الثوري فاصلبوه ،

فجاء النجارون ونصبوا الخشب ، ونودي بسفيان ، فاذا رأسه في حجر الفضيل

ابن عياض ورجليه في حجر ابن عيينة قال : فقالوا يا أبا عبد الله ، اتق الله

ولا تشمت بنا الأعداء ، قال : فتقدم إلى الاستار فأخذها ثم قال : برئت منه

إن دخلها [أبو جعفر] ، قال : فمات قبل أن يدخل مكة (وانظر تاريخ

بغداد ٩ : ١٥٩) وقال قبيصة : رأيت الثوري في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟

فقال : نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي : هنيئاً رضاي عليك يا ابن سعيد :

لقد كنت قوأمأ إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاخر أي قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

٣٩٢ السطر ٢٠ : قيل انه في آخر ... القابل : ورد بهامش بر .
٤٣٦ السطر الأول : زاد بهامش بر بعد قوله : ما رمدتا : كما قال يزيد بن معاوية :

فمن ملا مقلتيه من محاسنها كان الأمان لعينيه من الرمد
٤٨٩ أخبار صاعد التي لم نثبتها وهي منقولة عن ابن بسام ، ورد قسم منها بهامش بر .
٥١٤ الزيادة الطويلة التي تنتهي على هذه الصفحة وردت في بر ، وورد لإزاءها في
الهامش ما يلي : وكتب إليه استفتاء ما صورته :

يا أيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظي أهيف أغيد سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائزاً في النحر والعينين والحد
من غير ما فحش ولا ريبة بل بعناق جائر الحد
إن أنت لم تفت فاني إذا أصبح من وجدي واستعلي

فأجاب بقوله :

يا أيها السائل إني أرى تقبيلك المعشوق في الحد
يفضي إلى ما بعده فاحتسب قبلته بالحد والجهد
فان من يرتع حول الحمى لا بد أن يجني من الورد
يغنيك عنه كاعب ناهد تحضر [ها] بالملك والعقد
تنال منها كل ما تشتهي من غير ما فحش ولا صد
هذا جوابي لقتيل الهوى فلا تكن في ذلك مستعدي

ج ٣

٣٢ بهامش بر : كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :
وإذا تصحب فاصحب صاحباً ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم
وقد ذكراً في طبقات الخنزية (انظر الجواهر المضية ١ : ٢٨١) .
١٦٧ بهامش بر لإزاء ترجمة امام الحرمين هذه الزيادة : ومن شعره :

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأتيك عن تأويلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة وتلقين أستاذ وطول زمان

٢٠٣ أورد بهامش بر بيتين من الشعر لعبد القاهر البغدادي نقلاً عن طبقات السبكي ،
وهذا من الزيادات التي ليست من الأصل .

٢٥٤ السطر ٣ « سار ذكره في الآفاق ... يعولون عليها » وارد نصاً في تاريخ
إربل ، ولم يشر المؤلف إلى ذلك ؛ قلت : وانظر عن القتال بين أتباع عدي بن
مسافر وأصحاب بدر الدين لؤلؤ في الحوادث الجامعة : ٢٧١ وراجع القول
في عقيدة أتباعه في شرفنامه للبديسي : ١٤ .

٢٥٦ السطر ٢ : وذكر أبو العباس المبرد انظر التعازي ، الورقة : ٣٠ .

٢٦٠ السطر ٤ : ومن كلامه إنما قيل لموسى ... علق اليافعي ٣ : ١٥٧ على ذلك
بقوله : وعجبت من ابن خلكان كيف يحكي مثل هذا في حق موسى عليه
السلام ولا ينكره على قائله .

٣٦٢ السطر ٩ القصة المنقولة عن السمعاني وردت في ابن العديم ٢ : ١٥٠ ومعها
الأبيات .

٣٩٦ السطر ٨ « ولقد نزلت بروضة حزنية ... » الأبيات ، وردت في ابن الشعار
٤ : ٢٩٧ .

٤٣٦ عند آخر ترجمة عمارة بهامش بر زيادة منقولة عن ابن حجة الحموي من كتابه
« ثمرات الأوراق » وهي من غير الأصل .

٤٤٢ السطر ٩ « ولما حضرته الوفاة دخل عليه أبوه ... » انظر التعازي : الورقة
٢٥ .

٤٥٥ البيتان « يقول أبو سعيد إذ رأني » وردا في الغصون اليانعة : ٢٥ منسوين لابن
المجاور الدمشقي ، ورواية الأول :

صديق قال لي لما رأني وقد صليت زهداً ثم صمت

ملحوظة : ابتداءً من الجزء الرابع تشترك النسخة « بر » مع سائر النسخ ، فلا يرد
ذكرها في هذه التعليقات .

ج ٤

١٢ ما بين معقنين لم يرد أيضاً في مخطوطات برلين DE 47, MF 135, Pt 661 ،
وكذلك ما ورد بين معقنين على الصفحة : ١٧ .

٣٥ الأبيات في أول هذه الصفحة وردت في اللزوميات ١ : ٢٧ (ط . هندية)
ورواية البيت الثالث :

إذا ما أتانا زائر متفقد فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
قال أبو العلاء : وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس ،
ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس .

٣٦ ما بين معقنين على هذه الصفحة ورد في مخطوطة برلين Ldg. 543

٣٩ البيتان « تعزّ أبا العباس ... » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤٠ الأبيات « أنت تبقى ونحن طراً فداكا » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤١ السطر ٥ بعد قوله والله أعلم ورد في مخطوطة برلين DF 47 الورقة ١٠٢ ما يلي :
« وذكر الجهشيارى في كتاب أخبار الوزراء في أنباء أخبار البرامكة أن الفضل
ابن سهل بن زادان فروخ من قرية من السيب الأعلى ، وكان له عم يدعى يزيد ،
فتوكل لجارية لعاصم بن صبيح ، فآتمه عاصم بها فضره بالسيف وهو سكران
ضربة مات منها ، فصار سهل والد الفضل المذكور إلى باب يحيى بن خالد
البرمكي طالباً دم أخيه وهو محبوس بعد ، فاتصل بسلام بن الفرج مولى يحيى
مستغيثاً به ، فحماه وأعانته ، فأسلم سهل على يد سلام المذكور ، ووصل به
حتى اتصل بالبرامكة ، وأحضر ولديه الفضل المذكور والحسن ، فاتصل الفضل
بالفضل بن جعفر بن يحيى ، واتصل أخوه الحسن بالعباس بن الفضل بن يحيى
وخدماهما ، وعرفهما يحيى فرعاهما ، فنقل الفضل بن سهل ليحيى كتاباً من
الفارسية إلى العربية ، فأعجبه فهمه وجودة عبارته ، وقال له : إني أراك
ذكياً وستبلغ مبلغاً رفيعاً ، فأسلم حتى أصلك بولد أمير المؤمنين ، فقال :
نعم ، فبعثه إلى ولده جعفر ، فأدخله على المأمون .

٤٧ ما بين معقنين ورد في Ldg. 543

٦٩ البيتان : « همّي دونها السها ... » وردا في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٢
ونسبهما لمحمد بن القاسم ولد المترجم به .

١١٠ ما بين معقنين ثابت أيضاً في DF 47 ، أما ما جاء على الصفحة ١١١ بين
معقنين فإنه ساقط منها .

١٢٢ ترجمة العتابي لم ترد في DF 47 .

١٢٧ الليث بن سعد : هذه هي الترجمة التي وردت في Pt. 661, 662 .

- ١٤٧ ترجمة ابن المستوفي لم ترد في النسخة 543 Ldg. .
- ١٥٢ الترجمة رقم ٥٥٥ لم ترد في 543 Ldg.
- ١٥٤ الترجمة رقم ٥٥٦ لم ترد في 544 Ldg ووردت في 562 Pt وتنتهي فيها عند قوله « خلنهم الله تعالى » .
- ٢٢٢ البيتان : « أيا جبلي النعمان » : وهم الاسوي فنسبهما إلى الارغيباني ، وهما من قديم الشعر ، وينسبان للمجنون .
- ٢٢٨ ما بين معقفين ثبت في 47 DF أيضاً .
- ٢٢٩ الترجمة رقم ٥٩٤ لم ترد في 135 MF .
- ٢٤١ الترجمة موجزة في 135 MF .
- ٢٧٥ البيتان « يا راحلين بمهجة ... » نسبهما في الاسوي ٢ : ١٠٧ للشهرستاني نفسه .
- ٢٩٥ السطر ٤ : ذكر ابن المستوفي بعض مؤلفات الحازمي وفي التسمية بعض اختلاف عما أورده المؤلف ، فمن كتبه الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار ، ومشتبه النسب وسماه « اصطلاح النسب في علم الأنساب » ، وكتاب التفصيل في مشتبه النسبة .
- ٤٣٤ ترجمة ابن أزره جاءت كاملة في 661 Pt .
- ٤٥٣ قصة هجو ابن الهبارية لنظام الملك وردت بشكل آخر في ابن العديم ٤ : ٢٩٥ وذكر أنه أوردها أيضاً في ترجمة ابن الهبارية .

ج ٥

- ص ١١ خطبة واصل التي أسقط منها الرأء في جمهرة الاسلام ، الورقة : ٨٨
- ص ٤٧ السطر ١٧ كتاب المغرب ، ضبطه المؤلف بخطه بالعين المهملة في ترجمة يوسف بن تاشفين .
- ٣٤٦ السطر ١٦ : « وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة ... » . قارن بما ورد في الخريدة ٢ : ١٧٢ (قسم العراق) .
- ٣٥٤ الأبيات « قل للقوافل والغزاة إذا غزوا... » ورد بعضها في ابن العديم ٨ : ٣٨ .

ج ٦

- ٧٠ السطر : ٩ ذكر ابن العديم كتاباً اسمه « أتمودج الأعيان » ٢ : ٢٠٨ وقال انه من تأليف عبد السلام بن يوسف الدمشقي .

- ٧٦ القصة التي أوردها ابن المؤلف (الحاشية : ٢) أوردها المؤلف نفسه (ج ٢ : ٢٩٦ - ٢٩٧) .
- ١٣٧ البيتان « تنكر لي دهري » للأبيوردي وقد وردا في ترجمته ٤ : ٤٤٦ .
- ١٥٢ الأبيات « يا زائرنا من الخيام ... » لمنصور النمري من قصيدة يمدح بها الرشيد ، طبقات ابن المعتز : ٢٤٧ .
- ٢٣٥ الأبيات « يا باذل-المال في عدم وفي سعة ... » وردت في ابن العديم ٨ : ٢٧٥ والرواية فيه « مواهبه » موضع « فواضله » ؛ و « مفعمة » موضع « منعمة » ؛ « بأحدائي » موضع « بأحداث » ؛ « فالجود بالعرض » موضع « فالجود بالعزّة » .
- ٢٨٥ الأبيات « سألتناه الجزيل فما تلكا ... » نسبها ابن العديم ٨ : ٣٧ لزياد الأعجم يقولها في مدح عبد الله بن جعفر .
- ٣١٠ قصة يزيد بن أبي مسلم مع سليمان بن عبد الملك وردت في ج ٢ : ٤٢٥ في ترجمة سليمان ، ومعلوم أن هذه الترجمة لم ترد إلا في نسخة ص .
- ٣٢٤ قصة أشعب مع يزيد بن حاتم وردت في ترجمة أشعب ٢ : ٤٧٣ وهي ترجمة انفردت بها ص أيضاً .

ج ٧

- ٤١ الأشعار الواردة ابتداءً من « ألقى في لظى ... » ورد معظمها في انباء الأمراء ، الورقة : ٢٧ في ترجمة أبي المواهب القمي .
- ١٣٩ س ٨ « اتفق أهل التاريخ ... » انظر هذا النص في ذيل مرآة الزمان ١ : ٣٧ .
- ٢٠٨ البيتان « وما خضب الناس ... » وردا في البدر السافر ، الورقة : ٢٠٥

٤ - معارضة الجزء الاول بمسودة المؤلف والنسخ س ر بر

ص ٢٥	السطر : ١	س : رببعة بن ذهل بن رببعة بن حارثة بن ذهل بن سعد .
	٩	س بر : أنا أتوقع .
	١٥	المسودة : جلد ؛ س : جالد ؛ ربر : خالد .
٢٦	« ١	س بر : وهذا هو الصحيح .
٢٧	« ٣	س : ونجب .
	٧	المسودة س بر ر : عتمة .
٢٨	« ٣	المسودة س بر : الملقب ركن الدين .
	٦	س : خمس مجلدات .
	١٦	المسودة : دَعَلَج (مضبوط بخط المؤلف) .
٢٩	« ١٢	س بر : فيطلب منه .
	٢٠	المسودة س ر بر : بودّ حرّ .
٣٠	« ١٤	المسودة ر بر : لا تألف ؛ س : لا يوئلف .
٣١	« ١	بر : الخوزي ؛ س : الخوري (دون اعجام) .
٣٣	« ١٦	ر : تغيير .
٣٤	« ٦	ر : أخوا علم .
٣٥	« ٩	س ر : إذ نفحا .
٣٧	« ١٠	المسودة س ر بر : وكان أصله من العراق من السندية ، ققيهاً فاضلاً .
	١٢	المسودة س ر بر : ونظمه رائق فمنه .
٣٨	« ٧	المسودة : فلو كان .
٤٠	« ٩	س : فلما قدم المأمون ببغداد .
	١٥	المسودة : حتى يكون .
٤٢	« ١١	س : عثمان (موضع بهمن) .

ص ٤٢	السطر : ١٢	المسودة : يسك ؛ ر : يشك .
	١٥	المسودة ر : وهم من بيت .
٤٣	٨	بر : وكان هارون الرشيد .
٤٤	٤	المسودة ر س بر : ومن رقيق شعره قوله .
٤٦	١٤	بر : مخرج .
٤٨	٧	بر : قلبي أرق عليك .
	١٠	المسودة ر بر : صاحب كتاب الامامة .
٥٢	١٣	المسودة ر بر س : وهاجت حقه .
٥٤	٥	المسودة بر ر س : بهمز آخره .
	١٣	المسودة ر بر س : له ديوان .
	١٥	س : وأدب .
٥٦	١١	المسودة ر بر س : ما للعذار وكان .
٥٧	٤	المسودة ر بر س : كأني غيلان .
	١٦	المسودة بر س : افرنجية .
٥٨	٢٠	س ر : ومن العجائب أن تراه كاسداً .
٥٩	٩	المسودة بر : ما تبلّ .
	١٢	بر : يستملحه الأدباء ويستظرفونه .
٦٠	١	بر : طالعي الميمون .
٦٤	١٩	المسودة ر : شعيرات سود .
	٢٢	المسودة ر س بر : وتوفي .
٦٦	٤	المسودة س بر : في كتاب الطبقات في حقه .
	٥	المسودة س ر بر : وولي القضاء .
	١٩	المسودة س ر بر : إن الله تعالى بعث .
٦٧	١	المسودة س ر بر : فأظهر كلّ سنة .
	٢	المسودة س ر بر : ومنّ الله تعالى على رأس الثلثمائة بك .
	٦	المسودة : في حجرة ؛ بر : بحجرته .
	١٨	المسودة ر بر : عجمياً .
٦٨	٩	المسودة ر بر : تولى القضاء بها .
	١٠	المسودة ر بر : وأدركته خشية ورقة

المسودة س بر : بالحصون والأودية .	السطر : ١٧	ص ٦٨
المسودة ر بر س : وهي قبيلة كبيرة مشهورة .	١٥ «	٧٢
المسودة ر بر س : بن عبدك الاسفرايني .	٦ «	٧٣
المسودة س : علي بن الحسن .	١٢ «	
المسودة س : هو أقدم منه وأعلم .	١٦ «	
المسودة : ما لم أفعل ، وقال بهامش س : كذا هي بخط المصنف ، قلت : ولعله خطأ ، وفي بر : ما لم يفعل .	١٤ «	٧٤
المسودة ر س بر : الحافظ المشهور .	١٧ «	٧٥
المسودة س : وانتشر .	٥ «	٧٧
المسودة س : في كتابه الأنساب .	١١ «	٧٩
المسودة س ر : فاذا أحمد الثعلبي .	٥ «	٨٠
المسودة س ر بر : وهي أحسن مدن ...	١٥ «	
ر : وتجر أبوه .	٨ «	٨١
ر : فقال أحمد : ما بلغ مني ... الخ .	٦ «	٨٧
المسودة س : بقضاء حاجاته .	٤ «	٨٨
المسودة س : وكانت فيه ...	٩ «	
المسودة : ولم تكن طريقه .	٢٢ «	
المسودة : واضحة .	٣ «	٨٩
المسودة : آباء .	٤ «	
بر : تجي إليه .	٢٠ «	٩٠
المسودة ر س : وسباه العسكر .	٦ «	٩٢
المسودة : وآن الجمع .	٧ «	
المسودة ر س بر : من المصنفات المفيدة .	١٣ «	
المسودة س بر : عن أبي الحسين المحاملي (وورد من قبل : الحسن).	١٦ «	
المسودة ر س : حافظ الشرق .	٤ «	٩٣
المسودة بر س : وما أقصر .	٣ «	٩٦
ر : الأولى طابران .	٧ «	٩٨
المسودة س : باء موحدة مفتوحة .	٨ «	
المسودة : لكن هكذا .	١٤ «	

ص ٩٩	السطر : ٨	المسودة : وبعد الماء والألف نون .
١٠٠	« ٢	المسودة : المعلقات التسع .
١٠٣	« ٢	المسودة : اقرأ ؛ ر بر س : اقر .
	« ٩	المسودة : كبير الفائدة .
	« ١٣	بر : يعيش لدى ديمومة البيت حوتها .
١٠٤	« ١٥	المسودة س بر ر : وكتاب اختلاف النحويين وكتاب... الخ . (أدرجت كلمة كتاب في كل هذه الفقرة) .
١٠٥	« ٣	المسودة ر س : الحافظ أبو الطاهر .
١٠٦	« ١١	وهي بفتح الواو ... الخ (في ضبط وعلة) .
١٠٨	« ٥	المسودة : عائد ؛ ر بر : عابد .
	« ١٧	المسودة ر س بر : وكنت أحضر درسه .
١١٠	« ٨	المسودة س بر : خط الجمال .
١١١	« ١	المسودة س : من جملة قصيد .
١١٢	« ٥	المسودة : وله (في موضع : ولا بن عبد ربه ، وهو وموهم) .
١١٤	« ١٥	المسودة ر بر س : رهن المحبين .
	« ١٨	المسودة ر بر : بالايلام مطلقاً ؛ س : بايلام مطلقاً .
	« ١٩	لفظة « قوله » لم ترد في المسودة س ر بر .
	« ٢٢	« يوم » فوقها في المسودة « ليلة » .
١١٥	« ١	المسودة س : هذا البيت ، رحمه الله تعالى .
١١٦	« ٤	المسودة : ولم تزل المعرة بأيدي ...
	« ٥	المسودة : في سنة تسع .
	« ١٢	المسودة ر س : في كتابه الذخيرة .
١١٧	« ٢	المسودة س : من جملة قصيد .
	« ٨	المسودة ر بر : فنام ونامت .
١١٨	« ١٦	يعاني : هي كذلك في النسخ ما عدا س فقد وردت وتعاني ، وقد استشكل عليها الأستاذ جواد الطاهر ، والمقصود ما كان مثل كتابه « فتيا فقيه العرب » فقيه مسائل من قبيل الأحاجي .
١١٩	« ٥	المسودة س : بطرف فاتن فاطر .
١٢٠	« ١٥	المسودة س : التكملة والايضاح .

ص ١٢١	السطر : ٢	المسودة : القَبَج .
١٢٢	« ٥	المسودة س : فالتحق بالأمير .
١٢٣	« ٥	المسودة س ر بر : وأجزل جائزته .
	« ٢١	المسودة ر س : وبعدها الفاء .
١٢٦	« ٢	المسودة : ومن محاسن شعره فيه قوله :
	« ٣	المسودة ر : علاك وفي الدنيا .
	« ٦	سقطت « أيضاً » من المسودة ر .
	« ٩	المسودة ر بر س : وشكت .
١٢٧	« ١٢	لفظة « ساحل » واردة في النسخ .
	« ١٢	المسودة ر س بر : طرسوس .
١٢٩	« ١٥	١٨ سقطت كلمة « قوله » من المسودة س ر .
١٣٠	« ١	المسودة بر : وقلت قف لا ترد للماء .
	« ٢	المسودة ر بر : قالت صدقت وفاء الحب .
١٣١	« ٣	لفظة « بطون » لم ترد في النسخ .
	« ٨	المسودة : قصب الخصل ؛ ر س بر : قصب الفضل .
١٣٢	« ٣	المسودة : ومن مدحها .
١٣٣	« ٧	س : نول الناس .
	« ١٣	المسودة س : وتقلبوا الأخلاق (وهي الصواب) .
١٣٤	« ١٠	المسودة ر س : وتوفي في سنة .
	« ١٣	المسودة ر س : لقبه عبد الله بن المعتز .
١٣٥	« ٥	المسودة : والعلماء المقدمين .
	« ١٠	س : قصيد أبي نواس .
١٣٦	« ١	خ بهامش س : ذريني (أردماء ...) .
	« ٦	المسودة س ر : غبي بمرجوع (وهي قراءة ضعيفة) .
١٣٨	« ١٣	المسودة : وله من جملة أبيات .
	« ١٦	في المسودة بعد لفظة « الوشاة » : والله أعلم .
١٣٩	« ١١	المسودة ر س بر : أحد من جر الأيام جرا .
١٤٠	« ٩	المسودة ر س : ومن شعره (وسقطت : أيضاً) .
	« ١٥	المسودة ر س بر : ومن بديع قلائده القصيدة .

ص ١٤٢	السطر : ٢	المسودة ر س : المحسنين في فنونه .
١٤٣	« ١٠	المسودة بر س : والآخرة أيضاً والآخرة أيضاً .
	« ١١	المسودة : وأطرق ولم .
	« ١٤	المسودة : وقاه فوقها كلمة « غذاه » .
	« ١٥	المسودة : المرضعات فوقها كلمة « الوالدات » .
١٤٤	« ٢	المسودة س بر : يروع .
	« ٤	المسودة س بر : وأورد شيئاً .
	« ٦	المسودة س : اوقليدس .
	« ٧	المسودة : وقد تناهى عقله قلة .
	« ٨	المسودة ر : وتوجد له .
١٤٥	« ٧	المسودة س : الحياط الدمشقي الشاعر .
	« ٨	المسودة س : ومدح بها .
١٤٨	« ١٠	س : ألا هل .
	« ١٦	المسودة بر : الأسمى في الأسماء .
١٤٩	« ٤	المسودة : الكاتب الشاعر الملقب كامل الدولة .
	« ٤	المسودة : نادر الخط .
	« ٦	المسودة س ر : كتب بالمقامات نسخاً .
١٥٠	« ٣	المسودة ر : فتطوى .
١٥٢	« ١٩	المسودة ر : دونه (كذا ثبت بخط المؤلف) .
	« ٢٣	المسودة ر بر : فالعين تنظر منها ما دنا ونأى (وهي رواية موافقة لرواية الديوان) .
١٥٣	« ٤	المسودة ر س بر : لكم (باتفاق النسخ) .
	« ٨	س ر بر : لم ؛ وبهامش س : كم ، ولم ترد الأبيات في المسودة ، وهي من أصل المؤلف .
١٥٨	« ٢	هامش س : وعلا وجنته (وهي أصوب) .
١٦٢	« ١	المسودة : والرياضيات .
	« ٢	المسودة ر : عضد الدين .
١٦٣	« ٩	بر : فلست أبالي (وهي قراءة ضعيفة) .
١٦٤	« ٦	المسودة ر بر : ابن المسلم اللخمي .

ص ١٦٤	السطر : ٩	المسودة س : وكذلك .
	١٤	المسودة س : وشهدت .
١٦٧	«	المسودة : أو قليدساً .
١٦٨	«	المسودة ر : مع المقدرة .
	٦	المسودة ر بر س : يكتسب .
١٦٨	«	المسودة ر : وفي صفة الصفوة (وهو الصواب) .
١٦٩	«	المسودة س : طيباً وقد قربوا للوفد .
	٩	المسودة ر بر س : في أشياء من العلم .
١٧٠	«	المسودة ر بر س : لفظه « كان » لم ترد فيها .
١٧١	«	بر : بن أبي الحسين .
١٧٢	«	المسودة س : إلى التنايز .
	١٠	س : للأسى ؛ خ : بهامش س : للهوى ؛ بر : بالجوى .
	١٣	المسودة : فمطلق ؛ س : فمعتق ؛ خ : بهامش س : فيطلق .
١٧٣	«	المسودة ر س بر : فقال : من مدّ ... الخ .
١٧٥	«	المسودة بر س : : وبقية النسب معروف .
	٦	المسودة بر س : كان صاحب العراق .
١٧٦	«	المسودة س بر : ملكه للعراق .
١٧٨	«	المسودة ر ير س : صاحب الديوان الشعر .
١٧٩	«	المسودة ر ير س : وسيأتي تنمة ...
	١٧	المسودة : فلم تكن .
	١٨	المسودة بر : استولى الافرنج .
١٨١	«	المسودة ر بر س : والقضية مشهورة .
١٨٢	«	المسودة بر : لا تياس إذ ؛ س : لا تياس إن .
١٨٣	«	المسودة بر : المذكورة بالقدس (لم ترد لفظه : الشريف) .
١٨٥	«	المسودة : أفنيتَ (بفتح التاء) .
	١٨	المسودة ر بر س : وشرطُ صاحب مصر .
١٨٦	«	س : زعم العين .
	١٥	المسودة : فقد حصّت .
١٨٧	«	المسودة ر : في تربة بالقرافة ؛ س بر : في تربته بالقرافة .

ص ١٨٧	السطر : ١٧	المسودة : وزج المتظلم .
١٨٩	« ٦	المسودة بر : فميلوا ؛ س : ميلوا .
١٩١	« ٨	المسودة ر بر : وإيل غازي .
١٩٢	« ١٣	ر بر : الفرة (وهو مشكلٌ في تحديده) .
١٩٣	« ٤	المسودة س ر : قتله عسكر .
«	« ٥	المسودة س : ابن السمعاني .
«	« ٧	ر : شغب ؛ بر : سعد .
«	« ١٧	المسودة ر س بر : قلّ أن يوجد .
١٩٤	« ١٤	المسودة ر س : فترصد له في يوم .
«	« ١٩	المسودة ر بر : ألف دينار وقد قضيت ... الخ .
١٩٥	« ١٢	المسودة س : على يدي عتبة .
«	« ١٣	المسودة ر س بر : أدب الكتاب .
«	« ١٤	المسودة س بر : باب ما يغير .
١٩٦	« ١٤	المسودة : سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، والحافظ مات سنة أربع وأربعين .
«	« ١٩	المسودة ر س بر : تضعف عن .
١٩٧	« ١	س : الوقعة .
١٩٩	« ١٦	المسودة : ابن مطر وتحتها لفظة « بكر » ؛ بر : مظفر ، وفي بر : كعب بن همام بن بكر بن أسد (فوقعت لفظة بكر في النسب) .
٢٠٢	« ٤	المسودة ر بر : فكان كلما عمل .
«	« ٥	المسودة ر بر : وجعله في مسجد .
«	« ٩	المسودة : السعائين (دون اعجام السين) .
«	« ١٢	ر : يسك ؛ س : نسك ؛ بر : سبك ، وغير معجمة في المسودة .
٢٠٣	« ٢٥	س : وله نظم حسن فمن شعره .
٢٠٤	« ٢٣	المسودة : وتحت (بالحاء المهملة) .
٢٠٧	« ٧	المسودة س : محيي الدين .
«	« ١٣	المسودة س : في المذيل .
٢٠٨	« ١١	بر : أحمد بن الحسين ، ولفظة « الحسين » غير واضحة في المسودة .

ص ٢٠٩	السطر : ٢	المسودة ر س : فمن ذلك كتاب شرح ... الخ .
٢١٠	« ١٦	المسودة ر بر : وله من جملة مديح قصيدة طويلة .
٢١٣	« ١	المسودة س : التنوير في مولد .
٢١٤	« ٤	المسودة : رُقَيْع (بضبط المؤلف) .
	« ١٧	المسودة ر : لا يتقى بالدرع حدّ (وكذلك ابن الشعار) .
٢١٧	« ٨	المسودة : عمرو بن اسحاق ثم رمج على « اسحاق » وكتب فوقها « مسلم » .
	« ١٦	المسودة ر : أبو العباس ابن سريج .
	« ١٦	المسودة ر س : لم تُفْتَضَّ .
٢٢٦	« ١١	المسودة : دَرَسْتَوِيَه (بضبط المؤلف) .
	« ١٧	المسودة بر : سافر إلى بغداد .
٢٢٧	« ٥	المسودة س بر : وأكثر كتبه بها وضعها .
	« ٧	المسودة بر : فلتطلب منه .
	« ٢٢	المسودة بر : وكانوا كملوك الطوائف .
٢٢٩	« ١٢	المسودة س : ومن جملتها .
٢٣٠	« ١	المسودة س ر بر : لفظة « سريها » لم ترد فيها .
	« ٢٠	المسودة س : وذلك رزء في الأنام ؛ وكتب في المسودة فوقها « وذلك مرزوء عليّ » .
٢٣١	« ١٠	المسودة : دزيه (بخط المؤلف) بر : دريه .
٢٣٣	« ٨	المسودة : كتاب الحجّة للشيخ أبي علي الفارسي .
٢٣٤	« ٤	المسودة ر بر س : وسيأتي بقية .
٢٣٦	« ١	بر س : أراد دخول .
	« ٤	بر س : يخلصني من هذا (ولم ترد لفظة « الداء ») .
٢٣٧	« ٩	المسودة س بر ر : هي المدرسة الحنفية المعروفة بالسيوفية الآن .
٢٣٩	« ٣	المسودة ر : ما ناظرت أحداً .
٢٤٣	« ١٢	س : المعدودين من أعيانها .
	« ١٦	بر : في علوم الأدب .
٢٤٧	« ١٤	المسودة : سواة بن سارية .
٢٤٨	« ١	المسودة ر س بر : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

ص ٢٤٨	السطر : ١٠	المسودة : ثدييها .
٢٥١	« ١	المسودة : خماعة .
٢٥٢	« ١٥	المسودة ر س : وريف كثير .
«	٢٤	المسودة س بر : وأضر بها تحت الرايات .
٢٥٣	« ٣	المسودة : ويشعرون (؟) .
«	٣	المسودة س بر : الأعداء .
٢٥٥	« ٣	المسودة : خماعة .
٢٥٦	« ٦	المسودة ر : وهو السلطان مسعود بن غياث الدين .
«	١٧	المسودة : رأى أن يسيّر .
٢٥٧	« ٦	المسودة ر بر : الاسبهسلار .
«	٢٦	المسودة ر بر : لولده صلاح الدين (سقطت كلمة «يوسف»).
٢٥٩	« ٩	المسودة ر بر : وراثه الفقيه (الفقيه : خطأ مطبعي) .
«	١٢	المسودة ر بر : ابن أبي طي .
«	١٣	المسودة ر : بيلد شبختان .
٢٦٥	« ١٣	المسودة ر بر : المذكورة .
«	١٤	المسودة بر : التاسع والعشرين ؛ س : تاسع عشرين .
٢٦٦	« ١	المسودة ر بر : ركوب .
«	٧-٨	المسودة بر س : قصد طرابلس ونزل على قرب ...
«	٨	المسودة ر س : لا يرحل عنها إلى أن ؛ بر : إلا أن .
«	٩	المسودة : فتركت شرحه .
٢٦٧	« ٥	ر : مكان أبيه .
«	٦	المسودة س ر : شاه زنان .
«	١٤	المسودة س ر : منأ في كل شهر .
٢٦٨	« ١	س ر : طشت .
٢٦٩	« ١٥	المسودة : صفر، وفوقها «رجب» ؛ ر : رجب ؛ برس : صفر .
٢٧٠	« ٨	المسودة س : الذي تنسب إليه .
٢٧١	« ٦	المسودة : وكان المباشر لقتله مسعوداً .
٢٧٢	« ١٩	المسودة ر س بر : جملة قصيد عدد أبياته .
٢٧٤	« ١٢	المسودة س : وفتح الخاء الموحدة .

ص ٢٧٥	السطر :	١١	المسودة ر بر س : لأحد نعليه .
٢٧٧	«	١٢	المسودة : أخذ الفقه على .
٢٨٣	«	٤	المسودة س : فمنهم عبيد الله ، خ في س : فخذهم ؛ س/خ : سعيد أبو بكر سليمان (وهي قراءة بر) .
٢٨٣	«	١٤	المسودة ر بر س : في النحو والآداب .
٢٨٤	«	١	المسودة س : حيان بن هلال .
	«	٦	المسودة س ر بر : وكذا كذا آية .
٢٨٥	«	٩	المسودة س ر بر : نُجِنَفَى .
٢٨٦	«	١٤	المسودة ر : أن ترفع الخناية ؛ المسودة س : ولا ترفع السيف .
٢٨٧	«	٩	المسودة س ر : وأما واركلان فانه .
	«	١٣	س : وسيأتي ذكر .
٢٨٩	«	٤	س : في الحسن .
	«	١٩	س : كاد أن يدمي .
٢٩٠	«	١	المسودة س ر بر : فعرض .
	«	٢١	المسودة س بر : كانت فيه فضيلة .
٢٩١	«	٢	المسودة بر : جهة الغرب .
٢٩٥	«	١١	المسودة س ر بر : ثم تملك .
٢٩٦	«	٥	المسودة س ر بر : بظاهر دمشق التي .
	«	٢١	المسودة : ألبُغش ، س : النعش ؛ بر : البقش .
٢٩٧	«	١٤	المسودة ر بر : ابنة أبي الفرج .
٢٩٨	«	٤	المسودة س بر : لم ترد فيها لفظة « تقول » .
	«	١١	المسودة س : الحافظ العلامة زكي الدين .
	«	١٦	المسودة س ر بر : وما يتعلق به .
٣٠١	«	١٢	المسودة س : عَدَّرا (وما ثبت خطأ مطبعي) .
	«	١٦	المسودة س : وله (وسقطت « أيضاً ») .
٣٠٣	«	١١	س : هكذا قاله .
	«	١٦	المسودة ر : الهمذاني (بالذال المعجمة) .
٣٠٤	«	٤	المسودة س ر بر : بن زير الأصغر .
٣٠٨	«	١٤	بر : مما أبث (وهي قراءة جيدة) .

ص ٣١٣	السطر : ٣	س : بن قررة بن مروان .
	٤	المسودة : بن ماريئوس بن مالاجرئوس (بضبط المؤلف) .
٣١٥	٦	المسودة س بر : عليه السلام .
	٦	المسودة ر بر : وقيل هاران .
	٨	المسودة س : عليه السلام .
٣١٦	٤	المسودة ر س بر : فخرج منها سكرجتان .
	١٠	المسودة : فَحَيَّ هَلا (وما أثبت خطأ مطبعي) .
	١٣	المسودة ر بر : سمعت ذا النون يقول .
٣١٨	٧	المسودة س : ومحاسنه كثيرة .
	٩	المسودة س ر : ودفن في القرافة .
٣٢٧	٥	المسودة ر س بر : « والله أعلم » لم ترد فيها .
	١١	المسودة : صناعة الكيمياء .
٣٣٦	٣	المسودة : أضمر له سوء وأوقع به .
٣٤١	٩	المسودة س : وحدث محمد بن عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال (هذا بدلاً من «ومن أعجب ما يؤرخ»... الخ)
٣٤٨	٦	المسودة ر س : وسيأتي ذكرهما .
٣٥٧	٧	المسودة س : أبو الطاهر السلفي .
٣٥٨	٢	المسودة س بر : وأشهر هجرك المحتوم صدق .
	٥	بر : يخضب بالوسمة .
	١٠	المسودة س ر : وتوفي بها في ليلة .
٣٥٩	١	المسودة ر س بر : يستخرج بها الحفايا .
	٢	المسودة ر س بر : حدسه .
	٣	س : طشتا .
	٦	المسودة ر س بر : يستخرج بها (سقطت لفظة «الحبايا») .
	٩	المسودة ر س بر : ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفة .
٣٦٠	٤	المسودة ر : سخياً ؛ س : شيخاً .
	١٥	المسودة : وهذا القدر خلاصتها .
٣٦١	١٤	المسودة ر : فأبادهم بتشتت .
٣٦٢	٣	المسودة : تخبرني عن أحمد بن دواد .

ص ٣٦٢	السطر : ٤	المسودة : ولو قال كذا .
٣٦٤	« ١	المسودة س : انتزعها منه السلطان .
	« ٨	المسودة : فوجدت أن ملك شاه .
	« ١٨	المسودة ر س بر : صاحب الموصل والجزيرة والشام .
٣٦٥	« ٣	المسودة ر س بر : ولم ينل منها مقصوداً .
	« ٤	المسودة س : فرخ شاه ، وفوقها تضييب في المسودة .
	« ٦	المسودة : ليربيه .
	« ٧	اللالا : سقطت من النسخ .
	« ٧	س بر : فأتانا .
	« ٨	المسودة ر س : وكان جقر المذكور .
	« ١٢	المسودة : وثلاثين وخمسمائة ، وقيل تاسع ذي الحجة رحمه الله تعالى .
	« ١٢	المسودة س : موضع جقر الأمير زين الدين .
٣٦٦	« ٧	المسودة ر : بن كبير بن عذرة .
	« ١٣	المسودة : إن من الشعر حكمة .
٣٧٢	« ٥	المسودة : أبي علي الحسن بن سليمان .
	« ٨	المسودة : قتل الحاكم صاحب مصر لأبي أسامة جنادة وأبي الحسن المقرئ (وهكذا اضطرب المؤلف فهو يدعوه تارة أبا علي الحسن ، وتارة أبا الحسن علي بن سليمان) .
٣٧٣	« ٦	المسودة س : رضي الله عنه .
	« ٨	المسودة س : لم يرد فيهما « رضي الله عنهم » .
	« ١٥	المسودة ر : ورثي في يده يوماً ؛ بر س : ورثي يوماً في يده .
٣٧٤	« ١٢	المسودة بر : فبيننا أنا كذلك .
٣٧٥	« ١٣	س : القائل أبو الحسين .
٣٧٨	« ١٢	بر : وخرج حرهم .
٣٨٠	« ٣	المسودة : وهو الذي بنى القاهرة وسيأتي طرف منها في ترجمة (ثم طمس النص) ؛ وهو غير وارد في النسخ وورد بدله « وشرع في عمارة الجامع » ... الخ .

محتويات الكتاب

107 - 5

مقدمة التحقيق

تراجم الجزء السابع

٣	يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، أبو يوسف المنصور الموحد	٨٢٩
١٩	يعقوب بن داود بن عمر ، أبو عمر	٨٣٠
٢٧	يعقوب بن يوسف بن ابراهيم ، أبو الفرج ابن كلس الوزير	٨٣١
٣٥	يعقوب بن صابر بن بركات ، أبو يوسف المنجنيقي	٨٣٢
٤٦	يعيش بن علي بن يعيش ، أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش	٨٣٣
٥٣	يموت بن المزرع بن يموت ، أبو بكر	٨٣٤
٦١	يوسف بن يحيى ، أبو يعقوب المصري البويطي	٨٣٥
٦٥	يوسف بن أحمد بن يوسف ، أبو القاسم ابن كج القاضي	٨٣٦
٦٦	يوسف بن عبد الله بن محمد ، أبو عمر ابن عبد البر	٨٣٧
٧٢	يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله ، أبو محمد السيرافي	٨٣٨
٧٥	يوسف بن يعقوب بن اسماعيل ، أبو يعقوب النجبرمي	٨٣٩
٧٨	يوسف بن أيوب بن يوسف ، أبو يعقوب ابن وهرة الهمداني	٨٤٠
٨١	يوسف بن سليمان بن عيسى ، أبو الحجاج الاعلم الشنمري	٨٤١
٨٤	يوسف بن رافع بن تميم ، أبو المحاسن بهاء الدين ابن شداد	٨٤٢
١٠١	يوسف بن عمر بن محمد ، الثقفى ، أبو عبد الله	٨٤٣
١١٢	يوسف بن تاشفين اللمتوني ، أبو يعقوب	٨٤٤

١٣٠	يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أبو يعقوب صاحب المغرب	٨٤٥
١٣٩	يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدين	٨٤٦
٢١٩	يوسف بن محمد ، أبو الحجاج الموفق ابن الخلال	٨٤٧
٢٢٥	يوسف بن هارون الكندي ، أبو عمر الرمادي	٨٤٨
٢٣٠	يوسف بن درة المعروف بابن الدرّي	٨٤٩
٢٣١	يوسف بن اسماعيل بن علي ، أبو المحاسن شهاب الدين الشوّاء	٨٥٠
٢٣٨	يوسف بن محمد بن ابراهيم ، أبو الحجاج البياسي صاحب الحماسة	٨٥١
٢٤٤	يونس بن حبيب النحوي ، أبو عبد الرحمن	٨٥٢
٢٤٩	يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفي ، أبو موسى	٨٥٣
٢٥٤	يونس بن محمد بن منعة ، أبو الفضل رضي الدين الاربلي	٨٥٤
٢٥٦	يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي	٨٥٥

التراجم العارضة

١٢	شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة ابن شداد	355
١٣	أبو بكر يحيى بن عبد الحليل ابن مجبر الأندلسي المرسي	356
١٥	أبو عبد الله محمد بن يعقوب الملقب بالناصر المرابطي	357
١٦	أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر المرابطي	358
١٦	أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب الملقب بالعدل المرابطي	359
١٦	أبو زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب	360
١٦	أبو العلاء ادريس المأمون	361
١٧	أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلاء ادريس الرشيد	362
١٧	أبو الحسن علي بن ادريس المعروف بالسعيد	363
١٨	أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف الملقب بالمرتضى	364
	الواثق أبو العلاء ادريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف	365
١٨	بأبي دبوس	
١٨	علي بن اسحاق الميورقي المعروف بابن غانية	366

١٩	أبو محمد عبد الله ابن غانية	367
٢٦	أبو جعفر الفيض بن أبي صالح	368
٢٦	أبو عبيد الله معاوية الأشعري	369
٢٦	أبو حنش الهلالي النميري (واسمه حضير بن قيس البصري)	370
٣٤	القائد فضل	371
٣٥	أبو القاسم عبيد الغفار شاعر دولة الحاكم	372
٥٦	أحمد بن المدبر	373
٥٧	أبو فضلة مهلهل بن يموت بن المزرع	374
٥٩	حكيم بن جبلة	475
٧٠	الجمّاز : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد	376
٧١	أبو محمد عبد الله بن يوسف النمري	377
٨٢	أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري	378
٨٥	الشيخ أبو البركات عبد الله بن الحضرمي المعروف بابن الشيرجي	379
٨٥	الشيخ محب الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بالموصل	380
٨٦	الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري الصنهاجي	381
١٠٠	الشيخ نجم الدين ابن الخباز	382
١٠٠	الاتابك شهاب الدين طغرل	383
١٠٠	أبو الحسن ابن خروف الأديب	384
١٢٥	علي بن يوسف بن تاشفين	385
١٣١	الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد المعروف بابن مردنيش	386
١٣٢	أبو جعفر أحمد بن صمادح البني اليعمري الأبتدي الشاعر	387
١٣٤	أبو بكر محمد بن الطفيل	388
١٣٦	الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكوراني (الجراوي)	389
١٤١	مجاهد الدين الخادم	390
٢٠٣	ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي	391
٢٠٥	الملك الظافر المشهور بالمشمر	392
٢١٢	عمرو بن العاصي	393
٢١٦	خارجة بن حذافة بن غانم	394
٢٣٧	ابن الجبراني	395

٢٥٣	عبد الأعلى الصديقي	396
٢٥٣	أبو الحسن أحمد بن يونس الصديقي	397

٢٦٠

نماذج من صور المخطوطات

٣٠٥

ملحقات

٣٠٧

١ - مزيد بيان في تخريج التراجم الأصلية

٣٣٧

٢ - مزيد بيان في تخريج التراجم العارضة والتعريف ببعض الأعلام

٣٤٤

٣ - زيادات من النسخ وتعليقات وتخريجات لبعض النصوص

٣٦٠

٤ - معارضة الجزء الأول بمسودة المؤلف والنسخ س ر بر

تصويبات واستدراكات^(١)

جا

ص ٢٩	س ٥	ابن أمين	اقرأ : ابن رامين
ص ٣٣	س ١٦	تعبير	اقرأ : تعبیر
ص ٤٦	س ١	العُقر	اقرأ : العُقْر
ص ٦١	س ٢٠	شعور	اقرأ : شقور
ص ٨٧	س ١٣	مزِيد	اقرأ : مَزِيد (عج)
ص ١١٤	س ١	لبَد	اقرأ : لبَد
ص ١٣٦	س ٧	ومَهَّدتْ	اقرأ : ومَهَّدتْ
ص ١٥٠		(الحاشية)	هذا التعريف وهم كله لتشابه الاسمين فيحذف (عج)
ص ١٦٨	س ١٥، ١٠	وصفوة	اقرأ : وصفة (عج)
ص ١٧٩	س ١٧	وولي	اقرأ : وولتي
ص ١٨٥	س ٢١	صِقْلِيَّة	اقرأ : صَقْلِيَّة
ص ٢١٣	س ٢٢	والقوات ١ : ٢١	اقرأ : والقوات ١ : ٣٦
ص ٢٤٤	س ٤	البطرني	اقرأ : البطرني

(١) كان الدكتور علي جواد الطاهر قد راجع الجزء الاول في مقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الاول، المجلد السادس والاربعون: ٤٥ - ٦٥) وقد أطنب في ذكر ماخذ شكلية، على أنه، بعد كل ذلك، يستحق الشكر لاهتمامه بهذا العمل، وسأقيد ما أفدته من ملاحظه في هذا الباب، وأشير إلى ذلك مقترفا باسمه الكريم (برمز: عج).

اقرأ : جور ، وربّي
 اقرأ : أنر
 اقرأ : قصر
 للعنقي تاريخ المغاربة (المشبه
 للذهبي: ٤٤٦) وهذا هو الذي
 يمكن أن ينقل عنه المؤلف ،
 وقد نبه دي سلان إلى ذلك
 (الترجمة الانجليزية ١ : ٢٨٠)
 اقرأ : وافى (هذا ما أرجحه وقد
 وردت وافق في النسخة بر أيضاً)
 اقرأ : هذا (عج)
 اقرأ : سبية
 اقرأ : متيقظ
 اقرأ : يقدم
 اقرأ : ونجب
 اقرأ : أظرفه
 اقرأ : حمدون
 اقرأ : أجر
 اقرأ : للتفخيم
 اقرأ : دمعي
 اقرأ : وحمله
 اقرأ : صبحه
 اقرأ : دواد (عج) وكذلك
 حيث ورد
 اقرأ : كده
 اقرأ : حينه (هذا ما أرجحه)
 اقرأ : والخانات
 اقرأ : سوى
 اقرأ : التجار
 اقرأ : الكينجي (؟) كذلك
 هي في ر .

جودوربي ١٢ س ٢٦١ ص
 أنز ٦ س ٢٩٧ ص
 قصر ٣ س ٣٠٢ ص
 (الحاشية١) ٣٠٣ ص
 وافق ١٨ س ٣٣٦ ص
 هذا ١٠ س ٣٤٠ ص
 سلبية ٩ س ٣٥٢ ص
 مسقط ٦ س ٣٥٣ ص
 تقدم ١١ س ٣٥٣ ص
 ونجب ١٦ س ٣٥٥ ص
 أظرفه ١٧ س ٣٥٥ ص
 حمدان ٣ س ٣٦٠ ص
 أجر ٥ س ٣٧١ ص
 للتفخيم ١٢ س ٣٨٩ ص
 الدمع ٥ س ٣٩٠ ص
 وحمله ٧ س ٣٩١ ص
 صبحه ١٦ س ٣٩٤ ص
 دواد ٩ س ٣٩٧ ص
 كيده ١٦ س ٣٩٧ ص
 خيفته ١٧ س ٤٠٨ ص
 والخانات ١١ س ٤٠٩ ص
 ينوي ٩ س ٤١٠ ص
 التجارة ١٤ س ٤١٠ ص
 الكينجي ١٥ س ٤١٠ ص

دنانير وتطوع	ص ٤١١	س ١١	دنانير وتطوع	ص ٤١١	س ١١
أدبك	ص ٤١١	س ١٤	أذنك	ص ٤١١	س ١٤
تسمع مثل	ص ٤١١	س ١٥	نسمع منك	ص ٤١١	س ١٥
أردت	ص ٤١١	س ٢٢	أردتك	ص ٤١١	س ٢٢
لتقود	ص ٤١٢	س ١	لتفسد	ص ٤١٢	س ١
يقتصد	ص ٤١٢	س ٧	يستقصه	ص ٤١٢	س ٧
قدمك	ص ٤١٣	س ٨	قدامك	ص ٤١٣	س ٨
وضح من بناتكم	ص ٤٢٠	س ١١	وضح من نياتكم	ص ٤٢٠	س ١١
يرضاه	ص ٤٢٠	س ١٤	نرضاه	ص ٤٢٠	س ١٤
شرفهما	ص ٤٢٠	س ٢٠	شهر فيهما	ص ٤٢٠	س ٢٠
رفضاً	ص ٤٢٥	س ١٣	رافضياً	ص ٤٢٥	س ١٣
بطشت	ص ٤٢٥	س ٢٣	بطست	ص ٤٢٥	س ٢٣
بالطشت	ص ٤٢٦	س ٢	بالطست	ص ٤٢٦	س ٢
عن حجناء بن جرير	ص ٤٢٩	س ١٦	قراءة ر : بلال بن جرير	ص ٤٢٩	س ١٦
بثمر وفاكهة	ص ٤٣٠	س ٨	(وهي أصوب) .	ص ٤٣٠	س ٨
رقي .. يستفزه	ص ٤٣٤	س ١٠	قراءة ر : بتمر وفاكهة (وهي	ص ٤٣٤	س ١٠
خيري	ص ٤٣٥	س ١١	أصوب) .	ص ٤٣٥	س ١١
ليبقى أكله	ص ٤٣٦	س ٤	اقرأ : رقي .. تستفزه	ص ٤٣٦	س ٤
حشف	ص ٤٤٣	س ١١	خري	ص ٤٤٣	س ١١
ونعم	ص ٤٤٤	س ٤	ليبقى أمله	ص ٤٤٤	س ٤
أمر به	ص ٤٤٦	س ١١	خشف	ص ٤٤٦	س ١١
أجردا	ص ٤٤٦	س ١٥	ونعم	ص ٤٤٦	س ١٥
تسود من	ص ٤٤٦	س ٢٠	أمر به	ص ٤٤٦	س ٢٠
المبقري	ص ٤٤٨	س ١٢	أجردا	ص ٤٤٨	س ١٢
مصيدة	ص ٤٥٠	س ٣	تسود إلا من	ص ٤٥٠	س ٣
وقد راح للتوديع مني يرانيا	ص ٤٥٨	س ١٣	المبقري	ص ٤٥٨	س ١٣
يفرن	ص ٤٥٨	س ٢٠	مصيدة	ص ٤٥٨	س ٢٠
			وقد لاح للتوديع مني		
			دانيا (قراءة ر) .		
			« نفرزن (عج) :		

اجتليت	ص ٤٦٢	س ١١	اجتليت
بخله	ص ٤٦٢	س ١٢	« : بخل
ذرى	ص ٤٦٢	س ١٧	« : درر
للعاصم ... وسور	ص ٤٦٢	س ٢١	« : العاصم ... وسوار
إذخر	ص ٤٦٢	س ٢١	« : أذخر
وسور	ص ٤٦٢	س ٢٢	« : وسوار
يداه	ص ٤٦٣	س ١	« : يدي
بل كل من ولدت	ص ٤٦٥	س ٤	« : بل كل الذي ولدت (قراءة ر ونبه إليها عج) وأشار إلى قراءة اليتيمة : ما مت وحدك لكن مات من ولدت) .
لا تعجبوا ان هم فيهم [قد] انتشروا	ص ٤٦٥	س ٧	اقرأ : لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا كما في اليتيمة (عج) ، وقد ورد الشطر في ر ناقصاً بعد كلمة الناس .
بروض	ص ٤٦٩	س ١١	اقرأ : بنور (قراءة ر)
ان العدد ان اوبعه	ص ٤٧٥	س ٥	« : ان العدوان أوقعه (قراءة ر)

ج ٢

رقيق	ص ٣٦	س ٨	اقرأ : رقيق
ارجئه	ص ٣٧	س ٢٠	« : أرجه
العلم	ص ٨٧	س ٥	« : العمر
جعفر بن سهل	ص ١٢١	س ٨	« : الفضل بن سهل
إلى عيسى	ص ١٤٢	س ٣	« : إلى علي بن عيسى
إلى	ص ١٦٧	س ١٨	« : إلى
الصبر	ص ١٧٣	س ١٥	« : الصبر
الخلل	ص ١٩٥	س ١٦	« : الخلل
وقرى	ص ١٨٦	س ١	« : وقرا
عمرو	ص ١٩٧	س ١٤	« : عمر
عمرو	ص ١٩٨	س ١٧	« : عمر
عبد الغفار	ص ٢١٤	س ١١	« : عبد الغافر

أقرأ : الخضر	الخضر	س ٨٤٧	ص ٢٣٧
« : يدي يدي	يدي	س ١١	ص ٣١٦
« : نظراء	نظر	س ١٨	ص ٤٢٣
« : ابن	بن	س ١٢	ص ٤٧٢

ج ٣

أقرأ : بُغْضُ	بَعَضُ	س ١٩	ص ٣٣
« : غبت	غبتُ	س ٣	ص ٥٨
« : للوليد بن عبد الملك بن مروان .	للوليد بن مروان	س ١٠	ص ٢٧٦
أقرأ : قاصداً أبا	قاصداً أبا	س ١	ص ٢٩٨
« : موت	صوت	س ١٤	ص ٣٢١
« : الفادسي	الفارسي	س ١٩	ص ٤٢٥

ج ٤

٢١١٢	٢٢١٢	س ٩	ص أ
أقرأ : بن أبي السمط	بن السمط	س ٢٣	ص ١٢٤
« : ابن القراب (على الترجيح)	ابن القرات	س ١١	ص ١٣٧
« : ما عدا	مادا	س ٢١	ص ١٤٣
« : ابن الرومي	ابن الرومي	س ٩	ص ٢٠٦
« : الشاشي	لشاشي	س ١٥	ص ٢٢٥
« : عند	عندي	س ٢٢	ص ٢٢٥
« : نبا	بنا	س ١١	ص ٢٣٠
« : البانياسي	البانياسي	س ٢٦	ص ٢٣٠
« : بثلب	بثلب	س ١٤	ص ٣١٤
« : الله	لله	س ٢٤	ص ٣٩٣
« : في	أفي	س ٩	ص ٤٦٥

ج ٥

أقرأ : بخراسان	بخراسان	س ١٢	ص ٦٧
« : اليمين	في اليمين	س ٥	ص ٨٧

أقرأ : يستقص	يستقص	ص ٨٧	س ٥
« : عبيد الله بن عبد الله	عبد الله بن عبد الله	ص ٩٣	س ١٣
« : وأنفذها	وأنفذها	ص ١٢٨	س ٢٦
« : وله أب	وله ب	ص ١٥٣	س ١
« : تعالى	تعالى	ص ١٩١	س ١٣
« : الذي	الذي	ص ٢٩٦	س ١٦
« : لقدها	لقدها	ص ٣٦٠	س ٢٠
« : الكتيب	الكتيب	ص ٣٦٠	س ٢١
« : حملوا	حملوا	ص ٣٦١	س ١٩
« : الجنان	الجناب	ص ٣٩٧	س ٢٠
« : يمينه	يمينه	ص ٤٠٦	س ٢٠
« : فنسبت	فنسبت	ص ٤١٥	س ٥

٦ ج

أقرأ : القوات : ٦٢٤	القوات : ٦٤٢	ص ٧	س ١٣
« : والقوات ٢ : ٦١٤	والقوات ٢ :	ص ٥٠	س ١٩
« : بركات بن هلال	بركات هلال	ص ٦٧	س ١١
« : أتزل	تزل	ص ٧٦	س ٢٢
« : هو أبو أحمد	هو ابن أحمد	ص ١٠٤	س ٦
« : ويلقي	ويلقي	ص ١٣٧	س ١٤
« : عن	غن	ص ١٣٨	س ٢٢
« : ؛ وبينه وبين	وبينه ؛ وبين	ص ١٥١	س ٤
« : وقيل	وقيل	ص ١٨٧	س ٢٣
« : المحلي	المحلي	ص ٢٥٤	س ٩
« : الخرجي	الخرجي	ص ٢٦٨	س ١٧
« : للمقصورة : ٥٨ - ٦٠	للمقصورة	ص ٣٥٥	س ٢٤
« : معاوية	معاوية	ص ٣٥٨	س ٢٢
« : سُمِيَّة	مية	ص ٣٦٢	س ٩
« : أبو عبيد الله	أبو عبد الله	ص ٣٧٠	س ١٤
« : قد	ند	ص ٣٧٤	س ٢٥

« : الموفق بالله أبا أحمد	وأبيه	ص ٤٠٠	س ١٩
« : الموفق بالله أبا أحمد	الموفق بالله أحمد	ص ٤١٨	س ١٠

ج ٧

« : اقرأ ذات	ذات	ص ١١	س ٢٥
« : المرزق ^٤	المرزق ^٣	ص ٥٣	س ١٦
« : وعبد الملك	وعبد الله	ص ٥٥	س ٢٠
« : وسعيد بن نصر	وسعيد نصر	ص ٦٦	س ٥
« : فأجابته	فأجابته	ص ٨٨	س ٢
« : وأخيه	أخيه	ص ١٣٩	س ٥
« : المسلمون	لمسلمون	ص ١٩٠	س ١٣
« : عدة	عدة ١	ص ١٩١	س ١٣
« : ابن سعيد ^١	ابن سعيد	ص ٢٢٩	س ٥
« : الكفيف ^٢	الكفيف ^١	ص ٢٢٩	س ٦
« : ٢	١ (رقم الهامش)	ص ٢٢٩	س ١٦
« : وستين	وستين	ص ٢٤٥	س ٧

